

عدد ممتاز

اطلب من البائع بالمجان

خريطة افريقيا

ملونة عدة ألوان

١٩٦ صفحة

منها ٢٨ بالألوان

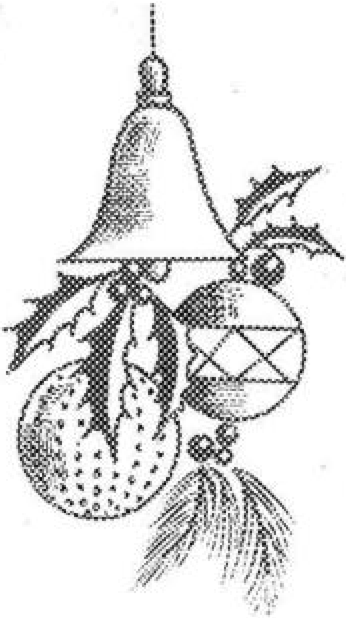
والعربي الصغير

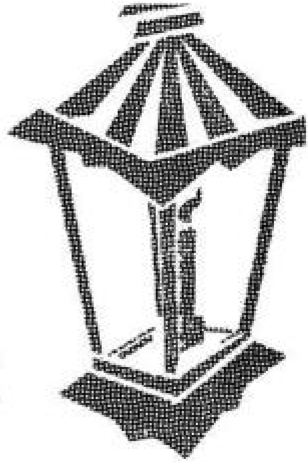


● هذه الصورة هى احدى روائع الفنان الفرنسى رنوار Renoir الخالدة التى انتجها عام ١٨٧٥ . ففى هذا العام كان يقيم فى المرسم الخاص به بحى « مونتمارتر » بباريس . فحط بالقرب منه سرك اسبانى ، وكان هذا السرك المتواضع يتالف من فرناندو الأب ، ومن ابنتيه الصغيرتين ، ومهرج ، وبعض الأحصنة

(البقية على صفحة ١٧٨)

حة ..
ريخ حياة





عـزيزى القارىء :

● هذا عدد « العربى » الممتاز الذى عودناك اياه كل عام ، كل عيد ميلاد « للعربى » .

وتشاء المصادفة ان يكون عيد ميلاد « العربى » هو عيد ميلاد العام الجديد .

وتشاء المصادفة كذلك ان يخرج « العربى » الى الأسواق ، وعيد ميلاد السيد المسيح تدق أجراسه .

وفوق هذا وهذا ، يخرج «العربى» الى الأسواق ، ومآذن رمضان توشك أن تنير ، والصبية توشك أن تخرج فى الظلام ، على عادة القرون ، تبدد بالمصابيح ، من أحمر الزجاج وأخضره وأصفره ، سواد الليل البهيم .

أربعة أعياد هى اذن ، اجتمعت معا :

١ ـ ميلاد « العربى »

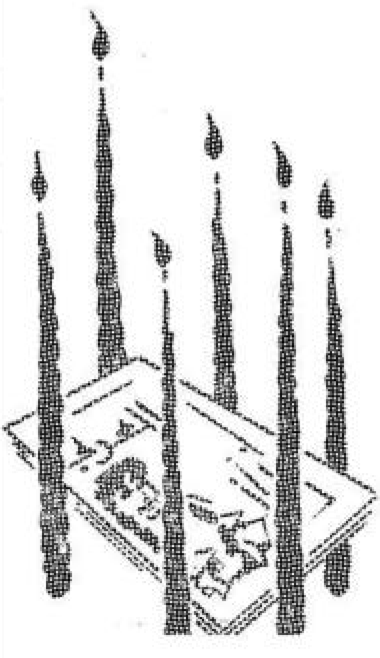
٢ ـ ميلاد العام الجديد

٣ ـ ميلاد السيد المسيح عليه السلام .

٤ ـ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات .

أعياد نرجوها دائما سعيدة ، بهيجة ، مشرقة ، لكل قارىء « للعربى » وقارئة .

المحرر





العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية
تصدرها وزارة الارشاد والأنباء بحكومة الكويت
ALARABY = No. 74 January 1965 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربى»
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

هدية العدد

ثمن العدد

الكويت	١١٠	فلوس	العراق	١٢٠	فلسا	السودان	١٠	قروش
الخليج العربى	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢ر٥	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم
			ج.ع.م.	١٠	قروش	المغرب	٢	درهم

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



اجعلوا للعلم نصيبا أوفر

● ... تحية عربية صادقة ، ابعثها لكم يامن انطلقتم فى مقدمة الركب العربي الناهض تحملون شعل الثقافة والمعرفة والحقيقة ... تحية اخشى من فرط تواضعها أن تكسبَ سطورها حمرةَ الخجل ..!

فقد آن الأوان لأمتنا العربية الخالدةأنتنطلق من قيود الكلمات وزخرفها الى رياض «العلم»وأمجاده ..

دعونا نبحث فى رماد الأجداد نيران العظمة .. والا .. أصابنا مالا يحمد عقباه .. ان كان لايزال عندنا أمر يحمد عقباه ؟ ..

اين احفاد ابن سينا ، والخوارزمي وجابر بن حيان ، والرازي ، والغزالى وابن الهيثم،ومحمد الكرخي .. وسواهم كثيرون ... ماحل بورثة مجدهم..أم أن علماء العرب لم يكن لهم ورثة؟!...

انى لأنظر فى أفضل رسل المعرفة فى الأقطار العربية فأعلم أنها «العربي» فاغرق بين دفتيهـا ليخرجوني غرقـا من بحـور شعرها وفسيفساء كلماتها ، وقد كان يحلو لي الموت غرقا فى محيطات قوانينها ونظرياتها ومن ثم اختراعاتها ...

بالله عليكم لا تدعوا ثناء الناس يمسك بكم عن اتمام رسالتكم .ان الشعب العربي يحتاج للعلوم الحديثة اكثر من حاجته للقصص المعادة المتكررة والقصائد ترصف رصيفا فى مدح هذا وشتم ذاك .. انا لا انكر ما للقيم الأدبية من أثر فى النفس ..ولكننى اضطر تحت ضغط الحاجة الا انى الفقـر المدقع الذى ضرب باذرعـه حول الأمور العلمية ... كما أرجو الا يسهى عن بالكم أن الحضارة الأوربية لم تكن لتقوم لولا عظم اعتمادها على النواحي العلمية ...

وارجو آخر الأمر أن توزعوا اهتمامكم وجهادكم بحيث يصيب العلم نصيب أوفر مما قد أصاب ان كان ذلك بشكل أبحاث عامية موسعة وافرة،أو بقالب استفسارات تضمنوها مسابقاتكم الشهرية، أو مواضيع تقدم للعرب نماذج عن بعض العلماء والمخترعين ...

« أحمد الملا » ـ حلب

مشكلة «(مزمنة)» فى الاخلاق!

● العجيب فى أمر مجلة « المجالس المصورة » اللبنانية الاسبوعية دأبهـا على نقـل مقـالات واستطلاعات مجلة (العربي) القراء الى صفحاتها، دون أية اشارة او ذكر للمصدر !!.. وعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ اذكر ههنا أن المجلة المذكورة لمتتورع فيعددها الـ ٥٢ الصادر فى١٩٦٤/١٠/١٣ عن نشر مقالين ماخوذين دفعةً واحدة من العـدد ٧١ من (العربى) هما :

ـ ١٠ ملايين طالب فى البلاد العربية .

ـ لقاء مع دب بدون موعد .

كما نشرت (المجالس المصورة) نفسها فى عدديها الـ ٥٧ و ٥٨ ، الصادرين على التوالي فى ١٠ و ١٧ نوفمبر ١٩٦٤ ، قصتين مأخوذتين حرفيـًا من العدد ٧٢ من (العربى) أيضا ، وهما :

ـ ضحية اضطهاد العنصرى .

ـ الساعة ، بقلم الدكتور بديع حقي .

ولعمري .. انه لأمر عجيب حقـًا ما يجرى فى تلك (المجالس) !؟

عبد الله الكاف ـ عمان

صيادو عناوين .. وهواة تعارف !!

● كنتم قد نشرتم اسمي وعنواني ـ أنا سعاد العلي من الكويت ـ في العدد ٧١ من (العربي) كفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة العدد ٦٩ من مجلتكم الغراء . والذى يدعوني اليوم الى الكتابة اليكم ليس الا ما نتج عن هذا النشر ... حينما صرت أتلقى رسائل من شتى اقطار العالم التى تصل اليها (العربي) ، حتى انني استلمت في أحد الأيام ست رسائل دفعةً واحدة ! وقد تراوح مضمون هذه الرسائل بين مجرد التهنئة الخالصة بالفوز بالجائزة ، الى عروض الزواج !... وهذا النمط الأخير ، ان دلّ على شيء ، فعلى أن مرسليها غير جديرين بوجودهم في صفوف قراء مجلةٍ رزينة كـ (العربي) ، اذ ماهم ـ وكما عبّر عن ذلك أحد الصحفيين ـ الا صيادو عناوين !..

على ان ذلك لا يحجب حقيقة ان العديد من الرسائل تضمّن رغبةً صادقة في التعارف وتبادل الهوايات ، وما الى ذلك . ولهذا ، أرجو أن تتفضلوا بتسجيل شكرى الخالص لمرسلي ومرسلات الرسائل من العراق والبحرين وحضرموت وسوريا والأردن والمملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة وليبيا وغانا ، مع اعتذارى عن عدم استطاعتى الاجابة على كل هذا العدد المتزايد من الرسائل .. يشاركني في الشكر زوجي وطفلتاي الاثنتان !...

سعاد العلي ـ الكويت

حول استطلاع طنجة

● تحقيقكم عن طنجة ـ المدينة العربية المطلة على المحيط الاطلسى ـ يدعو لكل تقدير وكل اعجاب .

« أرجو أن تواصلوا تحقيقاتكم المصورة عن بقية المدن السياحية والاثرية الجميلة في الوطن العربي ، وتزينوا كل عدد من أعداد (العربى) باستطلاع عن مدينة عربية ، لكي يعرف كل العرب مكانة مدنهم وأهمية مناطقهم الحضارية . واني شخصيا لم أكن أتصور ان طنجة بالذات هيعلى ماهي عليه منجمال أخاذ وطبيعة ساحرة».

وفقكم الله الى ما فيه خير العروبة

علي نورى ـ بغداد ـ العراق

جورج برنارد شو

● جاء في مسابقة العدد ٧٢ من (العربي) سؤال يشير الى أن برنارد شو ، الكاتب البريطاني الساخر ، قد توفى في أحد الاعوام التالية : (١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣) . بينما لاحظت في مقاله للاستاذ سلامة موسى منشورة في مجلة (الرياضة البدنية) ـ طبع سنة ١٩٥٤ ـ أن الكاتب المذكور كان لا يزال حياً في تلك السنة (١٩٥٤) .

حكمت فرنسيس ـ الحبانية ـ العراق

(العربي) ـ بل توفي في عام ١٩٥٠ .

حول استطلاع مدينة الطائف

● سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد ، فقد أعجبت بتحقيقكم الصحفى عن مدينة الطائف، مصيف المملكة العربية السعودية المنشور في العدد السبعين من (العربي) . غير أني عجبت من خلوّ التحقيق من مقدمةٍ كان لا بد منها لتبيان موقع الطائف الجغرافى ، ومركزها من شبه الجزيرة العربية ، وشهرتها ... الخ ...

لذا ، حررت لكم هذه العجالة ، شاكرا ومعاتبا ... والله الموفق على كل حال .

محمد سليمان الحميضي
الطائف ـ المملكة العربية السعودية

(البقية على صفحة ١٨١)

سِتُّ سَنَواتٍ مُبارَكَةٍ فِي حَياةِ العَرَبِيِّ

بقلم: رئيس التحرير

■ بالعدد الماضي من «العربي» اختتمنا السنة السادسة من حياة « العربي » ، وبهذا العدد الحاضر ، نبدأ بحمد الله السنة السابعة من حياته التي نرجوها ويرجوها العرب مديدة باذن الله .

شمعات ست

وفي احتفالنا اليوم بالذكرى السادسة لهذا الميلاد اوقدنا شمعات ستا ،اوقدتها صبيّة من نفس موطن العربي، الكويت. وشعت الشمعات بالامل ، وشعت الصبيّة وشعت عيناها . فالأمل دائما نور ، والياس ظلام . واطلقنا الصورة ، على الغلاف ، تبث الأمل في قلب كل راءٍ ورائية . وهي اغلفة ١٤٠ الفا ، تدخل ب «العربي» الى ١٤٠ الف بيت عربي ، تدخل بالنور ،وتدخل بالأمل ، وما احوج بيوت العرب هذه الأيام الى كل شعاع من نور في الدنيا ، مهما خفت ، والى كل امل مهما صغر .

الأعياد ذكرى

واعياد الميلاد ذكرى .

ويذكرنا هذا العيد ... تذكرنا فيه المائة والأربعون الفا بتلك السبعة والثلاثين الفا ، أو لعلها الثمانية والثلاثون ، من نسخ العدد الاول من « العربي » ، تلك التي اطلقناها في دور العروبة اول اطلاق منذ ست سنوات كاملة .

كانت الريبة عندنا قائمة ؟ كم تحتمل السوق ؟ قيل عشرة آلاف ؟ وقيل عشرون الفا ؟ ثم قيل كم ؟ قلت : لا أقل من اربعين الفا . وصفا المطبوع على نحو ٣٨ الفا لم تبق في السوق العربية ، واقطار العروبة ، غير يومين . ويأتي البرق سائلا : زيدونا . ونجيب آسفين : ما من مزيد .



كان العدد صارما . لم يكن فيه سياسة تغري قارئا . ولا كان فيه جنس يستهوي قارئا وقارئة ، وما كان فيه عبث الا القليل من اللهو البريء .
ولكن كان فيه من كل شيء قِطاف مختلف ، والشجر المقطوف كان شجر المعرفة الذي لا يفني بالقطف قِطافه .

وكان لنا في هذه التجربة الاولى هدى السبيل .

اختططناه سبيلا وسطا

واختططناه سبيلا وسطا في كل شيء .

لا نحمد شيئا كل الحمد ، ولا نذم شيئا كل الذم . والراي نقبله ناقدا منقودا .

ونوغل في الحق ، ولكن بمقدار ما يحتمل الناس ، ولا نمس باطلا تداهن به أحدا .

والدين ننصر ، ونرافق الناطقين به ، فيما ينطقون ، الي حدود المنطق الذي لا يكون بعده الي السقوط في الهاوية .

وانتصرنا للعلم . وانتصارنا للعلم كان انتصارا للدين ، والدين ايمان بملكوت ، والملكوت لا يؤمن به الا عن فهم ، ولا فهم الا بالعلم .

وسبب آخر لانتصارنا للعلم ، ذلك انه عماد كل رخاء قائم اليوم في الدنيا ، وانه بالعلم يمحي الفقر . والحياة ، من حيث هي حياة ، تجربة في الناس عسيرة حتي علي الرخاء ، ولكنها علي الفقر اشد عسرا ، واشد كثيرا . والعلم يخفف من عسر الحياة ، فيخفف من فقر . وهو يخفف علي الرخاء ، عن الفكر الانساني المسكين ،

الذى يظل يتشبث بمحاولة استجلاء ما وراء هذه الظواهر والأشياء وقلّ ما يجد السبيل .

وأتحدث عن العلم وأكثر ، ذلك لأن العرب فى حاجة الى هذا الاكثار .

ان العرب يتحدثون دائما عن الأدب والأدباء . وندر حديثهم عن العلم وعن العلماء .

الأدب عند آبائنا القدماء

والأدب عند آبائنا ، العرب الأولين ، كان استيعاب معرفة . ويأتى الأمير برجل من سادة الناس فيدفع اليه بولده ، ويقول له : أدّبه ، أى ربّه وهذّبه ، واسقه حلَبا خالصا من معرفة ، وفقّهه فى شئون الدنيا والآخرة . شمل الأدب عندهم كل شيء . ولكن ، بحكم الزمن ، كان أكثر التأديب يتم لديهم بحفظ ما وَعى الناس من منثور الكلم ومنظومه ، وباستظهار ما يُستطاع من كتاب الله . يضاف اليها ما تيسر من عيون الأخبار ووقائع الأيام . وهي وقائع سجلها الشعر ، على عادة القدماء ، تسجيلا .

ونزل الأدب الينا ، عبر القرون ، وهذه أكثر صفته . الشعر يحتل فيه المقام الأول ، ومن اجل هذا جعلنا للشعر وحده اميرا ، اسميناه امير الشعراء .

واتصل اهل الشرق بأهل الغرب فدخلت الى ادب العرب القصة .

فأصبح الأدب شقان : شعر وقصة ، لا تكاد أن تجد لهما ثالثا .

وتدور على من اسموهم فى العرب ادباء ، فلا تكاد تجد أديبا له اسم مسموع ، الا ان يكون أسمَع الناس باسمه شعر له أو قصة .

وقد يكون برّز فى نواح اخرى ، ولكن التبريز فى القصة أو الشعر اولا . ان هذين هما جواز المرور

وانا اذا قلت العرب فانما أتحدث عنهم جملة ، ولا يعنينى ان همّت بلد او فئة بالخروج عن هذا النمط ، فهؤلاء على كل حال قلة .

وجمهور الناس يقدر التبريز ، ولكن لا كتقديره فى الأدب والأدباء .

الشعر والقصة شيئان جليلان

والشعر شيء جليل ، لا ريبة فى هذا . وكذا القصة . وهما فى مراقيهما العليا ، يمسّان النفس الانسانية ، فى أحسّ مواضع بها ، تلك مواضع الانفعالات والعواطف .

والعيش طعام وشراب ، ولكن لا يرفع الانسان الى المستويات التى يَحَسّ بها بانسانيته كمسّ انفعال به أو عاطفة .

والشعر الجيد له هذا المسّ ، وكذا القصة الجيدة .

والقصة الجيدة يعيشها الانسان بأحداثها ساعة ، فكأنما عاش عمرا . وفيها يتاسى الشقى على حاله، أو يسمع فيها وترا يضرب بالنغم على مثل أوتاره. والشقى يعيش من شقائه فى وحشة ، والشعر والقصة يبدّدان من وحشته . يستبدلان بالوحشة انسا . هو انس السالك وحده طريقا أوحشه ، ثم لقى به رفيقا ، فآنسه ، ولو سار كلاهما بعد ذلك على الشوك .

وكالشقى ، المحزون .

حتى ذو النعمة الفَرِح ، يزيد الشعر الفَرِح والقصة الناعمة فى نعمته وفرحه .

لا انقص من قدر الأدب

فليس الذى بى اذن انقاص من قدر الأدب .

وانما الذى بى أن الدنيا تغيرت ، ودوائر المعرفة اتسعت . والثقافة تعددت



ابوابهـــا وتنوعت . والعيش صـعب التحضير له وطال . وعيش الفطرة قد زال . فالأدب ، بهذا المعنى المحدود ، لا يكفي لثقافة رجل هذا العصر الحاضر او امرأته .

لا يكفي رجلا يمر على الحقل او فيه ، فيرى الجرار يشقه فيريد بطبعه ان يعرف : ما الجرار ، ولم يشق الأرض ، ولم استبدل بالسواعد . او يرى الزرع يسقى رشاشا،فيريد بطبعه أن يعرف: لم استبدل الرشاش بسقى القنوات . او يرى الملح ينثر فى الأرض ، فيريد ان يعرف : اى ملح هذا ، واى سماد ، ولأى زرع . او يرى المكروب يرش بمائه من اوعيته على محاصيل الحقل ، فيعجب ، فيقال له انه داء يقى من داء ، فيريد أن يزيد علما وبفقه . هذه جبلته . جبلة الانسان ، تريد أن تفهم ، وتلتذ فهما .

وكالرجل الذى يجوس خلال الحقل ، الرجل الذى يجوس خلال المصنع .

ان المصانع اليوم عمد العيش . انها تقف وراء ضرورات العيش.وهى صانعة كل رخاء. والرجل المثقف الحديث يريد ان يفهم لم كانت هكذا ، ثم كيف تعمل .

هذا طبع الانسان ، وهذه جبلته .

وهى ليست جبلته وحده . انها جبلة القردة . أعط القرد ساعة تتك ، يأخذها بيديه ، ويقلبها ، ويحاول فتحها ليرى ما فيها . يريد أن يفهم . فاذا استعصت عليه ضرب بها الأرض لعلها تنكسر فتنفتح .

والانسان الحديث يجرى بين اشياء هذا العيش الحديث ، وأدواته واجهزته وانماطه ، يستمتع بها ، ولا يكتمل استمتاعا الا اذا اقتبس منها فهما . السيارة كيف تدور ، وكيف تسير ، وكيف ترفض ان تدور وان تسير . القاطرة . الطائرة. الصاروخ .. ما وراء الصاروخ من . . .

وفى المنزل . وفى الشارع . وفى الأسواق .

وفى نفسه . انه يدخل الطعام الى جسمه ، ثم يراه يخرج . ولكن ماذا صنع فى كل هذه السفرة وقد قضى فيها ساعات. يريد ان يفهم . يريد أن يعرف. فلعله ينتفع . وهو اذا لم ينتفع ، فهو يريد ان يروى ظمأ ، هو ظمأ المعرفة .

والسماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع . .

ان الثقافة بعد الشعر والقصة ، لها الف وجه ووجه .

واكثر هذه الوجوه يشملها العلم .

من اجل هذا اتحدث عن العلم وأكثر.

ونتخذ العلم فى « العربى » أداة تشع النور

ونتخذ العلم فى « العربى » ، لا اداة تشويق واثارة وتهويل ، ولا لتصيد من اخباره المذهل الذى لا هدف له الا ان يترك عند قارئه، الانسان، الاحساس بالعجز والقصور ، ثم بالضآلة والحقارة. وانما نحن نتخذ من العلم اداة تبث النور فيما حول الانسان العاقل المستنير من طبيعة ارضية ، وفيما اصطنع فوق هذه الأرض من مدنية .

وفوق هذا وذاك نحاول بالعلم ان نسابق « فقه » الأديان فى تفهم هـذا الكون ، عسى ان نسبقها فى استشعار اغمض شىء فى الدنيا ان فاتنا ادراكه : ذلك الشىء العظيم الجليل ، الواحد ، الذى ربض وراء هذه الظواهر والمظاهر جميعا ، يحركها فردا ، بأساليب واحدة لا تختلف ، وقوانين على تباعد ارجائها تتآلف وتتناسق فى وحدة تآلفا وتناسقا لا يكونان الا بين الشىء ونفسه . وهدفت الأديان فى« فقهها»الى الاقناع،وفى رأيى انها



لم تكد . وهدفت الفلسفة فلم تزد . ثم جاء العلم فجبّ هؤلاء جميعا ، وكشف عن وحدة فى هذا الوجود لم يسبقه اليها سابق ، وظنى انه لن يلحقه فيها لاحق .

وغير الادب ، وغير العلم ، صنوف من العرفان اخرى

على أن الانسان فى حياته هذه الدنيا لا يحتاج الى ادب وحده ، ولا الى علم وحده . انه يحتاج كذلك الى صنوف من العرفان حاولنا أن نقتبس منها ما اتسعت لها من « العربى » صفحات .

واتسعت صفحات « العربى » للكثير، تدرك ذلك من الفهرس الذى ذيلنا به هذا العدد .

ففيه ، وفق الترتيب الأبجدى :

ادب ولغة . استطلاعات مصورة . اقتصاد. تاريخ . تاريخ أشخاص عرب. تاريخ أشخاص غير عرب. تربية. جريمة وقضاء . دين ورجال دين . ذرة . فضاء . الأسرة . المرأة . سياسة (عربية قومية) . شعر . شعراء . طب (غير طبيب الأسرة) . عروبة . علم نفس . علوم (غير انباء العلم والطب والاختراع) . فلسفة. فنون. قصص. مجتمع واجتماعيات . وغير ذلك من ابواب ثابتة . مثل باب الكتب ، وطرائف عربية ، ودردشة ، ومرآة الراى العربى والغربى ، وانت تسأل ، وبريد القراء . حتى المسابقة جعلناها فكرية ثقافية تحفز على البحث والاطلاع .

ومع هذا فلا ندعى اننا بلغنا من صنوف العرفان فى العربى ما نبغى .

وكتّاب « العربى »

وكتاب « العربى » ، الذين يزودونه بهذا الزاد ، كلهم أساتذة ، الى جانب قلة ناشئة سارت على هذا الدرب .

والمصادر التى يتزود منها أكثرية هؤلاء الكتاب لا تزال مصادر أكثريتها غير عربية . فتلك هى مصادر الثقافة الحديثة اليوم . ونحن نتنازع اهل الغرب فى الكثير ، الا فى مصادر علم وعرفان . فهذه اكثرها عندهم، وهى عندهم ثرّة. والذى ينكر هذا ، ويجمع الى الانكار عزوفه عن استيراد ، انما يجدع انفه بنفسه . فنحن فى عصر تهب ريحه غربية ،بعد أن كنا وكانت الدنيا فى عصور كانت رياحها تهب شرقية .

من اجل هذا لم نبال ، فيما نكتب فى « العربى » ، أن نغترف من الشرق ،وان نغترف من الغرب . ولكن كان اغترافنا من الغرب ، من حيث العلوم والمعارف ، اغترافا كثيرا .

وبعد ...

وبعد . فقد ذكرنا فى أول هذه الكلمة أن العدد الأول نزل الى الأسواق منه ٣٨ الفا ، واختفت فى يومين . وان هذا العدد الحاضر ، وقد خرج بعد ٦ سنوات من العدد الأول ، طلبت الأسواق العربية منه أكثر من ١٤٠ الفا . ولقد حاولنا فى هذه الصفحات القليلة أن نشرح الخطة التى اختططناها فبلغت بنا ، على غير عمد ، هذه الغاية المحمودة . فلعلنا قد بلغنا من شرح هذه الخطة مأربا .

اختصارا ، هى خطة تهدف الى نفع القارىء العربى فى عروبته ، فى بيته ، فى نفسه وجسمه ، فى مجتمعه .

انها النهج الذى نهجناه ، ارجو أن يأخذ به خلف عن سلف ليطّرد النجاح الذى بدأناه .

وما التوفيق ، بعد كل هذا ، الا من الله . ■■

احمد زكى

بلال
بن رباح
المؤذن الأول للرسول

أول المؤذنين في الإسلام

بقلم : عبد الصاحب جعفر جمال الدين

بن رباح مولد من مولدى بني جمح وقيل : « انه مولد من مولدى السراة » .

واما ابوه رباح فقد كان عبدا حبشيا وسبيا .. ولقد كان مولى لخلف بن وهب الجمحي ، اعتقه واعطاه حريته وجعله قيما على ادارة شؤون ضيعته فى السراة .

اما امه فهي حمامة (وقيل سكينة) .. وكان بلال يسمى احيانا بلال بن حمامة ، واحيانا بابن ام بلال .. وحمامة حبشية وهي سبية ايضا ، جاءت مع الجيش الحبشي الغازى لمكة عام الفيل سنة ٥٧١م. ولما فرق الله شمل ذلك الجيش كانت حمامة من مخلفات ذلك الجيش .

وقد انتهبها سحيم بن سهل الخثعمى واهداها الى حليفه خلف بن وهب الجمحي الذى زوجها من مولاه رباح . وقد بقي الزوجان فى ضيعة خلف فى السراة واولدا ، وكان مولودهما الاول بلال ، ثم خالد ثم غفرة .

وقد اصبح بلال بحكم العادة مولا لخلف بن وهب الجمحي ، وانتقلت ملكيته

الى امية بن خلف بعد وفاة خلف . ولقد بقي بلال يرعى الابل لسيده في السراة حتى ظهور الاسلام .

ويوصف بلال بانه « **اسود طويل من الرجال ، كانه النخلة السّموق، بصّاص من السواد،عيناه جمرتان كانهما العقيق، جهوري الصوت عريض المنكبين .. وكان من عظم خلقته اذا نظر اليه احد يهابه** ».

اسلام بلال

ولما جاء الاسلام ، كان بلال في طليعة المؤمنين بهذه الدعوة الجديدة ، نظرا لتفتح قلبه للايمان ، وهو الراجح ، او نظرا لما كان يلاقيه من الاضطهاد من اسياده . وتذكر لنا بعض الروايات ان بلالا في جملة السبعة الأوائل الذين اظهروا الاسلام . وبعضها يقول ان « **بلالا اول الموالي اسلاما** » . ومن الدلائل التي تشير الى سبق بلال ماروى عن الرسول (ص) انه قال « **بلال اول ثمار الجنة** ».

ما لاقاه بلال من التعذيب بسبب اسلامه

وقد لاقى المسلمون الأوائل صنوف التعذيب بسبب اسلامهم ،وكان التعذيب يقع على المستضعفين منهم ، وخاصة الموالي ، والذين ليس لهم مال او جاه او نسب يحتمون به .

ويوقع هذا التعذيب عليهم اسيادهم خاصة ، نظرا لما راوه من تهديد الدعوة الجديدة لمصالحهم .وقد اورد ابن هشام في سيرته الشيء الكثير عن تعذيب بلال ، نورد منه ما يلي :

« كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذب ويقول احد احد ، فيقول ورقة احد احد والله يا بلال. ثم يقبل على امية ابن خلف ، ومن يصنع ذلك به من جمح ، فيقول احلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا » .

وقد روى : « **ان بلالا اذا اشتد عليه العذاب يقول : احد احد** ». . وكان امية ابن خلف يجيع بلالا ويعطشه ويضعه على ظهره في الرمضاء ويضع على صدره الأثقال ويقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تعبد اللات والعزى .. فيجيبه بلال : **احد احد** ..

عتق ابي بكر لبلال

ومر ابو بكر ببلال وهو يعذب في بني جمح ، وكانت دار ابي بكر في جمح ، فرق لحاله ، فقال لأمية بن خلف : **الا تتقي الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟** قال : **انت الذي افسدته فانقذه مما ترى !!** فقال ابو بكر : **افعل !!** . .

وقيل انه اشتراه بسبع اواق ثم اعتقه ، وكان له خازنا . وقيل ان الرسول هو الذي اعتق بلالا وعامر بن فهيرة .

الهجرة الى المدينة

وهاجر بلال الى المدينة مع من هاجر من المسلمين لما امرهم النبي بذلك . واغلب المهاجرين الاولين كانوا من المستضعفين الذين تركوا اموالهم واهليهم في مكة ، وهربوا بانفسهم خوفا .

ولما وصل النبي الى المدينة وآخى بين المهاجرين والانصار « آخى بينه وبين ابي رويحة وهو عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ... ولما آخى الرسول بين المهاجرين انفسهم آخى بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب » .

وقد جاء في سيرة ابن هشام « ان عمر ابن الخطاب لما دوّن الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج الى الشام مجاهداً ، قال عمر لبلال : الى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال مع ابي رويحة لا افارقه ابدا للأخوة التي كان الرسول « ص » قد عقد بيني وبينه . وضم ديوان الحبشة الى خثعم لمكان بلال منهم » .

ومرض بلال اثر وصوله الى المدينة كما مرض بعض الصحابة ومنهم ابو بكر.

وقد روى عن عائشة انها قالت لما هاجر الرسول الى المدينة مرض المسلمون بها فكان ممن اشتد بهم المرض ابو بكر وبلال

وعامر بن فهيرة ، فكان ابو بكر يقول فى مرضه :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ
وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال يقول :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً
بِفَجٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْماً مِيَاهَ مَجَنَّةٍ
وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ *

قال : فاخبر النبي « ص » بذلك ، فقال : اللهم طيب لنا المدينة ، كما طيبت لنا مكة وبارك فى مُدّها وصاعها .

مشاركة بلال للنبي

ولقد رافق بلال النبي فى مكة ، وكان الرفيق المؤنس والمطيع له .

روى عن انس بن مالك انه قال : قال النبي : « **لقد اخفتُ فى الله وما يخاف احد ، ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى احد ، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة ، ومالي ولبلال طعام ياكله ذو كبد ، الا شيء يوارى ابط بلال .** »

وجاء فى تفسير هذا الحديث ان بلالا كان رفيق النبي فى هروبه من مكة خائفا .

وقد رافق بلال النبي فى المدينة وشاركه فى معظم المشاهد والغزوات

ولقد روى ان بلالا شهد بدرا واُحد وسائر المشاهد مع النبي .

واول موقعة شارك فيها بلال هي موقعة بدر ، ويقال بانه هو الذى حث المسلمين على قتل امية بن خلف معذّبه سابقا . فلما رآه اسيرا لدى عبد الرحمن ابن عوف ، اخذ يصيح باعلى صوته : راس الكفر امية بن خلف ، لا نجوت ان نجا .

واخذ يكررها عدة مرات حتى اجتمع عليهم المسلمون . وقيل ان الذى قتل امية بن خلف هو خُبَيب بن اساف . وقيل ان خبيبا وبلالا اشتركا فى قتله . .

وقد روى عن عبد الرحمن بن عوف انه قال : « **يرحم الله بلالا لقد أذهب ادرعي وفجعني باسيرى** » .

ورافق بلال النبى « ص » عام الفتح (فتح مكة) . ولما فتحت مكة ودخلها النبي امر بتهديم الأصنام والاوثان ، ثم امر بلالا بأن يصعد ويؤذن على ظهر الكعبة . وقد هال الأمر سادات قريش الذين كانوا على رؤوس الجبال ، وقالوا ما قالوا فى بلال . . .

وقال بعضهم : **ما لهذا الغراب الأسود ينعق على ظهر الكعبة** . فنزل الوحي بقوله تعالى (**يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) .

أول المؤذنين فى الاسلام

ولقد اكبر النبي بلالا فجعله مؤذنه الأول ، وكان بلال جهورىّ الصوت ونديّه .

وقد جاء فى الكثير من الروايات عن بدء استعمال الأذان ، ان النبي لما جاء المدينة كان الناس يجتمعون اليه للصلاة بهم بغير دعوة .

وقد اقترح بعض الصحابة ان تنصب راية لتدل المسلمين على مواقيت الصلاة .

واقترح بعضهم استعمال البوق ، فاستعمل ، ثم كرهه النبي لاستعمال اليهود اياه

ثم استعمل الناقوس .

وبينما هم كذلك ، اذ رأى عبد الله ابن زيد فى منامه شخصا علّمه الأذان ، فاخبر النبي (ص) بذلك فقال النبي :

---

* اذخر وجليل : نباتان . وشامة وطفيل : جبلان

« **انها لرؤيا حق ان شاء الله** » . وامره ان يلقيها على بلال ليؤذن بها لأنه اندى صوتا .

وقد روى عن امراة من بني النجار انها قالت : **كان بيتي اطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فياتي بسحَر ، فيجلس على البيت فينتظر الفجر ، فاذا رآه تمطى ثم قال : اللهم اني احمدك ، واستعينك على قريش ، ان يقيموا على دينك .**

قالت : والله ما علمتـه كان يتركهـا ليلة واحدة .

وقد روى الواقدي كما روى البلاذري **ان بلالا مؤذن الرسول كان يقف بباب الرسول ويقول : السلام عليك يا رسول الله ورحمـة الله وبركاتـه ..حي على الصلاة .. حي على الفلاح .. الصلاة يا رسول الله . ثم يقف بالباب ينتظر الرسول حتى ياذن له بالاقامة للصلاة .**

وروى ان بلالا اذا اذّن كان يضـع اصـبعه فى أذنيه . ومن جملة المؤذنين الذين شـاركوا بلالا فى تلك الفترة ابن ام مكتـوم ، وابو محـذورة الـذى كان يؤذن فى مكة .

وقيـل ان الخليفة عثمان كان يؤذن فى الجامع امام منبر النبي « ص » .

ومن المؤذنين الآخرين سـعد القرظ الذى اذن للخليفتين ابى بكر وعمر ..

وكان بلال يقضي الليل ساهرا متعبدا ينتظر طلوع الفجر حتى يؤذن لصلاة الصبح وقد قضى بقية حياته على هذه الحال ، الا ليلـة نام فيها ولم يـؤذن للرسول حتى ارتفع حاجب الشمس.. وقـد بقي بلال مؤذن الرسـول طيلة حياته .

وروى الواقدى « **بان بلالا لم يؤذن لاحد بعد النبي (ص)** ».وقال : **لما توفيَ رسول الله « ص » اذن بلال والرسول لم يقبر بعد ، فكان اذا قال أشـهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ، انتحب الناس فى المسجد . فلما دفن : قال ابو بكر اذّن ، فقال : ان كنتَ انما اعتقتني لله فخلّني ، ومن اعتقتني له . فقال ما اعتقتك الا الله ، فقال : فاني لا اؤذن بعد رسول الله،قال : فذاك اليك .فاقام حتى خرجت بعوث الشام فسار معهم** . وروى ايضا ان الخليفة عمر بن الخطاب لما قدم الشام سـأل بلالا ان يؤذن وقال لـه : انما كـرهت الاذان بالمدينة ، فاذّن ها هنا ، فاذّنَ ، فبكى الناس عامة يومهم لذكر الرسول .

نهاية المطاف

لقد ذكرنا سابقا ان ابا بكر هو الذى اعتق بلالا ، فلما توفى الرسـول وبويع ابو بكر بالخلافـة قام اليه بلال وقال : **اى خليفة رسول الله ، اني سـمعت رسول الله** يقول : **ليس عمل افضل من الجهاد فى سبيل الله ، فان كنت اعتقتني لنفسك فاحبسـني ، وان اعتقتني لله عز وجل فذرْني اذهب الى الله» فقال : اذهبْ . فذهب الى الشام غازيا ومات فيها ..**

وقد توفى بلال فى دمشق بـسبب تفشي الطاعون هناك « طاعون عمواس » سنة ٢٠ هـ وقيل سنة ١٨ هـ .. وقيل سنة ٢١ هـ . ولقد مات بسبب هذا الوباء الكثير من الصحابة ، ومنهم ابو عبيدة الجراح . ودفن بلال فى مقبرة دمشق عند الباب الصغير . وهو ابن ثلاث وستين ، وقيل ابن السـبعين ، ولكن الراجـح انه تـوفى وهو ابن ثلاث وسـتين ، لانه كان تِرْب الخليفة ابي بكر .

عبد الصاحب جعفر جمال الدين ــ العراق

افريقيا

معلومات عابرة
بها احصاءات صحيحة الى شهر نوفمبر ١٩٦٤
وتقرا مع الخريطة ذات الالوان المتعددة
التى قدمناها هدية بالمجان منفردة
مع هذا العدد

مدغشقر

الاسم : جمهورية الملاجاسي
العاصمة : تاناناريف
عدد السكان : ٥٠٠٠ ٨٥٠ ٥ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

سيراليون

الاسم : سيراليون
العاصمة : فرى تاون
عدد السكان : ٠٠٠ ٤٠٠ ٢ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستقلة

الصومال

الاسم : جمهورية الصومال
العاصمة : مقديشيو
عدد السكان : ٠٠٠ ٩٩٠ ١ نسمة
اللغة الرسمية : اللغة الصومالية
الحالة السياسية : مستقلة

جنوب افريقيا

الاسم : جنوب افريقيا
العاصمة : الادارية : بريتوريا/
التشريعية : كابتاون
عدد السكان : ٠٠٠ ٩٨٣ ١٥ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية والافريقية
الحالة السياسية : مستقلة

رواندا

الاسم : جمهورية رواندا
العاصمة : كاجالى
عدد السكان : ٠٠٠ ٦٣٤ ٢ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

الجمهورية العربية المتحدة

الاسم : الجمهورية العربية المتحدة
العاصمة : القاهرة
عدد السكان : ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٠ نسمة
اللغة الرسمية : العربية
الحالة السياسية : مستقلة

جمهورية فولتا

الاسم : جمهورية فولتا العليا
العاصمة : اوجادوجو
عدد السكان : ٠٠٠ ٦٥٠ ٤ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

مالى

الاسم : جمهورية مالي
العاصمة : باماكو
عدد السكان : ٠٠٠ ١٠٠ ٤ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

موريتانيا

الاسم : جمهورية موريتانيا الاسلامية
العاصمة : نواكشوت
عدد السكان : ٠٠٠ ٧٨٠ نسمة
اللغة الرسمية الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

كونجو برازافيل

الاسم : جمهورية الكونجو
العاصمة : برازافيل
عدد السكان : ٠٠٠ ٨٤٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

الكونجو

الاسم : الجمهورية الكنغولية
العاصمة : ليوبولدفيل
عدد السكان : ٠٠٠ ١٥٠ ١٤ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

داهومي

الاسم : جمهورية داهومى
العاصمة : بورتونوفو
عدد السكان : ٠٠٠ ٧٢٠ ١ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

جامبيا

الاسم : جامبيا
العاصمة : باثرست
عدد السكان : ٠٠٠ ٢٦٤ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستعمرة بريطانية

غانا

الاسم : جمهورية غانا
العاصمة : أكرا
عدد السكان : ٦ ٦٩١ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستقلة

غينيا

الاسم : جمهورية غينيا
العاصمة : كوناكرى
عدد السكان : ٢ ٧٠٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

افريقيا الوسطى

الاسم : جمهورية افريقيا الوسطى
العاصمة : بانجي
عدد السكان : ١ ٢٠٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

تشاد

الاسم : جمهورية تشاد
العاصمة : فورت لامى
عدد السكان : ٢ ٨٠٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

الحبشة

الاسم : الامبراطورية الاثيوبية
العاصمة : اديس ابابا
عدد السكان: ٢١ ٨٠٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الامهرية
الحالة السياسية : مستقلة

الصومال الفرنسي

الاسم : الصومال الفرنسي
العاصمة : جيبوتي
عدد السكان : ٦٧ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستعمرة فرنسية

جابون

الاسم : جمهورية جابون
العاصمة : ليبرفيل
عدد السكان : ٤٦٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

جنوب غرب افريقيا

الاسم : جنوب غرب افريقيا
العاصمة : ويند هوك
عدد السكان : ٥٢٥ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية ــ الافريقية ــ الالمانية
الحالة السياسية :تحت انتداب جنوب افريقيا برقابة دولية .

روديسيا الجنوبية

الاسم :روديسيا الجنوبية
العاصمة :سالزبورى
عدد السكان : ٣ ٨٣٩ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستعمرة بريطانية

غينيا الاسبانية

الاسم : غينيا الاسبانية
العاصمة : سانتا ايزابيل
عدد السكان : ٢٠٤ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الاسبانية
الحالة السياسية : مستعمرة اسبانية

الصحراء الاسبانية

الاسم : الصحراء الاسبانية
العاصمة : فيلا سيشنيروس
عدد السكان : ٣٦ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الاسبانية
الحالة السياسية : مستعمرة اسبانية

السودان

الاسم : السودان
العاصمة : الخرطوم
عدد السكان: ١٢ ١٠٩ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : العربية
الحالة السياسية : مستقلة

سوازيلاند

الاسم : محمية سوازيلاند
العاصمة : مبابان
عدد السكان : ٢٦٩ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : حمايةبريطانية

اتحاد نيجيريا

الاسم : نيجيريا
العاصمة :لاجوس
عدد السكان: ٣٥ ٠٠٠ ٠٠٠نسمة تقريبا
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستقلة

غينيا البرتغالية

الاسم : غينيا البرتغالية
العاصمة : بيو
عدد السكان : ٥١١ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : البرتغالية
الحالة السياسية : مستعمرة برتغالية

روديسيا الشمالية

الاسم : جمهورية زامبيا
العاصمة : لوساكا
عدد السكان : ٢ ١١٥ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستقلة

ليبيا

الاسم : المملكة الليبية المتحدة
العاصمة : طرابلس
عدد السكان : ١ ١٩٥ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : العربية
الحالة السياسية : مستقلة

مالاوى

الاسم : جمهورية مالاوى

العاصمة : زومبا

عدد السكان : ٢ ٩٢١ ... نسمة

اللغة الرسمية : الانجليزية

الحالة السياسية : مستقلة

ساحل العاج

الاسم : جمهورية ساحل العاج

العاصمة : ابيدجان

عدد السكان : ٣ ٦٥٠ ... نسمة

اللغة الرسمية : الفرنسية

الحالة السياسية : مستقلة

كينيا

الاسم : كينيا

العاصمة : نيروبي

عدد السكان : ٨ ٨٤٧ ... نسمة

اللغة الرسمية : الانجليزية

الحالة السياسية : مستقلة

ليبيريا

الاسم : جمهورية ليبيريا

العاصمة : مونروفيا

عدد السكان : ١ ٢٥٠ ... نسمة

اللغة الرسمية : الانجليزية

الحالة السياسية : مستقلة

الجزائر

الاسم : الجمهورية الجزائرية الشعبية والديمقراطية

العاصمة : الجزائر

عدد السكان : ٩ ملايين نسمة

اللغة الرسمية : العربية

الحالة السياسية : مستقلة

انجولا

الاسم : انجولا

العاصمة : لواندا

عدد السكان : ٤ ١٤٥ ... نسمة

اللغة الرسمية : البرتغالية

الحالة السياسية : مستعمرة برتغالية

باسوتولاند

الاسم : باسوتولاند

العاصمة : ماسيرو

عدد السكان : ٦٤٢ ... نسمة

اللغة الرسمية : الانجليزية

الحالة السياسية : تحت الحماية البريطانية

بتشوانالاند

الاسم : بتشوانالاند

العاصمة : مافيكينج

عدد السكان : ٢٩٤ ... نسمة

اللغة الرسمية : الانجليزية

الحالة السياسية : تحت الحماية البريطانية

بوراندى

الاسم : مملكة بوروندى

العاصمة : كيتيجا

عدد السكان : ٢ ٢١٣ ... نسمة

اللغة الرسمية : الفرنسية

الحالة السياسية : مستقلة

الكاميرون

الاسم : جمهورية الكاميرون الاتحادية

العاصمة : دوالا

عدد السكان : ٤ ٠٩٥ ... نسمة

اللغة الرسمية : الفرنسية والانجليزية

الحالة السياسية : مستقلة

المغرب

الاسم : المملكة المغربية

العاصمة : الرباط

عدد السكان : ١١ ٦٢٦ ... نسمة

اللغة الرسمية : العربية

الحالة السياسية : مستقلة

نيجر

الاسم : جمهورية النيجر

العاصمة : نيامي

عدد السكان : ٣ ١٥٠ ... نسمة

اللغة الرسمية : الفرنسية

الحالة السياسية : مستقلة

موزمبيق

الاسم : موزمبيق

العاصمة : لورينو ماركس

عدد السكان : ٥ ٧٣٢ ... نسمة

اللغة الرسمية : البرتغالية

الحالة السياسية : مستعمرة برتغالية

تنجانيقا وزنجبار

الاسم : تنزانيا المتحدة

العاصمة : دار السلام

عدد السكان : ٩ ٧٠٤ ... نسمة

اللغة الرسمية : الانجليزية

الحالة السياسية : مستقلة

توجو

الاسم : جمهورية توجو

العاصمة : لومي

عدد السكان : ١ ٥٨٠ ... نسمة

اللغة الرسمية : الفرنسية

الحالة السياسية : مستقلة

تونس

الاسم : الجمهورية التونسية

العاصمة : تونس

عدد السكان : ٤ ١٩٨ ... نسمة

اللغة الرسمية : العربية

الحالة السياسية : مستقلة

أوغندا

الاسم : أوغندا

العاصمة : كامبالا

عدد السكان : ٦ ٦٣٨ ... نسمة

اللغة الرسمية : السواحلية

الحالة السياسية : مستقلة

السنغال

الاسم : جمهورية السنغال

العاصمة : داكار

عدد السكان : ٣ ٣٦٠ ... نسمة

اللغة الرسمية : الفرنسية

الحالة السياسية : مستقلة

صفحة من جهاد العروبة فى ليبيا

يوسف بورحيل من بعد عمر المختار

قال للبقية من صحابه وهم يقتحمون الحدود الى مصر :

« اما انتم يا اخوانى فشباب ، لكم فى العمر براح . اما انا فشيخ ، لا يرى مدفنا يجمل به خارج هذا الوطن » . ثم عاد ، واستبسل واستشهد .

"محاكم إيطالية طائرة" تحمل معها خشبة المشنقة

بقلم : صالح مسعود أبو يصير

مضت سنوات طويلة ولا يزال الايجاز طابع ما كتب عن ذلك الصراع المرير الدامي الذى خاضه الشعب العربى فى ليبيا خلال ثلاثين عاما ؛ كانت كأنها ثلاثون قرنا .

جموع متلاحقة طوتها معسكرات الاعتقال ، واعداد عديدة رفعت على اعواد المشانق، وجماعات من الوف روى دمها الطاهر ارض الآباء والاجداد ، فى معارك رائعة ، حتى لم يبق فى ارض ليبيا ارض لم تشهد مشنقة تنصب، او حفرة فيها وارت شهيدا .

وابطال كبار كانت لهم قصص كالأساطير ، ساروا مع ركب الجهاد منذ الغزو الايطالي عام ١٩١١ حتى آخر يوم فيه ، قرابة ربع قرن .

وسط هذا الجو الخانق فى ليبيا كانت هجمات المجاهدين تقلق دوائر الاستعمار ، فمشاريعهم لخلق الامبراطورية الرومانية معطلة ، والطريق الجبلى الممتد الى حدود مصر مهدد بهجمات الذين يسيطرون عليه ويقع تحت ضرباتهم المفاجئة . وانواع الانتقام التى ينزلها المستعمر بأصدقاء المجاهدين وأسرهم داخل المنطقة المحتلة لم توقف تيار الوطنية ولم تخف المجاهدين من غياهيب القبور .



لتنفيذ "الأحكام" في الوطنيين فورا

ايطاليا تطلب المفاوضة

عندئذ اضطرت ايطاليا الى الاعتراف بالوطنيين قوة محاربة، وبعثت بمندوبيها يطلبون موعدا للمفاوضات .

وفى سيدى رحومة على بعد ١١٠ كيلومترات من بنغازى فى شهر مارس من عام ١٩٢٩ تلاقى الخصمان وجها لوجه ..

بعثت ايطاليا بحاكم ليبيا العام ، المارشال بادليو ، اكبر قوادها واشهرهم، يعاونه الحاكم العسكرى لبرقة ، « سيشيليانى » ، وحاكم الجبل العسكرى ، « داووداشى » ، ومجموعة من الضباط والمدنيين .

اما المجاهدون فقد بعثوا برئيسهم وقائدهم عمر المختار يساعده مستشاروه العالم يوسف بورحيل ، أحد تلاميذ الجغبوب وعلمائه ، وعبد الحميد العبار الذى رصدت ايطاليا خمسين الف ليرة لمن يأتى به حيا أو ميتا ، والفضيل بو عمر الفارس المشهور وأحد علماء الاسلام المعدودين فى ذلك العهد .

شروط المجاهدين

وقدم المجاهدون شروطهم لايطاليا :
حرية من حدود تونس الى حدود مصر .
كيان عربي مستقل بلغته وقوانينه .
تسلح حر لا رقابة عليه ولا ممانعة .
الغاء القوانين التى صادرت الاملاك واغتصب الاراضى وفرضت اللغة الايطالية .

ومع هذه الشروط التى كانت عام

١٩٢٩ هى كل امل يمكن أن يسعى اليه المجاهدون المحاصَرون بل الفدائيون المناضلون ، مع هذه الشروط أصر المجاهدون على وجوب احضار مندوبين من مصر وتونس العربيتين ليشهدا الاتفاق ويؤيدانه — وكان هذا الشرط تعلقا قويا بروح العروبة التى تجاهلت تماما وجود الانجليز فى مصر وفرنسا فى تونس وطالبت ، باحضار عربيين يمثلان الوجه الحقيقي لتونس ولمصر ، فالعروبة كانت هناك قبل الاحتلال ، والعروبة باقية لا ريب بعد الاحتلال .

هدنة انطوت على خداع

ووافق بادليو على الشروط متظاهرا بانه يحتاج فقط لمراجعة الدوائر العليا بروما مطالبا بوقف اطلاق النار لمدة ستين يوما .

وكانت اول هدنة منذ عشرين عاما ، ما كان احوج العرب اليها ، وما أشوقهم الى سلام يحقق امالهم فى خلق دولة عربية ، واستعادة حق سليب.

وتجددت الهدنة أكثر من مرة ليصل ردّ ايطاليا مليئا بالحيلة والاغراء .

ردّ ايطاليا

هدنة استهلكت شهورا ستة لتقيم ايطاليا فيها قصرا فخما لعمر المختار بالجبل الأخضر ، وليتخذ فيه من رفاقه فى الجهاد حرسا خاصا يحميه ويرعاه . وراتب كبير له ولمستشاريه واباحة لقراءة القرآن بالزوايا السنوسية .

المجاهدون يحملون سلاحهم من جديد

كان هذا الرد قاسيا جدا على نفوس أبية لم يجل بخلدها أن ترضى لنفسها بقصر ومرتب وحرس ، وان تتناسى حرية للشعب ، وحقوقا للوطن ، وضمانا لأجيال عربية متلاحقة .

واتجه عمر المختار لمستشاريه ورفاقه ، وفى وجهه خيبة الأمل ومرارة الألم ، وفى نظرته شدة العزم وصلابة اليقين مناشدا عزائمهم للعمل والجهاد من جديد .

وتجمعت الكثرة المخلصة منهم حول يوسف بورحيل الذى بدأ يسطر نشرة وطنية تحمل رد عمر المختار على المندوب الايطالى وعروضه .ولقد سرّت هذه النشرة بين جموع الشعب ومنتجعات البادية حتى نشرت فى صحافة القاهرة عام ١٩٢٩.

« وليعلم كل وطنى أن غرض ايطاليا هو بثّ الفتن لتمزيق شملنا ، وتمديد الهدنة لكى نستمرىء الراحة ، ولتقضى على حركتنا الوطنية . فلتعلمْ ايطاليا أن هذا الوطن عربى وسيبقى عربيا ما بقيت ارض وسماء ، واننا سندافع عن كياننا فداء للوطن وفى سبيل غاياتنا المنشودة » .

« يا أبناء وطنى فى طرابلس وبرقة لن نرضخ للطغيان ، وان هى الا احدى الحسْنيين ، عيش الرجال أو موت الابطال ، وانى أعتبر يوم ١٥ سبتمبر ١٩٢٩ آخر يوم للهدنة ولاجابة مطالبنا ».

ومن جديد امتشق المجاهدون سلاحهم وعادت معاركهم وبدات الطائرات تلقى عليهم قنابلها المدمرةوتلقى بعدها المناشير الداعيةلالقاءسلاحهم. وعبثا حاول المستعمر اذابة روح الجهاد وإثناء المجاهدين‌عن‌اقلاقه وتكبيده خسائر كبيرةمستمرة.

السفاح جرازيانى وأهرامات العظام

لئن أسمت الأمة العربية جمال باشا الحاكم التركى للشام فى الحرب العالمية الأولى باسم جمال السفاح لما ارتكبه ضد الأحرار من أحكام الاعدام والاستبداد ، فانه خليق أيضا بشباب العرب أن يعلموا أن شعبهم فى ليبيا قد أصيب أيضا بسفاح أخطر فيما بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٣٤ . ذلك أن المارشال بادليو لم يستطع أن يضع نهاية للحربفى ليبيا ، وهى حرب استنزفت ميزانية ايطاليا وسحقت‌كثيرا من فرقها العسكرية، فبحث موسلينى عن أكثر رجاله قسوة وأقدرهم على الخسف والاستبداد ، فوجه الجنرال جرازيانى ليكون حاكما لبرقة . وجاءها فى مظهر الحانق الغاضب ، يستسهل نصب المشانق لأدنى سبب ، ويلذ له جمع المدنيين والمعتقلين



عمر المختار
بسالة وبطولة فى محاربة العدو

العرب ، ويحيطهم بالجند وهم شاكو السلاح ، ويصب عليهم عباراته القادحة الأليمة .

المحكمة الطائرة

ولعله من نوادر التاريخ ما يجب أن يعلمه العرب عن قصة (المحكمة الطائرة) . فقد بلغ من ارهاب هذا السفاح أن عين قضاة عسكريين ترافقهم مشنقة، وتهبط الطائرة بهم فى أى قرية او منتجع. وتنصب المشنقة ، وتدلى حبالها ، بعد ذلك يجلس قضاتها لنظر القضايا التى تنتهى حتما بالاعدام فورا .

لقد أخذ هذا السفاح على نفسه انهاء الثورة بالابادة والقمع كيفما كانت الوسائل ، فاشاع فى الوطن موجة ارهاب مرير . وكان يكفى عنده للاعدام ومصادرة الأملاك وتشريد الاسر ان يبدى المواطن عدم رضائه عن الحالة ، أو ان يُسِرَّ لأحد بنصر احرزه المجاهدون .

واخيرا عمد جرازيانى الى حل خطير .

أسلاك شائكة تفصل ليبيا عن مصر ، ومعسكرات للابادة

كيف يتموّن المجاهدون ، ومن اين يعيشون ؟ انهم يَحيَون على غنائمهم ، ومن عون الشعب فى المناطق المجاورة ، وعلى ما يتسرب لهم من الجارة الكريمة مصر ، اذن فالحل عند السفاح جرازيانى هو أن يمدّ أسلاكا شائكة مكهربة من ساحل البحر الى قلب الصحراء على امتداد ثلاثمائة كيلو متر. وحرسها بالجنود والمصفحات فقطع بذلك الصلة بين المجاهدين وبين الكنانة ، وقد كانت لهم عونا ، ولهم فيها أحباب وأمل . واصدر امرا جديدا : انشاء معسكرات صحراوية تضم فيها القبائل،سواء ما كان منها قريبا من مناطق الجهاد أو بعيدا عنها . واقيمت المعتقلات فى المقرون ، وسلوق ، واجدابيا ، والعقيلة ، والبريقة ، واحيطت بأسلاك شائكة حتى لا يغادرها أحد . وسلّط عليهم الجند يوكزونهم بالحراب ، ويضربونهم بالسياط ، ويذلون أشرافهم فى قساوة وغلظة ، وأخذت القبائل القاطنة بالجبل الأخضر ، رجالا ونساء واطفالا ، مع مواشيها ، الى هذه المعسكرات حيث الصحراء والرمال ، وفرضت على الجميع حياة شاقة كئيبة : غذاء من شعير غير مطحون ، وماء يوزع بالتحديد لا يكفى رى ظمآن ، وتجميع لا سعة فيه ولا هواء . وكان طبيعيا أن تحصد الأوبئة هذه النفوس المكدسة حصدا ، ويسأل السفاح كم الموتى اليوم .. فيقال له مائة ، فيجيب : مائة فقط ! مازال الطريق طويلا .

ولم يكن هدف جرازيانى وسادته الفاشست القضاء فقط على الثورة ، فان حصر سكان الجبل الأخضر بعيدا عن المحاربين ، ومد الأسلاك بينهم وبين مصر ، كان كافيا لعزلهم عن أى عون من الداخل ومن الخارج ، وكان الهدف ابادة هذا الجنس العربى . ولهذا أخذت للمعتقلات كل القبائل ، واختطف من المدن أسر بكاملها ممن يمتون للمجاهدين بصلة القرابة أو الصداقة . وبعد سنوات لم يعد من الجموع البريئة الى مواطنهم الا آلاف قليلة ، وبقيت فى العقيلة وغيرها أكوام عالية من عظام تشهد على الاستعمار بانه جريمة أوربا فى تاريخ الحضارة ، وتبعث فى قلوب الأحرار نارا لا تخمد تضىء طريق الحرية وتحرق كل خيانة .

بورحيل يخلف البطل الأسير

هكذا كانت حال الشعب العربى فى ليبيا عام

١٩٣١ . شعبٌ محاصَر بقوات اكثر منه عـددا وعدة ، واكثر كثيرا ، ووطن معزول ، بالحـرس والأسلاك والكهرباء ، عن مصر الوطن الوحيـد الذى يمثل العون الدائم فى الغذاء والسـلاح ، ورجال صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه ، احاطهم بهم الفقر والعَوَز من كل جانب ، ومع هذا استمروا فى جهادهم يحاربون الالام ويحـاربون الأعداء ــ وفى معركة باسلة قرب مدينة البيضـاء بالجبل الاخضر سقط القائد الشيخ الذى جاوز الثمانين عاما جريحا واسيرا لم اعدم فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٣١ شهيدا . انه عمر المختار .

واجتمع المجاهدون ، يطلبون قائدا يكون رمزا لوحدتهم وسيدا لرايهم ، فكان الشيخ يوسف بورحيل المسمارى .

الا ما اصعب المهمة التى تولاها البطل بورحيل: وطنٌ كبير القفر من سكانه ، وحصار من كل جانب يزداد ضيقا كل يوم ، ودولة بامكانيات هـائلة تحارب جماعة قليلة ضئيلة عددا وعُدَّة .

كان سحاب الأمل قد بدا فى الابتعاد ، واخذ الجوع خلال اربعة اشهر بعد استشهاد القائد يفتك ببقية الأبطال . لقد كانت مهمة القائـد الجديد بورحيل اشبه بمواقف عديدة سجلهـا التاريخ لوطنيين يخوضون الغمار دون عون منتظر، ولا احتياطى يعتمد عليه .

انهم اولئك الذين ملكت عليهم المبادىء احاسيسهم فصدقوها واستعذبوا العذاب فيها .

ان تاريخ العرب مليء بامثال هؤلاء ، منـذ نكبة الأندلس الى فاجعة فلسطين . ومع يوسف العظمة فى ميسلون . ومع عبد القادر الحسينى فى القسطل . ومع جواد حسنى الشهيد الذى احاطه العدوان الثلاثى وحيدا فى بور فؤاد فسجل مذكراته على الحائط اسيرا ثم اختفى الى الأبـد ماجدا فى غياهب الخلود .

بورحيل يناشد البقية من اصحابه الاستبسال حتى الموت

كان يوسف بورحيل صورة من البطولة الشجاعة ينظم الصفوف ويخاطب اصحابه :

ــ لم يعد لكم الا القتال والاستبسـال ، اما غذاؤكم فهذا النبات من الارض ، واما خبـزكم الذى استحوذ عليه العدو فاغنموه ، واما سلاحكم فلا بد من استعماله حتى ولو بقى بلا ذخيرة ، سوف نضرب به كالعِصِى حتى نلقى الله . وماذا يخيفنا يا صِحابي من الموت ؟ لقد مضى شيخنا عمر المختار ، ومضى سيدى الفضيل بوعمر ، وقبلهم وبعدهم ذهب الكثيرون من رفقائنا فى لقاء سعيد بحثا عن الحرية ودفاعا عن الوطن .

ولكن الحصار المحكم الذى ضربه العدو حول الثوار افقدهم كل عون، وباعد بينهم وبين الانصار والمواطنين ، حتى جاء وقت كان الرجل منهم يهوى على الأرض ساقطا من الجوع ومن الضعف. وتفقد القائد رفاقه الموزعين فى نقاط عديدة بالجبل الأخضر ، فوجدهم بين حامل لهلاح بلا ذخيـرة ، وبين مسلح لم يعد يقوى على السلاح . تعبٌ مُرْهِق وجوعٌ قاتل ، وادرك ان نهاية ذلك الدور التاريخى قد اشرفت ، وهى واقعة لا محالة .

ونادى رفاقه الكبار : لقد هاجر احباب لنـا من قبل ، وانهم لموزَّعون فى السـودان وفى مصر والشام والعراق والهند . ولقد قمنا بما يحتمه الجهاد المقدس وواجب الوطن العزيز . لم يبق اليوم جهد لنضال . ان ايطاليا تسقط منشوراتها تدعونا للاستسلام . وان القاء سلاحنا معناه الذلّ الأبدى . اما الهجرة فهى اعلان عن استمرار صراعنا مع العدو ولعلها استعداد لمعركة قادمة .

واصدر امره بضرورة الاستعداد لمهاجمة الأسلاك الشائكة المكهربة على حدود مصر وضرورة الدخول مهاجرين اليها اقتحاما .

القائد لا يهاجر ولكنه يستشهد

وبينما كان الأحباب من شعب مصر يعالجـون المجاهدين المهاجرين ويضمدون جراحهم ،ويكسون عراتهم ، كان احدهم يقرا رسالة سلمها لـه



بعد معركة حامية ، بالجبل الاخضر،سقط البطل عمر المختار اسيرا في يد الايطاليين،فكبلوه بسلاسل الحديد ، رغم انه كان قد جاوز الثمانين . ثم اعدموه في ١٩ سبتمبر ١٩٣١

القائد بورحيل لتعطى لمن ينجو ويستقر في مصر وراء الحدود . وجاء فيها :

« ... اما انتم يا اخواني فشباب ، لكم في مصر "اسَر" ، ولكم في العمر براح . اما انا فقد جاوزت الخامسة والستين ، ولا ارى ان هناك مدفنا يليق بي خارج هذا الوطن وفي غير هذا الميدان » .

وفي اوائل فبراير سنة ١٩٣٢ صدر البلاغ الايطالي يقول :

« عندما انتهى اطلاق النار مع مجموعة من الثوار ، تقدم نحوها الملازم بريندزى ، فوجد اربع جثث لم تزل بنادقهم حامية في قبضة ايديهم ، وكان أحدهم يوسف بورحيل . وقد اظهر معرفائه الثلاثة بسالة حتى آخر دقيقة من حياتهم » .

وهكذا انتهت حياة الرئيس البرقاوي العظيم احد تلاميذ مدرسة جغبوب القرآنية ومستشار عمر المختار .

بعد ذلك بنحو ١٠ سنوات ، في عام ١٩٤١ ، والحرب العالمية الثانية قائمة ، كانت البارجة الالمانية الشهيرة جراف قد حوصرت . حاصرها الحلفاء بسفنهم وغواصاتهم . واصابوها بقذائفهم، وادرك قائدها انه لا مناص من غرقها . عندئذ انزل كل بحارتها وضباطها ، ثم اعتلى سطحها رافعا قبعته تحية للدنيا ، وغاص معها الى الأبد .

فتحدث العالم عن بطولة هذا القائد واستبساله واستهانته بالحياة .

ترى هل سمع احد في اوربا بالبطولات العربية ، وما اكثرها في تاريخ العرب الطويل ؟

■■

بنغازي : صالح مسعود أبو يصير



حماقـة !



شانج
كاى شيك

عن صحيفة « بريد مساء السبت » الامريكية :

● يتحتم على الولايات المتحدة الامريكية ان تقلع عن حماقتها فى محاولتها الدائبة عزل الصين (٧٠٠ مليون نسمة) عن حقها الطبيعى فى التبادل الدبلوماسى والتجارى .

ان الولايات المتحدة الامريكية لم يعد بامكانها ان تواصل تلك السياسة المتضاربة المملـــوءةبالمتناقضات التى تدعى بالسياسية الصينية . انه يجب علينا ان نستبدلها بسياسةاخرى حكيمة يضعها ابعد عقولبيتنا عنانفعال أ(قدرها وانقاها.

ان السياسة الجديدة يجب ان تعترف نهائيابان حكومة شانج كاى شيك لا يمكن ان تواصل ادعائها بانها تمثل الصين، ولكن ، فى نفس الوقت،يجب على الولايات المتحدة ان تقوم بحماية فرموزا وحقها فى تقرير مصيرها .

نصر للانسانية

كتبت جريدة «الهيرالد تريبيون» الامريكية تقول:

● ماذا يهم لو ان الوصول الى القمر انجزهرجال قاموا من روسيا ، او رجال قاموا من (راس كينيدى) بامريكا ؟ وهل سوف يكون لهذا الأمر خطر بعد عشرين عاما مثلا ؟

ان الحافز للوصول الى القمر موجود فى صدور البشر جميعا ، وكلما اسرعنا فى تحقيقه كان ذلك خيرا علينا جميعا . واذا نجح الروس اول ناجحين فى الوصول اليه ، فسوف يقبل اهل الارض هذه الحقيقة ، ولكنهم لن يقبلوها على انهـــا فوز للشيوعيين فقـــط ، وانمـــا هى فـــوز للانسانية جمعاء .

وسواء رضى الروس عن هذا،او رضى الامريكان، او لم يرضيا جميعا ، فان الامم المتقدمة كلها ستصبح يوما ما رائدة للفضـــاء . ان الجنس البشرى لم يقنع قط بان يحبس فوق هـــذه الارض . وحتى اذا رفضت الحكومات هـــذا الانطلاق ، فسوف يرفض هذا الرفض افـــراد الامم .

الدنيا ما زالت بخير ..

نقلا عن « صانداى اكسبريس » :

● فى هذا اليـــوم ، فى مكـــان ما ، يحتفل صبى صغير فى عيـــد ميلاده العاشر .

ولكن هذا اليوم الذى يسعد فيه هذا الصبى ، يشقى فيه شخصـــان يحبانه .

ذلك انه بعد ولادةهذا الطفل بأيام، قام هذان الشخصـــان وهما زوج وزوجة باحتضان هذا الطفل ، نيابة عن المجلس البلدى لمدينة لندن، وظلا

الديمقراطية فى كينيا

نقلا عن « كرستيان سيانس مونيتور » :



جومو كينياتا

● من المشكوك فيه كثيرا ، ان النظام الديمقراطى الذى يأذن بوجود حزبين ، يأتلف مع مزاج المجتمع الافريقى وتقاليده .

وعلى كل حال ، فهذا النظام يسير سيرا حسنا، ولكن فقط ، فى تلك البلاد التى نما فيها منذ قرون ، فهو بهذا اصبح الى حد كبير ، نتاجا لما اسماه المستر كينياتا نفسه ، وهو رئيس وزراء كينيا ، بانه نتيجة انفعالات العنصر الانجلو سكسونى .

ان المستر كينياتا بالرغم من شيخوخته ، قد نجح نجاحا ملحوظا بحسبانه رئيس وزراء دولة افريقية من احدث دول القارة استقلالا .

وقد اصبحت كينيا تحت زعامته مختبرا يحاول فيه الرجال حل مشاكل كثيرة هى افريقية فى الدرجة الاولى .

من اجل هذا استحقت هذه البلاد ، واستحق رجالها عطف الأمم الاخرى وحسن فهمهم وتجاوبهم، وهم ينظرون الى هذه البلاد والى تجربة نظام الحزب الواحد ، وهو يختبر فيها .

ولكن هذا العطف يجب ان يصحبه رجاء ، ان لا يصحب هذه التجربة اى نوع كبير من الاجحاف يقع على اى رجل كينى كان ما كان .

يرعيانه ، أبا له وأما ، مدة تسع سنوات . وسعدا به ، وسعد بهما .

ثم حدث أن الأم الحقيقية ، تلك التى أودعته تحت رحمة المجلس البلدى فى ذلك الزمان البعيد ، عادت تطلب استرداده . وتهيأ المجلس البلدى لقبول طلب الام ، وأحضر الصبى وأسكنه منزلا مؤقتا تسترده منه أمه .

وفى هذه الأثناء حاول الزوج والزوجة اللذان تبنياه، عند القضاء، أن يمنعا المجلس من رده الى أمه ، وكان الحكم فجيعة لهما .

قال القاضى : انه لا يستطيع أن يتدخل .

حادث حزين لا شك ، وحادث صعب ، ولكن لا يستطيع الانسان الا ان يعجب بهذا الزوج وزوجته حينما يجاهدان فى الاحتفاظ بصبى ليس بابنهما .

ان الدنيا بخير ما وجدت بها قلوب مثل هذين القلبين .

أجب على ٨ أسئلة على الأقل

■ المفروض ، ايها القارىء انك قرات الاعداد الاثنى عشر من « العربى » التى ظهرت فى عام ١٩٦٤ وانه بقى فى ذاكرتك منها منافع من معارف بينة ظاهرة واضحة كبيرة ، فمن هذه المعارف قد اخترنا ١١ سؤالا ونطلب منك الاجابة فقط على ثمانية اسئلة منها ، مع علمنا بان الاكثرية الكبرى من القراء التى قرات واستفادت من العربى كما وجبت القراءة تستطيع ان تجيب على الأحد عشر كاملة .

١ ــ مغنية الحجاز : أمرت جواريها فضربن على خمسين وترا فتزلزلت الدار . ثم غنت هى على عودها فجرت من العيون الدموع ! **من هى ؟**

٢ ــ رقيق ولد فى احضان أم المؤمنين ، وتنشأ بين الصحابة والتابعين ، يعرض بالحجاج فى بعض خطبه ولا يخشاه ، ويستدعيه ، فيجهر له بالقول ويقول حسبنا الله . **من هو ؟**

٣ ــ كانوا يقدمون لها رؤوس المشاهير بعد اعدامهم لتصنع منها نماذج بالشمع . **من هى ؟**

٤ ــ شاعر الروسى العظيم .. كان روسيا ، ولكن كان جده لأمه حبشيا . **من هو ؟**

٥ ــ لو لم اكن الاسكندر ، لوددت ان اكون .... **ضع الاسم مكان هذه النقط .**

٦ ــ مدينة المعتصم ، انتزعت الزعامة من بغداد ، فأصبحت أحدوثة الزمان فى هاتيك الايام **ما اسمها ؟**

٧ ــ فصيلة من الحيوان تجمع بين الأسد ، والنمر ، والفهد ، والقط . **ما اسمها ؟**

٨ ــ القصاص العالمى الشهير ، يتحدث عن الحياة والموت ، وقد بلغ سن التسعين فى عام ١٩٦٤ **من هو ؟**

٩ ــ أبو الحسن الشاذلى علم من أعلام الصوفية ، ما زال أتباعه وتلاميذه ، ينتشرون فى مختلف انحاء العالم الاسلامى **اين ولد ؟**

١٠ ــ « بلد ، هى باب الحاج الى بيت الله الحرام » **ما اسمها ؟**

١١ ــ مقامات الحريرى ، لها بطل ، هو شخصية رائعة ، خلقها صاحبها خلقا ، تمثلت فيها وقائع عصر نكد ، تباينت فيه الأهواء ، وكسدت بضاعة الأدباء . **ما اسم هذه الشخصية ؟**

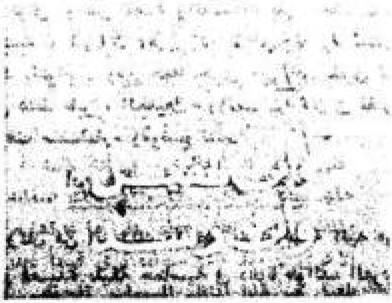
شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٨٤ . اكتب عليه اسمك بخط واضح . واكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى ـ العدد ٧٤ » . آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو ٧ فبراير (شباط) ١٩٦٥ .

● يمنح الفائزون ١٠٠ دينار توزع كالآتى : الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا .. الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير .. ٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .. ■■

الفيلسوف .. والطبيب .. والشاعر ..





بقلم : محمد عبد الله عنان

■ كان العلامة الطبيب الفيلسوف أبو بكر بن طفيل ، ثالث ثلاثة من أئمة الحكمة الأندلسية ، وعباقرة التفكير الاسلامى ، الذين ظهروا خلال القرن السادس الهجرى ، وهم أبو بكر بن الصائغ (ابن باجة) وابن طفيل ، وتلميذه ابن رشد (١) .

وابن طفيل ، هو أبو بكر محمد بن عبد الملك ابن محمد بن طفيل القيسى ، واصله من « وادى اش » ، تلك المدينة الأندلسية العريقة من مدن

(١) هؤلاء الثلاثة من مفكرى العرب والاسلام ، تركوا فى الحضارة الغربية آثارا لا تزال مذكورة ، والى اللاتينية ترجمت مؤلفاتهم . وقد اشتهر أولهم ابن باجة باسم Avenpace وأبو بكر ابن طفيل باسم Abubacer وابن رشد باسم Averroes

ولاية غرناطة ، التي ينتمي اليها كثير من العلماء والأدباء ، والتي استطاعت أن تحتفظ بعروبتها واسلامها حتى أيام الأندلس الأخيرة ، في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي . ولسنا نعرف تاريخ مولده بالتحقيق ، وربما ولد في الأعوام الأولى من القرن السادس الهجري . ودرس ابن طفيل الحديث والفقه واللغة على أبي محمد الرشاطي ، وعبد الحق بن عطية ، وغيرهما من أقطاب العصر ، ولكنه مال الى « الحكمة وعلوم الأوائل » . ودرس الحكمة والطب باشبيلية ، وكان في مقدمة أساتذته ابن باجة أعظم فلاسفة الأندلس يومئذ ، وغيره من أعلام العصر ، وبرع منذ شبابه في الفلسفة والطب كما برع في الفقه والأدب .

بين كتاب ابن ملحان الطائي

وبدأ ابن طفيل حياته العامة ، في الوقت الذي اضطرمت فيه الأندلس بالثورة على المرابطين ، وقامت في كل قاعدة أندلسية ، حكومة قومية جديدة ، على نمط الطوائف . وكانت بلدة « وادي آش » ، قد حذت في ذلك حذو غيرها ، وقام بها أحمد بن ملحان الطائي في سنة ٥٤٠ هـ ، وأنشأ بها حكومة مستقلة ، فانتظم ابن طفيل بين كتابه ، وخدمه مدى حين . ولما سقطت حكومته بعد ذلك بأعوام قلائل ، وتغلب الموحدون على قواعد الأندلس ، انتقل ابن طفيل الى خدمتهم ، وكتب لوالي غرناطة الموحدي فترة أخرى .

ابن طفيل ، في اشبيلية

على ان القدر ، كان يدخر لابن طفيل ، مكانته الحقيقية على يد الأمير الموحدي السيد أبي يعقوب يوسف بن الخليفة عبد المؤمن بن علي . فقد عين هذا الأمير واليا لاشبيلية في سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) وكانت اشبيلية قد غدت يومئذ قاعدة الحكم الموحدي بالأندلس ، بعد أن عفا الزمن على قرطبة عاصمة الخلافة القديمة ، وغدت في الوقت نفسه أعظم مراكز الحركة الفكرية والأدبية . وكان السيد أبو يعقوب ، عالما فقيها ، أديبا يشغف بالدرس ، ويجمع حوله صفوة العلماء والمفكرين ، حتى غدت اشبيلية خلال الأعوام الثمانية التي قضاها في حكمها جامعة الأندلس الحقيقية . وكان ابن طفيل في مقدمة هذا الرهط العلمي الذي ينتظم حول الأمير العالم .

ابن طفيل طبيب أبي يعقوب

ولما توفي الخليفة عبد المؤمن بن علي في سنة ٥٥٨ ، خلفه في الخلافة ولده السيد أبو يعقوب يوسف . ولسنا نعرف بالتحقيق ما اذا كان ابن طفيل قد شغل منصب الطبيب الخاص للخليفة الجديد ، منذ البداية . بيد انه لما مرض الخليفة في سنة ٥٦٥ هـ ، واستطال مرضه أربعة عشر شهرا ، كان الذي يتولى علاجه ، وفقا لرواية ابن صاحب الصلاة ، مؤرخ الموحدين المعاصر ، «طبيباه أبو مروان بن قاسم ، وأبو بكر بن طفيل » . وهذه أول مرة تقدم الينا الرواية الموحدية الفيلسوف والطبيب الكبير باعتباره طبيب الخليفة الموحدي . على انه يلوح لنا مما تؤكده لنا الرواية من توثق أواصر المحبة والصداقة بين الخليفة وطبيبه ، ان ابن طفيل كان يشغل منصبه قبل ذلك بأعوام . ومن جهة أخرى فان ابن طفيل لم يكن فقط طبيب الخليفة ، وانما كان في نفس الوقت مستشاره وموضع ثقته .

ابن طفيل شاعر مجيد

وكان من أثر ذلك ما عهد به الخليفة اليه من نظم قصيدة بليغة حماسية في دعوة طوائف العرب الذين بافريقية وحثهم على الاشتراك في الجهاد بالأندلس ، يشاد فيها برفيع أصولهم ، وأرومتهم ، وكونهم هم السيف الماضي في نصرة الدين ، فنظم ابن طفيل تحقيقا لتلك الغاية قصيدة طويلة في أربعين بيتا ، تفيض بلاغة وروعة ، وتدل على ما كان للفيلسوف في نفس الوقت من منزلة عالية في النظم تضعه في صف أكابر الشعراء . وقد نقل الينا ابن صاحب الصلاة هذه القصيدة بأكملها ، وقد جاء في مطلعها :

أقيموا صدورَ الخيل نحو المضارب
لغزو الأعادى واقتناءِ الرّغائب
واذكُوا المذاكي العاديات على العدا
فقد عرضت للحرب جرد السلاهب
فلا تُقتنى الآمال إلا من القنا
ولا تُكتَب العليا بغير الكتائب

ولا يبلــغ الغايات إلا مُصمّــــمٌ
على الهون ركّابٌ ظهورَ المصائب

ومنها فى استمالة العرب والاشادة بهم :

الا فابعثوها همّةً عربيــــــة
تحفُّ بأطراف القنا والقواضب

أفرسانَ قيسٍ من هلال بن عــامر
وما جمعت من طاعن ومُضــارب

لكم قبّةٌ للمجد شُدُّوا عمادها
بطاعة أمر الله من كل جانـــب

وقوموا لنصر الدين قومةَ ثائـر
وفيئوا إلى التحقيق فيئةَ راغب

وهذه الناحية من نواحى عبقرية ابن طفيل ، أعنى شاعريته العالية ، وروعة نظمه ، لم تأخذ حقهـــا من التعريف ، إذ كانت صفاته العلمية والفلسفية ، تطغى دائما على ما عداها من صفاته الأخرى . بيد اننا سوف نرى فيما بعد ان لابن طفيل غير هذا النظم السياسى الحماسى ، نظمـا رقيقا آخر .

★ ★ ★

الخليفة ابو يعقوب ، فى اشبيلية ، يجنح الى دراسة الفلسفة والطب

وفى سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) عبر الخليفة ابو يعقوب يوسف فى جيوش الموحدين الى الاندلس طلبا للجهاد ، وكان فى ركبه بالطبع طبيبه الخاص ابن طفيل . وقضى الخليفة فى شبه الجزيـــرة خمسة أعوام . وكانت اشبيلية مقامه الأثير . وفى هذه الفترة التى قضاها الخليفة ابو يعقوب فى المدينة الاندلسية العظيمة تفتحت مواهبه العلمية والأدبية ، وجنح الى دراسة الفلسفة والطب ، واجتمع حوله يومئذ ثلاثة من أعظم ائمة التفكير الاسلامى ،هم طبيبه الخاص ابن طفيل ، وتلميذه القاضى الفيلسوف ابو الوليـــد ابن رشـــد ، والطبيب العبقرى عبـــد الملك بن زهر . وكان الخليفة يشغف بالأخص بملازمة صديقه وطبيبه ابن طفيل ولا يصبر على فراقه .

بين الخليفة وبين العلماء

وكان ابن طفيل يقوم بمهمة السفارة بين الخليفة وبين العلماء ، ويدعوهم اليه من مختلف القواعد والأقطار ، وينبّه على اقدارهم لديه ، ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم ، وهو الذى نوه لديه بفضل ابن رشد وبراعته .

وكان هذا الخليفة العالم أبو يعقوب ، يأخـذ من الفلسفة بقسط ملحوظ . واذا صدقنا رواية المراكشى التى ينقلها الينا عن القرطبى ، فان الفضل يرجع الى هـذا الخليفة فى وضع شروح فلسفة ارسطو العربية . ذلك انه وفقا لهـذه الرواية هو الذى أوعز الى طبيبه ابن طفيـــل بوجوب عمل تلخيص جديد لشروح ارسطو وتقريب اغراضها وتحرير تراجمها مما يشوبها من الغموض.

ابن طفيل يختار تلميذه ابن رشد

ولكن ابن طفيـــل ، نظـــرا لكثرة مشاغله وشيخوخته ، هو الذى اختار تلميذه ابن رشد للقيام بهذه المهمة العلمية ، لما يعلمه من مقدرته، وقوة نزوعه ، وصفاء قريحته ، وان هذا هو الذى حمل ابن رشد على القيام بتلخيص شروح ارسطو، وهى الشروح التى اشتهر بها وترجمت فيما بعد الى اللاتينية ، واذاعت شهرة الفيلسوف المسلم فى دوائر التفكير الغربى .

وفاة ابن طفيل

ولما توفى الخليفة ابو يعقوب يوسف فى ربيع الآخر سنة ٥٨٠ هـ (اغسطس سنة ١١٨٤ م) عقب نكبته فى موقعة شنترين ، استمر ابن طفيل فى منصبه طبيبا خاصـــا لولده الخليفة الجديد ابى يوسف يعقوب المنصور . بيد انه لم يعش طويلا بعد ذلك ، اذ توفى بمراكش فى أواخر سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) وحضر الخليفة جنـــازته بنفسه .

مؤلفات ابن طفيل

واشهر مؤلفات ابن طفيل رسـالة « حى بن يقظان » أو « أسرار الحكمة المشرقية »و«الارجوزة الطبية المجهولة » و « رســـالة النفس » وغيرها من مؤلفات ورسائل اخرى لم تصل الينا . وقد انتهت الينـــا لحسن الحظ رســـالة « حى بن

يقظان » (٢) ، وهي تلخيص فلسفي رائع لأسرار الطبيعة والخليقة ، عرضت خلال حياة وأعمال طفل خلق « من بطن الأرض » في جزيرة مجهولة من جزائر الهند ، جنوبي خط الاستواء ، وهذا الطفل هو « حي » . وقد استطاع بالملاحظة والتأمل التدريجي لظروف الحياة ومظاهرها الطبيعية ، ان يصل الى اسرار الطبيعة ، واسرار الحكمة العليا ، وان يتقرب في تامله وصومه من الله . وبالرغم من صغر حجم هذه الرسالة الفلسفية ، وهو لا يزيد عن خمسين صفحة ، فقد لفتت بروعتها انظار النقد الحديث ، وترجمت الى اللاتينية منذ القرن السابع عشر، كما ترجمت بعد ذلك الى عدة لغات اوروبية أخرى .

المعاصرون لابن الطفيل اشادوا بعبقريته

وتشيد الرواية الاسلامية المعاصرة بعبقرية ابن طفيل ، ويصفه المراكشي ، « بانه احد حسنات الدهر » ، ثم يقول لنا انه صرف عنايته في اواخر عمره الى العلم الالهي ، ونبذ ما سواه . وكان حريصا على الجمع بين الحكمة والشريعة ، معظما لامر النبوءات ظاهرا وباطنا ، هذا مع اتساع في العلوم الاسلامية » . ويصفه ابن الخطيب بانه « كان عالما محققا ، شغوفا بالحكمة المشرقية ، متصوفا ، طبيبا ، ماهرا في اصول العلاج ، وفقيها بارع الاعراب ، وكاتبا بليغا ، ناظما ناثرا ، مشاركا في عدة فنون » .

نموذج من شعره في الغزل

وقد اورد لنا المراكشي لابن طفيل، نقلا عن ولده يحيى هذا النظم الرقيق الشجي :

ولما التقينا بعدَ طول تهاجر
وقد كاد حبلُ الود أن يتصرّما

جلَتْ عن ثناياها، وأومض بارقٌ
فلم أدر مَنْ شقّ الدُجنّةَ منهما

وساعدني جفْنُ الغمام على البكا
فلم أدر دَمْعاً أينا كان أسجما

فقالت وقد رقّ الحديث وأبصرتْ
قرائنَ أحوالٍ أذعْنَ المكتّما

نشدتُكَ لا يذهبْ بك الشوق مَذهبا
يهُونُ صعباً أو يرخّص مأثما

فأمسكتُ ، لا مُستغنيا عن نوالها
ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرما

نموذج من شعره في الزهد

ونقل الينا من شعره في الزهد :

يا باكيا فرقةَ الأصحاب عن شحَط
هلاّ بكيت فراق الروح للبدن

نورٌ تردّدَ في طين إلى أجل
فانحاز عُلْوًا وخلّى الطّينَ للكفن

يا شدّ ما افترقا من بعد ما اعتلقا
أظنها هُدنةٌ كانت على دَخَن

إن لم يكن في رضى الله اجتماعهما
فيا لها صفقةً تمت على غبَن

ولابن طفيل غير ذلك من النظم الجيد . هذا فضلا عن بلاغته النثرية وجزالة اسلوبه الأدبي التي تتجلى في رسالة « حي بن يقظان » . وهي تدل على ما كان يتمتع به هذا الفيلسوف والطبيب العبقري من ذوق ادبي رفيع لم تطغ عليه العناصر العلمية الجافة .

■■

القاهرة ـ **محمد عبد الله عنان**

(٢) راجع مجلة العربي شهر مايو عام ١٩٥٩ صفحة ٨٨ ، لمزيد عن رسالة حي بن يقظان .

إجاباتٌ عديدةٌ خاطِئَةٌ

تدلُّ على:

ولو مُختَصَرة

■ كان الاقبال على مسابقة العدد ٧٣ من « العربى » متوسطا ومتنوعا ، اذ وردت الينا اجابات مختلفة من دول العالم :نيجيريا ــ الجزائر ــ اليمن ــ ايطاليا ــ تونس ــ بلجيكا ــ المغرب ــ اوغندا ــ تركيا ــ قطر ــ عدن ــ مسقط ــ سويسرا ــ الشارقة ــ اسبانيا ــ راس الخيمة ــ انجلترا ــ ابو ظبى ــ البحرين ــ تنجانيقا ــ النمسا ــ السعودية ــ فرنسا ــ الجمهورية العربية المتحدة ــ غانا ــ فلسطين ــ الصومال ــ السودان ــ امريكا ــ العراق ــ الباكستان ــ الهند ــ سوريا ــ يوغوسلافيا ــ الاردن ــ ليبيريا ــ اثيوبيا ــ الكويت .

ولكن ــ للأسف ــ تميزت معظم هذه الاجابات بالخطأ ، بشكل لم يسبق له مثيل فى المسابقات السابقة ، حتى تاريخ وفاة الفيلسوف العالمى برنارد شو لم يعرف بالضبط ! مع ان اى قارىء كان يمكنه معرفة ذلك ببساطة اذا ما فتح او راجع صفحات اى قاموس او موسوعة مختصرة .

ومعنى هذا ان شباب العرب تنقصه الموسوعات الميسرة، وهذا نقص ننبه اليه الذين يتحملون تبعة نشر الثقافات فى البلاد العربية . آن الأوان ليكون عند العرب موسوعات كبيرة .. وموسوعات صغيرة .. وموسوعات متوسطة .. فتلك هى مصادر العرفان التى لا غنى عنها لكل شاب ورجل وكهل ، وكل شابة وامرأة تعيش فى القرن العشرين ..

الاجابات الصحيحة

واليكم الاجابات الصحيحة :

١ ــ عدد الدول الأعضاء فى الجامعة **١٣ دولة**

٢ ــ هجرة النبى (صلعم) وقعت سنة **٦٢٢**

٣ ــ مذبحة دير ياسين كانت فى **١٩٤٨**

٤ ــ استيلاء الأتراك على القسطنطينية تم فى عام : **١٤٥٣ .**

٥ ــ خروج كريستوف كولمب لاكتشاف امريكا : **١٤٩٢**

٦ ــ القنبلة الذرية فجرت فوق هيروشيما عام : **١٩٤٥**

٧ ــ الثورة الروسية الكبرى كانت فى عام : **١٩١٧**

٨ ــ مات الاسكندر الاكبر وعمره : **٣٣ سنة**

٩ ــ ثورة الجزائر بدات عام **١٩٥٤**

١٠ ــ برنارد شو توفى عام **١٩٥٠**

١١ ــ مكث العرب فى الأندلس مدة تزيد على : **٧ قرون .**

أسماء الفائزين

وقد أجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة ففاز الآتية أسماؤهم :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : ابو الحديد عبد العال عامر ــ ج ع م .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازبها : محيى الدين النابلسي ــ سوريا

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازبها : عبد المحسن فخر الدين ــ العراق

٨ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير ، فازبها :

١ ــ يوسف عبد الرحمن الملا ــ قطر

٢ ــ عبد المجيد طه علي ــ السودان

٣ ــ وليد حسين ابو الهنا ــ السعودية

٤ ــ محمد عبد العزيز البواردى ــ المانيا

٥ ــ أحمد رباح عابدين ــ الأردن

٦ ــ محمد عبد الله ــ ليبيا

٧ ــ وليد مغربى ــ لبنان

٨ ــ خالد يوسف الزنكى ــ الكويت . وسوف ترسل قيمة الجوائز لأصحابها.

■■

أزهارٌ ولكنها حيوانيَّة فوقَ صخورٍ سمَّوها مرجانيَّة

حديقة جزرَ عنها البحر



حدائقُ تحتَ الماء، تُنافِسُ حدائقَ أهلِ الأرض

■ كان اليوم يوما فى منتصف اغسطس .

وكانت السنة قبيل الحرب العالمية الثانية بقليل .

والموضع الذى كنا به ، كان الفردقة، تلك القرية الصغيرة التى على ساحل البحر الاحمر الغربى ، وقد كانت كلية علوم جامعة القاهرة انشأت بها محطة لبحوث الاحياء قبل ذلك بسنوات .

والصبح الذى اذكره كان صباحا مشرقا ضاحيا .

وركبنا زورقا من زوارق المحطة نرتاد منها أجمل شىء فيها . شيئا يرى فيه غيرُ العالم جمالا ظاهرا مُعجبا ، ويرى فيه العالم جمالا ظاهرا ، وآخر باطنا ، والباطن أكبر اعجابا .

ولم يكن الزورق كالذى عهدناه من زوارق . كان قاعه من زجاج يأذن للناظر ان يرى ما تحته فى الماء والزورق يسير فوقه .

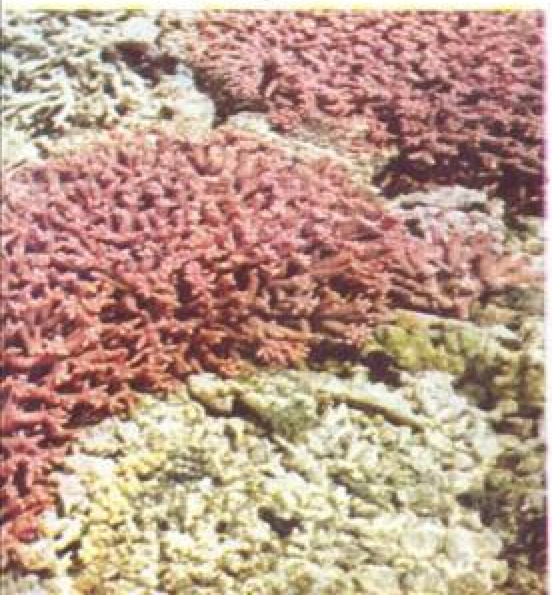


صورة اخذت من علو ٦٠ قدماً لجزيرة مرجانية عند الحاجز المرجاني الكبير، الذي طوله ١٠٠٠ ميل، القائم في المحيط ، عند الشاطىء الشرقي للقارة الاسترالية ، بشمال . وترى الصخور المرجانية تطوق الجزيرة عند الحافة العليا حيث ماء المحيط . وفي الداخل ، البحيرة في قلب الجزيرة ، وهي من ماء مالح .

الى اسفل : المستعمرة المرجانية « الرخوة » ، ونجد عند فم كل وحدة من وحداتها ثماني زوائد لا ستا ، فهي من ابناء اعماق المرجانيات الفحة وهي تمثل المجموعة المعروفة في العلم باسم Alcyonaria

الى اسفل : صخور مرجانية تعرف باسم « قرون الوعل » ، لما يخرج منها من فروع صنعتها الاحياء المرجانية ، اشبهت هذه القرون واسمها العلمي Acropora .









الى اليسار : ثلاث سمكات حمراوات من السمك المعروف بالسنجاب Suqirrel Fish بينها سمكة لها وجه انسان غاضب ، تسبح فوق الشعب المرجانية المعروفة بقرون الوعل



حدائق الأرض وحدائق البحر

حدائق الارض اشكالها معروفة ، وهي علي تنوعها ، فان اشكالها وأزهارها محدودة .

وحدائق هذا الماء كانت اشكالا لا حدّ لها ، فيها الفن حينا ، وفيها غير الفن : اعني ذلك الانطلاق الذى تؤدى اليه المصادفة. ولكنها غير المصادفة الهوجاء. انها المصادفة المحكومة عند اصولها بقوانينَ للحياة ثابتة لا تتغير .

وحدائق الأرض الوانها معروفة .

وحدائق هذا الماء كانت ذات الوان ، كالوان حدائق الأرض ذات شيات وذات ظلال .

وحدائق الأرض تحمل الوانها الأزهارُ ، فوق بساط من خضرة .

وحدائق هذا الماء يحمل الوانها كل جسم مجسّد فيها . والبساط من زرقة ، هي زرقة الماء . واختلفت الاجسام ، واختلفت الألوان . ومنها الأبيض الناصع البياض كانه جباه الحور .

وعودتنا حدائق الأرض على النظر الى الوان مجتمعة ، فالفناها ، وسميناها متناسقة ، لا لشيء الا انه بالتعلم تولد عندنا معنى الاتساق .

وحدائق البحر هذه صنعت الوانها اعتباطا . واذن فكيف تحقق لها كل هذا الاتساق ؟!

وقضينا ساعة نستمتع بالنظر الى إسفل، الى الماء عبْرَ القاع، قاع القارب، وشمس الضحى تنيره ، تنير هذه الحدائق فتسطع بالحسن كما تسطع جنان الأرض .

فِلْمٌ لهذه الحدائق رائع

وكان مدير المحطة عند ذاك صديقنا الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر ، وهو عالم فذ ، اخذت فحاحته فى العلم بعضَ نصيبه من الفن . فكان يرى فى طُفَيلية مثلا ، يجدها فى أمعاء سمكة ، شيئا أشهي كثيرا من أن يرى جمال سمكة فى توزع زعانفها ، أو لمعة قشرها ، وهي تسبح فى الرائق الصافى من مائها .

وكان بالكلية استاذ فى علم الحيوان آخر ، فحاحته فى الفن أخذت من بعض فحاحته فى العلم. فدار على حدائق الغردقة ، وهى تحت الماء ، يصورها . وأخرج فلما رائعا يتحلب له ريق اكبر مصانع السينما ، لا أدرى أين هو الآن ، ومن يدرى ، فلعله انطوى بانطواء صانعه ، رحمه الله .

الشُعَب المرجانية

انها الشُعَب المرجانية .

وتنظر اليها فتحسب انها صخور فى الأرض تفرعت كما يتفرع الشجر، غريبة الاشكال والألوان . ويقطع الزوار منها فروعا واغصانا يحملونها الى منازلهم ، لا تكون الا صخورا ، ثم هي لا تلبث أن تفقد الوانها ، ويبقى لها الشكل المعجب وحده .



مستعمرة مرجانية ، على شكل المروحة ، لونها أرجوانى داكن

الشُعَب المرجانية تصنعها حيوانات صغيرة

والشعب المرجانية صخور لا شك من الكِلْس، لكنها من صنع أحياء ، وهي أحياء حيوانية حية ما بقيت في الماء ، فاذا أخرجت عنه تموت .

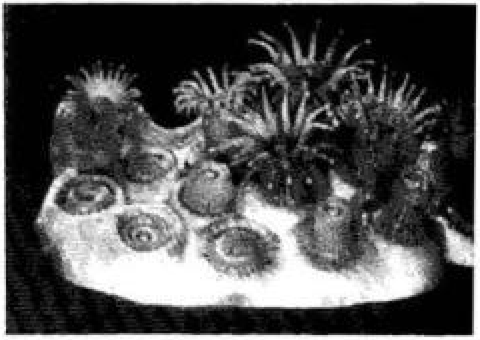
وهي أحياء صغيرة . ويبدأ الحي منها حياته وله قوام الفالوذج ، بيضاوي الشكل . طوله جزء من البوصة . وله شعرات يسبح بها في الماء .

انه حيوان ذو حركة .

ثم يبدو له أن يستقر .

وعندئذ يحط على الصخر حيث كان من البحر. ثم يبدأ يبني لنفسه بيتا . وهو يصنع قاع هذا البيت أولا ، طبقةً يفرزها من الكِلس (كربونات الكلسيوم) تكون بينه وبين الصخر ، هي قاعدة البيت . وطبقة يفرزها من الكِلْس ايضا لتدور حول جسمه . ويتخذ الجسم الشكل المقبب ، واسع الادنى ، ضيق الاعلى .

ويبحث العالم هذا الجسم فيجده شيئا كالكيس ، لا فتحة له الا في أعلاه ، هي فمه . وفوق الفم زوائد متحركة ، تعرف باللامس ، عددها ستة من المرجانيات الأصيلة ، تحس الطعام الذى في البحر ، وتحمله الى جوف الكيس . وبهذه اللامس خلايا تفرز السم تحمله منها الى الضحية الصغيرة الطافية في البحر شعرات" تخرج من هذه اللامس ، فتقتلها قبل أن تلتهمها .



مستعمرة أخرى من مرجانيات حية ترى فيها المرجانيات المفردة وقد مدت بزوائدها الحساسة (ملامسها) خارج أحقاقها وهي من كلس .

أشعة أخرى مفلورة

وعهدنا بالأشعة السينية ، وهي أشعة لا ترى كذلك ، تلقى على أجسام المرضى ، فتنفذ في لحومهم الطَرية غير العظام ، ثم تسقط على لوحة بها مادة ، مثل كبريتيد الكلسيوم ، تحول هذه الأشعة غير المرئية الى نور مرئي فيه بعض اخضرار . وهو يتراءى على اللوحة ، الا حيث منعت وصولها اليها العظام ، فنرى مكانها ظلال سوداء . فهذا مثل للفلورة آخر : ضوء ذو أمواج صغيرة (أشعة س) استبدل بضوء ذي أمواج مرئية كبيرة (نور تراه العين) .

وهو كيس فارغ من الأحشاء . يتلقف الطعام ، فيهضمه ما يتحلب من جدران الكيس الداخلية من عصارة هامضة .

ويقوم هذا الحي ، بكيسه هذا ، في هيكله الكلسي الذى يكسوه ، الا رأسه ، وحدةً قائمة بذاتها .

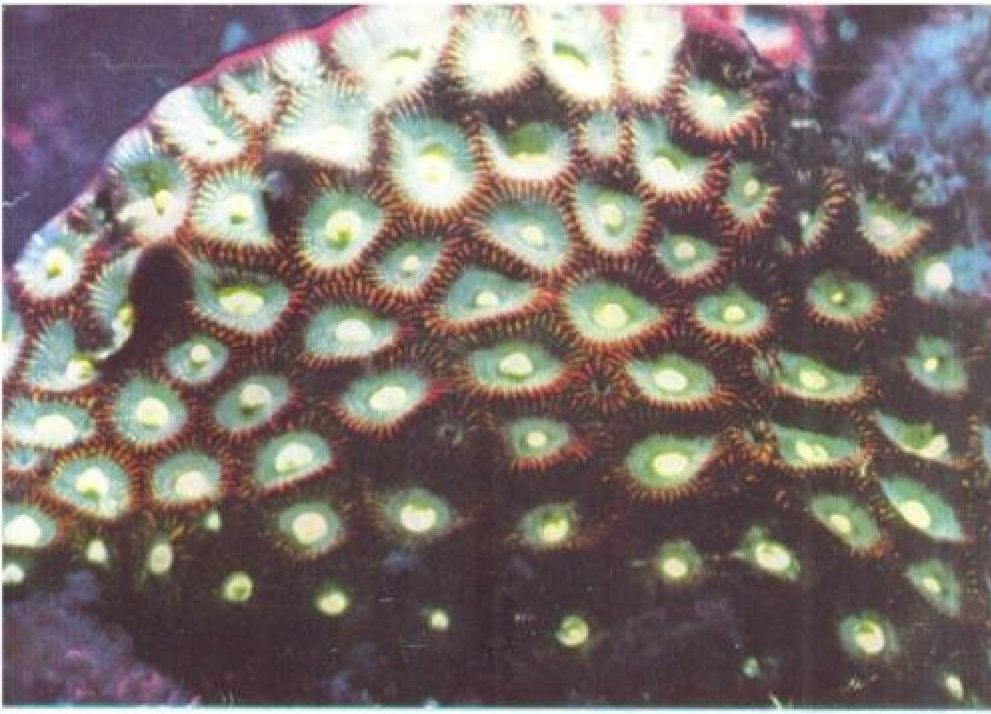
ويسميها العلماء بالبوليب Polyp ، وأصلها Polypodus ، وهى لفظ اغريقي معناه الكثير الأرجل . وما الأرجل الا الزوائد المتحركة التى عند فمه . وقد تراها انت أيادىَ ، ولكن واضع هذا اللفظ الأول ، رآها أرجلا .

ولذا عمد بعض علماء العرب الى تعريب البوليب بأنه المُرْجِلة ، اى صاحبة الأرجل ، كما تقول المحسنة أى صاحبة الاحسان الكثير . والمُطعمة والكاسية . وبذلك نصنع مصطلحا يحمل صفة في هذا الحيوان أصيلة ، وله باللفظ الافرنجي ، الذى هو مصدر العلم الحاضر صلة غير مقطوعة .

وحدات ، تتكرر فتصنع المستعمرات

وتقوم هذه الحيوانات ، بعضها الى

(البقية على صفحة ٤٢)



في الصورة السفلى ، بهذه الصفحة صخر مرجاني ، حيّ ، من نوع الفافيت Favites ، كما تراه العين في ضوء الشمس . وفي الصورة العليا نفس الصخر ، وقد سلطت عليه في ظلام المختبرات تلك الأشعة التي يسميها الفرنسيون في حسن تعبير بالنور الأسود La lumiere noire وهي الأشعة الموجودة بطيف نور الشمس بعد اللون البنفسجي ، فهي بذلك خارجة عن طيف الشمس المرئي ، فهي من « نور الشمس » ولكن لا تراها العين ، من أجل ذلك كانت « نورا أسود » ، وتسمى بالفوق البنفسجية .

تفسير

الأشعة الفوق البنفسجية تأتينا مع ضياء الشمس . وهي لا ترى . ولكنها هي هي التي تفعل في العين ذلك الأثر البالغ الذي يكاد يُعمي العين لو أنها نظرت الى الشمس مباشرة . وهي أشعة ، في لغة العلم ، موجاتها أقصر من موجات كل ألوان الطيف ، تلك التي اللون البنفسجي أصغرها موجة، يليه النيلي ، فالأزرق ، فالأخضر فالأصفر فالبرتقالي فالأحمر . ويلي هذا الطيف المرئي أشعة أطول موجة من ألوانه ، وتأتي من الشمس كذلك، ولكننا لا نرى ، وانما نحن نحسها . فهذه هي الحرارة .

وكما نحن نصنع الحرارة من غير الشمس مصدرا، فكذلك نصنع الأشعة الفوق البنفسجية من الكهرباء ، ولها مصابيح تخرج تلك « الأشعة السوداء» التي لا تراها العين .

وسلطنا هذه الأشعة على المرجانيات المذكورة فخرجت بثوب في العين أزهى وأشهى . ذلك أن هذه المرجانيات امتصت أمواج الأشعة الفوق البنفسجية الصغيرة الطول ، وأعطتنا مكانها أشعة





في الصورة السفلى ، بهذه الصفحة ، مجموعة من الصخور المرجانية الحية ، أخذت من البحر من عمق يتراوح ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين الأمتار . وهي في هذه الصورة السفلى كما تراها العين في ضوء الشمس ، ونجدها هي هي في الصورة العليا ، وقد سلطت عليها في ظلام المختبرات الأشعة الفوق البنفسجية ـ أشعة النور الأسود .



لغامض

ول موجة ، وقعت من أجل ذلك في طيف المرئي من الشمس ، فكانت خضر والأزرق والأحمر ، فرأيناها .

وهذه الظاهرة المعروفة في العلم ، مى بالفلورة Fluorescence ، اسمها وضع أول مرة عندما أجرى بالم استوكس الانجليزى Stokes ارب على المادة الصخرية المتفلورة روفة باسم فلورسبار Fluorspar و فلوريد الكلسيوم .

وكانت هذه الظاهرة معروفة في جسام غير الحية . وهذه أول مرة يا يكتشف وجود الفلورة في الأجسام حية . ولكل نوع من المرجانيات فلورة ثوب خاص به يلبسه عند لورة ، هو دليل عليه .

وهذه الصخور ، في أعماقها في حر ، تعطي الغاطس اليها صورا لورة زاهية وهي في مواطنها . ذلك ضوء الشمس يمتص ماء البحر ر أشعته المرئية ، ويبقى الأكثر أشعتها ما فوق البنفسجي ، فهو لـ . واذن تتفلور المرجانيات هناك ر ما .

بعض، بلايين بلايين، فتكون المستعمرات. وتموت هذه الأحياء ، فيخلفها غيرها ، ثم غيرها .

وبهذا تتكون الشعب المرجانية في البحار ، على الأجيال والقرون .

وقد تحيا هذه الوحدات من هذه الحيوانات حياة متكافلة ، فتقوم بينها قنوات تحمل الطعام من حي الى حي ، فكل يصيد ، وكل يتغذى ، وكل يحيا وبعض تسد دونه المنافذ الى ماء البحر، ومع هذا يأتيه رزقه رغدا .

على كل حال هذا وصف خاطف ، لا يشمل كل ما يقال من صفات المرجانيات، وتوالدها ، واختلافها صنوفا .

صخور تجرى عليها الحياة وئيدة ، فيحسبها الناظر اليها كسائر الصخور جامدة

وبسبب صغر هذه الأحياء ودقتها ، وبسبب استقرارها وعدم انتقالها ، وبسبب قلة جرمها منسوبا الى الجرم الهائل الذي قبعت عليه من صخور صنعتها اجدادها منذ أزمان طوال ، بسبب كل هذا ، لا ترى عين الرجل العادي في هذه الصخور ما يشعره بوجود حياة ، الا ان يجد له مظهر النبت المجتمع، فيحسبه نباتا ، ففيه الجذوع ، وفيه ما يشبه الأوراق والأزهار .

وهي عنده صخور ملونة اجمل تلوين . وهو يحسب أن اللون جاء من البحر . وما جاء اللون الا من حياة هذه الأحياء ، فهي التى صنعته .

وهذه الأحياء المرجانية صنوف . ولكل صنف منها لون مختار .

وتخرج الصخور عن الماء فيذهب اكثر لونها .

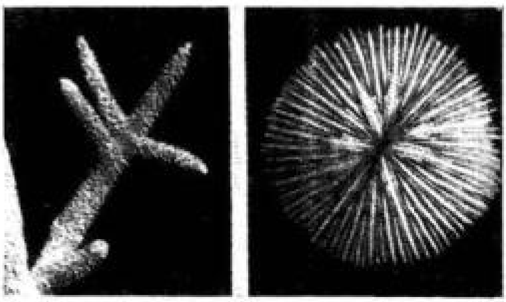
الصخور المرجانية لا تكون الا حيث الدفء

والصخور المرجانية تكثر فى المحيط الهادى وفى المحيط الهندى ، وهي لا توجد الا حيث الماء ضحل ، فلا يزيد عمقه عن ٤٠ أو ٥٠ مترا ، والا حيث الماء رائق ، دافىء ، فلا تهبط حرارته دون درجة ٢٠ مئوية . وتوجد كذلك ناحية خليج المكسيك وجزر الهند الغربية .

ولا ننسى البحر الأحمر . والحق ان به كثرة من هذه الصخور جعلت الملاحة فيه ذات خطر على غير الخبراء من الملاحين . فالذى يجنح عن الطريق المعبد لا يدرى ما سوف يلقى ، فلعل جزيرة مرجانية مغمورة تلقاه فجاة وهو لا يراها .

وكل دارس للجغرافيا لا شك سمع عن السد المرجانى الكبير عند استراليا ، وهو يمتد نحو ١٠٠٠ ميل فى محاذاة الشاطىء الشرقى للقارة الاسترالية ، بشمال ، ويتراوح عرضه بين عشرة أميال وتسعين ميلا . ■■

أ. ز.



الى اليمين : مرجانية فردة ، من اللاتي تعيش وحدها ، ترى فيها هيكلها وقد انتظم شرائح جميلة ذات تماثل محورى لطيف. **والصورة اليسرى** تبين مستعمرة مرجانية ، عاشت أفرادها الحية ، وهي غاية في الصغر ، في شبه فناجين تشاهيها صغرا ودقة وهي تظهر كالحبوب على افرع من شجر .

التوليد أنكره القدماء وأقرته المعاجم الحديثة والمجامع

بقلم : أنيس المقدسي

■ يقف كثيرون موقف الحيرة اذ يرون أحيانا ارباب الأقلام منا يستعملون الفاظا وأوضاعا لم تنص عليها معاجم اللغة اوهى تخالف ما استعمله القدماء ، ويتساءلون هل يعتبر توسع المحدثين في ذلك خطأ يجب تجنبه ، او تطوراً مفيداً لا غنى عنه ؟ وهو سؤال جدير بالنظر ، بل جدير بأن نواجهه بحرية وروية ورحابة صدر ، فلعل فيه ما قد يزيل حيرتنا ويفتح امامنا سبلا هادية كنا نخشى ان نسلكها فلا نأمن من العثار فيها .

وعذيري في خوض هذا الموضوع ان نهضتنا القومية الجديدة قد اقتضت احياء تراثنا اللغوي القديم ، لما في احيائه والمحافظة عليه من دعم للقومية العربية وتقوية لأواصر القربى بين ابنائها . فنشأ عن ذلك في بعض الأوساط اللغوية غيرة شديدة على ما سنه السلف من اصول بلغت عند بعضهم حد الانكار على ادباء العصر ما يستعملونه من اوضاع مولدة لم تنص عليها المعاجم ، او لم ترد في اقوال السلف من ارباب اللغة .

وطبيعي في مثل هذه الحال ان تزداد حيرة النشء الجديد وان يطالبوا ببحث هذه القضية ليكونوا على بينة من امرهم فيسلكوا سبيل الهدى في التعبير عن افكارهم وخواطرهم . ولست بحكم في هذا الموضوع وانما هي آراء رأيت ان ابديها وعسى ان يكون فيها فائدة لبعض القراء .

نمو اللغة بتأثير لغات أخرى

الواقع ان اللغات كالناطقين بها تنمو وتزدهر ، او تذوى وتضمحل ، تبعا لناموس عام يشمل جميع الكائنات الحية ويحدث النمو في اللغة بتأثير عاملين رئيسيين ، احدهما خارجي وهو ما يتسرب اليها من لغات اخرى ثم يتأصل فيها مع الزمن حتى يصبح جزءا منها . وقلما تجد لغة لم تتأثر كثيرا او قليلا

بسواها . فلا بدع أن يكون في لغتنا العربية الفاظ وأوضاع دخيلة استقرّت فيها على توالي العهود حتى صارت تعدّ من فصيحها . وها نحن نستعملها في نثرنا وشعرنا فنقول مثلا المسك والبلّور والترياق والاستاذ والصراط والابريق والفردوس والبطاقة والقرطاس والدينار ومئات امثالها دون أن نصمها بغرابة الأصل . وقس عليها ما لا يحصى مما اقتبسناه حديثا من الفاظ العلوم والفنون والحضارة والحياة العامة .

نمو اللغة بالتولّد الذاتي

اما العامل الثاني فداخلي وهو ما نشأ وما لا يزال ينشأ في داخل اللغة من الفاظ استحدثت لأغراض ومعانٍ جديدة. وهذا التولّد الذاتيّ مستمر في اللغة منذ اقدم عهودها ، وهو يحدث عن طريق التحول المعنويّ اي باكتساب لفظٍ لمعنى غير معناه الأصلي ومن ذلك استعمالنا مثلا ما يلي :

التوقيع : لاثبات الاسم في آخر الكتاب ونحوه والتوقيع في الأصل معناه التاثير فقط .

والمقامة : لهذا النوع من القصص المسجّع وهي في الأصل للمكان او المجلس.

والدولة : للحكومة او المملكة واصل معناها انقلاب الزمن او الحال .

والحضارة : للمدنية والعمران الاجتماعي وهي اصلا ضد البداوة .

والمضيفة : للفتاة التي تعتني بركاب الطائرة واصلا من تستقبل الضيوف في بيتها .

وقد البسوا بعد الاسلام كثيرا من الألفاظ القديمة معاني جديدة فأصبحت اوضاعا لغوية كالنحو والعروض والمجاز، او فقهيّة كالايلاء والعدّة والحضانة ، او ادارية كالخليفة والكاتب والوزير ، او طبية كالصداع والتشريح والخانوق وذات الرئة ، وما الى ذلك من أوضاع فلسفية وفلكية وطبيعية وسواها يضيق عن ذكرها المقام .

التوليد بالوضع اللفظي

وقد يكون التوليد عن طريق الوضع اللفظي كقولنا العضوية والمنطاد والشيوعية والمذياع والدراجة والهاتف والجمهورية والتمدّن والمصرف وامثالها .

التوليد بالوضع المجازي

او عن طريق الوضع المجازي كالاصطلاحات التالية :

القوة الضاربة : اي السلاح الكافي لضرب العدو

غسل يديه من المسالة : اي تبرا منها .

ضرب الرقم القياسي : اي تجاوزه الى حد ابعد .

السوق السوداء: السوق التي يتعامل بها خفية تهربا من التسعير القانوني .

صاحب الكرسي : رئيس الجلسة المتولي ادارتها .

ناطحات السحاب : الأبنية الشاهقة ذات الأدوار العديدة .

صوّت في المجلس : اي ابدى رايه مؤيدا شخصا ما او قضية .

رشّح نفسه للنيابة : قدم نفسه ليكون نائبا .

التوليد بالاشتقاق

وقد يكون الوضع بالاشتقاق رأسا من الاسم فنقول مثلا :

قنّن **(من القانون)** وموّل **(من المال)** وتطوّر **(من التطور)** وقيّم الشيء **(من القيمة)** لا من قوّم . واستجوب **(من الجواب)** لا من الفعل جاب .

التوليد انكره القدماء

فالتوليد في اللغة حركة نمو لم تنقطع في زمن من الأزمنة . على انها كانت تختلف قوة واتساعا من عصر الى عصر . ومما لا شك فيه ان نظر القدماء الى التوليد يختلف عن نظر المحدّثين . فالقدماء عموما وقفوا من المولّدات وقفة الانكار او عدم الاستحسان فأبقوها خارج حرَم الفصاحة حتى أننا قلما نجد لها ذكرا في معاجمهم . بل كانوا اذا

ذكروها قالوا انها غير عربيّة أصيلة فلا يُحتجُّ بها .

التوليد ومعجم محيط المحيط

وظل هذا نظرهم اليها حتى كانت النهضة الحديثة فى القرن الماضي . فلما شرع رائد المعاجم الحديثة بطرس البستاني بوضع معجمه محيط المحيط معتمدا على القاموس المحيط للفيروزابادى رأى أن يضيف اليه كثيرا من المولّدات التى نشأت مع الزمن وجرت فى الاستعمال . الا انه لم يجرؤ على الجزم بعدّها مساوية فى الفصاحة لما نقل عن اهل اللغة فى عهود الاحتجاج . فتراه يقف عند نهاية حرف الراء فى محيط المحيط ليقول معتذرا :

« وقد أضفت الى أصول الأركان (اى مواد الفيروزابادى) فروعا كثيرة وتفاصيل شتى ، والحقت بذلك اصطلاحات العلوم والفنون وكثيرا من المسائل والقواعد والشوارد مما لا يتعلق بمتن اللغة . وذلك لكى يكون هذا الكتاب شاملا يجد فيه كل طالب مطلوبه من هذا القبيل . وبهذه الاعتبار تنازلت الى ذكر كثير من كلام المولدين والفاظ العامة ، منبها فى اماكنها على انها خارجة عن أصل اللغة . وعسى بذلك يتمهد لى العذر فى هذا التساهل الذى ارتكبته » .

« وقد يتزيا بالهوى غير أهله
ويستصحب الانسان من لايلائمه »

فالبستاني قد رأى ما للألفاظ المولدة من قيمة كتابية ولم يتردد فى استعمالها فى كتبه وخطبه ورسائله ولكنه فى معجمه وقف ازاءها مواقف المتحفّظ .

المعاجم الحديثة تقر التوليد

ومهما يكن فالذى يبدو لنا أن أهل العصر الحديث يعتبرون هذه الألفاظ ضرورة لا غنى عنها . وقد أصبحت المعاجم الحديثة تقرّها . ففى المعجم الوسيط مثلا (وهو الذى صدر سنة ١٩٦٠ باشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة) مئات منها . ومما ورد فى مقدمته وصف صريح لمنهج المجمع بقلم أمين سرّه اذ قال :

— وتوسّعَ فى المصطلحات العلمية الشائعة ، ودعا الى الأخذ بما استقرّ من الفاظ الحياة العامة . وخطا فى سبيل التجديد اللغوى خطوات فسيحة ففتح باب الوضع للمحدثين ، شأنهم فى ذلك شأن القدامىَ سواء بسواء وعمّم القياس فيما لم يقس من قبل ، وأقرّ كثيرا من الالفاظ المولّدة والمعربة الحديثة وشدّد فى هجر الحوشيّ والغريب » .

وفى هذا التصريح الصادر عن ثقة فى هذا الموضوع دلالة بيّنة على موقف العصريين من الكلام المولّد . ولا نبالغ اذا قلنا ان تفصيح المولّد الجارى على أساليب اللغة قد أصبح شائعا فى الأوساط العلمية والادبية لا ينكره الا فئة قليلة جدا لا تزال تحصر نفسها فى نطاق الماضى .

دوافع التجديد فى اللغة

والسؤال الذى يواجهنا الآن ما الذى يدفع اللغة فى سبيل التجديد . أو بعبارة أخرى ما الذى يغرى الكاتب او الشاعر باستعمال لفظ أو اصطلاح لم تنصّ عليه كتب اللغة أو لم يقرّه علماء اللغة ؟

ولا بد لنا قبل الاجابة على هذا السؤال من تحديد المراد بالتجديد . واول ما نقوله ان التجديد لا يراد به الخروج عن قواعد اللغة المقررة فى علوم الصرف والنحو والبيان . فالخروج عنها خطأ لا جدال فيه . وانما يراد به انشاء او اقتباس صيغ صحيحة لم ينصّ عليها قبلا ، تملك ما لا يملك سواها من اكساب المعانى قوّة ، او روعة او حسن بيان . ومما يهدينا الى هذه الصيغ ويوطدها سليقةٌ لغوية يؤديها الزمن . وكثيرا ما تصطدم هذه السليقة بالنصوص التقليدية فيحدث تنازع بينهما قد يستمر دهرا طويلا ثم لا يلبث هذا النزاع أن ينتهي غالبا بانتصار السليقة . ولاوضح ذلك ببضعة امثلة من ادبنا قديما وحديثا .

انتصار السليقة فى اقوال القدامى

فمن القديم قول المتنبي :

تقصّده المقدارُ بين صحابه
على ثقةٍ من دهره وأمانِ

وليس في المعاجم (تقصّد) بمعنى قصد وانما دفع الشاعر اليها سليقة كما دفعته الى توليد صيغة (تفارس) في قوله :

انما انفسُ الانسِ سباعٌ
يتفارسْنَ جهرة واغتيالا

وله توليدات أخرى اندفع اليها بطبيعته وهو من هو في معرفته بأسرار الكلام . وكذلك فعل ابن المعتز فاستعمل فعل (أثمر) متعديا اذ قال :

فأثمر همًّا لا يبيد وحسرة
لقلبيَ يجنيها بأيدي الخواطر

وقبلهما اندفع عمر بن أبي ربيعة الى استعمال تبدّى بمعنى بدا فقال :

وتبدّت لي فأبدت
واضحا منها نحيفا

وقال :

قمر بدر تبدّى
باهرا يغشى النجوما

وهذه السليقة هي التي جعلت الطغرائي يؤثر **التشويش** على **التهويش** فقال :

وان قدرت على تشويش طرّته
فشوّشيها ولا تبقي ولا تذري

والتي دفعت الغزالي الى استعمال **حذور** وهي ليست بمعجمية فقال في مقدمة كتابه المنقذ من الضلال – « اخوض خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور » .

ومن أوضاع أهل زماننا التي دفعت اليها السليقة .

احتجّ عليه – أو قدم احتجاجا عليه .. بمعنى انكر فعله ووضع فاعله موضع اللوم .

اكتشف الامر – اي كشفه او اظهره لأول مرة واكتشف أصلا فعل لازم .

خابره – اي فاوضه او بادله الخبر ولا نص قديم عليها بهذا المعنى .

وحكم على المجرم بالاعدام – ولم يستعمل الاعدام بمعنى الموت في نص قديم .

ومما قادت اليه السليقة استعمال المحدثين للنسب التالية :

النظام الوحدوي **(نسبة الى الوحدة) .. والكتلوي** (نسبة الى حزب الكتلة الوطنية) وأمثالها .

وكانوا قبلا يقولون انسياقا مع السليقة ثوروي نسبة الى الثورة ثم عدلوا مؤرخا الى القاعدة . فصاروا يقولون ثوري ، ولكنهم ما زالوا يتبعون السليقة في وحدوي وكتلوي وأمثالهما وهي أدق نظرا من القواعد أحيانا .

والنزاع لا يزال قائما بين **ساهم** التي تدعو اليها السليقة (بمعنى شارك) **وأسهم** التي يقول بها بعضهم وساهم أفضل وسيكون لها النصر النهائي .

وكذلك بين **الدعاية** (للبروباجندا) **والدعاوة** . والاولى أفضل وهي ما تدعو اليه السليقة التي تميز المعاني . اما الدعاوة فخطأ لأنها بمعنى الادّعاء ؛ لا الدعوة الى شيء وانما قال بها بعضهم لتقيّده بواوية الفعل . وقلْ كذلك في **المظاهرات** الشعبية فهي أدل على المراد من التظاهرات لأن السليقة ترى فيها معنى المناصرة لأمر ما .

وفي **تقييم** الاشياء لا تقويمها اشعار بمعنى القيمة . وكثير من مثل هذه الاوضاع التي يتوهم بعضهم أنها غير صحيحة وفيها الصحة كل الصحة .

السليقة في انتخاب المترادفات

وللسليقة اللغوية العامة قوة فعّالة على انتخاب المترادفات الفضلى فتطرح بعضها وتبقي البعض الآخر ولو كان دخيلا مثال ذلك أننا نقول اليوم :

البلور لا المهو مرادفتها القديمة ، **والنيزك** لا المزراق ، **والمسك** لا المشموم، **والعربون** لا المسكان ، **والهندباء** لا الثماعة، **والترياق** لا المسوس، **والمسمار أو الدبوس** لا الدّسار، **والفيلا** لا الطّزر، **والميزاب** لا المثقب ، **والرصاص** لا الصرفان ، **والمازوت** لا الخضخاض ، **والاسطوانة** لا اللانطة، **والجؤذر** لا القهد **والشرطة** لا الزّاعة، **والابريق** لا التامورة،

والهاون لا المنحاز ، **والفخ** لا الطرق ، **والجاسوس** لا الناطس ، **والباذنجان** لا الانب ، **والطين** لا المسيط .

وقس على ما ذكر كثيرا مما اهمل قديما وحديثا وبقي مرادفه مع الزمن .

السليقة تساوى الذوق العام

وقد تسمى هذه السليقة عند الجماعة بالذوق العام، وهو قوة لا يستهان بها ، اذ عليه تتوقف حياة كثير من الاوضاع او موتها. والواقع ان شدة الغيرة حفاظا على الاصول اللغوية المنقولة عن السلف قد تضيّق مجال النظر عند بعض اللغويين فينحصر اهتمامهم فى الاصح نقلا عن الالفاظ لا فى الاصلح للمعنى او الاكثر استعمالا ورواجا عند الجمهور . وهكذا يسمحون لانفسهم بوضع او اقرار ما لا يستسيغه الذوق العام فلا يلبث ان يموت أو يدرج فى غياهب الاهمال .

وكما للسليقة اللغوية قوة على انتخاب الافضل من المترادفات كذلك لها قوة فعالة فى تحديد معاني الالفاظ ولو خالف ما يراه الاصوليون من اهل اللغة .

فابن قتيبة مثلا وهو امام النقد اللغوي فى القرن الثالث الهجرى وضع كتابه المعروف بأدب الكاتب ، وافرد فيه فصلا خاصا لما يضعه الناس فى غير موضعه ، انتقد فيه الاستعمال العام لبعض الالفاظ واليك امثلة منه

حُمَة العقرب قال : « يذهب الناس الى انها الشوكة التي تلسع بها وذلك غلط ، انما الحُمَة سمُها » . ولكن الناس بل ارباب العلم منهم ظلوا يستعملونها لما يلسع لا للسم وقد ثبت استعمالهم مع الزمن واهمل نقد ابن قتيبة .

الطَرَب ـ قال « يذهب الناس الى انه الفرح دون الجزع ، وانما هو خِفّة تصيب الرجل لشدة السرور او لشدة الجزع » . ولكن السليقة ابت استعمالها للمعنيين فاسقطت معنى الجزع وابقت السرور . وهو المستعمل الآن فى كل الاوساط الكتابية .

القافلة ـ قال « يذهب الناس الى انها الرفقة فى السفر ذاهبة كانت أو راجعة ، وليس كذلك . انما القافلة الراجعة من السفر » . واعتمد فى ذلك على انها من فعل قفل اى رجع . ولكن الاستعمال العام ابى ان يحصرها او يقيّدها بمعناها الاصلى فجعلها للذاهبة ايضا تفاؤلا بان ييسّر الله لها القفول . وهكذا شاعت وجرت على السنة الفصحاء واقلامهم .

المأتم : قال « يذهب الناس الى انه المصيبة يقولون كنا فى مأتم . وليس كذلك . انما المأتم النساء يجتمعن فى الخير والشرّ . والصواب ان يقال كنا فى مناحة» . واكثر كتب اللغة تذهب مذهب ابن قتيبة . اما الرأى الكتابي العام فيصرّ على استعماله بمعنى المناحة واستعماله على ما يبدو هو الغالب نهائيا .

وغير ابن قتيبة كثيرون

وقس على ما انتقده ابن قتيبة كثيرا مما انكره المتمسكون بالمعاني الاصلية أو الحرفية ، كالحريرى فى درّة الغوّاص ، والجواليقي فى التكملة ، ولحن الخاصة للعسكرى ، وطبقتهم من نقاد اللغة . وقد جرى مجراهم جملة من ارباب اللغة فى هذا العصر منذ عهد ابراهيم اليازجي حتى الآن فاصابوا فى اشياء وتعسفوا فى اشياء وكان الذوق العام يجاريهم حينما يصيبون ، ويأبى سلوك طريقهم حين يتعسفون فيسلك طريقا آخر ويستعمل من الالفاظ ما تدفعه اليه السليقة السوية التي انما ترتاح فى اللفظ الى لطف الجرس ، وحسن البيان والاقتصاد الذهني . وتنفر من الجاسي والحوشيّ والمستثقل الذى لا يستساغ .

وهذا يحتم على المسؤلين عن الاوضاع اللغوية ، توليدا أو تعريبا ، مراعاة ناموس التطوّر العام والا ضاعت جهودهم فى هذا الميدان .

وعلى كل حال فالزمان هو المهذّب الاكبر لكل لسان . ■■

لبنان : انيس المقدسي



دردشة



انه الفوهرر .. !!

■ كان احد الجنود الالمان يكنس فى احدى الثكنات ، فمر به رجل فى بزة عسكرية ، فناداه الجندى : ايها الزميل اشعل لي هذه اللفافة ففعل . ولما انصرف اقترب منه رفيق له ، وهو جاحظ العينين من الدهشة ، وسأله : ـ « أعرفته » ؟

قال : « كلا » .

قال : **« انه الفوهرر »** .

فبهت الجندي لحظة ، ثم ركض وراء الفوهرر ، ولما ادركه قال له :

ـ آسف ياسيدى الفوهرر !

فابتسم هتلر ، وربت على كتف الجندى ، وقال له :

لا داعي للاعتذار ، ولكن احذر أن ترتكب مثل هذه الغلطة مع كابتن ، فقد يقتلك !

استشارة قانونية

■ سأل قصّاب أحدَ المحامين فى لندن : لو سرق كلب قطعة لحم من دكانى ، فهل يكون صاحب الكلب مسؤولا ؟

فأجابه المحامي فى حماسة : لا شك فى ذلك .

فقال القصاب : حسنا ، لقد خطف كلبك قطعة « لحم » تساوى نصف جنيه .

فقال المحامي : اذا اعطني النصف الباقي من الجنيه ، وبذا أكون قد استوفيت أتعابى عن هذه الاستشارة !!

عضّه !!

■ **كانت « ميرول » الممثلة السينمائيةتزور جرحى الحرب فى بعض المستشفيات فسالت احدهم :** أقتلت نازيا ؟

فاجاب بنعم ..

فقالت : بأى يديك ؟

فرفع يمناه ، فانحنت عليها ميرول وقبلتها .

ثم انتقلت الىآخر وسالته: وأنت هل قتلت نازيا ؟

فقال على الفور : حتما ، وقد عضضته حتى مات ؟

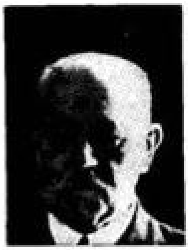
لورد .. وبخيل !

■ اشتهر « باتريك هاملتون » وزوجته بالتقتير الشديد ، وحينما منح لقب « لورد » اشترى هدية لزوجته ، قطعة من الحرير ثمن الياردة ٥٠ شلنا . ولكنه تهوينا للأمر على نفسه ونفسها زعم ان ثمن الياردة ٢٥ شلنا فقط .

وفى مساء اليوم التالى استقبلته زوجته قائلة :

ـ عندى لك نبأ سار . لقد بعت قطعة الحرير التى اشتريتها لى بثلاثين شلنا للياردة الواحدة !

صحفي يقابل هندنبرج



■ روى صحفي انه ظفر بمقابلة هندنبرج يوم كان رئيسا للجمهورية الالمانية ، وحاول ان يستطلع سر شجاعته ورباطة جأشه ، فسأله :

ـ ماذا تصنع يا فخامة الرئيس حين تضطرب اعصابك ؟

فقال الرئيس : اصفر .

فقال الصحفي : ولكنني لم اسمعك تصفر ابدا .

فقال الرئيس : وانا لا اصفر ابدا !

شيك بلا توقيع

■ تلقت احدى الجمعيات الخيرية من احد اثرياء الحرب شيكا بمبلغ خمسمائة جنيه ولكنها لاحظت انه لم يوقع عليه ، فلما سألته فى ذلك قال :

ـ لم اكتب اسمي على الشيك ، لانني اعتقد ان اعمال الخير يضيع ثوابها اذا عرفت اسماء القائمين بها !

شكر من الزوج والزوجة

● رشح احد اعضاء مجلس النواب الامريكي فى دائرته لكي يعاد انتخابه ، فخذله الناخبون ، فنشر بيانا جاء فيه :

احب ان أوجه الشكر الى جميع الذين اعطوني اصواتهم ، اما زوجتي فتحب ان توجه الشكر الى جميع الذين اعطوا منافسي اصواتهم !

افعله الآن ، ولا تؤجل !

■ علق احد مديرى المصانع بنيويورك لوحات فى مصنعه ومكتبه ، طبع عليها باحرف بارزة : افعل ما تريد الآن ، ولا تؤجل عمل اليوم الى الغد .

ولما سئل بعد اسبوع عن اثر هذه اللوحات فى عماله ، ماذا كان ، هز رأسه وقال :

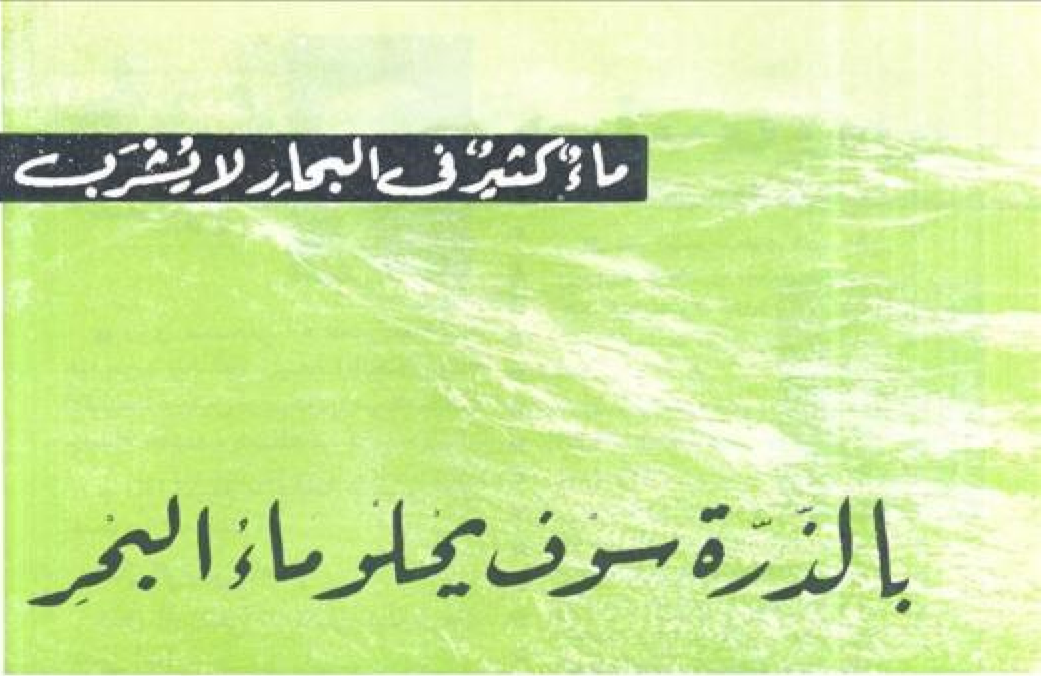
ـ لا احب أن اتذكر ما حدث .. لقد فر الصراف باربعة آلاف ريال . وخطف رئيس المحاسبين افضل سكرتيرة عرفتها فى حياتي . وطلبت ثلاث من الكاتبات زيادة مرتباتهن . وقرر عمال المصنع الاضراب ، وانضم صبى مكتبي الى الأسطول !

ارثوا له !



■ عرف الفيلد مارشال الانجليزى مونتجومرى بانه لا يدخن ولا يشرب الخمر ، ولا يسب احدا ولا يأكل اللحم ، فلما دعا القائد الالماني الجنرال فون توما الى العشاء بعد أسره فى معركة العلمين ، احتج على ذلك النواب البريطانيون فى مجلس النواب ، فهز تشرشل كتفيه وقال :

ـ مسكين فون توما ، فقد تعشيت انا ايضا مع مونتجومرى !!



ماءٌ كثيرٌ في البحار لا يُشرب

بالذرّة سوف يحلو ماءُ البحرِ

أنهارٌ سوف تنبعُ عِندَ ساحِل البِحار

انقلابٌ في حياةِ النَّاسِ

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ يقولون ان فى الارض مجاعة ، وهذا قول حق .

ويقولون ان فى الارض عطشا ، وهذا قول حق .

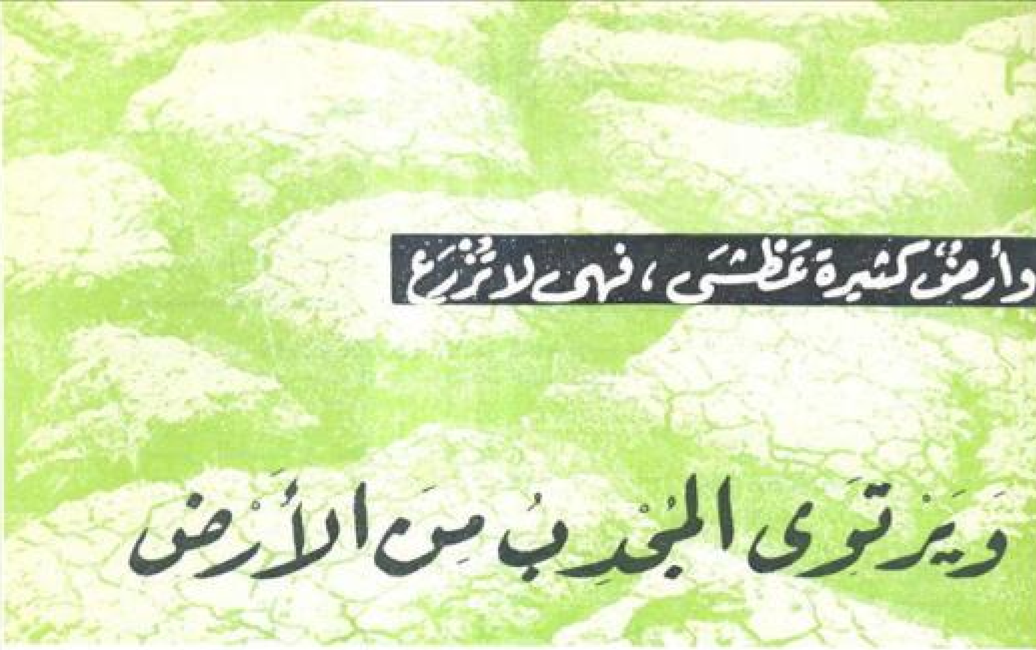
والناس قلما تربط بين المجاعة والعطش لان العطش عندهم عطش الحلوق .

وينسون العطش الاكبر ، عطش الارض .

وينسون ان عطش الارض رابضٌ وراء كل مجاعة .

وينسون ان اكثر ظهر الارض لا ينبت لولا الماء . واذ يصبح الماء تدرة ، يصبح النبات ندرة ، ويصبح القمح ، وتصبح الذرة ، ويعزُّ الطعام . يعزُّ طعام الانسان . ولكن كذلك يعزُّ طعام الحيوان ، فيزداد طعام الانسان عزة . يعز اللحم ، ويعز الشحم ، وهو بعض طعام الانسان .

ولنا فى هذه الناحية حديث طويل نبقيه لفرصة اخرى .



وأرض كثيرة عطشى ، فهى لا تزرع

ويرتوى المجدب من الأرض

وتجرى عكسا لتصب حيث كانت تنبع

لا يعادله إلا انقلاب أحدثه انشطار الذرة

اما حديث اليوم :

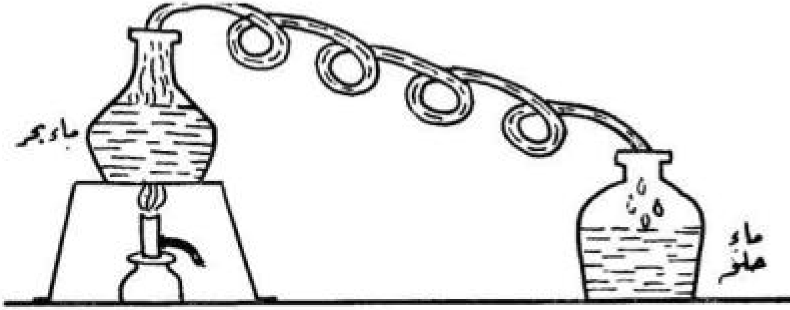
فكيف تمكن او يتمكن الانسان من زيادة محصول الانسان ، من هذا المورد الأكبر والأعظم والأخطر ، مورد الماء ، ليروى صحاريه ، وحيثما كان فى الأرض جدب ، ليشبع ، ولو بعض اشباع ، تلك الافواه التى لا تنى تتزايد ، بزيادة المواليد فوق سطح هذا الكوكب .

مورد الماء الأكبر

ان مورد الماء الأكبر لا شك البحار والمحيطات . انها تغمر ٧١ فى المائة من سطح الارض . وان بها من الماء نحوا من ١٣٧٠ مليون كيلو متر مكعب. وهو مورد ما جاز عليه ان ينضب ابدا ، لأن الذى يخرج منه بالبخر ، وهو قليل جدا بالنسبة له ، يعود اليه بالمطر ، سواء مباشرة او سيلا من الجبال والمرتفعات ، وسبيله مجارى الماء والأنهار .

فما الذى يمنع من ماء البحار ، ان نسقاه انسان او حيوان ، او تسقاه أرض ؟

يمنع الذى به من الملح .



تحلية ماء البحر بالتبخير : عالجها الانسان منذ القدم . الماء يغلي وتحته النار . ثم يتكثف البخار الناشيء . ثم يتقطر ماء عذبا .

سبيل الطبيعة فى تحلية ماء البحر

الحل اذن هو : فصل الماء عن الملح .

وهو حل عالجه الانسان من قديم الزمان ، بالتبخير . والسفن كانت تعبر المحيطات، وهى مالحة ، فتستقى من ماء البحر ، تأخذ ماءه ثم تبخره وتكثفه . وسبيلها فى ذلك النار والوقود . وهي طريقة تقضي حاجة ، اذا ما اراد الانسان من الماء لترا او مترا او امتارا .

والطبيعة تسلك نفس الطريقة، تحلي بها ماء البحر منذ الازل ، ولكنها تعطي ملايين الملايين من الامتار ، من كل ماء عذب بالغ العذوبة .

وأوعيتها ليست صغيرة كأوعية الانسان .

ان أوعيتها البحار والمحيطات .

وهي تستخدم وقودا فاق وقود الانسان بلايين بلايين المرات .

ان وقودها الشمس .

ان الشمس تقتبس من بحار هذا الكوكب ومحيطاته ، وبحيراته ، وحيثما رقد ماء او سال ، تقتبس منه بالتبخير مقادير هائلة ، تعود فتنزل الى الأرض امطارا وثلوجا يبلغ مقدارها نحو ٣٧٠ مليون مليون متر مكعب فى العام ، نحو خمسها يسقط على الأرض ، والأربعة الاخماس تسقط على البحار المالحة والمحيطات فتعود بذلك الى منشئها الاول .

فانى للانسان ان يجارى البحار ، اوعيةً ، او يجارى الشمسَ حطبا .

الانسان يحلي ماء البحر بوقود الأرض ..

فصل الماء عن الملح،عمل لا شك هيِّن . هيِّنٌ اجراءً : نارٌ وماءُ بحر وتبخير، ثم تكثيف .

ولكن المشكلة مشكلة ثمن كل هذا .

الفحم غال . زيت البترول غال .

واستخدم الانسان الى اليوم ، فى تحلية ماء البحر ، الوقود الغالي الثمين، حيث دعت الضرورة الى دفع هذا الثمن، او حيث كان الوقود ثمنه رخيصا .

ففي الكويت مثلا ، حيث لا ماء ، الا الصحراء ، وحيث غاز البترول الذى مصدره الارض يُحرَق احراقا للتخلص منه خشية ان يفسد الجو ، اقيم مصنع للماء الحلو هو اكبر مصنع الى الآن فى العالم .وهو قادر على اعطاء نحو ٢٧٠٠٠ متر مكعب من الماء العذب فى اليوم .

وفى القاعدة الأمريكية بجزيرة كوبا ، قاعدة جوانتناما Guantanama ، حيث قطع الدكتور كاسترو الماء عن الجيش الأمريكي المرابط هناك ، نقلت الولايات اليها مصنع تقطير كان فى كلفورنيا ، كلفها صنعا ونقلا ، ملايين من الدولارات كثيرة ، وهو قادر على ان يعطي فى اليوم ٥٠٠٠ متر من الماء العذب . ولا تسأل عن تكلفه المتر من الماء الناتج هناك . فلو ان المتر كلفها دولارا كاملا لدفعته الولايات . فالمسألة كانت مسألة تحدٍّ .

وغير ذلك اعتبارات تتصل بانتاج الماء العذب من ماء البحر فى أحوال السلم العادية .

تدخل العلم لخفض النفقة

ولكن ، لكي تشيع تحلية الماء بالتبخير، وجب خفض النفقة ، الى نحو ثمن كلفة الماء العادى القائم اليوم المستخدم فى المنازل ، وفى المصانع ، وللزراعة .

وهذا الواجب يقوم به العلم والتكنية معا،وما التكنية الا العلم مطبّقا،فى صورة هندسة ونحوها .

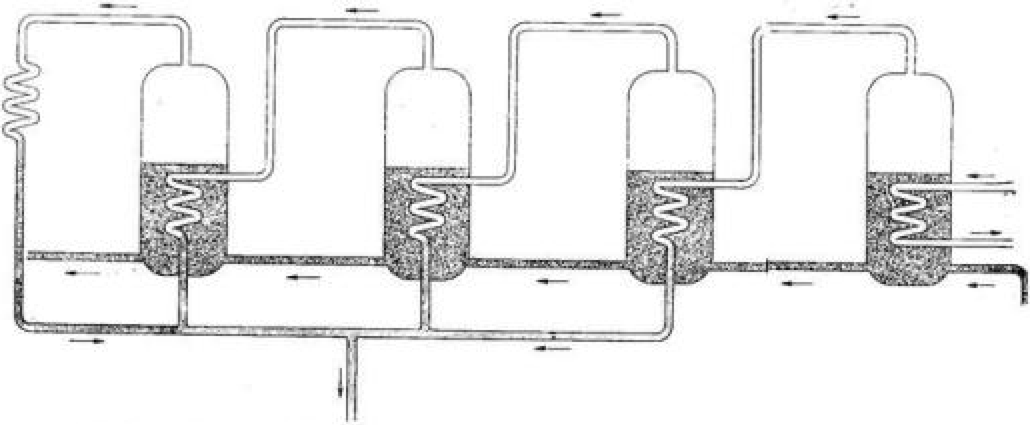
والدخول فى تفاصيل هذا الأمر يطول وهو يصعب فى مثل هذه الصفحات .

ولكن الأمثال تضرب .

طريقة التبخير المستنزف حرارة البخار

او كما يسمونه التبخير ذا الأثر المضاعف او المتعدد المفعول Multiple effect.





تحلية ماء البحر بالتبخير المتعدد المفعول : وترى البخار يدخل حارا من اليمين وهو على درجة ١٢٠ مئوية ، فهو مضغوط . ويخرج . ولكن حرارته التى ترك ، تبخر بعض الماء الذى بالوعاء الأول . وهذا البخار الجديد يخرج حارا من ماء الوعاء الأول ليعطى من حرارته لماء الوعاء الثانى دون ان يختلط به ، ثم يخرج ليتكثف ماء عذبا . والبخار الذى يخرج من ماء الوعاء الثانى يسخن ماء الوعاء الثالث قبل ان يتكثف ، وهلم جرا . الى آخر المطاف . ويستعان على التبخير فى هذه الأوعية . بخفض الضغط فيها كما هو مشروح فى نص المقال .

وعلى ضخامة الاسم ، وغرابته ، فهو سهل المعنى . ان ماء البحر الملح يوضع فى وعاء (الوعاء الأيمن فى الرسم الايضاحي المرفق) . وتدخل هذا الوعاء أنابيب ملوّاة محوّاة كالامعاء ، وتخرج منه . وهى تحمل اليه بخار الماء مضغوطا حارا شديد الحرارة ، يأتى من الفرن راسا ، فهذا البخار يسخن ماء البحر الذى فى الوعاء دون أن يختلط به .

ولتفسير قولنا ان هذا البخار شديد الحرارة نقول : ان الماء يغلى عند درجة ١٠٠ مئوية تحت الضغط الجوى . ولكن هذا الماء الداخل يدخل وهو على درجة ١٢٠ مئوية مثلا ، فهو مضغوط فوق الضغط الجوى . وهو يخرج بعد ان يعطى الماء الملح الكثير من حرارته . ويتبخر هذا الماء الملح ، ويصعد بخاره وهو على درجة ١٠٥ مئوية مثلا . ويساق هذا البخار الذى لا يزال ساخنا الى الوعاء الثاني وبه ماء البحر أيضا (تابع النظر الى الرسم الايضاحي المرفق) . ويعطي بدوره من حرارته . ولقربه من درجة ١٠٠ عند دخوله الى هذا الوعاء ، يهبط عنها عند خروجه منه ، واذن هو يتكثف ، وقد قضينا منه وطرا . وهو يتكثف ماء عذبا . ولكن حرارته التى اعطاها للوعاء الثاني ، على قلتها ، استطاعت ان تبخر من هذا الوعاء ماء . وذلك لاننا كنا قد قللنا الضغط فى الوعاء الثانى عن الضغط الجوى . فدرجة غليان الماء مائة تحت الضغط الجوى . ولكنها دون ذلك والضغط اقل من الضغط الجوى .

وهكذا فى الوعاء الثالث والرابع ، يستعان على الاستفادة من البخار مرة فمرة بخفض الضغط فى الأوعية .

وبذلك يستفاد من الحرارة المستخدمة بأكبر قدر مستطاع .

وبذا تقل النفقة .

انها الحقيقة العلمية التى تقول بأن درجة الحرارة التى يتبخر أو يغلى عندها الماء تختلف باختلاف الضغط القائم فوق الماء ، هذه الحقيقة تحيّلوا بها للاستفادة بأكثر ما يمكن من الطاقة الحرارية المستخدمة .

وتحيّلوا بهذه الحقيقة بصورة اخرى: سخنوا ماء البحر ، ولكن الى درجة دون غليانه فى الجو . ثم ادخلوا هذا الماء الى خزانة خفضوا الضغط فيها ،

عن الضغط الجوى ، فما دخلها مـــاء البحر الساخن هذا حتى غلى منه بعضه بغتة فصار بخارا ، كثفوه ماء . ودار الماء المالح بعد ذلك الى خزانة اخرى ، اقل ضغطا ، فأخرى ، وفي كل مرة ينتج بخارا باغتا ، حتى فقد الماء المالح حرارته ولم يكن من النافع خفض الضغط في خزانة جديدة فوق ما خفضوا . ولأن الماء يغلي في كل خزانة بغتة او فجاءة ، سموا هذه الطريقة بطريقة البخر المفاجىء او الوامض Flash evaportion .

وهناك طرق للتحيل اخرى ، هدفها الانتفاع بالحرارة المستخدمة الى اكثر حد . ولكن فيما ذكرنا الكفاية .

بكم من الحرارة المستخدمة ينتفع العلماء في تحلية ماء البحر بالتبخير

قد بسطنا الموضوع اكثر مما يجب ، حتى ليحسب الحاسب انه ، للاستفادة من الطاقة الحرارية كلها ، لا يطلب منا الا زيادة الأوعية ، وعاء من بعد وعاء ، وخفض الضغط فيها ، خفضا من بعد خفض، وتمرير الأبخرة فيها حتى لاتبقى بهذه الأبخرة بقية من حرارة .

هذا هو الرأى النظرى . وغير ذلك العلمى .

فيكفى ان نقول ان انتقال الحرارة من شيء الى شيء ، يتوقف على الفرق بين الحرارتين ، فان اقتربت الدرجتان ساءت الحرارة انتقالا .

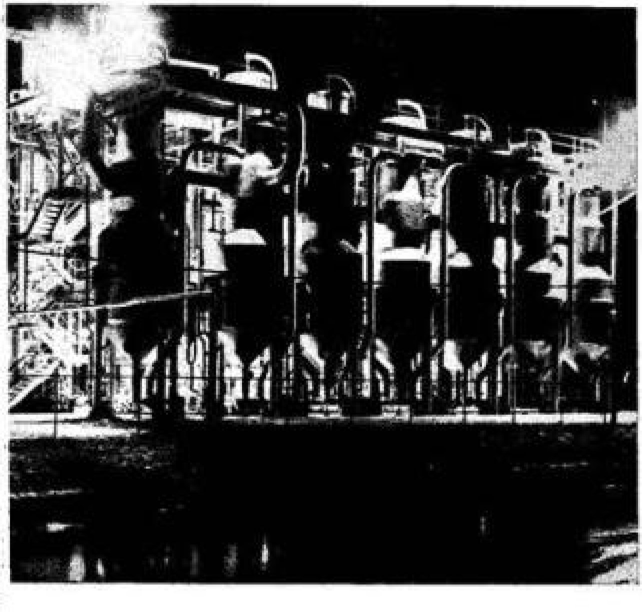
واذن فتكرار الأوعية، لتكرار التبخير، لابد أن يقف عند حد .

وفي المصنع الذى افتتحه رئيس الولايات كيندى ، ببلدة فرى بورت Freeport بتكساس (انظر الصورة الفوتوغرافية) ، بالولايات المتحدة ، لا تتكرر الأوعية اكثر من ١٢ مرة . وهذا المصنع ينتج ١٣ رطلا من الماء العذب لكل رطل من بخار حار .

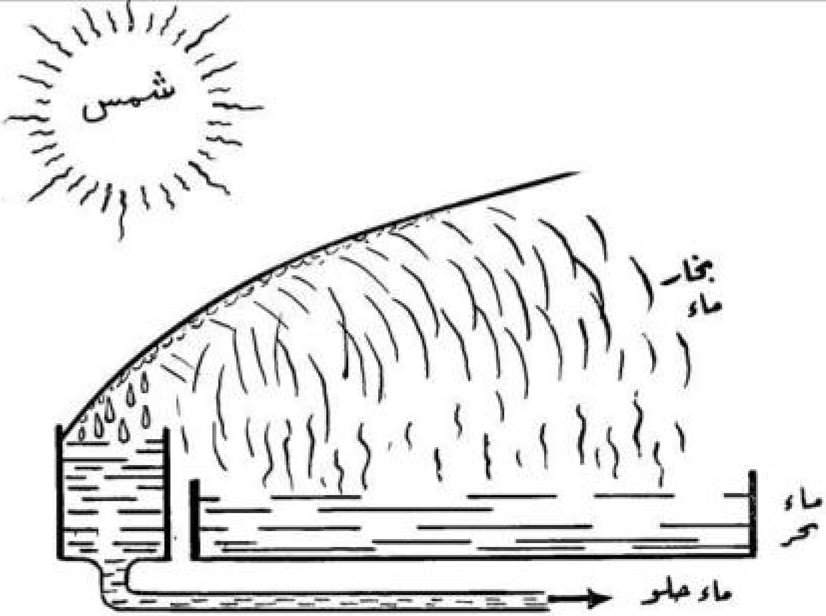
ومصنع التحلية بجزيرة أرُوبا aruba ، تتكرر الأوعية ست مرات فقط ، والمصنع يستطيع ان يعطي نحو ١٣٠٠٠ متر مكعب في اليوم . وهو يعد من اكبر مصانع تحلية ماء البحر .

وأروبا جزيرة عند شاطىء فنزويلا ، تابعة لهولندة ، وفيها يقطر خام البترول المستحضر من فنزويلا وعدد سكانها نحو ٥٠٠٠٠ شخص .

و« درجة الكفاية » فيما وصفنا ، او بعبارة اخرى نسبة ما ينتفع به من الوقود، تقع بين ١٠ و١٥٪ من حرارته ، اما بين



مصنع تحلية ماء البحر بمدينة فرى تاون ، بتكساس ، بالولايات المتحدة . والتحلية فيه بالتبخير المتعدد المفعول ، ذلك الذى فيه يُستخدَم حامل الحرارة (وهو بخار ساخن) مرة من بعد مرة ، من بعد اخرى ، حتى يُستنفد اكثر ما يمكن مما به من حرارته . وفي هذا المصنع ، كما ترى في الصورة ، ١٢ وعاء ، دليل تكرار المفعول ١٢ مرة. وهو يعطى ١٠٫٧ ارطال من الماء العذب مقابل كل رطل من البخار الساخن الذى هو مصدر التسخين والتبخير .



تحلية ماء البحر بحرارة الشمس : تسقط اشعة الشمس على الماء وهو فى آنية ضحلة ، فيتبخر الماء ويتصاعد بخاره ، ثم يبرد على حاجز من زجاج فيتكثف عليه ، ثم هو يتقطر ويجمع ماء عذبا .

التسعين والخمسة والثمانين منها ، من الحرارة المستخدمة فضائع هدرا .

ويمكن زيادة « درجة الكفاية »بتكبير الأوعية وتكبير المصنع،ولكن زيادةالكفاية هذه التى هدفها نقص التكاليف، تقابلها زيادة فى راس المال الذى يبنى بهالمصنع. وهنا نصل الى المعادلة الصعبة التى يحاول ان يصل اليها المخططون دائما فى الصناعة ، تلك المعادلة التى توازن بين راس المال ، والوقود . ان زاد هذا هبط ذاك . والعكس بالعكس .

والمفروض اليوم أن هذه الموازنة لا تؤدى الى درجة من الكفاية أكثر من ٢٠ فى المائة من الوقود المستخدم ، اذن فثمن الوقود شىء ذو بال .

فلنذكر هذا عند بلوغ خاتمة هذا المقال .

تحلية ماء البحر بحرارة الشمس

لما كان ثمن الوقود هو العقبة الكؤود، اتجه الناس،فيما اتجهوا، الى الشمس.

فالشمس تعطى الحرارة ،أى تعطى الطاقة، بلا ثمن .

وطاقة الشمس شىء هائل . ان الذى تصبه الشمس على الأرض من الطاقة ، فيما تشعه فى الشهر الواحد ، يساوى مقدار الحرارة التي يحصل عليها الانسان لو انه أحرق كل فحم الأرض ، ما كشفت عنه المناجم الى اليوم،وما بقى فى بطنها ذخيرة محسوبة للغد .

ولكن عيب هذه الحرارة ، حرارة الشمس ، أنها منبطحة ، منسطحة ، منسرحة ، غير مركزة . وقد حاولوا تركيزها بالعدسات ، ولكن لأغراض صغيرة . فكم تركز العدسة ؟!

ومع هذا فقد حاولوا استخدامها لتقطير الماء ،ماء البحر ، لتحليته : يوضع ماء البحر فى أوعية تسقط عليها اشعة الشمس ، فيتبخر الماء ويصعد ، ويلتقى البخار بألواح من زجاج يتكثف عليها ، ويتقطر . ويجمع ماء عذبا (انظر الشكل فوق) .

وقد اذكر ان هذه الطريقة جربت فى اوائل هذا القرن فى المعادى ، ضاحية

القاهرة . وتعددت بالطبع الأوعيـــة ، وكبرت مساحاتها ، وشملت ابعادا من الأرض واسعة . فهذه طبيعتها، والا كان محصول الماء غير ذى بال .

وهى جربت فى بقاع أخرى من الأرض. جربت فى صحارى استراليا ، وافريقيا، والولايات المتحدة ، حيث الماء نزر . وخرج منها ماء للمواشى والأغنام .

وحديثا اعادوا تجربة هذه الطريقة فى فلوريدا ، بالولايات المتحدة ، وفى كندا، واكثروا الأوعية ، وحدات متلاحقة .

وانتجوا هذا الماء فى « توجرت » ، بالصحراء الجزائرية .

ولكن كم كانت ثمن التكلفة هناك ؟

فى الجزائر كان ثمن اللتر من هذا الماء ٨ فرنكات . وهو ثمن أكبر من ثمن لتر من ماء معدنى، كماء فيشى . ولاعجب فالمحصول لا يتعدى ٤ التار فى اليوم من كل متر مربع من سطح الماء الذى تسقط عليه الشمس .

طريقة هذه حالها ، لا تصلح الا حيث لا يكون للانسان حيلة، الا الماء بواسطتها، أو الموت عطشا .

تحلية ماء البحر بتثليجه

وينتقل الانسان من الشىء الى نقيضه. من الحرارة لتبخير الماء ، الى تثليجه، واخراج الماء ثلجا عذبا .

فالثلج ، اذا انفصل بالتبريد من ماء البحر ، لا ينفصل الا عذبا . وهو يطفو لخفته . ويبقى فى القاع ما تخلف من ماء البحر ، ومعه الملح الذى لفظه الثلج عندما انفصل .

ويغسل الثلج بعد ذلك ويذاب .

هكذا كان ولا يزال يفعل اهل سيبيريا، فى الشمال منها . يأتون بماء البحر ، فيضعونه فى اوعية، يميلونها بعض الشىء، ويتركونها ليلا . وفى الصباح يرفعون الثلج من الأوعية ماء عذبا . وعمد علماء الروس الى بحث هذه الطريقة . وكان من بينهم يهودى اسمه زَرشين ، وكان مهندسا كيماويا . فاشترك معهم . وامكنهم بذلك الحصول على ٥٠ لترا من الثلج العذب من كل متر مربع من سطوح هذه المياه المتجمدة .

وكان ان هاجر زرشين الى فلسطين المحتلة ، وبعد أن احتلها اليهود ، عمد الى الاستمرار فيما كان بداه الروس .

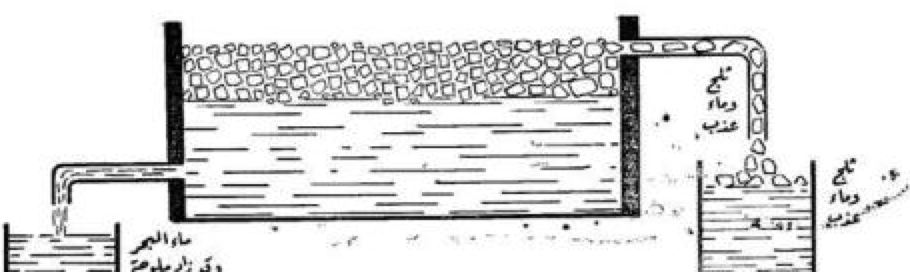
واليوم يقوم بميناء ايلات مصنع رائد، يصنع الماء بالتثليج ، ويقضى حاجات هذا الميناء .

برخص ؟

بالطبع لا . .

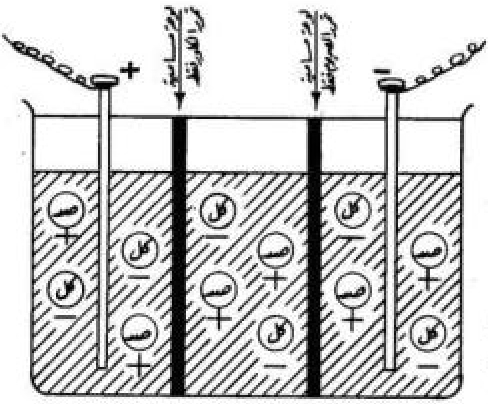
ولكن الصهاينة يدفعون كل غال ورخيص فى سبيل تثبيت اقدامهم عند البحر الأحمر .

ونزيد فى التفصيل فنقول ان الطريقة



تحلية ماء البحر بالتثليج : اذا برد ماء البحر برودة كافية ، تثلج بعضه وانفصل ثلجا عذبا ، ولخفته يطفو فوق الماء الملح المتبقى تحته ، ذلك الذى زادت ملوحته بسبب الملح الذى خلفه الثلج وراءه .
ويفصل الثلج بعد ذلك عن الماء الاجاج .

تحلية ماء البحر باللوحات المسامية والكهرباء :



الشكل الاول : وعاء به ماء البحر . تاتيه الكهرباء من بطارية (ليست فى الرسم) فيدخل تيارها ويخرج عن طريق القطبين(الموجب + ، والسالب −) بعد ان يمر بماء البحر وهو ملح وماء . والشكل الأول هذا يوضح كيف تتوزع ذرات الصديوم وذرات الكلور (ومنهما يتركب الملح) قبل مرور التيار . اما الخطان الأسودان فيمثلان لوحتين مساميتين من اللدين (البلاستيك) ، اليمنى منهما مدهونة بمادة تمنع الكلور أن يمر من مسامها ، واليسرى مدهونة بمادة تمنع الصديوم ان يمر منمسامها .

تقوم على تبريد ماء البحر أولا ، ثم دفعه الى حيث الضغط قد خُفّض ، وعندئذ يحدث تبخّرٌ بعض هذا الماء ، ويكون نتيجة ذلك نزول درجة حرارة الماء فيتجمد بعضه . والبخار الذى تصاعد عذبٌ . والماء الذى تثلّج عذب . كلاهما مصدر ماء عذب .

فتصنيع الماء هنا محتاج هو كذلك الى الطاقة . والطاقة كما قلنا غالية .

واذا اريد لأى طريقة لتحلية الماء أن تنجح اقتصاديا ، وجب خفض ثمن الطاقة . وخفض نفقة الطريقة ،لينخفض ثمن التكلفة للماء الناتج فيقترب من من السعر القائم اليوم فى الأسواق .

ولقد نذكر ان فى المحيطات بشمال الارض جبالا هائلة من الثلوج ، تظل طافية ، وتسمى جبالَ الثلج Icebergs وهى من ماء عذب رغم أنها أنما خرجت من ماء البحر الملح .

وقد خطر لقوم أن تحمل جبال الثلج هذه فى أوعية هائلة ، جملة" ، ثم تساق الى سائر البقاع . فتكون مصادر للماء العذب هناك . خاطر ينقصه التنفيذ ، وقد ينقصه حسابُ الدينار والدرهم .

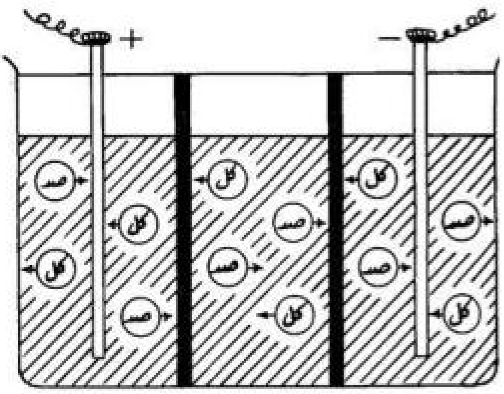
تحلية الماء بواسطة اللدائن ذات المسام ، والكهرباء

هذه الطريقة عمادها الكهرباء ، وهى طاقة .

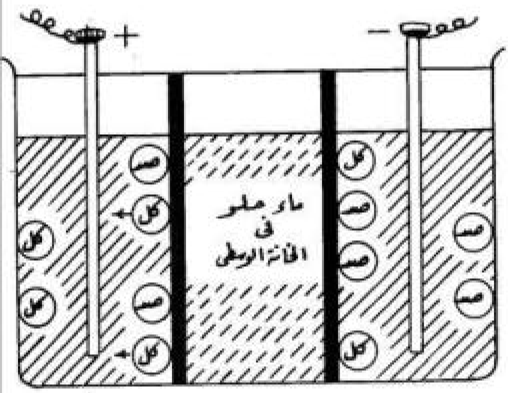
والكهرباء من اواخر ما كشف الانسان ،عرف وعالج من طاقات .

وطالب المدرسة الثانوية يعلم ان ملح الطعام مؤلفٌ من عنصرين ، صديوم وكلور ، وان هذا الملح يذاب فى الماء فينحلُ الى ذرتيه:ذرة الصديوم وتحمل شحنةً من الكهرباء موجبة . وذرة من الكلور،وتحمل شحنة من الكهرباء سالبة (يسمون الذرةالذائبة فى الماء بشحنتها الكهربائية الخاصة ، أيونا Ion .

والانسان لا يحس بهذه الكهرباء عندما يشرب الماء بملحه ، لأن الشحنتين متعادلتان) . فاذا نحن امررنا تيارا كهربائيا (يأتى عن طريق الأسلاك من بطارية كهربائية مثلا) فى المحلول ، بأن



الشكل الثاني : يمثل ما يحدث عند مرور التيار الكهربائي بمحلول الملح (ماء البحر) ، واين يتجه الصديوم ، واين يتجه الكلور . واين يمنع الكلور من المرور واين يؤذن له . وكذا في امر الصديوم .



الشكل الثالث : ويمثل النتيجة النهائية ، وقد فرغ الماء الذى بين اللوحتين المساميتين من الكلور والصديوم معا ، اى من الملح . فالذى بينهما ماء عذب .

نغمس في طرف المحلول القطب الموجب للكهرباء ، وفي الطرف الآخر القطب السالب للكهرباء ، ثم امررنا التيار ، اتجهت ذرات الصديوم (صد) وهي موجبة ناحية القطب السالب ، واتجهت ذرات الكلور ، وهي سالبة ، ناحية القطب الموجب . واذن يقل ملح الطعام في أوسط المحلول ، واذن فهو يحلو (انظر الشكل)

فهذا هو اساس الطريقة. انما يعوزها شيء : حاجز يمنع ذرات الصديوم ان تمر فيه. وحاجز يمنع ذرات الكلور ان تمر فيه . او اصح من ذلك لوحتان مساميتان مصنوعتان من لدين (بلاستيك) مطلية احداهما بمادة تأذن لذرات الكلور أن تمر من مسامها ولا تأذن لذرات الصديوم ، بينا اللوحة الأخرى مطلية بمادة اخرى تأذن لذرات الصديوم أن تمر من مسامها ولا تأذن لذرات الكلور. وذلك ليؤذن لكل من الكلور والصديوم بالخروج عن الخانة الوسطى ولا يؤذن بالدخول فيها .

واذن تحجز هاتان اللوحتان بينهما ، آخر الأمر ، ماء عذبا .

هذه خلية واحدة . ولكن المصنع يحتوى على وعاء عظيم من الماء المالح ، تقام فيه خليات كثيرة العدد جدا ، تفصل بينها هذه اللوحات ، واحدة تلو الأخرى: واحدة تمنع الصوديوم ، تليها ثانية تمنع الكلور، تليها ثالثة تمنع الصوديوم ، وهلم جرا . فاذا أجرى التيار الكهربائي نتج في المحلول ، المتحاجزة خاناته ، خانة بها الماء العذب ، تليها خانة بها ماء البحر الذى بدأنا به وقد زاد ملحه ، تليها اخرى بها الماء العذب وهلم جرا .

وهذه الطريقة يعالج بها الماء قليل الملح Brackish water الذى لا تزيد ملوحته عن ٦ أجزاء من الملح في الألف من الماء ، لا ماء البحر ، وهو الذى يحتوى على نحو ٣٥ من الملح في الألف من الماء . اعنى يعالج بهذه الطريقة الماء الذى يخرج من باطن الأرض ، ومن المناجم ، وبه من الملح مقدار يمنع الحيوان

والانسان من شربه ، وكذا النبات . وهذه الطريقة تحليه الى حد كبير .

وفى الكويت شركة أمريكية تقوم بالتحلية بهذه الطريقة . وهى تعرف فى الانجليزية بلفظ Electrodialysis أى الفصل بالكهرباء .

وقد زارنى رجالها فى مكتبى عندما بداوا عملهم فى الكويت ، وعلمت منهم ان هدفهم هو اقامة مصنع رائد Pilot plant يهبط بملح ماء جوف بمنطقة الصلَيْبِخات ، وهو قليل الملح ، الى جزء من ألف ، لرى الأرض ، والى نصف جزء من الف لشرب الانسان . وقد اقاموا المصنع فعلا ، وعلمت ان ماءه الآن يستخدم فى رى الأرض .

كذلك علمت منهم انهم أقاموا مصنعا فى الظهران ، بالسعودية ، بشركة الزيت، شركة ارامكو،ينتج نحو ٤٥٠ مترا مكعبا فى اليوم من الماء العذب . وكذلك لهم مصنع فى « البحرين » ، يعطى نحو ٣٠٠ متر مكعب من الماء العذب فى اليوم .

وظاهر بالطبع ان هذه الطريقة لا تهبط بثمن الماء الى ثمن الأسواق القائم اليوم . ولكنها تنفع عند الضرورة . واقامة مصانعها الرائدة فى الكويت والبحرين والظهران، وهى مناطق صحراوية، تنبىء عن ضرورة .

وزارنى كذلك رجل بولندى ، ادعى ان لديه طريقة كهذه ، تنفع حتى فى تحلية ماء البحر . فلما استوضحته الأمر ابى ان يبوح الا بعد كتابة عقد . ثم اختفى .

مشكلة التحلية ، مشكلة اقتصادية

المشكلة فى تحلية مياه البحار والمحيطات ليست اذن ، بعد الطرق التى وصفنا ، مشكلة فنية ، بمقدار ما هى مشكلة اقتصادية . انها ثمن التكلفة للمتر المكعب من الماء .

ان الهدف من تصنيع ماء البحار ، أى تحليته ، أو اعذابه ، هو النزول بثمن التكلفة للمتر المكعب الواحد الى الثمن المتعارف له فى المنازل والمصانع والمزارع .

واختلفوا فى تقدير ثمن تكلفة المتر المكعب من الماء المحلى بطريقة التبخير . قالوا انها شلن و٦ بنسات . وقال آخرون بل ٩ بنسات ، وقالوا ان ثمن التكلفة بطريقة التثليج ٩ بنسات .

وهى أثمان قريبة من ثمن الماء المتعارف .

ومع هذا فهناك من يشك فى هذا التقدير . فالبعض يقول بل ان الثمن للمتر المكعب، من ماء البحر المحلى ، ينتج بأرخص الطرق المعروفة الى اليوم ، لا يمكن ان يقع الا بين ثلاثة واربعة شلنات للمتر المكعب الواحد .

مقارنة الطرق الأربعة لتحلية الماء التى وصفنا

اما تحلية الماء بالشمس فيمكن ان نخرجها من المقارنة لقلة انتاجها ، وبعثرة طاقتها ، والمساحة المطلوبة لصنعها . وهى كما قلنا لا تصلح الا فى الضرورات .

واما تحلية الماء بفصله عن الملح بالألواح المسامية والكهرباء ، فطريقة يمكن كذلك ارجاؤها . لأنها لا تنفع ، الى اليوم ، الا للماء القليل الملح . ثم أن ماء البحر ، لو ان ثمن الكهرباء أرخص ارخاصا وجاز استخدامها لتحلية ماء البحر ، فان هذا الماء به أحياء عضوية صغيرة طافية Plankton لا تلبث أن تسد مسام تلك اللوحات التى هى روح الطريقة وعمادها ، وهى اغلى الأجزاء التى منها يتألف جهازها .

بقى تحلية الماء بالتبخير ، وفصله بالتثليج .

وكلاهما يتوقف على ارخاص ثمن الطاقة ، من حرارة كانت أو من كهرباء .

ففى هاتين الطريقتين يتركز رجـــاء الناس خاصة فى المستقبل .

وتدخل الذرّة فى الميدان فتنحنى لها الرؤوس

نعم . انها الذرة دائما يهرع اليهـا الناس للاحجـام الكبيرة فى كل شىء . احجام كبيرة فى سلام . واحجام كبيرة فى حرب وعند خصام .

والذرة عرفناها تنتج الحـــرارة . تخرج من افرانها واليورنيوم ينشق فيها. وسمينا الأفران بالمفاعلات Reactors .

والذرة عرفناها تنتج الكهرباء ،ولكن من الحرارة . أعني ان الحرارة تسخن الماء تسخينا شديدا ، فيخرج بخار الماء حارا مندفعـــا قويا شـــديدا ، يدير التربينات turbines ، وهى تدور بلفائف اسلاكها فى مجال مغناطيســـات قوية ، فتتولد الكهرباء .

الذرة اذن تنتج الحرارة .

والذرة كذلك تنتج الكهرباء .

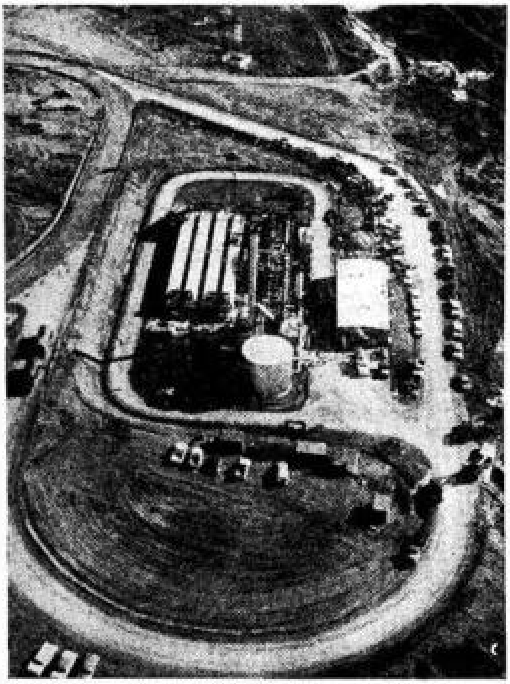
ولكن كم سعرها ؟ كم سعر الطاقة . هذه او تلك ؟

السعر ينقص بمقدار ما يزيد حجم المفاعل الذرّى .

واذن هيّا الى الاحجام الكبيرة جدا . الى الضـخامة اكبر الضـخامة فى بناء المصانع الذرية .

ولكن كيف نستخدم الذرة فى تحلية الماء ؟

ان كانت التحلية تحتاج الى كهرباء فالذرّة تنتج الكهرباء . وهى مع ضخامة المصانع تنتجها رخيصة . وحتى طريقة التحليل بالالواح المسامية والكهـرباء ،



التحلية بالتبخير المتعدد المفعول

مصنع تحلية ماء البحر بمدينة سان دياجو ، بكلفورنيا ، بالولايات المتحدة . والتحلية فيه بالتبخير المتعدد المفعول ، ولكن بطريقة الومض او الفجـاءة ، كما فى نص المقـال . وذلـك بتسخين ماء البحر ولكن دون درجة الغليان ،ثم ادخال هذا الماء الســاخن فى وعاء قليل الضـغط ، فلا يكاد يدخل اليـه حتى يغلى بعضه فجاة ويتحول الى بخار .وتتكرر العملية كما وصفنا فى المقال . وهذا المصـنع يعطى مدينة سان دياجو ، فى اليوم اكثر من ٥٠٠٠ متر مكعب من الماء العذب ، فوق مصادر مائها الاخرى .

هذه الطريقة ، بعد رخص الكهرباء ، قد تستخدم فى تحلية ماء البحر نفســه ، لا الماء القليل الملح وحده .

وان كانت التحلية تحتاج الى حرارة ، فالبخار الحار الناتج من انشطار الذرة ، سوف يكون من العرامة بحيث لا يصلح لتحلية الماء بالتبخير . ولكنه بعد دفع التربينات ، سوف يمضى عنها وقد فقد الكثير من شدته وعرامته ، واذن يكون من حيث درجة الحــرارة ومن حيث الضغط بحيث يصلح لتحلية الماء بالتبخير ، بنفس الطرق التى وصفناها .

فالمصنع الذرى سوف يصــبح ذا هدفين يقوم بهما معا :

ا ــ انتاج الكهرباء .

ب ــ تحلية ماء البحر .

ووعدت الولايات المتحدة « اسرائيل » ماء عذبا

ونحن لا زلنا نذكــر وعد الرئيس الأمريكي جونسون ، قبيــل انتخابات الرئاسة الأمريكية ، ان يقيم لاسرائيل فى اسرائيل اكبر مصنع للماء العذب فى الدنيا . دفع الثمن وعدا ، ودفع لــه اليهود البضاعة فى الانتخابات أصواتا . وبقى الوفاء بالوعد .

وليس فى الذى سوف يقيمه الأمريكان فى اسرائيل سر ، ولا هو من السحر . انما هو ما ذكرنا . مفاعل عظيم ، ينتج الكهرباء عظيمة ، وفى نفس الوقت ينتج الماء العذب من ماء البحر عظيما . فهــو ينفع لاسرائيل فى كهربائها (والكهــرباء طاقة صناعية هائلة) ، وينفعها فى مائها ، وفى زرعها واحياء مواتها .

وعد جونسون اسرائيل أن يقيم لها اكبر مصنع ذرى للماء العذب فى الدنيا . وقدر له ١٩٠ مليون دولار .

وهم يتحدثون عن اقامة مصنع ذرى فى اسرائيل يعطى من الكهرباء ٢٠٠٠٠٠ كيلووط ، وهو يعطى من الماء فى العام ١٠٠ مليون متر !

وبهذه المناسبة نذكر أن « مشروع العشر السنوات الاسرائيلى » الخــاص بتحويل مياه نهر الاردن يقضى بأن تأخذ اسرائيل من ماء النهر فى العام ٧٠٠ مليون متر مكعب من مياه الاردن ومياه بحيرة طبريا معا .

وتحلية الماء فى فرنسا

وتقوم شركة فرنسية خططت لانشاء مصنع ينتج من الكهرباء ٢٠٠٠٠٠ كيلووط ، ويعطى من الماء فى اليوم نحو ١٢٠ الف متر مكعب . ففى العام نحو ٤٣ مليون متر مكعب من الماء العذب .

انهار تنبع عند سواحل البحار

ولكن فى خطة امريكا ان تقيم مصنــعا ذريا ينتج الكهرباء ، وينتج الماء العذب معا ، يتم فى عام ١٩٦٧ . والمفروض ان يعطى هذا المصنع من الكهرباء ما بين مليــون الى مليون ونصف من الكيلووطات ، ومن الماء ما بين ٢ الى ٣ ملايين من الأمتار المكعبة من الماء العذب فى اليوم ، واذن ما بين نحو ٧٠٠ الى ما فوق الف ، من ملايين الأمتار فى العام .

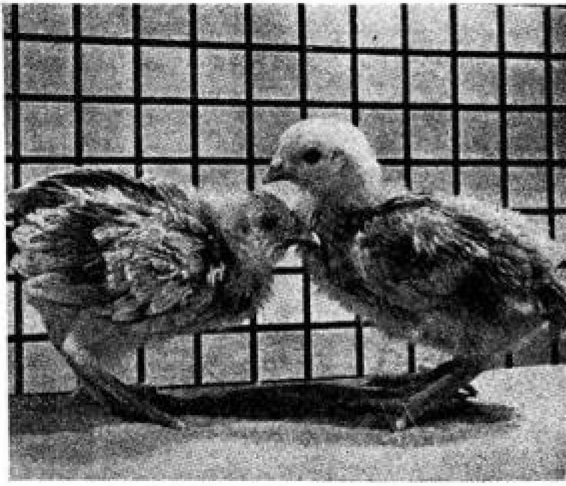
وهذه مقادير تضارع ما تعطيه بعض الأنهار .

فاذا نحن قلنا ان الأنهار ، فى المستقبل غير البعيد ، سوف تنبع من عند سواحل البحار ، وتصب فى حيث كانت تنبع ، وتجرى لرى الارض عكسا ، فما أبعدنا .

■■

أحمد زكي

أنباء الطب والعلم والاختراع





الصورة الاولى فروجان وعمرهما ١٥ يوما .. والصورة الثانية لنفس الفروجين بعد أن كبرا .. الصغير منهما حبست عنه مادة التربتوفان ، والكبير أكل أكلا عاديا ..

فروج أوقفنا [illegible]

● تجربة غريبة ، نتيجتها عجيبة ، ولكنها فى العلم منتظرة ، قام بها الدكتور رتشارد جردون Richard Gordon بشركة منسانتو الكيماوية .

فروجان صغيران، هما اللذان فى الصورة الاولى الى اليمين ، عمر كليهما ١٥ يوما ، بدأ الدكتور يغذيهما ليكبرا . اما الأول فغذاه غذاء عاديا ، فنما وكبر ، وتراه فى الصورة الثانية الى اليمين. اما الفروج الثانى ، فغذاه نفس الغذاء ، ولكنه حبس عنه مادة التريبتوفان Triptophane فكانت النتيجة ما ترى : فرخا ناقص النمو .

وتسأل عن التربتوفان .. فاعلم أن الأغذية أنواع ثلاثة مشهورة: البروتينات ومنها مادة اللحم، وتوجد فى الخبز وسائر الحبوب . والدهنيات . ثم النشويات ومن ضمنها السكر . والحديث هنا عن البروتينات : فالبروتين اذا حللناه اعطانا عدة مواد هى أحماض ، يسميها الكيماويون امينية . أحدها التربتوفان .. والمفروض فيه انه يفعل فى غدد الجسم المختصة بالنمو فيحفزها على افراز الهرمونات التى تزيد الجسم حجما ووزنا . اما وقد حبسناه عن الفروج الثانى، فقد ظل بالحجم والوزن اللذين كانا له عندما بدات التجربة . ولو انا أضفنا الى غذائه التربتوفان ، لاخذ فى النمو من جديد فزاد حجما ووزنا .

عدد الذين ماتوا من السرطان = عدد الذين شفوا منه

● ظهر الكتيب السنوى الذى تنشره جمعية السرطان الامريكية ، ويسمى « كتاب عام ١٩٦٥ : حقائق وارقام ».

وفيه الحقائق الآتية وارقامها :

١ ـ ان الولايات المتحدة ، فى الخمس السنوات الماضية ، مات فيها بالسرطان عدد من الناس يساوي على التقريب عدد من تم شفاؤهم منه .

١ ـ ان بالولايات المتحدة ١٣٠٠٠٠٠ شخص عولجوا من السرطان ، وشفوا ، وعُدّ شفاؤهم مرضيا ومطمئنا ، لأنه مضى على علاجهم الآن خمس سنوات ولم يظهر فيهم دليل على رجوع هذا المرض .

٣ ـ ان بالولايات المتحدة ٧٠٠٠٠٠ عولجوا من السرطان ، وشفوا ، ولكن لم يمض على شفائهم خمس سنوات ، ومن المنتظر ان يضاف عددهم هذا الى عدد من اطمأن الأطباء الى شفائهم بفوات خمس سنوات على هذا الشفاء .

٤ ـ ان سرطان الرئة يحتل المكان الاول فى اصابات الناس بالسرطان ، وان المقدّر ان يصاب فى الولايات ، فى عام ١٩٦٥ ، ٥١٠٠٠ شخص ، يشفى منهم نحو ٤٧٠٠٠ شخص . وان ثلاثة ارباع من يموتون بسرطان الرئة كان فى الامكان افلاتهم لو انهم امتنعوا عن التدخين .

٥ ـ يلي سرطان الرئة فى الاصابات سرطان القولون والمستقيم . والمقدر ان يموت من هؤلاء فى عام ١٩٦٥ ما يبلغ ٤٣٠٠٠ شخص ، ولو انه ينتظر ان يأتى هذا العام بعدد جديد من المصابين يبلغ ٧٣٠٠٠ . ولقد كان ويكون فى الامكان تخليص ثلاثة من كل اربعة من هؤلاء لو انه أجرى عليهم كل عام امتحان بالمنظار المسمى بركتوسكوب Proctoscope او منظار الاست،أو ان شئت فالاستوسكوب يتلوه علاج على الفور عند التاكد من وجود سرطان .

٦ ـ ويلى هذين الصنفين من السرطان، فى السبق الى تقصير الأعمار ، سرطان الثدى، ويقدر له فى عام ١٩٦٥ أن يقصف ٢٦٠٠٠ عمر . وسوف يأتي هذا العام بنحو ٦٢٠٠٠ من المرضى الجدد ، وهو بين الامراض السرطانية اسبقها الى النساء .

٧ ـ ويلى بعد ذلك سرطان المعدة ؛ ويقدر ان يموت به فى عام ١٩٦٥ نحو ١٨٠٠٠ نسمة .

٨ ـ ثم سرطان البنكرياس، يأتى بعده سرطان البروستاتة ، ثم سرطان الجهاز اللمفاوى .

٩ ـ ولا ننسى الليوكوما،وهى سرطان الدم ، ويقدر لها فى عام ١٩٦٥ نحو من ١٧٠٠٠ حالة ويقدر فيها من الموتى نحو ١٤٠٠٠ .

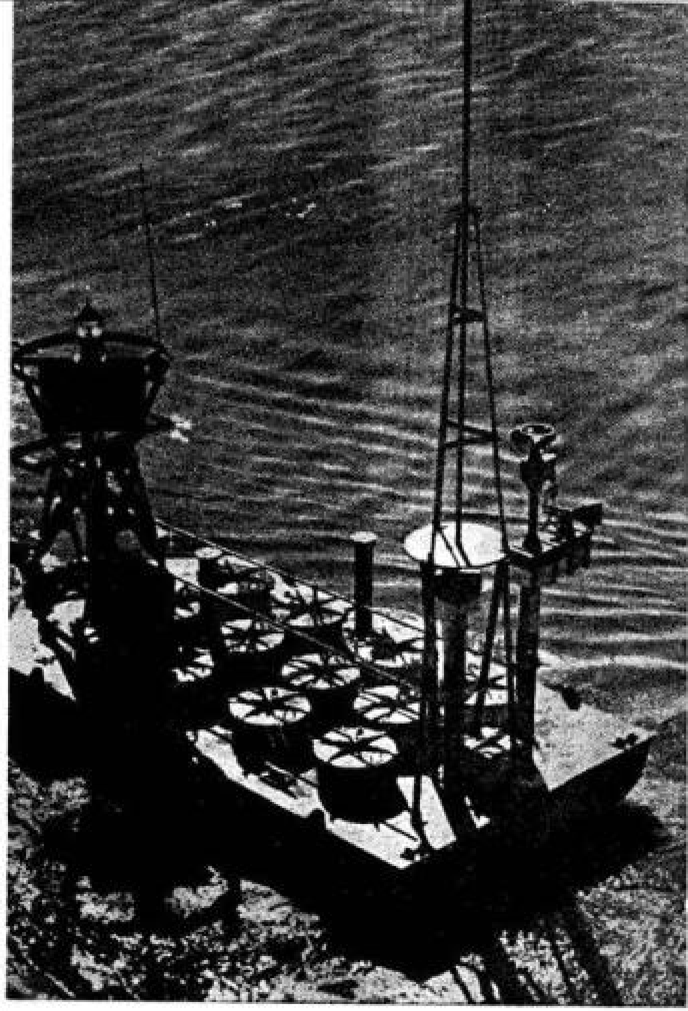
١٠ ـ ومن حيث تفضيل السرطان للرجال دون النساء ، نذكر فى الختام ما جاء فى هذا الكتيب من انه يقدر للعام القادم ، ان يكون من كل مائة من موتى السرطان ٥٥ من الذكور و٤٥ من الاناث .

رشاش الماء فوق

● الحق ان الصناعة بدات تزحف على الزراعة ، وسوف يأتى زمن لايصلح فيه الفلاح ، الذى لم يتثقف ويتنور ، لان يكون اهلا لزراعة .

والصناعة تزحف على الزراعة من وجوه كثيرة ، ومن حيث سقيا النبات .

الفلاح يفلح الارض ، ويضع البذر ، ويسمد بعد ذلك ، ويروى بالماء الذى تحمله الترع والقنوات ، ويغمر به الأرض غمرا ، ثم العوض على الله .



محطة ارصاد جوية تعمل بالطاقة الذرية

● محطة ارصاد جوية، تترك حيث هى، فى موضع من الارض لا يسكنه انسان. وهذه المحطة قد تركت فعلا عند ساحل المكسيك . لتعمل من ذات نفسها ، وبدون رجال ، أكثر من عشرة أعوام . وهى ترسل المعلومات باللاسلكى عن احوال الجو فى تلك المنطقة كل ٣ ساعات ، والجو مستقر ، فاذا اضطرب ، فكل ساعة . ولا حاجة لأن نقول انها تعمل بالطاقة الذرية .

..رع يزيد محصول الفواكه والخضر ..

وآخر دخول الصناعة بأساليبها على الزراعة ، ما وجده العلماء من أن رشاش شجر الفاكهة والخضراوات بالماء يخرج من أنابيب بها ثقوب قطرها نحو ٤ مليمترات لينتشر فوقها ضبابا ، هذا الرشاش يمنع الأوراق من فقدان مائها ، لاسيما ، والجو حار . انه يحفظ على النبات ماءه ، فيزيد هذا فى المحصول الناتج .

وفى جو كانت درجة الحرارة فيه ٣٠ درجة مئوية ، والرطوبة ٣٥٪ ، هبط الرشاش بالقدر الذى يفقده النبات عادة فى هذه الاحوال الى نحو ٢٠٪ ، واستبقى للنبات ثمانية فى المائة .

والسقيا ، بالترذيذ (احداث الرذاذ) والتضبيب (احداث الضباب) فوق النبات ، هى عند هؤلاء العلماء ، ذات منافع ليست للسقيا العادة ، سقيا الماء الجارى فوق الارض . وعدا هذا ففيها اقتصاد فى الماء غير الزيادة فى الثمر .

والنباتات التى اجريت عليها التجارب كانت الطماطم والخس والفرولة وطائفة من سائر الخضر .

كولبس

أى موضع رآه أول مرة من أمريكا ؟

● لقد مضى على «كشفه» امريكا ٤٧٢ عاما ومازال البحث جاريا للكشف عن تلك الارض التى رآها كولبس اول ما راى من امريكا ، فى الليلةالواقعة بين اليوم الحادى عشر والثانى عشر من اكتوبر عام ١٤٩٢ .

جاء فى سجل سفينته انه رأى فى تلك الليلة« ضوءا أخذ يشتد ، ويخبو ، ثم يشتد ، كما يحدث للشمعة عندما يمسها ريح » .

وجاء فى سجل سفينته ايضا انه لما شقشق الصباح او كاد ، راى راسا عاليا من رمال .

وجاءفىسجل سفينته اشياء اخرى عن الساحل، ووصفه ، وعن صخوره ، ووجود فتحة فى الصخور نفذ منها الى الساحل . وانجر عنده بسفينته . ثم هبط على الأرض ، ووصف نبتها وارضها .

واليوم يخرج من معهد البحوث الشهير معهد اسمثسونيان Smithsonian Institute بحث قامت به السيدة ولبار Welbar ومساعدوها ، دام سبع سنوات ، للتعرف على هذا الموضع الذى راه ونزل به كولبس ورجاله من امريكا أول مرة.

وانتهى البحث الى أن الموضع كان جزيرة سان سلفادور فى أرخبيل بهاما . وهى تقع تماما عند خط العرض الذى عينه كولبس لموقع سـفينته ، سـانتا ماريا ، فى تلك الليلة ، وهـو خط عرض ٢٣° ٤٧ ٢٤ أى فى شمال مدار السرطان بشىء قليل .



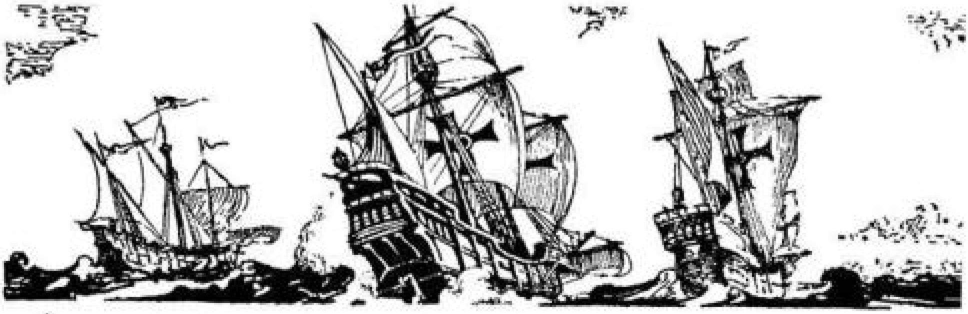
هنا ، فى جزيرة سان سلفادور ، نـزل كـولبس لاول مـرة ..

مكتشفة تركيب الفيتامين ١٢ تنال جائزة نوبل

● انها امراة، واى امراة. امراة تساوى الف رجل . وتساوى الف الف رجل ممن نشأوا على التهوين من أمرالنساء .

انها الدكتـورة دوروثى كروفوتهدجكن Dorothy Crowfoot Hodgkin وهى لم تنل الجائزة لانتاجها الأدبى اوالقصصى ،او لمجهودها السياسى ، وانما نالتها لبحوثها فى فرع من فروع العلـم هو من أصعبها بحثا،ذلك فرع الكيمياء.

وهى بحوث تكشف عن صور الذرات فى مركباتها ، كيف انتظمت ، وكيـف ترتبت ، وكيف اتصلت ، ووسيلتها فى ذلك الأشعة السينية،توجهها الى بلورات هذه المركبات ، ثم تدرس ما يخرج عبرالبلورات من صور اشعاعات .



الاسطول الذى سار به كولمبس اول مرة ، من بالوس ، على شاطىء البحر المتوسط باسبانيا ، واتجه غربا ، فكشف به أمريكا . والاسطول مؤلف من سفينة القيادة ماريا،وسفينتين اخريين صغيرتين،بنتا Pinta ونينا Nina . وبلغ عدد بحارته تسعين

وجاء هذا البحث بادلة علمية كثيرة ، تتصل بالأرض ، والبحر ، والصخر ، وطبيعة الأرض ، ومقارنة كل ذلك بالذى جاء بالسجل الذى كتبه كولمبس فى تلك الأيام الخالدة العظيمة .

ومن الطريف الذى يذكر ان السيدة المذكورة قامت هى وأعوانها ، فى عام ١٩٦٤ ، فى مثل تلك الليلة التى وصل فيها البحار الشهير الى هذه الأرض ، بتمثيل نفس الدور الذى قام هو به منذ نحو ٥٠٠ عام .

ترأست السيدة المذكورة بعثة بحرية ، ركبت هى ورجالها سفينة تدعى دريك Drake ، طولها ١١٠ من الأقدام ، وساروا بها فى نفس الطريق التى سار فيها كولمبس من الشرق الى الغرب . وفى مثل تلك الليلة ، وفى نفس تلك الساعة منها، نظروا الى الجزيرة فرأوا الضوء يشتد ويخبو على الجزيرة ، تماما كما كان رآه كولمبس . رأوه وهم على بعد ٢٧ ميلا ، تماما عند المسافة التى رآه عندها البحار الكبير فى ذلك الزمان البعيد .

واستوضحوا سبب هذا الضياء فوجدوا ان أهل الجزيرة ، من بقى منهم من أخلاف آبائهم القدماء ، يوقدون فى هذا الشهر من السنة النيران دفعا لذبابة الرمل التى تنغص حياتهم بكثرتها ، فهى تكثر فى هذا الفصل ، لكثرة النبات وشدته بعد الأمطار ، ولامتلاء البحيرات التى بالجزيرة بالماء .

أما اشتداد الضوء وخفوته ، فكان لأنهم كانوا يلتقمون النيران باوراق من صنف من النخيل شمعىّ ، فتشتد النيران بالتقامه، ثم لا تكاد تخبو حتى يلقموها وقودا جديدا ، فتشتد .

وبقيت الباحثة ومساعدوها على السفينة ينتظرون الصباح . فلما شقشق ، بعد ساعات اربع من رؤية النيران،رأوا رأسا عاليا من رمال». انها ربوة صخرية عالية ترتفع ١٤ قدما فوق سطح البحر . رأوها فى ضوء القمر . تماما كما رآها كولمبس ووصفها فى ذلك السجل العتيق .

ومن بحوثها ، أو بحوث الفريق الذى ترأسته بجامعة اكسفورد ، البحث المتصل المضنى الذى كشف عن التركيب الذرى البنائى للفيتامين الشهير المعروف بفيتامين ١٢ ، وهو الفيتامين الذى يستخدم دواء نافعا فى علاج فقر الدم الخبيث. وقد نشرت نتيجة هذا الكشف عام ١٩٥٥ .

وعندما قررت اكاديمية العلوم السويدية اعطاءها هذه الجائزة ومقدارها ٥٣٥٠٠ دولار (١٨٧٥٠ جنيه استرلينى) أطرتها ، فقالت فيما قالت: انها استحقت هذه الجائزة بسبب « مهارة بها غير عادية ، يصاحبها علم بالكيمياء وفير ، والهام رائع ، وخيال بديع ، وصبر لا يعرف الكلال » .

والسيدة المذكورة فى سنتها الرابعة والخمسين ، وهى الآن فى مدينة اكرا ، عاصمة غانا، مع زوجها توماس هدجكن، وهو يعمل هناك مديرا لمعهد الدراسات الافريقية فى جامعة غانا . ■■



تحية للأبطال

عن جريدة « الرأى العام » الكويتية :

● للأبطال الصناديد ، الذائدين عن حياض العروبة ..

للساهرين على الحدود ، وايديهم فوق الزناد، وارواحهم فوق الأكف ، باعوها لله وعدا لهم منه بان لهم عنده الجنة ..

للأبطال الذين يقفون على طول الحدود .. هناك .. عند الارض السليبة .. فلسطين ..

تحية لهم ، حين يسمو عندهم معنى الحياة ويفهمونه على انه بطولات رائعة وتضحيات جلى ، وعطاء مستمر .. وفداء لا يعرف الحدود ..

تحية لهم ، حين يرفعون راس الأمة العربية باستعذابهم الشهادة واستطيابهم الموت .

تحية لهم حين يفهمون اسرائيل ان النهاية قد اقتربت ، وان عقلية عام ١٩٤٨ قد توارت الى الأبد ، وانها مهما تآمرت .. ومهما ساندتها قوى الغدر واللؤم فان مصيرها زوال أكيد ..

تحية لهم حين يجعلون من سوريا العربية قلعة صامدة وخطا اول فى معركة الكرامة .

القول غير العمل

عن جريدة «أخبار فلسطين» ـ فلسطين :

● قال حكيم : خير لك ان تشعل شمعة صغيرة من أن تقضى الوقت مستمطرا اللعنة على الظلام .

والغريب ان لعنة الظلام منتشرة بيننا كوباء . وهذا الأمر قد يكون مفيدا لو ان اللعنة تبدل من واقع الظلام شيئا ..

ان اى فرد منا ، سواء كان فى عمله او فى الشارع او فى المقهى تجده ، دائما استاذا لكل شيء .. ناقدا نافذ البصيرة .. وكيف ينتقد ؟

انه يكتفى باطلاق الشتائم .. وبهذا يتحول الناس الى آلات سابة وتبقى علاتنا على حالها ..

واعتقد ان الأمر سيبدو أكثر وضوحا لكل منا لو تصور كيف يعالج الناس مشكلة شارع قذر .. او طلب انشاء مرفق .. او طريقة العمل فى مؤسسة .. لا شيء سوى التجريح الشخصي بلا دعامة منطقية لهذا التجريح ..

المهم ان نتصدى للمشاكل ببطولة واخلاق .. لا باللعنات التى لا تبنى ولا تهدم ..

تحديد النسل

عن مجلة « الرسالة » القاهرية :

● ان مشكلة تحديد النسل ، كمشكلة من مشكلات المجتمع ، تعتبر اعمق مشكلاته تعقيدا . ولكن معظم المشتغلين بالاسلام يطيب له ان يزج بالدين ليقف عقبة كاداء فى سبيل تحديد النسل او تنظيمه .

والمعارضون لحل المشكلة يزجون بآيات من القرآن واحاديث نبوية لتقف الى جانبهم .. ولست ادرى ما شان هذه الآية بمشكلتنا : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم . ان قتلهم كان خطئا كبيرا » ؟

فالآية هنا تخص بعض العرب الذين كانوا يئدون اولادهم حتى لا يكلفوا انفسهم مشقة السعي عليهم ، فهي تحارب قتل النفس التى حرم الله الا بالحق بعد ان اصبحت كائنا حيا له وجوده . هذا من جانب .. ومن جانب آخر

اقوياء على الأرض

عن جريدة « الثورة العربية » العراقية :

● في يوم بعيد عنا .. حين كانت روما عاصمة العالم .. وقف امبراطور روماني على شرفة قصره .. ليقول للشعب من حوله : اننا اقوى أمة على الأرض ... !

وفي يوم آخر .. مرّ عليه عشرون عاما .. وقف دكتاتور الماني في شرفة الريخ شتاج (البرلمان الالماني) في برلين ليقول : اننا اقوى امة على الأرض !

وفي السابع عشر من ايلول ١٩٦٤ وقف رئيس امريكي في ولاية كاليفورنيا ليقول للعالم نفس الكلمة .. نحن اقوى امة على الأرض .. نفس العبارة على ثلاثة افواه .. تفصل بين اصحابها آماد بعيدة ..

ان روما الأمس انتهت وانكمشت على نفسها .. وبرلين اليوم غير برلين الأمس ..

الشعوب على الأرض .. انسان واحد .. متطلع الى السلم .. والعدالة .. فلا دولة أقوى من دولة .. ولا أمة أقوى من أمة .. وصوت الشعوب أعلى من صوت جونسون .

الأمة والدولة

عن جريدة « العمل » اللبنانية :

● لادولة بدون أمة ، وقد تكون أمة بلا دولة .

واذا اجتمعتا ، فالمفروض ان تاتي الدولة طبق الأصل عن الأمة ، اذ تشكل الحكومات وتؤلف المؤسسات ويعين الموظفون من أبنائها .

انما يبقى سؤال مهم ، اشتدت المناظرة حول تحليله وتعليله ، وهو هذا :« هل الأمة تخلق الرجال ؟ .. أم ان الرجال يخلقون الأمة ؟ »

فالميدآن يدافع عنهما :

ـ فنابليون ، كلل هام فرنسا بمجد لا يمحى .

ـ وهانيبال حمل جنوده الى ابواب روما ، فاعتزت به قرطاجنة .

ـ وغاندى عبد الطريق امام استقلال بلاده ، بصيامه وتقشفه .

ويرد على ذلك بان الفضل فيه يعود ، اولا للشعوب التى أوجدت هؤلاء الرجال ، وأنه لولا اللقاء بين عبقريتهم وبين قابلية مواطنيهم لاستظلال لوائهم والسير بركابهم لكانت قد انطفأت شعلتهم دون أثر ،ولما شغلوا اسطرا فى صفحات التاريخ .

هراوات المتزمتين

تحارب انانية الفرد الذى يريد ان يعيش لنفسه فحسب ، فهل قال الداعون الى تنظيم النسل ان يحتفظ كل فرد بابنين من ابنائه ويتخلص من الباقين ؟

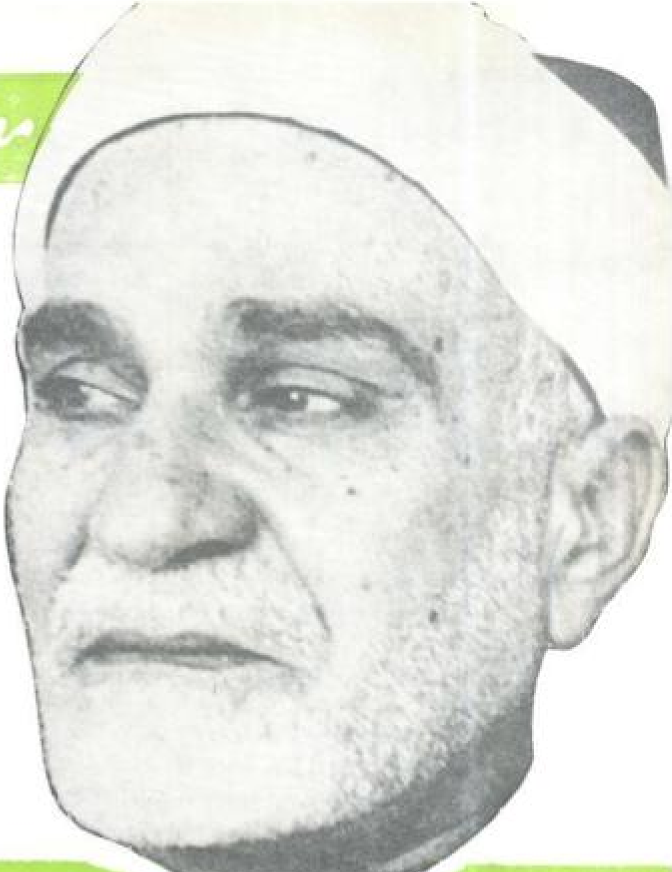
والمعارضون لحل المشكلة يلوحون دائما بحديث نبوى يحفظونه عن ظهر قلب ، وهو :(تناكحوا تناسلوا..فاني مباه بكم الامم يوم القيامة) وهؤلاء ـ بالطبع ـ لم يكلفوا أنفسهم البحث عن درجة الحديث من حيث الصحة والضعف ، ولو أدركوا ان الحديث على شهرته وسم بالضعف ، لتغيرت نظرتهم للحديث، قال الحافظ العراقي الذى خرج أحاديث احياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالى : « الحديث رواه ابن مردويه فى تفسيره وهو ضعيف » .. ومع ذلك فلم يزل خطباء المساجد ترتفع به حناجرهم من فوق المنابر ، ولم يزل المأذونون الشرعيون ومعظمهم من علماء الدين يصرون على ان يصدروا به خطبهم عند توقيع عقود الزواج .

ان من القواعد الأصولية المتفق عليها انه : « لا ضرر ولا ضرار » فاذا تحقق الضرر من اسراف انسان فى النسل ، فالدين يرحب بان يحدد نسله وهو مطمئن غاية الاطمئنان .

والذين يتوهمون ان تحديد النسل يجافى التوكل على الله الذى تكفل بالأرزاق ، فحجتهم داحضة ، لأن التوكل على الله يجب ان يعتمد اساسا على الكفاح والسعي ، وبدون ذلك لا يكون توكلا بل تواكلا ، والاسلام يحارب التواكل .

وأعجب من هذا ، ان الفقهاء لم يروا اثما ولا جريرة فى العزل كوسيلة من وسائل منع النسل او تحديده وسأقول قول جابر ـ كما جاء فى الصحيحين : « كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ينزل ... ».

مصطفى عبد الرازق



قال : ـ

الفكر الاسلامي الحقيقي لايلتمس فى فلسفة الفارابي وابن سينا ، بقدر ما يلتمس فى علم الكلام والفقه الاسلامي

أول شيخ للازهر كان دارسا ثم محاضرا

بقلم : الدكتور عثمان أمين

رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

■ ينتسب مصطفى عبد الرازق الى اسرة مصرية عريقة ، اشتهر كثير من ابنائها بنبوغهم وسعة علمهم وسمو اخلاقهم ، ومشاركتهم مشاركة فعلية فى خدمة القضية الوطنية .

ولد سنة ١٨٨٥ م فى « ابى جرج » احدى قرى مديرية المنيا . وكان ابوه الشيخ حسن عبدالرازق باشا رجلا واسع المعرفة وفى الوقت نفسه من اكثر الشخصيات تاثيرا فى الحياة السياسية المصرية .

بدا مصطفى عبد الرازق دراسته فى « ابى جرج » ثم واصل هذه الدراسة ــ كما كان مالوفا حينئذ ــ فى الجامعة الازهرية حيث حصل على شهادة « العالمية » سنة ١٩٠٨ .



نهج نهج أستاذه الشيخ محمد عبده، في التوفيق بين الإسلام والحضارة الحديثة

وأراد أن يسبر غورَ ثقافته الاسلامية ، لتواجهَ الثقافة الغربية محتذيا في ذلك حذو استاذه الامام محمد عبده . فدرس اللغة الفرنسية ، وسافر الى فرنسا ، والتحق في بادىء الأمر بالسربون حيث تابع الاستماع الى المحاضرات المشهورة التى كان يلقيها عالم الاجتماع الفرنسى « اميل دير كايم » Durkheim حينئذ في علم الاجتماع . ثم عين محاضرا للشريعة الاسلامية في كلية الحقوق بجامعة ليون ، تلبية لدعوة الأستاذ « لامبير » أستاذ القانون بتلك الجامعة. ودعى أيضا ليحاضر فيالأدب العربى بكلية الاداب بجامعة ليون خلفا للأستاذ « جاستون فيت » .

واستطاع مصطفى عبد الرازق ، الى جانب عمله بهاتين الكليتين بجامعة ليون ، أن يعد رسالة للدكتوراه في الفلسفة .

يعود الى مصر

وعاد الى مصر سنة ١٩١٥ ، بعد أن نال حظا موفورا من الثقافة الغربية ، فاختير سكرتيرا عاما للأزهر ، ثم مفتشا للمحاكم الشرعية . وكان يعمل في الوقت نفسه بمعاونة عدد من المصريين والأجانب ، على انشاء جامعة الشعب التى كانت تلقى فيها ـ ابان الحرب العالمية الأولى ـ

بجامعات فرنسا

محاضرات عامة في الآداب والعلوم والفنون . وفي تلك الجامعة ألقى مصطفى عبد الرازق سلسلة محاضرات عن الأستاذ الامام محمد عبده .

وحينما أنشئت الجامعة المصرية رسميا سنة ١٩٢٥ دعته كلية الآداب بها لالقاء محاضرات في الفلسفة الاسلامية . وكان من حسن حظى أن أستمع الى هذه المحاضرات القيمة ، وأن أتتلمذ على ذلك الأستاذ الملهم ، وأن أقدر عمقَ تعاليمه تقديرى لنبل أخلاقه . واستطاع الشيخ مصطفى عبد الرزاق أن يلفت أنظار الطلاب في تلك الكلية لدراسة الفلسفة الاسلامية التى كانت قد اهملت زمنا طويلا ، وكان اخص ما يميز محاضراته في كلية الآداب تلك الروحَ العالية التى الهمتها : روحُ الروية والتحرر والنزاهةالعقلية، وهي صفات قد اقترنت بالسمات البارزة التى امتازت بها شخصية استاذنا الأخلاقية .

كان مصطفى عبد الرزاق اول استاذ للفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة . ففى محاضراته بكلية الآداب ، تلك المحاضرات التى نشرها بعض تلاميذه بعنوان «تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية» رسم الخطوطَ الأساسية للفلسفة الاسلامية . وكان ، وهو يلقى الضوء على جوانب المشكلات الكبرى ، يرد ـ بهدوئه المألوف ـ على الذين انكروا على الفكر الاسلامي أصالته . ولقد أدرك الأستاذ ببصيرته النافذة أنه ، وان يكن المسلمون قد تقبلوا في تصورهم عن العالم عناصرَ مستمدة من الفكر الاغريقي ، الا أنهم مع ذلك كان لهم منهجٌ خاص وثقافةٌ مميزة ذاتُ اصالة ، وان الفكر الاسلاميَّ الحقيقي لا يلتمس في فلسفة الفارابى وابن سينا بقدر ما يلتمس في علم الكلام وفي أصول الفقه الاسلامي . والى جانب تقلده لكرسي الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة كان استاذنا عضوا في هيئة كبار العلماء وعضوا في المجمع المصرى ، وعضوا في مجمع اللغة العربية .

وزيرا للاوقاف مرارا

وقد تولى الشيخ مصطفى عبد الرازق وزارة الاوقاف اكثر من مرة . وكان رئيسا للجنة

الأوقاف والمعاهد الدينية بمجلس النواب . وفى سنة ١٩٤٥ انتخب رئيساً فخرياً للجمعية الفلسفية المصرية .

شيخا للأزهر

وكان تعيينه شيخا للأزهر خلفا للشيخ المراغى تتويجاً لحياته العلمية الحافلة . وفى هذا المنصب الرفيع ، وهو منصب شيخ الاسلام ، كان مصطفى عبد الرازق مجدداً واسع افق النظر ، عمل بجد وحصانة ، طوال الفترة التى تقلد فيها هذا المنصب رغم قصرها . فبدأ بادخال اللغات الأجنبية فى الازهر ، وشجع البعثات العلمية الى الخارج ، فارسل بعثات أزهرية الى انجلترا وفرنسا لدراسة اللغة الانجليزية والفرنسية ، بقصد تدريس هاتين اللغتين فى الجامعة الاسلامية. وارسل مبشرين مسلمين الى اوغندا كما ارسل اخيراً بعثة من المدرسين الى الأقطار الحجازية لدراسة العقيدة الاسلامية هناك .

وهكذا اراد مصطفى عبد الرازق الذى كان من خاصة تلاميذ الأستاذ الامام محمد عبده — أن يحقق مبادىء استاذه تحقيقاعملياً بالتوفيق بين الاسلام والحضارة الغربية ، ولقد كافح الشيخ مصطفى كفاحاً موصولاً لتجديد الجامعة الاسلامية العتيدة التى كانت تضم اكثر من ثلاثين الف طالب وفدوا اليها من مختلف أقطار الأرض .

ومصطفى عبد الرازق مثل نادر للنبل والحكمة والثقافة . ولقد كان موته المبكر خسارة فادحة لا لمصر وحدها بل وللعالم الاسلامى كله .

وفاؤه لاستاذه محمد عبده

كان مصطفى عبد الرازق من خاصة تلاميذ الامام محمد عبده واقربهم اليه بروحه وعقليته : فقد جمع بين القديم والحديث ، والاسلامى وغير الاسلامى ، والشرقى والغربي ، ثم تمثل كل أولئك فى قلبه الكبير وعقله الراجح ، وخرج به الى الناس فى صورة لاعهد لهم بها من قبل : صورة هى من صنع مصطفى عبد الرازق نفسه.. وظل الرجل وفياً لروح استاذه حريصا على تطبيق مبادئه وتعاليمه : فلم تفته فرصة الا انتهزها للكتابة فى الصحف عن سيرة الامام وآرائه ووجهته فى الاصلاح ، بل ذهب الى ابعد من ذلك فالقى عنه سلسلة من المحاضرات فى جامعة الشعب ، كما ترجم الى الفرنسية « رسالة التوحيد » وفوق هذا كله جاهد مصطفى عبد الرازق بقلمه ولسانه وحياته العملية ، لخدمة الدعوةالاصلاحية ، ونشر الحرية الفكرية التى نهض بها الأستاذ الامام .

الأخلاق فن الحياة

كان استاذنا — رحمه الله — يعتقد — ان هنالك شيئا هو فوق العلم وفوق الفن ، وهذا الشيء هو ما يطلق عليه اسم الأخلاق ، وقد كان الفلاسفة الرواقيون يسمونه « فن الحياة » ، وهو أعلى الفنون : لأن موضوعه هو الجمال بمعناه الصحيح ، اى جمال الروح .

وكان الأستاذ يرى أن الاخلاق ينبغى ان تكون فناً للحياة ، اى ان ترسم قاعدة ثابتة لسلوك الشخص مع نفسه وبازاء الله والناس ، بمعنى أن يكون للانسان فى حياته موقف مقرر وخطة مرسومة ، حتى لا تتجاذبه الأهواء والانفعالات . فاذا بلغ الانسان هذه المرتبة كان حكيماً ، وآية الحكمة هي ما يلازم سلوك الانسان من ثبات واستقرار . ولكن هذا الثبات — فيما يرى الأستاذ — يجب ان يكون فى فعل الخير . وليس الخير هو ما يطلبه الجمهور عادة من اللذات أو المال أو الصيت ، انما الخير ، الذى هو عنده جمال الروح ، هو الحب والسماحة والجود .

فلسفة كرام النفوس

وكثيرا ما كان الأستاذ يحدثنا فيقول: ان هنالك فلسفة جميلة بزغت منذ فجر الفكر الانسانى ، وثبتت على احداث التاريخ ،وهى فلسفة كرام النفوس ، أولئك الذين عاشوا للعالم كله لا لأنفسهم، وظلوا على وفاق مع قانون المحبة والسخاء . وكان أول من مارسها أنبياء الشرق ، ثم اذاع تعاليمها كبار المفكرين والحكماء ، من سقراط الى افلاطون وارسطو ومن ارسطو الى الرواقين وافلوطين ، ومن افلوطين الى الفارابى وديكارت ، ومن ديكارت الى كانط وغاندى . وكان أولئك جميعاً كانوا

سلالة عظيمة" واحدة انجبت اقطاب الفلسفة الروحية على مدى العصور ، وجميعهم قد استطاعوا ان يستشفوا جوهر الدين،واوغل بعضهم فيه ،فاداهم نظرهم الى فلسفة عاشوا عليها ، وهذه الفلسفة تتلخص كلها فى حالة نفسية يصح أن تطلق عليها الاسم الجميل الذى اختاره ديكارت ، اسم « الاريحية » ، وتلك حال النفوس التى تعطى ولا تأخذ، وتسعى الى اسعاد الغير مهما كابدت من عناء .

لعاطفة الصداقة أسمى مكان

لقد علمنا ديكارت ان النفوس لاتكون كبارا بغير العواطف الكبار ، وجعل الفيلسوف لعاطفة الصداقة فى المجتمع الانسانى اسمى مكان . واوصت الأديان من قبل بأن يحب الانسان لأخيه الانسان ما يحب لنفسه . ولكن مصطفى عبد الرازق يذهب الى ابعد من ذلك ،فيطالب الانسان بأن يحب لغيره أكثر مما يحب لنفسه . والواقع ان هذا طابع الحب الحقيقى ، فليس الحبُّ هوىً جامحاً يريد التغلب والامتلاك لكنه فضيلة تبتغى أن تعطى دائما ، وان تعطى من غير حساب .

والحب اذا فهمناه على هذا النحو وجدناه أمرا فى مقدورنا ، لانه مفطور فينا ، مغروس فى جبلتنا ، فلا نحتاج الى ايجاده ، انما نحتاج الى ازالة العوائق التى تقوم فى سبيله ، ومصدرها الأنانية والأهواء . واذن فالحب هو اصل كياننا ، وصميم وجودنا ، ولا حياة لنا بدونه .

الانسان منا جزءٌ من كلٍّ

وكان استاذنا رحمه الله يقول ايضا اننا جزء من كل ، وان واجب الجزء ان يعمل من أجل الكل ، والكل الذى ننتمى اليه هو الانسانية . فكان الاستاذ يود ان يتجه نظام التربية الى تقوية هذا الشعور ، شعور المحبة والتعاطف والتعاون بين أفراد الانسانية . وكان يرى ان علاج امراضنا الاجتماعية يقوم على اصلاح أخلاقى يبث بين الطبقات انسجاما ، ويوجّه النفوس الى الخير المركوز فيها، والى تقوية أواصر الرحمة، وتزكية عواطف الاريحية ، وتخليص القلوب منأدرانالحقد ومن رق الأنانية. وكان يقول : يجب ان يقوم بناء المجتمع على السماحة والسلام ، اى علىالشعور بأننا جميعا اسرة واحدة متآزرة أصلها واحد ومصيرها واحد .

فمذهب الأستاذ فى الحياة الفاضلة مذهب لا يرمى الى التشدد والتضييق والحرمان ، بل يدعو الى السماحة والاريحية والايثار ، وتلك أخلاق الاسلام ، وفيها أقوى تعبير عن روح البطولة التى تقوم على مجاهدة النفس وصونها من الانحدار فى تيار الشر والأنانية . ومصدر هذه الأخلاق مصدر « جوّانى » ، هو الوحى الاول ، وحيُ القلب وذلك هو منبع النور الذى يضيء للنفوس الكبار على الخصوص ، ويضيء لكل انسان يجيء الى هذه الدنيا . فكان الاستاذ يرى أن المهمة الكبرى للفلسفة هى ازالة كل ما يحاول ان يطفيء هذا النور او يحجب ضياءه وسناه .

واذن فرسالة استاذنا هى فى جوهرها رسالة اصلاح أخلاقى ، ترعى الفن الذى هو ارفع الفنون ، الفنّ الذى يصوّر الروح . ولقد لخصها هو نفسه فى كلمة استاذه محمد عبده : ان الحب فى عالم الانسان كالجذبة العامة فى العالم الكبير ، فهو الذى يمسك المجتمع ويصونه من البوار .

فاذا استلهمت النفسُ البشريةُ هذه الفلسفة الأخلاقية عرفت انها لم تولد لتفنى بعد حياة قصيرة على هذه الارض ، ولكنها « هبطت الينا من المحل الأرفع » كما عبر ابنُ سينا ، وجاءت من اللامتناهى ، فهى لاتقنع بما دونه مثوىً ومآبا . انها قبَس من نور الله ، فالى الله مرجعها فى دار الخلود .

ان نغمة هذه الفلسفة نغمةٌ عميقة هادئة ، رقيقة . انها نغمةٌ علوية قد تخطت حدود المكان والزمان، واتسقت مع النغمة الكونية الكبرىالتى هى نغمة سخاء وصفاء ، وهل هناك اسخى من

ان يمارس الأستاذ فلسفته تلك وأن يعيش عليها؟ وهل هناك اصفى من ان يتعلم الناسّ بسيرته ومثاله أن المحرك الطبيعي للانسان انما هو الأريحية والاحسان ؟

شخصيته الأخلاقية

بعد أن عرفنا شيئا عن فلسفة مصطفى عبد الرازق قد نتساءل الى أي مدىً كان الشيخ قادراً في حياته على أن يترسم هذا المثل الأعلى النبيل . وفي حديثنا عن الجوانب العديدة من شخصيته الأخلاقية ، أرجو أن أقنع المستمع بأن شخصيته كانت جديرة بفلسفته،وأن شمائله الفلسفية ،ونظراته الجمالية ، وانسانيته وتواضعه تساهم في تكوين صورة لرجل أُفعم قلبه رحمةً ونوراً .

صفاته الشخصية

يتفق المفكرون المنصفون سواء الشرقيون منهم أو الغربيون على أن مصطفى عبد الرازق كان فيلسوفا على الحقيقة ، أو بالأحرى « حكيما » فان حياته كلها كانت مفعمة بنوازع الخير ونبالة العواطف وبالتسامح والتواضع وضبط النفس .

ومنذ أكثر من نصف قرن توسم الأستاذ الامام هذه الصفات الجميلةَ في مصطفى عبد الرازق الشاب ، فكتب له رسالة يسأل الله فيها أن يديم اخلاصه في القصد وحبه للحق وأن يشد من أزره لدعوة قومه الى سبيل الخير والعمل النافع . وقد وضع الشيخ مصطفى عبد الرازق قلمه وصوته وحياته العاملة في خدمة القيم الروحية ومناصرة الحرية الفكرية في العالم الاسلامي ، متمماً بذلك الحركة التي تولى قيادتها الامام محمد عبده . ومن دلائل وفاء مصطفى عبد الرازق لأستاذه انه أيقظ فينا ــ نحن تلاميذه في الجامعة المصرية ــ الرغبةَ في التعرف على مذهب الأستاذ الامام ، وبعث في أرواحنا الشعلةَ التي تسلمها هو نفسه من أستاذه .

وقد كانت رحمة الأستاذ وسماحته صفتين واضحتين في موقفه من أعدائه ــ وما كانوا في الحقيقة الا حاسدين ــ فلم يكن يفكر قط في ايذائهم وان دسوا له أو تقولوا عليه . ذلك لأن ما انطوت عليه نفسه من مشاعر نبيلة وافكار سامية لم تدع لناظرَيه أن يقفا الا على ما هو حق وخير وجميل ، فحقق بذلك القول المأثور : الجمال في اعين الناظرين .

نظرته الجمالية

من الانصاف أن نشير الى جانب من حياة مصطفى عبد الرازق غير مألوف عند شيوخ المسلمين بصفة عامة والشيوخ الأزهريين بصفة خاصة : ذلك هو الجانب الجمالي في نظرته الى العالم . وليس عجيبا ان يهمل كتابُ السير هذا الجانبَ من جوانب حياة الشيخ ، لان آخر مناصبه الدينية العالية كان منصب شيخ الجامع الأزهر . وقد جرت أحكام العوام على أن تضع حواجز بين الدين والحياة ، وسوّلت لها الأوهام أن تتخيل تعارضاً بين الفن والاسلام . وقد اوضح الأستاذ الامامُ خطأَ هذا الزعم ، مبينا انه ناشىء عن انحراف في فهم طبيعة كل من الفن والدين .

وقد كان للشيخ مصطفى عبد الرازق روحٌ جمالية بينة ، فهو بالرغم من تحفظه وحيطته الطبيعية كان دائما شغوفاً بتوسيع خبرته في الحياة ، عاملاً على تنمية تفسيره الجمالي لها . وكان تفسيرُه، خِلافا للكثيرين ممن كانت لهم مثلُ تجاربه ، بعيداً عن نوازع الاستهتار ، لأن ما في طبعه من رقة ولطافة ، وفهم وتعاطف ، قد جعله يرىالجمال الذىلا تكشفه عيون المستهترين. وقد عبر مصطفى عبد الرازق عن تجاربه تعبيراً شائقا ، ففي بعض رسائله الأولى غير المنشورة وصف باريس وصفاً تحدث فيه عن الرسم والموسيقى والنحت والرقص والحدائق الغناء التي تمتزج فيها الابتسامات بالدموع . وهذه الرسائل وحدها كافية لتخليد المفكر الأديب الفنان أكثر مما خلدته محاضراته الجامعية عن الفلسفة والفقه وعلم الكلام .

تواضعه وانسانيته

تظهرنا سيرة الشيخ مصطفى عبد الرازق على انه كان متحررا من الزهو والبهرج الكاذب . فحين عاد من أوربا بادر الى ارتداء زيه الأزهري ، ولم يشأ ، حتى حين عُيِّن وزيراً للأوقاف ، أن يتخلى

عن زيه التقليدى ، فكان فى الحقيقة اول وزير معمم عرفته مصر فى القرن العشرين !

آثر الشيخ أن يحافظ على طريقة معيشته الاسلامية ، وابى ان يحتفل مع المحتفلين بمظاهر المدنية الأوربية والثقافة الغربية . وليس معنى هذا انه اراد أن ينبذ كل ما جاء عن الغرب : فالواقع ان الشيخ قد تمثل افضل ما فى ثقافة الغرب وعاداته خيراً مما تمثلها المتفرنجون الذين يتظاهرون بعلمهم للغرب . وهذا يكشف لنا عن حكمته العميقة وايمانه بان المكاسب الحقيقة للروح لا تحتاج الى ان تدق لها الطبول ، ولأنها مكاسب جوانية فقيمها تنبع من ذاتها .

وقد تجلت حكمته وروحه نفسها فى صلواته أيضا ، اذ كان يؤثر أن يقيمها سرا ، كما كان شأن أستاذه الامام محمد عبده ، حتى تكون خالصة لله لايداخلها رياء أو تظاهر بالتقوى .

★ ★ ★

خاتمة

وبعدُ فقد كان مصطفى عبد الرازق « صاحب رسالة من أجل الرسالات ، وهى رسالة التوفيق بين القديم والجديد ، وبين الشرق والغرب . وقد أعد لها اعداداً قل أن يُعدّ مثلَه رجل آخر ، واستطاع ان يُحسن اداءَها بحكمته وذوقه وتسامحه » .

ولقد ذكر الفارابى فى بعض كتبه ان الذى سبيله أن يشرع فى النظر الفلسفى « ينبغى ان يكون له بالفطرة استعداد للعلوم النظرية ، وهى أن يكون جيد الفهم والتصور ، ثم أن يكون محبا بالطبع للصدق واهله والعدل واهله ، غير جموح ولا لجوج فيما يهواه ، وأن يكون غير شره على المأكول والمشروب ، تهون عليه بالطبع الشهوات والدرهم والدينار وما جانس ذلك ، وأن يكون كبير النفس عما يشين عند الناس ، وأن يكون ورعا ، سهل الانقياد للخير والعدل ، عسر الانقياد للشر والجور ، وأن يكون قوى العزيمة على الصواب ... وأن يكون صحيح الاعتقاد لآراء الملة التى نشأ عليها متمسكا بالأفعال الفاضلة التى فى ملته ، غير مخل بكلها أو بمعظمها » .

وما نظننا مسرفين حين نلاحظ أن هذه الصفات النادرة التى جعلها « المعلم الثانى » صفات للفيلسوف الكامل ، قد تحققت فى أجلى صورها عند استاذنا مصطفى عبد الرازق . واذا كان محمد عبده قد استحق أن يكرمه تلاميذه ومريدوه فوصفوه بصفة « الأستاذ الامام » فقد استحق مصطفى عبدالرازق من جميع من عرفوه أن يلقبوه باللقب الذى ارتضاه الفارابى وهو « الفيلسوف الكامل » .

ستترك فلسفة مصطفى عبدالرازق آثاراً مختلفة جداً ، وذلك شأن كل فلسفة تتجه الى العقل كما تخاطب الشعور ، وتناصر العلم كما تقدس الدين . وقد تبدو صورة هذه الفلسفة غير واضحة المعالم أحيانا ، ولكنها فلسفة قد صيغت من عبير الحياة ونسماتها . وهذه النسمات تأتى من فوق ، واتجاهها بيّن صريح يحسه أصحاب القلوب .

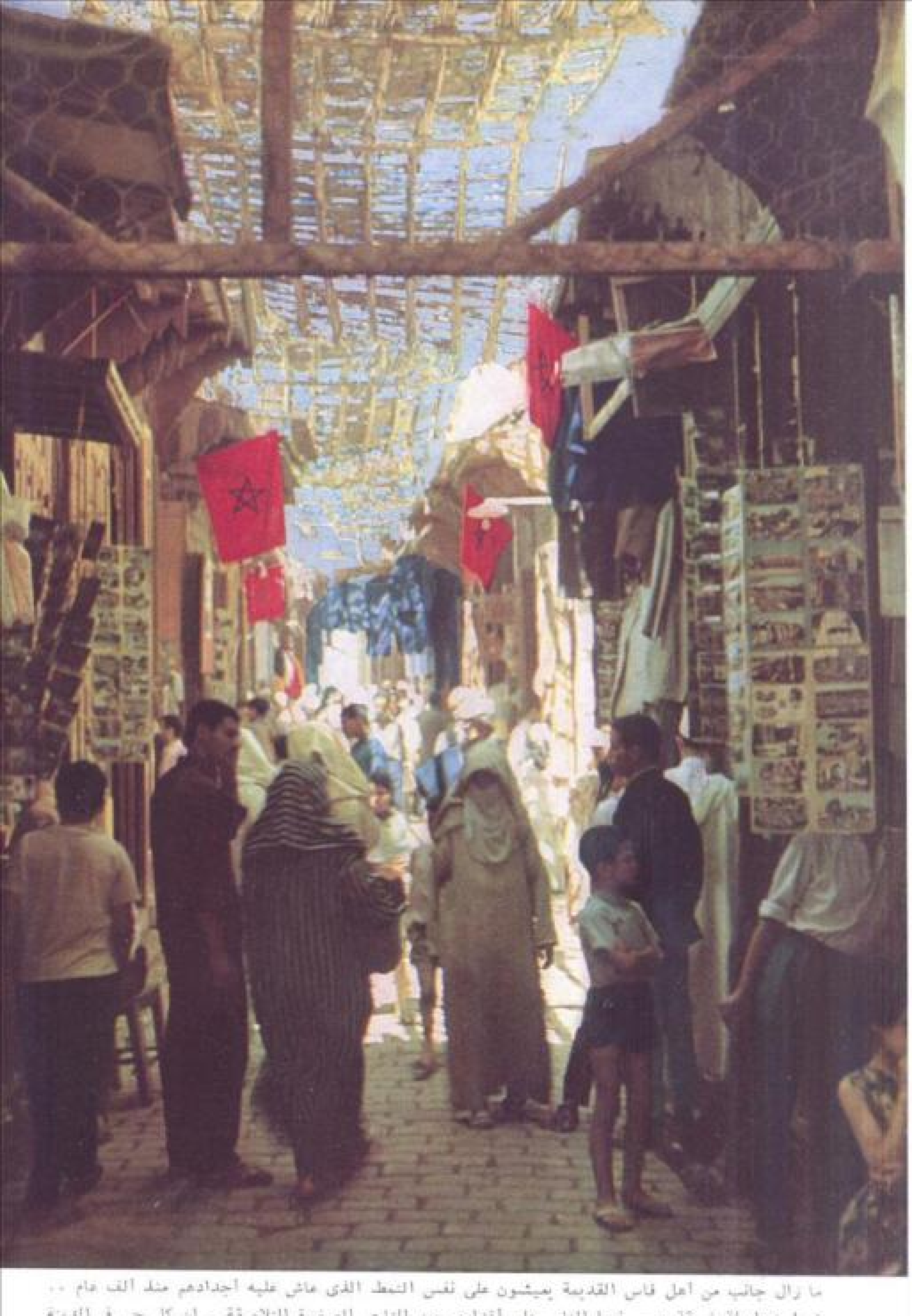
صحيح ان هذه الفلسفة قد تلقت بعض نفحاتها من التصوف الاسلامى ومن خطرات الأفغانى ومحمد عبده على الخصوص . ولكن يبدو لى مع ذلك ان الروح المبثوثة فيها روح جديدة . ومن يدرى؟ فلعل المستقبل يقول لأبنائنا ان المثل الأعلى الذى ينشده أستاذنا فى حياته قد سبق مثلنا الواهنة بأشواط بعيدة .

لقد خفت صوت مصطفى عبد الرازق منذ أعوام . وقد يرى البعض فى آرائه صدى لماض بعيد انقضى . ولكننى ما زلت أسمع صوت أستاذنا الشيخ كما أسمعه فى حلم جميل ، وهو يردد أنشودة الأمل والتفاؤل ، وما زلت أراه يتطلع ببصره الى مستقبل للانسانية أسعد من حاضرها .

هذه رسالة مصطفى عبد الرازق : وهى رسالة حب واحسان وسلام .

■■

عثمان أمين



ما زال جانب من أهل فاس القديمة يعيشون على نفس النمط الذي عاش عليه أجدادهم منذ ألف عام .. شوارع طويلة ضيقة يسير فيها الناس على أقدامهم بين المتاجر الصغيرة المتلاصقة . ان كل حي في المدينة له طابعه ورائحته الخاصة .. فمرة تنبعث رائحة العطور ، ومرة تفوح رائحة دبغ الجلود ؛ وشتان بين الرائحتين !! .. ان هذا « الجو » يسحر السائح الأوروبي ... ولكن ابن البلد يثور مطالبا بحياة

فاس

عاصمة الثقافة المغربية تشهد أول تخطيط لها بعد ألف عام

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال
وصوره
«اوسكار»



« فاس هبة واديها » . تمتلىء المدينة القديمة بسُبُل الماء . وأشهرها سبيل النجارين **(الصورة السفلى)** وحائطه مزخرف بالفسيفساء ، وكان الماء سببا في انتشار الأشجار حول المنازل **(الصورة اليمنى)** .





■ فاس .. ثالث مدن المغرب .. وعقله المفكر .. وعاصمته الثقافية .. ومتحفه الحي .. وينبوع العلم والتفكير .. ومهد الصناعات التقليدية .. و ... و ...

ألقاب ونعوت كان يُسَر لها ابن فاس ، فتندفع حمرة الخجل الى وجنتيه ، ويطاطىء راسه عند سماعها ، حتى اسموه:اكثر اهل الارض ادبا ..

ظلت هذه الاطراءات تسري كالمخدر في أعصابه : ينام ويستيقظ على نغماتها ، فلا يُبدل أو يُغير شيئا في مدينته

أو حتى فى طريقة حياته ..

بيوت فاس

ودخلنا بيوت فاس فوجدناها كبيوت المشرق العربي ، وبيوت الشام خاصة . فمن ذلك ان الشرفات والنوافذ تطلعلى ساحةالمنزل الداخلية بدلا من الشارع ..

وداخل هذه البيوت يعيش الاباء مع أبنائهم ، وزوجاتهم ، واحفادهم ، وخدمهم انه النظام الأبوى الكبير.. والكثير من هذه المنازل الخاصة مزخرف باجمل النقوش واروعها . والحديقة التى تتوسط الساحة الداخلية تزدان بزهور الياسمين وأشجار البرتقال التىيلعب حولها الاطفال والفتيات..ولقد دخل التليفون والتلفاز والثلاجة الكهربائية الى هذه الدور .. ان السعيد من اهل فاس هو الذى يملك منزلا فى المدينـــة ، وقبرا قرب ضريح أحد الأولياء الذين تعج بهم هذه المدينة ..



منظر لاحد منازل فاس القديمة ، انه ليس متحفا، بل منزلا عاديا يسكن فيه ابن فاسمعأسرته الكبيرة

والغريب فى هذه المنازل انك تجد أرضها مغطاة بسجاد من صنع مانشستر وتركيا وايران ، بينما صاحب البيت لا يبيع فى متجره سوى السجاد المصنوع محليا !!

التجارة فى فاس !

لقد استطاع أهل فاس أن يجعلوا التجارة جزءا من حياتهم فدخلوا سوق التجارة العالمية ابتداء من القـــرن التاســـع عشر ، فكان لهم وكلاء فى مانشستر بانجلترا وفى اسبانيا وايطاليا وفرنسا والمانيا وأفريقيا .. ومع هذا الاتصال الواسع ظلت عاداتهم على ما هي عليه دون اى تاثير على حالتهم الاجتماعية او المظهر الطبيعى لمدينتهم ..

« طريق الذهب »

ومما ساعد فاسعلى الاحتفاظ بمركزها التجارى موقعها الفريد عـلى ملتقى الطريقين الرئيسيين اللذين يربط أحدهما شمال المغرب بجنوبه ، ويربط الآخر مدن ساحل المحيط بجبـال ومدن الاطلس الداخلي ، تلك التى تؤدى الى بقية أجزاء الوطن العربى ونتيجة لهذا الموقع اتسعت تجارة فاس فازدادت أموال التجار، واخذ الذهب يتراكم فى غرف منازلهم الخاصة المقفلة ..

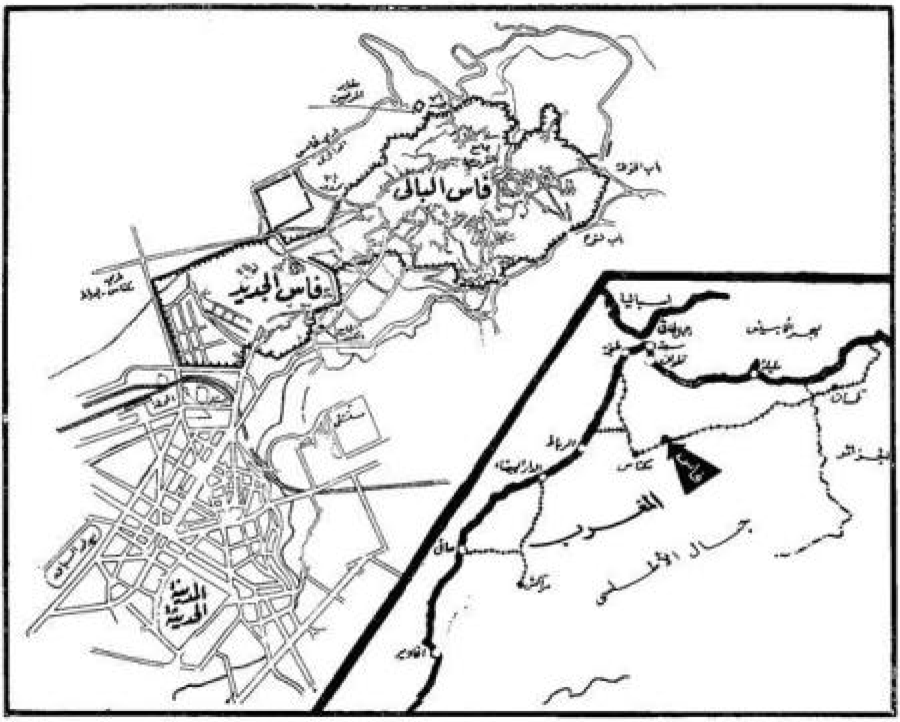
ولم يكن للفاسى منمصروف سوى مصروف منزله وعائلتـه وماكلـه الطيب المطهىّ عـلى الطريقـة الاندلسية ، كالسمك المحشي باللوز والفستق ، والملفف باللحم .. أو البسطيلة الطيبة الشهية وهى حمام محشى باللوز والجوز والبهار المرشوش عليها سائل حلو سكرى ..

فاذا بلغ أرذل العمر اوقف جزءا كبيرا من ثروته حينا على المساجد والاضرحة ، وحينا على مرضى العقول والعجزة ، وغير ذلك من أعمال الخير .

هكذا كان الناس يعيشون عيشة رتيبة هادئة ..

الاستعمار يعاقب فاس

وظلت فاس على هذا الحال عاصمة المغرب ، حتى جـاءت اول قوات اجنبية عســكرت تحت



خريطتان لفاس الأولى الصغيرة تبين موقع المدينة على الطريق المؤدى من الرباط الى الجزائر وتونس .. والثانية تبين مدينة فاس بمدنها الثلاث المختلفة : فاس البالى ، وفاس الجديد ، والمدينة الحديثة .. وتقع فاس على ارتفاع ٤١٥ مترا وهى مرتبطة مع جاراتها ، بطرق معبدة رائعة ، وسكة حديد تربطها بساحل المحيط،وبطنجة ، وبوجدة ، علىالحدود الجزائرية .. ولها مطار صغير متواضع !

أسوارها عام ١٩١١ بقيادة الجنرال جورو الفرنسى .. ولم تدخلها الا فى مطلع يونيو ١٩١٢ بعد معارك ضارية .

وأراد المستعمرون الجدد معاقبة فاس لعنادها ، وتعصبها ، وغيرتها الوطنية فعملوا على تفتيت قوتها ، فانتزعوا منهـا المركز السياسي وأعطوه للرباط جاعلين منها العاصمة السياسية الجديدة للمغرب ..

ونقلوا مركز الثقل الاقتصـادى الى الدار البيضاء ،جاعلين منها عاصمة البلاد الاقتصادية..

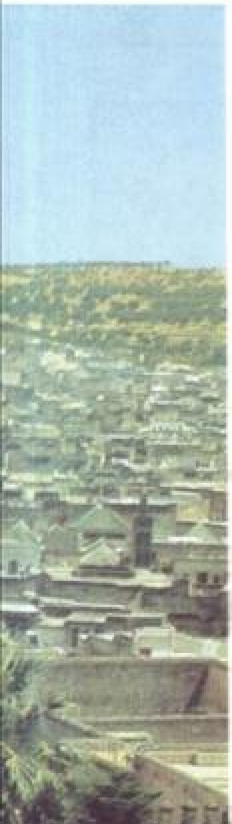
انتقام بعد ٤٤ عاما

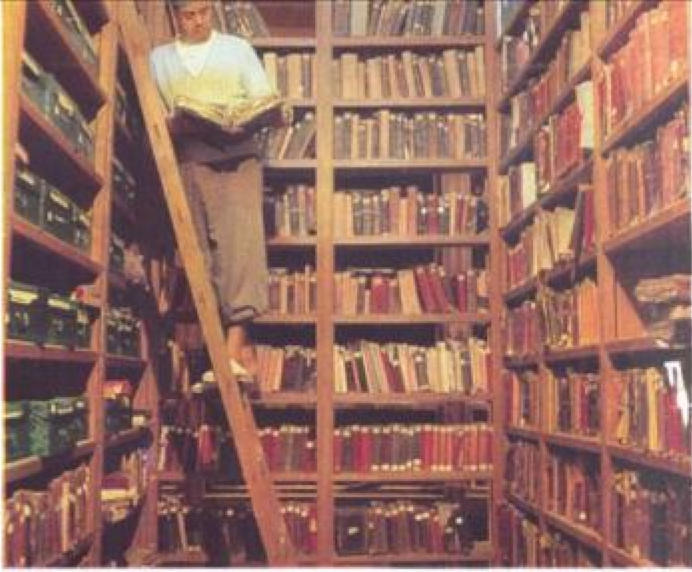
واحست فاس بما أصابها من تقطيع وظلم ، ورأت كيف ازاحتها الدار البيضاء عن مكانتها بحسبانها مدينة المغرب التجارية الأولى ..احست فاس بكل هذا ، ولكن كبرياءها وانفتها جعلاها تميل على جراحها تداويها وتخفيها ..

وبعد صبر استمر أكثر من ٤٤ عاما سنحت الفرصة امام فاس لتنتقم لنفسها .. فقد جلا المستعمر عن البلاد فى عام ١٩٥٦ وبدأ أتباعـه يتزحون الواحد تلو الآخر عارضين ممتلكاتهم ومصانعهم، وخاصة التى فى الدار البيضاء للبيع.

وكان أبناء فاس فى مقدمـة الذين انتهـزوا الفرصة ، فأخرجوا ذهبهم المكدس واشتروا به أغلب مصانع الدار البيضاء ..

ومن الناحية السياسية تطلب تشكيل الوزارة



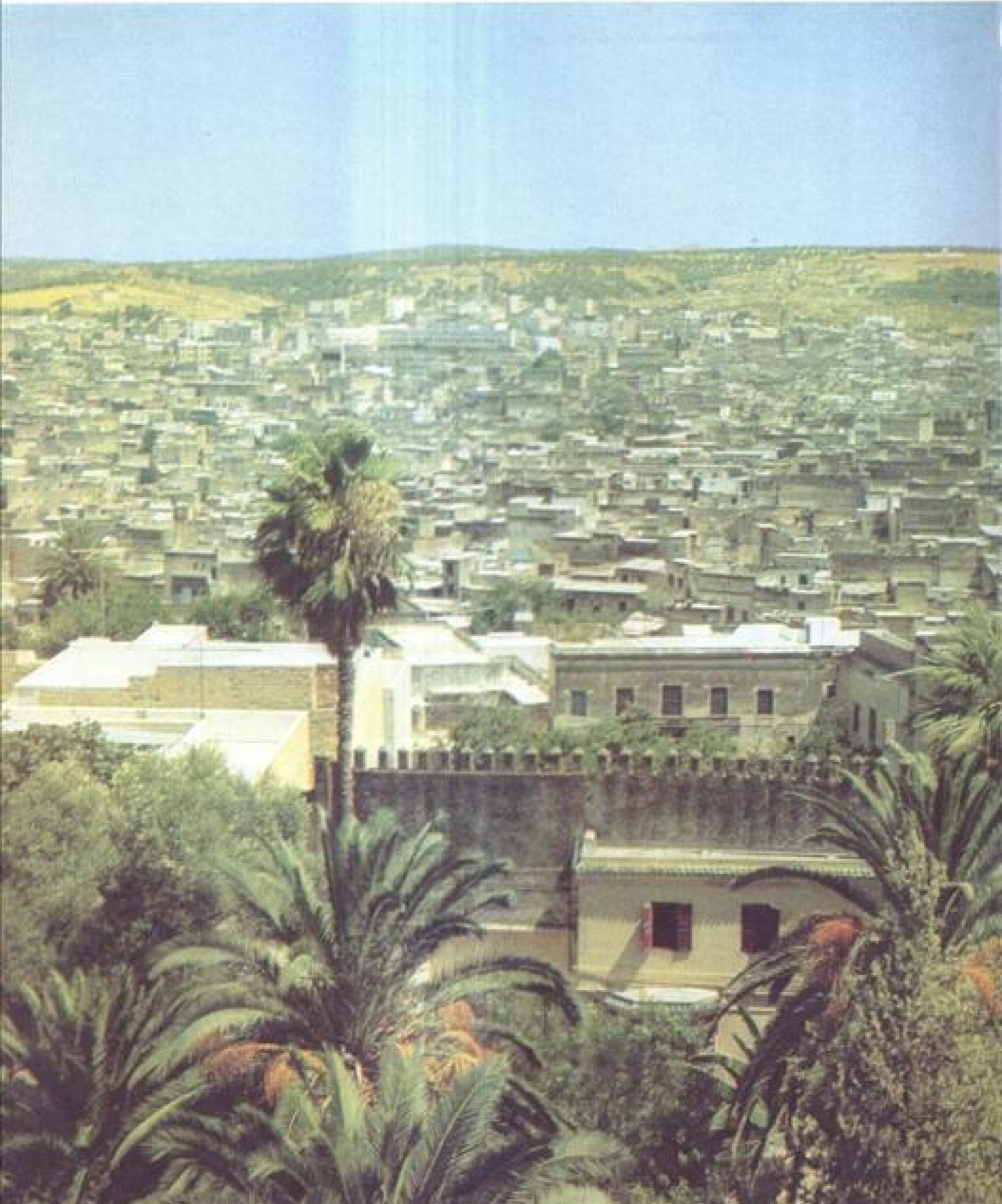


فى هذه الغرفة بجامعة القرويين ، وعليها الاغلاق دائما حرصا على ما فيها ، يتكدس عشرة آلاف مخطوط نادر لأشهر المفكرين والكتاب العرب ، كابن طفيل ، وابن رشد ، وابن خلدون ، وساعد البغدادى ، والجاحظ ، وغيرهم ..

الى اسفل : باب بوجلود أجمل وأشهر الأبواب الثمانية الرئيسية التى تؤدى الى المدينة القديمة .. وترى خلفه صومعة جامع بوعنان ..



مدينة فاس عمرها ١١٥٦ عاما

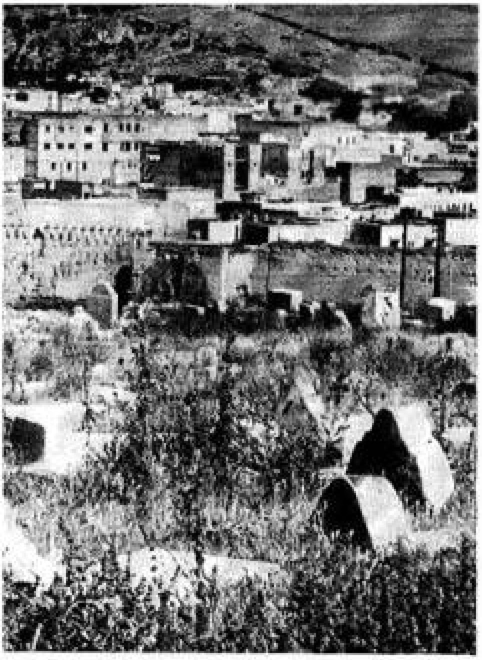


هذه هي فاس القديمة ، أو « المدينة » كما يسمونها .. وهي ليست موغلة في القدم كما يوحي بذلك اسمها .. فحتى عقبة بن نافع وموسى بن نصير لم يعرفاها لأنها لم تكن موجودة في عهدهم .. فبانيها هو ادريس الثاني ، بناها في ربيع الأول من عام ١٩٢ هـ (٨٠٨م) وإن كان البعض يحاول أن ينسب بناءها الى والده ادريس الاول .. ولم يثبت حتى اليوم قول صاحب « روض القرطاس » بوجود مدينة قديمة سابقة مكان مدينة فاس .. ان مدينة فاس هذه القديمة أصبحت اليوم تعج بالناس وتزدحم بالمباني المتلاصقة ، التي امتدت وارتفعت فوق الجبال المحيطة بها ..

الجديدة بعد الاستقلال وجود عناصر متعلمة وطنية .. ومن يكون أحق من خريجي العاصمة الثقافية بهذه المناصب ؟ .

وهكذا عاد اهل فاس فاصبحوا أصحاب الكلمة المسموعة فى السياسة والصناعة والاقتصاد .

واصبحت تسمع اليوم بعض الاصوات تطالب باعادة العاصمة الى مدينة فاس ..



صورة « فاس البالى » وفى المقدمة ظهرت قبور أخرى ، فتحاول حفظ أسماء مشيديها فيختلط عليك حتى لا يضيق أزقتها المديدة .. انها مدينة مازالت

المدينة المثلثة

ومدينة فاس هي ثلاث مدن متصل بعضها ببعض. الأولى يسمونها « فاس البالى » أو « المدينة » ، وهى المدينة القديمة التى بناها ادريس الثانى عام ١٩٢ هـ/٨٠٨ م ، وبها الحى العربى الذى اكتظ بالسكان . واشهر ما فيها ضريح مولاى ادريس ، وجامعة القرويين ، وآثار بنى مرين ،



حى الملاح حيث كان يسكن اليهود فى المدينة ، أما اليوم فأصبح معظم ساكنيه من العرب ...

والمدينة الثانية هى « فاس الجديدة » ، وليس فيها من جديد سوى اسمها لأنها جديدة بالنسبة للمدينة القديمة ، أما عمرها اليوم فيزيد على ٨٠٠ عام وفيها « قصر السلطان » مع توابعه من المبانى ، ومقبرة الملوك العلويين ، والحى العربى، وحى الملاح الذى كان يسكنه اليهود ... انها مدينة مبعثرة لا هندسة فيها .

وثالثة المدن هى المدينة الاوروبية الحديثة التى بدأت تظهر فى عام ١٩١٦ حول تكنات القوات الفرنسية فجاءت مثل زميلتها ، فاس الجديدة ، دون رونق أو جمال هندسى ..

ومنذ عام ١٩٥٠ بدأت مدينة رابعة فى الظهور. انها مدينة عربية حديثة ظهرت بجوار المدينة الأوروبية ..

هجرة اسبوعية

ويحاول أبناء المدينة القديمة الهرب دائما من تقاليد وعادات مدينتهم، فيقصدون فاس الأوروبية المتفتحة والمسايرة لروح هذا العصر ..



المرينيين ، ويحيط بالمدينة القديمة سور حجرى قديم ما تكاد تخترقه حتى تجد سورا آخر وبوابة الأمر لتشابكها وتلاصقها .. انها تحمى مدينة قديمة يستحيل على الغريب أن يسير فيها الا ومعه الدليل تعيش داخل الأسوار لترضى حفنة من السياح الذين « يبهرهم » و « يسحرهم » هذا الجمال القديم !!

ويأخذ هذا الهرب شكل هجرة منظمة تستطيع أن تشهدها مساء كل يوم جمعة وانت جالس على مقهى من مقاهى شارع محمد الخامس .. ان مركز الثقل ينتقل فى هذا اليوم من قلب « فاس البالى » الى ميدان وشارع محمد الخامس بالمدينة الاوربية ، فيجلس الناس على المقاعد الحمراء للمقاهى المتناثرة فى الميدان يشربون الشاى الاخضر بالنعناع ، والى جانبهم السياح يشربون عصير الليمون أو البرتقال .

ويرتفع صوت السياح كل واحد منهم يسأل زميله عن كيفية رحلته فيرد عليه : الطريق ممتاز من طنجة ، ويجيب الثانى : وكذلك من الرباط ، ويرتفع صوت ثالث : .. لقد خيل لى انى اسير فى الجنة وانا امر بين أشجار البرتقال فى طريق مكناس ــ فاس ..

وتختلط أصوات السياح بصوت بائع اللوز المحمص وهو ينادى على بضاعته : « شو لى زاموند » اى : « اللوز الساخن .. » ويعقبه ماسح الأحذية يطرق بفرشاته صندوقه الخشبي الصغير ليثبت وجوده ، ويقول : « سيرى .. سيرى مونسيو .. كو دو بروس » وهى كلمات فرنسية دخلت الى اللهجة العامية ومعناها : « تمسح .. تمسح سيدى .. ضربة فرشة » .

عاصمة الثقافة بدون صحافة

ويندس بائع الصحف عارضا عليك صحفا مغربية باللغة الفرنسية Vigie, Petit Marocain ، LA NATION ، وصحفا مغربية عربية كجريدة « العلم » و « المحرر » . ومن المؤسف ان عاصمة الثقافة والعلم ليس فيها صحيفة واحدة ، ولو محلية ، انما تأتيها الصحف من الرباط ، والدار البيضاء ، وطنجة .

ومن الطريف أن اغلب الذين يحررون هذه الصحف هم من ابناء فاس نفسها .. وقديما ظهرت فى فاس بعض الصحف والمجلات ولكنها اندثرت .





شارع الحسن الثاني : اجمل شوارع فاس واكثرها اتساعا .. في اوسطه يندفع مجرى رفيع من الماء وسط صفين من اشجار النخيل .. ويضم هذا الشارع ، على احد رصيفيه ، الكثير من مباني الإدارات الحكومية ، بينما يغص الرصيف الآخر بالمتاجر والعمارات السكنية المرتفعة ..



الى اليسار : أكبر ساحات مدينة فاس الحديثة كان اسمها ساحة «ليوتي» أول مقيم فرنسي بالمغرب، وبعد الاستقلال اسموها ساحة «يعقوب المنصور» . وفي ٧ مارس ١٩٦٣ اسموها ساحة «فلورنسا»، بعد التوقيع على ميثاق التآخي والتوأمة بين مدينة فلورنسا في ايطاليا وفاس في المغرب .. وفي ايطاليا ابدلوا اسم نهر لارنو LARNO فجعلوه نهر فاس .. ان الروابط التي تربط بين المدينتين كثيرة ، فكلتاهما عاصمة ثقافية .. وفاس مليئة بالجوامع ، وفلورنسا مليئة بالكنائس .. وفلورنسا محاطة بالجبال وفاس محاطة بجبال زلاغ (**الصورة اليمنى**) .



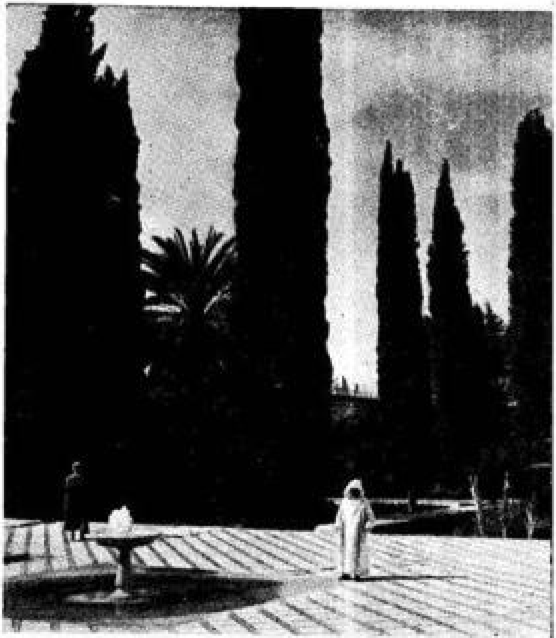


الى اليسار : يبلغ عدد فنادق فاس ٢٠ فندقا أغلبها من الدرجة الاولى ، مثل فندق زلاغ .

واش .. لا بأس

ويشترى احد الشباب الجالسين فى المقهى صحيفة باللغة الفرنسية من البائع يبدأ فى قراءتها بصوت مرتفع لوالده العجوز ، الذى يفهم الفرنسية ولكنه لا يقرأها .. واغلب اهل فاس يجمعون بين الثقافتين العربية والفرنسية ... ويمر احد الاصدقاء ، فيقطع الشاب قراءة الصحيفة ويقف لصديقه فيتبادلان القبلات على الخدود ، ثم تبدأ التحيات الطويلة : « شخباركم .. ؟ واش .. لا بأس .. الله يحفظكم .. الله يهنيكم .. بارك الله فيكم .. » .

وينصرف الصديق ، ويعاود الشاب الجلوس على مقعده الأحمر ليتابع قراءة الصحيفة لوالده الذى يصغى اليه بانتباه، واضعاساقا فوق ساق، عارضا تحت جلابيته النظيفة جواربه الحريرية المرفوعة « بالاستيك » ذى المشابك البيضاء . وبين الفينة والأخرى يرشف رشفة من كوب



متحف دار البطحاء ، أجمل ما فيه هو حديقته المنسقة على النمط الاندلسي ، أما معروضاته فقد نقلوا معظمها الى المتاحف الأخرى .

الشاي الأخضر ، ويتطلع الى السيارات وهي تمر وتتقاطع فى الميدان دون حاجة لشرطى مرور او اشارات ضوئية ، فالاولوية دائما للقادم من اليمين وللمشاة الذين يعبرون الطريق فى الأماكن المخصصة لهم .

لثام ملون

ويتجه هؤلاء المشاة الى الأرصفة يسيرون عليها متزاحمين على اختلاف هيئاتهم دون هدف معين او محدد .. السيدات يرتدين الجلباب المخطط الطويل الذى يخفى كل اجزاء جسمهن ، ويضعن اللثام الاحمر او الأصفر او الأزرق فوق فمهن وانفهن . وفوق ظهورهن يحملن اطفالهن داخل محرمة او منشفة مربوطة الى صدورهن ، وبايديهن يمسكن بقية الأطفال الصغار .

زرابى ونحاس وجمال ..

والى جانبهن يسير بائع الزرابى - السجاد - حاملا بضاعته الملونة على ظهره ، بعضها مصنوع بايدى البنات الصغيرات فى المصانع الثلاثة الموجودة فى فاس ، وبعضها مصنوع بأيدى نساء القبائل التى تعيش فى جبال أطلس ، ويطلق على هذا السجاد اسم القبيلة التى أتمت صنعه مثل بنى مطير ، وبني مجلد ، وزيان .. ويقبل السياح بشراهة على شراء هذا النوع من السجاد الجبلى لتلاؤم رسومه الهندسية مع تصميم الأثاث الحديث.

ومع بائع السجاد يسير دائما بائع النحاس الاصفر والأحمر ، ومن بعدهما بائع الجلد المنقوش ..

ووسط هذا الزحام تمر احدى السائحات الرائعات الجمال ، مرتدية سروالا ضيقا ، وقميصا احمر مفتوح الظهر . انها تسير مطمئنة لا يلتفت اليها احد ، فقد تعود ابن فاس على مشاهدتهن وأدبه يمنعه من التطلع اليهن أو مغازلتهن ..

وخلف السائحة تشهد مجموعة من الفتيات يرتدين احدث الثياب ويتحدثن بلغة فرنسية خالصة ، وسرعان ما تكتشف انهن من بنات الجيل الجديد لمدينة فاس ، اللواتي خلعن اللثام وطرحن الجلابة ..



تقوم بلدية فاس ، وهى أنشط بلديات المغرب ، بانشاء مدينة سياحية ، رياضية ، تضم بحيرة صناعية طولها ٢ ١/٢ كيلو متر وعرضها ١٥٠ مترا للتزلج والالعاب المائية والاستحمام ، كما ستضم ناديا لسباق الخيل ، ومسرحا واسعا ، واستادا يتسع لخمسين ألف متفرج ، ومبانى لاقامة المعرض السنوى لمدينة فاس .. ونرى هنا العمال ، وعددهم ٥٠٠ عامل ، يقومون بحفر البحيرة الصناعية بجوار وادى فاس الغنى بالمياه ..

تخبط وحيرة

ان الوقت يمر ، بالنسبة ليوم الجمعة ، والناس جلوس لا يتحركون منذ ساعات ، وكأن الزمن لا قيمة له عندهم ، بينما تقف عند طرف المقهى مجموعة من الشباب تنتظر بصبر نافد فرصة خلو مقعد لتجلس عليه ..

ان أهل فاس يتوجهون عادة الى الأماكن السياحية الموجودة حول مدينتهم كحمامات سيدى حرازم المعدنية ، وقباب بنى مرين ، والسهول المحيطة بنهر سبو ، وعين موزار المصيف الجميل، وعين الشقف وغيرها . ولكن البعض الآخر يفضل قضاء يوم الجمعة على مقاعد مقاهى فاس الجديدة، فالنوادى معدومة والشباب لا يعرف فى اى طريق يسير . انه يمر بفترة انتقال صعبة . انه يتعصب لقديمه ، ولكنه فى نفس الوقت لا يعتقد بأن هذا القديم كله خير أو كله شر .

ان بريق الحضارة الاوروبية ، وخاصة الفرنسية ، يبهره ، ولكنه يخافه ويخشاه ، فهو فى قرارة نفسه ، لا يريد من هذه الحضارة سوى مظاهرها الاقتصادية والتكنية ، ولكن ليس كل ما يتمناه ابن فاس يدركه، فمظاهر الحياة الفرنسية تغلغلت، بالرغم منه ، فى بعض المجتمعات الفاسية نتيجة لاحتلال دام ٥٢ عاما . ولحب التطور فى هذه المجتمعات التى جعلت من اللغة الفرنسية لغة التخاطب فيما بينها ..



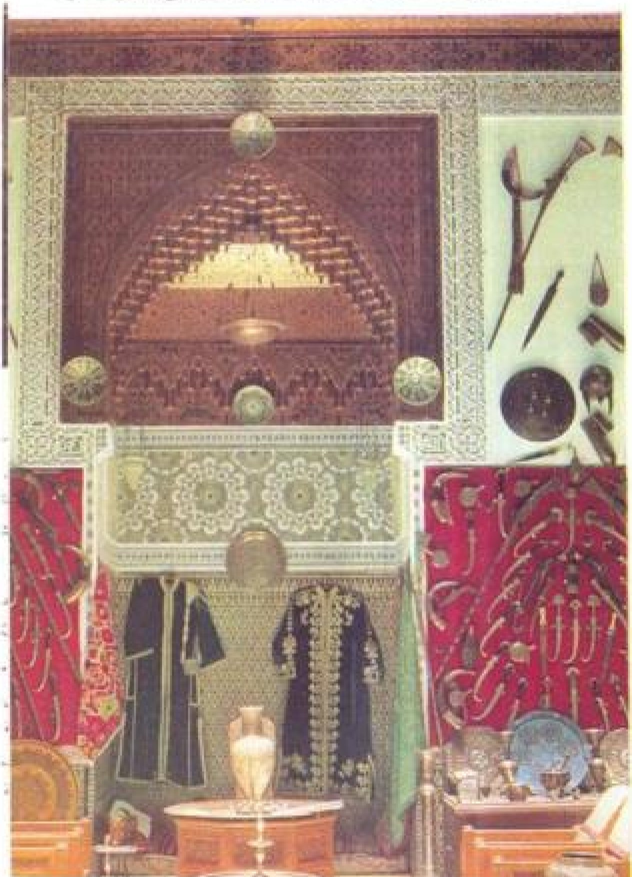




كانت فاس الحديثة خالية من المساجد، وبعد الاستقلال بني هذا المسجد الذي جاءت هندسته خليطا من الفن الاندلسي والفن الحديث



تقدم الاذاعة المحلية في فاس الاغاني والطقاطيق الشعبية التي يطرب لها ابن المدينة وابن الجبل على السواء . ويرتدي افراد الفرقة الشعبية ملابسهم التقليدية الجميلة اثناء عزفهم على « الكنشري » وهي آلة موسيقية مصنوعة من جلد الماعز واغصان شجرة الدفلة . .



الى اليسار : يقبل السواح على شراء الاسلحة والملابس المغربية القديمة ، التي يقدمها لهم صاحب هذا المتجر وبعد شرائها يدفعون له ثمنها وهو يتولى شحنها

الى اليمين : تنتشر المقاهي في شارع محمد الخامس ،واليها يجلس ابناء وبنات فاس ، الى جانب رجال الارياف والجبال دون تمييز ، يشربون خلالها الشاي الاخضر ، والليمون الحامض المعصور . .

وجعلت من الصحف والمؤلفات الفرنسية صحفها وكتبها المفضلة ..

والمتاجر فى فاس الحديثة أغلبها ، ملك للمستوطنين والمعمرين الفرنسيين ، الذين فقدوا اعصابهم فى الأيام الأخيرة بعد ان اصبح فى حكم المؤكد أن تنتزع منهم الاراضى الزراعية ، التى اخذوها مجانا من سلطات الاحتلال ، والآن جاء الدور ليردوا ما كان لابن فاس لابن فاس .. ولكن هذا الاجراء لم يصادف هوى وقبولا لدى معظم الفرنسيين المقيمين فى فاس والمغرب عموما ، فقر قرارهم على ترك البلاد نهائيا ..

وانعكس تصميمهم هذا على الحركة التجارية فى شارع محمد الخامس . فمعروضات المتاجر لم تتغير منذ أمد طويل .. والبضائع التى تباع لا يستورد بديل لها .. والمتاجر اصبحت شبه خاوية .. ومع هذا ترتفع اللافتات تعلن عن «الركلام» و «التنزيلات» و «التصفيات» .. وترتفع نغمات موسيقى الجاز صاخبة لتلفت أنظار المارة ، الذين ملوا من تكرار رؤية المعروضات فانصرفوا عنها . وعلى العكس يتدافع الناس على محلات الحلويات والمرطبات ..

مقهى وسينما

والاسعار فى فاس الحديثة غالية رغم هذا الركود المخيم الذى دخل مرحلة حاسمة . فالناس لا يشترون ، والتجار لا يبيعون . لقد مضت ثمانى سنوات على هذه الحال ، ظل التجار الفرنسيون خلالها يعملون على تصفية محتويات محلاتهم ، حتى أصبحت معروضاتهم اليوم نفاية للبضائع القديمة ..

ويظل شارع محمد الخامس وميدانه ومقاهيه عامرين بالجماهير حتى التاسعة مساء ، حين يدوى عاليا رنين جرس كهربائى فى الميدان ، فيتدافع الناس صوبه .. انه جرس دار السينما يعلن عن بدء عرض الفيلم ..



أينما ذهبت فى المدينة الحديثة تصادفك لافتات كبيرة ، علقها أصحاب المحلات على واجهات متاجرهم ، لجلب انتباه الجماهير الى « التصفية » التى تجرى فى محلاتهم !



فى مطلع عام ١٩٦٠ وضع الملك الراحل محمد الخامس ، حجر الأساس لمصنع الغزل والنسيج (كوفيتكس) ، وكانت هـــذه البادرة بمثابة انطلاقة نحو تصنيع فاس بالمصانع الحديثة بعد أن اشتهرت بصناعاتها اليدوية التقليدية ، التى تحول أصحابها الى المصانع الآلية يعملون فيها ، فمثلا هذا المصنع ، الذى يضم ١٧ ألف مغزل ، يعمل فيه ٣٠٠ عامل كانوا يعملون على الأنوال اليدوية . ورغم الانتاج الكبير لمصانع المغرب ، فان هذا الانتاج لا يسد سوى ٤٠٪ من حاجة البلاد .

وهكذا ينتقل الناس من المقاهى الى دور السينما .. اما السهرات فلا تقام الا فى المجال الخاص بين أبناء فاس أنفسهم ، أو بين القيمين فى الفنادق الفاخرة ..

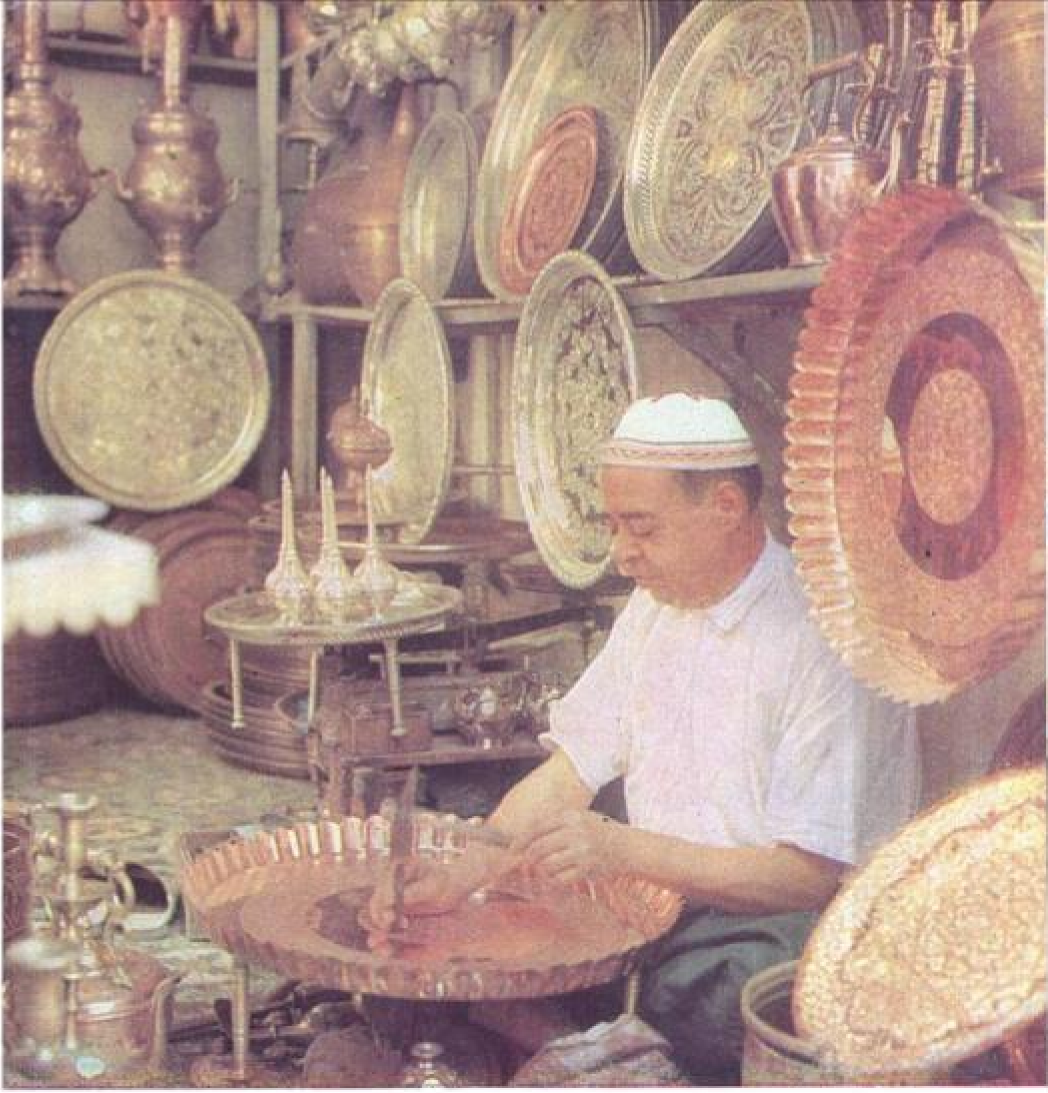
وما يكاد النهار ينتهى حتى يعود « المهاجرون » الى منازلهم فى المدينة القديمة وتنتهى هـــذه الزيارةالتى لا تدوم أكثر من ٧ ساعات كل اسبوع.

تصدع المجتمع الفاسى

ولكن الهجرة الحقيقية الخطيرة التى أضرت بفاس ونسفت مجتمعها فكانت هجـرة المثقفين من أبنائها ، الذين عندما دعاهم نداء الوطـن ليصبحوا وزراء وسفراء وحكاما للمدن والأقاليم لبوا النداء ، وتركوا مسقط رأسهم للاقامة قرب عملهم ..وبالطبع أخذوا معهم زوجاتهم وأفـراد عائلاتهم ، مما جعل المجتمع الفاسى فقيرا من ناحية العناصر الانسانية التى كان يعتمد عليها ، فاختل تبعا لهذا التوازن الذى كان قائما فى هذا المجتمع. فانهارت الجمعيات النسائية ، وخلت البيوت القديمة من أصحابها ، ولم يعد الكرم الفاسى القديم يتجلى كما كان فى السابق ، لأن افـراد المجتمع الجديد ليسوا كلهم من أبناء فاس ، انما هم أفراد جدد ، يمثلون مجتمعا جديدا دخـل الى فاس ..

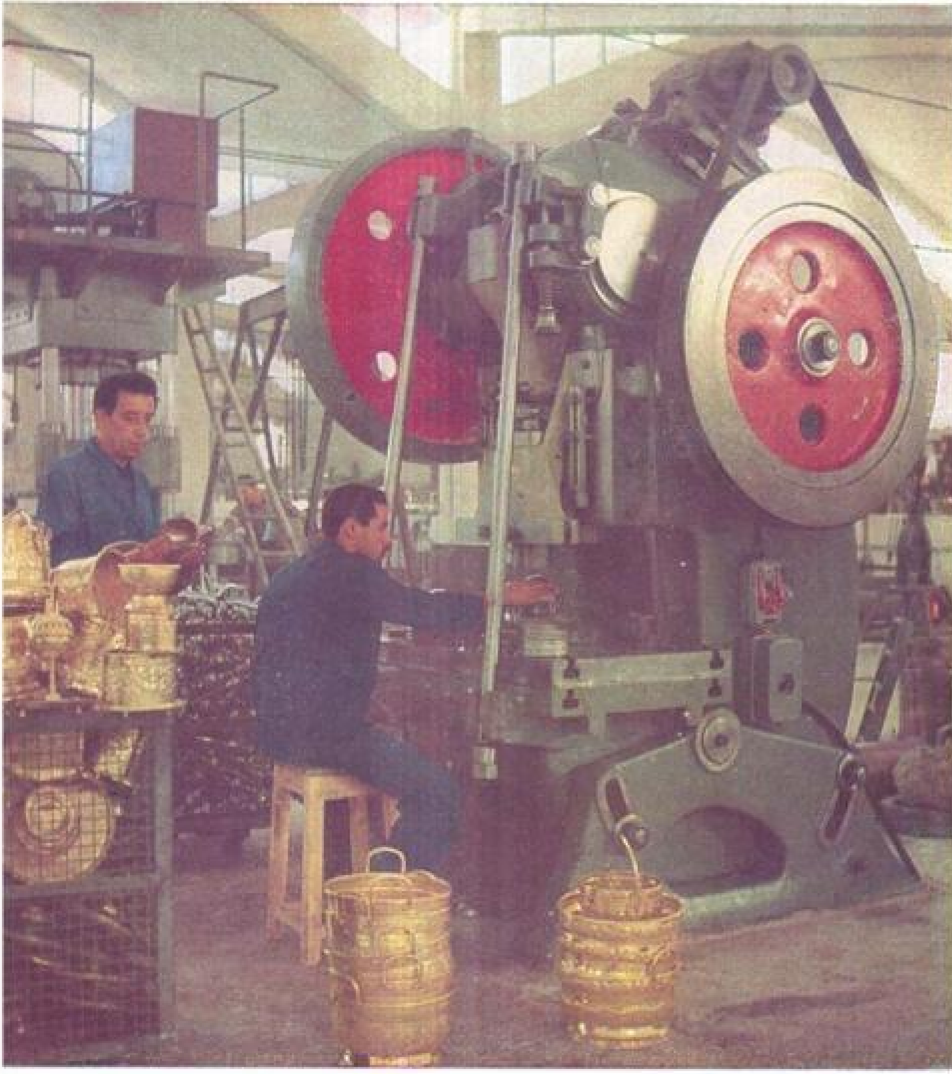
الطاجن ينتقل الى طنجة

وكان أهل فاس يفتخرون « بالطاجن » الذى يصنعونه ، ويضربون الأمثلة على كرمهم بقولهم :



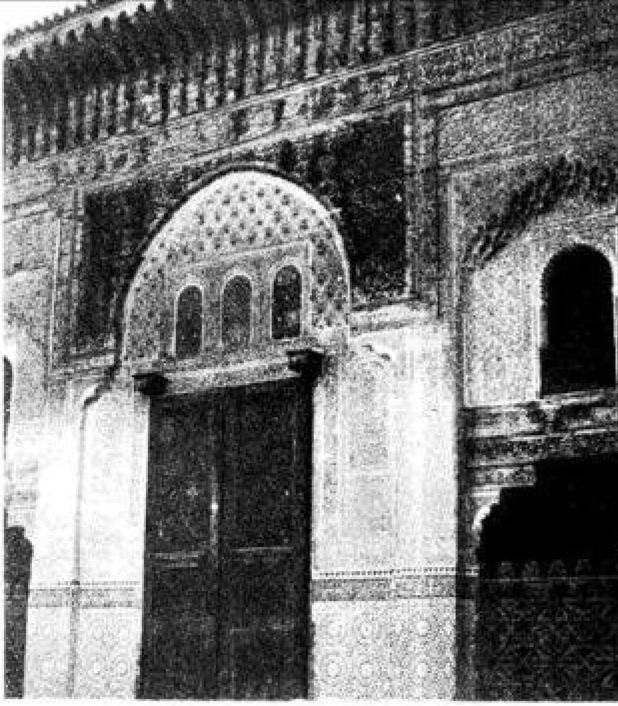


ذ ٤٥ عاما والحاج محمد بن جلثون جالس جلسته
ه، يطرق النحاس بمعدل ٦٠ طـرقة في الدقيقة ،
يزخرف الصواني النحاسية بدقها بأشـكال الاوراق
الزهور والحروف الكوفية . ان اكمال زخرفة الصينية
واحدة يحتاج منه الى جهد اربعة ايام كاملة .. وتختلف
واق الناس في اختيار الوان الصواني ، فالأحمـر
الأسـمر يباعان في الأسواق ؛ بينما النحاس الملقم بالفضة
يبيضاء لبتاعه العائلات .. والاقبال على المصنوعات
يدوية كبير ، ومع هذا فان أغلب الانتاج يُصدَّر الى
جزائر وفرنسـا وألمانيا ، وتفضل الأخيرة النحاس القديم
داكن ... لقد قام الحاج ابن جلثون اخيرا بزيارة
مشق وعاد منها وهو يقول : ان افضل صناعة للنحاس
.. صناعة فاس دون منافس !!



عجز الانتاج اليدوي من المصنوعات النحاسية عن سد
حاجة المغرب ، فلجأ التجار الى استيراد المباخر
والمرشات ، والقناديل من مصانع فرنسا وانجلترا
بأسعار عالية .. ولكن الحاج عبد الهادي التجشوعت
وهو صانع من صناع النحاس التقليديين (وراه وا
في الصورة العليا) فكر في انشاء مصنع ينتج نفس ه
المصنوعات اليدوية ، ولكن بالآلات .. ونجحت الفكرة
بمساعدة الحكومة ، فاصبحت مساحة المصنع ٨٥٠٠ م
مربع ، ويعمل فيه ١٠٠ صانع من الصناع التقليديين
ينتجون يوميا الف قطعة مشابهة للمصنوعات اليدوية
ورغم هذا الانتاج فالمطلوب أكثر من المعروض .. والى اليمين
تبدو مجموعة من الاواني النحاسية التي تم صنعها بالآلة





مدرسة أبي عنان : أجمل الآثار الفنية التى خلفها المرينيون . لقد شيدت هذه المدرسة بأمر السلطان أبي عنان فى عام ١٣٥١ م . وهى مزخرفة بالمرمر ، والزليج ، وخشب الأرز الجميل المنقوش ..



تشتهر فاس وضواحيها بزراعة
المحصول عن حاجة استهلا
الى الرباط والدار البيضاء .
الجنوب الحار قرب أجادير

الماء عند الشاون (مدينة فى الشمال) ..

والجلسات عند تطوان وطنجة ..

والطاجن (أى المآدب والمآكل) عند اهل فاس !

واليوم أصبحت طنجة هى التى تقدم «الطاجن» ، وانتقلت الجلسات فقط الى فاس !

والى جانب هجرة أبناء فاس هاجر الفرنسيون من المدينة الأوروبية ليحل محلهم ابن فاس المقيم فى المدينة القديمة ، وقد قدروا ما دفعه أبناء فاس فى هذا الانتقال بمبلغ ٣ مليارات فرنك فى الثلاث السنوات الماضية .

لكى يكون حكمنا صحيحا

ولا يمكن أن يكون حكمنا على فاس حكما صحيحا اذا ركزنا اهتمامنا فقط على الحياة المعقدة فى المدينة الأوروبية وشارع محمد الخامس ، لهذا يتحتم علينا أن نترك هذه المدينة الحديثة ونتجه الى فاس القديمة لنشهد الحضارة العربية الاسلامية التى ما زالت تصبغ كل شارع وكل حى ، دون أدنى شائبة أو اختلاط ..

انها مدينة من مدن القرون الوسطى لم تمسها يد التعديل أو التغيير .. حتى أن المرشال ليوتى ، أول حاكم فرنسى ، عندما دخلها بهره جمالها فمنع مسها أو هدمها .

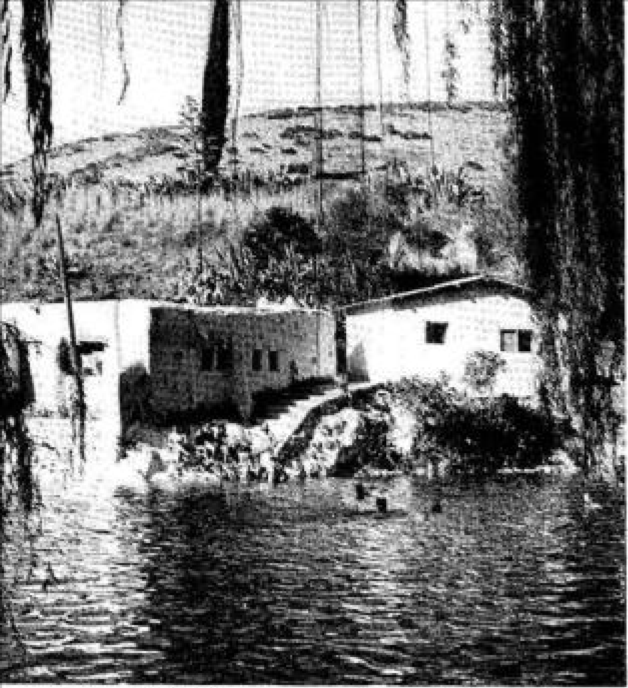
كرامة المدينة

واليوم لم يعد ابن البلد يستطيع صبرا على العيش داخل هذه المدينة القديمة التى لا يسمح بالسير فى طرقاتها الا للمترجلين والحمير والبغال .. حتى أن كتاب المرشد الأزرق Guide Bleu يقول لك : « اذا أردت استئجار بغل لتتجول فى المدينة القديمة فاحجزه من موظف الاستعلامات بالفندق » .

وهذا منتهى الامتهان لكرامة مدينة فى القرن العشرين ، لأن فاس القديمة ليست متحفا ، أو



الدلاع ـ البطيخ ـ ويزيد نائج المدينة ، فيصدر الفائض الى وفى الشتاء ينمو الدلاع فى فتستورد فاس حاجتها من هناك



على مسيرة دقائق من فاس تقع عيون الشقف ، وهى عيون مياه معدنية تنبع من كل مكان فى الارض فتكون بركة سباحة طبيعية يقصدها أهل المدينة للسباحة فى مياهها الصحية ..

معرضا للحياة القديمة ، بل هى مدينة تنبض بالحياة الحقيقية ، اذ يعيش فيها ٢٠٠ ألف نسمة يسكنون نحو ٢٠ الف منزل !

مزادات غريبة

انها مدينة مليئة بالمتناقضات ، فهى شعلة من الحركة وقطعة من الخمول فى نفس الوقت !

وهى آية للنظافة ومثال للقذارة فى آن واحد !

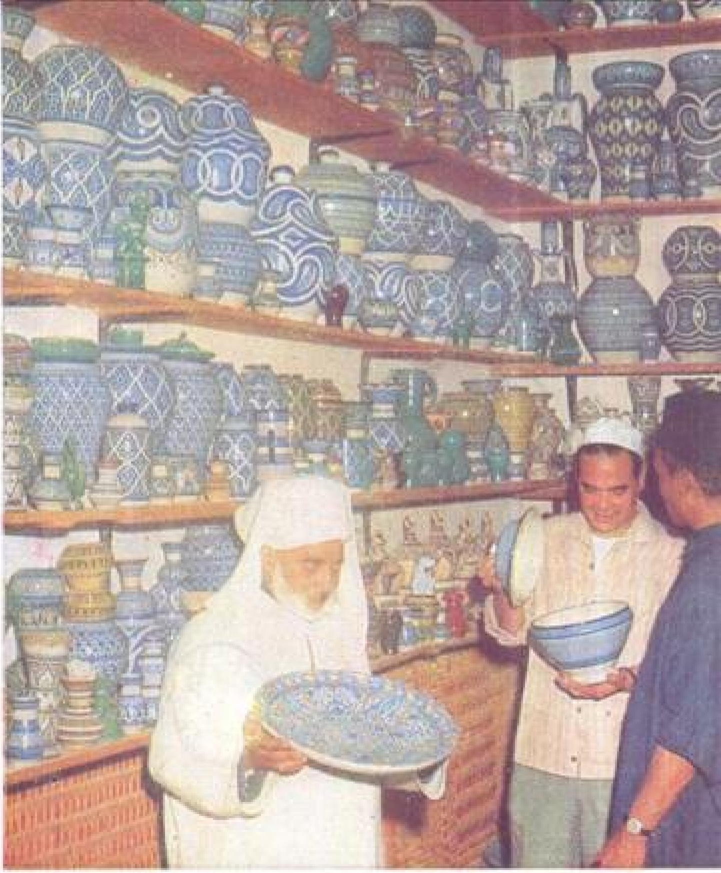
كل سوق من أسواقها له طابعه ، وأصواته ، وحركته الخاصة .

وأجمل ما فى هذه الأسواق هو سوق البيع بالمزاد العلنى .. ويبدأ البيع بأن يحمل احدهم مجموعة من الأوانى النحاسية يسير بها مناديا ومدللا بصوت مرتفع ، ويقف عند بوابة احد المتاجر يعرضها على صاحبه ، فيأتيه صوت من الداخل محددا سعرا للسلعة ، ويقف المنادى برهة ، وكأنه يسجل الرقم فى ذهنه ، ثم يتابع سيره ثانية مناديا على بضاعته من جديد ، عارضا اياها على المارة .. والمزايدين المتراكمين فى الشارع الضيق .. ويصطدم المنادى وهو فى زحمة من الناس بمناد آخر يعرض مجموعة من أكواب الشاى الزجاجية الملونة ، ولكنهما لا يحفلان بالاصطدام، وانما يتابع كل واحد منهما المناداة على بضاعته.. ويعودان ثانية ، وثالثة .. وأخيرا يتوقف حامل الأوانى ، عند بوابة احد المتاجر التى سبق أن مر عليها ويبيع لصاحبها أوانيه بالمبلغ الذى سبق أن حدده له .

أسوأ ما شهدنا

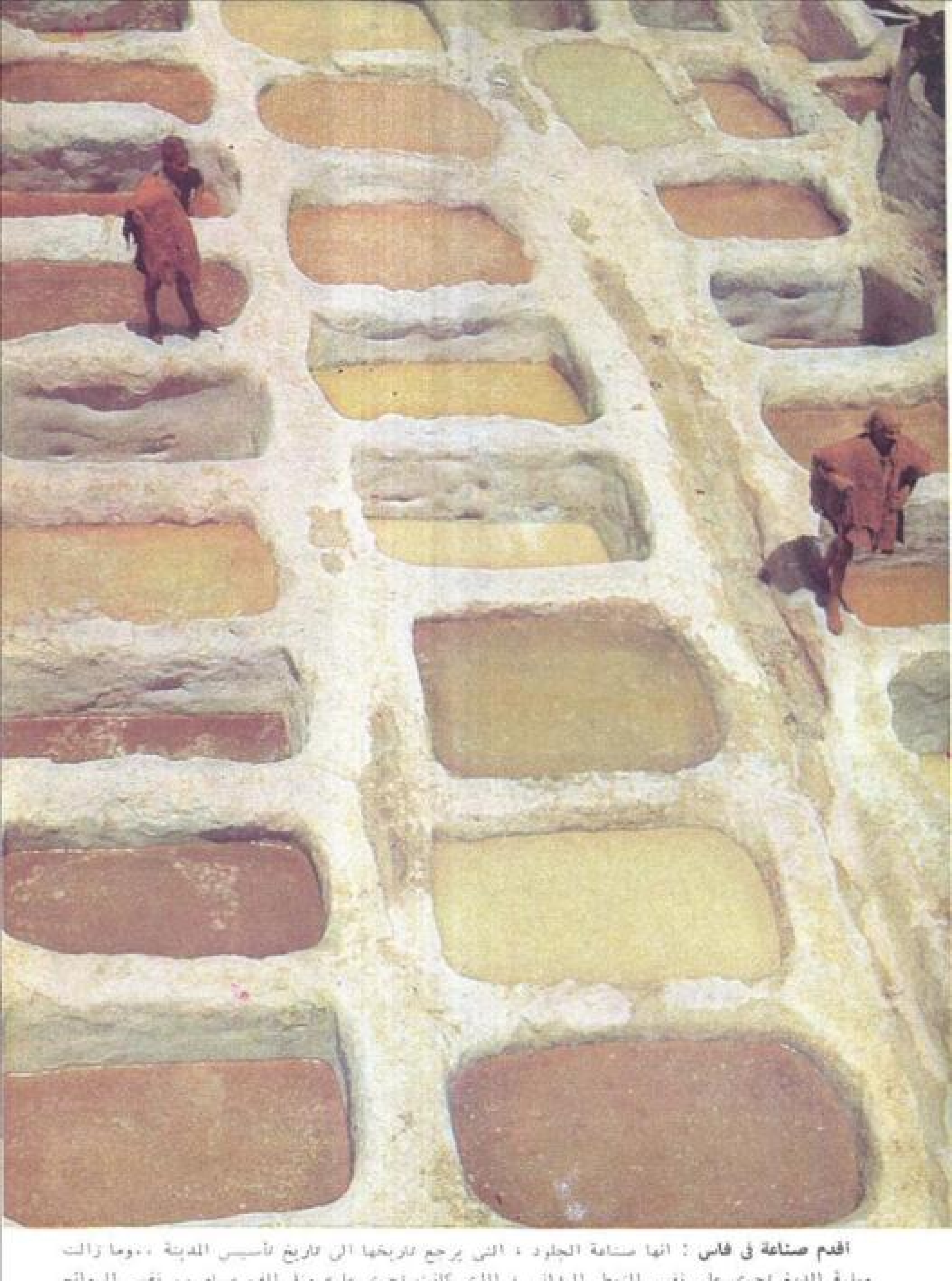
وأسوأ ما شهدناه فى المدينة القديمة هو منظر امرأة عجوز مريضة امتطت ظهر أحد البغال وسواعد الرجال تساندها من كل جانب مخافة الوقوع ، من على ظهر الدابة !

انها الوسيلة الوحيدة لنقل المريضة من منزلها القديم الى المستشفى بالمدينة الجديدة ..



الى اليمين : حاول احد الكتاب الفرنسيين أن يحصى عدد المهارات اليدوية في فاس ، فوجد انها ١٢٦ حرفة ، منها صناعة الفخار الازرق الذى تشتهر به فاس ، فهو مصنوع من ترابها،وبأيدى أبنائها،ومع هذا تجده غالي الثمن .. فالصحن الذى في يد الرجل الاول ثمنه ثلاثة دنانير..وتعمد الحكومة الى حماية الصناعات اليدوية باشرافها على الانتاج ، ومساعدتها الصناع بالرسوم وشراء جزء من انتاجهم لعرضه في معارضها المنتشرة في المغرب.





أقدم صناعة في فاس : انها صناعة الجلود ، التي يرجع تاريخها الى تاريخ تأسيس المدينة ،، وما زالت عملية الدبغ تجرى على نفس النمط البدائي ، الذي كانت تجرى عليه منذ الف عام ،، نفس الروائح الكريهة ،، ونفس القذارة ،، ونفس الارهاق للعاملين فيها ،، والصورة العليا تمثل الاحواض المستطيلة وتحوى المواد الدابغة التي تغمس فيها الجلود ،، وبعد الانتهاء من عملية الدبغ الطويلة ، وصبغها ، تنقل الجلود الى المصانع اليدوية (الصورة اليمنى) لقصها وزخرفتها بالذهب والفضة ، قبل بيعها في الاسواق وتصديرها الى أوربا وامريكا على هيئة محافظ وحقائب ، ومقاعد

اول من استعمل نظام القنوات

اما ما تتفوق به فاس وتتميز على سائر مدن الارض فهو ماؤها . انه على نوعين ، ماء العيون العذبة التى يخرج منها الماء باردا فى الصيف وساخنا فى الشتاء ، وماء الأنهار السريعة الجريان، وتكون ساخنة فى الصيف وباردة فى الشتاء .

وعدد العيون فى فاس اكثر من أن يحصى .

اما الأنهر فيخترقها نهر وادى الزيتون ونهر وادى فاس .. ومنذ القرن الحادى عشر والانسان مسيطر على مياه النهر الأخير ، محولا اياه الى الوف القنوات والجداول التى تمر من تحت كل منزل ، فتسقى الحدائق ، وتمد الحمامات ومدابغ الجلود بحاجتها . وتدير باندفاعها محركات مولدات الكهرباء ورَحَى المطاحن التى لا تتوقف ليل نهار عن الدوران .

ويتفرع من نهر وادى فاس فرع كبير يدعى بُوخرّاب ينقل اثقال المدينة واقذارها وفضلاتها.

الشعراء والكتاب يتفننون بمزايا الماء

ووصف الشعراء مياه فاس بقولهم :

ارض تخللها الانهار داخلها
حتى المجالس والأسواق والطرق

وقال آخر :

يا جنة الخلد التى اربت على
حِمْصٍ بمنظرها البهى الأجمل
غُرَفٌ على غرف ويجرى تحتها
ماء ألذ من الرحيق السلسل

وقد غالى الكتاب فى وصف نقاوة هذا الماء حتى قال ابن ابى زرع فى كتابه روض القرطاس :

« ومن فضائل هذا الماء أنه يفتت الحصى ، ويلين البشرة ، ويسرع الهضم ، ومن يستكثر من شربه لا يضره ، وهو ينبه اذا شرب على الريق ، تغسل به الثياب من غير صابون فيبيضها ويكسوها رونقا وبصيصا ورائحة طيبة كما يفعل الصابون»!!

رحمة السماء .. وقسوة الانسان

وكانت مياه هذه الأنهر والعيون على الدوام رحيمة بأهل فاس ، فالفيضانات غير موجودة والأخطار معدومة ، بالرغم من أن النهر يخترق المدينة من أولها لآخرها لمسافة طولها ..١٦٠ متر متجها الى وادى سبو حيث المزارع والبساتين ..

والمرة الوحيدة التى قسا خلالها النهر على المدينة كانت من فعل الانسان وذلك فى عام ١١٤٥ عندما حاصر الخليفة عبد المؤمن الموحدى مدينة فاس ، ولما استعصت عليه ، أمر ببناء سد عند مدخل النهر فقطع المياه عن المدينة ، وبعد أن تجمعت له كمية هائلة من الماء خلف السد ، أطلقها مرة واحدة ، فهدمت الأسوار ،واخذت معها الفى منزل من منازلها ..

آثار بنى مَرِين

وما دمنا بصدد التاريخ فلا بد أن نتحدث قليلا عن تاريخ فاس المجيد ، وعن مولاى ادريس .



طريقة السلام والتحية : عندما يدق باب المنزل فى المدينة القديمة يستقبل صاحب الدار زائره بوضع يده على كتفه مرحبا به،كما ترى فى الصورة

بينما كان الامام ادريس الثاني يضع حجر الأساس لمدينة فاس في عام ١٩٢ هـ — ٨٠٨ م جاءه بعض الضيوف الكبار من الفقهاء وأهل الورع مع أسرهم من سادة الأندلس ، جاؤوه من قرطبة بالاندلس ، بعد أن فشلت ثورتهم ، وأوقع بهم الامام الحكم بن هشام ، الذى ثاروا عليه لانهماكه في لذاته ، فقاتلهم وهدم دورهم ومساجدهم ، وأمر بنفي من بقى منهم عن الجزيرة ، فهاجر بعضهم الى فاس ولحق البعض الآخر بالاسكندرية .

وكان عدد القادمين الى فاس ثمانية آلاف أسرة ، استقبلهم ادريس الثانى أحسن استقبال ، وخصص لهم القطاع الشرقى من فاس ، الذى عرف باسمهم « عَدْوة الأندلسيين » .

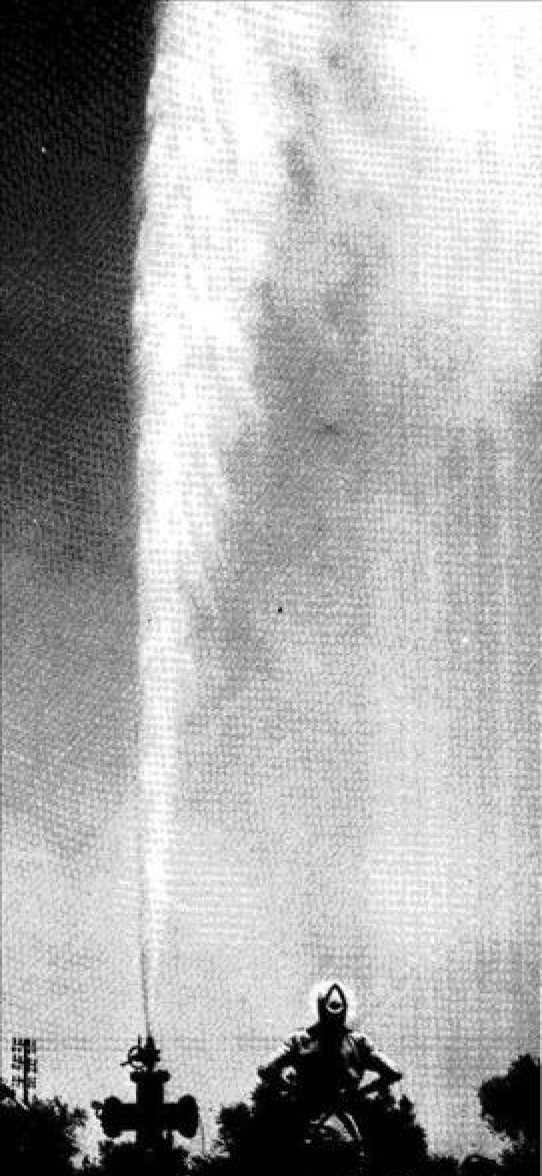
ومن الشرق جاءت هجرة ثانية اذ قدمت اليه ٣٠٠ أسرة من أهل القيروان ، فخصص لهم الجانب الغربى من المدينة ، فعرف باسمهم « عَدْوة القرويين » .. وجلب القرويون معهم حذقهم وتجاربهم في التجارة .. كما جلب الاندلسيون مهارات وصناعات رفيعة ..

وهكذا كانت فاس في منشئها ، مدينتين في مدينة واحدة ، امتزجت عناصرهما مع الأيام ، فنشأت فاس الحالية التى تضم في وسطها ضريح مؤسسها الذى يتبرك به أبناء البلد .. وأبناء الجبال .. والأرياف .

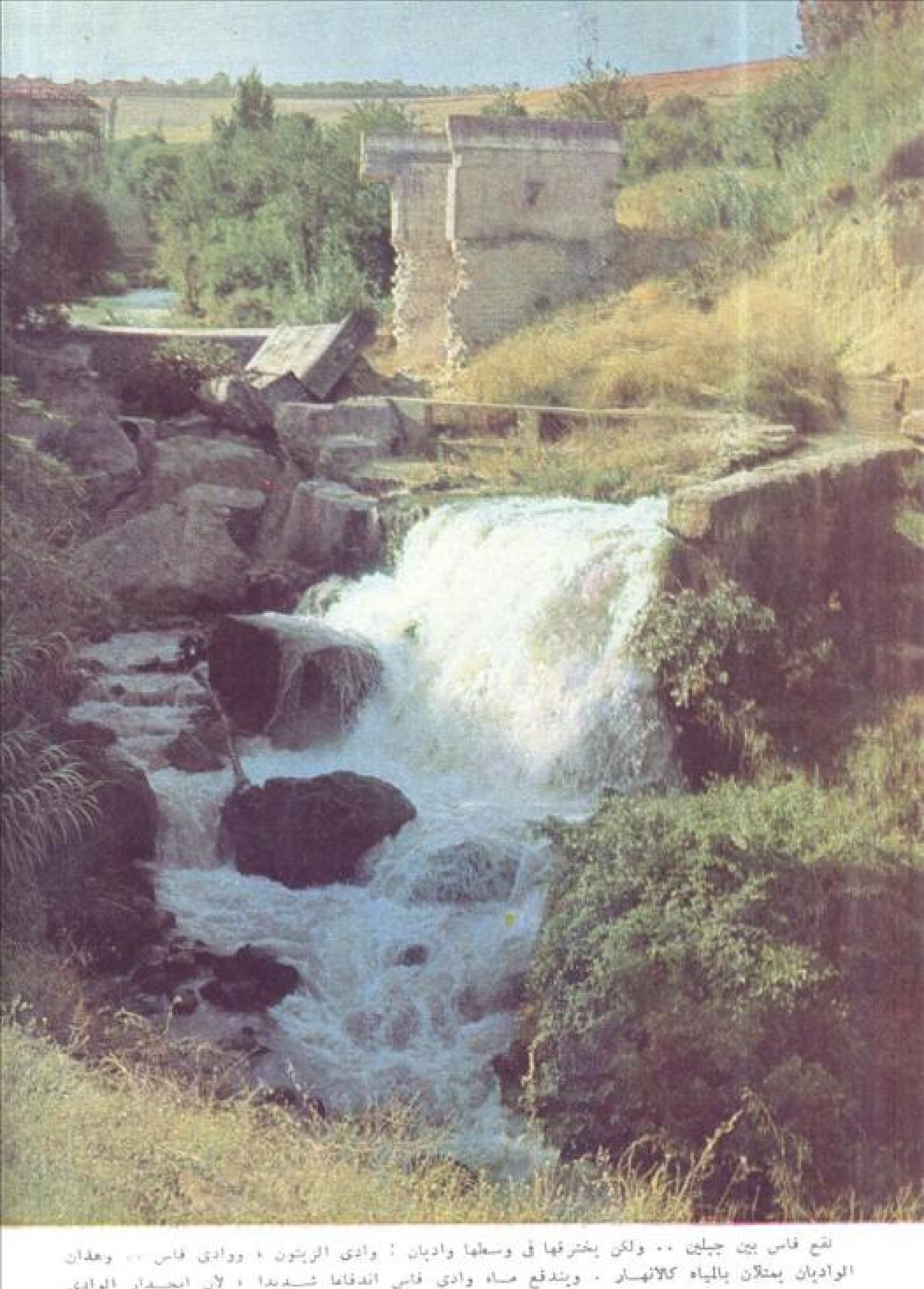
والى جانب هذا الضريح الفخم الجميل يرتفع العديد من الأماكن الاثرية والتاريخية ذات الهندسة المغربية الأندلسية الرائعة التى ترجع الى عهد بنى مَرين ، وهو عهد فاس الذهبى ، وفي مقدمة هذه الآثار تقف مدرسة بوعنان .. ومدرسة العطارين .. ومدرسة الشراطين .. ودار البطحاء .. وغيرها ..

جامع القرويين

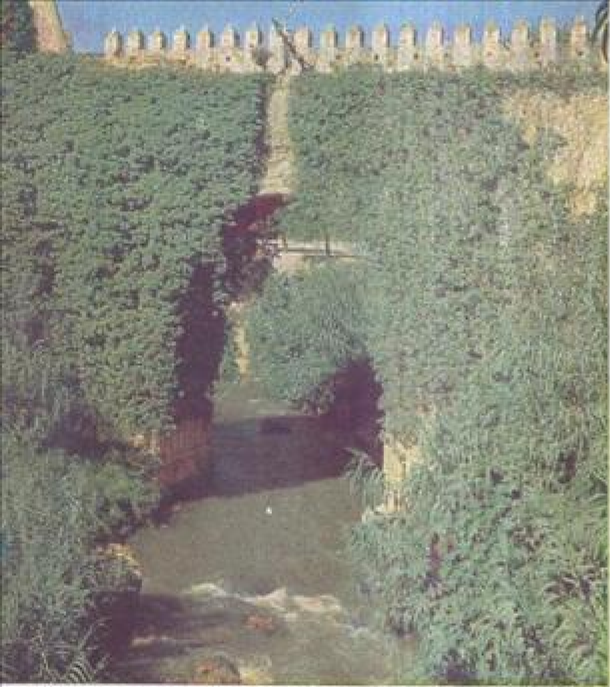
أما جامع القرويين الذى بنته « فاطمة ومريم » كريمتا محمد بن عبد الله الفهرى القيروانى عام ٢٤٥ هـ — ٨٥٩ م . فهو تحفة وآية من آيات الفن المغربى ، لقد ارتبط تاريخ هذا الجامع ارتباطا وثيقا بتاريخ المغرب كله ، وتخرج منه ومن جامعته ألوف العلماء ومئات القادة وعشرات الملوك والرؤساء ، من كل نبراس يُهتدى به ومثال يُحتذى (لزيادة التفاصيل



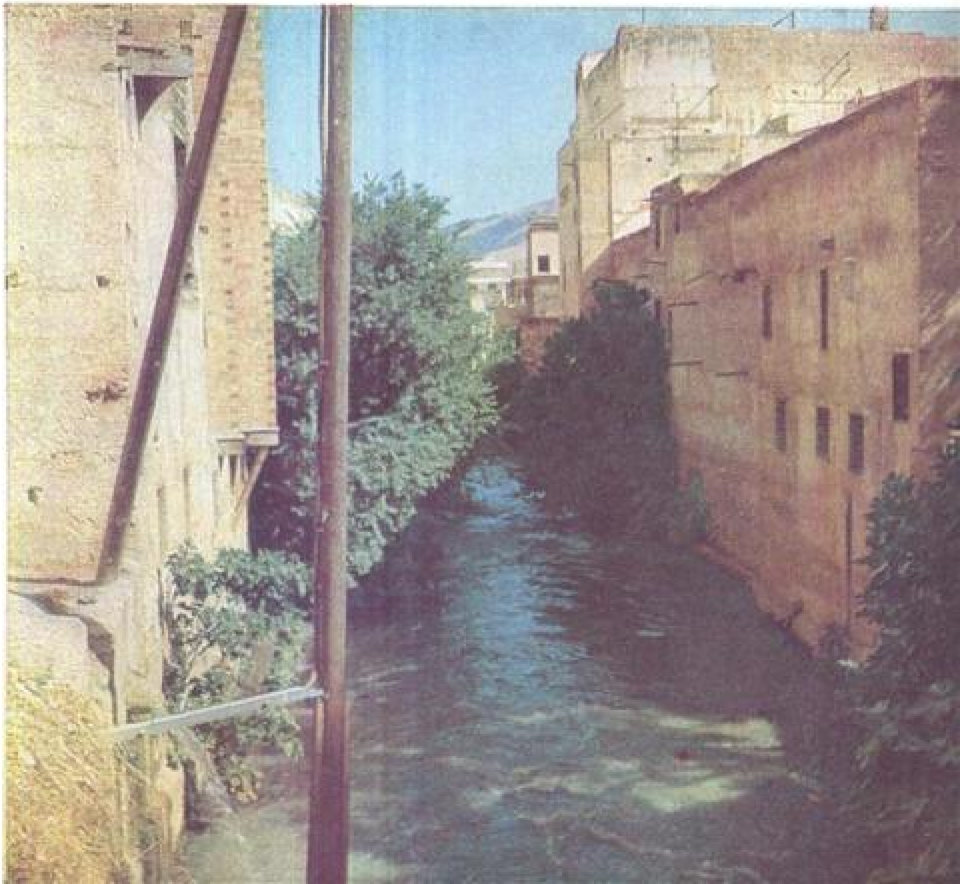
لم تواجه فاس ، في أى وقت أزمة في المياه . وفي أثناء وجودنا هناك أجريت تجربة على بئر هائلة ، اكتشفوها على بعد ٥ كيلومترات من فاس ، فتحوا فوهتها فاندفعت مياهها الى ارتفاع ٥٠ مترا . وسوف يساعد هذا الماء ، الذى يندفع بمعدل ١٥٠ لترا في الثانية ، على توسيع المنطقة الصناعية بالمدينة .



تقع فاس بين جبلين .. ولكن يخترقها في وسطها واديان : وادي الزيتون ، ووادي فاس .. وهذان الواديان يمتلآن بالمياه كالأنهار . ويندفع ماء وادي فاس اندفاعا شديدا ، لأن انحدار الوادي يبلغ ٤٠ مترا في منطقة لا يزيد طولها عن كيلو مترين .. وعند مدخل المدينة تتكون شلالات صغيرة ، تؤمن القوة اللازمة لإدارة مولدات الكهرباء ، وكذا تشغيل مطاحن القمح التي تدور رحاها بالماء بدلا من الكهرباء



تختلف مدينة فاس عن بقية المدن باستغلالها اندفاع مياهها في تصريف نفاياتها وقاذوراتها .. فالقاذورات تلقى في مياه (وادي بو خرّاب) – وهو أحد فروع نهر وادي فاس – فتنقل من أول المدينة لآخرها .. وربما كانت هذه المجاري البدائية المكشوفة مقبولة عندما كان عدد السكان لا يزيد عن ١٠٠ ألف ، أما اليوم ، وقد تضاعف عدد السكان ثلاث مرات ، فلم يعد من الجائز ترك اطنان القاذورات تمر في الهواء الطلق حاملة معها ما تحمل .. وقد تنبهت البلدية الى هذا الخطر فعمدت الى اقرار مشروع يهدف الى تغطية (بو خرّاب) الذي يمر من تحت بوابة قديمة اسمها « الباب الجديد » عند دخوله المدينة (الصورة اليسرى) حيث ينسل بين منازلها التي تلقي فيه نفاياتها (الصورة السفلى)



انظر مقال « العربى » عن جامعة القرويين فى العدد رقم ٥٩ ــ مايو ١٩٥٩ صفحة ٢٨) .

وتزخر مكتبة الجامعة بعشرات الالوف من الكتب، وتضم الكثير من تراث العرب المجهول القابع فى الظلمات منذ عام ٢٧٠ هـ .

تراثنا المجيد الذى لم ير النور

وفى حديث مع الأستاذ العلامة محمد العابد الفاسى محافظ خزانة جامعة القرويين ، وهو يلم بكل كبيرة وصغيرة عن هذه الخزانة ، قال لنا :

« فى الخزانة الشىء الكثير من المخطوطات فى كل شُعَبْ المعرفة من علوم اسلامية قديمة ، وعلوم رياضية ، ولغة ، وطب ، وهندسة ، وفلك ، وعلم حساب ، وجبر ، وفلسفة ..

« واغرب شىء تشتمل عليه هذه الخزانة هو كتاب ضخم بخط اندلسى لمؤلفه احمد بن ادام عنوانه : « السماء والعالم » تكلم فيه من الناحية اللغوية عن كل شىء من أكبر الافلاك الى أصغر الأشياء .. وهذا الكتاب أول من تحدث عنه المقريزى فى كتابه « نفح الطيب » وذكر أنه شاهده بخزانة القرويين ..

« وعندنا مخطوط لابى بكر بن طفيل الفيلسوف المشهور ، ولكن الشىء غير المعروف عنه ، هو تأليفه فى الطبيات ، وقد وجدت كتابه هــذا بخط يده على هيئة ٧ مقالات ..

« وعندنا أعظم انتاج كتبه ابن رشد الفيلسوف، وهو تعليقاته وشروحه لكتب أرسطو ، ومنها كتاب الأخلاق ، وشروحه وتعليقاته على كتاب علــم النفس لثامثتيوس اليونانى ..

« وعندنا مخطوط الفصوص لصاعد الاندلسى البغدادى أصلا ، وهو من أنفس الكتب التى لم تعرف ، وقد زعم بعض المؤرخين أن هذا الكتاب غرق وضاع ولم يبق له أثر ، بينما هو موجود فى خزانتنا منذ القرن العاشر الهجرى !

« ويوجد عندنا نسخة من تاريخ ابن خلدون ، وهى النسخة التى وجهها ابن خلدون نفسه هدية الى خزانة القرويين .. ان النسخ التى طبعت من هذا الكتاب أكثرها محرف لم ينشر علــى الطريقة العلمية الصحيحة » .

انشروا هذه المخطوطات

ويستطرد الأستاذ محمد الفاسى كلامه بقوله :

« وبالجملة فنوادر الخزانة شىء عظيم جدا ، وقد انتهيت من كتابة ستة مجلدات كاملة عــن مخطوطات القرويين، اتبعت فيها الطريقة الحديثة، فذكرت أهم النقاط التى اشتمل عليها الكتاب زيادة عن التعريف بالكتاب والناسخ ..

« ان أمنيتنا هى أن تنشر هــذه المخطوطات على طريقة علمية حديثة ، حتى يعرف المسلمون والعرب مقدار ما كان لأجدادهم وآبائهم مــن التراث الثمين ، فينهجوا نهجهم فى البحث والمعرفة » .



مدخل المبنى الجديد لجامعة القرويين وتضــم ٦ آلاف طــالب .



في هذه الغرفة ، التابعة لقسم الهندسة ببلدية فاس ، يقوم الشباب الفاسي بوضع اللمسات الأخيرة في مشروع « الابرة » الأولى التي ستعطي للمدينة القديمة .. وفي الصورة ظهر السيد عثمان الادريسي الذي يلم بكل كبيرة وصغيرة في فاس والمسئول عن السياحة والارشاد فيها ، يتحدث مع المهندس اشتا الذي يتولى الاشراف على المشروع من الوجهة الهندسية ..

تحسر وخيبة أمل

ويقول أمين الخزانة متحسرا :

« ومن المؤسف أن الطوائف العربية لا تزور مكتبتنا الا لماما .. وقل فيهم من يجرد نفسه للبحث والاستقراء .. بينما تجد الطوائف الأوروبية والمستشرقين من آلمان وانجليز وأمريكان يأتون بكثرة .. فمثلا زارنا الدكتور شخت Schacht الالماني المتخصص في الفقه والوثائق والشروط ، فمكث شهرا كاملا بالمكتبة يبحث وينقب بين مخطوطاتها وكتبها ..

« وللأسف لا يوجد تعاون مثمر بين الدول العربية ..

« لقد أخذ فرع الجامعة العربية عدة صور من كتب قيمة ، وللآن ما زالت موجودة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، ونرجو أن يكون بعض الناس قد اطلع عليها ..

« انه من المؤسف أن يكون هذا التراث العظيم ملقى مغمورا في زوايا الاهمال .. »

ويخرج الانسان من عند أمين خزانة القرويين ، وقد استبد به الشوق الى أن يرى اليوم الذي تصبح فيه هذه المخطوطات المكتوبة على رق الغزال في متناول أبناء الوطن العربي .»

دعاء غير مستجاب

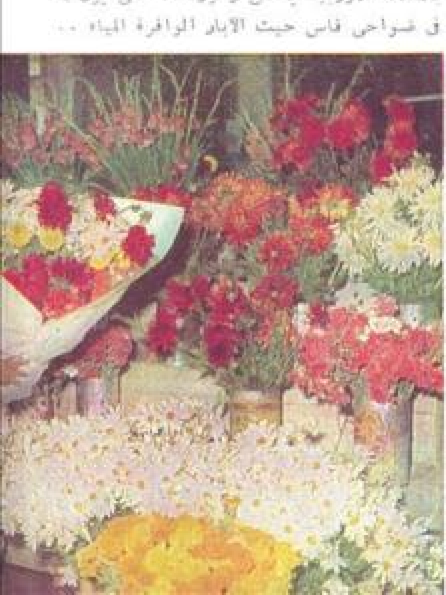
وتدفعك رجلاك لتسير قليلا في هذا التيه من الأزقة والحواري التي تحيط بخزانة القرويين ، وتظل سائرا ، فتخال نفسك قد وصلت الى بوابة من البوابات الثماني المؤدية الى المدينة الحديثة ، ولكنك لا تلبث أن تجد نفسك وقد عدت الى نفس المكان الذي بدأت منه !!

وتشعر بألم في قدميك من فرط دورانك ،وتدعو الله ان يمن عليك باية وسيلة للمواصلات ، ولكن الأمل معدوم لتحقيق هذا الدعاء .. فتضطر للسير سائلا عن باب الفتوح ، وما تكاد تصل اليه، بعد شق الأنفس ، حتى تتهالك داخل سيارة للأجرة لتنقلك الى فندقك بالمدينة الحديثة .

ان اغلب أهل فاس القديمة قد سئموا هذا اللف والدوران ، فتجدهم يحلمون بحياة عصرية حديثة تتوفر لهم فيها المتنزهات ، والطرق ، والسيارات .. واحست البلدية بالامهم ، ولكنه ليس من اليسير اعادة تنظيم وتخطيط مدينة تتلاصق مبانيها وتتشابك وتعج بالسكان عجا ..



الى أسفل : بائع الزهور في سوق البلدية بالمنطقة الأوربية ينسق زهوره ، التي يزرعها في ضواحي فاس حيث الآبار الوافرة المياه ..





اشتهرت فاس في قديم الزمان بأنواع فواكهها الطيبة التي ليس لها مثيل في المغرب .. وخاصة الرمان ، وفي سوق البلدية النظيف شاهدنا الشيء الكثير من الفواكه والخضراوات المزروع أكثرها في فاس وضواحيها

أتاحت شدة انحدار مياه وادى فاس الفرصة لاقامة نواعير كبيرة عليه (يسمونها نوار) لتنقل الماء من المناطق المنخفضة الى الاماكن المرتفعة .. وكانت فاس فى الماضى تزخر بنحو ٥٠٠ ناعورة تشبه نواعير مدينة حماة بسوريا ، اما اليوم فلم يعد باقيا من هذه النواعير سوى ناعورة واحدة (الصورة السفلى) تقوم بنقل الماء ، بشكل ظاهر ، من الوادى الى حدائق بنو جلود ، او « جنان السبيل » كما يسمونها هناك ، وهى اجمل واكبر حدائق فاس .. وتمتاز بتنسيقها الرائع البديع .. (الصورة اليمنى)
ومما يذكر ان الناعورة والحديقة يرجع تاريخهما الى عهد مولاى عبد الله ، من الاسرة العلوية ، عام ١٧٤٠ ، وهو الذى نظم ونسق حديقة جنان السبيل هذه .. ان غرس الاشجار والحدائق هو هواية أهل فاس المفضلة ، ولا يكاد يخلو منزل من حديقة .







أربع ابر لانقاذ فاس

وبعد دراسات طويلة اتخذ قرار غريب، جرىء، اذ تقرر حقن مدينة فاس القديمة بأربع ابر تتسرب اليها من أربعة أماكن مختلفة وهذه الابر هى طرق بربلسوف تمتد الى قلب المدينة لتتلاقى فيه ..

ونترك الحديث عن هذا المشروع ، الذى بدأ تنفيذه الفعلى ، الى « اشتا » المهندس المسئول ، قال :

« اننا نقوم بدراسة هذا المشروع باعتبار أن مدينة فاس هى قطعة ماس نقوم بصقلها ..

« انه أول مشروع تنظيمى لمدينة عامرة ، قديمة ، جميلة ، أثرية ، لم تتحرك منذ القدمام .. لقد أحس الجميع، فجأة، بعد الاستقلال بضرورة الحركة ، لأن الحياة فيها أصبحت ضربا من المحال ، لهذا وجب علينا انقاذ المدينة واعادة أسباب الحياة اليها حتى يستطيع كل انسان أن يعيش فيها حياة كريمة تتلاءم مع متطلبات العصر ..

« وهذا يستوجب ادخال دور السينما ، والمطاعم ، والحدائق ، والأسواق الحديثة وعمل مراكز للتسلية .. » .

اكثر من الصين !

واستطرد السيد المهندس يقول :

« وقبل أن نبدأ مشروعنا قمنا بأبحاث اجتماعية دلتنا على مبلغ اكتظاظ المدينة بالسكان فداخل أحد المنازل ، التى لا تزيد مساحتها على تسعة أمتار مربعة ، وجدنا ٦١ عائلة تعيش فى ٣ طوابق بعضها فوق بعض ، وهذا شيء غير معقول ولا مثيل له فى العالم !!

« أما كثافة السكان فهى ١٥٠٠ نسمة فى الهكتار الواحد .. ونسبة الزيادة فى عددهم تصل الى ٩ فى المائة سنويا ، اى اكثر من نسبة الصين .

« لهذا كانت مهمة التحويل من القديم الى الحديث مشكلة ضخمة .. وأما محاولة تحويل مدينة يسير أبناؤها على أقدامهم منذ ١١٥٦ عاما الى مدينة يركب أبناؤها السيارات والدراجات والحافلات دفعة واحدة فهذا أمر مستحيل لانه يقتضى تغيير تيار الحياة فى المدينة ..

« وبعد البحث والدراسة ، وجدنا أن خير وسيلة هى مد اربع طرق من أطراف المدينة الى قلبها .. وقررنا أن نبدأ بمد طريق منها بطول ٩٠٠ متر .. ولكن كيف نمده وكم من الدور يلزم هدمها ؟



فى كل صباح يمر اهل فاس القديمة بجوار ضريح مولاى ادريس ، يتبركون به بلمس قطعة نحاس خارجية، ومن خلال الفتحة ، الظاهرة فى الصورة، يلقى بعضهم بالتبرعات التى يجود بها ..

« وبعد البحث وجدنا ضالتنا فى وادى بوخراب الذى تحمل مياهه نفايات المدينة ، انه يشطر المدينة الى شطرين بعرض ١٥ مترا وطول ١٦٠٠ متر ، وقد قررنا تغطيته بطبقة من الاسمنت المسلح بحيث ينقلب الى طريق جديد تستطيع السيارات والحافلات أن تسير عليه ، ويكون شريانا جديدا للمدينة تتصل به الحوارى والأزقة الموجودة على جانبيه ، ومن أسفله يتابع النهر جريانه أى اننا سنقيم جسرا طوله ٩٠٠ متر فوق النهر ..

« وسيتطلب عمل هذا «الشارع» هدم ١٠٣ من المنازل فقط ، منها ٧٠ منزلا مهجورة ، أو آيلة



من أقاصى الصحراء ، ومن أعالى الجبال ، يهرع الناس ليقدموا النذور لمولاى ادريس ، وحول الضريح اجتمع عدد كبير من باعة الشموع الملونة.

للسقوط ، وبقية المنازل بين متوسط فى القدم وحديث .

« وقد شرعت البلدية فى نزع ملكيتها .. »

تكاليف الابرة ١٠ ملايين درهم

« ويتابع المهندس اشتا كلامه بقوله :

« وسوف يخصص هذا الطريق لمرور الحافلات وسيارات الأجرة فقط .. أما السيارات الخاصة فلن يسمح لها بالمرور عليه ، منعا للزحام ... كما ستقام على جانبيه الحدائق والميادين والمتاجر وبعد الانتهاء من مد هذا الشارع سوف تظهر معالم قديمة فى فاس لم يشهد جمالها أحد من قبل ، مثل مسجد الرصيف ، وهو أجمل مسجد فى المدينة ، وكان مجهولا لاستحالة الوصول اليه ، وكذلك سوف يظهر مسجد سيدى عبد القادر الفاسى ، وأحد الحمامات القديمة الجميلة وغيرها من معالم فاس المجهولة ..

« انها أول ابرة سوف نعطيها لفاس القديمة ونأمل بها أن ننقذ المدينة ونعيد الحياة اليها . وستبلغ تكاليف هذه « الابرة » ١٠ ملايين درهم (١٢ ١/٢ درهم = جنيها استرليتيا) .

ومن المشاكل الكبرى التى تعانيها فاس ، مشكلة الزيادة الكبيرة فى عدد السكان الذين سيتضاعفون خلال العشر السنوات القادمة ، فقد كان عددهم ٢١٦ الفا فى عام ١٩٦٠ ، واليوم يقدرونهم بنحو ٢٥٠ الى ٣٠٠ الف .. وهذه الزيادة الكبيرة ناجمة من زيادة نسبة المواليد ، كما بينا ، ومن الهجرة الجماعية التى هدفها فاس ، وتأتى من الجبال والأرياف ، وبسببها كان هذا العديد من دور الصفيح التى تحيط بالمدينة .. وقد عمدت البلدية الى بناء قرية نموذجية لتدفع جزءا من تيار هذه الهجرة عن مدينة فاس.

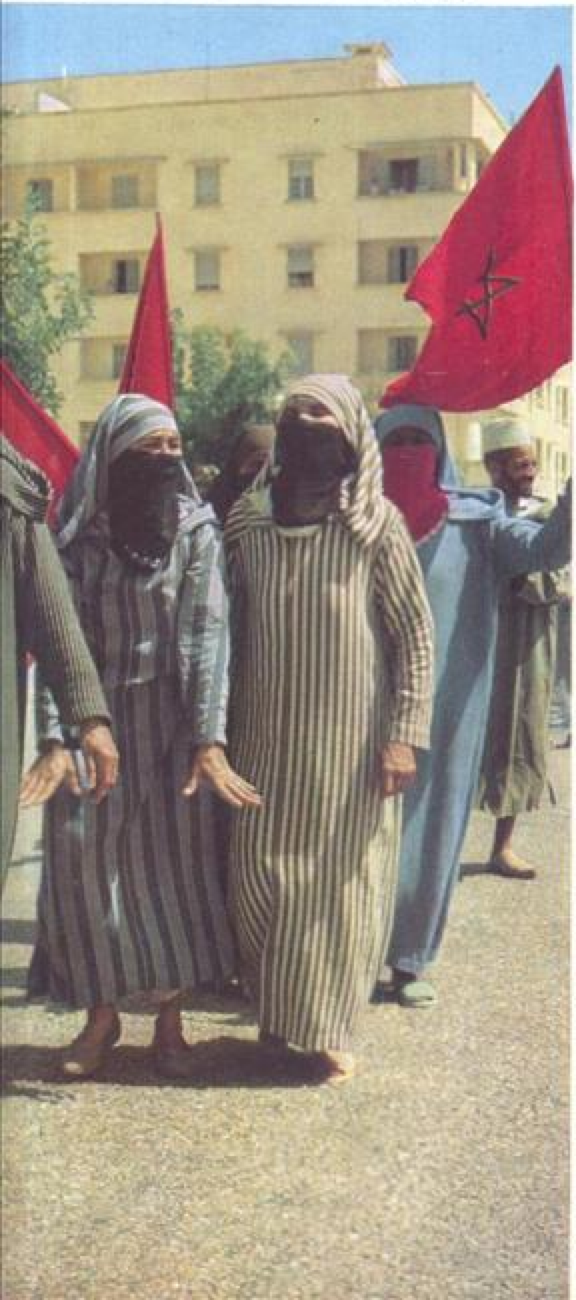
سبب التسمية : فاس

واختلف الناس فى ذكر السبب الذى من



ما زالت عادات الزواج التقليدية القديمة قائمة في فاس ... انها عادات جاءت من الشرق والغرب فكونت ما يسمى بـ « القاعدة » التي دأب أهل فاس على احترامها عبر السنين ... والصورة العليا توضح حال العروس يوم « الصباح » .. انه اليوم الاول في بيت العريس ، وفيه تبرز العروس للنظارة الذين يهرعون لرؤيتها من كل مكان ، فتجلس هي فوق عرش من الوسائد بكامل زينتها العجيبة الثقيلة التي تغلفها من الرأس الى القدم ، متحلية بالمجوهرات والذهب واللؤلؤ الذي يتدلى فوق أذنيها بكمية كبيرة .. وغالبا ما تقوم « النكافة » ـ الوصيفة ـ بتأجير هذا الثوب المعقد مع حليته العديدة للعروس ... وفي يوم « الصباح » هذا تظل العروس على جلستها هذه لا تنفوه بكلمة .. ويرسل لها أهلها طعام الافطار لها ولزوجها وللمدعوين ، ويتكون عادة من رؤوس الخراف المبخرة ، والمحلب أي الارز بالحليب مع اللوز !!

لم يعد اللثام والجلابة الطويلة رمزا للتأخر والجهل ، بل
الكبيرة منه خلاصا بعد أن اعتادته طوال هذه السنين .. ولكن
هذا اللثام منطلقا الى آفاق أوسع في سبيل رفعة بلاده وازدهارها
نساء فاس يسرن في احدى الحفلات الوطنية وقد ارتدين الجلابة



صبحا تقليدا لا تستطيع المرأة
للجيل الحديث نزع عن وجهه
. والى اسفل تبدو مجموعة من
وتسمن اللثام وحملن أعلام المغرب





كانت المرأة الفاسية دائما سيدة منزل ممتازة تنعم ، تحت رعاية زوجها التاجر الثرى ، بحياة سهلة تمضيها بعد الانتهاء من شئون المنزل في زيارة ضريح مولاى ادريس،والتنقل بين المقابر مترحمة على الموتى !! كان هذا حالها حتى جاء الاستقلال فاقتحمت مختلف ميادين العمل . اما وقتها الفائض فتقضيه في مطالعة الكتب .. ولكنها ما زالت متمسكة بزيها الوطنى الجميل المصنوع من البروكار ..

أجله سميت المدينة بمدينة فاس ، فيقول صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار : ان ادريس رضي الله عنه ، لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين ، تواضعا منه لله تعالى ، ورجاءً الأجر والثواب ، فصنع له بعض خدمه فأسا من ذهب وفضة ، فكان رضي الله عنه يمسكها بيده ويبتدىء الحفر ، ويختط بها الأساسات للفعلة ، فكثر عند ذلك ذكر الفاس على ألسنتهم ، فكانوا يقولون : هاتوا الفاس .. خذوا الفاس .. احفروا بالفاس .. فسميت مدينة فاس لأجل ذلك .. » .

ويقول صاحب روض القرطاس : « لما شرع في حفر أساسها وجد في الحفير فأس كبيرة زنتها ٦٠ رطلا فسميت المدينة بها وأضيفت اليها » .

ويتابع صاحب روض القرطاس كلامه بقوله : وقيل انه لما تمت بالبناء قيل لادريس رضي الله عنه : كيف تسميها ؟ قال : نسميها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها الذي أخبرني الراهب أنه كان هنا مدينة أزلية من بنيان الاوائل ، فخربت قبل الاسلام بألف وسبعمائة سنة ، وكان اسمها ساف ، ولكن اقلبوا اسمها الاول . فقلبوه فأتى منه فاس فسميت مدينة فاس ، وهذا أصح ما يكون في تسميتها والله أعلم » .

التعليم مختلط

وكتاب « روض القرطاس » هو أحسن ما كتب في تاريخ فاس ، واليه يرجع المؤرخون والكتاب وحتى الأساتذة والطلبة ..

وقد أصبح التعليم مغايرا للتعليم في سابق الأيام ، حتى جامعة القرويين أصبح طلبتها ، وعددهم ٦ آلاف ، يتعلمون اللغات الاجنبية الى جانب العربية .

اما مجموع عدد الطلبة في جميع مدارس فاس فيبلغ ٤٢٢٨٠ طالبا منهم ١٢٥٥٠ طالبا في المدارس الثانوية الحكومية والحرة .. ويبلغ عدد المدارس في مدينة فاس ٧٦ مدرسة بين ثانوية وابتدائية ، والكثير منها يجرى فيه التعليم مختلطا ..



« خديجة الخياطي » المذيعة الوحيدة في اذاعة فاس ، التي يعاني المسئولون فيها من عدم تجاوب الطبقة المثقفة معهم



أمام « النول » ـ آلة النسيج ـ المثبت أفقيا ، جلست هذه الفتاة تعمل على دراسة رسم السجادة في أحد المصانع الثلاثة التي بالمدينة



أمام المقصورة الرئيسية فى احتفالات الشباب بفاس التقط مصورنا هذه الصورة لمجموعة من النكافات ـ الوصيفات ـ والخاطبات وقد جلسن على قارعة الطريق ومعهن رمزهن الخاص : دمية عليها ملابس الزواج .. ان مثل هذا المنظر هو الذى جعل كبار الكتاب يقولون ان أهل فاس ينظرون دائما الى الخلف .. ويتمسكون بعادات وتقاليد تعود الى عهود الموحدين والمرينيين !!

فاس لا تنظر الى الوراء

لقد قال بعض الكتاب عن فاس انها مدينة تتلفت الى عهود الموحدين والمرينيين أكثر مما تتلفت أو تهتم ببركات المدينة الحديثة .. وهذا قول خاطىء لأن فاس اليوم أصبحت تحلم باليوم الذى يتهيأ فيه لكل فرد من أبنائها حياة كريمة تليق بمتطلبات القرن العشرين .

حقيقة أن الأحداث التى مرت على المغرب فى النصف الأول من القرن العشرين لم تكن أبدا فى صالح فاس..ولكن الأمل واضح وكبير فى أن النصف الثانى من هذا القرن سيشهد ، أو بدأ يشهد ، عهدا جديدا سيعيد الى فاس مجدها القديم ، لتقوم بدورها فى رفعة الوطن وتقدمه . ■■

سليم زبال



واختلف الأطباء وفي اختلافهم رحمة !

بقلم : حسن الجداوى
المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ فى عام ١٨٢٧ كان توماس سميثهرست فى الثالثة والعشرين من عمره ، وكان لا يزال طالبا يدرس الكيمياء فى مستشفى وستمنستر . وقد تعرف بسيدة تدعى مارى ديرهام فى الثالثة والأربعين من عمرها تعاشر رجلا اسمه جونسون معاشرة الأزواج ، وهى والدة لشاب فى الواحدة والعشرين من عمره ـ أى فى مثل سن توماس ـ يحمل اسم لابورت . أى أنها امرأة ذات ماض .

وليس غريبا ان يقع شاب فى الثالثة والعشرين من عمره فى غرام سيدة تكبره بعشرين عاما اذا كانت كما هى الحال فى السيدة ديرهام محتفظة بجمالها وانوثتها . ولكن الغريب أن يسعى ذلك الشاب فى الزواج من تلك السيدة متناسيا انه بعد عشرين او ثلاثين سنة من الزواج سيظل فى عنفوان رجولته فى الأربعين أو الخمسين من عمره بينما تكون هى قد بلغت الستين أو السبعين من عمرها وقضت الأعوام على جمالها .

ولكن الحب أعمى كما يقولون واندفع توماس تحت تأثيره وتزوج .

ومضت حياتهما الزوجية سعيدة هادئة . أتم توماس دراسته وحصل على شهادة طبيب جراح ، وافتتح عيادة طبية طوال تسع سنوات . ولكنه لم يكن راضيا عن عمله . ذلك انه اكتشف ـ كما قال فى كتاب نشره فيما بعد ـ وجود طريقة افضل من الأدوية لاعادة الصحة للمرضى تلك هى طريقة العلاج بالحمامات .

★ ★ ★

وفى اندفاع أشبه باندفاعه فى الزواج من امرأة فى ضعف عمره ، اغلق عيادته وباع محتوياتها ، وسافر الى المانيا ليدرس طريقة العلاج بالحمامات فى احدى جامعاتها . ثم عاد الى انجلترا يحمل لقب « دكتور باطنى » ، وافتتح مؤسسة علاجية راجت رواجا كبيرا ، واقبل عليه المرضى من جميع الأوساط وكان يتقاضى منهم أجورا مجزية ، مكنته ـ بعد أربعة عشر عاما ـ من أن يتقاعد اكتفاء بايراد ثابت قدره ٢٤٠ جنيها سنويا ، وهو ايراد محترم فى تلك الأيام .

وكان هذا التصرف من جانبه اندفاعا من اندفاعاته التى لا يستطيع التحكم فيها . وربما كان ما حمله على هذا انه ـ ككل رجل ناجح ـ لم يخل من خصوم . كان كل خصومه طبعا الاطباء



بريشة أحمد الوردجي

الذين يتبعون الطريقة الكلاسيكية في العلاج، والذين كانوا يعتقدون ان شهادة طب صادرة من جامعة المانية لا يمكن أن ترقى الى مستوى شهادات الجامعات الانجليزية . وكان بعض الناس يتهمونه بالدجل . وقامت بينه وبين قس اسمه «جوليوس» مناوشات على صفحات الجريدة المحلية، اذ أنكر عليه القس جوليوس انه طبيب . وكان صاحبنا يستطيع ان يتجاهل ذلك كله، فان المرضى الكثيرين الذين شفاهم كانوا يثقون به ويتولون الدفاع عنه .

★ ★ ★

ولكن صاحبنا مندفع بطبعه كما قلنا ، وما دام يستطيع أن يعيش من ايراده الثابت ، فليغلق مؤسسته ويترك المدينة ويطوف في القارة الأوروبية . وهكذا فعل . طاف بكثير من مدن المانيا ، ثم استقر فترة في باريس ، ثم عاوده الحنين الى وطنه فاستقر وزوجته في حي « بايز ووتر بلندن » في « بنسيون » صاحباه ونزلاؤه جميعاً من كبار السن .

وحدث ما كان لا بد أن يحدث . انه في عنفوان شبابه عاطل لا يدرى كيف يمضى وقته . والحديث مع نزلاء ونزيلات البنسيون — وكلهم في السبعين او جاوزوها — ليس مما يشرح القلب . وقد بدأت امراض كبر السن على زوجته فاخذت تلازم الفراش في فترات متقاربة ، واصبح كل عمله ان يسهر عليها اثناء مرضها .

وهكذا بدأ توماس يكره حي « بايز ووتر » ، ويكره حياة البنسيون المقبضة ، ويكره كل ما يحيط به . الا انه — على استغراب منه نفسه — ظل مقيما على حبه لزوجته .

★ ★ ★

وذات يوم اقبلت على البنسيون نزيلة جديدة في اوسط العمر . وشاء حسن حظ توماس — أو سوؤه — ان صاحبة البنسيون طلبت من توماس وزوجته أن تشاركهما النزيلة الجديدة مائدتهما، لقلة الأماكن . كان اسمها ايزابيلا بانكس — وكانت زهرة متفتحة في وسط العجائز اللاتي يحطن به — وساد التفاهم بينها وبين توماس منذ اللحظة الأولى لتعارفهما. لقد اقبلت عليه بكل ذات نفسها.

وقد يرى الذين يتمسكون بالمبادىء انه كان يجب عليه أن يصدها ويوقفها عند حدها ، لانه متزوج اقسم يمين الاخلاص لزوجته .

ولكن الجوع الجنسي الذى عاش فيه سنوات طويلة ، وعدم وجود عمل له يشغل الفراغ الذى يعيش فيه ، جعل مخزون رجولته المكبوتة يطفو فجأة .. وجارى تلك السيدة في رغباتها التى صادفت هوى في نفسه .

واصبح الانفراد ببيللا — فقد اصبح يدعوها باسم الدلع «التدليل» لايزابيلا — يحدث كثيرا على مائدة الطعام . اذ كانت زوجته — بسبب تقدم سنها وكثرة معاودة المرض لها — كثيرا ما كانت تبقى بغرفتها ولا تنزل الى غرفة الطعام . وهكذا نمت العلاقة بينهما. اذا جلسا في غرفة الاستقبال اختارا طنفا بدلا من كرسيين ، وكثيرا ما تلامست اصابعهما او تشابكت ايديهما في غفلة عن الآخرين.

ولم يكن غزل المراهقين هذا ليقنع ايزابيلا، ولا كان توماس من جانبه يعارض ، ولكن الحياة في البنسيون تحول دون تحقيق رغبتهما المشتركة . فلم تفت تصرفاتهما — وان حاولا اخفاءها — على النزيلات . وبدأت صاحبة البنسيون ترمقهما بنظرات الاستهجان ، وتضيق عليهما الخناق ، كما بدأت الزوجة تعترض على ارتفاع الكلفة بينه وبين ايزابيلا .

لذلك فكرا في ان يتقابلا خارج البنسيون ، واختارا حدائق « كنسنجتون » حيث كان الحديث يجرى بينهما في حرية لا يعوقها عائق ، وغزل لا تتجه اليه العيون . واتسع المجال امام بيللا لتحقيق مطلبها ، فروت له ان اثنين من اقاربها عقدا فيما بينهما زواجا سريا مكنهما من أن يعيشا معا بطريقة محترمة وضمير مستريح .

وتولت صاحبة البنسيون دفع العلاقة بين توماس وبيللا الى النتيجة التى كانا يتوقان اليها دون ان يجرؤ هو على تحقيقها . فقد استدعت بيللا ولامتها بشدة على تصرفها « الفاضح » مع الدكتور توماس ، وطلبت اليها أن تبحث لها عن بنسيون آخر لأن هذا البنسيون ظل محترما ويجب ان يبقى محترما ..

وانتقلت بيللا الى بنسيون آخر . وفيه أصبحا يلتقيان بعيدا عن نظرات العزال . وكان الحديث يدور دائما حول موضوع الزواج السرى . وكانت بيللا هى التى تبدأ الحديث . وكان توماس يحس انه ليس من اللائق أن يأتى الحديث من جانبها . ولكن فكرة الزواج السرى راقت له ووعدها بانه

سيحيل ذلك الزواج السرى الى زواج علنى بمجرد وفاة زوجته ــ وهو امر كان قريب الاحتمـــال ، اذ كانت زوجته فى الرابعة والسبعين .

وتقدم يطلب تصريحا بالزواج . وكانت صدمة له ان طلب منه الموثق ان يوقع اقرارا يقسم فيه على انه اعزب . وكاد يعدل . ولكن لم يعد له فى الامر حيلة . اكان فى مقدوره ان يعود الى بيللا ليقول لها انه عدل بسبب احجامه عن توقيع ذلك الاقرار ؟ فوقع وحصل على التصريح بالزواج وعقدا قرانهما امام احد القسس .

وترك زوجته دون ان يفضى اليها بشىء . ولكنه ظل يشعر نحوها بالوفاء ، فهو ، لم يتركها الا بسبب تقدمها فى السن وهو امر لا ذنب لها فيه ، فكلف اخاه جيمس بأن يزورها ويشرح لها انها لا تزال فى ذكراه ، وانه سيستمر فى دفع اجور البنسيون لها ، ويزورها من وقت لآخر ، ويكتب لها اسبوعيا ، ولكنه يرجوها ان لا تبحث عنه ولا تسأل عما يعمل ، لانه قرر ان يعود الى الطـواف بانحاء البلاد . واعتقد ان تكفله بمعاش زوجته واظهاره العطف عليها هو اقصى ما يمكن مطالبته به . وبذلك اراح ضميره واستقر وزوجته الجديدة فى شقة مفروشة بحى « ريتشموند » بلندن سعيدين مرتاحى البال .

★ ★ ★

ولكن سعادتهما لم يطل امدها . لقد بدات بيللا تختلط بجيرانها ، وتتعرف الى اسر محترمة ، فبدأ الخوف يتسرب الى نفسها ، وخشيت ان تعرف حقيقة علاقتهما . كما بدا توماس يشـعر بالقلق والخوف من الاقرار المزور الذى وقعه واليمين الباطلة التى اقسمها ، ويوجس خيفة من ان تمتد يد القانون اليه بسبب زواجه غير المشروع الذى يعرضه ــ لو اكتشف ــ للمحاكمة الجنائية . فاتفقا مع صديق ــ هو الانسـان الوحيد الذى اطلعاه على سرهما ــ ان يضعا عنوانه على مراسلاتهمـا . وصار توماس يقطع المسافة بين مسكنهما ومنزل ذلك الصديق ، كلما اراد ارسال خطاب او تسلم خطاب ليتجنب ان يضع ختم مكتب بريد « ريتشموند » على خطاباته ليضمن ان لا يكتشف أحد مقرهما .

وامضيا اربعة اشهر بين القلق والاطمئنان . ثم مرضت بيللا . كانت اعراض مرضها مصحوبة بقىء واسهال . ولكن تلك الاعراض لم تكن جديدة عليها لقد كانت كثيرا ما تظهر عليها تلك الأعراض اذا ركبت عربة . وكم من مرة غادرت غرفة الطعام فى البنسيون السابق . فمرضها الجديد اذا هو مرضها السابق .

وحاول توماس علاجها بطريقته ولكن صحتها لم تتحسن بل اخذت على العكس فى التدهور . عند ذلك لم يجد توماس بدا من أن يتنازل عن مبادئه ولجأ ــ على كره منه ــ الى طريقة العلاج الكلاسيكية . استفسر من صاحبة البنسيون عن اسم احســن طبيب فى ريتشموند فذكرت له اسم الدكتـور « جوليوس » .

لم يكن الاسم من الأسماء الشائعة ، ومـع ذلك لم يخطر على بال توماس أن يقرن بينه وبين غريمه السابق القس جوليوس . فقصده وشرح لــه اعراض مرض زوجته الحالى والسابق وطلب منه ان يعودها . وجـاء الدكتور جوليوس وفحص المريضة واظهر ــ منذ البداية ــ روحا عدائية نحو توماس الذى لم يدرك ــ الا بعد فوات الاوان ــ ان هذا الدكتور هو شقيق غريمه السابق ، وانه كان يعلم بان توماس قد هجر زوجته .

وشخص الدكتور جوليوس الحالة على انهـا تلبك معوى .. ثم اخذ يتحدث عن الدوسنطاريا .. ثم ما لبث ان احتفظ بآرائه لنفسه ، واخذ يعترض كلما حاول توماس أن يشير بشىء عن طريقة العلاج . ولما ازدادت حالت بيللا سوءا اقترح توماس استدعاء عدد من الأطباء لعمـل « كونسولتو » ، ولكن الدكتور جوليوس رأى دعوة شريكه الدكتور بيرد الذى درس على يـد العالم الكبير « تود » . فلما لم تتحسن صـحة بيللا دعى الدكتور تود نفسه الذى كشف علـى المريضة ، وبدت عليه مظاهر تفكير عميق ، ولكنه لم يقل شيئا امام الزوج ، واشار باخذ عينـات من افرازات المريضة لتحليلها فى مستشفى جـاى بمعرفة كبير المحللين الدكتور تيلور .

★ ★ ★

وطوال مرض بيللا كان توماس هو الذى يعنى بها فقد اكتسب خبرة طويلة فى التمريض لطول عنايته بزوجته مارى . كان يعد لها الطعام بيديه ويناولها الدواء فى اوقاته . ولم تقابل احدا الا الاطباء ، وفى بعض الأحيان صاحبة البنسيون . وكان يلح عليها فى ان تتغذى ولكن معدتها كانت لا تحتفظ بأى طعام . فهزلت وضعفت وانزعج

من تدهور صحتها فرأى أنه لا يستطيع المحافظة على السرية وأنه لا بد له من اخطار أسرتها .

كتب الى أختها لويزا يطلب منها الحضور . وقدّر أن لويزا سوف تسأل عن الآنسة بانكس لأنها لم تكن تعرف أن أختها متزوجة . وصاحبة البنسيون لا تعرف بين نزيلاتها واحدة بهـــذا الاسم ، لذلك طلب الى لويزا أن تحضر الى العنوان الذى ذكره لها وتسأل عن « الدكتور سميثهرست وحرمه » وأرجأ شرح التفاصيل لحين حضور لويزا .

وجاءت لويزا على الفور فوجدت اختهـــا فى أسوأ حالة . وزاد من سوء حالة بيلا أنها أخذت تشرح لأختها موضوع زواجها وتطالبها بالاحتفاظ بسرهما . فلما اشارت لويزا الى أن لهما قريبا طبيبا ينادونه بالعم لين واقترحت دعوته لعيادة بيلا ، رفض توماس لعدم رغبته فى الافضاء بالسر لشخص آخر ولأنه خشى على صحة بيلا . وذكر للدكتور جوليوس أن صحة بيلا ساءت بعــد زيارة اختها لها ، فقال الدكتور جوليوس عرضا انه يحسن منع الزيارات . فكتب الى اختها يقول لها ان الدكتور أمر بمنع الزيارة .

واحست بيلا بدنو أجلها وقالت له ان مرضها هو نفس المرض الذى قضى والدها نحبه به .. وأخذ توماس يسفه لها هذا الوهم ويؤكد لها انها ستشفى ، ولكنها أصرت على أن تكتب وصيتها ، وقالت انه الصديق الوحيد لها ، وأنها تعتزم ترك كل ما تملك له .. وكان كل ما تملك حصة قيمتها خمسة آلاف جنيه ، تأخذ ريعها طوال حياتهــا ، ومبلغ ١٨٠٠ اقتصدته . وألح عليها توماس أن تترك ثروتها لأختها لأن لديه من ايراده الخاص ما يكفيه ولكنها أصرت . فرجاها أن تؤجل كتابة الوصية حتى تشفى ولكنها رفضت . فاستدعى موثقا وكان لا بد لهما أن يذكرا للموثق أنهما غير متزوجين فكتبت الوصية التى منحت فيها بيلا صديقها العزيز الدكتور توماس سميثهرست كل ثروتها ، ووقعتها باسم الآنسة ايزابيلا بانكس .

★ ★ ★

وفى الغد ـ وتوماس فى طريقه لالقاء خطـــاب بالبريد ـ اعترضه ضابط بوليس وابلغه أن لديه أمرا بالقبض عليه بتهمة دس السم لزوجته ايزابيلا . واقتاده الى نقطة البوليس وهو فى دوامة لا يدرك كنهها . ان بيلا ـ بيلا الحبيبة ـ مريضة فى سريرها وقد تكون فى حالة احتضار ، وما من أحد بجوارها ليعد لها الطعام أو يناولها الدواء ، ومع ذلك فهو متهم بأنه دس لها السم ؟ كيف أمكن أن يخطر ذلك على بال انسان ؟؟

وسرعان ما وجد نفسه أمام قاضى البوليس والدكتور جوليوس يدلى بشهادة يقول فيها انه قد عثر على السم : « زرنيخ » فى افرازات بيلا. ولم يستطع توماس أن يصدق ذلك ، ولكنه لم يكن يفكر فى نفسه فى تلك اللحظة ، بل فى مصير بيلا . فصرخ فى وجه الدكتور جوليوس وقال له انه سيكون مسئولا عن موتها لأنها بمفردها دون طعام أو دواء ، ثم أخذ يستعطف القاضى أن يتركه يذهب الى بيلا . وحدث ما لم يكن متوقعا فعطف عليه القاضى ، واخلى سبيله بضمانة نفســـه ، فأسرع الى بيلا ووجدها فى حالة قلق شديد ، وأخذت تعتب عليه أن تركها طوال ثلاث ساعات ونصف . ولم يذكر لها ما حدث له خشـــية ازعاجها .

وأمضت بيلا ليلة مرهقة بينما أقض مضجعه التفكير فى التهمة الباطلة الموجهة اليه وفيما سيكون مصير بيلا اذا هو دعى مرة أخرى للتحقيق ولم يفرج عنه . وهداه تفكيره الى ان يستنجد بلويزا، فكتب لها خطابا يطلب منها الحضور واستدعى ممرضة تسهر على بيلا . وعندما حضرت لويزا وجدت أختها تحتضر وماتت فى يومها .

وأعيد القبض على توماس .

★ ★ ★

وأمام محكمة البوليس استمع توماس فى دهشة الى شهادة الدكتور تيلور ـ كبير محللى مستشفى جاى والخبير الأول فى السميات ـ فاذا بها شهادة قاطعة .. قاتلة . كان البوليس يسعى لاثبات وجود زرنيخ فى حوزة المتهم ، لذلك فتش مسكنه وجمع كل ما فيه من زجاجات أرسلت للتحليل . وشهد تيلور أنه حلل محتويات الزجاجة رقم ٢١ فوجد انه سائل طعمه مقبول ولا رائحة له ، ولكنه لم يجد به زرنيخا . واستنتج أن الزرنيخ لا بد انه ممزوج بمادة تجعله لا يتفاعل عند اجـــراء التجارب . ووجد أن هذا السائل مكون فى غالبيته من كلورات البوتاسيوم ، ٧ حبات كلورات مقابل حبة زرنيخ ، فمرره من شبكة من النحـــاس واستنتج من تفاعله وجود حبة الزرنيخ المذكورة. وقال ان تعاطى كميات قليلة من هذا الســـائل

تحدث القيء والاسهال الذى اذا استمر طويلا يؤدى الى التهابات فى المعدة والمصارين .. تنتهى بموت بطيء .

ما هذا التخريف ؟ لقد كان توماس يشكو من رائحة كريهة فى فمه ، فاستشار طبيب اسنان اشار عليه باستعمال كلورات البوتاسيوم لغسيل الفم . وكان هو الوحيد الذى يستعمله بينما بيللا لم تستعمله قط . فاذا كان السائل يحوى زرنيخا فكيف لم تظهر عليه هو اعراض التسمم او لم يمت ؟

ومثل توماس امام المحكمة «أولد بيلى». ووقف محامى الاتهام يشرح الدعوى من وجهة نظره بأسلوب واضح .. مقنع .

قال ان المتهم القى شباكه على القتيلة وتظاهر لها بالحب ليخضعها لسلطانه ثم اخذ يدس لها السم ليستولى على ثروتها .. لقد درس المتهم الطب والكيمياء ، فاستغل معلوماته وصار يسقى ضحيته سما ممزوجا بمواد من شانها أن تجعل الجسم يتخلص من آثار السم فلا يظهر فى التحليل ويجعل اكتشافه صعبا .

واخذ ممثل الاتهام يتتبع تصرفات توماس من وقت تعرفه الى بيللا ، ويفسر كل ما فعله توماس مع بيللا أو من أجلها على انه جزء من مؤامرة أعدها توماس باتقان وتدبير محكم للقضاء عليها . المغازلة السريعة والزواج غير المشروع . والاحتياطات التى اتخذت للمحافظة على السرية . واعداده الطعام لها بنفسه اثناء مرضها . وقيامه على خدمتها دون الاستعانة بممرضة حتى ساعاتها الأخيرة . ومنعه أختها من زيارتها . ورفضه استدعاء العم لين ، وأخيرا ــ وليس آخرا ــ الوصية التى حرمت بمقتضاها أسرتها وتركت كل ثروتها له .

ثم ذلك الخطاب المرسل لزوجته الأولى والذى ضبط معه قبل أن يضعه فى صندوق البريد . انه واحد من الخطابات الأسبوعية التى كان يرسلها بانتظام لزوجته كما وعدها . انه يقول لها فيه انه لم يذهب لزيارتها فى الأسبوع السابق لاعتنائه بحالة مريضة . لم يذكر من هى لأنه يخفى عليها أنه تزوج . ولأنه لم يكن متأكدا انه سيستطيع زيارتها فى الأسبوع القبل ــ بسبب مرض بيللا ــ اشار الى احتمال حدوث ما ليس فى الحسبان ، فهو لذلك يبعث لها بايجار البنسيون مقدما لأسبوعين . وختم خطابه ــ كما كان يفعل دائما ــ بارسال تحياته الى اصحاب البنسيون والأصدقاء وتوكيد اخلاصه وحبه .

انه خطاب لا يختلف عن الخطابات التى أرسلها لمارى ــ زوجته ــ مدى ثلاثين عاما ــ والتى لم ينسها وظل يذكرها بالكثير من العطف والحنان ويأسف أن كبر سنها حرمه من الكثير مما كان يرغب فيه .. والذى اغدقته عليه بيللا ..

ولكن عبارات هذا الخطاب فى مرافعة الاتهام انقلبت الى اصابع تشير اليه وتضيق عليه الخناق . أمسك ممثل الاتهام بالخطاب وتلاه فى بطء وهو يقف عند كل كلمة فيه ويتساءل « اهذا خطاب رجل هجر زوجته ليعيش مع امراة اخرى بنية عدم العودة ؟ أم انه خطاب رجل يعلم ان المراة التى يعيش معها لن تعيش طويلا ، ويعتزم ــ بعد ان تنتفخ جيوبه بمالها ــ أن يعود الى زوجته الأولى التى هجرها مؤقتا ؟ » .

★ ★ ★

ثم دعا ممثل الاتهام احد عشر طبيبا شهدوا جميعا بأن موت بيللا لا يمكن ان يعزى الا الى سم كان يعطى لها على فترات فيسبب لها دوسنطاريا حادة . صحيح ان الصفة التشريحية لم تؤد الى اكتشاف ذلك السم ولكن المسئول عن عدم ظهور السم هى كلورات البوتاسيوم (كذا) .

وظهرت فى القضية مفاجاة بعد مفاجاة . كانت المفاجاة الأولى قول الطبيب الذى أجرى الصفة التشريحية ان بيللا كانت حاملا فى شهر ونصف . ولم يكن الطبيب يعلق أدنى أهمية على هذا الخبر، وانما ذكره من باب جعل تقريره مستوفيا.. ولكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لتوماس . انه يعلم ــ وقد ذكر ذلك للدكتور جوليوس أن الحيض لم ينقطع عنها قط . وصح ما توقعه فقد اتخذ ممثل الاتهام ــ والقاضى من بعده من هذا القول ــ دليلا لادانته .

وكانت المفاجاة الثانية اثناء شهادة الدكتور تيلور. قال انه موقن ان بيللا ماتت من أثر السم. ولكنه ــ للحقيقة ــ يعترف انه اخطا حين ذكر امام البوليس أن الزجاجة رقم ٢١ كانت تحتوى زرنيخا . ويقرر ان الشهادة التى أدلى بها اذ ذاك كانت خاطئة . لقد اقسم اليمين امام محكمة البوليس ان الزجاجة كانت تحتوى زرنيخا ،

اى انه كان فى حيازة المتهم زرنيخ ، ولكنه اكتشف ــ فيما بعد ــ ان التفاعل الذى حمله على الاعتقاد بوجود الزرنيخ نتج عن استعماله شبكة غير نقية من النحاس كان يستعملها فى تجارب اخرى . والواقع الذى يقرره الآن انه لا وجود للزرنيخ لا فى تلك الزجاجة ولا فى اى شىء من متعلقات المتهم.

صحيح انه اكد مع ذلك العثور على كمية لا تذكر من الزرنيخ فى افرازات المتوفاة . وكان ذلك فى تجربة اجراها الدكتور تيلور الذى اقر بخطئه ولكن ما قيمة ذلك اذ ان من اخطأ مرة قد يخطىء مرتين .

★ ★ ★

وبدأ توماس يشعر بالاطمئنان. وازداد اطمئنانا حين تقدم الدفاع بسبعة من اساطين الأطباء شهدوا جميعا انه لا الأعراض التى ظهرت على المتوفاة اثناء مرضها ، ولا نتيجة تشريح الجثة ، تتفق مع التسمم البطىء من الزرنيخ . وان مزج الزرنيخ بكلورات البوتاسيوم ــ ان صح أن ذلك قد حدث ــ لا يؤدى الى اختفاء الزرنيخ وتخلص الجسم منه. واكدوا ان سبب الوفاة طبيعى . فالقىء والاسهال كثيرا ما يصاحبا الأيام الاولى للحمل . وهناك حالات ادى فيها القىء الكثير الى الوفاة . فالحمل فى رأيهم من الأسباب التى ادت الى وفاة بيللا ويفسر الأعراض التى ظهرت عليها . وانه لا غرابة فى ان الحيض لم ينقطع عنها اثناء الحمل ، فالطب يعرف حالات كثيرة يستمر فيها الحيض اثناء الحمل . فلا محل لاستنكار توكيد توماس للدكتور جوليوس .

اطمان توماس الى براءته . ان الاتهام كان معذورا فى توجيه التهمة اليه امام توكيد الدكتور تيلور بوجود الزرنيخ فى حيازة توماس . اما وقد عدل عن توكيده هذا ، وجاء هؤلاء الأطباء الذين لا يرقى الشك الى اقوالهم يؤكدون أن موت بيللا كان طبيعيا فلا شك ان المحلفين قد اقتنعوا وان المحاكمة لا يمكن أن تنتهى بغير اعلان براءته .

★ ★ ★

ولكن توماس كان يقدر.وكانت الأقدار تضحك.

لقد كان القاضى بولوك هو الذى يرأس الجلسة وكان قد بلغ السادسة والسبعين . والقاضى فى انجلترا لا يحال الى المعاش وانما هو الذى يتقاعد باختياره . وكان الكثيرون يعتقدون انه قد آن للقاضى بولوك أن يترك منصة القضاء . فهو عنيد فى آرائه . صلب فى تفكيره . ومحب للتظاهر والظهور . يهوى الاستماع الى صوته وهو يتكلم . ولم يتطور مع الزمن .

وكان من سوء حظ توماس انه طلب من القاضى ــ فى بدء المحاكمة ــ أن يتنحى عن نظر القضية لصداقته المتينة للدكتور تيلور . ولكن القاضى لم يقبل التنحى ، وظهر عليه الامتعاض من هـــذا الطلب وقرر الاستمرار فى نظر القضية .

وشاء حظ توماس أن يمرض أحد المحلفين فى ثانى يوم للمحاكمة فتأجلت القضية شهرا .وحين جاء عليها الدور لم يكن القاضى بولوك هو المفروض أن يرأس الجلسة ، ولكنه حضر خصيصا الى المحكمة ، واصر على أن يرأس الجلسة بنفسه .. ما من شك ان الدافع بالنسبة للقاضى كان شريفا ، ولكنه على كل حالــ ومع شديد الأسف ــ اظهر تحاملا على المتهم لا يليق صدوره من قاض.

والقاضى الانجليزى يستمع الى اقوال الاتهام والدفاع واقوال الشهود ثم يلخص القضـــية للمحلفين . ومن النادر أن يخـــرج المحلفون فى قرارهم عن النتيجة التى تستخلص من تلخيص القاضى .

سلم القاضى فى تلخيصه أن بيللا ماتت بالسم برغم توكيد العدد الضخم من الأطباء ان موتها كان طبيعيا . ثم اظهر اعتقاده أن الباعث علـى القتل هو الرغبة فى الاستيلاء على اموال القتيلة .

ثم اخذ يترحم على القتيلة التى استدعى لها الموت فى ساعاتها الأخيرة بغير حضور احد مـن اقاربها او قسيس ياخذ بيدها فى تلك الساعات الحرجة .. والتى تركت تنتقل الى العالم الآخر دون عزاء من رجل الدين كما لو كانت ملحدة .

واستبعد القاضى أن تكون بيللا هى التىطلبت ان تتزوج توماس زواجا سريا .

واستمر تلخيص القاضى ثمانى ساعات وثلاثة ارباع الساعة . فاعتبر ان ايصاء بيللا بثروتها لتوماس باعث كاف للقتل لأن مبلغ ١٨٠٠ يقبضها فى حالة وفاتها افضل من ٧٠٠٠ جنيه تستحقها ــ او تستحق ايرادها ــ طوال حياتها . وانه اذا كان هذا ليس بالباعث الكاف فان حمل بيللا ــ فى نظر القاضى ــ سواء صدق المتهم او لم يصدق فى

قوله - باعث جديد . اذ ماذا كان سيفعل بذلك الطفل الذى جاء ليعكر تدبيراته .

فتوماس اذا فى تلخيص القاضى غازل القتيلة وأقام معها علاقة مؤقتة ليحملها على الايصاء له بثروتها ثم يقتلها ويعود الى زوجته الأولى - كما يدل على ذلك الخطاب الذى وجد معه - وأن حملها افسد عليه تدبيره فاصبح قتلها ضرورة مزدوجة .

ودافع توماس عن نفسه دفاعا طويلا اقسم فى بدايته انه برىء امام الله ، وان علاقته ببيللا كانت مبنية على الحب المتبادل ، وانه لم يطمع فى مالها بل كان مستعدا أن يضحى بحياته فى سبيلها . وتساءل كيف يتصور ان يقتل امرأة شابة ليحتفظ بعجوز جاوزت السبعين ؟

ولكن ما قيمة هذا الدفاع أمام تلخيص القاضى الذى استمر يكيل له الضربات ثمانى ساعات وثلاثة أرباع الساعة . وهكذا أدانه المحلفون . وصدر الحكم بالاعدام وتحدد يوم التنفيذ بعد اسبوعين .

★ ★ ★

ولو كانت محكمة الاستئناف موجودة فى ذلك الوقت لكان من المرجح أن تلغى هذا الحكم ، اما لتحيز القاضى فى تلخيصه ، أو لأن الحكم يصطدم مع وقائع الدعوى . ولكن محكمة الاستئناف لم تنشأ فى انجلترا الا بعد ذلك بنصف قرن .

تقدم توماس لوزير الداخلية يلتمس العفو عنه ويؤكد براءته ويكرر الحجج السليمة التى كان يجب أن تقنع المحلفين . وما كان الوزير ليعير ذلك الالتماس اهتماما لولا أن وصله فى نفس الوقت دفاع حار من زوجة المتهم الأولى أكدت فيه يقينها ببراءة زوجها ، وقالت انه عطوف كريم محسن لا يمكن ان يرتكب جريمة قتل . وتقدم ثمانية وعشرون محاميا من اكبر محامى انجلترا يعترضون على الحكم . كما قدمت مذكرة من ثلاثين طبيبا ينكرون ان تكون بيللا ماتت مسمومة ويؤكدون ان الحمل هو سبب الوفاة ، ويقولون انه - ولم يقم دليل على الادانة - من الظلم تنفيذ حكم الاعدام .

★ ★ ★

ازاء ذلك راى وزير الداخلية تأجيل تنفيذ الحكم واستشار القاضى بولوك . ولكن القاضى أصر على يقينه أن توماس هو القاتل . ولكنه اعترف أن الناحية الطبية لم تعرض على المحلفين عرضا كاملا ، لا من جانب الدافع ، ولا من جانب الاتهام . فرأى وزير الداخلية أن يعين محكما يفصل ما بين الأطباء المتعارضين .

وكان أكبر أطباء انجلترا فى ذلك الوقت الطبيب الخاص للملكة فيكتوريا ، الذى كان من قبل الطبيب الخاص لجورج الرابع ، ووليام الرابع، فأفتى بأنه لا يوجد دليل قاطع على ادانة توماس.

وهكذا منح توماس عفوا شاملا عن تهمة قتل بيللا ، ولكنه قدم للمحاكمة بتهمة تعدد الزوجات وصدر عليه حكم بالأشغال الشاقة لمدة سنة .

وخرج توماس من السجن انسانا آخر غير الذى دخله . كان قبل السجن وديعا حنونا عفيفا لا مطمع له فى مال وخرج من السجن قاسيا حاقدا يبحث عن المال .

ولعل له كل العذر . فقد اتهم باغواء المرأة التى اغوته . وبالطمع فى ثروتها مع انه لم يفكر فيها . وبانه دس لها السم وهو الذى أحبها وود لو ضحى بحياته من أجلها . واحس بحبل المشنقة يلتف حول رقبته وهو برىء .

لذلك كان اول ما فعله بعد الافراج عنه أن رفع دعوى على الحكومة يطلب تعويضا ، ولكنه فقدها اذ لم يكن القانون قد أباح منح تعويض فى مثل هذه الحالة ، خاصة وقد حكم عليه بالادانة فى التهمة التى وجهت اليه بالقتل .

اتجه بعد ذلك الى لويزا بانكس وأسرتها مطالبا بحقه فى مبلغ الألف وثمانمائة جنيه وشرح فى دعواه جميع ظروف علاقته بالحبيبة بيللا . كيف كانت هى البادئة . كيف اغوته . كيف طلبت هى الزواج السرى وفى سبيل الحصول على المال انتزع منها الهالة التى احاطها بها . وبذلك حصل على حكم بمبلغ الألف وثمانمائة جنيه .

ثم حدث - ما كان بعيد التصور لو أن بيللا لم تمت . عاد توماس الى زوجته الأولى التى وقفت الى جواره فى محنته . ■■

حسن الجداوى

الخوف

الخوف خوفان

خوف سوي

وخوف مرضي

بعض الخوف فطرة لحفظ النوع بشرية ، ووظيفة لدفع الشر طبيعية .

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

الاستاذ بالجامعة الاردنية

■ ما الخوف ؟

وما مظاهره ؟

ومتى يكون الخوف سويا ؟

ومتى يكون مرضيا ؟

وكيف يعالج ؟

وكيف نواجه مخاوف اطفالنا ؟

وسنحاول ان نجيب عليها اجابات بسيطة .

الفرق بين الخوف والجبن

قبل ان نخوض فى حديثنا هذا يجب ان نفرق بين الخوف والجبن ، فالخوف امر انسانى سوى ، والذى لا يخاف اطلاقا مخلوق غير موجود فى عالمنا الحى، ولو فرضنا ـ جدلا ـ وجوده لما استطاع أن يبقى، ذلك بأن الخوف متصل بحفظ البقاء . والمخلوق ـ انسانا كان او حيوانا ـ الذى لايخاف يصعب ان يبقى. اما الجبن فرذيلة قد تكون على صلة بالخوف ولكنها ـ ما فى ذلك شك ـ امر مرضى من جهة ، وعلى صلة بالاخلاق والمفاهيم الاخلاقية من جهة اخرى .

اعراض الخوف ، فى الجسد وفى النفس

اذن ما الخوف ؟ وكيف يحدث ؟ وفى



الجواب عن هذين السؤالين لا بد من ان تقرر أن الخوف انفعال ، وأنه على صلة بالعقل(ولا سيما الادراك)،وبالجسد فانت لا تخاف الا اذا ادركت وجود خطر يتهدد بقاءك، والذى لا يدرك وجود خطر يتهدد بقاءه ـ اما عن جهل او عن غفلة أو عن عدم انتباه ـ لا يخاف .

وانت حين تخاف تضطرب ، وهذا الاضطراب يشمل عقلك وجسدك بمعنى ان تفكيرك،ادراكاتك،احكامك ،محاكماتك كلها تضطرب ، كما ان جسدك تضطرب وظائفه الظاهرة والباطنة . وهكذا فالخائف يرتجف ويصفر ويهرب ،ولكن ما يحدث فى داخل عضويته اهم ، ان وظائفه التنفسية والهضمية والدموية ، حتى منسوب سكر الدم ، تضطرب جميعها ، ولهذا كله اسباب ومعان سنعرض لها عما قليل . ولكن الذى يهمنا فى مقامنا هذا ان نسجل هذا الاضطراب الذى يلف النفس والجسد.

واذا كان لا يعنينا فى مقامنا هذا ان نخوض فى النظريات التى تعلل الانفعال، بما فى ذلك الخوف ، ونتشدد فى اهمية هذا او ذاك من مظاهر هذا الاضطراب ، فانه يهمنا على وجه القطع ان نؤكد ان التغيرات الجسدية ، ظاهرها وباطنها ، جزء لا يتجزأ من الخوف ، فاصفرار الوجه(وهو دليل تقبض الاوعية الدموية) واللهاث او السكون والاستماتة (وهو مظهر اضطراب التنفس) والهروب (وهو دليل وجود مادة الادرنالين الذى يفرزه الكظران فى الدم) ، وغيرها من الامور كلها اجزاء اصيلة من الخوف .

وهكذا نستطيع ان نخلص الى القول بان كل ما يهدد بقاءنا، حقيقيا او خياليا، يخيفنا ، ومن هنا كانت الامور المفاجئة مخيفة . وكذلك المجهول والظلام والآلام (او توقعها) ، والمكائد ، والامكنةالمرتفعة (ارتفاعا غير عادى) ، او غيرها مما قد يرتبط بحفظ البقاء ويهدده .

ومن عجب ان الخوف قد يدفع الانسان والحيوان الى الهرب (وذلك ما يحدث فى معظم الاحيان) ، ولكنه قد يدفعه الى الاستكانة والتماوت، بل قد يؤدى احيانا الى الموت فعلا . ويتوقف الأمر فى هذا ، لا على طبيعة المخلوق فحسب ، بل وعلى طبيعة الموقف ايضا، فالاخطار المفاجئة العظيمة كثيرا ما تشل حركة الانسان وتدفعه الى سكون قريب من سكون الموت .

الخوف في الدرجة الأولى ميل الى الهرب

مما تقدم يتضح ان الخوف هو في الدرجة الاولى ميل الى الهرب ، واذا لم يقم عائق في وجه هذا الميل فانه يصبح هربا كاملا ، اما اذا امتنع الهرب لسبب خارج عن ارادة الخائف او بسبب من ارادته هو ، فان مشهد الخوف قد لا يكتمل ، لكنه اذا اكتمل كان أشد واقوى .

وها هنا ملاحظة هامة جدا الا وهي ان الذي يستطيع الهرب بسرعة قد لا يجد الوقت الكافي للانفعال وحينئذ يكون انفعاله لذكرى الحادث اكثر منه للحادث نفسه .

ولنضرب على ذلك مثلا رجلا يجد نفسه امام سيارة مسرعة . انه اذا تمكن من القفز الى الرصيف في الوقت المناسب فقد يستند الى حائط ويشعر ان (قلبه قد هبط الى بطنه) كما يقال وحينئذ يتنفس الصعداء . اما الخوف الاكبر فيحدث حين يروح ويجيء امام السيارة التي ارتبك سائقها ارتباكه هو، وأخذ أيضا يروح بها ويجيء ذات اليمين وذات الشمال ، ويبلغ هذا الخوف اشده في اللحظة التي تتعذر عليه عندها الحركة ويدرك انه مدهوس لا محالة .

ولعل اشد انواع الخوف ايلاما هو القلق الذي يستحق ان نقف عنده وقفة قصيرة خاصة.

القلق أشد انواع الخوف ايلاما

القلق هو الانتظار المؤلم لما لا يمكن تجنبه (او ما يعتقد انه من غير الممكن تجنبه) . على ان نفهم من (ما لا يمكن تجنبه) لا شرا اكيدا ولكن شرا لا يتعلق تجنبه بنا ، شرا يستحيل الهرب منه . وهكذا فانه حين لا يكون ثمة شيء يستطيع الانسان القيام به لتجنب الأمر المخيف يتحول الخوف الى قلق .ومثال ذلك حالة الأم التى تنتظر خارج قاعة العمليات حيث يقوم الاطباء باجراء عملية جراحية لابنها .في هذه الحال لا تستطيع الأم ان تفعل أكثر من الانتظار . والهرب نفسه في هذا الموقف لا معنى له ولا فائدة منه .

ومثل ذلك حال الطالب غير الواثق من امتحان اداه ، والذى يعلم ان النتائج ستعلن عما قريب. انه لا يستطيع ان يفعل شيئا الا ان يقلق . واذا صح ان بعض الناس يهربون من مثل هذه المواقف، فانه صحيح ايضا انهم يعلمون علم اليقين ان هذا الهرب لا معنى له ولا فائدة منه .

والقلق اشد انواع الخوف ايلاما . انه عذاب مقيم ، وذلك لانعدام امكانية العمل على تجنب المخيف ، ولاضطرار الخائف للانتظار .

ثم ان القلق قد يكون لأسباب حقيقية كما قد يكون لأسباب وهمية . واذا كان حقا ان الحياة البشرية ، وما تفرضه من مواقف وأحوال ، لا تستطيع أن تتجنب القلق من حين الى حين ، وهو قلق يمكن ان يضبطه العقل وتمدئ له الروية وحسن التفكير ، فانه حق ايضا ان بعض الناس يقلقون لأمور وهمية تماما ويتخيلون امراضا واخطارا لا وجود لها في الواقع ثم يقلقون منها ، وهم لذلك مرضى يجب علاجهم والا انتهت احوالهم الى ما لا يسرهم ويسر محبيهم .

مخاوف الأطفال

وقبل أن ننتقل الى العلاج لا بد من المامة سريعة بمخاوف الأطفال ، وهى أمور تشغل بال الاباء والأمهات والمربين ، وتهم القارىء ايا كانت صفته .

ولنلاحظ اولا ان الطفل يولد مزودا بقدرة كامنة على الانفعال عامة ، بما في ذلك الخوف ، لكن نمو الفرد انفعاليا يتوقف قطعا على التفاعل الذى يتم بين عمليات النضج ، الجسدى والعقلى ، وعمليات التعلم (من المحيط) .

ولقد كان علماء النفس الأوائل يعتقدون ان الطفل يولد مزودا بغريزة الخوف ، غير ان علماء النفس المعاصرين اميل الى الاعتقاد بان الطفل يولد بقدرة عامة كامنة وغير متميزة على الانفعال عامة ، وان هذا التميز في الانفعالات انما يتم عن طريق النمو المردود الى تفاعل الطفل ، جسدا وعقلا ، مع المحيط ، اى تفاعل وراثة الطفل بعوامل البيئة .

والدراسات السيكولوجية الحديثة اميل الى الاعتقاد بان الخوف لا يظهر عند الطفل قبل الشهر السادس من عمره ، وحتى في هذه السن

لا يكون الخوف واضحا ولا محدودا ، وهو انما يحدث بالنسبة لبعض المثيرات المادية القوية من مثل الأصوات العالية المفاجئة واضاعة التوازن واشياء من هذا القبيل . لكن الطفل لا يكاد يتقدم به العمر ويتصل ببيئته ، ومن فيها وما فيها ، حتى تتوضح مخاوفه وتتحدد . وحتى في هذه الحال فان خوف الطفل يكون موسوما دوما بآثار الحضارة التى نشا فيها وآثار خبرته الفردية . ان طفلا يعيش في محيط لا يخشى الحية مثلا ينمو وهو لا يخشاها ، اما الطفلة التى تسمع صراخ امها حين ترى فارا فانها ستكبر لتخاف الفار .

وعلماء النفس متفقون على ان الانماط الانفعالية للفرد تتغير باستمرار منذ الطفولة الباكرة ، وحتى بعد سن الرشد،وذلك بتأثير من معارفه المكتسبة، وما يهتم به من جديد الامور ، ومن مثله المتجددة. ومعنى هذا ان مخاوف الطفل تتكون اثناء طفولته الباكرة نتيجة لتعامله مع بيئته ، وتأثره بالنمط الحضارى لهذه البيئة وما فيها من مفاهيم وعادات واساطير ومواقف . ولكن الطفل بالرغم من ذلك كله فردى ــ الى حد كبير ــ فى مخاوفه ، وقادر على النظر فيها والسيطرة عليها ، كلها او بعضها .

ويهمنا فى مقامنا هذا ان نؤكد حقيقة اساسية وهى انه طيلة حياة الفرد ، اى فرد ، تكون اهم دواعى الاثارة الانفعالية ، بما فى ذلك الخوف ، حاجة الانسان الى الأمان وما قد يتهدد هذه الحاجة من مثيرات .

واذا كان من نافلة القول ان نذكر الناس بوجوب الاقلاع عن استثارة خيال الطفل بمخاوف وهمية لا لزوم لها ، من مثل العفاريت والأغوال والاشباح وما اليها ، فانه من واجبنا ان نذكر بان بعض الاطفال بطبيعتهم ، ولاسباب كثيرة جسدية ونفسية ، اقرب الى استشعار الخوف ، وبعضهم فى ذلك اسرع من بعضهم . ومثل هؤلاء الأطفال بحاجة لانتباه خاص ومثابر .

على ان كثرة الأطفال تخاف الظلام والوحدة وبعضَ انواع الحيوانات وسواها ، ولا ينفع ابدا ان ندفع الطفل الى مثل هذه المواقف ونكرهه عليها اعتقادا منا بان هذه هى الطريقة الوحيدة لتخليصه من مخاوفه ، ذلك بان بعض الأطفال فى مثل هذه الأحوال ينقلب خوفهم من سَوِىٍّ الى مَرَضِىٍّ فيندم الأهل ولاتَ حينَ مَندم .

الهلع

والمراهقون يعانون مخاوف عدة ، فقد يثابر المراهق على معاناة المخاوف التى كان قد نماها فى سنيه الاولى ، وان كان من الشائع ان تكون مخاوف المراهق وقلقه على صلة بامور اخرى جديدة من مثل رفاقه، ونشاطه المدرسى ، ونضاله من اجل بلوغ سن الرشد والجنس الآخر وغير ذلك .

هذا وقد يستشعر المراهق خوفا هيجانيا قويا يسميه علماء النفس بالهلع Phobia وقد يسيطر هذا الهلع على سلوكه ومواقفه ويستمر حتى سنِىّ الرشد .

والهلع خوفمبالغفيه او مَرَضىٌّ ، يستشعره الانسان بالنسبة لامر من الامور او حال من الاحوال ، وهو بهذا المعنى موقفٌ هيجانى مستمر يتخذه الهالع ازاء امر كان فى الماضى قد سبب له خوفا شديدا . وبهذا المعنى يكون الهلع خوفا مَرَضيا ، ويمكن ان يكون من اعراض مرض نفسىٍّ اعمّ واعمق .

والهلع قد يتخذ شكل خوف من الأماكن العالية، او الغرف المغلقة ، أو الظلام ، او الوسخ ، او الأضواء الشديدة ، او منظر الدم ، أو بعض الحيوانات ، والألم والسم ، أو حتى الماء . ولقد أطلق العلماء على كل هلع اسما خاصا . مثال ذلك الخوف من الأماكن المغلقة يسميه علماء الفرنجة كالوستروفوبيا Cloustrophobia .

وقد يرجع الهلع الى خبرة انفعالية طفولية كمثل الخوف من الظلام ، كما قد يكون الهالع على علم بان خوفه غيرُ سَوِى ، ولكنه لا يستطيع مقاومته .

وعلى هذا فالهلع قد يصبح صفة دائمة من صفات الطبع لا يستطيع الهالع التخلص منها .

العلاج

وقبل الحديث عن علاج مخاوف الأطفال نحب

ان نذكر بما نقوله دائما بانه في الصحة النفسية ـ كما في الصحة الجسدية ـ درهمٌ وقاية خير من قنطار علاج . والمعنى البسيط لهذا القول هو الاشارة الى واجب الأبوين خاصة ، والأهل عامة ، وكذلك المجتمع ، في تجنيب الطفل المخاوف التى لا لزوم لها ولا مبرر .

ومرة اخرى نحن لا نعنى بهذا الذى نقول ايجاد اطفال او راشدين لا يخافون ، لان هذا مستحيل وغير مفيد ، فالخوف ، كما سبق أن اشرنا ، له أصل من الفطرة البشرية ، وله وظيفة في حفظ بقاء الانسان ، ومن ثمَّ النوعِ البشرى . وانما عنينا عدمَ تخويف الطفل من اشياء وهمية او امور لا بد له من التعامل معها . وبديهى انه في هذه الحال لا يحتاج الطفل علاجا لمخاوفه المشروعة ، فليخفِ الطفل اللهَ ، وليخف ايذاء الناس ، وليخف ارتكاب الاثم ... وليكن خوفه طبيعيا سويا لا مبالغة فيه ولا تهاون .

اما المخاوف المرضية ، المخاوف التى تنغص العيش وتعيق عملية التكيف وتحول بين الانسان والحياة العادية السوية ، فقد يفيد فيها أحيانا :

١ ـ العلاج الجسدى ذلك بأن صاحب البنية الضعيفة والأعصاب الهشة والمريض أقرب الى الخوف من غيرهم من الأسوياء . وقد يكون العلاج حينئذ دواء مقويا واستعادة للصحة والنظرة المتفائلة للحياة .

على اننا نعلم أن الكثيرين من الأصحاء جسديا يعانون مخاوف نفسية وأنواعا من الهلع لا بد لها من علاج . وحينئذ قد يكون العلاج :

١ ـ ضبط الخيال : ذلك بأن الخوف يتحكم في الانسان بواسطة الخيال والوهم ، ان الوهم هو الذى يخضعنا لتاثير الأشباح والطيوف والعفاريت ، ولذلك كان من واجب المربى أن يعوّد الطفل ضبط خياله دون القضاء عليه .

٢ ـ العادة : والعادة وسيلة هامة من وسائل القضاء على المخاوف ، ذلك بأن تعويد الطفل السير في الظلام ، ومواجهة الأمور التى تخيفه ، هى الطريقة الوحيدة التى تخلصه من مخاوفه . فالعادة تذهب الرهبة . بيد انه لا بد من كثير من اللباقة والكياسة في التعويد لا سيما بعد حصول الخوف . ان الطفل الذى يخاف الظلام والذى يراد تعويده على السير فيه لا بد له من التدرج في مواجهة الظلام ، كأن يؤخذ بيده ولمدة قصيرة وفي امكنة مألوفة ، ثمّ يُتدرَّج معه وبكثير من الصبر والأناة والحذر حتى يتخلص من خوفه . والا فقد يشتد الخوف ويتزايد الهلع من زواله او خفته .

٤ ـ الايحاء : ولا سيما الايحاء الذاتى Outo - Suggestion وهو من اهم انواع العلاج ، ان لم يكن أهمها اطلاقا ، ويجب اللجوء اليه دونما تردد . وينحصر الايحاء الذاتى في أن يكرر الخائف القول لنفسه بانه لا يخاف ، وانه شجاع ، وان يتصرف تصرف الشجعان ويتخذ مواقفهم واوضاعهم الجسدية والنفسية على حد سواء . وفي حالة الأطفال فان على المربى ان يَحملهم على القول بانهم شجعان لأنفسهم ولغيرهم وانهم لا يهابون موضوع خوفهم . وقد يساعدهم الراشدون مساعدة كبرى بان يعلنوا بانهم (أى الأطفال) شجعان لا يخافون ، مثيرين بذلك كبرياءهم وعزة أنفسهم .

٥ ـ المعرفة : واخيرا تبقى وسيلة أساسية وهامة وهي تعريف الطفل بموضوع خوفه ومساعدته على أن يراه على حقيقته . ولا شك في أن حسن المحاكمة وصحة الادراك ، واللجوء الى العلم ، وتعويد الطفل ضبط النفس ، أسس هامة لكل وقاية وكل علاج .

اما بعد

فهذه عجالة قصدنا منها الى تفتيح الموضوع والاشارة الى بعض نواحيه وهى ـ بالطبع ـ لا تغنى الراغب في الاستزادة عن مراجعة ارباب الاختصاص (وكتب الاختصاص) والاستعانة بعلمهم وارشاداتهم . ■■

عمان : **فاخر عاقل**



بائعة اليانصيب

للشاعر : محمد أحمد العزب

■ ... وتضحك لي .. وفي أعماق عينيها أسى يبكي
تبيع « اليانصيب » .. وعن مآسي ليلها تحكي
وعُمر شبابها عشرون .. غافية على الشوك
بنَفسجةٌ خريف العمر شرّدها عن الأيك

★ ★ ★

تَمزّق ثوبها المذعور عن صدرٍ بلا ثمرِ
وباح نهار عينيها بكل قساوة المطرِ
وولول في ابتسامتها ربيعٌ ذابل الشجر
وشرّد خطوَها الإعصارُ في ليل بلا قمر

★ ★ ★

مشتْ في الدّرب حافيةً ، يتقي خيالَها الدربُ
وياكم نام في يدها .. وفوق ذراعها .. حبٌّ
ومات .. فليس للطاوين في أوهامنا قلبُ
دُمى صخريةُ الأشواق لاتهفو .. ولا تصبو

★ ★ ★

تبيع « اليانصيب » ولانصيب لها ... وتنطلق
وتوشك أن تبيع سواه ، راغمة .. وتحترق
فخلف جدار بسمتها يصيح الجوع .. والأرق
وتبكي قصةً بيضاء خطَّ سطورها العرقُ

★ ★ ★

خُطاها ، عبْر ليل التيه ، توشك أن تُرديَها

وتوشك أن تضل بها .. وتطمس كل ماضيها
ونمضي نحن نلعنها .. ونصفع وجهها تيها
وننسى أنها جاعت .. وضاعت في لياليها

★ ★ ★

هنا كلُّ الدروب السُّودِ تعرف ظلها الساري
تضيق بخطوها المذعورِ يصفع صمتها الضاري
فكم طافت هنا حيرى .. بلا أهل .. ولا دار
وكم رسمتْ على الجدران ظل ضياعها العاري

★ ★ ★

وياكمْ جُنَّ في فمها سؤال عاش يُضنيها :
ترى أين التي ستفوز ؟ إن سعادتي فيها
ويُعييها الجواب .. فتلْقفُ الأوراق تُحصيها
وتَمْضي للطريق الجهْم .. تطويه .. ويطويها

★ ★ ★

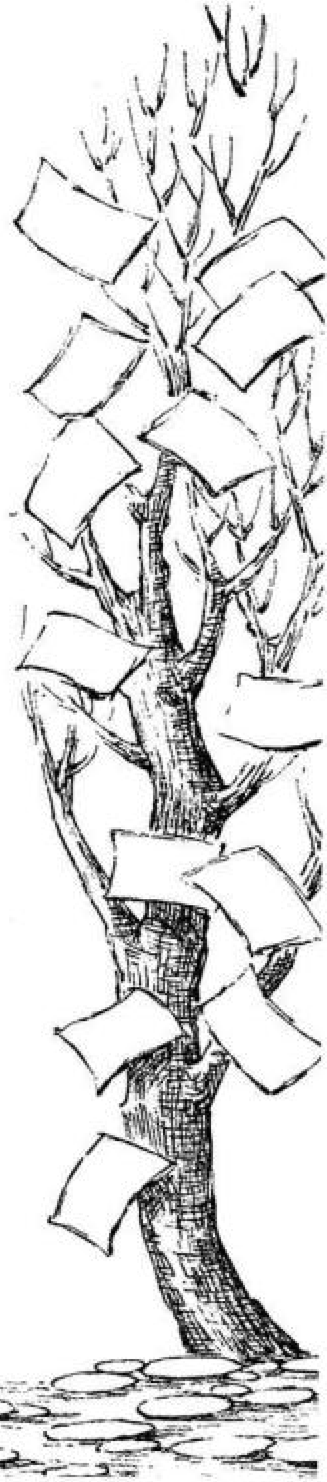
وكم باتت تناجي الليل .. أطيافا .. وأشباحا
وتسأل : من أنا ؟ مالي أبيع الناس أفراحا
وأغفو عبر ملحمة الضياع دجىً .. وأصباحا
وأحيا في خريف التيه أغصانا .. وأدواحا

★ ★ ★

وتبكي .. إنها إنسانة تبكي .. وتبتسمُ
ربابٌ رغمَ هوْلِ الريح لم يَصمت به النغمُ
وأنثى أرهفت إحساسَها الأرزاءُ والنِّقَمُ
وأرهفُ ما يكون الحس .. حين يهزُّه الألمُ

★ ★ ★

هنا .. ياكم هنا أغفت مدثَّرة .. ومقرورهْ
هنا تحيا لها في كل درب غائم صوره
هنا تجثو وراء الظل والظلمات أسطوره





هنا ياكمْ لها قِصَص هنا فـي الحى مشهـوره

★ ★ ★

مشت يوما ممزقـة الصباح يَرجُهـا القلـقُ
وعربـدَ حولها الإعصـار .. طار برغمها الـورقُ
تخاغـه الصغار هناك .. وهى تصيح .. تختنـق :
رويـدَ جنُونكم .. إنى من الأوراق أرتـزق !

★ ★ ★

ويوما أرّق الجوعُ الرهيب مَسَاءهـا الكابـى
فدقّتْ في أسىً خزيـانَ يُرْعِشهُ الدُجَى.. بابى
وقمتُ أطلُّ .. فاستضْـرى بها كلبى ، وبوابـى
عدت ظمآنـة .. جوعى .. تعانق ليلهـا الخابـى

★ ★ ★

وياما عفَّـرت باللوم وجـهَ الآدمييـنـا !
وياما أجهشـت بالدمـع تستجـدى المُصلِّيـنـا
وباسم الدين .. والديّان .. كم ناجـت غنيِّـينـا
فما أجدى البكاء هناك ... لاقمحا ولا تينـا

★ ★ ★

فتاتى .. قصّةٌ أغفى على أهدابهـا التعـب
حديقة سوسن عـذراء أحرق فجرهـا اللهبُ
وماتت فوق أفرعهـا البراعـمُ .. وارتمـى الحطب
وناحـت في روابيهـا الكروم .. وأطـرق العنب

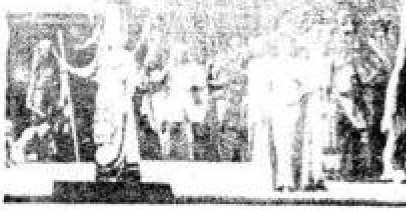
★ ★ ★

بقلبى ما يقاسى الزهرُ من ريح .. ومن مطـرِ
ومن ليل بليد النجم .. والدّيْجور .. والقمـر
بقلبى ما يقاسى في وجود غاشم القـدر
يمزّق جبهة الإنسان .. يحرق غنْوة الوتـر ■■

القاهرة : **محمد احمد العزب**

فردي

صاحب أوبرا «عايدة»





قاد الثورة بموسيقاه ، والألحان لاتخرسها القوانين

■ على بعد ١٦ ميلا من مدينة بارما Parme وعلى سفح جبال الابنين Apennins بايطاليا تقع قرية لورنكول Le Roncole الصغيرة التى لا يزيد عدد سكانها على ٢٥٠ نسمة .

وفى شارع القرية الوحيد، كان زوجان شابان يديران فندقا متواضعا ويبيعان لاهل القرية مستلزماتهم البسيطة .

وبين عشية وضحاها انقلبت دوقية بارما الى مسرح تمثيلى عليه دراما انسانية مخيفة، كثر فيها القتل والتخريب والسلب والنهب . فقد اجتاحتها الجيوش النمساوية الروسية سنة ١٨١٤ . ووصل النبأ ذات صباح الى قرية لورنكول، ان جيوش الأعداء تقترب منها فملأ الرعب قلوب الفلاحين الآمنين، ولم تجد النساء الا الكنيسة مكانا امينا يلجان اليه مع اطفالهن . ولم تقم الجنود

مشهد من اوبرا عطيل



وروائع الأوبرات العالمية

بقلم: سلمى توفيق الخماش

وردد الإيطاليون ألحانه، ولا يلقى بها في السجون

الزاحفة وزنا لدين أو لغيره ، فما أن سلبت الأكواخ من القليل الذي فيها حتى اتجه العدو نحو الكنيسة ، ولم تمض لحظات حتى كانت الأرض مغطاة بجثث القتلى والدماء تسيل . .

واستطاعت احدى النساء أثناء الفوضى التي عمت المكان ، الصعود خلسة الى برج الاجراس حيث قبعت في احدى الزوايا ممسكة بطفلها الصغير ، والرعب يكاد يشل حركتها ، خوف اكتشاف احد الجنود مكانها . .

وبقيت هكذا الى ان ساد السكون . .

لم تكن هذه المرأة سوى زوجة صاحب الفندق « كارلو فردى » Corlo Verdi ولم يكن ذلك الطفل الذي أنقذته من موت أكيد سوى ابنها جيسبى فردى ، مؤلف الاوبرات الرائعة ، الذي عمت شهرته الآفاق بعد هذا الحادث بثلاثين عاما .

نشــأته

ولد جيسبى فردى ــ واسمه الكامل Guiseppo Fortunino Franeesco Verdi في امسية ١٠ أكتوبر ســـنة ١٨١٣ . وترعرع في كنف والده الذي أحبته حبا شديدا . فقد كان طفلا ذكيا ، ميالا الى الجد ، هادئا ، مطيعا ، فلم تخطر لها معاقبته الا فيما ندر .

وكانت الموسيقى الشيء الوحيد الذي يخرجه من تحفظه ، ويملؤه سرورا . فكل نغم يصدر عن اية آلة موسيقية يبعث البهجة في نفسه ولا يكاد يظهر موسيقي متجول ــ ولا تخلو منهم بلدة او قرية ايطالية ــ حتى يكون فردى الصغير تابعه الأمين من باب الى باب ، وقد امتلأ نشوة ، والتمعت عيناه ببريق اخاذ وهو يستمع الى تلك الألحان الجميلة .

وفطن الأب الى اثر الموسيقى في نفس ابنه ، فطلب من عازف الارغن في كنيسة القرية ان يعلم فردى مبادىء فن الموسيقى ، ولشدة حماس الصغير اشترى له بيانو قديم ليتمرن عليه .

من القرية الى البلدة الصغيرة

ولم تكن قريــة « لورنكول » بالمكان الملائم ليتلقى فيها طفل في مثل ذكاء فردى علومه ، فارسله والده الى مدرســة ابتدائية في Busseto « بوستو » وهي بلدة صغيرة تبعد ٣ اميال عن القرية . وصـــدف ان كان التاجــر « انطونيو بارتسى » Antonio Barezzi الذي يشترى منه والد فردى حاجات فندقه الصغير ، يعيش في تلك البلدة . وكان « بارتسى » رجلا مثقفا ، محبا للموسيقى وعــازفا ماهرا على آلات عديدة . فما أن بلغ فردى العاشرة من العمر وأتقن مبادىء القراءة والكتابة والحساب ، حتى الحقه التاجر بمكتبه ، وعامله كاحد افراد عائلته ، وشجعه على أخذ دروس من قائد فرقة « بروفيزى » Provesi لتوسيع أفقه وتقدم الصبي تحت اشراف استاذه تقدما كبيرا ، جعل اهالي « بوستو »

يقابلون بترحاب وتقدير شديدين ، كل الالحان الحماسية والراقصة التي بدأ يؤلفها لفرقة البلدة . وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره ساعده التاجر «بارتسي» ماديا ليتمكن من الذهاب الى مدينةميلان ودخول معهد الموسيقى الشهير .

ومن سخرية القدر ان يرفض المعهد قبول الفتى نتيجة عدم اظهاره أي موهبة فنية خاصة في الموسيقى عند الامتحان !

في دار اوبرا الاسكالا

وكانت صدمة أليمة للفتى ، ولكن اليأس لم يعرف الى قلبه سبيلا ، فقد ذهب لتوه الى لافنيا Lavigna ، رئيس فرقة دار الأوبرا الشهيرة الاسكالا La Scala بميلان ، وسرعان ما لاحظ الرجل ان فردي ليس بالطالب العادي ، فكان اول من تنبأ له بمستقبل عظيم . قال للتاجر « بارتسي » الذي زاره ذات يوم : « ان جيسبي مجد ، فطن ، ذكي ، وليس اليوم ببعيد الذي سيشرفني فيه ويشرف وطننا ايطاليا » .

وتعلم منه فردي الكثير مما يتعلق بفن تأليف الموسيقى الخاصة بالاوبرا ، وتعرفه الى بلليني ، ودونيستي ، وروسيني ، وهم أعلام الموسيقى في ايطاليا حينذاك ، كان له اثر كبير في توجيهه .

يحل محل استاذه الأول في قيادة فرقته

وفي سنة ١٨٣٣ طلبه اهالي «بوستو» ليترأس الفرقة الموسيقية هناك فقد اصبح المكان شاغرا بعد وفاة استاذه السابق « بروفيزو » . فعاد فردي وملأ المنصب بكفاءة مدهشة رغم صغر سنه .

زواجه

وفي سنة ١٨٣٦ تزوج من مرغريتا ، ابنة التاجر « بارتسي » ، فتاة احلامه وصديقة طفولته . ورزق الزوجان طفلين في مدى سنتين . وصار يعمل بكل ما أوتيه من نشاط وجلد ليدفع عن اسرته غائلة الفقر والجوع . وعاوده الحنين الى ميلان ، خاصة بعد ان اتم تأليف الحان أولى اوبراته ... فمن يدري ؟ ... ربما يكون النجاح حليفه .

عودته الى ميلان

وهكذا رحل سنة ١٨٣٨ مع اسرته وكل ما يملك الى ميلان ، وبعد جهد وتذليل الكثير من العقبات التي لا بد وان تعترض وجه كل فنان فقير ، تمكن من عرض الاوبرا الأولى ــ اوبرتو Oberto سنة ١٨٣٩ تحت اشراف مريلي Merelli مدير دار الاوبرا «الأسكالا» . فنالت استحسان السامعين ، وانعش نجاحها قلب مؤلفها . فما كان من « مريلي » الا ان كلف فردي بتأليف الحان لثلاث اوبرات أخرى مقابل ١٣٤ جنيها لكل اوبرا .

عايدة ...
وقنال السويس

● اوبرا عايدة اروع ما الف فردي .. ومن الطريف ان فردي خشي حضور حفل الافتتاح الأول الذي اقيم لها في دار الاوبرا بالقاهرة لجهله بذوق الجمهور في القاهرة .

ومما يذكر ان كاتب تلك الأوبرا العالمية هو ماريت باشا ، احد كبار علماء الآثار ، وهو الذي اسس المتحف المصري .

وقد لحن فردي هذه الاوبرا بناء على طلب خاص من الخديوي اسماعيل . وقد ارادها ان تكون احدى الغرر في حفلة افتتاح قنال السويس .

وقد لاقت اوبرا عايدة اعجابا منقطع النظير من الحاضرين من ملوك ورؤساء وبدأت فصولها في السابعة مساء



صورة تاريخية لحفل افتتاح قناة السويس وقد تغيب عنه فردى . وترى فيها الخديو اسماعيل ، والى مصر ، ومعه الامبراطور فرانسوا جوزيف ، والامبراطورة اوجيني . آلا ما أكثر ماتغير اليوم الحال . فلو ان القناة كان حفلها اليوم لملأه كثرة من الزعماء العرب وملوكهم والرؤساء .

وانتهت فى الثالثة من صباح اليوم التالى .

وقد ارسل الخديوى اسماعيل لفردى برقية خاصة يشكره فيها على مجهوده الفنى الرائع .

ومنذ هذا التاريخ ، عام ١٨٧١ ، حتى اليوم ، عام ١٩٦٤ ، ما زالت اوبرا عايدة تمثل فى جميع انحاء العالم .

كارثة جائحة

لم يكد فردى يشعر ببعض الراحة النفسية ، والبهجة الروحية ، متأملا تحسين حالته المادية ، وتأمين احتياجات أسرته الحبيبة ، حتى انقضت سحابة سوداء على داره ، وبسرعة كسرعة انحدار جبل جليدى ، جرف القدر من بيته كل ما كان يملؤه نورا وسعادة . التفت حوله فلم يجد احدا ... ذهب الابن ، ثم الابنة ، ولحقتهما زوجته الحنون ... كتب فى رسالة الى صديق والألم يقطع أوتار قلبه : « مرض طفلى ، ولم ينفع فيه دواء ، فمات بين ذراعي والدته محطما قلبها ... وما أسرع ما لحقت به طفلتنا . ولم يكتف هذا ... فبعد مدة أصيبت زوجتى بحمى الدماغ ، وما هى الا فترة وجيزة حتى كانت جثة هامدة تنقل من بيتى ... وبقيت لوحدى ! لوحدى ! لقد أخذ منى كل ما كان عزيزا حبيبا الى نفسى فوق هذه الأرض ... لم تعد لى عائلة ! » .

فليس من العجب، ونفسه تمر بمحنة قاسية كهذه ، ان تكون الاوبرا التالية التى عرضها فاشلة . كان موضوعها فكاهيا ، فلم يتلاءم والألم الذى يعصر قلبه . لم يستطع قلمه الا سكب ما يشعر به من وحدة ، وضياع ، وشقاء . وصمم تصميما قاطعا على أن لا يعود الى التأليف أبدا .

هذا ما صممه فردى ، وما كتب له فى لوح القدر كان مخالفا لتصميمه . فقد صدف أن التقى به مريلي بعد ذلك بأسابيع ، فحاول اقناعه على العودة الى التأليف ، وبالرغم من عناد فردى ، وضع « مريلى » نسخة من أوبرا جديدة فى جيب المؤلف ، عله يطلع عليها .

وتلا ذلك فوز عظيم

وكان لشعر هذه الاوبرا الجديدة ، وموضوعها ، فعل مفعول السحر فى نفس فردى ، أثنته عن عزمه ، وتغلبت

على احزانه ، فاندفع يؤلف لها اللحن . وظهرت اوبرا Nabucco « نبوخذ نصّر » الى الوجود عام ١٨٤٢ . ومن افتتاحية الكورس الثائرة الى آخر نداء للنفير كان تصفيق الجمهور لها تصفيقا منقطع النظير . وقد علق فردى على ذلك قائلا : « رجوت النجاح ، ولكن ما رجوت نجاحا كهذا . . . ابدا ! » كانت الكلمات والموسيقى تعبران عما يجيش فى اعماق قلوب الايطاليين من ثورة مضطرمة ضد حكامهم النمساويين الطغاة .

نجاح مضطرد ، وام وطنية عارمة

وبدا فردى يصعد سلم المجد ، واخذ قلمه يسكب اروع الألحان بلا انقطاع ، فتتابعت الاوبرات الوطنيـة ، تعرض بنجاح مضطرد فى مدن ايطاليا الرئيسية ، ميلان ، البندقية ، روما ، نابلى ، وفلورنسا . واصبحت مقطوعاتها الهامة اغانى المقاومة الشعبية فى المظاهرات ضد الحكم النمساوى لتعبيرها الصادق عن رغبة الشعب فى الحرية والاستقلال ، فنال فردى لقب مايسترو — قائد — الثورة عن جداره واستحقاق . فعندما يهتف الايطالى « يحيا فردى » Viva, V. E. R. D. I. يجمع فى هتافه بين حبه للفنان النابغ ، ورغبته فى تحقيق ماعقد عليه الايطاليون اجمع آمالهم من المناداة بفكتور عمانويل ملكا على ايطاليا بعد طرد الحاكم الاجنبى منها وتوحيدها!

وهكذا كان اسم فردى — رمز الكفاح للحرية والوحدة . وانتشرت الحانه بشكل اصبح من الصعب جدا على ذوى السلطان وضع قوانين لاخمادها ، فالبنادق لا يمكنها قتل اغنية ! وتعجز الأحكام عن سجنها !

ختام المرحلة الأولى من حياته

وتعد سنة ١٨٤٩ ختام المرحلة الأولى من حياة فردى ، مرحلة تقدم مستمر فى الابتكار والتنويع فى فن تأليف الاوبرا ، وفى القدرة على الوصف والحذق فى الصناعة ، وقوة التعبير عن المواقف الدرامية والعواطف الجارفة خاصة فى اوبرا « ماكبيث » المبنية على تمثيلية شكسبير الشهيرة .

بدأ المرحلة الوسطى من حياته

وتبدا المرحلة الوسطى باوبرا « ريجولتو » Rigoletto التى لاقت منذ ليلة الافتتاح اقبالا عظيما ، وابهجت النفوس بانغامها الشجية المتنوعة وقوة الابداع والتعبير الذى امتازت به جميع الاوبرات التى تبعتها — التروفاتور Il Trovatore ولاترافياتا La Traviata

وفشلت هذه الأخيرة لدى العرض الاول ، والسبب لا يعود الى موسيقى فردى ، انما الى موضوعها الذى اعتبره الجمهور مخجلا ! فالاوبرا مبنية على قصة « غادة الكامليا » لديماس الابن . كما انها عرضت بالملابس العصرية ويتعارض هذا وتقاليد الاوبرا المعروفة ! اما السبب الاساسى لفشلها فيعود الى عدم كفاءة الفنيين . وبدا هذا جليا عندما اعيد عرضها ثانية بعد مدة ، فقد اصبحت منذ ذلك اليوم الى يومنا هذا احب اوبرات فردى الى الشعب الايطالى .

المرحلة الثالثة من حياته : اوبرا عايدة

وباوبرا « عايدة » Aida ذات الجلال والعمق تبدا المرحلة الثالثة والاخيرة من حياة هذا العبقرى . تلك المرحلة التى يصل فيها بفن تأليف الموسيقى للاوبرا وغيرها الى الذروة ، فهى اعظم ما وصل اليه موسيقار مبدع فى سن الشيخوخة فى كل تاريخ الموسيقى .

فمن يسمع اوبرا عايدة يأخذه العجب من ان رجلا فى الستين من عمره يمكنه تأليف الحان تتميز بهذه القوة والحيوية وانطلاق الشباب ، فكانت حدثا هائلا فى عالم الفن والموسيقى ، وقوبلت بالحماس الشديد .

وقد الف فردى الحان هذه الاوبرا تلبية لرغبة اسماعيل باشا خديوى مصر



يريد بها افتتاح دار الاوبرا فى القاهرة ، والاحتفال بفتح قناة السويس . واضطر الى تأجيل عرضها الأول عن الموعد المتفق عليه بسبب الحرب التى نشبت حينذاك بين المانيا وفرنسا . فعندما عرضت سنة ١٨٧١ لاقت نجاحا باهرا فى جميع الأوساط الراقية . واسرع الخديوى فارسل برقية تهنئة لفردى حال انتهاء العرض . وما زالت اوبرا « عايدة » تؤثر فى نفوس سامعيها بموسيقاها الرائعة .

اوبرا عطيل

وفوجىء العالم بعد ١٥ سنة بأن ملكة الابداع وجدت طريقها مرة اخرى الى اوبرا جديدة ــ اوتلو ــ Otello تمثيلية شكسبير المعروفة ــ وقد سيطرت بشكل غريب على مشاعر الحاضرين منذ اول لحن عاصف الى آخر نغمة كئيبة . ويعدها الكثيرون أعظم اوبرا الفت، فهى تمتاز بالعمق، والشدة، والشاعرية .

يؤلف وهو فى الثمانين

ويبدو ان فردى لم يكن ليتوقف عن التأليف بعد ، ففى عام ١٨٩٣ ، عندما بلغ الثمانين من العمر قدم للعالم «تحفته» الاخيرة ، اوبرا فالستاف Falstaff ــ وهي تمثيلية لشكسبير ايضا ، فقد كان فردى من المعجبين بالشاعر والروائى الكبير ــ وهي الأوبرا الفكاهية ذات الالحان المرحة الضاحكة . وقد اجمع اكبر نقاد اوربا وامريكا انها من اروع ما سمعوه ضمن جدران الاسكالا La Scala فانها تعكس كل ما وصل اليه فردى من كمال فى التأليف .

وكانت « فالستاف » خاتمة تأليفه لدار الاوبرا ، ولو انه لم يتوقف عن تأليف قطع موسيقية مختلفة فى غاية السحر والابداع .

شيخوخته ووفاته

ولم يعد فردى الشيخ يرى بعد ذلك الا فى عزبته « سانت اغاتا » قرب بلدة بوستو ، يقضى ايامه ، التجول وتفقد أحوال العمال والفلاحين فيها . وقد ترك موت زوجته الثانية ــ وكانت مغنية اوبرا تزوجها سنة ١٨٥٩ ــ فراغا هائلا لديه ، فقد كان يعتبر حياتهما شركة مثالية . وتوفى بعدها بأربع سنوات فى ميلان سنة ١٩٠١ .

مات فردى الفنان الملهم بعد ان ترك ثروة موسيقية ستخلد اسمه الى الأبد . مات فردى الوطنى المخلص الذى جعل موسيقاه اداة التعبير عن اسمى ما يعتلج فى نفس الوطنى الغيور ، فردد شعب باكمله الحانه ... مات الرجل الذى علمته حياة الريف ، حب البساطة ، والاعتماد على النفس ، والبعد عن الزيف . فكان اكثر الرجال تواضعا ، واشدهم كبرياء ، واخلصهم مودة واقلهم غرورا .

فلا عجب ان تعكس الحانه كل صفات هذا الرجل العبقرى . ■■

لندن : **ساوى توفيق الخماش**

مادرياجا

الأسباني الذي اتخذ

الولاء للأسرة والوطن، لا يتعارض والولاء

بقلم : الدكتور عثمان أمين

رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

■ « لا بد لك أن تختار المنفى ، لكي تستطيع ان تقول الحقيقة » :

هكذا قال الفيلسوف الألماني «نتشه» Nietzsch منذ أكثر من ثمانين عاما ، مخاطبا أهل الفكر من أصحاب العقول الزكية والنفوس الأبية . واتخذ الكاتب الفرنسي المعاصر « ألبير كامو » Camus من عبارة نتشه شعارا لأزمة الفكر في هذا العصر ، ورأى أن هذه الكلمة الجامعة قد لا تصدق اليوم على أحد من عشاق الحرية وطلاب الحقيقة قدرما تصدق على المفكر الأسباني « سلفادور مادرياجا » ، الذي اختار المنفى بعيدا عن وطنه ، محتملا المكاره راضيا ، زهاء ربع قرن من الزمان، حفاظا على استقلال رأيه وصونا لكرامة فكره .

ولد سلفادور مادرياجا Madariaga في الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٨٨٦ في « كورونا » باسبانيا . ولكنه قضى الشطر الأكبر من حياته خارج وطنه ، وسرعان ما تحددت شخصيته الدولية المستقبلة حين دخل مدرسة « شابتال » بباريس سنة ١٩٠٠ ، وقضى فيها ست سنوات ، ثم التحق بالمدرسة العليا للهندسة والصناعات (وهي المدرسة «البوليتكنيكية» الشهيرة) بباريس، ثم « المدرسة العليا للمناجم » . وفي سنة ١٩١١ عين مادرياجا مهندسا في احدى شركات السكك الحديدية بشمال اسبانيا ، وتزوج من انجليزية في جلاسجو سنة ١٩١٢ ، ولكنه استقر في لندن منذ سنة ١٩١٦ .

مؤلفاته

وقرر أن يتوفر على مواصلة نشاطه العقلي وفقا لميوله الأدبية الانسانية ، فاصدر سنة ١٩١٧ أول بحوثه عن « الحرب منظورا اليها من لندن » . وتتابعت مؤلفاته بعد ذلك ، وتناولت فنونا وموضوعات مختلفة : من السير والتراجم والسياسة والتاريخ والقصص والمسرح والاجتماعيات والشئون الدولية ، وجميعها على تنوعها وغزارتها تكشف عن قوة الملاحظة وسعة الثقافة ، وتنم عن نفاذ النقد وروح الابتكار . وفي سنة ١٩٢٠ اصدر أول كتاب أدبي له عن « شلي وكالدرون » بحث فيه أثر الكتاب الاسبانيين الكلاسيكيين في الأدب الانجليزي .

رأيه في اللغات

وبرزت مواهب مادرياجا في عالم الأدب . وتجلت احاطته بالحياة الاجتماعية والسياسية في أوروبا

عِنْدَ الإنجلوسَكسُونيِّين:

العَالم وطنًا له للعَالم

العَالم مجمُوعة مِن الأجانب لَم تبلغ بهم الفِطنة أن يكونوا بريطانيين أو أمريكيين..!

من ثنايا كتاب عنوانه : « الانجليز والفرنسيون والأسبانيون» اصدره سنة ١٩٢٩ بثلاث لغات فى آن واحد . والى هذا الكتاب يرجع الفضل فى ذيوع اسم المفكر الاسبانى فى البيئات العقلية الاوروبية . وفى الكتاب فصول ممتعة حقا عن سيكولوجية اللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والاسبانية ، وعن الأحوال السياسية للشعوب الثلاثة . ان الفكرة الشائعة عن الفيلولوجيا « فقه اللغة » انها دراسة ما يمكن ان يسمى ببنية اللغات . ولكن اللغات فى نظر مادرياجا اكثر من مجرد حشد من الكلمات تنتظمها قواعد النحو والاجرومية . ولسنا نجاوز المنهج العلمي الصحيح اذا تطلبنا من العلم نوعا من النفاذ الحدسى ، بدونه لا تستحق المعرفة هذا الاسم . « انما اللغات تعبيرات مباشرة عن طبائع الأمم : انها الانطباع الأول لروح الانسان عن العالم الذى يحيط به . والكلمات التى يتخيلها الانسان لكي يصف بها الأشياء والأفكار التى يتصورها مطابقة لما يحسه من مشاعر ، والنسق العقلى الذى يخطه شيئا فشيئا لكى يستخدم تلك الكلمات على نحو محيط جامع ــ هى صورة مباشرة لطريقته فى التفكير : ان الاجرمية فلسفة على الحقيقة ».

لم ينس انه اسبانى

ويعتبر مادرياجا اليوم من الكتاب العالميين ولكنه لم ينس قط انه اسبانى وان عليه بهذه الصفة واجبات ، فاصدر عن « اسبانيا » كتابه التاريخي الكبير سنة ١٩٣١ فجاء ثمرة ملاحظات دقيقة هادئة وخلاصة تامل واسع شامل . وفى عهد الجمهورية الأسبانية كان مندوبا لبلاده فى عصبة الأمم . وانتخب مديرا لهيئة نزع التسلح بها . ولما كان يكره اتخاذ العنف اسلوبا فى التعبير السياسى ، فقد لبث بعيدا عن النزاع الدامى الذى هز كيان اسبانيا سنة ١٩٣٦ وان يكن قد ساند حقوق الجمهورية التى كانت هدفا للهجوم فى ذلك الحين .

البحث عن الحقيقة ، مستقلة عن اهوائنا والرغائب

ان فى ايمان مادرياجا بحرية الانسان ما يجعله نصيرا طبيعيا للديمقراطية ، معارضا للحكم الاستبدادى فى أى صورة ظهر . ومنذ اختار الحياة فى المنفى سنة ١٩٣٩ ، ارضاء لحبه للحرية وسعيه الى الحق ، كما قال « كامو » ، ظل يخوض المعارك القلمية من اجل تحقيق تلك الحرية فى العالم وفى أسبانيا بوجه خاص . ومع ان مادرياجا ناصر قضية الحلفاء ابان الحرب العالمية الثانية ، واشاد ببطولة الشعب السوفييتي ، الا انه استنكر احتلال براغ ، وهاجم قمع الثورة المجرية ، واخضاع التبت للسيطرة الصينية ، وعارض « باتستا » فى كوبا وايد « كاسترو » وأرسل اليه خطابا مفتوحا يحذره فيه من خطر التسلل الشيوعى الى كوبا . والكثيرون من المعنيين بالشئون الدولية يعتقدون ان ما يتمتع به مادرياجا

من هيبة ونفوذ في بلاده وخارجها ، وما اتسم به من رحابة الافق ونزاهة الغرض ، يجعل منه تلك الشخصية الدولية النادرة التى هى أقدر من غيرها على البحث عن الحق لذاته ، والارتفاع بالمبادىء عن أهواء السياسة ومجاوزة آفات المجتمع الراهن وعصبياته ، ويرشحه لان يمثل أعلى تقاليد الانسانية فى قلب الانسان العالمي المعاصر .

ولقد حاول مادرياجا فيما كتب عن الشئون الدولية أن يقيم نتائج بحوثه على اعتقاد ضمنى راسخ بوجود حقيقة موضوعية ، مستقلة عن رغباتنا وانفعالاتنا . ولا شك أن سلوك هذا الطريق يحتاج الى قدر كبير من الشجاعة والاخلاص ، « لان العالم قد قسم الى مناطق فكرية ، معزول بعضها عن بعض ، وهى تنتج فكرا يستوى جودة ورداءة وقد أصبحنا واذا كل شىء يفسر بالطبيعة أو الأمة أو الدين الذى ننتمى اليه . وحيث تسود هذه النسبة الطاغية ، أو العصبية المتعصبة ، يتعين أن يبقى البناء والنظام والسلام وراء متناول الانسان » . اننا نستطيع أن نواجه التحدى من عالمنا الباغى ، وان ننقذ أنفسنا من الضلال ، اذا استطعنا ان ننظم حياتنا فى المجتمع متجنبين اجتراح قوانينها الثابتة بقدر ما فى الامكان :

« أمامنا أمم وأديان وطبقات مختلفة ، فلا يسوغ لنا أن نتحيز لواحدة منها على حساب الاخرى ، ولا أن نتجنى على احداها لمصلحة الاخرى ، فان المسعى الانسانى القويم يتطلب قبل كل شىء ولاء للحقيقة لا يتزعزع ولا يحيد » .

تجربته فى المجال الدولي

وكتاب مادرياجا عن « تخطيط العالم » يلخص تجربة خمسة عشر عاما من النشاط الدولى المتصل . فتجربة الرجل اذن تجربة زاخرة بالآمال الواسعة ووجهات النظر المتباينة : رأى المؤلف « عصبة الامم » فى دخائلها ومن ردهاتها وعلى منصاتها ، فاذا كان قد بقى بعد ذلك مثاليا فتلك المثالية وليدة تجربة طويلة عرف أبانها السآمة وخيبة الأمل ، وعرف ذلك الاحساس الذى يجمد القلوب حين يخطر ببالنا أن التفكير والتدبر فى أمر الانسانية يظهرنا على أنها لا تحتكم دائما الى العقل ، وان الارض أشبه بمارستان كبير . والمؤلف لا يريد ان يرفع « رجال الاعمال » فوق أنانيتهم ، بل يريد أن ينبههم الى أن مصلحة أنانيتهم تقضى بأن تخضع الأمم الفوضوية لقانون الانسانية ، وان حل المشكلات السياسية يعتمد فى آخر الأمر على العنصر الانسانى . صحيح اننا نجد فى الانسان أشد أنواع المقاومة ، ولكن من الانسان أيضا نستمد القوة على التغلب على كل مقاومة : « انما الانسان ، لا الاشياء ، هو الذى يقوّم روح السياسة . واذا كان من اللازم أن ندرس الأشياء لكي نرى فيها المخرج من مآزق السياسة ، فاننا بدراسة الناس نستطيع آخر الأمر أن نخرج من هذه المآزق » .

السنة من التاريخ تتحدث

ولئن يكن قد غلب على مادرياجا التكوين العلمى الذى تلقاه فى شبابه بمدرسة الهندسة ومدرسة المناجم ، فهو مع ذلك يعبر فى مؤلفاته كلها عن عقيدة مفتوحة لا تقنع بدراسة الظواهر التى هى موضوع العلم ، بل ترمى دائما الى تخطى ذلك الظاهر الى ما وراءه لاستشفاف الجوهر العميق.

نراه فى كتابه « جنات الفردوس » يدير حوارا طريفا بين أقطاب التاريخ الحديث ، بين مارى استيوارت ، ، كنُط ، وجوته ، وفولتير ، والرئيس وشنجتون ، ونابليون ، وكارل ماركس . ويتناول حوارُهم ما فى عالمنا المعاصر من مشكلات واحداث ، فيناقشون السلم والحرب ، والفاشية والشيوعية ووحدة المجتمعات البشرية . واذا بنا نتبين فيما وضع على لسان تلك الشخصيات عقيدة سمحة صافية ترتكز على ركائز من المثالية الاخلاقية .

نراه يقول على لسان واشنجتون أن « الحضارة تقوم فى النهاية على الايمان . والايمان رابطة أدبية تجعل الناس يرتفعون فوق مصالحهم المباشرة الحيوانية ، لأن المدافع والذخائر والمؤونة مادة لا حياة فيها بغير الايمان » .

وعلى لسان جوته : « فى معركة « فالمي » تغلب الايمان بلا مدافع على المدافع بغير ايمان » .

ويقول عن تعصب الشيوعية على لسان فولتير : « الشيوعية نظرية كاثوليكية محضة تؤمن بأن الدولة يجب أن تكون تحت رقابة الكنيسة . والشيوعى هو النسخة المعاصرة للجزويتى . الغاية عنده تبرر الواسطة سواء كانت العقيدة

او العالمية أو الخضوع التام والاستسلام المطلق ولا يطيق أى دين آخر » .

ويضع على لسان واشنجتون قوله : « ليس العدل والحرية صفتين يتصف بهما مجتمع متحضر ، وانما هما روح هذا المجتمع . ولا يمكن أن يدوم مجتمع بلا حرية ولا عدالة ، بل لا يمكن أن يقال انه كان للمجتمع بدونهما وجود حقيقى . وليس هنالك سوى اختيار الحرية أو الطغيان . فاذا ألغيت الحرية فسم طغيانك ما تشاء ، فاشية ، نازية ، دكتاتورية الصعاليك أو أى اسم آخر » .

ويقول على لسان فولتير ، موجها الحديث الى كارل ماركس : « أنت تعتقد فى نفسك انك من رجال العلم . ولكنك متحمس دينى تأخر مولده ثلاثة قرون . لقد قصدت أن تنشىء حكومة تقوم على سلطان العقل وتضم أمما مختلفة . ولكنك انشأت عقيدة ، واقتضى ذلك بطبيعة الحال حربا دينية . أجِلْ الطرْف فى أوروبا تبصرها قد عادت الى القرن السادس عشر . ما الذى كنا جميعا نجاهد من أجله فى القرن الثامن عشر ؟ كان الكاثوليكي والبروتستانتى يتقاتلان لاختلافهما على اختيار أفضل أسلوب لعبادة الاه الرحمة . وفى العصر الحاضر يتلهف كل من الشيوعى والفاشى على قتل الآخر نزاعا على اختيار أفضل طريق الى السعادة » .

سياسة القوة لا تزال سائدة

ولقد حظيت الشئون السياسية الدولية فى السنوات الأخيرة بالنصيب الأوفى من مؤلفات مادرياجا . وهو يلاحظ فى أكثرها ، كما فى كتابيْه « نسف المعبد » و « فوضى أم حكومة مستتبّة » ، كما لاحظ من قبل فى كتابه عن « اسبانيا » ، ان العالم الحاضر منقسم على نفسه . وهو أبعد ما يكون عن الوحدة : فان المجموعات الثلاث ، السوفيتية والأمريكية والبريطانية ، لا تخرج عن أن تكون ثلاث امبراطوريات يتعارض بعضها مع بعض تعارضا موصولا .

و « الدولتان الغربيتان يغلب عليهما الغرام بسياسة القوة ، وهما لا تزالان تمارسان لعبتهما الخطيرة وان كانتا تدركان أن هذه السياسة لم تعد سياسة يتقبلها الرأى العام فى أى ركن من أركان العالم ولا حتى بين شعوبهما » . وما تضمه هاتان الدولتان من الثقة فى القوى الاخلاقية قليل جدا بالقياس الى ثقتهما فى القوى المادية . «وعلى هذا النحو تعملان كل يوم على زيادة يقينهما من الانتصار فى حرب ساخنة تجعلها القنبلة الهيدروجينية أقل يقينا ، فى حين انهما تزيدان كل يوم من احتمال هزيمتهما فى حرب باردة قد تلتهم العالم كله فى دوامتها المسعورة » .

وكان ان جاء هذا الغرام بسياسة القوة الذى أصاب الشعوب الغربية بعواقب وخيمة وانذر بكوارث مستقلة : « وقد أبعد كل احتمال للتفاهم الصحيح ، سواء من ناحية العاطفة أو من ناحية العمل ، بين بريطانيا والولايات المتحدة . وتبدو هذه الحقيقة أوضح ما تكون حين تتقابل خطوط القوة الامريكية والبريطانية عند زاوية حادة كالصين واسبانيا مثلا » . فواضح أن سياسة بيكين كانت تكون أقل شكاسة وخطرا على الغرب لو أن بريطانيا والولايات المتحدة استطاعتا الوصول الى سياسة مشتركة بينهما فى الشرق الأقصى . وواضح أيضا ان « الاتفاقات التى وقعتها الولايات المتحدة مع فرانكو ما هى ، من بعض نواحيها ، الا مثل من الأمثلة على الصراع الجارى بين الدولتين الغربيتين للتفوق فى البر والبحر » .

قوى أخرى تناصر التحرر الانسانى

لكن هنالك قوى أخرى تناصر التحرر الانسانى حقا وتنزع نزعة عالمية خالصة ، ساعية الى خلق عالم أفضل تسوده « فيدرالية الأمم » ، هادفة الى التعبير عن التعاون الواضح القائم بين الكائنات البشرية فى أرجاء هذا الكوكب عن طريق التنظيم والقواعد وأساليب الحياة . وقد كانت هذه القوى باعثة على انشاء « عصبة الأمم » ، فى آخر الحرب العالمية الأولى وقيام « هيئة الامم المتحدة » فى نهاية الحرب العالمية الثانية . ومع أن الروح المحركة فى الحالتين كانت روحا طيبة ، كانت الأفكار فى كلتيهما متسمة بالسذاجة المفرطة : اذ كيف يتيسر أن يحكم العالم كله عن طريق مجلس ضخم تستعصى قيادته ،وهو أشبه ببرج بابل ، وأبعد عما يجب أن تكونه منظمة كهذه ، أعنى نوعا من المجالس العائلية يجتمع للنظر فى شئون عائلة الشعوب ؟ » .

ومهما يكن الأمر فمن الواجب أن نذكر بأن الدول الكبرى ، الى جانب سياسة القوة التى لا تزال تمعن فيها ، تشعر اليوم بأن الرأى العام

في بلادها قد اخذ يدفعها الى انتهاج سياسة اخرى لا تختلف عن سياستها المعتادة فحسب بل تعارضها ، مستهدفة أن تربط امم العالم بعضها ببعض في اطار من الحرية ، « ولهذا وجب على الغرب ان يجاهر رسميا وفي وضوح بان الاهداف التي يسعى اليها هي « الحرية لجميع امم الارض وشعوبها وان هذه الحرية هدف يتحقق على التدريج خطوة خطوة » .

ولا بد لتحقيق هذا الهدف من ان تسترد الالفاظ التي تستخدم في الشئون الدولية ما كان لها قبل ابتذالها وامتهانها من معنى في الاذهان ووقع في النفوس ، ولا بد كذلك من وضع مجموعة مُحكمة من القواعد العلمية واقامة عدد من الهيئات «فوق الوطنية » ، بدلا من تلك الخطب العصماء التي تحفل بها المؤتمرات التقليدية عن حقوق الانسان.

الشعور بالوحدة الروحية .

ان العالم وحدة . ولكن يبقى في قلب هذه الوحدة ستون فرقة ، نسميها دولا او امما او شعوبا ـ وكلها عاجزة عن ان تضع مصلحة المجموع فوق مصلحتها الخاصة . وهذه الفرق تقوم في العالم الحاضر بدور شبيه بالدور الذي تقوم به الاحزاب السياسية في الدولة المعاصرة حين تجد نفسها منكوبة بتحزب وضيع وعنيف يمنعها من اخضاع شهواتها للمصلحة الوطنية العامة . ان الفشل الذي منيت به عصبة الامم ـ وقد كانت بذرة الحكومة الفيدرالية العالمية ـ راجع الى فقدان التعاون بين الدول الاعضاء . وما الوحدة التي تعلنها هيئة الامم المتحدة الا وحدة صورية برانية : « فليست السواعد هي التي ينقصها الاتحاد ، بل القلوب والاذهان التي توجه تلك السواعد » . واذن فالذي ينقص الدول الاعضاء في هذه المنظمات هو وحدة الفكر، ووحدة الهدف، ووحدة الارادة : « وبالاجمال نقول ان العالم اليوم سوق ، والعالم راى عام ، وليس العالم مدينة بعد » .

الولاء للاسرة والوطن ، والولاء للعالم

فالمشكلة ذات طابع روحي جواني . ان جذورها ممتدة في اعماق النفس البشرية. جذورها ضاربة في كوامن الانسان حيث تنبثق ضروب الولاء على اختلافها : الولاء للاسرة وللقرية وللمقاطعة وللوطن. الناس جميعا يعرفون هذه الانواع من الولاء الجزئي المشخص ، ولكن الولاء الكلي المجرد ـ الولاء للعالم ـ شعور غير مألوف عند اغلبية اهل الارض في هذا العصر . ومع ذلك فالشعور بالوحدة الروحية هو السبيل الوحيد الى نجاة الجماعات البشرية .

وفي كتابه « جنات الفردوس » وضع مادرياجا على لسان «جوته» ذلك التنبيه حين قال :« لاشيء ينقذ الجماعات البشرية من التفكك والانحلال سوى الشعور بالوحدة . وانا احلم باليوم الذي يحقق فيه النوع البشرى والامم والافراد الوحدة الانسانية ، وهذا هو الذي يصونهم من الفساد .. واحلم باليوم الذي يحوّل فيه الافراد الى الامة ـ في صورة من الخدمات اكثر تعقيدا ـ الطاقة التي يتلقونها من القيام باودهم وتثقيفهم واحلم باليوم الذي تتلقى فيه الامم هذه الخدمات من افرادها وتحولها ـ في صورة الثقافة الاكثر تعقيدا ـ الى الحكومة العالمية الشاملة .وحينذاك تكون الدنيا قد حققت اروع المثل العليا الانسانية: الحرية والنظام » .

وفي كتابه « نسف المعبد » نراه يرسل النذير تلو النذير بأن العالم ينحرف في الوقت الحاضر على غير هدى . وهو لابد ينحرف على غير هدى ما دامت تقوده زعامة تجريبية لم تتلق نفحة من المثالية الاخلاقية ، وما دام ترابطه مجرد تعبير تلوكه الالسن ، ولا صلة له بالترابط الاخلاقي الذي فيه خلاص العالم .

عجز الانجلو سكسونيين

وقد عجز زعماء الشعوب الانجلو سكسونية في الغرب عن ادراك وحدة العالم وحدة معنوية جوهرية : « فهم لا يزالون ينظرون الى العالم على انه مجموعة من الاجانب لن تبلغ بهم الفطنة ولن يكون لهم من القدرة ما يغريهم بأن يكونوا امريكيين او بريطانيين .. طبيعي انه لا بد ان يعطى هؤلاء الاجانب النصيحة والمال والمعونة الفنية ، ولا بد من معاونتهم حتى يقفوا على اقدامهم ، ولا بد من تشجيعهم واستنهاضهم ومعاملتهم في رفق ويسر ، ولا بد من عمل كل شيء من اجلهم ، الا ان يسمح لهم بأن يكونوا اندادا يقفون على قدم المساواة

فى عالم يقوم على أسس التعاون والحق : فذلك ما لم يستطع زعماء الشعوب الانجلو سكسونية ان يروضوا انفسهم عليه حتى الآن . انهم لا يزالون يركضون وقد اعتلوا صهوة فرس بالمرستون التى لا ترى ولا تسمع حتى يأتى يوم تدوس باقدامها على الزر الذى يشعل القنبلة الذرية ،فيستيقظوا من سباتهم نادمين يوم لا ينفع الندم، وهم يتمثلون بعبارة شكسبير: آه يا اياجو ! ما اشد رثاءنا !».

العالم « الحر » لا يدرك أهدافه

ان العالم المزهو بلقب « الحر » ينقصه الوعى الانسانى الصحيح ، انه لا يدرك اهدافه ، وقد حال بينه وبين هذا الادراك تعقد شخصيته بسبب تعقد شعوبه وأحزابه وتقاليده وأساليبه .ويقول مادرياجا :

« وزاد من هذه النزعة اتجاه عقلية الشعوب الانجلوسكسونية التى تتزعم العالم الحر الى الناحية التجريبية الصرفة (لقد قال لى مرة ناشر امريكى : فوق كل شىء لا نريد افكارا ، بل وقائع !) . ان الانجلو اهل عمل وتنفيذ يتلذذون بعمل الأشياء وتنفيذها بقدر ما يفرون من التفكير فيها . لهذا كانت المبادىء عند الانجلو سكسونيين تنزع دائما الى التوارى فى اعطاف مزاج تتسلط فيه عليهم خواطر يوم الأحد ، وتسيطر عليهم فيه الوصايا العشر ، فلا يكون لهم مزاج ايام الاسبوع. ولعل فى هذا ما يفسر الدافع الذى دفع روزفلت الى تفتيت الحرية الى عدد من الحريات ، لكذا ومن كذا حتى يهيىء بذلك شأنا او جملة من الشئون تشغل سائر أيام الاسبوع ويتسنى لأرباب الاعمال ان يناقشوها . ولكن التصرف على هذا النحو قد ادى الى ان المبدأ الشامل الوحيدالذى يسرى على جميع الناس وجميع الأمم ، فى جميع البحار والقارات ، قد تفتت وتبدد فى مشكلات محلية جزئية (اقتصادية فى الغالب) وضاعت الوحدة التى كان من الممكن ان يوحى بها المبدأ ».

الرأى العام عامل من عوامل السلام

ان السلام ليس تسليما ، وانما هو استمتاع بالحرية والأمن استمتاعا ايجابيا يشد من أزره التفكير المستند الى العقل والروية . السلام الحقيقى وليد اتفاق حر بين جماعات حرة ،

والحقيقة الأساسية التى تعتبر حجر الزاوية فى يومنا هذا هى ازدياد الرأى العام العالمى قوة واهمية،وهى حقيقة لا يمكن ان يرقى اليها الشك. وآية ذلك ان ما كانت تنشره الصحف الامريكية من الانباء الخارجية فى سنة ١٩٣٠ مثلا لم يكن يصل فى جملته الى عشر ما تنشره اليوم تلك الصحف . وآية ذلك ايضا ما شهدنا من قوة الرأى العام فى ازمة السويس : « فقد رأينا كيف فضلت فرنسا وانجلترا ان تتخليا عن حملتهما على قناة السويس حتى لا تتحديا الرأى العالمى العام ، ورأينا كيف عاد الرئيس ايزنهاور فكف يده عن فنزويلا بعد الحركة الصاخبة التى بدت منه على اثر الجو المضطرم الذى استقبل به نائب الرئيس نكسون فيها . ان مثل هذا السلوك الذى يقوم على كبح جماح النفس ما كان ليحدث بل ما كان ليخطر على البال ايام الرئيس ولسون ولويد جورج ـ ونحن هنا انما نخص بالذكر اثنين من الزعماء الاحرار الذين تشربوا روح الديمقراطية وعاشوا فى الماضى القريب ، ومع ذلك لم يترددوا فى استخدام ما اسماه تيودور روزفلت بالعصى الغليظة » .

أسبانىٌ مولدا ، وعالمىٌ عقيدة

وبعد فما من شىء هو اشد دلالةعلى روح العالمية عند مادرياجا من ذلك اللقب الذى اختاره لنفسه فى بعض كتبه : « سلفادور مادرياجا : اسبانى بمولده ومواطن عالمى بعقيدته » .

ولقد صدق « البير كامو » اذ تحدث عن « القيمة الانسانية » التى سما اليها مادرياجا . وها هو ذا فائز آخر بجائزة نوبل « سان جون بيرس » يعبر عن اعجابه بالمفكر الاسبانى فى برقية أرسلها الى المنظمة العالمية لحرية الثقافة فىمناسبة احتفالها بذلك المفكر فى عيده الخامس والسبعين فيقول : « بالاضافة الى ما اكنه فى نفسى منشعور عميق نحو مادرياجا ، الانسان والصديق الذى طال اقترابه عن وطنه الأول ، اود ان اضم صوتى الى أصوات اولئك الذين يكرمون انفسهم اليوم، اذ يحتفلون برجل صان نفسه عن مزالق المجتمع العصرى الحائر ، ونبض قلبه بالولاء لأرفع مشاعر الانسانية وأعمقها » . ■■

عثمان امين

شاعر الخليج

خالد الفرج

تميز بالأسلوب الساخر في تصوير الواقع

بقلم : خالد سعود الزيد

مدينـــة الكويت ، علـــى ضـــفاف الخليج الحالمـــة ولـــد شـــاعر الخليج الكبير الاستاذ المرحوم خالد محمـــد الفـرج سنة ١٣١٦ هـ ، ١٨٩٨ م . واول من اطلق علـيه لقب شاعر الخليـــج هـــو الاستاذ محمـــد على الطاهـــر صاحب جريدة (الشـــورى) الفلسطينية ، ولم يكن فى الخليج من يضاهيه حينذاك أحد من الشعراء .

نشأته

نشأ الشاعر فى بيت موفور النعمة والجاه ، وتهيأت له أسباب الدرس والتحصيل التى حُرم منها اقرانه . فتلقى دروسه الاولى فى الكتّاب . ثم لما ظهرت عليه بوادر النبوغ واستبان اهلـه لهفته الصادقة فى تلقي الدروس وفّروا له من الكتب والمدرسين الخصوصيين الاكفاء من قاموا على تعليمه وتنشئته تنشئة ثقافية عالية .

فى المدرسة المباركية

وعند افتتاح المدرسة المباركية التحق بها ، واخذ يتخطى كل صفين بسنة واحدة ، ولم يكن فى المدرسة غير ستة صفوف فقط . وقد دعت الحاجة الى ترشيح بعض الطلبة ليقوموا بمهمة التدريس ، فكان خالد الفرج هو أول من درّس للتلاميذ فى المدرسة . وانكبّ فى هذه الاثناء على متابعة الدراسة بنفسه والتنقيب فى بطون الكتب وامهات المراجع فى الثقافة العربية فجنى العلم الوافر وتزود بالثقافة الواسعة ، مع ما كان له من ذكاء وافر وغريزة ملحة تواقة لحب الاستطلاع .

فى الهند

وفى سنة ١٣٣٦ غادر الكويت الى مدينة بومبى ، شأن سائر الكويتيين الذين يذهبون الى الهنـد للتجارة . فطاب له المقام هناك ، فاستقر واشتغل كاتبا عند احد التجار الكويتيين واخذ يتعلـم اللغة الانجليزية ، واللغات الهندية ، فتعرف على آداب الهنود وطبائعهم . واسس مطبعة سماها « المطبعة العمومية » .



في البحرين

وفي سنة ١٣٤١هـ ١٩٢٢م ، زار البحرين لبعض المهام ، فاعجبته بادبائها ونهضتها الفكرية ، فاستضاف حماها وأغرم بها . وصادف وجود (الدواسر) وهم أبناء قبيلته ، وأصله الذي ينتمي اليه في مساكنهم بمدينة (البديع) ، وهي مدينة تقع على بعد ساعتين من المنامة عاصمة البحرين . فأحلوه ضيفا عليهم . وكان حاكم البحرين آنذاك هو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وقد اشتهر بعدله ونزاهته ، ولقد قال فيه المرحوم امين الريحاني في كتابه (ملوك العرب) : « أما العدل فقد كان غالبا معززا في عهده . والحق يقال ان الشيخ عيسى نفسه لم يظلم انسانا في مدة حكم استمر خمسا وخمسين سنة » .

مع الرافعي في مصر

ولقد كانت حياة خالد الادبية في البحرين غنية ثرة ، لتوفر الحرية له وانبساط باله هناك ، فشارك في مجال النهضة الفكرية بها . وكان هو في الهند على اتصال ببعض الصحف العربية في مصر وغيرها . وقد استطاع أن يقنع المرحوم أمين الرافعي صاحب جريدة (الاخبار) المصرية لفتح صدر جريدته لفضح أعمال الانكليز في البحرين والخليج العربي ، وقد كتب الشاعر مقالات عن مساوىء الاستعمار الانجليزي وندد به . ولما توفي امين الرافعي في ٧ رجب سنة ١٣٤٦هـ ، ١٩٢٧م ، رثاه الشاعر بقصيدة تدل على الأسى العميق وجلل المصاب في وفاته ، وأثره على الشرق العربي والخليج بخاصة

نشر الحزنُ على الشرق سحابا
يملأ الأنفس همّاً واكتئابا

نكباتٌ تتوالى فوقه
لو أصابت قاسي الصخر لذابا

شيّعتْ مصر (أمينا) مخلصا
قطُّ ما ساوم في الحق وحابى

لو درى كامل(١) من مَقْدمه
لنضى الاكفان عنه والترابا

الى ان ياتي على ذكر جريدة (الاخبار)

واذكر (الاخبار) نبراس الهدى
حين تنقضُّ على الظلم شهابا

ارجفت من (مصر) في تقريعها
(طاغي البحرين) نقدا واحتسابا (٢)

حجبوها خيفةً من امة
افسحت فيها لشكواها الرحابا

---

(١) العربي : وقد قصد بكامل زعيم مصر مصطفى كامل باشا ، وكان سبقه الى التراب بنحو ٢٠ عاما

(٢) هو الميجر ديلي الذي قلب نظام الحكم في البحرين وقبض على كافة السلطات بيد من حديد وسيأتي ذكره في هذا المقال عند ذكر مغادرة الشاعر للبحرين .

وغدوا في منعها عنا كمن
كلف الشمسَ ضحى الصحو احتجابا

انسه بالبحرين واشادته بأمجادها

لقد انس الشاعر بالبحرين كما انست بـه ، فاشاد بأمجادها التي هي امجاده وأمجاد ابائه العرب الاولين ، ولم ينس ان يسجل كرم ضيافتها وجميل احتفائها به فقال :

بلدةٌ وسط الخليج تلالات
وزهت عليه بنورها الوقاد

الدرُّ من حصبائها والتبر من
أموالها والمجد في الاولاد

تلقى النزيل بمثل شهد نخيلها
وتضمه بالصدر والأحشاء

الى ان يقول ممتدحا حاضرها العتيد المرتبط بماضيها المجيد :

والمجد فيها شامخ متقادم
(لثمود) يرجع عصره أو (عادِ)

في كل شبر قلعة أو مسجد
هذيك ظاهرة وذلك بادي

وبكل يوم طود مجد قائم
مجد طريف فوق مجدٍ تلادِ

ولا شك ان البحرين جديرة بكل هذا التمجيد وهذا النشيد . لقد غمرته بعطفها وسكبت عليه من جميلها بما لم يدرله في حساب ، وما استعبد الانسانَ كالاحسان. قربه حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة واجزل له العطاء . وصار استاذا في مدرسة (الهداية الخليفية) : وعين عضوا في نفس الوقت في المجلس البلدى للبحرين ، وكانت صلته بزعمائها واحرارها قوية متينة ، ثم فوق كل ذلك اليست البحرين جزءا من الوطن العربي الذى آمن به وكفر بحدوده المصطنعة . اذن فواقع البحرين واقعه وماضيها ماضيه، ليس حرج عليه أن شاركها آلامها وأشاد بماضيها وأحلامها. ففي قصيدته التى بعث بها من البحرين سنة ١٣٤٥ هـ ، ١٩٢٦م الى الشاعر الكويتي عبد اللطيف النصف ، لدليل متين على رسوخ العقيدة القومية في نفسه وروحه فالعرب امة واحدة وكل لا يتجزأ .

عرِّج بنا نحو الخيال فانه
رحب المجال لذيذة خطراتهُ

هل في الجزيرة غير شعب واحد
قد مزّقتْ بيد العدا وحداته

نعم ليس في الجزيرة غير شعب واحد ولكن

من لي (ببسمركٌ) يضم صفوفه
وعليه لجمع نفتها أشتاتهُ

فيعيد من هذى الممالك وحدة
والعلمُ تخفق فوقها راياتهُ

شعبٌ بنو قحطان ركن اساسه
وبنو نزار في العلى شرفاته

وهكذا ظل في البحرين لا يزور الكويت الا لماما ، ولكن ايام السرور كما يقولون قصار ، ففي سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م قام الميجر ديلي بانقلاب على الشيخ عيسى بن علي آل خليفه وقبض على كافة السلطات بيد من حديد ، وكبت الحريات ، وأسر زعماء البلاد وزجهم في السجون ، فثارت قبيلة (الدواسر) ونزحت عن البحرين غضبا لعزل الشيخ عيسى ، وسكنوا الدمام في السعودية وهم اول من عمرها بقيادة زعيمهم احمد بن عبد الله الدوسري . وطلبوا من الشاعر ان يصحبهم الى هناك ، لكنه استمهلهم ريثما يزور الكويت ، فجاء الكويت واستبشرت به واحتفى به ادباؤها واقيمت تكريما له حفلة في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٤٦ ، اول سبتمبر ١٩٢٧ فالقى قصيدته المشهورة (الغرب والشرق) التي مطلعها :

الغرب قد شدد في هجمته
والشرق لاه بعدُ في غفلته

وكلما جد بأعماله
يستلم الشرق الى راحته

فيجمع الغربي وحدانه
والشرق مقسوم على وحدته

الى ان يصل الى البحرين الجريحة فيقول :

وهذه البحرين مغلولة
يقودها الغرب الى حفرته

قد أبعد الاحرار عن دارهم
وقرّبَ الانذال من حضرته

في السعودية

وفي الكويت التقى به الاديب الكويتي والكاتب البحاثة المرحوم السيد هاشم الرفاعي ، فعرض عليه ان يرحل معه الى السعودية ليعاونه في ادارة مالية القطيف ، فمانع اولا ، ولكنه لما علم ان الانجليز قرروا منعه من دخول البحرين سافر الى الدمّام حيث قبيلته وابناء عشيرته . وما ان حل الدمام حتى تلقفه رجال ابن السعود واخذوه اليه ، فرحب به الملك عبد العزيز اطيب ترحيب واكرم وفادته وولاه بلدية الاحساء ، ثم بلدية القطيف . ولقد ذاع له صيت عظيم في اقطار الجزيرة فتقرب اليه الادباء والشعراء واصحاب الأمر فيها ، وكان ممن تودد له ومال الى صحبته الشيخ عبد الله بن سليمان وزير المالية ، ولقد اغدق هذا الوزير على الشاعر مالا كثيرا وطلب منه ان يشرف على الاذاعة السعودية ، فقام بتنسيقها والاشراف على برامجها ثم عاد الى ادارة دار بلدية القطيف، غير أنه تحت الالحاح الشديد من قبل ابن سليمان اخذ يذيع من دار الاذاعة بعض المحاضرات . ثم استقال من منصب مدير بلدية القطيف واستقر في مدينة الدمّام واسس فيها مطبعة سماها (المطبعة السعودية) .

وقبيل وفاته بسنتين انتقل الى دمشق ، وفي ربيع الثاني عام ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٤ توفاه الله في لبنان على اثر قرحة في المعدة .

شعره وشاعريته

لخالد الفرج اسلوب خاص في عرض المشاكل الاجتماعية وطريقة فريدةفي تصوير الواقع تصويرا ساخرا ساحرا يأسر السمع ويستحوذ على الافئدة ويمتع الالباب بالمشاهد الحية الصادقة التي قل ان يوفق الى تصويرها فنان ، لما في شعره من لمسات انسانية صادقة وحركات اجتماعية موفقة وعاطفة تفيض بالحنان احيانا وتزمجر كالبركان احيانا اخرى .

ولقد ولع في تصيّد الحوادث وتسجيلها شعرا فكان يصوغها كما قال المرحوم الاستاذ عبدالعزيز الرشيد (في اجمل حلة واحلى بيان) . عبّر في ادبه عن مجتمع الكويت فيما قبل النفط تعبيرا شفافا ، وصوّره تصويرا دقيقا موفقا .

وصفه الجموع المحتشدة المتصارعة على الماء عند الساحل

وقصيدته التي يصف فيها الجموع المحتشدة على الساحل ، المتصارعة من اجل الوصول الى الماء يوم كانت تنقله السفن الشراعية من شط العرب تشرح لنا اسلوبه وطريقته في تصوير الحوادث ، هذا التصوير الساخر الساحر فلنسمعه فيها لنتعرف عليه :

تصوَّرْ قَدْ غدا لا شيء فيه
سوى رملٍ به وطأ السباعِ
ولا ماءٌ لدى الرمضاء الا
عليه الرمل ناف بألف باع
ولا شجر لدى الصحراء الا
هشيمٌ جاء من اقصى البقاع
فذاك هو الكويت وساكنوه
اذا دُهموا (ببوم) غير ساع
ولا تتصورن (البوم) طيرا
فما هو غير فلك ذي شراع
يجوب الماء ساعات طوالا
ينقلُ الماءَ للبلد المُضاع

ولنقف مع الشاعر قليلا بخشوع ، ولنعره الأسماع والقلوب ليحدثنا حديث الصادق الخبير بهذه الترانيم الحية الشجية ، النابعة من صميم وجدانه وواقعه عن هذا الصراع الاليم في سبيل الماء :

اعرّني سمعك الواعي فاني
لمحتاج لسمع منك واع
اقصُّ عليك ما اضنى فؤادي
وكلٌّ من القيام به يَرامى
هناك ترى الجموع على (بُوَيم)
به وشلٌ اقل من الذراع
فكم من جَرّة غرقت وحسر
رماه لمائه ساعٌ بصاع
وقد ظمئ الضعيف وكاد يقضي
وصار الماء للبطل الشجاع

بهذا الاسلوب التهكمي الساخر وبهذا الشعور الانساني النبيل ، رأينا كيف عرض علينا الشاعر

صورة حية من صور الحق والواقع . وانك وانت تقرأ هذه القصيدة لتحس كأنك أمام المشهد وجها لوجه ، فبعد أن أوضح لنا صورة البيئة وجسدها في اطار شعرى رفيع ، التفت ليعطينا اثر هذه البيئة في حياة الناس . فما رأى خيرا من تصوير العطش في الصحراء، فنقلنا الى مشهد متحرك صاخب يضج بالحركة وينطق بالوجود .

احتفاله بالعيد

ولو تأملنا شعره الاجتماعي وسرّحنا فيه الطرف لوجدناه لوحة ناطقة تنبعث عن شعور صادق وتتكلم عن قلب يفيض رحمة وحنانا ، وتترجم عن واقع محسوس ملموس ، فاذا جاء العيد واندفع الناس يحيونه بما لديهم من زينة وزخرف قول، نجد العيد عنده ليس في المظاهر ولا في القشور، بل هو وحى ملتحمة يعدها للتعبير عن واقع حى وحقيقة عادية فيها تصوير لآلام مجتمعه في نفسه وتعبير عن آمال نفسه لمجتمعه . فاليكه وهو يحتفل بالعيد على طريقته الخاصة .

اليك يا عيدُ باحتفالى
يلقى سؤالى لسانُ حالى

هل طالع الناسَ منك سعدٌ
يرمى الى ذروة الكمال

أم سعدُك الآن فيه رمز
بطالع النحس في المآل

كبسمة الطفل فهى تنبى
عما يلاقى من الوبال

فالجاهل عنده هو الذى يغر بباهر مظاهر العيد ، اما الخبير الحكيم الذى قلب بصره وأجال بصيرته في زورات العيد الخوالى فلن يرى في العيد وزهوه غير بهرج من المظاهر زائف وسراب خلّب ، لا يغنى ولا يسمن من جوع :

انى أرى فيك حين تزهو
بكل زين لمع آل

لم تبق زوراتك الخوالى
لواسع الفكر من مجال

ثم يدير الشاعر وجهه في النواحى باحثا عن الانسان الذى لا يغره العيد بباهر مظاهره ، فلا يجد غير أشباح يدعوهم العصر ظلما بالرجال :

أدير وجهى الى النواحى
وأتعب الطرف في المجال

فمن أمامى الى ورائى
ومن يمينى ومن شمالى

رأيت نفسى تجاه قوم
يدعوهم العصر بالرجال

من كل شخص له ثياب
والعقل والجسم للبغال

قصيدته الى الجامعة العربية والعرب

اما مواقف الشاعر من أحداث السياسة وأسلوبه في معالجتها فهو يتخذ نفس الطريقة التهكمية التى سلكها في شعره الاجتماعى فقصيدته التى وجهها الى الجامعة العربية بمناسبة أحد اجتماعاتها ، تشرح أسلوبه ، وطريقته وتشف عن نفسه الساخرة .

عقدت اجتماعك يا جامعه
فهل أنت مبصرةٌ سامعه

سئمنا الكلام فهل من فعال ؟
فان الأعادى بنا طامعه

أسبع عجائب هذا الزمان
تزلن الى منتهى السابعه

كفانا ولائم فيها الدسوم
تمصّ من الأمة الجائعه

كفانا خنوعا وها أنتم
ملايين في رقعة واسعه

كثيرون في ذلة من خلاف
قليلون في أنفس قانعه

الى أن ينتهى بمثل ما ابتدأ به من تهكم قائلا :

فيا رب رحماك انقذ حماك
وخذ بيدىّ أمة ضائعه

وكم ندد بتفكك الأمة العربية وتمنى لو أتاح الله لها شخصية كشخصية بسمرك يضم صفوفها ويلم شعثها ويعيد للشعب العربي مكانته .

من لى (ببسمرك) يضم صفوفه
وعليه تجمع نفسها أشتاته

فيعيد من هذي الممالك وحدة
والعلم تخفق فوقها راياته

شعب بنو قحطان ركن أساسه
وبنو نزار فى العُلى شرفاته

لقد أصبحت الأمة العربية دويلات تذكرنا بدويلات الاندلس ، لا يعطف بعضها على بعض ، متناحرة فيما بينها ، يعيث بسلطانها الأجنبى ويتحكم فى مصيرها الغريب ، ولو أنها اجتمعت تحت راية واحدة لعزت على كل طامع ، ولما سهل اخضاعها وابتلاعها .

هذى بلاد العرب فى ضعفها
لا يعطف الجار على جيرته

فى كل شبر دولة تاجها
كصاحب التمثيل فى جوقته

وهذه الدولات مجموعها
أحقر أن يُعْتَدّ فى كثرته

لكنها لو جمعت لقمة
قد تتعب الماضغ فى مُضغته

وقال فى فلسطين

آمن الشاعر بوحدة الكفاح العربى ، كما آمن بوحدة الأرض العربية ، لذلك فقد ثار مع الفلسطينيين سنة ١٩٣٦ م واستشعر آلامهم وآمالهم منددا بوعد بلفور فنشر قصيدته (عيد بلفور) شاجبا تصريح بلفور ، مستنكرا عدوانه على حقوق شعب فلسطين العربية .

هذى فلسطين الوديـ
ـعة فى مصائبها تميدُ

ما ينقضى زلزالها
حتى تزلزل من جديدْ

ثم يخاطب بلفور قائلا :

من قبل وعدك بالهنا
عاش المسوَّد والمسُودْ

فاحذر من العرب الأشا
وس ان بأسهم شديدْ

الدار دار جدودهم
من عهد كنعان البعيد

ولكن يدور الفلك دورته وتقع فلسطين فريسة الظلم والارهاب فيؤسس اليهود دولتهم المزعومة ، فيلتفت الشاعر والحسرة تطوق قلبه والالم يعصر روحه الى اجتماع لجنة الهدنة (بلوزان) برئاسة وزير خارجية تركيا (يلجان) وهو يهودى الاصل فيخاطب العرب قائلا :

يا ليت شعرى هل العربان عربان
وقد رأت ذلتهم والخزىَ (لوزان)

واسوأتاه وللتاريخ عبرته
ان الرئيس على المأساة (يلجان)

فما فلسطين الا مثل أندلس
قضى على أهلها بغى وعدوان

لم الذهاب الى (لوزان) فى ضعة
الاعتراف ؟ فليت القوم ما كانوا

قد سلموا قبل (لوزان) بلادهم
فاقفرت منهم دور وأوطان

بهذه اللوعة وهذا الأسى يبكى الشاعر مأساة فلسطين ويندب أهلها الذين راحوا ضحية الغدر والعدوان وضحية العالم الحر الذى اعترف بواقع الأمر فورا فى فلسطين .

ودولة تدعى الحرية اعترفت
بواقع الأمر فورا فى فلسطين

وسلطت كل أفاق يمزقها
قتلا ونهبا لآلاف المساكين

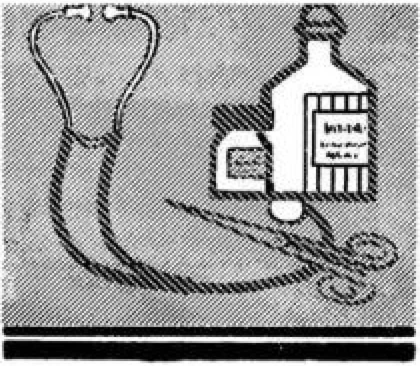
فى (قبية) وسواها كل آونة
بتلك الضحايا التى فى (دير ياسين)

ونسير مع الشاعر عبر احاسيسه ومشاعره ، فنجده يتعدى الحدود العربية ويتخطاها الى آفاق عالية فيعيش مع بنى الانسان طرا ، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم ، فنستبين ذلك من قصائده (كوريا) و (ميثاق السلام) وتمجيده لزعيم الهند المهاتما غاندى وزعيم الصين (صن يات صن) ولو شئنا ان نطوف مع الشاعرفى قصائده ومواضيع نظمه ، لأعجزنا التطواف .

رحم الله الشاعر وتغمده برضوانه . ■■

الكويت : **خالد سعود الزيد**

طبيب الأسرة



زيت السمك هل يعطى السرطان

ـ كنت مع جماعة من الامهات الخبيرات، وتحدثنا فى الطبخ واعمال المطبخ ، ولما جئنا على الزيت وقلى السمك ، قالت واحدة منهن انه من الضرر الكبير على الصحة ان تستخدم الطابخة نفس الزيت مرة بعد مرة . وقالت اخرى نعم ، وان هذا يسبب السرطان لآكل السمك . فهل هذا صحيح ؟

● هذه الشائعة يا سيدتى لا بد خرجت من احد المختبرات التى تجرى فيها التجارب فى مرض السرطان ، او لعلها المصادفة البحتة ، فان بعض هذه المختبرات تقول انها استطاعت ان تحدث السرطان فى الفئران بواسطة الزيت بعد تسخينه تسخينا شديدا . ولكنه تسخين لا يمكن ان يبلغه وهو فى وعاء القلي ابدا فى المطابخ . على كل حال شائعات السرطان واسبابه الآن كثرت لدرجة صارت اقرب الى ان تثير فى سامعها التفكه من ان تثير الخوف .

واعود الى زيت السمك فى المطبخ فاقول انه لا يحدث السرطان قط ، وقد اجريت عليه تجارب دلت صراحة وبثقة على ما اقول .

ثم نقطة تنساها الطابخات . ان الزيت الذى يتكرر القلى به ليس هو الزيت الذى بدأت به الطابخة أول مرة . ان جزءا منه يضيع فى كل قلية سمك . والطابخة تضيف اليه جديدا كل حين بدلا من الفاقد ، وبالتكرار لا يتبقى فى الزيت من قديمه الا مقدار لا يذكر .



صبى ناله الشيب

● لى ولد يبلغ الحادية عشرة تقريبا ، وشعره كستنائي اللون . وقد ظهرت فيه ، فى العام الماضي ، خصلة صغيرة من الشعر عمها الشيب . فهل شاب ولدى قبل اوانه ، وهل يمتد هذا الشيب ، وكيف نتقيه عند حده ؟

ـ هذا حادث ليس ولدك فيه فريداً وحيداً . فلقد عرف أن الشعر يشيب فى الصبية وهم فى سن العاشرة . وهناك احتمال ان هذا الشيب يكون أسرع الى رؤوس هؤلاء الصبية قبل غيرهم من الرجال عندما يكبرون . والعلماء يرجعون هذا الى صفة أصيلة فى الميراث التناسلى الذى ورثوه عن آبائهم واجدادهم ، يظهر

دفايات الكيروسين ، هل منها ضرر ؟

● **حلّ الشتاء ، ونحن نستخدم دفايات الكيروسين ، هل هي ضارة ، لا سيما فيمن يصاب بالربو . وهل هي تحدث السرطان ؟**

ـ شرطان لا بد ان يتوفرا في موقد الكيروسين . أولهما ان يحترق الكيروسين فيه احتراقا كاملا . والاحتراق الناقص دليله صفرة الشعلة . وثانيهما : ان الحجرة التي بها الموقد يجب أن لا تكون حجرة مصمتة ، اي لا مهرب للهواء منها . ذلك لأن غازات الاحتراق لا بد من ازاحتها خارج الحجرة الحين بعد الحين .

ثم لا ينسى احد الخطر من هذه المواقد ، بسبب الأطفال وعبثهم بها ، او بسبب الآخرين من خدم ، وغير خدم ، الذين قد يكونون شرا من الأطفال .

في الأنسال المتعاقبة حينا ويختفي حينا.

ولقد ذكرتَ في كتابك ان صحةولدك على ما يرام . وما ذكرت من معالجة ذلك باختيار صنوف خاصة من الطعام لا يصنع شيئا . ان كان لا بد من تغيير اللون ، لم يبق له غير الصبغ .

انا متقدم في السن ، وفقدت رجلاي الكثير من الاحساس ..

ـ انا رجل فوق الستين . وانا مصاب بداء السكر ، وفوق هذا وذاك فقدت رجلاي الكثير من الحس . فانا في البيت قد ينخلع من رجلي شبشبي ، ولا احس بانخلاعه . وفي الليل ، في البرد ، احس البرد في رجلي وعلى الأخمص في قدمي ، ولا سيما في الفراش ، فماذا اصنع ؟

● ان كثيرا من الاشياخ ، ولا سيما المصابين بداء السكر ، يعانون من بطء الدورة الدموية وقلة الاحساس في الاقدام . ولهذا تجب عليهم العناية كل العناية بأقدامهم ، فكثيرا ما يحدث بها ما اذا أهمل أدّى الى تقيّح يحدث في الرجل بسبب عدوى ، مع بطء الدورة ، وغفلة صاحب القدم عن ذلك لقلة احساسه بما يجرى هناك .

ونصيحة الأطباء في هذه الحالة هي العناية البالغة بنظافة القدم ، لأنها تمنع المكروب أن يدخل اليها ويسبب التقيح الذى كثيرا ما ينتهي بالبتر . وذلك بغسل القدمين كل يوم بالماء الدافيء (لا الساخن) والصابون ، يتلوه تجفيف الأصابع . والأظافر تقلّم من بعد غسل القدم ، فهي عندئذ تكون لا تزال طرية . وقطعها يجب ان يكون قطعا سليما مستقيما لا يدور مع شكل الظفر الطبيعي . وهذا يحتاج الى بصر سليم . ولغير ذى البصر السليم أن يستعين بمن له بصر سليم .

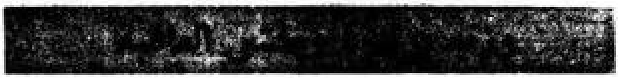
ويجب تجنيبُ القدمِ والساق البرودةَ الزائدة ، وكذلكَ السخونةَ الزائدة . فالرجل التي فقدت الاحساس لا تكاد تحس بالسخونة عندما تزيد واذن فهي قد تحترق . ومعالجة الحروق ،اذا وقعت مع الدورة الدموية البطيئة شيء يطول .

اما ان تبرد القدمان والرجلان في الفراش ليلا ، فعلاج ذلك لبس الجوارب الصوف الواسعة ، لا زجاجات الماء الساخن ، فهذه استعمالها خطر مع فقدان الحس . ويحظر استخدامها في تدفئة الاقدام والسيقان ، واي جزء من الرجل تحت الركبة ، الا اذا هي لفت بفوطة او نحوها .

والمشي على الحفاء في الظلام ممنوع ، فانك لا تدري ماذا يصيب القدم مما لا تحس به .

نصائح الأطباء كثيرة نكتفي بما اوردنا .

على ان الشيخ الذى هذه حاله ، اذا احس ألما ،او ورما في قدمه ،او تغير لونها، فعليه بالطبيب على الفور ، فمن يدرى ؟



ـ وزني يزيد ، واظن ان الطعام الذى آكله ليس كثيرا .... وأعرض نفسي على الأطباء فلا أجد عندهم الا النصيحة بتقليل الطعام ... واشتريت ميزانا لوزن الجسم بدينارين ، ولكنه يدل كل يوم على وزن مختلف ... و ... و ...

● الأطباء الذين استنصحتهم على حق،فاذا قالوا لك انك تأكل كثيرا فمعنى الكثيرهنا انك تأكل اكثرمما يحتاج جسمك، وما يحتاج عملك . فالطعام يحرق في العمل عند بذل المجهود الجثماني ، وهو يقوم ببناء ما تهدم من الخلايا . والذى يفيض يتراكم فوق جسمك . وانفتاح الشهية ليس دليلا ، كما تقول ، على حاجة الجسم الى الطعام . واما ان صديقك وجارك الذى تذكر ارفع منك جسما واكثر منك اكلا فذلك لا يقوم حجة يبرر ما تأكل . فصديقك الرفيع هذا ربما يبذل من المجهود في حياته أكثر مما تبذل . وربما يحرق جسمه ، من حيث تأليفه ، اكثر مما تحرق ، وربما يمتص جسمه من قناة هضمه من الطعام اقل ما تمتص أنت .

ولا تركن الى ما يقولون من ان السمنة راجعة الى الوراثة ، والى الغدد وغير ذلك ، فهذه لا تصدق في الاكثر ولكنها تنفع علة" تبرر الشبع ، لأن القيام قبل الشبع يعطي الناس الاحساس بالحرمان .

ذهب رجل" اب" كريم ذو اسرة هو راع لها ، رؤوف بها . ذهب يؤمن على حياته بمبلغ ذى بال ، يضمن لزوجته واولاده من بعده الخير الكثير . وامتحنه الطبيب المختص ليجيز التأمين ، وبعد فحص هز الطبيب راسه وقال له : هل لك في نصيحة ؟ قال نعم . قال : نصيحتي ان تؤمن على اولادك باسلوب غير هذا . قال : كيف ؟ قال الطبيب : ان الزيادة في وزنك كادت تنذر في حالتك هذه بأمور جسام . والتأمين الذى تطلب يؤمن لزوجك واولادك المال من بعدك . ولكن اى مال يقوم مقام الزوج ، ويقوم مقام الأب . !

وصدق الطبيب . فمات هذا الزوج والأب بداء القلب بعد سنتين ، وما أغنى عنه ماله وما ترك لزوجه وأولاده .

اما الميزان الذى اشتريت يا سيدى السائل،فالثمن الذى دفعت فيه هو الثمن المعتاد . ولعل الشركة التي صنعته ، وهناك شركات كثيرة ، شركة ذات اسم محترم . اما الاختلاف فالمفروض دائما ان تزن جسمك عاريا ، والا بملابس داخلية خفيفة تظل دائما واحدة . ثم تزن نفسك في ظرف واحد ، كأن تزن نفسك دائما في الصباح وقبل الافطار .

وقد جاء ياسيدى السائل ، سؤالك في وقت مناسب . ولجوابه مناسبة كذلك طيبة . فشهر رمضان قد اقترب . وشهر رمضان هو شهر الطعام أثقل الطعام ، فالنصيحة التي اديناها واجبة. ■■



سَاقٌ وَاحِدَة..

قصة بقلم
جان الكسان

■ قام عرس في مخيم اليرموك ...

سار العريس في ضجة الأهازيج والزغاريد يرتدي بدلة كحلية وعلى وجهه سعادة رضية ، والى جانبه سارت عروسه وهي تستند الى عكازين لأنها بساق واحدة ..

كانت العروس صبيحة ، وادعة الوجه ، عذبة المحيا ، وفي عينيها حزن دفين يشوب الفرحة التي التمعت فيهما دمعا ولؤلؤا ...

كان العرس مفاجأة للذين لا يعرفون الحكاية ، كانوا يظنون ان الساق المبتورة ستقف حائلا دون نصيب صبيحة في الزواج ، وقد ازدادت دهشتهم، عندما علموا ان العريس هو خليل ، أشجع شباب المخيم ، واكثرهم ظرفا ورجولة ..

انا اعرف الحكاية .. سأعود بكم الى ستة عشر عاما ... نحن الآن في العام الرابع بعد الستين والتسعمئة والألف للميلاد ... عرفتم الآن التاريخ ..أجل .. انه تاريخ النكبة .. هناك في أرضنا الخضراء المحتلة .. في فلسطين ..

كنت في العاشرة من عمري ، وكان خليل بسني

.. فنحن من قرية واحدة .. كانت الحرب قد اشتعلت في كل القرى ، كان الرجال يقاتلون عصابات الصهاينة بضراوة ، وكانت قريتنا مهددة في كل لحظة ، فالسلاح الذي في أيدي رجالها قليل .. وهم متعبون ...

وفي ليلة هبط القرية شيخ على محياه نور وفي عينيه شيء من ايمان الأنبياء ، جمع أهل القرية قرب البيادر وراح يتحدث اليهم ، وكنا ، خليل وانا ، بين المجتمعين ..

قال الشيخ :بعد قليل سأريكم ساق صبيحة..

انها طفلة حلوة ، أخلاقها دمثة ، ماتت أمها منذ سنوات فراحت هي تحاول ان تكون أكبر من سنها ، وأن تملأ الفراغ الذي خلفته امها .. كانت تستيقظ في ليالي الشتاء لتوقد النار وتجهز لي الشاي الساخن ..

انها وحيدتي .. وانا أحبها كثيرا .. وأرتاح عندما أعود في المساء من البيارة لأغرق تعب النهار باغفاءة هنيئة في ظل الغابة التي تستيقظ في عينيها ..

ابنتي هذه سأريكم ساقها .. ستقول لكم ساقها لماذا نحارب ، ولماذا ينبغي علينا الا نخذل انفسنا مهما كانت التضحيات ...

لقد علمت أن اليأس دب في قلوب البعض منكم لقلة السلاح في أيديكم ، وهذا ما وجدته في قرى أخرى ، ولهذا أرى أن من واجبي ان احدثكم واشد من عزيمتكم لا تضعفوا ، فهذا هو واجب شيخ مريض ينوء تحت حمل السلاح .

أنتم لا تعرفونني ، ولكني من هذه الأرض ، كانت قريتنا أول أهداف زحف العصابات الصهيونية التي تجتاح البلاد كالجراد .. لقد صمدت قريتنا ببسالة قبل أن تسقط .. لم تكن الامدادات قد وصلتنا عندما فوجئنا بهجوم ليلي شنته علينا افراد تلك العصابة... لم تذهلنا المفاجأة بل دفعتنا الى العمل السريع الحاسم ، فانتقلنا نحن رجال البلدة ونساءها الى مركز الحامية نتعاون مع رجالها في الدفاع .

وجاءتنا الأوامر تطلب منا شغل المهاجمين ريثما تصل الامدادات التي كانت في طريقها الينا. ورأينا ان مهمتنا صعبة ولكنها شريفة . كان علينا ان ننقذ خط الدفاع من هذا الهجوم المفاجيء . كان علينا ان نصنع شيئا خارقا .. ان نصنع بطولة..

ورحنا ندافع كلنا .. الرجال والجنود والنساء والأطفال بكل ما في أيدينا من قوة وسلاح وعصي وحجارة .. وكنا نعرف ان العصابات المهاجمة ستحتل القرية في النهاية لأن عدد افرادها كان كبيرا والأسلحة التي بين ايديها تفوق ما في أيدينا عشرات المرات ، ومع هذا صممنا على ان نشغل هذه العصابات وقتا كافيا ريثما تصل النجدة الدفاعية للقرى المجاورة .

وأتتنا الأوامر بالتوزع في ازقة القرية وبين الاشجار المجاورة واطلاق النيران متتابعة من كل مكان لنوهم العصابات المهاجمة باننا قوة دفاعية ضخمة تمتد حتى أقصى أطراف الحقول ..

وخرجت بدوري الى الطرف الشرقي من الحقول أحمل بندقيتي بصعوبة والى جانبي كانت صبيحة.

لم يكن جسدي الضعيف ليقوى على الصمود ، ولكن شيئا أقوى مني كان يدفعني لأن أحمل السلاح وأركض لاهثا الى الحقول لأحتل مكاني في الدفاع، كما تمنيت آنذاك لو لم اكن شيخا مريضا ، اذن لكنت قمت بأعمال خارقة ..

تعرفون يا ابنائي حب الوطن .. حب هذه الأرض الطيبة التي تتعشق حتى رائحة ترابها .. تصوروا معي اذن شعوري آنذاك وانا أجد نفسي شبه عاجز عن القيام بدور آخر أكثر خطرا من التمدد على الأرض واسناد البندقية الى جذع شجرة زيتون او اطلاق الرصاص بين حين وآخر بغير ما هدف ..

كانت ابنتي صبيحة قد انبطحت على الأرض الى جانبي بعد أن خفضت رأسها وراحت تنظر الي بذهول ، وتعاسة" كبيرة كانت تجول في عينيها الخضراوين .. كم تمنيت آنذاك لو تكون لي قوة اسطورية جبارة .. قوة خارقة ، أقوى من كل قوات العصابات المهاجمة ، قوة تفتت حديدهم كله ، وتخمد نيراهم كلها ، وتخنق رجالهم كلهم .

كانت كبدي تتفتت وانا انظر الى صبيحة المسكينة المرتعدة الى جانبي من الخوف .. ولم تكن صبيحة وحدها . كان هناك اطفال كثيرون أبرياء ، كلهم تصورت مصيرهم الرهيب وهم

يتعرضون لانتقام الوحوش الذين أطلقوا يزرعون الليل والمأساة في ربوعنا الخضراء ..

ونجحت خطتنا .. أوقعنا في روع المعتدين ان مقاومتنا أقوى مما يتصورون ، وامتدت المقاومة اياما كانت الامدادات خلالها قد وصلت لبعض القرى الأخرى ، ولكن قريتنا سقطت ، وفررنا منها لاجئين الى القرى الأخرى لنحتل مكانا جديدا في الدفاع . وهكذا وصلت الى هذه القرية .

وصمت الشيخ ثم كشف الغطاء عن جسد الطفلة فبدت بساق واحدة ، وقال بصوت متهدج : اما ساقها الأخرى فقد خسرتها .. بترتها قذيفة مجرمة .. ان أطفالكم كلهم معرضون لمثل هذه النهاية ، بل لأقسى منها اذا تهاونتم لحظة واحدة في الدفاع ..

قد نخسر هذه المعركة ، ولكن يجب ان نصمد بشرف حتى النهاية .. أنا يا أبنائي حزين ، حزين من أجل صبيحة..حزين جدا ، ولكن حزني لايقف عند حدود الدموع والتفجع .. انه اكبر من ذلك .. انه شيء عنيف يغلي في صدري .. شيء يشبه استرداد الساق المبتورة ..

هل عرفتم الآن لماذا أدعوكم لمواصلة الدفاع رغم السلاح القليل الذي بين ايديكم .. هيا أيها الاخوان .. علينا الا نتاخر ، ستحضر الليلة حامية الدفاع ، ويجب أن نتسلم اماكننا في خط المقاومة .. وها أنا امامكم ..

وسار الشيخ متحاملا على نفسه وبيده البندقية ، وخلفه سار أهل القرية ليتسلموا اماكنهم في خط الدفاع حول الحقول ..

★ ★ ★

ذلك اليوم لا أنساه .. نقلت صبيحة الى دارنا .. وجلسنا اليها ، خليل وانا ، نواسيها.. حدثتنا برعب عن القذيفة التي بترت ساقها ، كان الخوف يبدو فيعينيها الخضراوين وهي تحدثنا .. اذكر هذا تماما ، ولا انساه .. واذكر ان خليلا بكى وهو يستمع اليها ، وصر على أسنانه بل انه قال لها : لو وقع في يدي اليهودي الذي رمى القذيفة لشربت من دمه ..

أنا اعرف الحكاية .. الم اقل لكم ذلك ؟ عادت احداثها تترى امامي وانا اشهد حفلة العرس ، وانا انظر الى خليل يمشي في الزفة والى جانبه صبيحة تتكيء على عكازيها ..

الزغاريد حولي ترتفع .. الأهازيج تضج هنا وهناك فيرددها المخيم . عرفت ان العريسين سيكونان سعيدين ، فدموع خليل الطفل ، وهو يستمع الىصبيحة تحدثه عن القذيفة كانت الخيط الأول من حكاية حبه التي راحت تنمو في صدره طيلة سنوات النزوح .. حتى جسئد هذه الحكاية في هذا العرس البهيج ..

السؤال الوحيد الذي يحفر عيني حتى تغيب عنهما المرئيات : ترى .. متى سيكون عرسنا الأكبر .. هناك ، متى نسترد الساق المبتورة ؟

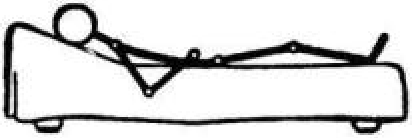
■■

دمشق : **جان الكسان**

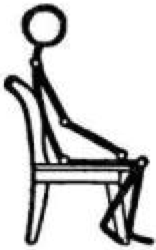
((رجع بخفي حُنَيْن))

● ساوم أحد الأعراب حُنَيْناالاسكافي على خفين ، ولكنه لم يشترهما بعد جدل طويل ، فغاظحنينا جدل الأعرابي ، فقام وعلّق أحد الخفين في طريق الأعرابي ، ثمسار وطرح الآخر في طريقه . وكمن له . فلما مر الأعرابي ورأى أحدالخفين قال : ما أشبه هذا بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته . فتقدم ، ورأى الثاني مطروحا ، فندم على تركه الأول ،فنزل ، وعقَل راحلِته ، ورجع الى الأول ، فذهب حنين براحلته ، ورجعالاعرابي الى الحي وليس معه الا الخفان ، فقال له قومه : ما الذيجئت به من سفرك ؟

فقال : جئتكم بخفي حنين .



الرقاد : أقل أوضاع الانسان انفاقا للجهد ، واكثرها اراحة للقلب



الجلوس على الكرسى ، ذى الظهر : ينفق المرء فيه من جهد جسمه ، أكثر مما ينفقه الجسم وهو راقد ، بنحو جزء من عشرين .

قامتك يا سيدتى

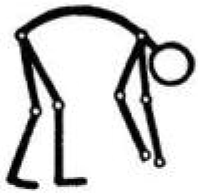
هى صحتك .. وهى بعض فتنتك ..

■ وانت تنزلين الى الدنيا بعمود فى الظهر قد تهيأ لاستواء ، ورجلين قد تهيأتا لامتداد ، وراس تطاول لارتفاع . فاذا انت مضيت فى طفولتك، وفى صباك، الى شبابك الغض ، كان أجمل ما فى هذا الشباب استقامة عود .

واستقامة العود واجب الأم فى الطفولة ، وواجب اهل الحل والربط فى المدرسة ، مما يتصل بالمقاعد ، ويتصل بالقعود وقصر مدته ، وبفترات اللعب وطولها ، وبالرياضة الجثمانية وضروبها، والكثير الذى تحدث عنه رجال التربية، ولا ندخل فيه ، فذاك حديث يطول .



فى الوقوف : ينفق الجسم من الطاقة ٥٠ فى المائة اكثر مما ينفقه وهو راقد .



فى الانحناء : ينفق الجسم من الطاقة ، أكثر مما ينفقه وهو راقد بمقدار النصف

ويأتى من بعد المدرسة عملُ البيت . عملُ الفتاة . عملُ الأم . وكثيرا مايفسد عملُ البيت ما كان أصلحه الزمان ، ويعوّج من الظهر ما كان اقامه ، فاستقام ، الطبعُ والحذرُ والمِران .

وقد اتينا فى الرسوم التى تصحب هذا الكلام على أوضاع تتخذها المرأة ، والمرأة الحديثة خاصة فى أعمال بيتها ، لا سيما فى تلك الأيام التى عزّ فيها الخدم ، بتسلل المدنية الحاضرة اليها .

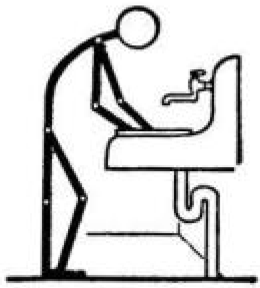
ولكل وضع رسمان : رسم سليم ، وآخر ضار .

وخير الكلام ما قل ودل .

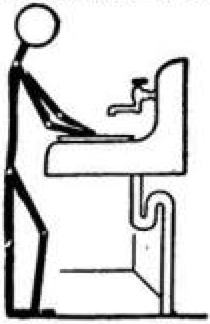
وخير من الكلام ، الصور ، فهى أقلُ ، وأدلُ ، وأفصح .

وهى صورٌ لا تتصل فقط باستقامة الجسم وجماله ، بل كذلك براحته . وتوفير الجُهد له ، لا سيما وجهد البيت اصبح فى حاجة شديدة الى توفيره ، واقتصاده لحاجات فى البيت أخرى .

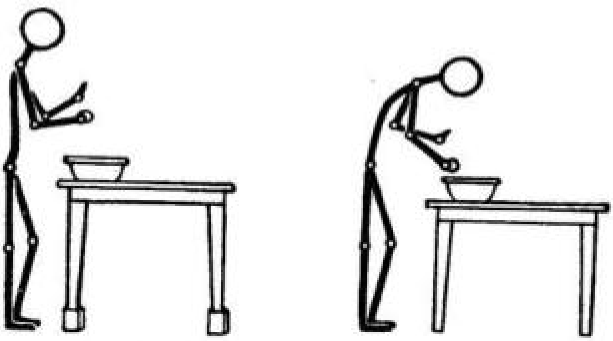
«لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»



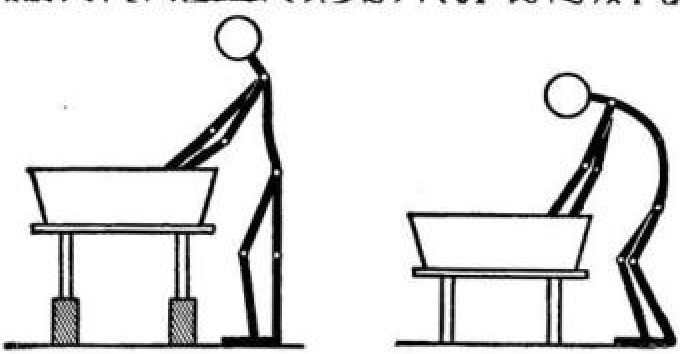
حوض غسيل الوجه
واطىء ، فانحنى الظهر



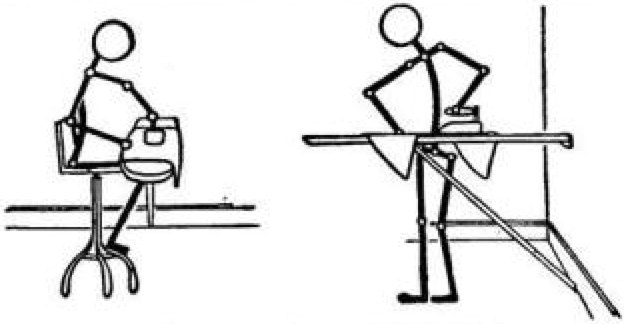
حوض غسيل الوجه
مرتفع " ، فاستقام الظهر



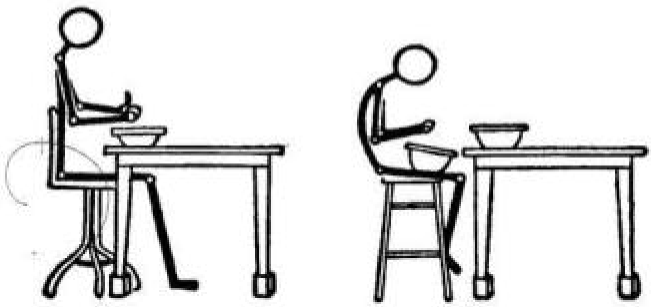
طاولة قصيرة واخرى طويلة .. معناهما ، انحناءة ظهر ، أو استقامته .



وكذلك الحال فى الغسيل .

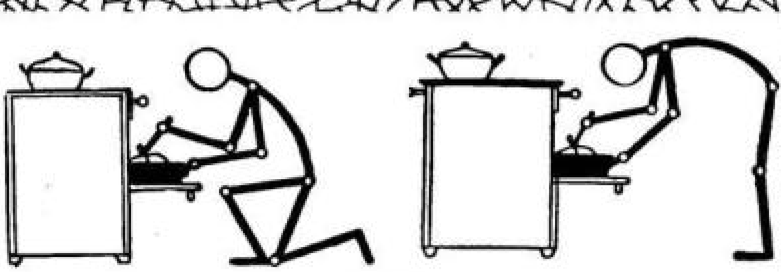


وفي الكي ، الجلوس خير ، وهو أقل
اتعابا للجسم ، وأقل احناء للظهر



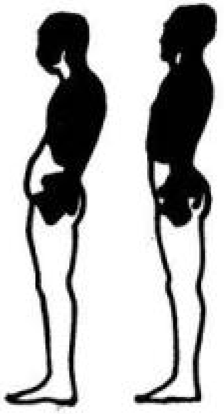
وتنظيف الخضار :

الكرسي الذي لا ظهر له يقوّس الظهر والكرسي ذو الظهر يستقيم به الظهر ويرتاح



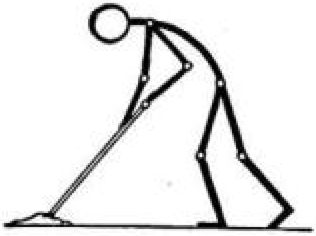
الفرن الواطيء

حنت ظهرها وهذا وضع خاطيء استندت على ركبتها وهذا وضع صائب
ولعل المخطيء صانع الفرن ومصممه ، لأنه نزل
بالفرن الى حيث لا تناله المرأة الا انحناء أو ركوعا

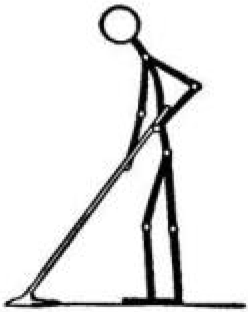


انظر هذين الوضعين : مستقيم ومعوج :

في الوضع المستقيم تجد أن محور الجذع ، هو نفسه محور الرقبة والرأس ، وتمدُّه الى أسفل فيجري مستقيما على امتداد الرجلين . وفي الوضع المعوج اتخذت هذه المحاور الثلاثة اتجاهات مختلفة ، فتقوس الظهر الى الوراء ، وبرز البطن الى أمام ، وصار صاحب هذا الجسم قذى في عين كل ذوّاقة للجمال ، بالطبع فنان .



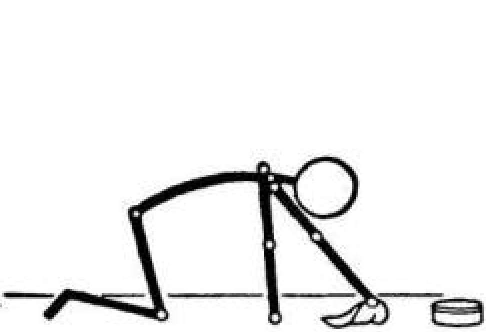
يد المسحة ، أو الداهنة الأرض ، قصُرت ، واضطُرّت المرأة الى أن تنحنى



يد المسحة ، أو الداهنة الأرض ، طالت ، فاستقام ظهر المرأة



المسح أو الدهان والتلميع
بالعصا الطويلة مريح

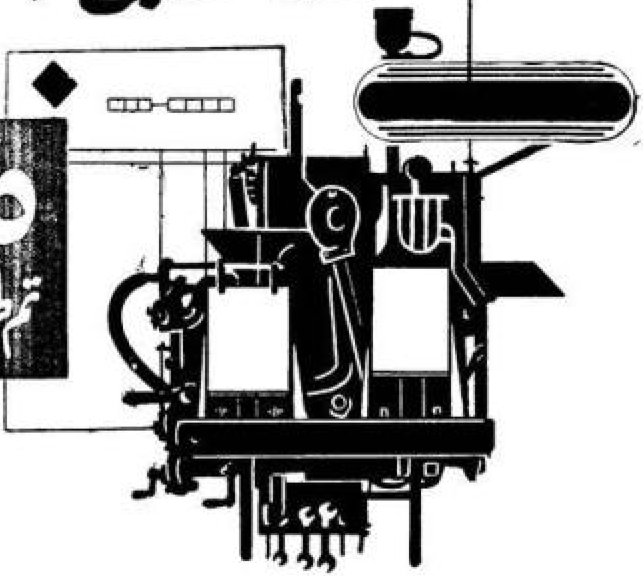


وفي مسح الأرضية أو دهنها :
الاقعاء على الأرض متعب

بمناسبة مرور ٦ سنوات على صدور «العربي»

هنا تطبع «العربي»

٥ مليون نسخة تم طبعها حتى الآن



■ هذه النسخة من «العربي» التى بين يديك ، هل فكرت يوما فى معرفة مقدار الجهد الذى بذل فى طبعها وخروجها على هذه الصورة الجميلة ... ؟

ان « العربى » ليست تحريرا فقط ، فانه بعد التحرير يأتى مجهود فني رائع يقوم به فنيون مختصون فى مطبعة حكومة الكويت ، وقسم الحفر فيها .

لقد مضت ست سنوات كاملة ، ظلت خلالها مكنات الطبع الجبارة ، فى تلك المطبعة .. تدور وتلف ملايين المرات لتخرج للمواطن العربي ما زاد مجموعه على خمسة ملايين نسخة من «العربي»...

ومما يدعو الى الزهو ان هذه المطبعة ، هي فى نفس الوقت ، معهد فني كبير فيه تعلم وتخرج العدد الكبير من أبناء الكويت الذين يتولون الآن مسئولية الادارة ، ومسئولية تشغيل الأجهزة الدقيقة الحديثة التى تزخر بها الأقسام المختلفة ، بعد ان نالوا تدريبهم على أيدى اخوان لهم ممن سبقوا من فنيي العرب ، وبعض من غير العرب ، جريا على السنة التى جرى عليها سائر الدول العربية ، عندما استيقظت فوجدت أنه قد تخلف بها الزمان، فعملت على أن تلحق .

وعمدت وزارة الارشاد والأنباء ـ وهى المسئولة عن مطبعة الحكومة ـ الى تدعيم هذه الخبرة العربية المحلية،فارسلت البعثات الفنية العمالية،



الواحدة تلو الأخرى ، الى مختلف دول العالم : الى الدول العربية،والى المانيا ، والى انجلترا ، والى دول أوروبا ، ليتدرب افرادها على مختلف اساليب الطبع والجمع والتصوير ، والحفر،على مكنـــات الأوفســـت ، والتيبو ، والأنترتيب ، والمونوتيب ، والكليشوجراف والهليوجراف ...

و « العربي » ليست كل ما تطبعه مطبعـــة الحكومة،التى بلغ انتاجها من المطبوعات والنشرات والمجلات والكتب فى العام الماضى وحده ٤٩ مليون مطبوع مختلف،تمثل جميع طلبات حكومة الكويت.

ان هذا الجيل الفني من أبناء الكويت ، وعدده ١٤٠ فنيا من بين ٢٢٠ بالمطبعة من سائر البلاد العربية،يتمتع بمستوى فنى من أعلى المستويات. يضاف الى ذلك ٢٨٦ عاملا فنيا بأجور يومية ، وبذلك يصبح عدد العاملين بالمطبعة ٦٠٦ عمال .

وعلى الصفحات التالية يجد القارىء مزيدا من الصور والتفاصيل عن هذه المطبعة الحديثـــة الكبيرة .



الى اليمين: ببراعةودقة وقف علي خرَيط،رئيس قسم الزنكوغراف بمطبعة الحكومة ، يحرك ازرار مكنة التصوير وهي تعكس صـورة غلاف العدد الذى بين يديك .. تمهيدا لعمل لوحات الزنك .



« بمناسبة طبع ٥ ملايين من مجلة « العربي » يسر أسرة مطبعة حكومة الكويت أن تهنىء مجلة « العربي » ووزارة الارشاد والأنباء بهذا الفتح الثقافي » ، كانت هذه تحية لمجلة « العربي » من رجال المطبعة الكرام ، من كويتيين ومن سائر بلاد العروبة ، الذين يصلون الليل بالنهار واقفين أمام مكنات الطبع يرقبون صفحات « العربي » وهي تخرج من المكنات بمعدل ١٢٨ صفحة كل دقيقة !!



لم تعد الآلات الدقيقة الالكترونية بغريبة أو مستعصية على العمال الفنيين من أبناء الكويت ، بل أصبحوا يسيرونها حسب رغباتهم حاصلين منها على أحسن النتائج .. وفى الصورة العليا يرى السيد فهد الجار الله مدير مطابع الحكومة الذى نال أول تدريب له فى الكويت على أيدى الأخصائيين ثم فى القاهرة ثم فى المانيا تراه هنا واقفا بجوار خالد الخضر الذى انهمك فى تحريك الرأس الالكترونى لآلة الكليشوجراف ، يضبطها قبل أن يشرع فى عمل لوحات من صور « العربى » الملونة ..ان المدة التى تستغرقها هذه الآلة لصنع لوحة صورة ملونة لا تتعدى نصف الساعة ، دون حاجة الى لمسات اصلاح او استعمال أحماض .. بينما كان عمل لوحة الألوان الواحدة يحتاج لمدة أسبوع كامل .. ان الكليشوجراف من أثمن وأحدث الآلات .. انه ثورة فى عالم الزنكوغراف أى الحفر على الزنك

الى اليسار : سليم العدسانى الذى تلقى تدريبه الأولى فى الكويت ثم سافر الى القاهرة وبعدها الى المانيا ليتدرب على فن الطباعة .. ولما عاد الى الكويت تولى العمل على مكنات طبع « العربى » واليوم أصبح نائبا لمدير المطبعة



ما تكاد المطبعة تنتهى من طبع أفرخ « العربى » ، حتى تنتقل هذه الأفرخ الى مكنات الطى الآلية التى تستطيع طى خمسة آلاف فرخ فى الساعة الواحدة .. ونرى هنا رئيس هذا القسم وهو كويتى يوسف الثويني مع اثنين من أبناء الكويت الفنيين يقومون بالاشراف على هذه الآلة التى يوازى انتاجها انتاج ٢٠ عاملا



الى اليسار : أكوام من ملازم « العربى » تم طبعها وطيها ، وبقى جمعها ، بعضها فوق بعض ، لتتألف منها نسـخ « العربى » ... انها عملية طويلة مضنية ... ويكفى أن تعلم أن مجموع عدد ملازم كل عـدد من « العربى » يزيد على مليون ملزمة ! يستغرق تجميعها وتجليدها مدة عشرة أيام

الى اسفل : ما تكاد عملية تجميع ملازم العدد تتم حتى ترسل الاعداد الى مكنة التغليف ، وهى مكنة آلية ، تضع الغلاف حول الملازم ، وتلصقه بالغراء الابيض تلقائيا .. وترى فى الصورة السفلى مكنتين من هذا النوع ، تقومان بوضع الغلاف على الملازم .. ويعمل على ادارة هاتين المكنتين مجموعة من الطلبة الكويتيين الذين يتدربون فى مطبعة الحكومة..ان باستطاعة المكنة الواحدة أن تغلف ٢٠ عددا فى الدقيقة







الى اليسار : بعد انتهاء عملية التغليف تقص أطراف الأعداد على مكنة القص ، ثم توضع على رافعات آلية لتنقلها الى قسم التصدير ، حيث يتم تصديرها الى أكثر من ٢٠ دولة مختلفة .. ان مجموع وزن نسخ العدد الواحد من « العربي » يبلغ أكثر من ٤٠٠٠٠ كيلو ■■

كتاب الشهر

شمس العرب تسطع على الغرب

لمؤلفته زجريد هونكه



■ اذا كانت ثورة جوستاف لوبون على عصبية رينان للغرب ، واستهانته بالتراث العربى ، هى التى دفعته الى اصدار كتابه الشهير عن الحضارة العربية ، احقاقا للحق ، فان استهانة الغربيين بالتراث العربى ، عن جهل به ، هى التى دفعت المستشرقة الألمانية الدكتورة زجريد هونكه Sigrid Hunke الى اصدار هذه الدراسة ، « شمس العرب تسطع على الغرب » ، محاولة فيها اظهار ما يحمله الغرب من دَيْن للعرب .

وواضح من هذه الدراسة الطويلة (الترجمة العربية فى نحو ٥٦٠ صفحة) ان المؤلفة محبة للعرب ، معجبة بتراثهم ، وزوجها ايضا الدكتور شولتزا ، المستشرق الالمانى الكبير ، صديق للعرب ، وله دراسات عميقة فى الأدب العربى والتراث الاسلامى . وقد عاشت الدكتورة زجريد والدكتور شولتزا مدة عامين فى مراكش ، كما زارا البلاد العربية مرات عدة ، ولهما فيها اصدقاء كثيرون .

والمؤلفة متخصصة فى دراسة التراث العربى ، وقد نالت درجة الدكتوراه من جامعة برلين على اطروحتها «أثر الأدب العربى فى الآداب الأوروبية». وفى عام ١٩٥٩ صدر لها كتاب « الرجل والمرأة » وهو كتاب تاريخى اكدت فيه الكاتبة فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة ، والحضارة الانسانية عامة . وقد استهواها هذا الموضوع فكان المحور الذى تدور حوله مقالاتها التى نشرت

فى الصحف الأوروبية ، وأذيعت من محطات الاذاعة .

وهذا الكتاب ، « شمس العرب تسطع على الغرب» هو نتيجة دراسة امتدت سنوات طويلة. وقد كان له عند صدوره بالالمانية صدى كبير ، فتناولته الأقلام المعادية بالتجريح ، واتهمته بالبعد عن الموضوعية ، وهبت الأقلام الصديقة مدافعة عنه . وبسبب هذه الضجة التى دارت حوله لقى نجاحا كبيرا ، واعيد طبعه ، وترجم الى عدد من اللغات الأجنبية . كما أن الصحف العربية رحبت بظهوره أجمل ترحيب .

وتكريما للدكتورة زجريد هونكه ، واعترافا بجهودها الطيبة فى الدفاع عن التراث العربى ، دعتها الحكومات العربية ، فزارت هى وزوجها العراق سنة ١٩٦١ ، وزارت الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٢ ، وتعيش المؤلفة الآن ، مع زوجها وأولادها ، فى بيت مؤثث على النمط العربى فى مدينة بون .

هذه الترجمة

والمترجمان ، فاروق بيضون وكمال دسوقى ، جديران بكل شكر هنا ، على ما بذلا من جهد فى اخراج هذا الكتاب بلسان عربى سليم . وفوق هذا فاننا نشكرهما لما أبديا من صبر فى الرجوع الى النصوص العربية فى أصولها ، وليس هذا بالأمر الهين . واهتمام الناشر بالكتاب أيضا واضح ، ففيه مجموعة من الصور النادرة تثبت سبق العرب فى كل حقل من حقول العلم والثقافة .

ويبدو أن الكتاب انما وضع أولا ليقراه الغربى المثقف ، حيث نجد تعليقات وشروحا فى آخر كل باب ، وهى من النوع الذى لا يقصد به المختص . ولعل هذه الغاية التى هدف اليها الكتاب ، هى التى صرفت المؤلفة عن اسناد بعض الحقائق الهامة الى مصادرها . فالقارىء المختص تجبهه مثل هذه الحقائق ، فيبادر الى الحواشى والتعليقات باحثا عن المصدر ، ولكنه يرتد دون ان يعثر على طلبته .

أسماء عربية لحاجات افرنجية

والكتاب فى سبعة ابواب ، اطلقت المؤلفة على كل باب منها اسم كتاب .

وفى الباب الأول تتحدث المؤلفة عن أسماء عربية لحاجات افرنجية ما زالت مستعملة الى اليوم ، وهى تورد هذه الأسماء على شكل قصة ، وهى تبدأ هذه القصة على هذا النحو : « هل لك يا سيدتى الفاضلة ، أن ادعوك الى دخول هذا المقهى (Café) ، فانك تبدين تعبة ؟ وهل لك ان تأخذى مكانك على الصفة (Sofa) ذات المرتبة (Matraze) القرمزية (Karmin)؟..»

ثم تتحدث بعد هذا عن وسائل انتقال هذه الكلمات الى اللغات الأوروبية ، فترى أنها انما انتقلت عن طريق التجارة ، حيث كان للعرب تجارة واسعة المدى ، مترامية الأطراف ، تكاد تختفى البلاد الأوروبية فى ظلها ، وهى تجارة تمتد عبر بحر الخزر والفولجا الى الشمال ، شاملة كل الشواطىء وجزر بحر البلطيق . وقد وجدت فى هذه البلاد قطع كثيرة من العملة العربية التى كانت متداولة فى تلك البلاد .

الأرقام العربية

وتتحدث المؤلفة عن فضل العرب على أوروبا فى الرياضيات ، فلولا هذه الأرقام العربية لما حققت اوروبا ما حققته من تقدم فى العلوم . ونحن نقرأ فى هذا الباب قصة رحلة هذه الأرقام من الهند ، الى العرب ، الى أوروبا ، وهى رحلة ممتعة . ويصف ابن الآدمى فى كتابه عن الفلك الشهير باسم « عقد اللآلىء» ، كيف عرف العرب الأرقام فيقول:

« فى عام ١٥٦ هـ . وفد بحضرة المنصور رجل من الهند ، وكان عالما فى طرق الحسابات الهندية المعروفة باسم سند هند Sind Hind ، والتى تهتم بحركات الكواكب ، وكان يحمل كتابا ... وقد أمر المنصور بترجمة هذا الكتاب الى العربية وبأن يؤلف كتاب على نهجه يشرح للعرب سير الكواكب،وعهد بهذا العمل الى محمد بن ابراهيم الفزارى الذى ألف على نهجه كتابا يعرفه الفلكيون باسم « السند هند الكبير » . وكلمة السند هند تعنى باللغة الهندية« الخلود ». وقد أخذ العلماء بهذا الكتاب حتى عصر المأمون ، حيث أعاد محمد بن موسى الخوارزمى كتابته ، وأضاف اليه عدة زيجة اشتهرت فى البلدان الاسلامية ، واعجب الفلكيون الذين أخذوا بكتاب « سند هند » اعجابا شديدا ، وعملوا على نشره » .

والكتاب المذكور الذي احضره معه هذا الهندي، وأعجب به الخليفة ، وأمر بترجمته ، ليس الا كتاب Siddhauta لمؤلفه (براهما جوبتا) ، الذي عرف باللغة العربية بعد ترجمته باسم « سند هند » ولقد لقى هذا الكتاب القيم بعد ترجمته نجاحا كبيرا ، وقاد الى ابحاث كثيرة فى الفلك حظيت برعاية الخلفاء . ومن هذا الكتاب عرف العرب نظام الأرقام والأعداد الهندية .

وقد الف الخوارزمى كتابا بيّن فيه نظام الأرقام الهندية وطريقة استخدامها عمليا .وضرب لذلك الأمثلة الكثيرة ليسهّل على رجال المال والتجار والموظفين أعمالهم ، كما ضرب الكثير من الأمثلة ايضا على طريقة تقسيم الميراث على مستحقيه ، كما نص على ذلك القرآن ، وذلك بطريقة مبسطة ، بدلا من تلك العمليات الحسابية المعقدة التى كانت شائعة .

والخوارزمى هو احد الأفذاذ الذين جذبهم المأمون الى بلاطه . وله كتب عدة فى الجغرافيا والفلك ترجمها بعد ثلاثة قرون الى اللاتينية العالم الانجليزى اثيلهارت فون باث Athelhart Van Bath . وعن هذا الطريق عرف الغرب الخوارزمى . ومن أشهر كتبه فى الرياضيات «حساب الجبر والمقابلة» ويضم مجموعة ممتعة من المشاكل الرياضية التى ترد فى الحياة اليومية. وحينما ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية فى العصور الوسطى ، اشتهرت كلمة الجبر ، وأصبحت علما على هذا العلم المعروف. كما أن كلمة «لوغرتيمات» هى تحريف لاسم الخوارزمى .

وتروى كتب التاريخ أن البابا سلفستر الثانى، تعلم فى شبابه الأرقام العربية والحساب ، من عرب الأندلس ، حيث درس فى مدارسها . وقد نشر هذا البابا وتلاميذه فى ايطاليا ما تعلموه عن العرب .

وبعد أن انتشرت تلك الأرقام العربية فى ايطاليا، كان عليها أن تعبر جبال الألب الى أوروبا ، فعبرتها ،ولكن رحلتها كانت شاقة طويلة .والمؤلفة هنا تروى قصة هذه الرحلة باسهاب ، وكيف احتلت الأرقام العربية بلاد الغرب ، وقامت بدورها فى ترقية العلوم والرياضيات والاقتصاد .

السماء التى تظللنا

وفى الكتاب حديث طلى عن علم الفلك عند العرب ، أو علم النجوم ، كما كان يسميه العرب، وهو العلم الذى قال فيه البتانى (٨٧٧ ــ ٩١٨م): « ان الانسان ليصل عن طريق علم النجوم الى برهان وحدة الله،ومعرفة عظمته الهائلة ،وحكمته السامية ، وقوته الكبرى ، وكمال خلقه » .

وقد لعبت النجوم دورا كبيرا فى حياة العرب ، منذ أن كانوا بدوا يضربون فى الصحراء فى العصر الجاهلى ، يعتبرون قبة السماء خيمتهم الكبيرة ، ويكثرون من التأمل فيها لتألقها ، وعدم وجود غيرها من جبل قائم ، أو صخر نافر ، أو بحر صاخب ، تجعلهم ينصرفون عنها . ولم يكن أمامهم وسط هذه الصحراء الرتيبة ، والبحر اللامتناهى من الرمال ، سوى بزوغ الشمس وغروبها ، وطلوع القمر وأفوله ، ومواضع النجوم وسيرها ، يقيسون بها وجودهم زمنيا ومكانيا .

وقد بلغ اعجاب العرب بالنجوم والشمس والقمر ان نسبوا اليها قوى ربانية الهية ،فينزل المطر على الأرض ، ويتدفق عليهم الخير ، كلما بانت الثريا فى قبة السماء . وعبدوا النجم قيس أكثر النجوم لمعانا فى فم الشعرى اليمانية ، الملقبة بالكلب العَبُور او الشراع العابر وهى الكلب الأكبر أو سِريوس Sirius

وبقى اجلال النجوم والكواكب حتى القرون الأولى من الاسلام عند الكثير من الطوائف الملحدة كالصابئة . وهىطائفة وهبت نفسها للبحوث العلمية ، فأخرجت للعرب كبار الفلكيين من أمثال ثابت بن قرة ، والبتانى الذائع الصيت .

واذا كان الاغريق قد أطلقوا على أبراج النجوم أسماء آلهتهم ، ومنحوها أشكال حيوانات واردة فى أساطيرهم ، فان العرب لم يتخيلوا صور النجوم ، بل سموا الكواكب الثابتة باسمائها . وفى عصر الخليفة هرون الرشيد وابنه المأمون صاغ العرب كل أسماء النجوم والكواكب عند ترجمتهم لأعمال الفلكى هبارخوس ،ودليله المنقح بقلم بطليموس ، مما جعل لمعظم الكواكب الثابتة أسماء ذات مصدر عربى مثل : الغول ، والكور ، والطير ، والذنب ، وفم الحوت ، وغيرها .

وبالاضافة الى هذا فان العرب وضعوا الرموز

الفلكية المعروفة مثل : السمت ، والنظير ، والمقنطرات . وقد أفرد الخليفة المأمون لفلكييه دارا فى أعلى ضاحية ببغداد لرصد النجوم رصدا دقيقا علميا ، واجراء قياسات مثيرة للاعجاب . وكانت نتائج هذا المرصد تقارن بنتائج مرصد آخر فى جنديسابور بخوزستان ، ومرصد ثالث على جبل قاسيون بدمشق . وكان علماء الفلك يعملون مجتمعين على وضع جداول الفلك التى عرفت باسم « الجداول المأمونية » .

وقد اهتم المسلمون بعلم الفلك كل هذا الاهتمام لأن له عندهم معنى دينيا عميقا ، فالنجوم ومدارها والشمس وعظمتها ، والقمر وسيره ، براهين ساطعة على عظمة الله وقوته ، حتى قال البتانى : « ان علم النجوم هو علم يتوجب على كل امرىء أن يعلمه، لأنه يوصل الى برهان وحدة الله ..» . واهتموا بعلم الفلك أيضا لتحديد أوقات الصلاة والصوم .

موسى بن شاكر وأبناؤه الثلاثة

ويذكر ابن القفطى ، وابن أبى أصيبعة ، وابن النديم ، قصة العالم الفلكى موسى بن شاكر وأبنائه الثلاثة : محمد وأحمد والحسن . وهى قصة بلغت الغاية من الطرافة . فقد كان موسى ابن شاكر من العلماء المقربين من المأمون ، وكان صديق الخليفة الحميم ، وأقرب المقربين اليه . ولكنه وهو البدوى ، كان بعد أن يخرج من صلاة العشاءفى الجامع الكبير ، ينقلب الى سالب، غاز. فهو فى النهار عالم من علماء الفلك الأفذاذ ، وفى الليل بدوى يعيش حياة الغزو والسلب ، وكأنها عمل من أعمال الفروسية ، والاقدام ، والذكاء ، وحامت الشكوك ، لما أن كثرت حوادث السلب والسطو ، حول العالم الفلكى موسى بن شاكر . وطلب الخليفة اجراء تحقيق عاجل ، ولكن الجميع شهدوا بأن موسى ، كغيره من المؤمنين ، لا يترك بيت الله ليلا الا ليعود اليه عند الصباح للصلاة.

وعندما توفى موسى ، كان المأمون يقود حملة فى آسيا الصغرى ، فأحزنه النبأ ، وأرسل الى نائبه فى بغداد ، يأمره برعاية أبناء موسى الثلاثة. ولما عاد المأمون الى بغداد عهد برعايتهم الى يحيى ابن أبى منصور فلكيه الخاص . وكان يحيى هذا هو مدير « دار الحكمة » . وتذكر المؤلفة هنا أن دار الحكمة قد بناها المأمون ، والصحيح أن الذى بناها هو والده هرون الرشيد ، ولكنها امتلأت بالعلماء فى عهد المأمون .

فى هذا الجو العلمى نشأ أبناء موسى ليصبحوا من علماء الفلك : أما الابن الأكبر محمد بن موسى، فقد برز أيضا فى السياسة ، وأصبح من المقربين جدا من الخليفة المأمون . وقد أرسل المأمون محمدا هذا فى بعثة لقياس محيط الأرض . فقصد هو ورجاله من الفلكيين سنجار ، غربى الموصل، وانتهجوا فى مهمتهم طريقة مغايرة لطريقة ايراتوستنيس ، الذى كان أول من حاول قياس محيط الأرض بواسطة زاوية أشعة الشمس .

وانفصل الاخوة الثلاثة عن يحيى ومرصده ، وانشأوا لهم مرصدا خاصا بهم ، ولم يبخلوا عليه بالمال ، ولم يضنوا عليه بالوقت . وقد وضع الأخوة الثلاثة كتابا ترجمه الى اللاتينية جيرارد الكريمونى (١١١٤ - ١١٨٧ م) من المستشرقين الفرنسيين ومترجم فلسفة الكندى الى اللاتينية. وهذا الكتاب معروف فى بلاد الغرب باسم «كتاب الأخوة الثلاثة » .

وقد وصف الطبيب ابن ربّان الطبرى (ولد فى مرو سنة ٨٠٨ م) مرصد أبناء موسى بعد أن شاهده فقال : « فى مرصد سامراء آلة بناها أبناء موسى ، وهى ذات شكل دائرى ، تحمل صور النجوم ، ورموز الحيوانات فى وسطها ، وتديرها قوة مائية . وكان كلما غاب نجم فى قبة السماء اختفت صورته فى اللحظة ذاتها فى الآلة. واذا ما ظهر نجم فى قبة السماء ظهرت صورته فى الخط الأفقى من الآلة » .

وقد قام الأخوة الثلاثة بايفاد الرسل على نفقتهم الخاصة الى الامبراطورية البيزنطية بحثا عن المخطوطات الفلكية والرياضية . ولم يتوانوا عن دفع المبالغ الطائلة لشراء الآثار الاغريقية وحملها الى قصرهم . وكانت لهم دار مخصصة لاقامة المترجمين الذين يترجمون لهم هذه المخطوطات ، وكانوا يدفعون لهؤلاء المترجمين مبالغ تضاهى ما كان يدفعه الخليفة للمترجمين .

وفى قصر أبناء موسى ، وتحت رعايتهم ،تفتحت عبقريات خلاقة ، احتلت فيما بعد مراكز مرموقة بين العلماء العرب . من هؤلاء : حنين بن اسحق،

واسحق بن حنين ، وولده ، وابن أخيه ، وثابت ابن قرة . ونستطيع أن نوجز القول فى ابنـــاء موسى ، فنستشهد بما قاله فيهم البيرونى بعد مرور مائة وخمسين عاما : « انى أرى انه بوسع المرء أن يعتمد على ما قام به ابناء موسى من أبحاث وملاحظات ، ذلك انهم وضعوا فى سبيل البحث عن الحقيقة كل قواهم . وكانوا الوحيدين فىعصرهم الذين برعوا فى طرقهم الفلكية ، وفى حســـن استعمالهم لها . كما انهم تركوا المجال لغيرهم من العلماء للتحقق من صحة قياساتهم ودقتها ».

الأيدى الشافية

وقد برز العرب فى العلوم الطبية ، وكان لكتبهم تأثير كبير فى أوروبا . وقـــد وصف اغريبافون نتيسهايم الاحترام الذى كان يحمله الغرب للأطباء المسلمين فقال : « ... لقد استقبلت كتب ابن سينا والرازى وابن رشد ، بالثقة نفسها التى استقبلت بها كتب ابوقراط وجالينوس ،ونالت حظوة قصوى عند الناس الى درجة انه اذا ما حاول امرؤ ما ممارسة الطب دون الاستناد اليها، اتهم ، على أهون سبيل ، بالعمل على الاضرار بالمصلحة العامة ... » .

ونحن نستطيع ان نقارن هذا الاجلال للطب العربى ، بما كان شائعا فى القرون الوسطى من اعتقاد الكنيسة بان المرض نتيجة لاثم : فالقديس يوحنا فم الذهب (٣٤٧ ـ ٤٠٧ م) نادى بان بذرة كل مرض وعلة ، كامنة فى خطايا البشر ، وعندما يبعد سبب المرض عن المريض ، ويتخلص هذا الأخير من عبء ذنوبه بالاعتراف ، فانتوقف العلة يؤدى الى توقف المعلول ، فتختفى الآلام الجسدية . واذا حدث أن رفض المريض أنيعترف بخطاياه ، فان الطبيب المسيحى ممنوع من تطبيبه بأمر الكنيسة ، فاذا لجأ المريض الى طبيب عربى، فان الكنيسة كانت تسرع فتوقع عليه الحرمان .

وتزداد الصورة وضوحا اذا نحن قارنا هـــذا بما قاله ابن رضوان (٩٩٨ ـ ١٠٦١ م) ، عميد أطباء القاهرة فى أواسط القرن الحادى عشــر ، محددا واجبات الطبيب : « من واجب الطبيب ان يعالج أعداءه بالروح نفسه والاخلاص ذاته ، والاستعداد عينه الذى يعالج به من أحبهم » .

وتتحدث المؤلفة حديثا مسهبا عنالمستشفيات العربية ، وما كان يلقاه المريض فيها من عناية .

وكان الأوروبيون يأتون للعلاج فى مستشفيـــات الأندلس ، فيجدون كل عناية . وقد كان كل مستشفى مدرسة للطب فى الوقت نفسه . ونحن نجد فى كتاب ابن أبى أصيبعة وصفا حيا للطب العربى فى فترة ازدهاره .

وقد ظل كتاب الفخر الرازى فى الطب المرجع الأساسى فى أوروبا لمدة تزيد عن اربعمائة عام ،دون أن يزاحمه أى مؤلف خطته يد كاهن من كهنـة الأديرة ، وهم الذين كانوا يقومون بأعمال الطبابة فى أوروبا . وقد بلغ من تقدير الباريسيين للرازى أن أقاموا له نصبا فى باحة القاعة الكبرى فىمدرسة الطب ، كما علقوا صورته فى قاعة أخرى كبيرة تقع فى شارع سان جرمان ، بحيث يراها طلبة الطب كل يوم . والرازى بدأ تعليمه على يد تلميذ من تلامذة حنين بن اسحق ، رئيس مترجمى ابنـاء موسى الثلاثة .

وابن النفيس (١٢١٠ ـ ١٢٨٨ م)رئيس أطباء مصر ، ومؤلف « شرح تشريح ابن سينا » الذى يصف فيه دورة الدم الصغرى ، من أشهر الأطباء العرب الذين أثروا فى الطب الأوروبى .

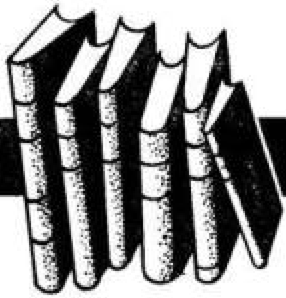
والحديث عن الأطباء العرب وما قدموه طويل ، ويكفى أن نشير الى أن أوروبا اتخذت مرجعا لها فى علم التشريح اللوحات التىكان العربيستعينون بها فى دراستهم للطب،كما أنأبا القاسم الزهراوى وهو من ألمع جراحى العرب وأعظمهم فضلا ، قد نقل للأطباء الغربيين صور الأدوات الجراحيـــة العربية . أما ابن سينا فقد حجبت شـــهرته فى أوروبا ، شهرة جالينوس .

★ ★ ★

هذه اشارات الى بعض مناحى الثقافةالعربية التى أثرت فى الغرب كما وصفته المؤلفة .

ونحن نستطيع أن نقول ان الغرب بقى فى تأخره ثقافيا ، واقتصاديا ، طوال الفترة التى عزل بها نفسه عن الحضارة العربية المزدهرة ولم يبدأ الغرب نهضته الا حينبدأاحتكاكه بالعرب سياسيا وعلميا وتجاريا ، عندها استيقظ الفكر الغربى من سباته على قدوم العلـــوم والآداب والفنون العربية ، ليصبح بعد هذا اللقاء اكثر غنى ، وجمالا ، وأوفر صحة وسعادة . ■■

محمود السمرة ـ جامعة الأردن ـ عمان



من الكتب التي وصلتنا

دراسات عن الكويت والخليج العربي

تأليف : عبد المجيد مصطفى وعثمان فيظ الله
مكتبة نهضة مصر بالقاهرة

● هذا الكتاب يدل اسمه عليه ، وهو بجانب تصويره بدقة ووضوح لحياة منطقة هامة من الوطن العربى ، يتسم بالروح العلمية والقومية معا . كما يتعرض لنشأة تلك المنطقة وتطورها من أقدم عصور التاريخ الى اليوم ، مدونا ما مر بها من أحداث ، ومبينا مدى تقدمها الاجتماعى والثقافى والاقتصادى . كما يشرح وضعها السياسى وتسابق الدول الاستعمارية ، وتنافسها على استثمار الذهب الاسود فيها ، ملقيا الضوء على كثير من المشكلات ، كما بين وجهة النظر العربية فى معالجتها .

الصوارى وعيون الأطفال

تأليف : أحمد دحبور ـ مطبعة الاندلس بحمص ـ الثمن مائتى قرش سورى .

● الكتاب عبارة عن مجموعة أشعار الشاعر احمد دحبور ، نظمها فى مواضيع عدة نذكر منها : الخيال وعودة الماضى الفول ، حكاية الموت ، خلف الزجاج .

خروشوف والثقافة

ترجمة الدكتور جوزيف الصائغ ـ مطابع الدار الشرقية للطباعة والنشر ببيروت ـ الثمن : ليرة لبنانية واحدة .

● الكتاب عبارة عن خطاب خروشوف الذى القاه فى قصر الكرملين فى مارس عام ١٩٦٣ ، وفيه شرح المبادىء العامة للشيوعية ورايه الشخصى منها . كما حوى الكتاب تعليقات من الصحف العالمية عن الخطاب وشخصية خروشوف .

الطب العربى

تأليف : الدكتور ادوارد جي براون ، ترجمة الدكتور داود سلمان علي ـ مطبعة العاني ـ بغداد .

● الكتاب عبارة عن مجموعة محاضرات القاها المؤلف ، وهو مستشرق بريطانى ـ وفيها يفخر بفضل الحضارة العربية الاسلامية على التراث العلمي ونقل هذه الحضارة الى أوروبا . وقد اجاب فى كتابه على أسئلة عدة ، طالما راودت الكثير منا . ومنها : ما هو الطب العربى.. ؟ ومن هم العرب وما خصائصهم وصفاتهم ..؟ ثم هل للطب العربي أصالة .. ؟ وهل كان الطب العربي طبا عربيا أم اسلاميا ...؟

وأخيرا تعرض المؤلف للمعلومات الطبية التى جاء بها القرآن الكريم والتى وردت فى الحديث الشريف . والكتاب يعد فريدا فى نوعه ، غنيا بمعلوماته ، شيقا فى أسلوبه .

القاموس الجغرافى والجيولوجي

وضع عبدالوهاب الدباغ ـ دار مطابع الوفاء ببيروت

● يشمل هذا القاموس معظم المصطلحات الشائعة فى جميع فروع الجغرافية الى جانب المصطلحات الجيولوجية الهامة . كما يحوى بعض الرسوم التخطيطية والخرائط والمصورات التي تساعد على فهم المصطلح .

الثروة البترولية

تأليف : محمود قلمجي ـ مطابع/نيازى كرى ببيروت ـ السعر ٥٥٠ قرشا لبنانيا

● يبحث هذا الكتاب فى مصادر النفط فى الدول المنتجة له بالخليج العربى . وقد ضم صورا بيانية عن رقى وتطور هذه البلاد بعد أن أنعم الله عليها بموارد النفط وخيراته . ■■

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

الشَّرْعُ شَيْءٌ .. وَالقَانُونُ شَيْءٌ آخَرُ

احْتَرِسْنَ مِنَ الزَّوَاجِ العُرْفِي أَيَّتُهَا الغَافِلَات !

● أنا شابة مسلمة ، تخرّجت في أحد معاهد التمريض ، والتحقت بعيادة طبيب شاب تبين لي فيما بعد أنه مختلف مع زوجته ، ثم ما لبثا أن افترقا بالطلاق . ومن ثم بدأ يتحبّب اليّ ويبدي اعجابه بجمالي ويدعوني الى سهرات بريئة في دور السينما أو غيرها من الأماكن العامة . ولما حاول أن يغريني لم أستجب له ، فاشتد تعلقا بي ، فأفهمته أنه لن ينالني الا بالزواج ، وعندها أبدى استعداده للزواج بي بعقد عرفي ، لأن أسرته لا ترضى أن يتزوج بممرضة . وكنت من ناحيتي قد أحببته فقبلت اقتراحه ، وفعلا كتبنا ورقة عرفيّة بزواجنا ووثقناها معا ، بشهادة شاهدين .. وساعده على هذا التخفي أنه كان معتادا أن يبيت في العيادة في بعض الليالي ، فلم يفعل أكثر من أن أثث فيها غرفة نوم ، فاتخذنا منها عيادة ومسكنا ، ومرت بنا الأيام سعيدة لا أكاد أشعر بها ، واكتملت سعادتي عندما رزقت منه بطفل جميل كنت أظن أنه سيزيد ارتباطنا الروحي قوة وتوثيقا . ولكنه فجأة بدأ يتنكر لي ، لغير سبب .. وبعد قليل اقترح أن ننتقل الى شقة مفروشة استأجرها باسمي في أحد الأحياء البعيدة عن العيادة ، ثم أخذ يقلّل

موناكو ، سان مارينو ، لوكسمبرج ..

● هل تعتبر كل من : موناكو وسان مارينو ولوكسمبرج بلدا مستقلا ذا سيادة خاصة به ؟ وبم يشتهر كل منها ؟ وما هذا البينيلوكس الذي نسمع منه ؟

علي السيد محمد ـ الكويت

العربي : اما موناكو : فامارة ، وسان مارينو : فجمهورية ، ولوكسمبرج : فدولة ، وجميعها مستقلة.

تقع موناكو على شاطيء البحر المتوسط ، غير بعيد من مدينة نيس الفرنسية . وفي مونت كارلو ، العاصمة ، اشهر كازينو للقمار في العالم ، هو سبب تسمية موناكو « بامارة القمار » اذ ان المقامرة تمثل اهم مصدر من مصادر الدخل فيها . كذلك تشتهر العاصمة بمتحف الأحياء البحرية الذى يعتبر من اعظم متاحف الاحياء المائية في العالم.

و « سان مارينو » من أصغر جمهوريات العالم وأقدمها ، وتقع على جبل تيتانو على ساحل ايطاليا الادرياتيكي ، وتتكون من مدينة واحدة هي سان مارينو البالغ عدد سكانها حوالى ١٥ الف

من زيارتنا أنا وطفله الذى كنت قد انقطعت عن العمل فى العيادة قبيل مولده .. وأخيرا عرفت أنه علق بممرضة جديدة ، وأنه يمثل معها نفس الدور الذى مثله معى قبلها ، فلما صارحته بأنى اكتشفت سره نهرنى ، ثم ضربنى ، ثم أنكر أننى زوجته ، فلما لوحت له بورقة زواجنا ضحك ساخرا وقال : « بلّيها واشربى ميتها » !

ولست أطيل عليكم فقد لجأت الى أحد المحامين فرفع عليه قضية نفقة لى ، ولابنى منه ، ولشد ما كانت فجيعتي عندما حكمت المحكمة برفض دعواى ، لأنه أنكر الزواج منى أمامها ، بالرغم من أنه كان قد اعترف بهذا الزواج فى محضر البوليس الذى حرر لنا يوم اعتدى علىّ بالضرب !

انى أكاد أجن .. ولا أدرى كيف تحكم المحكمة برفض دعوى زوجة تطالب زوجها بنفقة لها ولابنها ! وبالرغم من أننى قد استأنفت الحكم الا أننى خائفة أشد الخوف من أن تحكم محكمة الاستئناف برفض دعواى من جديد ، فأصبح أنا وطفلى شريدين مع أننا ضحيتان بريئتان لا ذنب لنا ولا جريرة .

س. لطفى ــ الاسكندرية

ــ تقول الفقرة الرابعة من المادة ٩٩ من القانون رقم ٧٨ للأحوال الشخصية المعمول به فى الجمهورية العربية المتحدة ان دعوى الزوجية لا تسمع بغير وثيقة رسمية ، ما لم يعترف الزوج أمام المحكمة بحدوث الزواج، فاذا أنكر لم تقبل دعوى الزوجية ... ويظهر ان ذلك هو ما استندت اليه المحكمة فى رفض دعوى النفقة .. ولكنها فى رأينا قد تعسفت فى تفسير المادة المذكورة ، وبعبارة أخرى فى تفسير معنى « الانكار » و « الوثيقة الرسمية » .

فاذا كان الزوج قد انكر الزوجية أمام المحكمة ، فما كان لها أن تأخذ بانكاره بعد أن اعترف بالزوجية فى محضر البوليس كما تقولين ، ومحضر البوليس وثيقة رسمية لها قيمتها التى لا تقل عن قيمة وثيقة يحررها المأذون ، مهما قيل انه لم يعد لاثبات الزوجية ، خصوصا ان الزواج فى الشرع الاسلامى يقع بالايجاب والقبول وشهادة شاهدين ...

ولذا ننصح لك الاستمرار فى استئناف الحكم ، على أن تستعينى بمحام أكثر دراية وتمرسا بهذه الشؤون .

ولعل ما أصابك يكون عبرة لمثيلاتك اللواتى يتعرضن الزواج العرفى فيقعن فى شره وهن غافلات ، ثم يندمن بعد فوات الأوان ..

نسمة ، وتتمتع بشهرة سياحية ذائعة الصيت ، لغلبة طابع العصور الوسطى عليها . وهي تصدر بعض أنواع النبيذ وطلاء أظافر السيدات .

اما لوكسمبرج ، فهي دولة اوربية صغيرة ، تفصل بين ألمانية وفرنسا وبلجيكا ، لا اتصال لها بالبحر ، ويعمل اهلها فى مناجم الحديد ومصانع الصلب او زراعة النبات فى مزارعهم . وقد اتفقت لوكسمبرج مع بلجيكا وهولندا بعد الحرب العالمية الثانية على تكوين اتحاد جمركي يسمى « اتحاد البنلكس » Benelux لتسهيل التبادل التجارى فيما بينها .

الذكاء ..

● هل الذكاء مورث كله من الأصل ، أم هو مورث ومكتسب من البيئة ؟

أ . شيبان ــ الظهران

العربي : **يتوقف الجواب على معنى الذكاء ، فهناك ذكاء فطرى وذكاء مكتسب . ومن الناس من يقصر معنى الذكاء على الفطرى . وجواب سؤالك على كل حال لا يكون فى سطرين ، وانما فى صفحات .فالى مقال فى فرصة اخرى ان شاء الله.**

والقرآن .. ما رأيكم فيه ؟!

● ألاحظ بكثير من الدهشة أن مجلة « العربي » وهي رائدة الصحافة الأدبية العلمية والثقافية في هذا الجيل ، ورئيس تحريرها عضو في « مجمع الخالدين » ، تستخدم أحيانا بعض الألفاظ الأجنبية مثل : « الميكرسكوب » ، التلسكوب ، البروستاتة ، الفسيولوجيا ، البيولوجيا ، البكتريولوجيا ، البارومتر ، الفيروس ، الهرمون ، الميكروب ، الى غير ذلك من الكلمات الدخيلة على اللغة العربية ، مع أني أعلم أن مجمع الخالدين قد قام بتعريب معظم الألفاظ والمصطلحات العلمية ونشر ذلك في مجلته تارة ، وفي مجلدات مستقلة تارة أخرى ..

فلماذا لا تستخدم « العربي » الألفاظ التي وضعها المجمع لهذه الكلمات وأمثالها ، فتعمل بذلك على انتشارها وتداولها بين جمهور القارئين ؟ .

أم أنها ليست مقتنعة بصحة ذلك التعريب.

دكتور محمد ولي الدين شكري ـ القاهرة

ـ كان ينبغي ان اترك الرد على هذه الرسالة لأستاذنا الدكتور احمد زكي رئيس التحرير ، لكنني استأذنته في أن أوجه الى كاتبها الفاضل ، ومن يجارونه او يجاريهم في الالحاح على تعريب كل الألفاظ والمشتقات والمصطلحات العلمية ولو شاعت شيوع العربية ، السؤال الذي جعلته عنوانا لهذه الكلمة : والقرآن.. ما رأيكم فيه ؟!

لست اظن احدا منكم ، مهما يكن دينه أو مبلغ حظه من الثقافة ، يستطيع أن يماري في كونه كما قال الله تعالى فيه « قرآنا عربيا غيرَ ذي عوجٍ » ، وانه «كتاب" مصدِّق لسانا عربيا » ، وكذلك « انزَلناه قرآنا عرَبيًا ».. كما لا يستطيع احد ان يماري في أن القرآن هو معجزة الاعجاز في الفصاحة والبيان ، لا في عصره فحسب ، بل في كل عصر وزمان ، حتى لقد تحدَّى الله به الانس والجن بقوله : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

مع ذلك ـ وهنا أرجو السائل الكريم ومن يجاريهم أو يجارونه ، ان يفتحوا عيونهم وآذانهم وعقولهم لما ساقول ـ مع ذلك لم يخلُ القرآن العربي المبين من اكثر من مائة لفظ من الألفاظ الأعجمية ، ما بين حبشية وفارسية وهندية ونبطية وسريانية وعبرانية ورومية !!

لماذا ؟! هل عجز القرآن عن أن يجد لتلك الكلمات الاعجمية بديلا عربيا ، رغم أن العربية من اغنى لغات العالم بالمشتقات ، فعمد الى اللغات الأجنبية يستجديها بعض ألفاظها ، فيهدم ركن اعجازه المنقطع النظير ؟!

عجائب الدنيا السبع ... مرة أخرى

● كثيرا ما أسمع بعبارة (عجائب الدنيا السبع) دون أن أعرف حقيقة مدلولها . فهل لي أن أعرف شيئا من هذه العجائب السبع ومن أمكنة وجودها ، وازمنة قيامها ؟ وشكرا .

محمود حمزة الصالحي
المقدادية ـ العراق

العربي : سبق لنا ان اجبنا باسهاب وتفصيل على مثل هذا السؤال في العدد الستين من هذه المجلة ، الصادر في نوفمبر ١٩٦٣ (صفحة ١٤٢)، ونورد هنا أسماء تلك العجائب فقط، دون الشروح التفصيلية عنها ، فنشير الى ان « عجائب الدنيا السبع » : عبارة تطلق على مجموعة من الاعمال الفنية الرائعة كانت حديث الناس في غابر العصور والأجيال ، ولم يبق منها اليوم سوى اهرامات الجيزة بالقاهرة .. اما العجائب الست الاخرى التي اندثرت فهي : الجنائن المعلقة في بابل ـ تمثال زيوس في أولمبيا ـ معبد أرتيميس في افسوس ـ ضريح هاليكارناس (آسيا الصغرى) ـ

الحق ان اللغة العربية على وفرة غناهابالالفاظ والمصطلحات ، كانت قد تسللت اليها قبل نزول القرآن عشرات ومئات من الالفاظ الأجنبية ، بسبب اختلاط العرب فى ذلك الزمان بالاحباش والفرس والروم والانباط والهنود وغيرهم ، ممن كانت تربطهم بهم رابطة التجارة أو الجوار . وهى الفاظ جرى استعمالها على ألسنة العرب وكثر شيوعها وتداولها بينهم ، حتى اصبحت وكأنها من مفردات العربية ومشتقاتها الاصيلة ، مثل : فردوس ، قرطاس ، قسطاس ، تنور ، صراط ، متكأ ، سجيل ، ياقوت ، مرجان ، الى غير ذلك ..

وقد أُنزِلَ القرآن على النبى العربى ، باللسان العربى ، أى بما كان العرب الذين بعث فيهم هذا الرسول يخاطبون به ، فتنطق به ألسنتهم من ألفاظ متداولة بينهم حتى ولو كانت غريبة من لغتهم ، دون أن يطعن ذلك فى القرآن أو يَنْتَقِصَ من اعجازه وبلاغته ..

وقد يكون من الخير ان نقتطف فيما يلى بعض الالفاظ الأعجمية التى وردت فى القرآن الكريم ، والتى جمعها فى كتاب العلامة « جلال الدين السيوطى » أحد أئمة التفسير فى العصر العباسى ، وسترى أن منها ما تشترك فيه أكثر من لغة ، وان منها ما لا يتطرق الشك الى احد فى أصالة عروبته :

ألفاظ فارسية : سُنْدُس ، إستَبْرَق ، دِيبَاج ، أبارِيق ، بِيَعٌ ، كنائس ، تَنُّور ، جَهَنَّم ، سِجِّين ، سَقَر ، قِرطاس ، سَلْسَبِيل ، أقْفَال ، كَافُور ، يَاقُوت ، مرجان ، كَنْز ، سُرَادِق ، زَنْجَبِيل ، رَسّ ، رُوم .. الخ .

ألفاظ حبشية : الجِبْتُ ، الطَّاغُوت ، الأوَّاه ، الأوَّاب ، حُوباً ، ابْلَعِي ، المُتَّكأ ، شَطْر ، المِشْكَاة ، السَّكَر ، طُوبَى ، السِّجِل ، العَرِم ، المِنْسَأة ، كِفْلَيْن ، قَسْوَرَة ، يَحُور ، دُرِّيّ الخ ..

ألفاظ رومية : الفِردَوْس ، قِنْطار ، القِسْطَاس ، الصِّراط ،

« البقية على الصفحة التالية »

تمثال عملاق رودس ــ منارة الاسكندرية .

على ان هذه كانت عجائب فى تلك الايام ، اما أيامنا هذه ففيها ما هو أعجب ، وأعجب .

فى سيرة بني هلال

● هل لبنى هلال ــ أصحاب السيرة الهلالية ــ سابق وجود حقيقي ، ام هم من نسج خيال القصاصين القدامى ليس الا ؟

نجيب جميل الحمد
اللاذقية سوريا

العربي : ان معظم احداث سيرة بني هلال هي فعلا من نسج خيال رواتها القدامى ، ولكنها تستند ، فى خطوطها الكبيرة ، على تاريخ قبيلة بني هلال ــ من فرع معد بن اسماعيل . وكانوا يقطنون نجد ، عرفوا بفصاحة لغتهم العربية . وفى الجاهلية ، قاتلوا الأزد ، وحالفوا الهوازن فى حرب الفجار ، وهاجموا مكة بعد ما فتحها النبي ، ثم هاجروا الى مصر ، وأقاموا فى الصعيد ، حتى كانت سنة ١٠٥٢ م سنة ارتحالهم الى القيروان ... ومنهم اشتقت هناك قبائل بني هلال .

والقرآن .. مارأيكم فيه ؟! « بقية »

طَفِقا . فَصُرْهُنَّ ، الرَّقيم ، القِسط ، القِرطاس .. الخ

ألفاظ سريانية : اليَمُّ ، صَلَوات ، القُمَّل ، هَيْتَ لكَ ، ولاتَ ، جنّات عَدْن ، الأسفار ، طه ، سَرِيًّا ، رَهْوًا ، سُجَّدًا الخ ...

ألفاظ عبرانية : الرّمز ، الفوم ، طُوَى ، اليَمُّ ، الأوّاه ، مَرقوم ، كَفَرَ ، أَخْلَدَ ، هُدْنا ، الأسباط ، القسّيسين ، راعِنا ، حِطَّة الخ ...

ألفاظ نبطية : الفِرْدَوْس ، اسفارا ، السَّفَرة ، الحَواريُّون ، الطُّور ، فَصُرْهُنَّ ، الملكوت ، رَهْوًا ، هَيْتَ ، سَرِيًّا ، كِفْلَيْن ، المقاليد ، لاوَزَرَ ، اليَمّ ، إِصْرًا الخ ...

ألفاظ قبطية : المُتَّكأ ، مُزْجاة ، بَطائنُها ، مَناص الخ ..

فاذا كان هذا هو واقع القرآن . فماذا يضيرنا لو اننا ابقينا على بعض الألفاظ العلمية والمصطلحات الفنية ، المتداولة في عصرنا تداولا يكاد يكون عالميا ، حتى لتكاد تكون اقرب الى اسماء الأعلام ، او قصرنا محاولاتنا على تعديلها تعديلا بسيطا يُقرّبها الى الجَرْس العربي بما يناسب المقام ؟! . واخيرا نقول للسيد المعترض الذى يقول ان المجمع وضع الفاظا عربية بدل لفظ مكروب ، وهرمون ، وبرستاتة الخ .. نقول له : هل انت متأكد من ذلك . راجع المجمع فلعلك تدرى انه اقر هذه الألفاظ نفسها التى انت معترض عليها .

ردود سريعة :

● **المعذب الحائر م.ل.ب ــ الفحاحيل ــ الكويت .**

ــ استمرارك فى تحمل العذاب ، دليل على تسلط شخصية أخيك عليك تسلطا كاملا دون اى مبرر ، اللهم الا ضعف ارادتك . فقو من عزيمتك واوضح حقك الصريح ، فاذا لم يرعو الاخ القاسى عن تعسفه ، فالدنيا أمامك واسعة شاسعة ، وهي لن تبخل بعطائها للعاملين المجتهدين .. أما اليأس فهو بضاعة الخاسرين .

● **القارىء احمد ذياب عمر ــ عمان ــ الاردن**

ــ الرسائل التى تصلنا ، أيها الاخ الكريم ، هى من الوفرة بحيث يتعذر الرد عليها جميعها . ونحن لا ننشر منها الا ما يفيد القراء الاخرين .

● **القارىء ب. ع. ق. ــ بنغازى ــ ليبيا**

ــ والدك ليس مخطئا فى موقفه منك . والتخلص من المشكلة التى تشكو منها هو بيدك وحدك ، ويعتمد على قوة ارادتك ، وعلى نظرك الى عملك وتفكيرك الصحيح .. لا اعتمادا على أقاويل الآخرين واشاعات المغرضين الحاقدين .

● **القارىء : ع. م. م. ــ السعودية**

ــ حافظ على اتباع نهجك القويم ، وستجد انك بالغ بغيتك بعد الصبر والتعفف ، وأنت مرتاح الضمير .. رخى البال .. مطمئن لدنياك وآخرتك .

● **المعذب ب س. ع ــ حلب ــ ج.ع. س .**

ــ يستحسن أن تعرض حالتك على طبيب للأمراض العصبية .

● **الطالب س. ح. س. ــ جنين الاردن**

● **الطالب ع. ع. غ. ــ بقيق ــ السعودية .**

ــ دراستكما ، وأنتما فى هذه السن ، أولى بأن تستأثر باهتمامكما ، فلا تدعا زمام عقلكما بيد العواطف الطارئة العابرة .

فلسطين ... والجزائر

● في أكثر من تصريح لبعض ملوك ورؤساء الدول العربية عند حديثهم عن قضية فلسطين « ان المسألة ليست مسألة اسرائيل ، وانما من هم وراء اسرائيل »...وبديهي أنهم يقصدون بذلك الدول الغربية الاستعمارية التي تحتضن اسرائيل وتدافع عنها وتمدها بالسلاح كي تحافظ على كيانها .. فهل معنى ذلك أننا ، نحن عرب فلسطين سنظل دون مأوى ، وأننا لن ندخل في حرب مع اسرائيل قبل أن نتفوق عسكريا على تلك الدول الاستعمارية الكبرى ؟

وهل من المعقول أن تتفوق الدول العربية على أمريكا مثلا ؟!

أم أنهم يقولون هذا الكلام للدعوة الى توحيد جهود وامكانيات الدول العربية ؟

وهل يكفي توحيد هذه الجهود والامكانيات للوقوف في وجه اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل ؟

لقد قامت الجزائر البطلة بثورتها ضد الاستعمار الفرنسي وانتصرت عليه في النهاية .. فلماذا لم تحسب الجزائر حساب فرنسا وقوتها ؟ ولم تحسب كذلك حساب حلف الاطلسي الذي وراءها ؟!

محمود علم ـ من أبناء طولكرم
السعودية

ـ الثورة الجزائرية شيء ، وشعب فلسطين شيء آخر .

الثورة الجزائرية كانت ثورة منظمة ، لشعب موحد الكلمة ، يحارب المستعمر على ارضه وفي وطنه ، قلبا واحدا ، وصفا واحدا .

أما شعب فلسطين فهو الآن شعب مشتت في مختلف الأقطار العربية ، والذين يقيمون منه في أرض فلسطين أقلية لا حول لها ولا قوة .

يضاف الى ذلك أن شعب فلسطين ليس في وحدة الشعب الجزائري . وهو حتى الآن لم يتوصل الى تنظيم نفسه أو رسم الخطة لما ينوي أن يقوم به من جهاد مقدس لاسترداد وطنه السليب ..

أما القول باعلان الدول العربية الحرب على اسرائيل الآن ، فذلك ما لا يقول به رجل رشيد ..

ان معركة فلسطين المقبلة يجب أن يبدأها شعب فلسطين نفسه أولا . بعد أن تتهيأ له الظروف المواتية ، من سياسية وعسكرية ، وبعد أن توحد الدول العربية كلمتها ، وتنظم صفوفها ، وتقوي جيوشها ، وتهيىء الرأي العام العالمي لمناصرتها والوقوف الى جانبها ، سواء في المجالات الدولية أو في ميدان المعركة ذاتها ..

ان معركة فلسطين القادمة ليست معركة خطب ومقالات وأشعار .. ولكنها معركة الدم والحديد والنار .. والا كانت انتحارا جديدا .. أي انتحار !!

● **القارىء سالم انور ـ اللاذقية ـ ج. ع. س**

ـ اقتراحك تكوين رابطة من الموسرين العرب لمساعدة الطلاب العاجزين ماديا عن متابعة تحصيلهم العلمي ، اقتراح طريف فعلا .. وعسى أن يأخذ به « أحدهم » يوما ..

● **المعذب ع. ع. في القطيف ـ السعودية**

ـ فراغ حياتك من أهداف أرقى مما قد حددت لنفسك حتى الآن ، هو المسؤول الاول عن تخبطك العجيب بين المواطف المتضاربة .

● **القارىء م. ب ـ حلب ـ ج. ع. س**

ـ هناك حكمة تقول : « اذا لم يكن ما تريد ، فارد ما يكون » .. واعتقادنا أنها ابلغ جواب يمكن أن تنتظره منا على المسألة التي تقلقك .

■■

طرائف عربية

وصايا خمس

● قال علي رضي الله عنه : خمس خذوهن عني ، لا يَرْجُوَنَّ عبدٌ الا ربه ولا يخافَنَّ الا ذنبه ، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحي اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله اعلم . واعلموا ان منزلة الصبر من الايمان كمنزلة الراس من الجسد ، فاذا ذهبَ الراس ذهب الجسد ، واذا ذهب الصبر ذهب الايمـان .

صدق ولا تصدق

● **عن أبي اسحاق قـال : اذا بلغك أن غنيا افتقر فصدق، واذا بلغك أن فقيرا استغنى فصدق ، واذا بلغك أن حيـا مات فصـدق ، واذا بلغك ان أحمق استفاد عقلا فلا تصدق.**

دعاءُ رياضيٍّ

● دعابعض الرياضيين ربه فقال :

ــ اللهم يا من يعلم قطر الدائرة ،ونهاية العدد اللانهائي،والجذر الأصم، اقبضني اليك على زاوية مستقيمة ،واحشرني علىخط مستقيم لامنكسر .

أين الذين يؤثرون على أنفسهم ؟ ؟

●الح سائل على اعرابي أن يعطيه حاجة لوجه اللـه . فقال الأعرابي : والله ليس عندي ما أعطيه للغير . . فالذي عنـدي آنـا أولى الناس به واحق !

فقال السـائل : أين الذين كانوا يؤثرون الفقير على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟

فقال الأعرابي : ذهبوا مـع الذين لا يسألون الناس الحافا .

لا

● استأجر احدهم حمّالا ليحمل له قفصا فيه قوارير ، على أن يعلمه ثلاث خصـال ينتفع بها . فلما بلغ ثلث الطريـق ، قال الحمال : هـات الخصلة الأولى .

فقال : من قال لك ان الجوع خير من الشبع فلا تصدقه .

قال : نعم .

فلما بلغ الثلث الثاني قال : هات الثانية .

أقوال مأثورة

* اذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب ، واذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان .

* **قال الحسن :** ما احسن الرجل ناطقا عالما، ومستمعا واعيا ، وداعيا عاملا .

يجيزون شهادة الحمير

● كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء على الشراب ، فشكي الى عامل مكة ، ففرّ الى عرفات ، فبنى بها منزلا ، وارسل الى اخوانه :ما يمنعكم ان تعاودوا ما كنتم فيه ؟

قالوا : واين بك وانت في عرفات ؟

فقال : حمار بدرهم ، وقد صرتم على الأمن والنزهة . ففعلوا . فعادوا بشكايته ، فارسل فيه ، فاتي به ، فقال الوالي : يا عدو الله ،طردتك من حرم الله ، فصرت بفسادك الى المحشر الأعظم !

فقال يكذبون علي ، اصلح الله الأمير . فسالهم الوالي دليلهم .

فقالوا : دليلنا ان تجمع حمير مكة وترسل بها ،فان لم تقصد لمنزله كنا من المبطلين .

قال الوالي : ان في هذا لدليلا وشاهدا عدلا . فلما سارت الحمير ذهبت الى منزله من غير دليل . فاعلمه بذلك امناؤه .

فقال : ما بعد هذا شيء . جردوه . فلما نظر الى السياط قال :

ـ لا بد اصلحك الله من ضربي ؟

قال اجل يا عدو الله !

قال : والله ما في ذلك شيء هو اشد علي من ان يشمت بنا اهل العراق ، ويضحكوا منا ، ويقولوا : اهل مكة يجيزون شهادة الحمير .

فضحك الوالي وخلى سبيله .

تصدق

فقال : من قال لك ان المشي خير من الركوب فلاتصدقه . فقال : نعم . فلما انتهى الى باب الدار قال : هات الثالثة .

فقال : من قال لك انه يوجد حمال اجهل منك فلا تصدقه .

فرمى الحمال بالقفص فكسر جميع القوارير وقال :

ـ من قال لك انه بقي في القفص قارورة لم تنكسر فلا تصدقه .

أعرابي عند والٍ

● جيء بأعرابي الى احد الولاة لمحاكمته على جريمة اتهم بارتكابها ، فلما دخل على الوالي في مجلسه ، اخرج كتابا ضَمَّنه قصته ، وقدّمه له ، وهو يقول :

ـ هاؤم اقرأوا كتابيه ..

فقال له الوالي : انما يقال هذا يوم القيامة .

فقال : هذا والله شر من يوم القيامة .. ففي يوم القيامة يؤتي بحسناتي وسيئاتي ، اما انتم فقد جئتم بسيئاتي ، وتركتم حسناتي !

صبيتان فى سيرك

بقية المنشور على صفحة ٢

وحمار واحد ، وخيمة متهالكة تؤويهم جميعا. والصورة المنشورة هى لابنتى فرناندو الصغيرتين وقد ارتدتا ثياب العمل . لقد استطاع رنوار فى صورته أن يجعل الصبيتين الصغيرتين ، رغم ثيابهما المتواضعة ، وأحذيتهما الكبيرة الغليظة وسراويلهما المذهبين اللذين زادا فى اظهار غلظ الأرجل التى تكون للفتيات قبل البلوغ ، استطاع رنوار رغم كل هذا ان يستخلص صورة جذابة لما سوف تكون عليه الفتاتان وقد ازدهر شبابهما واكتملت انوثتهما .

ولا يمكن أن يفوت الناظر الى الصورة اليمنى، صورة الفتاة التى تحمل فوق يديها من البرتقال خمس حبات ، التى تجمع بين البراءة والحذر والمكر . لا يفوته أن يرى ما صور الفنان فى هذا الوجه من خليط من براءة ، ويقظة ، وذكاء . ولا ما أشاع الفنان فى المجموعة كلها من حلاوة أنثوية تثير الحنان والتحنان .

ولد الفنان الفرنسى الكبير بيير أوجست رنوار Renoir فى ٢٥ فبراير عام ١٨٤١ بمدينة ليموج Lemoges بفرنسا ، والحقه والده الذى كان يعمل خياطا بمدرسة اللغة بباريس. وابدى الصبى رنوار ، وهو فى سن الثالثة عشرة، مقدرة فائقة فى استخدام فرشته والوانه ، فعمل رساما فى مصنع للأوانى الصينية ، يرسم على الأوانى الخزفية ، ثم عمد الى زخرفة المراوح اليدوية لكسب قوته . وبعد أن وفر بعض المال ، التحق بمرسم الأستاذ « غلير » ، ولكنه هجره بعد عامين ، وانطلق الى متحف اللوفر يقضى فيه كل يوم ساعات طوالا يتأمل خلالها الروائع الخالدات .

ومع مرور الأيام أيقن بأن المتحف هو أفضل مكان يتعلم فيه الفنان الرسم اذ قال : « فى المتحف يستطيع المرء أن يتعلم كيف يرسم ، ويستطيع الفنان ان ينمى شعوره بالألوان ، وهو ما لا تستطيع الطبيعة وحدها أن تفعله » . وهكذا امضى رنوار وقته متنقلا بين متحف اللوفر وغابات باريس وشوارعها ، مصورا ما تقع عليه عيناه من لوحات قديمة ، ولوحات حية طبيعية ..

وفى سن الثلاثين وقف رنوار عند أول طريق المجد ، وأصبحت لوحاته تعرض بانتظام ، سنة بعد أخرى فى المعارض الدولية . واتجه أول ما اتجه الى الفن التأثيرى ، فانتج لوحات كبرى تشع بالضوء والنور ، رسمها بضربات قصيرة من فرشاته المحملة بالألوان البراقة ، التى كانت كالقطرات القليلة التى تسبق السيل المنهمر للفن التأثيرى الحديث .

وفى سن الأربعين ارتد رنوار بفنه الى الطراز الكلاسيكى ، واحس بضرورة التجول فقصد روما والبندقية وفلورنسا ليشاهد بدائع فنانيهـــا فى القصور والكنائس والمتاحف . وهناك وقف طويلا متأملا لوحات رفائيل ، وتصاوير بومباى ، فتأثر بها واعجب بخطوطها الواضحة .

وقد استوحى رنوار الشىء الكثيرمن أساتذةالفن أمثال « واتو » و « دى لاكروا » و « كوربيه » .

ثم دفعته طبيعته المجددة وحبه للفن ، الى التجديد ، فجاء انتاجه الفنى خلال خمسين عاما عرضا مستمرا للسحر والنور والجمال ، وكانت لوحاته متعة دائمة للعين وتعبيرا صادقا عن الفرح .

وفى سنة ١٨٩٤ اشتد المرض برنوار ، وبدأ يقاسى آلام مرض المفاصل، الذى أدى فى النهاية الى تصلب جميع أطرافه ، فاعتزل العمل ولجأ الى مدينة « كان » عام ١٩٠٦ . وهنا بدأت فترة من أهم الفترات فى حياة هذا الفنان ، وهىفترة أوجاعه المبرحة الى جانب شهرته الواسعة . فقد أصبح كسيحا مقعدا ، وتصلبت يداه ومع ذلك استمر يرسم . كانت الفرشاة تُربط الى معصم يده المتصلبة لتجرى على القماش وتسجل ما يقع عليه نظره ، وكانت السعادة تغمره عندما يرى عملا جديدا يخرجه كل يوم بروح وثابة متفائلة .

وقبل وفاته ببضع سنوات حصل على وسام الشرف (الليجون دنير) بحسبانه أعظم مصور للحياة الطيبة وكل ما يثير فى النفوس المتعة ويشيع الجمال بين الناس فى عصره .

وقبل وفاته بأيام طلب أن يحملوه على عربته ليشاهد لوحاته بين بدائع الفن فى متحف اللوفر لآخر مرة ، وهناك قابلته الجماهير بعاصفة من التصفيق واستقبلته استقبال الأبطال الفاتحين .

وبعد أيام ، من عيد ميلاده الثامن والسبعين ، مات الفنان الكبير عام ١٩١٩ ، تاركا فنا ينطق دائما بما فى الحياة من خير وجمال . ■■



بنفس اللفـة !

● تشاجر الزوجان وتخاصما ، فلم يعد كل منهما يتحدث الى الآخر . وعندما تهيأ الزوج للنوم ذات ليلة ، دس في يد زوجته ، دون ان يكلمها ، ورقة كتب عليها :

— ايقظيني فى الساعة السابعه صباحا .

وعندما استيقظ فى الصباح التالى ، وجد ان الساعة بلغت التاسعة . . ووجد فى يده ورقة كتبت عليها الزوجة :

— استيقظ ، فالساعة بلغت السابعة!

اصرار على التفاؤل

● اشتهر رجل بالتفاؤل الى درجة ان اى نبأ ما كان ليهزه، مهما يكن من السوء . . بل كان جوابه دائما : « من يدرى ! . . لعل هذا الحدث افضل من سواه » .

وفى ذات يوم ، راهن احد سكان القرية صديقا له على ان يزحزح الرجل عن تفاؤله ، فذهب اليه قائلا : « هل علمت بالمأساة الشنيعة؟ . . لقد فاجأ صديقنا زوجته مع صديقها فقتل الاثنين واضرم النار فى البيت » .

وهنا قال المتفائل : « الحمد لله . . لعل هذا الحدث افضل من سواه . . فلو ان الزوج تقدم يوما ، لوجدنى انا هناك » !



ساق ! !

● كتب رجل الى مؤسسة السكك الحديدية فى انجلترا يقول :

« شكرا لاهتمامكم برسالتى التى طالبت فيها بتعويض عن ساقى التى كسرت اثناء حادث تصادم لقطار كنت استقله . . وقد تسلمت « الشيك » الذى ارسلتموه بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه . . واشكركم مرة اخرى لهذا السخاء ، فما من قاض كان منتظرا ان يحكم بتقدير كهذا لساق خشبية ! »



الوقت متاخر جدا !

● عاد الرجل الى البيت ومعه زوجته الجديدة التي تصغره بأربعين سنة . وقدمها للخدم الذين يعملون عنده . وبعد ذلك سأل اقدم مستخدميه عن رايه في الزوجة الجديدة .

فقال الخادم : انها في غاية الروعة والجمال والشباب يا سيدي .

الزوج : اذا لماذا يبدو عليك عدم الرضا ؟

الخادم : انني اشعر بالأسف حينما ارى رجلا يبدأ عملا يستغرق النهار كله في وقت متاخر من النهار !؟

عمَر .. واحمد

● قال الشاب الحريص على الصدق، للفتاة :

ـ لست غنيا .. فانا لا امتلك سيارة مثل صديقي عمر ، ولا املك ان اقضي الصيف في الخارج مثل صديقي احمد .. ولكني احبك من كل قلبي .

فقالت الفتاة :

ـ وانا احبك .. ولكن ، حدثني اكثر عن عمر واحمد ! ■■

(بقية المنشور على صفحة ٧)

... الى استطلاعات عالمية

● من الحقائق الراهنة ان مجلة « العربى » الزاهرة باتت مجلة العرب الأولى بلا منازع ، وسفيرهم المتنقل بين كافة انحاء المعمورة . وايراد هذا القول ليس ابدا من باب المجاملة ... لان التحقق من صدقه هو من ايسر الأمور على المتتبع لجهودكم المخلصة فى هذا السبيل .

ولقد لاحظت ان العدد ٧١ من « العربى » جاء خلوا من اى استطلاع عن احدى المناطق العربية. فحبذا لو تعودون الى سنتكم الحميدة التى دابتم على اتباعها حتىالآن بصدد تعريف العربى بمختلف اجزاء وطنه الكبير . وفى كل عدد من اعدادكم القيمة .. ولكم شكر كل من نطق بالضاد وامتنانهم .

واقترح ان تتفضلوا مشكورين كذلك بنقل استطلاعات مصورة مفصلة عن حقيقة كبريات مدن العالم ومناطقه النائية ، ليطلع العرب فى كل مكان على آخر ما توصلت اليه كافة الشعوب المتقدمة .. هذه الشعوب التى لا تستطيع يوما ان تنكر فضل اجدادنا العرب فى دفعها قدما فى ركب الحضارة والمدنية .. » .

عبد الرحمن عبد الله السعدى ـ السعودية

الشيخ الذى لم يحترم شيخوخته

● كنت فى الثامنة عشرة من العمر حينما وقعت فى حب فتاة من عائلة صديقة لعائلتنا. وكان ذلك قبل أعوام قليلة ، حينما كنت لا أزال أتابع دراستى ، وأتهيأ للسفر الى دمشق لدخول الجامعة .. اذ تعاهدت وفتاتى على الزواج بعد اتمامى دراستى الجامعية وعودتى النهائية الى البلدة . وفى أواخر فترة دراستى هذه ، فوجئت بنبأ زواج فتاتى تلك .. وممن .. من أبى !! .. أجل ، من أبى الذى يشرف على الستين من عمره ! .. فلقد اشتراها من أهلها بنقوده رغم اصرارها على الرفض بدون جدوى ، اذ من عاداتنا ألا يؤبه لرأى الفتاة فى أى أمر من الأمور .

وكان أن عدت فى الصيف الى بلدتى لأقيم فيها بعد انتهاء دراستى وسكنت الدار التى افردها أبى لعروسه الشابة . وذات ليلة ، وكان أبى فيها غائبا ، فوجئت بها بجانبى فى غرفتى .. فتيقظ فىّ الحب القديم .. وكان أن اصبحت ملكى كما هى ملك لوالدى المتهدم .

ومرّ عامان حتى الآن .. كنت خلالهما لا أنى أعاشرها معاشرة الأزواج .. وأنجبت طفلين لا أدرى أهما ولداى أم أخواى !! ..

وتنبه ضميرى بعد طول غفلة .. وانشب اظافر تعذيبه فى نفسى ، وبدأت أتلوى من الألم الرهيب فى ليلى ونهارى .. حتى رحت منذ وقت قصير أفكر بالانتحار .. أو بقتل الأم والولدين ونفسى جميعا ..

القارىء : خ . م . ـ الاردن



أكثر فأكثر

٥٪ حسابات ودائع مصرفية

تستطيع ان تضمن فائدة قدرها ٥٪ اذا فتحت حسابا للودائع فى « بنك لومبارد »

- لا تخضع الفائدة لضريبة الدخل المعمول بها فى المملكة المتحدة .
- لن تتأثر اموالك بتغير الظروف الاقتصادية .
- تستطيع ان تسحب الأموال طبقا للشروط التى يتفق عليها .

ادنى مبلغ يمكن قبوله للايداع مقابل فائدة ٥ ٪ فى السنة ـ هو ١٠٠ جنيه استرلينى وادنى فترة محددة للايداع وللاشعار بالسحب هى ستة شهور .

ان ودائعك مدعمة برأسمال مدفوع واحتياطى يزيدان فى مجموعهما عن ١٢ مليون جنيه استرلينى .

أكتب الآن الى المدير العام لمزيد من التفاصيل وللحصول على نسختك من كتيب « حساب الودائع » رقم A.O. 182.

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office;

LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, PARK LANE,
LONDON, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)

تحية قارىء شاعر ..

((العربي))

مجلة" تجولت" بمشرق، ومغرب،
عروسة" ، لكنها لغيرنا لم تخطب
بدت" لنا مختالة بثوبها المقصب
سارت وذاع صيتها بكل قطر أجنبي

باسم، رفيع النسب ..
باسم، مجيد، « عربي »!!

واشرقت امجادُها بكل نادر، ادبي
فحسنها يُحيي لنا عصرَ الرشيد الذهبي
وجدت" فيها سلوتي ونلت" منها مطلبي
لسوف يبقى ذكرها مخلّدا في الحقب ..

باسم، رفيع النسب ..
باسم، مجيد، « عربي »!!

القارىء : محمد بن عبد الله اللحم
الاحساء ــ السعودية

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....
....
العنوان : ....
....
....


اليك سيجارة استور
استور هي السيجارة الفريدة
من نوعها في العالم بمظهرها الأنيق
ونكهتها اللذيذة
استور هي السيجارة التي يفضلها
أصحاب الذوق الرفيع
استور
متعة في التدخين ما بعدها متعة
MADE IN GERMANY
ASTOR

صداع ، أوجاع وآلام ،
حمّى ، رشح وانفلونزا ؟

'أسبرو' يعيد لك الصحة..





من منتجات ® نيقولاس

لأنّ
'أسبرو'
يجلب لك كل راحة !

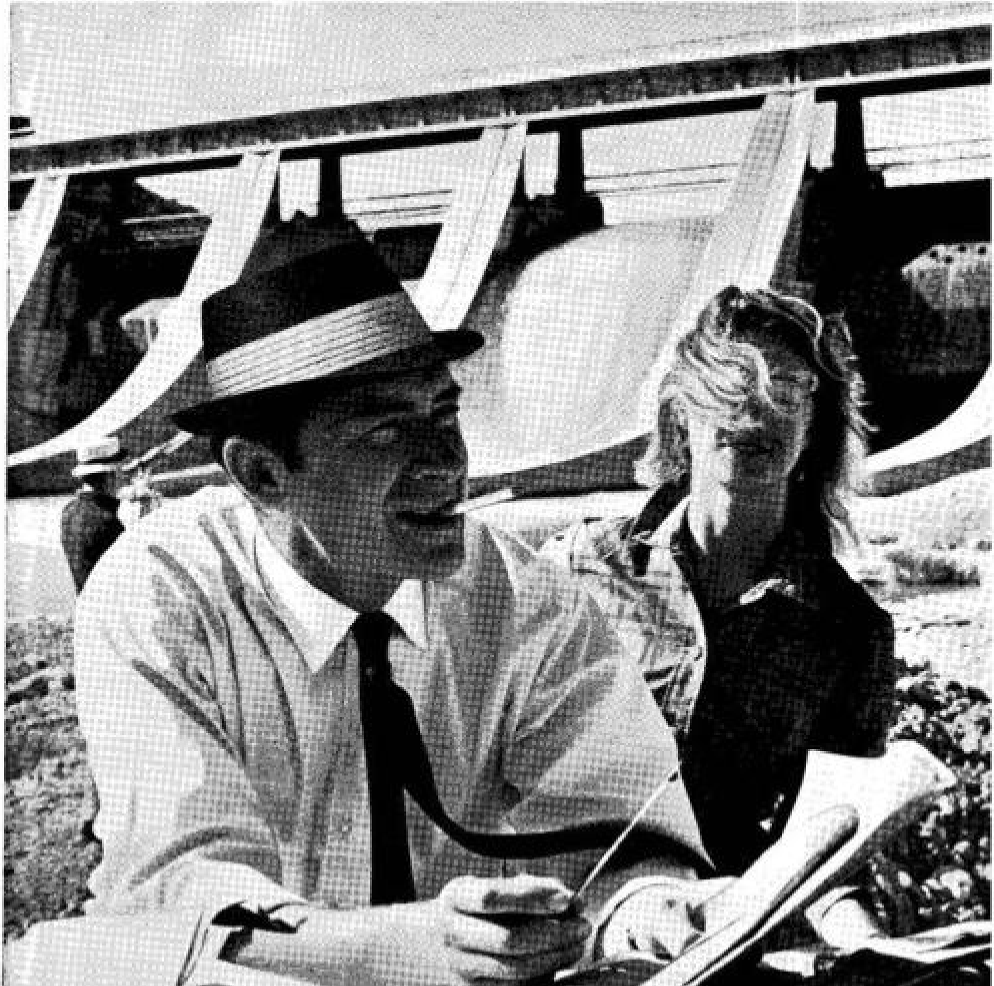
١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمّى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصّر أجل الرّشح

إذا أصبت بألم فلا يكفي أن تخففه قليلاً، بل إنك تحتاجين إلى الرّاحة التامة التي يحققها لك 'أسبرو'. تذكري أن 'أسبرو' هو الدّواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله، أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمّى. إجعلي 'أسبرو' تحت يدك على الدّوام.

K/4/MARI

'أسبرو' يجلب لك كل راحة !


ساعات فافر - لوبا
فخر الصناعة السويسرية
FAVRE-LEUBA
GENEVE
Harpoon
ترضي
جميع
الأذواق
تعمل في كل الأجواء
نسائي
ورجالي
الوكلاء العامون:
العراق: عبد الجبار لطيف الساعاتي
شارع الرشيد - بغداد
البحرين: يوسف أحمد الساعي وشركاه
شارع باريث - ص.ب ٢١٨
محمد عبد الله الشهاب
شارع عبد الله السالم (الجديد سابقاً..)
ص.ب ٢٣٨ - تلفون ٣٢٣٢٢
فرع: شارع فهد السالم - تلفون ٣٥٣٤١



حلقة أساسية في مشروع ترويض نهر الرون للري وتوليد الطاقة الكهربائية في فرنسا. قلعة أرنو

فايسروي - سيكارة الرجل العصري



ها قد أقبل الرجل العصري بطريق الجو لحل مشكلة صعبة. إنه يراجع تخطيطات البناء في قلعة أرنو. والفتاة الحسناء بجواره تزوّده بالإلهام وتشعل له سيكارة فايسروي □ من بين الأنواع العديدة التي تفيض بها الأسواق، يختار الرجل العصري سيكارة فايسروي - سيكارة الذوق المدقق!

فايسروي - السيكارة الأمريكية العالمية





أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
● شمعات في العيد الخامس لميلاد «العربي»	د . احمد زكي	١/٦٤	٦٢	٨
امثال العرب واساطيرهم : روعة ، وسحر	د. محمد مصطفى هدارة	٢/٦٤	٦٣	٦٦
ماثوراتنا الشعبية تعكس حياة العرب الاجتماعية	فؤاد جميل	٣/٦٤	٦٤	٥٩
امرأتان .. وصورتان ! غربيـة وشرقية	ظافر القاسمي	٣/٦٤	٦٤	١٣٤
مجامع اللغة : انتاج مبعثر ، ووحدة مفقودة	د . أحمد زكي	٤/٦٤	٦٥	١١
كتب كثيرة عنا كتبها الغربيون	د . حسين مؤنس	٥/٦٤	٦٦	١٣
الشعر العربي كيف تطور على العصور	انيس المقدسي	٦/٦٤	٦٧	٣٦
ماثوراتنا الشعبية وآثارها في الحضارة الغربية	فؤاد جميل	٨/٦٤	٦٩	١١٢
اسماء الكتب مشكلة اشكلت على اجيالنا الماضية	د . حسين مؤنس	٩/٦٤	٧٠	٦٦
«ديوان الأدب» للفارابي ، يصعب على الدارسين	د . ابراهيم أنيس	١٠/٦٤	٧١	٤٨
عربيات سقط قيدها	د . احمد زكي	١٢/٦٤	٧٣	١٢
الموسوعات طابع الثقافة العربية وحافزها الدافع	د . حسين مؤنس	١٢/٦٤	٧٣	١٦

استطلاعات مصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
مراكش : جوهرة جنوب المغرب العربي	سليم زبال	١/٦٤	٦٢	٨٤
قصة متحف مدام توسو بلندن	د . محمود السمرة	١/٦٤	٦٢	١٠٨
الحرم الابراهيمي : «خليل الله» يرقد هنا	سليم بسيسو	٢/٦٤	٦٣	٤٠
صور : خطت صفحات أولى من التاريخ القديم	سليم بسيسو	٢/٦٤	٦٣	٨٤
مؤتمر القمة العربي الأول	د . احمد زكي	٣/٦٤	٦٤	٤
المرأة التونسية : تخطت العقبات بشجاعة	سليم زبال	٣/٦٤	٦٤	٤٧
سامراء : مدينة المعتصم	سليم زبال	٣/٦٤	٦٤	٧٦
الخليل : مدينة لا يعرف الجوع أهلها !	سليم بسيسو	٤/٦٤	٦٥	٧٥
الجامعة المستنصرية : عمرها أكثر من ٧٠٠ عام !	سليم زبال	٤/٦٤	٦٥	١٢٣
السد العالي : صار اليوم حقيقة واقعة !	سليم زبال	٥/٦٤	٦٦	٣٦



استطلاعات الكويت المصورة

اقتصاد

أنت تسأل ونحن نجيب

تحت إشراف عبد الوارث كبير

تاريخ

انظر تاريخ أشخاص عرب وتاريخ أشخاص غير العرب

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
من تاريخنا العربي المجيد : المرأة والعقيدة	الفة الادلبي	٣/ ٦٤	٦٤	٩٩
حمورابي ملك بابل		٤/ ٦٤	٦٥	٢
مشروع الموحدين لغزو مصر .	محمد عبد الله عنان	٤/ ٦٤	٦٥	٦٢
من بيت الحكمة .. الى دار الحكمة	د . عبد الحليم منتصر	٤/ ٦٤	٦٥	٦٧
ارخميدس مكتشف الوزن النوعي والكثافة		٥/ ٦٤	٦٦	٢
العرب مارسوا الدبلوماسية من ايام الجاهلية	حسن فتح الباب	٥/ ٦٤	٦٦	٨٠
السومريون واكتشاف المعادن		٦/ ٦٤	٦٧	٢
التنظيم العسكري في الاسلام	د . نبيه عاقل	٦/ ٦٤	٦٧	٢٨
تمثال « أثينا » من عجائب الدنيا السبع		٧/ ٦٤	٦٨	٢
الأسبرين في عامه الخامس والسبعين	د . احمد زكي	٧/ ٦٤	٦٨	١٠٥
خطوات تاسست بها الدولة الاسلامية الاولى	د.محمد جمال الدين سرور	٨/ ٦٤	٦٩	١٦
انفتاح العرب على الغرب في العصور الحديثة	د . محمود السمرة	٨/ ٦٤	٦٩	١٢٢
الغزل والنسيج منذ اقدم العصور		٩/ ٦٤	٧٠	٢
امجاد العرب : رجال الهندسة عند العرب	د . احمد زكي	٩/ ٦٤	٧٠	٥٨
منازلة الثيران كانت في الماضي اكثر انساما بالرفق		٦٤/١٠	٧١	٢
من تاريخ السفارات الثقافية الاسلامية	حسن فتح الباب	٦٤/١٠	٧١	٦٤
موارد الماء بين الماضي والحاضر		٦٤/١١	٧٢	٢
العرب نقلوا ازهار الشرق ورياحينه الى اوروبا	ابراهيم محمد الفحام	٦٤/١١	٧٢	٥٠
اكتشاف جزيرة العرب	د . محمود السمرة	٦٤/١١	٧٢	١٣٨
صيد السمك .. عند الاغريق		٦٤/١٢	٧٣	٢
عصر المأمون : من ازهى عصور النهضة الفكرية	د . جمال الدين سرور	٦٤/١٢	٧٣	١٠٦

تاريخ أشخاص عرب

انظر دين ورجال دين

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
حفيدات بلقيس : منهن اعظم ملكة عربية في الاسلام	د . محمود الغول	١/ ٦٤	٦٢	٢٤
ابن مردنيش : زعيم القومية الاندلسية	محمد عبد الله عنان	١/ ٦٤	٦٢	٥٩
ابن دُرَيْد والخنساء	د . أحمد أحمد بدوي	١/ ٦٤	٦٢	٦٦
ابن رشيق : من اعلام الأدب في المغرب العربي	د . طه الحاجري	٢/ ٦٤	٦٣	٥٨
ديك الجن : قتل حبيبته ثم بكاها ورثاها	د . محمد محمود الدش	٢/ ٦٤	٦٣	١١١
عوف بن محلم الخزاعي : أحوجه سمعه الى ترجمان	د . محمد مصطفى هدارة	٤/ ٦٤	٦٥	٤٣
الكسائي : شيخ ائمة الكوفة ..	محمد مرسي الخولي	٤/ ٦٤	٦٥	٧٠
حياة سليم البليبسي : شهيدة دير ياسين	فائزة عبد المجيد	٤/ ٦٤	٦٥	١١٨
عبد القاهر الجرجاني : هل اسس علم البلاغة ؟	د. أحمد أحمد بدوي	٥/ ٦٤	٦٦	٨٧
ابن زاكور : شاعر المغرب	د . نقولا زيادة	٥/ ٦٤	٦٦	١٠٦
العباس بن الأحنف في الميزان	د . عاتكة الخزرجي	٦/ ٦٤	٦٧	١٢٦
وضاح اليمن : الشاعر الذي قاده حبه الى حتفه	د . محمد محمود الدش	٧/ ٦٤	٦٨	١٦

تاريخ أشخاص غير العرب

تربية وثقافة عامة

جريمة وقضاء

من أخطاء القضاء

لحسن الجداوى

دين ورجال دين

ذرة وفضاء

بقلم الدكتور أحمد زكي

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
السباق الى القمر	١ /٦٤	٦٢	١٩
جنائز فى السماء ، بعد جنائز الأرض	٥ /٦٤	٦٦	١٢٢
القمر هل فيه من جديد ؟	٦٤/١١	٧٢	٢٤
التفجير الذرى يستخدم فى حفر القنوات	٦٤/١١	٧٢	٢٦

ركن الأسرة والمرأة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الى من علمتنى أن الحياة عذبة حلوة	أسمى طوبى	١ /٦٤	٦٢	٧١
دور المرأة فى شيخوختها وشبابها	محمد بدر الدين خليل	٢ /٦٤	٦٣	٩٩
المرأة والعقيدة	ألفة الادلبي	٣ /٦٤	٦٤	٩٩
نزول المرأة الى ميدان العمل		٤ /٦٤	٦٥	٩٩
ابن الرابعة عشرة ، بحاجة الى الحنان والتفاهم	محمد بدر الدين خليل	٥ /٦٤	٦٦	٩٩
ابن المقفع : لـه رأى فى المرأة عجيب	ظافر القاسمي	٥ /٦٤	٦٦	١١١
هل يمنع وقار من حب		٦ /٦٤	٦٧	١٣٦
الى الفتاة التى تزوجت رجلا لم تره ولم تعرفه	« سعاد »	٧ /٦٤	٦٨	٨٦
ابنة الرابعة عشرة تتطلب الترفق والفهم والحزم	محمد بدر الدين خليل	٨ /٦٤	٦٩	١٢٢
سيف « فرويد » المشهر على أعناق الآباء	محمد بدر الدين خليل	٩ /٦٤	٧٠	١١٠
اللعب : حدث فى دنياها انقلاب		٩ /٦٤	٧٠	١٢١
خمس ملاحظات عابرة على مجتمعنا ودلالاتها	د . فاخر عاقل	٦٤/١٠	٧١	٩١
البيت والأسرة بالفيان .. بالفيان ، رغم افلاطون	د . أحمد زكي	٦٤/١١	٧٢	٩٩
لقد جن عالمكم يا ابنتي	أسمى طوبى	٦٤/١٢	٧٣	٥٧

سياسة

شعر

انظر تاريخ أشخاص عرب

طب

طبيب الأسرة

الموضوع	السنة / الشهر	العدد	الصفحة
مرض الاستسقاء ـ تنظيم الطعام لمرضى السكر ـ الرجيم	٦٤/ ٥	٦٦	١٠١
لبن الحمير يورث الغباء ؟ ـ القدم الرحاء ـ بنك الدم	٦٤/ ٦	٦٧	١١٥
التطعيم ضد الجدرى ـ تورم القدم ـ هل ضعف البصر يورث ؟	٦٤/ ٧	٦٨	١٣١
الأمراض والوراثة ـ بعد كم من الولادة يقع الحمل التالي ؟	٦٤/ ٨	٦٩	١٠٥
غدة البرستاتة ـ أعراض الحمل . طريقة تعاطى الدواء	٦٤/ ٩	٧٠	١١٣
معنى ضغط الدم ـ مناديل القماش ، مناديل الورق ـ اختبار وجود الحمل	٦٤/١٠	٧١	١١٩
براز ابني به دم أحمر ـ التهاب الكلية ـ أمراض تحملها الخضراوات	٦٤/١١	٧٢	١٢٢
قصر النظر ـ مصاب بالأعصاب ـ التطعيم ـ الخ	٦٤/١٢	٧٣	١٢١

عروبة

الموضوع	الكاتب	السنة / الشهر	العدد	الصفحة
الحقوق انما تؤخذ فى هذه الدنيا غلابا	د. أحمد زكى	٦٤/ ١	٦٢	٣
تراثنا العربي دعامة من دعامات الوحدة العربية	د. فاخر عاقل	٦٤/ ١	٦٢	١٣
أمجاد العرب هى ، أم أمجاد المسلمين	د. أحمد زكى	٦٤/ ٢	٦٣	٨
الوحدة الثقافية قبل الوحدة الاقتصـــادية	محمد العربى الخطابى	٦٤/ ٢	٦٣	٥٥
العرب مارسوا الدبلوماسية من أيام الجاهلية	حسن فتح الباب	٦٤/ ٥	٦٦	٨٠
مقام العقل عند العرب	د. محمود السمرة	٦٤/ ٥	٦٦	١٤٠
العروبة والاسلام	د. احمد زكى	٦٤/ ٦	٦٧	٨
انفتاح العرب على الغرب فى العصور الحديثة	د. محمود السمرة	٦٤/ ٨	٦٩	١٣٣
أضواء على حاضر الوطن العربى	د. محمود السمرة	٦٤/ ٩	٧٠	١٢٤
القومية العربية فى نظر عالم يهودى	ظافر القاسمي	٦٤/١١	٧٢	١٧
كاتدرائية فى قلب مسجد	سلمى الحفار الكزبرى	٦٤/١٢	٧٣	٢٤

عِلمْ نَفْس

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الهستريا : لفظ له معنيان	د. احمد زكي	١ /٦٤	٦٢	٣٢
التنويم ، ليس سحرا ولا شعوذة	د. فاخر عاقل	٤ /٦٤	٦٥	٥٤

عُلوم

أنظر تاريخ أشخاص عرب وغير العرب

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الببغاوات : الفتها الانسان تعلمها الكلام	د .أحمد زكي	١ /٦٤	٦٢	٤٠
هذه الارض كم تعرف عنها ؟	د .أحمد زكي	٢ /٦٤	٦٣	٢٩
التداوى بالاعشاب ، قديما وحديثا	د. عبد الحليم منتصر	٢ /٦٤	٦٣	٥١
الطب والعلم فى عام ١٩٦٣	د .أحمد زكي	٣ /٦٤	٦٤	٤٠
الربيع ، مهرجان الحياة الأكبر	د .أحمد زكي	٤ /٦٤	٦٥	٨
القط به اباء وفضــول وبه فهم وذكاء	د .أحمد زكي	٤ /٦٤	٦٥	٣٢
من بيت الحكمة الى دار الحكمة	د. عبد الحليم منتصر	٤ /٦٤	٦٥	٦٧
غاز البوتان : لا « البوتـاجـاز »	د .أحمد زكي	٥ /٦٤	٦٦	٢٨
التوابل والافــاويه	د. عبد الحليم منتصر	٦ /٦٤	٦٧	٧٤
رجال الهندسة عند العرب	د .أحمد زكي	٩ /٦٤	٧٠	٥٨
فى اعماق البحار : حياة .. أى حياة	د .أحمد زكي	١٠/٦٤	٧١	٣٢
جيش من العلماء ، يعمل لزيادة معارفنا عن الكون	د. عبد الحليم منتصر	١١/٦٤	٧٢	٣٥

انباء العلم والطب والاختراع

صياغة الدكتور أحمد زكي

بهذا الباب ، فى كل عدد ، نتف شتى من انباء العلم والطب والاختراع ، يصعب جمعها كلها فى فهرس واحد ، لكثرة عددها ، وكثرة تنوعها .

فلسفة

انظر تاريخ أشخاص غير العرب

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الحرية : موازنة بين الحقوق والواجبات	د. محمد فتحى الشنيطى	٦٤/ ٢	٦٣	١٢
فلسفة الجمال عند سارتر	د. زكريا ابراهيم	٦٤/ ٣	٦٤	٧٠
الجمال ليس متاسقة اعداد ، ولا قياس أبعاد	د. زكى نجيب محمود	٦٤/ ٤	٦٥	١٦
حقيقة الجمال عند افلاطون	د. زكى نجيب محمود	٦٤/ ٦	٦٧	١١٨
الفيلسوف شيلر : صاحب المذهب الانسانى	د. عثمان امين	٦٤/ ٨	٦٩	٢٨
الجمال والتكوين : حقيقة الجمال ما هى ؟	د. زكى نجيب محمود	٦٤/ ٩	٧٠	٧٤

فنون

انظر تاريخ أشخاص عرب وغير العرب

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
جميلة مغنية الحجاز : غناؤها فجر الدموع	خليل الهنداوى	٦٤/ ١	٦٢	٣٥
الجمال كما يراه افلوطين	د. زكى نجيب محمود	٦٤/ ٤	٦٥	١٦
موقف الفنان العربى من التيارات الفنية المعاصرة	د . عز الدين اسماعيل	٦٤/ ٥	٦٦	٢٠
فلسفة « البيركامى » فى الفن	د. زكريا ابراهيم	٦٤/١٠	٧١	٥٢

قصص

قام برسم رسومها أحمد الوردى

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
عيـون	ل. ت. محمد	٦٤/ ١	٦٢	١٥٣
اعمدة المجتمع : احدى روائع « ابسن » المسرحية	هنرى مطر	٦٤/ ٢	٦٣	١٢٦
الحـرب	لويجى برانديللو	٦٤/ ٣	٦٤	١٣٩
الدرس الأخير	الفونس دوديه	٦٤/ ٤	٦٥	١١٥

مجتمع واجتماع


النكهة التى تتمشى مع المرح ...
KING SIZE
Winston
Winston
FILTER-CIGARETTES
FINER FILTER
FOR FINER FLAVOR
فى الأمام "فلتر بلند" • • هنا فلتر حديث
هل تفكر فى التغيير إلى سيجارة فلتر؟ غير إذن إلى السيجارة المفضلة فى أميركا.
انضم إلى الملايين الذين غيروا فاختاروا ونستون ... السيجارة الفلتر الأكثر مبيعاً فى أميركا!
ة ونستون مختارة .. هكذا تكون السيجارة

العربي

العدد ٧٥
٣٠ رمضان ١٣٨٤
١ فبراير
(شباط) ١٩٦٥



بشائر الربيع

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس	لبنان	١٠٠	قرش	السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	الاردن	١٠٠	فلس	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	سورية	١٠٠	قرش	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٣/٢ در	شلن	[illegible]	١٠	قروش	الجزائر	٢٠٠	مليم
العراق	١٢٠	فلسا				المغرب	٢	درهم



وحة .. وتاريخ حياة

ديجاس ، رسام الباليه

■ هذه الصورة هي احدى روائع الفنان الفرنسي ديجاس (ديجا) Dégas التي أنتجها عام ١٨٧٦ وفيها يظهر جليا ما امتاز به هذا الفنان العظيم من دقة في تصوير المشاهد الحية . وقد تضمنت الكثير من المشاعر والحركات ، فظهرت وكأنها صورة فوتوغرافية التقطتها عدسة مصور بارع . وأول ما يلفت النظر فيها صف راقصات الباليه ، وانعكاس صورتهن على المرآة الكبيرة فقد أعطى هذا الانعكاس مجالا واتساعا للصورة ، وأظهر بعض الراقصات اللاتي لم يظهرن في اللوحة.

(البقية على صفحة ١٤٠)

عزيزى القارىء

● علمتَ ان العدد الممتاز الذى صدر فى الشهر الماضى طلبت منه الاسواق العربية ١٤٠ر٠٠٠ نسخة . ونحسب أنه يشوقك ان تعلم كيف وزعت هذه الكمية فى مختلف أجزاء الوطن العربى ، فاليك هذا البيان الذى يوضح لك عدد النسخ التى أخذها كل قطر عربى:

الجمهورية العربية المتحدة	٢٠ر٠٠٠
المملكة العربية السعودية	١٦ر٥٠٠
الجمهورية العراقية	١٦ر٠٠٠
الكويت	١٥ر٥٠٠
المملكة الاردنية الهاشمية	١٥ر٠٠٠
الجمهورية العربية السورية	١٤ر٥٠٠
الجمهورية السودانية	١١ر٥٠٠
المغـرب	٧ر٠٠٠
امارات الخليج العربى	٣ر٨٥٠
لبنـان	٣ر٧٥٠
ليبيـا	٣ر٥٠٠
الجنوب العربى	٣ر٢٧٥
تونس	١ر٧٠٠
الجـزائر	١ر٠٠٠
بلدان اخرى واحتياطى	٦ر٠٠٠

ونحن نذكر ذلك ، لا فخرا للعربي ، بل فخرا للأمة العربية التى بلغ من اقبالها على الثقافة «غير الرخيصة» التى تنشرها العربى حدا لم يبق معه شيء من هـذا العدد الكبير الذى تطبعه مجلة عربية شهرية لأول مرة .

المحرر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 75 February 1965 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

● عربية من الكويت انتهزت فرصة صفاء الجو فنزلت الى حديقة منزلها لتطمئن على ما تقتنى من عصافير الزينة بعد موجة البرد الأخيرة .. انه لقاء بين ربيع العمر ، وربيع الطبيعة الذى بدأ يقرع الابواب على ارض الكويت ..

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



.. بل للتبشير مكان فى اليهودية !!

● جاء فى مقال الدكتور على احمد على فى « العربى » ـ العدد ٧٠ ـ قوله : « ان اليهود لا يقومون باى حركات تبشيرية بين معتنقى المذاهب والأديان الاخرى وانه لا يوجد للتبشير مكان فى دينهم ! ... » .

وقد عجبت اشد العجب لهذا الذى يقوله الدكتور ، لا سيما وان حجج اليهود الصهاينة ، ودعاواهم الباطلة كلها تستند الى هذا الزعم الباطل ، الذى يقود ـ عند التسليم به ـ الى الاعتراف بان يهود العالم جميعهم من سلالة واحدة ، طالما انه لا يوجد للتبشير مكان فى دينهم!! ولو صح هذا الزعم ـ وانى له ان يصح ... ـ لصدقت اذن دعاواهم فى انهم يشكلون امة واحدة من اصل واحد .. وهذا ما ينفيه العلم ويدحضه العلماء ، وبخاصة : اليهود منهم !

ومن اقرب الأسانيد الداحضة لذلك الزعم ، يحضرنى الآن بحث مستفيض للدكتور محمد عوض محمد ، ورد فى كتابه : « الاستعمار والمذاهب الاستعمارية » بعنوان (الصهيونية فى نظر العلم) .. وفيه اثبات بيّن صريح لبطلان مزاعم اليهود الصهاينة القائلة بانهم من اصل واحد ، وحديث مفصل عن انتشار اليهودية كدين تبشيرى بين أمم عدة وشعوب مختلفة ، واستشهاد باقوال العلماء والخبراء والمؤرخين : المحايدين منهم واليهود..

والدكتور محمد عوض محمد يلخص انتشار الدين اليهودى بما يلى :

اولا : عاش بنو اسرائيل فى فلسطين حيث امكنهم أن يؤسسوا ديانتهم وان ينشروها بين الجماعات الاخرى التى كانت تسكن فلسطين .

ثانيا : اخذ اليهود بعد ذلك ، ومنذ القرون السابقة للميلاد ، ينشرون ديانتهم بين الشعوب الوثنية فى مختلف الأقطار والأنحاء ، مستعينين على ذلك بالجماعات الجديدة التى اعتنقت دينهم واشتركت فى نشره والتبشير به . وكلما ابتعدنا عن فلسطين ، زادت نسبة العناصر الجديدة التى دخلت الدين اليهودى ، حتى كانت شعوب باكملها تعتنق ذلك الدين ! ..

ثالثا : وجدت اليهودية ارضا خصبة للغزو والانتشار فى بلاد الالمان والسلاف الوثنيين ، فانتشرت بينهم بدرجة ليس لها نظير فى اى قطر آخر فيما نعلم ..

... هذا ما احببت ان انوه به ، خدمة للحقيقة والتاريخ ، وتبديدا للوهم السائد بيننا والزاعم بان : ليس للتبشير مكان فى دين اليهود!!

طالب ابو عابد ـ دمشق ـ ج.ع.س

«العربى» ... والاحداث السياسية !..

● كنت اتوقع ان اجد فوق صفحات مجلتكم الزاهرة عرضا لأحداث افريقيا الأخيرة ، وبخاصة ، الثورة الشعبية التى أطاحت بالعهد البائد فى السودان ، الذى هو جزء من الوطن العربى الكبير ، وحديثا عن فظائع جنود المظلات البلجيكيين والأمريكيين فى الكونغو ، وعن النضال الشعبى فى اريتريا ضد مظالم الدكتاتورية الفردية ، وعن جهاد الجنوب العربى المحتل ، وعن نزاع العرب مع دولة العصابات الصهيونية ... الخ ... وانى لآمل من مجلتنا الكريمة أن تولى هذه الأحداث وامثالها الاهتمام اللازم .. وشكرا » .

كامل محمد عثمان محمد صالح

الخرطوم

« العربى » : لو أننا فتحنا صفحات «العربى» للأحداث هذه لأغلقناها فى وجه الثقافة عامة ! .. فضلا عن أن هذه الأحداث مما لا تدع الصحف اليومية والأسبوعية منه شيئا لمجلة شهرية .

السريان هم الذين ســموا الخليفة الثانى ((الفاروق)) !

وهى لفظــة سريانية تعنى ((منقذ)) أو ((محرر)) SAVIOUR

● للسريان صلات وثقى وعلاقات قوية متينةمع العرب ، جنسيا ، وثقافيا ، ودينيا ، ذر قرنها منذ الفتح العربى المبين ، واخذت تنمــووتشتد وتتقوى حتى بلغت عنفوانها فى عهـــد الخلفاء العباسيين ـ عهد الترجمة ونقل العلوممن اليونانية الى العربية ـ والتاريخ يثبت ذلك اى اثبات .

والذى اردت أن انبه اليه الآن هو ان كلمة« فاروق » وهى اللقب الخاص بالخليفة الثانى عمر بن الخطاب ـ لفظة سريانية قلبا وقالبا اشتقها السريان على صيغة اسم الفاعل من فعل Fruk بالسريانية اى : انقذ ، حرر، فقالوا : Farooku اى منقذ ومحرر . والسبب فى ذلك هو ان السريان الذين كانوا يقطنون فى سوريةوما بين النهرين كانوا خاضعين للروم البيزنطيين قبيل الفتح العربى ، وقد ذاقوا منهم الوانا منالعذاب ، واشكالا من التنــكيل بهم ، ضربا ، واهانة ، ونفيا ، وزجا فى ظلمات الســـجون وغياهب المعتقلات، وذلك بسبب الخلاف العقائدى المسيحى القائم بينهما . وكان السريان المضطهدون (بفتح الهاء) يتربصون الفرص ، ويترقبــون أيام الفرج من عند الله . ولما اطلت الطـــلائع العربية قادمة من الجزيرة العربية ، فاتحة ، تهلل السريان واستبشروا خيرا ، وشعت قلوبهم املا وامتلات ارواحهم رجاء ، فوجدوا فى العرب الخير والأمل والرجــاء فطلبوا لهم النصر المبين من عند الله ، وساندوهم فتمكنوا من تحريــر بلادهم من الاستعمار البيزنطى الجائر ، فحــرر العرب السريان وانقذوهم .

وابتهاجا بهذه المناسبة التاريخية النـــادرة ، ولاجل الذكرى ، اطلق السريان على عمر بن الخطاب لقبا مناسبا فسمّوه « فاروق » اى منقذ او محرر .

ومما هو جدير بالذكر ان هذا اللقب خاص بالسيد المسيح ، اطلقه عليه الملاك الذى ظهر ليوسف خطيب العذراء فى الحلم قائلا : « ستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه مــن خطاياهم » (متّى ١ : ١١) ويسوع لفظة عبرية تعنى المخلص والفادى والمنقذ . وان انقاذ المسيح العــالم مــن الخطيئــة كان روحيــا محضــا ، وانقاذ عمر السريان من الـــروم البيزنطيين كان انسانيا واجتماعيا ومعنويا .

ونظرا لما فى الحادثين من تشابه وتناسب ،ولكى يعبر السريان عن فرحتهم ، ويعلنوا ولاءهــم واخلاصهم للعرب الفاتحين اطلقوا على عمر هذا اللقب .

الأب اسحاق ساكا ـ زحلة

مشاعر قارىء

● لقد عودتنا «العربى» ـ مجلة كل عربى حقا وصدقا ـ على كل جديد ، واطلعتنا على القريب والبعيد ، ووصلت بيننا ، كعرب يعيشون فىالقرن العشرين ، وبين ماض مجيد ، وايقنا أن رسالة الفكر العربية تتجسد فى رسالة مجلتكم الغــراء ، وبأروع نتاج فكرى ممثلا فى « العربى » أحســن تمثيل .. هذه المجلة التى مضت ترفع لواء الفكر الحر عبر الدياجير القائمة منذ تاسيسها واستمرت فى سيرها المستقيم ، لا تتعثر ولا تنحرف ،فأجادت واحسنت وابدعت .

لقد اظهرت لنا كنوزا مدفونة تحت الركام .. وكشفت عن معالم الحضارة العربية الغابرة ، ولا زالت تنقب عن الأشلاء المبعثرة ، فتسلط عليهــا الأضواء حتى تستبين . وبنفس الوقت ، والى جانب هذا العبء الثقيل ، آلت المجلة على نفسها أن تحمل مشعل التحرر لتؤدى دورها الانسانى النبيل فى خدمة الحرية ومحاربة الاستبداد .ولقد كانت تجارى وتناصر كــل المعـارك التى خاضتها الشعوبالعربية وغيرها منأجلالحرية والاستقلال.

والواقع الذى لا مراء فيه ان فى محتويات هذه المجلة تبرا قد استُلّ من التُرب ، ونافعــــا قد فصل عن الغث ، وطيبا اطرح منه الخبيث، وفىسبيل ذلك بذل الكثير من الجهود ، ومن أجله كرست عشرات الخدمات والتضحيات .. » .

محمد وحيد ذياب

القنيطرة ـ ج٠ع٠س



الأحزاب والتحزب

حجب عقول

بقلم: رئيس التحرير

■ كتبتُ عن المذاهب فى عدد سابق من « العربى » ، وقلتُ ان المذاهب كالأوعية التى يطبخ فيها الطابخ . وانه أهم من الوعاء ما فى الوعاء . وهذا فى حياة الامم هو الانتاج أكثرُ الانتاج ، والعملُ أشدُ العمل . وان أمما عملت فى ظلال الاشتراكية ، من خفيفة ، ومعتدلة ، ومتطرفة ، فكانت النتيجة بمقدار ما بذلتْ هذه الامم من جُهد فى جَبَهات الحياة جميعا ، لا بمقدار ما تمذْهبت .

وكتب اليّ قوم يقولون كيف تهدر المذاهب ؟

ولكن هل انا اهدرت المذاهب ؟ ألم اقل انها كأوعية الطابخ ، وهل يكون طبخ بغير وعاء ؟

وانا بالطبع عندما كتبت قصدتُ

اختلافَ دِينٍ
أوَ اخْتِلافَ لَوْنٍ
أوَ اخْتِلافَ لِسانٍ
أوَ اخْتِلافَ مَصالِحٍ

طُولَ أُنُوفٍ
أوَ قِصَرَ قاماتٍ

الأحرارِ القادرِينَ دَهْراً طَويلاً

المذاهب الاقتصادية . وتركت للسياق ان يدل على ذلك ، وتركته عمدا .

وقوم ظنوا أني قصدت كذلك المذاهب السياسية . وآخرون ظنوا اني قصدت المذاهب الدينية . وعندهم ان المذاهب السياسية ، واذن فالأحزاب والحزبية ، لا غنى عنها . وعندهم كذلك ان المذاهب الدينية ، ضرورة لا بد منها .

ويحضرني في الأحزاب والتحزب والمذاهب والتمذهب ، رأي ارجو ان لا يقلق بعضا من ألف في حياته الطويلة الاحزاب ، والف المذاهب . وهو رأي بدأ عندي صغيرا وانا لم اكن عدوت العشرين .

في المذاهب الدينية أولا

كنت في بيت صديق . وغربت الشمس ، وكادت ان تحل صلاة العشاء . فقام رجال البيت يصلون المغرب ، وقمت . وأمنا شيخ كبير من ضباط الجيش . ولشيء ما سألني ما مذهبي . قلت : مسلم ، والمذاهب عندي سواء .

فصاح في غضب وقال : ما مذهب ابيك ؟

ولم ارد ان أجيب ، وقلت عناد بعناد . فزجني صديقي وهو يسر الي فيقول : قل للباشا مذهب ابيك . قلت الشافعي . وصلينا . وانتهت الصلاة بسلام .

الأئمة يابون ان يتخذ من آرائهم مذاهب

وكبرت . وظلت الفكرة تكبر معي . ما هذه المذاهب ؟ اهي دين فوق دين ؟ ان الأئمة الأجلة الكبار قيل لهم فى ذلك، فراعهم أن تتخذ من آرائهم او فتاويهم مذاهب .

الفرق بين الراى ، والحقيقة

وهم اختلفوا فى الكثير . كانت لهم آراء عدة فى الشيء الواحد ، والحقيقة لا تتعدى . وهم فرقوا بين الراى يرونه والحقيقة تكون . اذكر ان مالكا قال للشافعى ما معناه : ان رايا تراه ، يخالف رأيى ، يترجح عندى الخطأ فيه ، وجاز ان يكون صحيحا . وان رايا اراه ، يخالف رايك ، يترجح عندى الصواب فيه ، وجاز ان يكون خطأ .

فالائمة لم يقطعوا بصحة آرائهم . وهم لم يجيزوا لهذه الآراء جملة ان تحزم حزما ، وان تصنع حزبا ، ويكون لها اتباع ، يلتزمون بها دائما ، ولا يخرجون عليها ابدا . اذن لتقسم الاسلام كما تقسمت المسيحية ، من كاثوليكية ، الى برستنتانية ، الى ارثوذكسية .

ما كان هذا فى الاسلام ولن يكون .

والنبى (صلعم) قال : ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق .

المذاهب آراء ، لا حظائر تابى على العقول الخروج

سألت رجلا مسلما مؤمنا خيرا ، كان مذهبه الحنفية ، لمَ اخترتَ الحنفية ؟ قال : كان ابى حنفيا . قلت : ولماذا كان ابوك حنفيا . قال فى سذاجة : لأنه كان امام مسجد فى دولة جعلت الحنفية مذهبا للدولة . قلت : وهل جاز لك أن تتخذ من غير الحنفية مذهبا. قال : نعم .

و « نعم » هذه ساوت عندى الف مثقال ذهبا .

انها هدمت ما بين المذاهب من اسيجة . تماما كما ارادها الأجلة من اصحابها ان تكون ، آراء ، لا حظائر اذا دخل احداها داخل فقد امتنع عليه الخروج .

فى الجامع الواحد تدرس كل المذاهب

وليس فى هذا عند المسلمين من جديد، فالمذاهب جميعا تدرس وتدرس فى الجامع الواحد ، وفى الجامعة الاسلامية الواحدة ، جنبا الى جنب .

وقد تعرض المسألة بين الفقهاء فيسألون عن راى مالك فيها والشافعى، وغير هؤلاء من الأئمة الدارسين النابهين، وهم بهذه الآراء وبالذى بها من حجج يستهدون ، ثم هم فى المسألة يقضون .

الأئمة منارات رفيعة

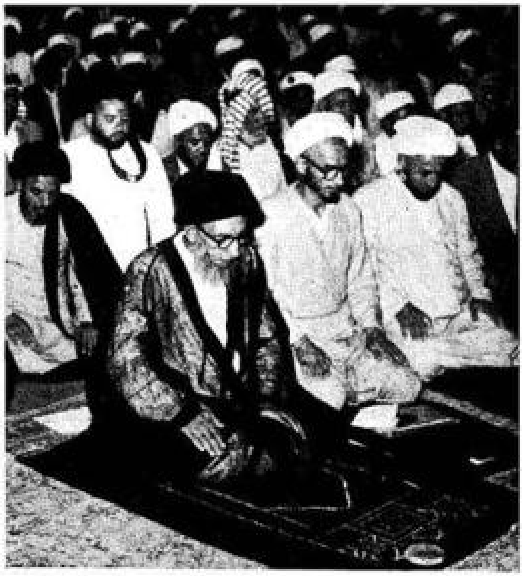
ان الأئمة منارات كبيرة رفيعة تنير للسالك الطريق ، اقف عندها أنتفع بنورها ، واقرا ، وليس من احد يسألنى لمَ تقف لتقرا على ضوء هذا المصباح دون هذا، لأنها مصابيح عندى سواسية، تعطى النور . ولكنها ليست مذاهب متنافرة متشاجرة ، قصد بها قاصد ما ان يحجر بها على العقول . انها اذن والله السجون .

ان الدين كتاب الله وسنة رسوله . والدين فى عنفوانه عاش قويا قبل أن يجيء عصر المذاهب .

وليست هذه دعوة لاطراحها ، ولكنها دعوة الى ان لا نتعصب لها ، فنجعل منها اديانا داخل دين . فما هكذا اراد الأجلاء من اصحابها .

غمة كانت فزالت

ومن المذاهب ما اسموه **سنة** . ومن المذاهب ما اسموه **شيعة** . وتوارث الأخلاف كراهة الأسلاف . وينشأ الناشيء لا يفهم من سنته شيئا . وينشأ الناشيء لا يفهم من شيعته شيئا . كل ما عرف من مذهبه هذا او ذاك انما مناصبة العداء . وينسى وليد دمشق مثلا ما قد كان مذهبه لو انه ولد فى النجف . وينسى وليد النجف ما قد كان مذهبه لو انه ولد فى القيروان .





لمن يصلي هؤلاء ؟ .. ولمن يصلي هؤلاء ؟

« انما يَعْمُر مساجِدَ الله من آمَن بالله واليومِ الآخر وأَقامَ الصلاةَ وآتى الزكاة ولم يَخْشَ الاّ الله » . (التوبة : ١٨)

ونحمد الله أن رفع عن الأمة ، في هذه العصور الحاضرة ، هذه الغمة ، فلم نعد نسمع لأغربة الأمس اليوم نعيقا مزعجا ، كان في سبيل الوحدة كالعظم في الحلوق ، وفي التئام الشمل كالشوك في الجنوب .

أمْ أنني سبقتُ زماني ؟

ام انى فى هذا الظن سبقت زمانى ؟
ام انى فى هذا الظن ، لم يقدنى الواقع ، ولكن قادنى الرجاء ، وضلّلتنى الأمانى ؟
ان صح انى مضلّلٌ فى هذا الرجاء ، مخدوع فى هذه الأمانى ، فقد صدقتْ قولة قالها لى قديما رجل حكيم :

قال : ان الناس تموت ولكنها لا تفنى .

قلت : كيف تموت ولا تفنى ؟

قال : انها تترك وراءها أشباحا ، تخرج منها ابدِ ، تطوّقُ بها أعناق الأحياء ، تعصرها عصراً ، فتكاد تخنقها ؟

قلت : بأى شىء ؟

قال : بالذى تتركه من تعاليم ، من كل صنف ، فى شئون دنيا وشئون آخرة ، فيها شرارات الحروب التى يجب أن تستمر نيرانها موقدة بين البشر .

قلت : ان الأجيال تخلّف العلم ، وتخلّف التجربة النافعة .

قال : ان خلفت مثقالا من علم ، خلفت معه عشرة مثاقيل من أشباه علم ، معها ألفُ مثقال من حقد وضغن ودعوة الى الفتك باسم الحق والحق برىء من كل دم مسفوح .

قلت : ان الناس تختلف دائما .

قال : وفى سبيل الأرزاق تختلف اصلا ، وتتكتل . لا بد من تكتل الطوائف وتقاتلها على الرزق . وهى قد تتكتل لوحدة فى دين ، أو وحدة فى مذهب ، أو وحدة فى لون ، أو وحدة فى لسان . فان عزّتها أسباب الوحدة ، فلقد خلتْ والله ان يتكتل منهم ذوو الأنوف الطويلة ، وحدةَ أنف . أو ذوو الاجسام القصيرة ، وحدةَ قِصَر . سببٌ ما لجعل الخصومة قائمة دائمة . فلا ينطفىء لها فى الحياة على الاجيال لهيب .

الاتباع يكون عند عجز ، والاستقلال عند المقدرة

وسانحة تراودنى كل هذه السنين .
ان الاتباع ، فى أى شىء ، عند ذى العقل العاجز ، أو عند ذى العقل غير الفارغ لامتلاء زمانه ، انما هو ضرورة . ولكن ان يَتبع الرجلُ العاقل ، فى أي شىء ،

وهو القادر على استبانة الطريق ، فهذا اهدار لهذا العقل السليم .

ومن القول الخالد الذى قرات ، قولة ابى حنيفة رحمه الله ، عندما سئل فى اتباع سلفه فيما راوه : « هم رجال ونحن رجال » .

وقد اعقل ان يرى رجل عاقل قادر راى رجل فى امر واحد . وقد يرى رايه فى امرين او ثلاثة ، وفى عشرة وعشرين ، اما ان يرى رايه فى الف مسألة ، هى المذهب ، فهذا غير الذى عهدناه فى امر العقول . واغرب من ذلك ان تجمع الف رجل ، مرة واحدة ، على الف راى ، مرة واحدة ، الا ان يستعمر عقل عقولا .

وكما فى المذاهب الدينية ، فكذلك فى المذاهب السياسية

وقد ذكرت ما ذكرت فى المذاهب الدينية ، لأنتقل بعدها الى المذاهب السياسية . الى التحزب والأحزاب .

ان الأصل فى البرلمانات عندى انها ندوات ، يجتمع فيها اهل الراى ، لاعطاء الراى فى كل مسألة تعرض . ويؤخذ الراى ، فيكون زيد فى جانب ، ويكون عمرو وخالد فى جانب . ثم تعرض مسألة اخرى ، ويؤخذ الراى ، فيكون زيد وعمرو فى جانب ويكون خالد فى جانب آخر . وهلم جرا . لا يلتزم احد باتباع راى الا رايا يراه هو فى وقته ، ومن بعد دراسته هو لا دراسة الآخرين . كل هذا لهدى الحكام الى اقوم سبيل .

ان هذا الوضع الذى اصف وضع طبيعي ارى انه لا غبار عليه : ندوة حرية الفرد فيها محفوظة . حرية الراى الفردى مع اختلاف المسائل وتعددها .

ويزيد فى صحة هذا الوضع الطبيعي ان الحكم اصبح اليوم كبير التعقد ، ذا افانين كثيرة ، لا يحسن الراى فيها الا اهل الفن المختصون . وعضو البرلمان يعجز عن ان يكون له راى فيها ، الا ان يكون من ذوى الاختصاص . والحق ان حكم الأمم صار اليوم اختصاصا . وما البرلمانات الا رقباء حتى لا يكون انحراف .

البرلمان الانجليزى بدأ لا يعرف الأحزاب

واحسب انه على هذا الوضع ، أو على شيء شبيه من هذا ، بدات البرلمانات الحديثة ، والبرلمان الانجليزى ، خاصة ، هذا الذى يسمونه ابا البرلمانات .

ولكنه لم يلبث ان انقسم وتحزب .

كان هذا عام ١٦٧٩ ميلادية . كان ملك انجلترا شارل الثانى . وكان يميل الى الكثلكة . وكان اخوه جيمس كاثوليكيا محضا . وكان ولي العهد. فتقدم الى البرلمان اقتراح باتخاذ قرار يمنع جيمس من ان يكون ملكا بعد اخيه . وغضب شارل الثانى لهذا وحل البرلمان . ومن تلك السنة انقسم رجال الحكم الى حزبين ، بينهما عداوة مرة ، هما الحزبان الشهيران ، الوجز Whigs والتوريز Tories ، ذلكما اللذان صارا من بعد ذلك ، الاحرار والمحافظين . والحزب الاول ناصر الاقتراح بمنع جيمس من الملك ، والحزب الاخر عارضه .

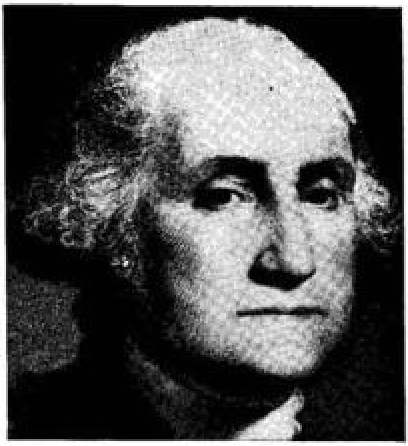
الدستور الامريكى لا يذكر الأحزاب

وهذا الانشقاق يعتبر عند دارسى علم السياسة مولد الأحزاب السياسية فى هذه العصور الحديثة .

واستقلت امريكا . وكانت الولايات المتحدة . وكان الرئيس وشنجطن اول رئيس للولايات . وخرج دستور الولايات خلوا من كل ما يشير الى الاحزاب والتحزب ، وكانتى به كذلك الى اليوم. وكان رئيس الولايات الاول ، وشنجطن ، يرى ان لا ضرورة للأحزاب ، بل لقد راى انها خطر على الدولة . ولكن ما لبث ان حدث انقسام فى الراى : « هاملتن » يرى حكما فدراليا مركزيا قويا ، «وجفرسن» يرى اعطاء تبعة اكبر للولايات. وظهر هذا الانقسام عمليا فى انتخابات ١٧٩٦ . وصار الحزب الاول يدعى بالحزب الفدرالي ، والثانى يدعى بالجمهورى الديمقراطى . وانفصم الحزب الاول وزال . فما لبث الحزب الثانى ان انقسم الى حزبين ، الحزب الجمهورى وضم اكثر الولايات الشرقية ، والحزب الديمقراطى وضم ولايات الغرب والجنوب. كان هذا عقب عام ١٨٢٠. وهما الحزبان الباقيان الى اليوم .

وولد الاحزاب فى انجلترا اختلاف دينى .

وولد الأحزاب فى الولايات المتحدة اختلاف اقتصادى وصوالح اعمال .



وشنجطن ، أول رئيس للولايات ، وبطل تحريرها ، كان يرى ان لا ضرورة للاحزاب . وخرج دستور الولايات خلوا من ذكر الاحزاب

احزاب لها قوة وجبروت

ومع تولد الأحزاب كان لابد من برامج تصف مبادىء الحزب واهدافه . عشرات من المبادىء والأهداف مكتوبة ، الى جانبها مئات من صنع النوازع والأهواء غير مكتوبة ، كيف يمكن لكل تابع للحزب فى دولة ، وهم ملايين ، وكيف يمكن لكل عضو للحزب فى برلمان ، وهم مئات ، كيف يمكن لهؤلاء وهؤلاء ان يكون عندهم ، مع التفكير الحر ، على كل هذه المبادىء ، مجتمعة ، اتفاق ، بل كيف يجوز ؟

ومع هذا صار للاحزاب مراكز فى كل عاصمة ، وكل مدينة ، وكل بلد ، وكل قرية .. نظام عظيم ضخم ترى فى كل بقاع الدولة ، له قوة وله جبروت .

وللاحزاب كرابيج

ويعلن الحزب لوحته فى الأمة ، وعليها مبادئه واهدافه . وبناء على هذه اللوحة يعرض على الأمة مرشحيه ويجمع أعضاء برلمانه . ويجتمعون فيكون الحزب عليهم رقيبا . فمن خالف راى الحزب كان له عقاب . ومن امتنع عن ابداء صوت كالذى يراه الحزب أو تغيب ، فله كذلك عقاب . وعينوا رجالا اسموهم الكرابيج ، او الأسواط Whips ، واجبهم لم الأعضاء عند التصويت ، واعطاؤهم الصوت الذى به يدلون (١)

الأحزاب تمنع احزابا اخرى ان تقوم

ويأتى رجال من رجال الفكر احرار ، يرون فى مبادىء هذا الحزب ما يغرى ، وفى مبادىء ذاك ما يغرى ، ويضمون هذا الى ذاك ، ويضيفون الى ما تجمع شيئا جديدا ، ويحاولون أن يكونوا من ذلك حزبا جديدا ، فتقوم الأحزاب القائمة القوية تناوئهم ، بحسبانهم منافسين طلاب حكم . فقد اصبح الحكم عند الأحزاب ، صراحة ، هو الغاية .

ان بالولايات المتحدة حزبين . ولقد حدثت محاولات عدة لخلق حزب ثالث ، له لوحة غير لوحة هذا الحزب أو ذاك ، فحاربها الحزبان القائمان . وقد يقوم حزب له راى فى مشكلة واحدة قائمة ، فلا يفسح له سبيل . وتتكرر المحاولة فى التاريخ الطويل للولايات المتحدة ، والنتيجة والاخفاق والفشل واحدة . حزبية قوية ، ثرية ، لا تأذن لغيرها ان تقوم ، فى البلد الحر !

وفى انجلترا نجحت محاولة ايجاد الحزب الثالث بعد جهاد طويل . وحل حزب العمال محل حزب الاحرار او كاد .

فى أوروبا تعددت الأحزاب ، ضيقا بفرض راى الاحزاب الكبرى عليها

وفى أوروبا ، وهى موطن لحرية الراى

(١) عرضت الصحيفة الاسبوعية البريطانية الشهيرة الابزرفر لحياة المستر (كروسمان) عضو مجلس العموم البريطانى والوزير اليوم ، ومماقالته فيه : انه لم يكن يرضيه أن يكون نعجة تساق فى البرلمان الى حيث تعطى صوتا لقتنعاياها تلقينا « كرباج » الحزب . فهذا غاية ما ترجوه حكومة ذات أكثرية من اتباعها فى البرلمان . وفى المجلة السياسية البريطانية ، كتب بيتر برومهد مقالا فى اصلاح البرلمان البريطانى . فلما جاء على طريقة اعطاء الاصوات فى البرلمان قال : « على ان اعطاء الصوت الحر فى البرلمان شىء نادر ، لا سيما والكرابيج مرفوعة » .

اوسع ، تعددت الأحزاب حتى لقد يكون فى البلد الواحد ما بين ١٠ الى ١٥ حزبا. وهى احزاب تكونت غالبا لمصالح . مصلحة راسمالية ، مصلحة عمالية ، مصلحة زراعية ، مصلحة ملكية ،مصلحة دينية ، مصلحة شيوعية ، وهلم جرا . .

وتعدد الأحزاب جاء ، ليس فقط للدفاع عن معان جديدة ، ولو مصلحية ، وانما هو جاء ضيقا بما فرضته الاحزاب الكبرى من فرض اتباع لوحتها السياسية، واتباعها مجموعة كاملة .

وفى الأمم التى لم تتعدد فيها الأحزاب كانجلترا والولايات المتحدة ، احتفظت الأحزاب بعددها ، ولكنها تقسمت فى داخلها . فالجناح اليمينى والجناح اليسارى ، والأوسط ، ويكون لهؤلاء وهؤلاء فى الحزب ، ولو غير رسميين ، زعماء . وما ذلك الا ضيق بما تتطلبه الأحزاب من انسجام الآراء فى كل موضوع يعرض . والانسجام هنا ما تقول بـه اللوحة ، او على الأصح ما يقوله الكبراء فى الأحزاب . والنفس الحرة تأبى أن تنسجم دائما . ولولا أنفس الأحرار ما تقدم العالم خطوة الى الأمام .

أحزاب لم يبق منها الا الحزبية

ولكم نظرت فى احزاب ، فوجدت حتى اللوحة قد انطمست سطورها ، وأن ما تضمنته من معان قد انبهمت مغازيها ، والمبادىء طوّح الزمان بمعانيها . ضاع كل شيء من قوام الحزب فلم تبق لـه الا الحزبية . ويصبح الحزب لا يمسكه الا التحزب ، كالعصابة لا يمسكها الا تعصّبها .

فى معركة الرئاسة

واذكر معركة الرئاسة التى قامت فى الولايات المتحدة منذ سنين ، بين « كِنِدى » مرشح الحزب الديمقراطى ، ونكسون مرشح الحزب الجمهورى ، وسمعنا من هذا ومن هذا ، فلم ندر أيهما الديمقراطى وأيهما الجمهورى . لقد بهتت الوان الحزبين او كادت . بهتت مبادىءَ واضحةً ، وصفات منفرِّقة .

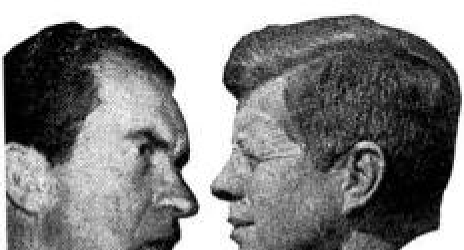
وسألت امريكيا فى هذا : قال لى : الفرق بينهما ، الا فى القليل ، فرق مزاج . ذلك أن للشعوب الحديثة مطالب متشابهة ، كاد التشابه فيها أن يكون توحدا ، على الرغم من أسماء الأحزاب وشعاراتها .

وفى افريقية

وهذه افريقية بدأت تتكون فيها الأمم المستقلة من بعد هوان وذلة . وأنظر فأجد بعضها يحاول ان يسير على ما سار عليه الغرب فى القرون الحديثة : تصنع الأحزاب ، فأحزاب توالى ، وأخرى لا توالى . وبدأت بينهما الخصومات حتى قبل أن تستقر الحكومات . لم يكن لها بد من ان تجرى على ما جرت عليه أمم سبقت من فهم معنى الديمقراطية الحديثة ، والتقسم احزابا . وأحسب انها سوف تخفق اخفاقها .

الشعوب والحكومة المسئولة

ان الشعوب لم تعرف معنى الحكومة المسئولة الا منذ قرون ثلاثة . ولقد تمثل هذا المعنى فى مجلس اسموه البرلمان ، وهو لو ترجم بالعربية لكان « مكان الكلام » او الندوة . وفى البرلمان قامت الأحزاب وعليها بُنِىَ الحكم .



الرئاسة فى الولايات المتحدة عام ١٩٦٠. كندى مرشح الديمقراطيين ، ونكسون مرشح الجمهوريين سمعنا من هذا ، وهذا ، فلم ندر أيهما الديمقراطى وأيهما الجمهورى .

وسمى هذا النظام بالديمقراطي الحديث.

وليس أدل على أن هذا النظام الحزبى، عاش من الزمان فوق ما وجب أن يعيش، من خروج جانب كبير من امم الأرض عليه . وجانب من الارض بقي فيه هذا النظام هياكلَ كالعظام النخرة، قفصا ملؤه هواء . وامم اخرى نجحت عليه .

ومن الناس من يقول نجحت على الرغم منه . فالمانيا مثلا ، نظامها حزبى ، وهى اسرع الأمم اليوم تقدما . ولكنها اسرع تقدما بالذى بها من كفايات علمية ، وكفايات فنية ، وكفايات عقلية . وهى تقدمت تحت كل النظم ، وكل الظروف ، بسبب هذه الكفايات . وفى عهد هتلر ، ونظام حكمه ما عرفنا ، كانت المانيا من اقدر الأمم واثراها صناعة وانتاجا . ثم ذرّتْ طبيعةُ الحكم الهتلرىّ ، ذرّتْ بقرنيها ، فأطاحت بكل ما جاءت به الكفايات من خير .

تجارب جديدة

والعالم ، أو جانب كبير منه ، خرج اليوم على النظام الديمقراطي الحزبى ، يجرب أنظمة أخرى ، كلها لا يزال فى دور التجريب . وهو دور يطول .

ولكن كل هذه النظم ، من جديد منها والقديم ، لن تستقيم أبدا ، مع اهدار حرية الفكر ، الفكر المتربى ، المتنور ، المثقف ، المتخصص ، فكر كل امراة وكل رجل جدير بأن يسمى صاحب فكر .

ان الانسان حيوان مفكر ، فاهدار حرية الفكر ، عند كل جدير به ، على الاخلاص ، ودون استغلال ، اهدار لانسانيته .

صنوف اخرى من التكتل

فهذه هى المذاهب والتمذهب .

وهذه هى الأحزاب والتحزب .

وصنوف أخرى من التكتل ، هى ابناء أعمام التمذهب والتحزب، تدخل جميعها فى معنى التعصب ، لم يجن العالم منها جميعا ، فى قديمه وحديثه ، خيرا .

والسبب ؟

انها كلها نظم تحول بين الفرد وفكره، فكره الحر، فكره الطليق ، على الاخلاص، وعلى المقدرة .

واعلم انه ، باسم الراى الحر ، قد يجد الفكر المأجور سبيلا للتسلل بين الناس .

واعلم انه باسم الراى الحر قد يصرخ الجهلاء ، حتى على الاخلاص ، بكل نكير من الفكر عجيب .

المخلص : التعليم الحر الكامل الشامل

وليس علاج لهذا ، لكل هذا ، ولشرور اخرى فى بنى الانسان ، الا التعليم . التعليم الشامل . التعليم الكامل. التعليم الطلق . لا التعليم الذى يؤكد التعصب ويضيّق بالآفاق .

ان التعليم حل لكل مشكلة ، ومنها المشاكل السياسية ، واقصد التعليم الحر ، فمن التعليم تجهيل . ولست أرى اليوم بلدا بلغ به التعليم الحرُ والتثقف الحرُ ، درجةً تؤمّن حرية الراى وصلاح الدنيا معا . فلا فى انجلترا ، ولا فى امريكا ، ولا فى روسيا ، بلغ التعليم الحر، من حيث النوع والكم والاتساع ، مبلغا يقضى على ما فى انفس البشر من انانية. وما التحزب اليوم ، فى اكثر صوره ، واكثرها شيوعا ، الا انانية جماعية لسان حالها يقول : الفكر لى وحدى ، والراى لى وحدى ، والحكم لى وحدى ، والخير لى اولا ، وعلى سائر الأحزاب فى أمتى ، وعلى سائر الملل والنحل ، بل على سائر الأمم غير امتى ، العفاء .

ومتى يبلغ الانسان فى سائر طبقاته ، وعلى تنوع لسانه والوانه ، هذه المرتبة من التعلم والتثقف والتخلق ؟

علم ذلك عند ربى ..

وعندى ان الانسان لا بد له من ان يمضى ، فينسلَ الانسال العديدة ، طعمةً لنيران الحروب، قبل أن يستيقظ لما هو فيه من عقم سبيل . ■■

أحمد زكي

صارت عرف السياسة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية

بقلم : محمد رفعت

■ القسمة في اللغة تجزئة الشيء الواحد، وتطلق ايضا على الحظ والنصيب .

والقسمة الصحيحة الحقة يجب أن تتوافر لها شروط اهمها احتواء كل جزء من الكل المقسوم على جميع الصفات المميزة للأصل بحيث يمكن أن يصبح كل جزء قائما مستقلا بنفسه . هكذا نجد الحال في علم الحياة : أن الخلايا تتكاثر بالانقسام الى جزءين متساويين بهذا المعنى الكامل .

اما في شئون الحياة العامة فان توافر شروط القسمة الحقة يكان ان يكون مستحيلا بل ان القسمة نفسها تكون مستحيلة الا اذا افضت الى الموت . وقصة سليمان الحكيم عن القسمة معروفة : احتكمت اليه امراتان في شأن طفل رضيع ، ادعته كل منهما لنفسها . فأوحت الحكمة الى سليمان أن يواجه المرأتين بقرار حاسم ، وهو ان يقسم الطفل نصفين متساويين لكل منهما نصف . فما كان من الأم الحقيقية للطفل الا ان نزلت فورا عن حقها صونا لحياة الطفل .

القسمة في الرياضة غير القسمة في السياسة

ومع انه ينبغي في علم الرياضة ان



أمَّا عِندَ السَّاسَة فِهىَ تقطِيعُ أوْصَال

تكون الاعداد ذات دلالة معينة حتى يمكن قسمتها قسمة صحيحة على اثنين او ثلاثة او خمسة مثلا، فان قسمة الاقاليم فى العرف السياسى قد لا تتطلب من السياسى اكثر من خريطة على مقياس كبير ينشرها امامه ، وبيده القلم والمسطرة ، فيرسم خطا او خطوطا بعضها وهمي يساير خطوط الطول او العرض ، وبعضها استراتيجي او اقتصادي يحقق بها لأحد الاطراف المتنازعة مصلحة دفاعية او اقتصادية .

الساسة قسموا بولندا ، ثم قسموها ، حتى اختفت من الخريطة

واول سابقة للقسمة السياسية فى التاريخ الحديث عملية اقترفتها ثلاث من كبريات دول اوروبا على ثلاث مراحل . وكانت قسمة روعت من اجلها نفوس الاحرار فى كل مكان فى العالم . فقد تكالبت روسيا وبروسيا والنمسا على تقسيم بولندة فى اواخر القرن الثامن عشر مغتنمة فى ذلك فرصة تدهور أحوالها الداخلية . فتدخلت روسيا اولا بالقوة فى عام ١٧٧٢ بحجة حماية الاقلية الاورتوذكسية من طغيان الكثرة الكاثوليكية . وخشيت كل من جارتيها النمسا وبروسيا ان يختل ميزان القوى فيما بينها فتآمرت الدول الثلاث واتفقت على أن تحتل كل منها جزءا من الاراضى البولندية القريبة من حدودها . وبذلك فقدت بولندة نحو ربع مساحتها . ثم تدخلت الدول الثلاث مرة ثانية فى عام ١٧٩٣ واحدثت تقسيما ثانيا لم يبق بعده لبولندة سوى ثلث مساحتها الاولى . واخيرا استبدت بهم الشراهة فالتهموا البقية الباقية من البلاد فى عام ١٧٩٥ .



تقسيم بولندا : اول سابقة للقسمة السياسية فى التاريخ الحديث

وامحى بذلك اسم بولندة من خريطة أوروبا .

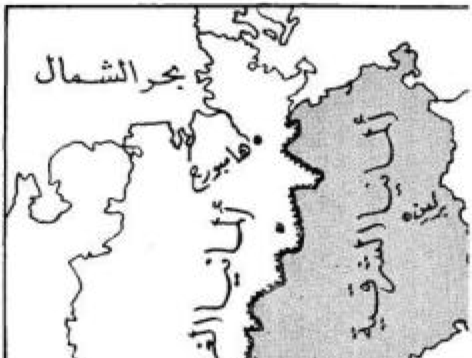
الى أن أعيد استقلالها فى عام ١٩١٨ فى أعقاب الحرب العالمية الاولى .

التقسيم كان من مميزات العرف السياسى الدولى بعد الحرب العالمية الثانية

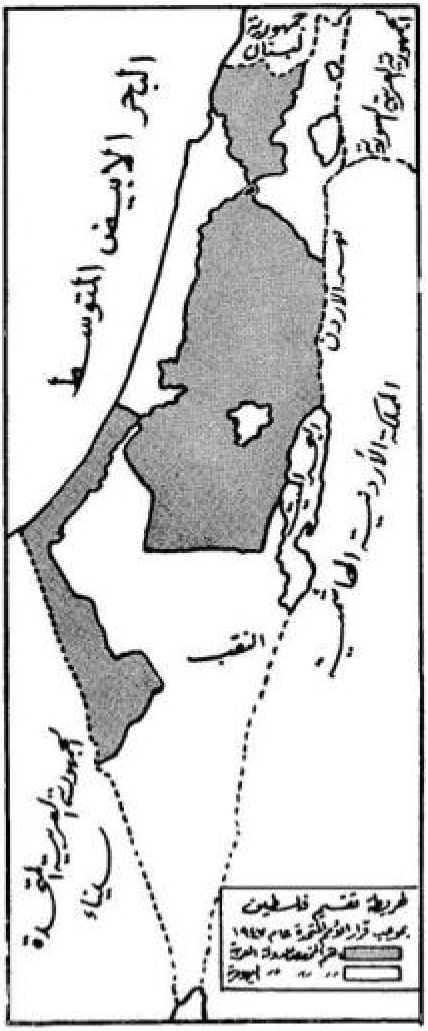
اما عمليات القسمة الاقليمية السياسية التى باشرتها الدول اخيرا فانها لتعددها وتشابه قسماتها يمكن اعتبارها من مميزات العرف السياسى الدولى الذى ساد فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . انها فى حقيقة الامر وفى معظم الحالات انعكاس للانقسام السياسى والمذهبي (الاديولوجي) الذى مني به حلفاء الأمس قبل الحرب وأصبحوا بعدها معسكرين منفصلين، شرقي يسوده الاتحاد السوفييتي ، وغربي تسوده الولايات المتحدة . وامام تعارض آراء المعسكرين واختلاف أهدافهما مع عزوف كل من الجانبين عن اشعال نار الحرب من جديد ــ لم يكن بد من لجوء ساسة الدول الى انصاف الحلول والقسمة على اثنين كلما عرضت امامهم مشكلة اقليمية أساسها التمييز المذهبي .

المانيا كانت أول ضحايا القسمة على اثنين

كانت المانيا بمقتضى اتفاق « بتسدام » فى أغسطس عام ١٩٤٥ أول ضحية للسياسة الجديدة . فلم يقتصر الأمر على قسمتها الى منطقتين : شرقية يحتلها الاتحاد السوفييتي ، وأخرى غربية من ثلاثة أجزاء يحتلها الحلفاء الغربيون . بل ان التقسيم قد شمل أيضا برلين عاصمة البلاد رغم وقوعها فى وسط المنطقة الشرقية ، مما جعل مواصلات الحلفاء الغربيين من برلين الغربية واليها أمرا مرهونا بأهواء الاتحاد السوفييتي . وحدث فى عام ١٩٦١ ان زاد عدد اللاجئين من شرق المانيا الى غربيها عن طريق برلين بدرجة اقلقت بال السلطات الشرقية . اذ بلغ عدد المتسللين من الشرق الى الغرب نحو ثلاثة الاف نفس يوميا . وعندها قرروا فى ١٣ أغسطس من ذلك العام اقامة حائط برلين الشهير ليكون سدا



قسمت المانيا فى عام ١٩٤٥ الى منطقتين : شرقية ، وغربية ..



فى نوفمبر عام ١٩٤٧ وافقت الامم المتحدة على العملية المشئومة ، فقسمت فلسطين الى قسمين : قسم للعرب ، وهو الجزء المظلل فى الخريطة ، وقسم للصهاينة ، وهو الجزء الابيض فى الخريطة ..

مانعا بين شرق برلين وغربيها . وهو جدار سميك مسلح يبلغ طوله خمسة وعشرين ميلا وعليه حراسة ومراقبة شديدتان. وكانت تالفت عام ١٩٤٩ حكومة محلية فى كل من المنطقتين الالمانيتين ، ثم ما لبثت الحكومتان أن أعلنتا استقلالهما فى عام ١٩٥٥ ، ولكنه كان استقلالا منقوصا مشفوعا بتحفظات للدول المنتصرة بعد الحرب ، وكل من الجانبين ينكر استقلال الجانب الاخر ولا يعترف به اللهم الا فى الشئون التجارية وفى بعض المناسبات الاجتماعية .

ويبلغ عدد سكان المانيا الشرقية نحو ١٧ مليون نفس وعاصمتها برلين الشرقية ، والشيوعيون فيها هم أصحاب الحكم . أما المانيا الغربية فيبلغ عدد سكانها نحو ٥٥ مليون نفس، وعاصمتها « بن » وحكومتها دستورية على النمط الغربى . وهي عضو فى معاهدة شمالي الاطلنطي وفى السوق الاوروبية ، والمجلس الاوروبي . وسكان القطاع الغربى من برلين أكثر من ضعف سكان القطاع الشرقى .

وقسمة فلسطين أودت بكيان شعب بأسره

اما عملية القسمة الثانية فكانت عملية مشئومة أودت بكيان شعب بأسره ، وجعلت منطقة الشرق الأوسط من أكثر بقاع العالم توترا سياسيا وتعرضا للانفجار فى اية لحظة . انها قسمة فلسطين التى قررتها الامم المتحدة فى نوفمبر عام ١٩٤٧ ، وعززتها بريطانيا بقصد منفعة الصهيونيين حين أعلنت قرارها بالغاء انتدابها على فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . وكان من أوجب واجبات الدولة المنتدبة الا تغادر البلاد التى ظلت منتدبة عليها نحو ثلاثين عاما قبل أن ترد البضاعة التى اؤتمنت عليها الى أصحابها . ولكنها تمسحت بالأمم المتحدة ، وهذه التفت لجنة « محايدة » قررت قسمة البلاد بين العرب واليهود . ويبدو أنها كانت خطة مبيتة اذ لم يقترع ضد التقسيم من دول الغرب سوى اليونان وكوبا . حتى روسيا التى عرفت بمعارضتها للصهيونيين أعطت صوتها حينذاك الى جانب التقسيم . وبذلك اجتمعت لأول مرة كلمة روسيا والولايات المتحدة . ولقد اجتمعت كلمتهما للمرة الثانية فى عام ١٩٥٦ ولكنها كانت فى هذه المرة ضد العدوان الثلاثي والى جانب العرب . ولقد ثار العرب ضد القسمة صونا لكيان بلادهم وامتشقوا الحسام جماعات متحررة وجيوشا منظمة . ولكنهم غلبوا على أمرهم فى النهاية لأسباب معروفة وأصبح نحو مليون نفس منهم لاجئين مشردين فى انحاء العالم العربي.

وقامت دويلة العصابات كالشوكة في قلب الجسد العربي . ولن يبرأ العرب من جرحهم حتى تقتلع الشوكة التي أدمته ان عاجلا أو آجلا .

القارة الهندية : قسموها الى هند وباكستان

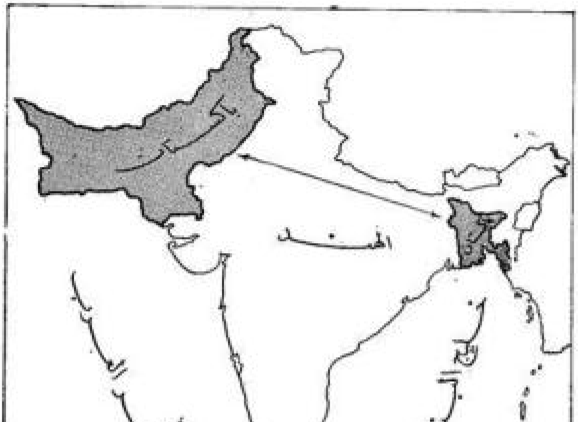
اما أضخم عملية للقسمة تمت في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فهي قسمة القارة الهندية بين الهندوس والمسلمين . وكان زعماء المسلمين متضامنين مع مواطنيهم الهنود في كفاحهم من أجل استقلال الهند . فكانوا أعضاء في المؤتمر الهندي الذي ألفه غاندي لقيادة حركة التحرر والكفاح السلبي . الى أن كان عام ١٩٢٥ حين قرر حزب المؤتمر أن يحل المسلمون أحزابهم وجمعياتهم الخاصة بهم . وحينئذ انفصل الزعيم الهندي المسلم « محمد علي جناح » واخذ يهيىء المسلمين الهنود لفكرة الانفصال عن الهندوس . ونادى في عام ١٩٤٠ بانشاء دولة في الهند تتألف من الولايات التي يتمتع فيها المسلمون بالكثرة العديدة . وهذه الولايات تقع في الشمال الغربي من الهند . يضاف اليها اقليم البنغال الشرقي الواقع في أقصى الشرق ويفصله عنها نحو ألف ميل . واقتنعت الحكومة البريطانية بأنه لا مندوحة البتة عن تقسيم الهند منعا للمذابح التي كانت تقع بين الطائفتين بين حين وآخر وقررت في صيف عام ١٩٤٧ في عهد حكومة العمال اعطاء الولايات الهندية حق تقرير مصيرها اما الى جانب الهندوس أو الى جانب المسلمين الذين أطلقوا على دولتهم « الباكستان » . وهو اسم مأخوذة من حروف أسماء الولايات التي تتألف منها الدولة الجديدة وهي : « بنجاب » و « كشمير » و « بلوخستان ». وحينئذ اهتاجت خواطر القوم وغلت مراجل الحقد والكراهية بين المسلمين والهندوس فعاثوا في البلاد تخريبا وتقتيلا وتجاوبت الأصداء بأن « الراجا البريطاني » سيحمل عصاه على كتفه ويرحل عن البلاد ، فخرج الناس من قراهم وكأنه يوم الحشر ، وزحفوا بملايينهم وماشيتهم حاملين متاعهم وأطفالهم ـ المسلمون مولون وجوههم شطر ولايات الباكستان ، والهندوس من الولايات المسلمة وجهتهم الولايات الهندوسية ـ ساروا جميعا في طوابير متعارضة متعرضة بجتاحهم الجوع والخوف، وتتنابهم الأمراض والأوباء ، ويتخطفهم الموت من كل جانب ، حتى راح ضحية هذه العملية أكثر من نصف مليون .

وبلغ عدد سكان الباكستان نحو ٩٦ مليون من الأنفس ، وعاصمتهم الرسمية « روالبندى » بعد أن كانت « كراتشى » .

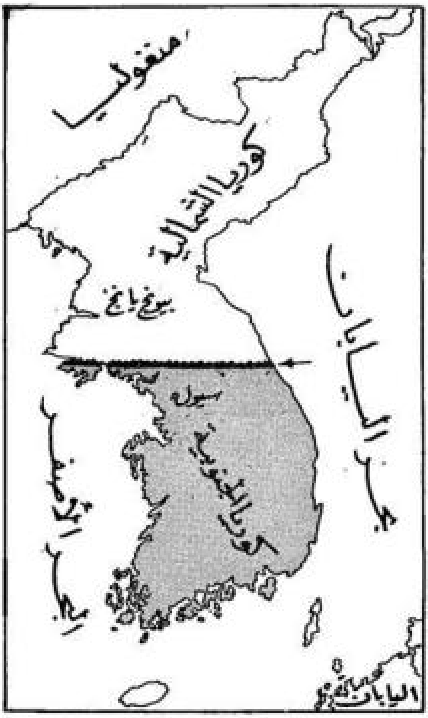
وبلغ عدد سكان الهند نحو ٤٥٠ مليون نفس منهم نحو ٣٥ مليونا من المسلمين . وتبلغ مساحة الهند نحو خمسة أضعاف مساحة الباكستان .

وبينما الباكستان عضو في منظمة الحلف المركزي « حلف بغداد سابقا » وفي منظمة جنوب شرقي آسيا ، فان الهند بزعامة « نهرو » كانت في طليعة الدول التي نادت بعدم الانحياز .

على أن الحكومتين داخلتان في نطاق الكومنولث البريطاني، والخلاف بينهما على



كان تقسيم القارة الهندية بين الهندوس والمسلمين ، الى الهند والباكستان ، أضخم عملية للقسمة تمت في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . .



كوريا : قسموها الى كوريا الشمالية ، وكوريا الجنوبية ، والخط الفاصل بينهما هو خط عرض ٣٨° شمالا ..

أشده بسبب ولاية كشمير وبها أكثرية مسلمة كبرى ولكنها دخلت تحت حكم الهند منذ عام عام ١٩٥٧ .

وتكاد عملية قسمة الهند ان تكون الوحيدة التي قد يقدر لها البقاء ما دامت الفروق الدينية والاجتماعية بين المسلمين والهندوس على شدتها الحالية .

وكوريا ، قسموها الى شمال وجنوب

وفي عام ١٩٥٠ نشبت حرب كوريا . وقد ظلت كوريا تابعة للصين نحو خمسمائة عام الى أن احتلتها اليابان في عام ١٩٠٥ . وفي عام ١٩٤٥ ، قبيل انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية ، تحركت الجيوش الروسية شرقا نحو كوريا واحتلت الجزء الشمالي منها كما ان الولايات المتحدة سيطرت على الجزء الجنوبي . وبذلك انقسمت كوريا الى قسمين يفصلهما خط عرض ٣٨° شمالا . وسرعان ما دب النزاع بين القسمين ، وعرض الموضوع على الامم المتحدة في عام ١٩٤٧ فقررت ضرورة توحيد كوريا واقامة حكومة منتخبة انتخابا حرا . ولكن القرار ظل غير ذي موضوع الى أن كان عام ١٩٥٠ حين تحرك جيش من الشمال وهاجم كوريا الجنوبية ، وعندئذ تدخلت الامم المتحدة واعلنت ان كوريا الشمالية هي البادئة بالعدوان وأن على الاعضاء أن يتقدموا بمعاونة الكوريين الجنوبيين المعتدى عليهم . وقد تحملت الولايات المتحدة النصيب الاوفر من اعباء الحرب ونفقاتها وخسائرها ولكنها ، أحجمت عن مهاجمة الصين التي كانت تمد الشماليين بالعون الحربي والمادي، وذلك خشية اثارة حرب عالمية ذرية . واستمرت الحرب سجالا الى عام ١٩٥٣ حين اتفق على ابقاء خط عرض ٣٨ شمالا حدا فاصلا بين القسمين . ومع أن عدد سكان كوريا الجنوبية يبلغ نحو ٢٢ مليون نسمة ، على حين أن كوريا الشمالية لا يزيد عدد سكانها على عشرة ملايين،فان كوريا الشمالية تمتاز بمعادنها ووفرة بترولها وبنشاطها الصناعي.

وفيتنام ، قسموها الى شمال وجنوب

اما أحدث مشكلات القسمة الاقليمية فهي التي تطالعنا انباؤها في هذه الأيام صبيحة كل يوم وأعني بها « فيتنام » ومعناها بالصينية القديمة « أقصى الجنوب » .

وتتألف فيتنام من بعض الأقاليم التي كانت تابعة لفرنسا في الهند الصينية في الجنوب الشرقي من آسيا . وقد احتلتها فرنسا منذ عام ١٨٥٨ وعملت فيها كدأبها على نشر الثقافة الفرنسية والمذهب الكاثوليكي، حتى بلغ عدد الذين يعتنقون

الكاثوليكية اكثر من مليوني نفس من نحو سبعة وعشرين مليونا من السكان .

وقد احتلتها اليابان فى عام ١٩٤٠ فى اثناء الحرب العالمية الثانية . ولكن العصابات الوطنية التى تالفت لمناهضة اليابان استطاعت فى عام ١٩٤٥ انشاء حكومة جمهورية شيوعية بزعامة «هو شي منه» . وحاولت فرنسا استرداد سلطاتها بالتفاوض مع الوطنيين ولكنها فشلت . وقامت الحرب سجالا بين الفرنسيين والفيتناميين من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٤ حين انتصر الوطنيون فى معركة « دين بين فو » فى عام ١٩٥٤ واضطرت فرنسا الى ترك مستعمراتها فى جنوب آسيا مقلوبة منكسة الراس . واجتمع فى جنيف مؤتمر دولي فى اغسطس عام ١٩٥٤ وقرر «قسمة فيتنام» الى قسمين ، يفصلهما خط عرض ١٧° جنوبا . القسم الشمالى للشيوعيين بزعامة « هو شى منه »



فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية ، وبينهما خط عرض ١٧° جنوبا الذى اعتبر منذ عام ١٩٥٤ خطا فاصلا بين البلدين ..

وعاصمته « هانوى » والقسم الجنوبي ، وعاصمته « سايجون » للوطنيين المناهضين للشيوعية تناصرهم الولايات المتحدة بالمال والرجال والعتاد. والحكومات فى الجنوب لا تستقر على حال بسبب الخلافات المذهبية من جهة وبسبب عصابات « الفيت كنج » الشيوعية المسلحة المنظمة التى تلوذ بالاحراش وتسطو على القرى والبلدان كلما سنحت لها الفرص . ولا تزال حكومة الولايات المتحدة مصممة على مناصرة أهل الجنوب فى فيتنام كما ان حكومة الصين الشعبية القريبة تمد العصابات بما تحتاجه من رجال ومؤن وسلاح ، ولا تفتأ تعلن انها لن تقف مكتوفة الأيدى اذا ما هاجمت أمريكا فيتنام الشمالية .

وفى خليج « تونكين » الآن نلمح سيف الحرب بين الجانبين فوق راسيهما كسيف « دامكليز » ، ومشدودا بخيط دقيق رفيع يوشك أن ينقصف فى أية لحظة .

حواجز وهمية لا يمكن ابدا ان تدوم

ان « عمليات القسمة على اثنين » التى ذكرناها ما هى فى حقيقة الامر سوى عمليات اصطناعية لا تقوم على أية أسس معقولة . ففي المانيا ، وبرلين ، وفى كوريا ، وفيتنام ، تعيش فى شماليها وجنوبيها أو فى شرقيها وغربيها أقوام تجمعهم أوشاج من الدم والأصل واللغة والتاريخ ومن العقائد الدينية فى معظم الحالات . ولكن السياسة قسمتهم وفصلتهم عن بعض بحواجز وحدود وهمية لا يمكن ابدا أن تحجب الصلات الاقتصادية والمعنوية التى تربط بين أبناء الوطن ، وتعمل حثيثا على رأب الصدع، وجمع الشمل ان عاجلا أو آجلا . ■■

القاهرة : **محمد رفعت**

نتيجة مسابقة العربي : العدد ٧٣

الأخطاء الإثنى عشر وأسماء الفائزين بالجوائز

■ كانت هذه المسابقة من السهولة بحيث يكفى القاء نظرة سريعة على الرسمين لكي يتبين القارىء الأخطاء التى تعمد الرسام احداثها بالصورة السفلى، ومن أجل ذلك كان عدد الاجابات التى تلقيناها من الكثرة بحيث اقتضى فرزها بضعة أيام .

وعلى الرغم من أن الاخطاء كانت واضحة غاية الوضوح ، فان عددا كبيرا من تلك الاجابات قد جانبه التوفيق . ولأن الاجابات الصحيحة كانت من الكثرة بمكان فقد استبعدت الاجابات التى اكتفى أصحابها بذكر عشرة أخطاء أو أحد عشر خطأ ، وجرى السحب بين الاجابات التى ذكر أصحابها الأخطاء الاثنى عشر كاملة وهى :

١ ـ الشجرة تنقص فرعا
٢ ـ السياج منزوع احد حواجزه
٣ ـ الدجاجة الخامسة غير موجودة
٤ ـ التل الذى فى يمين الرسم غير موجود
٥ ـ أحد حاجبى المراة غير موجود
٦ ـ محتويات الوعاء الذى فى يدها تغيرت
٧ ـ زرار فستانها غير موجود
٨ ـ كمُّ الفستان غير كامل
٩ ـ ذيل الفستان مختلف فى الرسمين
١٠ ـ الحذاء فى الرسم الأسفل متباين الفردتين
١١ ـ فتحة الصدر فى ثوب الطفل
١٢ ـ شكل الزهرة فى الرسمين

وقد جرى السحب بطريق القرعة للاجابات الصحيحة فكانت النتيجة كالآتى :

الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فازت بها:
الآنسة انيسة محمد مباركة ـ عمان ـ الاردن .

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فاز بها :
على الرايس حومة البوق ـ جربه ـ تونس .

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فازت بها:
نوال الحسيان : الكويت .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ حسين السيد: السجين بسجن الجديدة، جديدة المتن ، بيروت .

٢ ـ محمد ياسر الحداد : بناية عبد الفتاح الحداد شارع ابن ذريق ـ بنطاسية ـ حمص .

٣ ـ مناهل محمد ابراهيم : أعظمية ، بغداد ، محلة الشيوخ .

٤ ـ سعد علي الراشد : شركة كهرباء الرياض ـ المحاسبة العامة ـ الرياض ـ السعودية .

٥ علي عمرو اطاوع ـ موظف بوزارة الانباء والارشاد ـ شارع الاستقلال ـ طرابلس ـ ليبيا.

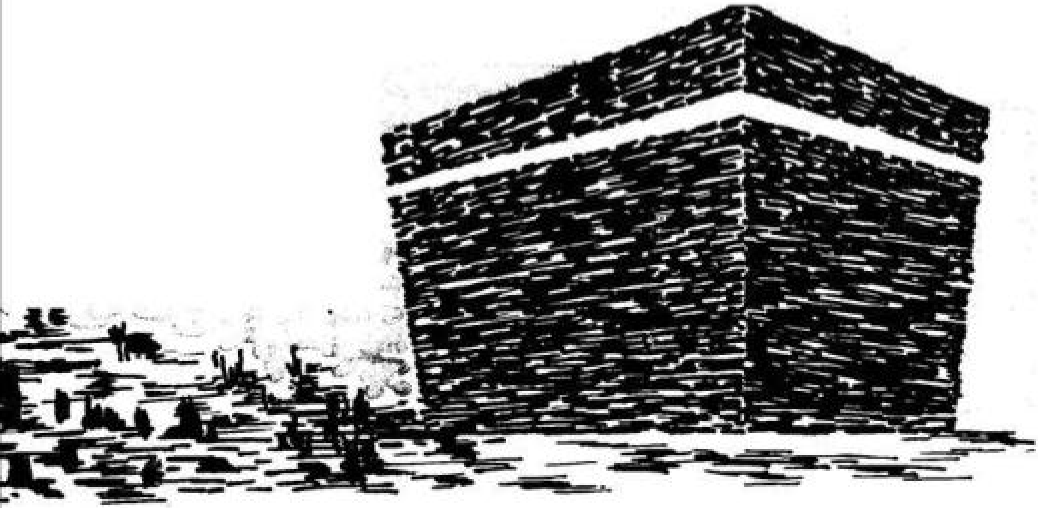
٦ ـ السيد احمد فهمى الكاشف رئيس ادارة البريد محافظة سوهاج ـ ج.ع.م

٧ ـ عبد الله محمد على ـ مدرسة عطبرة الثانوية الحكومية ـ عطبرة ـ السودان .

٨ ـ الآنسة أمانى فؤاد عبد الله طرموم : كريتر ـ عدن .

وسترسل اليهم جميعا الجوائز التى فازوا بها.

■■



■ ملهمُ الخير للنفوس الأبيّهْ ... ورسولُ السلام بين البريّهْ
ايُّ ذكرى تفجّر الوحيَ شعرا ... فيغنّى مدائحا نبويّهْ ؟!
يوم جئتَ الوجودَ ، مات وجودٌ ... وثنيٌّ ، وشِرعة وثنيهْ
يوم جئت الوجود ، غاب ظلام ... وتهادتْ أشعّةٌ سرْمديهْ
تبعث الهدْى فى ضمير البرايا ... توقظ النور ، فى العصور الدجيهْ
يوم جئت الوجود ، اطلعت شعبا ... عبقريا ، لأمة عبقريهْ !!

يا يتيما على هداه سرَينا ... فاهتدينا لخالق البشريهْ
يعجز الشعر عن مديح نبىٍّ ... لقّن الناسَ حكمةً علْويهْ
مبدعَ العلم ، ما تعلّمت حرفا ... انت علّمتَ أمّة جاهليهْ
فاذا الكون منصتٌ لحديث ... نبوىٍّ ، وآيةٍ قدسيّهْ
واذا البيت والربَى والبوادى ... رانياتٌ الى السماء ، تقيّهْ
واذا الناس ، بعد عهدٍ جهول ، ... تذكر الله بكرةً وعشيّةْ !!

* * *

ايْ شفيعَ الأنام ! ايْ رسول ... صبّ فينا شجاعة وحميّه ؟
اين منا جحافل المجد تمضي ... من قريش ، ولا تهاب المنيّهْ
تقهر الشرك ، لا تبالي « بلات » ... او « بعزى » منيعةً او عتيّه
تقحم الساحَ بالرماح العوالي ... تغصبُ النصر بالزنود القويه !
اين منا حكّام تقوى وصدق ... ينشرون الصلاح بين الرعيه



اين منا رعيةٌ تتنادى . . .   للتآخي ، وللحياة الصفيه ؟
ذاك عهد من الفخار توارى   وتوارت فى إثره الحريه !

نحن ، يا ربُّ ، من بلاد افاقت   وتفانت لنصرة الوطنيه
غير انا يَعيث فينا خصام   وانقسام ، ومزّقة ، واذيّه
وحَسِبْنا غنيمة الشرّ تمضى   فاذا الشر زاخر بالبليّه
واذا الحكم فى بلادي غرور   واعتداء على شعوبٍ حييّه !
نسي الغدْر أننا ما خَفَضْنا ..   اى هامٍ لغير رب البريه
ان صَمَتنا ، فما سكتنا ، ولكن   نحن ادرى بتلكمُ الهمجيه
الشباب الأنوف اقوى مراسا   من اناس ما آمنوا فى قضية !!
كفّروا ، واننا ما كفرنا   بأمانٍ حبيبةٍ وحدويه
كلنا كلنا نموت ونحيا   بهتاف للأمة العربية !!

يا اله الأنام هبنا خشوعا   واصطبارا ، ومَنعة ، واخوه
علّمِ الناس أن يكونوا أناسا   لا وحوشا رهيبة بربريه
ذكّر الخلق انّ فيهم ضميرا   وخصالا من الخلاق نديّه
الهمِ الشعبَ ان يكون وفيّا   لبلاد ، على الزمان ، وفيه
ابعدِ القومَ عن سبيل المعاصي   لسبيل من الرشاد سويّه
انما الدين قربة من اله   ومسيرٌ على طريق النبوّة !

يا رسول السماء بين البرية   الهم الخير للنفوس الأبيه
ضمّد الجرح فى قلوب الثكالى   واجعلْ الحبّ ، فى الأنام ، وصيّه
وحّد الشمل ، فى بلاد تفتّت   وتباهت بالعزة القوميّه
يومَ ذكراك ، امنح العرب قلبا   اخويا ، ووحدة اخويه !!

فوزى عطوى ـ بيروت



مرآة الرأي الغربي

بافريقيا أسماء جديدة لأقطار قديمة

عن « التيمز » الهندية :

● تغيرت خريطة افريقيا بظهور أسماء جديدة فيها .

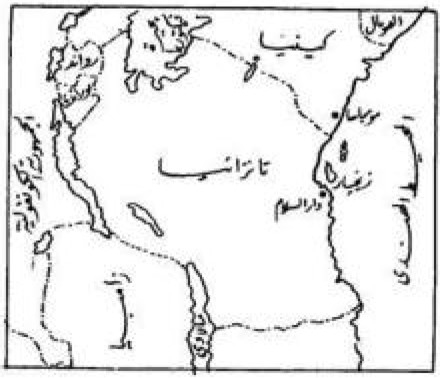
ومن آخر هذه الاسماء الجديدة «تانزانيا».وهو اسم جمع بين بلدين قديمين معروفين ، تنجانيقا، وزنزبار . واشتق الاسم الجديد من الحرفين الأولين لكليهما .

وفى عام ١٩٥٧ كان هناك بلد يعرف بساحل الذهب . وفى مارس من ذلك العام نال استقلاله من بريطانيا ، واتخذ اسم غانا . وهو اسم قديم لدولة قامت على نهر النيجر انتعشت بين عام ٨٠٠ وعام ١١٠٠ .

وكان هناك قطران ، عرف أحدهما بروديسيا الشمالية ، والآخر بروديسيا الجنوبية ، وكانا سمّيا باسم الرحالة الانجليزى المستعمر سسل رودس . واستقلت روديسيا الشمالية فى اكتوبر عام ١٩٦٤ ، وتسمت باسمها الجديد زمبيا ، متخذة اياه من اسم نهر زمبيزى .

وعندما تستقل روديسيا الجنوبية فان زعماءها يعتزمون تسميتها « زمبابوى » ، وذلك لوجود آثار بتلك المنطقة خربة ، هذا اسمها ، تدل على ثقافة افريقية قديمة كانت هناك منتعشة .

ونياسالاند ، نالت استقلالها فى يوليو عام ١٩٦٤ ، وعندها تسمت ملوى . ويجرى التواتر عندهم بانه فى القديم جاء من الشرق قوم أسسوا



الامبراطورية الملوية . ونظروا من عل الى بحيرة نياسا ، « فبرقت فى أعينهم كما تبرق الشمس ». وملوى معناها « شعلة النار » . فصارت رمزا على البحيرة . ومنها اشتقوا اسم البلد الجديد .

مساواة ؟!

عن « تلغراف الأحد » اللندنية :

● أدى تحرر المرأة فى بريطانيا الى مساواة المرأة بالرجل فى وجوه كثيرة .

فالنساء تملك نصف ثروة البلاد .

وهن اليوم يعملن جنبا الى جنب مع الرجال فى الصناعة وفى كثير من المهن ، ولهن مثل حقوقهم السياسية .

ولكنا نلاحظ ، مع الحمد الكثير ،

هــل تصلح نيويورك مقرا للأمم المتحدة ؟

عن مجلة « الأكنمست » الانجليزية :

● منذ أن اطلق المبعوثون السياسيون الكوبيون طلقة مدفعهم على مقر الولايات المتحدة ، تلك التى اخفقت ، وأعضاء هيئة الأمم المتحدة يرسلون بالشكوى من بعد الشكوى الى السلطات يتهمون فيها رجال الشرطة بالمدينة بالتقصير . ومن شكواهم أن مدينة نيويورك قد أصبحت مدينة يلفها العنف والخوف . ومن شكواهم أن اهل نيويورك اصبحوا يظهرون الكراهة والحقد للدبلوماسيين على العموم ، وللسود منهم على الخصوص . ومن شكواهم أن الحصول على المسكن اصبح أمرا محرجا لهم أشد الحرج . فأصحاب البيوت لا يحبون الدبلوماسيين أجراء ، لأن فى استطاعتهم انهاء عقد السكن فى أى وقت والاستفادة بالمناعة الدبلوماسية . أما أن يؤجروا مساكنهم للسود من الدبلوماسيين فشيء لا يرضونه أبدا .

وأسباب هذه الشكاوى يسيرة اذا ما قورنت بشكاوى للأعضاء وقعت بسبب الاعتداء عليهم . وقد ثار الأعضاء الافريقيون والآسيويون معا من جراء قسوة لجأ اليها البوليس فى حادثتين منفصلتين ، احداهما تتعلق بطالب من كينيا ، والاخرى بطالب من يوغندا . قسوة سببها كراهة عنصرية عند رجال الشرطة شديدة . وحدث بعد ذلك أن أحد الاعضاء فى المنظمة ، وهو من موريتانيا ، ضربه البوليس بقسوة ، وجرحه فى جهات عدة من رأسه .

كل هذه الحوادث قد تدل على أن الهيئة العالمية قد تكون أخطأت يوم اختارت أن تكون نيويورك مقرا لها .

كم يعلم الأمريكى عن الدنيا ؟

عن مجلة « تايم » الأمريكية :

● مجلس العلاقات الأجنبية بالولايات المتحدة اصدر تقريرا عنوانه « الجمهور الأمريكى لا يعرف الكثير عن الصين » .

وكان هذا التقرير بناء على مسح آراء قام به مركز البحوث بجامعة متشجان ، تضمن آراء ١٥٠١ من الجمهور العادى .

سألهم الباحثون : أى نوع من الحكومات يحكم الصين الآن ؟

وسألهم الباحثون : أتعرف أن فى الصين اليوم حكومة شيوعية ؟

وكانت الاجابة غريبة حقا . نحو ٢٨ فى المائة لم يعرفوا لهذا السؤال جوابا .

و٣٩ فى المائة جهلوا أن فى الدنيا شيئا يقال له الحكومة الصينية الوطنية التى يرأسها شانغ كاى شك .

ومن الذين علموا بوجود دولتين صينيتين ، عارض ٦٢ فى المائة منهم أن تساعد الولايات المتحدة حكومة الصين الوطنية فى غزو الصين الشعبية .

وسئل هؤلاء : اذا دخلت الصين الشعبية هيئة الأمم المتحدة على الرغم من معارضة الولايات المتحدة ، فهل ترى أن تظل الولايات المتحدة عضوا فى هيئة الأمم ؟

فرأى ٧٥ فى المائة ممن سئلوا أن تظل الولايات عضوا . ورأى ٥ فى المائة فقط أن تنسحب .

وكان من الأسئلة : هل سمعت بحرب قائمة اليوم فى فيت نام .

وكانت النتيجة المدهشة أن ٢٥ فى المائة لم يسمعوا بهذه الحرب !

انهن متأخرات كثيرا عن الرجال فى ميدان الجريمة .

ان عدد النساء فى بريطانيا يزيد بمقدار مليون ونصف مليون امرأة عن الرجال (بسبب الحرب وغيرها) ، ومع هذا فلا تعالج النساء من الجريمة الكبيرة الا بمقدار التسع مما يعالج الرجال .

وهناك بين نزلاء السجون ، امرأة واحدة لكل ١٩ من الرجال .

تجارة

■ كان هذا من نحو ١٦ عاما .

كنت بمدينة شيكاجو ، ادور وازور.

قال صاحب ضيافتى : عندنا اليوم ساعتان من فراغ ، نزور فيهما معهدا يتصل بما انت فيه من قريب .

وفى الموعد المضروب كنا هناك .

كان المكان شيئا ، بين المعهد والمصنع، ولست اسميه ، لسبب ظاهر . وهو لا يزال قائما الى اليوم . وهو احد معهدين مشهورين كبيرين فى الولايات المتحدة ، يصنعان هياكل من عظام بنى آدم ، يبيعانها لتدرس عليها طوائف من بنى آدم حاضرة ، كيف صنع ويصنع الله هياكل لطوائف من بني آدم غابرة .

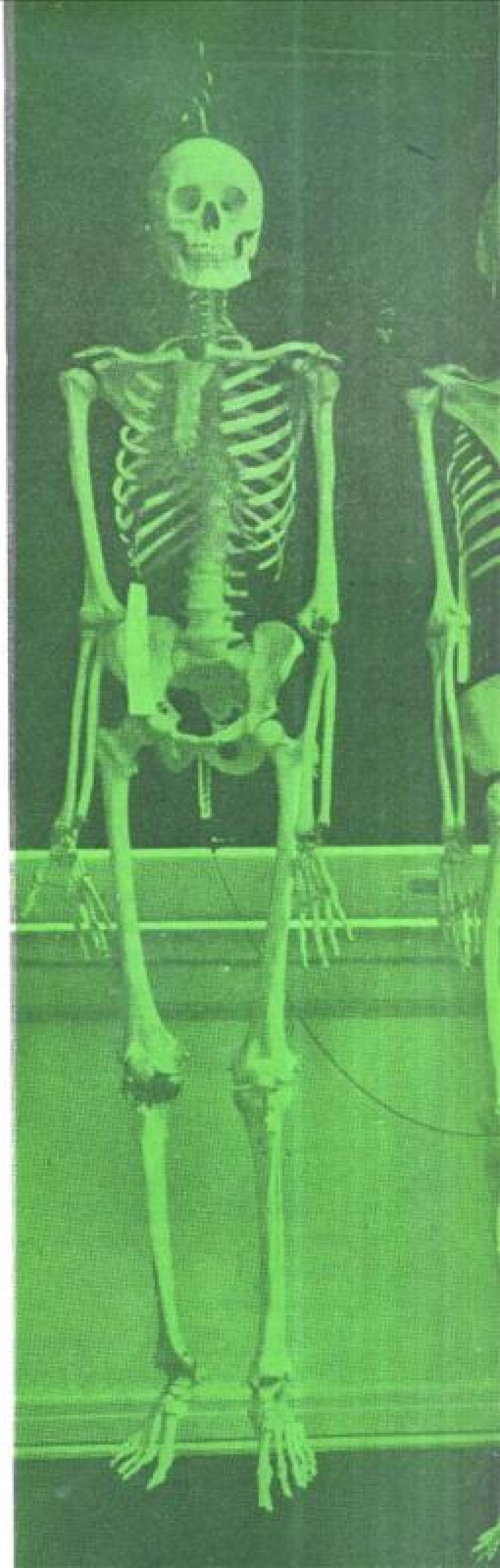
والمفروض بالطبع ان الله لا يغير فى هياكل الناس بين جيل وجيل ، والا لفسدت الدراسة .

وشرد ذهنى

وكان رجل المصنع يحدثنا عن هذه الهياكل كيف يهيئها ، وكيف يجمعها ، وكان فكرى شاردا فيما وراء ما يقول ، وزاده شرودا قولة قالها صاحبنا هذا :

قال : ليس فى هذه الهياكل هيكل امريكى واحد .

وتوقف ذهنى . ماذا يريد ان يقول الرجل . ايريد ان يقول أن استخدام هياكل الموتى على هذا النحو امتهان ، وان الهيكل الامريكى اعفاه هذا المصنع من ان يكون موضع امتهان ؟!



هيكل للانسان كامل ، يباع للدراسة فى الجامعات والمدارس

في عظام ، لأقوام ذهبوا لينتفع بها ، أقوام حضروا

تجارة غريبة



صندوق به عظام من انسان واحد



الخبير يبحث وحدة اصل العظم الذى فى الصندوق

ولكن رجل المصنع ما لبث أن قال : ان القانون الأمريكي يحرّم التجارة بهياكل الموتى الأمريكيين.

وسألت : فمن اين لكم هذه الهياكل اذن ؟

قال : كانت تأتينا قبل الحرب (كانت الزيارة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية) مباشرة ، من هنغاريا ، ومن النمسا ، ومن المكسيك ، ومن الهند ، ومن كل مكان يحتمل فى الارض ، الا الولايات . وبعد الحرب تهيأت لاستيرادها اسواق اخرى .

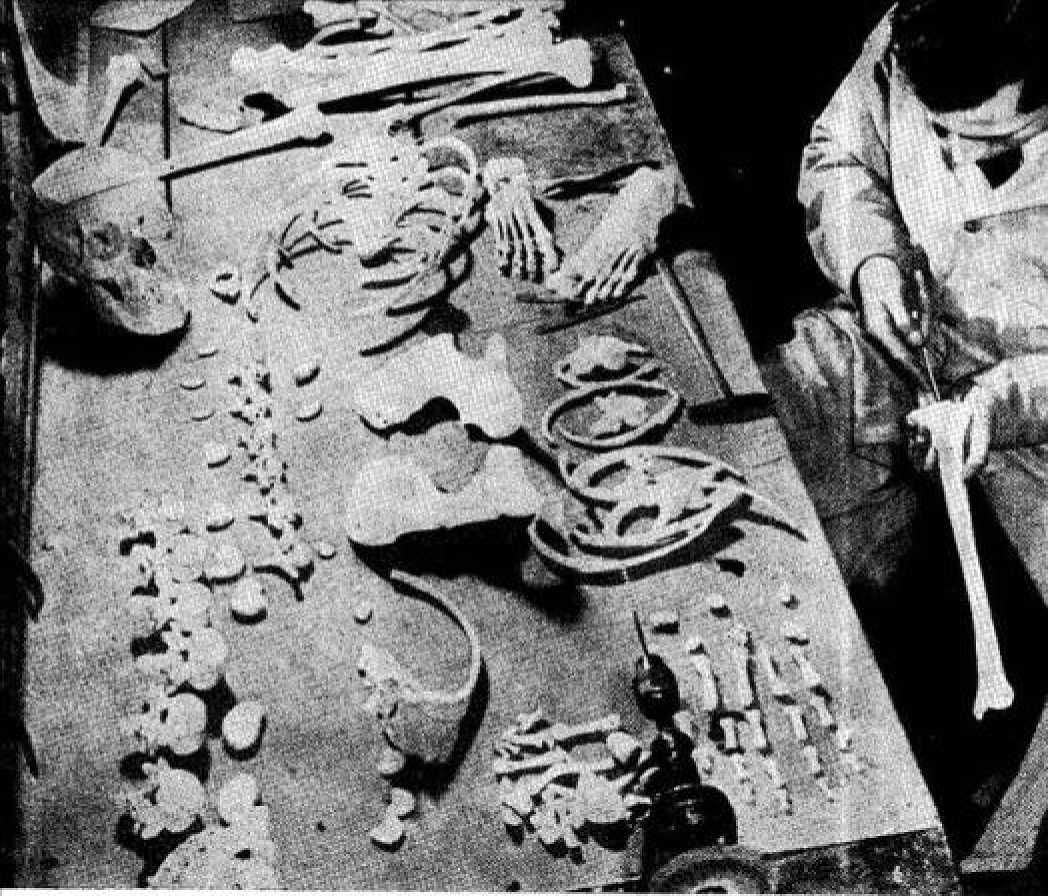
عندئذ تراءت لى عقدة من تلك العقد الكثيرة التى أجدها عندما انظر فيما يفكر فيه الناس ، وفى الأسلوب الذى به يفكرون ، وفى النتائج التى اليها بالفكر ينتهون . نقائضُ أحتارُ فى تفسيرها ، كيف تجوز على العقول .

منعُ الاتجار بهياكل الانسان استطيع ان افهم انه احترام للانسان ، واقبل هذا على علاّته . ولكن ان تتدخل الوطنية بعد ذلك ، فتمنع ما تراه امتهانا للعظم الأمريكى ، فى حين انها تستبيحه فيما يتصل بالعظم الأجنبى ، فأمر لم يسغه عقلى ، على كثرة ما يسيغ ويبلع غصبا من آراء .

لمن هذا الهيكل ؟ ثم هذا ؟

وسألت صاحبى : لمن هذا الهيكل ؟ ثم لمن هذا ؟ وهذا ؟

واضطر صاحبنا الى الرجوع الى سجلاته . لم يتبين على الفور لمن هى . تفارقت الأوطان .. وتشابهت العظام ! وتمثلتْ فى كل هيكل من كل هذه الهياكل حياة ، اختلفت شمسا ، واختلفت ارضا ، واختلفت سحنة ، واختلفت



عظام تؤلف هيكلا عظميا للانسان كاملا، يقوم بتجميعه شاب فنان ، عارف بأصول التشريح. والى جانبه مثقاب يثقب به العظام ، ليدخل السلك من بعد ذلك فى الثقوب ليجمع الهيكل وحدة كاملة . وترى بين العظام ، فى وضوح ، عظمة الفخذ ، أكبر عظام الجسد (وهى فى يد الشاب) وعظام الرجلين واليدين (فى أقصى الصورة) والجمجمة والوجه معا (الى اليسار) والفقار ، والاضلاع ، وعظام الحوض ، والترقوة الى آخر ما هناك .

لساناً،واختلفت أفكاراً وأعمالا ،واختلفت حظوظاً ، مكاسبَ ومخاسرَ ، وتجمَّع من كل حياة سجلٌ يحكي عن أحداثها عظيم .

ثم جاء الموت . فاحترقت بذلك السجلات المختلفة كل الاختلاف ، ولم يبق منها جميعا الا رماد . وتشابهت الأرمدة ، لأنها ارمدة أوراق واحبار سواء . فهذه هى الهياكل الباقية .

ومع هذا ، فلا نفتأ نلاحق هذه الهياكل بنزوات الانسان ، فهذا هيكل امريكى فله احترام ، وهذا آخر ألمانى او هندى او مكسيكى ، فلا نبالى ان يكون له احترام أو امتهان . ونتجر به لينتفع أولادنا فى علم وفى طب ، ولينتفع من علمهم بعد ذلك الأحياء .

وعدت الاحق رجل المصنع فيما يحكى

أفكار مرّت بخاطرى وصاحب زيارتنا يشرح لنا من هذا الهياكل ما يشرح . والخاطر يمر بالذهن فلا يلبث الا ثوانى ، فاذا انت كتبته لبث دقائق قد تمتد ساعات .

سرحتْ بى هذه الأفكار ، ثم ما لبثت ان عُدت الاحق رجل المصنع فيما يقول .

عند صندوق من عظام

كان الرجل هدف الى صندوق ملىء بالعظام .

ووقف عند هذا الصندوق يقول : ان المصنع يشترط عند التوريد أن يصله الصندوق الواحد وبه كل عظام الهيكل الانسانى كاملة . ويشترط كذلك أن تكون كل العظام لانسان واحد ، والا تباينت الأجزاء ، واختلفت أطوالها عند التجميع .

وعظام على مائدة منثورة

وسار بنا الى مائدة عليها العظام منثورة .

ولفتنا أول ما لفتنا لون العظام . لقد كانت بيضاء لا شية فيها ، اقرب ما تكون الى لون الطباشير .

قال : اننا نعالج العظام جميعا عندما تأتينا بفوق الاكسيد ، وهى مادة كيماوية ، تعمل على تنظيف العظم ، وازالة ما قد يكون علق به من لحم ، ثم تبيضه هذا البياض الذى ترون .

وقال : وهذه العظام التى على هذه المائدة تؤلف هيكلا كاملا . والهيكل الكامل به أكثر من مائتى قطعة من عظم .

ثم الى حيث الجماجم

وذهب بنا الرجل الى حيث الجماجم

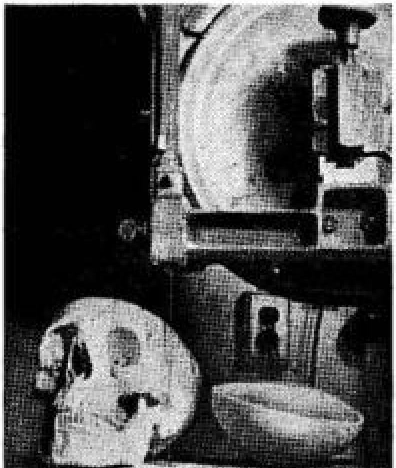
قال : ان للجمجمة وحدها سوقا . والجمجمة تتألف من ثمانى قطع من العظام ، تشتبك واحدة بالاخرى اشتباكا ، والمخ فى داخلها . ان المخ شىء عظيم . ولكنه شىء رقيق ، سهل التصدع ، لهذا هو فى هذه الخزانة التى نسميها الجمجمة محفوظ .

والجمجمة غير الرأس . فالرأس يحتوى على الجمجمة والوجه . والوجه به أربع عشرة عظمة ، لا يتحرك منها غير الفك الأسفل . اما سائرها فمشدود بعضه الى بعض .

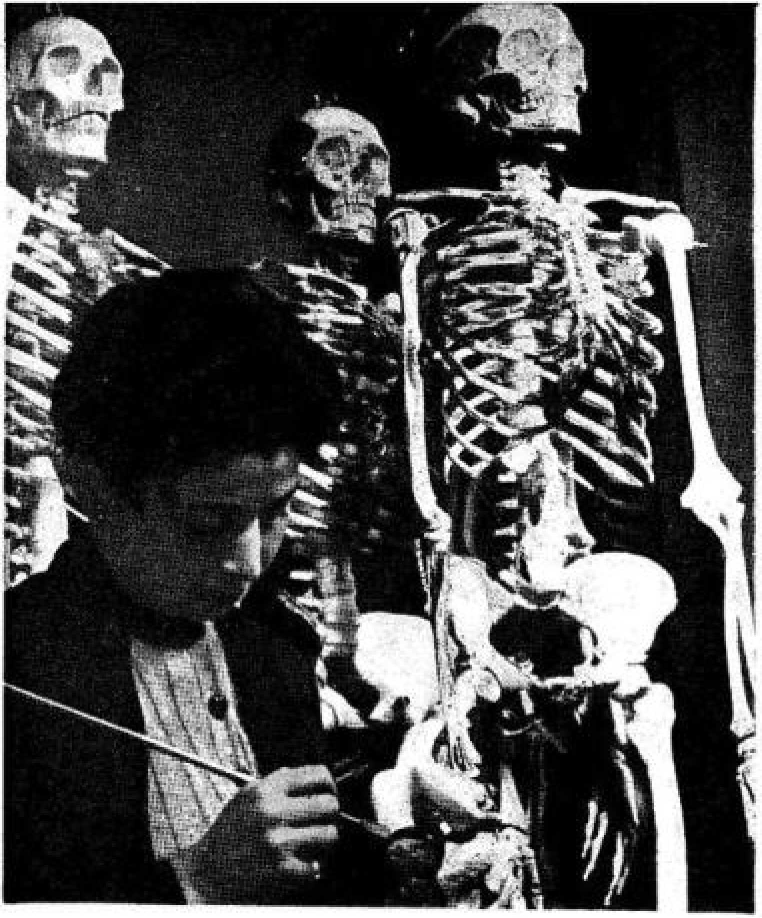
ومن الرأس ذهب بنا الرجل الى



الشاب يثبت الأضلاع فى العمود الفقرى ، بالأسلاك ، بحيث تأذن لها بحركة طبيعية كالتى فى الجسم الحى . ونذكر هنا ان العمود الفقرى يخرج منه ١٢ زوجا من الاضلاع ، تدور مع الجسم لتصنع القفص الصدرى ، تنتهى أطراف ٧ أزواج منها بعظمة الصدر الأمامية المعروفة بعظمة القص ، فتلتحم بها ، بينا ٣ أزواج ترتبط بغضاريف . اما الزوجان الباقيان فلا يرتبطان بشىء .



فى الدراسة يحتاج الدارس الى الكشف عن باطن الجمجمة ، ليرى شكلها الداخلى . وهذه جمجمة مقطوعة الاعلى . والى جانبها القرص الذى نشروه منها . ومن فوقها المنشار الآلى الذى نشر .



الى اليمين فتاة تكتب على أطراف العظام اسم العضلة التى تشتبك بها ، تسهيلا على الطالب والمدرّس معـا .

الهيكل الكامل ، وقد تعلق من جمجمته تعلق الرجل المشنوق .

وراح يصف ما فى هذا الهيكل من صنع هادف . فهو محورىُ البناء . محوره العمود الفِقَرى ، وهو يصل من الراس الى الدُبُر . وبه مرونة حتى لا ينفصم، وعليه تحمَل الراس وتدور. ومنه تخرج الاضلاع الاثنتا عشرة. ومن الأضلاع يصنع القفص ، القفص الذى يحمى مُحرّك الجسم الأكبر : القلب .

وشابه بين اليد والرّجل

وذكر لنا رجل المصنع الأطراف . وقابل بين اليد والرِّجل، وشابه بينهما. ففى العَضُد عظمة واحدة . وفى الفخذ عظمة واحدة كذلك ، هى اكبر عظـام الجسم . وفى الساعد عظمتان . وكذا فى الساق . ثم ما اشبه الكف ، عظامـا ، بالقدم .

وسألنا الرجل عمن ينتفع بهذه الهياكل .

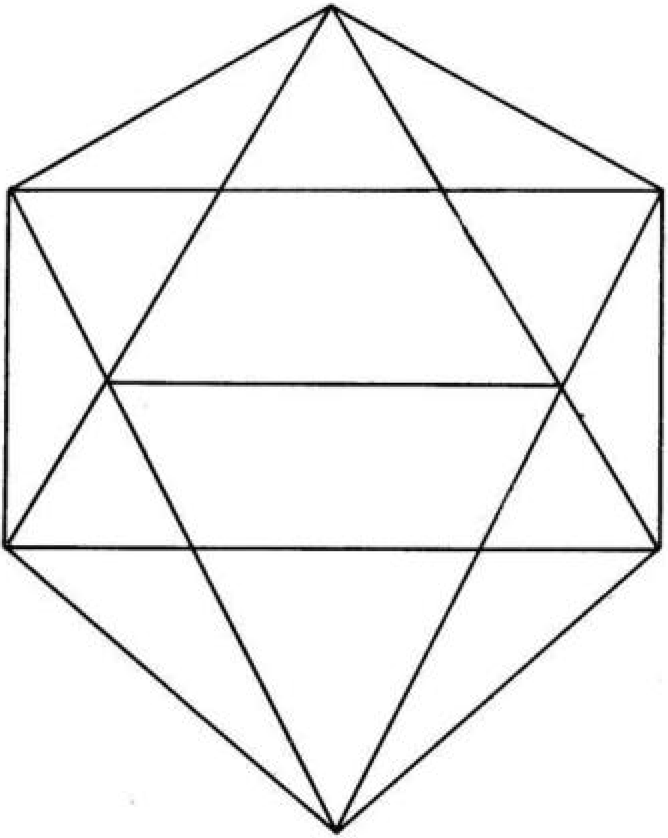
قال : الجامعات والمدارس أصلا . والمسارح احيانا نادرة ، والمتاحف .

وسألنا : ومن يقوم على تجميع هذه العظام ؟

قال : شبان فنانون مختصون ، لهم بالتشريح علم واسع . ولو انك اتيت لهم بقطعة صغيرة من عظم انسان ، لعرفوها وسموها على الفور . والحق انمنهم من يعمل فى كليات الطب بالجامعات، فى صالات التشريح ، يساعد الأساتذة فى التعليم .

قلنا : وهل هم سعداء : أحياء يعملون فى جثث الموتى ؟

فابتسم صاحبنا،ولم يقل شيئا . ■■



■ مسابقة هذا العدد قد تبدو للوهلةالأولى سهلة لا يحتـــاج حلها الى كبير عناء .. لكنها فى الواقع ليست بهــذهالسهولة .

فهذا رسم هندسى يتألف من مجموعةمن المثلثات لا تكاد تلقى عليها نظرة اولى حتى يخيل لك أنها قليلة العدد . لكنكاذا ما فكرت قليلا وجدت أن الرســـم

الذى أمامك يحوى من المثلثات عددا أكبر مما كان قد تراءى لك ، وأكثر مما كنت تتصور !

ان فى هذا الرسم مثلثات يتراوح عددها بين ٢٥ و ٤٠ مثلثا .. وهو طبعا رقم لم يخطر لك أول الأمر ببال ..

فامعن النظر جيدا ، وفكر فى تؤدة ثم قل لنا : **كم مثلثا فى هذا الرسم ؟!** فقد تفوز باحدى الجوائز .

شروط المسابقة

١ ـ تكتب الاجابة على ورقة بيضاء مستقلة ، يذكر فيها العدد الصحيح للمثلثات الموجودة فى الرسم .

٢ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٦ . اكتب عليه اسمك بخط واضح ، واحرص على ان يكون عنوان اقامتك صحيحا واضحا وكل اجابة لا ترفق بها القسيمة تستبعد ولا يلتفت اليها ، حتى ولو كانت صحيحة .

٣ ـ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى » ـ العدد ٧٥

وكل اجابة ترسل بدون كتابة هذه الكلمات على المظروف ، تكون عرضة للتأخير ، مما يضعف حظك بالفوز باحدى جوائز المسابقة .

آخر موعد للاجابة

آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر مارس (آذار) ١٩٦٥ . وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة « العربى » : صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربى .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

اما المبلغ المتبقى ، ومقداره ٤٠ دينارا ، فقد قسمناه الى ثمانية جوائز متساوية ، مقدار كل منها خمسة دنانير ، توزع على الفائزين الثمانية التالين .

واذا تعددت الاجابات الصحيحة فان اللجنة ستقوم باجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة لاختيار أسماء الفائزين بالجوائز ..

نقترح عليك أن تبدأ فى الحال بالبحث عن الحل الصحيح لهذه المسابقة ، وترسل لنا اجابتك قبل اليوم السابع من شهر مارس (آذار) ١٩٦٥ ■■

إلى جاري في القرية..

بقلم : أسمى طوبى

■ اخي يا جار أجدادي وآبائي
وجاري .. يا رفيق العمر
في الضر وسراء
شريكي ذكريات الأمس
اندى من ندى الفجر

★ ★ ★

اخي وتراب ارضك مع ثرى ارضي
هما من ارثنا الغالي
هما الوطن الذي نفدي
وذاك الفاصل الوهمي
قائم بين ارضينا
حجارة .. قد تهاوت امس
فلتهو .. ونبقى نحن جيرانا
على الدهر واخوانا

★ ★ ★

وذاك نسيم موطننا
تنشقنا .. وما زلنا
وتلك سماء موطننا
بلا فرق تظللنا
وفي اعماق تربتنا
ينام جدودنا جنبا الى جنب
اخي..والسنديانة والطفولة
والهوى في ظلها الحاني
اتذكر يوم أن غرست
تهدهدها يدا الجدين ..؟
ونحن بفرحة الطفلين
نرقص .. ننتشي طربا
وينفحنا الربيع بعطره
بنسيمه الهاني

★ ★ ★

اخي .. بالأمس زرت الحقل
في القرية .. والكرما
وقبلت الثرى الفواح
لا اغلى ولا اسمى
رايت السنديانة مثل
رف الهدبر فتها
ومثل شموخ موطننا
شموخ القد وقفتها

★ ★ ★

رايت جذورها الشيخة
فوق الأرض ممتدة
تسير بمنتهى اليسر
الى ارضك يا جاري
تمطى ثم ترقد لا ترى فرقا
تقول بصمتها الناطق
يا انسان .. ما اشقى
حدودا .. في ثرى وطن
حبيب واحد خالد ..؟
اخي ووجمت .. بكماء
وصماء وترشدني
الى دنيا اخاء حيث
يسمو الحب في قلبي ويسعدني .. ؟
■■

اسمى طوبى

المُسلمُونَ السُّودُ

BLACK MOSLEMS

في الولايات المتّحدة

عندهم أن:
الشيطان كان أصله
رجل أبيض
عاقبه الله على ظلمه
فنزع عنه لونه !

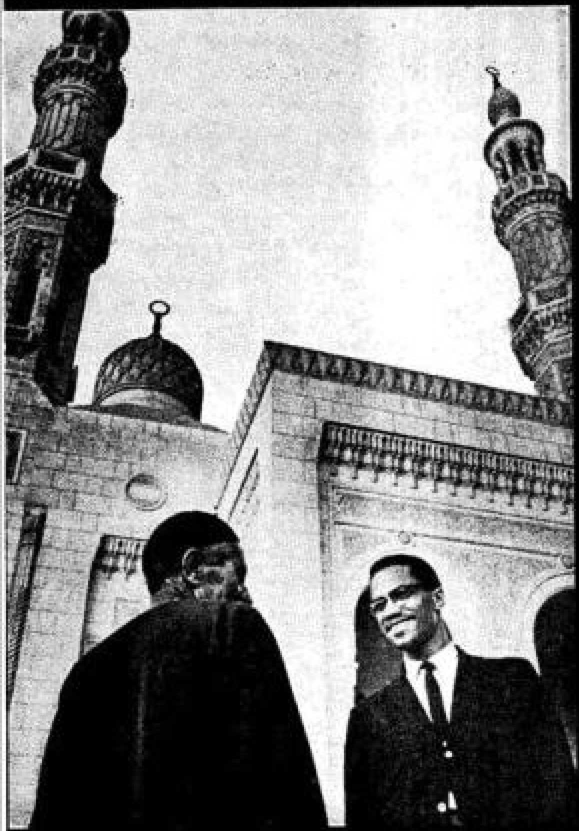


مالكوم يؤدي الصلاة
في جامع محمد علي

بقلم : الدكتور علي احمد علي

■ نشأت حركة المسلمين السود Black Moslems في مدينة شيكاجو حيث ادعى أحد الامريكيين الزنوج — الذى اسمى نفسه فيما بعد (الحاج محمد) — انه تلقى الوحي بأن يعمل على تخليص قومه من الزنوج من ظلم الرجل الابيض وطغيانه وتحكمه واستعباده . واطلق عليه اتباعه « الرسول » او « المخلص » ، ذلك لانه جاء برسالة الخلاص الى قومه ليخرجهم من الظلمات الى النور ، ومن حياة الاستعباد الى دنيا الحرية ، وليحيل فقرهم غنى وجهلهم علما .

انتشرت حركة المسلمين السود خارج حدود مدينة شيكاجو ووجدت الدعوة



عاش كاتب هــذا المقال في مدينة نيويورك مــدة تزيد عن الاربــع السنوات ، قضاها في جامعة كولومبيا ، وقد راقب عن كثب حركة المسلمين السود واتصــل ببعض قادتها مثــل « مالكوم اكس » الرائد الدينى لمعبد الشارع الســابع في حي هارلم ، حي الزنوج، بنيويورك.

لذلك رأى الكاتب أن يضع هــذا المقال بين يدى القارىء لتعريفه بحقيقة هذه الجماعة ، نشاتها واهدافها وفلسفتها .

هذه الصورة نشرتها مجلة « بوست » الامريكية لمالكوم اثناء وجوده في القاهرة يزور مساجدها

صدى لها في نفوس الكثيرين من الزنوج، فغزت شرق الولايات المتحدة ، واستقرت في حى هارلم الزنجى الشهير بنيويورك ، وانتشرت بين الزنوج في غرب الولايات المتحدة كذلك ـ في سان فرانسيسكو ولوس انجلوس في ولايــة كاليفورنيا . وكذلك في الجنوب الشرقي في اجزاء كثيرة من ولاية فلوريدا بالاضافة الى العاصمة واشنطن وأجزاء متفرقة مــن الولايات المتحدة ، حتى قدر عــدد الامريكيين السود الذين ينتمون الى هذه الحركـة اليوم بما يقرب من نصف مليون نسمة .

وانتساب حركة الحاج محمد للاسلام قد يكون مرجعه أن الاسلام دين التسامح وأن فارق اللون لامكان له في الاســلام ، وانه لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لابيض على اسود ، الا بالتقوى . كما انه من الملاحظ ان معظم العالم الاسلامى اليوم يتكون من اشخاص ملوني البشرة.

حركة تربوية تعليمية ترتفع بمستــوى الرجل الزنجي

ويمكــن ان تعتبر حركــة المسلمين السود حركة تربوية تعليمية تهدف الى الارتفاع بمستوى الرجل الاسود وتربيته على الفضيلة والخلق وحثه على ان يغير من طريقة حياته وانماط سلوكه ان هو

اراد ان يحرر نفسه من ظلم واستعباد الرجل الابيض .

اول شيء يتعلمه المسلم الاسود هو ان يظهر بمظهر حسَن ، وأن يمتنع عن التدخين، ويقاطع الخمر والمخدرات التى يدمن عليها الكثيرون من الزنوج. والمسلم الاسود يتلقى المساعدات من منظمات المسلمين السود لكي يتم تعليمه ان اراد. ونادت حركة المسلمين السود بالتعليم كوسيلة لرفع كفاية الرجل الاسود ، وزيادة دخله ، والارتفاع بمركزه الادبي والمادى والثقافي ، وبالتالي اجبار الرجل الابيض على احترامه .

وقد اهتمت حركة المسلمين السود برفع الروح المعنوية بين اعضائها ، هذه الروح المعنوية التي بلغت ادني درجاتها بين الزنوج ، فتمثلت فى ضعف الثقة بانفسهم ، ومحاولتهم التشبه بالبيض فى حياتهم وتصرفاتهم ، والرجل الابيض يزيد بذلك تباعدا عنهم واستعلاء عليهم .

حركة لها طابع شبه عسكرى

وحركة المسلمين السود حركة منظمة لها طابع شبه عسكري، ويرتدى افرادها زيا خاصا : جاكتة كحلى ، وبنطلون رمادى ، وقميص ابيض وكرافتة حمراء .

وانك لتستطيع بسهولة ان تميز المسلم الاسود عن غيره من الزنوج ـ بزيه اولا وبملبسه النظيف ومظهره الانيق ثانيا ، كما أن على المسلم الاسود ان يحلق شعر راسه وغير مسموح له بان يطيله .

مكان المراة من حركة المسلمين السود

وقد آمنت حركة المسلمين السود بالدور الطليعي الذي يمكن ان تلعبه المراة فى المجتمعات الزنجية ، وتوجيه طاقات المراة الزنجية الى الوجه البناء بدلا من استغلالها فى الرذيلة والتردي فيها ، فقد شاع عن المراة الزنجية فى الولايات المتحدة



يقبل المسلمون فى امريكا على تعلم اللغة العربية لاهميتها ، وترى هنا اثنين منهم يتعلمان القراءة .

بعدها عن الفضيلة وانغماسها فى الرذيلة. لذلك اعطت حركة المسلمين السود للمراة اهتماما كبيرا ، والبس الرجال ـ الذين انضموا الى هذه الحركة ـ نساءهم لباسا ابيض فضفاضا ذا اكمام طويلة ، وغطاء راس ابيض . وحاولت حركة المسلمين السود ان تظهر محاسن نسائهم وبيان النواحى الجمالية فيهن .

اليهود ، والمسلمون السود

ولقد حاول اليهود ـ وخاصة من يدعى منهم التحرر ويسمون انفسهم (Liberals) التقرب الى هذه الحركة ، فاليهود فى امريكا باعتبارهم اقلية من ناحية العدد يعملون على تكتيل الاقليات حولهم ، ويحاولون ان يقنعوا هذه الاقليات بانهم المدافعون عن الضعيف والمظلوم والمغلوب على امره ، واظهر هؤلاء اليهود « الاحرار » عطفا شديدا على قضية الزنوج بوجه عام ، وحركة المسلمين السود بوجه خاص ، وذلك بغية التسلل الى صفوفهم وافساد خططهم والتحكم فى قيادتهم واستغلال هذه القيادة لخدمة مصالحهم الشخصية .

ولكن قيادة المسلمين السود كانت لهم بالمرصاد ، اذ لاحظت هذه القيادة



ترتدي الفتاة الامريكية المسلمة ملابس بسيطة محتشمة تعطيها طابعا خاصا تتميز به .

ان تجار الخمود واصحاب البارات ومهربي المخدرات فى حى هارلم الزنجي ـ وكذلك الحال فى كثير من الاحياء التى يقطنها الزنوج ـ غالبيتهم من اليهود . وقد نبهت حركة المسلمين السود اتباعهم الى عدم الانقياد وراء هؤلاء اليهود مدعى التحرر، وان لا يركنوا اليهم في اى امر من الامور ، اذ كيف يعطف اليهود على قضية الرجل الاسود ، ويريدون له الحرية والعدالة والمساواة ، وفى نفس الوقت يستنزفون امواله ويضعفون مقاومته ببيع المخدرات والخمور وغيرها من السموم مع علمهم بانها تضر قضيته وتؤخر ساعة خلاصه وتحد من طاقاته وامكانياته فى التحرر والخلاص .

لذلك قامت حركة المسلمين السود بهجوم عنيف على هؤلاء اليهود وذلك فى محطات اذاعاتهم وفى مجلتهم المسماة (محمد يتحدث) (Mohammed Speaks) وهى الواسعة الانتشار فى اوساط الزنوج .

المسلمون السود يغيرون اسماءهم

ولكى يفصل المسلم الاسود نفسه عن ماضيه المشبوه ، قام معظمهم بتغيير اسمائهم الى اسماء عربية واسلامية ، فقد سألت أحدهم يوما : لماذا تغير اسمك من وليم جيمس الى محمد عمر ؟ فكان رده كالآتى : انني أريد ان انبذ اسمى القديم ـ اسم العبودية ـ الذى منحه لي السيد الابيض ، وان أحل بدلا منه اسما جديدا يذكرني بقرب ساعة الخلاص ويجعلني أغيّر تقويمى نفسى .

الشيطان أصله رجل ابيض

والمسلمون السود وان سموا انفسهم مسلمين الا انهم لا يتبعون تعاليم الاسلام الصحيحة ، فهم يعتبرون الحاج محمد زعيمهم رسولا من الله . وهناك الكثير من الافكار والآراء الدخلية على الاسلام، ومن ذلك ادعاؤهم ان الشيطان كان أصله رجلا ابيض، وان الله قد انتقم من الرجل الابيض وعاقبه على ظلمه وطغيانه فنزع عنه لونه فاصبح لا لون له . وقد عالج المسلمون السود الخطأ الذى وقع فيه الرجل الابيض بسياسته العنصرية الطائفية بمثل خطئه فتزعموا الدعوى بان الرجل الاسود يفوق الرجل الابيض Black Supremacy ، وبذلك تحوّلوا بحركتهم تجاه عنصرية من نوع آخر ، وذلك بالاضافة الى ان لحركتهم بعض الاتجاهات الفاشية . والمسلمون السود يقيمون صلاة خاصة بهم فى اماكن تسمى معابد (Temples) ويؤدونها وهم جلوس على مقاعد تشبه المقاعد الموجودة فى الكنائس تحت اشراف رجل دين يدعى بريست Priest ، ولا يوجد بالطبع فى الانجليزية كلمة فقيه او امام .

حركة جديدة بعناية المسلمين

ونظرا لان المسلمين السود قد ادخلوا الكثير من التحريف على رسالة الاسلام وتعاليمه لذلك توجه نظر الجهات المعنية بامر الدعوة الاسلامية الى ذلك حتى يمدوا هذه الحركة بما يبصر اعضاءها بالاسلام الحقيقي وبذلك تقلل من انحرافهم . ■■

علي احمد علي

طرائف عربية

مرض الروح

● قيل للشعبي : هل تمرض الروح ؟

قال : نعم تمرض من ظل الثقلاء .

ومَرّ به بعضهم فوجده بين ثقيلين فقال له :

ــ كيف الروح اليوم ؟

فقال : فى النزع الأخير !

رجل أمره عجيب

● **وصف رجل رجلا فقال:** كان يغلط فى علمه من وجوه أربعة : يسمع غير ما يقال له ، ويحفظ غير ما يسمع ، ويكتب غير ما يحفظ ، ويحدث بغير ما يكتب .

بكاء المرأة !

● قال الشعبي : كنت جالسا عندشريح اذ دخلت عليه امراة تشتكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاء شديدا ، فقلت :أصلحك الله ما أراها الا مظلومة . .

قال : وما علمك ؟ قلت : لبكائها .

قال : لا تفعل ، فان أخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون .

صبية ذكية وجميلة

● مر رجل اشمط بامراة عجيبة فى الجمال فقال :

ــ ياهذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه ، والا فأعلمينا !

فقالت : كأنك تخطبني !

قال : نعم !

فقالت : أن فى عيبا ! **قال** : وما هو ؟

قالت:شيب فى رأسي!فثنى عنان دابته .

فقالت : على رسلك يا هذا ، فلا والله ما بلغتُ عشرين سنة ، ولا رأيتُ فى راسي شعرة بيضاء ، ولكنني احببت ان أعلمك اني أكره منك ما كرهت مني .

محاورة بي

● **حاور سكير عالما بقوله** : هل ترى علي من بأس ان أكلت تمرا ؟ .

العالم : أبــدا .

السكير : وان أكلت معه بعض العشب؟

العالم : لا يمنع من ذلك مانع . .

السكير : وأن شربت عليهما ماء ؟

العالم: اشرب هنيئا . .

السكير : ما دام هذا كله جائزا فلماذا تحرمون علينا الخمر وهي ما ذكرت ، تمر وعشبٌ وماء ؟ . .

فاجابه العالم : لو صببت عليك ماء ،

أقوال مأثورة

* قال ابن عيينة : يستحب للعالم اذا علّم الا يَعنُف ، واذا علِم الا يأنَف .

* وفي حكمة لقمان : ان العالم الحكيم يدعو الناس الى علمه بالصمت والوقار ، وان العالم الاخرق يطرد الناس عن علمه بالهذَر والاكثار .

لا يموت هذا أبدا

● سمع اعرابي جريرا ينشد :

كاد الهوى يوم سلمانين يقتلني وكـاد يقتلني يومـا بنعمـان
وكاد يقتلني يومـا بذى جشب وكـاد يقتلني يومـا بسـلمان

فقال الاعرابي : هذا رجل افلت من الموت اربع مرات ، فلا يموت هذا أبدا .

عتبة بن أبي سفيان وأعرابي

● خطب عتبة بن ابى سـفيان الناس فقال : قد وُلِّينا هذا المقام الذى يُضاعَفُ فيه للمحسن الاجر، وللمسيء الوزر ، ونحن على سبيل قصد ، وانا اسأل الله أن يعين كلا على كل .

فناداه اعرابي من ناحية المسجد :ايها الخليفة .

فقال : لست به ولم تبعد .

قال : يا اخاه .

قال : سمعتُ فقل .

قال : والله لأن تحسنوا وقد اسانا خير من ان تسيئوا وقد احسنا .

فان كان الاحسان منكم فما اولاكم باتمامه ، وان كان منا فما اولاكم بمكافأتنا عليه !

منطـق عجيب

● ذهب بَصَرُ عمرو بن هداب فدخل عليه ابراهيم بن مجاشع فقام بين يديه فقال : يا ابا اسيد ، لاتجزع على ذهاب عينيك، وان كانتا كريمتين عليك ! فانك لو رأيت ثوابهما فى ميزانك يوم القيامة ، تمنيت أن يكون الله قد قطع يديك ، ورجليك ، ودق ظهرك ، وأدمَى ظلفك !!

...م وسكير

هل كان يضرك ؟

السكير : لا يضرنى منه شيء .

العالم : لو نثرت عليه ترابا هل كان يقتلك ؟

السكير : لا يقتل التراب احدا ..

العالم : فاذا اخذت الماء والتراب فخلطتهما وعجنتهما وجعلت من ذلك لبِنة عظيمة فقذفتك بها هل كان ذلك يضرك ؟

السكير : كنت تقتلنى !

العالم : كذلك الخمر !



دردشة

على مائدة الرئيس كولدج

● دعا الرئيس « كولدج » بعض العمال الامريكيين الى تناول العشاء معه فى البيت الابيض . ولما كانوا يجهلون آداب المائدة ، قرروا فيما بينهم ان يقلدوا الرئيس فى كل ما يفعل . ومضى كل شىء على ما يرام ، حتى قدمت القهوة فصب الرئيس فنجانه فى الطبق ففعلوا مثله . ثم اضاف الى القهوة شيئا من السكر والكريمة ، ففعلوا مثل فعله ، ولكن كم كانت دهشتهم عندما راوه يضع الطبق امام قطته الجائعة عند قدميه !

طفلان

● قابل شيخ طاعن فى السن طفلا على شاطىء البحر فسأله : كم عمرك ؟

فاجاب الطفل : ست سنوات يا سيدى .

فقال الشيخ : ست سنوات ولم يبلغ طولك بعد طول مظلتي !

فاقترب الصبى من المظلة ووقف بمحاذاتها مادا راسه الى اعلى وهو يقول: وكم عمر مظلتك ؟

فى مستشفى المجانين

● ذهب الممثل الهزلى « بوب هوب » الى مستشفى للمجانين ليعرض على نزلائه ما يسليهم ، فجاء الى احد المرضى وهو فى بجامته ، وجعلا يتجاذبان اطراف الحديث . وبعد دقائق جاء ممرض المستشفى ، واخذ بيد المريض الى غرفته ، فقال بوب :

ــ اخوف ما اخافه انما هو خوف على نفسى ، اذ ان الحديث الذى دار بيننا ، كان فيما خيل الى ، حديث عقلاء !

فردريك الكبير يصف أحد الضباط

● اعرب فردريك الكبير مرة عن ازدرائه لأحد الضباط ، فاعترض احد القواد وقال : لقد خاض هذا الضابط معارك عشر حملات !

فقال فردريك : هذا البغل ايضا قد خاض معارك عشر حملات ، ولكنه لا يدرى اليوم من امر الحرب أكثر مما كان يدرى قبل المعركة الاولى !

شدّوا، بشرط أن لا تَختَنِقوا

كان طانيوس عبده مقيما في القاهرة، وله صديق في باريس كان قد وعده بارسال « دستة كرافتات » ثم ابطأ في ارسالها . فبعث طانيوس يذكره بهذين البيتين :

هذه مطالب من تمسك منكم
بالود ، وهو بكل ود اخلقُ
شدوا اذن عنقي بحبل ولائكم
ما تقدرون بشرط ان لا تَختَنقوا!

ادع لي بالنجاح

● سرق احد اللصوص سيارة .. ولما عثر عليها صاحبها عند محطة السكة الحديد وجد في داخلها ورقة مالية من فئة نصف الدينار ، وبجانبها ورقة كتب عليها :

كان لزاما على أن الحق القطار، لألحق بزبون من أثرياء الحرب .. والمبلغ المرفق أجر متواضع أرجو أن تقبله أجر السيارة وأن تدعو لي بالنجاح !

القصيدة أروع من الصورة

● اشتهر «وسلر» « Whistler » بنقده اللاذع، اشتهاره بصوره الرائعة. وذات يوم رأى صورة لا تزال في اوائلها، من رسم روستي Rossetti المصور والشاعر الانكليزي ، فأثنى عليها . وبعد ايام سأله عنها ، فقال روستي:

ــ لقد أمرت بصنع اطار بديع لها .

ورآها « وسلر » بعد أيام مثبتة في اطار نادر الجمال .

فقال :

ــ اراك لم تضف اليها شيئا.

فقال روستي : لا ، لم اضف اليها شيئا ، ولكنني نظمت قصيدة في موضوعها . وقرأ القصيدة ، فوجدها « وسلر » فياضة بالجمال والحنان، فقال له :

ــ اخرج الصورة من الاطار وضع القصيدة مكانها !

السيد المطاع

● قال جيمس جلن : اوقفت سيارتي بمحاذاة شيخ عجوز ليركبها ، فهم ثم انثنى يهز راسه ، وقال : لست أدري ماذا ينبغي ان افعل ؟ فقد دعاني « روبنسون » أمس الأول الى ركوب سيارته . وامس دعاني « بيل طود » . وها أنت تدعوني اليوم . فقد اخذت ساقاي تتعودان الكسل ، فان لم يتفق لي من يدعوني غدا فقد تثوران عليّ اوتخذلانني ، ولذا اظن انه خير لي ان امشي لكي تعلما من منا هو السيد المطاع .

« دونكيشوت »

● حقيقة يجهلها كثيرون وهي :

ان الكاتب الاسباني الشهير سرفانتس، مؤلف قصة « دونكيشوت » الشهيرة ، التي ما زالت حتى هذه الايام تملأ نفس قارئها غبطة وحبورا لما فيها من مواقف ساخرة ، قد الف قصته الخالدة هذه وهو في السجن يعاني قسوة الوحدة والحرمان .



رجال صنعوا التاريخ

عبد الكريم

بقلم : محمد العربى الخطابى

امتازت حركة الأمير محمد عبدالكريم الخطابى فى المغرب بميزتين اساسيتين :

أولا ــ العمل التحريرى المسلح الرامى الى الوقوف فى وجه الاحتلال الأجنبى ورد عاديته وتخليص البلاد منه .

ثانيا ــ الدعوة الاصلاحية المستندة على تعاليم الاسلام الخالصة من شوائب الجمود ، مع الاخذ باسباب التقدم العصرى ووسائل المدنية الحديثة دون تفريط فى مزايا المجتمع الاسلامى الروحية والفكرية .

وبهذا استطاع الأمير عبد الكريم ان يجمع بين الزعامة العسكرية وخصائص الرجل المصلح .



تولى بمهارة قيادة الجيش فى المعارك التى خاضها ضد قوات الاحتلال الاسبانى والفرنسى

فرنسا : انضحت بي



الخطابي

في معركة "نوال": انتصر على جيشٍ أسبانيٍّ عدده ٢٠ ألف جندي

طوال مدة خمس سنوات (١٩٢١ ـ ١٩٢٦) . كما حمل رسالة الاصلاح الاجتماعي والروحي والسياسي ، وعمل من اجلها بالقدوة الحسنة والتوجيه الحكيم والتطبيق الرشيد ، سواء في المدة التي مارس فيها السلطة السياسية والعسكرية في جزء هام من المغرب خلال الحرب التحريرية او بعد رجوعه من المنفى واستقراره بالقاهرة (١٩٤٧ ـ ١٩٦٢) . وقد ساعده على الاضطلاع بهذا العمل المزدوج ثقافته الاسلامية الحية ، وتتبعه الواعي الرصين للحركات الاصلاحية التي عرفتها اقطار اسلامية بعد عهود الغفلة والتدهور والانحطاط . وفضلا عن ذلك كان عبد الكريم مدركا لاهم مقومات الحضارة الغربية واساليبها في السلم والحرب ، بالاضافة الى ذكائه وفطرته السليمة التي جُبلت على الشرف والاباء وتعشق الحق والحرية .

كل هذا اهله لتحمل رسالة كرّس لها جهده وجهاده ، وعمل في سبيلها الى آخر حياته باصرار وثبات ومثابرة .

وقد بقيت ذكرى هذا البطل العظيم ـ طيلة المدة التي قضاها في منفاه بجزيرة ريونيون (١٩٢٦ ـ ١٩٤٧) ـ حافزا يدفع الشباب الحي المتيقظ الى العمل من اجل تحرير المغرب العربي، كما بقي ـ رحمه الله ـ طيلة حياته رمزا لارادة النضال الدائم ، اقتدى بهديه جيل من المكافحين تلقوا في مدرسته تعاليم الثبات على الحق والاستماتة في سبيل تحقيق الحرية والكرامة وتقرير المصير .

لقد استانف ، حينما تخلص من النفي الطويل واستقر بالقطر المصري الشقيق رسالته التحريرية الاصلاحية بنفس العزم والقوة والاصرار ، وفتح امام قادة المغرب العربي ورجاله المكافحين آفاقا جديدة للنضال الجاد في تضامن وتعاضد وتواصل. ومن اجل ذلك اصبح ، مرة اخرى ، جنديا في قلب المعركة ، بعد أن كان مدة النفي رمزا حافزا

تحت إمرة المارشال بيتان إلى أسبانيا للقضاء على بطل المغرب

حينما عزلته عن مواطنيه سلطة الاستعمار الغاشم بابعاده الى أقصى مكان فى جنوب شرقى افريقيا .

★ ★ ★

نشأة الخطابي

ولد محمد عبد الكريم الخطابي سنة ١٨٨١ فى بلدة أجدير المطلة على البحر الابيض والواقعة فى (بني ورياغل) احدى قبائل الريف الشهيرة ※

ورباه والده ، الذى كان من الرؤساء المرموقين فى الريف ، تربية اسلامية مثلها الأعلى فى الحياة : العمل والايمان والاستمساك بالحرية والحق .

وبعد أن حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادىء الدين واللغة العربية فى الريف وجّهه والده الى فاس - عاصمة المغرب فى ذلك الحين ، حيث التحق بجامعة القرويين التى بقيت قرونا طويلة من معاقل العلوم الاسلامية واللغوية والعقلية يفد اليها الطلاب من مختلف أقطار افريقيا .

فى فاس تعلم حال المغرب المتدهورة

واذا كانت المدرسة الاولى التى فتحت عينى عبد الكريم على الحياة هى أسرته والبيئة الريفية التى اكتنفته مدة الطفولة واليفاعة ، فان مقامه بفاس كان مرحلة هامة أثرت فى تكوينه العلمى والسياسى والروحى ، وأتاحت له أن يلمس عن قرب حالة المغرب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتدهورة فى وقت قويت فيه الاطماع الأجنبية ، وتعددت المناورات الرامية الى بسط سلطان الاستعمار على المغرب الذى استطاع أن يحافظ على استقلاله منذ الفتح الاسلامى ، وأن يقف فى وجه الاحتلال العثمانى الذى سيطر على معظم أنحاء العالم العربى باستثناء المغرب .

لقد كانت الحكومة المغربية فى تلك الأثناء (أواخر القرن الميلادى الماضى وأوائل القرن الحالى) ضعيفة خائرة ، فاقدة النفوذ فى الداخل والخارج ، وكانت خزينة الدولة مفلسة مرهقة بالديون، هذا بالاضافة الى الفتن الداخلية التى اندلع بعضها بسبب الامتيازات الأجنبية التى قيدت استقلال البلاد وعرضته لخطر الاحتلال المؤكد .

عبد العزيز أمضى معاهدة الامتيازات الأجنبية فاسقطه الشعب

وقد استطاعت الثورة الشعبية أن تسقط عبد العزيز (١٩٠٧) عن عرش المملكة بسبب انصرافه الى اللهو وعقده ديونا مع الأجانب أثقلت كاهل المغرب ، زيادة على تهاونه فى الدفاع عن استقلال البلاد ، خصوصا بعد أن أمضى المعاهدة الدولية المعروفة بعقد الجزيرة الخضراء (يونيو ١٩٠٦) التى خولت للأجانب امتيازات فى البلاد المغربية تتنافى مع سيادتها .

وبايع الشعب عبد الحفيظ على استرجاع حقوق البلاد

وفى ذلك الحين استطاعت طائفة من الوطنيين المتيقظين المستنيرين أن تفرض على السلطان عبد الحفيظ - الذى بويع سنة ١٩٠٧ - التزامات تضمنها عقد البيعة المعقودة له حسب تقاليد البلاد آنذاك ، وقد اشترط هذا العقد على السلطان أن يلتزم بالعمل على « استرجاع الجهات المقتطعة من الحدود المغربية ، وأن يبادر بطرد الجنس

※ يطلق اسم « الريف » على الجزء الواقع شمال شرقى القطر المغربى ، وتخترق معظمه السلسلة المعروفة باسم سلسلة جبال الريف التى تطل على البحر الابيض. ومن مدن الريف ومراكزه المعروفة : مليله (وهى لا تزال تحت الحكم الاسبانى) والناضور والحسيمة وأجدير وتركيست واكنول . ومن قبائله المشهورة : صنهاجة وبنى ورياغل وبقويه وتمسمان وقلعية ومطالسة وكبدانة واجزناية ، وقد تحولت فى النظام الادارى الحالى الى جماعات قروية .

وبلاد الريف معروفة فى كتب التاريخ القديمة كالمسالك والممالك للبكرى - ببلاد النكور ، حل بها عرب حميريون مع الفتح الاسلامى وامتزجوا بسكانها الاصليين ، وعرفت بعض مدنها ازدهارا تاريخيا .

المحتل من الاماكن التي كانت تحت قبضته ، وأن يعمل على الغاء الامتيازات الأجنبية وألا يستشير الأجانب في شؤون الامة ، وألا يبرم معهم معاهدات سياسية أو تجارية الا بعد استشارة الامة .. ».

عبد الحفيظ يمضي عقد الحماية ويتنازل عن العرش

غير أن المناورات الأجنبية كانت ـ مع الأسف ـ قد استفحلت وانتهى الأمر بالسلطان عبد الحفيظ الى امضاء عقد الحماية في ١٢ مارس سنة ١٩١٢، والتنازل عن العرش اثر الاضطرابات التي اعقبت ذلك في مختلف انحاء البلاد .

وقد عاش عبد الكريم بفاس الأحداث التي سبقت امضاء عقد الحماية وتركت في نفسه انطباعات كان لها اثر كبير في توجيه مجرى حياته.

عبد الكريم ينهي دراسته من فاس ولا يلبث أن يلقى به في السجن

رجع عبد الكريم الى مسقط رأسه بعد انهاء دراسته بفاس ، ولم يلبث أن التحق بمدينة مليلة ـ التي تشرف على البحر المتوسط في الشمال الشرقي من القطر المغربي ، ولا تزال هذه المدينة الى اليوم تحت سلطة الاحتلال الاسباني ـ وهناك اشتغل بالتدريس أولا ثم عين على رأس المحكمة الشرعية الاسلامية . غير أن الأمير لم يكن ينظر بعين الارتياح الى مطامع الاسبان الرامية الى احتلال جزء من التراب الوطني المغربي باتفاق مع فرنسا ، ولم تخنه الشجاعة يوما في مواجهة رجال السلطة الاسبانية بموقفه الوطني ضد اي احتلال عسكري أو سياسي لبلاده،ولذلك لم تتردد السلطات الحاكمة بمليلة في القاء القبض عليه .
وبعد أن قضى في الاعتقال مدة تزيد عن سنة تمكن ذات يوم من أن يتسلق احد أسوار السجن وأن يقفز الى الخارج فكسرت ساقه والقى عليه القبض من جديد ، ثم أطلق سراحه فيما بعد والتحق بمسقط رأسه .

والد عبد الكريم يقاسم الشريف محمد أمزيان في محاربة الاسبان

كانت (بني ورياغل) تحتل مركز القيادة الروحية والعسكرية في قبائل جبال الريف ،وكان والد عبد الكريم يتقاسم الزعامة في هذه المنطقة الجبلية الهامة مع المجاهد الشريف محمد أمزيان الذي نازل قوات الاسبان على رأس رجالهوصدهم عن التوغل في التراب الوطني من قاعدة مليلة ، وحال بينهم وبين الاستيلاء على معادن (اوكسان)، واشتبك معهم في معارك ظافرة سنة ١٩٠٩ ، قتل في احداها الجنرال (بنتوس) Pintos
وكان والد عبد الكريم الخطابي يضمر للمجاهد أمزيان الاعجاب والاحترام ، ويعد من جهته العدة للوقوف في وجه اي هجوم أو توغل عسكري اسباني ، ويجمع الرجال والعتاد لخوض حرب تحريرية شاملة ، خصوصا بعد ابرام (معاهدة الحماية) المفروضة على البلاد ، تلك التي خولت للاسبان احتلال الجزء الشمالي من المغرب المؤلف من نواحي جبال الريف وغمارة ومدن الشاون وتطوان والعرائش والقصر الكبير وما اليها .

عبد الكريم يحل في القيادة محل أبيه عند وفاته

غير أن المنية عاجلت والد الأمير حيث مات مسموما ـ على أشهر الروايات ـ فاضطلع بمهمة القيادة وامارة الجيوش من بعده ولده الأمير عبد الكريم بمساعدة شقيقه ورفيقه في الجهاد والنفي الأمير محمد الخطابي الذي كان قد أنهى دراسته وتخرج من مدرسة المعادن بمدريد .

انتصار عبد الكريم على الاسبان

وأعلن عبد الكريم الحرب على الاسبان بصفة عملية حين هجومه الموفق على المركز المعروف (بداربرا) سنة ١٩٢١ ، وكان انتصاره في هذه المعركة قوة معنوية دفعت بالحركة التحريرية الى الأمام ، فضلا عما كسبه المجاهدون فيها منسلاح وعتاد.وقد انضمت عدة قبائل الى صفوف الأمير، وسانده زعماء ذوو مكانة من امثال اسرة آل اخمليش التي كانت تتمتع بنفوذ كبير في صنهاجه. والقائد حريرو بطل ناحية جبالة ، وغير هؤلاء من القواد الأبطال الذين يضيق المقام لذكرهم .

وقد وفق جيش التحرير الوطني بقيادة الأمير عبد الكريم في صد هجوم الاسبان وردهم الى قاعدتهم في مليله بعد أن اشتبك معهم في معارك ظافرة أشهرها معركة (أنوال) (يونيو ١٩٢١)

التى اشترك فيها من الجانب الاسبانى جيش قوامه عشرون الف رجل تحت قيادة الجنرال سلبيسترى Silvestre الذى سقط هو واغلبية جنوده فى هذه المعركة ، ولم ينج منهم الا قلة قليلة . ووقع فى الأسر ٧٠٠ جندى اسبانى ،وغنم المجاهدون كل الأسلحة والذخيرة التى كانت مع الاسبان (٢٠٠ مدفع و ٢٠ الف بندقية وكميات هائلة من الخراطيش وسيارات حربية ..) .

عبد الكريم يعنى بالجانب الحربى والدبلوماسى من المعركة

ونتيجة لهذه المعركة ارتفعت معنويات جيش التحرير الوطنى أكثر من ذى قبل ، وقويتممكناته المادية ، وأتيح للأمير عبد الكريم أن يعيد تنظيم الادارة المدنية والعسكرية تنظيما محكما دقيقا، وأن يستفيد من بعض وسائل المدنية العصرية بمد اسلاك التليفون وشق طرق المواصلات واستعمال سيارات النقل والأسلحة الحديثة ، كما أتيح له ان يعتنى بالجانب الدبلوماسى ، فأوفد الوفود الى الخارج بقصد الدعاية للقضية أو شراء السلاح ، وبعث الرسائل والنداءات الى الحكومات والهيئات فى انجلترا وامريكا وفرنسا ، وسعى الى ربط الاتصال مع الدول الاسلامية ، وتحدث الى الصحفيين والسياسيين الأجانب ، حتى أصبحت حركته التحريرية تشغل بال الرأى العام الدولى فى ذلك الوقت ، تتحدث عنها الصحف والاذاعات، وتثار حولها المناقشات فى المجالس النيابية والمحافل السياسية بفرنسا واسبانيا وانجلترا .

وقد وجه قادة البلاد الاسلامية وذوو الرأى فيها اهتماما خاصا لهذه الحركة ، فكانوا ينظرون اليها بعين الاعجاب والأمل.وقد حدثنى أحد السياسيين بأن الزعيم الايرانى الدكتور محمد مصدق قال عند مروره بالقاهرة حينما كان رئيسالحكومة بلاده فىفترة تاميم نفط عبدان ، بان الشبان الناهضين فى ايران كانوا فى حداثة مصدق متحمسين لحركة عبد الكريم ، لدرجة انهم كانوا يأملون أن يساهم هذا البطل فى تحرير اقطار اسلامية آخرى .

حاول الاسبان ابرام الهدنة مرات ورفض عبد الكريم

وبعد معركة انوال ومعركة جبل عرويت التى تلتها ، واسر فيها الجنرال نابارو Navaro الذى أرسلته القيادة الاسبانية للقيام بحملة تاديبية منيت بهزيمة كسابقتها ، اتسعت دائرة الحركة التحريرية تحت قيادة عبد الكريم وشقيقه محمد، فتحرر القسم الأكبر من الجهات التى احتلتها اسبانيا تنفيذا لعقد الحماية ، ووقف المحاربون المغاربة على ابواب مليلة شرقا ، واشرفوا غربا على تطوان من فوق جبل « غرغيز » المطل على هذه المدينة التى كانت مقر المندوب السامى الاسبانى . وتوالت المعارك الحربية بين الجيش الوطنى وجيش الاحتلال فى عدة جبهات ، وحاول الاسبانيون مرات عديدة ابرام هدنة مع الأمير ولكن بدون جدوى ، نظرا لتمسك عبد الكريم بمبدأ انسحاب الجيش الاسبانى من المراكز التى كانت ما تزال تحت قبضته والعدول نهائيا عن خطة احتلال التراب المغربى .

عبد الكريم يطلب تحرير بلاده ثم مصادقة الجميع بعد ذلك

وكان موقف الأمير هذا متمشيا مع المصلحة العليا للوطن ومنفذا للميثاق الذى صادق عليه مجلسوطنى انعقد فى أواخر سنة ١٩٢١،وتأسست على أثره جمهورية ذات سيادة كاملة قاعدتها (اجدير) ، تسير بمقتضى دستور اقره المجلس الى جانب الميثاق الذى نص على « عدم الاعتراف باية معاهدة تمس بسيادة البلاد كعقد الحماية الموقع بفاس سنة ١٩١٢ ، ووجوب جلاء الاسبان عن الجزء الذى يحتلونه فىشمال المغرب والاعتراف باستقلاله ، كما نص الميثاق المذكور على مطالبة اسبانيا بدفع تعويض لحكومة عبد الكريم عن الخسائر والاضرار التى لحقت بالبلاد من جراء الحرب العدوانية .. » .

وكانت هذه كلها شروطا اساسية لازمة للدخول مع اسبانيا فى اية مباحثات ترمى الى عقد صلح بين الطرفين .

والحقيقة ان رغبة الأمير عبدالكريم كانت شديدة فى تحرير بلاده من الغزو الاجنبى ، فلم تكنمحاربته للمحتلين تنطوى على اية افكار أو غايات عدائية ولم تكن له مطامع شخصية ، بل انه كان مصمما هو وشقيقه الأمير محمد علي التنازل عن الحكم وقيادة الجيوش متى تم تحقيق استقلال البلاد .

وقد اكد لى ذلك احد انجال الامير الراحل .

ومما قاله الجنرال جبريلي Gabrieli ـ احد القواد الذين تفاوضوا مع عبد الكريم باسم فرنسا بعد الانهزامات المتكررة التى لحقت بجيوشها ـ بان الامير اكد له ان ما يسعى اليه هو « ان تعيش بلاده فى استقلال تام وان لا يتحكم فيها الا الله » ، وان رغبة المغاربة هى ان يعيشوا فى امن وطمانينة مع جميع الدول ، وان تكون لبلادهم علاقات مع الجميع « لاننا لا نحب ان يموت ابناؤنا، غير اننا فى سبيل تحقيق اهدافنا مستعدون لمحاربة كل الدول اذا اقتضى الحال ذلك » .

حركة تقوم فى اسبانيا تناهض الحرب دون جدوى

ومن الجدير بالذكر انه على اثر الانهزامات المتكررة التى منيت بها قوات الاحتلال الاسبانى المحاربة فى المغرب قامت فى المحافل السياسية وفى اوساط الراى العام بمدريد حركة مناهضة للحرب الاستعمارية تطالب حكومة مدريد بسحب قواتها من المغرب حقنا للدماء وانهاء لحرب خاسرة خلفت الاف الارامل والأيتام فضلا عن الخسائر المالية .

غير ان حكومة مدريد كانت مصممة على المضى فى خطتها العدوانية لدرجة ان الدكتاتور بريمو دى ريبيرا (Primo de Rivera) رئيس الحكومة الاسبانية انتقل الى تطوان (١٩٢٤) واقام فيها معسكره واشرف بنفسه على تسيير العمليات الحربية . الا ان الزحف الوطنى التحريرى لم يتاخر ولم يتزحزح عن مكانه خطوة واحدة بل بقى صامدا مرتفع المعنويات .

قلق فرنسا من انتصار عبد الكريم

كانت فرنسا تنظر بقلق زائد الى حركة الامير عبد الكريم التحريرية فى شمال المغرب وكان الماريشال ليوطى Lyautey ، قائد جيش الاحتلال والمندوب السامى الفرنسى فى الرباط يدرك ان انتصار عبد الكريم على اسبانيا سيدفعه حتما الى مواجهة الجيش الفرنسى الذى كان يعمل جاهدا لاحتلال المنطقة التى اختطها لنفسه طبقا لمعاهدة الحماية المفروضة على المغرب .

وكانت الثورة المسلحة قد احتدمت ضد الفرنسيين فى معظم جهات المغرب فى مناطق الأطلس وسوس وتافيلالت وغيرها ، وبقيت المقاومة المسلحة مستمرة فى بعض المراكز الى سنة ١٩٣٥ .

وكان على راس هذه الثورات قواد مشهورون امثال محمد حمو الزيانى والشيخ ماء العينين .

ولم يخف الماريشال ليوطى تخوفاته من حركة الامير عبد الكريم فكان مما قاله أثناء الحركة التحريرية : (أرى ان خطورة الحالة الراهنة فى الريف تتجاوز شمال افريقيا ، فالعالم الاسلامى يرقب الحرب بين عبد الكريم واسبانيا باهتمام كبير) .

فرنسا تنضم الى اسبانيا فى الحرب

لهذا لم تلبث فرنسا ان انضمت الى اسبانيا لمحاربة عبد الكريم فى مايو ١٩٢٥ . وذلك حينما هجمت القوات الفرنسية على (وادى ورغة) فى شمال شرقى فاس بدعوى ان هذا الموقع يؤلف جزءا من (منطقة النفوذ الفرنسى) . وواضح ان عبد الكريم لم يكن يعترف بتقسيم المغرب الى مناطق نفوذ اجنبى .

واذا كانت سياسته قد اتسمت بتجنب اى اصطدام مع فرنسا من سنة ١٩٢١ الى ١٩٢٥ ، فهو انما كان يمهلها حتى يتم له تحرير جميع المراكز التى كانت تحت قبضة الأسبان فى الشمال. غير ان احتلال (وادى ورغة) من طرف الفرنسيين ادى الى تغيير الخطة الحربية التى رسمها بطل التحرير المغربى ، خصوصا وان هذا الموقع كان خاضعا لسلطته . وقد صمدت قوات المجاهدين فى وجه الجيوش الفرنسية والاسبانية التى انهزمت فى عدة معارك ، وانضم آلاف المواطنين من مختلف الجهات الى حركة التحرير .

الفيالق والأسراب الفرنسية تتجمع لمحاربة عبد الكريم

وعينت فرنسا الماريشال بيتان Petain ـ الذى تولى ابان الحرب العالمية الثانية رئاسة حكومة فيشى ـ وكلفته بتسيير العمليات الحربيةفى المغرب، واستقدمت عددا هائلا من قوات البر والبحر والجو وقوامها ٣٢ فيلقا و ٤٤ سربا من الطائرات الحربية بقيادة ٦٠ جنرالا وتحت امرة ماريشال من المع رجال الحرب الفرنسيين اذ ذاك .

ومع الحرب العسكرية ، شنوا حربا نفسية واستخدموا أدعياء الدين

هذا بالاضافة الى مائة الف جندى أسبانى ، وعدد كبير من المرتزقة الذين جمعهم أعوان الاستعمار الفرنسى ، ويمكننا أن نضيف الى هذا الجيش الهائل - الذى تكون ضباطه فى المدارس العسكرية ، وشارك معظم جنوده فى الحرب العالمية الاولى - حملة سيكولوجية منظمة استعملت فيها شتى الوسائل والأساليب المادية والأدبية التى يتقنها مفكرو الاستعمار الغربى ، كاستخدام بعض أدعياء الدين ، وصرف الأموال لشراء الضمائر المريضة،واشاعة الأكاذيب والدعاوى المضللة داخل المغرب وفى أوساط الرأى الدولى الذى كان مستعدا فى جملته اذ ذاك لتقبل العمل الاستعمارى وتسويغه .

عبد الكريم يدعو فى غرب وشرق ، فلا تكون لدعائه استجابة

أمام كل هذا وقف الأمير عبد الكريم وجيشه الباسل مدافعين عن حق الوطن وحريته بشجاعة وصبر واحتساب .

لم يكن عدد المحاربين المغاربة يزيد عن ٧٥ الف نفر . ولم تلق النداءات التى وجهها الأمير عبد الكريم الى الدول الكبرى أية استجابة عملية.

فقد سافر شقيقه الأمير محمد بنفسه الى أوروبا للتعريف بقضية الوطن العادلة فى المجال الدولى .

كما سافرت وفود أخرى لنفس الغرض ، ولكن الرأى العام الدولى كانت تغمره فى ذلك الحين موجة « العهد الاستعمارى » اذا استثنينا قلة من الأحرار المنصفين .

ولم يكن فى وسع العالم الاسلامى اذ ذاك أن يقدم عونا ذا بال للحركة التحريرية المغربية ، اذا استثنينا بعض التبرعات المالية التى جمعت لفائدتها فى بعض الأقطار .

صمد عبد الكريم ، ورأى بيتان الرضوخ للحق ، وأبت باريس

ورغم كل ذلك تابع رجال عبد الكريم الحرب التحريرية فى عدة جبهات وانهزمت امامه جيوش أسبانيا وفرنسا ، وازاء تحرج الحالة ، وتمسك الأمير عبد الكريم بالمطالب الوطنية فكر الماريشال بيتان فى الرضوخ الى الحق وتلبية هذه المطالب لولا رفض حكومة باريس التى طلبت من ممثليها فى المغرب أن يعرضوا على حكومة الأمير عبد الكريم شروطا مزرية كان جوابها الرفض والاهمال من جانبه .

المستعمرون يعززون جيوشهما وينفى عبد الكريم وأسرته

واستمرت الحرب بعد أن نسقت أسبانيا وفرنسا خططهما ، وعززتا جيوشهما المحاربة بالرجال والاسلحة والطائرات والسفن الحربية..

وكان أن ربحت القوة الغاشمة معركة لصالح الاستعمار الاجنبى ، ونقل الأميران عبد الكريم وشقيقه محمد وعمهما الأمير عبد السلام وسائر أفراد الأسرة الى جزيرة ريونيون فى مايو ١٩٢٦ .

عبد الكريم فى القاهرة

غير أن عبد الكريم كان قد رسم الخطوط الكبرى للمعركة الحاسمة : معركة الحرية والاستقلال التى ظلت دائرة فى المغرب العربى باشكال مختلفة .

وقد شاء الله أن يتخلص الأمير عبد الكريم وأسرته من النفى سنة ١٩٤٧ حينما رست ببور سعيد الباخرة التى كانت تقلهم الى فرنسا . تسلل منها ، وأعد القطر المصرى الشقيق لهذا البطل العربى استقبالا كريما ، ومقاما طيبا .

ومنذ ذلك الوقت أصبح بيت عبد الكريم فى حدائق القبة منتدى يتردد عليه الزعماء وقادة الرأى والسياسة ورجال الصحافة والطلاب من مختلف الأقطار .

لجنة تحرير المغرب العربى

ومن هناك واصل نضاله فى سبيل تحرير المغرب العربى بنفس العزم والاخلاص والثبات على الحق وترأس فى أواخر ١٩٤٧ (لجنة تحرير المغرب العربى) التى تألفت فى القاهرة وكانت تضم مختلف الهيآت الوطنية العاملة اذ ذاك فى كل من تونس والجزائر والمغرب .

ومما جاء في البيان الذي أذاعه الأمير عبدالكريم في ذلك الحين : (... اذا كانت الدول الاستعمارية على باطلها تحتاج الى التساند والتعاضد لتثبيت سيطرتها الاستعمارية ، فنحن أحوج الى الاتحاد وأحق به من أجل احقاق الحق وتقويض أركان الاستعمار الغاشم الذي كان نكبة علينا ، ففرق كلمتنا ، وجزأ بلادنا وابتز خيراتنا ، واستحوذ على مقاليد أمورنا ، ووقف حجر عثرة في سبيل تقدمنا ورقينا ، ثم حاول بكل الوسائل أن يقضي على جميع مقوماتنا كأمة عربية مسلمة ..) .

(ويسرني أن أعلن أن جميع الذين خابرتهم في هذا الموضوع من رؤساء الأحزاب المغربية ومندوبيها بالقاهرة قد أظهروا اقتناعهم بهذه الدعوة واستجابتهم لتحقيقها واقتناعهم بفائدتها في تقوية الجهود وتحقيق الاستقلال المنشود) .

الميثاق

وأعلن رحمه الله في هذا البيان مبادىء الميثاق الذي أقره قادة المغرب العربي ، ومن هذه المبادىء .

- المغرب العربي أمة مسلمة .
- وهو جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة .
- الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاثة .
- لا مفاوضة مع المستعمر في الجزئيات .
- لا مفاوضة الا بعد اعلان الاستقلال .
- حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية .

وقد حافظ عبد الكريم وشقيقه من جهتهما على هذه المبادىء وعملا من أجلها باصرار ومثابرة وصدق واخلاص . وقد كان ايمان الأمير ، رحمه الله ، بوحدة المغرب العربي كبيرا لم يتزحزح في يوم من الأيام ، وكان كفاحه هادفا الى تحرير تونس والجزائر والمغرب .

كان وطنه المغرب كله

وقد قال الصحافي الفرنسي جان لاكوتير (Jean Lacouture) أحد المحررين الرئيسيين في جريدة لوموند « Le monde » الباريسية في في مقال كتبه بمناسبة وفاة البطل المغربي الذي كان يعرفه شخصيا : (ومما كان يدعو الى الاندهاش حقا أن تستمع اليه وهو يقول (عندنا) حينما يتحدث عن أي مكان في المغرب العربي ، في وقت كانت تسيطر فيه الروح الاقليمية .. وقد كان عبد الكريم الرجل الأول في المغرب - ربما منذ عهد الدولة الموحدية - الذي لم تفصل عنده أية حدود بين البلاد التي تمتد من رأس سبارتل الى جربة ، ومن رأس بتنة الى ايفني ، وليس من الهين أن تفاجأ بوفاته في الوقت الذي تبذل فيه أولى محاولات القضاء على الخلافات ، وعسى أن تكون لوفاته قيمة الرجوع الى الحكمة والصواب .

محمد الخامس يناشد عبد الكريم الرجوع الى المغرب

لقد كان المواطنون في المغرب يتطلعون الى اليوم الذي يعود فيه هذا الزعيم الفذ الى وطنه الأول ، وكثيرا ما ناشده الملك الراحل محمد الخامس ، رحمه الله ، أن يرجع الى المغرب ، خصوصا بعد المقابلة التي تمت بينهما في القاهرة سنة ١٩٦٠ ، غير أن الأمير كان يعتقد أن مهمته لم تنته بعد ، وذلك يحتم عليه البقاء في القاهرة لأسباب استراتيجية قد يكون من جملتها احداث ضغط معنوي على قادة المغرب العربي لاستكمال استقلال وطنهم اقتصاديا وعسكريا وفكريا، وتحقيق الوحدة المنشودة خصوصا بعد حصول الجزائر على استقلالها .

ثم ان الأمير لم يكن يشعر بالغربة في ذلك القطر العربي الذي آواه وأكرم مقامه ، ولو أنه كان يحس بحنين دائم دفين الى الأرض التي عرف فيها طفولته وشبابه ورفع فوق ترابها علم الثورة والصبر ، ووهبها حبه وراحته وربط بها أماني عمر طبعه النضال والتضحية .

وفاته

وفي ٧ فبراير ١٩٦٢ التحق محمد عبد الكريم الخطابي بالرفيق الأعلى بمدينة القاهرة حيث دفن في مقبرة الشهداء ، تغمده الله برحمته وأسكنه مع الصديقين والشهداء ، وحقق للأمة التي وهبها كل شيء ما كان يتمناه لها من عز وقوة ووحدة . ■■

محمد العربي الخطابي

شاعر البادية

ذو

استسقى فسقته ميّ ماء، فلما وقع بصرُه عليها، تعلّقها، ثم هام بها، وظلّ يقول فيها الشعر ٢٠ عامًا في غير طائل..



بقلم: الدكتور محمد محمود الدش

■ كان ذلك في نحو سنة ٩٧ هـ ، حينما وقعت عيناه على الفتاة التى تعلقتها قلبه ، فاحبها حبا عنيفا جعله يهيم بها فى ديارها بالبادية عشرين سنة ، هى نصف حظه من العمر ومن الحياة .

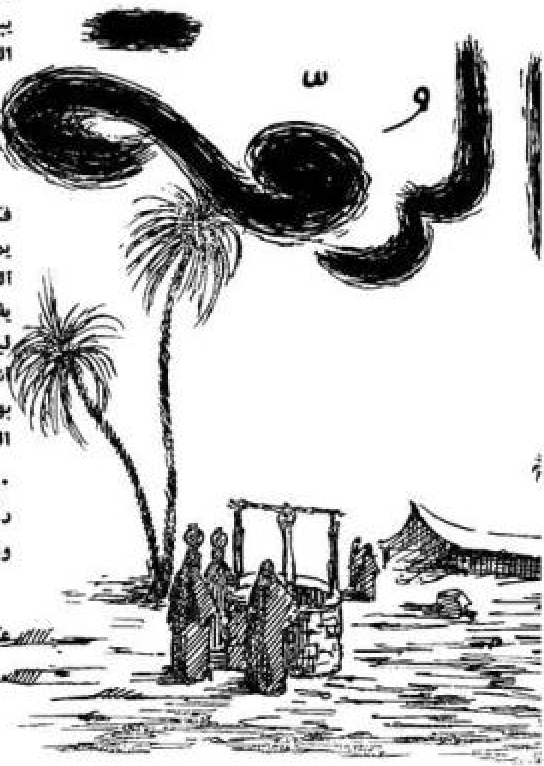
جمال ميّة

اما الفتاة فهى مَيّة بنتُ طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى ، وكانت بارعة الجمال ، حتى ليَروى محمد بن سلام عن ابى سوار الغنوى عمن رآها بعد ان تقدم بها العمر وذهب عنها رواء الشباب فيقول : « رايت مية ، واذا معها بنون لها صغار. كانت مسنونة الوجه طويلته ، شَمّاء الانف ، عليها وسْم جمال »

ويقول غيره : « مررت على مية وقد اسنّت ، فوقفت عليها وانا يومئذ شاب ، فقلت : يامية ، ما ارى ذا الرمة الا قد ضيّع فيك قوله :

اما انتَ عن ذكراكَ مَيّة مُقْصِرُ
ولا انت ناسى العهدَ منها فتَذْكُرُ

تهيم بها ، ما تستفيق ، ودونها
حجابٌ وابوابٌ وستر مُسَتّر



قال : فضحكت وقالت : رايتني يا ابن اخي وقد ولّيت ، وذهبت محاسني ، ويرحم الله غيلان ، فلقد قال هذا فيّ وانا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة في عين المقرور ، ولن تبرح حتى اقيم عندك عذره . ثم صاحت : يا اسماء ، اخرجي . فخرجت جارية كالمهاة ، ما رأيت مثلها . فقالت : اما لمن شبّب بهذه وهَويها عذر ؟ فقلت : بلى . فقالت : « والله لقد كنت ، ازمان مثلها ، احسن منها ، ولو رايتني يومئذ لازدريت هذه ازدرائك اياي اليوم. انصرف راشدا ! » .

التقاء غيلان بمية

ومثل هذا الجمال الذي يصمد لعاديات الزمن وغوائل الايام هو الذي بهر الشاعر حينما رآها مصادفة لاول مرة ، اذ خرج هو واخوه وابن عمه يبتغون ابلا لهم ، فاجهدهم السير واستبد بهم العطش ، ولما راوا ديارا قريبة ارسله اخوه وابن عمه اليها يأتيهم منها بماء، فمضى اليها، فوجد عجوزا فى رواقها، فاستسقى، فالتفتت العجوز وراءها وصاحت : « يامىّ اسق الغلام ». ولما جاءت مى تصبّ الماء فى شكوته، بهره جمالها فتلها بالنظر اليها عما فى يده ، فجعل الماء يذهب يمينا وشمالا، وعاتبته امها فى ذلك قائلة : «يابني الهتك مىّ عما بعثك اهلك له ، اما ترى الماء يذهب يمينا وشمالا ؟ » فاجابها : « اما والله ليطولن هيامى بها » ، ويبدو ان الفتاة اشفقت عليه مما اصابه فداعبته بكلمات تنبض بهذا الاشفاق حين قالت : « لقد كلفك اهلك السفر ، على ما ارى من صغرك وحداثة سنك » .. وعاد وقد ملأ شكوته لاخيه وابن عمه ، فلف راسه ، وانتبذ ناحية ، وقد اصابه من هم الحب ووصب الغرام .

هذا الغلام ، ابن العشرين ، هو غيلان بن عقبه من عدى بن عبد مناة ، وامه من بني اسد . ويكني ابا الحارث ويلقب بذى الرمّة .

كيف جاءه اللقب : ذو الرمة

ويبدو ان مية كان لها فضل كبير فى ذيوع هذا اللقب عليه والتصاقه به وباسمه ... والرمّة قطعة من حبل ، كان يلفها على ذراعه فوق تميمة منذ صغره ، وكانت امه قد فزعت به الى معلم فى البادية ، يقرىء الاعراب ، اسمه الحصين ابن عبدة بن نعيم العدوى ، وروت له ان ابنها غيلان يرُوع بالليل ، فكتب له معاذة وعلقتها فى يساره بحبل اسود ، ظل فى ذراعه حتى رأته ميّة حينما طلب منها الماء ، فقالت له : « اشرب يا ذا الرمّة » ، فلقب بذلك .

ومضى ذو الرمّة، وقد فتنه الجمال، وجنجنونه به ، يملأ البادية شعرا كله انين ولوعة ، وكله الم وشكوى ، ولكن شعره فى ذلك كله لم يكن ليسفّ او يبتذل ، وانما كان شعرا عفيفا

نظيفا حتى ليقول الاصمعي فيه « ما اعلم احدا من العشاق الحَضَريين وغيرهم شكا حبا احسن من شكوى ذي الرمة مع عفة وعقل رصين » .

صفة ذي الرُّمة

وكان ذو الرمة مدور الوجه ، حسن الشعرة ، جعدها ، أقني انزع ، خفيف العارضين ، اكحل حسن الضحك، مُفوّهاً بليغا.. تلك بعض صفاته عن احد الرواة .

ويروى انه كان رقيق البشرة ، عذب المنطق ، حسن الضحك، مُفوّهاً بليغا.. تلك بعض صفاته

كما يروى انه كان حسن الصلاة ، حسن الخشوع ..

قصة مختلقة

ومجموع هذه الصفات يدل على ان ذا الرمة كان مُحَلّى بطائفة من الصفات الخَلقية والخُلُقية الطيبة التى تحبب الناس اليه وتستميلهم نحوه ، فاذا كانت مية ، التى ملأ البادية والحضر شكايةً بشعره فيها بعدما اهمه حبها وبرح به غرامها ، وكان فى وصفها ووصف جمالها ووصف مشاعره نحوها عذب المنطق ، عفيف الطرف ، فانها لا شك تكون من أميل الناس اليه واحبهم له ان لم تكن فى ذلك أحبهم وأميلهم جميعا . نقول ذلك قبل ان نقف فى حذر امام قصة يرويها ابن قتيبة يقول :

مكثت مَيّةُ زمانا لا ترى ذا الرمة وهى تسمع مع ذلك شعره ، فجعلت لله عليها ان تنحر بدنة يوم تراه ، فلما رأته رجلا دميماً اسود ، وكانت من أجمل الناس قالت : واسوأتاه وابؤساه واضيعة بدنتاه ، فقال ذو الرمة :

على وجه ميٍّ مَسحةٌ من ملاحة
وتحت الثياب الشَّيْنُ لو كان باديا

فنزعت ثيابها وقامت عريانة ثم قالت ، أشيناً ترى لا أمَّ لك ، فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه
وان كان لون الماء ابيض صافيا

فقالت امّا ما تحت الثياب فقد رأيته ، وعلمتَ الاّ شَيْنَ فيه . ولم يبق الا ان اقول لك هَلُمَّ حتى تذوق ما وراءه . ووالله لاذقت ذلك ابدا ، فقال :

فيا ضيعة الشعر الذى لجَّ فانقضى
بميٍّ ولم املك ضلال فؤاديا

ثم صلح الامر بينهما بعد ذلك ، فعاد لما كان عليه من حبها .

والقصة فى روايتها على هذه الصورة لا يصح ان تكون قد حدثت مع ميةَ ابنةِ البادية التى تعرف ما تمليه تقاليد البدو من عفة فى القول والفعل ، وتفرضه على فتياتها بصفة خاصة ، ولا يصح ان تكون قد حدثت مع ذى الرمة الذى شبب بمية فاكثر من التشبيب بها ، على حين لم تَنْبُ منه لفظة صارخة ، ولم ينحرف منه معنى جارح ، واشتهر بحبه العفيف النظيف . ولا يصح ان تكون قد حدثت بينهما معا على مرأى ومسمع من احد كائنا من كان بحيث يملك الاستطاعة لان يرى ويسمع . وهى بعدُ ، قد عرفته صبيا يوم استسقاها الماء، فعرفت اين هو من جمال او قبح.

والقصة تكون بذلك مختلقة ، قصد بها التشهير والافتراء .. اختلقتها فتاة حسود حقود هى كثزة . ويقال انها بنت عم مَيّة ، نسجتها ، وألفت الابيات ، ونسبتها الىذى الرمة ، كما نسبت الى ابنة عمها قولا وفعلا مستبعَدَين . ولا شك فى ان ذا الرمة قد استاء من ذلك استياء شديدا ، وأنكره واستنكره ، وكان اذا ذكر له ذلك يمتعض منه ويحلف انه ما قالها قط .

ذو الرمّة فى اسواق البصرة والكوفة

واحسب ان ذا الرمة كان قد مضى عن البادية الى الحضر من العراق ، بعد ان شفه الوجد وأضناه الحب ، وافتقد الامل فى أن يحظى بمحبوبته ، واستشرف السلوان . ولعله كان

يتنشد ان يتلهى فيما كان يتلهى فيه الشعراء حينذاك ، فى سوقىّ المربد بالبصرة والكناسة بالكوفة ، حيث كان يفد الشعراء من البادية ومن غير البادية ، يعرضون بضاعتهم من الشعر ، كما يعرض غيرهم بضاعتهم مما يؤكل ويلبس ويستمتع به ، وكانت سوق الشعر حينذاك نافقة وبضاعته رائجة ، بما كان قائما على اشده فى ميدان النقائض بين جرير والفرزدق والاخطل ، وغيرهم من دخلوا الى حلقة الميدان وسقطوا فى الصراع بحيث لم يبق من كثرتهم سوى الفحول الثلاثة المذكورين .

وقد اراد ذو الرمة ان يدخل الى هذه الحلبة ويدور فيما كان يدور فيها من صراع شديد . وليس من شك فى انه كان حريصا اشد الحرص كغيره من الشعراء على ان ينال من دخوله فيها شهرة ، وذيوع صيت ، كذلك الذى ناله جرير والفرزدق ، وكانا به من المقربين الى السلطان ، فنالا بذلك شهرة وقربا من الخليفة ، وثروة من رفده وعطائه . كان ذو الرمة يتوق لان يحظى بشيء منه ، ويشارك بقسط فى ابتغائه والوصول اليه ..

وزلت قدم الفتى ذو الرمة الى مزالق الهجاء فى حلبة النقائض هذه ، فالتحم مع هشام المرئى ولجّ الهجاء بينهما ، لأن ذا الرمة كان قد مرّ بمنزل لأهل هشام ، فلم ينزلوه ولم يقروه ، فقال ابياتا فى هجائهم ، سمع بها هشام ، فجعل يهجو ذا الرمة ، على حين كان هذا لا يزال يعاوده الحنين الى حب ميّ وذكر ايامها والبكاء عليها .

بين ذى الرمة والفرزدق

ومر به الفرزدق مرة وهو على هذه الحال ، ينشد :

وقفتُ على ربعٍ لميّةَ ناقتي
فما زلت أبكي عنده واخاطبُهْ

وأسقيه ، حتى كاد مما أبثه
تكلمني احجاره وملاعبه

فنبهه الفرزدق الى ان هشاما يردد هجاءه وقال له : « ألهاك البكاء فى الديار والعبد يزجر بك » .

وهكذا زجّ به الفرزدق الى صميم معركة الهجاء الدائرة ، وكان هواه معه ، وغلب ذو الرمة هشاما فى الجولة الاولى حتى استعان هشام بجرير ، الذى هجا ذا الرمة بلسان هشام ، فغلبه هشام او قل غلبه جرير" ، ولم يُعِنه الفرزدق ، لان الفرزدق نفسه ، ومعه جرير ، كانا يحسدان ذا الرمة شاعراً مُجَلّيا .

فى ميدان النقائض

ومهما يكن فقد كان دخوله الى ميدان النقائض وحلبة الهجاء ، فيما يبدو ، دخولا قويا صلبا استمر فترة من الزمان ، حتى ان بعض المؤرخين والنقاد جمعوا بينه وبين الفحلين ، بطلى الهجاء ، فى بعض المقارنات ، فقد ذكر ابن سلام ان ذا الرمة كان من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين كان يروى عنهما وعن الصحابة، وكذلك ذو الرمة ، هو دونهما ويساويهما فى بعض شعره .

ذو الرّمة يعود الى البادية

وهكذا سقط ذو الرمة ، حيث كان يريد ان ينجح ويتقدم ويصعد فى طريق الشهرة والتفوق والثراء ، وعاد الى باديته ومحبوبته ، والى حبه وعذابه ، وقد أضناه السقوط ، وأجهدته لواعج الحب ، وأرهقته تباريح الوجد ، فأصابت بدنه بالوهن ، واضرت محياه بالضعف . عاد يطلب مية يريد ان يراها ، وكانت مية على شوق اليه قد شفها الصبر وأصابها لون من اليأس ، وجعلت تستعجل عودته وتستشرف لقاءه ، فنذرت نذرها، وجعلت لله عليها ان تنحر ناقة سمينة حين يعود ويوم تراه .. فلما عاد انكرت منه تغير حاله ، وتبدل لونه ، وضُرّ وجهه .. ويبدو أن اللقاء بينهما كان لقاء حارا عنيفا يحمل من طول الغياب وشدة الشوق اسباب الحرارة والعنف مما اثار حفيظة كثرة وأهاج حقدها وحسدها ، فلفقت ما لفقت من حديث على لسان مي ، واختلقت قصة فعلها الشائن ، ونسجت ابيات غيلان ،

وركبت هذا على ذاك ، واطلقت شائعتها حتى وصلتنا .

قال ذو الرمة : « وكيف اقول هذا ، » وقد قطعت دهري وافنيت شبابى اشبب بها وامدحها ، ثم اقول هذا ؟! .. ثم اطلع على ان كنزة قالتها ونحلتها اياه .

حب دام عشرين عاما

والواقع ان اخبار ذى الرمة مع مية ، وما كان بينهما من غرام عنيف ، اتصلت اسبابه نحوا من عشرين سنة ، هذه الاخبار على الرغم من ان المصادر تشير الى انها اخبار كثيرة وطويلة ، فان ما بين ايدينا منها ليس شافيا ولا وافيا ، ولا يعطينا الضوء الكافي لكي نتبين حقيقة ما كان بينهما فى وضوح .. وعلى الرغم من قلة الاخبار بل ندرتها فى هذا المجال ، فان شعر ذى الرمة يفيض صدقا وحرارة فى التعبير عن عاطفته المشبوبة وحبه الرائع لمية ، ويكفى ان نقرأ من ديوانه قصيدة :

ما بال عينكَ منها الماء ينسكب
كأنه من كلى مفرية سرب

لنستشف منها فى وضوح تام حقيقة ما كان يعانيه الشاعر من آلام ظل يردد الانين منها والشكوى بها فى شاعرية فياضة منطلقة لا تحجز فيضها سدود ، ولا تقف فى طريق انطلاقها حدود، على المدى البعيد الذى يشبه مدى الصحراء وافقها المتتابع المتجدد كلما سار فيها السائر فى وضح النهار . وكذلك شعر ذى الرمة فى صوره واخيلته وتشبيهاته المتتابعة المتجددة على طول القصيد ، بما لا يمل منه السائر ولا يكل ، من صور الصحراء ، ارضها وسمائها ، نبتها وبقلها ، سحابها ومطرها ، طيرها ووحشيها ، وسائر حيواناتها ، وحركاتها وسكناتها ، ولهوها واصطيادها ، حتى بيضها وافراخها ، حتى العفاريت التى تسكن الصحراء .. يصورها فيبدع تصويرها .

أحب الصحراء من حب ميّ

ولا غرو فى ذلك فهذه البادية التى يهيم بها وبما فيها ، ويقف منها موقف المصور والفنان المبدع ، مستقَرٌ لمحبوبته ميّ ومثام ، قبل ان تكون له هو نفسه موئلا ومستودعا لحبه ومكنون قلبه ، يناجيها ويسر الى ما فيها من متحرك وساكن لواعج صدره ، ويشكو اليها آلام حبه ، فى فطرة بدوية صافية سليمة ، لم يفسدها تعقد الحَضَر ولا تكلفُ المتحضرين ولا صنعتهم فى اللفظ والمعنى .

كانت مي حياته ، كما كانت الصحراء ، منزل مي ، حياته ، فاحب المنزل حبا فيمن تقيم فيه ، وتنزل من نفسه اعز منزل هو قلبه ، حتى قضى وهو يحمل فى هذه النفس وتحت اضلعه فى قلبه قبرا لحبه الذى قضى معه .

واما مي فلم تك شاعرة فنعرف حقيقة مشاعرها، ولم تصلنا الاخبار الكافية التى تجلوها، وان كانت هذه الاخبار تشير الى حبها اياه واستجابتها لحبه ولكن فى حذر وتعقل ..

ذو الرمة ينزل ضيفا عند زوج ميّ

روى صاحب الاغاني : « نزل ذو الرمة بزوج ميّ ضيفا فى ليلة ظلماء ، وهو طامع فى الا يعرفه فيدخله بيته فيراها ويكلمها . ففطن له الزوج وعرفه ولم يدخله، واخرج اليه قراه، وتركه بالعراء ، وقد عرفته ميّة . فلما كان فى جوف الليل غنى غناء الركبان قال :

اراجعةٌ يا ميّ ايامنا الاولى
بذى الآثل أم لا ، مالهنَّ رُجوع

فغضب زوجها وقال : قومي فصيحي به : « يا ابن الزانية ، واى ايام كانت لي معك بذى الاثل». فقالت : يا سبحان الله ، ضيف ! والشاعر يقول ! فانتضى زوجها السيف وقال : والله لاضربنك به حتى آتى عليك او تقولى . فصاحت به كما امرها زوجها . فنهض ذو الرمة على راحلته فركبها وانصرف عنها مغضبا يريد ان يصرف مودته عنها الى غيرها ..

ونحن لا نريد ان نكلف مشاعر الفتاة شططا او نفسر ما بين سطور هذه القصة تفسيرا يحملها اكثر مما تطيق ، فنزعم ان عاطفة الحب القوى الرائع كان ينبغي ان تفرض على مي ان تستهين بتهديد زوجها او ان تضحي بنفسها في سبيل ان لا تهين محبوبها او تشتمه كما اراد زوجها ان تفعل ، ولعل ذلك كان ما يعنيه ذو الرمة من محبوبته ، ولعله لم ير ما دار داخل الدار ، ولم يعرف شيئا عن السيف الذى كان مشهورا فوق رقبتها . ولعل الزوج كان يبدو في ملامحه ونظراته اليها ما يكشف لها انه صادق النية صارم العزم على قتلها اذا هي لم تهن حبيبها ولم تشتمه .

انصرف ذو الرمة عن مي

ويبدو ان هذا كان آخر عهده بمي ودبار مي ، لانه مضى عنها ، بعد ان افلح زوجها في ايغار صدره منها ، وجعل ذو الرمة يطلب عند غيرها حبا يشغله عن حبها ، فوجده عند فتاة اخرى من فتيات البادية الجميلات ، هي « خرقاء » احدى نساء بني عامر بن صعصعه ، رآها تخرج في جوارٍ من بيت تريد بيتا آخر ، وكانت حلوة شهلاء ، فوقعت عينه عليها ، فدنا من بعض جواريها وطلب اليها ان ترقع له خفه ، فقالت الجارية لخرقاء : ارقعين لهذا الرجل خفه ؟ فقالتتهزأ به : انا خرقاء لا احسن العمل فسماها خرقاء . والخرقاء في عرف البادية حينذاك هي الفتاة التي لا تعمل شغلا لكرامتها على اهلها . ثم جعل يشبب بخرقاء هذه في قصيدتين او ثلاث ، يريد ان يغيظ بذلك ميا ، التي ذكرها في شعره ، ولكنه لم ينسها .. ثم لم يلبث ان مات في سنة ١١٧ هـ وهو في سن الاربعين .

واخيرا مات وبقي شعره ذكرى

كانت خرقاء تجد في تشبيب ذي الرمة بها لونا من الوان الفخار الذى تباهى به ، يدلنا على ذلك انها كانت تحل في منزل على طريق الحاج من البصرة الى مكة ، فتقعد لهم وتحدثهم وتهاديهم وتقول : « انا مَنْسَك من مناسك الحج » . وذلك لقول ذي الرمة فيها :

تمام الحـج ان تقـف المطـايا
علـى خرقـاء واضعـة اللثـام

هذا ومي كانت ما تزال تحمل بين جوانحها ذكرى غرام طويل وحب كبير للشاعر الذى ظل منعنى بحبها عشرين سنة ، حتى ان ابن سلام لما سال ابا سوار الغنوى عن لقائه ميا وقد ادركها الهرم وعن ذكرها لشعر ذى الرمة ، اجابه بقوله «اى والله تسيح سحا ما رأى مثله احد» يريد انها كانت تكثر من انشاد شعره فيها ، وتتابع انشادها له .

شعر ذى الرمة

واما هذا الشعر فان فيه تفاوتا لا شك فيه بين القوة والضعف ، وان خلا بصفة عامة من آثار التعقيد والتركيب والعمق ، فجاء شعرا فخما جزلا ، فيه قوة في البناء ومتانةفي التكوين وضخامة في التعبير ، مع بساطة في التفكير ووضوح في المعانى ، واغراق في التصوير والتشبيه . وقد انتبه القدامى من النقاد الى بعض هذه السمات في شعره حين قال ابو عمرو بن العلاء : « انما شعره نقط عروس يضمحل عن قليل ، وابعار ظباء لها مشم في أول شمها ثم تعود الى أرواح البعر » فينبغي بذلك عنه صفة العمق في المعاني والافكار ويدل على البساطة والسطحية فيه . وقد اعترف ذو الرمة نفسه بصفة التفاوتفي شعره حين قال : « من شعرى ما طاوعني فيه القول وساعدني ، ومنه ما اجهدت نفسي فيه ، ومنه ما جننت به جنونا » . على ان اعلام الشعر في عصره ، وفي مقدمتهم جرير والفرزدق ، على الرغم من حسدهم اياه ، شهدوا له بالتقدم وعلو الكعب في الشعر ، بحيث يسال الوليد بن عبد الملك الفرزدق عن اشعر الناس ، فيجيبه الفرزدق : انا . قال الوليد افتعلم احدا اشعر منك ؟ قال : لا ، الا غلاما من بنى عدى بن عبد مناة يركب اعجاز الابل وينعت الفلوات ــ يعنى ذا الرمة . ثم أتي جرير فساله الوليد ، فقال له مثل ذلك ، ثم اتى ذو الرمة فقال له : « ويحك انت اشعر الناس » .

واغلب الظن انه ما استحق ذلك في نظرهم الا لانه وهب نفسه وشاعريته للحب والبادية. ■■

محمد محمود الدش



« ليس فى ما ينشر فى هذا الباب ما يعبر عن رأى مجلة العربى نفيا أو ايجابا »

القومية العربية والخليج العربى

عن مجلة « الاقلام » البغدادية :

ان الدول العربية مدعوة الى دراسة اوضاع امارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة العربية لتحديد مستقبلها السياسى والدور العظيم الذى ستلعبه فى البناء السياسى والاقتصادى للوحدة العربية المقبلة . ان الامة العربية ستجابه عما قريب مشاكل معقدة قد تتحول الى صراع طويل مع الاستعمار البريطانى الذى لا يبدو على استعداد لتقبل سياسة الامر الواقع والانسحاب من هذه المناطق الشاسعة التى تبلغ مساحتها اكثر من مساحة العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين مجتمعة والتى تعتبر من أغنى مناطق العالم على الاطلاق ..

لقد أصبح من الواضح أن وجود أكثر من ثلاثين مشيخة وامارة وسلطنة فى الخليج العربى وجنوب الجزيرة العربية امر جدير بالدراسة والتمحيص على ضوء تطور الحركة القومية العربية وعلى ضوء الجهود التى تبذلها الدول العربية متعاونة مع الدول الآسيوية والافريقية فى ميدان تصفية الاستعمار . وعلى الدول العربية تقع تبعة ضمان عدم التجاء هذه الكيانات السياسية الى الدول الاجنبية وجذبها بمختلف الوسائل الى التعاون مع الجامعة العربية .

ان الخليج العربى منطقة بالغة الخطورة بالنسبة لحاضر الأمة العربية ومستقبلها. وموقعه الجغرافى قد جعله فى مختلف العصور يؤلف الجسر الذى يربط العراق وشرق الجزيرة العربية بالهند وبالباكستان وجنوب آسيا والشرق الأقصى وأوروبا .

الوطنية ليست هتافا وصراخا

عن جريدة « اخبار اليوم » القاهرية :

ان الوطنية اليوم ليست هي الهتاف والصراخ !

انها اجراءات ايجابية يجب أن يشترك فيها الشعب مع الحكومة .

فالحكومة وحدها لا تستطيع أن تحرس استقلالنا اذا وقف الشعب يتفرج ! يصرخ فى الازمات ، ويهتف فى الانتصارات !

فان من واجب كل فرد فى الشعب أن يساهم فى المحافظة على استقلال بلاده ، وحراسة انتصاراتها ..

يجب أن يساهم كل فرد من أفراد الشعب فى معركة محاربة الاسراف وتخفيض تكاليف الانتاج .

كلمـــة واجبـــة !

عن جريدة « المنار » الاردنية :

● للكويت تصرفات تأتي عفوية أحيانا ، فيها الاصالة ، وفيها العزة ، وفيها الاعتداد بالنفس ، تصرفات تستحق أن يأخذ بها العرب أجمعون .

من ذلك الموقف الذي اتخذته الكويت تجاه اليابان ، بعد استقبالها الفاتر للوزير صباح الاحمد حين كان يطوف على عواصم شرق آسيا تنفيذا لقرارات مؤتمر القمة الاول، ذلك الموقف الذي هز اليابان هزا ، واضطرها للاعتذار والتراجع .

ومن ذلك أيضا ، تحريم الدولة للمسكرات حتى لتصل عقوبة المتاجرة بها الى عشر سنوات .

ولا شك أن الخمر خطر على الكويت مثلما هي خطر على الدول العربية ، هي خطر على المفلسين مثلما هي خطر على الأثرياء ، بل قد تكون على القطر الثرى أشد خطرا ، فجاء منع الكويت لهذا الرجس ، يدرأ الفساد ، ويصون مستقبل الشعب الكويتي ، ويحفظ وجهه العربي الاسلامي الاصيل .

ان تحريم الكويت للخمر حدث بالغ الاهمية في وقت تجتاح الأمة فيه تيارات الشرق والغرب ، وتغزوها التقاليد المستوردة ، وهي تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال لم تستقر بعد على حال ، ذلك لأن هذا الحدث عندما يأتي من أكثر أقطار الأمة ثراء ، يشكل دليلا ملموسا على ان الامة تريد أن تحتفظ بتقاليدها ، وترسي قواعد شخصيتها الاصيلة ، لتكون نفسها بماضيها وحاضرها لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .

بل هي عمـــل دائب مســـتمر

يجب أن يحافظ العامل على المواد الاولية في مصنعه . ولا يبعثرها باستهتار !

يجب أن يتحمس لعمله ، ويعطيه سبع ساعات من عرقه وقلبه وعقله . لا أن يضيع ساعة أو ساعتين كل يوم في البلطجة والدردشة!

ان من حق الشعب أن يحاسب الدولة !

ولكن من واجبه أن يحاسب نفسه أيضا ! من واجب كل واحد منا أن يسأل نفسه عن الجهد الذي يقدمه كل يوم لحراسة استقلال بلاده !

وسيكتشف الملايين منا أننا نغالط في الحساب !

لقد أخذنا من بلادنا أضعاف أضعاف ما قدمناه لها !

اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم

عن مجلة « الاذاعة » السودانية :

● **نعم الله علينا عظيمة ، وافضاله لا يحصيها عد ، ومن أجلّها ، أولادنا .. الذين يهبهم لنا حسب مشيئته ، ذكورا فقط ، أو اناثا فقط ، أو ذكورا واناثا . وهو على كل شيء قدير ، وهم وديعة غالية بين أيدينا ـ معشر الآباء ـ تجب رعايتها وصيانتها ، والبعد بها عن كل ما يعرضها للأذى أو يدفع بها الى طريق الشر والفساد .**

وان هذه النظرة البالية وهذا الاستقبال للمولود الذكر استقبالا يختلف عن استقبالنا للمولودة الانثى يجب أن تختفي من مجتمعنا ، لأنها فضلا عما فيها من تفرقة لا داعي لها مطلقا ، وبخاصة وقد خرجت الفتاة للحياة وساهمت فيها وشاركت اخاها الفتى في حمل أعبائها ، وتشارك في أعمال السلم والحرب ، أى أنها لم تعد حملا ثقيلا وانما اصبحت عضوا صالحا في المجتمع ، ولا يمكن لمجتمع ما أن ينهض ويحلق ويرتفع الا بجناحين هما : الفتى والفتاة .

أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِى

بقلم : الدكتور جمال الدين الشيال

استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية



كَرِهَ لِقَاءَ الحُكَّامِ ،

وكَانَ يقُولُ لِمُرِيدِيهِ :

على كثرة من عاش فى الاسكندرية من أولياء الله وأقطاب الصوفية والعلماء ، وعلى كثرة ما تضمه المدينة من رفات هؤلاء الأولياء والعلماء وأضرحتهم ، فان الاسكندرية لا تكاد تذكر الا ويذكر قطب أقطابها العارف بالله سيدى أبو العباس المُرسِى ، أصدق أصدقاء سيدى ابن الحسن الشاذلى (١) وأقرب تلاميذه اليه وصاحب القطبانية من بعده .

نسب أبى العباس

وهو شهاب الدين أبو العباس احمد بن عمر ابن على الخزرجى الأنصارى المُرسِى البَلَنسى . ينتهى نسبه الى الصحابى الجليل سعد بن عُبادة كبير الأنصار وسيد الخزرج .

---

(١) راجع مقال الشاذلى فى «العربى» العدد ٦٧ يونيو ٦٤ صفحة ٦٢ ، والعدد ٦٨ يوليو ٦٤ صفحة ٩٦



وَرَفَضَ عَطَاءَهم ، ولم يتظاهر بطولِ التَّعبُّد ، ولم يخشوشن

اعرفوا اللهَ ، ثُمَّ كونوا بعد ذلك كيف شئتم

ومن جدود ابى العباس الأعلين قيس بن سعد الذى عين اميرا على مصر فى سنة ٣٦ هـ من قبل على بن ابى طالب .

نشـأته

فأسرة أبو العباس عربية عريقة فى العروبة ، شريفة عريقة فى الشرف ، وقد ولد ابو العباس فى سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩م) فى مدينة مُرْسِيَة احدى مدن بلنسية بالأندلس واليها نسب ابو العباس ، وغلبت عليه هذه النسبة حتى عرف بها، ولا يكاد يذكر باسمه الا فى الكتب التى ترجمت له.

وفى مرسية نشأ ابو العباس أحمد ، وفيها قضى طفولته وتلقى علومه الأولى فتعلم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب وحفظ القرآن .

ومرسية اختطتها فيما يقال الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وكانت بحكم موقعها مدينة تجارية ،وكان معظم أهلها يحترفون التجارة . وكان عمر بن على والد ابى العباس تاجرا ، وتبعا لتقاليد العصر كان يريد ان يعد أولاده لاحتراف المهنة التى يحترفها ، فكان ابنه الأكبر أبو عبد الله جمال الدين محمد يعاونه فى أعماله التجارية ، ولما استكمل الابن الأصغر أبو العباس احمد علومه الاولى وشبَّ عن الطوق الحقه أبوه بأخيه ، وأصبح الرجل يعتمد على ولديه فى ادارة تجارته والاشراف على شؤونها . ودنيا التجارة مدرسة حافلة بالتجارب ، فالتاجر يتصل فى معاملاته بمختلف البيئات والطبقات ، مما يتيح له الفرصة الطيبة لدراسة أخلاق الناس وطباعهم ، وقد أفاد أبو العباس ولا شك من تجاربه العملية اثناء هذه الفترة اشياء كثيرة .

فى الطريق الى الحج استشهد أبواه

وفى سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢م) وقد بلغ أبو العباس الرابعة والعشرين من عمره ، أراد والده أن يخرج للحج ، وصحب الرجل معه أسرته جميعا ،زوجته فاطمة بنت عبد الرحمن المالقى ، وولديه أبا عبد الله جمال الدين محمد ، وأبا العباس أحمد .

وكان من العسير على الأسرة أن ترحل هذه الرحلة الطويلة بطريق البر فآثرت اتخاذ طريق البحر ، واستقلت سفينة من سفن البحر الأبيض المتوسط ، وسارت السفينة بحذاء الشاطىء الافريقى ، ولكنها لم تكد تقترب من شاطىء بونة حتى هبت عليها عاصفة قوية ، وقاومت السفينة ما استطاعت المقاومة الى أن عجزت تماما ،وتغلبت عليها الرياح العاصفة فأغرقتها بما فيها ، ويبدو أن الوالد والوالدة لم تكن لهما معرفة بالسباحة أو أنهما لم يستطيعا مقاومة الأمواج العاتية لكبر سنهما ، فطوتهما المياه وماتا شهيدين . أما الأخوان فقد قدر لهما النجاة ووصلا الى البر سالمين .

أبو العباس يقيم فى تونس

واتخذ الأخوان طريقهما بعد ذلك الى المشرق الى أن وصلا الى تونس فآثرا الاقامة بها ، وفى

تونس اتجه الاخ الاكبر محمد الى مهنته القديمة التجارة ، واما الاخ الاصغر أحمد فقد اراد ان يفيد ما حصل من علم ، فاتخذ له مكتبا في زاوية الفقيه محرز بن خلف يعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة والحساب ويحفظهم كتاب الله الكريم .

بين أبي العباس المرسي ، وأبي الحسن الشاذلي ، في تونس

وكان أبو الحسن الشاذلي قد عاد في ذلك الوقت الى تونس واقام هناك في رباط بجبل زغوان .. وكتب التراجم تذكر أن أبا الحسن لم يعد الى تونس رغم ما كان بينه وبين ابن البراء الا لمقابلة تلميذه أبي العباس ، فقد روى عنه انه قال :

« ما ردني الى تونس الا هذا الشاب » يقصد أبا العباس المرسي ، وقد قال لأبي العباس في ختام مقابلته الأولى له :

« رُفعتَ اليّ منذ عشر سنين » .

ابو العباس يلقى أبا الحسن الشاذلي

وقد سمع أبو العباس المرسي أثناء مقامه في تونس بالشيخ أبي الحسن وفضله وعمله وتقواه فسعى الى مقابلته سعيا ، وقد روى هو خبر مقابلته لأستاذه وبدء اتصاله به وتعرفه عليه ، قال :

« لما نزلت بتونس ، وكنت اتيت من مُرسية ـ وانا اذ ذاك شاب ـ سمعت بذكر الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، فقال لي رجل :

تمضي بنا اليه ؟

فقلت : حتى استخير الله

فنمت تلك الليلة فرايت كاني أصعد الى راس جبل ، فلما علوت فوقه رأيت هنالك رجلا عليه برنس اخضر وهو جالس ، وعن يمينه رجل وعن يساره رجل ، فنظرت اليه فقال : عثرت على خليفة الزمان ؟ فانتبهت ، فلما كان بعد صلاة الصبح جاءني الرجل الذى دعاني الى زيارة الشيخ فسرت معه ، فلما دخلنا عليه رأيته بالصفة التى رأيته بها فوق الجبل ، فدُهشت فقال لي : عثرت على خليفة الزمان ؟ ما اسمك ؟ فذكرت له اسمي ونسبي ، فقال لي رُفعت لي منذ عشر سنين » .

اتصل الروحان من قبل المقابلة والمشاهدة ، فان السفينة لم تغرق عند بونة ، وأبو العباس لم يتجه الى تونس ويقيم بها الا لما قدره الله في مكنون علمه من التمهيد للقاء الرجلين ، وأبو الحسن لم يعد الى تونس عودته الاخيرة ، رغم كرهه للاقامة بها منذ نشب النزاع بينه وبين ابن البراء ، الا لما ألقى اليه من انه سيقابل تلميذه وصفيه وخليفته هناك .

ولزم ابو العباس استاذه أبا الحسن منذ تلك اللحظة ملازمة اقامة ، فصار يتردد على مجالسه، ومجالسه وقتذاك حافلة بحلقات الذكر والدرس والمناقشة . وعرف الاستاذ في تلميذه صفاء روحه وحسن ادراكه واخلاصه وتدينه ، فقربه اليه حتى لقد صارحه مرة بقوله :

« يا أبا العباس ، والله ما صحبتك الا لتكون انت أنا ، وأنا أنت ولقد رأيت فيك ما في الاولياء وما رأيت في الاولياء ما فيك »

أبو العباس يصحب الشاذلي الى مصر

وادرك أبو الحسن بغيته بهذا اللقاء ، واعد عدته بعده للسفر ، وغادر تونس متجها الى مصر وفي صحبته نخبة من اتباعه وتلاميذه ومريديه ، وفي مقدمتهم تلميذه الاثير أبو العباس المرسي .

ضيق ينتاب أبا العباس في الطريق

وكانت عين الاستاذ على تلميذه طول الطريق ، يرعاه ويشمله بعناية ، يلقى اليه بنصائحه ويعينه في رفق على سلوك الطريق والاقبال على معرفة الله والتفاني في حبه وعبادته . واحس أبو العباس اثناء الرحلة الى الاسكندرية شيئا من ضيق النفس لم يستطع له حملا ، وأدرك الشيخ من بعيد هذه الكربة التى تجثم على نفس تلميذه ، فناداه اليه وما زال به حتى كشفت عنه هذه الكربة وانشرح صدره ، روى هذه القصة أبو العباس قال :

« كنت مع الشيخ في السفر ونحن قاصدون الاسكندرية حين مجيئنا من الغرب ، فأخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله ، فأتيت الى الشيخ أبي الحسن ، فلما أحس بي قال : أحمد؟ قلت : نعم يا سيدي ، قال آدم خلقه الله بيده ، واسجد له ملائكته واسكنه جنته ، ثم نزل به الى

الارض ليكمله ، ولقد أنزله الى الارض قبل أن يخلقه يقول : « انى جاعل فى الارض خليفة » . ما قال فى السماء ولا فى الجنة ، فكان نزوله الى الارض نزول كرامة لا نزول اهانة . فانه كان يعبد الله فى الجنة بالتعريف ، فأنزله الى الارض ليعبده بالتكليف ، فلما توفرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفته . وأنت ايضا لك قسط من آدم ، كانت بدايتك فى سماء الروح فى جنة التعريف ، فأنزلت الى أرض النفس لتعبده بالتكليف ، فاذا توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة . قال الشيخ أبو العباس : فما انتهى الشيخ من هذه العبارة حتى شرح الله صدرى وأذهب عنى ما كنت اجده من الضيق والوسواس » .

بهذه الرعاية العطوف، وبهذه الآداب الروحانية، وبهذا التوجيه الأبوى كان الشيخ أبو الحسن يأخذ تلميذه أبا العباس . ولا عجب فى هذا فقد كان يُعده لأن يكون خليفته والقطب من بعده .

وبلغوا الاسكندرية ، وعند باب سدرة ، قدّم رجل من عدولها لهم الطعام

ووصل الركب أخيرا الى أسوار الاسكندرية ، والى باب سدرة المواجه لعمود السوارى ، وحطوا رحالهم عند هذا العمود ، وأحس بمقدمهم سكان المدينة ، فبعث اليهم رجل من عدولها طعامـــا لضيافتهم . وأُبلغ الشيخ خبر هذا الطعام يقول ابو العباس :

فقال الشيخ « لا يأكل احد منه شيئا . فبتنا على ما نحن فيه من الجوع ، فلما كان عند الصبح صلى بنا الشيخ،وقال: مدُّوا السِّماط وأحضروا ذلك الطعام ، ففعلوا . وتقدمنا فأكلنا ، فقال الشيخ : رأيت فى المنام قائلا يقول : احلُّ الحلال اليك ، مالم يخطر لك ببال ، ولا سألت فيه احدا من النساء والرجال » .

وهكذا كان أبو الحسن يعمل على تربية أبى العباس وسائر تلاميذه بالقدوة الحسنة ، فلا يقرب طعاما الا أن يطمئن انه حلال كله لا تشوبه شائبه من الحرام .

روى أحد اصحاب الشيخ أبى العباس أن انسانا عزم على الشيخ أبى الحسن وقدم اليه الطعام يختبره ، فأعرض عنه ، ولم يأكله ، ثم التفت الى صاحب الطعام وقال له : ان الحارث ابن أسد المحاسبى كان فى اصبعه عرق اذا مد يده الى طعـام فيه شبهة تحرك عليه ، وانا فى يدى ستون عرقا اذا كان مثل ذلك .

فاستغفر صاحب الطعام واعتذر له •

الشاذلى لم يفهم التصوف على أنه بطالة وتوكل

والمعروف عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى انه كان يدعو اتباعه ومريديه الى العمل : لانه لم يكن يفهم التصوف على انه بطالة وتوكل ، ولم يكن يستسيغ أن يلبس الفقير المرقعات والملابس الخشنة ، لانه نوع من الادعاء والتظاهر ، وفيها اعلان عن الفقر وسؤال الناس ، ونزول بالكرامة واهدار للعزة ، والاسلام دين يقوم على العـزة والكرامة والعمل والكد ، وبهذه الآداب جميعا أخذ ابو الحسن تلميذه أبا العباس ، قال ابو العباس :

« كان الشيخ قد قال لى : ان أردت أن تكون من اصحابى فلا تسأل من أحد شيئا . فمكثت على ذلك سنة . ثم قال لى : ان أردت أن تكون من اصحابى فلا تقبل من أحد شيئا ، فكان اذا اشتد على الوقت أخرج الى ساحل بحر الاسكندرية التقط ما يرميه البحر بالساحل من قمح حين يرفع من المراكب » .

ويؤخذ من هذا الحديث ان أبا العباس كان يعانى أول وصوله الى الاسكندرية شيئا من الضيق والفقر ، ولكنه مع هذا كان يؤثر الفقر والجوع على أن يسأل الناس شيئا ، ويبدو انه كان منقطعا للعبادة والدراسة مع استاذه . ولسنا نعرف انه امتهن مهنة أخرى وان كان يفهم من بعض عبارات ابن عطاء الله السكندرى ان أبا العباس عين وقتا ما واحدا من الشهود العدول بمدينة الاسكندرية .

الشاذلى والمرسى يسكنان دارا بكوم الدكة

وقد نزل أبو الحسن عند مقدمه الى الاسكندرية دارا عند كوم الديماس ــ كوم الدكة ــ وسكن معه فيها أصحابه ، وفى مقدمتهم أبو العباس المرسى . وكان يلقى دروسه فى جامع العطارين .

ولازمه طول مقامه بها ابو العباس ، ينتهل من علمه ويقتبس من فضله . واحس أبو العباس انه وقع على كنز بصحبته الشيخ ابى الحسن ، وقد عبر عن شعوره هذا بما قاله فى خطاب أرسله الى احد اصحابه فى تونس بعد وصوله الاسكندرية واقامته بها وقتا ما ، قال فى هذا الخطاب :

« فانى صحبت رأسا من رؤوس الصديقين ، واخذت منه سرا لا يكون الا لواحد بعد واحد ، والشرح يطول ، وبه افتخر واليه أنتسب رضى الله عنه : وهو أبو الحسن الشاذلى . وكان لايصحبه أحد الا فتح له فى يومين أو ثلاثة ، فان لم يجد شيئا بعد ثلاثة أيام فهو كذاب ، أو يكون صادقا ولكنه أخطأ الطريق . ودليله من كتاب الله عز وجل : «قال رب اجعل لى آية ، قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا» ، وكان يقول : اذا عرضت لك حاجة الى الله فاقسم عليه بي ، فكنت والله لا اذكره فى شدة الا انفرجت ولا أمر صعب الا هان ، وأنت يا أخى اذا كنت فى شدة فاقسم على الله به ، وقد نصحتك والله يعلم ذلك ، والسلام » .

صنوف العبّاد عند الشاذلى

والشاذلىّ كان يصنف العبّاد اصنافا ، منهم الذين يشغلون بالعلم وحده ويدرسون العبادات والمعاملات وهؤلاء هم الفقهاء ، ومنهم أصحاب الاحوال والمقامات والذوق ، وهؤلاء هم نفر من الصوفية ويصلون الى هذه الاحوال والمقامات برياضة النفس والجسم والتفرغ للعبادة ، ومنهم من يجمع بين العلم والذوق وهؤلاء نفر آخر من الصوفية يمثلهم خير تمثيل أبو الحسن الشاذلى نفسه ، ومدرسته ، وخاصةً تلميذه ابو العباس المرسى وتلميذ المرسى ابو عطاء الله السكندرى . فقد كانت القاعدة عندهم أن لا يدخل المريد الطريق الا بعد أن يتبحر فى علوم الفقه والشريعة حتى يستطيع اذا ناقشه أحد من العلماء ان يقف معه على قدم المساواة وأن يتغلب عليه بالحجج القوية الواضحة .

ابو العباس يجمع بين الفقه والتصوف

وهذا ما تمتاز به المدرسة الشاذلية على غيرها من مدارس المتصوفة الاخرى التى تعتمد على رياضة النفس والروح والجسد ، والزهد والعبادة ، ولا تستلزم المعرفة بالعلوم الشرعية الظاهرة ، وبهذا اخذ ابو الحسن تلميذه أبا العباس فلم يمض وقت حتى أتقن أبو العباس العلوم الدينية اتقانا تاما حتى كان من يتحدث اليه فى علم منها ينصرف عنه وهو يحسب انه لا يحسن الا هذا العلم . وكان أبو العباس يأخذ تلاميذه بهذا الاسلوب ويحضهم على طلب العلم والتبحر فيه ، ويقرأ معهم كتبا كثيرة فى التفسير والحديث والفقه والاخلاق والتصوف ، حتى عُرف بين معاصريه بالتبحر والنبوغ فى العلوم الاسلامية مع تخصصه ونبوغه فى علوم الحقيقة واصول الطريقة حتى لقد كان يقول :

« شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ، ولم يشاركونا فيما نحن فيه » .

حذا أبو العباس المرسى اذن حذو استاذه الشيخ أبى الحسن الشاذلى فاتقن العلوم الدينية مع تبحره فى علوم الحقيقة والتصوف ، وكان يأخذ تلاميذه بهذه الطريقة، ولهذا كان يدرس لهم ويقرأ معهم كتبا فى مختلف العلوم الدينية ، ففي التفسير كان يقرأ كتاب « الوجيز » لابن عطية، وفى الحديث كتاب « المصابيح » للبغوى ، وفى الفقه « التهذيب والرسالة »، وفى الاخلاق «كتاب الاحياء للغزالي»، أما فى التصوف وعلوم الحقيقة فكان يقرأ مع تلاميذه أمهات الكتب لكبار المتصوفة السابقين مثل « ختم الاولياء » للحكيم الترمذى ، و« قوت القلوب » لأبى طالب المكى ، و «الرسالة البيانية» للقشيرى .

أبو العباس أديب ممتاز ، قوى الشرح والايضاح

وكان الشيخ أبو العباس مع هذا أديبا ممتازا ذا أسلوب قوى بليغ وله قدرة فائقة على التعبير والشرح والايضاح وقوة على الاقناع ، لهذا كان استاذه أبو الحسن الشاذلي يقول لاتباعه :

« عليكم بالشيخ أبى العباس ، فوالله انه ليأتيه البدوى لايحسن وضوءه فلا يمسى الا وقد أوصله الى الله تعالى »

أبو العباس أعلم بطرق السماء منه بطرق الأرض

وقال جماعة من أهل اشموم :

« قدم علينا الشيخ أبو الحسن البجائى ــ أحد أصحاب أبى الحسن الشاذلي ــ فكان يتكلم علينا فيعجبنا كلامه ، فاذا رأى اعجابنا بذلك قال : كيف لو رأيتم الشيخ أبا العباس المرسى ، والله لو اطلق ابو العباس لساني لتكلمت بالعلم الغريب » .

وذلك لان الشيخ ابا العباس ــ مع تبحره فى العلوم الدينية الشرعية ــ كان أعلم بعلوم الحقيقة واصول الطريقة منذ صفت" روحه ورقت نفسه وزالت الحجب بينه وبين الله سبحانه وتعالى ، لهذا كان استاذه ابو الحسن يقول عنه :

« أبو العباس بطرق السماء أعلم منه بطرق الارض »

وكان يقول :

« هذا أبو العباس مذ نفذ الى الله لم يحجب ولو طلب الحجاب لم يجده »

الشاذلى يزوج المرسى ابنته

ولماعرف الشيخ ابو الحسن لتلميذه ابىالعباس مكانته زاد فى تقريبه اليه فزوجه من ابنته وانجب أبو العباس من هذه الزوجة ولديه جمال الدين محمدا ، وأبا العباس أحمد ، وأختهما بهجة التى تزوجها ياقوت العرش تلميذ أبى العباس .

هل اشتغل أبو العباس بعض الوقت بالتجارة

ويفهم من بعض النصوص الاخرى ان الشيخ ابا العباس كان يشتغل بعض الوقت بالتجارة بتوجيه من استاذه أبى الحسن ، تنفيذا لسياسته المرسومة التى تدعو أتباعه الى العمل والسعى لكسب الرزق ، روى الشيخ أبو العباس فقال :

« كنت ليلة من الليالى نائما بالاسكندرية ، واذا قائل يقول : مكة والمدينة ، فلما أصبحت عزمت على السفر ، وكان الشيخ أبو الحسن بالقياس بالقاهرة ، فسافرت اليه ، فلما مثلت بين يديه قال لي : مكة والمدينة ، فقلت : لأجل ذلك جئت ياسيدى ، قال : اجلس فجلست واذا برجل دخل عليه وقال : ياسيدى عزمت على الحج وما معى شيء من الدنيا ، فقال لى الشيخ : أى شيء معك ؟ فقلت : عشرة دنانير قال : ادفعها لهذا الرجل ، فدفعتها اليه ، فقال لي الشيخ : اذا كان غد" فاخرج الى الساحل واشتر لى عشرين اردبا قمحا : فأصبحت ونزلت الى الساحل واشتريت عشرين أردبا ، وحملت القمح الى المخزن ،وجئت الى الشيخ ، فقال : هذا القمح قالوا لى انه مسوس ما تأخذ منه شيئا ، فبقيت متحيرا لا أدرى كيف أصنع ، وبقيت ثلاثة أيام لا يطالبنى صاحب القمح بالثمن، فلما كان اليوم الرابع واذا برجل يطوف على فلما رآنى قال : أنت صاحب القمح ؟ فقلت : نعم قال تأخذ فيه فائدة ألف درهم ؟ فقلت : نعم ، فوزن لي ألف درهم ، فوضع الله لي البركة فيها ، فلو قلت انى انفق منها الى اليوم لصدقت»

أبو العباس يدرس فى القاهرة

وكان أبو العباس يتنقل مع استاذه ابى الحسن ويصحبه فى رحلاته الى المدن المصرية المختلفة وفى سفراته للحج ، وكان يشاركه فى القاء الدروس وتعليم المريدين ونشر اصول الطريقة ، ولكنه بعد قليل استأذن الشيخ فى ان يسافر الى القاهرة ليعمل على نشر الدعوة والتدريس بمدارسها ، فسمح الشيخ له . وسافر ابو العباس وكان يلقى معظم دروسهفى جامع المقسوهو جامع أولاد عنان الحالى القريب من محطة باب الحديد ، ولكنه كان ولا شك يلقى بعض دروسه فى مساجد القاهرة ومدارسها الاخرى ، وخاصة بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط .

الشاذلى تتقدم به السن ، فيستخلف المرسى على شئون الدعوة

ولما وافت سنة ٦٤٦هـ وكانالشيخ ابو الحسن قد تقدمت به السن وفقد بصره ، ولم تعد له قدرة على الاشراف على شؤون اتباعه ، فرأى ان يستخلف تلميذه وصفيه أبا العباس المرسى على شؤون الدعوة ، واعلن استخلافه له فى حفل جامع بين أتباعه فى مسجد العطارين بالاسكندرية.

واخذ أبو العباس بعد اعلانه خليفة يشرف على شؤون الطريقة والاتباع، فيلقى عليهم دروسه ويعمل على تهذيبهم وقيادتهم على الأسس التى رسمها الشيخ أبو الحسن ، وكان يلازم الشيخ حينا ، وينفرد بدروسه فى الاسكندرية والقاهرة حينا آخر .

الشاذلى تصعد روحه الى الله ، فى طريقه الى الحج

الى أن كانت سنة ٦٥٦ هـ وقد عزم الشيخ أبو الحسن على الخروج للحج فصحب معه نخبة من تلاميذه وفى مقدمتهم أبو العباس المرسى ، ولما وصل الركب الى حميثرا فى صحراء عيذاب مرض الشيخ مرضا شديدا لم يمهله طويلا ، وصعدت روحه الطاهرة الى بارئها فى هذا المكان المبارك ، وفى ليلة وفاته جمع أصحابه وأوصاهم . يقول صاحب المفاخر العلية :

« ثم خلا بسيدى أبى العباس المرسى وأوصاه بأشياء ، واختصه بما خصه الله به من البركات »

ثم نادى أصحابه وقال لهم :

« اذا أنا مت فعليكم بأبى العباس المرسى ، فانه الخليفة من بعدى ، وسيكون له مقام عظيم بينكم ، وهو باب من أبواب الله تعالى » .

أبو العباس ، بعد دفن أستاذه ، وبعد الحج ، يعود الى الاسكندرية ، ويخلف الشاذلى فيها

صحب أبو العباس المرسى الجماعة الذين معه ـ بعد دفن أستاذه ـ الى الحجاز وأدى فريضة الحج ، ثم عاد الى الاسكندرية فجلس مجلس أستاذه الشيخ أبى الحسن ، وخلفه فى مكانته ، فكان يرعى شؤون الاتباع ويقوم بارشادهم وتعليمهم ، ويعقد حلقات الدرس والذكر ، وشاع منذ ذلك الحين ذكره ، وذاعت شهرته ، فقصده الطلاب والاتباع من كل مكان ، ورحل اليه القصاد من مختلف البلدان يسألونه المعرفة ويلتمسون منه البركة والدعاء ، ووفد عليه العلماء والفقهاء يستزيدون من علمه .

أبو العباس يدرس أحيانا فى القاهرة ، ويستمع اليه علماؤها

وكان يقيم معظم السنة فى الاسكندرية ، ويرحل فى بعض الشهور الى القاهرة حيث يعقد حلقات دروسه فى جامعى المقس وعمرو بن العاص ، وكانت الحلقات تزدحم دائما بالمستمعين وأكثرهم من علماء القاهرة ، وخاصة اذا بدأ فى قراءة الرسالة للامام القشيرى ، فقد كانت أيام شرحه لها من الأيام المعدودة ، لانه كان يأتى فى هذا الشرح بكل بديع بحيث يملك على السامعين نفوسهم وأرواحهم ويهز مشاعرهم ، وقد أناب على يديه بعد هذه الدروس ـ كما يقول الاستاذ السندوبى ـ « خلق لا عد لهم ولا حصر » .

وقد ذكر ابن عطاء الله ان الشيخ شمس الدين الاصفهانى والشيخ شمس الدين الأيكى ـ وهما من علماء مصر المبرزين فى ذلك العصر ـ كانا يجلسان بين يدى أبى العباس المرسى جلوس المستفيد آخذين عنه ومعلقين ما يبديه .

أبو العباس لا يتكلف فى عبادته ولا يتظاهر بالزهد

وكان الشيخ أبو العباس المرسى يعبد الله خير عبادته ، ويكره التكلف والتظاهر بالزهد ، والادعاء والرياء ، فكان اذا قام للصلاة صلى صلاة خفيفة لا يطيل الركوع والسجود ، ولا يسترعى الاسماع بقراءته حتى لا يلفت الأنظار الى صلاته وعبادته فانه يعتقد أن صلاته لله سبحانه .

وكان الشيخ اذا حضر مجلسا يقرأ فيه القرآن خشع الخشوع كله ، وربما أخذته حال من الرهبة والخوف عند تلاوته ، وسئل فى ذلك فقال :

« لكأنما أقرؤه على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

وقال مرة أخرى :

« لكأنما أقرؤه على الله عز وجل » .

وكان يريد من الاتباع جميعا أن يتجهوا فى عبادتهم الى الله سبحانه وتعالى ، وأن يفنوا فيه ، والا يفكروا الا فى ذاته العلية ، وأن يبعدوا بعدا تاما عن المظاهر والرياء والنفاق والتظاهر بالعبادة .

زاره يوما بعض العائدين من الحج فسألهم :

« كيف كان حجكم ؟ » .

فقالوا :

ـ كان كثير الرخاء كثير الماء ، ابتعنا الماء بكذا .

فاعرض عنهم وقال :

ـ أسألهم عن أثر الحج فى نفوسهم من تلبية لله وما فتح به عليهم ، وما وجدوه وما فازوا به فيجيبون برخاء الأسعار وكثرة المياه ، كأنهم لم يسألوا الا عن ذلك، اذا وصلت الى البيت الحرام فلا يكن همك البيت ، وليكن همك رب البيت ، ولا تكن ممن يعبد الأوثان والأصنام » .

((اعرف الله ، وكن كيف شئت))

وابو العباس فى هذا متأثر كل التأثر بالآداب التى اخذه بها أستاذه أبو الحسن الشاذلى، فقد كان الشيخ أبو الحسن يعنيه الاخلاص الحقيقى والايمان الحقيقى ، ولا يعنيه التظاهر . قال أبو العباس : « دخلت يوما على الشيخ أبي الحسن وفي‌نفسي أن آكل الخشن وألبس الخشن فقال لي: يا أبا العباس ، اعرف الله وكن كيف شئت » .

وبهذه الآداب ، وبغيرها كثير مما يشبهها ،كان الشيخ ابو العباس المرسى ياخذ أتباعه ومريديه ، فكان يترفق بهم ويهذب نفوسهم ويرعى شؤونهم، واذا قصده مريد قابله فى الحال ، واستمع اليه فاحسن الاستماع وباسطه فى الحديث .

ولم يكن أبو العباس يستأثر باتباعه أو يمنعهم من الاتصال بغيره من الشيوخ ، وكان يردد فى هذا قول شيخه :

« اصحبونى ولا أمنعكم ان تصحبوا غيرى ، فاذا وجدتم منهلا اعذب من هذا المنهل فرِدُوه » .

وكان أبو العباس خير مرب لأتباعه ومريديه ، فلا يثنى على واحد منهم بحضور اخوانه حتى لا تقوم بينهم اسباب الحسد والبغضاء ، واذا مدحه واحد منهم بقصيدة اقبل عليه واجزل له العطاء .

أبو العباس يعزف عن لقاء الحكام

وخير ما كان يتصف به أبو العباس وخير ما كان يعمل على تلقينه لأتباعه عزة النفس والتعفف عما بأيدى الناس والثقة كل الثقة بالله ، فكان يقول لأصحابه :

والله ما رأيت العز الا فى‌رفع الهمة عن الخلق، وما السلامة‌فى‌الدنيا الا بترك الطمع فى المخلوقين».

ولهذا كان‌لا يحب مقابلة الحكام وذوى السلطان أو التوسط والشفاعة لديهم .

جاءه يوما احد الناس وطلب وساطته عند بعض الحكام فى حاجة له فقال له :

« أنا أطلب لك ذلك من الله » .

مكث فى الاسكندرية ٤٣ عاما

وقد اقام أبو العباس فى الاسكندرية ما يزيد على ثلاث واربعين سنة لم يحاول فى خلالها ان يزور والى المدينة او ان يقصده فى مطلب او شفاعة ، ومع هذا فقد طلب والى المدينة رؤية الشيخ والاجتماع به ولكن الشيخ ابى ورفض

يعرض عليه العطاء الجزل فيرفضه

وحضر يوما لزيارته الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ، وهو مدبر الملكة ، وصاحب الحول والطول فى عهد السلطان قلاوون . تقول المراجع :

« فما الوى الشيخ اليه عنان همته ، ولا فوّق نحوه سهام عزيمته ، ولما استعرض الأمير رغائب الشيخ قال الزكى الاسوانى ـ عديله وأحد أصدقائه وأتباعه ـ : يا سيدى اطلب منه أرضا يزرعها أصحابك، فقال الشيخ يا زكى، هذا ما لا يكون ابدا » .

وذكر ابن عطاء الله السكندرى ـ تلميذ أبى العباس ـ ان الطواشى بهاء الدين ومشد الديوان والفقيه شمس الدين بن الخطيب ناظر الاحباس جاءوا مرة لزيارة الشيخ وقالوا له :

« ان هذه القلعة ـ يقصدون المكان الذى كان يقيم فيه الشيخ مع أتباعه ـ تحتاج الى حصر وزيت وقناديل ، ويحتاج الفقهاء فيها الى ما يأكلون ، ونحن حكام الوقت تطلق لهم شيئا كل شهر ، فقال الشيخ : حتى أشاور أصحابى ، ثم قال لأصحابه : بماذا تشيرون ؟ فلم يرجع احد جوابا، فكرر السؤال فلم يجبه أحد ، فقال: « اللهم اغننا عنهم ولا تغننا بهم انك على كل شيء قدير » **ومات الشيخ وليس للمكان مرتب ولا معلوم .**

هذا هو الاسلام الحق وهذه هى الأخلاق الاسلامية الأصيلة : العزة والكرامة والتعفف عن الناس ، والغنى بالله ، والسعى والعمل ، والايمان الحق بعد هذا كله بالله سبحانه وتعالى، فليت قومى يعلمون،وليتهم بهذه الأخلاق يعملون.

بين الصوفية ، والفتوة فى ذلك العصر

وكان للصوفية وللتصوف فى عصره شأن أى شأن ، وكانت بين المتصوفة والفقهاء خصومة

(البقية على صفحة ١٥٠)

اعرف وطنك أيها العربي

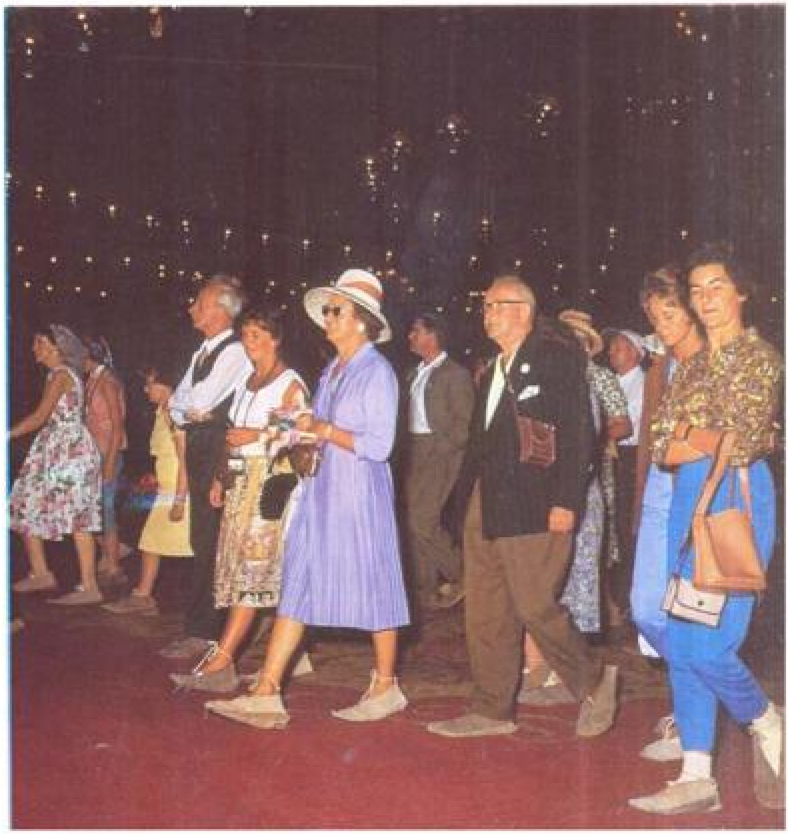
قلعة صلاح الدين

والآثار الإسلامية الفخمة التي نشأت حولها

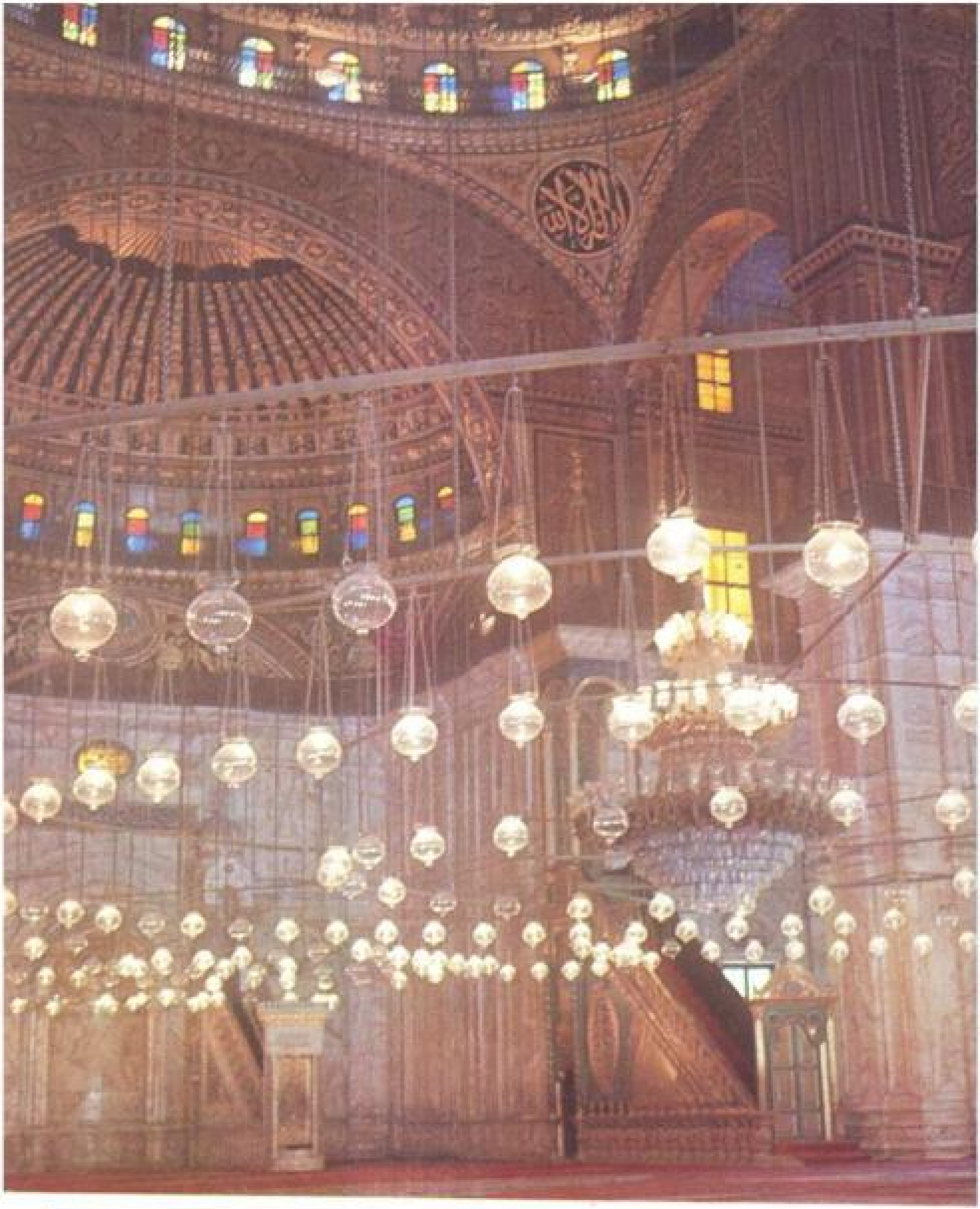
صورة من الحياة في القاهرة القديمة عند بناء القلعة

قام بهذا الاستطلاع **رجاء مكاوي** وصوره **« أوسكار »**





الى اليمين : تتوافد على القلعة ومسجد محمد على افواج السائحين والسائحات طوال العام .. فاذا ارادوا دخول المسجد وضعوا فى اقدامهم احذية من القماش اعدت ليلبسها السائحون فوق احذيتهم على نحو ما ترى فى الصورة .





ثريا ضخمة من الكريستال تتدلى من سقف جامع محمد علي .. وحولها عدة ثريات مدلاة من حلقات نحاسية ضخمة تضفي شكلا جميلا على المسجد الذي صرف عليه محمد علي عند انشائه نحو ١٠٠ الف جنيه ... ان السائح الذي لا يزور القلعة ومسجد محمد علي .. فكأنه لم يزر القاهرة !

والى اليسار : منظر عام للقلعة من الخارج

■ لم تكن حيا من أحياء القاهرة . كانت مدينة كاملة تشرف على القاهرة من ارتفاع يزيد على ١٥٠ مترا . وكانت تشرف على كل نواحي الحياة في المدينة الكبيرة التي كانت تتطلع اليها من عمق يزيد عن ١٥٠ مترا . فقد بناهـــا صلاح الدين الأيوبي لتكون مقرا للحكم في مصر .

ففي يوم قائظ من أيام صيف عـام ٥٧٢ هجرية ، ركب صـلاح الدين الايوبي حصـانه الأبيض ، واتجه في حاشية من اتباعه خـــارج القاهرة ، وأخذ يصعد جبل المقطم ، حتى وصـل الى ربوة واسعة بنيت في وسطها قبة عرفت بقبة الهواء . دار فيها قليلا ، ثم نظر خلفه .. فرأى القاهرة كلها بنيلها ، بأهرامها ، بمبانيها ،ومآذنها وقبابها ومساجدها .. كلهـــا قابعة تحت سنابك خيله .. فأحكم قبضته على اللجام ، وابتسـم صلاح الدين ، ونظـر الى وزيره .. « الطواشى بهاء الدين قراقوش » ، وقال له : هنا .. هنـا تبنى القلعة .

لماذا .. هذا المكان ؟

لماذا اختار صلاح الدين هذه البقعة البعيدة عن القاهرة بالذات ؟

الواقع انه لم يكن يبنى في القلعة مقرا للحكم فقط .. ولكنه كان يشيد معقلا له ولاسرته ..

فقد كان صلاح الدين يحارب فلول الفاطميين في مصر .. وكان يتعرض هو واسرته لمكايد مشايعى الفاطميين . وقد آلى صلاح الدين على نفسه أن يطمس آثار الفاطميين والا يترك سبيلا لاحيـــاء ذكراهم واستعادة سلطانهم. فجاء باتباعهوحاشيته وضباط جيشه وأقاربه ، وأسكنهم قصور كبار الفاطميين ، بعد أن طردهم منها ، بكل ما احتوت عليه من تحف وطرائف .

واهمل مدينتهم « الفسطاط » التي التصقت بها ذكراهم ، وارتبطت بمنشآتها شهرتهم ، وعوّل منذ اللحظة الأولى على أن يدمج القاهرة والعواصم التي سبقتها بعضها في بعض ، ويوحّد بينهـا ، فيحيطها جميعا بسور عظيم ، لتصبح عاصـمة امبراطوريته ..

هذا شيء ..

وكان أهم من ذلك أن يشيد فوق القاهرة ، فوق رابية من روابى المقطم ،قلعة حصينة لاقامته، ولتشرف على تلك العاصمة الموحّدة .

وهكذا أدمجت العواصم التي قسمت بهــا القاهرة منذ بداية الفتح الاسلامى : الفسطاط (الفتح الاسلامى) ـ العسكر (العصر العباسى) ـ القطائع (الدولة الطولونية) واخيرا القـــاهرة (العصر الفاطمى) ..

ومن أجل هذا يعتبر بعض المؤرخين صلاح الدين الايوبى مؤسس القاهرة الحديثة .

حكم قراقوش !

وبعد أن كانت قاهرة الفاطميين مقصورة عـلى سكن الخلفاء وحاشيتهم ، فقد شجع صلاح الدين أفراد الشعب على سكن القاهرة ، واقامة المنازل فيها ، فنقلوا الانقاض من الفسطاط وغيرها التي تخلفت عن حريق شاور المدمر الذى استمر حوالى شهرين كاملين .. واستعملوا هـــذه الانقاض في تشييد مبانيهم .

أما مبانى القلعة ، فقد اهتم بها شخصيا الوزير أبو سعيد ابن عبد الله الأسدى الملقب ببهــاء الدين . وقد أشرف عليها ـ بأمر صلاح الدين ـ بحزم واحكام . فاشتهر بالصرامة والاستبداد ، واطلق عليه المصريون اسم قراقوش ، ومعناه طائر « العقاب » الأسود .

وتحكى عن قراقوش نوادر غريبة جمعها أحـد المؤلفين في كتاب سـماه « الفاشوش في أحكام قراقوش » .

ولا يزال المثل السائد في مصر حتى الآن يصف التصرفات الاستبدادية بأنها « حكم قراقوش » .

القلعة .. أهم آثار صلاح الدين

قلعة الجبل التي اراد أن يحمى بها مدينـة القاهرة اذا ما اعتدى عليها الصليبيون ، فاختار لها مكانا مرتفعـا شرق العاصمة ، وعلى صخرة مفصولة من جبل المقطم.وبنى فيها قصرا لسكنه، أى سكن صلاح الدين .وظهرت بئر يوسف ـ التي كان قد ردمت ـ وأعدت لتغذى القلعة وملحقاتها بالماء في حالة الحرب أو الحصار .

وقد اتخذت القلعة منذ ذلك الحين مقرا للحكم حتى عصر الخديوى اسماعيل الذى نقل مقـر الحكم الى قصر عابدين .

٣٢ سنة كاملة !

وبدأ بناء القلعة سـنة ١١٧٦ ميلادية وانتهى



السور الشرقى للقلعة . وقد كانت القلعة مقرا للحكم ، ولذلك اتسعت رقعتها وامتدت وأنشئت حولها القصور والمكتبات والحدائق والدواوين والمساجد ودار سك النقود ، حتى أصبحت مدينة قائمة بذاتها محاطة بأسوارها وأبراجها .

سنة ١٢٠٨ ، اى ان بناءها استغرق ٣٢ سنة كاملة !

ولكن بعض المؤرخين ياخذون على صلاح الدين (او قراقوش) انه اصدر امرا بهدم بعض اهرام صغيرة من الجيزة لاستعمال حجارتها فى بناء القلعة والسور . كما انه استخدم عددا كبيرا من اسرى الفرنجة فى الحروب الصليبية فى أعمال النحت والبناء .

وقد بنيت القلعة على غرار القلاع السورية التى رآها صلاح الدين تحمى كثيرا من البلدان فى سوريا ، فاخذ الفكرة ، وأحاط القاهرة بسور كبير لتحصينها ، وضاعف من قوتها باقامة هذه القلعة الحصينة فوق جبل المقطم . وقد بلغ طول هذا السور حسب تقدير المقريزى ٢٩٣٠٢ ذراع .

وفى الضلع الغربى للقلعة ، عند الباب المدرج ، لا نزال نرى حتى اليوم أثرا هاما من آثار صلاح الدين ، وهو كتابة تاريخية كتبت أثناء انشاء القلعة .. هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بانشاء هذه القلعة الباهرة ، المجاورة لمحروسة القاهرة ، التى جمعت نفعا وتحسينا وسعة على من التجا الى ظل ملكه وتحصينا ، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، أبو المظفر يوسف بن أيوب محيى دولة أمير المؤمنين فى نظر أخيه وولي عهده ، الملك العادل سيف الدين ابى بكر محمد خليل أمير المؤمنين ، على يد أمير مملكته ، ومعين دولته ، قراقوش ابن عبد الله الملكى الناصرى فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة » .

والأهمية التاريخية لهذا النص ترجع الى أن هذه العبارة هى أقدم كتابة كتبت بالخط النسخ الايوبى .

بئر يوسف

وحفر صلاح الدين فى القلعة بئرا يستقى منها الجيش وسكان القلعة اذا ما منع الماء عنها عند حصارها . وهى من أعجب ما تم من الأعمال فى عهد صلاح الدين ، اذ انها محفورة فى الصخر على عمق ٩٠ مترا تقريبا من مستوى ارض القلعة . وقد تطلب هذا العمل مجهودا شاقا .

وتتركب هذه البئر من طابقين ، لكل منهما ساقية ، ترفع المياه منها بواسطة الدواب ، التى خصص لها منحدر ، لتسهيل النزول والصعود . وقد فتحت بجانبه فتحات لايصال النور الى هذا الممر . ولا تزال السواقى بمعداتها موجودة اسفل البئر حتى الآن .

ويرجع الاستاذ حسن عبد الوهاب ـ وهو من اكبر الثقات فى الآثار الاسلامية ـ ان هذه البئر تسبق عصر صلاح الدين خصوصا وانها خارج أسواره .

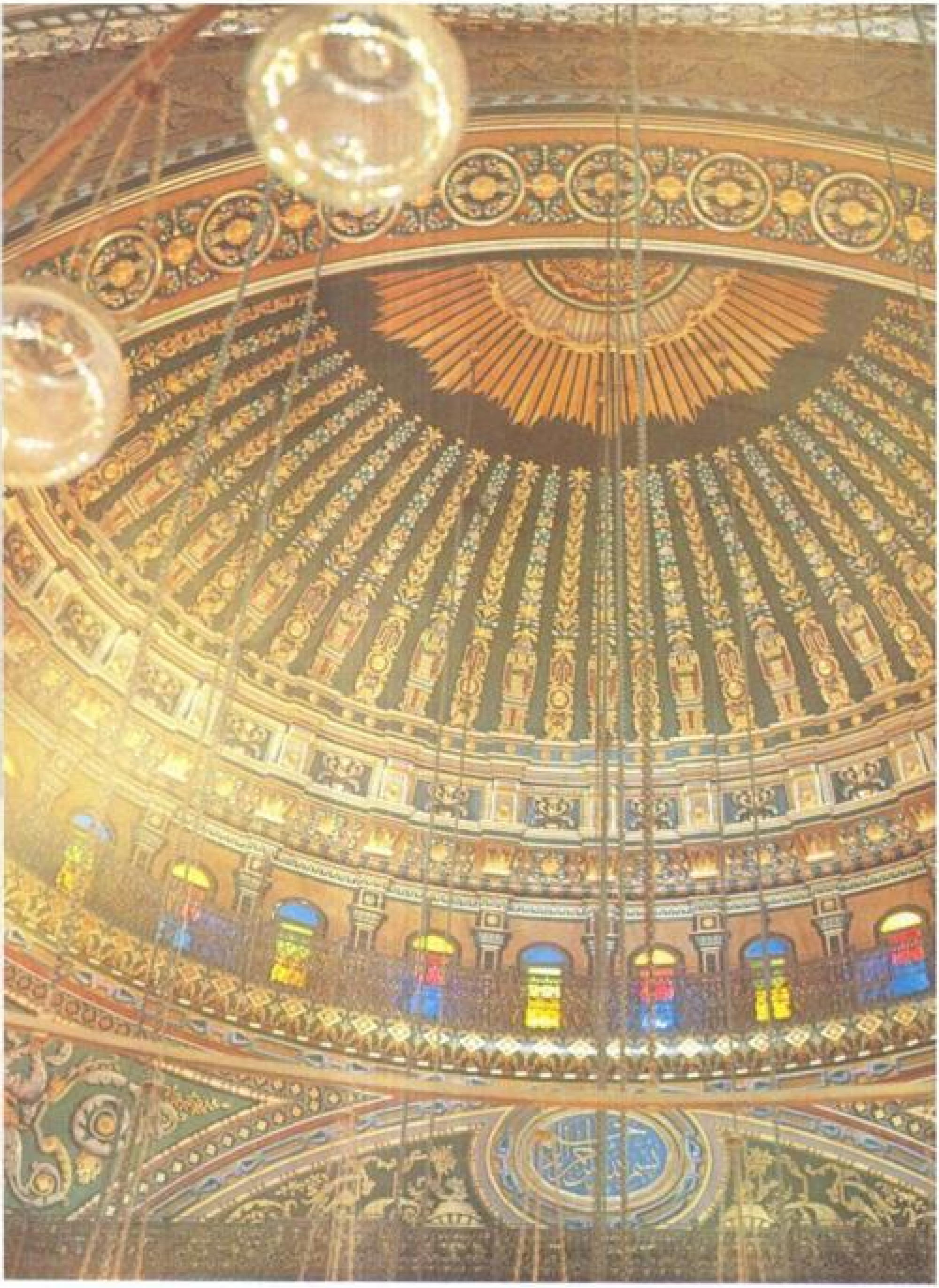




الساعة التي أهداها ملك فرنسا لويس فيليب سنة ١٨٤٥ لمحمد علي



الى اليمين : من خلف هذه النافذة يقف السائح ليلتقط منظراً فريداً للقلعة من خلف السياج ..



هكذا تبدو السقوف والثريات في مسجد محمد علي .. ألوان وأشكال هندسية غريبة .. ودقة متناهية في العمل والفن الرائع لقد اقتبس مهندس الجامع تصميم المسجد من مسجد السلطان أحمد بالآستانة ، ولكنه اقتبس زخارف المسجد من الجداول المخضرة بزهورها الملونة وبعض الفواكه . لقد كانت هذه الزخرفة على طابع القرن الثامن عشر .

ولم تكن هذه البئر معدة للعمل الا فى أيــام الحصار أو الحرب . لأن مياه النيل العذبة كانت تصل الى القلعة فى عهد صلاح الدين وبعــده بوساطة قناة على ظهر سور صلاح الدين الممتـد من الفسطاط الى القلعة والموجودة بقايا منه حتى الآن .

وقد ظلت القلعة تغذى بالمياه العذبة بواسطة قناة على ظهر سور صلاح الدين ، الى أن اتسعت مبانيها وكثرت منشآتها ، فأنشأ الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ١٣١٢ميلادية أربع سواق على النيل تنقل الماء الى السور على قناطر اتصلت بسـور صلاح الدين ومنه الى القلعة .

وقد اهتم بالقناطر وحسنها جميع حكام مصر ، وظلت تؤدى رسالتها حتى القرن التاسع عشر ، حيث اصلحت وانتفع بها .

مدارس صلاح الدين

اما منشآت صلاح الدين بالقلعة ، فلم يبق منها سوى بعض أجزاء السور والأبواب ، فقد أدخلت عليهـــا كثير من التغييرات والاضافات فى العصور التالية . منها ان الكامل أنشـأ قصورا وزاد فى مساحتها ، وأحاط الزيادة بسور أقل حجما من سورها الأول . كما انشأ الظاهر بيبرس برجـا كبيرا ، وقصرا فخما لوالده فيها . وكان أغرب ما أنشىء مقعد فخم شاهق يطل من فوق القلعة على الجيزة والنيل .

وأخيرا أصلح محمد على جانبا كبيرا من سـور القلعة وأبوابها وأبراجها ، وأنشأ الجامع المعروف باسمه ، وسراى الجوهرة .. وسراى العدل ودار الضرب ودار المحفوظات .

ولكن كان أهم ما أنشأه صلاح الدين المدارس . وكانت أول مدرسة بناهـــا هى المدرسة الناصرية التى بنيت بجوار جامع عمرو لتعليم الدين وفق المذهب الشافعى ، حتى يزيح ــ عن طريق العلم ــ المذهب الشيعى ويحـل محله المذهب السنى . فأنشأ مدارس يدرس فيهـــا الدين وفق المذاهب الأربعة . ولكى يضمن ازدهــــار هذه المدارس واستمرارها فى اداء رسالتها أوقف عليها الاراضى الزراعية وعنى بالطلاب والشيوخ جميعا .

صورة للقاهرة

ولقد زار مصر فى عهد صـــلاح الدين الرحالة الشهير عبد اللطيف البغدادى ، فأعجب بكل ما شاهد فى القاهرة من غرائب الأبنية ووسائل الراحة . وأطنب فى وصف حماماتها فقال :

واما حماماتهم فلم أشاهد فى البلاد أتقن منهـا وصفا ، ولا أتم حكمة . ولا احسن منظرا ومخبرا . أما أولا فان أحواضها يسع الواحد منها ما بين راويتين الى أربع روايا وأكثر من ذلك ، يصب فيها ميزابان ثجاجان ، حار وبارد .

وقبل ذلك يصبان فى حوض صغير جدا مرتفع ، فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير ، وهذا الحوض نحو ربعه فوق الارض . وســـائره فى عمقها ، ينزل اليه المستحم ، فيستنقع فيه .

وداخل الحمام مقاصــير بأبواب . وفى المسلخ أيضا مقاصير لارباب التخصص ، حتى لا يختلطوا بالعوام ، ولا يظهروا على عوراتهم . وهذا المسلخ بمقاصيره ، حسن القسمة ، مليح البنية .

وفى وسطه بركة مرخمة ، وعليها اعمدة وقبة، وجميع ذلك مزوق السقوف ، مفوق الجـدران مبيضها ، مرخم الأرض بأصناف الرخام ، مجزع باختلاف الوانه . وترخيم الداخل يكون أبــدا أحسن من ترخيم الخارج ، وهو ــ مع ذلك ــ كثير الضياء مرتفع الأزاج ، جاماته مختلفة الالوان ، صافية الاصباغ ، بحيث اذا دخله الانسان لـم يؤثر الخروج منه ، لأنه اذا بالغ بعض الرؤساء ان يتخذ دارا لجلوسه ، وتناهى فى ذلك ، لم تكن أحسن منه !! واذا كثرت الحمامات فى بلـد كان ذلك عنوانا على نظافة ابدان أهله ، وصــحة أجسامهم ، وسلامة عقولهم ، وبالتالى دليـــلا على رقيهم وتقدمهم . »

القاضى الفاضل

وكان للأدب والثقافـــة فى دولة الأيوبيين شان كبير . فقد كان صـــلاح الدين لا يجالس سوى الأدباء والفقهاء والعلماء ، ويجزل لهم العطاء ، ويعلتهم بالمنـح والمكافآت . بل ان وزارته كانت تضم اثنين من كبار الأدباء : أحدهمـــا القاضى الفاضل ، والآخر عماد الدين الكاتب الاصفهانى .

وكان صلاح الدين يقول فى القاضى الفاضـل : « لا تظنوا انى ملكت البلاد بسيوفكم بل بقـلم الفاضل » .

ومن شعراء هذا العصر ابن الفارض الحموى الأصل ، المصرى المولد والوفاة .

ولم يمنعه كل ذلك عن التدوين والتصنيف فى الفلسفة والطب والمنطق .

اما الفنون فقد ازدهرت فى بعض النواحى مثل الحفر على الخشب والخزف المطلى بالمينا . وهناك ثلاثة توابيت من الخشب المحفور من العصر الايوبى آية فى الدقة والاتقان . احدها على قبر الامام الشافعى . والثانى على قبر الملكة شمس زوجة صلاح الدين . والثالث كان موضوعا فوق قبر الامام الحسين وهو الآن بالمتحف الاسلامى .

مسجد محمد علي

ان القلعة لا تحتوى فقط على آثار الايوبيين .. أو صلاح الدين . فقد بقيت منذ عهد صلاح الدين حتى عهد اسماعيل وهى المقر الرسمى للحكم . وترك بها المماليك وأسرة محمد على آثارا وقصورا ومساجد ، لا يزال اكثرها باقيا حتى اليوم .

ومن اشهر هذه الآثار .. مسجد محمد على الكبير . وقد اختار محمد علي له مكانا جعله علما على القلعة ، حيث يرى من جميع انحاء القاهرة يطاول السماء بمنارتيه الرشيقتين وقبته الكبيرة .

وقد انشاه محمد على بعد أن فرغ من بناء قصوره بالقلعة وبناء المدارس والدواوين بها . وعهد الى المهندس التركى يوسف بوشناق بوضع تصميم له ، فوقع اختياره على مسجد السلطان احمد بالاستانة ، فاقتبس منه مسقطه الافقى بما فيه الصحن والفسقية مع تحويرات طفيفة . ولم ينفرد المهندس التركى بالاشراف على عمارة المسجد، بل ساعده نخبة من المهندسين المصريين .

اما الصناع فقد كانوا خليطا بين اتراك وأرمن ومصريين . وقد استمر العمل فيه ٢٠ سنة. وكان اول شيء حدث فيه ـ حتى قبل ان يتم ـ هو دفن محمد علي فى المقبرة التى أعدها لنفسه بداخل المسجد ، وكان المسجد قد بنيت أسواره وقبابه ومناراته،والكتابات التى تعلو الشبابيك الخارجية والداخلية. اما أعمال النقش والتذهيب والمقصورة النحاسية والنجف الضخم الفخم والثريات التى تملأ كل مكان فى المسجد ، كل هذا تم فى عهد الخديوى عباس .

والمسجد مستطيل البناء ،وينقسم الى قسمين: الشرقى وهو المعد للصلاة ، والغربى وهو الصحن ، تتوسطه فسقية الوضوء . ولكن من

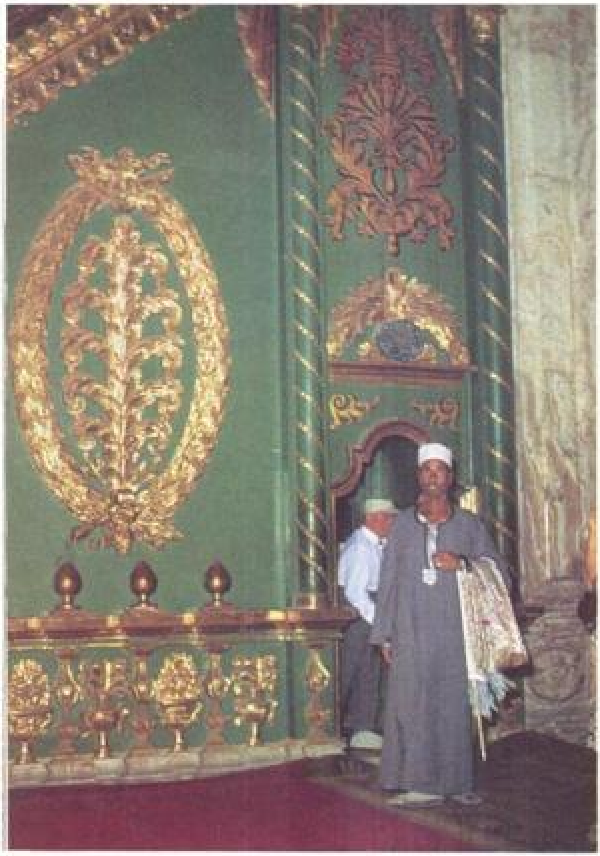


تسهيلا للسياح أعدت لهم أحذية من القماش يلبسونها فوق أحذيتهم ، حتى يستطيعوا أن يدخلوا المسجد دون أن يخلعوا أحذيتهم ..

اما عبد اللطيف البغدادى الرحالة العراقى الشهير الذى ولد فى بغداد ودرس الطب والفلسفة وعلوم اللغة ، فمن مؤلفاته المعروفة كتاب«الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » ، وهو يشتمل على وصف رحلته الى وادى النيل فى نهاية القرن السادس الهجرى، وهو على اختصاره يمتاز بدقة الوصف والاتجاه العلمى . وليس هذا بعجيب من عالم طبيب كالبغدادى .

وعالم آخر شهد هذا العصر الذهبى .. هو موسى بن ميمون الذى ولد بالاندلس وطاف بلاد المغرب والشرق العربى ، ثم استقر به المقام فى مصر ، واخذ يلقى المحاضرات فى علوم الرياضة والفلك والفلسفة . وقد شهد سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الايوبية ، وعاصر أكثر ملوكها ، وقام بتطبيبهم وتطبيب افراد اسراتهم ،







أكبر منبر
فى المساجد الاسلامية

هكذا يبدو منبر مسجد محمد علي ، وهو مصنوع من الرخام .. محلى بنقوش مذهبة بارزة .. وبأسفل المنبر باب يعجب السواح كثيرا ان يدخلوا منه ليخرجوا من الباب الثانى فى الجانب الآخر .. وليس هذا هو المنبر الوحيد .. هناك منبر آخر اصغر منه وهو المنبر الخشبي الاصلى للجامع انشيء معه .. اما المنبر الرخامى فقد انشيء سنة ١٩٣٩ . وهو أكبر منبر معروف فى المساجد الاسلامية حتى الآن .

القسمين بابان متقابلان ، فالقسم الشرقى مربع الشكل طول ضلعه من الداخل ٤١ مترا ، تتوسطه قبة مرتفعة قطرها ٢١ مترا وارتفاعها ٥٢ مترا عن مستوى أرض المسجد محمولة على اربعة عقـود كبيرة متكئة أطرافها على اربعة أكتاف مربعة يحوطها أربعة أنصاف قباب ، ثم نصف خامس يغطى بروز المحراب . وذلك خلاف اربعة قباب أخرى صغيرة بأركان المسجد . وكسيت جدران المسجد مـن الداخل والخارج برخام المرمر المجلوب من محاجر بنى سويف ، وكذلك الأكتاف الأربعة الداخلية الحاملة للقبة الى ارتفاع ١١ مترا .

والمحراب ايضا من رخام المرمر ، حُلّيت طاقيته بزخارف مذهبة تمثل اشعة الشمس، بجاوره منبر رخامى جديد بالقرب من المنبر الخشبى القديم . وهو أكبر منبر حُلّى بنقوش بارزة مذهبة .

وكسيت جميع جدران المسجد ، أعلى الكسوة الرخامية من الداخل، ببياض حُلّىَ بنقوش ملونة ومذهبة . أما القبة الكبيرة وأنصاف القباب فقد حليت بزخارف بارزة ملونة مذهبة ، تمثل عقودا وزهورا يتوسطها هلال ، وكتب فى أضلاع القبة بالتناوب (بسم الله ما شاء الله . تبارك الله)

السياح امام مقبرة محمد علي تحت قبة المسجد حيث أوصى أن يدفن .



الجامع مقتبس !

ان مهندس الجامع ، وان كان أقتبس من مسجد السلطان أحمد التصميم والواجهات ، الا انه لم يقتبس منه زخارفه ولا زخارف عصره . بل اقتبس زخارف المسجد من تلك الزخارف التى راجت فى تركيا فى القرن الثامن عشر الميلادى ، وهى تمثل جدائل مخضرة بزهورها الملونة وبعض الفواكه .

وحليت زوايا القباب والعقود بلفظ الجلالة ، ومحمد رسول الله ، وأسماء الخلفاء الراشدين بخط الخطاط المشهور (أمين أزميرى) .

وعلى طرف الواجهة الغربيـــة للمصلى منارتان رشيقتان بارتفاع ٨٤ مترا بكل منهما ٢٥٦ درجة خلاف درج السلة .

وتتوسط الصحن قبة الوضوء وهى مقامة على ثمانية أعمدة من الرخام، تحتها قبة أخرى رخامية ثمانية الاضلاع نقش عليها زخارف بارزة وعناقيد عنب .

ويحيط بالصحن اربعة ايوانات ذات عقـود محمولة على أعمدة رخامية تحمـل قبابا صغيرة منقوشة من الداخل ومغشاة من الخارج بألواح الرصاص .

ويتوسط الايوان الغربى للصحن برج من النحاس المخرم والمحلى بالنقوش والزجاج الملون ، بداخله الساعة الدقاقة المهداة من ملك فرنسا لويس فيليب سنة ١٨٤٥ .

بالشعر ..

وبدائر المسجد والصحن شبابيك نحاسية مفرغة باشكال زخرفية ، ومكتوب على اعتاب الشبابيك من الخارج قصيدة من نظم الشاعر المصرى الشيخ محمد شهاب الدين ابتدأت من يسـار البـاب البحرى وأولها :

عروس كنوز قد تحلت بمسـجد
مكللة تيجـانهـا بالزبـرجد
ام الجنة المبنىُ عالى قصورهـا
بأبهج ياقوت وأبهى زمـردُ

ومنهـا :

فـدع قصر غمدان واهرام هرمس
وايـوان كسرى ان أردت لتهتدى

ودع ارَمًا ذات العماد ونحوها
وعرشًا لبلقيس كصرح ممرد
ودع أمويّ الشام ، وانزل بمصرنا
وبادرْ الى هذا بايماء مرشد

وانتهت القصيدة على الشباك الأيمن للباب الذى بدأت منه بما نصه :

ميان اذا أمعنت فيها مؤرخا
تريك على قدر العزيز محمد

وهذا الشاعر ساير خطوات بناء الجامع وارخ الفراغ من تفاصيله الهامة ، منها مثلا ان الابواب انتهت سنة ١٨٤٥ والقبة الكبيرة انتهت سنة ١٨٤٦ .

وفى سنة ١٩٣٥ اجريت بالجامع اكبر عمارة بسبب خلل طارىء على قبته الكبيرة اقتضى هدمها هي وما حولها من قباب ، روعى عند اعادة بنائها اعادة العقود وغيرها بأحجامها وابعادها المعمارية الاصلية . وكذلك روعي عند اعادة الزخارف ان تكون طبق الاصل . وقد بلغت تكاليف اعمال الهدم والبناء ستين الفا من الجنيهات ، ونفقات البياض والزخرفة اربعين الفا . وهذه العملية تعتبر من اعظم الاعمال المعمارية التي تمت بمصر .

قصر الجوهرة

والى جوار المسجد مباشرة ، كان محمد علي قد انشا قصرا للحكم ، سماه قصر الجوهرة . ويشرف على القاهرة والمقطم . ومنه يرى النيل والاهرام ، وامتاز بجمال موقعه وجودة هوائه .

ويقول المؤرخون ان تسميته باسم « قصر الجوهرة » تسمية خاطئة ، لانها لم ترد فى التاريخ ولا فى الوثائق .

وعلى كل حال ، فقد اقيم القصر هو وملحقاته ، مكان ابنية للسلطان قايتباى والسلطان الغورى ما زالت بقاياها موجودة حتى الآن .

والباب الرئيسي للقصر فى الحد الشرقى ، ويشرف على الحوش السلطانى ومكتوب عليه « يا مفتح الابواب افتح لنا خير باب » ١٢٢٨ هـ .

ومن هذا الباب تدخل فتجد بابا آخر كتب عليه « الله ولى التوفيق » ١٢٢٩ هـ .وتدلف منه الى صالة كبيرة تشرف عليها حجرة الفرمان . وهى قاعة كبيرة سقفها بيضاوى تشرف على ميدان صلاح الدين ، وقد احتفظت تلك القاعة بنقوش سقفها ما بين آلات موسيقية وآلات حربية ، وهي الآن مفروشة ومعلق بها نجفة كبيرة وبها كرسى من



قبة الوضوء فى صحن المسجد ، وتحتها قبة أخرى نقشت عليها زخارف بارزة من عناقيد العنب . وترى البرج المصنوع من النحاس المخرم والمحلي بالنقوش والزجاج الملون .

كراسي محمد علي ، وقد فرشت الصالة امامها بعد ان جددت نقوشها . وعندما تحولت الى متحف منذ عدة سنوات ، صنعت تماثيل لمحمد علي وحراسه وبعض المقربين منه وافراد من الشعب يقدمون اليه طلبات ، ومحمد علي جالس جلسته الشهيرة على الاريكة بلحيته البيضاء ، وهو ممسك بيده فم « الشيشه » التقليدية .

وفى نهاية القاعة سلم يصعد منه الى صالة كبيرة بالجدار الشرقي ، بها باب يؤدى الى حمام ، جدرانه وحوضه الكبير من رخام المرمر ، ونقشت صور الاسطول على اعتاب الابواب المحدقة بها . ويتصل بالصالة ست حجرات ما بين كبيرة وصغيرة حليت جدرانها وسقوفها بنقوش تمثل اكشاكا وساعات ومناظر طبيعية وقطعا من الاسطول .

اول كسوة للكعبة

وقد فرش القصر بمفروشات وعرضت فيه





كرسي العرش المذهب الذى كان يجلس عليه محمد علي ، انه كرسي ضخم مصنوع من الخشب المكسو بالذهب الخالص ، وقماشه من المخمل الاحمر اللون .. انه يبدو كما لو كان صاحبه قد ذهب في مهمة ثم يعود سريعا ، يبدو كما لو كان معدا للاستعمال حتى الآن !

الى اليسار : نوع من السائحين والسائحات داخل مسجد محمد علي ، وقد ظهر خلفهم المحراب المصنوع من رخام المرمر ، وقد حليت طاقيته بزخارف مذهبة تمثل أشعة الشمس .. والى جانب المحراب ظهر جزء من المنبر المصنوع من المرمر أيضا .



مقتنيات ، القليل منها يمثل عصر القصر ، والكثير منها - هو وما عرض فيه من تماثيل - لا يمت الى القصر بصلة لاتاريخيا ولا فنيا .

ونقشت الجدران من اعلاها بنقوش معروفة بينها دوائر بيضاوية حوت ابنية واشجارا باسقة تمثل اعواد سرو وغيرها .

احدى هذه الحجرات بها اول كسوة اهدتها مصر لتكسي بها الكعبة وكان ذلك في عهد اسماعيل ابن ابراهيم بن محمد علي . الكسوة من القماش السميك الموشى بخيوط الذهب والفضة . وقد تكلفت هذه الكسوة نحو١٧ الف جنيهذهبي ومنذ ذلك التاريخ ومصر تصنع كل عام كسوة تقدمها هدية مع بعثة خاصة تسافر من مصر الى مكة المكرمة في موسم الحج لتكسى بها الكعبة . وقد بلغ من اهمية هذه الكسوة ان انشات لها الحكومة في مصر مصلحة اسمها مصلحة الكسوة . ولكنها الغيت منذ عامين عندما توقف ارسال الكسوة بسبب بعض الظروف الطارئة .

ومن الساحة بين المسجد والقصر ، تستطيع ان ترى القاهرة القديمة بمناراتها وقبابها تطاول السماء ، والقاهرة الحديثة بعماراتها الجديدة ، وترى الاهرام والنيل ، انه منظر من اروع ما يمكن ان تقع عليه عين في القاهرة . خصوصا عندما تغرب الشمس .. انها لحظة من لحظات العمر .

قصور الحرم

وقبل ان تدور بنا السيارة لتنزل من القلعة في الطريق الهابط نحو ميدان صلاح الدين نرى ثلاثة قصور عتيقة كان اسمها قصور الحرم .. وكان يسكنها نساء اسرة محمد علي . القصر الاوسط والقصرالشرقي منها يشغلهما الآن المتحفالحربي. وهذا المتحف يشتمل على تحف واسلحة وملابس وادوات حرب ، وصور ملونة ولوحات وخرائط تعين على تتبع الفنون الحربية وادوات الحرب من ايام الفراعنة حتى الوقت الحاضر .

وتستطيع ان ترى في المتحف الحربي اشهر الوقائع الحربية التي حدثت في عصور التاريخ المختلفة .. خصوصا ما كان منها بمصر . وقد صورت وجسمت في اشكال بارزة . وبالمتحف مكتبة بها نحو عشرة آلاف كتاب عسكرى باللغة العربية والانجليزية والفرنسية . ومجموعة ضخمة من المجلات العسكرية التي تصدر في مصر وفي العالم .

مسجد قايتباى

والآن ننزل الى ميدان صلاح الدين .. اذا نظرت الى الجهة البحرية تجد اجمل قبة مسجد .. انها ليست مثل القباب المذهبة في بغداد والنجف الاشرف ، وليست مثل القباب الملونة المزركشة على الطريقة المغربية . ولكنها قبة من النماذج القيمة التى تتجلى فيها عظمة القباب المملوكية ، فهي بارزة عن وجهة المسجد الشرقية ، وبنواحيها عمد حجرية منقوشة ، كما نقش سطحها الحجرى بزخارف مورقة جميلة . ومكتوب حول رقبتها آية الكرسى واسم المنشىء (قايتباى امراخور) ! وقد احيطت جدران القبة من الداخل بوزرة رخامية انتهت بافريز نقشت فيه زخارف طعمت بالمعجون الملون ، كما يحيط بمربعها طراز مكتوب فيه اسممنشىء القبة والقابه وتاريخالفراغ منها سنة ٩٠٨ هـ - ١٥٠٢ م .

دار الفنانين

خلف هذا الجامع ذى المئذنة التى هى بدورين .. دار اشتهرت بدار الفنانين .. او دار « على لبيب » انها من اواخر القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجرى) لها واجهة كبيرة تشرف على درب اللبان المشهور ، حليت ببارزات محمولة على كوابيل ، وبها (مشربيات) الخرط الجميلة ، ويشرف على الحوش الاول مقعد صغير امتاز بوجود بارزة فيه ، ذات ثلاث قناطر ودرابزين ودفرف من خشب الخرط ، وحليت اعتاب الحجرة اسفله بزخارف جميلة مدقوقة في الحجر ، ويعلو باب المقعد شباك من خشب الخرط الدقيق به شكل قنديل ، والدار لها حوشان ، وحجراتها عادية بسيطة .

ومميزاتها هي المشربيات والشبابيك المخروطة من الخرط الدقيق والتى تطل من جميع واجهاتها .. خصوصا تلك الواجهة المشرفة على جامع قايتباى .

ويبدو ان مالك الدار الاول كان محبا للفن ، حيث نرى على جدران حجراته العلوية رسوما شعبية تمثل مباني وحدائق يعتبرها المؤرخون هي ومثيلاتها من بواكير الفنون الشعبية التى شاعت في كثير من دور القاهرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين .

ومنذ سنوات عديدة ، وقع اختيار الفنانين

الاجانب والمصريين على هذه الدار ، فاستأجروا غرفها وادوارها مراسم لهم ، وفيها تربى وتخرج جهابذة المصورين والرسامين المصريين ، وما زالت الدار تزخر بمجموعة منهم .

والواقع انهم احسنوا اختيار هذه الدار لوقوعها فى منطقة تعج بالآثار وهي مشبعة بروح الفن . فأينما اتجه فيها الفنان وهو فى طريقه الى مرسمه يرى تلك المجموعة من الآثار تحتها الحدائق ، واذا ما اطل من شرفة مرسمه طالعته تلك المآذن برشاقتها . والقباب بنقوشها ، والدور بمشربياتها .

تكية .. وباب ..

واللطيف ان كل الدور فى درب اللبان كانت محلاة بالشبابيك والمشربيات ، ويسكنها ايضا بعض الفنانين . ويقول العالم الكبير فى الآثار الاسلامية ، الاستاذ حسن عبد الوهاب ، ان من واجب وزارة الثقافة بالقاهرة ان تعنى بتلك الدور فتعيد الى واجهاتها رونقها الاثرى ، باعادة مشربياتها وشبابيكها على النسق القديم لتنسجم مع دار الفنانين ، على ان تخصص جميعها مراسم للفنانين، وبذلك نوجد حيا للفنانين فيحي شاعري.

والآن نترك منزل الفنانين ونتوغل قليلا فى حارة درب اللبان . هذا باب تكية تقي الدين البسطامي، ويجاورها باب درب اللبان ، ومنهما تتكون زاوية الرية نالت اعجابالرسامين دائما .. والمصورين .

هذه التكية كانت مخصصة منذ القرن الثالث عشر الميلادى لفقراء الاعجام ، ونالت رعاية الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك الظاهر ابى سعيد جقمق ، وبابها الحالى يرجع الى عمارته لها سنة ٨٤٧ هـ ـ ١٤٤٣ م .

اما باب درب اللبان ، الملاصق لباب التكية والمكون لتلك الزاوية الفنية ، فانه يرجع الى منشآت القرن الرابع عشر ، ولعله من مخلفات احدى الدور المملوكية التى كانت فى هذه المنطقة ، وهو باب جميل به تطعيم بالرخام .

وعقوده متنوعة وظريفة ونادرة . وكان لتلك الزاوية نصيب محظوظ من صور المصورين والرسامين .

مدرسة السلطان حسن

والآن ..

قاربت جولتنا فى القلعة من نهايتها ..

نحن الآن نواصل انحدارنا فى الطريق المؤدى الى شارع محمد علي .. هذه الصورة التي لا تنسى .. الشارع الواسع المضيء الذى ينحدر بين هذين المسجدين الشاهقى الارتفاع حتى ليبدو لك الشارع ضيقا مظلما .. والسيارة مسرعة تهوى الى اسفل فى سرعة مخيفة ..وتوقفها هنا الى اليمين .. ريثما نعبر الطريق ونجول جولة فى الجامع الشاهق الذى بنى ليكون مدرسة السلطان حسن !

انهم يعتبرون هذه المدرسة من مفاخر العمارة الاسلامية، لا يعادلها بناء آخر فيالشرق باجمعه .

و « المدرسة فى هذا العصر هي المسجد من حيث اقامة الشعائر الدينية واقامة الخطبة فيها ، وقد ظهر تصميم خاص لهذا النوع من المدارس فى نهاية العصر الفاطمى فى مصر ، أعدّ لدراسة المذاهب السنية ومكافحة المذهب الشيعي . وهى تختلف عن تصميم المسجد ، اذ انها تحتوى على اربعة ايوانات ، ويلحق بها ـ عادة ـ مساكن للطلبة وقبة لدفن المنشىء ، السلطان حسن . ونسب الطواشْ « مقبل الشامى » الى السلطان حسن انه قال : « لولا ان يقال ان ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه ، لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه » .

ان القريزى يصف مدرسة السلطان حسن فيقول « لا يعرف فى بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع . وقبته لم يبْنَ بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها » .

وقال الرحالة المشهور « ابيرس » ان كل ما نراه فى الجامع مركب فى مكانه تركيبا هادئا منسجما . فاذا امعنت النظر فى زخارف ايوان القبلة وقبة القبر جزءا جزءا ، احسست احساس الرضا . فهناك ثروة فنية واشكال رشيقة بارعة » .

الجبال المنحوتة

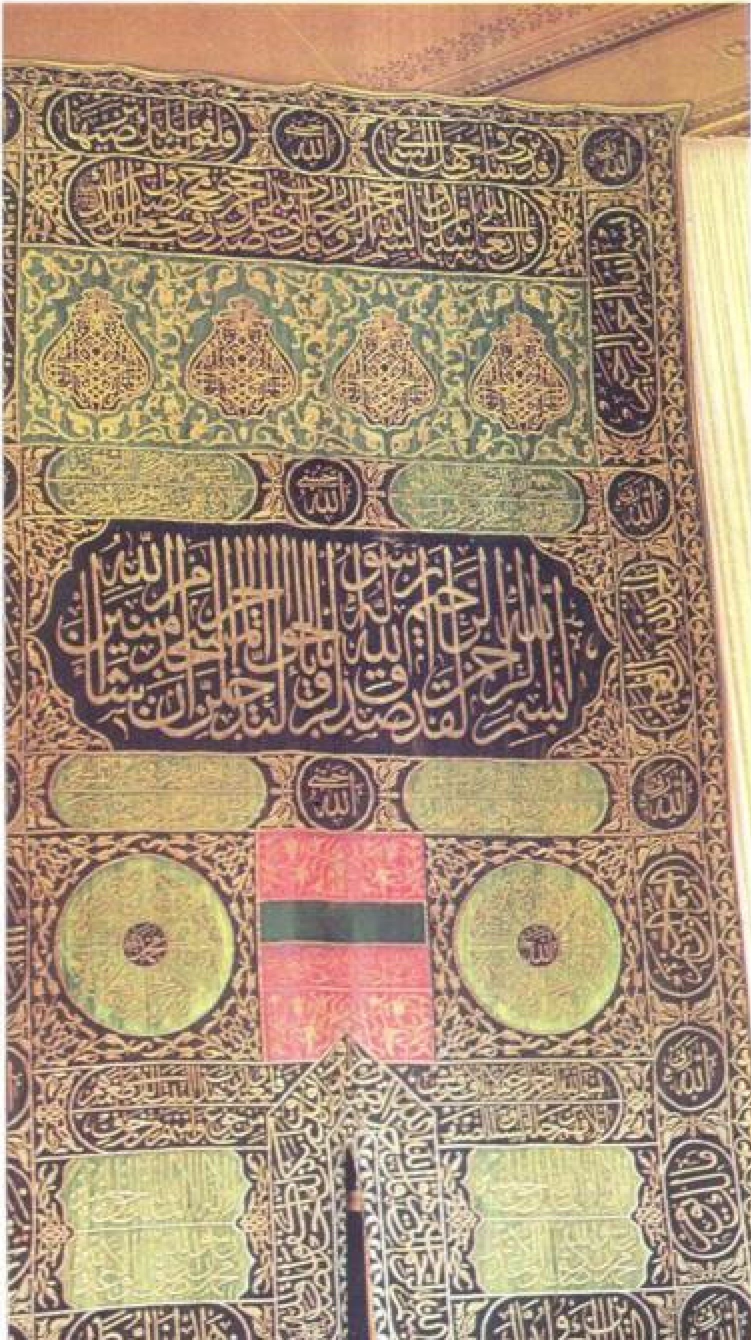
وكتب عنه برمومار فى كتاب وصف مصر : « انه من اجمل مبانى القاهرة والاسلام ويستحق ان يكون فى المرتبة الاولى من مراتب العمارة العربية بفضل قبته العالية وارتفاع مئذنتيه ، وعظم اتساعه وفخامته ، وكثرة زخارفه التى تكسو الارضية والجدران فى اوضاع بسيطة خاصة بهذه العمارة ، كما ان محاشى الخشب والبرونز التي



الى اليسار : اليهو الفرعوني في متحف قصر الجوهرة .. وبه العربات التي كان يستعملها الفراعنة في الحروب .. وتمثال رمسيس الذي اشتهرت العربات باسمه . وعلى جوانبها الرماح والسهام .

الى أسفل : أزياء من عصر محمد علي في متحف قصر الجوهرة .. الحارس .. واثنان من الشعب .. وأحد موظفي السراي . صورة محسوسة لملابس مصر من أوائل القرن التاسع عشر .







اليسار : هـذه هي
كسوة أرسلتها مصر
ة لتكسى بها الكعبة في
م الحج ، صنعت من
اش المشغول بخيوط
ب والفضة ، وامر
مها الخديوي اسماعيل .
معروضة الآن في قصر
هرة بجوار مسجد
د علي الذي تحول
متحف ، ان قصر
هرة يعتبر احد المعالم
ية بالقلعة .

تكسو الابواب الخشبية والنحاسية محفورة حفرا فنيا » .

وكتب عنه المصور الشهير ليفوار : « ان جامع السلطان حسن يشرف على القاهرة كلها،وأسلوب بنائه من أرقى الاساليب المعمارية ، ومساحته عظيمة ، ولذا يعد اجمل جامع فى الشرق كله بلا نزاع » .

اما المؤرخ ابن تغرى بردى فيقول : « ان هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا ، وهى احسن بناء بنى فى الاسلام » ويقول الورثلانى الرحالة المغربي « انه مسجد لا ثاني له فى مصر ولا فى غيرها من البلاد فى فخامة البناء ونباهته ، وارتفاعه واحكامه واتساع حناياه وسعة ابوابه كانه جبال منحوتة تصفق الرياح فى ايام الشتاء بأبوابه كما تفعل فى شواهق الجبال » .

أربع مآذن

ان مساحة هذه المدرسة ٧٩٠٦ متر مربع ، وارضها مفروشة بالرخام الملون ، وكان لها عند اول بنائها اربع منارات ، اثنتان حول القبة ، واثنتان فوق المدخل الرئيسي . وقد سقطت اثنتان منهما وبقيت اثنتان .

وقد اغتيل السلطان قبل ان يتم بناء هذا المسجد ، (المدرسة) ، ولذلك كتب على كل باب من ابواب المدارس الاربعة التي خصصت لدراسة المذاهب الاربعة داخل البناء :

« بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن بن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك فى شهور سنة اربع وستين وسبعمائة لدراسة المذهب ... الشافعي او الحنفي او المالكى او الحنبلي » .

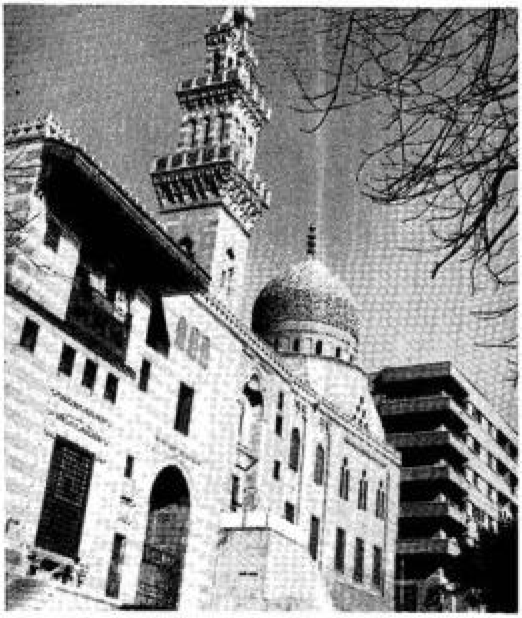
وفى وسط الصحن فسقية للوضوء ، وهي قبة خشبية أقيمت على ثمانية عمد رخامية وكتب فى اسفل القبة آية الكرسى ، وكسيت مصاريع الابواب بالنحاس المفرغ بأشكال زخرفية جميلة ، وهى من أكبر وافخم واهم المصاريع النحاسية فى تاريخ العمارة الاسلامية .

ان طول اطول ضلع فى هذه المدرسة يبلغ ١٥٠ مترا ، واطول عرض ٦٨ مترا ، ويبلغ ارتفاع المئذنة عن صحن الجامع حوالي ٨٢ مترا .

وحول صحن المدرسة اربعة ايوانات اكبرها ايوان القبلة ، وهو ايوان كبير لا نظير له فى سعته



مسجد قايتباى ذو المئذنة المزدوجة.. كما يبدو من الخارج.



الجديد والقديم فى حي القلعة .. عمارة حديثة البناء من عمارات وزارة الاوقاف على ناصية شارع دار الفنانين ومواجهة لمسجد قايتباى .. وبينهما شارع صاعد الى فوق ، كأغلب شوارع القلعة ودروبها .

وارتفاعه ، اذ تبلغ فتحته ١٩٫٢٠ مترا ، ويحيط به افريز من الجص النادر . مكتوب فيه بالخط الكوفي الزهر على ارضية زخرفية ما نصه :

« أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا . هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ، ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم ، وكان ذلك عند الله فوزا عظيما . » صدق الله العظيم .

وأربع مدارس داخل المسجد

اما القبة فمربعةوطول كل ضلع من اضلاعها٢١ مترا وارتفاعها ٤٨ مترا ، وبها محراب رخامى لايقل اهمية عن محراب الايوان الشرقى ، وهي مؤزرة بالرخام . وبالجانب الغربي منها تربيعة كبيرة ملبسة بالرخام الملون . وبها طراز خشبى منقوش مذهب مكتوب به بالحروف البارزة الكبيرة آية الكرسى وتاريخ الفراغ منها سنة ٧٦٤ هـ .

وكان يتدلى من عقود الايوانات وأوتار القبة مجموعة من السلاسل النحاسية كانت معدة لحمل مشكاوات زجاجية للاضاءة . مشغولة بالمينا باشكال زخرفية وكتابات وعليها اسم السلطان حسن . وقد حفظ ما تبقى منها وعددها ٣٤ مشكاة بمتحف الفن الاسلامي .

ويحيط بالصحن اربع مدارس للمذاهب الاربعة تعتبر من تصميمها مساجد صغيرة اكبرها المدرسة الحنفية اذ تبلغ مساحتها ٨٩٨ مترا ، ويتكون كل منها من ايوان وصحن تتوسطه فسقية ، ثم طبقات بعضها فوق بعض تشرف على صحن المدرسة وعلى الواجهات .

طبيبان بالمدرسة !

والطريف ان السلطان حسن كان قد قدر لهذه المدرسة قبل وفاته مدرسين ومراقبين وعين لهم المرتبات ، وكان لكل مذهب من المذاهب الاربعة شيخ ومائة طالب . ومدرسون لتفسير القرآن والحديث ومقرئون ومفتى . وكان بالمدرسة مكتبة لها امين . وعين طبيبين مسلمين احدهما باطنى



مسجد الرفاعى الى اليمين ومسجد السلطان حسن الى اليسار وبينهما الشارع الموصل الى القلعة . ان هذه القبة تتوسط مئذنتي مدرسة السلطان حسن الذى أجمع المؤرخون انه من أجمل مباني القاهرة فى العصر الاسلامى .

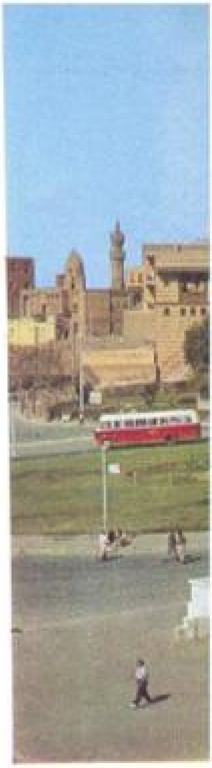


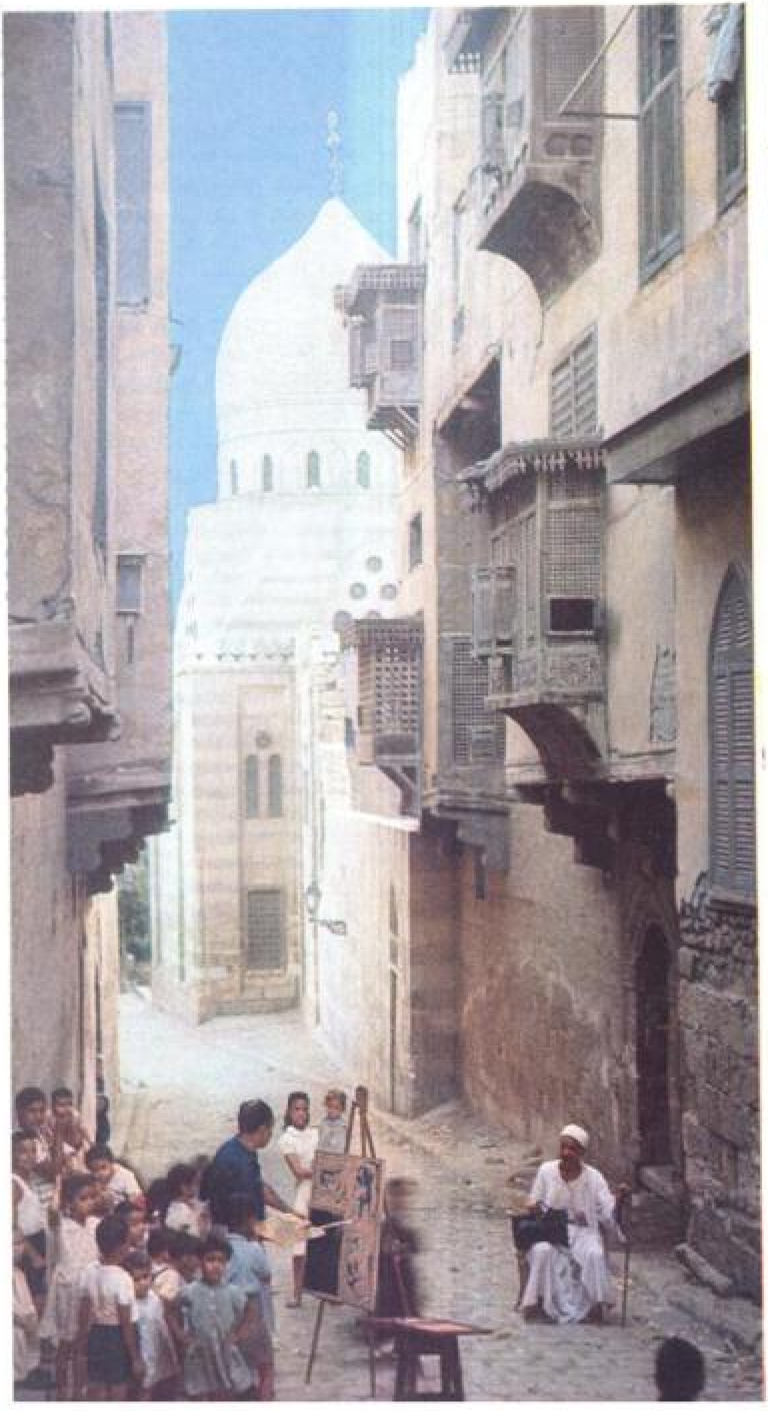
واجهة مدرسة السلطان حسن التى تحولت الى جامع سمى باسمه جامع السلطان حسن .. وهو مواجه لمسجد الرفاعى ويطاوله فى ارتفاع الحوائط





الى اليمين : بجدار « بيت الفنانين » بالقلعة بيت آخر مشهور باسم صاحبه «الخواجة ميلو » .. لقد أعده صاحبه لكي يستقبل فيه رواده – وأغلبهم من السياح الاجانب – في جو شرقي بحت .. الكراسي الواطئة .. و (الشلت) والتكيات .. والمدفأة النحاسية الضخمة والستائر المصنوعة من القماش المرسوم عليه بالقماش ومكتوب عليه آيات قرآنية وحكم .. ولم ينس ميلو النيشة والمعروضات الشرقية التي يزدحم بها سوق خان الخليلي .





هذا هو ميدان القلعة ..الميدان الذى يحتوى على أكبر عدد من الآثار فى القاهرة ، به مسجد قايتباى إبداخور ومسجد المحمودية ومسجد الرفاعي ومدرسة السلطان حسن وتشرف عليه قلعة الجبل ومسجد محمد علي . ان اسمه اليوم « ميدان صلاح الدين » .

تضفي المنازل القديمة على المنطقة جوا ساحرا يجذب الفنان ويجعله يخرج الى الشارع يرسم على الطبيعة ، كما نرى فى الصورة اليسرى التى تمثل الفنان كنعان يرسم احد ابناء البلد ، وقد تجمع حولهما

والآخر للعيون يحضر كل منهما كل يوم بالمسجد ليداوي من يحتاج الى علاج من الموظفين والطلبة ، كما رتب طبيبا ثالثا للجراحة .

ونظرا لوقوع هذه المدرسة امام قلعة الجبل ، اتخذها المماليك حصنا لهم يدافعون به عن انفسهم امامها ، فحينما تقع فتنة بينهم يصعد الامراء واتباعهم الى اعلى المدرسة ويضربون القلعة .

مسجد الرفاعي

وعندما نخرج من مدرسة السلطان حسن ، يطالعنا ذلك الطود الشامخ ، الذي يقع تجاه المدرسة مباشرة .. مسجد الرفاعي .

ان مسجد الرفاعي ومدرسة السلطان حسن كلاهما يشهد بعظمة البناء وفخر العمارة الاسلامية في العصرين القديم والحديث .. فقد انشىء مسجد الرفاعي في القرن العشرين .

وفي كتاب وصف مصر للحملة الفرنسية لوحة تمثل زاوية الرفاعي في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وما جاورها من ابنية . وفي سنة ١٢٨٦ هـ ـ ١٨٦٩م امرت المرحومة خوشيار هانم والدة الخديو اسماعيل بتجديد زاوية الرفاعي ، فاشترت الاماكن المجاورة لها وهدمتها ، وعهدت الى المرحوم حسين باشا فهمي وكيل الاوقاف وقتئذ ، باعداد مشروع لبناء مسجد كبير تلحق به مدافن لها ولاسرتها وقبتان للشيخين على ابى شباك ويحيى الانصاري .

ولا شك ان مدرسة السلطان حسن كانت حافزة للمهندس على مجاراتها سموا وارتفاعا .

والغريب ان هذا المسجد سمى باسم الرفاعي خطأ . فان السيد احمد الرفاعي الولى الصالح لم يدفن بمصر ، ولكنه مدفون بالعراق . ولكن المسجد منسوب الى حفيده الشيخ على ابى شباك .

وتبلغ مساحة المسجد ٦٥٠٠ متر ، منها الجزء المخصص للصلاة ومساحته ١٧٦٧ مترا ، وخصت المدافن وملحقاتها ببقية المساحة .

ربع قرن

وبعد ان بدأ العمل في المسجد توفيت خوشيار هانم فاوقف العمل نحو ربع قرن باكمله !

وفي سنة ١٩٠٥ استؤنفت العمارة وكملت بمباشرة هرتس باشا باشمهندس الاثار العربية وقتئذ . وبعد سبع سنوات افتتح المسجد بصلاة الجمعة في سنة ١٩١٢ م .

والواقع ان حسين باشا فهمي المهندس المعماري الذي اراد ان يجاري مسجد السلطان حسن في العظمة والارتفاع ، لم يوفق في تصميم الواجهات، ومع ذلك فان الاثريين يعترفون انه من خيرة المساجد التي انشئت في القرن العشرين، واحفلها زخرفا ، واتقنها صناعة .

وقد نجح مهندسه كل النجاح في محاكاته لمدرسة السلطان حسن في ضخامته وارتفاعه ، فالمداخل احيطت بانواع العظمة ، بنيت شاهقة ، تكتنفها العمد الحجرية والرخامية بتيجانها العربية .

وقد امتازت منارتاه بالرشاقة والجمال ، واقيمتا على قواعد مستديرة مثل منارتي مدرسة السلطان حسن،والشبابيك النحاسية بالواجهات وضع لها تصميم خاص برسوم جميلة بزت به ما سبقها من قديم وحديث .

اما الثريات النحاسية العربية والمشكاوات الزجاجية المشغولة بالمينا ، فقد صنعت خصيصا لهذا المسجد في بوهيميا ، على مثال المشكاوات الاثرية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين .

والآن ...

بعد ان انتهت جولتنا في آثار قلعة صلاح الدين .. تمرق بنا السيارة هابطة كالسهم الى شارع محمد علي حتى نصل الى ميدان العتبة الخضراء .. ثم نذوب في شوارع القاهرة .. القاهرة التي يعرفها سكانها واهلها .. شارع فؤاد ـ سليمان باشا ـ شارع عدلي .. الخ ..

اما القاهرة التي يعرفها السياح والاجانب فهي تلك التي كنا نطوف بها منذ قليل ، هناك في قلعة صلاح الدين وجامع محمد علي ومدرسة السلطان حسين وقبة قايتباي .. هذه المآذن والقباب .. هذا الجو الشرقي .. هذه الرائحة الخاصة التي تنبعث من درب اللبان وخان الخليلي وزقاق المِدق ..

هذه هي القاهرة الاصيلة ..

هذه هي رائحة الشرق العتيد ..

بزخارفه والوانه وعظمته .. وروحه .. روحه التي يقطع السائح من اجلها الاف الاميال لينبض قلبه بين جنبيه ولو مرة واحدة نبضة من اعماق الشرق الاصيل . ■■

رجاء مكاوى

ملحمة عمورية

غزا الروم بلدا عند الحدود، كان ولد به المعتصم، واستباحوه قتلا وسبيا، وأقبل الروم على امرأة عربية، فصاحت على البعد تستنجد: وا معتصماه! وما بلغ المعتصم نداؤها حتى مضى الى الروم بجيش جرار:

بقلم: خليل الهنداوي

■ من الحق ان نعترف بأن الشعر العربي خلا من « الشعر الملحمي » و « المطولات القصصية » التى نرى أمثالها فى آداب الامم التى سبقت العرب فى تسجيل شعرها. ومن الحق ايضا ان هذا الضرب من الشعر قد انطوى، لأنه لم يعد يجد المادة الفنية التى كان يستقيها من الخوارق والاساطير.

ولئن فات العرب ان يعطوا هذا اللون فى جاهليتهم، فلم يفتهم ان يتركوا منه بعض النبرات الرائعة التى تتجلى فى شعر بعض ابطالهم، كعنترة الذى اجاد وصف الحرب لأنه عاشها، واحسن فى اتخاذ الحسام والرمح صديقين له، وبعد ذلك، برع فى استنطاق الجواد الذى راح يشتكى بدموعه المتحدرة... ولكن هذه اللمحات « الملحمية » تبقى اصداء بعيدة عن ان تؤلف « ملحمة » بالصورة التى أتى بها هوميروس Homeros شاعر اليونان فى الياذته الخالدة.

ولا نستطيع ان نرد هذا التقصير الى ان العرب أمة لم تعرف الحرب، واذا عرفتها فانها لم تحسنها. على ان تاريخهم الممدود ـ خلال عصور متواصلة ـ ما هو الا ادوار من معارك ضارية فى الجاهلية، واطوار من مواقع قاسية فى الاسلام. وبذلك عرفوا الحرب، وتمرسوا بها، وأنشأوا اطفالهم عليها، ولكن طبعهم الذى يعتمد على اللمح، وتنفسهم الشعرى الذى ضيقته القافية، وبيتهم الواحدة التى لا تتبدل آفاقها، كل هذا جعلهم اهل شعر « غنائى » لا يعنون الا بما ينحدر عن الوجدان الذاتى.

مظاهر الشعر الملحمى

واذا استطعنا ان نلمس بعض مظاهر الشعر الملحمى فى شعر عنترة الذى وقف حياته على الحرب، فاننا نقع على كثير من هذه المظاهر الملحمية فى الشعر الاسلامى الذى نظمه أصحابه خلال

المعارك المتتابعة التي كانت تثور بين العرب والروم ، على الحدود حينا ، وفي قلب البلاد الرومية حينا آخر . وخير من يمثل هذه المظاهر شاعران كبيران هما أبو تمام والمتنبي .

ولهذا الشعر خصائصه الفنية التي لا ترده الى عناصر التاريخ وحده ، لأن التاريخ هو آخر ما يفكر فيه الشاعر ، ولكن هذه الخصائص تفيدنا فيما تعرضه علينا من تصوير فني للمعارك لا يحسن التاريخ تصويره ، وتمثل لنا عادات المحاربين ، وتعطينا لبوسهم ، وتصف ملامحهم والوان وجوههم في كرّهم وفرهم . وما كان أجدر مؤرخينا بالعودة الى هذا الشعر الفني بوصفه ، ليربطوا ما بينه وبين ما أورده المؤرخون السابقون في ما سجلوه عن هذه المعارك .

يدل على ذلك هذا الشعر الفياض بعاطفة القتال ، واتصال هذا الشعر بالأحداث التي لا تكاد تخلو منه ، اذلا نعرف شعرا استوحى الحروب كالشعر العربي .

ملحمة عمورية خلدها ابو تمام

لناخذ الآن مثلا على ذلك « ملحمة عمورية » التي خلدها ابو تمام في قصيدة لا تزال من عيون الشعر ، لا باعتبارها قصيدة في مدح الخليفة المعتصم ، والمدح أهون ما جاء فيها ، ولكن باعتبارها ملحمة تشترف على وصف المعركة وصفا حيا من بدئها الى منتهاها ، حتى خلصت الينا عملا فنيا رائعا متماسكا .

« وامعتصماه ! »

وعمورية هذه مدينة من أعظم بلاد الروم في آسيا الصغرى ، وهي احدى عواصمهم ، يعتزون بها لموقعها المنيع في قلب مملكتهم . ارادها المعتصم دون غيرها من المدن ، لتكون لقاء للثأر لـ «زبطرة» Azopetra البلدة الاسلامية الواقعة على الحدود ، وفيها ولد المعتصم . مر بها « تيوفيل » ابن ميخائيل (١) ملك الروم في احدى غزواته ، فاستباحها قتلا وسبيا . وفي هذه الأثناء نادت امراة مسلمة اقبل عليها الروم « وامعتصماه ! » . فبلغ ذلك المعتصم ، وكان في يده كأس ماء فلم يشربها ، وأمر بتجنيد الجيش ، وانتقى «عمورية» ذاتها ـ وهي مسقط راس قائد الروم ـ موضعا لثاره .

العرب غزوا القسطنطينية غزوات خمساً

وليس غزو العرب لبلاد الروم في هذه المرة بالغزو الاول ، اذ كان الغزو متبادلا بين الاثنين ، كلما سنحت فرصة لواحد منهما اكتسبها ، وتجاوز حدود عدوه غازيا سابيا . ومن ذلك « الصوائف » عند العرب ، وهي غزوات صيفية اختصوا بها بلاد الروم ، ولكن اهم الغزوات التي صممها العرب لضرب الروم الضربة القاضية هي تلك الغزوات التي وجهوها نحو القسطنطينية معقل الروم ، مملكتهم . وتجمعها خمس غزوات أحاطت بالقسطنطينية ، ثلاث منها في الدولة الأموية ، واثنتان في الدولة العباسية ، لكن منعة هذه المدينة ، وما أعد الروم لها من تمكين الحصار رد العرب عنها . ولعل الغزوة الثالثة الأموية لها كانت اشد هجوم قام به العرب على هذه المدينة المنيعة ، لكن طول أمد الحصار ، وأهوال برد الشتاء الشديد ، ونفاد الأقوات ، وانتشار الأوبئة ، كل ذلك حمل العرب على الارتداد عن منازلة هذه المدينة . ولا شك ان اخفاق العرب في هذه الغزوة لا يعود الى تنظيم الروم ، ولا الى بطولة جيوشهم ، لأنهم كانوا يؤثرون الانسحاب ، والاختباء وراء أسوارهم وحصونهم المنيعة ، معتمدين على الطبيعة القاسية والموانع الطبيعية ، التي تقيهم بأس العدو المحيط بهم . وما كان للعرب عهد من قبل بمثل هذه الطبيعة التي تقطع المسالك بالثلوج والأمطار والوحول . وهم أهل صحراء من رمال ، لا أهل سهوب وجبال من ثلوج وجليد . ولا شك أن هذه الصورة المؤلمة كانت حديثة على المسامع ماثلة في الأذهان ، وأن من ابطالها من لا يزالون أحياء عندئذ يرون الكثير من

(١) العربي : هو تيوفيلس ، امبراطوربيزنطة ، خلف أباه ميخائيل الثاني عليها ، حكم منذ عام ٨٢٩ م الى عام ٨٤٢ . ويقول مؤرخو الافرنجة انه في هذه الفترة اشتبك مع العرب في معارك فاشلة ، وانه حارب تقديس الصور ، وذلك تأثرا لا شك بالمبدأ الاسلامي

مشــقات هذه الغزوة . ولكن المعتصم لم يضــع القسطنطينية وجها له هذه المرة خوفا من المصير السابق ، لكنه انتقى مدينة ثانية عزيزة على الروم وملك الروم لانهاسقط راسه.وفي ضربه لها نيل من كبرياء الروم ، وثار للمدينة السبية .

لا تفتح الا فى فصل التين والعنب

ولما جمع المعتصم قواده، ورجاله ـ والمنجمين ـ الذين لا يزالون يتمتعون بالرأى الراجح لاعتمادهم على الغيب ، واستنطاق النجوم بما يحمل الغيب، اشاروا عليه بأن الحملة صائرة الى الخيبة لا محالة . بذلك انبأت النجوم ، وبذلك اشار القواد لأن مدينة عمورية ـ كما ورد فى كتب الطوالع ـ لا تفتح الا فى فصل نضج التين والعنب . ومن الحق ان هذه الفكـرة لا تعود فقـط الى ـ نبأ النجوم ـ وانما تعود الى ان المسالك الطبيعية الى هذه المدينة لا تكون مسـلوكة الا فى فصـل الصيف ، وهو فصل نضج التين والعنب ، واذا قدروا ان العدو سيهيىء الأقوات واسباب المقاومة طيلة هذا الصيف ، فان الحصار سينتهي الى اخفاق حين تبدو نذر الخريف والشتاء . ولكن المنجمين لا يريدون هذا التفسير المنطقي ، وانما يعتمدون على طوالع يردونها الى النجوم ، ومن ذلك ظهور النجم المذنب الذى لا يبشر بخير ، فى قول الشاعر :

وخـوفوا النـاس من دهيـاء مظلمـة
اذا بـدا الكـوكب الغربي ذو الذنب

ولكن المعتصم « المعتزلي » الذى لا يؤمن بهذه الأشياء التى لا يقرها العقل ، يأبى هذه الحجج كلها ، ويصر على منازلة « عمورية » مهما كانت العواقب ، وفى يقينه ان يدبر الحملة ويسوقها الى غايتها ، ويستنفد ما أراد منها قبل أن ينقضي الصيف عليها فى تلك الربوع ، لأنه بذهنه الوقاد ادرك ما يجول فى نفوس القواد من جزع ،وفى نفوس المنجمين من تردد ، وهو عامل بعد ذلك على أن يتقي كل الأسباب التى تحطم حملته .

الجيش يمضى الى عمورية

ويمضي الجيش الى سبيله فى اوائل الربيع متجهزا بما لم يتجهز به جيش قبله من السلاح والعدد والآلة ، يقطع المسالك المخوفة ، ويجوز المجاهل البعيدة ، لا يقف فى وجهه واقف ، ولا يصدٌه عن غرضه صاد ، حتى أشرف على المدينة البكـر ، التي كانت عـزيزة على الـروم ، وهي « عمورية » التي أعيـا كسرى فتحها فى ماضـي العصور ، والتي تخطاها الاسكندر خشـية من مقاومتها ، فلذلك هي تزهو بنفسها . ويزيدها زهوا ان ايدى الحوادث لم تستطع أن تمد اليها كفا ... وقد عـرج المعتصـم قبلها على مدينـة « انقرة » التى تحمى جوانبها ، فتركها موحشة الســاحات ، واقبل على عمورية يحيط بها من جميع الجوانب . تاركا ما عداها من المدن الصغيرة « دون أن يعرج على الأوتاد والطنب » .

طال الحصار ، وليس فى الحوادث ما يشير الى قرب استسلام المدينة ، ومشى الملل والذعر فى نفوس المهاجمين ، والصيف قد بدأ ينسحب قليلا قليلا . وليس معنى القيام بهجوم مركز على اسوار المدينة الا القيام بعملية انتحار قد تؤدى الى الاعتزاز ، لأنهم كانوا يعتمدون على حصونهم وأقواتهم التى ادخـروها ، وهم يعتقـدون بان مدينتهم أعز من أن تخضع ، ويرددون فيما بينهم ما يقوله ذوأمرهم :

وقال ذوأمرهـم : لا مرتـع" صـدد"
للسـارحين ، وليس الورْدُ من كثب

نبال تحمل خرقا من نار

بدأت انباء الملل والخوف تـرد على مســامع المعتصـم ، وهو معتصم بالصبـر والحزم ، ـ فخرج ذات ليلة يتفقد مواقع جنـده ، ويطلع خفية على معنوياتهم ، فشاهد حلقة من الجنود ، وسمع واحدا منهم يقول :

ـ ليتني أحظى بلقاء المعتصم ، لأعطيه خطة لا تخيب فى فتح هذه المدينة ...

فدعاه المعتصم حالا اليه ، وطلب منه أن يفصل هذه الخطة (١)

فقال الجندى :

ـ ان أكثر أبنية هذه المدينة من خشـب ، والأسوار التى تحيط بها من خشـب ، فلو جمعنا ما عندنا من نبال،وأحمينا النفط حتى يغلي، ثم لففنا هذه النبال بخرق وغمسناها فى النفط واشعلناها

(١) رأيت هذه الخطة فى ورقة من كتاب قديم لم يسعني معرفته .

ستضرم النار فيها .. وتحدث الهلع والرعب فى نفوس القوم ، وتيسر لنا منفذا الى المدينة ..

استمع المعتصم الى هذه الخطة ، وقلبها بعين البصير ، فاقتنع بصحتها .. وأمر بما اشارت اليه الخطة ..

فى مساء تلك الليلة المشئومة على الروم ... كانت العيون ترى ألسنة من النار تحيط بكل مكان حول المدينة ، وتحتها مراجل من النفط تغلى ، ثم امتدت اليها النبال المشدودة بالخرق المشتعلة ، وبدأت الأقواس ترمى هذه النبال ، فتنطلق ، وتعلق بالأسوار والبيوت ، وتترك ألسنة من اللهيب هنا وهنا .. وما هى الا ساعات حتى كانت المدينة تحت مارج من النار الساطعة التى أحالت الليل نهارا .. ومن فوقها سحب من الدخان القاتم ، تنجلى مرة بفعل الريح ، وتتلبد مرة .. والمحاربون العرب واقفون على أسلحتهم ينتظرون لحظة الانطلاق .

وقعت المدينة صريعة بين ألسنة اللهيب ، وتراخت عنها قبضة الحصون والأبواب التى استحالت رمادا .. وعند ذلك انقض العرب على أعدائهم ، يفترسونهم فى الشوارع والبيوت ، حتى حانت ساعة النصر ..

والى ذلك الحريق يشير ابو تمام فى أبياته الرائعة :

لقد تركت أمير المؤمنين ـ بهـا ـ
للنار يوما ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهيم الليل ، وهو ضحى ،
يشله وسطها صبح من اللهب
حتى كأن جلابيب الدجى رغبت
عن لونها ، أو كأن الشمس لم تغب
ضوء من النار ، والظلماء عاكفة
وظلمة من دخان ، فى ضحى شحب .

وبدا وكأن المدينة تريد الاستسلام ، ولكن العرب يأبون ذلك ، لكثرة ما احتملوا من اعتداء الروم ، وهدمهم للمدن ، وقتلهم للابرياء ، برغم ما راح يعرضه عليهم قائد الروم من أموال يريد أن يشترى بها سلامته ، وسلامة مدينته . حتى اذا يئس من عرضه ، وأيقن أن المعركة قد انقلبت الى كارثة تهدده ، ركب أسرع مطاياه ، وولى هاربا ، قانعا بالسلامة ، متجها الى عاصمة ملكه ، وهو ينفض غبار الموت عن رأسه ، ويمسك أحشاءه التى تضطرب من الخوف . وكان حصاد هذه المعركة تسعين ألفا من المحاربين ، وألوفا غيرهم أكلتهم شفرات السيوف ، وألوفا غيرهم جثوا على ركبهم يطلبون الأمان .

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت
جلودهم قبل نضج التين والعنب .

ولئن كان العرب أبو أن يقبلوا الدية التى عرضها قائد الروم عليهم ، بالرغم من وفرتها ، فلأنهم ، هذه المرة ، لم يخرجوا من بلادهم طمعا فى الغزو والسلب ، وانما خرجوا لتأديب هذا العدو الذى بدأ بتدمير المدن الآمنة ، وترويع السكان فى منازلهم .

ان الأسود ، أسود الغاب ، همتها
يوم الكريهة، فى المسلوب لا السلب .

غزو القسطنطينية يراود المعتصم

حتى اذا انتهت معركة النار بما يرضى عنه الخليفة ، وبحقق الغرض الذى خرج من أجله ، فكر المعتصم فى الخطوة الثانية .

أيكمل المعتصم زحفه على عاصمة الروم ؟ ويكتب عليها نفس القدر الذى نزل بعمورية ؟ أم يعود أدراجه مكتفيا بما حققه ؟

لا شك أن المعتصم دفدفته الأمنية الأولى ، وأطمعه هذا النصر فى السير نحو هدفه حتى النهاية ، وهذا الهدف هو القضاء على الامبراطورية الرومية الشرقية قضاء نهائيا . ولكن لأمر ما لم يواصل المعتصم زحفه نحو الغرب ، وآثر أن يعود الى مملكته مزهوا موفورا .

قد تكون هنالك عوامل عدة أقعدت المعتصم عن عزمه ، منها اقتراب فصل الشتاء ـ وهو جنرال الروم الذى لا يغلب ـ وعدم تأهب الجيش لحصار طويل عنيد ، وعدم استعداد المعتصم للقيام بفتوحات جديدة ، تحتاج الى استعداد كبير .

ولكن هذه العوامل مجتمعة قد لا تبرر الانسحاب ، بعد ما أشاع المعتصم فى قلوب أعدائه موجة من الذعر ، وأصاب خطوط هجومهم ودفاعهم اصابة قاتلة ، ولكن الأمور الداخلية وحدها هى التى حولت المعتصم عن فكرة الفتح ، وجعلته يقنع بحرب مدمرة غير مستقرة

أبو تمام يتابع أحداث المعركة

كل هذه الصور تتلامع أمام أعيننا من خلال القصيدة التى تركها لنا أبو تمام وكان شاهد المعركة ، وليس الشاهد كالغائب ، قد أحس

اهوالها ، وعاش تجربتها ووصف وقائعها ..

وكان لا بد للشاعر ان يسخر من هؤلاء المنجمين الذين كذّب طالعهم ، ويجعل نبوءتهم محض تخرّص واحاديث ملفقة ، لأن القدر لا تكتبه النجوم الغافلة ، وانما تكتبه القوة الماثلة .. والى هذا يشير بقوله :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ
في حدّه الحدُّ بين الجِدّ واللعبِ
والعلم في شُهُبِ الأرماحِ لامعةً
بين الخميسين،لا في السبعةِ الشُّهُبِ
أين الرواية ؟ بل أين النجوم وما
صاغوه من زُخرفٍ فيها ومن كذبِ ؟

ولا بد للشاعر ان يهنىء المعتصم على هذه المعركة التي بلغت من النجح فوق ما يطلب من الثار . ولا بد أن يمتدح فيه العزم والاصرار ، ورد الكرامة .

لم يغزُ قوما ، ولم ينهض الى بلد
الا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا
من نفسه وحدها في جحفل لجب
خليفةُ الله ، جازى الله سعيَك عن
جرثومة الدين والاسلام والحسب
بَصُرتَ بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال الا على جسر من التعب

ولا بد للشاعر ان يجد شبيها لهذه المعركة بالنسبة الى انها كانت معركة حاسمة قطعت آمال الروم ، واقعدتهم زمنا طويلا عن التحرش بالحدود، فيراها اشبه شيء بمعركة « بدر » التي كانت الحاسمة بين الشرك والاسلام ، وبين قريش والرسول .

ان كان بين صروف الدهر من رَحِمٍ
موصولة أو ذِمام غير مُنقضبِ
فبين أيامك اللاتي نُصِرتَ بها
وبين أيام « بدر » أقرب النسب

اعتزاز .. وأسى ..!

واذا كانت هذه المعركة ردت الروم ناكسي الرؤوس ، يتعثرون بالهزيمة ، صفر الوجوه ، هائمين على الدروب كالقطيع المجفل ، فانها جلت وجوه العرب ، وردت اليهم ايمانهم بانهم اقدر الناس تمرسا بالحروب .

أبقت بني الأصفر المِمراض كاسمهم
صفر الوجوه ، وجلّت أوجه العرب

ما قاله مؤرخو الروم

وبقدر ما تركت نتائج هذه المعركة في نفوس العرب من اعتزاز وتفاخر نراها تترك رنة الأسى والأسف في نفوس الروم ، وقد سجل المؤرخون العرب حوادثها بمداد الفخر ، بينما سجلها مؤرخو الروم بمداد اليأس والقنوط .

وقد وقف المؤرخ « ميور » في كتابه «الخلافة» صحيفة (٥١٩) من هذه الموقعة موقف اللائم العنيف على قسوة المعتصم الذي لم يقبل استسلام المدينة لقاء الجزية التي عرضها قائد الروم .. والمعتصم ـ عنده ـ صاحب القلب الرقيق .

والمؤرخ يذكر هذه الحادثة عنه :

« رأى المعتصم شيخا ضعيفا في يوم مطير قد غاص حماره في الوحل ، وسقط ما عليه من الشوك الذي جمعه للتدفئة ، فنزل واخرج الحمار من الطين ، وحمل الشوك فوضعه عليه ، ثم غسل يديه في غدير ، واستوى على دابته . ولحق به حرسه بخيولهم ، بعد أن أمر بمكافأة الشيخ .. » .

ثم يتابع المؤرخ الحديث :

« هذا هو المعتصم الذي كان من شأنه هذا العمل ، رأى من الشرف أن يضحي بمدينة زاهرة يبلغ سكانها مائتي ألف نسمة ، وتقدر ثرواتها بالملايين . ان هذا الخليفة نزل عن صهوة جواده ، ولوّث رداءه الملكي ، ليخلص شيخا ضعيفا قد وقع حماره في حفرة من الطين . ليتني أدري أي هذه الأفعال قد ذكرها بالسرور والغبطة حين ناداه ملك الموت بالرحيل وهو على سرير موته .؟»

ان هذا المؤرخ قد تناسى تلك الوحشية التي مارسها الروم على الحدود مرارا . وما كان للحديد أن يفرعه الا الحديد ، وما كان للحياة أن يصونها أحيانا الا سلب الحياة .

لقد كانت هذه الحملة آخر الحملات الثقيلة التي أوغل العرب فيها في أرض الروم ، وما تلاها بعد ذلك لم يكن هدفه الا « اضرب واهرب » .

وبعد ، ألا نجد في هذه القصيدة ملحمة رائعة من الشعر العربي، ترتفع الى شأو الملاحم الكبرى بصدق تصويرها ، وشمول موضوعها ، وحرارة عواطفها ، وبطولة رجالها ؟؟ ■■

حلب : خليل الهنداوي

ركن الأسرة والمرأة

ضمير يستيقظ ..

■ قرات مرة مقالا قديما للكاتب الارلندي الكبير الساخر ، برنارد شو ، ووقفت منه عند جملة اغرتني بالوقوف طويلا . قال « شو » : « ان المال اهم شيء في الدنيا » . وخلت انه انما قال ما قال لما عضه الفقر ايام شبابه ، عندما كان يمضي والرقع في ثوبه ، او انه قال ما قال بعد ان اغتنى ، ثم تذكر ، فعضته الذكرى .

سيقول قوم كثيرون ان « شو » انما بالغ فيما قال .

واكثر من يقول هذا هم الرجال .

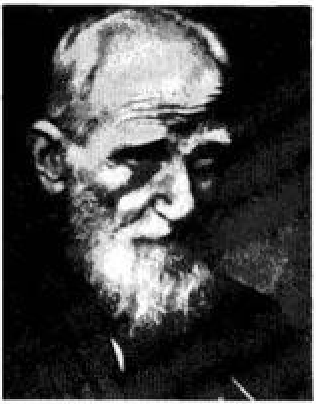
المال في حياة المراة

ولكن المراة ، يقف المال دائما في حياتها يذكرها ، لا بانه اهم شيء في الدنيا فحسب ، ولكن مع ذلك ، وفوق ذلك ، بأن المراة بالمال تشترى الكرامة . حتى الكرامة من زوجها .

ان الزوج ، في الحال السوي العادي ، هو الكاسب . وتطلب منه الزوجة نفقة الطعام ، فيدفع . وتطلب نفقة الكساء فيدفع ، ان استطاع . المراة هي التي تطلب دائما ، والرجل هو الذي يدفع ، او لا يدفع ، دائما .

الزوجة هي دائما السائلة .

وهي تسأل ولا تدري ما الجواب . حتى اذا كان الجواب ، دائما بنعم ، فهي لا تزال هي السائلة . هي ذات اليد



قال شو : ان المال اهم شيء في الدنيا

الدنيا ، والزوج ذو اليد العليا . وقد تفتح كفها ولا يسقط فيه درهم .

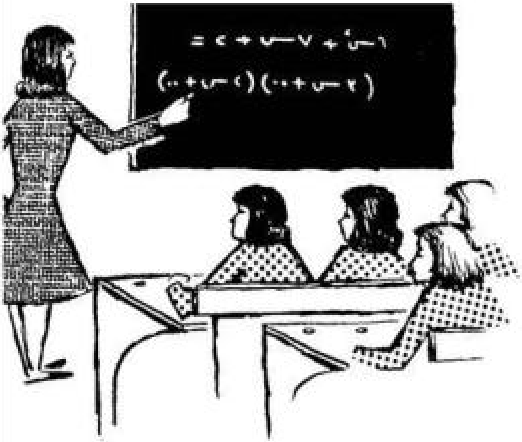
من الازواج من يقول : وماذا في هذا ؟ هذا موقف طبيعي .

والزوجات تقول : نعم ، وانها لمذلة طبيعية كذلك .

ان الزوجة التي يخلو جيبها من كل درهم ، وهي دائما في طلب الدرهم من الزوج ، تحس بأنها ، بحسبانها امراة ، لا تملك في الحياة شيئا . لا تملك شيئا تستطيع ان تقول عنه : هذا لي . حتى اذا خطر لها ان تهدي زوجها شيئا ، لم تستطع ، الا ان تقول له : اريد ان اهديك شيئا ، فأعطني ثمنه .

ان الحرية في الحياة صنوف .

واول الحريات في الحياة حرية المال .



والفقر اشد اسباب الحياة جميعا ضياعَ حرية .

كنت أعمل

ولقد زاد احساسي بهذا اني كنت قبل الزواج اعمل ، واكتسب . فلما رضيت بالزواج ، اشترط زوجي ان لا اعمل . اراد ان يكون له هو وحده شرفُ الكسب كله . واليوم اكاد أقول انه انما اراد ان تكون له الحرية كلها ، دون ان يعي ذلك وعيا كاملا . انها في دم الرجال . جبلَّة من صنع القرون .

انقطعتُ عن عملي ، فانقطع كسبي ، وصَفِرتْ يدي ، الا ان يملأها زوجي . وهذا هيِّنٌ على الفتاة التي تنتقل من تحت سقف أبيها، وحماية ابيها، وحماية كسبه ، الى سقف زوجها ، وحماية زوجها ، وحماية كسبه .

انها استبدلت حماية بحماية .

ولكني ، وقد كنت أعمل ، استبدلت حماية بحرية .

واشتدت العقدة

واشتدت العقدة ، فقطعتها بالعودة الى عملي ، مدرسة كما كنت اعمل اولا . وافضيت لزوجي بكل دخيلة في نفسي ، بكل صراحة ، فهالني سرعة فهمه .

حاول أولا ان يُفهمني اني اعمل في البيت،في حين انه هو يعمل خارج البيت. وان لكل عمل اجرا . وان المرأة الزوجة لها عن عمل بيتها اجر . فلها في كسب زوجها النصف تماما. وهي عندما تطلب لنفسها فانها تطلب من بعض نصيبها .

قلت لزوجي : والعقدة هنا . العقدة في انها تطلب. والعقدة في انها قد لاتجاب. والزوج لا يطلب ، ولا يستأذن . وهو يعلم ما في الجيب ، وهي لا تعلم .

ابتسم زوجي واقتنع ، وما أسعد المرأة التي يكون لها زوج يبتسم عند اقتناع .

وعقدتي انحلت ، من يوم عدت الى كسبي. وسعادة البيت خلت أنها زادت.

الزوجة التى لا تستطيع عملا

بقي امر الزوجة التي لا تعمل ، او لا تستطيع عملا .

يحلُ عقدتَها،ان تكن عقدة، بان يجعل لها الزوج نصيبا راتبا من كسبه ، ولو صغيرا ، تحس انه لها ، فتتصرَّف فيه كما تشاء ، وبلا استئذان ، يُعيد اليها شيئا من كرامتها .

واعلم انه شاع اليوم بين النساء ، وشاع بين الرجال ، ان لكل عامل أجرا ، وان الزوجة عاملة ، فلها على زوجها أجر عمل البيت .

ولكن لا احبذ ان تطالب الزوجة باجر.

أحبذ الفكرة أن تشيع ، لأنها الحق ، ولأنها العدل ، ولأنها تحفظ على الزوجة كرامتها التي هبطت في بعض البيوت الى دون منزلة الخادم التي تعمل وتؤجر ، ولها حرية التوقف عن عمل .

احبذ الفكرة ان تشيع،ليدرك الرجال ان عمل البيت مرهق كعمل المكتب والمصنع والسوق،وفوق ذلك هو رتيب.

واحبذ الفكرة ان تشيع ، ليحس الرجال عندما يعطون الزوجة مالا فانما هم يعطونها من بعض نصيبها .

اما ان تؤجر الزوجة اجرا ، عن عمل البيت فعلا ، فشيء يذهب عن البيت بمعني من معاني التعاون والود ، في ظل المحبة (ولا اقول الحب) ، رقيق ، كالزجاج ، سريع التصدع . وهو اذا تصدع لا يجبر أبدا . ■■

مؤسسة تدريب



ان هذا ليس مطبخا عاما، بل هو فصل الدراسة بمؤسسة تدريب الفتيات. وهذه هي حصة التدبير المنزلي

تخرج مساعدات للباحثات الاجتماعيات

■ اذا اردت ان تعرف مدى التقدم الاجتماعي لدولة من الدول . فانظر الى مكانة المرأة فيها ، ومدى مشاركتها في الحياة الاجتماعية ، وادراكها لمسئوليتها ولاهمية دورها في المجتمع .

ولقد كان على المرأة الكويتية ان تأخذ مكانها في المجتمع الجديد . لتشارك في بناء مستقبل باسم لوطنها . وكان عليها ان تشق طريقها بحماسة واصرار ، للبلوغ الى المستوى اللائق

لفتيات الكويتيات



درس في الآلة الكاتبة لطالبات شعبة الدراسات الادارية والتجارية

سكرتيرات ناجحات من الفتيات والسيدات

بحياة انسان القرن العشرين .

وقد كانت الأمية هي العدو الاول الذى تجب محاربته .

فقد بلغت نسبة الأميات من النساء ٦٠٪ كما يقول تقرير لوزارة الشئون الاجتماعية حسب احصاء عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ بينما نسبة الأميين من الرجال ٤٤٪ كما يقول نفس التقرير ..

لهذا أنشأت دائرة الشئون الاجتماعية في ١٧

نوفمبر سنة ١٩٥٦ مركزا لتدريب الفتيات كان الهدف من انشائه فى البداية هو معاونة أفراد الأسر الفقيرة التى تتقاضى مساعدات اجتماعية على الارتفاع بمستواهم المادى والثقافى ، ولذا كانت الملتحقات بالمركز فى أول عهده من بنات تلك الأسر المعانة .

اقبال لم يكن منتظرا

ولم يكن المركز يضم عند افتتاحه سوى ٥٢ فتاة ، وزعن على ثلاثة فصول دراسية ، كان يقوم بالتدريس لهن ثلاث مدرسات فقط . وكان البرنامج الدراسى المقرر حينذاك هو الخياطة ، والتفصيل ، والتطريز ، والتدبير المنزلى ، ومحو الأمية ، ورعاية الطفل والاسعافات الأولية والحساب .

ولكن الحماس الذى قوبل به هذا المركز عند افتتاحه ، والاقبال المتزايد من الفتيات والنساء على الانضمام اليه ، تطلب افتتاح فصول جديدة كل عام ، كما تطلب اعادة النظر فى أهدافه ونشاطه ، وبرهن بالدليل القاطع على استعداد المرأة الكويتية لأن تقوم بنصيبها فى بناء مجتمعها وتطويره ، وأن تتحمل مسؤولياتها باعتبارها نصف المجتمع ، وهى التى يقع عليها العبء الأكبر فى تنشئة الصغار وتوجيههم واعدادهم حتى يصبحوا نموذجا لمواطنين صالحين ، قادرين على تحمل



مساعدة مراقب المؤسسات فى (القطاع النسائى) لطيفة الرجيب ، فى اجتماع خاص لبحث شئون المؤسسة مع مشرفة ووكيلة مؤسسة تدريب الفتيات

تبعاتهم بأمانة واخلاص .. فضلا عن أن المرأة المثقفة أقدر من سواها على تحويل منزلها الى جنة ومساعدة أطفالها وزوجها على مواجهة أعباء الحياة ومشاكلها .

وكان مما شجع الفتاة الكويتية على الاقبال على هذا المركز أن أبواب العمل المختلفة تفتحت لتستقبل بنات الكويت المتعلمات ، ولو أن عددهن كان أقل من حاجة البلاد .

المركز يصبح معهدا

على أنه نظرا لكثرة العدد واختلاف المستويات التى بدأت تنضم الى هذا المركز .. فقد تغير تغيرا شاملا ابتداء من سنة ١٩٥٩ وتحول المركز الى معهد ابتداء من ذلك التاريخ ، وتنوعت مواد الدراسة به .. وأهم ميزة لهذا المعهد أنه يعد الدراسات حسب حاجة المجتمع لهذا النوع .

وعلى هذا الأساس انقسمت الدراسة به الى ثلاثة أنواع :

ج ـ الشعبة العامة : وهى خاصة بالدراسات العامة ومحو الأمية وتدرس بها اللغة العربية والقرآن الكريم والدين والحساب والثقافة العامة الى جانب المواد النسوية . ومدة الدراسة بها سنتان .

٢ ـ شعبة الدراسات الادارية والتجارية : تدرس فيها الآلة الكاتبة وأعمال السكرتارية وهذه الشعبة تعد السكرتيرات للعمل بالمدارس والجهات الحكومية المختلفة . ومدة الدراسة بها سنتان .

٣ ـ شعبة الدراسات الاجتماعية : تشمل مواد هذه الشعبة على كل ما يتعلق بالنواحى الاجتماعية .. وما تتطلبه المساعدات للباحثات الاجتماعيات .

ومدة الدراسة بها سنتان .

تأهيل وتعليم وخبرات

وهكذا تطور المعهد وتطورت أهدافه ونظمه تبعا لتغير المرأة الكويتية نفسها ، والتطور الجديد فى المجتمع . وأصبحت أهداف المعهد هى تنمية الشخصية المستقلة للفتاة الكويتية الحديثة ، وجعلها أكثر قدرة على تفهم ظروف المجتمع واحتياجاته . وكذلك تزويدها بالمهارات والخبرات اللازمة لجعلها قادرة على اجتياز العقبات، ومؤهلة



درس عملي في التمريض والاسعافات الاولية تتلقاه الطالبات

للعمل جنبا الى جنب مع الرجل في تطوير المجتمع والعمل على رقيه وتقدمه .

وهكذا بدأت المرأة في الكويت تكتب صفحة جديدة في نهضة المجتمع . وأصبح المعهد قادرا على خلق جيل من الفتيات الواعيات بظروف مجتمعهن وعاداته وتقاليده .

عدد الطلبة والفصول والمدرسات

ولنستمع الى حديث الارقام فهو أبلغ دليل على صدق ما نقول . فبعد أن كان عدد الطالبات عند افتتاحه ٥٢ طالبة زاد في عام ٥٩ — ١٩٦٠ الى مائة طالبة فزاد عدد الفصول التي تضمهن الى أحد عشر فصلا . ويقوم بالتدريس لهن فيها سبع عشرة مدرسة .

وفي العام الدراسي ١٩٦١/١٩٦٠ زاد عدد الطالبات الى مائتي طالبة ، كما زاد عدد المدرسات الى عشرين مدرسة .

وفي العام الدراسي ١٩٦٢/١٩٦١ زاد عدد الطالبات الى مائتين وعشر ، وكان عدد المدرسات عشرين مدرسة .

وفي العام الدراسي ١٩٦٣/١٩٦٢ زاد عدد الفصول الى اثنى عشر ، كما زاد عدد المدرسات الى اثنتين وعشرين .

وفي العام الدراسي ١٩٦٤/١٩٦٣ زاد عدد الفصول الى خمسة عشر فصلا وأصبح عدد المدرسات ثمانيا وعشرين مدرسة . وعدد الطالبات أربعمائة وخمسين طالبة . احتفظ المعهد منهن بثلاثمائة وست وأربعين ، وأحال الباقيات الى الدراسات المسائية .

والمعهد يصبح مؤسسة !

ولم يقف الامر بالمعهد عند هذا الحد فلقد

حدثت تغيرات أخرى فى العام الدراسى الحالى فى مختلف البرامج والشعب ، وتغير اسم المعهد واصبح يطلق عليه اسم « مؤسسة تدريب الفتيات » . والسبب فى هذه التسمية ان مواد الدراسة بالمعهد يغلب عليها الطابع الاجتماعى . ولها صلة كبيرة بالخدمات الاجتماعية ، ووزارة الشئون بها مؤسسات أخرى لها أهدافها الاجتماعية. لذلك رات الوزارة تغيير اسم المعهد الى الاسم الجديد ، خاصة وأن أهدافه لا تختلف عن أهداف باقى المؤسسات .

وقد عملت وزارة الشئون الاجتماعية والعمل على استدعاء جماعة من مفتشى وزارة التربية والتعليم للاشتراك فى وضع برامج الدراسة بالمؤسسة والاشراف على تنفيذها .

كما اضافت بعض المواد الجديدة ، ثم التربية الفنية والموسيقى وغيرها .

نظام المؤسسة يتغير تغيرا كليا

هذا من حيث تغير الاسم :

اما بخصوص نظام المؤسسة فقد تغير تغيرا كليا .. واصبح ابتداء من هذا العام يسير على الوضع الجديد التالي :

١ ـ الشعبة العامة : أضيفت مواد جديدة كتدريس اللغة الانجليزية مع تقوية البرامج الموجودة والغيت مرحلة (محو الامية) لهذه الشعبة واضيفت الى مراكز محو الامية بالفترة المسائية التى تبعت من هذه الشعبة .

واصبح مستوى القبول يبدأ من حاملة شهادة الرابعة الابتدائية .

وظلت مدة الدراسة بهذه الشعبة سنتين بعدها تواصل فى الشعب التى تليها .

٢ ـ الشعبة الاعدادية : وتأتي بعد الشعبة السابقة . وقد نتجت هذه الشعبة حديثا ، ومدة الدراسة بها سنة واحدة . وتعتبر شعبة تمهيدية لشعبتي التخصص فى السكرتارية والاجتماع ، اللتين تأتيان بعدها .. ويحق الدخول فى هذه الشعبة لمن أتمت الدراسة فى المرحلة المتوسطة من التعليم العام أو لمن أنهت الشعبة العامة فى المؤسسة السالفة الذكر .

٣ ـ شعبة الدراسات الاجتماعية : وتأتي بعد الشعبة الاعدادية . ومدة الدراسة بها ثلاث بدلا من سنتين . وقد اضيفت اليها مواد جديدة ، كما خصصت فترة كبيرة للتدريب العملى سواء فى مؤسسات الوزارة أو المؤسسات الاخرى..



اجتماع يضم المشرفة جمالات محمود فهمي والوكيلة غنيمة المطوع مع هيئة التدريس بالمؤسسة (معظم المدرسات من الاقطار العربية الشقيقة)



التفصيل والتطريز من أهم مواد الدراسة ، حتى تصبح الفتاة قادرة على الاعمال المنزلية

حتى تتخرج الطالبة ولديها فكرة واضحة عن العمل الذى ستقوم به من بعد تخرج .

٤ ـ شعبة الدراسات الادارية والتجارية : وتأتى بعد الشعبة الاعدادية . ومدة الدراسة بها ايضا ثلاث سنوات .. وقد أضيفت اليها هى الاخرى مواد جديدة. أما من حيث مستوى القبول بهاتين الشعبتين (سكرتارية واجتماع) فهما : مفتوحتان لكل حاصلة على شهادة الرابعة المتوسطة ، ولكل من انهت الشعب التى تسبقها بنجاح .

ولهذا نجد أن النظام الجديد الذى طرأ على المؤسسة . يضم كل مرحلة من مراحل التعليم ويتيح الفرصة لحاملة أى مؤهل لتجد مكانا فى هذه المؤسسة .

خريجات ناجحات

وقد التحق بعض الخريجات بوزارة الخارجية. كما تحول البعض الآخر للعمل فى سكرتارية المدارس والوزارات ، والمراكز الاجتماعية . بل ان احدى السفارات الاجنبية بالكويت طلبت احدى خريجات المعهد للعمل بها .

والنية متجهة الآن الى ارسال بعض الطالبات اللاتى سينجحن بامتياز الى المعاهد الكبيرة فى الخارج ، وذلك لاستكمال دراستهن ولتحقيق المستوى العلمي والثقافى الذى تستطيع المرأة الكويتية أن تفخر به ، وتطمئن اليه .

هذه هي قصة من قصص كفاح المرأة الكويتية الحديثة من أجل القضاء على الجهل والامية حتى تتمكن من القيام بدورها فى هذه النهضة الكبيرة التى أصبحت تشمل كل نواحي الحياة . ■■

أخي الإنسان..

بقلم: اسحق موسى الحسيني

■ أخي الإنسان لاتجزعْ فالاستعمـــارُ قد ماتـا
ولا تخضعْ ولا تركــعْ فــذاك العهـد قـد فاتـا
وشـــاع النـورُ في الدنيـــا

★ ★ ★

أخي الإنســان لا تطمـــعْ ولاتَجْـر ورا الدرهـــم
وعشْ بالأنبل الأمثـــلْ فذاك العيـش ، لو تعلـــم
هـــو العمـر الذى تحيـــا

★ ★ ★

أخي الإنسانُ لا تَحمـــلْ على رأيٍ ولا مَذهـــب
يعادى المرء ما يجهـــلْ ولو فهـم الذى يرهـــب
تحاشـى وصمـه رأيـــا

★ ★ ★

أخي الإنسانُ لا تكــره مَصيرا حرتَ في فهمـــه
وجـودُ المرء من عـــدمٍ قديمـا دقَّ عن فهمـــه
تلاقِـى الأصل لاشـيـئـاً

أخي الإنسان لاتبحـــــث   عن البركـــــان في غــــيرك
فأعظم قــوة في الكـــــون   تكمُنُ في حِمَــى نفســك
وقوتك هى العُليـــــــا

★ ★ ★

أخي الإنسان هل تعـــرف   مَنِ الله الذى تعبـــــدْ ؟
هو الحب الذى يصفـــــو   صفاء النـــور والعَسْجـدْ
تعالى اللـــهعـــن رؤيـــا

★ ★ ★

أخي الإنسان لاتيــــــأس   ظلامُ الليل لايبقَـــــــى
وفي الصبح تـرى النـــورَ   يَعُمّ السهلَ والمَرْقَـــى
فصعِّــدْ دون أن تَعيـــــا

★ ★ ★

أخي الإنسانِ إنْ تعــــدلْ   أمِنْتَ عيشَك الرَّغْـــــدا
وإن تظلـم تنل ظلمـــــا   إلى أن تَبلُـغ اللحـــدا
فجنِّب نفسك الغَيَّـــــا

★ ★ ★

أخي الإنسان من أنــــت ؟   ترابٌ أم سناً أسمَــى ؟
فعالك أنت ، لاقولـــــى   هى الحُكْـم لما تُنْمَـــى
وصدقُ الحُكم كالفُتْيـــــــا ■■

اسحق موسى الحسيني



بقلم : ألفة الادلبى

■ صحوت من نومي على رنين الهاتف المتواصل، ولما تشرق الشمس بعد . فقفزت من فراشي لأرد على هذه المخابرة غير المنتظرة ، وقفزت الى ذهنى فى الحال هواجس مخيفة ، لا بد من خبر سيىء ستحمله اليَّ هذه الآلة السوداء ... وبدت لي مخيفة مقيتة كنذير شر . وبيد مرتجفة رفعت السماعة الى اذني فتناهى الى سمعي صوت مضطرب يقول :

ــ تعالي الينا الآن ، أرجوك أن تسرعي ، لقد وقعنا فى مشكلة مخيفة ، لا أستطيع أن أفسر لك شيئا على الهاتف .

ويغلق الخط دون أى كلمة مجاملة ، مما يوضح لي الى أى حد كانت المتكلمة مضطربة الاعصاب وقد عرفتها منذ أول كلمة . كانت قريبة لي تسكن واخت لها فى بيت ناء عن بيتنا . ووجدتني ملزمة بتلبية طلبها . وتساءلت : ما عساها تكون تلك المشكلة المخيفة التى داهمت فى هذا الصباح المبكر قريبتيَّ الاختين العانستين الموسوستين ؟!

ولا بد لي أن أعترف ان ما من شيء كان يثقل على نفسى كزيارتهما ، وبالرغم من ذلك كنت ازورهما كل اسبوع مرة ، لأن أمهما كانت قد أوصتني وهي على فراش الموت بالا انقطع عن زيارة ابنتيها !.. وأن ارعاهما جهدى ... ولما كانت أمهما من أعز قريباتى علي ، وكانت تربطنى بها صداقة ومودة ، آليت على نفسى ، أن انفذ الوصية مهما سببت لي من ازعاج . فليس هناك أعمق تأثيرا فى النفس من وصية انسان عزيز علي فراش الموت .

كانت كبرى الاختين فى صباها بارعة الجمال ، وعلى نصيب وافر من الثقافة والذكاء . وكانت قد خطبت الى شاب جميل أحبته وأحبها حبا جامحا ، وقبل أن يتم زواجهما بأيام قلائل قتل فى حادث سيارة ، فحزنت عليه الفتاة حزنا عميقا صامتا ، وعزفت عن الزواج بالرغم من كثرة خطابها . ومع الايام استحال حزنها الى وسواس شديد ، فاصبحت تعتقد أنها مريضة مرضا خطرا ، وأن أحدا من الاطباء ــ وعلى كثرة ما استشارت منهم ــ ما استطاع أن يكتشف مرضها الخطير هذا . وعلى الأصح لم يستطع أن ينزع هذا الوهم من رأسها . كانت تلازم سريرها دائما أبدا . وكان الى جانب سريرها طاولة وُضعت عليها أنواع منوعة من الادوية . وكانت هي تقص على كل من يزورها حكاية مرضها من أولها . فكانت تعدد له أسماء الأطباء الذين عالجوها ، وطريقة فحصهم لها ، ثم أسماء الأدوية التى وصفوها لها . ثم تتناول من الطاولة التى الى جانبها كل دواء على حدة وتريه للزائر . وتذكر



له ثمنه الباهظ ، ثم طريقة استعماله ، ثم عدم جدواه . وكانت هذه الحكاية ذاتها تتكرر فى كل زيارة وتطول مرة عن مرة . حتى سئم حديثها هذا أعز صديقاتها ، واقرب اقربائها ، فانقطعوا عن زيارتها . واحيانا كانت تغتنم فرصة غياب اختها حين تقوم لتعد القهوة للزوار فتشكو لهم تلك الاخت، وما تسببه لها من ازعاج، لا سيما حين تضطر الخدم للهرب لكثرة ما تجور عليهم. وكثيرا ما كانت تقول لمن يزورها : ايجوز ان احمل انا المريضة سوء خلق أختي هذا ، فاظل فى سريرى مهملة من اجلها ، انادى فما من أحد يرد علي ، او يلبي لي طلبا حتى تجود هي علي ، وقلما تجود !... لان ما من خادمة تستطيع أن تتحمل العمل فى بيتنا ، واختى على ما هي عليه من الوسواس وسوء الخلق .

وكان هذا صحيحا . فقد ابتليت الأخت الصغرى بوسواس ايضا منذ ماتت امها . وكان وسواسها ينصب على تنظيف البيت وترتيبه ، وراح يزداد كلما تقدمت بها السن حتى اصبح هوسا . فكانت تبدا العمل مع الخادمة منذ الصباح الباكر ، اى منذ تبرح فراشها لا تكل ولا تمل حتى تعود اليه منهمكة فى المساء ، وكانت اختها تسخر منها احيانا فتقول :

ان لاختى ثلاث صديقات لا يفارقنها ابدا :

الممسحة، والمنفضة، والمكنسة!.. وقد وصل بها الهوس الى حد أصبحت فيه تجلس أمام الضيف صامتة تراقب حركاته، وكأنها تنتظر انصرافه لتاتي بالمنفضة فتنفض مكان جلوسه ، ثم تمسح مكان أقدامه . ولذا كان من المستحيل أن تتحمل العمل معها خادمة ما ، مهما أوتيت من الصبر والجلد على العمل . وكانت هذه الأخت الصغرى عاثرة الحظ منذ خلقت ، فقد انصرف الناس عنها الى أختها الكبرى التى كانت تفوقها بكل شيء . وما سمعت أنها خطبت لأحد قط . وعندما كنت أنصرف من زيارتهما كان لا بد لها أن تستوقفنى خلف الباب لتشكو لي ما تعانيه من أختها المريضة، وتروح تقسم لى أن أختها سليمة معافاة ، وانما تصطنع المرض لأنها أنانية ، كسلى ، لا يروق لها الا أن تتمدد طول النهار فوق السرير ، وأن تستغل قوى أختها التى ستموت حتما قبلها من التعب وشدة الارهاق . وكانت احيانا تبكى بحرقة وتناشدنى أن أجد حلا لمشكلتها المعقدة . وانى لى أن أجد ذلك الحل . وكنت حينما انجح بالتملص منها واخرج من البيت أجدنى أتنفس بارتياح لأن الزيارة المرسومة على قد انتهت ، واشعر كأن عبئا ثقيلا قد أزيح عن كاهلى ، ولا أكون مغالية اذا قلت انني كنت منذ تلك اللحظة أحمل هم الزيارة الثانية .

وذات مرة بعد أن انصرفت من زيارتهما ، وابتعدت عدة خطوات عن دارهما ، تصادف ان اقتربت منى صبية ريفية على وجهها مسحة من جمال ووداعة ، وسألتنى بشيء من الخجل ان كنت اعرف أسرة ترغب فى خادمة ، على شرط الا يكون فى الأسرة رجال . فعجبت من طلبها هذا ، وقدرت ان هذه الصبية قد سبق أن اسيء اليها من رجل كانت تعمل فى بيته ، وكثيرا ما يحدث هذا للخادمات أمثالها ، وقدتها من فورى الى دار قريبتى . فاذا هى تتفق معهما على العمل دون أى شرط ، ويبدو شيء من الاطمئنان على وجهها، وكأنها قد وجدت عندهما ضالتها. مما اثار شفقتى عليها ، وشعرت بوخز الضمير لأننى فى الواقع قد غششت تلك الصبية الوديعة حين قدتها الى بيت ستلقى فيه شقاء وعنتا ، وقلت فى نفسى لابد لها أن تفر منهما كما فر الكثيرات غيرها — وما كان أشد دهشتى حين عدت بعد أسبوع الى زيارة قريبتى ، فوجدت الفتاة ما تزال تعمل عندهما ، ولأول مرة أسمع منهما ثناء على خادمة ، وتمر الأسابيع والشهور والفتاة دائبة على عملها دون أى تذمر أو شكوى مما جعلنى أعجب بصبرها الجميل وحسن خلقها . الى أن كان اليوم الذى تلقيت فيه الهاتف وأسرعت الى نجدة الأختين فاذا هما تنتظراننى خلف الباب ، وقد بدا عليهما كثير من الاضطراب والارتباك . قالتا بصوت واحد :

— الخادمة التى جئتنا بها فرت اليوم ، بعد أن وضعت طفلا تركته عندنا ..

وذهلت لهذه المفاجأة وقلت :

— فاطمة وضعت طفلا ؟ ... وكيف لم تكتشفا أنها كانت حاملا ؟

قالت الكبرى :

لم يبد عليها شيء من هذا أبدا . كانت الخبيثة تصر على ألا تخلع ألبستها الريفية الفضفاضة لتخفى جسمها كله . وفى الآونة الأخيرة راحت تشكو لنا من انتفاخ فى بطنها كانت تعزوه الى مرض ادعت أنه يلم بها بين حين وآخر ،واعتادت أن تشفى منه دون أى علاج حسب قولها، الكاذبة، الخائنة .

قالت الصغرى : سمعت اليوم عند الفجر صرير بابنا وهو يغلق . فرابنى الأمر ، فنهضت من فراشى وناديت فاطمة ! ولما لم تجبنى ،هرعت الى غرفتها فلم أجدها ، وانما وجدت منظرا يكاد يغمى على منه . فما كان منى الا أن أسرعت الى الهاتف واستنجدت بك . تعالى أنظرى .

وقادتنى من يدى الى غرفة صغيرة قائمة على السطح ما كدت اقترب منها حتى سمعت بكاء الطفل كمواء جرو صغير فى ليلة باردة. ولما دخلت الغرفة اقشعر جسمى من هول ما رأيت. كانت الدماء تملأ الفراش والشراشف وتفوح منها رائحة تبعث على القيء ، وأشياء كثيرة مبعثرة هنا وهناك وكلها كانت وكأنها تروى مأساة ليلة مريعة . ان للأشياء أحيانا قدرة عجيبة على التعبير . أطراف الشراشف كانت ممزقة مما يدل أن المسكينة استعانت بتمزيقها على كبت صرخات الألم فى طلقاتها الأخيرة . ويقفز الى ذهنى فجأة قول الفتاة حين رأيتها أول مرة على قارعة الطريق :

أريد أن أخدم في أسرة ليس فيها رجال . الآن وضح السر الذي من أجله تحملت قريبتيّ اللتين لا تحتملان أبدا . ترى أين يمرح الآن أبو هذا الطفل ؟ .. أو كانت هذه الأم المسكينة تترك طفلها بين يدي مجنونتين لو لم تكن مهددة بالفضيحة أو القتل ؟ وتصورتها وهي تنظر الى طفلها نظرة أخيرة ثم تهرب منه والدماء ما تزال تنزف منها وقد تركت على الارض ، آثارا بينة . مر هذا كله في ذهني في مثل لمح البصر واذا مرأى الطفل يطرد من رأسي كل الأفكار . كان ما يزال يعوي فوق اللحاف ، وكان جسده يختلج كله ، يمد يدين مرتجفتين كأنه يستجير بنا ، وكان ما يزال عالقا بخلاصه . وما أدري كيف أسعفتني جرأة خارقة ، فقمت بعمل لم يسبق لي أن قمت بمثله قط ، أو رأيت غيري يقوم به . تناولت موسى فقطعت سرة الطفل ثم ربطتها بخيط ، ثم غسلته من دماء الولادة . ثم لففته بما تيسر لي من الخرق . وكانت الأختان تتابعان ما أقوم به مندهشتين صامتتين . ويبدو أن الطفل قد ارتاح بعد هذه العملية فنام نوما هادئا ، وبدا وجهه حلوا مكتملا . وتجرأت الأخت الكبرى فتناولته مني ووضعته في حجرها وراحت تتأمله بحنان ووله . وكأني لمحت شفتيها تضطربان ، ودمعتين تجولان من عينيها وتحاول التغلب عليهما . قلت :
أما الآن فسنخبر أقرب مخفر للشرطة ليبعث الينا بمن يستلم الطفل بعد أن نقص عليه حكايتنا . وبذلك تنتهي المشكلة التي أخافتكما .

قالت الصغرى : أرى من الأنسب أن نحتفظ بالطفل ولو بضعة أيام فربما عادت الينا أمه بدافع من حنان الأمومة وطالبتنا به . أوَ يجوز لنا أن نفضحها بعد أن خدمتنا باخلاص شهورا طويلة ؟ ..

وتوافق الأخت الكبرى على هذا الاقتراح ، وترجوني أن أذهب الى السوق وانفذ ما طلب مني وأتركهما على أن أعود اليهما بعد أسبوع ، وعندئذ سنخبر الشرطة بشأن الطفل كما اتفقنا.

حين عدت اليهما وجدت الأخت الكبرى قد هجرت سريرها ووضعت الطفل في حجرها وراحت تهدهده وتناغيه ، وتنادي أختها بين كل آونة وأخرى : تعالي انظري ، انه يبتسم ، يتثاءب ، يمدّ يده ، يفتح عينيه ، يغلقهما .

وفي كل مرة كانت الصغرى تهرع من المطبخ حيث كانت تعد غذاء الطفل ، أو تغسل حوائجه وتأتي لترى حركاته وسكناته .

وتغتنم الأخت الكبرى فرصة غياب أختها فتقول لي :

– أتدرين أن هذا الطفل قد شفى أختي من وسواسها ؟ من يوم رأته لم تعد تهتم بتنظيف البيت اهتمامها الجنوني . انها الآن تنظفه بطريقة معقولة ، كما ينظف كل الناس بيوتهم . ما رأيك في أن نحتفظ به من أجلها ؟

قلت لها ، وأنا أضحك في سري : ان هذا خير ما تفعلين .

ولما ودعتها وانصرفت استوقفتني الصغرى خلف الباب وقالت لي :

– أتدرين أن هذا الطفل الرائع قد شفى أختي من وسواسها .. منذ وجد بيننا هجرت أختي سريرها ، ولم تعد تشكو مرضها ، حتى ولم تعد تتناول دواء . لقد تظاهرتُ أمامها أنني مولعة به ، واتفقنا أنا وهي على أن نحتفظ به ، وأخشى ما نخشاه هو أن تعود أمه الينا وتأخذه منا ، وتحرمنا من هذه النعمة . من أجل ذلك قررنا أن نهجر هذا البيت كي لا تهتدي الينا .

ثم بدا عليها أنها ندمت على ما قالته لي فاردفت :
ارجو أن تحتفظي بما أسررت اليك ، فما من أحد غيرك يعرف سرنا ، وربما وبختني أختي لأنني فرّطت بالسر اليك .

ولأول مرة ألمس تفاهما بين الأختين . وأخرج من بيتهما هذه المرة دون أن أتنفس لارتاح ، أو أشعر أن عبئا ثقيلا قد أزيح عن صدري . بعد أسبوع عدت الى زيارتهما كما هي عادتي ، فلم أجدهما . كانتا كما علمت من الجيران قد هجرتا البيت الى غير رجعة ، ودون أن تتركا عنوانا يدل عليهما .

ضحكت من أعماقي حين تصورتهما يفران بالدواء الشافي . والكنز الثمين ، حتى مني أنا ! ..

■■

دمشق – ألفة الأدلبي

أنباء الطب والعلم والاختراع

الامراض الروماتزمية بعد امراض القلب
فى تعطيل الناس وتعجيزهم

● بهذا يقول تقرير لجنة التربيــة الصحية فى الولايات المتحدة، لعام ١٩٦٤

وهو يقول كذلك بأن هذه الأمـراض الروماتزمية تضيف الى مرضى الولايات كل عام ٣٥٠٠٠٠ ضحية جديدة ،ويبلغ المصابون بها فى الوقت الحاضر فى الولايات جميعها ١٢ مليون نسمة .

واكثر الحرف اصابة بهذه الأمراض حرفة الزراع ، وعمال المصانع .

والنساء اكثر اصابة من الرجـال ،فيوجد مع كل ٣ نساء ، رجل مصـاب واحد .

واذا دخلنا فى تصانيف هذه الأمراض وجدنا ما يلى :

ان روماتزم المفاصل ، وهو اكثـر الأمراض تعجيزا ، يصيب نحو ٣٠ الى ٤٠ فى المائة من مرضى الروماتزم جميعا . ولا يوجد علاج معين لهذا المرض ، ومع هذا يمكن منع التعجيز بسببه فى نحو ٧٠٪ من الحالات لو ان صاحبه ادركه قبل ان يستفحل .

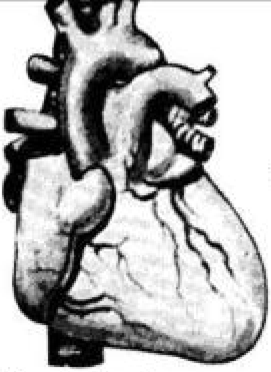
والنقرس،او داء الملوك ، من الأمراض الروماتزمية . ويوجد من ضحاياه فى فى الولايات المتحدة ٤٠٠٠٠٠ مصـاب . ومع هذا فالنقرس واحد من الأمراض الروماتزمية القليلة التى يمكن علاجها بطرق معروفة .

والحمى الروماتزمية ، وهـى تؤدى الى مرض القلب الروماتزمى فى نحو ٣٣ فى المائة من حالاتها، يمكن منعها بالبنسلين. وهو علاج يهدف أصلا الى وقف التهاب القلب، وبه يمكن نقص عدد مرات معاودة الحمى الى نحو ٢ فى المائة .

فى البحار مقادير هائلة

● هذا ما كشفت عنه الابحاث الحديثة التى قامت بها « سلطة الطاقة الذرية » ببريطانيا ، فقد دلت هذه الأبحـاث على أن اليورنيوم يوجد ذائبا فى مياه البحار والمحيطات بنسبة ضئيلة جدا ، تبلغ نحو ٣ر٣٤ جزء من مليون جزء من الجرام فى اللتر الواحد . نسبة ضئيلة حقا ، ولكنها تمثل مقادير من اليورنيوم هائلة اذا ما اعتبرنا البحار والمحيطات ومقدار ما بها من الماء . على هذا الحساب يوجد فى البحار والمحيطات من اليورنيـوم ، ذائبا ، نحو ٤٠٠٠ مليـون طن مـن اليورنيوم .

وقد جربالباحثون عـدة طرق لاستخلاص اليورنيوم من ماء البحر . وانتهوا الى ان احسـن طـريقة هى باستخدام ادركسيد عنصر التتانيوم Titanium ماصًا له من ماء البحر .



بحث جـديد فى

تصلب الشـرايين

● بحث جديد فى المؤتمر السـنوى لرابطـة القلب فى اطـلانتك سـتى Atlantic City وهو يختص بتصلب الشرايين .

فالراى الشـائع ان تصلب الشرايين Atherosclerosis يبدأ بتغير يحـدث أولا فى باطن جدران الشريان ، ثم تتكـون بعد ذلك الرقائق الدهنية . ولكن البحث الجديد كشف عن ان هذه الرقائـق الدهنية Fatty Plaques تترسب من الدم مباشرة . فقد ادخـل طبيبان فى الشريان الأكبر لأرانب شريطا من نسيج اصطناعى ، معلق داخـل اسطوانات صغيرة من اللدين (البلاستيك) المسمى بالتفلون،ثم كشف الطبيبان عن الشرائط بعد ١٥٠ يوما ، فوجدا أن رقائق مـن الدهون ترسبت على هذه الشرائط .

وهذه الشرائط لم تمس جـدران الشريان الأعظم لهذه الأرانب (الاورطة) . انها لم تمس غير الدم . فالدم وحده هو الذى رسب هذا الدهن رقائق على هذه الشرائط ، وقد كانت نسبته فى الـدم عالية .

وقد أكد هذا أن بعض الجراحين كانوا استبدلوا بأجزاء بعض الشرايين فى مرضى بنى الناس انابيب من اللدين ، ثم وجدوا أن الدهن ترسب داخل جدران هـذه الأنابيب وهى لا حياة فيها .

من اليورنيوم ، ذائبة

ولكى يعرّضوا سطحا اكبـر من هـذا الادركسيد ، لماء البحر ، ليمتص أكثر ما يستطيع من اليورنيوم الذائب، نشروه على مساحات من الشاش كبيرة ، وعلقوا هذا الشاش فى مداخل ميناء ، ليتعرض دائما لماء من البحر جديد فيه يورنيوم جديد عند مدّ البحر وجزره . والبحث لا يزال جاريا على ثقة من النجاح .

وقد سبقوا فى التقدير فقدروا انـه قد يكون مستطاعا انتاج ١٠٠٠ طـن من اليورنيوم بتكلفة تبلغ ما بين ٤ جنيهات انجليزية الى ٨ جنيهات للرطل الواحد من اكـيد اليورنيوم . وهى تكلفـة معقولة اذا ما قورنت بتكلفة انتـاج اليورنيوم من الجرانيت وهى تبلغ نحو ٣٦ جنيها للرطل .

ان لليورنيوم اليوم فائضا عند الأمم ، ولكن برامج الأمم فى تطـوير مصادر طاقاتها ، واستخراج الكهرباء من الذرة ، يوشك أن يستهلك هذا الفائض وتصبح الحاجة ماسة أشد المساس الى اليورنيوم يأتى من كل طريق .



الذرة جاء بها كريستوفر كولمبس من أمريكا

● حقيقة يجهلها الكثيرون . فالذرة تزرع اليوم ، بمقادير كبيرة ، في انحاء من الارض كثيرة متباعدة : في البرازيل . في الارجنتين ، في المكسيك ، في الصين ، في منشوريا ، في الهند ، في أوربا ، في افريقيا ومصر ، في استراليا ، وغير هذه بلاد اخرى .

وهي تزرع في هذه البلاد من زمن بعيد . ويحسب كل اهل البلاد ان الذرة كانت تزرع عندهم من عهد آدم .

وما هي كذلك . ان الثابت اليوم انها جاءت أول ما جاءت من امريكا عندما اكتشفها كولمبس في اواخر القرن الخامس عشر . هكذا هو وجد الهنود الحمر يزرعونها ، ومنها يقتاتون .

وقبل الهنود وجدت الذرة في الحفائر التي قام بها علماء الآثار . وقد كشفوا عن ٣٨٠٠٠ من اكواز الذرة ، ارخوها فوقع تاريخ في نحو ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد . ووقع هذا الكشف في ولاية مكسيك الجديدة .

ودخل الأوروبيون الى أمريكا، فكانت الذرة أول معين لهم . كانت طعامهم الاول وحفظت حياة كثير من المهاجرين .

والذرة اليوم هي المحصول الأمريكي الأول ، فالارض المخصصة لها تزيد علي الأرض المخصصة لسائر الحبوب مجتمعة: القمح، والشعير، والقرطم، والشوفان ، والارز .

ومع كثرة محصول الذرة ، فالذي يستهلكه الانسان منه لا يبلغ اكثر من ١٥٪ منه ، استهلاكا مباشرا ، على صورة خبز او طعام كائنا ما كان . اما ال ٨٥٪ في المائة فتدخل معدة الانسان بعد تحولها الى لحم أو لبن او اجبان .

فالذرة تتغذى بها المواشي ، وتتغذى الدواجن ، فيكون منها اللحم واللبن والجبن والبيض .

والانسان يعتمد على الذرة اعتمادا كبيرا . ولكن كذلك تعتمد الذرة على الانسان بمعنى ان الدنيا لو خلت اليوم من الانسان لخلت الارض من الذرة . ذلك ان الذرة بوضعها الحالي تفقد القدرة الطبيعية التي للنباتات الأخرى على الانتشار . ففي النباتات الاخرى تنتشر البذور ، تنشرها الرياح وغير الرياح ، فتقع في تربة الأرض فتنبت . اما الذرة فبذورها لاصقة في كوزها ، وزيادة على هذا هي مغلفة بالقشر الذي يزيد في حبسها فلا تنتشر .

وقد عجز علماء النبات عن ردها الى نوع من الحشائش الطبيعية التي جاز أن تكون منها قد نشأت .

مبيدات كيماوية زراعية تقتل

● يجري الآن في العالم نقد شديد لاستخدام المبيدات الكيماوية في التطهير من الآفات . وهؤلاء النقاد ينسون فضل هذه المبيدات على الانسان .

ان نصف العالم جوعان . ولولا هذه المبيدات لازداد العالم جوعا .

وقد ادلى رئيس رابطة الكيماويات الزراعية بتصريح قال فيه ان ٢٠ في المائة من المواد الغذائية يضيع بين البذر والحصاد ، بسبب الأعشاب الضارة والفطر والحشرات. ويضيع ١٠ في المائة من كل هذه المواد المحصودة في النقل والتخزين بسبب الفساد والحشرات والحيوانات القارضة .

وقد عالج الانسان هذه الشرور بالمبيدات الكيماوية فوقف بالأضرار عند هذا الحد . ولكن من الناس من لا ينظر

تداوى النفس بالنفس

● جرت العادة بأن لا ينصح احد بأن يقوم هو بنفسه بوصف الدواء لنفسه وتعاطيه . ولكن ظهر فى هذه الايام راى جديد .

ذلك انه قد صار اليوم من المستحيل على المهنة الطبية فى اى بلد ان تقوم بكل ما يطلب منها . وقد ذكر الذاكرون مثلا لذلك الولايات المتحدة . قيل فى شانها ان بها فى العام الواحد ٧٦٠ مليون اصابة بالبرد ، فمن المتعذر ان يقوم اطباء الولايات بالعناية بهذا العدد الهائل ، الى جانب امراض اخرى عديدة لا يمكن ان يتولاها الا الاطباء .

والراى الطريف أن لا بد من توعية الجمهور فى غير الخطير من العلل الذى يستطيع أن يعالجه بنفسه فى بيته ، فلا يهرع الى الطبيب فى كل صداع ، او كل ارتفاع فى درجة الحرارة لا يلبث أن ينخفض بالتدفئة ، او كل الم فى البطن يزول بعد حمية يوم أو يومين .



الحشرات ولا تضر الانسان ..

الى هذه الكيماويات الا على انها سموم . وهى سموم حقا ، ولكن للحشرات وسائر الحيوانات القارضة . أما للانسان فالأدوية التى يستخدمها سموم كذلك . ولكن الناس تنسى هذا ، وتنسى أن السموم يحد منها مقدار الجرعة التى توصف بها .

وكذا فى المبيدات . انها جرعات . فهى لا تقتل الا اذا زادت عن حدودها المعقولة . ولكن اين هى من هذه الحدود !

ومع هذا فالعلم دائما لا يتوقف عن البحث عن جديد . وفى المبيدات راح العلم فعلا يبحث عن جديد ، وجاء بجديد بدل المبيدات المشكو منها التى هى مركبات كيماوية ، يدخل فى تركيبها النحاس او الزئبق .

لقد ظهر الآن فى المجالات العلمية طائفة اخرى من المبيدات الزراعية خالية مما يشكو منه الشاكون . فهى تقتل الحشر ، وتقتل ما يصيب النباتات من الفطر ، ثم هى لا تلبث بعد ذلك ، فى الضوء والهواء ، أن تتحلل ، فلا يبقى منها الا مركبات من عنصر القصدير ، « لاعضوية » ، ولا ضرر منها .

ولا بد قد اتضح للعارفين ، من قولى هذا ، أنها مركبات عضوية اساسها القصدير .

ومن امثلتها خلات الفينيل الثلاثى للقصدير Triphenyl Tin Acetate وقد استخدمته المانيا حديثا فى وقف آفة البطاطس .

ومن امثلتها اكسيد ثلاثي بوتيل القصدير Tributyl Tin Oxide وقد استخدموه فى حفظ الخشب .

الغضب والخوف أثرهما على القلب سواء

● ليس فينا من لا يدرك تأثير الغضب في القلب عند الغضب ، أو تأثير الخوف في القلب عند الخوف . ولعل الشائع أن الغضب يفعل في اثارة القلب فوق ما يفعل الخوف . ولكن تجارب اجراها الأطباء العلماء رأت غير ذلك .

والتجربة التى قاموا بها انهم كانوا ينيمون الرجل بالتنويم الذى اشتهر بأنه مغناطيسى ثم يوحون اليه بالغضب فيغضب .ثم بالخوف فيخاف. وفى كل حالة يقومون بوصف مايحدث في الجسم عند ذلك ، قياسا وعداً . لا سيما فى القلب وفى الدورة الدموية .

وقد وجدوا أن الخوف والغضب يحدثان أشياء تكاد تكون سواء . فالقلب تزيد ضرباته اى زيادة ، والتنفس يبلغ الضعف واكثر ، وضغط الدم يزيد فى الشرايين .

وهذه الآثار كلها ضرورية لأنها وسيلة الجسم للاستعداد للصراع ، وتهيئته للمعركة .

ومن الطريف المعروف انه فى الانفعالات الشديدة يصب الجسم مادة الادرينالين ، التى تفرزها الغدتين الكظريتين الواقعتين فوق الكليتين ، فى الدم ، فتدور فيه ، وهى تحفز الجسم الى ظواهر الاهتياج والدفاع المعروفة .

وفى التجارب التى تذكر أوقف الباحثون فعل الغدتين الكظريتين بواسطة عقار جديد ، فوجدوا أن سرعة ضربات القلب التى كانت ترجى بسبب الانفعالات النفسية لم تصل الى الحد المنتظر ، وانها نقصت نحو ٦٠٪ ومع هذا فالقلب كان يتعوض عن ذلك بأن يضخ فى الضربة الواحدة مقدارا اكثر من الدم ليفى بحاجة الصراع المرتقب !

حماية للنفس واجبة !

ما اعجب القلب ! كأنما به ذكاء ، فهو يفهم . نعطله فى جانب ، فيحتال للدفاع من جانب آخر .

نقل الدم الى أجسام الجرحى

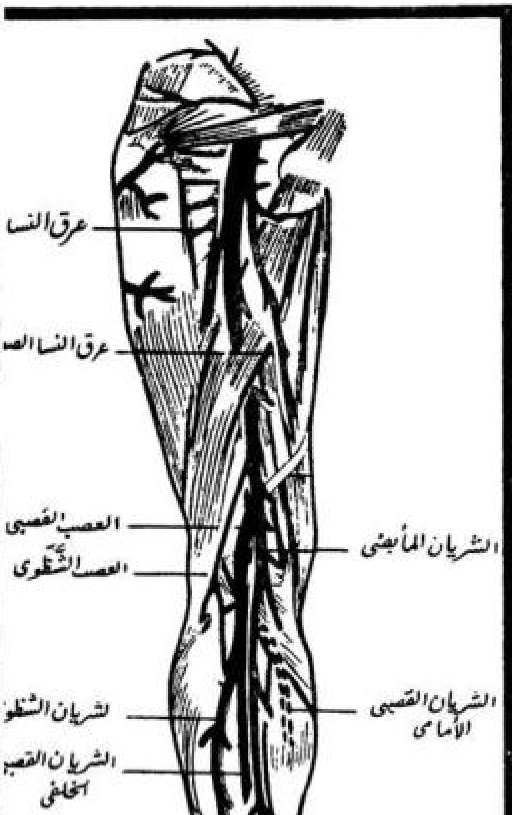


● ظهر فى بعض التقارير الطبية التى تحصى مقدار التقدم فى الطب فى العشر من السنوات الماضية ، ان من الجديد فى هذه النواحى كان تدفئة الدم الذى يعطى الى الجرحى لتزويدهم عما فقدوا منه وهو صار يدفأ بامراره بأنابيب ساخنة الى الجرحى لتزويدهم عما فقدوا منه ، قبل دخوله الى جسم المريض . وبذلك انتفت عن المريض مضاعفات كانت تحدث بسبب دخول الدم البارد الى دورته وتأثيرها فى ضربات القلب وانسجامها .

■■

طبيب الأسرة

عرق النسا ، وهو العصب الاكبر الذى يخدم الجزء الخلفي من رجل الانسان . وهو لا يلبث ان يتفرع الى فرعين ، يهبطان فى الرجل حتى القدم ، يقتسمان الخدمة فى بعض ما تحتاجه الرجل من احاسيس وحركات . والفرع الاول يسمى بالعصب القصبي Tibial Nerve نسبة الى عظم القصبة ، وهو يجرى مع الشريان القصبى فى حزمة واحدة . والفرع الثانى ويسمى بالعصب الشظوى Peroneal Nerve نسبة الى عظمة الشظية Perone وهى تجرى نازلة فى صحبة الشريان الشظوى .



الرجل : لونّا اعصابها بالازرق وشرايينها بالاسود

عرق النسا

● انا سائق تكسي ، وبحكم عملي اجلس فى مقعدى بالسيارة مدة طويلة ، احدثت عندى آلاما شديدة على طول رجلي . وقال لي الطبيب انه كثرة القعود . والله خلق الجسم ليقعد .

ــ ان جسم الانسان تتوزع على أعضائه الشرايين ، كما تتوزع الأوردة ، ويضمها الجهاز الدموى . ولكن كذلك تتوزع على اعضاء الجسم الأعصاب وتحمل الحس بشتى صورة، الى مراكز الحس بالجهاز العصبى وبالمخ والمخيخ، وتحمل منها الأمر بالحركة وبالسكون الى هذه الاعضاء. ويضمها جميعا، من أعصاب ومراكز ، الجهاز العصبي .

ومن فروع هذا الجهاز العصبي الذى يمتد فى الرجل ، عصب يجرى خلف الرجل من وراء الفخذ ، ويسمى بعرق النسا ، وهو يمتد بفروعه الى الكعب . وهما نسيان ، نسا فى الرجل اليمنى ، والآخر فى اليسرى . واسمه بالانجليزية Sciatic Nerve ، وهو اسم مشتق من اللفظ الاغريقى الذى معناه الورك .

وقد يلتهب هذا العصب (العرق) فيصيب صاحبه الألم ، ومع الألم فقدان هذا الجانب من الجسم للحس ، وضعف المضل . وقد كان الراى ان سبب التهاب هذا العصب اصابة برد ، او عدوى ، او تسمم أو ما اشبه ذلك .
ولكن الراى الحديث يميل الى الاعتقاد بأن السبب فى هذا الالتهاب ، فى الغالب الاغلب من الحالات ، انما هو وقوع ضغط على العصب نفسه ، فى جهة ما ، او فى حيث يخرج من فقار الظهر . والضغط قد يكون بسبب انزلاج قرص غضروفى من بين الفقار ، او اصابة روماتزمية فى سلسلة الظهر ، او ورم فى الحوض ، او ضغط وقع على العصب عند تركه الآلية ليدخل الى الفخذ .

وانت يا سيدى سائق التكسى ، اصابك هذا الداء لابسبب كثرةالجلوس، ولكن بسبب كثرة الجلوس على مقعد له حرف قاس يضغط على هذا العصب فى الخلف من رجلك وانت لا تدرى . ان الاحصاءات الطبية تدل على ان التهاب هذا العصب ، عصب النسا ، هو من الأمراض الشائعة بين سائقى السيارات ذات المقاعد غير المريحة .

أحلام ، لا ينقطع سيلها

● زوجتى تحلم الاحلام ، الحلم من وراء الحلم ، وتحكى لي عند اليقظة الشيء الكثير الذى تحلم به . وقد جربنا كل الأشربة التى يزعم أصحابها انها تعطي نوما هادئا عميقا خلوا من الاحلام ، ولكنها لم تنفع . واستمر هذا الحال عندها سنوات.

ــ ان الاحلام تجرى فى مستوىالنفس الذى يسميه علماء النفس « تحت الوعي » . وقد دلت الابحاث الحديثة على أن الاحلام قد تستغرق من النوم ازمانا طويلة ، تفصلها أويقات للنوم العميق متعددة قصيرة . وقد جرب البحاث وقف سيل الاحلام بايقاظ الشخص الحالم مرات متعددة ، ولكن اتضح ان هذا جاز أن يكون له آثار سيئة على الجهاز العصبي .

ان الأحلام تعكس ما يتمثل فى حياة كل انسان منا من مناقضات فى شئون النفس كثيرة . وهي مناقضات حبيسة فى تلك الطبقة الباطنة من الوعى ، وهى تتخذ من الأحلام متنفسا تتنفس فيه . فكبتها ليس من الصالح فى شيء . ان الأحلام صمام أمن ، من الحكمة الابقاء عليه ابقاء على سلامة النفس .

اما اذا كانت زوجتك تتأذى من احلامها . فذلك امر آخر . وعندئذ يصبح للطبيب النفسانى عمل ، وتصبح لاستشارته فائدة .

المهم الذى لا بد من ذكره ، أن من الاحلام المريح ومنها الممتع اللذيذ. ومنها لا شك المزعج ، وهذا له الطب الصحي علاج .

هل يمكن للحامل أن تتوقى

● ذكرتم فى عدد من « العربى » سابق ان المراة التى تصاب بالحصبة الالمانية فى الثلاثة الأشهر الاولى من الحمل ، معرضة للمجيء بمولود مشوه الخلق ، او عنده شذوذ فى الخلق . وقلتم ان الأطباء ينصحون فى هذه الحالة بالاجهاض لمن لا تريد أن تمضى فى هذه المخاطرة الى نهايتها .

فهل هناك علاج وقائى من الحصبة الالمانية تتخذه المراة الحامل حتى لا تصاب به ؟

ــ نعم قلنا فيما سبق ان اصابة المراة بالحمى الالمانية فى الأشهر الثلاثة الاولى

الحصبة الالمانية أثناء الحمل

من الحمل قد تؤدي الى تشويه الوليد. قلنا قد تؤدي، ولكنه لا يتحتم أن تؤدي.

ومن الفيروسات المعدية الاخرى ما اذا أصاب المراة الحامل عرّضها لمثل هذا الخطر ، ولكن لا يزال فيروس الحصبة الألمانية هو الفيروس الوحيد الذى ثبت احتمال هذا الخطر بسببه .

ولا يوجد الى اليوم لقاح يقي من الاصابة بالحصبة الالمانية ، كالذي يوجد للوقاية من شلل الأطفال مثلا أو من الدفتريا .

الا أمرا واحدا يجرونه ، ذلك الحقن بالمادة البروتينية المسماة جلبيولين جاما Gamma Globulin وهي عبارة عن الخلاصة المركزة لهذا الجزء من مصل الدم الذى به الأجسام المضادة لكل ما أصاب الجسم الانساني فى ماضي حياته من صنوف العدوى . فاذا حقنت المراة الحامل بهذه الخلاصة ، وهي بالطبع مستخلصة من اجسام غير جسمها ، فقد تعطى وقاية مؤقتة لها اذا ما تعرضت لعدوى هذه الحمى اثناء الثلاثة الأشهر الأولى .

وهذه الخلاصة ، جلبيولين جاما ، كبيرة التكلفة ، وهي قليلة ، فالتي تستخدمها من الحوامل لا بد ان تكون قد تعرضت فعلا لأشخاص مصابين بالحصبة الالمانية .

الخمر ، دواء للبرد ؟

● يقولون ان للخمر مضار كثيرة ، وان لها فوائد قليلة ، وان من فوائدها تدفئة الجسم عندما ينذر البرد باطفاء الحياة . ونسمع عن تائهين فى جبال سويسرا ، يكتشفون فى الثلوج ثم ترفع عنهم الثلوج، واول شيء يعطونه اياهم شراب من البرندى او نحوه ...

— ان الكحول ، عندما يدخل الى الجسم ، يُمتص بسرعة فى الدورة ، ويبدأ الامتصاص فى المعدة ، وهو يحترق فيدفىء الجسم . ولكن فعله الأكبر انما يكون بتوسيع الشرايين الصغيرة المنتشرة على سطح الجسم . ومعنى هذا ايجاد سطح اكبر من الدم معرض لخارج الجسم .

وهنا يكون اما النفع ، واما الضرر اكبر الضرر .

فالرجل الذى يتعرض لبرد شديد ، ثم يسقى البرندى ونحوه اسعافا ودواء ، اذا هو وضع فى فراش دافىء ، كأن تكون به قربة او قرب من ماء دافىء ، استطاع الجسم ، مع اتساع سطح الدم فى جلده، أن يكتسب من الدفء المحيط به ، فيصلح الجسم .

ولكن غير ذلك عندما يصعد الأوروبيون الى الجبال بين الثلوج . فانهم يتحامون عند ذلك عن شرب الخمر ، لأن سعة الشرايين الجلدية عندئذ تعرضهم ، لا للدفء ، ولكن للبرد ، فيزدادون بردا قد يؤدى بهم الى الموت .

الكحول يوسع الشرايين الصغيرة على سطح الجسم ، والجسم يقتبس بعد ذلك من الذى حوله ، فان دافئا ، فدفء وان باردا ، فبرد .

■■



بحث تربوى

الرَّجُلُ
المَرأةُ
أيُّهما أفْضَلُ فى التَّدْرِيسِ لِلبَنِين ..؟

■ ان الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو معرفة ايهما افضل: تدريس المدرسات او المدرسين فى التعليم الثانوى للمرحلة المتوسطة للبنين فى المدارس العراقية، وما اسباب ودوافع هذه المفاضلة ؟

والطريقة هي اجراء استفتاء على الطلاب الذكور الذين يدرسون فى مدارس، ادارتها وهيئتها التدريسية مدرسات .

ومعروف انه يقوم بتدريس الاولاد فى المدارس الابتدائية معلمون ، والبنات يدرسهن معلمات. وتوجد بعض المدارس النموذجية التى يكون التعليم فيها مختلطا ، فيقوم بالتدريس فيها معلمات ومعلمون .

اما التعليم فى المرحلة الثانوية



(المتوسطة والاعدادي والمهني واعداد المعلمين) فمدارس البنات منفصلة فيه عن مدارس الاولاد ، ويقوم بتدريس الطالبات مدرسات ، ويقوم بتدريس الطلاب مدرسون .

أما التعليم العالي فأكثر الكليات يكون التدريس فيها مختلطا .

هذه هي الصورة لسلم التعليم ومراحله في العراق .

تعليم منفصل او مختلط في المرحلة الابتدائية ، ثم تعليم منفصل في التعليم الثانوي ، ثم تعليم مختلط من مرحلة التعليم التالي :

الجذور التاريخية للتجربة

اجريت تجربة من هذا النوع سنة ١٩٥٢ على طلبة المدرسة المتوسطة الغربية النموذجية لمدة سنتين ، حيث قام بتدريس طلاب المدرسة للصفوف الثلاث (اول ــ ثاني ــ ثالث) ولشعب متعددة ، مدرسون ومدرسات تخرجوا في كلية التربية بدرجة عالية (شرف) .

كانت التجربة ناجحة الى حد ما في الصفوف الاولى ، وخاصة في الشعب التي يبلغ طلابها من العمر ١١ الى ١٣ سنة . اما الشعب الاخرى التي يتراوح اعمار الطلاب فيها ١٤ الى ١٨ سنة ، فقد ظهر ازعاج المدرسات والتحرش بهن وتسميهن بعض العبارات غير اللائقة ، بالاضافة الى عدم الانتباه الى الدرس بل الانتباه الى المدرسة ، حركاتها وغيرها .

لقد ادت هذه الظاهرة وغيرها ، وخاصة عدم رضا الهيئة الاجتماعية ، الى العدول عن تطبيق هذه التجربة والرجوع الى ما كان قائما ومطبقا في الماضي . اما في سنة ١٩٦٤ فقد قامت وزارة التربية ، نتيجة الضغط على المدرسة الغربية وكثرة عدد طلابها ، الى سحب ٢٥٠ طالبا منها وجعلهم مدرسة سميت بمدرسة خالد بن الوليد . وبسبب عدم وجود مدرسين لهذه المدرسة فقد استعانت الوزارة بمدرسات كن فائضات عن لواء بغداد للقيام بادارة هذه المدرسة والتدريس فيها .

وعند فترة تمرين طلبة كلية التربية ذهب عدد من طلبتنا للتمرن في هذه المدرسة ، وعند زيارتنا لهم هناك لفتت نظرنا هذه الظاهرة ، ظاهرة تدريس مدرسات طلابا (اولادا) ، وهذا مما لم يسبق تطبيقه في العراق بهذا الشكل .

ولاعتقادنا بان المدرس ركن أساسي في التربية ، وان اي تحسين في وضع التعليم يتوقف بالدرجة الاولى عليه ، ولايماننا بان المتعلم هو المحور الرئيسي الذي تدور حوله عملية التعليم ، ولاعتقادنا بضرورة الاهتمام بخبرات المتعلم وميوله ورغباته وآرائه ومواقفه ، لكل ذلك قمنا بالتعاون مع احد الطلبة المتمرنين من كليتنا (كلية التربية) وادارة المدرسة (مدرسة خالد بن الوليد) باجراء استفتاء بين التلاميذ في نهاية العام الدراسي .

الاستفتاء

كانت استمارة الاستفتاء على النحو التالي :

أ ــ العمر :

ب ــ محل الولادة :

جـ ــ مهنة الأب :

د ــ مهنة الام :

هـ ــ المدرسة الابتدائية التي تخرجت فيها :

و ــ أيهما تفضل تدريس المدرسات أم المدرسين؟

ز ــ ماهي أهم ثلاثة أسباب أدت لهذا التفضيل؟

وفي محاولة للحصول على اجابات مضبوطة طلبنا من الطلبة ورجوناهم الاجابة بصراحة تامة ، وطمأناهم بأن أجوبتهم سوف لا تطلع عليها المدرسات ، وسوف لا تؤثر على نجاحهم أو على معاملتهم من قبل الهيئة التدريسية أو الادارية . وضمانا لذلك طلبنا منهم أن لا يذكروا أسماءهم .

كما اننا قمنا باجراء الاستفتاء مرة ثانية بعد فترة عشرين يوما لنتأكد من صحة المعلومات التي أوردها التلاميذ . وقد تبين لدينا ان عدد الذين فضلوا المدرسين في المرة الاولى ١٠٦ وعددهم في المرة الثانية ٩٧ . وعدد الذين فضلوا المدرسات ٩٧ في المرة الاولى و ١٠١ في المرة الثانية . اما الحياديون فقد كان عددهم ٤٧ في المرة الاولى و ٥٢ في المرة الثانية . اما أسباب التفضيل فقد كان التباين ليس كبيرا بين ما ورد في المرة الاولى وما ورد في المرة الثانية .

وها نحن ندون نتائج استفتاء التجربة الثانية بعد أن تغلبنا على كثير من المشاكل والصعوبات التي جابهتنا في المرة الاولى .

اننا نعتقد أن هذه الدراسة ليست الا محاولة، ونامل في المستقبل ان تتاح لنا الفرصة لاجراء استفتاء على طلبة مدرسة متوسطة للبنات ، يقوم بالتدريس فيها مدرسون ، ومدرسة متوسطة مختلطة (بنات وبنين) يقوم بالتدريس فيها مدرسون ومدرسات لنقوم بالمقارنة والمفاضلة .

عرض النتائج

ان مجموع الطلبة الذين يتناولون دراستهم في هذه المدرسة (٢٥٠) طالبا ، وأعمارهم تتراوح بين ١٢ و ١٧ سنة وقد لاحظنا أن آباءهم أغلبهم من الطبقة المتوسطة ، والطبقة العاملة ، أو اصحاب الوظائف البسيطة . وقليل منهم هم قواد في الجيش أو في وظائف حكومية مرتفعة نوعا ما .

وقد كانت نتيجة الاستفتاء كما يلي :

الذين أيدوا تدريس الرجال (المدرسين)

بلغ عدد هؤلاء ٩٧ طالبا من مجموع الطلبة الذين يبلغ عددهم ٢٥٠ طالبا .

منهم ٤٠ طالبا عمرهم ١٣ سنة .

ومنهم ٣٣ طالبا عمرهم ١٤ سنة .

ومنهم ١٦ طالبا عمرهم ١٦ سنة .

ومنهم ٥ طلاب عمرهم ١٥ سنة .

ومنهم ٣ طلاب عمرهم ١٧ سنة .

مهنة آبائهم

عمال : ٣٩ ـ موظفون : ٢٨ ـ متقاعدون : ١١ ـ معلمون : ٧ ـ فلاحون : ٤ .

وهناك ثمانية طلاب آبائهم متوفون .

مهنة أمهاتهم

ربة بيت : ٨٤ ـ معلمات : ٨ خياطات : ١ .

وهناك أربعة طلاب أمهاتهم متوفيات .

محل الولادة

هناك ٦٥ طالبا ولدوا في بغداد و ٣٢ طالبا ولدوا خارج بغداد من مختلف الالوية .

المدرسة الابتدائية التي تخرجوا منها

من ٩٧ طالبا نحو ٨٥ منهم درسوا في مدارس ابتدائية معلموها رجال ، والباقي وعددهم ١٢ طالبا درسوا في مدارس ابتدائية معلموها نساء .

الاسباب التي علل بها الطلبة تفضيل تدريس المدرسين على المدرسات

١ ـ شعور الطلاب بوجود حرية في الصف الذي يقوم بتدريسه مدرس والتحدث بصراحة ومناقشة كثير من الأمور والقضايا التي لا يمكن التحدث مع المدرسات حولها. ٤٤

٢ ـ الكفاءة العلمية وغزارة المادة واتقانها. ٢١

٣ ـ الثقافة المهنية والتفنن في التدريس والمقدرة على تفهيم الطلاب .

(أ) المحافظة على النظام وضبط الصف ٣٢

(ب) الشرح والتوضيح الوافي والتكرار (قوة التدريس) ٤٧

(ج) توزيع الاسئلة بين الطلبة ومشاركتهم في الدرس ١٢

(د) المحاسبة على السعي اليومي وتحضير الواجب البيتي ١٠

٤ ـ الثقافة العامة وارتفاع مستوى المدرس الثقافي ١٢

٥ ـ الصفات الخلقيـة

(أ) المعاملة الحسنة (التسامح والعطف واللين والرقة واللطافة) ١٠
(ب) العدالة وعدم التمييز بين الطلبة ٧
(جـ) التعاون والانسجام مع الطلبة ٢
(د) الصبر ٢
(هـ) الجدية والمثابرة والاخلاص فى العمل ٦
(و) الايمان بطبيعة التلاميذ واحترام رغباتهم ٣

٦ ـ أسباب أخرى متفرقة :

(أ) اعتاد الطلبة التدريس على يد مدرسين ٢٤
(ب) التساهل فى الامتحانات واعطاء الدرجات ١٤
(جـ) تجاوزنا مرحلة الطفولة نحن رجال ٢٥
(د) تفضيل المصلحة العامة ٣
(هـ) قوة شخصية المدرس ٥

الاسباب التى علل بها الطلبة تفضيل تدريس المدرسات على المدرسين

١ ـ الثقافة المهنية والتفنن فى التدريس والمقدرة على تفهيم الطلاب .

الشرح والتوضيح الوافى — **عدد الاجابات** ٩٥

(أ) توزيع الاسئلة بين الطلبة ومشاركتهم فى الدرس ٣
(ب) المحاسبة على السعي اليومى وتحضير الواجب البيتي ٣
(جـ) الثقافة العامة وارتفاع مستوى المدرسة الثقافى ١٠

٢ ـ الصفات الخلقيـة :

(أ) التسامح ٢٤
(ب) العدالة وعدم التمييز بين الطلبة ٢
(جـ) الصبر ٢
(د) التعاون ١
(هـ) الجدية والمثابرة ٦
(و) المعاملة الحسنة (اللين والرقة واللطافة) ٩٢
(ز) الايمان بطبيعة التلاميذ واحترام رغباتهم واحترامهن لانفسهن ٥

٣ ـ أسباب اخرى متفرقة :

(أ) تعوّد الطلبة التدريس على يد مدرسات ١٩
(ب) التساهل فى الامتحانات واعطاء الدرجات ٥
(جـ) تفضيل المصلحة العامة ١
(د) عدم وجود سبب ١



تعليم مشترك فى المعاهد العالية

الذين فضلوا أن تكون الدراسة من المدرسات

أ ـ بلغ عدد هؤلاء ١٠١ من ٢٥٠ طالبا وأعمارهم كالآتى :

منهم ٨ طلاب أعمارهم ١٢ سنة
و ٣٣ طالبا أعمارهم ١٣ سنة
و ٥١ طالبا أعمارهم ١٤ سنة
و ٥ طلاب أعمارهم ١٥ سنة
و ٥ طلاب أعمارهم ١٦ سنة

ب ـ مهنة آبائهم كالآتي :

عمال : ٣٧ ـ متقاعدون : ٢٣ ـ موظفون : ١٩ ـ فلاحون: ٧ ـ معلمون: ٧ ـ مهندسون: ١ . وهناك ٧ طلاب آباؤهم متوفون .

جـ ـ مهنة الامهات كالآتى :

ربة بيت : ٨٩ ـ معلمات : ٩ ـ خياطات: ٣ .

د ـ محل الولادة لهؤلاء الأطفال :

هناك ٨١ طالبا ولدوا فى العاصمة (بغداد) . المتعددة .

وهناك ٣٠ طالبا ولدوا خارج العاصمة والالوية المتعددة .

هـ ـ المدارس الابتدائية التى تخرجوا منها :

من ١٠١ وجدنا ٦٢ طالبا درسوا فى مدارس ابتدائية معلموها رجال و ٣٩ طالبا درسوا فى مدارس ابتدائية معلموها نساء .

الذين لا يفضلون بين المدرس والمدرسة

أ ـ عدد هؤلاء ٥٢ من ٢٥٠ طالبا واعمارهم كالآتي:

منهم ٥ أعمارهم ١٢ سنة .

و ٢٢ أعمارهم ١٣ سنة .

و ١٨ أعمارهم ١٤ سنة .

و ٤ أعمارهم ١٥ سنة .

و ٣ أعمارهم ١٦ سنة .

ب ـ مهنة آبائهم كالآتي :

عمال : ٢٢ ـ موظفون : ١٣ ـ متقاعدون: ٧ ـ معلمون : ٥ .

ومنهم ٤ آباؤهم متوفون .

ج ـ مهنة الامهات :

ربة بيت : ٤٥ ـ معلمات : ٦

ومنهن واحدة متوفاة .

د ـ محل ولادة هؤلاء التلاميذ :

هناك ٣٢ طالبا ولدوا في العاصمة بغداد والباقي وعددهم ٢٠ ولدوا خارج العاصمة

اسباب عدم التفضيل

ان كلا من المدرسين والمدرسات يبغى منفعة الطلاب ويهدف انشاء جيل صالح	١٣
المهم الاخلاص في العمل وايهما اكثر اخلاصا	٨
المهم غزارة المادة وايهما عنده أكثر مادة	٧
المهم ايهما يشرح المادة ويوضحها أكثر من الآخر	١٩
المهم ايهما يعاملنا معاملة أحسن من الآخر	٨
المدرسة تعاملنا كأم والمدرس يعاملنا كأب	٢
العطف موجود عند الاثنين	٣
لا يوجد سبب ، نحن جئنا للدراسة لا للتفضيل بين المدرس والمدرسة	٥

تفسير النتائج

يمكن أن نجمل الاسباب التى كثر ذكرها عند أغلبية التلاميذ فيما يلي :

١ ـ ان التلاميذ يميلون الى المعاملة الحسنة واللطافة عند كل من المدرس والمدرسة .

٢ ـ انهم يفضلون الاكثر معلومات والأقدر على التفهيم بغض النظر عن كونه رجلا أو امرأة .

٣ ـ القدرة على الضبط والعدل في المعاملة والقيام بالواجب . كما يشيرون في كثير من الأحيان الى التدريس الجيد .

٤ ـ ان طريقة الضرب والعقاب طريقة لا تتماشى ونفسية التلاميذ ، ولذا يكرهون هذه الطريقة .

الخلاصة

اذا فحصنا الاجابات السابقة نجد أن المفاضلة لا ترجع الى نوعية الجنس بقدر ما ترجع الى ناحية المعرفة والمقدرة على التدريس ، فقد كانت الأسباب ، مهما اختلفت ، تشير الى ناحية المعرفة سواء كانت غزارة المادة او الاخلاق الحسنة أو التفنن في التدريس ، وان النساء بمثابة الامهات والمدرسين بمثابة الآباء .

هذه الخلاصة التى يمكن أن نستنتجها من اجابات التلاميذ تلقي ضوءا على أن العبرة تكمن في الاعداد الواقي لمهنة التعليم، وان الكفاءة ليست وقفا على الرجال ، ولكنها قضية استعداد لدى الطرفين . قد يكون أثر البيئة الاجتماعية واضحا في بعض الاجابات أكثر من البعض الآخر كما يذكر البعض مثلا انني اعتدت على تدريس المراة أو الرجل، ولكن الذى يهم هو الاتجاه العام للاجابات مهما كان المصدر لتلك الاجابات .

ولكن يمكننا أن نقول ان الفرق بين تدريس المراة والرجل يكاد يكون معدوما بين الذين فضلوا احد الجانبين . كما أن نسبة الذين لم يفضلوا احد الجنسين على الآخر كانت $\frac{1}{5}$ والذى يهمهم الكفاءة والاستعداد .

ونامل ان يكون الاستفتاء قد ساهم في القاء بعض الضوء على الاتجاه العام لدى التلاميذ ليتاح لنا ان نضع المناهج ونختار المدرسين الأكفاء حسب حاجات تلامذتنا ورغباتهم وحسبما تتطلبه المرحلة التعليمية للواقع العربى الذى يهدف الى تحول في كافة مجالات التعليم . ■■

بغداد : مسارع الراوى



التاريخ الرابض وراء
مأساة شكسبير الكبرى

مصرع يوليوس قيصر

جريمة شنعاء، لم تدفع شرا، ولم تأت بخير

بقلم : على أدهم

■ كانت المائة من السنوات السابقة لسنة ٤٤ قبل الميلاد من السنوات الحافلة بالازمات والمشكلات فى حياة الجمهورية الرومانية ، وكان الخلق الرومانى قد فقد الكثير من الصفات والمزايا التى مكنت الرومان من موالاة الانتصار فى الحروب التى خاضوا غمارها وبسط سيادتهم على جانب كبير من العالم القديم .

الرومان منحوا يوليوس قيصر الدكتاتورية لعشر سنوات

وفى اواخر سنة ٤٥ قبل الميلاد كانت المخاوف تساور أعيان الرومان واعضاء مجلس الشيوخ بوجه خاص ، فقد منح يوليوس قيصر الديكتاتورية لمدة عشر سنوات ، وهى منحة لم يكن لها سابقة فى التاريخ الرومانى، وكان الخوف من ان طول استعمال قيصر لهذه السلطة المطلقة الممنوحة له يفسد عليه امره ويغريه بالطغيان ، يشغل بال المحافظين وغيرهم من سائر طبقات الأمة الرومانية .

وكان الرومان من الامم التى يبهر ابصار ابنائها تألق الشخصية . وتعجبهم المواقف البطولية ، ولكن بطلهم المحبوب ومعبودهم الأثير عليه أن يلتزم

بالحذر فلا تزل قدمه أو يبطره الغرور ويطيش بلبه فرط الاعجاب فيستحيل الحب الشديد كراهة صماء تستنزل البطل من عليائه وتجعله امثولة لتقلب الحظوظ وتنكر الأيام .

صفات تميز بها يوليوس قيصر

وأى بطل من أبطال التاريخ النوادر كان يوليوس قيصر !

كان في مستهل حياته محاميا بارعا ، حاضر البديهة ، قوى الحجة ، يستطيع مصاولة شيشرون اخطب خطباء الرومان ومثلهم الأعلى في اللسن والفصاحة وبلاغة الاسلوب .

وكان عالما دارسا واسع الاطلاع يعرف مذاهب المفكرين اليونانيين والأدب اللاتيني ، وله مشاركة في علمي الهندسة والرياضة .

وفضلا عن ذلك كله كان احد قواد العالم المشهورين ، يحبه جنده لانه يحرص على حياتهم ولا يعرضهم لاخطار لا لزوم لها ، ويعيش مثلهم برغم نوبات الصرع التى كانت تنتابه من الحين الى الحين .

ولم ينس مع ذلك نصيبه من المتعة الحسية فكان برغم صلعته المشهورة محبا ذائع الصيت تميل اليه النساء ، ويخلصن له الحب ، ويصفينه الود اذا ما انقضى زمان الحب . وكان جنوده حينما يدخلون معه احدى المدن يتغنون فخورين بقائدهم الأصلع الوسيم : « أيها الأزواج حافظوا على نسائكم فقد جاء معنا الفاسق العظيم » .

صفات أثارت مخاوف مجلس الشيوخ

وكان توفر هذه الصفات في يوليوس قيصر اكثر مما يلزم للفت الانظار وكسب الانصار وضمان المستقبل الباهر والمكانة الشمخاء ، ولكنها كانت كذلك كافية لاثارة مخاوف أعضاء مجلس الشيوخ المحافظين واثارة حسد الحاسدين وأحقاد الحاقدين وتحريك المنافسة وتاريث العداء . ويضاف الى ذلك أن الرومان كانوا بطبيعتهم يكرهون الديكتاتورية ويقبلونها مضطرين على حكم الظروف ومسايرة لتقلب الأحوال ، ولهذا كانت الاخطار تسير في آثار يوليوس قيصر .

ومع هذا كرمه مجلس الشيوخ تكريما عظيما

وقد اصدر مجلس الشيوخ قرارا بان تقام تماثيل ليوليوس قيصر في معابد روما جميعها وفي المدن الايطالية كلها ، وان يحتفل بالبطل العظيم والقائد المظفر كل خمس سنوات ، وعند قدومه لروما اقيم له احتفال تجاوز في فخامته كل ما وعته ذاكرة الرومان ، وحباه مجلس الشيوخ بكل ما يريد من القاب التعظيم ، واجاز له أن يلبس اكليل الغار الذى كان يوارى صلعته وان يحمل حتى في أوقات السلم رمز سلطات الامبراطور ، كما كان منصب الحبر الأكبر يمكنه من السيطرة على الشؤون الدينية .

وظل قيصر قلقا

ولكن قيصر برغم ما اسبغ عليه من الوان التكريم ، وما ظفر به من عليا المراتب ، كان لا يزال قلق النفس متطلعا الى المزيد . وبدت له أعماله السابقة أو انتصاراته المتوالية قليلة الشان غير جديرة بمواهبه المحلقة ، وقد فتح بلاد الغالة وغزا بريطانيا ، واخضع القبائل الضاربة في غرب ألمانيا وسويسرا ، ونشر السلام في ربوع اسبانيا ، وقضى على منافسه العظيم بومبى Pompée وأسقط متراديت Mitradate من فوق عرشه في آسيا الصغرى ، ولكن هل يمكن موازنة هذه الاعمال بما قام به أعظم فاتحى العهد القديم الاسكندر المقدونى ؟ لقد غزا الاسكندر الهنود في عقر دارهم ، فلماذا لا يتجه كذلك الى الشرق ليثار من بارثين Parthyéne (الاسم القديم لخراسان) ويؤمن حدود الامبراطورية عند نهر الفرات ، وينتقم لمصرع كراسس الذى اقرضه في أوائل عهده من المال ما ساعده على توطيد مكانته والانتصار على منافسيه؟ واذا تم له اخضاع بارثين (خراسان القديمة) زحف حول البحر الأسود لتهدئة سكوذيا وارتاد نهر الدانوب وأتم فتح ألمانيا .

دكتاتورية قيصر كانت الغاء للنظام الجمهورى

وكانت الدكتاتورية التى ارتضاها مجلس الشيوخ لقيصر فى الواقع الغاء للنظام الجمهورى، ولونا من الوان الملكية المقنعة . وكان النظام الملكى بغيضا الى نفوس الرومان . فحينما حاول مارك انطونى أن يضع التاج على راس قيصر فى فبراير عام ٤٤ (قبل الميلاد) رفض قيصر التاج بطريقة مسرحية أوقعت الشك فى نفوس انصار النظام الجمهورى المخلصين ، وجعلت خصوم قيصر يبسطون السنتهم ويبثون الشكوك فى نياته . ومن ذلك الوقت اتجه التفكير الى القضاء عليه والتخلص من عدوانه على النظام الجمهورى ، فقد أصبح واضحا لهم انه يرمى الى تنصيب نفسه ملكا على الرومانيين ، والتقاليد الرومانية تمجد قتل الطغاة المستبدين . ومن يدرى ماذا يصنع اذا أتيح له الذهاب الى الشرق وغزو بثنيا والعودة بعد ذلك الى روما مكللا باكليل الغار مفوفا بالفيالق الموالية له والملبية لرغباته ؟

ولقد أصبحت ارادته قانونا ، وكان الانتخاب للوظائف الكبيرة لا يزال موجودا من الناحية النظرية ، ولكن فى الواقع لم يكن أحد يستطيع أن يرقى الى منصب عال مثل منصب القنصل أو منصب التريبون الا باختياره ، واستأثر باختيار الأعضاء الجدد لمجلس الشيوخ وجعل عدد أعضائه تسعمائة عضو بعد أن كانوا ستمائة ، وأدخل فى عضويته بعض سكان الولايات التى ضمت الى روما . وكان مع ذلك كله يتجاهل ما يصدره المجلس من قرارات اذا كانت لا تلائم رغباته أو تعارض سياسته .

كان قيصر ينسى الاساءة ويعفو

ومن خلاله المأثورة انه كان لا يميل الى الانتقام، ولا يحمل الحقد ، ويعفو عند المقدرة .

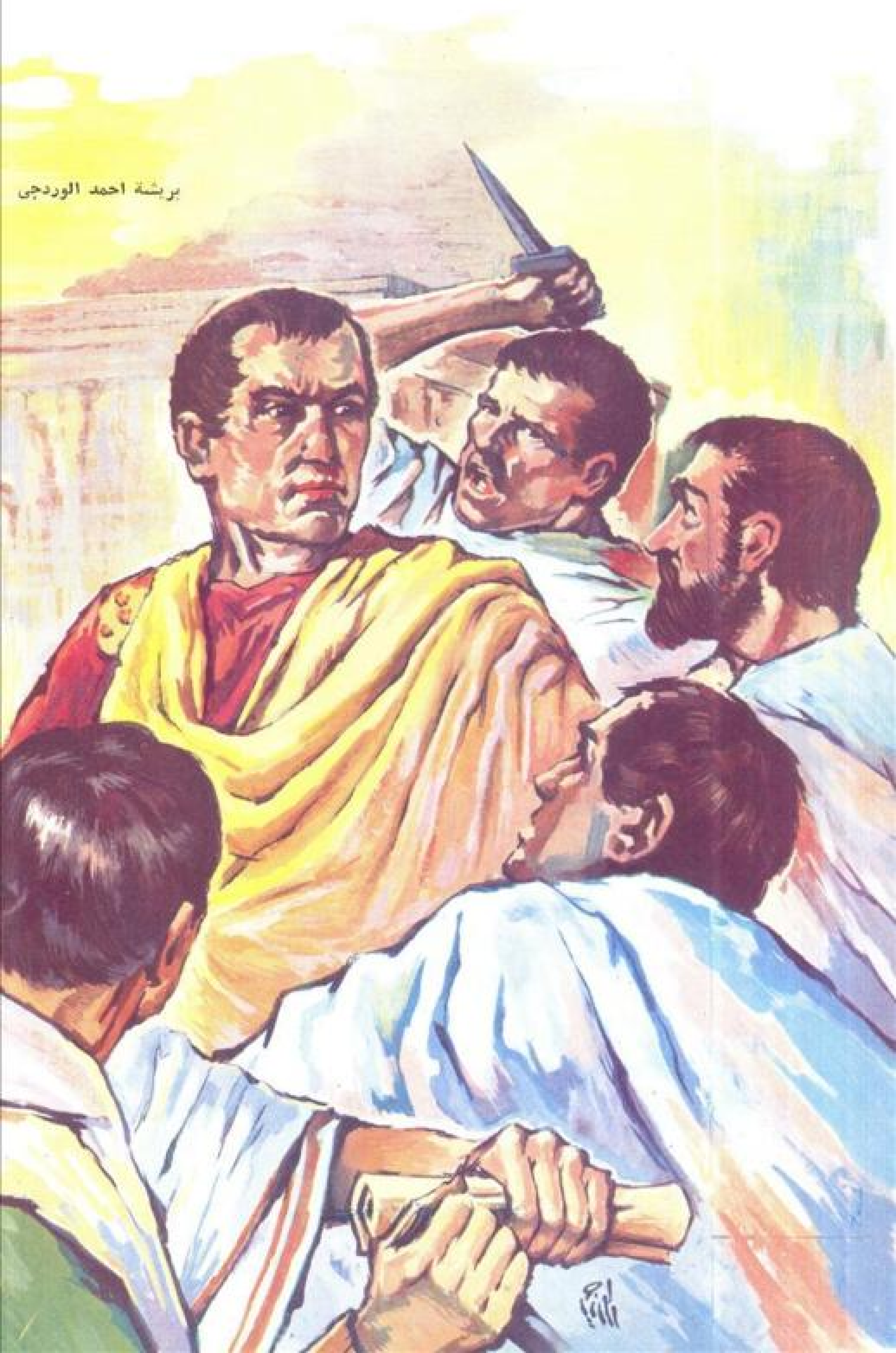
قال عنه شيشرون الذى كان ينطوى له على الكراهة . « انه لا ينسى سوى الاساءة » . والأمثلة على ذلك كثيرة موفورة فى حياة يوليوس قيصر ، من ذلك أن اثنين فى طليعة الذين سعوا فى حتفه وعملوا على تدبير مؤامرة لاغتياله ، وهما كاسيوس Cassius وماركوس بروتس Brutus ، كانا من أنصار منافسه الخطير بومبى Pompée ولكنه مع ذلك عفا عنهما بعد تغلبه على منافسه والقضاء عليه ، واختارهما لمنصبين كبيرين من مناصب الدولة . وكان بروتس صديقا لقيصر ، وكان قيصر شديد العطف عليه حتى قيل انه ابنه، لعلاقته الغرامية القديمة بسرفيليا والدة بروتس، وكان كاسيوس اكبر سنا من بروتس واكثر منه تجربة ، ولكن حب قيصر لبروتس جعله يسند اليه المنصب الأسمى مما أثار حقد كاسيوس ، وكان رجلا مهزولا خبيث الطوية شديد الحقد ، وقد احاله ذلك الحقد نصيرا قويا للنظام الجمهورى . ومهما يكن من الأمر فانه لم يكن الرجل الذى يقبل أن يصير قيصر ملكا على روما.

مارك أنطونى يسعى الى تلقيب قيصر ملكا خارج روما

وكان مارك انطونى بعد أن رفض قيصر تتويجه ملكا قد أراد أن يحتال للأمر ويوحى الى مجلس الشيوخ أن يبيح لقيصر استعمال لقب الملك فى مفاوضاته خارج روما وبعيدا عن ايطاليا ، وكان المنظور أن مجلس الشيوخ سيوافق على ذلك ، لان الكثيرين من أعضائه كانوا مدينين لقيصر بالكثير ، كما كان بعضهم يخشى الوقوف فى طريقه، ولكن قلة من أعضاء المجلس كانت مصممة على مقاومة هذا العرض مهما يكلفها الأمر ، وكانت بواعث أعضاء هذه القلة مختلفة ، فبعضهم كان باعثهم المصلحة الخاصة ، وبعضهم كان باعثهم الحقد والحسد ، وبعض أفراد قلائل كان باعثها صدق الايمان بالنظام الجمهورى والاخلاص له .

كاسيوس يبدأ المؤامرة

وأخذ كاسيوس الممتلىء حقدا وضغينة يسعى سعيه ويثير هواجس أصدقائه ويحرك فى نفوسهم دوافع الحسد والتبرم والسخط ، ويبالغ فى تصوير مطامع قيصر وعدوانه على النظام الجمهورى. ونجح فى اقناع جماعة من الرجال الشجعان الأمناء بضرورة القضاء على ذلك المارد الجبار ، ولكن واجهت الجماعة تلك المشكلة التى كثيرا ما تعرض للمتآمرين ، وهى محاولة اظهار عملهم فى صورة العمل المثالى العظيم الذى لا مندوحة عنه لانقاذ


بريشة احمد الوردجى

النظام القديم والمحافظة على التقاليد الجمهورية، وراوا ان تحقيق ذلك لا يتيسر لهم الا اذا ضموا الى صفوفهم رجلا نقى السمعة معروفا بفرط تعلقه بالنظام الجمهورى مثل ماركوس بروتس ، ولكنه كان فى ذلك الوقت من اصدقاء قيصر المقربين ، ولن يتم لهم النجاح فى تحقيق هدفهم الا اذا ضم اليهم وأيد خطتهم .

كاسيوس يدبّر لضم بروتس اليه

ولكن سعة حيلة كاسيوس كانت كفيلة بمعالجة الموقف ، ولم تكن العلاقات بينه وبين بروتس ودية ، وحتى اذا استطاع ان يزيل اسباب الخلاف بينهما ويتقرب منه فانه كان هناك صعوبة اخرى وهى كيف يستطيع ان يحمل رجلا ،بطبيعته غير ميال الى العنف، على الاشتراك فى عمل ينطوى على القوة ويتسم بالعنف . ولكن كاسيوس كان ثاقب الفكر جم النشاط ، وكانت عنده القدرة على خلق الجو المناسب لما يريد ان يقدم عليه ، وهى مسألة تند عن ادراك بروتس وأمثاله من الذين لا يفطنون الى حيل الماكرين المطبوعين على الدهاء والتدبير فى الخفاء .

وكان فى روما تمثال للوسياس بروتس Lucius Brutus الذى كان قديما اقصى ملوك الرومان القدامى وارجع الجمهورية ، فى احدى الساحات القريبة من المكان الذى يباشر فيه ماركوس بروتس عمله بوصفه بريتورا Préteur (وهو ثانى منصب فى الدولة ، ويتولى صاحبه تحقيق العدالة فى البلاد) فاخذ كاسيوس يرسل فى الساعات المتاخرة من الليل من يكتب على تمثال هذا الجد الشهير بعض العبارات المثيرة لبروتس مثل (لو كنتَ لا تزال حيا) او (ليتك كنت حاضرا امرنا فى هذه الآونة). وبعضها ينطوى على لوم لبروتس مثل(اى بروتس! هل مت ؟ والا فان آباءك براء منك) . وكان بروتس فى كل يوم يمر بالتمثال ولا يعبأ بأمثال هذه العبارات ، ولكنه حين وجد عبارات مثلها فى مقر عمله ، لم يتردد فى الاعتقاد بانه المقصود بهذه النذر . واسترعى نظرَ كاسيوس لها وسأله رأيه فيها .

بروتس يقع فى الفخ المنصوب

وكانت هذه هى الفرصة التى ينتظرها كاسيوس، فقال له : « اذا كنت لا تدرى من المقصود بهذه الاشارات فانك انت الوحيد فى روما الذى يجهل ذلك . ان سكان المدينة جميعا يتطلعون اليك لتقودهم » .

فعجب بروتس من قوله ، وقال له : اقودهم فى ماذا ؟ » .

فاجابه كاسيوس : « تقودهم ضد قيصر بطبيعة الحال » .

فلم يفطن بروتس فى بادىء الامر لمغزى حديث كاسيوس : وقال : « ليس هناك ما يستوجب ان اقوم بعمل لا يرضى قيصر ، فهو صديق صدوق لى ، وقد كان كريما الى اقصى حد فى معاملته اياى بعد موت بومبى ، وكذلك كان سلوكه معك».

فقال كاسيوس : « انى اعرف ذلك ، وانا آخر من ينكره ، ولكن طموح قيصر الى مكانة الآلهة قد ازعج الناس وبلبل الافكار وتكاثرت الاقاويل عنه» .

فاجابه بروتس قائلا: « لقد اقر مجلس الشيوخ ذلك بالتصويت، واصبح هذا قانونا ، ولانستطيع ان نغيره بالتذمر والشكوى ، وماذا عندك غير ذلك ؟ » .

فاسترسل قائلا : « لا بد انك تعلم ان مارك انطونى يسعى فى تقديم اقتراح بمنح قيصر لقب ملك ، فهل ادركت ما يرمى اليه ؟ » .

وحار بروتس فى امره وقال : « ماذا تعنى بهذا



القول ؟ لا أصدق هذا عن قيصر » .

ــ « سأقيم لك الدليل الذى لا يرد على ذلك، واذا اقنعتك فماذا أنت فاعل ؟ » .

فقال بروتس متمهلا : « **لا بد من مواجهة مثل هذا الموقف ، وعلى كل انسان ان يحارب دفاعا عن التقاليد المقدسة ، واذا استلزم الأمر فانى مستعد لأن أقتل فى هذا السبيل .**

ــ ولكن يا بروتس لا أحد يريد أن تضحى بنفسك بهذه الطريقة ، وأحسبك أدركت أن تلك الرسائل الموجهة اليك قد كتبها سرا بعض الرجال ذوى المكانة فى روما ، فهى ليست من عمل صماليك الهيجين ، وتستطيع أن تتبين ذلك اذا جشمت نفسك مشقة فحص الخط الذى كتبت به . ولكن الشعب يهيب بك كذلك ، وهو الذى ينتظر منك اسقاط الديكتاتور الذى يريد أن يكون ملكا على روما .

بيت بروتس يصبح مكان تجمع المتآمرين

فذهب بروتس الى بيته مهموما وبدأت تتداعى فى فكره الشكوك فى سياسة قيصر ، وقد أوقعه كاسيوس فى الشبكة التى أعدها له ، ومن ذلك الوقت أصبحت دار بروتس المكان الذى يفزع اليه المتآمرون فى جنح الليل متخفين للتشاور وتبادل الرأى ، وكان من رأى بروتس الاكتفاء بقتل قيصر واعادة روما الى نظمها السياسية التقليدية ، ولكن كان هناك من يعارض هذا الرأى ويرى أن الثورة لا يمكن أن تؤتى ثمرتها وتحقق غايتها الا بالاطاحة برؤوس كثيرة .

زوجة بروتس تنضم للمتآمرين

وشغلت هذه الأفكار بروتس وأهمته ، وأرقت جفنه وسلبته راحته ، وهالته فظاعة الواجب الذى فرض على نفسه القيام به .ولحظت زوجته بورتيا ، ما يعانيه من هم ، ولحظ هو كذلك أنها تعانى أزمة نفسية ، فسألها فى ذات ليلة قائلا : « ما شأنك يا بورتيا ؟ حدثينى عما بك » .

وكانت بورتيا امرأة شديدة الكبرياء ، وهى ابنة كاتو أحد القواد الجمهوريين القدماء ، وقد آثر أبوها الموت على الاستسلام ليوليوس قيصر بعد هزيمة بومبى منذ عامين .

فأجابته قائلة : « اننى ابنة كاتو ، وأنت تعلم أنه كان رواقيا مثلك، ولكى أثبت لك أننى أستطيع أن أؤتمن على سرك أحدثت جرحا فى ساقى منذ شهر ، وهذا هو الجرح الذى لا تعرف عنه شيئا، فأفض الى بالسر الذى ملأ شعاب نفسك وأقض مضجعك » .

وضمت بورتيا الى جماعة المتآمرين ، وقارب عددهم الستين من الحاسدين والحاقدين والحريصين على النظام القديم والمؤملين فى اجتناء الكسب وتأثيل المكانة اذا تغيرت الاحوال وزال قيصر من الطريق .

قيصر يرفض أن يسير فى حراسة أحد

وكان قيصر قد أبى أن يكون فى حراسة أحد وهو يسير فى الطرقات ، وامتنع عن حمل أى سلاح يدافع به عن نفسه ، وكأنه أراد أن يدخل فى روع أفراد الشعب الرومانى أنه واحد منهم ، وربما كان باعثه على ذلك الايمان بالقضاء والقدر، وأننا لا يصيبنا الا ما كتب لنا ، وليس لنا حيلة فى رد القضاء ودفع المقدور ، ومهما يكن من الأمر فان هذا المسلك من ناحية قيصر جعل مهمة المتآمرين سهلة ميسورة .

المتآمرون حددوا يوم ١٥ مارس يوما لاغتيال قيصر

وحدد المتآمرون لقتل قيصر اليوم الذى يعرض فيه مارك أنطونى على مجلس الشيوخ اقتراحه بمنح قيصر لقب ملك فى خارج ايطاليا ، وكان ذلك هو الوقت المناسب ، واتفق أنه كان يوم الخامس عشر من شهر مارس سنة ٤٤ ق.م.

وتمكن بروتس من اقناع المتآمرين بالاكتفاء بقتل قيصر والذهاب بعد ذلك الى الكابيتول ــ قلعة روما القديمة ــ والمناداة بالجمهورية الجديدة .

وشهر مارس فى روما كان فى أغلب السنين من الأشهر التى تصفو فيها السماء وتبرز الشمس جلواء الطلعة ، وتزدهر الأشجار .ولكن منتصف مارس فى روما سنة ٤٤ ق.م كان من الأوقات التى ثارت فيها هوج العواصف ، وأومضت البروق ، وقصفت الرعود ، وتراءت للناس

الرؤى والاشباح التى فسرها اهل ذلك العصر المؤمن بالخرافات بأنها تحمل نذر الشر المستطير.

عرّاف قيصر يحذره شرّ هذا اليوم

وفى اليوم الرابع عشر من شهر مارس كان القلق والاضطراب يسودان منزل قيصر ، فقد حذره عرافه الخاص شر اليوم التالى وذكر له أنه سيكون يوما شديد الخطر على حياته ، والظاهر أن بعض أخبار المؤامرة تسربت حتى وصلت الى علم هذا العراف المسمى سبيرنتا ، ومؤامرة يتجاوز عدد اعضائها الستين من المحتمل الى حد بعيد أن تذيع بعض أخبارها ولا يخفى أمرها كل الخفاء مهما بالغ فى كتمان أخبارها القائمون بها.

مناقشة فى الموت بعد عشاء

واتفق فى تلك الليلة أن تناول يوليوس قيصر طعام العشاء مع ليبداس قائد فرقة الخيالة ، ودارت بعد العشاء مناقشة فلسفية حول موضوع ما هى أسهل الطرق التى يأتى بها الموت ، وحينما جاء دور قيصر لابداء رأيه فى هذا الموضوع ، قال: انه يؤثر الموت المفاجىء غير المنتظر .

زوجة قيصر تتوسل اليه أن يستشير الكهنة

ولما عاد قيصر الى داره وجد الريح تعصف بالنوافذ والأبواب ، وذكرت له زوجته كالبورنيا أنها لم تستطع النوم الا غرارا ، وأن الكوابيس اعترضت نومها ونفت النوم عن عينيها ، وأنها رأته فى أحد تلك الأحلام المفزعة ملقى بين يديها مضرجا بالدماء ، وتوسلت اليه أن يستشير الكهنة والعرافين قبل أن يقوم بعمل أى شىء فى اليوم التالى .

وعجب قيصر من أمر زوجته وأثر فى نفسه حديثها فقد عهدها قوية الجنان راجحة العقل غير مبالية بالخرافات ، واقلقه ذلك وأثار هواجسه .

وفى صباح اليوم التالى رجت زوجها أن يرجىء أعمال اليوم ، ولكن قيصر جادلها فى رفق ولين قائلا : « ماذا يقولون عنى اذا عرف أنى لزمت دارى لتأثرى بأحلام امرأة ؟ ليس هذا من طباعك يا كلبورنيا ، وكل ما فى الأمر أنك عانيت بعض التعب فى الليلة السالفة » .

فطلبت اليه أن يرى على الأقل الطالع ، فوافق بعد لأى ، وبالرغم من أنه كان حر الفكر فانه لم يسترح لما أخبره به الكاهن بعد أن ضحى بديكين ووجد أن احدهما ليس له قلب وأن الآخر ليس له امعاء ، وهما اقوى العلامات على توقع الشر ، ووافق على عدم الذهاب الى مجلس الشيوخ برغم أن الجلسة كانت لها أهميتها من ناحية علاقتها بمستقبله السياسى .

المتآمرون يتجمعون ، والخناجر فى طيات ثيابهم

واجتمع المتآمرون فى منزل كاسيوس ليقفوا على آخر الأنباء ويتلقوا الاشارات الأخيرة قبل أن يسلك كل منهم سبيله الى مجلس الشيوخ ، وذهب كاسيوس فى صحبة بروتس الى مكان عمله بوصفه بريتورا ، وكانا يستطيعان من هذا المكان الاشراف على رواق مجلس الشيوخ ويعرفان الوقت المناسب لذهابهما اليه .

واخذت الاشاعات تنتشر وتذيع مرددة أن قيصر لم يأت بعد، ثم ذاع نبأ أنه لن يحضر الى المجلس فى ذلك اليوم . وجلس بروتس وكاسيوس عند الباب الخارجى فى مقر البريتورية يراقبان تجمع زملائهما فى سقيفة مجلس الشيوخ ، وقد خبأوا الخناجر فى طيات ثيابهم منتظرين الاشارة عند قدوم قيصر . وفى هذه اللحظات التى توترت فيها الأعصاب كانت تكفى كلمة واحدة لكشف المخبأ وايقاع الرعب فى القلوب . وكاد يتجمد الدم فى عروق كاسكا أحد المتآمرين ، حينما مازحه احد اصدقائه قائلا له : « لقد أحسنت الاحتفاظ بالسر ولكن بروتس قال لى كل شىء » . وقبل أن ينطق كاسكا بكلمة واحدة أضاف صاحبه قائلا فى براءة تامة : « لكن خبرنى كيف جمعت فجأة المال الكافى للحصول على وظيفة من وظائف الدولة؟ ».

وتلا ذلك ما هو أسوأ ، فقد همس بوبلياتس ليناس لبروتس وكاسيوس قائلا : « أرجو لكما النجاح فيما دبرتما من الأمر ، ولكن بحق السماء أسرعا فقد كثر اللغط حوله » .

ولكنهما لم يكن فى وسعهما الاسراع ، ولم يستبعدا أن يكون سرهما قد ذاع ، وأن أحد المتآمرين قد خان الأمانة ، وأنهما سيقعان فى يد

(البقية على صفحة ١٤٨)



ألف

قصة للكاتب الامريكي أو . هنري

ألف دولار .

كرر المحامى تولمان هذه العبارة فى وقار وجد .. واضاف : « **واليك المبلغ** » .

واطلق الشاب جليان ضحكة خلية ، وهو يأخذ ربطة النقود ، وكلها من فئات الخمسين دولارا الجديدة .

وقال المحامى فى مرح : « **انه مبلغ محير مربك للغاية ، فلو أنه كان عشرة آلاف دولار لسعد الانسان به واطلق الصواريخ فرحا . ولو كان خمسين دولارا لسبب ارتباكا وحيرة أقل كثيرا .**

فرد تولمان فى لهجـــة المحامى الوقور :

ـ لقد اسمعتك وصية عمك . ولا أدرى اذا كنت قد اهتممت كثيرا بتفاصيلها . ولكـن يجب على أن اذكرك بها ، فالمطلوب منك هو أن تقدم لنا حسابا عن طريقة انفاقك الالف دولار حالما تفرغ من انفاقها . ان الوصية تنص على ذلـك . وانى لواثق من انك ستذعن لرغبات عمك المرحوم السيد جليان .

فقال الشاب فى أدب : « **بالتاكيد ، وذلك رغم**

المصاريف الاضافية التى سيتطلبها الامر ، فسوف اضطر الى استخدام سكرتير ، فقد كنت دائمـا ضعيفا فى الحساب » .

وذهب جليان الى ناديه وبحث عن صديقه الذى كان يطلق عليه اسم « بريسون العجوز » . وكان بريسون العجوز ، ذو الاربعين عاما ، رجلا هادىء الطباع ، وكان يجلس فى احد اركان النادى يقرأ كتابا . وعندما شاهد جليان وهو يقترب منه تنهد وترك الكتاب وخلع نظارته .

وقال له جليان : « استيقظ أيها العجـــوز بريسون فان لدى قصة طريفة أود أن أرويها لك» .

فقال بريسون العجوز : « لكم أود أن ترويها لشخص آخر فى غرفة البلياردو ، فانت تعلـــم انى اكره قصصك » .

دولار

فقال جليان وهو يلف سجارة : « انها قصة طريفة رائعة ، ويسعدنى أن أقصها عليك . انهـا محزنة جدا ومضحكة جدا لدرجة لا تتفق وطرقعة كرات البلياردو . لقد حضرت لتوى من مؤسسة القرصنة القانونية التى كانت تتولى شئون المرحوم عمى . فقد ترك لى ألف دولار فقط . والمشكلة هى ما الذى يستطيع الانسان أن يفعله بالف دولار » ؟

فقال بريسون العجوز وهو يبدى اهتماما كالذى تبديه النحلة نحو اناء الخل : « أعتقد أن المرحوم سبتيموس جليان قد ترك ثروة تقدر بحـــوالى نصف مليون » .

فوافق جليان قائلا فى مرح : « فعلا ، ومن هنا تاتى النكتة . فقد ترك حمولة من الذهب لجرثومة . فجزء منها تركه لمن يكتشف عقارا جديدا ، والباقى لبناء مستشفى . كما تـرك ارثا هزيلا لساقيه ولمدبرة شئون منزله ، فلكل منهمـا عشرة دولارات . أما أنا ، ابن أخيه ، فقد ترك لى الف دولار » .

فعلق بريسون العجوز قائلا : « ولكنك كنت تملك مالا كثيرا دائما » .

فقال جليان : « نعم ، فقد كان عمى سخيـا لى » .

فسأله بريسون العجوز : « هل هناك ورثة آخرون ؟

فرد جليان فى ضيق : « هناك الآنسة هايدن ، وكانت تحت وصاية عمى وتعيش فى بيته . وهى هادئة جذابة . وقد نسيت أن أخبرك بأنها هى الاخرى كان من نصيبها الخاتم والدولارات العشرة . ليت نصيبى كان قليلا مثل نصيبهم ، اذن لأمكننى شرب زجاجتين من الخمر ، ولمنحت الخادم الخاتم ولأرحت نفسى من هذه المشكلة . والآن أيهـا العجوز بريسون لا تكن وقحا ولا متعاليا . اخبرنى ماذا يستطيع الانسان أن يفعل بالف دولار ؟ .

فمسح بريسون العجوز نظارته وابتسـم . وعندما ابتسم بريسون العجوز عرف جليان أنه ينوى أن يمعن فى سخريته .

قال بريسون : « بالف دولار يمكن للانسان أن يشترى بيتا سعيدا وتخرج لسانك بعد ذلك للمليونير روكفلر ! ويمكن لشخص آخر أن يرسل زوجته الى الجنوب الدافىء المرح وينقذ حياتها . وبالف دولار يمكن شراء لبن نقى لمائة طفل فى يونيو ويوليو واغسطس وانقاذ حياة خمسين منهم . وفى زيارة لمدة نصف ساعة للتسلية فى أحد أروقة متحف فارو المحصنة ، يمكن شراء تحفة بهذا المبلغ . او تخصيصه لتعليم صبى طموح . وقد قيل لى انه بمثل هذا المبلغ تم أمس انقاذ احدى روائع « كورو » من أحد المزادات . كما يمكنك ان تنتقل الى مدينة نيوهامبشير لتعيش فيهـا حياة محترمة لمدة عامين بهذا المبلغ . ويمكنك أيضا أن تستأجر حديقة ميدان ماديسون لمـدة ليلة وتلقى فيها محاضرة على مستمعيك ـ هـذا لو كان لديك مستمع واحد ـ عن المهنـة غير المضمونة ، مهنة منتظرى الوراثة ! »

فقال جليان وهو غير آبه : « قد يحبك الناس

اذا انت اقلعت عن القاء المواعظ . لقد سألتك عما يمكننى ان افعله بألف دولار » ؟

فأجاب بريسون فى ضحكة رقيقة : « **انت ؟ بالنسبة لك يابوبى جليان ليس امامك سوى شىء منطقى واحد لتفعله . يمكنك ان تذهب وتشترى بالمبلغ قلادة ماسية للآنسة لوتا لورين ، وبعد ذلك تذهب الى « ايداهو » وتعيش فى مزرعة هناك . وأنصحك بأن تكون المزرعة مزرعة لتربية الأغنام ، لأننى اكره الأغنام كرها شديدا ! » .**

فقال جليان وهو ينهض : « **شكرا ، كنت أعتقد انه يمكننى الاعتماد عليك أيها العجوز بريسون ولقد لمست الوتر الحساس ، فاننى أريد التخلص من المبلغ بضربة واحدة ، فالمطلوب منى ان اقدم حسابا عنه ، وأنا اكره ذكر التفاصيل » .**

وطلب جليان سيارة أجرة بالتلفون وقال لسائقها : « الى مدخل مسرح كولومبين » .

وكانت الآنسة لوتا لورين تضع اللمسات الأخيرة من مساحيق وجهها لتساعد الطبيعة السخية على ابراز جمالها . وكانت على أهبة الاستعداد للدخول الى خشبة المسرح فى حفلة نهارية مزدحمة عندما أعلنت خادمتها وصول السيد جليان .

وقالت لها الآنسة لورين : « **دعيه يدخل** »

ثم وجهت الخطاب الى جليان قائلة : « **ماذا هناك يا بوبى ؟ سأبدأ عملى على المسرح بعد دقيقتين » .**

وقال جليان فى جد : « ان الامر لن يستغرق دقيقتين » **ما رأيك فى قلادة ؟ أستطيع أن أدفع فيها رقما امامه ثلاثة أصفار » .**

فقالت الآنسة لورين وكأنها تغنى : « **جميل جدا يابوبى ، هل رأيت قلادة «ديلا ستاسى» التى كانت ترتديها الليلة الماضية ؟ انها تساوى ٢٢٠٠ دولار فى محلات تيفانى » !**

وهرع جليان نحو سيارة الأجرة التى كانت فى انتظاره وسأل سائقها : « **ماذا تفعل لو كان عندك الف دولار ؟ »**

فرد السائق بسرعة فى صوت أجش : « **افتح محلا . انى اعرف مكانا تستطيع ان تغترف منه ذهبا .. وهو مكون من أربعة طوابق . وسنخصص الطابق الأول ... »**

فقاطعه جليان : « **كفى .. لقد كنت أسأل من باب حب الاستطلاع ، قد السيارة » .**

وفى أحد شوارع برودواى أوقف جليان السيارة ونزل منها . وعلى الرصيف كان يجلس رجل أعمى على مقعد بلا مسند للظهر يبيع أقلام الرصاص ، فسأله ، جليان : « **عفوا ، هل تكرم وتخبرنى ماذا يمكنك ان تفعل لو كان عندك الف دولار ؟ »**

فسأله الرجل الضرير : « **هل نزلت من السيارة التى توقفت الآن ؟ »**

فأجابه جليان : « **نعم** »

فقال بائع أقلام الرصاص : « **لاشك انك غنى لأنك تستعمل سيارة فى وضح النهار ، انظر .. اذا راق لك ذلك »** . وأخرج الرجل كتابا صغيرا من جيب معطفه وقدمه الى جليان وفتحه وأدرك انه دفتر توفير مصرفى .. واتضح أن الضرير يدخر ١٧٨٥ دولارا !

وأعاد جليان الدفتر للرجل وعاد الى سيارة الأجرة ، ليقول للسائق : « **لقد نسيت شيئا ، فلتذهب الى مكتب « تولمان وشارب » للمحاماة ، فى شارع برودواى »**

ونظر اليه المحامى تولمان فى تساؤل كثير من خلال نظارته ذات الاطارات الذهبية . وسأله جليان فى مرح : « **عفوا ، هل لى ان أسألك سؤالا ؟ انه سؤال غير هام . هل تركت وصية عمى شيئا للآنسة هايدن بخلاف الخاتم والدولارات العشرة ؟! »**

فقال السيد تولمان : « **لاشىء** »

فقال جليان : « **شكرا جزيلا** » .

ثم هرع الى سيارته وأعطى السائق عنوان منزل المرحوم عمه .

وكانت الآنسة هايدن تحرر بعض الخطابات فى المكتبة . وكانت صغيرة الحجم ونحيلة وترتدى السواد ولكن عينيها الجميلتين كانتا تثيران الانتباه . ودخل عليها جليان وهيئته توحى – كعادته – بعدم مبالاته بالدنيا .

وقال لها : « **لقد قدمت لتوى من مكتب تولمان. لقد كانوا يفحصون الأوراق هناك ثانية . وقد**

عشروا ـ وهنا عصر جليان ذاكرته بحثا عن تعبير قانوني ـ على تعديل او مخطوط لاحق لكتابة الوصية . ويبدو أن العجوز أعاد التفكير في أمرك وأوصى لك بالف دولار . وقد كنت مارا بالمنزل فسالني تولمان ان احضر اليك المبلغ . وها هو ذا. ومن المستحسن أن تحصيه لتتأكدي من صحته».

ووضع جليان النقود الى جانب يدها على المكتب. وابيض لون الآنسة هايدن وقالت :«أوه» ... ثم كررت الكلمة ثانية !

واستدار جليان نحو النافذة ونظر منها الى الخارج ، وقال في صوت منخفض : « أعتقد بالطبع انك تعلمين اني أحبك » .

فقالت الآنسة هايدن وهي تأخذ نقودها : « انني آسفة » .

« فسألها جليان : « اذن لافائدة ؟ »

فقالت الآنسة هايدن ثانية : « انني آسفة »

فسألها جليان وهو يبتسم : « هل تسمحين لي بكتابة شيء ؟ »

وجلس الى المنضدة الكبيرة وأعطته ورقا وقلما ثم عادت الى مكتبها .

وكتب جليان حساب مصروفاته للألف دولار كما يلي : ـ

« دفع المغضوب عليه ، روبرت جليان ، الف دولار من أجل السعادة الأبدية ، الى افضل واحب امرأة في الدنيا » .

ووضع جليان الورقة فيمظروف وانحنى وخرج.

ووقفتسيارته ثانية أمام مكتب «تولمانوشارب».

وقال جليان في مرح لتولمان ذيالنظارة الذهبية.

لقد انفقت الألف دولار ، وقد حضرت لأقدم حسابا عنها حسب الاتفاق . ان الجو يبدو وكأنه الصيف ، أليس كذلك يا سيد تولمان ؟ .

ووضع ظرفا أبيض على مكتب المحامي وهو يقول : « ستجد فيه مذكرة يا سيدي عن كيفية انفاق الدولارات . »

وبدون أن يلمس الظرف ذهب السيد تولمان واستدعى شريكه شارب، وفتحا سويا باب خزانة ضخمة ، واحضرا مظروفا مغلقا بالشمع الأحمر وفتحاه وفحصا محتوياته معا ، ثم تولى تولمان الكلام في لهجة رسمية .

ـ يا سيد جليان ، لقد كان هناك ملحق لوصية عمك . وقد عهد الينا بصفة خاصة بعدم فتحه الا بعد أن تقدم الينا حسابا تفصيليا عن طريقة انفاقك للألف دولار . وبما انك قد أوفيت بالتزاماتك فقد قرأت وزميلي الملحق . ولا اريد أن أثقل عليك باصطلاحاته القانونية ، وعليه فسأخبرك بروح مضمونه . يقول الملحق انك لو تصرفت في الألف دولار بما يظهر انك تستحق مكافأة فسيصيبك خير كثير . فاذا كان تصرفك حكيما عاقلا لا أنانية فيه فسوف نمنحك سندات قيمتها ٥٠ ألف دولار . ولكن ، وكما اوصانا المرحوم السيد جليان ، لو كنت تصرفت في المبلغ كعادتك ، وكما يقول المرحوم حرفيا ، لو بددت المبلغ بطريقة تستوجب اللوم وفي امكنة سيئة السمعة ، فان مبلغ الخمسين الف دولار سيدفع فورا الى ميريام هايدن التي كان المرحوم وصيا عليها . والآن يا سيد جليان فانني والسيد شارب سوف نفحص حساب انفاقك للألف دولار . لقد قدمت الحساب كتابة بالطبع . وأرجو أن تثق في حكمنا » .

ومد السيد تولمان يده نحو المظروف . ولكن جليان كان أسرع منه . ومزق جليان المظروف بمحتوياته ووضع القصاصات في جيبه .

وقال وهو يبتسم : « لا داعي اطلاقا لتعب نفسك . فلا أعتقد انك ستفهم هذه المراهنات المفصلة. لقد خسرت الألف دولار في سباقالخيل، وداعا أيها السادة » .

وهز تولمان وشارب رأسيهما في أسف عندما خرج جليان ، لانهما سمعاه يصفر في سعادة وهو في البهو ينتظر المصعد ! .

■■

ترجمة : عادل شريف

عصر المرابطين والموحدين

لمحمد عبد الله عنان

بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ الأستاذ محمد عبد الله عنان ، مؤلف هذا الكتاب ، ثقة في تاريخ الأندلس : ففي عام ١٩٤٢ اصدر كتابه القيم « دولة الاسلام في الأندلس ». وقد كان دوما يتردد على اسبانيا والمغرب ، منقبا في دور الكتب فيها عن الوثائق والمخطوطات التي تهمه ، سواء كانت عربية أم قشتالية . وقد مكنه هذا الجهد المتواصل في البحث من أن يكتب تاريخ الأندلس منذ الفتح الى نهاية دول الطوائف في ثلاثة مجلدات ، وأن يكتب في الوقت نفسه تاريخ المرحلة الأخيرة من دولة الاسلام في الأندلس ، اي تاريخ مملكة غرناطة حتى سقوطها ، ثم تاريخ المسلمين المغلوبين في الأندلس ، ومحنتهم الاخيرة باخراج بقاياهم المتنصرة من اوطانهم ، وذلك في مجلد كبير بعنوان « نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين » .

ولهذا يمكن القول ان الأستاذ عنان قد أرّخ للعرب في الأندلس ، الا فترة واحدة ، تلك هي الفترة الواقعة بين نهاية عهد الطوائف ،وقيام مملكة غرناطة ، وهي عصر المرابطين والموحدين . وهذه الفترة تستغرق من الزمن نحو مائة وخمسين عاما ، وتضع امام المؤرخ المتصدى لتاريخها عقبات كثيرة ، بسبب ما يكتنف هذه الفترة من غموض . ويبدو أن الأستاذ عنان كان قد عزم وصمم على أن يكتب تاريخ الأندلس كاملا ، فكان هذا الكتاب القيم الفريد الذى نتناوله اليوم ، الذى كان ولا شك نتيجة جهد اعوام من العمل الشاق ، والتنقيب المستمر ، في مكتبات مدريد ، والاسكوريال، والرباط وفاس ، والقاهرة،ولندن، واكسفورد، والفاتيكان.

وبالاضافة الى تقصى المصادر فان المؤلف حرص على دراسة المواطن الجغرافية والاستراتيجية دراسة علمية ،



فزار سائر عواصم المغرب التاريخية ، ومنطقة جبال اطلس ومدينة تينملل ، مكة المهدى ابن تومرت، ودرس طريق مسير الجيوش المرابطية والموحدية الى اسبانيا . اما فى الأندلس فانه لم يترك قاعدة أو مدينة اندلسية قديمة دون أن يزورها ، ويدرس معالمها ، وآثارها الباقية . وقد حرص بالذات على أن يدرس مواقع المعارك العظيمة التى نشبت بين الموحدين وبين اسبانيا النصرانية. وقضى عدة ايام فى دراسة مواقع المعركتين العظيمتين الحاسمتين « الأرك » و « العقاب » .

وقد اتبع المؤلف فى هذا الكتاب الأسلوب نفسه الذى اتبعه فى كتبه السابقة ، فهو يستعرض نظم الحكم والأوضاع السياسية والدينية لكل من الدولتين ، المرابطية والموحدية ، والحركة الفكرية فى الأندلس . والى جانب هذا نجد المؤلف يتناول أيضا بالدراسة تاريخ اسبانيا النصرانية .

والكتاب مزود بالخرائط التاريخية ،والرسوم الطبغرافية ، التى تبين مواقع المعارك الكبرى ، وملحق به مجموعة من الوثائق الهامة المرابطية والموحدية ، وبعض هذه الوثائق ما زال مخطوطا لم ينشر بعد .

مصادر الكتاب

ان فترة عصر المرابطين والموحدين غامضة لقلة المصادر والوثائق التى كانت معروفة عنها . وهنا تكمن قيمة هذا الكتاب الذى تجد فيه استيعابا للمصادر ، وتقصيا للوثائق . ومن أهم المصادر والوثائق التى اعتمد عليها المؤلف فى كتابه :

١ ـ كتاب المن بالامامة : وهذا المصدر المخطوط هو اهم مصدر اعتمد عليه المؤلف فى كتابه تاريخ المرحلة الأولى من تاريخ الدولة الموحدية ، واسم الكتاب الكامل ، كما جاء فى الصفحة الأولى من المخطوطة«كتاب تاريخ المن بالامامة على المستضعفين» بان جعلهم الله ائمة ، وجعلهم الوارثين ، وظهور الامام أمير الموحدين على الملثمين ، وفى مساق ذلك خلافة الامام الخليفة أمير المؤمنين . واحد الخلفاء الراشدين » . وأما مؤلف هذا الكتاب فهو ، كما ورد فى صفحة العنوان من المخطوطة ، عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجى . وهذه المخطوطة محفوظة فى المكتبة البودلية Boldtan Library بجامعة اكسفورد ، وهى فى ٢٨٨ صفحة كبيرة الحجم .

وفى المخطوطة ما يدل على أن هذا هو السفر الثانى من الكتاب ، وان السفر الأول يتضمن تاريخ قيام الموحدين ، وظفرهم بالتغلب على المرابطين ، وتاريخ اول خلفاء الموحدين عبد المؤمن ابن علي . وهذا السفر لم يصل الينا ، كما أن السفر الثالث الذى اشير اليه فى ختام المخطوطة، لم يصل الينا ايضا . وهذه المخطوطة ، التى هى السفر الثانى ، تبدأ بحوادث سنة ٥٥٤ هـ ، وتنتهى بحوادث سنة ٥٦٨ هـ ، وهى فترة قصيرة بمقياس الزمن ، ولكنها حافلة بالحوادث الهامة، والمؤلف ، ابن صاحب الصلاة، يروى هذه الحوادث باسهاب وتفصيل،لانه كان شاهد عيان لكثير منها.

وفى هذا الكتاب شيء أهم من تفصيل الأحداث. فيه تلك المجموعة من الرسائل والوثائق الموحّدية الصادرة عن الخلفاء والأمراء الموحدين والتى ينقلها لنا ابن صاحب الصلاة ، وفيه أيضا تفاصيل دقيقة عن نظم الحكم الموحدية ،والشؤون الادارية والمالية . وهذه الوثائق والتفاصيل تلقى اكبر ضوء على خواص الحكم الموحدى والدولة الموحدية .

وابن صاحب الصلاة ، مؤلف هذا الكتاب ، من أدباء عصره وكتابه ، وهو أندلسى من أهل باجه ، وفد على اشبيلية منذ نزل بها الموحدون، واتخذوها عاصمة لولاية الأندلس . وهو يبدو فى كتابه مؤرخ بلاط يحرص كل الحرص على الاشادة بسادته وأعمالهم ، فهو يغمرهم بالالقاب الفخمة ، والدعوات الرنانة ، ولا يفوته أن يقول كلما ذكر اسم الموحدين « أعزهم الله » ، ومع

هذا فانه لا يحجم فى بعض الاحيان عن توجيه النقد والتنديد بأعمال وتصرفات يراها جديرة بذلك .

وقد ذكر المستشرق الاسبانى يونس بويجس ، نقلا عن المستشرق الايطالى (امارى) ، ان ابن صاحب الصلاة توفى سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٣م) ، ونقل هذا عنه المستشرق الالمانى بروكلمان فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » . وفى رأى الأستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه هذا الذى نقدمه ، أن هذا التاريخ خاطىء ، ولا يتفق مع سياق « المن بالامامة » ، ذلك لأنه يذكر فى هذا الكتاب احداثا شهدها ، وترجع الى سنة ٥٩٤ هـ . ويرجح الأستاذ عنان أن ابن صاحب الصلاة قد عاش حتى أواخر القرن السادس ، بل والى أوائل القرن السابع ، والأرجح انه توفى حوالى سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ م) وأما مولده فيرجح الأستاذ عنان انه كان بين سنتى ٥٢٠ و٥٣٠ هـ (١١٢٦ — ١١٣٥م) .

٢ — كتاب نظم الجمان : وهذه مخطوطة اخرى من أهم مصادر هذا الكتاب ، وهى تتناول أواخر عهد المرابطين وأوائل عهد الموحدين . والمؤلف هو ابن القطان . وعنوان المخطوطة كما ورد فيها هو « السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان » ، وهى فى ١٣٦ صفحة كبيرة الحجم . وهذه المخطوطة هى الآن بحوزة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد .

ونحن لا نعرف تفاصيل كافية عن حياة ابن القطان ، المؤلف ، ولكن يوجد فى المخطوطة ما يدل على أن ابن القطان هذا كان حيا فى عهد الخليفة الموحدى المرتضى (٦٤٦ — ٦٦٥ هـ) ، وهو الذى حكم قبل آخر الخلفاء الموحدين . وهناك أخبار متفرقة عنه تشير الى انه كان من أبصر الناس بالحديث ، وانه فاسى سكن مراكش ، وكان معظما عند الخاصة والعامة .

وهذه المخطوطة تتناول أخبار المرحلة الاخيرة من حكم المرابطين منذ سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤ م) وأخبار بداية ظهور المهدى ابن تومرت ، وتقدم دعوته ، ومرحلة الصراع الأولى بين الموحدين والمرابطين ، وأخبار الاندلس خلال هذه الفترة ، حتى أخبار سنة ٥٢٣ هـ (١١٢٨ م) . وتنفرد هذه المخطوطة عن غيرها بايرادها رسالتين هامتين لم تذكرا فى غيرها ، وهما رسالة « الكافية فى براهين الامام المهدى » ، وهى رسالة خاطب بها عبد المؤمن بن على ، ورسالة وجهها الخليفة عبد المؤمن الى الطلبة والمشيخة والأعيان بالأندلس سنة ٥٤٣ هـ ، يشرح فيها قواعد السياسة الشرعية الموحدية ، ولا سيما فى مطاردة المنكر ، وفى شئون المكوس والمغارم .

وباد فى هذه المخطوطة تحمس ابن القطان للمذهب الموحدى ، فهو يذكر الامام المهدى وخلفاءه بمنتهى الاجلال والخشوع .

٣ — البيان المغرب : وانتفع الأستاذ عنان فى كتابه هذا بالقسم الثالث من « البيان المغرب »، وهو مخطوطة فى ٤٦٣ صفحة كبيرة . وقد عثر عليها فى الخزانة الناصرية بتامجروت على مقربة من زاكورة بالمغرب . وتبدأ هذه المخطوطة بحوادث سنة ٥٢٢ هـ ، فى أواخر عهد الدولة المرابطية ، بحملة تاشفين بن على بن يوسف لمقاتلة الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن على ، وتنتهى بحوادث سنة ٦٦٥ هـ ، بخلافة ادريس ابى دبوس الواثق بالله آخر الخلفاء الموحدين .

والمؤلف هو ابن عذارى ، وقد عاش فى اواخر القرن السابع الهجرى ، فى بداية دولة بنى مرين ، وفى بداية القرن الثامن . وهذا هو السبب فى التزامه الحياد ، وعدم التورط فى المدح او الذم ، كما فعل ابن صاحب الصلاة ، وابن القطان .

٤ — الرسائل المرابطية : وقد وقعت يد المؤلف الأستاذ عنان على طائفة من الرسائل والوثائق تلقى أضواء على خواص الدولة المرابطية ، ونظمها وسياستها ، كما تلقى أيضا أضواء على الأحداث

العسكرية الأندلسية الهامة التى وقعت خلال العصر المرابطى .

٥ ـ الرسائل الموحدية : واستفاد الأستاذ عنان من مجموعة الرسائل الموحدية التى نشرت بعناية المستشرق ليفى بروفنسال ، وهى من اهم الوثائق . والى جانب هذه الرسائل فقد عثر على مجموعة أخرى مخطوطة فى مكتبة الاسكوريال، وهذه الرسائل المخطوطة تكشف عن كثير من الظروف والأحداث التى وقعت فى شرقى الأندلس، فى أواخر عهد الموحدين ، وأواخر عهد الاسلام به.

٦ ـ التراجم المخطوطة : ومن المصادر الهامة المخطوطة التى اعتمد عليها المؤلف طائفة كبيرة من التراجم وردت فى موسوعتين هامتين ، الأولى « كتاب الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة» لقاضى الجماعة أبى عبد الله محمد بن عبد الملك ابن محمد بن سعيد الأنصارى الأوسى المراكشى ، المتوفى فيما يرجح فى أواخر القرن السابع الهجرى. والثانية كتاب « الاحاطة فى أخبار غرناطة » للوزير لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ(١٢٧٥م).

و « كتاب الذيل والتكملة » به عدد كبير من تراجم اعلام العصرين المرابطى والموحدى ، ومخطوطات هذا الكتاب موجودة فى دار الكتب المصرية ، والمتحف البريطانى ، والاسكوريال ، وخزانة الرباط. وكتاب «الاحاطة» أيضا وردت فيه تراجم عديدة لأمراء وزعماء من المرابطين والموحدين ، وذلك فى القسم المخطوط منه والموجود فى مكتبة الأسكوريال .

٧ ـ أما المصادر المطبوعة فهذه كثيرة ومن اشهرها كتاب « المعجب » لعبد الواحد المراكشى، و « الحلل الوشية » لمؤلف مجهول ، و « روض القرطاس » لابن أبى زرع الفاسى ، و « أعز ما يطلب » للمهدى محمد بن تومرت ، و « الموطأ » للمهدى أيضا ، وهذان الكتابان يضمان خلاصة مذهبه وتعاليمه ، وكتاب « اخبار المهدى بن تومرت « وابتداء دولة الموحدين » لأبى بكر الصنهاجى .. الخ ويضاف الى هذه المصادر النصرانية من لاتينية وقشتالية وغيرهما .

عصر المرابطين والموحدين

ان خطر ضياع الاندلس دعا دول الطوائف الأندلسية الى الاستنجاد بالمرابطين ضد أعدائهم، فعبر يوسف بن تاشفين البحر ، وكانت بينه وبين جيوش الأعداء حروب انتهت بمعركة الزلاقة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) المعركة الحاسمة التى انتصر فيها المرابطون على جيوش اسبانيا النصرانية .

ولكن المرابطين الذين دخلوا الى الأندلس اخوانا فى الدين ، منقذين لبلاد المسلمين ، لم يلبثوا أن بدوا لملوك الطوائف غزاة جددا . وهذا صحيح ، ذلك لأن يوسف بن تاشفين ، بعد أن رأى تخاذل دول الطوائف وتنابذها ، قرر القضاء عليها ، واقامة حكم قوى يستطيع أن يحمى ديار الاسلام . وهكذا كان ، فقد استولت جيوش عاهل المرابطين تباعا على دول الطوائف ، فى مدة لا تزيد عن عشرين عاما (٤٨٣ ـ ٥٠٣هـ/١٠٩٠ ـ ١١٠٩ م) وبهذا أصبحت الأندلس ولاية مغربية تخضع لحكومة مراكش ، وتحكمها القبائل البربرية المغربية ، بعد أن كان المغرب ولاية أندلسية تخضع لخلافة قرطبة الأموية ، قبل هذا التاريخ بقرن .

ولم يدم عهد المرابطين بالأندلس طويلا ، فهم لم يحكموها الا نحو نصف قرن ، ثم خلفهم الموحدون الذين حكموها أكثر من قرن .

وبين المرابطين والموحدين أوجه شبه ، وأوجه تناقض :

فى أوجه الشبه أن كلاً من المرابطين والموحدين ينتمى الى طائفة من القبائل البربرية . وكلتا الدولتين ، المرابطية والموحدية قامت على اسس دينية، وعلى يد فقيه وداعية متعصب: فداعية الدولة المرابطية هو الفقيه عبد الله بن ياسين ،

وداعية الدولة الموحدية هو المهدي محمد بن تومرت. وكلتا الدولتين تحولت الى ملك سياسي على يد زعيم موهوب وقائد بارع : فزعيم الدولة المرابطية الذي وطد اركانها ، وشاد ملكها هو يوسف بن تاشفين ، وزعيم الدولة الموحدية وواضع أسسها هو عبد المؤمن بن علي . وكلتا الدولتين كانت تجمعها بالنسبة للاندلس ، فكرة الجهاد وحماية الأندلس من عدوان الممالك الاسبانية النصرانية .

لقد كان المرابطون يضطرمون بروح الجهاد ، وهذه الروح هي التي جعلتهم ينتصرون في معركة الزلاقة وغيرها . وهذه الروح هي التي جعلت المرابطين يحرزون الانتصارات الباهرة ضد أسبانيا النصرانية ، ويحافظون على الاندلس . ولم يبدأ نجمهم بالأفول الا بعد قيام الثورات عليهم من اخوانهم في الدين ، وعبور الموحدين الى الأندلس أعداءً لهم .

اما الموحدون فعلى الرغم من ان دافعهم للجهاد كان كدافع المرابطين، الا انهم لم ينالوا فيحروبهم ضد أسبانيا النصرانية ، ما ناله المرابطون من نصر في الجهاد . وسبب هذا اختلال نظام الجيوش الموحدية ، وضعف قيادتها ، واختلال وسائل تموينها . ولم تبرز الجيوش الموحدية في جهادها ضد النصارى الا في معركة « الأرك » العظيمة التي أحرز فيها الخليفة يعقوب المنصور انتصاره الباهر على القشتاليين في شهر رجب سنة ٥٩١هـ (يولية سنة ١١٩٥م) ، ولكن هذا النصر لم تلبث أن محت آثاره معركة (العقاب) التي احرز فيها القشتاليون نصرهم الساحق على الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة محمد الناصر ولد المنصور ، وذلك في صفر سنة ٦٠٩هـ (يونية سنة ١٢١٢م) . ولم يمض على هذه المعركة سوى أعوام قلائل حتى انهار سلطان الموحدين بالأندلس .

وبجانب هذه المعركة التي كانت قائمة بين المرابطين واسبانيا النصرانية ، ثم بين الموحدين وأسبانيا النصرانية ، كانت هناك معركة خافية حينا ، بادية حينا آخر ، تدور بين سادة الأندلس الجدد من المرابطين والموحدين ، وبين اخوانهم في الدين من زعماء الاندلس المحليين . وقد كانت هذه هي محنة الاندلس الحقيقية ، لان انقسامهم على انفسهم اضعفهم امام العدو المتربص . ولم يمض سوى خمسة عشر عاما على وفاة عاهل المرابطين يوسف بن تاشفين ، حتى اضطرمت الثورة في قرطبة حاضرة الاندلس يومئذ، ضد المرابطين (٥١٥هـ / ١١٢١م) .

وفي أواخر عهد المرابطين نجد ان الأندلس كلها قد اضطرمت ضدهم ، ونشأت دعوة جديدة تنادي بالقومية الاندلسية ، وتهدف الى تحرير الاندلس من النير المرابطي . واصحاب الدعوة لم يحجموا عن أن يلتجئوا الى الفونس السادس ، ملك قشتالة ، وأعدى أعداء المسلمين ، لينصرهم على المرابطين . وكان الملوك النصارى يسارعون الى تلبية مثل هذه الدعوات ، لأنها فرصة تتيح لهم ضرب المسلمين والتفريق بين أمرائهم ، واستنزاف قواهم ، واستنزاع ما يمكن استنزاعه منهم من الأموال والأراضي . وبقيت هذه الروح سائدة أيضا أيام الموحدين . وتمثلت أصدق تمثيل في ثورة محمد بن سعد بن مردنيش ، وتحالفه المستمر مع ملوك النصارى ، ضد الموحدين .

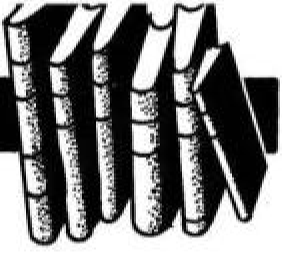
لقد كانت هذه محنة لم تفق منها الاندلس ، الا وقد فقدت قواعدها الكبرى شرقا وغربا ، قرطبة ، بلنسية ، مرسيه ، شاطبة ، جيان ، اشبيلية ... واصبحت انقاضا متناثرة .

■■

محمود السمرة

كلية الآداب ــ الجامعة الاردنية

من الكتب التي وصلتنا



تعال معى الى سنترال التليفونات

تأليف : نومى بوكهيمر ــ ترجمة ــ أحمد كمال عواد ــ مكتبة النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ١٨ قرشا .

● **يتناول الكتاب قصة التليفون ، تلك الآلة الصغيرة المعجزة ، ويتناول المؤلف بالشرح ، طريقة الاتصال من الداخل والخارج ، والمركز الذى تتجمع فيه اسلاك الآلات المختلفة ليتصل بعضها ببعض . والكتاب يفسر أسرار تلك الآلة السحرية الصغيرة بأسلوب علمى مبسط .**

مشكلة الانتحار

تأليف : الدكتور مكرم سمعان ــ دار المعارف بالقاهرة ــ الثمن ٩٠ قرشا .

● **استعرض المؤلف تاريخ الانتحار فى العالم بالاضافة الى دراسة نقدية للبحوث والنظريات النفسية والطبية ــ عقلية واجتماعية ــ للانتحار والشروع فيه . كما كشف عن العوامل النفسية والاجتماعية التى تدفع الافراد الى تنفيذ الانتحار فى اطار الظروف الحضارية الراهنة للمجتمع العربى .**

الاستراتيجية البحرية

تأليف : برنارد برودى

ترجمة : اللواء سعد الدين صبور

دار الفكر العربى بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٦٥ قرشا

● **يبحث هذا الكتاب فى فن ادارة وتوجيه المعارك اى فن القيادة العسكرية البحرية واصولها مع وصف مفصل للقوات البحرية المختلفة والقواعد التى ترتكز عليها واسلحتها المعاونة . ويعد الكتاب سفرا رائعا فى موضوعه جديدا فى معلوماته اذ تعرض المؤلف لتجارب الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا وما عادت به من معلومات قيمة وتجارب فى فن القيادة .**

تطور النظرية التربوية

تأليف : صالح عبد العزيز ــ دار المعارف بالقاهرة ــ الثمن ٨٥ قرشا .

● **يبحث هذا الكتاب فى تطور النظرية التربوية منذ فجر التاريخ حتى وقتنا الحاضر ، وهو يرينا صورة واضحة من تطور نشوء العقل الانسانى ونضوج الفكر البشرى ، كما يبين مدى التلازم بين الفلسفة والتربية خلال مختلف العصور .**

لامية العرب :

لشاعر الأزد « الشنفرى » ــ شرح وتحقيق الدكتور محمد بديع شريف

● **منشورات دار مكتبة الحياة ــ بيروت ، وهى تصدر بسيرة موجزة للشاعر .**

من يعلق الجرس

تأليف: مارى ستولز ترجمة عقيلة عبدالحميد حمزة دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ١٠ قروش

● **المؤلفة فى هذه القصة اتبعت اسلوبا جميلا مشوقا للاطفال كما ضمنتها بعض المعلومات المفيدة**

تطور الفكر السياسى

تأليف: جورج سباين ــ ترجمة: حسن جلال العروسى دار المعارف بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة ــ الثمن ٥٥ قرشا

● **يبحث هذ الكتاب مرحلة هامة فى تطور النظرية السياسية من العصر الرومانى بعد انهيار مقدونيا وتنتهي بانتهاء العصور الوسطى .**

فن قيادة الزوارق الشراعية

اعداد ناجي صبحي فزاوى وجورج سلستي مطبعة غريب اخوان بلبنان

● **يبحث هذا الكتاب فى الحقل التربوى الرياضى للنشء العربى وفى فن قيادة الزوارق الشراعية .** ■■

لوحة .. وتاريخ حياة

(بقية المنشور على صفحة ٢)

ولم ينس ديجاس أن يظهر في الصورة عنصرها الوجه ، فرسم قائد تلك الفرقة ، وهو متكىء الى عصاه ، في وضع صارم ، وهـو يرقب حركات تلميذاته .

ويلاحظ في طرف الصورة الأيمن بعض الأمهات بملابسهن الداكنة التى أبرزت ملابس الراقصات الناصعة البياض ، لتناقض الوانهما .

ان هذه الصورة تعكس الفن الذى اشتهر به هذا الفنان الكبير ، الذى اطلقوا عليه « رسام الباليه » لكثرة ما رسمه من هذه اللوحات الجميلة التى نطقت بما في ذلك الفن من تعبير صـامت ، كما عكست ما انطوت نفس ديجاس عليه من رقة في التعبير .

من المال الى الفن

ولد الفنان ديجاس عام ١٨٣٤ في باريس مـن أبوين انحدرا من أسرة عريقة ، وكان متوقعا أن يحذو حذو والده ، وقد كان أحد رجال المال في عصره ، ولكن الطفل ديجاس كانت امنيته أن يصبح فنانا شهيرا . وكانت أغلفة كتبه المدرسية تعكس تلك الأمنية ، فقد كانت تزينها دائما لوحات لفرسان .. ، كان الطفل ديجاس يخطها بقلمه . وبعد كفاح طويل نجح الفتى في اقناع والـده بميوله الفنية ، فالحقه أبوه بمرسم الفنـان لاموث Lamothe ليتعلم أصول الرسـم . وكان لاموث أحد تلاميذ انجريس Ingrés قائد الفن الحديث في ذلك الزمان .

في تلك الاثناء كان الفن في باريس ينقسم الى معسكرين متضاربين ، أولهما بزعامة الفنـان ديلاكروا Delacroix الذى آمن بالفن الرومانطيقى بالوانه الزاهية التى تشيع في النفس بهجـة ، وبصوره ذات الخيال الغريب ، أما المعسكر الآخر فقد كان بقيادة انجريس Ingrés ، وقد كان ينادى بالتقرب الى الفن الرومانى والاغريقى القديم ، وأنتج الكثير من اللوحات التى احتاجت الى مجهود شاق مضن ودراسة للتاريخ القديم عميقة .

وفي هذا الخضم نشأ ديجاس ، ونجح في تصحيح بعض اخطاء استاذه . وذلك بفضل زياراته المتكررة لتحف اللوفر ، وقضائه الساعات الطوال متأملا لوحات كبار أساتذة الفن الايطالى . وكذلـك لسفرات له الى ايطاليا ، تأمل فيها طويلا روائع فنانى القرن الخامس عشر من امثـال ليونارد Leonarde وبوتيتشيلى Botticelli

وحاول ديجاس في بادىء الأمر أن يختار لصوره المواضيع التاريخية مفضلا منها المشاهد المعروفة التى يسهل تصورها ، منسقا اياها في أوضـاع حية مقبولة بعيدة عن الجفاف ، كما أعطـاها لمسات خاصة من فرشه والوانه . وهو جعـل حافزه الى ذلك النوع من الصور « الشعور بالواقع الحديث » .

ولكن سرعان ما تحول من رسم ذلك النوع من الفن الى رسم اللوحات التى تمثل الأشخاص ، وبرع في ذلك النوع براعة لم يسبق لها مثيل لما بذله من جهد مستفيض في دراسة تشريحية للانسان ، وتفصيل حركاته ، وقدم ديجاس من ذلك الفن شيئا جديدا لم يسبق له مثيـل ، خاصة تلك اللوحات التى رسمهالأخواته فيحياتهن الخاصة ، فجاءت غاية في التعبير ، واستعمل فيها لأول مرة ظلال الضوء على اختلافها ، وهو الشيء الذى لم تقع عليه عين انسان من قبل في عصره .

وفي ذلك الوقت أيضا اشتهر ديجاس بانتاج التماثيل ، وقد أنتج منها عددا وفيرا. كان خلالها يقضى الساعات الطوال في غرفته الخاصة في دراسة طويلة .

رسم الطبيعة ..

وفي عام ١٨٧٠ ،وبعد أن وضـعت الحـرب أوزارها ، عاد منها الى مجتمعه الذى كان قـد احبه كثيرا فوجده قد تبدل تبدلا تاما ، وانحلت روابط الأسرة فيه . وتلمس ديجاس حولـه موضوعات جديدة تثير اهتمام الفنان ليصورها ، بعد جهد عثر عليها في دار الأوبرا ، في راقصات الباليه بالذات. وهنا بدأت فترة هامة من حياته، ناسق فيها بين الألوان والاضاءة ، فأنتج صورا فريدة من ذلك الفن الكلاسيكي ، رقص الباليه .

وفي ذلك الوقت اجتمع ديجاس وانضـم الى مجموعة من الفنانين الشباب كان بينهم مانيت Manet ، ورينوار Renoir ، وبازيل Bazille



صورة ديجاس .. بريشة ديجاس نفسه

ومونيت Monet ، وبيسارو Pissarro، وكانوا جميعا يناصرون الفن الحديث ، والخروج لرسم الطبيعة وصور من الحياة العصرية معتمدين فى ذلك على الألوان الصاخبة ، مفضلين ذلك اللون من الرسم على تصوير المواضيع ذات الطابع التاريخى والأدبى . وخالف ديجاس تلك المجموعة فى الرأى،وان شاركها فى تأسيس « جماعة الرسامين التعبيريين » .

وكان ديجاس يقول دائما « يجب على الفنان أن ينمى فنه بتفكيره وعقله وقوة ملاحظته اذ أن ذلك يعود عليه بالفائدة دائما أكثر من التجوال والتنقل » .

وفاته ..

ولم يقتصر ديجاس على رسم فرق الباليه فحسب ، بل انتقل الى الخيل والسباق ، فكان اول من سجل حلبة سباق الخيل وحركاتها المختلفة ، من تمرين ، الى استعداد للجرى ، الى الجرى كما رسم صورا لمدربى الخيول وراكبيها بأزيائهم المختلفة الأشكال والألوان .

ومضى ديجاس على هذا الحال يسجل صورا مختلفة تنطق بالحياة البارسية مستعملا ألوانه الفريدة ، منتجا لوحات غاية فى الاعجاز .

وفى عام ١٨٨٦ حاول ديجاس الخروج الى العالم بمدرسته الخاصة التى نادى فيها بالربط بين الفن التعبيرى، والمثل الحية من الفن الكلاسيكى، مقدما لوحات غاية فى التعبير ولكن ضعف بصره حال دون مضيه فى رسالته العظيمة ، فقد كان بصره ضعف حتى كاد يعمى ، ولم يكن بجانبه الا نخبة من أصدقائه : وهو لم يتزوج وأمضى حياته كلها أعزب .

وفى عام ١٩١٧ لفظ الفنان الكبير ادجار جيرمين ديجاس انفاسه الأخيرة عن ٨٣ عاما بعد أن فقد بصره تماما ، وأوصى أقرب أصدقائه « فورين » بألا تقام له مراسم دفن ، وقال له :

« اذا أصر القوم على تأبينى فقم أنت يا فورين وقل فى الجمع لقد أحب ديجاس الرسم وكذا أحببت الرسم أنا أيضا . والحق .. لقد كان ديجاس مثلا أعلى للفنان فى التواضع ، وعفة النفس ، فقد كان يرفض أن يتقاضى شيئا على لوحاته ، حتى تلك التى كان يصور فيها وجوه الناس . وأعانه على ذلك أنه كان ثريا ، وبعد مضى أربعين سنة على وفاته ، استيقظ العالم فبوأه مكانته من الفن واحتفل بذكراه » . ■■

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ..!

● يقول الله تعالى فى كتابه العزيز : «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم» .. ويقول جل شأنه فى مكان آخر : «ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » .. فما هى هذه «الدرجة» اولا ، وكيف يكون الرجل قواما على المرأة مع ما نراه فى عصرنا الحاضر من مساواتها به فى بلاد العالم المتمدين ، بما فيها بعض البلاد الاسلامية ، حتى أصبحت تمارس جميع الاعمال وتلى مختلف الوظائف حتى الوزارة والقضاء ؟!

صالح ونيس عبد النبى ـ شحات/برقة

ـ ليس هناك تعارض بين ما ورد فى كتاب الله من آيات ، وما نشهده فى هذا العصر من مساواة المرأة بالرجل فى كثير من المجالات.

فاما آية « الرجال قوامون على النساء » فيقول مجاهد وعكرمة انه لما نزلت آية المواريث وفيها ان للذكر مثل حظ الانثيين عز ذلك على نسوة مسلمات منهن ام سلمة بنت أمية بن المغيرة .. اذ كن يشاركن الرجال فى كل منقبة ، وينفرن معهم الى ميادين القتال يخدمن الجرحى ، فذهبن اليه وقلن : « يارسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ، فلا نصيب من الأجر مثل ما يصيبون ، ثم يكون لنا نصف مالهم من الميراث ؟! » فنزل قوله تعالى « ولا تتمنوا ما فضل الله به

الشاى الذى نشربه

● من هو أول شعب عرف الشاى كشراب منبه ؟ وأى بلاد العالم اكثر انتاجا لمحصوله ؟ وايها اكثر استهلاكا له ؟ وهل صحيح أن الشاى الصينى أقل ضررا من سواه ؟

لولوة محمد انور ـ البحرين

ـ عرف الصينيون الشاى قبل سواهم منذ اقدم الأزمنة . اما الغرب فلم يعرفه الا بعد ذلك بقرون ، عندما نقله المستعمرون الهولنديون من بلاد الشرق الأقصى الى أوروبا حيث تعلق به الانجليز اكثر من سواهم ، حتى كانت انجلترا وحدها تستهلك نصف محصول الشاى فى العالم الى عهد قريب .

وقد نقل الانجليز الشاى الى أمريكا عندما

بعضكم على بعض »، وما تلاها من الآيات وفيها« الرجال قوامون على النساء » الخ ..

ويقول ابن عباس ان هذه الآيةالأخيرة نزلت في بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع احد نقباء الأنصار اذ لطمها فنشزت عن فراشه ، وذهبت تشكوه الى رسول الله وأثر اللطمة على وجهها فقال لها النبي :« اقتصي منه » ثم عاد فقال : « اصبري حتى انظر » ، فلما نزلت الآية قال عليه الصلاةوالسلام : أردنا امرا وأراد الله أمرا ، والذى اراده الله خير » ثم رفع القصاص ، اذ مضت الآية تقول : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن،واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن،فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » .

اما تفضيل الرجل على المراة فلا يقصد به تلك الصورة التى ما تزال آثارها باقية حتى الآن في البلاد المتخلفة حيث المراة أشبه بالخادمة أو الجارية وانما على الصورة التى وردت في آية سورة البقرة : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف،وللرجال عليهن درجة».

يقول الامام محمد عبده في ذلك : ان الرجل والمراة كالراس والبدن ، الرجل في مكانة الراس ، والمراة بمنزلة البدن . وقد يكون الراس أفضل من بقية البدن ولكنه لا يستطيع ان يستغنى عنه أو يعيش بدونه ، فقد اختص الله كلا منهما بما لم يختص به الآخر ، ليكمل بعضهما بعضا . اختص المراة بالحمل والولادة وتربية الأطفال ، واختص الرجل بالسعى والكسب والانفاق على الاسرة والدفاع عن الوطن ، كما اختصه بأن اليه وحده دون المراة ينسب البنون والبنات مع انها هى التى تحمل وتلد وتربى .. واستبعد الامام ما قال به معظم المفسرين من أن الله فضل الرجال على النساء لأن فيهم النبوة والرسالة الخ ..

ثم يجب الا ننسى التفاوت النظرى بين الجنسين ، سواء في القوة البدنية أو العقلية أو الفسيولوجية ، فالمراة اضعف من الرجل واقل حيلة منه ، فهى لذلك محتاجة الى الرعاية والارشاد والعون .. روى أبو هريرة ان النبى (صلعم) قال : « أيها الناس ، استوصوا بالضعيفين : المراة واليتيم » ..وروى البخارى ومسلم وابن حنبل وغيرهم من ائمة الحديث عن ابن عمر (رضى) أن رسول الله قال مخاطبا النساء : « .. ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن » فقالت احداهن : « يا رسول الله ، وما نقصان العقل والدين ؟ » قال : « فشهادة امرأتين تعادل شهادة رجل ، فهذا هو نقصان العقل ، وتمكث الليالى لا تصلى ، وتفطر في رمضان ،وهذا هو نقصان الدين » .

على أن ذلك لا يعنى تفضيل جميع أفراد الرجال على جميع أفراد النساء ، وان كان يعنى تفضيل الجنس في مجموعه .. فكم من امراة تفضل زوجها في العلم أو في العمل أو في الاخلاق ، بل في الكسب والقوة البدنية أحيانا، وهما أخص خصائص الرجال .

ولعل خير تفسير لهذا قول ابن عباس :« انى لأحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين لى لأن الله قال : « ولهن مثل الذى عليهن » .. وكذلك قوله : « انى لا أحب ان استنظف (أى استوفى) منها جميع حقى عليها ، امتثالا لقوله تعالى : » وللرجال عليهن درجة » . قال بعض المفسرين اى بالصفح عن تقصيرها في بعض الواجبات والتغاضى عما قد يصدر منها ، مع القيام بحقها كاملا ..

(البقية على صفحة ١٤٦)

كانوا يستعمرونها ، وكانت الضرائب التى يجنونها على استيراده اذذاك باهظة لدرجة يمكن القول انها كانت احد اسباب قيام الثورة الامريكية التى أدت الى تحرير الولايات المتحدة في النصف الثانى من القرن الثامن عشر .

واكثر البلاد انتاجا للشاى : الصين واليابان، والهند وسيلان اللتان ادخل زراعته فيهما الانجليز أيام الاحتلال البريطانى لهما .

والشاى الصينى يحتوى على نسبة أخف من خلاصة « الكافايين » المنبهة ، وخلاصة « التنين» القابضة . فضلا عن أن ازهاره تخلط بأوراقه عند اعداده مما يكسبه رائحة عطرية لطيفة .

ويشرب بعض الروس الشاى خاليا من السكر، كما أن أهل التبت يمضغون أوراقه المحفوظة بعد مزجها ببعض الدهون .

.. هو رابع المستحيلات !..

● فى مناقشة بيننا وبين بعض الاصدقاء ، أراد أحدهم أن يدلل على صعوبة تحقيق الامر الذى كان موضوع مناقشتنا ، فهتف قائلا : « انه من رابع المستحيلات !! » . وخطـر لنا حينئذ أن نسأله عن المستحيلات الثلاثة التى بات موضوعنا رابعها .. فلم يحر جوابا !... لـذا جئنا باستفسارنا اليكم عسى أن نجد عندكم الايضاح المنشود .

قارئات من بنغازى
ليبيا

(العربى) ــ **من مأثورات العرب قول أحدهم ان المستحيلات ثلاثة : فى هـذه الدنيـا : « الغول ، والعنقاء ، والخِلّ الوفى » !!**

وعند الاشارة الى استحالة امر من الأمور ، يقال عنه انه : « من رابـع المستحيلات !.. » تلك ...

هذه هي « الولايات المتحدة » الخمسون

● أوحى الىّ نجـاح الرئيس ليندُن جنسن فى الانتخابات الامريكيـة بالأسئلة التالية :

١ ــ يقولون ان الولايات المتحدة الأمريكية خمسون ولاية ، فما هى ؟ وكيف تم اتحادها ؟ وكم هى مساحتها وعدد سكانها ؟

٢ ــ من هو أول رئيس للولايات ؟ وكـم رئيسا تعاقبوا على هذا المنصب ؟ ومن هـو أطول هؤلاء الرؤساء حكما ؟

٣ ــ ما هى الوظائف الرئيسية التى تقلدها الرئيس جونسون قبل توليه الرئاسة ؟

فعسى أن أجد لديكم جواب هذه الأسئلة ، وشكرا .

آنسة شهريت ذو الفقار ــ الاسكندرية

ــ لمـا اتجـه الاسبان والفرنسيون والانجليز الى استعمار أمريكـا بعـد اكتشافهـا ، استوطن الانجليز أول الأمر فى الجزء الواقع على شاطىء المحيط الاطلسى مـن البلاد التى تعرف الآن بالولايات المتحدة الامريكية، فى المنطقة ما بين « ماين » فى الشمال و «جورجيا» فى الجنوب وذلك فى مجموعات ثلاث شـملت مستعمرات نيوهامبشير وماساشوستس ، وورود ايلاند وكنوكتيكوت وفرجينيا وكارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبيـة وجورجيـا ونيوجرسى وبنسلفانيا وماريلاند وديلاوير ونيويورك .. وهذه المستعمرات الثلاث عشرة هى التى قامت عليهـا فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان من آثار قيام الثورة الأمريكية بقيـادة جورج واشنطن أن تحررت هذه المستعمرات وأبدل اسم المستعمرات بالولايات،واختير واشنطون (عام ١٧٨٩) أول رئيس للولايات بعد اتحادها فى وثيقة وقعها مندوبوها واعتبرت دستورا .

وكانت مساحة الولايات الثلاث عشرة المذكورة اذ ذاك ٢٨٠٠٠٠ ميل مربع، وعدد سكانها لايتجاوز

صبغ الشعر الاشيب

● أنا سيدة فى الخامسة والعشرين ، ومع ذلك فان أكثر من ثلث شعرى قد اشتعل شيبا . وقد عمدت الى صبغه حتى لا أبدو اكبر من سنى . لكنى قرأت فى أحد كتب الفقه التى تزخر بها مكتبة والدى حديثا لابن مسعود ، وفيـه أن رسول الله « صلعم » كان يكره عشر خلال: « الصفرة ، وتغيير الشيب.. الخ ». كما قال النووى : « يحرم الخضاب بالسـواد » اعتمادا على حديث عن ابن عباس جاء فيه: « يكون قوم يخضبون بالسواد لا يجدون ريح الجنة » ، ويقـول أبو الدرداء : « من خضب بالسـواد سوّد الله وجهـه يوم القيامة » !

وانا لااريد ان يسود وجهى يوم القيامة حقا ، لكننى فى الوقت نفسه لا أحب أن أبدو للناس ، وخاصة زوجى ، كما لو

ى حراما ، وانما هو سنة ومستحب

كنت عجوزا ! فما هو رأيكم فى هذه المشكلة ؟!

ميرفت ... حلب

ـ ليست هناك مشكلة البتة . ولو أننى كنت أحب أن أعرف اسم الكتاب الذى قرأت فيه هذه الأحاديث لأتبين اسنادها ، لأنى لا اشك انه اسناد ضعيف .

فالذى نهى عنه الرسول هو نتف الشيب ، لا صبغه ، الذى حث عليه فى اكثر من حديث صحيح .

قال عليه الصلاة والسلام فى حديث أورده الخمسة مرويا عن الزبير : « غيّروا الشيب ولا تشبهوا باليهود » ، وفى حديث آخر رواه أبو هريرة: « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » . كما روى أبو ذر فيما أورده البخارى والترمذى وابن حنبل أن رسول الله قال : « أحسن ما غيرتم به الشيب : الحناء والكتم » . والكتم فى القاموس : نبت جبلى يخلط بالحناء ويخضب به الشعر .. وفى كتب النبات انه يعرف بالوسمة او ورق النيل ، يخرج منه صبغ أسود يميل الى الحمرة .

واتفق أبو هريرة وأنس بن مالك ، وابن عقيل على انه (صلعم) اختضب ، وأيدتهم فى ذلك أم سلمة فيما رواه البخارى وأحمد وابن ماجه . وان كان ينسب الى أنس انه سئل عن خضاب الرسول فقال « انه لم يكن شاب الا يسيرا .. ولكن أبا بكر وعمر خضبا بالحناء والكتم » حديث متفق عليه .

أما السواد فقد صبغ به عثمان والحسن والحسين وعقبة بن عامر وابن سيرين وغيرهم من الصحابة والتابعين .

ومن هنا قال العلماء : ان الصبغ سنّة أو مستحب .

فاصبغى شعرك ، وأنا ضمين بأن وجهك لن يسود يوم القيامة من أجل ذلك أبدا ..

ثلاثة ملايين . أما الآن فان مساحة الولايات المتحدة كلها ثلاثة مليون ميل مربع وعدد سكانها فوق المائة وخمسين مليونا ..

وقد بدأ التوسع الأمريكى نحو الغرب بضم المنطقة التى تتالف منها الآن ولايات كونتكى وتنيسى والاباما وفرمونت واوهايو وانديانا ومتشيجان والميسيبى والينوى وفرجينيا الغربية وماين ولويزيانا .

وفى عام ١٨٠٣ تنازلت فرنسا للولايات عن منطقة لويزيانا التى كانت تستعمرها ، وذلك نظير مبلغ ١٥ مليونا من الدولارات . وقد تحولت هذه المنطقة فيما بعد الى ولايات ميسورى واركنساس ونبراسكا وايوا ووسكنزن ومونتانا ومنزونا وداكوتا الشمالية والجنوبية ويمنج وكلورادو واوكلاهوما وكنزاس .

وفى عام ١٨١٠ تنازلت اسبانيا عن فلوريدا مقابل خمسة ملايين دولار .

وفى عام ١٨٤٥ انسلخت تكساس عن المكسيك ، وانضمت الى الولايات بعد عدة معارك دامية مع المكسيك .

وأعقب ذلك ضم اقليم « أوريجون » الذى كان جزءا من كندا . كما انضمت ولايات اريزونا ونيومكسيكو واداهو ونيفادا وكاليفورنيا وواشنطون ويوتاة .

وفى عام ١٨٥٧ اشترت الولايات المتحدة جزيرة الاسكا من روسيا .

وفى عام ١٩٦٠ أعلن الرئيس ايزنهاور انضمام جزر هاواى فاصبح عدد الولايات المتحدة الامريكية بذلك ٥٠ ولاية .

وقد تعاقب على رئاسة الولايات المتحدة بعد جورج واشنطون ٣٥ رئيسا كان آخرهم ليندُن جنسُن الحالى .

وأطول هؤلاء الرؤساء عهدا بالحكم هو فرانكلين روزفلت الذى لبث فى الرئاسة اكثر من

١٢ عاما . أما اقصرهم عهدا فكان وليم هاريسون اذ لم يلبث الا شهرا واحدا ، ثم جيمس جارفيلد الذى لبث خمسة اشهر ونصف شهر !

وقد ولد ليندن جنسن فى ٢٧ اغسطس عام ١٩٠٨ فى ضيعة بولاية تكساس .

ولما بلغ التاسعة من عمره كان يقوم بتلميع الاحذية للزبائن فى صالون للحلاقة بمدينة جونسون .

وظل بعدها يمارس بعض الحرف التافهة ، كغسل السيارات ، كما عمل صبيا فى بعض المقاهى !!

وفى الخامسة عشرة اتم دراسته الثانوية والتحق بكلية المعلمين فى « سان مركوس » وحصل على البكالوريوس فى العلوم وعمره ٢٢ سنة ، فاشتغل بالتدريس فترة من الزمن ، ثم عمل سكرتيرا لريتشارد كلبرج ، حتى عينه الرئيس روزفلت عام ١٩٣٥ فى منظمة الشباب بالولاية .

ثم اخذ يشق طريقه ..

الأكراد ...

● من هم الاكراد ، والى أى أصل ينتمون ؟ هل هم ايرانيون ، أم اتراك ؟ وكم هو تعدادهم ؟.

ابراهيم علي المنصور
المعهد الثانوي ـ قطر

(العربي) ـ الأكراد هم اصلا من العنصر الآرى ، وقد نزحوا منذ مئات السنين من اواسط آسيا وشماليها وبحر قزوين ، وتكتلوا فى المنطقة التى تمتد ما بين العراق وايران وتركيا وسوريا .

ويبلغ تعداد الأكراد فى العالم كله حوالي ستة ملايين ونصف المليون تقريبا ، يعيشون فى ظل خمس دول ، يتوزعون فيها على الشكل التالي :

ـ ثلاثة ملايين نسمة فى جنوب شرقى تركيا ؛

ـ مليون ونصف المليون نسمة فى شمالي غربى ايران ؛

ـ مليون و ٤٠٠ الف نسمة فى شمالى العراق ؛

ـ ٢٥٠ الف نسمة فى جنوبى ارمينيا وافغانستان ؛

ـ ١٥٠ الف نسمة فى شمالى سوريا ؛

ـ ٥٠ الفا موزعون فى مناطق اخرى متفرقة .

حلف « ناتو » أو : شمال الأطلسى

● أية دول يضمها حلف (الناتو) وحلف (شمال الاطلسى) ؟ وما هى الغاية من وراء تكتلها هذا ؟ .

ي. ا. الغانم
دولة الكويت

(العربى) ـ حلف N. A. T. O. هو نفسه « حلف شمالى الاطلسى » لان عبارة « ناتو » مكونة من الحروف الاولى لاسم منظمة الحلف بالانجليزية: North Atlantic Treaty Organisation وهو حلف دفاعى قام فى شهر ابريل من عام ١٩٤٩ بين مجموعة من الدول الأوربية والولايات المتحدة الأميركية وكندا .. وانضم اليها سنة ١٩٥٢ كل من اليونان وتركيا ، والجمهورية الفيدرالية الألمانية سنة ١٩٥٥ .

والدول الأعضاء فى هذا الحلف : تعتبر اى اعتداء مسلح على احدها اعتداء عليها جميعا يدعوها الى رده فورا .. وهى الدول التالية :

ـ بلجيكا ، كندا ، الدانمرك ، فرنسا ، المانية الغربية ، اليونان ، آيسلنده ، ايطاليا ، لوكسمبرج ، الأراضى الواطئة ، النروج ، البرتغال ، تركيا ، المملكة المتحدة (بريطانيا) ، الولايات المتحدة الأميركية . ■■

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....
....
العنوان : ....
....
....



مسكين ..

● الطفل : ماما .. هـل تعطينني خمسة قروش ، لاعطيها للرجل العجوز الذى يصيح فى الخارج ؟

الام : حسنا .. يا صغيرى .. ولكن لماذا يصرخ هذا العجوز ؟

الطفل : انه يصرخ : .. جيلاتى .. بوظة .. بخمسة قروش .!

تعددت الاسباب ..

● قال المريض بقلق لطبيبه المعالج : ارجوك يا دكتور .. هل انت متاكد من مرضى ؟.. سامحنى لسؤالى هذا ، فقد كان لي صديق يعالجه طبيب من مرض التيفوئيد ، وهو مريض بالالتهاب الرئوى ، فتوفى اخيرا ..



ــ والله السيدة غير موجودة.. عندك اشاعة أوصلها للسيدة لما تيجي .. !

الطبيب : هذا جهل .. فانا عندما اقول ان مريض مريض بالتيفوئيد ، يتحتم ان يمـوت ذلك المريض بمرض التيفوئيد ، وليس باى مرض آخر!

لاخـوف!

● اقترب الطفل من سيدة عجوز تجلس بجوار حمام السباحة وقال لها : سيدتي .. هل تصلين كل يوم ؟

فقالت : نعم .. اصلي كل يوم يا ابني ..

الطفل : اذن فلا خوف من ان اترك معك هذا الدينار حتى انتهي من السباحة !

حلـم

● هي : اثناء نومي الليلة حلمت انك تحبني جدا .. فما معنى ذلـك ..؟ هـل يمكنك ان تفسره لي ؟

هو : بسيطة .. معناه انك كنت تحلمين .!

مصرع يوليوس قيصر

(بقية المنشور على صفحة ١٢٩)

رجال قيصر بعد قليل من الزمن ، ولا بد لهما من الانتظار ، وقد تأخر قيصر متأثرا بالأحلام التى طالعته بها زوجته ، وأخذا يترقبان سماع الهتاف الدال على قدوم قيصر والدقائق تمر متثـــاقلة بطيئة .

المتآمرون يستدرجون قيصر للخروج من بيته

كان ديسيماس بروتس ـ وهو أحد المشتركين فى المؤامرة وكان يمت الى بروتس بصلة القرابة البعيدة ـ قد وصـلت الى سمعه اشـاعة تقول ان قيصر لن يحضر الى المجلس فى ذلك اليـوم ، وكان هذا الرجل من خاصة أصدقاء قيصر، فقصد الى منزل قيصر ليتبين جلية الأمر ، وهناك رأى كالبورنيا متكئة على احدى الأرائك وقد شـحب لون وجهها ، ورأى قيصر جالسا الى جـانب النافذة مستغرقا فى التفكير . وسمع ديسيماس بروتس قصة الأحلام وما تكهنت به الطوالـع ، فتكلم بأسلوب الفيلسوف المتعالى وبلسان رجل الدنيا المجرب قائلا : « ما هذا ؟ انه لشىء عجاب! قيصر العظيم يلتزم البقاء فى داره بسبب حلم من الأحلام ؟ ان هذا سيكون مثارا للضحك فى روما اذا سمعت به » .

فنظر اليه قيصر فى تردد وقال : « أتظن ذلك يا ديسيماس ؟ » .

ـ انى أقدر ما هو أخطر من ذلك ، فانه اذا عرف فى مجلس الشيوخ أنك لزمت دارك لمثل هذه الأسباب فان اعضاء المجلس سيعدونها اهانة لهم اذا عاملتهم كأنهم عبيد لك تدعوهم الى الاجتماع حينما يلائم ذلك مزاجك ، والمجلس فى هذا اليوم مستعد لأن يمنحك اللقب الذى تصبو اليـه والذى هو جدير بك ، ولكن حينما توجه اليـه مثل هذه الاهانة فاننا لا ندرى ماذا يصنعه غدا؟».

واستولى على قيصر شعور قوى بان هذا اليوم لن يأتى له بخير ، ولكنه وجد أن أقل ما يجب عليه عمله هو أن يذهب بنفسه الى مجلس الشيوخ ويطلب ارجاء الاجتماع .

وهكذا استدرجه الى حتفه ديسيماس بروتس الذى كان قيصر يعده من أصدقائه الأوفياء المخلصين.

قيصر يذهب الى مجلس الشيوخ عـلى محفـة

والاحتياط الوحيد الذى اتخذه قيصر هو انه بدلا من أن يقصد المجلس ماشيا حمل اليـه فى محفة ، ورأى فى طريقه سبيرنا العراف ، فاراد أن يداعبه قائلا : « لقد حل اليوم الخامس عشر من شهر مارس » .

فى الطريق يلقاه عرافه ، واستاذ له قديم

فأجابه العراف محذرا : « نعم ولكنه لم ينته بعد ».

ولقيه فى الطريق أستاذه القديم ارتيميدورس، الذى كان معلما للكثيرين من أصدقاء قيصر ،فاقبل اليه مخترقا الجموع المتراصة الى المحفة ، والقى فى يده بورقة ، ورجاه أن يبادر الى قراءتها لأن بها شيئا يعنيه ويهمه ، واحتفظ بها قيصر فى يده ولم يعطها لأحد من أتباعه كما كان شـأنه فى العرائض والالتماسات التى تقدم له ، ودخل قيصر مجلس الشيوخ وهذه الورقة فى يده ، وكانت تحوى أسرار المؤامرة .

وحانت اللحظة التى يترقبها المتآمرون الذين أزعجهم الترقب وطول الانتظار ، ولكن من هذا الذى كان فى صحبة قيصر ؟ انه بوبلياتس ليناس الذى بدا أنه على بينة من الأمر ! فوضع المتآمرون أيديهم على خناجرهم واستعدوا للانتحار اذا كانت هناك محاولة لالقاء القبض عليهم ، ولكن الظنون قد كذبتهم ، فوجه قيصر لم يطرأ عليه تغيير ، وذهب الخوف عنهم واطمأن بالهم .

أول المتآمرين يتقدم بالتماس

وجلس قيصر ، واقترب منه تيلياس سيمبر ليقدم له عريضة يلتمس فيها عودة أخيه مـن المنفى ، ولم يكن عجيبا أن يلمس سيمبر الكساء الذى يرتديه قيصر ، فقد كانت هذه العادة متبعة عند تقديم الالتماسات ، ولكن نخبة المتآمـرين تجمعوا ليساعدوه ، ولمست أصابعهم ثياب قيصر ليتبينوا هل كان يلبس درعا أو لا ، فوقف وقد

ساه الحاح هذه الجماعة الملتفة حـــوله وأثار هواجسه . وكان تمثال بومبى منافسه القديم قائما خلفه . وامسك تيلياس سيمبر بكساء قيصر وجذبه من ناحية رقبته ، وكانت هذه هي الاشارة المتفق عليها لبدء الهجوم على قيصر .

وبدأت الطعنات

وطعنه كاسكا طعنة غير محكمة من الخلف ، فاستدار قيصر في سرعة وطعنه بالسلاح الوحيـد الذي كان يحمله وهو خنجر صغير يستعمل للكتابة، وصاح قيصر قائلا : « ماذا تصنع يا كاســكا »، وتقدم حينذاك كاسيوس وطعنه في وجهـــه . وتدفق الدم من قيصر وحجب النور عن احدى عينيه . وتوالت عليه الطعنات . ورأى قيصر بروتس صديقه المقرب رافعا الخنجر ليطعنه ، فسحب الكساء وغطى به وجهه تاركا لهم جسده دريئة لطعناتهم .

٢٣ طعنة في جسم قيصر

ووجد في جثة قيصر ثلاثة وعشرون جرحـــا ، وقبل ذلك بعامين وجدت جثة بومبي في شـــواطىء مصر بعد هزيمته في معركة فارساس ، وقد انتزع منها الرأس ، والآن يرقد قيصر عند قاعدة تمثال منافسه القديم دامي الجسد مسلوب الروح .

وأسرع القتلة الى الكابيتول مهللين فرحين وقد لطخت دماء قيصر ثيابهم واخذوا يلوحون بخناجرهم صائحين وهم يهيبون بالمواطنين أن يشاركوهم في فرحتهم بميلاد الجمهورية الجديد !

نجحت المؤامرة ، وقضت على فذ من أفذاذ الانسانية قاطبة

وهكذا نجحت المؤامرة في القضاء على اعظم رجل اخرجته روما واحد النوادر المعدودين في تاريـخ الانسانية قاطبة ، وعد قتله من افظع الجـرائم التي حدثت في التاريخ ، وقد ألقى دانتي في أعمق اعماق جحيمه بصانعي الشر الثلاثة وهم يهـوذا الاسخريوطي الذي خان السيد المسيح ، وبروتس وكاسيوس .

جريمة لم تأت لروما بخير قط

ولم تأت هذه الجريمة بخير لروما ، بل قذفت بها في حرب داخلية استمرت ردحا من الزمـن وقد رأى المتآمرون أن في قتل قيصر ، رد اعتبار للنظام الجمهوري ولكن الواقع أن النظام الجمهوري في روما كان تغلغل فيه الفساد وفقد مزاياه كلها ، وأكثر المؤرخين لا يحملون قيصر تبعة فساده ، ويرجع هذا الفساد الى أسباب عدة ، اقتصادية واجتماعية وسياسية .

موقف المؤرخين من هذه الجريمة

والثقات من مؤرخي الدولة الرومانية بعضهم يقف في صف قيصر ويتصدى للدفاع عن سياسته، وبعضهم يقف منه موقفا معتدلا ، ومنهـم من يناصبه العداء ويوجه اليه الهجوم مثل المؤرخ الايطالى المعروف ججليمو فريرو Ferrero

ومن اشد المؤرخين تحمسا له ودفاعا عنـه المؤرخ الالمانى مومسن Mommsen ، فهو يهاجم بعنف بومبى وشيشرون Cicéron وكاتون Caton ، ويصور قيصر باعتباره رجل الأقدار الذى ادرك ما يحتاج اليه عصره ، وأن هدفه كان تجديـد شباب الامبراطورية الرومانية وتحسين أحوالها السياسية والعسكرية والأدبية . وقد عاب عليه المؤرخ ستراوس فرط تعصبه لقيصر ، وقال عنه : « أى محاولة لاعلاء شان قيصر وخلع صفات الكمال عليه ! ان المؤرخ قد يلوم ، ولكنه لا يسرف في التعنيف . وقد يمدح ، ولكنه لا يفقد اتزانه » .

ولا خلاف بين المؤرخين في أن الجمهورية كانت فاسدة وأن عمل قيصر في القضاء عليها كان لازما ونافعا ، لا لأنه جاء بالخير موفورا ، وانما لانه اقل ضررا وأهون شرا .

والمؤرخ الالمانى كارل بيتر يسلم بان حكم قيصر كان حكيما ، ولكنه ينكر عليه قدرته على تجـديد شباب الدولة الرومانية .

وهكذا قد تختلف الآراء في تقدير اعمال قيصر ، ولكن لا خلاف بين انصاره وخصومه في انه كان من افذاذ الرجال ونوادر الأبطال وأن قتله كان جريمة شنعاء لم تدفع الشر ولم تأت بالخير .

■■

علي أدهم

أبو العباس المرسي

بقية المنشور على صفحة ٦٧

عاشت وقتا طويلا بعد ذلك ، كل فريق يتعرض بعلم الفريق الآخر ، ويبدو أن الناس منذ تلك العصور البعيدة اختلفوا في شأن التصوف وماهيته وأصله .

وكان المجتمع الاسلامي يعرف على ذلك الوقت نوعا من التنظيمات الاجتماعية الدينية يعرف بنظام الفتوة ، ويعرف اتباعه بالفتيان ، ويرجعه البعض الى على بن ابى طالب رضى الله عنه ، وكانت جماعات الفتيان منظمة تنظيما حزبيا دقيقا ، فكان لها رؤساء ونقباء وزعماء ، وكان العضو الذى ينضم الى هذه الجماعة يحتفل بتنصيبه فتى احتفالا عاما مهيبا ، من مراسيمه ان يتقدم النقيب الى العضو الجديد فينزع عنه لباسه بيد ويلبسه لباس الفتوة باليد الأخرى . ولباس الفتوة سراويل قصيرة. ثم يشترك الحضور فى كاس مملوءة بالماء الملح ، ويؤخذ على الفتى العهد بأن يلتزم آداب الفتوة . وهى كلها آداب سامية تدعو الى أداء الأمانة ، وأداء الفرائض ، ونصرة المظلوم،وصلة الرحم ، والعفو عند المقدرة واحتمال الأذى ، والوفاء بالعهد ، وما يشبهها . ويبدو أن المتصوفة كانوا يعتقدون أن طريقهم كان خيرا من طريق الفتيان ، لان طريقهم يعتمد على الايمان وطريق الفتيان يعتمد على الظاهر .

وقد عرض أبو العباس المرسى لهذا الموضوع فى شرحه لبعض آيات القرآن لبعض اتباعه . قال فى قوله تعالى :

« وابراهيم الذى وفى » . وفى بمقتضى قوله « حسبى الله » . وما سمى ابراهيم الخليل « فتى » الا لكونه كسر الأصنام الحسّية التى وجدها . وأنت يا ولدى لك أصنام خمسة معنوية فان كسرتها فأنت فتى: النفس والهوى والشيطان والشهوة والدنيا.وافهم هنا « لا سيف الا ذو الفقار ولا فتىً الا على » . وليست الفتوة بالماء والملح، وانما الفتوة الايمان والهداية » .

أبو العباس خلف تلاميذ أفذاذا

وأبو العباس المرسى مع تضلعه فى علوم الدين والتصوف لم يؤلف كتابا ، شأنه فى ذلك شأن شيخه أبى الحسن الشاذلى ، وانما خلف من بعده عددا من التلاميذ الافذاذ كان كل منهم قطبا من بعده وعلما من أعلام الفكر فى الاسكندرية ، ويكفى ان نشير هنا الى نفر من تلاميذه النبغاء من امثال ياقوت العرش ، وابن عطاء الله السكندرى ، والبوصيرى ، وابن الحاجب ، والشاطبى ، والقبارى ، وغيرهم كثيرين .

ومع هذا فقد نقل هؤلاء التلاميذ عن أستاذهم أبى العباس كثيرا من أقواله ، ومعظمها شرح لبعض آيات القرآن أو لبعض الاحاديث النبوية أو تفصيل للطريق وتفسير لآدابه .

وهذه الأقوال جميعا تدل دلالة واضحة على أن أبا العباس كان أديبا ممتازا يحسن الفهم ويحسن التعبير، وفى الأمثلة التى أوردناها من قبل شواهد على صحة ما نقول .

وفاة أبى العباس المرسى

وهكذا لبث أبو العباس المرسى فى الاسكندرية ثلاثا وأربعين سنة ينشر العلم ويهذب النفوس ويضرب المثل بورعه وتقواه الى أن انتقل الى جوار ربه فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٨٥هـ (١٢٨٧م) ودفن فى الاسكندرية فى مقبرة باب البحر واصبح قبره منذ ذلك الوقت مقصدا للزوار يلتمسون عنده البركة .

مسجد أبى العباس

الى ان كانت سنة ٧٠٦هـ (١٣٠٧م) حيث زاره كبير تجار الاسكندرية فى ذلك الوقت الشيخ زين الدين بن القطان فبنى على القبر ضريحا تعلوه قبة ، وبنى لأول مرة مسجدا يضم الضريح ، وللمسجد مئذنة مربعة ، ورتب له اماما وخداما وقواما ، وأوقف الأوقاف للصرف عليه .

وقد خضع هذا المسجد لتطورات كثيرة بعد ذلك .

وفى سنة ١٩٢٧ أعدت وزارة الأوقاف مشروعا لاعادة بناء مسجد أبى العباس وانشاء ميدان فسيح امامه يسمى ميدان المساجد ، ووضعت الأسس للبناء الجديد سنة ١٩٢٩ ، وتم المسجد فى سنة ١٩٤٤، فاصبح أجمل مساجد الاسكندرية وأبهاها منظرا .

رحم الله أبا العباس وأسكنه فسيح جناته . ■■

جمال الدين الشيال

لا تفقد فرصتك في الربح

وسارع بفتح حساب ودائع

بفائدة ٦٪

ان نقودك تحظى بأقصى معدل للفائدة مامون ومضمون – وهو ٦٪ – حين تودعها فى « حساب الودائع » ببنك « لومبارد » . فلن تخصم منها اية ضريبة على الدخل مقررة فى المملكة المتحدة ، ولن تتأثر نقودك اطلاقا بالاحوال الاقتصادية المتغيرة ، كما ان من السهل سحب اى مبلغ تشاء منها ، وفقا للشروط التى تعينتها .

ولا بد – لكى تربح ٦٪ سنويا – من ان يكون الحد الادنى لما تودعه ١٠٠ جنيه استرليني ، وان يكون الحد الادنى بين الايداع والاخطار بالسحب ستة اشهر . ويدعم ودائعك فى مؤسسة « لومبارد » المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطيات تتجاوز ١٢ مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

بادر الى الكتابة الى المدير العام فى طلب مزيد من التفصيلات ، وفى طلب نسخة من كتيب « حساب الايداع » رقم : A. O. 182

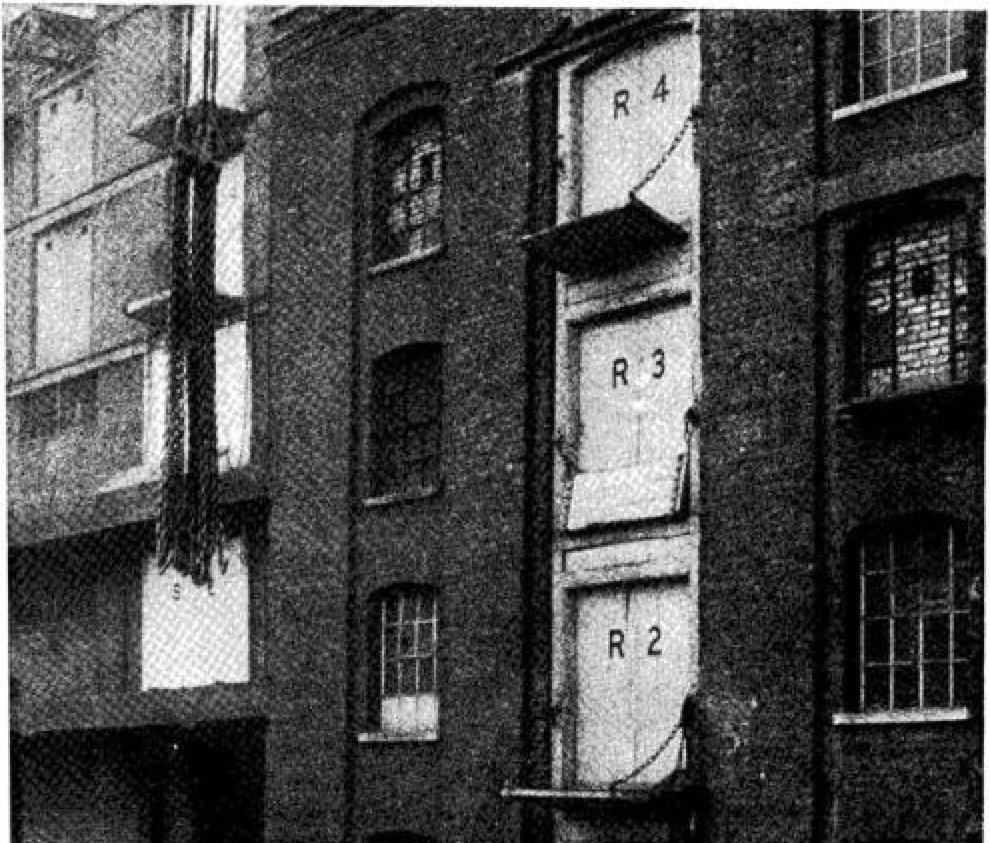
المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: **Lombard House, Curzon Street, Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)**

City Office: **31 Lombard Street, London, E.C.3. MINcing Lane 4111 (7 lines)**



R 4
R 3
R 2

العربي

٧١
ال ١٣٨٤
ارس
) ١٩٦٥

لب

الصغير

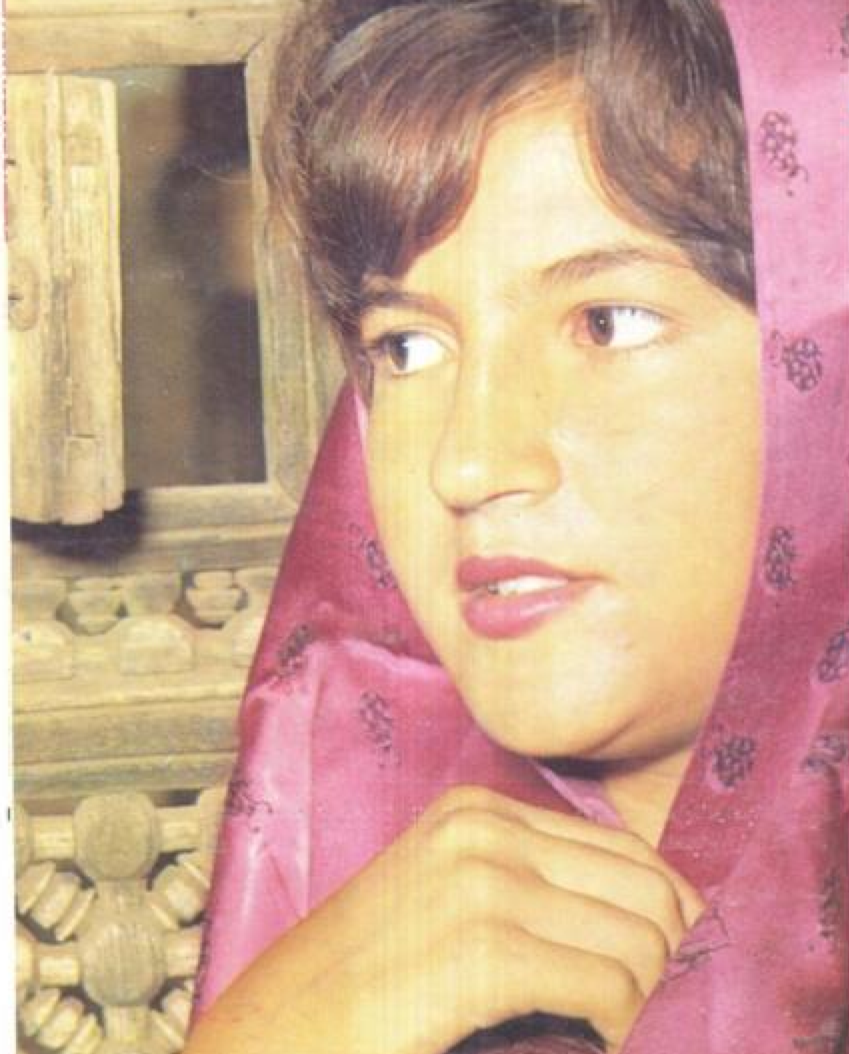
١ العدد

ائز

١٢٠

سنويا

في القيروان



ثمن

١١٠	فلوس
٢،	روبية
٢	ريال
٣٫٥	شلن
١٢٠	فلسا
١٠٠	قرش
١٠٠	فلس
١٠٠	قرش
١٠	قروش
١٠	قروش
١٥	قرشا
٢٠٠	مليم
٢٠٠	مليم
٢	درهم



حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت يغادر مجلس الامة
عقب افتتاح احدى دوراته والى يساره سمو الشيخ صباح السالم الصباح ولي العهد

بمناسبة
العيد الوطني
لدولة الكويت

كلمة شاملة جامعة مأثورة لأمير دولة الكويت في عيدها الوطني

« .... ان دولة الكويت تتابع سيرها ، دولةً عربية مستقلة ، متعاونةً متضامنة مع شقيقاتها العربيات فى جامعة الدول العربية ، محافظةً على استقلالها تحميه بالنفس والنفيس ، مؤمنةً بحق الشعوب فى الحرية والاستقلال ، محبةً للسلام ساعية لتدعيمه ، منتهجةً سياسة عدم الانحياز وساعية الى توطيد روابط الصداقة مع جميع الشعوب ، مادةً يدها لكل من يرغب فى هذه الصداقة ، ومتمسكة بميثاق الأمم المتحدة وشريعة حقوق الانسان » .

بهذه الكلمات القوية المؤمنة رسم صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح ، أميرُ دولة الكويت ، سياسة بلاده العربية الاصيلة فى جميع المجالات الداخلية والخارجية على السواء ، فى صراحة ووضوح لا لبس فيهما ولا التواء .

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات مصورة :

طب وعلـوم :

ديـن :

تاريخ وتأريخ أشخاص :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABY — No. 76 March 1965 — P.O.B. 748 — KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٩٤١١ ــ تلغرافيا «العربي»
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغـلاف

● فتحت مدينة القيروان بتونس ابوابها وأبواب معالمها التاريخية، وخاصة جامعها الكبير ، امام افواج السائحين والسائحات ، فجاءوا اليها من كل حدب لرؤية روائع الفن العربي الاصيل القديم الذي يرجع الى ١٣ قرنا مضت. وعلى صورة الغلاف ترى احدى السائحات امام شباك عربي أثري مصنوع من الخشب المشغول.. (انظر استطلاع القيروان ابتداء من صفحة ٧٦)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس. مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٢ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٢ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .

عيدكَ



عيدُ الأميرِ ،..

بقلم رئيس التحرير

■ نعم انهما عيـدان :

العيـد الوطني الكويتي ، اى عيـد استقلال الكويت .

وعيد تولى امير الكويت ، ولاية الكويت ، وهو العيد الخامس عشـر .

وكانا قد افترقا .

العيد الوطني كان فى التاسع عشر من يونيو ، حزيران .

وعيد الأمير كان فى الخامس والعشرين من فبراير ، شباط .

فلما اريد جمعهما ، جمع الأحدث الى الأقدم .

وجمع المصنوع الى الصانع .

والحق انه جمع مترادفَيْن .

فالعيد الوطني يمثل اعلان الاستقلال واعلان الدستور ، والأخـذ بالحيـاة الديمقراطية .

ولكن من قاد الأمة الى مشـارف الاسـتقلال والدسـتور ؟ ومن سـلك المسالك، تتعرج وتنبهم احيانا، وتستقيم وتتضح احيانا ، وغايتها الاستقـلال ، والحياة الديمقراطية ؟

انه رائد البلاد فى عصر النقلة .



وعيد الاستقلال والدستور

الامير ، الشيخ العود ، وقد خرج من المسجد بعد صلاة عيد الاضحى ومشى راجلاً وحوله ابناء الشعب متوجها الى قصر السيف حيث يتقبل التهاني

النقلة من عصر اشبه ما يكون بعصر البداوة عسراً ، وقسوة ، وارهاقا ، الى عصر من الحضارة شابه فى الكثير من سِمَاته حضارات الأمم التى فيها الحضارة قديمة عريقة .

وَمَنْ رائدُ البلاد فى عصر النقلة هذا ، أخطرِ العصور جميعا فى حياة الأمم ؟

انه الأمير الشيخ ، عبد الله السالم الصباح .

★★★

تولى الامارة عام ١٩٥٠ وهو رجل فى الرجال ناضج .

تولاها فى سن الخامسة والخمسين .

تولاها وقد أنضجته السن . وأنضجته خبرة الحياة . وانضجته شئون للدولة ذات خطر تولاها قبل ان يكون أميرا . وانضجته اسفار كثيرة .

وانضجته فوق ذلك ، وقبل كل ذلك ، انه عاش وعاصر مع الكويت ، واهل الكويت عصرهم الأول ، عصر البداوة ، فحمل معه كل ما يحمل الشيخ البدوى الزعيم نحو اهله من احاسيس لا يمكن ان ترقى الى مثلها احاسيسُ أميرٍ عاش فى الحَضَر .

ذلك لأن الحضر ، أىُّ حضر ، هو تقطّع أوْصال .

وذلك لأن البدو ، أى بدو ، هو تواصل أرحام .

والبدو ، بصحرائه الواسعة ، اعونُ على صفاء البصر ، ومع صفاء البصر صفاء البصيرة .

والبدو ، بقسوته المعهودة ، وامكاناته المحدودة ، ادفعُ الى التقارب والتناصر والتحابب ، واقمنُ بالرجل المازوم فيه ، اذا صاح « دراكِ » ، ان يأتيه من كل صوب « لبّيك » .

فما البيد الا ديار الكرام
ومنزلة الذمم الوافية
لها قبلة الشمس عند البزوغ
وللحضر القبلة الثانية

★ ★ ★

ان البدو تتعرى فيه الحياة من زخارفها ، فصور العيش فيه بسيطة ، وسبل الارزاق ضيقة، ولكنها مكشوفة . والعناصر الكونية جميعا ، من شموس حارقة ، وليال بالبرد قارسة ، ورياح ورمال وامطار جارفة، او هي تعزّ فتجف لها الحلوق ، كلها تعمل في حرية جائرة ، فكانما تنسى أن على الأرض انسانا .

حقائق الحياة في البدو صريحة ، وكذلك حقائق الفناء والموت .

وحقائق الحياة في الحَضَر أخفى ، اخفاها ما اصطنع الانسان من اشياء باعدت بينه وبين منابع العيش الأولى ، فهو لا يَمسّها كما يمس البدوى مسًّا ، ولا يَحُسّها مباشرة كما يحسّها البدوى حسًّا .

وكثيرا ما راينا الحضرى ، اذا ما اراد ان يتفقه في العيش ويكشف اصول الحكمة ، ينزع الى قُنَن الجبال ، او يخرج الى ما وسعته الأرض من رمال ، ليرى الحياة عند اصولها الاولى ، وليرى، لا الانسان وحده ، ولكن حتى الحيوان ، ولكن حتى النبات ، يحاول ان يعيش ، وان ينمو ، وان يثبت وجوده ، فينجح حينا ، ويخفق حينا . وهو يتعلم من ذلك ، فيما يتعلم ، ان الاخفاق والنجاح، بعض طبيعة العيش ، فيضع في جعبته هذا ، كما يضع هذا ، غير مبال بالذى جمع .

ان حكمة البدو هذه ، هي التي اعانت شيخنا الأمير على احتمال ما احتمل في الانتقال بالبلاد ، ذلك الانتقال السريع ـ وكدت اقول المفاجىء ، من حال هو اشبه ما يكون بحال البدو ، الى حال هو اشبه ما يكون بالمدنية العريقة .

وانك لواجد هذه الحكمة في الأسلوب الذى يعيش عليه الشيخ ، وفي اقوال يردّدها لسانه .

فهو في اسلوب عيشه ، لم يبتعد كثيرا عن اسلوب تملاّه في شبابه . وهو ان اضطرته الامارة الى الخروج عنه ، بحكم الضرورة ، والمظهر ، فما اسرع ما يعود بحكم الطبع اليه .

★ ★ ★

واحاديث الأمير الشيخ، على بساطتها، فيها المتعة كاملة لسامعها .

وهي احاديث تكشف عن منابع استقى منها ، وهو استقاها من واقع عيشه ، عيش الكويت . وهو استقاها من مأثور العرب ، من منثورهم ومنظومهم ، ومن ابى الطيب المتنبي خاصة .

تحدث عن تعاون العرب ، في شتى بلادهم ، فقال :

« مثلنا جميعا مثل راكبي السفينة ، اذا خرقها فرد سبب الضرر للجميع وليس لنفسه فحسب »

كلمة غاية في البساطة ، غاية في السهولة . ومع هذا فهي غاية في تصوير الواقع الصادق والايمان الذى لا تشوبه ريبة . ثم هي عبارة اكثر جمالها في انها

مستمدة من واقع الكويت ، ان لم يكن واقع اليوم ، فواقع الأمس القريب ، حيث الكويت سُفُنٌ ، والكويتيُّ بحّار.

وذكرتُ له بعض المتاعب يثيرها أقوام، وكأنما قيل له لا بد من الضرب على الأيدي العابثة ، فاذا به يتمثل بالبيتين :

لا تدَعْ ، ان شرٌّ دعا ، فالشر انْ
تنهضْ له، ينهضْ ،وان تسكن، سكنْ
وسديدُ رأيٍ لا يحرّك فتنةً
سكنتْ، وأن لم توقد الفتنُ ، اطمانْ

والشيخ الأمير ، الذى احتفظ بأحسن القديم ، لم ينس حاجة الدنيا المتطورة الى جديدها .

سئل عن الصحافة ، فقال :

« الصحافة أداة فعالة لخدمة المجتمع المتطور ، واحترام الكلمة الشريفة والقلم النظيف . وانا انظر الى الصحفي الناقد البناء على انه طبيب اجتماعي » .

وسئل فى المراة ، وهو سؤال مُحرج فى بيئة محافظة ، فاذا به يقول :

« اني اشعر بالغبطة ، وانا ارى فتاتنا الكويتية وهي تأخذ نصيبها من التعليم كاملا وتتحمل مسئولياتها فى الحياة . ولقد اظهرت المراة فى البيئات المتطورة انها قديرة على شغل العديد من المناصب الحساسة ، فاذا هي لم تستطع الى الآن ان تساوى الرجل فى حمل التبعات عامة فذلك راجع الى تبعتها الكبيرة باعتبارها زوجا واما » .

★ ★ ★

وفى الشيخ الأمير ، فى كل ما يصنع ، زهادة ، وهى من المع صفاته .

واذكر فيما اذكر ، مما سمعته اذناى ،



سمو امير دولة الكويت يوقع على وثيقة استقلال الكويت يوم ١٩ يونيو ١٩٦١

ما قال الأمير الشيخ ، وقد حضر حفلا رياضيا رائعا فى ملعب ثانوية الشويخ ، كان كأحسن ما رأيت ، جمعُ الطلبة والطالبات ، من كل الأعمار ، وقاموا بكل الحركات فى ابعاد مترامية من الأرض ، واتساق بديع . وصادف أن كنت أجلس حيث جاز ان اسمع . فسمعت الشيخ الأمير يقول لجلالة الملك سعود ، وكان الى جانبه :

« هذه كلها من عمل الأولاد » .

وبالأولاد هو بالطبع عنى اولاده وابناءه ، رجال الدولة من شيوخ ومديرى وزارات ، ولم تكن عندئذ تسمى وزارات ، وانما دوائر .

انها الزهادة المعروفة عن الأمير فى كل شيء ، من عام الأمور وخاصها .

★ ★ ★

ويزور الكويت الزائر الغريب . ولا

يمضي فيها اياما حتى يحس بهـــذا التجاوب بين افراد الشعب وبين صاحب الولاية عليهم ، وهــو تجاوب لا يكـاد يَستثنى احدا . ويختلف اهل الكويت فيما بينهم ، ويختلف وزراؤهم، ويختلف اهل الرأى فيهم ، ويشتد الخلاف ، وقد تبلغ الخصومة مداها ، واسم الأمـير الشيخ مرفوع فوق هذه الخصومات ، لأنه دائما يضع نفسه فوقها ، ومن اجل هذا يختصم اليه الفرقاء فى الأزمات ، ويرضون حكمه .

سأل زائر عن سبب هذا التجاوب بين الشعب وصاحب ولايته :

قال : هل عند الأمير خزائن قارون فهو يشترى المحبة ؟

قيل له : ما عنده خزائن قارون أو غير خزائن قارون ، وريع الزيت مكتـوب محسوب ، وللدولة ميزانية مرقومـة ، تقوم عليها حكومة ، يقوم برقابتها مجلس امـة .

وسأل : فلعله يشترى المحبة بنفوذه يقضـي به حاجـات ذوى الحاجات فى الدولة ؟

فقيل له : والنفوذ ، هذا الذى يمارسه كل الرؤساء فى دولهم حتى صار بالعادة حقا ، هذا النفوذ ، تركَ الأمير اياه ، هو سر قوته .

وسأل : ومسئولية الحكم ؟

فقيل له : مسئولية الحكم مسئوليـة الوزراء ، ومن ورائهم نواب الأمة ، وهو تدريب لا بد له فى أمة ناشئة . الا فى العظائم ... الا فى الشدائد .

وكان السائل أوروبيا . فقال اذن هذا هو الحكم الذى نسميه عندنا بالحكم البَتْريارْكي . قلت نعم ، ومقابله الحرفى عندنا هو الحكم الأبوى الاسروى ، العائلى الذى نجد اصوله فى حكم القبيلة العربية، حكم الخبرة ، حكم السن الناضجة ، حكم الثقة فى غير ترفع ولا تكبر .. انه الحكم الديمقراطي الأول الذى طلبه اكثر الناس ، على المدنية ، فعزّ على اكثرهم مطلبا .

★ ★ ★

فهذه صفة الأمير الشيخ ، اكتبها فى عيد ولايته ، واكتبها فيما علمت صادقا ، وما عرفت نفســي أقول الا صدقـا .

وأطرى ، وانا الزاهد دائما فى اطراء ، زهادة الأمير فى سماعه . ولكنا اذا لـم نطر فى هذه الدنيا الخيرَ ، تركنا الشر وحده يجول ويصول .

وليس فيما اقول شيء واحد جـديد على أهل الكويت .

ولكنَّ أهلَ الكويت يؤلفون عشر قرّاء « العربى » . واحب أن يعلم بحـال الكويت ، وبأميرها خاصة ، سائر أبنـاء الاقطار العربية . فالكويت ثغر من الثغور العربية ، يقع من الأمة العربية فى اقصى الشرق . والثغور دائما مَطمع ومَطمح . والثغور دائما حامية مَحْمية . والخليج العربى كله ، يسر كل عربى أن يسـمع أن فيه الخير ، ومع الخير الالفة ، ومـع الالفة القوة ، ومع القوة النعرة التى لا تشوبها شائبة .

والخليج العربى سوف يحلُّ من الأمة العربية محل قناة السويس فى خطورته، ومحل فلسطين السليبة عند مشارفها .

« واليوم خمر ، وغدا أمر » .

والرجاء كل الرجاء أن لا تدور الخمر بشاربها ، وتتصل ، فـلا يكون للناس منها صحو . ■■

أحمد زكى

مسابقة العربي

١٠ اكتشافات .. وجوائز ١٠٠ دينار

ضع كل اكتشاف أمام اسم صاحبه

مسابقة هذا العدد تتصل باختبار لمعلوماتك العامة في دنيا الاختراعات والاكتشافات .

وفيما يلي عشرة اسماء ، لعشرة علماء ومكتشفين عالميين مرتبة بحسب الحروف الابجدية . ووضعنا في جدول آخر الاكتشافات التي وصلوا الى كشفها في غير ترتيب .

والمطلوب منك هو أن تعيد كتابة الجدولين بحيث تضع أمام ثمانية من هؤلاء العلماء والمكتشفين اسم الاكتشاف او الاختراع الذي توصل اليه كل منهم ، وبذلك قد تفوز باحدى الجوائز ..

الجدول الأول	الجدول الثاني
اديسون (١٨٤٧ - ١٩٣١ م)	اللاسلكي
باستور (١٨٢٢ - ١٨٩٥ م)	مصل شلل الاطفال
جاليليو (١٥٦٤ - ١٦٤٢ م)	قاطرة السكة الحديد
جوتنبرج (١٤٠٠ - ١٤٦٨ م)	بكتريا الامراض
ستيفنسن (١٧٨١ - ١٨٤٨ م)	البنسلين
سولك (١٩١٤م)	أمريكا
فلمنج (١٨٨١ - ١٩٥٥ م)	الفونغراف
كوري (١٨٥٩ - ١٩٠٦ م)	التلسكوب
كولمبس (١٤٥١ - ١٥٠٦ م)	الطباعة الحديثة
ماركوني (١٨٧٤ - ١٩٣٧ م)	الراديوم

شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٦١ . اكتب عليه اسمك بخط واضح . واكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربي . العدد ٧٦ » . آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو ٧ ابريل (نيسان) ١٩٦٥ .

● يمنح الفائزون ١٠٠ دينار توزع كالآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .



حاجة الامة العربية الى توحيد نقودها وأزيائها

ان الخطوات الحثيثة التى خطتها وتخطوهـا الأمة العربية فى سبيل وحدتها من قيادة عربيـة موحدة وسوق عربيـة مشتركة ووحدة ثقافية عربية وغيرها مما هو من دعائم وحدتنا المنشودة العربية بصلة ، تتطلب ان يهتم العرب ايضا فيما يهتمون ، بأمرين آخرين ، هما : النظر فى توحيـد الأزياء العربية مع مراعاة بعض الأحوال المحليـة الخاصة ، وكذا توحيد النقود العربية .

كنت أتجول مـع أخ سنغالي كريم فى الأردن والعراق وسوريا ولبنان فاذا هو يبدى دهشتـه من عدم اهتمامنا بتطوير ألبستنا أسوة بتقدمنا فى مختلف النواحى ، وكان مما قاله هو ان الأزياء فى البوادى والقرى لم تتغير كثيرا فى العالم العربى عما كانت عليه فى صدر الاسلام كما يرجح ، وانهم فى السنغال قد سايروا التقدم فجعلوا لباس أهل المـدر والوبر على شكل واحـد يماثل اللباس الافرنجي فى وقتنا الحاضر . وقد نقلتنى ملاحظته هذه الى ان أتخيل انه لو أتيح لمصوّر العربى أن يقوم بتصوير مختلف ما يستعمل من ألبسـة فى عالمنا العربى ، من شرقه الى غربه ، ومن شماله الى جنوبه ، لجاء بمجوعة تبلغ الغاية فى الغـرابة والتنويع !

أما الباعث الثانى لاقتراحى هذا فهو ثمن العدد الذى يذكر فى الصفحـة الخاصـة مـن مجلة « العربى » القراء : بالفلوس والروبيات والريالات والشلنات والقروش والملاليم والدراهـم ، بحيث اصبحت هذه لا تقل تنوعا وغرابة عن مجموعة أزيائنا!

اننا نعلـم ان الفلوس والدراهـم والدنانير والريالات والروبيـات والجنيهـات والليرات والشلنات والملاليم والفرنكات والملات وغيرها ممـا يعود استعماله وكثرة تنوعه فى العالم العربى الى عوامل استعمارية بغيضة ليست عربية الأصل الا أن الفلوس والدراهم والدنانير قـد تكلمت بهـا العرب قديما فصارت عربية كما جـاء فى قاموس لسان العرب الذى يرجع الدراهم والدنانير الى أصل فارسى،وقد وردا فى القرآن الكريم والاحاديث النبوية .

ولقد كان العراق أول دولة فى عالمنـا العربى أعادت للفلوس الاسلاميـة والدراهم والدنانير اعتبارها ، فضربت نقودها على أساسها الا انهـا وقعت فى خطأ لغوى اذ استبدلت الفِلْس بالفَلْس الذى هو الاسم الصحيح فى جميـع القواميس العربية دون استثناء حتى ان العرب قديما (ولم يكن منهم من لم يسمع بالفَلْس على ما يظهر) كانت تستعمل لفظة الفَلْس كميزان يعرف منـه الناس كيفية التلفظ بالأسماء الاخرى المماثلة له ، فكان يرد فى القواميس مثـلا (ظَهْر" على وزن فَلْس ، قَلْب مثل فَلْس) الخ ..

وأما الدولة الثانية التي جعلت نقدهـا على أساس التسمية العربية الأصيلة فكانت المملكة الأردنية الهاشمية الا انها قد وقعت فى نفس الخطأ الذى وقع فيه العراق فاستعملت الفِلْس بدلا من الفَلْس (وقد جاء فى القاموس المحيط أن الفلس بالكسر اسم صنم لطيىء) .

ثـم جـاء دور دولة الكويت العربية فضربت الفلوس والدنانير وقد وقعت فى الخطأ نفسه .

ان غاية ما أرجوه من اقتراحى هذا (بشقيه) هو أن أجلب الانتباه اليه رجاء أن ينال اهتمام الدول العربية ، وان ادعو أهل الرأى ورجـال الصحافة الى تأييده وبذلك يتخلص عالمنا العربى من كل أثر من آثار الاستعمار فى نقوده وتتلاحق مظاهر وحدته ، وتتضافر مختلف جهـوده على ما فيه خيره وسعادته وازدهار مستقبله .

ابراهيم محمود صنوبر
نابلس

تنظيم النسل ضرورة تحتمها الظروف وليس بدعة تتنافى مع الأديان

● ان مشكلة تحديد النسل او تنظيمه قديمة قدم الأجيال ، وقد دبجت فيها مئات المقالات والبحوث منذ أن نبه اليها « مالتس » سنة ١٨٧٧ . ولكن بعض رجال الدين يطيب لهم ان يزجوا بالدين ليقف عقبة فى سبيل ايجاد حل لهذه المشكلة . ولا يمكن للمرء أن يتخيل ان دينا ، اى دين ، يمكن ان يقف حجر عثرة فى سبيل بناءامة ، أو اسعاد أفرادها .

والذين يناهضون تنظيم النسل أو تحديده من رجال الدين يستشهدون تارة بأن الله هو الرزاق، وانه يرزق كل دابة فى الأرض ، وبما ورد فى حديث الرسول الكريم من حض على الاكثار من النسل . كانما هم يتصورون ان ذلك الحض يقف موقف التعارض مع النظريات الحديثة التى يسير على هداها كثير من الأمم المتحضرة ، وتناسوا أن هذا الحديث لم يقصد به الا الحث على الزواج ، وقد ثبت أن الرسول ـ على ما ورد فى كتب الحديث ـ كان يوافق الصحابة على اتباع ما من شأنه تنظيم النسل عند الضرورة .

وفى كتاب « الاسلام شريعة وعقيدة » للاستاذ الأكبر محمود شلتوت ، قال فضيلته بعنوان (الشريعة تطلب كثرة قوية) : « واذا كانت الشريعة تباهي بالكثرة ، وتلتمس الأيدى العاملة فى الحياة ، واتساع العمران ، فهى ترمى الى ان تكون الأمة ذات كثرة قوية .. هذا ما تطلبه الشريعة الاسلامية فى تكوين أمتها وفى الوحدات التي تتكون بها الأمة » . ثم يقول « ان السبيل الى هذا هو تنظيم النسل تنظيما يحفظ له قوته ونشاطه ، ويحفظ للأمة كثرتها ونماءها » . ثم عاد رحمه الله وأكد رأى الدين الذى لا يتعارض مع تنظيم النسل فى أكثر من مجال « كقوله رحمة الله عليه : ان الشريعة الاسلامية تكره الكثرة الهزيلة ولا تقيم لها وزنا .. »

وقد أعلن فضيلة شيخ الأزهر الحالى الشيخ حسن مأمون « ان الاسلام ضد الفوضى والاتكالية فى انجاب الأطفال .. وان الاسلام يبيح تنظيم الأسرة فى صالح المجتمع وان مسئولية رجال الدين فى كافة المستويات تتمثل فى التوعية بهذه المشكلة وازالة الغموض المحيط بها من الناحيتين الدينية والاجتماعية .. »

ان مشكلة تنظيم النسل أو تحديده يجب أن تجند لها كل الطاقات والامكانيات حتى يكتب لها النجاح .

سعيد القصبي
البنك الأهلى ـ مطار القاهرة الدولى

ابن طفيل لم يتتلمذ على ابن باجه

● ذكر الاستاذ محمد عبد الله عنان فى مقاله بعدد يناير من مجلة « العربى » عن ابن طفيل انه درس الحديث والفقه واللغة على ابى محمد الرشاطى وعبد الحق بن عطيه وغيرهما من أقطاب العصر ولكنه مال الى الحكمة وعلوم الأوائل ودرس الحكمة والطب باشبيلية وكان فى مقدمة اساتذته ابن باجه أعظم فلاسفة الاندلس يومئذ .. »

ولكن انصافا للحق والتاريخ نقول ان هذه التلمذة التى أشار اليها الاستاذ « عنان » بصفة قطعية يشوبها ضباب الشك .

صحيح ان المراكشى ذكر فى كتابه « تاريخ المغرب » شيئا عن التقاء الرجلين وتلمذة ابن طفيل لابن باجة ولكن ابن طفيل نفسه ينفى هذا الاتصال. اذ يقول فى رسالته « حى بن يقظان » بعد حديث عن ابن باجه ومؤلفاته ما نصه .

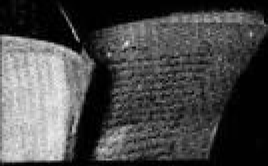
« هذا ما وصل الينا من علم هذا الرجل ولم نلتق به » !!

فهذا صريح فى نفى الصلة بين الرجلين . ولعل المراكشى قد استكثر ان يكون الرجلان عاشا فى عصر واحد ثم لا يكون بينهما لقاء فقال ما قال .

القاهرة محمد محمد مسعود الزليتنى

(البقية على صفحة ١٥٦)

العَقَّاد الفَيْلسُوف



بقلم : الدكتور عثمان امين
رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

لقد قال ابن رشيق عن المتنبى شاعر العربية العظيم انه رجل « ملأ الدنيا وشغل الناس » . وما نحسب فى اطلاق هذا القول اليوم على العقاد غلواً ولا تزيّداً ، لا فى مجال الشعر العربى بالذات ، ولكن فى كل مجال له اتصال بقضايا الفكر الانسانى .

فالعقاد فى تاريخ هذه الأمة «مَعْلَمة» عربية ضافية ، لم ينقطع يوما فى حياته الزاخرة عن اعمال ذهنه تطلعاً الى المعرفة ، وتأملاً فى رحاب الكون وتقصيا لأسرار النفس . وحياة الذهن عند العقاد متعددة الجوانب : فهو شاعر وناقد وصحفى وقاص ، وهو كاتب سياسى ، ومترجم سير ، ومؤرخ مذاهب ، وناظر فى الجمال .

وليس من قصدنا ، ولا يقع فى طاقتنا فى مقالنا هذا ، ان نلم بسيرة هذا العبقرى ، ولا ان نقف عند اثره الضخم فى هذه المجالات كلها : فتلك مهمة تحتاج الى العكوف الطويل على مؤلفات وبحوث ومقالات اربت فى السنين الأخيرة وحدها على المئات ، وانما قصدنا هنا أن نتناول ابرز جوانبه عندنا : الشعر والفلسفة .

شاعر وفيلسوف

ولقد كان العقاد يرى فى المتنبى شاعرا من شعراء العرب العظام ، لأنه استوفى مزايا الشاعر العظيم : فقد جمع فى نفسه قدرة فائقة نادرة على رسم صورة كاملة للطبيعة وانشاء مذهب خاص فى الحياة . **واذا جاز لنا اليوم أن نطبق على العقاد المقياس الذى وضعه هو للشاعر العظيم قلنا : ان فقيدنا** الكبير **كان شاعرا فيلسوفا . كان شاعرا « تتجلى فى شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها**



وجلالها وعلانيتها واسرارها ، وكان فيلسوفا يستخلص من مجموعة كلامه فلسفة للحياة ومذهب فى حقائقها وفروضها ، أيا كان هذا المذهب ، وأيا كانت الغاية الملحوظة فيه » .

وليس عجيبا أن يكون العقاد فيلسوفا ، فقد كان على ما نعلم شاعرا مطبوعا . والشعر والفلسفة كلاهما تعمق فى فهم الحياة ، وتعرض لنفحات السماء ، وتساؤل عن « الما وراء » : ذلك أن « الشاعر صاحب خيال وعاطفة . والفيلسوف صاحب بديهة وبصيرة وحساب مع المجهول » . فلا عجب أن يكون العقاد شاعرا وفيلسوفا لأنه جمع بين الملكتين .

النفس موضوع الشعر
والوعى موضوع الفلسفة

والنفس موضوع الشعر ، والوعى موضوع الفلسفة : « كل ما نخلع عليه من احساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا ، هو شعر وموضوع للشعر ، لأنه حياة وموضوع للحياة . وان التصور لهو خير معوان للاحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور ... فلنجمع لدينا الرغبة والتصور ، نجمع لدينا زادا من الشعر لا ينفد ، وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتحسه الأذواق . ونتوجه بالحواس والرغبة الى ما نشاء نستمرىء الشعور به والتعبير عنه كما نستمرىء المحاسن المشهورة والمناظر المألوفة : لأن المحاسن نفسها لن تهزنا اليها ولن تحل عقدة من ألسنتنا حتى يزينها لنا الحس الناشط والخيال المتوفز ، وان أجمل وجه ليمر بنا فى ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التى نراها صباح مساء » .

صلة القرابة بين الفلسفة والشعر

ولا غرابة فى أن يكون بين الفلسفة والشعر وشائج قوية مصدرها الذات الواعية التى تجمع بين ملكات الحساسية وبين التعقل والخيال ، أو بين السليقة الشعرية والذهن الفلسفى . ولا بد من توافر هذين العنصرين فى كل من الشاعر المطبوع والفيلسوف الأصيل : « فلا نعلم فيلسوفا واحدا حقيقا بهذا الاسم كان خلوا من السليقة الشعرية ، ولا شاعرا واحدا يوصف بالعظمة كان خلوا من الفكر الفلسفى ... وهكذا كان كل فيلسوف كبير وشاعر عظيم فى اى لغة وبين اى قبيل » .

على أن بين الفلسفة والشعر - كما يقول الفيلسوف المعاصر هيدجر - « علاقة قرابة معتكفة اعتكافا عميقا ، لأنهما كليهما منقطعان لخدمة اللغة ولا يدخران من أجلها جهدا » . واستعمال اللغة هو احدى الخصائص الكبرى للوجود الانسانى : فاللغة تعين الانسان على أن يقف موقف العلانية أو التعرض لجميع الكائنات ، وبهذه العلانية استطاع الانسان أن يكون « فى العالم » ، عالم النظر والعمل ، وعالم الحرية والمسئولية ، وعالم الهدى والضلال . والشعراء والفلاسفة فى كل عصر يمثلون الثورة على كل عارض جامد تافه ، اذ يسخرون الكلمة لاقامة ما هو باق خالد ، وما هو ذو قيمة لحياة الانسان فى عمقها وثرائها .

أزمة الاعتقاد المعاصرة

واعتقاد الانسان المعاصر هو الموضوع الذى

شغل العقاد كما شغل الكثيرين من فلاسفة العصر: «ان المشكلة الكبرى فى عصرنا الحاضر انما هي مشكلة العقيدة ، وان أزمة الضمير الانساني فى عصرنا هى الأزمة الشاملة التى تنتهى اليها جميع الأزمات » .

ومن رأى العقاد أن القرن العشرين يشهد عودة الى الاعتقاد ، وان أسباب الانكار للعقائد فى القرون الماضية قد فقدت قوتها فى هذا القرن : « وأسباب الانكار الكبرى منذ القرن السادس عشر أو السابع عشر هي مسألة دوران الارض ، ومسألة القوانين المادية ، ومسألة التطور ، ومسألة الاديان المقارنة ، ومسألة الشر وعلاقتها بالقدرة الالهية . فهذه المسائل كانت فى نشأتها حجة على بطلان العقائد التي واجهتها ، ولكنها صارت فى القرن العشرين الى موقف غير موقفها فى القرون الماضية . فليس الانكار الذى يقوم عليها اليوم حاسم الحجةولا موصدا لابوابالمناقشة والسؤال، بل تنقلت هذه الأسباب بين مباحث العلم والعقل حتى صلحت للشك فى الانكار بعد أن كانت فيما غبَرَ مَصْرُوبةً كل قوتها الى الشك فى الايمان» .

ومن رأيه أيضا أن حقائق الوحي وعقائد الايمان لتستمدُ يقينها واطمئنانها من عطايا العقل وجُنوده : « العقيدة هى الثقةبالنفس أو بالكون، وليست هذه الثقة مستمدة من طبيعة تركيب الانسان ، ومن كونه متصلا بهذا الكون الذى هو فيه بصلة الوجود والحياة . فهذه الثقة هى أساس العقيدة ، وأما الأديان والشعائر وفروض المعرفة الاخرىعن حقائق الوجود فتلك هى الاشكال التى تتمثل بها العقيدة للفكر أو للخيال ، وهذه الأشكال هى التى تخضع لنقد العقل ومقاييس التفكير » .

العقاد ينشد مثلا أعلى

كان العقاد فى حياته خير مثال لما يسميه الفيلسوف ديكارت Descartes بالرجل « الأرْيَحِيّ » ولما نسميه نحن بالانسان « الجوّانى » المؤثر للجوهر الباقى على العرض الفانى . وان متاملا منصفا لا يستطيع اليوم أن ينكر استقامة خلق العقاد وصراحة فكره استقامةً وصراحةً جعلتاه يتغلب على جميع المغريات فى كافة الظروف : رفض المنصب والجاه ، واعرض عن المتع المادية الرخيصة التى كان فى مقدوره أن ينال منها حظا موفورا . لقد احتفى الرجل بالفكرة والمبدأ والروح ، وحرص على القيم العالية وتعلق بالمقاصد الخالصة ، فكان عمله مصداقا لفكره ، وعكوفه على البحث ابتغاء المعرفة لا لتحقيق ربح أو شهرة .

وهو يقول فى ذلك : « ما أغنانا عن انفاق المال والصبر على المطالعة والمراجعة ان كان غاية ما نبغيه الكسب والرواج ! لقد كان أيسر جدا أن نضع القلم على الورق بغير مطالعة ولا مراجعة فنخط به قصة من قصص الشهوات التى تروج وتحسب عند الأغرار من فتوح الابداع والتجديد، فان لم تكن تأليفا فلتكن ترجمة ، ولتكن من قبيل الصور العارية التى تملأ المكتبات ، مخطوطةً ومرسومة ، ولا تعب فى ترجمتها ولا كلفة ولا صعوبة فى البحث عنها ... كان ذلك أجدى علينا لو أردنا الربح والراحة ، وكان ذلك غنما عند هذا « الواغش » البشرى الذى لا يتورع عن خسة الافتراء بغير بيّنة ولا حياء » .

ولعل هذا الاتجاه الى المثل الأعلى عند العقاد هو الذى دفعه الى العناية بطائفة من المفكرين ، شرقيين وغربيين ،يتجلى عندهم هذا الذى ينشده. وسأختار منهم جميعا اثنين ، طاغور والغزالى :

مع طاغور

رأى العقاد فى طاغور خير معبر عن الروح الفلسفي الهندى : « لقد سمعنا فلسفة طاغور من فمه ، ولا تزال فى الآذان نغمة من ذلك الصوت الشجى العذب ، وجرْسٌ من ذلك اللفظ الواضح الرخيم ، فسمعنا خلاصة السادهانا ينطق بها صاحبها بصوت كأنما هو صوت الأرواح تتكلم أو تجيئ الوحى الهندى تتلقاه الأسماع من وراء المحاريب » .

ويعطينا العقاد صورة جميلة للسادهانا فيقول: « يفرق طاغور بين المدنيتين اليونانية والهندية أو بين الفلسفتين الغربية والبرهْمية ، بأن الأولى فلسفة نشأت وراء الجدران ، والثانية فلسفة نشأت فى الغابات والآجام . فلهذا قامت الحواجز بين الانسان والطبيعة فى عقيدة الغربيين،

واتصلت الحدود بين الفرد والحياة الكونية الشاملة فى عقيدة الهنود ... العلم الغربى غايته أن يملك كل ما يمتد اليه ، والعلم الهندى غايته أن يتصل بكل شىء ، والعلم الغربى مطلبه القوة ، والعلم الهندى مطلبه الفرح » .

ثم يلقى العقاد أضواء من فكره مبينا الفرق بين نظرتين وبين اتجاهين وبين باعثين يكمنان وراء تحصيل المعرفة . ففرق بين أن تعرف وبين أن تنتشى بالمعرفة ، وفرق بين أن ندرك الحقيقة وبين أن نحياها ونتصل بها فى ذواتنا حيث يصعب الفصل بين العارف والمعروف .

وينظر العقاد نظرة نافذة الى العلم الغربى وما يراه طافورد من روابط جوانية تصل بينه وبين أصول الفكر الهندى ، فيقول « على أن العلم الغربى ــ مع ما فيه من ظواهر المادية والأثرة ــ ليس فى أساسه الا بابا من أبواب الاتصال بحقيقة الكون وباطن الحياة ، وهو آخر الأمر تقريبٌ ما بين الظواهر وتأليف ما بين البواطن ، ومحو الفوارق وجمع الأواصر بينك وبين أواصر الحياة. ولو فهم الغربيون علمهم هذا الفهم لعلموا أنهم أقرب الى الفلسفة الهندية مما يظنون ، وأن الفرح بالوجود هو غاية كل علم بأسرار هذا الوجود » .

مع الغزالى :

وللجوانية عند العقاد مظهر آخر يتجلى فى فهمه العميق الواعى لفلسفة حجة الاسلام الغزالى . ما أكثر ما كتب الباحثون عن الغزالى ، ولكن قليلاً منهم استطاعوا أن يستشفوا جوهر الفلسفة الغزالية على نحو ما استشفه العقاد . وقد حاول العقاد أن يثبت للغزالى فلسفة عظيمة تقوم على ما يسميه « ملكة التجريد » التى استطاع بها حجة الاسلام أن ينفذ الى الجوهر واللباب .

« وبالقدرة على التجرد من النفس وعاداتها ومألوفاتها أصبح الغزالى أقدر على « التجريد الذهنى » من المتصوف الذى لا يشغل فكره باستقصاء البحث ، ومن الفيلسوف الذى لا يروض نفسه على الفرار من تحكم « الذاتية » ولوازم الأشياء التىلا تفارقها فى حسه وفى ادراكه. فلا جرم كانت السليقة الصوفية فيه أداة يغلب بها الفيلسوف الذى لا تصوف عنده ، وكان التفكير المنتظم عنده أداة تعينه على الفهم حيث يقنع المتصوف بالتسليم ويستريح اليه » .

ويعرض العقاد لنظرة الغزالى الى السببية فيبين أن حجة الاسلام قد استطاع قبل الفيلسوف « هيوم » أن يتخلص من خداع التكرار ولو تتابع من أول الزمان : فليس الاقتران بين ما يُعتقد فى العادة سببا ومسببا ضرورةً يلزم عنهما وجود أحدهما أو عدمه تبعا للآخر ، ثم يقول : « رحم الله أبا حامد . ما أبعد نظره ، وما أوسع رحابه ، وما أقدره على الفرض المحتمل ، بل على الفرض الصحيح الذى أثبته العلم بعده . وسبق هو شأو العلم قرآه فى أطوائه بعين البديهة الصادقة والفهم النافذ واللب الرجيح . » **على أن رأى الغزالى فى السببية ليس اهدارا لقيمة العقل :** « فهذا العلم بجواز أسباب غير الأسباب الظاهرة لا يعطل البحث ولا ينقص المعرفة ، بل هو الذى يفتح الباب للتعليل بعناصر النوى والكهارب بعد التعليل بعناصر النار والماء والتراب » .

ويدافع العقاد عن الغزالى مبينا أن موقفه من العقل موقف سائغ لاغبار عليه فيقول : « اذا جاز أن يقال عن الكشفيين (الذين يقولون بالالهام بدون مقدمات من التفكير) ان عندهم جناحا يغنيهم عن سلم العقل ، فالعقل عند الغزالى يرتفع به الى دَرَجٍ ارفع منه وأدنى الى ان يبلغ أسباب السماء . ويخطىء الذين حسبوه فى رياضته لنفسه قد تجافى عن العقل وراض نفسه على قمع خواطره كما راض نفسه على قمع أهوائه وشهواته، فانى فى اجتهاده وتعليمه لنفسه بسنن غير سنن الفكر المستقيم أو سنن الحياة العملية » .

ويتوج العقاد نظرته الى فلسفة الغزالى بقوله محقا : « وبهذا التجريد الصوفى ــ والفلسفى معا ــ انتهى فى طريق العزلة الى العمل ، واستفاد غاية ما يستفاد من خلوص المعرفة وسداد الفكر والاعراض عن العرض طلبا للجوهر .. فما كانت الرياضة اذن الا تربية عقلية ودراسة عملية تمت بما استفاده من التجرد عن ضلال الانانية وأباطيل المألوف والمعهود ، فذلك هو اقتداره الفلسفى على التفكير المجرد وهو هو اقتداره الصوفى على التجرد من معرفة الحياة ، خلوصا الى معرفة الحقيقة ومن شواغل الحياة الى شواغل الخلود » .

فلسفة العقاد من خلال مطالعاته ومراجعاته

وبوسعنا ان نستنبط للأديب الكبير من خلال كتاباته المتنوعة فلسفة عامة متسقة الأجزاء ، قوامها الايمان بالروح والاحتفال بالمثل الأعلى والاعتزاز بكرامة الانسان والشعور بالحاجة الى التغيير فى المحور والأساس والدعوة الى التعاطف والتفاؤل والسلام .

فهو يؤكد فى أكثر من موضع من دواوينه وبحوثه ان الروح هى حقيقة الوجود وان الجوهر والباطن هو الأصل الكامن وراء البادى والظاهر :

« والدنيا روح تلمسها فى يد من المادة ، فالروح هى الحقيقة والمادة هى وسيلة الاحساس بها » .

« وانما ساء فهم المادة والروح معا من تصور الأقدمين هذه وتلك اذ وضعوهما موضع النقيضين ، وجعلوا المادة كثافة لا حركة فيها ، وجعلوا الروح حركة لا كثافة فيها » .

ويبين العقاد أن النظرة الفنية تستطيع أن تستشف هذه الحقيقة فيقول : « ان الفلاسفة السطحيين يعيبون على النظرة الفنية الى الأشياء أنها نظرة الى الظواهر فما هى الظواهر فى هذا الوجود ؟ هل لهذا الوجود سطوح وأعماق ؟ وهل فيه كينونة زائفة وكينونة صحيحة ؟ أليس كل شىء فيه على مسافة واحدة من أعماقه أو من سطوحه ؟ فالجمال البادى على وجوه الأشياء كما يقولون هو جمال متصل بالأبدية اتصال أصدق الحقائق وأخفى البواطن ، أو لعله اذا أنعمنا النظر وتأملنا مليا ، هو صورة الحقائق الأبدية الحسنى اذا كان لهذه الحقائق من صورة يتجلى فيها وجودها لمن يحس ويرى » .

ويقابل النظرة الفنية النظرة «العلمية» الضيقة والنظرة « الوضعية » المتزمتة ، وكلاهما عند العقاد « ناقص ومنحرف بعض الانحراف عن الفطرة لأنهما يفترضان الخروج من الكون واعتزاله لرؤيته ورصد حقائقه . ولن ترى الكون حق رؤيته وأنت تحاول الخروج منه والانفصال عنه ، انما تدرك حقيقة الكون وأنت « بعضه » ، أى وأنت متأثر به مؤثر فيه ، متصل بكل ما فيه من سر وجهر وسرور وألم . انما تدرك حقيقة الكون المقدورة لك وهو جسم حى يعاطفك وتعاطفه ، وتعطيه وتأخذ منه ، ولن تدركها البتة وهو جثة ميتة على مائدة التشريح تعمل فيها المبضع وتهيئها للدفن فى التراب » . فطريق المعرفة السليم عند العقاد هو الحب والتعاطف والشعور باننا جزء من الكون .

الوضعيون والماركسيون

ويحمل العقاد على أدعياء النظر الوضعى وأشباههم من الماركسيين ممن يستبد بهم الزيغ والتيه ، فيجهرون بانكار كل حقيقة روحانية باسم العلم ، والعلم برىء من ادعاءاتهم منزه عن أباطيلهم ، فان « الحقائق الوجدانية والقيم الروحية لا تقاس بمقياس الأرقام وأنابيق المعامل . ومن أراد أن يقيسها بهذا المقياس فهو الذى سيخطىء لا محالة كما يخطىء كل واضع لأمر من الأمور فى غير موضعه » .

وكذلك يرد العقاد على الوضعيين ، الذين يتوهمون ان البحث فى الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة جهد ضائع ، فيبين ان الميتافيزيقا آخر شىء يستغنى عنه الانسان المفكر : «فما تستطيع أن تطل من هذه النافذة أو تبدأ عملك فى الصباح ما لم تكن لك فلسفة وجود على نحو من الانحاء . قل لى ماذا تستبيح وماذا تحرم وأنت تنظر من هذه النافذة ؟ أتستبيح الا تملأ عينيك من شىء غيرك ، كما قال الأديب الحجازى . واذا استبحته فلماذا تستبيحه ، واذا حرّمته فلماذا تحرمه ؟ وما حدود المتاع بالنظر فيما تراه ، أله حدود أم ليست له حدود ؟ وأنت تذهب الى عملك كل يوم فى الصباح فلماذا تعمل أو لماذا تهمل عملك ؟ أعليك واجب ؟ أمناطُ هذا الواجب مصلحتك أم مصلحة الأمة ومشيئة الخالق أم مشيئة المخلوق ؟ وان آمنت بهذه المشيئة أو بتلك فلماذا آمنت ؟ وان لم تؤمن بهذه أو بتلك فلماذا كفرت ؟ وان لم تفكر فى شىء من ذلك فهل أنت اذن مَثَل حسن للآخرين ... لابد ياصاحبى من هذه الفلسفة التى تريد أن تلقى بها فى اليَمّ وأنت على الشاطىء . وثق ياصاحبى أنها آخر شىء يلقيه راكب السفينة حين تلعب به الأعاصير فى البحار اللّجية ، بل هو

الشيء الذى لا يتركه ولو ترك السفينة أو تركته الى الأعماق . ألم تسمع قولهم فى الأمثال انهم كالنواتية لا يذكرون الله الا ساعة الغرق ؟ فاعلم ياصاحبي أن هذا الذكر هو فلسفة الحياة التى تبقى مع راكب السفينة بعد كل بضاعة يستغنى عنها وبعد السفينة نفسها اذا حان حينها » .

ويندد العقاد كذلك بأوهام الماركسيين فيما خيل اليهم عن حوافز الانسان فيقول : « لننظر فى الديانة التى سموها الديانة المادية الاقتصادية وقرروا فيها أن احتكار الفلوس هو الذى يخلق الأديان والأفكار ، ويقوّم القيم ويرفع الطبقات ، وأنه اذا جاء الوقت الذى ينقضى فيه احتكار الفلوس زالت الطبقات وخلا المجتمع من السادة أبدا سرمدا بغير انتهاء » .

ويقول : « ويزعم الماركسيون أن الأحوال الاقتصادية هى كل شيء فى تفسير حركات التاريخ ومذاهب الدعاة ، ولكنهم لايذكرون حركة واحدة من تلك الحركات المعروفة الا اذا كان الأمر فيها موقوفا على مسألة شعور قبل كل شيء » ، « وان التاريخ لم يستقم قط فى اتجاه واحد كما استقام فى اتجاه الحرية الفردية أو فى اتجاه النهوض بالتبعة وكذلك الأخلاق ، فمنذ آمن الانسان بروحه وعلم أنه مثاب على عمله لم يكن له تقدم قط الا فى هذا الاتجاه ، ولم تقم على غير هذا الطريق قائمة من الأديان والأخلاق والحركات الاجتماعية فى كل مكان وبين كل قبيل» .

ونخلص من الفلسفة العادية بنظرة الى الجوانب الثلاث الرئيسية لنشاط الانسان الواعي : الحق والخير والجمال .

نظرية المعرفة

وموقف العقاد من نظرية المعرفة هو موقف الفيلسوف الجوانى ، تراه يفرق بين درجات المعرفة ويفصل بين مناهج البحث فى التفكير العلمى والرياضى والفلسفى . اما التفكير العلمى التجريبى فيكفى فيه عنده أن يكون للباحث قدرة على ملاحظة التجارب المحسوسة والمقابلة بين المتشابه منها والمختلف ، والافضاء من هذه المقابلة



صورة تذكارية للمرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد ، امام مكتبته العامرة بشتى انواع الكتب ، التى كان يختارها بنفسه

الى نتيجة عامة محسوسة قلما تتعدى الوصف والاحساس . والتفكير الرياضى يكفى فيه أن أن يتفهم الباحث علاقة المدركات الذهنية التى يسلمها العقل فرضاً وتقديراً ولو لم يكن لها وجود فى الخارج ، وأكثر ما تكون الحقائق الرياضية تقديرات ذهنية لا ترى بالحواس بل لا يتصورها العقل نفسه الا من قبيل التصوير بفرض لابد منه . والتفكير الفلسفى ملكة أخرى لا تشبه كل الشبه ملكة العلم التجريبى أو ملكة الفروض الرياضية ولكنها تشترك فيها بنصيب لا غنى عنه ، وقوامها أن تحسن الفهم فى المسائل المجردة أو المفارقة كما يقول المتقدمون ، وهى بهذا تشبه الرياضية الى حد بعيد ، لولا أن الرياضية تنتهى الى الفرض ولا يعنيها أن تتصوره أو تحوم حوله بوجدان أو الهام . وقد يتعذر على الرياضى أن يفصل بين الممكن والمستحيل ،

وبين الجائز والواجب ، اذا تلبس الأمر بالمألوفات والمتكررات التى تلازم التصور وتلازم التخيل وراء الحس المتفق عليـه .

ويتضح موقف العقاد الفلسفى من تساؤله عن المراد بالمعرفة . فاذا كان المراد « أن يلم بأوصاف واعراض مما نحس وجوده فى الكون فقد نصل الى حد من المعرفة ينفعنا فى الحياة العلمية وفى موضوعات التفكير التى ترتبط بها ، وقد نصل الى علم ما عن الاشياء المحدودة وعن الكون الذى لا نعرف له حداً ، ويكون الفرق بين المعرفتين أن احداهما لها مقياس من الوقائع المحدودة تقاس به ، وان الثانية لا مقياس لها ولا فيصل بين أصول الخطأ وأصول الصواب . واما ان كان المراد بالمعرفة أن تنسب الى حقائق الأشياء من وراء أوصافها وأعراضها فنحن لا نعرف معرفة صحيحة عن أى شىء فى الكون فضلا عن الكون الذى يحتوى جميع الأشياء . بل نحن لا نعرف كيف تكون المعرفة الصحيحة عند العقل المطلق الذى يقدر عليها ويعلو فى هذه القدرة على طاقة عقل الانســان » .

نرى هاهنا ان العقاد يتابع فلسفة كنط Kant النقدية فى تفرقته بين عالم « الظاهرات » وعالم « الأشياء فى ذاتها » ويقول أن « من خطأ العقل أن يحتم معرفته التامة بحقائق الكون أو انكاره اثبات لتلك الحقائق » ، فانها تخرج من مجاله : « ان العقل لا يفهم حقيقة الشىء فى ذاته ، فليس أمامنا الا ان نفترض أحد فرضين ، فاما ألا يكون هناك حقيقة تفهم ، واما أن العقل يضع نفسه فى غير موضعه حين يتصدى لاستكناه تلك الحقائق والفرض الأول بعيد التصديق ، فلم يبق غير أن العقل غير منوط بفهم كل صلة بين الانسان وهذا الكون الذى نشأ منه ، وأن الصلة موجودة وان لم تكن معقولة » .

وخلاصة رأى العقاد أن العلم المطلق « لا يدخل فى حاجة الانسان ولا فى مقدوره ولا فى طبيعة وجوده ... ولنسلم بأن « الموجود » شىء أعم وأشمل من « المعروف » ، ولتكن للحواس اذن معرفتها المحدودة التى نمهدها فى العلوم والصناعات ، ولكن لايغرب عنا أبـدا أن وراء هـذه الحواس ينبوعاً لاينفد من وسائل الادراك وان كان ادراكا لا حد له من الصيغ والتعريفات » .

مذهب العقاد فى الاخلاق

ومذهب العقاد فى الأخلاق يعتمد على أخلاق الضمير والفطرة السليمة ، أخلاق الصراحـة والوفاء والاخـاء . ولاسبيل الى انكار هـذه الأخلاق مادامت تعبر عن طبيعة الانسان ووجوده : « وليس من الطبيعة الصحيحة أن يتجرد الانسان من العطف بينه وبين الطبائع الأخرى حين تتاح له أسبابه . ولتنكره « الحفريات » و « وظائف الاعضاء » كل واجب يبثه الضمير وتؤمن بـه البصيرة فلن يسعها أن تنكر هذه الحقيقة الجامعة وهى أن الواجب أساس الحياة وأننا نصون الحياة ونحبها لاننا مقيـدون بواجبها ، لا اننا مختارون فيما نحب ونكره منها . ومادامت للانسان حياة فعليه واجب » .

وتلك لعمرى نفحات من نفحات الفيلســوف كنط ، فكأن العقاد هنا قد استهدى فكرة « الأمر الجازم » الذى لا يقبل مفاوضة او مهادنة أو تنصلا من التبعة أو فرارا من الواجب .

واخلاقيات العقاد تجعل الصدارة دائما للاريحية على المنفعة ، والايثار على الأثرة ، والاريحيـة تطبع الأخلاق عنده بطابع انساني : « ان الاريحية أخلد من المنفعة لسنة من سنن الخلق التى لاتتبدل مع الأوقـات والبيئات .. لأن منفعة الانسان وجدت لفرد من الأفراد ، أما الأريحيـة التى يتجاوز بها الانسان منفعته فقد وجدت فـى الأمة كلها أو للنوع الانسانى كله ، ومن ثم يكتب لها الدوام اذا اصطدمت بمنافع هذا الفرد أو ذاك » . « والذين يجنحون بمزاجهم الى الأريحية يفهمون دوافع النخوة ويحسبونها عذرا لاصحابها أقوى من غواية المنافع والأرزاق » .

مذهبه الجمالى

والعقاد يقر بصعوبة الاحاطة بنظرية وافيـة

للجمال في كل صورة وكل لمحة : « ولكنني لا أرى مانعاً من القول في غير ما تحفظ ولا استثناء بأن الجمال في الفن والطبيعة معنوى لاشكلى ، وأن الأشكال لا تعجبنا وتجمل في نفوسنا الا لمعنى تحركه أو معنى توحى اليه ، لا فرق في ذلك بين أشكال الوجوه الآدمية والأعضاء الحية وبين ما دون ذلك من الصور التى تخفى فيها معانى الحسن أو تبعد الشقة بينها وبين ما تومىء اليه » .

فالعقاد أديب الفكرة هو بعينه العقاد الفنان . والفن عنده كما رأينا معنوى ، وهو في جوهره احتفاء بالمضمون، وما يكمن في العمل الفنى انما هو عناصر باطنية تستثير الحس الجمالي في نفوسنا «وما من شكل تراه الا يختلف موقعه في الذوق بحسب اختلاف الدلالة التى يدل عليها والوظيفة التى يقوم بها .. ومن تعود النظر الى المعانى الباطنة استطاع أن يخلص فكره وقلبه من قيود ذلك التحتيم الضيق الذى يخيّل الى أكثر الناس أن جميع ما نحسه من الأشياء ان هو الا قوالب مصبوبة أبدية لم تكن قط على غير الصورة التى نحسها ولن تكون أبدا على غيرها .... كأنما كل صورة وجود قائم بذاته لا يدل على معنى ولا يتغير بتغير المعانى التى يدل عليها ، وليس أشأم على العقل والنفس ولا أبطل لعملهما من حصر كل شىء في صورته وحبس كل شىء في ظاهره وافتراض أن الصور سابقة في ترتيب المشاهدة والادراك » .

تلازم بين الجمال والحرية

والحرية والجمال متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر : « ان الحرية في رأيى هى العنصر الذى لا يخلو منه جمال في عالم الحياة أو في عالم الفنون ، وانا مهما نبحث عن مزية تتفاضل بها مراتب الجمال في الحياة لا نجد هناك الا مزية « حرية الاختيار التى يفضل بها الانسان الكامل من دونه من المرجوحين في صفات النفوس وسمات الأجسام . على أن المادة الصماء نفسها تتفاضل في الجمال بحسب ما يبدو لها من حرية الحركة ومشابهة « الارادة » ، فتروقنا النيران والرياح والأمواه ، وتطلق في نفوسنا خوالج الحياة وتعاطيها شيئا من العطف ما لا نعاطيه لغير الأحياء، وليس لها فضل ظاهر على عامة الجماد الا بما تخيله للناظر من حرية الارادة ومحاكاة الحياة » .

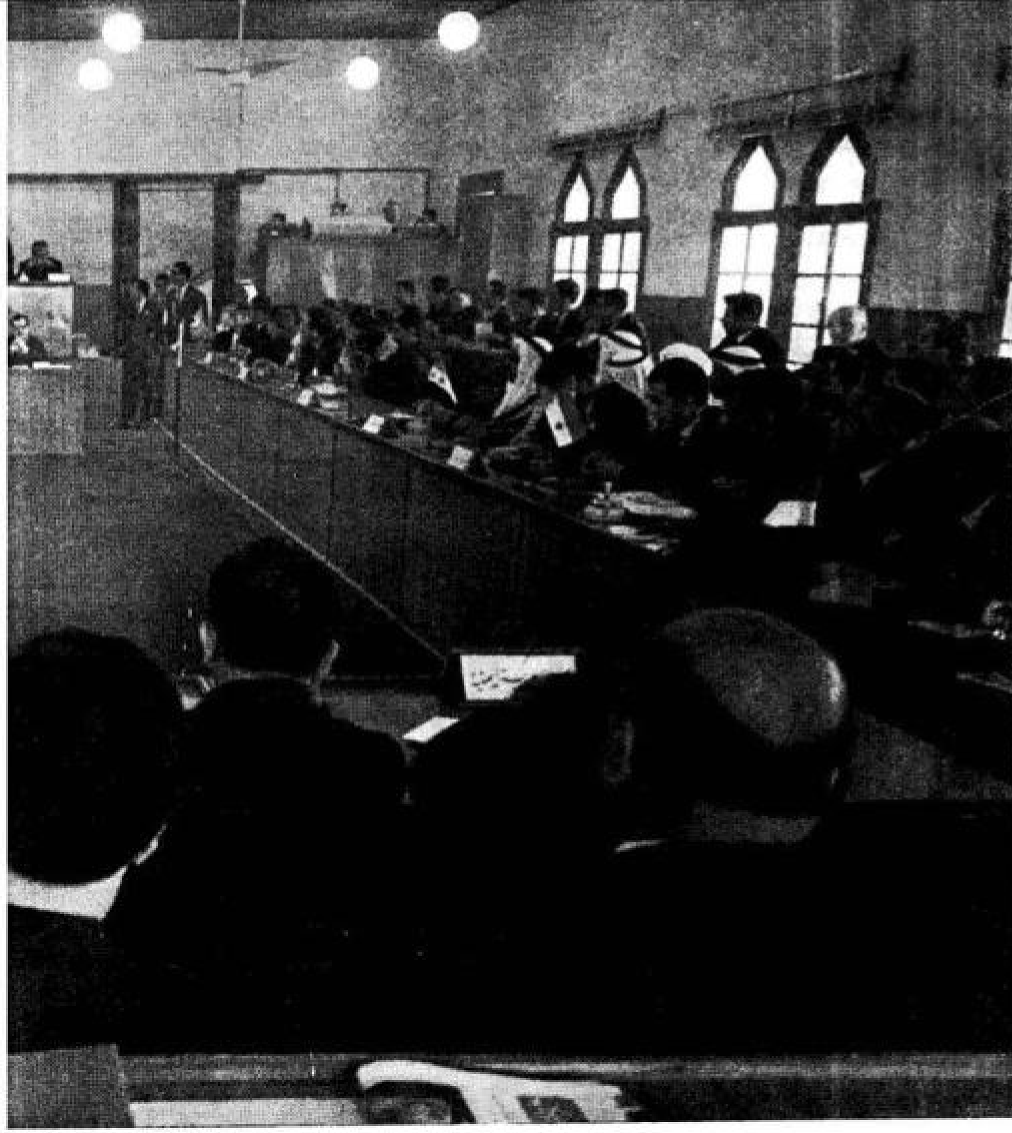
والجمال عند العقاد لا يقوم على صُوَر بدائية تكون جوانبها خَوَاء ، وانما الجمال تكامل بين الشكل والمعنى يتجلى للحس والقريحة ، والشكل الجميل على حد تعبيره : « هو أداة المعنى الى الظهور ، وأحسن الأشكال وأوقعها هو الشكل الذى نتخطاه الى دلالته ، وما الفنان الا ذلك الانسان الملهم الذى يوفق لاختيار الأشكال التى تنسينا الأشكال وتؤدى عملها ، وما عملها الا أن تساعد المعنى على الظهور ، لا أن تشغل الناظرين بالظواهر عما وراءها من المعانى والدلالات . وقد استحبوا البساطة في الفن واستدلوا بها على الطبع لأنها شفافة عما وراءها ، لا تعوق معناها عن الوصول الى الخاطر بعقبات التكليف والتزويق وحواجز الأوضاع والتقليد » .

وأخيرا

هذه الماحة سريعة بجوانب من الفلسفة العقادية يتبين في صاحبها ايمانه العميق وفكره الناضج ونفسه الشاعرة وبصيرته النافذة ومنهجه الجوانى في معرفة الأشياء والأشخاص ، والناظر في فلسفة العقاد يتبين نغمة التفاؤل والأمل تشيع في كتاباته، فهو مفكر متفائل ، يرقب الخير والمستقبل للبشرية : « نخال أن القرن الحادى والعشرين قمين أن يتقدم بالضمير الانسانى خطوة أوسع من خطواته بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين . وأن علم النفس سيلاقى علم الذرة في الشقة الوسطى التى لا تزال حتى اليوم فاصلة بين المادية والروحية ، ومن يعش ير عياناً ما نراه اعتقاداً وتفكيراً » .

■■

عثمان أمين



قبل الطبع

مؤتمر الصحفيين العرب

■ نحن نكتب هذا الكلام ومؤتمر الصحفيين العرب الأول يختتم اولى دوراته التى عقدت فى الكويت ، وبدعوة من هذا البلد المضياف ، فكانت فرصة اتيح فيها لرجال الصحافة وممثليها فى الوطن العربى ، بالاضافة الى من شهدوا المؤتمر من رجال الصحافة الاجنبية والاذاعات والتلفزيون ،



لأول مرة ينعقد في الكويت

ان يروا الكويت بوجهها العربى المشرق وبنهضتها الفتية الرائعة .. وقد تناقلت صحف العالم أخبار المؤتمر بما لم يبق بعده مزيد لمستزيد ، ولذا نكتفى بأن ننشر على هاتين الصفحتين صورة لقاعة الاجتماعات بمدرسة الشويخ الثانوية حيث كان المؤتمر يعقد جلساته، تسجيلا لهذا الحدث التاريخي ■■



رأي جديد ..
فى تشرشل .. العظيم !



عن نيو ستيتسمان :

● كان ونستون تشرشل فاشلاًفيحياته الدراسية الأولى وترك المدرسة جاهلا فكان ذلك مدعاة ألم وحزن لوالده الذى عرف عنه الذكاء فى عصره ، مما دفعه الى تجاهل ابنه وعدم تدريبه على فنون السياسية . ولذا فما عرف عن تشرشل ، بما قدمه للجيل من خدمات سياسية عظيمة كانت نتيجة اعتماده على نفسه ، اذ انه علم نفسه بنفسه وتلقى دروسه الأولى وهو ملازم بسيط فىالجيش على حدود الامبراطورية البريطانية . ولن يكون مستغربا أن يقال ان تشرشل لم يتبنَّ فلسفةسياسية خاصة به ، وان اتصاله بالسياسة كان بطريقة بدائية وساذجة ...

وقد قاده جهله هذا بالسياسة الى أخطاء كثيرةفى ذلك المضمار . ورغم انه كان احد الأعضاء البارزين فى مجلس العموم فى حينه ، الا انه لميتمكن من الاندماج فى سياسة المجلس نفسه .

وقد أخذت عليه بحبوحته فى تغيير مبادئه السياسية ومعالجته الثورية أحيانا للامور ، وقد دفع ذلك اعضاء حزب المحافظين المستقيمي الراى الىالنظر اليه بعين الشك والريبة دوما ، وفى أثناء الحرب أيضا ، أخذت عليه المناورات الحربيةالتى دفع بها الجيش الى جاليبولي ، والتى لو انها أحسن تدعيمها لكانت سببا فى كسب الحربسريعا . ثم كان ميله الشديد لحرية التجارة هو الذى دفعه الىالانضمام لحزب الأحرار ، ولكن حبه وولعه بالحرب،وسياسة العنف فى معالجة الأمور (كما حدث فى الاضراب العام الذى اجتاح انجلترا)، جعل رجال ذلك الحزب أيضا يخشونه وهو بالتالي لم ترق له سياستهم الهزيلة غير المستقرة.

وهكذا بقى تشرشل نقمة على حزب الاحرارحقبة طويلة من الزمن لميله لسياسة الحرب وارتجالية الأمور والبتالسريع فيها وعدماستيعاب المبادىء البريطانية فى الاشتراكية .

الكنغو : نقطة اللا عودة ..

من الاوبزرفر :

● ان الموقف فى الكونغو يكاد أن يصل الى أقصى ذروة الحرج ، رغم ان كلا من القوتين المتصارعتين غير قادرة على احراز نصر مسلح ، ولكن الرئيس كزافوبو مع رئيس وزرائه تشومبي ، مصران على محاربة الثوار حتى النهاية فى جميع الجهات . وهذا لا يمكن أن يتم دون المساعدة العسكرية من امريكا وبلجيكا .

ويمكن القول بانه ما لم تحجم تلك الدول عن سياستها العقيمة وتكف عن ارسال المساعدات ، فان ذلك سيدفع عددا من الدول الافريقية ، التى تساندها بعض دول آسيا وجميع الدول الشيوعية ، الى الاعتراف بحكومة الثوار ومساعدتها .

ان الوقت قد حان الآن لتحرير الكونغو والتحلل من التورط معه ، كما قال المستر أدولا رئيس وزراء الكونغو السابق ، الذى نادى فى الاسبوع الماضي بضرورة وقف المساعدات الغربية لتشومبي واحلال قوات مدنية وعسكرية افريقية بتمويل من هيئة الامم المتحدة .

ان تجاهل نصيحة المستر ادولا ، الذى عُرف بالاتزان وبحب الجماهير له ، يمكن أن يصل بالحالة فى الكونغو الى نقطة اللاعودة ....

.. وكيف ننقذ الامم المتحدة



وكذلك لا بد من القول بأن اقتراح الرئيس ديجول الداعي ، لعقد مؤتمر للخمسة الكبار فى جنيف للنظر فى اعادة تنظيم هيئة الامم المتحدة ، فيه شيء واحد يستحق المدح ، وهو قوله : ان تنظيم هذه الهيئة الدولية يجب ان يشمل قبول بكين عضوا فى الامم المتحدة ، وهذا القبول يجب أن يستند الى تفهم اساسي بين القوى الدولية الكبرى .

ولكن المشاكل الاساسية التى تواجهها هيئة الامم المتحدة حاليا ، الى جانب غياب الصين ، لا يمكن حلها ببساطة عن طريق ضغط الدول الكبرى او بالرجوع الى الاغلبية المطلقة لاعضاء مجلس الامن الدائمين ، بل الحل يجب أن ينبع من التطور الطبيعي لنظام العالم السياسي ومن النمو المرجو للامم المتحدة ذلك النمو والتطور الذى لا بد منه لمواجهة مطالب العالم الجديد .

ان المشكلة الحقيقية تكمن فى ان التوازن بين مجلس الامن ، والجمعية العامة للامم المتحدة ، قد اختل . فقد أصبحت الدول التى دخلت الى الجمعية حديثا من افريقيا وآسيا ، تكون الغالبية العظمى للاعضاء .

ان هذه المشكلة هي التى تكمن وراء الازمة الحالية التى احدثها امتناع روسيا وفرنسا عن دفع نفقات قوات الطوارى الدولية التابعة للامم المتحدة .

ان هنالك بادرة أمل فى أن تتبنى كلاً من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي مشروعا جديدا للجمعية العامة للامم المتحدة يهدف الى الاتفاق على طريقة مقبولة لقيادة قوات الطوارى الدولية للمحافظة على السلم وتمويلها .

ان هيئة تؤلف بهذه الكيفية، تضم دولا صغيرة.. ومتوسطة .. وكبرى ، أوفق واقرب للنجاح من مؤتمر الخمسة الكبار الذى يهدف اليه الجنرال ديجول .... ومهما يكن من الصيغة التى يتفق عليها أخيرا ، فلا شك ان قبول الصين سوف يساعد على تخطى صعوبات كثيرة .

المَرْصَدُ الطائِرُ

أكبرُ خطوةٍ خطاها علمُ الفلكِ منْ عهدِ نيوتن إلى اليومْ

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ وسميناه مَرْصدا طائرا ، وما هو بطائر .

ان الطير لا يكون الا فى الهواء .

وهذا المرصد انما هدفه هو الهروب من الهواء ، الى ما فوق الهواء .

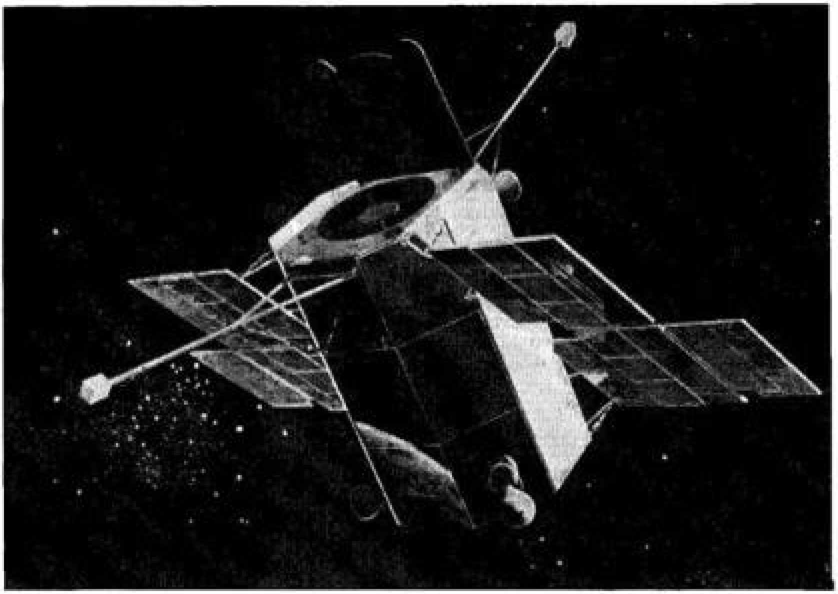
انه مركبة فضاء ، يقذفها من سطح الارض صاروخ ، ثم هي تأخذ تدور فى فلك لها حول الارض ، كما تفعل الاقمار الاصطناعية . وفيها ما يحتاجه الراصد لرصد السماء ، من السماء ، لا من الارض .

انه اذن المرصد الفالك . او هو المرصد الفلاّك Orbiting Observatory ، اى الذى له فلك يدور فيه . ويختصرون اسمه فيكون .O. O . واذا نحن اختصرنا مثلهم لكان رمزه المختصر م . ف . ولكنا ما اعتدنا بعد ما اعتادوا ، ولا ألفنا من احاديث العلم ، واحاديث السماء ، ما يدعو الى كثرة التكرار ، التي تدعو الى اقتصاد فى القول واختصار .

لولا الاحاسيس لما عرف الانسان هذا الوجود

ان العين ترى .

مناظير تركب الهواء
يرى الإنسان بها في رقعة السماء
نجوما ومجرات حيث لم يكن يرى إلا ظلاما
وبها تتراجع حدود الكون فيتسع للإنسان فوق ما كان اتسع



المرصد الفلكي الفلاك ، وسيطلق في الفضاء في عام ١٩٦٥ . (وقد سبقه في الاطلاق المرصد الشمسي الفلاك ، والمرصد الفزيائي الارضي الفلاك) . وترى جسمه في الصورة كالمنشور المسدس الجوانب ، في اعلاه فتحة يرصد منها المنظار (التلسكوب) الذي في داخل الجسم ، والغطاء الأسود القائم على الفتحة يحميها من ضوء الشمس . والأجنحة عن اليمين واليسار لتمتص ضوء الشمس وتحوله الى كهرباء هي الطاقة التي يحتاجها المرصد واجهزته

وان الأذن تسمع .

وان الجلد يَحس .

والاحاسيس انما هي سبيل الانسان الى العلم بهذا الوجود . فلو انها انطمست ، أو لو ان الانسان ولد بها منطمسة ، ما علم ان هناك وجودا ، وان هناك دنيا ، وان هناك أرضا وقمرا وشمسا ونجوما .

والاحاسيس تعلم الانسان بمقدار ما تحس .

ان الأصبع قد يلمس الحرير فيحسه ناعما ، ولو انه اعطى لمسا اكثر مقدارا ،

واكثر تمييزا ، لاحسُ من الحرير الناعم خشونة المِبْرد .

واول أجهزة الأحاسيس العين ، وهي جهاز المعرفة الاكبر . ولكنه جهاز مع ذلك محدود القدرة . فهكذا شاء ربك ان يكون محدودا . واراد الانسان أن يَمُدّ ، من هذا الحدّ ، فابدع المِجْهر ، المِكرَسكوب ، ليرى الأصغر ، وابدع التِلِسكوب ، ليرى الأبعد .

وعرف الانسان من الأرض ما عرف ، وبينا هو لم يفرغ من علمها ، تطلع الى علم السماء .

ان السماء هى الاخفى ، وهي الاضمر ، وهى الاكبر ، وهى الاروع ، فخال ، وقد رأى جسمه قد كثرت روابطه بالأرض ، ان روحه قد تكون اكثر روابط بالسماء .

وكشفُ السماء لا يُطعم من جوع ، ولا يكسو من عرى ، ولكنه يشبع الروح ، ويحيى الأمل عندما تتضعضع آمال قوم فى الارض ، فيصبحون ، بالفكر ، حيارَى معذَّبين .

واتجه الانسان بمناظيره المقرِّبة ، يوجّهها ناحية السماء .

بداها بمنظار جاليليو ، المنظار المنزلي البسيط ، الذى به كشف عن « جبال القمر ووديانه » ، وعن الكواكب واقمارها عام ١٩٦٠م ، وانتهى الانسان بالمنظار الاكبر والأعتى ، منظار جبل بالومار Palomar ، بكلفورنيا ، عام ١٩٤٨ م .

رسالة السماء الى أهل الأرض حملها اليهم شعاع رقيق دقيق

وظلت صلة الانسان ، بأجرام هذه السماء ، تنحصر فى ذلك الشعاع الرقيق الدقيق الذى يأتى من كل جرم من السماء الى كل راصد فوق سطح الارض . رسالة السماء الى أهل الأرض حملها هذا الشعاع وحده . ونستثنى الرسل والأنبياء ، والمطهَّرين الاصفياء .

ومن هذا الشعاع وحده حاول الانسان ما حاول ان يستنبط عن اجرام السماء العلم الكثير . كان الشعاع كالكتاب الصفير، وحروفه من هيرغليف. وظل الانسان يحل طلاسمه حتى ادت به الى كثير من المعانى .

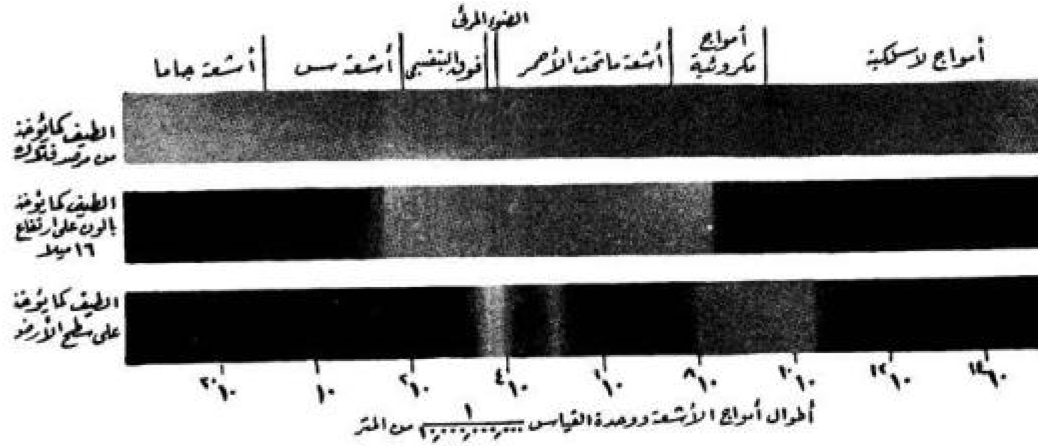
ادت به الى كل ما نعرف عن السماء ، شموسها ، كواكبها ، نجومها ، مجراتها ، سدائمها ، وما أنار منها وما اظلم . وكل ما نعرف عن احجام هذه الأجرام ، واوزانها ، وحركاتها ، ومن اى شىء تالف ، وكيف تتحول . وكيف تحولت فى ماضيها الطويل ، وكيف سوف تتحول .

واختصارا ، من هذا الشعاع استمد العلماء كل ما كتبوا فى علم الفلك ، من عهد اليونان الى اليوم .

شعاع السماء ينحل الى طيف

وحل الانسان هذا الشعاع ، رسالة السماء الملموسة المحسوسة الوحيدة ، الى طيف. والطيف مثله النموذجي طيف الشمس ، ينشره الانسان على الستار الابيض نشرا ، فترى العين منه الوانا اعتدنا ان نسميها باللون الاحمر ، فالبرتقالى ، فالاصفر ، فالاخضر ، فالازرق ، فالنيلي ، فالبنفسجي . ويبحث الانسان فاذا به يجد وراء البنفسجى اشمة لا يراها ولا يحسها ، ولكن تحسها اجهزته . وكذا يجد وراء الاحمر .

ومن هذا الطيف ، بل من هذه الاطياف وتحاليلها ، كشف الانسان عن علم السماء . . . عن علم الكون اجمع .



ثلاثة أطياف للضوء : الطيف الأسفل أكثره السواد ، لأنه مصوّر من سطح الأرض ، فالغلاف الهوائي الذى حول الارض امتص كل الأشعة الا ما نفذ الينا من نوافذ ثلاث ، النافذة اليسرى (البيضاء فى الصورة) وتشمل الجزء المرئى الذى تراه العين من الطيف (من الأحمر الى البنفسجي) . والنافذة الوسطى تقع فى منطقة ما دون الاحمر . والنافذة اليمنى وتقع فى منطقة الامواج المكروئية . أما الطيف الأوسط فقد كشف عن اشعاع أكثر كثيرا من اشعاعات طيف سطح الأرض ، والسبب انه صوّر من بالون علا على جزء كبير من هواء الأرض . اما الطيف الاعلى فذلك مفتوح كله للأشعة جميعا ، لأنه يؤخذ من مرصد فلك ، فهو فوق الهواء كله تقريبا ... والوحدة فى قياس الموجات هنا هى جزء من عشرة ملايين من طول المليمتر الواحد . ولعله قد اتضح من هذا الشرح انه لا فرق فى النوع بين شعاع مرئى ، وشعاع حرارى ، وشعاع لاسلكى ، ولا بين هذه وبين شعاع مما فوق البنفسجي ، وشعاع سينى ، وشعاع جاما . كلها اشعاعات كنهها واحد ، أشعة يسميها العلماء اشعة كهربائية مغناطيسية .

الهواء خبأ الكثير من رسالة السماء الى الأرض

ويصعد الانسان الى الجبل فيزداد عنده ما وراء البنفسجي. ما وراء ما كان كشف من حدود الطيف .

واخيرا اطلق الانسان اجهزته ، على رؤوس الصواريخ ، الى ما فوق الهواء ، او على الاقل الى حيث رق الهواء ، فكشف عن الشيء الكثير الذى كان اختبأ وراء الهواء .

ان الهواء كان امتص الكثير من ذلك الطيف ، فلم يصل الانسانَ ، وهو يرصد السماء على سطح الارض ، من تلك الاشعة ، من شمس جاءت ، او من نجوم ، او غير ذلك ، لم يصله منها كل ما فيها .

انه لحاف من هواء ، التحفت به الارض ، فحجب عن اهل الارض ان يروا السماء عارية . انه حجاب أذن لرسالة السماء ان ينفذ الى الارض بعضها ، وحجب بعضا .

وكما رفع الراصدون أجهزتهم الى ما فوق الهواء ، تقذف بها الصواريخ ، رفعوها تحملها البالونات .

والخبرة الناتجة واحدة .

وجاء عصر الاقمار

وجاء عصر الاقمار .

وحملتها الصواريخ دوّارةً مئات الأميال فوق سطح الأرض .

فكان لا بد ان يخطر على فكر العلماء ، رجال علم الفلك، ان لو تحمل هذه الاقمار اجهزتهم ، الى ما فوق هذه اللحاف الهوائي ، الى ذلك الصفاء الاعلى ، عسى ان تسجل رسالة السماء ، كاملة .

المرصد الشمسى الفلاك

وفى السابع من مارس عام ١٩٦١ ، ارسلوا الى السماء مرصدهم الأول .

انه المرصد الشمسى الفلاك Orbiting Solar Observatory .

ان اسمه يدل على الغاية منه . انه لرصد الشمس ، يرصد كل ما يخرج منها من اشعاع ، كيفا وكما . يرصد ما الفنا من طيف ، ويرصد امواجه الصغرى فيما وراء البنفسجي ، ويرصد الأشعة السينية ، ما يصله منها ، ويرصد الاشعة الجيمية ، اشعة جاما . ويرصد حتى ما فى السماء من تراب كوني . عشرة فاكثر من الأجهزة الكاشفة المسجلة ظلت ترصد وتكتب وتسجل ، وترسل بالذى تجد الى علماء الأرض .

وتوقف ارساله فى ١١ مارس عام ١٩٦٤ .

عمل حوالي السنتين ، الا نحوا من ثلاثة اشهر ، أعوج فيها ثم اعتدل . ولم يدر الى اليوم أحد كيف اعوج وكيف أعتدل ، الا ظنونا .

المرصد الفزيائي الأرضى الفلاك

وفى الرابع من سبتمبر عام ١٩٦٤ ، ارسلوا الى السماء المرصد الثاني .

انه المرصد الفزيائي الأرضي الفلاك Orbiting Geophysical Observatory

واسمه يدل على الغاية منه . انه لرصد تلك الشئون التي تتصل بالفزياء الأرضية ، تلك التي كان خصص العلماء لها سنة كاملة ، امتدت وراءها مدة اخرى .

وفى هذا المرصد نحو ١٦ تجربة لا تزال تسجل ، وترسل الى علماء الأرض انتاجها . وكل جهاز يعمل فيها على حدة .

المرصد (الفلكى) الفلاك

انه المرصد المزود حقا بما تزود به المراصد ، لرصد النجوم والمجرات بالذى به من تلسكوبات ، كسائر المراصد الفلكية الأرضية . تلك التلسكوبات التى خلا منها المرصد الشمسى الفلاك . وخلا المرصد الفزيائى الارضى الفلاك .

ان المرصد الفلكى الفلاك هو هو هذا الذى سوف يفتح فى كشوف السماء عصر نهضة جديدة لم يعرفها علم الفلك منذ كان نيوتن Newton (١٦٤٢ — ١٧٢٧م) الى اليوم .

ونقول « سوف » لانه لم ينطلق الى السماء بعد .

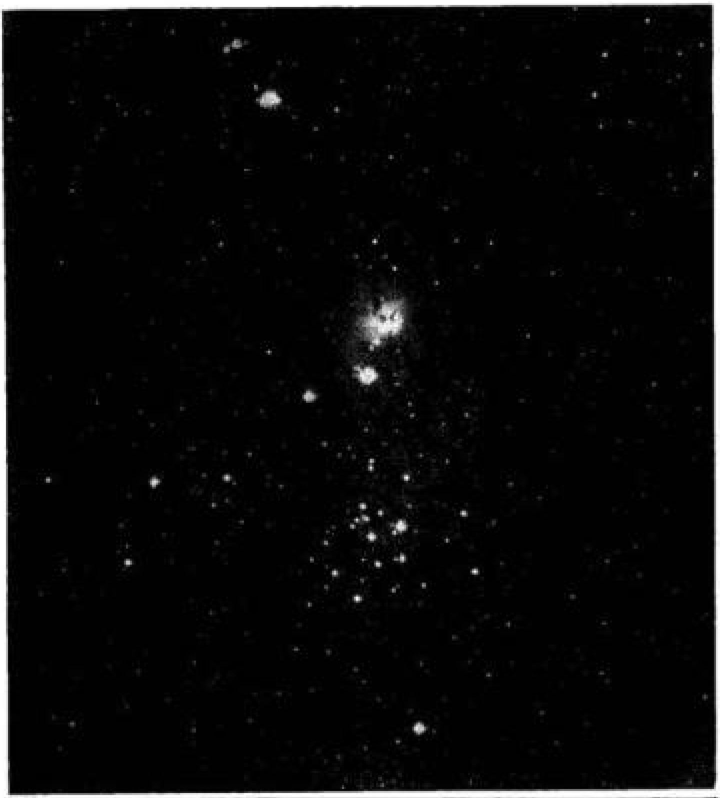
والمرجو ان يطلق الى السماء هذا العام ، عام ١٩٦٥ .

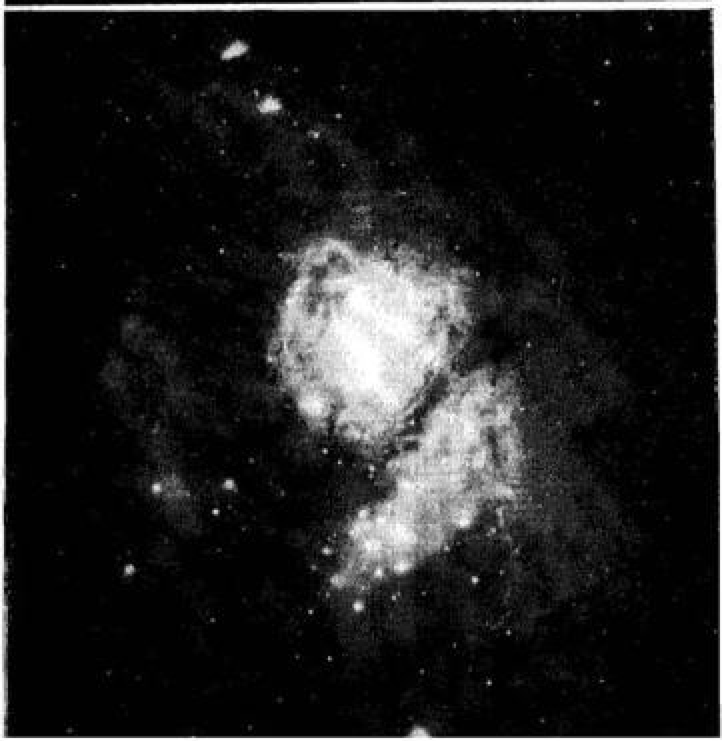
انها مركبة ، ذات حوائط مضلعة ، ثمان ، مصنوعة من الالمنيوم ، تزن ٣٦٠٠ رطل . (انظر الصورة فى اول المقال)

وهي سوف تحمل ١١ تلسكوبا صغيرا ، ترفعها الى اطراف الجو العليا ، على ارتفاع نحو من ٥٠٠ ميل من سطح الأرض وتدور بها ، لتسجل من ضياء النجوم ما تسجل . وتحمل الى الأرض اطياف هذا الضياء ، صورا متلفزةً الى علماء الفلك على سطح الأرض ، لا سيما صورا من اطراف تلك الأطياف الضوئية التي حجبها هواء الأرض .

ان العلماء امكنهم ان يحصلوا من هذه الأطياف على سبعة اطياف لسبعة نجوم، رفعوا اليها الاجهزة على رؤوس الصواريخ .

ولكن هذا المرصد سوف يرسل الى الأرض اطياف نحو من ١٤٠٠٠ نجم فى العام !





الى اليسار : صورتان أخذتا لموضع واحد من السماء ، الصورة العليا أخذت بالنور الأصفر من الطيف ، فلم يظهر بها الا ما استطاعت أن تنقله هذه الأشعة . والصورة السفلى أخذت بنور ما فوق البنفسجي من تلك الزمرة من الأشعة التى يمتصها الهواء ، فظهر فيها من أجرام السماء ما لم يكن يظهر فى الأولى. فكيف اذا نحن أخذنا صورة هذا الجزء نفسه من السماء، من المرصد الفلاك وهو فوق الهواء ؟ لا شك تظهر أجرام أخرى ، ظلت خبيئة فى نظر الانسان ما نظر اليها بمناظره وهى فوق سطح الأرض .

قارن بين تفاصيل الصورتين تجدهما لموضع واحد من السماء لم يختلف .

فهذا هو المرصد الفلكي الفلاك الأول ــ ورقموه بالحرف أ Orbiting Astronomical Observatory A. وسيتلوه مرصد فلكي فلاك ثان ــ رقموه بالحرف ب Orbiting Astronomical Observatory B.

وهذا الثاني سيحمل مكرسكوبا قطر عاكسته ٣٦ بوصة ، وسوف يسجل من اطراف اطياف النجوم ما خفي وراء اشعاع ما فوق البنفسجي . وهو ، من مرقبه العالي . سوف يكشف عن نجوم ومجرات عجز عن كشفها اكبر مكرسكوبات الأرض ، ذلك الذى بمرصد جبل بالومار ، بكلفورنيا ، وقطر عاكسته ١٠٠ بوصة (٥ امتار) .

انه ، من مرقبه هذا العالي ، سوف يكشف لنا عن نجوم ومجرات فى مواضع من السماء ننظر اليها اليوم من السطح الأرضي ، فلا نجد الا ظلاما .

اما بعد

اما بعد ، فاني احس ، قبل ختام هذه الكلمة العابرة ، ان فى نفس القارىء اكثر من سؤال . منها :ــ

١ ــ كيف ترسل هذه الأجهزة والمكرسكوبات التى بالمرصد الفلاك معلوماتها ، باللاسلكي ، عبر هذا الفضاء ، الى علماء الارض ، والمرصد الفلاك ليس به انسان واحد ؟ وكيف تتلقى الاجهزة بالمرصد الفلاك اوامر اهل الأرض . وكيف تطيع ؟

٢ ــ هذه المكرسكوبات التي بالمرصد الفلاك لا بد ان توجّه الى النجوم ، فمن يوجهها ؟ والمرصد نفسه لا بد ان يتخذ وضعا معينا فى السماء ، فلا يتأرجح على هواه ، فمن يؤمّن هذا الوضع الثابت لهذا المرصد ؟

٣ ــ هذه الاجهزة محتاجة للطاقة تحركها ، فما مصدر هذه الطاقة ؟ وهى محتاجة للطاقة ، ترسل بها نتائجها ، لاسلكية ، الى علماء الأرض ، فما مصدر هذه الطاقة ؟

كلها اسئلة حقيقة بجواب . وغيرها كثير .

وكل جواب يحتاج ، لا الى كلمة ، ولكن الى مقال .

مثال ذلك الطاقة المحركة لأجهزة المركبة ، ولاشاراتها اللاسلكية ، من اين تستمدها ؟

والجواب : من الشمس . انظر الى رسم المرصد المنشور فى اول المقال ، تجد به اجنحة ، انها الواح تتلقى ضياء الشمس ، وهو طاقة ، وتحيله الى كهرباء ، وهي طاقة . وهذه الكهرباء هي مصدر القوة الدائمة فى المرصد الفلاك ، وهي لا تفرغ .

جواب قصير ، فهل يكفي ؟ لا ادرى . فهو يستتبع سؤالا آخر : ولكن كيف يتحول ضياء الشمس الى كهرباء ؟ وهذا واضح عند من درس الأنابيب الالكترونية ، او الخلايا الضوئية الكهربائية ، او ما اسموه بالعيون السحرية . وهو غير واضح عند من لم يفعل .

ان صعوبة العلم فى انه مركّب ، طابق من فوق طابق . ولفهم الطابق الأعلى لا بد من فهم الطوابق التي حملته . وليس هذا بمستطاع دائما الا لأهل الاختصاص . والمهندس قد يسمع الطب من الطبيب فيفهم بعض الفهم ، والطبيب قد يسمع الهندسة من المهندس فيفهم بعض الفهم . وما على هذا من بأس ، ولا على ذلك . وبعض الفهم خير من ان لا فهم اصلا . وفى ربع الرغيف غناء ان عزّ الرغيف الكامل .

ويجب ان نذكر دائما ان العلم صار اليوم خبز رجل القرن العشرين . ■■

احمد زكى

ملحوظة : جاء خبر اطلاق هذا المرصد الفلكى الفلاك ، الى طبقات الجو العليا ونحن نطبع هذا المقال يوم ٤ فبراير (شباط) ١٩٦٥ .

نتيجة مسابقة العدد ٧٤

الإجابات الصحيحة .. والفائزون بالجوائز
رسالة بالعربية من قارئة تشيكوسلوفاكية

■ على الرغم من ان كل أسئلة المسابقة كانت مستقاة من بعض ما نشرته «العربي» في اعداد سابقة، وعلى الرغم من كثرة عدد الذين بعثوا باجاباتهم من مختلف الاقطار العربية وغير العربية فان قلة ضئيلة استطاعت ان تجيب على الاسئلة الاحد عشر كلها اجابة صحيحة، واكتفت الكثرة الغالبة، بالاجابة عن الاسئلة الثمانية التي جعلناها حدا أدنى للنجاح .

وقد كان عدد الاجابات التي تلقينا من قراء في خارج الوطن العربي من الكثرة بشكل لافت للنظر. وكان من بينها اجابة من قارئة تشيكية تقول في رسالتها انها تعلمت العربية وتقرأ مجلة «العربي» عن طريق صديق لها مراكشي تراسله وتراسلها .. وقد تبين بعد عملية الاقتراع على الجوائز انها كانت بين الفائزين .

وتبين كذلك ان بين اصحاب الحلول الصحيحة كثيرين لم يكتفوا بالاجابة بل زادوا عليها رقم العدد والصفحة اللذين نشر بهما الموضوع المتصل بالسؤال

★ ★ ★

الاجابات الصحيحة

جميلة . الحسن البصري . مدام تيسو . بوشكين. ديوجين. سامراء . الفصيلة السنورية. سومرست موم . غمارة قرب مدينة سبتة بالمغرب. جدة . ابو زيد السروجي .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى : **عبد الباقي حسن الدلال ـ مدرسة الشروق المسائية ـ الكوفة ـ العراق**

الجائزة الثانية : **عبد الرحمن عبد العزيز العبد السلام ـ الرياض**

الجائزة الثالثة : **وجدان محيي الدين خليفة ـ الخرطوم**

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بهـا :

داسا بندوفا	**تشيكوسلوفاكيا**
نصر الله سيد بهبهاني :	**الكويت**
علي أحمد محمد :	**السويس ـ ج.ع.م**
عمر راشد رشيد :	**الأردن**
حسين عبد الرحمن بارجا :	**حضرموت**
صديق بن حسين فاروسي :	**اللاذقية ـ سوريا**
خلف أحمد خلف :	**البحرين**
سالم عبد الله القمودي :	**طرابلس ـ ليبيا**

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها ■■



إليها..

■ يابسمةَ الأمل النضيرِ   وهناءة الحُلُم القريرِ
وسنا الربيع الطلْق يز   خر بالوَضَاءة والعبيرِ
وندى الصباح يَهِلُّ بالنُّـ   ـعمى على الزهر الحرور
رُوحي يَحُوم عليك يا   « ليلى » فأنَّى شئت سيرى
ويطُوف حولك طوفةَ الـ   حُجَّاج بالحجر الطهور
فلأنتِ ، ماتدْنين أو ....   تنأين ، مالئةٌ شعورى
أحيا ، وذِكرُك في فمى   أبدا ، وطيفُك في ضميرى

★★★

أنا مذ عرفتك ماعرفـ   ـت الكونَ إلا دَفْق نور
تتألق الدنيا بثغـ   ـرك لى ، وتبَسْم لى أمورى
أمشى ، وقد علقت بشخـ   ـخصكُ مقلتاىَ ، على حرير
فكأننى أصبحت كالـ   ـملَك المجنَّح في مسيرى
نشوان من خمر معتـ   ـقة بخابيةِ الدهور
طافت بها عيناك يا   « ليلى » فبعتهما مصيرى
والبابلية تستبيـ   ـح بمقلتيك حجى الوقور !

★★★

وفم تفتح مثل كُمِّ   الـورد في الروض النضير



بقلم : جورج سلستي

متألّـق البسمات ، معـ ـسول اللمى ، زَفّ السرور
شفتاه حالمتان كالشـ ـفق المنوَّر في البكور
روّاهما ألقُ الصِّبَا الـ ـريان بالسحر الوفير
وعلاهما ، كشقائق النعـ ـمان ذَوْبٌ من سعير
أفدى انفراجَهما يَمُنُّ عليَّ بالنطق الأثير
ويجود بالكَلِم المُدَلَّـ ـلِ في الحديث دلال حور
في غُنَّة الوتر المُـ ـرِنّ وقد شأى سجع الطيور
كَلِمٌ أفانين النظـ ـيم بها وومضات النثير
كَلِمٌ تشرّبُها النفو س تشرُّبَ الماء النمير
يا لَلْحديث المستسـا غ ينمّ عن قلب كبير
هو نزهة الروح الحزيـ ـن ، وبلسمُ القلب الكسير
قَيْدُ السميع وعقله الـ ـمُصغي ، وأسرٌ للسمير

★★★

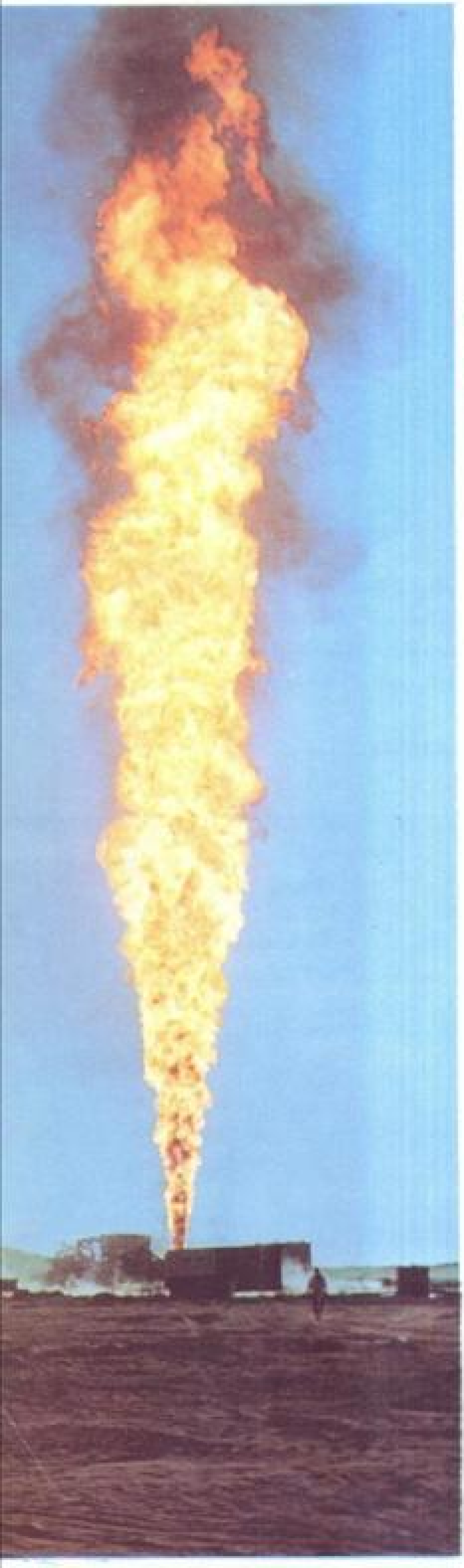
« ليلى » ! وروحك في مُنْـ ـسَكِبٌ كمُنسَكِبِ العطور
إني أحسك في دمـ ـي وَحياً توّج به سطوري
أشدو فتلتفت الدنـ ـى وتُطِلُّ سالفةُ العصور ■■

بيروت ــ **جورج سلستي**



تصوير : « اوسكار »

صورة النفط في منتصف الليل للبئر المشتعلة .. لقد تحول الظلام
الى نهار من فعل عمود النار المرتفع الى علو ٣٠٠ قدم في السماء



شمس نصف الليل في الكويت !

■ الساعة تشير الى الثانية من صباح الثلاثاء ١٦ ديسمبر ١٩٦٤ وكل شيء هادىء فوق « حقل برقان » اغنى واكبر حقول النفط في العالم : اذ يشمل منطقة مساحتها ١٥٦ ميلا مربعا تقريبا ... حفر عليها حتى الآن ٣٤٢ بئرا لاستخراج النفط من الاعماق .

كان العمل يسير حثيثا في حفر البئر رقم ٣٣١ اذ وصل مثقاب حفر الارض الى عمق ٤١٢١ قدما .

(البقية على الصفحة التالية)



ومن المعلوم ان عملية المسح الزلزالي لمنطقة حقل برقان تمت منذ سنوات ، والعمل في حفر الآبار بهذه المنطقة يسير منتظما بناء على المعلومات التي توفرت بعد عملية المسح هذه ، وطبقا لهذه المعلومات عرف بان النفط والغاز يكمنان على عمق ٤٨٠٠ قدم .. لهذا كان الحفارون في البئر رقم ٣٣١ يعملون مطمئنين الى ان المسافة اللازمة الى النفط ينقصها نحو ٧٠٠ قدم اخرى ..

وهكذا ظلت المحركات تدور ، ومعها قاعدة البئر الرحوية ، والأنبوبة الحافرة ، والمثقاب .. كل يؤدي عمله باطمئنان وانتظام ...

كيف بدأت المتاعب ؟

وتحت برج الحفر العالي وقف رئيس الحفارين يعطي تعليماته الى مساعديه لاستخراج نماذج من لب الصخور في قاع البئر لنقلها الى معمل التحليل الجيولوجي في مدينة الاحمدي ، ولفحصها حتى تتم معرفة انواع واوصاف الصخور الموجودة في قاع البئر ...

وهذه العملية تستوجب سحب المثقاب مع انابيبه ، وطولها ٤١٢١ قدما ، ثم اعادتها ثانية الى داخل البئر ...

وفعلا بدأ سحب الانابيب في مجموعات كل منها مؤلفة من ٣ انابيب طول كل مجموعة ٩٠ قدما ، وبدأ رصها بجوار بعضها داخل البرج الحديدي المرتفع الى علو ١٣٦ قدما فوق سطح الأرض .

وعندما اوشك الحفارون على الانتهاء من سحب الانابيب تناهى الى سمعهم صوت يخرج من فوهة البئر اعقبه اندفاع بعض الحصى والصخور ، كل هذا مع رائحة غاز قوية .. وبعدها لم يدر احد ما حدث بالضبط ، فقد تطاير كل شيء في الهواء : المواسير ، والحصى ، والصخور ، والطين والسلاسل ، وكل شيء فوق البئر .. حتى رئيس الحفارين ومساعدوه اندفعوا قافزين من فوق سلم البرج بحياتهم ..

وما كادوا يخطون بضع خطوات حتى تحول المكان كله الى اتون من اللهيب ينطلق من فوهة البئر رقم ٣٣١ ..

كان الغاز يندفع منها بقوة هائلة ، تعادل ضغطا يوازي ٢٥٠٠ رطل على البوصة المربعة ، اي ١٦٦ ضغطا جويا .

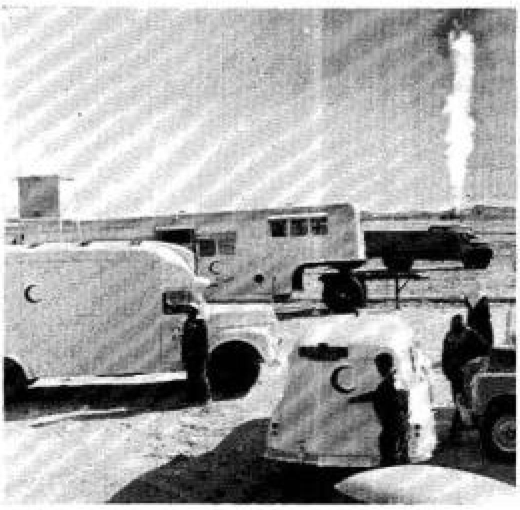
سبب الحريق

اما عن سبب الحريق فقد سألنا المستر سكوت رئيس الادارة المساعد لشركة نفط الكويت عن اسبابه فقال لنا :

« في اثناء عملية استخراج عينة من لب البئر رقم ٣٣١ اندفع الغاز بقوة هائلة لم تكن متوقعة وحمل معه قطعا من الصخور قد يكون احتك بعضها ببعض فانتج ذلك شررا أشعل الغاز .. ».

بعد ٤٠ ساعة من الحريق

انه الحريق الثاني الذي يحدث في الكويت منذ ٢٠ عاما ، بالرغم من ان عدد الآبار المحفورة في مختلف ارجاء البلاد قد تجاوز الالف بئر ، وقد شب الحريق الجديد في الساعة الثانية من صباح الثلاثاء ٢٩ ديسمبر ١٩٦٤ . فطير المختصون البرقيات الى مختلف الأرجاء بحثا عن اكفأ رجل



لم يصب احد بأذى ، رغم خطورة الحريق ، ولكن للاحتياط أقيم مستشفى متنقل بجوار البئر المحترقة ، لاسعاف رجال الاطفاء عند الحاجة ..





النار تندفع من وسط بقايا الركام الحديدى لجهاز الحفر ، الذى بلغ وزنه نحو ٢٠٠ طن ..
وقد تم سحب هذه الانقاض بعد مجهود شاق خوفا من انحراف الانبوب الذى تندلع منه النار ،
اثناء العمل..والصورةاليسرى تبين أحد المراقبين يراقب عملية ازالة الانقاض بمنظاره المقرب ..

اطفاء فى العالم .. انه يسكن بمقاطعة تكساس بالولايات المتحدة ..

وفى الساعة الرابعة من مساء نفس اليوم – مع ملاحظة فرق الوقت بين الكويت وتكساس – ابلغوه بنبأ الحريق ، وهو فى طريقه الى منزله حاملا الهدايا لاحفاده ، احتفالا بعيد رأس السنة .. وبعد ساعتين وصل الى نيويورك ، حيث اصطحب بعض معاونيه معه ، ثم تابعوا طيرانهم الى لندن ، ومنها مباشرة الى الكويت ، فوصلوا أرض مطارها فى الساعة الرابعة من مساء الخميس ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ . اى انهم وصلوا الى مكان نشوب الحريق بعد ٤٠ ساعة من حدوثه ، قطعوا خلالها ما يزيد على ٩٠٠٠ ميل !

السيارة تحترق ... والانسان يصمد !

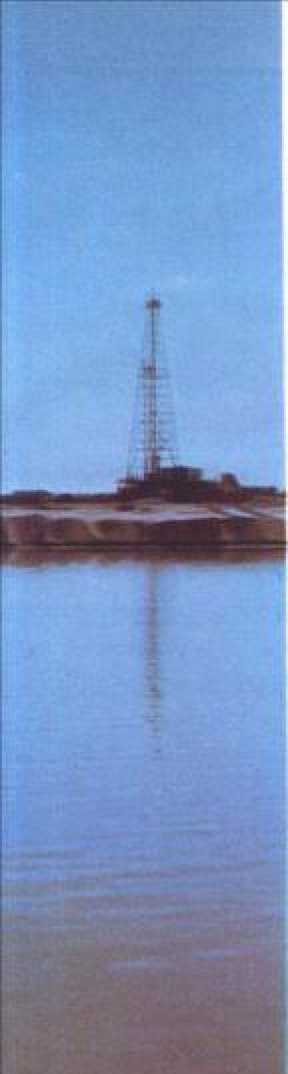
ان هذا الخبير العالمي هو « رد آدير » Red Adaire ... فى الخمسين من العمر ، ترفض الشركات اجراء اى تأمين على حياته لخطورة عمله ، وقد اشترك حتى الآن فى اخماد ٥٠٠ حريق من حرائق الآبار فى مختلف انحاء العالم .

ولما وصل الى منطقة الحريق بالكويت طلب سيارة جيب ركبها واتجه نحو اللهب ليلقى عليه اول نظرة .. واندفع بالسيارة ، وهو بملابس واقية من النار ، حتى اصبح على بعد ٥٠ خطوة من النار ، وهنا لم تصمد السيارة للوهج ، فبدأ هيكلها يشتعل ، فنزل منها واخذ سطلا به ماء بدأ يلقيه على السيارة ، ولكنه لم ينجح فركبها وهى مشتعلة وقادها الى منطقة الأمان ، حيث اشترك مع رفاقه فى اخماد نار السيارة .

٢٠٠ طن حديد

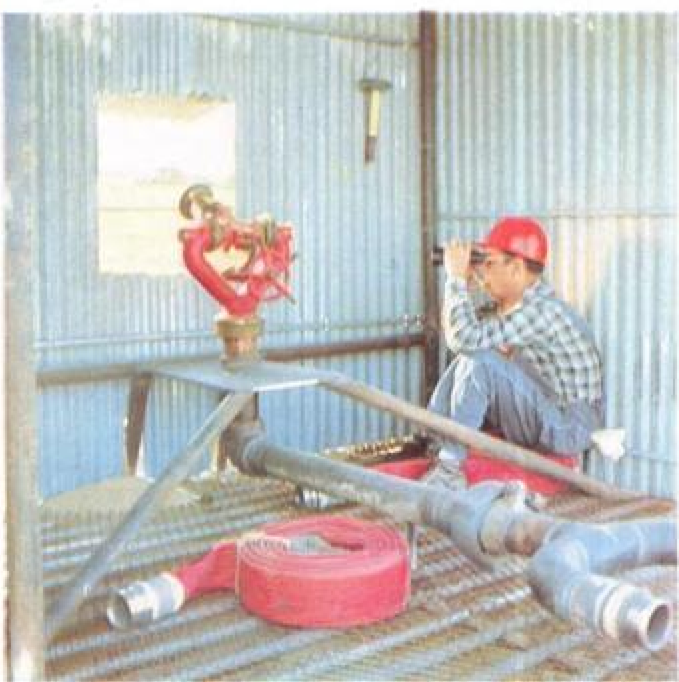
ان خبير الاطفاء لم يستطع ان يشهد فى نظرته الاولى الى البئر كثيرا من التفاصيل عند فوهة النار ، لانها كانت كلها مغطاة باكوام من الحديد المتشابك ، الذى نتج من تداعى حديد برج الحفر بفعل حرارة النار ..

ان وزن هذا الحديد يزيد على ٢٠٠ طن ، غير خزانات الماء والطين ومحركات الديزل ومولدات الكهرباء وسيارات الحفارين ، التى اصبحت





بعض مساعدى خبير الاطفاء يتشاورون فى الحل السبل للسيطرة على النار .. وامامهم خراطيم المياه التى استعملت لتبريد جو المنطقة .. والى اسفل احد المراقبين وقد جلس داخل الغرفة الخاصة ، يرقب النار بمنظاره المقرب .



بحيرة ماء وسط رمال الصحراء: داخل هذا الخزان المفتوح الذى بلغت مساحته ٤٥٠ قدما مربعا ، تم تجميع ١٠ مليون جالون من الماء ، الذى استعمل لتبريد الادوات ومعدات الاطفاء، ومن الطريف ان احدى فتحات انابيب المضخات اصيبت بانسداد بسبب تراكم الاتربة مما دعا للاستعانة باحد الضفادع البشرية لتنظيف الفتحة .





كلها ركاما حديديا ساخنا لا يستطيع الانسان الاقتراب منه ..

٥٠ مليون قدم مكعب من الغاز

وقد قيل لنا ان حرارة المنطقة المحيطة بالبئر كانت ٢٥٠° ف . اى نحو ١٢٠° مئوية .. وقدروا كمية الغاز التى تحترق يوميا بحوالي ٥٠ مليون قدم مكعب ، اى ما يوازى استهلاك مدينة الكويت ومرافقها فى يوم واحد .

ماء ... ماء

وفى الأيام الاولى للحريق كانت المخلفات الحديدية تعطل اندفاع اللهب عموديا ، فكانت النيران متشعبة الاتجاهات .. لهذا كان الهدف الأول لخبراء الاطفاء هو ازالة ركام الحديد ... واستوجب ذلك طلبهم كمية عظيمة من الماء تكون تحت تصرفهم ..

ان طلبهم للماء لم يكن لاطفاء الحريق ، وانما لتبريد الآلات والمعدات ..

اعلان الطوارىء فى مدينة النفط

واعلنت حالة الطوارىء فى مدينة الأحمدى ، او مدينة البترول التى ولدت فى نفس السنة التى تفجر فيها البترول بالكويت ، وتقع هذه المدينة على ربوة ترتفع ٤٠٠ قدم عن سطح البحر ، وبجوارها مستودعات تجميع النفط ، والنفط ينساب منها تلقائيا منحدرا الى الميناء القريب..

كان أهل مدينة الاحمدى يشعرون ، لا سيما بالليل ، بأصوات كالرعد ، هى أصوات اللهب المعربد ، بالرغم من ان منازلهم كانت على بعد ١٤ ميلا من البئر .

وفى مساء يوم ٢ يناير ١٩٦٥ خرج أهل « الاحمدى » ، كعادتهم ، لرى حدائق منازلهم . وهو تروى من ماء جوفى ، ولكن الانابيب لم يكن بها ماء .. لقد قطع ماء الآبار الجوفية عن المدينة لمدة ثلاثة أيام وتقرر تحويله الى منطقة الحريق .

وتطلب الأمر مد شبكة انابيب طولها ٩ اميال لنقل المياه الى منطقة الحريق الصحراوية ..

بحيرة وسط الصحراء

ولكن كمية المياه هذه لم تكن كافية فمدت انابيب اخرى من البحر مباشرة الى منطقة البئر المحترقة ، حيث كانت عشرات الجرارات والرافعات تعمل لتسوية حوض ضخم ، وسط الصحراء يتسع لملايين الجالونات من الماء .. وبين عشية وضحاها اقيمت حواجز الحوض وبدأ الماء يندفع من عشرات الأنابيب ، التى نصبت فوقه ، حتى امتلأ بعشرة ملايين جالون من ماء الآبار ، وماء البحار ..

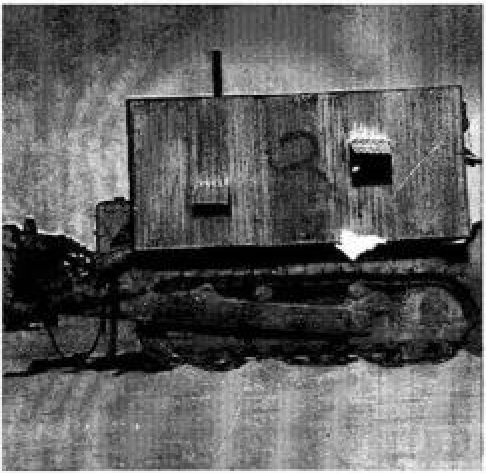
.. وبرج ماء

ولم يكتفوا بهذا القدر من الماء فجاءوا ببرج من ابراج الحفر ، وبدأوا فى الحفر ، بجوار البئر المشتعلة ، لاخراج الماء الجوفى من المنطقة نفسها للاحتفاظ بماء دائم داخل الحوض .

وبينما كانت عملية تجميع المياه جارية ، كان العمل يجرى فى صنع مدرعات واقية خاصة

الى اسفل : وضعت « مطافىء حكومة الكويت » وشركات النفط العاملة خبراتها تحت تصرف شركة النفط لمساعدتها فى عملية الاطفاء ..





داخل هذه الجرارات المصفحة كان الخبراء يتقدمون لسحب ركام الحديد المتجمع عند فوهة البئر .

للاحتماء بها من وهج النار عند الاقتراب من الحريق ، وجاءت هذه المدرعات على شكل الدروع الكبيرة التى كان الجنود الرومان يحتمون خلفها اثناء تقدمهم فى الحروب ، ولكنهم هنا ، فى منطقة برقان بالكويت ، اقاموها فوق جرارات قسم هندسة الطرق بشركة النفط !!

الكلام بالاشارة !

وما كادت الاستعدادات تنتهى حتى بدىء بتبريد المنطقة باغراقها بالمياه المنطلقة من فوهات الخراطيم التى وضعت على بعد ٥٠ قدما من النار .

وركب خبراء الاطفاء داخل « الجرارات المصفحة » ، وارتدوا ملابسهم الحمراء الخاصة المصنوعة من مادة الاسبستت العازل للحرارة ، ووضعوا فى آذانهم قطعا من القطن يحمونها من صوت النار ، فقد كان يطغى على كل صوت عداه فى منطقة الحريق ، حتى اضطر الخبراء الى التحدث بالاشارات .

اصابة الهدف

وتقدمت الجرارات تحت المياه المتدفقة من الخراطيم .. كان هدفها تخليص فوهة البئر من الركام الحديدى الساخن ، حتى يتمكن الخبير من تحديد طريقة اطفاء النار ..

وما كادت القطع الاولى تنزاح عن الفوهة حتى تحولت النار فاصبحت عمودية تنطلق رأسا الى السماء . وكان لهيبها يشاهد من مدينة الكويت ، على بعد ٤٠ كيلوا مترا من الحريق ..

الطبيعة تنقسم على نفسها

وساهمت الطبيعة بدورها فى العملية فهطلت الامطار غزيرة بشكل لم تشهده الكويت منذ سنتين .. فساعد هذا على تخفيف حرارة المنطقة، ولكن ، من جهة ثانية ، انضمت الريح العاتية والعواصف الرملية الى النيران فاعاقت العملية !

رقصة النار

واخيرا ، وبعد كفاح مرير استمر ١٤ يوما ، امكن ازاحة جميع الانقاض الحديدية ، واستطاع الجميع ان يشهدوا مظهرا جبارا للطبيعة فى انطلاقة هائلة لمكامن قوتها ..

كانت السنة النار تتراقص وتتعانق وتتلوى فى حركة هستيرية ، لتنتهى فى الجو الى بخار اسود يرتفع صاعدا فى السماء ..

انها رقصة النار فرحة بانتصارها وانطلاقها

رد أدير Red Adaire ، خبير الاطفاء العالمى ، يلقى نظرة أخيرة على النار التى تغلبت عليه ..



.. انها انطلاقة المارد من القمقم .. فالقمقم هو فوهة بئر قطرها ١٠ بوصات ، والمارد هو تلك النار الهائلة التي كانت ترتفع احيانا الى علو ٢٠٠ قدم !

حيرة الخبير !

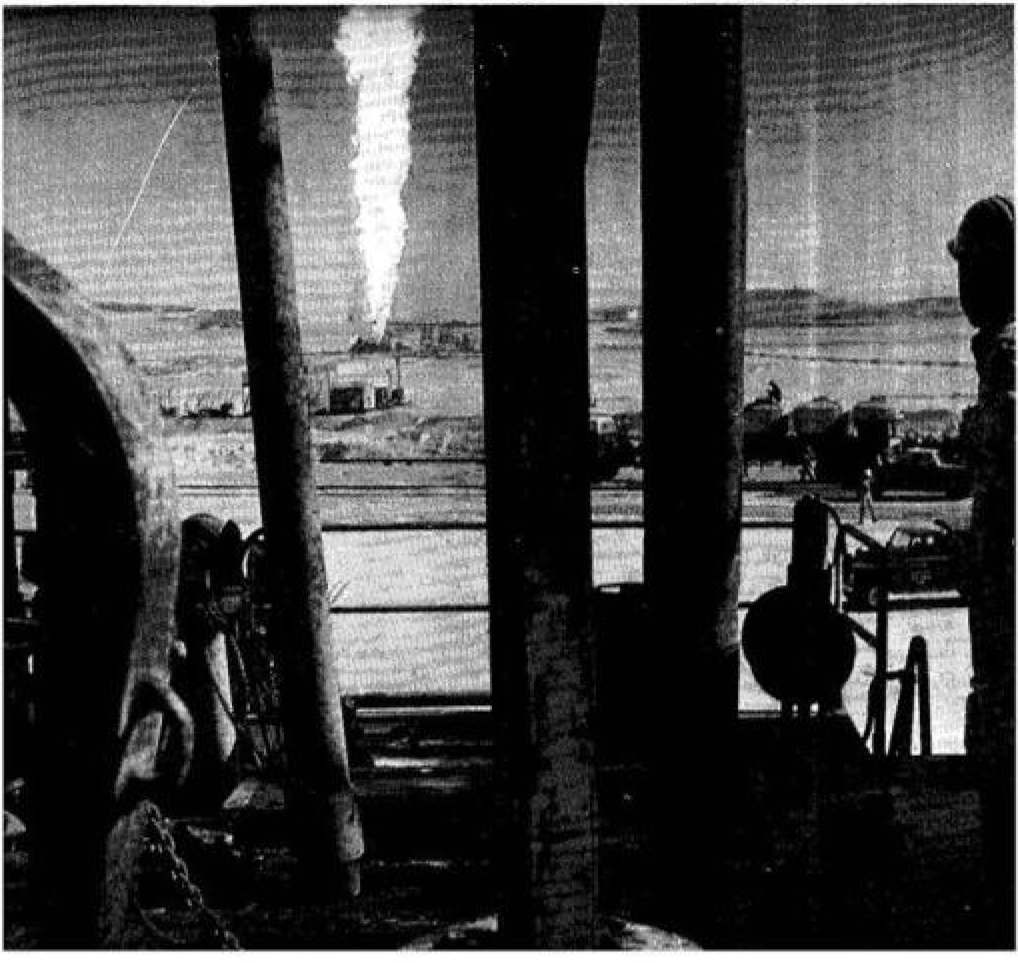
واجتمع خبراء الاطفاء ليحددوا طريقة الهجوم على البئر .. ومن داخل جراراتهم المصفحة راحوا يرقبون النار بنظاراتهم المقربة ...

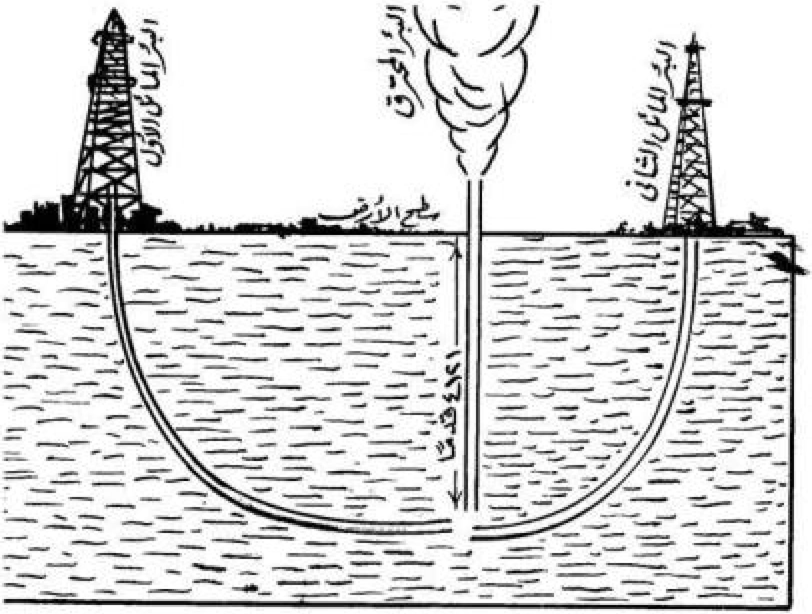
وكان الخبير الامريكي يفكر في خير وسيلة للسيطرة على هذا اللهب الأهوج :

جاءته فكرة وضع غطاء وزنه اربعة اطنان ونصف على فوهة البئر ، ولكن تشقق الفوهة من فعل الحريق ، ومن سحب ركام الحديد عندها ، اوقف الفكرة خوفا من اندفاع السنة النار الى كل اتجاه مما قد يتسبب في كارثة اكبر .

وفكر خبير الاطفاء في وضع ٥٠٠ رطل من المتفجرات عند فوهة البئر ، ليقطع ما بين الغاز والاكسجين الذى لا تعيش النار الا به ، ولكن ازدحام المنطقة بآبار النفط والغاز جعل هذه العملية مستحيلة لخطورتها ..

على بعد ١٤١٤ قدما من البئر المشتعلة يجرى حفر بئر جديدة مائلة ستؤدى الى قاع البئر المحترقة ، لاغلاق التكوين الباطنى الذى هو مصدر النار الحالية ...





يوضح هذا الرسم
يقة حفر البئرين
التين .. وعند الانتهاء
، حفرهما ، سوف
سخ من خلالهما كمية
ائلة من الماء يعقبها
ين ثقيل خاص ، ق
حاولة لاغلاق منبع
بئر المحترقة .

سكوت يخفي مرارة الهزيمة

وطلب الخبير مزيدا من الخبراء جاءوا من مختلف انحاء العالم على اول طائرة .. وداخل الجرارة الصفحة جلسوا يدورون ويلفون ، حول النار لمدة ١٤ ساعة متواصلة فى محاولة لايجاد نقطة ضعف تمكنهم من السيطرة على هذه النار ..

وظلوا على هذا الحال حتى انبلج الصباح ، فخرجوا من منطقة النار .

سالوهم : ما رايكم ؟

فسكتوا ولم يتكلموا ..

واتجهوا الى غرفهم للراحة ..

يجب خنق البئر

وكرروا السؤال على الخبير الامريكي العالمي :

ــ ما رايك ؟

قال باقتضاب :

ــ لقد غلبتني قوى الطبيعة .. لقد شهدت نيرانا اكبر من هذه ، لكن الظروف المحيطة بالبئر هي التي تمنعني من العمل . اني اتخلى عن مكافحتها .. وسأترك الكويت اليوم ..

قالوا : وماذا تقترح ؟

قال : يجب خنق عنق البئر من عند منبعها على عمق اربعة آلاف قدم تحت سطح الأرض ؟؟

كيف يخنق البئر ؟

وفى نفس اليوم سافر « رد ادير » مع معاونيه فى جو عاصف ملبد تاركا الميدان لخبير عالمي آخر هو جون رندل خبير الحفر المائل : اصعب انواع الحفر على الاطلاق .

ان المطلوب من جون راندل هو اصابة هدف مختفتحت سطح الارض على عمق ...٤ قدم .. اى عليه ان يقف على بعد ١٤١٤ قدما من فوهة النار ويحفر ثقبا مائلا يصيب به عنق البئر المحترقة الموجود على عمق ٤١٣١ قدما .

ولم يكتفوا بحفر بئر واحدة بل عمدوا الى حفر بئر اخرى على بعد ٥٢٦ قدما منفوهةالحريق .. حتى يضمنوا اصابة الهدف الخفي الصعب ..

وحينما يصل حفر الآبار المائلة الى منبع البئر المحترقة ستبدأ عملية ضخ كمية هائلة من الماء والطين الثقيل المخلوط بمواد كيماوية خاصة يضخونها من هذه الآبار المائلة فى محاولة لاغلاق منبع البئر المحترقة فى الاعماق .

ومما يذكر ان عملية حفر البئر المائلة بدأتها شركة النفط منذ اليوم الاول للحريق ، قبل حضور خبراء الاطفاء من مختلف ارجاء العالم ..

ونحن نكتب هذا الكلام ، بينما الحفارون يعملون ليل نهار للوصول الى الهدف .. ■■

س.ز.

طرائف عربية

هيبة الخليفة

● دخل رجل على المتوكل فقال له : ما اسمك ؟

قال : قطان ..

قال : وما صناعتك ؟

قال : حمدان ..

قال : لعل اسمك حمدان وصناعتك قطان ؟

قال نعم يا امير المؤمنين ، ولكني دهشت لهيبتك !

اقوال مأثورة

* قال عروة بن الزبير لبنيه : تعلموا العلم فان تكونوا صغار قوم فعسى ان تكونوا كبار قوم آخرين ، فياسوءتا ماذا اقبح من جهل بشيخ !

* وكان يقال : علم علمك من يجهل ،وتعلم ممن يعلم ، فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت .

بديهة حاضرة تنقذ صاحبها من السجن !

● اتهم اعرابى بأنه اطلق لسانه فى الوالى فى احد المجالس فسيق الى الوالى لمحاكمته . وكان يعرف ان اتباع الوالى قد وجهوا اليه طائفة اخرى من التهم التى لم يرتكبها كي يتخلصوا منه بسجنه ، فأعد كتابا رقيقا يستعطف به الوالى ويدرأ عن نفسه ما كان موجها من تهم ، حتى اذا ما دخل على الوالى فى مجلس حكمه وقرأ فى وجوه الحاضرين ما يبيتون اخرج الكتاب من جيبه وقدمه الى الوالى وهو يقول : « هاؤم اقرأوا كتابيه » ! ولكن الوالى لم يقرأ الكتاب ورد على الرجل : « انما يقال هذا يوم القيامة ، وليس هنا .. » وبسرعة قال الرجل : « هذا والله يامولاى شر من يوم القيامة .. فهناك يؤتى بحسناتى وسيئاتي معا ، اما رجالك فقد جاءوا بسيئاتي وتركوا حسناتى » !

فاعجب الوالى برده ، وعفا عنه

اسكت ف

● خرج الوليد بن يزيد حاجا ومعه عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر ، فكانا ببعض الطريق يلعبان بالشطرنج ، فاستاذن عليه رجل من ثقيف ، فاذن له ، وستر الشطرنج بمنديل ، فلما دخل سلم فسأل حاجته . فقال له الوليد : اقرات القرآن ؟ قال : لا ، يا امير

بخيـــل

● وقف سائل بباب بخيل يطلب احسانا .
فقال له البخيل : السيدات لسن فى المنزل .. يرزقك الله .
فرد السائل : انى اسألك رغيفا لا عروسا !!

من أمثلة الجود

● حكى اشعب بن جبير انه كان فى بعض سكك المدينة فلقيه رجل وقال له :

ـ كم عيالك ؟

قال فاخبرته ، فقال لى :

ـ قد امرت ان اجرى عليك وعلى عيالك ما يكفيك من الرزق ما كنت حيا .

فقلت : من امرك بورك فيك ؟!

قال : لا اخبرك !

قلت : ان هذا معروف يشكر !

قال : الذى امرنى لا يريد شكرك ..

قال اشعب بن جبير : فمكثت آخذ ذلك الى ان توفى خالد بن عبد الله بن عمر بن عثمان فحفل له الناس فشهدته فلقينى ذلك الرجل فقال وان الدمع ليغلبه :

ـ يا اشعب .. هذا والله صاحبك الذى كان يجرى عليك ما كنت اعطيك !

مالُ مَنْ آكلُ اذاً ... ؟

● ولى أحد الأمراء اعرابيا على عمل من أعمال الرعية ، فأصاب عليه خيانة ، فعزله واستدعاه ، فلما قدم عليه قال له : يا عدو الله ، أكلت مال الله .

فقال الأعرابى : ومال من آكل اذا لم آكل مال الله ؟ اني والله راودت ابليس الف مرة ان يعطيني فلسا واحدا فما فعل .

يستاجر الدار بدينارين وطعامهما !

● اكترى نصيب العلاء بن عبد الكريم دارا ، ولما ساله احدهم :بكم اكتريت الدار ؟

قال العلاء : بدينارين وطعامهما .

قال : وما طعامهما ؟

فقال العلاء : صاحب الدار ياكل معي كلما اكلت .

معنا أحد

المؤمنين ! شغلتني عنه امور وهنات.
قال : افتعرف الفقه ؟ قال : لا ، قال : افرويت من الشعر شيئا ؟ قال : لا ، قال : افعلمت من ايام العرب شيئا ؟ قال : لا . عندها كشف الوليد المنديل عن الشطرنج وقال : شاهك . فقال له عبدالله بن معاوية : يا امير المؤمنين! قال : اسكت ، فما معنا احد !!



التفرقة العنصرية والصهيونية

عن مجلة « الثقافة العربية » ــ اللبنانية :

● ان العقيدة الصهيونية لا يتوقع زوالها بل ولا تلطيف حدتها بالشواهد التاريخية ، وما نشاهده الآن يدل على أن التعاليم والفتاوى التي أقحمها زعماء الصهيونيين وكهنتهم في وصايا موسى قد تسلطت على عقلية اليهود ونفسيتهم واندمجت في طباعهم وأصبحت طابعا مميزا لهم وغرست في نفوسهم عقيدة تفوقهم على سائر الشعوب وغرست أيضا في قلوبهم عداء لمن ليس منهم .

ان النزعة العدائية في نفوس الصهيونيين حيال الأجناس الأخرى مرجعها الى التلمود . ويقول رينان ، الكاتب الفرنسي الشهير : « يبقى اليهودى التلمودى الصهيونى غريبا عمن حوله أينما حل ، لا رائد له سوى مصلحة أبناء جنسه، وكثيرا ما أصبح آفة ونكبة على البلاد التى احتضنته » .

ويقول مؤرخ يهودى يدعى برنار لازار : « ان ما يحول دون اندماج اليهود فى الشعوب الأخرى هو التلمود . والصهيونى لا ينتصر الا لابناء جنسه حيثما وجدوا ، وهو لا يستلهم سوى مبادىء التلمود وتعاليمه . فهو فى بريطانيا ــ مثلا ــ ينسى أنه بريطانى فيثور على الدولة البريطانية التى تحميه برعويتها ليخلق لها المشكلات، ويساعد على اغتيال رجالاتها من أمثال الوزير لورد موين والسير هارولد ماكمايكل المندوب السامى ، وعلى خطف الضباط والجنود البريطانيين تضامنا مع يهود يدينون بالمبدأ الصهيونى . والصهيونيون قد ابتدعوا كلمة (غوييم) للتعبير بها عمن ليس يهوديا. والغوييم منبوذ من اليهود . ويعتبر الصهيونيون نعت غوييم مهينا لأنه دون اليهودى آدمية .

صوت يهودى

من فلسطين « ملحق جريدة الاحرار » :

● صوت مُفرِّح من الارض المحتلة : صوت يهودى ، ولكنه مفرح الى أقصى حد .

ففى القدس وقف ناحوم غولدمان أكبر يهودى فى العالم ، والمنافس القوى لبن غوريون ، ليعلن فى أكبر مؤتمر يهودى ، فشلَ كل المخططات التى عملوا لها عشرات السنين . وقف ليقول بأن اسرائيل لا تستطيع أن تستمر بالعيش دون دعم الجاليات اليهودية التى تعيش فى الخارج ، ودون أموالها التى يجب أن تتدفق عليها بزيادة مضطردة .

وقف ليحذر الشبيبة الاسرائيلية ، من غرورها الذى يريد أن يعتمد على جهود المقيمين فى اسرائيل فقط ، مبينا لهم عمق المشاكل التى تعانى منها اسرائيل ، فتحدث كما تحدث غيره ، عن الرعب الذى يعيش فيه كل يهودى حين يتطلع صوب

الجامعات بين البحث العلمي والتعليم

من مجلة « رسالة العلم » القاهرية :

● هناك سؤال ما يزال يتردد فى الحاح عجيب: هل الوظيفة الأساسية للجامعات هى تلبية حاجات المجتمع وحل مشاكله ، أم ان وظيفتها التعليم وحده ؟ أم انها تكون بالدرجة الأولى ، للبحث العلمى المجرد، قصد الاضافة الى المعرفة البشرية، أم ان عليها أن تقوم بهذه الواجبات جميعا ، فتذكى شعلة العلم ، التى ورثناها من الأجيال الماضية قبلنا ، لنسلمها الى الأجيال الآتية بعدنا ، وقد زادت توهجا واشتعالا ، وزاد نورها قوة وسطوعا .

وليس من شك فى أن تعليم الشباب وتزويده بقسط معقول من المعارف الاساسية ، وتخريج المتخصصين فى مختلف فروع المعرفة ، لسد حاجات المجتمع فى مختلف شئونه ، انما هو من أقدس واجبات الجامعة ، وأولى وظائفها ، ولعلها أن تكون أهمها ، ان كانت قمينة أن تدفع عجلة الحياة فى المجتمع .

أما القول بتصور الجامعة من غير طلاب ، وانها تضم عددا من الأساتذة والمتخصصين يتعاونون فى البحث والدرس ، وقد يعاونهم فى البحث والدرس عدد من الطلاب ما تيسر ذلك ، فهذه ولا شك مثالية فى التفكير ، لا أظن المجتمعات الحالية تطيقها ، أو تسمح بها .

موسم الكتاب العربى فى المغرب

من جريدة « العلم المغربية » :

● فى كل بلاد الدنيا المثقفة أصبح الكتاب ضرورة فكرية لا تحتاج الى دعاية ولا الى مهرجانات، لان كل كتاب يصدر يقيم مهرجانا فكريا فى عقول مئات الآلاف من قرائه ، وفى أقلام عشرات الناقدين والملاحظين ، ويقيم فى الوقت نفسه معارك عقلية فكرية قلمية ، مناقشة وردا وبحثا وتمحيصا .

ولذلك فعالم الكتب – فى دنيا المثقفين – عالم ملىء بالحركة الذاتية وهو فى غير ما حاجة الى المهرجانات التى تبعث فيه الحركة عن طريق التذكير او طريق الدعاية والعرض .

ومن هنا تأتى أهمية أسبوع الكتاب فى بلاد ليس للكتاب فيها يوم ولا أسبوع ولا شهر ولا سنة .

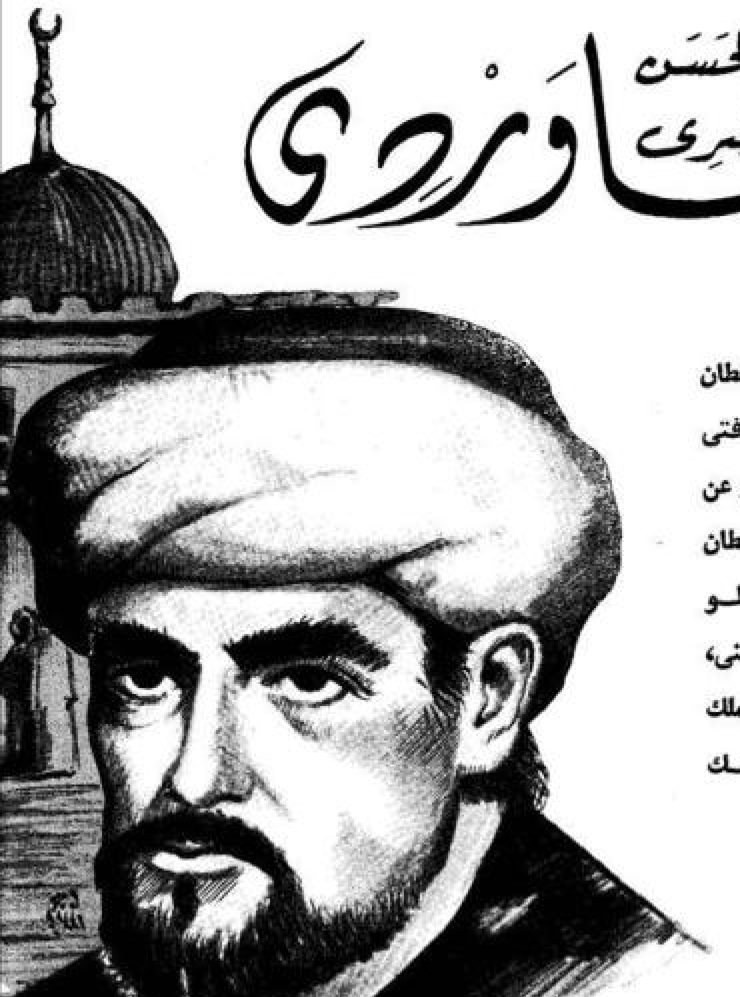
والكتاب فى المغرب ما يزال يجتاز أزمتين اثنتين: أزمة الكاتبين ، وأزمة القارئين . وهما العنصران اللذان يكونان الكتاب .

ومرد الازمتين معا الى الثقافة وضآلتها وانحرافها عن مقومات الوطن ومنها اللغة . فالمثقفون بين شخصين : مثقف باللغة العربية . وهو غريب نسبيا بين المثقفين ، ومثقف باللغة الاجنبية – فرنسية او اسبانية – وهو غريب بين المواطنين لان لغته – اذا مكنته من وظيفة او عمل أو مركز مالى – فهى لن تمكنه من التفاهم مع المواطنين فكريا وثقافيا . ومن ثم انفصل هذا المثقف عن الشعب كما انفصل ذاك عن عموم المثقفين . ومن أزمة الانفصال تكونت أزمة الكتاب .

الحدود ، ويرى الجيوش العربية محيطة به فى كل مكان . وتطرق الحديث به وبغيره الى التفرقة العنصرية التى لا تمارس على العرب فقط ، بل على اليهود الشرقيين أنفسهم .

كل هذا لا بد من أن يقود الى شعور من الفرح الطاغى ، أولا لأن القضية بحد ذاتها تستحق الفرح ، وثانيا : لأن الجانب الآخر من القضية جانب اللاجئين الفلسطينيين ، ينمو بشكل مختلف ومغاير كليا لما يحدث فى اسرائيل . فبينما كانت ستة عشر عاما من النكبة ، بمثابة معول هدم فى اسرائيل ، كانت فى صفوف الفلسطينيين ، عامل قوة وبناء ، رفع فى كل مخيم ، وفوق كل أرض عربية ، ارادة الصمود والعمل من أجل العودة . ونمت هذه الارادة فى ظروف سيئة متعبة ، لا يمكن أن تقارن ، بأى حال من الاحوال، بالأوضاع المعيشية المترفة التى يعيش فيها يهود المستعمرات فى كل انحاء اسرائيل .

أبو الحسن البصري الماوردي



كان بينه وبين السلطان مودة ، ثم حدث أن أفتى بما لايرضيه ، وامتنع عن مجلسه . فطلبه السلطان وقال له : « انك لو حابيت أحدا ، لحابيتنى، لما بينى وبينك،وما حملك الا الدين فزاد بذلك محلك عندى »

بقلم : الشيخ محمد أبو زهره
أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة القاهرة

في القرن الرابع والخامس الهجرى ، اضطربت موازين الحكم والجيش ، وانحلت الدولة الكبرى الى دويلات وحوزات ملوك ، ذلك أنه منذ استعان المعتصم فى أول القرن الثالث الهجرى بالأتراك الذين جلبهم من التركستان وغيرها من البلاد الاسلامية، انتزع اولئك السلطان الفعلى ، واخذوا يتحكمون فى الخلفاء ، ومن خالفهم منهم قتلوه ،واول من قتلوه كان المتوكل ، وكان عبرة لمن جاء بعده فاستسلموا ، وصار سلطانهم



...ا ، وكأنهم رجال كهنوت يمنحون ...كات .

...حلال الدولة الاسلامية الكبرى

...بانحلال الدولة الاسلامية الكبرى ، ... اللغة العربية تختفى من الأقاليم ...لفظت من سباتها اللغات ... الألسنة من اللغة ... ، حتى صار ذلك ...الاسلام .

... الشيعة والسنة ، ...تن والانتفاضات ، ...مد ، ودخلوا بغداد ...تى فتحها الخلاف .

... ، راجت سوق العلم !

فى الوقت الذى فسد فيه الحكم ذلك الفساد ، وتفرقت الأمة ذلك التفرق ـ كانت سوق العلم رائجة ، وقد اتجه العلماء من العرب والفرس الى الدراسة والانتاج ، وكانت اللغة العربية وعاء ذلك العلم ، كما هى وعاء الاسلام، ففى الوقت الذى سادت العجمة ـ كانت العربية سائدة فى التأليف والدراسة .

وكان الحكام يشجعون العلم، ويقربون العلماء اليهم ، ويدرون عليهم الدر الوفير ، فانصرفوا الى العلم ، واتجهوا واثمروا . وكان امر غريب . فبمقدار اضطراب ميزان الحكم كانت استقامة ميزان العلم، وبمقدار العقم الذى أصاب الدولة ، كانت زيادة الانتاج العلمى ، فاتسعت آفاق الدراسات كلها ، وخصوصا الدراسات التى تتعلق بالفقه والتفسير والحديث .

وانه لمن الغرابة ان نجد فى ذلك العصر المضطرب دراسة واسعة لنظام الحكم الاسلامى السليم ، وكان العلماء رأوا خطوطا معوجة ، فاستطاعوا أن يأخذوا من اعوجاجها الرسم الصحيح للخط المستقيم ، فادراك الاعوجاج يسد طريق الاستقامة ، وكأنهم رأوا أن أسلك طريق للتوجيه هو بيان الحكم المستقيم ، فمن اراد أن يسلكه فقد اهتدى .

ابو الحسن الماوردى

عاش فى هذا العصر فقيه مدرك ، وحكيم ملهم قد آتاه الله قلبا مستقيما وتجربة مكنته من ادراك العصر ، فقد ركب لجته ، وعلا فوق قمته ، فبيّن الطريق للاصلاح من غير أن يصرّح بالدعوة اليه ، لأن بيان الحق فى ذاته تحريض عليه .

ذلكم الفقيه هو على بن محمد بن حبيب المكنى بأبى الحسن ، والملقب بالماوردى ، قال فيه ابن السبكى فى طبقاته :

« الامام الجليل القدر الرفيع المقدار والشان، صاحب الحلول والاقناع فى الفقه ، وأدب الدنيا والدين ، والتفسير ، ودلائل النبوة ، والاحكام السلطانية ، وقانون الوزارة ، وسياسة الملك . وجُعل اليه القضاء ببلدان كثيرة ، وكان رجلا عظيم القدر مقدما عند السلطان » .

وهكذا نجد ذلك الفيلسوف الفقيه قد خاض فى عباب العلم الاسلامى ، خاض فى علم الفقه واصوله خوض العالم الفطرى العميق فى تفكيره ، وخاض فى الأحكام العملية والنظام خوض المسيطر المدرك الفاهم فقد عاش قريبا من الحكام ، فعلم الادواء . وعلم علاجها فوصفه فى كتبه من غير أن يذكر انها دواء ، بل دوّنها على انها غذاء يستفيد منه المرضى والأصحاء .

نشأته وحياته

ولد ابو الحسن بالبصرة ، وتلقى علومه الأولى

بها ، وكانت البصرة موئل العربية ، وبها علوم النحو والأدب ، وبها الطوائف والفرق الاسلامية، ويجرى فيها الجدل بين هذه الطوائف . وهي فوق ذلك ملتقى الأجناس الاسلامية ، وتجيء اليها المتاجر من الشرق ، وتجيء معها علوم الهند وايران ، ثم هي فوق ذلك تطل على الصحراء العربية حيث الصفاء والأخلاق التى لا انحراف فيها . تلقى العلوم المختلفة على مشايخها . تلقى علم الكلام على المعتزلة وعلى الأشاعرة ، وتلقى الفقه الشافعى واصوله ، وروى الحديث من حفاظه ، وعُنى بالقرآن فهما وحفظا وفقهـا ، وتفسيرا .

ثم انتقل من بعد ذلك الى بغداد ، وفيها المادة أغزر والبيئة أخصب ، والشيوخ أكثر ، فاخذ عنهم ودارسهم ، واستمر يذاكر العلماء ، ويحصّل العلم ، حتى بلغ فيه شأنا يُقصد فيه اليه ، ويجلس التلاميذ بين يديه .

وفى هذه الأثناء اتصل بالحكام من دولة بنى بُوَيه الذين كان لهم السلطان الفعلى ، وللخليفة العباسى الحكم الاسمى ، وقد بلغ بهم الشأن أن صار يُخطب باسمهم ، ويُذكرون مع الخليفة على المنابر . اتصل بالسلطان فكان المقدم عنده ، وكان المقرب اليه ، المسموع الكلمة لديه .

وهو بهذا الاتصال كان يَدْرس نظام الحكم ، ويقارن بينه وبين ما يدعو اليه الاسلام ، ومايمكن أن يستخلص من الدراسات الفقهية ، وما ترشد اليه القواعد الاسلامية ، فكان هذا الاتصال ، مع من علو المكان ، مرشدا له وموجها للدراسة الاسلامية التى تتعلق بنظام الحكم فى الاسلام . وكان كتابه الأحكام السلطانية، ثمرة لهذه الدراسة كما كان كتاباه ، قانون الوزارة ، وسياسة الملك. ثمرة لهذه الدراسة أيضا، وان كان هذان الكتابان فيهما خضوع الى حد ما للواقع ، بمقدار ما كان الاول مصباحا لاصلاح الواقع ، ولا خضوع فيه .

توليه القضاء

تولى القضاءَ فى بلاد اسلامية من بلدان المشرق، وهى مختلفة البيئات مختلفة الاعراف . والقضاء يُفيد الفقيه خبرة بالناس ، وخبرة عملية فى تطبيق الفقه ، فاذا كان فى القضية التى بين يديه آراء مختلفة ، كل رأى يمكن تطبيقه ، فانه يختار منها ما يقرب الى المألوف الناس ، وتحقيق العدالة بينهم . واذا لم يكن فى المسألة رأى فقهى يحقق العدالة اتجه الى الكتاب والسنة والقواعد الفقهية العامة يستنبط منها ما يكون أقرب الى تحقيق العدالة ، وتحقيق المصلحة الشرعية .

وقد كان القضاة يختارون من الذين لهـم اجتهاد فى مذاهبهم ، ولم يكن التقليد قد قطع ذلك النوع من الاجتهاد ، ولذلك كان لأبى الحسن الماوردى اجتهاد فى فروع فقهية طبّقها لم يكن فيها مخالفة للمذهب الشافعى ، بل فيها تطبيق لاصوله ، وقد دوّنها المؤرخون لذلك الامـام الجليل .

وان القضاء فى بلدان كثيرة قد أعطى ذلـك الفقيه العظيم معرفة بأخلاق الناس ، فدرس الآفات التى تفسد الجماعات الاسلامية، وتنحرف بالنفوس عن المقصد الاسمى ، الذى دعاهم اليه الاسلام .

وكان أبو الحسن عميقا فى دراسة النفوس ، متعرّفا أدواءها ، ودواءها ، ولم يكن معه من علاج الا الشرع الشريف ، ومصادره من قرآن وسنة ، وقد جاء كتابه ، أدب الدنيا والدين ، مشتملا على بيان ما يعترى النفوس من أدواء ، وما يمكن أن يطب به من دواء .

صفاته

اتصف أبو الحسن بصفات جعلته فى الذروة بين رجال العلم عَبْر التاريـخ الاسلامى .

وأولى هذه الصفات ذاكرة واعيـة ، وبديهة حاضرة، وعقل مستقيم يأخذ من الجزئيات قواعد كلية ، ويربطها برباط من المنطق واحد . وقد عالج فى هـذا مسائل لم يُسبَق بها ، كعلاجه لمسائل الشرع فى كتبه التى تعرضت لنظـام

الدولة، فما كان يعتمد فى ذلك على قواعد مقررة ثابتة جمعها ودونها ، بل كان يعتمد فى ذلك على أحاديث ، واحكام للصحابة ، وفروع جزئية فى المذاهب ، فجمعها جمعا متناسقا ، وربط بينها ، ربطا محكما، وجعلها فى قواعد مضبوطة.

والثانية : اتزان فى القول والعمل ، وهذه الصفة تكون كامنة فى النفس ، وان وجدت ما ينميها نمت وازدهرت ، وقد نماها اتصاله بالحكام ، ورغبته فى ارشادهم من غير ان يدفعهم الى جنوح او جموح .

والثالثة : الحلم وضبط النفس ، فكان لا يثور ولا يغضب ، ويتطامن لطلاب العلم بين يديه .

والرابعة : التواضع ، وابعاد النفس عن الغرور ، وكان حَيِيا شديد الحياء، وفيه وقار وهيبة تجعل الذين يعاشرونه يجمعون مع المحبة له الهيبة من ان يقولوا فى حضرته قولا لا يرضيه ، وما يرضيه الا الحق .

والصفة الخامسة: الاخلاص . اخلص لله تعالى ، فكان لايقول الاحقا ، ولايفتى بغير الحق ، لا تاخذه فى الحق لومة لائم، ولا عتب صديق ، ولا رغبة فى ارضاء رئيس ، وله فى ذلك الاخبار العَطِرة بطيب الاخلاص .

ولنذكر واحدا منها : كان ابو الحسن الماوردى صفيا لجلال الدولة ، احد سلاطين بنى بويه ، وقد أعطاه الخليفة لقب ملك الملوك ، فثارت فكرة جواز هذا اللقب من الناحية الشرعية الدينية ، فاختلف الفقهاء فى ذلك على ثلاثة آراء .

أولها : الجواز على اعتبار انه ملك الملوك فى الأرض ، وليس فى هذا ما يمس الذات العلية .

والراى الثانى هذا على حسب النية، فان نوى الناس الأرض فلا بأس ، والا فانه لا يجوز .

والراى الثالث : المنع لأن هذه الصفة لا تليق الا بذات الله تعالى ، وللاحاديث الواردة بالمنع . واعتنق العامة هذا ، وحصبوا الخطباءَ الذين خطبوا، وذكروا هذا فى الخطبة .

ولكن لا بد ان يبدى الماوردى رايه وهو فقيه القصر ، فوجد النبى صلى الله عليه وسلم يقول:« اشتد غضب الله على من قتل نفسه ، واشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الملوك ، لا ملك الا الله تعالى » . ووجد النبى عليه السلام يقول فى حديث آخر : « اخنع اسم عند الله تعالى يوم القيامة رجل يسمى ملك الملوك » .

ولذلك افتى الماوردى صديق جلال الملك وصفيه بالمنع .

ولكن الماوردى رجل فيه حياء وفيه مودة ، وفيه قوة دين ، ولذلك انقطع عن السلطان جلال الدولة بعد هذه الفتوى ، فطلبه السلطان ، فمضى اليه وهو يتوقع العقاب ، ولكن قال جلال الدولة : « انا اتحقق انك لو حابَيْت احدا ، لحابَلْتَنِى ، لما بينى وبينك، وما حملك الا الدين ، فزاد بذلك محلك عندى » .

كتبه

ترك ابو الحسن الماوردى آثارا علمية خالدة ، منها كتاب الحاوى فى الفقه

الشافعي ، وقد تعرض فيه لدراسة فقهية مقارنة ، وهو مخطوط يعمل المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة على تحقيقه واخراجه. وله كتب في الاصول والفروع وغيره ، وله كتاب التفسير ، وله في كل فروع العلم الاسلامي . كتب قيمة تمتاز بجوْدَة التعبير ، وسلامة التفكير .

ولكنّ كتابين اخرجتهما المطابع المصرية قد انفردا من بين الكتب الاسلامية بخواص ليست في غيرهما ، وهما كتاب الاحكام السلطانية ، وكتاب ادب الدنيا والدين .

كتاب الاحكام السلطانية

اما الأول منهما فقد تكلم فيه عن نظام الدولة في الاسلام معتمدا فيما يقول على الكتاب والسنة وعمل الصحابة . تكلم في الولاية العظمى ، وهي الخلافة وشرط الامام ، وسلطانه ، وتكلم على الولايات التي تتشعب من الولاية العظمى كولاية القضاء وولاية الجهاد ، وولاية الشرطة ، وولاية الصدقة ، وولاية الخراج، وولاية المظالم ، وقد اتى في هذا بكلام سُبق به من تكلموا في نظام مجلس الدولة ،واحكم القول في ذلك ايما احكام ، وتكلم في ولاية الحسبة واحكام المحتسِب ، وتكلم في احكام الاراضي والاقطاع ، وهو في كل هذا مسيطر على كل ما يكتب يستمد من المصادر الاسلامية الأصيلة . وتكلم عن اقطاع النبي صلى الله عليه وسلم ، واقطاع الخلفاء من بعده . وقد تعرض في هذا الكتاب لكثير مما يعد اصلا في باب التكافل الاجتماعي في الاسلام .

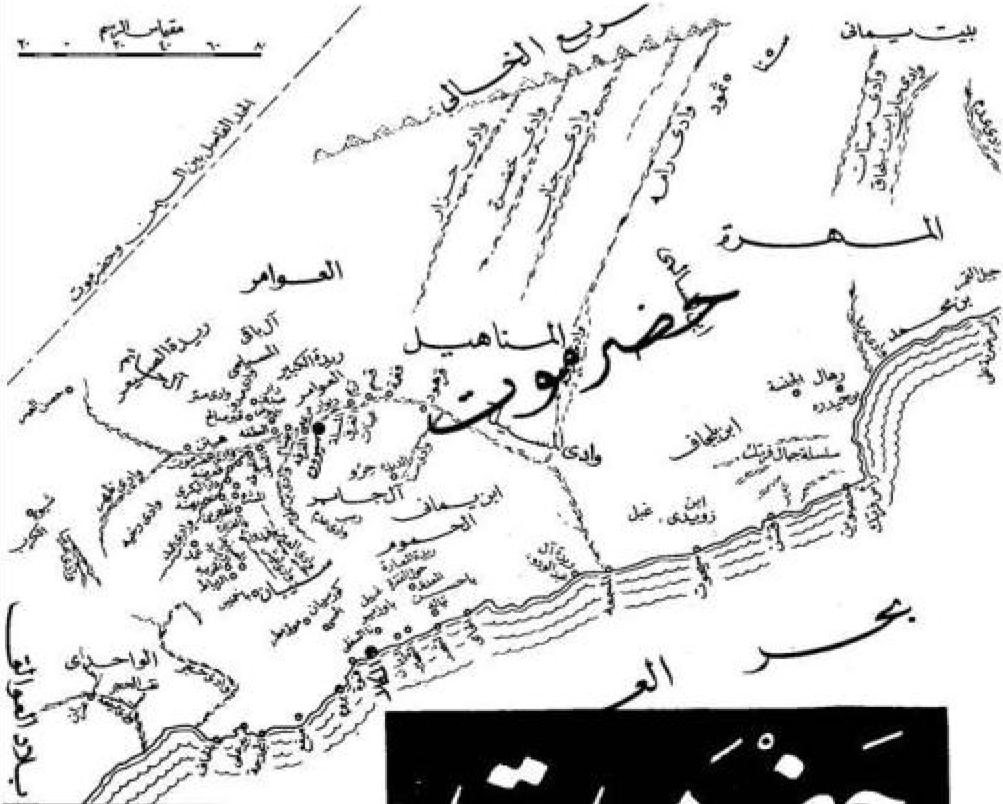
كتاب أدب الدنيا والدين

واما الكتاب الثاني ، وهو كتاب ادب الدنيا والدين ، فقد عالج فيه آفات المجتمع علاجا قد اتخذ عناصر دوائه من الكتاب والسنة ، وحِكَم الفرس ، واشعار العرب . وقد ابتدأ كتابه ببيان سبب الانحراف في النفوس .. وهو الهوى ــ واخذ يعالجه، وما يترتب عليه، ويتكلم في الفضائل الاسلامية ، والرذائل التي ينبو عنها الخلق الاسلامي . وهو في كل موضوع من موضوعات الكتاب يستشهد بالكتاب والسنة ، والتحليل النفسي والأشعار العربية، حتى انه ليجد فيه كل باحث في موضوع من الموضوعات الخلقية ما يستشهد به من مصادر الاسلام ، والأدب العربي .

وانه ليصل الى القمة احيانا في التحليل الخلقي ، فيذكر مثلا علاج النفس ،أيكون بالارهاب والتخويف ام يكون بالتأليف والترغيب ، ويذكر اثر كل منهما في النفس ، ويشرح الاتجاهين ، وينتهي الى انه لا بد من عنصري الترغيب في حسنى عاقبة الخير،والترهيب من سوء العاقبة.

وهكذا نجد الماوردي من اقوى الرجال اثرا في الفكر الحاضر، وقد اخرجت وزارة المعارف بمصر كتاب أدب الدنيا والدين، وكان يطالعه طلبة المدارس الثانوية ،ولا ندري لماذا لا يعاد طبعه ، وهو من أغزر الآثار العربية، والله ولي التوفيق. ■■

محمد ابو زهره



حَضْرَمَوت

طَوَاهَا التَّارِيخ وَنَشَرهَا ، مَرَّة بَعْد مَرَّة

■ يتبادر الى اذهان بعض الناس ـ عندما يسمعون كلمة « حضرموت » ، المنطقة التي يحكمها الآن السلطان القعيطي والسلطان الكثيري من جنوب الجزيرة العربية فقط ، والواقع ان حضرموت تشمل مساحة اوسع من ذلك ، فقد كانت تطلق على المنطقة الممتدة من ظفار شرقا ، الى بلاد العوالق غربا ، فتدخل فيها اراضي المهرة وبلاد الواحدى . وفى هذا الجزء بمفهومه التاريخي الواسع تقلبت احداث التاريخ وتكون منها تاريخ حضرموت

كان لحضرموت حضارة قديمة

واذا كان التاريخ القديم البعيد لحضرموت لم يكتب ولم يدوّن بعد بسبب نقص الدراسات والبحوث الطبيعية والأثرية التى تعتبر المصدر الصحيح الوحيد لما يمكن أن يعتمد عليه من هذا التاريخ ، فان المجهودات الأولية من هذه الدراسات ، على قلتها ، تثبت بما لا يدع مجالا للشك ان حضرموت ، بما فيها مناطق عاد الشمالية ، كانت عامرة

بأسباب الحياة والحضارة ، آهلة بالكثير من السكان ، وان ما نشاهده الآن من جفاف وارتفاع في حرارة الجو انما كان طارئا ، فادى الى مطاردة الحضارة والى الهجرة ، وتحويل الأراضي الى بقاع صحراوية غير صالحة للحياة .

ولذلك فان المؤرخ ، مهما بالغ في التزام جانب التحفظ والدقة والامانة التاريخية، لايجد بدًا من الاعتراف بوجود حضارة في حضرموت قبل الاسلام بقرون طويلة لا تقل شأنا عن حضارة سبأ(١) ومَعين (٢) ، وحضارتي آشور والبابليين المعاصرة لها .

آثار باقية ، ومعابد وحصون

نجد الدليل على هذه الحضارة فيما تنطق به الآثار الباقية من معابد وحصون ، وقصور ونقوش وتماثيل ، وكتابات أثرية جاءت مطابقة للمعلومات التاريخية الواردة في كتب مؤرخي الرومان واليونان من أن أهالي حضرموت كانوا أشداء في الحروب ، وأصحاب اقدام ونشاط في الاعمال ، وكانت لهم زراعة راقية جدا ، وتجارة ممتدة الى سائر الأقطار ، وعلاقات اقتصادية مع مصر وفينيقية ، وكانت سفنهم البحرية ومعرفتهم بالملاحة وركوب البحار موضع اعجاب المؤرخين ..

لقد كانت التجارة قديما في يد الحضارمة وجيرانهم الجنوبيين مصدر ثراء وازدهار عظيمين لبلادهم ، حتى حكي عنهم من الأخذ بأسباب الترف والبذخ ما نحسبه نحن اليوم من قبيل المبالغات ، فعلى يدهم كانت تنقل غلات حضرموت وظفار من البخور ، وواردات الهند ، وغيرها من التوابل ، الى الشام ومصر ، كما كانت سببا في استفادتهم من مدنية الفرس والروم وآدبهما ، وتأثرهم بحضارات معاصريهم الآخرين من شعوب الشرق الأدنى وتفاعلهم من التيارات الفكرية والسياسية التي تنبثق من ارضه .

ومن بعد ازدهار جاء ذبول

وتضافرت أسباب وعوامل متعددة ادت الى انهيار حضارتهم وتضعضع قوتهم وتفكك وحدتهم فقد اخذت طرق التجارة التي كانت تمر باراضيهم تتحول من البر الى البحر ، وتعاقبت عليهم سنون طويلة من القحط والضائقات الاقتصادية بسبب اهمال السدود والانصراف الى المنازعات والفتن والانقسامات الداخلية ، فادى كل ذلك الى وقوع البلاد فريسة للاحتلال الحبشي ثم الفارسي .

ورغم كل ذلك فقد بقيت في حضرموت نظم سياسية واجتماعية متحضرة أرقى من تلك النظم التي كانت سائدة في مجتمعات القبيلة والخيمة في بعض المناطق العربية التي يعيش أهلوها تحت الخيام على رعي الأنعام . وحفظ التاريخ لهذا العهد صورة من الأدب الحضرمي يعطي فكرة عن النواحي الخلقية والادبية للمجتمع في ذلك العصر.

الاسلام قضى على الوثنية

وجاء الاسلام فكانت له في حضرموت نفس الآثار التي تركها بين العرب في مختلف نواحي الحياة العقلية : أبطلت الكهانة وفروعها ، وحل التوحيد محل الوثنية الغالبة في البلاد ، وقضى على العصبية القبلية الضيقة وغيرها من عادات ومفاهيم الجاهلية ، وانتشرت تدريجيا علوم الدين واللغة العربية ، واتخذت آداب الجاهلية كالشعر والخطابة رونقا جديدا .

الحضارمة في الفتوح الاسلامية

ومهد الاسلام للحضارمة سبيل الهجرة فغادروا بلادهم في البداية جنودا تحت راية الاسلام ، واشتركوا في حروب الروم والفرس ، وحضروا اليرموك والقادسية . وكان منهم عدد كبير في الجيش الذي فتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب. كما شاركوا في الفتوحات الاسلامية اثناء حكم الخليفة الثالث . ثم توالت هجرتهم عن حضرموت بحثا عن أسباب العيش والاستقرار .

وقد اثبت التاريخ أن هؤلاء الحضارمة ، سواء كانوا تجارا ، أو بحارة أو جنودا أو علماء ، نشروا الدين الاسلامي حيثما حلوا وأينما ذهبوا ، في الحبشة والصومال وشرق أفريقيا ومدغشقر وجزائر القمر وجنوب شرقي آسيا

---

(١) بلاد في الجنوب الغربي من جزيرة العرب ، كانت لها حضارة عظيمة ، مذكورة في كتب اليونان والرومان والعرب ، واشتهر سكانها بتجارة الذهب والفضة والجواهر (٢) أو المملكة المعينة ، ازدهرت في جنوب جزيرة العرب ، مابين عام ٩٠٠ الى عام ٤٠٠ قبل الميلاد .

وغيرها ، وكان لهم فى كثير من هذه المناطق ثروة ونفوذ وسلطان .

الفتن تركت حضرموت فى عزلة

ولما انتقل مركز الخلافة من جزيرة العرب الى دمشق ثم بغداد ، ونشبت فى حضرموت واليمن وغيرهما من أنحاء الجزيرة ثورات الخوارج والشيعة ، وظهر طلاب السلطة ودعاة الفرقة والفتنة ، وتغلبت على الخلافة فى بغداد العناصر الفارسية والتركية ، أصبحت حضرموت كغيرها من أقطار جزيرة العرب فى شبه عزلة . وضعف شأنها وظلت فى تأخر مادى وثقافى حتى أن الرحالة « المقدسي » لما زار جزيرة العرب ، فى القرن الرابع الهجرى وصفها بالفقر وقلة العلم .

وساعد فى عزلة حضرموت وتأخرها الغزوات والحروب التى تعرضت لها من حكام اليمن الطامعين فى ضم حضرموت الى حكمهم ، أمثال آل زياد ، واليعافرة ، والقرامطة ، وآل زريع والصليحيين وغيرهم . فقد كانت البلاد طيلة حكم الأباضية من بداية القرن الثانى الى القرن السادس الهجرى فى حالة حرب مستمرة دمرت البلاد ، وأهلكت الحرث والنسل ونشرت فيها الفوضى والفقر والجهل والتأخر .

علماء فى الشريعة واللغة

وضعف شأن الأباضية الخوارج ثم تقلص سلطانهم فى القرن السادس الهجرى وحلت فى الحكم محلهم حكومات سنية شافعية ، لكن الغزو الخارجي والتناحر بين القبائل وطلاب السلطة فى الداخل ، لم يتوقف شىء منها ، الا انه بالرغم من الأحوال السياسية المضطربة والظروف الاقتصادية الصعبة التى عاشتها حضرموت فى ذلك العهد ، فان عددا غير قليل من شخصيات الأسر الحضرمية البارزة وعلمائها استطاع بمجهوده الخاص أن يبث حركة تعليمية فى كثير من المدن والقرى الرئيسية فى داخل حضرموت وساحلها كان لها أثر كبير فى انجاب جمهرة من المتفوقين فى علوم الشريعة واللغة العربية اشتهرت بغزارة العلم وسعة الاطلاع واشتغل بعضها فى التأليف والانتاج الأدبي .

مكتبات علمية ومخطوطات قيمة

وقد عرفت حضرموت فى هذا العهد بمراكزها الثقافية فى تريم وسيؤون وشبام والشحر وغيل باوزير وغيرها ، وبمكتباتها العلمية الحافلة بالمخطوطات القيمة فى شتى فروع المعرفة وأساتذتها البارزين الذين رحلوا لطلب العلم وتلقوا دراساتهم على كبار العلماء فى القدس والشام ومصر والحجاز وزبيد وتعز وعدن ، ثم عادوا لينشروا العلم والثقافة ببلادهم .

المرأة الحضرمية

لكن المرأة الحضرمية ظلت أثناء تاريخها الطويل بعيدة عن العلم والمعرفة الا فيما ندر ، وفى حدود ضيقة لا تتعدى واجبات الشعائر الدينية . أما القراءة والكتابة فلم يكن للمرأة منهما نصيب على الاطلاق الا فى حالات نادرة لاتؤثر على النظرة المتزمتة التى كان الناس ينظرون بها الى تعليم المرأة .

ركود فى التعليم ، وتراجع فى الثقافة

ومن المعلوم أن حركة تعليمية تعتمد على مجهودات فردية لا تمولها هيئات وطنية ، ولا تتبناها حكومات رسمية ، تفتقد أهم مقومات ثباتها واستقرارها . ولذلك كان واضحا منذ القرن الثاني عشر الهجرى ان اصحاب المؤهلات والكفايات العلمية الذين كانوا يتحمسون لنشر التعليم والثقافة قد اختفوا من الميدان ، فأصيبت الحركة التعليمية بالركود والجمود ، وعمت البلاد موجة طاغية من الجهالة ، وظلت تعاني من التأخر الثقافي والعزلة الفكرية .

ثم كانت اليقظة الحاضرة

ثم تعاونت على تحطيم أسوار هذه العزلة ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، عوامل متعددة ، أهمها تسرب الأفكار الحديثة التى انبثقت من الحركة التعليمية التى انتشرت بين حضارمة المهجر فى جاوا وغيرها الى حضرموت ، وانتشار الصحافة وبرامج الاذاعات العربية ، والكتب التاريخية والاجتماعية والأدبية التى اخذ الناس فى حضرموت يقبلون عليها ويتأثرون بها .

وكان من الطبيعي لذلك أن تكون الاذهان مهيأة لأن تقابل بالترحيب والتشجيع مجهودات الحكومة القعيطية فى بداية عهد السلطان صالح بن غالب لوضع أساس هذه النهضة التعليمية التى تتولى ادارة المعارف اليوم قيادتها وتوجيهها . ■■

سعيد عوض باوزير

امين مكتبة المعارف ــ حضرموت



لفهم العالم المحيط به يحتاج عالم الذات ، وعالم الطبيعة

الإنسان بين العالم الأدنى

العلوم الإنسانية تحررت من ربقة العلوم الفلسفية ، لتستعبدها العلوم الطبيعية

بقلم : الدكتور فاخر عاقل
الاستاذ بالجامعة الاردنية

■ والذى حارت البرية فيه
حيوان مستحدث من جماد

هكذا يقول الشاعر العربى المتفلسف ابو العلاء المعرى ، وفى هذا القول كثير من الحق وكثير من النقص ، نعم ان الانسان الذى حارت البرية فى فهمه ووصف ما يعتوره من صحة ومرض ، شهوة وعبادة ، عاطفة وعقل ، فكر وعمل ، انما هو حيوان ، وهو حيوان مستحدث من جماد (وان صح ان فى الكون جمادا) . لكنه حيوان لا كالحيوانات ، حيوان من نوع خاص جدا ، معقد جدا ، مختلف عن كل ما عداه من الحيوانات ، وان كان يشبهها ويتصل اول افقه بآخر افقها ـ على تعبير ابن خلدون ـ وهو بعد هذا كله ، وبسبب هذا كله ، متصف بالقدرة على التطلع الى المثل الأعلى ـ ولله المثل الأعلى ـ والتسامى الى آفاق تعلو آفاق حيوانيته كثيرا لتصله بهذا المثل الأعلى وما يتصف به من كمال .

وعلى أساس مما قدمنا نتوقف هنيهة لنتساءل عن صلة الانسان بهذا العالم الادنى وما فيه ومن فيه ، وعن صلته بالعالم الأسمى وما يتفرد به من كمال ، وعن توفيقه بين هذه الحيوانات الدنيا وتلك المثالية العليا . ولنبدأ بشيء من وصف وتحديد .

وجودان للعالم

لهذا العالم فى رأينا وجودان : وجود مادى بقطع النظر عن الانسان . ووجود فى ذات الانسان ، كل انسان ، أى فرد من أفراد الناس .

والذى رمينا اليه هو أن عالمنا هذا الذى نعيش فيه وما فى هذا العالم من جماد ونبات وحيوان وانسان موجود بحد ذاته ، وبقطع النظر عن ادراكنا اياه أو عدم ادراكنا اياه . وفى رأينا ان ادراك الناس ، كل الناس ، فى كل زمان وفى كل مكان ، لهذا العالم ، دليل كاف ومقنع على الوجود الذاتى لهذا العالم ، والا لاستحال على الناس القفز من الاتفاق على المدركات من هذا العالم .

وعندنا ان هذا الوجود الذاتى حقيقة هامة واساسية فى كل محاولة لفهم الانسان والتعرف على افعاله العقلية ونزواته العاطفية وتصرفاته الظاهرة . ولولا ذلك لما كان لوجود الانسان نفسه معنى ! ناهيك أن يكون هذا الوجود ممكنا

الانسان الى فهم ٣ عوالم:
عالم ما وراء الطبيعة

والعالم الأسمى



ذلك بأن الانسان ، كل انسان ، جزء من العالم بالنسبة لكل انسان آخر .

لكن هذا الوجود الذاتي يبقى ناقصا وغير ذي معنى الا اذا أدركته الموجودات فيه . ولما كان الانسان أكثر المخلوقات الموجودة فيه قدرة على ادراكه ، فان وجوده (أى وجود العالم) كان دوما مرتبطا بوجود الانسان .

ومن هنا كان قول بعض الفلاسفة بأن وجود العالم أمر افتراضي الى أن يدركه الانسان فيصبح واقعيا ! ونحن وان كنا لا نذهب هذا المذهب فان من رأينا ان الوجودين متكاملان متداخلان متناسقان ، وذلك بالرغم من أن كل واحد من هذين الوجودين ما زال ناقصا وان كان مستمر التكامل .

وتفسير ذلك أن في العالم الكثير من النواحي غير الموجودة بالنسبة للانسان المعاصر ، لأنه لم يكشفها . وهى مع ذلك موجودة بدليل ان انسان المستقبل سيكشفها . ثم ان انسان اليوم يعرف عن العالم ووجوده أكثر مما كان يعرف سلفه انسان الأمس ، والأمل أن يستمر هذا التعرف ما دام ثمة انسان وعالم .

وللحق والاخلاص نقول اننا لا نعلم اذا كان سيأتي اليوم الذى سيتم فيه التعارف بين العالمين والتواصل التام بين الوجودين ، كما لا نعلم ما اذا كان مثل هذا الكمال في التعارف والتواصل سيعني كمال الوجود أو نهاية الوجود .

الانسان مركز العالم

من هذا المنطلق نستطيع اذن القول بأن مركز العالم بالنسبة لأى انسان هو ذاته . فالعالم بالنسبة اليك موجود بقدر ما تدركه وعلى الصورة التي تدركه وفقا لها .

وطبيعي أن هذا الادراك مشروط بشروط مادية ومعنوية ، منها مثلا ذاتيتك الجسدية وما تتمتع به من ادراك للحس والحركة والربط (الادراك) . وهكذا فعالم المرئيات موجود بالنسبة اليك اذا كنت تتمتع ببصر سليم ، بل انه موجود بالنسبة اليك وفق قدرتك على رؤية ما فيه وبالشكل الذى تتم رؤيتك اياه . وفي هذا الصدد أذكر دوما يوم ان ذهبت الى طبيب العيون اشكو اليه وجع عيني فسألني عما اذا كنت أرى جيدا والى بعيد ؟ فأجبت نعم ، وحينئذ أخذ يجرب بعض العدسات أنظر من خلالها فاكتشفت لدهشتي انني أرى عالما آخر : عالما شبيها بالعالم ولكنه يختلف عنه ، لا بالوضوح والدقة فحسب ، بل وبالنسب والالوان ولمعان هذه الالوان ، وحينئذ فهمت أن ادراكي للعالم بدأ يختلف بسبب من هاتين العدستين الصغيرتين اللتين انتقاهما لي طبيبي .

وما يقال عن البصر يقال عن السمع وغيره من الحواس وكذلك يقال عن القدرة على الحركة والقيام بالأعمال وتفسير الوقائع وفهم الروابط .

ومن هنا كان ادراك العالم للأمور غير ادراك الجاهل ، وكان ادراك الطفل غير ادراك الراشد وكان ادراك الاختصاصي غير ادراك غير الاختصاصي، وادراك المرأة غير ادراك الرجل ، بل ان ادراكك أنت للأمور يختلف باختلاف جوعك أو شبعك ، صحتك أو مرضك ، شبابك أو شيخوختك ، رضاك أو غضبك الخ ..

واذن فالعالم بالنسبة اليك يبتدىء من ذاتك وينتهي فيها ، وادراكك اياه ينبع من ذاتك ويتأثر

بهـا ، وكـل محاولة للتفريق بين الموضوعيـة والشخصية محاولة مسـتحيلة بمعناها المطلـق وان كانت مفيدة أحيانا وبمعناها النسبي .

وحدة الذات والعالم

على أن هذه الذات الانسانية ليست موجودة في فراغ، ولا تعمل في خواء . الانسان نتاج تزاوج بين رجل وامراة ، وهو محتاج لكي ينمو ويبقى الى عناية الأم والأب ، وهو ينشأ في عائلة وقرية (أو عشيرة أو مدينة) ، وهو ينتمي الى جماعة تعارفت على عقيدة ومبدأ وقانون ، فهو بذلك منغمس ـ قبل أن يولد ـ في محيط اجتماعي .

وهذا الانسان يعيش في ظروف طبيعية معينة ، تتصف بدرجة معينة من حرارة (أو برودة) ، وبنوع محدد من مناخ أو طقس ، وفي بيئة طبيعية تتميز بالارتفاع او الانخفاض ، قريبة من بحـر او نهر أو تعلو رابية أو جبلا الخ .. الخ .

وكل هذه عوامل طبيعية تميز المحيط الطبيعي الذي توجد فيه الذات البشرية .

ثم ان المحيطات ـ اجتماعية وطبيعية ـ تتخذ أشكالا اقتصادية وحضارية وثقافية وعقائدية وغير ذلك من الأشكال التي تكون جميعها أطرا أخرى تحيط بالذات الانسانية وتتصـل بها وتشكلهـا وتتشكل بها .

ولذلك كان من المستحيل ان نفهم الانسان أو أن يفهم الانسان ذاته خارج هذه الأطر والمحيطات .

بيد أن الأمر لا يقف عند هذا الحد بل يتعداه الى تاثير متبادل بين الانسان وهذه البيئات ، انه يتعامل معها جميعها ويتأثر بها جميعها ويؤثر فيها جميعها ، وهو بذلك يتحد بها جميعها فتصبح جزءا منه ويصبح جزءا منها بحيث يصعب التفريق القاطع بين (الأنا) (١) و (اللاأنا) بالمعنى الدقيق، وان أمكن بالمعنى المجازي لتسهيل الدرس والتحليل.

وهكذا اذن نصل الى القول (الأنا) تتحد بالعالم، تتحد الأنا بامكاناتها الغنية العديدة القابلة دوما للتقدم والتفتح ، بالعالم الغني الثري المتعـدد الجوانب الكثير الأسرار . واننا لنزعم بأن هذا الاتحاد هو الطريق الوحيد لاستكناه العالم وكشف أسراره ، وهو الوسـيلة المثلى لاسـتكناه الأنا والكشف عن جوهرها .

ووحدة الذات بالمثـل الاعلى

لكن هذه الوحدة مع العالم وما فيه ومن فيه ، لا تغني الذات البشرية عن التطلع الى ما وراء هذا العالم ، الى عالم المثل ، الى عالم الله ، الى عالم الحق المطلق والخير المطلق والجمال المطلق .

ومن هنا ـ مرة أخرى ـ كان مد الانسان بصره الى ما وراء الطبيعة ، ما وراء المحســوس والملموس ، ما وراء الظاهر البسيط .

والانسان اذ يفعل هذا انما يفعله بحكم من (أناه) وطبيعتها وبفرض من ذاته المشدودة الى مثاليتها، ذلك بان المثالية أصيلة في الانسان أصالة الحيوانية وان كانت أشق واعسر .

واذا كان من غير المهم في مقامنا هذا أن نتساءل مع الفلاسفة عن الأصل والصورة في المادة والمثل ، فان من الأهمية بمكان عظيم ان نقرر أن المادة والمثل ، الحيوانية والمثالية ، اصيلتان في النفس البشرية أصالة النفس البشرية ذاتها . ثم انه من الأهم أن نبرز قدرة النفس البشرية قدرة رائعة على التوفيق بين ماديتها ومثاليتها ، بل اننا نجزم أن في طبيعة المادية مثالية،وان أصل المثالية مادية والا لما كان الانسان ما هو الآن .

ومعنى هـذا

معناه أن الانسان محتاج في فهمه للعالم المحيط به لفهم ذاته من جهة .. وفهم ما وراء هذا العالم من جهة ثانية ، وفهم الصلات بين العوالم الثلاثة: عالم الطبيعة وعالم الذات وعالم ما وراء الطبيعة.

والأمر نفسه صحيح عن فهم الانسان لذاته ، فهو عاجز عن هذا الفهم اذا لم يفهم عالم الطبيعة وعالم ما وراء الطبيعة الى جانب عالمه الذاتي ، وبالتالي علاقات هذه العوالم جميعا .

وهذا هو السبب في وجود زمر للعلوم ثلاث : علوم الطبيعة وعلوم الانسان وعلوم ما وراء الطبيعة. (مع الملاحظة بأن بعض العلماء يرفضون تسمية العلوم الأخيرة بالعلوم ويرون تسميتها بالفلسفة).

وهذا هو السبب أيضا في أن علوم الطبيعة هي أبسط العلوم وادقها ، وأن علوم ما وراء الطبيعة هي أصعب العلوم وأوسعها ، وأن علوم الانسان وسط بين الزمرتين وحلقة وصل بينهما ، وانهـا بالتالي أقل تحديدا من علوم الطبيعة واقل شمولا من علوم ما وراء الطبيعة .

وأخيرا هذا هو السبب في أن الانسان حين بدأ

---

(١) الأنا : عند علماء النفس هي الذات أو الشخصية ، واللاأنا : العالم الخارجي .

بالماضي من الفلسفة فتساءل عن ماهية النفس وصفات الروح وطبيعة الاله ومعنى الحياة وغير ذلك من الأسئلة التى تقع فى زمرة ما وراء الطبيعة لم يستطع أن يتقدم كثيرا فى فهم العالم الطبيعي وعجز تماما عن فهم ذاته .

اما حين عكس الآية فى العصور الحديثة ، وبدأ من الطبيعة وحادثاتها والجمادات وما يقع عليها من مؤثرات ، ثم انتقل الى النبات والحيوان ، وارتفع منهما الى الانسان ، فانه أصبح أقرب الى الوصول الى الحقيقة ، وان كنا نعجز عن التنبؤ عما اذا كان سيستطيع فى المستقبل كشف خفايا النفس والروح وسر الحياة وما الى ذلك من مواضيع ميتافيزيائية .

وفى كل الأحوال فان العلوم ــ كل العلوم ــ ما زالت فى بواكيرها ، لا سيما اذا قسنا عمر العلوم بعمر الانسانية ونسبنا العمر الأول الى العمر الثانى . والله وحده يعلم الحدود التى ستقف عندها هذه المعارف والعلوم : وان كنا نلاحظ بمزيد من الرضى تقدم العلوم ــ سائر العلوم ــ المتسارع أبدا .

أمران هامان

ويبقى بعد هذا كله أن نسجل أمرين هامين :

اولهما : مسافة الخلف بين تقدم علوم الانسان وتقدم علوم الطبيعة ، وما قد يجره تخلف العلوم الانسانية عن العلوم الطبيعية من مخاطر تتهدد وجود الانسان على ظهر هذه البسيطة . ذلك بان الديناميت يمكن أن يستعمله مجنون لنسف مدينة او يستعمله عاقل لشق نفق ، ناهيك بهذه القوى النووية التى وضع انسان القرن العشرين يده على أسرارها وما يمكن أن تخدمه من أغراض السلام أو مقاصد الدمار .

وثانيهما : تسجيل الاختلاف الواضح بين طبيعة كل زمرة من زمر العلوم باختلاف موضوع درسها وما يجب أن يستتليه ذلك من اختلاف المناهج والطرائق التى يتبعها كل علم .

ونحن اذ نسجل هذا نشير ــ على وجه الدقة ــ الى انبهار العلوم الانسانية بمنجزات العلوم الطبيعية ومحاولتها تقليد طرائقها وفرض شروطها مما يعرقل ــ فى رأينا ــ تقدم العلوم الانسانية .

واذا كان المشتغلون بهذه العلوم قد شكوا فى الماضى من تبعية علومهم لعلوم ما وراء الطبيعة (ولا سيما الفلسفة) فان الشكوى منهم فى أيامنا هذه تنحصر فى حرصهم الشديد على تقليد طرائق العلوم الطبيعية .

واذا كان المجال لا يتسع ها هنا لشرح هذه الفكرة والخوض فى تفاصيلها فلا اقل من أن نشير الى ناحية واحدة كثر الكلام فيها حتى اعتبرت منتهية ، وهى مسألة موضوعية العلوم ، بما فى ذلك العلوم الانسانية .

وعندنا أن طبيعة الموضوعات التى تدرسها كل زمرة من هاتين الزمرتين تختلف لدرجة يستحيل معها أن ننفى الصفة الشخصية عن العلوم الانسانية ونفرض عليها الموضوعية المطلوبة فى العلوم الطبيعية .

واذا كان صحيحا أن العلماء المشتغلين بالعلوم الانسانية اليوم يفرقون احيانا بين موضوعية العلوم الطبيعية وموضوعية العلوم الانسانية فانى اعتبر هذا التفريق نوعا من اللعب على الالفاظ .

ما دامت علوم الانسان تجعل الانسان موضوع درسها فلا بد لها اذا أرادت الاصالة وطلبت العمق من أن يكون لها لون شخصى .

ثم منذا الذى يزعم أن هذا اللون الشخصى ــ اذا ضبط ووجه ــ مضر أو مانع من التقدم العلمى ؟ ان الأمر ــ فى نظرنا ــ لا يعدو أكثر من تحرير العلوم الانسانية من استبعاد العلوم الطبيعية بعد أن تحررت من ربقة الفلسفة .

وبدهى أن هذا التحرر لا يعنى ابدا قطع الصلة بهذه أو تلك من زمر العلوم ، بل على العكس يعنى اقامة صلات ود وعلاقات تفاهم على أساس من مساواة وتنسيق وتكامل .

وبعد

فهذه آراء فى الانسان وعلومه أعلم علم اليقين أن الكثيرين من المشتغلين بعلوم الانسان لا يرضون عنها ولا يقبلون بها بل ويعتبرونها خطيرة ، فلهم دينهم ولى دين .

ولكنى أزعم أن هذه النظرة للانسان وعلومه أساسية فى اخراج هذه العلوم من بدائيتها ، فى القرن الذى تصرم على نهضتها ، الى تقدم وثيق فى قرن لاحق ، كما أعتقد أن هذه النظرة انما هى فى خدمة الانسان نفسه وعلومه الهامة . ■■

فاخر عاقل



أبي حيّان التوحيدي

اتخذ الفكاهة متنفساً من ضيقه، وطريقاً إلى الهرب من واقع حياته

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة المساعد بجامعة القاهرة

■ ليس ابو حيان التوحيدي شخصية مغمورة فى تاريخ الفكر العربي ، بل هو اديب موسوعي ، قال عنه ياقوت الرومى انه «اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء».

أبو حيان الجاحظ الثانى

ولقد سماه بعض مؤرخي الادب العربي باسم « الجاحظ الثاني » وعلى الرغم من تشابه أسلوب الرجلين وطريقتهما فى التأليف ، فقد لاحظ بعض الناقدين ان الاول منهما كان اميل الى الهزل والفكاهة ، فى حين اشتهر الآخر بميله الى الجد والصرامة .

ولعل من هذا القبيل — مثلا — ما ذهب اليه استاذنا الكبير المرحوم احمد امين حينما كتب يقول : « ان الجاحظ لما حسن حظه ضحك فاشتهر بالفكاهة الحلوة ، والنادرة اللطيفة . وابو حيان

لما ساء حظه بكى، والناس عادة يضحكون مع الضاحك ، ويهربون من الباكي » ..

رسائله

وليس من شك عندنا فى ان التوحيدى قد اكثر من الشكوى ، فضلا عن انه قد اسهب فى الحديث عن آلامه ومتاعبه ، ولكن هذا لا يمنعنا من الاعتراف بأنه كان فى الوقت نفسه اعرف الناس بقيمة الفكاهة فى حياة الأفراد والجماعات ، كما انه كان يخلط الجد بالهزل فى معظم رسائله ومؤلفاته .

وقد يقع فى ظن القارىء ـ لأول وهلة ـ ان التوحيدى لم يكن يمزج الجد بالهزل الا « دفعا لملل القارىء وسآمة السامع » ، على نحو ما كان يفعل الجاحظ حينما كان يستطرد فى كتاباته فيروى الكثير من النوارد والفكاهات « انقاذا للقراء من طريقة العلماء الذين كانت لهم السيطرة الى ذلك الحين ، والذين كانت كتاباتهم ثقيلة لكثرة ما فيها من الجد واظهار العلم » **، ولكن الواقع ان السبب الحقيقى الذى كان يحدو التوحيدى الى مزج الجد بالهزل انما هو فهمه لدور الهزل فى حياة الانسان ، واعترافه بقيمة الفكاهة فى التخفيف من أعباء الواقع عن كواهلنا وما تنطوى عليه من شعور بالتحرُّر من الواقع ، والتحلل من الحياة الجدية . وهو اذا كان قد نسب الى الهزل دورا هاما فى حياتنا النفسية ، فذلك لأنه قد وجد فيه وسيلة ناجعة للتهرب ـ وقتيا ـ من بعض مشاغل الحياة ، والانصراف ـ الى حين ـ عن بعض هموم المعيشة .**

ولا شك ان ابا حيان الذى ذاق من ويلات الحياة افنى صروفها ، انما كان أحوج الناس الى بسط تجاعيده بالضحك ، فليس بدعا ان نراه يقبل ـ بين الحين والآخر ـ على الهزل والتفكه والمزاح ، وكان لسان حاله يقول مع فولتير ، الفيلسوف الفرنسى الساخر : « لو لم تبق لنا ضحكاتنا لشنق الناس انفسهم ، فويل للفلاسفة الذين لا يبسطون بالضحك تجاعيدهم، لأن العبوس فى نظرى داء عضال » !

منطق .. اهتمام ابى حيان بفكاهات الاطفال

اذا كان لبعض ضروب الفكاهة اهمية خاصة لدى كل فرد منا على حدة ، فذلك لأن استجابتنا الخاصة لهذا النوع أو ذاك من انواع الفكاهة انما تتوقف على مزاجنا الشخصي أو « معادلتنا الذاتية » **. ولعل هذا ما حدا باحد الباحثين الى القول بان ضحك كل فرد منا انما هو على صورته ومثاله :** « قل لي مِمَّ تضحك ، أقل لك من أنت » **ولو صحت هذه العبارة ، لكان فى وسعنا ان نكتشف شخصية التوحيدى من خلال فكاهاته ونوادره . والحق ان التوحيدى «المتكلم» قد اشتغل بالمنطق ، وانصرف الى الجدل ، فلم يكن من المستغرب على رجل مثله ان يهتم بمنطق الفكاهة ، وأن يولع بالكشف عما فى هذا المنطق من مفارقات . وربما كان هذا هو السبب فى اهتمام التوحيدى بسرد بعض فكاهات الأطفال ، خصوصا وأن للطفولة منطقها الخاص الذى لا يخلو من طرافة .**

قصة الطفل الذى أنجز لأبيه حاجتين مكان حاجة

ولعلَّ من هذا القبيل ما رواه ابو حيان عن رجل كان له غلام من أكسل خلق الله ، فطلب منه يوما ان يشترى له عنبا وتينا . وأبطأ الغلام ـ كالعادة ـ ثم رجع بعد مدة بحمل عنبا فقط ، فقال له والده : « لقد ابطأت حتى فرغ صبرى وبعد ذلك لا تجيء اليَّ الا باحدى الحاجتين !». وأوجع الأب ابنه ضربا ثم قال له : « انما ينبغي لك اذا استقضيتك حاجة ان تقضي حاجتين ، لا اذا امرتك بحاجتين ان تجيء بحاجة » ... ومرت الأيام فاذا بالوالد يمرض ، ولم يكن له بد من ان يستعين بولده لكي يحضر له الطبيب ، ومضى الغلام ثم عاد ومعه رجلان : الطبيب وشخص آخر . فقال له والده : « هذا الطبيب اعرفه فمن ذلك الرجل الآخر ؟ » فأجابه الغلام بقوله : « اعوذ بالله منك ، ألم تضربني من قبل على مثل هذا ؟ قد قضيت لك حاجتين ، وانت استخدمتني فى حاجة : جئتك بطبيب ينظر اليك ، فان رجّاك (فبها) ، والا حفر هذا قبرك . فهذا طبيب ، وهذا حفار ، ايش انكرت ؟ » !

وينظر المرء الى هذه الاجابة فيرى فيها قياسا منطقيا لا يخلو من نقص ، ولكنه ينطوى على عنصر خبث او سوء نية ، وكان الغلام قد تعمّد تطبيق منطق والده حيث لا يصح تطبيقه ! وليس من شك فى ان التوحيدى قد تعمد اغفال كل تعليق على هذه

القصة ، فانه كان يعلم حق العلم ان النادرة العذبة هي في غنى عن كل تعليق ، ولكن من المؤكد انه لو أراد ان يشرح لنا سر الفكاهة في امثال هذه النكات ، لكان في استطاعته ان يقدم لنا تحليلا نفسانيا طريفا لمنطق الفكاهة عند الاطفال..

قصة الغلام الذي جزع لأن الله ابتلاه

وثمة نادرة أخرى يرويها لنا أبو حيان في موضع آخر فيقول : « ابتلي غلام اعجمي بوجع شديد فجعل يتأوه ويتلوى ويصيح . فقال له أبوه : يا بني اصبر واحمد الله تعالى . فقال : ولماذا أحمده ؟ قال : لانه ابتلاك بهذا ، فاشتد وجع الغلام ورفع صوته بالتأوه أشد مما كان . فقال له أبوه : « ولم اشتد جزعك ؟ » فقال : « كنت اظن أن غير الله ابتلاني بهذا ، فكنت ارجوه أن يعافيني من هذا البلاء ويصرفه عني ، فأما اذا كان هو الذي ابتلاني به ، فمن أرجوه أن يعافيني؟ فالآن اشتد جزعي ، وعظمت مصيبتي».

والطريف في هذه النادرة أنها تنطوي على قوة ملاحظة أو حسن تعليل : فان الطفل لا يعقل أن يكون الله هو مصدر بلائهومنبعدوائه في آن واحد! ونحن نضحك أو نبتسم ــ عندما نسمع هـذه الاجابة ــ لأننا نستكثر على الطفل تلك الملاحظة الفلسفية أو ذلك الحكم العقلي الذي قد لا يخلو من براعة .. ولهذا فقد وجد التوحيدي نفسه مضطرا الى التعليق على هذا الحكم بقوله : « ولو علم (الغلام) أن الذي ابتلاه هو الذي استصلحه بالبلاء ، ليكون اذا وهب له العافية شاكرا له عليها بحس صحيح وعلم تام ، لكان لا يرى ما قاله وتوهمه لازما .. » .

فكاهة من غلام ساذج

ويسوق لنا التوحيدي مثالا للفكاهة القائمة على السذاجة ، فيقول : ان والدا طلب الى ابنه يوما أن يكتب رقعة الى صديق له كان أخلف موعده ، لكي يسأله انجاز ما وعد ، فما كان من الغلام سوى أن أخذ القلم والقرطاس وكتب :

يا من فدت انفسنا نفسه
موعدنا بالامس لا تنسه

والفكاهة هنا ــ كما هو واضح ــ انما تنحصر في كلمة « بالأمس » ، فان الضيف الذي أخلف موعده لن يستطيع أن ينجزه في « الماضي » الذي تولى وانقضى ! ولكن عقلية الغلام لا تعترف باقسام الزمان ، لأنها تريد ان تضع لنفسهـا منطقا آخر ترتاح الى ما فيه من مرونة وحرية وانطلاق !

النكات اللفظية عند أبي حيان

وقد كان التوحيدي ــ كما نعلم ــ نحويا وعالم لغة ، فليس بدعا أن نراه يميل الى النكات اللفظية والنوادر اللغوية . وهو نفسه يروي لنا ــ في احد المواضع ــ نادرة مجونية تقوم على خطأ لفظي ، ثم يعقب على هذه النادرة بقوله : « هذا لفظ هذا الجاهل ، والصواب فيه يخل بالنادرة . ولا يستنكر الخطأ واللحن اذا كانت الحكاية عن سفيه أو ناقص،.وقد سمعت احدهم يقول : ملتح النادرة في لحنها ، وحرارتها في حسن مقطعها ، وحلاوتها في قصر متنها . وان صادف هذا من الراوية لسانا ذليقا ، ووجها طليقا ، وحركة حلوة ، مع توخي وقتها ، واصابة موضعها ، وقدر الحاجة اليها ، فقد قضي الوطر وادركت البغية ... » .

ولا ترانا في حاجة الى القول بان التوحيدي على حق حين يقرر أن الخطأ النحوي أو اللغوي كثيرا ما يكون باعثا على الضحك : فان هـذه حقيقة نعرف جميعا كيف يستغلها في كثير من الأحيان كتاب الروايات الهزلية ومؤلفو المسرحيات « الكوميدية » .

المتسول والأقفال !

والتوحيدي يروي لنا في « الامتاع والمؤانسة » الكثير من النكات اللفظية ، ونحن نسوق من بينها على سبيل المثال النادرة التالية : « وقف أعرابي على قوم يسائلهم ، فقال لأحدهم : ما اسمك ؟ قال : مانع ، وقال للآخر : ما اسمك؟ قال : محرز ، وقال للآخر : ما اسمك ؟ قال : حافظ قال : قبحكم الله ، ما أظن الاقفال الا من اسمائكم ! » .

والطريف في هذه النادرة أن بطلها متسـول يستجدي الناس : فهو ينتظر منهم العطاء والبذل والاحسان ، لا التقتير والشح والامتناع ! ولا شك انها مفاجأة غير سارة لمثل هذا الأعرابي الا يلتقي في طريقه الا بالحافظ والمحرز والمانع !

ومن النوادر اللفظية التي رواها لنا أبو حيان

فيلسوف الادباء وأديب الفلاسفة

● أبو حيان التوحيدى ، من أولئك العلماء الادباء ، الذين أصيبوا فى حياتهم بالبؤس والشقاء ، وظل حياته يجاهد ويكافح فى التأليف ، واحتراف الوراقة ، والنسخ وجَوْب الاقطار ، يقصد الأمراء والوزراء لعلهم يكافئون علمه وأدبه ، فلم يحظ من كل ذلك بطائل ، وعاش كما يقول فى بعض كتبه على نحو أربعين درهما فى الشهر ، أى ما يساوى جنيها واحدا .

قصد ابنَ العميد ، وابن عباد ، وابن شاهويه ، وابن سعدان ، وأبا الوفاء المهندس ، ومدح وأطرى ، وبكى واشتكى ، وهدّد وأوعد ، فما نفعه مدحه ولا ذمه ، ولا اطراؤه ولا هجاؤه ، فاذا استفاد شيء مما عاناه أبو حيان فانما هو الادب بما كتب وألف ، وبما هجا واستعطف .

ولم يكن حظه بعد وفاته بأحسن من حظه فى حياته ، فقد عجب ياقوت من أن مؤرخى الرجال لم يترجموا له ، مع انه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ، ولم نعثر فيما بين أيدينا من الكتب على ترجمة وافية لحياته الا نتفا قصيرة وأخبارا ضئيلة .

احمد أمين

من مقدمته لكتاب أبى حيان التوحيدى الامتاع والمؤانسة

أيضا أن أميا يدعى « مشمشة طلب يوما الى صديق أن يكتب له خطابا يقرىء فيه أحدهم السلام .. » فقال له الرجل : قد فعلت — وما كان فعل — فقال : أرنى ، فقال : هذا اسمك ، فقال : هيهات اسمى فى الكتاب يشبه داخل الاذن، تعجبا من جودة تشبيهه » .

نحوىٌ فى جنازة بمصر

وقد يضحك القارىء ملء شدقيه اذا علم أن صوابا لغويا كاد يتسبب يوما فى هلاك صاحبه ! وتفصيل الأمر — فيما يروى أبو حيان — أن نحويا حضر جنازة بمصر ، فقال له بعض القبط : يا كهل ، من المتوفِّى (بكسر الفاء) ، فقال : الله عز وجل ! فما كان منهم سوى أن انهالوا عليه ضربا حتى كاد يموت . **وفات هؤلاء أن الفرق بين الفاء المكسورة والفاء المفتوحة هنا انما هو الفرق بين الخالق الذى يختار الى جواره من شاء من عباده ، والمخلوق الذى لا محالة ذائق الموت اذا وافاه الأجل !**

واذا كان النحو لا يستخدم « افعل » التفضيل الا لتمييز واحد بين كثيرين ، فان أبا عمارة قاضى الكوفة — فيما يقول أبو حيان — قد أحسن **الاجابة** ، حين سئل أى بنيك أثقل ؟ — فأجاب بقوله : « ما فيهم بعد الكبير أثقل من الصغير الا الأوسط » !

نوادر البخلاء والطفيليين

ونحن نجد التوحيدى يحاول — فى الجزء الثالث من كتابه « الامتاع والمؤانسة » — مواصلة حديث الجاحظ عن البخلاء ، خصوصا وأن الأديب — مهما كان بارعا — فانه « ليس يجوز أن يظن به انه احاط بكل باب ، أو بالباب الواحد حتى آخره .. » .

ولن نستطيع أن نأتى هنا — بطبيعة الحال — على كل ما أورده أبو حيان فى هذا الباب ، وانما سنجتزىء ببعض النوادر الطريفة التى تكشف للقارىء عن نوع « الهزل الذى ترتاح له نفس أبى حيان » .

فمن ذلك — مثلا — ما رواه أبو حيان من أن رجلا أعمى كان يطوف ويسأل بأصفهان ، فأعطاه أحدهم مرة رغيفا ، فدعا له الرجل وقال : « أحسن الله اليك ، وبارك عليك ، وجزاك خيرا ، ورد غربتك » . فقال له الرجل : « ولم ذكرت الغربة فى دعائك ، وما علمك بالغربة ؟ » ،

فقال : ان لى ها هنا عشرين سنة ما ناولنى أحد رغيفا صحيحا ! »

والظاهر أن التوحيدى نفسه قد عانى الكثير من جراء بخل أهل اصفهان (وغيرها من البلدان) فلا عجب أن نراه يسهب فى الحديث عن نوادر بخلائهـا !

ومن طريف ما يرويه أيضا فى هذا الباب قوله : « ضم عثمان بن دواح السفر ورفيقا له ، فقال له الرفيق : امض الى السوق فاشتر لنا لحما . قال : والله ما أقدر . قال : فمضى الرفيق واشترى اللحم ثم قال لعثمان : قم الآن فاطبخ القدر . قال : والله ما أقدر . فطبخها الرفيق. ثم قال:قم الآن فكل . فقال : والله لقد استحييت من كثرة خلافى عليك ، ولولا ذلك ما فعلت ».

وللتوحيدى ـ فى باب البخل والبخلاء ـ نوادر اخرى طريفة تشهد بذكاء أصحابها ، أو سرعة بديهتهم ، او حسن اجاباتهم . فهو يروى لنا ـ مثلا ـ أن طفيليا قدم يوما نصيحة لأحـد خلصائه فقال له : « اذا حدثت على المائدة ، فلا تزد فى الجواب على نعم ، فانك تكون بها مؤانسا لصاحبك ، ومسيغا للقمتك ، ومقبلا على شأنك »

حب ولكن فى المعدة

وهو يروى لنا أيضا قصة غرام عجيب هبط فيها الحب من القلب الى المعدة ، فيحدثنا عن رجل أولع بجارية من جوارى قوم ذوى يسـار ، فكان كلما قدم اليه ضيوف ، بعث يطلب اليها بما يكفيه هو واصحابه . ولم تكن الجارية تتوانى فى اجابة طلبه ، الى أن كتب اليها يوما يقـول : « جعلت فداك ، قد اشتهيت أنا وأصـحابى رؤوسا سمانا ، فأحب أن توجهى الينا بما يكفينا ... فكتبت الجارية عند ذلك : انى رأيت الحب يكون فى القلب ، وحبك هذا ما تجاوز المعدة . وكتبت أسفل الرقعة :

مـذيرى مـن حبيب جـــا
ءنا فى زمــن الشــدّة
وكان الحـــب فى القلـــب
فصـار الحب فى المعـــدة !

فكاهات البديهة الحاضرة

وكل هذه النوادر ـ وغيرها كثير ـ انما تنطوى على براعة فى الاجابة ، أو جمال فى التعبير بحيث قد يحق لنا أن نسميها باسم « فكاهات البديهة الحاضرة » . وكثيرا ما يكون صاحب النكتة ـ فى هذا النوع من الفكاهة ـ سليط اللسان،فتنضاف البراعة اللغوية الى سرعة البديهة ، وتخرج من ذلك النكتة البارعة اللاذعة التى لا تدع مجـالا للـــرد .

ولعل من هـذا القبيـــل ـ مثلا ـ ما رواه التوحيدى من أن شابا زاحم يوما فى الطريـــق شيخا عجوزا طاعنا فى السن ، ثم عيَّره بالانحناء قائلا : « كم ثمن هذا القوس ؟ » فقال الشيخ : « يا بنى ، ان طال عمرك فانك مشتريه بلا ثمن»!

ومن ذلك أيضا ما رواه أبو حيان نقلا عن ابن الأعرابى من أن المحسن الضبى كان شرها على الطعام وكان دميما ، فقال له زياد ذات يوم : كم عيالك ؟ قال : تسع بنات ! قال : فأين هـن منك ؟ قال : أنا أحسن منهن ، وهن آكل منى ! فضحك وقال : جاز ما سألت لهنّ ، وأمر لـه بأربعة آلاف درهم ! .

التصوير الساخر عند التوحيدى

ولم يقتصر ميل أبى حيان الى الفكاهة على رواية النكتة وسرد النادرة ، بل هو قد امتد أيضا الى فن التصوير الساخر او الأدب الهزلى ، خصوصا فى كتابه « مثالب الوزيرين » ، ذلـك الذى صور لنا فيه أخلاق الصاحب بن عبّاد وابن العميد بريشة المصور « الكاريكاتورى » الساخر! والواقع أن التوحيدى كان ولعا بتجسيم العيوب وابراز المثالب ، فليس بدعا أن نراه يتفنن فى التهكم على خصومه ، والسخرية من نقائصهم ، وكأنما هو يريد أن ينتقم لنفسه منهم ، بأن يبرز على الملأ ما فى خلقتهم وحركاتهم من جـوانب مضحكة !

ولعل من هذا القبيل ـ مثلا ـ ما قاله فى وصف ابن عباد : « وكان ينشد وهو يلوى رقبته ، ويُجحظ حدقته ، ويَنزّى أطراف منكبيه ، ويتمايل ويتمايل كأنه يتخبطه الشيطان من المسّ».

أو ما رواه فى موضع آخر من أن الصاحب طلع عليه يوما فى داره ، وهو قاعد يكتب شيئا كان قد كلفه بكتابته ، فلما أبصره قام واقفا ، « فصاح بحلق مشقوق : اقعد فالوراقون أخس من أن يقوموا لنا ، واستحال الغيظ تعجبا من خفته ، وسخفه ، لأنه قال هذا وقد لوى شدقه وشنّج أنفه ، وأمال عنقه ، واعترض فى انتصابه»

وانتصب فى امتراضه ، وخرج فى مسك مجنون ، قد افلت من دير جنون ! » .

والطريف فى هذا الوصف انه يظهر لنا ابن عباد بصورة الشخصية الآلية المتصلبة التى تاتى من الحركات والأوضاع ما يثير الضـــحك ، وكان التوحيدى قد خشى الا يكون اللفظ كافيا لنقل هذه الصورة الى أذهاننا ، فنراه يعقب عليها بقوله : « والوصف لا يأتى على كنه هذه الحال لأن حقائقها لا تدرك الا باللحظ ، ولا يؤتى عليها باللفظ » . كما نراه يؤكد فى موضع آخر ان « ملح هذه الحكاية ينبتر ، وطربها ينقص فى الرواية ، دون مشاهدة الحال وسماع اللفظ ، وملاحـــة الشكل فى التحرك والتثنى والترنح والتهادى ، ومد اليد ، ولىّ العنق ، وهز الراس والأكتاف ، واستعمال جميع الاعضاء والمفاصل ».

يذم ابن عباد ، بسجع كسجعه

وقد كان من المعروف عن الصاحب بن عباد انه كان ولوعا بالسجع ، ولكن التوحيدى قد شاء ان ينطقه بالسجع المتكلف الذى يستثير السخرية ، فنراه يجرى على لسانه العبارات التاليـــة : «انما انت مخش مجش محش، لا تهش ولا تبش ولا تمش ... »! او قوله : «والله لولا شيء لقطّعتك تقطيعا ، وبضّعتك تبضيعا ، ووزعتك توزيعـــا ، ومزعتك تمزيعا ، وجزعتك تجزيعا .. الخ » .

وكل هذه الأمثلة انما تشهد بقدرة التوحيدى على السخرية من كلام الصاحب،عن طريق انطاقه له بالكلام الغريب المنطوى على الاضحاك .

وينسب التوحيـــدى الى ابن العميد انـه رأى الصاحب يوما فقال عنه : «احسبوا ان عينيه ركّبتا من زئبق ، وعنقه عمل بلولب . وصدق لانه كان ظريف التثنى والتلوى ، شديد التفكك والتفتل ، كثير التموج والتموج ، فى شكل المرأة المومسة والفاجرة الماجنة » .

وهذا الوصف لا يخرج عما قالـه ابو حيان نفسه ، ولكنه يستشهد باقوال ابن العميد لكي يؤكد لنا تلك الصورة المضحكة التي ابرزها لنا من قبل فى وصفه لحركات ابن عباد وسخريته مـن خلقتـه .

ابو حيان يقول فى ابن العميد

ومع ذلك فقد استهـدف ابن العميـد نفسه للكثير من حملات التوحيدى ، بسبب بخله وقلة عطائه ، حتى لقد عجب ابو حيان كيف كان ابن العميد يتشدق بكلام سقراط وافلاطون وارسطو طاليس ــ وهم قوم خاضوا فى الأخلاق ، وافاضوا فى الكلام عن الفضائل والرذائل ــ دون ان ينجح فى استئصال ما فى نفسه من خبث وخسة ولؤم ونذالة وقحة !

روح الفكاهة عند التوحيدى

اذا كانت « روح الفكاهة » هي قدرة الفرد على الاستجابة الملائمة للمؤثرات الهزلية من جهـة ، وقـدرته على ابتداع افانين الضحك مـن جهة اخرى ، فقد يصح لنا ان نقول ان ابا حيـان التوحيدى كان يتمتع بحس فكاهي ممتاز ، على الرغم مما تفيض به كتب ابي حيان من شكاة وتمرد وثورة على الناس ، فضلا عن اجادته لفن التصوير الساخر ، وبراعتـه فى رواية النـوادر المجونيـة .

ومهما يكن من شيء ، فقد اتخذ التوحيدى من « الفكاهة » منفذا ينفس به عن آلامه ، ويسعى عن طريقه الى التهرب من الواقع الذى كان كثيرا ما يثقـل كاهلـه . واذا كانت اختبارات علمـاء النفـس قـد اثبتت اخيرا وجـود علاقـة مطـردة بـين الروح الفكاهيـة مـــن جهـة ، ودرجة الذكاء او المقدرة العقلية من جهة اخرى ، فليس بدعا ان نجد لدى التوحيدى ــ صاحب الذهن الوقاد والذكـاء النادر ــ روحا فكاهية من الطراز الأول . ولعل هذا هو السبب فى ان بعض ليالى « الامتاع والمؤانسة » تكاد تستحيل الى ندوات خفيفة يشيع فيها جو انطلاقي ملؤه اللهو والعبث والمرح والمزاح ! والتوحيدى نفسه يهتم فى « مقابساته » بالبحث فى حقيقة الضحك واسبابه ، فضـلا عن اننا نراه فى « الهوامـل والشوامل » يتساءل عن الفروق الدقيقة القائمة بين الفرح والسرور ، والجذل والاغتباط ، والهزل والمزاح ، والفكاهة والدعابة .. واذن فليس من التناقض فى شيء ان يكون ابو حيان اعمق اهل عصره شـقاء ، وان يكون فى الوقت نفسـه مـن اشدهم نزوعا نحو الفكاهة . وهل اخترع الانسان الضحك الا لانه اكثر الحيوانات تعّسا ؟ ! ■■

زكريا ابراهيم



دردشة

جميع المرضى سواء

● خصص احد كبار الأغنياء فى الغرب نصف ايراده لعلاج المرضى الفقراء من كل لون ودين ، فقال له احد القساوسة:

– لو خصصت هــذا المبلغ لمرضى الطائفة التى تنتمى اليها وحدهم .

فأجابه الرجل غاضبا : لا يا سيدى .. ان جميع المرضى عندى سواء فليس ثمة طاعون كاثوليكى، ولا سل بروتستنتى، ولا سرطان ارثوذكسى .

تزوجي فورا

■ زارت فتاة عازف البيان روبنشتين والحت عليه ان يصــغي الى عزفها على البيان ، ولما اتمت عزف مقطوعتها سألته :

« والآن ماذا تشير على أن أفعل ؟ »

فأجابها : تتزوجين فورا !



فردريك الاكبر فى النزع الاخير

● نظر الملك فردريك الاكبر وهو فى النزع ، الى القس الذى كان يصلي من اجله ، ثم سأله :

– هل من الضرورى ان اصفح عــن جميع أعدائي ؟

ولما اجابه بنعم التفت الى زوجتــه الملكة قائلا :

– دوروثى .. اكتبى الى اخيك باننى غفرت له كــل السيئات التى اقترفها بحقى ، ولكن انتظرى حتى اموت اولا !

لا تتكلف لتستوقف العيون

● ابدى مدير احدى الدوائر لزوجته اعجابه بممثلة شــابة جالسة الى مائدة قريبة منهما فى ملهى ، فقال لها : انظرى اليها فان ثوبها غــاية فى الحشمة ، ووجها غير مزوّق ، واظافرها غير مدببة . فردت الزوجـــة قائلة :

– من النساء من لا تتكلف اى شيء حتى تستوقف عيون الناس !

شاعر فرنسا الاعظم

● ورد على بريد باريس فى عهد الملك لويس فيليب كتاب عنوانه : الى شاعر فرنسا الاعظم فى باريس . فجمع ناظر البريد اعوانه وقرروا ارساله الى الشاعر لامرتين ، فرده لامرتين الى فيكتور هيجو ، وهذا رده الى لامرتين ، ولبث الساعي ينقل الكتاب حتى ضجر ، ولما فتحه الناظر ليهتدى الى صاحبه الحقيقي ، قرأ فيه : الى شاعر فرنسا الاعظم المسيو مويث صاحب معمل الشمبانيا ، مع مزيد اكرامي !!

سبب وجيه للطلاق

● ظفرت سيدة من محكمة شيكاجو بحكم طلاق حين اثبات المحكمة ان زوجها من عشاق روايات الجرائم ، وانه يشغل معظم السهرات بالقائها هي على الأرض كأنها « جثة » ليتمكن من تصور الاحوال التى حدثت فيها الجريمة التى يطالع قصتها .

طبيب ذكي

● كان بعض الاطباء يتقاضى خمسة جنيهات عن الفحص الاول ، وجنيها عن الفحص الثاني . ومرة جاءه مريض ماكر لم يسبق ان فحصه ، فلما دخل عليه بادره بقوله :

— ان الدواء الذى وصفته لي فى الزيارة الاولى لم يشفني !

ففطن الطبيب الى ما يرمي اليه ، ولكنه تجاهل ، ومضى يتحسس جسده وأعضاءه ، ثم قال له : انك احسن حالا مما رأيتك عليه قبلا ، فثابر على الدواء الذى وصفته لك فى المرة السابقة !!

سر النجاح

● اعتزل محرر صحيفة عمله ، بعد ان توفرت لديه ثروة . ولما سئل عن سر نجاحه قال :

— انني اعزو قدرتي على ان اعتزل العمل ، ولي فى المصرف ١٠٠٠٠ دولار ، الى مثابرتى على القيام بواجبي ، والتزامى سياسة الصدق فى كل ما نشرت واذعت ، ووفاة عمي الذى خلف لي ٩٨٥٠٠ دولار .

الشولة القاتلة !

● قدَّم أحدُ المحكوم عليهم بالاعدام مُلتَمَسا الى رئيس الدولة طالبا الرأفة به وتخفيف الحكم . وكتب رئيس الدولة قراره ، وارسله الى الطابعة بهذه الصورة :

« براءة ، مستحيل تنفيذ الحكم » .

وكتب الموظف الخطاب ، ولكنه اخطأ فى وضع الشولة ، وكتبها بهذه الصورة :

« براءة مستحيل ، تنفيذ الحكم » .

وقرأ الجلاد الورقة ففهم ان البراءة مستحيلة .

وهكذا أعدم الرجل البرىء بسبب شولة وضعت فى غير مكانها !

الشاعر والربيع

ردَّد الروضُ غناء الشـاعرِ ... وهو يشدو في الصباح الباكرِ
شاعر يجمع في أعماقه ... صَبَوَاتٍ للربيع الزاهر
صبوات أججت أشواقُها ... بهجة الماضي وحسن الحاضر
ألهمته الفنَّ من نبع جرى ... بقصيدٍ وبيان عاطر
جعلت أشعاره رفّافة ... بجَنَى الفكر وفيضِ الخاطر
فغدا بين الروابي صادحا ... يتغنى بنشيد ساحر
سبق الشمسَ إلى لثم الندى ... في جبين الزهر لثم الظافر
لثماتٍ لم ينل بهجتها ... ورُواها غير صبٍّ ساهر
كيف لايظفر والمجد لمن ... صبَّح الدنيا بقلب طاهر ؟
كيف لا يصبو ؟ أما في قلبه ... ذكرياتٌ للحبيب الهاجر ؟
باكرَ الروضَ وحيّى رَحْبَه ... بعناق وهُيام ساعر
ورآهَ في الحُلى مزدهرا ... يتجلّى بعد ليل ماطر
وبدت أطياره صادحة ... تملأ الرحب بفن آسر
وبدت أزهاره راقصة ... تهب السحر لعين الناظر
وبدا الجدول فيه دافقا ... يتهادى كحبيب زائر
وغدت أشجاره مُورِقةٌ ... تغمر القلب بنور زاخر
أيها الشاعر فاغنمْ حسنه ... فالربيع السمح فصل الشاعر
هو فصل الحب في إشراقه ... وشعارٌ للجمال الباهر
هو فصل الحسن في لألائه ... وشفاءٌ للمُحب الحائر
هو فصل الشعرِ في إبداعه ... وخلودٌ للشباب الناضر
الشَّذَى الفواحُ من آفاقه ... غمر الجو بعطر فاخر
والسَّنَى اللمّاح من أطرافه ... عانق الروح بشوق ظاهر
والهوى الفياض من فردوسه ... حدَّث النفس حديث السامر
فاغترفْ من فيضه مبتهجا ... فهو في الناس كطيف عابر
فغدا يرحل عنّا بعد أن ... يُسلم الأمر لفصلٍ قافر ■■

فاضل خلف : سفارة دولة الكويت ـ تونس



ضياء منزلك قبل زينته ، يا سيدتي

■ لمن البيت ؟

للمراة هو ، أم للرجل ؟

والجواب الصحيح انه لهما جميعا ، ولكنه اكثر لمن يقضي فيه الوقت الاطول.

والبيت مكان عمل المراة اصلا ، عليها تجهيزه ، واجراء عجلاته ، وقضاء حاجاته ، ورعاية اطفاله . والمكتب ، والمصنع ، والسوق مكان عمل الرجل ، اصلا .

ومن حاجات البيت التي لا يذكرها الذاكرون عادة ، أو لا يذكرونها أولا ، الضياء .

ان الضوء نور العين .

والله خلق من النور الكفاية في النهار ، في الفضاء الطلق ، وحجب النور في الليل ، ليكون للانسان سكنا ، وابى الانسان ان يسكن ، وعمل اطرافا من الليل ، وقامت الدولة تزود مسالك الناس في الليل ، بالنور ، وهدفها الأول امن الناس وسلامتهم ، وبلغت من ذلك غاية .

الحاجة الى النور في شارع وفي بيت

وهي غاية في الشارع محدودة ، في ليل كان ذلك او نهار .

انك في الطريق ليلا ، ان كنت راجلا ، تريد أن تسلك . وان كنت راكبا تريد ان لا تصطدم .

والطريق لا يضاء ليلا لتقرأ في نوره . وان سقط من يدك فيه درهم ، فأغلب الظن انه ، في اكثر الشوارع اضاءة ، يعز عليك ايجاده .

وغير ذلك البيت .

ففي البيت حاجات لا يطلبها سكانه الا فيه ، لا في الشوارع .

حاجات الناس ، في بيوتها في ليل وفي نهار ، اكثر ، وهي مع كثرتها أدق . والعين في الشارع تأخذ صور الأشياء اجمالا ، وكثيرا ما تأخذها عفوا . اما في البيت فالعين دائما يقظة تعمل كل الوقت تقريبا ، وان لم تخشي أنت يا سيدتي لها عملا : في تنظيف . في كنس . في طبخ . في خياطة . في تطريز . في قراءة . في كتابة .

وضع واحد تأخذ العين فيه ، في البيت ، راحتها ، ذلك عند جلوس المراة للمراة ، أو الرجل للرجل ، يتحدثان . الفكر عندئذ هو الذي يتقدم ، ويتقدم اللسان ، وتتقدم الأذن ، وتتخلف العين .

فالعناية بالضياء ، ضياء البيت في نهار او ليل ، احد واجبات المراة غير الظاهرة .

العناية بالضياء تبدأ عند اختيار البيت

وتبدأ عنايتها به عندما تختار البيت .

والنور يدخل الى البيوت من نوافذها.

ولكن ، قولوا لى بالله ، كم من ربات البيوت ، وهى تختار بيتها الأول ، أو حتى الثانى أو الثالث ، يخطر على بالها أن تلقى بالا الى نوافذه ، تعدُّها ، وتعدُّ أحجامها ، ومقدار النور الداخل عبرها نهارا .

من النساء من يكرهن النوافذ

وقد لا أكون متعسفا اذا قلت ان من النساء من يكرهن النوافذ . لأنهن يردن الحوائط المصمتة ليسندن اليها القمطرات والأرائك . ولسبب آخر : كراهةُ الضياء الشديد ، لأن معه الحر ، لا سيما فى صيف . واللاتى يكرهن الضياء ينسَوْن أنهن باستطاعتهن حجبه ، عندما يردن ، بالستائر . أما أن هنّ اخترن ان يكون مكان النافذة حائط، واحتجن الى الضوء، تعذر عليهن الا بهدم الحائط .

النوافذ والضياء فى العصور القديمة

ولقد جرى الناس فى الزمان القديم على قلة النوافذ، وعلى صغرها، لسببين: أولهما : طلب الأمن فى عصور عزّ فيها الأمن . وثانيهما ندرة الزجاج وغلاؤه . حتى لسدوا النوافذ بالورق ، يشفّفونه بالزيت .

وفى الليل كان الناس فى الزمان القديم يستنيرون بالشموع، وبمصابيح الزيت. وكانت حاجات الحياة من القلة ، بحيث لا تحتاج الى عمل الليل . والناس كانت كثرتهم الكبرى امية لا تقرأ .

النوافذ والضياء فى العصور الحديثة

وغير ذلك الحال فى هذه العصور الحديثة ، عصور العلم والتكنية ، والكهرباء ، والقراءة. بيوتها ذات نوافذ كبيرة ، تأذن بنور النهار الكثير ان يدخل تحجبه الستائر لمن يريد ، عندما يريد ، فى نهار أو ليل .

لا يمكنك أن تفهمي

■ تسمعين بالفلت ، وبالوط ، وبالأمبير. وهى ولا شك ألفاظ فى الأذن ثقيلة ، لأنها اعجمية ، وفى الفهم قد تكون أثقل على من لم يكن سبق له علم بها . ولكنك يا سيدتى لا تفهمين ضياء منزلك الا بها .

أما الفلت Volt ، والأمبير Ampere ، والوط Watt فأسماء افرنجية ، أولها Volta اسم لايطالى ، والثانى اسم لفرنسى ، والثالث اسم لانجليزى ، وكان لهم جميعا شأن فى ابتداع هذه المعانى .

أما الفلت ، وأما الأمبير ، وأما الوط، فقد صارت كلها أسماء لوحدات تستخدم فى قياس الكهرباء . كما أن المتر وحدة لقياس الطول . والجرام وحدة لقياس الوزن ، واللتر وحدة لقياس الحجم .

أما الفلت فهو وحدة قياس الضغط الذى تجرى به الكهرباء فى الأسلاك . وهو ضغط كضغط الماء فى أنابيبه عندما يصل الى الصنبور أو الحنفية . وكلما زاد ضغط الماء كان الماء الخارج من الصنبور من الماء أكثر . وكذلك فى الكهرباء ، يزيد الضغط فيكثر مقدار الكهرباء الواصلة الى المصباح أو الى المدفأة، أو الى الفرن ، أو الى أى شىء يستهلك الكهرباء .

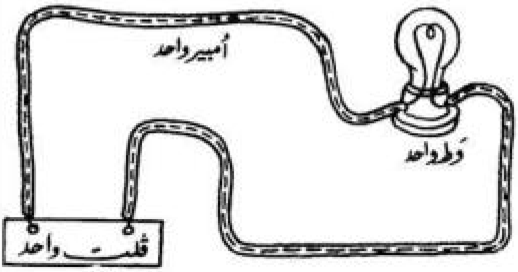
وضغط المنازل هو عادة ١١٠ فلت ، أو ٢٢٠ فلت . والمصابيح تصنع لتحتمل هذا الضغط

واذا أظلم الليل قامت الكهرباء مقام الشمس تزود البيوت بالنور .

وليل الرجل الحديث غير ليل الرجل القديم .

وليل المرأة الحديثة غير ليل المرأة القديمة . وأطفالها لهم فى الليل أعمال لم تكن لأمثالهم فى العهد القديم ، لا كيفا ، ولا كمّاً .

ضيـــاء منزلــك الا بمعــرفة الفلت ، والوط والأمــبير



او ذاك . فاذا وضعت مصباحا مصنوعا لضغط ١١٠ فلت على مصدر للكهرباء ضغطه ٢٢٠ فلت احترق المصباح . واذا وضعت مصباحا مصنوعا لضغط ٢٢٠ فلت على مصدر لكهرباء ضغطه ١١٠ فلت، أضاء ضعيفا . ورقم الفلت موجود دائما على المصباح، او المدفأة او الفرن.

والأمبير وحدة كثافة التيار الجارى فى الأسلاك . وهو يقابل سعة الأنابيب التى تحمل الماء فى المنازل . الأنبوبة الضيقة تحمل ماء أقل من الأنبوبة الواسعة ، وضغط الماء واحد . وكذا الكهرباء . فتيار ، عُشر الأمبير ، يعطى نصف الكهرباء التى يعطيها التيار ، خُمس الأمبير ، والفلت واحد ، ١١٠ كان أو ٢٢٠ .

والوط هو وحدة القدرة النهائية التى تدلنا على مقدار الكهرباء التى تستهلك فى مصباح، أو مدفأة او فرن . وقد قلنا ان هذا المقدار يتوقف على ضغط الكهرباء (١١٠ أو ٢٢٠ فلت فى المنازل) وعلى مقدار التيار (كم امبير أو جزء من امبير هو) . فلو ان الكهرباء جرت بضغط فلت واحد ، وبتيار أمبير واحد ، لكانت القدرة الناتجة وطا واحدا .

ويوجد على كل مصباح مقدار ما يستهلك من وط . وهذا هو المهم لربة البيت . لأنها تدفع ثمن ما تستهلك من كهرباء .. من وطات فى الساعة .

لذلك يهتم صانع المصابيح الكهربائية بان يكتب عليها رقمين :

١ ـ الفلت ، وذلك حتى لا تغلط ربةالبيت فتضع مصباحا صغير الفلت (قليل الضغط) فيحترق. او العكس ، فيضيء المصباح خافتا.

١ ـ الوط ، وذلك لتعرف ربة البيت كم تستهلك من الكهرباء فى الساعة ، وكم تدفع . وهى تستطيع دائما أن تسأل عن ثمن الألف وط (كيلو وط) فى الساعة (ويعبرون عن ذلك أحيانا فيقولون كيلو وط ـ ساعة) من البلدية أو من الشركة التى تزود المنازل بالكهرباء . فاذا كان ثمن الألف وط فى الساعة ٢٠ فلسا (أو مليما) وكان المصباح ٥٠ وط، علمت ربة البيت أن هذا المصباح يكلفها فى الساعة ٥٠/١٠٠٠ من العشرين فلسا ، أى فلسا واحدا. أو أنها بالعشرين فلسا تستطيع أن تضيء هذا المصباح ٢٠ ساعة .

واعين الناس ، فى هـــذه العصور الحديثة، تعمل فى ليل ، أضعاف أضعاف ما كانت تعمل أعينهم فى العهد القديم . يكفى تدليلا على ذلك ذكر الكتب ، وذكر الصحف ، وذكر المجلات ، وللطلبـــة الواجبات،واكثرها من عمل الليل. وكأنها اداتها العين . والعين اعز شيء يحرص الحريص عليه .

كفاية النور

واول ما تراعى ربة البيت فى ضياء بيتها ليلا كفاية النور. ان عليها انتقتصد فى نفقة البيت ، ولكن شر ما يقتصد فيه من هذه النفقة ، نفقة النور . انهـــا تقتصدها من عينيها، وعين زوجها واعين أولادها. والدول تسعىدائما الى ارخاص

الماء ، لأن حاجة الناس اليه ظاهرة . ولا يُرخص الكهرباءَ الا الدول المستنيرة ، لأن حاجة الناس اليها أخفى . وأحسبها اشد خفاء على رجل اقتصاد ممن نعرف . فقد سمعت من يصف النور الكافي في البيت بأنه الاسراف ، وتبديد الأموال . فهو يرفع سعر الكهرباء ليقلل من استهلاكها . وهو بذلك انما يزيد من استهلاك البصر .

مصابيح السقوف

واول ما تعنى المرأة بمصباح السقف او مصابيحه . وهي للرؤية عامة . فهي للرواح وللغدو . وهي للجلوس الى الزوج والأولاد ، ورؤية أوجههم عند الحديث واضحة جلية . ومقدار النفقة فيها يكون بمقدار ما يحتمل الجيب . والزيادة خير ، ولكن ما كل خير بمستطاع .

ولكن مصابيح الأسقف لا تكون لقراءة ، لأنها لا تبلغ الشدة الكافية ، لا سيما وحروف الطباعة صغرت حتى صار بعضها ، لبعض الأعين ، لا يرى الا بعدسة . ومن أعمال البيت ، عند الرجل والمرأة وعند الأولاد ، ما هو أدق من قراءة .

مصابيح الأركان والمكاتب

ومن هنا نشأت المصابيح المتحركة ، تحملها الروافع المتحركة ، ويكون لها في أركان الحجرة الأربعة ، منابع للكهرباء تستقى منها ، يجلس اليها القارىء ، وكل ذي عمل ، على راحة من عينيه .

ومن هذا الصنف مصباح المكتب او مصابيحه .

ان الشأن فيها شأن مصباح قريب ، فالضوء الذي يعطيه ، على قرب ، ضوء اكثر .

الضوء الباهر

وهناك يا سيدتي أمر الضوء الذي يبهر العين .

هل نظرت مرة الى الشمس عينا لعين . انه العمى المؤقت تكتسبه العين بالنظر الى أم الضياء في الارض . ان النور بصر . ولكنه ككل شيء ، ان زاد اضر .

وحتى مصابيح البيت لها بَهرة اذا اذن الانسان لأشعتها أن تدخل عينه مباشرة . ان في هذا للعين افسادا واضعافا . والصور التي تتكون في العين ، مع الضياء الباهر ، صور غير واضحة الخطوط ، غير واضحة المعالم .

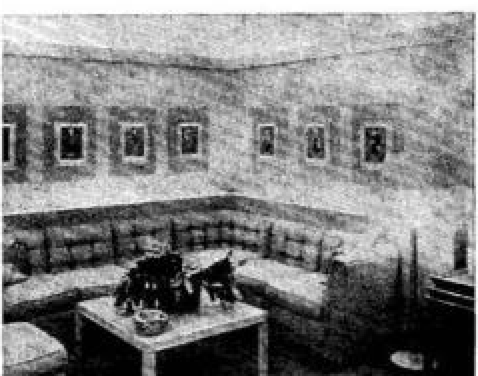
من أجل هذا ، ابتدعوا في الانارة الضياء المعكوس . يوجهون المصابيح ، ومن دونها اغلفتها ، الى السقف الأبيض ، فاذا بلغته أشعتها ، انعكست ناحية الأرض ، فملأت الحجرة ضياء غير مباشر ، هو في العين الطف ، وعليها احن .

وقد تنعكس المصابيح على حائط في الحجرة وهي خافية لا ترى .

ومصباح المكتب له مظلته ، وهي تحمي العين من بهرة ضيائه .

والظلال تتعب العين

واقصد بالظلال تلك الفروق التي توجد في الحجرة ، جزء باهر النور .



حجرة جلوس حديثة ، يضيئها النور انابيب تمتد بين الحوائط والسقف ، وبين المقاعد والحوائط . وكذا مصباح مرفوع على قائمة

وجزء مظلم . ان هذه الفروق ، كلما قلت ، كسبت العين من ذلك . ان انتقال العين من النور الى الظلمة ، ومن الظلمة الى النور ، كلما تحركت فى الحجرة ،وما اكثر ما تتحرك ، لا يريح العين .

ومن حسن نور الشمس أن الله غلف الأرض بالهواء ، فقام الهواء يبعثر هذا النور حتى لا تكون منه ظلال شديدة السواد الى جانب ضياء باهر البياض .

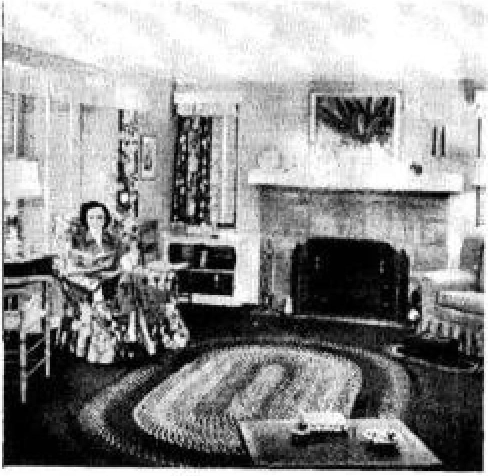
وعند التلفاز

ولمثل هذا السبب نصح الناصحون ، عند جلوس الأسرة تشاهد ستار التلفزة الدائرة ، وهى منيرة ، ان لا تترك الحجرة فى ظلام دامس ، فيكون هناك مناقضة شديدة بين بياض شديد وسواد شديد ، تتعب العين . انهم ينصحون بترك مصباح صغير وراء ستار التلفاز ، ينير ، فيقلل من ظلام ما وراءه وما حوله .

والشيوخ والأطفال

وشيوخ الأسرة ، يا سيدتى ،وأطفالها، لهم فى الضوء حاجات .

اما الشيوخ فتضيق الشيخوخة من



حجرة جلوس اخرى : النور تمتد أنابيبه بين الحائط والسقف ، وفوق المدفأة . ثم نور للقراءة على المائدة الى يمين القارئة

انسان عينهم ، وعدسة العين تقل شفافتها فهى تمتص شيئا من النور فلا يذهب كله الى الشبكية يرمى عليها الصور المرئية . لهذا احتاج الشيوخ الى ضياء اكثر مما كانوا يحتاجونه وهم فى شبابهم .

والأطفال ، عند القراءة والكتابة ، اذا لم يعط لهم الضياء الكافى، قرّبوا عيونهم مما يقراون او يكتبون ، ليكسبوا ضياء اكثر ، وهذا يفتح لهم الباب الى قصر النظر . والوضع الذى يتخذونه عند الكتابة أو القراءة ، استجابة للنور الضعيف،يفسد عليهم استقامة اجسام.

اقول هذا ، واعلم أن النور له ثمن ، ولكن الأمة التى تنتج الطعام وتنتج اللباس ، تنتج كذلك النور . ففى استطاعتنا ارخاصه ، بالعلم ، وبالفن ، وبالصناعة ، وبالعمل .

ان الامم التى بلغت من حسن الضياء ما بلغت ، ومن رفاهة العيش الشيء الكثير ، انما بلغت ما بلغت من ذلك بالجهد المتصل وبالعرق الصبيب .

■■



جانب من مطبخ حديث منير كل ما فيه ، بنور مختبىء ، صير الليل نهارا . ان عمل المطبخ ليس اقل خطورة فى العين ، عن سائر الاعمال



حل مدينة القيروان ، التي تبدو للقادم وكأنها واحة وسط الصحراء ، وتتناثر عند هذا المدخل مدافن بعض الصحابة الكرا

اعرف وطنك

القيروان

بناها عقبة بن نافع

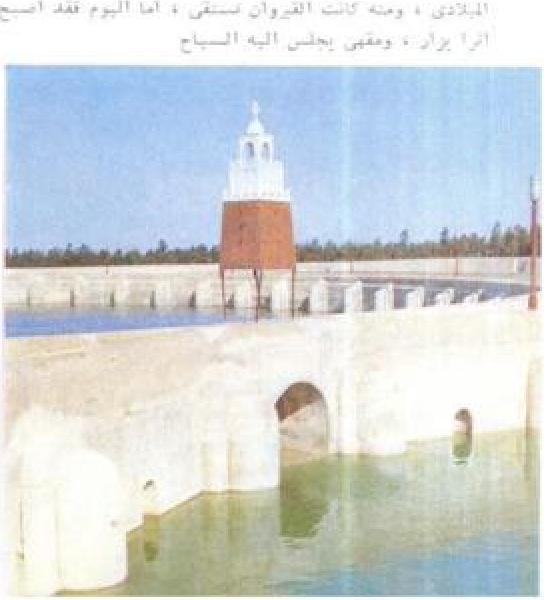
قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

« اوسكار »

الى اسفل : « حوض الاغالبة » الذى بنى فى القرن التاسع الميلادى ، ومنه كانت القيروان تستقى ، اما اليوم فقد اصبح اثرا يزار ، ومقهى يجلس اليه السياح





والمجاهدين الاوائل ، مثل مقبرة الرمادية والمقبرة النجدية المدفون فيها رجال بني قرحان من بطون نجد بالحجاز .

أيها العزبي

روان

تكون معسكراً لجيوشه



طبق « الكسكسي » الشهي المحلى باللحوم والخضر والحمص والزبيب .. انه الطبق المفضل في القيروان .

■ القيروان . اول مدينة بناها الاسلام في بلاد المغرب ، فكانت عشا للخلافة الاسلامية ، وعاصمة لولاية افريقيا ، ومقرا للملوك الاغالبة ، وملوك بني عبيد الفاطميين ، واخيرا للملوك الصنهاجيين ، ومنزلا لأهل قريش من بني فهد ، وبني تميم ، وبني هاشم .

وفيها كانت تتجمع جيوش الاسلام لتنطلق الى المغرب الأقصى والأندلس ..

وهي تلي في مكانتها مكة ، والمدينة ، وبيت المقدس .. لأن فيها دفن عظماء الصحابة من زينب بنت عبد الله بن عمر ، الى عبد الله بن أم ابي زمعة احد الذين شهدوا بدرا ، وبيعة الرضوان ..

ظل اشعاعها الحضاري يمتد عبر القارة الافريقية حتى اجتاز جبال المغرب والمملكة الاسبانية الى فرنسا وايطاليا وصقلية وكريت !

وبلغ عدد سكانها في حقبة من حقبات الزمن مليونا ونصف المليون من الناس ، اما اليوم فلم يعد يسكنها سوى ٣٥ الف نسمة فقط !

واكثر ما يحير في القيروان موقعها الغريب الذي لا يصلح ابدا ليكون موقعا لعاصمة .. فهي تبدو كالسراب ، وسط الصحراء بعيدا عن الساحل ، وعن طرق المواصلات .. وهي لذلك لاتستطيع الانعتاق من الماضي أو التحرر منه ، رغم الجهود المضنية التي تبذل لتحويلها الى مدينة عصرية حديثة ..

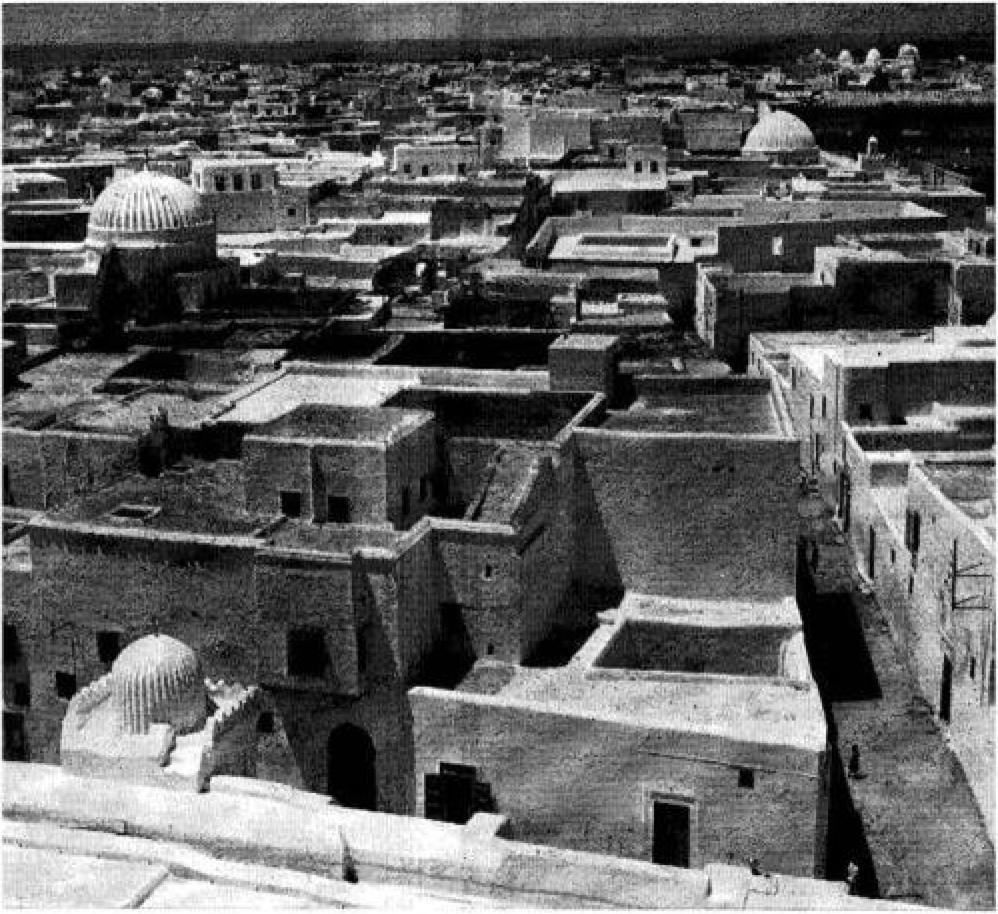
بنيت لتكون معسكرا للمسلمين

ان قصة مدينة القيروان بدات منذ ثلاثة عشر قرنا .. وعلى التحديد عام ٦٦٩ م . اى بعد ٤٩ عاما من وفاة الرسول الكريم ..

كان الفاتح العربي الشهير عقبة بن نافع متوجها على رأس عشرة آلاف فارس عربي لغزو «افريقيا» فلما وصل الجيش العربي الى مقربة من آبار للماء ، وسط التراب التونسي ، حط رحاله ، وبات عقبة مع رجاله ، حتى اذا اصبح استشار من معه في امر تحويل هذا المكان الى مدينة يعتصم بها جيش المسلمين ، وتقام فيها الجمع والاعياد ، فوافقه اصحابه فقام وقال قولته : « وأرى لكم



الى اليمين : توضح هذه الخريطة موقع مدينة القيروان وسط الاراضي التونسية . ان عدد سكانها ٣٥ الف نسمة . يعيش ثلاثة ارباعهم على الزراعة وتربية الابل .



باب الصحراء : او مدينة القيروان ذات الابنية البيضاء المتلاصقة .. انها مدينة عقبة بن نافع الفاتح العربي الشهير الذي بناها عام ٤٩ هـ .

يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة نجعل فيها عسكرا ، وتكون عزا للاسلام الى آخر الدهر .. » وبدأ العمل في بناء المدينة ، واستمر طيلة اربع سنوات (٤٩ – ٥٣ هـ / ٦٦٩ – ٦٧٣ م) .

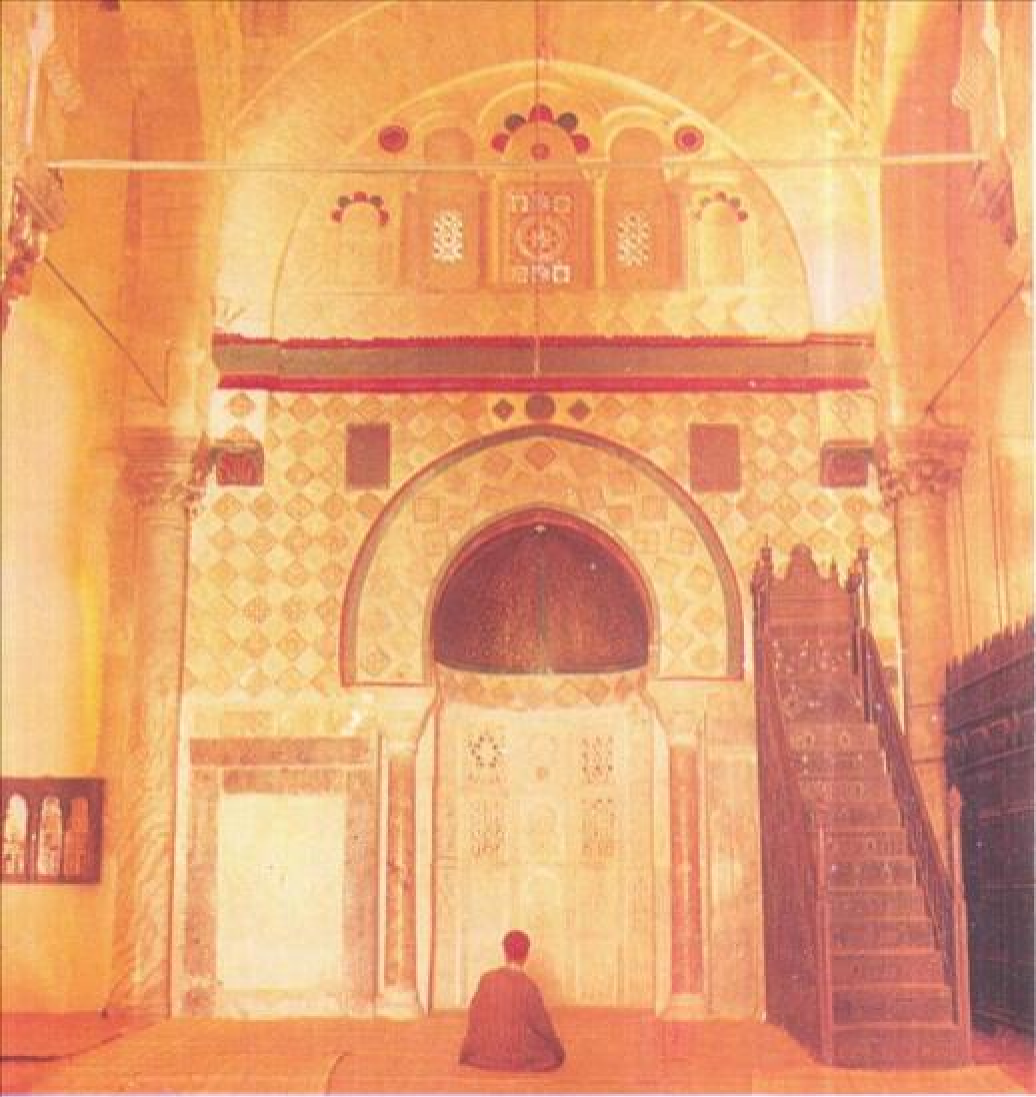
وكان عقبة بن نافع رجلا شديد الايمان ، يميل الى نشر الايمان ، لا الى مجرد الفتوح والانتصارات ، وما وراءها من مكاسب ومغانم ، لهذا كان اول ما اختطه في المدينة هو جامعها الشهير ، حتى قيل : « لم يبن عقبة مدينة لها جامع ، بل بنى جامعا له مدينة ! » .

فالجامع هو الأصل .. والمدينة متفرعة عنه ، وهذا الجامع ، كفسطاط مصر ، جامع عسكرى .. نعم جامع عسكرى .. وان شئت قلت هو معسكر عظيم فيه جامع كبير ، فقد اراد عقبة اولا وبالذات ان يبنى قيروانا ، اى معسكرا ، وحصنا ، واستحكامات .

لماذا اختار عقبة هذا المكان !

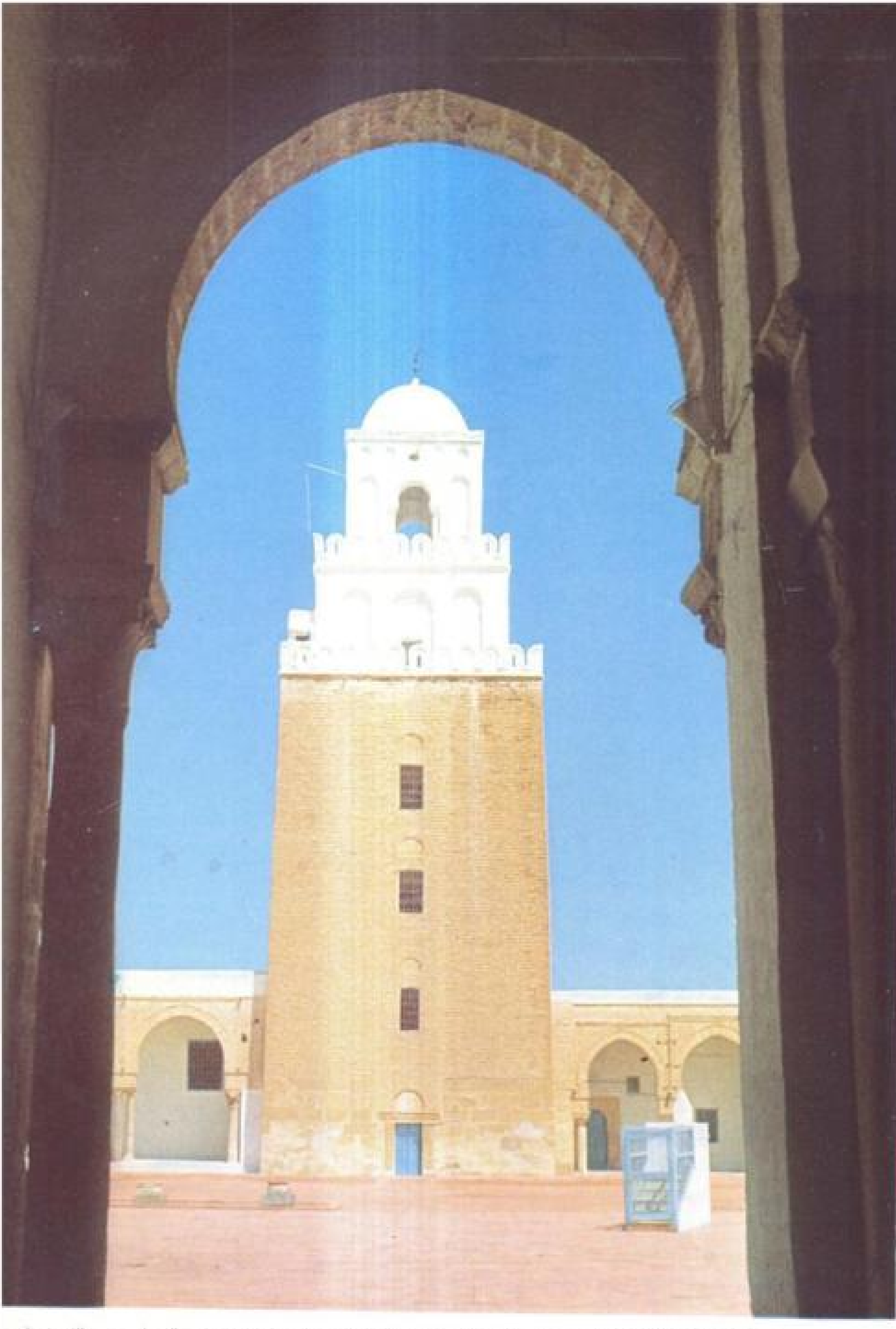
تقع اغلب العواصم على الشواطىء او قريبة من البحر ، الا القيروان فهي تبعد عن البحر بما لا يقل عن ٥٠ ميلا . وقد وقع اختيار عقبة على هذا المكان لعدة عوامل :

اولها : ليكون العرب في مأمن من اسطول الروم وغارات الافرنج التي كانت تنقض على تونس ،



هل هذا هو المحراب الذى بناه عقبة ؟ وجاءنا الرد من الاستاذ محمود الباجى بقوله : « لا .. ! بل هذا المحراب الذى بناه ابو العباس محمد بن الاغلب ، امام محراب عقبة ، ومن خلال تخريم هذا المحراب يرى الناظر محراب عقبة ورمحه مركز فيه .. وبذا اجتمعت بساطة القرن الاول الهجرى فى جلالها وقدسيتها ، وتفنن القرن الثالث فى البناء والنحت والزخرفة واعجب ما هنالك نصف قبة المحراب المدعونة عرائس ودوالي وعناقيد بأبدع صورة واروع شكل واتم اتقان . فأحد عشر قرنا من الزمن لم تغير منها شيئا ! وهذا الزليج المؤتلق الالاء معدنيا ، جلبه الطلاء القيرواني من العراق وصنع نظيره بالقيروان ، فسارت من هناك صناعة الزليج الى الجزائر وفاس والاندلس والى سائر اوروبا .





صومعة جامع القيروان أشهر معالم المدينة ان الصعود اليها : ٣٥ مترا و ١٢٨ درجة سلم ، يجعلك تشرف ع
المدينة كلها . ان هذه الصومعة العريضة الخصيبة ذات الطوابق الثلاثة التي بناها الأمير حسان بن نعمان
[illegible] كمنارة لبقية صوامع المدينة حتى تقيم الأذان للصلا

من صقلية ، وايطاليا ، واليونان ، فتحتل وتخرب مدن الساحل مثل سوسة ، وجربه .. ولم يكن للعرب فى ذاك الوقت اسطول بهذه الناحية ..

والعامل الثاني ، هو التشابه بين صحراء تونس وصحراء الحجاز وعسير ، مما جعل الجندى العربي لا يشعر بالغربة او التغرب عن بلاده حتى قال اصحاب عقبة له : « نحن اصحاب ابل ، ولا حاجة لنا بمجاورة البحر ... » .

« مملكة افريقيا » الاسلامية !

وببناء مدينة القيروان بدات « مملكة افريقيا » الاسلامية تظهر ..

وهنا لا بد من توضيح حال المغرب فى صدر الاسلام . كان المغرب فى نظر العرب يشتمل على ثلاث ممالك :

اولاها : مملكة افريقيا ، وهي المغرب الأدنى ، وقاعدته مدينة القيروان .. وسمي بالأدنى لقربه من بلاد العرب .

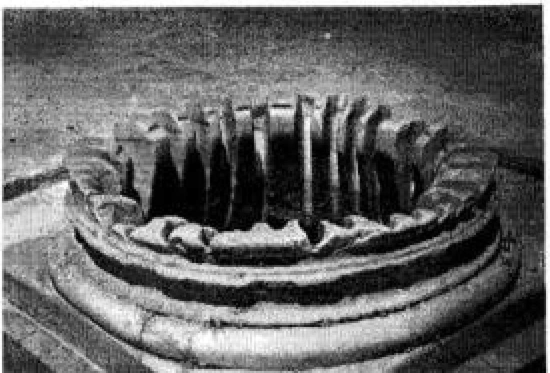
وثانيتها : مملكة المغرب الأوسط ، وقاعدته : تلمسان .

وثالثتها : مملكة المغرب الأقصى .. وقاعدته : فاس ومراكش ، وسمي بالأقصى لانه ابعد الممالك الثلاث عن دار الخلافة .

قبائل البربر تعتنق الاسلام

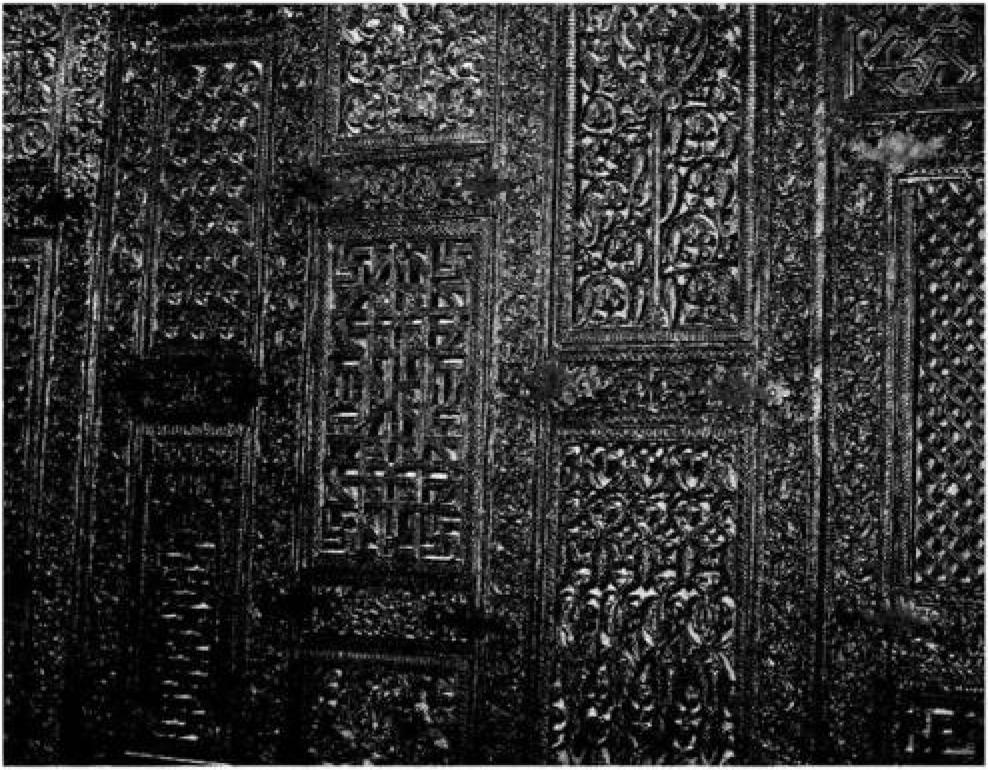
وكانت ادارة بلاد المغرب منوطة لعهدة ولاة يعينهم الخليفة ، ويسيرهم من المشرق نوابا عنه ، فيقيمون فى القيروان ، ولم يعد العرب مجرد غزاة يخرجون من المشرق للغزو ثم يعودون اليه ، بل اصبح لهم مركز وعاصمة جديدة تخرج منها غزواتهم وتنظم منها شئونهم ، وشئون البلاد ، وهذا فى ذاته تطور له معناه ، اذ بدات قبائل البربر المقيمة بالمغرب الادنى والهضاب المجاورة تشعر بقوة المسلمين وقوة ايمانهم ،





يتميز جامع القيروان بصهريج ماء كبير موجود تحت الفناء الداخلي للجامع ، تنساب اليه الامطار المتساقطة من خلال فتحة موجودة وسط الفناء الداخلي (**الصورة اليمنى**) وكان الناس قديما يأتون الى هذا الفناء حاملين الحبال مع الاسطال يدلونها ليأخذوا حاجتهم من الماء ، من خلال فتحات رخامية ست موزعة فى الفناء الخارجي ، ومع مرور الزمان ومن كثرة حركة الحبال اهترأ الرخام (**الصورة اليسرى**) حتى قال احد الشعراء ضمن احدى قصائده حاثا الناس على العمل .

ألم تر أن الحبل بتكراره ... فى الحجرة الصماء قد أثرا



تحفة جامع القيروان : صورة التقطت عن قرب للنقوش التى تحلى منبر الجامع ، الذى يعتبر تحفة الفن ، وآية صناعة الخشب العربية .. وهو من خشب الساج ، آلاف القطع الصغيرة جمعت الى بعضها بعضا فى زخارف هندسية مقطعة مربعة ومخمسة ومسدسة ، تزينها العناقيد والاثمار بأبدع تصوير وأبهج شكل ، فجاءت قطعة فنية جامعة متناسقة متطابقة باهرة ! .

واجتذبتهم المدينة الجديدة ، وأثرت فيهم شخصية عقبة القوية ، فاسلم منهم نفر عظيم ، وكانت تلك خطوة حاسمة فى تحويل المغرب الى الاسلام ، وزادها اهمية ان الكثيرين من هؤلاء البربر الذين اسلموا ، اخذوا ينتظمون فى جيوش المسلمين اخوانا لهم ، ويسيرون معهم لاتمام فتح البلاد .. حتى تمكنت هذه الجيوش بين القرنين السابع والعاشر الميلادى من احتلال المغرب الأقصى كله واسبانيا وجنوب فرنسا وسردينيا وصقلية .

بين مد التاريخ وجزره !

والواقع ان القيروان عاشت قرونا عدة متقلبة بين الأمجاد والمآسي .. فقد شهدت اشهر قادة العرب يأتون من المشرق على رأس جحافل جيوشهم فى طريقهم الى المغرب والأندلس .. وشهدت الأهوال من كثرة الحروب والحصار .

كانت دائما متأرجحة بين جزر ومد ، ولكن الذى لا شك فيه هو ان عصرها الذهبي كان فى عهد الدولة الاغلبية ١٨٤ ــ ٢٩٦ هـ) . فذاع صيتها ، وكثرت مبانيها ، وازدهرت اسواقها ، وامتد اشعاعها الى جميع الأركان ...

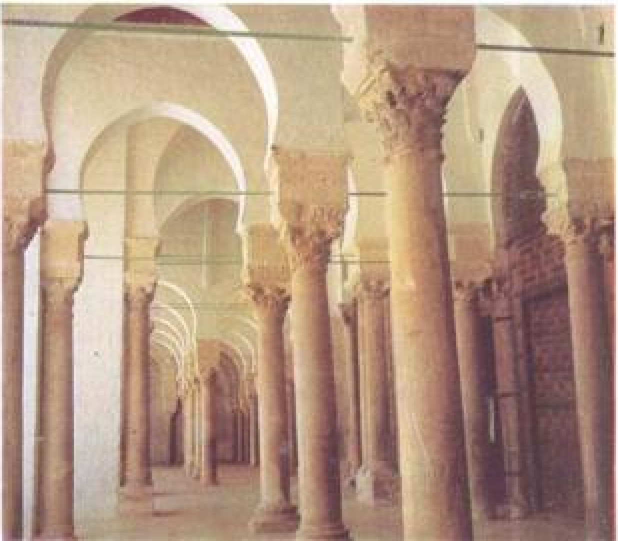
ثم جاء الفاطميون فى عام ٣٠٨ هـ . فشادوا مدينة جديدة اسموها المهدية على شاطىء البحر جعلوها عاصمة لهم بدلا من القيروان ، التي كانت تقاوم حكمهم .

وبالرغم من هذا التحول السياسي الكبير فقد ظلت القيروان تتقاسم لقب « العاصمة » مع « المهدية » حتى عام ٣٥٨ هـ / ٩٧٣ م عندما دخل الفاطميون مصر ، وانتقل المعز لدين الله



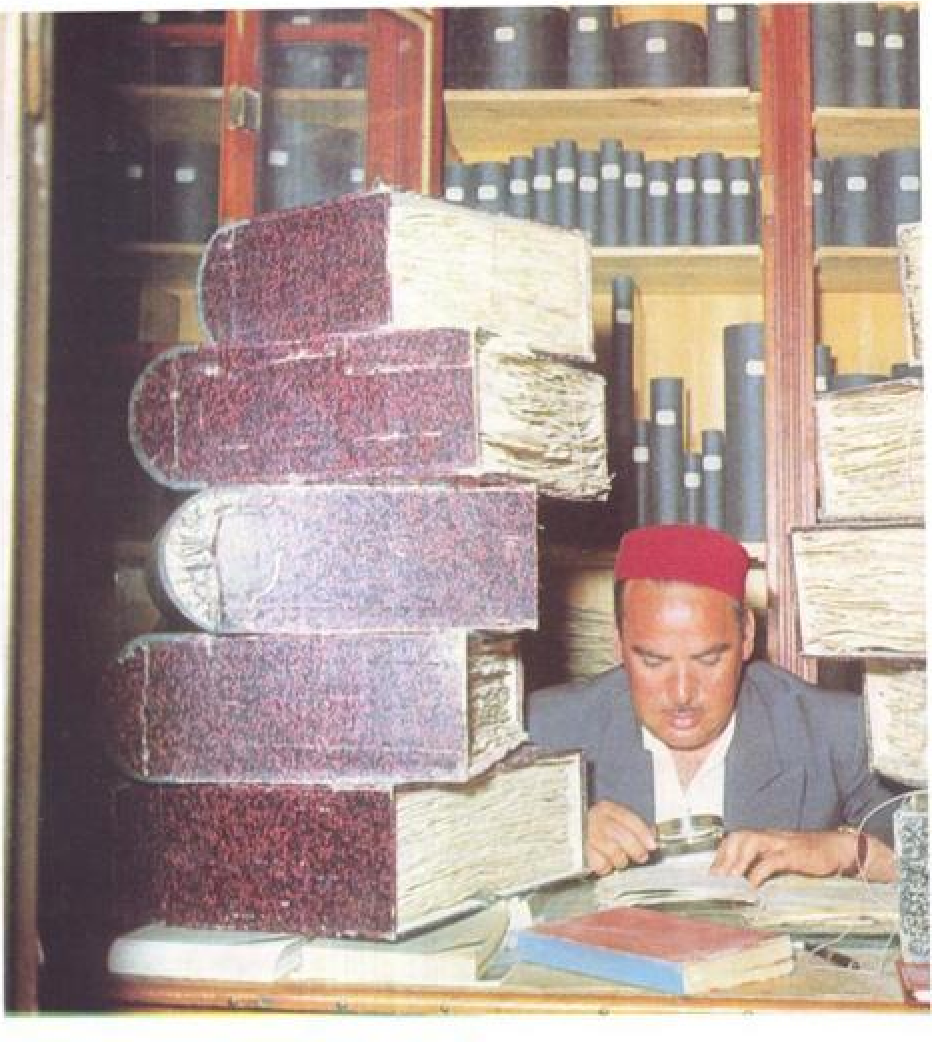


الباب الرئيسي والثريا الكبيرة لجامع القيروان ، انهما تحفة من تحف الفن العربي ..

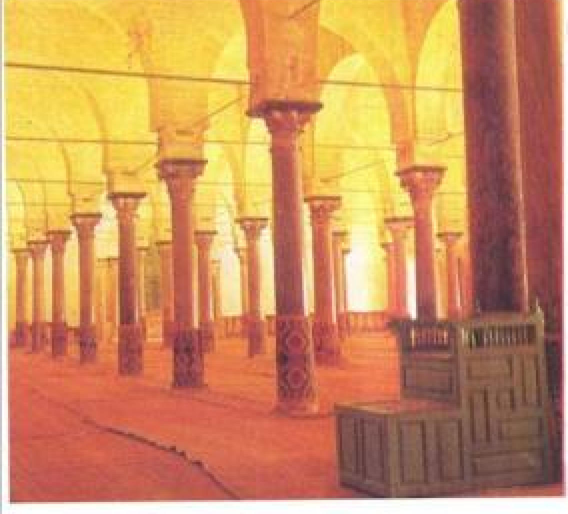


الى اليمين : الاعمدة والتيجان :

اعمدة الجامع تجمله اشبه بغابة من المرمر ، تيجانها تدل على سالفيها، فما كان منها مزخرفا بورق الخرشوف المنقوش فهو روماني، وما كان منها مزخرفا بورق الكرم المفرغ منبسطا او مجموعا ، فهو من صنع الاغالبة، وما كان منها مزخرفا بصور العقبان والسور فهو فاطمي،وما كان مزخرفا بالخواتم المنقوشة فهو صنهاجي .
فجامع القيروان يدهش الزائر بآيات فنه وبديع آثاره .



تاريخ الحضارة مختف فى خزائن القيروان : مخطوطات بالجملة ، تزخر بها خزانات جامع القيروان .. أن أحدث مخطوط منها يعود الى القرن الحادى عشر ! وأغلبها مكتوب بالخط الكوفى المذهب .. ويتمسك الأهالى بهذه المخطوطات فيكدسونها فى خزانات خشبية مقفلة داخل منازلهم البيضاء ذات النوافذ الزرقاء !



الى اليسار : منظر آخر لأعمدة المسجد التى جلبت من الآثار والمعابد القديمة ، ثم اجريت عليها الاصلاحات والترميمات ..

الفاطمي للاقامة في مدينته الجديدة « القاهرة المعزية » .

غزوة بني هلال كانت نكبة على القيروان

وفي عام ٤٣٩ هـ ، اهتز الخليفة المستنصر الفاطمي بمصر لنبأ خروج المعز بن باديس الصنهاجي عن طاعته ، وبالتالي خروج « ولاية افريقيا » عن سيادته ، فبدأ مع وزيره اليازوري في تدبير مكيدة ينتقم بها من سكان « افريقيا » واميرها .. ووجد ضالته في قبائل اعراب « بني هلال » « وبني جشم » و « بني سليم » و « بني رياح » فاعانهم بالمال والذخيرة واغدق على مشايخهم العطاء ، وبذل لهم الوظائف والالقاب ، وشجعهم على الانطلاق الى « مملكة افريقيا » لانتهابها ، وقال لهم : « قد اعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد الابق ، فلا تفتقرون بعدها ... » .

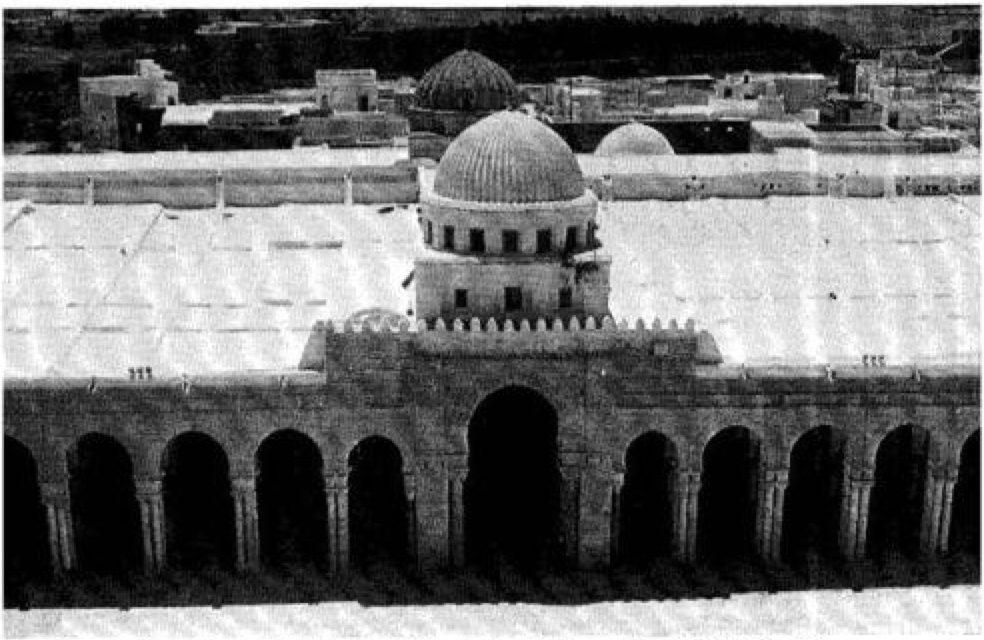
وتصف كتب تاريخ تونس هذه الغزوة بقولها : « ... واتجهت حشود الاعراب الى برقة كالجراد .. كانوا جندا همجيا لا يخاف الخالق ولا يحترم المخلوق ، ولما انتهت جموعهم المتوحشة الى افريقيا عام ٤٤٠ هـ .. وكانوا زهاء الاربعمائة الف ، التحموا مع المعز بن باديس في معارك هائلة انتهت بتسليم مدينة القيروان ، فعاثوا فيها فسادا وتخريبا ونهبا ، فهدموا بيوتها ، وخربوا اسوافها، وقوضوا قصورها ، حتى اضحت حضارتها الزاهرة اثرا بعد عين ... » .

وهكذا قضي على ازدهار القيروان .

وانتقلت منها العاصمة نهائيا لتستقر في مدينة تونس ، العاصمة الجديدة ..

ولكن القيروان ظلت — رغم ما اصابها — تحتفظ بجلال ماضيها وباشعاعها الروحي والثقافي لشرق المغرب .

وظلت الصوامع والقباب تتعالى في سماء المدينة حتى فاق عددها اليوم المائتين، مطلية كلها بالجص الأبيض وكأنها شبح من الماضي يقوم تحت سماء زرقاء



تطل هذه القبة على الصحن الداخلي للجامع المغطى بالرخام والذي تحيط به الاعمدة التي تحمل الاقواس . وتبلغ مساحة الجامع ١٢٥ مترا × ٧٥ مترا



سائحون .. في القيروان : مجموعة من السائحين والسائحات داخل جامع القيروان ، ان الزيارة مسموحة بصحبة دليل . ومما يذكر ان النية متجهة لعمل دراسات مالية لهؤلاء الادلاء حتى يعرفوا التاريخ الصحيح للجامع ، ولبقية آثار القيروان ! ؟

صافية ، وفوق صحراء صفراء تتناثر عليها حقول الحبوب، وتتنقل بينها قطعان الابل ترعى الكلأ قبل ان تأوى الى الخيام السوداء التى يعيش تحتها البدو الذين يتجمعون يوميا فى سوق بيع الجمال والحمير بالمدينة . . .

الانتعاش يأتى مع الاستقلال

ثم جاء استقلال تونس الدولة بعد احتلال فرنسي دام ٧٥ عاما، ومع الاستقلال بدأ الانتعاش فقد شعر المسئولون بمقدار الغبن الذى لحق بالقيروان ، فالثروات الانسانية والطبيعية ، والتحسينات والتخطيطات كلها منصبة على الموانى المصدرة مثل تونس ، وصفاقس ، وسوسة ، وبنزرت.

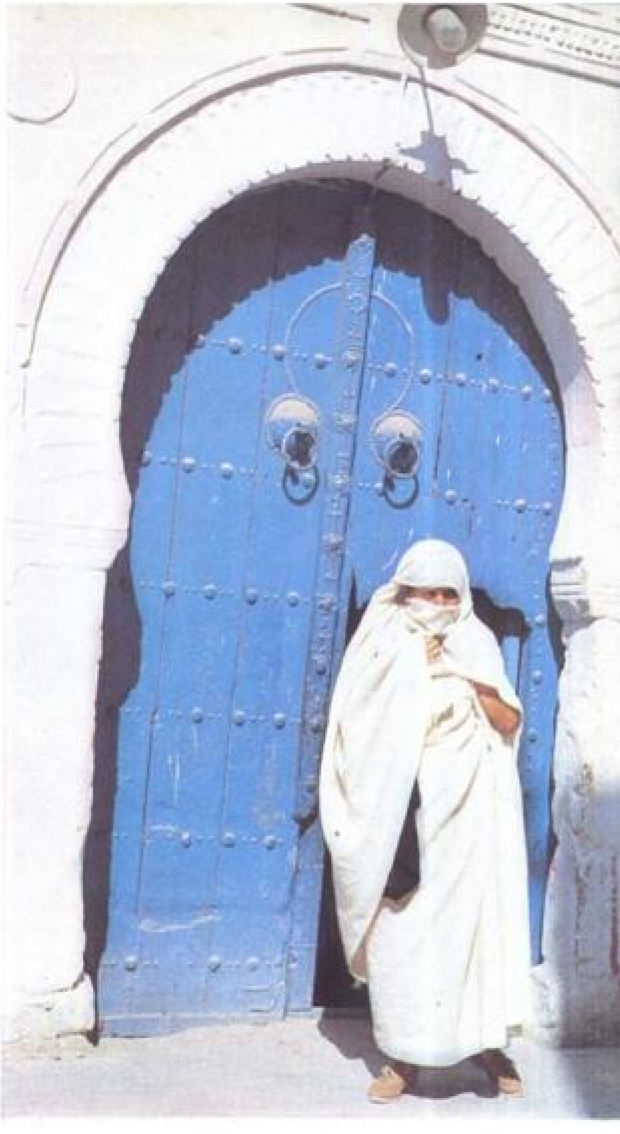
اما الوسط التونسى فلا شيء سوى الفقر والاهمال رغم توفر المياه فى طبقات ارضية تحت الصحراء على اعماق كانت تبدو عميقة فى الماضى اذ تتراوح بين ٥٥ و ٣١٣ مترا . .

وهنا بدأ العمل بهمة ونشاط لاستغلال هذه الخيرات المخبأة تحت الارض فنصبت المضخات وتدفقت المياه وغرست ملايين الاشجار من زيتون وحمضيات واشجار غابات لتحويل المنطقة الصحراوية الفقيرة الى جنة خضراء تعيد الى اقدم مدن الاسلام فى المغرب رونقها وبهجتها .

وبدأت عملية استرجاع الاراضي من الاجانب المستعمرين الى السلطات الوطنية مع تعويضهم ماليا فى الفترة الاولى .. انها الارض الطيبة تعود الى ابنائها بعد ان كان استثمارها وقفا على الاجنبي فقط ، بينما المواطن ابن البلد يعيش أجيرا فقيرا . .

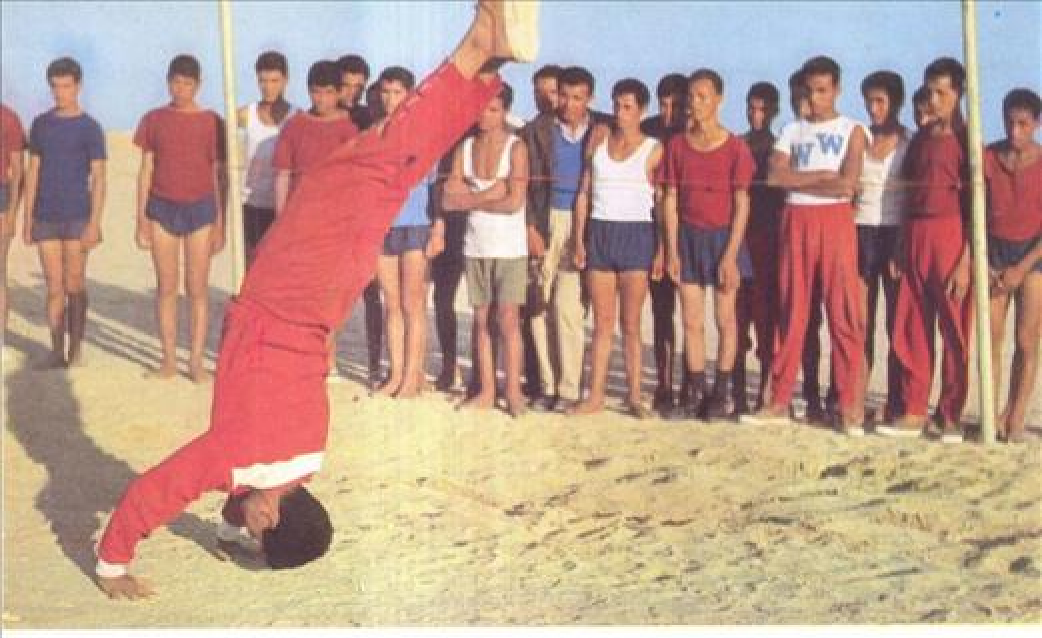
وقامت السلطات المحلية بدور ايجابي

الى اليسار : عمدت بلديا القيروان لتحويل بعض التكتلات الى احياء ومشالف للشباب ، يقومون فيها بمزاولة الاعمال التي تعود بالنفع العام على المدينة .. وفي اوقات الراحة ، يقوم هؤلاء الشباب بممارسة الالعاب الرياضية كما نرى في الصورة اليسرى .



مدخل احد منازل القيروان ، وفيه يظهر الطابع العربي القديم الذي يغلب على معظم منازل المدينة .. ان القيروان ، مثلها مثل بقية دول المغرب الكبير ، تنقسم الى مدينة عربية قديمة ومدينة اوربية حديثة .. ولكن المدينة الاوربية في القيروان ضيقة المساحة ، قليلة الاتساع ، ليس فيها اكثر من فندقين متوسطين .. وقد اعتمد مبلغ ٣٢٠ الف دينار لتشييد فندق سياحي جديد . اما وسائل اللهو فمعدومة ، اللهم الا الجلوس على قارعة الطريق فوق مقاعد المقاهي لشرب الشاي ، والتطلع الى المارين ، لقتل الوقت ! كما نرى في الصورة اليسرى ..







فقدمت للمزارعين الوطنيين فى عام واحد ٩٠٠٠٠ من مشاتل الزيتون . و ٥٠٠٠٠ من مشاتل الاشجار المثمرة ومنحت القروض المختلفة لشراء البذور وحفر الآبار ، كما قامت باعفاء المزارعين من فوائد القروض ، وقدمت الجوائز لمربي الحيوانات وزودتهم بالفحول .

ان الزراعة ورعى الابل هي أساس الحياة فى القيروان لان نحو ٨٠٪ من سكان المنطقة يعملون فى الزراعة رغم قلة المياه ..

ان الاعتماد على الزراعة هو أساس التنظيمات الجديدة فى القيروان .

ومع المزارع كثرت المراعي

والى جانب الزراعة تكثر فى جهة القيروان تربية الابل .. التى ترعى وتأكل نبات الحماضة المالح الذى ينبت تلقائيا



« الحايك » الابيض ، هو زى المرأة القيروانية ، وهذا الزى التقليدى لا يمنعها من ارتداء أجمل الثياب فى المنزل ..

وبكثرة فى المناطق المحيطة بالقيروان التى تغمرها الاملاح .. ولا تخصب الابل الا اذا رعت « الحماضة » .

ولا يقل عدد الابل فى جهة القيروان عن ٤٠٠ الف راس . كما ان هناك قواعد وانظمة خاصة بالرعى ، فكبير رعاة القطيع يسمى قائد العزيب ، وبعده شيوخ العزيب ، ويسمونهم شيخ العصا ، والعصا هو اسم لمجموعة مكونة من ١٠٠ راس غنم ، ولكل عصا شيخ .. ثم يأتي الرعاة ..

وهؤلاء جميعهم يمثلون وحدة ينزل رجالها فى بيوت من الشعر ، ويتنقلون طلبا للكلأ من مكان لآخر ..

ومناخ المنطقة قارى يؤثر تأثيرا كبيرا على اهل المدينة التى تقع على ابواب



شوارع ضيقة غير مرصوفة .. انها القيروان القديمة التى مضى عليها ١٣ قرنا لم تتحرك !

عند مدخل القيروان قطر دائرتها ١٢٨ مترا وعمقها ٦ أمتار تتسع لخمسين الف متر مكعب من الماء .. وفي وسط البركة اقام منصة كبيرة كانت تقصدها الاميرات وهن يتنقلن في الزوارق بين طير البجع الابيض الجميل ، في طريقهن الى المنصة الوسطى حيث يجلسن هربا من حرارة الجو !

وبجوارهذه البركة اقيمت بركة اخرى اصغر منها قطرها ٣٧ر٤٠ مترا كانت تجلب اليها المياه بواسطة (خنايا) طولها ٣٦ كيلو مترا وتمتد حتى منابع الماء من جبل « شريرا » في الجهة الغربية من القيروان ..

ومن هذه البرك كانت المياه تصل الى منازل المدينة بواسطة الانابيب ..

اما اليوم وبعد ان أوشك بناء سد



« الجبة » .. و « الفربولة » .. و « الشاشية » .. والقبعة الخوصية .. هي ملابس الرجال المفضلة ..



« باب الشهداء » احد ابواب السور القديم ، ويقع بالقرب من جامع القيروان

الصحراء ، فالصيف حرارته مرتفعة ، والشتاء شديد البرودة ، مع امطار قليلة (٢٠٠ الى ٢٥٠ مليمتر في العام)

وعندما تشتد الحرارة في الصيف ، وتصل الى ٤٦° مئوية ، يلجأ الناس الى « الداموس » او « الدهليز » او « البدروم » وهو موجود في جميع منازل القيروان فيقضي فيه اهل القيروان اوقات القيلولة التي تشتد فيها الحرارة ، وتبدأ من العاشرة صباحا حتى الرابعة مساء ..

بركة صناعية .. للأميرات !

هذا ما يحدث اليوم ، اما قديما ففي عهد ملوك الاغالبة أقام ابو ابراهيم أحمد الاغلبي في عام ٢٤٤هـ . بركة كبيرة





في حفل زفافها ترتدي المرأة القيروانية زيا تقليديا جميلاً مصنوعا من الحرير والتل الوشي .. أما الحلي فالإكثار منها شيء مستحب .





لم تكتف الفتاة القيروانية الحديثة بنزع اللثام عن وجهها بل نزلت الى ميدان العمل ، معتمدة على تشجيع المسئولين الذين كان هدفهم بعد الاستقلال ملء الاماكن الشاغرة التي خلفها ترك ١٢ الف موظف فرنسي لوظائفهم فجأة .. وفي الصورة العليا بعض طالبات «الليسيه» التابعة للحكومة ، يتلقين علومهن الحديثة الى جانب الطلبة فالتعليم المختلط مسموح به في القيروان .. والى اليمين صورة لفرع الملبس القومي حيث تقوم بعض نساء القيروان بتفصيل الملابس للعمال لحساب الحكومة التونسية نظير اجر معلوم ... ورغم ما بلغته المرأة القيروانية من تقدم ما تزال الكثرة الغالبة تقوم بزيارة الاضرحة والمزارات — وما اكثرها في القيروان — ومن أشهرها (جامع ثلاث بيبان) ويعرف باسم مشيده بن خيرون الاندلسي المتوفى عام ٢٩٦هـ . وهو احد علماء الاندلس واثريائها ، هاجر الى القيروان واستقر بها حيث بنى مسجده .



وادي نبهانة على الانتهاء فسوف يتم جلب الماء بالانابيب من عيون شريرا ومن سوسة بدلا من بركة الاغالبة ، التى حولت الى مقهى يقضي فيه أفواج السائحات والسائحين وقتا طيبا ، فى هذه المدينة العريقة الخالية من كل وسائل التسلية ، ماعدا المقاهي المنتشرة على الارصفة ..

مدينة السجاد

وتشتهر القيروان بصناعة الزرابي (السجاد) من الصوف الملون .. وقد احتضنت الحكومة هذه الصناعة اليدوية والتقليدية فساعدتها وشجعتها لتستطيع أن تقف امام منافسة السجاد الاوربي الرخيص .

ومن الغريب أن التعليم فى هذه المدينة المحافظة هو تعليم مختلط تجلس فيه الفتيات الى جانب الفتيان يدرسون العربية والفرنسية او الانجليزية ..

اما التعليم الفني فيتلقاه الراغبون فيه فى مدرسة بمدينة سوسة التى تقع على بعد ٤٠ ميلا تقريبا من القيروان ، وعندما كنا نزور المدينة قيل لنا ان مدرسة فنية ستفتح فيها عندما يتوفر عدد كاف من الطلبة .. وقد تكون هذه المدرسة قد فتحت ابوابها ..

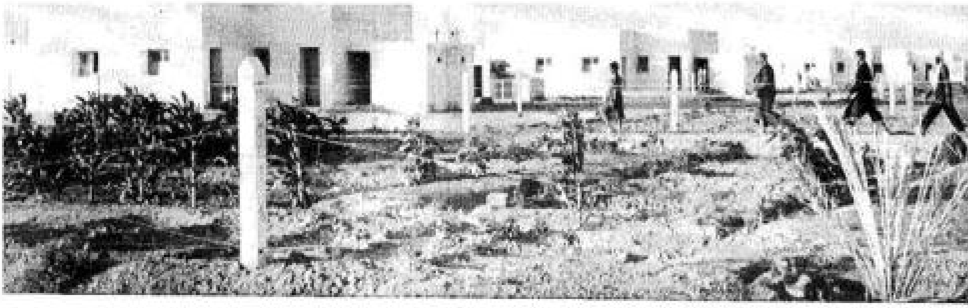
طبيب من القيروان يترك مخطوطات زنتها ٢٥ قنطارا !

ان التعليم فى القيروان قفز خلال سنوات خطوات واسعة الى الامام ..

واذا قارنا التعليم فى نهاية أيام الاحتلال ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ لوجدنا ان عدد

الى أسفل : سور القيروان ـ اشترك معظم الملوك والحكام فى اقامته وتجديده ، وآخرهم كان الباى حسين بن علي الذى شيده من جديد بين ١٧٠٦ و ١٧١٢ م . وهو سور من اللبن القديم والحجارة ليست فيه ابواب ذات طابع اثرى هام .. ومما يذكر ان الالمان عندما احتلوا القيروان خلال الحرب العالمية الثانية هدموا جانبا منه واستعملوا حجارته فى تعبيد مدرج المطار الحربى !





يحاول المسئولون فى القيروان توسيع رقعة المدينة القديمة ببناء ضواح وقرى جديدة ، وقد تم انشاء قريتين نموذجيتين ببلاد السبيتة والشبيكة بالقرب من القيروان بدأنا ببناء ١٢٧ داراً تكلفت ٢٠٧٥٠ ديناراً ..

المدارس فيها كان ٣٥ مدرسة فقط تضم ٦٥٠٠ تلميذ وتلميذة .. اما اليوم ففيها نحو مائتي مدرسة تقريبا تضم نحو ٢٠ الف تلميذ ..

وكانت القيروان منذ قديم الزمان منبعا للعلم والمعرفة وكان « بيت الحكمة »

الى اسفل : خوذ اثرية موجودة فى خزانة مكتبة القيروان عثر عليها فى المدينة ، ان كلا منها يمثل نوعا من الجيوش التى خاضت غمار الحرب او حاصرت هذه المدينة



بمثابة جامعة يتلقى فيها الطلبة من تونس ومن اوربا ، الفلسفة والتاريخ والكيمياء والهندسة ، وحتى الطب الى جانب العلوم الدينية ..

وقد انجبت القيروان مجموعة كبيرة من الفطاحل فى كل علم وفن ، منهم :

اسد بن الفرات الذى فتح صقلية .. والامام سحنون الذى لقب بسراج القيروان لعدله فى القضاء .. وابن الجزار الطبيب الذى ترك بعد وفاته ما بلغت زنته ٢٥ قنطارا من الكتب الطبية كلها بخط يده ، ترجم الاوربيون معظمها الى لغاتهم وانتفعوا بما فيها من فائدة علم للطب .

جامع القيروان

والى جانب « بيت الحكمة » يقع جامع القيروان ذى المنارة العالية ، الذى يدهش الزائر بآيات فنه .. ويسحر الناظر بفنون بنائه وبديع آثاره ، التى يرى القارىء طائفة من صوره ومعها شرح واف لتاريخه .

ومن المعلوم ان مدينة القيروان الاولى التى بناها عقبة بن نافع لم تستمر سوى ٢٠ عاما ثم دمرت ولكن « حسان بن النعمان » جاء فى عام ٧٨ هـ واعاد بناء القيروان وجامعه .. ولم يبق من بناء عقبة القديم سوى جزء من المحراب يستطيع المرء ان يشهده من خلال ثقوب المحراب الرخامي الذى اقامه احد ملوك



يعتبر نسج الزرابي (السجاد) الصناعة الرئيسية في القيروان ، وممارستها تكاد تكون مقصورة على الفتيات والسيدات يجلسن بجوار خيوط الصوف الملون وبحركات سريعة من أصابعهن يبدأن في صنع السجادة ذات الأشكال الهندسية الجميلة التي يقبل عليها السياح .. وفي شهر ابريل من كل عام يقام في المدينة معرض كبير للسجاد يشهده الكثيرون من أهل تونس والبلاد الأوربية ..

ومما يذكر أن عدد العائلات التي تعمل في صناعة السجاد يقرب من ٤٠٠ عائلة .. وهناك العديد من العائلات يصنعن السجاد في منازلهن ، ويبعنه في الأسواق





بعد الانتهاء من نسج (الزرابي) توضع في الهواء الطلق حيث يتم تنظيفها من الشوائب العالقة ويعمد اصحاب المحلات الى تعليق الزرابي على واجهات محلاتهم اعتزازا بصناعتهم الاولى **(الصورة السفلى)** ويتراوح سعر المتر الواحد من هذا السجاد من ١٢ الى ١٥ دينارا ..



الاغالبة للمحافظة ولصيانة محراب عقبة التاريخي القديم البسيط ..

وفي مكتبة القيروان تتكدس آلاف المخطوطات داخل خزائن مقفلة .. والى جانب خزائن جامع القيروان تجد آلاف المخطوطات مكدسة في منازل الاهالي الخاصة ، ان تراثنا العربي موزع ومبعثر في كل مكان بالقيروان .

بئر « بروطه »

ولا يمكن ان نترك القيروان دون ان نقوم بزيارة لبئر « بروطة » .

انها بئر غريبة فهي تقع داخل منزل قديم تصعد اليه بدرجات سلم وتدخل اليه من باب قصير فتشهد في داخله منظرا عجيبا .. اذ يقف قبالتك جمل كبير معصوب العينين ، مربوط بجذع متصل بعجلة ساقية تجلب الماء من بئر بروطة .

وقصة هذه البئر جزء من قصة بناء مدينة القيروان نفسها . فهنا وقف عقبة اول مرة ، ومن هذه البئر استقى ، فاصبحت اثرا يذكر دائما .. ومنذ ذلك اليوم المجيد ، أي منذ ١٣ قرنا وهذه البئر تعطي ماء صافيا نقيا ليست فيه اي ملوحة بعكس الآبار الاخرى المجاورة !! ■■

سليم زبال

الى اسفل بئر بروطة : وتقع في الطابق الاول من منزل وسط القيروان القديمة ، ويصعد اليها الجمل عند ما يكون رضيعا ، وما يكاد يمر من تحت الباب الصغير حتى تنقطع صلته بالعالم الخارجي ، فيظل داخل الحجرة يأكل ، ويشرب ، وينام ويدير الساقية .. وعندما يهرم ويقترب من الموت يذبح ويوزع لحمه على الفقراء ، ويؤتى بجمل آخر صغير بدلاً منه .





مارسيل بروست



يبقى ختام روايته "بحثا عن الزمان الضائع" حتى يعرف ما سكرات الموت من واقع مرضه الطويل فيملي النهاية التي تتم بها الرواية على خادمته !

بقلم : الدكتور بديع حقي

■ ها هو ذا يسعى كشبح رقيق الى ستائر النوافذ فيسدلها ، والى الباب فيوصده ويحكم اغلاقه ، لا يكاد يسمح لشعاع من نور الشمس يدخل الى غرفته ، ولا لنسمة ، مهما رقت ان تتسلل اليه فتؤذى صدره الكليل المتعب المزق بنوبات الرَّبو القاسية .

ها هو ذا يمضى الى سريره ، ليصيب غفوة صغيرة مبتسرة ، يتخللها بُهْر وسعال متقطع . فاذا نبا به مضجَعه ، قعد فى فراشه ، محتبيا ، أو فزع الى مكتبه وبسط أوراقه المتناثرة ، وامتدت ريشته الصَّناع ْ تريق فى خطوها المتئد ذكرياته الخوالى على ورقه الأبيض المليس .

انه يبدو مفكرا ساهما ، وعيناه السوداوان الفاترتان المحوطتان بهالات الأرق المستديم تجيلان النظر فى حنايا غرفته، وتقطفان فى تنقلهما ذكريات لصيقة" بأثاث غرفته وأشيائها ، ولكنهما لاتجتزئان بهذه الذكريات الخاطفة العابرة ، بل تواكبانها وتتكفئان مع ذاكرته فى رحلة ممتعة الى الماضى البعيد ، الموغل فى البعد ، وتقفزان من حلقة الى حلقة ، حتى تصلا الى طفولته الهنيئة وتغترشا فوقها النور المشرق .

أما ريشته اليقظى فلا تنى تسطر رحلة عينيه وذاكرته ، بحثا عن الزمن الضائع .

انه (مارسيل بروست) Marcel Proost

الكاتب الفرنسي الذي غلبه مرض الربو على أن يلزم غرفته لزوما يكاد يكون متصلا ، عاكفا على كتابة روايته الكبرى تلك التي سماها (بحثا عن الزمن الضائع) Ala Recherche du Temps Perdu مستمدا لها من ذكرياته ، قابسا لها من حياته،صابرا صبر النحلة المجدة الدؤوب التيتبني خليتها الهندسية الدقيقة ، ليكتب أروع رواية عرفها الأدب الفرنسي الحديث .

حيـــاته

اما حياته فلم تكن حافلة بالحوادث المثيرة ، وقد مرت ، في الظاهر ، عادية رتيبة ، كحياة اي انسان ، ولكن « مارسيل بروست » استطاع، بعبقريته الخلاقة ، ان يعاود نسج خيوط حياته بأسلوب روائي جديد ، فلم يترك خيطا مهما دق، دون أن يربطه بخيط آخر ، ولم يدع احساسا ، مهما كان تافها ، يتسم في نفسه ، دون أن يجلوه في دقة تكاد تشارف الاعجاز .

ولد « مارسيل » في ١٠ يوليو (تموز) عام ١٨٧١ ، في (باريس) وكان أبوه « ادريان بروست» طبيبا لامعا من أسرة كاثوليكية محافظة،امنا أمه، « جان ويل » ، فتنحدر من أسرة يهودية غنية مقيمة في « اللورين » ، وقد تزوجها « ادريان » بعد غرام مشبوب ، ورزق منها « مارســـيل » و« روبير » .

وقد مرت طفولة « مارسيل » رغيدة هنيئة ، وظلت افاويق هذه الطفولة السعيدة منبعا شهيا يمتح منه مادة لا تنفد لأدبه المقبل .

تأثره بأمه

وكانت أمه ترعى ابنها بالعطف وتخصه بالعناية المفرطة ، فنشأ الطفل معلق القلب بأمه الى درجة العبادة . وقد قص علينا في مطلع روايته ، كيف تعودت أمه ان تقبله في فراشه قبل أن يخلد الى النوم ، فان شغلها شاغل ما ، وسهت عن قبلتها المألوفة ، تقلب الطفل في فراشه مؤرقا حزينا ، منتظرا قدومها ، حتى اذا وافت لتمس بشفتيها وجنتيه ، أسلس جفنيه للنوم مطمئنا قرير العين .

وكان لأمه فضل كبير عليه في اغرائه بالأدب ، فأولع منذ صغره بالمطالعة ، وأبدى وهو ما يزال في سن مبكرة نضجا في الانشاء والكتابة . وكانت اهم الكتب التي اثرت فيه ، كتاب (ألف ليلـة وليلة) . وقد وجد كثير من النقاد صلات عميقة الجذور تربط رواية « بروست » بهذا الكتاب ، حتى لقد تحدث « موريس باريس » عن «بروست» بصدد روايته هذه فوجده شبيها براوية قصص عربي ، آخذا بمدرجته في تزويق قصصه وتوشيتها وأسلوب سردها .

وأصيب « بروست » وهو في التاسعة من عمره بمرض الربو واستبد به عمره كله ، فنشأ عليلا سقيما ، وقد زاد مرضه هذا من عطف امه عليه وعنايتها به ، ولعل افراطها في اغداق الحنان على ابنها المريض قد جعله،حتى بعد اناستشرف سن الكهولة ، ذا وساوس مرضية وشكوى متصـلة ، يجلوها في أحاديثه ورسائله الى أسرته ورفـاقه ، استجلابا لمزيد من العطف والرأفة .

وأنهى « مارسيل » دراسته في معهد (كـوند ورسيه) بنجاح وتألق ، وكان أبوه يأمل أن يلتحق ابنه بالسلك السياسي ، ولكن « مرسيل » كان معلق القلب بباريس وحياتها المترفة ، فلم يكن يرغبفيعمليقصيهعنأمه وذويه ومدينته المفضلة .

شهوده صالونات باريس والمنتديات

وشهدته الصالونات والمنتديات الباريسيـــة شابا أنيقا ، قد ناط بعروة سترته زهرة الكميليا، وتألقت على شفتيه ابتسامةعذبة ناعمة ،وانساقت بعض معانيها الى عينيه السوداوين الذكيتين ، وعرفتهأوساط المجتمع الراقيكريما مبسوط اليد، ينثر الهدايا السخية ولا يدع مناسبة تمر دون أن يقدم فيها باقات منوقة من الزهر .

وقد تأتى له بفضل أسرته الغنية الكـريمة النجار أن يعقد أواصر الصداقة مع الشخصيات النابهة في عصره وأن يقيم المآدب الفخمة ويقبل الدعوات المختلفة .

وكان « بروست » متحدثا ظريفا يجيد الثنـاء والتملق ، وكان يعرف أن اصطناع الاطراء وتكلف عبارات النفاق المنمقة هي البضاعة الرائجة في الأوساط الباريسية الارســـتقراطية التي كان يغشاها ، فحذقها وأسرف فيها حتى غلب على حديثه التزيد والغلو ، وأعانه هذا كله على النفوذ الى الطبقة الموسرة المترفة في « باريس » ومعرفة سرائر أفرادها ومفارقاتها وسخافاتهـا

وعبثها وفراغها . وكان « بروست » الى ذلك ، حسن الوجه ، يتبع الصبابة والهوى ، فظفر بحظوة الصبايا الملاح اللاتى كن يوزعن فى الحفلات والدعوات مواعيدهن وبسماتهن وأحلامهن البراقة ، وكانت عيناه الذكيتان الجوالتان تنفضان هذا المجتمع المزيف المبهرج وتقتنصان مباذله وأخلافه وتعلاته وأمانيه ومآسيه ، وتدخرانها فى ذاكرته القوية العجيبة الى يوم موعود ، تكتسى فيه ، على الورق ، اهابا جديدا وحياة مماثلة .

تعرفه الى كتاب فرنسا النابهين

ولم يكن يسجل ذلك كله فى ذاكرته فحسب ، بل كان يتمثله تمثلا واعيا حيا كما يقول (موروا). وقد بذل له هذا المجتمع ما يطمح اليه من صداقات تدعم مكانته وشهرته الأدبية فتعرف فى صالون السيدة « كايافيه » على صديقها وصفيه قلبها الكاتب الشهير « أناتول فرانس » الذى وضع له مقدمة كتابه « المسرات والأيام » . وقد جلا « بروست » شخصية « أناتول فرانس » فى شخص بيرغوت « أحد أبطال روايته المقبلة » .

وتعرف على الكاتب « الفونس دوديه » وابنيه « لوسيان » و« ليون » ، وهو الذى كان أول من نبه الى عبقرية « بروست » وأشاد بها ، وأتاحت له قرابته من الفيلسوف « هنرى برغسون » أن يوثق صلاته بالأوساط الفكرية المرموقة فى«باريس» مدينة النور والاشعاع الفكرى .

عاطفة مشبوبة ، وحساسية بالغة

وكان « بروست » مستوفز العاطفة ، وقد صبا قلبه الى فتيات كثيرات وتذوق نعمات الحب ، وبلا أوصابه وعانى مرارة الخيبة ولذع الغيرة ، وانزلق الى نزوات منحرفة خلفت فى نفسه ندما عنيفا ، صوره أحسن تصوير لدى (شارلوس) أحد أبطال روايته .

من ذلك كله تناهى الى « بروست » تجارب عاطفية مختلفة ، أعانته فيما بعد على الغوص الى أغوار النفس الانسانية وبدوات الجسد المتفلتة وشرحها وتحليلها .

وكان ذا حساسية بالغة ، فكانت الكلمة العابرة تؤذيه وتؤرقه ليالى طوالا ، ان استشف منها بعض الفتور أو الجفاء ، أو لقى فيها ما يؤذى شعوره الرهيف .

وكان يخشى أن ينال أحدا بالأذى ، ويتفرق من أن يجلب الاستياء الى امرىء ما دون قصد منه ، وقد أثرت عنه عادته بأن يهب ، حين يغادر المقهى ، للنادل الذى كان يخدمه عطية جزيلة ، فاذا لمح فى ركن ما ، نادلا آخر لم يخدمه مضى اليه ومنحه عطية مماثلة مرددا : « لا شك ان اهماله عند العطاء يؤلمه كثيرا » .

وأخيرا ، وفيما هو يتهم أن يستقل مركبته ، يتذكر شيئا ، وينقلب عائدا الى المقهى وهو يقول : « أعتقد أننى نسيت أن أقول للنادل (الى اللقاء) وليس هذا بلطيف منى » .

وكان دقيق الملاحظة ، لا تكاد عيناه تهملان اذا نظرتا الى شخص ما ، شيئا من ملامحه وقسماته وحركاته ، فاذا لفت بصره منظر من الطبيعة يستهويه بغرابته وروعته ، استغرق فى امعان النظر اليه حتى يذهل عن نفسه . وقد روى صديقه الموسيقى (رينالدو هان) قصة لطيفة ذات دلالة ، فذكر أنهما كانا ينعمان ذات يوم بنزهة فى حديقة ، فمرا بشجرة ورد بنغالية ، فاذا ببروست يقف ويطلب اليه فى صوت شجى ناعم « أيسوؤك أن أتوقف قليلا ؟ أود معاودة النظر الى هذه الوريدات » . فتركه «رينالدو» وقام بجولة وعاد ليجد « بروست » فى مكانه وهو يحدق الى الوردات ويتملاها . قال فى وصف ما رأى :

ـ « كان رأسه حانيا ووجهه مقطبا وكان يطرف بعينيه ، وقد زوى ما بين حاجبيه ، كأنما يبذل جهدا فى انتباه مستهام . وشعرت بأنه سمعنى ورآنى وأنا قادم ، ولكنه لم يشأ أن يتكلم أو يريم ، ومررت أمامه ، دون أن أنبس ببنت شفة ، ومضت دقيقة ، ثم سمعته ينادينى ، فالتفت ، فاذا به يخف الى ويدركنى ويطلب الى عما اذا كنت لم أستأ منه ، فطمأنته وأنا أضحك ، واستأنفنا حديثنا السابق » .

كتاب المسرات والأيام

ونشر « بروست » فى صدر شبابه كتابه « المسرات والأيام » . وترجم عن الانكليزية كتابين لرسكين ولكن ما نشره لم يظفر بأى رواج . وانصرف زمنا طويلا الى تأليف رواية مطولة لم يقدر لها أن تنشر فى حياته ، اذ لم يكن راضيا عنها ، وقد عثر عليها بين مخلفاته بعد وفاته

بزمن طويل ونشرت عام ١٩٥٢ بعنوان « جان سانتوى Jean Santeuil »

وفاة والديه ضربة قاسية

وكانت وفاة ابيه عام ١٩٠٣ ووفاة امه عام ١٩٠٥ ضربة قاسية له ، وافتقد الطفل الكبير الصدر الحبيب الذى كان يوسد راسه عليه ويجد فيه الرعاية والتشجيع والحنان . كتب «بروست» الى صديقه الكونت (موتيسكيو) : لقد فقدت حياتى بعد الآن هدفها وعذوبتها وحبها الأوحد ، لقد فقدت تلك التى كانت رعايتها المتصلة تمنحنى فى امن وحنان، شهد الحياة » .

روايته « بحثا عن الزمن الضائع »

والح عليه الربو مرضه المعهود وركبته الهموم والوساوس ، وجعل ينأى ، يوما بعد يوم ، عن مجتمعه الارستقراطى الذى كان مهوى حياته من قبل ، وقبع ، كالناسك الذى صدف عن رؤية البشر فى حجرته ، لا يكاد يغادرها الا لماما ، موصدا بابه راخيا ستائره ، مكتفيا بغفوة متقطعة، فاذا جن الليل عمد الى اوراقه وقلمه وعاد الى ذاكرته الحية ، باحثا عن ماضيه الحلو المضيع ، مستلا خطوطه القديمة ، ليغزل منها نسيج روايته « بحثا عن الزمن الضائع » .

وقد عمد « بروست » الى اسلوب يطاوع تسلسل خواطره وتداعيها ، فجملته طويلة تنسق احيانا فى صفحات عديدة ، ولكنها كالنهر الطويل العرم ، تتفرع منه جداول مختلفة مبتعدة ، ثم تقترب وتلتئم من جديد . وانها لتحمل ، على طولها ، نبضات احساساته وخلجاتها وانسيابها. ويجد القارىء فى متابعة هذه الجملة نصبا وملالا فى البدء ، ولكنه ما يلبث ، حين يمضى فى قراءته ، ان تستهويه رحلة الذاكرة الى الماضى البعيد ، وتخلبه الصور المستجدة المتتابعة . وقد يجد الى ذلك حوادث تافهة ، ليس فى ايرادها اى تشويق، ولكنه ما يعتم أن يستبين وراءها التحليل البارع الدقيق .

ولم يكن « بروست » ينظر الى اى خلجة تسرى فى مطاوى نفسه نظرة عابرة مقتحمة سريعة ، بل نظرة العالم الذى يحمل بيده مجهرا ويفحص جسما ما ، متحصيا دقائقه وخلاياه فى دقة وامانة، مشفوعة بنظرة الفنان الذى يوشى هذه الدقائق بصورة جمالية خلابة ساحرة .

ولم يكن ينسى ، بينا هو يشرح شعوره شرحا مكرسكوبيا ، أن يربط بين فكرة وفكرة أخرى ، وبين احساس حاضر واحساس ماض ، حتى يصل الى الفكرة والاحساس القديمين ، ليريق فوقهما النور ويفسح امام القارىء الجو النفسى الذى عاشه الكاتب من قبل فى أدق تفاصيله .

ويتم تداعى هذه الافكار والاحساسات ، على الجملة ، على نحو عفوى ، لا دخل للارادة فيه ، فالمصادفة وحدها هى التى تتيح للاحساس الحاضر أن يستقدم الذكرى القديمة ويستدعيها، ليحياها الكاتب من جديد ، باعثا بذلك ماضيه ، عاثرا على زمنه الضائع . ان جدع فن « بروست » الروائى قائم كما يقول « أندره موروا » على احياء الماضى بالذاكرة اللاارادية .

والأمثلة التى يسوقها « بروست » فى روايته جمة مستفيضة ، منها ما رواه فى مستهل روايته فيذكر أنه كان قد نسى كل شىء يتصل بسبيل الى ضاحية « كومبرى » نسيانا تاما ، وفى ذات يوم من أيام الشتاء الباردة ، قدمت اليه أمه كاسا من الشاى ، مع قرص من الحلوى تدعى « المادلين » ، فداف القرص فى الكاس ، وما كاد يرشف منها رشفة صغيرة حتى ارتعش وسربله شعور عذب لم يكن فى وسعه أن يتفهمه أو يتأوله. ترى من أين وافته هذه الفرحة الغامرة المفاجئة ؟ انه يشعر بأنها متصلة بمذاق الشاى مع قرص الحلوى ، ولكنها ماذا تعنى ؟ وحسا الكاتب حسوة أخرى ، وانجلى لذاكرته ، شيئا بعد شىء ، ان هذا الشعور موصول بشعور حلو مثلايس لذكرى قديمة ، حين كانت عمته تقدم اليه الشاى مع هذه الحلوى نفسها، فى بيتها بضاحية (كومبرى). واذا بطيوف ناسها وكنيستها ومجاليها وحدائقها القشيب ، تنثال عفوا الى ذاكرته وتتضح وتأخذ اشكالها القديمة وهى تنتفض وتخرج من كاس الشاى .

وقد افاد علم النفس الحديث من « بروست » فائدة جليلة كبيرة ، وتأثرت الرواية المعاصرة باسلوبه وتحليله تأثرا قويا، دون ان توغل ايغاله البعيد فى التحليل ، وظل « بروست » على أى حال نسيج وحده بين الروائيين ورائدا من رواد الرواية المعاصرة ، يوضع فى قرن واحد مع (دستويفسكي) و « جيمس جويس » .

يقول (فرانسوا مورياك) : « لقد علمنا « بروست » أن فى ميسورنا أن نعرف بأسرار

الحساسية لدى الانسان ، وأن نتقدم في معرفته تقدما ابعد مما وصلت اليه العبقريات السالفة ».

الرواية تعثرت في النشر عند الناشرين

وككل اثر فني جديد يخالف ما الفه القراء واساغوه وأحبوه ، فان استفاضة « بروست » في التحليل ، وطول جملته وغوصه البعيد في اغوار النفس ، ناى بروايته عن ذوق القارىء العادى الذي يسترفد من القصة المتعة السهلة المباشرة . وقد اخفق « بروست » في العثور على ناشر يرضى بنشر الجزء الاول من روايته ، وتساءل أحد الناشرين حين عرضت عليه المخطوطة : « ليس في مقدوري أن افهم كيف يستطيع انسان أن يسلخ ثلاثين صفحة ليصف كيف يتقلب على السرير من جانب قبل أن يستغرق في النوم » .

وعرضت المخطوطة على « أندريه جيد » ليدلي برايه في نشرها في دار المجلة الحديثة الفرنسية N. R. F. ولكن « جيد » تصفحها تصفحا عاجلا سطحيا وأوصى برفضها . وكان ندم « جيد » على رايه هذا الجائر ، شديدا ، حين استبان له خطؤه فيما بعد ، اثر قراءته الرواية قراءة واعية.

واضطر « بروست » الى نشر هذا الجزء في دار (غراسيه) علىحسابه ، ولكنه لم يلق ما يستحق من رواج ، وكان حماس النقاد له فاترا . ولكن ذلك لم يثن « بروست » على المضي في متابعة الكتابة ، وكانت الحرب العالمية الاولى قد أعلنت وحالت دون نشر أجزاء الرواية الباقية ، فاهتبلها فرصة لاعادة النظر فيما كتب ، فأضاف الى النص وحذف منه وبدّل ، وفي عام ١٩١٩ رضيت ادارة المجلة الحديثة الفرنسية أن تنشر الجزء المسمى (في ظل الفتيات المزهرات) ، واتضحت في هذا الجزء الخطوط البارزة الرائعة من روايته ، على نحو جلي . وهلل له النقاد ، وفي مقدمتهم (ليون دوديه) ، وظفر الكتاب بجائزة (غونكور) الأدبية ، وكانت بداية المجد .

يختتم روايته بين سكرات الموت

نحن اذن في عام ١٩١٩ . لم يبق من حياة « بروست » التى انطفات عام ١٩٢٢ سوى ثلاث سنوات ينهي فيها الجزء الاكبر من روايته ، وكانت هذه السنوات سباقا مع الموت ، وقف فيها الكاتب عبقريته على انهائها ، وكان يعلم أنه مشف على الموت ، وأن المرض اللعين يلح عليه ويذويه عضوا فعضوا .

وكان اعجب واروع ما قام به « بروست » انه أرجا مشاهد من روايته ، حيث يصور فيها احتضار (بيرغوت) أحد أبطال روايته الى الوقت الذي يشتد فيه مرضه على نحو شبيه بسكرات الموت ، وقد أملى على خادمته هذا الفصل الرائع الذي يحمل معه غصص الكاتب وهو يعاني ما يشبه النزع الاخير . وما نحسب أن في تاريخ الأدب العالمي كله كاتبا استنفد حياته ذرة ذرة ، في خدمة أدبه ، مثل هذا الكاتب العظيم .

وكان آخر ما خطه قبل وفاته بفترة قصيرة ، في ذيل الجزء الأخير من مخطوطة روايته كلمة (انتهى)، وكذلك انتهت حياته ورسالته الادبية معا .

واخترمه الموت في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٢٢ بعد أن أصيب بذات الرئة ورفض استقدام طبيب لمعالجته .

وهكذا فان مرضه الذى اضناه وشده الى فراشه وجعله حلس بيته ، ليقصر حياته كلها على اتمام رسالته الأدبية كان غنما ونعمة على الأدب .

يقول « بروست » :

« عندما كنت صغيرا ، فان مصير اي شخص من اشخاص التاريخ المقدس لم يكن يبدو لي اكثر بؤسا من مصير نوح بسبب الطوفان ، الذي الزمه بان يكون رهن سفينته أربعين يوما . ولما اضحيت فيما بعد حبيس سفينتي اياما مديدة ، عرفت حينئذ انه لم يكن في ميسور نوح أن يرى العالم جيدا ، الا من سفينته رغم كونها مغلقة وكون الأرض مغلقة بالليل » .

أجل . يتراءى لي (بروست) ، منطويا على نفسه ، حبيسا في حجرته ، ينسل من ذهنه خيوط ذكرياته ويغزلها على الورق في روايته المبدعة ، كانه دودة القز الحبيسة في فيلجتها ، تنسج خيوطها الحريرية الناعمة الترفة ، وتنتظر في داب لا يني أو يفتر ، اليوم الذى تمزق فيه سجنها وتنطلق ، تياهة مزهوة ، بمجد من الألوان رائع جديد . ■■

بديع حقي
دمشق

حشرة من البشر

قصة بقلم سنية قراعة



■ كان الشيء الوحيد الذى طالما أثار دهشة سعدية وحسدها وحقدها على المجتمع البسيط الذى كانت تعيش فى محيطه ، هو انها كانت دون اترابها من الصغار فى كل شيء . فقد كان للجميع آباء وأمهات .. أما هي فلم تر لها أبا ولم تستمتع ذات يوم بعطف أم ! وكأنه قد حرم على شفتيها أن تنطقا بهذا الاسم الحبيب !!

ولطالما وجد الصغار كل وسائل الحياة ممهدة لهم ، أما هي فقد كان عليها أن تشقى لتأكل ، وأن تخرج شبه عارية فى الزمهرير القارس لترضى سيدتها !! وكان الاطفال يرفلون فى الثياب ذات الالوان الزاهية ، أما هى فما عرف جسدها سوى شبه خرقة لا لون لها ، تتدلى عليه لتستر بعض أجزائه وتترك البعض الآخر نهبا للعيون كمن يحاول استدرار حنانها .. ولا جدوى !!

وكأني بالقدر الذى أوجدها على ظهر الأرض وكتب عليها هذه الذلة ـ أبى الا أن يحطم قلبها الصغير ويجبرها فى قسوة على الاعتراف بأنهـا ليست أكثر من « حشرة » آدمية عليها أن تباعد الناس وأن تخشى الاقتراب منهم ! وأن تكتفى باختلاس النظر اليهم ، حتى ازدادت كراهيتها للعالم ومن فيه !!

★ ★ ★

ولم تكن سعدية تعرف من أمور دنياها الا أنها كانت تعيش على الفضلات التافهة التى كانت تتصدق بها عليها الحاجة « فطومة » ، زوجة محمد أفندى المحصل باحـدى شركات البناء ، والذى كان يعتبر نفسه سيد « الحارة » وزعيم من فيها من بسطاء الرجال !

أما لماذا كانت تتصدق عليها هذه السـيدة ،

ولماذا كانت تؤويها في « عشة فراخها » احيانا ـ فذلك ما لم تكن سعدية تعرفه ، ولم تحاول أن تفهمه في يوم من الايام !

وبالرغم من أن أهـل الحارة جميعا كانوا يعرفونها ، وكانوا يتظاهرون بالعطف عليهـا ويتحدثون في ضرورة مساعدتها ، فان واحدا من السكان الذين كانت تكتظ بهم البيوت ، لم يفكر جديا في أن يشفع حديثه بالتنفيذ ... فظلت الشريدة على حالها وظل الناس على حالهم من الثرثرة والتمشدق بالاكاذيب !!

لم يعرف أحد لها أبا ، ولم يذكر انسان أنه شاهد لها أما في ذلك الحي الذى اختارته لبقائها .. ولكن « أم مشمش » بائعة الحلوى كانت تهمس لبعض ثرثارات الحي وهاويات الاحاديث بأنها شهدت" أبا الطفلة ، وجلست الى أمها .. وأن هذين الأبوين المجهولين لم يربطهما زواج !! وأنهما كانا يعتبران الصغيرة عقبة في سبيل حياتهما ، فعملا على التخلص منها وأسلماها الى عجوز كانت تقطن في « مندرة » مظلمة في الحي ، فتولت تربيتها .. فلما ماتت تولت سعدية أمر نفسها !!

وكانت « أم مشمش » كلما كررت هذه القصة المملة على أسماع ثرثارات الحى ، هززن الرؤوس وتبرعت بعضهن بنعوت غريبة يلصقنها بالفتاة التعسة ، فيؤكدها بعضهن في اصرار وعناد ، حتى اذا ما نوقشت ، أو اعترضت معترضة" على المتقولة ، اجابتها في سخرية : « ما هو كل أولاد الحرام كده » !!

الكرم الاجـوف !!

وحل « العيد الصغير » ذات عام ، وجعـل أهل الحي يتحدثون في اطناب عن « الزكاة » التى طهروا بها أبدانهم وأموالهم والصدقات التى جادوا بها على المعوزين والفقراء ، و « اللقم التى تمنع النقم » !!

وشاء لهم الخيال أن يطنبوا في ذلك الحديث ، وأن تتشعب بهم فنون التشدق في الوقت الذى ظلت سعدية فيه عارية الجسد على نفس حالها من التشرد والعوز والبؤس ، الذى نسيه كرم المتقولين وضلت" اليه زكاة" هواة الفخر والرياء والكذب ، ممن خيل اليهم بأحاديثهم المكذوبة تلك أنهم يخادعون الله والناس ، وما يخدعون



الا انفسهم المريضة ، التى قتلتها الاثرة ، وقضت عليها المادية اللعينة !!

ولم تهتم سعدية الجائعة ـ التى مر بها يومان خاوية البطن ، وهى جالسة منبوذة وحدها على « رصيف الحارة » ، لم تهتم برائحة الطعام منبثقة من البيوت العديدة ، قدر اهتمامها بمتابعة الصغار النافرين منها بأنظارها المحرومة ، وقد تجمعوا يحتفلون بالعيد فى ملابسهم الجديدة وفى أيديهم الألاعيب والحلوى والفواكه !!

وتملكت" سعديّة" حَسرة" مُمِضّة دفعت بها الى الخروج على صمتها ورضاها وقناعتها ، وجعلتها تفكر فى امر خطير ما تجاسرت على اعلانه فى يوم من الأيام !!

وكان أن ذهبت لتوها الى بيت « الحاجة فطومة » ، لتحاول بالدمع ان تستثير حنانها واشفاقها .. ثم سالتها أن تجود عليها ببعض القديم من ملابس أولادها الصغار !!

وضربت « الحاجة » يدا بيد وقد تملكتها الدهشة لهذه الجراة ! وعز عليها أن تكون نتيجة احسانها المتوالى أن تطمع تلك اللعينة فى ملابس أبنائها !!

اما زوجها محمد أفندى الذى كان قد فرغ لتوه من محاضرة طويلة القاها على بعض ضيوفه فى فضائل الكرم .. وحب الله للكرماء ، الذين يجد السائل والمحروم فى أموالهم ما يرفه عنه ـ فقد غضب واعتبر الفتاة مجرمة ، لأنها تطاولت بنظرها الى ملابس أولاده !! وخشى أن تصيبهم عينها الحاسدة بالشر !! وبلغ به غضبه مداه ، فاقسم « بالطلاق » من زوجته « الحاجة » ان لم تطرد سعدية من جنته الزاهرة .

وقام الرجل الغاضب ساعة جرت الطفلة التعسة من امامه مذعورة ، قام يحكم رتاج الباب خلفها وهو يردد فى دهشة وعجب .

ـ صحيح .. اتق شر من أحسنت اليه !!

ثم سار الى حيث كانت زوجته فى « المطبخ » وتعجلها فى اعداد « صينية السمك » لأن معدته خاوية !!

التائهة !!

وظلت سعدية تجرى .. وقد خيل اليها من فرط هلعها أن لعنة قاسية كانت تطاردها وأن تمسكها بالحياة التى تحبها يوجب عليها أن تهرب من ذلك المكان !! فخرجت من باب البيت تجرى، لا تلوى على شيء .. ظلت تجرى تاركة « الحارة » وراءها حتى وصلت الى « الشارع » فجلست فى ركن من أركانه تحاول ألا تراها عين ..

وعندما خيم الليل وانتشر سواده أحست التعسة بوحدتها ، ومشت فى جسدها رِعشة" ورهبة ، وتملك الخوف مشاعرها وكادت تصرخ أو تستغيث !! ولكنها عادت فخشيت أن يثير صوتها ريبة احد أو غضبه ، فكان أن ظلت قابعة حيث هى،وقد غلبها الخوف وهدّها الجوع القاسى!! فاغفت .. ولكنها لم تلبث أن استيقظت تعوى كالكلب الأجرب ، اذ أصابتها ركلة" من قدم رجل من رجال الشرطة !!

أسرعت المسكينة هاربة وجلة ، فكادت تطويها عجلات سيارة ماجن، افرط صاحبها فى الشراب !! ولكنها حادت عنها فى خفة وأسرعت الى منعطف ضيق تحتمى فيه من لعنات السائق السكر ، وصرخات رجل الشرطة الغاضب .

وعندما سمعت سعدية خطوات رجل الشرطة وهى تبتعد،وصوت السيارة وقد استأنفت السير، خرجت من مكمنها .. ولم تجد الا ان تجرى مرة أخرى الى « الحارة » التى هربت منها فى صباح ذلك اليوم ! ثم أخذت مكانها عند حجر ، الى جانب بيت من البيوت ، وعنده جلست فارغة البطن والعقل ، تقلبها دهشة مقيتة لأنها حية ، تعيش كفيرها من الناس !!

وسمعت سعدية اقداما تقترب منها فنظرت وجلة الى القادم فاذا بها تسمع صوتا يناديها ، عرفت فيه صاحبها الصغير « حندق » ابن « أم مشمش » بائعة الحلوى ! فلم تهتم لمقدمه ،وظلت مكانها تشغلها هواجسها دون ان تقيم للقادم أى وزن ، برغم أنها كانت تعرف فيه الطيبة والعطف عليها فى بعض الأحيان !!

وجلس« حندق » الى جانب سعدية ..وبدورها احست برغبة ملحة فى أن تشكو اليه همتها .. فبكى من اجلها اشفاقا ! وبكت بدورها لبكائه، فاستشعرت بعض الراحة .. واستطاعت أخيرا أن تعرف ان فى البكاء تسرية وراحة للقلب الذى أثقلته هموم الحياة ، فظلت تبكى ما شاء لها البكاء !!

وأخذها « حندق » من يدها لتقضى ليلتها عند باب «المندرة» ، التى كان يسكنها معامه ! كما انه افلح فى التسلل الى السكن دون أن يثير ريبة ،

فسرق لها كسرة من رغيف جاف أكلتها قانعة شاكرة .. ثم نامت هادئة — وهى تلعن فى ضميرها ذلك الوسواس الخناس ، الذى جعلها تتطلع الى ما هو ليس لها وتتوق الى لبس الجديد من الثياب !!

عـواء الذئاب !!

واستيقظ الناس فى صبيحة اليوم التالى على صوت « أم مشمش » وهى تصرخ وتصخب وتلعن ! فاطلوا من نوافذهم ليروها وقد امسكت « سعدية» وراحت توسعها ضربا وشتما !! والفتاة صامتة محنية الرأس ، وكأنها استسلمت راضية الى قضاء مبرم !! وكأنها ذبيحة . وجدت أن الفكاك من يد جزارها امر عسير !!

واطل محمد افندى وزوجته « الحاجة فطومة » فيمن أطلوا من النوافذ .. وكعهد الجميع به كان اكثرهم ثرثرة وفضولا ، فسأل « أم مشمش » عن سر هياجها وغضبها على تلك اللعينة « سعدية ».

وسرعان ما راحت بائعة الحلوى تثرثر فى كلمات غير مفهومة :

« اللى فيهش ما يخليهش يا سى محمد آفندى، ودى تبقى بنت مين.. تقدر تقول لى مين ابوها!!».

— وعملت ايه ؟!

وتركت المرأة القاسية يد الطفلة التى كادت تتكسر فى يدها الغليظة ، والتفتت الى محمد افندى وزوجته وقالت :

— « عملت ايه !! قال عملت ايه قال !! يتلف أمل الواد الواحد اللى تابتنى من الدنيا . تفسده . تخسر اخلاقه » .

وتقدم محمد افندى فى النافذة بعض الشيء واطل بحوالى منتصف جسده المكتنز ، وقال فى حنق وغيظ :

— « أنا عارف مين رمى البلوى دى علينا !! لكن الحق مش عليها . الحق على طيبتنا احنا !! لو كنا طردناها من الاول زى الكلبة ، كانت بعدت عنا . لكن يا خسارة !! حبينا نلمها ونعمل فيها طيب !! اما صحيح ما كذبمن قال « يامربى فى غير ولدك !! يا بانى فى غير ملكك » اخرجوها بره الحارة !! واذا عتبتها تانى نقطم رجلها ! اطرديها يا أم مشمش ! واضربى الواد ابنك . وصدق الذى قال : ربّى ابنك وأحسن ادبه . ما يموت الا ان فرغ أجله » .

ووجدت الصغيرة التعسة أن موجة من السخط قد ثارت عليها .. وأن الشتائم واللعنات قد لاحقتها من النوافذ ، فجرت هاربة وهى تعجب لأمر هؤلاء الذين يأبون عليها حتى ان تعيش ضالة بينهم وهم فى بيوتهم سعداء ، وجائعة والتخمة تكاد تقتلهم .

الوحش .. والفريسة !!

ومع الأيام استطاعت أن ترتاح الى حياتها الجديدة التى انتقلت اليها .. والتى اصبحت بمقتضاها « متشردة » فى شارع كبير ، وليست خادمة دون أجر فى حارة متواضعة !!

وعرفت سعدية طريقها فى الحياة فولجته فى سرعة وفى ذكاء كانت تتميز به ! واستطاعت كلما جنّ الليل أن تعود الى الوكر الذى اعتادت قضاء ليلتها فيه مع جمهرة من أبناء الشارع وبناته ، اخوانها وشقيقاتها فى البؤس — ومعها بضعة قروش ، كانت تعطى الرجل الهرم الذى يضيفهم جميعا عمولته منها ، وتخفى الباقى عن العيون بدافع الحرص والرغبة فى الحياة !!

واستطاعت الفتاة الحريصة بمضى الزمن ان تدخر مبلغا من المال ، جعلها تذهب الى الرجل وتطلب منه فى اصرار واعتداد ان يتكرم بنقلها من عداد « الشحاذات » اللائى يتابعن المارة فى الحاح .. وأن يضعها فى الطبقة الثانية من « تلميذاته » لأنها ستشترى جلبابا جديدا وتبيع مع زميلاتها أوراق « اليانصيب » .

ونفض الشيخ رماد « سجارته اللف » ونظر اليها نظرة غريبة .. ولم يلبث أن رد عينيه عنها وهو فى دهشة تخيل معها انه كان يرى سعدية للمرة الاولى فى حياته !!

لقد كانت الفتاة تمتاز بما ليس فى غيرها من الحشرات البشرية التى يمتلىء بها بيته ، اذ كانت نبيلة الملامح ، حلوة التقاطيع ، مستديرة الوجه بيضاءه ، غزيرة الشعر كستنائيه ... فيها من الأنوثة مخايل تبعث على الاعجاب بها !!

وعاد الرجل ينظر اليها فى هدوء وقد امسك بشعيرات ذقنه البيضاء المترسلة .. ثم لم يلبث أن مال الى الامام قليلا فى جلسته وقال للفتاة الطامعة فى رضاه — ليرفع مرتبتها من « شحاذة » الى « بائعة يانصيب » :

ـ أنت ذكية !!

وسُرت سعدية لذلك الاطراء ، ودقّ قلبها فى فرحة أحست معها بأنها قد نالت ما كانت تتمناه! وعاد الرجل ليقول لها :

ـ ولماذا تخيرت «الطبقة الثانية» بالذات ؟!

ـ لأنى استطيع ان اتقن العمل فيها !

وضحك الهرم اللعين ضحكة خشنة قاسية .. قال بعدها :

ـ انك طائشة ، لا تستطيعين وضع نفسك فى مكانها !! كم عمرك الآن ؟!

ـ لا أدرى !

ـ ان من يراك يحسبك فى الخامسة عشرة ، ولكنك أصغر من هذا .. دعينى أنا أتدبر أمرك !

وسكت المجرم السابق كمن كان يفكر فى أمر عويص شغله الى حد بعيد .. ثم ضرب جبهته بيده وقال :

ـ لم لا تطلبين نقلك الى الطبقة الأولى ؟!

وتمتمت الفتاة فى دهشة :

ـ الطبقة الأولى .. ؟!

وابتسم المجرم الخطير الذى ترك الاجرام والسرقة والسطو الى فتح هذه « الجامعة الاجرامية » ، لتخريج أبناء الشر وبناته وجعلها موردا سائغا لرزقه !! ثم قال للفتاة :

ـ ما الذى أدهشك !!

ـ لا شيء ! ولكن ..

وفى قسوة صرخ فيها :

ـ تكلمى !

ـ انا لم افكر فى هذا !

ـ ولكنى أنا الذى أقرر ما ترين .. ستنتقلين الى الطبقة الأولى !!

ـ ولكنى لا اعرف عن اعمالها شيئا !

ـ الأمر هين .. ستنامين فى الحجرات العلوية طوال يومك .. فاذا ما حل الليل خرجت مع زميلاتك لتنتشرن فى الطرقات المظلمة !! ثم ..على الرجال الجياع بقية الأمر !!

ودق قلب سعدية وسادت وجهها صفرة وجلة ، وارتُج عليها ، ولم تعرف ما الذى تستطيع أن تقوله لذلك الوحش القاسى القلب ، الذى يريد أن يدفعها الى هوة الرذيلة !!

وعرف المجرم ما يجول بخاطر الضحية فاسرع يقول :

ـ انه ولا شك كرم منى وخدمة عظيمة أسديها لك ! ستجدين الراحة فى حياتك الجديدة ، وستلبسين فاخر الثياب،وتحلين ذراعيك بالذهب! وسيكون لك كل ما تربحين ، على أن تعطينى كل ليلة ربع دخلك !! هيا .. انه خَجَلٌ عارض سيزول حالا !! نفس الشعور الذى يعتور كل من يسعدها الحظ بالانتقال الى الطبقة الأولى !!

وسعل المجرم سعلة متحشرجة نادى على أثرها احدى تابعاته ممن يعملن فى الطبقة الأولى لتأخذ الضيفة الجديدة !! ولم ينس أن يقول لها كلمة ذات دهاء وخبث ، حاول أن يغطيها بابتسامة مصطنعة :

ـ ولا تنسى يا سعدية أنى أتذوق دائما الطعام الجديد وأقدر صلاحيته !! وأتنبأ بما سوف يلاقيه من رواج فى سوق الرجال !!

يد القدر !!

وأعد الذئب عدته ليحتفل بالصيد الدسم الجديد الذى استسلم له بعد درس الارهاب الذى ألقته على مسامعه الضحايا القديمة !!

وهكذا سيقت سعدية الى المذبح الدنس ،حيث افترسها الوحش القاسى !!

ثم .. بعثها عندما جن الليل مع احدى العائدات لتدربها على العمل الجديد !!

وعادت سعدية فى ليلتها تلك ـ وفى اربع ليال تالية خالية الوفاض ، اذ أبت أن تستسلم، وعز عليها أن تكون ذبيحة تافهة يلتقطها هواة الرمم من جياع الرجال !!

وكان المجرم يلقاها كل ليلة هاشا مبتسما .. ولكن حاله هذا تغير فى الليلة الخامسة وقد شكت له زميلاتها من عنادها ، فابتسم ابتسامة صفراء، ومد يده الى « الشلتة » التى غطت « الدكة » التى كان يجلس عليها فاخرج منها سوطا ذا ثلاث شعب .. لوح به فى الهواء فأحدث صوتا يثير الذعر !! ثم قال فى سخرية لاذعة !

ـ اتظنين أننا فتحنا « تكية » للعاصيات من أمثالك ؟!! انك تلبسين وتأكلين وتنامين !! يجب أن تدفعى .. والا لملهن جميعا قد حدثنك عن هذا السوط !!

ولوح المجرم بسوطه فى الهواء مرة ثانية ثم علت

ضحكته الفاجرة وجذب اليه الضحية العاصية وهو يقول فى تهديد :

ــ ومع ذلك فموعدنا ليلة الغد !!

ورجعت سعدية فى فجر الليلة التالية ترنح من فرط الارهاق ، فوجدت المجرم ينتظرها فى مكانه المعتاد وقد بان الشر على ملامحه القاسية المخيفة ومد اليها يده فتقدمت منه واعطته كل ما كان لديها !!

وبهت الرجل ، ولكنه سارع فاخفى دهشته، ثم هز رأسه وقال فى صوت رقيق :

ــ لم تخب فراستى فيك .. انك ذكية فعلا !!

ومد يده الى جانبه فاعطاها عشاءها الذى كان يحتفظه لحين حضورها ، وتمنى لها « أكلة » طيبة وتركها تدخل حجرتها لتأكل وتنام !!

ودخلت .. ولكنها لم تأكل .. كما انها حاولت عبثا أن تنام ولا فائدة !!

★ ★ ★

وسارت حياة سعدية على هذه الوتيرة المملة .. حتى حدث أن خرجت ذات ليلة ، فاذا بها تلقى رجلا جديدا .. لقد كان جديدا فى كل شىء حتى لقد ظنته أبله أو ساذجا ، أو مصابا بخبل أو جنون ، اذ لم يعاملها كما اعتاد الرجال معاملتها ! ولم يلقها فى نفس الصورة التى عرفتها فى غيره . كان رقيقا مهذبا ، فيه حياء ، وفى نبرات صوته ما يشعر سامعه بانه خَجِل" لارتكابه هذه المغامرة !!

وقضياها ليلة .. من ليال اعتادتها سعدية ولكنها كانت ليلة فريدة فى حياتها اذ لم تنته كما كانت تنتهى مثيلاتها من الليالى الغابرات ، بل ظلت مع الشاب فى بيته حتى الصباح .. ثم استيقظت لتسمعه وهو يعرض عليها أغرب ما سمعته فى حياتها فانصتت اليه وهى ذاهلة ــ فى حين استمر هو يقول :

ــ ستجدين هنا كل ما تحتاجين اليه !! وما دمت وحيدة كما قلت وليس لديك ما يشغلك ، فلم لا تؤنسين وحشة وحيد مثلك ؟!

ووجدتها سعدية فرصة طيبة تشعر فيها بانها سيدة لأول مرة . ووجدها عباس فرصة طيبة ايضا ، تغنيه عن التجوال فى الطرقات .. وتشعره بانه رجل له كيان و .. فى بيته « امرأة » تنتظره !!

وبدأت سعدية تحيل بيت الشاب الى جنة صغيرة ارتاح اليها كما ارتاحت هى الى الحياة فيها ..

وفجاة تدخل القدر !!

حضرت أمه من الريف .. فهالها ما رأت !!

وعبثا حاول الابن أن يبرر لها عمله فلم تنصت اليه وهددته بالقطيعة والويل ان هو استمر فى هذا الطريق !

ثم سافرت الأم مُغضَبة لتعد لابنها معدات زواجه من ابنة أخيها فى القرية .. ولم يمض اسبوع حتى أرسلت اليه تطلب حضوره « كتب الكتاب » !!

ووجد صاحبنا أن الحق فى جانب أمه وأن عليه أن يتخلص من صديقة المصادفة !!

وصارحها بكل شىء . فاحنت رأسها ولم تتكلم!

وقامت فجمعت ثيابها وبدأت تغادر البيت .. الذى خيل اليها وهى فيه ، أن اللعنة قد غفلت عنها . وأن القدر بدأ يهادنها !! قادتها قدماها من حيث لا تشعر فوجدت نفسها تدنو من الشارع الذى نامت فيه من الاعياء ذات ليلة .. ليلة طردها محمد افندى من الحارة التى درجت فيها على البؤس والحرمان !!

وتذكرت السيارة .. التى كاد قائدها الثمل يأتى على أجلها وليتها قتلت !!

كانت تسير مُطرقة ذاهلة لا تسمع ولا ترى وقد استغرقتها الأفكار السود بين الماضى والحاضر والمستقبل !!

وفجاة طلعت عليها من الشارع الجانبى سيارة مندفعة كالاعصار .. لم يستطع قائدها ايقافها اذ فوجىء بالفتاة امامه وكأنها عمياء خرساء !! وسرعان ما انطوت تحت عجلاتها !!

وتساءل من لا يعرفها : هل ماتت قدرا .

وقال آخرون : بل انتحرت .

ولكن الشىء المؤكد هو :

انها عاشت « حشرة » !! وكذلك هى ماتت .

■■

سنية قراعة

أنباء الطب والعلم والاختراع

البحوث الاساسية أم البحوث التطبيقية فى العلم ؟

● ان البحوث الاساسية تربط الانسان بهذا الكون الكبير الغامض الذى يعيش الانسان فيه .

هذا موضوع اليوم ، موضوع النقاش ، لا سيما فى الأمم النامية . والرأى الغالب عندهم ينصر العلوم التطبيقية كل النصر ، ومنهم من يخذل البحوث الأساسية ، التى تسمى أحيانا بالبحتة أو النظرية ، تلك التى تطلب الكشف عن الحقائق العلمية دون نظر فيما قد يكون منها من مغنم مادى .

ومن هذا النفر الأخير من يخذل هذه البحوث البحتة كل الخذلان . وكثيرا ما يكون هذا الرأى رأى أقوام هم ابعد ما يكونون عن العلم وبحوثه ، من بحتة أو تطبيقية ، وعن تاريخ العلم وتاريخ الصناعة معا ، وكيف تعاونتا على الأجيال .

نقول هذا بمناسبة صوت ارتفع فى مؤتمر علمى حديث،هو صوت الدكتور ألان واترمان Waterman وله عند العلماء من التقدير ما له ، ارتفع يشيد بالبحث العلمى البحت ، الذى أسماه البحث الاساسى المتحرر .

وهو يقول ان من يقرأ التاريخ يعلم أن العلماء الذين سبقوا ، آباء هذا العلم الحاضر الحديث ، لم يجذبهم الى بحوثه امل فى الحصول على الجنيه منها والدولار. جذبهم اليها حبهم وشغفهم بكشف الخبيء من الحقائق .

ويلجأ الدكتور واترمان الى الاحصاء فيقول ان البحوث العلمية فى الولايات ثلثاها من النوع التطبيقى ، والثلث من النوع البحت الأساسى . ومع هذا فان هذا الثلث به نحو ٨٠ فى المائة من البحث المشروط لا البحث الحر . وهو يعنى بالبحث المشروط الذى يموله قوم شرطوا على الباحث فيه أن يبحث موضوعا بحتا ، ولكنهم عينوه بذاته ، وبذلك قيدوا الباحث فيه . وهو يرى أن نسبة هذا البحث المشروط كبيرة جدا ، ويجب ان تزيد نسبة البحث البحت الحر .

ويلجأ الدكتور واترمان الى التاريخ ليقول ان من يشك فى ان البحث العلمى البحت هو أساس تقدم العلوم التطبيقية عليه أن يرجع الى تاريخ كل كشف عظيم ليجد انه كان من ورائه بحوث من البحوث البحتة عظيمة ، لولاها ما كان للتطبيقى وجود . وسوف يجد كذلك ان الكثرة الكبرى من البحوث البحتة عظيمة ، تحولت آخر الأمر الى كشوف تطبيقية باهرة ، بهرت اعين الناس فعموا عما كان وراءها من بحوث اساسية .

القطط تأكل ١٠٠

● خبر ليس بغريب على من زار دول اوروبا فى هذه السنوات القريبة الحاضرة، وجلس يرى ويستمع الى مشاهد التلفاز كل ليلة . ان غذاء القطط المعلب يحتل من الاعلانات المتلفزة نصيبا كبيرا يكاد يعادل ، هو وغذاء الكلاب المعلب أيضا ، آعلانات السجائر .

نعم،انها ١٠٠ مليون رطل من السمك، تدخل المصانع لتصنع ، وتعلب ، لتكون طعاما للقطط ، تشتريها ألوف مؤلفة من الأسر لتغذية قطط تؤويها فى منازلها ، وتأنس بها .

بدأت قصة هذا السمك المعلب بأن السماكين فى خليج المكسيك كانوا يخرجون

طريقة جديدة لكشف سرطان الثدي قبل استفحاله

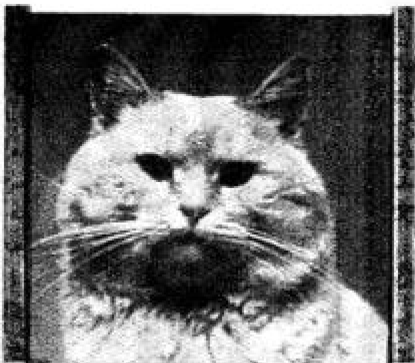
● وهو يصيب النساء فى اثدائهن .

وامر السرطان ليس كبير الخطر اذاتضح امره للأطباء عاجلا . ولكن ، هل هو يتضح عاجلا ؟

انه يتضح عند الطبيب بظهور ورم فىالثدى تحسه اصابعه عند الجس .ولكن لا بد من بلوغ الورم حجما كافيا تحسهالأصابع . ومعنى هذا ان يكون المرض قد تقدم فوق ما يجب .

واليوم ابتدع الدكتور جون ولف John Wolfe بمستشفى النساء ، بمدينة « دترويط Detroit » طريقةينكشف بها سرطانالثدي قبل استفحاله ، اى قبل بلوغ ذلك الحجم الذى تحسهيد الجراح . وهى طريقة وسيلتها الأشعة السينية : انها تكشف الداء والورم صغير يتراوح بين ٨ و ١٠ مليمترات .

وقد أجرى كشف بهذه الأشعة على ٤٠٠ امرأة فتن الخامسة والأربعين من العمر ،فدل الكشف علىوجود سرطان بأثداء ١٦ منهن . ثم امتحنت عينة من انسجة هؤلاء فتأكد عندئذ وجود السرطان بأثدائهن .



مليون رطل من السمك

من البحر فى شباكهم ، كل عام ، مقادير من السمك هائلة ، منها ما تقبله الأسواق وتقبل عليه ، ومنها ما تزدريه . وهذا الذى تزدريه كان يبلغ ٥٠٠ مليون سمكة ، من شتى الأصناف ، الكثير منه الصغير ، ومنه القشريات من أحياء البحار . فكان السماكون يردون كل هذا الى البحر . ثم بدا للبعض ان يصنعه غذاء للقطط .

ويقول بعض علماء بحوث السمك ان بهذا السمك ، من الفضائل ، ما يجعله خيرا مما يأكل أصحاب البيوت ، أصحاب القطط ، وبه من الزيت ما يفضل السمن والدهون الحيوانية الاخرى ،تلك الدهون الجامدةالتىاشتهرت بانها تسببامراض القلب وتصلب الشرايين .

وينظر هؤلاء العلماء الى القحط الموجود فى العالم ، قحط اللحم ، قحط مادة البروتين ، مادة الغذاء التى تبنى الجسم ، ويشيرون الى احتمال ان تسد هذه المائة مليون من الارطال ، وامثالها مما يستجلب من البحر ، ذلك النقص الحاصل فىغذاءالكثير من أجناس البشر .

والقطط المدللة ؟

تعود الى مثل حظ القطط جميعا فى سائر الأرض . او يطبق عليها تنظيم النسل الذى نحار عند تطبيقه فى بنى الناس .



نخر الاسنان ، مرض عصي

● او ان شئت قلت تسوسها .

وهو موضوع من المواضيع التى عولجت حديثا فى المؤتمرات العلمية .

وقد قيل عنه انه مرض كالطاعون انتشارا فى الدنيا . انه لا يقتل ، ولكنه يسبب اختلال الصحة،واختلالها سبيل الموت . ثم تكلفة هذا الداء عظيمة .

وهو مرض معقد ، كتعقد مرض السرطان ، لا يعرفون له سببا واحدا يستطيع العلماء ان يضعوا عليه اصبعهم فيقولوا نعم هو هذا . والعلماء عجزوا كذلك عن ايجاد علاج واحد حاسم لهذا الداء ، أو حتى لمنعه فلا يجيء .

ومن الكشوف العلمية الجديدة اكتشاف ان المياه التى بها فى الطبيعة مقادير من الأملاح المعروفة بالفلوريدات Flourides (وهى ابناء أعمام الكلوريدات) ، يشربها أهل تلك الجهات فتمنع السوء ان يجيء اسنانهم .

واجرى العلماء البحوث المتباعدة فى الأرض ، وكلما زادوها ايقنوا ان البقاع التى يشرب اطفالها الماء الذى به الفلوريد من الصغر ،يمنع العطب ان يصيب اسنانهم عندما يكبرون .

واصبحت الفلوريدات ، اما ان تكون فى الماء طبعا، أو تضاف اليه عند مصادره فى المدن ، هى الطريقة الوحيدة عند الدول لوقاية الناس من سوء الأسنان . حتى لقد عمّ استخدام الفلوريدات فى كثير من مياه المدن الكبيرة . ونعم قامت ضد استخدام الفلوريدات موجة عدائية فى بعض المدن ، قام بها قوم مضللون ، انتهت الى التصويت العام الذى انتهى بمنع استخدام الفلوريدات فى مياه تلك المدن . ولكن كل هذا لم يؤثر فى المدن الأخرى شيئا . وفى الناس المستنير ،وفى الناس غير المستنير .

وعند العلماء أن نخر الاسنان داء من ادواء المدنية .

اما اسبابه فعندهم أن أسبابه البكتير، على الاقل فى الحيوانات .

وفصلوا صنوفا من البكتير اثبتوا انها تسبب نخر الاسنان فى حيوان ، كالفار ، ولكنها لا تسببه فى حيوان آخر كالخنزير الهندى . اى ان بكتيرا يصيب هذا الحيوان لا يصيب ذلك .

ولم يستطع عالم أن يعدى اسنان انسان ببكتير يأتى به من حيوان .

غزا الانسان الهواء ، صاعدا ،

● وقد فعل الانسان ، وهو يحاول المزيد .

ومن هذا المزيد ما أعلنته المؤسسة العالمية المعروفة « وستنجهوس » عن انشاء قسم فيها يتخصص لغزو البحار، ولكل ما يحتاج اليه من آلة ومن رجال، أولئك الذين يغوصون فى المحيطات يبحثونها . . يبحثون ملحها ، وحرارتها، ووهادها ونجادها ، وقيعانها ، وما فى هذه القيعان من ثروة معدنية ، وما فى اجرام مائها المتباعدة من ثروة حيوانية .

والمؤسسة قامت بأول خدماتها للبحاث فى فبراير عام ١٩٦٤ ، فى بعثة هدفها مسح الشواطىء الجنوبية من ولاية كلفورنيا . والمستخدم فى هذا المجهود وعاء يجلس فيه الرجال ، لا ينفذ اليه

فلم لا يغزو الماء، هابطا ؟

الماء . وبه زاد من ماء للشرب طبعا ومن هواء . ويعرف بالطبق الغاطس Diving Saucer وهذا الطبق الذى فى الصورة من صنع فرنسا .

وسيلى هذا الطبق طبقٌ يصل الى اعماق فى البحار اكبر ، ويسمى بالنجم الغاطس Deepstar ويتم صنعه فى مرسيليا فى منتصف عام ١٩٦٥ ، وهو يهبط فى ماء المحيط الى ٤٠٠٠ قدم . وسوف يتسع لرجال ثلاثة . وسيكون له ايدٍ تلبسها ايدى الرجال تنال بها ما فى الماء من اشياء . الى اضواء تنير لاعينهم هذه الاعماق الظلماء . وكذلك عاكس للصدى .

وقد تم تصميم نجم غاطس آخر يهبط فى الماء الى ١٢٠٠٠ قدم . وآخر يهبط الى ٢٠٠٠٠ قدم .

ومع هذه الأطباق الغاطسة بالطبع سفن تبقى عند سطح الماء ، تهبط بهذه الأطباق فى المحيطات وترتفع بها .



هذه صورة الطبق الغاطس ، والسفينة ترفعه من عمق البحر الذى كان به ، وذلك فى المشروع القائم اليوم فى دراسة اعماق البحر عند ساحل ولاية كلفورنيا الجنوبية . لاحظ النوافذ المستديرة التى بالطبق .

تسليك الشرايين وتنظيفها

● نعم . انها تسلك كما تسلك أنابيب المياه اذا سدتها الرواسب . والرواسب فى الشرايين تكون من مواد دهنية . ترسب على جدران الشريان ، ثم ترسب ، حتى يضيق مجرى الدم فيه ، او يسد . فان كان الشريان فى القلب ، فذلك الموت ، وان كان بالرجل مثلا ، فقد ينتهى الأمر بغنغرينة فى الرجل تقتضى بتر الساق .

قام بهذه التجارب الدكتور دوتر Dotter بجامعة اورجون Oregon . واجراها بنجاح على اربعة من الاشياخ .

وطريقته تتلخص فى حقن المريض بمادة تظهر معتمة فى صور الأشعة السينية ، ومنها يستدل على الموضع من الشريان الذى توقف جريان الدم عنده بالانسداد . وعندئذ يدخل الدكتور الى هذا الشريان سلكا يجريه فيه ، يخترق الدهن الراسب . ثم هو يلبس هذا السلك انبوبة رفيعة جدا من مادة مطاطة، من اللدين، ويدخلها الى موضع الانسداد، ودليلها السلك . وبها ينظف المجرى . وقد يحتاج الأمر بعد ذلك الى ادخال انبوبة اسمك لتزيد الشريان نظافة ، وترده الى حجمه الطبيعى الأول .

واحتمالات هذه الطريقة، فيما يختص بتصلب الشرايين بالذى يترسب على جدرانها واحتمالاتها فى امراض القلب ، ظاهرة .

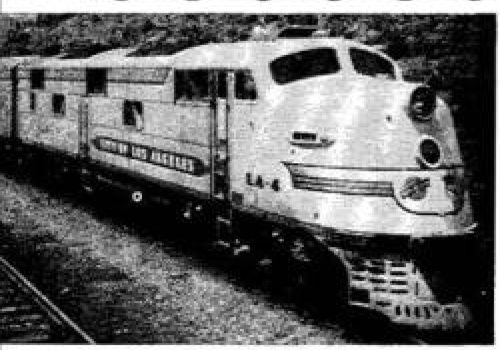
لماذا ياكل المتوحشون لحوم البشر ؟

● بحث فى اكل لحوم البشر ، يؤكد فيه الباحث ما يلى :

انه فى المجتمعات الانسانية البدائية يعتقد الناس انه ، باكل اجزاء من اجسام الغير ، من الحيوانات او الناس ، يكتسبون ما ترمز اليه هذه الاجزاء من خلال ، فاكل قلب الأسد يكسب الشجاعة . وباستمراء لحم الغزال يكتسب الانسان السرعة . وباكل لحم رجل مخوف أو مكروه ، يكتسب الآكل قوة عدوه أو شجاعته .

وان عادة اكل لحوم البشر عادة فى بنى الأمم قديمة ، دعت اليه اسباب كثيرة عجيبة غريبة . منها حدوث مجاعة ، فياكل فيها القوى الضعيف . ومنها التخلص من اسرى الحروب . وحتى لحم الاقرباء كان أكله يعد طريقة محترمة جديرة بالنسب القريب ، بخلا بجسمه عن الأرض .

وان من آكلى اللحم من اكل لحم البشر ، بعد قتل صاحبه ، اعتقادا منه أن هذا الاكل ، ولو قطعة سائغة منه ، تحميه من شبح المقتول اذا هو صحا ودار فى الارض يطلب الثار .. وقد ياكل الرجل من لحم المقتول من اهله هو ليكون اشجع فى طلب الثار .



سكة حديد ، سرعتها أكثر من ٢٠٠ ميل فى الساعة

● هذا ما ضمنه رئيس الولايات المتحدة فى خطاب للشعب . انه مشروع جديد سوف يخصص له فى الميزانية نحو ٣٠ مليون دولار، للبحث والتجريب فقط .

والقصد منه زيادة سرعة التنقل بين بلد فى الولايات وبلد . ان عصر السرعة فى السماء لا بد أن يسايره أو يتابعه عصر سرعة على الارض .

وسرعة القطارات العادية سرعة لاتأتلف وحاجة الزمان .

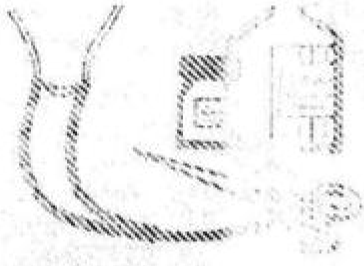
والمشروع أنبوبة تبنى على السكك الحديدية الحاضرة، تجرى فيها القطارات تدفعها النفاثات التى بالقاطرات ، تماما كما تصنع فى الطائرات .

والسرعة المطلوبة ؟

تتجاوز ٢٠٠ ميل فى الساعة .

وقد خصصت هيئة سكة حديد بنسلفانيا مرحلة على سككها تبلغ ٢٥ ميلا لعمل التجارب المطلوبة ، وهى تقع بين مدينتى ترنتن Trenton ونيوبرنزوك New Brunswick .

■■



طبيب الأسرة



أى لبن أختار،لارضاع طفلى ؟

ـ ليس فى ثديي اللبن الكافى لغـذاءطفلى ، وينصحونني ان الجا الى الارضاع بالزجاجة . فاى الألبان أختار ، وهل هىتغنى عن لبن الأم ؟

● اذا لم تستطع الأم ان تعطى طفلهااللبن الكافى ، فلا عليها من ان تعطيه من لبن البقر ، الحليب ، أو المسحـــوقالمجفف . ان الأطفال تنمو على هـــذه الألبان نموا طبيعيا ، والملايين تنمو عليهاليوم فى كل ركن من أركان الارض .

ولكن بشروط : منها النظافة اشـدالنظافة فى غسل الزجاجات وتعقيمها ، والغلى يعقمها . وفى الأسواق كيماويات معقمة اخرى ، تترك فيها الأم عـــدة زجاجات بعد غسلها،تأخذ منها الزجاجةمن بعد الزجاجة من بعد الزجـــاجة عند الحاجة . وهذا يوفر عليها مجهوداكبيرا .

ومن الشروط الواجبة ان تعطىطفلكاللبن الكافى ، ولا تخشى ان يأخذ فـــوق حاجته . فالطفل فى هذه الأمور اعقـــل من البالغين . وخرق الحلمة يجب ان يكون لامرار الكافى من اللبن عنـــد مص الطفل اياه . .

اشياء صغيرة ، ولكنها تسبب للأمهات متاعب كثيرة .

اما نوع اللبن فالاختيار واسع المجال . فلبن البقر الحليب ، بعد اضافة السكر اليه ، وتخفيفه بالماء ، ينفع . والمركـز المعلّب ينفع . واشيعُ الألبان جميعا فى كثير من البلاد اللبن السحيق ، البدرة ، على شرط ان يشترى من مصنع لـــه اسم معروف . والمصانع التى تصنع اللبن فى العالم كثيرة . وكثيرا ما يكون لبنها ارخص من اللبن الحليب . انـــه اللبن الحليب لا ينقصه الا الماء .

وانت واجدة على علبة اللبن ، من كل شركة محترمة ، تحليل اللبن . وهـــذا مثل منها .

عندها طفل ، تغضـــب ، فتصفعه

ـ لي طفل عنيد ، كثيرا ما احسبه يريد معاندتي ، فاغضب وأصفعه على وجهه . ولكن قيل ان الصـــفع على الوجه يضر بالسمع ، فهل هذا صحيح ؟

● أولا ياسيدتي لم الصـــفع ؟ ولم الغضب ؟ والغضب من الطفل ؟ يخيل اليّ ان اغضـــابك الطفـلَ يحفزه الى مغاضبتك .

اما من حيث عملية الصفع واثرها فى السـمع ، فالحق ان الأمر يتوقف على مقدار الصفعة وقوتها . فالصفع الهين بالطبع لا يؤثر .

ولكن لم الوجه ؟

اليس الضرب على مقعد الطفل اسلم ؟ على ان يكون بيدك لا بالعصا .

الدهن ٥ر٢٦ ٪
سكر اللبن ٨ر٣٧ ٪
البروتين ٦ر٢٧ ٪
الاملاح المعدنية ٦ر٥ ٪
الرطوبة ٥ر٢ ٪
١٠٠

والعلبة تحدثك عن محتوياتها ، وكم من الحليب تعادل ، فتعلمين أن كل ١٣٠ جراما من السحيق كانت فى كل لتر من اللبن قبل تجفيفه .

وهذه هى النسبة الغالبة فى البان البقر الحليب الطيبة . وهى تدلك على كم تضيفين الى هذا السحيق من الماء لتحصلى على لبن حليب .

وكثيرا ما تجدين على العلب كيف تصنعين لتهيئى الحليب لرضاع الطفل .

وعلى العلبة كذلك يجب أن يوضع تاريخ تصنيعها ، والتاريخ الذى بعده لا تستعمل . وهذه نقطة لا يتنبه لها الآباء والأمهات . وهذا التاريخ لا يريده بعض التجار .

ذهبت فى هذه الأيام الاخيرة الى صيدلى ، اشترى منه أنبوبة بنسلين . فأعطانى انبوبة . قلت : هذه قديمة فات أوانها . قال ما هى بقديمة . قلت: اقرأ . فقرأ عليها تاريخها الذى مضى . قلت : متى تأتيك بضاعة جديدة ؟ قال : بعد ان ابيع هذه الحاضرة !!

الدوالى

ـ ظهرت فى رجلى أوجاع ، وتغير لونها حيث تجرى العروق فيها . ويزيد الوجع فى المساء . واحيانا يصيبنى ورم من ناحية الكعب . ويقول لى الطبيب ان اسم هذا المرض الدوالى ، فما أسبابه ؟ وما علاجه ؟

● أما العروق التى تذكرينها فأحسب انك تقصدين أوردة الرجل السطحية . والمرض الذى تذكرين ، أى الدوالى Varicose Veins. ، يتسبب عنها اتساع الأوردة أكثر مما يسمح به مقدار الدم الذى يجرى فيها ، ويكون من ذلك طبعا شىء من ركود حركة الدم فى هذه الأوردة وامتلائها به وتخلفه فيها .

اما سبب المرض فمرجعه غالبا الى الوراثة ، ولكن يظهره عند الناس نمط الحياة . مثال ذلك : وقوف العمال والعاملات طول النهار فى أعمالهم يؤدى الى تثاقل الدم فى الأوردة ، لا سيما وقد امتنعت الحركة التى تضخ الدم فى أوعيته وتجريه .

وتتسع الأوردة فتصبح الصمامات التى بها ضعيفة الأثر . انها الصمامات التى تأذن للدم أن يرتفع فى الوريد الى اعلى ، ناحية القلب ، ولكن لا تأذن له بأن يعود .

وللدم وزن ، فعمود الدم الذى بالوريد يثقل ، فيزيد اتساعا .

اما العلاج ففيه العاجل الملطف ، وفيه الحاسم للأحوال الشديدة ، لا سيما اذا برزت الأوردة فى سطح الرجل ، وتقرحت ، عندئذ يصبح انفتاح وريد سببا فى فقدان دم كثير يكون فقده خطرا على الحياة .

اما العلاج الملطف المسكن فله قلة

الاحذية ، نعولها

ـ هل هناك اضرار من لبس الأحذية التى نعلها من كاوتشوك ؟ انهم يقولون انها تمنع الرجل من أن تتنفس وغير ذلك ؟

● اذا قارنا بين الجلد والمطاط ، فيما يختص بالأحذية ، وجدنا أن الجلد يمتص العرق ، والمطاط لا يمتصه ، وأن الجلد موصل جيد

من مطاط .. ؟

للحرارة، ويوصلها الى الارض ، افضل من توصيل المطاط لها. وعلى هذا فالنعل المطاط يحتفظ بالعرق اكثر، والقدم فيه أسخن . وبالطبع تراكم العرق يحدث الرائحة التى تلتقطها الأنوف الحساسة .

كل هذا يقال فى الأحذية اذا كان نعلها من مطاط . اما ان يكون نعلها من جلد تحته طبقة من المطاط ، فشىء آخر .

اما ان الرّجل تتنفس ، فلم اسمع قط بأن رجلا تتنفس ابدا. ان معنى ذلك ان جلد الرجل يتنفس ، ولا يوجد حيوان أعلى مرتبة فى سلم الحيوانات من الضفدع يمكنه ان يتنفس من جلده . وحتى الضفدع يعتمد اكثر اعتماد على التنفس من رئته .

الوقوف فى العمل فى النهار ، وانتهاز كل فرصة للجلوس، ولا سيما فى آخر النهار. ورفع الأرجل وتمديدها على كرسى ليساعد الدورة فى اتجاهها . ومنها لبس جوارب مطاطة ، او ربط الرجل بضمامات مطاطة . وكل ذلك يخلع فى الليل عند النوم .

اما العلاج الحاسم فيكون فى الجراحة: يكشف الجراح عن الوريد المتمدد المفرط فى تمدده ويربطه من اعلى ، ويربطه من أسفل، ثم يخرجه من الجسم . وتندمل الجراحة بسرعة ، ويتم الشفاء فى أغلب الحالات .

والدوالى تكون فى الأست ، وبنفس السبب وتعرف بالبواسير .

وعلاجها الحاسم الأخير يكون بالجراحة . ولكن هذا موضوع آخر .

فى مدينة الدواء

● اذكر انه فى احتفالات السد العالي ، وزيارة المنشآت فى الجمهورية العربية المتحدة ، ذكرت الانباء ان الزوار ابتهجوا كثيرا لنجاح الكيماويين العرب بمدينة الدواء قرب القاهرة فى تركيب المركب الذى اسمته الصحف الكورمفنيكول . فما هو هذا العقار العجيب ، وما اهميته ؟

ــ اولا يجب تصحيح الاسم ، فالاسم الصحيح هو كلور ــ آم ــ فيني ــ كول ، أو كلورامفينيكول Chloramphenicol وهو اسم صنعه العلماء من مقاطع اتخذوها على عادتهم من اسم المركب الكيماوى الصحيح . وذلك ان الاسم الكامل اسم طويل جدا لا يسلس فى اللسان ولا يطيب فى الاسماع .

وهو عبارة عن مادة بلورية بيضاء ، تصنع اما بالتخليق الكيماوى من مركبات كيماوية اخرى ابسط منها تركيبا ، او من تزريع نوع من الفطر كما يزرع العقار المعروف البنسلين .

والحق ان هذا المركب من زملاء البنسلين . واسمه الآخر الأشهر هو الكلورمَيْسَتين Chloromycetin ، ذلك الذى اشتهر بعلاج الحميات التى مصدرها المكروبات التى تظهر فى الأمعاء فتسبب أمراضا كالتيفوئيد والباراتيفوئيد . وكان استنباطه فتحا فى العلم عظيما منذ اكثر من عقد من الزمان . ■■



الشّاربُ الذّى كَاد

بقلم : حسن الجداوى

■ كان حى هاتون فى لندن ، فى منتصف القرن الماضى ، مقرا للجالية الايطالية بها . وكانت تلك الجالية فى تلك الأيام مجموعة من موسيقيى الشوارع وباعة الدندرمة « البوظة فى لغة الشام » الجوالين ومدربى القرود وما أشبه ذلك من وسائل الشحاذة . وكنت تراهم يجوبون الشوارع فى ملابس مهلهلة وقذرة أحيانا، يوزعون ابتساماتهم على الناس استجلابا لعطفهم .

فاذا أمسى الليل اختفت الابتسامات عن شفاههم واختفت الملابس المهلهلة وعادوا الى طبيعتهم الأولى ، يتمنطق كل واحد منهم بحزام ، فى وسطه سكين ، لا يتردد فى استعمالها اذا دخل فى عراك او نافسه شخص على فتاته ، عندئذ ينقلب الحى الهادىء نهارا الى شارع من شوارع نابولى .

وكانت توجد بهذا الحى حانتان « الهلب الذهبى » و « بورديسا » . يرتادهما الايطاليون كل ليلة للشراب والرقص ويصرفون ما جمعوه من دراهم . وكثيرا ما كانت اجتماعاتهم تبدأ فى احدى الحانتين وتنتهى فى الحانة الأخرى .

وكان عدد من الفتيات الانجليزيات يترددن على الحانتين للرقص مع الشبان الايطاليين الذين يتفننون فنون الرقص والغزل على عكس الشبان الانجليز الذين تثقل بهم الرزانة عادة .

وكذلك كان من ضمن رواد الحانتين فريق من الانجليز ولكنهم لم يكونوا يختلطون بالايطاليين، اتقاء لشرهم وسرعة انفعالهم وميلهم للمشاجرة . خصوصا وان الانجليز — اذا تشاجروا — يستعملون قبضات أيديهم فى شبه مباراة منتظمة .

لذلك حدث نوع من التخصص ، فاختص الايطاليون بحانة « بورديسا » ، واشتركوا مع الانجليز فى حانة « الهلب الذهبى » ولكن منفصلين فاختص الانجليز بقاعة واختص الايطاليون بالقاعة الأخرى .

وكان صاحب الحانة وزوجته مرتاحين مطمئنين الى نجاح الفكرة . الايطاليون يصخبون فى قاعتهم ويتعاركون بين أنفسهم ، بينما يستمر الانجليز فى رقصهم الهادىء وحديثهم الخافت فى القاعة الأخرى .

وحدث فى مناسبات قليلة أن اختلف الفريقان ووقعت بينهما مشاجرات أمكن التغلب عليها بسهولة ، ولكن المشاجرة التى قامت فى يوم ٢٦ ديسمبر ١٨٦٤ انتهت بطعن ثلاثة رجال بالسكين مات احدهم فيما بعد .

★ ★ ★

كان من ضمن الايطاليين الذين يترددون على الحانتين ايطالى فى الثالثة والثلاثين من عمره صانع اطارات ماهر ونجارة دقيقة . وكان — على عكس ابناء وطنه — هادىء الطبع محترما للقوانين ، لا يميل الى المشاغبة ، وهو دائما رسول السلام بين المتعاركين يفض خلافاتهم بالحسنى ويشيع المحبة بينهم ، حتى عرف عنه انه اينما وجد لا تقوم مشاجرات ، واذا قامت فضها بالحسنى .

وكان اسم صاحبنا « سيرافينو بيللتزيونى » . ولكن مظهره لم يكن يدل على مخبره . كان فى شكله شراسة وفوق شفتيه شارب كث اسود لعله تعمد « تربيته » اخفاء لخوفه من المعارك واظهارا لنفسه فى مظهر الرجل القوى حتى يتجنب الناس الدخول معه فى مشاجرات .

★ ★ ★

وفى ليلة المعركة — موضوع قضيتنا — قصد سيرافينو حانة « الهلب الذهبى » فى نحو الساعة الخامسة ورقص فى القاعة الايطالية رقصتين ثم قصد حانة « بورديسا » ... وفى نحو الساعة السابعة اقبل الى تلك الحانة ايطالى يلهث واعلن ان معركة تدور بحانة « الهلب الذهبى » . فأسرع اليها سيرافينو ليحاول تهدئة الحالة . وحين

يودي بصاحبه



.. وكان الايطاليون عندما قابلوا ، القوة الانجليز بالمقاعد والقنينات الخشب ، وكانت معركة حامية شهدها شباب الانجليز حين استعمال الطاليين للسكاكين .

وصل الى الحانة استقبلته زوجة صاحبها وصاحت به : « بالله ياسيرافينو لا تتركهم يتشاجرون » .

وقال لها سيرافينو : « اطمئنى يا ليزا . قولى لزوجك يستبقى الانجليز فى قاعتهم . ويترك لى امر الايطاليين » .

واتجه سيرافينو لفوره الى قاعة الانجليز اذ كان يعلم انه اذا قامت مشاجرة فى حانة « الهلب الذهبى » فانها حتما تقوم بين الايطاليين والانجليز وان الايطاليين الحارى الدماء هم البادئون . وما كاد يدفع الباب حتى أحس بضربة على أم راسه افقدته الوعى واوقعته ، فمد يده يتحسس راسه فاذا بالدم يسيل منها بغزارة .

وبينما هو ملقى على الباب ، نصفه فى الداخل ونصفه فى الخارج ، جذبه احدهم الى الداخل فوجدنفسه فوق شخص آخر لم يدرك من هو ولا اهتم بأن يعرف ، فقد كان فى تلك اللحظة لا يقوى على النهوض ، فضلا عن انه وجد نفسه ممنوعا من محاولة الوقوف لأن يدا تضغط على رأسه .

★ ★ ★

واقبل أحد رجال البوليس وسمع سيرافينو امراة تصيح : « هذا الرجل ضربنى بقبضة يده على فمى وطرحنى أرضا » . واخذت سيرافينو الدهشة حين تبين أنها تقصده هو بهذا الاتهام . وساقوه الى نقطة البوليس وفتشوه وعثروا

في جيبه على مطواة صغيرة هي السلاح الوحيد الذى حمله في حياته . لم يدرك تماما ما قاله له رجل البوليس لأن المامه باللغة الانجليزية كان محدودا ولأن رأسه كانت تؤلمه ألما شديدا ،وسمعه متأثرا من قوة الضربة التى أصابته ، ولكنه استطاع أن يتبين أن البوليس لا يوجه له تهمة لكم سيدة بل يتهمه بانه طعن شخصا آخر اسمه ميشيل هارنجتون .

★ ★ ★

ولنرجع قليلا الى الوراء . فقد حدثت أمور خطيرة في الفترة ما بين ترك سيرافينو لحانة « الهلب الذهبي » وعودته عند علمه بحصول مشاجرة .

كان الانجليز يحتفلون بعيد الميلاد في قاعتهم ، ووقف بائع خضار اسمه ميشيل هارنجتون يغني ويرددون معه أغنيته . وبينما هم في مرحهم وصلتهم أنباء ان مشاجرة قامت بين الايطاليين وان أحدهم قال لصاحب الحانة انه يستطيع ـ وحده ـ قتل ستة انجليز من امثال صاحب الحانة ثم لكمه بقبضة يده على فمه . وقيل ان الايطاليين يدبرون هجوما على الانجليز .

وتصور الانجليز ـ وقد لعبت الخمر برؤوسهم هم الآخرون ـ انهم في خطر عظيم . فالايطاليون يحملون دائما السكاكين ، وقبضة اليد لا تصلح في مقاومة السكين . لذلك طلبوا من غلام صغير يعمل في الحانة اسمه ريبيك أن يبحث لهم عن أسلحة . فاتجه الى حوش خلف الحانة وعاد لهم ببضعة أيدى مقشات وعصا نحاسية وعدد من « الجنادر » ، تلك الاسطوانات الخشبية التى تستعمل في كي الملابس احيانا وفي عمل الفطائر .

وخيل لاحدى الانجليزيات ـ مسز كنج ـ أنها تستطيع مغادرة القاعة قبل بدء المشاجرة ،ولكنها ما كادت تفتح الباب حتى كان الايطاليون قد اقبلوا ، فلكمها أحدهم في وجهها وطرحها أرضا ، وهجم الآخرون على القاعة ، فقابلهم الانجليز بايدى المقشات والجنادر . وقامت معركة اختلط فيها الحابل بالنابل تحقق فيها ما خشاه الانجليز من استعمال الايطاليين للسكاكين ، فقد قطعت اصابع أحدهم ، وطعن ريبيك الصغير في جنبه واصيب بجرح خطير ، كما طعن هارنجتون طعنة قاتلة .

وبعد انسحاب الايطاليين مدحورين ـ هكذا أراد انجليز أن يعتقدوا ـ تبين أن ايطاليا واحدا هو الذى وجد بالقاعة وأن سبب بقائه هو ان المستر كنج ـ زوج السيدة التى ضربت على فمها ـ كان ممسكا به .

وطبعا قبضوا عليه معتقدين انه هو الذى طعن المصابين . فهو ايطالي له وجه مرعب ، ويداه ملوثتان بالدماء ، وله شارب يدل على القسوة ، وقد وجدت في جيبه مطواة . وكان منطرحا فوق ميشيل هارنجتون فهو ولا شك الذى طعنه في بطنه طعنة نافذة .

وسألوه عن اسمه فقال ان اسمه سيرافينو بيلليتزيوني .

★ ★ ★

وفي المستشفى عرض البوليس على هارنجتون سيرافينو بين آخرين ليستخرج من الذى طعنه . فقال : « لقد طعنت في بطني . والرجل ذو الشارب هو الذى طعنني غفر الله له » ... ثم اضاف : « أعنى الرجل الموجود الآن » .

ودون رجلا البوليس هذه الأقوال ، ولما طلبا اليه أن يوقعها رفض . ربما لأنه وقد شعر بدنو أجله ، لم يشأ أن يتسبب في اعدام انسان ولو كان قاتله . وربما لأنه لم يكن متأكدا من أقواله .

كذلك عرض على ريبيك في المستشفى حيث كان المعتقد أن اصابته خطيرة فاتهم سيرافينو صراحة بانه هو الذى طعنه .

وحين بدأت المحاكمة كان هارنجتون قد مات فتليت أقواله ، كما سمعت أقوال ريبيك الذى اضاف قوله : « رأيت هذا المتهم يطعننى في جنبى ورأيته ينتزع السكين والدم يسيل مني » .

ثم توالت الشهود . شهدت مسز كنج ان المتهم هو الذى قاد الايطاليين الى قاعة الانجليز وأنه هو الذى لكمها في فمها وأوقعها على الارض . وشهد شاهد آخر انه رأى المتهم يطعن القتيل.وقال ثالث ان المتهم ضربه في بطنه . وأجمع الشهود الانجليز جميعا على أن هذا المتهم هو الذى ارتكب جميع الأفعال المنسوبة اليه . بل أكدوا ـ بعد أن حلفوا اليمين ـ انه وان كان عشرة أو أكثر من الايطاليين قد اتجهوا نحو قاعتهم فقد ردوا على أعقابهم ـ بذلك تفاخروا ـ وواحد منهم فقط هو الذى استطاع أن يدخل القاعة . فهو وحده الذى يمكن أن يكون قد قتل هارنجتون .

لم يكن القانون الانجليزى فى ذلك الوقت يسمح للمتهم بأن يقسم اليمين ويشهد فى قضيته ، ولكنه كان يسمح بتلاوة الاقوال التى قالها عند القبض عليه . وكان كل الذى قاله سيرافينو: « انني لا استعمل السكين أبدا . ولم أكن ممسكا بسكين » وهي اقوال لم تصمد امام عملية العرض وشهادات الشهود . ومع ذلك فقد دافع محامي المتهم دفاع المستميت .

استطاع الدفاع أن يستخلص اثناء استجوابه لأحد رجال البوليس أن المطواة ــ التى هوّل الاتهام فى موضوعها ــ كان قد علاها الصدأ ووضح انها قد مضى عليها زمن طويل لم تستعمل .

كذلك استخلص من رجل البوليس الذى حضر المشاجرة أن المطواة التى وجدت فى جيب سيرافينو لم تستعمل فى طعن القتيل .

وبدأ الدفاع يستغل الثغرة فى الاتهام : أية سكين استعملت ؟ وأين هى ؟ ألم يعثر البوليس على سكين ؟ أو لعلهم لم يهتموا بالبحث عن السلاح الذى ارتكب به الحادث ؟

كانت هذه الاسئلة توجه لمفتش البوليس بوتر الذى تولى التحقيق ، وكان من مدرسة من رجال البوليس تعتقد انه اذا قبض البوليس على متهم فيجب اعتباره مذنبا ، وان تطبق عليه العقوبة التى نص عليها القانون ، اذ لا يجوز لأحد أن يشك أو يشكك فى صحة تصرفات رجال البوليس. لذلك ظهر الضيق على المفتش بوتر من هذه الاسئلة ، ولم يخف ضجره ، واخيرا أجاب بانه قد عثر فعلا على سكين ملوثة بالدماء بقرب مكان الحادث ولكنه لم يقل أين وجدت . ولا كيف وجدت ؟ ولم يقدمها للمحكمة . ولم يستطع أن يفسر كيف استطاع سيرافينو أن يتخلص من السكين فى الفترة ما بين طعن القتيل وامساك المستر كنج له وهو مطروح على الارض فوق هارنجتون .

ومع ذلك وفى لحظة عدم انتباه من بوتر استطاع الدفاع أن يحصل منه على اجابة بانه لا يمكن الربط بين تلك السكين والمتهم ...

وجاء شهود آخرين فسروا وجود المتهم ويديه ملوثتين بالدماء . لقد وجد فى القاعة لأن أحد الانجليز ضربه بيد مكنسة فاغمى عليه . اما تلوث يديه فمرجعه الدماء الغزيرة التى كانت تسيل من هارنجتون والمتهم ملقى فوقه .

★ ★ ★

صوّر الاتهامُ الحادث بأن سيرافينو بيللتزيونى سكير شرير لكم بمفرده صاحب الحانة ومستر كنج ، وطعن الثلاثة الآخرين . ولكن شهودا اكدوا انه حين كان فى حانة « الهلب الذهبي » كان هادئا ولم يكثر من الشراب . وتضاربت اقوال شهود الاتهام انفسهم . فريبيك يؤكد انه راى رجلا يضرب مستر كنج ولكنه ليس المتهم مخالفا بذلك اقوال مستر كنج . ثم جاء صاحب الحانة فاكد ان الذى لكمه شخص آخر اسمه جريجوريو وليس المتهم .

ولم يكن احد قد ذكر قبل ذلك اسم جريجوريو اثناء المحاكمة . ولكن احدى الفتيات قالت : انها رقصت مع المتهم فى نحو الساعة الخامسة ثم تركها وترك الحانة وبعد قليل رأت جريجوريو يلكم صاحب الحانة ثم يتجه الى قاعة الانجليز قبل نشوب المشاجرة ...

وشهدت فتاة اخرى ان جريجوريو استل سكينا فى قاعة الايطاليين وقال انه سيخلص الحانة من الانجليز . وشهدت فتاة ثالثة انها رأت ــ بعد انتهاء المشاجرة ــ جريجوريو يهدد احدى الفتيات بالسكين ــ فى القاعة الايطالية ــ لانها رفضت ان تذهب الى قاعة الانجليز وتأتي له منها بقبعته .

ارتاح الدفاع لما اعتقده من انه ولا شك قد ادخل الشك فى عقول المحلفين بادخال جريجوريو طرفا فى المعركة ، ولكن جريجوريو كان قد اختفى ولم يستطع الدفاع استدعاءه للشهادة ..

وعاد الدفاع لمناقشة موضوع السكين فتقدم المفتش بوتر بسكينين لم يفسر كيف عثر عليهما ولا لماذا لم يقدمهما من قبل ، وقال ان احداهما الملوثة هي التى عثر عليها فى مكان الحادث وبذلك فرق بين جريجوريو والسكين التى ارتكب بها الحادث .

لم تستغرق مداولة المحلفين اكثر من ربع ساعة .

لعلهم اعتقدوا ان نصف الشهود اما كذبوا او شهدوا بما اعتقدوا لا بما رأوا . ولما كان شهود الاتهام من الانجليز ، بينما اغلب شهود الدفاع من الايطاليين ، فمن الذى يرجح شهادة مجموعة

من اولئك السفاكين ـ حملة السكاكين ـ على شهادة الانجليز ؟؟

اما حكاية جريجوريو فلماذا لم يستدعيه الدفاع ليشهد ؟؟ أليس لايمان الدفاع بأن شهادته لا تصمد امام الاستجواب . اما حكاية عدم الاهتداء اليه فمن الذى يصدقها ؟

وحين قرأ رئيس المحلفين قرارهم بالادانة اثنى القاضي عليه وعلق ـ وهو يصدر الحكم ـ بقوله ان المحلفين قد وصلوا الى القرار الوحيد الذى تنطق به الوقائع وانه لم يسبق للقاضي ان استمع الى شهادات أصرح وأوضح .

وكان سيرافينو اثناء المحاكمة كلها قليل الاهتمام بما يجرى كانه كان واثقا من براءته . فلما سمع حكم الاعدام انهارت قواه وحملوه حملا الى خارج قاعة الجلسة .

★ ★ ★

وكاد الستار يسدل على هذه المأساة . وكادت رقبة سيرافينو تتدلى من حبل المشنقة لولا ان للعدالة ربا يحميها فتيض لها من يحلون العصابة التى كانت على عينها فاخفت عنها الحقيقة . فقد بدأت جريدة الديلي تلغراف ـ غداة صدور الحكم مباشرة ـ حملة صحفية من عشر مقالات للتشكيك فى صحة الحكم . وانها لم تكن تستطيع أن تتعرض لقرار المحلفين بالادانة لأن ذلك القرار ـ فى النظام القائم ـ عنوان الحقيقة ولا يجوز الطعن فيه اذ هو صوت الشعب ـ ولكنها هاجمت وفى الفاظ صريحة وواضحة صحة الحكم. قالت :

« ان الجريمة ليست جريمة قتل عمد اذ لا دليل ـ لا صراحة ولا ضمنا ـ على نية القتل .

« ان ما حدث فى الحانة لا يخرج من كونه مشاجرة انتهت لسوء الحظ بموت أحد المتشاجرين » .

وكان قد تحدد يوم الاربعاء لتنفيذ حكم الاعدام بدلا من يوم الاثنين المعتاد تنفيذ هذه الأحكام فيه ، فقالت الجريدة .

« يجب أن لا يشنق هذا الايطالى ـ لا فى يوم الاربعاء ولا فى يوم الاثنين ولا فى أى يوم آخر من أيام الاسبوع .. فلو أنه كان انجليزيا لاستعمل قبضة يده وكان الأمر انتهى باسوداد فى العيون .

ولكنه ايطالى سحب مطوته فكانت الضربة قاتلة . فاذا شنقتموه تكونون قد واجهتم طعنة غير متعمدة من سكين بضربة متعمدة من حبل المشنقة » .

ولم تكن جريدة الديلى تلغراف هى وحدها التى تحاول انقاذ سيرافينو .

كان الباعث لجريدة الديلي تلغراف غيرة على العدالة ، وربما أيضا الرغبة فى اثبات شخصيتها فى الدفاع عن حقوق الانسان . كذلك تدخل السفير الايطالى للدفاع عن أحد مواطنيه وقابل وزير الداخلية . ولكن كثيرين ممن عرفوا سيرافينو لم يصدقوا أبدا أنه الذى طعن بالسكين. فقد كانوا يعلمون عنه انه لا يستعمل السكين قط. بل ان جميع أفراد الجالية الايطالية يعلمون انه رسول سلام وسكينة يكره العنف وينشر الهدوء من حوله .

وكان من بين الذين عرفوا ذلك عن سيرافينو رجل ايطالى لعب دورا كبيرا فى اثبات براءة متهمنا ـ هو السنيور نيجريتى مدير احدى الشركات ، وفد الى انجلترا منذ أكثر من ثلث قرن ، وكون لنفسه ثراء واسعا ومركزا اجتماعيا ممتازا ، وحرص مع ذلك على معرفة افراد الطبقة الفقيرة من الايطاليين ودراسة مشاكلهم ومساعدتهم فى أزماتهم ، ولذلك اعتبروه الأب الروحى لهم .

وكان نيجريتى يعلم أن سيرافينو لا يشاغب ولا يستعمل السكين ، كما عرف أن له ابن عم اسمه جريجوريو لا يتردد فى استعمال السكين اذا تشاجر .

ودرس نيجريتى الأدلة التى قدمت أثناء المحاكمة وخرج منها بأن خطأ قضائيا قد وقع وأن ظلما يوشك أن يقع على انسان برىء فصمم على أن يبذل كل جهده للحيلولة دون ذلك . وقرر انه لا بد من العثور على جريجوريو قبل تنفيذ حكم الاعدام .

ولكن جريجوريو كان قد اختفى . ترك مسكنه . وترك عمله . بل وترك المرتب المستحق له غداة يوم الحادث . ولم يكن أحد يعرف مكانه . حتى أخوه جيوفانى قد اختفى هو الآخر .

★ ★ ★

فكر نيجريتى طويلا وهداه تفكيره الى أن القضية من تدبير البوليس، ذلك أن البوليس ـ فى رأيه ـ

أخطأ بالقبض على سيرافينو ، فلما تبين خطأه لم يشأ أن يتراجع وعمل جادا للحصول على حكم بادانة برىء ، لأنهم – أو على الأقل احدهم المفتش بوتر – لم يجد فى نفسه الشجاعة للعدول عن خطئه . وبنى نظريته هذه على مراوغة المفتش بوتر فى اجاباته . وتصرف البوليس بالنسبة لجريجوريو اذ ان البوليس قد علموا ما تردده الجالية الايطالية عن جريجوريو ، فكان يجب عليهم أن يعثروا على جريجوريو ويستدعوه ، ان لم يكن كمتهم ، فعلى الأقل كشاهد . ولكنهم لم يتخذوا اية خطوة لمنع اختفائه ، بل لعلهم هم الذين اخفوه لأن اختفائه يخدم اغراضهم . والبوليس – حتى هذه اللحظة – وبنظامه الدقيق يستطيع العثور على جريجوريو ، ولكنهم لا يفعلون . ولعل لسان حالهم يقول : انهم قد قبضوا على شخص حكم عليه بالاعدام للجريمة التى ارتكبت ، أما ان كان ذلك الحكم خطأ فليس ذلك من شأنهم .

كانت هذه الأفكار تمور بخلد نيجريتى فكتب خطابا لجريدة التيمز يتهم البوليس . وكانت حملة الدبلى تلغراف مستمرة وكتبت هى الأخرى مقالا جاء فيه :

« لقد أخفى البوليس بعض الوقائع عن جهل أو عمد . ان الموضوع كله لطخة فى جبين العدالة . ان مجرد تصور اعدام – ولو بحكم – ليس بالأمر السهل . فسواء كان سيرافينو بريئا أو مذنبا فيجب أن تمنحوه مهلة ويجب البحث عن جريجوريو وعن أدلة جديدة » .

وهكذا أخذت الجريدة تهاجم قرار الادانة نفسه تلميحا .

ومضت ستة ايام على وضع سيرافينو فى زنزانة المحكوم عليهم بالاعدام .

ووصلت الى نيجريتى معلومات أن جريجوريو – الكاثوليكى المتدين – اعترف للقسيس ، وأن القسيس نصحه بان ينهي اختفاءه ويخطر البوليس بحقيقة ما حدث ، وأنه مختبىء فى برمنجهام .

وأسرع نيجريتى الى دكان النجار التى كان يعمل فيها جريجوريو ، وبمجرد أن وقع نظره عليه قال له : « أيها الوغد ، الا تستطيع أن تتشاجر دون أن تستعمل السكين ؟ » ثم سأله ان كان يعلم أن ابن عمه سيشنق بسبب مشاجرة حانة « الهلب الذهبى » ، وقال جريجوريو : « انه لا يعلم » . وتساءل :

« أما من سبيل لانقاذه » .

وقال له نيجريتى : « السبيل الوحيدة لانقاذه هو أن تسلم نفسك للعدالة » .

وفكر جريجوريو لحظة ثم قال : « أنا مستعد . ان ابن عمى لن يشنق بسببى » .

★ ★ ★

ووصل الاثنان الى لندن ولكن الصعوبات بدأت فليست هناك محاكمة تجرى يمكن أن تسمع فيها أقوال جريجوريو .

ذهب نيجريتى لمقابلة مدير عام البوليس الذى استقبله بفتور بسبب المقال الذى كان قد نشره ضد البوليس . ولكن نيجريتى لم يحضر لمناقشة تصرفات البوليس ، بل جاء يطلب ويلح فى تقديم جريجوريو للمحاكمة بتهمة قتل هارنجتون .

ولكن مدير البوليس كان محاميا قبل تعيينه فى مركزه ، وكان يعرف عن القانون الجنائى ما لم يكن يعرفه نيجريتى . فقال ان جريجوريو ربما قصد من اعترافه انقاذ رقبة ابن عمه ، فضلا عن ان ابن عمه قد أدين بقرار نهائى للمحلفين لا سبيل للطعن فيه فكيف يحاكم جريجوريو عن تهمة ثبتت على غيره .

ولكن نيجريتى الذى مرنه العمل على الجدل ظل يجادل مدير البوليس ساعتين حتى حصل منه على وعد بانه اذا كان مستعدا لتحمل مصاريف الدعوى فيمكن محاكمة جريجوريو بتهمة انه كان شريكا لسيرافينو فى الجريمة .

قبل مدير البوليس ذلك ، لا نزولا على قوة حجة نيجريتى فقط ، وانما لأن الصحافة والسفير الايطالى كانا من ورائه . ولكن ما كاد جريجوريو يقدم للمحاكمة حتى ادرك مدير البوليس أو شرح له مستشاروه الخطأ الذى وقع فيه .

ان الاشتراك فى الجريمة لا يكون الا باتفاق سابق ولا دليل على هذا الاتفاق بين سيرافينو وجريجوريو . فتقديم جريجوريو بتهمة الاشتراك يعرض البوليس لسخرية رجال الصحافة ورجال القانون .

وكان أمر القبض على جريجوريو قد شاع ،

وساعد نيجريتى على اشاعته . فالافراج عنه الآن وعدم تقديمه للمحاكمة يعرض البوليس لسخرية الصحافة ورجال القانون . ووقع مدير البوليس فى حيص بيص . لقد عرض البوليس للسخرية وهو الذى عمل طول حياته على الاحتفاظ بمكانة البوليس . لذلك عدلت التهمة ووجهت الى جريجوريو بتهمة الضرب الذى أفضى الى الموت حتى تختلف عن تهمة سيرافينو .

لم يكن القانون يسمح للمتهم بالشهادة فى قضيته ولذلك لم يستطع جريجوريو أن يبدى الأقوال التى كانت تبرىء ابن عمه ، ولكنه استدعى شهودا يروون عنه .

شهد أخوه جيوفانى وقال : « رأيت أخى يسحب سكينا . وكان قد اعتدى علىّ بأيدى القشات ، وسال الدم على وجهى ، فاستنجدت به ، وقلت له انهم يقتلوننى . فرأيت أخى يطعن يمينا وشمالا ، ولكننى لم أره يطعن هارنجتون أو شخصا بذاته ، ولولا تدخله لما خرجت حيا » .

وشهد شاهد آخر بأنه رأى جريجوريو يسحب السكين فاستحلفه بالله أن يردها الى جرابها وقال : « انه بعد انتهاء المشاجرة قابل جريجوريو فى الطريق فارتمى بين ذراعيه وقال له : « ماذا ترانى فعلت » . فأجابه لقد استعملت السكين . وقال جريجوريو « نعم لقد طعنت ثلاثة أو أربعة » .

وشهد ثالث أن جريجوريو اعترف له فى برمنجهام انه دخل فى معركة وطعن كثيرين مات أحدهم .

ثم استدعى نيجريتى فشهد بما حدث بينه وبين جريجوريو فى برمنجهام وقال ان جريجوريو اعترف له بأنه أكثر من الشراب وانه لم يستطع مقاومة استعمال السكين حين رأى وجه أخيه ملطخا بالدماء وأن ابن عمه سيرافينو لم يكن بالقاعة . وطلب اليه أن يبلغ ابن عمه انه جاء لانقاذه لأنه برىء .

كانت شهادة سماعية ولكن المحكمة قبلتها وبذلك وضح ما حدث بالحالة وضوحا كاملا .

★ ★ ★

ولكن أحدا لم يتحدث عن مقتل هارنجتون حتى ولا جريجوريو نفسه . وكان المقصود من هذه المحاكمة الثانية هو اثبات براءة سيرافينو لا مجرد ادانة جريجوريو ، فكان لا بد من أن تسمع المحكمة حقيقة ما فعله سيرافينو . لذلك استدعى ليشهد وليستجوب .

وحين وقف فى منصة الشهود مواجها لابن عمه فى قفص الاتهام ظهرت الدهشة على كل من فى القاعة ، فهو صورة طبق الأصل من ابن عمه كما لو كانا توأمين . نفس القامة ونفس الشارب .

وهكذا وضح ما كان غامضا فى القضية . فقد وضع الشهود أحدهما محل الآخر وأقسموا اليمين صادقين .

وروى سيرافينو ما حدث ، وصدّق المحلفون روايته وأدانوا جريجوريو وأوصوا باستعمال الرأفة معه لأنه كان يدافع عن أخيه . وصدر الحكم عليه بالاشغال الشاقة خمس سنوات .

ولكن بقيت صعوبة . ان الحكم على جريجورى لا يفتح من تلقاء نفسه باب زنزانة سيرافينو المخصصة للمحكوم عليهم بالاعدام .

وقالت الديلى تلغراف فى مقال رئيسى آخر :

« ها قد مضت ثلاثة أيام ويقال لنا ان قضية سيرافينو قيد البحث ، وانه طالما أن المشنقة لن تنصب الا بعد أسبوعين فلم لاتعجّل صدور قرار ؟ .. قد يبدو للسلطات الرسمية والقانونية أن التأجيل ليس بذى أهمية . ولكن نظرة من يضع نفسه موضع المحكوم عليه بالاعدام تختلف .. انه ينتظر ويعد الساعات بل الدقائق » .

كان سبب التأخير ان وزير الداخلية يبحث عن حل لمشكلة عويصة .

ان سيرافينو مذنب ولا شك. بذا قضى المحلفون بحكم هو عنوان الحقيقة بعد دراسة دقيقة ومحاكمة عادلة . فلا محل لالغاء العقوبة التى صدرت عليه .

وجريجوريو مذنب ولا شك تسبب فى موت هارنجتون وقد قرر المحلفون ذلك بعد دراسة دقيقة ومحاكمة عادلة ، فلا يمكن الغاء العقوبة الصادرة ضده .

لم يجد وزير الداخلية مخرجا فترك للزمن أن يحل المشكلة . أمر بتأجيل تنفيذ حكم الاعدام ، الى أجل لم يحدد . الى أن يجد حلا .

ولكن الديلى تلغراف لم تنتظر .

« لا شىء يرضى العقل والعدل الا عفو شامل

كامل . لقد ألقت المحاكمة ظلا ثقيلا على نظامنا القضائي » .

كذلك لم يقنع السنيور نيجريتي فكتب خطابا طويلا لجريدتي التيمز والديلي تلغراف هاجم فيه البوليس واتهمهم بأنهم تعمدوا اخفاء الادلة بل تزييفها قال فيه انه قصد المستشفى الذى جرت فيه عملية الاستعراف، وتحدث الى الجراح عن عملية الاستعراف ، فعلم منه انها كانت عملية صورية اذ جيء بعدد محدود من الناس وضعوا حول السرير على مسافة قريبة جدا بحيث أن المريض لم يكن يستطيع أن يرى الا الصف الاول الذى فيه سيرافينو الذى كان الايطالى الوحيد الذى له شارب . وأن هارنجتون كان فى ذلك الوقت قد أعطى مخدرا حتى انه افيق ليتمكن من الكلام ولم يكن فى حالة تمكنه من الاستعراف السليم .

ولكن مدير البوليس ـ استنادا الى شهادة المفتش بوتر ـ سارع بارسال تكذيب الى الجريدتين اكد فيه أن عدد الذين كانت لهم شوارب اثناء الاستعراف ثلاثة اشخاص .

وعاد نيجريتي الى الكتابة وقال انه عاد الى الجراح يستفسر منه فاكد الجراح أن القول بان ثلاثة من المعروضين كانوا ذوى شوارب صحيح . ولكن اثنين منهم كانا من الجراحين ، وكانا يقفان بعيدا عن السرير بحيث لا يقع عليهما نظر هارنجتون ،والشارب الوحيد الذى كان بالقرب منه هو شارب سيرافينو المتهم .

★ ★ ★

وكان وزير الداخلية قد وصل الى قرار اعلنه فى مجلس العموم هو اجراء محاكمة ثالثة فلم يعد هناك محل لأن يتراشق نيجريتي ومدير البوليس بالاتهامات على صفحات الجرائد .

واذا كان من غير المستطاع محاكمة سيرافينو أو جريجوريو بتهمة قتل هارنجتون بعد أن صدر قرار المحلفين بادانتهما ، فقد كانت هناك تهمة ضد سيرافينو لم يحاكم عليها ، وهى الشروع فى قتل ربيبك خادم الحانة الذى جمع الأسلحة للانجليز . وقد رأى وزير الداخلية بحق أن المحاكمة هنا سوف تظهر مدى ما فى رواية سيرافينو عما حدث فى الحانة من صحة أو كذب . اى انها ستثبت ان كان قد قتل هارنجتون أو لم يقتله .

ومثل سيرافينو امام القضاء للمرة الثالثة وسيف الاعدام لا يزال معلقا فوق رقبته .

اذا أدين فى تهمة الشروع فى قتل ربيبك حكم عليه بالاشغال الشاقة ولم ينفذ عليه الحكم لأن حكم الاعدام يجبه وتحتم اخلاء سبيل جريجوريو . واذا ابرىء من هذه التهمة فقد ثبتت براءته من قتل هارنجتون ايضا واطلق سراحه ، واستمر جريجوريو ينفذ العقوبة التى حكم عليه بها .

كان كل من فى قاعة الجلسة يعلمون ـ القاضى والمحلفون ورجال الصحافة والجمهور والمحامون ـ ان المحاكمة صورية ، وأن جريمة الشروع فى قتل ربيبك ليست هى المقصودة ولا سيرافينو هو هو الذى يحاكم بل ان الذى « يحاكم » بالفعل هو الحكم الذى صدر باعدام سيرافينو .

كانت تمثيلية اذا . بل مجرد حيلة قانونية . ثبت أثناءها أن سيرافينو لم يكن الايطالى الوحيد الذى دخل القاعة المخصصة للانجليز فقد عثر فى القاعة على ثلاث قبعات للايطاليين بشهادة جميع الشهود ، وأن جريجوريو وجيوفانى عادا بعد المعركة الى القاعة بحثا وراء قبعاتهما قبل حضور البوليس .

وسمعت اقوال جريجوريو بوصفه شاهدا فاعترف بانه هو الذى طعن .

وصدر قرار البراءة . وأفرج عن سيرافينو .

ومن المؤسف أن الحكومة لم تدفع له أى تعويض باعتبار أن مدة حرمانه من حريته كانت قصيرة . اما توتر الاعصاب والقلق الذى انتابه . وانتظاره الطويل لحكم الاعدام . فلا يستحق تعويضا فى نظر الرسميين .

وقالت جريدة الديلى تلغراف فى مقالها الختامى عن القضية : « لقد أزيلت وصمة من جبين القضاء الانجليزى » .

وهى وصمة ما كانت لتلطخ جبين العدالة لو ان البوليس لم يتحيز منذ البداية . ■■

حسن الجداوى

مسرحية في المسجد الجامع ببغداد أيام المأمون

أَهلُ السُّنَّة والمُعتزلَة في مُناظرة فريدة



مسألة خلق القرآن من مظاهر الترف العقلي

العصبية تدفع أصحابها للركوب

بقلم : ظافر القاسمى

■ ليس فى تاريخ الحركات الفكرية الاسلامية اعجب ولا اغرب من الازمة التى خلقها المعتزلة فى أوائل القرن الثالث الهجرى حول (خلق القرآن) .

ان الناس تعودوا على أن تعتنق الدولة فكرا من الافكار ، أو رأيا من الآراء ، وأن تحمل الناس على أن يقولوا بقولها . وقع هذا فى القديم ، ويقع اليوم فى الحديث ، ولم ينج منه شرق ولا غرب . ولقد الف الناس ذلك اذا كانت هذه الفكرة ، أو كان هذا الرأى ، امرا اصيلا من أمور الدولة ، أو من أمور العقيدة . اما أن تلتزم الدولة بفكرة فرعية ، وأن تحمل الناس على القول بها ، وأن تسلك الى ذلك اقبح طرق الاضطهاد والاكراه ، فهذا موضع الاستغراب والعجب .

لا خلاف فى القرآن

لم يكن بين السنة والمعتزلة اى خلاف حول القرآن الكريم، لا من حيث نصوصه ، ولا أحكامه،



ولا اى شان من شؤونه . وانما اختلفوا حول قدمه وحدوثه .

قال أهل السنة بأنه قديم .

وقال المعتزلة بأنه مخلوق .

واتفق أن تسلط المعتزلة على الخليفة المأمون ، فقال بقولهم ، وأخذوا فى اكراه مخالفيهم على اعتناق مذهبهم ، وسلكوا لذلك طرقا تختلف كل الاختلاف مع ما دعوا اليه من حرية فكرية ، ومن تحكيم العقل ، وتقديمه على النقل .

الامام الكنانى يدبر أمرا

ولست بصدد تاريخ هذه الحركة وما رافقها ، فهي معروفة فى كتب الفِرَق ، والتاريخ ، والشريعة . الا أننى لم أر ــ فيما رأيت ــ فى تاريخ الحركات الفكرية ، أعجب ولا أغرب من الحادث الفريد الذى نظم خططه ، وأحكم سبكه امامٌ من أهل مكة ، اسمه عبدالعزيز بن يحيى الكنانى . فلقد كان تلميذا للامام الشافعي ، تفقه عليه ، ومن أهل السنة . فلما شاعت أخبار

المحنة التي ثارت في بغداد ، وطارت تفاصيلها الى جماهير المؤمنين في العالم الاسلامي ، جزع منهم فريق ، واشفق فريق . ولم نسمع أن أحدا تصدى لتنفيذ الفكرة ابان المحنة ، ولا للرد على أصحابها ، ولا للاحتجاج عما يصيب الناس من مكروه بسببها . الا أن الامام الكناني قد عز عليه ان يرى رأيا ولا يجهر به ، ففكر ودبر ، ثم حزم فيما بينه وبين نفسه أمرا خطيرا ، لم يطلع عليه أحدا من الناس ، غير ولده ، ومضى في تنفيذ ما فكر ودبر .

لم يلجأ الامام الكناني الى الجهر برأيه على الطريقة التقليدية المألوفة ، فهو لم يضع كتابا يرد به على المعتزلة ، ولم يقعد في المجلس ليقول للناس ما يعتقد أنه الحق ، وانما لجأ الى أسلوب هو أقرب الى الاخراج المسرحي العنيف ، منه الى أساليب العلماء والأئمة .

زعيم المعتزلة بشر بن غياث المريسي

وكان زعيم المعتزلة يومئذ بشر بن غياث المريسي قد استطاع مع فرقته أن يحمل الخليفة المأمون على الاعتقاد بخلق القرآن . ولم يكن يفوت الكناني ما يعاني خصومُ المعتزلة من مِحَن ، « ورهبةُ الناس ، وفزعهم من مناظرته ، واحجامهم عن الرد عليه ... واستتار المسلمين في بيوتهم ، وانقطاعهم عن الجمعة والجماعات ، وهربهم من بلد الى بلد خوفا على أنفسهم ودينهم ... » . وكان الكناني يعلم « ان الناس في ذلك الزمان في أمر عظيم ، قد منع الفقهاء ، والمحدّثون والمذكرون ، والدعاءون ، من القعود في الجامعين ببغداد وفي غيرهما من سائر المواضع ، الا بشرا المريسي ، ومحمد بن الجهم ، ومن كان موافقا لهما .... وكل من اظهرَ مخالفتهم ، أو اتهم بذلك . أحضر ، فان وافقهم ترك ، والا قتلوه سرا ، وحملوه من بلد الى بلد . فكم من قتيل لم يعلم به،وكم من مضروب قد ظهر أمره ....» .

الكناني يخرج من مكة الى بغداد ، سرا

في هذا الجو الاستبدادي الكريه ، فكر الكناني ودبر ، واخرج مسرحيته الفريدة ، التي انتهت بنصره المؤزر . فرحل من مكة الى بغداد مع ولده ، لا يعرف احد من الخلق سبب سفرهما ، ولا ما اجمعا عليه من أمر . « ولم يسكن الى مشاورة أحد من خلق الله وجعل يستر أمره ، ويخفي خبره من الناس جميعا ، خوفا من أن يَشيع ، ويُعلَم مكانه ، فيُقتَل قبل أن يُسمَع كلامه . فأجمع رأيه على اظهار نفسه ، واشهار قوله ومذهبه على رؤوس الخلائق والاشهاد ... وأن يكون ذلك في المسجد الجامع في يوم الجمعة ... !! » .

فصل المسرحية الاول : حوار في المسجد

ولك ان تتصور بغداد في أزهى عصورها، وأنضر عهودها ، والمأمون خليفة المسلمين فيها ، واليوم يوم جمعة ، قد اجتمعت الخلائق لأداء الصلاة الجامعة ، والكناني غريب عن البلد ، وليس له من ناصر ولا من معين ، فكيف له بالوصول الى غرضه ، والدولة دولة المعتزلة ؟ لقد كان تدبيره عجبا من العجب ، ليس هنالك أمهر ولا أبرع . مسرحية كاملة، وزع فيها الادوار بينه وبين ولده، كما اختار المواضع . اسمع اليه يقول :

« فلما كان يوم الجمعة الذي عزمت فيه على اظهار امري ، واشهار قولي واعتقادي ، صلّيت الجمعة في المسجد الجامع بالرصافة ، من الجانب الشرقي ، حيال القبلة والمنبر ، في أول صف من صفوف العامة ، فلما سلم الامام من صلاة الجمعة، وثبتّ قائما على رجلي ، ليراني الناس ويسمعوا كلامي ، ولا تخفى عليهم مقالتي ، وناديت بأعلى صوتي ، مخاطبا ابني ، وكنت قد اقمته بحيالي عند الاسطوانة الأخرى ، فقلت له :

ـ يا بني ما تقول في القرآن ؟

ـ فقال : كلام الله غير مخلوق !! ..

هذا هو الاخراج العجيب الذي دبره الكناني ثم نفذه،في عاصمة الخلافة، لا يخشى الدولة وبأسها، ولا خصومه وبطشهم . ذلك بأنه كان « موقنا انهم لن يحدثوا له حادثة ، ولن يعجلوا عليه بقتل ، ولا بغيره من العقوبات،بعد اشهار نفسه ، والنداء بمخالفتهم على رؤوس الخلائق ، الا بعد مناظرته والاستماع منه » .

أكثر نصوص هذا البحث مقتبسة من كتاب (الحيدة) للامام عبد العزيز بن يحيى الكناني الذي نشره المجمع العلمي العربي بدمشق حديثا(١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤م)،وحققه الدكتور جميل صليبا

جمهور المصلين يهرب من المسجد

فماذا كان أثر هذا الحوار البليغ القصير بين الكنانى وولده فى المصلين ؟ لسنا نشك فى أن أكثر المصلين من العامة اصابتهم الدهشة منه ، فاسمع الى الكنانى يصف آثار هذا الحوار فيهم بقلمه . قال :

« فلما سمع الناس كلامى ، ومسألتى لابنى ، وجوابه لى ، هربوا على وجوههم خارجين من المسجد، الا اليسير من الناس ، خوفا على أنفسهم، وذلك أنهم سمعوا ما لم يكونوا يسمعون ، وظهر لهم ما كانوا يخفون ويكتمون ... » .

بين الكنانى ووزير المأمون

واذا كان ما حدث بين العامة وفى صفوفها طبيعيا، يتفق مع خوف الناس من السلطان واستبداده ، فان الذى حدث مع الخاصة كان طبيعيا أيضا ، لا يختلف مع تصور الاذكياء ، ولا مع نباهة الفهماء. كان عمرو بن مسعدة ، وهو وزير المأمون ، يصلى فى المسجد ، فلما حدث ما حدث ، هجم أصحاب السلطان على الكنانى ، واحتملوه مع ابنه اليه ، واوقفوه بين يديه . لم يتصور عمرو بن مسعدة ، وهو من هو ، وهو الذى تحدث عنه محمد كرد علي فى أحد بحوثه بعنوان : (البلاغة سبيل الوزارة) لم يتصور هذا العبقرى أن تدفع العقيدة صاحبها الى الهلكة ، ولم يتخيل أن يوجد فى دنياه رجل يحمله ايمانه على الاستهتار بالسلطان وأعوانه . وانما يتخيل شيئا آخر ستراه من الحوار الذى دار بين الرجلين . قال له :

ـ أمجنون أنت ؟

ـ لا !

ـ أفموسوس أنت ؟

ـ لا !

ـ أفممتره أنت ؟

ـ لا ! انى لصحيح العقل ، جيد الفهم ، ثابت المعرفة ، والحمد لله كثيرا !

ـ أفمظلوم أنت ؟

ـ لا !

فقال لرجاله : مرّوا بهما سحبا الى منزلى !!

فى منزل الوزير

ويمضى الكنانى فى وصف مسيره مع ابنه من المسجد الى بيت عمرو ، يتعادى رجال عمرو بهما سحبا شديدا ، وأيديهما فى أيديهم ، يمنة ويسرة .. حتى صارا الى المنزل على تلك الحال العنيفة الغليظة .. فلما صارا بين يديه ، دار حوار جديد ، من نوع آخر ، يدلك على ما يفعل الايمان فى نفس المؤمن . قال عمرو :

ـ ما حملك على ما فعلت بنفسك ؟

ـ طلبت القربة الى الله عز وجل ، ورجاء الزلفة لديه !

ـ فهلا فعلت ذلك سرا من غير نداء ، ولا اظهار لمخالفة أمير المؤمنين . ولكنك أردت الشهرة ، والرياء ، والتسوق ، لتأخذ أموال الناس !

ـ ما أردت من هذا شيئا، ولا أردت الا الوصول الى أمير المؤمنين ، والمناظرة بين يديه ، لا غير ذلك!

ـ أو تفعل ذلك ؟

ـ نعم ، ولذلك قصدت ، وبلغت بنفسى ما ترى ، بعد خروجى من بلدى ، وتغريرى بنفسى ، مع سلوكى البرارى ، أنا وولدى ، ورجاء تأدية حق الله فيما استودعنى من العلم ، والفهم ، وما أخذ عليّ وعلى العلماء من البيان .

لم يكن الوزير البليغ قادرا على البت فى الموضوع وحده ، وقد أدرك أنه أمام أمر عظيم مستعجل (كما نقول بلغة اليوم) ، لا يجوز فيه التأخير ، ولا يحتمل التأجيل . فالموضوع ليس خلافا بين رجلين ، ولا بين فرقتين ، ولا بين بلدين ، وانما هو خلاف مع أمير المؤمنين نفسه ، فلا بد من أن يرى الخليفة فيه رأيه . لهذا قال عمرو لرجاله :

أخرجوه من بين يدى الى دار أمير المؤمنين .

فأخرج على مثل الحال التى أخرج فيها من المسجد ، حتى اذا خلا عمرو بالمأمون وأطال ، خرج وأعلمه أمر الخليفة بالجمع بين الكنانى ومخالفيه للمناظرة بين يديه ، وعين موعدا لذلك يوم الاثنين الآتى

اخلاء السبيل بالكفالة

كان هذا الأمر من الخطورة بحيث لا بد من أن يتخذ فيه اجراء تحفظى ، كما نقول فى اللغة القضائية فى زماننا هذا . فلم يكن معقولا أن يترك الكنانى طليقا ، كذلك لم يجد الخليفة ووزيره من الحكمة أن يحبساه . ولهذا قال له عمرو :

أعطنا كفيلا بنفسك حتى تحضر يوم الاثنين .

فلما أبدى له الكنانى استحالة ذلك ، لأنه

لا يعرف أحدا ، ولا يعرفه أحد ، ولو كان الخلق يعرفونه لتبرءوا منه ، وهربوا من قربه ، وانكروا معرفته ، بعد اظهار مقالته . فقنع عمرو بحجته ، واكتفى بأن وكل به من يكون معه ، حتى فى منزله، ليحضره فى ذلك اليوم .

تكريم بعد التهشيم

والظاهر أن عمرا قد أدرك بفطنته أن موافقة المأمون على عقد المناظرة، تدعو الى اجتناب الاساءة الى الكنانى ، لأن نتائجها مجهولة ، ولا يدرى اين يكون الخليفة بعد انتهائها . ولهذا اوفد اليه فى اليوم المعين « خليفته ، ومعه جمع كثير من الفرسان والرجالة ، فحملوه مكرما على دابة حسنة ، حتى صار به الى باب أمير المؤمنين » .

وقد حاول عمرو أن يقنع الكنانى فى بيت الخلافة بالعدول عن المناظرة ، قبل انعقادها ، بالترهيب والترغيب . ولكن الكنانى لم يزد الا تصميما على موقفه فقال :

« ما ندمت ولا رجعت ، ولا خرجت من بلدى ، وغررت بنفسى ، الا فى طلب هذا اليوم ، وهذا المجلس ، رجاء أن يبلغنى الله ما أومل من اقامة الحق .. » .

ولقد كان فى قصر الخليفة المأمون ، ما يكون فى جميع القصور ، فى جميع العصور والدهور ، من مخالفة المولى لسيده ، ومعارضة البطانة لمليكها ، فى أمر من أمور الملك ، أو فى رأى من الآراء . والظاهر أن حاجب المأمون كان سنيا ، أو أنه كره تسلط احد غيره على سيده ، فاذا به وهو يقود الكنانى بين الدهاليز يساره بهذا النصح العجيب :

« ان أمير المؤمنين بشر مثلك ، من ولد آدم ، وكذلك كل من يناظرك بحضرته ، فلا تهيبهم ، واجمع فهمك وعقلك لمناظرتهم ، واياك والجزع ، واعلم أنه اذا ظهرت حجتك عليهم انكسروا، وانقطع كلامهم عنك ، وأذللتهم ، وغلبتهم ، ولم يقدروا لك على مضرة ولا مكروه ، وصار أمير المؤمنين والرعية معك عليهم ، وان ظهرت حجتهم عليك أذلوك وقتلوك .. » .

المأمون يريد المناظرة بالعدل والحكمة

وانعقدت المناظرة ، وكان المأمون فيها حكما شريفا ، حفظ للمتناظرين تعادلهم ، ومنع بغى المعتزلة على الكنانى باليد واللسان ، وأدار الجلسات على خير ما يديرها الرجل العاقل الحيادى ، الذى لا ينظر الا الى الحجة والبرهان.

ولك ان تتبع ما جاء فيها من روائع القول ،وبليغ الحكم ، وجوامع الكلم ، ومن حسن استحضار الادلة من الكتاب والسنة وأخبار الصحابة وشعر العرب ، ومن طرائف المفارقات ، التى رسمها الكنانى ، فى كتاب (الحيدة) ، فكانت صورا حية ناطقة ، لم يدع فيها حركة ، ولا مشهدا ، ولا أمرا كبيرا أو صغيرا ، الا وسجله بلغته العباسية العذبة ، التى تنزهت عن الغريب، وخلت من الحوشى ، وازدانت بالازدواج ، وتحلت بالرشاقة والخفة ، وابتعدت عن المصطلحات الكلامية والفلسفية التى لا يفهمها الا أهلها ،وكأنه اراد أن يتوجه الى العامة ، فى مناظرته للخاصة .

ولك أن ترى كذلك اعجاب المأمون بهذا الرجل العجيب ، والحكم الذى أصدره فى صحة رأيه ، وان كان قد ألزمه بالكف عن اذاعته .

ترف عقلى

وانى لأرى أن هذا الحادث الفريد ، يمكن أن يوحى الينا بالملاحظات الآتية :

ان مشكلة خلق القرآن لم تكن الا مظهرا من مظاهر الترف العقلى عند العرب فى أزهى عصورهم.

وان الدولة قد تتبنى عقيدة فرعية ، وتعتبرها أم المسائل فى حياتها .

وان العقيدة لا تخلو فى أى عصر من العصور من ناصر لها ، يركب فى سبيلها أعظم الاخطار .

وان العقل العربى قد استطاع أن يبتكر أحلى الأساليب وأروعها لارغام المستبدين على الاستماع اليه .

وان عهود الطغيان قد يتسع صدرها لسماع مخالفيها ، والاقتناع بآرائهم ، ثم تمتنع عن اتباعها لأغراض سياسية ، أو لغيرها .

وان الترف لا يدوم ، وان كان عقليا ، فما أسرع ما يزول .

وان كثيرا من أصحاب العقائد ، تخالف أفعالهم أقوالهم .

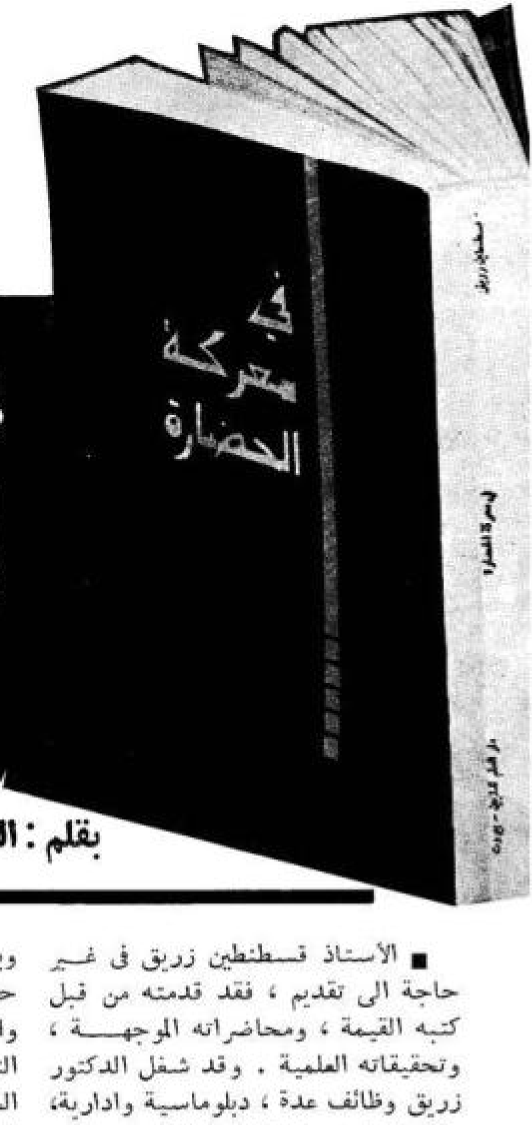
وان عبد العزيز الكنانى مثل حى لانتصار الحق على الباطل . ■■

ظافر القاسمي

كتاب الشهر

في معركة الحضارة

للدكتور قسطنطين زريق



بقلم : الدكتور محمود السمره

■ الأستاذ قسطنطين زريق في غير حاجة الى تقديم ، فقد قدمته من قبل كتبه القيمة ، ومحاضراته الموجهة ، وتحقيقاته العلمية . وقد شغل الدكتور زريق وظائف عدة ، دبلوماسية وادارية، ولكن التدريس في الجامعة كان دوما هو احب عمل الى نفسه . وفي سبيل العودة الى قاعة المحاضرات ، ترك منصبه المرموق كرئيس للجامعة الامريكية ببيروت، وآثر عليه وظيفة « استاذ ممتاز » في الجامعة نفسها .

وهذا الكتاب : «في معركة الحضارة»، هو آخر كتاب صدر للمؤلف . وهو في ثلاثة عشر فصلا : غاية هذه الدراسة وبواعثها ، ماهية الحضارة وشروطها ، حضارات مختلفة أو حضارة انسانية واحدة،مظاهر الحضارة، قوام الحضارة، التغيرات الحضارية . عوامل التغير الحضاري ، تفاعل الحضارات ، مقاييس التحضر ، التقدم والتحضر ، الوضع الحضاري المعاصر ، في معركة الحضارة.

غاية هذه الدراسة

وقد حدد المؤلف غايته من تأليف هذا الكتاب بوضوح ، وهذه الغاية هي استجلاء مفهوم الحضارة ، ومحاولة ادراك جوهرها ، ومقوماتها ، والتغيرات التي تطرأ عليها . والمؤلف حريص في

هذا الكتاب ايضا على ايضاح مفهوم أساسى من مفاهيم الحياة ، وربطه بسواه من المفاهيم الأساسية ، وذلك لتكوين نظرة حضارية صحيحة لدى الشعوب العربية تمكنها من ادراك ماضيها وحاضرها ومستقبلها ادراكا ادق وأسلم . وهو الى جانب هذا حريص على أن يجعل هذا الادراك عند الشعوب العربية يؤدى الى نتائج عملية مفيدة لها .

تعريف الحضارة فى تراثنا

وانا ارى ان نعرض أولا لتعريف الحضارة قبل ان نتناول المفاهيم الأساسية لها ، وقبل ان ننظر فى واقعنا من ناحية حضارية .

لقد وردت كلمة « حضارة » فى لغتنا بفتح الحاء وكسرها ، وتعنى الاقامة فى الحضر ، اى فى المدن والقرى . وعكسها « البداوة » اى الاقامة المتنقلة فى البوادى . ومن هذا نستنتج ان أصل معنى « الحضارة » هو الاستقرار ، وأولى درجات الاستقرار تنشأ عن زراعة الارض ، ثم يأخذ المجتمع فى التطور .

والتمييز بين الحضارة والبداوة عريق فى تاريخنا ، ونحن نجده مرددا فى أدبنا ، ونظمنا ، وعاداتنا ، وكل عناصر تراثنا . والتفاعل بين الحضارة والبداوة واضح فى ماضينا ، نلمسه فى السياسة ، والاجتماع ، والادب ، وفى العقلية عامة . وما زال هذا التفاعل قائما فى مناطق واسعة من وطننا العربى .

وأبرز من تصدى لدراسة موضوع الحضارة عندنا هو المؤرخ والفيلسوف الاجتماعى، عبدالرحمن ابن خلدون . ولعلنا نستطيع القول انه أول من عالج شؤون الحضارة بصورة منظمة فى أية لغة من اللغات ، حتى ليصح أن نعتبره مؤسس علم الحضارات ، أو كما دعاه هو علم « العمران البشرى والاجتماعى الانسانى » .

وقد تناول هذا الموضوع ، بعد ابن خلدون آخرون . وخلاصة ما قيل فى مفهوم الحضارة عند العرب ، انه كان يعنى ذلك النمط من الحياة المناقض للبداوة ، المنشىء للمدن والأمصار ، المستقر فيها ، المتصف بفنون منتظمة من الملك والادارة ، ومن مكاسب العيش ، ومن الصنائع والعلوم ومن وسائل الدعة والرفاه . وقد جعل ابن خلدون البداوة والحضارة طورين طبيعيين من اطوار المجتمعات البشرية . واعتبر الحضارة آخر هذه الأطوار ، « وغاية العمران » .

وهناك كلمة حديثة نستعملها فى ايامنا هذه مرادفة لكلمة « الحضارة » وهى كلمة «المدنية» وهذه الكلمة ترد فى المعاجم . فهى مولدة ، والارجح انها مستمدة من الكلمة الافرنجية Civilization .

واذا كان العرب القدامى لم يستعملوا كلمة « مدنية » ، فانهم استعملوا لفظة « مدنى » ، فهذه ترد عند الفلاسفة العرب بمعنى «اجتماعى». وقد اخذ الفلاسفة العرب هذه الكلمة عن اليونان، وهم الذين كانت المدنية عندهم هى مظهر الاجتماع المنتظم المتحضر . واستعمل ابن خلدون صيغة « التمدن » ، ويعنى بها الحضارة أو التحضر فيقول :

« ولهذا نجد التمدن غاية للبدوى يجرى اليها » .

مفهوم الحضارة اليوم

واذا كان هذا هو مفهوم « الحضارة » عند مفكرينا فى الماضى ، فما هو مفهومها الأساسى فى أيامنا هذه ؟

ان هذا اللفظ يستعمل اليوم لأداء معنيين مختلفين قلما يميز بينهما : اما الأول فمعنى وصفى يقصد به مجموع الحياة التى يحياها شعب واحد أو شعوب عدة ، بما تضم من نظم الحكم ، وسبل فى تحصيل العيش ، وعلاقات اجتماعية ، ومعرفة نظرية وعملية ، وقواعد سلوكية ، وغيرها من المقومات . فاذا ذكرنا نظام الاقطاع مثلا ، أو الديانة الاغريقية ، أو الخلافة

فى الاسلام ، فان كلا منها يعنى ، بهذا المعنى ، حضارة معينة تؤلف مختلف مظاهرها وحدة شاملة .

واما المعنى الثانى ، وهو المعنى الاكثر شيوعا ، فهو المعنى التقييمى ، اى انه يتوجه الى القيم التى تتضمنها الحضارات وتتميز بها ، او يقارن حضارة بحضارة اخرى . وبهذا المعنى نقول عن حضارة ما انها فى تقدم او انحطاط ، فى ازدهار او ذبول . وبهذا المعنى نقارن بين حضارة الاغريق وحضارة الهند ونخلص الى نتيجة هى ان حضارة الاغريق فاقت حضارة الهند او تدنت عنها . وعلى هذا فحضارة اى شعب من الشعوب هى مجموع القيم التى يسعى ذلك الشعب لتحقيقها ، والتى تتمثل فى مختلف نشاطاته وانجازاته . ونحن اذا أردنا أن ندرس حضارتنا السالفة ، فان هذه الدراسة لا قيمة لها ما لم تجل لنا نوع القيم التى حققتها هذه الحضارة ، او طمحت الى تحقيقها وكذلك الحال فى حياتنا الحاضرة ، فادراكنا الصحيح للحياة التى نحياهايتطلب منا استكشاف القيم التى تتضمنها ، ومبلغ سلامتها واصالتها ، أو ضعفها وخللها ، ومدى ما ينبغى من تعديل فيها ، أو تخل عنها فى سبيل قيم اخرى .

التخلف : مشكلتنا الاولى

ونحن اذا نظرنا فى حاضرنا فى ضوء هذا المفهوم الحضارى ، بدا لنا ان مشكلتنا الاولى هى مشكلة التخلف . وهى مشكلة تشاركنا فيها شعوب ذات أوضاع مماثلة ، وهذه الشعوب تؤلف من البشرية قسمها الأوفر عددا ، والأقل قدرة ونفوذا .

ويتمثل هذا التخلف فى ضآلة سيادتنا للطبيعة، وضعفنا فى استغلال مواردها ، وهزالة تنظيمنا الاقتصادى والاجتماعى . مع الاعتراف بالجهود العظيمة التى بذلناها فى نهضتنا الحاضرة . وعلة التخلف هى مبعث العلل الأخرى التى انتابتنا ، ومصدر المصائب التى حلت بنا ، فلولاها لما خضعنا أصلا للاستعمار ، ولما تفشى فينا الفقر والجهل ، ولما نكبنا فى فلسطين . ولما تعثرت خطانا فى طريق التعاون والاتحاد .

الجبن عن نقد الذات : مشكلتنا الثانية

ومشكلتنا الثانية هى جبننا عن مصارحة الذات ونقدها . وانه لمن اليسير على الفرد والمجتمع ان ينسى أو يتناسى مواضع الضعف والسوء فيه ، ويستكين للرضى والافتخار . ولكن اذا كان هذا يسيرا ، فان نتائجه خطيرة ، لأنه يؤدى فى النهاية الى الضياع والخسران . ومثل هذا يسرا وسهولة ان ينقد المرء الاخرين ، ويلقى اللوم عليهم،ويحملهم التبعات والمسؤوليات، أما الامر العسير البعيد المنال فهو مجابهة الذات، ومحاسبة النفس ، وتحمل التبعات . ولكن هذا الأمر على عسره وصعوبته هو شرط لا بد منه للتقدم والنجاح ، وهو ميزة من الميزات الأساسية التى يتسم بها العقل . والنقد الذاتى ، بعد هذا، دليل النضج، وبرهان على القدرة والثقة بالذات. وهذا ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الشعوب. وهنا يجد كل واحد منا نفسه ، ونجد أنفسنا كمجموع ، أمام اختيار لا فرار منه : اما التغطية والهروب والادعاء ، أو المصارحة والمجابهة والمحاسبة .

التوق الحضارى

ولا يكفى أن يحس رجال الفكر منا وحدهم بهذا ، بل يجب أن يشيع بيننا توق حضارى . والافراد والشعوب انما تقاس قيمتها بنوع مطالبها ، اى بما تحن اليه وتتوق الى تحقيقه . والشعوب العربية اليوم تنشد غايات كالحرية ، والسيادة ، والتضامن ، والاتحاد ، والعدالة الاجتماعية ، وما شابهها وهى غايات جديرة بكل جهد ، وبذل ، وتضحية . ولكن الشعوب العربية لا تحقق هذه الغايات على وجهها الصحيح الا

بمقدار ما تحصل من قدرات حضارية . فلا حرية مضمونة ، ولا سيادة منيعة الا للشعوب التى تثبت قدرتها فى الميدان الحضارى : قدرتها فى استغلال موارد الطبيعة ، وفى التنظيم والانتظام ، وفى الانشاء والابداع . ولا تضامن ولا اتحاد ولا عدالة اجتماعية ، الا بمقدار ما يحرز الفرد العربى والمجتمع العربى من سلطات عقلية ، وفضائل خلقية .

ايمان بالعقل وسعى وراء الحقيقة

وهذا التوق الحضارى لا يكون سليما باقيا ما لم يستند الى ايمان بالعقل،وسعى وراء الحقيقة. وأدق تنافس بين الشعوب اليوم هو التنافس الجارى فى ميدان العلم .

ولذا فان من واجب الشعوب العربية أن تؤمن ايمانا عميقا بانه لا بقاء لها فى هذا المعترك الا اذا تجهزت بأجهزة العلم ، واكتسبت القدرات التى ييسرها العلم لاستغلال الثرواتالطبيعية والبشرية وتنظيمها . وليس معنى هذا أن نحصل على نتاج العلم من سوانا ، بل أن نستطيع نحن انفسنا الصنع والاكتشاف والاختراع ، وبذلك نمتلك ناصية العلم امتلاكا ثابتا أصيلا .

وهذا الايمان بالعلم يمليه علينا واقع حياتنا الذى لم يعد يسمح بالانطلاق وراء الاوهام والخيالات ، ولم يعد يطيق اهمال الامكانات الطبيعية والبشرية ، وتبديدها . والمكانة المرموقة فى دنيانا انما هى للشعوبالقادرة بعقلها لا بعددها، النافذة بمنجزاتها لا بادعاءاتها ، المتشوقة للانشاء والابداع ، المستعدة لدفع ثمنها بالسعى الشاق لمعرفة الحقيقة ، والبناء على اساسها . وأية نظرة غير هذه انما هى هروب من الواقع .

الذهنية المتفتحة

ولا بد لنا اذا أردنا السير فى سبيل التحضر من أن نكتسب الذهنية المتفتحة ، فهناك شعوب متفتحة وأخرىمنغلقة على ذاتها . وانغلاقالشعوب والحضارات عامل من عوامل تقهقرها وانحطاطها . أما الشعوب الناهضة ، والحضارات المزدهرة ، فلها من ثقتها بنفسها ما يجعلها تفتح نوافذها للنور يأتيها من كل مكان . فاذا ما ضعفت ثقتها بنفسها ، واغلقت على نفسها النوافذ والابواب ، وقبعت فى قوقعتها ، فسد مناخها العقلى . والحضارة العربية خير شاهد على أن الانفتاح دليل الحيوية والعافية ، فهى فى ابان عزها قد فتحت نوافذها للنور يأتيها من كل مكان، فأخذت واعطت واستمدت وأمدت . فلما انكمشت على نفسها ، قل عطاؤها ، وضعف اسهامها ، ولهذا فان علينا أبناء الشعوب العربية ، أن نكتسب هذه العقلية المتميزة بالابعاد المتسعة المنطلقة . فاذا عجزنا عن هذا ، وظلت اهتماماتنا محصورة بدوائرنا الضيقة ، واقمنا سدودا وحدودا تفصلنا بعضنا عن بعض ، وتضيق مجالات نظرنا وفكرنا وعملنا ، اقمنا الدليل على أننا لسنا خليقين بتحديات هذه الحياة الجائشة ، وقضينا على انفسنا باستمرار التخلف .

وتفتح الشعوب العربية بعضها على بعض يعنى تقوية حس المشاركة ، وصوغه ايمانا عميقا ، عملا مستمرا ، وتغليب المصلحة الكبرى على المصالح الصغرى ، وتعبئة الجهود كافة لصد الاخطار المشتركة . اما تفتحها على العالم فيعنى الاسراع فى الافادة من الخبرات الانسانية التى كانت للحاق بركب الحضارة ، مع الحرص على توجيه هذه الخبرات لخدمة أغراضنا .

تنمية الثروات الطبيعية

ومن الواجبات المفروضة علينا فى وضعنا الحاضر تنمية ثرواتنا الطبيعيةوقدراتنا الانتاجية. ونحن بحاجةماسة الى هذا لتغطيةنفقاتنا الباهظة: فهناك أجهزة الدفاع،وواجبات الانماء ، ومتطلبات العدالة الاجتماعية . ولهذا كان جرما أن نترك مواردنا الطبيعية مهملة غير مستغلة ، أو مستغلة

استغلالا زهيدا . فالارض التى تزرع ، والمياه التى تهدر ، والثروات التى لا تستخرج ، أدلة على عجزنا . واشد من هذا ايلاما تبديد الثروات فى سبيل الشهوات ، وانفاقها على البضائع الاستهلاكية التى لا تضيف شيئا الى قدرة الوطن الانتاجية . ولو ان هذه الثروات المبددة انفقت فى ما كان يجب أن تنفق عليه ، لاستطاعت الشعوب العربية أن تخطو خطى ابعد واثبت فى مكافحة التخلف ، واعداد العدة للقضاء عليه .

تنمية الثروة البشرية

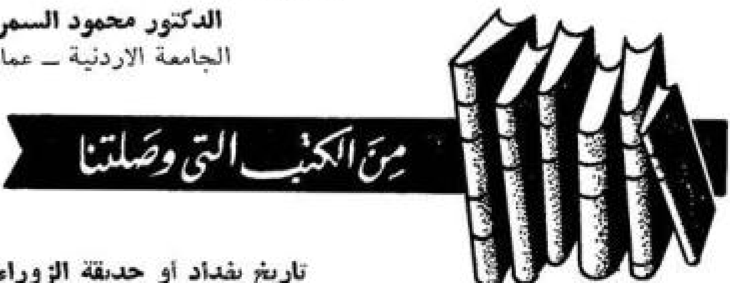
وتنمية الثروة الطبيعية لا تتم لنا الا اذا عمدنا الى تنمية ثروتنا البشرية . والثروة البشرية هنا هى الأيدى التى تصنع ، والعقول التى تفكر ، وتخطط ، وتنظم . وتنميتها تتضمن التدريب ، والتعليم وعلينا أن نتذكر أن الوفرة العددية لم تعد وحدها مصدر قوة ونفوذ ، بل انها تنقلب عبئا ثقيلا اذا لم تمثل سوى أجساد تطلب تغذية وعناية .

ان عصرنا اليوم هو عصر البحث ، والسباق فى عصرنا انما هو سباق بين العقول . ولذا فاننا نجد أن الأمم الناهضة تتنافس فى ما تعده من اخصائيين مهنيين وفنيين ، ومن علماء باحثين نظريين وفى ما تنشئه من معاهد وجامعات ومراكز بحوث . وعلى الشعوب العربية أن تسعى فى هذه الحقيقة ، وعلى ضوئها تنظر فى سياساتها التعليمية لترى ما اذا كانت تحقق لها هذا الغرض ، وتبنى لها مجتمعا علميا متحضرا .

★ ★ ★

هذه هى بعض تحدياتنا فى معركة الحضارة كما وردت فى كتاب الدكتور زريق ، وهى معركة حياة أو موت . ■■

الدكتور محمود السمره
الجامعة الاردنية ــ عمان



حياة جديدة

تأليف : فاضل السباعى ــ مؤسسة المعارف ببيروت ــ الثمن ٢٥٠ قرشا لبنانيا

● مجموعة من القصص الشيقة تبحث مواضيع من بيئات مختلفة باسلوب شيق .

مشكلة الفقر

تأليف : عبد الهادى الفضلى ، مطابع النعمان بالنجف بالسعودية الثمن ٦٠ فلسا

● هذا الكتاب عبارة عن دراسة لشريعية على ضوء الاقتصاد الاسلامي لعوامل مشكلة الفقر والوقاية منها وعلاجها .

تاريخ بغداد أو حديقة الزوراء فى سيرة الوزراء

تأليف الشيخ عبد الرحمن السويدى وتحقيق الدكتور صفاء خلوصى ــ مطبعة الزعيم ببغداد

● هذا الكتاب كتاب تاريخي أدبي يفيد منه المؤرخ والاديب ويبحث فى تاريخ بغداد فى عصر الاستنارة الاوروبى .

التعاون العسكرى العربى

تأليف العميد الركن حسن مصطفى دار الطليعة ببيروت الثمن ٤٠٠ قرش لبناني

● الكتاب يحوى دراسة واسعة فنية لتخطيطية تفصيلية للتعاون العربى العسكرى يكتبها قائد عسكرى كفء .

فن الدراسة

تأليف : كليفورد ت. مورغان وجيمس ديز
ترجمة فؤاد جميل
منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة ـ الثمن ٦٠٠ قرش لبنانى

● **هذا الكتاب يعد مرشدا لطرق الدراسة وفيه تعليمات مبسطة لتعيين الوقت والاستفادة منه وهو بالاضافة الى ذلك يرشد الى أقوم السبل للاستفادة من الكتاب المدرسى وتدوين الملاحظات .**

الحرية فى ظل القانون

تأليف : القاضى وليم او. دوكلاس ـ ترجمة ابراهيم اسماعيل الوهب
منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت
الثمن ٤٠٠ قرش لبنانى

● **يبحث هذا الكتاب فى تقدم النظم والقواعد الاجتماعية والسياسية والقانونية للامم المختلفة بالنسبة للفرد او المجتمع الذى يعيش فيه ، كما يتطرق لمواطن الشبه بين حضارات الأمم المختلفة.**

الآفاق الجديدة للسياسة العالمية ودور الشرق الأوسط

تأليف : جستر باولز ترجمة ابراهيم عبد الرحمن الخال ـ دار مكتبة الحياة ببيروت ـ
الثمن ٩ ليرات لبنانية

● **مؤلف هذا الكتاب من كبار الشخصيات ومن أساطين ساسة العالم ، وقد امضى سنوات عدة فى تهيئة وجمع مواد هذا المؤلف فجاء سفرا نفيسا فريدا فى موضوع الساعة وكل ساعه .**

١٩٧٥ والمعجزات العلمية المنتظرة

تأليف : ارنولد ب. باراك ترجمة اللواء سعد الدين صبور دار النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٦٥ قرشا

● **يحدثنا هذا الكتاب عن التاريخ القريب مقارنا بالماضى القريب وقد عالج المؤلف فيه موضوعات كثيرة منها : الناس والمزارع وخطوط التجميع فى المصانع والازرار الكهربية وغيرها من المواضيع .**

تاريخ العالم الحديث

تأليف : روبرت ر. بالمر ترجمة الدكتور محمود حسين الامين ـ مطبعة أسعد ببغداد الثمن دينار

● **يعد هذا الكتاب مرجعا هاما اذا علمنا انه احد المراجع التاريخية بالجامعات الأمريكية حتى تاريخنا هذا وهو يتناول بالبحث تاريخ أوربا من القرون الأولى حتى سنة ١٧٤٠ ميلادية .**

علم التاريخ عند المسلمين

تأليف : فرانز روزنتال ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي
مكتبة المثنى ببغداد ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ للطباعة ـ الثمن ـ ديناران

● **يعتبر هذا الكتاب سفرا نفيسا فى التاريخ ، تناول فيه المؤلف بالبحث ، الطبقات والأنساب والتراجم والفلك والفلسفة والجغرافية والعلوم السياسية والاجتماعية والوثائق الاصلية والقصص وغيرها .**

سياسة الحكم

تأليف أوستن رني ترجمة الدكتور حسن علي الذنون
المكتبة الاهلية ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة ـ الثمن ٩٠٠ فلس عراقى

● **يعد هذا الكتاب مصدرا هاما من مصادر علم السياسة والحكم لا يستغنى عن قراءته المثقفون .**

البرامكة والعلويون

تأليف : جاسم الكلكاوى مطبعة اهل البيت كربلاء

● **يبحث هذا الكتاب فى موقف البرامكة من العلويين خاصة والعرب عامة باسلوب سهل .**

البنوك والاقتصاد الاردنى

تأليف : فهد الفانك يطلب من المؤلف بالبنك العربى بعمان الثمن ٢٠٠ فلس

● **يبحث هذا الكتاب قصة النقود وتطورها ونشأة البنوك ووظائفها .**

الشرق الأوسط فى الشئون العالمية

تأليف جورج لنشوفسكى ترجمة جعفر خياط مكتبة دار المتنبى ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين الثمن ٦٠٠ فلس عراقى

● يعرض هذا الكتاب تاريخ الشرق الاوسط منذ زمن الامبراطور العثمانى السلطان سليمان القانونى حتى الآن عرضا علميا يتناول التنظيم السياسى والاقتصادى والاجتماعى للمنطقة .

سر الحياة

تأليف الدكتور عمر شوقى ـ دار الطباعة الحديثة بالقاهرة

● هذا الكتاب عبارة عن بحث نظرى علمى ، استعرض فيه المؤلف العلوم والنظريات الطبية الحديثة وربطها بعلم الذرة .

عقاب الخطيئة

تأليف : عبد الوهاب النعيمى ـ مطابع الجمهورية بالموصل

● مجموعة قصص شيقة، بأسلوب شيق يبحث فيه مؤلفها الدوافع الى الخطيئة وصدى عقاب القانون من نفس مرتكبها .

رواد الصحافة فى الولايات المتحدة

تأليف : جيرارد بريفين مير ترجمة أحمد ابو كف دار الكرنك للنشر بالقاهرة الثمن ٣٠ قرشا

● يسرد هذا الكتاب تاريخ رواد الصحافة فى الولايات المتحدة الامريكية مبرزا اخطاء هؤلاء القوم التى هى اخطاء معظم رجال الصحافة فى العالم والتى دفعت الصحافة وطورتها .

موقف العالم الاسلامى تجاه الحضارة الغربية

ابو الحسن على الحسنى الندوى
مطبعة ندوة العلماء ـ لكهنؤ (الهند)

● رسالة يبحث فيها مؤلفها موقف العالم الاسلامى تجاه الحضارة الغربية ، ويستعرض حركات التجديد والتطوير فى العالم الاسلامى فى هذا القرن ، وحركات الدعوة الى تقليد الحضارة الغربية ، وحركات الانتقاد والثورة عليها .

الانسان فى المرآة

تأليف : كلايد كلوكهون ترجمة الدكتور شاكر مصطفى سليم ـ المكتبة الأهلية ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين الثمن دينار وربع الدينار

● يبحث هذا الكتاب فى مفهوم مبدأ الانثروبولوجى ويلقى ضوءا على الأساليب الاجتماعية لعصرنا .

المتقطات (الجزء السادس)

مقتطفات من القرآن والحديث والفقه والتاريخ والشعر ، مع تفسيرها

تأليف : يوسف بن عيسى القناعى مطبعة المعارف بالكويت

● مجموعة من التفسيرات للاحاديث الشريفة بأسلوب سهل سلس .

محاضرات الموسم الثقافى

الجزء الخامس : وزارة الثقافة والارشاد القومى دمشق

● من هذه المحاضرات : فن القصة ، القصة العربية وقضايا المجتمع ، الادب والقومية ، مستقبل الأدب ، الابداع فى القصة ..

فن العرائس وتحريكها

وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق

● فى الكتاب : نشأة مسرح العرائس ، قواعد تحريك الدمى ، كيف يكتسب اللاعب المرونة ، كيف تصنع الدمى ..

انسان الفصل الخامس

تأليف : محمود ابو الوفا ودكتور محمود زيتون مطبعة مصر بالقاهرة الثمن ٢٥ قرشا

● الكتاب يبحث فصلا من فصول علم النفس والنظريات القائمة عليه بأسلوب علمى فلسفى .

مجلة المجمع العلمي العراقى

● وتشتمل على مجموعة من المحاضرات القاها بعض رجال العلم والأدب بالعراق . ■■

أنت تسأل

الربط بين القرآن وما كشف عنه العلم من مخترعات مسألة فيها نظر

السكوت على ما في التفاسير من ترهات

● نسمع من وقت الى آخر عن اعجاز علمي جاء ذكره في القرآن ، وأن الاكتشافات العلمية الحديثة كثيرا ما جاءت تؤيد حقائق علمية موجودة أصلا في القرآن لم تكن مفهومة وقت نزوله ، بل لم تكن مفهومة حتى وقت قريب ، مثل كيفية تكوين الجنين في بطن أمه ، وبصمات الأصابع ، وتكوّن اللبن ، وما جاء عن الفضاء والكواكب . وهذا يقتضي ضرورة اعادة النظر في تفسير القرآن على ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة ، وعلى ضوء ما فيه من تشريعات ومعاملات ، مما يتطلب تشكيل لجنة عامة تتفرع منها لجان في مختلف العلوم والفنون ، فتتكون هذه اللجان من علماء في الطب والذّرّة والطبيعة والكهرباء والفلك وغيرها من شتى ضروب المعرفة والعلوم ، وكذلك فقهاء اللغة والمفسرين وغيرهم من أساطين علماء العرب .

فهل لمجلتكم بما لها من المكانة الادبية في العالم العربي أن تدعو الى تنفيذ هذه الفكرة لما فيها من مزايا تعود على المجتمع العربي بالخير والتقدم ؟ وهل توجد تفسيرات حديثة للقرآن على ضوء ما ذكرت ؟ وما اسمها وتاريخ صدورها ؟

حلمي عبد الجواد الباص

عضو جمعية الادباء ـ القاهرة .

ـ لانعرف بين تفاسير القرآن ، قديمها والحديث ، تفسيرا عرض لما يشير اليه الكاتب من الاكتشافات العلمية الحديثة من قريب أو من بعيد ، لأن أكثر هذه الاكتشافات لم يكن قد عرف أو اتضحت معالمه عندما وضع المفسرون القدامى تفاسيرهم كالطبري والنيسابوري والألوسي والقرطبي والزمخشري

السنتو ... هل تعرفه ؟!

● يسرني ، ومجلة « العربي » الحبيبة تستقبل عامها السابع المجيد ، أن أبعث اليكم بخالص التهاني القلبية بعيد ميلادها السعيد .. سائلا المولى أن يوفقكم جميعا في المضي « بالعربي » قدما في طريق المستقبل المشرق .

و « العربي » .. هذه الهدية الرائعة التي تقدمها الكويت العربية الناهضة الى العرب في كل



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

وتحية نجيب

جَرِيمَةٌ لا تُغْتَفَر

واضرابهم .. وربما كان اجراهم جميعا على التعرض للعلوم الكونية ، الفخر الرازى . وان كان تفسيره لم يَخْلُ من أخطاء لاتقل خطرا عن تلك الاسرائيليات التي دست فى معظم تفاسير أهل «المنقول» ، أو تلك التأويلات العجيبة التي وردت فى بعض التفاسير ، والتي هي فى نفس الوقت ثغرات تتيح الفرصة لخصوم الاسلام أن يهاجموه من خلالها ...

حتى الامام محمد عبده ، وتلميذه الامام المراغى ، وهما خير من فسّر بعض سور القرآن من العلماء المحدثين ، اكتفيا بان مسّا فى تفسيرهما تلك المكتشفات وما تنبىء عنه من اعجاز علمى مسّا رقيقا ، فتحدثا عن الجاذبية وانفصال الأرض عن الشمس ودورانها حولها ، ثم نشوء الحياة عليها ، تحدثا عن هذا كله وعن غيره من المعجزات الكونية فى سهولة ويسْر وايجاز ، وقالا ان فى القرآن اشياء واشياء يقف عندها علم الانسان ، وكل ما قيل فيها أو يقال لا يخرج عن دائرة الظنون والفروض ، فاذا كشف العلماء عن شيء لا يناقِ ما قرره القرآن قلنا ان نقبله ، ولكن لا يجوز لنا أن نَرُدَّ به شيئا من القرآن ...

اما الذين حاولوا من المفسرين المحدثين أن يربطوا بين الاكتشافات العلمية الحديثة وبعض آيات الكتاب المبين فقد تخبطوا ايّ تخبّط ، ووقعوا فى شرّ مما وقع فيه المفسرون الاقدمون ، سواء منهم أهل المنقول وأهل المعقول ..

ولا شك فى أن ما وقع فيه هؤلاء وأولئك جميعا ، اما عن جهالة أو عن حسن نية ، يجعلنا نؤيد اقتراح الكاتب الفاضل اعادة النظر فى تفسير القرآن ، على الصورة التي يقترحها أو على اية صورة تحقق ما يهدف اليه ، ولكن بشروط :

١ ـ ان تتالف لجان التفسير من علماء الدين ، وعلماء اللغة ، ونفر قليل من اهل العلم الحديث ، على ان لا يختار الاخرون لميل فيهم معروف مشهود يخرج بهم عن الحياد فيسيئون الى الدين فى هذه العصور الحديثة باكثر مما أساء الاسرائيليون الى الاسلام فى العصور القديمة . وكم ممن حمل لقبا علميا كان اكثر شعوذة ممن لم يحمل .

٢ ـ ان تضع الهيئة التي ستتولى هذه المهمة نصب عينيها تنقية كتب التفسير الحالية

(البقية على صفحة ١٤٥)

مكان .. تستحق من كل قارىء عربى كل اهتمام واحترام .

وبهذه المناسبة ، أرجو أن أجد على صفحات مجلتكم ، بل مجلتنا القراء ، اجابة شافية على السؤال التالى :

ـ كثيرا ما نسمع من دول حلف « السنتو » .. فمتى تكون هذا الحلف .. وما هى أسماء الدول المشتركة فيه ؟

غسان توفيق أبو الوفا ـ الكويت

ـ الحلف المركزى « السنتو » ـ أى حلف

بغداد سابقا ــ تأسس فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٥ ، عندما عقدت تركيا والعراق معاهدة تعاون مشترك تجدد كل خمس سنوات ، ويتبادل الطرفان بمقتضاها حق الدفاع عن سلامة الآخر عند وقوع اى اعتداء عليه .

وقد انضمت الى الحلف فى نفس السنة ١٩٥٥ كل من : المملكة المتحدة (فى ابريل) والباكستان (فى ٢٣ سبتمبر) وايران (فى ٣ نوفمبر) .

على أن العراق انسحب فى ٢٤ مارس ١٩٥٩ من هذا الحلف ، نتيجة لثورة ١٤ يوليو ، تموز عام ١٩٥٨ .. فانتقلت رئاسة الحلف الى انقرة فى أكتوبر ١٩٥٨ ، واتخذ لفظ « السنتو » ــ اى الحلف المركزى ــ اسما جديدا له ، وذلك فى ١٩ اغسطس ١٩٥٩ .

وبالرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست عضوا فى السنتو ، فانها تشارك فى مساندة كافة ما يقوم به من نشاط . هذا ، وقد وقعت الولايات المتحدة الامريكية فى ٥ مارس ١٩٥٩ بانقرة اتفاقا ثنائيا يقضى بالدفاع المشترك والتعاون لاحلال السلام ، بينها وبين كل من ايران وباكستان وتركيا .



نهرو

استضعفوك .. فأكلوك

فلماذا لم يأكلوا شبل الاسد !

● قرأت فيما قرأت عن الزعيم الهندى الراحل « نهرو » انه كان نباتيا . ومن قبل قرأت مثل ذلك عن استاذه « غاندى » ، فوقر فى ذهنى أن عدم أكل اللحوم تقليد دينى عند الهنود . ولكنى قرأت مؤخرا أن برنارد شو كان نباتيا مع أنه ليس هنديا .

فما هو الأصل فى المذهب النباتى ، وسر اضراب معتنقيه عن أكل اللحوم ؟

وهل يستطيع الانسان أن يستغنى عن اللحوم ويكتفى بالاغذية النباتية دون أن تتأثر صحته ؟

بيروت   محمد سعيد الحبيصى

ــ النباتيون ، وبالانجليزية Vegtarians هم الذين يتجنبون فى غذائهم اللحوم والطيور والأسماك ، ومنهم من يزيد فيتجنب مشتقاتها كاللبن والزبد والبيض .

وقد سرى هذا المذهب وانتشر فى الهند بين كل من البوذيين والهندوس لبضعة آلاف من السنين كعقيدة دينية .. ومن هنا كان غاندى ونهرو وغيرهما من زعماء الهنود نباتيين .

لكن التاريخ عرف بعض ذوى الاسماء اللامعة ممن كانوا لا يأكلون اللحوم لأسباب لا تمت الى الدين ولا الى الصحة والمرض مثل ديوجين وفولتير وتولستوى ونيوتن وبرنارد شو وغيرهم .

واشهر النباتيين العرب ابو العلاء المعرى ، وفى ذلك يقول :

غدوتُ مريضَ العقل والدين فالقَنى
لتسمع انباء الامور الصحائح
فلا تأكلنْ ما أخرج البحر ظالما
ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح
ولا بيض امات أرادت صريحة
لاطفالها دون الغوانى الصرائح
ولا تفجعنْ الطير وهى غوافل
بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضَرَبَ النحل الذى بكرتْ له
كواسبَ من ازهار نبتٍ فوائح

السامية .. والسامانية

● هل السامانية هى السامية ؟ واذا لم تكن هى ، فما هو الفرق بينهما ؟ والى من تنتسب كل منهما وفى أى العصور وجدت ؟

صالح بابكر ـ كريتر ـ عدن

السامية مجموعة من الشعوب تنتمى الى سام أكبر أبناء نوح .كان يسكن ـ فيما تقول التوراة ـ بعض بلاد غرب آسيا ، حيث أعقب خمسة أبناء هم عيلام واشور وارفكشاد ولود وآرام، الذين استوطنوا بلاد الشرق الادنى بين جزيرة العرب وآرمينية .

والى سام ينتسب الجنس السامى واللغات السامية التى يرجع أصلها الى لغة واحدة ثم تفرعت الى ثلاثة أقسام : السامية الشرقية وتشمل البابلية والأشورية والكلدانية ، والسامية الغربية وتشمل الكنعانية والعبرانية والسريانية والتدمرية والنبطية والأمورية ، ثم السامية الجنوبية وتشمل العربية القديمة والقحطانية والحميرية والعدنانية المضرية ، أى القرشية الفصحى .. وذلك فضلا عن لهجات أخرى كالحبشية والأمهرية والهررية .

أما « السامانية » فاحدى دول المشرق التى نشأت فى ظل الخلافة العباسية ، وتنسب الى « أسد بن سامان » من أهل خراسان ، الذى تتابع الولاة من أحفاده قرابة قرن ونصف من الزمان ، وكان من أشهرهم نصر واحمد واسماعيل ونوح السامانيون .

وقد انتهى أمر الدولة السامانية باستيلاء السلطان محمود الغزنوى عليها عام ٢٩٥ هـ .

كبرياء فارس .. ورقة شاعر

● قرأت فى أحد كتب الادب أن الشاعر الفارس أبا فراس الحمداني سمع حمامة تنوح على مقربة من سجنه أيام وقع فى أسر الروم فجرى لسانه بأبيات من الشعر بينها البيت الآتي :

بـي مثل ما بـك ياحمامـة فاسألي
مَنْ فـكَّ أسركِ أن يفكَّ أسـارى

هل تتفضلون بأن تذكروا مطلع هذه القصيدة وبضعة ابيات منها مشكورين ؟

دمشق — خليل سلطان .

ـ البيت الذى أوردته ليس لابي فراس ، فضلا عن انه محرَّف . وهو من أبيات للشاعر المنازى حين سمع مرة فى سوق « باب الطاق » ببغداد حمامةً تنوح فى قفص ، فاشتراها وأطلقها ثم أنشد الأبيات الآتية :

ناحت مطوَّقـة ببـاب الطـاقِ
فجرت سـوابقُ دمعيَ المهـراقِ



برناردشو

فمـا احـرزته كـي يكـون لغيرها
ولا جمعتـه للنّدَى والمنـائـح

مسـحتُ يدى مـن كل هـذا فليتنى
أبِهتُ لشأني قبل شيْبِ المسائح

ورسائله الى « داعى الدعاة » فى تحريم أكل الحيوان ، والحوار الذى أجراه على لسان بعض الحيوانات والطيور فى « اللزوميات » تنطق بانه لم يعتنق هذا المبدأ تدينا ولا زهدا ولا خوفا من الأمراض .. ومرض يوما فوضعوا له الدجاج فامتنع ، فالحّوا عليه حتى اظهر الرضا، فلما قدّم اليه لمسه ، فجزع ، وقال : « استضعفوك فأكلوك .. هلا أكلوا شبل الأسد ! » ثم أبى أن يطعمه ..

أما أن الانسان يستطيع أن يستغنى عن أكل لحوم الحيوانات والأسماك والطيور دون ان تتأثر صحته فشىء بديهى ، لأن البروتين ، وهو مادة اللحوم الأصيلة ، يوجد فى البقول ، وسائر النقول كالجوز واللوز .

حنّت الى ارض الحجاز بحُرقة
تشجو فؤادَ الهائم المشتاق
كانت تفرّخ في الأراك وربما
كانت تفرّخ في فروع السّاق
فشرَبتُها لما سمعت حنينها
وعلى الحمامة جُدت بالاطلاق
بي مثل ما بك يا حمامةُ فاسالي
من فكّ أسرَك أن يحلّ وَثاقي

اما قصيدة الشاعر الفارس أبي فراس الحمداني في الحمامة التي سمعها تنوح بالقرب من سجنه فيقول فيها :

اقول وقد ناحت بقربي حمامة
ايا جارتا هل تعلمين بحالي
معاذَ الهوى ، ما ذُقتِ طارقة النوى
ولا خطرت منك الهموم ببال
ايا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعاليْ أُشاطِركِ الهموم تعالي
ايضحك مأسورٌ وتبكي طليقةٌ
ويسكت محزون ويندبُ سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مُقلة
ولكنّ دمعي في الحوادث غالي

وشتان ما بين القصيدتين . ففي الأولى رقة الشاعر الذى لم يكابد الحرب وان كابد الشوق والفني ، وفي الثانية كبرياء المحارب الباسل الذى يكابد الشوق والأسر على السواء .

أمريكا اللاتينية ..

● « كثيرا ما نسمع باصطلاح (دول أمريكا اللاتينية)دون أن ندرى أسماء جميع تلك الدول ، ولا سبب وصفها باللاتينية . فهل تتكرم مجلتنا الزاهرة بجلاء ما غمض علينا في هذا المجال ؟ » .

المدينة المنورة   حمزة عبد الحفيظ

ـ يطلق هذا الاصطلاحعلى البلاد الامريكية التي تنتشر فيها اللغتان : الاسبانية والبرتغالية .. لأن اصل هاتين اللغتين يعود الى اللغة اللاتينية القديمة. وتتكون امريكا اللاتينيةمن ٢١ دولةهي : المكسيك ، هندوراس ، هندوراس البريطانية ، نيكاراجوا ، جواتيمالا ، بناما ، كوستاريكا ، سلفادور ، الارجنتين ، بوليفيا ، البرازيل ، غيانا البريطانية ، شيلي ، كولومبيا ، اكوادور ، بيرو ، بارجواى ، غيانا الفرنسية ، سورينام (غيانا الهولندية) ، اوروجواى ، فنزويلا .

خيانة زوجية

● أنا رجل في الخامسة والاربعين ، متزوج ولي من زوجتي ولدان وبنت واحدة . عندما كنت في الثانية والعشرين أحببت فتاة من اسرة لبنانية كانت تعيش في سوريا ، وكنت اذ ذاك في آخر سني دراستي الجامعية ، أقطن في شقة ملاصقة لشقتهم ، وبادلتني الحب واتفقنا على الزواج عقب تخرجي ، لكن أهلها اكتشفوا ما بيننا من غرام فوقفوا في طريقنا ومنعوا الفتاة من الخروج ، بل حتى من الوقوف في الشرفة حتى لا تراني أو اراها ، فهي مسيحية وانا مسلم ، ولكنا هربنا رغم الحصار المضروب حولها واختفينا في مكان بعيد، وتزوجنا زواجا عرفيا حتىلايكون لأحد علينا سبيل . ومع ذلك لم تفلت من أيديهم ، فأخذوها قهرا عنى بعد أن اتهموني باغوائها وهي قاصر !

وانقطع ما بيني وبينها بطبيعة الحال . وتخرجتُ ووُظّفتُ وتزوجتُ تحت ضغط والدي ، ثم جرفتني الحياة الزوجية وتربية الاولاد حتى نسيت كل شيء عنها . الى ان قدمت للعمل في الكويت منذ أكثر من عام ، وما كان أشد دهشتي عندما كنت وزوجتي مدعوّين لتناول العشاء عند احد الاصدقاء فاذا بي اراها ـ تلك الحبيبة الغالية ـ وجها لوجه ، في بيت ذلك الصديق مع .. زوجها !!

ولا تسلني عن حالي وربُ الدار يقدم كلاً منا للآخر بعد كل هذه السنوات التي زادتها فتنة وجمالا ، حتى لقد تمنيت لو أنها لم تكن متزوجة فأتزوجها مهما كان الثمن !

ولست أطيل عليكم .. فقد تعددت مقابلاتنا عند بعض الاصدقاء ، كما تعددت محادثاتنا التليفونية في غفلة من الرقباء .. وأخيرا انفردنا في مقابلة عاصفة بكينا فيها طويلا ، وعشنا ساعة

صريحة ، حتى ولو لم يعترف بها القانون

هى أجمل ساعات عمرنا ، فقد استيقظ فى قلبينا حبنا القديم ، وتبادلنا من العناق والقبلات ما تبادلنا ، وعرفت أنها هى الاخرى قد رزقت من زوجها ولدا وبنتا .. وتكرر لقاؤنا ، فكنا فى كل مرة أشبه بعاشقين تجتاحهما عاطفة جارفة وحب لا يقاوم ... ومع ذلك لم نفكر مرة فى أن نتجاوز العناق والقبلات ، لاننى أخشى توبيخ الضمير ..

صدقنى ان كلاً منا يريد أن يتخلص من زوجه كى يضمنا عش الغرام من جديد .. ولكن المشكلة هى مشكلة أولادنا .. فهى لا تقوى على فراق أولادها ، وكذلك أنا .. علما بأننا كلينا اليوم أكثر ما تكون استعدادا للتضحية بكل شىءفى سبيل ان نرتبط برباط الزواج ، ما عدا الأولاد ...

فبربكم ماذا نفعل ؟؟

الكويت ــ أ. س

ــ أتريد رأيى بصراحة ؟ اذن فلتعلم أنت وصاحبتك انكما مراهقان كبيران .. لا .. بل انتما بما تصنعان انما ترتكبان خيانة زوجية لا تخفف من شناعتها انكما تقتصران على تبادل العناق والقبلات !

ودع عنك حديث توبيخ الضمير .. فلو أن لاحدكما ضميرا يوبخه لما ارتضى لنفسه ولا لصاحبه هذا الموقف المشين ..

ان الوقت الذى تقضيه هذه المرأة معك انما تختلسه من زوجها وأولادها . وكذلك أنت تختلس الوقت الذى تنفقه معها من زوجتك وأولادك !

وهذه القبلات .. وهذا العناق .. كلها قبلات مسروقة ، وعناق مختلس .. فلا يجوز لامرأة شريفة أن تسمح لغير زوجها بأن يعانقها أو يقبلها، أو حتى أن يطارحها الهوى ولو بمجرد النظرات أو الكلام !

والرجل الشريف لا يسمح لنفسه بان يسرق ما لزوجته ليغدقه على امرأة أخرى .. متزوجة !

وله عند ذلك فقط أن يتحدث عن توبيخ الضمير !

لست أدرى كيف غاب عنكما شىء هو ــ فى موقفكما ــ ابسط ما قد يخطر ببال الانسان !

الم تفكر انت فى انك قد تعود الى بيتك يوما فترى زوجتك فى خلوة مع رجل غريب ، تبادله القبلات والعناق ! فماذا تظنك صانعا بها وبه عند ذاك ؟! أتخلى لهما الطريق وتدعهما يتطارحان الهوى والغرام على مرأى منك ومسمع ، أو حتى من وراء ظهرك ؟ أم انك عندها ستقيم الدنيا وتقعدها ضدهما باعتبارهما آثمين ، وقد ترتكب جريمة قتل أو شروع فيه ، باسم الشرف ، والعرض ، والكرامة ، أو ــ على الأقل ــ لتظهر بمظهر الأبطال والشرفاء !

وهب أنك تساهلتمعهما فاكتفيتبمجرد الطلاق .. أتدرى ماذا يكون موقف أولادك ، أو موقف الناس من أولادها هى ، عندما يشيرون اليهم فى الطرقات وهم يقولون : هؤلاء هم أبناء المرأة التى خانت زوجها !

فلماذا لا تفكران فى ذلك كله ، ولماذا تستبعدان ان تقعا ، أنت وهى ، فى يدى زوجها متلبسين ، ولو بمجرد القبلات والعناق ، فيرديكما صريعين ، أو على الاقل يزفكما فى موكب الدنس والعار !

فثوبا الى رشدكما أيها اللاعبان بالنار ، قبل أن ترديا فى الهاوية أو تأكلكما النار ! ..

الفجر ليسوا من أصل مصري

● قرات بالعدد ٧٢ ردكم على سؤال الأخ العربى أبو هيثم الحمدانى من « الغجر » وفيه انهم جماعة من الناس يقال ان أصلهم من شعوب الهند المتأخرة ، مع أننى قرات عنهم من سنوات بحثا فى مجلة انجليزية يقطع فيه صاحبه أن الغجر أى Gypsies من اصل مصرى بدليل ان اسمهم مشتق من اسم مصر Egypt.

وفى دائرة المعارف البريطانية وردت العبارة الآتية : "Gypsy, like Spanish Gitano, derives from Egyptian".

فأى الواقعين اصح ؟

بيروت عائشة اسماعيل

ـ الذين يزعمون أن الغجر من أصل مصرى مخطئون فى ما يزعمون . صحيح أن المؤرخين اختلفوا فى أصل الغجر ، ومن أين جاءوا ، وفى أى الظروف زحفوا الى البلاد التى يعيشون فيها، لكن العلامة « جيرلمان » يقطع بأن الهند هى موطن الغجر الاصلى ، وأنهم ينتمون الى قبـــائل « الجاتس » التى كانت تعيش عند نهر اندوس شمالى غرب الهند ، ويؤيده فى ذلك كل من سير ريتشارد برتون والأساتذة برت وبارتلارد وترمب ، وكلهم حجة ثقة .. وهم يرجحون انهم ـ اى الغجر ـ رحلوا عن موطنهم ثلاث مرات ، الأولى عندما هاجروا الى مصر وحاولوا تكوين دولة لهم فى صحرائها ، وكانوا يعرفون باسم الرعاة أو الهكسوس ، فطاردهم المصريون ، وهزموهم .. والثانية ، وكانت الى مصر ايضا ، عند غزو الاسكندر الاكبر لبلاد الشرق .. أما الثالثة فكانت فى بداية غزو المسلمين للهند عندما أخضع المعتصم قبائل « الجاتس » وانزل بهم خسائر فادحة ففر الكثيرون الى مصر أيضا كما فر آخرون الى ايران ومنها رحلوا الى شواطىء البحر الاسود وبلاد اوربا .

ولعل هجرات « الجاتس » الثلاث الى مصر واستيطانهم فيها وقتا طويلا ، وادعاءهم بعد ذلك عندما رحلوا الى شواطىء البحر الاسود وبلاد اوربا انهم مصريون ، لعل ذلك هو ما جعل بعض المؤرخين يزعم خطأ انهم من أصل مصرى ، فى حين ان مصر لم تعرفهم الا عندما كانوا يرحلون اليها فرارا مما يقع عليهم فى وطنهم الاصلى من الاضطهاد.

الآية صحيحة كما وردت

● ورد فى أحد أعداد « العربى » الاخيرة ذكر للاية القرآنية الكريمة التالية :« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » (صدق الله العظيم) .

على انى اعتقد بوجود تاخير وتقديم فى العبارة الأخيرة ، التى ارجح انها هكذا بالاصـــل : « .. وما اهل به لغير الله » .

وهذا وذاك لا يؤثر ، بل التأثير ان المجلة تصدر فى جميع انحاء العالم العربى وربما الخارجى ، فارجو ، والح فى الرجـــاء ، ان يتنبه السادة الطباعون الى هذا الخطأ خوفا على سمعة المجلة .

محمد امين الفوارجى ــ القاهرة

العربى : الآية صحيحة كما وردت فى «العربى» .. يا أخا العرب .. فهى منقولة حرفيا من مطلع الآية الثالثة من سورة المائدة ، ولعله قد التبس عليك الامر فخلطت بين هذه الآيـة والآيـة ١٧٣ بسورة البقرة .

دردشة = دردلشمك !؟

● تعقيبا على ما جاء فى العدد ٧٣ من «العربى» حول كلمة : دردشة ، أذكر هنا أن هذه اللفظة ليست عربية ، وانما هى أجنبية ، جاءت الينا فى الأصل من كلمة « دردلشمك » التركية ومعناها أن يتبادل المرء أحاديث همومه وأشجانه ومشاكله الشخصية مع شخص آخر .

و « دردلشمك » ذاتها مركبة من كلمة « درد » الفارسية ومعناها : الألم ، الأذى ، الوجـع ، العلة ، المشقة .. وما اليها . ومن اداة «الشمك» التى تلحق باواخر الكلمات فى اللغة التركيـــة فتكسبها معنى المشاركة والمقاسمة .

ولذا يمكننا القول أن « دردلشمك » هذه قد دخلت الى لغتنا العربية ، مع العديد من الالفاظ التركية ، فى ابان الحكم التركى ، ثم حرفتها الألسن الى شكلها الحالي « دردشة » بمـرور الزمن .

احمد مصطفى
المفتش بوزارة التربية والتعليم
بغـــداد

المقرى والمقريزي .. والرازي والسيوطي

* وجدت فى العدد الممتاز من « العربي » فى الصفحة ١٠٢ من الموضوع (اعرف وطنك أيها العربي) « وهذا الكتاب اول من تحدث عنه المقريزى فى كتابه ـ نفح الطيب ـ وذكر انه شاهده بخزانة القرويين » .. والصحيح ان (كتاب نفح الطيب) ليس للمقريزى بل للمقرى وعنوانه نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لاحمد المقرى المتوفي سنة ١٠٤١ هـ .

وجاء فى الصفحة ١٦٨ فى مقالة الدكتور محمود السمرة (شمس العرب تسطع على الغرب) « وقد ظل كتاب الفخر الرازى فى الطب المرجع الاساسي » الـخ ..

والصحيح ان كتاب الرازى فى الطب هو كتاب « الحاوى فى الطب » لمؤلفه ابو بكر محمد بن زكريا الرازى المتوفي سنة ٣١٣ هـ . أما كتاب الفخر الرازى فهو المعروف بكتاب «مفاتيح الغيب» فى تفسير القرآن لمؤلفه الامام الرازى الملقب فخر الدين المتوفي سنة (٦٠٦ هـ) .

وفى باب « انت تسال ونحن نجيب » جاء فى موضوع (والقرآن ما رايكم فيه)ان الالفاظ الاعجمية فى القرآن جمعها فى كتاب العلامة (جلال الدين السيوطى احد ائمة التفسير فى العصر العباسي) ، مع ان جلال الدين السيوطي قد عاش فى العصر المماليكي فى مصر .

محمد قاسم الرجب
بغـداد

« العربي » : نشكر للسيد محمد قاسم الرجب ملاحظاته ، وان كانت اولاها نتيجة خطا مطبعي لايخفى على لبيب . والثانية نتيجة التباس بين الرازى الطبيب والرازى المفسر غير مقصود . اما الكتاب الذى الفه جلال الدين السيوطي فاسمه « المتوكلي » نسبة الى الخليفة المتوكل على الله العباسي فى العصر العباسي الثانى الذى كان خلفاؤه بمصر ، وهو الذى امره بتاليفه كما يقول هو نفسه وقد اقتدى السيوطي فى هذه التسمية بالامام ابى بكر الشاشي الذى الف كتابا فى الفقـه بامر الخليفة المستظهر بالله وسماه المستظهرى .

(بقيـة المنشـور عـلى صفحـة ١٣٩)

من الاسرائيليات اولا ، ومن التأويلات الخاطئة او غير المقبولة ثانيا .

٣ ـ ان تذكر الهيئة وهى تراجع التفاسير الحالية أو تضع للقرآن تفسيرا جديدا ، أن القرآن ليس كتاب طب أو فلك او جيولوجيا او طبيعة ، وانما هو كتاب تشريع فى المقام الاول ، فلا ينبغى ، بل ولا يجوز ، ان تحمتل آياته من المعانى ما لا تحتمل ، او ان نحاول اخضاعها للاكتشافات الحديثة او تخضيع لها هذه الاكتشافات ، لكى لا تتعرض القرآن فى المستقبل القريب او البعيد لما تعرضت لـه بعض النظريات العلمية القديمة ، وما قـد تتعرض له بعض النظريات الحديثة بعد عشرات السنين ، او مئاتها ، من تغيير وتبديل ، أو من سقوط وانهيار ...

نعم يجـب الا نزّج بالقـــرآن فى مثل هـذه النظريات ـ وهـي اكثر مـن أن تحصى ـ لنحفظ له قداسته ، وليظـل كما قال الله تعالى : « لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ولا نعرضه لسخافات بعـض المتفيقهين الذين زعم احدهم ان «غزو الفضاء» قد ورد فى الآية الكريمة « واذا وقع القـول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم » ! فاذا به يزعم فى جراة عجيبة أن الدابة التي تشير اليها هذه الآيـة انما هي الصـواريخ والاقمار الصناعيـة ، لانها ـ فيما يزعـم ـ متحركات تخرج من الارض وجاذبيتها ، وانها تكلم الناس جميعا بلغة عالمية عامة ، هي لغة العلم التى يعرفها الناس فى مختلف الدول ، وتروى لهم قصة الخلق واسباب الحياة وأسرار الكون ، بدليل ان الاقمار الصناعية بـدات بالفعل تحدثنا عن القمر الآخر ، والاشـعة الكونية ، والجـاذبية .. الى آخر ما يخجـل الانسان من ذكره من هراء وترهات !

ان الجيل الناشىء من المسلمين ، جيـل يعتز بايمانه .

■■

الحائك

لا يكاد احد من كتاب العصر الحديث يفوق الكاتبة الروائية الأمريكية « بيرل بك » فى تصوير أهل الصين ، فقد عاشت بينهم ردحا طويلا ـ كعضو فى الارساليات المسيحية الامريكية ـ وتغلغلت فى أوساط اهل الريف وأبناء الأحياء الفقيرة فى المدن، فهز عواطفها ما كانت تشاهده..واستطاعت أن تقدم فى رواياتها وقصصها صورا حية لهم ، ولما كانوا يعيشون فيه من بؤس ، ولمأساة حياتهم بوجه عام .

وهذه قصة كتبتها « بيرل بك » قبل الحرب العالمية الثانية ، فجعلت منها لوحة ناطقة بالفوارق الكبيرة بين حياة البذخ التى كان الاجانب يعيشونها هناك ، وبين الفقر المدقع الذى كان الاهالى يتضورون فيه ..



■ « الحزم هو الوسيلة التى يتعامل بها هؤلاء الحائكون الوطنيون يا عزيزتى » .

واستقرت مسز « لو » ـ زوجة مدير البريد ـ بعناء فى المقعد الهزاز ، فى شرفة دارها الواسعة .. كانت امرأة بدينة ، محمرة الوجه من جراء الافراط فى الاكل ، وقلة التريض ، خلال سنوات عشر متتابعة قضتها فى ميناء الساحل الصينى . ولقد ازداد احمرار وجهها السمين ـ فى غير ترهل ـ وهى تقول لضيفتها هذه الكلمات .. بينما وقف الى جوارها الخادم الصينى الذى قال فى صوت خافت ناعم : « لقد جاء الحائك يا سيدتى » .

وتطلعت مسز « نيومان » الى مضيفتها باعجاب لا تدرى مأتاه ، وغمغمت : **الحق اننى اتمنى لو استطعت ان احذو حذوك معهم يا آدلين » ..** وراحت تستجلب النسمات بمروحة من سعف النخيل ، ثم استطردت فى لهجة تنم عن الشكوى : **« لكم اخال احيانا ان الثياب الجديدة لا تكاد تستحق ما نلقاه الواحدة من عناء فى سبيلها ، بالرغم من انها رخيصة هنا ، لا سيما اذا اشترينا لها حريرا محليا .. فما اكثر ما نلقاه فى سبيل اعدادها من هؤلاء الحائكين .. ان حائكى يعدنى بلهجة صادقة بانه سيفرغ من الثوب فى ثلاثة ايام، ثم لا يعود قبل اسبوع أو اثنين ! »** .

قصة للكاتب الامريكى بيرل بك

الصِّينى

وتخافت صوتها ، حتى انتهى الى زفرة ، وهى تزيد حركة المروحة سرعة . فقالت لها مسز « لو » فى امتداد : « **انظرى ما سوف افعل مع هذا الحائك** » .. وكان لها صوت عميق حازم وعينان حادتان سوداوان ، متقاربتان ، تحت حاجبين بنيين كثيفين . وتحولت بهاتين العينين الى الخادم الصينى ، وهو فى موقفه ينظر الى



الارض تأدبا ، فقالت له « **قل للحائك أن يدخل يا ولد !** » .

وغمغم الخادم : « **سمعا يا سيدتى** » ، ثم اختفى .. وسرعان ما دب وقع قدمين خفيفتين جاء من خلال الابواب المفتوحة ، وأقبل الحائك من أقصى البيت يتبع الخادم خلال البهو . وكان طويلا ، أطول من الخادم ، فى أوسط العمر ، وقد سادت وجهة سكينة مطمئنة متبعة من أعماقه .. وكان فى ثوب طويل من القنب الأزرق الحائل اللون ، تتخلله فتوق رُتقت بعناية بالغة عند المرفقين ، ولكنه كان نظيفا جدا .. وتحت ابطه حزمة لُفّت فى قماش ابيض . وانحنى للسيدتين البيضاوين ، ثم أقعى ، ووضع الحزمة على أرض الشرفة ، وراح يفك رباطها . وكان بداخلها كتاب بال ، متآكل الأطراف من كتب الأزياء ، أصدرته شركة أمريكية ، وثوب من الحرير الأزرق المرقش بنقط بيضاء لم يكتمل اعداده . فنفض الثوب فى عناية ورفعه أمام مسز « لو » لتتأمله . وتبدّى من اجزائه الفضفاضة أنه كان يصنعه لها فتأملته فى فتور وتجهم ، متفحصة كل دقيقة فيه . ثم تكلمت فجأة بصوت مرتفع .

ـ **لا أريد هذه الياقة يا حائك .. لقد قلت لك اننى أريدها مكشكشة .. انظر ، انها الطراز الشائع .**

وقلبت صفحات الكتاب بسرعة ، حتى بلغت قسما أفرد لثياب المفرطات فى الحجم ، وقالت : « **انظر .. أريد الطراز الذى ترتديه هذه السيدة بكل دقائقه . فلماذا صنعت ياقة منبسطة ؟ لا أريد هذا الثوب .. لا أريده .. ابعده عنى !** » .

وتفصد العرق من وجه الحائك برغم هدوئه وصبره .. وقال بصوت خافت : « **سمعا ياسيدتى** » .. ثم زمّ شفتيه ، وملأ رئتيه بالهواء ، وراح يقول : « **لقد طلبتِ فى البداية كشكشة الياقة يا سيدتى ، ثم قلت : لا كشكشة .. ومنذ ايام قلت انك تريدين ياقة منبسطة ، فان الكشكشة تزيد البدانة ظهورا** » .

ورمق المرأة البيضاء فى ضراعة . ولكن مسز « لو » لوحت بيدها السمينة ذات الخواتم ، كأنها تبعده عنها . وصاحت بلهجة صارمة : « **كلا ، انك تكذب يا حائك . اننى أعى ما أقول . وما قلت اننى أريد ياقة مفرطحة .. مطلقا ! ما من سيدة تطلب ياقة مفرطحة فى هذه الايام . من ادراك انت بالزى المستحدث ؟** »

وقال الحائك : « سمعا يا سيدتى » .. ثم انبسطت أساريره بعض الشيء ، وقال مقترحا : « **أحضرى مزيدا من القماش يا سيدتى ، لا بأس ، سأصنع لك ياقة مكشكشة** » .

ولكن مسز « لو » لم تكن سهلة الارضاء ، قالت له : « **حقا ! .. انك أتلفت الكثير من القماش .. أتحسبنى أحصل على هذا القماش بالمجان ؟ .. كم من النقود خسرتها بسببك !** » .

وتحولت الى ضيفتها قائلة : « **كنت أعول على هذا الثوب يا ميتى ، لأرتديه فى الحفل الذى سيقام بحديقة القنصلية بعد غد ، فانظرى ماذا فعل به ! .. قلت له اننى أريد كشكشة ، ستاملى هذه الياقة السخيفة التى صنعها !** » .

قالت مسز نيومان بصوتها الكليل المستخذى : « **الذى أريد أن اعرفه هو كيف سيتسنى لك ذلك ؟** » .

فأجابت مسز « لو » وهى مكشرة عن أنيابها : « **سأدبر الأمر** » .

وتجاهلت الحائك برهة ، وهى تسرح بصرها فى حديقتها المنسقة .. ولم تنبس ببنت شفة ، والحائك واقف منتصبا برغم ما كان يلقى من عناء ، وهو بعد ممسك بالثوب من كتفيه ، وخط رفيع من العرق يجرى على كل جانب من جانبى وجهه . وما لبث أن رطب شفتيه ، وأسرع يقول بصوت مرتجف : « **أتحب السيدة أن تجرب الثوب ؟** » .

فبادرت مسز « لو » قائلة فى حدة : « **كلا ، لا أريد .. لماذا أجربه .. كل شيء فيه خطأ .. والياقة خطأ فى خطأ .. فلماذا أجربه ؟** » .. وظلت تنظر الى الحديقة . فقال الحائك متحمسا لاقناعها : « **بوسعى أن أصنع الكشكشة .. اجل يا سيدتى ، سأفعل ما تقولين بحذافيره . فمتى تريدينه ؟** » .

وأجابت المرأة البيضاء : « **أريده غدا .. على ان تحضره فى الساعة الثانية عشرة ظهرا . واذا لم تحضره ، فلن أدفع أجرك .. أتفهم ؟ انك لا تفتأ تسأل متى تحضره ، ولكنك لا تحضر شيئا** » .

وقال الحائك بهدوء : « **بوسعى أن أحضره فى الميعاد** » . وأقعى برشاقة ، فطوى الثوب فى الصرة ثانية ، وربطها برفق ، وهو يحرص على الا يخل باتساقها ، ثم نهض ووقف منتظرا ، وعلى وجهه لوعة الضراعة .. بل ان نفسه كلها كانت تفيض فى ضراعة صامتة ، ارتسمت على الصدغين البارزين ، وعلى شفتيه المطبقتين . وعاد العرق

يتصبب من جديد .. وشعرت مسز « لو » بالذى أوحى اليه بالوقوف موقف الذلة هكذا فاعتدلت فى مقعدها الهزاز، وتطلعت اليه ، ثم قالت بحدة: **« ما عندك ؟ »** ..

فرطب الحائك شفتيه بريقه مرة ثانية ، وقال بصوت ضعيف : **« هل تستطيعين أن تعطينى مبلغا صغيرا يا سيدتى .. دولارا أو دولارين .. »** وازداد صوته خفوتا ، ازاء نظرتها القاسية ، وهو يقول : **« ان ابن اخى يموت اليوم ، فيما أحسب .. وله ثلاثة اطفال وامرأة .. ولا نقود عندهم لشراء تابوت.. لا شىء .. ان المرض اشتد به اليوم .. »** .

ونظرت مسز « لو » الى ضيفتها ، وهتفت مبهوتة : **« يا لها من جراة ! »** . فردت مسز نيومان نظرة بمثلها ، وقالت : **هذا ما قلته لك.. انهم مزعجون .. انهم لا يفكرون الا فى النقود ! »**

وتحولت مسز « لو » بعينيها الزائغتين الى الحائك ، فلم يرفع بصره ، ولكنه مسح شفته بكمه خلسة .. وحملقت فيه لحظة ، ثم انبعث صوتها غاضبا : **« كلا .. كلا . أفرُغ من اعداد الثياب على الوجه الصحيح ، مع الكشكشة،فادفع لك .. وما لم يتم الثوب فلن أدفع لك شيئا . أتفهم يا حائك ؟ »**

وزفر الحائك ثم قال : **« نعم يا سيدتي »** .. وتبدد كل اثر للأمل فى وجهه وذوى جوّ الضراعة الذى فيه .. وانسدلت عليه معالم اليأس البارد. قال : **« سأتم الثوب فى الثانية عشرة غدا يا سيدتي »** . ثم تحول منصرفا . فصاحت مسز « لو » فى اثره مزدهية بانتصارها : **« احرص على ذلك ! »** . ورمقته ــ وهو يغيب فى البهو ــ بازدراء . ثم التفتت الى ضيفتها قائلة : « اذا قلتُ غداً ، فقد يكون الثوب مُعَدّاً بعد غد » . وخطر ببالها امر ، فانحنت تضغط جرسا بشدة . واذا الخادم يظهر ، فقالت له : « راقب الحائك يا ولد .. راقبه حتى لا يأخذ شيئا » . ودوى صوتها العالى فى ارجاء البيت ، واذا جسد الحائك ــ وكان قد بلغ نهاية البهو ــ يستقيم بعض الشيء .. ثم غاب عن البصر .

وقالت مسز لو : **لا تستطيعين ان تجزمي بأنهم لا يلفقون هذه الحكايات .. انهم دائما بحاجة الى نقود . ما رأيت قط قوما كهؤلاء . ومع ذلك، فلا بد انهم يكسبون كثيرا من صنع الثياب لكل هؤلاء الاجانب المقيمين فى هذا الميناء . على ان هذا الحائك اسوأ من معظمهم . فهو لا ينفك يطلب نقودا قبل ان يتم عمله . ولقد جاءني ثلاث مرات متباعدة ، ليقول ان هنالك طفلا مات ، او شيئا من هذا القبيل . لست اصدق كلمة من قوله . لعله يدخن الافيون ، او يلعب الميسر .. كلهم يقامرون .. ولا تطمئن النفس الى كلمة مما يقولون »** .

فزفرت مسز نيومان قائلة ،وهى تنهض لتنصرف: **« انني اعرف هذا ... »** ونهضت مسز لو كذلك، وقالت مرة اخرى : **« لا بد للواحدة من ان تكون حازمة على اية حال ! »**

واذ غادر الحائك بيت الاجنبية البيضاء البدينة ، سار فى صمت وخفة فى الطريق الحار . لقد سألها ، فابت ان تعطيه شيئا .. ابت ان تعطيه شيئا بعد كل الخوف الذى تملكه من ان ترفض ، وبرغم كل ما بذله ليستجمع جرأته . لقد اكتمل صنع اكثر من نصف الثوب ، ولم تبق الا تلك الياقة المكشكشة.. لقد اعطته الحرير منذ يومين ، وقد ابتهج بذلك ، لانه سيعود عليه ببضعة دولارات من أجل ابن أخيه الذى مات فاعتبره ابنا له بعد ان اخذت الالهة ابناءه الصغار .. وكانوا ثلاثة . وقد جعله هذا يزداد تعلقا بابن اخيه . وكان شابا يتيما يعمل لدى حداد ، وقد اصبح ابا لثلاثة اطفال ، هو الآخر .. لكم كان قويا .. منذا الذى كان يظن انه سيقع فى قبضة الموت هكذا ؟ .. لقد كانت قطعة حديد طويلة محماة هى السبب منذ شهرين ، اذا انزلقت وهو يشكلها لتكون سن محراث ، ووقعت على ساقه وقدمه ، فأكلت اللحم حتى بلغت العظم تقريبا . ذلك انها وقعت على لحم عار، اذ كان الوقت صيفا وحانوت الحداد حارا ، فلم يكن الشاب يرتدى سوى سروال من القطن الخفيف وقد رفعه حتى فخذيه .

ولقد جربوا كل نوع من الدهون والمراهم ، ولكن اى مرهم يعيد اللحم ثانية ، واى بلسم هناك ليدمل هذا الجرح ؟ .. لقد تورمت الساق كلها ، وها هو ذا الشاب يرقد محتضرا فى هذا اليوم الحار ، من الشهر التاسع .. كانت ثمة ضمادات سوداء على ساقه من العجز حتى القدم، ولكنها كانت غير مجدية . اجل لقد تبين الحائك هذا بنفسه فى الصباح ، حين ذهب يعود ابن اخيه .. رأى الموت جليا على محياه . وكانت زوجة الشاب تجلس باكية فى مدخل المسكن

المؤلف من حجرة واحدة ، والطفلان الكبيران يحملقان فيها واجمين ، وقد صرفهما التوجس عن اللعب، أما الطفل الثالث فكان رضيعا ، ضمته الى صدرها .

★ ★ ★

ومرج الحائك الى درب ، ثم ولج بابا في جدار، فاذا به في فناء غص بأطفال عراة يتصايحون ويتشاجرون ويتصارخون وهم يلعبون . وفوق رأسه ، كانت ثمة قصبات من الغاب ، تدلت منها ثياب خلقة غسلت في مياه قذرة ، وبدون صابون .. وفي الحجرات التي تحيط بمثل هذا الفناء ، تسكن كل أسرة حجرة ، وتلقي بفضلاتها في الفناء ، حتى لقد كان الفناء قذرا ، تجري فيه المياه المختلفة ، برغم ان اليوم كان قائظا .. وكانت كل الأيام قيظا منذ شهر أو اكثر .

ولكنه لم يفطن لشيء من هذا . بل مرق خلال ثلاثة أفنية أخرى ـ تشبه الاول ـ ثم تحول الى باب مفتوح الى اليمين ، وغاص في حجرة مظلمة لا نافذة فيها . وكانت ثمة رائحة غريبة .. رائحة لحم عفن يموت . وكان يرتفع من جوار السرير ـ الذي اسدلت عليه الستائر ـ عويل امرأة .. فدخل الحائك ولم يتغير من وجهه المظهر الذي غشيه منذ بارح بيت المرأة البيضاء . ولم تتطلع الزوجة الشابة الى القادم ، بل ظلت منكمشة في جلستها الى جوار السرير ، وقد ابتل وجهها بالدموع ، وانحلت جدائل شعرها فانسدلت على كتفيها وتهدلت الى الارض .. وهي لا تنفك تقول معولة : **« أواه يا زوجي .. اواه يا رجلي .. لقد بت وحيدة .. وازوجاه .. ! »**

وكان الطفل الرضيع يرقد على الارض بجوارها، يبكي بصوت خافت من آن الى آخر . وجلس الطفلان اللذان يكبرانه ملتصقين بأمهما ، وقد تشبث كل منهما بطرف معطفها .. وكانا يبكيان هما الآخران ، ولكنهما لم يلبثا ان سكتا ، وتطلعا والدموع تخضل وجهيهما الى عمهما . ولكن الحائك لم يلق بالا الى احد ، بل اطل خلال سجف السرير المصنوعة من الليف ،وقال برفق : **« اما زلت حيا يا بني ؟ »** وادار المحتضر بصره بعناء..كان متورما بدرجة فظيعة .. يداه وصدره العاري وعنقه ، ووجهه .. ولكن تورم هذه كلها لم يكن ليذكر بجانب تورم الساق المحروقة التي استقرت ككتلة هائلة من خشب .. ورست نظراته الزائغة على عمه ، فتح شفتيه المتقدتين ، وبعد فترة طويلة ، ومجهود جبار ، انبعث صوته في همسة متحشرجة : **« هؤلاء الاطفال .. »**

واختلج وجه الحائك فجأة ، ثم جلس على حافة السرير وشرع يقول بحرارة: **« لا تحمل‌هما لاطفالك يا بني ، بل مت في امان .. ستنتقل زوجتك واطفالك الى بيتي ، وسيحل اطفالك محل اطفالي الثلاثة .. ستصبح زوجتك ابنة لي ولزوجتي ، واطفالك احفادا لنا . ألست ابن أخي الشقيق وهو قد مات كذلك ، ولم يبق سواي »** . وشرع يبكي في صمت .

وبعد فترة طويلة ، عاد صوت المحتضر ، ينبعث بنفس العناء ، وكأنه كان ينتزع نفسه من غيبوبة تطبق عليه ، ليقول ما كان لزاما ان يقول : **« انك فقير .. انت الآخر »** . ولكن عمه بادر مجيبا ، وهو ينحني على المحتضر ، الذي بدات عيناه المتورمتان تنطبقان ، ولم يكن ثمة ما يقطع بأنه يسمع : **لا تحمل هما ، بل اطمئن ، فعندي عمل .. ان تلك النسوة البيضاوات لا يفتأن يرغبن في صنع ثياب جديدة . ولديّ الآن ثوب حريري اوشك ان يكتمل ، لزوجة مدير البريد.. بل انه مكتمل تقريبا ، فيما عدا ياقة مكشكشة وستنقدني بعض النقود عنه ، وقد تعطيني مزيدا من القماش لأحوكه . سنعيش بخير .. »**

ولكن الشاب لم يبد ردا . كان قد راح في غيبوبة الابدية ، ولم يعد قادرا على ان يفيق . ولكنه ظل يرسل انفاسا خفيفة ، في ذلك اليوم القائظ . ونهض الحائك ليضع الصرة في ركن ، وليخلع ثوبه . ثم عاد الى مكانه بجوار المحتضر ، وجمد فيه على مر الساعات . وكانت المرأة سادرة في نحيبها ، ولكن الانهاك لم يلبث ان استولى عليها ، فجلست مسندة رأسها الى طرف السرير وعيناهامطبقتان ، وهي تصعد تنهدات خفيفة من وقت لآخر . اما الطفلان فلم يلبثا ان تعودا ما كان يجري ـ تعودا احتضار ابيهما ! ـ فخرجا جاريين الى الفناء ليلعبا . وكانت ثمة جارة طيبة ،أطلت مرة أو مرتين ، ثم ما لبثت ان حملت الرضيع وخرجت به ، وهي تضمه الى ثديها لتسرى عنه . وسمع صوتها ينبعث عاليا ـ في الخارج ـ في ابتهاج المشفقة : **« لقد حانت ساعته، ولقد تعفن جسمه ، فكأنه ميت منذ شهر »** .

وهكذا انصرم النهار القائظ . وعندما ظهر الشفق ، كف الشاب عن التنفس .. ومات .

★ ★ ★

اذ ذاك فقط ، نهض الحائك ، وارتدى ثوبه ، وتناول صرته ، وقال للمرأة المتكمشة : **« لقد مات . هل لديك شيء من النقود ؟ »** . فنهضت الشابة بدورها ، ونظرت اليه ملهوفة وهي تزيح شعرها عن وجهها . وبدا ـ اذ ذاك ـ انها كانت صغيرة جدا ، لم تتجاوز العشرين .. شابة عادية ، من الممكن ان ترى امثالها في اي شارع ، وفي اي يوم .. ليست بالجميلة ، ولا هي بالدميمة .. ضئيلة الجسم مشعثة الهيأة ، لا سيما انها لم تغتسل منذ ايام عديدة . وكان وجهها المكتئب مستديرا ، وفمها ممتلىء الشفتين وعيناها تكشفان عن شيء ضئيل من الغباء . وكان جليا انها اعتادت ان تعيش ليومها ، فلم تتوقع قط النكبة التي حلت بها الآن . وتطلعت الى الحائك في ذلة وقلق ، وقالت : **« لم يبق لنا شيء لقد رهنت ثيابه كلها ، وثيابي الشتوية والمائدة ، والمقاعد ، ولم يبق سوى السرير الذي يرقد عليه »** .

وازدادت معالم القنوط على وجه الرجل ، وسألها : **« اوليس هناك من تستطيعين ان تقترضي منه؟ »**. فهزت رأسها قائلة : **« لا اعرف أحدا سوى سكان هذا الفناء . فما ذا يملكون ؟ »** .. ثم استبد بها الجزع اذ تبينت موقفها ، فصرخت: **« ليس لنا في الدنيا سواك يا عمي ! »** فقال ببساطة : **« اعرف هذا »** وألقى نظرة أخرى على السرير ، ثم قال بصوت خافت : **« غطيه .. احجبيه عن الذباب »** .

وانطلق يجتاز الأفنية مسرعا، فاعترضته الجارة التي كانت بعد تحمل الرضيع ، وسألته : **« هل مات ؟ »** .. فقال الحائك وهو يجتاز الباب الى الشارع ويتجه غربا ، في اتجاه بيته : **« لقد مات ! »** .

وبدا له ان ذلك اليوم كان اشد ايام الصيف كله حرارة .. ولم يخفف غروب الشمس من القيظ ، وان اكفهرت سماء المدينة بالسحب القائمة . وكانت الطرق تزخر برجال نصف عرايا، ونساء في أرق الثياب ، وقد افتمدوا أرائك من القاب نقلوها الى خارج بيوتهم بينما رقد البعض على حصائر من الخوص ، او ابسطة من الليف ، على ارض الطريق . والصغار يولولون في كل مكان، والأمهات يستجلبن الهواء بالمراوح في اعياء ، ليخففن عن اطفالهن .. والكل مشفق من الليل .

وانطلق الحائك خلال هذا الحشد بخطى سريعة ، وهو منكس الرأس . كان الاعياء قد حل به ، ولكنه لم يستشعر جوعا ، وان كان قد ظل يومه بغير طعام . ما كان بوسعه ان يأكل حتى عندما بلغ الحجرة التي يتخذها سكنا في احد الافنية ، واقبلت زوجته العجوز الغبية ووضعت على المائدة قدحا من حساء الارز المسلوق ليأكل .. كانت رائحة ابن اخيه عالقة بثيابه ، تملأ انفه . وتذكر الثوب الحريري فجأة .. هب ان المرأة البيضاء تشممت الرائحة فيه ! .. فبادر ناهضا ، وفض الصرة ، وهز الثوب ، ثم قلبه فجعل ظهر القماش للخارج ، وعلقه في الهواء، على تمثال متداع مما يستخدمه الحائكون.

ولكنه ما كان يملك ان يستبقيه معلقا ، فقد كان لزاما ان يفرغ منه ليظفر بالنقود . لذلك خلع ثوبه وقميصه الداخلي وحذائه وجوربيه وبقي في سرواله .. وكان عليه ان يحترس حتى لا يتسخ الثوب بالعرق ، في ذلك القيظ .. ووجد منشفة مغبرة لفها حول رأسه لتحجز قطرات العرق المنحدرة ، ووضع قطعة من قماش على المائدة ليجفف فيها يديه من آن لآخر . وراح يخيط بخفة ـ وان لم يجرؤ على الاسراع خشية الا يحسن العمل فلا يرضي المرأة البيضاء ـ وهو يفكر فيما كان يملك ان يفعل .. كان لديه مساعد في العام الماضي ، ولكن الاحوال ساءت فاضطر الى الاستغناء عنه ، ولم يعد لديه سوى اصابعه العشرة يستعين بها. هذا صحيح ومع ذلك فقد كان يأمل ان يعد الثوب في ثلاثة ايام بأصابعه العشرة هذه .. ولعل لديها ثوبا حريريا آخر .. فيحصل عن الثوبين على عشرة دولارات. . بوسعه ان يبتاع تابوتا بالدولارات العشرة ، ما دام هناك رجاء ان يكسب غيرها فيما بعد .

ولكن ، هب انها لا تملك ان تعطيه ثوبا آخر ، فماذا يفعل ؟ .. ماذا يملك سوى ان يذهب الى المرابي ؟ .. ولكنه لم يكن يجرؤ على ذلك . فان الذي يلجأ للمرابي يتردى ، اذ ان الربا يجري بأسرع مما يجري النمر ، فيصل في بضعة اشهر الى ضعف او ثلاثة امثال ما اقترض .. ثم ان عليه ـ اذا ما دفن التابوت ـ ان يحضر الزوجة

الشابة والاطفال الثلاثة .. ولم يكن يملك سوى هذه الغرفة لتؤويهم جميعا . وخفق قلبه ببعض الحنان ، اذ تمثل الاطفال ، ثم جمد في جزع ، اذ تذكر ان عليه ان يطعمهم .

وانتصف الليل ولما يفرغ . فقد بقيت امامه اسوأ عملية ... الكشكشة .

واحضر كتاب الازياء ، وتفرس فيه على ضوء ذبالة مصباح النفط ، هكذا تمتد الياقة ، وهناك تدور ، لتصبح طويلة واسعة ، والثنيات ضيقة متلاصقة . وراح يعمل بأصابع ترتعش تعبا . وكانت زوجته قد رقدت على السرير ، وارتفع غطيطها . ما كان شيء ليوقظها ، ولا هدير آلة الحياكة المتخلخلة ، الصاخبة ، التي جلس اليها، وراح يثبت اطراف ثنيات الياقة بعناية .. واقبل الفجر ولما يبق سوى ان يهدب حواف الياقة ويطرزها بيديه ، ثم يحمى المكواة على الفحم . لينم قليلا اذن ، ويريح عينيه المكدودتين ، ثم ينهض فيفرغ من الثوب . وعلق الثوب على التمثال ، ثم رقد بجوار زوجته ، واستغرق لفوره في النعاس .

ولكنه لم يستطع ان ينام طويلا . فقد نهض في السابعة ، وعكف على عمله ثانية ، فظل منهمكا حتى الظهر تقريبا ، دون ما توقف ، الا ريثما تناول مضغةمن الطعام لم يمسه في المساء السالف. وما لبث ان اكمل العمل .. لقد استغرقه من الوقت اكثر مما كان يأمل . وتطلع بنظر كليل الى الشمس .. نعم ، بوسعه ان يبلغ البيت حوالي الظهر . فليسرع حتى لا يغضبها ، فلعلها ترضى عنه فتدفع اليه بالثوب الآخر ، واذا عكف عليه بعد ظهر اليوم ، وطيلة المساء ، فقد يتمه في يوم آخر ! .. وتشمم الثوب في قلق .. لعل به أثرا من رائحة العفن .. اتراها تفطن اليه ؟

ولكنها ـ لحسن الحظ ـ لم تفطن اليه. وكانت تجلس في ذلك المقعد الغريب المتأرجح ، الذي تضمه في الشرفة . فتفرست في الثوب بدقة ، ثم سألته فجأة بصوتها المرتفع : « **هل تم كله ؟** » .. فاجاب في خشوع : « **نعم يا سيدتي** » .

ـ **حسنا ، سأذهب لأجربه .**

ودخلت غرفتها ، فأمسك انفاسه مترقبا . اترى به اثرا من رائحة العفن ؟ .. ولكنها اقبلت ترتدي الثوب ، وعلى وجهها بوادر الرضى، ولكنه رضى غير وفير . وقالت فجأة : « **كم ؟** »

وقال مترددا : « **خمسة دولارات اذا سمحت يا سيدتي** » . لمح الغضب في عينيها ، فاستطرد بسرعة : « **الثوب الحريرى ، بخمسة دولارات يا سيدتي .. اى حائك يتقاضى خمسة دولارات**». فقالت : « **هـذا كثير جـدا .. ثم انك اتلفت القماش** » . ولكنها دفعت المبلغ وهي متأففة ، فاخذه منها برفق وهو يحرص على الا يمس يدها، وقال متلطفا : « **اشكرك يا سيدتي** » .

وجثا وبدأ يربط صرته ، واصابعه ترتجف . يجب ان يسألها الآن . ولكن ، كيف يجسر ؟ .. ماذا يفعل اذا هي رفضت ؟ .. واستجمع جرأته بجهد مستميت ، وقال وهو ينظر بتذلل ، وان تفادى عينيها : « **الديك ثوب آخر اصنعه يا سيدتي ؟** » .

وانتظر جوابها واعصابه مشدودة ، وهو يسرح بصره نحو الحديقة التي غمرتها الشمس . ولكنها كانت قد همت بأن تعود الى داخل البيت لتخلع الثوب ، فردت عليه غير مكترثة ، دون أن تلتفت : « **كلا .. انك تثير متاعب كثيرة ، وتتلف القماش .. وهناك حائكون كثيرون اقل اجرا ومضايقة ؟** »

★ ★ ★

والتقت في الحفل ـ في اليوم التالي ـ بمسز نيومان وقد جلست مسترخية في مقعد مريح ،وهي ترقب البيض ينتشرون فوق الخضرة ، في مباراة للكروكيت ، وأومضت عينا مسز نيومان ، برغم لونها الباهت ، اذ رأت الثوب ، وقالت في اهتمام غير مشبوب : « **لقد تسلمت الثوب حقا ، برغم كل الظروف .. ما كنت اتوقع هذا حقا . ولقد ابدع صنع الياقة المكشكشة . اليس كذلك ؟** »

ونظرت مسز لو الى صدرها الضخم ، وقد استلقت عليه الياقة ، بثنيات جميلة ، اتقن تنسيقها بالمكواة . وقالت في رضى : « **بلى .. انها بديعة .. لكم يسرني انني قررت ان تكون الياقة مكشكشة . وما ارخص الاجر يا عزيزتي . ان صنع الياقة المكشكشة والثوب لم يكلف سوى خمسة دولارات.. اقل مما في بلادنا بدولارين. ماذا ؟ .. اجل ، احضره في الساعة الثانية عشرة تماما ، كما انذرته . كل ما هناك ، كما قلت .. ان عليك ان تكوني حازمة مع الحائكين المحليين** » . ■■

ترجمة

محمد بدر الدين خليل

لاتفقد

فرصتك فى الربح

وسارع بفتح حساب ودائع

بفائدة ٦٪

ان نقودك تحظى باقصى معدل للفائدة مامون ومضمون – وهو ٦٪ – حين تودعها فى « حساب الودائع » ببنك « لومبارد » . فلن تخصم منها اية ضريبة على الدخل مقررة فى المملكة المتحدة ، ولن تتاثر نقودك اطلاقا بالاحوال الاقتصادية المتغيرة ، كما أن من السهل سحب اى مبلغ تشاء منها ، وفقا للشروط التى تعيّنها .

ولا بد – لكى تربح ٦٪ سنويا – من ان يكون الحد الادنى لما تودعه ١٠٠ جنيه استرلينى ، وان يكون الحد الادنى بين الايداع والاخطار بالسحب ستة اشهر . ويدعم ودائعك فى مؤسسة « لومبارد » المصرفية راس مال مدفوع واحتياطيات تتجاوز ١٢ مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

بادر الى الكتابة الى المدير العام فى طلب مزيد من التفصيلات ، وفى طلب نسخة من كتيب « حساب الايداع » رقم : A. O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: Lombard House, Curzon Street, Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)

City Office: 31 Lombard Street, London, E.C.3. MINcing Lane 4111 (7 lines)

اِ ضْ حَ كْ تَضحكْ الدنيا معكْ

مسألة نسبية

● كان احد الامراء في رحلة ـ خلال منطقة منعزلة ـ عندما نفدت مؤونته ، وبرّح به الجوع .. وفجاة ، صادف كوخا حوله مزرعة صغيرة ، فعرّج عليه، وطلب ما يقتات به .

واحضر له صاحب الكوخ بيضتين ، وطلب دينارين ثمنا لكل منهما .. فقال الامير مستاء :

ـ يبدو أن البيض غال لانه شديد الندرة هنا !

فاجابه صاحب الكوخ :

ـ لا يا صاحب السمو .. ولكن الأمراء هم النادرون هنا !

المثالية !

● **لماذا لم تتزوج وقد تجاوزت الخمسين ؟**

ـ هذه قصة طويلة .. فقد عقدت عزمي في شبابي على الا اتزوج سوى المراة المثالية .. والعثور على هذه المراة ليس بالأمر اليسير كما تعلم ، فقضيت معظم عمري في البحث ، ولم اعثر عليها الا منذ اربع سنوات ..

ـ بديع .. فلماذا لم تتزوجها حتى الآن ؟

ـ لأنها لا تزال تبحث عن الرجل المثالي !

شاي ..

● جلس ثلاثة اصدقاء في مقهى وجاء الجرسون يسألهم ماذا تشربون .

فقال الاول : **اريد كوبا من الشاى الخفيف .**

وقال الثاني : اريد كوبا من الشاى الثقيل مع قطعة ليمون .

وقال الثالث : **اريد شايا في كوب نظيف .**

وبعد قليل عاد الجرسون بالثلاثة الاكواب وقال : من منكم طلب شايا في كوب نظيف ؟



هي : كفاية دق الجرس .. انه معطل !!



الطفل لوالده : لا تنزعج يا ابي فكل شيء على ما يرام انما اردت التأكد من المدة اللازمة لك حتى تستجيب لاستغاثتي ..

تبسم وضحك ..

أمنية تحققت !

● كان احد الصحفيين يجرى تحقيقا مع مليونير وجرى بينهما الحديث التالى :

الصحفى : هل تحققت احدى امنياتك التى تمنيتها وانت طفل ؟

المليونير : نعم حينمـــا كنت صغيرا وكانت امى تمشط شعرى كنت اتمنى ان لا توجد فى راسى شعرة واحدة !!

حكمة وانذار

● كانت السيدة تقف على الشـاطىء تراقب احد هواة صيد السمك . وما لبث ان راته يرفع الخيط من الماء ، فاذا سمكة عالقة بالسنارة ، وهى تتلوى تحاول الخلاص .

قالت السيدة فى اشفاق : « مسكينة!... حرام ! » .

فبادر الصياد قائلا : « لو لم تفتح فمها ، ما وصلت الى هذا المصير » !

طريقة عملية

● دخل طفل لدى بقال وساله :

ـ بكم تبيع كيس البن المطحون ؟

فاجابه البقال : « بمائة وخمسين فلسا » .

ـ وبكم تبيع الكيلو من السكر ؟

ـ بمائة وعشرين فلسا ؟

ـ فكم تطلب اذا اردت شراء خمسة اكياس من البن ، وعشرة كيلو جرامات من السكر ؟

ـ دينارا وتسعمائة وخمسين فلسا.

ـ واذا اعطيتك ورقة فئة خمسة دنانير ، فكم ترد لى ؟

ـ ثلاثة دنانير وخمسين فلسا .

ـ هلا كتبت لى كل هذا ؟

فاعد البقال له فاتورة ، تأملها الصغير فترة ، ثم دسها فى جيبه ، وقال للبقال وهو يتاهب للانصراف : **« شكرا »** .

وقال البقال فى دهشة : « ولكنك لم تأخذ البن والسكر ، ولم تدفع النقود !»

فاجاب الصغير : **« لا داعى .. فهذه مسالة حسابية فى واجبى المدرسى » !!!**

■■

بريد القراء

بقية المنشور على صفحة ٦ ــ ٧

حقائق تاريخيــة
حول مصرع حمزة عم الرسول

● وقع فى استطلاع السيد محمد بدر الدين خليل عن المدينة المنورة المنشور فى العدد ٧٣ من مجلتنا العربى الزاهرة العزيزة بعض الأخطــاء التاريخية التى لا يجوز المرور بها دون التعليق عليهـا .

فقد جاء فى الصفحة ٨٣ عن مقتل حمزة رضى الله عنه قوله : « فاوغر هذا عليه ــ اى على حمزة ــ قلوب قريش ، فكان هدفا من اهــداف مقاتليها عندما عادت فالتقت بالمسلمين عند جبل احد خارج المدينة لتثار لهزيمتها (كذا) .وكانت هند بنت عتبة اشدهم حقدا على حمزة لانه قتل اباها واخاها فى وقعة بدر ، فساقت عليه مـن يتربص به ليقتله ، وبينما كان حمـزة فى كـر وفر تعثر فوقع على ظهره واذ ذاك انقض عليه صنيعة هند ، وكان حبشيا اسمه « وحشى » ، وظل يضربه حتى قتله ، وبقر بطنه .. الخ .

وهذه الرواية كما هى ، بعيدة عن الحقيقة ، التى وردت فى الصفحة ٢٤٧ من الجزء الثانى من سيرة ابن هشام طبع المطبعة الخيرية بمصــر سنة ١٣٢٩ هـ : ــ

... ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا ، يقال

له وحشي ، يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء ، فقال له : « اخرج مع الناس ، فان انت قتلت حمزة عم محمد ، بعمي طعيمة ابن عدى ، فانت عتيق » . الى ان يقول في الصفحة ٢٥٦ – ٢٥٧ هـ ، فقال وحشي : « اما اني ساحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالني عن ذلك ، كنت غلاما لجبير بن مطعم ، وكان عمه طعيمة بن عدى قد اصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش الى أحد ، قال لي جبير ، ان قتلت حمزة عم محمد بعمي فانت عتيق ، قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حبشيا ، اقذف بالحربة قذف الحبشة قلما اخطىء بها شيئا ، فلما التقى الناس خرجت انظر حمزة وابصره حتى رايته في عرض الناس مثل الجمل الاورق ، فوالله لاتهيأ له اريده فاستتر منه بشجرة او حجر ليدنو مني ، اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى . فلما رآه حمزة قال له حمزة : هلم الي يا ابن مقطعة البظور – وكانت ختانة – قال فضربه حمزة ضربة فما اخطأ راسه – اى قضى عليه – . قال : وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء نحوى ، فغلب وتركته واياها حتى مات ، ثم اتيته فاخذت حربتي ، ثم رجعت الى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة ، وانما قتلته لاعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ثم اقمت .. الخ .

والخطاب في هذه الرواية موجه لجعفر بن عمرو الضمري وعبيد الله اخي بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية في حمص ، حيث كان يقيم « وحشي » بعد ان أسلم وامنه النبي «صلعم» . وبعد ان حدثه كيف قتل حمزة قال له : «ويحك غيب عني وجهك ! » . ولما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب ، خرج وحشي معهم ، واخذ حربته تلك وضرب بها مسيلمة . يقول وحشي :

البقية على صفحة ١٦١

العربي

العدد ٧٧
٣٠ ذو القعدة ١٣٨٤
ابريل
(نيسان) ١٩٦٥



عربية من الكويت تتسلح بالعلم والمعرفة

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس	لبنان	١٠٠	قرش	السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	الاردن	١٠٠	فلس	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	سورية	١٠٠	قرش	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢ر٥	شلن				الجزائر	٢٠٠	مليم
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٢	[illegible]



حضارات سادت .. ثم بادت

مأدبة الفيلسوف سقراط

■ لم يكن للنساء حق الظهور في الولائم ـ عند الاغريق القدماء ـ اللهم الا في المناسبات العائلية . وفيما عدا هذه المناسبات ، كان اللاتي يحضرن الولائم من الاناث اما مغنيات وراقصات ، أو نساء ثقافة .

(البقية على صفحة ١٥٧)

عزيزى القارىء :

قال اللـه لرسـوله :

« وأذن في الناس بالحـجِّ ، يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامـر ، يـأتينَ من كـلِّ فـجٍ عميـق » .

وهذا شهر ذى الحجة ، شهر نيسان ، شهر الحج ..

وهذا عدد « العربى » جعلنا استطلاعه استطلاع مكة ، ومع استطلاع مكة استطلاع الحج ، ومع الحج مناسكه .

ومع استطلاع الحج جعلنا هدية العدد صورة منفردة لبيت اللـه الحرام ، وهي صورة رائعة تريك كيف تجتمع القلوب ، الوفاً مؤلفـة ، عارية الاجسام ، الا من ثوب الاحرام ، وكلها تدعو الله احر الدعاء ، فى صفاء ينسيها عكَر الدنيا ، ومزاجٍ روحيٍ لا تتقمصه الأنفسُ الا فى مثل هذه البقعة من الارض ، وفى هذا الجمع الذى كأنه الحشر الصغير ، يذكِّر بالحشر الكبير . مزاجٌ يكشف عن حقيقة الحياة ، التى تخفيها مناشط الحياة من أجل وَصْل الحياة : ان الحياة يومٌ يَشرق ثم يُمسي ، وان الانسان ، كما يقول الاخوة المسيحيون ، من تراب والى تراب . وان حياة الفرد موجة فى اشعاع الزمان ، لا تلبث أن تمّحِي . وان لا علاقة تدوم لأهل الارض الا أن ترتبط برب السماء، فهي هي القائمة، وهي هي الدائمة.

ورحم الله قوما قالوا من بعد ذلك : آمين ، آمين ، لرب العالمين .

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 77 April 1965 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٩٤١١ ــ تلغرافيا «العربى»

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

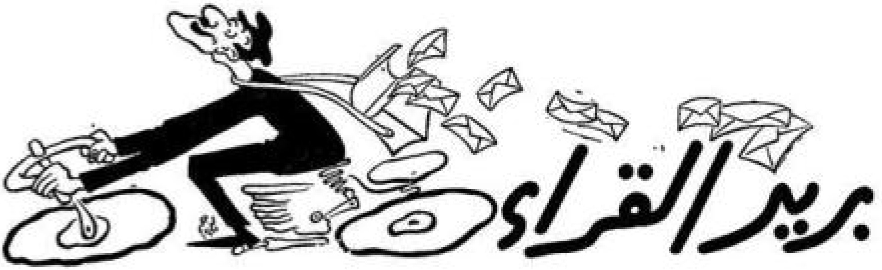
المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● لم يعد « نصف الأمة » مشلولا فى وطننا العربى الكبير ، كما كان من قبل . فقد تقدمت المرأة فى اغلب اركانه ، واحتلت مكانها الى جانب الرجل تعمل وتبنى معه لخير البلاد والوطن .. وفى الكويت خطت المرأة خطوات جبارة فى سبيل نهضتها ، متسلحة بالعلم والمعرفة ، حتى أصبح عدد الطالبات الكويتيات ٢٣٩٣٠ طالبة يتلقين العلم فى مدارس الكويت .. والى جانبهن ٢٠٩ طالبات أخريات يتلقين علومهن فى بعثات تعليمية ارسلتها وزارة التربية والتعليم الى مختلف انحاء العالم ..

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٢٫٥ شلن . العـراق ١٢٠ فلسـا . سـوريا ١٠٠ قرش . لبنـان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السـعودية ٢ ريال . السـودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة المعا فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



الرسول الكريم .. لا السريان .. هو الذى أطلق على عمر بن الخطاب لقب الفاروق

قرأت ما كتبه الأب المحترم اسحاق ساكا فى العدد الخامس والسبعين من مجلة العربى القراء حول تسمية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه « بالفاروق » .

وانى اشكر الأب اسحاق على اثارة هـذا الموضوع الطريف . واحب أن اذكر ما أوردته المصادر العربية عنه ، ليكون لدى القارىء صورة واضحة عن هذا البحث .

قال ابن منظور فى لسان العرب : « الفاروق ما فرق بين شيئين ، ورجل فاروق يفرق بين الحق والباطل ، والفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه سماه الله به لتفريقه بين الحق والباطل ، وفى التهذيب لأنه ضرب بالحق على لسانه . وقيل لأنه أظهر الاسلام بمكة ففرق بين الكفر والايمان ».

وفى محيط المحيط : « الفاروق الذى يفرق بين الأمور أى يفصلهـا ، فاعول للمبالغة ولقب عمر بن الخطاب ، قيل لأنه فرق بين الحق والباطل ، أو أظهر الاسلام بمكة ففرق بين الكفر والايمان » .

وفى المنجد : « الفاروق الذى يفرق بين الأمور. لقب عمر بن الخطاب » ولم يشر الى انها من الدخيل ، ومن عادته أن ينبه على ذلك .

وصيغة فاعول موجودة فى اللغـة العربية ، كالقانون ، والماعون ، والقاموس ، والناموس ، والناقوس ، والراموز ، والثالوث ، والعاشور ، والكافور ، والساطور ويجوز أن يكون أصل بعضها أجنبياً ، وقد ورد فى القرآن الكريم عدد من الكلمات الاجنبية وجميع اللغات فى العالم تأخذ من بعضها وهو أمر مألوف .

هذا من الناحية اللغوية ، وأما ما ورد فى كتب السير والحديث فقد قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي فى كتابه « سيرة عمر بن الخطاب .. » عن ابى عمرو قال قلت لعائشة رضي الله عنها من سمى عمر الفاروق ؟ قالت : النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن أيوب بن موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، وهو الفاروق ، فرق الله به بين الحق والباطل .

وابن الجوزي من أشد المحدثين تحرياً عـن الاحاديث الصحيحة . ونفي الباطل منها . وفى الرياض النضرة للمحب الطبرى : « لم يزل اسمه فى الجاهلية والاسلام عمر ، وكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا حفص وكان ذلك يوم بدر، وسماه رسول الله الفاروق » .

وفى الاصابة للحافظ ابن حجـر ، والسيرة للحافظ ابي الفرج ابن الجوزي، والرياض النضرة عن ابن عباس قال : سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق ؟ فقال أسلم حمزة قبلي بثلاثة ايام ثم شرح الله صدرى للاسلام ، وأتيت دار الأرقم ابن أبي الأرقم ، وأسلمت، ثم قلت يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا ؟ قال بلى ، والذى نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم ، قلت ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق لتخرجن. فأخرجناه فى صفين حمزة فى أحدهما ، وأنا فى الآخر حتى دخلنا المسجد ، قال فنظرت اليّ قريش والى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها، فسماني رسول الله يومئذ الفاروق ، فرق الله بي بين الحق والباطل .

قال الزرقاني فى شرح المواهب : « وحديث اسلام عمر بطوله رواه البزار والطبرانى ، وأبو نعيم ، والبيهقى عن أسلم مولى عمر ، ورواه

العربي في تونس

... السيد رئيس تحرير العربي ...

● لمناسبة زيارة الرئيس الحبيب بورقيبة للكويت في الحادي عشر من مارس أحيطكم علما اننا منذ أربعة أشهر لم نر نسخة واحدة من مجلة العربي في أسواق تونس .. فهل أخرجتم تونس من عداد الدول العربية .. أم ماذا ؟ !!

تونس منجي . أ

العربي : ومن ذا الذي يستطيع أن يخرج تونس ، الدولة العربية العريقة ، من عداد الدول العربية ؟ لكن عدم رؤيتكم لمجلة العربي طوال أربعة أشهر ، راجع ـ فيما يبدو ـ الى حجز العربي عند ثغور تونس بسبب بعض الاجراءات الروتينية ، ولأسباب محلية لا نعرفها ، ولا شك ان المسئولين في تونس لم تبلغهم هذه القصة ..

ان « العربي » تهتم أكبر اهتمام بالجمهورية التونسية العريقة وباستطلاعاتها ، وكان آخر ما قدمته « العربى » من هذه الاستطلاعات عن المرأة التونسية في العدد رقم ٦٤ .

وفي هذا العدد تجد استطلاعاً آخر من تونس عن مدينة « القيروان : أولى مدن الاسلام في شمال افريقيا » .. ونأمل الا يلقى هذا العدد مالقيه أخوة له من قبل من عقبات حتى لا يحرم منه قراء تونس ..

اننا سنعمل دائما على ايصال (العربى) الى ثغور تونس .. وهذا كل ما نستطيع صنعه ..

الدارقطني من حديث أنس، وابن عساكر والبيهقي عن ابن عباس ، وأبو نعيم عن طلحة ، وعائشة كلهم عن عمر ، وهذه طرق يعضد بعضها بعضا » .

وهناك رواية في طبقات ابن سعد « عن الزهري قال : « بلغنا ان أهل الكتاب كانوا اول من سمى عمر الفاروق » .

هذا ملخص لما ورد في كتب السيرة والحديث حول تسمية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالفاروق .

ومنه يظهر ان التسمية صدرت من النبي الكريم عليه الصلاة والسلام أولا ، ولا مانع أن يكون السريان اطلقوها بعد الفتح على عمر بن الخطاب وهم من أهل الكتاب كما روي عن الزهري .

ابراهيم القطان ـ عمان

القانون لا يجيز

● قرأت مشكلة المرضة والعقد العرفي وفشلها في استصدار حكم نفقة لها ولطفلها من زوجها وتعليقكم على هذه المشكلة .

والواقع ان قضاء اول درجة لم يخطىء في رفض دعوى النفقة حيث ان المحكمة مقيدة بالقانون والقانون لا يجيز سماع دعوى الزوجة الا اذا كان الزواج موثقا رسميا . والسبب ان المشرع عندنا، كراهية منه ومن المجتمع للعقود العرفية للزواج ، قد ضيق الحقوق المتولدة عن هذا الزواج حتى يبعد الناس عنه ، فقضى بانه لا أثر لهذا العقد العرفي قانونا وان كان قد رتب بعض الآثار بالنسبة لما بعد الدخول كاثبات النسب رحمة بالطفل ولذلك فان محكمة الدرجة الثانية (الاستئنافية) سترفض دعواها ايضا .

توفيق بازرعه المحامي ـ القاهرة

اقتـــراح

● الرسوم التي ما زلتم تنشرونها تحت عنوان (حضارات سادت ثم بادت) هي تاريخ مصور جميل للعالم . واني ، اذ أبلغكم شديد اعجابي بها وبحسن اختيارها ، لأقترح أن يكون مكانها داخل العدد لا وراء الغلاف . وذلك لأن موضعها الحالي يحرمنا من وضع اللوحة في اطار اللازم . ■■

عبد الله عمر باجنيد ـ الظهران

(البقية على صفحة ١٦٠)

خدعوك فقالوا : تغير

وما تغير الزمان ، ولكن

شيئان حكما علائق الناس فوق هذه الارض دهرا طويلا : القوة ، ومع القوة البغى .

كان فى الناس قديما قبائل ؛ اذا اختصم اثنان فيهم لم يلجأ الى الحجة ، وانما لجأ الى القوة ، فاصطرعا ، ومن غلب ، عُدّ ان الحق معه ، فقام يجمع السَّلَب .

ومن الناس من كانت القوة فيهم ظاهرة بيّنة ، فسلبوا قبل ان يكون للقوة بينهم امتحان .

حدث هذا فى المجتمعات الانسانية قبل ان تكون فيها قوانين .

وحدث هذا فى المجتمعات الانسانية بعد ان كان فيها قوانين ، ولكن خف امره مع القوانين كثيرا . ومع هذا ظلت القوة ، وحتى قوة العضل الصريح ، هي الشيء الطبيعي الذى يَهُمّ الانسان باللجوء اليه عندما يريد ان يبغي ، او يدفع بغيا .

وكأنى بالبغى هو بحكم الطبع بعض شيم الانسان القوى ، فان عزّه العضل ، وعزته القوة الجسمانية وسيلة اليه ، فى ظل القوانين ، استنبط وسائل اخرى . فما العضل الا صورة من صور القوة ، وللقوة مع التقدم ، صور افعل واخفى .

ومن اجل هذا كان مع القوانين قضاة .

ومن اجل هذا كان مع القوانين محامون .

وعلائق بين الأمم ، مثل علائق بين الأفراد

وكعلائق الناس ، فرادى ، فى مجتمعاتهم ، كانت علائق الأمم فى



فى الناس قديما ، اذا اختصم اثنان تصارعا ، ومن صَرَع ، عُدَّ ان الحق فى جانبه

بقلم رئيس التحرير

الزمان ..

تغيرت أساليب البغي والعدوان

معاملاتها . علائق تحكمها القوة ، ومع القوة البغى .

وصار فى المجتمعات الانسانية ، فى داخلها ، قوانين تصاغ ، ولم تصنع بين الامم قوانين تحكم علاقاتها من اى نوع . ظل بين الامم قانون واحد ، هو القانون الطبيعي الأول الذى حكم ويحكم خليقة الله الأولى ، ذلك قانون الغاب .

وقانون الغاب هو قانون القوة .



عصبة الأمم ، اخفقت ، لأنها حاولت ان تلجم القوى ، فرفض اهل القوى الجامها

ومع القوة البغى .

وتقدم الانسان على السنين لا شك فكرا ، وتقدم عقلا ، وتقدم علما ، وتقدم مدنية . وحاول ان يضع القوانين التى تحكم علائق الامم ، فاخفق .

وحاول من بعد الحرب العالمية الاولى وويلاتها ، جمع الامم فى دار واحدة للنقاش ، ومع النقاش الحجة ، فصنع عام ١٩٢٠ دارا فى جنيف أسماها « دار عصبة الامم » ، ما لبثت ان اخفقت ، لانها حاولت ان تلجم القوى فرفض اهل القوى الجامها . غزت اليابان منشوريا . وغزا الطليان الحبشة . وغزا هتلر النمسا . اختلف أهل القوى فيما بينهم واحتكم المختلفون الى الحجة ، فلم تنفع حجة . فاحتكموا الى المدفع والدبابة والطائرة . وكانت الحرب العالمية الثانية ، فقضت بين المتخاصمين شر قضاء .

ثم عاد الانسان بعد الحرب العالمية الثانية ، عام ١٩٤٥ يصنع دارا للنقاش والتفاهم جديدة أسماها « دار هيئة الأمم » احتفظ فيها اهل القوى بقواهم مجتمعة فى مجلس أسموه « مجلس الأمن » ، هو الآمر الناهى ، وتركوا الجمعية العامة للهيئة تعج بأكثر من مائة

عضو عجيجا ، كالذى وصفه العرب فقالوا : «اسمع جعجعة ولا ارى طحنا» .

القوة لا تزال تعمل بالوراثة فى دماء الأمم ، وتحفظ الغلبة لنفسها .

ومع القوة البغى والعدوان .

سياسة القوة تصبح مذهبا

وكانت سياسة القوة تمارس أول الأمر وعليها ستار من ضباب . ثم انقشع الضباب وصارت مذهبا صريحا. Power Politics.

ويقضي هذا المذهب بأشياء منها :

(١) ان يرفض صاحب هذا المذهب من الساسة كل معانى الكمال ، وكل ما يخالج القلب الانسانى من عواطف ، وكل ما يساوره من خيالات تتصل بدنيوات من الفضل بمكان لا تتحقق على ظهر هذه الأرض .

(٢) أن يرفض كل حرج أخلاقى يصيب فى هذه الأمور الضمير ، وأن يدع شئون الأخلاق لرجال الدين ودارسي الفلسفة .

(٣) أن يركز فكره كله فى وقائع الحياة ومعاركها القاسية للفوز بالحياة . وما دامت هى معارك ، ففيها لا بد قاتل ومقتول . فيجب على صاحب هذا المذهب أن يتقبل هذا ، أمرا من أمور العيش تقبلا طبيعيا ، لا سبيل الى نكرانه أبدا .

(٤) ان ينظر الى الدول جميعا نظرته الى طائفة من ذئاب، كل يطلب الغنم على حساب غيره. فان هو تعفف حينا ، فما ذلك الا خوف من قوة هذا الغير . وحين يزول هذا الخوف ، يبدأ السطو .

(٥) انه فى الحرب لا بديل غير النصر،والتخريب الشامل مستساغ ما أدى الى نصر سريع .

رُسُل القوة فى سياسة الأمم

هذا هو مجمل مذهب « سياسة القوة » يزيده اتضاحا أمثلة نضربها من بعض رجاله .

وهم رجال وجدوا فى كل العصور ، عتيقها ، والمتوسط ، والحديث . ولكن ، بما ان همنا اليوم فى العصر الحديث ، فلنقتصر بالأمثلة القليلة نضربها من هذا العصر الحديث .

ورجال هذا المذهب منتشرون بالطبع فى الأمم التى اتصفت بالقوة فى هذا العصر الحديث . اما الأمم التى اتصفت بالضعف فقد فوّت عليها الضعفُ ان يكون فيها قوم يتحدثون حديث القوة والعنف .

والذين عبّروا عن عقائدهم بالقول والدرس فى هذا السبيل قليلون . والذين سكتوا فلم يفصحوا عن هذا المذهب ، ولكن عملوا به ، اكثر كثيرا .



هيئة الامم احتفظ أهل القوى بقواهم مجتمعة فى

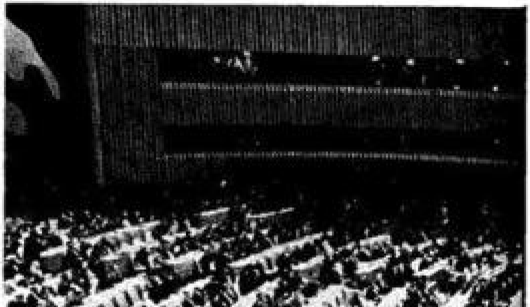
رُسُل القوة من الالمان

والشائع بين دارسي السياسة الدولية ان الالمان هم مصدر هذا المذهب ،مذهب سياسة القوة ، فى هذا العصر الحديث .

وتسألهم ، فيضربون لك مثلا ، بكارل فون كلوزفتس Karl Von Clausewitz (١٧٨٠ — ١٨٣٠ م) . انه القائد البروسى الشهير ، والكاتب الحربى المعروف ، وله فى ذلك فلسفة تدرس فى المانيا ، ومن وراء حدودها ، قال فيما قال :

(ليست الحرب الا استطرادا لممارسة الدبلوماسية بوسائل اخرى) .

وتسألهم عن الالمان فيضربون لك مثلا آخر ، بفون ملتكه Von Moltke (١٨٠٠ — ١٨٩١ م) . انه المارشال البروسى الشهير وأكبر استراتيجى كان فى القرن التاسع عشر . وهو غازى النمسا



مجلس اسموه مجلس الامن ، هو الآمر وهو الناهي

عام ١٨٦٠ وخاذلها . وهو صاحب الحرب الالمانية الفرنسية عام ١٨٧٠ ،تلك التى اطاحت بامبراطورية وملك ، وجاءت فى باريس بجمهورية . كان رجلا قويا عالما دارسا . وكان قليل الكلام . وعرف سبع لغات اشتهر « بالصمت » فيها .

هذا الرجل قال عن سياسة القوة الممثلة فى الحرب :

(ان الحرب عنصر من العناصر التى أرادها الله نظاما لهذه الدنيا) .

رُسُل القوة من الانجليز والامريكان

وغير الألمان الانجليز .

وغير الانجليز الأمريكان ، وكل أمة ذات قوة .

ثيودور روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة فى أوائل هذا القرن ، كتب يقول :

(انما بالحرب وحدها نستطيع ان نكتسب صفات الرجولة اللازمة لكسب معركة الحياة القاسية) .

ورَسكِن Ruskin الانجليزي . نعم رسكن (١٨١٩ — ١٩٠٠ م) ، ذلك الكاتب الشاعر الرقيق الفنان ، واهب أكثر الثروة الكبيرة التى ورثها عن أبيه الى الفن ومتاحف الفن ، هذا الرجل يكتب فيقول انه وجد :

« ان اكثر الأمم الكبرى اسمنتها الحرب ، وانحفها السلام ، وأكسبتها الحرب علما ، وخدعها السلام . وأنالتها الحرب دُربةً ، وخانها السلام » .

والسير جون فيشر Fisher ، رئيس البحرية الانجليزية عند بدء الحرب العالمية الاولى يقول :

(ان روح الحرب العنف . والاعتدال فى الحرب سخف . عليك أن تضرب ، ثم تضرب ، وتظل تضرب فى قسوة متزايدة . فى الحرب لا رفق ولا رحمة ، ومن بعد حرب لا ندامة) .

ومالنا نذهب بالأمثال بعيدا ، وتشرشل Churchill ، وقد ترحّل عن الدنيا منذ أسابيع ، مَثَلٌ فى الانتصار لمذهب القوة حاضر .

كان تشرشل يرى ان القوة هى العنصر الاساسى المسيطر على علاقات ما بين الأمم . وكان يرى ان السلام على الارض لا يكون بدفع الحجة بالحجة ،

وانما بموازنة قوة بقوة. وكان يرى في الامبراطورية البريطانية وحلفائها احدى هاتين القوتين ، ولهذا كان لا يرى تحرير الهند او النزول عن أي شبر من هذه الامبراطورية .

كان يرى في القوة علاج كل شيء . الخلل في النظام تصلحه القوة . والثورة تخضعها القوة . وهو ، عند استخدام القوة ، كان يرى ان لا يكف حتى يرى خصمه صريعا لا حراك فيه . ففي المشكلة الارلندية كان يرى ان لا تعطى ارلندا شيئا من الحرية الا من بعد غزو واخضاع كامل ، وغلبت المانيا في عام ١٩١٩ ، فكان يرى ان لا يقبل الحلفاء منها سلما حتى تموت برلين جوعا وتعرى .

الامبريالية والاستعمار كانا امتدادا لسياسة القوة

الاعتزاز بالقوة مزاج اذن يجري في دم الناس من قديم .

والقوة تدفع الضيم مقبولة ، وهي درع واق لا بد منه .

ولكن القوة لم تقف بالانسان عند الدفع والدفاع بل خرجت به من الدفع



تشرشل في صباه : كان يرى دائما ان القوة هي العنصر المسيطر على علاقات الامم ، ويرى تحرير الهند او النزول عن شبر من الامبراطورية مهددا لسلام الارض .

الى الغزو ، في عتيق الزمان وحديثه .

وكان من الغزو الامبراطوريات ، عتيقها والحديث .

واختلفت الدوافع ، واختلفت الغايات .

وفي القرون الحديثة ، لو ان محصياً أحصى الدوافع والغايات ، لو جد انها كانت في أوائلها للاستحواذ على خيرات الدنيا .

خيرات الدنيا

ومن خيرات الدنيا الذهب . ولكن الثورة الصناعية العلمية الحديثة جعلت الخامات الأخرى أعز سلبا من الذهب : النحاس ، الحديد ، المنجنيز، القصدير ، الرصاص . وأخيرا اليورنيوم .

ومن خيرات الدنيا خيرات الزرع : القمح ، الكاكاو ، الشاي ، البن ، الزيت، المطاط .

استثمار المال المتراكم

ولكن الثورة الصناعية ، والنظم الراسمالية ، اوجدت في الامم الصناعية (وهي الأمم القوية) رصيدا متراكما من المال ، وجب عليها استثماره وراء الحدود . واذن وجب الغزو، ومع الغزو الحكم والسيطرة .

استعمار الجديد من الارض

وبذيوع الحكم الديمقراطي في هذه الأمم ، الأمم الغربية خاصة ، وسيادة القانون الى حد بعيد ، زاد عدد السكان، وضاقت بهم الأرض . واذن وجب استعمار أرض قريبة ، ان وجدت ، والا فأرض بعيدة . ومن هنا بدا معنى الاستعمار حقا وصدقا . ثم انتقل الى معناه الحديث ، حيث الأرض المكسوبة بالغزو مسكونة ، ولكن اهلها عند الغازين ليسوا في العير ولا في النفير .

القواعد الحربية

وباتساع الامبراطوريات تولــــدت الحاجة الى القواعد التي تحمي الطريق ، فكانت جبل طارق ، ومالطة ، وقبرص ، وعدن ، وسنغفور عند الانجليز . وكانت جوام Guam أو اوكينــاوا Okinawa وامثالهما عند الامريكان .

الفخار قومي

وكان لا بد لهذه الاهداف والمطالب من شيء روحي يزينها ،حتى لا تكون سطوا عاريا مفضوحا قـــد تأباه حتى أنفس الشعوب فى الأمم الفازية .

من اجل هذا ابتدعوا الفخار القومي . اصبحت الامبراطورية شــارة العزة ، والاتساع دليل العظمة، وبسط الاجنحة على مواقع كثيرة من الكرة اشباعا لما فى نفس الانسان الحيوان من طموح .

رسالة السماء

والى جانب الفخار القومي ، ابتدعوا رضى الله وتقواه ، وانها رسالة السماء ، جاءت قساوســة الأرض ، فى تلك الأمم القوية العاتية خاصــــة ، بأن يذهبوا لخلاص البشر فى تلك البقـــاع الوثنية البعيدة من بقـــاع الارض . ومهــــد القساوسة احيانا للغزو بأكثر مما مهــد الساسة ، وبأكثر ممـــا صنع الاسطول وصنعت جحافله .

الله والسلالات البشرية

وابتداع آخر اضافوه ، يتصل بالله ، ولكن عن غير طريق الدين . قالوا ان الله جعل الخلق سلالات وجعل السلالات ، عليا وسفلى . وأوجب عـلى العليـا ان تقود السفلى ، وتصعد بهـــا . وهى لا تصعد بها الا ان تحكم ، وأن تأمر ، وأن تنهى .

وتسأل : من جاء بهذه الرسالة ، وعن اى رسول ؟ فلا تلقى جوابا .

ولنضرب لذلك مثلا او مثلين :

سيادة التيوتون

بفردج Albert Beveridge سياسى امريكى معروف (١٨٦٢ ــ ١٩٢٧) ، له فى القضاء شان . وله فى التاليف . كان عنصريا يعتقــد بسيادة الانجلو سكسون (التيوتون) ، ويحط من قدر غيرهــم ، ولو كانوا اللاتين . وعندما أعلنت امريكا الحرب على الاسبان، أعلن رأيه فى سيادة الامريكان على الاسبان ، قال :

ان الأمريكان (يقصد التيوتون منهم) سلالة غزو وفتح . فعلينا ان نستجيب لما فى دمائنا من حب للغزو والفتح . انها ارادة الله . ان من تخطيط الله ان تندحـــر السلالات المتعفنة ، والمدنيات المتفسخة ، وتختفى ، وأن تغزوها وتعلو عليها مدنيات أعلى وانبل واكثر تفتحا للحياة .

أهل المدنية أولى بكل أرض من البرابرة

واستاذ آخر ، بجامعة كولومبيـــــا الشـهيرة ، بنيويورك قضى فى استاذيته ٣٠ عاما . وهو معلم وكاتب وعمدة في العلـوم السياسية يقتبس ، فى كـل حين . انه الاستاذ جون وليم برجس John Wliam Burgess (١٨٤٤ ــ ١٩٣١)

انه يقول مثل ما قال صاحبه بفردج :

« ان العنصر التيوتوني عنـده رسالة عليه ان يؤديها ، تلك ان يحمل المدنية الى بقاع الأرض الاخرى التى يسكنها البرابرة . وعليه ان يلح فى تمدينهم غصبا . فاذا هم لم يستطيعوا الوصول الى ذلك بمجهودهم خاصـــة (وبالطبـع هم لا يستطيعون) وجب عليهم ان يخضعوا للقوى التى تستطيع تمدينهم . فاذا هم ابوا ذلك ، وجب على الدولة المتمدنة ، ان تزيحهم عن ارضهم (وترميهم فى البحر) وتحل محلهم قومـــا من أهل المدنية آخرين. وليس فى هذا ما يزعج ضمير انسان ابدا، وليس فيه مناقضة لمبادىء الاخلاق قط. بل الذى يزعج انما هو نكوص أهل هذه السلالات عن هذا الواجب ، واجب السلالات الرفيعـــة ان تنهض بالسلالات الضعيفة ، وان تقوم اوصياء عـــلى الجنس البشرى . »

معان ، الفها الناس دهرا ، لا يمكن أن تتغير بغتة

فى ظل هذا الذى ذكرنا، عن القوة، ومع القوة الغزو والسطو ، وعن الامبريالية ، حوافزها وغاياتها ، فى القرون هذه الماضية الحديثة ، وفى القرن التاسع عشر ، والثامن عشر ، وحتى الى أوائل القرن العشرين ، فى ظل هذا الذى ذكرنا من تأصل هذه المعانى فى الأمم التى سبقت الى القوة ، والى الصناعة ، لا يعقل المرء ان يأتى القرن العشرون ، وينتصف ، وتزول بانتصافه كل هذه المعاني ، كلّ الزوال ، من انفس الحكام الذين عنينا ، هكذا بغتة ، وبغير ان تأذن للزمن ان يفعل فعله البطيء . وهو لا شك بطيء فى تغيير انفس البرايا . لا سيما تلك العادات التى تتصل بالفكر من جانب ، وتتصل بالعاطفة والعقيدة والمذهب من جوانبها الأخرى .

لقد انتصف القرن العشرون حقا ، وانحلت بانتصافه أكبر امبراطورية على وجه الارض ، تلك الامبراطورية البريطانية ، أو كادت .

وانحلت الى جانبها امبراطورية اخرى كبيرة ، تلك الامبراطورية الفرنسية .

وذهبت الامبراطورية الطليانية الى غير رجعة .

ولكن هل المعانى ، التى كانت تلك الامبراطوريات نتائجها ، زالت من رؤوس هؤلاء الرجال ؟

وهل الاعتزاز بالقوة ، ومعها الغزو والسطو ، زال حقا من قلوب هؤلاء الرجال ؟

تحوّل لا شك فيه

انه مما لا شك فيه ان الدنيا تحوّلت .

حديث السلالات العليا والسلالات الدنيا جرّ على الدنيا فى الحرب العالمية الثانية دمارا لم تعرفه الدنيا من قبل . وتناول العلم حديث السلالات بالبحث فاذا هو يكشف عن انه حديث خرافة .

وتوريط اسم الله فى رسالات مزعومة تأتى من السماء لانتشال برابرة الارض صار من الهجنة بحيث اصبح لا تستسيغه حتى آذان قساوسة الغرب ــ ولا اقول قساوسة المسيحية ــ ولا تدور به السنتهم بعد افتضاح غاياته .

وخامات الارض صار لها بين الأمم القوية اكثر من طالب، والاستحواذ عليها، بالاستعمار تارة ، وانشاء الامبراطوريات تارة ، سبّب بين المتنافسين الحروب ، فكان لا بد من جعلها تراثا عاما ، وبضاعة يشتريها بالمال من يشاء ، ويعرض عنها من شاء . ووجدوا هذا اقل كلفة من كلفة جيوش يزرعونها فى تلك الاراضى البعيدة ، واساطيل يسيّرونها بالرجال والعتاد فى اقاصى البحار اليها .

الا القوة

كل هذا تحوّل لا شك فيه .

الا القوة ، فما تحول الانسان عنها . هو يطلبها ،وهو يعبدها ،وهو يفخر بها . وهو يحاجّ ما يحاج ، ومع الحجاج السلاح محشوّ ، يحمله حتى فى قاعة



القساوسة الغربيون ، ولا اقول المسيحيون، مهددا

الحجاج على كفله . انه عنده الحجـــة النهائية الحاسمة .

وتضاعفت القوة الوفا مؤلفة بابتداع الذرة ، والصواريخ التى تحملهـــا الى اقصى الأرض .

القوة اذن ظلت باقية ، وزادت .

ومن طبيعة القوة ، كما قدمنا ، انهـا تولّد فى الناس حب السطو والعــدوان والاستعلاء بكل اشكاله اينما كان .

بقيت القوة اذن فى النـاس ، وبقيت غاياتها .

انما الوسائل وحدها هي التي تغيرت .

وهي تغيرت وفقا لظروف هذا الزمان وتطوره .

وهي تغيرت بسبب الشكل الجديـد الذى توزعت فيه القوة وتقسمت بين دول اختلفت مذاهبها فى اساليب العيش على ظهر الارض .

وهي تغيرت بـسبب ان هـذه القوة ، حينما تقسمت ، ظل القسـم الواحـد



للغزو وباكثر مما مهدت الساسة والجيوش .

منها كافيا لهلاك الزرع ، والنسل كله ، لا هازم من بعد اطلاقها ولا مهزوم .

اساليب للاستعمار جديدة

وسموا هذه الاساليب الجديـــدة بالاستعمار الجديد .

وسموها بالامبريالية الجديدة .

وجعلوا اداتها المعونة يسديها الاقوياء الاغنياء الى من انحلت اليه امبراطورياتهم مـــن دول ضعيفة فقيرة ، ومع المعونة شروط ، اظهر صفاتها على الورق انها غير مشروطة .

وهي مشروطة مشروطة من اى جانب من جوانب الارض جاءت .

وجعلوا اداة هذه الامبريالية الجديدة ولاء الأمم المستضعفة يشترونه بالمـال شراء .

فان ابت الامـــــــة المستضعفة ان تشترَى ،اشتروا من بين اهلها الوكلاء، فكانوا فى داخل البـلاد أكثر تخريبا ، وفتنا فى جهود الأمة التى تعمل لتحيا ، من تخريب وفتن كانا يجيئانها صريحين من وراء الحدود فى عهـــد الاستعمار السافر . وادعى الأقوياء انهـم نصراء الضعفاء فى سبيلهم الى التقدم، واللحاق بركب المدنية . وقد كذبوا . او كـذب أكثر ساستهم . فهم عودونا منـاصرة الرجعية دائما ، وخذل التقدمية ، فى كل بقعـة من بقاع الارض لا ترضى مـــن استعمارهم المستور بالقدر الذى كانت ترضى به من استعمارهم القديم السافر .

من اجل كل هذا

من اجل كل هذا جعلت عنوان مقالي هذا :

خدعوك فقالوا تغير الزمان ،
وما تغير الزمـان ، ولكن تغيرت
أساليب البغى والعدوان .

■■

أحمد زكي



قتل فى معركـة دير ياسين ، الغادرة ، مائة من العرب لا مئتان . وقتل العرب من اليهود مثلهم . ووصف زعماء العـرب مأسـاة ديـر ياسـين بأنهـا مجزرة بشريـة ، وبالغـوا ، فاشاعوا الذعـر فـى قلوب العرب ، فكـان ما كان من بلية !

■ كانت الخطة التي اتبعها قادة « الجهاد المقدس » فى شهر فبراير « شباط » ١٩٤٨ ، اى بعد شهرين من صدور قرار التقسيم ، ترمي الى القاء الرعب فى قلوب اليهود ... ولا سيما فى مدينة القدس وما حولها من مستعمرات ... حيث تعيش الكثرة الساحقة من اليهود وحيث تقبع المنظمات اليهودية الرئيسية ، كمنظمة (الارجون تسفاى لئومي) و « شترن » و « قيادة الهاجانا » ... وكانت الفوضى قد سادت المدينة خلال الشهرين الماضيين ، فأصاب أعمال الحكومة والمصالح العامة شلل مخيف ، فعم الخوف . وفقد الأمن . واغلقت المخازن والحوانيت ، وارتفعت أسعار الحاجيات والمواد الغذائية الى درجة لم يسبق لها مثيل ، منذ الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٧) ...

فرقة التدمير العربية

وتنادى الفدائيون العرب من كل



دير ياسين

بقلم
عارف العارف

لم تكن مأساة دير ياسين مجزرة بل كانت للعرب مفخرة

حدب وصوب ، فالفوا فرقة اسموها : (فرقة التدمير العربية)، ومدت هذه يدها الى (منظمة الجهاد المقدس) . فراح الجميع يعملون معا بقيادة البطل عبد القادر الحسيني . فنسفوا شارع هاسوليل اليهودى (١ فبراير ١٩٤٨) فاصبح طللا . كما نسفوا مطبعة (بالستاين بوست) التى كانت لسان حال الوكالة اليهودية .

ثم نسفوا الحي المعروف بـ (يمين موشه) و « المونتفيورى » (١٢ فبراير ٤٨) . وشارع بن يهودا (٢٢ فبراير ٤٨) . ودار الوكالة اليهودية (١١ آذار ٤٨) . وذكرت الصحف اليهودية التي صدرت فى اليوم التالي لذلك الحادث ، ان الوكالة كانت مجتمعة فى تلك الدار يوم النسف ، وانها كانت تبحث الوضع المتأزم فى المدينة مع قيادة الهاجانا .

قطع الماء عن يهود القدس

والاهم من هذا وذاك ان المجاهدين من رجال الجهاد المقدس ومن شباب فرقة التدمير تمكنوا ، واعمال النسف قائمة فى المدينة ، من نسف الانابيب التي تنقل المياه للأحياء اليهودية من (رأس العين) . فدمروها فى مواضع عديدة . فكاد اليهود يموتون عطشا .

عرقلة وسائل النقل وخطوط المواصلات

واضاف المناضلون العرب ، فى شهر آذار ، الى خططهم السابقة خطة جديدة .. ترمي الى عرقلة وسائل النقل وتدمير خطوط المواصلات اليهودية .. والحيلولة دون وصول المؤن الى يهود القدس من تل ابيب .. ومن اية مستعمرة من مستعمراتهم القائمة فى السهل الساحلي . فحاصروا المدينة حصارا كاملا . وحالوا دون وصول المؤن اليها .

ماذا تعني هذه الخطة ؟

وتعني هذه الخطة ـ اذا ما نجحت ـ استسلام اليهود الذين كانوا يعيشون فى هذا القطاع وكان عددهم يومئذ فى القدس وفى المستعمرات المجاورة لها قريبا من نصف عددهم فى البلاد كلها .

ولم تكن انتصارات العرب فى انحاء فلسطين الاخرى اقل من الانتصارات التي نالوها فى مدينة القدس .

امريكا تعدل عن تأييدها لقرار التقسيم

ما كادت هذه الأخبار .. اخبار انتصارات العرب فى فلسطين .. تنقل الى العالم على موجات الأثير حتى راحت معظم الدول التي ابدت مشروع التقسيم تنادى بضرورة العدول عنه . وكانت امريكا اولى الدول التى اصابها الذهول . فاوعزت الى مندوبها فى هيئة الأمم السناتور اوستن ان يسحب تأييده السابق . وقام هذا ، فألقى فى ١٩ مارس (آذار) ١٩٤٨ بيانا قال فيه : « ان حكومته سحبت تأييدها لمشروع التقسيم



خريطة تبين موقع دير ياسين



كن ٠٠
اثر حادثة دير ياسين قامت الآنسة هند الحسيني بمدينة القدس لايواء اطفال دير ياسين الذين نجوا من

واصبحت تميل الى فرض مشروع الوصاية على فلسطين » . وكذلك فعلت فرنسا والصين . وراح المستر كريتش جونز وزير المستعمرات البريطاني ومندوب بريطانيا فى هيئة الأمم ينصح الدكتور وايزمن ان يقبل مشروع الوصاية . وحذا حذوه معظم مندوبي الدول فى مجلس الأمن .

ومن العوامل التي ادت الى هذا التحول فى السياسة الأمريكية خشية رجال الحكم فى وزارتي الخارجية والدفاع ، وكذلك كل من شركات النفط فى الولايات المتحدة ، من تعرض مصالح امريكا الاقتصادية فى الشرق للخطر .. حتى ان وزير الدفاع الأمريكي المستر جمس فورستال قال فى خطاب القاه من الكونجرس انه « يخشى أن يدمر العرب انابيب البترول ويخربوا منشئات الزيت ، ويثيروا القلاقل ضدنا فى الشرق كله .... » .

ماذا فعل اليهود

ان هذه الأخبار عن انتصارات العرب فى فلسطين ، وتبدل الاتجاه فى السياسة الأمريكية ، اقلقت بال اليهود وزعماءهم





بتاسيس دار الطفل العربى القتل ..

.. فاصبحن .

.. وبعد مرور عشر سنوات على النكبة ، نفس البنات اللواتى آوتهن دار الطفل وقد اصبحن طالبات مطالبات باسترجاع الوطن السليب .

.. ولا سيما رجال الصهيونية العالمية فى الولايات المتحدة .. فراحوا يفكرون فى احسن الوسائل لانقاذ الموقف ... عن طريق اقناع البيت الأبيض ورجال الكونجرس الامريكي بالمثابرة فى تأييدهم .. وعدم العدول عن فكرة التقسيم .. وعن طريق توحيد قياداتهم العسكرية ومنظماتهم الارهابية التي كان الخلاف قد دب بينها ، وعن طريق تقوية هذه المنظمات بالسلاح والمال .

كيف حصلوا على السلاح ؟

وقد يسر لهم الانكليز سبيل الحصول على ما يبتغون .. فى ٤ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ .. يوم فتحوا لهم ابواب المعسكر البريطاني المجاور لمستعمرة (باردس حنا) اليهودية .. ذى الرقم ٨٠. . فدخلته جماعة من عصابة (الأرجون) ونهبت كل ما وجدته فيه من اسلحة : عدد كبير من المدافع الرشاشة والبنادق الكندية .. والقنابل من نوع فيات .. وبنادق الغاز الخانقة .. وأربع مصفحات ..

وكذلك قل عن الاسلحة التي نهبوها من القطار العسكرى بين مستعمرتي (الخضيرة) و (بنيامينا). يوم استولوا على عشرين طنا من الاسلحة .. بينها مقادير كبيرة من البنادق الاعتيادية والمدافع الرشاشة وقنابل الهاون والمورتر .

ودلت القرائن كلها على أن هذه الاسلحة التي زعم اليهود انهم استولوا عليها بالقوة ! ما كانوا ليستولوا عليها لولا انهم كانوا متواطئين مع الضباط المسؤولين من البريطانيين . يدلك على هذا ما قاله زعيم هذا الحزب .. مناحيم بيجن .. فى الصفحة ٣٥٠ من كتابه The Revolt ان الجنود البريطانيين الذين كانوا يقومون على حراسة القطار ، ساعدوا اليهود فى عمليتهم .. ! وانهم اشتركوا مع اليهود فى نقل الاسلحة والاعتدة التي كانت فى القطار الى السيارات التي أعدها اليهود للشحن ! ..

كيف ولماذا اتجهت افكارهم الى ((دير ياسين)) ؟

بعد ان تيسر لليهود هذا المقدار من السلاح رأوا ان يقوموا بعمل من شأنه ان يكسر معنويات العرب ، ويصحح الاعتقاد السائد انهم (اى العرب) هم

المنتصرون . عمل يفتح لهم .. في الوقت نفسه .. الطريق التي تربط الأحياء اليهودية في مدينة القدس بمدينتهم الكبرى (تل ابيب) . وكان لا بد من تأمين الاتصال مع تلك المدينة ، من اجل تحطيم الحصار الذى ضربه العرب حول القدس ..

فلم يجدوا أفضل من (دير ياسين) ..

صباح عبد الغني قحف فتى مقدسي في السادسة عشرة من عمره. ما كاد يسمع بما جرى في دير ياسين، حتى تمنطق ببندقيته وراح يتصيد اليهود المجرمين . وقد تمكن هو ورفاقه من نسف منزلين لليهود عند البوابة المعروفة ب (مندلبوم) وفيما كان يشعل الفتيل لنسف المنزل الثالث أصابته رصاصة يهودية أودت بحياته .



القرية العربية القائمة على طريق القدس ـ تل ابيب .. والتي يمكنهم الاستيلاء عليها والتغلب على سكانها بسهولة .

واعتزموا مهاجمتها وابادة سكانها . وتدميرها تدميرا كاملا .

اين هذا من العهد الذى قطعوه ؟

اعتزم اليهود محو (دير ياسين) رغم انه كان بينهم وبين سكان تلك القرية اتفاق سابق من النوع المعروف ب (اتفاق الجنتلمان) : ان لا يعتدى الواحد منهم على الآخر ، وان يتفق الفريقان مخلصين لحق الجوار . وكان هذا الاتفاق قد تم بينهما عندما اكفهر الجو واخذت سحب القتال تنذر بالهطول .

وكان اليهود هم البادئين . اذ جاء عدد من رجال مستعمرة (جيعات شاؤول) .. جاءوا الى (دير ياسين) . واقترحوا على مخاتيرها ان يجنح الفريقان الى السلم . قائلين : « مالنا ولغيرنا . تعالوا نتفق . فلا تعتدوا علينا . ولا نعتدى عليكم » .

هل كان في مقدور « دير ياسين » ان ترفض هذا الاتفاق ؟

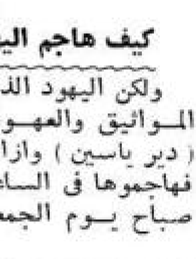
وما كان في مقدور دير ياسين ورجالها، الا ان يوافقوا على هذا الطلب . ذلك لأنها (اى دير ياسين) قرية صغيرة لا يزيد عدد سكانها على السبعمائة الا قليلا . وعلى وجه التحديد انهم عبارة عن ٧٧٥ نسمة . يجاورهم ما ينوف على مئة وخمسين الفا من اليهود : ٩٩٫٦٠٠ يهودي يعيشون في الأحياء القريبة لمدينة القدس . والباقون يقيمون في مستعمرتي (مونتفيورى) الجديدة و (بيت ؟) الكائنتين الى الشرق من دير ياسين ، ومستعمرة (جيعات شاؤول) الى الشمال ، ومستعمرتي (يافتنوف) و « بيت هاكيرم » الى الجنوب ، ومستعمرتي (موتزا) و (ارزا) الى الغرب .



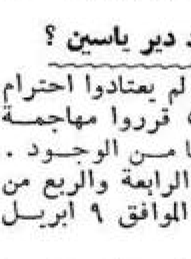
وقف الجنود البريطانيون عند (باب العمود) من أبواب بيت المقدس يبحثون عن السلاح خشية ان يستعمله العرب لأخذ الثار . تذكر ان حادث دير ياسين جرى قبل انسحاب الانجليز من البلاد . ولم يقم الانجليز بأى عمل لنجدة أبناء دير ياسين ، بينما كانوا يركضون لنجدة اليهود عندما كان العرب يهاجمون احدى المستعمرات اليهودية ..

كيف هاجم اليهود دير ياسين ؟

ولكن اليهود الذين لم يعتادوا احترام المواثيق والعهود ، قرروا مهاجمة (دير ياسين) وازالتها من الوجود . فهاجموها فى الساعة الرابعة والربع من صباح يوم الجمعة الموافق ٩ ابريل



السفاح الصهيوني مناحيم بيجن وضع الخطةلمهاجمةدير ياسين



دافيد شالتائيل ، نفذ الخطة وقاد الهجوم علىدير ياسين

(نيسان) ١٩٤٨ ، واشترك فى هذا الهجوم رجال من عصابة (الأرجون) وعلى راسهم (دافيد شالتائيل) و « مردخاى توفمان » و (يهوشاع غولد شميت) و (؟) . واما قائد القطاع فكان (رعنان) . واما زعيم الأرجون الاكبر فانه (مناحيم بيجن) . وكان مع رجال الأرجون عدد من عصابة شترن . وكان قادة الجيش النظامى المعروف بـ(الهاجانا) على علم بهذه الحملة ، وان كانوا قد تظاهروا بعكس ذلك . وادعوا انهم لم يكونوا على علم بما جرى لدير ياسين ! ..

قبل ان يبدا المشاة هجومهم حلقت فى الجو طائرة القت على القرية سبعا من قنابلها . وراحت مدافعهم المورتر Mortar تمهد لهم السبيل ، فراحوا يزحفون من الشمال والشرق والغرب فى خمس عشرة سيارة من السيارات

الكبيرة المصفحة .

وما كانوا فى حاجة لمثل هـذا العدد الكبير من المشاة والمدافع والمصفحات .. اذ لم يكن فى تلك القرية الصغيرة سوى ٨٥ مسلحا .. يحملون ستين بندقيـة مـن البنادق الاعتياديـة الخفيفـة .. ورشاشين من طراز برن .. واربعـة ستن .. ست من البنادق ايطاليـة .. وثلاث افرنسية .. وواحدة اميركية .. والخمسون الباقية بنادق انجليزية .. اكثرها شروه بأموالهم بعد أن باعوا حلي نسائهم .. وقد شروه بثمن باهظ .. وبعضها ارسلته اليهم الهيئة العربيـة العليا من مصر .

ولم يكن لديهم من الذخيرة والعتـاد ما يكفيهم لأكثر مـن سـاعة او بعض السـاعة . وقـد اسـتعانوا بالجيش البريطاني ورجال البوليس الذين كانوا قد سمعوا الخبر . ولكنهم لم يركضوا لنجدتهم . لا ، ولم يأت احد من رجـال الصليب الاحمر لتضميد جروح الجرحى من ابناء (دير ياسين) .

دافع سكان دير ياسين عن قريتهم دفـاع الأبطال

ومع ذلك فقد دافعوا عن قريتهـم دفاع المستميت . وقتلوا ما لا يقل عن مئة يهودى . اى بمقدار ما قتل منهم . وكانت الساعة تشير عندما وقف القتال الى الخامسـة من مساء ذلك اليوم ، اى ان حفنة مـن المناضلين لا يزيد عددهم على خمسـة وسـتين مقاتلا اسـتطاعوا ببنادقهم الاعتيادية ان يقاومـوا كتيبة كاملة من المهاجمين القادريـن المزودين بالمصفحات والرشاشات ومدافع المورتر .. هذا بالاضافة الى البنادق البريطانية التي اخذوها مـن معسـكرات الجيش البريطاني .. يوما ـثلاث عشرة ساعةـ وما كانوا ليسلموا بلدهم الى الاعداء الا بعد ان كانت قد نفدت آخر طلقة لديهم .

ويحدثك الذين نجوا من تلك المعركة وبقوا على قيد الحياة عن بطولة اخوان لهم سبقوهـم الى دار الخلود احاديث تدعو الى الفخر والاعجاب .

منها : ما فعله الشهيد المغفور له محمد الحاج عايش الذى ظل يقاتل اليهود الى ان قتل ... ولمـا قتل زغـردت امـه (حلوة زيدان) ، فنزل الى الميدان والده الشيخ الشهيد المغفور له الحاج عايش ، فقتل . ثم زغردت حلوة مرة أخـرى . ونزلت هي بنفسها الى الميدان . وظلت تقاتل الى ان استشهدت ..

ومنها : ما فعلتـه الشـهيـدة المغفور لها (جميلة احمد صـلاح) ورفيقتهـا المغفور لها (ديبة عطية) اللتان نزلتا الى الميدان . تحثان الرجال على القتـال . وتوزعان الذخيرة على المناضلين . وقـد خرتا صريعتين برصاص المجرمين .

ومنها : ما فعله المجاهد الشاب الذى تولى قيادة المناضلين (علي القاسم) .. فقد ظل هذا يقاتل اليهـود .. ويحث زملاءه على القتال .. ولم ينسحب من الميدان الا بعد ان نفدت ذخيرتـه .. وكان قد قتل عشرة من اليهود ..

وكذلك قـل عـن المجاهد الشـاب (فؤاد عبدالحميد سمور) الذى اخترق صفوف اليهود ، وتمكن مـن قذفهـم بقنبلتين كانتا معه ، فقتـل تسعة مـن مقاتليهم .

وان انس لا انسى ما قاله لي عدد من شيوخ القريـة بعد وقـف القتال عن (الحاجة زينب بنت احمد موسى) من نساء القرية التي بقيت صامدة ، تحث الشبان على القتال . ولم يكن بيدهـا اى سلاح . فاستخدمها اليهود فى نقل جثث موتاهم . وقد احصت تلك الجثث فقالت انها لا تقل عن ثمانين جثة ! ..

ماذا قال مناحيم بيجن عن أبطال دير ياسين

ولكن . لماذا نذهب الى بعيد فى وصف البطولة والصبر والشجاعة التي ابداها ابناء (دير ياسين) دفاعا عن بلدهم . وهناك الكتاب الذى سـبق أن ذكرناه ، ذلك الذى أصدره (مناحيم بيجن) بعد



حياة البلابسة قتلها اليهود وهي تضمد جراح المجروحين .. انها من خريجات دار المعلمات بالقدس ، وكانت قبل نشوب القتال تعلم في مدرسة القرية

وقت القتال وعنوانه : The Revolt ،
فقد قال هذا في الصفحة ١٦٣ من كتابه : « ان اليهود خسروا في معركة دير ياسين عددا كبيرا من مقاتيلهم . . بسبب مقاومة العرب .. وكانت نيراهم حامية وقاتلة ... » الى ان قال : « ان مقاومة العرب كانت شديدة الى حد انهم (اي اليهود) اضطروا لمحاربتهم من شارع الى شارع ومن دار الى دار .... » .

كيف اخطأ العرب في وصف هذا الحادث ؟

كم كنت اريد لو اعتبرنا ، نحن العرب، ان ما جرى في دير ياسين ، مفخرة من مفاخر عرب فلسطين ، اذ استطاعت قرية لا يزيد عدد سكانها على ٧٠٠ الا قليلا ، ان تقاوم مئة وخمسين الفا من اليهود يحيطون بها .. واستطاع ٦٥ مقاتلا من ابنائها ان يقاوموا كتيبة من المهاجمين الذين هاجموهم على حين غرة.

وقتل هؤلاء المناضلون ، رغم قلة عددهم ، وعدم تكافؤ اسلحتهم ، عددا لا يقل عن العدد الذي قتل منهم ..

اضف الى ذلك أن الأمة التي تبغي الحياة ، يجب أن تكون على استعداد للتضحية والصمود، وان لايفت في عضدها مئة .. وان شئت فقل مئات من الشهداء يخرون في ساحة الشرف ..

بيد اننا ، لم نتنبه ـ ويا للاسف ـ لهذه الحقائق .. فقد ملأنا الدنيا صراخا وعويلا .. ورحنا نصف الفظائع اليهودية بأسلوب اقشعرت له الأبدان .. وزاد الطين بلة بيانات الزعماء والرجال المسئولين .. والمقالات التي نشرت في الصحف .. واصفة حادث دير ياسين بانه (مجزرة بشرية) لم يسبق لها مثيل ! .

لست أشك قط أن الزعماء الذين ولولوا أكثر من اللازم، كانوا يرمون ـ من وراء بياناتهم وخطبهم ومقالاتهم ـ الى هدف شريف . هو اثارة الراى العام العربي والاسلامي الى ما يقترفه الصهيونيون من فظائع واعمال همجية .. وتوجيه انظار هذين العالمين الى الخطب الذي الم بسكان هذه البلاد والذي سيلم عما قريب بابناء الأقطار الشقيقة المجاورة ، اذا لم يهبوا لنجدة فلسطين !

ولكن . الريح هبت في اتجاه معاكس. وعمل الطابور الخامس عمله . فراح ينشر بين افراد الطبقة الساذجة ارقاما مبالغا فيها ، عن قوة اليهود الحربية وأسلحتهم ومقدرتهم على القتال ! ... الأمر الذي كان له أسوأ الاثر في صفوف العرب !

عدد الشهداء في دير ياسين

ومن الارقام التي بولغ في تردادها : ان عدد القتلى من ابناء دير ياسين يعدون بالمئتين .. مع ان هذا العدد لا يزيد ـ كما سبق وقلت ـ على مئة وعشرة شهداء . وهذا ما قاله لي شيوخ القرية. في صبيحة اليوم التالي لخروجهم منها . وقد سجلت اسماءهم واسماء الشهداء الآخرين الذين لاقوا ربهم في ميادين الشرف والجهاد في القطاعات الأخرى .. في كتاب اسميته : (سجل الخلود) .

ولله في خلقه شؤون . ■■

عارف العارف

نظارات جديدة

عدسات تلبس في العين

بدل التي تحمل فوق العين !

■ سُنّة الانسان فيما يبتدع دائما واحدة :

يبتدع النافع أولا .

وهو فى ذلك لا يبالي اى شكل يتخذ .

ثم هو يبدأ فى تهذيبه، فيصغر حجمه، أو يخفف من ثقله ، ثم هو يتناول خطوطه فيحسن من منظره ومظهره ليكون جميلا، أو على الأقل مقبولا .

وعلى هذه السنة هو جرى فى علاج بصره ، من بصر قصير ، ومن بصر طويل، بالنظارات .



نظارات ذات اطارات وزنبركات



بدأ بالنظارات ، عدسات ضخمة ، فى اطارات ضخمة ، تحملها جميعا أذناه .

ثم هو اخذ يرقق من عدساته، ويخفف من ثقل اطاراته . حتى كان منه أن جعل العدسات لا تحملها اطارات ، ولكنها حملتها على الأنف زنبركات .

وللنساء



وللنساء .... ؟

هال النساء أولا ، فى تصحيح ابصارهن ، أن يحملن هذه النوافذ الزجاجية على وجوههن . فصنع لهن الصانعون نظارات لها يد تُحمَل منها .

وتمسك السيدة الفاتنة بيد نظارتها فترفعها الى عينيها عند الحاجة لتنظر وترى ما لم تكن ترى .

ولكن ماذا تصنع المرأة عند العمل ؟ ان يدها تكون مشغولة . نظارة اليد هذه تجوز فى حفلة . ولكن لا تنفع فى مكتب أو مطبخ .

فحمل النساء نظارات الرجال غصبا . انها الضرورة . وعمل الصانعون على ترقيق عدسها ، وتخفيف وزنها ،وتلوين اطارها ، فمن احمر الى أصفر ،وتشكيلها وفقا لوجه حواء حتى صار هذا التشكيل فنا ، قصِد به ، لا اخفاء الوجه الجميل

فضلا عن بعدها كل البعد عن ان تكون زواقا ، هي انما تعلن ان فى عين صاحبها نقصا ، وفى بصره عجزا ، والعجز دائما له عند الناس الستر .

عدسات لا حامل لها ، الا العين

ويتفتق ذهن الانسان اخيرا عن نظارات ليس لها اطارات تحملها ، ولا حوامل من اى نوع قط .

نظارات تلبس فى العين .

لا نظارات تحمل فوق العين .

عدسات من زجاج ، نعم ، وهي تهيأ وفقا للعين ، نعم . ولكنها رقيقة من حيث السمك ، صغيرة من حيث القطر ، فقطرها يبلغ اكثر من سنتيمتر قليلا . انه يتراوح بين ٥ر١٠ملم ، وبين ١٢ملم . وهي خفيفة من حيث الوزن ، فوزنها يتراوح بين ١٠ر٠ و ١٥ر٠ من الجرام الواحد .

ويرفع الرجل جفنه بيده ، ويزلق بيده الاخرى هذه العدسة داخل عينه . وينزل جفنه عليها ، وقد التصقت هي بكرة العين فصارت كأنها بعضها .

انها تلتحم فى اوسطها بقرنية العين ، يلحمها بها ما يجرى فى العين من دمع لا يفتأ يجرى . وبما ان العدسة اكبر قطرا من القرنية ، فأطرافها تصل الى بياض العين المحيط بسوادها ، فتغطي بعضه ، وبه كذلك تلتحم ، وعليه تعتمد .

وبالعين الاخرى عدسة كهذه اخرى ، توافقها .

ومن اجل هذا اسموها بالعدسات القرنية Corneal Lenses .

وتنظر العين الى الاشياء فى وضح النهار او فى ضياء الليل . وتأتي الاشعة من الشيء المنظور فتدخل اول ما تدخل الى هذه العدسة ، العدسة القرنية ، وتنفذ منها تماما كما كانت تنفذ من عدسات النظارات ذات الاطارات ، لقصير النظر او لبعيده ، وتخترق القرنية ، فعدسة العين التى خلقها الله طبعا ،



رفعت الفتاة جفن عينها اليسرى باصبع يدها اليمنى ، وحملت العدسة القرنية بيدها اليسرى ، وتهيأت لوضعها فى العين ، واسدال الجفن عليها .

باخفاء مفاتنه ، ولكن باظهاره فى احسن مظهر ، واكثره جلوة .

الاطارات معوقة فى بعض مواقف العيش

ولم يكف هذا حتى الرجال .

فماذا يصنع الرجل فى سباق ، وهو يحمل اطارا ذا عدسات ؟ .

وماذا يعمل بعض الصناع فى المصانع ، والبخار يخرج فيغبش ما يقوم على عيونهم من عدسات . ؟ !

والممثل ، والممثلة ، قصيرة النظر او قصيره ، هل يظهران دائما وعلى وجهيهما تلك الاضافة الزجاجية البغيضة ، التى ،

وترتمي على الشبكية ، وبذلك يتم ادراك الصور .

وتمر بك الفتاة فتنظر وجهها فتراه كما أراده الله،لا نوافذ عليه ولا شبابيك. وترى الفتى كذلك ، ينظر اليك وتنظر ، فتحس بوجوده يقينا ، لا كما كان يفعل وهو يخاطبك من وراء نظارة فكأنما كان يخاطبك من وراء ستار . ومن الناس من يداوم على حمل هذا الستار فوق وجهه ، فاذا نزعه ، وظهر وجهه عاريا ، كدت تنكره .

عدسات لها صناع مهرة

ولكن لا بد ، فى امر هذه العدسات القرنية ، من التوفيق بينها وبين العين التي تمسها . انها اولا تصاغ بحيث تصلح للبصر القصير او البصر الطويل او غير ذلك من اسواء الابصار . ثم هي تصاغ بحيث تلتئم وقرنية العين ، سطحا بسطح . من اجل هذا كان صناع هذه العدسات غاية فى الدقة .

ان العين شديدة الحساسية ، تحس بحبة التراب تدخلها ، وبالشعرة من رمش العين تلصق بداخلها ، فكيف بجسم آخر غريب ، كالعدسة القرنية ؟

لا بد اذن من انسجام تام بينها وبين العين ، يعين عليه ما لا بد واقع بينهما من سائل هو من الدمع . طبقة رقيقة منه تزيدهما التصاقا .

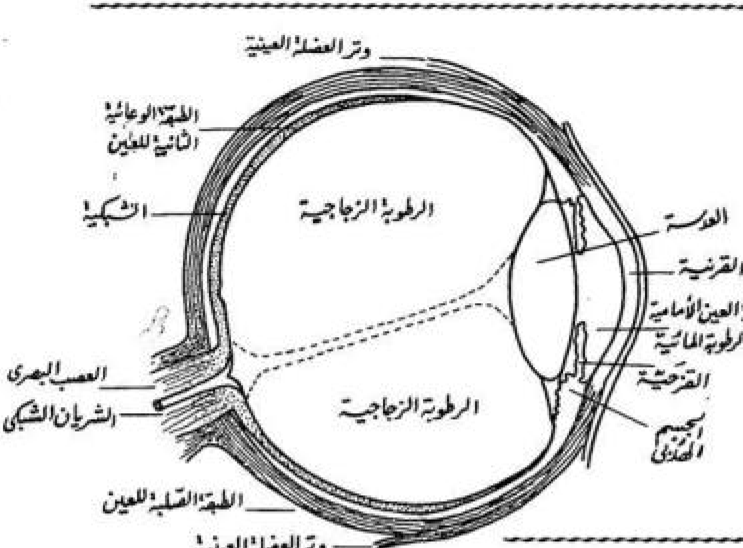
وبسبب تلك الدقة فى الصنع غلا ثمن هذه العدسات . فثمن الزوج منها قد يصل الى ثلاثين جنيها استرلينيا او فوق ذلك .

حاجة الانسان الى التدرب على العدسات القرنية

ومع هذا فلا بد لمن يريد ان يتحول من النظارات ذات الاطارات الى النظارات القرنية (العدسات القرنية) ، من ان يقضي فى تجربتها زمنا ، يقصر او يطول ، ليأتلف مع هذا الاسلوب الجديد فى الابصار .

وقد دل الاحصاء على ان نحو ٢٥ فى المائة ممن حاولوا هذا الاسلوب الجديد ما لبثوا ان تعودوه سريعا ، ومن غير ضيق . وحملوا العدسات طول يومهم .

ولكن عشرة فى المائة من هؤلاء ضاقوا بهذه العدسات ضيقا ادى الى اهتياج اعصاب ، حملهم ، وحمل الاطباء على ان ينصحوهم بالاقلاع عنها .



الى اليسار : مقطع رأسي للعين من الامام الى الخلف ، وفيه تبدو مختلف اجزاء العين ..



صورة فتاة بالنظارة ذات الاطار



وصورة لها بالعدستين القرنيتين والفرق واضح

اما الخمسة والستون فى المائة الباقون ، فمنهم من استطاع حمل العدسات ساعة ، ومنهم من استطاع ساعتين وثلاثا . وكلما حملوها وتعودوها زادت ساعات حملهم (او حملهن) اياها.

ودل الاحصاء كذلك على ان اقرب الناس الى تجربة هذا الاسلوب الجديد فى الابصار اولئك الذين وقعت اعمارهم بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين .

عدسات ليست للتجميل وحده

وهذه العدسات القرنية ليست للتجميل وحده ، وخاصة للنساء . فهناك امراض فى العين تكون هذه الوسيلة اوفق لها وانجح . مثال ذلك مرض تقمع القرنية ، وقصر النظر البالغ .

ثم لاننسى ان هذه العدسات القرنية اوفق ، من حيث الابصار ، ومع الابصار السلامة ، من العدسات ذوات الاطارات ، ذلك ان الاطار نفسه يحجب القسم الجانبي من مجال النظر وهو يبلغ نحو ثلث هذا المجال مساحة . ويفوت صاحبَ الاطار ان يرى ما الى جانبه فتقع الحوادث .

رواج العدسات القرنية

وتسأل كم راجت هذه العدسات القرنية بين الناس .

والاحصاءات التي عندى الآن تشير الى انه يوجد بفرنسا الآن نحو ٣٠ الفا يحملونها مكان العدسات ذات الاطارات. وبالولايات المتحدة نحو ٥٠٠ الف لهذه العدسات حامل .

وكم كنت اود ان اعلم كم من الناس تحمل النظارات ، كائنة ما كانت . ولكن هذا الاحصاء ليس حاضرا لدى الآن . ■■

مسابقة العربي

٨ أرجل + ٨ رؤوس وجوائز ١٠٠ دينار

■ هذه مسابقة سهلة لا تتطلب ممن يشترك فيها أكثر من أن يمعن النظر فى هذا الرسم ويستجمع ذاكرته ليطابق بين ما فيه من أرجل الحيوانات والطيور التى يراها فى الصفين الاول والثانى ، وبين رؤوسها التى يراها فى الصفين الثالث والرابع ، ليعرف اى هذه الارجل يوافق كل رأس من تلك الرؤوس ، ثم يذكر فى اجابته ان الرجل رقم ١ مثلا هى رجل الحيوان ذى الرأس حرف أ أو ب ، وهكذا.





شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٦٠ . اكتب عليه اسمك بخط واضح . واكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربي ، العدد ٧٧ » . آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو ٧ مايو (أيار) ١٩٦٥

● يمنح الفائز ١٠٠ دينار توزع كالآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ ديناراً

الجائزة الثانية: ٢٠ ديناراً

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ ديناراً ، كل منها ٥ دنانير . . .

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■



الشريعة الإسلامية مصدر أساسي للقانون

المؤتمر الدولى للقانون المقارن فى باريس يقرر اعتبارها مصدرا من أهم مصادر التشريع العام ، وأنها شريعة حية ، صالحة للتطور قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرهـــا .

بقلم : الدكتور عثمان خليل عثمان

■ كنت قد وعدت منذ حين مجلة « العربى » القراء بكلمة عن الشريعة الاسلامية كمصدر للقانون، وذلك فى ضوء ما نص عليه الدستور الكويتى من أن « دين الدولة الاسلام ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسي للتشريع » . ويسعدني أن أستجيب الآن لاستنجاز المجلة هذا الوعد ، فى فترة نستمتع فيها بما خلفه شهر الصوم المبارك من روحانية باقية، ونستقبل موسم الحج المبرور بروحانيته الآتية.

واني وانا اطرق هذا الموضوع اجد ذاكرتي تشد شدا الى تلك المناقشات الهادفة التى جرت فى المجلس التاسيسي الكويتي ، وفى لجنتــه الدستورية ، خلال المراحل التحضيــرية للنص السالف الذكر . فلقد حظى هذا الموضوع فى كلتا الهيئتين بعناية بالغة ، أن لم أقل نادرة بالنسبة الى سائر الموضوعات التى احتدم النقاش حولها .

وقد استقطب اتجاه قوى ـ فى اللجنة اولا ، وفى المجلس التاسيسي ثانيا ـ عديد المعاني والحجج والمشاعر التى تهدف الى حسم الموضوع جذريا بنص دستورى فاصل ، لا يقف عند حد جعل الشريعة الاسلامية أحد مصادر متعددة للتشريع الكويتي ، أو « مصدرا رئيسيا » مع مصــادر اخرى تزاحمه على ذات المستوى أو تكاد ، وانما

يصل الى حد جعل تلك الشريعة الغراء « المصدر الرئيسي » للتشريع ، فلا ينازعها هذه الصفة مصدر آخر ، ولا يزاحمها هذه الصدارة غيرها من الشرائع أو المصادر ، ومقتضى ذلك اعتبار اى معين آخر للقانون مصدرا « غير رئيسي » . وبدهى أن الرجوع الى المصادر « غير الرئيسية » لا يكون الا عند ما يُفتقد الحكم فى المصدر « الرئيسي » ، وهذا قلما يكون ، ونادراً ما يتحقق ، بل لعله لا يكون ولا يتحقق الا لدى القائلين باقفال باب الاجتهاد ، وهو قول – كما لا يخفى – جد مرجوح. وبذلك يكون مؤدى هذا الاتجاه – لو تحقق – تعذر الأخذ عن اى مصدر آخر غير الشريعة الاسلامية ، من الناحية العملية ، ما لم يدخل الامر المأخوذ او المستحدث نطاق هذه الشريعة من باب الاجتهاد المفتوح وباعتباره حكما من أحكامها ، كما يتعذر ، نظريا وعمليا ، الأخذ باى حكم جديد لا يتسع له باب الاجتهاد ، بأن يكون محرما فى الاسلام كعقيدة أو كشريعة .

ولعله لا يخفى أن هذا الاتجاه وان احتمل خلافا من حيث امكان او ملاءمة تطبيقه فى مجتمع معين فى زمن معين ، فانه لا خلاف على أنه أكبر رعاية لاحكام الشرع الاسلامي ، وأكثر تجاوبا مع اعتبار « الاسلام » دين الدولة الرسمي . ولذلك كانت فاتحة مناقشة المجلس التأسيسي الكويتي لمواد الدستور يوم ١٩٦٢/٩/١١ متعلقة بهذا الامر ، ومتضمنة اقتراحا يقول : « بما أن دولة الكويت دولة اسلامية ، ولا يوجد فيها غير الاسلام ، أرجو أن توضع عبارة « المصدر الرئيسي للتشريع » عوضا عن عبارة « مصدر رئيسي للتشريع » . كما قيل : « اذا أردنا أن نتمسك بالمثل العليا فعلينا أن نقتدى بهذه المادة قولا وعملا . فان ذلك معناه تحقيق العدالة الاجتماعية،وتحرير الفرد ، وضمان الحريات ، على الطريقة التى أرادها الله لعباده ، ويعتبر ذلك تمسكا بديننا ، وامتدادا لدعوة نبينا الرسول الأعظم ، وتوكيدا لايماننا بالله وتعاليمه لنا فى الارض ، وان ذلك غاية لنا ، وغاية كل مسلم . وان ما نقره نحن فى مجلسنا الموقر من تشريعات ، نقره على هدى ما أفاض الله به على رسوله ... »

ولقد قيل كذلك فى توكيد هذا الاتجاه الاول خلال مناقشات المجلس التأسيسى : « لا بد أن نسير على الدين الاسلامي ، فالقانون يفسر ويتغير، لكن الشريعة الاسلامية ثابتة ، ولذا أرى أن نلتزم بالشريعة وأن نقطع يد السارق » .

لم يشأ المجلس التأسيسي الكويتي – على الرغم منمشاركته تلك المشاعر والمعانيالاسلامية – أن يعمد الى الطفرة فى هذا المضمار بنص دستورى لا تردد ولا رجعة معه ان صدر ، بل ولا يجوز النظر فى تعديله الا بعد خمس سنوات على الاقل من بدء العمل بالدستور (وفقا للمادة ١٧٤ منه التي تقول : لا يجوز اقتراح تعديل هذا الدستور قبل مضي خمس سنوات على العمل به) .

آثر المجلس قصر النص على لفظى « مصدر رئيسي » دون أن يضيف اليهما اداة التعريف ، دفعا للتخصيص والتضييق السابق ذكرهما ، وقيلفى تبرير ذلك بالجلسة المنوه بها فيما سبق : « ان الشريعة الاسلامية ذاتها قد تركت باباً مفتوحا للأخذ بالجديد المستحسن فى أمور الدنيا . ونظم الدولة فى الوقت الحاضر مأخوذ بعضها من الواقع الحديث ، والبعض الآخر من الشريعة . ومع أننا نريد أن نجعل التزامنا أكثر ما يكون بالشريعة الاسلامية ، ... توجد معها مصادر رئيسية أخرى منسجمة مع الواقع الحديث وضروراته ... والا فماذا يكون مصير البنوك والشركات والتعامل التجارى والتأمين وقوانين العقوبات .. كل ذلك غير مشرّع فى الشريعة الاسلامية، بل وقد لا تقره »

وفى توكيد هذا الاتجاه الثاني – الذى آثره المجلس التأسيسي وضمنه الدستور – جاءت كذلك خلال مناقشات المجلس الحجج التالية بعباراتها : « ... لوقلنا .. « المصدر الرئيسى » لابنا أن البنوك والشركات يجب أن تغلق ، ولا يوجد كويتي يقول ذلك ، اذ أن تسعين فى المائة من الكويتيين يتاجرون ويتعاملون مع البنوك والشركات ، بل ان رأس المال الذى لديهم انما يأتيهم فى معاملاتهم من البنوك بفائدة خمسة أو سبعة فى المائة مثلا ، وهذا محرم فى الدينالاسلامي، لذلك فانني أريد أن يكون البحث فى هذه المادة على مستوى تفهم أكثر للواقع وضروراته » .

وقيل كذلك فى توكيد ذات الاتجاه : « ... اذا أخذتم بالشريعة الاسلامية بصفة مطلقة فما هو مصير نظام الحكم الوراثي الذى لا تعرفه الشريعة الاسلامية ، لأن الشريعة تقول بالشورى وليس بالوراثة » .

على ان المجلسالتأسيسي وقد أخذ بهذا الاتجاه الثاني وآثر مرونة النص الدستورى وراعى

ضرورات الواقع وسنة التطور ، لم يفته أن يفتح الباب على مصراعيه امام مجلس الامة ليأخذ بأى قدر يشاء من حكم الشريعة . كما حرص على أن يسجل ذلك بنص صريح فى المذكرة التفسيرية للدستور ، فقد جاء فيها بهذا الخصوص ما يلي :

« لم تقف هذه المادة (الثانية من الدستور) عند حد النص على أن « دين الدولة الاسلام » ، بل نصت كذلك على أن الشريعة الاسلامية ـ بمعنى الفقه الاسلامي ـ مصدر رئيسى للتشريع ، وفى وضع النص بهذه الصيغة توجيه للمشرع وجهة اسلامية أساسية دون منعه من استحداث أحكام من مصادر أخرى فى أمور لم يضع الفقه الاسلامي حكما لها ، أو يكون من المستحسن تطوير الاحكام فى شأنها تمشيا مع ضرورات التطور الطبيعي على مر الزمن ، بل ان فى النص ما يسمح مثلا بالأخذ بالقوانين الجزائية الحديثة مع وجود الحدود فى الشريعة الاسلامية ، وكل ذلك ما كان ليستقيم لو قيل «والشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع»؛ اذ مقتضى هذا النص عدم جواز الأخذ عن مصدر آخر فى أى أمر واجهته الشريعة بحكم ، مما قد يوقع المشرع فى حرج بالغ اذا ما حملته الضرورات العملية على التمهل فى التزام رأى الفقه الشرعي فى بعض الأمور ، وبخاصة فى مثل نظم الشركات ، والتأمين ، والبنوك ، والقروض ، والحدود ، وما اليها » .

ثم اضافت المذكرة التفسيرية قولها : « كما يلاحظ بهذا الخصوص أن النص الوارد بالدستور ، انما يحمّل المشرع أمانة الاخذ بأحكام الشريعة الاسلامية ما وسعه ذلك ، ويدعوه الى هذا النهج دعوة صريحة واضحة ، ومن لم لا يمنع النص المذكور من الأخذ ، عاجلا أو آجلا ، بالأحكام الشرعية كاملة وفى كل الأمور ، اذا رأى المشرع ذلك » .

على هذا النحو يمكن اجمال الوضع فى الكويت بخصوص « الشريعة الاسلامية كمصدر للتشريع » فى أن الدستور قد جعل من ذلك هدفا ، وحث السلطة التشريعية على العمل جاهدة له ، ولكنه وضع هذه الامانة على عاتق هذه السلطة التشريعية المتمثلة اساسا فى مجلس الامة ، وهذا المجلس أو تلك السلطة مدعوان لحمل هذه الامانة والاستجابة لذلك النداء الدستوري الصريح ، جهد الطاقة .

★ ★ ★

ولعل أبرز استجابة تشريعية حدثت ـ منذ بدء العهد الدستوري بالكويت ـ لهذا الاتجاه الاسلامي ، وضع القانون الخاص بتحريم الخمور ، أيا كان الرأى فى ملاءمته بالصورة التى صدر بها من حيث الظروف الاجتماعية أو الاعتبارات الأخرى غير الدينية . وحسبنا لابراز الدافع الديني لوضع هذا القانون أن نذكر بعض ما جاء من أقوال عند اقتراحه وخلال مناقشته فى مجلس الأمة ، فقد كان الاقتراح الذى تقدم به الى المجلس خمسة من اعضائه فى هذا الشأن يقول : « نظرا لأن الخمر آفة اجتماعية خطيرة بالاضافة الى كونها محرمة بنص القرآن الكريم ... » .

وفى مناقشات المجلس بذات الخصوص استند البعض فى تبرير التشدد فى منع الخمور الى « ما لنا من اصالة عربية وتقاليد كريمة ودين يرفض مثل هذه الأشياء ويحرمها .... » وأبانوا أن هذا التحريم أخلق ببلد اسلامي قائلين : « هناك دول غير عربية وغير اسلامية حرمت الخمر بينما تبيح أديانها تداولها ... فما بالنا نحن فى الكويت البلد العربي الاسلامي ... !!! » .

★ ★ ★

وفيما وراء المثل البارز السالف الذكر ظهرت خلال أعمال مجلس الامة ، وبين الحين والآخر ، محاولات لالتزام حكم الاسلام فى مناسبات متفرقة ، كالمناداة بتحريم الربا ، أو تخليص بعض المشروعات أو القروض من الفوائد الربوية ، الى جانب محاولات أخرى لمراعاة تعاليم الدين فى شئون الاعلام (من اذاعة وتلفاز وصحافة) وفى شأن الحفلات العامة وما اليها . وكان ذلك بصفة خاصة عند نظر مشروعات القوانين المتعلقة بالميزانيات او بالاعتمادات الاضافية أو عند مناقشة الخطابات الأميرية والبيانات الحكومية . هذا هو موقف الكويت من الموضوع نصا وتطبيقا .

★ ★ ★

ولما كان من الواجب الاعتراف بالفضل لذويه فانه يلزم التنويه بأن هذا النص الذى جاء بالدستور الكويتي سنة ١٩٦٢ لم يكن ابتداعا لا سابقة قبله ، بل كان اقتباسا من حكم سبقت اليه سوريا ، حيث جاء فى المادة الثالثة من دستورها الصادر سنة ١٩٥٠ (الذى الغى سنة ١٩٥٢ ثم أعيد العمل به فيما بعد) النص التالي : « ... الفقه الاسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع » . ولكن هذه الصياغة قد عدلها الدستور السورى

التالي سنة ١٩٥٣ قائلا : في مادته الثالثة : « ... الفقه الاسلامي هو مصدر رئيسي للتشريع ».

★ ★ ★

كذلك نذكر من قبيل الاعتراف بالفضل ، أن المؤتمر الدولي الثاني للقانون المقارن الذى عقد بباريس سنة ١٩٣٧ ، ومثل الازهر فيه المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت (شيخ الازهر فيما بعد)، قد قرر ـ فيما أصدره من قرارات ـ : « اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من أهم مصادر التشريع العام » و « اعتبار الشريعة الاسلامية شريعة حية صالحة للتطور » و « اعتبارها قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها » .

وعلى اساس هذه القرارات تضاعفت العناية الدولية بدراسات الشريعة السمحاء ، وبخاصة في المؤتمرات الدولية التى تعاقبت بعد ذلك في نطاق القانون المقارن ، وكان ذلك من أهم العوامل التى حفزت بعض المفكرين ورجال الدولة في العالم العربي على التضافر لاصدار « موسوعة للفقه الاسلامي » ، تجمع أحكامه في ثوب قشيب بأسلوب حديث ييسر لهذا الفقه الادلاء بدلوه في تطوير الفكر القانوني والتشريع المقارن في العالم كله .

كذلك يبدو ان هذا الاتجاه لبعث الحياة في كنوز هذا الفقه الاسلامي ـ التى لا يزال الكثير منها غير متداول او غير معروف ـ كان تحت نظر من فكروا في الاصلاح الجديد الذى أدخل على نظام الأزهر وجعل منه جامعة حديثة تعنى أو تضاعف عنايتها بتزويد الازهرى باللغات الأجنبية وبقسط كبير من علوم العصر الحديث وثقافته .

★ ★ ★

واخيرا ـ وليس آخرا ـ يجب أن نسجل للقانون المدني المصرى الحالي (الذى استحدث سنة ١٩٤٩) ما استحدثه من النص صراحة على « مبادىء الشريعة الاسلامية» كمصدر رسمي احتياطي لقواعد القانون ، فقد قرر أنه : « اذا لم يوجد نص تشريعي يمكن تطبيقه ، حكم القاضي بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد ، فبمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية » (المادة ١ فقرة ٢) .

وبهذا النص لم تعد مبادىء الشريعة مجرد مصدر غير رسمي (كالفقه والقضاء) كما كان مقترحا اول الامر في مشروع القانون المذكور .

ولعله لا يخفى ان هذا النص المدني انما يخاطب القاضي ـ لا المشرع ـ ويجعل من « مبادىء الشريعة الاسلامية »مصدراً « للقانون » أى للقواعد القانونية ، وهذا يختلف عن مخاطبة « المشرع » في مثل النصوص الدستورية السابق ذكرها . ومن قبيل ذلك المنحى الذى انتحاه القانون المدني المصرى « أى مخاطبة القاضي » ما نصت عليه المادة الثامنة عشرة من الدستور الكويتي حيث تقول : « .... الميراث حق تحكمه الشريعة الاسلامية ». ومن قبيل ذلك أيضا كل الامور التى نصت قوانين البلاد العربية أو جرت تقاليدها على ان تطبق في شأنها مباشرة ـ كمصدر رسمى أصلى ـ أحكام الشريعة الاسلامية أو أحكام مذهب بالذات منها ، كما هو الحال بالنسبة للأمور المتعلقة بالاحوال الشخصية من زواج وطلاق وما اليهما .

★ ★ ★

ويجب أن نذكر بالاعجاب كذلك الطابع الاسلامي الواضح في دستور باكستان (الصادر سنة ١٩٦٢)، ونخص بالذكر منه النص على أنه لا يجوز لأى تشريع أن يخالف الاسلام ، وأنه يجب تمكين مسلمى باكستان ـ أفراداً وجماعات ـ من تنظيم حياتهم وفقا لمبادىء الاسلام الأصولية وأفكاره الأساسية ، وأن يزوّدوا بالتسهيلات التى تمكنهم من تفهم الحياة وفقا لهذه الأفكار والمبادىء . كذلك نص الدستور المذكور على جعل تعليم القرآن الكريم والاسلاميات الزاميا لمسلمى باكستان ، وازكاء اعتصامهم بالوحدة ، وتمسكهم بالخلق الاسلامي . كما نص على انشاء معهد للبحوث الاسلامية ، ومجلس استشارى للمثالية الاسلامية (ايديولوجية الاسلام) وجعل من اختصاص هذا المجلس تقديم التوصية للحكومة المركزية والحكومات المحلية ، فيما يتعلق بالوسائل الكفيلة بتحقيق ما نص عليه الدستور من اشاعة الحياة الاسلامية كما سبق القول ، وابداء الرأى كذلك للهيئات النيابية ولرئيس الدولة وحكام المقاطعات اذا ما طلب اليه الافتاء بصدد مشروع من مشروعات القوانين ، وذلك من حيث تجاهله ، أو مخالفته ، أو عدم اتفاقه بصورة من الصور ، مع مبادىء الاسلام وأفكاره .

★ ★ ★

اما علو كعب الشريعة الاسلامية كمصدر للتشريع وللقواعد القانونية فأمر ردده ويردده رجال الفكر والقانون ، في العالم العربي وخارجه ، من مسلمين وغير مسلمين . ونجتزىء من أقوالهم في هذا المعنى بعض العبارات الموجزة فيما يلي :

جاء في المذكرة الايضاحية للقانون المدني المصرى

السالف الذكر قولها : « أما التنويه بمبادىء الشريعة الاسلامية فهو تجديد قصد به قضاء حق هذه الشريعة ، لا بوصفها مصدراً تاريخيا لشق من قواعد المشروع فحسب ، بل بوصفها مثلا فريدا من مثل الصياغة الفنية الرفيعة . واذا كانت الشريعة الاسلامية قد ظهرت بمكانة بارزة فى فقه القانون المقارن،وسبقت أرقى التقنينات الحديثة الى الكشف عن نظرية التعسف فى استعمال الحــق وغيرها من النظريات الخلقية النزعة ، فما أحراها أن تكون مصدرا يستلهمه القضاء المصرى ، ولا سيما أن أكثر أحكام المشروع يمكن تخريجه على أحكام الشريعة فى مذاهبها المختلفة دون عناء » .

كذلك نذكر عن بعض أساتذة القانون قولهم : « غدت الشريعة الاسلامية نظاما قانونيا كاملا يعدل أرقى الشرائع ، بل ان بعض نظمها يفضل ما يقابله من نظم فى أحدث الشرائع العصرية » .

★ ★ ★

على انه من الأهمية بمكان التنبيه الى أننا عندما ننادى ونعمل بكل ما يعمر قلوبنا من ايمان بالدين الحنيف واعجاب وفخار بشريعته الغراء ، للرجوع بمشرعنا وبقاضينا ، بل وبخاصة قومنا وعامتهم، الى أحكام تلك الشريعة ، لانفهم هذه الشريعة على انها قديم لا يتطور ، أو ضوابط لاتلين تبعا لمنطق العصر وضروراته ، وانما نرجع اليها بسر الخلود الكامن فيها ، وهو مرونتها فى شئون « الشريعة » وان كانت العقائد فى جوهرها حقائق ثابتة كدين ، ففيما وراء ذلك تحمل مرونة الشريعة مقومات هذا الخلود . وفى ذلك يقول أحد عمداء الفقه القانوني العربى : « توهم البعض أن أحكام الشريعة الاسلامية ثابتة وغير متغيرة ، وأنها بذلك تتناق مع التمدن الحديث وتقــدم الأمم ، ولكن هــذا التوهم غير صحيح . فأحكام الشريعة تصلح لكل زمــان وكـل مكـان . وذلك (أ) لأن الخليفة (أو الوالي) له أن يضع أحكاما بشروط خاصة تتعلق بما تتطلبه المصلحة العامة بخصوص الحوادث الجديدة ، وما يصدره من الأحكام يكون مشروعا وواجبا العمل به شرعا ما دام صادرا وفقا للاصول العامة الشرعية . (ب) ــ لانه توجد أنظمة شرعية كثيرة لا تختلف فى شيء عن الأنظمة الوضعية فى سائر الأمم (كحرمة المنازل مثلا) . (ج) ــ (لأن الشريعة الاسلامية لم تكن قواعد دينية فحسب ، بل انها أيضا مجموع أحكام اجتماعية صحيحة ، فهي تحوى كل المعاملات والعقود ، وأحكام الأحوال الشخصية كالزواج والمواريث والوصية ، وأحكام حق الملكية والحقوق الاخرى كحقوق الارتفاق والانتفاع الخ .. وكذلك تشمل أحكام المرافعات والاجراءات والأنظمة القضائية وطرق الاثبات والأحكام وطرق الطعن فيها . كما تشمل أحكام العقوبات ، وبعبارة أخرى تشمل أحكام الشريعة كل الأنظمة التى تشملها القوانين الوضعية فى البلاد الأخرى ، مع وجود فارق كبير يجب الاعتراف به ، وهو أن القوانين الجارى العمل بها الآن فى البلاد (الحديثة النظم) مجمعة ومرتبة ، خلافا للاحكام الشرعية ، فانهـــا مبعثرة فى كتب متعددة وغير مرتبة بطريقة يسهل بها تناول الحكم الشرعى وسرعة الوصول اليه » .

وذلك باستثناء بعض ما وضع من مؤلفات حديثة نسبيا فى الاحكام الشرعية مثل كتاب الاحكــام الشرعية فى الأحوال الشخصية على مذهب الامام أبى حنيفة النعمان ، وكتاب مرشد الحيران الى معرفة احوال الانسان ــ فى المعاملات الشرعية على المذهب المذكور ــ وكتاب قانون العدل والانصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف ، ومجلة الأحكام العدلية التى اقرها سلطان تركيا للعمل بها فى البلاد العثمانية . كذلك يجب أن نذكر فى هــذا المضمار جهود بعض الحكومات لتقنين بعض الأحكام الشرعية ، وجهــود فقهــاء الشريعة فى الأزهــر والجامعات العربية ، وأضرابهم فى مختلف البلاد العربية مما نستطيع معه القول بأن الشــريعة السمحاء تجتاز فى هذه الحقبة مرحلة بعث وتجديد سيكون أثرهما بالغا فى مستقبل القانون والنظــم القانونية فى العالم الاسلامى بأسره ، والعــالم العربى منه على وجه خاص .

★ ★ ★

اذا كان ذلك كذلك ، وكانت شريعتنا السمحاء مفتوحة الباب لمواجهة العصر مهما كان تغير الزمان او تبدل المكان ، فاننا نود أن نسجل فى ختــام هذه الكلمة اننا مطالبون جميعا بحمل لواء الدعوة لكشف كنوزها ، ونشر مراجعها ، وتمكينها من أخذ المكان الكريم اللائق بها بين الشرائع العالميــة الرائدة .

وعلى الله قصد السبيل . ■■

عثمان خليل عثمان

استاذ بكلية الحقوق بجامعة القاهرة
وخبير مجلس الامة بالكويت

نتيجة مسابقة العدد ٧٥

٣٤ مثلثاً

هو الرقم الصحيح لعدد المثلثات

■ تميزت مسابقة العدد ٧٥ بكثرة القراء المشتركين في حل المسابقة ، وبتعدد البلاد التى جاءت منها الاجابات ..

فقد وصلتنا رسائل من أركان العالم الاربعة ، جاءت من الوطن العربى ، ومن النمسا ، وتركيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، واسبانيا ، واليونان ، وليبريا ، وبلجيكا، وايران ، وانجلترا ، والولايات المتحدة ، والمانيا الشرقية ، والمانيا الغربية ، وساحل العاج ..

وحتى من الدول الاسكندينافية جاءتنا اجابات من أوسلو عاصمة النرويج ..

وقد اختلط الامر على بعض القراء ، فذكروا ارقاما كبيرة لعدد المثلثات ، حتى أوصلوها الى الخمسين مثلثا فى حين انها ٣٤ مثلثا بالضبط ! . وقد فاتهم أن تكرار ذكر المثلث الواحد لا يجوز ..

الفائزون بالجوائز

ومن بين الاجابات الصحيحة أجرينا القرعة ، ففاز الآتية اسماؤهم بالجوائز :

الجائزة الاولى : سليمان جار الله ـ الجيش الكويتى ـ اللواء السادس ـ قلم كتيبة المدرعات العاشرة ـ الكويت

الجائزة الثانية : الهادى سعيد النقازى ـ بمصلحة الاملاك الحكومية ـ ليبيا

الجائزة الثالثة : برسوم جورجى ـ مدرس أول الرياضيات ـ الاقصر ـ ج . ع . م

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ـ سالم حميد الغساني ـ **المانيا الشرقية**
٢ ـ عبد الرحمن سالى ـ **السودان**
٣ ـ صبحى علي الملاح ـ **العراق**
٤ ـ محمد موسى حسين ـ **الاردن**
٥ ـ احمد عبد الجليل عبد الوهاب ـ **السعودية**
٦ ـ وليد بن زهرى النجار ـ **سوريا**
٧ ـ عبد الله محمد احمد ـ **أبو ظبى**
٨ ـ بدرية أحمد ناصر ـ **اليمن**

وسوف ترسل الجوائز بالبريد للفائزين ■■



هل يمكننا تحليله ، كما حللنا الماء ، والهواء ؟

بقلم : الدكتور أمير بقطر

عميد فخرى بالجامعة الامريكية بالقاهرة

■ ان « تشريح » الحب ، أو تحليله تحليلا علميا ، يلاقى استياء شديدا وكراهية بالغة من طائفة معينة من الناس ، فى مقدمتهم الشاعر والعاشق والمجنون .

والمجنون يمكن اسقاطه من الحساب على كل حال ، لأن المسكين مريض ، ومن طبيعة مرضه كراهية جميع الناس ونفسه وكل شيء على السواء .

اما الشاعر والعاشق، فلاعتقادهما ان الفهم عدو الوجدان والعاطفة . وان الحب كالجمال لا يمكن دراسته بالعقل ، ولا يستجيب لقواعد المنطق .

ولا ننكر ان طريقة التفكير العلمي تختلف عن الحساسية بالحب والجمال، وان التحليل يختلف عن الادراك الحسى. ولا ننكر كذلك ان العلوم السلوكية التى يمكن الاستعانة بها فى دراسة الحب ، لاتزال فى مرحلة المراهقة ، على ان هذه العقبات لا توصد امامنا ابواب الاجتهاد.

ولم لا نحاول أن نحلل الحب الى عناصره ، وقد حللنا اشعة الشمس الى الوانها السبعة ابتداء من البنفسجي وانتهاء بالأحمر ، وحللنا الماء الى عنصريه ، الأدروجين والأكسجين . كما حللنا الهواء الى أشياء منها الأكسجين والنتروجين ؟

وما ضرنا اذا فهمنا الحب بالعقل ؛ ومن ذا الذى لا يستهويه منظر قوس قزح بألوانه السبعة ، رغم دراسته فى

علم الفيزياء . ألسنا نعرف عن التغذية بعد دراستها دراسة علمية ، أضعاف ما كان يعرفه أسلافنا ، ومع ذلك لم تهبط عندنا لذة الاكل درجة واحدة ؟

معنى الحب

الحب ، كسائر التعبيرات الشائعة الاستعمال ، يصعب تعريفه ، وتوصلا للمعنى الخاص الذى تريد التحدث عنه فى هذا المقال ، لابد لنا أن نستبعد قبل كل شيء ألوانا عديدة من الحب — حب الوالدين ، حب الذرية ، حب الخالق ، حب الوطن ، حب الموسيقى والادب والفن وجمال الطبيعة ، حب الحيوانات المدللة .

وتنحصر صعوبة التعريف العام لكلمة حب ، فى انها تشمل قيما ثقافية وخلقية وفنية ، وانفعالات وجدانية وعاطفية ، ومدلولات جنسية لا حد لها . بيد اننا اذا أردنا الايجاز والتحديد فيما نقصده هنا ، جاز لنا القول « ان الحب عاطفة قوية متعددة العناصر ، بين ذكر وانثى ، أساسها علاقة جنسية » .

غير ان هذا التعريف ، بالرغم من وضوحه ، لا يرضى قدماء الاغريق ، ولا قدماء الرومان ، ولا يرضي هذا التعريف كذلك المسيحيين الأوائل ، كما سوف نرى .

ويتضح من هذا أن الالتجاء الى الالفاظ اللغوية لا يسعفنا فى تفهم معنى الحب أو العثور على تعريف له واف بالمرام . فلا بأس من اتباع الطريقة العلمية ، اى ذكر عينات من الحب واستنتاج المعنى من تصنيف هذه العينات .

فالاباحيون فى كافةمراحل التاريخ اعتبروا الحب مجموعة انفعالات تدور حوله انشطة ومطالب جنسية ، وحذا حذوهم هفلوك اليس Havelock Ellis شيخ فلاسفة الابحاث الجنسية مع تعديل طفيف لايكاد يؤثر فى الفكرة الاصلية .

وكان الحب فى الحضارات البدائية ، وبعض الحضارات الغربية فى بعض العصور ، يرتبط كلية بالمطلب الجنسى بشرط ان يكون خارجا عن العلاقة الزوجية ، اى ان يكون الرجل اعزب او ان يكون متزوجا ، ذا علاقة جنسية بغير زوجته . وكانت نظريتهم فى هذا التحديد ، ان المطلب الجنسى فى الزواج مضمون على كل حال ، وكان قدماء الاغريق والرومان ، كما يتضح من احدى احاديث الفيلسوف سقراط ، يسخرون بالرجل الذى يحب زوجته ، وقد ورث عنهم الاوربيون الكلمة المشتقة من أصل افريقي « Uxorious » وهي كلمة سخرية يوصف بها الرجل الكلف بزوجته .

غير ان هناك احوالا وشواهد ، كان التاريخ فيها يفند هذه النظرية ، مثال ذلك ان بعض المسيحيين الاوائل كانوا يمجدون ما يسمونه « الزواج الروحي » والحب العذرى . وكان هناك طائفة من الكهنة فى فجر المسيحية تتصل اتصالا بريئا باخوات روحيات بعيدا عن كل ما يشتم منه رائحة الجنس . وممن تحدثوا بهذا النوع من الحب العذرى ابن سينا ، وشعراء « البجنسيا » (Albegensia) ومطربو القرن الثاني عشر المتجولون المعروفون باسم (Troubadours) واتباع افلاطون المحدثون فى عصر النهضة العلمية فى ايطاليا .

وهناك نظرية اخرى اساسها ديني اخلاقي ، مؤداها ان الحب لا يشترط فيه أن يشمل رغبة أنانية ، ولكن قوامه عاطفة رقيقة ، سمحة ، رضية . واذا ما سلمنا بصحة هذه النظرية ، كان لا بد لنا من الاعتراف بأن رجالا كقياصرة الرومان ، وهنرى الثامن ملك انجلترا ، وكازانوفا العاشق الولهان ، وزميله دون جوان ، لم يعرفوا الحب . وهذا بالطبع امر غير معقول .

الحب عند الانسانيين

اما الانسانيون فيعتقدون ان الحب كالكثير من انواع السلوك الانساني نتيجة تفاعل بين عوامل متعددة ، منها مؤثرات بيولوجية فى الجهاز العصبي المستقل ، ومنها الرغبة الجنسية وهي القوة الرابضة وراء الحب ، ومنها الروابط العائلية ، وذكريات الطفولة ، والحالة الاقتصادية، والقيم الدينية والخلقية ، ونظرة المجتمع والافراد الى المحظيات والبغايا ، وقضايا الزواج والطلاق ، وتعدد الزوجات ، ومفاهيم الجمال ، والذوق الفني ، والصداقة ، ومدى العلاقة بين قلبين متحابين كل هذه وسواها وتفاعلها مجتمعة ، بعضها او كلها بالغة الاثر فى تحديد معنى الحب .

وفى تاريخ الحضارة الغربية ، تألق نجم الحب وبرزت اهميته ، بتوافر اوقات الفراغ عند قدماء الاغريق . ثم خبا نوره فى العصور المظلمة ، ثم اخذ يترعرع من جديد بترعرع التجارة وظهور

اوقات الفراغ في أواخر القرون الوسطى ، وعصر فكتوريا والعصر الحاضر .

وقد كانت الطبقات الارستقراطية من شعب اثينا في اوج عزها ، على جانب عظيم من الرفاهية وسمو الثقافة ، والحساسية الفنية ، وسلامة الذوق، والاستمتاع باوقات الفراغ، وعدم الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير ، ازاء اغراقهم في الحب والمتع الجنسية . ومع ذلك كانوا يعدون تلك المتع مصدرا للمتاعب والآلام ، وكانوا يرمون المحظيات بالجشع والخيانة ، والمراهقين الذكور بالاستهتار وعدم الثبات . فلا غرابة اذ حسبوا هذه المتع حيلة ماكرة ، ولعنة من آلهة خبيثة . ومن أقوال الخطيب الفيلسوف ديموستين المأثورة : ان وظيفة الغانيات للترفيه ، والمحظيات لحاجة الجسد اليومية الجنسية ، والزوجات لانجاب الذرية والادارة البيتية .

الحب الافلاطوني

وكان لقدماء الاغريق في عصر سقراط وافلاطون نظرات ثقافية فنية في مفهوم الحب . ولما كانت الغانيات والمحظيات لا تتوافر فيهن الثقافة الفنية، ورهافة الحس ، ولا يتوافر في أحاديثهن ومسالكهن الذوق السليم ، فقد لجأوا الى الذكور من افراد جنسهم ، طلبا لذلك النوع من الحب الذي يشبع تلك المفاهيم . ويفهم من أقوال افلاطون في احاديثه العديدة (Symposiums) ان مصدر هذا الحب لم يكن مشوبا بشيء من الانحراف والشذوذ، وانما كان مصدره آراء ومثل عليا خلقية ، ومنطقية، وفنية . وهذا ما كان يعنيه التعبير المعروف « الحب الافلاطوني » .

وقد طرأ على الحب الافلاطوني هذا ، تغييرات تتفق مع شتى العصور والآراء الشائعة فيها . فقد كان المسيحيون الأوائل ـ كما سبق القول ـ يعدون الحب خلوا تماما من شهوة الجسد . فقد كانت دنيا الجسد في اعتقادهم ، دنيئة فاسدة ، مآلها الزوال ، بعكس دنيا السماء أو الروح ، فقد كانت عندهم السماء وحدها الباقية ، الشريفة النقية ، الابدية . ومن الغريب ان هذه الفلسفة لايزال لها من الناس بقية وأنصار ، ولعل القراء يذكرون ان الكاتب الساخر جورج برنارد شو ، كان احد هؤلاء .

وجاء عصر النهضة العلمية (Renaissance ») فاقتبس أتباع افلاطون المحدثون فلسفته ، ولكنهم استبدلوا عبادة الغلمان بعبادة زوجات الغير . ثم جاء عصر الرومانس الفكتوري ، فاصبح الحب الافلاطوني فيه يمتاز بالكبت الجنسي .

الحب عند الرومان

وكان الحب عند الرومان ، يختلف عنه كل الاختلاف عند الاغريق ، اذ كان يشمل كل أنواع المتع ، للذكور والاناث ، وللعزاب والمتزوجين على السواء . وكان خلوا من كل فلسفة أو عاطفة بل كان المهم فيه أن يكون متعة بدنية خالصة ، هدفها اللذات الجسدية في كافة وشتى مظاهرها ، كاقامة المآدب والولائم ، وتكديس الموائد باطايب المآكل ، وأعتق الخمور والمشروبات الروحية ، وقضاء الساعات الطوال في الحمامات الساخنة والباردة . وهذه اطلال بومباي الاثرية وبحيرات السباحة فيها شاهدة على ذلك .

كان هذا النوع من الحب عاطفيا ، مثيرا ، لا ضابط له . كان في ظاهره جموحا ، طائشا متهورا ، وفي حقيقته هداما ، منهكا للجسم والعقل . وكان يشجع على التبذل والاسفاف في الشهوات والتسرى ، وتسخير العبيد ذكورا واناثا في شتى الاغراض الجنسية الشاذة مما ترتب عليه انحلال الروابط الزوجية ، والعقم ، وتعريض المواليد للموت . ومع ذلك كان شعراؤهم يمجدون ذلك العصر ، ويزعمون ان الانسان لم يخلق الا لتذوق ألوان اللذات ، والاستمتاع بها الى اقصى حدودها، والنهل من مائها السلسبيل، ما استطاع الانسان اليه سبيلا .

ولم يكن الرومان كلهم كذلك ، كما يتصور الكثيرون ، فقد آثر فريق منهم الحياة العائلية السليمة . وهجروا حياة الترف ، وزهدوا في اللذات والمتع الجسدية ، وعاشوا عيشة النساك ، خصوصا في خلال القرن الاول للميلاد ، فاكتفوا في مأكلهم بابسط الاطعمة كالرهبان ، واتخذوا في نومهم أبسط الفراش واشدها صلابة وخشونة، وتجنبوا الملاهي وكل ما يمت اليها بصلة .

ولم تكن هذه الا خطوة قصيرة من قيام المسيحية التي هجر افرادها البذخ والاستهتار والمال الوفير، ونبذوا عشاقهم ، وصاموا وصلوا ، وبكوا ندما على خطاياهم ، وتكفيرا عن ذنوب أسلافهم ، التي تسبب عنها تدهور روما وانحطاطها ، وقد أمعن

الكثيرون منهم فى التقشف ، والزهد ، والورع ، وضبط النفس عن كافة اطاييب الحياة ، فعاشوا فى وسط كئيب زرى من الاقذار والاوحال .

وازاء هذا التناقض فى حياة كل من الوثنيين والمسيحيين فى خلال القرن الاول للميلاد ، لم تكن فلسفة ايهما فى الحب سليمة بناءة ، فقد كانت هذه الفلسفة فى كل من الحالتين آيلة الى هبوط سحيق فى نسبة المواليد ، وخلو الحياة من دفء العلاقات الانسانية ورقتها ، وجدب الحياة الزوجية . ففي الوقت الذى كان فيه الوثنيون يسفون فى احط الشهوات ، كان المسيحيون ينادون بنبذ اللذات الجسدية بكل انواعها ، حتى ما يتصل منها بالعلاقة الطبيعية بين الزوجين ، وغالى الكثيرون منهم فى هذه الناحية ، فزعموا ان الرجل الذى يحب زوجته ، لا يختلف عن الزاني فى شيء ، وبعبارة اخرى ، جاز لنا القول ، بان كلا من الفريقين دنس فراش الزوجية ، الواحد بالتغلغل فى عشائر المحظيات والغانيات ، والثاني فى تحريم العلاقة الزوجية الطبيعية ، بما فى ذلك عاطفة الحب البريئة .

تغييرات سريعة عنيفة فى مفهوم الحب

وقد طرأ على العالم تغييرات سريعة عنيفة فيما يتعلق بمفهوم الحب ، فتارة كان ينظر اليه بعين السخرية والازدراء ، وتارة بالتحرر والاباحية الى اقصى حد ، واخرى بالتزمت وشدة المحافظة . ويمكن أن نقول ان أوروبا الغربية وروسيا السوفيتية ، وغيرهما من بلدان آسيا وافريقيا ، لم يعجبها مبدأ الحب الحر او الاباحية لما فيهما من اضرار بالغة تصيب الحياة الزوجية السليمة فى الصميم .

اباحية ، ولكنها محدودة

ومن رواد الفكر فى هذا الموضوع فى القرن العشرين ، كل من برتراند راسل ، وهفلوك اليس ، وقد ناديا بفلسفة اقل تطرفا ، واهون شرا من الاباحية بعض الشيء ، ولكنها لم تلاق رواجا يذكر الا فى نطاق ضيق فى بعض البلدان الشمالية. وموجز هذه الفلسفة وجوب مراعاة الزوجين حرمة الذرية وقدسيتها فى مرحلة الانجاب ، محافظة على اصالة النسل ونقاوة الانساب ، على ان يتساهل معهما المجتمع فى غير هذه الفترة ، حتى لا يحرما من العلاقات الانسانية المليئة بالخيرات السارة .

ويفهم من هذه الفلسفة ان صاحبيها لم يحرما الاباحية تماما ، ولكنهما حصراها فى دائرة ضيقة . على ان هذا لم يعجب الرجل الغربي فى أوروبا وامريكا ، فضلا عن البلدان الشرقية . ولم يرض الرأى العام المتمدين ان يفرق بين الجنس وانجاب الذرية .

ولا تزال نظرة العالم الغربي اليوم الى الحب بيوريتانية متزمتة ، نصف رومانتية ، معقدة ، كثيرة المطالب . ولا تزال الشرائع المدنية والمبادىء الدينية والتقاليد الخاصة بالزواج والطلاق ، جامدة متعسفة ، تحول دون حل رباط الزواج الفاشل ، وتضع فى سبيله أشد العقبات . ولا يزال التناقض ضاربا اطنابه ، فيما يحرم على الاناث ولا يحرم مثله على الذكور . فالزوجة التى تثبت عليها تهمة الزنا فى ايطاليا وبلدان اخرى مثلا يحكم عليها بالحبس ، فى حين ان الزوج فى مثل هذه التهمة لا يقع تحت طائلة العقاب .

وفى كثير من بلدان العالم ، تختلف نظرة المجتمع للمراهق الذى يمارس كل ما يشتم فيه النشاط الجنسي ، عنه بعد تجاوز هذه المرحلة . وقد اقترح بعض المفكرين فى ايجاد حلول للعلاقات الجنسية السابقة للزواج ، ولكنها جاءت كلها مخيبة للآمال ، لان تنفيذها قد يشفى المجتمع من بعض العلل ، ويعرضه لاخرى ، اشد خطورة وأبعد ضررا .

ويبدو مما تقدم فى هذه الكلمة ، أن بنى البشر ظلوا يتخبطون فى مفهوم اكثر عواطف الانسان خطورة ، واشدها سطوة ، واعظمها أهمية طوال العصور ، ولا يزال فى مرحلة التجريب ، يحتضن نظرية تطول وتقصر اعواما وأجيالا ، ثم لا تلبث ان تغيب فى طيات الزمن ، وتحتل مكانها فلسفة أخرى اخف حدة ، أو أشد تطرفا . ولم تهتد بعد أرقى الامم ، وأكثرها حضارة وعراقة فى الشرق والغرب لم تهتد بعد الى ما يمكن ان ترتاح اليه النفوس فى كل ما يتعلق بهذه العاطفة الصارخة الهوجاء ولعل الحديث عنها سيبقى لغزا اعقد من ذنب الضب ما بقي التاريخ الانساني+ ■

امير بقطر

+ كاتب هذا المقال مدين فى كثير من آرائه فى هذا المقال الى العالم الانجليزى جوليان هكسلي فى المؤلف الذى أشرف على تحريره أخيرا وعنوانه (The Humanist Frame)

شعر : محمد أحمد العزب

خواطر أعمى



■ أنا أعمى .. ملءُ عينيّ بكاءٌ وأنين
وحياتي قصةٌ شوهاءُ أدماها الحنين
يركض الإعصار في أفيائها عبْر السنين
ويُغَشّيها ضبابُ اليأس كالفجر الحزين

★ ★ ★

أنا لحنٌ في قفار التيه موهونُ الصدى
أوسعتني نقمةُ الأقدار بطشاً أربدا
فأحالتْ ومَضَ أيامي ظلاماً سرمدا
وصُداحي صمْتَ آبادٍ ، ونَبْعي جلْمَدا

★ ★ ★

الضياءُ الغضُّ في عينيّ كالليل العريضْ
وانطلاقي في ربوع الكون مكبوحٌ مهيضْ
غلّفَ الدهرُ حياتي بظلامٍ لا يَغيضْ
أتُراها في غدِي بالنور تهْمي وتفيضْ ؟

★ ★ ★

أمْ تُراني سوْفَ أقضي العُمْرَ في هذا القتامْ ؟
تشرقُ الدنيا وأبقى أنا وحدي في الظلامْ ؟
تَصْخَبُ الأنّاتُ في قلبي ويذوي الابتسام ؟
ويضجُ الجرحُ في رُوحِيَ مشبوبَ الضّرام ؟

★ ★ ★

أمْ تُراني كُلماَ سرْتُ على الدرب البعيدْ
يا إلهي . أسْرِقُ الخطْوَ وأخشى أن أحيدْ ؟

لا أعي مِنْ أيْنَ . لا أوْ أيْنَ .. كاللحن الشريد ؟
كاحتضار البسمةِ العذراءِ في ثغر الشهيـــد !

★ ★ ★

لستُ أدرى ما جنَتْ عيناى من ذنبٍ رهيبْ
أخرسَ الأضواءَ فيها والسنا الحلو الحبيب
ليت أنى كنتُ كاللاشيءِ ، مغلولَ الوجيب
لم تصافح مقلتى العمياء أطياف المغيب

★ ★ ★

قيلَ لى في الروض أزهارٌ وأطيارٌ تُغَنِّي
وغصونٌ علَّمتْها رقصةُ الريحِ التثنِّي
وفراشٌ حائرُ التهويمِ في الدوح الأغَنِّ
آه إنى لا أرى الروضَ .. توارى الكونُ عنِّى

★ ★ ★

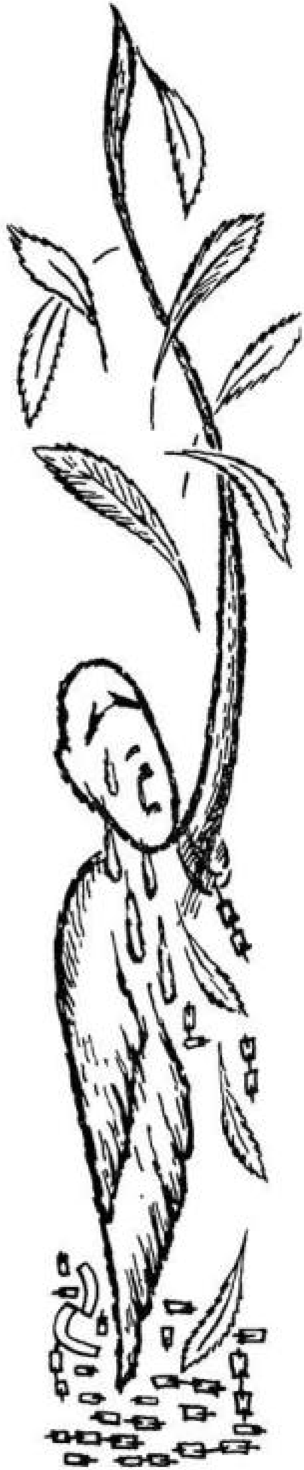
قيلَ لى في البحر أمواجٌ ، وأثباجٌ ، وثورهْ
وشراعٌ عارمُ الأشواقِ مشدودٌ بصخرهْ
وفتىً أسمرُ ملاحٌ يغنِّى البحرَ شعرهْ
آه إنى لا أرى البحر .. فهل أسبر غوره؟

★ ★ ★

قيل لى في الأفقِ أضواءٌ ، وأغباشٌ حيارى
وفلولٌ لسحابٍ هائمٍ يبغى القرارا
وفتونٌ كانسياب الحب في صدر العذارى
آه إنى لا أرى الأفق .. تراءى أو توارى

★ ★ ★

قيل لى في القفر أوعارٌ ، وكثبانٌ ، وواحهْ
وسهولٌ ينشدُ الظبىُ بمغناها مراحه





وَحزُونٌ طَرَّزَ الهولُ حوَالَيْها وِشَاحَـــــــهْ
آه إني لا أرى القَفْرَ . . ولم أبصرْ بطاحــــــه

★ ★ ★

كَمْ ترَى يارب مِنْ أعمى تَصَبَّــاهُ الصباحْ ؟
فأذابَ الدمعَ ، والأناتِ ، في ليل الجـــــراح ؟
وانطوى في زحمة الأيام ريشاً في الريـــاح !
كَمْ ترى من تائهٍ في الأرض مكبـول الجنـاح ؟

★ ★ ★

يا أشقائى الذين استهدفـوا هذا القضـــــاءْ
أنْتُمُ مِثْلِي ، كلانا رَهْنُ أغلالِ الشقـــاء
نزرع النورَ ، ولا نجنى سوى شوك المســـاء
ونغنى الحب للدنيا ، ونستجدى الرجـــــاء

★ ★ ★

زلزلوا العرشَ وصيحوا : أنتِ ياعينَ السمـــاءْ
أطلعى فجر الحيارى التائهين ، الأبريـــــاء
قد سئمنا الليل . والحرمان من ومض الضيـــاء
وسئمنا حيرةَ التَّوْهَانِ في رحب الفضــــاء

★ ★ ★

نحن أعماقٌ تُحب الخيرَ ، والنورَ الجميـــلْ
وتحب الحُبَّ والأمجادَ ، والعيش النبيـــل
فأضيئوا دربْنا بالفجر ، والصبح الأصيـــل
إن دنيا الله للأخيار ، جيلا بعد جيــــل !

■■

محمد احمد العزب **القاهرة**



نتذكر الماضي بالخير



ونذم الحاضر

فهل حقاً أن ماضينا كان خيراً

■ من الشائع المألوف ان يترحم الناس على (ايام زمان) وان يذكروا الماضي بالخير العميم ويشيروا الى ما كان فيه من رخاء اقتصادي او تماسك اجتماعي ومجالات للسرور والمرح وما كان يسوده من خلق قويم وتقاليد طيبة وعادات حميدة ، وان يقارنوه بما يسود الحاضر من ازمات اقتصادية وتفسخ اجتماعي ومضايقات لا تترك للانسان مجالا للانشراح ، وما فيه من تحلل اخلاقي وفساد فى التقاليد والعادات ينذر بالويل والثبور وعظائم الأمور .

والعجيب فى الأمر ان كل جيل يتلوه جيل يردد ما كان يردده الجيل السابق حتى ليخيل للمتأمل ان الانسانية فى تدهور ، وان الاقتصاد فى تقهقر ، وان الأخلاق تتردى ، وان الحياة تصبح يوما بعد يوم شيئا لا يطاق وعبئا ثقيلا .

الدنيا بخير

والأعجب من هذا وذاك ان المراقب حين يتلفت حوله وينظر بعين مجردة وعقل متفتح وقلب نابض يجد ان الأمر على النقيض ، وان الانسانية تتقدم ، وان الأحوال تتحسن ، وانه بالرغم مما فى الحياة العصرية من مصاعب ومضايقات فان الانسان العادى اليوم يتمتع بما لم يكن يتمتع به الملوك والعظماء فى الماضي ، وان الأخلاق فى الف خير ، اذا قورنت بما كانت عليه من قبل ، وان الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وسواها تتقدم حثيثا نحو ما هو افضل واحسن .

في الاقتصاد

واذا كنت ايها القارىء الكريم فى شك من الأمر فتعال ننظر فى بعض نواحي الحياة العصرية ونقارنها بما كانت عليه فى الماضي : خذ الاقتصاد مثلا تجد ان شكوى الناس محصورة فى غلاء الأسعار . انهم يذكرون يوم ان كان رطل الخبز بكذا ، ورطل السمن بكذا ، ورطل اللحم بكذا ، ويقارنونه بأسعار اليوم التي بلغت اضعاف اضعاف هذه الأسعار ، ولكنهم ينسون ان يقارنوا بين دخل اليوم ودخل الأمس ، ينسون ان يقارنوا بين الأجور فى





مِنْ حَاضِرِنَا؟!

الحاضر والماضي ، وهم ينسون بعد هذا وذاك ان يقارنوا بين الحقوق التى للعامل اليوم وبين الحقوق التي كانت له بالأمس ، هذا بالرغم عن اعتقاد الكثيرين بأن الطبقة العاملة ما زالت بحاجة لاكتساب المزيد من حقوقها المشروعة .

ثم لا تنس أن عاملنا اليوم ـ على بساطة حياته وتواضعها ـ يتمتع بالكثير مما لم يكن يتمتع به ابناء الطبقة الوسطى من قبل ، فالتعليم قد اصبح ميسورا او شبه ميسور لأولاده ، ونقابات العمل تساعده فى الحفاظ على الكثير من اسباب الكرامة البشرية ، والقوانين القائمة تحفظ له الكثير من حقوقه وهكذا . . .

هذا بالنسبة للعمال ، وأما بالنسبة للفلاحين فالحال احسن من ذى قبل والامكانيات اوسع ، وان كانت الحاجة ماسة الى المزيد من الاصلاحات والكثير من رفع مستوى العيش . وقل الشيء نفسه عن بقية طبقات المجتمع .

والذى يهمنا تسجيله هنا ان مقارنة بسيطة وموضوعية بين الحال الآن وبينها قبل عشر سنوات او عشرين سنة تدل دلالة اكيدة واضحة على ان الامور تسير من حسن الى احسن .

وفى السياسة

اما اذا تركت الاقتصاد الى السياسة فانك واجد ان الحال اليوم خير منه فى السابق وبمقدار كبير جدا . نعم ان وطننا العربي اليوم يمر بفترة عصيبة ، تحيط به المؤامرات من كل جهة ، ويهاجمه الأعداء من كل حَدَب وصوب ، وتعمل قوى الاستعمار على تمزيقه والهائه عن اهدافه الكبرى ، ولكن مالنا ننسى احوالنا قبل ست عشرة سنة يوم سلمت فلسطين الى اليهود لقمة سائغة اخذوها دون عناء او حق ، يوم اهنّا جميعا واصبحنا اضحوكة فى عين العالم وسخرية لشذاذ الآفاق من الصهيونيين . قارن هذا بما نحن عليه اليوم من عزة ومنعة ومكانة ، قارنه بما الحقنا بالغزاة الانكليز والفرنسيين واليهود من هزيمة نكراء فى مصر وفشل ذريع فى الجزائر ، بل قارن ما نحن عليه اليوم بما حدث قبل ثمان وعشرين سنة يوم سلخ لواء الاسكندرون عن سورية ووجم العرب من ابناء الاقليم السورى يتلفتون حولهم فلا يرون الا اشقاء ضعفاء ومستعمرين مستهترين وعالما ممعنا فى احتقار العرب واستصغار شأنهم .

ثم انظر الى عالم اليوم ، عالم نهضة آسيا وافريقيا ، وقارنه بالعالم قبل خمس وعشرين سنة ، عالم بريطانيا العظمى وفرنسا الكبرى وايطاليا الفازية ، وقل لي مخلصا الم تتقدم السياسة فى العالم ؟ !

انظر الى الملايين من ابناء آسيا وافريقيا غير البيض يصيحون بالاستعمار ان ارفع يدك عن بلادنا ، بل انظر الى الكتلة الآسيوية الافريقية تنتصر لغير البيض فى افريقيا الجنوبية وانغولا الذين

تتعرض حيواتهم للخطر من جراء التمييز العنصري ، انظر الى هذا كله واحكم على التقدم السياسي ، بل احكم على هذه الثورة العارمة في الضمير الانساني وهذا المد الهائل في الوعي السياسي . ثم لا تنس هذا التوق العارم في القلوب العربية الى وحدتهم والى حياة افضل .

صحيح ان الاستعمار ما يزال يحاول التدخل في بعض بلاد العرب ليصرفها عن اهدافها الكبرى وامانيها المشروعة . ولكن لا تنس هذه الملايين من ابناء الشعب العربي التي تهتف للحرية والوحدة والخلاص ، لا تنس الزئير الذي زمجر في الجزائر لتردده عمان والهزيم الذي يرتفع في القاهرة ودمشق وبغداد وعمان بل وجميع اقطار المغرب العربي .

وفي المجتمع

وانت اذا تركت السياسة الى المجتمع وجدت ايضا ان التقدم واضح لا ينكر ، وان قليلا من التامل النزيه عن العواطف الخاطئة والتبصر المتعمق كفيل باظهار مدى التقدم الاجتماعي في مجتمعنا العربي خاصة وفي العالم عامة .

خذ التنظيم الاجتماعي الذي يسود مجتمعنا اليوم ، وقارنه بمثله في هذا المجتمع قبل خمس وعشرين سنة ، تر الفرق واضحا والتقدم اكيدا . يقولون ان عائلة الامس كانت متماسكة متراصة ، وان عائلة اليوم متفسخة منهارة . واقول انا ان عائلتنا في الماضي كانت قائمة على اساس من الاحترام الكاذب والخوف المسيطر ، كان الأب دكتاتورا يتحكم في مصائر اولاده وزوجته او زوجاته : يزوج من يشاء لمن يشاء ، ويبت في اقدارهم كيف يشاء ، ويوجههم حيث يشاء ضاربا بحقوقهم ورغباتهم المشروعة وغير المشروعة عرض الحائط . اما اليوم فالأب بدأ يصبح صديقا لاولاده ورفيقا لزوجته ، يستشيرهم في امره واموره ، ويشاركهم افراحهم واتراحهم ، ويساعدهم على شق طريقهم في الحياة بما يستطيع من جهد وتضحية ونصيحة . اذا زوج ابنته استشارها ، واذا علم ولده نصحه واخذ ميله بعين الاعتبار ، واذا احب ابنه المتزوج ان يخرج عنه ليكوّن بيته ، ويبني حياته الخاصة ساعده واعانه .

المراة اليوم كائن بشري يحب ويحترم ويساعد على تكوين شخصيته وذاتيته ، اما في الأمس فقد كانت أمة تباع وتشرى ، وخادمة عليها كل الواجبات وليس لها من حقوق ، وحبيسة بيت واسيرة زوج ، ليس لها الا ان تخضع للرجل زوجا وابنا وابا ، عليها ان تطيع دون مناقشة او مراجعة .

والطفل اليوم كائن حي محبوب مدلل ، توفر له اسباب النمو والتربية ، ويعان على ان يكون شابا قويا جريئا حرا مقدما ، اما في الأمس فقد كان ــ في احسن الاحوال ــ شيئا مهملا ، وفي اسوئها (مفشة خلق) ــ كما نقول في سوريا ــ عليه ان يلتزم ادبا ذليلا ويطيع اوامر جائرة .

والتقاليد والعادات ؟ اهي كلها صالحة مثالية ؟ ام ان قسما كبيرا منها لا ينطبق على عقل ولا يتمشى مع حق او منطق ؟ انظر الى عادات الزواج والأفراح ، الى تقاليد المآتم والأفراح ، الى مواسم الطهور والنذور ، انظر الى هذا كله وقرر لنفسك ما اذا كانت كلها صالحة جيدة لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ثم قارنها بما يجري اليوم واحكم لنفسك ما اذا كنا نتقدم كما ادعي انا او نتاخر كما يقول المترحمون على (ايام زمان) .

وفي الأخلاق

والاخلاق نفسها ، أصحيح انها تتدهور وتنحط ؟ أصحيح ان شباب اليوم الذين يفورون حماسة لوطنهم ويستميتون في سبيل اوطانهم ويفتدون قوميتهم بكل مرتخص وغال ، أصحيح ان هؤلاء الشباب أحط خلقا من اسلافهم ؟ أصحيح

ان الرشوة والفساد والفسق والفجور منتشرة اليوم اكثر من انتشارها بالأمس ؟

اذا كان الفسق هو مجرد السفور وكان الفجور فى تعليم المرأة فان دعوى انحطاط الأخلاق صحيحة ، ولو كان مجرد الحجاب كافيا لعصم المرأة عن مواقع الزلل ، وأميتها ولزومها عقر دارها اساسيين للحفاظ على أخلاقها لكان القول بتدهور الأخلاق فى عصرنا الحاضر مقبولا .

ولكن الأمور لحسن الحظ مختلفة عن هذا كثيرا ، فالسفور كالحجاب قد يكون مصدر خير كما قد يكون مصدر شر ، والتعليم بحد ذاته لا يمكن ان يكون مصدر شر ابدا والا لما قال الله عز وجل « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . والسر كل السر فى التربية الصحيحة والتعليم القويم وامرهما فى تحسن مستمر والحمد لله .

ثم من ذا الذى تكون به مسكة من عقل ويقصر الأخلاق على علاقة الرجل بالمرأة ؟! أليس من حسن الخلق صحة الوطنية والاستعداد للتضحية والمحافظة على الوعد والامتناع عن اعطاء الرشوة وقبولها ومتانة التضامن الاجتماعي والحرص على اداء الواجب وغير ذلك ؟ وهل اخطىء حين أزعم اننا فى هذا كله احسن اليوم منا بالأمس ؟ !

ونحن بخير

نحن اليوم اذن، وبالرغم من كل مظاهر القصور التى تسود مجتمعنا ، ومن كل تطلعنا الى غد افضل وواقع احسن ومجتمع امثل واقتصاد أمتن وخلق اسلم ، أقول نحن اليوم خير منا بالأمس .

فما هو السر فى ترحمنا على ماضينا ، وشكايتنا من حاضرنا ، وتحسرنا على ما فات وتذمرنا مما نحن فيه ، لا سيما وان النزعة الى ذلك كله عامة شائعة الآن وكانت كذلك دوما فى مجتمعنا وفى المجتمعات التى تفوقنا تنظيما وتمتاز علينا فى واقعها او فى المجتمعات التى هي دوننا ؟ .

التعليل

لعل التعليل لذلك ما يقوله علماء النفس من ان الذاكرة تنتقي : انها تحتفظ من ماضيها بما يسر ويحلو وتنسى ما كان مؤلما او قاسيا ، فالانسان اذن يقارن بين ذكريات الماضي الحلوة الطيبة وبين الواقع الحاضر الذى يرى فيه المصاعب والمتاعب ويتناسى ما فيه من خير وجمال ومتعة . وهو اذ يفعل ذلك يخرج من المقارنة مترحما على (أيام زمان) شاكيا من الحاضر المتعب الأليم .

على ان من الجدير بالملاحظة ان الشيوخ او من فى حكمهم هم الذين يجارون بالشكوى من الحاضر وذكر الماضي بالخير العميم ، وما ذلك الا لانهم يعيشون فى الماضي ، اما الشباب ، امل الأمة وقوتها ، فهم يتطلعون ابدا الى الامام ، الى المستقبل ، الى الأحسن والأمثل وبذلك يدفعون الانسانية والوطن قدما نحو التقدم . وطوبى للذين يستطيعون الاحتفاظ بشبابهم ولو تقدمت بهم السنون ، وطوبى لأمة شيوخها شباب .

وبعد

فلست احب ان يفهم من كلامي اني اعتقد ان بلادنا وصلت الى ما تصبو اليه فى كل ميدان ، وان علينا ان نطمئن الى ما حققناه فى كل حقل ، كلا ، بل العكس هو الصحيح ، ذلك باننا ما زلنا فى اول الطريق ، وان الشوط ما زال امامنا بعيدا . وقديما قال شوقي :

وما قضتْ مصر من كلٍّ لُبانتها
حتى تجرَّ ذيول الغبطةِ القشُبَا

ومصر هنا تمثل البلاد العربية جمعاء .

ولكن الذى رميت اليه ان نتخلص من النظرة المتشائمة وان نغذ السير الى امام فرحين بما حققنا ، جاهدين فى تحقيق المزيد ، معللين سبب ترحم الناس على (ايام زمان) ■■

فاخر عاقل

طرائف عربية

قتيل الحب

● قال الأصمعي ، اخبرني يونس بن حبيب قال : اتي قوم الى ابن عباس بفتى محمول ضعفا ، فقالوا : استشف لهذا الغلام ، فنظر الى فتى حلو الوجه ، عارى العظام ، فقال له ما بك ؟ فقال :

بنا من جوى الشوق المبرح لوعة ... تكاد لها نفس المشوق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة ما نرى ... على ما به عود هناك صليب

فقال ابن عباس : ارايتم وجها اعتق ، ولسانا اذلق ، وعودا اصلب ، وهوى اغلب ، مما رايتم اليوم ؟ هذا قتيل الحب ، لا قود ولا دية .

الغنى يغير الأخلاق

● كان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق قد نالته عسرة ، ثم ولى عملا فاتاه محمد زائرا ومسلما عليه ، فراى منه تغيرا فكتب اليه :

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة ... وأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الاثراء منك خلائقا ... من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

نصيحة أسد بن الفرات

● عندما خرج اسد بن الفرات فى عشرة آلاف مقاتل الى ثغر سوسة ليغزو جزيرة صقلية ، خرج الأمير واهل العلم ووجوه الناس واعيان الأمة لتوديعه ، فقال باعلى صوته من فوق السفينة :

(لا اله الا الله وحده لا شريك له .
يا معشر المسلمين ، ما ولى لي اب ولا جد ولاية قط ، وما راى احد من سلفي هذا قط ، وما رايت ما ترون الا بالأقلام . فاجهدوا انفسكم واتعموا ابدانكم فى طلب العلم وتدوينه ، وكابدوا عليه ، واصبروا على شدته فانكم تنالون به الدنيا والآخرة) .

الكلمات

● خرج الزهرى يوما من عند هشام ابن عبد الملك فقال : ما رايت كاليوم ، ولا سمعت كاربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام دخل عليه ، فقال : يا امير المؤمنين : احفظ عني اربع كلمات ، فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك ، قال : ما هن ؟ قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بانجازها ، ولا يغرنك المرتقى

عينـــاك سبب الفتنة

● قال المعلى الصوفي : شكوت الى بعض الزهاد فسادا اجده في قلبي ، فقال : هل نظرت الى شيء فتاقت اليه نفسك ؟ قلت : نعم .
قال : احفظ عينيك فانك ان اطلقتهما اوقعتاك في مكروه، وان ملكتهما ملكت سائر جوارحك .

مدح السفر والارتحال

● كتب ابو على الحسن بن رشيق القيرواني الى بعض اخوانه في مدح السفر والارتحال قال :

مثل الرجل القاعد ، أعزك الله كمثل الماء الراكد ، ان ترك تغير ، وان تحرك تكدر . ومثل المسافر ، كالسحاب الماطر، هؤلاء يسمونه رحمة ، وهؤلاء يدعونه نقمة ، فاذا اتصلت ايامه : ثقل مقامه ،وكثر لوامه . فاجمع لنفسك فرجة الغيبة ، وفرحة الأوبة . وانشد :

غب عن بلادك وارج حسن مغبة ... ان كنت حقا تشتكي الاقلالا
فالبدر لم يجحف به ادباره ... ان لا يسافر يطلب الاقبالا

وقد ترك ابن رشيق مأثرة علمية ادبية جسيمة جدا فاق بها أهل عصره .

الهدية والأمانـة

● بلغت العفة في عبد الرحمن بن زياد القاضي العربي الذي ولد في القيروان عام ٦٤ هـ ومات بها عام ١٦١ هـ ، حدا من الروعة كبيرا يتمثل في قوله :

(اذا رايت الهدية دخلت دار القاضي، فاعلم ان الامانة قد خرجت منها)

حيل الطفيليين

● عوتب طفيلي على التطفل فقال : والله ما بنيت المنازل الا لتدخل ، ولا نصبت الموائد الا لتؤكل ، واني لأجمع فيها خلالا ، ادخل مجالسا ، واقعد مؤانسا ، وانبسط وان كان رب الدار عابسا ، ولا اتكلف مغرما ، ولا انفق درهما ، ولا اتعب خادما .

الطيبات

وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعرا ، واعلم ان للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وان للأمور بغتات ، فكن على حذر . قال عيسى بن داب فحدثت بهذا الحديث المهدى ، وفي يده لقمة قد رفعها الى فيه فامسكها ، وقال ويحك اعد علي ! فقلت : يا امير المؤمنين اسغ لقمتك ، فقال : حديثك احب الي !



الصراع العربى الالمانى الامريكى

من جريدة « الكفاح » اللبنانية :

● من خلال الصعوبات التى تمر بها العلاقاتالعربية بدولتين كبيرتين هما امريكا والمانيا ، يشعر الانسان العربى بوميض من الشعور بالفخر والاعتزاز ، ان الصحافة الالمانية الخاضعة بشكل عام للنفوذ الصهيونى اعترفت رغم دعوتها لقطعالعلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة ، بان زيارة زعيم المانيا الشرقية للقاهرة ، هى الجوابالعربى على بيع الاسلحة الالمانيةالغربية لاسرائيل، وعلى دعوة بون لمواطنيها من الخبراء الالمانبمغادرة القاهرة تحت الضغط الصهيونى ، وعلى نشاط اتحاد النقابات الالمانى الداعى لاقامة علاقات دبلوماسية بين المانيا الغربية واسرائيل .

ومما لا شك فيه ان دعوة أولبرخت هى الرد البارع « وضربة المعلم » الى مقاتل بون المعنوية لتفهم بشكل غير مباشر اننا نستطيع ان نسىء الى مصالحها ونتعاون مع اعدائها على حسابها ، مثلما اساءت الى مصالحنا وتعاونت مع ما يسمى باسرائيل على حسابنا ، ولا شك ان صدمة قاسية سوف تصيب مصالح المانيا الغربية فى الشرق الاوسط ، عندما يقوم العرب بالرد الجماعى المنتظر الذى قررته الدول العربية فى اجتماعات رؤساء الوزارات ، اذا ما تمادت حكومة بون فى السير على هذا الطريق الوعر .

ومن جهة اخرى ، يزداد شعور العرب بقيمتهم الدولية وكرامتهم ، عندما يرون المسئولين الحكوميين فى امريكا والصحافة الامريكية ، تحسب الحساب لعواقب القرار الارعن والضيق الافق الذىاتخذته اغلبية النواب فىالكونجرس الامريكى، حول منع ارسال المواد الغذائية للجمهورية العربية المتحدة .

بذور سيئة

عن جريدة « فلسطين » الاردنية :

● ان مجتمعنا نتيجة للقفزة المادية التى وجد نفسه يسير فى اتجاهها دون ان تصاحبها قفزة فكرية واعية .. اخذ من الحضارة قشورها ، فحسبها موجودة فى تقليد اعمى لكل ما يردنا من الغرب .. فراح يلهث وراء هذا التقليد دون تحسب للنتائج ودون ادراك للعواقب ... وكانت النتيجة ان خرج من صفوف مجتمعنا جيل من - الخنافسيين - .. وجيلمن العابثين .. وجيل من الراكضين وراء السراب والباحثين عن عالم الصخب والضجيج .

واذا كان هذا الجيل يتركز حاليا فى اجزاء فقط من مجتمعنا ، فانه يحمل معه بذور الداء .. بذور الشر الذى يهدد هذا المجتمع ..

كفاح اللغة العربية فى المغرب

عن مجلة « الكتاب » العراقية :

● واجهت اللغة العربية معركة ضخمة فى المغرب العربى . فقد كانت هدفا كبيرا من أهداف الاستعمار الفرنسى وجميع حركات التغريب (الفرنسة والاذابة والادماج) .

وقد استطاع الفكر العربى الاسلامى فى المغرب ان يقاوم وينتصر ، ففى تونس والمغرب الاقصى ، لم يحرز الفرنسيون نتائج كبرى ، وفى الجزائر استطاعوا ان يصلوا الى بعض النتائج فى المدن وفى الشمال حتى الثلاثينيات ، أما بعد ذلك فقد انحدرت الكفة ، وغلبت اللغة العربية وبدأت تسيطر وتستعيد مكانها ، نتيجة لحركة جمعية العلماء .

ونظرة اليوم الى المغرب العربى كله نجد أن اللغة العربية فيه تاخذ مكانها الحق ، ولعل حركة المقاومة لها بالغائها والقضاء عليها زاد فوق التمسك بها وتهذيبها ودفعها الى الاعلى ، والاسلوب العربى سواء فى ليبيا أو تونس أو الجزائر أو المغرب لا يقل بأى حال عن مستوى الأسلوب العربى فى المشرق .

ومنذ اليوم الاول لاستقلال كل قطر من هذه الاقطار بدات حركة التعريب فيه تشق طريقها فى قوة مستهدفة عودة اللغة العربية الى مكانها الطبيعى فى الدواوين والدفاتر الرسمية والبنوك ومختلف الاعمال .

شرف المهنة عند الصحفى ماذا يعنى ؟

عن جريدة « الطليعة » الكويتية :

● ان شرف مهنة الصحافة يعني ان يلتزم العربي فيما يكتب وينشر بالتعبير عن قضايا الوطن العربي فبقدر ما يكون الصحفي ملتزما بمطالب الجماهير العربية التي يناضل من اجلها ، بقدر ما يكون محافظا على شرف المهنة . وهذا الالتزام الذى ندعو اليه ليس بدعة جديدة ننادى بها نحن العرب ، بل ان جميع الأمم تسير على هذا المنوال، ففي جميع البلدان المتقدمة نسمع ما يسمى « بتقاليد » الصحافة ، وهي تعني المسلك الذى اختطته الصحافة لنفسها منذ قديم الزمن وعاهدت نفسها على السير على منواله .

واذا كان هذا المبدأ واردا لدى الأمم التي حققت أهدافها القومية وسارت شوطا كبيرا فى مضمار التقدم ، فما أحرانا نحن العرب ـ ونحن نعيش معركة الوجود العربي ـ ان يلتزم صحفيونا بالأبعاد القومية للمعركة العربية .

ان الصحافة يجب ان يكون مبرر وجودها لخدمة قضايا الأمة العربية ، كذلك فعليها ان تلتزم بالمبادىء التى قررها مؤتمر اتحاد الصحفيين العرب . وعلى الصحفيين العرب ان يفصلوا ويطردوا كل صحفي دخل الصحافة بقصد الارتزاق غير المشروع وضد مصالح الشعب العربي .

فى مجتمعنا ..

ان فرائص الانسان العربى لترتعد جزعا ، وهو يرى مثل هذه البذور السيئة تجد لها ارضا خصبة فى مجتمعه الذى ما زال يبحث عن التقدم والذى لا يزال يحمل مسئوليات جسيمة لبناء نفسه ولتقدمه الحقيقى .. تقدم العلم وتقدم الصناعة وتقدم الزراعة لا تقدم الازياء ولا تقدم الحفلات الصاخبة .. ولا تقدم التقليد الغبى لكل شىء حتى الانحلال .. !

ان مجتمعنا العربى أمامه مسئولياته .. ومن الجريمة بمكان أن يكون فيه من يكفر بهذه المسئوليات لينغمس فى تيارات ليست من شيمتنا .. ولينكب على مجالات لا مكان لها فى مجتمعنا .. فى المجتمع الذى يعيش على خطى قليلة من ارض المعركة .. يعيش وهو فى كل دقيقة مهدد !

ابن طباطبا

ناقد أدبي عربي قديم
لا تزال لآرائه جدتها
بعد أكثر من ألف عام

بقلم : الدكتور أحمد أحمد بدوى
استاذ البلاغة والنقد الادبى بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

■ فى مدينة اصبهان ولد ابن طباطبا، ولا يحفظ التاريخ عام ميلاده، وان ذكر وفاته سنة ٣٢٢ هـ، أى انه عاش فى الشطر الثانى من القرن الثالث، وجزء من القرن الرابع للهجرة.

ولم تكن الحياة السياسية يومئذ للدولة العباسية قوية مستقرة، بل اصابها الضعف والانحلال منذ قتل الأتراك الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ هـ فضاعت هيبة الخلافة، ولم يعد للخليفة سلطان ولا نفوذ الا فى قليل من الاحيان، وكثيرا ما شب الخلاف بين ابناء الأسرة العباسية على الخلافة، أو ولى امرها صبي لا يستطيع ان يلي شئون الخلافة.

فى هذا العهد عاش « ابن طباطبا »، ولكن هذا الاضطراب السياسى لم يحل دون الازدهار العلمى، وانكباب العلماء على الكتب يجمعون فيها خلاصة تجاربهم، وما وصلوا اليه من آراء، بل يبدو أن هذه الحياة السياسية الصاخبة المضطربة جعلته ينصرف عنها الى الدراسة والانتاج، فانا لا نعرف له مشاركة فى الاحداث السياسية، وكل ما عرفه له التاريخ انه كان شيخا من شيوخ الادب.

نشـأته

واسم « ابن طباطبا » هو محمد بن أحمد، وطباطبا لقب جده الثالث : ابراهيم، وينتهي نسبه بالحسين بن علي بن أبى طالب.

كان شاعرا، يرى للشعر منهجا

ولم يحدثنا من ارخ له عن ثقافته، ولكننا



نستطيع ان نعرف هذه الثقافة من المنهج الثقافى الذى وضعه ، واوجب على الشعراء أن يأخذوا به ، فقد كان شاعرا ، ومن المرجح أن يكون قد عمل بهذا المنهج ، فانه يراه ضروريا للشاعر اذ يقول : « وللشعر أدوات يجب اعدادها قبل مراسه وتكلف نظمه ، فمن تعصت عليه أداته لم يكمل له ما يتكلفه ، وبان الخلل فيما ينظمه ، ولحقته العيوب من كل جهة » .

« فمنها التوسع فى علم اللغة ، والبراعة فى فهم الاعراب ، والرواية لفنون الآداب ، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ، ومناقبهم ومثالبهم ، والوقوف على مذاهب العرب فى نظم الشعر ، والتصرف فى معانيه ، فى كل فن قالته العرب فيه ، وسلوك مناهجها فى صفاتها ، ومخاطباتها ، وحكاياتها ، وامثالها .

ولا بد أن يكون قد درس ذلك ، وأن يكون قد أضاف اليه معرفة واسعة بتقاليد العرب وعاداتها .

وكان شغوفا بالعلم ، يتسلى عن الأصدقاء ، ولا عن الدفاتر

ويمضى « ابن‌طباطبا » فى ايراد الشواهد الكثيرة المنبثة عن تلك التقاليد ويظهر ان « ابن طباطبا » كان رجلا مشغوفا بالعلم ، مكبا على تحصيله ، مقبلا على العلماء يأخذ عنهم ما رووه فى حب واستزادة ، حتى صح له ان يفتخر ويقول :

حسودٌ مريضُ القلب يُخفى أنينه
ويضحى كئيب البال منى حزينُه
يلوم على أن رحتُ فى العلم راغبا
اجمع من عند الرواة فنونَه
وأسلك أبكار الكلام وعُونه
واحفظ مما استفيد عُيُونَه
ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى
ويحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيا لائمى ، دعنى اغالي بقيمتى
فقيمة كل الناس ما يحسنونه

وكان مغرما بالكتب يعدها اغلى من الأصدقاء ، ويقول :

اذا فجع الدهر امرأً بخليله
تسلّى،ولا يُسْلى لفجْع الدفاتر

بل ان له كتابا فى تقريظ الدفاتر .

كتابه فى العروض

وهو يؤمن بان « من صح طبعه وذوقه لم يحتج

الى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التى هى ميزانه ، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به ».

ولكنك تعجب أن يذكر له ياقوت ضمن ما صنفه كتابا فى العروض لم يسبق الى مثله ، فلعل كراهيته لهذا العلم دعته الى أن يصمم على تذليله الى درجة تمكنه من التأليف فيه ، أو لعل وصف كتابه بأنه لم يُسبَق الى مثله يؤذن بأنه نهج فى عرض هذه المادة نهجا جديدا يُسهِّل جَناها للدارسين .

ولست أدرى موقفه من علم القوافى ، وهو ملازم لعلم العروض وشقيق له فى التأليف ، غير أنه قد وصل فى كتابه « عيار الشعر » الى حصر قوافى الشعر .

غرامه برواية الحديث

ولعله كان مغرما برواية الحديث كذلك ، وان لم تكن له آثار فيه ، أو لعله ، وهو كان يرى أن لو تشر الرسول لكان من كبار حفاظ الحديث وراوية كأبى هريرة :

ولو نشر النبى لكنت منه
مكان « أبى هريرة » غير مَيْن

وكانت « اصبهان » ، كما ذكرنا ، تعنى برواية الحديث وحفظه .

مثل من قوة ذاكرته

وأعان « ابن طباطبا » على طلب العلم ما عرف به من « الذكاء والفطنة ، وصفاء القريحة ، وصحة الذهن » .

ومما يروى للدلالة على سرعة حفظه ان أحد الرواة ذكر ان « ابن طباطبا » دخل الى دار حُملت اليها من « بغداد » نسخة من شعر « عبدالله بن المعتز » فطلب استعارتها، فسوّف بها ، فتمكن فى الدار أن ينظر فيها ، ثم طلب محبرة وقرطاسا ، ثم اخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطعات من الشعر ، حتى اذا فرغ من نسختها احصيت الأبيات التى قيدها ، فبلغ عددها مائة وسبعة وثمانين بيتا حفظها من شعر « ابن المعتز » فى ذلك المجلس ، واختارها من بين سائرها . وكان ذلك فى آخر أيامه .

اتخذ من غناه سببا للتفرغ وتحصيل العلم

وساعده عليه أيضا انه كان غنيا يستطيع ان يفرغ للدراسة والاطلاع ، ويدلنا على غناه انه يقول لمن يزهّده فى طلب العلم بحجة انه لا يجلب الغنى :

اذا عدّ أغنى الناس لم أكُ دونه
وكنت أرى الفخر المسود دونه

فهو غنى ، ولكنه لا يكتفى من الحياة بالغنى وحده ، بل يريد الى جانبه مجدا علميا يجلب له الفخر والسؤدد .

واذا كان « ابن طباطبا » غنيا يكره الفقر ، ويرى أن الحر يؤثر الموت عليه ، اذ يقول :

قد يصبر الحرُّ على السيف
ويجزع الحرُّ من الحَيف
ويؤثر الموت على حالة
يعجز فيها عن قِرى الضيف

فانه كان يحب القصد فى الغنى ، ويكره الاسراف فيه ، ويرى الشراهة فى جمع المال مهلكة لصاحبها ، اذ تصرفه عن المجد العلمي ، ولعلنا ندرك ذلك من قوله :

ان فى نيل المنَى وشك الردى
وقياسُ القصد ضدُّ السَّرَف
كسراج دُهنه قوتٌ له
فاذا غرّقته فيه طفى

ومما لا ريب فيه أن ذلك خير الأوضاع لطالب العلم والتفرغ له :

غنى لا تصحبه شراهة الى الازدياد .

كتبه ومؤلفاته

ولم يقتصر « ابن طباطبا » على التحصيل وحده ، بل ترك لنا انتاجا أدبيا بقى بعضه وباد بعضه ، فمن ذلك :

١ ـ كتاب « عيار الشعر » الذى جمع آراءه فى النقد الأدبى ، وقد حققه وعلق عليه ، وقدم له ، ونشره سنة ١٩٥٦م الدكتور طه الحاجرى والدكتور محمد زغلول سلام .

٢ ـ وكتاب « تهذيب الطبع » ولعله هو كتاب « الشعر والشعراء » الذى نسبه اليه « ابن النديم » فى كتابه : « الفهرست » .

اما كتاب « تهذيب الطبع » فقد اشار اليه الناقد فى اكثر من موضع فى كتابه : «عيار الشعر»

فهو يبين الغرض من تاليفه اذ يقول : « وقد جمعنا ما اخترناه من اشعار الشعراء فى كتاب سميناه : « تهذيب الطبع » يرتاض من تعاطى قول الشعر بالنظر فيه ، ويسلك المنهاج الذى سلكه الشعراء ويتناول المعانى اللطيفة كتناولهم اياها ، فيحتذى على تلك الأمثلة فى الفنون التى طرقوا اقوالهم فيها » .

٣ ـ وله « كتاب فى العروض » قال عنه ياقوت : « انه لم يسبق الى مثله » وقد سبقت الاشارة اليه .

٤ ـ وكتاب « سنام المعالى » ، ولا أدرى عنه شيئا .

٥ ـ وكتاب « فى المدخل فى معرفة المعمّى من الشعر » ، وعنوانه يدل على موضوعه ، فهو شرح لأبيات غامضة المعنى ، يدل على تعمق صاحبه فى فهم غريب الأشعار ، وادراك معانيها الغامضة .

٦ ـ وكتاب فى « تقريظ الدفاتر » سبق أن أشرنا اليه .

٧ ـ وكتاب فى « الشعر والشعراء » نسبه اليه « ابن النديم » ، ولعله كتاب « تهذيب الطبع » الذى لم يذكره له صاحب الفهرست .

٨ ـ وديوان شعره .

ولم يبق لنا من ذلك اليوم ، فيما أعرف ، سوى كتاب « عيار الشعر » ، وبضع قصائد وابيات متناثرة أوردها معجم الأدباء ، ومحاضرات الأدباء وتحفة العجائب وطرفة الغرائب ، وكتاب التشبيهات ، والمحمدون من الشعراء وأشعارهم والمصون فى الأدب .

وقد يورد بعض هؤلاء بيتا أو بيتين ، ثم يقول : « وهى أبيات كثيرة ذات أوصاف » ، ويقول القفطى فى كتابه : « المحمدون من الشعراء » : « واكثر شعره فى الغزل والآداب » .

صنع قصيدة ليس فيها كاف أو راء

ومما يذكر ان « ابن طباطبا » كان يؤمن ، لتمكنه من اللغة ، بمقدرته على أن يتجنب من الكلمات ما يصعب النطق به على من بلسانه عيب يحول بينه وبين النطق ببعض الحروف ، ويروى عنه انه قال : « والله أنا أقدر على أبىّ الكلام من واصل بن عطاء » .

ويروون للتدليل على ذلك ان ولدا لأحد أعيان الرجال كانت به لكنة شديدة حتى كان لا يجرى على لسانه حرفان من حروف المعجم ، هما : الراء ، والكاف ، يضع الغين مكان الراء، والهمزة مكان الكاف ، فكان اذا اراد أن يقول : « كركى » يقول : (أغأى) ، فعمل « ابن طباطبا » قصيدة فى مدح أبيه ، حذف منها حرفى لكنة الولد ، ولقنه اياها ، حتى رواها لأبيه ، ففرح بها فرحا شديدا . ومن تلك القصيدة :

يا سيد دانت له السادات
وتتابعت فى فعله الحسنات
وتواصلت نعماؤه عندى ، فلى
منه هبات خلفهن هبات

وهى قصيدة طويلة تبلغ تسعة وأربعين بيتا ختمها بقوله :

لو واصل بن عطاء البانى لها
تليت ، توهم أنها آيات
لولا اجتنابى أن يمل سماعها
لأطلتها ما خطت التاءات

وليس شعره ما يرفعه ، حتى الى درجة أوساط الشعراء ، ولكنه مما لا شك فيه أن معالجته لنظم الشعر جعلت له نظرات صائبة فى النقد الأدبى ، لأنها ناشئة عن ممارسة وتجربة.

آراءه فى النقد الأدبى

وكثير من آرائه فى النقد الأدبى لم تفقد مع الزمن صحتها وجدتها . بل ان له بعض التعبيرات التى تشبه الى حد كبير تعبيراتنا الحديثة .

خطته فى نظم الشعر

أ ـ فمن أثر ممارسته لنظم الشعر هذا الرأى الذى أبداه فى طريقة قرض الشعر ، واغلب الظن انه كان يتبع هذا النهج فى صنع قصائده . يقول « ابن طباطبا » : اذا اراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذى يريد بناء الشعر عليه فى فكره نثرا ، واعد له ما يلبسه اياه من الألفاظ التى تطابقه ، والقوافى التى توافقه ، والوزن الذى يسلس له القول عليه ، فاذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذى يرومه أثبته ، واعمل فكره فى شغل القوافى بما تقتضيه من المعانى ، على غير تنسيق للشعر ، وترتيب لفنون القول فيه ، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه ، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله . فاذا كملت له المعانى ، وكثرت الأبيات،

وفق بينها بابيات تكون نظاما لها ، وسلكا جامعا لما تشتت منها . ثم يتامل ما قد أداه اليه طبعه ، ونتجته فكرته ، فيستقصى انتقاده ، ويرمى ما وَهى منه ، ويبدّل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية . وان اتفقت له قافية قد شغلها فى معنى من المعانى ، واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول ، وكانت تلك القافية اوقع فى المعنى الثانى منها فى المعنى الاول ، نقلها الى المعنى المختار الذى هو أحسن ، وابطل ذلك البيت أو نقض بعضه وطلب لمعناه قافية تشاكله ، ويكون كالنساج الحاذق ... وكالنقاش الرفيق الذى يضع الأصباغ فى أحسن تقاسيم نقشه ، ويشبع كل صبغ منها، حتى يتضاعف حسنه فى العيان».

تلك هى الخطة التى أوصى « ابن طباطبا » باتهاجها فى نظم القريض ان يختار الشاعر الوزن والقافية ، ثم يتقبل ما يجود به خاطره من شعر يتعلق بالمعنى الذى يريد النظم فيه ، ثم يقوم بتثقيفه وترتيبه ، حتى تصبح القصيدة مترابطة متسقة .

واختيار الشاعر للوزن والقافية مما يطالب به « ابن طباطبا » صانع الشعر ، حتى لا يقع فى وزن يصعب عليه المعنى فيه . وقد كرر الدعوة الى اختيار القافية فى موضع آخر من كتابه بعد ان حصر الوان القوافى ، فقال : « اختر من بينها اعذبها ، وأشكلها للمعنى الذى تروم بناء الشعر عليه » ، وذلك حتى لا يقع الشاعر فى قافية لا تسلس لخواطره ، ولا تنقاد لمعانيه .

دعوته الى وحدة القصيدة

ب ـ واذا كان « ابن طباطبا » قد دعا الى أن يضع الشاعر بين ابياته ما يربط بين هذه الأبيات حتى تتسق القصيدة ، فذلك لأنه دعا الى وحدة القصيدة دعوة حارة ، وهو فى ذلك يشبه آراء النقاد المحدثين اذ يقول : « وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره، .. » فان قدم بيت على بيت دخله الخلل ... فان الشعر اذا اسس تأسيس كلمات الحكمة المستقلة بذاتها ، والأمثال السائرة الموسومة باختصارها ، لم يحسن نظمه ، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة ، فى اشتباه اولها باخرها ، نسجا حسنا ، وفصاحة وجزالة الفاظ ، ودقة معان ، وصواب تأليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه الى غيره من المعانى خروجا لطيفا ، .. حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة افراغا .. تقتضى كل كلمة ما بعدها ، ويكون ما بعدها متعلقا بها ، مفتقرا اليها » .

ولكن ينبغى أن نشير هنا الى أن « ابن طباطبا» مع دعوته الى وحدة القصيدة والتلاؤم بين أجزائها، لم يمنع أن تشتمل القصيدة على الغزل والمدح ، على أن يتخلص من احدهما الى الآخر بألطف تخلص ، بلا انفصال للمعنى الثانى عما قبله ، بل يكون متصلا به ، وممتزجا معه .

وعنده الصدق فى الشعر ضرورة

جـ ـ واذا كان ابن طباطبا قد الح على ضرورة وحدة القصيدة حتى تصبح كالكلمة ، فانه قد الح على ضرورة الصدق ، وهو ما نسميه اليوم بصدق التجربة ونكاد اليوم تعبّر كما عبّر ناقدنا العربى القديم عندما قال بعد حديثه عن اسباب تأثير الشعر فى النفس : « فاذا وافقت هذه المعانى هذه الحالات تضاعف حسن موقعها عند مستمعها، لا سيما اذا ايدت بما يجلب القلوب من الصدق عن ذات النفس ، بكشف المعانى المختلجة فيها ، والتصريح بما كان يكتم منها ، والاعتراف بالحق فى جميعها » .

هذه النظرة الصائبة ، الى الصدق فى الشعر يرى « ابن طباطبا » انها كانت متحققة فى شعراء الجاهلية الجولاء وصدر الاسلام .

نظرته من المبالغة والاغراق فى الشعر

د ـ غير ان شيئا يحتمل الكذب فيه فى حكم الشعر ، ذلك هو الاغراق فى الوصف ، والافراط فى التشبيه . ويورد الناقد امثلة للابيات التى اغرق قائلوها فى معانيها .

ويبدو لى أن « ابن طباطبا » لم يكن راضيا عن هذا الاغراق ، فانه يقول بعد أن أورد أمثلة : « وقد سلك جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل فى المعانى التى اغرقوا فيها » ، فالتعبير بجماعة يشعر باتجاهه الذى لا يرضى عن هذا الاغراق ، كما أنه عندما تحدث عما يجب على الشاعر أن يتبعه ، كان من ذلك أن يتعمد الصدق والوفق فى تشبيهاته وحكاياته . وان حرارته فى الحديث عن الصدق تدل على نفرته من المبالغة والاغراق .

الألفاظ كسوة المعاني ، والكسوة زينة

هـ ـ وللشعر الجيد صفات يجب أن تتحقق فيه ، وأخرى يجب أن يبرأ منها ، فمما ينبغي أن يتحقق في الشعر :

جودة معناه ، فالكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه ، كما قال بعض الحكماء : الكلام جسد وروح ، فجسده النطق وروحه معناه .

وأن تشاكل الألفاظ المعاني ، بمعنى أن يتأنق الشاعر في اختيار ألفاظه حتى تبدو المعاني في صورة قوية رائعة ، فإن الألفاظ للمعاني كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض . وكم من معنى حسن شين بمعرضه الذي أبرز فيه ، وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه ، وكم من زائف وبهرج قد نفقا على نقادهما، وكم من حكمة غريبة قد ازدريت لرثاثة كسوتها ولو جليت في غير لباسها ذلك لكثر المشترون إليها .

وهو بذلك كنقاد العرب الذين يعنون عناية كبرى بالصياغة وجمال عرض المعاني .

ولم يحدد ناقدنا ، أعني ابن طباطبا ، معنى القبح في المعنى،ولكنه ضرب الأمثلة للمعاني الواهية سوف نوردها في مكانها .

وأحسن الشعر ما وضعت فيه كل كلمة موضعها، حتى تطابق المعنى الذي أريدت له ، من غير حشو يجتلب ، كأنما جيء به لإكمال الوزن ، ومن غير تفريق بين الكلمة وأختها ، وأن تكون سهلة على اللسان ، غير مستكرهة في مكانها ولا متعبة .

ومن الكلمات التي ينبغي أن توضع في مكانها قافية البيت ، فينبغي أن تكون قد جاءت لمعنى يكمل به معنى البيت ، لا ليتم بها وزن الشعر ليس غير ، فيكون ما قبلها مسوقا إليها ، ولا تكون مسوقة إليه ، فتقلق في مواضعها ، ولا توافق ما يتصل بها ، ومعنى ذلك أن القافية ينبغي أن يسوق إليها معنى البيت ، فتأتي لتكمل معناه ، وتكون لذلك مستقرة في مكانها غير قلقة ولا متعبة، أما إذا تم المعنى بدونها ، واستجلبت القافية قسرا ، ليكمل وزن البيت من الشعر فحسب ، فبأنها تكون قلقة لا تتصل بما قبلها .

أما ما ينبغي اجتنابه في الشعر ، فالتفاوت في نسجه ، فإذا أسس الشاعر شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولد ، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها وكذلك إذا سهل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة الصعبة القياد .

ودعا « ابن طباطبا » الشاعر أيضا إلى اجتناب سفساف الكلام ، وسخيف اللفظ ، والمعاني المستبردة ، والتشبيهات الكاذبة ، والإشارات المجهولة ، والأوصاف البعيدة ، والعبارات الغثة، وجعل هذه الأشياء كأنما هي رقعة تزري بالثوب الجميل . ودعا إلى أن يستعمل الشاعر من المجاز ما يقارب الحقيقة ، ولا يبعد عنها ومن الاستعارات ما يليق بالمعاني التي يأتي بها .

وقريحة الشاعر وجب أن تزيد على عقله

و ـ وعاب « ابن طباطبا » أن تزيد قريحة الشاعر على عقله ، ومعنى زيادة القريحة أن يستغرق الشاعر في فنه، يبحث عن معنى له قيمته في حد ذاته ، بقطع النظر عن الظروف الأخرى . ومن الأمثلة التي ساقها الناقد العربي لذلك قول جرير :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة
لو شئت ساقكم إلي قطينا

فالشاعر هنا قد استغرق في فن الفخر بنفسه ، ومما لا شك فيه أن فخره يزداد قوة بأن يكون قريبا لخليفة دمشق ، وأن يكون الخليفة بحيث لا يرد له طلبا ، فلو أنه طلب منه أن يجعلهم خدما له لنفذ الخليفة له ما يريد . ونسي جرير في غمرة الفخر أن الخليفة أكبر من أن يؤمر ولذلك يروى أن الخليفة قال له : جعلتني شرطيا لك . أما لو قلت « لو شاء ساقكم إلي قطينا » لسقتهم إليك عن آخرهم .

الشاعر لا يقبل إلا ما يرضاه عقله

ز ـ وابن طباطبا في هذا المقام يشبه النقاد المحدثين في نظرتهم الموضوعية إلى الشعر ، فإن الشعر إذا كان ذاتيا ، يصور تجربة ذاتية للشاعر، يختص بها ، ولها سماتها ومعالمها التي تخصه وحده ، فإن على الشاعر أن يتخذ هذه التجربة

الذاتية موضوع تامله ، يحكّم فيها عقله ، وينفذ فيها ببصيرته ، ويعرضها على تفكيره ، ليقبل منها ما يرضاه عقله ، ويرفض منها ما لا يرضاه . ولذلك جعل « ابن طباطبا » جماع الأدوات التى يحتاج اليها الشاعر كمال العقل الذى به تتميز الاضداد ، وعليه ان يحضر لبه عند كل مخاطبة ووصف ، ويعد لكل معنى ما يليق به ، ولكل طبقة ما يشاكلها .

والشعر المقبول هو ما تتجاوب أحاسيس النفس معه

ح ـ وجعل « ابن طباطبا » مقياس قبول الشعر ورفضه آن يورد على الفهم الثاقب ، فما قبله واصطفاه فهو واف ، وما مجه ونفاه فهو ناقص .

ويعلل « ابن طباطبا » لقبول الفهم الناقد للشعر الحسن ، ونفيه للقبيح منه ، واهتزازه لما يقبله ، وتكرهه لما ينفيه ، بأن كل حاسة من حواس البدن انما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له اذا كان وروده عليها ورودا لطيفا باعتدال لا جور فيه ، فالعين تالف المرأى الحسن ، وتقذى بالمرأى القبيح الكريه ، والأنف يقبل المشم الطيب ، ويتأذى بالنتن الخبيث ، والفم يلتذ بالمذاق الحلو ، ويمج البشع المر ، والأذن تتشوف للصوت الخفيض الساكن ، وتتأذى بالجهير الهائل ، واليد تنعم بالملمس اللين الناعم ، وتتأذى بالخشن المؤذى ، وكذلك الفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ، ويتشوف اليه ، ويستوحش من الكلام الجائر ، والخطأ الباطل ، والمحال المجهول المنكر .

وعلة كل حسن مقبول الاعتدال ، كما أن علة كل قبيح منفى الاضطراب .

ويذكر لقبول النفس للشعر علة أخرى ، تلك هى أنها تجد الشعر مترجما عما تحس به ، فاذا ورد عليها فى حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له ، وحدثت لها أريحية وطرب .

ولا ينسى ما للوزن من أثر فى النفس ، فللشعر الموزون ايقاع يطرب الفهم لصوابه ، وما يرد عليه من حسن تركيبه ، واعتدال أجزائه .

فاذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعذوبة اللفظ ، فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تم قبوله له ، وان نقص جزء من أجزائه التى يعمل بها ، وهى اعتدال الوزن ، وصواب المعنى ، وحسن الألفاظ ، كان انكار الفهم اياه على قدر نقصان اجزائه . ومثال ذلك الغناء المطرب الذى يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه ولفظه ، مع طيب الحانه ، فاما المقتصر منه على طيب اللحن منه دون ما سواه فناقص الطرب .

ولحسن الشعر وقبول الفهم اياه علة اخرى ، وهى موافقته للحال التى يعد معناه لها ، كالتحريض على القتال عند طلب المغالبة ، وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشق ، واهتياج شوقه ، وحنينه الى من يهواه .

ويسجل « ابن طباطبا » أثر الشعر فى النفس ، فيرى أنه يمازج الروح ، ويكون أنفذ من نفث السحر ، واخفى دبيبا من الرقى ، واشد اطرابا من الغناء .

ومِحك الشعر الجيّد أن ينثر ، فيظل جزلا

ط ـ وله مقياس يقيس به الشعر المحكم المتقن ، هو أن ينثر ، فالأشعار الأنيقة الالفاظ ، الحكيمة المعانى ، العجيبة التأليف ، هى التى اذا نقضت وجعلت نثرا ، لم تبطل جودة معانيها ، ولم تفقد جزالة تأليفها ، أما الأشعار المموهة فهى التى لا يصلح نقضها لبناء يستأنف منه .

الشعر واستكراه القوافى

ى ـ وهو كثيرا ما يعقد الموازنة بين الشعر والنثر ، فللشعر فصول كفصول الرسائل ، بل انه يرى الشعر رسائل معقودة ، والرسائل شعرا محلولا .

ويرى الشعر المتقن هو الذى يخرج خروج النثر فى سهولة ، وعدم استكراه قوافيه ، أو التكلف فى معانيه .

ويورد من الأمثلة ما يبين به ما بين الشعر والنثر من أخذ وعطاء .

وكل ذلك مع اعترافه بما لموسيقى الشعر من أثر عميق فى النفوس .

ومن الشعر الرائق سمعا ، الواهن معنى

ك ـ والشعر عند « ابن طباطبا » انواع :

فمنه شعر محكم النسج ، متمكن القواف، كقول ابى ذؤيب :

أمن المنون وريبها تتوجع
والدهر ليس بمعتب من يجزع
واذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفع
والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع

ومنه شعر حسن الألفاظ المستعذبة الرائقة سماعا ، الواهية معنى ، كقول جرير :

ان الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن ، وقلن لى :
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

الشعر فى حاجة الى التهذيب من بعد قوله

ل ـ « وابن طباطبا » لا يكتفى بما يرد على الخاطر من اول الأمر ، ولكنه يدعو الى أن يعاود الشاعر شعره بالتهذيب والتثقيف والنقد ، وقد سبق أن رأيناه عندما كان يتحدث عن الانتاج الأدبى يدعو الشاعر الى ان يتامل ما قد أداه اليه طبعه، فيستقصى انتقاده ، ويرم ما وهى منه .

وفى موضع آخر يدعوه الى الا يظهر للناس شعره الا بعد اصلاحه ، وثقته من جودته .

ويرى الشاعر قديرا على التثقيف والتهذيب ، حتى يسلس له القول ، ويطرد له المعنى .

الشاعر يبتكر ، ولا يعيش على معانى الشعراء

م ـ ويدعو الشعراء الى الابتكار ، ويكره ان يعيش الشاعر كلا على الشعراء، يغير على معانيهم، فيودعها شعره ، ويخرجها فى أوزان مخالفة لأوزان الأشعار التى يتناول منها ما يتناول ، ويتوهم ان تغييره للألفاظ والاوزان مما يستر سرقته ، او يوجب له فضيلة .

على انه مع ذلك لا يحرم على الشاعر ان يأخذ معنى سبق به على شريطة أن يبرزه فى أحسن من الكسوة التى كان عليها ، وحينئذ لا يعاب ،بل يكون له فضله واحسانه ، فلا بد من عمل يبذله الشاعر ، وجهد يؤديه ، والا صار شعره كالشىء المعاد المملول .

وهو ، مع دعوته الى الابتكار نبه الى ضرورة أن تكون عين الشاعر يقظة متنبهة لما يجد فى الزمن من أمور تخالف الأعصر السابقة ، ليكون فى الشعر غرائب مستحسنة ، وعجائب بديعة مستطرفة ، من صفات وحكايات ومخاطبات فى كل فن توجبه الحال التى ينشأ قول الشعر من أجلها .

ومطلع القصيدة وحسن التخلص

ن ـ وعنى « ابن طباطبا » عناية خاصة بمطلع القصيدة ، وحسن التخلص فيها، ولعل ذلك راجع الى ان المطلع له أثره فى السامع وجذب انتباهه الى ما يلقيه الشاعر ، وللأثر الأول فى النفس عمقه وبقاؤه .

وعنايته بحسن التخلص ليبقى للقصيدة انسجامها وترابطها .

فينبغى للشاعر أن يحترز فى مفتتح أشعاره مما يتطير به،أو يستجفى من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء ، ووصف اقفار الديار ، وتشتت الآلاف ، ونعى الشباب ، وذم الزمان ، ولا سيما فى القصائد التى تضمن التهانى ، وتستعمل هذه المعانى فى المراثى ، ووصف الخطوب الحادثة ، حذرا أن يتطير السامع ، وان كان يعلم أن الشاعر انما يخاطب نفسه .

ويرى أن حسن التخلص ، والتلطف فى وصل مقدمة القصيدة بالغرض منها ، مما أبدعه المحدثون من الشعراء ، دون من تقدمهم .

وهو يعجب بالأقدمين من الشعراء ، ولا يبخس الأحدثين

س ـ وناقدنا العربى هذا يحمل للمتقدمين

كل تقدير واكبار ، ويؤمن بما وهبوه من طبع دقيق ، فاذا اتفق لك فى أشعار العرب التى يحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول فابحث عنه ، وتفقّر عن معناه ، فانك لا تعدم أن تجد تحته خبيئة اذا اثرتها عرفت فضل القوم بها ، وعلمت انهم ادق طبعا من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته .

ولكنه مع ذلك ينقدهم، كما رأيناه عند تصريحه باننا نجد عندهم أبياتا لا يلتئم شطراها ، كما سبق أن مثلنا .

ولا يتعصب ضد المحدثين من الشعراء ، ويراهم قد سلكوا منهاج من تقدمهم بل يراهم قد ابدعوا واجادوا ، ويعرف لهم ذلك بخاصة فى حسن التخلص وجمال القوافى . وهو صريح فى تقريره ان تقدم الزمن لا يكسب الشعر مزية وفضلا . ويقدّر كذلك أن المولدين اتوا فى أشعارهم بعجائب، وان كانوا قد استفادوها ممن تقدمهم ، ولكنها تسلم لهم اذا ادعوها للطيف سحرهم فيها .

غير ان له فى القدماء والمحدثين رأيا لا نتفق معه فيه ، وربما كان متأثرا فى ذلك بابن قتيبة ، اذ يرى ان اشعار المحدثين متكلفة غير صادرة عن طبع صحيح كاشعار العرب التى سبيلهم فى منظومها سبيلهم فى منثور كلامهم الذى لا مشقة عليهم فيه.

فالحكم بان اشعار المحدثين غير صادرة عن طبع صحيح ، لا مكان له من الصحة ، فكثير من الشعراء المحدثين مطبوع يصدر شعره عن قريحة فياضة لا شك فيها .

والحكم بان العرب لم يكونوا يجدون مشقة فى انتاج شعرهم مما لا يقره تاريخ ادبهم ، فمن شعرائهم من كان يتوفر على انتاجه وقتا طويلا ، حتى يخرج انتاجه مهذبا مصفى .

ويعترف « ابن طباطبا » بأن صناعة الشعر اشق على شعراء زمانه منها على من كان قبلهم ، ويعلل ذلك بأن القدماء قد سبقوا الى كل معنى بديع ، ولفظ فصيح ، وكان من نتيجة ذلك ان المحدثين اذا أتوا بما يقصر عن معانى السابقين ، لم يتلق شعرهم بالقبول .

ولعل السر فى هذه المشقة ان المحدثين لم يفتحوا من أبواب الشعر غير تلك الابواب التى كانت للسابقين ، ولو انهم طرقوا ابوابا أخرى لوجدوا مجال القول واسع الميدان .

حفظ الجيد من أشعار الماضين ذخيرة

ع ــ ومنهجه فى تربية الذوق والتدريب على الانتاج الأدبى الجيد هو الاتصال بالنصوص الأدبية، لتأملها وتقويم اللسان بها ، لا ليعيش كلاً عليها، ومن أجل ذلك ألف كتابه : « تهذيب الطبع » ، واكثر من الشواهد فى « عيار الشعر » ، فعلى الشاعر ، كما قال : « أن يديم النظر فى الأشعار التى قد اخترناها ، لتلتصق معانيها بفهمه ، وترسخ اصولها فى قلبه ، ويذهب فى ذلك الى ما يحكى عن خالد بن عبد الله القسرى قال : « حفظنى أبى ألف خطبة ، ثم قال لى : تناسها، فتناسيتها ، فلم أرد بعد ذلك شيئا من الكلام الا سهل عليَّ » ، فكان حفظه لتلك الخطب رياضة لفهمه ، وتهذيبا لطبعه ، وتلقيحا لذهنه ، ومادة لفصاحته ، وسببا لبلاغته ، ولسنه وخطابته .

ولا يزال لهذا الرأى وجاهته فى تربية الذوق ، وتثقيف الشاعر ، وتقويم طبعه .

كتب النقد التي سبقت ابن طباطبا وتأثر بها

وشهد العصر الذى عاش فيه « ابن طباطبا » بعض الكتب التى الفت فى النقد الأدبى ، وورث بعضها . منها :

ا ــ فمن ذلك كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، ويظهر انه قرأ هذا الكتاب ، وتأثر ببعض آرائه ، رغبة منه فى تقسيم الشعر ، فاننا نجد بين التقسيمين كثيرا من التشابه :

ب ــ ومن كتب ذلك العصر كتاب « قواعد الشعر » لثعلب ، ولا نكاد نجد صلة تربط بين الكتابين،لا من حيث المادة ، ولا من حيث الاتجاه، ولا من حيث المعالجة لما اتفقا فيه من بعض الموضوعات .

جـ ــ اما صلته بابن المعتز فيقول عنها ياقوت: ذكر ابو عبد الله حمزة بن الحسن الاصبهانى قال: سمعت جماعة من رواة الأشعار ببغداد يتحدثون عن عبد الله بن المعتز انه كان لهجا بذكر ابى الحسن : (ابن طباطبا) ، مقدما له على سائر اهله ، ويقول : « ليس فى ولد الحسين من يشبهه » .

وكان يعرف شعر « ابن طباطبا » .

وكان « ابن طباطبا » ايضا طول أيامه مشتاقا الى « عبد الله بن المعتز » متمنيا ان يلقاه ، او يرى شعره ، فأما لقاؤه فلم يتفق له ، لأنه لم يفارق « اصبهان » قط ، واما ظفره بشعره ،فانه اتفق له فى آخر ايامه .

ومن الجائز ان يكون«ابن طباطبا» قد عرف بعض شعر «عبد الله بن المعتز» وعرف كتابه فى «البديع» وربما كان لذلك أثره فى اكثار « ابن طباطبا » من الشعر فى الطبيعة ، وفى تأليف كتبه ، فهو أمير علوى ، ليس بغريب أن يتشبه بأمير عباسى . غير ان هناك فرقا كبيرا فى اتجاه كتابى الرجلين ، فاذا كان اتجاه « ابن طباطبا » اتجاها علميا لبيان نظم الشعر ، وما ينبغى أن يتحقق فيه ليكون جيدا ، ودراسة أسباب تأثير الشعر فى النفس ، فان كتاب البديع لابن المعتز يحدد صاحبه هدفه بقوله : « قد قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا فى القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون « البديع » ، ليعلم ان بشارا ومسلما وأبا نواس، ومن تقيلهم ، وسلك سبيلهم ، لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكنه كثر فى أشعارهم ، فعرف فى زمانهم ، حتى سمى بهذا الاسم .. » .

د ـ وتحدث « المبرد » فى كتابه : « الكامل » عن التشبيه ، قبل « ابن طباطبا » ، ولكن لم يبد أثر واضح لهذا الفصل فى كتاب « عيار الشعر » .

هـ ـ ونجد ايضا كتاب نقد الشعر ، لقدامة ابن جعفر ، وقد تعرض الناقدان لأمور اشتركا فى الحديث عنها :

فمن ذلك حديثهما عن العروض ، وأن وزن الشعر يعود الى طبع فى الشاعر ، لا الى تعلم ذلك العلم ، ولا يحتاج احدهما فى ذلك أن يأخذ عن صاحبه .

أثر ابن طباطبا فيمن جاء بعده

وظهرت آراء « ابن طباطبا » ، وبدا أثره فيمن جاء بعده من النقاد :

أ ـ فرأينا « المرزبانى » فى كتابه الموشح يروى آراءه فى الشعر، وقد ينقل عنه عدة صفحات متوالية .

ب ـ وأما صلته بأبى هلال العسكرى صاحب الصناعتين ، فقد رأيناه ينقد بعض شعره، كقوله:

فيا لائمى ، دعنى أغالى بقيمتى
فقيمة كل النـــاس ما يحسنونه

جـ ـ ونجد المرزوقى فى مقدمته لشرح الحماسة ينقل بعض آرائه ، موافقا لها ، كنقله رأيه فى أن الشعر ما ان عرى من معنى بديع لم يعر من حسن الديباجة ، وما خالف هذا فليس بشعر.

د ـ ويشارك « ابن خلدون » « ابن طباطبا » رأيه فى تربية الذوق الادبى اذ يرى وسيلته فى مخالطة كلام العرب ، فبها تحصل الملكة لتذوق الكلام ، ويستعان على نظمه .

هـ ـ ووجدنا صدى لآرائه فى طريقة نظم الشعر، وضرورة تثقيفه وتنقيحه عند ابن أبى الأصبع المصرى ، فرأيناه يوصى الراغب فى نظم القريض أن يحصل المعنى قبل اللفظ ، وان يعمل الأبيات مفرقة بحسب ما يجود بها الخاطر ، ثم ينظمها بعدئذ .

و ـ ويظهر أن آراء « ابن طباطبا » كان لها صدى فى أوساط النقد الأدبى،وكان كثير من العلماء يحتجون بها ، وكان بعض النقاد يعارض بعضها ، ويخطئه . وقد رأينا صدى ذلك فى كتاب ألفه الآمدى فى « اصلاح ما فى عيار الشعر » لابن طباطبا » ، كما حدثنا بذلك « ابن النديم » فى كتابه : الفهرست .

ولسنا ندرى مآخذ الآمدى على الناقد العلوى، لأن الكتاب لم يرد الينا . ولسنا ندعى أن آراء « ابن طباطبا » فى النقد الأدبى وانتاج الشعر صحيحة كلها ، ولكننا نقول انها آراء جديرة بانعام النظر والعناية .

وبعد فهذه دراسة لناقد عربى مضى عليه اكثر من الف عام ، ولا تزال لآرائه جدتها وحيويتها ، ولها مكانتها فى مجال المناقشة والموازنة بين ما اهتدى اليه الآباء منذ القدم ، وما وصلنا اليه فى العصر الحديث . ■■

أحمد أحمد بدوى



دردشة

قرود جبل طارق : تقرر مصير القاعـدة البريطانية !



● يعيش فى جبل طارق نوع من القردة يسمونه القرد البربرى ، وهو نوع فريد لا يوجد مثله فى غير الجزائر والمغرب والعجيب ان هناك اسطورة تقول ان بقاء بريطانيا فى جبل طارق مرهون ببقاء هذا النوع من القردة فيها ، فاذا ، ما انقرضت أو هاجرت الى مكان آخر كان ذلك نذيرا بجلاء بريطانيا عن القاعدة وخروجها من يدها الى الأبد .

العالم يحكمه المجانين !

● **سئل الكاتب الامريكي وليم ساروريان عن مستقبل الانسانية فى ربع القرن القادم فقال :** لا ادرى ان كان الانسان سيحتفظ بعقله ، فينجو ، وتنجو معه البشرية مما يهددها من اخطار ، ام انه سيظهر بين الساسة الكبار مجنون مثل هتلر فيرتكب الحماقة التى تهلك الحرث والنسل وتقضى على تراث الانسانيـة !

ويقول المؤرخ الانجليزى « توينبى » :

ان انسان العصر الحديث لم يعد عاقلا ، وانما هو نصف عاقل ونصف مجنون .. وستكشف الأيام أى النصفين ينتصر : العقل .. ام الجنون ؟ !

اختـــار من الشر أهونه !

● قيل لاحد الفلاسفـة : لماذا اخترت زوجـة دميمـة ، وأنت رجل وسيم ؟

قال : لقد اخترت من الشر اهونـه !

كلمات سقراط

● قال سقراط : « مَنْ كثر احتماله ، وظهر حلمه ، قل ظلمه ، وكثرت أعوانه . ومن قل همه على ما فاته ، استراحت نفسه ، وصفا ذهنه » .

وقال : « من أعطى الحكمة فلا يجزع لفقد الذهب والفضة . لأن من أعطى السلامة والدعة لا يجزع لفقد الالم والتعب ، لأن ثمار الحكمة السلامة والدعة ، وثمار الذهب والفضة الأصل والتعب » .

اقوال خالدة

● أن الذين يتنازلون عن حرياتهم مقابل أمان مؤقت ، لايستحقون لا الحرية ولا الأمان .

فرانكلين

● النجاح هو الخطيئة الوحيدة التي يرتكبها الانسان بحسن نية ، ومع ذلك لايغتفرها له زملاؤه !

امبروز بيرس

● السر الوحيد الذي تستطيع المرأة أن تحتفظ به ، هو عمرها !

فولتير



اتهام لفولتير

● اتهم مرة « فولتير » بأنه سرق بعض افكاره من أحد زملائه ، فأجاب متهميه :

ـ اذا كان هذا الكاتب سبقني الى ما كتبت فيكون قد سرق من الموضع الذي منه سرقت !

انه قرصني

● استطاع المحامي ان يؤثر فى نفوس القضاة والمحلفين ويحملهم على الرثاء لموكله الطفل ، بعد ان سمعوا بكاءه خلال دفاعه عنه . واخيرا سأل القاضي الطفل عما حمله على البكاء ؟ فأشار الى محاميه وأجاب قائلا :

ـ انه قرصني !

جمجمة نابليون !

● دخل مليونير امريكي محلا للعاديات القديمة فى باريس ، ورأى جمجمة ثمنها الف دولار ، فسأل عن صاحب الجمجمة فقيل له :

ـ انها جمجمة نابليون بونابرت .

فعجب الأمريكي وقال :

ـ ولكنى اشتريت فى العام الماضي جمجمة نابليون من هذا المحل .

فاجابه : تلك جمجمة نابليون فى شبابه ، وهذه جمجمة نابليون فى شيخوخته !!



هَلْ أَنتَ أَبٌ

بقلم : الدكتور علي احمد علي

دكتوراه فى التوجيه النفسى والتربوى
(جامعة كولمبيا . نيويورك)

تقع على الآباء مسئولية كبرى تجاه أبنائهم وانه وان لم تكن هناك مدارس معينة تعد الشخص لكى يكون ابا ناجحا الا أن وظيفة الاب تعتبر من أخطر وأهم الوظائف فى المجتمع ومن أصعبها جميعا ، وقد يسهل على الفرد ان يكون طبيبا ناجحا ، او مهندسا ناجحا ، أو عاملا ناجحا ، ولكنه ليس من السهل أن يكون أبا ناجحا .

■ الطفل عندما يولد يكون ضعيفا لاحول له ولا قوة ، لذلك يلجأ ويعتمد على ابويه لحمايته ونظافته وتغذيته واشباع حاجاته الاساسية . وتتم معظم معاملات الطفل ــ قبل التحاقه بالمدرسة الابتدائية ــ فى نطاق المنزل ، وغالبا ما تكون هذه المعاملات محصورة بينه وبين الوالدين والاخوة ، وعلى هذا الاساس تؤثر تأثيرا كبيرا على نمو الطفل العقلى والجسمى والانفعالى والاجتماعى . وتعتبر السنوات الاولى من حياة الطفل من أهم سنى حياته اذ انه فى هذه السنوات يكون مداركه عن نفسه ويكتسب الكثير من العادات والمهارات .

ومعاملة الوالدين لاطفالهم والعلاقة بين الوالدين أنفسهم لها أكبر الاثر على اتجاهات الاطفال ونموهم النفسى السليم . وكثيرا ما يرتكب الآباء الاخطاء فى معاملتهم لاطفالهم . وغالبا ما تكون هذه الاخطاء بحسن نية وقد ترجع هذه الاخطاء التى يرتكبها الآباء الى دوافع ونزعات لاشعورية .

فغالبا ما يؤدى حب الوالدين الشديد لطفلهم ،واجابتهم لجميع مطالبه الى افساد حياته . فيخرج الطفل الى الحياة العملية ضعيف الشخصية غير معد



لتحمل الصعاب او تخطى العقبات ، لانه سوف لايجد فى هذه الحياة العمليــة الحب الشديد والمطالب المجابة التى تعودها فى المنزل .

وقد يؤدى حرص الآباء الشديد على الوصول بأبنائهم الى اعلى مستويات التعليم الى الدفع بهؤلاء الابناء الى انواع معينة من الدراسة ليس عند الابناء القدرة على النجاح فيها ، او قد لايكون عندهم اى ميل لهذه الدراسة . وقد يؤدى ذلك الى فشل الابناء فى دراستهم وما يتبع ذلك من شعور بالعجز والنقص وفقدان الثقة بالنفس .

وقد ينتج عن اخطاء الآباء فى تربية ابنائهم ان يشب هؤلاء الابناء ضعفاء الثقة بالنفس ، ينقصهم الشعور بالكفاءة والامن ، وتعوزهم القدرة على حل المشكلات التى تواجههم ، عاجزين عن تحمل المسئولية مهما كان مستواها .

وكلما زاد الآباء فهمهم لانفسهم ازدادوا فهما لابنائهم . فالكثير من مشكلات الابناء ترجع فى اساسها الى الآباء ، وان كانوا دائما ينتحلون لانفسهم المعاذير ويلقون دواما اللوم على اطفالهم .

وكلما ازداد فهم الآباء لاطفالهم اصبحوا اكثر قدرة على التعامل والتفاهم والتفاعل والتجاوب معهم ، وزادت بذلك قدرة هؤلاء الآباء على حل مشكلات الاطفال وتنشئتهم تنشئة سليمة صحيحة .

هل أنت أب ناجح :

ستجد فى الصفحة التالية استبيانا يتكون من خمسين سؤالا . وهذا الاستبيان قد اعد للآباء الذين لهم اطفال ممن تتراوح اعمارهم بين ثلاث سنوات وعشر . وقد قصد منه مساعدة الآباء على فهم اطفالهم وفهم الظروف المنزلية التى ينشأ فيها الطفل . وقد يساعد هذا الاستبيان على الكشف عن بعض الاتجاهات الضارة فى اساليب تربية الآباء للابناء والاستبيان وان كانت كتابته بصيغة المذكر الا أنه يصلح للآباء والامهات معا .

كيف تجيب على هذا الاستبيان :

ستجد بجانب كل سؤال ٤ خانات ، ثلاث منها تبين ثلاث مستويات للاجابة : غالبا ، أحيانا ، نادرا . وتحت كل منها الدرجة التى تستحقها الاجابة على كل سؤال بحسب مستواها . أما الخانة الرابعة فقد تركت لك لتضع فيها الدرجة التى تستحقها اجابتك ، وليس عليك الا ان تختار الاجابة التى تنطبق على حالتك او حالة طفلك اكثر من غيرها ثم ضع الدرجة التى تستحقها تلك الاجابة فى الخانة الرابعة . وبعد ان تنتهى من الاجابة على كل الاسئلة ، وتثبت الدرجة التى تستحقها اجابتك على كل سؤال فى المكان المخصص لها . سنخبرك كيف تحصل على النتيجة .

واليك الاستبيان :

السؤال	مستويات الاجابة ودرجة كل منها: غالبا	احيانا	نادرا	الدرجة التى تستحقها اجابتك
١ ـ هل طفلك سريع الانفعال ؟	١	٢	٣	
٢ ـ هل يمص طفلك اصابعه أو يقرض اظافره ؟	١	٢	٣	
٣ ـ هل يظهر طفلك الابتكار والثقة بالنفس عند قيامه ببعض الاعمال التى تعتبر جديدة بالنسبة له ؟	٣	٢	١	
٤ ـ هل يشعر طفلك بالسعادة عند اللعب مع غيره من الاطفال ؟	٣	٢	١	
٥ ـ هل يشعر طفلك بالسعادة عندما يلعب بمفرده اذا لم يجد حوله من الاطفال من يحب معهم ؟	٣	٢	١	
٦ ـ هل يتكلم طفلك معك بحرية عن أمور تتصل بالجنس ؟	٣	٢	١	
٧ ـ هل تشعر بأن طفلك كسول وخامل لايهتم بما يدور حوله ؟	١	٢	٣	
٨ ـ هل من السهل أن يتسرب الضيق الى نفس طفلك ؟	١	٢	٣	
٩ ـ هل ينتاب طفلك الخوف ان وجد فى مكان مظلم او واجه احد الحيوانات الاليفة ؟	١	٢	٣	
١٠ ـ هل طفلك شديد الحساسية لنقد الآخرين ؟	١	٢	٣	
١١ ـ هل تغضب بانفعال اذا ما سلك طفلك سلوكا غير سوى ؟	١	٢	٣	
١٢ ـ هل تبدى اهتمامك قولا وعملا بنواحي النشاط المختلفة التى يقوم بها طفلك ؟	٣	٢	١	
١٣ ـ هل تجيب بصراحة وفى حدود ما تستطيع عن الاسئلة التى يلقيها عليك طفلك ؟	٣	٢	١	
١٤ ـ هل تحاول ان تسيطر على طفلك بتهديده بكلب ... أو تخويفه من رجل الشرطة أو الطبيب .... الخ ؟	١	٢	٣	
١٥ ـ هل تشارك طفلك لعبه ؟	٣	٢	١	
١٦ ـ هل تحاول ان تسيطر على طفلك بتهديده بعقاب معين تعرف مقدما انك سوف لاتقدم عليه باى حال من الاحوال (كالذبح بالسكين او الطرد من المنزل) ؟	١	٢	٣	
١٧ ـ هل تترك لطفلك فرصة اتخاذ بعض القرارات ؟	٣	٢	١	
١٨ ـ هل تشجع طفلك على ان يكون له اصدقاء من الاطفال فى مثل عمره ؟	٣	٢	١	
١٩ ـ هل تمعن فى اغاظة طفلك حتى يبكى أو يغضب ؟	١	٢	٣	
٢٠ ـ هل تتخذ من فشل طفلك فى بعض المواقف فرصة للتشجيع والتوجيه بدلا من استخدام هذا الفشل كوسيلة لعقابه ؟	٣	٢	١	

السؤال	مستويات الاجابة ودرجة كل منها			الدرجة التى تستحقها اجابتك
	غالبا	احيانا	نادرا	
٢١ ـ هل يضايقك أن تعطى زوجتك اهتماما زائدا لطفلك بعد أن كان كل اهتمامها موجها اليك ؟	١	٢	٣	
٢٢ ـ هل تفرض على طفلك نواحى نشاط معينة لمجرد انك كنت تمارسها وتستمتع بها أيام طفولتك وشبابك ؟	١	٢	٣	
٢٣ ـ هل تحتفظ باتزانك ولا تنفعل بشدة عند توقيعك العقاب على طفلك ؟	٣	٢	١	
٢٤ ـ هل تتحدث مع ضيوفك عن مشكلات طفلك فى حضرة الطفل نفسه ؟	١		٣	
٢٥ ـ هل تثنى على طفلك ان أحسن أو أجاد فى عمل يقوم به ؟	٣	٢	١	
٢٦ ـ هل تعتبر نفسك عصبى المزاج أو ممن يسهل استثارته ؟	١	٢	٣	
٢٧ ـ هل تعتقد بانك سعيد فى حياتك الزوجية ؟	٣	٢	١	
٢٨ ـ هل تتخذ طفلا آخر كمثال تأمل ان يحتذى به طفلك فى حياته وفى كافة تصرفاته ؟	١	٢	٣	
٢٩ ـ هل يسود منزلك جو من المرح والسرور ؟	٣	٢	١	
٣٠ ـ هل تختلف اختلافا شديدا مع زوجتك على بعض الموضوعات وتتشاجر معها فى حضرة الاطفال ؟	١	٢	٣	
٣١ ـ هل تسمح لطفلك بالاسهام فى بعض الاعمال المنزلية حتى ولو كان مستوى أدائه لهذه الاعمال منخفضا ؟	٣	٢	١	
٣٢ ـ هل تتفق وتتعاون مع زوجتك على الطريقة التى تربى وتعامل بها طفلك ؟	٣	٢	١	
٣٣ ـ هل تعامل طفلك نفس المعاملة على سلوك معين اذا تكرر منه هذا السلوك فى مناسبات وأوقات مختلفة ؟	٣	٢	١	
٣٤ ـ هل تعطى الفرصة لطفلك لان يطعم ويلبس نفسه ويستحم بمفرده فى سن مبكرة ؟	٣	٢	١	
٣٥ ـ هل تحرص على تلبية الدعوات لحضور المناسبات والاجتماعات المدرسية التى قد يكون فى مصلحة طفلك حضورها ؟	٣	٢	١	
٣٦ ـ هل تظهر قلقك ومخاوفك امام طفلك ؟	١	٢	٣	
٣٧ ـ هل تسمح لطفلك أن يصرف جزءا من مصروفه بالطريقة التى تحلو له ؟	٣	٢	١	
٣٨ ـ هل تبر بوعدك لطفلك ؟	٣	٢	١	
٣٩ ـ هل تسمح لطفلك أن ينتحل المعاذير التى يبرر بها فشله ؟	١	٢	٢	

	مستويات الاجابة ودرجة كل منها: غالبا	احيانا	نادرا	الدرجة التى تستحقها اجابتك
٤٠ ـ هل تشجع طفلك ان يقابل ويتحدث الى الضيوف الذين يأتون لزيارة الأسرة من حين لآخر ؟	٣	٢	١	
٤١ ـ هل تفرض على طفلك انواعا معينة من الاطعمة او تفرض عليه ان ينام فى ساعة معينة دون اية مرونة فى ذلك ؟	١	٢	٣	
٤٢ ـ هل تعتقد انك تعامل طفلك بامانة واخلاص ؟	٣	٢	١	
٤٣ ـ هل تعاقب طفلك على اقتراف اعمال أو التفوه باقوال تقوم انت نفسك بها ؟	١	٢	٣	
٤٤ ـ هل تقنع طفلك بالكلام والاقناع على ان يفعل شيئا لمساعدة الناس سيئى الحظ او ان يكون كريما جوادا مع الآخرين ؟	٣	٢	١	
٤٥ ـ هل انت راض عن عملك	٣	٢	١	
٤٦ . هل انت دائم التهكم والسخرية من تصرفات طفلك ؟	١	٢	٣	
٤٧ ـ هل تحمى طفلك من عواقب الافعال والاعمال التى يقوم بها فى الاحوال والظروف العادية ؟	١	٢	٣	
٤٨ ـ هل تتقبل نقد الغير لك وبصدر رحب ؟	٣	٢	١	
٤٩ ـ هل تترك نفسك تتنازعها الهموم ؟	١	٢	٣	
٥٠ ـ عند عقابك لطفلك هل تستخدم معه بعض الاساليب التى تشعر بعد ذلك بعدم الرضى عنها او الخجل منها ؟	١	٢	٣	

◎◎◎◎◎

كيف تحدد درجاتك فى الاستبيان ؟

سنضرب لك هنا بعض الامثلة التى تساعدك على ان تحدد الدرجة التى تستحقها عن كل سؤال . فمثلا اذا كانت اجابتك على السؤال الأول «غالبا» فانك تستحق درجة واحدة ، واذا كانت اجابتك على السؤال الثالث احيانا فانك تستحق درجتين . واذا كانت اجابتك على السؤال العاشر نادرا فانك تستحق ثلاث درجات وهكذا ... حدد الدرجات التى تستحقها عن كل سؤال من الخمسين واكتبها فى الخانة المخصصة لذلك ثم اجمع جميع هذه الدرجات التى حصلت عليها :

اذا حصلت على درجة تقل عن ١٢٠ فانك فى حاجة الى مراجعة اسلوب التربية الذى تتبعه مع طفلك . كما ان ذلك يدل على أن البيئة المنزلية التى يعيش فيها الطفل غير صالحة لنموه النمو السليم المتكامل وان وجود الطفل فى هذه البيئة قد يعرضه فى المستقبل الى اشد المخاطر اذا لم تعمل على ادخال التحسينات على هذه البيئة .

كيفية الاستفادة من الاستبيان :

حدد الأسئلة التى حصلت فيها على درجة واحدة فقط وادرس هذه الأسئلة بعناية . وحاول ان تتخذ من الاجراءات ما يكفل تعديل سلوكك بخصوص الموضوع المتصل بهذه الأسئلة . فان

حصولك على درجة واحدة على اى سؤال يعنى ان اجابتك على هذا السؤال اجابة غير مرضية . فمثلا اذا كانت اجابتك على السؤال رقم ٩ «غالبا» فمعنى هذا انك تستحق درجة واحدة على هذا السؤال . وسنذكر فيما يلى نص السؤال ثم نقوم بمناقشة هذا النص : ــ

هل ينتاب طفلك الخوف ان وجد فى مكان مظلم أو واجه أحد الحيوانات الأليفة ؟

قد يتساءل الآباء : اين تقع مسئولية الآباء هنا ــ اذا كان الخوف يقع من جانب الطفل ؟ والاجابة على ذلك أن الكثير من حالات الخوف عند الأطفال غالبا ما ترجع الى خبرات معينة مر بها الطفل فى حياته . والخوف قد يكون رد فعل طبيعى لموقف من المواقف كان يخاف الطفل النار لأنها سبق أن أحرقت له اصبعه ، فهذا خوف منطقى لا نخشاه . ولا يوجد انسان على هذه البسيطة بلا خوف .

ولكن الخوف كثيرا ما يتعدى الحدود المنطقية وذلك عندما يخاف الطفل أشياء معينة ليس من المفروض أن يخشاها : كأن يخاف أو يفزع عند رؤية بعض الحشرات المحدودة الضرر كالصرصور مثلا، أو بعض الحيوانات الأليفة كالقطط والكلاب. والبيئة المنزلية لها أثرها الأول فى اكتساب الطفل لكثير من مخاوفه . فقد يتعود الطفل الخوف من بعض الحيوانات الاليفة أو بعض الحشرات لمجرد أن الطفل شاهد مرارا أمه وقد أصابها هلع وخوف شديد عند رؤيتها لمثل هذه الحيوانات أو الحشرات . فمعظم حالات الخوف عند الأطفال هى فى الواقع مكتسبة .

والخوف غير المنطقى بين الأطفال يحتاج الى رعاية الآباء وعنايتهم ولكنه نظرا لكثرة الأسباب التى ترجع اليها حالات الخوف بين الأطفال وتعدد مظاهر هذا الخوف لذلك تحتاج كل حالة الى علاج خاص بها .

والمجال هنا لا يتسع لشرح أسباب الخوف عند الأطفال وكيفية علاجه لذلك فاننا نحيل القارىء الى بعض كتب الصحة النفسية وكتب علم نفس الطفولة اذا أراد أن يعرف شيئا عن تفاصيل هذا الموضوع .

مثال آخر : اذا أجبت على السؤال رقم ٣٧ بـ « نادرا » فمعنى ذلك أن تسلك سبيلا غير قويم فيما يتصل بعدم تركك لطفلك الحرية فى أن ينفق مصروفه الأسبوعى بالطريقة التى تحلو له ، لذلك فانك تستحق درجة واحدة عن هذا السؤال ، والآن هيا بنا نختبر هذا السؤال ونصه كالآتى : ــ

هل تسمح لطفلك أن يصرف جزءا من مصروفه بالطريقة التى تحلو له ؟

الواقع أن الأب العاقل هو الذى يعطى لطفله حرية التصرف فى المصروف الأسبوعى الذى يقرره للطفل . وليس هناك ما يمنع أن يوجه الأب طفله الى بعض طرق الانفاق السليم ، ولكنه يجب عليه أن يترك الطفل ليقرر بنفسه الأشياء التى يريدها لنفسه ، فان ذلك أدعى الى تعويد الطفل الاستقلال فى الرأى والاعتماد على النفس . وقد يحدث أن ينفق الطفل مصروفه فى بعض الأوجه غير المفيدة ومع هذا فان النفع من وراء اعطاء الطفل حرية التصرف فى هذا المصروف والخبرات التى يكتسبها من وراء ذلك تفوق كثيرا الأضرار التى قد تنتج اذا ما أنفق الطفل مصروفه بطريقة غير حكيمة . ■■

القاهرة ــ **علي أحمد علي**

مشـــورة

● اراد نوح بن مريم قاضي مروان أن يزوج ابنته ، فاستشار جارا له مجوسيا ، فقال سبحان‌الله ، الناس يستفتونك وانت تستفتيني ، قال : لابد أن تشيرعليّ . قال : ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ، ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدى !

اعرف وطنك أيها العربي

مكة



أم القرى .. والبلد الأمين
فيها ولد خاتم المرسلين
وإليها يحج كل عام آلاف المسلمين

قام بهذا الاستطلاع

محمد بدر الدين خليل

وصوره

عبد الناصر شقره

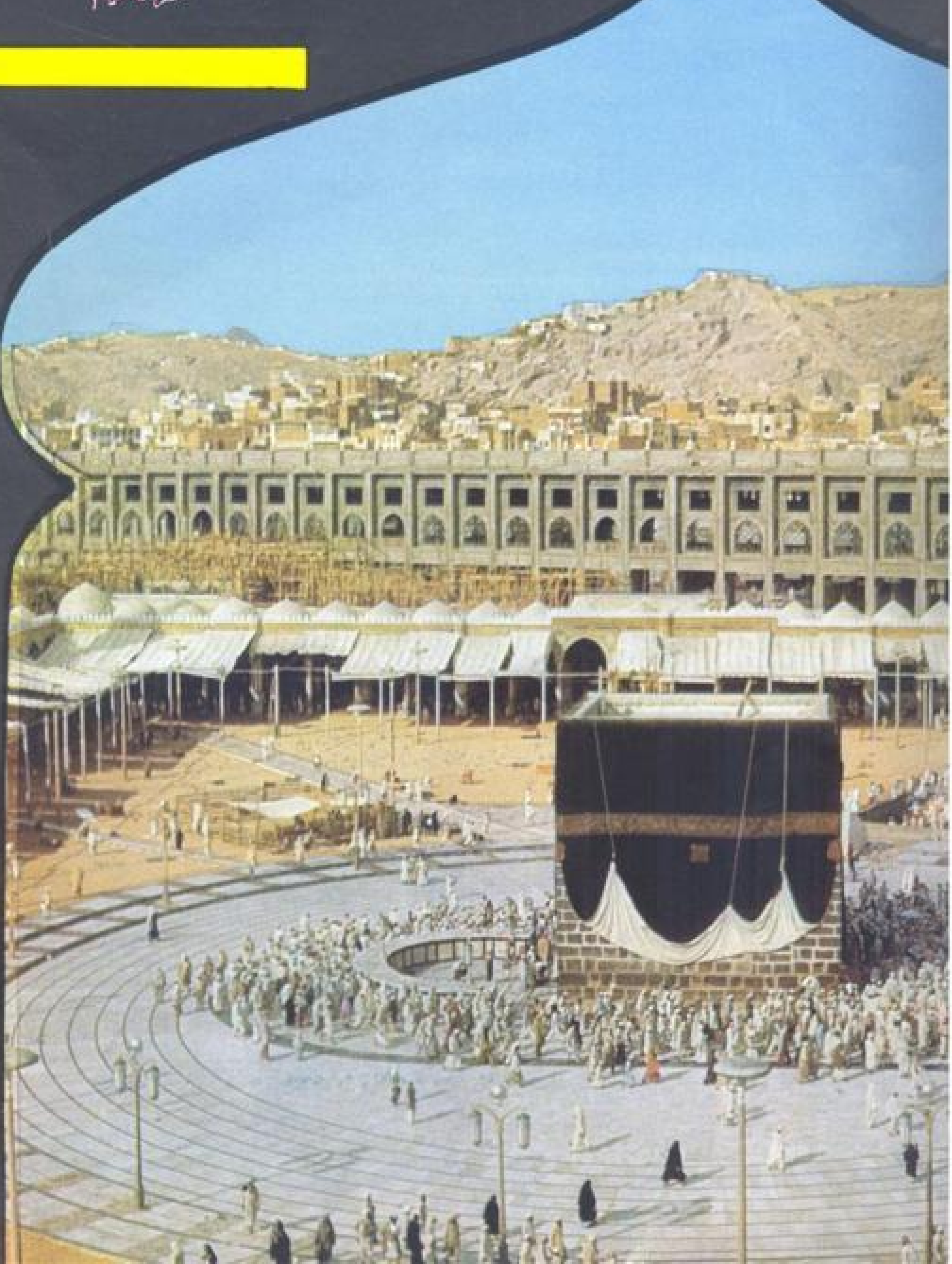
■ ما ان اجتازت السيارة مشارف « مكة » ، حتى صاح احد الزملاء الذين كانوا فيها : « ياعجبا ! .. لكم تغيرت مكة ! » ..

فسأله زميل آخر : « ومتى رأيتها آخر مرة ؟ » قال : « منذ خمس سنوات فقط » .

قلت : « وما الذى تغير فيها ؟ » .

وكان جوابه : أشياء كثيرة .. طرق اتسعت وطرق جديدة .. وبنايات حديثة .. وأمثال هذا الميدان الذى

"إن أول بيت وضع للناس للذى
ببكة مباركا وهدى للعالمين."
"قرآن كريم"



تتوسطه نافورة ، يمتـد أمامها منتزه وارف الظلال » .

كل ستة أشهر ..

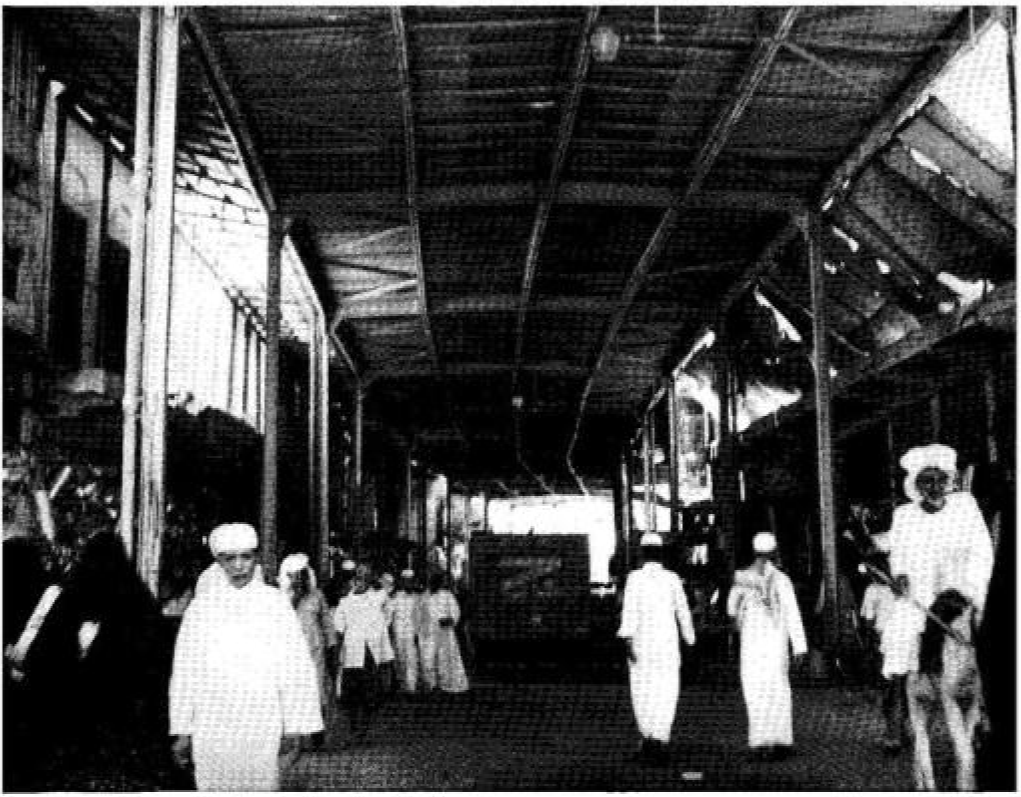
لذلك لم اعجب عندما قال لى الشيخ عبد الله العريف ، امين عام بلدية مكة ، : « اننا نفخر بأن مدينتنا تستقبل عملا عمرانيا يغير بعض معالمها مرة كل ستة اشهر ، وبأننا خطونا فى عشر سنوات ما لم نخطه ــ من قبل ــ فى خمسين سنة .. ولن أحدثك عن توسيع الحرم المكى ، فهذا مشـروع يحتاج لجلسة خاصة ، بل جلسات تستمع فيها الى المهندسين والفنيين .. ولكنى أذكر لك أنه قد تقرر توسيع ما حول الحرم ، لتخفيف ضغط المرور وتنظيمه أثناء موسم الحج ، وقد رصد ٦٣ مليونا من الريالات لتعويض اصحاب الدور التى ستزال لتوسيع ما حول الحرم ، ولتخطيط خمسة ميادين واسعة حوله .. **على أن يتم تنفيذ هذا كله خلال العام الهجرى الجديد ، وقبيل حلول موسم الحج القادم » .**

واستطرد يحدثنى عن بعض مشروعات مقبلة : شق منفذ جديد الى مكة عن طريق جبل خندمة ، وانشاء مواقف للسيارات فى أنفاق تحت الميادين ، وشق طرق عرضية فى داخل المدينة ، اذ أن طرقها الحالية تمتد دائرية حول الكعبة ..

مكة منذ ١٥ عاما

وكأنما تذكر امرا ، فقال : « ونحن نشكر لمجلة «العربى » أنها نبهتنا الى اتجاه جديد فى تخطيط

سوق مسقوف .. من أسواق مكة





نافورة تستقبل القادمين من ناحية جدة ، وتوحى بالعمران والتجديد اللذين يتلازمان فى مكة باستمرار

الشوارع ، فنحن نفيد من كل ما نقرأ ، وقد قرأنا فى الاستطلاع الذى نشرته عن «الجزائر» ، عن الشوارع ذات الطبقات الثلاث ، فشرعنا ندرس الفكرة لننفذها هنا » .

ولا يفوتنى ـ فى هذه المناسبة ـ ان اذكر ان الشيخ عبدالله العريف صحفى قبل ان يكون أمينا للبلدية . وهو المدير العام لصحيفة « الندوة » المكية وقد كانت انتقاداته وتوجيهاته سببا فى ايكال امانة البلدية اليه ليعمل على تنفيذ مقترحاته .

وتذكرت وهو يحدثنى عن الطرق فى مكة ، ما نقل عن الحاج عبد الله بورخارت ـ وهو سويسرى اسلم وادى فريضة الحج فى سنة ١٨١٥ ـ اذ كتب يصفها فى ذلك الزمان : « الميدان العام الوحيد فى قلب البلد هو مربع المسجد الفسيح ، وليس ثمة اشجار او حدائق تبهج النظر . وانما تدب الحياة الى مكة اثناء الحج ، بما يمـلأ الحوانيت الكثيرة المنتشرة فى كل انحائها من الوان التجارة . وفيما خلا أربعة منازل او خمسة يملكها الشريف ومدرستين صارتا مخازن للغلال، والمسجد بما حوله من المبانى ، فلا فخر لمكة بأية عمائر عامة تقوم بها . وربما كان نقصها فى هذه الناحية اشد وضوحا من مثله فى اى بلد شرقى آخر فى حجمها . فليس بها « خانات » لنزول السائحين .. ولا ترى فيها قصورا للعظماء ، ولا مساجد كالتى تزين كل حى من احياء بلاد الشرق الاخرى .. » .

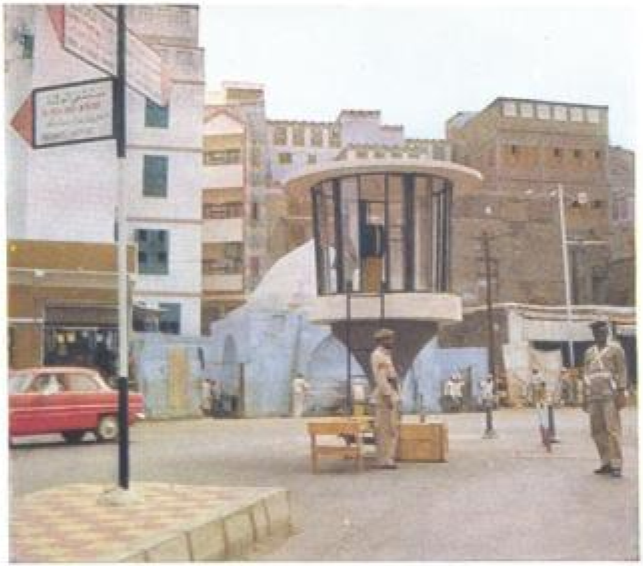
حياة نابضة بالنشاط

ووجدتنى ـ وانا اتذكر هذه الكلمات ـ أتصور ما كان رأى « بورخارت » هذا لو انه عاش حتى رأى مكة معى .. ان صورتها اليوم تختلف اختلافا كبيرا جدا عن الصورة التى رسمها .. فمكـة اليوم تتخللها شوارع واسعة جميلة ، وهنالك ميادين فسيحة ، منسقة ، تتوسطها نافـورات ومنتزهات عامة يسعى اهل مكة اليها فى اوقات الاصيل ليستروحوا النسمات ..

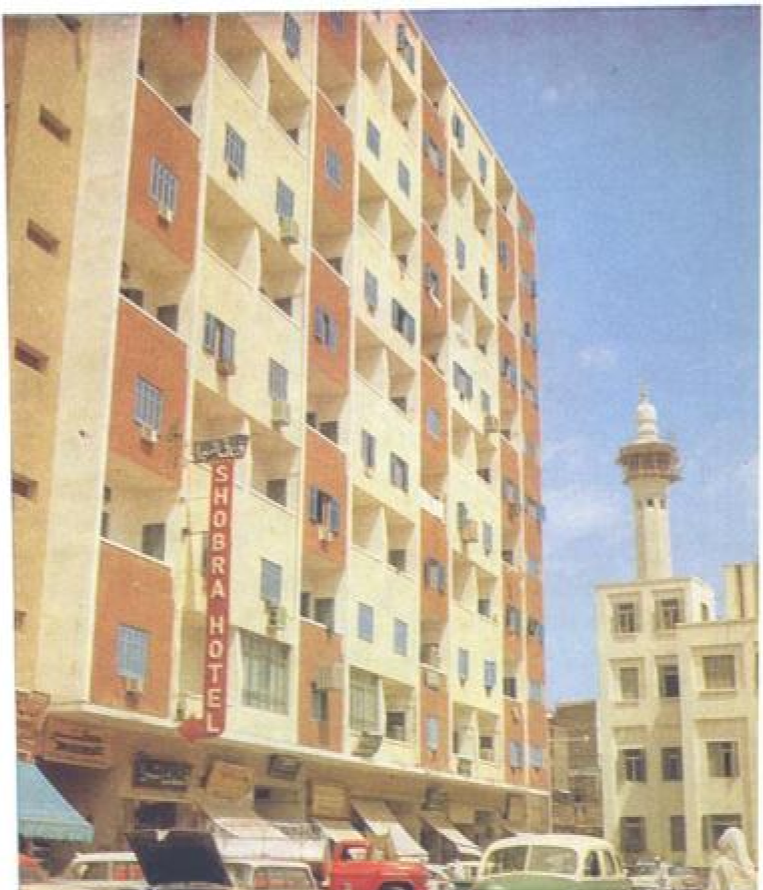
وفى مكة اليوم حياة تظل نابضة بالنشاط طيلة العام ..

متاجر حديثة ، تحفل بكل السلع الحديثة التى تخطر بالبال ، ومنازل وعمارات أنيقة ، شامخة ، وفيها فنادق حديثة ، عديدة .. حتى ان فى شارع

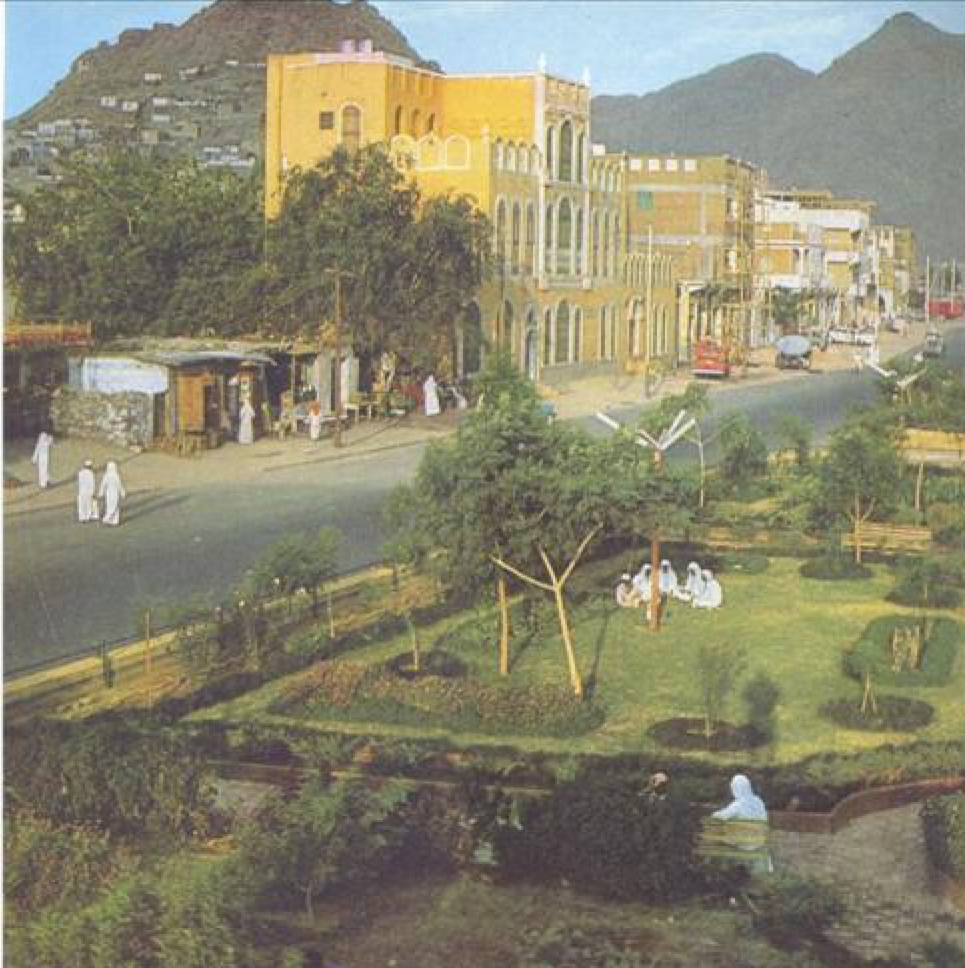




وراء منصة المرور في كل ميدان ، لوحات لارشاد الزائرين ، كتبت بأربع لغات



تنتشر الفنادق الحديثة في مكة ، وتكاد تتركز في شارع اجياد ، ، والبنايتان اللتان الى اليسار تضمان حوالى أربعة منها ، وقد بدت مئذنتا باب سعود ـ احد أبواب الحرم ـ في المؤخرة ، وامامهما مبنى امانة مكة .





الى اعلى : المتنزهات العامة تتوسط شوارع مكة ، فتكون بمثابة رئة لها ، ومنتديات لأهلها ، ووسيلة لتجميلها في أعين السكان والزائرين على السواء .

الى اليسار : التجديد المستمر، جعل الشارع الواحد في مكة يضم انماطا من فن العمارة في تطوره .

« اجياد » وحده ، تقوم ثلاثة فنادق كبرى : مصر، وعرفات ، وشبرا .. ومع ذلك ، فان تعدد الفنادق في مكة لم يقض على عادة تأجير المنازل - أوحجرات منها للحجاج .. فهم يتوافدون بمئات الالاف ، في موسم الحج .. وقد بلغ عدد الحجاج عام ١٣٨٣ هـ حوالى ١٫٠٦٦٫٠٠٠ أكثر من ثلثهم من مختلف أقطار العالم .. وحتى الثلثان المنتميان الى شبه الجزيرة العربية ، أقبلوا من كل فج ، فهم من غير اهل مكة ، التى لا يزيد سكانها - حسب الاحصاء العام التقريبى الذى اجرى في المملكة العربية السعودية - على ١٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة .

وافقت من خواطرى ، على صوت الشيخ عبد الله العريف ، وهو ماض في حديثه : «وهناك شبكة جديدة لتغذية مكة بالماء ، تقرر أن تنفذ في هذا العام ، باستغلال المياه الجوفية المتوفرة تحت جبل « كرا » ، الى جانب المياه التى تستمد حاليا من عينى زبيدة والعزيزية ..» .

للافادة من الاضاحي

ومن اهم المشروعات التى ذكرهـا ، مشروع الافادة من لحوم الاضحيات التى يذبحها الحجاج كل عام ، لتوزع صدقات .. فان تزايد الحجاج عاما بعد عام أدى الى أن هذه الاضحيات اصبحت تفيض على عدد المحتاجين ، فتلقى في العراء .. ولولا جهود بلدية مكة في جمعها ودفنها لصارت مباءة للحشرات ومصدرا للامراض ، ولاجتذبت الحيوانات الضالة والطيور الجارحة .

واذا ادركنا أن عدد الذبائح في أيام التشريق الثلاثة - من موسم الحج الأخير - قد تجاوز نصف مليون رأس ، استطعنا أن نلمس مدى الخير الذى يضيع هباء من جراء تركها . لذلك وضع مشروع لانشاء مجزر كبير يجهز بغرف للتبريد لانتاج اللحوم المجمدة والمعلبة ، الى جانب مصنع لانتاج اللحوم المجففة في الشمس (القديد) وآخر لانتاج العلف الحيوانى من دم ومخلفات الذبائح ، وثالث لتصنيع الجلود .

وقد ساهم خبراء منظمة الصحة العالمية ، ومنظمة الأغذية والزراعة ، في دراسة وتخطيط هذا المشروع الذى تتجه النية الى اتمامه بقدر الامكان .. .



مستشفى « اجياد » من احدث المستشفيات في مكة

ثلاثة مواسم للحج !

قلت للشيخ عبد الله العريف : « أرى أن معظم مشروعات مكة ، تدور حول الحج » .. **فقال :** « لا تنس أن مكة مقر البيت الحرام ، وليس للحج موسم واحد ، بل ان له ثلاثة مواسم : الموسم الكبير ، في شهر ذى الحجة ، وموسم آخر في شهر رمضان ، اذ يفد كثير من المسلمين - يصلون أحيانا الى مائة الف ، الشطر الاكبر منهم من الكويت وامارات الخليج العربي- ليقضوا شهر الصوم والتعبد الى جانب بيت الله .. ثم ان هناك موسما أصغر ، يقع في شهر رجب ، اذ يفد الكثيرون - لا سيما من مصر - لأداء العمرة ، .. وهذا ما يسمونه « الزيارة الرجبية » .

قلت : « اذن ، فكأن الاقتصاد المحلى لمكة يقوم على الحجاج ؟ » .

وكان الجواب أن مكة تعتمد على التجارة ، كما كان عهدها في مختلف عصور التاريخ ، وهى اليوم السوق التى تصل بين جدة والمناطق الجنوبية



بين نخيل وادى فاطمة ومروجه وبساتينه يقضى أهل مكة أوقاتا سعيدة عندما يخرجون للنزهة، وهم يحملون معهم أدوات الطبخ، ليعدوا وجباتهم هناك

الغربية والوسطى والجنوبية الشرقية من المملكة العربية السعودية .. وهى ـ الى جانب هذا ـ مستودع للتموين اللازم لموسم الحج الأكبر ... فالحج ـ كما ترى ـ نقطة ارتكاز لا سبيل الى تجاهلها .. »

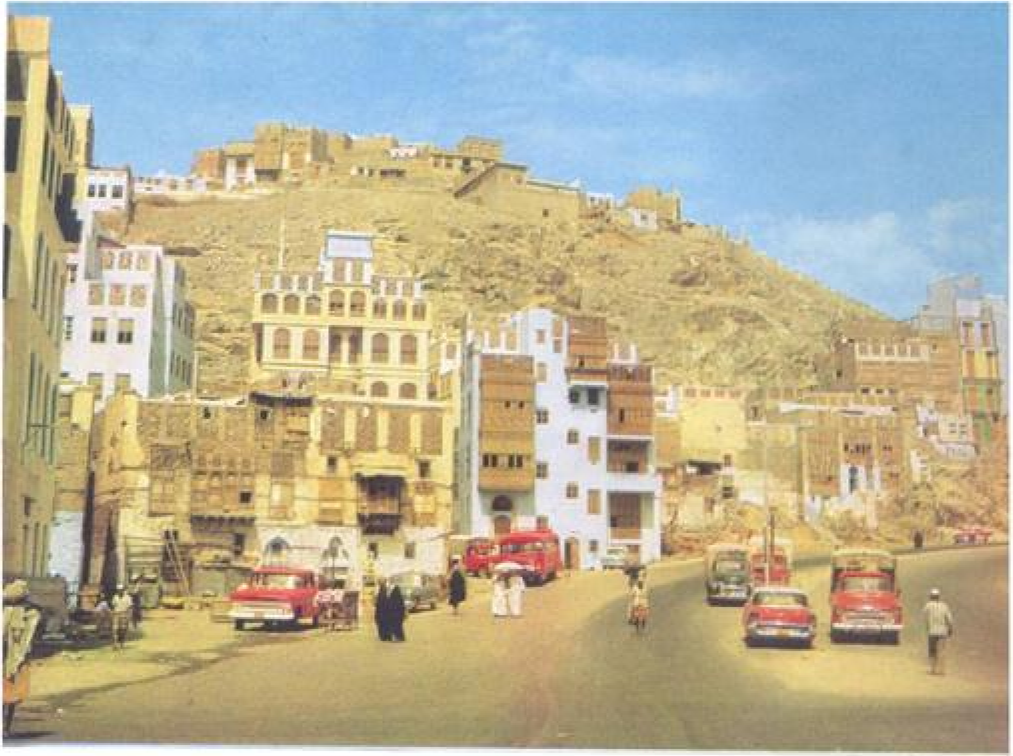
مقصد الحجيج منذ القدم

والواقع أن ارتباط مكة بالحج يرجع الى عصور قديمة ، تسبق الاسلام بكثير .. وقد اشار اليها المؤرخ الصقلى « ديودور » ـ الذى توفى فى أوسط القرن الأول للميلاد ـ وان لم يذكر اسمها ، فى حديثه عن ساحل شبه الجزيرة العربية على البحر الأحمر ، فقال انه كان يوجد بعد الساحل ، والى الجنوب « معبد له قداسة كبرى لدى جميع العرب » ..

كذلك تحدث عنها المؤرخ والجغرافى السكندرى « بطليموس » ـ الذى توفى فى القرن الثانى للميلاد ـ وسماها « مكوربا » .. والمعتقد انه اسم مأخوذ عن « مكورابا » فى لغة سبأ القديمة ، ومعناها « الحرم » أو « المقدس » .

والواقع أن « الحرم » والقداسة اقترنا باسم مكة ، او « بكة » او « ام القرى » او « البلد الأمين » ـ وكلها أسماء وردت فى القرآن ـ منذ احقاب سحيقة فى القدم . ويذهب بعض المؤرخين الى أن «الكعبة» كانت قائمة فيها مثابة للناس ، قبل أن يتلقى النبى ابراهيم ـ عليه السلام ـ امر ربه بأن يبنى بمعونة ابنه « اسماعيل » البيت الحرام ، ويرفع قواعده ..

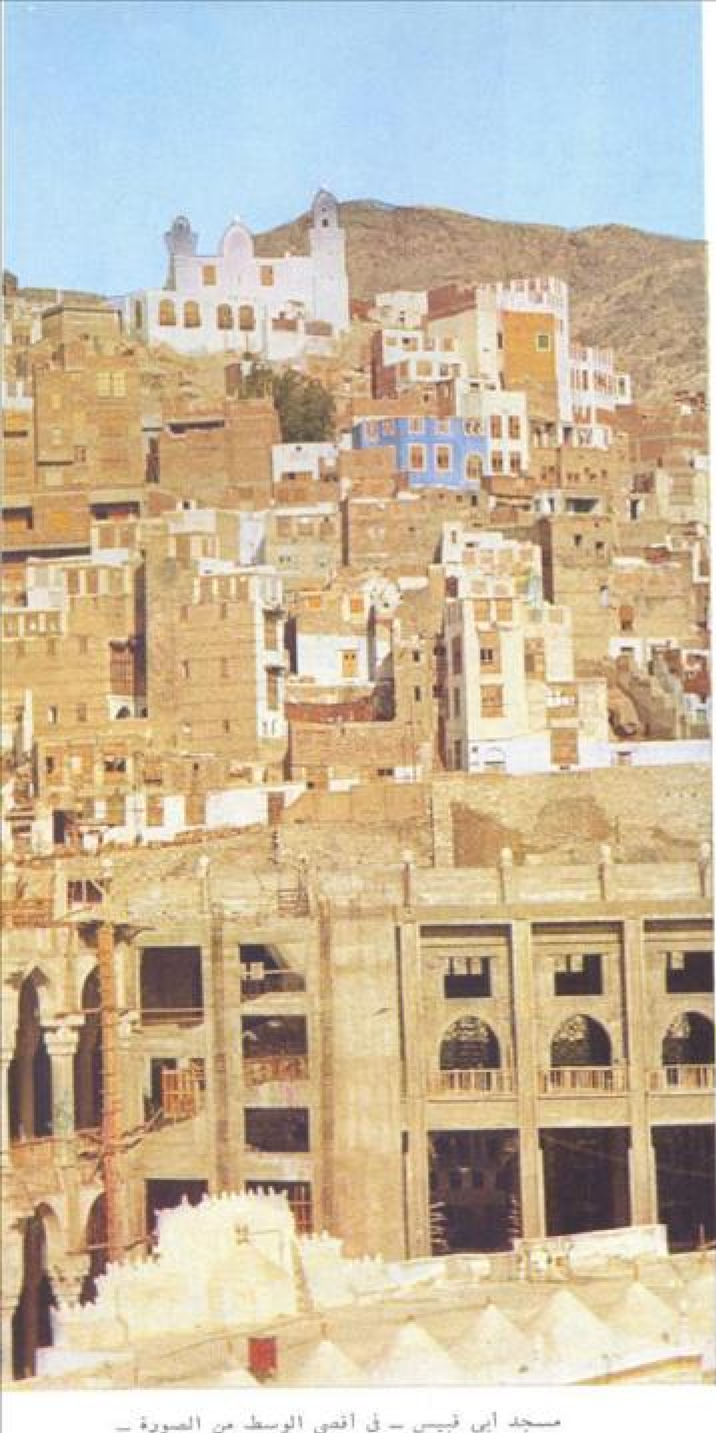
ويؤيد هذا ما ورد فى القرآن ، من أن ابراهيم عليه السلام ، حين اودع زوجته « هاجر » وابنهما





بعض متاجر مكة ، التي لا تختلف عن غيرها من المتاجر في أي قطر عربي ، لما تزدحم به من بضائع من مختلف الانواع .

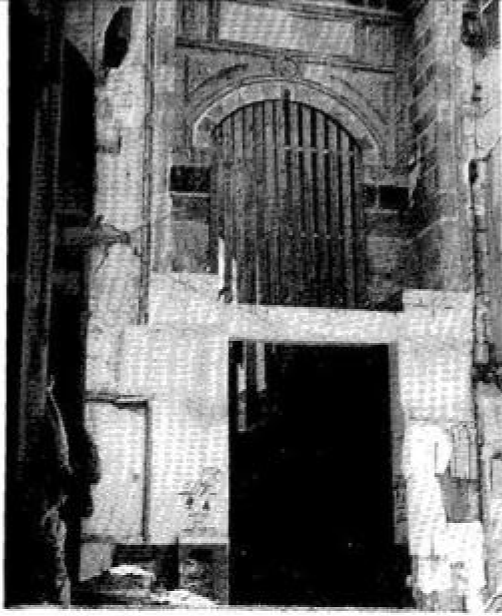




الى اليمن : تمتد مساكن مكة الى سفوح، وحتى الى قمم الجبال المحيطة بها ، كما يظهر في هذه الصورة .

مسجد أبي قبيس ـ في أقصى الوسط من الصورة ـ حيث ارتفع أول اذان للدعوة الى الصلاة .





فى هذا الموقع كانت « دار أبى سفيان » ، التى منح النبى الامن لمن يلوذ بهـــا ، عند فتح مكة . وقد أصبحت الآن مصحا .

درس للتــدريب على الآلات الحاسبة الحديثة فى مدرسة التجارة الثانوية بمكة.



« اسماعيل » هذه البقعة المقفرة ، خاطب ربه « ربَّنا انى أسكنْتُ من ذُرّيتى بِوادٍ غير ذِى زرعٍ ، عند بيتِك المحرَّم .. » الآية .

كانت مروجـا خضـراء

على ان « مكة » لم تكن قفرا فى كافة العصور كما وجدها ابراهيم الخليل فهى تقع فى واد تحيط به الجبال . وتوحى الدراسات الجيولوجيـــة والبحوث الأثرية بانها كانت فى عصور ما قبل التاريخ مروجا مخضوضرة ، آهلة بالسكان .. اذ كانت الرياح الشمالية الغربية المثقلة بالامطار ، تصل الى شبه جزيرة العرب قبل أن تفقد رطوبتها ، فتخفف من الماء الذى تحمله قمم الجبال ، ليجرى على السفوح ويتدفق على الوديان أنهارا تروى ارضها ..

ويقول الاستاذ احمد السباعى ـ أول عربى ارخ لمكة بالأسلوب العلمى الحديث ـ « ولعل فى عمق الوديان التى نشاهدها اليوم ما يشير الى شىء من حقيقة هذا الرأى .. ولا أستبعد هذا ، لان المشاهد أن سورة الجفاف فى عهودنا الحاضرة اشتدت وطأتها عن عهود سلفت ، فاختفت واحات كانت معروفة فى العهد الجاهلى وصدر الاسلام..»

بداية واضحة لتاريخ مكة

ومهما يكن، فليس من شك فى أن ايداع ابراهيم عليه السلام زوجته وابنه فى موقع مكة ، يعتبر مبدأ واضحا لتاريخها .

ولابراهيم الخليل مكانة كبيرة فى تاريخ العرب ، ترجع الى أنه أول من دعا الى وحدانية الله ، قبل مولد الاسلام بقرون طويلة .. والى أنه والد « اسماعيل » ، الذى لم يلبث ـ حين كبر ـ أن تزوج من العرب الذين هفت أفئدتهم الى حيث عثرت هاجر على نبع « زمزم » فجاوروهما ... ومن نسل اسماعيل نشأ « العرب المستعربة » ، الذين قدر لقبيلة « قريش » أن تكون منهم ..

والى جانب هذين السببين ، اقترن ذكر ابراهيم الخليل بتاريخ العرب عامة ، ومكة خاصة ، لأنه رفع قواعد البيت ، وجدد بناء الكعبة .. ولا يزال « مقام ابراهيم » موجودا الى جوار الكعبة ، فى

الموقع الذى قرب فيه اسماعيل ـ عليه السلام ـ حجرا ليقف عليه ابوه عندما ارتفع البناء ، وشق على الشيخ تناوله ..

مولد النبي بداية تحول فى تاريخ مكة

واذا كانت حياة ابراهيم عليه السلام ، تمدنا بمبدأ للمرحلة المعروفة من تاريخ مكة ، فليس من شك فى أن مولد النبى محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحياته يعتبران ـ بداية تحول فى تاريخ مكة ..

ذلك لأن مكة ـ بعد أن كانت مقصد العرب وحدهم أيام الجاهلية ـ أصبحت مقصد المسلمين من كافة ارجاء العالم ، بعد انتشار الاسلام .

وكان المفروض ـ وهذا أثر الاسلام فى حياة مكة ـ أن يحتفظ أهلها بالدار التى ولد فيها الرسول الذى بعث برسالة الاسلام . ولكن اتباع المجاهد الاسلامى محمد بن عبد الوهاب ، فى بدء العهد السعودى رأوا فى الآثار معالم تحمل بعض المسلمين على تقاليد أو عادات وثنية .. لذلك أزالوا الكثير من هذه الآثار ، ومنها الدار التى شهدت مولد الرسول عليه الصلاة والسلام ... ويقوم فى مكانها اليوم مبنى حديث تشغله «مكتبة الاذاعة » ..

على ان همسة سرت الى أذنى بأن البناء الذى عهد اليه بمشروع هذا المبنى لم يجد من نفسه القوة على هدم الاطلال القديمة ، فرفع أساس الدار الحديثة ، على آثار من الدار القديمة .. فان صحت الرواية ، فهناك أمل فى بعث هـذا الأثر الجليل ..

فترات الاضطراب فى تاريخ مكـة

وهناك سبب آخر لاعتبار مولد النبى وحياته بداية تحول فى تاريخ مكة .

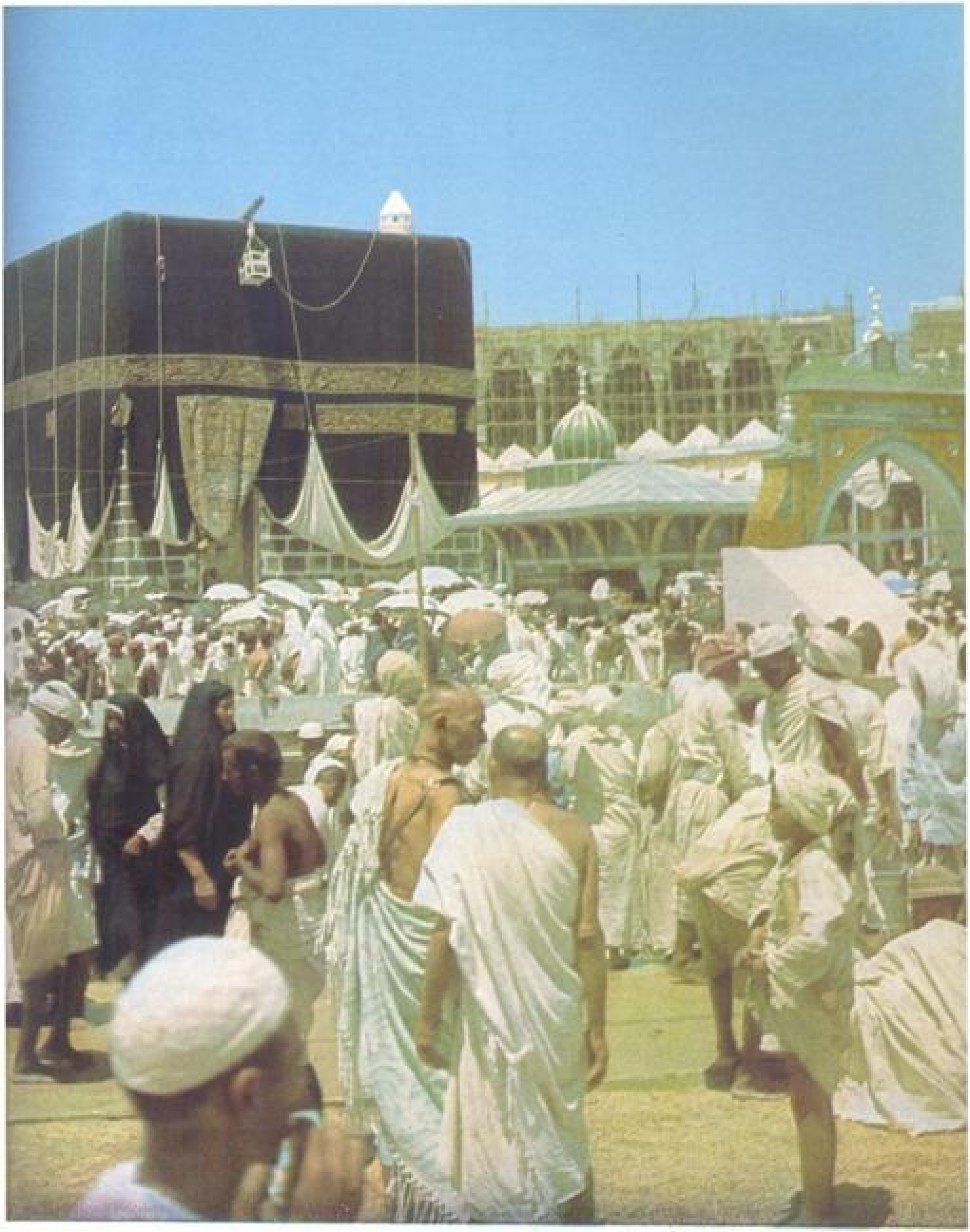
كانت مكة ـ قبل مولد الاسلام ـ مركز السلطان بين العرب ، فى معظم شبه الجزيرة العربية . وكانت بحكم موقعها ملتقى قوافل التجارة بين دول الجنوب ودول الشمال .. فلما اضطر النبى ـ بعد الرسالة ـ الى الهجرة منها ، انتقل مركز



مكتبة الاذاعة فى مكة ، وقد اقيمت على موقع البيت الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم

الطلل الباقي من مسجد الفتح بوادى فاطمة ، حيث صلى الرسول عندما هزم المشركين وفتح مكة



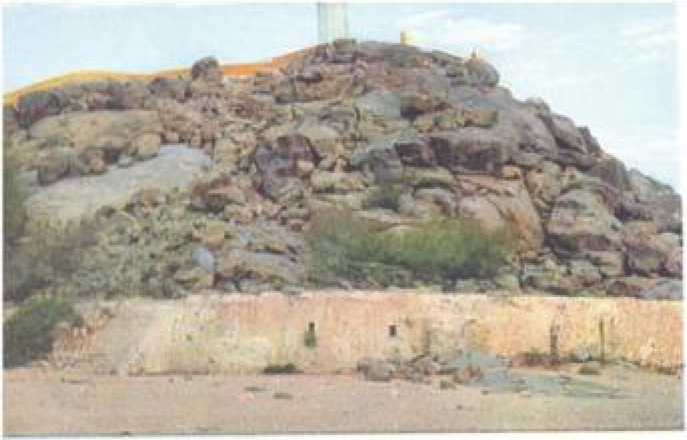


« وليطوفوا بالبيت العتيق » ـ صدق الله العظيم

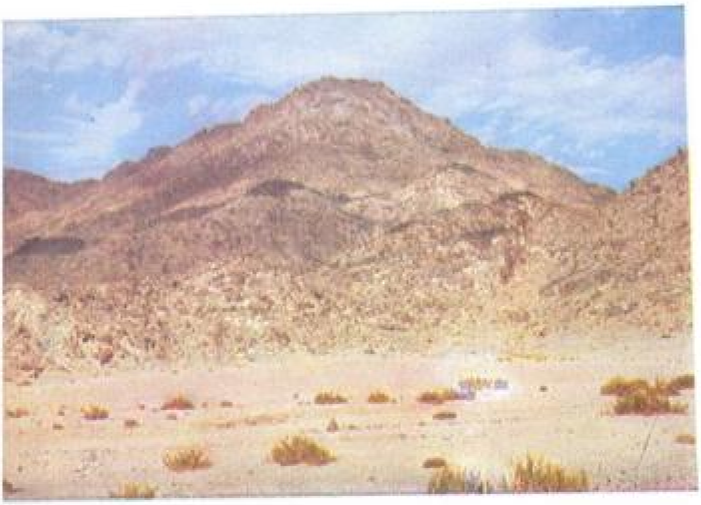
« وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » ـ صدق الله العظيم .

« اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابةوبرا ، وزد من حجه أو اعتمره تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبرا » هكذا يدعو الحجاج عندما يدخلون الحرم ويشاهدون البيت ، ثم يطوفون به سبع دورات مبتدئين كل دورة من الحجر الأسود جاعلين البيت عن يسارهم .

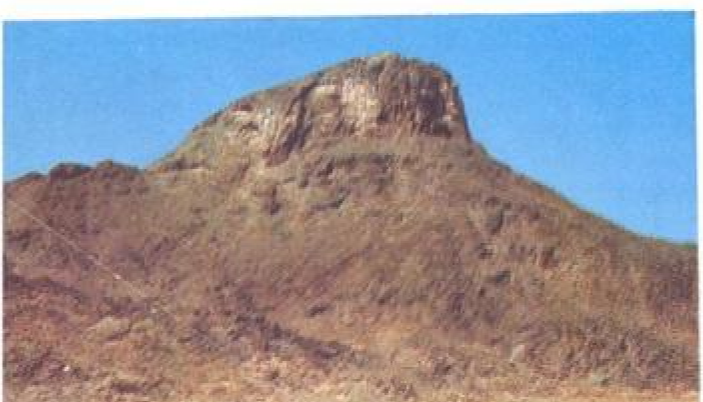
ويعتبر الطواف تحية البيت الحرام عند دخوله على خلاف غيره من المساجد فإن تحيتها الصلاة ، والطواف سبع دورات يبدأ القادم كل دورة ويختمها بالحجر الأسود ، ثم يطوف جاعلا البيت عن يساره سواء كان الطواف سنة أم فرضا ..

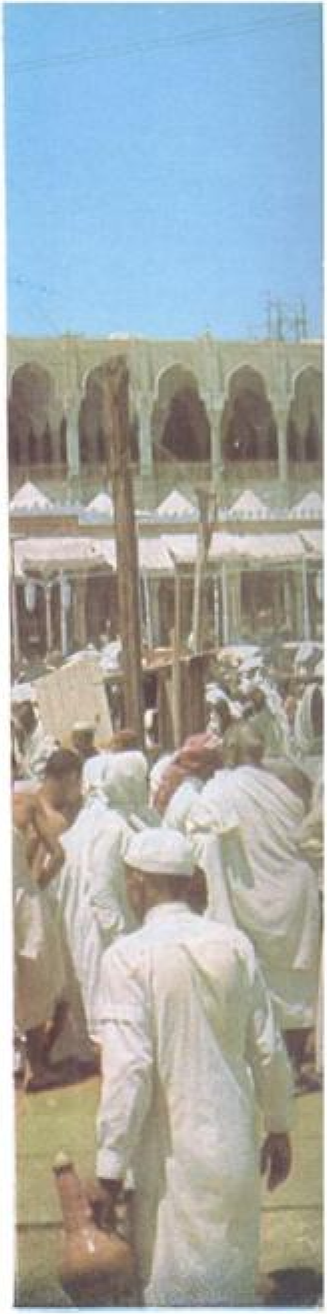


جبل الرحمة في عرفات ، وقد بدا خاليا بعد انتهاء موسم الحج ، وكنت لا تكاد ترى شبرا من أرضـــه يوم وقفة عرفات لكثرة ما ازدحم عليه من الحجـــاج

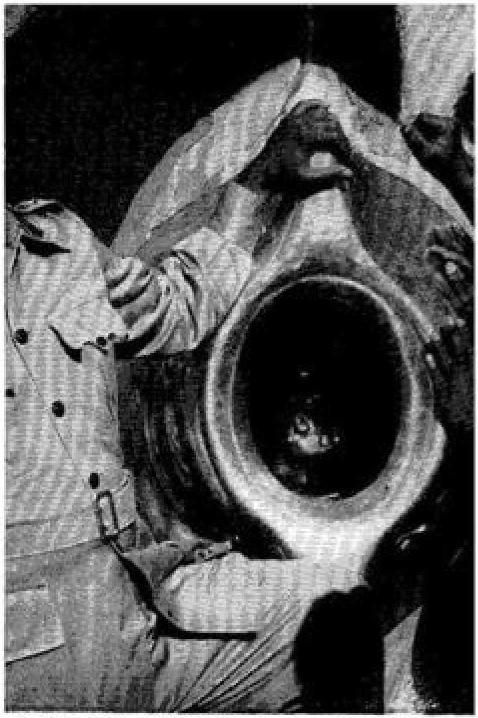


الجبل الذي يقع فيه غار ثور ، حيث اختبأ النبي وأبو بكر الصديق عند الهجرة من مكة الى يثرب.



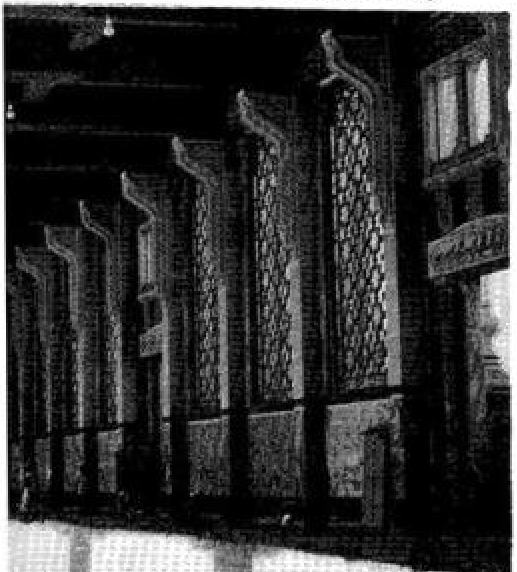


الى اليســـار : كان النبي يتجشم عناء تسلق هذا الجبل – وهي مهمة تستغرق حوالي ٩٠ دقيقة ممـــن يقوى على الصعود لها – ليصل الى غار حــراء ، حيث كان يتعبد ، وحيث نزل عليه الوحي .



الحجر الاسود : وهو مثبت فى أحد أركان الكعبة، ولونه أسود ، ويحرسه بعض رجال الشرطة لتنظيم لمسه أو تقبيله ، ومنع بعض الحجاج من الاستئثار به مدة طويلة كما ترى فى الصورة .. وهو نقطة البدء فى كل دورة من دورات الطواف السبعة . يقبله الطائف ان أمكنه ، والا اكتفى بلمسه . فان لم يستطع ، لشدة الزحام عليه ، حاذاه من بعيد وأشار اليه رافعا يديه قائلا « بسم الله والله أكبر . اللهم ايمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم » .

الى أسفل: « ان الصفا والمروة من شعائر الله » بعد ان ينتهى الحاج او المعتمر من طوافه حول بينها وبين المروة سبعة أشواط .. يبدأ بالصفا الجديد الذى بدأ سنة ١٩٥٦ م شارعا عاما للمارة « القشاشية » ، فاقتضى الاصلاح ان يجعله داخل وراء الصفا ، وازال الحوانيت بالطبع . وجعله للعائد منها الى الصفا ـ كما جعله من طابقين ترى فى الصورة .



السلطان الى « المدينة المنورة » . ولكنه عاد اليها فعاد الى مكة مكانتها .

ولقد مرت بمكة ـ بعد النبى والخلفاء الراشدين ـ فترات من الاضطرابات والقلاقل ، اثرت كثيرا فى استقرار الأمور بها ، وفى ثروتها وازدهارها .. وان كانت قد شهدت فى عهدى الأمويين والعباسيين طائفة من العلماء الذين كانوا يعقدون مجالسهم فى المسجد الحرام ليفقهوا الناس فى الدين ، ومنهم عبد الله بن عباس ، ومجاهد بن جبر ، وعمرو ابن دينار ، وعبد الله بن أبى نجيح ـ وقد توليا الافتاء تباعا ـ وعبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج كما ارسلت عاصمة الاسلام من فقهائها من نشروا الدين وعلومه فى سائر الاقطار الاسلامية.

اول معهد ديني فى الاسلام

بيد أن عهدى الأمويين والعباسيين لم يخلوا من اصلاحات .. وقد اهتم الخليفة العباسى «هارون الرشيد» بتوفير العيون التى اتخذ لها البرك فى

الكعبة .. يخرج الى الصفا حيث يبدأ السعى وينتهي بالمروة .. وقد كان المسعى قبل الاصلاح على جانبيه حوانيت للتجارة يقطعه شارع حدود المسجد ، وأن يحول شارع القشاشية لما من طريقين طريق للذهاب الى المروة ، وطريق يعلوهما سقف يقي الساعين اشعة الشمس .. كما



باب السلام أو باب شيبة ، قريبا من الكعبة ، يشير الى مساحة الحرم الضيقة قبل ادخال التوسعات المتعددة عليه من قرون ، وترى من خلاله مقام ابراهيم ، والقبة التى تقوم على حجر اسماعيل .

ومما يذكر ان النية اتجهت من نحو سنتين الى زحزحة حجر اسماعيل ومقام ابراهيم عن المكان الحالى عند توسعة المطاف ، ولكن عدل عنهما لمعارضة بعض العلماء فى نقله .. فبقى المطاف من ناحيته ضيقا على خلاف الجهات الاخرى ..



اعلى مكة وأسفلها ليستقى منها الناس . ونافسته فى ذلك زوجته « زبيدة » ، ولا تزال « عين زبيدة » من أهم موارد الماء لمكة ..

وتجرى مياه عين « زبيدة » من العين — على حوالى ٩ أميال الى الجنوب الشرقى من مكة — فى مجرى تحت الأرض ، اقيمت عليه منافذ لتتابع جريانها من وادى نعمان فوق عرفات ، وخلال منى ، الى مدينة مكة .

كذلك اشترت « زبيدة » دار ابن الارقم وهى الدار التى كان النبى — عليه الصلاة والسلام — يلوذ بها قبل البعث ، وقد تبرع بها « الأرقم بن أبى الارقم المخزومى» — بعد الرسالة — ليجلس فيها النبى عليه الصلاة والسلام ، فيعلم المسلمين دينهم .. وبهذا كانت أول معهد دينى فى الاسلام .

وقد كانت دار الأرقم فى مواجهة باب الصفا ، احد ابواب الحرم ، ولكنها أزيلت فيما أزيل من آثار ، وشيد مكانها مبنى كبير ، يضم مكتبة

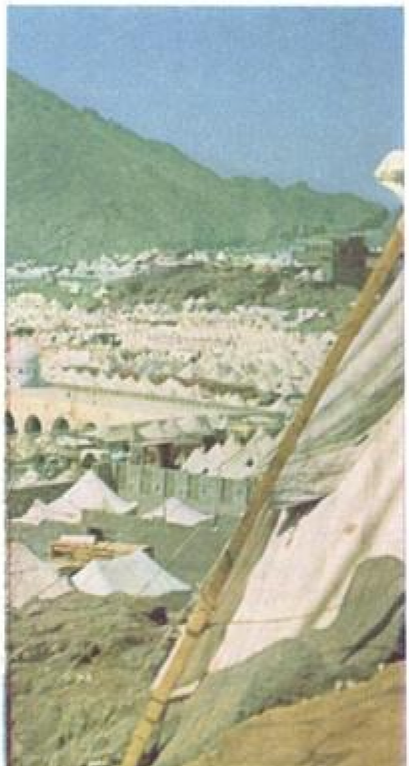


الى اليسار : الوقوف بعرفات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحج عرفة)

فى اليوم التاسع من ذى الحجة تنتظم ساحة عرفات الواسعة حجاج بيت الله الحرام يظلون بها حتى تغرب الشمس أو الى الفجر وبذلك يؤدون أعظم ركن فى الحج ، ثم يبدؤون فى مغادرتها الى المزدلفة ، وهم فى طريقهم الى منى وفى ساحة عرفات تتجلى رحمة الله على حجاج بيته .





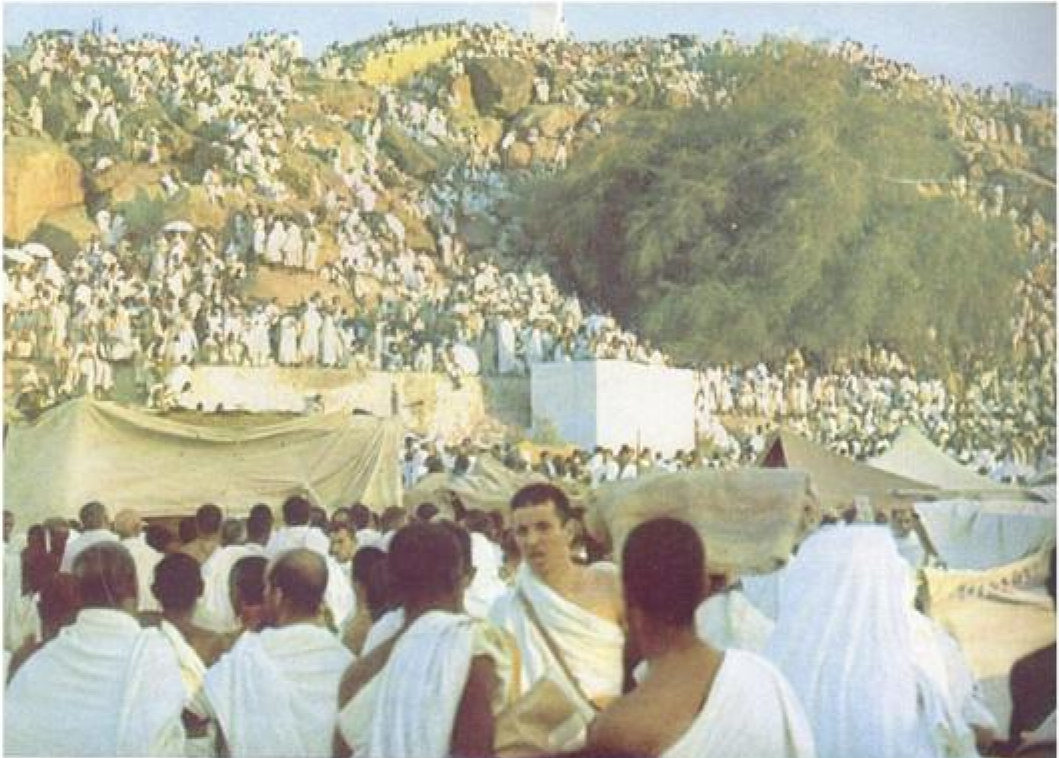
فى الطريق من مكة الى عرفات :

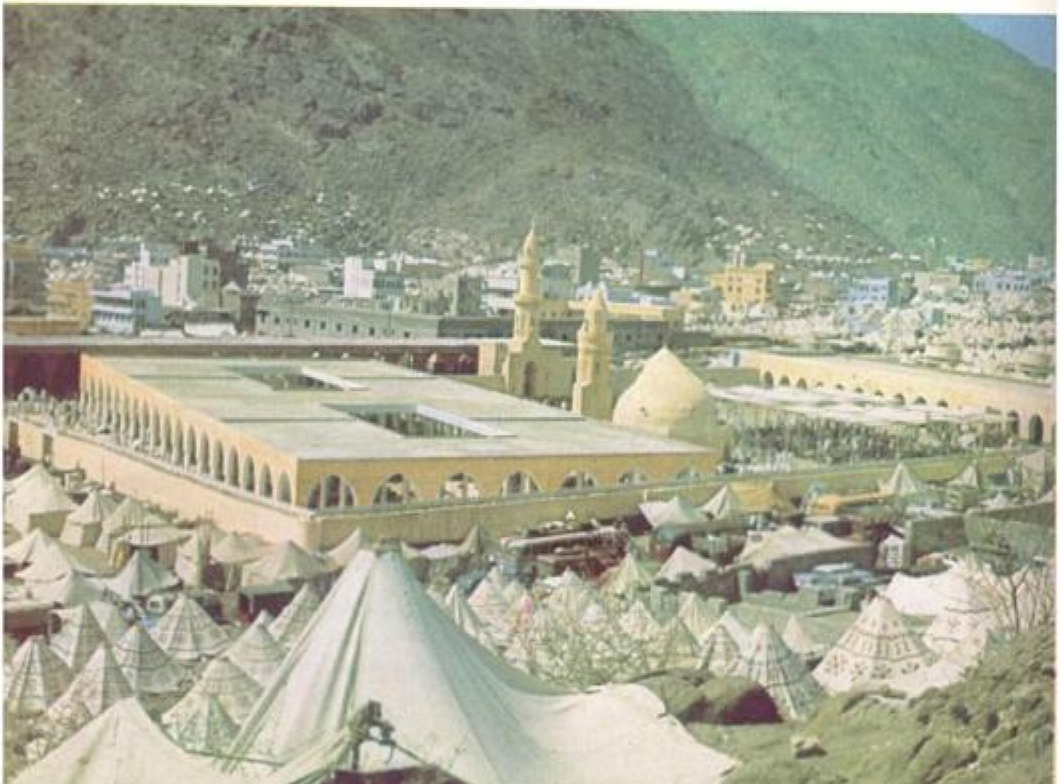
« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » صدق الله العظيم

ان اليوم الثامن من ذى الحجة ، حيث يبدأ الحجاج يتوافدون على عرفات من كل ناحية ، وتزدحم الطرق بوسائل النقل المختلفة التى يستعملونها وأكثرها الآن السيارات ، وذلك ليدركوا لهم مكانا يستقرون فيه فى ساحة عرفات الواسعة ..

الى اليسار : ينزل الحجاج من عرفات الى منى ليلة عيد النحر ، حيث يقيمون يوم العيد ويومين أو ثلاثة بعده يرمون أثناءها الجمرات ، ومنى تمتاز عن عرفات بأن فيها تعميرا سكنيا من مدة بعيدة ، ويبدو فيها التجديد فى البناء بجانب ساحاتها الواسعة التى تمتلئ بالحجاج . وقد قسمت الى شوارع وضعت لها أسماء ليسهل على الحجاج الاهتداء الى أماكنهم أثناء اقامتهم فيها ، والصورة اليسرى تمثل مسجد « الخيف » الذى صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد جدد بناؤه تمشيا مع التجديد فى البناء والتعمير ..

كما ظهرت فى الصورة بعض الخيام والمبانى التى يقيم فيها الحجاج .





دينية كبيرة ، وبالطابق الأسفل منه بعض المكتبات التجارية والمتاجر التى تبيع المسابح والعطور وما اليها .

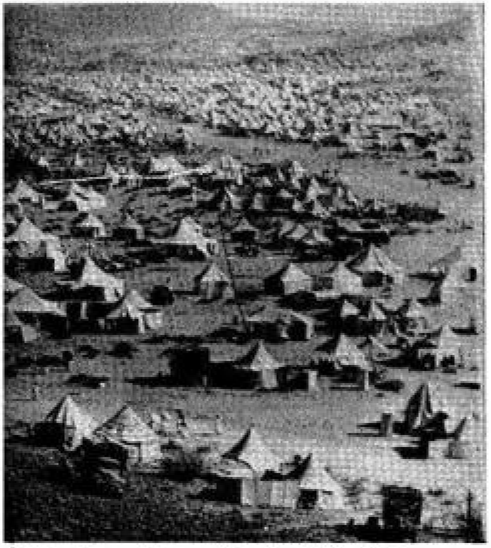
نهضة تعليمية واسعة

واذا كان أول معهد دينى قد تحول الى مكتبة ، فان مدارس تحفيظ القرآن التى تعد التلاميذ لنفس ما تعدهم له المدارس الابتدائية مع عناية خاصة بالدين ، قد انبثت فى جنبات مكة .. الى جانب مدرسة ثانوية من أولى المدارس التى انشئت فى المملكة السعودية ، هى المدرسة العزيزية الثانوية التى تضم ٨٠٠ طالب .

ومما يذكر بهذا الصدد ـ أن التعليم الثانوى كان ، فى بداية عهده ، يرمى الى تخريج معلمين للمدارس الابتدائية .. ومنذ ربع قرن تقريبا ، انشئت أول مدرسة ثانوية حديثة ، فلم ينقض عشرون عاما ، حتى كان عدد المدارس الثانوية بالملكة ٤٥. أما تخريج المعلمين للمدارس الابتدائية فقد انشئت له ثلاثة معاهد معلمين ابتدائية فى سنة ١٣٧٣ هـ . ، ولم تنقض عشر سنوات ، حتى بات عدد المعاهد ٣٧ معهدا .

وفى مكة من هذه المعاهد اثنان يتلقى الطلبة الدراسة فيهما لمدة ثلاث سنوات ، تقرر أن تمد الى خمس سنوات ، زيادة فى تزويد مدرس الغد بالمعرفة ، بعد أن توفر ـ فى السنوات الأخيرة ـ عدد لا بأس به من مدرسى المرحلة الابتدائية من أبناء البلاد ، بعد ان كانت هذه المرحلة تعتمد ـ فى المقام الاول ـ على مدرسين من الدول العربية الشقيقة .

هذا الى جانب معهد ثانوى لتخريج المدرسين للمرحلة المتوسطة .. وفوق هذا فان مكة مقر للكلية الوحيدة التى تخرج مدرسين للمرحلة الثانوية ، وهذه هى « كلية الشريعة » التى كانت أصلا معهدا لاعداد القضاة ، ثم رئى ـ منذ ثلاث سنوات ـ تعديل برامجها لتخريج المدرسين الذين تمس اليهم حاجة البلاد أكثر مما تمس الى القضاة . حتى اذا تمت تصفية كلية المعلمين ـ التى كانت قد انشئت منذ ١٢ سنة ـ رئى القاء رسالة اعداد مدرسى المرحلة الثانوية على كلية الشريعة وحدها ، على أن يصبح اسمها « كلية الشريعة والتربية » ..



آلاف الخيام التى انتشرت على ساحة عرفات فيها فى يوم عرفات .. وهى لا تلبث ان ساحات « منى » حتى ليأتى الصباح

مدرسة للتجارة ومعهد للمكفوفين

كذلك تمتاز مكة بأن بها احدى مدارس اربع للتجارة المتوسطة فى المملكة السعودية . وقد افتتحت هذه المدرسة فى سنة ١٢٧٩ هجرية ، لتخريج موظفين تجاريين للمكاتب الادارية والمتاجر والشركات والمصارف . ويتقاضى الطالب فى هذه المدرسة مكافأة شهرية قدرها ١٠٠ ريال سعودى . وقد تخرجت اول دفعة من طلبتها فى العام الماضى ، وكان عدد افرادها ٢٧ طالبا ، استوعبتهم جميعا المعارف والشركات .

وازاء النجاح الذى لقيته مدارس التجارة المتوسطة ، تقرر ان يضاف اليها ـ ابتداء من العام الدراسى المقبل ـ قسم ثانوى ، تمهيدا لانشاء « مدارس تجارة ثانوية » .

وتعتز مكة ـ أيضا ـ بانها مقر واحد من ثلاثة مراكز لتعليم المكفوفين فى المملكة السعودية . ذلك هو « معهد النور » الذى انشىء منذ عامين ، وضم قسمين : مدرسة ابتدائية لتعليم المكفوفين بطريقة « بريل » المعروفة .. وقسم مهنى لتدريب المكفوفين ـ من الكبار ـ على بعض الحرف التى تقيهم ان يكونوا عالة على المجتمع ، وتجعل منهم اعضاء منتجين . وهم الى جانب ذلك يتلقون دروسا فى القراءة والكتابة . ويتقاضى تلميذ



الواسعة، والتى أعدها المطوفون لاقامة الحجاج
لتقل سريعا بعد مغرب يوم عرفات الى
وقد خلت ساحة عرفات الواسعة منها .

المدرسة مكافأة شهرية قدرها ١٢٠ ريالا سعوديا ، فى حين ان الذى يلتحق بقسم التدريب المهنى يتقاضى ١٥٠ ريالا .

على ان التعليم الحديث لم يقض على الدراسات الدينية التقليدية التى تعقد فى حلقات يتصدرها المتفقهون فى الدين ، فى المسجد الحرام .

تطور تعليم الفتاة

ومن الطريف ان تعليم الفتاة يقفز بخطوات سريعة ، برغم الحجب المقامة دونها ، حتى اننا لم نوفق الى زيارة احدى مدارسه لنقل بعض صور هذا التقدم .

ففي عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ - ١٩٦١م) ، لم تكن بمكة سوى مدرستين حكوميتين للبنات تضمان ٩٣٢ تلميذة .. فلم يأت عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢م) حتى كان عدد مدارسهن خمسا تضم ٢٨٩٨ تلميذة، فضلا عن سبع مدارس اهلية ، تضم ١٥٣٩ . ومن هذه المدارس الاهلية مدرسة للتدبير المنزلي بها ٣٣١ تلميذة ، واخرى لاعداد المعلمات تضم ٢١٢ تلميذة ، فضلا عن وجود معهد حكومي لاعداد المعلمات بمكة - هو اول سبعة معاهد من نوعه انشئت فى البلاد - ويضم ١٠٨ فتيات وتتحمل الدولة حوالى ٢٠ فى المائة من نفقات الطالبات فى المدارس الاهلية ، تحقيقا للعدالة ، اذ ان التعليم فى المدارس الحكومية بالمجان .

ومن الطريف - مرة اخرى - ان الحرص على الفصل بين الجنسين يمتد حتى الى الهيئات التى تشرف على تعليم كل منهما . فتعليم الذكور يدخل تحت اشراف وزارة المعارف ، وهي السلطة المختصة بالتعليم فى الجهاز الحكومي . اما تعليم الاناث فوضع تحت هيئة اطلق عليها « رئاسة مدارس البنات » ، اصبحت تستأثر بكل ما يتعلق بهذا التعليم حتى بالامتحانات العامة التي كانت - حتى قبل عامين - تخضع لاشراف وزارة المعارف !

الفصل بين الجنسين

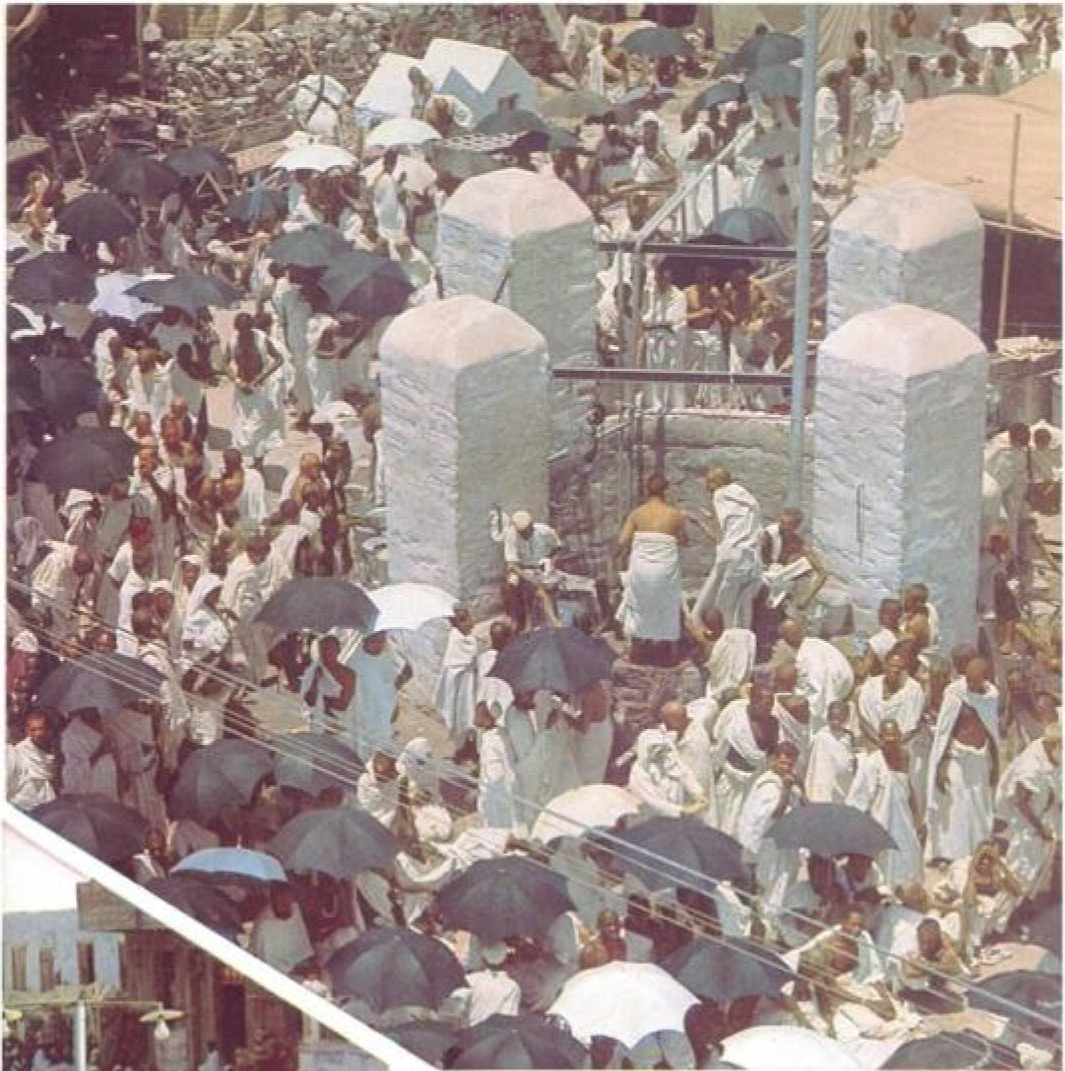
ويمتد الفصل بين الجنسين الى كافة نواحي النشاط الحيوى فى مكة ، كما هو فى كافة ارجاء المملكة السعودية .. حتى فى النزهات الترويحية، التي يقوم بها سكان مكة .. فالرجل عادة يتواعد مع اصدقائه ، ليخرجوا فى نزهات ليلية ، او نهارية - فى ايام العطلات - الى الوديان القريبة من مكة .. بدلا من ان يخرج مع اسرته .

اما النساء ، فيخصص لهن يوم فى الاسبوع ليرتدن المتنزهات العامة فى المساء . كما ان الصديقات منهن يجتمعن - من وقت لآخر - ليقضين سحابة احد الايام فى منى او عرفات او وادى فاطمة .. وهو واد مساحته ٢٨٠ كيلومترا مربعا ، يمتد بين طريق جدة - مكة وطريق مكة - الطائف ، تحف به الجبال من الشرق والغرب ، وتتدفق عليه سيولا كثيرا ما تبلغ من قوة الاندفاع بحيث تصب فى البحر الاحمر . ولهذا فهو كثير العيون والجداول . وان كان الجفاف الذى يزحف على شبه جزيرة العرب باسرها ، على مر السنين ، يهدد ثروته المائية ، حتى ان عيونه الجارية انخفضت الى حوالى عشر بعد ان كانت ٨٦٠ عينا منذ قرن من الزمن .

ويقال ان من اسباب التعجيل بانخفاض المياه الجوفية فى الوادى ، انه يمد مدينة « جدة » بقدر كبير منها ..

الفارسة التي هزمت الرجال

ولعل وادى فاطمة - يحمل فى اسمه شهادة





بئر الماء الموجودة فى عرفات ، ومنها يأخذ السقاؤون ما يحتاجه الحجاج من ماء ، مع العلم بأنه بثت فى جوانب ساحة عرفات انابيب المياه التى توصل الماء الى اقرب مكان للحجاج .

الى اليسار : جموع من الحجاج وهم لا يزالون بملابس الاحرام صبيحة يوم العيد ، وهم فى طريقهم لرمى جمرة العقبة او الجمرة الكبرى صبيحة يوم العيد. ومما يذكر ان جمرة العقبة او الجمرة الكبرى يسمونها ابليس الكبير كذلك .. وهى الجمرة الوحيدة التى يرمونها فى هذا اليوم ثم يتحللون من احرامهم ويلبسون ملابسهم المتادة . ويرى فى الصورة مقدار التوسعة الجديدة فى الشارع الذى اصبح باتجاهين للذهاب والاياب ، يفصل بينهما حاجز ..



صورة لمسجد المزدلفة ، وهى المنطقة التى يمر بها الحجاج وهم فى طريقهم من عرفات الى « منى »
ليلة العيد ، ويقضون فيها فترة يلتقطون فيها الحصى ، ويجمعون بين صلاة المغرب والعشاء جمع تأخير .



للمراة العربية وجدارتها بأن تضارع الرجـال ، فهو قد اخذ اسمه عن امراة من خزاعة كانت تقيم فيه قبل الاسلام ، ويروى عنها انها كانت تنازل الفرسان فلا يقوى واحد على ان يهزمها .. وقد بلغ بها الجلد مرة ان ظلت ثلاثة ايام متواليـة متصدية لعـدو مغير ، فلم تنهزم . ولذلك اجمع قومها على ان يعهدوا اليها بعبء الدفاع عـن الوادى .

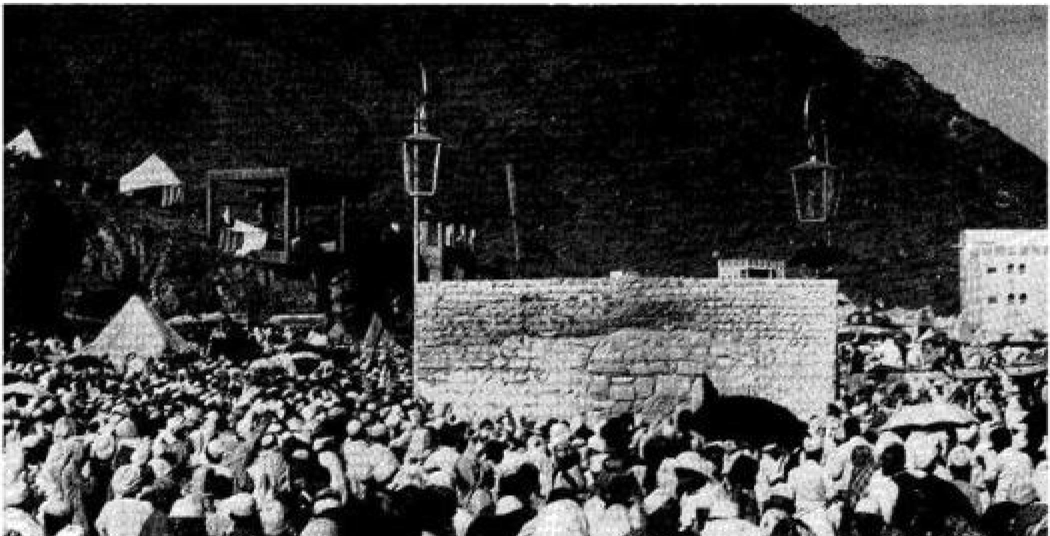
ووادى فاطمة منطقة زراعية ، تتالف من حوالي ٣٥ قرية ذات نخيل ، وتنتشر فيها مزارع الخضر والفلال والاعلاف . ولذلك فهى تعتمد ـ الى جانب الزراعة ـ على تربيـة المواشي والاغنام والدواجن .. وعلى صناعات تستغل فيها الخامات المحلية ، ويتولى النساء معظمها ، كالحصـير و « الزنابيـل » ..

عندما فتح المسلمون مكة

ولوادى فاطمة ـ الى جانب هـذا ـ ارتباط بحدث من اهم احداث التاريخ الاسلامي ، وهو : فتح مكـة .

ففي هذا الوادى ـ الذى كان يسمى « مر الظهران » ـ نزل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بجيشه وهو مقبل على فتح مكة ، بعد ان نكثت قريش عهدها وحاولت منع المسلمين عن الحج .

وكان « ابو سفيان » ـ عظيم مكة فى ذلك الحين ـ قد خرج الى الجبال المحيطة بالوادى ، يتجسس اخبار المسلمين ، فما لبث ان وقع فى أسرهم ، وسيق الى رسول اللـه ، الذى بادره قائلا : « ويحك يا أبا سفيان ، الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله ؟ » .. فوقع القول من نفسه ، وقال : « لو كان مع الله غيره لاغنى عني شيئا » .. وعاد الرسول يقول : « ويحك ، الم يأن لك



الحجاج يرمون الجمرة الكبرى سبع حصوات ، وهى فى مدخل منى للقادم من مكة ، ويعتبر الرمى احياء لذكرى معركة أبينا ابراهيم مع الشيطان فى هذه المنطقة وانتصاره عليه ، ويجب ان يكون فى الوقت نفسه رمزا لعزم الحاج على تخلصه من وساوس الشيطان وشرور النفس .

ان تعلم اني رسول الله ؟ » . ولكن بقية من العناد بقيت فى نفس ابي سفيان ، بالرغم من شهادته بوحدانية الله ، فقال : « بأبي انت وأمي .. أما هذه ، ففي النفس منها شيء » .

وهنا تدخل العباس – عم الرسول – وقد ادرك ان الرجل يعز عليه ان يفقد مكانته فى مكة : فقال : « ويلك ، تشهد شهادة الحق قبل ان تضرب عنقك ! يارسول الله ، اجعل له شيئا يكون به فى قومه » . يقصد ان يمنحه النبي امتيازا يبقى له شيئا من مكانته فى القوم ، فقال النبي : « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن اغلق بابه فهو آمن » .

وعندما دخل النبي مكة ، تفرقت قريش تعتصم برؤوس الجبال . وجاء ابو سفيان اليه قائلا : « يارسول الله ، أبيدت خضراء قريش .. لا قريش بعد اليوم » . فقال الرسول مرة أخرى : « من دخل دار ابي سفيان كان آمنا ، ومن دخل دار حكيم كان آمنا ، ومن اغلق بابه كان آمنا ، ومن القى السلاح كان آمنا » .

دار أبي سفيـان

اما دار ابي سفيان ، فلا يزال موقعها معروفا ، فهي عند « سوق الجودرية » ، فى مكان يقال له « القبان » ، لانه كان اول بقعة تبدو فيها الكعبة للوافد على مكة ، فيقف متطلعا اليها ، مسبحا بحمد الله ، او ملبيا ، اذا كان حاجا .

وكان قد انشىء عليها مسجد . ثم رأى السلطان العثماني « محمد خان الغازي » ان ينشىء عليها دارا للشفاء ، ضمت المسجد بين جوانحها ، فى سنة ١٠٨٦ هجرية .. وهي اليوم مستوصف للعلاج .

اما « دار حكيم » ، فاختلفت الاقوال فى موقعها .. فيرى البعض انها كانت بجوار مسجد خالد ابن الوليد ، فى « الشبيكة » – من احياء مكة – ويرى بعض آخر انها كانت على مقربة من باب الوداع .. وسواء كان هذا او ذاك ، فالراجح انها ازيلت تماما .

والحديث عن مكة ، فى ماضيها المجيد وفي حاضرها المتطور ، لايكاد ينضب .. ولكن حسبنا اننا هنا رسمنا صورة صادقة تساعد على ان

من خطبة الرسول الخالدة فى حجة الوداع

« ايها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا » ....

« اما بعد ، ايها الناس ، فان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه ابدا ، ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من اعمالكم ، فاحذروه على دينكم » ....

« واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا ، وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله » .

« ايها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه . تعلمُنّ ان كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين أخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلِمُنّ أنفسكم . اللهم قد بلغت » .

يعرف العرب المسلمون هذا الجزء المقدس من وطنهم الاكبر . وكذا العرب غير المسلمين ، فكل مكان يعبد فيه الله له مكان فى كل قلب يعمره بالله الايمان .

بقيت كلمة لابد أن تكون سريعة عن « مشروع توسعة المسجد الحرام » . فالمسجد الحرام هو المركز الذى تدور عليه الحياة فى مكة .

لقد تعرض المسجد الحرام فى عصور سابقة الى كثير من اعمال التجديد والاضافة ، ليس هنا مجال تفصيلها . ولكن ازدياد انتشار الاسلام ، وتعدد وسائل المواصلات وسهولتها ، اديا الى ازدياد عدد الحجاج عاما بعد عام ، حتى اصبح المسجد يضيق بحشودهم ، وحتى اصبحت الطرق المحيطة به تزدحم الى درجة ان الزمن الذى كانت تستغرقه السيارة فى الطواف حول المسجد ، امتد الى ثلاث ساعات فى بعض السنوات التي كثر فيها اقبال الحجاج .

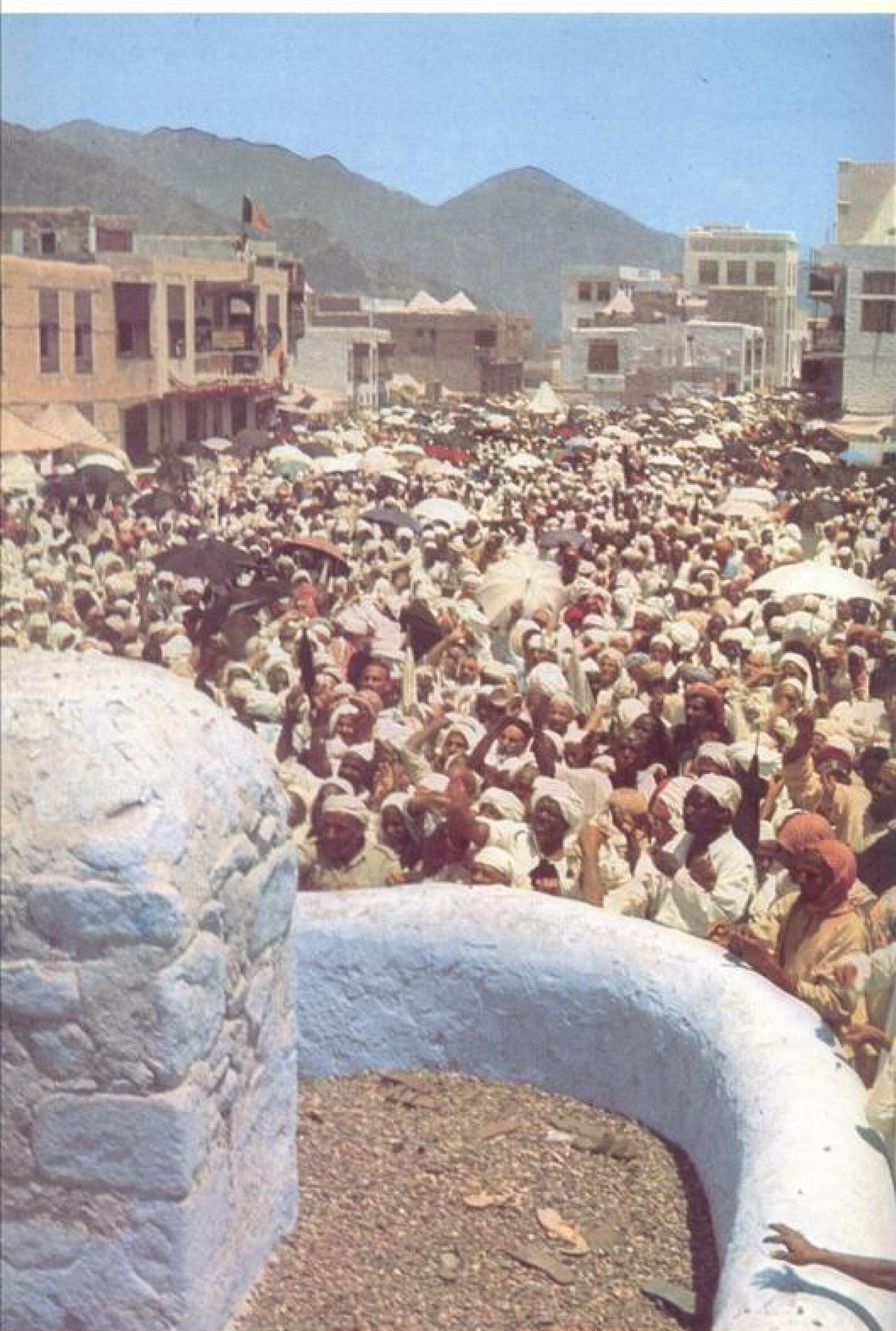
لذلك وضع المشروع الذى يجرى العمل فيه





بعض الحجاج يجمعون الجمرات
من المزدلفة ، وهم بملابس الاحرام

الى اليسار: ثاني يوم العيد يتوجه الحجاج الى رمي الجمرات الثلاث ، مبتدئين بالجمرة الصغرى أو ابليس الصغير ، والجمرات كلها تقع وسط الشارع الرئيسي في منى ، وترى وفود الحجاج الى اليسار يرمون الجمرة الصغرى ، وهي عبارة عن مبنى صغير مرتفع قليلا كما ترى في الصورة يحيط به سور أقل منه ارتفاعا ليسقط فيه الحصى ، ومما يذكر ان هذا الحصى يمنى برفعه أولا بأول من كل يوم ، خوفا من تراكمه . وهذه الجمرة مقامة في أول مكان تعرض فيه الشيطان لسيدنا ابراهيم يحاول ان يثنيه عن طاعة الله والاستمرار في اداء رسالته ..



منذ ثماني سنوات .. وهو يرمي الى ان تصبح مساحة المسجد ١٦٠١٦٨ مترا مربعا ، وان تحيط به ميادين وشوارع تقام على جانبيها عمارات سكنية ضخمة .

واذا كان العرب هم الذين تولوا امر الحرم منذ عهد اسماعيل عليه السلام ، فان المشروع القائم للتوسعة مثال حي لمدى تعاونهم .. فلقد التزمت الحكومة السعودية بكافة النفقات - فدفعت تعويضا لاصحاب ٧٦٨ منزلا و ٩٢٨ حانوتا ازيلت للتوسعة ، مبلغ ٢٣٩٫٦١٥٫٣٠٠ ريال سعودى ، كما انفقت على اعمال الردم والبناء - حتى منتصف عام ١٩٦٣ - حوالي ٨٠ مليونا من الريالات ...

اما التصميم والاشراف على اعمال البناء ، فتولاه مهندسون مصريون .. واما التنفيذ فيقوم به عمال من سوريا وفلسطين والجمهورية العربية المتحدة وعدد من الدول العربية الاخرى .. يضاف الى هذا ان المشروع يعتبر بمثابة معهد تدريبي للعمال المحليين ، من أبناء المملكة السعودية .

كذلك كشف المشروع عن غنى المملكة السعودية بالخامات اللازمة للمعمار اذ ان كثيرا من المواد الاولية تستمد من موارد محلية .. حتى الرمر الذى يستخدم فى اقامة الاجنحة الجديدة ، يقتطع من محاجر فى مكة ، ويرسل الى جدة حيث يقطع

مناسك الحج

■ نورد فيما يلي مناسك الحج على الوجه الذى أداها به الرسول صلوات الله عليه ، وهى على ثلاث مراحل :

أ - المرحلة الاولى

تبتدىء من يوم الاحرام الى يوم دخول مكة ، وتشمل :

١ - الاحرام : وهو الدخول فى حرمات الحج أو العمرة ، ويتحقق بالنية ، كنية الصلاة ، وله مقدمات منها الغسل وقص الاظافر وحلق ما اعتاد حلقه من الشعر ، أو تسريحه ، وازالة شعر الابط . ويستحب التطيب بطيب لا يبقى منه غير رائحته بعد الاحرام ، وأن يلبس المحرم نعلين أو خفين ، وازارا ورداء أبيضين ، اذ يحرم لبس شيء يحيط بالبدن أو ببعضه كالقميص والسراويل والعمامة أو تغطية الراس (الا للمرأة) أو ستر



بعد ان ينتهى الحجاج من رمي جمرة العقبة يوم العيد ، ومن ذبح ما يكون عليهم من فدية يجلسون يحلقون شعرهم أو يقصون بعضه كي يتحللوا التحلل الاول ويلبسوا ملابسهم المعتادة .

« خذوا عنى مناسككم »
حديث شريف

الوجه واليدين او الاحرام فى ثوب مصبوغ بماله رائحة ولو طيبة .

٢ ــ طواف القدوم : وقبيل ان يدخل الحاج مكة يستحب ان يغتسل بذى طوى ، وهى من ضواحيها ، فاذا دخلها قصد الى المسجد الحرام فدخله من اى باب شاء ، والأفضل من باب السلام ، ثم بدا طواف القدوم مستقبلا الحجر الاسود جاعلا الكعبة عن يساره ثم دار بها سبع مرات ، ثم بعد ذلك يقصد الى مقام ابراهيم فيصلي ركعتى سنة الطواف .

٣ ــ السعى بين الصفا والمروة : مبتدئا بالصعود على مدرج الصفا فى طهارة تامة ، وهابطا نحو المروة ماشيا الا لعذر ، مهرولا حيث تستحب الهرولة ، حتى يتم سبعة اشواط متوالية .

ب ــ المرحلة الثانية

وهى تتلخص فى ٩ مناسك :

١ ــ الاحرام بالحج لمن كان متمتعا او مبتدئا
٢ ــ الوقوف بعرفات
٣ ــ المبيت بالمزدلفة
٤ ــ الوقوف بالمشعر الحرام
٥ ــ رمى جمرة العقبة
٦ ــ ذبح الهدى او الاضحية
٧ ــ الحلق او التقصير
٨ ــ طواف الافاضة
٩ ــ السعي بن الصفا والمروة (لمن لم يسع من قبل)

ج ــ المرحلة الثالثة

وتتلخص المرحلة الثالثة فى المناسك الآتية :

١ ــ رمى الجمرات الثلاث
٢ ــ المبيت فى منى ليلة عرفة
٣ ــ طواف الوداع

ويهذب ويصقل .. وقد بلغت تكاليف المتر المكعب منه حوالي ١٢٠ ريالا .

ولقد بدا العمل فى مشروع التوسعة فى سنة ١٩٥٦ ، فاقيمت الاجنحة الجديدة ، بحيث يتألف كل منها من طابقين مقسمين الى ابوانات للصلاة تتخللها ممرات عرض كل منها خمسة امتار .. مع مراعاة امكان استخدام السطوح العليا للصلاة فى حالة ازدياد عدد رواد المسجد .. كما يدرس امكان استخدام الطوابق الارضية «البدرومات» .

والاجنحة الجديدة تحيط بالحرم القديم ، الذى يتجه الرأى الى تركه على حاله ، تقديرا لقيمته التاريخية .. وان كان المبنى القديم لعين زمزم قد ازيل من مكانه اذ كان يحجب الكعبة عن بعض المصلين .. واصبحت العين ــ والشبكة المائية المقامة عليها ــ فى نفق تحت أرض الحرم .. وتمد منها انابيب فرعية الى الابواب الرئيسية الثلاثة ــ بحيث يقام سبيلان للسقاية عند كل باب .

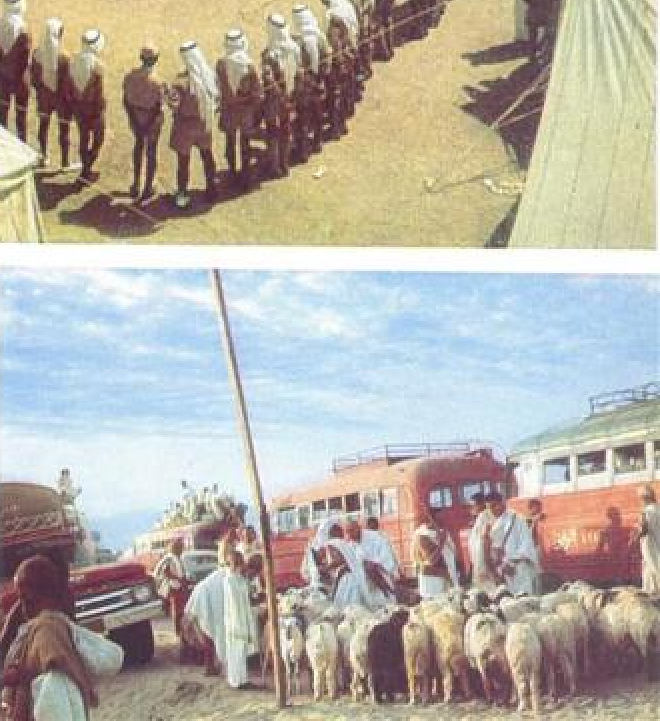
وليس من شك فى ان المبنى بعد اكتماله ، سيغدو من اكبر واجمل المراكز الدينية فى العالم ..

اما الحج ومراسمه فنترك للصور ــ تبيانهما .

محمد بدر الدين خليل

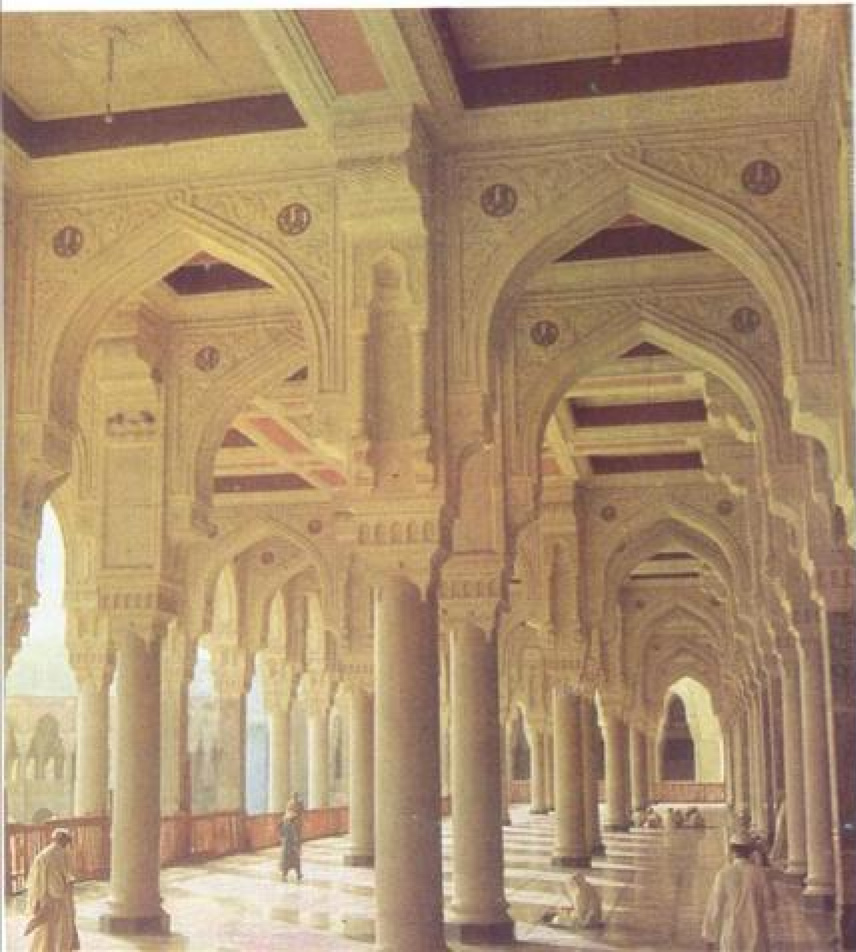


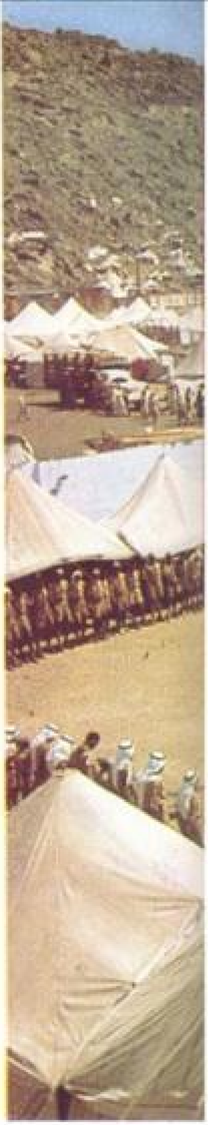
شراء الضحية أو
الفدية التي يذبحها
الحاج بعد أن يتمتع
بالعمرة الى الحج،
امتثالا لقوله تعالى:
« فاذا امنتم فمن
تمتع بالعمرة الى
الحج فما استيسر
من الهدى » .



الى اسفل : كشف مشروع توسعة المسجد الحرام عن غنى المملكة السعودية بالخامات اللازمة للمعمار اذ ان كثيرا من المواد الاولية يستمد من موارد محلية .. حتى المرمر الذي يستخدم في اقامة الاجنحة الجديدة ، يقتطع من محاجر مكة ، ويرسل الى جدة حيث يقطع ويهذب ويصقل .. وقد بلغت تكاليف المتر المكعب منه حوالي ١٠٢ ريال .. ولقد بدأ العمل في مشروع التوسعة في سنة ١٩٥٦ ، فاقيمت الاجنحة الجديدة ، بحيث يتألف كل منها من طابقين مقسمين الى ايوانات للصلاة ، تتخللها ممرات ، عرض كل منها خمسة أمتار .. وقد روعي امكان استخدام السطوح العليا للصلاة في حالة ازدياد عدد رواد المسجد .. كذلك درس امكان استخدام الطوابق الارضية « البدرومات » للصلاة كذلك . ومبنى عين زمزم قد أزيل من مكانه اذ كان يحجب الكعبة عن بعض المصلين .. وأصبحت العين ــ والشبكة المائية المقامة عليها ــ تسكن نفقا تحت أرض الحرم .. وتمد منها انابيب فرعية الى الابواب الرئيسية الثلاثة للحرم ــ بحيث يقام سبيلان للسقاية عند كل باب .

وفي الصورة السفلى يرى جزء من أحد الاروقة وقد اكتمل العمل فيها .

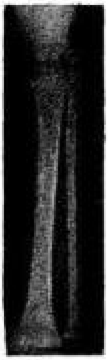




تقوم فرق الكشافة السعودية بدور فعال في مساعدة الحجاج وارشادهم الى اماكنهم اذا ضلوا الطريق ، وتوصيلهم الى المراكز الصحية اذا احتاجوا للعلاج

أنباء الطب والعلم والاختراع

عظام العجول ، مكان عظام الانسان



■ الحوادث التي تصيب الانسان كثيرة ، تلك التى فيها تتهشم عظامه أو تتلف لسبب ما . وعندئذ يحتاج الجراح الى استبدالها .

وقد اتجهوا الى عظام العجول يستبدلونها بعظام الانسان ، ولكن بعد علاج لهذه العظام طويل ، يشمل نحوا من ٣٥ خطوة ، تستغرق نحوا من ٥ أشهر لاتمامها .

والسبب فى ذلك ان احلال شيء من جسم ، فى جسم آخر ، يقوم يعارضه الجسم الداخل هذا الشيء اليه .

انها مناعة طبيعية : الجسم يأبى ان يحل به شيء الا ان يكون منه هو . اما من غريب ، فلا . حتى العظام .

وقد استغرقت شركة اسكوب الاقرباذينية Squibb ثماني سنوات للانتهاء الى هذه النتيجة . وهم يسمون العظم ، المعالج بهذه الطريقة التي تخرج منه العوامل التى تمنع التحامه بعظم انسان ، يسمونه بوبلانت Boplant . وهو يحفظ معقما فى قنينات لمدة غايتها عامان ، وفى درجة الحرارة العادية .

وقد انتفع الجراحون بهذه العظام فى ٥٠٠٠ حالة ، اقرتها حكومة الولايات . والحالات التى تنقل فيها عظام مكان عظام فى الولايات تبلغ ٧٠٠٠٠ حالة فى العام .

والطريف ان دم المريض يجرى فى هذا العظم الجديد ، وبعد مدة يصنع الدم عظما جديدا مكان هذا العظم الدخيل .

كيف يحضرون شبابهم

● **ان كان لا بد من ذكر شيء واحد يسيطر على الحياة الحاضرة ، فلا شك هو العلم .**

وان كان لابد من ذكر شيء واحد سوف يسيطر على الحياة المستقبلة ، فوق ظهر هذه الارض ، فلا شك هو العلم .

ومن هم رجال الغد وعلماؤه ؟ انهم شباب اليوم .

ومن أجل هذا تعنى الأمم المتقدمة أكبر عناية بتحضير شبابها لهذا الغد ، المرجو ، والمخوف فى آن واحد .

وبين أيدينا استعراض لما تصنع الولايات المتحدة فى هذا السبيل ، يعرضه الدكتور وطسن دافيس Davis ، مدير الخدمة العلمية بامريكا .

انه يقول ان بالولايات المتحدة مليون ولد وبنت فى المدارس الثانوية متوجهين وجهة علمية . وقد ظهرت على قليل منهم علائم النجابة والامل . وهؤلاء ينظرون الى الدنيا نظرات جديدة منعشة

الطيور ، تسمن ، وتنحف ، تبعا للفصول



● هكذا تفعل بها الطبيعة .

ان الطيور تشبر الأرض شبرا ، وتقطع المحيطات عبرا ، حيث الدفء فى الشتاء ، وحيث الجو المنعش فى الصيف.

والطيران مجهود يحتاج لوقود . والوقود الحيوانى دهن . لهذا يسمن الطير عندما يتهيأ للطيران البعيد حتى ليبلغ دهنه ٥٠ فى المائة من وزن جسمه.

وعلى العكس من ذلك ، يذهب عنه الدهن عندما يعتاض عن ريشه القديم بريش جديد ، أو عندما ينتج صفار الطير .

وعندئذ قد تهبط كمية الدهن فى جسم الطير الى نحو ٥ فى المائة من وزنه .

وحتى الطير الحبيس فى قفصه ، لاينسى عادته القديمة من سمن ونحافة . أو لا تنساها الطبيعة . فالفصول تدورعليه بالسمن والنحافة كما كانت تفعل به وهو حر طليق .

لمستقبل فى الحياة علمي لا شك فيه

مستنيرة ، وهم الذين سيزودون البلاد فى المستقبل بالكشف عن حقائق فى العلم جديدة ، وهم الذين سوف يصوغون فى العلم نظرياته الجديدة .

ويتضمن برنامج الشباب العلمى فى الولايات قيامَ هؤلاء التلاميذ فى مدارسهم الثانوية ، أولئك الذين بدأ العلم يحل فى صدورهم ويحرِّك آمالهم، قيامَهم باجراء وانجاز مشاريع علمية تعرَض كل عام فى سوق للعلم تقام فى كل مدرسة ، من ١٥٠٠٠ مدرسة فى الولايات ، ويساعدهم فى تحضير هذه المشاريع ٢٠٠٠٠ من مدرسى العلوم ، هم الذين يتولون ادارة شئون النوادى العلمية الموجودة فى امريكا .

ويرى الدكتور دافيس ان هذه المشاريع والنوادى العلمية كان لهـا أثر كبير فى تحويل أسلوب الدراسة العلمية فى المدارس الى الناحية العملية التجريبية ، وهى قضت على الوضع الذى فيه يجلس التلاميذ الى مدرس علومهم يستمعون له فى كثير من الاحترام والسكون كما يستمعون الى موعظة فى معبد . ان التلاميذ فى هذه السن لا يزالون يشغفون باللعب ، وهم يتخذون من تلك المشاريع العلمية فرصا يشبعون بها شهية اللعب فى نفوسهم . الا أنها شهية علمية .

ويقام فى الولايات المتحدة فى كل عام معارض علمية Science Fairs يتبارى فيها طلبة مدارس الولايات بما انتجوا من مشاريع ، ويؤخذ منهم للمستقبل صفوة مختارة ، تعطى لها المكافآت، ويستزيرها ساكنُ البيت الأبيض فى الولايات .

لقد اقيم أول هذه المعارض القومية عام ١٩٥٠ بمدينة فيلادلفيا ، وفى عام ١٩٥٨ صارت هذه المعارض دولية . فدخلها طلبة عارضون من اليابان ثم من كندا ، ونيوزيلاند ، والسويد وفرنسا ، وايطاليا ، وسيقام معرض عام ١٩٦٥ بمدينة سانت لويس St. Louie من ٥ الى ٨ مايو القادم .

الطائرة الحوامة لها مستقبل فى الناس كبير

● انها الطائرة المعروفة بالهليكبتر .

وهى التى لها مراوح ترفعها وتوجهها .

ويقول اهل الاختصاص العارفون، ان لها فى المستقبل ، فى الأمم النامية ، بين المدن فى القطر الواحد ،لفرض المواصلات، شأناكبيرا . وانها اليوم ، من حيث دخولها فى حياة الناس ، تدخل فى حياتهم بسرعة اكثر مما دخلت السيارة فى حياتهم ، فى عهد طفولتها الأولى ، فى اوائل هذا القرن . وسوف تدخل حياتهم وتزيد كما دخلت السيارات .

وهم انما يستدلون على ذلك ، بخط المواصلات الأول الذى ابتدعته مدينة لوس انجلس . فهى انشأته عام ١٩٥٤ ،

الزراعة دخلتها

محصول الطماطم يزيد دخل

● ومحصول الخس يزيده ١٥٠ جنيها فى الفدان .

ومحصول الزهرة المعروفة بالكريثانثيموم يزيده ١٠٨٠ فى الفدان .

وهلم جرا ..

وهذا ما دلت عليه البحوث الزراعية التى اجريت فى بريطانيا والولايات المتحدة ، وفى هولندة .

وهى تشير بالطبع ، فى تلك المناطق ، حيث البرودة هى صفة الطقس ، الى الزراعة الجارية هناك فى بيوت الزجاج .

وهذه البيوت تدفأ طبعا ، كما تدفأ المنازل .

والزيادة التى تحدث فى محصول الطماطم والخس وغيرهما ، عن المحصول العادى ، تتراوح بين ١٦ و ٣٨ فى المائة حسب الخضار او الزهرة المزروعة او نحوهما .

ولكن ما سبب هذه الزيادة فى المحصول ، التي تسبب هذه الزيادة الكبيرة من المال الذى يدخل جيب الزارع ، صاحب هذه البيوت ؟





افانين من الصناعة

صاحبه ١٠٠٠ جنيه فى الفدان

السبب هو غاز الكربونيك .

فكل مثقف يعلم ان هذا الهواء الجوى مؤلف ، الى جانب الآزوت والاكسجين ، من غاز الكربونيك ، الذى هو الاكسيد الثانى لعنصر الكربون ، عنصر الفحم .

فهذا الاكسيد هو الذى يغذى النبات، اذ تمتصه اوراقه الخضراء من الجو ، ومعه نور الشمس ، ومعهما الماء يأتيهما مصا من الارض ، وتصنع من كل ذلك مادة النبات، من الياف واخشاب وفروع وزهور ، وثمار .

ان هذا الفحم ، فحم الاكسيد ، هو الاساس فى تركيب كل ما ناكل ، من طماطم ، الى خس ... واساس كل ما نشم من زهر وعطر .

فالحيلة ، لزيادة محصول هذه البيوت ، وهى من زجاج ، انما هى فى زيادة نسبة اكسيد الكربون هذا فى جو هذه البيوت الزجاجية .

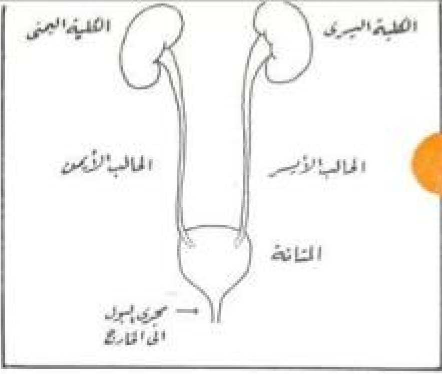
ان نسبة الاكسيد فى الهواء العادى تبلغ نحو ٤ اجزاء من كل ١٠ آلاف جزء من الهواء . والحيلة انما هى فى زيادة هذه النسبة . ومعاهد الأبحاث التى ذكرنا تنصح الزارعين الآن برفع هذه النسبة الى ١٠ اجزاء من كل ١٠ آلاف جزء من الهواء . ويكون هذا باحراق وقود مثل غاز البوتان (البوتا غاز) فى البيت او غاز البروبان، او باطلاق غاز الكربونيك من انابيبه التى هو مضغوط فيها ، وهى تشترى من الأسواق .

بقيت درجة الحرارة . فهذه يجب رفعها الى نحو ١٨ درجة مئوية ، حتى يستطيع النبات عندها ان يلتهم فى النهار هذا المقدار من اكسيد الكربون فيزيد النبات حجما ، والثمر كبرا ، ويملأ بيت الفلاح سمنا وعسلا .

بقى ان نقول : ان هذه ليست زراعة بحتة . انها زراعة دخلتها افانين من الصناعة ، تحتاج الى مرتبة من الذكاء ارقى ، وعقل اكثر تدربا على التكنى وافهم .

ولم يكن حمل فى ذلك العام غير ٢٠٠ راكب . وفى عام ١٩٦١ حمل ٤٢٠٠٠ راكب ، وفى عام ١٩٦٢ حمل ٨٢٠٠٠ راكب ، وفى عام ١٩٦٣ حمل ١٧١٠٠٠ راكب !

ويرى المختصون ان رواج هذه الطائرات فى المواصلات سيؤثر حتما على اشياء كثيرة مما الفها الانسان فى حياته . كأبنية المدن وارتفاعها ،واتساع ساحاتها، وحسن توزع هذه الساحات فى المدينة لتهبط الحوامات عليها . وقد تهبط على أسطح للمبانى ، وعندئذ سوف يزيدون فى سطوحها لتهبط عليها الطائرات .



ـباء الطب والعلم والاختراع

كلية الموتى ، مكان كلية المرضى

● فساد الكلية فساد الحياة . وتوقف الكليتين عن افراز ما يجب افرازه من الدم ليخرج الى البول ، وبالمقادير الكافية ، يورث المرض . فاحتباس هذه الافرازات في الدم سم . وتسوء الحال فيموت المريض .

ولكم سمعنا بأخ يجود لأخيه بكلية صحيحة ، يقوم الجراحون بنقلها الى جسم المريض لتحل في داخله مكان الكلية المريضة .

وتنجح جراحة النقل ، وتقوم الكلية الجديدة بوظيفة القديمة ، ولكن الى فترة قصيرة ثم يموت المريض .

والجراحة دائما في تقدم . واسباب الفشل دائما تكتشف ، وتعالج اسبابها . وقد اعلن جماعة من الجراحين بمستشفى كليفلند ، باوهايو ، يقومون بتلك الجراحة ، انه نتيجة لخبرتهم الاخيرة ، ينجح من هذه الجراحات ما بين ٣٠ الى ٥٠ في المائة منها .

وهم ينقلون الكلية من رجل مات حديثا ، ليحلوها محل كلية رجل مريض . قال رئيس الفرقة : ان الصعوبة هي في الحصول على الكلية المناسبة . وانه من بين ٤٦ مريضا ، قام بعد الجراحة ٢٤ معافين ، اكثرهم استطاع ان يجري الحياة على عادته من قبل جراحة .

نظارة واحدة ، للنظر القريب والبعيد ، وللقراءة

● التقدم في العمر يزيد في قصر النظر ، وقد يطيله . ويفعل بالعين افاعيل اخرى .

وقصر النظر يحتاج الى عدسات ذات بؤرة توافق قصر النظر .

وبعد النظر يحتاج الى عدسات ذات بؤرة توافق طول النظر .

وللقراءة نظارات اخرى .

وفي العادة يحتاج الانسان الى نظارتين ، نظارة للنظر العادي ليرى بها في الطريق ، ونظارة للقراءة يجلس بها الى صحيفة أو كتاب .

وقد تفادوا الحاجة الى نظارتين بأن ابتدعوا للعين زجاجة واحدة تتضمن عدستين ذات بؤرتين ، عليا للنظر البعيد ، وسفلى ، يخفض اليها القارىء بصره ، وهي للقراءة من قريب .

وتسمى هذه النظارة بذات البؤرتين Bifocal . وعيبها انك عندما تنتقل ببصرك من العدسة العليا الى السفلى تمر بفترة فيها البصر مبهما مغبشا .

وتفاديا من ذلك ابتدعوا نظارة جديدة ، تتدرج بؤرة زجاجها والبصر يهبط فيها من اعلى الى اسفل . فهي ترى البعيد بوضوح ، والاقل بعدا ، والقريب والاقل قربا . ولا تمر بمرحلة يتغبش فيها البصر .

وتسمى هذه النظارة بكثيرة البؤرات Omnifocal ، او النظارة العامة أو عامة الاغراض .

وقد اخذ استعمالها يشيع . وهي اغلى قليلا من النظارة ذات البؤرتين .

كانَ لِي زَوْجَتانِ لِكُلٍّ مِنهُمَا أُسلُوبُ حَياة !



[redacted]



[redacted]

■ نعم . انها زوجتان .

ربط القدر بين اولاهما وبيني ، ثم حل القدر ما كان ربط .

وارتبطت بالأخرى ، وفنيت أيامها وهى معى ، على حين طالت أيامي .

ولم يبق لي من الاثنتين الا الذكريات الحميدة .

الأولى افلين ، امريكية الأرومة ، عرفتها وعرفتني ، وأحببتها واحبتني . وغابت عني فازددت شوقا . فاذا بي عند كبينة التلفون ، اطلبها من بلدها البعيد ، واحدد معها يوم الزفاف . واتفقنا عليه ، وعلى التفاصيل كلها . وقبل ان أضع السماعة قالت لي : تمهل دقيقة حتى أخبر اهلي ، فالحق اني الى اليوم لم اذكر لهم حتى اسمك !

فهذا عن الأولى .

لون من طلب اليد . ولون من الاستجابة اليه .

فدونك الثانية .

كانت ارملة ، اما من حيث الأرومة ففرنسية .

طلبت يدها فقالت نعم ، شريطة ان ازور والدتها واطلب اليد منها .

وكانت سيمون أحسن من افلين .

وكانت مستقلة فى المعيشة من والدتها ، فلها بيتها الذى تركه لها زوجها ، ومع هذا لم تتصور ان تتزوج من رجل لم يسبق له ان نال رضى امها .

وبناء على هذا اشتريت باقة من ورد اصفر ، ولبست بدلة سوداء اللون ، وما هي الا ساعة او بعض ساعة حتى كنت فى حضرة هذه السيدة الرائعة ، الأم . فظهرت على وجهها دهشة طفيفة عند

نظرتها الأولى الى ، ثم انفعال يتضمن عاطفة رقيقة . ثم اعتراها سكون ، لا شك كانت تتداول فيه ، بينها وبين نفسها ، ماذا يكون حكمها . وفى هذه الأثناء اعتراني شيء طفيف من الاضطراب ، وبلعت ريقى اكثر من مرة . ولكنها خرجت عن سكونها ، وابتسمت لى ، وباركت لى ولابنتها فى ما اعتزمنا عليه .

★ ★ ★

ان الناس الذين يرون أن الأنوثة انوثة ، فى اى ركن من الارض ، وتحت اى سماء ، مخطئون جدا .

ان زوجتي الاولى ولدت عند نهر اهايو بأوسط امريكا ، وزوجتي الثانيةولدتعند نهر السين،وقد اختلفت الاثنتان كاختلاف ما بين النهرين وما احاط بهما من صعيدين . وهذا الاختلاف الذى لا اقول عانيته ولا اقول تمليته ، ولكن اقول خبرته ، ملأنى ايمانا بالقدر الذى يمكن ان يودع النفس الانسانية من اختلاف فى المزاج والعادة الشخصية .

احسست من افلين بما تنطوى عليها شخصيتها بالشعور الكامل بالبلوغ ، ومع البلوغ الادراك ، وبمعرفة مالها من حقوق وما عليها من واجبات محددة لا يتطرق اليها الشك ابدا .

ان أم افلين الامريكية كانت من ذلك الجيل الذى اغتصب من ايدى الرجال ، اغتصابا ، مساواة المرأة بالرجل . ولكن افلين وجيلها لم يكن قد استقررن بعد فى باحة الحرية التى نلنها قريبا ، وامن بقاءها ، فهن يؤكدن هذه الحرية دائما بأسلوب قد يزيد على الحد ، فيجرعن جرعة كبرى من الثقة بالنفس قد لاتؤدى دائما الى صحة الحال .

اذكر انها جاءت مرة متاخرة عن عشائنا فى حفلة من الحفلات ، فلما نبهتها الى ذلك ، قالت : ماذا كنت تريد ان اصنع وقد امتدت الحفلة فوق ما كنت انتظر ؟ ان اظل انظر الى ساعتي ثم انظر، اشعارا للآخرين بأن موعدى فى البيت قد فات ، واتركهم بغتة من اجل ذلك ؟ ان هذا مهين للكرامة لا شك فى ذلك .

وفى مثل هذا الموقف ، قالت سيمون، الفرنسية ، غير ذلك . قالت : لقد ظننت انك تفتقدني واوحشك ، عند تأخرى ، فاستمتع بشعورك هذا ، لهذا تعمدت ان اتأخر !

★ ★ ★

وادركت من هذا ، ومن أمثاله ، ان سيمون ترى فى علاقة الزوج بالزوجة ، علاقة لا بد ان يحييها دائما شرر من عاطفة . اما عند افلين فهي علاقة نبيلة بين شخصين معقولين .

كنت ، لانعدام الخدم حتى فى تلك الأيام البعيدة ، اتطوع طبعا بغسل الصحون بعد الطعام تخفيفا عن زوجتي ، فكان لهذا العمل اثران مختلفان فى الزوجتين .

كانت افلين تعمل خارج المنزل فى النهار كما كنت اعمل ، فاذا عادت طبخت ، وقمت انا بغسل الأطباق . وكانت لذلك ترى فيما اصنع شيئا عادلا . واني بغسل الصحون انما اقوم بشيء هو بعض نصيبي .

وغير ذلك كان اثر الصحون فى سيمون .

كانت بعد الأكل تقوم عن المائدة فتقول : والآن بالصحون الى المطبخ . فاقوم واسبق واقول هذا عملى . وتحتج وتقول : بل هو من واجبي . والح فتسلم مغلوبة ، وهى تقول:واجبى ان امنعك عن غسل الصحون ، ولكن ماذا اصنع مع زوج لطيف ملح كريم مثلك ؟

ثم مسألة من سيد البيت ؟

هذه مسألة لم تؤرق سيمون ابـدا . كانت تعتقد ان الحب هو كـل شيء . وأن الزوج اذا أحب زوجتـه ، صارت مسألة السيادة فى البيت مسألة تافهة . وكثيرا ما سمعتها تقـول لأخواتها : ان المراة يجب ان تنظر الى زوجها نظـرة رفيعة اذا ما شـاءت ان تكـون معه سعيدة .

اما افلين فكانت ترى ، ولو لم تفصح بذلك : ان الرجـل ، اذا لم ينظر الـى زوجته نظرة المساواة ، نظـرة المثيل للمثيل ، فهـو اذا طلبها ، فانما يطلب جسدا لارتواء من عطش لا ظل للحـب الروحي فيه .

★ ★ ★

لقد عاشت زوجتي الأمريكية وهـي تحاول دائما ان تعيش العيشة المثاليـة التى رسمتها للمراة الزوجة .

اذكر حادثة ملأتني بها اعجابا .

كنـا فى انتظـار ضيـوف . وقبيل حضورهم انجزعت قدم افلين . وكـان الالم شديدا فلم تستطع حتى الوقوف . وحضـر الاصدقاء ، وجلسوا ، ولعبنا دوريـن او ثلاثـة مـن لعبات الورق ، وشربنا المنعش واكلنا الخفيف ، ولم يبن على زوجتي أى الم . لقد كتمته كتما . وفى تلك الليلة لم تستطع افلين النوم . ولما رآها الطبيب فى النهار ، ظهر انهـا قد كسرت ثلاث عظيمات فى قدمها .

فهذا ما لم يكن فى الامكان ان تصنعه زوجتي اللاتينية . لقد كانت تتألم لأى الم يصيبها فكأنما كانت تبحث عـن الآلام حتـى اذا هي غابت . كـانت اسيـرة جسمها ، بينا زوجتى الأمريكية كـانت اسيرة عقلهـا .

★ ★ ★

وظهر اختلافهما فى الطبخ ، لا ظهور الطبخ فى ذاته وما ينتج ، بقدر ظهوره من حيث الدوافع التي دفعت اليه ، وكانت من ورائه دوافـع الشخصية المختلفة .

كانت افلين طباخـة يعتمد عليهـا ، حتى لأمكن ان يقال انها طباخة محسنة . وذوقها كان الذوق المحافظ . وكـانت تطبخ من غير زئاط ولا جلبة ، ومن غير بهـار .

اما سيمون فقد كانت تصب مزاجها الى كله فى كل لون تصنعه وتضع فيـه من البهار كل صنوف الفلفل الـذى عرفه الشرق .

كانت افلين تعتز بأنها تستطيع تجهيز وجبة طعام فى ربع ساعة .

اما سيمون فكان أشهى ايامها يـوم الاحد ، حين كانت تستطيع قضاء اليوم كله تقريبا فى المطبخ .

وكان احسن طبق صنعته لي سيمون، فى كل حياتنا الزوجية ، طبق طبختـه عقب عراك قام بيننا ، لعله العراك الواحد الذى اذكره فى حياتنا الزوجية ، ذهبت الى المطبخ والدموع تتساقط من عينيها. وسمعت آهاتها ، وسـمعت اصـوات المواعين ساعات . ثم خرجت منه آخر الأمر بصحن من ثمر البحر ، اللوبستر ، كأشهى ما يكون ، ومعه طيـر باللـوز مشحون ، ومع الطير انشوجة وزيتون .

ومن الغريب ان هذه كانت طريقتهـا فى التنفيس عن همها . الشاعر ينفس عن همومه بالشعر ، وسيمون بالطبخ .

★ ★ ★

واختلفت الاثنتان فى تقدير الرجال . دعينا الى حفلة رياضية . وفى مبارة التنس افترقت عن سيمـون . كـان زميلها رجلا ، وكانت لى زميلة امراة . وكان زميلها رجلا طويلا عريضا حسن القسمات .

وبعد فراغ المباراة طلبت سيمـون

فوجدتها تشرب فنجانا مع زميلها . فالحق ان هذا اصاب قلبي بالغيرة .

وعند الرواح ، قالت لي سيمون : هذا رجل ما أثقله . لم يفتح فمه بكلمة . وكانت صادقة ، فما عرفت فيها الا الصدق .

كانت سيمون ، كأكثر النساء الفرنسيات ، لا يثير اعجابها طول جسم الرجال وعرضه وحسن القسمات . غزو النساء الفرنسيات يكون عبر آذانهن ، حديث ممتع ، قصة فاتنة ، مدح ومداهنة .

اما افلين، فكأكثر الأمريكيات ،غزوهن يأتي عن طريق عيونهن . يعجبهن الرجل ذو الستة الاقدام طولا فما فوقها . الرجل القوي ، ذو القسمات . ان افلين من جيل هو الجيل الثالث او الرابع للجيل الاول من المهاجرين الذين فتحوا امريكا ، وعانوا مشقتها . وكان الجسم ، وقوة الجسم ، والشجاعة الجثمانية هي اثمن ما عندهم من قيم . وورث الجيل الحاضر عن الأجيال القريبة الماضية كل ذلك . وورثته النساء .

اما سيمون فمن حضارة اقدم ، ساد فيها الرجال بحسن عقولهم ، وذلاقة لسانهم ، وجودة اقلامهم ، من منثور لهم ومنظوم .

★ ★ ★

كانت سيمون تحب المديح والاطراء ، وتعيش عليه ، تستنشقه ، كما يستنشق الانسان الهواء .

تهيأنا مرة للخروج الى سهرة . وبينا نحن عند الباب ، شاقنا زيها . فأعجبت بثيابها ، وبحاجبيها ، وبلون اظافرها . فما سمعت ذلك حتى قالت : ولم الخروج اذن . فلنجعلها سهرة في البيت جميلة . وقد كانت .

وافلين لا شك كانت تحب المدح . ولكن لو اني اسرفت لها كما اسرفت لسيمون ، اذن لأوقفتني لتقول لي : عنك وهذه الثرثرة ، فهي لا تحسن الا بالنساء .

★ ★ ★

واختلفت الاثنتان في شيء آخر .

كان التسليم للزوج خلق سيمون . لم يكن عن فكر . كان عن وراثة . وراثة اجيال فرنسية طويلة . وكان هذا التسليم سر قوتها. وكانت تسلم تسليما كاملا ، كما يسلم الوثني عند وثنه . انه يفتدي ، ويؤمن بالفدية .

اما افلين فكان عندها ان في ساعة الحب يجب على المرأة ان تبقى على كامل عقلها . ولم يكن معنى ذلك عندها انها تكره الحب او انها لا تستمتع بالحب ، ولكن كان هناك في ركن من أركان عقلها شيء يرفض الرق بأي صورة كانت ، ولو رقا في الحب .

★ ★ ★

لقد تحدثت عن زوجتيّ ولم اتحدث عن نفسي ، من انا ؟

اذا كنت ظننت من حديثي اني لست امريكيا ، فقد صدقت ظنا .

واذا كنت ظننت من حديثي اني لست فرنسيا ، فقد صدقت ظنا .

والحق اني ولدت في اوروبا ، ولم تكن لي بموطن . وحملتني الرياح حمل اوراق الخريف ، وهبطت بي في حيث لم اكن احسب . ورأيت من الدنيا اكثر مما كان وجب . وكانت من خبرتي ، خبرة زوجتيّ هاتين ، اذكرهما بالخير . وسميتهما بغير اسميهما حفظا لحرمتهما عليّ . وانما الأسماء ، كالبطاقات ، وكالمواطن ، جواز مرور . ■■

ج. ص

الكلية الصناعية

في هذا العصر لم تعد لأمة من الامم حياة بغير التصنيع .. وقد آمن الجيل الجديد من أبناء الكويت بذلك، فاقبلوا على التعليم الصناعي في رغبة واصرار يتجليان في نظرات هذا الطالب



المصنع الذي يتخرج منه الجيل الفني الجديد من أبناء الكويت

• بدأ بسبعة طلاب، أصبحوا اليوم ٦٠٠ طالب ◄

■ مجتمع الكويت يمر بمرحلة تطوير جذري في مفاهيمه وتفكيره ونظرته الى الحياة ..

كان هذا المجتمع ـ حتى وقت قريب ـ مرتبطاً ارتباطا كليا بالبحر .. اقتصاده وتجارته وحياته تعتمد كلها على اللؤلؤ والمتاجرة فيه .. ولم تكن هناك صناعة سوى صناعة السفن لارتباطها بالبحر ..

ثم كان الخير المفاجىء ، الذي انعم الله به على هذه البقعة من الارض . بعد شظف من العيش ..

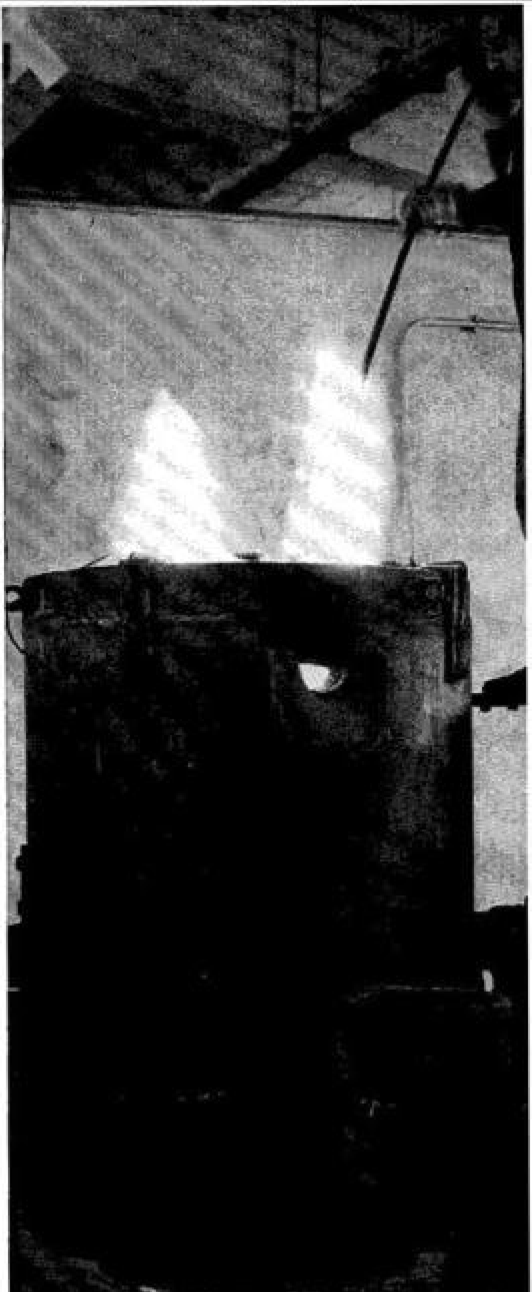
٧ مليون دينار للمباني

وبدات القفزات السريعة الجبارة تتوالى في جميع الميادين العمرانية والاقتصادية والثقافية في الكويت ، وكان للتعليم نصيب وافر من اهتمام ورعاية الدولة فقد قامت وزارة التربية والتعليم ـ دائرة المعارف آنذاك ـ بمجهودات جبارة من بينها ذلك المبنى الضخم الذي اقامته على مساحة ٤٨ فدانا في منطقة الشويخ وتكلف سبعة ملايين دينار ، وجعلته مقرا للكلية الصناعية ..

سبعة طلاب .. فقط !

فتح هذا المعهد الكبير ابوابه عام ١٩٥٤ .. وانتظر المسئولون .. وطال انتظارهم للطلاب دون جدوى .. اذ لم يزد عدد الطلبة المقيدين عن ١٣ طالبا سرعان ما انسحب منهم ٦ وبقي ٧ طلبة فقط !

وكانت مرارة واسى .. قالوا : ننتظر السنة القادمة ، ونفتح اقساما اخرى لنجارة الاثاث ، والبرادة ، والخراطة والكهرباء واللاسلكي والتركيبات الصحية .



أمام « فرن مرجان » الذي يقوم بصهر النحاس والزهر والالومنيوم ، وتحويلها من مادة الصلابة الى السيولة ، وقف طالب يحرك المعدن المصهور



خراطة المعادن : اهم ما تعتمد عليه الصناعات الثقيلة والخفيفة على السواء ولذا فهي في مقدمة ما يتلقاه طلبة الكلية الصناعية من مواد الدراسة

السبعة يصبحون ستين

وفتحت الاقسام الجديدة ابوابها .. وتحرك الرقم من ٧ الى ٦٠ طالبا . ولم يكن هذا هو الرقم المنشود .. فقالوا : نضيف اقساما اخرى .. فظهرت اقسام : نجارة العمارة ، والسباكة ، والنماذج والحدادة واللحام .. وتحرك عدد الطلبة من ٦٠ الى ١٥٧ في عام ١٩٥٧ .

وبقي هذا الرقم شبه جامد في عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ فلم يزد خلالهما سوى ٣٩ طالبا ..

ودافع المسئولون عن الكلية مبينين اسباب ضعف الاقبال عليها وقال السيد عبد الباقي النوري ، مدير الكلية السابق في تصريح له :

ـ « ان السبب في قلة الاقبال يعود الى عدم وجود وعي صناعي لدى الاهالي ، والى الفكرة الخاطئة المنتشرة في شرقنا العربي ،من ان التعليم الصناعي اقل مستوى من نواحي التعليم الاخرى » .

امتيازات .. ومكافآت سخية

... وعقدت الاجتماعات .. وابديت الاقتراحات لانقاذ الكلية الصناعية ، خاصة وان نهضة الكويت الحديثة ترتكز ـ فيما ترتكز ـ على التصنيع ، مما يستلزم اعداد جيل فني من ابناء البلاد يقوم بتنفيذ مخطط النهضة الصناعية الشامل .. وانتهت الاجتماعات الى الالتجاء لآخر وسيلة ممكنة ، لترغيب الطلبة وتشجيعهم على الالتحاق بالكلية فقررت الدولة منح كل طالب عند تخرجه مكافاة مالية تتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ دينار حسب سلوكه واجتهاده ، مع فتح باب البعثات الخارجية امام الطلبة المتفوقين ..

وكان الطالب في السابق لايجد طريق



الى اليمين : اجتماع بين المسئولين فى الكلية : المهندس محمد أحمد موسى مدير الكلية (الى اليسار) وبجانبه الوكيلان : المهندس عبد الله عبد الفتاح الايوبى ، والمهندس محمد عبده مرجان ، يتناقشون فى اقتراح تدريب الطلبة فى المصانع الاهلية والحكومية .

المستقبل مرسوما واضحا امامه بعكس خريجي الكليات الاخرى ، وتلافيا لهذا النقص وافقت حكومة الكويت على تعيين خريج الكلية الصناعية فى الدرجة الثانية من الحلقة الثالثة بمجرد تخرجه .. فى حين ان زميله الذى انهى تعليمه بالثانوية العامة ، يكون تعيينه فى الدرجة الثالثة من الحلقة الثانية ، اى اقل بدرجة من الوضع الحالى لخريجى كلية الصناعة ..

وهكذا اصبح فى وسع خريج كلية الصناعة شق طريقه فى الحياة كمشرف ، او مدرس فنى فى الوزارات والمؤسسات، او فى الاعمال الحرة .

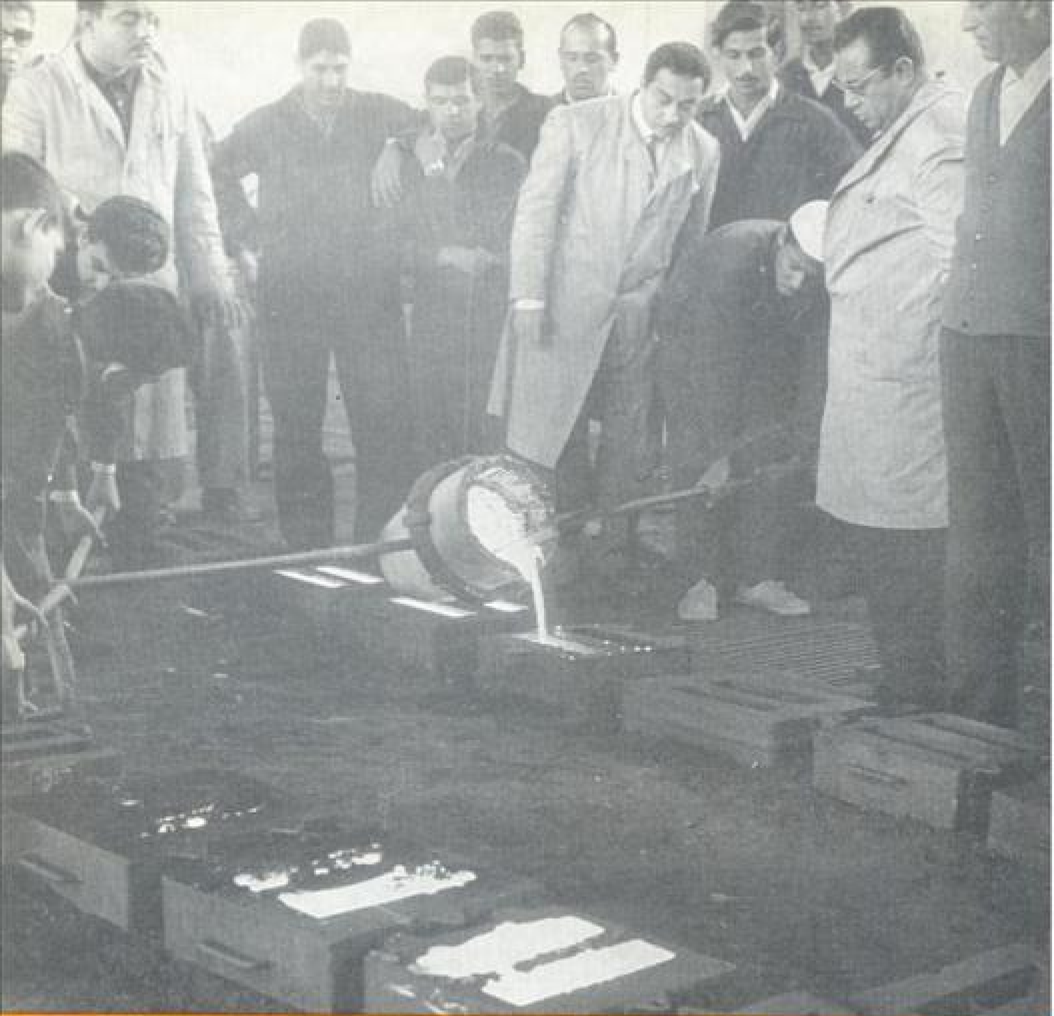
وفى عام ١٩٦٣ قررت وزارة التربية والتعليم فتح قسم متوسط بالكلية يقبل فيه الطلبة الناجحون فى السنة الثانية المتوسطة بالتعليم العام ..

السبعة يصبحون ستمائة .. !

وكان لهذه الاجراءات اثرها الفعال فى زيادة الاقبال على الالتحاق بالكلية الصناعية فارتفع عدد طلبتها فى عام ١٩٦٤ الى ٦٠٣ طالب ٩٠ فى المائة منهم من ابناء الكويت .. وازاء هذا الضغط اضطر المسئولون الى زيادة عدد الاساتذة

١١٢ طالبا يتلقون تعليمهم فى قسم السيارات





بعد انتهاء عملية صهر النحاس يحمله الطلبة ويصبونه في نماذج خاصة ، يتحول فيها الى قوالب ذات شكل محدد يمكن حفظها في المخازن لصرفها عند الحاجة ..

في مختلف الشعب ، فأصبح عددهم ١٠٥ من اكفأ الاساتذة والمدرسين المؤهلين ، الذين يتفانون في عملهم ، لاخراج نواة الصناعيين الاوائل في الكويت ..

الكلية تخرج مدرسيها

ومن بين هؤلاء المدرسين ٢١ استاذا من ابناء الكويت ، كانوا طلبة في الكلية ثم سافروا بعد تخرجهم ، الى الخارج حيث اكملوا دراسات أعلى وتخصصوا وعادوا الى بلادهم ليصبحوا اساتذة في الكلية الصناعية التي تعلموا فيها ..

ويقول الاستاذ المهندس عبد الله عبد الفتاح الايوبي ، وكيل الكلية : « ان الظاهرة الواضحة وراء هذا الاقبال الكبير تعود الى تفهم الآباء اهمية الصناعة في مستقبل البلاد ... لأجل هذا اصبح

اقبالهم على تعليم ابنائهم نابعا من ايمانهم، واحساسهم بأن الأمة التي تريد ان تتبوأ مكانا بين أمم العالم لا بد وأن تكون امة لها مصانعها الآلية الميكانيكية التي تنتج انتاجا واسعا ، تستطيع به ان تفرض وجودها في ميداني الاقتصاد والسياسة » .

نظام التعليم .. ومراحله

ونظام التعليم في الكلية : داخلي ، مجاني في جميع الاقسام ..

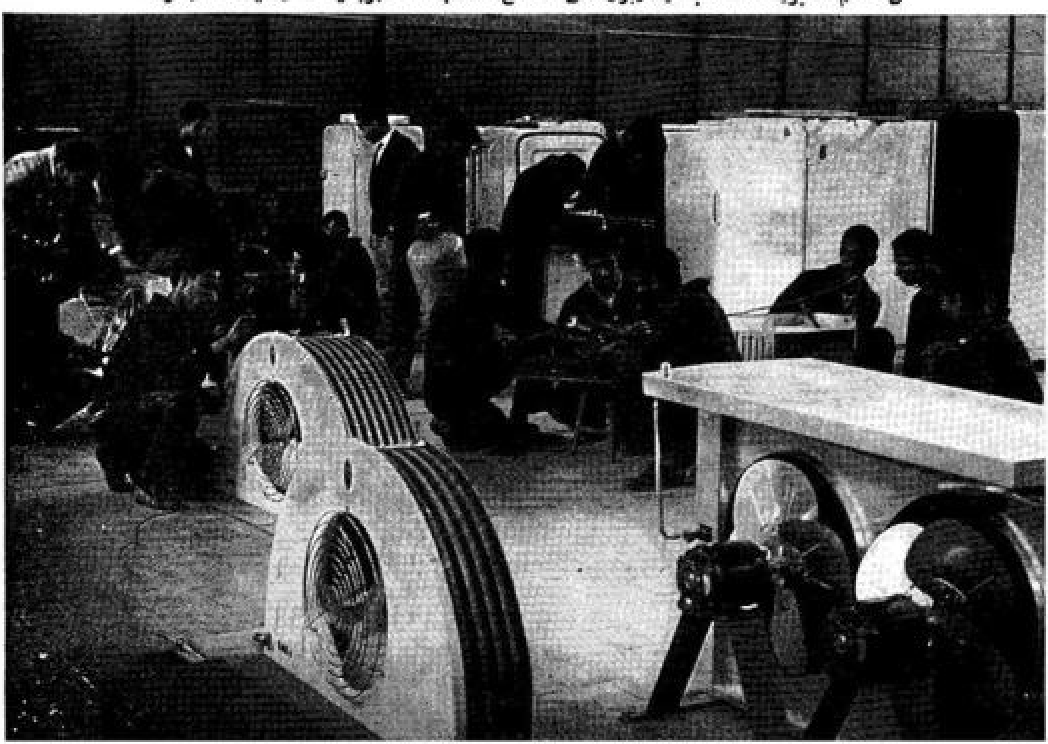
ويقيم الطلبة داخل ١٢ مبنى مقسمة الى حجرات تتسع لثمانية ، او لستة ، او لطالب واحد .

ويتناول الستمائة طالب ٤ وجبات طعام يوميا : الأولى في الصباح ، وتتكون من شاي وحليب ، مع مربى وزبدة وجبن ، او فول او بيض ... وفي الساعة العاشرة وجبة خفيفة مكونة من : شوربة، وسندويش مربى مع تفاحة . اما الغداء فلحم مع خضار وسلطة وفاكهة وشاي .. والعشاء كفتة وبطاطس وفاصوليا ، وشوربة ، وفاكهة ، مع شاي وخبز . وتتغير انواع الطعام على مدار ايام الاسبوع .

وفضلا عن هذا تقوم وزارة التربية والتعليم بصرف جميع الكتب والأدوات الدراسية والعدد والكساء مجانا ، وتوفر للطلبة جميع وسائل التعليم والنشاط الرياضي والاجتماعي والثقافي ، باشراكهم بجميع الجمعيات الثقافية والفنية ، تحت اشراف نخبة من اساتذة الكلية .

ويستغرق اليوم الدراسي فترة ٦ ساعات. ومجموع الحصص المقررة ٤٠

في قسم التبريد : الطلبة يتدربون على اصلاح الثلاجات الكهربائية ، ومكيفات الهواء





مجموعة من طلبة قسم اللاسلكى يتلقون درسا على جهاز تعليمى حديث وصل الكلية ، وهو نموذج لجهاز الاستقبال اللاسلكي مقسم على مراحل،تسهل للطالب فهم طريقة عمل هذا الجهاز المعقد..

حصة فى الاسبوع ، منها ٤٠٪ تقريبا لدراسة مواد الثقافةالعامة والمواد الفنية النظرية و ٦٠٪ لأعمال الورش .

١١ صناعة مختلفة

وتنقسم الدراسة فى الكلية الى مرحلتين :

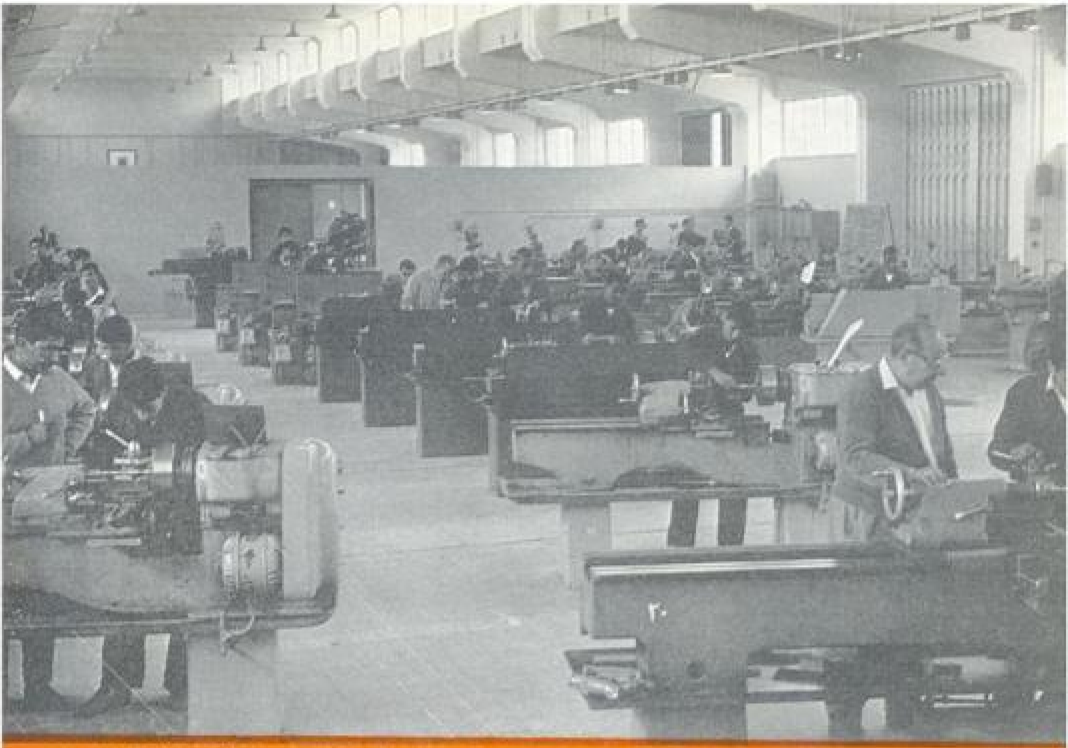
١ ـ المرحلة الثانوية الصناعية او القسم الثانوى ، وعدد طلبته ٢١٢ طالبا، ومدة الدراسة فيه ٤ سنوات . ويقبل فيه الطلبة الحاصلون على الشهادة المتوسطة العامة .

٢ ـ المرحلة المتوسطة الصناعية ، او القسم المتوسط وعدد طلبته ٣٩١ طالبا . ومدة الدراسة فيه سنتان للحصول على الشهادة الصناعية المتوسطة، يستطيع الطالب العمل بها فى المؤسسات الصناعية ، وتمكنه من اكمال دراسته بالمرحلة الثانوية الصناعية .

ويتلقى هؤلاء الطلبة دروسا فى ١١ صناعة مختلفة .. وتوزيعهم على كل صناعة كالآتي :

١١٦ طالبا فى قسم الكهرباء ، و ١١٢ فى قسم السيارات ، و ١٢٦ فى الصناعات الميكانيكية ، و ١٢٦ فى اللاسلكى ، و ٦٣ فى التبريد ، و ٤٢ فى الاثاث والديكور ، و ١٨ فى العمارة ..

ان التعليم فى الكلية الصناعية اخذ ، فى الآونة الاخيرة ، طابعا جديدا بعد أن ازداد الوعى الصناعى بين افراد الشعب، ونما بين طلبة الكلية انفسهم ، وبعد ان ازدادت المصانع فى الكويت ، وشعر المسئولون بحاجتهم الى ايد فنية محلية



توفر المعدات فى الكلية يسمح لكل طالب بالتدريب على جهاز منفردا .. وهذه الصورة التقطت لقسم مكنات التشغيل (خراطة المعادن) وفيها يبدو كل طالب أمام آلته الكبيرة .

ممتازة لتشغل الاماكن الفنية الشاغرة ..

وكانت هذه الاسباب مجتمعة هى السبب المباشر فى ارتفاع مستوى الدراسة بالكلية ، حتى أصبح الطالب يتلقى الدروس الفنية النظرية وخاصة فى مادتى الرياضة والعلوم الى جانب التدريب العملى على احدث المعدات والآلات فى ورش الكلية ..

كل هذا حتى يستطيع بعد تخرجه ، ان يواصل دراساته العالية بالمعاهد الفنية بالخارج اذا اراد ..

الكلية فى مرحلة الانتاج

ان طلبة الكلية الصناعية دخلوا اليوم مرحلة الانتاج الفعلي الحقيقي ، فقد شاهدنا ٦ مكنات دقيقة حساسة قام الطلبة بصنعها ، ويعملون عليها اليوم .. فضلا عن العديد من قطع الغيار الصغيرة التى تم سبكها فى معامل الكلية .

وقد قال لنا الاستاذ حامد السيد الرفاعي وكيل الكلية لشئون الورش :

« ان ابن الكويت اليوم أصبح يجد متعة فى صهر النحاس والحديد وخراطة المعادن لصناعة الآلات والمعدات الدقيقة بيده ، فى معمله الكبير الذى أصبح من أكبر الكليات الصناعية فى وطننا العربى » .

الم نقل لك انها ثورة جذرية قلبت تفكير ومفاهيم المجتمع الكويتي . ■■

الشعر فن رفيع

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ يطول بنا الحديث لو اردنا ان نتحدث عن تاريخ الفن وتطويره وكل ما نستطيع أن نقوله فى هذا المجال هو ان الفن متغلغل فى حياة الانسان . فانت لا تكاد تجد شيئا يستعمله الانسان فى حياته الا وترى للفن فيه تأثيرا كبيرا مما يدل على ان حب الانسان للفن لا يقف عند حد من الحدود . فالمساكن التى نسكنها والملابس التى نلبسها والأواني التى نستعملها كل هذه الاشياء لم تصنع لسد الحاجة فقط . وانما صنعت لتكفينا ما نحتاج اليه وليكون فيها ما يرضي حب الانسان للفنون .

وما اظن انى فى حاجة لايراد الأمثلة على ذلك . فأيسر نظرة الى الاشياء توضح ما ذهبت اليه . على ان شدة حب الانسان للفن لم تكتف بما ذكرت وانما دفعته الى صنع التماثيل ليعبر عن كثير من افكاره وآرائه . بل لم يكتف الانسان بذلك وانما انشأ فنونا أخرى للتعبير عن آرائه وافكاره ورغباته وخوالج نفسه كالموسيقى والشعر والقصص . والذى يعنيني هنا هو التحدث عن فن الشعر .

وفن الشعر كغيره من الفنون يستطيع أن يخلق للاشياء العادية التى تمر بمعظم الناس أو تحدث لكثير من الناس يخلق لهذه الأشياء منزلة محببة للنفوس . وكمثال على ذلك هذه المقطوعة التى نظمها الاستاذ المرحوم عباس محمود العقاد .والتى تصور حالة ربما حدثت لمعظم الناس ، لكن فن الشعر استطاع أن يخلق لها صورة لا يمكن لمن اوتي حظا من الذوق الفنى الا ان يقف عندها معجبا بها أشد الاعجاب . هذه الصورة تعنى ان الاستاذ العقاد راى طفلة فوقف عندها يضاحكها .واستطاع ان يجلب اليها الفرح فجعلت تضحك حتى اهتزت من شدة الضحك . ثم اراد ان يقبلها فامتنعت الطفلة . فما كان من العقاد الا ان رفع مرآة الى وجه الطفلة ، فرأت صورتها فيها . فخيرها العقاد بين ان يقبلها أو يقبل الصورة التى فى المرآة . وقد ظنت ان الصورة طفلة حقيقية فسمحت له بالتقبيل .

هذه الحال لا بد وانها عرضت للكثيرين منا . ولو اراد انسان أن يقصها علينا لاعرضنا عنه أشد الاعراض . لكن العقاد قصها علينا فى مقطوعة شعرية لطيفة . فاسمعه كيف يقول :

ما كان أملح طفلة
من غير شيء تخجل
ضاحكتها فتمايلت
وشعورها تتهدل
فرجوت منها قبلة
فأبت كمن يتدلل
فرفعت مرآة لها
فتطلعت تتأمل
قلت انظري فى وجهها
أأنت أم هي أجمل
قالت وفيها غضبة
أنا بالملاحة أمثل
عطفت علي وكل محـ
ـبوب بغار فيهل

وانت حين تقرأ هذه القطعة لا يمكنك الا أن تقف عندها معجبا بها أشد الاعجاب .

وهذا هو الاخطل الصغير يخاطب ابنته وداد حين تبلغ العشرين من عمرها فيبرز لنا خوالج نفسه . وليس من شك ان كل اب لا بد وان تنطوى جوانحه على مثل هذه الخلجات لكنه لا يستطيع ان يبرزها فى مثل هذه الصورة الفشيبة التى تأخذ بالالباب ، فاستمع اليه وهو يقول :

يا قطعة من كبدي
فداك يومي وغدي
وداد يا أنشودتي الـ
ـبكر ويا شعري الندي
يا قامة من قصب الـ
ـسكر رخص المقد
حلاوة مهما يزد
يوم عليها تزدد

توقـــدى فـــي خاطـــرى
وصـــفقى وغـــردى
تـستيقظ الاحـــلام فـــى
نفـــى وتـــقيهـــا يـــدى
عشـــرون .. هـــلل يا ربيـــ
ـــع للصـــبا وعيـــد
وبشـــر الـزهـــر بأخـــ
ـت الزهـــر واطـــرب وانشـــد

اليس كل أب يخاطب ابنه أو ابنته بمثل هـذا الذى جاء فى هذه الأبيات . فانه مما لا شك فيه ان كل أب يرى ان ابنه او ابنتهفى مثلهذه الحلاوة وفى مثل هذا الجمال . ولو جردتهذه المعانىمنفن الشعر لاصبحت من الاحاديث العادية التى ينثرها الآباء على أبنائهم كل يوم على وجه التقـريب . ولكن فن الشعر البسها هذا الثوب الظريف .

وهـــذا هو الاستاذ علي جليل الوردى يفضي الينا بحديث ربما لا يجرؤ ان يحدثنا بمثله الا القليل من الناس ذلك لان فى هذا الحديث شيئا من الخروج على التقاليد . فاسمعه حيث يقول :

حـــب المحـــب وحـــبهن
ان المحـــب زميلهـــن؟
يا بـــؤس ســـاحـــات الدرا
ســـة ان خلـت مـــن نورهـــن
كـــم جئتهـــا لا للـــدرا
ســـة بـل لانعـــم قربهـــن
واجيـــل طـــرفى رائعـــا
مـــا بـــين زهـــر خـــدودهن
ولكـــم تحاشـــيت الـــرقيـــ
ـــب وخشـــية الرقبـــاء ســـنة
فجعـــلت وجهـــي للكتـــاب
ونـــاظـــرى لوجـــوههـــن
فيهـــزهـــن دلالهـــن
الـــى جفـــاء محبهـــن

الست ترى معى ان ابداع فن الشعر هو الذى جعل هذا الحديث محببا الى القلوب ؟ ولولا فـن الشعر لكان هذا الحديث سمجا لا يقبله احد . فالشاعر يخبرنا انه لم يكن ياتى المدرسة ليرتشف من ينبوع العلم . وانما كان ياتى المدرسة لينهل من ينابيع الجمال . والقصيدة طويلة . وهى كلها على هذا النسق .

ولست اشك انك قد سمعت كثيرا عن رجـل وامراة جلسا بعيدين عن الرقيب يتناجيان حينـا ويستمتعان بجمال القمر حينا آخر . ما اظن الا انك سمعت كثيرا عن مثل هذا الحال . بل اعتقد انك شاهدت كثيرا من هذا النمط . فهى من الامور العادية التى تحدث للناس فى كثير من الأحيـان . ولكن هلم معى لنقرأ هذه الصورة التى رسمتهـا شاعرية الاستاذ صالح جودت وفى اعتقادى انك اذا ما وقفت معى عند هذه لصورة فستظل معجبـا اشد الاعجاب حتى كانك لم تشاهدها ، أو تسمع عنها الا الآن . كل ذلك بفضل فن الشعر :

راتنـى أطـل لافـق السـما
ء وأرنـو الى القمـر الاحمـر
فقالـت أينسيك هـذا الجـد
يـد جنونـك بالقمـر الاسمـر ؟
فقلـت : معاذ الهـوى أن تغـا
رى معاذ السنى المشرق النير
ومـا قـدره فى حسـاب الجمـا
ل بألطـف مـن قـدك السمهرى
ومـا وهجـه وشـعاعاته
بأخطـف من طـرفك الاحـور

وانا متيقن كل اليقين ان قلبك لا بد وان يهفو الى الجمال لان الميل الى الجمال من الميـول الطبيعية للبشر . اذن فلا بد وان عينيك قـد وقعتا على غانية البسها الله ثياب الحسن فظـل قلبك يخفق حينما وقع عليها نظرك فبقيتمندهشا تتمتم بعبـارات غير مفهومة . لكن هذا الشاعر حينما صادف مثل ما صادف كثير من الناس تحرك فنه الشعرى فعبر عن الناس بهذه القطعة التى زاد من جمالها محمد عبد الوهاب حينما لحنهـا بلحن من الحانه الحلوة . وما من شك ان كل من اوتي ذوقا رقيقا لا بد وان يقف حينما يسمعهـا ويقول ولو ما بينه وبين نفسه لله در الشـاعر والموسيقار فلقد نطقا بما نريد ان ننطق به :

الصـبا والجمـال ملك يديـك
اى تـاج أعـز مـن تاجيـك
نصب الحسـن عرشـه فسألنا
من تراهـا له فـدل عليـك
فاسكبي روحـك الحنون عليه
كانسكاب السماء فى عينيـك
كلمـا نافس الصبـا بجمـال
عبقـرى السنا تمـاه اليـك
مـا تغنتى الهـزار الا ليلقـى
زفـرات الغـرام فى اذنيـك
سكر الروض سكرة صرعتـه
عنـد مجرى العبيـر من نهديك
قتل الـورد نفسـه حسدا منـ
ـك والقى دمـاءه فى وجنتيـك
والفراشـات ملت الزهـر لمـا
حدثتهـا الانسـام عن شفتيك

ركعوا منك للجمال مثالا
وانحنوا خشعا على قدميك

ولو اردت التنزه معك فى رياض الشعر وأن اقف معك عند كل صورة رسمها شعراؤنا الفنانون لطال بنا الحديث وامتدت النزهة . ولكني اكتفي الآن بما رويت . والظن انى قد دللتك على بعض ابداع الفن فى الشعر . ولعلك بعد هذا لا تعجب بعد هذه النزهة القصيرة حينما تسمع اصحاب الحس الرقيق حينما يعجبون بصورة من صور الفن فيعبرون عن اعجابهم بأن هذه صورة ساحرة او صوت ساحر لأن الفن الرفيع يفعل مثلما يفعل السحر بالنفوس .

وانا على مثل اليقين ان بعض الناس يحب معرفة السر الذى مكن فن الشعر من هذه القدرة الساحرة بحيث استطاع أن يجعل الصور التى تمر بنا كل يوم صورا محببة لا نمل من الوقوف عندها والتامل فيها . والحق ان توضيح هذا الأمر عسير اشد العسر بدليل ان القدماء والمحدثين تحدثوا عنه فاطالوا الحديث وذهبوا فى ذلك مذاهب لا تحصى . فمنهم من اعتقد ان السر يكمن فى انتقاء الكلمات وملاءمة بعضها البعض ومنهم من رأى ان السر كامن فى المعانى دون الالفاظ ، ولكنى اميل الى ان السر يكمن فى الأمرين معا . فالكلام المنمق دون معان لا تهواه النفوس ، كما ان المعنى بدون كلام يلائمه لا تهواه النفوس ايضا . ولقد اجاد ابو الهلال العسكرى حيث قال : « ان الكلام الفاظ تشتمل على معان تدل عليها ويعبر عنها فيحتاج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى كحاجته الى تحسين اللفظ .. لان المدار على اصابة المعنى .. ولان المعانى تحل من الكلام محل الابدان، والالفاظ تجرى معها مجرى الكسوة ومرتبة احداهما على الأخرى معروفة . »

ونحن اذا ما تاملنا هذه الفقرة نجد ابا هلال العسكرى قد سبق والترباتر فى هذا التشبيه ، فقد ساله فرانك هاريس مرة عن اجمل ما فى الحياة فاجابه : « اشياء كثيرة ـ ولكن اهمها فرحة الخلق الفنى .. فانا اذا ما كتبت جملة واحدة كاملة ـ يكسو فيها اللفظ الفكرة كساء كاملا فلا يكون ضيقا بحيث تبدو الفكرة عارية بعض الشىء ، او متسعا اكثر من اللازم ، او منمقا اكثر مما يجب ، فيجلب الانتباه للفظ دون الفكرة ـ بل يجب ان يكون اللفظ مساويا للفكرة .

وليس شىء أعجب عندى من اولئك الذين يرون رفعة الأسلوب فى الكلام المعقد والمعانى الغامضة ، فتراهم يعرضون عن الكاتب حين يكون واضح المعانى فترك الأسلوب ، بحجة ان هذا اللون من الكتابة لون يسهل استعماله لكل من يريده .

ولقد وصفهم أبو هلال العسكرى هؤلاء وصفا صحيحا حيث قال :

« وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد . ويستفصحونه اذا ما وجدوا ألفاظه كزة غليظة ، وجاسية غريبة، ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوا .. ولم يعلموا ان السهل امنع جانبا واعز مطلبا وهو أحسن موقعا ، وأعذب مستمعا ، ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع » .

وفى اعتقادى ان المرحوم ابا هلال العسكرى قد وفق كل التوفيق فى وصفه لاولئك الناس الذين لا يستجيدون الواضح ، وفى وصفه للكتاب المتمكنين من الكتابة .

ولا أحب أن انهى هذا الحديث قبل أن اروى لك هذه القطعة التى صور فيها ابن الرومى حالة المطربات اللواتى يضربن على آلة العود فهى مع شدة وضوحها واشراق أسلوبها ترسم لك صورة صادقة دقيقة تجعلك لا تمل من تاملها . والوقوف عندها وهى تدل على تمكن ابن الرومى من فن الشعر . فليس كل احد يستطيع أن يرسم مثل هذه الصورة . يقول :

وقيان كأنها أمهات
عاطفات على بنيها حوان
مطفلات وما حملن جنينا
مرضعات ولسن ذات لبان
ملقمات أطفالهن ثديا
ناهدات كأحسن الرمان
مفعمات كأنها حافلات
وهى صفر من درة الألبان
كل طفل يدعى بأسماء شتى
بين عود ومزهر وكران
أمه دهرها تترجم عنه
وهو بادى الغنى عن الترجمان
فترى فى الذى يصيخ اليه
أمرات المحزون والجذلان
ذات صوت تهزه كيف شاءت
مثل ما هزت الصبا غصن بان
يتثنى فينفض الطل عنه
فى تثنيه مثل حب الجمان
جهورى بلا جفاء على الـ
ـسمع مشوب بغنة الغزلان

الكويت عبد الرزاق البصير

حكاية

بقلم
الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

قال في نفسه ، وهو يشتد في سيره : « لم يبق الا القليل لم أكون عند عم رمضان ! » ثم اخرج منديله الابيض ومر بـــه علـى جبينـه وجوانب وجهـه كانه يجفف عرقه ، ولم يكن به عرق ، فان الجو كان باردا في هذه الساعة الباكرة من النهار ، ولكنها احدى مستلزمات الاناقة التي يحرص عليها توفيق سالم هذا ، او « سي توفيق » كما يعرفه اهل الحي ، وهذه الاناقة هي رأس وأساس شهرتـه ...

ثم انحرف الى شارع القناوي ، فبدت له عربة اليد البيضاء الناصعة التي يبيع عليها عم رمضان بليله المشهورة ... عربة تقوم عليها صينيتان ، واحدة تطبخ فيها بَليلة القمح ، والاخرى بَليلة الذرة ، وحول الصينيتين ، ومن خلال البخار المتصاعد رأى توفيق صف الأطباق الصغيرة البيضاء ، وكوم الملاعق وآنية السكر الناعم ، وجوز الهند المفروم ، واللوز المجروش ، وزجاجات ماء الورد والزهر ، وبنات وصبيان اقبلوا وفي ايديهم الاطباق ، ارسلهم اهلوهم مبكرين ليحصلوا على شيء من هذا «البوردج» المصري الأصيل قبل ان ينفد ، لأن عم رمضان لا يعمل الا الى العاشرة صباحا . من السادسة والنصف الى تلك الساعة يكون قد باع ست قدور من بليلة القمح ، وأربعا من بليلة الذرة ، يصب القدر في الصينية ، فاذا فرغت صب الاخرى ، والناس تتزاحم وتتضارب . نحن الآن قبيل السابعة ، ولكن تعال في الثامنة والنصف مثلا وحاول ان تفوز بصحن من طعام الجنة هذا ...

وعم رمضان فنان عظيم يعرف قدر ما يعمل ، انه يقف بالفوطة البيضاء الناصعة مدلاة من رقبته ، يغرف من هذه الصينية مرة ومن الاخرى مرة بحساب شديد حرصا على الرحيق المختوم ، وهو يردد في صوت عال جميل : صلى على النبي ! .. صلى على كامل النور .. صلى على اللى يشفع فيك ، وهو يمد صوته بقول « صلى » حتى يسترعي الانتباه ، والى جانب الحائط ، وقف في تلك الساعة الباكرة خمسة او ستة ياكلون في صمت ، وفي ايديهم الاطباق الصغيرة ، وعم رمضان ينظر اليهم كأنه يتعجل فراغهم من الاكل ، ليأخذ الاطباق ، ويناولها الغلام ليقوم بغسلها الى جانبه. وبين الحين والحين يتوقف عن العمل لحظة ليمسح عرقه المتصبب بالفوطة المعلقة في رقبته ، ثم يعيد فتل شاربه الأسود الضخم المصبوغ ، وربما فتح صندوق النقود والقى نظرة عجلى تبعث في صدره بردا وسلاما ، فمن هذا الصندوق يبني عم رمضان في العباسية ـ كما يقول الناس ـ عمارة يقولون انها ستصل الى عشرة ادوار ...

وابتسم عم رمضان عندما رأى سي توفيق ، فحياه ثم سأله : قمح او ذرة ؟

ففكر توفيق قليلا ، ثم قال :

ـ بالامس اكلت بليلة قمح ..

فقال رمضان وهو يتناول طبقا صغيرا ، ويضع المغرفة في صينية بليلة الذرة :

ـ اذن فاليوم ذرة .. بالهناء والشفاء باذن اللـه .

ومضت يده تعمل .. وضع في الطبق مغرفتين كاملتين دليلا على احتفاله بسي توفيق ، ثم اربع ملاعق من السكر واثنتين من جوز الهند ومثلهما من اللوز ، ثم افرغ على ذلك كله قدرا محترما من ماء الورد ، ثم ناول الطبق لسي توفيق ، مع ابتسامة عريضة ، وعادت يده بالقرش ، فالقـاه في الصندوق ، والتفت ناحية اخرى ومضى يغرف في الاطباق ويضع القروش في الصندوق ..

واكل سي توفيق الطبق الشهي ، واعاده فارغا لعم رمضان وحياه ومضى ، ثم اخرج المنديل الابيض ومسح فمه ووجهه واعـاده الى جيبه بعناية .. وبعد خطوات انحرف الى شارع البقلي وبدا لـه



المنزل الذى يقصده من بعيد . منزل الحاج عبد السلام صاحب الدكان الكبير الذى يعمل فيه . ونظر سي توفيق فى ساعة يده فاذا هي السابعة وخمس دقائق ، وابتسم فقد وصل فى الموعد كما هي عادته كل يوم .

★ ★ ★

وفى الطريق مر بضريح الشيخ عفيفي على الجانب الايمن من الشارع . ضريح صغير متواضع بين بيتين عاليين جديدين ، ومن خلفه شيء اشبه بالبيت الخرب . انه بيت وقف . لا يلفت الانظار الى هذا الضريح الا شباك مغطى بحاجز من حديد علاه الصدأ . هذا الشباك لا يعلو عن الارض غير ربع متر . امام هذا الشباك وقف ــ على العادة فى كل يوم ــ ذلك القط المشمشي الكبير ذو الرأس الضخم . وقف يلعق كفه ويمسح به وجهه ، ويحك جلده باظافره حينا وبفمه حينا آخر . عملية ضخمة شاقة تبعث على الاعجاب بهذا الحيوان الصبور ، كلما مر انسان توقف القط عن العمل ونظر اليه نظرة كلها ريبة . عندما رأى سي توفيق عاد الى العمل دون اكتراث لانه يعرفه جيدا .

هذا القط المشمشي مقيم فى ضريح الولي وهو حارسه . احساسه كقط هو ان هذا بيته والمقام والشيخ ملكه . هنا يعيش من سنوات وقد قضى على كل حشرة او دابة سوّلت لها نفسها ولوج هذا العرين . انه الوحيد فى الدنيا الذى يعنى بأمر الشيخ عفيفي وضريحه ، فقد عدا عليه الزمان وبدأ يختفي فى اطواء النسيان . ربما كان الشيخ عفيفي مسئولا عن ذلك المصير ، فقد قلت كراماته جدا خلال السنوات العشرين الأخيرة . لم يعد يتولى علاج المرضى او يتوسط لذوى الحاجات . كانت النتيجة ان اهمل الناس كسوة ضريحه فبهتت وتهلهلت وعلاها التراب ، وقلت الشموع المهداة اليه شيئا فشيئا ثم تلاشت ، وعندما ابتنى الحاج عبد السلام العمارة الضخمة الى جواره وارتفعت هذه العمارة ثماني طبقات ، لم يعد للشيخ عفيفي فى الحقيقة وجود ، وانتهى امره الى رعاية القط المشمشي الكبير ...

قرأ توفيق الفاتحة للشيخ فى صوت غير مسموع ، ثم وقف امام بيت الحاج ، وتناول اليد الحديدية الصغيرة الممسكة بالكرة ، ودق بها الباب دقتين اثنتين فى غاية الرقة والتواضع ، ثم التفت وصعّد النظر فى عمارة نفس الحاج عبد السلام التي ابتناها قبالة بيته ، ثم هبط ببصره الى مقام الشيخ المجاور لها ، ووجد ان القط المشمشي قد فرغ من عمليات الاستعداد لجهاد اليوم ، وتمطى ، ثم جلس ساكنا وعيناه تنظران يمنة ويسرة ...

ورفع توفيق يده ليدق الباب مرة اخرى ، ولكن يده جمدت على اليد الحديدية الصغيرة الممسكة بالكرة ، لأن الباب فتح وبدت ام بهية

الخادمة العجوز بوجهها الصبوح الذى يبعث البشر في النفس ، وقد لفت رأسها بطرحة بيضاء اخفت شعرها الابيض . ابتسمت عندما رأت توفيق وحيته في مودة ، ودخل ومضى في تؤدة نحو المندرة القائمة في الحوش بينما كانت هي تغلق الباب . قبل ان يدخل المندرة قال : يا ساتر ! مرتين ، ثم دخل وجلس على طرف كرسي وشبك يديه في حجره واخفض رأسه في حياء ، ثم اخرج المنديل ومضى يمسح وجهه . عندما اطمأن الى أن ام بهية قد ابتعدت واخذت تصعد سلم البيت افرج عن نفسه فاسترخى في المقعد كله واسند ظهره الى ظهره ، ومضى يتأمل الحجرة ، بل جرؤ واخذ ينقر باصابعه على خشب كرسي مجاور ، ثم مسح بيده على شعره ، وباصابعه على حاجبيه وشاربه، وتبين هنا وهناك بعض الاضطراب ، فاخرج المشط ومضى يسوى ، ثم مر بيده ليتأكد من ان الاصلاح قد تم باحكام . ثم اخرج مرآة صغيرة مستديرة ، ونظر فيها ، وادخل تعديلات طفيفة ، ثم سمع وقع اقدام ام بهية مقبلة ، فاخفى المشط والمرآة ، واخفض رأسه في حياء وانتقل الى طرف الكرسي ، وشبك يديه في حجره وجلس صامتا .

ودخلت ام بهية ، ووضعت امامه صينية القهوة ، وافرغت له القهوة في الفنجان ، وقالت لـه :

ـ اشرب يا ابني على مهلك ... لايزال الحاج نائما ، عندما اوقظه سأناديك من الشباك .

ورفع فنجان القهوة وادناه من انفه قليلا ليستمتع بعطر القهوة قبل ان يشرب ، ثم اخذ يرشفها على مهل قطرة قطرة . كان فنجان القهوة هذا هو الجزء الثالث من افطاره كل يوم . الجزء الاول هو طبق الفول او البيض المقلو تقدمه له امه العجوز ـ وهي كل عائلته ـ قبل ان يبارح البيت ، والجزء الثاني طبق البليلة عند عم رمضان ، وهذا هو مسك الختام . انه شاب بسيط ليس له في الدنيا الا امه ، والعمل الذى يقوم به في دكان الحاج عبد السلام في الغورية ، ولا لذة له في الدنيا الا الطعام والأناقة التي تعجب العشرات من عميلات الدكان الكبير او المحل كما كانوا يسمونه : الشعر «المسبسب» اللامع المفروق على اليمين ، والشارب القصير المقصوص بحساب ، والقميص الأبيض يزينه رباط الرقبة الحريرى ، والجاكتة الكحلية المكواة يطلع من جيبها منديل حريرى من لون رباط الرقبة ، والبنطلون الرمادى الذى تستقيم كسرته كحد السيف ، وكل هذا يقوم على قاعدة من حذاء نظيف اسود في الشتاء وابيض في الصيف .

ونادته ام بهية من النافذة ، فنهض واقفا وأعاد مراجعة كل شيء : الشعر والشارب والحواجب ورباط الرقبة ، ومنديل الصدر وكسرة البنطلون التي تهبط كحد السيف ، ثم احنى رأسه ونظر الى الأرض في حياء كأنه « مادونا » وسار على مهل وهو يقول : يا ساتر ! يا ساتر ! وصعد السلم : « يا ساتر » ! ودخل الردهة ثم القاعة الوسطى : يا ساتر ! ووقف قبالة باب حجرة نوم الحاج صامتا كأنه عابد يلتمس البركات من كاهن الوثن . كانت الحاجة وراء الباب ، فحيته تحية الصباح ، ثم مدت يدها فناولته مفاتيح الدكان في يده . اخذها دون ان يرفع بصره وحيا ومضى . ونزل السلم ، وعبر حوش البيت ثم خرج من الباب واحكم اغلاقه خلفه ، واخرج المنديل ليمسح عرقه ، ونظر الى مقام الشيخ عفيفي . كان القط الشمشي قد اختفى . مضى ودخل معركة اصطياد الطعام .

وسار توفيق على مهل في طريقه الى الدكان . كذا كان يفعل كل يوم . لم يكن له مفر من اداء هذه الطقوس لأن الحاج عبد السلام لا يثق الا فيه ، وهو لا ينام في الليل الا ومفاتيح الدكان تحت وسادته . في الساعة السابعة صباحا لا بد ان يأخذها بيده من الحاجة . عندما يدق دقتيه الرقيقتين المتواضعتين تستيقظ الحاجة بعد قليل ، توقظ الحاج وتستأذنه في اخذ المفاتيح . يسلمها في يدها لتناولها لتوفيق عندما يصعد . بعد هذا يعود الحاج الى النوم . ينعس ساعة او نحوها ، ثم ينهض ليكون في الدكان حوالى التاسعة . هناك يجد « توفيق » قد فتح المحل وتثبت من حضور العمال والموظفين واشرف على التنظيف والترتيب ، وبدأت عمليات البيع وسارت سيرها العادى في كل يوم .

★ ★ ★

أثناء هذه الطقوس كلها كان شيء آخر يجرى بنفس النظام . شيء لم يكن لتوفيق به علم ، ربما كانت ام بهية تعرف عنه شيئا ، ولكن ام بهية كانت بئرا عميقة . عندما يتردد في الجو صدى الدقتين الرقيقتين المتواضعتين كانت سوسن ابنة

الحاج تقفز من فراشها الى النافذة لتتأمل سى توفيق وهو داخل . انها تنام مع بهية فى حجرة واحدة ، وبهية تستيقظ فى السادسة صباحا لتبدأ عملها المرهق فى البيت . ويقطع توفيق حوش البيت بين عينى سوسن . كانت تتأمل فى اعجاب بالغ شعره الاسود اللامع المفروق على اليمين ، وسوالفه الطويلة التى تنساب على جانبى وجهه بقدر وحساب ، وعينيه اللتين تنظران الى الارض ابدا ، والشارب الأنيق الصغير ، والجاكتةالمكواة يطل من جيبها المنديل فى هيئة الاهرام ، وكسرة البنطلون تنساب كحد السيف ، ثم المنديل الأبيض يمسح العرق الوهوم ..

ويختفى سى توفيق فى المندرة ، وتظل سوسن فى مكانها حتى يشرب قهوته وتناديه أم بهية ، فتراه سوسن وهو يقطع الحوش ، ويختفى فى بئر السلم ، وتسمع صوته : يا ساتر ! يا ساتر ! وهو يصعد السلم ، ثم يدخل باب المسكن ، ويمر على قدر شبر منها ، لانها تنتقل الى باب غرفتها ، وتنظر من شقه ، وتشم هذا العطر الغريب الذى يعطر به مناديله . لقد بلغ من اعجابها بهذا العطر ان قطعت السوق كله باحثة عنه ، انه يسمى « فينوس » . ثم تراه واقفا امام الباب ينتظر المفاتيح ، ويمر بها مرة اخرى ، لو اصغى لسمع انفاسها ، ويهبط السلم فتجرى الى النافذة ، وتودعه ببصرها وهو يغلق الباب خلفه ، فتعود الى فراشها لتسترسل مع أحلام السعادة مع هذا الامير الفاتن الجميل ..

هكذا كل يوم . وراء طقوس تسليم المفاتيح كانت تجرى حلقات قصة حب من طرف واحد ، حلقات متشابهة يتلو بعضها بعضا مع مرور الأيام. واحدة من اقاصيص الهوى التى كانت تدور حول سى توفيق الشاب البسيط المتواضع الذى ما كان يتصور أن اناقته وعطر فينوس ونظرة الحياء الساهمة الحالمة سيكون لها هذا العدد العظيم من الضحايا . من حى الدراسة الى باب المتولى كان سى توفيق موضع الاعجاب وبطل الاحلام للعشرات .. كلهن كن عاشقات لهذا الأنيق الصغير الحيى ، معجبات بالشعر الاسود اللامع المفروق على اليمين والسوالف المرسلة على جنب الوجه بحساب ، والشارب الصغير الانيق ، والجاكتة ذات المنديل فى هيئة الأهرام وكسرة البنطلون الهابطة كحد السيف ، وفوق هذا كله : عطر فينوس والمنديل الذى يمسح العرق الوهوم .

كان هذا كله سرا من أسرار الاقبال على المحل . ربما لاحظه الحاج عبد السلام فهو رجل بعيد الذكاء ، وهو يرى البنات يسألن عن سى توفيق ويتحدثن مع سى توفيق ويشترين من سى توفيق .. ولكن سر سى توفيق هذا عنده ، هو انه كان رجلا أمينا جدا ، متواضعا جدا ، لا تسمو به المطامع الى اكثر من راتب الشهر الذى كان يتقاضاه ..

★ ★ ★

ولكن ، اذا كان توفيق رجلا متواضعا جدا لا تسمو به المطامع الى أكثر من راتب الشهر الذى يتقاضاه فان مطامع سوسن كانت تسمو الى أكثر من نظرة من وراء نافذة او من شقة باب . كانت ابنة مدللة وسط شقيقين ، وكانت امها تحبها حبا يفوق الوصف ، وكان ابوها يدللها ويبحث عما يفرحها أو يرضيها ، وكان المال بين يديها كثيرا ، والآمال فى صدرها اكثر ، وكان ذهنها الصغير يدور ويدور باحثا عن طريق الى هذا الشاب الذى صورت لها سنوات عمرها القليلة ـ ثمانى عشرة ـ أنه اعظم وأجمل شاب فى الدنيا .

بعد تفكير طويل فكرت فى ان تذهب اليه فى الدكان . قد يعرف وجهها بعض العاملين فيه ، ولكن الملاءة والبرقع تخفيان كل شىء ، وما أكثر ما يستر الحجاب ! ، وجعلت تترقب حتى سافر ابوها وأمها للحج ، وخلا لها الجو بعض الشىء ، فتعللت بشىء وافلتت من ام بهية ، وفى منزل صديقة لها لبست ملاءة وبرقعا ، وذهبتا معا الى الدكان ، ووقفتا مع سى توفيق تطلبان صنفا بعد صنف ، والمسكين يروح ويجىء ويصعدويهبط ويفتح ربطات القماش ، ويجتهد فى الاقناع ، ثم اشترتا بضعة اشياء ومضتا والمسكين يلهث لكثرة ما صعد وهبط ، وفى الطريق قالت الصديقة ، وكانت فى سن مقاربة لسن سوسن .

ـ تعرفين انك معذورة !

ـ صدقت .. ألم أقل لك انه شاب عجيب ؟

ـ فعلا .. لطيف وأمير ومؤدب ..

ـ وجميل جدا .. أليس كذلك ؟

فكرت الصديقة ثم قالت :

ـ جميل جدا .. ؟ لا أدرى .. المهم انه رقيق جدا ..

ومضى الحديث بين البنتين على هذا النحو



وقتا طويلا ، وفى منزل الصديقة تركت القماش الذى اشترته وعادت الى البيت . هناك وجدت ام بهية تكاد تموت خوفا ، فقد غابت البنت فى الطريق ساعات ، وجرى بينهما نقاش حاد انتهى بان اكدت الفتاة انها لن تعود الى ذلك ابدا .

ولكنها عادت ، وعادت ، وماذا تفعل خادم كهذه وكلت اليها حراسة صبية ركبها الشيطان ؟ وفى كل مرة كانت تطيل الحديث مع توفيق هذا وصاحبتها تتفرج على الاقمشة وتشترى لحسابها ، ثم تخرجان بشيء ضخم من كل لون ، وسى توفيق يتاملهما دون ان يفهم شيئا ... كان يحسبهما بعض فتيات الحي ممن لا يجدن ما يعملن فيزجين الفراغ بالتردد على الدكاكين ..

اخيرا ، وقبل ان يعود ابواها من الرحلة بقليل ذهبت وحدها . تعمدت ان تكون زيارتها اوائل بعد الظهر ، فى وقت تخفّ فيه الرّجل ويقل الناس فى المحل ويهوّم بعض العمال على الكراسي . وجدت سي توفيق على الباب كعهده ، دخلت وسار وراءها حتى انتهيا الى قاع الدكان ، ثم طلبت شيئا ، واتى به ووضعه امامها ، وفتحه لتتامله ، ووقف ينظر اليها فى زهو وسرور ، شان التاجر يعرض بضاعة لا يشك فى انها ستلقى قبولا من الناس ، فوقف متحفزا بهذه النظرة ليخوض معركة الثمن . ولكنها القت نظرة عجلى على القماش ، ثم تلفتت حولها . لم يكن هناك احد ولا كانت هناك عين ترقب ، فرفعت يدها الى خلف اذنيها ، وكشفت النقاب عن وجهها ، ونظرت اليه طويلا وهو واجم ثابت النظر اليها ، ثم قالت :

ـ توفيق ... انا سوسن بنت الحاج عبد السلام .. اطلبني من أبي ...

وفى هدوء اعادت النقاب مكانه ، وجمعت ملاءتها ، ووقفت ، ثم اخذت طريقها الى الباب ، واختفت فى الطريق ..

وظل توفيق مكانه واجما ، جمد مكانه وزاغ بصره ، واحس انه يفقد توازنه كانما صدم راسه شيء هائل ، فاخذت الأرض تميد تحت قدميه ، واجتهد فى ان يستمسك ، ونظر فاذا كرسي صغير غير بعيد عنه ، فمد يده فى جهد ، وقربه ، ثم جلس . ورآه على هذه الحال زميل له مر قريبا منه فاسرع اليه ، وقال :

ـ توفيق .. ! مالك ياتوفيق ؟



وبعد لأي ما ، استطاع ان يجمع نفسه الشاردة ويقول :

ــ لا شيء .. لا شيء .. !

ــ مريض ... ؟

ــ لا ادري ... احسست بدوار شديد .. الآن انا احسن ..

ــ تريد شيئا ؟

ــ شيئا من الماء ... وفنجان قهوة اذا استطعت ..

ومضى عنه صاحبه ليأتيه بما طلب . لم يكن بحاجة الى ماء او قهوة . كل ما اراد هو ان يتخلص من هذا الزميل ويخلو الى نفسه لحظة . واسترد نفسه شيئا فشيئا ، وأخذ يعيد عليها ما حدث ويفكر علّه يفهم . لم يعد عنده شك في ان هذه الزائرة الغريبة هي سوسن بنت صاحب المحل . كان قد راى وجهها لمحات خاطفة ، ولكنه لم يفهم شيئا . لماذا تسترت بالملاءة والبرقع واتت اليه ؟ هل أتت على هذه الصورة مرات قبل ذلك دون أن تكشف عن نفسها ؟ هل هي تحبه ؟ ام انها تسخر منه ؟ ام انه عبث المترفات امثالها بالمساكين أمثاله ؟ وأتت القهوة والماء وشربهما دون ان يدري ، وان كان قد استمسك بعض الشيء .

وأقبلت زحمة بعد الظهر ، وامتلأ الدكان على سعته بالنسوان ، وأقبل بعضهن يشاغلنه ، ويداعبنه على عهدهن ، وفي اثناء ذلك نسي ما به وأقبل على العمل ، ولكن سوسن كانت تقتحم عليه كل شيء ، وتملأ نفسه ويتردد صوتها في كيانه كأنه انفجار هائل يصرفه عن كل شيء لبضع لحظات . كانت تبدو له بوجهها الوردي الجميل الحزين بعض الشيء ، بشعرها الكستنائي الغزير المتهدل على جبينها الأبيض ، بعينيها الساجيتين العاتبتين ، ثم بفمها الصغير الجميل وهو يقول في همس ذي دوي يهز كيانه هزا : توفيق ... انا سوسن بنت الحاج عبد السلام ... اطلبني من ابي ... !

وخيل اليه ان بعد الظهر هذا لن ينتهي ابدا . كان ينظر الى ساعته كل دقيقة لأنه كان يريد ان يهرب من الناس الى مكان هادىء يفكر فيه . وانتهى العمل واغلقوا الدكان وتسلم مفاتيحه صبحي ابن الحاج عبد السلام ، وكان شابا يدرس التجارة ويعمل مع ابيه ، وكان يحب توفيقا ويعطف عليه ، فسأله وهو خارج ان كان يستطيع ان يحمله بالسيارة الى مكان ما ، فشكره وحياه ثم مضى مسرعا واختفى في زحمة الناس في الغورية ثم في السكة الجديدة . وفي الزحمة شعر بشيء من الاطمئنان . استقر رأيه على ان يذهب الى شاطىء النيل ، ولكنه احب ان يطمئن امه قبل ان يذهب ، فهي عجوز قلقة تثير الدنيا اذا هو تأخر عن موعده بضع دقائق ، فمر على دكان صاحب له يسكن الى جواره ، ورجاه ان يبلغ امه انه ذهب في عمل للمحل وسيتأخر الى حوالي

الحادية عشرة مساء ثم انطلق مسرعا يطلب الخلوة والسكون ...

★ ★ ★

لم يغفل اثناء خلوته على شاطىء النيل اكثر من استعادة المشهد الف مرة دون ان يهتدى الى راى . خطر بباله ان يذهب الى بيت الحاج فى الصباح الباكر ويتحدث الى ام بهية فلعلها تعرف شيئا ، ولكنه خاف ان يراه صبحي او احد من اهل البيت ، وكان اعسر شيء على تصوره هو ان يتحدث مع سوسن نفسها او ان يطلبها من ابيها بعد ان يعود من السفر .

وعاد الى بيته وأوى الى فراشه ، فلم يستطع ان ينام لحظة . ظل يتقلب فى فراشه الى الصباح، وسألته امه عما به المرة بعد المرة ، فأبى ان يجيب ، واخيرا استحلفها الا تقول شيئا ، ثم قص عليها الأمر ... واستمعت اليه العجوز ثم ابتسمت وقالت :

ــ خير يا ابني ... وما الذى يحيرك ؟

ــ الذى يحيرني ؟ انني لا ادري ماذا اعمل ..

ــ اطلبها من ابيها ..

ــ انا اطلب ست سوسن من الحاج عبد السلام ؟ هل انقلبت الدنيا ؟

ــ اذا كانت البنت نفسها طلبت اليك ذلك ...

ــ البنت مجنونة .. هذه طفلة ...

ــ وماذا تخاف ؟

ــ ان يطردني الحاج من المحل ..

ــ لن يطردك .. ومع هذا ، فاذا طردك هناك محلات اخرى كثيرة تستطيع ان تعمل فيها ..

ــ تريدين ان تقطعي عيشي .. ؟

ــ اريد ان افتح لك الطريق .. لقد طرق الحظ بابك ، وانت ابن حلال وتستأهل كل خير .. ولكن يا خسارة ...

ــ يا خسارة ايه ؟

ــ تنقصك الشجاعة يا ابني ..

فضرب فخذه بيده وقال :

ــ سوسن تضحك علينا يا امي .. نحن ناس فقراء وهم ناس اغنياء جدا ..

ــ هم ايضا كانوا فقراء يوما ما ..

وسكت قليلا ، ثم قال :

ــ هل تتصورين ان سوسن تحدثت الى ابيها فى الموضوع ؟

ــ ابوها وامها مسافران .. ولكن لا بد انها تعرف انهما سيوافقان .. ان سوسن ليست مجنونة ..

ــ اذن لماذا فعلت ذلك ...

ــ لأنها تريدك يا ابني .. عشرات من نساء الحي يردنك .. انا امرأة وافهم ذلك ..

ــ لا يا ستي .. انت لا تفهمين شيئا .. لا اريد ان ارى نفسي فى الطريق ابدا ..

وهزت الأم رأسها اسفا وسكتت ..

وقبل ان يخرج استحلفها بكل عزيز عليها الا تقول شيئا ، ولا تفعل شيئا ..

★ ★ ☆

ومرت الأيام ..

لم يستطع توفيق ان يعلو بنفسه شبرا عن الأرض . لقد عاش عمره كله هادئا مطمئنا فى رعاية امه ، مدللا من اولئك الفتيات اللاتى يداعبن امثاله للتسلية . كان مرتبه صغيرا ، ولكنه كان قانعا به ، ثم ان الحاج عبد السلام كان يحبه ويكرمه ويتفضل عليه بشيء من المال فى الأعياد وبعض المناسبات . كل هذا كان يتصوره شيئا عظيما لا يمكن المغامرة به ...

لهذا ، ورغم افتتانه بالفتاة لم يجرؤ على ان يخطو خطوة ..

وكلما ارادت امه ان تشجعه وتدفعه تراجع الى الوراء وتخوف ..

وبعد شهور ترامى النبأ بأن سوسن قد خطبت ..

وبعد شهور اخرى تم زفافها . تزوجت شابا كريما من ابناء مياسير التجار . وليلة الزفاف كان توفيق يسير وراء الحاج كأنه خادمه ، يأمره بهذا فيفعله ويرسله فى شيء فيجرى ..

وبين الحين والحين كان يلقي نظرة على سوسن فى ثوب الزفاف ، وقد جلست الى جانب زوجها ، وأطال النظر مرة ، والتفتت ناحيته وتأملته بعيون كلها عتاب او غضب .. لا يدرى .. ومن مكانه فى الركن الخفي احس للمرة الاولى انه فقد شيئا عظيما ، واحس بيد تستقر على كتفه . كانت امه . همست فى اذنه :

ــ الم يكن احسن ان تكون هناك .. تحت الأنوار ؟

واحس بالدمع فى عينيه ، وتركها ومضى . واقترب منها اخوها ، وكانت قد قصت عليه الحكاية ، فهز رأسه وقال :

ـ لا فائدة .. توفيق ابننا تنقصه الجراة .. ينقصه الطموح .. بدون جراة ، بدون طموح لا يمكن ان يتقدم الانسان خطوة ...

فابتسمت الأم في مرارة ، وقالت :

ـ يريد ان يتزوج بنت عم رمضان ...

ـ بتاع البليلــة .

ـ ايوه .. بتاع البليلة .. يقول ان عنــده عمارات ..

ـ اى انه يريد ان يتزوج عمارة ..

ـ ليته يصل الى ذلك ..

ـ سيصــل ..

واشعل سيجارة ثم قال وهو يهز راسه آسفا :

ـ توفيق طماع .. انه ساكن هادىء ، ولكنــه طماع .. الفرق عظيم بين الطماع والطامح ..

ـ قسمته .. المهم ان يتزوج ..

وتزوج سي توفيق من جليلة بنت عم رمضان . بعد الزواج تبين ان عم رمضان لا يملك عمارات ، او عمارة واحدة . كل ما يملكه قطعة ارض بنى عليها اربعة دكاكين .. وله من الأولاد خمسة ..

وظل سي توفيق مكانه . كل ما حدث له ان حماه امده بشىء من المال فاستاجر شقة اوسع تحمله وزوجته وامه وما يستجد من البنين ، وزاد الحاج عبد السلام راتبه شيئا ، ومضت الأيام ، واقبلت مع الايام البنات والبنون ...

واستمر توفيق يمضي كل صباح لياخذ المفاتيح . ظل يقف كل يوم لياكل طبق البليلة . وعنـدما يصل الى ضريح الشيخ عفيفي يبحث عن القط . اختفى القط الشمشي وحلت محله قطط اخرى . عندما كان توفيق ينقر على الباب باليد الحديديـة الصغيرة المسكة بالكرة كان يلتفت وينظر الـى عمارة الحاج . في شقة في الدور الرابع كانت تسكن سوسن . في بعض الاحيان كان يجد سيارتها تنتظر على الباب . كان يتامل نفسه صغيرا ضئيلا امام الباب الكبير وربما تساءل : هل كان من الممكن يا ناس ان اتزوج هذه ! ثم يهز راسه ويبتسم مهنئا نفسه « بان البنت لم تلعب به » ...

★ ★ ★

وبعد سنوات . في صباح اول يوم من ايام عيد الأضحى ..

كان اولاده قد كثروا واصبح القيام بمطالبهم صراعا لا يعرف هوادة .. ذهب مع الحاج الـى المدافن كعهده في كل عيد ...

قرا القراء ما تيسر من الذكر الحكيم ، ووزع توفيق « الرحمة » على الفقراء .. وخلا الضريح الا من الحاج وخادمه الأمين . وعندما حان وقت انصراف الرجل اخرج ورقة مالية كبيرة ودسها في يد توفيق ليستعين بها على نفقات اولاده ، واستكثرها توفيق ، فابتسم الحاج وقال :

ـ تستكثرها يا توفيق ؟ كان من الممكن يا بني أن تكون اليوم صاحب الحق في جزء كبير من أموالي ..

ونظر اليه توفيق واجما ، فهو لم يفهم شيئا ، فاستطرد الحاج يقول :

ـ كان ذلك من ١٥ سنة .. أنت تعرف كيف كنت أثق فيك دائما . كانت سوسن قد بلغت السابعة عشرة وان أوان زواجها ، ولاحظت أمها أنها تترقب حضورك في الصباح ، فانتهرتها دون جدوى، فحدثتني في الأمر .. انني اذكر ما قلتلها :

ـ والله يا أم صبحى لا مانع عندى ، توفيق ابنى وابن حلال، وقد بدأت حياتي أنا اقل منه..

واتفقنا على أن نجيب طلبك اذا تقدمت تخطبها. وسافرنا للحج ..

وعندما عدنا أحسسنا في البيت بشىء ، ثم ابلغتنا أم بهية ـ يرحمها الله ـ أن بعضهم أوحى اليك أن تخطب سوسن .. والحقيقة يا ابني كان قلبي مفتحا لك .. وظللنا ننتظر ..

ولم تتقدم أنت . قلنا ان البنت لا تعجبك . هذه المسائل قسمة ونصيب ..

وضحك الحاج ، ثم نهض ورجا توفيقا الا يقول من ذلك شيئا لأحد ، وأوصــاه باحكام اقفال الباب ، وركب سيارته ومضى ..

وعاد توفيق الى الضريح ، واسند راســه الى قبر واجهش في البكاء ، وعلا نشيجه حتى سمعه حارس القبور ، فاقبل وربت علــى ظهره، وقال له :

ـ ماذا جرى يا سى توفيق .. هل مات لك عزيز عليك ..

فرفع بصره ونظر اليه طويلا ثم قال :

ـ ايوه .. أنا يا عم دسوقى .. أنا اللى مت .. وعلى نفسى أبكى ..

وتركه الرجل وخرج وهو يهز راسه قائلا :

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ، لقد جن الرجل !

■■

حسين مؤنس

لمحات عن حياة: ابن الأبار القضاعي

في حياته ضاعت قرطبة،

ابن الأبار يستنجد بملك تونس،

بقلم : محمد عبد الله عنان

يعتبر أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار من اعظم شخصيات التاريخ الأندلسي ، في تلك المرحلة القاتمة من مراحله ، مرحلة التفكك والانهيار والسقوط .

ونحن لا نقصد في هذا المقال ، ان نقدم ترجمة كاملة لحياة ابن الأبار ، ولا ان نتحدث عنه كفقيه راسخ ، او كاتب بلغ ذروة البيان ، أو شاعر مبدع مبك ، أو مؤرخ محقق ، ما زالت آثاره وتراجمه ، اهم واوثق مصادرنا عن حوادث عصره ، ورجالات عصره ، ولكنا نريد فقط ان نقدم بعض صفحات عن حياته السياسية والدبلوماسية ، التي اقترنت بأهم حوادث عصره ، والتي جعلت منه شخصية تاريخية بارزة ، تفوق في اهميتها ، وفي الادوار التي قامت بها ، شخصيات أمراء هذا العصر وسادته .

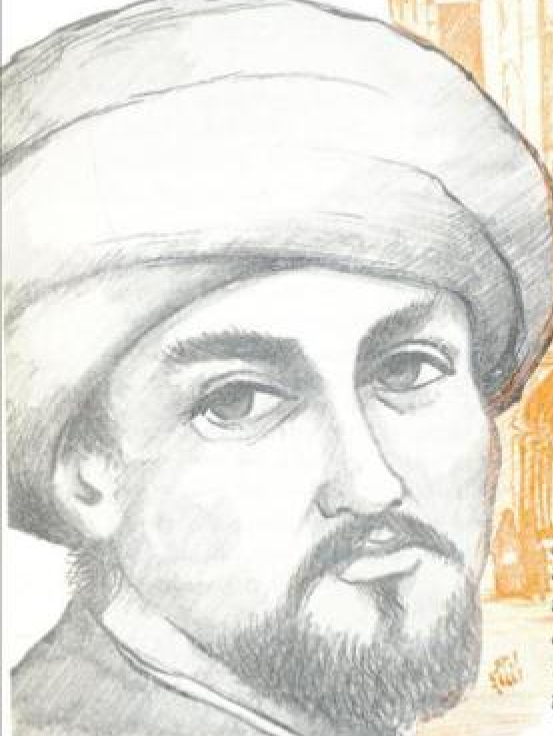
ويكفي ان نقول في نشأة ابن الابار ، انه ولد بثغر بلنسية ، أعظم واجمل حواضر شرقي الأندلس ، في سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٩ م) ، في بيت علم ونبل ، . واصلهم من أندة الواقعة على مقربة من غربي بلنسية ، والتي ينتسب اليها كثير من اكابر العلماء . ودرس ابن الأبار الحديث والفقه، على اقطاب عصره ، وفي مقدمتهم ابوه عبد الله ، وبرع في اللغة والادب ، وشغف بالاخبار والسير، ثم رحل في مطلع شبابه الى غربي الأندلس فزار قرطبة ، ثم اشبيلية ، وهو يأخذ اينما حل عن اساتذة العصر . ولما توفي ابوه في سنة ٦١٩ هـ ، كان هو ما يزال بغربي الأندلس، فى مدينة بطليوس، عاكفا على دراساته ، فعاد عندئذ الى بلنسية ، موطنه ، ومثوى اسرته .

سلطان الموحدين يهتز

وكانت الحوادث في شرقي الأندلس ، قد اخذت في هذا الوقت بالذات تؤذن بتطورات خطيرة . ونحن نعرف ان الأندلس كانت ما تزال حتى ذلك الوقت ولاية مغربية تحت حكم الخلافة الموحدية، ولكن الدولة الموحدية ، كانت قد بدأت قبل ذلك بقليل ، منذ موقعة العقاب المشئومة (سنة ٦٠٩ هـ ـ ١٢١٢ م) ، التي سحقت فيها الجيوش الموحدية ، على يد الجيوش الاسبانية المتحدة ، تدخل في دور انحلالها ، وبدأ سلطانها بالاندلس ، يهتز تحت ضربات الحركات القومية المحلية ، وكان شرقي الأندلس بالأخص مسرحا لموجة جديدة من الصراع بين القوى الوطنية ، والسيادة الموحدية .

ولحقت بها بلنسية ، وسقطت سائر القواعد الأندلسية بعد ١٠ سنين

ويغود منه بأسطول ، ولكن بعد فوات . . .



وكان والى بلنسية يومئذ هو السيد أبا عبد الله محمد بن يوسف بن عبد المؤمن .

ابن الآبار فى بلنسية

ولدينا ما يدل على أن ابن الآبار ، عقب عودته من منطقة الغرب ، قد تولى منصب الكتابة لهذا السيد . ولكن السيد أبا عبد الله توفى بعد ذلك بقليل فى سنة ٦٢٠هـ، وقام فى ولاية بلنسية مكانه ولده السيد أبو زيد عبد الرحمن ، فاستمر ابن الآبار فى منصبه كاتبا للوالى الجديد ، وزادت حظوته ومكانته ، ولم يلبث أن غدا موضع ثقة السيد وتقديره .

أعنف ثورة وطنية اندلسية

وكان سلطان الموحدين ، فى هذه المنطقة من الاندلس ، منطقة الشرق ، أضعف منه فى أية منطقة أخرى ، أولا لنأيها وبعدها عن مركز الحكومة العامة باشبيلية ، وثانيا لأن منطقة الشرق ، كانت منذ أيام زعيم الشرق محمد بن سعد بن مردنيش، قبل ذلك بنحو سبعين عاما ، مركزا لأعنف ثورة وطنية اندلسية ، اضطرمت ضد الموحدين . ومن ثم ، فانه لما انهارت قوى الموحدين العسكرية بالاندلس على أثر موقعة العقاب ، عادت بوادر الثورة والاضطراب من جديد تعمل فى منطقة الشرق . وكانت مرسية ، وهى حاضرة الشرق الجنوبية ، أول مسرح لانفجار الثورة الوطنية ، فقام بها محمد بن يوسف بن هود ، واستطاع أن ينتزع السلطة من حاكمها الموحدى السيد أبى العباس (سنة ٦٢٥ هـ) .

وشعر السيد أبو زيد والى بلنسية بخطورة هذه الحركة ، فسار فى قواته لمقاتلة ابن هود ولكن ابن هود هزمه ، فارتد مفلولا الى بلنسية وهو يستشعر سوء المصير .

الثورة فى بلنسية ضد الموحدين

ذلك أنه لم تمض على ذلك أشهر قلائل ، حتى ظهر صدى الحوادث فى بلنسية ذاتها ، واضطرم

اهل بلنسية بالثورة ضد الموحدين ، واتجهوا الى الانضواء تحت زعامة الرئيس ابي جميل زيان بن مدافع بن مردنيش وزير السيد وكبير بطانته . وكان الرئيس زيّان ، وهو سليل آل مردنيش ، حَمَلَةِ لواء الثورة الوطنية من قديم ضد الموحدين ، هو الزعيم الطبيعي لمثل تلك الحركة. وكان من اثر ذلك ان وقعت الوحشة بين الوالي السيد ابي زيد ، وبين وزيره الرئيس زيان ، وخشي زيان من نقمة السيد ، فارتد في اهله الى حصن أنده القريب وامتنع به ، وهو يرقب سير الحوادث .

وعندئذ اشتد الهياج في بلنسية ، وهتف الشعب برياسة زيّان ، وخشي السيد ابو زيد بدوره البادرة على نفسه، ولم يجد سبيلا لمدافعة هذه الثورة الجارفة ، فغادر بلنسية في اهله وامواله ، ومعه كاتبه ابن الابار ، والتجا الى بعض الحصون الغربية . وكان خروج السيد ابي زيد من بلنسية في شهر صفر سنة ٦٢٦هـ . (١٢٢٩) . وعلى اثر خروجه دخل الرئيس ابو جميل زيان بلنسية ونزل بالقصر ، ودعا للخليفة العباسي ، واستقبله الشعب باعظم مظاهر الحماسة والترحيب.

ولبث السيد ابو زيد مدى حين بمقره على مقربة من بلنسية ، فلما راى تطور الأمور على هذا النحو ، ولما لم يجد سبيلا الى استرداد سلطانه، عول على ان يلتجيء الى خايمي الاول ملك اراجون، وكان يعقد بلاطه يومئذ بقلعة أيوب ، فسار اليه ومعه كاتبه ابن الابار .

بيتان لابن الأبار عند مغادرته بلنسية

وهنا تبدأ تلك الصفحات الشجية من حياة ابن الابار الدبلوماسية . وقد وقفنا في احد مخطوطات الأسكوريال على هذين البيتين ، اللذين انشدهما ابن الابار حين مغادرته لبلنسية مع مخدومه السيد أبي زيد ، وهما :

الحمد لله لا أهلٌ ولا ولدٌ
ولا قرارٌ ولا صبرٌ ولا جلدُ

كان الزمان لنا سِلْماً الى أمد
فعاد حربا لنا لَمّا انقضى الأمَد

ومنهما يبدو أن ابن الابار ، حين مغادرته لبلنسية ، كان وحيدا ، لا اهل له ولا ولد ، ومن ثم كان اقدامه على مشاركة السيد في مغامرته ، التي لم يكن يقدر يومئذ مدى خطورتها ، وكان ابن الأبار يومئذ شابا في عنفوانه، في الحادية والثلاثين من عمره .

ابو زيد يلتجيء الى ملك اراجون

والحقيقة ان هذا الأمير الموحدي السيد ابا زيد كان ينوى ان يذهب في ارتمائه في احضان النصارى، الى ابعد مدى يمكن تصوره . وكان خايمي الاول ملك اراجون ، من جانبه يحاول ان يجتني لقاء معاونة الأمير المسلم ، اقصى ما يمكن اجتناؤه من أشلاء الاندلس . وكانت بلنسية بالذات هي اعز امانيه ، وتاج اطماعه . ومن ثم فقد عقدت بين الأمير الموحدي وملك اراجون ، معاهدة صداقة وتحالف ، تقضي بأن يسلم الأمير الموحدي اليه جزءا مما يفتتحه من الأراضي والحصون الاسلامية، وأن يحتفظ الملك خايمي كذلك بكل ما يقوم بافتتاحه هو من الاراضي والحصون لنفسه ، وان يسلم اليه السيد ابو زيد عدة حصون وبلاد هامة في منطقة بلنسية رهينة بولائه ، وان يقوم ملك اراجون لقاء ذلك بحماية السيد والدفاع عنه ضد اعدائه .

وليست لدينا تفاصيل عن الدور الذى اداه ابن الابار ، في عقد هذه المعاهدة . ولكن يبدو لنا من تصرفه اللاحق ، انه لم يكن راضيا عن هذا التسليم المزري ، الذى عمد اليه السيد ابو زيد، في أراضي الوطن الاندلسي وحصونه ، تحقيقا لأطماعه الشخصية . بل يلوح لنا انه كان فوق ذلك على علم بما ينتويه السيد من خطوات لاحقة ، ابعد مدى واشد ايلاما للنفس . ذلك ان ابن الابار ما لبث ان غادر مخدومه السيد ابا زيد، وعاد مسرعا الى بلنسية، وهناك التحق بخدمة امير بلنسية الجديد ابي جميل زيان ، وتولى منصب كتابته ، وكان ابن الابار ، قد ظهر في هذا الميدان ببلاغته الاخاذة وبيانه الرائع .

ابو زيد يعتنق المسيحية

اما السيد ابو زيد ، فقد ذهب في مغامرته الى الدرك الأسفل ، فاعتنق دين النصرانية ، واتخذ اسما نصرانيا هو بشنتي Vicente أو بجنت بالعربية . واصبح يسمى في الوثائق النصرانية بشنتي ملك بلنسية وحفيد أمير المؤمنين. وتجمع الرواية الاسلامية على صحة واقعة تنصر

هذا السيد الموحدى ، وتنحى عليه باشد ضروب الانكار واللوم .

ولقد كان ابن الابار صادق الحس ، بعيد النظر ، حينما ترك مخدومه الضال لمصيره المحزن، ومن المحقق انه نبذ فى ذلك كل اغراء ، وكل وعود براقة ، ولم يقبل ان يتورط لحظة ، فيما يعتبره خيانة لوطنه وأمته ودينه .

الفتنة تمزق أوصال الأندلس

كانت هذه التجربة الاليمة اول عهد ابن الأبار بالمغامرات الدبلوماسية، بيد ان القدر كان يدخره لمهام دبلوماسية أخرى ، أشد ايلاما للنفس ، وابعث الى الحسرة والأسى .

ذلك ان صرح الأندلس القديم الشامخ ، قد اخذ فى تلك الآونة العصيبة يهتز ويتداعى . اجل ان قوى الأندلس المفككة ، كانت عندئذ تحاول ان تجتمع فى الشرق تحت زعامة المتوكل ابن هود ، وفى الوسط والجنوب تحت زعامة محمد بن الاحمر، ولكن هذه الزعامات المحلية الجديدة ، لم تكن لتستطيع ، والفتنة تمزق أوصال الأندلس ، ان تصمد بمواردها المحدودة فى وجه اسبانيا النصرانية. وكان خايمى الأول ملك اراجون، وفرناندو الثالث ملك قشتالة ، يرقب كل منهما فرصته ، لانتزاع ما يمكن انتزاعه من أشلاء الأندلس الممزقة .

ملك قشتالة يستولي على قرطبة

وشاء القدر ان يكون ملك قشتالة هو السابق بانتزاع كبرى قواعد الأندلس التالدة ـ فاستولى على قرطبة عاصمة الخلافة القديمة فى شوال سنة ٦٣٣ هـ (يونيه ١٢٢٦ م) .

ملك اراجون يمهد للاستيلاء على بلنسية

واخذ ملك اراجون من جانبه يمهد للاستيلاء على بلنسية ، وذلك بانتزاع حصونها الامامية شيئا فشيئا . كل ذلك وزيان أمير بلنسية يقاوم الارجونيين ما استطاع . واخيرا مزقت قوى البلنسيين فى معركة انيشة الحاسمة على مقربة من بلنسية (سنة ٦٣٤ هـ) .

حصار بلنسية

وامتنع زيان بفلوله داخل الثغر العظيم ، وعول ملك اراجون على أن ياخذ بلنسية بالحصار والمطاولة، فجمع جيشا مختارا من فرسان الداوية والاسبتارية والأرجونيين والقطلان والمتطوعة الفرنسيين ، وسار الى بلنسية ، وطوقها بقواته من البر ، وضرب محلته بينها وبين البحر ، لكى يقطع سائر علائقها مع الخارج ، وبدأ هذا الحصار الشهير فى رمضان سنة ٦٣٥ هـ (ابريل ١٢٣٨ م) .

الأمير زيان ، أمير بلنسية ، يبعث بابن الأبار يستنجد مملكة افريقية

فى تلك الآونة العصيبة ، اتجت انظار الأمير زيان ، بتوجيه وزيره وكاتبه ابن الأبار الى اخوانه المسلمين فى الضفة الاخرى من البحر ، الى مملكة افريقية (تونس) الفتية القوية أو مملكة بنى حفص ، وكان عاهلها الأمير أبو زكريا بن ابى حفص قد استطاع أن يجعل منها فى فترة قصيرة قوة زاخرة يحسب حسابها . وبعث زيان الى أمير افريقية سفارة على رأسها وزيره وكاتبه ابن الأبار، يحمل اليه بيعته وبيعة أهل بلنسية ، وصريخه بسرعة الغوث والانجاد قبل ان يفوت الوقت ، ويسقط الثغر الأندلسي العظيم فى أيدى النصارى.

ابن الأبار ينشد سينيته الشهيرة امام السلطان ابن أبى حفص

ولما وصل ابن الأبار الى تونس ، مثل بين يدى سلطانها الأمير أبى زكريا الحفصى ، فى حفل مشهود ، وألقى قصيدته السينية الرائعة ، التى اشتهرت فى التاريخ ، كما اشتهرت فى الشعر ، يستصرخه فيها لنصرة الأندلس ، ونصرة الدين ، وهذا مطلعها :

أدرك بخيلك خيلِ الله أندلسا ... ان السبيل الى مَنجاتها درسا

وهبْ لها من عزيز النصر ما التمستْ ... فلم يزل منك عزُّ النصر ملتَمسَا

وهى طويلة فى سبعة وستين بيتا ، وكلها تحسر وانين على ضياع الأندلس ، وتمزق أوصالها ، وسقوط قواعدها .

ابن أبى حفص يجهز اسطولا

فكان لانشاد هذه القصيدة المبكية التى مازالت تحتفظ حتى يومنا برنينها المحزن ، والتى كانت كأنها نفثة الأندلس الجريح ، أبلغ الأثر فى

نفس الأمير أبي زكريا ، فبادر بتجهيز اسطول ، شحنه بالسلاح والأطعمة والكسي والأموال . واقلعت هذه السفن المنجدة على جناح السرعة من ثغر تونس قاصدة الى ثغر بلنسية ومعها ابن الأبار ورفاقه .

ولكن هذه السفن المنشودة لم توفق الى تحقيق هدفها ، لأنها لم تستطع أن تصل الى مياه الثغر المحصور بأية وسيلة، وطاردتها السفن الأرجونية، فاضطرت أن تفرغ شحنتها في ثغر دانية وأن تعود ادراجها الى تونس ، واستطاع ابن الأبار ورفاقه أن يجوزوا الى مدينتهم ، وتركت بلنسية لقضائها المحتوم .

الأمير زيان يسلم بلنسية لملك أراجون

وهنا شدد الأرجونيون الحصار على المدينة ، وبالرغم مما بذله الأمير زيان وقواته من ضروب الاقدام والبسالة ، في مدافعة الجيش المحاصر ، فقد كان من الواضح أنه لا مفر من التسليم ، اذا اريد أن تنجو المدينة من العبث والتخريب . ومن ثم فقد بدأت المفاوضة بين زيان وملك أراجون في شروط التسليم . وانتهى الأمر بالاتفاق على أن تسلم المدينة صلحا .

ابن الأبار يصف تسليم بلنسية

واليك كيف يصف لنا ابن الأبار ، وقد كان شاهد عيان ، ما تلا ذلك من لقاء بين الأمير زيان والملك خايمي ، ومن ابرام شروط التسليم بينهما ، وذلك في يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر صفر سنة ٦٣٦ هـ . قال :

« وفي هذا اليوم خرج أبو جميل زيان بن مدافع ابن يوسف بن سعد الجذامي من المدينة ، وهو يومئذ أميرها، في أهل بيته ووجوه الطلبة والجند، واقبل الطاغية وقد تزيا بأحسن زي في عظماء قومه ، من حيث نزل بالرصافة أول هذه المنازلة، فتلاقيا بالولجة ، واتفقا على أن يتسلم الطاغية البلد سلمًا لعشرين يوما ، ينتقل أهله أثناءها بأموالهم وأسبابهم . وحضرتُ ذلك كله ، وتوليت العقد عن أبي جميل في ذلك ، وابتدىء بضَعَفَة الناس ، فسُيِّروا في البحر الى نواحي دانية ، واتصل انتقال سائرهم برا وبحرا . وصبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر المذكور ، كان خروج أبي جميل بأهله من القصر في طائفة يسيرة أقامت معه . وعندئذ استولى عليها الروم أحانهم الله » .

بعد سقوط قرطبة وبلنسية

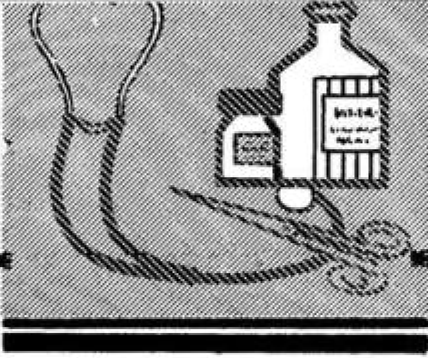
ودخل خايمي الفاتح وجنده ثغر بلنسية في يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ٦٣٦ هـ ، الموافق لليوم التاسع من أكتوبر سنة ١٢٣٨ م ، فكانت بلنسية، بعد قرطبة ثانية القواعد الاندلسية العظيمة، التي سقطت في تلك الفترة ، في أيدي الاسبان، وقد كان انهيار هذه القواعد الاولى من الصرح الاندلسي الشامخ مقدمة لانهيار معظم القواعد الباقية تباعا ، في فترة قصيرة ، لا تجاوز العشرة الأعوام.

ابن الأبار يغادر الاندلس كلها الى تونس

هكذا كان الدور المؤلم الذى لعبه ابن الأبار في حوادث سقوط بلنسية . ولقد هزت هذه المحنة مشاعره الى الاعماق ، فلم يطق أن يبقى في الوطن المنكوب . فغادر أميره وغادر الأندلس كلها وعبر البحر الى تونس ، فوصلها في أواخر سنة ٦٣٦ هـ ، وعاش حينا في كنف أميرها أبي زكريا يتولى له كتابة العلامة . ثم أخذ يتردد حينا بين تونس وبجاية ، يدرس هنا وهنالك . ولما توفي الأمير أبو زكريا في سنة ٦٤٧ هـ ، وخلفه ولده المستنصر بالله، التحق ابن الأبار ببطانته العلمية، ولكنه لم يكن قريرا مطمئنا الى هذه الحياة ، لما كان يتخللها من غضب السلطان ، بسبب دسائس خصومه أحيانا ، وبسبب تصرفاته الشخصية النزقة أحيانا أخرى .

واستطاع خصوم ابن الأبار في النهاية أن يوقعوا به ، ورفعت الى السلطان بعض أقوال وأبيات نسبت الى ابن الأبار طعنا في السلطان وتعريضا به ، فأمر السلطان بجلده ، ثم بقتله ، فضرب بالسياط ، ثم قتل طعنا بالرماح ، وأخذت كتبه وأحرقت في موضع قتله . ووقع مصرع ابن الأبار على هذا النحو المؤسي في الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة ٦٥٨ هـ (٨ يناير سنة ١٢٦٠ م) واختتمت بذلك حياة أعظم شخصية في أدب الأندلس في القرن السابع الهجري . ■■

محمد عبد الله عنان



طبيب الأسرة

السكتة، أو النقطة

● توفي العاهل السياسي الانجليزي ونستون تشرشل في آخر شهر يناير الماضي، وهزّ موته العالم الغربي كله، واشترك في تشييع جنازته الهائلة المؤثرة التاريخية رؤساء وممثلون من كل اهل الارض، حتى من روسيا الشيوعية، وحتى من اهل الشرق. ولكن سؤالي الآن في موضوع موته. قيل انه مات بالسكتة، ونحن نعلم ان السكتة تكون من القلب ونقول السكتة القلبية، ولكنهم قالوا ان مصدرها المخ، كيف كان ذلك؟ ثم قالوا انه جاهد في سبيل احتفاظه بالحياة اياما طويلة، مع انه كان في غيبوبة، ومعنى ذلك انه كان غير واع. فكيف كان يجاهد؟

— نتحدث عن السكتة اولا.

ولكي نحدد ما نعني بالضبط ندعوها بالسكتة المخية، ويقابلها بالانجليزية لفظة Stroke، وبالفرنسية Coup de Sang والأولى معناها الضربة، والثانية معناها ضربة الدم. والانجليز والفرنسيون يهربون غالبا من هذين اللفظين الدارجين في كتبهم العلمية، الى اللفظ العلمي ابوبلكسي apoplexy وهو اللفظ الذي استخدمه الطبيب الاغريقي القديم ابقراط لنفس المعنى. وهو لفظ معناه الحرفي: الضربة التي تسقط الرجل من طوله، ومعناه الاصطلاحي: ذلك التغير المفاجيء الذي يصيب المخ فيصيب صاحبه بالعجز الباغت. والعامة تصفه كذلك فتقول النقطة احيانا.

فهذا عن اللغة.

اما عن المرض فسببه انسداد يقع في احد شرايين المخ فيمنع جزء المخ الذي يغذيه عن ان يتغذى، فيتعطل، وتتعطل كل وظيفة يؤديها ذلك الجزء في المخ، مثل التعطل عن الكلام، او عن الكتابة، او شلل رجل او ذراع، او شلل نصفي. والانسداد يحدث بسبب جلطة (خثرة) دموية تحدث في المخ ذاته، او خارجه، في القلب مثلا، ثم تدور مع الدم لتستقر في المخ.

والسبب الآخر الذي يحدث السكتة المخية، هو انفجار شريان ما في المخ، بسبب زيادة الضغط، او تدهور في كيان الشريان بالشيخوخة. وهذه السكتة اعصى دواء من سكتة الجلطة.

اما الغيبوبة، التي تذكرها يا سائلي، وهي الكوما Coma بالافرنجية، فهي حال من فقدان الوعي تصيب المنقوط، وهي اوطأ درجات الوعي. والفرق بين صاحب هذه الغيبوبة والميت، وجود علامات تدل على الحياة، منها ضغط الدم، وضربات القلب، والتنفس، وحرارة الجسم.

وفي الغيبوبة يغذّى المريض عن طريق

اوردته بمحلول السكر ، سكر العنب ، وبماء به ملح ليحفظ على الأغشية موازنتها الكيماوية . وعن طريق الأوردة ايضا تعطى العقاقير التي تضيق من الشرايين ليرتفع الضغط المنهار . وما الى ذلك .

وبهذا يمكن للأطباء ان يطيلوا عمر المريض كثيرا .

اما ان السياسي الكبير تشرشل جاهد في احتفاظه بحياته من ١٥ يناير الى ١٤ يناير ، فقول لا يمكن ان يصح . وكيف يجاهد من لا وعي له ؟ انه مجهود الأطباء ، والتغذية ، والادوية ، يضاف اليها حالة المرض ، بها جميعا ظل الرجل حيا هذه الأيام التسعة .

أنا مريض بالسكر ،

● **انا مريض بالداء السكرى ، واحب الجبن ، ولكن الطبيب يقول لي لا تاكل منها كثيرا ، وانا اعلم ان الجبن ليس بها النشا ، ولا السكر ... ؟ ثم الشكولاته ، واعلم ان بها القليل من السكر ، اذا كانت سادة . فهل هي تحرّم كذلك على من عنده السكر ؟**

ـ سؤالك ذو شقين ، واحد خاص بالجبن الذى هو احد انتجة اللبن ، والآخر خاص ، بالشوكلاتة ، وهي طعام مصنوع اصله من حب شجرة الكاكاو .

اما عن الجبن : فاقول انها صنوف كثيرة ، وتصنع بطرق عديدة ، لهذا ليس

اتزان الجسم ، كيف يكون

● **قرات ان العين الباصرة تعمل على اتزان الجسم ، فلا يميل عن جانب الى جانب ، فيسقط . ولكن الانسان يغمض عينيه ومع هذا يستطيع موازنة نفسه . فهل هناك عوامل داخلة غير العين تعمل على موازنة الجسم ؟**

ـ العوامل الأصل في اتزان الجسم ثلاثة : القنوات النصف الدائرية العظمية التى تقع داخل الاذن الظاهرة ، في كل من جانبي الوجه . ثم حس الجسم بما يعتمد عليه من اجل الاتزان ، ولا سيما حس الأقدام وهي تعتمد على الأرض . ثم العينان المبصرتان .

فاى مرض يصيب جهاز الاتزان في الاذن ، وبه سوائل تتاثر بأوضاع الراس والجسم ، واى مرض يصيب العصب الذى يصل هذا الجهاز بالمخيخ حيث يترجم الاحساس ، فاما استقامة واما ميل ، اى مرض يصيب هذين ، يفقد الانسان اتزانه .

ومن الأمراض الشهيرة القاسية في هذا الصدد المرض المعروف بمرض منيير Ménière ، وهو مرض قاس يصيب صاحبه او صاحبته بنوبات افتقاد اتزان ، ودوار كدوار البحر ، يطول ويتصل .

والى اليوم لا يكاد يوجد له دواء الا تخريب ذلك الجانب من الاذن الداخلة التى احتوت هذه القنوات ، والاعتماد بعد ذلك على جهاز الاتزان في الاذن السليمة الاخرى .

اما حس الأقدام بمواضعها من الأرض التي تعتمد عليها ، فعامل في الاتزان لا شك فيه ، تتدخل فيه جاذبية الارض ، التى يجب ان تتوزع على اجزاء الجسم بالسوية . فان اختلفت تولى الجهاز العصبي امرها دون وعي منا ، فيتصحح الاختلاف بتعديل الجسم ، ولو خفيفا ونحن لا ندرى .

ثم العينان ، وهما تحسان بالخلل في الوضع ، وترسلان به عبر الجهاز العصبي ، ويأتى التصحيح ، في غيبة من وعينا ايضا . وقد حدث ان وقف رجل بقدميه في ماء مثلج ، ذهب بحسهما ، ثم اغلق عينيه ، ففقد اتزانه ، او عانى معاناة شديدة ، على الوعى ، في سبيل حفظه .

ان سلامة الاذن الداخلة ، وحس الأقدام ، يكفيان لاتزان .

واحب الجبن والشوكلاته

لها تركيب ثابت . ولكن يمكن القول اجمالا بأن الماء فيها يتراوح بين ٢٥ و ٤٠٪ ، والبروتين بين ١٥ و ٤٠ في المائة ، والدهن بين ١٥ و ٤٠٪ . بقي السكر ، سكر اللبن ، وهو المراد هنا ، ومقداره نحو ٣ في المائة او دون ذلك . ومعنى هذا انك اذا اكلت ١٠٠ جرام من الجبن فقد اكلت ٣ جرامات من السكر ، او جراما ونصفا مثلا . وهذا مقدار من السكر ضئيل . ولكن المسألة ليست مسألة سكر فحسب ، ولكن مسألة دهن كذلك في حالات من المرض متقدمة معروفة .

اما عن الشوكلاته ، فهي تصنع من حبوب الكاكاو Cacao بعد تحميصها وسحقها ، وهي كثيرة الدهن ، ولا تستساغ الا بالسكر يضاف اليها بكميات وافرة . لهذا يتجنبها ذو السكري . وقد انتجت مصانع الشكولاته الشهيرة ، مثل كدبوري وشتوكارت ، نوما من الشوكلاتة به مواد تحليها ولكنها لا تزيد نسبة السكر المعروف في الدم . وتسمى بشوكلاتة مرضى السكر . اما المادة المضافة للتحلية فهي عادة السكارين ، والسكر المسمى سَرْبيتول Diabetic Chocolate ، Sorbitol وهو يحلي ، ولكن لا يرفع نسبة الجلوكوز الذى بالدم والذى هو سبب العلة .

فلورة ماء الشرب تزداد كل يوم انتشارا

● **ذكرتم في العدد الماضي من «العربي» ان الاستقصاء دل على ان وضع نسبة من الملح المسمى بالفلوريد ، وهو ابن عم الكلوريد على ما قلتم ، في ماء الشرب ، يقلل من اصابة الاسنان بالتسوس ، فاذا كان هذا صحيحا ، واقتنعت به الأمم ، ولو المتقدمة ، فلماذا لم نسمع بان استعماله قد شاع فيها ؟**

الذى قلناه صحيح .

ونزيد اليوم فنقول ان بالولايات المتحدة ، حيث يسود رأى السواد من الناس ، ويختلف من قطر لقطر ، ان بها احياء كاملة عددها ٢٥١٩ ، أدخل الفلوريد الى مياهها ، وهذه الأحياء تشمل ٤٥٨٨٠٠٠٠ نفس . وفي كندا توجد ٢٠٠ محطة فلوريدية تمد بالماء المفلور ٣٨٠٠٠٠٠ من السكان .

وفي اوروبا تتصدر هولندة دولها في استخدام الفلوريد ، فيها ١٥ محطة تمد بالماء نحو نصف مليون من السكان ، وفيها ١١٥ محطة في سبيل الانشاء لتمد نحوا من ٢٩٠٠٠٠٠ نسمة .

وقطران اتمّا فلورة المياه لجميع السكان ، هما هنج كنج ، وبرْ توريكو .

ولا بد ان نذكر دائما ان الآراء العلمية الجديدة تحتاج الى الزمن لتنتشر ، تماما كما تحتاج الآراء الاجتماعية ، لا سيما فيما يختص بالتطبيق والممارسة ، ولا سيما اذا خالف التغيير المطلوب عادة الناس ومسَّ الصميم من واقع حياتهم . ■■



خادم الكنيسة

للكاتب الروائي المعاصر سمرست موم

■ فى ذلك المساء اقيم حفل تعميد بكنيسة القديس بطرس بميدان نيفيل، وكان البرت ادوارد فورمان لا يزال لابسا طيلسانه ، وكان يحتفظ بالطيلسان الجديد لحفلات الجنائز وحفلات الزواج ، وكانت كنيسة القديس بطرس هى الكنيسة المفضلة عند افراد المجتمع الراقى ، ولم يرتد فى ذلك المساء سوى الطيلسان الذى يأتى فى المرتبة الثانية بعد الطيلسان الجديد الأنيق ، وكان يلبسه شاعرا بالغبطة والارتياح لأنه رمز لوظيفته المحترمة . وكان حينما يخلع طيلسانه ويحمله حين انصرافه الى منزله ، ينتابه شعور يقلق خاطره ويثير بلابله ، وهو انه يلبس ملابس غير لائقة . وكان شديد العناية بطيلسانه فهو يطويه ويكويه ، وقد امضى فى خدمة الكنيسة ستة عشر عاما لبس فى خلالها مجموعة من الطيالسة، وكان يظل محتفظا بها حتى بعد ان يَخلقها القدم ويعيث بها البلى .

وكان يباشر عمله بالكنيسة فى هدوء ، فيعيد وضع الغطاء الخشبي الملون فوق حوض التعميد المرمرى ، وينقل الكرسي الذى أحضر لتجلس عليه سيدة اقعدتها الشيخوخة ، وينتظر القسيس حتى يخرج من غرفة الملابس ليدخلها ويتولى تنسيق ما بها وينصرفو الى داره . وفى هذه المرة رآه يمشى فى جانب المحراب ، وينحني ازاء الهيكل العالى ، ويهبط الى المشى ، ولكنه كان لا يزال لابسا معطفه الكهنوتى .

وقال خادم الكنيسة لنفسه : « لماذا يتلبث هكذا ؟ الا يعلم اننى اريد أن احتسى الشاى ؟ » .

وكان القسيس قد عيِّن حديثا ، وكان رجلا جم النشاط متورد الوجه فى مطالع الأربعينيات ، وكان البرت ادوارد لا يزال آسفا على ذهاب القسيس السابق ، وقد كان من رجال المدرسة القديمة الذين يلقون خطبهم الوعظية على مهل وبصوت فيه رقة ولين ، ويتناول عشاءه فى اكثر الايام مع كبار الاعيان فى أبرشيته ، وكان يحب ان تكون الأحوال فى الكنيسة على ما يرام ، ولكنه كان لا يثير ضجة ، ولم يكن مثل خلفه الجديد الذى كان يريد ان يتدخل فى كل شىء . ولكن البرت كان متسامحا ، وكانت كنيسة القديس بطرس فى حى من ارقى الاحياء ، وروادها من خير طبقات المجتمع ، وكان القسيس الجديد قد جاء من الطرف الشرقى ، ولم يكن من المنتظر ان يبادر فى الحال الى التكيف وفق اساليب رواد كنيسة من الطبقة الراقية .

وقال البرت لنفسه :« لماذا يثير كل هذه الضجة؟ ولكن فلنمهله فان مرور الزمن كفيل بأن يعلمه » .

ولما هبط القسيس من المحراب ، واقترب من خادم الكنيسة بحيث كان يستطيع ان يخاطبه دون ان يرفع صوته الى الحد الذى لا يلائم مكان العبادة توقف وقال له : « يا فورمان ، هلا اتيت الى غرفة الملابس لمدة دقيقة واحدة فان عندى اشياء أريد أن احدثك بها » .

ــ « حسنا يا سيدى » .



كان يسير متمهلا، موجع القلب لايدرى ماذا يصنع ..

وانتظر القسيس مجيئه وتمشيا فى الكنيسة معا .

وقال البرت : « لقد كان تعميدك غاية فى اللطف، وقد امتنع الطفل عن البكاء فى اللحظة التى حملته فيها » .

فقال القسيس : « لقد لاحظت انهم يفعلون ذلك دائما ، وقد مارست ذلك طويلا معهم » .

وكان من مصادر اعتزازه الصامت بنفسه قدرته على تهدئة روح الأطفال الباكين بالطريقة التى كان يحملهم بها ، وكان يشعر بذلك الاعجاب الذى تظهره الأمهات والحاضنات وهن يراقبنه وهو يضع الطفل فوق حنو ذراعه الممتدة من حلته الكهنوتية. وعرف خادم الكنيسة انه مما يسره الثناء على هذه الموهبة .

وتقدم القسيس" البرت" ادوارد الى غرفة تغيير اللابس ،ولم يخل البرت ادوارد من الدهشة حينما وجد بالغرفة وكيلي الكنيسة ، ولم يكن رآهما وهما يدخلان ، وقد انحنيا له انحناءة سارة .

وحياهما ألبرت ،وكانا متقدمين فى السن ، وظلا وكيلين طوال مدة خدمته فى الكنيسة ،وقد وجدهما جالسين الى مائدة حسنة الصنع احضرها القسيس السابق منذ سنوات عدة من ايطاليا ، وجلس القسيس فى المقعد الخالي بينهما ، وكان البرت قد جلس امامهم فى الجانب المقابل لهم من المائدة ، وقد انتابه شيء من القلق لمعرفة جلية الأمر ، وقد بدت فى وجه القسيس المتورد امارات الاعتزام الرقيق ، كما بدا على الوكيلين شيء من الاهتمام والقلق .

وقال خادم الكنيسة لنفسه : « انه لا بد ان يكون قد سبب لهم بعض المضايقة ، وكلفهم عمل شيء لا يميلون اليه ، وهذا كل ما فى الأمر » .

ولكن هذه الخطرات لم تبد على ملامح وجهه ، وقد ظهر بمظهر الذى يحترم رئيسه ، ولكنه احترام خال من الذلة والخنوع ، فقد كان فى الخدمة قبل ان يعين فى الكنيسة ، ولكنه لم يخدم فى غير منازل العلية ، وكان سلوكه خاليا من الشوائب ، وقبل ان يخلو المكان الذى شغله بكنيسة القديس بطرس كان يعمل فى منزل احد السفراء المحالين على المعاش .

وكان طويل القامة ، نحيف البنية ، بادى الوقار ، لبقا فى تصرفاته ، قوى العزم شديد الثقة بنفسه .

وبدا القسيس الحديث فى خفة ونشاط قائلا :

يا فورمان ، اني اود ان اذكر لك شيئا ربما لا يسرك ، لقد قضيت بالكنيسة سنوات كثيرة ، وقمت بواجباتك خير قيام ــ **وأوما كل من الوكيلين برأسه ، مؤيدين كلام القسيس ــ واسترسل القسيس يقول :** « ولكن تكشف لي منذ ايام امر وجدت من واجبي ان اتحدث فيه مع الوكيلين ، وهو انك لا تعرف القراءة والكتابة » .

فلم يبد في وجه خادم الكنيسة اى اثر للاضطراب واجاب قائلا : « كان القسيس السابق يعرف ذلك ، وهذا لا اهمية له في العمل الذى اباشره » .

فقال القسيس : « هذا من اعجب ما سمعت ، اتريد ان تقول انك خدمت الكنيسة مدة ست عشرة سنة ولم تتعلم في خلالها القراءة والكتابة ؟ » .

فاجاب : « لقد قمت بالخدمة وانا في الثانية عشرة من عمرى ، وحاول الطاهي مرة ان يعلمني الكتابة ، ولكني لم اظهر استعدادا لذلك ، ولم اجد بعد ذلك الوقت الكافي للتعلم ، ولم اشعر في الواقع بالحاجة اليه ، وفي ظني ان الكثيرين من الشبان يضيعون اوقاتهم في القراءة بدلا من ان يقوموا بعمل نافع » .

فقال احد الوكيلين : « ولكن ألا تريد أن تعرف الاخبار ؟ ألم ترد أن تكتب خطابا » ؟

فاجاب خادم الكنيسة : « كلا ياسيدى ، لقد اقمت تدبير اموري على الاستغناء من ذلك ، وقد دأبت الجرائد في السنوات الاخيرة على نشر صور في صفحاتها ، ومن هذه الصور استطعت ان اقف على الاخبار ، وزوجتي تحسن القراءة والكتابة ، وحينما اريد ان ارسل خطابا تتولى هي كتابته » .

فنظر الوكيلان الى القسيس نظرة منطوية على القلق ، ثم غضا طرفهما .. وقال القسيس : « لقد تحدثت في هذه المسألة مع هذين السيدين ، وقد وافقا على انه لا بد من وضع حد لذلك ، ففي كنيسة مثل كنيسة القديس بطرس لا يصح بحال ان يجهل خادمها القراءة والكتابة » .

فاحمر وجه البرت ادوارد النحيل الشاحب ، وتحركت قدماه ، واصطكت ركبتاه ، ولكنه لاذ بالصمت .. واسترسل القسيس قائلا : افهم ما اقول يافورمان ، ليس عندى شكوى من عملك ، فانك تؤديه على خير وجه ، وانا حسن الرأى في خلقك وكفايتك ، ولكني لا استطيع ان احتمل تبعة ما قد يحدث من جراء جهلك القراءة والكتابة، لم ألا تستطيع يا فورمان ان تتعلم القراءة والكتابة ؟

فاجاب خادم الكنيسة : « كلا ياسيدى ، لا استطيع ذلك الآن ، قلت في مرحلة الشباب ، وما دمت لم اتعلم الكتابة في الصغر فكيف اتعلمها وقد علت سني ؟ احسبني لا اجد الفرصة لذلك » .

فقال القسيس : « اننا لا نود مضايقتك واحراجك يا فورمان ، ولكننا جميعا قد عقدنا العزم على ان نعطيك مهلة ثلاثة اشهر ، فاذا لم تعرف في نهايتها القراءة والكتابة فاننا سنضطر الى الاستغناء عن خدمتك .

وكان البرت ادوارد قد كره القسيس الجديد منذ قدومه ، وقال من بادىء الأمر انهم اخطأوا باختياره قسيسا لكنيسة القديس بطرس ، فهو ليس من الطراز الذى يصلح لمثل هذه الكنيسة التى ترتادها الطبقة الراقية ، وشد من عزمه لمواجهة الموقف ، وكان يعرف قيمة نفسه ، ولم يكن راغبا في ان ينال من مكانته ويستذل .

فاجاب : « يؤسفني ياسيدى انه لا فائدة من ذلك كله ، فقد بلغت السن التى تجعلني لا احسن هذه الالاعيب ، وقد عشت طويلا وأنا لا اعرف القراءة والكتابة ، وأجدت القيام بأعمالي بدون هذه المعرفة » .

فقال القسيس : « ما دام الأمر كذلك فيحسن ان تترك العمل بالكنيسة » .

« نعم ياسيدى ، اني اقدر الموقف ، وسأقدم استقالتي حينما تجدون من يقوم بعملي » .

ولكن حينما اغلق باب الكنيسة بعد انصراف القسيس والوكيلين بما هو معهود فيه من الأدب لم يستطع الاحتفاظ بمظهر الكرامة والترفع الذى احتمل به الضربة التي وجهت اليه ، وارتعشت شفتاه، ومشى الىغرفة الملابس وعلق علىالمشجب طيلسانه ، وتنهد حينما تذكر الجنائز وحفلات الزواج التى ارتدى فيها الطيلسان ، ورتب كل شيء ، وارتدى حلته ، ووضع قبعته في يده وسار في ممشى الكنيسة ، واقفل بابها خلفه ، وسار في طريق الميدان مهموما مستغرقا في التفكير ، ولم يسر في الشارع الموصل الى منزله ، حيث

كان ينتظره كوب الشاى ، وانما سار فى اتجاه خاطىء ، وكان يسير متمهلا مُوجَع القلب لا يدرى ماذا يصنع ، ولم يفكر فى العودة الى خدمة المنازل بعد ان ظل سيد نفسه مدة سنوات ، فقد كان القسيس السابق والوكيلان يقولون ما يشاءون ، ولكنه هو كان المتصرف فى الكنيسة ، وقد ادخر مبلغا مناسبا من المال ولكنه لا يكفيه ليعيش بدون عمل ، والحياة تزداد نفقاتها فى كل عام .

لم يكن قد فكر من قبل فى مواجهة مثل هذا الموقف ، فقد كانت وظيفة خادم الكنيسة من الوظائف التي يشغلها الناس طوال حياتهم ، وتنهد تنهدا عميقا ، ولم يكن البرت ادوارد من غواة التدخين ولا من شاربي الخمر ، ولكنه كان يتساهل مع نفسه فى بعض الاحيان فيحتسي كوبا من الجعة فى اثناء تناوله طعام العشاء . وحينما كان يشعر بالتعب يتناول سيجارة ، وخطر له ان يهدىء خاطره باشعال سيجارة ، ولما لم يكن معه شىء من الطباق فقد بحث عن حانوت ليشترى منه علبة سجاير ، وسار قليلا قبل ان يهتدى الى الحانوت الذى يبيع السجاير ، وكان الشارع الذى سار فيه طويلا ، وبه حوانيت مختلفة ، ولكنه لم يكن به حانوت واحد لبيع السجاير .

فقال البرت لنفسه : « هذا عجيب » ، واعاد السير فى الشارع ، وتأكد من انه خال من حانوت لبيع السجاير ، وقال لنفسه : « لا يمكن ان اكون الشخص الوحيد الذى مشى فى هذا الشارع واحتاج الى سيجارة ، وغير عجيب أن يكون النجاح من نصيب انسان له فى هذا المكان حانوت صغير لبيع التبغ والحلوى » .

وبدأ يفكر فى هذا الموضوع ، وتحول الى الطريق المفضي الى منزله ، وتناول الشاى ، وقالت له زوجته : « لماذا لزمت الصمت فى هذا المساء » ؟

فاجابها : « لانني مشغول بالتفكير » .

وقلب الأمر على جميع جوانبه .

وفى اليوم التالي سار من الطريق نفسه ، ولحسن حظه رأى حانوتا صغيرا للايجار مناسبا له ، فلم يتردد فى استئجاره ، ولما ترك خدمة الكنيسة بعد شهر قام بالعمل فى الحانوت بوصفه بائع طباق ومتعهد جرائد ، ووجدت زوجته ان فى ذلك نزولا عن مكانته فى خدمة الكنيسة . فاجابها : بأنه يساير الأيام ويخضع لحكم الظروف ،

ووفق فى عمله الى حد انه فكر فى استئجار حانوت آخر ، وان يعهد فى القيام بالاتجار به الى احد العمال ، واخذ يبحث عن شارع آخر طويل الامتداد وليس به حانوت لبائع طبّاق ، ولما وجد مثل هذا الشارع ، وعثر به على حانوت صغير لم يتردد فى استئجاره ، ونجح كذلك فى هذه المرة نجاحا باهرا .

وخطر بباله انه اذا سار على هذا النمط فان النجاح سيكون دائما حليفه . وبدأ يسير فى شوارع لندن ، فكلما وجد شارعا طويل الامتداد ليس فيه حانوت لبيع الطباق استأجر الحانوت المناسب الذى يعثر عليه به .

وفى مدى عشر سنوات اصبح له ما لا يقل عن عشرة حوانيت لبيع الطباق ، وكثرت امواله وعلت احواله ، وكان يطوف على هذه الحوانيت ويجمع ما تدر عليه من الدخول .

وفى ذات يوم كان يحمل رزمة من الأوراق المالية الى البنك ، فاخبره الصراف ان مدير البنك يريد ان يراه ، ولما ذهب الى مكتبه قال المدير له : « يا سيد فورمان : اريد ان اتحدث معك حديثا موجزا ، هل تعرف على وجه التحديد ما لك من رصيد عندنا » ؟ .

فاجابه : « لا اعرف بالدقة ، ولكن عندى فكرة عامة عنه » .

فاجابه المدير : انه قرابة ثلاثين الف جنيه ، ومن الخير لك ان تستثمره .

فقال له خادم الكنيسة السابق : « سأترك الأمر بين يديك » .

فقال له المدير : « سنقوم بعمل اللازم وما عليك الا ان تضع توقيعك » .

فضحك السيد فورمان وقال : « هذا ما لا استطيعه ، فانى لا أعرف القراءة والكتابة » .

فعجب المدير ، وقال له : « هذا شىء يتجاوز المألوف ، ومن اغرب ما سمعت ، وتريد ان تقول انك تمت بهذا العمل وجمعت هذه الثروة ، وانت لا تعرف القراءة والكتابة ؟ وماذا كان يكون من شأنك لو انك كنت تعرف القراءة والكتابة ؟ .

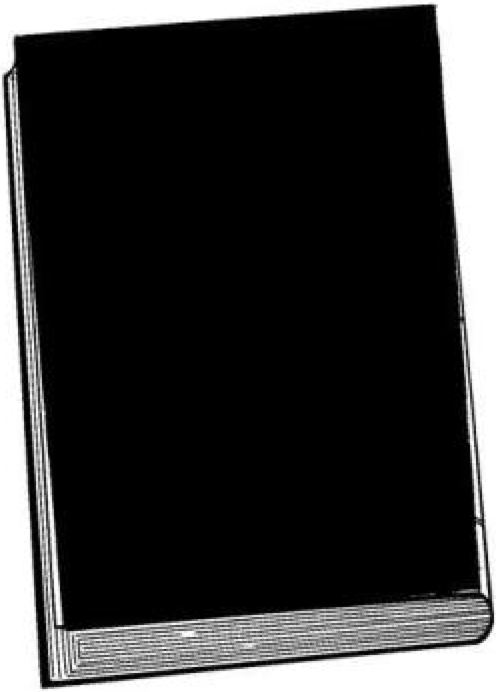
فاجابه فورمان وقد علت وجهه ابتسامة خفيفة : « كنت اكون خادما فى كنيسة القديس بطرس بميدان نيفيل » . ■■

ترجمة : علي ادهم

نقد كتاب الشهر

الرحالة «كاف»

عبد الرحمن الكواكبي : لعباس محمود العقاد



بقلم : الدكتور محمود السمره

الجامعة الاردنية ـ عمان

■ **اهتم** الدارسون المعاصرون بالكتابة عن المفكر السوري الشهير عبد الرحمن الكواكبي ، وهو بهذا الاهتمام جدير . والصفة البادية في هذه الكتابات هي انها حاولت ان تعرض آراء الكواكبي كما وردت في كتابيه الشهيرين « ام القرى » و « وطبائع الاستبداد » ، دون ان تدرس دراسة مستفيضة العصر والظروف التي عاش فيها الكواكبي .

وفي رايي ان الدراسة العلمية الوافية للكواكبي لا تكون الا بتتبع ما نشر في صحف ومجلات ودوريات عصره . ومثل هذه الدراسة تتطلب جهدا كبيرا يبذله الدارس في البحث عن هذه المصادر ، وهي مصادر متناثرة في المكتبات العامة والخاصة .

واذا كان المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد لم يلم الماما بهذه المصادر ، فانه قد عوض عن هذا بذكائه وحسن تناوله للكواكبي : فهو قد ادرك ببصيرته ما خفي من المعاني في كتابي الكواكبي الشهيرين . ومع هذا فان الكواكبي ، في رايي ، ما زال بحاجة الى مزيد من الدراسات تكتب عنه .

ابن حلب الشهباء

والكواكبي هو ابن حلب الشهباء ، المدينة العريقة في القدم . وينتسب الى امير المؤمنين علي ابن ابى طالب . وتذكر شجرة نسبه ان من اجداده اسماعيل الصفوى الذى جلس على عرش فارس ،



واسس فيها الاسرة الصفوية . وتقول الروايات ان أول من اشتهر باسم الكواكبي من العائلة هو محمد أبو يحيى بن صدر الدين ، لانه كان يعمل في الحدادة ، ويتقن صنع المسامير التي تسمى الكواكب لاستدارتها ولمعانها .

وقد رأى الكواكبي النور سنة ١٨٥٤م/١٢٧١هـ، حسب رواية ابنه الدكتور اسعد . وهذا التاريخ مخالف للاوراق الرسمية التي تذكر انه ولد حوالي سنة ١٨٤٨م/١٢٦٥هـ . ويبدو ان طفولته كانت مضطربة ، فقد فقد امه وهو في نحو السادسة من عمره ، فاودعه ابوه حضانة خالته بانطاكية حيث أقام بها الى سنة ١٢٨٢هـ . ثم عاد الى حلب ليلتحق بالمدرسة الكواكبية ، ويتعلم فيها اللغتين التركية والفارسية ، ومبادىء الرياضيات . وعلى يدي والده درس علوم الدين واللغة . وقد كان هذا الوالد من معلمي الجامع الأموي ، وأصحاب المناصب الشرعية . والى هذا اضاف الثقافة الحديثة حتى ليخيل لنا انه قد كرس وقته لاكتساب المعرفة . وقد برزت هذه الثقافة في كل عمل وكل اليه : في عمله في صحيفة « فرات » العربية التركية التي انشاها المؤرخ التركي احمد جودت باشا ، ثم في صحيفة « الشهباء » التي انشاها في حلب مع زميله هاشم العطار فكانت اول صحيفة عربية فيها ، وبعدها في صحيفة « الاعتدال » التي انشاها بعد تعطيل « الشهباء » لصراحتها في نقد الادارة التركية . ولكن « الاعتدال » لم تلبث أن لقيت المصير نفسه الذي لقيته « الشهباء » من قبل .

ولما يئس من الاصلاح عن طريق الكتابة قبل العمل في وظائف الحكومة ، وتولى في هذه الوظائف ضروبا منوعة من أعمال الادارة ، والقضاء ، والتعليم . وقد قام اثناء توليه هذه الوظائف باصلاحات جمة : فزاد اجور العمال سداً للذرائع الرشوة والاختلاس ، وضبط اعمال الغرفة التجارية بالاحصاءات ونظمها على غرار الغرف التجارية في البلاد المتحضرة ، ووضع مشروعا لانارة المدينة وضواحيها بالكهرباء ، وبناء مرفأ للسويدية، وجلب الماء الى حلب من نهر الساجور، وتجفيف المستنقعات التي كانت تنشر الاوبئة بين السكان .

وقد كان في كل اعماله التي تولاها صريحا نزيها ، فجرت عليه صراحته ونزاهته عداوة المسؤولين الذين كانوا يعيشون على الفساد . وهكذا اخذوا يكيدون له ، مما اضطره الى ترك بلاد الشام الى مصر .. أرض الكنانة .

الرحالة كاف

وصل الكواكبي الى مصر في منتصف شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٩٨ ، وتوفي بها في شهر يونيو (حزيران) ١٩٠٢ ، وتخلل هذه الفترة رحلتان . يقول الشيخ محمد رشيد رضا ، صاحب مجلة المنار ، ان الكواكبي « وجه همته اخيرا الى التوسع في معرفة حال المسلمين ليسعى في الاصلاح على بصيرة ، فبعد اختباره التام لبلاد الدولة العلية ـ تركها وعربها وأكرادها وأرمنها ـ

ثم اختباره لمصر ومعرفة حال السودان منها ، ساح في سواحل افريقية الشرقية وساحل آسيا الغربية ، ثم أتم سياحته فاختبر بلاد العرب التي كانت موضع أمله أتم الاختبار . فانه دخلها من سواحل المحيط الهندي ، وما زال يوغل فيها حتى دخل سورية ، واجتمع بالامراء وشيوخ القبائل وعرف استعدادهم الحربي والادبي ، وعرف حالة البلاد الزراعية ... وقد انتهى في رحلته الاخيرة الى كراجي في موانيء الهند ، وسخر الله له في عودته سفينة حربية ايطالية حملته بتوصية من وكيل ايطاليا السياسي في مسقط ، فطافت به في سواحل بلاد العرب ، ، وسواحل افريقية الشرقية ، فتيسر له بذلك اختبار هذه البلاد اختبارا سبق به الافرنج . وكان في نفسه رحلة أخرى يتمم بها اختباره للمسلمين ، وهي الرحلة الى بلاد الغرب ، ولكن حالت دونه المنية التي تحول دون كل الاماني والعزائم . »

وكان الكواكبي يوقع مقالاته عن رحلاته باسم « الرحالة كاف » وبهذا الاسم عرف .

قضيتان شغلتاه

وهاتان الرحلتان أعانتا الكواكبي في مهمته الاصلاحية ، وأطلعتاه على أحوال البلاد العربية والاسلامية ، وانضجتا آراءه في القضيتين اللتين شغل بهما عن غيرهما وهما قضية البحث في أسباب تأخر الامم ، ولا سيما أمم العالم الاسلامي ، وقضية البحث في عوامل الاستبداد في حكم الدول ، ولا سيما الدولة العثمانية .

وقد أودع الكواكبي زبدة آرائه عن قضية العالم الاسلامي في كتابه « ام القرى »

وأودع زبدة آرائه عن الحكم والاستبداد في كتابه « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » .

ويذكر الذين ترجموا له انه وضع كتابا سماه « صحائف قريش » **، وكتابا آخر سماه « العظمة لله » وترك ديوانا من الشعر لم تبق منه غير كراسة فيها قصائد في الحكمة والنسيب والمدح والرثاء والهجاء ، وعدد أبيات هذه القصائد نحو ثلاثة آلاف بيت .**

ويبدو أن « صحائف قريش » تذييل لكتابه « ام القرى » **، و أن** « العظمة لله » **اضافة الى** « طبائع الاستبداد » **. ولكن هذين الكتابين لم يريا النور ، اذ صودرا مع أوراقه في حلب .**

« أم القرى »

وكتاب « أم القرى » **هو أول كتاب وضعه الكواكبي ، ولكنه لم يضعه الا بعد دراسة طويلة لحال المسلمين وأسباب ضعفهم وتخلفهم .** وفي هذا الكتاب تخيل المؤلف أن جمعية « أم القرى » قد التقت في مؤتمر عام في مكة المكرمة . وفي هذا المؤتمر جمع الكواكبي مندوبين عن أمم العالم الاسلامي في المشرق والمغرب يمثلون الهند والصين والافغان والعراق والحجاز والشام ونجد واليمن ومصر وتونس ومراكش ، وغيرها من الاقاليم ، والقى على لسان كل منهم خطابا يشرح حالة المسلمين كما اختبرها الكواكبي نفسه . وتنتهي أسباب التأخر التي ذكرها المؤتمرون الى سبب جميع الاسباب في رأي الكواكبي ، وهو الحكومة السيئة :

« فلماذا يضعف المسلمون ؟

يضعفون لانهم أهملوا آداب الدين التي نهضوا بها في صدر الاسلام .

ولماذا أهملوا آداب الدين ؟

لانهم جهلوا لبابه ، واخذوا منه بالقشور .

ولماذا جهلوها ؟

لانهم فقدوا الهمة ، وقنعوا بالضعة ، واستكانوا الى الخور والتسليم .

وذلك أن تتابع حلقات السلسلة عكسا كما تابعتها

طردا ، فتقول انهم فقدوا الهمة لأنهم جهلوا ، وانهم جهلوا لأنهم أهملوا آداب الدين ، ، وانهم أهملوا آداب الدين لأنهم ضعفوا » .

وهكذا نرى أن كل علة من هذه العلل هي مقدمة من جهة ونتيجة من الجهة الأخرى ، الا الحكومة السيئة فانها ملتقى الاسباب والنتائج في كل عرض من الأعراض .

« طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد »

وكتابه « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » هو آية الكواكبي ، وهو يتألف من سلسلة مقالات نشرها لأول مرة في صحيفة « المؤيد » ، وتناول في كل مقال منها عارضا من عوارض الاستبداد التي يشاهد اثرها في أحوال الأمم والافراد . والمقالات بمجموعها تدرس العوارض الاجتماعية التي تصاحب الاستبداد في أحوال الدين ، والعلم ، والمجد ، والثروة ، والاخلاق ، والتربية ، والتقدم . وقد مهد الكواكبي لهذه المقالات بتعريف الاستبداد، ثم عقب عليها بوسائل الخلاص منه .

والسؤال الذي يجبهنا عنه التحدث عن «طبائع الاستبداد » هو : كم في هذا الكتاب من الكواكبي؟ وكم فيه من غيره ؟

يرى الأستاذ العقاد أن الكواكبي استفاد كثيرا من كتاب بعنوان « مقالات في الاستبداد » Della Tirannido للفيلسوف الايطالي فتوريو الفيري Alfeeri ، وكان هذا الكتاب قد ظهر في أواخر القرن الثامن عشر (١٧٧٧ م) وشاع بين ايدي الثوار الايطاليين ، والواقع أن ما بين « طبائع الاستبداد » و « مقالات في الاستبداد» أكثر من تشابه . انه تشابه قد يصل احيانا الى درجة التتبع ، فالكواكبي قد أخذ من الفيري افكاره الرئيسية ، ولكنه طبقها على المجتمع الاسلامي والعربي .

ومن ينظر في الكتابين نظرة عابرة يرى أن كلا من الكتابين كتب في : تعريف الاستبداد وتعريف المستبد ، ثم كتب عن الخوف والتملق والطموح ، ثم كتب عن الانحلال والدين والمقابلة بين الاستبداد القديم والحديث وعن الشرف المزيف والمجد الكاذب، وعن نفوذ الزوجات في عهود الاستبداد، وعن وسائل المقاومة للاستبداد ، وعن الشعوب التي لا تحس الطغيان والحكومات التي تركن اليه . والفرق بين الفيري والكواكبي أن الكاتب الايطالي قد طبق هذه الموضوعات على أحوال الامم الاوروبية ،بينما طبقها الكواكبي على أحوال الأمم الشرقية عامة ، والاسلامية خاصة .

ويتساءل الأستاذ احمد أمين في كتابه « زعماء الاصلاح في العصر الحديث » : كيف وصل الفيري الى علم الكواكبي ؟ ولكنه لا يجيب على هذا السؤال .

ويرى الأستاذ العقاد أن الكواكبي عرف الفيري عن طريق الايطاليين في حلب ، كما أنه كان يلتقي بوكلاء الحكومة الايطالية في شواطىء بحر العرب، وينتقل على احدى السفن الايطالية باذن أولئك الوكلاء « فليس بالعسير بعد ذلك أن يسرق الكواكبي شيئا عن الكاتب الايطالي « المشهور » كما وصفه في كلامه » .

والأرجح ، في رأيي ، أن الكواكبي انما اطلع على الكتاب في ترجمته التركية ، وهي لغة يتقنها .وقد قام بترجمة كتاب الفيري الى التركية كاتب من أحرار الترك المهاجرين الى سويسرة اسمه عبد الله أمين . والذي يدعونا الى مثل هذا الاعتقاد أن ما بين الكتابين من تشابه يكاد يبلغ حد التماثل ، لا يمكن أن يكون نتيجة اتصال بايطاليين قد اطلعوا على الكتاب وتحدثوا عنه الى الكواكبي ، بل نتيجة اطلاع على الكتاب نفسه . وبما ان الكواكبي كان يجهل اللغة الايطالية ، اذن

لم تبق هناك من وسيلة تفسر اطلاعه على الكتاب سوى وصول الترجمة التركية الى يديه .

ويرى كتاب آخرون ان الكواكبي قد تأثر في كتابه بالكتاب الفرنسيين الذين مهدوا للثورة الفرنسية . يقـول ابراهيم سليم النجار :

« سبق لى أن قرأت فى شبابى كتاب (الكونترا ــ سوسيال) أى العقد الاجتماعى لجان جاك روسو، ثم انقطعت عن الرجوع اليه ، فلما قرأت كتاب « طبائع الاستبداد » أعاد الى ذاكرتى كتاب الكاتب الافرنسى العظيم. ولو كان الشيخ العربى ، يعرف ولو قليلا ، اللغة الفرنسية لاعتقدت انه أخذ عنه أو احتذى حذوه، ولكن الحقيقة أن العقول النيرة والقلوب الكبيرة نيرة وكبيرة مهما اختلفت لغاتها وبلادها وأقاليمها .. » .

والحقيقة ان اولئك الذين لاحظوا تأثر الكواكبي بكتاب الثورة الفرنسية مصيبون ، ولكن فاتهم ان هذا التأثر قد جاء عن طريق غير مباشر .فالكواكبي متأثر اولا واخيرا بالفيرى ، والفيرى متأثر الى حد كبير بروسو ، ومنتسكيو ، ومكيافيلى .

وليس التشابه موجودا بين الكتابين فقط ، بل بين الكاتبين ايضا : فبين الكواكبي والفيرى شبه كبير فى السيرة والمنزع وظروف الحياة ، فكلاهما تعود الرحلة فى طلب المعرفة باحوال الامم، وكلاهما اضطر الى الكتابة فى ظل الرقابة ،وكلاهما نزل مختارا او مضطرا عن ثروته . وزاد الفيرى فاسلم ما بقى له من الثروة الى اخته لتسلمه منها نفقته التى يحتاج اليها ، رغبة منه فى التفرغ للرحلة والكفاح والدعوة باللسان .

وفاته سر من الاسرار

وتختلف الروايات فى تفسير الاسباب التى ادت الى وفاة الكواكبي ، واكثر الروايات تكاد تجمع على انه ذهب ضحية الغدر والدسيسة بتدبير من جواسيس السلطان عبد الحميد الثانى، الذين دسوا له السم فى الطعام . كما ترى رواياتاخرى انه مات بالذبحة الصدرية .

وضريح الكواكبي بالقاهرة بباب الوزير ،وعلى صفحته الرمرية بيتان لحافظ ابراهيم هما :

هنـــا رجـل الدنيا ، هنا مهبط التقى
هنـا خـير مظلـوم ، هنـا خـير كاتب

قفـوا واقـرأوا أم الكتــاب وسلموا
عليــه ، فهذا القبــر قبر الكواكبي

★ ★ ★

واذا اردنا ان نوجز القول فى الكواكبي ، قلنا فيه ما قاله فيه الاستاذ العقاد :

« رجل دائم الشعور بعروبته ، شديد الغيرة على نسبته العربية .. تجرد لرسالته وتفرد بها فى بيئته ، لأن هذا الاستعداد الموروث منذ القدم يسانده استعداد خاص به من فطنته وخلقــه ومطالعته وبواعثه النفسية . فلا تكفيه الفطنة وحدها لان الفطنة لا تقدم ولا تؤخر ما لم تساعدها الخلائق التى تصبر على الشدة ، وتقدم على المخاوف ، وتضطلع بتكاليف النجدة والمروءة ،ولا تغنيه الفطنة والخلق بغير البواعث النفسية التى تثير الضمير وتستجيش الخاطر ، وبغير البيان الذى استفاده من دراسته واطلاعه وحسن اصغائه الى ذوى المعرفة والخبرة من صحبه ..

كان الرجل قضية حية متفقة المقدمــات والنتائج .

كان شخصية قويمةجلية لا موضع فيها لغموض أو التواء .

مفتاحها اذا التمسنا المفتاح لبعض زواياها أنها: شخصية عزيز قوم يغضب لكرامته وكرامة قومه ».

■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

التخطيط المشترك بين المعلم والتلميذ

تأليف لويز باريش وايفون داسكين ـ ترجمة عنايات عبد العزيز فريد ـ مكتبة الانجلو بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٢٥ قرشا .

● **الكتاب عبارة عن حصيلة اسئلة اثارها المعلمون فى مشاكل كلية وفرعية تتعلق بمنهج التربية والتعليم بالقياس الى وسائله وغاياته . كما بينت المؤلفتان شان المعلم فى تخطيط التعليم وعمل المنهج ، وعمدتا الى ابراز مواقف عملية محددة فى هذا المجال ، وبينتا طرق معالجتها فى حدود الامكانيات الموجودة فى البيئات المختلفة . والكتاب خير معين للمعلمين وقادة الشباب فى العالم العربى .**

النافذة المغلقة

تأليف يوسف جاد الحق الثمن ٢٠٠ قرش سورى

● **مجموعة من القصص الشيقة قدمت اشخاصها وحوادثها بطريقة فنية جذابة مما يجعل القارئ يندمج فى جو القصة وينساب خاطره فى صورها وحوارها .**

هندسة اللحام

تأليف : بوتيفاس ا . روسى ترجمة الدكتور انور محمود عبد الواحد
دار النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة بالقاهرة الثمن ١١٥ قرشا

● **هذا الكتاب ينقل المعلومات الفنية بترتيب وتبويب ينمان عن ذوق فني رفيع وتفهم عميق للمادة فخرج الكتاب سهلا سلسا يدعو قارئه الى التوفر على استيعاب ما فيه من مادة دون ملل او سأم .**

الشئون المنزلية للناشئات

تأليف : ايفيلين جونز و هيلين برنهام ـ ترجمة اسعاد جودة . مكتبة النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٩٠ قرشا .

● **يعالج هذا الكتاب مجالات الاقتصاد المنزلى بصورتها الحديثة معالجة شائقة . ويتناول بالشرح البرامج الأساسية لاعداد الفتيات وتدريبهن فى الاقتصاد المنزلي . كما يعتبر الكتاب الأول من نوعه فى المكتبة العربية اذ يعرض كل مجالات الاقتصاد المنزلى .**

روائع الشعر الفارسى

ترجمة محمد الفراتى .
وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق

● **مختارات مترجمة لجلال الدين الرومى ، وسعدى الشيرازى ، وحافظ الشيرازى .**

العمليات الجماعية فى المدارس الابتدائية والثانوية

تأليف لويس م . سميث ـ ترجمة الدكتور ابراهيم خليل شهاب ـ دار القلم بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٨ قروش

● **استخلص مؤلف هذا الكتاب البحوث التى اجريت لتدريس العمليات الجماعية فى المدارس الابتدائية والثانوية وقدم البنود التى يرتجى ان تكون ذات عون اكبر لمعلمى الفصول .**

تلخيص مجمع الآداب فى معجم الالقاب

لابن الفوطى . تحقيق الدكتور مصطفى جواد
وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق

● **هذا هو الجزء الرابع من القسم الثانى من الكتاب ، وهو يبدأ بحرف العين وينتهى بحرف الغين .** ■■



خير الصدقات ..

عن « التيمز » الهندية :

● كثير من الجمعيات الخيرية تقوم باعطاء الفقراء والعجزة الطعام والثياب وشتى الحاجات عونا لهم على الحياة .

ولكن من الجمعيات ما يقوم باسداء الفقراء والعجزة التأهيل الذى يجعلهم صالحين لكسب رزقهم بانفسهم ، بالتدريب احيانا ، وبخلق الفرص ، وبشتى السبل التى تتفتح امام هذه الجمعيات نتيجة للخبرة الواسعة .

ان طريقة المعونة ، هذه الثانية ، لا شك اصعب الطريقتين ، ولكنها الافضل عند الفقراء والعجزة.

والسبب فى ذلك الكرامة الاصيلة فى الانسان ، يانف ان ياكل من يد الغير ، ولو مضطرا ، ويفضل الف مرة أن يكون قادرا على العمل ، صالحا له ، مدربا عليه ، ياكل مما تكسب يداه.

والمثل يقول : اعط الرجل الجائع سمكة ، ياكلها يشبع جوع يوم ، ولكن اعطه عصا وسنارة ، وعلمه كيف يصطاد السمك ، يظل ياكل ويشبع كل يوم .

مالكولم اكس .. الشهيد الحر ..

عن نيو ستيتمان :

● كان لمصرع مالكولم اكس صدى كبير خارج أمريكا . أما فى أوروبا فهو لا يعدو ان يكون برهانا جديدا على عنف الحياة فى الولايات المتحدة والاضطراب الذى يكمن فى مجتمعها الكبير .. غير ان مصرع هذا الرجل المهذب ، الذى قتل والده على أيدى جماعة « كوكلاس كلان » ،سيكون له فى أفريقيا وآسيا أثر « خاص » .



مالكولم اكس

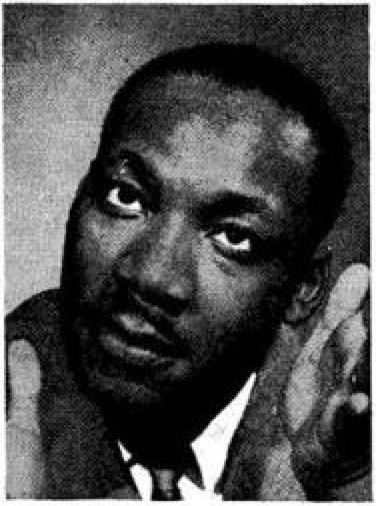
لقد سمعت من ـ جينيفر ديلكيس ـ التى تعمل فى صحيفة الطلبة فى مدرسة العلوم الاقتصادية فى لندن ان اكبر قاعات المدرسة اكتظت بالذين جاءوا للاستماع اليها ، فقد اصغى اليها مثقفو أفريقيا وآسيا وجزر الهند الغربية

هل تظل المانيا .. المتحدة.. تحت حكم جاراتها ؟

عن أكونوميست :

● يفترض الجنرال دى جول ، فى تصوره للاحداث القادمة، اعتقاد الروس بأن فصل أوروبا عن امريكا يستحق المغامرة من جانبهم بخسارة حكومة شيوعية فى المانيا الشرقية ومعها الفرق العشرون الموجودة هناك . لعل هذا الامر كان صحيحا بالنسبة اليهم فيما مضى، أما الآن .. فهل ما زال ذلك رأيهم ؟ اذا كان لدى المانيا من الثقة فى النفس ما يدفعها الى السعي للاتحاد من جديد، بغض النظر عن تأثير هذا على علاقتها مع امريكا ، فهل يتصور احد ان المانيا المتحدة ، التى ستصبح الدولة الثانية فى أوروبا الجديدة بعد روسيا ، سوف تقتنع بأن تظل تحت حماية جاراتها الاوروبيات ، وان تلعب دورا ثانويا بعد فرنسا التى امتلكت الذرة حديثا .. ؟

ان الروس كانوا دائما يميلون الى اعتبار بون ، لا باريس ، مركز الثقل بالنسبة للسوق المشتركة ، واعادة الوحدة الالمانية لن تجعلهم يغيرون افكارهم . ولذا فمن الجائز ان الروس قد يفضلون وجود امريكا فى اوروبا ، على ان يطلقوا مارد دولة اوروبية جديدة ذات قوة عظيمة على الراين ..



مارتن لوثركنج

العنف بصورة ايجابية ، بل كان يقول : « اننا لسنا مع العنف بأى شكل من الاشكال ، غير اننا مدينون لانسانيتنا بالدفاع عن انفسنا » .

لقد كان يريد وضع حد لهذا الاسلوب الجنوني فى ارسال اناس غير مسلحين الى المسيسيبي حيث الاضطهاد العنصرى . فقال : « يجب ان نرسل اليهم من يعرف كيف يحميهم » . وبين هذه الدعوة والحث على العنف فرق كبير ..

لقد اغتيل مالكولم اكس فى اللحظة التى كان موقفه يقترب اقترابا وثيقا متزايدا من موقف الدكتور لوثر كينج ، لقد كان الاثنان خليقين بأن يشكلا معا قوة لا تقهر .

بحماسة متزايدة، وخرجوا وهم يقولون : « هذا ما نؤمن به » غير أن ما يؤمنون به ، وما قاله مالكولم اكس يومئذ ، كان شيئا مختلفا عن اسلوبه المعتاد فى عرض آرائه. انه لم يكن يؤمن بالانفصال وهو سياسة التفرقة بأمريكا ولم يكن يدعو الى

أنت تسأل

الأرواح.. والعفاريت لاتلبس الإنسان ولاتتزوجه!

الزار بدعة.. والتنبؤ بالغيب ضلالة..

● أنا سيدة مثقفة ، متزوجة ، أجتاز فى هذه الأيام مرحلة من مراحل الشك والحيرة ، تكاد تزلزل صرح سعادتي الزوجية ، وتزعزع عقيدتي وايماني ، فمنذ زمن غير بعيد جاء لزيارتنا بعض أقارب زوجي ، ومن بينهم رجل قالوا ان روحا تدعى (تاج الملوك) تتقمصه ، فتنبىء عن المستقبل ، فلما انكرت ذلك منهم قام بعضهم باغلاق الأبواب والنوافذ ، بينما اطلق آخرون بعض البخور ، وجاءوا بمصحف وسبحة ، ثم نثروا فى أركان الغرفة بعض القهوة السادة، واذا بصاحبنا يتشنج وتتصلب اطرافه ، واذا هو يتحدث بصوت نسائي ، فيحيينا ثم يسألنا عما نريد ، فانهالت عليه الأسئلة وهو يجيب عنها جميعا ، ويخبر عن أشياء حدثت فى الماضي ، واخرى قال انها ستحدث فى المستقبل ، وكأنه يقرأ فى كتاب مفتوح ..

وانقضت السهرة دون أن اعلق كبير اهمية على ما حدث ، الى أن مرضت احدى قريباتي فذهبت لأعودها ، وما كان أشد دهشتي عندما رأيت حولها معظم سيدات الأسرة ، والى جوارها احدى « شيخات الزار » وقد اطلقت البخور وراحت تدق على الدف وتهمهم بكلمات غير مفهومة فاذا بالمريضة تتشنج وترغى وتزبد،

اتقو الله أيها الآباء واعدلوا بين أولادكم

● نحن ثلاث أخوات ، توفيت أمنا منذ سنوات ، وأبونا شيخ كبير لكنه غني . وبعد فترة غير قصيرة من وفاة أمنا تزوج والدنا بفتاة فى عمر صغرانا . وهى فتاة لعوب استطاعت أن تملك عليه لبه ، فأصبح وكأنه دمية فى يديها .. وبعد عام من زواجهما وضعت طفلا ذكرا مع أن أبانا جاوز السبعين .. فما كان منها الا أن ظلت تلعب بعقله حتى حملته على أن يكتب على نفسه كمبيالة باسمها بمبلغ ١٠٠٫٠٠٠ دينار ، ثم عادت تطالبه بأن يحرر باسم ابنها الطفل عقدا ببيع ما يقرب من ثلث أملاكه ، ولما فاتحناه فى ذلك ثار فى وجوهنا وقال انه حر فيما يملك ، فلما شكوناه الى أقربائنا زادت ثورته وطردنا من بيته وهددنا بأن يحرمنا من ميراثه وقال انه سيكتب كل ثروته



يشرف على هذا الباب

عبد الوارث كبير

ونحن نجيب

وتحضير الأرواح تخيلات

وأخيرا تكلمت بصوت كصوت الرجال ، وبلهجة مغربية فتقول ان روح الشيخ احمد المغربي هى التى تتكلم ، وان الشيخ قد عشق قريبتي تلك مع انها زوجة وأم لثلاثة اطفال !

واخذت « شيخة الزار » تسأل « الشيخ المغربي » وهو يجيبها من أشياء يزعم انها ستحدث فى المستقبل . فلما سألته كيف يعرف المستقبل وهو غيب ، قال « ان كل ما يحدث لنا مكتوب على اكتافنا ، وانه يقرأ هذا المكتوب من طريق الاثر » ، وهو اى شيء يحمل عرقنا أو رائحتنا كمنديل أو غيره . فسألته سؤالا اجاب عنه بما يزعزع كيان حياتي الزوجية والنهار معه كل آمالي وأحلامي ، حتى لقد بدات احس بفتور نحو زوجي نتيجة لنبوءة الشيخ المغربي !

والمشكلة التى تحيرني ، بل تكاد تفقدني صوابي هي : كيف يمكن أن تتقمص أرواح الموتى أو الجان اجساد الأحياء ؟ وما هي حقيقة هذه الأرواح أو «الأسياد» كما يسميها العامة ؟ وهل هي حقا تعلم ما يحدث فى المستقبل مع أن المستقبل غيب ، والغيب لا يعلمه الا الله ؟ واخيرا هل صحيح أن كل ما يصيبنا مكتوب على اكتافنا ؟ واذا كان ذلك صحيحا ، فما هو لزوم الجنة والنار ، والثواب والعقاب ؟

بربكم انقذوني من حيرتي فاني أكاد اجن . وافقد ايماني ، وذلك ما لا اريده بحال !!

سميرة عمار : المعصرة

ــ ليس غريبا ان ينساق بعضنا وراء ما يزعمه المشعوذون من ان الجن يلبس جسم الانسان ، وأن لهم قدرة على اخراجه ، أو استخدامه فى اظهار الغيب والتنبؤ بالمستقبل وعلاج ما استعصى من الأمراض، او ان يصدقوا امكان الاتصال الجنسي بين الانس والجن ، ما دمنا نجد بين العلماء ورجال الدين اماما فاضلا كابن تيمية يقول عن الجن « ان من الناس من رآهم ، ومنهم من كلمهم ،

البقية على صفحة ١٥٠

لابنه الطفل لانه هو الذى سيخلد اسم العائلة ، اما نحن فخير لنا ان نموت !

اشيروا علينا بربكم ماذا نصنع لايقاف سيطرة هذه المرأة اللعوب على عقل والدنا ، وكيف نحول دون استجابته لما تريد .

المعذبات : س ، ن ، ص

ان تفرقة الآباء والأمهات بين البنين والبنات لم يعد لها مكان فى هذا العصر الذى تقف فيه المرأة مع الرجل على قدم المساواة وتشاركه فى حمل أعباء الحياة مشاركة فعالة ، فى الريف والحضر ، فى السلم والحرب ، ولم تعد ذلك العضو الأشل فى الأسرة ، لا يأبه بها احد ، ولا تملك من امر نفسها قليلا ولا كثيرا ...

وهذه التفرقة انحراف من الآباء والأمهات تغرس الحقد والضغينة والعداوة والبغضاء بين الأسر ، عداوة لا تقتصر على الاخوة والاخوات بل تمتد الى ذرياتهم من بعدهم . ولذا نهى عنها الاسلام منعا لايغار الصدور واشاعة الفاحشة ، لان البنت

التي تحرم من عطف والديها قد تضطر الى التفريط في عرضها كي تعيش !

عن النعمان بن بشير ان والده منحه بعض ماله فقالت له زوجته عمرة بنت رواحة « لا أرضى بهذه العطية حتى تشهد عليها رسول الله » فانطلق بشير الى النبي (ص) واخبره بما كان من عطيته ليشهد عليها ، فيسأله النبي : « أله اخوة ؟ » فيقول بشير « نعم » فيقول الرسول « اكلهم اعطيت مثل ما اعطيته ؟ » فيقول « لا » ، فينكر عليه الرسول تفضيله النعمان على بقية اخوته ، ويمتنع عن الشهادة على عطيته قائلا : « لا تشهدني على جور ، انه عمل غير صالح » ثم يزيد « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » ويمضي عليه الصلاة والسلام قائلا : « ان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم » ، الى آخر الرواية المأثورة ...

وما من شك ان البنت احق بهذا العدل الذى امر به الله ورسوله ، لانها انثى ضعيفة، خصوصا اذا لم تكن قد نالت من التعليم قسطا يؤهلها لأن تقف الى جانب اخيها في معركة الحياة على قدم المساواة ...

فلعل هذا الاب القاسي يعدل عن هذه المعاملة الجاهلية لبناته ، ولعله يتقي الله فيهن ، والا فليبشر بعذاب لا قبل له به يوم لا ينفعه مال ولا بنون ...

مدام پومپادور

● قرأت في احد كتب التاريخ أن مدام دي پومپادور كانت سببا في حرب السنوات السبع في أوروبا .. فمن هي ؟ وفي أي عصر عاشت ؟

عبد الامير محمد جعفر : البحرين

ـ هي الماركيزة انطوانيت بواسون دي پومپادور، ولدت في باريس عام ١٧٢١ ، وكانت محظية الملك لويس الخامس عشر ، وكانت تتمتع بنفوذ كبير على الملك وعلى الحكومة ، وكانت احد الاسباب الرئيسية التي ورطت فرنسا في حرب السنوات السبع التي انتهت بتوقيع وثيقتي فرساي الشهيرتين عام ١٧٥٦ ، ١٧٥٩ ، كما ارتبطت بمعاهدة مع النمسا .

من المجرم : الزوج العجوز

● ترددت كثيرا في أن أكتب اليكم ، لكنني لم اعد احتمل ما أنا فيه من عذاب أكثر مما احتملت.. ان مشكلتي ليست من هذه المشاكل التي يسهل حلها . انها مشكلة لا خلاص لي منها الا بالموت .. أقصد بالانتحار !

ومن يدري ؟ فقد يصلكم كتابي هذا بعد ان اكون قد انهيت حياتي وأرحت نفسي ، وكفرت بذلك عن خطيئتي !

انا شابة في الثامنة عشرة ، من أسرة معروفة ، أنهيت دراستي الثانوية منذ عام ونصف العام . ثم منعني أبي عن ان أواصل دراستي في الجامعة ، وما لبث أن باعني الى صديق له قد أوفى على السبعين ، باسم الزواج ، لانه شيخ موفور الثراء !

وقد ذهبت جهودي لوقف هذا الزواج ادراج الرياح، فقد زففت رغم انفي الى البيت الزوجية الذى مالبث أن أصبح سجنا أو مستشفى منذ الشهر الأول من زواجنا . فقد أصيب زوجي بنوبة قلبية قال الاطباء انها نتيجة اقدامه على الزواج في هذه السن مع انه لم يكن في حالة صحية ملائمة ..

ولست أطيل عليكم . فقد وجدتني ملزمة بالسهر على تمريضه خصوصا وقد أمره الاطباء بالتزام الراحة التامة وعدم القيام بأية حركة عنيفة .. ولما أعياني السهر وساءت صحتي اضطررت للاستعانة بممرضة تقوم بخدمته ..

وذات يوم أبلغني نبأ قرب عودة ابنه الاصغر من المانيا حيث يدرس ليقضي اجازته الصيفية. ولا أكتمكم ان وصوله كان نقطة التحول في حياتي كلها !

فقد وجدت فيه فتى ظريفا ، قوي البنية ، لطيف المعشر ، لا يدخر وسعا في العمل على

أم الزوجة الشابة .. أم الابن الذى تعلم فى أوربا ؟ !

ارضائي وتسليتي ، حتى سألت نفسي : أما كان أولى به أن يكون هو زوجي بدلا من والده !

وسيطرت عليَّ هذه الفكرة بشكل جنوني ، وحاولت أن اطردها فلم أستطع .. فقد أحببته ، وصممت على أن أنال منه ما أريد ! ولم أكن فى حاجة الى شيء من الجهد .. فقد كان يساوره نفس الشعور ، حتى انني وجدت نفسي ذات مساء فى غرفة نومه ، والباب مغلق علينا والشيطان ثالثنا ، بينما أبوه فى سريره يغط فى نوم عميق !

وتكررت خلواتنا ونزهاتنا وأبوه غافل عن كل شيء ، بل هو على العكس مغتبط بما يراه من مظاهر صداقتنا ... البريئة !

وانتهت العطلة ، وعاد الى المانيا ، وهنا بدأت أحس باللوعة لفراقه ، بقدر ما تمثلت لى بشاعة جريمتنا،خصوصا وانى الآن حامل، ولا أدرى أى الاثنين والد طفلى : الاب .. ام الابن ؟!

انني أعاني من عذاب الضمير ما لا اظن أن فى الدنيا من قد عاناه من قبلي.. ولم أعد أجد ما أكفر به عن جريمتى الا ان انتحر .. وان كنت أعتقد ان الانتحار لا يكفى !

وانى أكتب اليكم هذه السطور لعلى أجد عندكم مخرجا من هذا الذى انا فيه .. فأنا لم أعد أعرف طعم النوم واصبحت أقضى اليوم كله وشطرا كبيرا من الليل اذرف دموع الندم ، وسأظل كذلك حتى أعرف رأيكم ، أو يقضي الله أمرا كان مفعولا !

خ .....

ــ أما انكما ــ أنت وهو ــ مجرمان ، فذلك أمر لا شك فيه . لكن جرمه افظع وابشع من أن يغتفر !

قد يكون لك أنت بعض العذر كشابة فى مقتبل الشباب يزوجها أهلها بشيخ فان فى عمر جدها كما تقولين .. لكن ذلك لا يخفف من ذنبك كامرأة لم تصن عرضها ، ولم ترع حقوق الزوجية ، حتى ولو كانت مكرهة ..

أما صاحبك فليس فى قواميس اللغة كلها ما يكفى لوصف جريمته التى يعف عن ارتكابها كثير من الحيوانات !

واذا كان عقاب الزانى الرجم حتى الموت ، فان عقابه هو ، وقد سطا على عرض أبيه ، الصلب والرجم والحرق ، وكل ما فى الدنيا من انواع العذاب ..

وأين كان ضميرك يوم سمحت لنفسك بان تدنسى شرف زوجك المريض وتجرى عليه الفضيحة والعار ؟ !

أما زوجك ، ذلك العجوز المتصابى ، فماذا اقول له ولأمثاله من الاشياخ الذين لا يحترمون شيخوختهم ؟!

ماذا اقول لرجل فى السبعين ، ومع ذلك لا يتورع عن أن يتزوج فتاة فى الثامنة عشرة ، اى فى سن احفاده ؟ افلا تكون المسكينة معذورة اذا ما زلت مع شاب مثلها لتلبى نداء الطبيعة !

ان رجلا فى هذه السن قد أصبح بشهادة الاطباء « غير ذى موضوع » ، فماذا تصنع زوجته وهى ترى نفسها زوجا لجثة هامدة ، بينما هى فى أوج شبابها وعز صباها ؟ !

لو ان لى من الأمر شيئا لأوقعت به من العقاب ضعف ما ينبغى أن يوقع على زوجته وابنه معا ليكون عبرة لأمثاله !

الافلام الخليعـة .. وأفـلام الجريمة

● ... انني أب لأولاد وبنات في سن المراهقة ،ولا أستطيع أن أحول بينهم وبين مشاهدة التلفزيون والأفلام السينمائية أو الاستماع الى الراديو ..والمشكلة هي أن أكثر الافلام التي تعرض على شاشة السينما أو التلفزيون هي اما من أفلام الحب والغرام أو المغامرات والاجرام ، كما أن معظم أغاني الاذاعة هي الاخرى من ذلك النوع الذي لا يدور حول شيء الا الحب والسهر والجوى والحرمان والهجر والوصال ، وهذه وتلك اما أن تخلق في نفوس المراهقين والمراهقات ميلا الى الانحراف والاجرام ، أو شعورا بالجوع الجنسي قبل الأوان !

والمشكلة كما قلت لكم هي انني لا أستطيع أن أمنعهم من ارتياد دور السينما ، أو السهر الى جوار التليفزيون لتتبع ما ينشر من أفلام ومسلسلات، لذا جئت استنجد بكم علكم تجدون لي وسيلة أصون بها عقولهم وأفكارهم من أن تتأثر بما يشهدون وما يسمعون .

الكويت — والد حائر

ـ أنا طبعا لا أستطيع أن اشير عليك بالتخلص من جهاز التلفزيون بعد أن غزت هذه الاجهزة كل بيت وكل مقهى ، وحتى المتاجر والاماكن العامة ،يلتف حولها الصغار والكبار على السواء ، ولا أن أنصح بمنع أولادك من ارتياد دور السينما أو الاستماع الى الراديو ، بعد أن أصبحت الاذاعة والتلفزيون والسينما تلعب في حياتنا دورا كبيرا ،باعتبارها من أدوات التوعية ونشر الثقافة ، الى جانب عنصر التسلية والترفيه ..

ولست أنكر عليك تخوفك من أن تكون هـذه الادوات النافعة وسيلة تفتح أذهان أولادك وبناتك في هذه السن الخطرة الى أشياء واشياء ، قد يكون وراءها شر مستطير .

فالأفلام العاطفية قد تعلّم الفتاة الساذجة كيف تهرب من بيت أهلها لتلحق بفتى أحلامها ، الذي كثيرا ما يكون مجرَّد ذئب بشريّ يغرِّر بها ثم يتنكّر لها ويجرُّ عليها وعلى أسرتها الفضيحة والعار ...

وهي كذلك تعلّم الفتى المراهق كيف يسرق مال والده ، أو حلى أمه ، كي ينفق على عشيقته من بنات الهوى وبائعات الجسد ..

وتعلّم الخادمة كيف تسطو على مجوهرات سيدتها أو مدخرات مخدومها ، لتتزوج بالسائق أو الكواء أو صبي الجزار الذي تهواه ...

الزار بدعة

بقية المنشور على صفحة ١٤٧

ومنهم من يامرهم ، ويتصرف فيهم » ثم يؤكد هذا بقوله : « ولو انني ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب ، وكذلك ما جرى لغيرنا » .

وليس الامام ابن تيمية هو وحده الذي يقول هذا الكلام . فان من الفقهاء من تحدثوا عن صحة التزوج بالجن ، ووجوب الغسل بعد المخالطة الجنسية، وغير ذلك من الخرافات التي نجدها في بعض كتب الفقه ، وكأنها حقائق مسلم بها ، وقضايا لا تحتاج الى دليل!

واذا لم يكن غريبا أن نرى بعض علماء عصرنا الحاضر ، ومنهم أساتذة في الجامعات وأطباء معروفون ، يعتقدون بامكان تحضير الأرواح ، بل ويمارسون هذا التحضير في جلسات دورية، ومنهم من يزعم تسخير هذه الارواح في علاج بعض الأمراض المستعصية واجراء العمليات الجراحية ، فلماذا ننكر على الدهماء والعوام، أن ينساقوا وراء المشعوذين والدجالين ، وهم لا يفعلون شيئا ينكره الفقهاء والعلماء وأساتذة الجامعات ؟ !

والمغامرات سلاح ذو حدين .. فاتقوه!

اما افلام المغامرات فانها وان كانت تعرض بعض صور الاقدام والجراة وعدم الخوف ، الا انها فى الاغلب الأعم تعلّم الكثيرين ممن يشاهدونها من الكبار والصغار كيف يستخدمون هذه البطولات الزائفة، لا فى تحقيق المثل الانسانية العليا ، وانما فى اعمال السطو على الاعراض او الاموال ، وكيف يطلقون الرصاص ويطعنون بالخناجر ، ويدسّون السم ،ويتسلقون المواسير ويقتحمون البيوت من النوافذ والشرفات .. بل وكيف يتنكرون فى ثياب السيدات او المتسوّلين أو عمال التليفون والكهرباء ورجال المطافىء والاسعاف ، كى يرتكبوا جرائمهم فى غفلة من الرقباء !

صحيح ان معظم الافلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية التى من هذا القبيل كثيرا ما تنتهي بانتصار الحق على الباطل ، والفضيلة على الرذيلة ، حيث يلقى المجرم جزاء اجرامه ، والمنحرف عاقبة انحرافه ، ولكن بعد صراع عنيف بين الخير والشر ، يرى المشاهدون من خلاله من اساليب التفنّن فى الاجرام ما يرون ، وما ينطبع فى اذهان الكثيرين منهم، وخاصة المراهقين والشبان مما ييسر انحرافهم ويدفع بهم الى حلبة الاجرام وهم لا يشعرون .

اما الاغاني العاطفية التى تسمعها فى الاذاعة فهى رغم ما فيها من ميوعة وطراوة تشيع الضعف والاستسلام ، الا انها فى رأيي أقل خطرا من افلام السينما والتلفزيون التى تقدم للشبيبة الغضة ـ بل وللكبار احيانا ـ دروسا عملية فى الاجرام وفى الانحراف !

ولست انت الذى احسست بهذا الخطر وحدك.. فقد توجهت منظمة الصحة العالمية احدى مؤسسات الامم المتحدة الى مختلف الحكومات والدول برجاء تهيب بها فيه ان تعمل على تشديد الرقابة على افلام السينما والتلفزيون ، وخاصة ما هو متصل منها بالجريمة والمغامرة ، حرصا على الصحة العقلية للشباب .

والذى اعلمه ان دولة الكويت كانت فى طليعة الدول التى استجابت لهذه الدعوة، وان المسؤولين عن شؤون التلفزيون والسينما فيها منعوا ولايزالون يمنعون عرض الافلام والمسلسلات التى تثير مخاوفك ومخاوف الصحة العالمية ، وتجعل من السينما والتلفزيون اداتي افساد واقلاق ، لا اداتي توعية وثقافة واصلاح .

فلتطمئن .. ولتهدأ بالا ...

الحق انها ظاهرة تدعو الى الكثير من الأسف !

فاذا كانت هذه الأرواح التى يحضرونها او التى تلبس بعض الاشخاص أرواحا انسية فكل زعم عن امكان تحضير الأرواح وعن حريتها فى التنقل والاستجابة الى من يدعوها من الأحياء، وبالتالى تسخيرها فى شفاء الأمراض ، واجراء الجراحات والانباء بالغيب المجهول ، كل ذلك لم يدل عليه حس موثوق به أو تجربة صادقة، بل هو كما قال الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت « لا يخرج عن مظاهر خداع والهاء بالخيالات لا يلبث أن ينكشف امره ، فنحن فى حل من رفضه الى أن يقوم الدليل على صدقه » .

واما ان كانت هذه الأرواح أو « الأسياد » بلغة العوام ، من الجن ، فلماذا تقتصر صلاتهم بالانس علينا نحن العرب ، المسلمين ، دون غيرنا من الناس ؟ ! فما سمعنا قبل اليوم ان اجنبيا تزوج جنية ، او ان اجنبية اصابها مس أو ركبها عفريت ، فلجأت الى « الزار » !

والجن لا يعلمون الغيب .. اقرا قولهم فى سورة الجن : « وانا لا ندرى أشر اريد بمن فى الأرض ام اراد بهم ربهم رشدا » . ثم ما

« لا يمسه الا المطهرون »

● اني أجيد اللغة الانجليزية وقد تعرفت ببعض المدرسين الانجليز الذين يعملون في المدارس السعودية . وقد فوجئت ذات يوم بأحدهم وهو يحمل مصحفا شريفا ويطلب مني ترجمة بعض سوره وآياته . ولما كنت اعرف ان هذا المدرس ليس مسلما ، وبالتالي لم يكن طاهرا اذ أن غير المسلمين لا يتطهرون كما نتطهر حتى يجوز لهم مس القرآن أو حمله ، فقد جئت أسألكم حكم الشرع في حمل غير المسلم للقرآن أو قراءته مع أن الله تعالى قال : « انه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون ، لا يمسهالا المطهرون »

جدة : عمر محمد عمودي

ـ انزل الله القرآن للناس كافة ، « ان هو الا ذكر للعالمين » « وما هو الا ذكر للعالمين »، وهذا يقتضي ان يبلغ القرآن الناس جميعا ويدركوا تاويله ويفقهوا معانيه .. ويقتضي في الوقت نفسه ان يقوم المسلمون بتبليغه الى من عداهم من الأمم ، والا فان من لم يبلغه القرآن سواء بلفظه أو بمعانيه او لم يبلغه ويفهمه من غير العرب ، هو ـ في رأى بعض الفقهاء ـ غير معاقب ولا مسؤول ...

وكيف يكون مسؤولا اذا كان لا يقرأ القرآن ولا يفهمه،بل ولا يسمح له بحمله او بمسه؟

من هنا ذهب معظم المفسرين الى ان « لا » في قوله تعالى « لا يمسه الاالمطهرون » نافية وليست ناهية ، وان « الكتاب المكنون » هو «اللوح المحفوظ » فهو الذى لا يمسه الا المطهرون ، وهم الملائكة ، لا من تطهر من البشر ، والا لقال « لا يمسه الا المتطهرون » .

ومن هنا ايضا يذهب بعض المفسرين والفقهاء بجواز مس المصحف للكافر بغير قيد ولا شرط ، وللمسلم بغير طهارة ، اذا لم يكن المقصود من ذلك اهانة المصحف أو الزراية به . (كتاب الفرقان للاستاذ محمد محمد عبد اللطيف « ابن الخطيب ») .

ورد في القرآن في حق جن سليمان : « فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » ، فضلا عن قوله تعالى ذكره « عالم الغيب فلا يطلع على غيبه أحدا ، الا من ارتضى من رسول » !

اما الاخبار عن الماضي فليس غيبا ، وانما هو مجرد قراءة افكار ..

وأما ظهور الجن للانسان وتكليمهم اياه على نحو ما يقول الامام ابن تيمية ، أو دخولهم في جسمه واستيلاؤهم على حواسه ، وامكان التزاوج بينهم وبين بني ادم ، فمحض اوهام، بدليل قوله تعالى عن الشيطان : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » وقول الرسول عليه الصلاة والسلام « اللهم انك سلطت علينا عدوا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم»... واذا قال الله وقال الرسول وجب أن يسكت الفقهاء ...

فاطمئني يا سيدتي ، واطردي عنك هذه الأوهام والخزعبلات ، ولا تدعي الشك يسيطر عليك ، فيحطم صرح سعادتك الزوجية ، ويزعزع ايمانك وعقيدتك .. وثقافتك أيضا !

اما سؤالك عن «المكتوب» ، والجنة والنار، والثواب والعقاب ، فذلك شيء خارج عن موضوعنا ، فضلا عن أن الحديث فيه يطول ويطول ، حتى لينتهي العمر ولا ينتهي ..!

اِضْحَكْ تَضْحكْ الدنيا مَعكْ ... اِبْكِ تَبْكِ وَحْدكْ ..

رجـل متواضـع !

● استأجر خياط محلا فى شـارع يضم اكبر محلات الازياء ، واخذ احـد اصـدقائه ليريه المحـل . وبينما هماسائران استرعى انتباه الصديق لافتة على احـد المحلات كتب عليهـا :« احسـن خيـاط فى المدينـة » . وبعد مسافة قصيرة راى لافتة اخرى كتب عليها « احسن خياط فى العالم » . فسأل الصديق الخياط قائلا : وبمـاذاتريد ان تسمى محلك ؟ فقال الخياط : اريد ان اكتب عليه « احسن خياط فى هذا الشارع ! »

وجهة نظر ! !

● دق جـرس التليفـون فى مكتب الحانوتي ، وبادره المتكلم ، الذى كان يعرفه ، قائلا ..

ـ أرجو الحضور فورا لعمل اجراءات دفن زوجتي .

الحانوتى : زوجتك ؟.. الم ندفنها من سنتين ؟

الصديق : نعم ... وهـذه زوجتي الثانية التى تزوجتها منذ عام

الحانوتي : الف مبروك ... سأحضر فورا !!



الشحاذ بلهفة : بلغ اعطر تحياتي لكبير الطهاة ..

نظرية النسبية ؟!

● التقى اثنان فى مطعم ، فقال احدهما :

ـ انى اتناول غذائى هنا باستمرار ، لأن زوجتى تأبى ان تطهو الطعام بنفسها .

فقال الآخر : « وانا اتناول غذائى هنا باستمرار كذلك ، لان زوجتى .. تصر على ان تطهو اكلنا بنفسها » !

ساعات
فافر - لوبا

فخر الصناعة السويسرية



ترضي
جميع
الأذواق

تعمل في كل الأجواء

نسائي
ورجالي

الوكلاء العامون :

FAVRE-LEUBA GENEVE

العراق :
عبد الجبار لطيف الساعاتي
شارع الرشيد - بغداد

البحرين :
يوسف أحمد الساعي وشركاه
شارع باريت - ص. ب ٢١٨

الكويت
محمد عبدالله الشهاب
شارع عبدالله السالم (الجديد سابقا)
ص.ب ٢٣٨ - تلفون ٣٢٣٢٢
فرع : شارع فهد السالم - تلفون ٣٥٣٤١

حضارات سادت .. ثم بادت

(بقية المنشور على صفحة ٢)

وهذه الصورة تمثل احدى ولائم الفيلسوف الاغريقي سقراط، الذي ظهر امام ملتقى الجدارين، في حوالي منتصف الصورة ـ وهو يصفق استحسانا وطربا ـ وبالقرب منه « افلاطون » و « كسينوفون » .

كان من عادات أهل أثينا في الولائم أن يخلعوا نعالهم ويجلسوا على حشيات على الأرض ـ على عادتنا الشرقية الاصيلة ـ فتقدم اليهم أوعية « طسوت » يغسلون فيها أيديهم بينما يصب الماء صبي من العبيد . وكان الطعام يمد على موائد قصيرة توزع امام الجالسين ، موازية لثلاثةجدران من الحجرة. اما بقية الحجرة فكانت تترك ليتنقل خلالها الخدم ، ولتقدم فيها الوان التسلية والطرب .

وكانت الاطعمة ـ في مجموعها ـ بسيطة: لحوم، وأسماك ، وخبز ، وخضر نيئة ، وبصل وثوم على عادة بعض أهل الشرق الأوسط حتى يومنا هذا . ثم تختتم الوجبات بأنواع الجبن والفواكه والفطائر .

فاذا انتهى الطعام ، بدأ الشطر الثاني من السهرة .. فكانت أكاليل الزهور توزع على الحضور ، وتوضع « المزات » على الموائد بجانب كؤوس الشراب . حتى اذا أدير الشراب ، بدأ القوم بنخب آلهة جبل « أوليمب » ، ثم نخب الأبطال ، فنخب الاله « زيوس سوتر » .

والصورة التي على الصفحة الثانية تمثل مأدبة للفيلسوف سقراط ، وقد ظهرت في مقدمتها سيوف اقيمت على الأرض وسنانها مشهرة في الهواء ، وفتاة راقصة تثب من فوقها وقد اعتمدت على يديها ■■

في جميع أرجاء العالم...
كرافن كنج ساين فلتر



التوازن المثالي بين الفلتر والتبغ لإعطاء نكهة ألطف وأنقى

مصنوعة في انجلترا


Signal
خطوط
سيجنال
هي خير وَسيلة
لضمان نفَس
زكيّ الرائحة
إن سيجنال يختلف عن غيره
من معاجين الأسنان وهو
أجود منها بكثير..
له خطوط حمراء تحتوي على
الهيكساكلوروفين، المطهر المعروف
في جميع أنحاء العالم.. إن خطوط
سيجنال هذه تجعل فمك كله
نقيًا.. إن خطوط سيجنال تجعل
نفسك زكي الرائحة وأسنانك
ناصعة البياض..
سيجنال
يجعَل نفَسك زكيّ الرائحة
وأسنانك ناصعَة البيَاض
X-SIG 32/AR-6238

التجديد اللغوى ودور السليقة فيه

● فى العدد الرابع والسبعين من مجلة «العربي» الغراء ، مقال للأستاذ أنيس المقدسي ، يتصل بموضوع التجديد اللغوى ودور السليقة فيه ، يذكر فيه الكاتب أن « ما ينشأ فى داخل اللغة من ألفاظ استحدثت لأغراض ومعان جديدة » هو أحد عاملين رئيسيين ، يحدث النمو فى اللغة بتأثيرهما. وقد لاحظت أنه فى الحديث عن التجديد اللغوى كان يناقض نفسه ، فهو اذ يذكر (صفحة ٤٥ العمود الثاني) أن « أول ما نقوله ان التجديد لا يراد منه الخروج عن قواعد اللغة المقررة فى علوم الصرف والنحو والبيان ، فالخروج عنها خطأ لا جدال فيه » ، نجده يورد أمثلة (صفحة ٤٦ العمود الثاني) عما تدعو اليه السليقة من مثل الوحدوي والثوروى بدلاً من الوحدى والثورى الذى تقول به القاعدة ، والدعاية بدل الدعاوة ، وساهم بدل أسهم ، والمظاهرات عوضاً

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....
....

العنوان : ....
....
....

عن التظاهرات،وتقييم الأشياء لا تقويمها ...الخ.

وهو فى هذه الأمثلة ، فضلاً عن خروجها على القاعدة النحوية التى تقرر قبل قليل أن التجديد لا يتعارض معها بل يتسق واياها ، لا يأتى بمبررات مقبولة تسوغ اهمال الاصل واستبداله بهذه الكلمات الشاذة على القاعدة اللغوية ، الا أنها شائعة . ففي التمييز بين الدعاية والدعاوة يقرر (أن الاولى افضل وهي ما تدعو اليه السليقة التى تميز المعاني) . وساهم (افضل من أسهم وسيكون لها النصر النهائي) والمظاهرات (ادلّ على المراد من التظاهرات ، لان السليقة ترى فيها المناصرة لأمرما) ، (وفى تقييم الأشياء لا تقويمها اشعار بمعنى القيمة) .

ولا مانع أن تختار السليقة واحدة من المفردات وتفضلها على الأخرى ، وبخاصة اذا كانت من حوشي الكلام وغريبه ، لا أن تخالف السليقة القاعدة اللغوية فتستعملها بحجة أن (هذا ما تدعو اليه السليقة) .

وكأني بالكاتب يصر على استعمال بعض الأخطاء الشائعة ، مع اعترافه أن اكثر كتب اللغة تخلو منها حين يذكر أن المأتم مثلاً ، معناه الشائع المناحة ، مع أنه فى الأصل يطلق على النساء يجتمعن فى الخير والشر .

وان تجنّب أى كاتب مثل هذه الأخطاء الشائعة فى التعبير ، لخروجها على قواعد اللغة لأنها مولدة ، مقياس حساس لتمكنه من اللغة وأصالته فيها .

أما عن السليقة فى انتخاب المترادفات الواردة أمثلة عليها فى (العمود الثاني من صفحة ٤٦) ، فهناك فرق بين ما ترجّحه السليقة من كلمة سهلة ، وبين ما نقلته قبل قليل من أمثلة عن كلمات ترجحها السليقة رغم خروجها على القاعدة. ■■

دمشق ــ عمر الأسعد

العربي

العدد ٧٨
محرم ١٣٨٥
مايو
(أيار) ١٩٦٥



اطلب

العربي الصغير

مع هذا العدد

جوائز

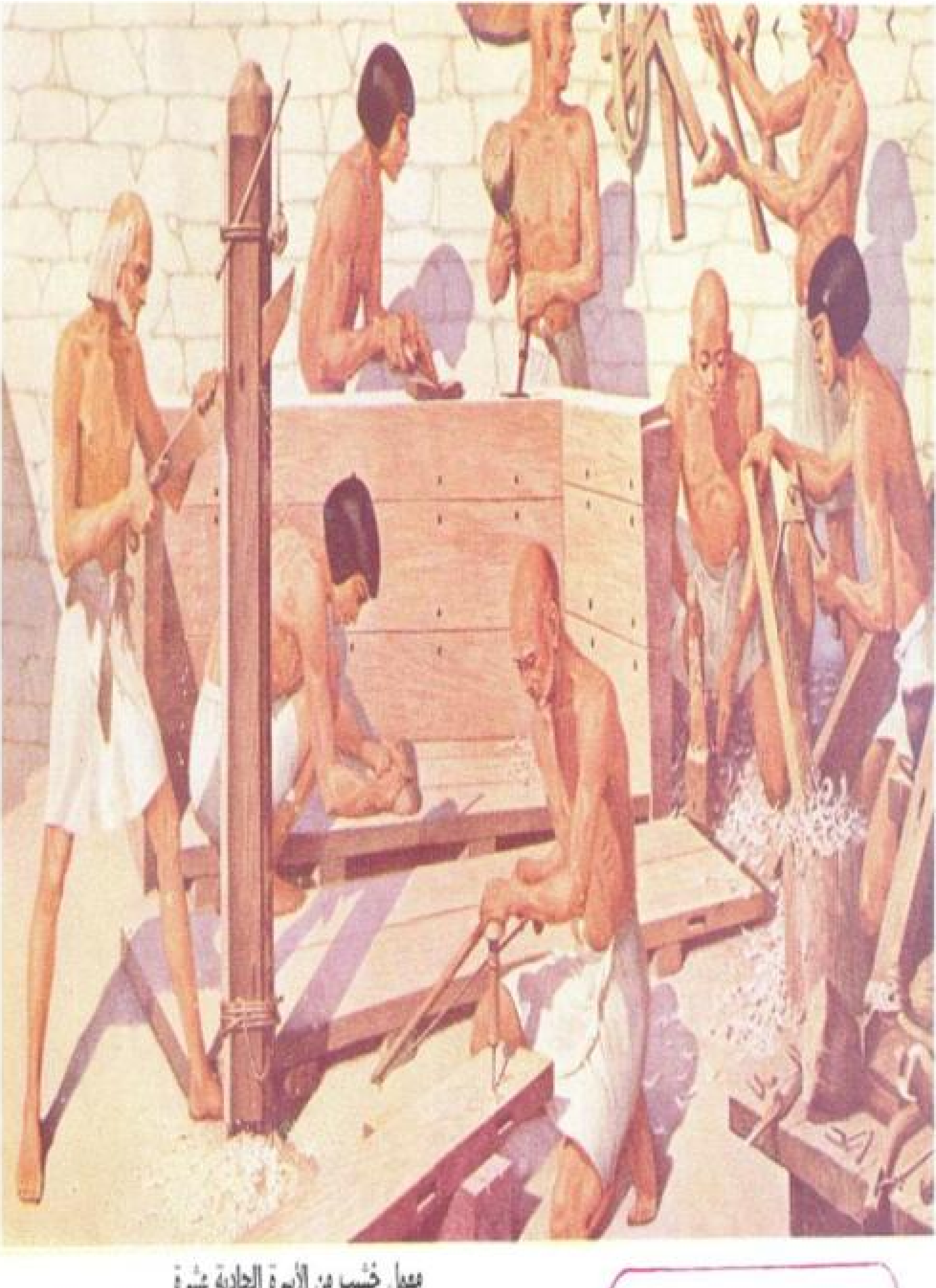
١٢٠٠

دينار سنويا

رية من قسنطينة

الثمن

ويت	١١٠	فلوس
ليج العربي	٢	روبية
سعودية	٢	ريال
ن	٣ر٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
يبيا	١٥	قرشا
نس	٢٠٠	مليم
جزائر	٢٠٠	مليم
غرب	٢	درهم



حضارات سادت .. ثم بادت

معمل خشب من الأسرة الحادية عشرة

■ هذه الصورة لورشة نجارة يرجع تاريخها الى الأسرة الحادية عشرة ، أي قبل الميلاد بحوالي ٢٠٠٠ عام ، وفيها تظهر نخبة من النجارين المهرة ، وقد انهمكوا في صنع احد التوابيت الخشبية

البقية على صفحة ١٢٢

حين يكون الصمت خيرًا من الكلام

عزيزى القارىء :

● يكون الصمت خيرا من الكلام :

عندما يحاول القائل القولَ فلا يجد الصالح الذى يقول.

حين تتعمَّى على الناظر السبُل وتتبهم الأمور .

وحين يريد أن ينطق بكلمة الحق ناطقها ، فيجدها ستزيد الفرقة ، وتحلُّ الرابطة ، وقد تجعل كل فريق يركب راسه .

إنَّ القدماء من الحكماء قالوا : انْ كان الكلام من فضة ، فالسكوت من ذهب .

واليوم السكوت من ذهب .

ومع السكوت الدعاءُ الى الله أن يجمع الشمل ، وينير البصر ، ومع البصر البصائر ، وأن يجعل هذا الجيل يدرك انه عابرُ سبيل ، وله فى الحياة حق ، ولكن للأجيال التى هو يصنعها حقوقٌ ، هو حاميها ، وهو مسؤولها ، وهو ، بما يهيىء لها ، يحقن أسباب الحياة أو اسباب الموت فيها .

وكلٌ من عليها فانٍ ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

طب وعلوم :

ركن الفضاء :

عروبة :

اسلاميات :

فلسفة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 78 May 1965 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربى»

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● اشتركت المرأة الجزائرية فى تحرير بلادها مع الرجل جنبا الى جنب .. واليوم تقف معه فى بناء الجزائر الحديثة ومجتمعها الجديد .. وتقوم الفتاة الجزائرية بالتدرب على كثير من الاعمال التى كان يقوم بها الفرنسيون والفرنسيات قبل الاستقلال ، لتاخذ مكانها فى الجهاد الاكبر .

(انظر استطلاع قسنطينة ص ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣٫٥ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٣٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



الاسلام دين الفطرة .. لا دين الجهل والخرافة

● اطلعت على ما كتبه الدكتور جمال الدين الشيال بالعدد ٧٥ من « العربى » عن « أبى العباس المرسى » فوجدت فيه ما لا يتفقوالصحيح من عقائد المسلمين . ولم أكن أعرف انه كتب من قبل عن « أبى الحسن الشاذلى » فى عددين متتاليين الا من الاشارة التى بهامش مقاله الأخير فرجعت اليهما فوجدت ما فيهما ادهى وأمر مما كتبه عن ابى العباس من دعاوى الصوفية المليئة بالبدع والمحدثات المخالفة للدين والعقل . وليس بخاف انه ما أضاع هيبة المسلمين بين الامم وجعلهم فى مؤخرة الناس الا استمساكهم وتعلقهم بهذه الأوهام وتلك الخزعبلات .

يقول الدكتور الشيال : « ان الشاذلى لما أخبر بأن القطب الغوث بالمغرب سافر اليه : « ..... وبعد رحلة طويلة قابل الشاذلي أستاذه القطب ، سيدى عبد السلام بن مشيش .... روى الشاذلي خبر هذه المقابلة فقال : « لما قدمت عليه وهو برباطه براس جبل ، اغتسلت وخرجت من علمى ، وطلعت اليه فقيرا ، واذا به هابط عليّ . فلما رآنى قال : مرحبا بعلي بن عبد الله ابن عبد الجبار ، وذكر نسبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا علي ، طلعت الينا فقيرا من علمك ؟ اخذت منا علمى الدنيا والآخرة ... » الخ .

واني اسال الدكتور صاحب المقال فاقول : كيف خرج الشاذلي من علمه ، وأصبح فقيرا ؟ وكيف علم ذلك ابن مشيش قبل أن يراه ، حتى يقول له : طلعت الينا فقيرا من علمك وعملك ؟ ومن أين علم ابن مشيش اسم الشاذلي ونسبه الى رسول الله قبل أن يراه كذلك ؟

فقرة فى اللغة .. وفهم خاطىء

● لفتنى صديق لي الى فقرة جاءت فى ختام كلمة عن اللغة العربية نشرت فى العدد ٧٣ من « العربي » ، هذا نصها :

« وكيف والقرآن والحديث ، والآثار الادبية جميعا ، من نثر ناثرين ، ونظم شعراء ومترسلين ، مذخرة للغة أي مدخرة ، ومفخرة للعرب أى مفخرة » .

وأراد صديقى أن يستنتج منها ان هذه الفقرة « اعتبرت القرآن الكريم الذى هو كلام الله من نثر ناثرين ونظم شعراء ومترسلين ، واعتبرت الرسول (ص) مدعيا ، وليس رسولا » . فما رأيكم فيما رأى صديقى هذا ..

« قارىء »

العربي : رأينا ان صديقك ليس فى عربيته بالضليع . اننا نقول : محمد وأحمد وعلي من خيار الناس . وهذه جملة بها ٣ مبتدآت وخبر واحد ، لو حللناها لكانت : محمد من خيار الناس . وأحمد من خيار الناس . وعلي من خيار الناس . والفقرة التى جاءت فى الكلمة عن اللغة العربية ذات ٣ مبتدآت كذلك ، هي القرآن ، والحديث ، والآثار الأدبية ، وخبر واحد ينصب عليها جميعا هو « انها مذخرة للغة ومفخرة للعرب » . فالقرآن مفخرة ، والحديث مفخرة ، والآثار الأدبية مفخرة . وأما عبارة « من نثر ناثرين ونظم شعراء ومترسلين » ، فانما هى بالبداهة تفسير للآثار الادبية وتفصيل .

والتلاميذ تدرس فى مدارسها ان مصادر اللغة العربية الأولى ثلاثة : الشعر الجاهلي ، والقرآن الكريم ، والحديث الشريف . فالقرآن عمدة دين

بل ـ وهذا هو الادهى والامر ـ من اين لابن مشيش ان يحيط بعلمي الدنيا والاخرة ؟ والله تعالى يخاطب البشر جميعا ـ بما فيهم الانبياء ـ فيقول (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ؟؟ واذا كان ابن مشيش والشاذلي قد احاطا بعلمي الدنيا والاخرة ، فاين علم الله تبارك وتعالى ؟؟ اليست الاحاطة بعلمي الدنيا والاخرة صفة من صفات الله عز وجل ؟ فكيف يدعيها بعض البشر، وتصدقها طائفة من المسلمين ، هم هؤلاء الصوفية؟

ان الله تبارك وتعالى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو افضل البشر على الاطلاق ـ (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ، ولا اعلم الغيب ، ولا اقول لكم اني مَلَك"). ويقول (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيبَ الاَّ الله). ويقول (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا) ورسول الله (ص) يقول : « من اتى كاهنا او عرافا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما اُنزل على محمد ».وهذا الذى ينقلونه عن ابن مشيش فاق ما يتخرص به الكهان والعرافون .

(البقية على صفحة ١٤٨)

المسلمين ، وعمدة لغة العرب كذلك . دين ولغة . واللغة من اعجازه .

فمن اين جاء صاحبك بهذه المعاني التى ذكر ؟ لعل لفظ الترسّل انبهم على صاحبك . فالترسل فى القاموس هو كتابة الرسالة الادبية، وانشاؤها. وقد امتدت الى كتابة الرسالة العلمية ، فالمعرى كتب « رسالة الغفران » . واخوان الصفا كتبوا « رسائل اخوان الصفا » . فالمعرى مترسل ، واخوان الصفا مترسلون . وكل مكتوب رسالة والرسالة فى القاموس هى « الصحيفة التى يكتب فيها الكلام المُرسَل » .

ان هذه الكلمة التى أوردتَ نشرت منذ اربعة اشهر ، وقراها نحو نصف مليون عربي مسلم ، ولم ياتنا عنها فهم كفهم صاحبك . وكيف لم يعصمه من هذا الفهم اننا مسلمون ؟وكيف سكت صاحبك عن هذا كل هذه الاشهر ، ثم بدا له ان يطالعنا به اليوم ؟

ابو العباس المرسى أيضا

● ... وقد جاء فى مقال الدكتور الشيال (ص ١٥٠) أن من تلاميذ سيدى أبى العباس المرسى ـ ابن الحاجب والشاطبى والقبارى ـ فاما ابن الحاجب فمن المستحيل أن يكون من تلاميذ أبى العباس ـ بل ولم يرد أنه تتلمذ على شيخه سيدى أبى الحسن الشادلى ـ (بالدال المهملة كما ضبطه شارح القاموس) فقد توفى ابن الحاجب سنة ٦٤٦ وهو فى الخامسة والثمانين ـ وكان مجىء أبى العباس صحبة شيخه أبى الحسن مصر سنة ٦٤٢ اى وابن الحاجب فوق الثمانين وفى درجة عالية من العلم والتقوى ـ ولا يعقل ان يكون لأبى العباس تلامذة مثل ابن الحاجب ولا يزال الشيخ الشادلى حيا لأنه توفى سنة ٦٥٦ اي بعد ابن الحاجب بعشر سنوات : واما الشاطبى والقبارى فقد كانا من اصحاب سيدى أبى الحسن الشادلى اى انهما من اخوة أبى العباس لا من تلامذته : ويلاحظ أن الشاطبى المذكور هنا هو محيى الدين بن سراقة الأنصارى الشاطبى من شيوخ دار الحديث بالكاملية بالقاهرة المتوفى سنة ٦٦٢ وهو غير كل من محمد بن سليمان الشاطبى الاسكندرى المتوفى سنة ٦٧٢ عن بضع وثمانين سنة وباسمه اليوم حي فى شرق الاسكندرية القديمة وفيه كليات عدة. وذكر الدكتور جمال الدين الشيال فى ص. ١٥ أن سيدى أبا العباس المرسى توفى فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٨٥ . ويلاحظ أن كلا من المقريزى فى (السلوك) وصاحب النجوم الزاهرة والسيوطى فى (حسن المحاضرة) ذكروا ان وفاته كانت سنة ٦٨٦ . والعجيب أن الاستاذ السندوبى ذكر فى ص ٤٩ من كتابه الذى الفه عن سيدى أبى العباس المرسى ومسجده الجامع بالاسكندرية والمطبوع بدار الكتب المصرية سنة ١٣٦٣ ان وفاة أبى العباس هى سنة ٦٨٦ عند المقريزى والسيوطى ولكنه يرجح سنة ٦٨٥ دون ان يذكر سبب هذا الترجيح ، وكنت اود لو ذكر الدكتور الشيال سبب اختياره سنة ٦٨٥ . والله يهدى للصواب واليه المرجع والمآب .

عبد السلام النجار
دسونس : ج ٠ ع ٠ م

يوم من آذار

يوم في تاريخ البشر مشهور مذكور

بقلم: رئيس التحرير

مقدمة

فى ان الانسان جسم وروح ، وان الارواح ، كالأجسام ، تجوع . ان الفكر الانسانى هبة الله ، ومع الفكر الفضول . انه بالفكر والفضول كشف الانسان فى الكون ما كشف . ان وحدة شاملة طاغية فى الكون ، رفع العلم عنها الغطاء ، انما هي وحدة من وحدة الله . ان اياما فى غزوات العلم مأثورة ، لا هي اليوم مذكورة ، ولا مشكورة ، هى اولى عند بنى الناس بالذكر من غزوات للانسان فى الارض ، يذكرها الناس كل الذكر ، وهى تافهة حقيرة . ان من ايام العلم المأثورة ، تلك الغزوة الأخيرة ، التى غزا فيها الانسان السماء ، غزوة الثامن عشر من آذار .

▪ سؤال كثيرا ما يخطر لي ، عندما افرغ ، واسكن فى ركن هادىء ، لا سيما فى جُنح ليل ، حين يتهيأ للفكر ، فكرى ، فكر الانسان ، أن ينطلق على سجيته ، فيعلو على مَشغلته بعمل اليوم ، وينسى ، ولو لبُرهات ، عَنَت الحياة ، ذلك العنت الذى يسببه الفرد للفرد ، والطائفة للطائفة ، والأمة للأمة .

كيف يملأ الناس زمانهم

هذا السؤال : كيف يملأ الناس زمانهم فوق هذه الأرض ؟

ان زمان الرجل منا ، وزمان المرأة ، فوق هذه الأرض ، زمانٌ محدود ، يبدأ بمهد ناعم من صنع الانسان ، وينتهي بمهاد خشن من صنع الطبيعة . انها عشر ، فعشر ، فعشر من السنين ،

أول انسان يخرج الى الفضاء، يسبح فيه، بين ارض وسماء



رجل الفضاء يخرج من سفينة الفضاء



رجل الفضاء يحتضن باب السفينة ليخرج رجليه



رجل الفضاء ينفصل عن السفينة

***

رجل الفضاء يسبح في الفضاء يربطه بسفينته حبل



فاذا بلغت سبعا من العشرات او ثمانيا ، اذن المؤذن بالرحيل ، وهو لا يتريث طويلا .

التخطيط للعيش

والناس قد تخطط ليومها .

والناس قد تخطط لسنتها .

ولكن قلَّ من الناس من يخطط لدهره .

وكأني بمشغلة العيش لا تأذن له بالتخطيط .

اني انظر الى القط والقطط حول بيتي ، والى الكلب والكلاب في الناحية النائية التي اسكن فيها ، والى سائر الحيوانات ، من مستأنس ومستوحش ، فاجد طلب اللقمة ، تؤخذ قسرا ، هي مشغلة الحياة الأولى عند هذه الحيوانات جميعا .

والانسان حيوان . وقد غلب عليه ، مشغلةً للحياة ، طلبُ الرزق مطلبا أول . فهو في هذا كسائر الحيوانات . موارد الحياة أولا . وتزداد الحياة قسوة ، فيملأ الرزق كل زمانه . واكثر الناس يموت ولم يكد يعرف من دنياه فوق ما عرف الحيوان ، الا القليل الأقل مما

كان يرجي بعد أن تميَّزَ بمثل ما تميز هو به من عقل ، وما اختصه به الله من فكر . عقلهُ وفكره كله اشتغل في تحصيل لقمات العيش ليومه ، والاحتفاظ بنصيب منها لغده ، فما بعد غده .

حتى لو تعلم الانسان . فعند أكثر الناس انه يتعلم ليعمل، ويعمل ليكسب، ويكسب ليقتات ، ويقتات ليصل الحياة اولا ، ثم ليترفه من بعد وصلها: ان أمكن ذلك .

وهذا شيء لا غبار عليه .

ودَرَج قوم على ان يسموا هذه مادية . واقول فلتكن . وما يَضير الانسان ، والجسم من مادة ، ان تكون مطالبه التي تحفظ عليه الحياة مادية : خبزٌ ، جبنٌ ، طعام . ومال مكسوب تشتَرى به كل هذه الحاجات .

والانسان عندما يخطط ، لا شك يخطط لحياته المادية اولا .

تسأل الشاب : انت يا فلان : ماذا تصنع من بعد مدرسة ؟

ويأتيك الجواب : اكون مهندسا. اكون محاميا ، طبيبا ، نجارا . خراطا . كل هذه تخطيطات حياة ، لكسب الرزق ، لشراء المادة ، من مأكل وملبس ومسكن. لوصل الحياة . ليس فيها بأس ابدا . بل طلبها فرض .

ولكن هل هذا كل التخطيط الذي يحتاجه المرء لحياة خصبة ، مشبعة ، يشبع بها الانسان مجاعاتٍ في النفس أخرى ، تميز بها الانسان عن سائر الحيوان ؟

الانسان جسم وروح

ان الانسان جسم وروح .

كلنا يحس بهما . ونحّ اقوال الفلاسفة جانبا .

وروح الانسان الذى اعنيه ليس تلك القوى الدافعة للقلب ، والمنجزة للهضم، التي تبنى كل يوم في جسم الانسان وتهدم. وتهدم وتبنى فيالجسم وصاحب الجسم لا يكاد يسيطر على شيء منها ، ولا يكاد يفهم من هدمها وبنائها الا قليلا.

أن هذه القوى التي تصنع الجسم ، وتفعل به ما تفعل ، هي لا شك بعض الروح . ولكنها ادنى طبقات الروح . وهيالشائعة الغالبة فيسائر الحيوانات.

الفكر ، بعض كفايات الروح

ولكن روح الانسان تضمنت كفايات اخرى ، لعل أولها الفكر ، ومع الفكر كل هذه الهبات التي تحوطه وتصنعه، من تصوُّر وتخيل ، والقدرة على كشف الأسباب وربطها بمسبباتها ، تلك التي نسميها بالمنطق .

وفِكْر الانسان ، الذى يمثل وجها من وجوه الروح ، كفاية ربانية ازدادت على القرون قوة . ولقد عمل الفكر الانساني في صنوف من المعارف شتى ، وأتي بالمحاصيل العظيمة الهائلة في كل صنف من علوم طبيعية ، وعلوم انسانية، هي ذخيرة عالمية كبرى .

ولكن اكبر من هذه الذخائر العلمية، العقولُ التي صنعتها . وتتوالى الاجيال فتزداد هذه العقول الانسانية حدة ، وتزداد قطعا ، وتزداد نفاذا .

ولكن الناس تنظر الى هذه العقول ، وما راكمت من ذخائر في المعرفة ، على انها جميعا محاصيل مادية . وهي لا شك لها نفعها المادى عند التطبيق ، ذلك الذى يحفظ الجسم ، وييسر الرزق ، ويسهِّل الحياة على ساكن هذه الارض. وما ضرها أن توصف بالمادية .

ولكنْ جانبها الروحي: هو في زعمى الأهم والأخطر .

العقل هبة الله . وهو شيء عظيم معجز ، يخفي اعجازَه انطواؤه . فالذى ينشره من بني الناس من بعد انطواء ، ويشحذه من بعد تثلم، ولو تثلما ظاهرا، انما يكشف عن هذه الهبة كشفا عظيما رائعا . وزعمي أن التعبد الى الله يكون بوسائل كثيرة، ومن هذه الوسائل كشف الانسان في نفسه عن هبات الله .

فالرياضي العظيم جاز عندى ان يكون عابداً عظيما ، بأنه كشف ، وبما كشف. وكاشف أسرار الأجنة عابد عظيم بأنه كشف ، وبما كشف . والناظر بمناظيره الى السماء . يكشف عن مدى الكون ، ابان ينتهي ، ان كان ينتهي ، عابد عظيم . بل هو امام يصطف وراءه فى تمجيد الله ، بالاعلان عن هبة الله فى عقل الانسان ، كل قارىء لما كتب ويكتب . انه امام ، وَعَى هو ذلك او لم يعِ .

والفضول الفكرى ، بعض مطالب الروح

روح الانسان ، كما قلنا ، تضمنت الفكر كفايةً عليا . وللروح كفايات اخرى .

ومن هذه الكفايات الاخرى الأصيلة : التحرق الى كشف كل غامض ، وفتح كل باب يتراءى للنفس موصدا . فالقوة الروحية فى الانسان تدفعه الى كشف السر فى نفسه ، وفى أى شىء يدب من اشباه نفسه ، أو لا يدب . وكشف كل سر فى ارضه ، وفى بحره ، وفى سمائه. وفى الكون اجمع .

وهي كفاية يسميها بعض الناس بالفضول الفكرى .

وهي كفاية لا فضل له فيها ، لانها بعض جبلته .

وهى ، كالفكرة ، معطاة ، والذى اعطاه اياها الله .

وهي جبلة تلاحظها حتى فى الحيوان الأعجم : القطة تلقى انت اليها بالعلبة فتظل تداورها بمخلبها وتحاورها وتقلبها ، تواقةً الى علم ما هي ، وما فيها . والقرد تعطيه الساعة تدق ، فيأخذ يتسمعها ، ويحاول أن يفتحها ، ليكشف عما فيها من خبىء . ويعجز آخر الأمر فاذا به يحطمها رجاء أن تنفتح . وكذا طفل بني الناس . وكذا الناس صبيةً وشبانا وكهولا. كل يهدف بجبلته الى ان يكشف عن كل خبىء . والانسان يحب النهار لانه فيه يرى ما يرى ، فلما ضاق بالليل ، لما حَجبت عنه فيه الرؤية ، وكثر فيه الخبىء ، ابتدع النار فالنور ، فالكهرباء ، لبي لا يكون من حوله خبىء مستور قط .

واجتمعت الكفايتان : الفكر ، والفضول الفكرى

واجتمعت الكفايتان ، الفكر والفضول الفكرى ، فى الانسان ، فانتج بهما العجب العجاب .

انتج المدنية . والمدنية مادية وروحية .

ولكن الناس ، ومطلبهم الاول كما قدمنا الحياة، وتخفيف قاسيها، وتيسير عسيرها ، وتوفير مطالبها اولا ، من مأكل وملبس ومسكن ، ثم ترفيهها (ولا عتب عليهم فى ذلك) ، هؤلاء الناس غفلوا ، او غفل اكثرهم عن جانب هذه المدنية الروحي ، ذلك الذى كشفه الفكر ، ومع الفكر الفضول الفكرى .

ان الفضول الفكرى ، ومعه الفكر الناشط ، يعملان فى شتى الحقول . وللحقول اقدار مقدَّرة ، منها التافه الذى لا خطر فيه ، ومنها الخطير ذو الخطر الكبير .

وحقلان يتجه الانسان اليهما بفضوله، وبفكره ، اذا هو بلغ مبلغا من التنوُّر والتثقف مذكورا :

حقل الحياة فى شتى مظاهرها ، على ظهر هذه الارض .

ثم حقل السماء بأجرامها التى هى عدد الحصى ، تلك التى كانت الارض حصاةً من حصيِّها .

وحدة الله ووحدة الكون

واعود الى العبادة فأقول انها عبادة الله. وعبادة الله تبدأ بتوحيده. ووحدة الله اتصلت فى هذه القرون الحديثة خاصة ، قرون العلم الحديث ، بتلك الوحدة التى تشيع فى الكون كله ، وتربط الكون كله ، ولا يشذ عنها شىء فى الكون كله ، تلك الوحدة التى تتمثل اشدَّ تمثيل واوضحه فى الحقلين اللذين

ذكرت : حقل الحياة بشتى مظاهرها بهذه الارض ، ثم حقل السماء بأجرامها، من نجوم بلايين ، فى مجرات بلايين، تلك التى يحاول الانسان ان ينتهي الى طرف منها ، فكلما خال انه وصل تبدت لـه اطراف بعيدة اخرى .

مأثورات جيل لجيل

والناس تعمر الارض ، جيل منهم يعمرها ، ثم يذهب . ويأتي بعد جيل جيل ، ليواصل من بعد ذلك الرحيل . ولكن تبقى من هذه الاجيال للقادمين من بني الناس محاصيل . ونسميها بالمأثورات ، وهى سجل لعمل الانسان كبير . ولكن اغلى ما فى هذا السجل ، وامتع ، وانفع ، تلك الانجازات التى انجزها الفكر ، ودفع اليها الفضول الفكرى ، تلك التى تتصل بالكشف عن سر الحياة فى منازلنا هذه المتواضعة من سطح الأرض ، ثم عن سر الكون فى سريانه وجريانه ، وبنائه وتصدعه ، فى مراقيه العليا .

واقول تنفع ، لأن منها النفع للانسان، مادة ، ومنها النفع له ، روحا ، باشباع، مجاعات فى النفس أودعتها الجبلة ، لا بد من اشباعها .

أيام فى التاريخ ، مشهورة مذكورة

وللتاريخ ايام عظيمة مذكورة ، انجز فيها الانسان فى القرون ما انجز . وهو انجز الخير وانجز الشر . جنكيز خان فتح بلادا واستعبد عبادا . بريطانيا ملكت البحار ، واستولت على سبع الارض . كولمبس عبر المحيط وكشف عن قارة سميت من بعد ذلك امريكا .

حوادث مشهورة وايام مذكورة اين منها يوم نظر فيه جاليليو بمنظاره ، اول ناظر ، فراى من القمر ما لم يكن رآه احد .

واين منها ومن امثالها يوم نظر فيه الهولندى لوفنهوك فى عدسته فراى المكروب أول راء .

واين منها ومن امثالها يوم فى عام ١٩٣٨ فلق فيه الذرة العالم الألماني هان Hahn وصاحبه ستراسمان Strassman اول فالقين .

واين منها ومن امثالها يوم فى اكتوبر عام ١٩٥٧ رفع فيه الروس الى السماء قمر الارض الاصطناعى الأول اول رافعين .

انجازات انسانية يميل الناس فيها الى تمجيد العلم . والعلم منشط من المناشط الانسانية لم ادر ، على يقين ، ما معنى تمجيده .

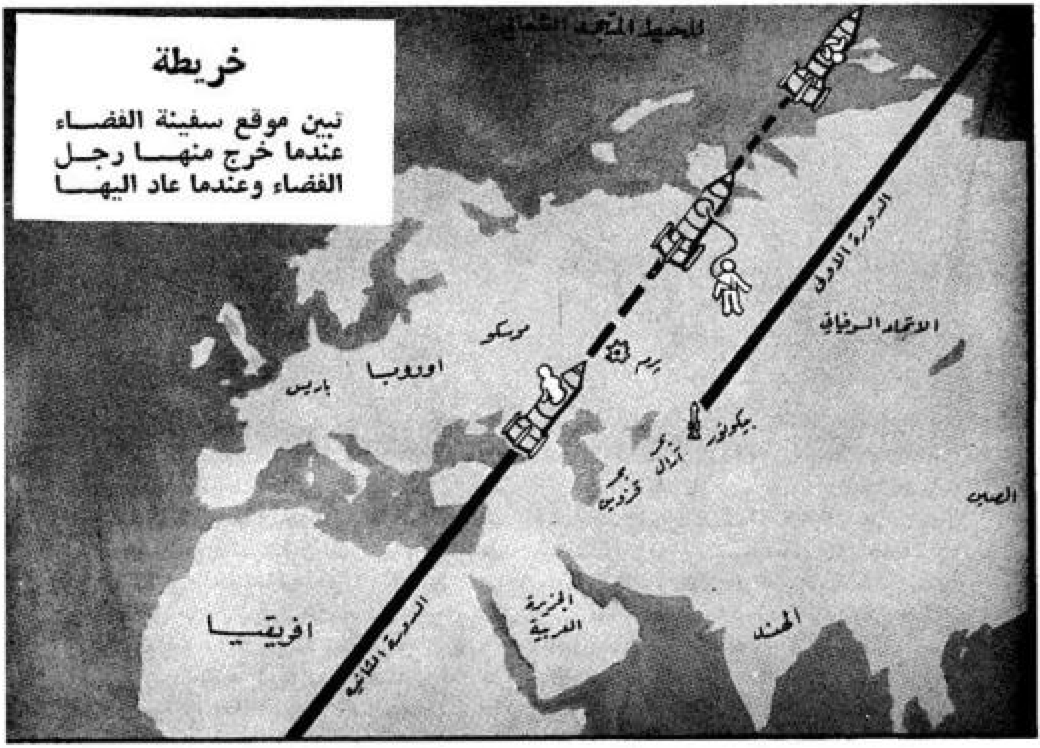
انى، كلما خطا الانسان فى هذه السبل خطوة الى الامام ، مجدت ، لا العلم ، ولكن مجدت الانسان ، والفكر الانسانى، ومجدت خالق هذا الانسان وخالق فكره . وتكشف هذه الانجازات عن قوانين واحدة ، فى ارض او سماء ، فيتأكد عندى معنى الوحدة الطاغية الشاملة فى الكون التى هى من وحدة الله. وحدة طاغية فى الكون شاملة ، هي السبيل العلمى المنطقى ، حتى اذا لم يكن غيره من سبيل ، الى تلك الوحدة الكبرى ، وحدة الله .

يوم من آذار ، يوم من انجازات الانسان مأثور مذكور ومشكور

اما بعد . فقد قدمت ما قدمت من كلم لأنتهى الى هـذا اليوم من تلك الأيام الانسانية التي تذكر فتشكر،ذلك يوم الثامن عشر من آذار عام ١٩٦٥ .

ففي هذا اليوم صنع انسان ما لم يصنعه احد من قبل . خرج الى موضع من الكون ، تحوطه به اسباب الموت من كل جانب ، وحماه العلم ، والفكر الانساني ، من ان يموت .

خرج الروسى من مركبة الفضاء الى الفضاء ، وسبح فى غير ماء أو هواء ؛ وراى الكون من حيث لم يكن رآه من قبل راء ، وعاد الى مستقره من مركبة الفضاء يحمل فى نفسه انفعالات ، لو صدقت ، وترك نفسه لها على سجيتها تنفعل بها ، لكانت أعمق احساس بحقيقة هذا الوجود احسه انسان ، واكثر مسا



خريطة تبين المدار الذى دارت فيه سفينة الفضاء . اطلقها الصاروخ من عند مدينة بيكونور بيازاخستان ، بالاتحاد السوفييتي ، ومنها بدأت دورتها الاولى . ثم غيرت مدارها قليلا فى الدورة الثانية ، تلك التى خرج فيها رجل الفضاء من سفينته ثم عاد . وبالخريطة ثلاث صور رمزية للسفينة ،حين بدأ رجل الفضاء يخرج من السفينة ، وحين انفصل عنها وسبح فى الفضاء ، وحين عاد اليها . وبعد ١٧ دورة، هبطت السفينة عند « برم » ، ما بين موسكو، ونقطة الانطلاق الاولى.

لهذه الحقيقة مسه انسان ، وأكثر ايمانا بها آمن به انسان .

ومع هذا فهي خطوة واحدة فى السلم الى القمر ، فما بعد القمر .

وسوف يجد أول رجل يمشي بقدميه على سطح القمر ــ وما هذا اليوم ببعيد ــ فوقما وجد اليوم سابح الفضاء هذا، وفوقه كثيرا . وأخشى ما اخشاه على رجل القمر الأول ان يرفض ان يعود ، حبا منه ان يذوب فى ذاك الوجود .

والآن اقرأ يا قارئي ما صنع رجلا الفضاء بمركبتهما ، واستشعر ما كانت تكون احاسيسك انت لو انك كنت احد راكبي هذه المركبة ، فقمت ففتحت ذلك الباب ،وخرجت الى هذا الفضاءالمجهول وحدك ، واهل الأرض كلها تنظر اليك ، عبْر التلفاز ، تسمع وترى ، وأنت لا يربطك بالحياة ، فالدنيا ، فى تلك الأعالي البعيدة ، غير حبل ، طوله خمسة امتار !

قصة الرجل الذى سبح فى الفضاء

هى قصة علماء الروس وساستهم ، نقلها عنهم كل ناقل . لم يكن لها مصدر سواهم . أعلنوها ، بعد أن ايقنوا من النجاح فيها ، وعندئذ فقط نشروا صورها التلفازية على الروس ، وعلى اوروبا ، واخيرا على امريكا . ورأى أهل الأرض ذلك الدور الفريد ، يمثله رجلان اول تمثيل ، واخطر تمثيل ، على مسرح جاز أن يكون قد بلغ فى ارتفاعه عن الأرض ، عن سطحها ، فى السماء ، نحو ثلاثمائة ميل .

أطلق الصاروخ مطلقوه فى صبيحة

الخميس ١٨ من مارس ، آذار ، عام ١٩٦٥ ، من موضع في أرض روسيا ، في الشرق من بحر آرال. وما هي الا دقائق حتى بلغت سفينة الفضاء فلكها الذي كان عليها أن تدور فيه . ودارت دورة حول الأرض ، من بعد دورة ، من بعد اخرى ، حتى اتمت سبع عشرة دورة ، استغرقت الدورة منها نحو ساعة ونصف ساعة ، ثم هبطت بعد الساعة الثانية عشرة بدقيقتين ، ظهر يوم الجمعة ١٩ مارس ، آذار عام ١٩٦٥ .

هذا ملخص ما جرى في كلمات معدودات . وكل هذا ليس فيه جديد .

وكان بالسفينة رجلان . وهذا أيضا ليس فيه جديد . ففي ١٢ أكتوبر عام ١٩٦٤ صعدت سفينة الروس الى السماء وبها ٣ رجال ، لا اثنان .

ان الجديد ، يؤلف دائما ، فلا يثير الناس من بعد ألفة ، ومع هذا فالابداع ابداع ، عندما تفور ثائرة الناس ، ومن بعد أن تهدأ . لا يغير من الابداع شيء .

وانما الجديد في هذا الذي نحكي ، هو خروج أحد الرجلين ، من حيث الحياة وهي في السفينة المحكمة الغلق مضمونة، واسبابها مكفولة ، الى حيث اسباب الحياة كلها معدومة ... الى فراغ (١) .. ومع الفراغ احتمال الضياع . وهو ضياع في أرجاء الكون لا ينقذ منه شيء. ثم اخطار تتهيأ أن تنشب اظافرها في الرجل وما كساه . حتى الحركة ، حركة هذا الرجل الحرة ، ليست كسائر الحركات . حركة واحدة يتحركها ، يظنها خفيفة ، قد يكون فيها القضاء عليه ، اما ارتطاما، واما انقطاعا فضياعا.

واليك تفصيل ما أجملنا :

الرجلان في سفينة الفضاء وهي في فلكها تدور

دارت سفينة الفضاء في فلكها (أو هي كبسولة الفضاء ، أو هي مركبة الفضاء ، كما يسميها بعضهم) . والرجلان مستقران في كبينتهم منها ، أحدهم بليايف Belyayev ، وهو الأكبر سنا ، فسنه ٣٩ عاما ، وهو القائم على شئون السفينة ، وهي تقوم في التفافها حول الأرض . والرجل الثاني الى جواره وهو ليونوف Leonov ، وهو الأصغر سنا ، اذ سنه ثلاثون عاما ، وهو يتأهب للخروج الى الفضاء .

ومن تأهبه أن يستنشق ، بدل هواء الكبينة الذي يستنشقه صاحبه بليايف أكسجينا نقيا ، هو مزوّد به على نفس الضغط الذي له وهو يتنفسه في الحياة العادية . وهو يداوم على هذا الاستنشاق نحو الساعة . كي يتخلص دمه من كل نتروجين يكون فيه (١) .

---

(١) عند هذا العلو من سطح الارض ، لا يكون الفضاء فارغا من الهواء كل الفراغ ، ولكنه يكون في حكم الفارغ ، ذلك لأننا لو جمعنا من هناك الهواء الموجود في كيلومتر مكعب ، ووزناه ، لكل وزنة نحو جرام واحد .

(١) الغطاسون عندما يغطسون في البحر الى أعماق بعيدة ، يمدّون بالهواء مضغوطا وهم تحت الماء، حتى يتعادل ضغطه وضغط الماء الواقع على أجسامهم ... وفي هذه الحالة يذوب بعض اكسجين الهواء وبعض نتروجينه في الدم بنسبة الضغط ، ويزداد المقدار المذاب كلما زاد الضغط . وعند صعود الغاطس من البحر ، يجب عليه أن يتدرج في الصعود حتى يستطيع الدم أن يتخلص من غازاته الذائبة . أما اذا صعد بغتة فقد يكون في ذلك هلاكه . ان الأكسجين الذي ينفصل من الدم بسبب الضغط الذي تناقص ، تستطيع الخلايا أن تستهلكه . ولكن لا تستطيع استهلاك الأزوت ، فينفصل في الدم فقاعات أخطر ما تكون الحياة ، ولا سيما اذا تسببت في وقف المسالك في القلب أو في المخ . وكالصاعد من أعماق الماء الى سطحه ، الصاعد من أعماق الهواء الى سطحه ، الى الفراغ . وقد شوهدت أعراض هذه الحالة في الطيارين المحاربين ، عندما كانوا يصعدون بطياراتهم المقاتلة الى اعالي الجو بغتة. ورجل فضائنا هذا ، يتهيأ للخروج الى الفضاء بعد ان يظل يستنشق الاكسجين ، على الضغط الذي ذكرنا ، مدة ساعة ، حتى يخلص دمه من كل نتروجين مذاب فيه .



صورة جمعت زمرة من الفضائيين الروس ، من رجال ونساء ، من أولئك الذين صعدوا الى السماء ، وداروا حول الارض ، وفاجأوا اهل الارض بما ادهش واعجب . وهم من اليمين الى اليسار نيكولاييف (١١ اغسطس ١٩٦٢) ، فالنتينا ترشكوفا (١٦ يونية ١٩٦٣) ، بليايف (١٨ مارس ١٩٦٥) ، جاجارين (١٢ ابريل ١٩٦١) ، ليونوف (١٨ مارس ١٩٦٥) بوبوفتش (١١ اغسطس ١٩٦٢) . ومن ورائهم سبورة عليها رموز رياضية ، ومعادلات تشير الى ما وراء هذه الانجازات من فكر طويل المدى ، وعلم شديد المراس عميق .

الدورة الثانية للسفينة :
وفيها خرج رجل الفضاء الى الفضاء

هذا هو رجل الفضاء الشاب ، يهم بالخروج . انه لا يخرج الى الفضاء مباشرة . ان بينه وبين الخروج خزانة جانبية بها هواء ، لا بد أن يدخل اليها ، ثم هو يخرج منها الى الفضاء من ناحيتها الأخرى . ها هو قد فتح باب الخزانة،وها هو يدخل منه الى الخزانة، وعليه كسوة الفضاء كاسية سابغة . عندئذ قام صاحبه،رجل الفضاء الأكبر، باغلاق هذا الباب اغلاقا محكما . ان ليونوف الآن فى الخزانة وحده . ونظر ليونوف الى ذلك الباب الآخر ، باب هذه الخزانة الذى يخرج منه الى الفضاء مباشرة . وبيده اليمنى ، وعليها بعض كسائه الشامل ، فتح هذا الباب . انه يفتحه الى « عالم الغيب » الذى وراءه .

ليتنا ندرى أى الأحاسيس ساورته وهو يفتح هذا الباب ، وأى الآمال حضرته ، وأى المخاوف ؟!

انه فتح الباب أول الأمر قليلا جدا ، ثم قليلا . الا ما كان أسرع ما فرغت الخزانة من هوائها ! فرغ الهواء من حول كسائه الشامل ، وبداخله من الأكسجين ما به ، فانتفخ الكساء أقصى انتفاخه . واخذ ليونوف يمتحن كساءه خشية أن تكون حركته قد أحدثت فيه ثقبا . ان ثقبا فيه يؤذن بالنهاية . واطمأن بعد امتحانه .

رجلان كانا معا ، ثم صارا فى دنياوين مختلفتين : الرجل الأكبر فى كبينته ، يستنشق الهواء . والرجل الآخر فى خزانته ، بل فى كسائه ، يستنشق الأكسجين ، وبينهما الباب الموصد أشد ايصاد . وباب الخزانة الآخر مفتوح . مفتوح الى الفضاء ، الى الفراغ .

لم يبق الا الخروج ، خروج الفتى الشاب الى الفضاء ، الى الفراغ .

الفضاء يستقبل انسانا حيا ، لأول مرة

انه الآن فوق روسيا ،وعلماء الأرض، علماء الروس ، يرقبون وينظرون . وصدر الأمر الى التلفاز الذى تحمله مركبة الفضاء أن يعمل ، فاستجاب على الفور امرا . واخذ يرسل الصور ، الى علماء الأرض،متلاحقة عديدة تترى . . .
ورأى العلماء ــ ومن بعدهم الناس ــ



صورة رجل الفضاء ليونوف ، وهو يسبح فى الفراغ خارج سفينته ، حيث افتقد الحس بالأوزان ، وبوزن جسمه ، فأصبح لا يعرف لنفسه فوقا ولا تحتا ، وانبهمت الجهات ، فأصبحت عنده غير ذات معنى . وهو ، رغم سبحه الظاهر ، وارتباطه بسفينته بحبل ، يسير مع السفينة ، بنفس سرعتها، ١٧٥٠٠ ميل فى الساعة ، حتى لو انقطع الحبل . وهو يدور فى مدارها ما دارت .

كيف اخذ ليونوف الشاب يتلمس طريقه خارج المركبة . راسه ظهر اولا وعليه قبعته . ثم هو يحتضن باب الخزانة المفتوح احتضانا . ثم يتابع الخروج ، فى مهل شديد ، وحذر شديد . فيظهر نصف جسمه . ثم اذا هو فى الفراغ سابح، يربطه بسفينته ، سفينة الفضاء، حبل سميك . وعلى ظهره انبوبتان تحملان الاكسجين ، ومنهما يتنفس .

ورای الناس منه وهو يسبح ما رأوا، فقال قوم انه وقف على ام راسه . وقال قوم انه لعب فى سَبْحه الالاعيب لتسلية الناس . وكل اخطأ . فالرجل كان من نفسه فى شغل شاغل ، ومن احتمال ان تكون هذه الدقائق آخر دقائق حياته ، بالذى احاطه من مخاطر ، فى مزاج لا يأتلف ومزاج المسارح ابدا .

لا فوق ، فى الفضاء ، ولا تحت

ان الرجل حيث كان ، كان فاقد الثقل . فهو لا يحس ليديه ولا لذراعيه، ولا لراسه ، او أى جزء من جسمه ، ثقلا . كان من الفضاء بحيث تنعدم الاثقال . جاذبية الأرض لا وجود لها . واذا فقد الانسان الحس بجاذبية الأرض ، فقد الاحساس بالجهات كلها . فلا فوق،ولا تحت ، ولا يمين ولا شمال. وسابح الفضاء تراءت لنا رجلاه فى اعلاه ، او اسفل . وعبرنا عن ذلك بتلك المعانى التى نسبغها نحن على الأشياء ، نحن اهل الأرض ، فوق سطح الأرض . امّا هو فما احسَّ انه انقلب أو اعتدل .

سابح الفضاء ، كسفينته ، كلاهما فى الفلك الواحد يدور

وشىء آخر يجب ان نعلمه عن حال الرجل وهو يسبح .

انه ، وقد خرج من السفينة الفضائية ، لا يزال يسير معها ، وبنفس سرعتها ، ويدور فى نفس فلكها شاء هو أو لم يشأ . والحبل الذى يربطه بالسفينة ، لو انقطع لبقي الرجل يدور، ولو جثة جامدة ، مع السفينة ، فى فلكها ، ما دارت ، سنوات عديدة . ومن سفن الفضاء ، التى اطلقت زمانا مضى ، ما لا يزال الى اليوم يدور .

عشر دقائق ، عاشها فى الفضاء ، ثم عاد

وقضى الشاب ليونوف فى هذا الفضاء ، خارج السفينة ، عشر دقائق ، ثم عاد الى خزانته . واذ أغلق بابها الخارجي،فتح له صاحبه بابها الداخلي، فدخل منه الى مجلسه الأول ، فى الكبينة ، الى جوار صاحبه .

ودارت سفينة الفضاء بعد ذلك حول الأرض حتى اتمت ١٧ دورة كما سبق ان ذكرنا .

ماذا صنع رجل الفضاء ، فى الدقائق العشر ، فى الفضاء ؟

ان الصور ، صور العشر الدقائق ، لم تنشر كلها للناس . بعضها احتجز فلم ينشر . وهنا بدأ قوم يتساءلون لماذا ؟ وكان جوابهم هم ، على سؤالهم هم ، ان الروس لم يريدوا أن ينشروا ما كان يصنع رجل الفضاء فى كل هذه العشر من الدقائق . قال قوم : قضاها فى فحص ظاهر السفينة . وقال قوم وزادوا تظننا : ان الصور نفسها التى نشرت كان فيها ابهام مقصود حتى لا يدرك الآخرون ، من منافسيهم فى الأمم الأخرى ، تفاصيل الرجل ، ولباسه ، وما كان يصنع ، وكيف صنع .

والحبل الذي ربط رجل الفضاء بالسفينة ؟

وهذا الحبل كذلك كان له قصة .

انهم يسمونه الكبل Cable ، وهو لفظ عربي . انه فى القاموس الحبل يقيَّد به الانسان . او هو العِقال تُعقل

به الدابة ، الى شجرة مثلا فلا تبعد عنها .

وهذا الكبل دخلته كذلك ريبة . هل هو حبل يربط الرجل بالسفينة فحسب، ام له شأن غير هذا الشأن ؟ ومن الشأن الذى جاز له ، ان يكون به انبوب يحمل الاكسجين من السفينة الى الرجل ، واذن فما الانبوبتان اللتان على ظهره ، وفيهما الأكسجين، الا زيادة في الحيطة. ومن الشأن الذى جاز ، ان تكون في هذا الحبل انابيب تحمل اسلاكا تلفونية ، يتخاطب عن طريقها الرجلان .

ولكن أحق بالذكر مما يذكر عن هذا الحبل وظيفته التى تبدو للناس ، اهل الارض .

يخطر للناس لا شك ، اول وهلة ،ان الحبل يربط الرجل الى السفينة ، فهى تجره معها .

وهذا خطأ . فالرجل لا يحتاج الى جر . انه كما قلنا جزء من السفينة ، له سرعتها تماما ، ١٧٥٠٠ ميل في الساعة، ويجرى في مدارها تماما . ولو انه انقطع عنها ، وكان شيئا جامدا ، لا حراك فيه، حجرا مثلا ، لما ابتعد عن السفينة ابدا .

ولكن الرجل ليس حجرا . ان به عضلا ، وبالعضلة قوة . وهى قوة ، في هذا الفراغ، ومع انعدام الوزن والجاذبية، اثرها هائل. فلو انه دفع ظاهر السفينة بيديه بقوة ، لاندفع عنها دفعة قوية غير مألوفة ، لا يستطيع لها وقفا ، قد تقطع الحبل الذى بينه وبينها . اى حركة يجريها ، لها اثرها الذى لا يستطيع هو أن يتحكم فيه . من اجل هذا كان بطؤه البالغ عند الخروج ، وحذره البالغ من بعد خروج ، حتى لا تكون منه حركة يكون فيها ضياعه ، او تكون حركة في الناحية الاخرى يكون منها له بالسفينة ارتطام يصدعه .

مخاطر الفضاء للسابح فيه

اول هذه المخاطر الحر والبرد . انه وهو في الفضاء ، معرض في جنب من جانبه لأشعة الشمس . واشعة الشمس يرشحها الهواء قبل ان تبلغ الناس وهم على ظهر الارض ، فلا يصلهم منها الا جانب ، هو بالنسبة الى ما تصفى منها ، هادىء وديع . اما الذى حجبه الهواء ، ومنه الأشعة الفوق البنفسجية ، فاثره على الرجل وخيم . هذا في جانب الرجل الذى يواجه الشمس هناك . وعلى العكس من ذلك جانبه المقابل . انه في ظلام ، ومع الظلام برد قارس ، يتجمد فيه الجسم وشيكا اذا تعرض له عاريا .

وغير اشعة الشمس ، ما يأتى من الاجرام الكونية من اشعاعات أخرى .

وكل هذه تتولى دفع مخاطرها الكسوة التى اكتساها الرجل . انها تتألف من طبقات عازلة لم يكشف الروس عنها وعن نوعها . قالوا فقط ان الكسوة بيضاء ، وهذا ظاهر . والبياض بالطبع يعكس الاشعة .

وهناك خطر اكبر ، سببه ما يجرى في الفضاء من نيازك مكروئية ، حجمهـا كحصاة الرمل وهي جديرة بأن تخرق كسوة رجل الفضاء . ومتى اخترقت ، ودخلها الفراغ،كان في هذا نهاية الرجل.

ولكن الحاسبون الروس اتخذوا لهذا الخطر عدته . فهم حسبوا ، فوجدوا ان احتمال اصابة رجل الفضاء، وحجمه هذا الحجم الصغير ، بنيزك مكروني ، في الفضاء ، احتمال بعيد . وانه يستطيع ان يبقى فيه سنتين او ثلاثا ، دون ان يصيبه نيزك منها .

نجاح يرى فيه العلماء تقدما في العلم عند الروس متعدد النواحي

نعم . ان رحلة كهذه تروع الرجل غير العالم ، وتروع الرجل العالم ، سواء بسواء . ويزيد الرجل العالم بأن يدرك ما وراءها مما بلغته الأمة التى انجزتها من التقدم في جبهات من العلم شتى .

ان القارب الخشبى الصغير يدل على

حذق من بنوه ، وكم هو .

والسفينة الكبيرة ، ماخرة المحيطات، تدل على حذق الأمة التى بنتها ، وهو حذق ، لا فى جانب من العرفان واحد ، ولا فن من الفنون واحد ، ولكنه حذق متعدد الجنبات .

وسفينة الفضاء ، فوق اراعتها ، تدل على جبهات فى العلم ، والعلم التطبيقى ، والصناعة، بلغ الروس فيها مدى بعيداً.

قال المستر كرت ديبوس Kurt Debus مدير مركز الفضاء الأمريكي بقاعدة كندى العظمى بالولايات المتحدة : « ان النجاح الروسى هذا يدل على تقدم عظيم ، فى الصناعة ، وفى عمل الحاسبات الاوتوماتيكية Computers ، وفى علم المعادن ، وفى القذائف ، وفى الطب الفضائي ، وفى العلوم البحتة ، وفى كثير غير هذه . كل هذا تراءى واضحا فى تلك السفينة الواحدة التى قذفوا بها الى السماء » .

وهذا رجل امريكي لا يطرى خصومه الا عن ايمان .

وهو رجل امريكي ، لا يطرى بداهة الشيوعية . وهو كسائر العلماء ، لا يربطون التقدم العلمي الصناعى بالشيوعية ، سواء آمنوا بها أو كفروا . هذه شيء وذاك شيء آخر . والعلم له رجال فى كل البلاد ، على اختلاف المذاهب والايديولوجيات .

بين الروس والامريكان

سبح رجل الفضاء الروسى فى الفضاء كان لا شك كسبا للروس . ووقتوا موعده بحيث وقع فى نحو اسبوع واحد، هو واطلاق الامريكان كبسولتهم «جيمينى Gemini ، ومعناها التوأم» وبها رجلان. وكان سَبْقَ الروس الى مثل ذلك فى اغسطس عام ١٩٦٢ .

ان قذيفة الروس اليوم ، قذيفة سفينتهم (الشروق رقم ٢) كسفٌ لقذيفة الامريكان ، جيمينى ، كما تكسف الشمس القمر .

ولكن الأمريكان يتعزون بقصة الشاعر الفرنسي لافنتين La Fontaine ، قصة السلحفاة والأرنب .

انهم ينسبون تقدم الروس فى الفضاء الى قوة الصاروخ القاذف عندهم . فصاروخهم القوي، تيتان الثانى Titan II الذى حمل سفينة فضائهم جيمينى الى فلكها ، وبها رجلان ، له قوة دافعة تبلغ نحو ٤٣٠٠٠٠ رطل . وقوة دفع الصاروخ الروسى قد تكون ضعف هذه القوة أو ثلاثة امثالها . ومن أجل هذا كانت سفن الروس أوسع ، وقد حملت من قبلُ ثلاثة رجال .

وهم يقولون انه مع الزمن ، ومع المثابرة ، ستسبق السلحفاة . وهم يخططون لبناء صاروخهم ساترن الثانى Saturn II ، أو زحل الثانى ، فى عام ١٩٦٧ ، وسيكون له قوة دفع هائلة . انها ١٦٠٠٠٠٠ رطل . وهو الصاروخ الذى سيرفع سفينتهم ، ابولو ، فى ذلك العام ، وبها رجال ثلاثة فتدور حول الارض . ثم صاروخ لهم اكثر هولا، ذلك ساترن الخامس Saturn V الذى سيرفع السفينة ويذهب بها الى القمر .

والأمريكان يدعون انهم متفوقون على الروس فى سفائنهم العلمية فيما تحمل هذه السفائن من آلات واجهزة. ويضربون لذلك ما اصعدوه الى الجو من اقمار تدرس الأجواء ، واخرى تتجسس على الأعداء ، واخرى ترسم الخرائط والمحيطات ، ثم اخرى وهي الأخيرة ، وهي وصلة التلفاز العالمي ، والتلفونى ، بين أى بقعة فى الارض وبقعة .

ويضربون الأمثال لما انجزت هذه الاقمار ومن انجازاتها ، انها استطاعت ان تكتشف وترسم البرج الذى منه اطلقت الصين قنبلتها الذرية الاولى !

احمد زكى

البخارى

طلب اليه أمير بخارى أن يذهب اليه ليقرأ له كتاب "الجامع الصحيح" فقال له : لا أحمل العلم الى أبواب الامراء ، فان شئت ، فاحضر

بقلم : الشيخ محمد أبو زهرة

استاذ الشريعة بجامعة القاهرة

■ منذ بعث الله تعالى محمدا رسولاللعالمين ، عني الذين اتبعوه بقوله وعمله وما يقره من اقوال وافعال ، فحفظوا قوله ، لأنه من جوامع الكلم ، ولانه بيان لكتاب الله تعالى ، ولأنه تبليغ الرسالة المحمدية ، ولأنه الاسوة الحسنة ، ولأن افعاله وتقريراته بيان للقرآن كاقواله .

النبي ينهى عن كتابة كلامه ، ثم يجيز

ولقد هموا فى اول الرسالة أن يكتبوا كلامه فنهاهم ، حتى لا يختلط عليهم قوله بالقرآن ، حتى اذا استطاعوا أن يفرقوا بين كلام الحق ، وكلام الرسول فى آخر حياته أذن عليه السلام لمن ارادوا الكتابة ان يكتبوا ، فأذن لعبد الله بن عمرو بن العاص ان يكتب فكتب هو وغيره .

كان الناس أحوج الى سنة الرسول بعد وفاته

ولما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى كانت الحاجة الى معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدة ماسة ، لان المسلمين في حاجة اليها ليهتدوا بها ، ويتعرفوا حكم الاسلام منها ، تحقيقا لقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول » . ولأنهم كانوا يطيعون النبي عليه السلام بسؤاله فى حياته ، وطاعته بعد وفاته تكون بمعرفة اقواله فيما



يعرض لهم من امور ، اخذا بهذا النص الذى تلوناه ، وبقوله عليه السلام : « تركت فيكم ما ان تمسكم به لن تضلوا بعدى ابدا ، كتاب الله تعالى ، وسنتي ». ولذلك كان الأئمة الراشدون الاعلام اذا عرض لهم امر تعرفوا حكمه من كتاب الله تعالى ، فان لم يجدوا ما يسعفهم تعرفوه من سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه ، فتساءلوا فيما بينهم عن سنة عند بعضهم وهى لا يمكن أن تغيب عن كلهم . ومن الصحابة من تفرغوا لاستحفاظ كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فحفظوا منه أسطرا ، وقد تناقلوا فيما بينهم ما كان يرويه بعضهم بعد الاستيثاق من صحة نقله .

روى التابعون كلام الرسول عن الصحابة، ثم روى عن التابعين تابعوهم

وقد تتلمذ للصحابة تلاميذ رووا عنهم وهم التابعون لهم باحسان ، وتتلمذ لكل تابعى تابع له نقل عنه ما حفظ هذا عن استاذه من الصحابة ، ثم جاء الذين من بعدهم فتتلمذوا عليهم ، وكل يدون ما يأخذ ، حتى كان من بعد ذلك من سجل هذه الروايات باسنادها فى كتب، بحيث كان يذكر كل واحد من روى عنه، حتى يصل الى الصحابي الذى روى عن الرسول قوله . وقد رويت تواريخ الرجال رجلا ، رجلا ، وعرف مقدار عدالتهم، وعنايتهم بما يروون، وضبطهم لما ينقلون ، حتى كان جمع الحديث النبوى برواة عدول ثقات ضابطين ، يعرفون ما ينقلون وما يدعون .

جوامع الحديث الشاملة فى القرن الثالث ، واضبطها صحيح البخارى

وما جاء منتصف القرن الثانى ، حتى كان الجمع والتدوين قد استوى على سوقه ، ولكن كل مجموعة لم تكن شاملة ، حتى جاءت الجوامع الشاملة فى القرن الثالث ، واوضحها اشراقا وقوة وضبطا صحيح البخارى .

نشاة البخارى

والبخارى هو ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ، كان من اسرة مجوسية فى أصلها ، وأول من اسلم منها جد ابيه المغيرة ، اسلم على يد والي بخارى ، وحسن اسلامه ، وحسن اسلام ابنه وحفيده اسماعيل أبى البخارى ، وكان هذا براً تقياً .

وقد ولد البخارى سنة ١٩٤ هـ ، وقد عين ابن كثير فى تاريخه ، والخطيب فى تاريخ بغداد ليلة مولده ، فذكرا انها ليلة الجمعة فى الثالث عشر من شهر شوال من هذه السنة .

ولعل عناية البخارى بتاريخ رجال الحديث واحوالهم هى التى جعلته يتعرف تاريخ مولده ويصل الى معرفته يقينا . وقد ولد من ابوين صالحين ، فكان ابوه صالحا ، وكانت أمه تقية طيبة طاهرة ، اخلصت لله فى عبادتها ، وارضعت ولدها فى صغره حب الله تعالى ، وتقواه .

دعاء أم البخارى ردّ بصره اليه

فنشأ عابدا منذ نعومة ظفره ، وأحس

بفضل الله تعالى عليه ، واستجابته دعاء امه ، ذلك انه ولد مبصرا ثم صار مغمض العينين لا يبصر . فأخذت امه تضرع الى الله تعالى ، أن يرد الى ابنها وقرة عينها بصره . قال المؤرخون ، انها رات فيما يرى النائم ان أبا الانبياء ابراهيم خليل الله عليه السلام يقول لها : « يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة دعائك او بكائك ، فأصبح مبصرا » .

فلما استيقظت من منامها رات ابنها قد ارتد بصيرا ، فعلمت انها الرؤيا الصادقة .

شكر النعمة

أحست ام البخاري بنعمة الله عليها اذ اعاد النور الى ولدها ، وأحس ابنها بنعمة الله تعالى عليه ، اذ كتبه في المبصرين ، فوجهته امه الى علم الدين يتدارسه ، فحفظ القرآن الكريم ،وتتبع علماء الدين في عصره ، واسترعاه ما ينقلونه من احاديث الرسول الكريم ، فوجد فيه الحكمة وفصل الخطاب ، فاتجه اليه بعد حفظ القرآن . فلم يعن بأقوال الفقهاء ، وكلام العلماء ، بل عني بكلام مبعث النور ، ومشرق المعرفة وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

اتجه الى طلب الحديث بعد حفظ القرآن الكريم ، وقالوا انه ألهم طلبه ، وأشرب حبه وهو غلام في العاشرة من عمره ، وكان ذا حافظة واعية ، وذاكرة قوية ، فالتقت الرغبة الشديدة ، مع الاستعداد الكامل ، حتى انه وهو في الحادية عشرة من عمره صحح لبعض شيوخه الرواية ، وراجعه فيها المرة بعد الأخرى مراجعة المطمئن المستوثق ، حتى اقر الشيخ بصحة ما راى . واستمر يطلب الحديث بأرض سمرقند ومن حولها ، يأخذ عن شيوخ الحديث في تلك البلاد ، وكان بها رواة أعلام أخلصوا النية ، وطلبوا الحق ، وهم ثقات عدول ضابطون،يعرفون ما ينقلون وما يدعون .

الى البيت الحرام

ولما استوى عوده، وصار فتى سويا ، اذ بلغ الثامنة عشرة من عمره ، يمم شطرَ المسجد الحرام ، فذهب حاجا مع ابيه التقي . وكان غرض ابيه أداء الفريضة،وغرضه هواداء الفريضةوتلقي الحديث في مكة والمدينة ، وكانتا في ذلك الابان ، لا تزالان موردالاسلام العذب، يَرِد اليه الصادرون من مشارق الأرض ومغاربها ، فأقام في تلك الأرض المقدسة ما شاء ان يقيم ، حتى جمع من رواة الحديث فيها ما عندهم من تركة مثرية عن رسول الله .

تنقله في الأمصار ، ينقل عن رواتها

وبعد ان ارتوى من ماء زمزم ، وما حولها من البقعة المباركة ، وارتوى من حديث الرسول بالحجاز ، أخذ ينتقل في الأمصار الاسلامية مصرا مصرا ، فانتقل الى البصرة ، والى الكوفة ، والى ما وراء النهر ، لا يعلم بأرض ثبتا ثقةً الا رحل اليه . وقد رحل الى دار السلام حيث التقى بامامها احمد بن حنبل ، وروى عنه وتلقى حديثه ، وأخذ من سنده . وما نقل حديثا وضمنه كتابه الا اذا كان قد أخذه من راويه . فقد كان من شرطه في الرواية الا يأخذ عن معاصر الا اذا لقيه،فمن مات قبله أخذ عمن روى عنه. اما من عاصره فانه لا يأخذ عنه مهما بعدت الديار ونأت الأمصار ، ومهما عظمت المشقة ، ولذلك كثر ترحاله ، لا يقيم في بلد الا على نية الرحيل عنه الى آخر يكون فيه محدث معاصر علم أمره.

وقد اخذ يجمع ما سمع ويدون ، يسهر الليالي ذوات العدد في تدوين ما جمع ، ويشكر بالعمل نعمة الله تعالى عليه في أن رد بصره . فقد ذكر ابن كثير في تاريخه : « ان البخاري كان يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه ، فيوقد السراج ويكتب العابرة تمر بخاطره ، ثم يطفيء سراجه ، ثم يقوم مرة أخرى واخرى، حتى كان يتعدد منه ذلك قريبا

من عشرين مرة . فكان ذلك عبادة يتعبد الله تعالى بها ، وهذا مع نسكه وكثرة صلاته وتهجده بالليل مما يرفعه الى مراتب العبّاد الزهاد .

جلوسه للعلم

تذاكرت الركبان باسم البخاري ، وتناقلت الاسماع علمه ، وقد صار ينتقل للالقاء بعد أن كان ينتقل في الأمصار للتلقي . وصار يروي للأجيال من بعده بعد أن كان يروي عمن سبقه من الثقات، وبذلك صار يعقد مجالس للحديث في الأمصار التي يحل فيها ، أو بعبارة أدق صارت المجالس تنعقد حوله عندما يحل في أي مصر ، من طالبي الحديث الذين يحفون بالثقات ، ويريدون أن يسمعوا من البخاري راوية عصره .

وقد انعقدت له مجالس علم في البصرة والكوفة ومصر والري وسمرقند، وابتدات هذه المجالس ، وهو بعد شاب لم يصل الى حد الكهولة ، وهو في كل مجالسه كان الثقة الذي لا يمكن أن يضعف له حديث لعلة في متنه ، أو شذوذ في حكمه أو ضعف في رجاله ، حتي كان علمه وشهرته به أكبر من سنه .

في بغداد

وكانت بغداد في عصره ، ومن قبله ومن بعده ، قصبة الدولة الاسلامية ، وموئل العلماء في كل أبواب العلم من لغة وأدب ، وفقه وفلسفة ، وفيها علم الحديث والرواية قد بلغ الذروة ، وحسبك أن تعلم انه كان فيها امام المحدثين احمد بن حنبل ، فكان لا بد ان يأوي اليها البخاري ، كما أوى الى مكة والمدينة ، ولذلك رحل اليها ثماني مرات يتغذى من موارد الحديث من الرواة ، وعلى رأسهم احمد ، الذي كان يكبره سنا .

ولما بلغ ما بلغ من الشأن والعلم ،وكان الامام احمد قد قبضه الله تعالى اليه ، جلس للحديث فيها ، وبدا نبوغه ،وبدت سعة عقله ، واتساع آفاقه ، وقوة حافظته ، ودقة روايته ، حتى صاروا يتشككون في كل حديث يذكر انه لا يعرفه ، ولا يترددون في قبول اي حديث يعرفه .

وكان الرواة من اهل الحديث الذين كان لهم ذكر وشأن يعقدون فيما بينهم المجالس يختبرون مقدار علمه ، فكانوا يذكرون الاحاديث ويقلبون اسنادها ، ويجيبهم بتصحيح السند ، فانتقل اكثرهم من حال الاختبار الى حال التقدير والاعجاب ، بل انتقلوا الى حال الأخذ عنه والاتباع ، واقروا له بالصدق في الرواية ، واذعنوا له ، واستمرت مجالسه من بعد تسير في بغداد وغيرها برخاء سهلة،حتى كان الحسد والحساد.

الحسد

كانت بغداد تموج فيها موجات من الآراء والأفكار ، وكانت مسألة خلق القرآن تشغل العقل الاسلامي فيها وفي غيرها من عواصم الأقاليم الاسلامية ، وذلك في اول القرن الثالث الهجري الى اكثر من منتصفه . وكانت المحنة تنزل برجال الحديث ابتداء ، ثم نزلت من بعد ذلك بخصومهم ، لما جاء المتوكل ، وانتصر لأهل الفقه والحديث ، وعندئذ صار العالم يوصف بسلامة الاعتقاد ان قال ان القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويوصف بالزيغ ان قال ان القرآن لفظه مخلوق ، أو قال هو غير مخلوق ، فعندئذ يوصف بالضلال ، وخلع الرقبة، وان كان كلامه ليس قاطعا في اى الرأيين تأول له المحبون ، واتهمه الحاسدون .

وجد الحاسدون المغمز الذين يغمزون به شيخ اهل الحديث في عصره من هذه الناحية ، ذلك أنه تحفظ في القول ، فلم يحكم في القضية ، بل توقف ، ولم يجد أنها من المسائل التي يسوغ لمحدث أن يخوض فيها ، وهو المحدث الذي ينقل الاحاديث واخبار الصحابة فيما يجد نقلا مرويا في القضية ، لا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا عن صحابته

الكرام . فتوقف ولم يقل ، ووسعه ما وسعهم . ولكن الحسد الذى يأكل القلوب جعلهم يفسرون التوقف بما تهوى انفسهم ، فادعوا انه يرى انه يقول ان لفظى بالقرآن مخلوق ، وذلك لأنه قال : اعمال العباد كلها مخلوقة . واخذ ذلك من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « ان الله يصنع كل صانع وصنعته » . واوّلوا كلامه بانه يرى انه يقول لفظى بالقرآن مخلوق . وانبرى لامام الحديث رجل حقود حسود، وتقول الاقاويل على البخارى ، حتى لقد بلغ به الحقد ، ان يقول : « من ذهب الى محمد بن اسماعيل البخارى فاتهموه » .

تبرم البخارى لأنه احس بان العامة يتبرمون به ، وقد اخذ يطوف في الاقاليم، حتى اوى الى سمرقند، ونزل بقرية (خرتنك) وبها بعض قرابته فنزل عندهم ، واحسن الذى كان تقى الايمان سليم الاعتقاد بتبرم شديد ، حتى اتجه الى ربه يضرع اليه : « اللهم انه قد ضاقت عليّ الارض بما رحُبت ، فاقبضني اليك. فقبضه الله تعالى اليه بعد شهر من دعائه » .

آثاره ، واشهرها كتاب الجامع الصحيح

ترك البخارى علما كثيرا كله يتصل بالرواية والأثر ، فقد كتب كتابين فى التاريخ ، هما التاريخ الصغير والتاريخ الكبير ، وهما فى تاريخ رجال الحديث والأثر . وترك كتابين آخرين هما كتاب الضعاف الصغير والضعاف الكبير .

وترك الأثر الخالد الباقى مبينا وموضحا للشرع الاسلامى الى اليوم هو « كتاب الجامع الصحيح » .

وقد ابتدأ بجمعه فى شرخ شبابه، وهو يتنقل فى الآفاق يأخذ عمن قبله ، ويعطى من دونه ، واستمر على ذلك الى ان بلغ ما بلغ من الثقة ، والاشتهار بالحفظ . عندئذ اتجه الى تدوين الجامع الصحيح، ويقول فى سبب تدوينه : « كنت عند اسحاق بن راهويه ، فقال لنا بعض أصحابنا : لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . فوقع ذلك فى قلبي ، فأخذت فى جمع هذا الكتاب» (يعنى كتاب الجامع الصحيح) .

وقد اخذ بجمعه فى مكة والمدينة عند الروضة الشريفة ، وقالوا انه ترجم ابوابه فى الروضة الشريفة ولم يكتف بطهر المكان ، بل كان لا يكتب حديثا من الاحاديث الا بعد التوضأ وصلاة ركعتين، وقد استمرفى تدوينه نحو ستةعشر عاما .

وهو مرتب حسب ترتيب أبواب الفقه ، لم يؤخذ عليه الا نحو ثلاثين حديثا ، ونحو ستين رجلا ، ومجموع احاديثه خمسة وسبعون ومائتان وسبعة آلاف، وهو كان يكرر اذا تعددت الرواية، وبحذف المكرر ، يكون المجموع نحو اربعة آلاف حديث ، وقد اختصره الزبيدى .

عـزة العلـم

كان البخارى فى جِدَةٍ من العيش والرزق الموفور، فالتقى فيه ايمان وتقى ورزق طيب ، ولذلك لم يتدل الىالعيش فى كنف ملك او ذى سلطان ، وليس لابن حرة يدٌ عليه .

طلب اليه امير بخارى بعد ان آب اليها أن يذهب اليه ليقرأ له كتاب الجامع الصحيح والتاريخ ليسمع منه ، فقال البخارى لمن ارسله : « انا لا اُذلُ العلم ، ولا أحمله الى أبواب الناس ، فان كانت لك حاجة ، فاحضرنى فى مسجدى او فى دارى » . فتلطف الامير . وطلب اليه ان يحضر أولاده الى البخارىّ فى مجلس لا يحضره أحد . فردّ العالم المعتز بعزة الله قائلا : « لا يسعنى أن اخص بالسماع قوما دون قوم » . اى انه يقدم العلم للناس على سواء، فحرّض الامير اَذلاءَ العلماء على أن يتكلموا فى دين عزيزهم التقي النقي .

وهكذا عاش البخارى عزيزا ، ومات معززا مكرما فى ليلة عيد الفطر من سنة ٢٥٢ هـ،فرضى‌الله عنه واثابه على عمله النافع الى يوم القيامة . ■■

محمد ابو زهرة

نتيجة مسابقة العدد ٧٦

الحلول الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

■ الاجابة الصحيحةلهذه المسابقةهي:

اديسون	: الفونغراف
باستور	: بكتريا الأمراض
جاليليو	: التلسكوب
جوتنبرج	: الطباعة الحديثة
ستيفنسن	: قاطرة السكة الحديد
سولك	: مصل شلل الاطفال
فلمنج	: البنسلين
كورى	: الرديوم
كولمبس	: امريكا
ماركونى	: اللاسلكى

وقد تجاوزت الردود الصحيحة التى تلقيناها ما كنا نتوقعه ، وكان عدد البلاد الاجنبية التى اشترك منها قراء عرب وغير عرب في المسابقة لا يقل عن عدد البلاد العربية .

ولوحظ ان معظم الرسائل تضمنت الاجابات العشر الصحيحة كلها ، بينما اكتفى الباقون بثمانى اجابات .

وخلط اكثر اصحاب الردود الخاطئة بين ماركونى واديسون ، ايهما اخترع الفونغراف وايهما اخترع اللاسلكى .

وقد اجريت عملية الاقتراع على الجوائز بين الاجابات الصحيحة فكانت النتيجة كما يلي :

الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فازت بها الآنسة **قسمت عبد الله المتروك** : الكويت .

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فاز بها **فائق بعران** . مخيم العابدين — حماه — سورية.

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها **عاصمي عبد الجبار** : وهران — الجزائر .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ — **أسد ابراهيم صباح** ، طالب فلسطيني ، يوغسلافيا .

٢ — **محمد يعقوب حسين** : نيالا — السودان .

٣ — **نوال حسين الحلي** : ديوانية — العراق .

٤ — **رافت عبد الرؤوف فتيان** : نابلس — الاردن .

٥ — **فتحي أحمد الجمل** : المنزلة — دقهلية — ج٠ع٠م٠

٦ — **فكتور أسير نصار** : عين عنوب — لبنان .

٧ — **ابو الشاعيل احمد** : الرباط — المغرب .

٨ — **محمد ابراهيم الصالح** : الهفوف — السعودية .

وسترسل الجوائز الى أصحابها . ■■

مسابقة العربي

أسئلة في صيغة أجوبة.. لكنها ناقصة

■ هذه المسابقة اختبار لمعلوماتك العامة فى التاريخ العربى والاسلامى . لكنها تختلف عن غيرها من المسابقات التى من هذا النوع بأن اسئلتها العشرة قد صيغت فى هيئة اجابات غير كاملة ،عليك انت ان تكملها باضافة عبارة من العبارات الاربع التى الحقت بكل منها ،فان احدى هذه العبارات هى التى تعطيك الاجابة الصحيحة الكاملة ، وكل ما عليك هو أن تختار منها ما تعتقده صوابا .

ويكفى ان توفق الى ٨ اجابات صحيحة من موضوع المسابقة .

— ١ —

● **كان حاتم الطائي مضرب المثل فى الكرم والجود فى عصره . وقد عاش حاتم :**

أ ــ فى عصر الخلفاء الراشدين
ب ــ فى العصر العباسى
جـ ــ فى العصر الاموى
د ــ فى العصر الجاهلي

— ٢ —

● **كان اول خلفاء الدولة العباسية :**

أ ــ هرون الرشيد
ب ــ ابو جعفر المنصور
جـ ــ ابو العباس السفاح
د ــ العباس بن الوليد

— ٣ —

● **سيدة من اشراف قريش،عاصرت ظهور الاسلام وكانت حربا عليه اى حرب ، فلما جاء نصر الله والفتح آمنت وحسن اسلامها . عرفت بام الملوك وهي:**

أ ــ الخنساء
ب ــ سلافة بنت سعيد
جـ ــ هند بنت عتبة
د ــ سلمى بنت خصفة

— ٤ —

● **اول من وضع معجما فى اللغة العربية هو :**

أ ــ ابن خلدون
ب ــ سيبويه
جـ ــ الخليل بن احمد
د ــ ابو الاسود الدؤلى

— ٥ —

● **فى عام ٢١٢ هـ غزا المسلمون جزيرة صقلية بعد معركة بحرية اشتركت فيها مائة سفينة اسلامية، كانت بقيادة :**

أ ــ طارق بن زياد
ب ــ اسامة بن منقذ
جـ ــ اسد بن الفرات
د ــ عمارة بن حمزة

— ٦ —

● **حارب المجاهد العربي عمر المختار ايطاليا فى ليبيا أكثر من عشر سنوات حتى نيف على الثمانين ، واخيرا مات :**

أ ــ على فراش المرض
ب ــ شهيدا فى ميدان القتال
جـ ــ معلقا بحبل المشنقة
د ــ اعداما بالرمي بالرصاص .

لاختبار معلوماتك في التاريخ العربي والاسلامي ..

الجوائز ١٠٠ دينار

— ٧ —

● قصر الحمراء هو احد الآثار العربية الخالدة التي تنطق بعظمة العرب والمسلمين في الاندلس . وهو يقع في مدينة :

ا ـ قرطبة
ب ـ طليطلة
جـ ـ غرناطة
د ـ اشبيلية

— ٨ —

● في الحروب الصليبية اسرت جيوش المسلمين ملكا من ملوك اوربا الذين كانوا مشتركين في المعركة التي دارت قرب المنصورة في مصر . كان هذا الملك هو :

ا ـ لويس الرابع
ب ـ لويس التاسع
جـ ـ لويس الحادى عشر
د ـ لويس الرابع عشر

— ٩ —

● « اليوم خمر ، وغدا امر » : عبارة مأثورة ، قالها شاعر عربي قديم هو :

ا ـ ابو نواس
ب ـ عمر بن أبي ربيعة
جـ ـ امرؤ القيس
د ـ عنترة بن شداد

— ١٠ —

● القائد العربي الذى وصلت فتوحات العرب على يديه الى فرنسا ، واجتاز بجيوشه جبال البرنيز واحتل بوردو وبرجوينا ومارسيليا وليون وغيرها هو :

ا ـ صلاح الدين الايوبي
ب ـ عبد الرحمن الناصر
جـ ـ عبد الرحمن الغافقي
د ـ عمرو بن العاص

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥١ .

٢ ـ يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربي ـ العدد ٧٨ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٥ .

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا
الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا
الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ..

طبيب

الفواكه الحوامض ، هل تحمض الدم ؟

●● قرأت فى بعض الكتب ان الرجل عندما يتقدم فى السن يحسن به ان يتجنب اكل الفواكه الحامضة ، وان يكثر من اكل الخضروات لأنها غير حامضة ، ولأنها على العكس من تلك الفواكه ، تجعل سوائل الجسم قلوية .فهل تتكرم بأن تذكر لي أى الفواكه يحسن بي أن اتجنبها ؟



ـ لا تتجنب شيئا . كلْ من الفواكه ما يطيب لك ، لا سيما تلك التى ترتاح اليها بالتجربة . وكذلك الخضراوات . واصرف النظر عما يقال فى امر الفواكه الحامضة . ان كل الفواكه تحترق آخر الامر فى الجسم ، ولا يبقى منها فى خلاياه غير «رماد» قلوي مهما كانت الفاكهة فى الأصل حامضة . ان كل حامض فى فاكهة يحترق فى الجسم فلا تخش من ذلك شيئا . انها غلطة شائعة وجب تصحيحها .

الشيخوخة والجمال

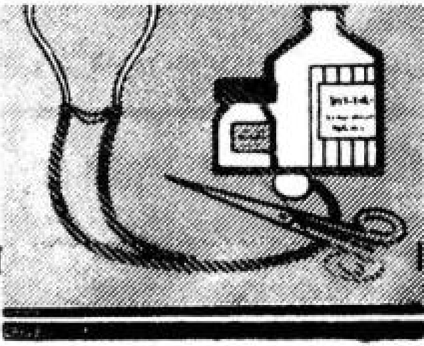
●● أنا رجل زاد سني على السبعين ، وفقدت الشيء الكثير الذى كان لى من الرونق . واسمع ان الجراحين اليوم يقومون باجراء عمليات فى الوجه للتجميل ، فهل يمكن لمثلي أن يطلب من الجراح عملية كهذه ، تحسّن وجهي امام ابنائي واحفادى ؟



ـ اولا يجب أن تعلم ان هذه الجراحة لا يقوم بها كل جراح ، وانما يقوم بها جراحون مختصون . ولا اظن أنه جاءهم كثير من الأشياخ يطلبون ما تطلب . ومع هذا فجراحة كهذه قد تكون ممكنة ، من حيث انها جراحة ، بعد فحص الجرّاح الوجه وفحص الطبيب حالة الجسم ومقدار احتماله . فهذه الجراحات طويلة الأمد على العموم .

ولكن قل لي . اولادك هؤلاء لا بد ان يكونوا قاربوا الخمسين فهم كهول .

ثم يجب أن لا تنسى ان هناك عناصر من جمال الوجه لا تفارقه ، وللشيخوخة جمالها ، ومع الجمال سمة الوقار والحكمة تقوم مقام ما افتقدت الشيخوخة من جمال الشباب الطرى .



الأســرة

الحب . بين المريضة والطبيب

●● انا رجل ، لاعلاقة لي شخصيا بهذا الاستفتاء الذى استفتيكم فيه . ولكن اعرف من يهمه هذا الاستفتاء . وملخص السؤال : ماذا يفعل الطبيب الشاب الأعزب اذا هو وقع فى حب مريضة تتردد عليه ، شابة .. ايتابع علاجها ، ام ماذا يصنع ؟ وليس فى الذى احكيه هزل ؟

ــ مراسم اللياقة الطبية فى الأمم التى نحن اقرب الى التمرس بطبها تقضى ، فى مثل هذه الحالة ، بأن يكف الطبيب عن معالجة الفتاة ، وأن ينصحها بطريقة غير مكشوفة بمراجعة طبيب آخر ، سواء كان الحب من جانب الفتاة او من جانب الفتى الطبيب .

ان استمرار الطبيب فى ممارسة الطب ، والحب قائم ، يعرض الطبيب الى سحب رخصة العلاج منه فى تلك الأمم التى اذكر . ان صلة الطبيب بمريضاته يجب أن تبعد عن كل شيء اسمه الهوى ، كان هذا الهوى حبا أو غير ذلك . ان وظيفة العلاج وظيفة اجتماعية لا بد ان تؤمن لها النقاء والبعد عن الريبة .

ما أكبر عدد أنجبته المرأة من أطفال فى حياتها ؟

●● هل تستطيع أن تخبرني كم عدد الأطفال الذى تستطيع المرأة ان تنجبه فى حياتها وهل حدث ان انجبت امرأة واحدة أكثر من اثنى عشر طفلا ؟

ــ أما ان من النساء من انجب اكثر من ١٢ طفلا فهذا وقع ، ووقع كثيرا ، وفوق الاثنى عشر بكثير .

وقد سبق ان ذكرت ان امرأة روسية ضربت رقما قياسيا ، فجاءت بأطفال عددهم ٦٩ ، وذلك فى القرن الماضي . وجاءها قضاء الله عام ١٨٧٢ .

وفى انجلترا ضربت امرأة رقما قياسيا لانجلترا ، فكان ٣٩ ، سبعة منه ذكور ، والباقون اناث .

واذا نحن عالجنا الأمر من الوجهة النظرية قلنا ان المرأة تخصب بين سن ١٥ وسن ٤٥ ، وهي تستطيع ، نظريا ، ان تنتج طفلا كل عام . ومعنى هذا انها تستطيع أن تنتج ٣٠ طفلا فى حياتها .

ولكن يجب ان نذكر ضعف الاخصاب بين سن ١٥ وسن ١٨ . وكذلك ضعفه بين سن ٤٠ وسن ٤٥ .

واذن ، فكيف جاءت المرأة الروسية بأطفال عددهم ٦٩ ؟ ... وكيف جاءت الانجليزية بأطفال عددهم ٣٩ ؟

السبب ظاهر : التوائم .

مثال ذلك ان الروسية ولدت توائم ، مثنى ، وثلاث ، ورباع .

ذكر أو أنثى ؟

●● هل صحيح أن الرجل هو الذى يحدد نوع الطفل الذى تنتجه أمه ، أيكون ولدا أم يكون بنتا . وان صح هذا ، فهل يمكن ان يتدخل العلم فيدل على أى الرجال ينتج البنات وأيهم ينتج البنين ؟ ثم هل يمكن ، بالتلقيح الصناعى من الزوج الى الزوجة أن ينتج الاثنان ولدا أو بنتا ؟

ـ نعم ، صحيح أن الرجل هو الذى يحدد ، بمائه الذى يخرج منه عند الاخصاب ، نوع الطفل ، ذكرا يكون أو أنثى .

ذلك أن منى الرجل يخرج وبه العدد الهائل من الحيوانات المنوية ، وهذه صنفان ، صنف اذا أخصب بويضة المرأة أنتج الذكور . وصنف اذا أخصب خلية المرأة أنتج الاناث .



وأعداد هذين الصنفين على كثرتهما، متساوية تقريبا .

والأسبق الى خلية المرأة هو المنتج للذكر أو الانثى ، حسب صنفه .

اما خلية المرأة فصنف واحد . وهى على كل حال ، فى الحال السوية ، خلية واحدة ، لا مئات الوف كما هى الحال فى الرجل .

هذا ما سبق أن قلناه فى « العربى » .

ويتضح من هذا أن تدخل العلم فى ترجيح صنف على صنف من الحيوانات المنوية ، دونه صعاب كثيرة . انه يتضمن فصل صنف عن صنف ، أو تكثيره ، وترجيحه . ثم يتم التلقيح بالطريقة الصناعية .

توجد بحوث تجري فى هذا السبيل على الحيوانات . الأمل فى نجاحها لايزال ضعيفا . وأرجو أن يتأخر نجاحها . فانى أحيانا أرى الحال الطبيعية أكثر حكمة ،لاسيما والانسان فى تطوره التنظيمى والأخلاقى والانسانى لم يبلغ بعد مستوى مرضيا . والتحكم فى النسل الانسانى ، هل ينتج ذكورا أم اناثا، سلاح من الخطورة بمكان عظيم .

السمنة .. والطعام

●● انا رجل سمين ، وقد نصحوني بالتقليل من الطعام ، وقد فعلت ، فلم ار لهذه القلة وحرمان النفس اثرا يذكر . فعمدت الى الطعام . ومع هذا يحذرونني من عاقبة السمنة ، ولا سيما من خطرها على القلب ..

ــ ان الذى نصحك بتقليل الطعام قد صدق ، ولكنه لم يتم نصيحته . انها نصف نصيحة ، لأنه لا بد مع تقليل الطعام من الحركة .

ولا اقول لك هذا جزافا . انه نتيجة الخبرة العلمية والحساب العلمي . واليك مثل من ذلك قريب :

رجل ذهب الى ناديه ، وتناول وجبة صغيرة ظهرا ، كانت شطائر من خبز ولحم ، وكوبا من حليب . وعاد بعدها الى ما تعود فى حياته من قعود .

فهذا الطعام ، وقدّر بنحو ٧٥٦ سعرا حراريا ، لن يستهلك ، والرجل قاعد ، الا بعد نحو ٩ ساعات . ويأتى موعد الطعام الثاني فيأكل ، ويتراكم الطعام دون احتراق فيتحول الى مخزون فى الجسم ، هو الشحم واللحم .

وقدّروا لو ان هذا الرجل ، بعد شطائره هذه ، تحرك ، لاستهلكها ، فى وقت قصير ، احتراقا . استهلاك هذا المقدار من الطعام حرقا يحتاج الى ساعتين ونصف ساعة مشيا . ويحتاج الى ساعة ونصف ركوبَ دراجة . ويحتاج الى نحو ساعة سبحا فى الماء . ويحتاج الى نحو ٤٠ دقيقة جريا .

فالطعام عامل فى السمنة والنحافة .

ولكن كذلك الحركة والرياضة ، عامل لا بد من ضمّه الى الطعام .

ومن الطريف امثلة أخرى من الطعام ضربوها وقدروها .

مثال ذلك التفاح : ان تفاحة كبيرة تعادل ١٠٠ سعر من الحرارة . وهذه الطاقة تستهلك فى ١٩ دقيقة مشيا ، وفى ١٢ دقيقة ركوب دراجة ، وفى ٩ دقائق سبحا . وتستهلك والمرء مضطجع فى ٧٨ دقيقة .

ومثل آخر : بيضة مقلية . فهذه بها ١١٠ من الاسعار الحرارية ، تستهلك مشيا فى ٢١ دقيقة ، وركوبَ دراجة فى ١٣ دقيقة ، وسبحا فى الماء فى ١٠ دقائق . ولكنها اضطجاعا تستهلك فى ٨٥ دقيقة .

والبيضة المسلوقة بها ٧٧ سعرا ، ويجرى عليها مثل ما يجرى على المقلية .

ونصف صدر فرخة ، به نحو ٢٣٢ سعرا .

وكوب حليب به نحو ١٦٦ سعرا .

وكوب عصير برتقال به نحو ١٢٠ سعرا .

وهلم جرا . وكلها يجرى نفس المجرى .



اضطرب عند امتحاني لسياقة سيارة

●● انا فتاة فى العاصمة العربية... ارتزق بالعمل . والسيارة ضرورية لى . ولكن لا بد من امتحان لنيل رخصة السياقة . وعند الامتحان تعتريني حالة اضطراب تؤدى الى السقوط فى الامتحان . وفى غير الامتحان يشهد لى الكل بحسن السياقة . فكيف اصنع ؟

ـ حالتك هذه ليست غريبة بين الحالات . وهى تحدث ، لا فى حالة امتحان لسياقة سيارة ، ولكن فى حالات كثيرة يصيب الانسان فيها القلق والخوف ، كامتحانات المدارس والجامعات ، والاضطراب عند مواجهة رئيس العمل فى طلب وظيفة . ولكن الذى تطلبين شائك نوعا . وقد سألنا العارفين من اخواتنا أهل الغرب فقالوا ان فى بلادهم لا يتردد الطبيب فى اعطاء من هو فى مثل حالتك حبة أو حبتين من مسكن معتدل يهدىء الاعصاب ، ولا غير ذلك . واذن فاطلبي ان شئت مثل هذا المسكن من طبيبك ، فهو أقدر بعد فحصك على اختيار الأنسب . وعند الامتحان للسيارة قولى للممتحن ان اعصابك تضطرب فى الامتحان ، ولهذا تعاطيت مسكنا ، حبة من كذا .. وبذلك تضيع الشبهة الخلقية التى قد تساور النفس من ذلك .

مقلاة لا يلصق اللحم بها

●● ظهرت حديثا فى الاسواق مقلاة لتحمير اللحم ، لا يلتصق بها اللحم عند التحمير وباطن هذه المقلاة مغطى بطبقة يطلقون عليها اسم « لوكوفين » ، فهكذا سمعت من مدير المحل الذى يبيعها. وهو يقول ان هذه المقلاة ، فوق انها لا تلصق باللحم ، يباركها الاطباء . فمن اى وجه يباركونها وهل اللوكوفين مادة طبية ؟

ـ يظهر ان المسألة كان فيها سوء تفاهم بينك وبين صاحب المحل ، على الأقل من حيث الطب .

اما المادة التى ذكرتها فهى مركب من مركبات الفلورين ، وهو اخ الكلورين . وهذه المادة هى التى تمنع اللحم ان يلتصق بالمعدن الذى تصنع منه المقلاة . ومن خواص هذه المادة انها تصمد لدرجات الحرارة العالية التى لا يصل لها الانسان فى الطهي أبدا . فهى اذن لا تكاد تتأثر عند الطهى . والذى ينفصل منها من التفاهة بحيث لا يحدث منه اقل ضرر .

بقي أن الأطباء باركوها . ان هذه طريقة للاعلان طريفة . قد يكون من الأطباء من باركوها . ولكن كيف ؟

ان اللحم لا يلتصق بالمقلاة عند التحمير ، واذن فيمكن انضاج اللحم فى المقلاة بدون سمن ، أو بشيء قليل تافه من السمن . والسمن يضر كثيرا من الناس ، فهو دهن ، وخطر كثرة تناول الدهن ، لا سيما عند من عندهم ضغوط دم عالية ، معروف .

فالمقلاة اذن حافز على تقليل تناول الدهن فى الطعام . ومن هنا جاز ان يكون من الأطباء « مبارك » لها .



أبو القاسم الزياني

المغربي الفاسي الذي ثقفته الرحلات ، وصهرته الحوادث ، رفعًا وخفضاً ، وكتب على سجيته فكان من ذلك تاريخ يؤثر..

بقلم الدكتور نقولا زيادة

■ اذا عدّ اعلام المغرب فى القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر للميلاد ، كان ابو القاسم الزياني فى مقدمتهم . فقد كان رجل سيف وقلم وادارة ، اذ عهد اليه بادارة وَجْده ، وتازه ، ومكناس وطنجة ، وتطوان ، والعرائش ، وسجلماسه ، كما ولي امر التفتيش على مراسي المغرب ومراقبة عمالها . ولي الكتابة والوزارة والحجابة فى بلاط سلاطين المغرب كما قاد الجيوش غير مرة .

وقد رحل الزياني الى المشرق ثلاث مرات اولاها مع والديه لأداء فريضة الحج ، وثانيتها ذهب فى سفارة عن السلطان الى استنبول عاصمة الخلافة . اما الثالثة فكانت رحلة خاصة قام بها وقد بلغ الستين من عمره فزار الجزائر وتونس واستنبول ومصر والديار المقدسة .

ومع كل هذه الاعمال والرحلات فقد وجد من الوقت ما مكنه من وضع خمسة عشر كتابا فى التاريخ والجغرافيا وغيرهما .

ولم تكن ايام الزياني ايام رخاء كلها . فقد لقي فى حياته نكبات على ايدي رجال الحكم فى فاس ، فاستصفيت امواله وصودرت املاكه واُوذي فى شخصه . فالرجل ، كما نرى ، حريّ بأن يذكر ويتحدث عنه ، ويعدّ بين اعلام المغرب فى تلك الفترة .

نشأته

ولد ابو القاسم سنة ١١٤٧هـ/١٧٣٥م فى فاس، وكان أبوه قد انتقل اليها قبل ذلك بثماني سنوات . واسرته من قبيلة زيان من قرية اركو ، حيث كان يقيم جده لأبيه ، وكان تقيا ورعا ، فوقع اختيار السلطان مولاى اسماعيل عليه ، لانه كان رجل فقه ودين ، ليؤمه فى الصلوات ،

وبذلك نقل الى مكناس . وقد علق المؤرخ ابو القاسم على ذلك فيما بعد بقوله « فهذا سبب انتقال جدنا من آركو الى الحضر » . وبعد وفاة السلطان انتقل والد ابي القاسم الى فاس .

طلاب العلم في المغرب كانوا دوما يرحلون الى فاس ليتثقفوا ، ولكن ابا القاسم كان فيها ، وكان في اسرته للعلم حرمة وللتعلم مكانة . وهكذا كان اولَ معلمي مؤرخنا ابوه وأصدقاء ابيه ، وهم في الطبقة الاولى من اهل المعرفة يومها وفيهم محمد ابن الحسن بناني ، ومحمد بن الطيب القادري ، وعمر الفاسي . وهؤلاء وسواهم كانوا من أهل القرويين ، وهم الذين تخرج عليهم ابو القاسم في الفقه والحديث والتفسير والنحو والمنطق .

معرفته بعلم السيمياء

على أن الزياني كان على معرفة بعلم آخر هو هذا الذى سماه الناس من قبل مسائل الخط والجدول ، وأطلقوا عليه علم السيمياء أو العلوم السرية . وليس من السهل أن يقطع برأى عن مصدر هذا العلم ، أو هذه الحيل ، بالنسبة اليه ، ولكنه هو ، اذ يتحدث عن اقامته في القاهرة مع أهله في بيت صاحبهم الذى نزلوا عنده ، يشير الى تعلمه الكثير من مسائل الرمل والسيمياء من ابن صاحبهم ، فيقول : « وفي اقامتنا بمصر كنت أجالس بالبيت ابن ذلك الصاحب وأشاهد منه عجائب كان له يد في علم الرمل وعلم السيمياء ، ومن رأى تصوُّراتِه يحسب أنه من الاولياء ، فشغفت بفنه واتخذته شيخا ، ولازمته حتى ملكت لبه بالسخاء ، فجاد هو أيضا بما عنده في الجريب ، وأفادني في أمد قريب ، وأوقفني على ما في علمه من خواص المعادن وما ينشأ منها من الاسرار والعجائب ، التى يبلغ بها أعلى المراتب ، وأطلعني على ما يلحق بها من الحيل التى يستعملها المشعوذون ، ومن بحرها يستمدون ، فعدت بذلك مسرورا » .

ويتحدث الزياني عن بعض ما كان يقوم به ذلك الرجل فيقول :

« كيف لو علم منها ما يُعَدّ من الكرامات ، ومن يشاهده لا يشك أنه من أكبر العلامات ، اذا لادّعى النبوة وأنواع الرسالات ، فاني أعرف الرجل يلقى من يده السبحة فتسعى اليه بعد الاستدعاء ، ولا يرتكب هذا التدليس والافتراء ، ويتكلم على المصباح الموقد فيطفى ، ويضع الحاجة (الشيء) امام القوم فتختفي ، ويتكلم على المصباح الذى انطفا فيشتعل ، وعلى النائم فينفعل ، ويصب الماء في الاناء فيجمد ، ويقرأ على النار فتخمد ، ويكتب المكاتب لمن بالشرق ويلقيها من خلفه ، ثم يفتحها فتوجد اجوبتها كل على وفقه ، ويستخرج اسم الرجل المجهول واسم أبيه وامه ، وقبيلته وفصيلته وقومه ، ويلقى على النحاس المذاب غبارا ، فيصير نضارا ، وهو زاهد في ذلك (يعني دعوة المشيخة) ورع في حيز الاهمال ، لا يلتفت لمنصب ولا جاه ولا مال ، مقبل في بيته على تسويد الاوراق ، بما شاهده في الجولان بالآفاق » .

رحلة مع والديه الى مصر فالحجاز

وقع المغرب اثر وفاة السلطان مولاى اسماعيل (١١٣٩ هـ / ١٧٢٧م) في حالة من الفوضى والفتن ، واضطرب حبل الأمن فيه ، وحار العقلاء ماذا يفعلون . ذلك بأن اليد القوية التى كانت تمسك بالازمة في البلاد فقدت ، وتلا ذلك انفجار لجميع العناصر والقوى التي كان المولى اسماعيل قد هدّأها او سيطر عليها . وكان عمَر ، والد ابي القاسم فيمن اعتزم على الرحيل عن المغرب ، والاستقرار في أرض الحجاز مجاورا في المدينة المنورة ففي عام ١١٦٩هـ باع عمر دارين كان يملكها بفاس وكتبا كان والده قد خلفها له ، وجمع من ذلك ما يبلغه مراده . وارتحل مع زوجته وابنه أبى القاسم الى مصر ومنها ركبوا البحر لكونه أقرب مسافة وأقل مشقة . واشترى له سلعة بقصد التجارة ، ففي مرسى الينبع تكسّر المركب وضاعت السلعة وتلفت الأسباب ، وحمدوا الله على عتق رقابهم ، وكانت هذه النكبة هي أولى النكبات السبع التى أصابت المترجَم له، وأثرت في حياته تأثيرا عظيما . وهناك أخرجت والدته من حزامها ٣٠٠ دينار ، لم يكن لهم بها علم ، فاكتروا لجدة ومكة وأقاموا الفرض وتوجهوا الى المدينة بقصد الزيارة ، ثم رجعوا الى مصر وكانوا قد تركوا بها بعض الأسباب عند صاحبهم فباعوها مما أصلح الاحوال واستعدوا للرجوع الى المغرب .

وكانت طريق عودتهم من الاسكندرية الى فاس متعرجة . فقد ذهبوا اولا الى ايطالية حيث قضوا اربعة اشهر ، ثم انتقلوا الى مرسيليا ومنها الى برشلونه ثم الى تطوان ففاس .

هذه الرحلة التي دامت ثلاث سنوات كانت فاتحة طيبة للشاب الذي كان قد تعلم ما عند اهل القرويين ، وما في كُنّاش جده ، وما كان في فاس من علم الجدول ، فقد اثارت فيه الانفعالات واكسبته التجربة التي قلما تعدلها تجربة ، وانارت سبيله . فلم يظل ذلك العالم المحدود ، وانما أصبح عالمَ الحياة المتسعة أيضا .

سلاطين المغرب في عهد الزياني

خلف السلطانَ اسماعيل في ملك المغرب ، في الفترة التي اتصل فيها ابو القاسم الزياني بالبلاط وخدمته ، عبدُ الله بن اسماعيل (١١٣٩-١١٧٠ هـ / ١٧٢٧ - ١٧٥٧ م) ومحمد بن عبد الله ، (١١٧٠ - ١٢٠٤ هـ / ١٧٥٧- ١٧٩٠م)» واليزيد بن محمد (١٢٠٤ - ١٢٠٦هـ/١٧٩٠ - ١٧٩٢م) ، وسليمان بن محمد (١٢٠٦- ١٢٣٨هـ/ ١٧٩٢ - ١٨٢٢م) .

الزياني يتعلق بخدمة السلطان

عاد ابو القاسم من رحلته وتفقد اصحابه ، فوجدهم قد تعلقوا بخدمة السلطان فانحاز اليهم، وأصبح كاتبا في البلاط العَلَوي .

ولكن بلاطات الملوك يرتفع فيها الناس ويهبطون، ويُسرُّون ويألمون ، ويفرحون ويترحون ، اذ يقيم فيها الناصحون والحاسدون والوشاة، والذين يملأ الغيظ نفوسهم والذين يأكل الحسد قلوبهم . وتطلع هؤلاء الى الزياني الشاب يتربع حيث هو، فلم يرق لهم ذلك ، فوشوا به ، فطرده السلطان بعد عشر سنوات من الخدمة ، وظل مدة مهددا بالقتل .

ولكن عرضت للسلطان مشكلة فيما بعد فاستشار الزياني ، وكان منبوذا مطرحا مع الجيش ، فمحض السلطان النصح ، فأعاده السلطان الى ما كان عليه ، وزاد اكرامه ورفع منصبه اذ جعله رئيسا للكتبة .

ولما كسر السلطان شوكة عمه الحسن بن اسماعيل، اثر ثورة قام بها ، انتدب الزيانيَّ لمفاوضة العم ، فنجح .

وجاء الحسن الى مكناسة ومعه «اولاده الثلاثة ... وعدد من المدافع والمهاريس والقذائف وطائفة من الطبجية الالمان والف» من عسكر الثغور » . ووجهه السلطان الى المغرب ليأتيه بجيش من عبيد الثغور فنجح في ذلك ايضا .

وفي سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م سفر الزياني بين السلطان والخليفة العثماني عبد الحميد الاول ، ونجح في مهمته ايضا .

وقد تقلب في وظائف عدة : فوليَ المدنَ ودَرَّب الجنود البحرية ، وأشرف على شؤون موقتة في وجدة وتازة ومكناس وطنجة وتطوان والعرائش . وولاه السلطان تافلالت وهي مقر الاسرة ومستقر اهل بيت السلطان ، فبقي هناك ثلاث سنين .

الزياني يسجن ويضرب في عهد اليزيد

وانتقل السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى الرفيق الاعلى (١٢٠٤هـ / ١٧٩٠م) وولي بعده ابنه اليزيد الذي لم يكن محبا للزياني ، فزجه في السجن وصادر املاكه ، ثم امر باخراجه من السجن وولاه على اغادير. ولم يلبث ان عاد فازوَرَّ عنه وقبض عليه في العرائش ، وضربه حتى اُغمي عليه . وقد كتب هو عن هذه الحادثة فيما بعد فقال « ولم اُفق من غشيتي الا بعد ثلاثة ايام ، فوجدت الحديد على رجلي ، والسلسلة في عنقي، ويدي مكسورة واصابعي كذلك ، فكان بعض الاحبة يأتيني ليلا بطبيب يعالج يدي ورأسي وجراحتي » .

ونقل الى الرباط ، وظل مسجونا هناك حتى مات اليزيد (١٢٠٦هـ/١٧٩٢م) فسرحه اهل المدينة ، فقصد فاس حيث حضر بيعة المولى سليمان .

وفي عهد المولى سليمان كانت للزياني مآس ونكبات

كان المولى سليمان يعرف كفاءته ومقدرته فولاه على وجدة ليصلح ما فسد من أحوالها ، فان عرب انكاد كانوا قد عاثوا في تلك النواحي فسادا ونهبوا الحجاج . ولم ير السلطان خيرا من تولية الزياني لقمعهم وكبح جماحهم، الا انه كره ذلك لعلمه بما فيه من المشقة. واستقال فما اقيل،

فتوجه اليها مرغما ، وخرج معه ركب التجار الذى كان محصورا بفاس . وما وصلوا الى أرض انكاد حتى عدا عليهم العرب وقتلوهم ونهبوا الأموال والمتاع ولم ينج منهم الا القليل ، وكانت هذه نكبته الخامسة .

وقد انسل منها فارا بجلده سالما من الخدمة السلطانية ، فتوجه الى وهران ، ثم الى تلمسان حيث اقام بجوار بلدة العباد سنة ونصفا ،مشتغلا بالمطالعة والتقييد والتاليف . واطلع هناك على غرائب كتب التاريخ التى تعد اليوم فى حكم المفقودة ».

فى سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٤م زار الاستانة والمشرق وعاد الى فاس ، فكلفه السلطان بتفتيش مراسى المغرب ومراقبة عمالها ، ثم الزمه خدمته كاتبا ووزيرا وحاجبا (١٢١٣هـ/١٧٩١م) . وبعد احد عشر عاما نكبه السلطان وانزله عن ولاياته .

وفاته

وهمَّ بعدها بزيارة المشرق للمرة الرابعة ، ثم عدل عن ذلك وانصرف الى التاليف والكتابة حتى وفاته سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م وقد بلغ مئة واثنتين من السنين .

الزيانى ثقفته رحلاته

اشرنا من قبل الى أن الزيانى قد تثقف فى مدرسة الرحلات ، وعرضنا الى رحلته مع والده اذ اعتزم هذا أن ينتقل الى الحجاز . ليجاور فى المدينة المنورة ، وذكرنا اضطرار الأسرة الى العودة .

الزيانى : رحلته الثانيـة ، سفارة الى الخليفة العثمانى

وكانت رحلة الزيانى الثانية فى سنة ١٢٠٠ هـ اذ سفر عن السلطان الى الخليفة . وقد نقل الاستاذ عبد الله كنون أخبار هذه الرحلة بتفاصيلها ، وها نحن اولاء نذكرها هنا بكلماته .

« وفى عام ١٢٠٠هـ أرسله السلطان سفيرا الى الخليفة عبد الحميد الاول بالاستانة ، فركب البحر من الصويرة ، هو وسفير تركى اسمه اسماعيل أفندى كان عند السلطان ، ونزل بمالقة، ثم ركب منها قاصدا دار الخلافة . ولكن المركب عَطِبَ ، فلجأ الى تونس بقصد اصلاحه ،ونزل عند بابها حمودة باشا الذى اكرم نزله . ثم بعد عشرة أيام أُصلح المركب وتوجهتوا الى طيّته. فحين عاين السفير التركى شواطىء بلاده استأسد وجعل يَسُبُّ المغرب وسلطانه ، فنهاه الزيانى فلم ينته ، فحينئذ قام اليه واخذ بلحيته وأراد ذبحه متقربا به لله – كما يقول – الا أن رئيس المركب خلّصه من يديه وشفع فيه فتركه .

ولا نحتاج الى القول ان الزيانى قام بمهمته كما يجب ، وأن ولاة الأمر فى الاستانة قد اعتنوا به غاية الاعتناء، وانه قابل الخليفة فى غير الموعد المحدد لمقابلة أمثاله من السفراء ، رعيا لوقوع الحرب بين الدولة العلية وروسيا ومحاولة الدولة السلف من سلطان المغرب . ومما يزيد فى اعتبار الزيانى انه لما عرض عليه الوزير التركى الاول فكرة السلف رحب بها وايدها وقال : ان سلطاننا له رغبة فى الجهاد ، ولولا مشقة البحر وبعد المغرب ، لسعى للجهاد بنفسه ، واما المال فانه يعطيه بلا سلف .

وهكذا تقرر رجوع الزيانى ومعه سفير تركى الى المغرب بعدما قضى مئة يوم فى الاستانة ، وزار جميع مشاهدها وآثارها من مساجد ومدارس ومكاتب ودار السكة والخزينة وغيرها ، ووصف كل ما وقعت عليه عينه وسمعته اذنه وصفا دقيقا شيقا يطول تتبعه . وكان ممن اجتمع به هناك الشيخ كمال الدين باشا وقرأ عليه تاريخه لتركيا واختصره .

« وفى أثناء الطريق وقع من السفير التركى مثل ما وقع من سابقه برغم توصيته والتأكيد عليه أن يكون عند نظر الزيانى . ولما شعر به أنه يراود المركب على الدخول الى مرسيليا ، التى لم يشأ الزيانى التعريج عليها كرها للحجر الصحى ، جعل يراقبه وينظر فى الخريطة ، حتى اذا وصلوا للمحل الذى يتوجه منه الى مرسيليا طلع فوق (القامرة) وجلس ووقف خدامه بسلاحهم . فلما أراد رئيس المركب أن يتوجه نحو مرسيليا قال له: ابق على طريقك،والله لو دُرْتَ بالمركب لاقتلنك. وهكذا انتصر على السفير التركى مرة أخرى .

« ولما لقى الزيانىُ السلطانَ ناوله كتابا من عند الخليفة يقول فيه : « وبعد فانه قد وصلنا من مقامك الاسمى عشرون سفيرا ، واحسنهم عقلا ونبلا وسياسة وادبا فلان الذى ادىرسالتك وهديتك بادب وانفصل عنا بادب ، فمثله من يكون سفيرا بين الملوك ، فان اقتضى نظرك توجيه سفير من أطرافك فليكن هو ، فان ظاهره وباطنه سواء » . وما ندرى هذا نص الرسالة او تقرير من الزيانى . وعلى كل حال فقد سر السلطان به سرورا عظيما ودعا له بخير واثنى عليه ونوه به امام الجمهور .

وكان من نتيجة هذه السفارة ان تقدم المغرب باعانة مالية للدولة العثمانية تأييدا لها فى حربها مع الروسيا . وكانت قيمة الاعانة تعادل مليونى قطعة فضية عثمانية او خمسين الف ريال من سكة المغرب ، جعلت سبائك فى صناديق وارسلت بطريق اسبانية وفرنسة .

الزيانى : رحلته الثالثة ، الى المشرق

وقام الزيانى برحلة ثالثة سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٤م كان يومها مقيما فى بلدة العُبّاد بجوار تلمسان يقرا كتب التاريخ وغيرها بعيدا عن البلاط المغربى وما اليه بعد أن هرب منه ، فتاقت نفسه الى زيارة الاستانة وبلاد المشرق . « متعهدا تلك الديار ، متفقدا ماله بها من الاصحاب » . فذهب الى وهران فالجزائر فقسنطينة فتونس . وكان الولاة والعلماء والاعيان يحتفون به فى كل مكان .

« وفى عام ١٢٠٨ هـ ركب متن البحر الى الاستانة ووصل اليها بعد معاناة الأهوال ، فقوبل بمزيد الترحاب ، ثم توجه الى الحج مع امير الركب ، ولقى بمكة احمد الجزار والى عكا ، فرغب اليه فى الذهاب معه الى الشام بسبب ما راى منه من البراعة فى علم الجدول وغيره من العلوم السيمية . وكان الجزار مولعا بها بعد فراوغه الزيانى حتى خلص منه . كما لقى الشيخ جعفر الهندى وكاشفه بما فى ضميره واخبره بما سيصيبه من شدة فى نفسه وماله ورجوعه الى المغرب ونكبة السلطان له ، ثم نجاته من كل ذلك . فعاد الى مصر مع مركبها وصحبته جاريتان حبشيتان كان قد اشتراهما من المدينة .

« وفى كل هذه الانتقالات كان يقابل الوجوه والصدور من رجال الدولة وأهل العلم ويحتفون به غاية الاحتفاء ، ويتذاكرون معه أيام العز والهناء فى مدة السلطان عبد الحميد الاول العثمانى والسلطان محمد بن عبدالله المغربى . وممن اجتمع به فى مصر من العلماء هذه المرة المؤرخ الجبرتى واسماعيل العباس وسواهما .

« ثم عزم على الرجوع الى المغرب فركب من الاسكندرية مركبا كان متوجها الى ازمير بشحنة من القمح، يعود بعدها الى الجزائر حاملا الجنود. ولكن الريح عاكسته فدخل الى جزيرة رودس ، ومنها الى انطاكية حيث بقى بها شهرا ، توجه رحالتنا فيه الى القدس الشريف ، ثم الى دمشق زائرا متبركا . ولقى بهذه الشيخين كمال الدين الغزى وسعد الدين النابلسى حفيد الشيخ عبد الغنى الشهير ، ثم توجه المركب الى ازمير فدخلها الزيانى ومعه فضلا عن البضاعة عشرون الف قرش نقدا تركيا ، فتوقف مامور الجمرك فى تسليم البضاعة حتى اعلم بحيثية الرحالة وماضى مجده فى بلاد الترك فسلمها .

« ولم يزل الزيانى هناك فى عز واحترام مدة ستة اشهر ، اذ كان السفر قد تعذر عليه بسبب الوباء العام وقلة المراكب . ولما عادت المياه الى مجاريها عول على السفر ، وكان قد اشترى من ازمير بما معه من المال بضاعة من الحرير ، فشحنها فى مركب ذاهب الى الجزائر ، وتخلف هو لأجل امتلاء المركب بالجند ، فذهب فى مركب آخر الى تونس حيث وضعوا فى « الكرنطينة الشنعا ، الممنوعة عرفا وشرعا » كما يقول هو . وكانت له جارية على وشك الطلق فاشفق من حالها وكتب يتشفع الى بعضهم فلم يجده شيئا . ومن الليلة القابلة جاء الطلق للجارية فكان هو القابلة ، وولد له ابن سماه بعبد السلام . ثم انشا قصيدة فى ذم هذه الكرنطينة ومن وضعها . ولا شك انه كان يتذكر ايام الصولة فى رحلته السابقة ، حين وقف هو واصحابه بسلاحهم يهددون رئيس المركب

ويصرفونه عن الدخول الى مرسيليا خــوف الكرنطينة ، ويتمنى لو تأتى له أن يفعل مثل ذلك» حتى ينتقم من هؤلاء الولاة القساة ، ولكن حيل بين العير والنَزَوان ، وقد كبر الرحالة وأنهكت قواه فلم يبق له الا الرجوع الى سلاح اللسان والطعن به بدل الطعن بالسنان .

« ثم بعد النزول الى تونس ماتت الجـارية بالوباء ، وتركت الولد ، ولم يجد من يرضعه الى أن جاءه رجل مغربى مات له صبى وبقيت امرأته ، فدفعه لها ، وسافر الى قسنطينة فلم يجد الوالى بها ، ثم الى الجزائر . وكان انما باع لأجل ذلك نسخة من صحيح مسلم بخمسين محبوبا اشتراها من مصر بمائة ، ولما دخل الجزائر علم أن بضاعة الحرير لم تصل ، وأن المركب أخذه القرصان فسلم الأمر الى الله وبقى خاوى الوفاض ، لا يجد ما يكمل به أجرة الحمار ، لولا أن القاضى أبا عبد الله بن مالك وصله وباشره بما أصلحه ، وبقى منتظرا المركب نحوا من سبعة أشهر. وكان صاحبه يباشر قضية التجار والسلعة مع العدو وادعى أنه تونسى ، وتونس كانت فى مدة صلح معه ، فأحرز المركب والسلعة وسلم الجند، وبذلك وصلت الى الزيانى بضاعته سالة ،فانتعش بعد الانتكاس ، وعول على الاقامة بتلمســان وكتب لأهله بفاس يأتونه اليها .

« وقد فرح أهله وأصدقاؤه برجوعه ، وكانت قد انقطعت أخباره عنهم ، ولكنهم رغبوا اليه فى الرجوع الى فاس ولم يرسلوا اليه عدا جـارية واحدة للخدمة ، والسلطان نفسه كتب له يأمره بالرجوع ويطمنه » .

الزيانى ينصرف الى التاليف : ١٥ كتابا

فى هذه السنوات الأخيرة من حيـــاته انصرف الزيانى الى التاليف فأتم عملا ضخما ، اذ خلف لنا خمسة عشر كتابا فى الجغرافية والتاريخ والفقه وما اليها .

ثلاثة أولها تاريخه الكبير الذى سماه «الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب » وهو تاريخ يبدأ بالخليفة وينتهى بأوائل القرن التاسع عشر .

وثانيها كان أيضا فى التاريخ سماه « البستان الظريف فى دولة أولاد مولانا على الشريف » . وهو تاريخ مفصل للدولة العلوية الى ايامه .

وأما الثالث من كتبه المهمة فرحلته المسماة « الترجمانة الكبرى التى جمعت أمصار المعمورة كلها برا وبحرا ». وقد وصفها بقوله « وفى كل مقام منها مقال ، وفى كل روض منها مجال ،حسبما يقتضيه الحال ، ويخطر على البال ، من نصوص قرآنية ، وتأويلات تفسيرية وأحاديث نبـوية ، وفتاوى فقهية ، ومواعظ صوفية ، وحجج قطعية، وأدلة معقولية ، وشواهد شعرية ، وضوابط معنوية ، وأسامى لغوية ، ونوادر مسرحية ، وقصائد عالية ، وما يناسب كل خبر ويؤيده ، ويعتمد عليه ويعضـــده ، وختمتها بنصوص من التوراة والانجيل والفرقان ، للرد على اليهود والنصارى والصابئة والمجوس من عبدة النيران».

راى عبد الله كنّون فى الزيانى

ونود أن ننقل راى الأديب المغربى الكبير عبدالله كنون عن الزيانى . قال : « الزيانى من أولئك الكتاب القلائل الذين تظهر شخصيتهم القوية بين سطور كتاباتهم عارية من كل تصنع ، بريئة من كل تزيد . واذا كان يبالغ بعض الأحيان فى ادعاءاته لنفسه واتهاماته لغيره ، فانما ذلك من سذاجته واغتراره بظواهر الاشياء ، وربما كان لعدم تثقف قلمه وخشونة عبارته .. وهو فى غالب الأحيـان منتبه الشعور دقيق الاحساس فلا يمر بحـادثة ولا خبر ، ولا تقع له واقعة ، الا علق عليهـا بما يناسب ، واستطرد نظائر وأشباها لها مما زاد فى قيمة تاريخه وجعله من التواريخ المهمة التى لا تعنى بسرد الحوادث والاخبار مجردة عن النظر والتمحيص . هذا مع اختصاره وجمعه لاقتصاره على أهم الاشياء واعراضه عن الحشو والأمـور التافهة .. وأسلوب الزيانى فى الكتابة كما تراه سهل واضح قريب من العامة وان كان فى بعض المرات يحتفل احتفال بلغاء الكتاب فيقومـــه ويسجعه ، وان كان لا يستطيع أن يخلصـه من اللحن الخفيف الشبيه بلحن كتاب الجرائد اليوم » . ■■

نقولا زيادة

الشعر المصري في العصر الوسيط

بقلم : الدكتور مصطفى الصاوى الجوينى

مدرس البلاغة والنقد بكلية البنات ـ جامعة عين شمس

■ يستوقف الباحث ، فى الفن المصرى ، منظوره ومسموعه منذ اقدم عصوره ، ما يسرى فى اعطافه من تيار دينى يسيّره ويتحكم قوانينه الجمالية ... فمثلا قيم الجمال فى الأهرامات ؟ ... وأبى الهول ؟ وفى الفن الفرعونى على اطلاقه .. ؟ وماذا تركت دول حكمت مصر ـ شيعية وسنّية ـ على الأدب والنقد من قيم جمالية ؟ وما شأن حروب خاضتها مصر فى لقائها للصليبيين والتتار فى مقاييس الجمال التى وُزن بها الفن والأدب المصريان ؟ هذا الى ما تلا ذلك من لقاءات مع موجات الاستعمار الواحدة اثر الأخرى ... ؟

نقصر الحديث على الشعر العربى المصرى ، فى القرون الهجرية : الخامس والسادس والسابع

ان ميدان الفن المصرى كما نرى ذو سعة والقول فيه فسيح تحوطه صعاب عملية لا تخفى على المشتغلين به . ولهذه الاعتبارات وغيرها ، فحديثنا هنا مقصور على مجال الشعر المصرى العربي خلال اطراف من القرون الهجرية الخامس والسادس والسابع ... ومقصور على ظاهرة فيه لافتة وهي ـ ان جاز لنا التعبير ـ استخدام معان من الدين استخداما فنيا فى الأدب .

ومعروف لنا ان البلاغيين فى كتبهم يفردون بابا لما يسمونه التضمين ، او لما يسمونه الاقتباس، او التوجيه ، او ما شاءوا من اسماء يخصونها باستعمال الأدب لاقتباسات من القرآن والحديث او مصطلحات من العلوم والفنون . وقد نستطيع ان ندرج الشعر المصرى فى الحقبة التى نعرض لها تحت عنوان من تلك العناوين حيث تلك المصطلحات ـ فى كتب اصحاب البلاغة ـ مستخدمة فى النصوص التي استجلبوها استخداما شكليا للزينة والزخرف . استخداما ظاهريا بلغة أهل الطب . اكسسوارات Accessoirs ، فى متعارف فن الأزياء . وكذلك سنجدها فى كثير من الشعر المصرى فى تلك الفترة تشرك الشعر العربي فى

بيئاته المختلفة وان انفرد الشعر المصري في هذه الخصيصة بكمه الغزير .

امتزاج المعنى الديني ، في بيت الشعر ، بصميم خلقه الفني

ولقد نلقى في الظاهرة التي نعالج اليوم - على ندرة - امتزاج عنصر المعاني الدينية امتزاجا عضويا كيمائيا بكيان البيت من الشعر ، في صميم خلقه الفني . وذلك لأن القصد الفني هو المعنى والتعبير القرآنيان . وفي المثال والشاهد دليلنا ...

(أ) هذا الشاعر المصري الضرير ، موفق الدين ، يعشق الجمال على السماع دون المعاينة ..... وفيم العجب ، وموسى كليم الله ولم يره ! ...

قالوا عشقتَ وأنتَ أعمى
ظبيا كحيلَ الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها
فتقول قد شغلتك همّا
وخياله بك في المنا
م فما أطافَ ولا ألمّا
من أين أرسل للفؤا
د وأنتَ لم تنظره سهما
وبأي جارحةٍ وصلـ
ـتَ لوصفه نثرا وشعرا
فأجبتُ أني موسويّ
العشقِ إنصاتاً وفهما
أهوى بجارحة السما
ع ولا أرى ذات المسمّى

هزازة للفؤاد تلك المقابلة بين عَمَى الشاعر وطَرْف محبوبته الكحيل .. ثم التعبيرات (عشتَ وانت اعمى) .... (حلاه ما عاينتها) ... (وخياله بك في المنام فما أطاف) ... (وانت لم تنظره) ... (وبأي جارحة وصلتَ) .... (اهوى بجارحة السماع ولا أرى) ... كلها تصرخ - في صدق - بحرمان الشاعر من نافذة تطل على جمال الوجود ... ولا يجد هذا العاشق الأعمى ملاذا الا في رحاب المعنى الديني ، في قصة كليم الله موسى .

(ب) واذ أن مسرح هذه القصة القرآنية مصر وصحراؤها الشرقية فانا نلقى كثيرا من شعراء مصر يتناولون جوانب منها . ويلحظ الباحثون ، حتى على غير الشعراء المصريين - كأبي نواس مثلا - انه حين وفد على مصر كثر في شعره ، في فترة وفادته ، أطراف من قصة موسى وصُوَر النيل والتماسيح . ومثل هذا نجده عند غيره من الشعراء الذين وفدوا على مصر ، ونجده بنسب متفاوتة .

وفي فترة مبحثنا هذا نجد شاعرا كابن سَنَاء الملك ينقلنا من عاطفة الحب للجنس الآخر ، الى عاطفة حب الوطن ، فينشد وهو يفارق مصر لبعض شئونه ، مستعيرا طرفا من قصة موسى في التلويح بأمل العودة :

اهبط من مصرٍ وقدما قد اشتهى
على الله أقوام فقال اهبطوا مصرا
فان عدتُ ، والأيام عُوجٌ رواجع
لقد أنشأتني قبلها النشأة الاخرى

... كان له حياة جديدة بمولده ، وهذا معنى قرآني ، ورجوعه بعد الميلاد مبعث جديد ، وهذا معنى ثان من المعاني القرآنية ، والمبعث هنا من هذه التربة الخصيبة أرض البعث الدائم والحياة المتجددة .

وشاعرنا هنا يجاور بين التعابير القرآنية في غير ما براعة فنية .

(جـ) ويختار الشاعر ابن قلاقس زاوية معنوية من قصة أهل الكهف اذ يتغزل :

تراهُ لمّا أن غدا روضةً
أملُ جسمي كي أكونَ النسيم
رقيمُ خدّه نام عن ساهر
ما أجدرَ النومَ بأهل الرقيم

ولا يخدعنك هذا التناغم المعنوي.. ان الحبيب روضة حسن ذات نسيم عليل ، هو العاشق النحيل .. ومرقوم الخد نائم عن وصال محبوبه

نوم أهل الرقيم .. فالكذب هنا يفضح الشاعر، والفن صنعة ؟

(د) وفى وصف الخمر يستقى الشاعر المصرى معانى من القصص القرآني :

معتقة قد طال فى الدّن حبسها
ولم يَدْعها شرّابها بنت عامها

وقد أشبهت نار الخليل لأنها
حكتها لنا فى بَردها وسلامها

(القاضى الجليس)

وهكذا تصبح الخمر بلونها وفعلها عند الشاعر نارا ، تعقب سلاما تتطامن له نفسه .. فهل تراه صدق الوصف ونجا من ثقل الظل ؟

التعبير الفنى والغزل خاصة

ويلفت النظر حقا ان الشاعر المصرى قد أشرب التعبير القرآني فنزل باكثر المواضع فى فنه وبخاصة فى الغزل .. رأى الشاعر المصرى فى الحب نعيم هذه الدنيا وجنتها فحرص على الظفر به وممارسته ، فجاء تعبيره الفني عنه – كثيرا – شفيفا صافيا . ولنسمع الى أبيات رقيقة من غزل ابن مطروح :

(أ)

سفرت وجاءت فى الغلائل تنثني
فأرتك حظ المجتلي والمجتني

ورنت ، فما تغني التمائم والرقى
وأبيك عن لحظات تلك الأعين

من كان يملك قلبه من طرفها
نال الخلود وليس ذاك بممكن

قال العواذل انني فى حبها
لا ارعوى ، لا أنتهي ، لا أنثني

كم قلت للعذال لما زرتها
هذى التي فى حبها قد لمتني

ما كان أشوقني لثم بنانها
ولقد ظفرت بلثمها فلثمتني

ودخلت جنة وصلها متنزها
يا ليت قومي يعلمون بأنني

ارأيت الى هذا النغم الحلو السارى ، ما فيه من تعبير متكلف ، ولو كان لبان نشازه .. (هذى التى فى حبها قد لمتني) تلويح وتظليل لمعاني الجمال فيمن يحب . ويحس الشاعر حين وصالها باحساس غامر فوق طاقته يود مقاسمة غيره له فى الاحاطة به خبرا (يا ليت قومي يعلمون بانني) .. هكذا فى تعبير مطلق يسرح وراءه كل خيال . والمحصول العاطفي المعنوى هنا قليل ، ولكن الموسيقية موفورة والرقة طاغية .

(ب) بل ونرى الشاعر المصرى حريصا حتى على وزن اللفظة القرآنية وموسيقاها ، كهذا الشاعر الغزل :

طرفه جنة عدن أزلفت
وبخدّيه جحيم صالية

شبّهته العين لما أن بدا
روضة ذات قطوف دانية

(ابن الصنيف)

(جـ) والحب واحد ، لكن موضوعه قد يختلف ، والفنان الحق محبوبه فنه لهذا نجد من شعراء مصر من يشخص فنه تشخيصا حيا . فمن احدى المِدَح :

جاءتك ما طرقت وقود جمالها الـ
أسماع الا فتحت أبوابها

(ابن قلاقس)

« وفتحت ابوابها » هنا آية فن قولي يفرض نفسه علىالأسماع فرضا.. والبيت ينبض قوة...

(د) وفى المدح يثني الشاعر المصرىعلى ممدوحه بما يستعيره من تعبير قرآني :

مالَه من قتله راحته
كأماديه على وجَل

أبدا تتلو مواهبه
خُلق الانسان من عجَل

(ابن قلاقس)

ولم يسلم البيتان من هزال وان استعارا من القرآن اسلوبا .

(هـ) ونعلم ان المدح بطبعه متلق فى جوهره ،

ومن ثم يبالغ الشاعر المصري في الثناء على ممدوحه، ولا يتحرج في ان يجعل له بعض الصفات الالهية.. من مثل مديح ابن سناء الملك في القاضي الفاضل :

أغنى وأقنى قاصديه فكلهم
يثني ولا يثني عنانا للثنا

وغدوت في حبي له متشيعا
من ذا رأى متشيعا متسننا

ياليت قومي يعلمون بأنني
أدركت من كفيك نادرة المنى

والكلفة كما ترى بادية ، والتعبير القرآني مستكره بهذه المواطن استكراها ، وشتان بين صفة هي آية على الخالق وصفة يراد سلبها للمخلوق ! ولعلنا متنبهون الى العناصر الدينية التى تدخل في بنية الأبيات :

(أغنى وأقنى) ... (متشيعا متسننا) .. (يا ليت قومي يعلمون) .

ولم يستمد الشاعر المصري من قصص القرآن وأسلوبه فحسب ، بل نجده أيضا يلجأ الى ما في الدين من أركان وأصول يدير حواليها المعنى والصياغة .

(أ) فيمتد مثلا كل حب صلاة وعبادة :

ولما أشاع الحب في الناس ملة
وقاد قلوبا كيف شاء وألبابا

جلا الحسن للعشاق وجهك قبلة
وصور فيه من عذاريك محرابا

(محمد بن هانىء)

هكذا : الحب ملة .. والمحبوب معبود .. ووجهه قبلة العابدين .. وهكذا أيضا حلاوة في التعبير والروح .

(ب) ولعل أمثل ما نجده في هذا السبيل نجده عند البهاء زهير .. يغنينا :

ومن العجائب فعله بمحبه
يصليه نارا وهو من عباده

وما أبعد ما بين العمل والجزاء .. عبادة جزاؤها نار !

ولكنه مع ذلك دوما من عباد الحب ومن مديمي صلواته :

سأشكر حبا زان فيك عبادتي
وان كان فيه ذلة وخضوع

أصلي وعندي للصبابة رقة
فكل صلاتي في هواك خشوع

ولقد يكون في عبادته ولتيا ! !

لي حبيب عبدته
ويح من يتعبد السوان

(جـ) ونعرف من دروس الفقه انه لا تجب زكاة في الذهب الا ان بلغت قيمته عشرين دينارا ، ويكون قد مر عليه الحول .. ولنتر كيف طعم الشاعر هذا المعنى الفقهي فنه الغزلي :

وغانية لم تعد عشرين حجة
أقول لها قولا لديه ثواب

عليك زكاة فاجعليها وصالنا
لانك في العشرين وهي نصاب

وما طلبي الا قبول وقبلة
وما أربي الا رضى ورضاب

(ابن سناء الملك)

والأبيات بعبثها المعنوي احق بأن تدخل في باب الأحاجي من أن تدخل في باب الغزل أو الحب ..

وأعاروا معاني الدين للهجاء

واذا كان مستساغا أن معاني من الدين يمكن أن تعار للحب ، عاطفة واحساسا ، لما يجمع الدين والحب من وجدانية وروحانية ، فان الأمر يكون مستغربا اذا أعيرت للهجاء ، لكن هذا ما كان .. عبّر الشاعر المصري في ذمه عن معان استمدها من الدين ، فيقول قائلهم :

فلان والجماعة يعرفوه
وظاهره التنسك والزهادة

يمـــوت على الشهادة وهو حـــى
الهى لا تمتــه على الشهـــــادة

(ابن وهيب القوصى)

لكنه لا فن هنا فى الصياغة ، والمعنى سطحى .

وبالحديث الشريف يستعان أيضا فى الهجاء ، فينظر شاعر كابن النجم المصرى فى قوله صلى الله عليه وسلم : ما اصاب مالا من قهاوس (حرام) اذهبه الله فى نهابر (مهالك). ويلتقطه ليهجو به ابن صورة المصرى (كان سمسارا للكتب احترقت له دار موصوفة بالحسن) .

اقول وقــد عاينت دار ابن صــورة
وللنــار فيهــا مارج يتضــرم

كذا كل مـــال أصــله من قهـــاوس
فعمــا قليــل فى نهابر يعـــدم

ومـا هـو الا كافـــر طـــال عمره
فجـــاءته لمـا استبطأته جهنـــم

وهنا أيضا لا نرى محاولة فنية فى استخدام الحديث اكثر من قسمته بين شطرى البيت .

الشاعر المصرى لم يوفق دائما الى مزج الدين بالشعر مزجا عضويا

وبعد ، فليس من الأمانة أن نزعم أن الشاعر المصرى قد وفق فى كل حال — ومطلقا — الى أن يمزج معانى من الدين ببنية شعره مزجا عضويا سويا ، فلقد كان يغثويه الشكل والمظهر كثيرا ، فتصبح التعابير عن المعانى الدينية اغراضا فى ذاتها، عبثا لفظيا ، وينطق فنه حينئذ عن تكلف وتصنع ويصير شعره اولى بأن يكون مثالا من امثلـــة البلاغيين فى باب الاقتباس . وانما نجده يحسن الصوغ والخلق ويجيد السبك والبناء حين يتغزل — على الاغلب — وينطق فى غزله او فيما شاء من اغراض عن عاطفة صادقة .

ويبقى أن هذه الظاهرة سمة مميزة من بين سيمات للشعر المصرى فى تاريخه الوسيط تكثر فيه كمًا وان لم نعدمها فى شعر العرب على اطلاقه وفى مختلف عصوره وبيئاته منذ العصر الاسلامى.

اشتغال مصر ، ٣ قرون ، باحداث دينية كان له أثره فى أدبها

واذا ما وقفنا وقفة قصيرة عنـــد الأسباب التى حدت بالشاعر المصرى أن يستمد — فى كثرة ملحوظة — من معين الدين معانيه وتعبيراته ، نجد أن مصر شغلت فى ثلاثة القرون ، الخـــامس والسادس والسابع من الهجرة، بأحداث دينية . فقامت فى مصر دولة فاطميـــة جعلت من دعائم سياستها تشييع مصر وما جاورها من اقطار ، ثم زالت ليقوم على انقاضها دولة سنية ترتكز على محو الأثر الفاطمى . ويسود البيئة المصرية وقتئذ تيار صوفى جارف فتنشأ الربط والزوايا والتكايا . وتقوم حروب دينية يقف فيها الاسلام وجها لوجه امـــام اعدائه فيلتحم مع الصليبيين ويطـــول التحامه بهم ليكتب له النصر عليهـم فى نهاية الأمر .

ويشغل الاسلام من ناحية اخـــرى بهجمات التتار ويفلح فى صدهم .

وهكذا نجد الأدب يهتز اهتزازا عنيفا بتلك الاحداث المؤثرة ، فيرجع ادباؤه والجو يلفه جهاد" ترف عليه نسمات روحانية — على اقل الفروض وفى اقرب الأسباب — الى كتابهم المقدس «القرآن» والى حديث رسولهم المثبت فى الصحاح، ويكون من هذا وذاك ما تجده فى أدب مصر من معان دينية وتعابير اسلاميـــة تتفاوت سطحية وعمقا، وشحوبا وحيوية، قدر ما اتيح للشاعر من اسباب فنية . ■■

مصطفى الصاوى الجوينى



انسحاب اندونيسيا

من جريدة « الكفاح » اللبنانية :

● الأمم المتحدة صمام الأمن والسلام فى العالم ولا يمكن لانسان أن ينظر نظرة بهيجة الى عالم ليس فيه امم متحدة. والأمم المتحدة تصبح سنة بعد اخرى افضل مما كانت عليه من ذى قبل ، بسبب ازدياد عدد أصوات الدول الصغيرة ، التى يساوى صوت الواحدة منها صوت أميركا أو روسيا . ولكن الأمم المتحدة تمر بواقع عسير ، فهناك صعوبات مالية متراكمة تهدد مستقبلها ، وهناك اجحاف معنوى يتم فى كثير من بلدان العالم تحت علم الأمم المتحدة . فى الكونغو قتل لومومبا فى حماية علمها، وقتل أمينها العام نفسه ، فى ظروف غامضة تحت علمها أيضا . وهناك دول اقيمت وانشئت على المظالم ، دخلت الأمم المتحدة . وهناك دولة عظمى كالصين لم تدخلها .

وفى نظر البعض ان امما متحدة لا تدخلها الصين يجب ألا تكون . وسوكارنو عندما ينسحب من الأمم المتحدة وتؤيده الصين وحليفاتها ، فانه يحتج على الولايات المتحدة ، التى تمنع بما لديها من تأثير ، دخول الصين . والتى أقر مجلس شيوخها مبدأ قطع مساعداتها عن سوكارنو . هذه هذه المساعدات التى قال سوكارنو انها يجب أن تذهب مع أصحابها الى الجحيم . والواقع هو أن انسحاب سوكارنو من الأمم المتحدة ، هو احتجاج على الولايات المتحدة ، التى تعتبر ثورة سوكارنو معادية للمصالح الغربية ، ولا نجد شبيها لانسحاب سوكارنو افضل من انسحاب هتلر .. متناسية البون الشاسع بين دوافع شعب يريد الخلاص من المظالم والاخطار الاستعمارية واقامة دولة مصطنعة بحراب أجنبية على حدوده ، وبين هتلر الذى انسحب من عصبة الأمم لأغراض عدوانية .

العالم العربى بين العلم .. والأدب

عن مجلة « رابطة العالم الاسلامى » ــ السعودية :

● ما كان يجوز للعالم العربى وهو اليوم فى نطاق المخاطر والصدمات ، ان يغفل عن قيمة العلم الذى به وحده تكسب المعارك ، فلقد مضى الزمن الذى كان الأدب فيه وسيلة الدفاع عن حوزة الوطن . ولقد كان ادبنا يقف مشاهدا أمام الحادثات ، فما عرف تاريخنا عهدا كان فيه أدبنا مجددا من اجل نهضة أو انبعاث ، بل كان على الدوام مثل مهر جميل مربوط ليجرى وراء فرس السياسة .

وليست هذه دعوة الى هجران الأدب، واهماله، والعكوف على العلم فحسب ، فالأدب حلاوة الأذواق الرفيعة ، وبلسم القلوب الكليمة ، ولكنها دعوة الى النهوض العلمى الذى نحن بأمس الحاجة اليه ليستطيع العرب أن يجدوا لهم مكانا فى صف الأمم الكبرى التى تملك العالم .

التسلل الاجنبي في منطقة الخليج العربي

عن جريدة « الجمهورية » العراقية :

● اننا على ثقة بان التسلل الاجنبي الذي تتعرض له منطقة الخليج العربي يتجاوز نطاق المطامع الاقليمية ، الى تخطيط استعماري مركز لجر العرب الى معركة اخرى تخفف عن ركيزة الاستعمار الأولى في فلسطين ضغط الكفاح القومي العربي . ولا شك ان هذه المعركة متعددة الجوانب متشعبة الواجبات والمسئوليات .

لقد استطاع الاستعمار نتيجة السنين الكالحة التي امضاها في حكم منطقة الخليج العربي ، أن يطبع بصماته عليها ، فقرا وجهلا ، وعزلة عن المجموعة العربية ، حتى ان المواطن العربي كان ، بالنسبة لبعض الامارات ، لا يستطيع أن يحصل على سمة الدخول بأي شكل من الاشكال ، ما لم توافق السلطات الاستعمارية ، وكان المخطط الرهيب في الخليج مماثلا للمخطط الذي نفذ في فلسطين بتقريب العناصر الأجنبية وسد الأبواب بوجه العرب ، على أمل أن يجيء اليوم الذي تغدو فيه المنطقة مهيأة لقيام اسرائيل ثانية !

ان عروبة الخليج العربي في خطر داهم ، وان علينا ان نعمل من أجل اتقاء هذا الخطر بكل ما نملك من أسلحة وأسباب ووسائل .

قانون التعليم الالزامي

عن جريدة « أخبار الكويت » الكويتية :

● لقد كان لاقرار مشروع التعليم الالزامي بصورة مبدئية ، حتى المرحلة المتوسطة ، صدى رائع بين الناس . والواقع ان مثل هذا القانون ان دل على شيء فلا يدل الا على عزم الحكومة ومجلس الأمة على مواصلة السير في طريق رفع مستوى الشعب وتوعيته التوعية الصحيحة لانشاء جيل يقدر المسئولية والواجبات المترتبة عليه كمواطن صالح .

ان الكويت بحاجة ماسة الى كل عقل نير واع يساهم في دعم المكاسب التي تنالها يوما بعد يوم . وليس من شيء اقدر على خلق المواطن الصالح من التعليم والتثقيف حتى ولو اقتصر هذا الامر مؤقتا حتى المرحلة المتوسطة .

وكنا نتمنى أن يقر هذا القانون بالاجماع لما فيه من خير يعم هذا البلد . ولكن البعض تصدى لالزامية تعليم الفتاة ولا ندري ما هو السبب في محاولة ابعادهم الفتيات ؟ اهو ان تظل البنت قابعة في البيت دون علم أو معرفة رغم احساس الجميع بالدور الذي تلعبه المرأة المتعلمة في هذه الأيام .. أم ان الفتاة ستتزوج وهي في سن التعليم المتوسط أي حوالي الثالثة عشرة ، ولكن الرد على هذا بسيط جدا هو ان هذه السن ليست سن زواج ولا سن تحمل مسئولية أسرة .

نحن أمة العرب

عن مجلة « الرسالة » القاهرية :

● اذا قيست قوة الامة بمواقفها القوية الممتازة المضيئة ، فنحن العرب ، بما لا يحتمل مجالا للشك ، من أقوى الامم التي ظهرت على وجه الارض : فكم لنا من مواقف : في السلم ـ والحرب ـ والسياسة .. والعلم والفقه .. والادب ؟ .. الى آخر ما سطر التاريخ لنا من مواقف تجل عن الحصر والوصف والاطراء .

لكن : هل ينفع امة ان تتباهى بمواقفها المضيئة من غير ان تنفعل بهذه المواقف ايجابيا ، فتسير كما ساروا ، وتنهج كما نهجوا ؟

نحن اذ نذكر اليوم بهذه المواقف فانا لنرجو ان نثبت للعالم انا لم نفقد انفسنا ، ولم ننس ثقافتنا . ولم ننتكر لروح ديننا ، ذلك الذي محا ثورة ظلام الهذيان ، وحط عن كاهل الانسان نير البغي والطغيان .



الكِتابُ العَرَبيّ

بقلم : الدكتور جمال الدين الشيال

استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية

■ لحكمة ما كانت معجزة النبى محمدعليه السلام كتابا ، وكتابا عربيا مبينا . ولحكمة ما سمى هذا الكتاب بالقرآن ـ والقرآن من القراءة ـ فكانت هذه دعوة للمسلمين ان يقبلوا دائما على قراءته والاستماع اليه لتدبر ما فيه من حكم . ولحكمة ما كانت اول آية انزلت على الرسول من هذا الكتاب هى قوله تعالى: « اقرا بسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرا وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

ولحكمة ما اقسم الله سبحانه وتعالى فيما اقسم به بالقلم . فقال عز من قائل:

« ن . والقلم وما يسطرون » .

ولحكمة ما اقسم الله سبحانه وتعالى مرة اخرى بالكتاب فقال عز من قائل :

« حم والكتاب المبين . انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » .

طلب العلم : الى اللحد ، وفى الصين

وعلى هدى من هذه الآيات الكريمة كانت دعوة الرسول عليه السلام للمسلمين ان يطلبوا العلم فى كل وقت وفى كل مكان ، فهو القائل : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » وهو القائل : « اطلبوا العلم ولو فى الصين » ، وزاد فجعل طلب العلم فريضة فقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . »

اتصال الحضارة العربية الاسلامية بسائر الحضارات

واتصلت الحضارة الاسلامية العربية بغيرها من حضارات الدول المجاورة فأثرت فيها وتأثرت بها ، ونشطت حركة التاليف ، وظهر من بين المسلمين علماء اعلام من عرب ومستعربين نبغوا فى كل فنون العلم وفروعه ، وسلاحهم فى هذا كله كان شيئين : قلما وكتابا عربيا .





كان سلاحنا للوحدة في الماضي
وهو سلاحنا في الحاضر والمستقبل

اللغة العربية تصبح لغة العلم والحضارة

وانتشرت مع حركة التأليف والترجمة اللغة العربية فعمت جميع أنحاء العالم الاسلامي بل اصبحت فى وقت ما هى لغة العلم والحضارة بحيث كان يجد العالم – اى عالم – نفسه مضطرا الى تعلم اللغة العربية ليستطيع مسايرة البحث العلمى ومتابعته .

ونجحت اللغة العربية فى القضاء على كثير من اللغات التى كانت مستعملة فى البلاد التى دخلها الاسلام . ولم تمض غير قرون ثلاثة حتى كانت اللغة العربية هى لغة الجميع فى العراق وسوريا ومصر وشمال افريقيا ، وانمحت لغات كثيرة كانت سائدة فى هذه البلاد منذ قرون .

وليس ادل على قوة اللغة العربية من ان حروفها اصبحت حروف لغات كثيرة ظلت حية قائمة فى بعض اجزاء العالم الاسلامى ، فأصبحت لغات كثيرة تكتب حتى اليوم بالحروف العربية ، وفى مقدمتها اللغة الفارسية واللغة التركية (الى ان اصطنع مصطفى كمال الحروف اللاتينية) واللغة السواحلية فى شرقى افريقيا ، واللغة الاندونوسية الى ان حلت محلها الحروف اللاتينية منذ سنوات قليلة . ولغة الاردو فى الباكستان والهند .

والسر فى هذا كله هو ان اللغة العربية هى اللغة التى سجل بها علماء المسلمين كل انتاجهم العلمى والحضارى ، وفى كلمة واحدة كان السر فى هذا « الكتاب العربى » .

وبلغ من شغف المسلمين بالكتاب ان انشأوا الخزانات فى كل بلد من بلادهم ، واقبلوا فى نهم على اقتناء الكتب بحيث اصبحت المكتبات الخاصة تنافس المكتبات العامة ، وبحيث كان طلبة العلم وكبار العلماء يرحلون من اقصى الأرض الى ادناها سعيا وراء عالم يأخذون عنه او مدرسة يحضرون دروسها ، او كتاب يطلعون عليه او يبذلون الغالى والرخيص فى سبيل اقتنائه .

نبغ من المسلمين علماء من كل اقليم

ونبغ من المسلمين علماء اعلام فى كل اقليم وفى كل قطر وفى كل مدينة من مدن

العالم الاسلامي، ولاعتزاز المدن بعلمائها، ولاعتزاز العلماء بأوطانهم كانوا ينسبون انفسهم الى هذه الأوطان واشتهروا بهذا النسب بحيث أصبحوا يعرفون به ولا يعرفون باسمائهم ، ودارس التراث الاسلامي يعرف هذه الأسماء معرفة اكيدة :

الخوارزمي ـ والرازي ـ والطبري ـ والبخاري ـ والبلخي ـ والسمرقندي ـ والخوبي ـ والهروي ـ والطوسي ـ والنيسابوري ـ والاصفهاني ـ والقمي ، والشيرازي ـ والبيروني ـ والفيروزابادي ـ والسهروردي ـ والبيهقي ـ والدينوري ـ والفارابي ـ والبغدادي ـ والموصلي ـ والدمشقي ـ والمقدسي ـ والبيساني ـ والنابلسي ـ والحموي ـ والشيزري ـ والسكندري ـ والسيوطي ـ والدمياطي ـ والمصري ـ والادفوي ـ والاسنوي ـ والطنطاوي ـ والشرقاوي ـ والهوريني ـ والسخاوي ـ والدسوقي ـ والجبرتي ـ والقلقشندي ـ والتونسي ـ والتلمساني ـ والفاسي ـ والمراكشي ـ والشنقيطي ـ والقرطبي ـ والطرطوشي .. الخ .. الخ .

ولو صنفت هؤلاء جميعا لوجدت منهم المفسرين والمحدثين والمؤرخين والجغرافيين والرحالة والأدباء والشعراء والفلاسفة والأطباء ، وعلماء الموسيقي والنبات والكيمياء والفلك والهندسة والجبر والرياضيات بوجه عام .

اختلفت الأجناس ، والكتاب واحد : كتاب عربي مبين

وكان سر عظمة هؤلاء جميعا انهم ساهموا في اتمام بناء الحضارة الانسانية، وانهم اودعوا نتاج ابحاثهم كتبا وكتبا عربية مع انهم ينتسبون الى اجناس وبلاد متعددة ، فكان منهم التركستاني ، والخراساني ، والايراني ، والعراقي ، والسوري ، والمصري ، والمغربي ، والاندلسي ، ولكنهم الفوا جميعا بالعربية، واصبح تراثهم الفكري تراثا لكل مسلم ايا كان موطنه ، وغير المسلم كذلك ، فالمصري يعتز بابن خلدون المغربي والقرطبي الاندلسي اعتزازه بمن نبت في مصر من علماء من أمثال السيوطي والسكندري والدمياطي والاسنوي وغيرهم ، والمغربي يعتز بهؤلاء جميعا وبغيرهم من العلماء السوريين والعراقيين والفرس اعتزازه بمن ظهر في المغرب والاندلس من علماء .

فهذا الانتاج الغني الضخم هو تراث مشترك لكل متكلم بالعربية ، كل يعتز به ويعتبره ملكا له وجزءا من حياته لا لشيء الا انه كتب بالعربية في كتاب عربي .

التراث الفكري العربي موضع دراسة الدارسين

ومع تيار الانسانية الذي يسود العالم الآن أصبحنا نرى كل شعوب العالم تقبل على قراءة التراث الفكري العربي ودراسته وترجمة عيونه الى لغاتهم ، فكتب الجاحظ وابن سينا وابن رشد وابن خلدون ، وابن شداد ، وابن بطوطة والمقريزي وابن ماجد ترجمت الى اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية، وهي موضع دراسة في كبريات الجامعات الاوربية والامريكية والروسية .

قوة العرب مرجعها الى « كتاب »

وتكشف هذه الدراسة للمستعمرين ان سر قوة الدول العربية في الماضي انما يرجع الى « كتاب » الى كتاب عربي مبين . هو القرآن الكريم ، بدراسته وبالتعلق به استطاع أي عربي أن يتحدث الى اي عربي فيفهم عنه ويحس انه اخوه، فيتالم لألمه ويفرح لفرحه .

وقد ادهشت هذه الظاهرة احد كبار المستعمرين من الفرنسيين فقال قولته المشهورة :

«عجيب امر هذا العالم العربي الاسلامي . انه كالطبلة اذا ضربت على طرف منها سمعت دوى الضربة فى كل طرف من اطرافها » .

وغير القرآن كتب اخرى ربطت أواصر الاخوة بين العربي والعربي

وكان الى جانب القرآن الكريم كتب عربية اخرى كثيرة تقوم بنفس الدور فى ربط اواصر الاخوة بين كل عربي وعربي، وتوحد آفاق التفكير بين الجميع ، فانت اذا احصيت كتب النصوص التى كانت تدرس فى جامعات الازهر والزيتونة والقرويين وفى كل مدارس تركستان وايران والعراق والشام والحجاز واليمن ومصر والمغرب والاندلس لوجدت انها كتب واحدة ، ولوجدت ان المتن فى بعضها من تأليف مغربي ومن شرح أو تحشية مصري ، أو من تأليف فارسي وشرح يمني وهكذا .

الاستعمار ووحدة الكتاب العربي

فالكتاب المدرسي كان موحدا منذ قرون وقرون ــ ثم نأتي نحن فى القرن العشرين ونبدأ فى بحث مشكلة توحيد الكتاب العربى المدرسى !! . .

وقد ادرك المستعمرون خطورة وحدة اللغة وخطورة وحدة الكتاب ، وعلموا ان هذا السلاح لو ظل موجودا بأيدى العرب فان أيام الاستعمار ستصبح قصيرة ، وستستعيد الشعوب العربية استقلالها فى أقرب وقت ممكن، ولهذا بدا الاستعمار يضع تصميماته على أساس القضاء على اللغة العربية باعتبارها أكبر مقوم من مقومات القومية ، فجعل المدارس تحت اشرافه ، وأنشأ مدارس جديدة جعل التعليم فيها كله بلغته ، ونشأت أجيال وأجيال لا تعرف شيئا عن لغتها أو تراثها الفكرى والديني والحضارى وانما تعرف لغة المستعمر وتعرف كل صغيرة وكبيرة عن حضارته وتراثه الفكرى .

نشأت اجيال عربية لا تعرف شيئا عن « ابن البناء » العالم الرياضي ، او عن « ابن النفيس » الطبيب اول مكتشف للدورة الدموية ، أو عن « الطوسى » الفلكى ، أو عن « الادريسي » الجغرافي ، او عن « المقريزى » المؤرخ ، او عن « ابن خلدون » منشىء علم العمران والاجتماع ، أو عن « الجاحظ » الاديب، او عن « ابن رشد » الفيلسوف ، ولكنها تعرف كل صغيرة وكبيرة عن فولتير وروسو ومنتسكيو ولافونتين وديكارت وجيته وشيكسبير .

وظلت هذه الشعوب العربية تقاوم وتناضل سنين طويلة الى ان كتب الله لها النصر واستعادت استقلالها ، وبدأت تبنى البيت وتقيم صروحه من جديد ، فاذا بها تجد تراثا متعفنا ، وجدت بناء يملأه السوس الذى ينخر فى عظام القومية العربية ويكاد يقضي عليها ، وجدت هذا التعليم بلفات لم تكن يوما ما لغتها القومية ، وجدت كتبا مليئة بالسموم ، فلا تعرض لأى شىء عربى الا انتقصت من دره وحقرت من شأنه ، ولا تعرض لأى شىء اوربي الا مجدته ورفعت من ذكره .

العودة الى الكتاب العربي والتراث الفكرى

وبدا المخلصون المؤمنون يعملون لخلع هذه الصورة واعادة الصورة القديمة ، بدأوا دعوتهم للعودة الى الكتاب العربي واللغة العربية ، وادرك المستعمر خطورة هذه الدعوة ، وادركها معه اصحاب الثقافة الاستعمارية من ابناء البلاد فراحوا جميعا يحاربون اللغة العربية والكتاب العربي بكل سلاح وسلاح ، واشاعوا عديدا من الاكاذيب والخرافات حول قدرة اللغة العربية أن تكون لغة علم، وحول قدرة الكتاب العربي أن يكون اداة تعليم . ومن عجيب ان هذه الاكاذيب والخرافات وجدت من يستمع لها ويقتنع بها ويحاول ترداده والاستدلال بها .

اللغة العربية لم تضق بالعلم القديم ، فكيف تضيق بالحديث

فقالوا فيما قالوا ان العلم الحديث علم اوربي بجزئياته ومصطلحاته واوصافه وتعابيره ونسوا ان العرب كانوا يوما ما قادة العلم ، وانهم وضعوا بالعربية مصطلحات ما اكتشفوا وما اخترعوا ، فمنشيء علم الجبر هو الخوارزمي ، ومن اسمه اشتق المصطلح الرياضي اللوغاريتمات ، ومكتشف الدورة الدموية هو الطبيب العربي ابن النفيس ، وابن الهيثم العربي كشف عن كثير من نظريات علم الضوء وكانت مكتشفاته اساسا لكل ابحاث الاوروبيين فى هذا العلم بعد ذلك، ونسوا ان الاوربيين عندما نقلوا عن الحضارة العربية اخذوا معظم المصطلحات العلمية العربية كما هى وضموها الى لغاتهم حتى اصبحت جزءا لا يتجزأ منها، ولكنهم لم يحلوا العربية كلها محل لغاتهم ليتمكنوا من دراسة علم العرب ، والامثلة على ذلك كثيرة ، فكلمات الجبر والكحول والكيمياء والسكر والصابون والليمون والقطن ودار الصناعة ومئات غيرها اصبحت كلمات اوربية .

وقد شهد العالم العربي حركتين من حركات الترجمة ، ولم تقف خرافة المصطلحات فى سبيل العرب ، ففي العصر العباسي ترجمت فى العراق كتب الحضارات اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية ، وفى القرنين التاسع عشر والعشرين ترجمت فى مصر آلاف الكتب العلمية عن اللغات الاوربية الحديثة الى اللغة العربية .

وفى ايدى ملايين الطلبة العرب اليوم مئات من الكتب المدرسية العربية فى كل علم وفن كانت أدوات دراستهم فى مختلف مراحل التعليم الى أن تخرجوا وحصلوا على أعلى الدرجات العلمية ، ومن هؤلاء الخريجين الوزراء والرؤساء ومديرو الادارات الحكومية جميعا يديرونها باللغة العربية ، ومنهم الاطباء العالميون والمهندسون العالميون الذين يشرفون على اقامة اكبر واضخم المؤسسات العمرانية والصناعية داخل بلادهم وخارجها . ومنهم اساتذة الجامعات والمؤلفون الذين يؤلفون باللغة العربية ويترجمون الى اللغة العربية أحدث الانتاج العلمي الاوربي الحديث دون ان يجدوا صعوبة .

سوف تتوحد المصطلحات

وقالوا فيما قالوا ان المصطلحات العلمية تعرب بالفاظ متعددة فى البلاد العربية المختلفة ، ونسوا ان هذا امر طبيعي فى هذه المرحلة ، وان الامور ستستقر على وضع موحد مع تقدم الابحاث اللغوية ومع تنظيم اعمال المجامع اللغوية ، وبسائط العلم التى نريدها للتلميذ فى المرحلتين الابتدائية والثانوية قد استقرت مصطلحاتها فى الكتب المدرسية منذ سنوات ، ولم تعد موضع خلاف ، ونحن لا نريد الا أن تكون اللغة العربية لغة تعليم ليعتز الشاب العربي بلغته فيعتز بتراثه الفكرى ويعتز بقوميته .

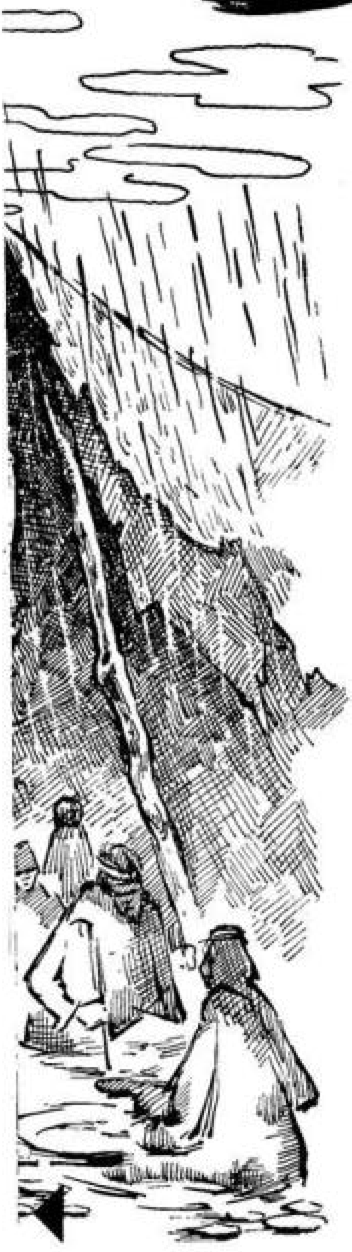
الكتاب العربى كان سلاحنا فى ماضينا ، وهو سلاحنا فى المستقبل

الا نشعر بالخزى حين نرى كل شعب من شعوب العالم يعتز بلغته فيجعلها لغة العلم والدراسة والكتابة والحديث فى البيت والشارع والمحافل الدولية ،وتبقى بعض شعوبنا تشكك فى قيمة اللغة العربية ومقدرتها ؟ ! الا نشعر بالخزى حين نسمع ان دويلة اسرائيل قد احيت اللغة العبرانية الميتة التى لا يعرفها الا الاسرائيليون وجعلتها لغة التعليم فى جميع مدارسها وجامعاتها فى حين بقيت بعض الدول العربية تتردد فى استعمال الله العربية كلغة تعليم ، وكلما خطت فى هذا السبيل خطوة تراجعت خطوات ؟ !

وبعد ، لقد كان الكتاب العربى سلاحنا القوى للوحدة فى الماضى فما احراه ان يكون سلاحنا للوحدة فى المستقبل . ■■

جمال الدين الشيال

ذكريات لاجئ



■ مَرَّ الشتاء .. ولم أزل أغفو على صدر الضياعْ
في خيمة غيْمى ممزقة تعيش بلا شعاع
الليل يخنق كل شمعاتى .. ويحتضن الرِّباع
والريح تلهو خلف شطآنى بأجنحة الشراع
والذكريات السود تزرع في دمى نار اللِّياع
وتعود بى للأمس .. حين شبِبْتُ ملحمة الصراع
وتآمر المتآمرون عليّ .. من كل البقاع
فخرجْتُ من بلدى بلا ذكرى تضيء بلا وداع

★★★

خلّفتُ حتى صورتى مشدوهةً عبرَ الإطارْ
حتى أراجيح الصغار .. وساعة فوق الجدار
ودُمىً كأيامى .. وبضع رسائل بيضٍ حرار
ومسارجا للضوء كانت تحتمى خلف الستار
وملاعبا كنا نعربد في مجاليها .. صغار
وحدائقا كانت تجود بكل ألوان الثمار
آلاف أشياء لنا خلّفتُها بيد الدمار
أترى ذوتْ .. أم أنها تحيا على أمل انتصار ؟

★★★

ياقريتى .. ياقرية البسطاء .. يامهد الغرام



أهدى إليك الشوق .. أهدى الحب .. أهدى الابتسام
أهديك معنىً لا أحسُّ به هنا .. معنى السلام
ياقريتى ، أنا قد سئمتُ العيش في ليل الخيام
وسئمتُ آلاف الوعود .. سئمتُ فلسفة الكلام
ووددْتُ لو كانتْ لِذاتى كلُّ أجنحة الحمام
لأطير مشدوداً إليك بكل أشواقي الضخام
ياقريتى مُدّى إلىّ يديك .. مزقى الظلام

★★★

إنى لألمح عبْر واديك الخصيب رؤى جفاف ..
وأراك من خلف الضباب .. أراك شاحبة الضعاف
بيتى هناك يلوح مصلوبا على أيدى الشعاف
من كل نافذة تُطل ضراعة .. يعلو هتاف
وعلى ستائره التريكة يرتمى ليل ارتجاف
ووراء شرفته تلوب مشاعل بيضٌ لطاف
ويضجّ حتى مشجبى العريان من ثوب الزفاف
حتى جدار البيت يسأل عن نهايات المطاف

★★★

ياقريتى .. مامرّ يوم دون ذكرى أو أملْ
أنا كل يوم في الضحى أعدو إلى هذا الجبل
أبكى .. وأغزل من خيوط الوهم فجرا قد أفل
ويجيء طفلى راكض الخطوات . مشدود المقل
ويلوذ بى – ويقول : هل مازلت ترنو للطلّل ؟



أبتاه : هيا : للخيام . لدارنا .. قبل الطَفَل
فأصيح : لا .. لايابنيّ .. هناك دارى لم تزل
أما هنا .. فالغربة السوداء تفتك بى .. أجلْ

★★★

وأجل .. أنا أحيا هنا في غربة صمّاء جهمه
الليل من حولى دجىً .. وعويل آهات .. وظلمه
وعيون قوم ينشدون على سرير الأفق نجمه
وسعال مصدورين يفترشون أسمالا .. ونقمه
وبكاء أطفال تضلّ أكفهم في الليل لقمه
وصلاة شيخ طاعن يسترفد الأقدار رحمه
ودموع أمطار .يرقرقها الدجى لمصير أمه
وخرافة كبرى دعاها المجرمون هناك .. خيمه

★★★

يا قريتى .. لى فيك عمرٌ هارب عبر التلالْ
لى فيك طفل كنتُه يوما تلفّع بالظلال
ومشى على أهرائك السوداء فاحتشدت غلال
حتى إذا جنّ المساءُ . وأعولت ريح الشمال
ورأى فلول الشعب ترقد خلف أطلال الملال
نبش التراب . وخط فوق جبينه قسم النضال
ياقريتى .. ماعاد طفلُ الأمس طفلا للخيال
الثأر أنضجه .. فهبّ يدك جدران المحال

■■

محمد احمد العزب

مُسلمات خَالِدات :

صَفيَّة بنت عبد المطَّلِب

بقلم :
سنية قراءة

كانت ظلمات الكفر تخيم على الجزيرة .. وضلال الشرك يجثم على الصدور ، والناس تشعبت مذاهبهم ودياناتهم ، فراح كل يعبد بهواه .. ويتخير معبوده ، ويبلغ به الجهل ادني مبالغه ، فيصنع الاهه بيده ثم يسأله ان يوليه الخير ويهديه الصواب ، ويرزقه ويحميه ...

وكانت مكة فى تلك الآونة موئل الكفر ، وقبلة عبدة الأصنام من سائر اهل الجزيرة .. حتى لقد بلغ الضلال بين اهليها ان جعلوا من بيت الله الحرام ، معرضا للحجارة الصماء ، ومزارات حشدوها فيه ، لتفد اليه القبائل فى مواسم ومناسبات ، تعربد وتصول فى دنيا الضلالات ، ظنا منها انها بذلك تتقرب الى الحجر ، وتدفع عنها غضب الصنم وتستجلب رضاه ...

مولد صفية

وفى مغرب هاتيك الايام البعيدة من ايام الجاهلية الحمقاء ، وفى أعلى بيوت مكة ذُرى وأكرمها محتدا ، وُلدت صفية بنت عبد المطلب ابن هاشم ، سيّد مكة ، وصاحب سِقاية الحجيج فيها ، ومقدّم العشيرة ، وسيّد السادات ، فدرجت المولودة السعيدة فى مدارج العز ، ونشأت على خلق الكرام البهاليل من اهليها ، فكانت كريمة ، جوادة" لَسِنة" فصيحة" ، تروى الشعر وتقرضه. وكان لها فيه باع طويل...

ولم تكد صفية تشب عن الطوق ، حتى خطبها فى الجاهلية الحارث بن حرب احد أبناء عمومتها ، واخو ابى سفيان بن حرب ، من سادات قريش .. وعاشت فى كنفه ما شاء لها الله ان تعيش حتى تزوجها من بعده سيد" آخر هو العوام بن خُوَيلد ...

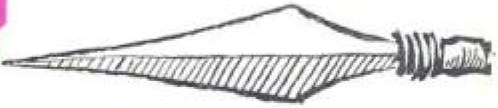
ايمانها بمحمد

ومع مشرق الدعوة المحمدية .. تفتح قلب بنت عبد المطلب للنور القادم ، فنهله فى شغف ، ونشقه فى حب ، واستضاء به عن ايمان ووجْد ، اذ رات فى الدعوة ، خروجا على الغىّ ، وحربا على الضلال ، ونداء الى اتباع الفضائل ، ومجانبة الاثم والفجور ، فآمنت بمحمد ابن اخيها عليه الصلاة والسلام واتبعت ملته ، وكانت من اسبق القرشيات وقوفا الى جانبه ...

وشهدت صفية قصة الصراع الرهيب بين الحق والباطل ... ورات كيف كان الباطل على كثرته يعدو على الحق المعتز بايمانه ، فيندحر وتنكسر حدّته ، ولا يجد أمام هزائمه المعنوية المتعددة غير

عمة محمد وأخت حمزة والعباس وأم الزبير بن العوام

باللسان شاعرة وبالرمح كاسرة وبالقلب مؤمنة شديدة الإيمان



ان يتمادى فى الشر والايذاء ... فراحت ترقب الصراع فى يقين الواثق من نصر الله وتأييده . وقد زاد استمساكها بالدعوة الجديدة التي روّعت قريشا وصدعت احلام عشائرها ، وأطاشت الباب القطاريف من ساداتها الناقمين على محمد ، ان اختصه الله بالرسالة دونهم وزاد بذلك شرف الهاشميين على شرفهم ...

هاجر الرسول ، وبقيت صفية فى مكة مع أخيها العباس تشهد وتسمع

وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مأمورا ... وبقيت صفية فى مكة مع زوجها وأخيها العباس بن عبد المطلب ، عين رسول الله على القوم الضالين ...

وتجدد حديث القرشيين عن محمد بعد هجرته ، فاذا هم لايعيبون دينه فحسب ، بل يتحدثون عن تعاظم امره فى يثرب وانتشار دعوته ، وتكاثر المؤمنين به حتى أعدّوا قوة راحت ترصد عيرَ قريش ، وتتربص بها الدوائر وتتحداها علانيةً ودون خوف ...

وسادت اجواءَ مكة شائعات ... وتهامس القوم وجلين متحدثين بما يمكن ان ينزله بهم رجال محمد من نكبات فى اموالهم وقوافلهم ...

وكما شغل محمد مكةَ وهو فيها ينادى بدعوة الحق ... كذلك شغَل ساداتها وهو بعيد عنها بما يمكن ان ينزله بهم ان تعاظم امره ، وتزايد من اتبعوه ...

كل هذا وصفية حيث هي ، تسمع وتطرب ، وتتمنى ان يمتد بها العمر لتشهد نصر الله القريب ...

رؤيا صفية

وشاءت ارادة الحق سبحانه وتعالى ان ترى صفية بصيصا من أضواء المجد القادم فى رؤيا صادقة تبدت لها ذات ليلة ، فرأت فيما يرى النائم مكة صامتة واجمة ، يخيّم عليها الحزن ، وقد اقفرت نواديها ... واذا بفارس فى الحديد والزَّرَد ، شاكى السلاح ، يعلو الكعبة بجواده وهو يصيح : « اخرجوا الى مصارعكم يا آل غدر ... »

وانتبهت صفية من نومها ، وقد أثارها ما رأت ، وحيرتها رموز الرؤيا الغامضة ، فتحدثت بأمرها حتى شاعت فى سوامر قريش ، وتناقلها الناس جميعا حتى وصلت الى مسامع أبى الحكم بن هشام ، اعدى اعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فثار ، وضج وغضب غضبة عجز عن كبح جماحها ، فاذا هو يخرج الى حيث العباس ابن عبد المطلب ، فيقف دونه متحديا ساخرا يقول

— ويحكم يابنى عبد المطلب .. ألم يكفكم ان خرج منكم نبي ، حتى يلحق به نبيّة من نسائكم أيضا ؟ !!

وسخر ابو جهل من الرؤيا ، وهزأ بها ، وسخر من صاحبتها ، وتندّر بها ، وراح يروى الرموز الغامضة التي تبدت لصفية فى مجالى لهوه وعبثه ليضحك منها السفهاء ، وهو لا يدرى ماذا كان يخبئه له الغد المجهول .

قافلة أبى سفيان تقع فى أيدى المسلمين

ومرت ايام ... واستيقظت قريش فزعة ذات صباح لتعرف ان قافلة من اكبر قوافلها التجارية ،

على راسها ابو سفيان بن حرب ، قد وقعت فى ايدى المسلمين ...

وطاشت عقول السفهاء ، وتنادوا بالشر ، وطالبوا بالانتقام ، وعلا فيهم صوت ابى جهل يدعو الى الخروج لقتال المسلمين . وقد اثارته جراتهم الاخيرة على تجارة ابى سفيان ، وامضه ان يكون ما حدث فعلا مقدمة تفسر غموض الرموز التى تبدت فى الرؤيا لصفية بنت عبد المطلب ذات ليلة ...

وانتظمت الخيل ... وتجمعت العشائر تلبى دعوة ابى جهل ... وفجاة ... والقوم يتنادون بالخروج للحرب ، وصل رسول ابى سفيان ليبلغ القرشيين ان تجارته قد سلمت وانه افلت من حصار المسلمين ، وسيصل هو وعيره عما قليل ...

وقعة بدر

وقرت نفوس عقلاء القوم بما سمعوا ، ودعوا الى العودة وترك مغامرة الحرب والخروج اليها . ولكنه عز على ابى جهل ان يعود ، واقسم ان يخرج بالماجنين العابثين من قريش الى ماء بدر ، فيقيموا هناك ثلاثا فى لهو ومرح وشراب ظانين انهم بهذا يرهبون المسلمين ...

واطاع القوم على مضض ، وخرجوا ، وهو على راسهم وقد ظن انه بذلك يرد على رؤيا صفية ، التى فسرها ، بانها كانت دعوة تثبيط وارهاب لقريش حتى لا تعترض محمدا فى امر دبره ضدهم، وعرفته عمته صفية فارادت ان تزرع الخوف فى القلوب معدما بالترويع لهذه الرؤيا حتى تسكت قريش على الاهانة ، ويخشى فوارسها وسادتها ان يخرجوا الى مصارعهم ...

وسار ابو جهل ومن خلفه قريش العابثة اللاهية ، حتى نزلوا بماء « بدر » وقد سبقتهم انباء هذا الخروج الى المدينة وسمع بها رسول الله ، فخرج اليهم مع القلة القوية بايمانها وكانت الموقعة الكبرى التى حولت مجرى التاريخ وتم فيها النصر للمسلمين ، وهزمت قريش شر هزيمة، وقتل فيها من السادات ورؤوس الشرك من قتل ، وعلى راسهم ابو جهل بن هشام ....

وصحت رؤيا صفية بنت عبد المطلب وخرج اهل غدر الى مصارعهم فعلا ، وراى من عاد منهم الموت عيانا ...

وران الحزن على قريش ... وخيمت الكآبة والصمت على السوامر اللاهية ، وتذكروا جميعا رؤيا صفية وتمنوا فى قرارات نفوسهم لو انهم صدقوها وتفادوا النكبة ونكصوا على اعقابهم يوم نادى ابو جهل بالخروج الى « بدر » ولم يتابعوه ...

صفية تهاجر الى المدينة

وهاجرت صفية فيمن هاجر من المسلمات الى المدينة ، وعاشت فيها سعيدة مكرمة فى كنف ابن اخيها رسول الله ، ورعاية ابنها الزبير بن العوام ...

وقعة أحد

وكانت قريش فى تلك الآونة تعد عدتها للثار من هزيمة « بدر » حتى شاء لها الحقد وارادت الضغينة ان تخرج فى النهاية الى جبل أحُد ، تحت قيادة ابى سفيان بن حرب .

وشهدت صفية بنت عبد المطلب غزوة « احد » الرهيبة مع مجاهدات المسلمات امثال نسيبة ام عمارة وغيرها ... وساعة ولى المسلمون وثبتت للذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نسيبة وغيرها من بواسل فرسان الله ، كانت صفية تخوض الصفوف والرمح فى يدها تضرب به صدور الكافرين وهي تصيح بالمسلمين الفارين :

— ويلكم ... ويلكم ... انهزمتم عن رسول الله ...

وراى محمد عمته الباسلة ، فتذكر فجيعته الكبرى فى اخيها عمه اسد الله الحمزة بن عبد المطلب ، وحز فى نفسه ان قد تعلم صفية بما حدث لاخيها ، وتعرف بامر بشاعة مصرعه ، الذى دبرته بالخيانة والغدر هند بنت عتبة زوجة ابى سفيان ...

ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه يدعو الزبير بن العوام ويُسر اليه بان يعود بامه الى المدينة خشية ان تعلم بما حدث من امر مصرع الحمزة سيد الشهداء ...

وفى الوقت الذى وقف فيه محمد يرثى الحمزة ويبكيه ، ويراه اكرم من يضمه الثرى ، متمنيا لو جعل مثواه حواصل الطير ، لولا خشيته ان تكون هذه سنة من بعده ، فى هذا الوقت كان الزبير بن العوام يبلغ امه رسالة رسول الله اليها لتعود وتترك الميدان ...

وانصتت صفية المؤمنة الباسلة الى قول ولدها

وسكتت لحظة جمعت خلالها انفاسها اللاهثة من حرّ القتال وقالت في ايمان :

— ولماذا أعود ، وقد عرفت انه مُثّل بأخي الحمزة ... وهذا في الله عز وجل قليل ، واني لراضية به ... ولقد احتسبته ... واني لصابرة ان شاء الله ...

وعاد الزبير الى الرسول الكريم ليخبره ان عمته قد علمت بمصرع اخيها ، فامره عليه الصلاة والسلام ان يتركها وشانها ما دامت قد عرفت ما اراد محمد ان يخفيه عنها ولو بعض الوقت ...

صفية عند جثمان أخيها حمزة

وجاءت صفية المحزونة الى ميدان « أحد » ثابتة الجنان ، قوية العقيدة ، شديدة الايمان بالله ، ووقفت امام جثمان الشهيد العظيم وراحت تنظر اليه كمن تودعه ، ثم صلت عليه واسترجعت واستغفرت له الله وقالت ترثيه .

دعاه الهُ الحق ذو العرش دعوة
الى جنةٍ يحيا بها وسرور
فوالله لا انساك ما هبّت الصَّبَا
بكاءً وحزناً محضري ومسيري
فياليت شلوي عند ذاك واعظمي
لدى اضبُعٍ تعتادني ونسور

وبكت ، فابكت ، ورق لها السامعون وتذكروا لها موقفا وقفته من قبل ترثي اباها عبد المطلب ابن هاشم قائلة :

ارقتُ لصوت نائحةٍ بليلٍ
على رجلٍ بقارعة الصعيدِ
ففاضت عند ذلكمُ دموعي
على خدّي كمنحدرِ الفريدِ
على رجلٍ كريمٍ غير وغلٍ
له الفضل المبينُ على العبيدِ
صدوق في المواطن غير نِكْسٍ
ولا شخت المقام ولا سنيدِ
كريم الجدِ ليس بذِي وصُومٍ
يروق على المسوَّد والمسُودِ
فلو خلّد امرؤٌ لقديم مجدٍ
ولكن لا سبيل الى الخلودِ
لكان مخلّداً اخرى الليالي
لفضل المجد والحسَب التليدِ

وعادت صفية بعد « أحد » لتجد المدينة كلها قد استجابت لاشارة رسول الله ، ساعة قال : « ولكن الحمزة لا بواكي له » .

وقد نسيت النساء كلهن ما حل برجالهن من الفواجع ، ورحن يندبن الحمزة أسد الله ، فكان لها بينهن في تلك الآونة شان عظيم في البكاء على أخيها والتفريج عن نفسها بارسال الدموع ..

وقعة الخندق

وتحزبت الجزيرة العربية كلها بعد ذلك على محمد والمسلمين ، بايحاء من اليهود ، وعلى رأسهم حيي بن أخطب ، وقد أراد أن ينتقم لبني جنسه من يهود بني قينقاع الذين امر محمد بطردهم من ديارهم لجرائهم على المسلمين وتعديهم على المسلمات ..

وأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة لحمايتها من الغزو ، وامر محمد عليه الصلاة والسلام بتنفيذ فكرة سلمان ، ورأى بثاقب بصره أن تنتقل المسلمات الى مكان بعيد عن دائرة القتال ، وكان أن ارسلهم الى حصن بعيد لحسان بن ثابت الانصارى شاعر النبوة ..

وحدث في هذه الآنة ، وحرب الأحزاب مشتعلة الأوار ، ان خان يهود « بنو قريظة » عهدهم مع رسول الله ، وانضموا الى أعدائه وفتحوا بذلك الطريق الخلفي للمدينة وعرضوه لخطر هجوم لم يحسب له المسلمون أى حساب .

صفية واليهودى الغادر

وكان حصن حسان بن ثابت الانصارى في ذلك الطريق البعيد ، واصبح بعد الغدر اليهودى مكانا ليس بالأمين للمسلمات المتحصنات به ، وفيهن صفية بنت عبد المطلب التى لم يداخل الخوف قلبها ووقفت ترقب الطريق الخطير في يقظة وتوثب واستعداد .

ورأت صفية يهوديا يقترب من الحصن .. وأثارها أن شهدته ينظر حواليه في حذر كمن يتحسس أو يختبر الطريق .. وأحست المسلمات بالخوف من الرجل وتوجسن مخافة أن يغدر بهن أو يرشد الى مكانهن الاعداء المتربصين ، وأسرعن الى صفية يصارحنها بمخاوفهن ... فراحت الهاشمية ذات القلب الكبير تهدىء من روع المسلمات الوجلات ، وتطمئنهن الى أنه لن يحدث شيء مما تصورنه ، ثم أسرعت بعد ذلك الى حسان بن ثابت الانصارى ، وهو يومها معهن بالحصن ، وقالت له :

— يا حسان .. ان هذا اليهودى كما ترى

يُطيف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدلّ على عورتنا مَن وراءنا من يهود وهم يتربصون بنا ، وانهم لأهل غدر وخيانة .. واني لاعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قد شغلتهم عنا الحرب الدائرة هناك ، فهيا يا حسان ... فاسرع وانزل الى اليهودى ، فاقتله، واكفنا شره.

وارتجف حسان ، وارتعد ، وهو مشفق على نفسه من هول الكر والفر ، وامتشاق الحسام ، واسرع يقول لصفية فى صراحته التى تميز بها شعره العظيم :

ــ يغفر الله لك يابنت عبد المطلب .. والله لقد عرفتِ ما انا بصاحب حرب ولا قتال .. ولا جَلَدَ لى على اللقاء فى حومة الوغى ..

وأمام تراجع حسان بن ثابت وخوفه .. واصرار اليهودى على الطواف بالحصن ومراقبة من فيه ، زادت مخاوف المسلمات، حتى لقد خشيت صفية ان يثير هذا نفس اليهودى ، ويشجعه عليهن فيقوم باغارة او هجوم ، وفكرت فى الامر طويلا ولم تجد غير المخاطرة بنفسها ، فاسرعت الى الرمح وحملته ، ثم نزلت فى جراة المحارب المدرب الى حيث كان اليهودى فصالت معه صولة صرعته بعدها ، وتركته لسباع الطير ثم عادت الى الحصن .. وعاد معها الأمان الى قلوب المسلمات .

وشاءت ارادة الله بعد ذلك ، أن يتم الأمان .. فهزمَ الأحزابَ وحده ، وردهم عن المدينة.. واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من خانوا المواثيق ليؤدبهم وينفذ فيهم عدالة الله ..

وعاد الهدوء يخيم على المدينة والسلام يرفرف فوق ربوعها .. وخرج المؤمنون من جهاد الى جهاد، وراحوا يعملون ويجدون ، ويعدون العدة لأهل الشرك والضلالات ..

الرسول يداعب عمته صفية

وسارت الحياة مسيرها الرتيب فى المدينة ... وازدادت هيبة المسلمين فى النفوس .. وراح محمد عليه الصلاة والسلام يوجه ويعلم ويتلقى الوحى، ويشحذ الهمم ويذكى النفوس ويجمع القلوب على التقوى والايمان ..

وعاشت صفية تلك الفترة فى سعادة ورغد ، تنعم بما كان ينعم به المسلمون جميعا .. وكانت رضى الله عنها اثيرة عند رسول الله ، قريبة اليه، عزيزة المكانة عنده .. وكان صلى الله عليه وسلم يوليها العطف وتحلو له مداعبتها والتظرف معها .. وكانت قد هرمت فى تلك الاونة ، وسألت رسول الله أن يدعو لها بالجنة فقال لها مداعبا : ان الجنة لا يدخلها عجوز !

فحزنت صفية لذلك ، وخيمت على وجهها سحابة من آسًى ، واطرقت طويلا ، واذا بمحمد يقبل عليها ملاطفا ، ليخرج بها من الخيال الى الحقيقة قائلا لها انها حين تبعث فى الحياة الاخرى، ستكون شابة لا تعرف الهرم ، ولا تحمل وقر السنين ، كقول الحق جل وعلا : « انا أنشأناهن انشاءً ، فجعلناهن أبكارا ، عربا أترابا » ..

رؤيا صفية تحققت

ومرت الايام بعد ذلك بصفيه ، وهى تشهد كل يوم نصرا يهبه الله لرسوله ، وعزا يضفيه على المسلمين ، وأمجادا فى اثر امجاد تنالهم ..

وقد تحققت رؤيا صفية الصادقة بحذافيرها فخرج السفهاء من آل غدر الى مصارعهم ، يوم بدر ، واحُد ، والخندق . واقر الله عينها بأن شهدت فتح مكة ، وشهدت مصرع البقية الباقية من عصابة الضلال ، ورأت أصنام قريش والقبائل جمعاء وهى تتهاوى أمام ضربات المسلمين ، وتزول معالمها ، ويطهر بذلك بيت الله ، فلا يعبد فيه احد غير الله وحده لا شريك له ، ولا شفيع عنده غير صالح العمل .

ورأت صفية ، الكافرين ، وهم يدخلون فى دين الله افواجا ، وشهدت الاشراقة الكاملة لنور الدعوة ، وكيف بدأت تضيء وتضيء وتنتشر أنوارها على البقاع ، وتخرج الى العالمين كافة ..

صفية ترثى محمدا

ومضت السنون ..وأكمل الله للمسلمين دينهم، وأتم عليهم نعمته ، ورضى لهم الاسلام دينا .. وانتقل افضل خلق الله الى جوار الله ، فقامت صفية ترثيه صلى الله عليه وسلم قائلة :

فيا عين جودى بالدموع السواجم ..
لفقد رسول الله اذ حان يومه

وعاشت صفية بعد خلافة ابى بكر ، وقد فرض لها ستة آلاف درهم .. وشهدت خلافة عمر ، ثم ماتت ايام عثمان ، ودفنت بالبقيع . ■■

سنية قراعة



للمرأة في الأسلام

شخصية حقوقية كاملة

بقلم : مجيدة شنن ارسلان

قال تعالى « فاستجاب لهم ربهم ، اني لا أضيع عمل عامل منكم ، من ذكر أو انثى ، بعضكم من بعض » .

وقال سبحانه « واذا بُشّر احدهم بالانثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون » .

فى هـذه الآيات ، وفى آيات اخرى غيرها بيّنات ، وضع الاسلام اللّبنة الأولى فى بناء حرية المرأة ، ثم منحها كافة الحقوق الشخصية ، وساوى بينها وبين الرجـل وقدّمها فى الذكـر فى بعض الأحيان . **قال جل شانه :**

« يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور »

الرسول يبسط ركبته لأهله

وقد عرف الرسول الكريم نفسية المرأة ، لذا كان يكثر من مؤانستها والرفق بها ، والانتقاء القول لها . وكان يخرج زوجاته معه فى أسفاره . وكان اذا ما ارادت احداهن ركوب الراحلة ، بسط لها ركبته لتدوس عليها وتصعد الى هودجها .

النساء شقائق الرجـال

وقبيل زمن الرسول ، عقدت أوربا مجمـع « ماكون » Conciles de mâcon 581-582 et 585 لتجيب على السؤال التالي :

« هل المرأة انسان ؟؟؟ » وتقرر فى نهاية هـذا المؤتمر ان المرأة فعلا انسان ولكنها خلقت لخدمة الرجل . وجاء الرسول الكريم فقال فى حديثـه الشريف « النساء شقائق الرجال » وان « الجنة تحت أقدام الامهات » . وكانت البلاد الاسلامية فى عهد الرسول وما بعده هى البلاد الوحيدة فى العالم التى تتساوى فيها المرأة بالرجل من حيث المكانة الاجتماعية .

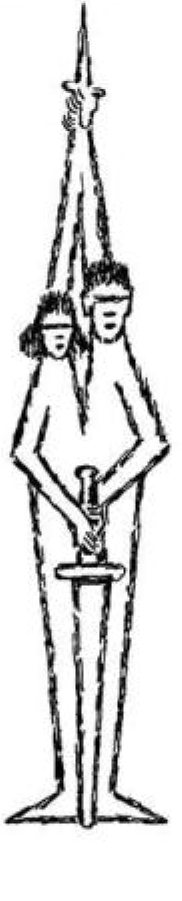
حق التصرف فى الملك

والاسلام اعطى للمرأة حق التصرف بمـا تملك

شانها فى ذلك شان الرجل ، وهو لا سلطة له عليها فى ذلك ، ابا كان ام زوجا ام اخا ، طالما انها غير قاصرة او محجور عليها ، على ان هذا الحق الذى منحه الاسلام للمراة منذ اربعة عشر قرنا لا تزال قوانين الحضارة الغربية قاصرة عن بلوغه حتى اليوم فى الكثير من تشريعات الغرب .

المراة وحق الارث

ولم يكن يؤول الى النساء شيء من مال الرجال ارثا فى العصر الجاهلى ، وكان الرجال يقولون فى ذلك : لا يرثنا الا من يحمل السيف ويحمى البيضة . وكان الرجل يرثه ابناؤه دون بناته ، فاذا لم يكن له ابناء ورثه الاقربون اليهمن أوليائه. المتوفى ونساؤه جميعا ، لأنهن فى نظر الجاهلية من اموال التركة ، اذ يأتى هذا الوارث ويلقى ويؤول الى هذا الوارث القريب ، بنات



ثوبه على زوجة مورثه ويقول « ورثتها كما ورثت ماله » . ويكون له بعد ذلك كل الحقوق عليها ان شاء تزوجها وان شاء زوجها سواه » . وكان بنات الميت وزوجته من المتاع الذى يورث .

الاسلام يرفع الضيم

الى أن جاء الاسلام ، ونفى عن المراة صفة المتاع الذى يورث ، ثم ساوى بينها وبين الرجل ، فالرجل يرث والمراة ترث : قال تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون » وحدث البخارى عن سعد بن أبى وقاص قال :

« مرضت بمكة مرضا أشفيت منه على الموت ، فأتانى النبى صلى الله عليه وسلم يعودنى . فقلت يا رسول الله : ان لي مالا كثيرا وليس يرثنى الا ابنتى ، أفأتصدق بثلثي مالى . قال لا ، قلت فالشطر ـ اى النصف ـ قال لا ، قلت الثلث قال ، فالثلث ، والثلث كثير ، انك ان تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . وانك لن تنفق نفقة الا أجرت عليها ، حتى اللقمة ترفعها الى فم امرأتك .

الاسلام جعل ارث الرجل ضعف ارث المراة لغاية

ولقد ميز الاسلام الرجل عن المراة فى الميراث ، فاعطاه ضعف ما تاخذه «فللذكر مثل حظ الانثيين » . وجاء هذا التمييز ضرورة من ضرورات بناء المجتمع المتكامل ، والحكمة فى ذلك واضحة ظاهرة . فالاسلام الذى حمّل الرجل نفقة زوجته ـ ولو كانت ثرية ـ وحمله نفقة أولاده وبناته ، وأوجب عليه المهر ، خلافا لأديان اخرى تدفع فيها المراة صداقها حتى تتزوج ، كما حمّله فريضة الجهاد وما يتطلبه من نفقات لأسرة يتركها ، وما يترتبعليه من خسارة نتيجة تركه العمل وانصرافه للجهاد . واوجب عليه نفقة الاقارب الفقراء . لذلك كله كان طبيعيا ـ والغنم بالغرم ـ أن يكون للرجل نصيب أوفر فى الميراث ، خاصة وان البنت لها فى الغالب من يعولها ، أو هى على الأقل لا تعول سواها .

الارث وشرائع الغرب

واذا كان الاسلام قد اعطى البنت نصف ما

أعطى للرجل ، فانه على كل حال أعطاها أكثر مما تعطيها اياه التشريعات الحديثة لدى الامم المتمدنة أصحاب حضارات القرن العشرين فبعض القوانين الاوربية لا تورث البنت مطلقا ، بل تحصر ثروة الأب في أكبر أبنائه الذكور ، وعلى كل فمسألة الارث ليست مسألة تفضيل رجل على امرأة ، انما هي مسألة اقتصادية اجتماعية بحتة أملاها واقع الحياة .

ولاية المرأة على أموالها

ولقد مضى على المرأة المسلمة ثلاثة عشر قرنا أو تزيد وهي لا تختلف عن الرجل في شيء فيما يتعلق بحقها في ممارسة حقوقها المدنية فلقد سوّى الاسلام في هذا المضمار بين الرجل والمرأة ، فمتى بلغت سن الرشد ، كان لها أن تتصرف بأموالها مهما بلغت ، شأنها في ذلك شأن الرجل على حد سواء . وللمرأة في نظر الاسلام كافة المؤهلات الشرعية والقانونية لأن تعقد العقود المدنية عامة من بيع وشراء واجارة وشركة وقرض ورهن وعارية وهبة وغير ذلك ، وأن توكل فيها من شاءت ، وأن تتوكل فيها عمن شاءت ، وليس لأحد ـ أيّا كان ـ أن يتدخل باسم الشرع والقانون في ذلك لقوله تعالى في سورة النساء « وابتلوا اليتامى ، حتى اذا بلغوا النكاح، فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » .

ولاية المرأة على أموالها في تشريعات الغرب

ان المرأة المسلمة تتمتع بشخصية حقوقية كاملة، لا يحق لأحد مهما كان صفته أن ينتقص منها ، لأن التشريع الاسلامي أعطاها الحماية الكاملة ، بينما نجد المرأة الغربية ما تزال تئن من القيود المفروضة ـ بموجب القوانين النافذة ـ على شخصيتها الحقوقية ، واذا كانت قد حصلت على شيء من الحرية مؤخرا فانها ما تزال مهددة بسلطة تدخل زوجها ومنعها من ممارسة هذا الحق .

فالتشريع الفرنسي مثلا أخضع حرية المرأة التجارية لاذن من زوجها ، وذلك حتى عام ١٩٣٨، ثم خفف من حدة المنع في القانون الصادر ـ ٢٢ فبراير، شباط، ١٩٤٢ عندما أعطاها الأهلية التجارية دون اذن من زوجها ، الا انه أعطى الزوج حق المنع ، فان شاء الزوج الفرنسي أن يمنع زوجته الفرنسية من ممارسة التجارة حق له ذلك بموجب التشريع الحالي ، فتأمل .

ردة رجعية

ومن العجيب أن نرى في بعض التشريعات القائمة الآن في بعض الدول العربية شيئا من الرجعية الجاهلية بالنسبة لهذا الأمر، لا لشيء الا لأن التشريع الغربي قد قيد حرية المرأة في ولايتها على أموالها . وقد أثارت هذه الردة السخط والاستنكار في الاوساط الحقوقية في الوطن العربي وفي نفوس الاساتذة المحامين المجتمعين في المؤتمر الأول للمحامين العرب الذي عقد في دمشق صيف عام ١٩٤٤ . ومما جاء في محاضرة ألقاها المرحوم الاستاذ محمد صالح « بك » عميد كلية التجارة في الجامعة المصرية آنذاك قوله :

« ولا أدري السبب الذي حمل المشرع اللبناني لأن يضع في المادة «١١» من قانون التجارة اللبناني، ان المرأة المتزوجة ، مهما تكن أحكام القانون الشخصي الذي تخضع له ، لا تملك الاهلية التجارية ، الا اذا حصلت على رضى زوجها الصريح أو الضمني » .

وهكذا نرى ان الاسلام أقرّ للمرأة شخصيتها الحقوقية المتكاملة، ومحا من حياتها تهمة «القصَر الدائم» الذي أثقلت كاهلها به التشريعات القديمة ، وكثير من القوانين الحديثة ، فأعطاها « الكفاءة والاهلية في ادارة أموالها ، والتصرف بها ، وانشاء العقود عليها بملء حريتها ، دون الالتزام بالرجوع الى رأي الرجل أو أخذ موافقته ، بل دون أن يكون للرجل أي سلطة على هذه التصرفات فمثلها في ذلك كمثل الرجل لا تنقص عنه ولا تزيد » .

لقد كان الاسلام برا بالمرأة ، ومن الوفاء له أن تنشد المرأة المسلمة المساواة في تعاليمه السمحة ، وبذلك تتبوأ مكانة حقوقية واجتماعية يحسدها عليها اليوم كثير من النساء .

قال العالم الألماني « دريسمان » ان اعطاء محمد المرأة حريتها هو وحده السبب في نهوض العرب وقيام مدنيتهم ، ولهذا لما عاد أتباعه فسلبوا المرأة هذه الحرية اضمحلت مدنيتهم . ■■

مجيدة شنن ارسلان

المنهج الجدلي عند الفيلسوف الألماني :

هيجل

هذا الوجود "كل" عضوي مترابط متناسق ، في باطنه غائية ذات أهداف

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

الأستاذ المساعد بكلية الآداب ــ جامعة القاهرة

■ لم تعد كلمة « الجدل » أو « الديالكتيك » Dialectic مجرد اصطلاح فلسفي يجرى على اقلام المتخصصين ، بل أصبحت كلمة عـادية تداولها ألسنة الناس في شتى الميادين . ولئن كان المعنى الأصلي للجدل هو « الحوار » أو « المناقشة » ، الا ان الاستعمال العادى لهذه الكلمة قد اتسع فأصبح يشير الى معانى «الصراع» و « الحركة » ، « التناقض » .. الخ وهكذا أصبح المنهج الجدلى هو منهج التوتر ، والانقسام ، والصيرورة المستمرة . وبعد أن كانت مناهج الفلاسفة الأقدمين قائمة على الثبات ، والذاتية (أو الهوية Identity) أصبح « المنهج الجدلى » عند الفلاسفة المحدثين يقوم على التغير ، والتناقض Contradiction

والفلسفة الحديثة تدين لهيجل Hegel (١٧٧٠ ــ ١٨٣١م) بأعمق دراسة للمنهج الجدلى ، خصوصا وأن هذا الفيلسوف الالمانى الكبير قد طبق هذا المنهج على ظواهر بشرية عديدة كالفن ، والدين ، والقانون ، والسياسة .. الخ .

وسنحاول أن نقدم للقارىء العربى ــ في هذه الدراسة الموجزة ــ الخطوط العريضة لمنهـج هيجل الجدلى ، دون الدخول في التفاصيل الفلسفية الدقيقة التى قد لا تهم سوى الباحث المتخصص .

محور الارتكاز في « الجدل » هو مفهوم « الكل »

وربما كان محور الارتكاز في « المنهج الجدلى » كله انما هو مفهوم « الكل » أو « المجموع » . والمقصـود بهذا المفهوم أن الوجود يمثـل

هذا الوجود حركة مستمرة ، تعتمد على التناقض ، فالحياة تحمل في طياتها الموت ، والاستعلاء يحمل أسباب السقوط



« كائنا عضويا » تجمع بين أجزائه وحدة متماسكة متكاملة . فليس فى الامكان تصور آية ظاهرة من ظواهر الحياة ، او الفكر ، او التاريخ باعتبارها ظاهرة مستقلة منعزلة قائمة بذاتها ، بل لا بد من تصورها باعتبارها مجرد ظاهرة متوقفة على ما عداها من ظواهر ، مرتبطة أوثق ارتباط بذلك « الكل » او « المجموع » الذى تنتسب اليه .وكما ان التشريح لا يكفى لفهم وظائف الأعضاء فهما صحيحا ، نظرا لأنه ينظر الى أجزاء الجسم بمعزل عن علاقاتها الحيوية ، فكذلك لا يكفى منهج التحليل العقلى لفهم ظواهر الفكر والوجود فهما فلسفيا عميقا ، نظرا لأنه يضرب صفحا عن الوحدة الأصلية التى تجمع بينها . واذن فان الغاية التى يهدف اليها المنهج الجدلى انما هى الوقوف على البناء العضوى للوجود باعتباره كلاً . وهيجل لا يتصور هذا « الكل » على نحو سكونيّ (او استاتيكى) ، بل هو يتصوره على نحو حركيّ (أو ديناميكى) ، فيقول ان كل حىّ يتمتع بالحركة ، والصيرورة ، والتجدد المستمر .

الجدل يعنى انه ليس ثمة معرفة مباشرة

والحق انه اذا كان هيجل يؤكد منذ البداية أن المنهج الجدلى هو المنهج الأوحد الذى يوصلنا الى المعرفة الحقيقية ، فذلك لأنه يأبى التسليم بامكان قيام « معرفة مباشرة » .

ومعنى هذا أنه ليس ثمة عيان" حسىّ مباشر يمضى بنا الى كبد الحقيقة ، كما انه ليس هناك اى مفهوم عقلى مجرد ، او اى تصور ذهنى قائم بذاته . وهيجل يرفض شتى النظريات الفلسفية القائلة بالحدس Intuition او البصيرة ، لأنه يرى ان المعرفة البشرية لا تتم الا عبْر عمليات ذهنية معقدة . وليس بدعا أن يكون المنهج الجدلى هو المنهج الأوحد الملائم لطبيعة الوجود ، ما دام العالم يمثل فى رأى هيجل « كلا عضويا » متماسكا .

للمفهوم العقلي ، لن يكون الا تصورا خاطئا او غير مشروع .. وكما ان اي دَلْو نلقي به الى النهر لن يسمح لنا بدراسة مجرى هذا النهر ، فان اي تصور عقلي مجرد لن يعطينا اية معرفة حقيقية عن الوجود ..

المحرك الاول للمنهج الجدلي انما هو « الغاية »

ولا يكتفي هيجل بتصور الوجود على انه « كل عضوي » حيّ ، بل هو يقرر أيضا أن ثمة «غائية» باطنة في صميم هذا «الكل» . وكما اننا لانستطيع فهم التطور الحيوي ، اللهم الا بمعرفتنا للغاية التي يسعى نحوها ، فكذلك نحن لا نستطيع أيضا فهم الصيرورة الكونية ، اللهم الا بمعرفتنا للغاية التي تنطوي عليها . والتطور بأكمله ـ فيما يرى هيجل ـ متضمَّن منذ البداية في أعماق «البذرة» الصغيرة . وربما كان السبب في « صيرورة » الوجود هو استحالة اكتفاء هذه البذرة بذاتها ، ونزوعها نحو الاستحالة الى شيء آخر . ولولا هذه العلاقة الوثيقة التي تربط الجزء بالكل ، لما ظهر في صميم « البذرة الاولى » ذلك التناقض الحي الذي دفع بها الى التطور ، والتغير ، والصيرورة ..

حقا اننا نتحدث عن مراحل او لحظات في صميم هذا « الكل » الشامل ، ولكن الحقيقة أن كل « مرحلة » أو « لحظة » انما هي محض« تجريد » Abstraction . ومن هنا فان حديث الفلاسفة عن « الوجود » و « العدم » انما هو حديث ميتافيزيقي مجرد . وهيجل نفسه يذكرنا في كتابه الضخم المسمى باسم « علم المنطق » بأنه لا يصح القول بأن الوجود والعدم قد وجدا أولا، ثم لم تلبث « الصيرورة Becoming» ان تألفت منهما، بل لا بد من القول بأن « الصيرورة » هي الحقيقة العينية الأولى التي انبثق منها « الوجود » و « العدم » على سبيل التجريد . وأما حينما نمضي الى قرارة الاشياء ، فهنالك لا بد من أن نجد « الترقي » متضمنا منذ البداية في أعماق « البذرة الأولى » ، لأن ثمة « غائية باطنة » تجذب اليها كل ما في العالم من صيرورة .ومعنى هذا أن العالم ـ في رأي هيجل ـ متناه Finite وأن التاريخ مُغلق ، والا لما كان في وسعنا أن ندرك حدّه أو نهايته . هذا الى أن القول بأن الوجود يمثل كلا عضويا أو وحدة متماسكة انما يعني أن في استطاعتنا معرفة « غاية » الوجود ، وبالتالي فان في وسع العقل البشري الوصول الى « الحقيقة المطلقة » . واذن فان منهج هيجل الجدلي يفترض أن «الواقع» شفاف امام « العقل » ، وأن « الوجود » هو فيصميمه من نفس طبيعة « الفكر » . وهذا هو السبب في اننا قد اصطلحنا على تسمية فلسفة هيجل باسم « المثالية المطلقة » أو « التصورية المطلقة Absolute Idealism »

اتحاد « الصورة » و « المادة » في التفكير الجدلي ..

وليس « المنهج » في رأي هيجل خارجا عن « موضوعه » ، بل ان ثمة اتحادا وثيقا بين « الشكل » و « المضمون » ، أو بين « الصورة » و « المادة » في صميم التفكير الجدلي . ومعنى هذا ان « المنهج » عند هيجل ليس مجرد «اداة» او «وسيلة» توصلنا الى المعرفة ، وكأنما هو مجرد واسطة خارجية ، بل ان « المنهج » هو «العقل» نفسه وقد أصبح قديرا على الاهتداء الى نفسه ، أو التعرف على ذاته ، في كل شيء ! فليس « الجدل » مجرد تعبير عن حياة الفكر ، بل هو يمثل أيضا حياة الطبيعة ، وحياة المادة ، في كل درجات تعقدها . ولا يبلغ « الجدل » هدفه الحقيقي ،اللهم الا حين تكون القطيعة بين«الذاتي» و « الموضوعي » قد زالت تماما ، بحيث لا يصبح اي شيء في الوجود غريبا على العقل !

وهيجل يأخذ على الفيلسوف الالماني « كنط » Kant (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) انه قد فصل « صورة » المعرفة عن « مادتها » ، في حين أنه ليس ثمة موضع للفصل ـ في داخل المعرفة الواحدة ـ بين عنصر « ذاتي » وعنصر آخر « موضوعي » . وأما فكرة كنط عن « الشيء في ذاته » The thing-in-itself فهي في رأي هيجل فكرة خاوية تماما ، ان لم تكن فكرة وهمية لا أساس لها على الاطلاق ، لأنها تريد أن تصور لنا « الواقع » بعد أن تكون قد انتزعت منه كل ما نعرفه عنه ! ومثل هذا الفصل المزعوم بين « مضمون » الوعي و « صورته » قد قاد بعض الفلاسفة القطعيين Dogmatist الى

القول بان « مادة » المعرفة موجودة باعتبارها عالما مكتملا قائما بذاته خارج الفكر ، وان الفكر ـ بالتالى ـ هو فى حد ذاته وعاء فارغ او خلو من كل مضمون ! وهكذا تصور هؤلاء الفلاسفة ان كل وظيفة الفكر هى ان يجىء بوصفه صورة ـ Form فينطبق على تلك المادة الخارجية ، لكى لا يلبث ان يمتلىء بها ويكتسب عن طريقها ضربين من « المضمون » او « المعرفة الحقيقية ». وفات هؤلاء الفلاسفة ـ فيما يقول هيجل ـ ان التصور ومادته ، او « الذاتى » و « الموضوعى » انما هما عنصران مرتبطان ـ فى شعورنا ـ اوثق ارتباط ، دون ان يكون فى الامكان عزل احدهما عن الآخر ، اللهم الا على سبيل التجريد Abstr-action.

المنهج الجدلى « منطق تناقضى » !

قلنا ان العالم فى نظر هيجل يكوّن كلا موحّدا ، ورأينا ايضا ان الحقيقة فى نظره هى بمثابة عملية بنائية نعيد بمقتضاها تركيب هذا « الكل » . ونستطيع الآن ان نضيف الى ما سبق ان المنهج الجدلى عند هيجل انما هو عبارة عن « منطق » يدرس العلاقات الواقعية التى تنشأ وتترقى فى كنف ذلك « الكل » العضوى . فليس الوجود فى نظر هيجل حقيقة ثابتة ، بل هو حركة مستمرة تقوم فيها علاقات متشابكة بين سائر الأشياء وتستند فى مجموعها الى مبدأ « التناقض » .واذن فليس يكفى ان نقول ان اى جزء من أجزاء العالم انما يتحدد من خلال علاقته بالكل ، وانما يجب ان نضيف الى ذلك ايضا ان كل شىء انما هو مغاير لذاته . ومعنى هذا ان الحياة تحمل فى ذاتها بذور الموت ، كما ان المتناهى ينطوى على بذور اللامتناهى .. الخ .. الخ . وحسبنا ان نعود الى حياتنا العادية لكى نتحقق من انالاضداد فى تماس ، اى يمس بعضها بعضا : فالعدالة المطلقة قد تولد الظلم ، والغبطة الزائدة قد تعبر عن نفسها من خلال الدموع ، والألم العميق قد يستحيل الى ابتسامة او ضحكة ، والكبرياء قد تؤدى الى السقوط ، وهلم جرا . فكل ما يحيط بنا شاهد على ان الاشياء تحمل فى ذاتها بذور فنائها ، وكل ما نراه فى الطبيعة (او فينا) انما يتطلب وجود « ضده » .

وعلى ذلك فان « منطق التناقض » ماثل فى عالم الطبيعة كما هو ماثل فى عالم الفكر ، بدليل ان حركات الأجرام السماوية ، وتغيرات الظواهر الطبيعية،وتقلباتالأحوال الجوية لا تقل «تناقضا» عن حركات الأهواء البشرية ، وتغيرات الظواهر النفسية ، وتقلبات الأمزجة الشخصية . وبهذا المعنى يمكننا ان نقول ان « التناقض هو مبدأ كل حركة ، وكل حياة ، وكل تأثير فعال فى عالم الواقع » . ولما كانت هناك « احالة » مستمرة ، او تبادل مستمر ، بين « الايجابى » و «السلبى»، فان ما يكوّن جوهر الأشياء انما هو تلك العلاقات الخارجية التى تجمع بينها وبين ما عداها من اشياء . واذا كان الكون ـ فى رأى هيجل ـ ابتداء من الحصاة الصغيرة حتى الروح البشرية ، هو بمثابة « كلّ موحّد » تجمع بين ظواهره المختلفة علاقات متبادلة ، فان مهمة الفلسفة فى نظره هى العمل على ادراك تلك العلاقات الضرورية ، والاهتمام بالوقوف على مظاهر الاختلاف التى تنشأ فى كنف ذلك « الكل » ، والانتباه الى «الوحدة» الحقيقية التى تجمع بين كل تلك المظاهر المختلفة على الرغم من كل ما تنطوى عليه من « تناقض ». واذن فان العلاقة الحركية (او الديناميكية)التى تجمع بين الجزئى والكلى،او بين الممكنوالضرورى، او بين المتناهى واللامتناهى انما تدلنا على ان الجدل (الديالكتيك) عند هيجل ليس الا مجرد تعبير عن نظرية « وحدة الاضداد » The unity of contraries

المنهج الجدلى أيضا منهج «سلب»...

اذا كان منهج هيجل يستلزم الانتقال من الفكرة الواحدة الى الفكرة المضادة لها ، او من القضية الايجابية الى القضية السلبية ، فليس بدعا ان تحتل فكرة « النفى » او « السلب » Negation مكانة كبرىفىصميم هذا المنهج .والواقعان الوجود واللاوجود، والشبيه والمغاير،والمتناهىواللامتناهى انما هى مقولات يستلزم احدها الآخر . ومايدفع بالعقل الى الانتقال من الواحد منهما نحو الآخر ، انما هو ما لديه من مقدرة على النفى والسلب . وليست عملية « السلب » عند هيجل مجرد عملية منطقية او مجرد نشاط ذهنى ، بل هى جوهر الحرية وصميم القوة الناطقة . وهيجل يرى ان علة الصيرورة انما تنحصر بوجه عام فى مبداالسلب

أو النفى . ومعنى هذا أن « القوة السالبة » Negativity انما هى المصدر الباطن لكل نشاط، او لكل حركة تلقائية ، سواء أكانت هذه الحركة صادرة عن موجود طبيعى أم عن موجود روحى . واذن فان ما يحيل المتناهى الى « لا متناه » ليس هو القوة الخارجية التى يقع تحت تأثيرها ، بل هو طبيعته الخاصة نفسها ، من حيث أن من طبيعة « المتناهى » أن يتجاوز ذاته ، ويعلو على نفسه ، لكى يستحيل الى نقيضه ، ومن ثم يتحول الى « لا متناه » .

حقا أن الأشياء المتناهية « موجودة » ، ولكن علاقاتها بذاتها مصبوغة بصبغة سلبية وهذا هو السبب فى أنها تتجه دائما نحو تجاوز ذاتها والعلو على نفسها . ومعنى هذا ان الأشياء المتناهية، موجودة ، ولكن حقيقة وجودها تنحصر فى كونها متناهية ، أو فى كونها ذات نهاية فالأشياء المتناهية تتحول ، وتتغير ، وتتلاشى ، وتزول ابتداء من الصخرة التى تتآكد ، وتتفتت ، وتتشتت ، حتى النبات والحيوان اللذين يتغذيان وينموان ، ويتحولان من جنين غير مكتمل الى موجود ناضج مترق ، لكى لا يلبثا أن يتحللا ويزولا، بل حتى ذلك العقل البشرى الذى يشعر — فى ألم عميق — بالسلب الذى يحمله كل موجود فى أعماق ذاته ، وهو « السلب » الذى يمزقه ويضطره الى التعالى على نفسه !

ويشرح لنا هيجل فى كتابه « علم المنطق » فكرة السلب فيقول ان أى موجود حى لا يمكن أن يكون متسقا مع ذاته تمام الاتساق ، بل هو لا بد من أن ينطوى فى ثنايا وجوده على عنصر سلبى ، حتى ولو بدا لنا ايجابيا تمام الايجاب . ولولا هذا العنصر السلبى لما وجد الموجود الحى نفسه مضطرا الى الخروج عن ذاته من أجل الاندماج فى مجرى التغير . فالسلب هو الأصل فى كل حركة ، أو هو المصدر الذى ينبثق منه كل مظهر حيوى كائنا ما كان . ولا يكون الشىء حيا اللهم الا بقدر ما ينطوى فى أعماق ذاته على عنصر سلبى يدفع به الى التغير والاستحالة والانتقال الى نقيضه . وهكذا نرى أن هناك صلة وثيقة بين فكرة « التناقض » وفكرة « السلب » فى هذا المنهج الجدلى القائم على الحركة والصيرورة المستمرة .

... من النفى الى نفى النفى !

بيد أن هيجل لا يكتفى بالانتقال من الدعوى Thesis الى الدعوى المناقضة لها Antithesis ، وانما هو لا يلبث أن يعلو على كل من الدعوى ونقيضها ، لكى ينتقل الى قضية جديدة تكون بمثابة مؤلف من الدعوى ونقيضها Synthesis فليس النفى هو الكلمة الأخيرة فى المنهج الجدلى ، بل لا بد من نفى النفى ، من أجل العودة الى اثبات جديد . ولكن هذا الاثبات الجديد لا يعنى الارتداد الى الدعوى الأولى ، بل هو يمثل قضية جديدة تعد أكمل من كل من الدعوى ونقيضها . ولهذا فان عملية « التأليف » لا تقل أهمية فى نظر هيجل عن عملية « النفى » ، ان لم نقل بأن العمليتين عمليتان أساسيتان تكمل احداهما الأخرى . وهيجل يستخدم الطريقتين معا ، فيهيب بعملية « النفى » ، لكى لا يلبث أن يستخدم عملية « التأليف » ، محاولا دائما تفسير شتى الظواهر الطبيعية والبشرية عن طريق هذا المنهج المزدوج . والسبب فى ذلك أنه يرى دائما أن فوق كل مرحلة من مراحل ترقى الفكر ، لا بد من أن تظل هناك مرحلة أخرى قد يكون فى الامكان التسامى اليها . وهذا ما فعله هيجل فى دراساته العديدة لشتى وقائع تاريخ الدين ، وتاريخ الفلسفة ، وتاريخ الحضارة ، وتاريخ المنطق ، مما أفضى به فى النهاية الى مثاليته المطلقة . فلم يقتصر هيجل على القول بالانقسام ، والتناقض ، والنفى ، بل هو قد قال أيضا بضرب من الاتحاد ، والتأليف ، والايجاب . ومعنى هذه الحركة المزدوجة أن الحياة التى تنقسم وتنفصل لا بد من أن تعود فتتحد وتندمج : « ... لقد خلقت حواء من ضلع آدم ، أعنى من جزء من أجزاء جسمه انفصل عنه ، ولكن اتحاد آدم وحواء هو الذى أظهر الى الوجود طفلهما الأول، فكان بمثابة البذرة الاولى لخلود النوع البشرى » .

والمنهج الجدلى أيضا منطق حياة ...

ان المنهج الجدلى — كما رأينا — منطق علاقة ، ومنطق تناقض ، ومنطق سلب ، ومنطق صراع ، ومنطق حركة ، ومنطق تأليف . ولكنه أيضا منطق حياة: لأنه يحقق لكل من الطبيعة والفكر الانتصار

على شتى العوائق من أجل المضى دائما نحو الامام. فالدیالكتيك (أو الجدل) انما هو - على حد تعبير هيجل - « المجموع المتحرك لتلك العلاقات الباطنة فى صميم كل عضوى دائب الصيرورة » . ومعنى هذا التعريف أن الحركة الديالكتيكية الباطنة فى أعماق الوجود هى التى تعمل على مواصلة عملية تمييز الشبيه عن المخالف ،وتوحيد الشيء وضده ، من أجل الاستمرار فى عملية الخلق الأبدى ، والعمل على بقاء الحياة ، وتحقيق خلود الروح . وهيجل يرى أن حركة الحياة تتجه بشتى الكائنات المتناهية نحو «اللامتناهى» ، فهى ترقى بنا من المجرد الى العينى ، ومن الحادث أو الممكن الى الضرورى أو واجب الوجود ، لكى تصل بنا فى خاتمة المطاف نحو « المطلق »

والحق أن « الديالكتيك » (أو الجدل) يمثل عملية ادماج لسائر الاشياء فى الوحدة الكلية الشاملة ، بحيث أن الوقائع التى ظلت منفصلة بعضها عن البعض الآخر لترتبط - على يد هيجل - بالمبدأ الذى يفسرها ويبررها ، وبذلك لا يعود كل منها بمثابة « مطلق » قائم بذاته ، أو حقيقة مستقلة مكتفية بذاتها . ومن هنا فان عالم الطبيعة يرتبط - فى فلسفة هيجل - بعالم الحياة ، كما أن عالم الحياة يرتبط بعالم الروح ، وعالم الروح - بدوره - يرتبط بالله نفسه . وهكذا يجد « الأدنى » علة بقائه فى « الأعلى » ، فيصبح « الاعلى » هو المبرر الأوحد لوجود « الأدنى » .

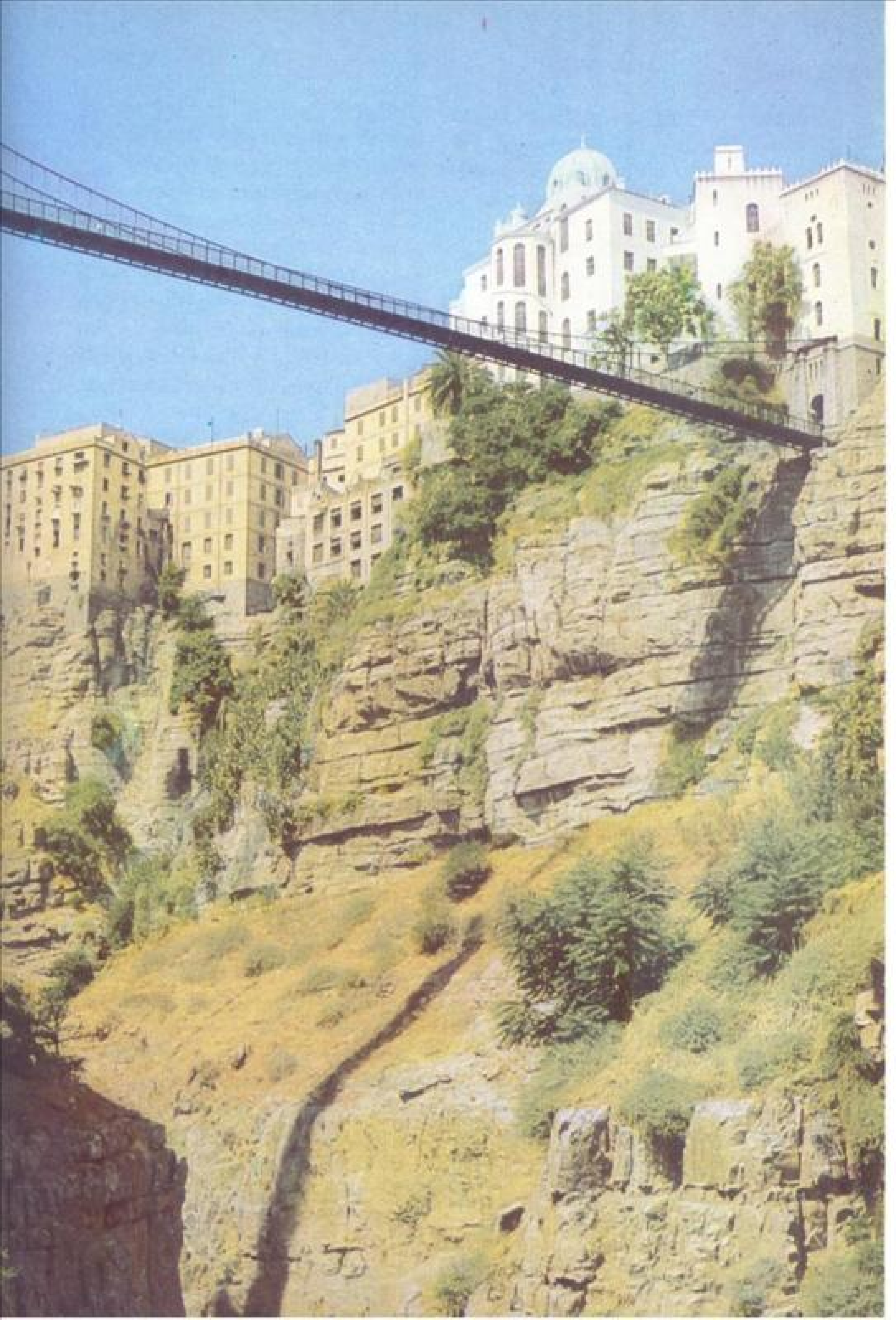
وهيجل يضيف الى هذا كله أن من طبيعة الحياة دائما أبدا أن تهدم كل ما هو منفصل ، معزول ، مجرد ، سواء أكان ذلك على صورة « موضوعية عارية » ام على صورة « ذاتية خالصة » . فليس هناك حقيقة موضوعية محضة ، أو حقيقة ذاتية محضة ، بل ان كافة الوقائع فى الطبيعة والفكر معا هى بمثابة أوجه مختلفة لتلك الحقيقة الواحدة الشاملة التى هى فى صميمها صورة ومادة ، عقل وطبيعة، روح وتاريخ . واذا كانت المفاهيم البشرية مفاهيم ذاتية فى تجردها وانعزالها ، فانها مفاهيم موضوعية فى تحققها واندماجها . ومعنى هذا أن المنطق عند هيجل ليس مجرد علم للقواعد التى تفرض نفسها على التفكير الذاتى ، بل هو بمثابة النسيج العقلى للواقع نفسه . وبهذا المعنى يصبح المنهج الجدلى تعبيرا عن أعلى طموح للعقل فى سعيه نحو الالتقاء بذاته فى كل شيء ، والتعرف على نفسه فى كل شيء !

كلمة أخيرة ...

ويبقى ان نتساءل الى أى حد نجح هيجل فى استخدام هذا المنهج الجدلى فى التعبير عن «الوحدة» الكلية الشاملة ، على صورة نسق عقلى متسق ؟ لقد ذهب هيجل الى أن جدل الفكر ليس سوى مجرد تعبير عن حركة الأشياء ، ولكن أليس فى هذا الزعم مجرد « مصادرة فلسفية » تقوم على التسليم بوجود هوية (أو ذاتية) Identity بين الفكر والوجود ؟ وأما هذا المنهج الأوحد الملائم لطبيعة التفكير الفلسفى أليس هو مجرد طريقة اصطنعها هيجل لتبرير مذهبه الخاص فى « المطلق » بوصفه وحدة الذاتى والموضوعى ؟ .. اننا نعلم أن هيجل قد عاش فى عالم ممزق ، فليس بدعا أن تكون تجربته الخاصة هى التى أملت عليه اصطناع هذا المنهج من أجل العمل على محو التعارض القائم بين « الذاتية » و « الموضوعية » ، أو بين « الفكر » و«الوجود ». وسيكون على كارل ماركس من بعد أن يصحح الأخطاء التى وقع فيها هيجل ، على ما زعم ، لكى يجعل من عالم الأفكار مجرد انعكاس للعالم المادى ! وهذا ما سيعبر عنه ماركس بقوله :

ان المذهب الهيجلى كان يسير على رأسه ، وأما الآن فقد أصبح لزاما علينا أن نجعله يسير على قدميه ! وهكذا استحال المنهج الجدلى الهيجلى على يد ماركس الى « ديالكتيك مادى » يفسر ، فى رأيه كل تاريخ العالم الطبيعي والفكر البشرى بالاستناد الى «الحقيقة المادية» . ولا شك أن القارىء ينتظر منا أن نحدثه عن موقف ماركس من المنهج الجدلى الهيجلى بالتفصيل ، فلعلنا فى حديث مقبل نأتى على قصة الصراع بين « جدل الروح » و « جدل المادة » ، ذلك الجدل المادى الذى كان من شأنه أن قلب الدنيا رأسا على عقب . ■■

زكريا ابراهيم



اعرف وطنك أيها العربي

■ تنقلك « العربي » في هذا الاستطلاع الى مدينة كبيرة حصينة عالمية ، بدأ تاريخها مع بدء ظهور الانسان على الأرض ... مدينة تقع على قمة جبل عال ، ولهذا لقبوها بـ « عش النسر » ، بينما اسمها الحقيقي :

قُسَنْطِينَة

منبع الحركات الفكرية في الجزائر

قام بهذا الاستطلاع **سليم زبال** وصوره **« أوسكار »**



استقرار .. وهدوء .. وسلام ، أصبح ينعم بهم أبناء المدينة التى كانت دائما مركزا للحركات الثورية والفكرية .



الى اليمين : منظر رائع لمدينة قسنطينة التى تتميز بالجسور القائمة فوق وادى الرمال السحيق ، وهذا هو جسر « سيدى مسيد » المعلق الذى يمتد بطول ١٦٨ مترا فوق هوة عمقها ١٧٥ مترا ، ويتحرك كلما هبت الرياح ، لقد انتهى بناؤه فى ١٩ ابريل ١٩١٢ ليصل بين المدينة القديمة « وسيدى مسيد » ، الضاحية الجديدة .

كيف يجب أن يكون حكمنا على مدن الجزائر ؟ هل ننقدها كأى مدينة عربية أخرى ؟ أم نجاملها، باعتبارها ما زالت تضمد الجراح التى أصابتها من التخريب والتدمير والتنكيل الذى عاشته الجزائر طوال ١٣٢ عاما تحت حكم الاستعمار الفرنسى ؟

كيف يبنى الشعب مستقبله ؟

ان شعب قسنطينة ، كبقية شعب الجزائر ، شعب تعذب كثيرا ، ورغم هذا لا يبحث بسرعة عن السعادة ، وانما يرفض ان يستمر فى التعاسة التى كان فيها .

ووسيلته الى هذا كانت ، وما تزال : الجهاد..

الجهاد الأصغر ، وهو طرد المستعمر ، وهذا قد انتهى امره ..

والجهاد الأكبر ، وهو بناء الشعب لبلده ، ومجتمعه .. ونفسه !

ان الشعب الذى يتخلص من الاستعمار حديثا يدخل فى معركة هائلة للتخلص من الرواسب التى كانت عالقة به وبمجتمعه .. وفى نفس الوقت يبحث عن اشقاء جُدد ليقيم معهم علاقات على قدم المساواة .

انه مجهود مضاعف ، فرَص الربح فيه ليست سهلة ابدا .. ولكن النجاح والازدهار آتيان دون ادنى شك ، لأن شعبا مكافحا مثل شعب الجزائر، ضحّى بمليون شهيد ، وتطوع أبناؤه بعد الاستقلال للبناء .. وعمل موظفوه ومدرسوه ٦ أشهر دون راتب فى سبيل أمتهم ، لهو شعب جدير بان يحتل قمة المجد ..

ان المتاعب التى تعانيها الجمهورية الجزائرية، هى نفس المتاعب التى تواجه قسنطينة ..

وأجمل ما فى الموضوع هى الصراحة التى تواجه بها هذه المتاعب ، سواء من كبار المسئولين ، أو من افراد الشعب ..

ان الرئيس بن بله ، رئيس الجمهورية الجزائرية ، قال لنا : ارجو ان تنقلوا للقارىء العربى صورة حقيقية واقعية عن حال الجزائر دون أن تجاملونا ، أو تحاولوا اخفاء الحقائق المؤلمة .

وانطلاقا من هذا القول الصريح ، سنحاول أن نقدم لك صورة حقيقية ، ولو مؤلمة كما قال لنا الرئيس بن بله ، لحالة قسنطينة .. انها متاعب ورثها شعب أبى من مستعمر غاشم ...

ثالثة مدن الجزائر

ولكن قبل التعرض لتفاصيل هذه المتاعب ، تعال نتعرفْ على قسنطينة نفسها ..



خريطة تبين موقع قسنطينة وهى تبعد ٤٣٢ كيلو مترا عن العاصمة الجزائرية ، وبها مطار ، ومتصلة بالسكة الحديد والطرق المعبدة مع مختلف المدن المحيطة بها .



صورة تاريخية لمدينة قسنطينة عام ١٨٣٠

انها ثالثة مدن الجزائر ، اذ تأتى بعد الجزائر العاصمة ووهران .

تقع داخل الأراضى الجزائرية على بعد ٨٧ كيلومترا من شاطىء البحر الأبيض ، و ٤٣٣ كيلومترا شرقى العاصمة ، و ٤٥٦ كيلومترا من عاصمة تونس .

عدد سكانها غير معروف بالضبط ، فقد كانوا قبل الاستقلال ١٤٥ ألف نسمة بين وطنيين واجانب . واثناء ثورة التحرير قام عدد كبير من الاجانب المقيمين فى المدينة بشن حملات ومذابح وحشية ضد الوطنيين من أبنائها . ولكن ما كادت بوارق الاستقلال تبدو فى الأفق ، حتى أحس هؤلاء الاجانب بعظم جرمهم ، وارتعدوا فرقا خوفا انتقام الأهالى منهم ، فهرب ٤٠ ألف فرنسى ومعهم ٢٠ ألف يهودى ، فى مدة لم تستغرق ثلاثة أيام .

وكان هؤلاء الأجانب يتركون المدينة ليحل محلهم حشد من المجاهدين وأبناء القبائل الذين عانوا شظف العيش فى كهوف جبال الأوراس طوال سنى الحرب السبع والنصف .

وهكذا ظل عدد السكان فى قسنطينة مقاربا لما كان عليه ، اى نحو ١٤٥ ألف نسمة .

مدينة عربية بدون نخيل وجمال

وتعتبر قسنطينة من أجمل المدن العربية ، فهى أشبه بلوحة رائعة ، رسمها رسام مبدع ، يبهرك جمالها الطبيعى من أى مكان تنظر منه اليها ..

انها من المدن العربية القليلة التى تعطيك جوا بعيدا عن جو النخيل والجمال ، فهى تقع فوق صحن صخرى يرتفع ٢١٣٠ قدما من سطح البحر ، يحيط بها وادى الرمال السحيق من ثلاثة جوانب .. فكأنها شبه جزيرة قائمة وسط بحر من رمال الصحراء !

انها قلعة لا تقهر شهدت ٨٢ حصارا نجح القليل منها فى اخضاعها .

الانسان الأول عاش هنا ..

وتحت ابنية المدينة ، وداخل كهوفها ، اكتشفت فى عام ١٩٥٣ أدوات بدائية قال عنها علماء الآثار انها من أقدم الأدوات التى استعملها الانسان الاول على ظهر الأرض !

عجلة التاريخ

ولقد تعاقبت على المدينة سبع حضارات ... بربرية ، وفينيقية ، ورومانية ، وبزنطية ، وعربية ، وتركية ، وفرنسية .

وفى زمن الرومان كانت المدينة تدعى « سِرْطَة » Cirta وكانت تنعم بالازدهار والرخاء والهدوء ، حتى دق النذير عام ٣١١ م ، عندما جاءها الحاكم الرومانى « ماكصانص Auguste Maxence » فاستولى عليها وهدمها ، ثم جاء قسطنطين الأكبر ، امبراطور الرومان ، فأعاد بناءها عام ٣١٣ ، وأعطاها اسمه قسطنطينة .

وظلت المدينة محتفظة باسمها حتى يومنا هذا ، مع تحريف بسيط ادخلته اللهجات المحلية فجعلته : قُسَنْطِينَة ، بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وسكون ثالثه ..

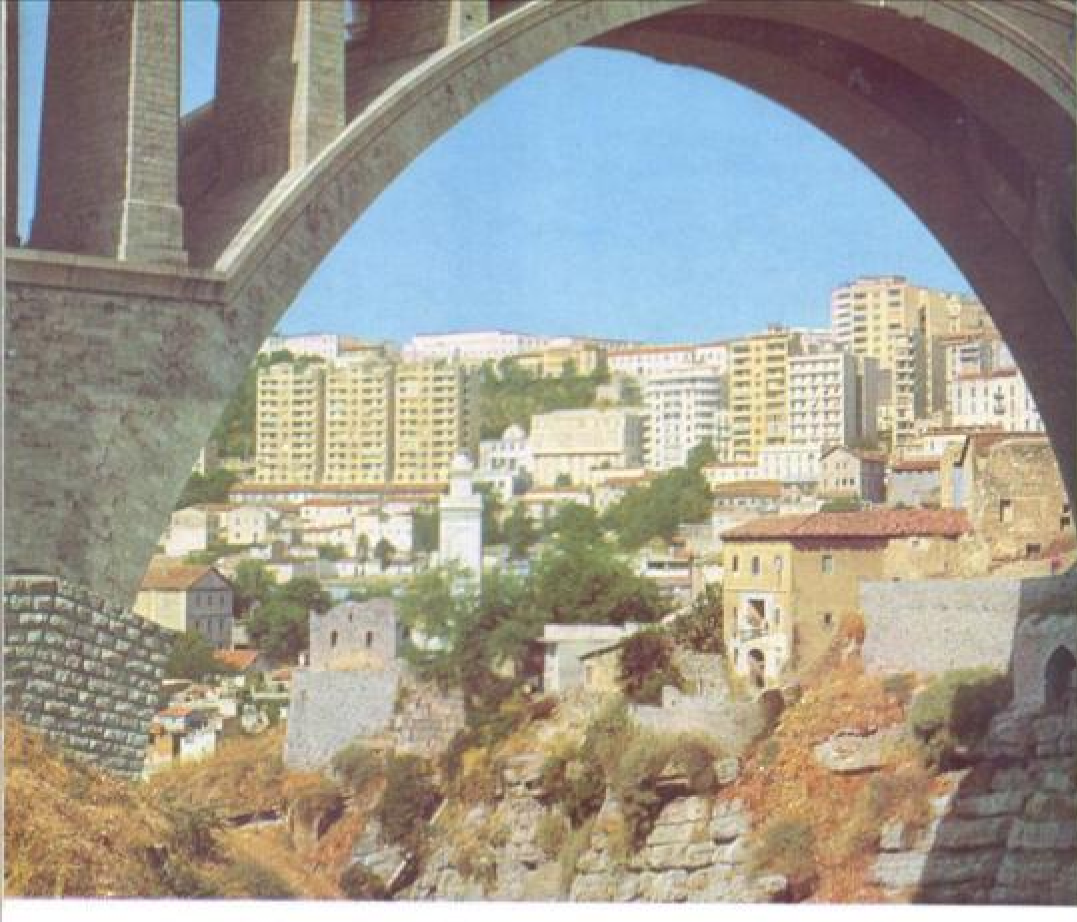




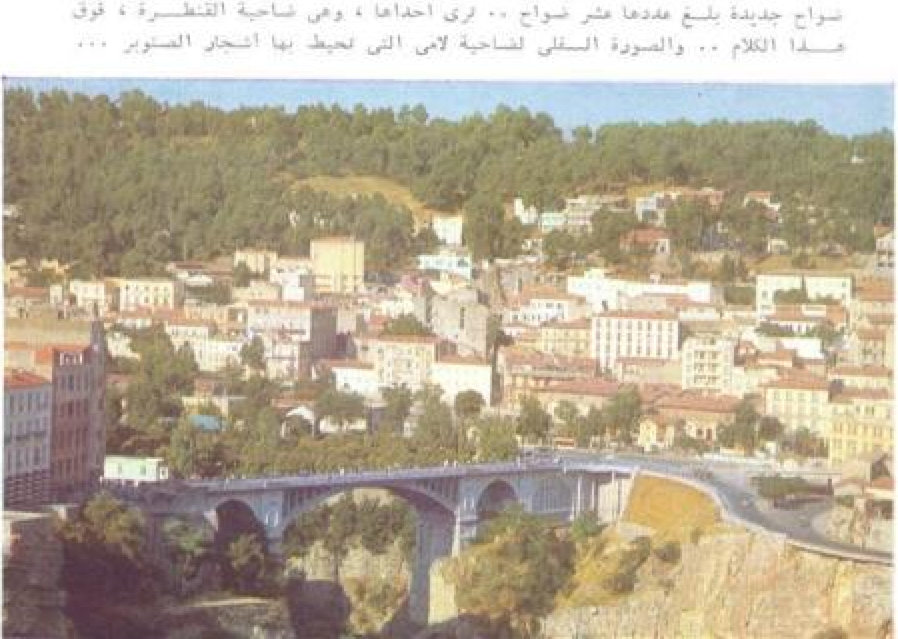
جامع قسنطينة الكبير : الاثر الاسلامي الوحيد الذي يعود الى ما قبل حكم الاتراك ، فقد بني عام ٦١٨ هـ اى ١٢٢١ م، مكان معبد روماني قديم .

الى اليمين : ثانوية عبد الحميد بن باديس، رائد النهضة الاسلامية الحديثة في الجزائر ، (توفي عام ١٩٤٠) . ان اغلب أبناء قسنطينة تخرجوا من هذه الثانوية التي تدرس جميع العلوم باللغة العربية ، الى جانب تعليم اللغة الفرنسية والانجليزية ويبلغ عدد طلبتها اليوم ٤٥٠ طالبا، وأساتذتها من أبناء الجزائر ، ومصر ، وفرنسا .





ضاقت قسنطينة القديمة بوفود القادمين اليها بعد الاحتلال الفرنسي مما دعا الى اقامة ضواح جديدة بلغ عددها عشر ضواح .. نرى احداها ، وهي ضاحية القنطـرة ، فوق هـذا الكلام .. والصورة السفلى لضاحية لامي التي تحيط بها اشجار الصنوبر ...



ونعمت المدينة بفترة هدوء نسبى حتى جاءها الوندال Vandales عام ٤٣٩ م وحاصروها بدون نتيجة ..

ورممها البيزنطيون عام ٥٣٤ باستعمال أحجار الآثار الرومانية !

وفى القرن السابع الميلادى كانت مجرد قلعة قديمة ..

تزوير التاريخ ..

وهنا نقف قليلا لنبين مقدار الغبن الثقافى الذى يعانيه تاريخنا العربى المجيد فى هذه البقعة .. ان معظم الكتب التى تروى تاريخ الجزائر مطبوعة بالفرنسية ، وهذه الكتب تتعمد أن تغض الطرف عن التاريخ العربى لتمدح الرومان والوندال والفرنسيين .. واذا ذكرت العرب أظهرتهم كهمج متوحشين ، يقضون وقتهم بين حريمهم يدخنون ويشربون « الكيف » .

انه نقص كبير يلمسه كل من اراد الكتابة عن تاريخ الجزائر العربية .

ورغم هذا النقص فقد توصلنا من مراجعة كتب المؤرخين القدامى الى معرفة بعض جوانب هذا التاريخ ، الذى بدأ بوصول جنود الفاتح العربى الشهير عقبة بن نافع عام ٦٧٠ م . وفتحهم للمدينة دون عناء ..

وفى مطلع القرن الرابع‌عشر أصبحت قسنطينة عاصمة للمقاطعة الشرقية من امبراطورية سلاطين الحفصيين فى تونس .. وانتهى عهدهم بحلول البايات الأتراك مكانهم ..

وكانت فترة حكم البايات فترة مؤامرات وثورات ومكائد حتى جاء صلاح باى (١٧٧١ - ١٧٩٢) فكان عهده هو العهد الذهبى لقسنطينة ، فرمم مبانيها وانشأ الجسور ومدّ الطرق .. ولكن هذه الاصلاحات كانت سببا فى قتله بسبب غيرة رئيسه داى الجزائر من هذه الأعمال .

وبعد صلاح باى تولى ١٨ بايا الحكم قتل منهم ١١ مثل صلاح باى !

هزيمة منكرة

وفى عام ١٨٣٦ جاء ٧٠٠٠ جندى فرنسى لاحتلال



غرفة انسان ما قبل التاريخ فى متحف قسنطينة .. وفيها مجموعة كبيرة من رؤوس الحراب وبقايا الانسان الاول .. مع بقايا الحيوانات المندثرة التى عاشت فى المنطقة ..

الى أسفل : تمثال الامبراطور قسطنطين بانى المدينة عام ٣١٣ م. انه التمثال الوحيد الباقى فى قسنطينة ، وهو صورة طبق الأصل من التمثال القديم الموجود فى متحف روما .



قسنطينة .. فحاصروها ، ولكن الباى أحمد ـ حاكم قسنطينة فى ذاك الوقت ـ انطلق منها على راس جنده وانقضوا على الفرنسيين فقتلوا منهم الفي جندي، واجبروا الباقين على الهرب مذعورين تاركين سلاحهم ومدافعهم فى ساحة المعركة !

بطولة وشجاعة

ولكن الفرنسيين لم يسكتوا على هزيمتهم ، فجندوا الرجال ، وجمعوا أدوات الحصار لفتح قسنطينة ..

وتروى المصادر الفرنسية هذا الهجوم الثانى على قسنطينة بقولها :

« فى عام ١٨٣٦ اتجه جيشنا المكون من ٨٠٠٠ جندى الى قسنطينة . ونصبنا المدافع ، وبدأنا بتركيز النار على السور ، حتى أحدثنا فيه ممرا، وقبل هجومنا أرسلنا انذارا لأهل المدينة بالاستسلام او الموت ، نظرا لاننا فتحنا ممرا فى سور مدينتهم، فجاءنا الرد التالى :

« اذا كان ينقصكم البارود فعندنا ما يكفى لاعطائكم منه ..

واذا كان ينقصكم طعام فنحن مستعدون لنتقاسم خبزنا معكم ..

ولكننا لا نفهم ما معنا كلمة ممر .. أو معنى استسلام ..

اننا سندافع عن مدينتنا ببسالة .. ولن يكون الفرنسيون أسيادا فى قسنطينة الا بعد استشهاد كل مدافع عنها .. » .

وتتابع المصادر الفرنسية كلامها بقولها :

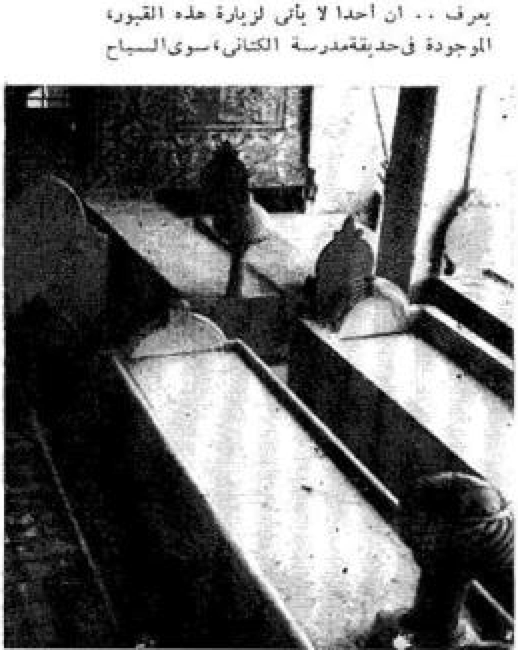
« وبينما كان قائدنا الكبير الكونت دامريمون ، ومعه الجنرال بيريجو يتهيآن للهجوم أصيب الأول برصاصة صرعته فى الحال .. وبجواره سقط زميله برصاصة أصابته بين عينيه .

« وتولى الجنرال جاليه القيادة فهجم على رأس الجيش من الممر الذى فتحته المدفعية .. ولكن النار الحامية التى أصلاه بها أهل المدينة اوقفت تقدمه . وسقط الدوق نيمور قتيلا ومعه القادة : سيرنيى ، ولاموِرسيير ، وكومب ... وحدث ذعر بعد مشاهدة جنودنا لمصرع هذا العدد

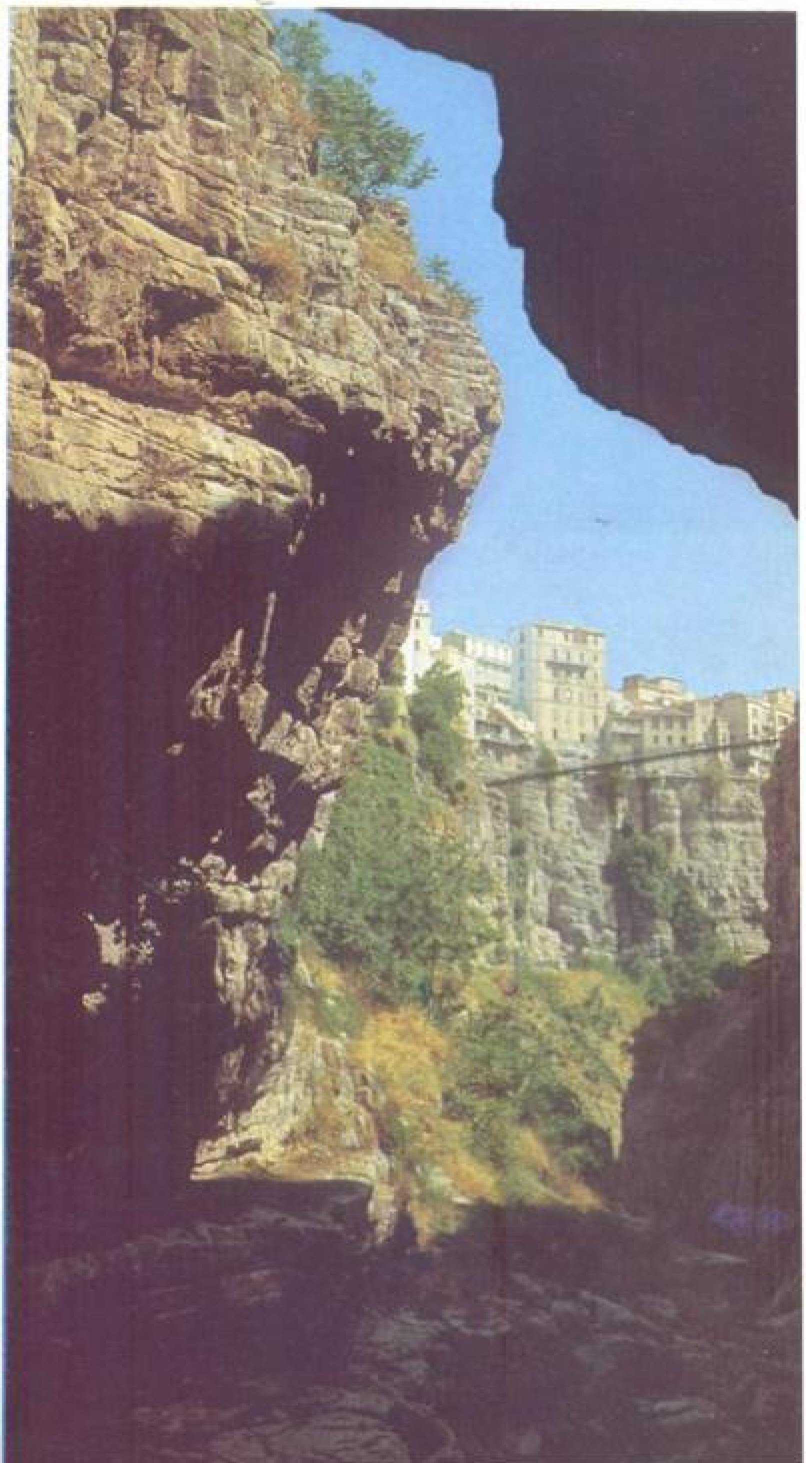


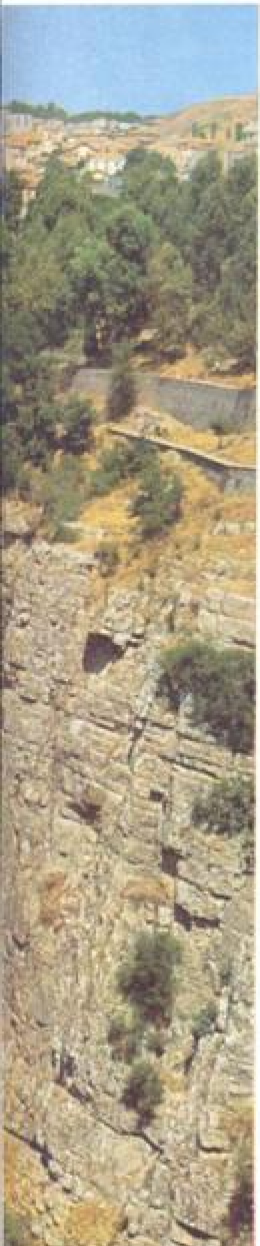
صورة احمد باى مع بعض جنوده على ظهور جيادهم . لقد تمكن هذا الباى مع جنوده من دحر الفرنسيين وصدهم عن المدينة عندما هاجموها لأول مرة ..

الى أسفل : قبور البايات وكلها مصنوعة من الرخام .. أما أبها قبر صلاح باى فلا أحد يعرف .. ان أحدا لا يأتى لزيارة هذه القبور، الموجودة فى حديقة مدرسة الكتانى، سوى السياح

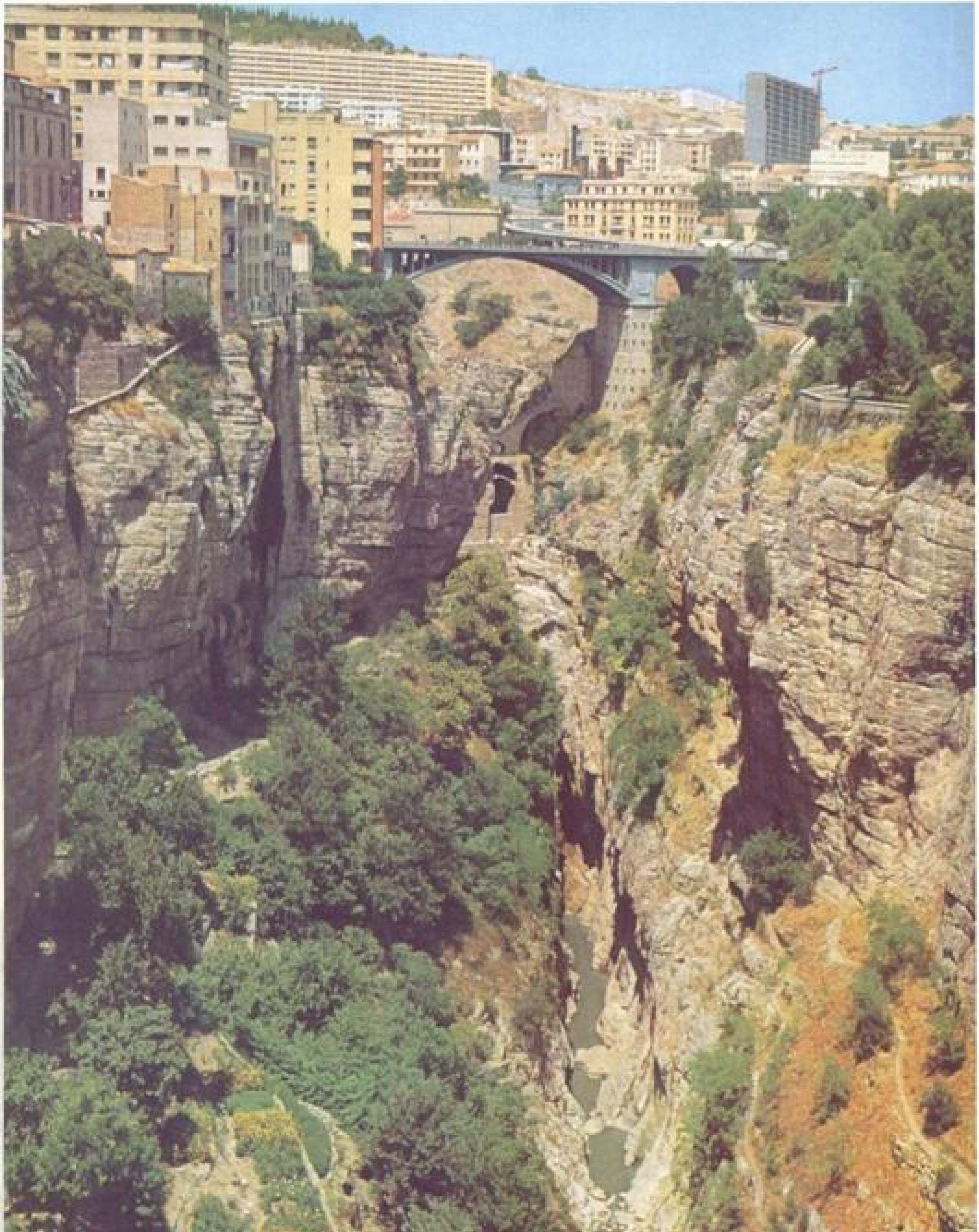


مشهد جميل التقط من بين صخور وادى الرمال للمدينة





المدينة والجسر والوادى



منظر رائع يبين وادي الرمال ، والمدينة ، وجسر القنطرة الذي تظهر أسفله بقايا الجسر الروماني الأول ، الذي بنى صلاح باي جسرا آخر فوقه عام ١٧٩٢ صمد حتى ١٨٥٧ ففي هذا اليوم بدأت المدافع في اطلاق قذائفها على الجسر الذي انهار بعد أن أطلقت عليه ٢٠٠ قذيفة وأقيم مكانه عام ١٨٧٦ الجسر الحديدي الجديد .

الكبير من القادة ، والألوف من اخوانهم ..ولكن الاحتياطي الفرنسي سرعان ما اشترك في المعركة . ودخل المدينة ، وظل يحارب أهلها من شارع الى شارع ، ومن بيت الى بيت قبل أن يحتلها تماما .. » .

الحرب تقضي على السياحة

ان موقع قسنطينة الاستراتيجي كمحطة ثانية بعد القيروان للقادمين من الشرق الى الغرب جعلها مركزا للحركات الثورية والفكرية منذ عهد الفينيقيين حتى العهود الحديثة .

ان هذا الموقع الاستراتيجي قد جنى على قسنطينة جناية كبيرة ، اذ اضاع عليها اهميتها كمدينة سياحية من الطراز الأول .

ان كل شيء اسمه سياحة منسي منذ زمان في قسنطينة ، مع أن السياحة أصبحت صناعة القرن العشرين !

المغارة المنسية

خذ مثلا : تحت ساحة الشهداء ، اي في قلب المدينة ، تقبع مغارة تنافس مغارة جعيتا في لبنان من حيث الجمال ، كان السائحون يدخلون اليها حتى عام ١٩٣٩ من خلف فندق باريس ، مقابل رسم قدره ٥٠ فرنكا .. كانوا يسيرون على ضوء الشموع فيقطعون الرواسب الكلسية ويصطادون السمك الأعمى الذي يشع مضيئا من مائها البارد .. وأردنا مشاهدة هذه المغارة .. فتوجهنا الى فندق باريس ، نسأل صاحبه عن مدخل المغارة .. فتعجب من سؤالنا لأنه لا يعلم شيئا عن هذه المغارة .. واتضح لنا أن صاحب الفندق الحالي ، وهو من أبناء الجزائر ، قد ابتاع الفندق من صاحبه الفرنسي ، وبسؤال بعض المعمرين عرفنا ان مدخل المغارة يكمن تحت مصعد الفندق ..

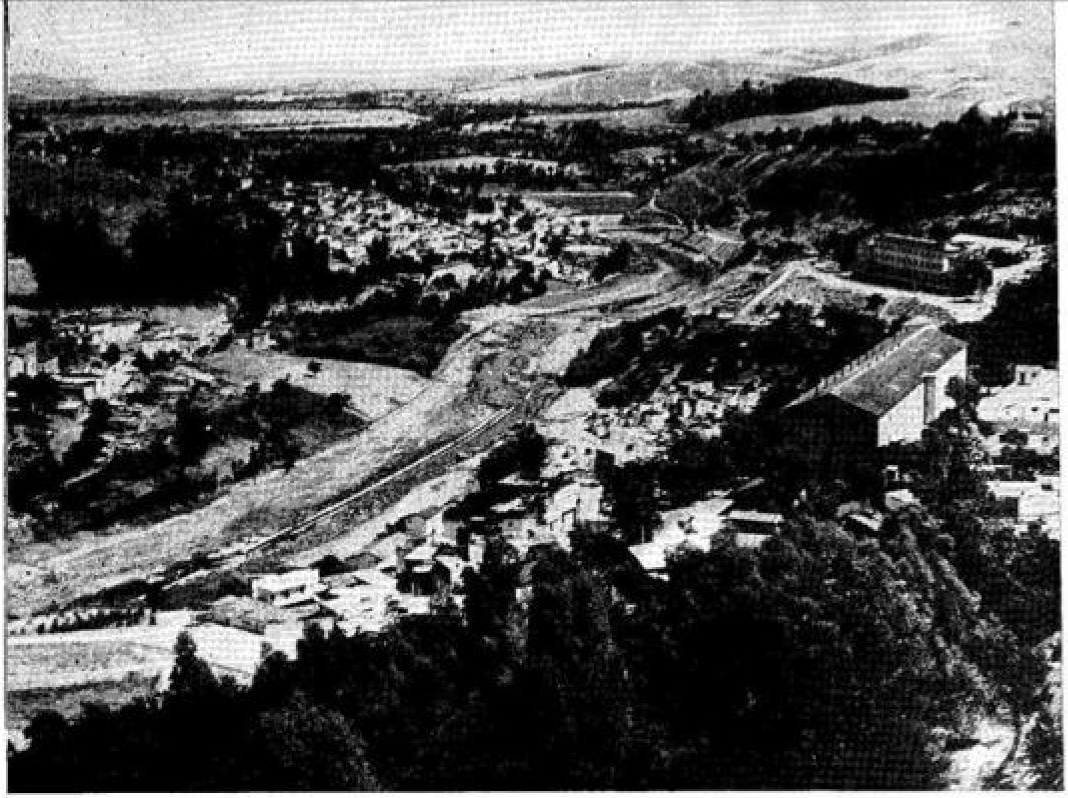
ونزلنا ٨٠ درجة سلم تحت الارض .. لنجد في نهايتها بابا من الاسمنت المسلح يسد مدخل المغارة الجميلة ، ويمنع الدخول اليها .. وأخذنا على عاتقنا مهمة كسر هذا الجدار واصلاحه ، ولكن صاحب الفندق لا يريد متاعب .. فتركناه ونحن نتحسر على هذا النسيان الذي يحيط بهذه المغارة الرائعة .. التي نأمل أن تفتح أبوابها في القريب العاجل لأهميتها السياحية ..

وادي الرمال الأسطوري

وتركنا المغارة المغلقة المنسية واتجهنا الى

الى أسفل : بعد أن اندحرت القوات الفرنسية في هجومها الاول على قسنطينة وخسرت ألفي جندي ، قامت بتجميع جيش كبير مزود بأحدث العتاد لتهاجم به قسنطينة مرة ثانية .. وهذه الصورة التاريخية تبين حصارهم الثاني للمدينة





تتجه المياه بعد خروجها من وادى الرمال الى الاراضى الزراعية المحيطة بالمدينة فترويها .. ان أهالى قسنطينة كانوا زراعا وتجارا يبيعون محصول ارضهم الطيبة

« الطريق السياحى » الذى هو عصب الحياة السياحية فى قسنطينة .. وكم كانت خيبتنا كبيرة عندما قالوا لنا انه مغلق ممنوع المرور فيه !! لقد قرأنا أن الذى يزور قسنطينة ولا يسير فى الطريق السياحى فكأنه لم يزر المدينة !

انه طريق يقع فى بطن وادى الرمال الاسطورى ، الذى هو شرخ بركانى هائل يفصل بين ضفتى الصخرة .. ان عمق هذا الوادى مثل عرضه ، اى نحو ١٥٠ مترا . وهو يلتف ويحيط بالواجهة الشرقية للمدينة لمسافة طولها ١٥٠٠ متر ، ومنه يمكنك أن تشهد اجمل المناظر للمدينة القابعة فوقك على راس الصخرة ..

طريق السياحة .. يصبح طريق المخاطر !

وازاء الحاحنا بضرورة سيرنا فى هذا الطريق ، اجابونا : « انما على مسئوليتكم تسيرون ، فقد تنهار بعض اجزائه عليكم ، او تقع عليكم بعض الاحجار الكبيرة!! ولا تنسوا خطر الثعابين التى ربما تكون قد عادت للعيش فى هذا الوادى .. ان آخر ثعبان تم اصطياده كان من نوع البيثون Python الضخم الكبير .. » .

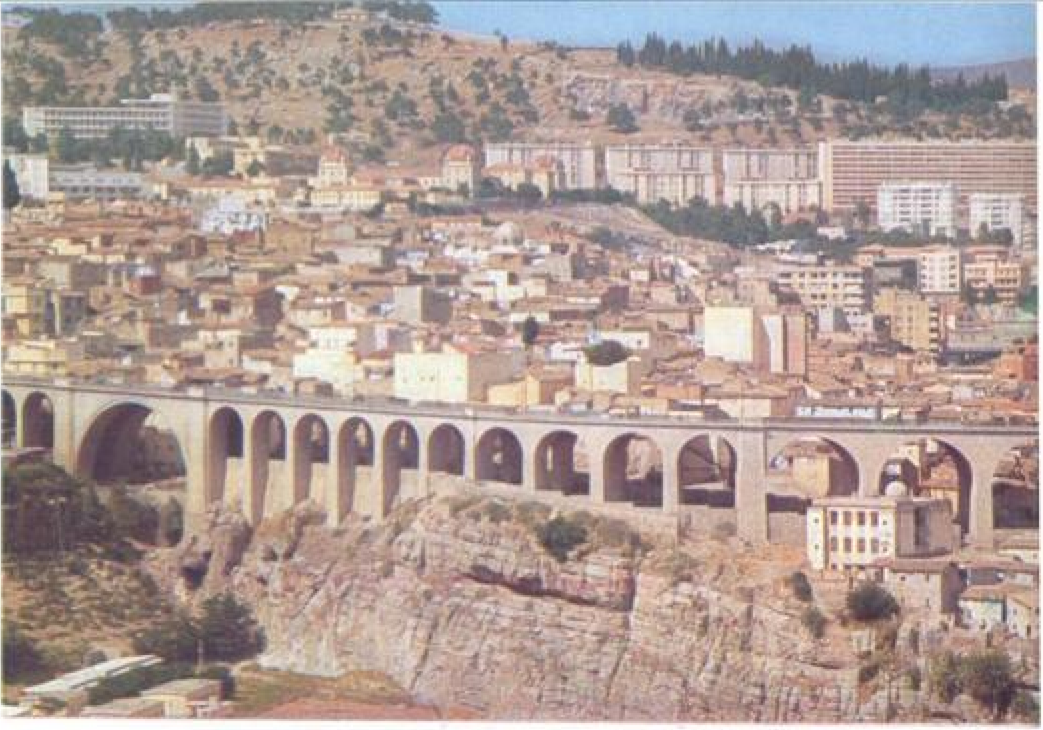
وبدأ الطريق سهلا عند مدخله قرب جسر الشيطان . انه طريق ضيق لا يزيد عرضه عن المتر الواحد صنعته يد الانسان من الاسمنت المسلح عام ١٩٠٧ تسير عليه ، فتجده صالحا فى اوله لا عيب فيه ، وبعد ذلك تبدأ الأعشاب الطويلة التى نبتت كالأشجار لعدم العناية بها ، تظهر وكأنها تحاول أن تثنيك عن متابعة طريقك وفجأة يندفع امامك من وسط الصخور سرب من الحمام الوحشى يطير ملتاعا وهو يطلق أصواته منزعجا ..



الى اليسار : منظر جميل للمدينة تشهده من عند عين الباى على طريق المطار ، وفيه يبدو مسجد سيدى راشد وجسر سيدى راشد الذى يعتبر أعلى جسر حجرى فى العالم ، انه يلتف على شكل نصف دائرةبأقواسه الـ٢٧ غير المتساوية وطوله ٤٤٧ مترا . وهو يربط بين وسط المدينة ومحطة السكة الحديد .. وترى خلف الجسر المدينة القديمة .

الى اسفل : سوق العصر لبيع الخضروات والفاكهة . ويقع قرب مدرسة الكتانى ، التى تبدو فى طرف الصورة الأيسر ، ومنشؤها هو صلاح باى .. وهى الآن مدرسة إبتدائية تابعة للحكومة ..







الى اليسار : قصر الحاج أحمد أو الباي الذي حارب الفرنسيين في عامي ١٨٣٦ و ١٨٣٧ لقد دشن قصره قبل عامين من الاحتلال ثم أصبح القصر مقراً للقائد الفرنسي، وبعد الاستقلال أصبح القصر مقراً للقيادة الوطنية .. بينما تحويله الى متحف يخدم السياحة خدمة كبيرة جليلة في قسنطينة .



المرأة فى قسنطينة ما زالت محافظة على تقاليدها ، ومنها تمسكها بزيها المكون من العجار والكحلة ، أى المنديل والملاية ..

من هم السعداء ؟

وتابعنا سيرنا وسط جو غريب .. لقد أصبحنا على عمق ١٥٠ مترا ، والمدينة تبدو من فوقنا بمنازلها التى تلقى بقاذوراتها ونفاياتها من خلال أنابيب مفتوحة الى قاع الوادى .. ان السعيد من أبناء قسنطينة هو الذى يملك منزلا يطل على الوادى ، فهذا يوفر عليه مهمة ايصال أنابيب المجارى .

القيصر .. والباى ... والضفادع

وفى أسفل الوادى تقع حمامات القيصر .. انها حمامات مياه معدنية .. كان ينزل اليها قيصر روما للعلاج ، ثم جددت ، واستعملها صلاح باى ، وبعده اصبح السائح ينزل اليها للاستحمام ، اما اليوم ، فان العشب الاخضر قد غطاها ، وأصبحت الضفادع تقفز منها واليها وهى تطلق أصواتها محذرة زميلاتها !

ويخيل اليك وأنت تسير فى هذا الطريق أن اشباح الماضى ما زالت تعيش هنا ، فبقايا الجسور التى بدأ الرومان فى القرن الثانى باقامتها على هذا الوادى ما زالت قائمة تروى قصص مجد انطوى ..

النهر يصبح خيطا !

وقديما كان يمر من هذا الوادى نهر كبير ، اشار اليه البكرى المؤرخ فى القرن الحادى عشر ، ووصف السفن التى تعبره .. أما اليوم ، فقد اقاموا سدا عند مدخل الوادى ليحجز الماء ، وحفروا نفقا داخل الصخرة بأسفل المدينة حولوا اليه الماء المتجمع ليخرج من عند نهاية الوادى فيدير مولدات محطة الكهرباء التى كانت تعطى ١٫٧٠٠٫٠٠٠ كيلواط ساعة .. وهكذا لم يعد يمر فى بطن الوادى المكشوف سوى خيط من الماء رفيع ، هو ماء بعض العيون القليلة التى تنبع منه ، وماء النفايات التى تلقى فيه !!

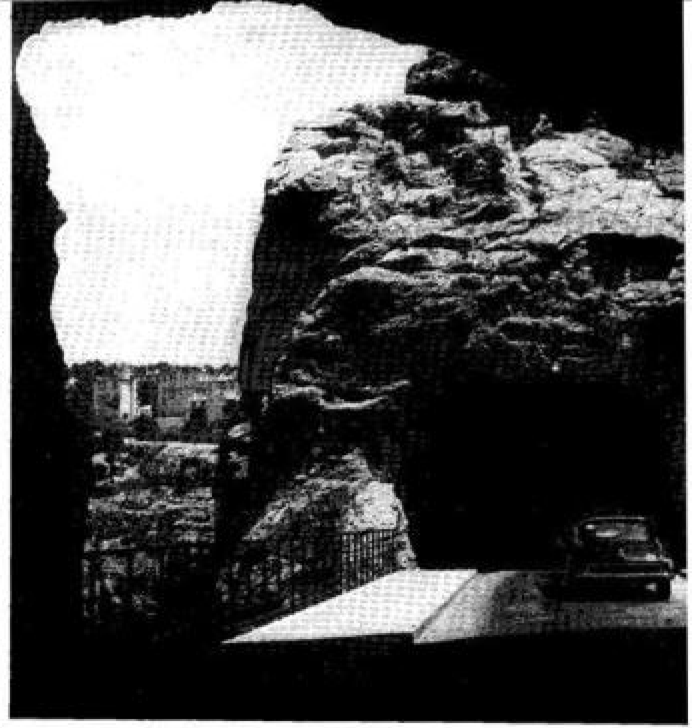
صخرة الموت

وبعد مرورنا تحت جسر القنطرة وقفنا امام صخرة هائلة ، يطلقون عليها اسم « كاف شيكارة » . انها اكثر صخور الوادى تحملا بالذكريات المؤلمة .. فهى ترتفع ٢٠٠ متر عموديا ، وهذا جعلها أصلح مكان استعمله الرومان ثم البايات الاتراك لالقاء الضحايا المغضوب عليهم منها الى الهوة السحيقة التى حولها ..

الى اليسار : أقبل الطلبة على التعلم بعد الاستقلال اقبالا هائلا .. وكان هروب الموظفين الفرنسيين سببا فى تدرب الشباب الجزائرى على اجادة مهن جديدة عليه ، مثل الطبع على الآلة الكاتبة للفتيات ، وتعلم الصناعة والتجارة وفن البناء للفتيان .. وقد فتحت الحكومة المعاهد الخاصة لهذا الغرض حيث يتدرب الشباب على هذه المهن .. ومما يذكر أن نسبة الطلبة ٦٣٪ بينما الفتيات ٢٧٪ فقط ..







داخل الصخرة التى تقوم عليها المدينة حفروا الطرق وعبدوها لتصل بين مختلف الأحياء . وهذا هو طريق الكورنيش المطل على وادى الرمال



عند مخرج وادى الرمال تندفع ارتفـاع ٨٠ مترا مكـونة

وما زال أهل قسنطينة يرددون القصص التى تقرب من الخيال ، عن الباى أحمد الذى ألقى من فوق هذه الصخرة بالعديد من الضحايا ، وأغلبهم كانوا من نسائه .

معنى ((كاف شيكارة))

ان كلمة ((كاف)) تعنى الصخرة والهوة ، و ((شيكارة)) تعنى الكيس .. أى صخرة الكيس . أو هوة الكيس .

وتعود هذه التسمية الى أن احمد باى أحب فتاة قبل أن يتولى الحكم ، ولكنها لم تستجب لحبه ، فاغتاظ للأمر ، واستمرت فى صده حتى بعد أن أصبح بايا ، فأتى بها الى هذه الصخرة ، وهددها بالموت ان لم تستجب لحبه ، فصممت على الرفض ، فما كان منه الا أن دفعها الى الوادى السحيق فهوت متدحرجة ، ولكن معطفها المخملى علق بالصخرة فكان سببا فى نجاتها !!

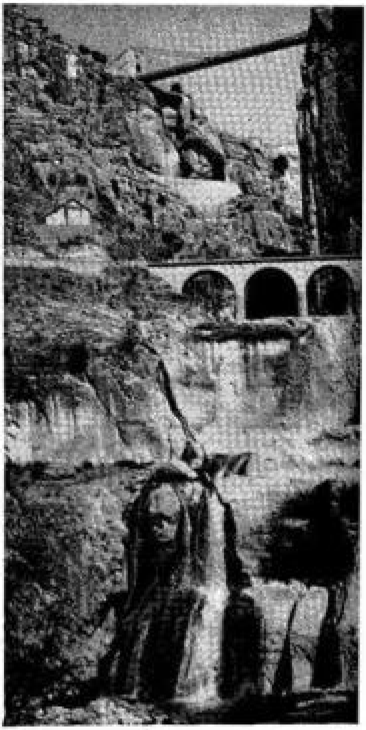
وحتى لا تتكرر هذه ((المأساة)) مع غيرها أمر أحمد باى بوضع الضحية داخل كيس ((شيكارة)) ومعها الثعابين قبل أن يلقى بها من فوق صخرة الموت ..

طريق اللاعودة

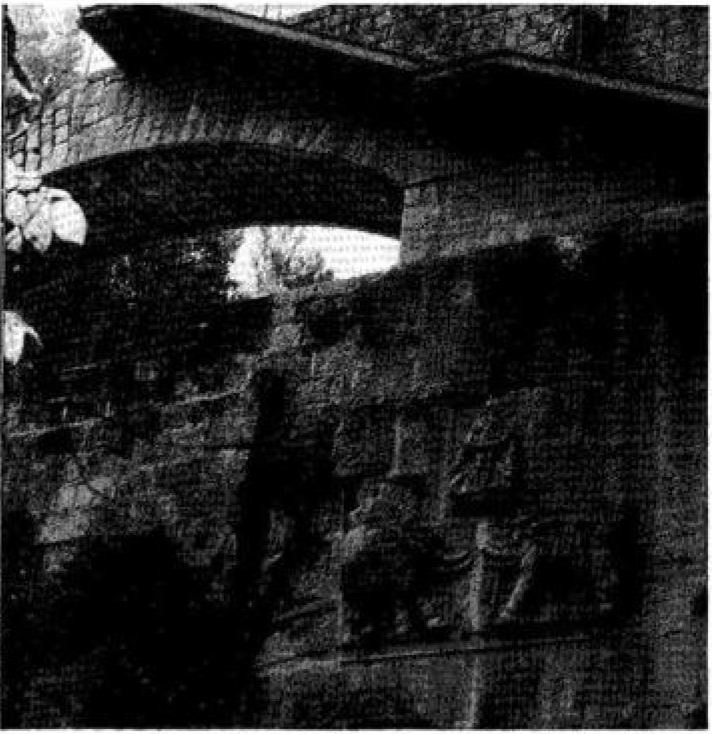
وبجانب ((كاف شيكارة)) يمتد الجسر المعلق ، الذى وصل بين حى سيدى مسيد والقصبة ، وفى نفس الوقت أوصل بعض الناس الى طريق الآخرة ! فمن فوق هذا الجسر المعلق يحلو لبعض ((هواة الانتحار)) — من ٦ الى ١٥ كل عام — أن يلقوا بأنفسهم من فوق الجسر الى طريق اللاعودة!

وتنتهى جولتنا على الطريق السياحى عند الشلالات ، ان وادى الرمال بعد أن يلتف حول المدينة يتغير مجراه هنا ، ويندفع فى منخفض عميق يمتلىء بالمياه فى موسم الامطار عند ذوبان الثلوج .

ونخرج من هذا الطريق السياحى ونحن نتساءل: لماذا أغلقوه منذ عام ١٩٥٤ ؟



الميـاه فتتسـاقط من شلالات سيدى مسيد ...



فيلان متأهبان للقتال وراقصة .. انه الرمز الموجود على جسر القنطرة الذى شيده صلاح باى بأحجار الآثار الرومانية عام ١٧٩٢

واتجهنا الى المصعد بجوار الشلالات ، لنصعد به الى المدينة .. ولكن المصعد معطل ، فاضطررنا لصعود ٨٠٠ درجة سلم ، حتى نصل الى قمة الجبل التى ترتفع ١٥٦ مترا عن أرض الوادى .

مشاريع أكثر استعجالا

ونعاود سؤالنا : لماذا لم يتم اصلاح هـذا الطريق الحيوى؟ ولماذا لا يصلح المصعد الكهربائى؟ ولماذا لا تفتح المغارة ؟

فيأتى الرد : لقد خصصنا ٦٠٠ الف دينار جزائرى(٧ر١٣دينارا جزائريا = جنيها استرلينيا) لاصلاح هذا الطريق ، واعتمدنا المبلغ .. ولكنه تحول الى اغراض أخرى صرف فيها ..

ونتساءل : وهل هى « أغراض » أهم من هذه الاصلاحات ؟

فجاءنا الرد : ان هناك مشاريع اكثر استعجالا من هذا الطريق .. علينا أن نتجنب المجاعـة فى المدينة .. ونضمن المحصول الزراعى .. كان المقيمون الفرنسيون يملكون عشرات الألوف من هكتارات الاراضى الزراعية المحيطة بقسنطينة ، تركوا بعضها وهربوا ، وانتزع الباقى منهمليعمل فيه ابن الشعب الذى كان محروما لا يملك شبرا من أرضه .. والمؤسسات الصناعية والتجارية والزراعية اوقفها أصحابها الاوروبيون بعد أن ابادوا الماشية ، وحطموا الالات .. مما أدى الى شبه اختناق اقتصادى .. عوضه العاملون بعزيمة الرجل الحر ، الذى أيقن ــ لأول مرة ــ أنالارض التى يسقيها اليوم بعرقـه ستعطى ثمارها لـه وحده فى الغد ..

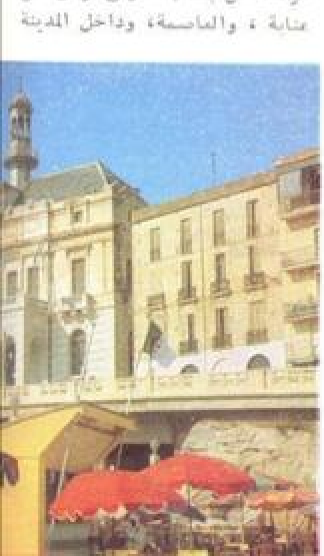
نصر هائل للثورة

ويتابع محدثنا كلامه بقوله : « ــ وبعد هذا كان علينا أن نواجه المشكلة الكبرى ، وهى مشكلة المجاهدين .. لقد جاء منهم الى قسنطينة بعـد انتهاء الثورة ..١٠ الف رجل وامرأة وطفل تقريبا بينهم العديد من أرامل الشهداء ..

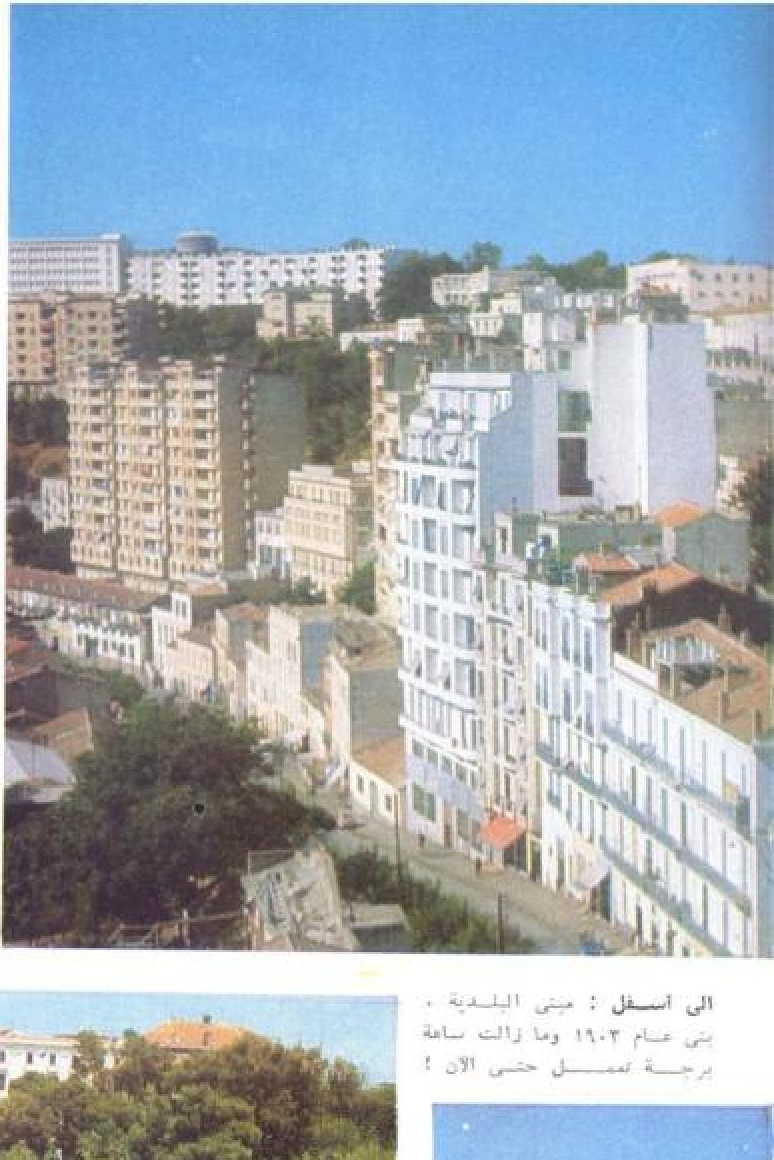


الى اليسار: استغرقت عملية ازالة قمة جبل الكودية ٣٤ عاما ، فقد بدأت عام ١٨٩٦ وانتهت عام ١٩٣٠ لتحل محلها مدينة أوروبية حديثة مليئة بالعمارات العالية .. انها قسنطينة الحديثة التي امتدت جنوب صخرة قسنطينة فاكتسحت السور والبوابات القديمة . وفي هذه المدينة أقام أشهر الكتاب الذين خلدوا قسنطينة مثل : اسكندر ديماس ، وجي دي موباسان ، وتيوفيل جوتييه .

الى اليمين : ثلاث طرق رئيسية مرتفعة عن بعضها الاولى تؤدى الى عنابة ، والعاصمة، وداخل المدينة







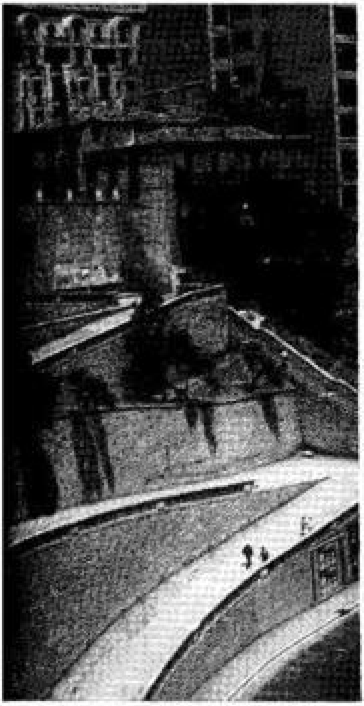
الى أسفل : كان الفرنسيون يطلقون اسم قائدهم ليمود على هذه الساحة ، وبعد الاستقلال أسموها ساحة الشهداء لكثرة ما سقط فيها من ضحايا .. انها قلب المدينة النابض .. وتحتها تكمن المغارة الجميلة التي تشبه مغارة جعيتا بلبنان ..



الى أسفل : مبنى البلدية ، بني عام ١٩٠٣ وما زالت ساعة برجه تعمل حتى الآن !







ساحة عمروش : كانت هذه الساحة تدعى ساحة الاهرام ، وكان يقوم وسطها هرم من الرخام مكتوب عليه بالعربية والفرنسية : « البقاء لله ! فى هذا المكان قتل بقنبلة مدفع صاحب الفخامة الجنرال دينيس كونت دامريمون سلطان الجزائر وتوابعها ، والقائد الاعلى للقوات الفرنسية وغيرها ، سقط يوم ١٢ اكتوبر ١٢٥٣ هـ ·(١٨٣٧م)

تعتبر المدن الجبلية مرهقة للمترجلين ولكن نظام الطرق فى قسنطينة خفف هنا مجموعة من درجات السلالم النزول منها لا يتعب ولا يرهق

« ان هؤلاء المجاهدين اعطوا كل شيء من اجل انجاح الثورة ، لأجل هذا كان على الثورة أن تحتضن ابناءها الذين ضحوا بالنفيس فى سبيلها .. فاصبحت تصرف لهم رواتب شهرية، واصبحت لهم الأسبقية التامة فى الوظائف الرئيسية اذا توفرت فيهم الامكانيات.. واجرينا دورات تدريبية للكثيرين منهم ليصبح المجاهد عنصرا منتجا وبناء لمجتمع الجزائر الجديد ، بعد أن كان صانعا للثورة الكبرى ..

« وقد حققت الجمهورية الجزائرية نصرا هائلا فى هذا المضمار ، اذ لم يبق من المجاهدين سوى عدد بسيط جدا لم يتم توظيفه حتى الآن ..

معجزة ..

ويستطرد محدثنا فيقول :

« وللأرامل فتحنا معهدا للأشغال يتدربن فيه.

« والأطفال انتشلناهم من مهنة مسح الاحذية لنضعهم فى مؤسسات تعليمية يتعلمون فيها مهنة نافعة ، ويتثقفون حتى يضمنوا وظيفة فى المستقبل الباسم ..

« وبعد هذا صادفتنا مشكلة الموظف ، فقد ترك الموظفون الاجانب العمل ، وهربوا ، ولكننا استطعنا رغم قلة خبرتنا ، أو انعدامها ، ان ندير عجلة العمل بشكل اسماه المراقبون الاجانب : معجزة .. لأن ادارة البنوك ، والبريد ، والسكة الحديد تتطلب خبرة وكفاءة خاصة لم تكن متوفرة لدينا .. ومع ذلك نجحنا فيما أرادوا لنا أن نفشل فيه . »

الفجار والكحلة

وفى الثامنة من مساء كل يوم ترتفع أصوات





الذين يسيرون على أقدامهم ... كثيرا من هذا الارهاق .. وترى صممت بحيث أصبح الصعود أو آحدا ..

اوشكت المفاوضات التى تجرى حاليا فى باريس بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية على الانتهاء من وضع صيغة اتفاق لتكملة بناء العمارات الكبيرة التى تركها الفرنسيون دون اتمامها فى مختلف أنحاء الجزائر ، وخاصة فى قسنطينة ، التى تعج بالعمارات الكبيرة التى من هذا النوع ، كما نرى فى الصورة ..

موسيقى صاخبة من سطح مقهى البلدية تدعو السائحين والسائحات ..

ولكن ابن البلد لا يهتم بها .. فهى غير ذات موضوع بالنسبة له ..

اما المرأة الجزائرية فقد تحررت فى المدن التى على الشواطىء، أما مدن الداخل ، مثل قسنطينة فما زالت المرأة ترتدى العَجار والكحلة ، اى المنديل والملاية .. وان تكن الحملة لتحريرها ومساواتها بالرجال قائمة على قدم وساق ..

أجنحة النسر تمتد

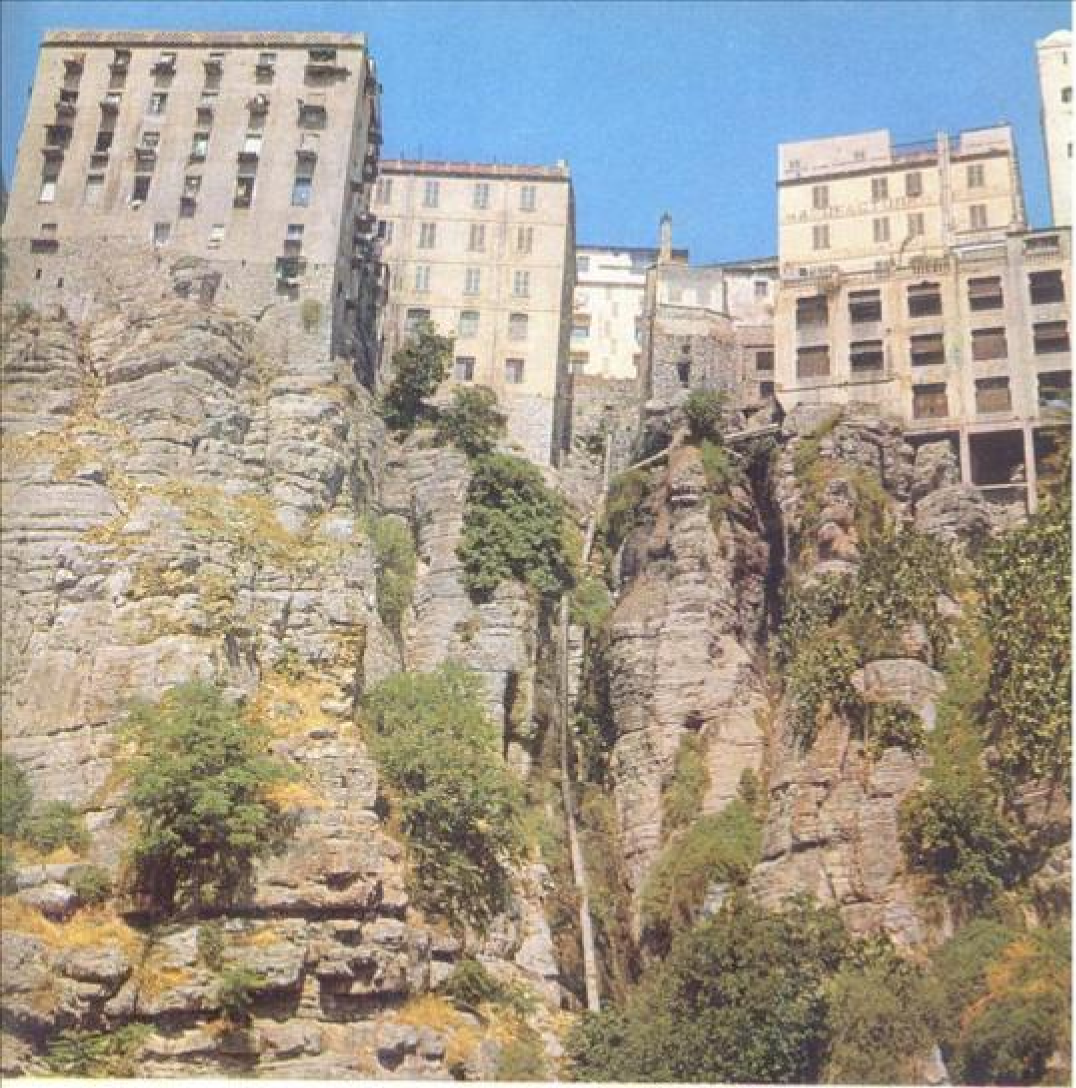
ان قسطنطين الاكبر او بايات الأتراك لو بعثوا من قبورهم اليوم لما تعرفوا على قسنطينة التى كانت فى عهدهم ! ..

ان «عش النسر» قد امتدت أجنحة طيره وتشعبت فى كل اتجاه .. فالكبارى والجسور التى أقيمت على وادى الرمال وصلت بين المنطقة الشرقية والغربية فظهر حى المنصورة الانيق الذى تحيط به أشجار الصنوبر .. وحى لامى ، وحى سيدى ميسيد ، وسيدى مبروك ..

والمدينة القديمة فتحت فيها طرق جديدة غيرت معالمها حتى السور والبوابات القديمة أزيلت واقيمت مكانها الساحات الواسعة ..

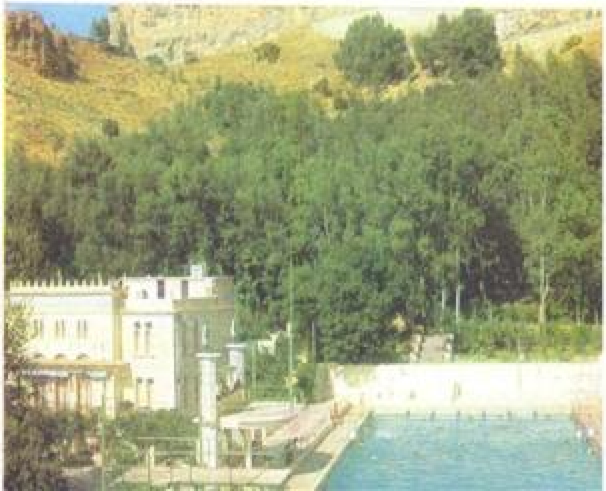
ومنطقة الكودية ، أى الربوة المرتفعة ، اقيمت عليها قسنطينة الحديثة ، بعد أن أمر نابليون الثالث بقص الجبل لبناء مدينة فوقه،وقد استمر العمل فى قصه من عام ١٨٩٦ حتى عام ١٩٣٠ . لتظهر أحياء « الكودية » وسان جان ، وسان انطوان وبل فو Belle Vue

وفى الطرف الجنوبى يرتفع عدد ضخم من العمارات الهائلة التى تعتبر كل منها قرية بأكملها



مبانى المدينة القديمة مشيدة فوق الصخور وتطل على الهاوية مباشرة .. وقد ظهرت بوضوح أنابيب المجارى التى تنقل نفايات المساكن الى الوادى

الى اليمين : عند مخرج وادى الرمال، وتحت جبل سيدى مسيد يقع حوض السباحة الحديث ... وبجواره حوضان قديمان يحويان ماء معدنيا تتراوح حرارته بين ١٥ و ٢٠ درجة .





فوق أعلى قمة في جبل سيدى مسيد (٧٨٥ مترا) أقاموا قوسا للنصر مستوحى من تصميم قوس النصر في ساحة النجمة بباريس، وكتبوا عليه : « تخليدا لذكرى أبناء قسنطينة الفرنسيين والمسلمين الذين سقطوا مختلطين في ميادين الفلاندر ، وميادين القتال للدفاع عن الوطن المشترك »..

.. انها عمارات مشروع قسنطينة الفرنسى الذى جاء متأخرا عن موعده ، فقد كان يهدف الى تهدئة المواطنين الجزائريين واعطائهم بعض الحقــوق .. ولكن الثورة لم ترض بانصاف الحلول ، فتوقف العمل بهذه العمارات الهائلة التى تدور المفاوضات الآن بين الجزائر وفرنسا من اجل استكمال بنائها.

عيد النور

ان « عش النسر » لم يعد عشا ، بل أصبح مدينة كبيرة واسعة .. ورغم هذا التقدم ما زال الآباء يروون لأبنائهم قصص النسور التى جاءت الى قسنطينة لتلتهم جثث الضحايا .. لقد اختارت هذه النسور صخرة « سيدى مسيد » مكانا مختارا لها .. وسيدى مسيد هذا كان رجلا تقيا تدور حوله الأساطير التى تقول انه لم يمت بل تحول الى نسر ! وهذا ما دفع بعض الاهالى الى اقامة « عيد النسور » في أول سبتمبر من كل عام .. وفي هذا اليوم يأتى السياح من كل مكان لمشاهدة هذا الاجتماع الغريب عند قمة جبل سيدى مسيد (٧٨٥ مترا فوق سطح البحر) وفيه يقوم الأهالى بتحضير (الزَرْدَة) فتذبح العجول والخراف ويطبخ الكسكسى .. ثم يبدأ الاحتفال عند الغروب فتدق الطبول ، ويعلو الغناء ويبدأ في القاء اللحوم للنسور التى تخرج من مكامنها على شكل موجات سوداء تغطى غروب الشمس ، لتلتهم اللحوم التى تقذف اليها !

وقد ألغى هذا الاحتفال منذ سنوات قليلة ،ولم تعد النسور تشاهد الا نادرا في سماء قسنطينة ، بعد أن توقفت المذابح وانعدمت الضحايا ... وأصبحت قمة سيدى مسيد ، التى تصلح لبناء فندق سياحى عالمى ، مكانا لثكنة عسكرية يتدرب فيها الجنود الوطنيون على النفخ في البوق ،وعلى دق الطبول .. طبول الجهاد الأكبر في سبيل حياة افضل لأهل قسنطينة الأشاوس .. ■■

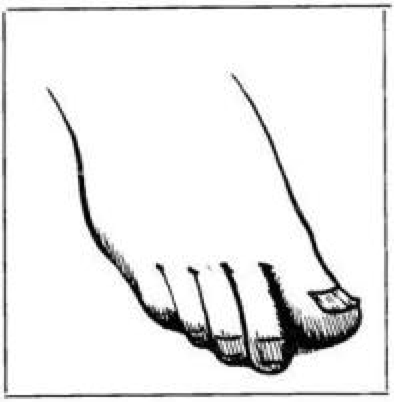
سليم زبال

تحاليل طبية من نوع غريب

● نعم ، انه غريب . أو الأصح هو بعض ما لم يتعود الناس .

ولو انه فى الطب ليس شىء بغريب .

غريب ان تأتى الأم بولدها الى الطبيب، والولد مريض ، فلا يقول لها سنحلل بوله ، أو نحلل دمه ، أو غير ذلك ، ولكن يقول لها : عن اذنك ، سوف نقص اظافر الولد ، اظافر يديه ، أو رجليه ، ثم نرسلها للتحليل !



حدث هذا بسبب ظهور حقيقة تتصل بمرض وراثى غالبا ، يصيب الأطفال المراهقين والراشدين ، يعرف بالتليف الكيسى Cystic Fibrosis ، وهو يؤثر فى الغدد التى تصب افرازها الى الخارج Exocrine ، ومنها الغدد المخاطية Mucous Glands فتسوء عاقبتها .

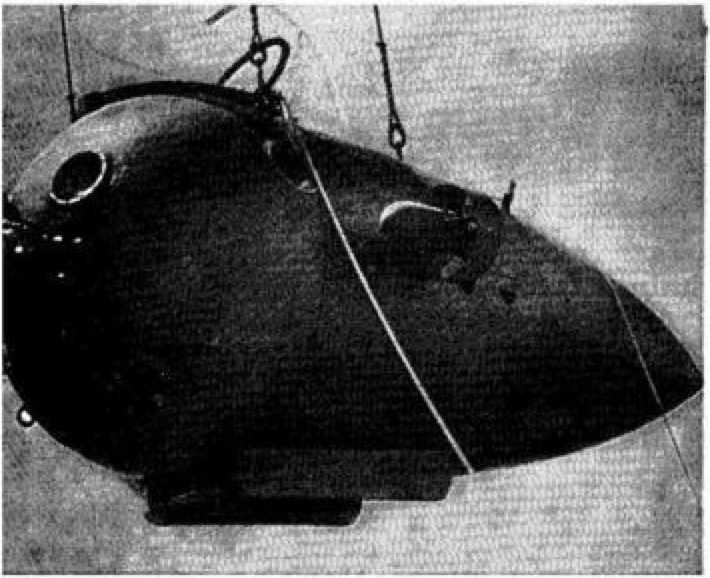
فقد وجدوا ان اظافر هؤلاء الأطفال يتجمع فيها من عنصر الصديوم والبوتسيوم (مركبا بالطبع) فوق المقدار العادى .

وبحثوا ١٤٩ طفلا ، تحقق وجود هذا المرض فيهم ، ففحصوا مقدار الصديوم والبوتسيوم الذى باظافرهم ، فوجدوه عاليا فى ١٤٧ طفلا .

واذن أصبح تحليل الأظافر ضروريا لتشخيص المرض عند الاشتباه فيه . وقد كانوا يحللون قبل ذلك العرق الذى يفرزه الجسم ، وكانت عملية شاقة .

وعملية العرق لا بد فيها من حضور المريض الى المستشفى . أما المريض الذى يشتبه فيه فترسل قصاصة اظافره من بلد الى بلد ، بالبريد .

وقد وصل الى بوسطن ، حيث يجرى هذا الكشف ، عينات من قصاصات اظافر كثيرة من سائر مستشفيات الأرض ، يطلبون فيها تحليلها فتأكيد المرض أو نفيه .



سفائن غرقت في قديم الزمان، يكشف عنها اليوم

● غواصة «سكتانها رجلان . صنعت لتنزل الى قاع البحر تبحث عن سفن غرقت في بحر ايجة في الأزمنة الخوالي . سفن غارقة يكشف استخراجها من البحر عن كثير من وجوه الحياة التي كانت في تلك القرون . وبالغواصة محركان ، كل منهما قوته حصانان . يدوران في وضعهما الذي في الصورة فيسيران بالغواصة افقيا بسرعة تبلغ نحو ٤ عقد (العقدة ٢.٢٦ ياردة في الساعة) . ولكن في الاستطاعة ادارة هذين المحركين دورة كاملة . وهما اذ اديرا زاوية قائمة ، وجئها وجهَهُما الى أعلى فصعدا بالغواصة الى سطح الماء . أو دارا فيه بالغواصة ، كما تدور المحركات بطائرة الهليكبتر في الهواء .

ناقلات البترول تصل الى ١٦٠٠٠٠ طن :

● منذ نحو عشرين عاما كانت كبريات شركات الزيت العالمية تعتقد انها لن تحتاج الى سفن تنقل البترول ، حمولتها من حمولة السفن التي كانت لها عندئذ . وعندئذ كانت الناقلة التي تحمل ١٨٠٠٠ طن من الزيت تعد ناقلة كبيرة ، ثم بدا لهم ان قد ترتفع الحمولة الى ٣٠٠٠٠ طن .

ثم تغير كل شيء .

شركة او شركتان لم تقتنع بالذى كان من احجام . لماذا هذا الوقوف عند هذه الاحجام ؟! وبدأت السفن تكبر ثم تكبر . والقدر الذى تبلغه السفينة الجديدة لا يلبث ان ينسى ، وتتوق الشركات الى حمولات من السفن اكبر .

الناقلة ذات الـ ٣٠٠٠٠ طن التي كانت أملا ،بنيت ، وجربت ، ونجحت ، وجرى كل هذا في غاية السهولة .

ثم كانت الناقلة ذات الـ ٥٠٠٠٠ طن .

ومن مدة عشر سنوات كان الحديث يجرى على بناء ناقلة تحمل ٨٠٠٠٠ طن . ولكن لم يمض من هذه العشر غير خمس سنوات حتى كانت رسومات ناقلة تحمل ١٠٠٠٠٠ طن قد تمت . ولم يمض وقت طويل حتى كانت هذه السفينة شيئا حقيقيا متجسدا في البحر يحمله الماء .

والآن اعلنت « شل » انها طلبت بناء اربع ناقلات للبترول ، كل منها يحمل ١٦٠٠٠٠ طن .
والى من عهد بهذا البناء ؟

فازت بهذا العطاء : اليابان . والمانيا الغربية ؟

كهف سكنه الانسان منذ ٢٠٠٠٠ عام

● انه كهف كشف عنه الحجارون وهم ينسفون فى محجر على بعد ٦٠ ميلا من لشبونة عاصمة البرتغال .

وفحصه علماء الآثار فوجدوا على جدرانه الصخرية صورا من ابدع ما خلف الانسان الذى عاش فى العصر الحجرى القديم المعروف بالباليوليثى Paleolithic وقدروا عمر هذا الكهف فوقع بين ١٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ عام مضت، ولكنه اقرب الى العشرين الفا .

وتحتوى الصور على صورة طبيبة ساحرة Witch Doctor وصور حيوانات شتى،وكان بينها صور لمواش استخدم العلماء شكل قرونها فيما استخدموا لتقدير عمر الكهف .

وفى رأيهم أن الكهف كان فى اول امره مقاما مقدسا ، ثم تحول الى مقبرة لموتاهم .

الصلع ، هل وجدوا له علاجا ؟

● انه الهرمون الذكرى ، هرمون الرجال ، صنعوا منه محلولا معتدل التخفيف ، وعالجوا به رءوسا صلعاء ، كانت واحدا وعشرين راسا .

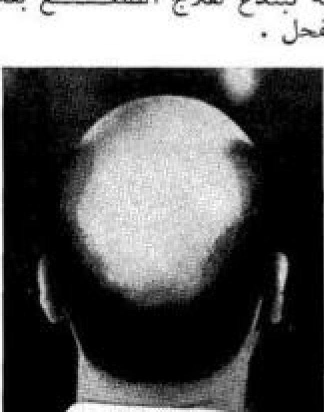
فحدث أن ثلاثة أو أربعة رءوس منها نبت فيها الشعر . انه لم ينبت بانتظام، ولكنه نبت على كل حال، ونشر الباحثان وهما من بنسلفانيا ، هذا البحث مفصلا فى جريدة الرابطة الطبية الأمريكية .

ويحذر الباحثان القراء من أن يظنوا انهما وجدا علاجا للصلع . وذلك لأسباب منها ان هذا الهرمون ، واسمه التستو استيرون Testosterone ، أو استيرون الخصية ، من المواد القوية المفعول .

وهو اذا استخدم وطال استخدامه فى الناس دون رقابة شديدة كان له نتائج جانبيه عنيفة ، لا سيما والجلد يمتصه.

كل الذى يأمله الباحثان من بحثهما ، ان يكونا قد فتحا الطريق ، بهذا الهرمون وتركيبه الكيماوى ، للاهتداء الى عقاقير كيماوية اخرى ، تركيبها شبيه بهذا ، لا يكون من استخدامها المتطاول ما يضر بتفاعلات الجسم الفسيولوجية الداخلية.

ويقول الطبيبان ان الوقاية لا تزال خيرا من العلاج. وان الاهتداء الى طريقة تمنع الصلع ان يكون ، أولى وأسهل من طريقة تبتدع لعلاج الصلع بعد أن يستفحل .



العمى ، كلفته على الدولة كبيرة

● والدولة هنا هى اكبر الدول،وهى أغنى الدول . انها الولايات المتحدة وقد صدر فيها تقرير طبى حديثا يدل على ما فيها من قصور عن الوفاء بشئون البصر كثير والذى يقرا ما ينقصها يستطيع بالمقارنة ان يقدر النقص الأكبر الذى فى غيرها .

وقد دل التقرير ان بالولايات ٣٠٠٠٠ شخص يصيبهم العمى كل عام .

وبالولايات ٩ ملايين من الاشخاص لهم اعين ساءت وظائفها .

ثم مليون شخص ، لهم اعين ، نعم ، ولكنها لا تكاد تعمل ، فهم فى حكم الاعمياء .

ويتطرق التقرير الى كلفة الأعمياء فى الولايات على الدولة ، من تأهيل ، الى سائر الخدمات . وهى تقدر بنحو الف مليون دولار .

ان تقدم العلم فى العالم ، والعلم



البصرى كذلك ، كان كبيرا . ولكنه لا يزال بعيدا عن الغاية .

مثال ذلك اظلام العدسة ، او سادة العين،او الكتركتا كما يقول المختصون .

فهذا المرض عنى الانسان بعلاجه منذ زمان بعيد . فى الهند ، قبل الميلاد بنحو ٦٠٠ عام ، قام سسروتا بعلاجه بعملية اسماها المس Touchin g ، هى فى الواقع النزول بالسادة الى تحت حتى تهبط عن خط البصر .

وفى عام ١٧٤٧ ابتدعوا طريقة انتزاع السادة .

ومن احدث العمليات تثليجها حتى لا ينشق كبسول العدسة .

الى عمليات حديثة ناجحة اخرى .

ولكن ...

ولكن الى اليوم لا يزال السبب او الأسباب التى تعمل على احداث هــذا السادة ، لا تزال مجهولة . والتقـرير ينتقد طب العين فى الولايات ، وهــو ينتقد وضعه القائم فى المستشــفيات والجامعات ، ويقول انه لا يزال يعتبر قسما من اقسام الجراحة .

والتقـــرير يطلب له الاســتقلال ، فالاستقلال يعطى الشــخصية ويعطى الحافز ، ويعطى النجاح .

والمال الذى تحتاجه البحوث ؟

هذه البحوث التى تحتــاج الى ٣٨ مليون دولار كل عام ، تستمر اعواما ، تنتج النتائج الباهرة .

والذين يقراون هذا التقرير ، من غير اهل الولايات ، لا بد يغتبطون . فالعلم من حيث هو علم، لا جنسية له .ونتائج هذه البحوث ، لا يجرؤ جنس علــى احتباسها عن جنس آخر ، او لـــون آخر ، او دين آخر . وهذا من بعض سجايا العلم التى قصُرت مناح اخرى من مناشط الحياة عن بلوغها .

وآخيرا ، قانون اصـدرته المملكة الاردنية الهاشمية ، يمنـع النبش عــن الآثار ، الا للمتخصصين ..

● ليس من احد لم يسمع عن تلك المخطوطات الأثرية ، تلك اللفائف التى اكتشفها اول مكتشف شاب بدوى فى عام ١٩٤٧ . انها رفعت الســتار عــن حقيقة من الدهر مجهولة ، تمتد نحــو قرنين او ثلاثة من الزمان ، وقعت بين آخر ما كتب من العهد القديم ، واول ما كتب من العهد الجديد ، قبل نحو الفين من الأعوام .

انه منذ هذا الكشف ، ارتفعت اثمان هذه المخطوطات ، فنشأت جماعة مــن البدو ماهرة ، تسلقت الروابى ،ودخلت الى الكهوف التى لم يكن يستطيعغيرهم أن يدخل اليها ، وجمعوا فيما جمعــوا فرو اغنام ،واقمشةمن التيل ،وصحائف مكتوبة من صنوف شتى . وغلبوا علماء الآثار فى ذلك ، لعلمهـم بالصحـراء ، ولركوبهم الخيل احيانا،والجمال احيانا. وسبقوا هؤلاء العلماء الى اثرى المواقع بهذه الآثار سبقا خطيرا .

لهذا اصدرت الحكومة الاردنية امرا بوقف البحث الا باذن منها . فهكذا أعلن الدكتور الدجانى بوشنطن ، وهو مدير الآثار بالمملكة الاردنية . أعلن ذلك عــند

افتتاحه فى مؤسسة سميث ســـون Smithsonian Institution معرضا تضمن ١٤ صحيفة مكتوبة من تلك اللفائف ، وكذلك ٣٠ قطعة من الآلات الحجرية التى كان يستخدمها الانسان فى تلك الأزمان .

ونزيد فنقول ان العلماء ، منذ عام ١٩٤٧ ، اكبوا على دراسة هـــذه المخطوطات ، وضموا مزائقها بعضا الى بعض ، وقراوا ماوجدوا بها من مزامير واسفار ، ومنها سفر ايوب ، وزادوا بذلك فهما للانجيل ، ما سبق عصره . وانتهى هؤلاء العلماء كما يقولون الى ان الذى وجدوه، لم يهز الأسس التى قامت عليها المسيحية ، ولكنه اعان كثيرا على فهمها .



الطقس ، عندما يصادق وعندما يخاصم

● تدل الاحصاءات فى الصين ، على ان محصول القطن ، فى عام ١٩٦٤ ، زاد بنحو ٢٣٪ على محصول العام الماضى . ويقدر لهذا المحصول هذا العام ان يصل الى ٥٫٧ مليون بالة . وقد بلغ فى العام الماضى ٤٫٧ مليون بالة فقط . والسبب ؟ الطقس . جادت السماء بأمطارها .

عمر مجرتنا ، درب التبانة

● نعم انها مجرتنا ، وهى احدى مئات الملايين من المجرات المنتشرة المتباعدة فى هذا الكون .

وهى مجرتنا لأن بها شمسنا ، وبها ارضنا ، وبها الكواكب التي تدور حول الشمس . والشمس بكواكبها تقبع فى مكان فيها ، لا هو متوسط ، ولا هو متطرف .

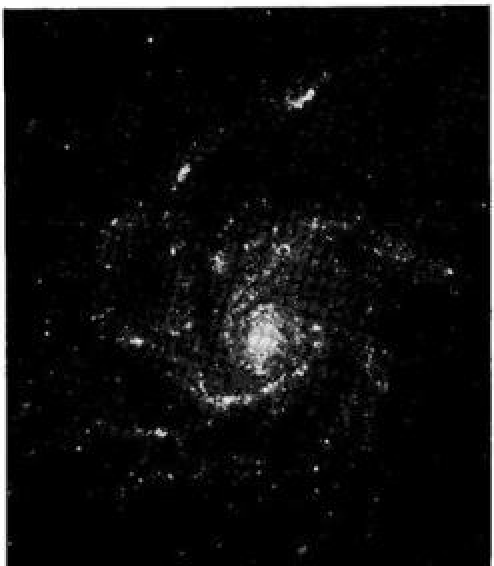
ومع الشمس ، فى هذه المجرة ، بلايين من الشموس ... من النجوم .

وهي هي التي نراها ليلا ، والسماء صحو ، كالارز المنثور على صحيفة السماء ، يدور عليها كالحزام ، يحزمها حزما . ومن اجل هذا سموها دَرْب التبانة . لأن الذين يحملون التبن ، يسقط الكثير من تبنهم ، وهم يسيرون فى دربهم ، فينتشر فيه انتشارا .

وكذلك تنتثر النجوم ، نجوم مجرتنا فى السماء .

وقد كانوا قدروا عمر هذه المجرة ، وهو من عمر الكون . وكلما زادوا بحثا ، وزادوا فى علم الفلك علما ، تبينوا ان العمر الذى قدروه اقل مما وجب .

وعمر المجرة هذه قدّروه اليوم فكان نحوا من ٢٠ بليون عام . نحوا من ٢٠ الف مليون عام !

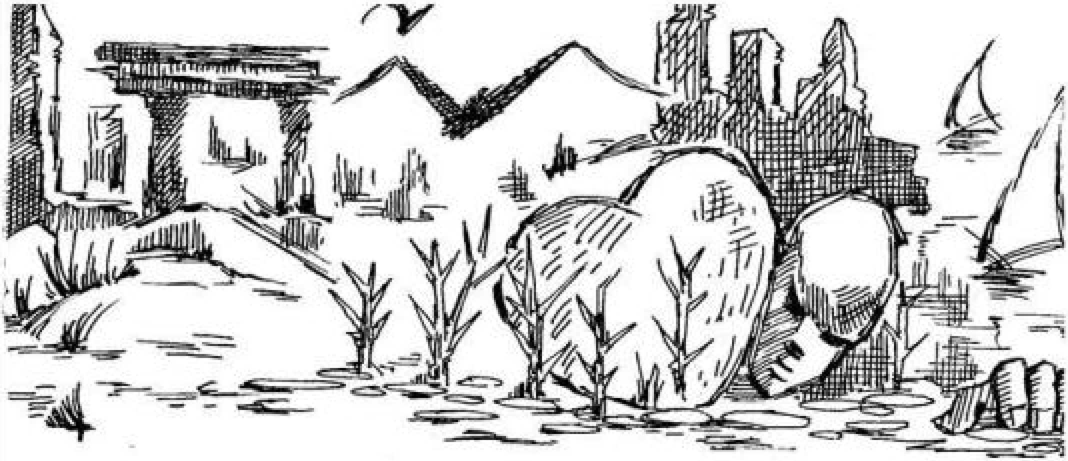


الشعر نبع من.. مشاعرنا (١)

بقلم : عبد الله زكريا الانصارى

■ جاءت على مهَل تُداعبني ... وتُثير في كوامن الشجَنِ
وتُعيد لى ذكرى إذا خطرت ... كانت كمثل الحلم في الوسَنِ
ذكرى صحوتُ بها ولم أرها ... فكأنها كانت ولم تكُن
ذكرى إذا خطرتْ غرقت بها ... أطيافُها أبدا تؤرّقني
وتُثير في نفسي كوامنُها ... صورا من الماضى تعذبنى
أيامَ كان القلب في دَعَةٍ ... لم يَعْرُهُ شيء من الوهن
جاءت على مهل لتنشدنى ... وتسرنى طورا وتُحزنُني
وتروح في الماضي منقبة ... فتجيء في مهل تذكّرني
ثم انثنت تشدو وما فتئت ... في الشعر تشجيني وتطربني
وتقول لى والقلب مضطرب ... « هل تيّمتكَ الغِيدُ بالفتن »
« أم شاب قلبك » والهوى تعب ... فغدوت بين الشك والإحَنِ
أم أسكتك فلم تعد غرداً ... مِحَن الحياة وسَوْرة الشجن
أم صرت طيرا هائما قلقا ... من غير ما روض ولا فنَن

(١) جواب عن رسالة من صديق يسأله لماذا سكت عن الشعر ويستحثه على معاودته .



أم راعك الدهر الخؤون تُرَى ... فركبتَ حدَّ المركَبِ الخشنِ
فغدوت في تيه بلا زمن ... وغدوت في زمن بلا وطن
وضربت بطن الأرض مبتئسا ... حيرانَ في سرٍّ وفي علَن
« لهفًا على الأيام تُنفقها ... فكأنها شيء بلا ثمن »
ماللكنانة في مفاتنها ، ... في أرضها ، في وجهها الحسن
والنيلَ في مجراه منحدرا ... هبة الحياة وواهب المِنَنِ
والخالدات على شواطئه ... تروى أحاديثا عن الزمن
تاريخها وحديثها أبدا ... ملءُ الحياة يطنُّ في الأذن
يمشى الفناءُ على جوانبها ... لكنه يمشى على وَهَن
أوَ ما تثيرك في حضارتها ... ، في هذه الأطلال ، في الدمَن
دِمَنٌ وأطلال تصورها ... من معبد حَيٍّ ومن وثن
حتى كأن الدهر حولهما ... حَرِنٌ ولكن ليس بالحَرِن
أو ما تثيرك في مفاتنها ... أولست في الإنشاد بالقَمِن
شعراً منغَّمة مردَّدة ... أصداؤه في السهل والحَزَن
شعرا له الأموات لو سمعت ... أنغامَه هبَّتْ من الكفن
يُغرى العذارى في تدلُّلِها ... فتتيه في أجسامها اللُّدْنِ
قد كنت مثل الطير تنشدنا ... وتطير من غصن إلى غصن
تشدو بشعر ملؤه نغم ... يسرى كما الصهباء في البدن
ويهزُّ كل خلٍ فيُطربه ... ويثير كل شجٍ وكلَّ ضَني
فأجبتها والنفس تائهة ... والفكر فيها ليس يسعفني
وعرائس الإلهام هائمةٌ ... في الحلم والأوهام تزعجني



وتُطلُّ أشباحٌ وأخيلةٌ — من كُوَّة الماضى فتذهلنى
ورؤى تمر بخاطرى تبعا — ـ ما شاب قلبى لا ولم يهن ـ
لكن رأت الدهر مضطربا — كالموج إذ تجرى به سفنى
فأشق فيها كل عاتية — وأقودها والريح تدفعنى
فتسير والأمواج صاخبةٌ — وتكاد تودى بى وتغرقنى
فأغصُّ لا قولٌ ولا كلِمٌ — ويخوننى شدوى ويهجرنى
وأظل فى صمت وفى قلق — حتى كأن الصمت من سننى
فأحار والأفكار حائمةٌ — لتشدنى طورا وتجذبنى
فيموت إنشادى على شفتى — فتظننى عَيًّا وتحسبنى
أجتر ما قد قيل من قِدَم — شعرا أردده فيُطربنى
أشكو به الأحداث مفعمة — وأبثُّه شجوى ليسعفنى
حتى أتيت إلىَّ تسألنى — بعض الغناء ، وأنت تعذلنى
وتقول لى قد كنت تنشدنا — من غير ما كَلَلٍ ولا وَهَن
أرسلت لى وبعثت أغنية — جاءت إلى الإنشاد تدفعنى
فطفقت أرويها وأنشدها — وغدت بقول الشعر تدفعنى
فإليك ما جاش الفؤاد به — أرسلته أصفى من المُزْن
والشعر نبع من مشاعرنا — وصدى الفؤاد الحاذق الفطِن
طورا يشح وتارة تره — ينهل مثل العارض الهتِن

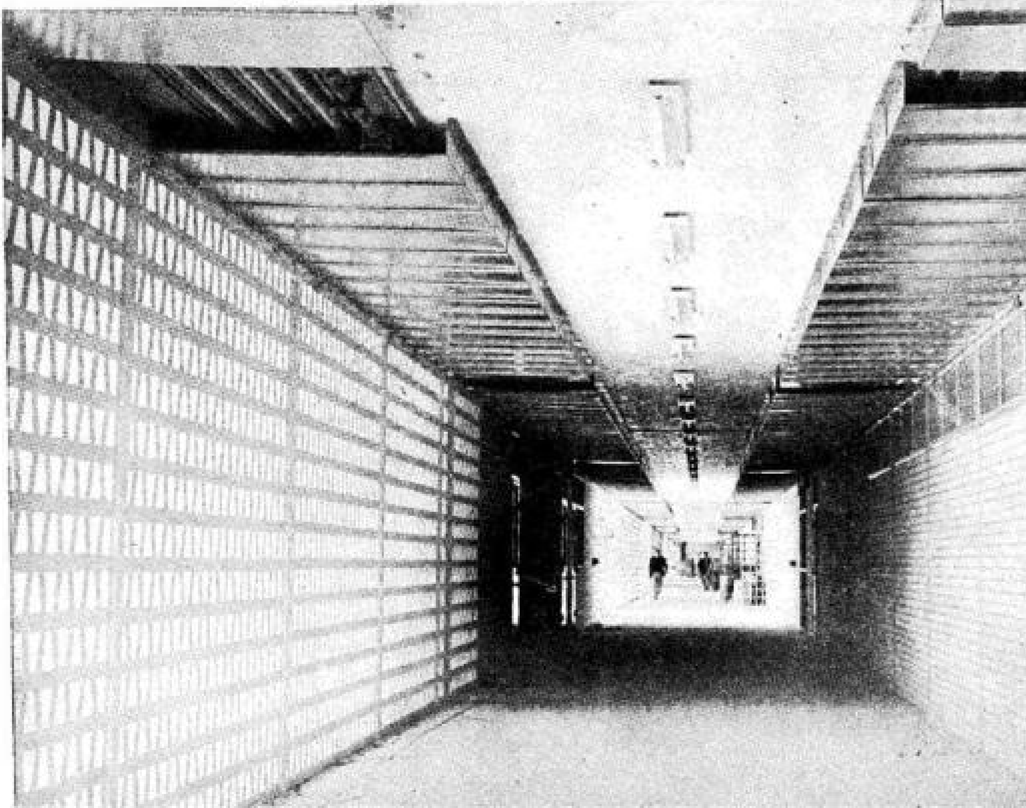
■■

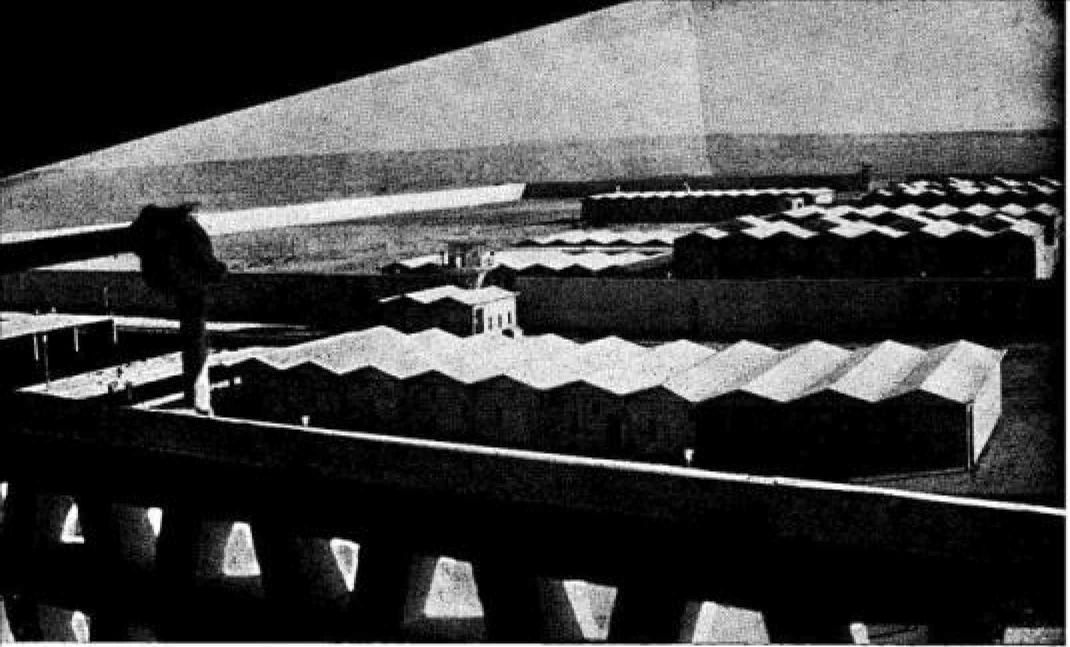
عبد الله زكريا الانصارى
سفارة دولة الكويت ـ القاهرة



السجن المَركزي في الكويت

دهليز المراقبة ... ومنه تتفرع مبـاني الزنزانات ، والادارة ، والمدرسة والمستشفى .. ويبلغ طول هذا الدهليز ١٥٠ مترا ..





منظر عام لسجن الرجال يحيط به سور من الخرسانة المسلحة ارتفاعه خمسة أمتار ... والمبنى الظاهر خلف الاسوار هو مبنى حرس السجن

« **نريده** سجنا على احدث النظم واحسنها ..
« **نريده** مدرسة تؤهل السجناء وتجعلهم مواطنين عاملين شرفاء ..
« **نريده** سجنا للتهذيب والاصلاح ، لا للتعذيب والقمع والارهاب ..
« **وبكلمة موجزة** : لا نريده سجنا ، بل مؤسسة تعمل على تقويم الاعوجاج واصلاح النفوس .. »

هكذا قال الشيخ سعد العبد الله السالم ، وزير داخلية الكويت ، للمسئولين فى وزارته فى عام ١٩٥٩ بعد ان لمس حاجة الكويت الملحة الى سجن مركزى يحل مكان السجون المتفرقة الصغيرة التى انتشرت فى البلاد منذ عام ١٩٥٥ عندما بدات الكويت تعرف انواعا جديدة من الجرائم لم تكن تعرفها سابقا، وهى جرائم المخدرات ، والسرقات والقتل ، وفدت اليها مع الوافدين الكثيرين الذين جاءوا الى الكويت .

تشدد ... واعدام

ان ٨٥٪ فى من هذه الجرائم يرتكبها غير الكويتيين و ٦٥٪ يرتكبها غير العرب!

وفى محاولة للحد من جرائم القتل تمَّ تنفيذ اول حكم قضائي للاعدام فى الكويت فى مطلع عام ١٩٦٣ .

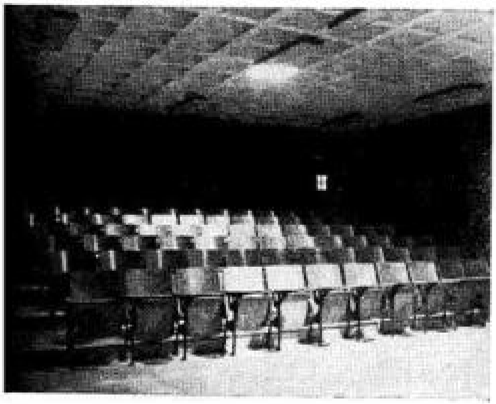
وسنت القوانين الجديدة، مثل قانون الجزاء الذى كان شيئا جديدا بالنسبة للكويتيين ، حيث ان احكامه تختلف عن الاحكام القديمة لانها اكثر دقة .

والى جانب التشدد فى العقوبات ، للحد من موجة الاجرام ، كان المسئولون فى وزارة الداخلية الكويتية يدرسون امكانية تطبيق النظريات وطرق العقاب المتبعة فى البلدان الحديثة ، والاستفادة منها ، لبناء سجن الكويت المركزى الجديد .

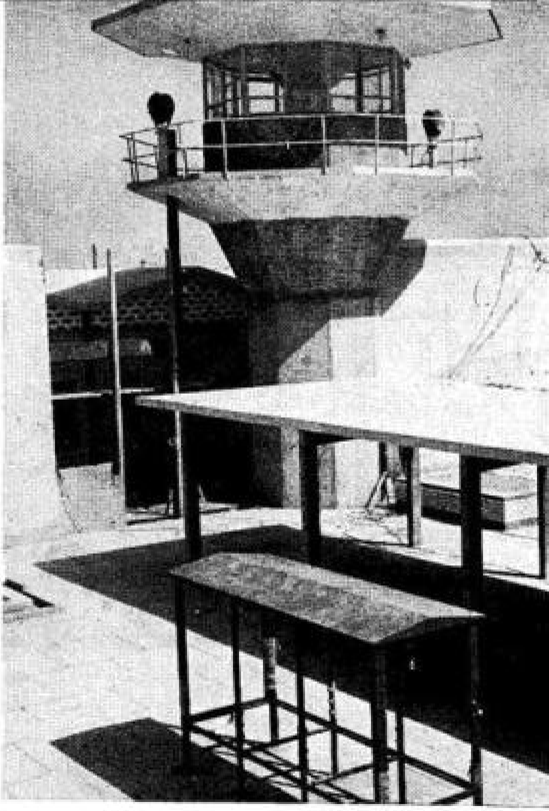
ووجدوا ان النظريات المتبعة فى



فى السجن المركزى تسع غرف للمثلجات ، سعتها جميعا سبعمائة وخمسون مترا مكعبا ..



قاعة المحاضرات والوعظ .. وتسع لمائة سجين .. ويمكن فى نفس الوقت عرض الافلام السينمائية



برج مراقبة الزوار والمترددين على السجن ... ويستطيع الجالس فى هذا البرج أن يتحكم بفتح باب السجن أو اغلاقه أوتوماتيكيا ...

هذه البلدان المتقدمة ليست نظريات حديثة ، فهى نظريات تعود الى عهد الامبراطور جستنيان الروماني الذى كان اول من قال :

السجن للتهذيب وليس للتعذيب :

ان جميع الأساليب المتبعة فى العالم المتمدن أصبحت تعمل على تقويم اعوجاج المجرمين والمنحرفين ، لتعيدهم الى المجتمع الذى كفروا به كأعضاء عاملين منتجين ...

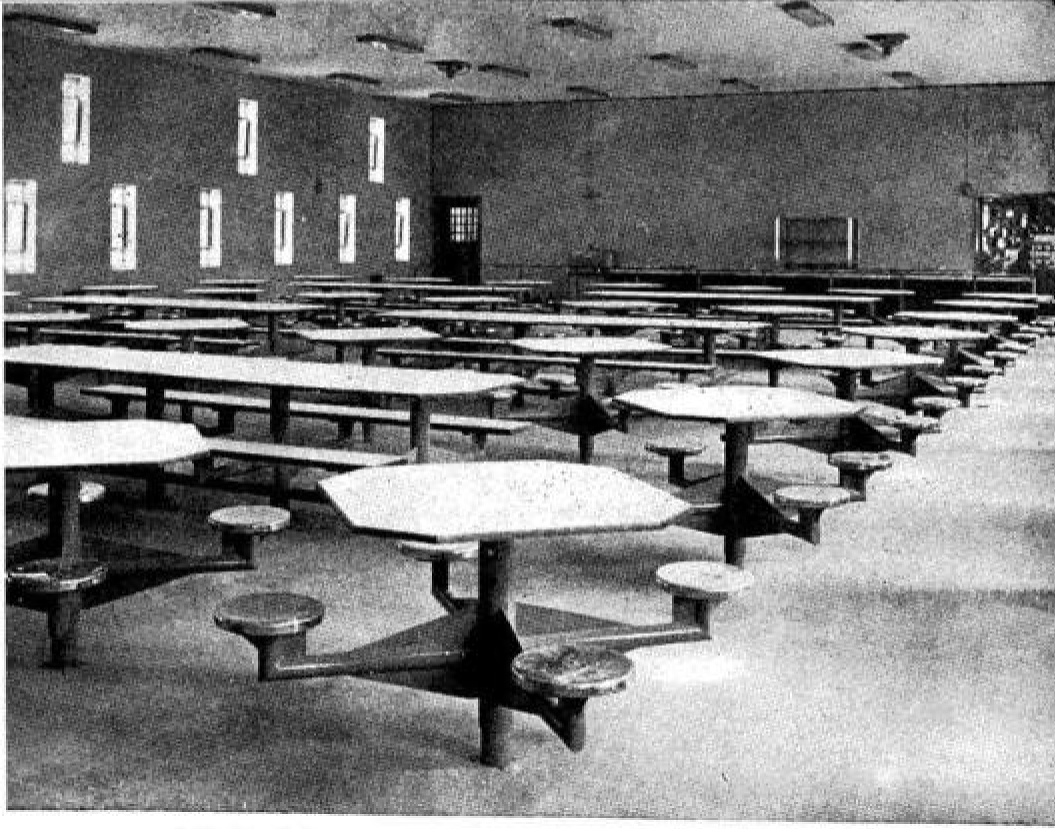
الأمم المتحدة تقترح ..

ولكي يأتي تصميم السجن الجديد على اكمل وجه ، استعانت حكومة الكويت بخبرة الأمم المتحدة ، فطلبت من هذه المؤسسة الدولية أن ترشح لها من لديهم خبرة عالمية فى تصميم السجون الحديثة، وجاء الرد مرشحا شركة ليتشفيلد التى قامت بتصميم نحو ٥٠ سجنا فى مختلف انحاء العالم .

ووافقت حكومة الكويت على هذا الترشيح ، فجاء ليتشفيلد نفسه مع مجموعة من مهندسي شركته ليدرسوا طبيعة ومناخ الكويت .

حذف .. وتعديل

وبعد انتهاء الدراسات والحصول على المعلومات اللازمة بدأ رسم تصاميم السجن وعرضها على المسئولين فى الكويت للحصول على موافقتهم .. وكانت هذه



قاعة الطعام بسجن الرجال وتتسع لجلوس ٢٠٠ سجين .. ويلاحظ أن الكراسى والموائد كلها مصنوعة من الحديد المترابط الذى لا يمكن انتزاعه او تحريكه ..

فترة طويلة صعبة . . فالرسوم والتصاميم اعيدت الى امريكا عدة مرات هدفها تعديلات وحذف جوهرى لكل ما من شأنه أن يفتح باب التبذير او البذخ فى بناء هذا السجن .

ان المطلوب أن يكون سجنا على الطراز الحديث ، لا صالونا للراحة والكسل !

وفى نفس الوقت ابدى المستشارون العالميون وجهات نظر اخرى تقبل المسئولون الكويتيون بعضها بالترحيب والموافقة ، ورفضوا بعضها .. واضافوا غيرها ..

قطعة من لهب ...

قال مستشارو التصاميم :

ـ ان بناء السجن يختلف عن اى بناء آخر .. فالسجن مصمم ليبقى لمدة طويلة ، قد تمتد الى اكثر من مائة سنة دون ان يدخل عليه اى تعديل جوهرى .. ومنعا لهروب المساجين عن طريق كسر الحائط تبنى الحوائط بالاسمنت المسلح والحديد .. والمنطقة التى اختيرت لبناء سجن الكويت تقع وسط الصحراء على بعد ٢٣ كيلومترا من قلب العاصمة ... فاذا اضفنا هذه العوامل الى درجة الحرارة التى تصل الى ٥٠ درجة مئوية فى الصيف، لوجدنا ان السجن سيتحول الى قطعة من لهب .. لهذا نقترح ان يكون السجن مكيف الهواء .. ان هذا ـ فى رأينا ـ ليس تبذيرا او بذخا ، ولكنه ضرورة بالنسبة لطبيعة جو الكويت ، الذى تعيش ابقاره فى عنابر مكيفة الهواء .

وجاء رد وزارة الداخلية قاطعا حازما :

ـ زنزانات المساجين لا يدخلها تكييف الهواء ، انما التكييف يكون مقصورا على

مكاتب الشرطة والادارة والمستشفى .. ان السجين شخص اخطأ فى حق مجتمعه، وعليه ان يعمل ويتعب ليكفر عن خطيئته.

المطبخ المدرسة

واثيرت مسالة المطبخ الذى يستطيع ان يزود الف سجين بطعامهم اليومي، فاقترح المصممون أن يكون الفرن وأدوات المطبخ من النوع الحديث الذى يعمل على البخار والكهرباء .

فوافق المسئولون على هذا الاقتراح، واعتبروا هذا المطبخ الذى يشبه المطابخ الأخرى المنتشرة فى أغلب المؤسسات والمدارس بالكويت، عملا يتدرب النزلاء على اتقانه .

تعاليم .. ومحاضرات

وقال الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية: ان القاء السجين فى الزنزانة ونسيانه، مع اهماله، وتركه بدون عمل، صار بمثابة قتل للانسان وهو شيء لم يعد يتلاءم والعصر الذى نعيش فيه .. لهذا أرى أن تكون هناك مدرسة لتعليم المساجين القراءة والكتابة، ومكتبة تصلح فى نفس الوقت لتكون غرفة للمطالعة، وقاعة متوسطة يجلس فيها المساجين على مقاعد خشبية للاستماع الى المحاضرات والمواعظ التى تلقى عليهم لارشادهم واصلاح اعوجاجهم .

ويجب تخصيص غرفة للتدريب المهني وغرفة للقاضي تستعمل كمحكمة لتحل المشاكل داخل السجن ... وكذلك غرفة يستمع فيها النزلاء الى الموسيقى ويتدربون على العزف على آلات الطرب.. لأنه قد ثبت ان علاج توتر الأعصاب بالاستماع الى الموسيقى قد أعطى أحسن النتائج ... لأنه اذا أردنا اصلاح الاعوجاج فيجب علينا ان نهيىء له الجو اللازم لهذا الاصلاح ..

مستشفى وغرفة للاشعة

وتابع وزير الداخلية الشاب اقتراحاته فقال :

ـ ان السجن يجب أن يكون كمدينة مستقلة تتمتع باكتفاء ذاتي، اى ان عليها ان تعمل على حل مشاكلها بمفردها دون حاجة الى اى اتصال بالخارج، لأجل هذا ارى أن تكون هناك غرفة تكون مستشفى صغيرا يتسع لتسعة اسرة مع غرفة أشعة ومعمل للتحليل للعناية بالسجناء المرضى ..

اختصار نصف السجن ونصف التكاليف ...

وهكذا استمر الاخذ والرد سجالا بين الحكومة والمصممين مدة ثلاث سنوات، ظهر بعدها التصميم النهائي للسجن، فكان نصف حجم السجن الأصلي الذى صممه المستشارون العالميون فى اول مرة!!

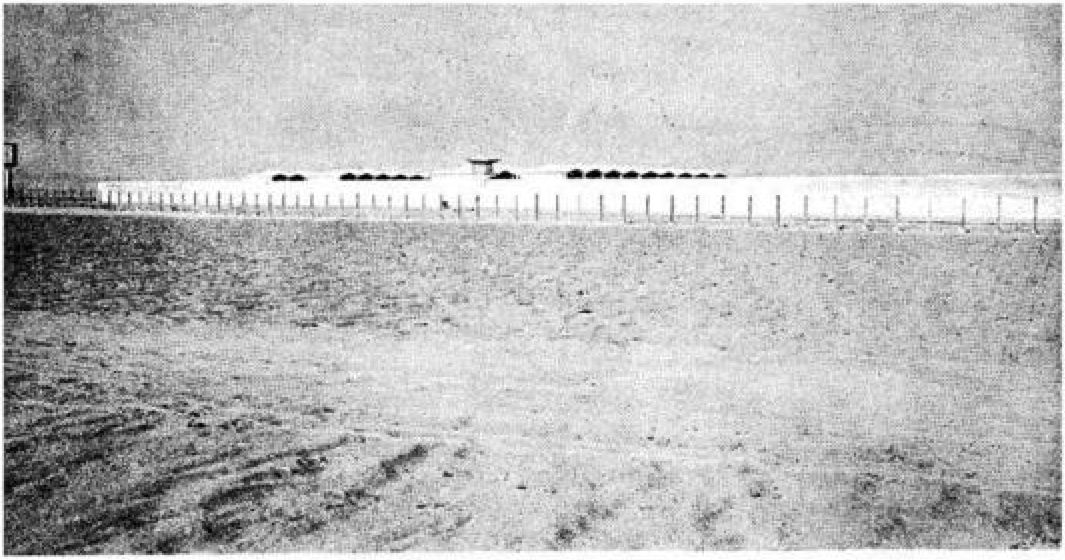
وكان المقدر أن يتكلف السجن مبلغ ثلاثة ملايين دينار، ولكن بعد هذه الاختصارات، رست مناقصة البناء بمبلغ مليون ونصف مليون دينار فقط..

وبدأ البناء على قطعة ارض كبيرة تزيد مساحتها عن ٨٠٠,٠٠٠ متر مربع، واختيرت هذه المساحة الكبيرة حتى يمكن فى المستقبل اضافة أى توسيعات محتملة على السجن، وحتى تعطي مجالا كافيا لامكان الزراعة والعمل، فى مجالات مختلفة للمساجين ..

زنزانات ل ٤٠٩ سجناء

ان مجموع المباني التى ارتفع بناؤها ٢٧ مبنى ... مقسمة بهذه الكيفية :

١٦ مبنى لسجن الرجال، وهي المباني الأساسية فى السجن، وتضم مباني للادارة، والحراس، والمستشفى، والتعليم المهني، والمطابخ وصالة واسعة للأكل صممت بشكل خاص يسمح بالسيطرة المباشرة على المساجين فى حالة محاولتهم التمرد .. فقد ثبت ان اغلب الثورات التى تقوم فى السجون مصدرها قاعة الطعام .. ثم أربعة مبان للزنزانات التى تتسع لـ ٤٠٩ سجناء .



فى وسط الصحراء ، وعلى بعد ٢٣ كيلو مترا من قلب الكويت العاصمة ترتفع أسوار سجن الكويت المركزى الذى يعتبر من أحدث سجون العالم ...

و ٦١ سجينة

وعلى مسافة بعيدة من سجن الرجال يقع سجن النساء الذى يتكون من اربعة مبان فقط : واحد للزنزانات التى تتسع لـ ٦١ سجينة ، وآخر للاستقبال ، والثالث للادارة والرابع للمستشفى الذى يتسع لست مريضات ..

التكييف للمستشفى والادارة فقط

والى جانب سجن الرجال والنساء تقع المباني السبعة المكملة ، وهي خاصة بادارة السجون ، والمخازن العامة وبها حجرة لتبريد المأكولات المحفوظة ، ومبنى لتوليد الكهرباء ، وآخر للجراج ، ومحطة اطفاء ، ومبنى لنوم الحراس ، ويتسع لـ ٤٨ حارسا . ومبنى للرقابة وبه نظام دقيق لتفتيش السيارات الداخلة والخارجة .. واخيرا مبان لمحطات تكييف الهواء التى تمد المستشفى والمباني الادارية ، فقط ، بالهواء المكيف ، ومبنى لمحطة طلمبات ، لسحب وتوزيع الماء .

من هم السجناء ؟

ولا بد من أن نذكر ان هذا السجن سيكون مخصصا للمساجين الذين صدرت ضدهم أحكام قضائية لا تقل عن سنة .

اما ما دون ذلك من السجناء فسيودعون السجون العادية الاخرى .

ابعاد الطابع الكئيب

لقد دخلت « العربي » الى هذا السجن قبل أن يدخله المساجين ، وتجولت فيه وسجلت قول المسئولين :

ــ ان بناء هذا السجن لم يكن الهدف منه تكديس البشر فى زنزانات وتركهم مهملين منسيين ، بل الهدف منه تثقيف وتهذيب النفوس التى ضلت طريقها .. لهذا جاءت مبانيه حديثة جميلة لا أثر فيها للتبذير أو البذخ ، لتبعد الطابع الكئيب الذى كانت عليه مباني السجون فى العصور القديمة .

وسوف تقوم وزارة الأوقاف ،بحكومة الكويت ببناء مسجد داخلي فى مبنى السجن .. كما سوف يقوم الوعاظ والمرشدون بالقاء المحاضرات لاعادة العقول الضالة الى الطريق القويم .. ■■

س ٠ ز



التفرقة العنصرية

عن جريدة « الأوبزرفر » :

● ليس من أحد اليوم يعترض على الديمقراطية ، وأن للأفراد فى الشعب الواحد حقوقا متساوية .

ولكن المسألة تتجلى عند التنفيذ .

اذا لم يحدث هذا ، فماذا يصنع الخاسرون ..

هل يلجأون الى البرلمان ؟ الى المحاكم ؟

وهل تستطيع البرلمانات أو المحاكم أن تطبق على الكثرة عدم امتثالها لاعطاء حقوق متساوية للقلة ، التى كانت قلة بسبب اللون، أو العقيدة، أو الجنس.

ان البرلمانات والمحاكم تستطيع أن تصدر القوانين التىتحتمهذه المساواة، وبذلك تؤمن للقلة ان الدولةفىجانبهم. ومعنى الدولة هنا ان الكثرة فىجانبهم.

ولكن غير ذلك أن يحتكم الى المحاكم لتنفيذ هذه الشئون بالقوة . خير من القوة الطرق اللينة : الاغراء ، احياء الشعور بالنبل والانسانية عند من لا يشعرون . تنوير الذين يخشون أن خشيتهم ليست فى محلها .

المسألة : العنف أم الحسنى ؟

الحسنى أجدى .

سياسة الولايات فى الداخل والخارج

للمعلق المعروف « لبمان » بمجلة « نيوز ويك » الأمريكية :

● سياستان سبيلاهما مختلفان .

فى السياسة الداخلية تسعى الحكومة الى معرفة الراى العام ، والى استطلاعه، والكشف عما يرضى به . فاذا هىعرفت ذلك ، مضت تصوغ هذا الراى قوانين لا تلبث أن تمر بمجالسها النيابية . والنتيجة القبول من الشعب .

فى الأمور الداخلية يستطلع راى الشعب ، والذى تفعله الحكومة بناء على ذلك يرضاه الشعب .

وحكومة الولايات تفعل مثل ذلك فى الشئون الخارجية ، ولكن تسوء العاقبة .

يؤخذ راى من فى داخل الولايات فى امور تتصل بخارجها ، وعلى هذا الراى تبنى الولايات سياستها . ولكن هذه السياسة ليست لداخل الولايات ،ولكن لخارجها . ويرفضها الخارج ، فتسوء العواقب .

وهكذا تفعل الولايات اليوم فىفيتنام.

تفعل ما ترضاه هى ، ما يرضاه الشعب فى داخلها ، رضى عنه الغير أم لم يرض .

ما رضيته هى هو الصواب ، ويجب أن يكون فى الخارج ، كما هو فى الداخل، صوابا !!

العقوبة، تساوي الجريمة، أو تساوي المجرم

عن مجلة « لسنر » الانجليزية :

● الراى السائد القديم أن لكل جريمة عقوبة .

لم يفرق الراى القديم بين الجريمة والرجل الذى اتى الجريمة .

وحقا جاءت فى بعض القوانين حدود يتارجح بينها مقدار العقوبة للجريمة الواحدة ، تخفف مثلا عن المجرم الحدث السن ، وتزيد على المجرم الذى مارس الاجرام .

والقانون الفرنسي نظم العقوبة للجريمة الواحدة حتى صارت صنوفا مقدرة .

ولكن كانت النظرة دائما للجريمة : سرقة رغيف ، ام كسر خزانة .

كل هذا صحيح .

ولكن المجرم نفسه ، حالته ، صنفه ، دوافعه ، علمه ، جهله ، بيئته ، الى غير ذلك ، لم يكن لكل هذه الأمور عمل فى تحديد العقوبة .

كل ذلك تغير الآن ..

العقوبة اليوم للجريمة ، ومع الجريمة المجرم .

وشىء آخر تغير مع العقوبة والجريمة .

كانت العقوبة ثمنا يدفعه المجرم عن جريمته . ولكن اليوم صار الاهتمام اكثر ، لا بالذى مضى ، ولكن بالذى يستقبل : ماذا يصنع بالمجرم حتى لا يعود ؟

وماذا يصنع بالمجرمين اليوم لتقل الجرائم فى الغد .

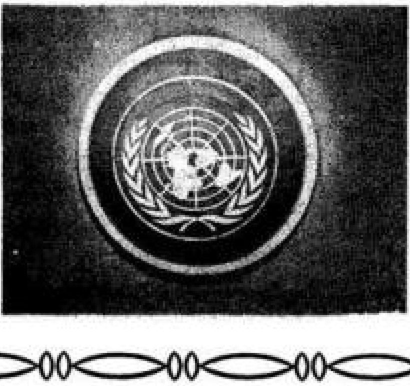
ومن هنا صارت السجون أشبه بالمدارس لتصحيح اخطاء الحياة التى دفعت المجرم الى اجرامه ، وتمهد السبيل له ليعيش عيشة لا اجرام فيها .

هيئة الأمم المتحدة صارت كسفينة نوح

عن جريدة « الصنداى تلغراف » :

● ان هيئة الأمم صارت ، بالذى ازدحمت به من امم ، كسفينة نوح . واخشى ما نخشاه أن تكون قد غرقت فى مياه غير مشبورة .

رفضت روسيا أن تدفع نصيبها من ميزانية الهيئة ، لأنها لا ترضى عن نفقات انفقتها دول الاستعمار ، فى انجاح غايات الاستعمار . وكذلك رفضت فرنسا . وتحدتهما الولايات المتحدة . وصار من المتوقع أن تثار المادة القانونية التى تقول انه لا صوت عند التصويت يجوز أن تعطيه الأمم التى لم تدفع .



وتجنبا لهذا الموقف أجلت جلسات الهيئة الى مدى لا يعلمه الا الله .

وبذلك اصبح الحكم لمن ؟

لمجلس الأمن .

ولكنه مجلس اعضاؤه الفعالون هم امم الارض القوية . وكل امة منها تستطيع ان تنقض اى قرار يتخذه المجلس .

وبذلك اختفت هيئة الأمم من واقع الحياة ، الى حين .

من أخطاء القضاء

لا يأس مع الحياة

■ يقول مونتسكيو ان الخطأ القضائي جريمة اكثر اجراما من الجريمة ذاتها . وهذه قصة رجل بل قصة ضحية من ضحايا الخطأ القضائي ظل يجاهد ـ أو بالاصح يتجاهد له ـ مدى نصف قرن حتى أعيدت له حريته بعد أن لف حبل المشنقة أو كاد حول رقبته .

انه ادموند جالي من مواليد عام ١٨٠٤ . أمي وعلى قدر كبير من الغباء . يتعيش من أعمال صغيرة مختلفة كاصلاح الكراسي ، أو المساعدة في أعمال البناء أو النجارة ، أو لعبة الثلاث ورقات. لذلك كان ينتقل من مولد لمولد وراء لقمة العيش. ولم يكن يعرف أين تقام الموالد ، فكانت طريقته للوصول اليها ان يتبع احدى قوافل الغجر لعلمه انها ستتوقف حتما في احد الموالد .

وكان صاحبنا محدود الذكاء محدود الاطماع ، اذا كسب شلنا في يومه اعتبر انه كسب رزق ذلك اليوم ، فهام على وجهه لا يطلب المزيد . لذلك عرف بين معارفه ، وكلهم متشردون مثله ، باسم «ديك تربين» . ولكنه كان يختلف عنهم بأنه مسالم لا يعرف العنف ولا يتجه تفكيره الى الاجرام .

★★★

وهكذا عاش حتى بلغ الثانية والثلاثين من عمره .واذا به يفاجأ بان اوصافه نشرت في جريدة البوليس ووضعت جائزة كبيرة للقبض عليه بتهمة القتل وهو الذى لم يقتل في حياته عصفورا . فاحتار ماذا يفعل . واسرع يختفي وتجنب الموالد والاماكن التي كان يتردد عليها . ثم قبض عليه بتهمة التشرد وحبس شهرا ووجهت اليه تهمة قتل شخص اسمه « جوناتان ماى » في مدينة « مورتن هامستيد » احدى مدن مقاطعة « ديفونشاير » بانجلترا ، وهي مقاطعة لم يذهب اليها في حياته قط . ولا يدرى أين موقعها من خريطة بريطانيا .

ولما ساله البوليس عما كان يفعله في يوم ١٦ يوليو من العام الماضي لم يدر بماذا يجيب فهو لا يعرف ايام الشهر ولا حتى ايام الاسبوع .

★★★

ووضعت يداه في الحديد ، وسيق امام المحقق، وبدأ يستمع الى شهود يروون وقائع لا يدرى من امرها شيئا ، ملخصها انه واخر اسمه « توماس اوليفر » قد قتلا هذا « الجوناتان ماى » وسلباه نقوده في الطريق العام ، وأن فتاة اسمها اليزابيث هاريس هي التي ارشدت عنهما .

اما الفتاة هاريس هذه فكان قد قبض عليها مع متشرد آخر عقب العثور على جثة جوناتان ثم افرج عنهما دون ان تدعى انها تعرف شيئا عن القتل أو القاتل . ثم قبض عليها بعد ذلك في جناية أخرى عقوبتها النفي المؤبد ، وأودعت السجن في انتظار ترحيلها . وبعد ستة أشهر من ايداعها السجن تطوعت بالزعم بانها تعرف كيف قتل جوناتان ومن الذى قتله . ذلك انها كانت تعلم أن تبليغها هذا ـ بالصدق او الكذب ـ ينقذها من النفي المؤبد . فقد كان القانون في تلك الأيام يمنع الاستشهاد بالمحكوم عليهم بجناية فكان ممثل الاتهام في سبيل استصدار حكم بشنق متهم بجناية يستصدر عفوا عن الشاهد ـ المجرم ـ ويعتبر انه بذلك يحقق العدالة .

★★★

ولم يكن المحققون في تلك الأيام حريصين في طريقة عرض المشتبه فيهم على من يتقدمون للشهادة . بل كانوا يأتون بالمتهم وحده ويسألون الشاهد ان كان يعرفه ، فان قال «نعم» ، اعتبر ذلك استعرافا . فلما عرض « توماس اوليفر وادموند جالي » على الفتاة هاريس لم تتردد في القول انهما القاتلان ، وروت من خيالها كيف تمت الجريمة وكيف قامت معركة دامت خمس دقائق ، انهال فيها « ادموند جالي » على القتيل بعصا غليظة لها قبضة بحجم قبضة يدها ،وكيف أمسك



وفضل ان يبقى بمنفاه الذى امضى فيه الجزء الاكبر من حياته وبجوار ارملته المحبوبة واولادها .

بقلم : حسن الجداوى

المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

« اوليفر » بعنان حصانه ، وكيف اوقعاه من على الحصان ، وكيف كان الرجل يستحلفهم باخذ ماله وبان لا يقتلاه ، واسترسلت فى ذلك ما شاء لها الخيال .

★★★

وكان المتهم الفقير يستطيع أن يجد من يدافع عنه اذا دفع اتعابا جنيها واحدا وشلنا . لذلك استطاع « اوليفر » الذى كان شابا وسيم الطلعة حسن البزة ان يعين محاميا يدافع عنه . اما « ادموند جالى » الذى لم يكن يجد عملا طوال مدة اختفائه ، فقد تقدم للمحاكمة فى ثياب رثة وليس بجواره من يدافع عنه .

وبعد أن انتهت اليزابيث هاريس من الادلاء بشهادتها قال لها جالى: هل تستطيعين ان تنظرى الي وتقولين ــ بضمير مرتاح ــ انك شاهدتنى افعل ما تنسبينه الي « فقالت نعم » . فعاد يسالها :

« هل سبق لك رؤيتى بصحبة هذا السيد ــ اوليفر ــ قبل رؤيتك لنا فى السجن » ؟ قالت « نعم فى مولد برومهيل وفى بريد جووتر » . والتفت جالي الى القاضى وقال : « انها يا سيدى تظنني شخصا آخر فانا لم اذهب فى حياتى الى ديفونشاير قبل ان يجيئوا بى الى السجن . انني اعرف فى قريرة نفسى اننى لست المقصود ، والله تعالى يعرف اننى لست القاتل . انها ــ يا سيدى القاضى ــ تقسم اليمين على الاسم الذى اعطى لها لا على الشخص ... انها فى سبيل الحصول على حريتها تضحي بحياتى . فانا لم ار هذه المراة قبل الآن » .

وسالها القاضى ان كان لديها اى شك فى شخصية المتهمين فقالت « لا » .

وكان يمكن أن تنتهي القضية عند هذا الحد لولا ان الشاهدة الوحيدة فى القضية لم تكن موضع

ثقة باعتراف ممثل الاتهام نفسه . ولولا انه ـ حتى تلك الأيام ـ لم يكن العمل قد جرى على شنق انسان بشهادة شاهد واحد لم تؤيد بأدلة اخرى .

لذلك تقدم الاتهام بتسعة شهود يشهدون انهم رأوا المتهمين فى المدينة فى ليلة الحادث . وقد اقسموا جميعا اليمين على انهم رأوا اوليفر فى المدينة فى تلك الليلة ، واقسم ثمانية منهم على انهم رأوا جالى ـ المعروف باسم « تربين » . ولكن واحدة من الشهود قالت ان رجلا اسمه تربين حضر الى متجرها فى تلك الليلة ، ولكنه ليس هذا الرجل، لأن ذلك الرجلكان وسيما بكامل اسنانه. « انه رجل وجيه . رجل آخر » .

ولو كان لجالي محام لاستغل واقعة وجود شخص آخر باسم « تربين » اشترك فى جريمة القتل مع اوليفر . ولكن جالي لم يوجه لتلك الشاهدة اى سؤال وحصر دفاعه فى الاحتجاج بانه برىء وانه لم يكن موجودا بمكان الحادث بل كان فى ذلك الوقت بمدينة دارتفورد التى تبعد عن مكان الحادث بمائتى ميل . وكان عليه أن يستدعى شهودا يؤيدون اقواله ، ولكن خلو يده من المال الذى اعجزه عن دفع أتعاب محام ، حال دون امكانه دفع مصاريف الشهود .

اما اوليفر فلم يتقدم بأى شهود لأنه كان فى المدينة فعلا وحصر دفاعه فى انه لم يسبق له رؤية جالى الا حين وجده معه فى السجن فكيف يمكن أن يكون قد اشترك معه .

★ ★ ★

وتلا القاضى تلخيصه للمحلفين فلفت نظر المحلفين الى حياة العبث والمجون التى عاشتها الشاهدة الوحيدة على الجريمة ، وكيف انها كانت تطوف البلاد بصحبة رجلين ليست زوجة لأيهما . ولكن القاضى لم يشر الى الفائدة التى تجنيها من شهادتها . وان تساءل لماذا لم تسارع بالاستغاثة ان كانت قد رأت الجريمة حقا ؟ ولماذا سكتت ستة أشهر قبل أن تتقدم بمعلوماتها ؟ . وقال : ان تصرفها غير مفهوم . غير ان القاضى مع الأسف تغاضى عن ابراز شهادة الشاهدة التى قالتان جالى لم يكن بالمدينة بل ان الذى بالمدينة رجل آخر بنفس اسم الشهرة ... وكان القاضى فى تلخيصه يجمع باستمرار بين جالى واوليفر لانهما فى نظره اما بريئان أو مذنبان . ولما كانت الجريمة ثابتة على اوليفر فان تلخيص القاضى كان ضد جالى .

وهكذا ـ وبعد مداولة قصيرة ـ قرر المحلفون أن المتهمين مذنبان .

★ ★ ★

ووقع القرار على جالى وقوع الصاعقة . لقد كان منذ ثلاثة أشهر حرا طليقا يستمتع بالحياة على طريقته لا يفكر فى الموت وهو فى عز شبابه . اما اوليفر فاستقبل القرار بهدوء المجرم العاتى الذى عاش حياته كلها فى أخطار واجرام ، يتوقع أن يأتى اليوم الذى يدفع فيه ثمن اجرامه . وكان أمثاله حريصين على ان يستقبلوا الموت بشجاعة أو يأنفون من الظهور بمظهر الضعف . لذلك لم يعترض على الحكم بل قال للقاضى حين سأله ان كان لديه ما يقوله قبل الحكم عليه « ليس لدى ما اقوله عن نفسى » . ثم التفت الى جالى وقال له : لقد انتهينا .« ولكنك ستشنق بريئا ». ثم التفت للقاضى وقال له : « أرجو يا سيدى القاضى أن لا ترسل هذا البرىء الى المشنقة . هل تعتقد اننى حين اقدم على جريمة كتلك التى ارتكبت أستعين بانسان هزيل كهذا .. ان هذا الرجل لا شأن له بالجريمة ... انه برىء » .

وبدأ القلق يتسرب الى نفس القاضى ، وظهرت آثار ذلك عليه فقد بدا وكأنه يعتذر عن دوره فى الحكم اذ قال لجالى « لقد وضعت الادلة كلها امام المحلفين فى صالحك بقدر الامكان ـ وهم القضاة لا أنا ـ فلا بد أن هناك ظروفا رأوها كافية للأخذ بشهادة الشاهدة » .

ولكن القاضى مقيد بقرار المحلفين ولا يملك فى مثل هذه الحالة الا الحكم بالاعدام . لذلك وضع الطاقية السوداء على رأسه واستعد لاصدار الحكم . واذا باوليفر يصيح به « لدى ما اقوله يا سيدى القاضى . ان المتهم الآخر برىء . لقد كنت احد القاتلين ولكن هذا الرجل لم يكن معى ، والذى كان معى شاب آخر من كنتش معروف أيضا باسم تربين . اننى لا أعرف هذا المتهم ولم يشترك معى قط » .

واكثر ما يضايق القاضى الانجليزى أن يجرؤ انسان ـ وخاصة مجرم معترف ـ على مقاطعته وهو يؤدى واجبه الأليم . لذلك ذهبت صيحة اوليفر مع الريح . بل كان لها تأثير عكسى اذ قال القاضى : « اننا هنا نحكم على أساس الادلة ، واقول لك ان المحلفين ـ وأنا أيضا ـ لا نشك فى

صحة التهمة . ولم يسبق لي ان رأيت أدلة اكثر تضافرا وتساندا من الأدلةالمقدمةفي هذهالقضية».

★ ★ ★

ولكن صيحة اوليفر استقرت في اذهان ثـلاثة رجـال كانوا حاضرين المحاكمة . توماس لاتيمر صاحب ومحـرر جريدة « الويسترن تايمز » ، وكاتب اختزال المحكمة ، ومونتاجو سميث محامي اوليفر . اجتمعوا بعد الجلسة وقارنوا الملاحظات التي اخذوها اثناء المحاكمة وتبينوا ما في شهادة اليزابيث هاريس من تناقض ، واقتنعوا ببراءة جالي وبان خطأ قضائيا قد ارتكب .

وذهبوا في اليوم التالي لمقابلة القاضي وأطلعوه على رأيهم . ووجد القاضي ان القلق الذي ساوره بالأمس وجد سبيله الى نفوس ثلاثة اشخاص لا مصلحة لهم في الدعوى . وكان أثر الغضب من مقاطعة اوليفر قد زال . فوافقهم على تأجيل تنفيذ الاعدام اسبوعين وأبدى استعداده لاعادة مناقشة الموضوع اذا ظهرت أدلة جديدة .

★ ★ ★

ولكن من أين تأتي تلك الأدلة الجديدة . ان جالي نفسه لا يعرف على وجه التحديد أين كان وقت ارتكاب الجريمة . انه يعتقـد انه كان في مدينة دارتفورد . فكيف يمكن اثبـات وجـوده هناك ـ على بعد مائتي ميل ـ في مدى اسبوعين . واستعان الرجال الثلاثة بالرأى العام . بـدأ صاحب الجريدة حملة وافتتح اكتتابا للدفاع عن جالي ، ودل الاقبال على الاكتتاب عن وجود رأى عام يناصر جالي .

وحدث في خلال الاسبوعين ان اعتـرف اوليفر للقسيس بطريقة ارتكاب الجريمة ، وكانت تختلف اختلافا كليا عما زعمته الشاهدة ، واكد أن القتيل ليس فقط لم يطلب منهما الرحمة بل قاومهما ـ هو والشخص الآخر الذي ليس جالي ـ مقاومة عنيفة وأصابهما بجروح .

واجل القاضي تنفيذ الحكم في جالي اسبوعين آخرين ولكنه امر بتنفيذه في أوليفر .

★ ★ ★

ونشرت صحف لندن ملخصات لمقالات«الويسترن تايمز » ، واشارت الى تأجيل حكم الاعدام للمرة الثانية ، فلفت ذلك نظر وزير الداخلية وطلب من عمدة المدينة اجراء تحقيق .

لم يوصل التحقيق الى نتيجة ولكنه كان ـ على كل حال ـ في صالح جالي ، فقد استطاع جالي ان يستخرج من ذاكرته المضطربة انه ـ في وقت الحادث ـ قام بعمل لأحـد أصحاب الحانات في مدينة دارتفورد . وانكر صاحب الحانة . ولكن التحقيق أوصل الى انه كلف بذلك العمل أحـد النجارين المحليين وأن ذلك النجـار استخـدم ـ جالي ـ أو على الأقل شخصا تنطبق أوصافه على جالي . كذلك استطاع جالي أن يتذكر حدوث مشاجرة بينه وبين احد الاشخاص في المولد ومـع أن الرجل الذي وقعت المشادة معه لم يستطع أن يؤكد ان الذي تشاجر معه هو جالي ، الا ان مجرد ذكـر جالي للمشاجرة دليل على انه كان موجودا بالمولد اذ من أين له أن يعرف بحدوثها لو لم يكن موجودا .

★ ★ ★

واجل القاضي تنفيذ حكم الاعدام لمدة شهر في هذه المرة ، وطلب الى سـير فردريك رو قاضي بو ستريت ان يجرى تحقيقا جديدا بنفسه . ومن أسف ان ذلك القاضي كان من النوع الذي يضع نفسه فوق موضعها الطبيعي ويظن ان العالميتطلع اليه . فرأى ان يقدم تقريرا يتفق مع المكانة التي يضع نفسه فيها . فلم يشأ ان يقطع برأى ، وكلما ابدى رأيا اعقبه بجملة « ولكن من ناحية اخرى » وبذلك يهدم ما بناه . وانتهى تحقيقه الذي كان يمكن ان يؤدي لبراءة جالي ، الى لا شيء ..

وكان جالي خلال تلك المدة ينتظر ـ فيزنزانته ـ ان يسمع في كل لحظة طرقات النجارين وهـم ينصبون المشنقة ليتدلى من حبلها .

★ ★ ★

ثم حدث ـ دون أن يدرى لماذا ـ أن نقلوه من السجن الى عنبر سفينة بها ستمائة سجين ينتظرون ترحيلهـم الى المنفى البعيـد ـ الى استراليـا ـ ومضت عليه أيام مضنية قاتلة .. الحديد في رجليه ، وكل جماعة منهم مقيدون في سلسلة واحدة . ثم دعى الجميع الى سـطح السفينة لاجراء عمليـة عرض قانوني . ووسط هؤلاء الستمائة مسجون في ملابس السجن استطاع أربعة رجال ـ جاء المحققبهم من دارتفورد ـ ان يخرج كل واحد منهم على انفراد ـ جالي لأول وهلة .

وكان المفروض بعد ذلك ان براءة جالي لم تعد موضع شك . ولكن وزير الداخلية ومستشاريه القانونيين لم يقتنعوا بعد . فقد قرر المحلفون في

محاكمة عادلة انه مذنب فكيف ينحى ذلك القرار.

وقال القاضى : انه اقر المحلفين على رايهم فلم يعد هناك محـــل للطعن فى القرار . صحيح ان اربعة اشخاص ليست لهم سابقة معرفة به قد استخرجوه من بين ستمائة مسجون وقرروا انه كان فى مكان بعيد مائتى ميـــل عن مكان ارتكاب الجريمة ، ولكن هؤلاء الأربعة مجرمون ـ أو عـلى الاقل متشردون يسهل عليهم ان يقسموا يمينـــا كاذبة تضامنا مع متشرد مثلهم .. ثم ان هنــاك قاضيا محترما هو سير فريدريك رو قد أجرى تحقيقا انتهى فيه الى الشك . صحيح انه ذكر فى تحقيقه اسم شخص يدعى لانجلى اتجهت اليه التهمة ولكنه لم يعثر على ذلك الرجل ، وقد لا يكون له وجود . ولم يكن الشك فى تلك الأيـــام يفسر لصالح المتهم ، فهل يأخذ وزير الداخليـة على عاتقه ان يفرج عنه ليعود الرجل الى التشرد وقتل الناس .

وخطر لوزير الداخلية أن يضع حدا للمشكلة بان يامر بالاستمرار فى التنفيذ .. لولا انه خشى من هياج الراى العام ومن الضجة التى يثيرهـــا قراره فى الصحف . فسعى ـ شان كل الانجليز فى مثل هذه المواقف الى حل وسط ـ وقرر ارسال جالى الى المنفى .

ولكن الصحف لم تهدأ ولم يرض القرار الراى العام ، فاضطر الوزير الى تأجيل ترحيل جالى الى اجل غير مسمى ، ووعد باعادة المحاكمة اذا عثر على لانجلى . وهكذا بقى جالى عامين ونصف عام فى عنبر السفينة المزدحم ـ الحديد فى قدميه والظلام يحيط به ، ولا يرى ضوء النهـــار الا فى فترات محدودة . ولما يئس من العثور على لانجلى طلب هو ان يُرحَّل الى استراليا ، وبعــد فترة من الزمن امضاها فى اعمال مرهقة مقيدا بسلسلة واحدة مع عدد من المنفيين الذين يتبع معهم نظام خاص لقتل كل فكرة مقاومة ، افرج عنه ليعيش عيشة العبيد . اى انه يُلحَق بخدمـة سيـد مقابل طعامه ونومه . فاذا شـــكاه سيده كان جزاؤه من خمسين الى مائة جلدة والعودة الى وضع السلاسل فى قدميه . ولما لم تصدر ضـده اية شكوى خلال بضع سنوات سمح له بحرية التنقل ، اى أصبح حرا يختار من يعمل عنده ، فاختار سيدا رؤوفا رحيما عمل عنده راعيـــا لغنمه . واستراح لحياته الجديدة التى تشبـه الى حد كبير حياته السابقة .

ومع ذلك فان احساسه بانه مظلوم اســـتمر متسلطا عليه خاصة بعد ان علم أن لانجلى القاتل قد حكم عليه بالنفي لجريمة اخرى وانه موجود باستراليا .

وأخذ يكتب للحكومة متظلما . ولكن خطاباته لم تجد من يهتم بهـــا .. ومضى عليه فى المنفى ثمـانية وثلاثون عاما ، وبلـغ صاحبنا الثالثة والسبعين من عمره .

ثم حدث ما لم يكن فى الحسبان .

أتاه الغرام بسن الكهول فهام هياما بأرملة شابة أم لسبعة أبناء رضيت أن تتزوجه ، ولكنه احس انه لا يستطيع ان يمنحها اسمه وهو المحكوم عليه بأنه قاتل . عاش معها حياة هينة ولكنه ـ من اجلها ومن اجل أولاده ـ ازداد رغبة فى ان ينقى اسمه من تلك الوصمة .

★ ★ ★

وهداه تفكيره ـ بدلا من الاتجاه بتظلماته الى الحكومة التي لا ترد عليه ـ ان يكتب للمحـامى الذى كان يمثل أسرة القتيل اثناء المحاكمة منـذ واحد وأربعين عاما . وتسلم الخطاب ابن المحامى الذى كان قد حل محل والده المتوفى فرد عـلى جالى يبدى استعداده لقبول القضية وطلب مقدم أتعاب خمسة وعشرين جنيها .

وكاد الأمر يقف عند هذا الحـد ، اذ من اين لجالى هذا المبلغ وهو الذى لا يملك من حطـام الدنيا شيئا . ولكن المحامى الشاب أطلع محـرر الجريدة المحلية على الخطاب لغرابته ، فنشره فى صحيفته . واطلع عليه توماس لاتيمر صـاحب « الويسترن تايمز » التى كانت لا تزال تصـدر ، وهو احد الذين آمنوا ببراءة جالى وسعى مع غيره لدى القاضى . وكان قد اصبح شيخا هرما ولكنه ما يزال محتفظا بذاكرة قوية فقرر ان يبدأ المعركة من جديد فى صحيفته ، وكتب الى جالى يطمئنه ويبدى استعداده هذا . فرد عليه جالى بخطاب شكر نشره بصحيفته بنصه وباخطائه اللغوية ، وكان جالى يقول فى خطابه انه عثـر على قاتل جوناثان .

ولكن . اين الدليل ؟ وكيف يمكن العثور عـلى ادلة بعد مرور أربعين سنة على ارتكاب الجريمة . ان جميع من اتصلوا بالجريمة وبالمحاكمة قد ماتوا. اوليفر شنق . والقاضى توفى الى رحمـة الله او

الى غير رحمته . والشاهدة الحانثة في يمينها قد اختفت ولعلها ماتت . ولا سبيل لمعرفة عناوين باقي الشهود .

★ ★ ★

ولكن كان لا يزال على قيد الحياة اثنان غير صاحب جريدة « الويسترن تايمز » حضرا المحاكمة وأصبحا الآن في مراكز تساعدهم على اظهار الحقيقة . أحدهما مونتاجو سميث الذى دافع عن اوليفر وقد أصبح قاضيا . والثاني الكسندر كوكرين وكان محاميا شابا حضر المحاكمة بطريق الصدفة وتأثر عند سماعه لتصريح اوليفر ببراءة جالي وآمن من وقتها ببراءة جالي . ولكنه كان محاميا صغيرا لا حول له ولا طول . اما الآن فقد أصبح كبير قضاة انجلترا وله كلمة مسموعة .

وقد أظهر الاثنان استعدادهما للمساعدة على اظهار الحقيقة ، فأعدا التماسا ارسل الى جالي في منفاه ليوقع عليه . وكتب سير الكسندر كوكرين خطابا طويلا مدعما بالحجج شرح فيه لوزير الداخلية ادوار القضية وختمه بقوله :

« انني لا استطيع أن أمنع نفسي ــ مدفوعا بواجبي في تحقيق العدالة ــ ان أطلب بكل قوة وبالحاح أن ترفعوا ظلما وقع وتصححوا خطأ قضائيا مؤسفا وتحققوا عدلا طال انتظاره من رجل مظلوم » .

★ ★ ★

وقد يحق لنا أن نتوقع ان نداء حارا كهذا النداء صادرا من رجل مسئول عن العدالة سيكون له أثره المباشر . ولكن وزير الداخلية المطلوب منه ان يشير على الملكة بالرأى الذى يتحتم عليها ان توافق عليه فضل ان يخاطر بترك راع مجهول في منفاه ، على ان يشير على الملكة بطلب اصدار عفو لم يثبت بطريقة قاطعة انه مستحق له . لذلك كلف عددا من وكلاء وزارته بالبحث والتحقيق من جديد واستغرقت ابحاثهم سنة كاملة وانتهت الى قرار أصدره وزير الداخلية يقول فيه : « انه يجد نفسه مضطرا ان يحترم القرارات السابقة والاحكام التى صدرت ولا يستطيع تحمل مسئولية أن يطلب الغاءها » .

★ ★ ★

وكان جالي في تلك الاثناء يحاط علما بالمساعى المبذولة لصالحه . واعتقد انه ــ وقد تبنى قضيته رئيس قضاة انجلترا ــ لا بد حاصل على حقه . لذلك تزوج الأرملة التى يعيش معها ومنحها اسما آمن انه سيكون نظيفا .

ولم يشأ المطالبون بحقه ان يصدموه بقرار وزير الداخلية ، وكان لا يزال امامهم اجراء اخير هو التماس يقدم لمجلس العموم . ودارت مناقشة حادة انقسم فيها المجلس على نفسه وظل وزير الداخلية مصرا على رأيه لا يريد أن يحيد عنه .

ووقف النائب جون برايت والقى خطابا حماسيا مدعما بالحجج كان له تأثير كبير على اغلبية الأعضاء .

« فكروا فيما حدث عقب النطق بالحكم مباشرة . ان الشك في صحة الحكم ليس وليد اليوم بل وليد مساء يوم المحاكمة . فقد كان الرأى العام فيما يشبه الاجماع قد اعتقد أن خطأ قضائيا قد وقع وأن الرجل جالي ليس هو القاتل ... ولولا ذلك لما امتنع وزير داخلية تلك الايام من تنفيذ حكم الاعدام . فهل يلام وزير الداخلية الحالي أو مجلس العموم اذا قرر قرارا يتفق مع الشرف والرحمة وينال تقدير الشعب » .

وأحس وزير الداخلية ان المجلس سيخذله فحاول على عادة الحكام الانجليز ان يصل الى حل وسط ، فاقترح استصدار عفو بشرط ان لا يعتبر اعترافا ببراءة جالي . ولكن جون برايت تصدى له بشدة :

« اذا كنا نريد الموافقة على قرار الرحمة هذا فلا تجعلونا نرسله عبر البحار موسوما بذلك الشرط الذى يفقده كل قيمة ، والذى يصمنا بأننا لا نجرؤ على تحقيق العدالة وان نرأف برجل عجوز لا أهمية لما حاق به من ظلم ... انني موقن ان أحدا منا لا يريد التمسك بصحة تهمة ــ ظهر خطؤها ــ واحتمل هذا الرجل ظلم عبئها خلال خمسة وأربعين عاما .

وصدر القرار بمنح ادموند جالي عفوا شاملا غير مشروط .

وبعد اجراءات روتينية استمرت سنتين قررت الحكومة منح جالي الف جنيه لتمكنه من العودة الى البلاد على نفقة الحكومة ، ولكنه كان قد بلغ السابعة والسبعين من عمره ولم يشعر بانه يستطيع ان يبدأ حياة جديدة في موطنه الأصلي . وفضل أن يبقى بمنفاه الذى امضى فيه الجزء الأكبر من حياته وبجوار ارملته المحبوبة وأولادها.

■■

حسن الجداوى



دردشة

١٫٥ مليون دولار يوميا تكلفها الحملة الامريكية فى فيتنام !

● تعرضت الولايات المتحدةالامريكية فى الشهور الاخيرة لحملة صحفية واذاعية قاسية بسبب تدخلهاق فيتنام . وقد لوحظ اثناء هذه الحملة ان بعض الصحف الامريكية كانت تطالب الحكومة بشدة بأن تسحب قواتها من فيتنام وتكف يدها عن التدخل . فقدظهر انه بالاضافة الى ضحايا القوات الامريكية المتزايدة،تنفق الولايات المتحدةعلى قواتها فى فيتنام مليونا ونصف مليون من الدولارات يوميا ! !



الخ .. الخ .. الخ ..

● اراد « سيمون بوليفار » ،محرر أمريكا الجنوبية ، أن يبيت ليلة فى مدينة صغيرة فى بيرو ، فارسل سكرتيره خطابا لصاحب نزل قال له فيه :

هيىء حجرة للسيد بوليفار مجهزة بوسائل الراحة التامة ، والطعام الجيد ، والشراب الفاخر ، الخ ، الخ ، الخ .

وحين وصل بوليفار الى البلدة ذهبوا به الى أفضل حجرة فىالنزل ، ولما دخلها رأى ثلاث غوان جميلات جالسات بانتظاره ، فقال :

ـ ومن هؤلاء الفتيات ؟

فقال صاحب النزل : هؤلاء ، الخ ، الخ ، الخ !

الحكم فى امريكا وروسيا

● اجتمع جندى امريكي وجندى روسي في برلين ، فتحدثا عن نظام الحكم فى أمريكا وروسيا، فقال الأمريكي للروسي :

ـ انا استطيع ان اذهب الى باب البيت الأبيض واقرعه باصبعي هذه ، وان ادخل على جونسون واصارحه برأيي فيه !

فقال الروسي : وانا استطيع أن أذهب الى الكرملين واطلب مقابلة كوسيجين ، واساله كيف حاله ، واهز أصبعى فى وجهه ، واصارحه بحقيقة رايي فى جونسون !

أرأيتِ ما أريد ؟

● قال الممثل الهزلى «بوب هوب » : سخط الممثل المغنى بنج كروسبى سخطا شديدا حين لازمت الهزيمة جياده فى حلبة السباق ، فأخذها وجعلها صفا واحدا قرب خط السكة الحديدية ، ولبث ينتظر القطار السريع . فلما مر منطلقا بسرعة مئة ميل فى الساعة ، التفت الى جياده وقال لها : ارأيتِ ما أريد !

سؤال مفحم

● كان فيكتور هيجو يقرض الشعر منذ صغره . وقد خشي أحد مدرسيه أن يشغل بالشعر عن الدراسة ، فراح يقاوم فيه هذه النزعة . وفي ذات يوم ، قال له مؤنبا :

ـ الم أنهك عن نظم الشعر ؟ ... لقد عثرت في مكتبك على ما نظمت اليوم؟

فما كان من هيجو الا أن أجابه :

ـ ولكن .. الم تنهنا عن أن يفتش أحد منا مكتبا ليس له ؟

صلاة الحرق !

● كان بعض الاساقفة يتناول الطعام على مائدة ، فأمسك صحنا فاحرقه ، فنطق من الم الحرق بالفاظ لا تليق بالكهنوت ، فأخذت امرأة دفترها وطفقت تكتب ما نطق به .

فقال لها : ماذا تفعلين ؟

فقالت : اكتب صلاة الحرق !!

دوماس على فراش الموت

● كان « دوماس » Dumas الروائي الفرنسي على فراش الموت ، وكان خادمه الامين في زاوية الغرفة ينتحب كالطفل ، فالتفت اليه دوماس وقال بصوت فيه حشرجة الموت :

ـ اذا احتجت اليك في الحياة الآخرة طلبتك !

نصيحة للسكارى

● كان اميرال البحر «وليم بن Penn» ينصح أحد السكيرين من رجاله بالاقلاع عن شرب الخمر ، فتنهد وقال له :

ـ كنت اتمنى ان اتخلص من هذه العادة ، ولكني كلما حاولت ذلك وجدت يدي ممسكة بزجاجة الخمر .

فقال بن : الامر بسيط .. فإذا وجدت يدك ممسكة بزجاجة الخمر فافتح يدك بدلا من أن تفتح الزجاجة !

تمثال رودان والصحفيون

● روى الكاتب الفرنسي « اناتول فرانس » القصة الآتية :

لما فرغ « رودان » المثال الفرنسي من صنع تمثال فخم للشاعر فكتور هوجو ، وقد مثله فيه واقفا على رأس صخرة وحوله ربات الفنون ، وعرائس البحار . جاء بجماعة من الصحفيين الى داره ليروا التمثال ، ويتاملوه ، قبل أن ينقشه على الرخام ، أو يصبه في البرونز . وكان لسوء حظه قد ترك النافذة مفتوحة في الليلة السابقة ، وثارت عاصفة هوجاء تدفق منها المطر الغزير ، فتحول طين التمثال الى كتلة من الصلصال لا قوام لها .

وفتح رودان الباب ودعا زواره ليتقدموه الى الحجرة ، واذا هو يرى الكارثة التى نزلت بتمثاله ، فكاد ينتف لحيته نتفا من الغيظ والحنق ، ولكن اصوات الصحفيين ارتفعت بالاطراء العظيم :

ـ مدهش ! هذا فكتور هوجو ينهض متساميا فوق الخبث والفساد . ما أعظمه من رمز ! . يا أستاذ ، هذه آية من آيات العبقرية . لقد حاولت أن تمثل فساد عصر لم يبق فيه شيء من النبل والطهر سوى صوت الشاعر .. ما أروع ما فعلت !

فسألهم رودان متخاذلا :

ـ أهذا رأيكم ؟ !

فقالوا جميعا :

ـ طبعا ، هذه آية الآيات !

كتاب الشهر

ريتشارد بيرتون

مؤلفه : بيرون فارويل (١)

بقلم : الدكتور محمود السمره

■ عندما كتبت جاكلين بيرين الفرنسية كتابها « اكتشاف جزيرة العرب » ، الذى سبق ان قدمناه فى هذا الباب من « العربى » ، اهملت ذكر رحالة من أبرز الرحالين الذين جابوا الجزيرة العربية ، اعنى ريتشارد بيرتون . وهذا الكتاب هو عن هذا الرحالة العظيم المتعدد المواهب ، ومؤلفه امريكى كان محاضرا فى جامعة شيكاغو ، وهو فى الوقت نفسه من علماء الآثار ، وهواة التطواف فى العالم . وحبه للتطواف جعله يهتم بالكتشفين المغامرين، فكان كتابه الاول عن ستانلى Stanley . اما كتابه هذا عن بيرتون فهو ، فى رايى ، اوفى وادق ما صدر عنه حتى الآن .

ملامح عربية

لقد كلِف الذين كتبوا عن بيرتون بالتأكيد على ملامحه العربية، وهذا واضح ايضا فى صورته التى تزين غلاف هذا الكتاب : وجه" أسمر ، وشعر حالك" كلمّة الغراب ، وشاربان ضخمان ، وعينان سوداوان ثاقبتان كعينى النمر تظللهما اهداب طويلة ، وقامة ممشوقة وحيوية دافقة . وتقول الكاتبة القصصية الانجليزية اويده Ouida (١٨٣٩ ـ ١٩٠٨م) : « لقد كنت دوما اتساءل : من أين استقى بيرتون ملامحه الشرقية، ولكنته الاجنبية عند تحدثه بالانجليزية .. »

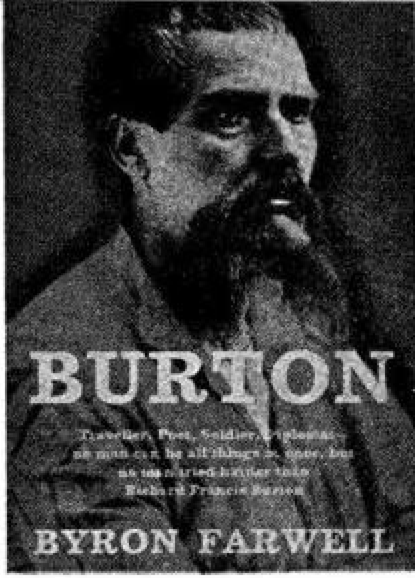
اما عيناه الحادتان فقد استرعتا كل من رآه : فوصفهما المستشرق الشهير هارولد نِكْسون بانهما « عينان نفاذتان كعينى الفهد » ، وقال عنهما فى مكان آخر « ان لبيرتون عينى نمر ، وصوت ملاك .» وقال فيهما الشاعر سوينبرن Swinburne « ان عينيه ترسلان نظرة حادة تبعث الرعشة فى قلب كل من يراه . » وقال آرثر سيمونز Symons : « انهما عينان فيهما لسعة الأفعى » ووصفه بأن « وجنتيه وجبهته عربى ، وعينيه عينا غجرى ، وملامحه بَرْبَرية ، وفمه ينبىء عن الحزم والعزم ، ويكاد يخفيه شاربان سوداوان كثان ينحدران ويغطيان جزءا كبيرا من وجنتيه ، ووجهه ليس فيه جمال ، ولكن فيه قسوة مكبوتة ، وشيطانية ، وجاذبية لا تستطيع أن تعيّن مصدرها . » .

هذا بعض ما وصفه به معاصروه ممن عرفوه .

مولود سيىء الطالع

فى التاسع عشر من مارس (آذار) ١٨٢١ ، وفى بارم هاوس بمقاطعة هارتفورد شاير بانجلترة ولد رتشارد بيرتون من عائلة رفيعة النسب افتقرت بعد غنى ، ومن أصل هو مزيج من الدم الارلندى،

(1) Richard Burton, by Byron Farwell.



■ الرحالة ، الشاعر الجندي السياسي

■ ■ ■

■ مؤلف « الحج الى المدينة ومكة »

■ ومترجم "الف ليلة وليلة"

والاسكتلندى، والفرنسى .وكان بيرتون سىء الحظ منذ صغره ، وبقى سوء الحظ ملازما له الى يوم وفاته . وبدأ سوء الحظ هذا يوم أن قرر جده لأمه أن يترك له ثروته البالغة نصف مليون من الجنيهات ، فركب العربة وتوجه الى المحامى لكتابة الوصية ، وعندما كان هذا الجد يهم بترك العربة سقط ميتا بالسكتة القلبية . وبهذا خسر الصبى رتشارد هذه الثروة الطائلة ، التى آلت الى خاله .

ونشأ بيرتون عاشقا لحياة التشرد والتنقل ، معتادا عليها ، لأن عائلته كانت دائمة الترحال بين انجلترا واوروبا بسبب داء الربو الذى كان يثقل على صدر والده الكولونيل المتقاعد . ومنذ سن مبكرة تعلم كيف يستعمل المسدس ، ويبارز بالسيف ، ويصارع الخصوم .

وعندما بلغ التاسعة عشرة التحق بجامعة اكسفورد ، فكرهها « لأنظمتها الصارمة ، وغرفها الرطبة ، وطعامها الردىء ، وأجراسها التى لا تكف عن القرع » . ولكنه مع هذا كان يلتهم الكتب التهاما ، ويقرأ ما لا يقل عن اثنتى عشرة ساعة فى اليوم . وفى اكسفورد احب أن يدرس العربية ، ولكنه وجد طريقة الجامعة فى تعليمها بطيئة ، فاخذ يتعلمها على نفسه . ويقول بيرتون انه قد استطاع أن يخترع طريقة لتعلم العربية مكنته من أن يتقنها فى زمن وجيز ، ونحن لا نعرف هذه الطريقة ، لأن بيرتون لم يترك لنا وصفا لها .

فى الهند ، يحاول وضع لغة للقردة

وتخرج بيرتون من اكسفورد ليلتحق بجيش الهند ، مقاوما بذلك رغبة والده الذى كان يريد له أن يصبح من رجال الدين . وفى يونية (حزيران) ١٨٤٢ كان بيرتون فى الهند ، ولكن الهند خيبت ظنه ، كما خيبته اكسفورد من قبل ، ومع هذا اقبل على الحياة فيها يعب منها ، فتزوج فتاة هندية ليتركها وراءه بعد أن غادر الهند ، وتفقه فى الديانة البراهمية ، وتعلم ضروب المصارعة والمبارزة بالسيف ، وحذق تذليل الخيول البرية،والأفاعى السامة الضخمة، وتزى بزى بلوشى وطوف فى الهند .

ومن طريف ما يروى عنه فى الهند انه جمع فى بيته اربعين قردا من شتى انواع القردة ، ليدرس لغتها . ويدعى بيرتون انه استطاع ان يميز بين ستين كلمة تستعملها القردة ، ودون ملاحظاته عليها ، ولكنها فقدت فى حريق شب فى بيته فاتى عليها ، كما أتى على سائر تحفه الشرقية التى كان يعتز بها . ويقص علينا بيرتون قصصا عن حياته مع هذه القردة تجعله فى نظرنا اقرب

الى المجانين : فقد نظمها كأنها فرقة عسكرية ، وعين لها رتبها ، وكانت تجلس معه على المائدة ، ولكل منها كرسيه وطبقه ، ويطوف عليها الخدم بالطعام .

ولم يكن هناك انسجام بين بيرتون وكبار المسؤولين في جيش الهند . وهذا أمر طبيعي . وأخيرا قرر بيرتون العودة الى بريطانيا ، وهو لم يعد السابعة والعشرين . وكان ألمنّ ما عاد به من غربته هذه ، حسب قوله ، حبّه لفتاة ايرانية فاتنة الجمال ، من عائلة ارستقراطية . وكان على وشك أن يتزوجها ويستقر في الشرق ، لولا أن القدر عاجلها وهي ما زالت في ريعان الشباب .

عودة فزواج

وفي بريطانيا أقبل بيرتون على تسجيل ذكرياته عن الهند . وفي هذه الفترة من حياته التقى لأول مرة بالفتاة التي عشقته من أول نظرة ، وأصبحت زوجته ، وهي ايزابل ، ابنة احدى العائلات اللندنية النبيلة . وقد أحبت ايزابل ريتشارد حبا جرى مجرى المثل ، كحب قيس وليلى في أدبنا . والدارس لشخصية هذه الفتاة يجدها في أطوارها الغريبة نسخة من بيرتون ، وهي نفسها تقول : « لو كان بالامكان أن أصير رجلا لتمنيت أن أصير رتشارد بيرتون ، ولكن بما أنني لا أستطيع ذلك ، فان ما أتمناه هو أن أصبح زوجته » .

« الحج الى المدينة ومكة »

وبدأ بيرتون يمل حياة الدعة في لندن ، ودعته المغامرات اليها ، فأعد نفسه للقيام برحلة وضعته في مصاف الرحالين الكبار : لقد وافقت الجمعية الجغرافية الملكية وشركة الهند الشرقية على أن تمولاه في رحلة يقوم بها الى مكة والمدينة ، للكشف عن أسرار أواسط الجزيرة العربية . وبقلب عامر بالغبطة خلع بيرتون ملابسه الاوروبية واستبدلها بملابس مسلم أفغاني في طريقه الى الحج . ونحن نقرأ كتابه الضخم عن رحلته هذه المسمى « الحج الى المدينة ومكة » في جزاين ، فنحيا معه في الشجاعة الفائقة . وعندما نشر هذا الكتاب جلب لصاحبه شهرة بالغة ، وجعل اسمه على الألسنة .

ولقد رضي المسلمون عما كتب ، لأنه في كتابه هذا يبدو مسلما مؤمنا ، وصوفيا من كبار مشايخ الصوفية ، وحاجا معتزا بعمامته الخضراء . ويقول بيرتون انه لم يشعر بغربة أبدا في رحلته هذه . كما يقول برومانسية هي نتاج هذه الشخصية العجيبة : « أنا عربي في ملامحي ، ومظهري ، وأحاسيسي .. واللغة العربية هي لغتي » !

بيرتون المغامر

ونحن لا نستطيع هنا أن نتتبع بيرتون في كل رحلاته العديدة ، ونكتفي بما لا بد من الوقوف عنده . فمن رحلاته المذكورة اكتشافه مناطق مجهولة في الحبشة . وفي الحبشة أصيب بضربة حربة في فكه السفلي وعنقه تركت آثارا لازمته طيلة حياته . وتفاصيل هذه الرحلة موجودة في كتابه المسمى « أول الخطوات في افريقية الشرقية » First Footsteps in East Africa وعندما صدر هذا الكتاب ذاع اسم بيرتون واشتهر أكثر من ذي قبل . وكان الناس في تلك الأيام يتطلعون الى الرحالين المغامرين تطلعهم اليوم الى علماء الذرة ، ورواد الفضاء .. تطلع فيه الاعجاب البالغ .

وجاب بيرتون أعماق القارة السوداء بحثا عن منابع النيل ، وهو الموضوع الذى شغل المكتشفين في القرن الماضي . وسافر الى أمريكا ليزور جماعة المورمون فيها . وقبل سفره حلق شعر رأسه بالموسى ، وارتدى الجاكتة السوداء الطويلة ، واعتمر القبعة العالية ، فبدا بلباسه هذا كأحد رؤساء المورمون . وكان من نتيجة رحلته هذه كتابه الممتع « مدينة القديسين City of the Saints » .

فى خدمة وزارة الخارجية

وعاد بيرتون من رحلاته هذه محطم الجسم ، قد هدته الحمى ، وبعد أن استراح أخذ يبحث لنفسه عن عمل فى وطنه ، ولكن حظه فيه كان سيئا ، حتى اضطر اخيرا ان يقبل وظيفة فى القنصلية الانجليزية فى جزيرة فرناندو بو Fernando Poo الاسبانية على الساحل الغربي من افريقية . وكانت وزارة الخارجية ترى فى هذا المكان منفى ، ترسل اليه غير المرغوب فيهم . ولقد علق بيرتون على تعيينه هذا قائلا : « لقد ارسلونى الى هنا لأموت ، ولكنى ساعيش رغما عن انوفهم » . وبعد وساطات كثير نقل بيرتون الى (سانتوس) بالبرازيل ، وهو مكان لا يفضل الاول بكثير . وفىسانتوس شقي بيرتون وزوجته ،وقاسيا الكثير ، وتحطمت صحته ، واقبل على الشراب فلا يكاد يصحو. وصفه الرحالة الشاعر الانجليزى ولفريد سكاوين بلنت Wilfaid Scewen Blunt وقد لقيه فى بونس ايريس ، قال انه « كانفى اسوأ حال ، فكانه مجرم لم يغادر السجن الا منذ لحظات : فجاكتته السوداء قذرة بالية ، وبنطلونه لم يعرف الكي منذ زمن ، وقميصه مفتوح عن صدره ... اما عيناه فبدتا لي كعيني حيوان مفترس ينتظر لحظة الانقضاض ، ولكنه مع هذا كان يبدو لزوجته أجمل رجل فى الدنيا.»

ونجحت الوساطات المتعددة اخيرا فى نقله الى المكان الذى كان يطالب بالانتقال اليه : اذ عين قنصلا عاما فى دمشق ، بمرتب قدره الف جنيه فى العام ، وهو مبلغ كبير بحساب تلك الايام . وعندما اشرف بيرتون وزوجته على دمشق ، وبدت لهما غوطتها ، واستنشقا رائحة زهر البرتقال ، نظم فيها القصيدة التالية :

« ما أجملك ، يا دمشق !
انت قديمة قدم التاريخ ،
ندية كأنفاس الربيع ،
متفتحة كالبراعم
فواحة كالورود
عبقة برائحة زهر البرتقال .
ما أجملك ، يا دمشق ،
يا لؤلؤة الشرق ! »

وفى دمشق عرف بيرتون باسم الحاج عبد الله . وعقد صداقات مع العائلات الدمشقية ، وكان من أعز اصدقائه هنا الامير عبد القادر الجزائرى، الذى اختار دمشق مقرا له بعد ان منحه لويس نابليون حريته عام ١٨٥٧ . والامير عبد القادر من الخالدين فى تاريخنا الحديث ، وكان رحمه الله واسع الافق ، رحب الصدر ، لا يضيق بالملل الاخرى . وكان له فضل كبير فى حقن الدماء عام ١٨٦٠ . وكان الامير فى الرابعة والستين من العمر يوم حل بيرتون فى دمشق ،

وفى دمشق لبس بيرتون الملابس العربية ، وكان بيته ملتقى وجوه القوم ، وشيوخ العشائر . ونحن نعرف الكثير عن المجتمع الدمشقى فى هذه الفترة التاريخية من كتاب زوجته « The Inner Life of Syria » وهو كتاب تلمس فيه روحا فكتورية مؤمنة بعزة بريطانيا وعصبية كاثوليكية تدفعها الى الدعوة لمذهبها .

ولم تكن حياتهما فى دمشق دوما هينة رضية . فقد عكرها اعتقاد المسلمين ان زوجة بيرتون ليست الا مبشرة كاثوليكية . واعتقد ان المسلمين كانوا على حق فى اعتقادهم هذا ، اذ نحن نعرف من التاريخ ان حماستها الدينية دفعتها الى محاولة نشر الكثلكة بين المسلمين .

واكتسب بيرتون نفسه عداوة فئات عديدة من المواطنين فى سوريا ، والاجانب المقيمين فيها : فكرهه بنو قومه لاعتقادهم أنه مغرور وبه مس من جنون . وهاجمه المبشرون لانه لا دينى ويقضى ساعات فى مساجد المسلمين . واشتد هجومهم عليه لانه منعهم من توزيع النشرات التبشيرية ، وامرهم بعدم الدخول فى جدل مع المسلمين حول الدين ، لانه كان يخشى ان تحدث مجازر تعيد للاذهان مجزرة عام ١٨٦٠ . ونقل هؤلاء المبشرون احتجاجاتهم الى جمعياتهم فى بريطانيا ، يشكون

اليها هذا القنصل الذى يقف فى وجه نشاطهم التبشيرى .

وكره اليهود بيرتون لانه وقف ضد جشعهم . وكان هؤلاء اليهود يحملون الجنسية الانجليزية ، ويمثلون اصحاب البنوك فى أوروبا ، ويقرضون الناس المال بفائدة تبلغ أحيانا ٦٠٪ ، فاذا عجز المدين عن الدفع لجاوا الى بيرتون يطالبونه باستعمال نفوذه لارغام المدين على الدفع . وكان هذا السلوك من جانب اليهود يثير ضغينة السوريين على الانجليز . وقد عبر بيرتون عن كراهيته لليهود فى كتابه « اليهود والاسلام » The Jew andIslom » . وكان يقول : « ما رأيت أكثر كذبا من دزرائيلى الذى قال : ليس العربي الا يهوديا على ظهر حصان . » !!

واثار بيرتون ضده الكنيسة الارثوذكسية اليونانية ، والسبب حادثة بسيطة : كان بيرتون وزوجته يخيمان فى الناصرة ، فاذا باحد ابناء هذه الطائفة يحاول التسلل الى خيمة ايزابل ، وراه احد حراس بيرتون فانتهره فرد عليه الأرثوذكسي بوقاحة . هنا انهال عليه الحارس ضربا . وحدث فى تلك اللحظة أن كان المصلون خارجين من الكنيسة ، فتجمهروا حول المخيم ، وخرج اليهم بيرتون يحاول تهدئتهم ، فانهالوا عليه بالحجارة ، مع علمهم انه القنصل البريطاني فى دمشق . وتقدمت فئة منهم تريد الفتك به ، فلم يجد بيرتون بدا من استعمال مسدسه ، فأطلق رصاصة فى الهواء ، فتفرقوا . ولكن الأسقف الارثوذكسي قام برفع عريضة شكوى الى وزارة الخارجية البريطانية موقعة من كل رجال الطائفة البارزين فى بلاد الشام . وسكتت وزارة الخارجية على مضض وغيظ .

وجلب بيرتون لنفسه المتاعب فى دمشق باثارته الوالي التركي رشيد باشا ضده : فقد كانت فى سوريا فرقة صوفية عرفت بالشاذلية ، وكان افرادها نشيطين فى الدعوة الى طريقتهم . وشهد بيرتون بعض اجتماعاتهم ، فأعجب بطريقتهم ، وأخذ يواظب على حضور حلقاتهم ، ودفعته حماسته لهم الى أن يطلب من وزارة الخارجية أن تشترى لهم قطعة أرض فى دمشق ليقيموا عليها زاوية لهم . وسكتت وزارة الخارجية على مضض وغيظ . واخذ رشيد باشا يرسل شكوى تلو الشكوى من هذا القنصل الاجنبي الذى يدس انفه فى الشؤون الداخلية للبلاد . وأكد هذا الاتهام ضده ان رشيد باشا اعتقل بعض زعماء الشاذلية ، وصادر ممتلكاتهم ، فحاول بيرتون أن يطلق سراحهم بالقوة .

هنا لم تعد وزارة الخارجية تملك صبرا . وفى صباح يوم ١٦ أغسطس (آب) ١٨٧١ جاء الرسول يحمل لبيرتون أمر وزارة الخارجية بوجوب عودته الى لندن حالا . فشيعهما عند الرحيل جمع غفير من وجوه المواطنين ، وعلى راسهم الامير عبد القادر الجزائرى . وهكذا انتهى الحلم ، وغادر بيرتون الشرق العربي الذى عشقه ، بعد أن قضى سنتين فيه . وقد شبّه خروجه من دمشق بخروج آدم من الجنة ، مع الفارق بينهما وهو انه لم يقترف اثما سوى مناصرته لما آمن انه الحق والعدل .

فى تريسته يتم ترجمة «ألف ليلة وليلة»

وتمر الايام ببيرتون فى لندن ، واخيرا يقبل وظيفة قنصل فى تريستة ، مع انه رفض دعوة الجنرال جوردون له ، وهو الحاكم العام للسودان والمعجب به ، انه يتولى منصب الحاكم العام لمديرية درفور بالسودان . وقد رد على جوردون قائلا ، « اننا شخصان على طرفى نقيض ، فلا انت تستطيع ان تعمل تحت امرتي ، ولا انا استطيع ذلك . »

وفى تريسته أتم بيرتون ترجمته الشهيرة فى الغرب لكتاب « الف ليلة وليلة » . ومن أجل هذه الترجمة ما زالت صورته حتى اليوم تزين قاعة الاجتماعات بمعهد اللغات الشرقية والافريقية بجامعة لندن . وقد نشرت هذه الترجمة أول مرة فى صورة كاملة غير مهذبة عام ١٨٨٣ ، وفى عشرة

اجزاء ضخمة ذات اغلفة من اللونين الذهبي والاسود . وقد نجحت هذه الترجمة نجاحا باهرا حتى انها درت عليه في طبعتها الاولى مبلغ ستة عشر الف جنيه ثم نشرت بعد ذلك في ستة عشر جزءا (١٨٨٥ – ١٨٨٨ م) .

وفي رايي ان ترجمته هذه هي خير ما انتج ، وهي ترجمة تدل على ان بيرتون كان على علم وافر باسرار العربية ، وعادات العرب وتقاليدهم . ولكنها في الوقت نفسه لا تسلم من العيوب : فهي ترجمة حرة لم يتقيد فيها المترجم بالاصل ، واسلوبه خشن وعر بحيث تقرأ الترجمة فتظن نفسك تقرأ لكاتب من عصر اليصابات .

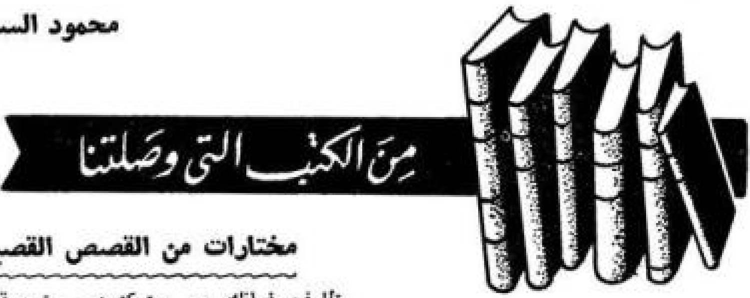
لكل شيء اذا ما تم نقصان

وفي اخريات ايامه انعمت عليه الملكة فكتوريا بلقب « سير » تقديرا له على جهوده في ميدان البحث والاكتشاف ، ومنحته الجمعية الجغرافية مداليتها الذهبية ، وكذلك فعلت الجمعية الجغرافية الفرنسية .

وحل عام ١٨٩٠ ليشهد بيرتون انسانا قد حطمه الروماتزم . وفي صباح احد الايام ، وخيوط الفجر تطرد ظلمة الليل ، وافاه الاجل المحتوم ، وفوق راسه علقت على الحائط عبارة من وحي « الف ليلة وليلة » : « وعاشوا في سعادة ونعيم الى ان وافاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات » ، والى جانب هذه العبارة علقت خريطة للشرق العربي وافريقية .

وفي مقبرة مورتليك يرقد الآن ريتشارد بيرتون في ضريح بني على شكل خيمة عربية من الحجارة والرخام . والزائر لمتحف مدام توسو ، متحف الشمع بلندن ، يستطيع ان يشاهد تمثالا لبيرتون بملابسه التي حج بها الى مكة . ■■

محمود السمره



الابرياء

تأليف : وليم ارشيبالد – ترجمة : تماضر توفيق مكتبة الانجلو بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة – الثمن ١٥ قرشا

● الكتاب معد اعدادا مسرحيا لقصة « دورة اللولب » وتدور القصة حول طفلين عهد بتربيتهما الى خادمين وقعا فريسة لآرائهما ومعتقداتهما وتأثرا بهما تأثرا كبيرا ، وبقي هذا التأثر حتى بعد وفاة الخادمين فاصبحا يريانهما شبحين يتمثلان لهما . والقصة شيقة وتعالج احد المواضيع الهامة التي يعاني منها الكثير في مجتمعنا الحديث .

مختارات من القصص القصيرة

تأليف فرانك ر. ستوكتون – ترجمة صبحي الجيار – دار النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٢٥ قرشا

● مجموعة قصصية تظهر فيها القدرة الخلاقة على المزج بين الحقيقة والخيال يلتزمها المؤلف في كثير من المواقف باسلوب شيق جميل .

من خلال منظار الاوبرا

آيرين جاس وهربرت فاينشتوك . ترجمة محمد رشاد بدران . مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية .

● « هذا الكتاب عن الاوبرا : يتناول نشأتها والبواعث التي حركت اليها ، كما يتناول الاوبرات الاولى ، ثم يمضي يتتبع الاوبرات ومؤلفيها في البلاد المختلفة خلال القرون . »

حضارات سادت .. ثم بادت

(بقية المنشور على صفحة ٢)

الفخمة ، ذات الأركان المريحة التى اشتهر استعمالها فى تلك الآونة . وقد أمسك هؤلاء النجارين بالعدد البسيطة التى كانوا يستعملونها، وضموا قطع الخشب بعضها الى بعض بواسطة ألسنة وأوتاد خشبية ، كانوا يستعينون بها أيضا لينتجوا الشكل المطلوب .

لقد افتقر النجار المصرى القديم الى الأنواع الجيدة من الخشب والى الروابط المعدنية ، وقد كان هذان عاملين صنعا منه أحذق نجار عرفه التاريخ القديم ، وقد دفعه ذلك أن يتعلم كيف يصنع من جذوع أشجاره الرفيعة كالكافور والتين وما اليها ، ألواحا من الخشب ، ثبتها بمسامير خشبية أيضا ، وصنع منها توابيت وصناديق وأبوابا وأثاثا ببراعة ودقة ومهارة ما زالت باقية الى يومنا هذا شاهدة على تفوقه .

ثم أخذت مصر من باكورة التاريخ ، تستورد الأخشاب من سوريا ولبنان ، فكانت تستورد منهما خشب الأرز والشربين والسرو والسدر .. ومن السودان ، كانت تستورد الأبنوس وأخشاب المنطقة الاستوائية .

وكانت الأخشاب الجيدة تعتبر من الكماليات التى تستخدم فى حذر وحيطة ، وتبذل فى صنعها مهارة فنية تكفل لمصنوعاتها أجمل الاشكال بأقل استهلاك من الخشب . فالتابوت الذى يجرى صنعه فى الصورة (صفحة ٢) صنعت جدرانه بحيث تتدرج فى السمك من أسفل الى أعلى، لكى يبدو الجدار لرائيه من فوق ضخما يوحى بان الخشب الذى استهلك فى صنعه ضعف ما استخدم فعلا .

والنجار المصرى القديم ، الى جانب براعته فى الصنع ـ كما هو واضح فى التابوت المنشور على صفحة (٢) الذى صنع بطريقة التعشيق أو التدخيل ـ استعمل كثيرا من فنون النجارة المستخدمة حاليا ، كما أنه عرف الآلات التى تستعمل اليوم فى هذا الفن ، كالمسحاج ، والمناشير بأنواعها والقدوم والبلطة والازميل والمكشط والخرامة، وكانت تصنع هذه الأدوات من البرونز ولها أيد خشبية قوية . وكانت مطرقته والزاوية التى يستعملها مصنوعة من الخشب القوى .

أما المسن فكان من الحجر الصوان، ويلاحظ فى وسط الصورة أيضا رجل يجرى على الخشب « بفارة » ، وهى عبارة عن كتلة من الحجر الرملى ذات سطح جعلت فيه بدقة خطوط بارزة تمسح الخشب .

وكان النجار المصرى القديم يستخدم الحجر الرملى والرمل الرفيع بدلا من « الصنفرة » لصقل سطوح الخشب . وكانوا يصنعون مادة للصق الخشب تشبه الغراء الحالى ، ونوعا من المعجون الذى تسد به شقوق الخشب .

واذا ما انتهوا من صنع التابوت ، دهنوه من الداخل والخارج بطبقة من معجون المرمر ذات ألوان زاهية، ثم تنقش على جانبى الصندوق بعض عبارات التعزية ، ويرسم على الجانب الأيسر للصندوق زوج من الأعين الكبيرة ، كانوا يعتقدون أن الميت يستطيع من خلالها أن يرى الشمس تشرق كل صباح من المشرق . ■■

جرش

أكمل مدينة رومانية باقية



▲ الندوة : الساحة العامة التي كان سكان جرش يجتمعون فيها للمداولات في شئون البلد ، كما كانت السوق التجارية العامة وكانت حوانيت التجار تقوم خلف الأعمدة التي بلغ عددها ٥٦ عمودا تعلوها التيجان من الطراز الأيوني . والساحة نفسها على شكل حدوة الفرس وأرضها مبلطة بصفائح حجرية وفي وسطها دكة كان يقوم عليها تمثال مفقود .

بقلم : محمود العابدي
وتصوير : عبد الرحمن النمر العابدي

■ نتوجه من عمان ، عاصمة المملكة الهاشمية الأردنية ، في سيارتنا نحو الشمال الغربي حتى نصل الى بلدة صويلح ، ثم نغير اتجاهنا الى الشمال فنمر على الجسر الجديد الذي بني فوق نهر الزرقاء . وبعد أن تقطع بنا السيارة نحو

الخمسين من الكيلومترات تصل بنــا الى بلدة جرش Jarash التى ترتفع عن سطح البحر ٥٥٠ مترا .

نظرة الى جرش

وأول ما يواجهنا من اثار هـذه المدينة الأثرية العتيقة قوس النصر المعروف ببوابة عمّان .

وتكون على يميننا هضبة جمع علماء الآثار منها كمية كبيرة مـن الأدوات الصوانيـة التى كان يستعملهـا انسان العصر الحجـرى الحديث (النيولوثي Me ithic) سـنة ٦٠٠٠ ق . م . وعلى السفح الشرقي لهذه الهضبة تكثر الكهوف الطبيعة التى كان يسكنها الانسان فى ذلك العصر الموغل فى القدم .

من هذا الموقف عند بوابة عمان نجتلي منظـر وادي جرش الذى يشبه غوطة دمشق باشجاره المكتظة ومياهه الغزيرة ، وهى المياه التى تتالف من نبع البركتين فى الشمال وهـذا النبع يجرى نحو كيلومتر حتى يلتقى بنبع القيروان الغزير ، فيتكون منهما جدول قوى كان اليونان يسمونه نهر الذهب .

ويقسم هذا الوادي بلـدة جرش الى قسمين تشغل الآثار القسم الغربى منهما كما تشغل البلدية الحالية القسم الشرقى .

البلدية تنقب فى أرض جرش

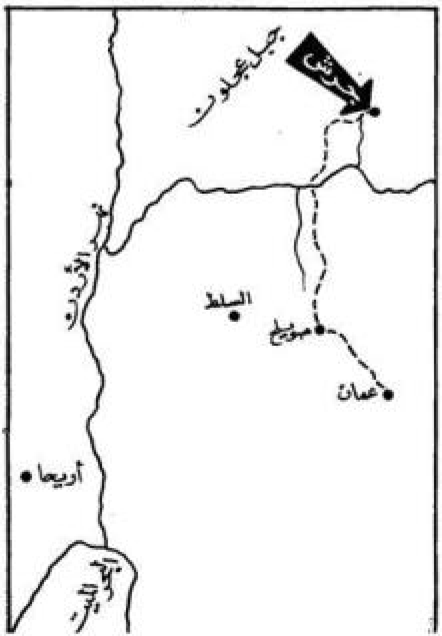
فى سنة ١٩٥٠ كانت بلدية جرش تحفر اساسا لبناء خزان ماء على قمة فى الشمال الشرقى مـن البلدة الحالية فعثرت على بقايا خربة من الانصاب (طبليات يدفنون تحتها الموتى Dolmens) تعود الى العصر الحجرى الجيرى (الكالكوليثي Calc olithic) حوالى سنة ٤٠٠٠ ق.م. فكان منها ان جمعت من هـــذه الأمكنـة ادوات والات كان يستعملها انسان العصر البرُنزى الأول حـوالى سنة ٢٥٠٠ ق.م. وقد دل استمرار هذه المخلفات وتطورها عبر السنين على استمرار الحياة فيهـا طوال العصور البرنزية ، عندمـا كان سكانهـا الساميون يسمونها (جرش) خلال حكم عوج بن عناق ملك باشان ، ذاك الذى اشترك فى صـد العدوان الاسرائيلى بقيادة موسى ويشوع حـوالى سنة ١٢٣٠ ق.م. وقتل على احدى روابى عمان وبقى سريره الحديدى الضخم فيها .

جرش قبيل العصر الروماني

وعانت جرش الساميّة ما عانته مدن جلعاد من غزوات الاسرائيليين والاشـوريين والفرس ، حتى اجتاحتها جحافل الاسكندر المكدونى سـنة ٣٣٢ ق.م. وهنالك تلميحات يستنتج منها أن بيرديكاس Perdicc..s ، أحد قواد الاسكندر ، جدد بناءها على الطراز الهيلانى . ثم دخلت فى حكم بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ ــ ٢٤٦ ق.م) ملك مصر الذى اغدق انعامه عليها وعلى مدينة عمون Ammon ومن ذلك الوقت عرفت الأخيرة باسمه (فلادلفيا). ثم نزع جرش السلوقيون ملوك سوريا ، وسماها انطيوكس الرابع باسم انطاكية نهر الذهب . وقد ظهر هذا الاسم محفورا على بناء سبيل الحوريات فى وسط المدينة .

وفى هذا القرن الثانى قبل الميلاد ذكر المؤرخ اليهودى يوسيفوس ان طاغية فيلادلفيـا المسمى ثيودوسيوس أخرج كنزه من جدارة (أم قيس) ونقله الى هيكل كبير آلهة اليوان زَفس" Zevs فى جرش الذى كان حرما مقدسا لا يجسر عـلى انتهاك حرمته احد مهما حوى من الكنوز . ولكن ثيودوسيوس خسر جرش أيضـا عندما استولى عليها اسكندر جانوس كاهن اليهود الأعلى (١٠٢ ــ ٧٦ ق.م) وأمر بهدم ابنيتها وتشتيت سكانها ، على اعتبار انها من الارجاس الوثنية . وقد عثر

خريطة تبين موقع جرش





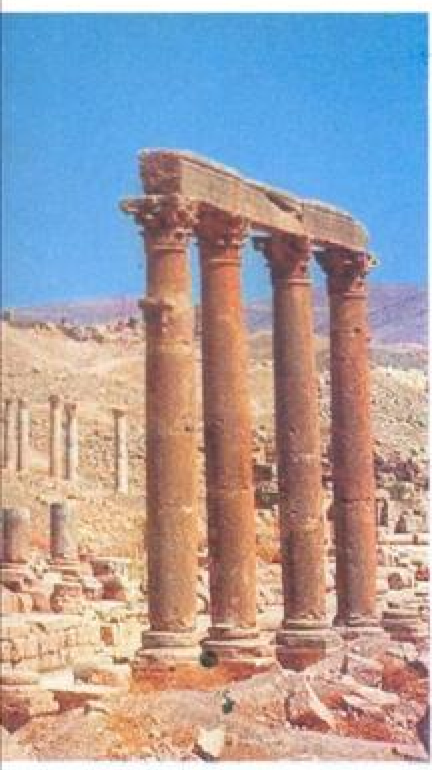
هيكل زفس : يصعد درج عن يسار الداخل من الباب الجنوبي لم يتسلق تلة" يتوجها هيكل زفس كبير آلهة اليونان . ومساحته ٢٥×١٥ مترا وعلوه ١٠ أمتار . وقد بني من حجارة وردية اللون . وكان سقفه من خشب يعلوه ويغطيه القرميد الاحمر كما تغشيه من الداخل التوريقات الذهبية ، وكان يحيط به من الجهات الاربع رواق قام على صفين من الاعمدة بلغ مجموعها ٧٦ عمودا لم يبق منها سوى عمود واحد . وقد أقيمت فى الواجهتين الشمالية والجنوبية مشكاوات نصبت فيها تماثيل آلهة اليونان الكبار . وقد وجدت فيه بلاطة كتب عليها « الناليون بن ديمتريوس دفع ٧١٠٠ درخم من عملة صور الفضية لبناء هيكل زفس سنة ٦٩ ــ ٧٠ م »

المنقبون فى المصلبة الجنوبية على كتابة تدل على ان المدينة اليونانية كانت تمتد من معبد زفس الى الكاتدرائية كما وجدت قطعة من نقود ذلك العهد .

جيراسة الرومانية

فى عام ٦٣ق.م أتم بومبى القائد الروماني افتتاح بلاد شرقى البحر المتوسط . وفى طريقه من دمشق الى القدس مر بجرش فأمر باعادة بنائها باسم جيراسا Grasa لتكون أحد المراكز لنشر الحضارة الغربية فى الشرق . ومن هذا التاريخ يبدأ تقويم مدينة جرش . ثم دخلت فى حلف المدن العشر (الديكابولس) الذى أنشىء لتكوين خط دفاع فى وجه غارات قبائل البادية . وبذلك حصلت على أمنها وازدهرت زراعتها وتوسعت تجارتها ولا سيما مع الانباط . وكان يقوم وسطها تمثال للاله العربى (ذى الشرى) معبود الانباط الاكبر فى المكان الذى تحول فيما بعد الى هيكل ديونيسيوس . وفى سنة ١٩٣١ عثر على بلاطة من الحجر الأحمر مساحتها ٤١ + ٢٣ سم كتب فى أعلاها بالحرف اليونانى وفى أسفلها بالحرف النبطى ما معناه (هذا تمثال الحارث ملك الانباط لأجل حياة سيدنا الملك ربع ايل) . ويستنتج من ذلك ان تمثالا نصب فى جرش لملك الانباط أو لأحد الآلهة الذى حمى وحفظ الملك ربع ايل ومنحه الجاه الطويل . كما وجدت نقود نبطية باسم الحارث الرابع .

ولقد تمتعت هذه المنطقة منذ أيام أغسطس قيصر Auguste,Caesar (ولد سنة ٦٣ ق.م ومات سنة ١٤ م) بعصر سلم طويل سمح لسكانها

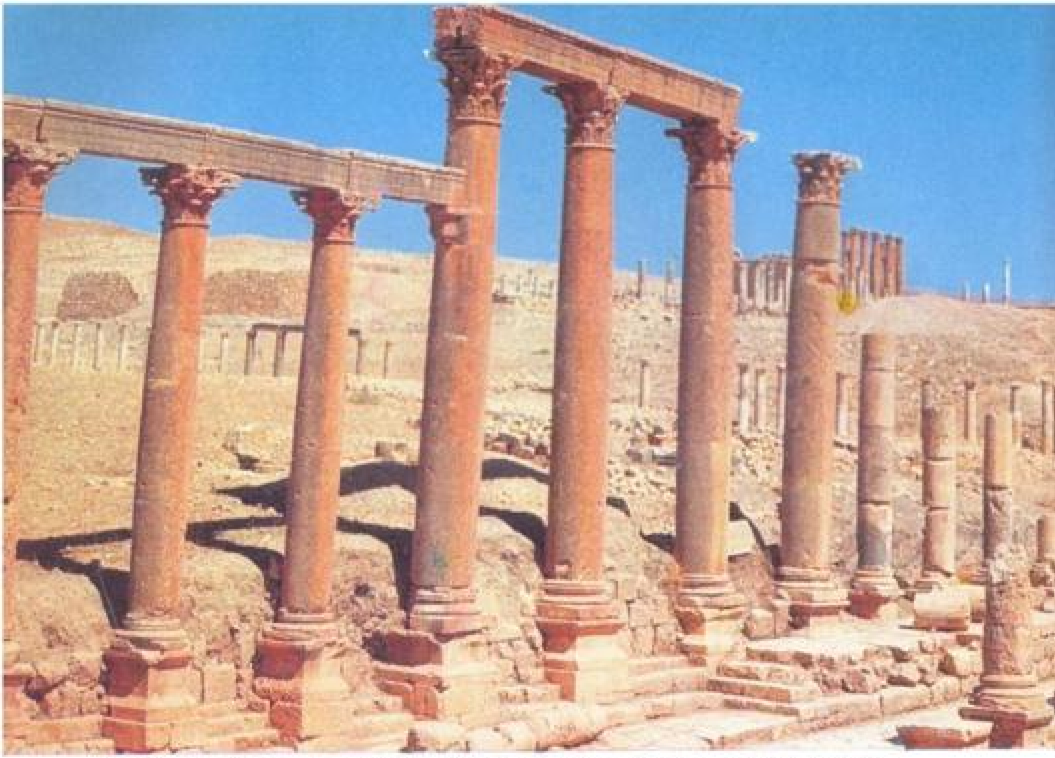




احد الشوارع الرئيسية الممتدة من القبلة الجنوبية ، وخلف الاعمدة كانت حوانيت التجار والصناع وتبدأ منها مداخل الابنية الرئيسية في المدينة

الى اسفل : المدرج الجنوبي يتألف من مقاعد خصص نصفها الاسفل لجلوس الطبقة الممتازة والاعلى للطبقة العامة، كانت تمثل على مسرحه الروايات ، وتجرى العاب المصارعة .





يبدأ الشارع الرئيسي في المدينة من الندوة ويمتد الى الباب الشمالي ويحيط به من كل جانب ١٦٠ عمودا تحمل التيجان الأيونية في الأصل استبدلت بتيجان كورنثية فيما بعد ، بقي منها ٨٠ عمودا . يرتفع أكثرها ٦ أمتار وأقلها ٩ أمتار .

الى أسفل : مسرح المدرج الجنوبي : المسرح وآثار الترميم الحديث واضحة في المقاصير التي تواجه المدرج ، وكانت من طابقين على أرقى ما عرف من طراز البناء الروماني . وقد أقام تيطس تمثالا لآلهة النصر الذي أقيم في هذا المكان .





الشارع المعمد الممتد من الجنوب الى الشمال وخلفه الشارع الممتد من الشرق الى الغرب

بالانصراف الى اكتساب الثروة التى مكنتهم من تشييد الأبنية الفخمة . وقد وضع مهندس رومانى المخططات والتصاميم لانشاء مدينة جيراسا كوحدة متكاملة . وقد بدأ العمل ببناء هيكل زفس كبير الآلهة ٢٣ – ٢٢ ق.م واضيفت اليه الزخارف والنقوش فيما بعد . ثم تم تبليط الشارع الرئيسى وأحيط بصفين من الأعمدة التى تعلوها التيجان الايونية . وقاطعه شارع آخر شق المدينة من الشرق الى الغرب ٧٦ – ٧٥ ق.م. وفى هذا الوقت تكامل بناء السور حول المدينة . وقد ظهرت على بعض الأبنية زخارف الأنباط .

ولما تمكن الرومان من ضم المنطقة طمعوا بثراء الانباط فساق الامبراطور تراجان فرقة من جنوده طعّمها بمستأجَرين من العرب دلوه على طرق الانباط وآبارهم السرية .وبذلك تمكن من فتح البتراء سنة ١٠٦ م والقضاء على دولة الانباط . وباشر بفتح طريق من العقبة ليمر بالبتراء ، فمادبا ، فجرش ، فتدمر ، فالفرات . وهو المعروف بطريق تراجان او الدرب السلطانى . وفى رجوعه ظافرا مر بجيراسا ، وكانت بلديتها قد بنت له قوس نصر ، ذلك المعروف اليوم بالبوابة الشمالية . وراق ذلك العمل فى عينه فأغدق عليها الأموال التى مكنتها من تشييد ابنية جديدة . كما منحها مزيدا من الحكم الذاتى وأجاز لها أن تضرب نقودا باسمها . وهكذا أخذت تهدم الأبنية القديمة لتحل محلها منشآت أفخم وأجمل – من هياكل ومدرجات وحمامات وقناطر وقنوات .

وفى سنة ١٢٩ – ١٣٠م زارها الامبراطور الرومانى هدريان Hadrien زيارة آذنت ببدء نشاط عمرانى جديد ، من أهمه قوس النصر الذى نسميه « باب عمان » ، والذى حفر عليه اسمه والقابه .وبذلت بلديتها اهتماما خاصا فى وسط المدينة فوسعت الشارع العام من الفورم Forum (الندوة حيث اجتمع الناس للنقاش) الى هيكل ارطاميس Artamis ، واستبدلت التاج الايونى Ionion بالتاج الكورنثي Corinthian ، وهو الأجمل ، فوق الأعمدة السامقة . وكانت أعمدة الرمر تجلب من آسيا الصغرى، وأعمدة الجرانيت من أسوان.

الحياة الاجتماعية

كان سكان جرش آراميين ، ثم طرأ عليهم فيما بعد طوائف من الاغريق ، وجوالى من الرومان . وارتفعت الى مرتبة (كولونى) واخذ الآراميون يستبدلون اسماءهم السامية باسماء يونانية – رومانية وبدأوا يكتبون الاغريقية التى كانت لغة الثقافة والتجارة ، واحتفظوا بآراميتهم للتخاطب فقط .كما اعتنقوا الآراء السياسية وطرق المعيشة الرومانية . واخذت جيراسا تشهد عددا من الاحتفالات العامة فى مواعيدها السنوية كاحتفالات المصارعة والعاب القوى ، كما أخذت تنعم بالحمامات التى اعتبرت من ابرز مظاهر النعيم الرومانى . وكان الحمام بمثابة النادى والمجتمع حيث تقام الولائم فى ايامنا هذه . ولا أدل على ذلك من وجود حمامين ضخمين جدا فيها . وهنا بلغت جرش اوج عظمتها ووصل عدد سكانها من ١٢ الى ١٨ الفا .

دور الانحطاط

فى سنة ٢٧٢م قاد الامبراطور الرومانى أورليان Aurélien جيشه واستولى على مدينة تدمر Palmyre العربية كما فعل سلفه تراجان Traïan (٥٢ ، ١١٧م) فى البتراء Petra . ولم يكن يعلم انه هدم هذا السور الذى كان يحميه من دولة الساسانيين الفرس المنافسة الخطيرة .



ترميمات دائرة الآثار للمدرج الواقع غربي البركتين حيث كانت تقام احتفالات عيد الماء

وتبع ذلك فقدان الامن واهمال الطرق وتوقف النشاط التجارى واخذت قبائل البادية تهاجم الحدود وتنشيء دولتي المناذرة على تخوم العراق والغساسنة على اطراف الشام .

وعندما اصبحت النصرانية الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية فى القرن الرابع نشأت فى جرش حركة ايمان شديدة ، اتضحت ببناء عدد كبير من الكنائس من مواد الابنية الوثنية القديمة وقد استطاع القيصر جستنيان Justinien (٥٢٧ ـ ٥٦٥) ان يبنى سبع كنائس فيها وغطيت جدرانهـا بالرخام البديع ورصفت ارضيتها بالفسيفساء الجميلة .

وفى سنة ٦١٤ م احتلها الفرس وظلوا فيها حتى اخرجهم منها هرقل Heraclius امبراطور المملكة الرومانية الشرقية سنة ٦٢٧ بعد جهود طائلة انهكت قوى الامبراطورية وخربت ميزانيتها.

العرب فى جرش

فتحها القائد شرحبيل بنحسنه سنة ٦٣٥م وقد تعرضت لزلزال عنيف سنة ٧١٦ وبعد ثلاثين سنة هدم الزلزال الكبير معظم ابنيتها الضخمة . وفى خلافة عمر بن عبد العزيز ظهر فيها اللص المسمى تليد الضبي وقد ذكرها فى شعره بقوله :

يقولون جاهر ياتليد بتوبة
وفى النفس مني عودة سأعودها

الا ليت شعرى هل أقودن عصبة
قليل لرب العالمين سجودها

وهل اطردن الدهر ما عشت هجمة
معرضة الافخاذ سجحا خدودها

قضاعية صم الذرى فتربعت
حمى جرش قد طار عنها لبودها

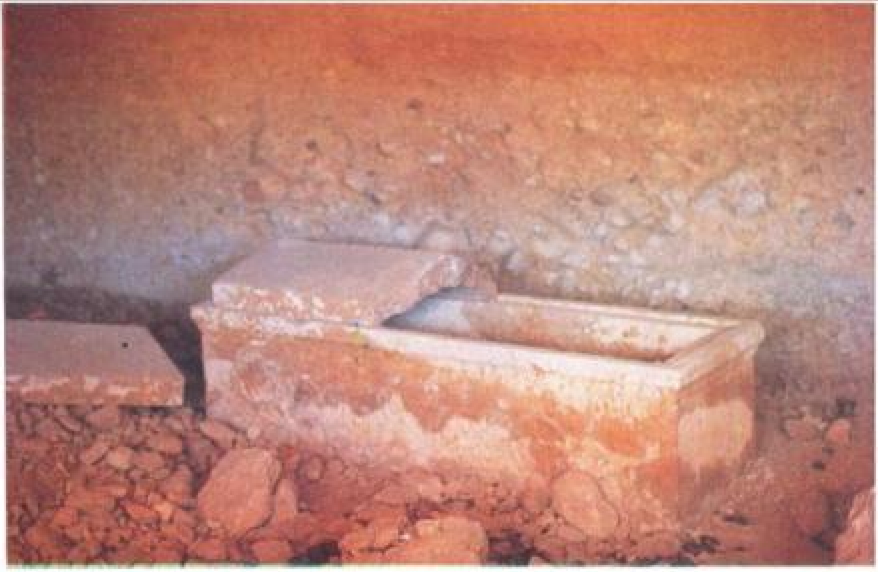
وفى سنة ٣٣٣ هـ وصل اليها المتنبي مفارقا بدر ابن عمار صاحب طبرية وملتجئا الى صاحب حمى جرش علي بن أحمد المرى .

وقد وجدت كتابة فى أحد بيوت جرش الحالية على بلاطة مساحتها ٣٧ × ٥٠ سم ونقلت الى متحف جرش جاء عليها (باسم الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله وحده . محمد رسول الله . اللهم اغفر لعبدك يوسف بن بليل ، وثقل موازينه ، وافسح له مهاد قبره ، وادخله بطائفة النعيم) . ويدل الخط على أنها من القرن التاسع أو العاشر بعد الميلاد .

ذكر وليم الصورى الفارس الصليبي المشهور أن جرش مأهولة بالسكان وأن طغتكين صاحب دمشق السلجوقى حول هيكل ارطاميس الى حصن منيع وشحنه بأربعين من رجاله.ولكن ذلك لم يمنع بولدوين الثانى Baldwen ملك القدس الصليبي من احتلالها سنة ١١٢٧م . ولكنه لم يصمد على البقاء فيه طويلا وعندما اضطر لاخلائه أشعل فيه النيران .

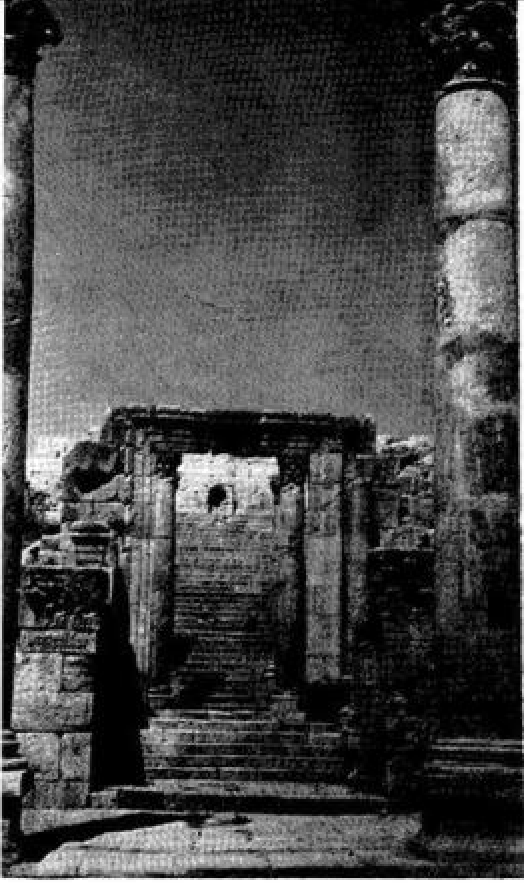
وجاء فى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى : جرش ـ وهو اسم مدينة عظيمة كانت وهي الآن خراب . حدثني من شاهدها وذكر لي انها خراب، وبها آثار عادية تدل على عظمتها . وفى وسطها نهر جار يدير عدة أرحية عامرة الى هذه الغاية . وهي فى شرقى جبل السواد من اراضى البلقاء وحوران من عمل دمشق . وتشتمل على ضياع وقرى يقال للجميع جبل جرش . ويخالط هذا الجبل جبل عوف واليه ينسب حمى جرش وهو من فتوح شرحبيل بن حسنة فى أيام عمر رضي الله عنه .

وقد ذكرها ابن فضل الله العمرى فى كتابه مسالك الأبصار سنة ٧٤٠هـ . فقال : ومن ذلك



يمكن أن نرى كثيرا من أمثال هـــذا الناووس الحجـــري
(الموجود داخل أحد الكهوف) والذي أخرجت منه عظام الميت





الى اليسار : باب الكتدرائية من الشارع العام . الدرج العريض الذى ينتهي بهيكل صغير كرّس باسم العذراء والملكين ميكائيل وجبرائيل . على الواجهة المقابلة زخارف ومربعات على الطراز البيزنطي .

مدينة جرش من بلاد حوران يُحكى الهول عن غرائب آثارها . وقد اضحت خاوية على عروشها، خالية من اهلها وسكانها ، لا يحس فيها حسيس، ولا يوجد فيها انيس .

وفى القرن الرابع عشر الميلادى وصفها شيخ الربوة الدمشقى فى كتابه « نخبة الدهر » فقال : اما جرش ففيها تلال وجبال وحجارة منقولة . وبعض بناء ابوابها فى الهواء نحو خمسين ذراعا . وبهذه المدينة موضع كصورة نصف دائرة مقطوعة بحائط . وذلك الحائط مجلس للملك . اما السقف المستديرة فانها مدارج ـ درج بعضها فوق بعض . وهى دوائر كل دائرة فوقانية اوسع من التحتانية . وبين هذه الدرج ابواب ومسالك . وكل درجة عليها مرتبة من الناس ولكنهم ينظرون الى الملك وهو ينظر اليهم كلهم ـ لايحجبون عنه ولا يحجب عنهم فى ذلك المجلس . وبالقرب من هذا الملعب ايضا ملعب . وفيه عمد طوال قائمات وكانما كان على رؤوسها من الحجارة عتبات من عمود الى عمود . وفوق ذلك ابنية لأهلها .

جرش الحالية

فى سنة ١٨٧٩ أسكن السلطان عبد الحميد جالية شركسية فى جرش اخذت تبني بيوتها البسيطة فى العدْوة الشرقية من الوادى واشتغلت بفلاحة الارض . وبعد ذلك بثلاث سنين زارها اثنان من ابناء ملك انكلترة، وهما البرت ، وجورج الذى صار الملك جورج الخامس. ثم زارها السائح الالماني بيدكر فكتب عنها بالتفصيل . وفى نهاية الحرب العالمية الاولى أصبحت جرش قائمقامية من حكومة شرقى الاردن . وكان عدد سكانها فى احصاء ١٩٦٢ نحو ثلاثة آلاف معظمهم من القرى المجاورة ومن السوريين ومن بقايا الشركس الذين اخذوا يهجرونها الى المدن . وفيها الآن تشكيلات تامة للدوائر الرسمية ، شأن كل مدينة أردنية ولا سيما من حيث النهضة التعليمية وفى كل يوم تجتذب اليها أعدادا من السياح . ■■

محمود العابدى • عمان ـ الاردن

الى اليمين : باب عمان ويسمى أيضا قوس النصر .. باب رئيسي فى الوسط ارتفاعه ١٢ مترا وعرضه ٧ أمتار . على جانبيه بابان أقل ارتفاعا منه وأصغر . ويغطي كل باب من الأبواب الثلاثة قوس فوقه مشكاة جميلة . حفر على بلاطه من الداخل بالحرف اليوناني ما يفيد : انه بني تكريما لزيارة الامبراطور هدريان مدينة انطاكية نهر الذهب (جرش) فى زمن الوالي فلافيوس اغريبا .



أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

الفنان ولت دزني : ميكى ماوس !

● أى البلاد موطن الفنان ولت دزنى ، وأين نشأ ، وكيف كانت نشأته ، وهل الرسومات التى تنشر فى الصحف من رسم يده ؟ وكيف استطاع أن يعرف طبيعة هذه الحيوانات الكثيرة ؟ وأين توجد مجموعة رسوم ولت دزنى الكاملة ؟

عبد الرحيم الطيب ابو محمد
ج ٠ ع ٠ م

ـ ولد الفنان ولت دزنى فى ولاية كاليفورنيا بامريكا عام ١٩٠١ من أسرة فقيرة جدا .. ونشا فى كاليفورنيا وعمل رساما كاريكاتوريا بسيطا . وكانت وظيفته تلك لا تدر عليه الا اليسير من قوت يومه فكان يسكن احد السراديب الباردة لعجزه عن دفع أجرة غرفة . وفى هذا السرداب عاش ولت حقبة من الزمن وانتج فيها رسوماته . ولشدة البرد فى ذلك السرداب لم يكن ولت يستطيع النوم معظم الليل فكان يجلس ويراقب الحشرات والفئران ، وهي تخرج متلصصة لأكل فضلات الطعام التى كان يتركها بجانبه . وبدا ولت دزني يسجل تلك الحركات بريشته ويبيعها للصحف . وكان معه فى السرداب فار وفارة اخذ يراقب حركاتهما فى حياتهما اليومية ويسجلها بريشته ، وكانت منهما احسن شخصية قدمها حتى اليوم : شخصية « ميكي ماوس » التي اشتهر بها .

وللفنان ولت دزنى اليوم مدينة باسمه فى كاليفورنيا ، وشركته تعتبر من أضخم الشركات بها اليوم رسامون كثيرون ، وتوضع دائما فى برنامج زيارة أى زائر هام لأمريكا .

منظمة اليونسكو

● أرجو التفضل بالاجابة على سؤالي هذا : كثيرا ما أسمع بمنظمة اليونسكو ، فما هي هذه المنظمة ؟ ومتى تأسست ؟ وما هى أغراضها ؟ وشكرا .

ابراهيم عبد اللطيف النصف
الكويت

ـ منظمة اليونسكو هي احدى منظمات الامم المتحدة .

اما اغراضها فيستدل عليها من اسمها . فلفظ يونسكو .U.N.E.S.C.O مكون من أوائل الكلمات الانجليزية الخمس الآتية: United Nations Educational Scientific and Cultural Orgnization وترجمتها « منظمة الامم المتحدة للثقافة والعلوم والتربية » وهو اسمها بالانجليزية . فهى منظمة لتوثيق هذه العلاقات الثلاث والمعونة فى تنميتها بين الأمم .

وقد تأسست هذه المنظمة فى نفس العام الذى تأسست فيه هيئة الأمم المتحدة ، وجعل مقرها باريس، بينما جعلت نيويورك مقرا للامم المتحدة.

لا تظلم زوجتك .. فلكل قاعدة شواذ

● انا موظف تقتضيني ظروف عملي أن أغيب عن بلدى طوال العام ، وأن اترك زوجتي مع أهلي فلا أراهم الا في الاجازة السنوية . وقد مضى على زواجنا أربعة أعوام دون أن تحمل ، اذ تأتيها العادة الشهرية كل ثلاثة أسابيع بانتظام وتستمر خمسة أيام ... في آخر مرة ذهبت الى القرية لم تأتها العادة ثلاثين يوما كاملة فاستبشرت بأنها حامل ، ولكنها ما لبثت أن جاءتها بعد هذه الايام الثلاثين من جديد ... وكانت اجازتي قد أوشكت على نهايتها فلم أمكث معها بعد طهرها سوى أربعة أيام . وقد تلقيت أخيرا من أهلي نبأ هد كياني وقلب حياتي جحيما بدل أن يملأني غبطة وابتهاجا .. وذلك هو ان امرأتي حامل ! وكيف تحمل وأنا لم ألبث معها بعد طهرها غير أربعة أيام ، بينما أعرف من قراءاتي أن المرأة لا تحمل الا في فترة الاخصاب التي تقع في منتصف مدة طهرها ، أي في اليوم الرابع عشر ، لا اليوم الرابع ؟!

ان الشكوك تكاد تقتلني . فان حملها معناه أنها خانتني مع رجل آخر بعد سفري .. وانا اكتب اليكم هذه الرسالة والدنيا مظلمة في عيني ، حتى لقد استقر رأيي على السفر الى القرية والانتقام من تلك الخائنة بقتلها ، ولو ضاع بذلك مستقبلي وحياتي !

ترى هل أنا محق في شكوكي ؟ أم أن في العلم شيئا غير الذى ذكرت ؟!

زوج معذب ــ الرباض

ــ القول بأن المرأة لا تحمل الا في منتصف فترة طهرها غير صحيح ، فان فترة الاخصاب قد تبدأ في اليوم الثامن أو التاسع من بدء نزول العادة ومنها منتصف فترة الطهر الذى تذكر . ومن المحتمل جدا أن تكون زوجتك قد حملت في آخر مرة تم اتصالك بها ، اى في اليوم الرابع من طهرها ، التاسع من بدء العادة .

فضلا عن أن هناك رأيا لفريق من أساتذة الفسيولوجيا يقول باحتمال حدوث الحمل عقب الطهر من العادة الشهرية مباشرة .. بل ان البروفسور « سمسون رايت » ، يقول باحتمال حدوث الحمل حتى في فترة الحيض نفسها !

وليس حتميا أن يكون الدم الذى نزل بعد اليوم الثلاثين من طهرها دم العادة الشهرية ، بل يحتمل جدا أن تكون زوجتك قد حملت في بدء الاجازة ، وهذا الدم هو مما ينزل عادة في الشهور الثلاثة الاولى من الحمل كما يقول الاطباء الاخصائيون ...

فلا تترك نفسك نهبا للشكوك والظنون ، ولا تظلم زوجتك ، باتهامها بخيانتك ، واذكر قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم » ،وقوله: « ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ».

الحابل .. والنابل

● في مقال «الشارب الذى كاد يودى بصاحبه» المنشور بالعدد ٧٦ من « العربى » في سلسلة « أخطاء القضاء » قال الكاتب : وقامت معركة « اختلط فيها الحابل بالنابل » .. فما هو معنى هذه العبارة التي كثيرا ما ترد في الصحف ؟ وما هو الحابل وما هو النابل ؟ وشكرا .

بشير نصر الزيتوني ــ جنزور ــ ليبيا

ــ الحابل هو الصائد ، لنصبه الحبال لصيده .. والنابل هو الرامي عن قوسه بالنبل .

و « اختلط الحابل بالنابل » مثل يضرب في ارتباك الأمر .

ويقال ان المراد بالحابل سدى الثوب، وبالنابل لحمته .

ويقال أيضا « ثار حابلهم على نابلهم » اي أوقدوا الشر بينهم ، وهو مثل في الشدة تقع بين الناس .

ويقال كذلك « دار حابله على نابله » اى أوله على آخره .

كما يقال « حول حابله على نابله » اى جعل أعلاه أسفله .

جزر هاواى .. أو جزر السندويتش تنتج ٥٥٪ من محصول الاناناس العالمى

● تشجعنى المعلومات القيمة التىتنشرها مجلة« العربى » القراء فى ركن « طبيب الأسرة » وركن « أنباء الطب والعلم والاختراع » وباب « أنتسأل .. ونحن نجيب » ، على ان أطلب اليكم تزويدى ببعض المعلومات من جزر « هاواى » :اين تقع ؟ وكم عددها ؟ وكم عدد سكانها ؟ ومتى تم اكتشافها ؟ وما هى أهم محاصيلها الزراعية ؟والى اي دولة من دول العالم تتبع .. ولكم خالص الشكر .

سعيد حداد / الطيبة

الاردن

– جزر هاواىهى الولاية الخمسون من مجموعةالولايات المتحدة الامريكية . وقد اعلن انضمامها الى هذه المجموعة فى ٢١ اغسطس عام ١٩٥٩ وهىعبارة عن ٨ جزر وتبلغمساحتها ٦٤١٥ ميلا مربعا، وعدد سكانها ٦٥٠٠٠٠ تقريبا ، معظمهم من اليابانيين ، الى جانب اقلية من الامريكان الذين بداوا يتوافدون عليها بكثرة فى السنوات الاخيرة.

اما السكان الأصليون فقد اوشكوا على الانقراض ، وهم ذوو بشرة سمراء ، وقد عمدت الحكومة اخيرا الى وضعهم فى قرى خاصة وراحت تشجعهم على ان يتزاوجوا من بعضهم البعض ، حفظا للنوع ، بعد ان كثر اختلاط نسائهم باليابانيين والامريكان .. وهم يعيشون فى تلك الاماكن تحت قيود خاصة ..

وتقع جزر هاواى فى المحيط الهادى ، بين امريكا واليابان على بعد ٢١٠٠ ميل جنوب غربى سان فرنسيسكو .

وهاواى هى كبرى الجزر ، وفيها العاصمة وتليها هنولولو واليو . ولكن اشهر مدنها « واى كيكى » على مقربة من مدينة هاواى ، فهىالمصيف العالمى الذى يقصده السياح من كل مكان .

وتشتهر جزر هاواى بزراعة قصب السكر والأناناس ، واكثر من ٥٥٪ من علب الاناناس التى تباع فى العالم من منتجات هذه الجزر . وارضها خصبة جدا ، وفيها يزرع كذلك البن والبطاطس والبندق والأرز والموز .

ولا يعرف اسمها القديم ، وقد اكتشفت عام ١٧٧٨ وكان من اكتشفها هو الكابتن جيمس كوك وقد اطلق عليها يومئذ الجزر الساندويتش ، لوقوعها بين القارتين ، وكان يحكمها حكام من اهلها حتىعام ١٨٩٣ حيث اعلنت نفسهاجمهورية، ثم انضمت اخيرا الى الولايات المتحدة الامريكية .

الديانات فى الهند

● كلنا نعلم ان الهند شبه جزيرة كبيرة ذات حضارة قديمة وحديثة ، وأنها انقسمت اخيرا الى قسمين هما الهند والباكستان ، فنريد أن نعرف ما هي الأديان التي تعتنقها فئات الهند ؟ وهل يوجد فيها مسلمون بعد انفصال باكستان عنها ؟ وما هى نسبتهم من مجموع سكان الهند ؟ وشكرا .

علي الدلوى

العراق – الحلة

– يبلغ عدد سكان الهند حوالى ٤٠٠ مليون نسمة مقسمين من حيث الدين الى الفئات التالية :

الهندوكية : ويدين بها حوالي ٣٥٠ مليونا،اى نحو ٨٥٪ من عدد سكان الهند .

المسلمون : ويبلغ عددهم حوالى ٤٧ مليونا منهم السنة والشيعة .

البوذية : وعددهم ٥ ملايين .

السيخ : وعددهم ٦ ملايين معظمهم فى مقاطعة البنجاب .

الجينيزم : وكانوا هندوسا ثم تطوروا وعددهم ١ر٥ مليون .

الزرادشتية : وهم عباد النار ويبلغ عددهم ١١١ ألف نسمة .

المسيحيون : ويسكنون الساحل الجنوبى الغربى وعددهم ٦ر١٠ مليون .

«ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم»

● سمعت في خطبة الجمعة ان الرسول (صلعم) كفّن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول في جبته وصلى على جنازته ووقف على قبره ، والمعروف ان عبد الله بن ابى هذا هو كبير المنافقين ورأسهم ، وهو رئيس عصبة الافك الذين رموا عائشة رضي الله عنها بالافك وقصتها مشهورة في القرآن ، وهو الذى قال يوم بدر « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل » . وقد نزلت في المنافقين سور وآيات كثيرة « والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » وقد نهى الله رسوله عن ان يستغفر لهم بقوله : « سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين » ، وقوله تعالى « استغفر لهم أولا تستغفر لهم ، ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، وكما نهاه الله حتى عن الاستغفار ، نهاه عن الصلاة عليهم بقوله « ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » اذا فكيف تفسر هذا التناقض بين ما سمعناه في خطبة الجمعة ، ونص القرآن العظيم ؟

محمد علي قاسم

عنزا — الاردن

— كلنا نعرف ان الله سبحانه وتعالى وصف نبيه ورسوله بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » ، وقال تعالى : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .. فاذا كان صلى على كبير المنافقين او كفنه في جبته ، فانما فعل ذلك بدافع من خُلقه العظيم ، وقيل ان تنزل سورة التوبة التي وردت فيها الآيتان اللتان تشير اليهما في آخر سؤالك وهما : « استغفر لهم او لا تستغفر (آية ٨) ولا تصلّ على أحد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره » الخ (آية ٨٤) .

ابولونيوس عالم برجا

● ارجو أن تنشروا ولو نبذة موجزة عن « ابولونيوس » العالم الرياضي : متى ولد، وبماذا اشتهر ، وما هي أشهر مؤلفاته وشكرا .

عريب عثمان العالول

دار المعلمات : رام الله

— ابولونيوس البرجاني Appollonius de Perga عالم رياضي وفلكي ولد عام ٢٦١ قبل الميلاد ، اى قبل ارشميدس بنحو ربع قرن ، وكان معلما للرياضيات في الاسكندرية .

له رسالة في الشكل المخروطي نقلها الى العربية هلال بن هلال الحمصي وثابت بن قرة بعنوان « رسالة في المخروطات » واصلها مخطوط في اكسفورد . وقد اكسبته هذه الرسالة شهرته كاكبر علماء الهندسة في عصره . وهي في ثمانية كتب ..

وله أيضا رسالة في قطع الخطوط ، شرحها ثابت بن قرة ، ورسالة أخرى في « النسبة للحدود » ورسالة رابعة في « الدوائر المماسة » .

ومما يدعو الى الاسف ان معظم مؤلفاته الاخرى في الهندسة قد فقدت ، وان كان منها ما تناوله العلماء الذين جاءوا بعده .

رهين المحبسين

● اين ولد أبو العلاء المعرى ، واين توفى ، وما هي أشهر مؤلفاته ؟

س . سعد — ليبيا

المعري :ولد فيلسوف المعرة وتوفى في معرة النعمان ، في شمال سورية (٩٧٩ — ١٠٥٨ م) واشهر مؤلفاته : ديوانا شعر هما : « سقط الزند » و « اللزوميات » ثم « رسالة الغفران » .

المسئولية أولا علـى أهـلك ....

● انى فتاة فى سن ١٨ ، ما زلت اتابع دراستى بالقسم الادبى بالتعليم الثانوي ، أحببت شابا فى سني ، حب العبادة ، وكنت ألتقى به كل يوم بحديقة حينا ، فنتبادل كلمات الحب . فعلم اهلى بذلك واستدعوه واتفقوا معه على أن يزوجوني له ما دام الحب يربط بيننا ، على أن يتم الزواج بعد تخرجه من الجامعة وبعد اتمامى دراستى ، وطلبوا منه أن يحافظ على شرفى وعرضى ، وان لا يقربه الشيطان فيفعل ما لا تحمد عقباه ، وسمحوا لي بالذهاب معه الى الحفلات والسينما والنزهات . فازداد حبي له حتى كنت لا أكاد أفارقه ، وكان هذا الحب يجعلني أقف منه موقف الخادمة من سيدها ، اذ كنت البى كل مطالبه ، وكنت أساعده على شراء ملابسه وكل ما يحتاج اليه ـ لانى والحمد لله من عائلة غنية ـ ولكن هذا الحب أدى بى الى مأزق حرج ، اذ ارتكبت غلطة كبيرة حيث لم استطع ان أمنعه من نيل مآربه فوهبته جسمى ، ووقع ما وقع ، ولكن الذى يعكر صفو حياتى هو انى بدأت اشعر بأعراض الحمل .

فلما صارحته بالأمر ضحك مستهزئا بي قائلا : « أنا برىء لم أفعل شيئا ! لم تكن تربطنى بك اى صلة او اى حب » ، محاولا أن يخرج نفسه من المشكلة بهذه الكلمات

سيدى : ماذا أصنع ؟ أأخبر امي ؟ أم أنتحر ؟!

ان استمرارى فى التفكير فى هذه المشكلة سيقودني الى الجنون ، وكل ما أطلبه منكم هو ان تفكروا معي قليلا وتجدوا لي حلا لما أنا فيه ، وشكرا لكم .

فاطمة . ل الدار البيضاء

ردود خاصة

● **اسماعيل الراوى : محلة راس القرية ـ بغداد .**

ـ فى القاهرة عدة أطباء أخصائيين لعلاج هذه الحالات بنجاح . وكذا فى بيروت .

● **رفيق عبد الجبار**

ـ ليس فى استعمال الحبوب المانعة للحمل أى ضرر للزوجة الفتية اذا ما أخذتها تحت اشراف طبيب مختص .

● **سالم على محسن : من اليمن**

ـ قولك « طلقت زوجتي » ثلاث مرات فى مجلس واحد ، ليس الا طلقة واحدة ، ولك أن تراجعها اذا لم تكن قد انتهت عدتها . وبهذا تأخذ المحاكم الشرعية ومحاكم الاحوال الشخصية .

● **عيسى نقولا اسحق : الكويت**

ـ يحسن أن تعرضوا « كتاب المواعظ لبطريرك أورشليم » على أحد رجال الكنيسة لتقدير قيمته الأثرية فهم بذلك أدرى .

● **صالح عيسى : دار المعلمين ـ سوريا**

ـ ما دامت خالتك قد أرضعتك أكثر مما أرضعتك أمك فكل بناتها محرمات عليك ، لانهن أخواتك من الرضاع ، سواء منهن من رضعت معك ومن لم ترضع .

● **رشيد سالم الجزائرى : عراق . سليمانية**

ـ لم يصل الطب بعد الى علاج حاسم لمرض السرطان .

● **حمود سند : سورا كرتا ـ اندونيسيا**

ـ الصور التى تنتقدها ليس فيها ما يتناق وحرمة الاسلام أو كرامة المسلم .

● **سعاد عبد العزيز الفوزان : الشامية ـ كويت . خالد تاج سلامة : جدة ـ السعودية .**

ثم عليكِ .. وأخيرا على صاحبكِ الجبان

ـ أولا نحن ننشر هذه المآسي لتعتبر بها الغريرات من الفتيات الساذجات ، اللائي يخرجن الى الحياة وهن غير متحصنات ، بدين أو بخبرة من حياة .

ثم نقول لهذه الفتاة : طبعا يجب أن تسارعي بمصارحة أمك ، كي تصارح هي بدورها اباك ، ان كان لك اب ، او تدبتر الامر مع من تسميتهم أهلك ، أولئك البلهاء الذين أسلموك بأيديهم الى ذئب بشرى ، هو الآن يسخر منك ومنهم ، ويستهزىء بك وبهم ، ويزعم انه برىء !

وتزعمين انك لم تستطيعي أن تمنعيه من نيل مآربه الدنيئة .. هل تراه اكرهك وانت فتاة بالغة رشيدة متعلمة ؟!

لماذا لا تقولين انك شجعته على فعلته ؟ بل من يدرى ؟ أليس من الجائز ان تكونى أنت التى اوحيت اليه أو اغريته على ما فعل ؟!

والآن تبكين ، وتندمين ، وتطلبين الرأى والمشورة ؟! ما كان أغناك عن ذلك كله ، وانت لو كنت فتاة فاضلة لاوقفته عند الحد الذى لم يكن ينبغي أن يتجاوزه ... ولما سخر منك اليوم أو بصق كلما رآك !!

ان على اهلك ـ الاذكياء الاغنياء ـ أن يلقنوه الدرس الذى يجب ان يتلقنه كل ذئب ، فيتزوجك ، طوعا أو كرها .. والا فليتحملوا من الفضيحة والعار مثل ما تتحملين أو يزيد ، لأنهم هم المجرمون الحقيقيون !

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد !

عرفات هزاع العمرى : الرياض ـ السعودية .

ـ شكرا لرسائلكم .

● **عبد العزيز عبد الحميد ربيع : ج.ع.م .**

أ.ع. ايوب : الاردن .

ـ ليس لمرض الصرع أو شلل الاطفال علاقة بزواج الاقارب . وان كان المعروف لدى الدوائر الطبية أن زواج الاقارب ينتج ـ فى الغالب ـ ذرية ضعافا .

● **ابراهيم محمد الغنام : ثانوية عنيزة ـ السعودية .**

ـ العبارة التى تسأل عنها مستقيمة لا لبس فيها ، فارجع الى ما قبلها تفهم المقصود منها .

● **عملية الختان أول من دعا اليها سيدنا ابراهيم أبو الانبياء .** وهي ليست مقصورة على المسلمين فاليهود أيضا يختنون ابناءهم منذ الاسبوع الاول . أما ختان البنات فيرجع الى عهد الفراعنة ، ولذا سمى الختان الفرعونى . وهو ليس شائعا فى غير مصر ، وقد عدل عنه أخيرا وهو فى سبيله الى الزوال .

● **فتاة حياتها عذاب وحرمان : الاردن**

ـ صاحبك هذا يعبث بك وبأختك معا فاحذراه . أما اذا تقدم لك خاطب جاد فلا ترددى . وان وقفت أمك فى الطريق فاستعيني ببعض أقاربك الكبار على اقناعها بأنك لست فتاة صغيرة .

● **قسيمة خضير السامر : ثانوية المعقل ـ العراق .**

ـ قصتك دون المستوى المطلوب . حبذا لو كرست وقتك لدراستك ، وبعدها تستطيعين ان تكتبي ما تشائين ، خصوصا وأن اسلوبك يبشر بالخير .

● **ا . الديرانى ـ صيدا : لبنان**

ـ هى أزمة نفسية ، لا فسيولوجية ، ستزول اذا ما نال جسمك حقه من الرياضة والتغذية .

اِ . ضْ . حَ . كْ

تَضحكْ الدنيا معكْ
اِبْكِ تَبْكِ وحدكْ ..

انجازات

● ارسلت فتاة طلبا للعمل الى شركة، ولما قابلها مدير الشركة سألها هل صنعت في عملها السابق اعمالا فوق العادة تشفع لها في هذا العمل الحاضر الذي تطلبه .

قالت الفتاة ، نعم ، كسبت كثيرا من مسابقات المجلات ، وحللت كثيرا من الغاز الكلمات المتقاطعة .

قال المدير : ولكني اريد شيئا كنت تعملينه في ساعات العمل .

قالت الفتاة مؤكدة : نعم ، نعم ، هذه الانجازات كانت فعلا في ساعات العمل يا سيدي .

★★★

في الجراج

● صاح صاحب الجراج، في التلفون، لرجل الأعمال في بيته : اخبرك يا سيدي ان زوجتك جاءتنا لاصلاح السيارة ، ودخلت بها الى الجراج ..

فقاطعه صاحب الاعمال محتدا : وماذا في ذلك . اسرع وقم باصلاح السيارة .

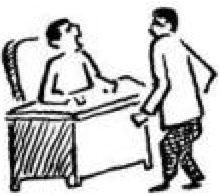
صاحب الجراج : المسألة ليست مسألة اصلاح سيارة . المسألة مسألة اصلاح الجراج !

بالأمر !

● سأل الأب ابنته المتخصصة في التدبير المنزلي : هل تسمح المدرسة لكنّ ان تأكلن من الطعام الذي تعددنه اثناء درس التدبير المنزلي ؟

فأجابت الابنة :

ـ تسمح .. ! انها تكرهنا على اكل الطعام الذي نعده !



طالب عمل

● كان رئيس عمل يمتحن طلاب عمل .

وسأل الرئيس رجلا : كم سنك ؟

الرجل اربعون سنة .

الرئيس : وكم سنة قضيت في عملك السابق ؟

الرجل : خمسين سنة .

الرئيس : كيف . وعمرك فقط اربعون .

الرجل: الزيادة كانت «أعمالا اضافية» بعد أوقات العمل الرسمية .

عند العالم الروحاني

● فقدت سيدة زوجها ، وتاقت بعد ايام الى رؤيته . وعلمت ان العلماء الروحانيين يستحضرون الارواح . فذهبت عند أحدهم وسألته ان يستحضر لها روح زوجها .

واعد الروحانى عدته . الحجرة المظلمة . والستائر المرخاة ، والمائدة المستديرة ، والشمعة الموقدة . ولم تلبث المرأة ان سمعت صوت زوجها يدوى فى الحجرة . قال لها : جميل جدا يا عزيزتي ان أراك مرة أخرى . أود ان تصنعي لي شيئا .

الزوجة أى شيء . قل ما تشاء .

صوت الزوج : ارسلي اليّ صندوقا من السيجار المختار الذى كنت احبه فى الحياة . انا فى غاية الشوق الى سيجار منه . اسرعى ، عجلي .

وانقطع الصوت بغتة .

وبعد فترة ، والصمت سائد ، التفتت المرأة الى العالم الروحاني وقالت : ولكنه لم يترك العنوان الذى ارسل اليه السيجار .

قال الروحانى : هذا العنوان سهل معرفته يا سيدتي . الم تلاحظي انه لم يطلب مع السيجار كبريتا !



بائع المجوهرات فى معرض الفن بحكم المهنة !!

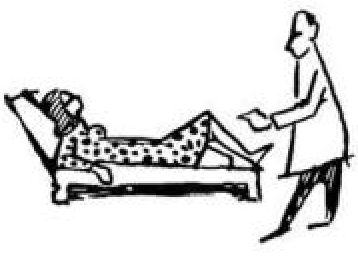
★ ★ ★

عند الطبيب النفساني

● دخلت سيدة كاسفة البال الىعيادة طبيب نفسانى . فلما وجدها الطبيب على هذه الحال سألها ما بها . قالت : اني يئست من الحياة ، فالحياة صارت عندي شيئا مزعجا مختلطا لايطاق .

قال الطبيب فى كثير من الحنان : نعم يا سيدتي .

واعقب الطبيب يقول انت فى حاجة الى علاج يستمر عدة أشهر ، واجر الزيارة الواحدة ثلاثة جنيهات .



فسكتت السيدة هنيهة تفكر ، ثم قالت : نعم يا سيدى الطبيب . الأمر كما قلت : كل عنده مشاكله . ولكن ما ذكرته لي الآن جدير بأن يحل مشكلتك انت . فما بال مشكلتي انا ؟

طرائف عربية

أبناء آدم

● اشتدت حاجة فقير الى الدراهم، فقصد أحد الاغنياء وقال له :
ــ انا أحد اقاربك .
ــ من اى جهة ؟
ــ من جهة ابينا آدم .
فأخرج الغني من جيبه قرشا وقال له :
ــ اذهب الى جميع أبناء العائلة ليعطيك كل واحد كما أعطيتك ؟

والله انك لساحر !

● سرق اعرابي صُرّة دراهم ، ثم دخل المسجد يصلي ، وكان اسمه موسى ، فقرأ الامام :
ــ وما تلك بيمينك يا موسى .
فقال الاعرابي :
ــ والله انك لساحر ! ثم رمى الصرة وهرب .

خذ الشعرة من لقمتك

● قال معاوية لرجل على مائدته :خذ الشعرة من لقمتك .
فقال الرجل : وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة فى لقمتى ؟ والله لا اكلت لك طعاما بعد اليوم .

ما أحسن هذه الكناية !

● وقفت امراة على قيس بن عبادة فقالت :
ــ اشكو اليك قلة الجرذان !
فقال : ما احسن هذه الكناية ! املأوا بيتها خبزا وسمنا .

يا ليتها كانت القاضية !

● عاد بعضهم نحويا فقال : ما الذى تشكوه ؟
قال : حمّى جاسية ، نارها حاسية ، منها الاعضاء واهية ، والعظام بالية .
فقال له : لا شفاك الله بعافية، يا ليتها كانت القاضية !!

اساءة

● كان احد الخلفاء يعسّ ليلة ، فسمع غناء رجل من بيت ، فتسور عليه، فرآه مع امراة يشربان الخمر . فقال :
ــ يا عدو الله ، ارايت ان يسترك الله سبحانه وانت فى معصية !
فقال : يا أمير المؤمنين لا تعجلْ ، ان كنتُ عصيتُ الله فى واحدة فقد عصيته انت فى ثلاث . فقد قال الله

الحسن والقبـح

● كان أحمد بن ابى طاهر قبيح الوجه ، وكان له جارية من أحسن النساء ، فضحك اليها يوما فعبست فى وجهه .

فقال لها : اضحك فى وجهك فتعبسين ؟

فقالت : نظرتَ الى ما سرك فضحكت ، ونظرت الى ما ساءني فعبَست ..

ربـح الموت ..

● دخل جرير والفرزدق والاخطل على عبد الملك بن مـروان ، وبين يديه صحفة من الذهب ، فقال : هى لأجودكم فخرا بنفسه .

فقال الاخطل :

أنا القطران والشعراءُ جَرْبَى ... وفى القطران للجَرْبَى شفاءُ

قال الفرزدق :

فان تك زقٌ زاملـة فانـي ... أنا الطاعون ليس لـه شـفاء

فقال جرير :

أنا المـوت الذى آتي عليكم ... فليس لهـارب مني نجـاء

فقال عبد الملك : ربح الموت ...

أنت حر لوجه الله

● قال بعض البخلاء لغلامه : هات الطعام واغلق الباب .

فقال : يا مولاى هذا خطأ .

قال : ولم ؟

قال الخادم : قل اغلق الباب وهات الطعام .

فقال له : أنت حر لوجه الله، لمعرفتك بعزم الامور .

لم أر أعرف منك بالنحو

● قال ابو العبر : سالني ابو العباس ابن ثعلب : الظبي . معرفة ام نكرة ؟

فقلت : ان كان مشـويا على المائدة فمعرفة ، وان كان فى الصحراء فهـو نكـرة .

فقال : ما فى الدنيا أعرف منك بالنحو .

الخليفــــة

تعالى: ولا تجسسوا، وقد تجسستَ . وقال : واتوا البيوت من ابوابها ، وقد تسـورت عليّ . وقال : لا تدخلوا بيوتـا غير بيوتكم حتى تستأنسـوا وتسلموا على اهلها ، وقد دخلت بغير سـلام .

فقال الخليفة : اساتُ فهل تعفو ؟

فقال : نعـم ، وعلى ان لا تعـود لمثلها !

العاملة ..

قصة بقلم : فرنسوا كوبيه

■ اعطيت معطفى للعاملة ، وهممت بالدخول الى قاعة الاوركستر عندما رايت شخصا يدخل من الباب المجاور ، ولم اكد اتبينه ، حتى عرفت فيه المثال الكهل لويس سنيشال . واردت ان استرعى انتباهه فانتظرته .

وكنت اكن لسنيشال صداقة ملؤها الاعجاب والتقدير لخلقه ، واعرف ان قلبه ينطوى على حب الخير والمعروف على الرغم من مظهره الخشن. وكان اهالى حى سان جرمان يعرفونه معرفة طيبة، اذ اعتاد ان يغسل وجهه صباح كل يوم عند الصنبور القائم فى آخر شارع فال دس جراس . وقد روى لى بنفسه ، وهو مكب فى مصنعه على صياغة تمثال ومداعبة نموذجه ، قصة حياته الماضية ، تلك الحياة التى حفلت بالعمل الفنى الشاق والبؤس المرير. والآن وقد اصبح مشهورا، واعترفت الاكاديمية بفنه وموهبته ، وانتخبته عضوا من اعضائها المبرزين ، فانى اعرف انه ينفق اكثر دخله فى أبواب كثيرة من أبواب الخير. وقد ذكر لى بعض اصدقائه كيف انه يتنازل عن مرتبه الذى اوقفته عليه الاكاديمية لامراة مسكينة كان لها منذ خمس وعشرين سنة خلت اجمل جسم فى باريس كلها ، وقفت نموذجا لسنيشال ايام فقره وبؤسه ، وكان تمثالها الذى صاغه نقلا عنها سبب شهرته .

وقد اردت ان اراه قبل بدء المسرحية لاتحدث معه عن صديقه اوكتاف غيرميه ، ذلك الشاعر الذى طواه الموت منذ عشر سنوات وهو سادر فى احضان البؤس والفاقة ، ثم ذاعت شهرته بعد ذلك اكبر ذيوع بحيث ان اول حفلة لتمثيليته التى خلفها بعد موته ازدحم الناس حرصا على رؤيتها ازدحاما .

وعندما وقعت عينا سنيشال علىّ سالنى وهو يمد لى يده :

ــ هل معك رقم ٦٣ ؟

ــ وهل معك رقم ٦٥ ؟

ــ نعم . هذا حسن .

ــ سنتحدث قليلا اثناء الاستراحة اذن .. ولكن صبرا حتى اتخلص من معطفى .

وسمعت عندئذ صوت امراة يقول على مقربة منا :

ــ أعطنى معطفك وقبعتك يا مسيو سنيشال .

ورايت عندئذ منظرا اثار دهشتى ، فان المثال الكبير ، وهو بثوب السهرة الانيق ، وقف منبسط الاسارير امام امراة عجوز ذابلة ترتدى ثوبا بسيطا اسود تزينه اشرطة وردية اللون ، وراحا يتبادلان النظرات ويشد كل منهما على يد الآخر وقد اغرورقت عيناهما بالدموع . ومن غير ان يكترث بمن حوله طبع سنيشال قبلتين على وجنتى المراة ثم قال لها فى تاثر بالغ :

ــ تشجعى يا عزيزتى كليمانس .. لقد اتفقنا..



.. كانت تحاول ان تخفف على المحتضر ساعة احتضاره ، ذلك الذى تحبه والذى افنى حياته فى خيانتها ..

اليس كذلك ؟ .. سوف أصحبك الى منزلك بعد انتهاء المسرحية .. سنمضى سيرا على الأقدام ويدى فى يدك وسوف نتحدث عنه .. ولكن ، هل ستشاهدين مسرحيته ؟

فأجابته العجوز : ــ نعم فقد وضعوا لى مقعدا صغيرا بجوار الباب وهى منة كبيرة منهم .. ولكن معذرة يا مسيو سنيشال .. ان عملى يستدعينى.

وبينما انهمكت العاملة فى تناول معاطف الرواد ومظلاتهم اخذنى الحفار من يدى وجذبنى داخل القاعة . وابتسم ابتسامة حزينة اذ رأى دهشتى وقال فى صوت رقيق :

ــ هلم بنا الى مقاعدنا .. سأوضح لك معنى ما رأيت وما أثار دهشتك . انها قصة مؤلمة حزينة .. ولكنها تؤكد لنا أنه ما زال فى الدنيا قلوب منزهة عن كل غرض .. صه .. فسوف ترفع الستار .

★ ★ ★

ما زال الناس يذكرون ذلك النجاح الباهر الذى اصابته مسرحية «الفرسان الضائعون» التى افتتح بها مسرح الاوديون موسمه ، والتى ظلت تمثل على خشبته اكثر من مائة ليلة متتابعة . هذه المسرحية الشعرية المشهورة التى لا يمكن مقارنتها الا باسطورة من اساطير الأجيال الخالدة ،والتى

انتزعت من أول مشهد لها اعجابا منقطع النظير . وعلى الرغم من أن الشعب الفرنسى ظل مدةخمسة وعشرين عاما يشهد الأوبرات المختلفة التى كانت كلها تسير على وتيرة واحدة على الرغم من اختلاف مواضيعها ، فانه استيقظ فجاة عندما جاءت هذه التحفة الملهمة فأثارت انتباهه واهتمامه . ولم يسمع احد فى تلك الليلة همسات الحقد والضغينة والحسد التى تعرفها المسارح فى مثل هذه المناسبات . ولا عجب فان مؤلفها لم يكن فى عداد الاحياء فقد طواه الموت قبل عشر سنوات بحيث لم يعد له أعداء .

وما أسدل الستار على الفصل الأول حتىدوت الأكف بالتصفيق حتى كادت تدمّى .

وصاح سنيشال والستار يهبط ببطء :

ـ صفقوا ايها الرفاق ما طاب لكم التصفيق .. ان تصفيقكم هذا لم يمنع فيرميه من أن يتضور جوعا عشرة اعوام كاملة لأنه لم يجد مسرحا واحدا يقبل ان يمثل مسرحيته . صفقوا أيها الرفاق فهو قد مات ولن يرده الموت ليكتب قصة خالدةاخرى.

وقلت أسأل المثال الكبير وأذكره بالوعد الذى قطعه لى :

ـ اذن فقد لقى فيرميه من البؤس وشظف العيش الكثير ؟

فأجابنى سنيشال : ـ بل قضى شبابه وهو يعانى منهما يا صاحبى ، وهذا هو السبب فى أنه لم ينتج كثيرا من روائعه ، فان هذا الشاعر البائس الذى كان فى مسيس الحاجة الى الراحة والخلود الى الاحلام ، اضطر فترة طويلة الى الاضطلاع باعمال كثيرة حقيرة فى سبيل لقمةالعيش فكان ينسخ المخطوطات باتفه الأجور .. وبعد ذلك رزقه الله بميراث .. ولكنى أرى القاعة تخلو من المشاهدين ، وستكون فترة الاستراحة طويلة ، وقصتى قصيرة فأصغ الى ..

واستطرد يقول :

وعندما عرفت فيرميه كان كل منا فى الخامسة والعشرين من عمره . وكان قد ترك دراسةالحقوق واخذ يدرس الآداب ، وكان ذلك سببا فىالشقاق بينه وبين أسرته . وكان أبوه ، وهو موثق للعقود، رجلا صارما شديدا حاد الطبع ، فقطع عنه كل ما كان يمدّه به من مال . غير أن الشاب لم يكترث بهذا العمل ولم يهتم بشبح البؤس ثم انه كان لأوكتاف فيرميه أقارب موسرون فكان فىمقدوره أن يستدين وكان بذلك أيسر منا حالا . وكان عندما يقدم الى مصنعى فى فوجيدار نداعبه بسبب أربطته الزاهية وثيابه المخملية . وكنا نسميه بالمتانق .

وكان أوكتاف فى ذلك الوقت شابا اسمر طويل الشعر مجعده له لحية قصيرة وعينان حالمتان. وكانت له مغامرات كثيرة فى الحى اللاتينى . وفى أثناء مغامراته هذه تعرف بكليمانس ..

فقاطعته قائلا : ـ ماذا تقول ؟ .. كليمانس .. هذه المرأة العجوز التى أخذت منك معطفك منذ هنيهة ؟

ـ نعم .. والحق انها لم تكن شيئا يستحق الذكر فى ذلك الوقت . كانت فى العشرين منالعمر، جميلة ، نحيلة العود ذات شعر طويل بلون القسطل .. ولكنها كانت يتيمة الأبوين ، نشأت تضرب فى شوارع باريس بحثا عن اللذة ولقمة العيش .. واخيرا ماذا اقول لك ؟ .. لقد رآها اكثرنا مجردة من ثيابها كلها .. والتقى اوكتاف بها فى ملهى برادو وعاشا بضعة أيام معا ثم افترقا. واجتمعا مرة ثانية ثم افترقا من جديد ، الى ان حدث ذات يوم ان ذهبتُ انا وأوكتاف الىمطعمنا فألفيناها جالسة امام طبق من الحساء لا تقربه وهى ترتجف من الحمى . واهتممنا بها على الفور، وتدخل احد طلبة كلية الطب فقال انها تعانى من نزلة صدرية . ولم تدر ماذا تفعل ، فقد كانت الفتاة تقطن فى غرفة حقيرة مظلمة . ثم انها لم تكن تملك مالا . وعندما ذكر الطالب كلمة مستشفى انخرطت الفتاة فى البكاء . وكان اوكتاف طيب القلب ، فاخذ الفتاة المسكينة فى عربة وذهب بها الى مسكنه ، وسهر على تمريضها والعناية بها كما لو كانت اخته حتى شفيت . ولما اصبحت فى دور النقاهة لم يلق بها خارج مسكنه بل أبقاها .. ابقاها معه عشرين عاما .

ـ ماذا ؟ .. أتعنى أن فيرميه الشاعر عاش مع هذه الفتاة ..

ـ هذه الفتاة يا صديقى كانت من فتيات الشارع ، بائعات الهوى ، وقد ارتكبت حماقات كثيرة وهى فى العشرين ، ولكنها كانت طيبةالقلب وفية ، جعل منها حسن الصنيع اشد أصدقاء أوكتاف وفاء واخلاصا.ولكن ايام الشدة اقبلت. كان المتعهدون يعرفون أن فيرميه على شقاق مع اهله ، فاصبح لزاما عليه أن يشتغل لكى يعيش. آه ! يا لتلك الأيام العصيبة التى عاشها الشاعر ودامت حتى اكتملت عشرة أعوام ! غرفتان فىالدور

الخامس من بيت حقير كان ينتقل منه كل صباح متعلقاً بسلم الأوتوبيس حتى المكتبة العامة بشارع ريشيليو ، وهناك يعكف على نسخ المخطوطات القديمة ، ثم يعود مع الليل ، فيتناول العشاء البسيط الذى تعده له كليمانس . وبعد ذلك يعكف على نسخ ما يُطلب منه على ضوء المصباح الباهت حتى الثانية أو الثالثة صباحاً مستعيناً على السهر بأقداح القهوة . ولو أن الشاعر كان يعيش وحده فى ذلك الوقت لقضى منذ وقت طويل، ولكن كان الى جواره فتاة من عامة الشعب ، تذكّرتْ عند ذاك انها كانت تشتغل ببيع الزهور، فعادت الى عملها هذا واستطاعت بذلك ان تقدم العون الى حبيبها . تلك الفتاة الرقيقة ، التى فاقت شجاعتها شجاعة غيرها من فتيات المجتمع ، ظلت على مقربة منه ولم تحاول ان تنطق ولو مرة واحدة طول هذه السنوات العشر بهذه الجملة الخالدة التى تجيد النساء النطق بها فى مناسبة او غير مناسبة :

« لم يعد عندى ثوب ارتديه » .

هذه الصديقة الرقيقة التى راحت تمسح من وقت لآخر على جبينه، وترفع عنه خصلات شعره، وتطبع على خده قبلتها الحانية المنعشة . واذا كان الوقت المتبقى بعد ذلك للرقاد من القلة بحيث لا يكفيه ، فقد كان ينام ناعم البال مستريح النفس مطمئناً الى هذا القلب العطوف الذى يحنو عليه .. والآن يا صديقى ، اما زلت عند رأيك عن هذه الفتاة ؟

★ ★ ★

— ولماذا لم يتزوجها بعد أن عاش معها هذه السنين الطويلة ؟ .. ألم تكن هذه التجربة كافية؟

— مهلاً يا صاحبى فهنا محور القصة . كانت كليمانس تحب اوكتاف وتعبده ، ولكنه لم يكن يحبها وانما ألِفها بحكم العادة . وذات يوم مات والده وورث عنه دخلاً بلغ عشرين الفاً من الفرنكات .. أوه ، لم يكن جاحداً فقد اشترى لكليمانس قرطاً ماسياً ثميناً ، واصبح فى مقدورها ان تلبس الثياب الحريرية الغالية ، وان تخطر بها فى البيت الجميل الذى اشتراه . ولكنه اراد ان يعيش وان يتذوق من الدنيا مباهجها،وهذا شىء طبيعى. وطبع ديوان شعره الاول وعنوانه «اشعار جريئة»، ولكن النقاد قابلوه بعاصفة من السخرية والنقد اللاذع ، مع ان نفس هذا الديوان يستأثر الآن باعجاب الجميع . ومهما يكن من أمر فان هذا الديوان رفعه الى زمرة الشعراء الحقيقيين ، فوُجّهت اليه الدعوات واصبح ينقاد الى الاجتماعات السهلة الصاخبة . وكان لا يزال جميلاً على الرغم من انه كان متعباً مكدوداً دائماً ، فاعجبت النساء به واغترف اللذة الى جوارهن فى سهولة . وما من شك فى ان كليمانس المسكينة كانت مؤمنة انه يخونها ، ولكنها مع ذلك لم تشك او تتذمر . ولا ريب فى ان مرآتها قد حدثتها بانها ذبلت خلال أعوام البؤس والشقاء . ثم ان الايام بدّلت حبها لاوكتاف الى عطف أموى يضرب صفحاً عن ضعف المحبوب ، وحدث ان ابدت احدى السيدات دهشتها وسألتها كيف تصبر على خيانته لها ، فردت عليها قائلة : « أوه ، حسبى انه يعيش معى » .

ومرت الأيام . وعلى الرغم من أن فيرميه لم يكن قد تجاوز الخامسة والاربعين فقد وخط الشيب شعره . واستمر فى اغتراف اللذات غير مكترث بحالته ، ناشداً فيها السلوى والعزاء عن خيباته الأدبية ، اذ أبى النجاح الا ان يولى عنه طول حياته . أما كليمانس ، فعلى الرغم من انها لم تكن قد بلغت الاربعين بعد فقد بدت كانها عجوز فى الستين . ولكن ذات مساء من أمسيات الصيف، بينما كنا مجتمعين عند فيرميه نشرب وندخن ، اذا به يغمى عليه فجأة . ولم تكن هذه أول مرة يصاب فيها بالاغماء ، فقد انتابته قبل ذلك ازمات كان لا يلبث ان يفيق منها بعد قليل. ولكن كليمانس جزعت فى ذلك المساء. وكان بيننا طبيب استشارته كليمانس ولكنه لم يبد رأياً قاطعاً ، ونصحها ان تلجأ الى بوبو الاخصائى الكبير . وكشف هذا الأخير على اوكتاف وطمأنه ولكنه اطلعه على الحقيقة فقال له انه مصاب بمرض القلب .

ولم تشتد العلة بفيرميه فى بادىء الأمر ولكن الحرص جعله رزيناً عاقلاً فنظر الى الأمور نظرة أخرى . وراحت كليمانس تحنو عليه وترعاه فى حب واخلاص ليس لهما نظير . واحدث هذا كله أثره الطيب فى فيرميه ، ففى ذات مساء بينما كنت أشاطرهما العشاء فى مسكنهما قال لى :

— هل تعرف علام اتفقت انا وكليمانس ؟ .. اننا نعيش سوياً منذ عشرين سنة تقريباً ولم نتزوج بعد ، أفليس هذا هو الجنون بعينه ... سوف ادعوك بعد ايام انت وثلاثة من اصدقائك فنذهب معاً الى البلدية ثم الى الكنيسة ونعود بعد ذلك الى المنزل لنتناول الغداء .

فقلت وأنا أنظر الى كليمانس : ــ مرحى !

ولكن عيناها اغرورقت بالدموع وتمتمت تقول في انفعال : ــ

ــ ارأيت اطيب واكرم من حبيبي أوكتاف .. ولكني لا اريد أن تقام حفلة الزواج يا سنيشال الا بعد أن يتم شفاؤه ويسترد عافيته فاني اريد أن يكون زوجي في اتم الصحة امام القسيس .

★ ★ ★

ولكن وا أسفاه ! .. لم تمض خمسة عشر يوما حتى لزم فيرميه الفراش ، فقد كان انهكه كتابه الأخير . ثم ان المسرح الفرنسي رفض تمثيليته فزاد ذلك من حزنه وضاعف علته . واستدعينا بويو مرة ثانية فنصحه بالابتعاد عن الانفعالات . وراح اصدقاء الشاعر يتحسرون عليه سلفا . اما انا فبينما كنت اشاطرهم احزانهم كنت افكر في كليمانس .. شريكة حياته . ولم يكن فيرميه قد كتب اية وصية ، واخذت اتساءل ماذا يكون من امرها اذا لم يتزوجها .

ورأيت أن اتحدث مع المرأة المسكينة في ذلك ولكنها ما كادت تسمع اولى كلماتي حتى سقطت بين ذراعي وقالت باكية :

ــ كلا . محال يا سنيشال .. لن أجد من نفسي الشجاعة للاقدام على هذا العمل قط .. وكيف اذكره بوعده .. ؟ ان معنى ذلك انه ضائع وهو يظن أن الموت بعيد عنه . انه يعتقد أنه سوف يبرأ بعد قليل ويغادر فراشه صحيحا معافى .. وقد افهمت الطبيب أن فيرميه المسكين سيظل على اعتقاده هذا حتى النهاية وانه سيلاقي ميتة هادئة .. وانا اذا ذكرته بوعده لي فسوف اعجل بذلك نهايته واقتله .. محال .. اقول لك محال .. اوه ، انني اعلم ما الذي ينتظرني .. وأن الورثة سيطردونني .. وسوف ارتمي في احضان البؤس من جديد ، ولكني لا ابالي فانني متى فقدته لن اصبح بحاجة الى اي شيء . افتقول انني اتنكب جادة الصواب ؟ .. وهل كان هو عاقلا عندما اخذني الى غرفته الحقيرة ، انا بنت الهوى وراح يعتني بي ويمرضني حتى شفيت .. انني استطيع ان افخر يا سنيشال بانني لم اوله قط .. وما دام قد اصبح مقضيا عليه بالموت فكل ما اطلبه من الله هو أن يموت بين ذراعي شريكته ، من غير أن يدري ، وهو يراني ابتسم له .

واردف المثال الكبير يقول وهو يضع يده المرتجفة على ذراعي :

ــ هكذا مات فيرميه يا صديقي . ولم تشأ كليمانس ان تتركني معه على انفراد قط ، بل كانت بجانبي تتوسل اليّ صامتة ان لا اتكلم ، ودفعت بثروة طائلة رجاء أن تخفف على المحتضر ساعة احتضاره ، ذلك الذي تحبه والذي افنى حياته في خياناتها مع نساء كثيرات .

وفي غداة موته اقبل اقاربه من الارياف ، وكانوا قوما غلاظ القلوب قساة ، فاخذوا كل شيء وطردوا كليمانس طرد الكلاب . وقد لقيت من اهتم بها طبعا ، فان بوردييه ، المؤلف المسرحي استطاع ان ييسر لها وظيفة عاملة حفظ الثياب في هذا المسرح . وهي وظيفة لا تكاد تكفيها لكي تعيش ، والدنيا لم يعد فيها قلوب نبيلة .. ولكن مهما يكن فهي تعيش ..

فقلت وانا اشد على يده : ــ انني افهمك .

وعاد يقول وهو يضرب بيده على جبينه :

ــ وكلما فكرت في ان هذه المرأة المسكينة لو شاءت لكانت تدعى اليوم مدام فيرميه ، ولكانت تجلس في مقصورة الشرف يهرع اليها رجالات المجتمع ويتسابقون لتقديم تهانيهم لها .. ولكن مهما يكن فهي اليوم سعيدة راضية اذ تسمع القوم يهتفون لحبيبها اوكتاف ، ويصفقون لاشعاره الجميلة التي لا تفهمها ، والتي تعجب بها مع ذلك .. ولعل هذا هو اجمل ما في العالم ياصديقي فهذا هو الايمان .. واني اليوم اريد أن تتم سعادتها .. ففي كل يوم احد تتناول طعام العشاء عندي حيث اقدم لها الحساء في الساعة الخامسة لكي تصل الى المسرح في موعدها . اما الليلة فسوف ارافقها للعشاء في احد مطاعم الدرجة الاولى كما كان يفعل اوكتاف ايام الحفلات الاولى، وسوف نتحدث عنه حتى الثانية صباحا .. ولكن صه يا صديقي الآن فان الستار يرفع عن الفصل الثاني

وهذا هو السبب في انني في منتصف الواحدة بعد نصف الليل من تلك الليلة كنت اجلس في مقهى فولتير مع جماعة من طلبة مدرسة الفنون الجميلة ، وانظر الى دهشتهم وهم يرون استاذهم الكبير سنيشال ، عضو الأكاديمية يصعد الى الصالون المخصوص وهو يقدم ذراعه لامرأة عجوز عرفوا فيها الام كليمانس العاملة المكلفة بحفظ الثياب بمسرح الاوديون . ■■

ترجمة : عبد المنعم جلال

بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

ويقول الدكتور الشيال عن الشاذلي : « انه ادمن على الشرب والمحبة وكاسهما ، مع السكر والصحو » !! فما معنى : « كاس ، وشرب ، وسكر . ثم صحو ؟! » اكان شيء من ذلك ورثناه عن الصدر الأول من المسلمين ؟ (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ؟ سورة الشورى .

ثم يقول الدكتور عن الشاذلي أيضا : وفي « شاذلة » تأسى الشاذلي بأستاذه ابن مشيش ، فلم يسكن في القرية ، وانما لجا الى غار في جبل زغوان ، واخذ هذا الغار رباطا له يقيم ويتعبد فيه » .

فهل سكنى المغارات والتعبد فيهـا ، دون الاختلاط بالمسلمين وتبادل المنافع والمصالح معهم ـ وهو ما خلقهم الله لأجله ، بعد عبادته ، مما أباحه الاسلام ودعا اليه ؟ والله تعالى يقول : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) والرسول الأكرم يقول « من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم » ويقول « الناس بخير ما تعاونوا » و « لا رهبانية في الاسلام » .

ان تعاليم الاسلام بعيدة كل البعد عن الجهل والخرافات ، والاوهام والتخرصات ، فليس في الاسلام طقوس ورموز وشعوذات ، بل ان طريق الاسلام واضح بيّن . يقول الله تعالى بعد أن بين أحكامه وشرائعه ، وأوامره ونواهيه (وأن هذا

صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك » هذا هو الاسلام فى غاية من الوضوح والبيان . فاين هؤلاء الصوفية من تعاليم الاسلام ؟

ولست أدرى كيف تستسيغ عقول ذوى الثقافات العالية من الناس، مثل تلك الدعاوى الباطلة التي تخرج عن طاقة البشر وقدرتهم . ان سنن الله تعالى فى البشر واحدة ، لا تتبدل ولا تتغير ، يستوى فى ذلك الأنبياء وغير الأنبياء ، اذ لا يمكن لأحد الخروج عن سنن الله تعالى بأوهامهم وضلالاتهم . (ان يتّبعون الا الظن ، وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى) صدق الله العظيم .

القاهرة ـ محمد صالح سعدان

أكفاء .. وأكِفّاء

● تتردد كثيرا على السنة المذيعين فى المذياع والتلفزيون كلمة (أكِفّاء) بكسر الكاف وتشديد الفاء بمعنى ذوى كفاءة . واذكر انى سمعت ذلك لآخر مرة فى الفيلم الذى انتجته وعرضته وزارة الارشاد والأنباء عن ثانوية الشويخ فقد قال المعلق عن الطلاب : انهم يتدربون على أيدى اساتذة اكفاء بكسر الكاف وتشديد الفاء وكذلك فى مقابلة تلفزيونية أجريت للوفد السوفييتي الاقتصادى .

وهذا الخطأ غير المقصود يقلب المعنى راسا على عقب فكلمة (أكفاء) بكسر الكاف وتشديد الفاء هي جمع كلمة (كفيف) اي اعمى فيصبح معناها (عميان) .

ان كلمة كفيف صفة والصفة اذا كانت على وزن فعيل تجمع على افعلاء فتصبح اكففاء بكسر الفاء الأولى ومد الثانية ، واذا اجتمع حرفان متماثلان

وجب ادغامهما فاذا كان أولهما متحركا وكان ما قبله حرفا ساكنا صحيحا كما فى اكففاء نقلت حركته الى الساكن الصحيح فتصبح اكِفّـاء . وقياسه حبيب: احباء ، طبيب : اطباء ، شديد : اشداء ، رفيق : ارفاء ، خليل : اخلاء ، عزيز : اعزاء .

اما صاحب الكفاءة فيقال له (كفء) على وزن فعل ويجمع على اكفاء على وزن افعال وشتان ما هما .

كويت ـ مدرسة ابن سينا
عاهد اللبدى

مزقي يا ابنة العراق الحجابا !

● من أعجب المناظر التى تقع عليهـا الأعين اليوم فى العراق ، منظر الفتاة العراقية وهى ترتاد الجامعة أو المدرسة ملتفة بالعباءة كما كانت امهاتنا وجداتنا يفعلن من عشرات السنين .. واعجب من ذلك ان تتستر فتاة الجامعة من رجل الشارع بينما هى لا تتستر ـ فى الجامعة ـ عن زملائها من الشبان .. ولا ادرى ما الفرق بينهما .. حتى أصبحت أضحوكة ، وحتى أصبح الكثيرات يتذمرن من تصرفات آبائهن ، فاذا ما اجترأت احداهن على ابداء تذمرها ثار عليها ابوها وهاج وتوعدها بالمنع من الذهاب الى الجامعة أو الى المدرسة التى جعلت منها فتاة عاقة ، ساقطة حسب ادعائه !

اننى لا أجد ما أتوجه به الى اخواتى الفتيات العراقيات المتعلمات خيرا مما صرخ به الزهاوى منذ سنوات فى قصيدة مشهورة .

مزقي يا ابنـة العراق الحجابا
واسفرى فالحيـاة تبغى انقلابا
مزقيـه واحرقيـه بـلا ريـ
ـثٍ فقـد كان حارسا كذابا
انزعيـه بقسـوة وَطَئِيهِ
واجعلى فى فم الحنيـق ترابا

النجف الأشرف ـ هناء محمد على

من شعر القراء :

من وصية والد الى ولده

اريدك يا ابنى تطيع الاله
تظل صلاتك فوق الشفاه
تحب بلادك من كل قلبك
تحب لغيرك يا ابنى كنفسك
وفتش عن الخير انى وجد
ودافع عن الحق مهما اضطهد
وكن يا بنيا .. عفيفا ابيا
جريئا طموحا .. كريما قويا
وقلبك فاملاه حبـا وطهرا
ونفسك عزا ونبلا وكبرا
اريدك يا ابنى .. تشيد وتبنى
واما هدمت ... فللامثل
واما حطمت ... فللانبل
وتبنى لشعبك اعلى قمم
وتبذل روحا وجسما ودم
فكل الذى فى عروقك يا ابنى
من التراب يا ابنى .. من الشعب يا ابنى.
فردّ اليه العطاء .. وردّ اليه الدماء ...
دماء البلاد الحبيبة .. دماء العروبة
اعدها اليه .. بكل سخاء
ولا تبغ منه جزاء .. جزاء الفداء

عرفان سلوم المحامى

(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....
....
العنوان : ....
....
....



ميزتان عظيمتان تمتاز بهما السيارة كورونا الجديدة



تشعر باننا مسئولون تجاهك في توضيح ميزات السيارة كورونا التى قد لا تبدو لك واضحة وانت تشاهدها لأول مرة في صالات العرض .

فمثلا تجد ان سعة اسطوانتها ٥ر١ لتر وقوة محركها ٧٤ حصانا كما تمتاز نقلاتها بانها سنكرونايزد اما فراملها فهي من نوع السرفو الحديث التلقائي الانضباط .

طبعا كل هذه الميزات الفنية جعلت كورونا في مقدمة السيارات التى من مستواها وفي الحقيقة فهي أعظمها .

اما الميزة العظيمة الاخرى التى تمتاز بها كورونا فيمكنك معرفتها بالنظرة الاولى للسيارة حيث يتضح لك المجهودات العظيمة التى بذلت لتصميمها من الخارج ومن الداخل وستحكم بانها مريحة وسهلة بالنسبة لك اينما ذهبت .

والمطلوب منك ان تقرر أى هاتين الميزتين ترون لك اكثر وذلك بزيارتك لاقرب صالة عرض لسيارات تيوتا ..

"BUILT TOUGH FOR YOU"

TOYOTA MOTOR, JAPAN

البنك التجاري

الميزانية العمومية في

(دينار كويتي واحد =

١٩٦٤ دينار كويتي	الموجودات	١٩٦٣ دينار كويتي
٣،٤١٥،٤٨٨	النقد والارصدة لدى البيوت المصرفية	٢،١١٤،٦٨٥
٥،٩٦١،٩٠٢	مبالغ تحت الطلب وباشعارات قصيرة الأمد	٤،٤٤٥،٠٠٠
٩٥٣،٧٦٠	سندات خزينة الحكومة البريطانية وسندات مصرفية ممتازة .	١،٠٠٠،٨٧٠
٢٢،٨٣٥،٣١٠	ودائع لدى البنوك والمصارف الصناعية	١٧،٢٥٠،٠٠٠
٧،١٣٠،٣٦٦	سلفيات للعملاء وسندات مخصومة وحسابات أخرى .	٦،٢٥٠،٣٨١
٢٧٨،١٧٠	العقارات والاملاك بسعر التكلفة ناقصا المبالغ المستنزلة .	٢٣٠،٠٠٠
٥،٦٤٠،٣٢٤	تعهدات العملاء مقابل اعتمادات وكفالات والتزامات أخرى (له مقابل)	٤،٣٣٠،٠١١
٤٦،٢١٥،٣٢٠		٣٥،٦٢٥،٩٤٨

دبليو.اف.ادامز
المدير العام

حساب الارباح والخسائر

١٩٦٤ دينار كويتي		١٩٦٣ دينار كويتي
٣٢،٥٤٩	الاحتياطي القانوني ١٠ بالمائة من الارباح	٢٩،٣٠٠
١٤٠،٠٠٠	الاحتياطي العام	١٤٤،٨٧٩
١٥٠،٠٠٠	مخصص مقسوم الارباح المقترح دفعه بواقع ١٠ بالمائة .	١٣٥،٠٠٠
٣٩،٨١٩	الرصيد المنقول الى ما بعده .	٣٦،٨٧٦
٣٦٢،٣٦٨		٣٤٦،٠٥٥

تقرير مدقق الحسابات الى مساهمى البنك التجارى

اشهد انى فحصت الميزانية العمومية وحساب الأرباح والخسائر المرفقين وقد حصلت على جميع البيانات والايضاحات التى وجدتها فى رايى ضرورية .

وانى اشير انه طبقا لقانون الشركات التجارية رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ فان الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر :

١ ـ يتفقان مع الاصول المعرفية المتبعة وعلى هذا الأساس يعبران بامانة ووضوح عن المركز المالى الحقيقى للشركة فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ وعن الربح المحقق بالنسبة للاصول المذكورة عن السنة المنتهية بذلك التاريخ .

٢ ـ مع الأخذ فى الحسبان الملاحظة على الميزانية فانها تتفق مع القانون . وفى رأيى :

١ ـ ان الشركة تمسك حسابات منتظمة .

٢ ـ ان البيانات الواردة فى تقرير مجلس

الكويتي شر

برقان

٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٤

جنيه استرليني واحد)

١٩٦٤ دينار كويتي	المطلوبات	١٩٦٣ دينار كويتي
١،٥٠٠،٠٠٠	راس المال المصرح به والمدفوع ٢٠٠،٠٠٠ سهم بسعر ٧/٥٠٠ دينار كويتي للسهم الواحد مدفوعة بالكامل	١،٥٠٠،٠٠٠
١١٤،٩٨٠	الاحتياطى القانونى	٨٢،٤٣١
٥٠٠،٠٠٠	الاحتياطى العام	٣٦٠،٠٠٠
٣٩،٨١٩	حساب الارباح والخسائر	٣٦،٨٧٦
٢،١٥٤،٧٩٩		١،٩٧٩،٣٠٧
٣،٤٠٧	ارصدة مستحقة للبنوك الاخرى	
٣٨،٢٦٦،٧٩٠	حسابات جارية وودائع وحسابات اخرى متضمنة التبعات .	٢٩،١٨١،٦٢٩
١٥٠،٠٠٠	مخصص مقسوم الارباح المقترح دفعه	١٣٥،٠٠٠
٥،٦٤٠،٣٢٤	تعهدات لقاء اعتمادات وكفالات والتزامات اخرى (له مقابل)	٤،٣٣٠،٠١٢
٤٦،٢١٥،٣٢٠		**٣٥،٦٢٥،٩٤٨**

ملاحظة ــ ان الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر لم ينظما بموجب الملحق ج ــ من اللائحة التنفيذية لقانون الشركات التجارية رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ بل طبقا للاصول المصرفية المتبعة .

عبد العزيز احمد البحر
رئيس مجلس الادارة

للسنة المنتهية فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٤

١٩٦٤ دينار كويتى		١٩٦٣ دينار كويتي
٣٦،٨٧٦	الرصيد المنقول	٥٣،٠٥٠
٣٢٥،٤٩٢	ربح السنة المنتهية فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ بعد خصم جميع المصاريف وبعد تحويل مخصصات للطوارىء واستهلاكات الموجودات .	٢٩٣،٠٠٥
٣٦٢،٣٦٨		**٣٤٦،٠٥٥**

الكويتى (ش.م.ك.)

الادارة بالنسبة للحسابات متفقة مع ما هو وارد فى دفاتر الشركة وان الجرد قد اجرى وفقا للاصول المرعية .

٣ ــ انه فى حدود المعلومات التى توافرت لدى فانه لم تكن هناك مخالفات لاحكام القانون او نظام الشركات على وجه يؤثر فى نشاط الشركة او مركزها المالى خلال السنة .

هـ . ج . اسحاق

عضو مجمع المحاسبين القانونيين بانجلترا ويلز
سجل مراقبي الحسابات رقم ٤٢ الكويت

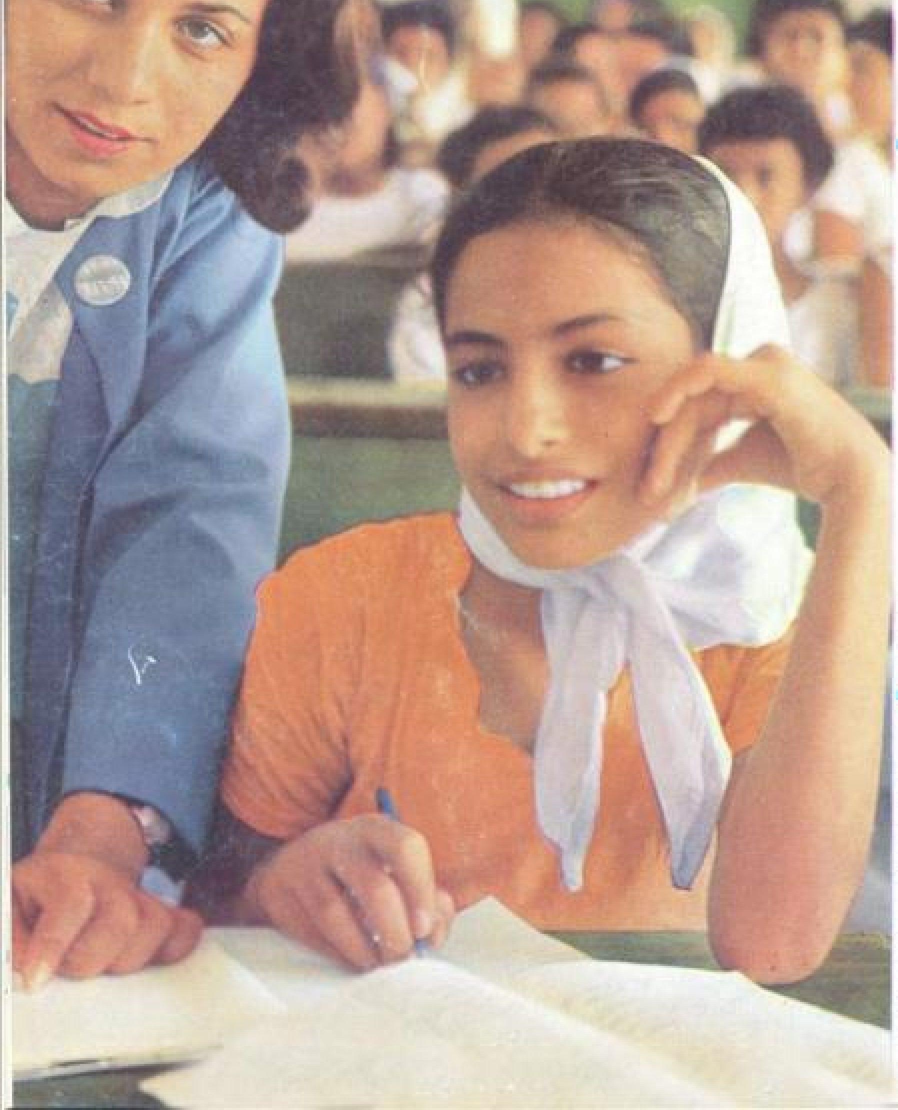
من ويني مري وشركاهم

محاسبون قانونيون
مدققون

الكويت فى ١٩ يناير ١٩٦٥

العربي

العدد ٧٩
صفر ١٣٨٥
يونيو
حزيران) ١٩٦٥



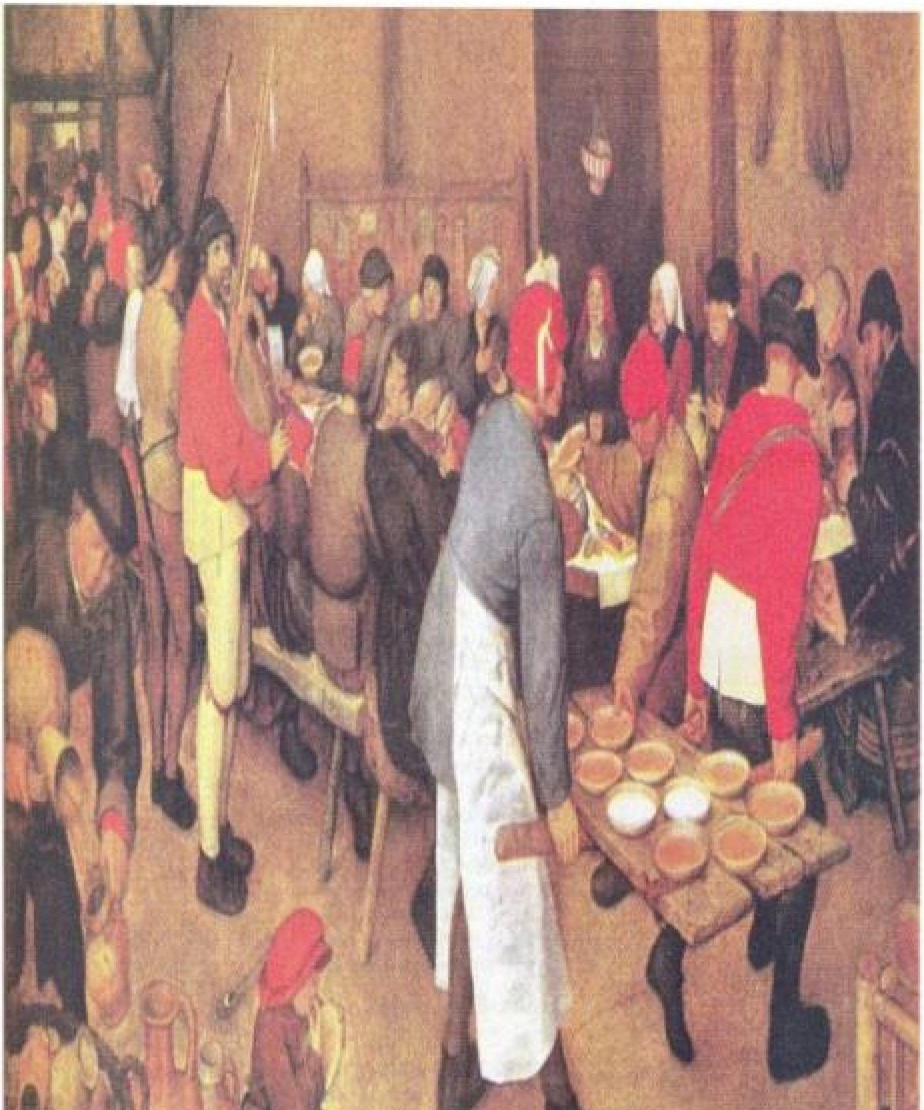
اطلب
العربي الصغير
مع هذا العدد

.. نز
١٢٠٠
دينار سنويا

عربيات من حضرموت
يقبلن على العلم

الثمن

	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٢٫٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	مليم
الجزائر	٢٠٠	مليم



لوحة .. وتاريخ حياة

كانت الأوامر ، في عهد الامبراطور شارل الخامس ، لا تسمح بالتجمع لأكثر من عشرين شخصا ، حتى في حفلات الزفاف ! وقد رسم بيتر بروجل (١٥٢٠ - ١٥٦٩) هذه اللوحة وهي تمثل المدعوين جالسين على مائدة العرس ، بينما يطوف عليهم الخدم بألوان الطعام والشراب. وقد وقف بقية من المدعوين بالباب منتظرين أن يقوم هؤلاء الطاعمين حتى يأخذوا أماكنهم .

عزيزي القارىء

مسالتان نمسئهما هنا يتصلان بك اتصالا وثيقا :

● ياتينا من القراء ، من البـلاد العربية ، وغير البـلاد العربية ، وحتى من أوروبا وأمريكـا وما وراء البحـار ، طلبات للاشتراك فى العربى كثيرة . ونحن نحولها الى القسم المختص ، وهذا القسم يرسلها بالبريد من الكويت الى الشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها بيروت ص.ب ٤٢٢٨ ، وهـذه تتولى امر هـذه الطلبات . وبها قسم انتظم الآن للاشتراكات . فرجاؤنا الى كل طـلاب الاشتراكات : أن يتوجهوا بمطالبهم الى هذه الشركة رأسا .

● ومسابقة العربى : يأتينا من المتسابقين ، وهم آلاف كثيرة ، خطابات تنحنى فلا ينظـر اليهـا أحـد ، وهى :

(١) تلك التى لا تتضمن كوبون المسابقة .

(٢) وتلك التى لا يكتب على ظرفها انها خاصة بالمسابقة.
وشيء آخر يحدث للفارزين لهذه الخطابات حرجا ، ذلك وجود مقالات أو تعليقات مـع الأجوبة على المسابقات .

فنرجو من جميع القراء المعونة فى تيسير أعمالنا ، ففي تيسيرها تيسير لهم .

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

أدب ولغة :

طب وعلوم :

ركن الفضاء :

اسلاميات :

عروبة

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 79 June 1965 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربى»
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● كان تعليم الفتاة فى حضرموت يلقى معارضة من قبل الآباء ، فتأخر تعليمها كثيراً عن تعليم الفتى . ومنذ ثلاثة اعوام افتتحت اول مدرسة متوسطة للبنات فى المكلا .. وفى العام الماضى ومع وصول اول مدرستين اردنيتين دب النشاط والحماس بين الطالبات واقبلن على التعلم بشكل لم يعهد فيهن من قبل .. وهذه هى الآنسة صفاء علاء الدين تقوم بالتدريس فى احدى مدارس بنات المكلا ..

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣ر٠ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣ر٠ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



حول ما فى التفاسير من ترهات

● بقدر ما راقنى ذلك السؤال الواعى الجامع عما فى التفاسير من ترهات ، والمنشور بالعدد – ٧٦ – من « العربى » القراء ، واقتراح جمع العلماء والاطباء وغيرهم من ذوى الاختصاص فى شتى العلوم والفنون ، لوضع تفسير يناسب العلوم والمدنية الحديثة، كان اعجابى شديدا بتلك الاجابة السديدة الموفقة ، والتى كانت « أوعى » فى بابها لما يحتاجه الباحث فى ديننا الحنيف من تفهم لمقتضيات العصر ومستلزماته .

نعم ، لم تكن الاكتشافات العلمية الحديثة معروفة ، بل لم تكن قد وجدت أصلا ، أيام المفسرين القدامى . ولكن بعض علماء عصرنا هذا قد تناول بعض تلك الاكتشافات فى تفسيره لبعض سور القرآن وآياته . منهم الشيخ محمد رشيد رضا أحد تلامذة الامام محمد عبده الذى ذكرتم منه ومن الامام المراغى أنهما مسّا فى تفسيرهما العلوم الحديثة مسا رقيقا . ومبلغ علمى عن الشيخين محمد عبده ، والمراغى ، أنهما لم يدوّنا تفسيرا للقرآن الكريم ، الا ما سجله الشيخ رشيد رضا فى الأجزاء الثلاثة الاولى من القرآن فى تفسيره عن الامام محمد عبده ، وذلك من دروسه التى كان يلقيها الامام بالأزهر الشريف ، والتى تناول فيها بعض العلوم العصرية والاكتشافات الحديثة، وصحح بعض ما أخطأ فيه السابقون من المفسرين.

هذا وللاستاذ « سيد قطب » تفسير للقرآن سماه (فى ظلال القرآن) تناول هو الآخر فيه بأسلوب عصرى حديث ، الكثير من الاكتشافات والعلوم الحديثة ، وربط بينها وبين القرآن بما لا

(البقية على صفحة ١٥٠)

أحقّ أن حاضرنا

● قرأت فى العدد السابع والسبعين من مجلة العربى القراء مقالا للدكتور فاخر عاقل : بعنوان « نذكر الماضى بالخير .. ونذم الحاضر .. » رسم لنا فيه صورتين : الاولى للماضى قاتمة ، والأخرى للحاضر مشرقة ، وليسمح لى الدكتور أن أقول له انه كان أكثر تفاؤلا مما يجوز !

– ففى الجانب الاقتصادى مثلا ، لا نشك فى أن الانسان المعاصر قد أصاب قسطا كبيرا من الرفاهية والرخاء كان سلفه محروما منه ، وذلك بفضل مخترعات هذا العصر كالسيارة والبراد والراديو والتلفاز وغيرها .. ولكن نظرتنا تكون أصح لو أخذنا مجمل الحياة ومستوى العيش حسب ظروف كل زمان ومتطلباته ، واذن لوجدنا أن الماضى ببساطته لا يقل عن الحاضر بموجوداته .

ولست ادرى لماذا اختار الدكتور فاخر «النكبة فلسطين » مثلا ليصور الماضى مع أن نكبة فلسطين هى من تاريخ العرب الحديث لا من ماضيهم .. لا ادرى لماذا لم يصور ماضى العرب الذهبى يوم فتحوا الدنيا فدقوا بيمينهم أبواب الصين ،وطرقوا بشمالهم ابواب أوروبا فاستفاقت على وقع سنابك خيل طارق بن زياد ! ؟

اننا اذا كنا نترحم على الماضى فى بلدنا فاننا نترحم على ماض مشرق وعهود زاهرة لنستلهم منها الانطلاق نحو المستقبل الأمثل ..

– واما الجانب الاجتماعى فقد عرض الاستاذ ضباب الماضى ولم يتعرض لضيائه ، ونسى أن الأسرة – وهى كيان المجتمع وعموده الفقرى فى الماضى والحاضر وستبقى كذلك ابد الآبدين – كان تماسكها فى الماضى هو الطابع المميز لها ، على نقيض وضع أسرة اليوم التى هى اقرب الى التفكك والانحلال .. وان ما سماه ديكتاتورية الاب انما هى ديكتاتورية الرحمة وهى خير من ديمقراطية الفوضى !

ويقول استاذنا عن طفل اليوم انه « كائن حى

وجود كائنات حية فى الكواكب الاخرى ، شيء تؤيد الدلائل العلمية احتماله

● كتب الاستاذ محمد التابعى فى جريدة أخبار اليوم مقالا عن معارضة العلماء لكل اكتشاف جديد ، وهو يقول فيه :

« .. ويومئذ تفضل العالم المصرى الاستاذ الدكتور أحمد زكى وقال ان القول بوجود كائنات حية فى كواكب أخرى انما هو تحشيش فى تحشيش » .

ولما كنا قرأنا للدكتور أحمد زكى فى « العربى » آراء غير ذلك ، نرجو أن نعرف رأيكم فيما كتبه الاستاذ التابعى .

قارىء عربى

ـ الواقع ان الدكتور احمد زكى رمى « بالتحشيش » تلك الاقاصيص التى ابتدعها المبتدعون عن مخلوقات نزلت الى الارض من المريخ ، فى البسة ، تارة خضراء ، وتارة حمراء، تخاطب من التقى بها من أهل الأرض ، تارة بالفرنسية ، وتارة بالانجليزية . وتارة بالاسبانية . ثم هى تحرك بعد ذلك مركبها البخارى ، وتختفى فى السماء ، زعما بالطبع أنها تعود الى المريخ .

هذه الأقاصيص الخرافية هى التى وصفها الدكتور احمد زكى بالتحشيش عندما سمعها لأول مرة منذ سنوات كثيرة ، وذلك فى حديث عابر ، مع صحفى .

اما وجود كائنات حية فى الكواكب الأخرى ، فموضوع علمى تشير كل الاحتمالات العلمية الى صحته . وللدكتور زكى باب كامل فى كتابه « مع الله فى السماء » عن احتمال وجود حياة أو كائنات حية فى الكواكب الاخرى ، تتلاءم مع جوها وبيئتها .

وقد كان الاستاذ محمد التابعى اشار الى مثل ذلك منذ خمس سنوات ، فى « أخبار اليوم » ، وكتب له الدكتور زكى مصححا ، وتفضل الاستاذ التابعى بنشر التصحيح وقال « واذن قد اتفقنا » ، ولكن توالى الايام يُنسى ، وتطاولُ السنين .

خير من ماضينا ؟!

محبوب مدلل .. يعان على ان يكون شابا قويا جريئا حرا وقد كان بالامس ـ فى أحسن الاحوال ـ شيئا مهملا ... » ونحن نسأل هل وجدت عاطفة الأمومة والأبوة اليوم وقد كانت مفقودة بالامس ، ام هل قويت وقد كانت ضعيفة ؟ ، حتى أصبح الطفل محبوبا ؟! ان واقعنا الحالى يثبت تصلب العواطف لدى المجتمعات الحاضرة ، حيث لم نسمع من قبل أن اما وضعت طفلا فقذفته فى الشارع ، او قتلته وهو فى احشائها ، أو وضعته فى « مستشفى اللقطاء » وهربت قبل أن تراه ..

وشباب «الخنافس» أهم ابناء مجتمعنا الحاضر أم من مخلفات الماضى ؟!

ويبقى بعد ذلك الجانب الأخلاقى ..

ويكفى أن نشير الى الاحصائيات الرسمية التى تقول ان ٣٠٪ من الاطفال الذين يولدون فى أمريكا أطفال غير شرعيين .. وكذلك الحال فى أوروبا ..

والمرأة .. من قال ان تعليمها هو مصدر شر لها ؟! لا اظن أحدا يقول ذلك .. ولكننى اقول مع الدكتور فاخر وقوله صحيح ان السر هو فى التربية الصحيحة والتعليم القويم .

واما موضوع السفور والحجاب حيث يرى الاستاذ أن كليهما قد يكون مصدر شر ولا يفرق بينهما .. فاننا لا نريد ان تقبع المرأة فى سراديب عميقة لتعيش على هامش المجتمع .. كما لا نريدها مبرجة شبه عارية تعرض جسدها لكل جائع ... ان الذى نريده لها هو : الحشمة حفاظا عليها من نظرات السوء ومن خبث النفوس ، وحرصا على الأخلاق التى تقف فى هذه النقطة الخطرة بالذات على مفترق الطرق .. ولا نقول كما قال استاذنا : « نحن بخير » لئلا نفرط فى التفاؤل .. بل يجب أن نفتش عن أمراض مجتمعنا التى هى أمراضنا ونبحث عن مكامن الخطر ونسرع بالدواء قبل أن يستعصى الداء ...

محمد جحجاح ـ حلب

النَّكبَةُ الكُبْرَى

في ذكراها السابعة عشرة

بقلم رئيس التحرير

في منتصف أيار ، منتصف هذا الشهر الذى مضى ولم يكد ، احتفل العرب ، احتفالا حزينا ، بذكرى النكبة الفلسطينية ، تلك التي وقعت في عام ١٩٤٨ . فهى اذن الذكرى السابعة عشرة .

والحق انهم لم يجتمعوا ليذكروا ؛ فكل يوم لهذه الفجيعة ذكرى .

والعرب اليوم حيثما كانوا من الأرض، تدور سياساتهم على اقطاب عدة، وليس كقطب من بينها له من الظهور ما للنكبة الفلسطينية . وليس مؤتمر ينعقد بين عرب ، أو بين عرب وغير عرب ، من غير الجانبين، الا وتؤلف القضية الفلسطينية بندا من بنوده .

ويتحدث ساسة الغرب عن الشرق الاوسط ، ومتاعبهم في الشرق الاوسط، ومطامعهم في الشرق الاوسط ، وما بالشرق الاوسط أعقد عندهم من قضية فلسطين .

واهل المشرق البعيد، من هند وصين، واندونيسيا وسيلان ، ناصروا قضية فلسطين. حتى باكستان، وحتى الترك،

انجلترا اعتادة العُقَد ، تَرَكت في كلِّ بلدٍ عُقدة ،

تَسلَّلَ اليهودُ إلى الولايات بالمال ، وبالرجال ، وَاحتَلُّوا

غمغموا ، ولم يصرّحوا ، وكادوا ان يناصروا ، ولم يفعلوا ، والهدف قضية فلسطين .

والافريقيون شملوا بولائهم ، فيما شملوا ، قضية فلسطين .

والكتلة الشرقية ، روسيا وتوابعها ، شجبت خابور الاستعمار الغربي فى فلسطين .

فمن بقي من الدنيا ؟ :

اسرائيل الكبرى، اعني الولايات المتحدة الأمريكية .

وبقيت انجلترا ، ومن بعدها فرنسا .

وبقيت المانيا الاتحادية .

وامم غربية اصغر ، لا تزال تذكر حقولا فى الأرض استعمرتها بالامس ، وهى تبكيها ، وترجو العودة اليها .

وبقيت بعد كل هؤلاء: **بقية من العرب!!**

اسرائيل الكبرى
او
الولايات المتحدة الأمريكية

ونقول اسرائيل الكبرى ، ولا نتجنى، ان الولايات المتحدة تتالف من جنسيات عدة ، من الانجليزى ، والاسكتلندى، والايرلندى، والسويدى، والنرويجي ، والالمانى ، والايطالي ، والاسبانى ، وغير هؤلاء . اصول لهم بدات مع الهجرة الى الدنيا الجديدة . ثم تفرّعت ونمت . ولا نذكر الزنوج ، فهم فى هذا الصدد غير ذوى موضوع .

والولايات المتحدة تالفت من اديان عدة ، ومذاهب عدة . وان غلبت عليها المسيحية البروتستنتية .

العَرَب يعيشون فى مَاضِى الزَّمان أكثرَ مِنْ عَيْشِهم فى حَاضِرِهم ، والآخرةُ أكثرُ استيلاءً على عقولِهم مِنَ الدُّنيا ، وهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَسْلكون مَسالِكَ تُؤدّى إلى خَراب الدُّنيا والآخِرة مَعًا!

وتخصّصت فى تذويب القوميّات بِبَثّ الدَّخيل قبل أنْ ترْحَل مَراكِزَ الدّعاية والنفوذ فيها ، حتّى جعلوا مِنها : اسْرائيل الكبرى



« عندما أصابت السوداوية صمويل ، أول ملك لاسرائيل ، استدعى داود ليخفف بقيثاره من وقع الكآبة عن ملك اسرائيل » .. هذا ما جاء شرحا لهذه الصورة التي اخترناها من صور عدة، في استطلاع نشرته مجلة لَيْف ، يعرض مجد اليهود الذي كان ، وذلك بمناسبة عيد الفصح هذا الماضي . وهو جـزء من مخـطط للدعاية الاسرائيلية أريد به أن يوافق تازم الأحـوال بالشرق الأوسط .

واليهود في الولايات المتحدة جمعوا بين الجنسية والدين ، فاليهودية ديـن وجنسية معا . واليهود هم وحدهم ، من بين أهل الجنسيات وأهل الأديان ، الذين لهم في الولايات منظمات ، تدعـو باسمهم جهارا ، وتدعو ليـلا ونهارا ، وتجمع الأمـوال هناك مـن الشعب والحكومة معا، ترغيبا وارهابا، وتجمعها، لا ليهـود الولايات ، ولكـن لولاية هي الولاية الحادية والخمسون، هي اسرائيل الصغرى في فلسطين .

واليهود وحدهم ، من حيث أهـل الجنسيات والأديان الذين منهم تتألف فسيفساء الولايات المتحدة . هم الذين لهم وحدهم بين ممثليهم من اليهـود ، ومن غير اليهود ، من يقوم يطلب باسمهم الثواب لأهـل الأرض والعقاب . امـا الثواب فلمن ناصرهم ، واما العقاب فلمن خاصمهم ، أو من خاصموه ، ومَن من ارضه أخرجوه،وديارَه والحرثَ والزرع سـلبوه .

قام يهود الولايات المتحدة بهذا ، وهم اهل الدين ، ولم يقم بمثله ولا بشبيه له ، الكاثوليك ، ولم تقم صنوف أخرى ممن هناك من أهل المذاهب والأديان .

وقام يهود الولايات بهذا ، وهم دعاة جنس ، ولم يقم في الولايات بمثل مـا قاموا به الانجليز هناك ، ولا الفرنسيون، ولا الأسبان ، ولا الألمان .

ولو أن هؤلاء او هؤلاء فعلوا ما فعل يهود الولايات المتحدة ، لاتهموا في أعراف الأوطان بأشنع تهمة ، تهمةِ الولاء لدولة غير الدولة .

ولهذا أسباب عدة .

الولايات دولة محتلة

فالولايات دولة محتلة .

ان الاحتلال يكون عادة بالجند . وقد عرفنا في هذه العصور الحديثة صنوفا من الاحتلال لا ينزل فيها جندي واحدٌ بأرض. وقد اتقن اليهود من قديم الزمان نوعـا من الاحتلال خفيا ، هو الاحتلال بالتسلل . يتسللون في كل أمة يشاؤون بالمال ، ويتسللون بالرجال . وتسللهم لا يكون ، بالضرورة ، الى مراكز القيادة في الدولة ، ولكن الى مراكز النفوذ ، ولا سيما غير الظاهرة الباهرة .

ومن مراكز النفوذ ادارات الأمـوال ، حيث المال يُعطى أو يُمنَع ، والبنوك عصبُ الدولة .

ومن مراكز النفوذ الصحافة ، فهم يمتلكونها ، والصحفيون ، كما عهدنا فى أكثر أمم الأرض ، أكثرهم اجـراء . والصحافة تصادق وتخاصم . وهى ، فى هذا الزمن الحديث ، تحيى وتميت . ومن ضحاياها الساسة،لا سيما والموسم موسم انتخابات . وعلى راس الساسة رئيس الولايات . ومن ضحاياها رجال المال والأعمال . ومن ضحاياها حتى الكتّاب واهل الرأى . فالصحف تنشر وتطوى . وهى تنقد مدحا وقدحا .

ومن مراكز النفوذ دور النشر ،واليهود يمتلكونها ، أو هم لهم اليد الطولى فيها.

والناس لا تزال تؤمن بصدق الكلمة المطبوعة فى كتاب : يأتيك رجل أو تأتيك امرأة بخبر ، او قصة ، فتنكرها ، فيقول لك او تقول دعما لصحتها : **لقد قرأتها فى كتاب .**

واقرأ من كتب الغرب ما اقرا ، فأجد انف الصهيونى مدسوسة فيه دسا ،وعلى حين غِرةٍ، وحيث لم يكن يُرجّى لليهود ذكر . وهو لايذكر فى الكتاب بأنه يهودى، ولكن ببعض ما صنع،او بعض ما ارتأى . او بعض فلسفة أو علم .

ومن مراكز النفوذ التى تسلل اليها اليهود فى الولايات المتحدة ، السنما والاذاعة



وهذه احدى صور استطلاع نشرته المجلة الجغرافية البريطانية ، فى عيد الفصح ايضا ، جزءا من الحملة المدبرة التى ترفع من اليهود ، وتهبط بالعرب .. واستطلاع آخر، أصرح، نشرته المجلة الجغرافية الأمريكية ، قبيل عيد الفصح ، كله عن اسرائيل ، وتل أبيب ، رفعت فيه من اسرائيل رفعا ، فهى بلد أوروبى ، وضمّنته صور عرب وجمال يلعبون لعبة الحجر فى الرمل ، امعانا فى المقارنة . ومنعنا من نشر شىء من صور هذا الاستطلاع عن تل أبيب ، حكمة" عزيزة تراها الجامعة العربية ، الا يذكر العرب عن اسرائيل خيرا ، ولا تذكر الصحف ولا الموسوعات ولا الكتب الغربية عنها خيرا ، فان هى فعلت، ودخلت بلاد العرب ، كان جزاؤها البتر . وهى تبتر من صحف وكتب مجالها الدنيا الواسعة. لا بد ان يجهل العرب عن خصمهم كل شىء ، وتعلم الدنيا عنه كل شىء !!

والتلفاز . وهذه أمرها معروف مشهور .

وقد دخلت في عام ١٩٤٦ دارا لسنما بمدينة فلادلفيا بالولايات ، عفوا ، فشاهدت فلما صنعه الصهاينة عن فلسطين ، وموقف الهاجانا من الجيش البريطاني هناك ، وسمعت شتيمة قذرة في الانجليز وآباء الانجليز، ونساء الانجليز، واعراض الانجليز يقف لها شعر السامع في اية دولة ذات حضارة متوسطة . فسآءلت نفسي وانا اخرج من تلك الدار، اين كنت انا من سطح الأرض ؟ ابموضع من الولايات المتحدة، وبينها وبين بريطانيا صداقة حرب كانت قد انتهت ولم تنته اعقابها ، ام كنت في حارة قذرة ، في ماخور تخرج من أفواه أهله القاذورات مخرجا طبيعيا سهلا ؟!

فالولايات المتحدة اليوم، هي في قبضة اليهود، وليس اليهود في قبضة الولايات. فاذا نحن أسميناها باسرائيل الكبرى ، فما عدَونا الصواب ، وما أسرفنا .

ولقد يخالجنا شيء من الأسف ان نذكر هذا عن أمة هي اليوم أكثر امم الارض علما وأكثرها صناعة وتكنية ، وأكثرها ثراء ورفاهية عيش . وهي امة ، لو انها سلكت سبيل الحق والعدل ، التي تستطيع بحكم قوتها وبدون حرج ان تسلكها ، لكانت مثالا يحتذى عليه سائر الأمم .

وفي بريطانيا

وقد تسلل اليهود الى بريطانيا من قديم الزمن .

واستوطن كارل ماركس بريطانيا ، وكتب فيها كتابه « راس المال » .

وعاش فيها على الفقر والمرض ، ومات بها شقيا .

وليس بالانجليزي العادي حب اليهود . وليس الانجليزي العادي هو من همّ اليهود ولا هو هدفهم . انما هدفهم مراكز النفوذ ، كما في الولايات المتحدة تماما .

من أجل هذا ، هم تسللوا الى مراكز المال ، ومراكز الأعمال ، والى مراكز السياسة . وتوزعوا بين رجال السياسة . فان تطلب التسلل رجالا يحذقون الاشتراكية ، وكذا الماركسية وفلسفتها ، وجدوا العارف الحاذق الذي يتسلل . وان تطلب التسلل رجالا يحذقون الراسمالية ، والاقطاع والاقطاعية ، وجدوا العارف الحاذق الذي يتسلل . وان تطلب التسلل الرجل المؤمن وجدوه ، وان تطلب الرجل الكافر وجدوه . وان تطلب بائع الخير وجدوه، أو بائع الشر وجدوه. كل صنوف الرجال عندهم حاضر ، في سبيل مناصرة المذهب ، المذهب الصهيوني ، اين كان ، وايان ؟!

ولقد بلغت الجراة باليهود في انجلترا، ايام كنا نعيش فيها ، انهم كانوا يقولون للانجليز عندما يختصمون : ان كان هذا ملككم ، فهذه بلادنا !

ولليهود في البرلمان الانجليزي على ما اذكر بضعة وثلاثون نائبا .

ولكنهم لايظهرون التكتل الذي يتكتل به اخوان لهم امريكيون . فالبيئة الانجليزية أحرص على انجليزيتها، وأعرق في وطنيتها ، من أن تأذن للمواطن ، ولو يهوديا ، ان يجمع الى ولاء دولته ولاء غيرها ، أو ان يتخذ في ضحوة نهار من المصالح البريطانية سببا .



ملك بريطانيا ، جورج الخامس(١٨٦٥-١٩٣٦) « كان اليهود في انجلترا يقولون للانجليز عندما يختصمون واياهم :
ان كان هذا ملككم فهذه الارض أرضنا »

تجربة مع دار للنشر

وتسلل اليهود الى الصحافة، لاسيما اليسارية ، والى دور النشر .

ولى مع دور النشر تجربة تتصل بـ « العربى » :

كان الراى ان نصدر مختارات من « العربى » باللغة الانجليزية استجابة لمطالب جاءتنا من جهات عدة ، يدعمها ما سوف يكون لمختارات كهذه ، تعرض ثقافة العرب على اهل الغرب ، من أثر كبير محمود .

وذهبت فى اجازة شخصية الى لندن . وبعد استشارات أجريتها هناك ، علمت ان السير فلان هو خير ناشر لذلك . وخاطبت مكتبه بالتلفون رجاء موعد . وتكرر الرجاء ، وتكرر الاخلاف ، اخلاف السكرتارية .

واخيرا كتبت للرجل كتابا ، اعرفه بنفسى ، فلم يستطع ، وهو الانجليزي المسيحي القح ، الا ان يرد بكتاب . قال فيه انه مشغول ، وانه يود ان يعلم اولا فى اى امر اريد أن استفتيه . فعجبت . فقد كنت قلت لمكتبه الغاية من لقائه . فاجبته بكتاب اشرح فيه القصد باسهاب ، وذكرت ان النشر تقوم بنفقته حكومة . ومع هذا اجاب معتذرا . قال : ان لدى داره ، وهي دار شهيرة كبرى ، من المجلات ما يشغلها عن مجلتنا العربية .

ولقيت بعد ذلك فى لندن من عرف ما جرى ، فابتسم . **قلت فيم الابتسام ؟** قال : ان الرجل خشى المغبة ، وان له باليهود صلات ، ومن نفوذهم عماد . وهم من النفوذ فى عالم النشر بحيث يضرون أو ينفعون .

وكم سمعنا فى انجلترا من كتب كتبت فى نصرة العرب ، او فى مخاصمة اليهود، ثم اختفت عقب اصدارها ، لان اليهود قاموا بشراء كل نسخها . وبالطبع كان للناشر من بعد ذلك حساب . وحساب الآخرة ظاهر مكشوف . اما حساب الدنيا فظاهر وباطن ، واكثره الباطن الخفى المستور .

واقول اليهود ، واعنى الصهاينة ، واليهود اسهل على اللسان لفظا . وما بنا كراهة اليهود ولكن بنا كراهة البغي والعدوان .

لا فرق بين محافظين وعمال

ومناصرة الحكومات البريطانية للاسرائليين مناصرة سواء ، لا فرق بين المحافظين والعمال ، ولا بين ازرق اللون فيهم واحمره ، حالفهم « ايدن » رئيس وزرائهم المحافظ عند الاعتداء الغادر على بورسعيد . ويناصرهم ولسن رئيس الوزراء العمالى الحاضر لاسباب منها : العقائدى ، ومنها أنه يسير مضطرا فى ظل الولايات المتحدة . ومنها خشيته ، بل خشية بريطانيا كلها ، مما قد يصنع اليهود بها، فى المحيط الدولى، فى عالم المال والتجارة والأعمال .

عقادة العقد

ونحن لا ننسى ابدا ان بريطانيا ، عقادة العقد فى كل بقاع الارض ، هى صاحبة الوطن اليهودى فى اسرائيل ، وهى الممهدة له ، وهى المنشئة اياه ، سنوات عديدة،وهى التاركة له على حين بغتة ليضع اليهود أرجلهم ، وبسابق اتفاق .

والعرب الذين احتفلوا على الحزن ، بذكرى أيار ، وذكرى النكبة فيه،يذكرون النكبة ولا ينسون صانعيها والممهدين لها . وقد جاز ان يغفر العرب الاساءة اكبر الاساءة ، لو كفر عنها المسيئون . ولكن كيف وهم فى غيهم الى اليوم سادرون ؟!

وسائر دول الغرب

والذى قلناه عن اثر اليهود فى بريطانيا، يجوز الى حد كبير على سائر دول الغرب، وعلى فرنسا خاصة . وفرنسا ثالثة الثلاثة فى الاعتداء الغادر .

وحتى ايطاليا بدا لها هذه الأيام ان يكون لها فى التورط باليهود نصيب . . ثم المانيا .

ونعلم ان الولايات المتحدة لها على ما اذكر نحو نصف مليون جندى فى المانيا الاتحادية تحتل بلادها ــ وهو احتلال رضيه ويرضاه الألمان لأنه وقاهم ويقيهم

من الغزو الروسى ، وأعفاهم ويعفيهم الى حد كبير من نفقات الدفاع ... وباقتصاد الالمان فى نفقات الحرب والسلاح ، تهيأت لهم الفرصة ، ليبنوا اقتصادهم من جديد ، ثم ليرتفعوا به فيزدهر فوق ما ازدهر اقتصاد أمم الغرب . وتذكر للالمان احتمالَ خروج جيوش الأمريكان من اراضيهم ،وجيوش الحلفاء ، فيرتجفون خوفا وفزعا . اما الخوف فخشية ان يتحملوا نفقات الدفاع الباهظة فيتأثر اقتصادهم المزدهر . وأما الفزع فمن احتمال غزو الروس اياهم فى ليال عشر اذا خلا مكان الأمريكان. فالالمان فى بلادهم للأمريكان تبع . الخير منهم على السلم، ودفع الشر بهم عند الحرب

وليس فى هذا اعتذار عما صنع الألمان بالعرب أو يصنعون . فالذى صنعوه غدر وكذب وخيانة .

وليس فيه ترغيب عما صنع العرب بالالمان او يصنعون .

ان الذى يَصفع يُصفع ، وهذه الحياة قصاص . وقد يكون بعد ذلك سلام ، ولكن من بعد صفع . والا فهو سلام غير دائم .

وعندى ان الالمان سوف يثوبون الى رشدهم ، ولو بعد سنين . فما عند الألمان حب اليهود ، ولكن عندهم الكره المكتوم . انهم يكرهونهم ، ولكنهم يخشونهم . يخشون السلطة العالمية التى لهم . ويخشون تشهير اليهود بهم بما صنع هتلر باليهود . وما يبالى الألمان بالتشهير ولكنهم يبالون بأعقاب ذلك من أمور . وطلب اليهود اليهم ان يمدوا أجل الفترة التى يحاكم فيها الالمان بما قد يكتشف من جرائم أجرموها فى العهد النازى لم تكتشف بعد ،فقبلت الحكومة الألمانية الاتحادية ذلك ، وقبل مجلس النواب . وما كادوا يفعلون حتى اتهم اليهود رئيس الدولة الألمانية ذاتها بجريمة قالوا انها سلفت . فأى ذلة هذه ، وأى امتهان واحتقار ؟!!

وبقية من العرب

عدَّدتُ فى اول هذه الكلمة مَنْ ناصر القضية الفلسطينية العربية من أهل الدنيا ، فذكرت اكثر اهل الدنيا ، ثم تساءلت : وكم من الدنيا بقى بعد ذلك ؟ وقلت بقى أمم الغرب،**وبقية من العرب.**

وفرغت من اهل الغرب. وجئت لهذه **البقية من العرب .**

والآن وقد حان ان اتحدث عنها ، أجد الحرج اكبر الحرج، لأنها بقية **«من العرب»!**

لقد كان اول رد فعل عندى أن الذى وقع من رئيس الدولة العربية الذى اشتهر امره ، اختلاف فى الراى ، والاختلاف فى الراى أمر طبيعى . وما دامت هناك حرية فى الراى ، فلا بد هناك من اختلاف فى الراى .

ثم يأتينى الرد على رد الفعل هذا ، ويأتى سريعا . واتساءل : **أليس هناك فرق بين أن يختلف فى الراى فرد ، هو رجل كسائر الرجال ، هو رجل من الف الف ، وان يختلف فى الراى رجل على راس شعب ؟**

ثم اتساءل : **وهل هذا الشعب ، وهو شعب عربى لا شك كريم،هل هذا الشعب فوَّض رئيسه هذا فيما اختلف فيه ؟**

المعروف انه فاجأه به كما فاجأ العرب. وفعل اكثر من ذلك : اخرج من هذا الشعب ، فى يوم وليلة ، من يسير فى الشوارع ، يصرخ بالحياة لمن يرى هذا الراى ، ويصرح بالموت لمن يرى راى العرب ! هكذا فى يوم وليلة يتحول شعب بأسره ، او هكذا يراد بالناس أن تفهم ، من داع للعرب وفلسطين ، الى داع على العرب وفلسطين ! ان الرجال لو كانوا من خشب لاحتاج تصفيفها واخراجها الى الشوارع الى اكثر من يوم وليلة (١)

---

(١) اذكر بهذا معن بن زائدة . وصفوه فى ايامه فقالوا انه « الرجل الذى اذا غضب ، غضب له مائة الف سيف لا يدرون لم غضب».وتلك صورة من القرن الثامن لا احسبنا نرضاها لديمقراطية القرن العشرين

ثم ان رجلا ، على رأس شعب ، هو اخ لرجال على رؤوس شعوب ، كلها عربية ، اجتمعوا ويجتمعون فى مجلس ، اسموه مؤتمر القمة . لمَ لمْ يعرض عليهم فى مجالسهم هذه ، هذا الراى الجديد المحترم للنقاش . واقول محترم لأن عندى كل راى ، ولو خالف ،محترم. لمَ لمْ يفعل ؟ اما كان هذا هو المجال الطبيعى لمناقشة كل الآراء ؟

ان كل هذه الظروف تفرض على الناس أن يقولوا ما يقولون ، والعذر لهم فيما يقولون .

قالوا : **ان رئيس تونس خشى أن يعرض رأيه على رؤساء الدول العربية فيرفضوه ، فيكتموه ، وهو يريد له نشرا !**

وقالو : **ان نشره جاء فى نفس الوقت الذى تنذر فيه اسرائيل بحرب العرب ، وينذر أصحابها من امم الغرب ، ويمدونها بالسلاح والعتاد ، وان نشر هذا الراى فيه اضعاف موقف العرب ، والذى يساهم فى اضعاف موقف العرب شأنه شان من يمد اسرائيل بالسلاح والعتاد . عمل له نفس الأثر ونفس العون .**

وقال الناس : **ان أثرا كهذا لا يمكن ان يخفى على رجل تمرس بالسياسة ، وهو على راس دولة.**

وقالوا : **اذن فهو والله جزء منمخطط اختطه الغرب واحد .**

وقالوا : **ان نشر الراى المخالف هذا جاء فى الوقت الذى تجرى فيه مؤامرة لشغل العرب وتوزيع قواهم ، عند الأكراد فى شمال العراق ، وفى عدن والمحميات واليمن فى جنوب الجزيرة ، وفى جنوب السودان .**

وتساءلوا : **أيكون هذا محض مصادفة ؟**

وقالوا : **ان اعلان هذا الرأى جاء وتونس فى ازمة من اقتصادها . وربطوا هذا الرأى وتوقيته بوقت اشتدت فيه هذه الازمة اشتدادا ، ثم بالاحاديث عن المعونات التى تأتى تونس من دول الغرب ، وفى مقدمتها المانيا ، وفرنسا ، والولايات!**

وقالوا : **ان الرئيس التونسى قال ان الوحى جاءه بهذا الراى فى بلدة اريحا ، وانهم لا يصدقون ان الوحى يأتى الرئيس التونسى ، ولو أتاه ما صدّقه هو ، وهو الذى دعا قومه الى ترك الصيام**



فتاة يهودية ، والجند البريطانيون قائمون فى تعليمها كيف تطلق هذا السلاح . وتلك صورة التقطها احد مصورى العرب قبيل النكبة .

فى رمضان وجعل من تحية ضيوفه فى رمضان تقديم الشراب فى ضحوة النهار !

هذا ما قاله الناس ..

وقد ارى غير ما يرى الناس ..

انا لم ار الرئيس التونسى، ولماتحدث اليه . ولكن تحدثت الى من تحدث . ورايت صور الرجل ، الثابت فيها والمتحرك ، ومن الصور يدرك الانسان الكثير ..

ان الرجل فى حاجة الى الكثير من الراحة ، والى الاخلاد الى السكون .الى الاخلاد الطويل ، فلقد عانى الرجل فى حياته ما عانى ، ولقى المرّ فى جهاده ، ولقى الحلو ، ولكن المر كان أكثر . وهو اليوم فى حاجة الى الدعاء المتصل .

ولعل الشعب التونسي الكريم هو احق شعوب العرب بهذا الدعاء .

بقي أمران

بقي أمران :

أولهما : ان المسألة ليست مسألة فلسطين فحسب .

وثانيهما : سبقُ اليهود في المجال العالمي وتخلف العرب .

ليست فلسطين فحسب

اما ان فلسطين ليست وحدها الغاية، فأمر يتلقفه الناس من افواه الصهاينة انفسهم . فليست حدود فلسطين الحالية عندهم الا رؤوس جسور ، الى لبنان وسوريا والاردن ، ثم الى مصر . ومن « الفرات الى النيل » دعوة صارت كالمثل المضروب ألفةً في الأسماع . وعودة أورشليم الى الأرض ، مملكة عظمى لليهود ودولة كبرى ، تضم ما بين سواد العراق الى سواد مصر ، نبوءةٌ يقولون انها في التوراة يؤمن بتحقيقها اليهود وأهل التقوى من المسيحيين على السواء.

في الطائرة

ركبتُ الطائرة من لندن الى نيويورك من أعوام مضت . وكان جاري في الطائرة رجلا انجليزيا ، علمتُ من حديثه الطويل معي انه مزارع ، وانه ذاهب الى الولايات ، أو لعلها كندا على ما أذكر ، لحضور اجتماع ديني مسيحي عظيم يضم نحو مائة الف من كل بقاع الارض . واخذ يحدثني الرجل عن المسيحية ، وعن الحب والانسانية حديثا شاقني منه الكثير من صدقه ، وأدفأتني منه حرارة واخلاص الرجل ، وهو رجل زرْع لا رجل ثقافة . وهو سافر الى الله طوعا يحدوه الايمان. ودعاني الى صحبته ، وعلى نفقته ، فاعتذرت وشكرت . وبغتة يطالعني « بالنبوءة الكبرى التي بدأت تتحقق ، بعودة المسيح الى الأرض ، وقيام مملكة داود » ! قال هذا ، أو شيئا كهذا ، في شيء من الابهام ، زاده ابهاما عندي اني في هذه الأمور لم يكن لي فقه واسع . ثم هو يفاجئني بما هو أشد . قال في صوت يكاد يتهدج : وانت ، ألم تشهد آيةَ الله ؟ قلت : فما آية الله ؟ قال : قيام دولة اسرائيل في فلسطين ، فسوف تقوم ، وسوف تشتد ، وسوف تمتد ، وسوف يكون الملك كله لله .

فهذه النبوءة تلعب دورها الكبير عند اليهود ، وعند المسيحيين على السواء بترويج اليهود لها . ولعلها تلعب نفس الدور عند مسيحيي أوروبا على غير وعي . ولعلها سبب هذا الجمود الذي نجده في هذه الشعوب فصار لايحركها تشريد شعب ، في جريمة من أكبر الجرائم التي وقعت حديثا في الارض ، وكان من بعض سلاحها أسلحة الغرب .

والمنقبون دعاةُ سياسة

واقرأ للمنقبين الغربيين في الاردن عن آثارها القديمة ، والاحظ دائما انهم يربطون بين ما عنه يكشفون،وبين التاريخ القديم في تلك الأرض .

ويصلون هذا التاريخ بالتاريخ اليهودي ليقولوا ان هذه الأرض انما هي ارضهم، وهذه الآثار انما هي آثارهم .

ويذاع كل هذا ، على انه كشوف علمية رائعة، لا في مجلاتنا ولا في صحفنا، ولكن في صحف الغرب .

وهم بذلك يوقعون في وَهْم اهل الغرب أن اسرائيل يجب أن تضم كل هذه الآثار ، وراء كل هذه الحدود .

سَبْقُ اليهود في المجال العالمي ، وتخلفُ العرب

وانتقل أخيرا الى موضوع كثير الحساسية عند الناس .

ذلك سبق اليهود حيثما كانوا من امم الأرض ، وتخلف العرب .

ان سبق اليهود لا ينكر،ومن الاخلاص

أوبنهيمر



● اختير عام ١٩٤٣رئيسا لمركز البحوث في لوس الاموس بالولايات المتحدة ، وهنالك عمل لاخراج أول قنبلة ذرية ،فرفع بذلك من اسم قومه بين امم الغرب .



ماير روتشيلد

● ابو اسرة اصحاب البنوك الشهيرة باوروبا، تلك التي جمعت الاموال، وادارت بالاموال السياسة والساسة، واعانت الملوك والامراء، فى المانيا، فى بريطانيا، فى فرنسا، فى النمسا. وكان فيها فى كل بلد ولد من الاسرة. شبكة انتظمت اوروبا. وحيثما كانت حرب، وحيثما كانت فتنة، كان هنالك منهم من حرك بالمال غالبا ومغلوبا. وعلى هذا النحو لعبوا بمقدرات الأمم.

للقضية العربية ان تقول انهم سابقون: فى الولايات المتحدة، وفى بريطانيا، وفى فرنسا، وفى ايطاليا. وفى العهد النازى احتلوا المراكز العليا فى العلم وسائر المهن، ومن اجل هذا كانت نكبتهم.

واهل الغرب، واهل الشرق من اوروبا، على السواء لا يعرفون اليهود الا اشباحا تدور بينهم، يعيشون كما يعيشون، ويفكرون كما يفكرون. ويعملون فى الذرة، وفى الصاروخ، وفى الطب والعلم، وفى الفن والموسيقى، وفى سائر مناشط الحياة، كما يعملون.

فهل تساءلنا يوما كيف يعرف اهل الشرق من اوروبا، واهل الغرب، العرب؟

البون واسع لا شك فى هذا.

والذنب، ان كان ذنب، فهو ذنب تاريخ.

ولكن هل نهض العرب النهضة الواجبة ليرموا عن اكتافهم الى الارض ما اثقلها به التاريخ؟

الجواب لا شك لا، ثم لا..

والعرب ـ عندما اقول العرب اعنيهم فى عمومهم ـ يعيشون فى ماضى الزمان اكثر من عيشهم فى حاضرهم، واكثر كثيرا. والآخرة اكثر استيلاء على عقولهم وعلى تصرفاتهم من الدنيا، وهم مع ذلك يسلكون مسالك تؤدى الى خراب الدنيا والآخرة معا. (٢)

ان الدنيا قوة. والآخرة تقوى.

ولا تقوى صادقة للآخرة، الا بقوة فى الدنيا.

فالضعيف فى دنياه فقير، وهو ذليل، والتقوى غير الفقر وغير الذلة ولو خلط الناس بينهما. وظنى ان الله يحب عبده المرفوع الراس، الغنى بعمله، الكاسب لولده، ذا الحيلة الذى يعرف كيف يتصرف فى دنياه.

وقوة الناس اليوم علم وفهم، وسقيا من كل روافد المعرفة. وغنى الناس اليوم زرع وحصد، واستنبات كل جديد، والعلم وراء كل ذلك. وغنى الناس اليوم صناعة، والعلم والتكنية وراءها. وحضارة اليوم تحرر على جبهات عدة، رجالا ونساء. ولانستطيع فى العصر الحاضر، او فى اى عصر، أن نعيش غير حضارة ذلك العصر. وحضارة العصر، اى عصر، حضارة انسانية، لا يضيرها ان تكون نبتت فى شرق او غرب. ونستطيع ان ننتقى من الحضارة، ولكننا لا نستطيع لها رفضا.

والمسألة الفلسطينية سوف تحلها لا شك السنون.

ثم تبقى المشكلة العربية قائمة قائمة: **تخلف، على شقاق، فى مواجهة امم فى المدنية سابقة بعيدة السبق، بين العرب وبينها الف عام.**

لا بد للعرب أن يدرسوا احوالهم دراسة أعمق، وأبعد فى الزمان.. دراسة لا تقف عند السنين ولكن تخترق القرون.

ولا بد من التوعية، حتى يكون جزاء المروق العمد رصاصة فى القلب.

والله ولى التوفيق. ■■

١٥ ـ ٥ ـ ٦٥

احمد زكى

---

(٢) « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا » قرآن كريم

« اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا. واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » حديث شريف



بين التراجع ، والاحتفاظ بالهيبة

عن نيوزويك :

● كتب الاستاذ مرجنتو ، استاذ علم السياسة بجامعة شيكاجو، يقول فى شان الخصومة القائمة بين الولايات المتحدة وفتنام :

يجب علينا ، نحن اهل الولايات ، أن نتعودعلى ان نالف الحقيقة الواقعة ، وهي سيطرة الصين فى أرض آسيا . ويجب ان نذكر أن الأمم الاسيوية الاخرى ، التى ألِفت هذه الحقيقة ، قد عاشت فى سلام فى ظل الصين ، ومثال ذلك برما وكمبوديا .

وهناك حالة شاذة واحدة هي غزو الصين للتبت .

ان « هو شِي مِنْه » (رئيس الحزب الشيوعى الفتنامى) لن يصبح زعيما لدولة تابعة للصين الا اذا اضطرته الولايات المتحدة الى ذلك . ان هذا الرجل ، مثل تيتو زعيم يوغسلافيا ، انما اعتلى الى الزعامة على راس جيش منتصر ، هو جيشه هو لا جيش الصين . واذن فله الحق ان يكون له فى آسيا ما لتيتو فى أوروبا .

والسؤال الذى يجب أن نساله : ما الضرر الذى يصيب مصالح الولايات المتحدة لو أن « هو شِي مِنْه » حكم فتنام كلها . ان الجواب لا شك انه لن يصيب هذه المصالح ضرر قط .

بل على النقيض، ان من صالح الولايات المتحدة ان تحاط الصين بدول كلها مستقل .

ان وجودنا فى فتنام اليوم ، واصرارنا عليه ، ناتج من خشية أن تصاب سمعتنا بضرر اذا نحن انسحبنا من مواقع لا يمكن الاحتفاظ الطويل بها .

ولكن اليس اقدر على احتفاظ بالسمعة الطيبة، لبلد مثل بلدنا هو بالقوة بمكان عظيم ، أن ناخذ بالحكمة . ونتراجع عن موقف لا يمكن الاحتفاظ به ، وأن نقول اعلانا اننا تراجعنا لمّا تبيّن لنا ما فيه من خطأ .

شيوعية هي ،

قارىء يكتب الى الاسبكتاتور اللندنية :

● ان الساسة كثيرا ما يحذروننا ، نحن البريطانيين ، من التوسع الذي تهدف الشيوعية ان تطوق به سطح الارض كله .

وهذا التحذير كان مستساغا بعد الحرب العالمية الثانية ، حينما وقف الروس ، ومن حولهم توابعهم ، كالحائط المرصوص ، سميكا ، صلبا ، لا ثغرة فيه .

ولكن الآن ، كيف يسوغ هذا التحذير ، ونحن نرى ان الستار الحديدي بدا يتصدع ، وبدا التوابع من امم الشرق فى أوروبا يرفعون عن اكتافهم نير الروس ، ويرفضون التبعية .

وكيف يسوغ هذا التحذير الآن ، ونحن نرى الصدع الذي وقع فيما بين الروس والصين ، وقد أخذ يتسع ثم يتسع ، حتى لم يكد يحتمل لطرفي الصدع لقاء .

فى الاقتصاد نعم ، وأما فى الثقافة فلا

عن مجلة « انكونتر » اللندنية :

● ان التجارة بين امم الغرب فى أوروبا ،الأمم الرأسمالية ، وأمم الشرق ، الأمم الشيوعية، تزداد عاما بعد عام .

ولكن قادة الشرق حريصون جد الحرص علىالتوسع فى التجارة وحدها ، وذلك لفك الضيق الذى ينتاب هذه الأمم فى اقتصادياتها . وهؤلاءالقادة يلحون فى التقارب الاقتصادى ، ويتخذون من ذلك دليلا على حبهم التعاون . والتقاربالاقتصادى يفىء عليهم الخير الكثير .

ولكن التعاون الدولى لا يكون فى مجال دونمجال .

انهم فى المجال الاقتصادى يتعاونون اكثرالتعاون . ولكنهم فى المجال الثقافى يتلكاون . وتعاونهم فى المجال الاقتصادى يكسبهم القوة ،ويقوي مراكزهم فى اوربا . ومع الرخاء لا يفتاون يحاولون ابقاء دول اوربا على ما اصابها منتقسيم .

وهم اليوم فى أزمة مالية ، والكثير منهم يطمعفى قروض من الغرب كبيرة . وهذا موقف لا بد أن يستغله الغرب لتحقيق التعاون فى المجالالثقافي ، فيطلب الى هذه الامم زيادة من الحرية فى تبادل اسباب الثقافات بين الشرق والغرب ،وزيادة فى حرية الرأى وابدائه ، ومقارضة ثمرات الالسنة والاقلام ، وكذا الرجال .

أم امبراطورية

انه لا خوف من الشيوعية أن تضم الأرض اليوم . وانما الخوف من الامبريالية ، وهكذا اقولها فى صراحة لا يشوبها رياء : امبريالية الروس،وامبريالية الصين، ولم لا نقول وامبريالية الامريكان كذلك .

ولست أقول الامبريالية لأحط من اقدار هذه الامم ولا لأرفع منها .. وانما لاقرر الواقع الذى وقع فى كل القرون وخبرته كل الأجيال . ذلك ان كل أمة اكتسبت قوة فى التاريخ وعظمة سعت الى أن يكون لها فى الارض مناطق واسعة للنفوذ، وهي غاية الامبريالية الحاضرة .

والأمم الضعيفة اليوم انما هي ضحايا الأمم القوية ، مهما كان صنف هذه الأمم القوية ، شيوعية كانت أو راسمالية . انما الشيوعية والراسمالية صفات تذكر لتزيد الفهم تعقيدا ، وتزيد علائق الواقع ، بين القوة والضعف ، ابهاما. ان امريكا الحاضرة لو انها انقلبت غدا فصارت شيوعية ، لما تغير اسلوبها تجاه الامم المستضعفة. حتى موقفها من فيتنام لن يتغير ، انها تريد فصل فتنام عن الصين اليوم ، وهى سوف تريده غدا ، لا لأن الصين شيوعية ، ولكن لأن الصين تريد أن تكون امبراطورية .

والناس فى انجلترا يرى الكثير منهم مناصرة الولايات المتحدة حفظا للسلام .

ولكن هناك رأى آخر : افما يجوز أن تتالف فى اوروبا ، من بريطانيا ، وسائر امم الغرب فى أوروبا وبعض أمم الشرق ممن تفصم عراها بالروس ، وكذلك من امم افريقيا وآسيا ، تلك التى اتخذت من الحياد الايجابى مذهبا ، الا يجوز أن تتالف من هؤلاء جميعا قوة جديدة ، تقف بين المتصارعين من جبابرة الارض ، فتمنع الخراب الذى هو لا شك سوف يدهم الارض باول قنبلة ذرية تفجر ، بصرف النظر عن مفجرها ، وأين تفجرت .



رسالة عمر في القضاء

قضى بصحتها ابن القيم، والمبرد، وابن خلدون، وشكك فيها ابن حزم، وابن عربوس، وبعض المستشرقين.

بقلم: محمد الحاج سعيد

جامعة الخرطوم

■ تكونت الدولة الاسلامية واستقرت ـ بادىء ذى بدء ـ بالمدينة ، وكان التشريع يسير حثيثا مع تطور ذلك المجتمع البسيط الى امة لها كيانها المميز ـ بينما كان رسول الله ـ الرائد الذى لا يكذب أهله ـ يوجه تلك الجماعة المؤمنة الى الحياة الكريمة على هدى من الوحى القرآنى .

ومضى مجتمع المدينة يشهد ـ بقلوب عامرة بالايمان ـ اللبنات الأولى فى تاريخ الحضارة الاسلامية خطوة فخطوة تبعا لتدرج التشريع وحاجة الزمان .. فقد كانت المشاكل الصغيرة التى تحدث بين الافراد تعرض على الرسول على سبيل الافتاء لا على سبيل المقاضاة الشديدة الحدة متوخيا جانب الصلح بين المتنازعين ، مبينا انه بشر يحكم بما يترجح فى ظنه ولعل الحق غير ذلك . روى الامام احمد فى مسنده عن أم سلمة هند زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت :

« جاء رجلان يختصمان فى مواريث بينهما قد درست ، ليس بينهما بينة ، فقال رسول الله : « انكم تختصمون الى رسول الله ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، وانما اقضى بينكم على نحو ما اسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار يأتى بها اسطاما فى عنقه يوم القيامة . فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما « حقي لاخي » ، فقال رسول الله « اما اذا فقوما فاذهبا فلتقتسما ، ثم توخيا الحق ثم استهما ثم ليحلل كل واحد صاحبه » .

القضاء على عهد عمر

وكان ابو بكر خليفة رسول الله يقضى بين الناس على هدى من كتاب الله وسنة رسوله فاذا اشكل الامر استشار الصحابة على نحو ما جاء فى حديث توريث الجدة .

ثم جاء عهد عمر .. وكان مرحلة جديدة فى تطور القضاء ، فقد ازدادت الفتوحات ، وانتظمت مسيرة المجتمع العربى الاسلامى وفقا لاحكام الشريعة ، فتحددت بالتالى المعالم الرئيسية لتكوين امة ذات كيان مستقل لها نظمها وقوانينها .

وكان واضحا ان عمر لن يستطيع أن يصرّف وحده شؤون الدولة التى اتسعت وترامت اطرافها ، فبدأ يتخفف من أعبائه الكثيرة حرصا على العدالة وتوخيا للحق ، « فكان اول من دفع القضاء



ابن حزم يرى أنه ليس لغير قول الرسول حجة ، وأن الصحابي قوله غير ملزم ، وأنه ككل مجتهد ، يجوز عليه الخطأ والصواب .

الى غيره فولّى ابا الدرداء معه بالمدينة ، وولى شريحا بالبصرة، وولى ابا موسى الاشعرىّ بالكوفة وكتب له فى ذلك الكتاب المشهور الذى تدور عليه أحكام القضاء وهى مستوفاة فيه ».

نص الكتاب

وفيما يلي نص الكتاب الذى ورد فى « البيان والتبيين » ، وهو من اقدم الكتب التى روته :

« اما بعد .. فان القضاء فريضة محكمة وسنّة متبعة ، فافهم اذا اولى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . وآس بين الناس فى وجهك ومجلسك حتى لا يطمع الشريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جَورك . والبيّنة على من ادّعى ، واليمين على من انكر . والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحلّ حراما او حرّم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس فراجعتّ فيه نفسك وهُديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهمّ الفهمّ فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة . ثم اعرفِ الاشباه والامثال فقس الامورّ عند ذلك ، واعمدّ الى أقربها الى الله واشبهها بالحق . واجعل لمن ادعى حقا غائبا او بيّنة امدا ينتهي اليه ، فان احضر بيّنة اخذتّ له بحقه والا وجهت عليه القضاء ، فان ذلك أنفى للشك واجلى للعمى وأبلغ فى العذر . المسلمون عدُول بعضهم على بعض ، الا مجلودا فى حد ، او مجرّبا عليه شهادة زور ، أو ظنّينا فى ولاء او نسب . فان الله تولّى منكم السرائر ودرأ عنكم الشبهات بالبينات والايمان . واياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فان الحق فى مواطن الحق يعظّم الله به الاجر ويحسّن به الذخر . فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزيّن للناس بما يعلم الله خلافه منه هتكّ اللهّ ستره وابدى فعله والسلام .

موقف العلماء

أورد كثير من العلماء والمؤرخين هذه الرسالة فى كتبهم ولكنهم اختلفوا فى تقويمها من حيث صحة نسبتها الى عمر . فمن القائلين بالصحة ابن القيم والمبرد وابن خلدون ، ومثلهم من المحدّثين

الشيخ الخضري صاحب تاريخ الأمم الاسلامية ، وهيكل ، وغيرهم كثير . وهناك من وقف منهـا موقف المتشكك أو المنتقد وهم جماعة منهم الامام ابن حزم الذي يعتقد ان هـذه الرسالة مكذوبة على عمر ، والاستاذ مرجليوث باكسفورد كما اورد الدكتور علي حسن عبد القادر في كتابه « الفقـه الاسلامي » طعن بعض الغربيين في صحة الرسالة، اما الشيخ محمد بن محمد بن عرنوس فيجـزم بانها مختلفة مكذوبة .

ابن حزم لا يرى لغير قول الرسول حجة

اذا علمنـــا ان الظاهرية لا يأخذون بالقياس الذي جاء نص الرسالة واضحا عليه ، امكننا ان نضع ايدينا على سبب جوهري يضاف الى غيره من الاسباب التي تذرّع بهـا ابن حزم ، وهو الظاهري في سبيل ابطال الرسالة وحجتها .

انه يطعن اولا في الرسالة بشكه في سندها .وقد اورد لها سندين ، في احدهما انقطاع على ما قال، اما الثاني فقد طعن في راويين من رواته الوليد بن معدان وابنه عبد الملك ، وقال انهما ساقطان .

اما عبد الملك فقد اختلف رجال الحديث في سقوطه وعدمه ، وذهب جمع الى مثل رأى ابن حزم بينما قال آخرون بخلافه .

اما أبوه الذي قال عنه ابن حزم «وابوه أسقط منه » فهو الوليد بن معـدان وهو من المعروفين بالصلاح ، وذكره ابن حبان في الثقات .

وقد اعترض ابن حزم فقال بعدم حجية قول غير الرسول ، وانه غير ملزم « ويكفي انه لا حجة في قول احد دون النبي صلى الله عليه وسلم وكم قصة خالفوا فيها عمر » . وهو مبني على نظـرة الامـام ابن حزم والظاهرية عمومـا الى قول الصحابي ومذهبه وهل هو ملزم او لا ؟؟ وهي مسالة اصولية ..

هذا وقد أورد ابن القيم ما ينيف على التسعين دليلا تؤيده فيمـا ذهب اليه من اعتبار أحكام الصحابي وفتاواه بوجه عام والاعتداد بها . ومن اقواله هنا « ان الصحابي اذا قال قولا ، او حكم بحكم ، فله مدَاركُ ينفرد بهـا عنا ، ومداركُ نشاركهفيها . اما ما ينفرد بها فيجوز ان يكون سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم شفاها او من صاحب آخر عن الرسول . الثالث ان يكون فهمها من آية من كتاب الله فهما خفي علينـا . الرابع ان يكون اتفق عليها مَلَؤُهم ولم يصل الينا الا قول المفتي بها وحده . الخامس ان يكون لكمال علمه باللغة ودلالة اللفظ على الوجه الذي انفرد به عنا أو القرائن او لمجموع امور فَهِمَهـا من سيرة الرسول فيكون فهمهم ما لا نفهمه نحن .

وتتلخص حجج المعارضين في ان قول الصحابي ملزم ، ان الصحابي ، ككل المجتهدين ، ويجوز عليه من الخطأ ما يجوز على غيره . ولكن الراجح ان مذهب الصحابي ـ كما وضحهابن‌القيم وغيره، يرجح عند التعارض .

اعتراض ثالث من المستشرقين

طعن الاستاذ مرجليوث في الرسالة باختلاف رواياتها ، وكذلك بعـدم امكانية نقل الخطاب مشافهة من عمر لأبي موسى .

وقد تصـدى له أحد المحققين بالرد قائلا : « وليس أحد الأمرين فيما نرى داعيا للتشكيك في الكتاب اما الثاني (نقل الخطاب مشافهة) فلان اغلب الروايات تدور على سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى ، وفيها يقول الراوي عنه فاخرج لنـا كتبا فيهـا كتاب عمر لأبي موسى . واما الاول (اختلاف الروايات) فلان اختلاف الروايات في الحديث لا يكون سببا قادحا فيه وموجبا لرده ».

وقد قال الشيخ محمد بن محمد بن عرنوس ، بعد ان سرد حياة أبي موسى ، طاعنا في صـحة الرسالة حيث ذكر الراوي في روايته قوله « الى عامله بالكوفة » . قال ابن عرنوس « من هـذا البيان المختصر يظهر ان أبا موسى لم يل الكوفة في عهد عمر وانما وليها في زمن عثمان الخ » .

والواقع ان هنـاك من يثبت ولاية أبي موسى للكوفة على عهد عمر . ففي تاريخ الذهبي متحدثا عن أبي موسى « ولي الكوفة والبصرة لعمر » .. وقال الأسود بن يزيد « لم ار بالكوفة اعلم من علي وابي موسى » . وقال ابن الأثير « ثم دخلت سنة احدى وعشرين وفيها عزلعمر بن الخطاب عمار بن ياسر عن الكوفة واستعمل أبا موسى ... فاقام فيهم سـنة » . والواقع ان الكتب التي اعتمد عليها الشيخ ابن عرنوس لم تنف ولاية أبي موسى

للكوفة ، ولكنها أثبتت ولايته للبصرة ، ولا مانع — فى نظرنا — من أن يكون قد ولى الكوفة أيضا .

هل فى الرسالة اصطلاحات متأخرة ؟

وقد طعن بعض المستشرقين فى صحة هذه الرسالة وغيرها من رسائل عمر ووصاياه لأنها تشتمل على « اصطلاحات دقيقة تعتبر وليدة لعصر ما بعد الصحابة » .

وينقب الباحث — عبثا — عن هذه المصطلحات فلا يجد لها أثرا ..

أهى جملة « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » وهى حديث شريف ؟؟

أهى كلمات « الصلح » و « القضاء » و « الدعوى » وقد وردت فى نصوص الشريعة فى مثل قوله تعالى « فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا » ، وقوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ». وقد وردت مادة الدعوى فى الحديث السابق . وقريب منها ما جاء فى قوله تعالى « فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين » ؟؟

أهى جملة « الصلح جائز بين المسلمين الخ » وهى نص حديث شريف كما جاء فى جامع الترمذى؟

الحق ان هذه الرسالة لا تشمل اي تعبيرات أو أفكار تنأى بها عن زمانها او تجعلها غير ملائمة لعصرها وظروفها ..

الرسالة والقضاء

رسم الخليفة الثانى فى رسالته هذه جانبا من شؤون القضاء ، وخطط فيها المنهج السوىّ الذى يُعين القاضى على تحرى العدل واصابة الحق فى حكمه .

فالقضاء عند عمر اصله ومادته لا تعدو أن تكون آية من كتاب الله المحكم ، أو من سنة رسوله المتبعة . وفهم القاضى لما يحكم فيه واجب « لأن صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التى انعم بها على عبده » . وعدل القاضى لازم « حتى لا يطمع شريف ولا ييأس ضعيف » . ثم وضع يد قاضيه على قاعدة مأثورة وهى « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » ، وهى من الأصول القضائية العظيمة التى هى جِماع العدالة ومِلاك الانصاف . وعمر ، الخليفة الانسان ، لمعرفته بدخائل النفس البشرية يطلب من قاضيه أن يمد من حبل الرجاء رغبة فى صلح الخصمين خاصة اذا كانا من الأقارب ، وفى هذا يقول « ردُّوا القضاء بين ذوى الأرحام ، فان فصل القضاء يورث الضغائن » .

ثم هو يستمد من بلاغة الرسول واعجاز كلمه الجامع فيضمِّن رسالته قول الرسول « الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا » . وهو لا يحجر على قاضيه استعمال عقله فى قياس الحوادث ومقارنتها « لأن الحوادث ممدودة النصوص محدودة ، فلا يجد القاضى فى كل حادثة نصا يَتَّصِل به الخصومة ، فيحتاج الى استنباط من النصوص عليه » . وفى هذا فتح لملكات الانسان وتخطيط لاستثماره قدرته الخلاقة فى استنباط الأحكام من مصادر الشريعة المتنوعة ..

ثم هو يطلب امهال الخصوم حتى يستعدوا للمخاصمة بحججهم وبيِّناتهم ، ولا يأخذهم على حين غِرّة ، فيضطرب ميزان العدالة ويضيع الحق بسبب الارتجال والعجلة .

والأصل فى المسلم العدالة حتى يشوبها ما يذهب بها من ارتكاب جريمة يُحَدّ عليها ، أو شهادة زور تحطّ من مكانته عند الله وبين الناس. أو اتهام فى أصله ونسبه يذهب بهيبته ويقلل من نفاذ شهادته .

اما القاضى فيجب أن يكون رحب الصدر واسعه ، لا يضيق ولا يتكلف من نفسه ما ليس فيه ، بل يتيح لكل واحد من الخصوم أن يقول ما يحب ، ثم يكون الحكم الصحيح المبنى على الاناة والتروى الموجب لثواب الله ورضوانه ..

هذه هى رسالة عمر فى القضاء . وقد كانت معلما بارزا فى تاريخ القضاء الاسلامى ، وأمدت الفقه الاسلامى بمباحث ثرة ، وكانت كما قال عنها المبرد « لا يجد محقّ عنها مَعْدلا ، ولا ظالم عن حدودها مَحيصا » . ■■

الخرطوم — محمد الحاج سعيد

طرائف عربية

فكاهة عن أشعب

● سأل رجل أشعب ان يقرضه ويؤخره فقال :

ـ هاتان حاجتان .. فاذا قضيت لك احداهما فقد أنصفت .

فقال الرجل : رضيت .

فقال اشعب : أؤخرك ما شئت ولا اقرضك !

تكاليف الحياة

● قيل لأعرابى: لم لا تضرب فى الأرض؟ فقال يمتعنى من ذلك طفل بارك ، ولص سافك ، ثم انى لست بعد ذلك واثقا بنجح طلبتى ، ولا معتقدا قضاء حاجتى ، ولا راجيا عطف قرابتى ، لانى اقدم على قوم أطعامهم الشيطان ، واستمالهم السلطان ، وساعدهم الزمان ، واسكرتهم حداثة الأسنان .

تظلم أعرابية

خرج المهدى بعد هداة من الليل يطوف بالبيت ، فسمع أعرابية من جانب المسجد تقول : « قوم متظلمون ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ، باد رجالهم ، وذهب مالهم ، وكثر عيالهم ، أبناء سبيل ، وانضاء طريق ، وصية الله ، ووصية رسول الله ، فهل آمر بخير ، كلأه الله فى سفره ، وخلفه فى أهله ؟ فأمر نصراً الخادم ، فدفع لها خمسمائة درهم .

ثوب الرياء

● حدث أبو عمر الزاهد قال : دلك بعض الزهاد المرائين جبهته بثوم ، وعصبها، ونام ليصبح بها كاثر السجود، فانحرفت العصابة الى صدغه ، فأخذ الأثر هناك .

فقال له ابنه : ما هذا يا ابت ؟

فقال : اصبح ابوك ممن يعبد الله على حرف !

النـــاس

● قال أيوب بن القرية : الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفاجر .

فالعاقل : الدين شريعته ، والحلم طبيعته ، والرأى الحسن سجيته ، ان سئل أجاب ، وان نطق أصاب ، وان سمع العلم وعى ، وان حدث روى .

اما الأحمق : فان تكلم عجل ،

نصيحة طفيلي

● **قال طفيلي : اذا حدثت على المائدة ، فلا تزد فى الجواب عن نعم ، فانك تكون بها مؤانسا لصاحبك ، ومسيغا للقمتك ، ومقبلا على شانك !**

الكتاب والقلـم

● قال ابن المعتز : الكتاب والـج الأبواب ، جرىء على الحجاب ، مفهم لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، اذا اقعده الفراق .

والقلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الارادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت واقفا ، وينطق سائرا ، على ارض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح نوار بستان .

بشار بن برد

● قيل لبشار بن برد : بم فقت أهل عمرك وسبقت أهل عصرك ، فى حسن معانى الشعر ، وتهذيب الفاظه ؟

قال : لأنى لم اقبل كل ما تورده على قريحتى ، ويناجينى به طبعى ، ويبعثه فكرى ، ونظرت الى مفارس الفطـن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت اليها بفهم جيد ، وغريزة قوية ، فاحكمت سبرها ، وانتقيت حرها ، وكشفت عن حقائقها .

ثلاثـــة

وان حدث وهل ، وان استنـزل عن رأيه نزل .

اما الفاجر : فان ائتمنته خانك ، وان حدثته شانك ، وان وثقت به لم يرعك ، وان استكتم سرا لم يكتم ، وان علم لم يعلم ، وان حدث لم يفهم ، وان فقه لم يفقه .

نباهة جارية

● جاءت جارية لمنصور بن مهران بمرقة ، فهرقتها عليـه ، فلما احس بحرها ، نظر اليها .

فقالت له : يا معلم الخير اذكر قول اللــه .

قال : وما هو ؟

قالت : والكاظمين الغيظ .

قال : كظمت .

قالت : واذكر (والعافين عن الناس)

قال : قد عفوت .

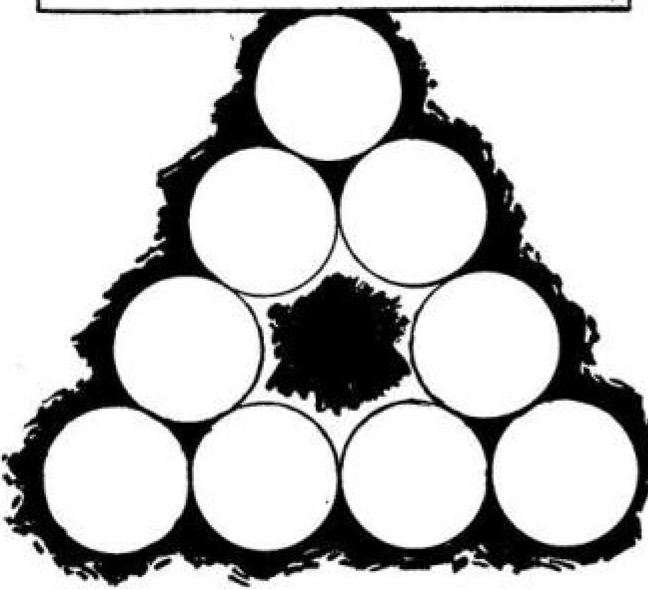
قالت : واذكر (والله يحب المحسنين)

قال : اذهبى .. فانت حرة .

مسابقة العدد

المثلث العجيب
وجوائز ١٠٠ دينار

٨	٩	١٠	١١	١٢
١٣	١٤		١٥	١٦



■ فى الرسم المنشور فوق هذا الكلام تسع دوائر يتألف منها مثلث متساوى الأضلاع ، وفوق هذه الدوائر تسعة ارقام ، والمطلوب هو توزيع هذه الأرقام داخل الدوائر ، بحيث يكون حاصل جمع ارقام كل ضلع من أضلاع المثلث مساويا لرقم ٤٨ .

بعد أن تجد الحل الصحيح اكتبه على ورقة مستقلة وابعث به الينا فقد تفوز باحدى الجوائز .

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٣ .

٢ ـ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى ـ العدد ٧٩ » .

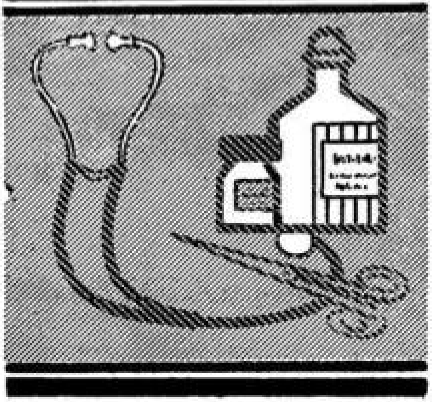
● آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر يوليو (تموز) ١٩٦٥ .

● يمنح الفائزون جوائز ..١ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. **الجائزة الثانية** : ٢٠ دينارا .. **الجائزة الثالثة** : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .. ■■

طبيب الأسرة



بعد كم من الرضاع أفطم ولدى ؟



● انا ارضع ولدى الآن ، وقد بقيت ارضعه ثمانية اشهر كاملة ، فهل جاز لي الآن ان افطمه ، ام الاحسن له ان يظل يرضع لاشهر اخرى ؟

ـ انك لم تذكرى من أى لبن ترضعينه، من لبن الثدى ، أو لبن الزجاجة . ذلك لأن الطفل الذى يرضع من الثدى يتأخر فطامه عن الطفل الذى يرضع من الزجاجة .

وان كان ثديا ما يرضع منه او زجاجة، فالناس تميل الى اطالة مدة الرضاع اكثر مما يجب . والتحول من الرضاع الى الطعام ، كلما طال تأخيره بعد الشهر الرابع أو الخامس ، يزداد عسرا .

والذى ينصح به الأطباء ، للطفل الذى يرضع من الثدى ، أن تبدأ الأم باكرا تعويده على طعام غير لبن الثدى ، من طحين القمح والأرز والحليب، وكل ثخين القوام من الطعام . وبذلك يسهل فطامه، فلا يأبى الطعام ويتشبث بالثدى ، وتحتاج الأم عندئذ ، كما يحدث فى بعض الأمم المتخلفة ، الى دهان ثديها بالمر حتى يعافه الطفل ويجبر على الطعام .

انه من الصعب تحديد الشهر الذى عنده يفطم الطفل لأن ذلك يتوقف على حالة الطفل . ولكن يمكن القول اجمالا أن الطفل ، اذا بلغ وزنه ١٦ رطلا ، فسوف يحتاج لغذائه اليومي الى نحو رطلين من اللبن ، يرضعهما من الأم كل يوم. وهذا أمر شديد على الأم المسكينة. وعندئذ يكون ، لخير الطفل ، ولخير امه، أن يعطى الطفل الخفيف السائل الثخين من الطعام تمهيدا لفطامه .

وكذا الطفل الذى يرضع من الزجاجة. فالمعقول ان تبدأ الأم فى اعطائه غذاء غير غذاء الزجاجة، ليساعد لبن الزجاجة، وذلك اذا زادت الرضعة الواحدة عنده عن نصف رطل . لأن معنى ذلك انه يتناول فى اليوم رطلين من اللبن . واذن فقد صار فى حاجة الى الطعام الثخين .

هذا يعطى فكرة عامة عن بدء التحول عن الرضاع . اما التحول التام فيتوقف على الطفل ، وما كل الاطفال سواء .

والطفل يستمر على الطعام الثخين

الى ان تنبت اسنانه ، ويستطيع المضغ . وعندئذ يعطى له ما يمضغ من الطعام الصلب .

وبالطعام الثخين نقصد البطاطس المهروس ومعه المرق ، والأرز المطحون ومعه الحليب ايضا ، والموز ومعه الحليب والسكر ، وكذا التفاح المطبوخ وما الى ذلك .

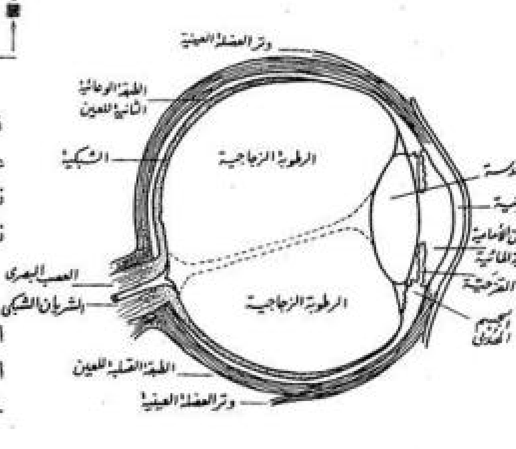
أريد أن أهب قرنية عيني بعد وفاتي

● أريد ان أهب قرنية عيني بعد وفاتي ، ولكني اريد ان أسأل : هل قرنية عين الرجل تزدرع مكان قرنية عين المراة المريضة ، والعكس بالعكس . ثم هل يحتاج الحيّ الذى قبل الهدية وزدع له الأطباء القرنية الموهوبة فى عينه ، هل تحتاج الى نفس النظارات التى تركها الواهب .

ـ اما عن الجزء الأول من السؤال فنعم ، ذلك لأنه لا فرق بين قرنية عين الرجل وقرنية عين المراة .

اما عن الجزء الثانى من السؤال فلا ، فصاحب القرنية الموهوبة التى زرعت فى عينه مكان قرنيته المريضة يحتاج الى نظارة ولكن لا علاقة لعدساتها بعدسات نظارة كان يستخدمها الواهب .

وانت لاشك تعلم ان القرنية ما هى الا ذاك الغشاء الشفاف الذى يغلف العين من امام ، فهى مكورة الشكل ، خارجة قليلا عن سطح كرة العين نفسها .



الحصبة ثارت

● صارت الحصبة وباء من جديد ، وقيل ان الحصبة قد انكشف سرها ، وصار لها دواء منذ سنين ، فلماذا نرى الحصبة تعود من جديد .

ـ الحصبة ، سببها فيروس سريع الانتشار بين الأطفال . وهو مرض ، المفروض فيه انه يأتي كل طفل او صبي مرة فى الحياة ، واذن يتحصن بها الطفل بعد ذلك دون المرض ، لأن الفيروس يثير الجسم الى المقاومة ، فالى ابداع اجسام عاكسة له ، تعرف بالأجسام المضادة للمرض تبقى دائما فى الجسم تدفع عنه المرض عندما يريد أن يغزو الجسم مرة اخرى .

هذا كله ، سبق أن ذكرناه فى « العربي » .

والمراة التى عندها اكثر من طفل كانت تعاني تمريض مريض من بعد مريض ، حتى كان بعض الأمهات ، وقد علمت ان العدوى لا بد آتية فلا يعتصم منها أحدهم ، أن تجمع كل أولادها عند الاصابة الاولى معا ليأخذوا المرض معا ويكون التمريض واحدا تخفيفا عنها .

والمرض وبائي شديد . ولو أننا رجعنا الى الأمم التى تعنى باحصاء ، كانجلترا مثلا ، لوجدنا انه زارها هذا

المرض فى ربيع عام ١٩٦١ ، وكان محصول الاسبوع من المرضى ٤١٠٠٠ اصابة ، ومحصول فصل العدوى كله ٧٦٠٠٠٠ اصابة . وهو يأتيها وبائيا عاما بعد عام . وقد جاءها عام ١٩٦٣ . والناس تتحدث هذه الايام ، ربيع عام ١٩٦٥ ، عن وباء جديد .

وقد كان سبب الحصبة مجهولا ، حتى كشفه الاستاذ الامريكي الدكتور جون اندرز ومنذ أن كشفه اهتم الناس والأطباء كعادتهم بلقاح يبتدع يقي المرضى شر هذا الوباء .

واستجاب ، فابتدع هذا اللقاح كاشف الفيروس نفسه ، وجربوه ، واتضح انه يقى الأطفال شر العدوى . واطفال تلقحوا به ضد الحصبة ، جمعوا بينهم وبين اخوة لهم محصوبين ، فما اصابتهم عدواهم .

ولكن هذا اللقاح ، ككل اللقاحات ، لابد من مرور زمن كاف عليه لتأكيده . ثم من بعد تأكيده لا بد من مرور سنوات عدة ليتحصن اهل الأرض ضده .

وتأتي الاخبار بحدوث صعوبات وارتباكات فى استخدام هذا اللقاح . وتحوم حوله الشكوك كما حامت حول لقاح شلل الاطفال فى سنواته الأولى ، ثم تتبين الاخطاء وتزول الشكوك .

والطريف فى هذا المرض ، ان صنع الجسم الانسانى مواد تضاد المرض وتخاصمه وتحاربه كان فرضا نظريا لم يعززه الوقوع فعلا على هذه المواد حتى تصبح النظرية حقيقة واضحة .

وقد تم هذا بعد كشف لقاح مرض الحصبة ، اى توكيد وجود هذه المواد المضادة ، وذلك فى المختبرات .

فالعلماء اليوم يستطيعون الكشف عن وجود هذه المواد فى الدم ، ويستطيعون ان يكشفوا الحد الذى وصلت اليه هذه المواد فى قوة مناعتها من المرض . وقد وجدوا ان دماء الاشخاص الذين لم يصابوا ابدا بالحصبة خلو من هذه الاجسام ، وانه ، عند المصابين ، لا تظهر هذه الاجسام فى الدم ، الا بعد ان يظهر طفح الحصبة على جلد المريض . وهي لا تظهر عادة فى الدم الا بعد يومين أو ثلاثة من ظهور هذا الطفح .

وتبقى هذه الاجسام الواقية المانعة فى الدم طول الحياة . من أجل هذا قيل ان الحصبة مرض الطفولة والصبا ، وذلك لأن الصبي الذى اصيب بها لا يكبر الا وهو حصين .

فلورة ماء الشرب

● **فلورة ماء الشرب ، عارضها الكثير من الناس . فى الكثير من الأمم . افلا يكفي هذا لاثبات اضرارها ؟**

ــ بالطبع لا .

ذلك لأن المعارضين عارضوا ولم يدلوا بحجج فى المعارضة . ان الناس محافظون ، فهم يعارضون ، فى اكثر الأحوال ، كل جديد ، لأن الجدة تفزعهم . انهم راضون بالحال التى هم بها ، ويرفضون التغيير . وهم يستعينون دائما بربط هذا القديم بمعنى غريب ، أن الله هكذا شاء الكون ، وهكذا لا بد

بقاؤه ، ولا ندرى من اين جاءهم ان الله هكذا شاء . انه فرض افترضوه لا دليل عليه ابدا . وهو فرض يمنع من التقدم فى كل مرفق من المرافق الانسانية . حتى من الناس من رفض الطب الحديث والأدوية الحديثة ، واكتفى بالعقاقير التى تنبتها الأرض، لأنها الشىء الطبيعى، ولا شىء غير ذلك .

نحن نقبل معارضة العلماء ، بالحجة. وفى أمر فلورة الماء اليك ما نشرته على الناس هيئتان ، فيما نشرت الهيئات ، من حث الجماهير على مطالبة أهل السلطان فيهم بفلورة الماء، كل فى ناحيته.

اما الهيئتان ، فهما رابطة طب الاسنان البريطانية . ورابطة الطب البريطانية .

جاء فى هذه النشرة :

« ان فساد الاسنان مسألة تتزايد خطورتها فى هذه البلاد (بريطانيا) . ان فى المناطق الذى توجد الفلوريدات بمياهها طبيعية ، وبالنسبة الصحيحة تقل فيها الاسنان النخرة بين السكان .

وفى الخمس السنوات الماضية اضيف الفلوريد الى الماء بكل من وتفورد Watford وكلمارنوك Kilmarnock ، وانجلسى Anglesey ، وكان به نقص من هذا الملح . ونشرت السلطات احصاء دل على أن عدد اصابات أسنان الأطفال فى سن الخامسة فما دونها (اى الذين شربوا الماء المطلوب) قد نقص الى النصف .

ولم يظهر من استخدام هذا الملح اى اثر ضار بالصحة برغم الرقابة الطبية واستخباراتها. وتصحيح نسبة الفلوريد الواجب وجودها فى الماء لم تقم دونها صعوبات تكنية ، وكلفة الفلورة لم تزد على عشرة بنسات للفرد الواحد فى العام الواحد .

والهيئتان البريطانيتان ترجو كل مواطن أن يناصر مناصرة ايجابية فى تمكين السلطات من رفع نسبة الفلوريد فى الماء الى النسبة الواجبة ليهبط مقدار فساد الاسنان فى البلاد » .

كشط الرحم

● زوجتى كانت تشكو من ثقل العادة الشهرية عليها ، وقد فحصها الطبيب المختص ونصحها بان تجرى لها جراحة" وصفت لنا بانها كشط الرحم ، فما هي هذه الجراحة ، وما خطرها ؟ كذلك علمنا انها قد تؤدى الى السرطان ، فهل هذا صحيح . اسأل هذا لان الاطباء من عادتهم السكوت الشديد ، ويعللون ذلك بعدم رغبتهم فى ازعاج الناس .

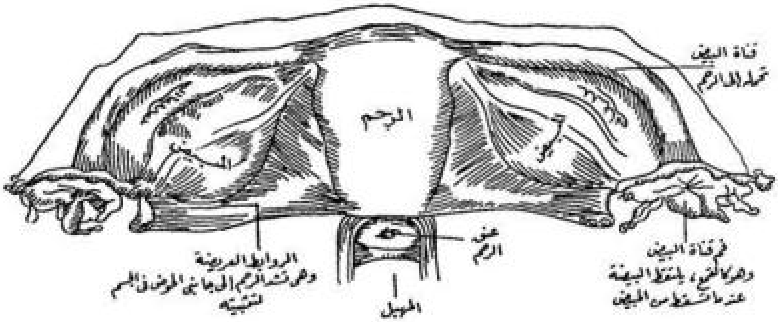
ـ سؤالك فيه نقاط عدة، فهو جامع.

فأولا : عملية الرحم المعروفة بالكشط، وهي بالانجليزية Scraping ، وهي باللغة العلمية Curettage . فهذه العملية عبارة عن الدخول عن طريق مهبل المراة بالأدوات التى تفتح عنق الرحم وتوسعه ، ثم بأداة اشبه بالملعقة يدور بها الجراح داخل الرحم فيكشط بطانة الرحم من الداخل .

والجراحة فى حد ذاتها لا تستغرق من وقت الجراح اكثر من دقائق ، ولكن التحضير لها يكون بالبقاء نحو يومين فى المستشفى قبل العملية ، ونحو خمسة ايام بعدها .

والعملية من العمليات الروتينية فى مستشفيات النساء ، ففى انجلترا يبلغ عدد العمليات من هذا النوع ١٥٠٠ فى الاسبوع على اقل تقدير ، وهذا قد يساق دليلا على انه لا خطر منها . اما دواعيها فكثيرة .

فمن دواعيها ثقل العادة الشهرية على المراة ، وكثرة النزيف ، وقد يكون بسبب نزول جلطات من الدم مع العادة ، او كثرة وقوع العادة . ولكل هذه أسباب" فى المقدمة منها بطانة الرحم ، فهى قد



تفلظ غلظا كبيرا ، والكشط يردها الى الحال السوى . وهى قلما تعود الى هذا السمك مرة اخرى .

والانسجة المكشوطة تتاح لها الفرصة لارسالها الى المختبر ، وهناك ينظرها المختصون بالمجاهر وقد تتضح لهم اسباب لا تتضح للعين العارية .

كذلك قد يكون من بعض اغراض هذه العملية ، تقدير حجم الرحم ، وتعرف حالته من حيث تهيؤه لتقبل البويضة الانثى التى تنزل اليه من المبيض ، وذلك فى حالات النساء اللاتى يصيبهن الاعقام .

وكثيرا ما يصحب العادة الشهرية الم، يكون سببه ضيق القناة التى فى عنق الرحم ، فالدم عند العادة الشهرية لا يخرج الا بضغط الرحم اياه . وهذا يسبب نوعا من التقلص يصيب عضلات الرحم وهى تدفع الدم الى الخارج . فالعملية فرصة تتيح موسعة العنق،عنق الرحم ، تخلص المراة من آلامها هذه .

اظن انه بقى من سؤالك الجزء الخاص بالسرطان .

فلتذكر ان السرطان عبارة عن خلايا ثائرة على الشكل والنمط التى تنمو به وتتكاثر سائر خلايا الجسم . وعملية الكشط يلجأ لها لفحص الانسجة الناتجة من الكشط ، وفحص خلاياه بالمجهر ،بحثا عن وجود خلايا السرطان.

وتوجد طريقة احدث ، ان يؤخذ من مهبل المراة بعض سائله ، ثم يفحص بحثا عن خلايا السرطان .

ولكن لا يزال الكثير من الأطباء يجدون طريقة الكشف القديمة عن السرطان ، بالكشط ، ثم المجهر ، هى الطريقة الأمثل والأوثق .

اما متى يشتبه فى وجود السرطان عند المراة ، فاكثر ما يكون الاشتباه اذا جاء المراة الحيض ، وجاءها بكثرة بعد الخمسين ، او بعد انقطاع العادة .

اما من حيث خطورة سرطان الرحم ، فقد زالت خطورته كثيرا ، فهو من امراض السرطان التى تستجيب للعلاج، اما بعلاج الاشعة السينية ، او الاشعاع الراديومى ، او باقتلاع الرحم كلية . وتكون المراة من بعد ذلك بصحة وعافية.

فعليك ، انت الزوج ، ان تطمئن . ولتعذر الأطباء احيانا عندما تغلبهم الرحمة بالمرضى ، وبأقارب المرضى ، فيغمغمون فى احاديثهم ويداورون .

اعترافات

عَبْدُ الرَّحْمن شُكْرِي

بقلم : علي ادهم

■ الحياة نكتة باردة لا معنى لها ، وقد ذهب الناس في حسن ظنهم بها أن عدوها لغزاً !

■ منذ وفاة الشاعر الكبير الاستاذ عبدالرحمن شكرى فى أواخر سنة ١٩٥٨ قصر الكتاب الذين كتبوا عنه ـ على وجه التقريب ـ حديثهم على شعره ، وعذرهم فى ذلك واضح مقبول ، فان شعر شكرى هو من غير شك ابقى آثاره الادبية ، وأجلها شأنا ، وأدلهـا على لون أدبه ، وانمها على طبيعة مزاجه واتجاهات تفكيره .

ولكن لشكرى بعض مؤلفات من الأدب المنثور ، مثل كتـاب « الصحائف » وكتاب « الثمرات » وكتاب « حديث ابليس » . وهـذا عدا مجموعة الفصـول التى كان ينشرها فى مجلتى الرسالة والثقافة والمقتطف . ولهـذه الكتب والفصول النثرية مكانتهـا فى أدب شكرى ، وأهميتها فى دراسة أدبه وتقويم انتاجه ، ولو لم يكن لها من قيمة سوى انهـا تلقى ضوءا على شعره وتفسير أدبه وتكشف بعض جوانب شخصيته ، لكان ذلك حسبها فى أن تنال العناية وتستأهل الدراسة .

كتاب الاعترافات

وكتاب « الاعترافات » الذى أحاول الكتابة عنه فى هذا الفصل أحسبه فى طليعة مؤلفات شكرى النثرية،وهو يجلو لنا الكثير من جوانب شخصيته ومناحي تفكيره ، او على الاقل يؤكد لنا صحة ما قـد نستخلصه من شـعره عن خوالج نفسه وأحاسيسه وعواطفه وأفكاره وخواطره .

وقد حاول شكرى أن يضفى على هذا الكتـاب الصبغة الروائية فعزا الاعترافات الى صديق له ضاق ذرعا بالمدنية ، وملّ الحياة ، وارتحل الى مجاهل السودان ، وهناك خفي أمره ، وانقطعت أخباره ، وتضاربت الروايات عن مصيره .

وقد صدّر شكرى كتابه برسالة من صديقه المختفى « م.ن » بعث بها اليه يقول له فيها : « لقد مللت الحياة فى عالم المدنية فرأيت أن أهيم فى مجاهل السـودان لأن صحراءها أشبه بالأبـد



■ الانسان في الحياة مقيد بقيود الضرورة، محكوم بالمقادير التي تحيط به سيوفها من كل مكان!

■ النجاح في الحياة يحتاج الى طبائع وضيعة حقيرة، والحياء في الحياة من اكبر أسباب الفشل!

الذى أحببته من المدن ، وستضيق الصحراء بنفسى كما ضاقت بها المدن ، وقد رأيت أن أودع عندك « مذكراتى » كى تذكرك بى وبما كان بيننا من الود ، فاذا مضت سنة ولم أراجعك ، فانشرها اذا وجدت فى نشرها ما يفيد » .

ويتحدث شكرى فى مقدمة الكتاب عن صاحب المذكرات فيقول : « لقد مضت سنوات لم أسمع فى خلالها شيئا عن صديقى م.ن صاحب الاعتراف، فجعلت أسأل عنه ، حتى علمت أنه صار يهيم فى فيافى السودان حتى وصل الى بلاد نيام نيام فأكله أهلها رحمة الله عليه . لقد كان يحتقر الانسانية فانتقمت منه بأن أكله أبناؤها ، ولكنه انتقام يثبت انه كان مصيبا فى احتقاره اياها ، وقد زعم أناس انه لم يمت ، وأنه توغل فى أواسط افريقيا الى مواطن الزنوج ، فأسرته قبيلة منهم تدعى قبيلة الشنانجة ، ولكنهم أعجبوا بسكونه وعبوسه وكسله وقلة مبالاته بما يقع حوله من أمور الحياة ، فاتخذوه الها ، حاسبين ان هذه الصفات من صفات الله . فاذا صح ذلك كان صديقى الها لا يزال حيا يرزق ، يعبده زنوج قبيلة الشنانجة فى أواسط افريقية . وليت شعرى ما حاله وما خاطره ، وهل هو سعيد بمنزلته بين أولئك الوحشيين الجهلاء ؟

« وقد رأيت أن أجمع هذه المذكرات وان أنشرها لان فى نشرها عبرة كبيرة لمن يعتبر ، وسيرى كثير من القراء نفوسهم مكبّرة مرسومة فى هذه الصحائف ، لأننا فى حياتنا الاجتماعية سواسية مثل أسنان الحمار ، هذا اذا صح ان أسنان الحمار سواسية ولا اظن ذلك ، أو مثل أسنان المشط . وسبب ذلك ان العوامل الاجتماعية التى تعمل فى نفس الفرد منا تعمل ايضا فى نفوس سائر الأفراد » .

« الاعترافات » لشكرى لا لغيره

والذى يقرأ أشعار شكرى فى مختلف دواوينه ويقرأ هذه الاعترافات المعزوة الى صديقه المزعوم م.ن لا يجد صعوبة فى القطع بان شكرى لم يشأ أن يواجه قراءه بهذه الاعترافات ، واستصوب ان يجرد من نفسه شخصية أخرى يدعوها م.ن ، وينسب اليه هذه الاعترافات .

وقد أشار الى ذلك الاستاذ ابراهيم المازنى فى النقد الذى تناول به أدب شكرى فى الجزء الثانى من كتاب الديوان ، فقال : « لا يمكن أن يقال فى الرد علينا وفى تبرئه شكرى مما قرف به نفسه ان « الاعترافات » صاحبها رجل آخر اسمه م.ن وان شكرى ليس الا ناشرا لها . فان هذه الاعترافات ليست الا طائفة من المقالات لا يربطها شيء الا ضمير المتكلم ، وقد نشر شكرى أكثرها فى « الجريدة » بين سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١٣ بتوقيعه على انها له ، ثم عاد فجمعها فى كتاب طبعه سنة ١٩١٦ . ويرى قارىء الاعترافات أبيات شعر كثيرة واردة فى أثنائها وفى الهامش أنها من شعر المؤلف ، وصاحب الأبيات هو شكرى . ومما هو خليق أن يبعث القارىء على الركون الى هذه الاعترافات وتصديقها أنه يجد مصداقها فى شعره » .

أكثر كتب الاعترافات والتراجم الذاتية باعثها الأزمات النفسية

وبعد ان يصف شكرى حالة الشباب المصرى فى تلك الفترة ، يعود الى وصف صاحبه فيقول :

« أما م.ن فانه رحمه الله كان شابا يحب القراءة والتفكير ، وكانت تلوح فى عينيه علامات السأم والحزن والتفكير ... وكان يلوح على وجهه بالرغم من ذلك أنه كثير الحنان رقيق القلب ، وأحيانا كنت لا ترى فى وجهه شيئا من الحزن او الألم ، وفى بعض الأحايين كان وجهه مثل السماء التى تراكمت سحائبها وتلبدت غيومها . وكان كثير من الناس يسيئون به الظن كما كان يسىء بهم الظن ، فهم أساءوا فهمه فأساء فهمهم

الثالوث : العقاد • المازني • شكري

● ثلاثة أسماء أخذت تلمع في سماء الأدب المصري في العقد الثاني من هذا القرن ، وتشق طريقها في شيء من العنف والتحدي وفرض النفس فلم يسلم ممن تقدمهم شاعر ولا كاتب ولا أديب .

● جمعت بينهم ثقافتهم العربية الوطيدة ، واطلاعهم الواسع على الآداب الغربية ، وتأثرهم بشعراء الانجليز ونقادهم الذين علت شهرتهم في النصف الاول من القرن التاسع عشر . وقد اشتغل الثلاثة أول ما اشتغلوا ، بالتدريس .

● وبرغم ما كان بينهم من تحالف وتآخ ، كان لكل منهم شخصيته المستقلة ومزاجه الخاص وأسلوبه في التعبير عن نفسه ، وطريقته في الاطلاع والتفكير .

● وكان عبد الرحمن شكري أوسع الثلاثة اطلاعا على الادب المحض ، حتى يمكن القول انه ما من ديوان من دواوين شعراء الغرب أو الشرق لم يقرأه . لكنه لم يكن يميل الى المشكلات الفلسفية والبحوث العلمية بعكس زميله العقاد . أما المازني فكان أقل منهما جلدا على البحث العميق .

● صدر الجزء الأول من ديوان شكري عام ١٩٠٩ باسم « ضوء الفجر » . ثم تلته من هذا الديوان ستة أجزاء ، عدا كتبه المنثورة . وقد صدرت جميعا قبل عام ١٩٢٠ حيث أمسك عن التأليف .

● انحدر من اسرة وفدت الى مصر من المغرب ، وكان أبوه من رجال الادارة ، وشارك في الثورة العرابية وسجن بسببها ، ثم عفى عنه وأعيد الى الخدمة .

● ولد في مدينة بورسعيد عام ١٨٨٦ . والتحق بكلية الحقوق ثم فصل منها بسبب اتصاله بالحزب الوطني فالتحق بمدرسة المعلمين ، واوفد في بعثة الى انجلترا وعاد منها عام ١٩١٢ ، وعمل مدرسا للجغرافيا والتاريخ بمدرسة رأس التين .. وتوفي في ١٥ ديسمبر عام ١٩٥٨ .

كما هي الحال بين الناس قاطبة . وكان احيانا شديد التواضع واحيانا شديد التكبر . وكان لا يعرف كيف يعاشر الناس ويداريهم ، ويأخذ ما صفا ويتغاضى عما كدر ، ويحتال للحياة ولاستجلاب السعادة ، فضاقت بنفسه الصحراء بعد أن ضاقت بها المدن كما يقول في رسالته » .

وقد ظهر كتاب الاعترافات والحرب الكبرى الأولى مشبوبة اللهيب دائرة الارحاء ، وكتب شكري هذه الاعترافات في فترة كان الاحتلال البريطاني جاثما على مصر آخذا باكظامها ، وقد اشتد في الوقت نفسه بمصر الصراع بين القديم والحديث سواء في العادات والاخلاق والتقاليد ، او في أساليب الكتابة ومناهج التفكير ، وفي مثل هذه الفترات تنزع بعض النفوس الحساسة الى العكوف على نفسها وتلوذ بالعزلة .

وفي امثال هذه الأزمنة كتب القديس اغسطين اعترافاته المشهورة .

وخلا روسو بنفسه ليسجل اعترافاته .

وفي ظروف تتسم بمثل هذه السمات كتب تولستوي كذلك اعترافاته .

واكثر كتب الاعترافات والتراجم الذاتية باعثها الأزمات النفسية التي تعرض لذوي النفوس الشديدة الحساسية والدائمة التفكير في ذاتها ، والظروف التي تكتنفها .

شكري يذكر طفولته

وقد جرى شكري على طريقة المعترفين وكتاب الترجمة الذاتية فاستهل الفصل الأول من كتابه بالكتابة عن طفولته ، وهو يقول في مطلع هذا الفصل :

« ان المرء اذا جعل يتذكر ايام طفولته احس

لذة مثل لذة الرجل عند رؤية ابنه الصغير ، فاننا ننظر فى أعماق السنين الى ذلك الطفل الذى كنتاه فى طفولتنا فنحنو عليه ونقبله بفم الذكرى ، وهو لدينا مثل وليد لنا رضيع . ولقد يجول بخاطر المرء أن ذلك الطفل الصغير الذى كانه ، ليس بذلك الرجل الكبير الذى يحنو عليه والذى يعبث بالذكرى ويكشف عن الطفولة حجابا مثل حجاب الحسان ، فان أكثر المرء مكتسب من الأيام والحوادث ، ومن أجل ذلك صار يعد شخصه فى الطفولة جزءا صغيرا منه ، ولو تفهم المرء تقلبه فى أطوار عمره لرأى انه ينتقل من حياة الى حياة ، وأنه يخلع كل يوم حياة ويلبس أخرى » .

شكرى يقول : وراء براءة الأطفال شر سوف يترعرع فى الرجال

والعجيب من أمر شكرى أنه حتى براءة الطفولة لم تستطع أن تأسر نفسه وتستغرقها وتحول مؤقتا بينها وبين ادامة النظر فى نواحي الحياة المظلمة وجوانبها المنفرة ، فهو يقول فى فصل عنوانه « ظل الطهر » :

« على ذكر الطفولة وأيام الصغر أقول تحزننى رؤية علامات الشر على أوجه الأطفال والغلمان الصغار فانها بالرغم من طهارة الطفولة تلوح على أوجه الصغار كما تلوح على أوجه الكبار ، أما الطهارة التى تنسب الى الطفولة فهى عجز الطفل عن مواقعة كثير من الشر لأنه ليس عنده من القوة والدهاء والتفكير ما يعينه على ذلك . وقد تجد الطفل يتعجب من وقوع الشر من غيره ويحزن لذلك لا سيما اذا كان الشر واقعا به ، ولكنه لا يحس ما يفعله من الشر ولا يعرف أنه شر . وهذه الخصلة موجودة فى الرجال أيضا فانهم يفعلون الشر فلا ترتاع ضمائرهم ، ولكن اذا فعل غيرهم الشر اهتاجت لواعجهم وارتاعت ضمائرهم من أجل ذلك . وهذا دليل على أن الضمائر آلة من آلات العواطف والرغائب تحولها كيف شاءت » .

فشكرى يرى وراء البراءة المحببة الى النفس التى تبدو على وجوه الأطفال ، ونوازع الشر وبواعث الاجرام وربما كان ذلك عجيبا منه وهو الذى يقول فى قصيدة له عنوانها « ضحكات الأطفال » :

ضحكة منك صوتها صوت تغـ
ريد العصافير تستفز القلوبا

ضحكة ردت المشيب شبابا
وأماتت من الوجود الشحوبا

ضحكات كأنها كلمات اللـ
ـه تمحو مآثما وذنوبا

ضحكات كأنها نغمات
تترك الغافل الغبى طروبا

ويختم هذه القصيدة بقوله :

يا رعى الله للطفولة حالا
ما عهدنا الزمان فيها مُريبا

كم صحبنا فيها الزمان أمينا
ولبسنا فيها النعيم قشيبا

وشكرى يكاد يفتقد البراءة فى وجوه الأطفال وينكر عليهم صفاء النفس ونقاء القلب ويقول فيهم : « انى أرى على أوجه الأطفال ما تكنه أخلاقهم من أوائل الجشع والبخل واللؤم والقسوة ، ولكن ضعفهم وقلة مكرهم تسدلان على هذه الملامح حجابا مضيئا رقراقا كالسراب » .

وتطالعه من وراء هذه الوجوه النضرة المشرقة بجدة الحياة ورونق الطهارة صور الفناء ونذر العدم فيقول : « فكأنى بأوائل شرهم صارت نهاية ، وبنضارتهم شحوبا ، وبضعفهم الذى يُلين لهم قلوبنا قوة ومكرا » .

وعن شكرى : الحب لا بأس به ، الا اذا أغرى المرء بما يزرى بعقله

وليس كثيرا على من يسيء الظن بالطفولة ويظن الظنون ببراءة الأطفال أن يكون أسوأ ظنا بالشباب وأقدر على وصف عيوبه ، واحصاء مساوئه ، فهو يقول فى فصل عنوانه « أزهار الشباب » :

« هل تذكر طيش الحب فى أول الشباب وما كان يغريك به من نزوات وهفوات حين أفقت من غفلة الصغر فأحسست تلك العاطفة فى قلبك . ان الحب لا بأس به الا اذا أغرى المرء بأعمال تزرى بعقله ، ولكن من ذا الذى لم ينزّ به الحب فى شبابه نزوات التيوس أو العصافير . فان طيش الحب مثل طيش العصافير فى حركاتها ، وانه ليخيل له أن الحب قد أنبت فى كتفيه أجنحة يطير بها الى حيث يشاء فيحسب أنه لو رمى بنفسه من نافذة منزله لم يسقط ولم يصبه أذى بل يطير به الحب » .

كلام فى الحب غريب !

ويسترسل شكرى فى الكلام عن الحب فيقول وما اغرب ما يقول :

« ويسمع المحب انغاما والحانا غريبة لا يسمعها غيره وليس لها وجود ، ويرى اشكالا هندسية بديعة لا تسمع عنها فى كتب الهندسة ، ويرى ازهارا خيالية لا يعرفها الباحثون فى علم النبات ، ويحسب انه مركز هذا الوجود » .

ويخيل لي أن المحب الذى يرى أمثال هذه الأشكال الهندسية العجيبة والأزهار التى لا يعرفها حتى علماء النبات قد ابتلي باختلال الشعور ، وانحراف المزاج ، وأصبح فى حاجة ماسة لأن ندعو له بالشفاء من وجيعته وأن يأخذ الله بيده!

وأمانٍ ، عزت من أماني

ولكنه مع ذلك راض عن الشباب لأنه « كثير الألوان جم الروائح فهو حديقة من حدائق الربيع، وروح من أرواح الفردوس ، وهو الحياة ولا حياة بعده » . ويصف الاستاذ شكرى الشباب وصفا عاما دون أن يذكر لنا تجربة معينة من تجاربه أو حادثة خاصة من حوادثه أو مغامرة من مغامراته. ويكتفى بأن يذكر طائفة من انطباعاته وفرط تأثره بالألوان والروائح ويقول « انى أحيانا أشم الروائح العطرية بعنف كما يلتهم الجوعان طعامه ، ولكنني تؤلمني الرائحة الكريهة مهما خفيت ، وأتأذى منها كما أتأذى بالخطب الجلل » .

وفى الخاطرة التى عنوانها « سماء الأمل » يقول :

« انى لأذكر فرحي بقوس قزح وانا غلام صغير اذ كنت اصفق وارقص طربا برؤيته واتمنى لو كنت مثله ازين السماء بتلك الألوان الرائقة ، وكلما كبرت تمكنت من قلبي تلك الأمنية فأتمنى لو اعيش كالشمس أشرق كشروقها واغرب كغروبها واملأ السماء ضياء ... وتارة أحلم انى زوس سيد الآلهة ورئيسها ، أو هرقل اله القوة ، أو مارس اله الحرب . وتارة احلم انى افلاطون الفيلسوف أو بيكون ، وتارة أحلم انى شكسبير او ملتون ... وتارة أحلم انى نابليون او الاسكندر ... وتارة أحلم انى جمعت كل هؤلاء فى شخص واحد » .

وليس هذا غريبا من شكرى فقد تمنى فى احدى قصائده العصماء أن يكون الها فقال :

ليتنى كنت فى السماء الها
نافذ الأمر فى شئون الوجود
فأضم الوجود بين جناحـ
ـيَّ واحنو على الشقاء بجودى

وفى قصيدة « ثورة النفس » يقول :

ويا ليت انى مثل زوس مسيطرٌ
على الرَّعد، انْ أغضبْ كذا الرعدُ يغضب

نرجسيَّة الشعراء

والشعراء مصابون دائما بالنرجسية ، لأنهم كثيرو الانطواء على أنفسهم والتفكير فيها ، ويصف لنا شكرى نرجسيته فيقول :

« يظهر الشاعر وفيه من الكبر والغرور ما لو وزع على الناس لملأ نفوسهم . فيرى اشعاره هى الشعر وليس غيرها شعرا . وينظم القصيدة فكأنه تمخض عن وليد . ويحسب أنه لو وضع شعره فى كفة ميزان ووضع الوجود فى كفة اخرى لرجح شعره . ويرى أن الذكاء مقصورا على الشعراء» .

وينتقل من التعميم الى التخصيص فيقول متحدثا عن نفسه :

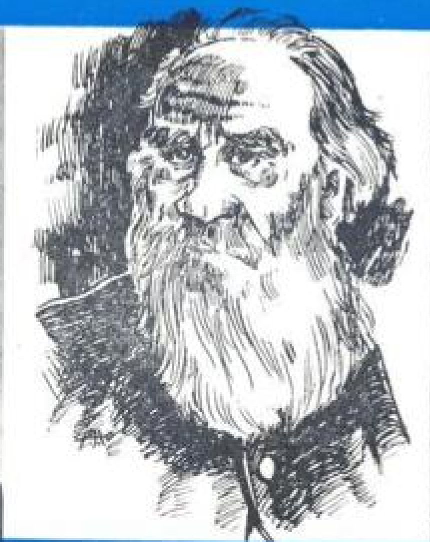
« انى لأذكر يوم نشرت لي أول قصيدة ، وقد اشتريت الجريدة التى نشرت فيها وصرت اقرأ القصيدة مرات عديدة ، وكان يخيل اليَّ أن الحروف ترقص على الجريدة ، وصرت أخبط خبط الضال فى الطرق والأزقة ، وكلما نظر الي احد حسبته قد قرأ القصيدة وأعجب بها ، وكان يخيل الي انها أحدثت أثرا باقيا فى نفوس الناس وأنها أصلحت من عواطفهم وقوَّتها ، وزادت فى عظم نفوسهم ، وأنها ستحدث تغييرا كبيرا فى سُنَن الوجود وأنظمته ... »

شكرى يضيق صدرا بالنقد

وكان شكرى يضيق صدرا بالنقد ولا يطيق سماع اي ملاحظة على شعره أو نثره ، وهو لم يتجاوز الصدق فى اعترافاته وهو يقول «حين قرأت نقدا لقصيدتى فى احدى الجرائد خيل لي عند قراءته ان هناك مؤامرة فى هذا الوجود يراد بها ضرى والاساءة اليَّ » .



عباس محمود العقاد



تولستوى



جان جاك روسو

وفصل فى العقيدة ، كيف جمع اليها الخرافات ، فلم تعصمه من موافعة الشهوات

ويعقد شكرى فصلا خاصا « بأطوار العقيدة » يحدثنا فيه أنه فى صغره غلب عليه الاعتقاد بالخرافات حتى صارت العفاريت لا تجوزه ولا تحل دونه ، ولكن تسير حيث يسير كالجود الذى كان يسير فى ركاب الخصيب فى رواية ابى نواس. وانتقل من ذلك الى دور التعبد والاكثار من الصلوات وقراءة الأوراد وادمان الاطلاع على كتب المتعبدين وأولياء الله الصالحين . وبلغ تأثره بأمثال هذه الكتب الى حد أنه كان يقوم من النوم مذعورا حينما يحلم بالعقوبة التى ترصده اذا حاد عن سبل الرشد وخالف تعاليم الدين.ولكنه مع ذلك يصارحنا بان هذا كله لم يمنعه من موافعة الشهوات : « بل كانت كثرة موافعة الشهوات بقدر شدة التعبد ، فلم يمنعنى تخويف تلك الكتب وارهابها من اللذات بل كان يفزعنى من عواقبها فى الآخرة » .

واخال شكرى صادقا فى هذا الاعتراف فان التدين المقترن بالاعتقاد بالخرافات ليس عاصما من الوقوع فى حبائل الشهوات ، ولقد كانت العصور الوسطى فى الغرب من العصور التى اقترن فيها التدين بالاسراف فى الاعتقاد بالخرافات ولكنها لم تكن مضرب المثل فى تجنب المحظورات والتزام العفة .

وطأة الشك على نفسه

وتخلص شكرى من أسر الأوهام وأغلال الخرافات ، ولكنه انتقل الى النقيض وهو الانكار والجحود ، ولكن نفسه لم تقنع بالانكار ، وحاول أن يفسر لنفسه لماذا خلق والى أين يذهب ، وثقلت وطأة الشك على نفسه فكان « يهيم فى شوارع المدينة ليلا لأن الليل أشبه ما كنت فيه من اليأس والحزن » . وشغلت باله مشكلة الحياة والموت ، والبقاء والفناء ، وود لو صدم الكرة الأرضية كوكب ضال حتى يستريح من عبث الحياة وأهوالها وجرائمها وحماقاتها .

ثم تاب الى الايمان بما أسماه «روح الوجود». ويقول فى ذلك « علمنى الايمان أن للوجود روحا كبيرة لها حياة وشخصية وأن هذه الروح توحى الى أرواح الأفراد بما تريد ولهما من المقادير جنود » . ولم يسترسل شكرى فى وصف هذا الايمان الذى استراح اليه والقى مراسيه على

شاطئه ، ولكن الاعتقاد بالخرافات ظل يعاوده من الحين الى الحين برغم المراحل الفكرية التى مر بهـــا ، فكان يزعجه مواء السنانير ، ويخاله أنين الأرواح الحائرة المعذبة التى تتخذ الليل جلبابا وتفرغ فى جنباته ما تعانيه من العذاب .

الشاعر ((من تقلب فى الحياة ، وله عواطف كالبحر الزاخر))

ويحدثنـــــا شكرى فى اعترافاته عن تجاربه فى الأدب فيقول ((لقد كنت فى أول الأمر احسب ان الأديب حلية" لقومه ، وان الأدب زينـة ، فكنت اقضى الأيام فى تصيد الألفاظ واختلاس الأساليب اللفظية . ولكنى ضجرت من هذه المنزلة الحقيرة، وقلت ان كان الأدب فى تصيد الألفاظ فلا خير فى الأدب . ثم فطنت بعد ذلك الى الحياة واساليبها، والى الروح وعواطفهـــا ، وعلمت أن الشاعر هو الذى يعبر عن أساليب الحياة وعواطف النفس ، ولا يستقيم له ذلك الا اذا تقلب فى اســـــاليب الحياة وكانت عواطفه مثل البحر الزاخر .

والحياة عند شكرى : نكتة باردة

وايمان شكرى الذى سبقت الاشارة اليه لـم يعصمه من سوء الظن بالحياة بل من الاسراف فى سوء الظن بها ، فهو لا يعتقد أن للحياة لغزا لأن هذا الاعتقاد ينطوى على احسان ظن بالحياة . وهو لا يرى من العقل أن نحسن الظن بالحياة الى حد أن نذهب الى أن لها لغزا ، والحياة فى رأيه نكتة باردة لا معنى لها ، والخيال هو الذى يجعل الحياة لغزا لأنه يعطيها قيمة أكبر من قيمتها . وهو كذلك الذى يجعلها نكتة باردة ((لأن المغالاة بقيمتها تؤدى الى اليأس منهـــا)) على حد قول شكرى . وقد ترددت فى شعره فكرة الاعتقاد بأن كل شىء فى الحيـاة عبث ، ومن شعره فى ترديد هذا العبث قوله :

عبثٌ نعيمـــي والشـــقاء ولوعــةٌ
تفضـــى الــــي بعـــلة وحتـــوف
عبث جمالكِ فى الصدود وفى الرضـا
عبثٌ هُيـــام فـــؤاديَ المقروف
أو بعـــد ذا حال" أخاف صيالهـــا
ولقـد بَرِمتُ بوائـــق ومخـــوف

والنجاح فى الحياة يحتاج ((الى طبائع وضيعة حقيرة))

وشكرى يسىء الظن بالنجاح فى الحيـاة ((لأن النجاح فى الحياة يستلزم طبائع لا يستقيم الا بها، وانه ليخيل أحيانا أن ليس عندى هذه الطبائع ، مثل التملق والرياء والنفاق والضعة ، والاهتمام بالأشـياء الدقيقة الحقيرة ، والمكر ، والتطفل ، وارتقاب الفرص الوضيعة ، واتخاذ كل وسـيلة مهما كانت دنيئة لاكتساب ثقة الناس ، والالحـاح فى طلب المنافع منهم واظهار الحاجة اليهم والتذلل لهم والتهافت عليهم ، واخفاء مقابحهم مهما عظمت او اظهارها فى مظاهر المحامد والفضائل ...))

ورأى شكرى يصـدق فى مواطن كثيرة ، ولكنه ليس الحق كله ، فان النجاح قد يحتـاج كذلك الى قوة الخلق ومضـــاء العزيمـــة ، والدؤوب والمثابرة، ونضج الشخصية والترفع عن الصغائر، والتدبر فى الأمور والنظر فى أعقابها ، وتقليبها على جوانبها المختلفة ، والثبات فى مواجهة الحوادث ، وعدم التراجع أمام العقبات المعترضة ، وما الى ذلك من الصفات الحميـــدة ، وكثير من الناجحين الموفقين لم ينجحوا لأنهم من الطغـــام الأشرار ، وانما نجحوا لأنهم أوتوا من المواهب العقليــــة والمناقب الاخلاقيــة ما يستحق الاعجاب والاشادة بذكراه .

وعند شكرى : أن الحياء من أكبر أسباب الفشل

ويحدثنا شكرى عن حيـائه ، وهو خَلةٌ كان يعهدها فيه أصدقاؤه ، فيقول :

((ان الحياء من أكبر أسباب الفشل فى الحياة، وهذا الحياء يعتادنى اذا جالسنى أو حادثنى من لا اعرفه ، واذا كنت فى رفقة كلهم لي صديق غير واحد صاروا كأنهم كلهم أجانب لا أعرفهم . ومن أجل ذلك سرت استر هذا الحياء بالكبر والاحتجاز والتصلب واعتزال الناس)) .

هـــل صاحب الاعتراف يعترف بكل شىء عن نفسه

وفى هذه المناسبة يبدى رأيه فى مشكلة الاعتراف،

فهل على المعترف أن يقدم لنـــا صورة مستوفاة لحياته العقلية والعاطفية ولا يخفى عنا شــيئا من خفايا نفسه بما فيها من خير وشر .

والمفروض أن نفس كل انســان هى الموضـوع الوحيد الذى يعلم عنه كل شىء . وكلام الناس عن انفســـهم هو فى العـــادة الموضوع الرئيسى فى احاديثهم ، ولكننا لا نبــادر فى يسر وسهولة الى تسليم أسلحتنا واباحة حصوننا الداخلية وقلاعنا الحصينة ومستودعات اسرارنا الدفينة . ولعلنـا ورثنا سوء الظن الذى يجعلنــــا نضن بأسرارنا وخفايا نفوسنا ومضمر نياتنا من الانسان الأول الذى كان يعيش مروّع السروب ، مضطـــرب النفس ، تطالعـــه المخاوف من كل مَرْباة وكل ثنيئة ، ويتهدده الهلاك فى كل خطوة من خطواته، وبكل لحظة من لحظات حياته .

وحتى اصحاب الشخصيات المنبسطة يحتفظون بالمهم من اسرار حياتهم ويكثرون من الثرثرة فيما ليس له اهمية . وكلنـــا نخشى الوضع تحت المكروسكوب والتعرض للنظرات الفاحصةوالتحليل والتشريح والنقد والسخرية .

والصعوبة فى كتـــابة الاعتراف أن الانسان لا يستطيع أن ينسلخ من جلده ، وقـــد يحسن الانسان معرفة نفسه ولكنه لا تتوافـر له الامانة الموضوعية فى التحدث عنها . وقد يكون صادقـا امينا ولكنه لا يحسن التحليل ولا يجيد التعبير . واعقل الناس واوفرهم حظا من الحكمة قد يكون عنده بواعث قوية للاخفاء أو المبالغة والتشويه .

والبحث عن النفس ونوازعها فى اغلب الأحيان كالبحث عن القطة السوداء فى الحجـــرة المظلمة حتى قيل ان أصدق معرفة للنفس هى اننا لا نعرف النفس . وقد يُخدَع الانسان فى نفسه ، وقـد يُخدَع كذلك فيه الناس ، ولا يمكن أن نقطع هل يعرف الانسان نفسه اكثر مما يعرفه الناس أو أن الناس يعرفونه اكثر مما يعرف نفسه ، وهـــل الاعترافات تقدم لنا حقائق عن أصحابها أو أنها تقدم لنا أوهاما وتخيلات واحاديث خرافة .

وشكرى يقول فى هذا الصدد :

« ليس فريضة على صاحب الاعتراف أن يذكر كل نقائصه ، هل فعل ذلك روسو أو جيتى أو شاتوبريان ؟ كلا . ان النفس لا تسخو بذلك ولا تطيب فانها لا تقـــدر أن تنزع عنها غطاءها كل النزع . ومهما عظم نصيب صاحب الاعتراف من الصراحة فلا بد أن يكون عنده من الجبن والحزم واحترام النفس ما يغريه باخفاء كثير من نقائصه ومعائبه » .

والواقع أن الانسان مشكلة فى نظر نفسه وغير عجيب أن يكون مشكلة فى نظر غيره ، ومما يزيدنا جهلا بنفوسنا ويزيد الناس جهلا بنا ان الانسان ليس حالة من حالات الكينونة المستقرة وانما هو فى صيرورة دائمة وتطور مستمر .

شكرى ينكر حرية الارادة ، ويقول بالجبر

وشـــكرى من منكرى حرية الارادة والقائلين بالجبر ، وقد كنت أتبين هذه النزعة فى تفكيره خلال تحدثه معى . وفى شعره ما يدل على هذا الاتجاه مثل قوله :

ليس يدرى مَضاضةَ القَـــدَرِ الغا
لب الا مُعـــالجُ البأســاءِ

وهو فى اعترافاته يقول : « المرء مقيد بقيود الضرورة ومحدود بحدود القَدَر ، حولى أسنة المقادير وسيوفها تشير الىّ . فاذا سعيت الى يسارى وخزت جانبى الايسر ، واذا سعيت الى يمينى وخـزت جانبى الأيمن ، واذا سعيت الى امامى او الى ورائى احسست وخزهـــا ، واذا هممت أن اطير وجدت سيوف المقادير معلقة فوق راسى » . وفى موضوع آخر يقول « اذا نظرت فى حجج المفكرين الذين يقولون ان المرء مخير وجدتها مغالطـــات » . ويمضى فى التدليـــل على ذلك ويستشهد فى النهاية بقول بشار بن برد :

طُبِعتُ على مـــا فىَّ غــيرَ مخيَّرٍ
هواى ، ولو خُيِّـرتُ كنتُ المهذَّبا

اريـد فلا أُعطَى ، وأُعطَى ولم ارد
وقصَّر علمى أن أنـــال المغيَّبـــا

فأُصرَف عن قصدى وعلمى مقصِّرٌ
وأمسى ومـــا أعقبْتُ الا التعجبا

ويخيل الىّ أن شكرى لم يلق باله الى القوة الخالقة المودَعة فى الانسان والتى تمكنه فى كثير من الأحيان من الارتفاع فوق الضرورات ، والتغلب

على القيود . وكان شكري فيما أعلم شديد الاقتناع بفكرة الجبر، وأرجح أن اقتناعه العقائدي بهذه الفكرة لم يمكنه من أن ينظر الى المسألة من مختلف جوانبها ، والتوسع في دراستها والاحاطة بما عليها وما لها .

خليقة عند شكري عكرت صفو حياته : سوء الظن

وفي الكتاب فصل عن خليقة من الخلائق التي اعتقد انها نغصت على شكري الكثير من صفو الحياة وأبعدت عنه الكثيرين من أصدقائه وأفسدت ما بينه وبينهم ، وأقصد بهذه الخليقة سوء الظن ، فقد كان شكري لا يكاد يُعفي أحدا من سوء ظنه ، ولم يكن في وسع انسان أن يتقي سوء ظنه مهما بذل له من الود الصادق وقدم له من الاخلاص الخالي من الشوائب . وكان يحاول على الدوام أن يستخلص من أحاديث محدثه ما يغذي سوء ظنه ، حتى كأنه كان يجد متعة خفية في تعكير صفاء نفسه بسوء الظن .

وهو في اعترافاته يقول « اني أسيء الظن بكل شيء ، سواء الحميد والذميم ، فلا غرو اذا رأيت في الضياء ظلاما ... ومن بلغ به سوء الظن هذا المبلغ يسمع همس شياطينه في أذنه اليمنى ،واذا تلفت الى يساره وجد سوء الظن يهمس في اذنه اليسرى » .

وهو يعلل سوء ظنه بقوله « اني أسيء الظن بالناس لأن في كل عمل يعملونه من الأعمال ، حتى الحميد منها ، شيئا من اللؤم والدناءة . وقد بلغ بي سوء الظن أني ما رأيت اثنين يتساران الا ظننت أنهما يذكراني بسوء ، فأنا من الذين يصدق فيهم قول بشار :

يروعه السرار بكل شيء
مخافة أن يكون به السرار

وكذلك ما رأيت أحدا ينظر اليّ الا حسبت انه يحدث نفسه عني بسوء ، واني ما رأيت أحدا ينظر في ثيابي الا حسبته رأى فيها شيئا خفي عني ... وما سمعت ضحكا لم أعرف سببه الا خجلت خجلا شديدا وحسبتني غرضا لذلك الضحك » .

ويختم شكري كتابه بفصل في نقد صديقه م.ن صاحب الاعترافات ، حتى لا يتهم بالمغالاة في تقريظه والتشيع له ولآرائه كما يقول ، ولكنه نقد ينطوي على السخرية من قرائه والدفاع عن نفسه .

تقويم لكتاب شكري وسائر كتب الاعترافات والتراجم

وكتاب الاعترافات برغم ما به من وجوه النقص من الكتب الشائقة ، ويمكن أن يوضع الى جانب كتب التراجم الذاتية الممتازة في الأدب العربي ، مثل كتاب الأيام للدكتور طه حسين ، وكتاب « حياتي » للدكتور أحمد أمين ، وقد زادت أمثال هذه الكتب في ثروة الأدب العربي الحديث.

ولكن ما مكانة كتاب شكري في جانب كتب الاعترافات المشهورة في الأدب العالمي ؟

ان كتب الاعتراف التي بلغت الذروة وأوفت على الغاية تمتاز بالمحافظة على التوازن بين النفس والعالم أو بين الذاتي والموضوعي ، لأن فرط الاهتمام بالنفس قد ينحدر الى الغرور كما أن فرط الاهتمام بالعالم الخارجي قد يحيل الاعترافات أو التراجم الذاتية الى لون من ألوان كتب التاريخ والمذكرات ، واعترافات شكري قد طغى فيها عالمه الداخلي على العالم الخارجي حتى كادت تنقلب الى تسجيل أحاسيس واثبات خواطر عارضة . وهو لا يقدم لنا قصة حياته ، ولا يعيد بناء تجاربه ومراحل تطوره ، ويكتفي بذكر لمحات من خواطره وجوانب من طبائعه وأحاسيسه . وهو يحلل لنا نفسه ، ولكنه لا يمثل لنا حياته ، وليس في الكتاب سوى شخصية واحدة محورية وهي شخصية شكري ، وقيمة كتب الاعترافات على اختلاف أنماطها أنها توضح لنا طرز النفوس وألوان الطبائع والأخلاق ، وفي كل نفس أشياء قد لا يمكن التعبير عنها لأنها تتأبى على البيان وتتسامى فوق الخضوع لمنطق الانسان .

وكتاب الاعترافات ، ومنهم شكري ، جديرون بتقديرنا لما يزودوننا به من معلومات عن النفس الانسانية وحياة الانسان في هذا الكون العجيب .

■■

علي أدهم

الجديد في اللغة

الجديد في الاساليب بعد الجديد في الالفاظ

بقلم : الدكتور ابراهيم السامرائي

رئيس قسم اللغة العربية فى كلية الآداب ـ بغداد

قرات فى « العربى » الزاهر مقالةللاستاذ انيس المقدسى عن « التجديد اللغوى » وقد حفزني ما قاله الاستاذالفاضل عن الجديد ، او عن المولد ، ان اعرض لجانب آخر من هذا الجديد لم يتناوله الاستاذ انيس فى مقالته .

والجديد فى العربية لا يقتصر على توليد الالفاظ مما يقتضيه المصطلح العلمي الجديد ، او على ما يدخل اللغة من الدخيل الغريب الذى اخضعته العربية فجرى على صيغها فعرف بالمعرب .

الجديد فى الأساليب

اما الجديد الذى اعرض له فى هذه المقالة فهو خاص بالاساليب والاستعمالات . وطبيعي أن عربيتنا الحاضرة ، التى نعرف بها ما يعرض فى حياتنا من علوم وفنون وادب وسائر ضروب القول ، ولا تبعد عن ذلك تلك العربية التى تتناول الشؤون العامة مما هو خاص بالمعاملات والرسوم الحكومية ، اقول : ان هذه العربية الحاضرة عربية جديدة فى اساليبها واستعمالاتها ، فقد جدّ فيها من ضروب القول ما تميزت به .

فقد اخذ العرب الحضارة الجديدة فى جملة من مفاهيمها والوانها ، فتأثروا بها فى افكارهم ، وتأثروا فى طريقة عيشهم ، وتأثروا فى جوانب كثيرة من جوانب الحياة اليومية . وصار العربى يقرأ ثمرات الفكر الاوربي فى اللغات الاوربية . وكان من جراء ذلك ان اللغة العربية الحديثة قد افادت شيئا جديدا ، او قل اشياء جديدة ، نتيجة لنقل هذه الافكار

الجديدة المكتوبة باللسان الاعجمي الى العربية .

اساليب وليدة الترجمة

انها اساليب وليدة الترجمة ، اساليب غريبة عن العربية ، وهي متصلة بظروف واحوال اجتماعية لم توجد في هذا الشرق العربي .

بدات حركة الترجمة في الشرق العربي ونشطت في اواخر القرن الماضي . وقد قيض لهذه الحركة الجديدة ان قام بها التراجمة العرب وجلهم من نصارى سورية ولبنان ، ممن كانوا يعرفون هذه اللغات الأوربية الاعجمية ، ولا سيما الفرنسية ، ولذلك كثرت الترجمة عن هذه اللغة الأوربية . وسواء اكان هؤلاء من العارفين بالعربية الحاذقين لأسرارها ام لم يكونوا ، فقد ادخلوا في هذه العربية الجديدة استعمالات وجدوها في تلك اللغات الاعجمية، وهي غريبة عن العربية كل الغرابة .

دخلت هذه الاستعمالات اردنا ام لم نرد ، وراضها الاستعمال وشاعت على السنة المعربين حتى صارت وكانها عربية النجار ، وربما صعب على غير العارف بالأساليب العربية ان يميز هذا الدخيل الوافد . ولم تتنكر العربية لطائفة كبيرة من هذا الجديد ، فقد عمت هذه الأساليب وتجاوزت لغة الصحيفة اليومية ولغة الخبر الاذاعي الى لغة المتادبين العارفين .

لا ضير على العربية من دخول اساليب جديدة

ولا ضير على العربية من دخول طائفة من هذه الأساليب ، بل ربما افادت منها وتوسعت ونمت . وقد علمنا ان لغتنا قبلت من الدخيل الغريب شيئا كثيرا على مر العصور ، ومن مزايا اللغة الحية ان تقبل من غيرها فتزدهر وتنمو . واذا علمنا ان اللغة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ، فقد قبلنا انها متطورة متجددة يؤثر فيها الزمان ، وقد خضعت العربية لسنة التطور ، فتنوعت اساليبها ، فماتت فيها الفاظ وجدت اخرى . ودونك الكثير من الفاظ الشعر الجاهلي التي اصبحت « متحجرات لغوية » ان جاز هذا التعبير ، والتي لا نجدها في لغة القرآن والحديث ولغة الأدب في هذا العصر القرآني .

المجاز والاستعارة والكناية زادت اللغات ثروة

وقد يتساءل القارىء فيقول : ان العربية اعتمدت على المجاز والاستعارة والكناية ، وكانت هذه وسائل لزيادة ثروة اللغة ، فلمَ تعدّ طائفة كبيرة من الأساليب الحديثة التي دخلت في لغة الصحف اليومية ولغة الكتابة السائرة، من التي اعتمدت على الاستعارة والكناية، مترجمة دخيلة ؟

واقول ردا على هذا : ان المجاز والاستعارة والكناية من الوسائل التي امدت العربية باساليب كثيرة وافادت منها فائدة عظيمة . ونحن اليوم لا نستطع ان نحصي هذه الأساليب او حتى ان نتبينها ، وذلك بأن جزءا كبيرا من هذه المجازات فقد بمرور الزمن الاصل المجازي الذي نشأ عنه ، او هو خرج عن استعمال الناس ، او هو نسي وامّحى اثره امّحاءً .

والمجاز والاستعارة والكناية معروفة كلها في سائر اللغات ، واللغات تختلف في الاصول التي تستمد منها مجازاتها ، وهي اصول ليست في الأمم سواء . وعلى هذا فالمجازات التي سأذكرها في هذا المكان واعتبرتها من الدخيل الطارىء في العربية هي من هذا الباب . انها مما لم تألفه العربية في اساليبها ، فهي مترجمات .

وقد لا يتجاوز عمر هذه الأساليب نصف القرن الماضى .

وسواء رضينا أم لم نرض فقد اندس هذا الدخيل الوافد فتعرّب . ولا ضير فى ذلك كما أسلفنا ، ذلك لأن طائفة كبيرة منها مما تدعو اليه الضرورة ، ولأن ألفاظها عربية فصيحة ، ولأن باب التوسع والمجاز بعد ذلك مفتوح .

وانا أعرض الآن لهذه الاستعمالات مجتزئا بالقدر القليل من ذلك ، على سبيل التمثيل لا الاستقصاء ، وذلك مما أفدته من استقرائي لنصوص العربية الحديثة فى الصحف والمجلات والكتب الحديثة .

امثلة من الوافد الدخيل الذى تعرّب

فمن ذلك قولنا : « ذر الرماد فى العيون » . وهذا التعبير من غير شك أضيف الى العربية عن طريق الترجمة فهو فى الفرنسية « Jetter de la poudra aux yeux » . ومثل ذلك فى الانجليزية To throw dust in the eye على أن الاستعمال قد رضى هذا التعبير وشاع وفهمت دلالته ، وتناقله المعربون حتى صار وكأنه فى العربية أصيل .

ومن ذلك قولهم : « فلان لعب دورا كبيرا ... » . وهذا أيضا من التعابير الشائعة فى العربية . والمعرفة بهذا التعبير لا تتعدى الخمسين سنة . والتعبير مستعار من لغة التمثيل ، فالممثل فى المسرحية يقوم بدور ما ، فيقال : « لعب دوره » . ثم استعير هذا الى غير هذه الدلالة فى اللغات التى أخذ منها هذا التعبير . وهكذا استعير فى العربية لغير هذه الدلالة ، وهو معروف فى لغة التمثيل العربية فى الوقت نفسه .

وهذا من الفرنسية Jouer son role وفى الانجليزية To play his part

ومثل هذا قولهم : « على قدم المساواة » . والمراد بقدم المساواة أن يكون الطرفان متساويين فى الحقوق والواجب . وهذا من الفرنسية Sur pied d'egalité . ومثل ذلك فى الانجليزية On epual footing

ونستعمل « الأوساط المطلعة » . والمراد بذلك الهيئات أو الجماعات العليمة بالأمور . وذلك من الفرنسية Les milieux les biens informés وفى الانجليزية Well-informed quarters وانا أرد هذه العبارة العربية الى الأصل الذى نقلت عنه ، وذلك لأن « الوسط » فى العربية لم ينتقل مجازيا الى هذا المعنى .

ومثل ذلك قولهم « ان لم تخنى الذاكرة » . وهذا فى الفرنسية : Si la memoire ne m'a pas trahi ومن هذا استعمالهم « الاكثرية الساحقة » وهذا فى الفرنسية : La majorite ecrasante . وفى الانجليزية : Over whelming majority

ومثل هذه الاستعمالات الكثير مما تحفل به العربية المعاصرة ويردده المعربون ، ولا يحسبون أن ذلك من أصول غريبة صقلته العربية فجاء فانصقل .

ومن الحق أن نقول : ان هذه الاستعمالات ليست جميعا مما تقبله العربية ولا تتنكر له ، أو يهبط عن حدود الفصاحة العربية . فقولهم « جرح عاطفته » أو « خدش شعوره » من هذا الجديد الذى لم يستمرئه الذوق العربى السليم .

واذا كان الاقدمون قد استغربوا أشياء مما قاله أبو تمام ، نحو قوله « دقيق حواشى العلم » ، أو « طعنت الشتاء فى أخدعيه » ، فما أحرانا الا نقبل أشياء من هذه المولدات الجديدة اذا هى لم تأتلف والذوق العربى فى إطلاق الدلالة وتصريف المجاز والاستعارة . ■■

ابراهيم السامرائي

احتمالات الحياة على المريخ

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

استاذ علم النبات بجامعة عين شمس

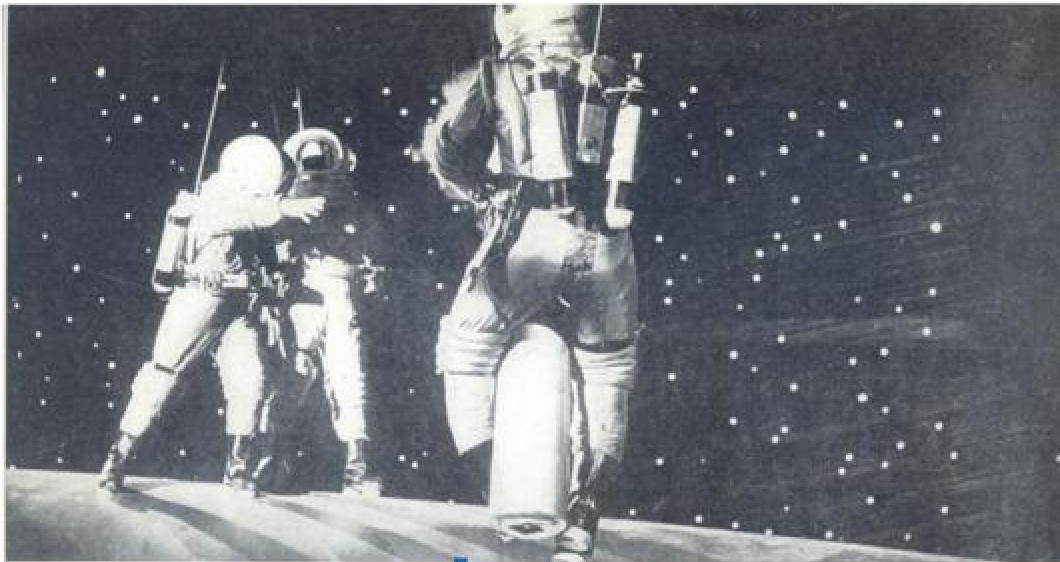
ما تزال الكشوف المتتابعة تؤيد احتمال وجود حياة على المريخ ، وانه ، من بين كواكب المجموعة الشمسية ، الذى يرجح العلماء احتمال وجود الحياة فيه بعد الارض . ويقولون ان الرصدات الاخيرة قد اظهرت وجود بقع وعلامات معينة على سطح المريخ تساعد على تغليب هذا الرأى ، وان رصدات البيئة والمناخ التى سجلتها الاقمار الصناعية فى السنوات الاخيرة لما يفسح المجال امام احتمالات كبيرة فى مجال الحياة على هذا الكوكب .

والمعروف ان المريخ اصغر قليلا من الارض وان طول اليوم على سطحه مساو تقريبا لليوم الارضى ، ولكن السنة المريخية تساوى ضعف السنة الارضية طولا . وفى كليهما تتابع الفصول ، وان كان صيف المريخ اشد حرا وشتاؤه أكثر برودة ، وخاصة فى نصفه الجنوبي ، وان شدة الضوء الذى يصل الى سطح المريخ تبلغ نحو ٤٣٪ بالنسبة للضوء الذى يصل الى سطح الارض . وطبيعي أن يكون جو المريخ ابرد من جو الارض نظرا لأنه أبعد عن الشمس من الارض ولأن جوه رقيق ، يسمح بزيادة الحرارة المشعة منه الى الفضاء بالليل . وقد قورنت درجات الحرارة على سطح المريخ ، وذلك فى صحراء جوبى ، فكان الفرق نحو أربعين درجة مئوية أقل على المريخ منها على الارض فى جميع الاوقات . وقد تهبط درجة الحرارة فى الليل الى ــ ٧٠°م او ــ ١٠٠°م فى بعض اصقاعه وتبلغ حرارة المريخ اقصاها عند خط الاستواء ظهرا . ودرجة الحرارة فى الاماكن القاتمة أعلى بنحو ثماني درجات عنها فى الاماكن الناصلة اللون .

الضغط الجوى على سطح المريخ

وقد قدر الضغط الجوى على سطح المريخ ، واذا به خفيض لا يجاوز عشرة سنتيمترات . انه يتراوح بين ستة وعشرة سنتيمترات ، أي ما يساوى عشر الضغط الجوى المعتاد على سطح الأرض ، وهو نفس الضغط الذى يكون على ارتفاع يتراوح بين عشرة واحد عشر ميلا فوق سطح الارض اى ضعف ارتفاع جبل افرست . ومن المعلوم انه عند ضغط ٠٫٦٢ر يغلى الدم فى درجة حرارة ٣٧°م .

وقد ثبت وجود ثانى اكسيد الكربون فى جو المريخ ، وأن كميته لتتراوح بين ضعفين وثلاثة عشر ضعفا قدر كميته على سطح الأرض ، ولعل القدر الاكبر هو الاقرب الى الحقيقة ، وقد تمت هذه التقديرات عن طريق الطياف . ومع ذلك فلم



تستطيع الاجهـــزة الطيافية أن تثبت بعد وجود الاكسجين أو الازوت أو بخار الماء فى جو المريخ ، وان عزا البعض هذه الزرقة اللامعة التى تبدو على سطح المريخ الى طبقة رقيقة من الثلج ، مما يجعل كمية بخار الماء فى جو المريخ ضئيلة جدا ، وان ما يسمى نقطة الندى تكون عند درجة ـ ٩٠°م وعلى كل فان هذه الكمية الضئيلة من بخار الماء قد لا يمكن تقديرها بالقياس الطيفى . ولا شك أن التقديرات التى يمكن اخذها من خارج الغلاف الجوى للارض عن الاقمار الصناعية تكون أوفى وادق . اما خطوط امتصاص الازوت فى الطياف فانهـــا تقع فى الجزء فوق البنفسجى منه الذى يرشح فى طبقة الاوزون . ومع ذلك فمن رأى كثير من العلماء ان معظم جو المريخ انما هو من الازوت . أما الارجون فلا شك انه يوجد فى جو المريخ وينشأ من الفناء الاشعاعى لنظير البوتسيوم .

ثلاث ظواهر هامة فى جو المريخ

ويمكن القول بصفة عامة ان هناك ثلاث ظواهر هامة فى جو المريخ ،هى الهالة الزرقاء ، والسحاب الأبيض ، والسحاب الأصفر . اما الهالة الزرقاء فانها تبـــدو اكثر وضوحا اذا صُوِّر المريخ فى الضوء الاحمر ، وهى تعلل بوجود بلورات ثلجية دقيقـــة ، وقد تختفى ولا تبـــدو فى الصورة ، فقد تتسامى اذا كانت من بلورات ثلجية ، وفى هذه الحالة تسمى الصفاء الأزرق . وقد تنفذ الأشعة البنفسجية الى ســـطح الكواكب وتكون

● حجج على وجود كائنات حية على المريخ .

● الإشعاع المهلك ونقص الماء والأوكسجين : مشاكل لا يحلها إلا نزول الإنسان على سطح الكوكب .

شدتها مميتة لمعظم الكائنات الأرضية . ومـــن المتوقع أن يحدث هذا الصفاء الأزرق ، كلمـــا وقعت الارض والشمس والمريخ على خط واحد . وقد يكون من المفيد أن نعرف ما اذا كان وضـــع الارض قد يؤثر بذلك على مناخ المريخ . وان بدا هذا الاثر مضللا لأن معظم الراصدين انما يرصدون المريخ فى وقت هذا التقابل .

اما السحب البيضاء وهى التى ترى احيانا ، وخاصة ناحية القطب ، فانها قد تشبه السحب الأرضية ، وأن تكون اغلب الامـــر من بلورات ثلجية ، ومن المعتقد انها تسقط مطرا فى أحوال نادرة . وكذلك نرى السحب الصفراء ، وانهـــا لتخفى اجزاء من الكوكب ، كما حدث فى رصدات ١٩٥٦ حين اختفت السحب الصفراء مـــن كل علامات الكوكب وكان ذلك وقت التقابل ، والمعتقد ان السحب الصفراء تتكون من غبار دقيق أصفر ،

يترك آثاره على ما يمر به من مساحات ومواضع ولكنها تتلاشى في مدى أسبوع أو أسبوعين .

القلنسوة القطبية

وثمة قلنسوة بيضاء ناصعة ، وقد تبدو صفراء بعد الزوبعة الغبارية ترى مغطية القطب في الشتاء وتكون تلك التي تغطي القطب الجنوبي ، وتاخذ القلنسوة في الاختفاء من نصف الكرة الجنوبي في الربيع ، وتكون أخرى في الشمال عندما يبدأ الخريف ، وهذا ما يدعو الى الاعتقاد ان المواد تتحرك بين القطبين . وكان قد اقترح منذ زمن طويل ان القلنسوات القطبية تتكون من الثلج الجاف أو ثاني اكسيد الكربون المتجمد ، ولكن الفحص الطيفي أثبت انها تتكون من ماء متجمد ، ويعتقد كثير من العلماء انها طبقة رقيقة جدا تشبه الصقيع او ندف الثلج . وفي سنة ١٩٥٦ كان القطب الشمالي مغطى بسحب كثيفة، وعندما انقشعت هذه السحب ظهرت قلنسوة القطب لامعة ، وعندما تنسحب هذه القلنسوة هي الاخرى تبقى أجزاء من حوافها مما يدل على عدم انتظام السطح ووجود تضاريس فيه ، وقد قدر ارتفاع بعض الهضاب الى نحو الف متر مما يعلل عدم انتظام ذوبان الثلج وانقشاع السحب .

وفيما عدا هذه العلامات القاتمة التي تبدو على سطح المريخ ، فان سطحه يبدو مائلا الى الصفرة أو الى الحمرة ، ويعزى اللون الأحمر الى وجود اكاسيد الحديد مثل الليمونيت . أما السليكات وهي الشائعة على الأرض فانها ليست كثيرة في المريخ المغطى سطحه بغبار ناعم .

العلامات أكثرها في النصف الجنوبي

اما العلامات التي أشرنا اليها غير مرة في هذا الحديث ، فانها تبدو اكثر ما تكون في نصف الكرة الجنوبي ، وهي مثلثة الشكل تقريبا . وتتجه قمة المثلث نحو خط الاستواء لتمتد في نصف الكرة الشمالي . ويقول العلماء ان عين الراصد تستطيع ان تلحظ ما تخطئه الصورة أحيانا ، وأن تتبين من التفاصيل ما لا تسجله آلة التصوير ، لانها لا تبدو الا في ومضات خاطفة قد تخطئها آلة التصوير . وتلحظها عين المنظار في لحظة صفاء الجو . ومن الغريب أن ألوان هذه العلامات تتغير من سنة الى أخرى ومن فصل الى آخر وتتغير ظلالها بالنسبة للصحراء التي تحوطها ، فهي في الشتاء أفضل لونا . انها تبدو الى الزرقة والرمادية ، على حين يقتم لونها في الربيع ، ويجمع الراصدون على هذه الملاحظة حتى لا يكاد يشذ منهم احد ، وفي بعض المساحات يبدو اللون الى السمرةاو الحمرة او الي الخضرةأو السواد.

لقد تتابعت أرصاد المريخ منذ نحو قرن من الزمان ، واستعملت في ذلك مناظر ممتازة ، وكلها تؤيد هذه المشاهدات والرصدات . وقد يحدث أن تظهر مساحات جديدة أو تختفي أخرى كانت جد معروفة لتظهر بعد ذلك مرة أخرى . وفي سنة ١٨٧٧ وصف « شاباريللي » لأول مرة القنوات وشبكة الطرق التي تقطع سطح المريخ في مختلف الاتجاهات في صحرائه ونجاده ووهاده ، ولم يقل احد بانها مجار مائية ، وان عرضها ليتراوح بين عشرة وخمسين ميلا حتى يمكن أن ترى . وقد اعتقد « لويل » انها مزارع بل انها لتتقاطع فيما يشبه الواحات ، بل ان العلماء أطلقوا عليها اسم « واحات » .

العلماء يفسرون العلامات المتغيرة

وقد وضعت فروض ونظريات مختلفة لتفسير وجود هذه العلامات المتغيرة الشكل واللون على سطح المريخ ، فمن قائل انها أملاح غير عضوية ، يتغير لونها بتغير درجة الرطوبة . وصاحب هذه النظرية « آرهينيس » الذى نادى بها منذ مطالع هذا القرن ، ولم يستطع احد أن ينفى او يثبت هذا الراي . وان أحدا لا يستطيع أن يجزم بطبيعة هذه الكيماويات .

وقال « ماك لوين » انها تتكون من رماد بركاني، وان تغير شكلها ناتج من اثر الرياح التي تذروها هنا وهناك ، فتغير من شكلها ولونها ، ومن المعروف أن النشاط البركاني متواتر الحدوث في المريخ .

ومن رأى « كوبر » أن هذه المساحات انما هي من اللافا البركانية .

ويعترف كل من « لوين » و « كوبر » ان أنواعا من النباتات يمكن أن تكسو هذه المساحات سواء كانت من اللافا أو الرماد . ولا يعيب هذا الراي سوى أنه لنمو مثل هذه النباتات يتعين وجود كميات من الماء في جو المريخ أكثر مما يعتقد انه موجود . ومهما يكن فهذا الراى يلقى قبولا أكثر من غيره .

ومن قائل ان جو المريخ يحتوى على أكاسيد

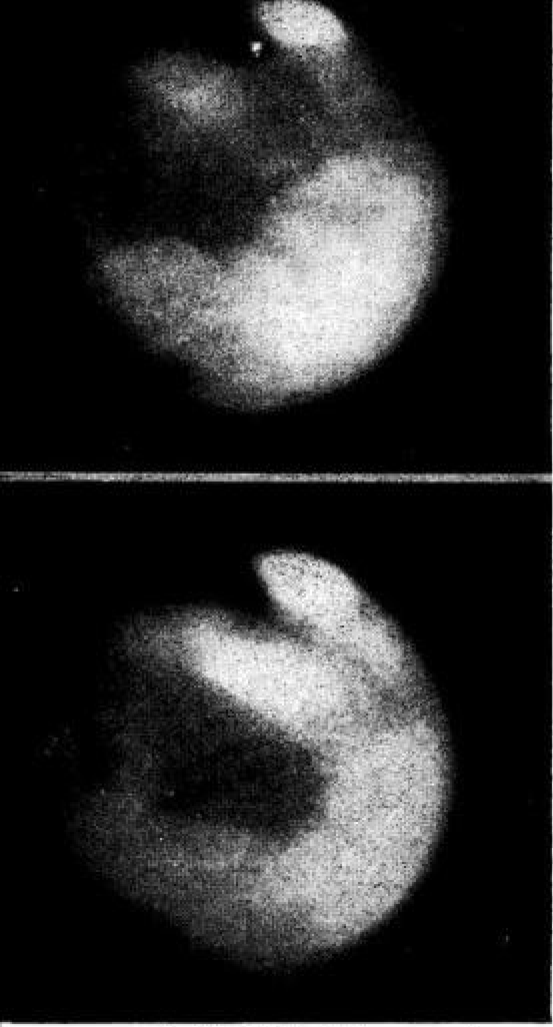
معينة للازوت ، وقــد تكون صلبة أو سائلة او غازية ، وانها لمختلفة الالوان من أسمر الى اصفر او ازرق أو الى البياض او الخضرة ، على مـا ينشأ من الوان نتيجة مزج هذه بعضها ببعض . ويقول الذين وضعوا هذه النظرية سنة ١٩٦٠ من امثال « كايس » و « كارير » ان هذه النظـريـة تعلل كل الظواهر التى ترى على سطح المريخ . وطبقا لهذه النظرية تتكون القلنسوة القطبية من رابع اكسيد الأزوت ولونه ابيض الى الزرقة . اما السحب الداكنة من ثانى اكسيد الأزوت فانها تتكون عندما تذوب قلنسوة القطب ، وينســاب ذوبها فى اخاديد تبدو على سطح الكوكب ، ولعلها نشأت نتيجة للزلازل . والنظرية فيما يبدو جذابة وقد علل واضعوها مختلف الظواهر التى تبدو على سطح المريخ على اساسها ، ومع ذلك فالاعتراضات عليها كثيرة ، ولعلها ان تهدمها من اساسها كذلك.

حجج خمس على وجود كائنات حية على سطح المريخ

ثم تأتى النظرية التى تبدو أكثر بريقا بالنسبة لمن يحلمون بارتياد الفضاء واقامة حيــاة على ظهر المريخ،وهى التى تنادى بان تلك البقاع التى تبدو قاتمة داكنــة ، وما يتفرع عنها من قنوات واخاديد انما تمثل فى الجهات التى تعمرها كائنات حية ، وهى التى يتغير لونها نتيجة ارتفاع درجة الحرارة . وتكون كمية من المياه نتيجة ذوبان او تسامى ثلوج القلنسوة القطبية . ويؤيد هــذا الرأى خمس حجج ، نعرضها باختصار ، ونعلق عليها بما لها وما عساه يكون ضدها ، وهى فى مجموعها تؤيد احتمالا كبيرا فى وجود حياة على سطح المريخ .

فتغير اللون والحجم والشكل الذى يعترى هذه العلامات ، يتفق مع وجود الكائنات الحية . واذا وجد كساء خضرى يغطى هذه المساحات ، فان غطاءه قد يكون كاملا . وقد تأيـد ذلك بالصور التى اخذتها الصواريخ وسفن الفضاء والأقمـار الصناعية ، بل ان هذه الصور لتدل على وجود حياة نباتية راقية على سطح المريخ ، وانها ليست نباتات بسيطة صغيرة كما كان يعتقد قبلا .

ومنذ نحو عشر سنوات أشار الفلكى « اوبيك » الى ازدهار الكائنات الحية على سطح المريخ ، وان هبوب الريح وذرات الغبار التي تتصــاعد



صورتان من صور المريخ ، اخذتا بالتلسكوب ويرى فى اعلاهما القطب ، او القلنسوة القطبية ومن استدارة الظلال فى الصورة السفلى ندرك ان المريخ دار .

حينا وتخبو حينــا آخر ، تغطى اللافا يوما ، وتعريها يوما آخر .

وقد علل « دلفوس » قراءات منظاره التى تدل على تغطية هذه المساحات شتاء ببلورات وجسيمات صغيرة تكبر وتتغير لونها مع الربيع ، بانها كائنات دقيقة حية .

وقد حصل «سنتون» اخيرا على حزم امتصاص للاشــعة تحت الحمراء مما يــدل على وجود «ايدروكربونات» و « الدهيدات » وكربوايدراتات

مما يؤيد وجود نباتات على سطح المريخ ، خاصة وان هذه الحزم لا تظهر الا مع المساحات المعتمة ، ولا تبدو مع الصحارى المحيطة - وليس من المحتمل ان توجد هذه الجزئيات العضوية وسط دنيا عقيمة .

وآخر هذه الحجج الخمس ، ان هناك ظواهر ومظاهر لا يمكن أن تصدر الا عن كائنات ذكية ، فالقنوات تدل على نظام للري ليستغل أقصى ما يمكن ، ويستفاد قدر الطاقة ، من القلنسوات القطبية الذائبة .

بل قد قيل في السنوات الأخيرة ان اقمار المريخ التي تدور في فلكه ربما كانت صناعية ، أي من صنع سكان المريخ . انهما قمران يدوران حول المريخ في مدار استوائي دائري ، وهما بذلك يختلفان عن الأقمار الطبيعية التي تدور حول الكواكب الأخرى ، ثم انهما قريبان جدا من المريخ فاحدهما « فوبوس » يبعد نحو ٣٧٠٠ ميل والآخر « ديموس » يبعد نحو ١٢٥٠٠ ميل . ثم انهما صغيران جدا . واذا كان « ديموس » و « فوبوس» لا يعكسان نورا أكثر مما يعكس قمر ارضنا ، فان قطريهما لا يزيدان على خمسة أو عشرة أميال على التوالي ، أما اذا كان ما يعكسان من نور أكثر مما يعكس قمرنا ، فانهما يكونان اقل حجما . بل ان سرعة دورانهما توحي بانهما اجوفان . وقد كشفا سنة ١٨٧٧ .

ومع ذلك فليس من المعقول أن ننتهي الى نتيجة قاطعة بالنسبة لصور الحياة على المريخ ، فما زالت معلوماتنا قاصرة عن ذلك ، فان كلا من الحجج الخمس التي أشرنا اليها يمكن أن نجد ما يدحضها . ومع ذلك يميل أغلب العلماء الى القول بوجود حياة على المريخ . كما ان الأحوال البيئية والمناخية مما يسمح بتصور حياة ما على المريخ ، وان ساكني المريخ من الكائنات الحية هي المسئولة عن الظواهر والعلامات التي أشرنا اليها.

صور خمس لكائنات قد توجد على المريخ

وهناك خمس صور لتلك الكائنات الحية يمكن تخيلها او الميل الى الاعتقاد بوجودها .

اولها أن هذه الكائنات يجب أن تكون مرئية او تكون على هيئة مستعمرات . وثانيها ان هذه الكائنات يجب ان تكون هي المسئولة عن الألوان التي ترى على سطح المريخ . وان تغير هذه الألوان انما يعزى الى ارتفاع درجة الحرارة وزيادة نسبة الرطوبة . ثم انها هي المسئولة عن تغيير شكل وحجم العلامات والمساحات المريخية ، لعلها تهاجر أو تنمو بسرعة معينة . ثم انها تظهر ثم تختفي تحت الغبار الأصفر . ثم ان هذه الكائنات لا بد انها تبدي هذه الاستجابة للعوامل البيئية السائدة في المريخ وخاصة درجة الحرارة المنخفضة ، والمعدل الكبير للتغير اليومي او درجة الحرارة ، والجو الرقيق الذي يغلف المريخ ، وكمية ثاني أكسيد الكربون الكبيرة ، وكمية الأكسجين القليلة ، والماء القليل ، والأشعة فوق البنفسجية الكثيرة .

ثم ان هذه الكائنات يجب أن تكون متطابقة تماما للأحوال البيئية،وخاصة دورة العناصر في المريخ. فالفطريات الرمية مثلا لا يمكن أن تواجه وحدها أسباب الحياة في المريخ اذ لا بد لها من أن تحصل على الطاقة اللازمة لها من كائنات أخرى . كما ان الكائنات اللاهوائية لا تستطيع وحدها الحياة لأنها تعجز عن أن تحلل المركبات الكربونية الى ثاني أكسيد الكربون والماء والمعادن . لأن كل الكربون الموجود يجب أن يتحول الى مركبات عضوية لتتحقق وتتكامل دورات العناصر المختلفة.

صور الحياة على سطح الأرض

ومن المناسب أن نشير الى مدى انتشار صور الحياة المختلفة على سطح الأرض . فمن بكتريا تنتشر في الماء والهواء والتربة ، وبين حبات الرمال الرطيبة في الصحراء ، الى طحالب وفطريات يحتمل بعضها ظروف الحرارة والجفاف والملوحة. وبعض هذه وتلك يعيش في مياه الينابيع الحارة، وبعضها الآخر يعيش بين الثلوج على قمم الجبال. بل ان بعض الكائنات الدقيقة يعيش في البحيرة الملحية العظمى وفي البحر الميت ، حيث درجة الملوحة مسرفة في الارتفاع ، وقد وجد بعضها هائما في الجازولين بل والفينول نفسه . وان صور الحياة العجيبة التي توجد في أعماق البحار والمحيطات ، لتعتبر وثيقة هامة وبرهانا أكيدا ، على مرونة الحياة والأحياء .

ولكن واحدا من هذه الأحياء لا يمكن أن يفسر وجود هذه العلامات وتلك الظلال التي نراها على سطح المريخ ، ولكنها توحي على أي حال بأن من الممكن أن توجد كائنات حية تحتمل مثل تلك الظروف غير المعتادة التي توجد على سطح المريخ، والتي تسود قيعان البحار والمحيطات العميقة .

صحيح ان الحيوانات قد لا تطيق مثل هذه الظروف، وقد يصعب تصور وجودها هناك ويمكن رؤيتها من الأرض ، ولعلها ان وجدت تغتذى بما ينمو هناك من أنواع النباتات الراقى والبسيط ، التى لا شك انها تحتمل ظروف الحياة من ضغط وحرارة وماء وهواء وضوء . اذ المعروف أن النباتات الراقية تحتاج الى الاكسجين وكمية كبيرة من الماء ولكن لعل أغلبها لا يطيق برودة الجو هناك وان احتملت بعض نباتات الألب مناخا مماثلا . والمعتقد ان معظم الحزازيات والطحالب والكائنات الأخرى الدقيقة قد تعجز عن تكوين مستعمرات ترى من الأرض . ثم انها تحتاج الى كميات كبيرة من الماء حتى تستقيم لها أسباب الحياة والنمو السريع . ولعل الأشن هي أقدر النباتات على احتمال ظروف الحياة على ظهر المريخ ، اذ كانت تعيش فى أقسى الظروف على كوكبنا . وانها لتنمو ملتصقة بالصخور سواء فى المنطقة القطبية الشديدة البرودة، أو الصحارى الاستوائية الشديدة الحرارة . ومن المحتمل جدا أن تكون المستعمرات الاشنية هي التى تحتمل أغلب الظروف السائدة فى المريخ ، وانها لبطيئة النمو جدا حتى لا تجاوز الزيادة فيها بضعة مليمترات كل سنة . على أن بعضها حساس جدا لنقص الاكسجين ، وان كان التكافل الوثيق بين الشريكين اللذين يدخلان فى تكوين الاشنة يبيح لها احتمال الظروف المسرفة فى الشدة والقسوة. ومهما يكن الرأى فالذى لا شك فيه أن ثمة صورا للحياة والاحياء على سطح المريخ ستأتينا انباؤها بعد حين .

لا نفكر الا فى حدود الفسيولوجية البيئية والكيمياء الحيوية

ومع ذلك فهل نستطيع ان نتخيل صورا للحياة على المريخ مختلفة عن الصور التى نعهدها على سطح الارض ، وتكون فى الوقت نفسه مكيفة لاحتمال ظروف البيئة على المريخ ؟ ولكن لا يشط بنا الخيال . علينا أن نفكر فى حدود ما تسمح به معلوماتنا عن فسيولوجية البيئة ، وعن مجالات الكيمياء الحيوية . فاذا استطاعت النباتات الراقية أن تحتمل نقص الماء والاكسجين، والحرارة المنخفضة ، والاشعة فوق البنفسجية الوافرة ، فانها لا شك تجيب على الاسئلة الكثيرة وتفسر العلامات التى أشرنا اليها فى مطلع هذا الحديث .

ومن جهة أخرى لا بد أن تتطور صور الحياة عند الأشن حتى يمكن تفسير تلك الظواهر .

ولعل وفرة الاشعة فوق البنفسجية على سطح المريخ هي أقل تلك الظروف خطرا أو التى يمكن التغلب عليها واحتمالها أو الوقاية منها . فمن الممكن توقيها باضافة أصباغ خاصة الى أحياء المريخ مثل تلك التى توجد فى بعض فطريات « وادى الموت » فى أمريكا وهي التى تقاوم الاشعة البنفسجية واشعاعات جاما ، ومن الجائز جدا أن أحياء المريخ تحتوى فعلا على هذه الاصباغ ، وبذلك تستطيع أن تعيش وتزدهر هناك .

كيف تتكيف أحياء المريخ لاتقاء الاشعاع والحرارة والبرودة

ومن الممكن اذن ، أن نتصور تلك التحورات أو التكيفات التى تهيىء نباتات المريخ بها نفسها ، فنظرا للجو الرقيق فى المريخ ، فان نقل الحرارة بالتوصيل والحمل خلاله يكون ضعيفا ، كما أن نقل الحرارة الكامنة بالبخر يكون ضعيفا ، نظرا لقلة الماء . اما التدفئة خلال النهار فانها تعزى الى الحرارة والاشعة الساقطة من الشمس كما هي الحال على الارض ، فكل ما على سطح المريخ انما تحوطه بيئة اشعاعية ، كما أن البرودة اثناء الليل انما تعزى الى الاشعاع خلال الجو الرقيق القليل الماء والأوزون ، انه ثاني أكسيد الكربون فقط الذى يؤخر ذلك فاى تكيف للنبات يؤدى الى زيادة القدرة على امتصاص الحرارة المشعة نهارا ، وينقص من القدرة على التشعع فى الفضاء ليلا يكون فى صالح الكائن الحي ، كما أنه مما يساعد على التدفئة السريعة اثناء النهار تلك الاصباغ التى تجعل الكائن يمتص الحرارة ، كتلك التى تكون سوداء بالنسبة للاشعة فوق البنفسجية والاشعة تحت الحمراء تكون هي الاقوى فيما يبدو من قتامة فى الصيف وما يبدو من لون رمادى بصفة عامة .

وكذلك فان ضعف انعكاس الاشعة تحت الحمراء ربما كان انحرافا من هذا الاسوداد الذى يظهر على هذه العلامات والمساحات فى المريخ . ويرى بعض العلماء ان كائنات المريخ يجب أن تكون ذات سطوح عريضة مستوية تعرضها لضوء الشمس نهارا . ونظرا لانخفاض قوة الحمل والتوصل ، فان عضوا رقيقا مثل ورقة النبات تكون مثالية بالنسبة لهذه الظروف — أما اذا التفت الورقة

على هيئة اسطوانة صغيرة ليلا ، فمن شأن ذلك أن ينقص من كمية الحرارة المفقودة نتيجة الاشعاع كما أن تغير اللون الى البياض ليلا لما يساعد على احتمال الظروف . أما الكائنات التى تغير لونها كما يتوقع على المريخ فليست معروفة على الارض .

نباتات المريخ قد تتحمل انخفاض درجات الحرارة والتجمد الناشىء عنها

اما درجات الحرارة فانها تهبط ليلا حتى أن الكائنات ذات الدم البارد لا يمكن أن تتفادى التجمد رغم هذه التكيفات ، كما أن وجود مواد واملاح ذائبة تؤخر درجة التجمد قد يكون فيه الجواب . ولعل ابسط حل لهذه المشكلة أن نتصور أن نباتات المريخ تتجمد ليلا ، وتسيح نهارا ، وأن تعاقب التجمد والسيحان لا يضرها فتيلا . ولعلنا ان نجد لذلك نظائر فى النباتات الارضية.والواقع ان أنواعا من الأشنة والحزازيات وغيرها من النباتات اللازهرية تتحمل التجمد السريع ، وقد تحملت بعض النباتات درجة تقارب الصفر الطلق ، كما أن بعض النباتات الراقية مثل تلك التى توجد فوق خط الاشجار فى جبال الألب ، فانها تحتمل درجة التجمد كذلك . ان هذه النباتات جميعا تستطيع أن تحتمل هذه الدرجات المسرفة فى الانخفاض شتاء ، عندما تكون النباتات فى حالة أقرب الى السبات أو السكون ، ويكون أيضا (تحول الغذاء) خاملا . على أن بعضها يحتمل التجمد حتى وهو فى أوج نشاطه فى موسم النمو والازدهار . اذن فالنباتات تحتمل التجمد ثم تستأنف نشاطها عندما يذوب الجمد . وعلى ذلك يمكن لكائنات المريخ ، أن تحتفظ بقدر طيب من الطاقة طالما انها لن تحرق نهائيا مدخراتها الغذائية عندما تكون فى حالة تجمد ليلا .

هل دور الماء فى الحياة على المريخ ، كدوره فى حياة الأرض ؟

والمعروف أن الماء اساسى جدا للكائنات الارضية، ولعل تغير اللون نتيجة لذوبان القلنسوة القطبية فى المريخ ، انما هو الواقع . كما ان فيضانا من الماء السائل ينشا من ذوبان القلنسوة القطبية غير متوقع ، لأن هذا الماء يتجمد ليلا ، ويتبخر نهارا ، بعد أن يبل سطح التربة عند حافة القلنسوة القطبية الذائبة . ولو أن هناك كائنات ذكية لسحبت الماء فى أنابيب . ونستطيع أن نتصور كذلك أن النباتات على ظهر المريخ تستغل الرطوبة الجوية مما يساعد النباتات على تغيير لونها وهذا أيضا غير مستبعد . ولعلنا نتساءل عن دور الماء وأهميته فى تفاعلات الكيمياء الحيوية فى المريخ ، فاذا كان له نفس الدور الرئيسى الذى يلعبه على الارض فان المشكلة تكون كبيرة حقا . وقد قدرت كمية المياه على المريخ تبعا لحجم القلنسوة القطبية ، والكميات القليلة من بخار الماء فى جو المريخ . وانها لكمية ضئيلة جدا تلك التى يتاح للكائنات الحية الاستفادة منها ، حتى أنها لا تكاد تكفى الا لقلة من الكائنات تكون طبقة رقيقة تغطى سطح المريخ فى بعض جهاته . ولعل الماء يكون مفيدا داخل جسوم هذه الكائنات . ومن يدرى فلعل الماء بالنسبة لكائنات المريخ لا يعمل مذيبا كما هى الحال بالنسبة لكائنات الارض ، ولكن دوره دور الفيتامينات ، ولعل كميات من غازى الايدروجين والاكسجين تتوافر للتفاعلات الاساسية ، ولكن لعل كائنات المريخ لا تحتاج فى تفاعلاتها الحيوية الكيماوية الى هذه العناصر بنفس الدرجة التى تحتاجها هذه التفاعلات على الارض .

وسواء كان الماء مذيبا اساسيا او كان دوره دور الفيتامينات ، فان فقد الماء من كائنات المريخ يعتبر مشكلة كبيرة . ان النباتات العشبية لتذبل عند فقد الماء ما لم يُعوّض هذا الفاقد بماء يُمتص من التربة ، فكيف يكون الحال على سطح المريخ ؟ فلا بد من تكييف خاص يحد ويتحكم فى فقد الماء من كائنات المريخ . ومن الصعب تصور هذا التكييف . واذا كانت حركة الثغور فى نباتات المريخ هى نفس الحركة فى نباتات الأرض ، من حيث امتصاصها لثانى أكسيد الكربون واخراجها للاكسجين وبخار الماء ، واذا كانت كائنات المريخ ستحتاج الى ثانى أكسيد الكربون كمصدر للكربون ، فانها ستلقى نفس الصعوبة . ولعلنا نفكر كيف يمكن التغلب على هذه الصعوبة ، فثمة مركبات مثل « سداسى ديكانول » يمكن أن تنتشر على سطح البحيرة على هيئة طبقة رقيقة سمكها جزىء واحد فتمنع أو تحد من تجمد الماء ، على حين ينفذ منها الأكسجين والغازات الأخرى . وقد قيل انه اذا امتصت نباتات المريخ مثل هذه

المركبات لتغطى كل السطوح المبتلة فسوف تحد من فقد الماء ولا تؤثر على تبادل الغازات . ومن اسف ان التجارب التى أجريت فى هذا المجال قد فشلت ، ولكن الفرض ما زال قائما ، ولعلنا تتخيل قدرة نباتات المريخ على أن تحتفظ بهذه المركبات التى تؤدى هذا الغرض .

مشكلة نقص الاكسجين على سطح المريخ

ولعل اخطر مشكلة تواجه الحياة على المريخ انما هى نقص الاكسجين ، فان اساس بيولوجية الحياة على الأرض انما تكمن فى توافر الاكسجين ، وان عملية البناء الضوئي لتتركز فى تأثير الطاقة الشمسية على اتحاد الماء بثانى أكسيد الكربون لتكون المواد العضوية ويخرج غاز الاكسجين . أما عملية التنفس فتتلخص فى أكسدة المواد العضوية بالاكسجين وخروج ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء . وقد حسب العلماء ان كل الاكسجين الموجود فى جو الأرض الآن يمكن أن يكون قد نشأ عن عملية البناء الضوئي فى بضعة آلاف من السنين . أما فى المريخ فانه يبدو أن الاكسجين متحد مع مركبات الحديد فى صحاريه . فكيف تجرى الحياة على المريخ اذا كان الاكسجين الناتج من عملية البناء الضوئي سيتحد فورا ، وبذلك يُقيَّد ويُحبَس ولا يستغل فى عمليات التنفس . ولعل هذه أخطر مشكلة تواجه الحياة على المريخ .

وهناك حلان لهذه المشكلة ، يمكن التفكير فيهما للتغلب على هذه الصعوبة . ان التنفس اللاهوائي لا يحل المشكلة بالنسبة لظروف البيئة السائدة . ومن رأى « سترجهولد » ان نباتات المريخ قد تتغلب على هذه الصعوبة ، بأن تستغل الاكسجين الناتج من عملية البناء الضوئي داخليا فى عملية التنفس مباشرة ، ويتم هذا التبادل فى الجو الداخلى للنبات . ولكن كيف يأخذ النبات ثانى اكسيد الكربون دون أن يلفظ غازا آخرا كالاكسجين . وكما هى الحال فى التنفس اللاهوائي قد تسير الحياة هناك فى اتجاه التخلص المستمر من ثانى أكسيد الكربون دون أن يحل محله غاز آخر ، كما فى عمليات التحلل العادية .

ويبدو ان هناك حلا واحدا معقولا لهذه المشكلة وذلك على أساس أن التفاعلات الكيموحيوية فى كائنات المريخ تختلف عن تلك التى تجرى فى الكائنات الأرضية ، وعلى ذلك يمكن تبسيط التفاعل السابق ذكره الى صورة تدل على تنقل الالكترونات بين الكربون والاكسجين ، وبذلك تتجمع الطاقة ثم تطلق ، أو لعل كائنات المريخ لها القدرة على انتزاع الاكسجين من اكاسيد الحديد فى التربة الصحراوية هناك بطريقة تماثل تلك التى يفصل بها الاكسجين من الماء فى عملية البناء الضوئي فى النباتات الأرضية ، ويستغل هذا الاكسجين فى عمليات الايض ، كما تتضمن عملية التحلل الى عودة الاكسجين للاتحاد بالحديد .

فروض واحتمالات يثبتها أو ينفيها نزول الانسان على سطح المريخ

والخلاصة انه اذا تحققت تلك الفروض والاحتمالات ، فمن المتوقع أن تكون الحياة مزدهرة على سطح المريخ ، وان كان للاحياء هناك طابعهم الخاص الذى يختلف عن طابع الكائنات الحية على سطح الأرض التى قد لا تستطيع أن تعيش هناك . ومن بين هذه الكائنات لعل النباتات الراقية هى اقرب الكائنات احتمالا لاحتمال الحياة على المريخ ، ولعل ورق النبات الأخضر هو الصورة المثالية للحياة هناك ، وان كان ضعف قوة الجاذبية على المريخ يحتاج الى بعض التحورات . ولكن أهم تحور ينتظر انما هو فى التفاعلات الحيوية الكيماوية ، ويبدو أن سلسلة التفاعلات وكذلك تتابع النبت قد يختلف عنه فى الأرض ـ وقد يبدو أنه توجد على المريخ حيوانات تتحرك وتعيش على هذه النباتات المنتشرة هناك ، وان كنا لا نعلم مدى ذكاء هذه الحيوانات وهل يمكن أن يوجد كائن حى انسانى هناك .

ومع ذلك فلا زلنا فى حاجة الى مزيد من المعلومات عن بيئة المريخ حتى تكون الفكرة واضحة عن امكانيات واحتمالات الحياة على المريخ ، وعندما يهبط انسان على سطح المريخ فسيأتينا بانباء يقينية عن كل ما نسأل عنه ، وسيكون ذلك أجدى من عشرات البحوث التى نجريها هنا على الأرض ومن هذه الفروض والنظريات التى تداعب عقول وخيال العلماء وهم على سطح الأرض ، لا يعيشون الا حياة الأرض ، ولكن زيارة الانسان للمريخ سيكون فيها فصل الخطاب ، ومن يعش ير ، وكل آت قريب وان غدا لناظره قريب .

■■

عبد الحليم منتصر

كان الافغاني يتناول السعوط بيمناه ، ويوزع الثورة بيسراه !

عبقرية جمال الدين الافغاني

بقلم : الدكتور عثمان أمين
رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

■ جمال الدين الافغـــانى شخصية من الع الشخصيات الشرقية فى التاريخ الحديث ، فهو علم من أعلام النهضة الفكرية ، وزعيم روحى ، ومصلح اجتماعى ، وداعية ثورى .

اجتمعت له مواهب عقلية نادرة وصفات اخلاقية عالية ، جعلت لشخصيته مغناطيسية تجـذب النفوس . فهو باعتراف الجميع كاتب مبدع بليغ ومجادل مقنع ، ومتحدث بارع . وهو ايضا ، كما وصفه تلميذه الامام محمد عبده : سليم القلب حديد المزاج ، شديد العزم ، شجاع مقدام ، كثير البذل ، قوى الاعتماد على الله ، لا يبالى بصروف الزمان قليل الحرص على الدنيا ، بعيد عـن الغرور بمتاعها وزخرفهـــا ، راغب عن المادة ، متعفف عن لذات الحس ، مؤثر لمتـــع الروح ، "كلِف" بمباهج المعرفة. لم يتزوج،وأبى أن يتعلق قلبه بالمال والبنين أو الرتب والمناصب ، وانمـا اراد أن يقضى حياته حرا طليقا كالهواء أو كالطير على الغصون أو « كالليث لا يعدم فريسة اينمـا ذهب » كما وصف هو نفسه .

ولد السيد جمـــال الدين الافغانى فى قرية « سعد آباد » من أعمال كابول فى افغانستان . وأبوه « صفتر » من سادات الافغانيين ، ينتسب الى السيد علي الترمذى المحدث الذى يرتقى نسبه الى الامام الحسن بن علي بن أبى طالب . وقد كانت اسرة جمال الدين ذات بأس وقوة ومكانة فى افغانستان .

وتنافس اهل الشرق عليه ، كل ينسبه اليه

وقد تنافس كتاب الشرقيين فى نسبة جمـــال الدين الى بلادهم : فذهب بعض الايرانيين الى انه ايرانى ، ولد فى « سـعد آباد » بايران ، وحاول بعض الاتراك أن يثبتوا انه من اصل تركى



هو في الشرق الاسلامي الحديث ، اول داعية الى الحرية وأول شهيد من شهدائها

وانه ولد فى أذربيجان ، كما ذهب بعض الهنود انه نشأ فى قرية « شيروت » فى بلاد الهنـــد ، فترجمت الى « سعد آباد » لأسباب دبلوماسية .

ويحلو لنا بصدد اختلاف الأقوال فى نسـبة جمال الدين الى الافغان أن نقول ما قاله «دالامبير» D'alambert بصدد نزاع من هذا القبيل : « ان الرجـال الممتازين لا ينتسبون فى الحقيقة الى المدينة ولا الى القرية ولا الى الأمة التى تفاخر بهم : انهم قليل عددهم وقد ألقت بهم المقادير على سطح الأرض . فليسوا زينة ولا قنية لأحد ، بل هم أفذاذ من النوع الانسانى الذى لا سـبيل الى تعريفه » .

والحق انه لم يكن لجمال الدين وطن يستقر به وانما عاش منذ طفولته سائحا جوابا ، فكان وطنه الشرق كله : أقام بالافغان وفارس والهنـــد والعراق وزار بلاد العرب ومصر وتركيا ، وسافر الى كثير من عواصم أوربا . وقيل أيضا انه زار أمريكا . وكتب فى الصحف الشرقية والعربية ، وخطب فى المحافل والمجامع العربية والأوربية ، وخالط رجال العلم والدين والأدب والسياسة ، فى الشرق والغرب .... فاكتسب من سياحاته الكثيرة واطلاعه الواسع معرفة عميقة بالرجال والشعوب .

جمال الدين فى رأى أهل الغرب

ولقـد ترك الزعيم الافغانى فى نفس الكاتب المؤرخ الفرنسى « رينان » Renan أثرا قويا أشار اليه « رينان » فى مايو ســنة ١٨٨٣ ، قال : « كنت أتحدث اليه (أى الى الافغانى) فكان يخيل الى من حرية فكره ، ونبالة طبعه ، واخلاص قلبه ، انى أرى وجها لوجه أحد معارق القدماء ، وانى أشهد ابن سينا ، وابن رشد ، أو واحدا من أولئك الأحرار العظام الذين مثلوا ، خلال خمسة قرون ، تقاليد الفكر الانسانى . »

ذلك جمال الدين الافغاني في رأى « رينان » .

ولا يتسع المقام لاستيفاء تاريخ ذلك النابغة الافغاني الذى اختلفت فيه الاقوال وحارت في فهمه العقول.حتى قال فيه الكاتب الفرنسي «روشفور» Rochefort : « السيد جمال الدين الافغاني من سلالة النبي ويكاد هو نفسه ان يكون نبيا » . فبينا يراه « رينان » Renan فيلسوفا كبيرا ومفكرا دينيا متحررا ، يراه روشفور من كبار دعاة الاديان وقريبا من طبقة الانبياء .

كان هذا الرجل ذو العبقرية الفذة رائد الحرية الدينية والسياسية في نظر الشعوب الشرقية كما قال « ولفرد بلنت » ، فقد جذبت اليه قوة شخصيته وسحرها في القاهرة ، وفي استانبول قبلها ، جماعةً من الشبان المتحمسين ، كان في وسعه ان يذيع بينهم ، في غير ما تحفظ ، ذخيرة معارفه المتنوعة ، ويلهمهم قبسا من روحه النافذ، ويبث فيهم شيئا من شجاعته النادرة . والواقع انه كان لا بد للانسان في ذلك العصر من أن يكون ذا حظ عظيم من الشجاعة حتى يعبر عن آرائه في حرية : فلم يكن الخديو اسماعيل يطيق أي معارضة ـ وكانت السلطات الدينية العليا ـ التى لاذت بالصمت ازاء المظالم عهدا طويلا ـ قد استكانت الى تلك الحال وأيدتها بالسمع والطاعة.

في تلك الظلمة الحالكة التى أطبقت على الحياة الاخلاقية والعقلية في القاهرة ، انبثقت تعاليم جمال الدين الجريئة كبريق ياخذ بالابصار .

الافغاني وتلاميذه

التف حول جمال الدين صفوة القوم فيالقاهرة، ونشط الافغاني لبث تعاليمه الحرة التى لم يكن للناس عهد بها من قبل ، واخذ يقرأ لتلاميذه طائفة من الكتب العربية القديمة والكتب الأوربية المعربة في الفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع، فكان ذلك فتحا جديدا في موضوعات التعليم ـ ومن المحقق ان جمال الدين كان يفيض في كل هذا قوة ذاتية وسحرا فطريا . فاستطاع ان ينفخ من روحه في تلاميذه .

قال جرجي زيدان : « ففتحوا أعينهم واذا هم في ظلمة وقد جاءهم النور فاقتبسوا منه ، فضلا عن العلم والفلسفة ، روحانيةً ارتهم حالهم كما هي،اذ تمزقت عن عقولهم حُجُب الأوهام فنشطوا للعمل في الكتابة وانشاوا الفصول الادبية والحكمية والدينية . »

بين الافغاني ومحمد عبده

قدم السيد الافغاني الى القاهرة للمرة الأولى سنة ١٨٦٩ وكانت شهرته قد سبقته الى هذه البلاد . ولما سمع الشيخ محمد عبده بمقدم ذلك النابغة الكبير ذهب لزيارته في صحبة الشيخ حسن الطويل الذى كان استاذا للمنطق في الأزهر . وتحدث السيد جمال الدين الى زائريه احاديث طلية طريفة في تفسير القرآن وفي التصوف الاسلامي،فكانت شخصيته تخلب ألباب سامعيه.

ولما عاد جمال الدين الى القاهرة للمرة الثانية سنة ١٨٧١ بادر محمد عبده الى لقائه ، وتتلمذ له واصبح يلازمه كظله . ووجد الشاب المصري عند السيد الافغاني روحا جديدة غير مألوفة لدى شيوخ الأزهر : وجد عنده مذهبا فلسفيا واحدا ونظرة الى الحياة عميقة ، وصورة عن الكون منظمة . وبالاجمال وجد عنده تلك الفلسفة المتسقة الشاملة التى تتناول مجالَي النظر والعمل ، وتشمل الله والعالم والانسان . وكان طبيعيا ـ وقد اتصل الشاب الأزهري بتلك الشخصية الجذابة القوية ـ ان يُفتتن بها وان ينساق الى الطريق التى رسمتها له : فلا بِدْعَ اذن ان نرى محمد عبده ، الذى كان يناصر في كتاب «العقيدة المحمدية» آراء السنيين والاشاعرة ـ وهم يمثلون حزب المحافظين في الاسلام ـ لا يتردد الآن في التحول عن تلك الطريق ، واذا به في كتاب « الحاشية على شرح العقائد العضدية » ينقلب مناصرا المعتزلة والعقليين وجميع النظار من الأحرار والمتسامحين . ولا بدع أيضا أن ينصرف الشاب الصوفي عن ممارسة الزهد وعن اعتزال الناس،وأن يأخذ في تذوق الحياة العاملة، مقتديا بأستاذه جمال الدين ، وأن يُقبل على دراسة العلوم المختلفة التى خلت منها مناهج التدريس في الأزهر ، كالفلسفة ، وعلم الكلام ، والرياضيات ، والاخلاق ، والسياسة .

وقضى محمد عبده في صحبة جمال الدين شهورا يحيا حياة الفكر والروح وهو مبتهج متحمس نشوان متعطش الى ارتشاف المعرفة من

ينابيعها الصافية ، متشوق الى شهود العهد الميمون الذى تتحقق فيه مُثُلُ الحق والخير والجمال . ولم يفته ان يسجل ، فى نغمة صوفية حارة ، اعجابه باستاذه وحماسته له : فمن ذلك ما كتبه فى نسخة نقلها بخطه من كتاب قديم حيث قال فى خاتمتها :« وكان الفراغ من قراءته وتقريره عند لسان الحق، وقائد الخلق الى جناب الحق، خلاصة من تجلى بالحكمة ، ومنقذ الضالين فى تيه الجهالة والغمة ، محيى الحق والدين ، استاذنا السيد جمال الدين » . ثم هو لا يتردد فى اعلان حماسته تلك لاستاذه فى باكورة مصنفاته ، ونجده يتحدث عن الافغانى سنة ١٨٧٤ فى بداية « رسالة الواردات » فيصفه بصفتى « الحكيم الكامل والحق القائم » .

الافغانى والمحفل الماسونى فى القاهرة

لما كان جمال الدين ميالا بفطرته الى السياسة عالما بدقائقها ، فقد نظر فى حال مصر نظر المدقق الحكيم ورأى ما آلت اليه من تدخل الاجنبى وتفاقم أمره يوما فيوم . فعلم انه لا بد من تغيير احوالها . وكان قد انتظم فى سلك الجمعية الماسونية . وكان المحفل الماسونى – فى ذلك الوقت – يحبذ تبادل الافكار بين الرجال الواقفين على دخائل السياسة ويرمى الى أن ينشىء بينهم رابطة من التضامن والتعاون .

واول نقد وجهه جمال الدين الى المحفل الماسونى بالقاهرة رده على قول احد الاعضاء بأن الماسونية لا دخل لها فى السياسة ، وانه يخشى على المحفل من بأس الحكومة وبطشها . فنهض جمال الدين وقال نقلا عن رواية المخزومى باشا فى كتابه : « خاطرات جمال الدين الافغانى » : كنت انتظر أن اسمع وارى فى مصر كل غريبة وعجيبة ، ولكن ما كنت لأتخيل أن الجبن يمكن أن يدخل بين اسطوانتى المحافل الماسونية . اذا لم تتدخل الماسونية فى سياسة الكون ، وفيها كل بناء حر ، واذا كانت آلات البناء التى بيدها لا تستعمل لهدم الفساد ودك الجور ، وتشييد معالم الحرية والاخاء والمساواة ، فلا حملت يدُ الاحرار مطرقة حجارة ، ولا قامت لبنايتهم زاوية قائمة » ثم قال : « اول ما شوقنى للانضمام الى البنائين الاحرار شعار كبير خطير يدعو الى الحرية، المساواة ، الاخاء ، وينادى بتقديس كرامة الفرد واقامة ميزان العدل ، فارتسم فى ذهنى معنى للماسونية هو همة للعمل وعزة نفس وشمم وبذل للحياة فى سبيل مثل أعلى هو نصرة المظلوم ومقاومة الظالم ، ولكن مع الأسف أرى أن جراثيم الأثرة والأنانية وحب الرياسة ، وانسياق الجماعات الى العمل ارضاء للشهوات وجلبا للمنافع ، وغير ذلك من الأمور التى قامت الماسونية الحرة للقضاء عليها ، ما زالت متفشية بين أعضائها » .

ثم قال فى ذلك المحفل أيضا ردا على خطاب لأحدهم : «أنتم اليوم بين رئيس ومرؤوس، تابع ومتبوع ، مال يجمع وجزية للشرق تؤدى ، وليس من عمل يدل على أدنى أثر من الحياة الماسونية فى الشرق . » .

ولما يئس جمال الدين من المحفل الماسونى الاسكتلندى انشأ محفلا وطنيا جديدا قسمه شعبا : شعبة مهمتها مراقبة الشئون العسكرية لمطالبة نظار « الجهادية » بانصاف الضباط الوطنيين الذين تجاوزوا فى الخدمة بالسودان الحد الذى تستوجبه القوانين، وشعبة ثانية للحقانية، وثالثة للمالية ، واخرى للاشغال وبقية الوزارات والمصالح الحكومية . ومهمة هذه الشعب المحافظة على حقوق الموظفين الوطنيين ومساواتهم بغير المصريين ممن كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة . وهال الأمرُ الخديوى توفيق فطلب مقابلة جمال الدين فذهب اليه بعد مماطلة أيام . وقال الخديوى لجمال الدين : « اننى أحب كل خير للمصريين ويسرنى أن أراهم فى أعلى درجات الرقى ولكن أكثر الشعب خامل جاهل لا يصلح ان يلقى عليه ما تلقونه من الدروس والاقوال المثيرة للنفوس فيلقون أنفسهم والبلاد فى تهلكة . » فاجابه جمال الدين « ليسمح لى سمو الخديو ان اقول فى حرية واخلاص ان الشعب المصرى كسائر الشعوب لا يخلو من الخامل والجاهل بين افراده، ولكنه ليس محروما من وجود العالم والعاقل . فالنظر الذى تنظرون به الى الشعب المصرى وافراده ينظرون به لسموكم . فان قبلتم نصح هذا المخلص واسرعتم فى اشراك الأمة فى حكم البلاد حكما شوريا ، وأمرتم باجراء انتخاب نواب عن الأمة تسن القوانين وتنفذ باسمكم وارادتكم ، كان ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم » . وبالطبع غضب الخديو اشد الغضب على السيد

جمال الدين ، ولكنه لم يظهر له شيئا وأسرّها فى نفسه .

الافغانى المصلح الدينى والسياسى

كان جمال الدين رائدا لحركة تحرير دينى وسياسى ، كان يرى ان أساس حركة الاصلاح الدينى هى الاهتمام بقلع ما رسخ فى عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقى ، مثل حملهم القضاء والقدر على معنى يوجب الا يتحركوا لطلب مجد ولا للتخلص من ذل ، ومثل فهمهم لبعض الأحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان فهما حملهم على عدم السعى وراء الاصلاح والنجاح .... فلا بد من بث العقائد الدينية الحقة بين أفراد الجمهور وشرحها لهم على وجهها الصحيح لكى تقودهم لما فيه خيرهم فى الدنيا والآخرة ....

ولذلك دعا جمال الدين المستنيرين من المسلمين الى النظر فى حالهم لتحقيق نهضة دينية تجديدية تلائم مقتضيات العصر الحديث ، وتبين لهم ان الاسلام اذا فهم على وجهه الصحيح يستطيع أن ينمو نموا طبيعيا وأن يتقدم تقدما يجمع بين المصالح المتجددة للحياة العملية وبين المطالب العالية للنفس الانسانية .

فضله فى ايقاظ الوعى القومى

وما من قطر من اقطار الشرق أثر فيه جمال الدين مثل تأثيره فى اقليم مصر : فهو من أول العاملين على تطور الروح الوطنى فى هذه البلاد . وقد نسب اليه ـ بحق ـ الدور التاريخى لـ « أبى القومية » . وقد استطاع الرجل بخطبه الملتهبة أن يبث فى النفوس نزوعا الى الحرية ، ورغبة فى العدالة . خطب مرة قبل خلع الخديوى اسماعيل فقال : « انت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتستنبت ما تسد به الرمق وتقوم باود العيال . فلماذا لا تشق قلب ظالمك ؟ لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة اتعابك ؟ » . بهذه الجراة كان جمال الدين يخطب ويتكلم ، وكان لكلامه أثر عميق فى ايقاظ الناس وتنبيه المحكومين الى حقوقهم قِبَل الحاكمين . فاتجه الناس الى نقد تصرفات أصحاب السلطان ، وأخذت تتضائل عقيدة سيادة الحكم وحقه المطلق فى التصرف فى شئون الرعية . وكذلك بذل جمال الدين جهدا كبيرا فى تنبيه المصريين الى مضار الاستكانة لتدخل الأجانب فى شئونهم ، وطفق يخاطبهم مستثيرا فيهم معانى العزة القومية .. ومما قاله مرة فى خطاب له : « لو كان فى عروقكم دم ينبض ، وفى رؤوسكم أعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية ، لما رضيتم بهذا الذل ، ولما قعدتم على الرمضاء وأنتم تضحكون ! .... تناوبتكم أيدى الغزاة من كل جنس وأنتم كقطع الصخر الملقاة فى الفلاة لا صوت لكم ولا حس ! »

الذود عن كرامة الانسان

بتأثير جمال الدين أخذت الحركة الفكرية الوطنية فى الظهور ، وأخذ الوطنيون يطالبون الخديوى توفيق بانشاء مجلس نيابى ، وبدا الخديوى وكأنه مرحب بهذه المطالب ، فانبرى جمال الدين محذرا الوطنيين من الاستنامة للوعود المعسولة ، وقال : « أيها الاخوان : ان القوة الوطنية لأى أمة لا يمكن أن تحوز معناها الحقيقى الا اذا كانت نابعة من نفس الأمة . وأى مجلس نيابى يأمر بتشكيله ملك أو أمير ، أو قوة اجنبية محركة لهما ، فثقوا ان حياة تلك القوة النيابية الموهومة موقوفة على ارادة من أحدثها .... فاى مجلس نيابى يقوم على ارادة خارجة عن ارادة الأمة ، مثل هذا المجلس ، لا قيمة له ، ولن يعيش طويلا ولا ترجى منه للأمة فائدة » ....

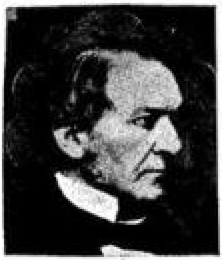
ثم قال ضاحكا ضحكة متألم : « سترون أن الذى سيكون نائبا عن شعب قد سلب حريته ، وابتلى بما ابتلى به ، هو ذلك الذى كان آلة صماء بيد القوة التى عملت على وصول وطنه ومواطنيه الى ما وصلوا اليه من بؤس وهوان . نائبكم سيكون ... هو ذلك الوجيه الذى امتص مال الفلاح بكل مساعيه ، ذلك الجبان البعيد عن مناهضة الحكام الذين هم أسقط منه همة ، ذلك الرجل الذى لا يستطيع مواجهة الحاكم الظالم بأى حجة ولو كانت من الحجج الساطعة ، ذلك الرجل الذى يرى فى ارادة القوة الجائرة كل خير



أرنست رينان



الأمير شكيب ارسلان



جلادستون

وحكمة ، ويرى في كل دفاع عن وطنه وفي كل محاولة لرد الاعتداء قلة أدب وسوء تدبير » .

الخديوى يأمر باخراج جمال الدين من مصر

وما لبث الوطنيون ان تأثروا بافكارجمال الدين، وما بثه فيهم من النفور من السياسة البريطانية في مصر . وقد ترجمت أقوال السيد بهذا الصدد وارسلت الى جرائد انجلترا ، وبلغ من اهتمامهم بها هناك أن تولى « جلادستون » رئيس الوزارة البريطانية امر مناقشتها ، وداخل الخوف مستر « فافيانى » قنصل انجلترا اذ ذاك فجمع عن طريق من بثه من الرقباء والجواسيس ما ارهب به الخديوى توفيق الذى كانت في نفسه أشياء من جمال الدين اذ لم ينس ما سمعه منه شخصيا في المقابلة التى اشرنا اليها ، فاصدر أمره باخراج السيد جمال الدين من مصر ، فغادرها سنة ١٨٧٩ .

خصوم جمال الدين والطعن فيه

كان طبيعيا أن يثير موقف جمال الدين معارضة له وسخطا عليه من كل صوب ، من رجال الدين المحافظين الذين اخذوا يتقولون عليه ويرتابون في تعاليمه بدعوى انها خطر على العقيدة داهم ، وكذلك من الحكام المستبدين ومن الأجانب الطامعين . وكانت أحوال مصر السياسية والمالية قد سبقت فسادت مما أدى الى التدخل الأوربى في شئونها بحجة « المراقبة الثنائية » من انجلترا وفرنسا،ثم الىعزل الخديو اسماعيلوتولية توفيق نتيجة لبذخه وطغيانه . وكان توفيق قبل ارتقائه الى العرش قد عاهد جمال الدين الافغانى واصحابه الاحرار على تأييدهم في مطالبهم الاصلاحية . ولكن سرعان ما تنكر الخديوى لهم حين آل الحكم اليه ، وانتهى به الأمر الى ابعاد السيد جمال الدين عن مصر ، كما سبق أن بينا - ارضاء لناصحيه من الانجليز والفرنسيين الذين كانوا يخشون اقامة حكم نيابى في البلاد .

كثرت الاقاويل والمفتريات التى روجها المغرضون ليحجبوا عن انظار الجمهور سمات الشخصية الحقيقية للسيد جمال الدين ، شخصية المفكر المصلح الذى لم يكن يبغى من دعوته الا استنهاض العالم الاسلامى الذى قضى عليه بالعجز والعقم نتيجة تخبط المحترفين من رجال الدين والحكام السياسيين .

ومن قبيل المفتريات البذيئة التى وجهت للطعن في شخصية جمال الدين وريقات نشرت في القاهرة بعنوان : « تحذير الأمم من كلب العجم » ، كلها تجريح وقح وتهجم رخيص على جمال الدين ، لا لشيء الا لأنه اعتنق قضية الفكر الحر والثورة على الفساد أيا كان وحيثما كان ! حتى قيل فيه انه كان يتناول السعوط بيمناه ويوزع الثورة بيسراه !.

جمال الدين عرف بالدعوة الى « جامعة اسلامية »

اشرنا فيما سبق الى أثر جمال الدين في الاصلاح السياسى ، وليس هنالك شك في أن لجمال الدين يدا في الحركة العرابية . ومن المحقق ان المبدا

الوطنى الذى سيطر على تلك الحركة من غرسه . وفى هذا الغرس قال شكيب ارسلان : « ... وان كان هب على ذلك الزرع من سموم الجهل ، ونقصان التربية القومية ، ولفحة الدسائس السياسية ، ما صوح نضرته ، شأن تلك الدسائس على كل نهضة تحدث فى الشرق ، او حركة اصلاح تشفق من ورائها الدول ان تتمزق حجب الغباوة التى هى أصدق أعوان الاستعمار».

على أن جمال الدين قد عرف بالدعوة الى « الجامعة الاسلامية » التى ترمى الى اتحاد جميع الشعوب التى تعيش فى كنف الاسلام لكى يتيسر لها التخلص من سيطرة الاجنبى . وقد كان السيد يقول بهذا الصدد : ان الدول الغربية تنتحل الاعذار فى هجومها وعدوانها على البلاد الاسلامية واذلالها واكراهها : « ان الممالك الاسلامية هذه انما هى من الانحطاط والهوان بحيث لا تستطيع ان تكون قوامة على شئون نفسها بنفسها ، فى حين ان تلك الدول عينها لا تكف عن التذرع بالوف الذرائع ، حتى بالحرب والحديد والنار ، للقضاء على كل حركة من حركات النهضة والاصلاح فى البلاد الاسلامية . ومن ثم يجب على العالم الاسلامى أن يتحد فى حِلف دفاعى كبير ليستطيع بذلك أن يصون نفسه من الفناء » .

غير ان جمال الدين لم يكن يعنى بالجامعة الاسلامية احلال قومية الدين محل قومية القطر ، وانما كان يرغب فى أن تتحد جميع الاقطار الاسلامية ، مع استقلال كل منها عن الآخر ، لتحقيق هدف واحد ، هو التحرير السياسى . ومن اجل النهوض بالوطن الافغانى أو المصرى أو التركى او الفارسى ، كان الافغانى يعمل على نهضة الاسلام الذى يتغلغل فى الحياة السياسية والاجتماعية للاقطار الاسلامية المختلفة . على أن عبء النهوض بمهمة الاصلاح الدينى سيقع فى صميمه على عاتق تلميذه الغيور محمد عبده .

ولكننا نعتقد ان الجامعة الاسلامية التى اشتهر جمال الدين بالدعوة اليها لم تكن الا تمهيدا لتحقيق جامعة أوسع هى ما يمكن أن نسميه « بالجامعة الشرقية » . فهو راى فى الشرق تخلفا ناشئا عن ضعف الارادة وانحلال القومية وتفرق الكلمة والاستسلام والتخاذل ، وراى فى الغرب تقدما ماديا عقليا وروح تعصب على الشرق ، وعدوانا على بلاده ، وسعيا الى اذلال شعوبه ، بحجة ضعف الشرق عن أن يكون قواما على شئون نفسه . فسعى سعيا حثيثا لجمع شتات اهل الشرق ، وتوحيد كلمتهم ، وايقاظ هممهم ، للذود عن كيانهم ، والخلاص من الخطر المحدق بهم . وراى ان السبيل الى ذلك أن يسعى كل ملك او امير فى الشرق الى ترقية شعبه ، وتحصينه بالحكم الدستورى ، ووقفه على اسرار التقدم الغربى ، وتقويته للتحالف على الاتحاد مع الأمم الشرقية الأخرى ، لتلتقى جهود الجميع عند الغرض المشترك ، وهو التحرير السياسى .

وقد كان الشرق هو الهم الأكبر لجمال الدين يهتف باسمه ولا ينقطع عن ذكره ليله ونهاره . روى المخزومى باشا ان الافغانى كثيرا ما كان يقول: الشرق ! الشرق ! لقد اعملت فكرى لتشخيص دائه وتحرى دوائه ، فوجدت اقتل ادوائه وما يعترض سبيل توحيد الكلمة فيه ، داء انقسام اهليه، وتشتيت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد، واتحادهم على الاختلاف . فقد اتفقوا على الا يتفقوا ، ولا تقوم على هذا لقوم قائمة ! » .

والحق ان قدوم السيد جمال الدين الى مصر كان مبدأ للنهضة الفكرية والسياسية التى نشهدها الآن فى البلاد العربية والتى نراها ممتدة الى سائر البلاد الافريقية والآسيوية داعية الى اكتناه اسرار القوة الغربية واعادة الشرق سيرته الأولى من العلم والمدنية .

وما احسب الجامعة الشرقية التى دعا اليها جمال الدين الا جامعة المستقبل ، وما احسب الا اننا سائرون فى طريقها لانها مناط أمل الشرق فى دفع مطامع الغرب .

ونعتقد ان خير ما يصور شخصية الافغانى فى طموحه وابائه ، وحقيقة الرسالة التى اضطلع بعبئها طول حياته ، والتى اراد ان يترسمها تلاميذه من بعده ، هو ذلك المعنى الذى عبر عنه الشاعر العربى حين قال :

عش عزيزا او مت وانت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود

■■

عثمان أمين



الحروب والغزوات لها في البدو تقاليد

■ الاعتداء على النساء في الحرب يلحق العار بالقبائل

■ الحب والحرب هما الموضوعان الرئيسيان فى الادب العربى الكلاسيكى . وقد اعتبر العرب منذ القدم ان الحرب اشرف ما يشغل الانسان به نفسه . وحيث ان البنيان الاجتماعي فى بلاد العرب كان يقوم على اساس قبلي ، فمن الطبيعي ان تنسق تنظيمات الحروب مع تلك القاعدة .

تقاليد للحرب عند العرب ثابتة

وهناك تقاليد للحرب اصبحت ثابتة مع مضي الزمن ، وهذه التقاليد تتعلق بأساليب القتال وبمعاملة الاعداء الذين تحل بهم الهزيمة .

لا رواتب للافراد المحاربة

لم تجر العادة ان تدفع رواتب لأفراد الجيوش

(١) مقتبس من كتاب خشخشة الاشواك A Crackle of Thorns تأليف السير اليك كركبرايد الذى قضى فى بلاد العرب أكثر من ثلاثين عاما أمضى معظمها فى الاردن حيث اشترك فى الثورة العربية اثناء الحرب العالمية الاولى وكان معتمد بريطانيا فى عمان ثم سفيرها بعد الاستقلال حتى عام ١٩٥١ .

العربية ، وبقي للذين يرغبون أن يصبحوا ذوى ثروة من هؤلاء ــ أن يقتصروا في ذلك على الاسلاب التي يغنمونها . ونتيجة لهذا سادت الفكرة القائلة بان سلب الاعداء أكثر أهمية من ايقاع الاصابات القاتلة فيهم .

حرب العربي ليس أساسها التعطش الى الدماء

وعلى عكس الفكرة السائدة في بلاد الغرب ، فان العربي بطبيعته ليس قاسيا ومتعطشا للدماء، ومن هنا فان أعمال العنف المتعمد والقتل البشع تدخل بالنسبة للعرب في نطاق الحوادث الاستثنائية لا الامور المألوفة .

معاملة النساء في الحرب

اما موقف العرب التقليدي ، وخاصة البدو ، بشان معاملة النساء في الحرب ــ فهو موقف يدعو الى الاعجاب . وهم يعتبرون قتل النساء او ايقاع الاذى بهن ــ امرا شائنا . وتبلغ دية الامرأة أربعة اضعاف دية الرجل حتى لو كان قتل المرأة حدث دون تعمد . وهناك مناسبات نادرة قتلت فيها النساء عمدا اثناء المعارك ، ولكن ظل العار يلاحق رجال القبائل التي قامت بذلك طوال عدة أجيال . ولقد شهدت عددا من المعارك بين القبائل ، واشتركت في بعضها ، وانني أستطيع القول ان اطلاق النار كان يتوقف عند الجانبين حالما تتقدم النساء لحمل المصابين .

ولقد جرت العادة أن تركب اجمل فتاة في القبيلة وتسير في طليعة الرجال الى المعركة وهي تشجعهم على الاستبسال والاقدام . ولم يحدث أن لحق أذى متعمد بفتاة في هذه الحال . كما انها تلقى معاملة كريمة اذا وقعت في الاسر . أما اذا سقطت مضارب احدى القبائل في أيدي الاعداء ، فان هؤلاء يتركون بحكم التقاليد لمن بقي في الخيام من نساء واطفال قدرا كافيا من الطعام والماء وعددا من حيوانات النقل ليرحلوا بواسطتها الى مكان يلجأون اليه .

مصاهرة بين القبائل بعد مخاصمة الحروب

وعندما يعقد صلح بين قبيلتين متعاديتين ، فان التسوية تقوم على دفع دية القتلى الذين خسرتهم كل قبيلة ، وفي هذه الاحوال تبدو دية النساء عالية جدا عند حساب الخسائر من الجانبين . وقد جرت العادة ان تتبادل القبيلتان عند الصلح عددا من البنات للمصاهرة وتوثيق الروابط . وترى ذوي العروس يقولون لذوي العريس : عسى ان تلد لكم أولادا يحلون محل الرجال الذين فقدتموهم .

فتاة في البدو لقيتها ، غير فتاة الحضر

ونتيجة لهذه العادة الوقائية ، فان موقف نساء البدو يتسم بطابع الحرية والثقة تجاه الغرباء ، على عكس نساء المدن أو القرى اللاتي يقفن موقف التهيب والوجل في أحوال مماثلة . وقد خبرت هذا بنفسي اثناء الحرب العالمية الاولى عندما كنت أسرع في السير في مهمة عاجلة من شرقي الاردن الى بئر السبع . فقد حدث ان ضل دليلي الطريق ثم اصيب بالحمى ورفض أن يواصل السير . ولم اجد بدا من متابعة التقدم الى الغرب عبر التلال على أمل أن التقي بأحد البدو أو أن اصل مضارب احدى القبائل . وبعد مسيرة أربع ساعات شاهدت قطيعا من الماعز فتنفست الصعداء لأن مضارب أصحاب القطيع لا بد أن تكون على مقربة من ذلك المكان . واقتربت من الماعز فوجدت انها في رعاية بنية صغيرة سمراء اللون لا تتعدى الثانية عشرة من العمر ، ولم تبد الفتاة أي انزعاج للمفاجأة المتمثلة في ظهور رجل غريب ذي لحية يمتطي جوادا ويحمل بندقية على مقدمة سرجه . وردت على تحيتي بابتسامة كشفت صفا نضيدا من الاسنان اللؤلؤية . وبعد أن انبأتني ان أهلها يقيمون على بعد مسيرة ساعة من الزمن، اضافت : انك تبدو متعبا . انزل عن جوادك وساحلب لك شيئا من الحليب .

كنت متعبا جائعا فرحبت ترحيبا بالغا بالحليب الدافيء الذي جاءت به الي في قدح خشبي صغير. وبعد أن شربت الحليب تغلب عليّ النعاس فوعدت ان تمسك بزمام فرسي حتى أغفو وأنال قسطا من النوم . وعندما أفقت رأيتها تجلس القرفصاء قريبا من رأسي وهي تتفحص ملامح وجهي . وحالما فتحت عيني اعربت عن املها بأن أكون نمت نوما مريحا ، ثم سألتني :

ــ هل أنت متزوج ؟

ــ لا ، لم أتزوج حتى الآن

ــ اذا يجب عليك أن تتزوج ، انه ليس من المستحسن أن يقضي ولد مثلك أيامه دون زوجة ترافقه .

وكنت ما أزال حديث السن بحيث انني شعرت قليلا بالمهانة لوصفها اياى « بالولد » ، فسألتها بدورى :

ــ وماذا بشأنك ، هل أنت متزوجة ؟

فابتسمت بزهو وأجابت : أنا مخطوبة ، وان شاء الله سيكون الزواج فى السنة القادمة .

واختتمت المحادثة بقولي : لو استطعت أن أجد فتاة مثلك لسعيت الى خطوبتها فى الحال .

وافترقنا بعد أن أعربت لها عن تقديري وشكري . ثم مضيت الى مضارب قومها حيث اتخذت دليلا جديدا . وانك لن تجد فتاة قروية وحدها فى مكان منعزل كهذا ، بل انك لو وجدت تلك الفتاة فانها ستبادر الى الهروب حالما ترى رجلا غريبا يتقدم نحوها .

مواثيق بين الرجال لمدد محدودة

وفى بلاد العرب يتواثق الرجال مواثيق الصداقة الخالصة لمدة معينة من الزمن او خلال عملية من عمليات الغزو أو السفر ، فيصبحون بذلك (رفقاء) . فاذا جرح الرفيق أو مرض ، فلا يجوز لرفاقه أن يخلفوه وراءهم حتى يموت او يحلهم من مواثيقهم . وقد جرت العادة أن يسمح الرجل لرفاقه بمواصلة المسير عندما يستحيل عليه أن يواصل السير معهم ، فاذا لم يجد هؤلاء من يتطوع للبقاء معه فانهم يزودونه بالماء والطعام قبل أن يواصلوا سيرهم .

شيخ يلجأ الى المضارب التى أطلقت عليه النار

ولقد عرفت فى الاردن شيخا كان قد أصيب فى شبابه بعيار نارى فى احدى الغزوات . وقد تركه رفاقه بعد أن سمح لهم بذلك وهم يحسبون انه سيفارق الحياة بعد قليل لأن اصابته كانت فى الصدر . والواقع انه كان متعبا وقد روعته الصدمة ، فنام نوما عميقا ثم أفاق ليجد نفسه فى حالة أفضل ، ولكن وحيدا ودون دابة يركبها . وكان رفاقه قد زودوه بشيء من الطعام والماء . وفى اليوم التالى أدرك أن لديه فرصة للنجاة . وكان أقرب مكان مأهول اليه مضارب القوم الذين أطلقوا النار عليه، ومع ذلك اتجه نحوهم . ورآه أحد الرعاة فأخذه الى خيام القبيلة حيث اعتبر ضيفا حتى شفي من جرحه . وقد سعى هذا الرجل الى عقد الصلح بين القبيلتين ، فوفق الى ذلك ، ثم تزوج ابنة الرجل الذى استضافه فى بيته .

اصابات المعارك غير كبيرة

وفى المعارك بين قبائل البدو لا تكون الاصابات كبيرة بحسب مقاييسنا . وقد أبديت ذات يوم ملاحظة بهذا الشأن لصديق لي من البدو ، فاجاب بقوله : اننا لسنا من الكثرة بحيث نتحمل الاصابات الكبيرة . واذا قتلنا جميعا فلا بد أن تنقطع الحروب والغزوات وتغدو الحياة رتيبة مملة .

الهروب من المعارك

وتنشأ عن هذا الاتجاه فى التفكير ، عادة أخرى طالما انتقدناها ، ألا وهى الهروب من المعركة اذا لم يكن الموقف ملائما ، بقصد العودة فى يوم آخر . وهذا الاتجاه يبدو منطقيا ومعقولا عند العرب ، وهم لا يستطيعون أن يدركوا لماذا ينبغي على أى انسان أن يقف ويقتل لمجرد العناد المخفي ،وعندما يكون النصر بعيد المنال . ولا تتأثر معنويات العرب بسبب التراجع ، ولكن هذه المعنويات تتحطم حقا اذا سيقوا للقتال فى معركة خاسرة . وعندما التحقت بالجيش العربي ، وكنت ما أزال ضابطا صغير السن ، قال لي أحد شيوخ البدو ــ ممن كنت على صداقة معه : ان ولدى عندما يقود البدو ، يذكر دائما انهم يجب أن يكونوا فى حركة مستمرة سواء الى الامام او الى الوراء .

البدو أفضل فى الهجوم ، والحضر أفضل فى الدفاع

وفى هذا المجال يمكن القول ان هناك فرقا بين أبناء القرى والمدن وبين أبناء البدو الذين يدخلون

فى صفوف الجندية . وابناء المدن والقرى افضل من ابناء البدو عند الدفاع عن موقع ما ، وربما يكون هذا ناشئا عن باعث غريزى فى الدفاع عن منازلهم الثابتة . اما البدو فافضل بكثير فى العمليات الهجومية . ويضم الجيش الاردني كتائب منفصلة من هؤلاء وهؤلاء . . وغالبا ما تقوم الخطط العسكرية على أن تهاجم كتيبة بدوية موقعا ما وتحتله بعد ذلك كتيبة من أبناء القرى .

حين يكون الخداع مستساغا

ولا يعتبر العرب الغدر والخداع من الصفات الحميدة ، ولكنهم يبررون اتباع هاتين الوسيلتين فى أوقات الحرب خاصة اذا حزب الامر او عندما يكون الخصم قد نكث بعهده وتجاوز نطاق التعامل الشريف . وينال النجاح فى هذه المجالات اعجاب الناس ، كما هو الشان فى معظم الامور :

قريبا من بلدة السلط فى الاردن ، تقع مجموعة من شجر البلوط الدائم الخضرة وتعرف باسم شجرات المهرى . وما تزال هذه الاشجار تذكر الناس بقصة خداع ناجحة حدثت فصولها قبل مئة وخمسين عاما . وكان المهرى احد ابناء السلط وقد ارتقى حتى صار حاكما للناحية المحيطة ببلدته . ومن المؤسف انه كان رجلا مستبدا شريرا . وقد اعجب بفتاة جميلة هي ابنة كاهن البلدة فطلب أن ترسل الى منزله . ولما كان هذا الطلب يشكل اهانة خطيرة للفتاة واقاربها ، فان اباها لجأ الى قبيلة بدوية مجاورة كان على علاقات صداقة مع زعمائها . وأعلن شيخ القبيلة ان الفتاة اصبحت « فى وجهه » أو بكلمات أخرى « تحت حمايته » . اى أن اى اهانة لها تعتبر اهانة للقبيلة كلها .

وقد ردّ الحاكم على هذا العمل بأن أرسل جماعة من رجاله لاختطاف الفتاة بالقوة . وعندما علم الشيخ بالامر اعلن الحرب على الحاكم ، ولجأ الكاهن وجميع اقاربه المسيحيين الى القبيلة البدوية . واعقب هذا سلسلة من الاشتباكات المتفرقة بين الطرفين ، ومن سوء الحظ ان النصر لم يكن من نصيب الجانب المدافع عن الفضيلة : لقد برهن الحاكم المستبد انه يتفوق على خصمه الشيخ فى فنون القيادة وكان النجاح حليفه فى جميع الاشتباكات .

واعتزم الشيخ ان يلجأ الى الحيلة للايقاع بخصمه فطرد المسيحيين من مضارب قبيلته ، واعلن انه لم يعد له علاقة بقضيتهم . وكانت الخطوة التالية انه ارسل رسالة للحاكم يطلب اليه أن يلتقيا فى مكان محايد على ان يتألف كل فريق من عشرة فرسان . واضاف الشيخ الى رسالته قوله انه يلتزم بتقديم طعام الغداء على اساس انه كان خاسرا فى الصدام ، وأن النساء سيعملن على اعداد وجبة الطعام لكيلا يزيد عدد الرجال فى فريقه عن العدد المعين . وبعد شيء من التعنت والمماطلة ، وافق المهرى على الاجتماع بموجب هذه الشروط ! .

وكان الموقع المعين للاجتماع يقوم فى سفح تلة تظللها مجموعة من شجيرات البلوط . وقد ربط رجال الطرفين خيولهم الى اغصان الشجر بينما تم الاجتماع فى بيت شَعْر كبير كي يتناولوا طعامهم ثم يبحثوا شروط الصلح . وجاء عدد من الصبية كانو يرافقون النسوة بجفنة الطعام الى بيت الشعر ، وانتظروا حتى بدأ القوم بتناول الطعام ، ثم انسل بعضهم الى حيث كانت خيل المهرى فارخوا احزمة سروجها . وبعد ان قاموا بهذه المهمة عادوا واعطوا للشيخ اشارة كانوا قد اتفقوا معه عليها . واثار الشيخ خلافا حول بعض النقاط المتعلقة بالصلح ، واحتد النقاش وتبادل الفريقان بعض العبارات الجارحة ، فنهض الشيخ فى حالة غضب مفتعل وصاح فى رجاله : هيا الى خيولكم. ولما كان هذا التصرف يعني انه قد يعمد الى القتال، فان المهرى ورجاله سارعوا بدورهم الى خيولهم، ولكنهم عندما حاولوا ان يمتطوا ظهورها انقلبت السروج بهم فوقعوا ارضا ، وعندئذ هجم عليهم البدو الذين كانوا قد لحقوا بهم بدلا من أن يتجهوا الى خيولهم ، واعملوا فيهم السيوف حتى فتكوا بهم . وهكذا انتهى الصراع وصار وجه الشيخ « ابيض » مرة اخرى وبقيت الاشجار التى قتل الرجال تحتها شاهدة على هذه المجزرة .

ان عملا كهذا يقوم فيه المضيف بقتل ضيفه الذى لم يكد يفرغ من تناول طعام الضيافة ، يعتبر من اسوأ انواع الغدر التى يربأ البدو بانفسهم عنها ويانفون منها ، ولكن التقاليد المتعارف عليها اجازت هذا التصرف بالذات لأن المهرى نفسه تصرف تصرفا منافيا للاخلاق والتقاليد عندما حاول

اغتصاب فتاة عذراء دون ان يعرض عليها الزواج(١) .

الغنائم في الحرب

ويعتبر الغزو بين القبائل مظهرا من مظاهر الحرب . ولكن البدو يهدفون من الغزو الى الحصول على الغنائم (من جمال وخيل واغنام) اكثر مما يهدفون الى ايقاع الاصابات . وهكذا نرى ان الغزو يمثل نشاطا رياضيا وترفيهيا اكثر مما يمثل حربا بالمعنى الدقيق للكلمة . وعلى عكس الخسائر في الارواح ، فان خسارة القبيلة من الجمال والاغنام في احدى الغزوات تعتبر خسارة نهائية ولا يجرى الحساب عليها بين زيادة او نقصان عند عقد الصلح بين قبيلتين متخاصمتين .

غزوة « الظما » المشهورة

والغزو بين القبائل نوع من المقامرة . وهو كاكثر حالات المتعة والترفيه قل ان يجلب الغنى لمن يمارسونه ، بل هو بالاحرى عادة متاصلة صعب على الناس ان يتخلوا عنها . ومن المحتمل ان تكون نتائج غزوة ما ذات عاقبة وخيمة بالنسبة لمن يقومون بها ، كما حدث في « غزوة الظما » المشهورة عام ١٩٢١ .

وقد قص علي قصة هذه الغزوة احد الذين اشتركوا فيها ممن كتب لهم النجاة وهو الشيخ محمد بن عودة ابى تايه من قبيلة الحويطات .

كانت الغزوة كبيرة بحسب المقاييس المحلية . وقد تجمع من اجلها حوالي مئة وعشرين رجلا في المكان المتفق عليه الى الشرق من معان ، ولقد اغرت شهرة عودة ابى تايه كقائد ناجح للغزوات الكثيرين للانضواء تحت قيادته . اما الهدف فقد كان قطعان الجمال الخاصة ببعض القبائل العراقية، التى كانت تنزل يومذاك على الضفة الغربية لنهر الفرات الى الشمال الغربي من بغداد ، اى على مسافة حوالي ستمائة كيلومتر من نقطة الانطلاق .

اضطرار الغزاة للنكوص

بدات امور الغزاة تضطرب عندما صاروا على مقربة من هدفهم ، فقد شاهدوا رجلا على ظهر احد الجمال يراقب مسيرتهم على مبعدة ولم يتمكن

---

(١) القصة الحقيقية كما رواها لي عدد من شيوخ السلط والفحيص ، هي أن المهداوى (وليس المهيرى) سمع بجمال ابنة خورى قرية الفحيص فارسل يطلبها من ابيها زوجة له . واعتذر الكاهن بأن ابنته مخطوبة لابن عمها وأن طلب المهداوى يشكل خرقا للتقاليد الاجتماعية والدينية . ولكن المهداوى اصر على الطلب . وحيث أن اهل القرية لم يكن بمقدورهم مصارحة المهداوى بالعداء، فانهم ارسلوا رسولا منهم الى شيخ عشيرة « العدوان » يستشيرونه في الأمر . وكانت العدوان احدى عشائر غور الاردن ويطمحون الى زعامة البلقاء ، ولكنهم لا يستطيعون مقاومة الهنادى لقلة عدد رجالهم نسبيا . فنصح شيخ العدوان كاهن قرية الفحيص أن ينبىء المهداوى بقبوله زوجا لابنته ، وان يستمهله شهرا من الزمن كي يعد جهاز العروس . وفي الموعد المعين جاء المهداوى ومعه كثيرون من فرسانه الى القرية كي يأخذوا العروس . وأولم لهم اهل القرية وليمة كبيرة تحت الاشجار بينما ربطوا خيولهم هنا وهناك . واثناء اعداد الطعام ، عمد اهل القرية الى خيول الهنادى فأرخوا احزمتها . وجيء بالطعام وتحلق رجال المهداوى حوله ، ولكنهم لم يلبثوا أن هبوا غاضبين عندما ذاقوا اللقمة الأولى منه .. لقد كان بدون ملح ، والملح عند العرب يشكل أساس الضيافة ولا يجوز لقوم أن يغدروا بمن يذوق الملح عندهم . وفهم المهداوى أن القوم ينوون الغدر بهم فأسرع رجاله الى خيولهم ولكنهم لم يستطيعوا امتلاء ظهورها بسبب ارتخاء الاحزمة . وفي تلك اللحظة هاجمهم كمين قريب من فرسان العدوان بينما حمل عليهم أهل القرية أنفسهم . وكانت النتيجة أن سقط المهداوى ورجاله بحد السيف فلم ينج منهم سوى رجل واحد .

بعض الذين حاولوا مطاردته من اللحاق به . ولما كانت المباغتة من أهم العناصر لنجاح الغزوة ، فان وصول أنباء الى مضارب العراقيين تحيدُ كثيرا من امكانيات النجاح . وفي مثل هذه الحال يعمد الرعاة الى الارتداد بالمواشي والجمال نحو مضارب اصحابها على جناح السرعة ، بينما يستعد رجال القبائل لمواجهة الغزاة وصدهم . وهكذا ، بدلا من أن يحصل الغزاة على بضع مئات من الجمال كما كانوا يأملون ، اضطروا للنكوص على اعقابهم دون أن يغتنموا سوى بضعة جمال شاردة . ثم انهم تجنبوا الاصطدام مع رجال تلك القبائل لأن أولئك كانوا اكثر منهم عددا .

طلائع من الجند يمنع ظهورها الغزاة ان يقتربوا من الآبار

لم يتمكن الغزاة من الوصول الى النهر ، وكانوا قد حسبوا في السابق حسابا لهذا الاحتمال وبنوا خطتهم على الاستقاء من آبار (الجيد) قريبا من الرطبة اذا كان الفشل حليفهم . ولكنهم عندما اقتربوا من الآبار ، شاهدت طلائعهم الى جانبها عددا من الجنود ومعهم بعض السيارات المصفحة. وتبادر الى اذهانهم ان السلطاتالعراقية علمت بأمرهم فارسلت هؤلاء الجنود لقطع الطريق عليهم . والواقع انهم كانوا على خطأ في ظنونهم ، لأن أولئك الجنود كانوا تابعين لسلاح الطيران البريطاني ، ولم يكن لهم علم بتلك الغزوة ، وما كان يمكن أن يعترضوا الغزاة لو أنهم تقدموا الى الآبار وتزودوا بحاجتهممن الماء. ولكنشعور الغزاة بالذنب جلب لهم النكبة ، اذ انهم اعتزموا بعد مشاورات عاجلة ، أن يواصلوا سيرهم باتجاه نبع ماء يقع على بعد مسيرة ثلاثة أيام الى الغرب . انهم لم يجرؤوا على ان يعودوا الى نهر الفرات الذى كان أقرب اليهم من ذلك النبع ، لانهم تصوروا انهم لا بد ان يصطدموا برجال القبائل التي كانوا في الاصل يبتغون نهب جمالها . أما الخطر في الاتجاه غربا فقد كان يكمن في الاحتمال الرهيب بان لا يكون هناك ماء في الموقع المقصود ، لأن أقرب مورد آخر للماء كان يقع على بعد مسافة مائتى كيلو متر تقريبا .

الغزاة يزحفون الى الغرب

وقبل أن يبدأ الغزاة زحفهم من (الجيد) قاموا بتوزيع ما تبقى لديهم من ماء قليل بينهم ، وكان كل واحد منهم يعلم جيدا أن عليه أن لا ينتظر مساعدة من أحد بعد أن يستهلك حصته من الماء .

نبع ولا ماء

عندما بلغوا الموقعالذى كانوا يقصدون، وجدوا ان أسوأ مخاوفهم قد تحققت ، فقد كان جافا لا ماء فيه ، واخذت الكارثة تطالعهم جميعا . وأمام هذا الخطر الداهم انفرط عقد نظامهم وصاح شاب من زعماء الجماعة في وجه عودة بحنق : « كنت احسب انك غاز مشهور . وها اني أرى انك لم تكن موفقا في هذه الغزوة . لقد فشلنا أولا في الحصول على الغنائم ، وها نحن الآن نواجه الموت عطشا » . وغمغم آخرون بعبارات يؤيدون فيها اقوال الثائر على قيادة زعيم الغزوة . وامتلأ وجه عوده الصارم غيظا واستشاط غضبا، وامتدت يده الى بندقيته الملقاة الى جانبه . وكان قد رد على ذلك الشاب وهو يصرُّ بأسنانه : انك قد لا تعيش حتى تموت من الظمأ ايها اللعين . ولكن محمدا أمسكبمعصم أبيه قائلا : بحق الله لا تدعنا نبدأ معركة هنا . اننا نستطيع أن نفعل ذلكعندما نرجع الى بلادنا اذا قدر لأحد منا أن يعود . وجاهد عودة حتى يسيطر على غضبه ثم قال : حسنا انني اترك القيادة . ويمكن لكل واحد منكم ان يسلكالطريق التى يختارها ولترافقكم اللعنة..

عودة يمضى وحده مع ٢٥ من رجاله

بعد أن افترق القوم ومضت كل جماعة فيسبيل منفرد ، لم يبق مع عودة سوى حوالي خمسة وعشرين رجلا من اقربائه الادنين ، وعلى رأس هؤلاء سار عودة غربا وشبح اليأس يغلف الصحراء الكالحة . مضوا يقطعون الفيافي بأقصى ما في طاقاتهم من جهد يقضون الليل بطوله في السرى حتى يتجنبوا حرارة الشمس في النهار ويحاولوا ان ينالوا قسطا من النوم عند الظهيرة . وتقلصت كميةالماء التى يتناولها أحدهم الى ما يعادل فنجانا في اليوم كله . ونتيجة لهذا أصبح الطعام بغيضا

تعافه النفوس . وكان القوم قد خلفوا وراءهم كل ما كان زائدا عن الحاجة من متاع وسلاح وعتاد . ولكن سرعان ما أخذت جمالهم تصاب بالكلال والاعياء وتعجز عن متابعة السير . وكلما سقط جمل عمدوا الى شق بطنه كي يعتصروا بقايا الماء في معدته . وكان في مقدورهم أن يستخلصوا ما يملأ بضع كؤوس من السائل الغروى من أحشاء الجمال التى سقطت اولا . ولكنهم بعد ذلك لم يعودوا يجدون سوى الدم . واضطر بعض الرجال الذين لم يقتصدوا في استعمال حصتهم من الماء ، الى أن يشربوا شيئا من الدم بعد أن بلغوا حد اليأس من شدة الظمأ . وكانت النتيجة قاتلة بالنسبة الى كل هؤلاء ، اذ كان يصاب الشخص بالحمى بعد شربه للدم بقليل ، ثم لا يلبث أن يصاب بهذيان ويتخلف عن رفاقه في الصحراء المهلكة .

وكلما سقط احد الجمال ركب صاحبه رديفا وراء أحد رفاقه على ظهر جمل آخر . وكان ذلك اقصى ما يستطيعون عمله في تلك الظروف ، لأن الجمل ما كان بمقدوره أن يحمل أكثر من اثنين بعد ذلك الجهد الشاق . وعندما تساقط المزيد من الجمال اخذوا يخلفون وراءهم صاحب الجمل المنكود ليواجه مصيره المحتوم تحت الشمس المتوهجة في تلك الصحراء الجافة المنبسطة . وحدث مرة أو مرتين عندما كان البقية يمضون في مسيرهم دون أن يلقوا نظرة الى الوراء أو يتلفظوا بكلمة وداع للرفيق الذى خلفوه وراءهم ، ان كان يصك اسماعهم بعد دقائق قليلة صوت طلقة اخيرة يطلقها اليائس المتخلف كي يوفر على نفسه مزيدا من العذاب .

عودة يسعف ابنه محمدا

واستطاع محمد أن يمضي أربعا وعشرين ساعة دون أن يشرب ، بعد أن استنفد آخر قطرة من حصته . وبعد ذلك اعتراه ضعف شامل فانبأ اباه بانه لا يستطيع أن يواصل السير . وتطلع عودة الى ابنه بعينين مرهقتين واستطاع أن يهمس بشفتيه المشققتين الداميتين قائلا : تحامل على نفسك حتى حلول الظلام . ان الله واسع الرحمة. ولم يشأ أن يعطي ابنه مزيدا من الايضاح . واستطاع محمد أن يجد في نفسه بقايا احتياط من قواه الخائرة فصمد على ظهر ذلوله حتى غروب الشمس . وعندئذ انتحى به أبوه جانبا وأخرج من طيات الرحل (مطارة) مملوءة بالماء كان قد أخفاها وحرص عليها . وملأ كل منهما فمه بالماء . ثم اعيدت (المطارة) الثمينة الى مخبئها حتى الليلة التالية .

وجاءت رحمة الله آخر الأمر

واخيرا بلغت تلك المسيرة المخيفة نهايتها عند بئر في الطرف الشمالي لوادى السرحان ، عندما حط عشرة رجال تخددت وجوههم وتقرحت اجفانهم واستطاعوا أن يرتووا من الماء مع حيواناتهم .وقبل أن تصل هذه المجموعة التى ظلت وفية لزعامة عودة الى مضارب القبيلة ، كانت قد فقدت اثنين آخرين من رجالها بتأثير العناء الذى لقياه اثناء ذلكالكابوس الرهيب. ومن مجموع المائةوالعشرين رجلا الذين قاموا بالغزوة ، لم يعد سوى ثلاثين بينما لقى الباقون حتفهم في الصحراء . وقد ظلت أجساد أولئك الذين سقطوا ملقاة على الارض العراء لم تجد من يحفر لها ضريحا .

★ ★ ★

الخيل والجمال في معارك البدو

ويفضل البدو ان يقاتلوا على ظهور الخيول ، وهم يفضلون اناث الخيل الأصيلة على الاحصنة لأنها أكثر طاعة وتحملا للمسؤولية ، ولذلك فهي اغلى وأكثر اعزازا عندهم . وعندما يجتاز البدو مسافات طويلة من القفار التى لا ماء فيها ، فانهم يركبون الجمال ويقودون خيولهم ، وهم يخصصون لكل فرس ناقة حلوبا ترضع من ثديها في الصباح والمساء لكي تستعيض بالحليب عن الماء . ومن العجيب ان هذه الرفقة الغريبة تتطور الى صداقة بين الفرس والناقة ، بحيث تتعرف كل منهما على الاخرى وتختصها بالعطف والمودة . وعندما

يقترب موعد المعركة يعمد الرجال الى الخيول فيركبونها ويتركون جمالهم ونياقهم مع احد الاتباع.

معركة تخسر بسبب حب البدو خيولهم والحرص عليها

وقبل حوالي قرن من الزمن ، خسر رجال قبيلة بني صخر معركة كبيرة بسبب حبهم لخيولهم المشهورة . وكان قتال قد نشب بين فريقين من سكان القرى هم العبّاد والبلقاوية . وهب بنو صخر لمعاضدة العبّاد بسبب تحالف سابق معهم. وعندما اصطف الفريقان لخوض المعركة الفاصلة . كان العباد واحلافهم الصخور اكثر عددا من خصومهم اهل البلقاء . وكان القرويون يقاتلون وهم مشاة، وقد تسلح معظمهم بالرماح والسيوف. مع ان كل فريق كان يعتمد على فصيل من حملة البنادق . اما بنو صخر فقد جاءوا الى ميدان المعركة على ظهور خيولهم وهم يحملون رماح الخيزران الطويلة وقد ربطوا ريش النعام تحت رؤوس الحراب . وعندما شاهد شيوخ البلقاء كثرة عدد اعدائهم شعروا بالقلق حتى ان رجلا متقدما في السن منهم رفع يديه الى العلاء وقال : اليوم يوم البلقاء ..

والتفت نحوه شيخ شاب بعينين متقدتين وصاح فيه : اذهب واقم مع النساء اذا كنت تريد البكاء .. اننا هنا نقاتل لا لكي نندب ونولول . ثم التفت الى الآخرين وقال : اننا سنهزم حقا اذا قاتلنا صفا واحدا كما كان يفعل اسلافنا من قبل ، لأن الفرسان سيلتفون حولنا ويهاجموننا من الخلف . هلموا الى تشكيل دائرة من الرماح والسيوف واجعلوا حملة البنادق في منتصف الدائرة . اما اذا انفصل اى رجل عن الدائرة دون ان يتلقى أمرا بمهاجمة العدو ، فاني سأقتله بيدى هذه . دعوا معظم البنادق تتجمع في الطرف الذى سيشن عليه بنو صخر هجومهم ، ولتطلق البنادق على الخيول عندما تصبح على بعد خمسين خطوة لا اكثر . يقولون ان البدو يحبون افراسهم اكثر مما يحبون نساءهم ، لذلك سوف نرى كيف يتصرفون عندما يشاهدون افراسهم العزيزة تتساقط واحدة بعد الأخرى .

عندما بدأت المعركة ، اندفع فرسان البدو نحو خط البلقاوية ، ثم انحرفوا جانبا على بعد كاف من مرمى بنادق هؤلاء القديمة ذات الكبسولة الواحدة ، وكانت هذه الحركة محاولة منهم كي يطلق البلقاوية طلقات بنادقهم فيكروا لمهاجمتهم قبل أن يتمكنوا من تعبئتها مرة أخرى بملح البارود . ولكن البلقاوية لم يطلقوا سوى عدد قليل من بنادقهم ، واحتفظوا بأكثرها حتى عاد الصخور بعد الانتهاء من مناوراتهم فهجموا هجمة صادقة . وعندئذ واجهتهم موجة من الدخان وتساقط عليهم الرصاص كزخة البرد : وأصيب ثلاثون أو اربعون من خيولهم الرشيقة فسقط بعضها في الفلاة وهي تصهل من شدة الألم ،وشرد البعض الآخر والدماء تنزف منها وقد فقد فرسانها السيطرة عليها . بعد هذا رفض بنو صخر أن يقوموا بهجوم ثان على خيولهم ، كما رفضوا أن يشتركوا في الهجوم مع مشاة العباد . وعندما أيقن العباد انهم لا يستطيعون الاعتماد على معونة حلفائهم ، ارتدوا عن ميدان المعركة بعد مناوشة غلب عليها التردد مع رجال البلقاء .

السيارات والطائرات قضت على الغزو قضاء مبرما

لقد قضت الطائرات والسيارات على عادة الغزو قضاء مبرما . وكان هذا أمرا طبيعيا ، لأن الغزو في حقيقته كان يعتمد على عامل المفاجأة في الساعة الأولى ، ثم على افلات الغزاة بواسطة جمالهم من مطاردة رجال القبيلة المعتدى عليها .

على أن الحرب ما تزال هي الحرب ، وستظل الشعوب المتمثلة بروح القتال تنجب المحاربين الأشداء ، سواء كان سلاحهم بندقية الكبسول أو قنبلة الذرة . ■■

اقتباس : سليمان موسى

عمان ــ الاردن

نتيجة مسابقة العدد ٧٧

الأجوبة الصحيحة .. والفائزون بالجوائز..

■ الرّجل رقم ١ للراس حرف ب ،ورقم ٢ للراس حرف جـ ، و ٣ لحرف و ، والرّجل رقم ٤ للراس حرف ح ، ورقم ٥ لحرف د ، ورقم ٦ لحرف أ ، ورقم ٧ لحرف هـ ، ورقم ٨ لحرف ز.

هذه هى الاجابات الصحيحة .

وقد اسفرت عملية الاقتراع علىالجوائز عن النتائج الآتية :

الجائزة الأولى : وقيمتها ٣٠ دينـارافاز بها : سعيد يسن بن عوف ـ ص.ب ٨٩ بورت سودان ـ السودان .

الجائزة الثانية : وقيمتها ٢٠ دينـارافاز بها : حسين شمس ـ ص.ب ٢٤٩٤ بيروت ـ لبنان .

الجائزة الثالثة : وقيمتها ١٠ دنانيرفاز بها : عبد القادر سعيد الفرهاوى ـ مديرية التربية ـ اربيل ـ العراق .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عبد الناصر يوسف الفليج ـص.ب ١١٨ الكويت

٢ ـ الدكتور احمد محمد شاهين ـ٣ شارع صالح عبد الرحمن ـ حلمية الزيتون ـ القاهرة ـ ج٠ع٠م٠

٣ ـ رابعة عبد الهادى ـ وهـران ـالجزائر .

٤ ـ محمد نادر على ديب ـ اللاذقيهـ سورية .

٥ ـ يسلم بن صالح بن شحبل ـمكتبة الشباب ـ البطحاء ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

٦ ـ جميل احمد ابو كبير (مواطن‌اردنى) ميونيخ ـ المانيا الغربية .

٧ ـ خالد عمر باحشوان ـ ص.ب٣ ـ المكلا ـ حضرموت .

٨ ـ زين سعيد الزبيدى ـ فيبنجوـ كينيا ـ شرق افريقيا

وسترسل الجوائز الى من فازوا بها. ■■

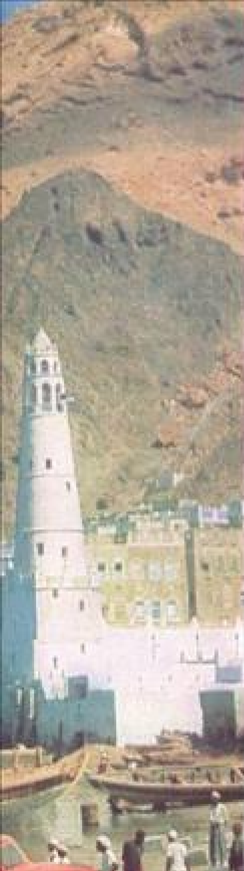
اعرف وطنك أيها العربي

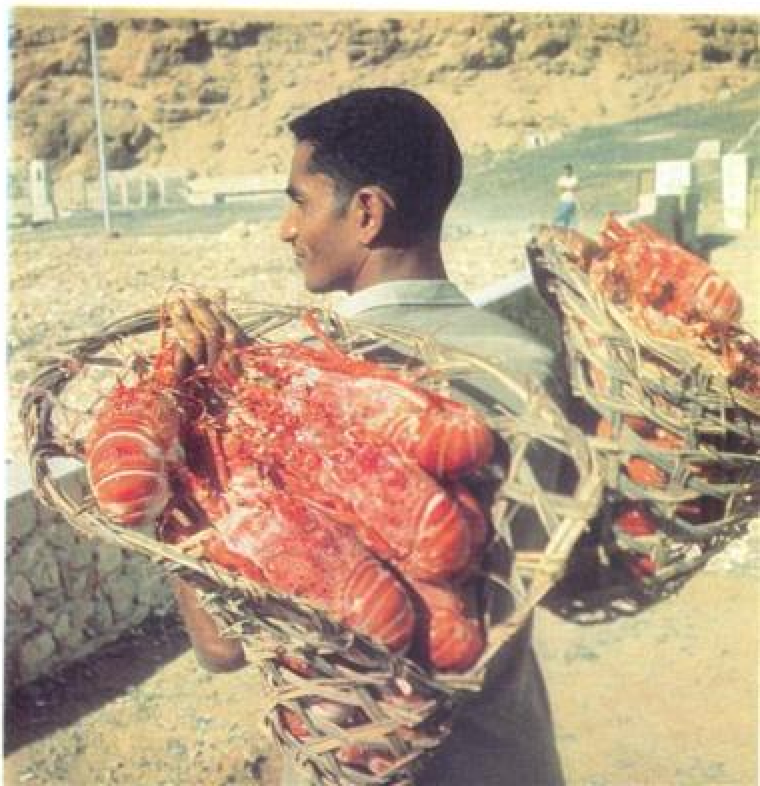
المُكَلاّ

عاصمة حضرموت
ومفتاح جنوب الجزيرة العربيّة

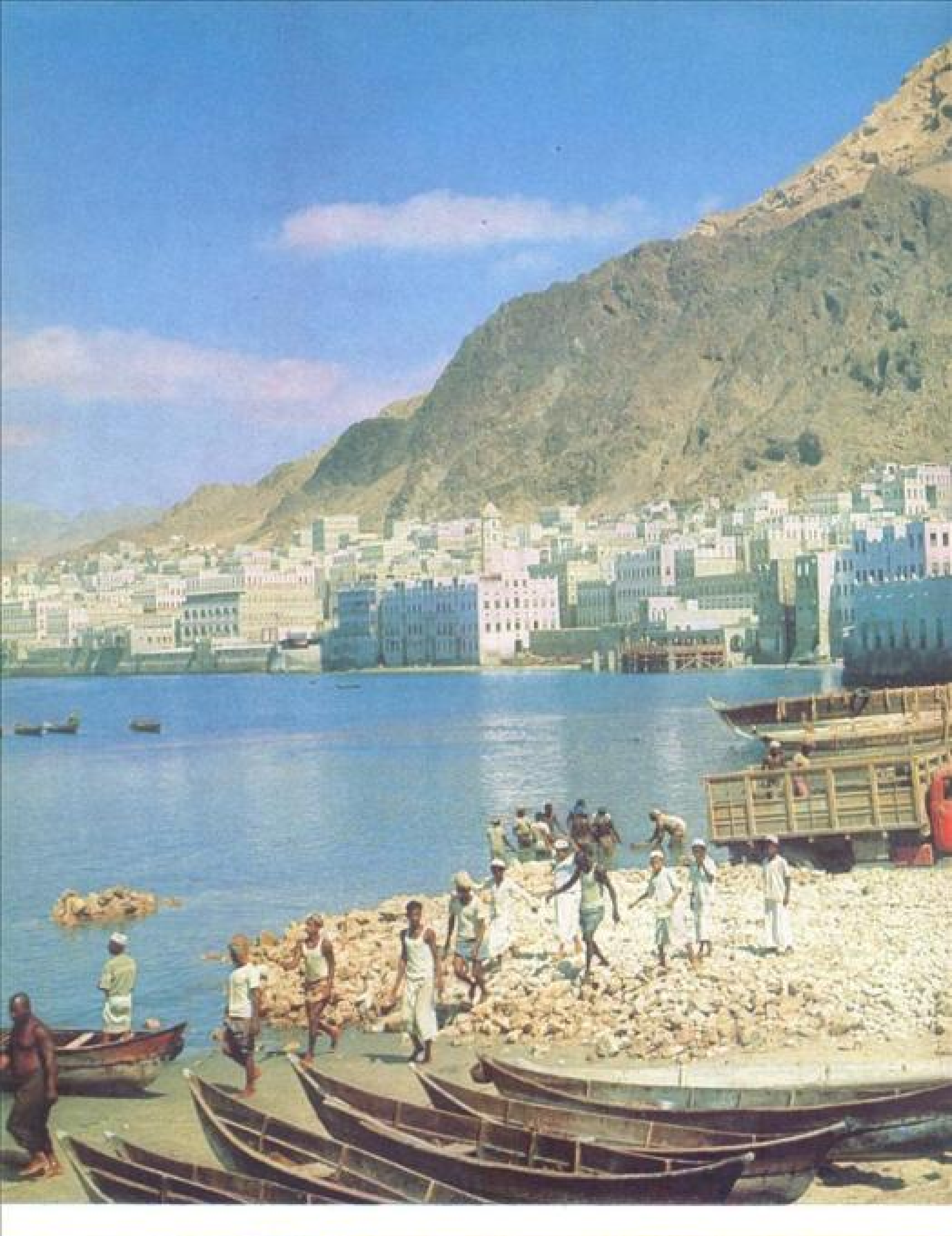
قام بهذا الاستطلاع **سليم زبال** وصوره «**أوسكار**»

■ في هذا العدد تقدم «العربي» لقرائها استطلاعا يعتبر الاول من نوعه ، عن جزء عزيز من أجزاء الوطن العربي ، قد لا يعرف معظم العرب عنه شيئا اكثر من اسمه ، وقد يجهلون في أي ظلمة من ظلمات الماضي السحيق يعيش ! انه استطلاع عن : المكلا ، عاصمة حضرموت .





الى اليمين : تزخر مياه المكلا بأكثر من ٣٠٠ نوع من الاسماك ، والشروخ Lobster واحد منها . وهو يصاد ويباع حيا لطبخه وتثليجه قبل تصدير



منظر عام للجزء الاوسط من مدينة المكلا بمبانيه المطلة على ماء المحيط مباشرة .. **وفى مقدمة الصورة** يبدو العمال وهم يقومون بردم الجزء الضحل من الماء ، لتعميق مرسى الميناء الذى يأتى فى المرتبة الثانية بعد ميناء عدن ، رغم أن السفن الكبيرة لا تقترب منه وانما ترسو على بعد نصف ميل من أرصفته ، فتقصدها السفن الصغيرة لنقل منها حمولتها .. ان انقاذ الميناء والمكلا يحتاجان الى مد رصيف طوله ميل واحد داخل البحر ، والرسوم الهندسية لهذا المشروع مهيأة ولكن الخبراء الذين يجب أن يحكموا بصلاحيتها طالبوا بمبلغ ٢٥٠ الف جنيه استرليني ، وهذا المبلغ يقارب ثلث ميزانية السلطنة ؛ لهذا وضع المشروع على الرف حتى يتم تدبير المال !!

هل تعرف ما هي حضرموت ؟ وفى أى مكان من الوطن العربى تقع ؟

سيجيبك الجغرافيون بانها الارض الواقعة فى الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب «ولكنهم يختلفون فى تعيين حدودها ، حتى ليمدها بعضهم من عدن غربا حتى عمان شرقا ، ومن المحيط الهندى جنوبا حتى رمال الربع الخالى شمالا . بحيث تشمل بلاد المهرة ، وامارة الواحدى .

اما ابناء حضرموت نفسها فيقولون انها أرض الاحقاف .. أرض قبيلتى « ثمود » و « وعاد » الذين طغوا وبغوا وتكبروا وتجبروا ، وأكثروا فى الارض الفساد ، وابوا أن يستجيبوا للدعوة الى الله . « فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما » على نحو ما جاء فى القرآن الكريم .

ويتابع ابن حضرموت حديثه فيقول : لكأنى بلعنة الله على عاد وثمود قد امتدت الى جيلنا رغم مضى آلاف السنين . فنحن نعيش اليوم على هضبة جبلية جرداء ، ليس لها مثيل فى الفقر والقحط ، ولا تصلح للحياة فى معظم أجزائها .. حتى أن بعضنا أصبح يعتقد ــ لفرط ما عاش فى ضنك ــ أنه اذا امتد البناء وزاد العمران فان هذا سيجر حتما الخراب والدمار ! مرة ثانية!.. واسم بلادنا نفسه مشتق من حضَرَ الموت ! » .

ويبدو أن هذا الاعتقاد وذلك التشاؤم كانا من أهم الأسباب التى دفعت بالحضارمة الى الهجرة جماعات من بلادهم قاصدين الشرق الاقصى وسواحل افريقيا .. حتى أصبحت حضرموت شبه خاوية من ابنائها العاملين .. ويقدرون عدد هؤلاء المهاجرين بنحو ١٢٠ الف حضرمى تركوا البلاد على مر السنين ..



ظلت الحضارة العربية الجنوبية حية قوية حتى افلتت الطرق التجارية من يد العرب فذبلت تلك الحضارة وقضى عليها . واليوم تقبع بعض آثار دول معين وسبأ وحِمْيَر وقتبان داخل أكياس قماشية مقفلة فى انتظار اعداد متحف المكلا ، وتكملة التنقيب عن الآثار المطمورة تحت الارض

حروب المائة عام

ولا شك انه مما أورث حضرموت هذا الفقر والقحط ، والتعاسة ، تلك الحروب التىاستمرت بين قبائل حضرموت قرنا من الزمان ، والتى انتهت باضعاف البلاد ، والقضاء على كل ازدهار. ومن جرائها تقسمت حضرموت الى قسمين ، لكل منهما سلطانه ، وقوانينه ، وانظمته ، وجنوده ، وحدوده التى لا تظهر الا وبجوارها جامعو الضرائب والجمارك !

الكثيرية ... والقعيطية

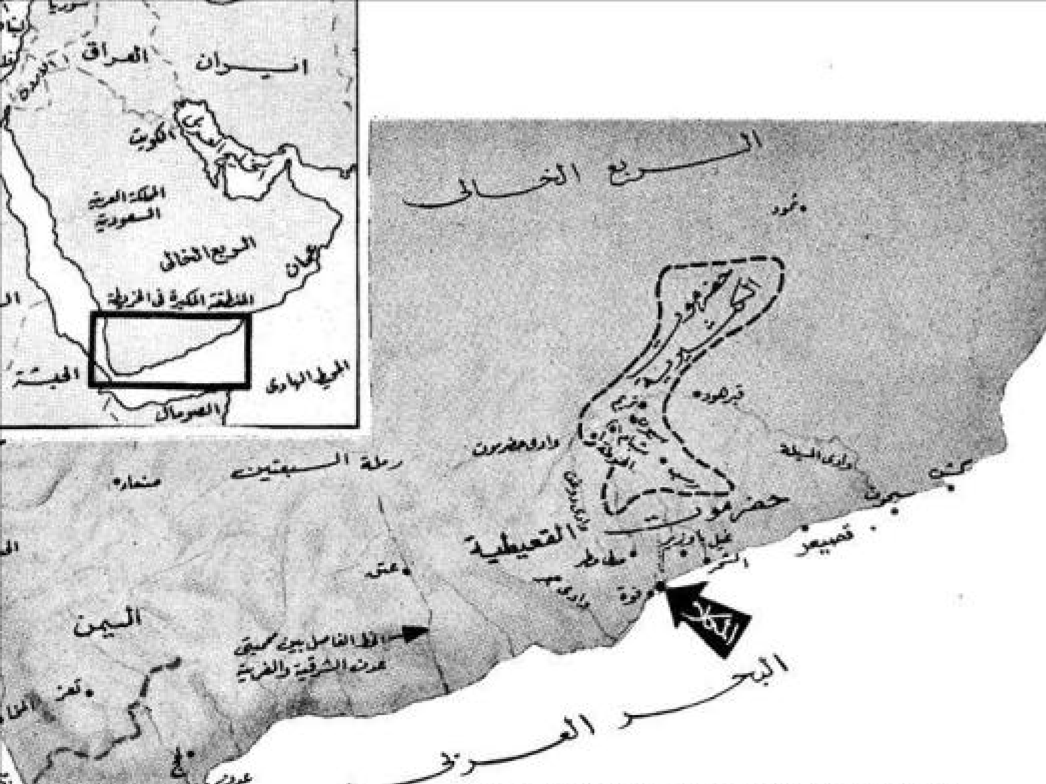
والقسمان هما : «سلطنة حضرموت الكثيرية»، نسبة الى قبائل آل كثير ، وهى الجزء الداخلى الشمالى من حضرموت ، وعاصمتها سيون وسنقدمها فى استطلاع آخر قريب ..

اما الجزء الجنوبى الممتد على طول الساحل فسلطنة حضرموت القُعَيطية ، نسبة الى الثرى الحضرمى ، عمر بن عوض القعيطى ، الذى كان هاجر الى حيدر آباد بالهند . ثم استفالت به قبائل يافع بحضرموت فنصرها ، وأمدها بالمال والجنود حتى انتصروا فى الحروب عام ١٢٧٥هـ . (١٨٥٨م) . واعترافا بجميله جعلوه سلطانا عليهم ، وجعلوا الحكم من بعده لذريته ، ونسبوا سلطنتهم اليه . والمكلا ، التى نقدمها اليوم ، هى عاصمة حضرموت القعيطية .

المكلا

انها مدينة ذات وجهين ..

القادم اليها من البحر يبهره جمالها ، ويقف



أول خريطة لحضرموت المقسمة الى سلطنتين : كان جنوب الجزيرة العربية منطقة واحدة بلا حدود أو حواجز حتى جاء الاحتلال البريطاني منذ ١٢٦ عاما ، فاستولى على عدن وجعلها نقطة انطلاق للتوغل فى المنطقة وتقسيمها ، بحيث أصبحت تضم أكثر من عشرين امارة أو سلطنة .. وكان نصيب حضرموت تقسيمها الى سلطنتين : القعيطية والكثيرية التى هى أشبه بالجيب داخل السلطنة القعيطية (انظر الخريطة) .. ان الوحدة الوطنية بين مختلف الأجزاء هى السبيل للظفر بالمكاسب العظيمة التى يصبو اليها شعب هذه المنطقة .

ماخوذا امام روعة ماذنها ومبانيها البيضاء ،التى ترتفع طوابقها الخمسة على حافة مياه بحر العرب الزرقاء ، الذى هو جزء من مياه المحيط الهندى ..

ولكن هذا القادم ما يكاد يدخل المدينة حتى يصدمه واقعها الأليم ! فشوارعها يغطيها التراب، وليس فيها شارع واحد معبد ! وأزقتها تنافس أزقة عدن ولحج ، فهى شبيهة بالزرائب لكثرة ما تحويه من دجاج وأغنام وماعز ، تأكل كل ما يصادفها حتى فضلات الورق والقماش !!

والى جانب هذا يحتل الاموات أجمل بقعة فى المدينة ، فيضيقون الحياة على الأحياء !

وتتشابه المكلا مع « الحديدة » فى اليمن فى خلوها من الحدائق والأشجار والورود والأزهار..

مدينة بدأت بضريح !

والمكلا ليست بالمدينة القديمة ، وأنت لا تجد بين الرحالة والمؤرخين القدامى من يذكرها أو يشير اليها .. فقد بدأت أول ما بدأت قرية للصيادين يقصدونها فى مواسم معينة فى كل عام، ثم جاءها رجل صالح يدعى الشيخ يعقوب بن يوسف عام ٥٥٣هـ. (١١٥٨م). فعاش فيها الى أن مات ودفن فى ضريحه المعروف باسمه الى اليوم . ومن مختلف البلاد بدأ تقاطر الناس لزيارة هذا الضريح ، والتبرك به ، ودفن الموتى بجواره .. والى جانب القبور أقاموا الأكواخ ، ثم المبانى وظلت المبانى تتكاثر حتى كونت حيًا يعرف اليوم باسم «البلاد» وهو أول حى ظهر فى المكلا..

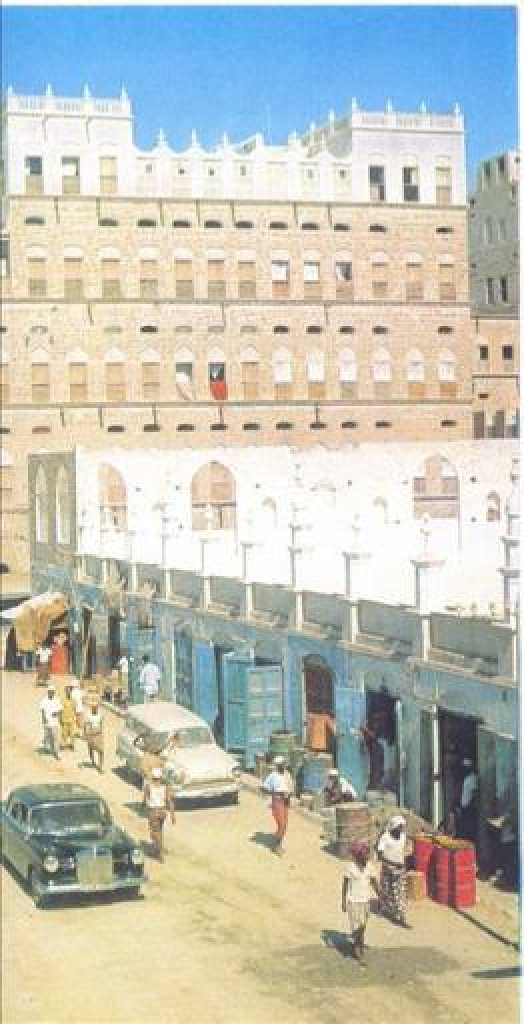
وكثر نزوح أهل المدن المجاورة الى المكلا فجاء



(٢) ↑



(١) ↑



١ ـ علم حضرموت القعيطية بألوانه الثلاثة : الأزرق والأصفر والأحمر ، وأبراجه البيضاء المسماة بالكوت ، ويوجد منها ٥ أبراج قديمة فوق قمة الجبل المحيط بالمدينة

٢ ـ القوارب الصغيرة فقط هي التي تستطيع أن ترسو بمحاذاة الشاطيء ، أن هذه القوارب هي التي تحمل البضائع من السفن الكبيرة ، فيما عدا الممنوعات ، وهي الأسلحة والمسكرات ، والمخدرات بما فيها القات !

٣ ـ السلطان عوض بن صالح القعيطي ، ثالث سلاطين حضرموت القعيطية ، بملابسه الرسمية .. لقد اعتلى كرسي السلطنة بعد وفاة والده في ٢٨ مايو ١٩٥٦ . وقد بدأ حكم آل القعيطي لحضرموت منذ عام ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م)

٤ ـ ٢٥ ألف دينار : هي قيمة المبلغ الذي فشلت الحكومة والبلدية والمستشارية في تدبيره لتعبيد هذا الطريق الرئيسي في المكلا ، الذي يمتد موازيا لساحل البحر ، انه قلب المدينة الذي هربت منه الجمال أمام زحف السيارات الحديثة التي أدخلها المهاجرون الحضارمة العائدون الى بلادهم ، وقد وصل عددها الى ٢٥٠٠ سيارة

٥ ـ تنقسم القوات المسلحة القعيطية الى جيش نظامي ، وشرطة مسلحة ، وجيش للبادية يبدو في الصورة بعض جنوده أثناء تدريبهم .. ومما يذكر أن بعض ضباط هذه القوات تخرجوا من كليات عمّان والقاهرة .



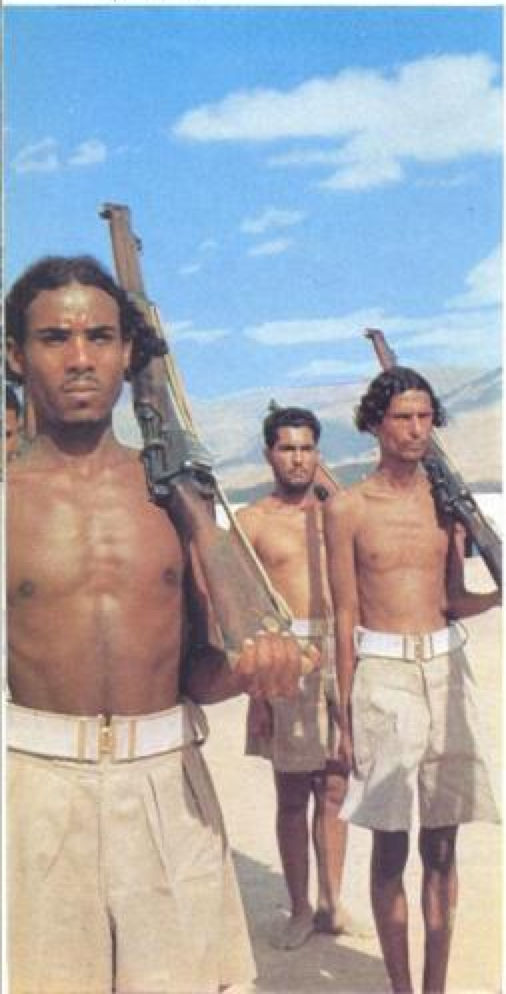


← (٣)

↓ (٤)



↓ (٥)



آل جديانى من منطقة يافع عام ٩٨٠هـ. (١٥٧٢م). طلبا للرزق فاصبحوا قضاة وحكاما للمكلا .. ثم جاء النقيب سالم الكسادى ، فاقام فيها وبنى الحصن الكبير المعروف باسمه .

وازدهرت المكلا وامتدت وغصت بالتجار ورجال الاعمال حتى نافست جارتها « الشحر » الميناء القديم ، وقضت عليه .

واتحد « الكسادى » مع عمر القعيطي ، وقد سبق ذكره ، وخاضوا غمار الحروب جنبا الى جنب ضد آل الكثيرى . ولكن عام ١٨٧٣ م دب الخلاف بين الكسادى والقعيطى بسبب دين للقعيطى قيمته ١٠٠ الف ريال ، فاضطر الكسادى للتنازل عن نصف المكلا مقابل هذا الدين ..

ولكن الخلاف والمعارك ظلت محتدمة بينهما ، واشتكى القعيطى لحكومة عدن فارسلت بارجة حربية نقلت الكسادى مع اسرته ، بعد أن هددته بقصف المكلا .. ومن عدن انتقل الى زنجبار فى عام ١٨٧٧م ليعيش فيها . ومن يومها والمكلا تحت الحكم القعيطى .

معاهدة الحماية مع بريطانيا

وفى عام ١٨٨٨م عقدت معاهدة الحماية مع بريطانيا .

وبعد خمسين عاما أدرك البريطانيون ان شروط المعاهدة لم تعد تتفق وروح العصر ، فابرموا معاهدة ثانية فى عام ١٩٣٧م عينوا بموجبها مستشارا بريطانيا هو صاحب الراى الأعلى فى جميع الامور ما عدا المسائل المتعلقة بالدين وعادات البلاد ..

بين الأمل الحلو .. والواقع المر

ونترك التاريخ القديم لنفسح المجال للحديث عن المكلا بعد ٩٠٠ سنة من بنائها ، أى عنها اليوم فى أواسط عام ١٩٦٥ .

ان المكلا تمر باصعب وأدق فترة فى تاريخها .. انها فترة انتقال ، يتصارع فيها الماضى والحاضر وتتشابك فيها الآمال والوعى والاندفاع، بمرارة الواقع من تأخر ، وتردد ، وتكبات ترج البلاد رجا دون ان تجد ما يوقفها ..

حديث النفط

ان المكلا ، ومعها حضرموت كلها ، تعيش على الأمل ... الأمل فى اكتشاف آبار للنفط فى البلاد .. فهناك ، فى منطقة ، تبعد نحو ٢٠٠ ميل شمال المكلا ، اختلطت آثار القوافل وحداء الجمال باصوات الحفارات الضخمة وهى تثقب الأرض الصخرية بحثا عن الذهب الأسود .

ان كثرة الحديث عن النفط جعلت الناس يخرجون عن اتزانهم ، فيتحدثون عن النفط وكأنه انبثق فعلا ! ولكن سرعان ما تصطدم الأمانى بالواقع ، وهو عدم العثور على قطرة نفط واحدة حتى الآن . ويهمس بعضهم الى بعض : انها السياسة اللعينة تتلاعب وتفرض علينا هذا التلكؤ والتاخير فى الكشف عن السائل الثمين ، الذى اكد لنا بعض الخبراء انه موجود وأنه من اجود انواع البترول فى العالم .



تجمع المكفوفون واتحدوا فى جمعية خاصة بهم تضم ٢٨ عضوا يدفع القادر منهم شلنا فى الشهر ، كرسم اشتراك .. ان واحدا منهم قد تعلم فى مدرسة المكفوفين بعدن ، وهو الذى يقوم بتدريب اخوانه بألواح وأوراق صنع بعضها بنفسه .. انهم ليسوا فى حاجة الى مدرس ، بقدر حاجتهم الى الادوات الكتابية الخاصة بالمكفوفين ..



المدينة القديمة،أو « البلاد » .. انها لسان من الارض يمتد من طرف المكلا الشرقى الى داخل المحيط ، وتبدو فيه المقبرة العامة ، وضريح الشيخ يعقوب بن يوسف الذى بنيت حوله المدينة عند بدء ظهورها .. ان سكرتارية الحكومة،وادارة الجمارك،والمحاكم الشرعية،والاندية الرياضية كلها تلتف حول المقبرة!!

ان الحدود بين السلطنتين القعيطية والكثيرية لم تكن مرسومة فى يوم ما ، كانت البلاد كلها وحدة واحدة .. ولكن احتمال وجود الذهب الأسود جعل رسم الحدود أمرا ضروريا.. ومن هنا نشب الخلاف بين الطرفين على بعض الأجزاء ، اذ أن فكرة التنازل عن بضعة كيلومترات فى هذه المناطق النائية التى لم يكن يسلكها أحد ، تعنى فى وقتنا الحالى التنازل عن ثروة أى ثروة !

وحلا للخلاف أصبحت المناطق المتنازع عليها مناطق محايدة ، تقسم ثرواتها : الثلثان للسلطنة القعيطية والثلث للسلطنة الكثيرية .

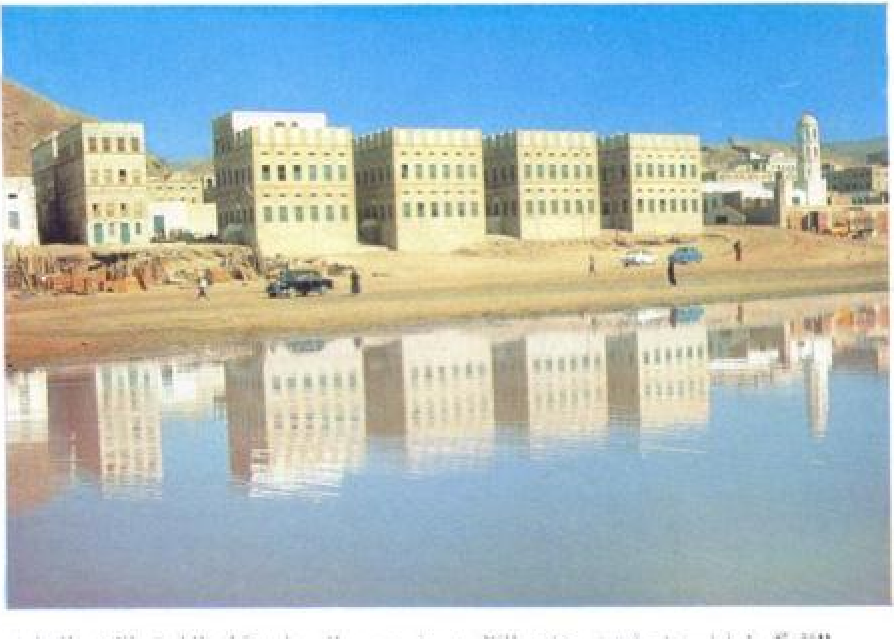
قصة عمرها ثلاثون عاما !

تبدأ قصة النفط فى حضرموت منذ نحو ٣٠ عاما ، عندما قامت شركة .P.C.L اي Petrolium Concession Limited للبترول باجراء عمليات مسح جوى وجيولوجى فى المناطق الشمالية للبلاد .. وبعد مضى ٢٥ عاما كاملة اختلفت الشركة مع حكومتى حضرموت اللتين سحبتا منها الامتياز، ومنحتاه فى عام ١٩٦١ لشركة « بان اميريكان » للبترول .

وجلسنا الى المسئولين فى الشركة نستوضحهم



مع شروق الشمس تبدأ الحركة تدب في سوق البرسيم الذي يقام بجوار بوابة المكلا .. ويقبل الناس على شراء البرسيم لاطعام ماشيتهم من ماعز وضأن يربونها في منازلهم ، لتمدهم بحاجتهم من اللبن صباح كل يوم .. وفي هذا السوق يجلب الباعة أصنافا أخرى مع البرسيم ، مثل الطماطم والباذنجان والباباي ، وهو نوع من الفاكهة يشبه المانجو . والى جانب المزروعات والفواكه المحلية تستورد المدينة البرتقال من قبرص ، وتباع الواحدة منه بأربعين فلسا ، كما تستورد التفاح الاسترالي والإيطالي وتباع الواحدة منهما بثلاثين فلسا .. أما المانجو فتباع الحبة منه بـ ٢٥ فلسا .

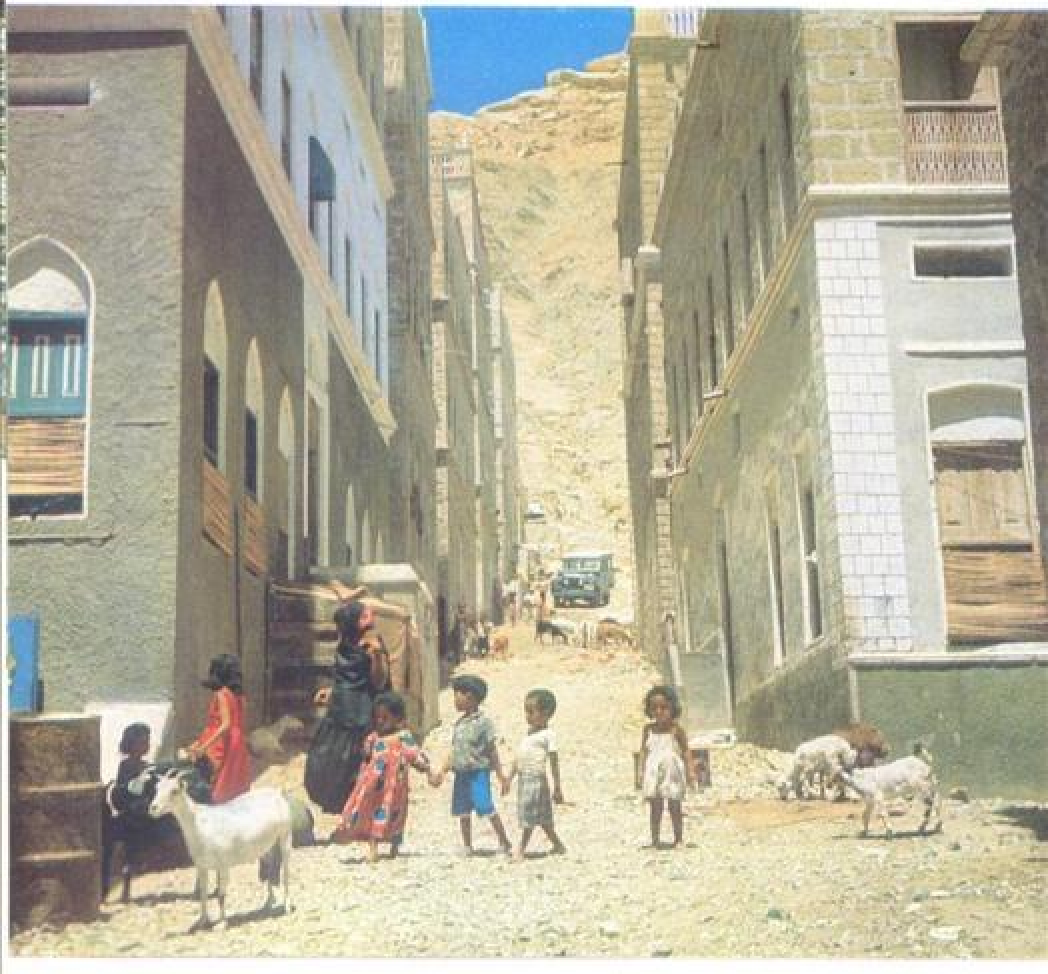


الشرج : أول ضاحية تبنى خارج المكلا .. وفي موسم السيول يتقطع الطريق المؤدي اليها ، فيضطر الناس لركوب القوارب الصغيرة للعبور فوق الماء . وهناك مشروع لبناء جسر في هذه المنطقة يكلف ١٥ ألف جنيه، ولكن نقص المال أوقف المشروع ! والى جانب منطقة الشرج ظهرت ضاحية «الديس»



الى اليسار : يعتبر الحضارمة من أمهر الناس في فن البناء والصورة اليسرى تبين أصالة فنهم وعلمهم في هذا « الكوت » ـ الحصن صغير ـ المبني على هذه الصخرة المجوفة القائمة عند مدخل المكلا .

الى اسفل : الصورة الخلفية للمكلا ممرات جبلية وعرة ـ أطلقوا عليها خطأ اسم طرق ـ لا يستطيع تسلقها سوى الماعز وسيارة اللاندروفر ! ومن الطريف أن البلدية حاولت منع الماعز من التسكع في الطريق الرئيسي ، ولكن الأهالي ثاروا في وجه هذا القرار ، وأيدتهم الصحف المحلية فتغلبوا على البلدية وعادت الماعز تختال في الشارع الرئيسي ، رغم أنف رجال البلدية !!!





فرح فى الهواء الطلق : يجلس العريس فوق منصة عالية تقام خصيصا فى الميدان الكبير ، والى جانبه فرقة الموسيقى .. وأمامه صينية فضية بجوارها الاهل والاصدقاء فيضع كل منهم ما يتبرع به للعريس ، ويقول له : « سَلَف" يا مِعَرِّس » اى بمثابة دين لمساعدته فى دفع تكاليف الزواج ، وعليه أن يرده عند فرح المعطى

مَحَنضَرة : أو المجلس الذى يجتمع
مع بعض الحلوى والمكسرات .. أما الـ
سوق سوداء تباع فيها زجاجة الكحـ



اسباب تأخر ظهور النفط حتى الآن ، فقالوا :

« ان البحث عن النفط عملية معقدة متعبة ، وخاصة فى بلاد مثل حضرموت ، حيث لا يوجد ميناء كبير ، أو حتى طريق معبد واحد يؤدى الى مناطق الحفر الجبلية التى تبعد أكثر من ٣٠٠ ميل عن المكلا ..

« ان نقل أدوات تزن الواحدة منها ١٠٠ طن ليس بالعملية السهلة فى ظروف كهذه ، وقد جربنا ذلك فى البداية ، فنقلنا آلة حفر تزن مائة طن من المكلا الى الداخل ، فكانت النتيجة كارثة! وصلت الآلة الى مكان الحفر وهي مفككة مكسرة لشدة وعورة الطريق ..

« لهذا عمدنا الى نقل معداتنا عن طريق ساحل عمان فى الشمال ، ثم نزلنا بها جنوبا لتسير بمحاذاة رمال الربع الخالى الرهيب ، حتى توصلها فى النهاية الى أماكن الحفر المتباعدة بين الجبال .

« انها عملية طويلة ومرهقة للغاية ، نقوم بها لاننا شركة تجارية تتلهف للعثور على النفط تلهف ابناء البلد انفسهم ، ولكن متاعب الطرق والموانىء والنقل هى السبب .. ولا تنسوا اننا ما زلنا فى البئر الاستكشافية الثانية فقط .. وان ثلاث سنوات ليست بالفترة الطويلة فى عمليات البحث عن النفط .. ولكن حاجة الناس جعلت الثلاث السنوات تبدو وكانها ثلاثون سنة » .

موارد الميزانية ... ومصارفها

والى ان تظهر الثروة النفطية تعمد الحكومة الى الضرائب تفرضها على جميع الواردات بنسبة ١٠٠ ٪ على المواد الكحولية ، و ٢٠٪ على الكماليات و ١٥٪ على الضروريات ، حتى تغطى مصاريفها، وتسند ارقام ميزانيتها المتواضعة التى لا تزيد على ٨٥٠ الف جنيه استرلينى ، ولكنهم تضخيما للرقم يحولونه الى شلنات فيقولون : الميزانية ١٧ مليون شلن !

والشلن المذكور هنا هو شلن شرق أفريقيا الذى ظل العملة الرسميةفى المكلا وحضرموت حتى مطلع شهر أبريل (نيسان) ١٩٦٥ ، ثم استبدل بالدينار والفلس ، وهمـا عملة الجنوب العربى

ى لشرب أقداح الشاى من «السماور»
ات «محرمان»، ولكن هذا لا يمنع قيام
ية بدينار والخارجية بخمسة





محطة الجمال : ما زالت الجمال تنقل البضائع الى حضرموت الداخل ، رغم انتشار سيارات اللاندروفر .. وتراها هنا فى محطتها بـ « الشرق » خارج باب المكلا ، فى انتظار عودة أصحابها الذين دخلوا المدينة لجلب الأرز والسمن والسكر والبن لنقلها الى مدن الداخل التى تبعد بعضها ٣٠٠ ميل وأكثر !!

الجديدة المدعمة بالاسترلينى ، والقابلة للتحويل اليه ..

واعتمادا على هذه الميزانية العرجاء يتحتم على الحكومة أن تواجه مطالب الشعب : فتشق الطرق وتقدم الخدمات الطبية ، والتعليمية ، والاجتماعية ... الخ .

فقد عرف الوعى طريقه الى حضرموت، وتفتحت الأذهان الى المطالبة بحياة أفضل تليق بانسان القرن العشرين .. ولكن جمود ارقام الميزانية جمّد معه جميع مشروعات التنظيم والاصلاح وجعل وعودها كلها وعودا عرقوبية ..

أول وزارة من أبناء البلد

والمسئول عن صرف هذه الميزانية هى حكومة السلطنة القعيطية التى يرأسها – لأول مرة – وزير من أبناء حضرموت هو أحمد محمد العطاس الذى تقلد منصبه منذ عشرة اشهر فقط مع مجموعة من الوزراء من أبناء بلده ، بعد أن كانت المناصب الوزارية فى السابق مسندة الى نفر من غير أبناء البلاد . فمثلا كان الوزير الأول هنديا ، يدعى جهان خان ، وكان وزير الداخلية زنجباريا .. ووزير المالية باكستانيا ، ومدير المعارف سودانيا ..

ان مسئولية الحكم تقع اليوم على الوزير الأول ، لأن السلطان اصبح فى وضع يمكن أن يقال عنه انه يملكُ ولا يَحكم ، فمجلس الدولة باعضائه الـ ١٧ المعينين ، ومجلس السلطان باعضائه الخمسة المختارين من أعضاء مجلس الدولة ، هم المسئولون عن التشريع والقوانين وتسيير الأمور فى انحاء السلطنة ...

وخلف كل هؤلاء يقوم المستشار البريطانى الموجود طبقا لاتفاقية عام ١٩٣٧ وان كانوا يقولون ان « الوعد الأكيد » بمنح الاستقلال لحضرموت قبل عام ١٩٦٨ يجعل مهمته شبه منتهية .. هذا اذا صدقت الوعود ، وحسنت النيات !

حديث صريح !

وفى جلسة مع الوزير الأول أحمد محمد

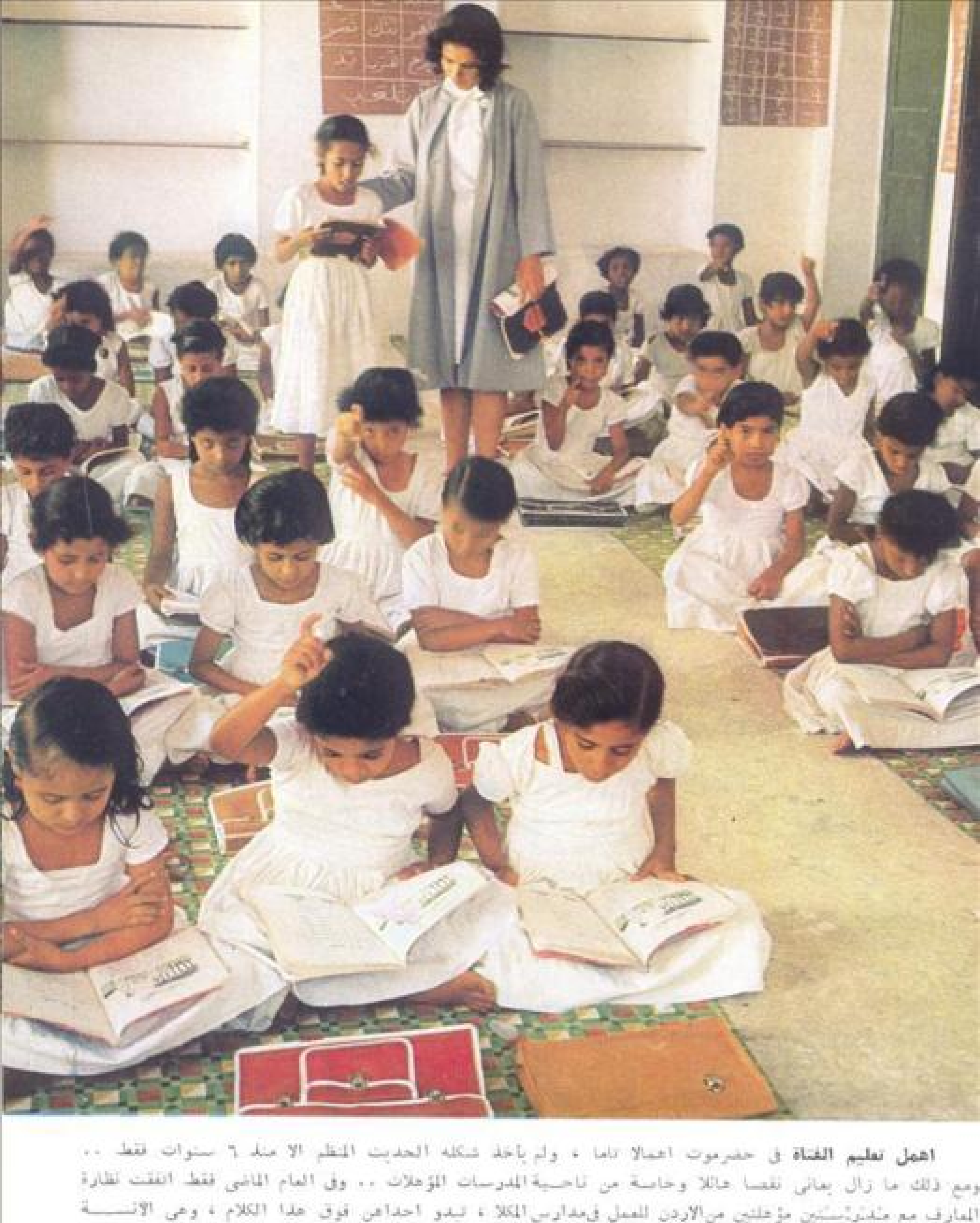




ساعدوهم لنقلهم من الجهل والظلام الى العلم والنور

المدن في حضرموت جيوب صغيرة متفرقة وسط البادية الواسعة .. وكان أبناء هذه البادية يعيشون متفردين منعزلين ، حتى فتحت أول مدرسة لتعليم ابنائهم في المكلا ، وترى هنا السيد فرج احمد عبد الغفار ناظر هذه المدرسة يستلم في الصورة الاولى اثنين من أبناء البادية من والدهما الذي جاء بهما على ظهر الجمل من مسافة تبعد ٢٠٠ ميل عن المدرسة .. وما يكاد الطفل يدخل بوابة المدرسة حتى يقص شعره .. وتخلع ثيابه .. ويأخذ حماما .. ويلبس ثيابا جديدة نظيفة .. ونظام المدرسة داخلي مجاني ، أي ان التلميذ يأكل ويشرب ويتعلم وينام مجانا ، مما يكلف السلطنة ٥٠ جنيها استرلينيا سنويا لكل تلميذ ، ويظل التلميذ في المدرسة ٤ سنوات يحصل بعدها على شهادة الابتدائية .. ونسبة النجاح في هذه المدرسة ١٠٠٪ وعدد تلاميذها ٢٤٠ تلميذا ، وهناك ٢٦٠ غيرهم يقفون على الابواب يريدون التعلم ولكن نقص الامكانيات يحول دون تعليمهم .. ويعاني أغلب تلامذة هذه المدرسة من الانيميا اى فقر الدم ، كما ان النقص في الملاجئ والعناية الطبية يسببان الكثير من المتاعب للمسئولين .





اهمل تعليم الفتاة في حضرموت اهمالا تاما ، ولم يأخذ شكله الحديث المنظم الا منذ ٦ سنوات فقط .. ومع ذلك ما زال يعاني نقصا هائلا وخاصة من ناحية المدرسات المؤهلات .. وفي العام الماضي فقط اتفقت نظارة المعارف مع مدرستين مؤهلتين من الاردن للعمل في مدارس المكلا ، تبدو احداهن فوق هذا الكلام ، وهي الآنسة صفاء علاء الدين ، وسط التلميذات اللواتي جلسن على الارض ، لعدم وجود اعتمادات لشراء مكاتب لهن .. ان هذا الفصل يقع في اجمل المباني ، اما بقية المدارس الابتدائية فمبانيها في حالة يرثى لها ، وخاصة مدرسة البنات الشرقية فهي ظلام في ظلام لا يدخلهـا النور ، ومجاريها المكشوفة تنفث رائحتها الكريهة ، فتكمل جو الظلام !! اما الصورة التي الى اليمين فهي لاحـدى المدرسات من بنات حضرموت المتفانيات لتعليم شقيقاتهن واخراجهن من مجاهل الظلمات .. انها اول مرة تلتقط فيها صورة للفتاة الحضرمية المتطلعة نحو غد افضـل .

المطاس سألناه ان يحدثنا عن الآمال والآلام وواقع حال البلاد فقال بصراحة عجيبة :

« ستشهدون خلال تجوالكم فى المكلا نهضة عمرانية ، وحركة تجارية يقوم بهما أفراد من الأثرياء والعائدين ... ولكن لا تغرنكم المظاهر ، فالمكلا ما هى الا صورة مضللة لواقع حضرموت الممتدة على الساحل والى الداخل حيث ينقصنا كل شيء ! فالخدمات الصحية والتعليمية

صناعة النورا أو الجير : تبدأ بقطع الأحجار من من الجبل ووضعها داخل الافران لمدة ١٠ أيام قبل استعمالها .. ومن الغريب أن النورا لا تستعمل فى طلاء المساكن فقط انما تؤكل مع التنبول ، وهى ورقة شجر خضراء كبيرة جاءت من الهند ، يضعون عليها أصنافا غريبة مُرّة ومالحة مثل : الفلفل والنورا والكات والهيل ثم يأكلونها ، مما يصيب الاسنان واللثة بالتهابات



والاجتماعية شبه معدومة .. ودخل الفرد ينخفض الى أدنى حد فى العالم !

« والى جانب هذا تحيط بنا الكوارث والنكبات من كل صوب .. فنكبة الحضارمة فى المهاجر وعودتهم الى بلادهم ، قلبت جميع الموازين فى البلاد ...

« فالسفن تحمل الينا الألوف من المهاجرين الحضارمة العائدين بعد أن صودرت ممتلكاتهم وأموالهم وأراضيهم ، فى كل من اندونيسيا ، وجوا ، وكينيا ، وتنجانيقا ، وزنجبار .. حتى الصومال بدأت فيها حركة لسحب التراخيص من تجار التجزئة واغلبهم من الحضارمة ..

« ولكننا نحمد الله على ان الحضرمى لا يستكين فبعد ان يجلس قليلا فى بلده ، تجده يعمد ثانية الى الهجرة والترحال .. حتى اصبحت اهم صادراتنا هى الجنس البشرى .. نصدره على السفن والطائرات من موانىء المكلا ، بمعدل سنوى يبلغ عشرة آلاف حضرمى ، كانت وجهتهم فى الماضى نحو الشرق الأقصى وسواحل افريقيا .. اما اليوم فانهم يتجهون الى بلاد اخوانهم العرب فى السعودية والخليج العربى وغيرهما ..

حتى المحصول الرئيسى اغلقت فى وجهه الأسواق

ويتابع الوزير الأول حديثه فيقول :

« اما نكبتنا الثانية فتتمثل فى التمباك محصولنا الزراعى الرئيسى ، الذى كان تصديره كله متجها الى الجمهورية العربية المتحدة واليمن ... ومنذ ثلاث سنوات بدأت الكمية المصدرة منه تنخفض حتى هبطت الى الحضيض بسبب قيود الاستيراد الجديدة فى البلدين الشقيقين ، وكانت هذه ضربة قاسية للمزارع الذى كسدت تجارته ، وبارت بضاعته بسبب اغلاق الأسواق فى وجهه .

ويستطرد الوزير الأول فى حديثه فيقول :

« ثم ان زيادة الوعى ، دون اى زيادة فى الدخل ، تضعنا امام اصعب المشاكل ، فمتطلبات الحياة العصرية المرجوة ، وتوفير مختلف الخدمات للشعب ، كل هذا يحتاج الى اموال طائلة لا نملكها .. فمثلا عندنا طرقات طولها أكثر من ألف ميل ما تكاد الأمطار والسيول تهطل حتى تذهب بنصفها! لأنها طرق تحتاج الى تعبيد ورصف ..



مئذنة جامع الروضة الدائرية البيضاء المرتفعة عند شاطىء البحر وكأنها ترحب بالقادمين الحاملين لأشيرة الدخول ! اما بقية مآذن المساجد فارتفاع مبانى المكلا يحجب اغلبها

« ان اهـم ما ينقصنا هو الدراسات اللازمة للاستفادة من ثرواتنا ، وهذا ما نحاوله حاليا ، فقد بدأنا بمشروع لحصر كمية سمك السردين الموجود فى مياهنا بكثرة ... وهناك مشروع للزراعة فى شيبام تقوم به شركة أهلية .. » .

وينتقل الحديث الى البترول فيقول الوزير :

« يهمنى أن أقول لك ان ما يشيعه البعض من اننا نرفض الوحدة والاتحاد مع بعض جاراتنا بسبب احتمال ظهور البترول فى بلادنا ، ما هو الا محض كذب واختلاق .. فنحن طلاب وحدة،وحدة يؤخذ فيها رأينا ، ولا تفرض علينا ، أما هذه النظرة الانانية الضيقة نحو البترول فلم تكن أبدا من صفات أبناء حضرموت الكرماء ، ان الخير ـ اذا اتانا ـ فسوف يفيض ليشمل كل اخواننا وجيراننا ... » .

أندية الشباب

وخرجنا من عند الوزير الأول وشمس الأصيل تتوارى خلف صخور الجبال العالية التى تحيط بالمكلا .. ان الحركة فى المكلا تهدأ بعد الغروب .. فالمدينة ذات الثلاثين الف نسمة تنام مبكرة ، فيتجه التاجر الى منزله ، ويتجه الشباب الى انديتهم الرياضية الثمانية ليلعبوا « الكوتشينة » ، وتنس الطاولة ، والكرم (البلياردو اليابانى) ، ويتمرنوا فى النوادى على رفع الأثقال ، ولكن فى داخل الغرف الضيقة ، ان المبنى صغير ... والزحام شديد ، والامكانيات غير متوفرة .. أما الاشتراك فى النادى فشلن واحد شهريا ، يدفعه العضو القادر !!

وفى هذه الأندية شهدنا شبابا متوثبا .. عنده استعداد هائل لتطوير نفسه ، ومجتمعه وعاداته ، وتفكيره .. انما تنقصه المادة ، والمجال ، والقيادة الموجهة لطاقاته ..

السنما فى المكلا

وجاءوا الينا بأحد الشباب فبدأ يسمعنا تقليدا لحوار من فلم سنمائي ، وظننا انه سيتوقف بعد القاء قطعة من الحوار ، ولكنه استمر فى تقليد أصوات الرجال والنساء والأطفال .. وحتى الأغانى أسمعنا اياها !! وذهلنا من هذه الذاكرة القوية التى استوعبت حوار فلم بأكمله مع



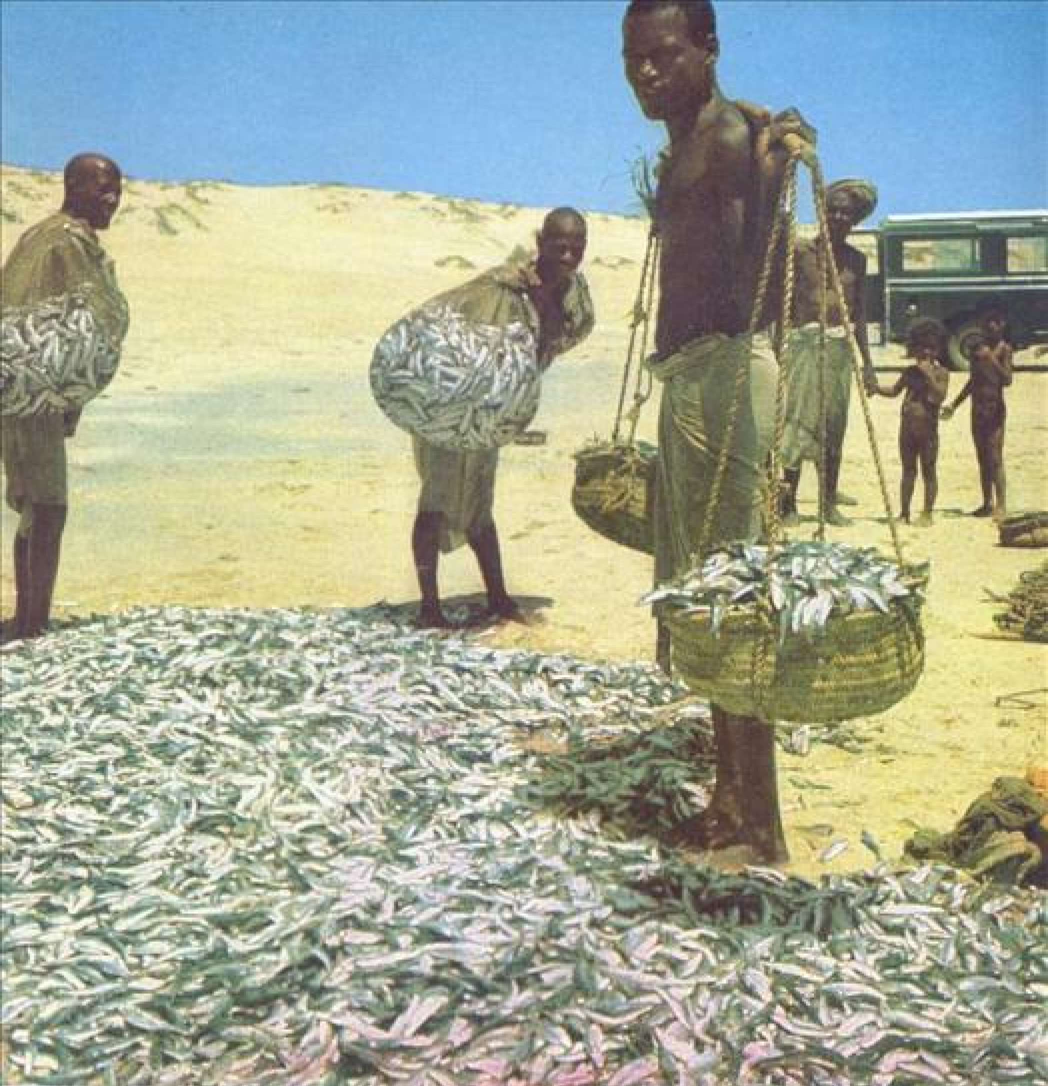
ما زالت صناعة السفن العربية تقوم على نفس الادوات القديمة : القوس ، والمخرطة والباغة والمسامير الحديدية .. ويأتيها الخشب من الهند .. ويستغرق عمل السفينة المتوسطة ثلاثة أشهر ، وتبلغ تكاليفها ٢٥٠ دينارا ، وتستعمل لصيد الاسماك ، ويتم صنعها في منطقة « خلف » .

الى اسفل : صياغة الفضة مهنة رائجة ، ويحصل الصائغ على هذا المعدن من اذابته لريال الملكة تريزا والروبية الهندية ، فيحولهما ببراعة الى مصوغات

الى اسفل : عملية تصنيع الجلود ، بتحويلها الى احذية ونعال واحزمة يوضع فيها الرصاص، وكمر يحفظ فيه المال...









أنعم الله على حضرموت بثروة سمكية هائلة ، ولكن هل تصدق أن هذا السردين – الظاهر في الصورة – والذي يصاد قرب الشاطىء بكميات هائلة ، يترك على الرمال معرضاً للشمس حتى يجف ، وبعدها يستعمل كسماد لشجرة التنباك ، أو غذاء للجمال والأغنام !!

الى اليسار : الثروات الدفينة تحت جبال حضرموت كثيرة ومتنوعة تبدأ باليورانيوم وتنتهي بالبترول . وتجرى عملية التنقيب عن البترول في منطقة ثمود بالشمال وكانت نتيجة حفر البئر الأولى مخيبة للآمال . والى اليسار جهاز الحفر يعمل في حفر البئر الثانية .. أن الآمال كلها معقودة على هذه البئر .



المكلا مدينة صغيرة مزدحمة بالسكان لم يستطع أحد أن يحصي عددهم بالضبط وفى عام ١٩٦١ حاولوا القيام بعملية احصاء فيها ، ولكن اشاعة سرت بأن وراء الاحصاء ستأتي « ضريبة رأس » على كل مواطن، ففشل الاحصاء .. واكتفى المسئولون بعملية تقدير وصلت بالعدد الى ٢٥ الف نسمة فى ذلك الوقت

اغانيه .. وفى نفس الوقت اندهش المجتمعون من دهشتنا وقالوا : هذا شيء عادي هنا .. فالشباب شغوف بالسنما شغفا زائدا !

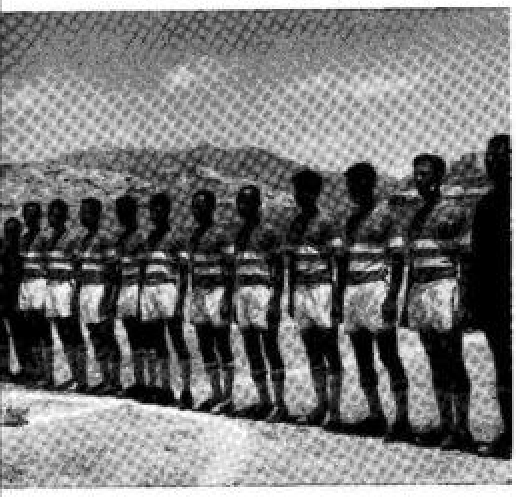
قلنا : لا بد ان عندكم الكثير من دور السنما؟..

فنظر بعضهم الى بعض وأجابوا : عندنا ساحة قصر السلطان يجلس فيها المتفرجون على الأرض لمشاهدة العرض السنمائي ! أما دور السنما فلا وجود لها فى المكلا .. والسماح بعرض الأفلام يحتاج الى أيام وأيام .. ولا تعطى تراخيص عرض الأفلام الا للحفلات الخيرية لصالح الأندية والجمعيات .. وهذه تقوم ببيع التراخيص لأحد صاحبى جهازى العرض الموجودين فى المكلا .. فيقوم بعرضه فى ساحة القصر .. ولا يستمر العرض حسب الاقبال ، انما تحدد المدة من قبَل هيئة المراقبة التى تراقب الفلم ، وتقطع منه ما تشاء حسب مزاج أعضائها الكثيرين المكونين من ممثلين عن القضاء ورجال الدين والمعارف والشرطة والسكرتارية .

وأمام مجلس الدولة القعيطي عشرات الطلبات لفتح دور للسنما ، ولكنها كلها مؤجلة بحجة ان الناس فقراء ... وعندهم ان مشاهدة السنما تتطلب مالا .. والحصول على هذا المال يدفع بالشباب الى السرقة .. والسرقة تؤدى لارتكاب الجرائم .. وارتكاب الجرائم يضعضع المجتمع وينسفه !!

وهكذا يكون ليل المكلا موحشا كئيبا مملا فى الأيام العادية .. ولكن الحال ينقلب أيام رمضان حيث يتحول الليل الى نهار وتبدأ الحياة من بعد العاشرة مساء ، ويصبح النوم حراما !!

كرة القدم هي اللعبة الرياضية المفضلة ، وفى المكلا ، ٨ فرق رياضية تتبارى مع بعضها ومع الفرق القادمة من الشحر ، وعدن .





هذا هو الجيل الجديد من أبناء المكلا .. انهم الشباب الذين تعتمد عليهم البلاد لانقاذها مما هو مسيطر على عقلية الجيل القديم من خزعبلات ، اصبحت كأنها قواعد وقوانين ، لا يستطيع احد أن يحيد عنها .. فمثلا ارتداء الملابس الكشفية ، بدلاً من الفوطة ، قوبل ارتداؤها بموجة اعتراض كبيرة !!

مجتمع توقف .. يتهيأ للوثوب

ومجتمع المكلا مجتمــع غريب .. فهو ليس بالمجتمع المتاخر .. وهو ـ قطعا ـ ليس بالمجتمع المتقـدم ... وفي نفس الوقت ليس بالمجتمع الوسط .. انه مجتمع متوقف عن الحياة لفترة من الزمن !! متوقف استعدادا لقفزة يخرج بها

« جارة المكلا » او جبل المكلا .. ان امتداد العاصمة في المستقبل ، سوف يتجه الى قمة هذا الجبل المسطحة ، حيث الهواء عليل ولطيف ورائع



من الجمود والسلبية ، الى الايجابية والتفاؤل في سبيل مجتمع افضل ..

ان الضحكات الخافتة النادرة في هذا المجتمع المقفل تخفى وراءها صراعا فكريا صامتــا بين الشيوخ والشباب الذين يعيش كل منهم في واد : الشيوخ يعتقدون بأن الشباب متطرفون مندفعون .. والشباب المثقف الذى تعلم في بعثات في الخارج حائر .. يريـد تطبيق ما شهده وتعلمه ولكنه لا يستطيع ، فامامه عراقيل وعقبات متمثلة في التقاليد والعادات .

وتشترك الصحيفتان المحليتان في وصف ونقد هذا المجتمع فتقول جريدة « الرأى العـام » : « في مجتمعنا تحس بمرارة الحياة وسوء الحالة وضنك العيش ، فلا تحرر ولا انطلاق ، ولا تقدم ولا التقاء ، وانمـا قيود مفروضة على كواهلنا ، وعوامل شتى تذكى رواسب الماضي وتزيد تفاقم أخطارها ، وموانع مصطنعة تحول دون التفافنا حول بعضنا » .

وتكتب جريدة « الطليعة » عن الفراغ العجيب في هـذا المجتمع حيث يهاجر الرجال ويتركون النساء وحيدات في المنازل . وتمضى الجريـدة تحكى خبرا : « .. وردت منه رسالة تقول بأنه سيعود . وغمرت الفرحة القلوب الثلاثة المتشوقة .. المتلهفة .. المترقبة لعودته : أمه العجوز ..



منذ القدم واهل حضرموت يهاجرون من بلادهم .. الى ان بدات النكبات تحل عليهم في مهاجرهم : فصودرت اموالهم في اندونيسيا ، وقطعت رقاب الكثير منهم في زنجبار ، فبداوا يعودون الى بلادهم .. وترى في وسط الصورة العليا سالمين بن دماع وهو واحد من الذين هاجروا منذ ٣٤ عاما الى اندونيسيا، وعندما بدات المتاعب هناك حمل متاعه ومتاع اسرته، وركب السفينة مع ٤٠٠ حضرمي آخر وعادوا الى المكلا



ما زالت العادات العربية سائدة في مختلف نواحي الحياة .. حتى التوقيت الزمني يتبع الساعة العربية فالساعة ١٢ هي دائما موعد غروب الشمس في المكلا .. ولكن احتكاك الاهالي في المهاجر وعودتهم منها ادخل التوقيت الافرنجي والكثير من الالفاظ والعادات الغريبة .. حتى الطعام اصبح يطهى على الطريقة الهندية ، وتستعمل فيه التوابل الحارة مع المرق المسمى « صانة » والشطة المسماة «بسباس» .. ورغم فقر البلاد الا ان الكرم العربي منتشر، فالموائد تمد بطول الغرفة ، ويدعى اليها القاصي والداني



منظر رائع للمكلا : انها مدينة محصورة بين الجبل والبحر لهذا ارتفعت مبانيها الحجرية المربعة نحو السماء وفي أقصى اليسار مئذنة جامع الروضة المدورة البيضاء.. ان عدد سكان المكلا ٣٥ الف نسمة تقريبا ٨٠٪ منهم يعملون في صيد الأسماك ، وتبعد المكلا ٢٨٠ ميلا شرقي عدن . وقد بنيت عام ١٠٣٥م . وعدد منازلها ٢٤٩٤ منزلا،وميزانية السلطنة ٨٥٠ الف دينار،وهي تستورد ما قيمته ٢٠٠ الف دينار سنويا ، ولا تصدر سوى التنباك والسمك الجاف وعسل النحل ومجموع قيمة الصادرات يعادل ٥٪ من قيمة الواردات .



الطليعة والرأى العام : الصحيفتان الأسبوعيتان فى المكلا ، الأولى صدرت عام ١٩٥٩ والثانية عام ١٩٦٢ . وتفتقر المكلا الى معمل للزنكوغراف ،لهذا يرسلون الصور الى عدن لعمل كليشيهات ، فتصل بعد خمسة أيام .. وترى هنا الاستاذ أحمد عوض باوزير رئيس تحرير « الطليعة » يشرف مع زملائه على طبع الجريدة فى مطبعتهم الخاصة . وهى تطبع ٢٠٠٠ نسخة يوزع أغلبها على المهاجرين فى الخارج . انها صحافة حية تعتمد على النقد .

الى أسفل : تقع مزرعة الدواجن الوحيدة فى فوة قرب المكلا .. وفيها اجريت التجارب على ستة انواع من الدجاج لاختيار السلالة المناسبة لمناخ البلاد ، فنجح نوع « ثور نبير » فقط .. وتنتج المزرعة حاليا ٦ آلاف بيضة فى الشهر الواحد ، بينما تستهلك حضرموت كلها نحو ١٢ مليون بيضة فى السنة تستوردها من الخارج ، ويجرى العمل لتوسيع هذه المزرعة وتكبيرها ..



واخته الجميلة التى أقسمت بمحض ارادتها الا تتزوج حتى يعود ، وقد أوفت بوعدها ، ولم تحنث بقسمها .. والقلب الثالث زوجته التى انتظرته أكثر من ثلاث عشرة سنة وهو بعيد عنها فى المهجر !!! لقد سافر بحثا عن لقمة العيش وكان فى كل شهر يرسل لهم قدرا من المال يعينهم على تحمل أعباء الحياة .. ومضى زمن طويل .. ثلاث عشرة سنة مضت من عمرهم كانوا يعدون الايام ، والاشهر ، والسنوات ، ويتساءلون فى لهفة :متى سيعود .. متى ؟!! حتى جاءهم الجواب المفرح .. » .

عودة المهاجرين تحدث أزمة

ان عودة المهاجرين من بلاد المهجر بأعداد كبيرة أدخلت الى مجتمع المكلا دما جديدا .

فالمهاجر القادم مع أسرته من بلد متحضر لم يقبل أن تضع زوجته « العَقْدَة » (الحجاب) الاسود على وجهها « والشقفة » (الملاءة) السوداء فوق ملابسها .. بل سار فى الطريق مع زوجته وبناته السافرات.. وشاهد بعض المتزمتين هذا « الفجور » فثارت ثورتهم وأصروا على ضرورة « تعليب » النساء داخل الكفن الأسود الثقيل .. مع سيرهن بمفردهن ، اذ غير مسموح للسيدة أن تسير فى الطريق بصحبة رجل ، حتى ولو كان زوجها ! انما عليها أن تسير أمامه أو خلفه دون أن تحادثه !! والوقت الوحيد المسموح لها فيه بالسير مع زوجها هو فى شهر رمضان والاعياد .

وأحست المرأة بالاحراج الذى تسببه لزوجها العائد من المهجر ، فاعتكفت داخل منزلها لا تفارقه .. ولكن الرجل لم يقبل أن تسجن زوجته فى قفص حجرى فبدأ يفكر .. ويفكر .. وقد تركناه ، وما زال يفكر !!

أول الغيث قطر !

ولكن هذا لا يعنى أنه لم يحدث تقدما فى هذا المجتمع بل على العكس .. ولكنه ، تقدم تدريجى بطىء ..

فمثلا فى عيد الأم الماضى ، انهار التقليدالعجيب الذى يمنع ظهور الفتاة البكر أمام السيدة

المتزوجة ـ حتى لو كان عمر هذه البكر ٦٠ سنة والسيدة المتزوجة ٢٠ سنة!! ـ فقد استعدت ناظرة المدرسة المتوسطة للبنات لاقامة حفل تمثيلى بمناسبة عيد الأم ، ودعت اليه أمهات الطالبات ، وقبل يوم الاحتفال فوجئت الناظرة بالفتيات يعتذرن عن الحضور بسبب عدم امكانهن الظهور امام سيدات غريبات متزوجات !! وأسقط فى يد الناظرة ، فهرعت الى ناظر المعارف تطلب حلا للمازق ، وفى الحال تقرر سؤال أولياء أمور الطالبات عن رايهم فى ظهور بناتهم فى الحفل امام السيدات المتزوجات . وجاء رد الأهالى رائعا ومشجعا ، ونجح الحفل .. وفى اليوم التالى نشرت الصحف شكرا وتقديرا من أمهات الطالبات للناظرة سارة النشاشيبى التى ازاحت هذا التقليد القديم ..

ان التطور اخذ يدق ابواب الفتاة الحضرمية ليوقظها من سباتها حتى تعى دورها الصحيح فى هذه الحياة ..

وقد بدا التبدل واضحا فى مظهرها الخارجي ، اذ بدأت تقص ضفائر شعرها الطويل لتصففه على الطريقة الحديثة .. و« الشقة » السوداء نزعتها لترتدى المعطف مكانها .. وزيها دخلت اليه الموضة الحديثة بعد أن كان كالشوال ، دون خياطة أو تطريز !

وما زال أهل المكلا يتحدثون الى اليوم عن المظاهرات الكبرى التى قامت فى المكلا فى اوائل يناير ١٩٦٤ وسارت فيها فتيات المدرسة المتوسطة وهن يهتفن بالشعارات من خلف قناعهن الأسود .

البنطلون ... بدل الفوطة !

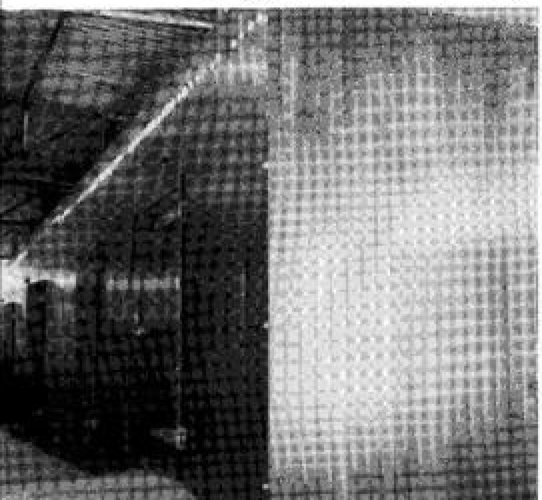
ان هذا التطور لم يقتصر على ثياب الفتيات بل امتد الى ثياب الشباب الذين لم يكن أحد منهم يجسر أن يسير بدون الطاقية القطنية على رأسه ، و « الصارون » ملتفا حول نصف جسمه الادنى ، انه قطعة قماش يستوردونه من الهند ، واليابان .. أما الحريرى الغالى فيأتى من جاوا باندونيسيا ، ويسمونه « البالى » .

كانت هذه مقاييس الأناقة عند الرجل: الطاقية .. والصارون .. والبالى .. ومع عودة



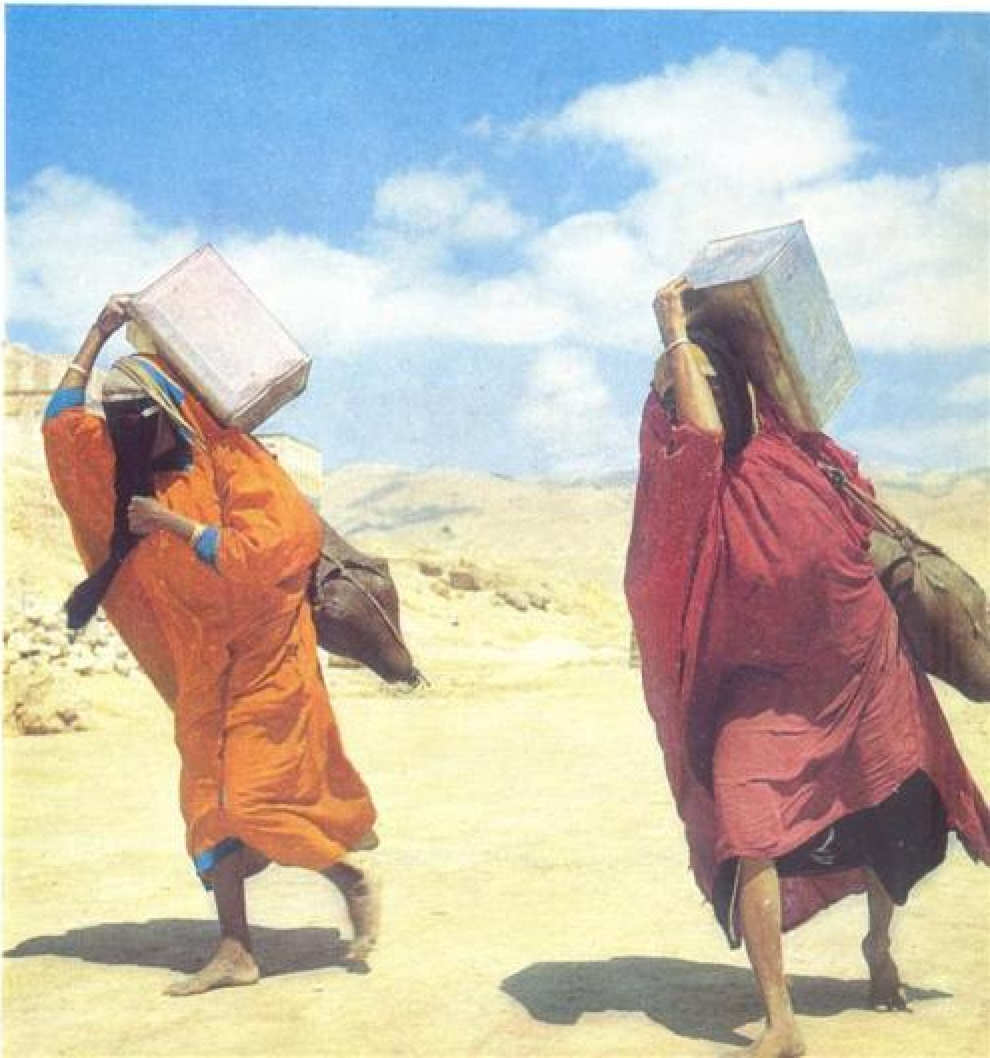
اول مصنع أهلى لتعبئة التونة فى الجنوب ، بدأ يعمل منذ ١٥ عاما فجلب الاخصائيين الايطاليين الذين دربوا الأهالى على تعليب سمك التونة ، والشروخ ، وغيرهما .. ويطالب أصحاب المصنع حكومتهم بحمايتهم من منافسة المعلبات اليابانية التى تغزو الأسواق ، ولكن اعتماد الميزانية على ايراد الضرائب يجعل تحقيق طلب الحماية صعبا!!

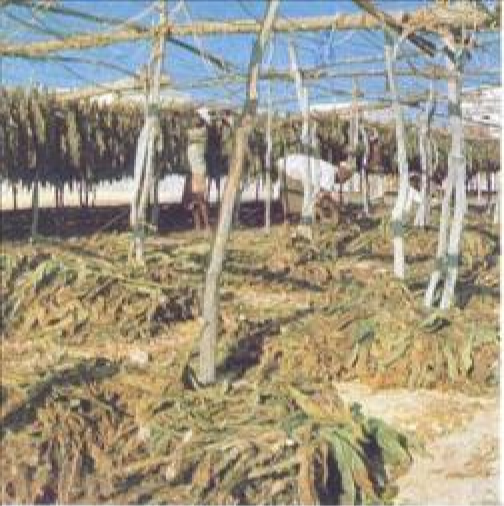
الى أسفل : خمس ثلاجات ضخمة يتسع كل منها لستين طنا من الاسماك ، مضى عليها عام بدون استعمال .. كان الهدف من بنائها تخزين أسماك التونة والروبيان (الجنبرى) والشروخ ، ولحم السلحفاة لتثليجه قبل تصديره ، ولكن صعوبات عديدة ، منها صعوبة الحصول على هذه الانواع من الأسماك حية ، أوقف المشروع مؤقتا ..



الى اليسار : ثلاث صور توضح طريقة زرع وتجفيف شجرة التمباك التي يسمونها « شجرة الشيطان » لصعوبة زراعتها ، وكلفتها الباهظة .. وتغرس بذور التمباك في الشتاء ، وتظل في الارض ثلاثة أشهر يستمد خلالها « الوَزِيف » اى السمك الصغير المجفف ، « وبالزِّبْل » اى سماد الطيور ، ثم تقص أوراق الشجرة ، وتعلق لمدة ١٠ أيام في مكان يسمى « بالعَرْشَة » ــ الصورة الثانية ــ تحت أشعة الشمس ، وبعدها ينقل الورق ويعلق في « البايكة » وهي مستودع كبير مقفل ، يظل فيه ورق التمباك حوالى ٢٠ يوما ، يجمع بعدها وينقى من الأوراق الضعيفة ويحزم استعدادا لتصديره . ان اغلاق الاسواق في وجه هذا المحصول جعل سعر التوال (٣١/٢ أقة) يهبط من ٢٤ جنيها الى ٢١ جنيها .

الى اسفل : حاملات الماء الى المنازل . ان الواحدة منهن تحمل على ظهرها « تنكة » و « قِرْبة » من جلد الماعز لتوصله الى المنازل .. نظير اجر شهرى قدره ٧١/٢ شلن .. ان نقص المياه في المكلا جعلهم يوزعونه بالبطاقات بمعدل ١/٢ تنكة (١/٢ صفيحة) يوميا لكل فرد يأخذه مجانا ، واذا اراد المزيد دفع شلنا ثمنا للصفيحة . ويرد الماء للمكلا بالانابيب من ينابيع تبعد ٢٥ ميلا عن المدينة ليتجمع في خمسة خزانات تسع ٦٠ الف جالون ماء . ويجرى العمل الآن لجلب الماء من ابار الغيس التي يمكنها أن تمد المدينة العطشى بمليون جالون يوميا ولكن نقص المال عطل تنفيذ المشروع .







المهاجرين بدأت الطاقية فى الاختفاء ، وسار الناس حاسرى الرأس .. وطار الصارون والبالى ليحل البنطلون مكانهما !!

نهضة تعليمية تهدد بانفجار

ان جزءا كبيرا من هذا التطور مرده الى الاقبال الهائل على التعليم .. اقبال قلب المقاييس ، وجعل النهضة التعليمية نفسها مهددة بالانفجار والغرق ..

ويندفع الوزير الشاب محمد عبد القادر بافقيه المسئول عن التعليم فى حديثه معنا فيقول :

« ان الأهالى فى الماضى كانوا يترددون كثيرا فى ارسال أبنائهم وبناتهم للمدارس .. اما اليوم فلم يعد أحد يقبل بأن يبقى ابنه أو بنته جاهلة .. حتى البدو فى الصحراء الذين لم يفكروا يوما فى التعليم ، فتحنا لأبنائهم مدرسة ابتدائية داخلية تتسع لخمسين طالبا ، فجاءوا على ظهور جمالهم متعبين منهكين من مناطق تبعد ..٤ ميل ومعهم أبناؤهم طالبين تعليمهم والحاقهم بالمدرسة، واستمرت قوافل الجمال تفد حتى وصل عدد المقيدين الى ..٥ طالب مع أن امكانياتنا تقف عند ٥٠ طالبا فاضطررنا للاعلان عن استغنائنا عن الطلبة الزائدين .. وهنا كادت تحدث معارك حقيقية مع رجال القبائل بسبب عجزنا عن تعليم أبنائهم .. مما اضطرنا لقبول ٢٥٠ طالبا حشرناهم حشرا فى المدرسة الوحيدة التى كانت مهيأة لخمسين طالبا !!

« ان تعليم أبناء البادية مشكلة دقيقة حساسة ، ومدرسة واحدة لا تكفى أبدا لهم ، وانما يلزمنا فتح ٤ مدارس بدوية داخلية ... وهذه العملية تحتاج الى ٢٥ الف جنيه استرلينى لبناء هذه المدارس وتعليم جميع أبناء البادية فيها . »

الميزانية لا تكفى

«ان ميزانية المعارف ١٧٧ الف جنيه استرلينى تدفع الحكومة منها ١٤٠ الفا والباقى تدفع منه الجمعية الخيرية ٧ الاف جنيه ، والحكومة البريطانية ٢٩ الفا .

« واعتمادا على هذه الميزانية نقوم بتعليم ما يزيد عن ١١ الف تلميذ وتلميذة ، نشترى لهم الكتب ووسائل الايضاح ، ونتكفل بمصاريف الطلبة والطالبات الداخلية من مأكل ومشرب ونوم وندفع أجور ..٣ مدرس ومدرسة ، ونقوم



يقول السيد عيسى مسلم ، مدير ادارة الهجرة والجوازات بالمكلا: «ان العوامل السياسية فى أندونيسيا واحتلال الهند لحيدراباد ، والثورة المسلحة فى زنجبار كل هذا أدى الى عودة المهاجرين الحضارمة لبلادهم ، بمعدل ٩ آلاف مهاجر سنويا ، وفى نفس الوقت يترك البلاد ٩ آلاف آخرين متجهين صوب البلاد العربية ، التى نرجوها أن تعفيهم من تأشيرات الدخول لأنهم فى حاجة الى رعاية اخوتهم العرب».

بترميم المباني المستأجرة كمدارس ، مع أنها لا تصلح لهذا الغرض .

كارثة على الأبواب

ويهدأ الوزير الشاب قليلا ، ثم يقول بحسرة :

« ان الكارثة تنتظرنا فى مطلع العام الدراسى القادم بسرعة .. ففى هذا العام منتظر أن يتخرج ٢٢٠ طالبا من المرحلة المتوسطة لينتقلوا الى المرحلة الثانوية ، التى تمثلها فى هذه البلاد مدرسة واحدة ، هى مدرسة المكلا الثانوية ، وكل الذى تستطيع أن تستوعبه من الطلبة الجدد ٦٠ طالبا فقط !!

« وفى نفس الوقت ينتقل ٢٠٢٢ طالبا من الابتدائى للمتوسط .. وهذا معناه فتح ٢٥ فصلا جديدا لهم ، فى حين أننا لن نستطيع أن نفتح سوى ثلاثة فصول فقط !!

٤ طالبات أصبحن ثلاثة آلاف ..

ويتابع الوزير حديثه : -

« ونفس المشكلة نجدها فى تعليم الفتاة ... التى بدأ تعليمها بأربع طالبات سنة ١٩٤٠ أصبحن اليوم ثلاثة آلاف طالبة ، وهو رقم ليس بالكبير نسبة للبلاد العربية الأخرى ، ولكنه بالنسبة لنا رقم نفتخر به ونعتز لأن تعليم البنات خضع لقوى اجتماعية واقتصادية قاسية حالت دون انطلاقه ، ان عندنا ثلاث مدارس ابتدائية ومدرسة متوسطة ، ولا توجد عندنا مدرسة ثانوية لتتلقى خريجات المتوسطة اللواتي سيتخرجن لأول مرة هذا العام وعددهن ١٠ طالبات ..

بقيـة مدن حضرموت

قامت بعثة العربي خلال وجودها فى حضرموت ، بعمل عدة استطلاعات لمختلف مدن حضرموت ، وسوف نوالي نشر هذه الاستطلاعات فى الأعداد القادمة ، مبتدئين بسيئون عاصمة السلطنة الكثيرية فى عدد أغسطس القادم .



تجمع هذه الصورة بعض الأساتذة الذين جاءوا من القاهرة والخرطوم والسعودية والاردن لتدريس أبناء المكلا .. وأكثر ما يضايق هؤلاء الأساتذة هو نقص الكتب والأدوات ، فيضطر الاستاذ الى تلقين مواد الكتاب على التلامذة ، وعمل وسائل الايضاح بيديه .. ان حضرموت فى حاجة الى أضعاف هذا العدد من الأساتذة .. ولكن السلطات البريطانية تقف دون تحقيق ذلك . فقد حدث ان جيء الى حضرموت بنحو ٢٠ من المدرسين من مصر فمنعوا من دخول البلاد .



الشيخ الفنان : ٤٤ طالبا يتلقون تعليمهم فى المصنع الصغير لتخريج معلمي التعليم الابتدائي .. وترى الاستاذ احمد عبد القادر اللاحي يعطى درسا لبعض الطلبة فى كيفية خلق اشياء جميلة من لا شيء سوى الورق والطين !

الى اسفل : « ارى الوقوف بمطبخي شرفا يزيد مكانتي » . هذه الجملة مكتوبة على باب غرفة التدبير المنزلى بالمدرسة المتوسطة ، حيث قامت هذه الصبية الحضرمية بصنع قطعة الحلوى التى تحملها .



الى اليسار : بدأ التعليم الثانوى الرسمى للبنين منذ ثلاث سنوات فقط ، وكان فى السابق يعتمد على البعثات الخارجية .. وثانوية المكلا هى الثانوية الوحيدة فى حضرموت وفيها يتلقى ١٣١ طالبا من ابناء « القعيطية » و «الكثيرية» تعليمهم . وفى العام القادم سوف تتخرج اول دفعة من هذه المدرسة الثانوية .

الى اليسار : كانت زوجات المدرسين السودانيين أول من قمن بتدريس البنات فى المدرسة المتوسطة بالمكلا .. ثم انضمت اليهن ثلاث مدرسات أردنيات .. وتراهن هنا كلهن تتوسطهن الآنسة سارة النشاشيبي مديرة المدرسة المتوسطة، التى بمثابرتها ونشاطها وبمعونة زميلاتها ارتفع مستوى التعليم للفتاة.

الى اليسار : مكرونة .. بودنج .. تبولة .. مقلوبة .. لحم بعجين (صفيحة) .. سمك بالأرز .. انها بعض انواع الاطعمة التى تعودت بنات المكلا على طبخها فى مطبخ المدرسة المتوسطة .. انه انقلاب جديد فى دنيا مطبخ المكلا ، الذى ما زال يعتمد اعتمادا كليا على انواع المأكولات الهندية والاندونيسية ..







اما خريجات الابتدائي الى المتوسط فلا يوجد مكان لـ ٢٠٠ طالبة منهن ..

ويستطرد الوزير الشاب فيقول :

« هذه لمحة خاطفة عن بعض مشاكلنا التعليمية التى نحن على بيئة منها .. فنحن نعرف أن أغلب المبانى ليست بمستوى المدارس ، وأن الفصول مكتظة بالطلبة .. وأن الكثير من المدرسين غير مؤهلين .. وأن الأدوات والكتب المدرسية ناقصة .. وأن وسائل الايضاح معدومة .. وأن سوء التغذية منتشر بين الطلبة ..وأن رياض الأطفال غير موجودة ..

« نعلم كل هذا جيدا ، ولكن كل هذا لن يوقف تجاوبنا مع الشعب الذى يطالب بتعليم أبنائه .. اننا اذا لزم الأمر سنفتح مدرسة فى كل مكان يمكن أن يستظل تحته الطلبة : فى المنازل الخاصة .. تحت الشجرة .. وحتى فى المساجد والأندية .. اننا لن نحرم أى طالب من شعاع العلم .. حتى تتداركنا رحمة الله .. ورحمة اخوتنا العرب الذين نقول لهم :

« انقذونا

انقذونا بالكتب ..

انقذونا بالمنح الدراسية لأبنائنا وبناتنا ...

انقذونا ببناء المبانى لمدارسنا ..

انقذونا بالفعل لا بالقول .. » .

اننا اذا ترجمنا كلام الوزير الى لغة الأرقام لأدركنا أن ١١٥٢ طالبا و ٣١٠ طالبة لن يجدوا لهم مقاعد فى السنة الدراسية القادمة !

ماض مجيد ، وحاضر مريض !

ان أهل المكلا فى صراعهم من أجل الانطلاق والتحرر من عقدة الخوف والتردد ، لم يعودوا يابهون كثيرا بتاريخهم او بنسبهم الى سبا او حمير او قحطان بن هود حفيد سام بن نوح ! ، لأنه اذا نبشنا لهم كنوز تاريخهم ، وفتحنا لهم صناديق ماضيهم وأخرجنا لهم كل ما فيها من حضارات وفنون وبطولات ، ولم نفتح لهم باب العلم وسبيل الرزق ، فان تاريخهم يكون باطلا ، وماضيهم وهما .

ان الناس فى المكلا اصبحوا يفضلون ألف مرة سماع أسباب فشل تجربة المجلس البلدى المنتخب على معرفة أسباب ضياع آثارهم وتحفهم التى لم تعد تهمهم كثيرا .

ان هذا المجلس البلدى المنتخب لم ينجح فى تعبيد طريق واحد، ولم ينجح فى اقامة جسر ليصل المدينة بالشرق وقت السيول والامطار .. ولم ينجح فى التغلب على ازمة الماء التى تكاد تخنق المدينة .. حتى آبار الماء القديمة جفت كلها .. ولم ينجح فى زرع شجرة واحدة بالمكلا رغم مضى ٣ سنوات على انتخابه ..

حتى فندق واحد لا يوجد فى المكلا .. ويقترح البعض اقامة هذا الفندق فى السفينة الكبيرة . التى دفعتها رياح المنسون الى صخور المكلا فلم تعد تستطيع منها هربا رغم مضى ثلاث سنوات على جنوحها ..

مدينة صغيرة مليئة بالآمال الكبار

وتقف مشكلة تحقيق الوحدة الحضرمية ، بين القطاعين القعيطى والكثيرى ، موقفا غريبا ، فالمفاوضات حولها تدور سنويا منذ خمسة أعوام دون أى نتيجة . بالرغم من أنها مطلب شعبى وخطوة أولى نحو تحقيق وحدة الجنوب فى انتظار الوحدة الكبرى .

ان المسئوليات الجسام آخذة فى التكاثر على أكتاف المسئولين فى المكلا .. ومطارها خير صورة تعطى الدليل على هذا ، ففى الماضى كانت تأتيه طائرة واحدة أسبوعيا .. أما اليوم فتأتيه طائرة كل يوم !!

ان المكلا ، تلك المدينة الصغيرة المليئة بالآمال ، تستحق اهتماما أكبر من جانب الدول العربية ، ان شعبها يئن من الفقر والتأخر والتشريد ، أما المرض فابن المكلا أصبحت عنده مناعة ضد الأمراض ، لأنه منذ خلق وهو فى مرض !

ان سلبية موقف الدول العربية،واكتفاءها باعطاء بعض المنح الدراسية الهزيلة الضئيلة لبعض طلبة حضرموت ليس بالحل المطلوب .. لأن حضرموت فى حاجة الى نجدة طبية وفنية واقتصادية وثقافية!

ومن يدرى فقد يتدفق الذهب الاسود من الشمال .. ولكن حتى هذا التدفق لن يحل المشاكل التى تتطلب يدا خبيرة فى هذه المرحلة الانتقالية التى تمر بها المدينة البيضاء القابعة على مياه المحيط الزرقاء . ■■

سليم زبال



ركن الأسرة والمرأة

الأم ... وتوزيع الحب بين أولادها بالتساوي

■ ان كثيرا من العقد التى تتربى فى الأطفال ، يبدأ تكونها فى البيت . وقد يبدأها الأب ، وقد تبدأها الأم او الاخوة والأخوات .. او حتى الجيران .

وكلٌ يبدأها وهو لا يدرى انه يبدأ شرا . بذرة يبذرها فى النفس ، نفس الطفل الناشىء ، لا تنتبت ، ثم تخرج من التربة ، ثم تترعرع ، بالثمر الحلو حينا ، وبالحنظل المر احيانا ، الا بعد سنوات طويلة .

ولنضرب لذلك مثلا : العقدة او العقد التى تسببها الأمهات ، والوالدة الأم خاصة ، بسبب سوء توزيع حبها وعطفها على اولادها .

ان من الأسباب التى تزرع الفرقة فى الاسرة ، لا سيما الناشئة ، ان تصطفى الأم بعض اولادها او بناتها دون بعض . وليس معنى هذا اننا نفرض على الأم ان تحب اطفالها جميعا قدرا سواء . اننا بهذا نطلب المحال . ان الحب والبغض لا يصنع فى القلب صناعة ، او على الاقل لا يصنعه صاحب القلب . والقلوب متقلبة ، وهي ذات اهواء . وليس من عتب على الأم ان تميل الى طفل اكثر مما تميل الى طفل . ولكن العتب فى ان تظهر للطفل حبا فوق الذى تظهره لاخته او لأخيه . انهم كلهم فى حكم الأمومة سواء .

ان القسط من الحب التى تزيده الأم لطفل من اطفالها يضر هذا الطفل ، عندما ينشأ .

وان القسط من الحب الذى تنقصه الأم من طفل من اطفالها يضر هذا الطفل ، عندما ينشأ كذلك .

اما الطفل الأول ، المفضّل ، المعزّز . الذى يأخذ نصيب الاسد من الحب والعناية والرعاية طفلا ، ينشأ صبيا ، ثم شابا، ثم رجلا،وهو قد تعود ان يكون دائما الاخذ لا المعطي . وعزّزته امه ودلّلته فنشأ وعنده التعزيز والتدليل عادة . والحياة لا تنفع ، وهي اخذٌ ولا اعطاء . وتكبر سن الطفل ، حتى اذا بلغ العشرين والثلاثين ، لم تفده اعداد السنين . انه

لا يزال طفلا . كبر حجمه حقا ، وصار له حجم الرجل ، ومظهر الرجل ، ولكن طابع نفسه لم يتغير . انه طابع الطفل ! ولا يكون من ذلك غير الفشل. انه الرجل الذي يسمونه « ابن أمه » .

وحتى لو أن طفلا كهذا استطاع ان يتخلص من هذا المستقبل الذي ينتظره « الرجل الطفل المدلل » ، وتنبه للحياة، ووعى حقائقها ، فانه لا شك سوف يعود بالذكر فباللوم الى امه ، تلك التى لم تنصف ، فكادت أن تفعل به ما تفعل ، وفعلت باخوته الآخرين ، الذين نقصتهم او نقصتهن حبا ، ما فعلت .

★★★

ولنعد الى الحديث الى هؤلاء الآخرين الذين أو اللاتي نقصتهم امهاتهم او امهاتهن حبا .

ان الطفل يولد وهو غريب عن هذه الدنيا . وهي كثيرا ما تخيفه ، وهو فى هذا الحال يحتاج الى الحامي ، والى من يذهب عنه الخوف،ويزيد ثقته بنفسه. وخيرُ ما يزيد الطفل ثقة بنفسه حب الأم ، واظهار الشفقة له فى هذا العجز ، واظهارُ التشجيع .

ان الآباء والأمهات الذين يرمون أبناءهم أو بناتهم بالعجز والخيبة ، لا سيما عند الغضب ، يجرمون . او هم يظهرون لهم كراهة ، أو نقصا فى الحب يؤَوّل عندهم بانهنقصفي كفاية او قدر .

ان الرجل النامي يحس بمصاعب الحياة . ولكنه من بعد نمو ، ينسى مصاعب الطفولة التى هي من مصاعب الحياة .

الطفل يعاني مصاعب الحياة فيطعامه،

وعندما يحبو . ثم يمشي . كلها تجارب، يتعلمها بمشقة . وكذا وهو صبي فى المدرسة ، ومن بعد ذلك . مسالكالحياة جميعا ليست سهلة السلوك وهي صعبة على الصبية والأطفال صعوبة مسالك الحياة ، فى طلب الرزق ، من بعد ذلك على الرجال والنساء .

ان الطفل الذى تنقصه أمه من حبها، يفقد الثقة بنفسه بمقدار ما تنقصه الام من حب . وفقد الثقة صفة تلصق بالنفس على السنين ، وينشأ الطفل عليها وعنده عقدة : أنه ليس فى مراتب الانسانية فى المرتبة الاولى التى تؤهله للحب كاملا . وينشأ وهو يتقبل دائما الموضع الثانى من بين مواضع الحياة ، لانه اعتقد انه ليس ممن يحتل المراكز الأولى . لو كان حقيقا بها ، لكان احقّ بها عند أمه .

★★★

وقد يثور الطفل ، وقد كبر وتنشأ ، على تلك العقدة ، عقدة استضعاف النفس ، ويحاول أن يثبت انه جدير بالموضع الاول ، والمركز الاول ، فيمزّق

رأى

● السيد رئيس التحرير

هل قرأتم ما كتبه الاستاذ علي امين عن المرأة : انه يقول :

« تكسب المرأة قلب زوجها ، بان تكون وسادة من ريش النعام اذا شعر بالتعب ، وعقلا يفكر له اذا تعب عقله ، وفرامل اذا اندفع ، وقوة دافعة اذا أصيب بالخمول والكسل ... وان تقوم بكل هذه الأعمال ، بخفة وبساطة وتواضع ، وان تنسب اليه ، كل الانتصارات التى هي السبب فيها .. وتقتسم معه ، مسئولية كل الهزائم التى كان هو السبب فيها .

فى المرأة

وتوفق المرأة بين عملها والبيت ، بان تعد تنظيم البيت على أسس سليمة حديثة ، وتتبع أنظمة الكفاية التى توفر الوقت ، وتوفر العرق . وفى رايي ان وقت المرأة يتسع للعمل وللبيت ، وبعد ذلك ، يترك ساعات طويلة من الفراغ ، فيجب أن تستغله لتزيد من جمالها ورشاقتها وجمال عقلها » .

فكيف ترون فيما كتب الاستاذ : انتصار هو للمرأة ، أم سخرية بالرجال ؟!

نوال ـ س

نفسه فى سبيل هذا الاثبات تمزيقا . بل يثور ليثبت انه الاول وأن كل من حوله فى المواضع الثانية .

وهو بالعقدتين يشقى، عقدة الانصياع والتخاذل الاولى ، والرضا بما قسم الله له ، أو بما استقر فى نفسه انها قسمة الله ، وعقدة التعالي، انه خيرٌ من سواه .

والسبب ؟ الأم .

ومتى ؟ فى البيت الأول .

★★★

أيتها الأمهات . كنَّ حذرات ، وكن حصيفات .

ان الله لم يكد يخلق انسانا الا وبه شيء يُحمَد . فاستخرجي من أولادك ذلك الشيء الحسن، واذكريه واحمديه، وشجعيه ، وصُبّي على طفلك ، كل طفل ، بعض حبك ، ومعه رشاش من ماء الورد .

ولا تقيمي مقارنة قط بين أولادك ، من حيث الذكاء ، ومن حيث القدرة ، ومن حيث الجمال ، ومن حيث البطء والسرعة . انك بذلك تنفثين السم ولا تدرينه .

وقسّطي الحب بين أولادك ، وبناتك، اقساطا سواء . ■■

كعكة العرس

الى التى تسال عن كعكة العرس ، ماكان من أمرها ؟ نقول :

ان كعكة العرس هي اليوم، كعكة كبيرة،مكسوّة بطبقة من السكر المحلول وقد تجمد ، داخلها محوّج ، وظاهرها مزوق.

وهي لم تكن كذلك فى قديم الزمان .

وهي نشأت فى القديم من التقليد الذىجعل شركة العريس والعروس فى طعام واحد ، رمزا للوحدة ، ومع الوحدةالغبطة والهناءة .

ومن ذلك ان قدماء الافريق كانوايصنعون الكعكة من طحين السمسم بعد خلطه بعسل النحل . ثم يفرق الكعك علىالضيوف .

وفى روما القديمة كان من مراسم الزواجالاولى صنع فطيرة من القمح ، يهبهما العروسان الى الآلهة،ثم ياكلون منها معا .

وتوارثت أوروبا الغربية هذه الكعكةيصنعونها من عجين غير خمير ، فهي اشبه بالبسكوت . ثم لما تطور الزمن ، وتطورفن الطهي زادت الكعكة حجما ، وزادت محتوى ، وتعقدت صناعة ، وتفننوا فيهازواقا . وهي اليوم مرسم من مراسم العرس قائم دائم .

وتبدأ العروس بقطع الكعكة بالسكين ،يعينها فى ذلك عريسها ، وذلك فى الحفل الذى يقوم من بعد عقد الزيجة ، وتوزععلى الحاضرين والحاضرات . وللغائبات قطع صغيرة منها ، ترسل اليهم تحيةوذكرى .



شخصيات سيكولوجية

سيجموند فرويد

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

الاستاذ بالجامعة الاردنية

ابتدع للنفس مراتب كثيرة واسماء للخبرة النفسية جديدة : منها الشعور ، وتحت الشعور ، واللاشعور ، و"الأنا" ، و"الهي" ، ورد كل الحوافز الى الجنس واسماه اللبيدو ...

■ ما من شخص اثار فى علم النفس من الضجيج والعجيج قدر ما أثاره فرويد الطبيب النمساوى الذى بدا حياته الطبية مختصا بعلم الفيزيولوجيا (علم وظائف الاعضاء) وأنهاها بوصفه ابا للتحليل النفسي Psychoanalysis وصاحب مدرسة فيه .

على انه من غير الممكن ان تفهم فرويد وعمله اذا لم تلم ببعض الحقائق الاساسية :

وأولها : أن مؤرخي علم النفس الحديث متفقون على أن علم النفس الحديث على صلة وثيقة بعلم الفيزيولوجيا الحديث . والحق ان علم النفس الحديث ولد على يدى العالم الالماني (فنت Wundt) فى مختبر بلايبزغ Leipzig الذى أسسه عام ١٨٧٩ .

وقل الشيء نفسه عن فرويد وهو طبيب مختص بعلم الفيزيولوجيا . وبافلوف Pavlov وهو عالم الفيزيولوجيا الروسي . وآدلر adler وهو طبيب نمساوى ، وغيرهم كثير .

وثانيهما : أن فرويد حلقة فى سلسلة من الاطباء الذين اهتموا بالأمراض النفسية والجسدية (وكانت تسمى عصبية) وأشهرهم (شاركو charcot) الافرنسي وتلميذه (جانيه Janet) الافرنسي ايضا . وقد تتلمذ فرويد على أولهما ثم انتقل من مدرسته الى مدرسة (نانسي Nancy) فى فرنسا ايضا . وكلا المدرستين كانت تستعمل التنويم (المغناطيسي) علاجا للأمراض العصبية النفسية . على أن المهم فى هذا الصدد كون الجو العلمي مهيئا لهذه الدراسات مما مهد لظهور فرويد .

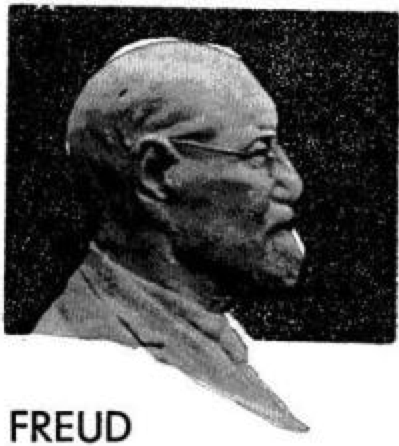
وثالثها : أن فرويد عاش فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين ، وشهد النهضة الصناعية الجبارة التى اجتاحت اوروبا ، وتعقد الحياة الاجتماعية فى المجتمعات الاوروبية ، وتشابك العلاقات الانسانية بين أفراد هذه المجتمعات .

ورابعها : ان فرويد يهودى ، وأنه كان ليهوديته دخل كبير فى صياغة الكثير من نظرياته وفرضياته وتعليلاته . ذلك بانه كان ينتمي الى أقلية مكروهة بحكم صفاتها المعروفة التي أقل ما ينسب اليها حب المال والانغلاق والتعصب والتوحيد بين القومية والدين والمطامع الاقتصادية والحنين الى الماضي والعمل على بناء وطن قومي من نوع محدد ، وكان ذلك ضمن اطار معين .

شيء من التاريخ
مولد فرويد ونشاته وتتلمذه

ولد فرويد عام ١٨٥٦ فى ما يسمى اليوم





SIGMUND FREUD

بتشكوسلوفاكيا ، ولكنه عاش فى فيينا منذ طفولته الباكرة . وحين ذهب الى الجامعة درس الطب واختص بالفيزيولوجيا ست سنوات كاملة ، ثم قرر ان يعيش من ممارسة الطب ، فانتقل عام ١٨٨١ من المختبر (المعمل) الفيزيولوجي الى المستشفى حيث تابع دراسة الجملة العصبية واختص بتشريحها وأمراضها .

على أن الاهتمام بالامراض العصبية فى فيينا كان ضئيلا فى ذلك الحين على خلاف ما كان يجرى فى باريس وقد كان يعمل فيها شاركو الذى طبقت شهرته الافاق . فشد فرويد الرحال اليه عام ١٨٨٥ ، وتتلمذ عليه عاما بكامله ، وكان بالغ الاعجاب باستعمال شاركو للتنويم طريقة لمعالجة الهستيريا . ولقد كانت دهشته عظيمة حين سمع شاركو يؤكد انه فى كل حالة من حالات الامراض العصبية لابد من وجود اضطراب فى الحياة الجنسية للمريض ، اضطراب موجود « دوما ، دوما شريطة أن نتعمق فى الامر تعمقا كافيا » . ولقد كان فرويد يقول لنفسه متعجبا : اذا كان ما يقوله شاركو صحيحا فلم لا يستفيد من هذه الحقيقة فى نظريته وعلاجه ؟؟ ولقد قبع هذا التساؤل فى ذهن فرويد الى ان آتى أكله بعد حين .

وعام ١٨٨٦ عاد فرويد الى فيينا واخذ يعمل بجد فى دراسة الحالات العصبية عامة والهستيريا خاصة مستعملا التنويم طريقة رئيسية فى المعالجة لكنه لم يلبث ان وقف امام عقبة كاداء الا وهي استحالة تنويم بعض المرضى ! وحتى فى حالة تنويم المريض فان العلاج لم يكن مفيدا دوما . ولذلك قرر العودة الى فرنسا مرة اخرى لاسيما وقد تسامع بمدرسة (نانسي) التي تدعى امكان تنويم كل شخص ونجاح علاجه . بيد أن أمله خاب حين قال له اطباء هذه المدرسة ان نجاحهم مع فقراء المرضى اعظم بكثير من نجاحهم مع الذين يتعالجون على حسابهم الخاص ، لانهم اما اذكياء او متحذلقون لدرجة يصعب معها عليهم الافادة التامة من العلاج ، وحينئذ عاد فرويد الى فيينا وعاد الى ممارسة التنويم فى العلاج وكان نجاحه معتدلا وان لم يكن تاما .

فرويد والطبيب النمساوى بروير

وهنا يتدخل فى الامر رجل قد لا نغالي اذا قلنا بان فرويد أفاد منه أكثر من افادته من الاطباء الفرنسيين ونعني به الطبيب النمساوى (جوزف بروير Josef Breuer) صديق فرويد وزميله فى العمل الفيزيولوجي والدراسات العصبية . وقد صدف ان كان بروير هذا يحاول وضع طريقة علاج جديدة أوحتها اليه واحدة من مريضاته المصابات بالهستيريا .

لقد كان بروير ـ شانه فى ذلك شان فرويد ـ يستعمل التنويم للعلاج . فقالت له مريضته هذه انه لو سمع لها اثناء تنويمها أن تتحدث عن متاعبها العاطفية فانها تتحسن ، وانها حين تكون تحت التنويم تستطيع أن تتذكر حوادث كانت منسية ، حوادث على صلة بحياتها العاطفية ، كلما تحدثت عنها الى الطبيب شعرت بنوع من الراحة وخفت أعراضها المرضية . وحينئذ اخذ بروير برأى

المريضة واستعمل طريق التحدث هذه مع المريضة فشعرت بتحسن سمح لها بالعودة الى حياتها السوية . وبعدئذ صارح فرويد بامر هذه المريضة واخذا كلاهما يستعملان طريقة التحدث هذه مع المرضى الآخرين فنجحا بعض النجاح، ونشرا ابحاثا عن طريقتهما الجديدة سنة ١٨٩٢ و ١٨٩٥ . وهكذا بدات الطريقة الجديدة مزيجا من التنويم والتحدث .

ازمة تثيرها طريقة التحليل النفسي ، بين الطبيب ومرضاه

وبعد هذه البداية الطيبة بقليل ، ولسبب لم يعلن عنه في حينه ، غضب بروير على الطريقة الجديدة وتركها لفرويد وحده . اما سبب غضب بروير واشمئزازه فقد عرف فيما بعد ، ويتلخص في ان واحدة من مريضاته التي عالجها وقتا طويلا وشارفت على الشفاء اعلنت له انها لا تستطيع تركه لانها احبته حبا شديدا ، الامر الذى اخاف بروير صاحب الضمير المسلكي الحي وجعله يعلن انها طريقة خطرة يجب الا يستعملها طبيب . ولم يمض وقت طويل حتى وقع فرويد في نفس المشكلة، لكنه لم ينزعج من الامر ، بل خلص منه بعد دراسة عميقة الى القول بأن هؤلاء النسوة لا يعشقنه لذاته بل انهن يتخذنه بديلا عن موضوع حبهن الاول ، وانه اذا داوم على معالجتهن متخذا موقفا حياديا قد يستفيد من هذا الحب في شفائهن نهائيا . وقد برهنت الوقائع فيما بعد على صحة رايه .

طريقة ((الترابط الحرّ))

وبعد ان خلا الميدان لفرويد ترك طريقة التنويم وحسن طريقة التحدث وان كان قد احتفظ من طريقة التنويم بالاضطجاع والاسترخاء ومطالبة المريض اثناء ذلك بالتحدث عن متاعبه واسبابها والافصاح عن كل ما يرد على خاطره ، وهي الطريقة التي سماها طريقة الترابط (او التداعي) الحر Free Association ، بالرغم من ان التداعي المطلوب من المريض ليس حرا تماما ، بل مقيدا ببعض الضوابط ، ولا سيما مطالبة المريض بان يقصر حديثه على متاعبه فقط . والمقصود بحرية التداعي هو رفع الرقابة عن الذكريات والافكار التي ترد الى خاطر المريض . وهكذا استبدلفرويد التنويم بالاسترخاء والتداعي الحر. وبالرغم من ان هذه الطريقة الجديدة ابطأ من من القديمة فانها نجحت مع عدد من المرضى اكبر وهي في رايه ادعى للتنفيس عن المريض .

الاحلام تكشف عن العقل الباطن

وأيا ما كان فان بطء هذه الطريقة حمل فرويد على البحث عما يوصله الى العقل الباطن (اللاشعور) مباشرة وانتهى بعد التفكير والتجريب الى الاعتقاد بان احلام المريض كفيلة بالاعلان عن لا شعوره . وقد شرح فرويد نظريته عن الاحلام واختباراته فيها في كتابه المشهور (تفسير الاحلام) الذى نشر بالالمانية ولاول مرة ١٩٠٠ . ومنذئذ اعتبر فرويد واحدا من أفذاذ علمالنفس. وفي ١٩٠١ اتبعه بكتابه (علم النفس المرضي للحياة اليومية) حيث درس هفوات اللسان والذاكرة واظهر كيف يمكن استخدامها دلائل على مركبات نفسية لا شعورية . ومن ثم تتالت كتبه .

ومهما يكن من أمر التحليل النفسي فانه اعتبارا من عام ١٩٠٠ لم يصبح طريقة لمعالجة الامراض العصبية فحسب ، بل صار بالاضافة الى ذلك مدرسة سيكولوجية صريحة .

نظرية فرويد

انصافا لفرويد يجب أن نعترف له بأنه لا يزعم أن نظريته شاملة للحياة النفسية بكاملها . لكنها ، وباعترافه ، تستهدف تعليل الامراض العصبية وعلاجها ولذلك فدعوى فرويد الاساسية هي أن العصاب (١) ينشأ عن أمور جنسية طفولية مكبوتة . ومع ذلك

(١) العصاب هو المرض العصبي باللغةالدارجة . اما باللغة السيكولوجية فهو ترجمة كلمة Neuroses (انظر مقالتنا في العربي العدد ٢٧ فبراير١٩٦١ ـ الجنون فنون) .

فان الامور الجنسية الطفولية المكبوتة ليست وقفا على الذين اصيبوا بعصاب فى وقت ما من حياتهم ولكنها موجودة عند كل انسان وتشكل عاملا هاما فى حياته .

ولكي نتعرف على نظرية فرويد لا بد من التعرف على افتراضاتها الاساسية وهي القواعد التى يبني فرويد عليها فرضياته ونظرياته .

كل سلوك له دافع

ان واحدا من اهم افتراضاته هو قوله بأن كل سلوك مدفوع اى له دافع ، وهكذا فالشلل الهستيرى مثلا ، وهو شلل غير حقيقي ، بدليل ان المريض اذا نوم وأمر ان يستجيب لوخز الدبوس استجاب بالفعل ، قد يكون تعبيرا عن عجز المريض ازاء مشكلة من مشاكل حياته اليومية . وقل الشيء نفسه عن الشاب الذى ينسى معطفه فى بيت فيه صبية حسناء . ان هذا النسيان فى راى فرويد مدفوع برغبة الشاب فى الرجوع الى البيت . والامر عينه صحيح عن ربة البيت التى تقول « مع السلامة » لضيفتها وهي تستقبلها بدلا من « اهلا وسهلا » ، انها بذلك مدفوعة بضيقها من هذه الزيارة ورغبتها فى التخلص منها بأسرع ما يمكن . وهكذا اذن تكون الرغبات هي دوافع السلوك فى نظر فرويد .

اسباب السلوك توجد فى الماضى ، قريبه والبعيد

والافتراض الاساسى الآخر عند فرويد هو قوله بأن اسباب السلوك (اى الرغبات) يجب البحث عنها فى الماضي ، وان زلات اللسان والسلوك مثلا ، وكذلك الاحلام ، لا ترضي رغبة حاضرة ولكن ماضية ، وان اصل العصاب موجود فى الماضي . وهو لايقنع بالماضي القريب بل يرجع الى سني الطفولة الاولى .

الرغبات القديمة جنسية طفولية

والافتراض الثالث الاساسي عند فرويد هو كون هذه الرغبات القديمة جنسية ، وهو يستند فى هذا القول الى ملاحظته ان معظم المرضى الذين راجعوه كانت توجد عندهم هذه الرغبات الجنسية التى يعود اصلها الى الطفولة .

الرغبات القديمة مكبوتة ، تنتظر فرصة انطلاق

والافتراض الرابع والاخير هو اعتقاده ان هذه الرغبات الجنسية الطفولية التي تدفع السلوك وتؤثر فيه مكبوتة فى نفس المريض تنتظر فرصة للتعبير عن ذاتها ، وهي تتخذ حينا طريق الحلم وآخر طريق زلة اللسان وثالثا طريق المزاح الخ الخ . . لتدلل على وجودها .

وهكذا تكون الاعمدة الثلاثة لسيكولوجية فرويد هي (١) الرغبات الجنسية (٢) الطفولية (٣) المكبوتة .

مفهوم الجنس عند فرويد

ثم ان فرويد يعطي الجنس مفهوما محدودا وواسعا فى الوقت نفسه على حد تعبيره دون ان يرى فى ذلك تناقضا . انه يرى ان مص الطفل اصبعه نوع من السرور الجنسي ، وكذلك عضه للاشياء ووضعه اياها فى فمه ، ورغبته فى ان يربت ، وحركات رجليه المنتظمة ، وكذلك تغوطه وتبوله الخ ... واذا ما ارتفع فرويد الى مستوى اعلى شمل السرور الجنسي كل سلوك انفعالي بما فى ذلك الصداقة وحب الفنون . وفرويد يرفض ان يقال عنه انه يستعمل كلمة جنس مرادفا لكلمة حب ، ويحتج على كل محاولة تنزع عن (الليبدو Libido) (١) صفة الجنس وهو يلح على ان كل انفعال جنسي اصلا .

---

(١) الليبدو : كلمة يطلقها فرويد على الرغبة الجنسية أو الطاقة الجنسية أو الجوع الجنسي.

ولعل اهم ما اهدى فرويد لعلم النفس نظريته عن اللاشعور (العقل الباطن) ، انه يجعل للحياة النفسية قطبين هما الشعور واللاشعور (بينهما تحت الشعور او قبل الشعور) وهو يرى ان (الأنا (١) The Ego) شعورية بالاصل ، وهي التى تكبت الرغبات غير المقبولة بالنسبة اليها ، وهى بكبتها هذا قد تتصرف لا شعوريا ، فهى اذن شعورية ولا شعورية فى آن معا . أما (الهِىّ (٢) The Id) فلا شعورية . والأنا على اتصال بالمحيط ولكنها نجمت عن (الهى) وتبقى ممزوجة بها فى الأعماق . والهِىّ تشتمل على القوى الدافعة الغريزية لوجود الفرد بما فى ذلك غريزة الحياة وغريزة الموت .

ويعتقد فرويد أن الأنا تحاول أن تتوسط بين العالم الخارجى والهِىّ لتجعل الهى تتمشى مع مطالب العالم ، وان كانت تحاول بواسطة الفاعلية العضلية ان تجعل العالم يتمشى مع رغبات الهى . كما أن الهى تجهد بصورة عمياء فى سبيل تحقيق رغباتها ولذائذها . لكن الأنا التى تعمل الهى بواسطتها تكون قد تعلمت الخضوع فتكبح جماحها وتكبت رغباتها .

وتعتقد ماساة الأنا والهِىّ بامر ثالث هو (الأنا السامية Super-Ego) أو (الأنا المثالية Ego - Ideal) وهى – بصورة عامة – ما نسميه بالضمير الاخلاقى . ولهذه الأنا السامية زواجر وأوامر ونواه تفرضها على الأنا ، وهى فى رأى فرويد ماخوذة عن واقع الحياة بل صادرة عن العالم الداخلى .

ومن هذا النزاع بين الأنا والهِىّ والأنا السامية تنشا العقد او المركبات النفسية من مثل عقدة أوديب وسواها .

قدر وتقويم

لا شك فى أن فرويد عالم فذ غاص على النفس البشرية واستشف اعماقها ووضع اصبعه على مكان المرض والانحراف فيها . ولا شك فى ان الرجل قد اهدى علم النفس الحديث مفاهيم قيمة وطرائق مفيدة من مثل مفهوم اللاشعور وطريقة التداعى الحر والعقد النفسية وتفسير الاحلام وغيرها من الامور التى ساعدت فى فهم الشخصية الانسانية .

ولا شك بعد هذا فى أن فرويد كان ابعد الناس عن اللاأخلاقية ودليل ذلك ما اشار اليه من حقيقة (التصعيد) (٣) Sublimation) واستعماله طريقة فى التغلب على الكثير من دوافع النفس ونزواتها .

ثم ان فرويد عمل فى المختبر والمستشفى والعيادة مدة طويلة ، فاذا أضفنا هذه الخبرة الفنية الى ذكاء وقاد ونباهة اصيلة ونزوع الى البحث العلمى امكننا ان نقدر فرويد حق قدره .

لكننا بالرغم من ذلك كله ميالون الى الاعتقاد بان خلقه ليس تماما خلق العلماء . انه أشبه بمتنبىء منه بعالم ، وهو من غير شك مخترع للفرضيات أكثر منه مجربا لها . وأغلب الظن أنه اتبع نصيحة حكيمة لأستاذه شاركو تقول بوجوب الانغماس فى الحقائق ، ولا سيما المعقدة المركبة ، املا ببزوغ النور ، فاذا بزغ النور ، وكثيرا ما بزغ لفرويد ، فانه يبزغ قويا أكيدا بمقدار يفوق الفرضية التى وضعها برسم الاختبار .

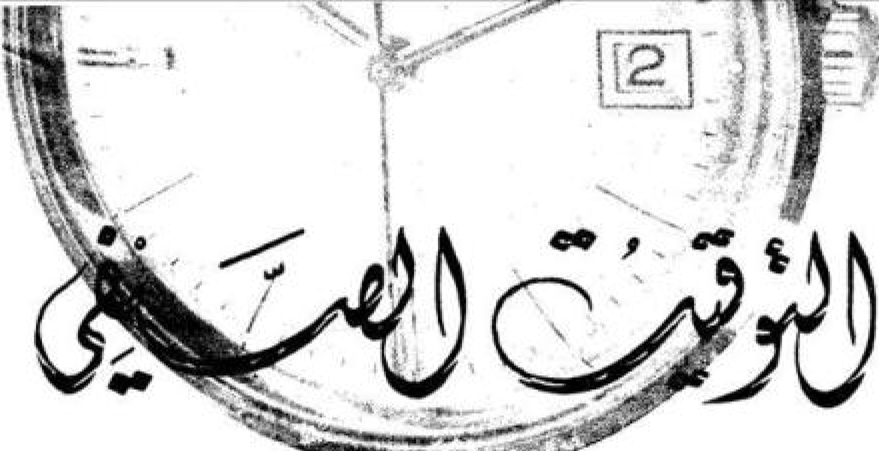
وهكذا فانت حين تقرأ فرويد تدهشك كثرة الفرضيات ، حتى لتجد فى صفحة واحدة من صفحات كتبه ما يكفى لاشغال المجربين سنة أو تزيد ، ثم اذا انتقلت الى الصفحة التالية وجدت القدر نفسه من الفرضيات والحبل على الجرار . ان فرويد يتمتع بنفس خصبة ولا شك وخيال وقاد ولكنه كثيرا ما بالغ واخطا ، شانه فى ذلك شان كل متنبىء . ■■

فاخر عاقل

---

(١) الأنا : هى الذات أو الشخصية . (٢) الهِىّ : هى مستودع الدوافع الغريزية .

(٣) التصعيد هو طريقة فى الارتفاع بالدوافع الجنسية وتنقيتها من الشوائب عن طريق الفن والأدب والرياضة وسواها .



التوقيت الصيفي

حرك فكرته في الناس بائع كتب .
ونتجت عنه مفارقات طريفة . .

بقلم : مصطفى احمد الشهابى

مدير مركز التاريخ القومى بوزارة الارشاد القومى – ج.ع.م.

■ ليس التوقيت الصيفى بدعة جديدة وانما هو نظام بدأ التفكير فى تطبيقه منذ أكثر من قرن ونصف .

وقد كان بنجامين فرنكلين الأمريكي Benjamin Franklin (١٧٠٦ – ١٧٩٠) ، اول من نصح بتقديم الساعة ، مدة ساعة ، ليكسب الناس ساعة من ساعات الصباح ، ويوفروا فى الوقت نفسه الوقود لمدة ساعة تأتي فى آخر اليوم .

كتاب يزيد ثمنه بالمساومة

ومما يروى ان بنجامين فرنكلين هذا ، كان اول امره صاحب جريدة ومطبعة ومكتبة . ففى احد الايام جاء رجل الى مكتبته وقضى ساعة من الزمن يتأمل الكتب المختلفة حتى أعجبه احدها فأخذه بيده وسأل المستخدم قائلا :

كم ثمن هذا الكتاب ؟

المستخدم : دولار واحد .

الرجل : ألا يمكن ان يباع باقل من دولار ؟

المستخدم : كلا ، ان هذا هو الثمن المحدد لبيعه .

الرجل : ان كان مستر فرنكلين هنا فانني اريد أن أراه .

فذهب المستخدم واستدعاه فلما أتى سأله قائلا :

الرجل : كم ثمن هذا الكتاب ؟

فرنكلين : دولار وربع يا سيدى .

الرجل : ولكن المستخدم قال دولارا واحدا ؟

فرنكلين : نعم ولكن وقتي ثمين فقد تركت عملي تلبية لطلبك .

الرجل : ارجوك أن لا تمزح واخبرني بالثمن الحقيقى .

فرنكلين : دولار ونصف يا سيدى .

الرجل : ولكنك قلت دولارا وربعا .

فرنكلين : نعم : الا انك اضعت جزءا من وقتى ووقتى من ذهب واذا بقيت تساومنى ، فسيرتفع الثمن أكثر !

هنا رأى الرجل أن فرنكلين كان تاجرا محافظا على وقته وكلامه ، وخشى أن يرتفع ثمن الكتاب فوق ذلك ، فدفع دولارا ونصفا وأخذ الكتاب وانصرف .

فرنكلين يعين سفيرا فى فرنسا ، فيدعو الى توفير الشموع بها

لذلك لم يكن غريبا أن رجلا يعرف قيمة الوقت بهذه الدرجة فى مستهل حياته أن يعجب ويُشدَه بعد عدة سنوات ، لما تقلد منصب سفير للولايات المتحدة فى فرنسا ، من عدم اهتمام الفرنسيين بالمحافظة على الوقت،وذلك عندما رأى الفرنسيين ينامون صباحا والشمس طالعة . وزاد عجبه عندما وجدهم يسهرون ليلا على أضواء الشموع.

وعكف بنجامين على عملية حسابية معقدة خلص منها الى ان سكان باريس يحرقون خلال ١٢٨١ ساعة فى ١٨٣ ليلة من ليالى الصيف ما قيمته ٢٠ مليون دولار من الشموع .

ثم كتب مقالا فى عام ١٧٨٤ يقول فيه : « لا أكاد أصدق أن قوما يتحملون ما يتحملون من نفقات وضرائب ، ويقتصدون لدفعها من معيشتهم ــ وهم أذكياء ــ ثم يغيب عنهم ان هذه الشموع كثيرة الدخان ، كثيرة النفقات ، مضرة بالصحة ، وانهم يستطيعون أن يستبدلوا بها نورا لا يدفعون له ثمنا هو نور الشمس ، ولن يكلفهم هذا الا الاستيقاظ ساعة واحدة مبكرين » .

صيحة ذهبت فى واد

كانت هذه هى الصيحة الأولى . ولكن أحدا لم يلتفت اليها ودارت الأيام نحو قرن وربع قرن .

وليم ويليت يحيى الدعوة من جديد ، عام ١٩٠٧

وفى ذلك العام كان يعيش فى انجلترا رجل يدعى وليم ويليت W.Willett . وكان اعتاد ركوب الخيل فى الصباح الباكر . وكان يخرج والشمس ساطعة والهواء منعش ، فلا يجد فى طريقه أحدا ، اذ الناس ساعتئذ نيام لا يصحون الا بعد ساعة أو ساعتين ، ثم يعوضون انفسهم عن تلك الساعات الجميلة بساعات من ساعات الليل المظلمة ينيرها غاز الاستصباح .

وكلما عاد وليم ويليت من رياضته اليومية تساءل : لماذا لا يجد أحدا مستيقظا فى الصباح الباكر مع أن الشمس تطلع مبكرة فى الصيف ، والانتاج يمكن أن يزيد اذا استيقظ الناس مبكرين ساعة واحدة فى الصباح ؟

وبدأ جملته فنشر كتيبا عنوانه : « التبذير فى ضوء النهار » ، اقترح فيه تقديم الساعة صيفا حتى يستفيد القوم بأكبر قدر من ضوء الشمس وليوفروا جانبا من البترول والفحم اللذين تستولد منهما القوة الكهربائية والغازية للاضاءة .

وتساءل فى كتابه : اذا كان الناس يقدمون ساعاتهم أو يؤخرونها وهم يجوسون خلال البحار، شرقا وغربا ، يوما بعد يوم ، فلماذا لا يقومون بمثل هذا العمل وهم حيث هم على ظهر الأرض مرتين كل عام ؟

ولقى هذا الكتيب نقدا مرا . ولكن صاحبه لم ييأس بل ازداد حماسا فكتب لأعضاء البرلمان ولأصحاب المصانع ولكل من آنس فيهم تقديرا لفكرته ، حتى أصبح موضوع تقديم الساعة حديث الناس ، وانقسموا ما بين محبذ أو منتقد أو ساخر .

بعض أصحاب المصانع استجاب للدعوة ، وشاطرهم الملك

وشيئا فشيئا أعجب بالفكرة بعض أصحاب المصانع الكبرى فاقتبسوها وعملوا بها وقدموا ساعاتها ساعة واحدة . وشاطرهم الملك ادوارد السابع هذا الاعجاب ، فقدم ساعات قصره .

معارضة

ولكن الأغلبية أبت الا المحافظة على التقاليد ولجأت الى المعارضة .

عارض الزراع لأن بائــع اللبن سيضطر الى الاستيقاظ مبكرا ساعة ليقدم اللبن لزبائنه قبل خروجهم لعملهم ، كمـــا اعترضوا بأن القمح أو الدريس سيكون غير جاف تماما عندما يستيقظون لجمعه ، وسيضطرون للانتظار دون عمــل حتى تجففه الشمس .

كذلك عارض أصحاب دور التمثيل ، وقد ظنوا ان الناس لا يمكن ان يدخلوا مسرحا والشمس طالعة .

وانضم الى هؤلاء وهؤلاء أصحاب شركات غاز الاستصباح خوفا مما سيصيبهم من خسارة .

ورجال الدين انبروا يتهمونه بالكفر لأن جوهر فكرته تغيير للأوضاع الطبيعية التى سنها الله .

فى البرلمان الانجليزى

واستطاع « ويليت » أن يقنع بفكرته أحــد أعضـــاء البرلمان وهو « السير روبرت بيرس » ، فشرح له وجهة نظره ، وبيّن له مزايا المشروع . واقتنع « بيرس » . وقـــدم مشروع قانون الى البرلمان فى عام ١٩٠٨ . وتناول البرلمان الموضوع بالبحث . واختلفت الآراء اختلافا لا مثيل له . وكان أشد المعارضين له لورد بلفور صاحب الوعد المشئوم .

ولم يصل البرلمان الى رأى حاسم ، وظل الأمر معلقا ، ولهذا رفضت الحكومة القانون لأن الجمهور كان فى بلبلة من أمره ..

فى البرلمان الانجليزى للمرة الثانية

وفى ســنة ١٩٠٩ عاد البرلمان الى مناقشة المشروع ، وكون لجنة للاستماع الى رأى الشعب. وعادت مع المناقشة اغلب الحجج القديمة . وزاد بعضهم عليها ان تقديم الساعة فى انجلترا ، دون باقى دول القارة الاوروبية ، سينجم عنه تأخير ورود البريد واضطراب العلاقات مع دول أوروبا. وتساءل البعض عما سيفعلون بالمزاول التى توجد بالحدائق العامة وهى أدوات جامدة لا تتقــدم ولا تتأخر ؟

ورغم هذه المعارضة عرض مشروع القانون على مجلس العموم . وهناك لقى معارضة عنيفة تزعمها السـير فردريك بانبرى ، واللورد هيوسيسل Cecil ... ولقى القانون نفس المعارضـــة فى مجلس اللوردات ، حتى أن اللورد بلفور قال عنه انه اسخف واتفه وأهزأ قانون سمعنا عنه .. وان احتملناه وقت الحرب فلن نحتمله طيلة الحياة .

اعتراض مضحك

واعترض اللورد هيوسيسل على هذا النظـام اعتراضا أثار ضحك الكثيرين .

قال لأعضاء مجلس اللوردات : ان النظام فى انجلترا يقضى بأن أول ابن هو الذى يرث أملاك أبيه وألقابه . فلو ان سيدة تعسة الحظ وضعت فى الليلة التى تقدم فيها الساعة توأمين ذكرين ، الأول ولدته فى الساعة الواحدة الا عشر دقائق ، ثم لما حانت الساعة الواحدة أعيدت بمقتضى هذا النظام الى الثانية عشرة ، وفى هذه اللحظة ولدت السيدة الولد الثانى . فيصبح الأمر وكان الثانى ولد قبل الأول بخمسين دقيقة .

فأيهما يرث ، وأيهما لا يرث ؟!

وفشل القانون فى البرلمان .

وتقوم الحرب العالميــة الأولى ، وتستجاب الدعوة الى تقديم الساعة

وقامت الحرب العالمية الأولى عـــام ١٩١٤ . ومات « ويليم ويليت » عام ١٩١٥ . وبعد نحو عام علمت انجلترا فى أول مايو ١٩١٦ أن ألمانيا نفذت فكرة التوقيت الصيفى رغبة فى الاقتصـاد ولتوفير الوقود للحـــرب . فأسرعت الحكومـــة الانجليزية بتأليف لجنة من الاخصائيين للنظـر فى مشكلة التوفير فى الوقود . ونصحت اللجنـــة بتطبيق ذلك النظام فى ١٧ مايو سنة ١٩١٦ علـى ان تقدم الساعة ستين دقيقة من ٢١ مايو سـنة ١٩١٦ .

وقد تبعت انجلترا بعض الدول الاوروبية مثل فرنسا وروسيا .

وقد أصبح ذلك النظام دائمـا ، تنفيذا لقرار صدر فى انجلترا سنة ١٩٢٥ .

تكـريم ويليت ، صاحب الدعوة

وفى العام التالى لبدء تقديم الساعة فى انجلترا، حاء يوم ذكرى وفاة « ويليت » . فكرم خطبــاء

البرلمان ذكراه . وقام (ونستون تشرشل) يطلب من مجلس العموم الموافقة على اعتمـــاد لاقامة تمثال له .. ولكن التمثال استبدل بلوحة تذكارية فى الغابة التى كان « ويليت » يمرح فيها بحصانه والتى أطلق عليها اسم وليم ويليت .

التوقيت الصيفى فى بريطانيا

وتبدأ عملية التقديممنذ الساعة الثانية بتوقيت جرينتش صباح اليوم التالى للسبت الثالث من شهر ابريل . فاذا وافق ذلك اليوم عيد الفصح فان التقديم يبدأ فى اليوم التالى للسبت الثانى من ابريل وينتهى التقديم عقب الساعة الثانيـة من صباح اليوم التالى للسبت الأول من اكتوبر .

وفى الولايات المتحدة

وفى الولايات المتحدة الأمريكية يسمى التوقيت الصيفى Daylight Saving Time اي وقت توفير ضوء النهار .

وقد أثيرت حملة دعائية بشأنه فى عام ١٩١٦ ، وحدث انقسام حسمه قرار الكونجرس بالبـدء بالعمل به من ٣١ مارس سنة ١٩١٨ فتقدم الساعة من آخر أحد فى مارس وترجع الى النظام القديم فى آخر أحد فى اكتوبر ...

وقد حدثت فى الولايات المتحدة معارضة كالتى حدثت فى انجلترا . من ذلك ان الزراع قـــالوا ان الأبقار لا يمكنها أن تعترف بهـذا التوقيت ، وانهم هم ، أي القرويين ، انمـا يتعاملون مـع الأبقار .

كما ثار رجـــال الدين وقالوا أن هذا يخالف مشيئة الله وما صنعه من أنظمة للكون .

وتسبب عن ذلك الغاء هذا القانون عام ١٩١٩ ..وترك للولايات حرية تطبيقه او الغائه، فتمسكت به بعض الولايات وأهملته ولايات أخرى .

وفى أوروبا

وشعرت باقى حكومات أوربا بحاجتهـــا الى « توفير » الوقود فعملت على تقديم الوقت ساعة قبل حلول الصيف ثم اعادة الوقت الى ما كان عليه عند حلول الخريف دون تغيير فى مواعيـــد العمل الرسمية .

الفائدة التى تحققت

وكانت النتيجة توفير الوقود الخاص بالاضاءة بنسبة تقدر بنحو ٢٠ فى المائة أو أكثر ، دون أن تتكبد الحكومات شيئا يذكر ، فضلا عن الفـائدة التى جناها أفراد الشعب اذ يأوى كل منهم الى فراشه قبل الموعد المعتـــاد بساعة ، ويستيقظ مبكرا ، فتقــل حاجياته الى المشروبات والوقود التى يستعين بها على السهر ..

وعقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ظل هـذا النظام معمولا به ، بعــد أن كان المفروض انه « ضرورة حربية » واستمر النظام فى أغلبها ، وهو يطبق بنجاح تام .

وفى الحرب العالمية الثانية

وفى خريف عام ١٩٤٠ قررت بريطانيا وفرنسا والمانيا وبعض دول أخرى استمرار توقيت توفير ضوء النهار طوال العام على الرغم من أن التوفير ضئيل فى فصل الشتاء ومع هـــذا فقد توفرت الكهرباء فى الشتاء . وفى الربيـــع الثانى قدمت بريطانيا والجزء غير المحتل من فرنسا الساعات ساعة ثانية خلال أشهر الصيف . وظل الحـــال كذلك طوال أعوام الحرب .

مصر تأخذ بفكرة التوقيت الصيفى

ولعل الجمهورية العربية المتحدة هى الوحيدة بين الدول العربية التى أخذت بفكرة التـوقيـت الصيفى .

فقبيل الحرب العالمية الثانية تقدم القنصـل المصرى فى ميلانو الى الحكومة المصرية باقتـــراح تطبيق نظام الساعة الصيفية فى مصر قائلا ان هذا النظام « أصلح لمصر من سواها اذ ان الشـمس تشرق فيها حوالي الساعة الخامسة بينما لا يبدأ العمل الرسمى فى الوزارات والمصـــالح ومحلات التجارة والأعمال قبل الساعة الثامنة حيث تشتد الحرارة فضلا عن ضياع ثلاث ساعات من النهار بدون فائدة ... »

ولم يجد هذا الاقتراح قبولا من المسئولين فلما بدأت الحرب العالمية الثانية ، تقدم أحد النواب فى أوائل سنة ١٩٤٠ باقتراح تقديم عقارب الساعة فى فترة الصيف ووافقت الحكومة المصرية علـى هـــذا الاقتراح ، وحبذته السلطات البريطانية ، وصدر أمر عسكرى بتقديم الساعة .

ويقدر الوفر الذى نجم عن التوقيت الصيفى بنحو ٢٤ فى المائة تقريبا ، يضاف اليها الوفر عند الذين لا يستخدمون الكهرباء فى الاضاءة . ولا تقل جملة الوفر عن مليون جنيه فى العام من نفقات الوقود فقط ، فاذا أضيف اليها نفقات السهر كان مقدار الوفر اكثر بلا ريب .

غير ان تلك التجربة انتهت بانتهاء الحرب وكان الأحرى باولى الأمر ان يستمروا فيها ...

وعاد هذا النظام مرة اخرى ليطبق فى مصر فى ٤ مايو عام ١٩٥٧ حينما قدم وزير الشئون الاجتماعية مشروع قانون بتعديل الساعة القانونية للجمهورية فى فصل الصيف .

كيف تغير الساعات العامة فى الجمهورية العربية المتحدة

فى الساعة الحادية عشرة من ليلة اول مايو يمسك اغلب أصحاب الساعات ساعاتهم ويديرون عقاربها الى الامام ساعة لتصبح الثانية عشرة .

اما ساعة جامعة القاهرة التي يضبط عليها اغلب ابناء الشرق العربى ساعاتهم ، فيتولى أحد مهندسى الساعات بمصلحة الطبيعيات اجراء التغيير المطلوب لتدق ، فى تلك الليلة الساعة الواحدة بدلا من أن تعلن منتصف الليل .

اما ساعات الجمارك والمطارات وغيرها فهذه توجد بين كل مجموعة منها ساعة تسمى « الساعة الأم » ، وهى تدار بالكهرباء ، وهى متصلة بالساعات المرتبطة بها ببطارية كهربائية . فعندما يكون هناك تغيير فى الوقت يقوم أحد المهندسين باجراء التغيير فى الساعة الأم فتتغير كل الساعات المتصلة بها أتوماتيكيا .

ويرى بعض الاخصائيين فى الجمهورية العربية المتحدة ان تقديم الوقت ساعتين أفيد لنا من الناحية الاقتصادية لا سيما وأن شروق الشمس يساعد على تنفيذ ذلك الرأى كما ان اشتداد الحرارة فى منتصف النهار يقلل من الانتاج .

مفارقات عجيبة

ولا يخلو تقديم وتأخير الساعة من مفارقات عجيبة فقد حدث فى سنة ١٩٥٩ عندما أخرت الساعة مساء ٣٠ سبتمبر ، وهو آخر موعد للتوقيت الصيفى فى الجمهورية العربية المتحدة ، ان أحد الأطباء بمستشفى القصر العيني كتب فى دفتر العمليات يقول :

« بدأت العملية فى الساعة ١١و١٥ دقيقة مساء يوم ٣٠ سبتمبر ، وانتهيت منها فى الساعة ١١و٥ دقائق مساء اليوم نفسه » . ولم يستطع الدكتور ان يبلع الجملة التى كتبها فقال لنفسه وهو يضحك « مش معقول هذا الكلام » . واضطر ان يضيف فى الدفتر انه دخل حجرة العمليات حسب التوقيت الصيفى ، وخرج منها حسب التوقيت العادى ..

وفى مستشفى العجوزة بالقاهرة وضعت احدى السيدات مولودة قيدت الساعة الثانية عشرة والربع ثم وضعت مولودة اخرى سجلت على أساس انها ولدت فى الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق وهكذا أصبحت الثانية أكبر من الاولى سنا ..!

« ... ومما يفرق الغربيين عن الشرقيين ان الغربيين يهتمون بالزمن أعظم الاهتمام فبينما يحسب الاجر فى الغرب على أساس ساعة العمل يحسب فى الشرق الأوسط على أساس نوع العمل. فالحداد المعلم الذى يصنع صوانى الشاى ، يرجع الى عمله متى شاء ويتركه متى شاء . وليس لديه ساعات منتظمة يعمل فيها ، ولا لوحة على باب محله تعلن انه « ذهب للغداء وسيعود بعد خمس عشرة دقيقة » . وعندما ينتهي من صنع صينية ممتازة يبيعها ويبدأ فى صنع غيرها . وليس عليه رئيس ولا عنده ساعة للوقت . فليس فى طبيعة عمله ما يتطلب ملاءمة وثيقة بين جهوده وجهود غيره من الخبراء ، كما هو الحال فى المصانع الغربية .

ويجلس التاجر فى مخزنه فيقرأ كتابا او يتحدث مع جاره فى المخزن الملاصق . ويأتى احد الزبائن سائلا عن ثمن زوج من الاحذية . وتجرى مساومة بين التاجر والزبون قد تستمر نصف ساعة ، وقد يشترك فيها المارة والأصدقاء . ويتظاهر الزبون بالانصراف ويتظاهر التاجر باعادة بضاعته مكانها. واخيرا يشترى الزبون زوج الأحذية عادة بسعر معقول . ويتساءل الاجنبى ، لماذا يفعلون كل ذلك؟ لماذا لا يعلقون ورقة على البضاعة تعلن سعرها المحدود ؟ لأن التاجر يحب المساومة مع زبائنه ومع المساومة ضياع الوقت ... » ■■

مصطفى أحمد الشهابى



دردشة



هتشكوك في مأدبة

● المعروف عن المخرج السينمائي « ألفريد هتشكوك » شدة ولعه بالطعام. ومرة دعي الى مأدبة كانت كمية الطعام التي قدمت فيها قليلة لا تشبع ، فلما قدمت القهوة بعد العشاء، التفت المضيف الى هتشكوك قائلا :

ارجو أن تشرفني بتناول العشاء مرة اخرى .

فأجاب هتشكوك : بكل سرور .. فلنفعل ذلك الآن !

★★★

الانسان لا يذوب في الماء

● كان الاستاذ هوجوشيف ، مدرس الكيمياء في جامعة فلورنسة ، يكره المظلات كرها شديدا . ومرة رآه أحد تلامذته سائرا تحت المطر المنهمر ، فتقدم منه وعرض عليه مظلته ، فرفض الاستاذ قائلا : اشكرك شكرا جزيلا ، واعلم يا صاحبي ان الانسان لا يذوب في الماء ، فتعلم يا فتى هذا المركب الكيماوي الجديد !

لهذا أكرهه

● جلس احدهم بجانب سيدة رشيقة في بعض المآدب ، ولما اراد أن يحادثها ، لم يجد الا أن يأخذ بالذم والوقيعة في رجل لا يعرفه ، كان يجلس على مسافة منهما ، فردت عليه السيدة بقولها :

ـ ويحك انك تعني زوجي ؟؟

فأجابها متخلصا : نعم ، ولهذا اكرهه!

★★★



لباقة ...

● دُعي « فيكتور هيجو » ـ احد اقطاب الأدب الفرنسي ـ مرة لتناول العشاء لدى أسرة تعرّف اليها من عهد قريب . وقد راق له الطعام ، فاقبل عليه بشهية لم تتمالك ربة البيت أن هنأته عليها .

وقاوم فيكتور هيجو الحرج والخجل، ليقول في لباقة :

ـ لو أنني كنت قد تعرفت اليك من قبل يا سيدتي ، لتفتحت شهيتي اكثر من ذلك !

هذا هو سبب خروجي

● دعي الروائي الفرنسي تريستان برنار Bernard لمشاهدة العرض الاول لمسرحية كاتب من اصدقائه ، وبعد مشاهدة فصلين من الرواية ، اغتنم فرصة الاستراحة وتسلل الى الخارج ، ولما نبهه الموظف الواقف بالباب الى انه بقي الفصل الاخير اجابه :

ـ انا خارج لهذا السبب يا صديقي !

ابن أديسون لا يتجر باسم ابيه



● فى المعركة التى دارت سنة ١٩٤٠ لانتخاب حاكم لولاية نيوجرسي بالولايات المتحدة ، كان احد المرشحين تشارلز اديسون ، ابن توماس اديسون المخترع الشهير ، فقدم نفسه للجمهور فى احدى الحفلات بالكلمات التالية :

ـ لا مفر للناس من أن يقرنوا اسمي باسم والدى ، ولكنني لا ارغب ان يظن أحد اني اتجر باسم أديسون ، بل افضل ان اوصف بأنى نتيجة احدى التجارب الاولى ، التى جربها والدى .

المسألة الشرقية عند اذني صاحبة الجلالة

● بعث السلطان عبد العزيز العثماني بقرطين هدية للملكة فكتوريا صحبة فؤاد باشا ، ولما سلمها القرطين سألت الباشا عن سبب اختيار السلطان لهذه الهدية .

فأجابها : لتكون المسألة الشرقية عند اذنيك يا صاحبة الجلالة !

غلام يسأل موتزارت

● ذهب غلام الى الموسيقى « موتزارت » وساله :

ـ كيف ينبغي لي أن أفعل لكي أؤلف سمفونية ؟

فقال موتزارت :

ـ انك فتى طرى الاهاب ، فلم لا تبدأ بتأليف ألحان بسيطة ؟

فقال الفتى :

ـ ولكنك ألفت سمفونية حين كنت فى العاشرة .

فقال موتزارت :

ـ نعم ، ولكنني لم أسأل كيف أؤلفها .

النوم نوع من الرأى

● عهد الى الناقد « فرنسيس سارسى » بسماع احدى الروايات التمثيلية وابداء رايه فيها .

وحدث أن نام اثناء القراءة ، وعندما افاق قال له أحد زملائه :

ـ كيف يمكن أن تحكم على الرواية بعد أن نمت عند سماعها ؟

فأجاب سارسي :

ـ يا عزيزى ان النوم هو نوع من الرأى ، فاذا كان الكلام من فضة ، والسكوت من ذهب ، فان النوم من الماس !

السيف هو الذى يتقلده

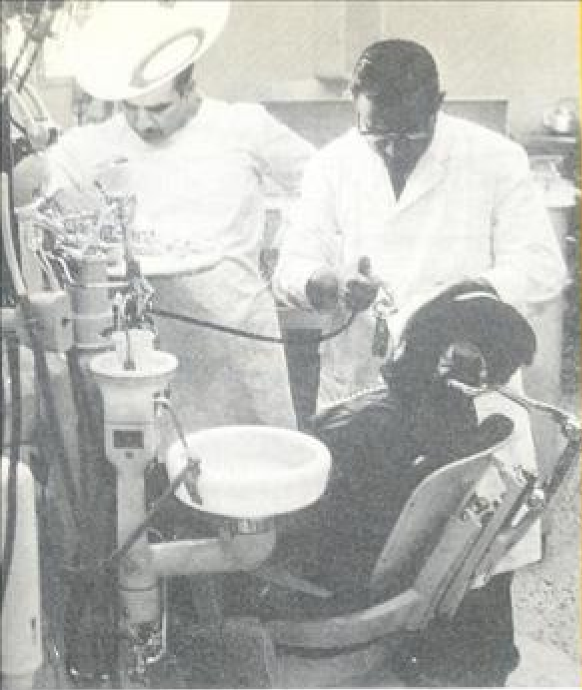
● زوج الخطيب الروماني « شيشرون » ابنته من شاب قصير القامة جدا ، ولكنه من اشراف روما .

ومرة أطل شيشرون من مجلس « الفوروم » فرأى من بعيد ابنته ومعها زوجها مرتديا بزته العسكرية ، ومتقلدا سيفه ، فسأل أحد الواقفين بجانبه :

ـ أليس ذاك الرجل صهرى ؟

فأجابه : نعم وهو يتقلد سيفه .

فقال شيشرون : لا بل السيف هو الذى يتقلد صهرى !



الأسنان والفم

تطور علاجها في دولة الكويت

ماكينة جديدة لحفر الأسنان المتسوسة

بقلم : الدكتور سعيد افيونى

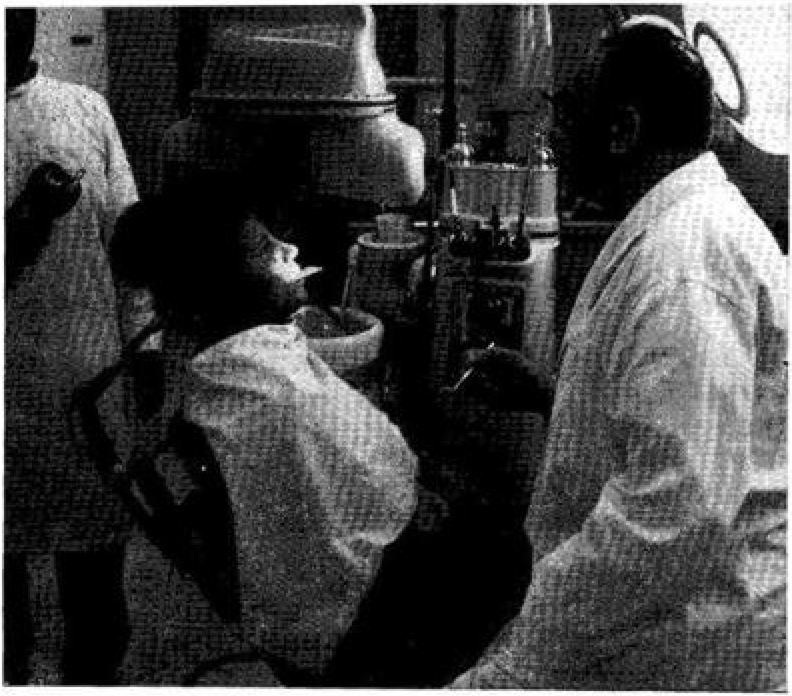
في الكويت معركة ضد المرض بدا تاريخها قبل عشرين عاما او يزيد ، حين وفد فريق من الأطباء العرب والاجانب ، لا يتجاوز عددهم اصابع اليد الواحدة ، يقاومون المرض الذى كان يصيب الاجساد الكادحة في البحر وامواجه العاتية واسفاره الشاقة ، وفي البر وصحرائه الحارقة وظمئه المرير . .

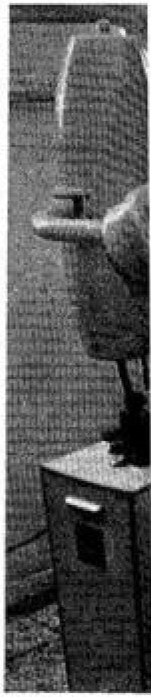
ودارت الأيام ، وكانت مع كل دورة تتطلع عيون الحكام المسؤولين لما هو احسن ، وما هو اقوى ، لمكافحة المرض ، حتى وصلوا الى ما عليه الكويت الآن من تنظيم علمى للمعركة ، ومن افتتاح لمؤسسات طبية ومستشفيات حديثة ، على الجبهتين الوقائية والعلاجية ، جند لها حوالي ثلاثمائة طبيب يعينهم اضعافهم من صيادلة وممرضين وموظفين فنيين .

ونحن اطباء الأسنان ، البضع والثلاثين ، نقف على اقدامنا ايضا في المعركة لنصون الفم ، المدخل الثمين لجسم الانسان .

حلية وعطاء من الله

ان الفم من اجمل واهم الاعضاء التى اسبغها الله علينا فقد رأت حكمته ان يكون في أعز بقعة من جسم الانسان ، ذلك الوجه . والفم ، بلؤلؤ اسنانه وبريق عاجها ، ولون القرمز الذى





دون ألم أو إزعاج .

بالشفتين، حلية أرادها الله لحلاوة تلك الابتسامة العذبة التى تنفرج عنها الشفتان لتنطلق من بينهما الكلمة الحلوة تدغدغ قلب المستمع .

لمحة تاريخية

لا بد لى من ذكر لمحة تاريخية بسيطة عن المراحل التى مر بها طب الاسنان حتى وصل للتقدم الذى وصله اليوم .

ان الانسان منذ خلقه الله يشكو من الآلام التى تصيب جسده ، ومن بينها آلام الاسنان . وقد كان يحاول معالجة آلامه بوسائله الخاصة الغريبة، فكان يشعل النار ، ويحرق الحشائش والبخور ، ثم يأتى بالمريض ويضعه بالقرب من دخانها . وتتعالى صرخات التعاويذ العالية حتى يصبح المريض وقد كاد أن يتخدر ، فيأخذ الساحر حجرا ساخنا كالجمر من جوف النار فيلدغ به موضع الالم من الجسم ليتخلص من أعصابه المؤلمة . وهى تسكن مؤقتا لتثور من جديد .

وتظل المعركة بين الانسان والالم قائمة قرونا .

ويكتب الاطباء المصريون القدماء على أوراق البردى ، قبل آلاف السنين ، خمسة من أمراض الأسنان ، شوهد قسم منها فى فكوك الموميات ، حيث ظهرت آثار القلع والكى وتفتيت حجر لب الأسنان النخرة ظاهرة واضحة .

كذلك ظهرت محاولات للاستعاضة عن الاسنان المقلوعة بأسنان ذهبية ومعدنية وبلغ الامر بهم الى تكريس الاهة تدعى «أبولونيا» لطب الأسنان!

كما وجدت فى مقابر الفينيقيين بلبنان جماجم يرجع تاريخها الى ٤٠٠ عام ق. م. تقريبا ، وبفحصها وجد أن الفك العلوى منها خلعت أسنانه ، واستعيض عنها بأسنان ذهبية مأخوذة من أسنان العجول .

وهكذا ظهرت فى الآثار الرومانية والهندية

والصينية ، فى تلك الحقبة من التاريخ ، أسنان عولجت بالقلع ، ومحاولات بسيطة بدائية تعوض بالأسنان المخلوعة اسنانا معدنية ..

وظل طب الاسنان يتقدم زحفا زحفا ، الى ان كان منتصف القرن التاسع عشر ، وفيه استعيض عن القلع بحشو الأسنان والمحافظة عليها .

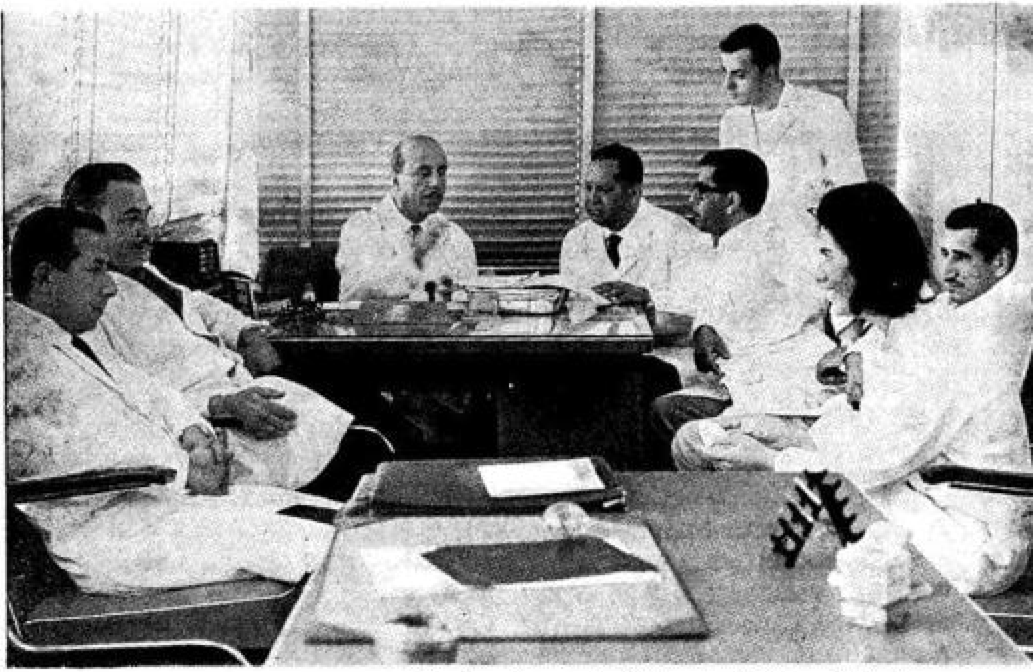
وفى الربع الاول من القرن العشرين زاد الاهتمام بحشو الأسنان ومعالجة اللثة وازالة القلح الضار باعناق الأسنان ، وتطورت وسائل العلاج .

وفى سنة ١٩٣٠ دخل طب الأسنان ضمن البرامج العلاجية والوقائية للصحة العامة .

الكويت تساير ركب التطور

وفى الكويت بدأ طب الأسنان المنظم فى سنة ١٩٥١ عندما استقدمت الحكومة أول طبيب أسنان عمل فى المستشفى الأميري ، ثم تبعه بعد سنة واحدة ثلاثة أطباء آخرون .. الا ان سير البرامج الصحية ، وارتفاع مستوى المعيشة ، وارتفاع المستوى العلمى والثقافى بين الناس ، وانتشار وسائل الارشاد والتثقيف الصحى من نشرات صحية وصحف واذاعة وتلفزة ، جعل من طب الأسنان فى الكويت فرعا هاما من فروع الطب ، فاقبل المواطنون على التردد على العيادات . وأدى هذا الى زيادة كبيرة فى عدد اطباء الأسنان ، حتى وصل الى ٣٧ طبيبا ، يعملون فى ٣٥ عيادة مزودة بأحدث الآلات ، وخاصة الاجهزة الالكترونية وجهاز حفر الأسنان ذى السرعة الفائقة ، تلك السرعة التى جعلت من عملية حفر الاسنان عملية سهلة مرضية لدى الطبيب والمريض معا ، بعد ان كانت مصدر رعب وازعاج للطرفين !

وهذا الجهاز الجديد، يعمل بالاهتزاز وضغط الهواء ، دون استعمال الكهرباء



يعمل فى الكويت ٣٧ طبيبا عربيا للاسنان منهم ٢ من ابناء الكويت .. ونرى هنا مجموعة منهم أثناء اجتماع لهم لتنسيق توزيع خدماتهم سعيا وراء اكتمال نظام تسجيل وتأميم طب الاسنان بالكويت

.. وتذبذب فيه الابرة الحافــرة فى الثانية مقدارا من الذبذبات عظيمــا وفى اثناء عملية الحفر ينثر على الحفر ماء وهذا الماء يزيل الحرارة التى تتولــد بفعــل احتكاك طرف الجهاز بضرس المريض، وهى الحرارة التى كانت تسبب الآلام للمريض .

وبفضل هذا الجهاز السريع المريح اصبح حفر السن وحشوها يتمان فى جلسة واحدة !

طبيب أسنان لكل ١٣ الف نسمة

ان نسبة اطبـاء الاسنان فى الكويت تبلغ طبيبا واحدا لكل ١٣ الف نسمة تقريبا .. وكانت هذه النسبة ـ من ١٣ سـنة فقط ـ طبيبا واحدا لكل ١٠٠ الف نسمة ..

وبمقارنة هــذه الأرقام بغيرها من الدول نجد ان بأمريكا طبيبا واحدا لكل ١٦٠٠ نسمة ، وان بانجلترا طبيبا واحدا لكل ٤٠٠٠ نسمة ، وبالهند وبورما طبيبا واحدا لكل ٧٠٠ الف نسمة ، وفى مصر طبيبا واحدا لكل ٣٠٠٠٠ نسمة .

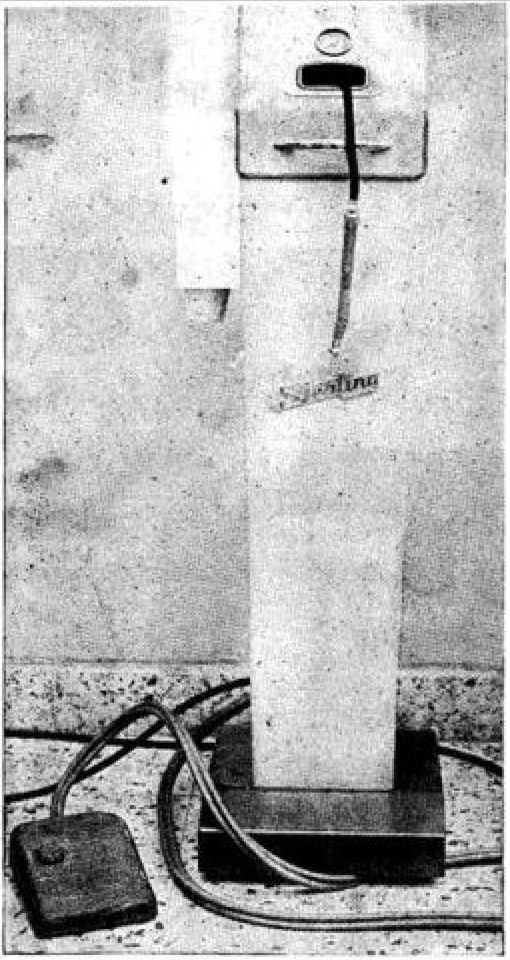
النساء اكثر من الرجال

وكان عــدد المترددين على عيادات الاسنان خلال العــام الماضى ٢٠٠ الف نسمة .

وقام مركبو الأسنان بصنع وتركيب ٩٢٢٠ طقـم اسنان للمرضى بالمجان ، وذلك فى المختبر الكبير الملحق بالمستشفى الأميري ، وهو مجهز بأحدث المعدات ..

ومن اللطيف ان نسبة المترددات من النســاء كانت ٧٠ ٪ مــن مجموع المترددين ..

ولعل طبيعة المراة واهتمامها بمظهرها يجعلانها اكثر ترددا على طبيب الأسنان من الرجــال .. ولا ننسى ان عوارض



هذه هى آلة الحفر الحديثة التى عممت على جميع المستوصفات والمناطق فى الكويت .. انها الآلة التى تقوم بعملين فى آن واحد : حفر السن، والتبريد الذى يسكن الم الحفر .

الحمل تسبب تغيرات عضوية تؤثـر على أسنان المرأة الحامل ..

أهميــة الفلور للأسنان

ومن العوامل التى تؤثر على اسنان سكان الكويت الماء الذى يشربونه .. فقد تبين أخيرا انه خــال من عنصر الفلور الضرورى جدا لصلابة الأسنان وسلامتها .. فهو ماء مقطر مــن البحر ومضاف

أطقم الاســنان توزع مجانا على المرضى بالكويت

التعويض الصناعي ، هو عملية وضع طقم أو جسر في الفم بدلاً من الأسنان المخلوعة .

وفي الكويت مختبر متخصص ، يعتبر من أحدث وأكبر المختبرات في الشرق الأوسط ، يعمل فيه ٢٧ خبيرا وميكانيكيا في صناعة الأسنان ، أرسل بعضهم في بعثات خارجية تخصصوا خلالها في صناعة المعادن وأشباهها المستعملة في صناعة أطقم الأسنان مثل Vitalium الذي تطور أخيرا الى فيريليوم Virillium

ويقوم هذا المختبر بتلبية طلبات أطباء الاسنان الخاصة بصنع الاطقم والجسور التي تسلم للمرضى المقيمين أو الوافدين الى الكويت بالمجان تقريبا ، اذ لا يتقاضى عنها سوى أجر رمزي فقط ..

ان ترك الفم خاليا من الاسنان من الاسباب الرئيسية لعسر الهضم . فعدم وجود الاسنان الطاحنة يجعل الاكل ينزل الى المعدة كتلا غير مطحونة ..

كما ان الفراغ الذي ينشأ عن خلع بعض الاسنان يسبب تقلصا والتهابات وتكلسا في أربطة السن السليمة واللثة المجاورة له . وهذا شيء طبيعي لأنه اذ عطل أي عضو سليم في الجسم عن اداء وظيفته اصيب بتغيرات وبأعراض مرضية .



دقة ومهارة تتطلبهما صناعة أطقم الأسنان

اليه نسبة من المياه الجوفية المالحــة الخالية في كثير من الأحيان من مركبات الفلور .

ان فلورة الماء ، اى اضافة ملح الفلور الى الماء ، عملية بدأت تسير عليها البلاد المتقدمة وهي آخذة في الانتشار ، لأنها عملية تصون أسنان الطلبة والأطفال .

وقــد قامت وزارة الكهرباء والماء في حكومة الكويت بالتعاون مع وزارة الصحة بدراسات من أجل اضافة ملح الفلور الى الماء .. ولكــن ما ســاور المشروع من نقاش من ناحيــة . وقرب وصول مياه شــط العــرب من العــراق من ناحية اخرى ، وهي مياه تحتوي عــلى نسبة من الفلور عادية وطبيعية ، جعــل الوزارة تعدل مؤقتا عن عملية اضــافة الفلور الى الماء المقطر .

مشاريع المستقبل ..

ان وزارة الصحة العــامة بحكومة الكويت تهدف الى مضاعفة عدد اطبــاء الأسنان الموجودين فيها حاليــا ، حتى



٢٧ اخصائيا فى صناعة اطقم الاسنان يعملون فى المختبر الحديث بالمستشفى الاميرى بالكويت .

تصبح نسبتهم الى السكان مقاربة لما هى عليه فى الدول المتقدمة .. حتى يصبح نظام التاميم الطبى للاسنان مكتملا .

بتحقيق هذا المشروع تصبح الكويت البلد الوحيد فى العالم الذى يؤمم طب الاسنان تأميما كاملا ، بمجانيته وخدماته الكاملة .

وقد قامت الوزارة بالتعاقد مع اخصائي مقيم فى جراحة الفك ومعالجة الكسور الناتجة عن الحوادث ..

واستخدمت اخصائيا آخر فى التحليل البثولوجى (علم الأمراض) وذلك للتعرف على العلامات التى تظهر فى الفم، نتيجة للاصابة بالأورام الخبيثة ..

انها كلها خطوات تتخذها الوزارة من اجل المحافظة على سلامة اسنان افراد الشعب لأن الحقيقة العلمية الثابتة تؤكد أن : الفم السليم مدخل لازم للجسم السليم .

الكويت ــ **سعيد افيونى**



هذا القرار .. لا يتفق مع عصر رائدة الفضاء ((فالنتينا))

عن جريدة « الدفاع » الاردنية :

● اتخذت الجهات المسئولة فى وزارة التربية والتعليم قرارا يقضى بانهاء خدمات كل مدرسة بمجرد الزواج !

فهل يتفق هذا القرار ، مع عصر رائدة الفضاء فالنتينا ؟

ان نفس الظروف التى تحيط بالشاب .. ونفس العوامل التى تؤثر عليه .. تحيط بالفتاة .. وتؤثر عليها .. فتقبل على التعليم بنفس الرغبة .. وتسعى الى الشهادة لنفس الاسباب .. وتنطلق كما ينطلق .. الى أرض الله الواسعة وراء الرزق .. لتؤدى واجباتها نحو ذويها ، تماما ، كما يفعل الرجل .. ان لم تكن اسخى منه فى العطاء بحكم قلبها .

وكلاهما فى اعتبار « القرار » سواء .. حتى تتزوج المسكينة ، وهنا ينظر اليها القرار نظرة رجعية . فيحرمها من نفس أسباب العيش ، وفرص الكسب ، لتفسح المجال للرجل . فيمتلىء قلبها بالحقد والمرارة والحسرة ، وهي ترى الدولة ، تميز الرجل عليها ، دون أن توجد له فضيلة تميزه عنها ،مشيرة باصبعها الى شقيقاتها فى الدول العربية ، وقد وصلن الى قمة حقوقهن، فمنهن القاضية..وعضوة البرلمان...والوزيرة..

ولا ننس أن هذه الفتاة ، تتحمل مسئولياتها نحو ذويها .. وتقوم بواجباتها .. كما يفعل الرجل .. فكيف تتخلى عن واجباتها .. نحو من تعيل وتساعد فى الاعالة ! .. سواء أكان أهلها او كان زوج المستقبل ؟

وهل الحياة مقصورة على الذكور دون الاناث ؟ لا .. واذن فلتكن أبوابها مفتوحة للجميع لانها للجميع ..

يجب تقليم

عن جريدة « المساء » القاهرية :

● .. السياسة الامريكية التى بدات تتضح معالمها بشكل واضح فى عهد الرئيس جونسون تثير التساؤل .. ما الذى تريده امريكا بالضبط ؟.. وما الذى تسعى اليه ؟

ان كل يوم يمر يكشف عن الاعتقاد بان الولايات المتحدة تعتمد على قوتها الاقتصادية والعسكرية فى العودة بالبشرية الى شريعة الغاب ، ومن ثم استغلال هذه القوة فى السيطرة على مقدرات الشعوب ومصائرها .

فما تفعله الولايات المتحدة فى فيتنام ، من استخدام كل أنواع الاسلحة العسكرية المشروعة وغير المشروعة . بل والتى تتنافى مع المبادىء الانسانية كأسلحة الغاز . والاسلحة الكيماوية.. وكذلك ما تفعله من دعم للعصابات الصهيونية

الأدب والحياة

عن مجلة « الاذاعة » السعودية :

● اذا كنا نعني بالأدب ـ معناه الحق ـ فهو انعكاسات صحيحة للحياة ، وهو كالضوء يغمر الموضوع او الفكر او اى شان من شئون الحياة التى تصطدم باحساسات الأدب حتى تستبين جميع ملامحها ثم يسجلها بحسب درجتها من الوضوح فى نفسه من نثره أو شعره ...

لذلك لا نرى اى انفكاك بين الأدب الصحيح والحياة ، ولسنا نرى رأيا أعظم ضلالا من أن يتصور متصور ان الأدب زينة تعلق على صدر الحياة آنا ، ثم تنزع منها ولا يترك بقاؤها أو نزعها أثرا فى حقيقة الواقع . كما انه لا فرق بين ان يتصور متصور ان الأدب يقوم لذاته ويبقى لذاته من غير ان يكون للحياة والواقع ، أو يتصور أن الروح تقوم بذاتها ، وتبقى لذاتها من غير جسم تعيش فيه وتتصرف بواسطته ، وتعرض من طريقه اسرارها من خير وشر وجمال وقبح وتاثير وتأثر . ان الأدب هو للحياة ، ولن يكون لغيرها .

اظافر الوحش

ضد حقوق الشعب الفلسطيني العربى ، وضد الأمة العربية باسرها ... وما تفعله فى الكونغو .. وفى قبرص ، وفى غيرهما ، من ضغط عسكرى ، وضغط اقتصادى وسياسى ، كل هذا يدفع الى الاعتقاد بأن الولايات المتحدة تحاول فرض نفسها « رجل بوليس » يحدد للشعوب سياستها ويتدخل فى شئونها من أجل السيطرة على مصائر هذه الشعوب ، والانفراد بالتحكم فيها وتسخيرها للمصالح والاحتكارات الامريكية .

كل هذا يجب أن يدفع الدول غير المنحازة والشعوب الشريفة المحبة للسلام الى اتخاذ كل ما فى وسعها من تدابير ايجابية لتقليم اظافر وأنياب هذا الوحش الكاسر وارغامه على الاقتناع بأن العالم لم يعد يستسيغ شريعة الغاب ، وأن من يؤمن بهذه الشريعة لا بد ان تحطمه الشعوب فى طريقها الى تحقيق ارادتها .

لبنان والطائفية

عن مجلة « الثقافة العربية » اللبنانية :

● ان العلة الاساسية فى لبنان ومشكلة المشاكل ، والتى يجب أن تكون هدف الحل ، هي الطائفية .

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا : هل أن سبب الطائفية فى لبنان هو تعدد انظمة الاحوال الشخصية وصفة هذه الأنظمة الدينية ؟

ان قيام الطائفية ياتى ، اما كنتيجة كبت وحرمان يلحقان بفئة من المواطنين بتاثير طغيان الفئة الاخرى ، واستئثارها بالنصيب الأكبر من خيرات وامتيازات المجتمع ، واما تحسبا من حرمان أو طغيان محتملين . فهى تولد نتيجة حاجة جماعية فى الدفاع عن النفس بين من هم فى وضع مماثل . وقديما قيل : المصيبة تجمع .

وقد بلغ استشراء الطائفية فى حياة لبنان درجة غدا معها اللبناني يعتقد انها وراء كل تصرف وكل عمل يصدر عن لبناني مسئول ، ولدرجة انها اثيرت فى معرض ملاحقة المجرمين ، وحتى فى تعطيل الصحف !

ولما كان سبب قيام الطائفة اللبنانية ، وسبب توطدها ، كما أثبت لنا ذلك تاريخها ، هما الحرمان القائم او الخوف من خطر محدق ، فانه لا سبيل لزوالها الا اذا زال كل حرمان واقع على آية فئة من فئات اللبنانيين ، وكل خوف من خطر محدق يساور آية فئة من الفئات .

ان ازالة الطائفية من نفوس اللبنانيين رهن بحب هؤلاء بعضهم بعضا ، وتبادلهم الثقة بصدق واخلاص .

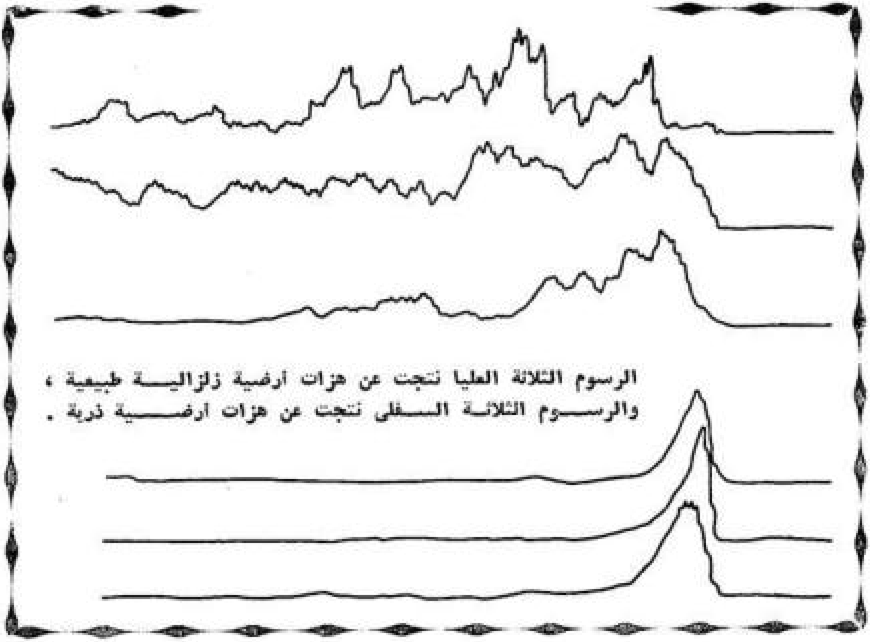
وعلى من يحب لبنان اكثر ، أن ياخذ المبادرة ، والا بقينا فى حلقة مفرغة يترقب كل منا ان تاتي الخطوة الاولى من الفريق الآخر ، فيطول انتظارنا ويفوتنا ركب التقدم .

الفرق بين هزة تثيرها رجة أرضية ، وأخرى تثيرها قنبلة ذرية

● من المعروف ان التجارب الذرية، التى اتفق الشرق والغرب على تحريمها، لم يكن تحريمها كاملا ، فقد استثنى منها التجارب التى تجريها الأمم الذرية فى باطن الأرض .

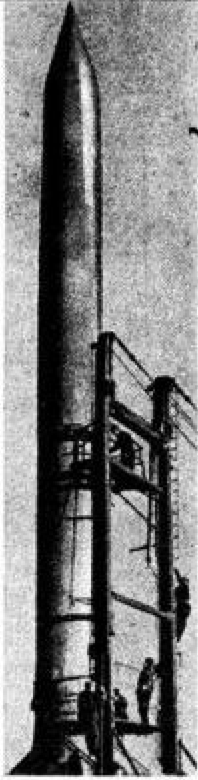
والسبب فى استثناء تجارب ما فى باطن الارض كان صعوبة الاستدلال عليها ، فالزلزلة التى يحدثها انفجار ذرى تشبه الى حد كبير الزلزلة الطبيعية التي يحدثها ارتجاج الارض بالزلازل الطبيعية .

ولهذا اتجه العلماء منذ سنوات فى بحث هاتين الزلزلتين ، من حيث الخطوط التى ترسمها الزلزلة الذرية ، والزلزلة الارضية فى محطات تسجيل هذه الزلازل .



الرسوم الثلاثة العليا نتجت عن هزات أرضية زلزالية طبيعية ، والرسوم الثلاثة السفلى نتجت عن هزات ارضية ذرية .





اول صورة للصاروخ الروسى عند انطلاقه

● ظهرت هذه الصورة لأول مرة فى صحيفة النجم الأحمر ، التى تتحدث باسم الجيش الروسى . الصاروخ الروسى ظل سرا مكتوما،شديد الكتمان ، لأن القوة الدافعة التى يعطيها عند اطلاقه قوة هائلة ، بها يتميز الروس الى اليوم على الامريكان . وهاتان صورتان ، واحدة وقد تهيأ الصاروخ فيها للانطلاق ، والاخرى للصاروخ وقدانطلق. والفاحص فى الصورتين يرى الكثير من لمسات قام بها الرسام الروسى ليخفى بعض تفاصيل الصورة التى لا يريد الروس لها ان تنشر .

وقد زاد العلماء اجهزتهم الحساسة دقة ، على الأخص فى بحر السنوات الثلاث الماضية . وزادوا حيطة فدفنوا بعض هذه الأجهزة فىسراديب من الأرض حتى تتجنب الارتجاجات الثانوية التى تحيط بمواقعها عند السطح ، وكذلك اتخذوا لهذه الأجهزة محطات هادئة . واقاموها محطات عدة ، فى خطوط متطاولة، تبعد الواحدة منها عن الأخرى نحو ٢٠٠٠ ميل .

واتضح لهم ان الخطوط المرصودة لزلازل الارض الطبيعية ، غير الخطوط المرصودة لزلازلها الذرية،كما هو واضح فى الرسم المرفق .

والسبب ؟

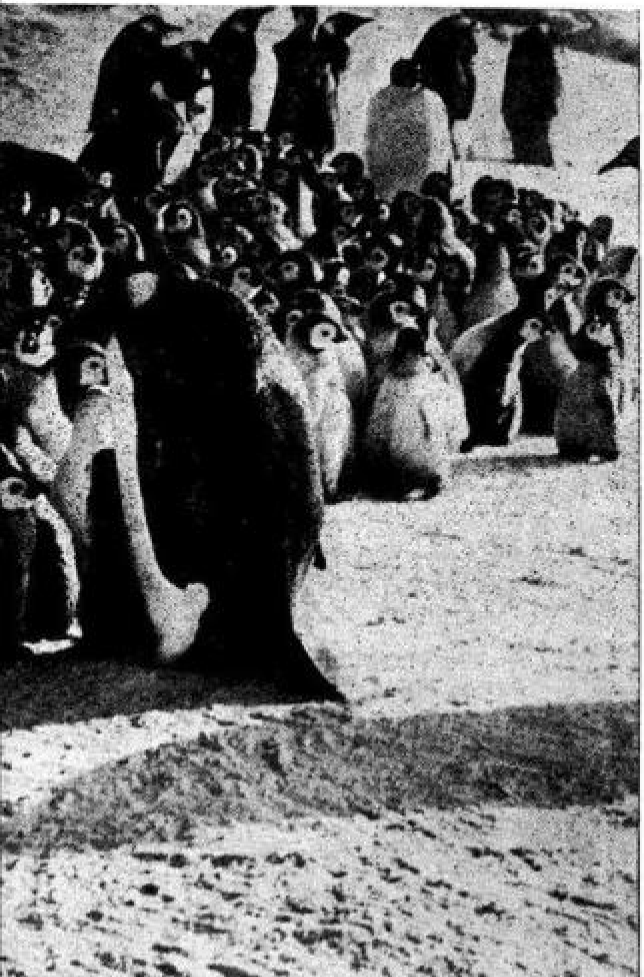
ان زلزلة الارض الطبيعية تحدث ضغوطا غير متساوية فى جهات متفرقة ، اما زلزلة الذرة فتكاد ضغوطها تكون متساوية فى شتى اتجاهاتها ، ويصح ان يطلق عليها انها زلزلة متماثلة.

أول امرأة تصبح طيارة ، فى الطيران المدنى

● انها السيدة ايفون بوب Pope عمرها ٣٤ عاما ، تعمل فى الخط التابع للخطوط البريطانية المتحدة بين بريطانيا والمانيا . وهى ارملة طيار سابق ، ولها ولدان . وهى بدأت مضيفة ، ثم مرشدة ، ثم مراقبة طيران . وقد بلغ عدد الساعات التى قضتها فى قيادة الطائرات ، من شتى الانواع ، نحو ٢٥٠٠ ساعة .

نبات يصدُّ النفس عن الطعام

● انه نبات اكتشفوه فى الهند ، فى مقاطعة جوجيقات ، اذا اكله الآكل ذهب برغبته فى الطعام ورفع عنه الم



حراســة

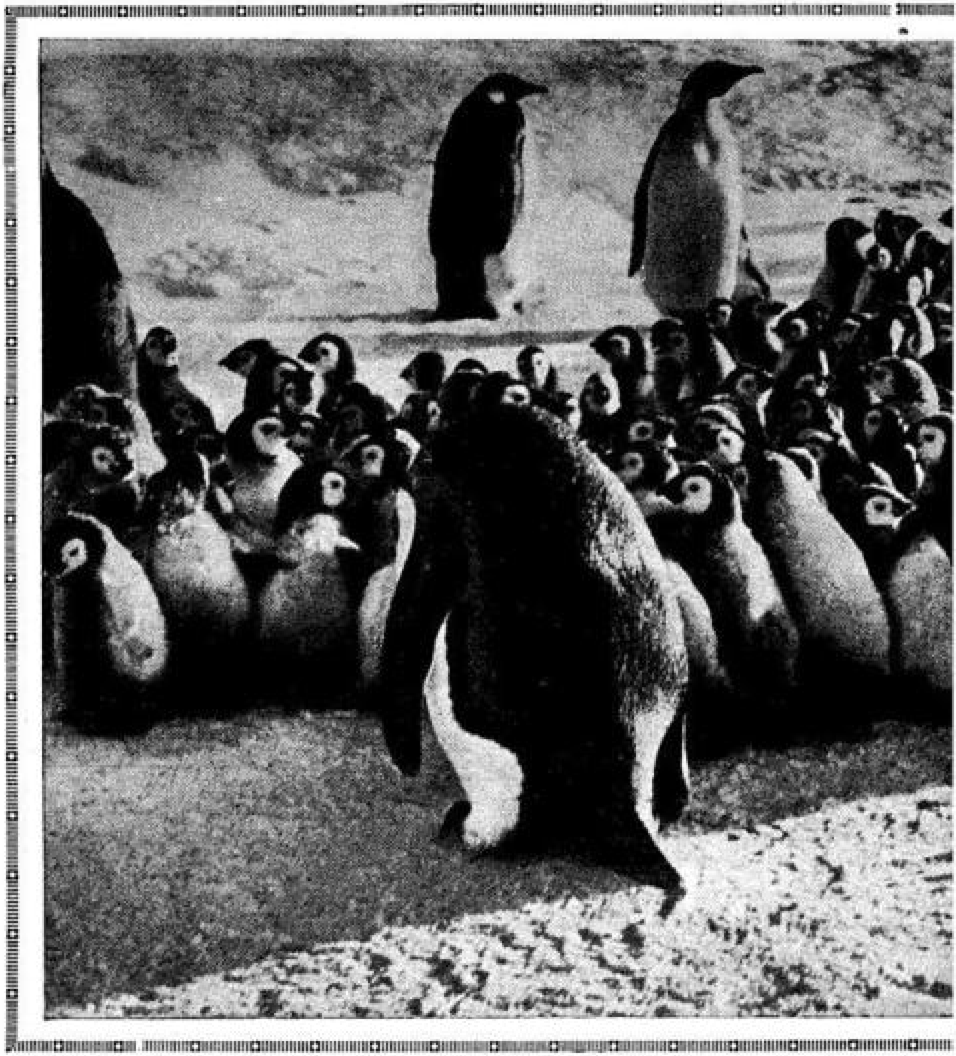
● عادة فى بعض الطيور غريبة لا تصدر الا عن مجتمع ، كالمجتمعات ، له وعى بمعنى من معانى التعاون عميق . ففى هذه الصورة صغار من الطير المعروف بالبنجوين Penguins ،وهو يسكن المحيط المتجمد الجنوبى وما حوله ، قام على حراستها بعض كبار الطير من الآباء والأمهات . اما سائر الأمهات والآباء ، فذهبوا فى البحر يصيدون طعامهم ، وطعام ابنائهم وبناتهم،ويعودون فتنفك الخفارة عن الصغار ، وتعرف كل أم أبناءها ولا تخطىء ابدا . وقلنا هم ، وهن ، لأنهم اشبه فى ذلك ببنى الناس .

الجوع ، لأكثر من اسبوع .

ويقول العلماء الساخرون : انه ينفع اهل الشرق ، كما ينفع اهل الغرب ، اما اهل الشرق فيحميهم من آلام الجوع التى تسببها الفاقة وقلة الغذاء . اما اهل الغرب فيحميهم من آلام الجوع اذا هم شاءوا لفرط الطعام علاجا ، فانقصوا مقداره لدرجة الجوع .

الكهرباء ، فى الأمم الصناعية ، صارت كالماء جزءا من حياة الناس

● وشاهد ذلك الانذار الذى صدر من هيئة الكهرباء بفرنسا ، فقد انذرت الناس ان قحطا فى الكهرباء سيقع فى السنتين القادمتين ، وقد ينشأ عن ذلك



تقسيط الكهرباء على طالبيها ، ليس فقط فى الحاجات المنزلية ، ولكن كذلك فى المطالب الصناعية ، والسبب فى ذلك ان الاستثمارات التى رصدت لزيادة الانتاج فى الكهرباء لم تجار الاستثمارات التى رصدت لزيادة الانتاج فى سائر الصناعات .

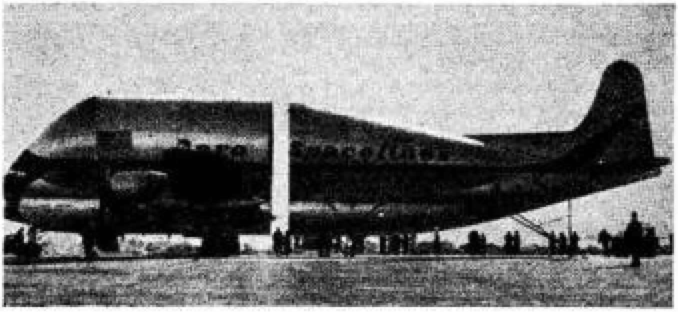
والكهرباء تعتبر المحرك الاول فى كثير من الصناعات .

والنقص المحتمل فى الكهرباء يبلغ نحو ٢٠ فى المائـة .

معان غريبة على اهل الشرق .

ولكن نقصا فى الكهرباء ، فى امم الغرب ، وهي صناعية ، يهز الجمهور هناك، كما يهز اهل الشرق نقص فى الماء .

ومن يدرى ، فلعل اليوم يأتى الذى يهز اهل الشرق فيه نقص فى الكهرباء ، فى الصناعة خاصة .



طيارة : شطرت نصفين

■ نعم شطرت .
ولم يكن ذلك عن حادث وقع ، ولا عن تخريب .
وانما هم قسموها عمدا ، ليؤهلوها من بعد ذلك لتحمل الصواريخ الامريكية ، من حيث تصنع فى مصانعها ، الى حيث يكون اطلاقها .
والطائرة التى بالصورة هى طائرة بوينج Stratocruiser Boeing وقد صورت وهى فى مدينة بلتيمور استعدادا لتحمل طابقا من طوابق الصاروخ تيتان ، الى راس كندى ، ذلك الصاروخ الذى رفع مركبة الفضاء جيمينى Gemini الى الفضاء .

مشرط للطبيب : شعلة من نار

● انها شعلة حارة من غاز محترق ، صنعتها كلية الطب بجامعة كولومبيا الشهيرة ، بنيويورك . وهى من شدة الحرارة بحيث اذا مست نسيجا من انسجة الجسم أيا كان ، تبخر على الفور ، وتخثر معه الدم عن الجرح ، واستطاع الجراح أن يجرى جراحته والموضع جاف .

والموضع الاشد حرارة من هذه الشعلة تبلغ درجة حرارته ٣٦٠٠٠ مئوية ، فهو بذلك احر من سطح الشمس ضعفين ، وهو اسطع من اسطع مكان على سطح الشمس .

ومن اجل تشكيل الشعلة بما يتفق مع رقة المشرط التى قامت هى مكانه ، فقد احيطت بما يشبه الغمد الذى يحتوى السيف ، وهو من غاز ، درجة حرارته قاربت فى برودتها الصفر المطلق .

وسموا هذا المشرط Plasma-arc

وقد كان ابتدع فى اول الامر لقطع قطع من المعادن سميكة . ■■

الجراحة تجعل من الطوال قصارا

● انها امراة . وان اسمها آن رستون . وعمرها ١٩ سنة ، وطالت ثم طالت حتى زاد طولها على المترين . ومشت بين الناس وكانها من غير الناس ، شيئا يطل عليهم من عل .

والتجأت الى الجراحين فاسعفوها .

وبعد جراحات ثلاث نقص طولها ١٥ سنتيمترا . نقصوها من عظام رجليها .

وهي تنتظر الآن مثل هذا النقص من عظام ذراعيها



المعجزة

للكاتب القصصى الألمانى

« برونوفرانك »

أخذ يراقبها وهى تبرح رصيف المحطة .. كانت خطواتها نشيطة ، لا تزال فيها فتوة ومرونة ، ولكنها لم تعد رشيقة .. كان طابع الحياة المنزلية يطغى على زوجته . والتفتت اليه مرة أخرى ، ولوحت مبتسمة ، قبل ان تغيب وسط الزحام ..

وجلس . وقبل ان يتحرك به القطار ، كان قد نشر اوراقه على المنضدة امامه .. وكان وحيدا فى المركبة . وكلما رفع بصره عن عمله ـ من وقت لآخر ـ كانت عيناه تقعان على منظر طبيعى ممل ، من مناظر بروسيا ، تحت الضوء القاتم المعهود فى أصائل أيام شهر نوفمبر .. واذ هدأ القطار من سرعته عند احدى مناطق عبور الناس للسكة الحديدية ـ لمح سيارة طريفة الشكل ، فتذكر سيارته .. الحق ان الوقت قد حان ليبيعها ويشترى أخرى أحدث منها طرازا .. وقال لنفسه انه كان من الجدير به أن يتفقد متاجر السيارات قبل ذلك ، وأن يجرب بعض الاطرزة الحديثة . ولكنه تذكر أن زوجته ذات التفكير العملى ـ والعملى اكثر مما ينبغى ـ لم تر ان الوقت قد حان ليبتاعا سيارة جديدة ..

وعاد ينهمك فى عمله .. حتى اذا بلغ برلين ، كان الظلام قد هبط . وتأبط حقيبة أوراقه ، وراح يراقب الحمّال وهو يرفع حقيبة ثيابه الى عربة كان قد رُصّ عليها حقائب أخرى ، ثم راح يدفعها الى خارج المحطة ..

وركب سيارة الى الفندق وكان الفندق على مسافة ليست بالقصيرة من المحطة ، وموسم التمثيل قد ابتدأ ، وكان الملايين من أبناء برلين قد خرجوا جميعا ينشدون اللهو والمسرة ، فاذا الشوارع مزدحمة ، والسيارات تسير ببطء وكأنها تزحف .. وما من امرأة ممن كن متشحات بالفراء، متزينات بالمجوهرات ـ اللائى لمحهن من وراء نوافذ السيارات ـ الا بدت له جميلة خلابة !

ولم تكن طرق برلين غريبة عليه ولا هذه الطرقات . كان يقطع هذه الطرقات ـ بين المحطة والفندق ـ فى السيارة مرة كل شهرين ، ودائما فى المساء .. وكانت كل صغيرة وكبيرة من المعالم مطبوعة فى ذاكرته .. ولقد اعتاد أن يسأل نفسه دائما كلما جاء برلين ان كان من الصواب أن يقضى السنوات الباقية من عمره ، فى عمله بتلك البلدة الريفية ، بينما الحياة هنا ـ فى برلين ـ تتألق فى أزهى الألوان ..

★ ★ ★

وبلغ الفندق .وكان معروفا فيه ، فاذا حجرته المعتادة مهيأة له .. حجرة رحبة ، هادئة ، ذات

سريرين ، وثمة ستار يمكن أن يحجب السريرين فتتحول الى حجرة جلوس ليستطيع فيها أن يعمل ويستقبل اصدقاءه من رجال الأعمال ، ان شاء .

وما ان خلا الى نفسه فى الحجرة ، حتى قرر ان ياوى الى فراشه مبكرا ، ليبدأ عمله مبكرا أيضا فى الصباح التالى . لذلك فتح حقيبة الثياب ، واذا به يجفل فى دهشة ، فقد طالعه ثوب من الحرير الأخضر القاتم ، لا يمت اليه ... وتبين فى غضب أنه حصل على غير حقيبته .. واذ فكر فى الأمر ، تبين انه ليس بالخطير .. صحيح انه كان قد اودع حقيبته بعض النقود ، ولكنها لم تكن من الكثرة بحيث يثقل عليه فقدها .. اما جميع اوراقه ، فكانت فى حافظة الأوراق التى تابطها .. ومع ذلك ، فقد اعترف ـ بينه وبين نفسه ـ بانه كان يؤثر أن يفقد الأوراق ، على أن يفقد أدوات الحلاقة ، والاشياء الصغيرة التى يستخدمها يوميا .. فالمرء يفتقد مثل هذه الأدوات عندما يتجاوز الاربعين ، كما انه لا يرتاح حين يتصور هذه الأدوات الشخصية تحت نظرات شخص غريب ، لا سيما اذا كان امراة .. اذ تبين أن الحقيبة التى جاءته كانت لامرأة .

وأغلق الحقيبة ثانية ، وراح يتاملها .. كانت تشبه حقيبته تماما ، فلا مجال للوم الحمال الذى خلط بينهما .. وتوقع أن تتولى المحطة تصحيح الخطأ فيبادر الى ارسال هذه الحقيبة ، ولا بد أن السيدة ستبادر برد حقيبته ، وينتهى الأمر . ومد يده ليضغط زر الجرس ، ولكن يده تخاذلت الى جانبه .. كانت هناك طريقة أخرى لاصلاح الخطأ . فلعله يجد فى الحقيبة ما ينم عن عنوان السيدة .. وفتح الحقيبة ، فاذا عطر صاحبتها يفوح منها .. ورفع الثوب الأخضر القاتم ، وهو يحرص على الا يفسد طياته .ووقف والثوب على ساعده ، وقد تكشفت لعينيه اعجب مجموعة من مستلزمات السفر .

لقد اقر بان النساء ارق من الرجال حتى فى اسفارهن .. وشعر بالخجل اذ تذكر محتويات حقيبته ، التى كان من المؤكد أن السيدة فتحتها فى هذه الأثناء .. لا بد انها بهتت ، ولعلها اشمازت .. ولم يكن ثمة ما يعيب أمتعته ،ولكنها كانت قديمة ، مستعملة ، ومن أنواع عادية ، فلا ترف ولا بذخ . وتذكر ـ وهو كاره ـ ان حذاء منزله ـ الشبشب ـ كان اول ما يراه فاتح الحقيبة وكان قديما .. ثم فرشة الحلاقة ، تلك البالية !

.. ثم فرشة الاظافر ، تلك التى اعتبرها قبل لحظة اهم من أوراق العمل ، كانت ايام عزها قد ولت . ولكن اسوأ ما فى الحقيبة ، هو « قميص النوم » .. وكان بعيدا عن الاناقة ، ولكنه كان مريحا ، ومن قماش غالى الثمن ، ونظيفا ومكويا، ويبدو له كرمز للراحة لدى الطبقة المتوسطة .. ولكن صاحب المغسلة التى كان يعاملها اعتاد ان يلومه ، لأنه آخر عميل يابى ان يستخدم البجامة.

وآلمه ان يتصور الأثر الذى يتركه قميص النوم فى نفسها ..

★ ★ ★

وملأ أريج عطرها الحجرة .. كان عطرا غالى الثمن ، فواحا ، قويا .. ولم يدر لِمَ جعله هذا يتخيل أن لا بد لها شذى أنفاس تخرج من فم دقيق .. ولا لماذا أوحى اليه بأنها لا بد أن تكون امرأة رقيقة ، رشيقة ، موفورة الصحة ، ذات أصابع رفيعة متسقة وذقن مستديرة تنم عن أعتداد بالارادة ، وعينين غير داكنتى اللون ، تميل نظراتهما الى الاستعلاء ، وشعر ذهبى فاتح، تنفر خصلاته لتهوى على جبين يوحى بالشمم .. كان الخيال بديعا ، ولكن .. هب أن الحقيبة كانت فى واقعها لسيدة بدينة عجوز ، أو لعانس مسنة ذات انف معقوف ؟ .. لا ، انها لم تكن كذلك بالتأكيد !

وبدا كالمسحور ، وقد أهاج عواطفه شعور غريب ، وغشيه دوارٌ نشوانٍ خفيف .. لم يكن العمل الذى همَّ بفعله من الصواب فى شىء ، حتى لقد شعر بانه مذنب اذ يفعله . ولكنه مع ذلك سار الى الباب فأحكم اغلاقه ، كما كان حريا بأن يفعل لو كانت السيدة الغريبة معه .. وتحول يفحص محتويات حقيبتها .. كان اللون الأخضر القاتم لونها المفضل فيما بدا ، وهو لون يروق لمزاجه الخاص .. وكان يسود كافة أمتعتها .. حتى علبة فرشاتها وامشاطها ، وأدوات زينتها ، ومرآة اليد البيضاوية .. كلها أنيقة لامعة ، وكلها كانت تحمل « م » بالذهب .. مادج ، مرجريت ، مونا .. لم تخطر له سوى أسماء انجليزية توحى بالنضارة والصبا المتوثب .. حتى الشبشب كان من الجلد الأخضر الطرى .. وتناولهما ، فاحس بارتياح اذ وجد انهما لم يكونا جديدين ..

وكان قميص نومها من حرير أخضر ، ولكنه

اخف خضرة .. وتم التجعد الخفيف الذى به عن انه كان ملبوسا قبل ايداعه الحقيبة .. ثم عثر على علبة صغيرة من الجلد الأخضر القاتم ، بدت كأنها علبة مجوهرات ، فهزه الاكتشاف ونبهه الى سوء ما كان يفعل ، فاضطرب .. ولكنه استعذب الشعور بالذنب .. وفتح العلبة وهو يسائل نفسه:هل بذلك كانت أمانته تتعرض لاختبار ؟.. لم يكن له ان يحتفظ باية أشياء ثمينة يعثر عليها، لأكثر من ساعة ، دون أن يبلغ الشرطة الأمر .. ومع ذلك فقد كان كارها للتفريط فى العلبة . لذلك كان ارتياحه بالغا حين فتحها فوجد أن ما فيها مجوهرات واحجار زائفة ، ولكنها متقنة الصنع .. وكانت جذابة ، وتنم عن مرح وجرأة صاحبتها .. واطمأن الى أن تقاعده عن ابلاغ الشرطة ، لن يبعث فى نفسه الشعور بأنه لص .

وظل طويلا مؤرقا .. فلما نام أخيرا ، كان نومه قلقا مضطربا .

★ ★ ★

فى الصباح التالى ، أرسل فراش الفندق ليبتاع له بعض أدوات الزينة اللازمة ، كشفرة الحلاقة..حتى اذا حانت الساعة التاسعة ، غادر حجرته وأغلق بابها بعناية . ولم يستطع زملاؤه الذين التقى بهم فى شئون عمله الذى جاء برلين من أجله ، أن يغفلوا ـ حين اجتمع بهم ـ عن أنه كان شارد الذهن..وعندما أخرج منديله من جيبه ـ ذات مرة ـ دهش جاره اذ سرى الى أنفه عطر من المنديل ، الذى بدا صغير الحجم ..

وراح قلبه يخفق ـ حين استقل المصعد الى غرفته فى ذلك المساء ـ كما لو كان يرتقب عشيقة فى انتظاره .. وفتح الباب ، وأضاء المصباح ، ثم وقف مذهولا .. كانت وصيفة الفندق قد هيأت الحجرة لاثنين .. وعلى أحد المقاعد بسطت «روب دى شامبر» نسائيا اخضر ، كما أسدلت الستار على السريرين .. وبجانب السرير الذى لم يشغله فى أمسه ، وضعت « الشبشب » الصغير الأخضر، كما طرحت ثوب النوم الأخضر على الوسادة ..

★ ★ ★

كان احجامه عن اعادة الحقيبة الى المحطة ، أول عمل ينافى الوفاء لزوجته .. فقد اعتاد ان يسمع من زملائه من رجال الأعمال قصص مغامراتهم اثناء زياراتهم برلين ، وكانوا يتحدثون عنها وكأنها من حق كل رجل متزوج قضى فى زواجه عدة سنين .. أما هو ، فلم تساوره قط أقل رغبة فى أن يحذو حذوهم . بل كان يستنكر أن يضطر يوما الى أن يعود الى داره ـ بعد مغامرة من هذا النوع ـ فيقبل زوجته فى مرح وكأنَّ شيئا لم يحدث. والواقع ان زملاءه لم يصادفوا حرجا البتة ، أما هو فكان على نقيضهم ، اذ كان معروفا بالتحفظ والاتزان ، وكان أقل خروج عن الوقار خليقا بأن يجعله موضع سخرية .

وما كان فى وسع رجل أن يحظى بزيجة أسعد من زيجته . فقد كانت زوجته فى صباها جميلة .. وبرغم انها أنجبت له ثلاثة أولاد يفخر بهم ، فقد ظلت ذات جمال خاص ، يتجلى فى رشاقتها ، ووقارها ، ولطفها .. وكانت ربة بيت مثالية ، ولكنها لم تكن تتحدث قط عن عملها فى البيت .. وكانت تعرف متى يحسن أن تسكت ، وان كانت تبدى اهتماما بشؤون زوجها .. اهتماما مستنيرا يجعلها عونا له . ثم انها كانت واسعة الأفق ، ذات روح فكهة ولكن فى غير طيش ..وكانت عاطفية ولكن فى حكمة تعصمها من النزق .. وكانت صريحة ، ولا تخشى أن تواجه حقائق الحياة .. وكل معارفها يجمعون على انها سيدة رائعة ، وقد كانت كذلك فعلا !

★ ★ ★

ولكن أروع نساء العالم لا تملك شيئا ازاء ما يغشى الرجل ـ اذا وقف على أعتاب الكهولة ـ من نفور من الحياة التى عاشها حتى هذا الحين .. ولقد مرت بصاحبنا ـ فى السنوات الثلاث الأخيرة ـ لحظات حرجة لم يفطن اليها انسان سواه .. ومنها لحظة فى أثناء الاحتفال بعيد ميلاده الاربعين ، اذ نهض ـ وكأسه فى يده ـ ليشكر الحضور .. وساوره ـ فى وهلة خاطفة ـ أن يعلن أنه يقطع كل الخيوط التى تربطه بالحياة التى عاشها حتى ذاك الحين ، ولكنه حين بدأ يتكلم ألفى نفسه ينطق بالعبارات المألوفة فى هذه المناسبات .. ومنذ أقل من العام ، كان يقضى مع زوجته اجازة شتوية فى القاهرة . وفيما هما يجوسان خلال أحد الأحياء الوطنية ، أقبل على زقاق كثير الالتواء يفضى الى شارع رئيسى.وأبصر فى أعماقه المعتمة أشباحا تروح وتغدو . وفجأة ـ وعلى غير توقع ـ شعر برغبة عاتية تزين له أن ينتزع ذراعه من ذراع زوجته ، ويندفع دون شرح أو وداع فيغوص فى هذا الزقاق ، ويخرج من

طرفه الآخر ، فيسلم نفسه لتيار الشرق الدافق، أو يدع الظروف تسوقه الى قلب أفريقيا ، أو ينساب فيختلط بالملايين الحاشدة فى آسيا .. المهم أن ينأى تماما عن وجوده برغم مكانته المحترمة، وعن زواجه برغم نجاحه ..

كم منا يعرف هذا الشعور المبهم ، الملحاح !.. انه يساور أصحاب الخيال حين يتمثلون الموت .. ولكنه أشد وأقوى لدى الرجال الذين يَهمّون بالانتقال الى الكهولة . انه نوع من عدم الرضى عن النفس وعن كل ما يحيط بالمرء ، ومن الشوق الى أن يتخلص المرء من سجن شخصيته ، ومن التمرد على لون حياته فى حين أن ثمة ملايين من ألوان الحياة ! .. انها الرغبة التى تدفع المغامر الى زيارة بلدان غريبة ، وركوب البحار ، والاختلاط بألوان البشر ..

هذا الشعور بعدم الرضى وبعدم القناعة ، هو الذى يطيش بخطوات الرجل ، ويحمله على خيانة من يحب .. وهو الذى زين لصاحبنا أن فى العبير المتصاعد من حقيبة الغريبة ، اغراء يفوق اغراء آلاف النساء اللآتى صادفهن فى طرقات العاصمة من بائعات الهوى .. انه لم يذكر لأحد قط شيئا عن اغراء هؤلاء ، فمن المخجل لرجل محترم مثله ــ رجل أعمال وأسرة ــ أن يقر ــ مجرد اقرار ــ بأن لهؤلاء النسوة اغراء ..

★ ★ ★

وخطر له أن الفضول لا بد قد راود وصيفة الفندق فيما يختص بزميلته الموهومة فى الحجرة ، فلما صادف هذه الوصيفة فى الردهة ، دس فى يدها أكبر منحة تلقتها من أى نزيل ، واذا بها تبتسم فى خبث ومكر ، فشعر بالدم يتصاعد الى وجهه ، اذ أدرك أن الفتاة ظنته يسألها أن تتستر على مغامرة غرامية ..

وفى ذلك المساء ، اغتسل بصابون الغريبة صاحبة الحقيبة ، وكان هذا أول شىء مادى يقربه اليها ، فشعر بارهاق عاطفى .. كانت قطعة الصابون مستعملة ، وان بقى أثر من اسم ينمّ عن أنها صنعت فى شركة انجليزية .. وخيل اليه ان رغوتها كانت أنصع وأنعم من أية رغوة عرفها ، وكان لها عبير فواح ، قوى يحيى الشباب فى النفوس .. وأصبح هذا العبير ينبعث من كل جسمه ــ ويغلفه بغلالة عبقته ــ عندما استلقى على سريره ــ وكأنه شخص ناعم يعانقه ..

واستيقظ فى الصباح الثانى ، وفى نفسه عزم على قرار هام .. وبينما كان مستلقيا وذراعاه معقودتان تحت رأسه ، راحت أفكاره تتجه الى زوجته التى كانت تنتظره على بعد أميال من مكانه، فشعر بأسف من أجلها ، ولكنه لم يكن يدرى كيف يثنى نفسه عما اعتزم .. لقد بعد عن زوجته ــ فى هذه المرة ــ مدة أطول مما اعتاد .. وها هو ذا يشعر فجأة بأن هذا البعاد سيمتد الى الأبد .. لن ترده عن هذا الا معجزة . ولعله تمنى أن تحدث معجزة ، ولكنه كان موقنا ألا سبيل الى ذلك .

وارتدى ثيابه وهو شارد الذهن ، ثم جلس يفكر فى الموقف . فقد كان راغبا فى ألا يفعل سوى كل ما يليق عمله .. كان يزدرى أولئك الرجال الذين يخضعون للأنانية وهم يدبرون للانفصال عن زوجاتهم .. أما هو ، فكان ميالا أن يترك أسرته ولكن فى مأمن من الحاجة والعوز.. كأنه مات عنها. ألا يموت رجال فى الخامسة والاربعين من أعمارهم فى كل يوم ؟.. ولقد كان له زملاء أوفياء ، يديرون أعماله لسنوات عديدة بعده، الى أن يقدر الأكبر من ابنائه أن يتولى هذه الأعمال .. ولكن ، ما وضعه هو ؟.. هل يفرط هكذا ــ وببساطة ــ فى العمل الذى أفنى فيه عمره ؟.. آمَا كان وجوده فى برلين لكى يساوم ويناقش ويدبر ويخطط من أجل تحسين مؤسسته ؟

وحاول أن يضرب على هذا الوتر ليوقظ فى نفسه المقاومة للقرار الذى اعتزمه .. ولكنه لم يفلح .

★ ★ ★

وكان طيلة الوقت ممسكا بالمرآة البيضاوية التى وجدها فى حقيبة السيدة الغريبة ، يقلبها بين يديه دون أن يعى أو يفطن .. ثم حانت منه التفاتة الى صورة وجهه منعكسا فيها ، فانتزعته هذه الالتفاتة من أفكاره ، واذا به يتبين الشىء الذى كان يمسكه .. وادهشه أن فطن ــ فى الوقت ذاته ــ الى أن المرآة فقدت كثيرا من تأثيرها عليه.. وكذلك فقدت كافة الأمتعة الخضراء الانيقة التى تمتّ لتلك الانثى .. لم يعد لها وجود . خال انها لم تكن سوى .. مجرد عذر ، أو مناسبة ، تصور فيها أنه كان يبتغى تلك المرأة المجهولة ولكنه فى الواقع كان يبتغى استرداد حريته ليبدأ حياته من جديد .. من بداية البداية .

وكان نادرا ما يستعيد صباه فى ذاكرته ، ولكنه فوجىء ــ فى تلك اللحظة ــ بصورة صفحة معينة من أحد كتبه المدرسية ، تتمثل أمام عينيه واضحة

..ورأى فيها خطين بالقلم الازرق ، تحت شطرى بيت شعر غاب عن ذهنه خلال الثلاثين عاما الماضية :

« وافهم ان الحرية تعنى ..

« اختيار الطريق الذى تسلكه ... »

كان قد انهى أعماله فى برلين ، ولكنه لم يشأ ان يرحل عن المدينة ، وآثر الا يرى أحدا والا يتصل باحد ـ فيما عدا بطاقتي بريد أرسلهما الى اسرته ـ وان يخلو الى أفكاره ..

وقضى أصيل ذلك اليوم وهو يتمشى فى المتنزه العام الذى كسته الثلوج .. ولم يعد الى الفندق الا وقد انحسر ضوء النهار ..

واذ فتح الباب ، شعر لفوره بأن أحدا فى الحجرة ، فحبس أنفاسه مترقبا ، واذا به يسمع صوت امرأة تنتحب بصوت خافت .. وأضاء المصباح ، فاذا به يرى زوجته عند مائدة الزينة ، وقد اعتمدت بجبينها على المرآة ، وراحت تبكى ، وحولها أدوات الزينة ذات اللون الأخضر .. وجال ببصره ، فاذا الغرفة متسقة ، و « الروب » الأخضر على المقعد ، وقميص النوم الأخضر على السرير الشاغر ، و « الشبشب » قابع ينتظر قدمى صاحبته الغريبة .

ولم يتحرك ، ولا تحركت زوجته .. ولا تكلما . اذن ، فقد جاءت لتعود به ، كما فعلت من قبل ـ مرة أو اثنتين ـ لمجرد أن يكون حضورها مفاجأة سارة له ، دون أن يخطر ببالها اى شك . وكان من الطبيعى أن يرسلها القائمون على الفندق الى غرفته .. ولا بد أن الصدمة كانت قاسية عليها ، حين رأت فى الحجرة أمتعة امرأة .. ترى كم قضت فى النحيب ؟ .. وأية آلام عانت ؟

ولكن أسوأ ما فى الأمر انه لم يكن يملك تفسيرا يصحح الوضع .. كانت الحقيقة أبعد من أن تصدقها زوجته .. وكان عليه أن يمحو الصورة البشعة التى انطبقت فى ذهنها دون أن يكذب .. أجل ، لن يكذب .. سيطالعها بالحقائق ، وفورا دون اشفاق على عواطفها ، ودون اهدار لهذه العواطف كذلك .. سيحدثها عما كان يدور فى أظلم حنايا ذهنه ، وعن قلقه ، وعذابه الذهنى ، وحنينه الى الفرار من وجوده .. انه لكى يمحو الصورة التى رسمتها أمتعة المرأة الغريبة ، خليق بأن يعترف لزوجته بان ثمة خوفا عارما ـ خوفا من الحياة والموت ـ يدفعه فى هذه السن الى أن يودع المعيشة الرتيبة المستقرة التى عاشها ، وأن يضرب فى مسالك للحياة أخرى .. ولكن ، هل أمر كهذا ممكن ؟.. أن يضرب فى الحياة هاجرا عمله ، واولاده ، وزوجته الأمينة الوفية؟ولكن،سواء أكان هذا ممكنا أم غير ممكن ، معقولا أم غير معقول ، فقد أصبح ـ بالنسبة اليه ـ ضرورة ، لن يثنيه عنها سوى معجزة .

وما لبثت زوجته أن رفعت رأسها ، فرأى وجهها .. والمرأة لا تحتفظ بجمالها بعد ساعة من البكاء . والألم ، والقنوط .. كان شعرها الأسود متناثرا ، وقد تهدلت خصلة منه على عينيها المحتقنتين بالبكاء ، فرفعتها الزوجة ونظرت الى زوجها .. وتحركت شفتاها ، فلم يلبث أن انبعث صوتها خافتا أجش :

ـ أهى تعيش معك .. هنا فى فندقك ؟.. هذا فظيع .. وحانت اللحظة لكى يقول لها كل شيء ، ثم يختتم حديثه بعبارتين حاسمتين . ولكن ذهنه خانه فلم يجد الكلمات .. وتولاه شعور طاغ بالاشفاق ، فما لبث أن قال ما كان اى رجل فى مكانه خليقا بأن يقول : « ما من امرأة هنا ! »

ووقفت فى مواجهته تحملق فيه ، فخيل اليه انها توشك أن تطلق ضحكة ساخرة ، ولكنه رأى ـ على العكس ـ أن ملامحها بدأت تنبسط ، وأن شعاعا من الابتسام أضاء بين دموعها ..

وسمعها تسأله : « ما من امرأة ؟.. أصحيح هذا ؟ »

ولم يجد ما يجيب به سوى : « كلا .. أقسم لك ! »

وسمع صوتها ينبعث مبتهجا : « اذن فقد كنت أبكى دون داع !.. الحمد لله ، الحمد لله ! ».. وهرعت اليه ، وأمسكت بيديه بين راحتيها . فترنح قليلا اذ شعر بشيء يمزق قلبه فى ايلام قاس ولكنه مستعذب ، حلو .. لقد حدثت المعجزة !. ان زوجته صدقته وكان كل الادلة المادية المتناثرة فى الحجرة لا تعادل ـ فى قيمتها ـ كلمته هو !.. لم تسأله دليلا ، ولم تطالبه ببرهان ..

حدثت المعجزة .. معجزة الثقة ، التى لا تملك الدنيا أعظم منها .

وماذا كان يرجو أكثر من هذا .. ان الحياة ـ بعد الذى حدث ـ لم تعد تملك شيئا يذكر تقدمه له .. فهذه كبرى التجارب التى تقدر لانسان فيها . ■■

ترجمة : محمد بدر الدين خليل



حل المشكلة

● دخل المريض عيادة الطبيب النفسانى ، وقال له :

ـ دكتور .. لقد اصبحت الحياة سقيمة وغير محتملة واشعر ان لا فائدة لوجودى ..

وبتشاؤم كبير رد الطبيب :

ـ فعلا ، كلنا نعانى من الحياة ... ولكن لا تيأس سريعا ، ان مدة علاجك لن تطول عن سنتين ، على أن تتردد على العيادة يوميا ، وسوف يكلفك هذا خمسة دنانير فى الأسبوع !!

وسكت المريض برهة ثم قال :

حسنا يا دكتور، ان علاجك هذا يحل المشكلة بالنسبة لك .. فما بالك بمشكلتى ؟!

اصلاح ...

● دق جرس التلفون فى مكتب الزوج وقال المتحدث :

ـ صباح الخير يا سيد حسن ، هنا كراج الاتحاد ، احادثك منه لأبلغك ان زوجتك دخلت بسيارتها اليوم الى الكراج لتصلحها و ...

فقاطعه الزوج التعب من تصرف زوجته قائلا :

ـ حسنا يمكنك تصليح السيارة وسادفع لك الحساب متى انتهيت .

ـ لا يا سيدى .. انى لا اتكلم عن اصلاح سيارتك ، وانما اتكلم عن اصلاح الكراج .

(تشنيع !! ..)

● الاسكتلندى لزميله : الواقع ان الشائعات حول بخلنا وحرصنا على جمع المال مبالغ فيها جدا .

الثانى : فعلا .. ومن المؤلم جدا انها بعيدة عن الحقيقة ..

الاول : بهذه المناسبة ، هل سمعت عن آخر ما قيل عنا ؟

الثانى : لا .. هات ما عندك ، فأنا مشتاق لسماعه .

الأول : وكم تعطينى مقابل هذا ؟!!!

الغلطة الكبرى

● ذهب احدهم الى محل لتصليح ساعة يده القديمة جدا ، وقال للساعاتى شارحا :

ـ كانت غلطة كبيرة عندما وقعت الساعة من يدى على الارض .

فقاطعه الساعاتى الماكر قائلا :

ـ بل غلطتك الكبرى يا سيدى أنك اعدت التقاطها ثانية من الارض ..

شهادة

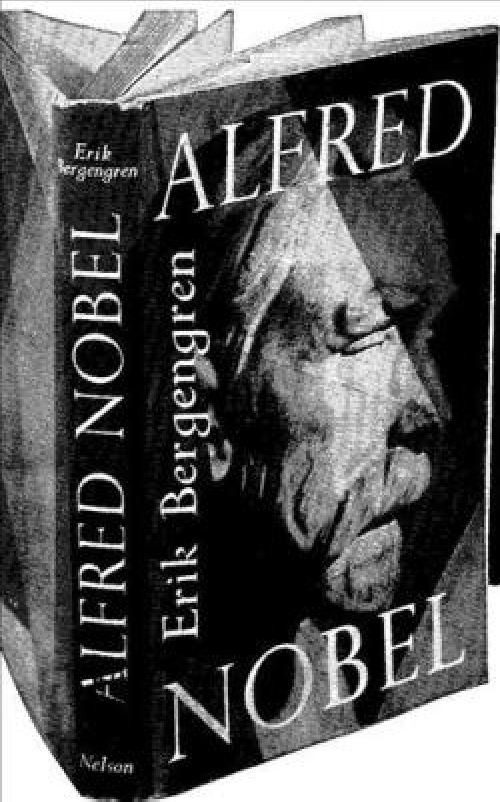
● سأل المدير الآنسة التى تقدمت للعمل بالشركة ..

ـ هل معك شهادة تفوق ، او جوائز تثبت ذكاءك أثناء تأدية عملك ؟

ـ نعم فقد ربحت كثيرا من المسابقات التى نشرت فى الجرائد والمجلات ..

ـ حسنا .. ولكننا نريد ما يثبت تفوقك وذكاءك فى ساعات العمل ..

ـ نعم .. نعم فقد حللت هذه المسابقات فى أثناء ساعات العمل .



كتاب الشهر

ألفرِدْ نُوبِل

بقلم : الدكتور محمود السمره

الجامعة الاردنية ـ عمان

■ ان ما كتب عن الفرد نوبل منذ وفاته سنة١٨٩٦ الى اليوم كثير ، وخاصة ما كتب عن وصيته والاختراعات التى قام بها . ومع هذا فانما يعرفه العالم عن حياته قليل ، لأن نوبل نفسه كان من الناس الانعزاليين ، الذين لا يتحدثون عنأنفسهم . وهذا الكتاب يسد هذا النقص .

وقد قضى مؤلف هـــذا الكتـاب ، أريك برجنجرن (١) ، عشر سنوات يعمل فى محفوظات ومكتبات مؤسسة نوبل باستكهولم ، فأتاحت هذه السنوات له ان يطلع على أوراق نوبل الخاصة ، فجاء هذا الكتاب سردا واعيا دقيقا لحياة الرجل واعماله ، وما لقى من متاعب . ويضم هـــذا الكتاب مواد جديدة لم يسبق نشرها ، كما انه يحلل العناصر المتناقضة فى شخصية نوبل تحليلا يدل على ادراك المؤلف لكلجوانبشخصية نوبل. وقد أعانه على ادراك شخصية نوبل أن مؤسسة نوبل قد وضعت بين يديه مراسلات المخترع الشهير ، وهى مراسلات مكتوبة بخمس لغات .

حياته فى كلمات

ونوبل فى كلمات : ولد فى استوكهلم سـنة ١٨٣٣ ، ولم يقض فى المدرسة سوى فصلـين دراسيين ، ثم تلقى العلم بعدهما على أيـدى مدرسين خصوصيين ، وشب ليكـون كيماويا ومهندسا . وقد سافر نوبل فى شبابه الى الخارج عام ١٨٥٠ لاتمام دراسته الهندسـيـة ، وقضى سنة فى الولايات المتحدة الامريكية ، وزمنا فى سانت بطرسبورغ . واخيرا عاد الى بلاده وكرس حياته لدراسة المتفجرات ، وخصوصا مـادة النيتروجليسيرين Nitrogloerine ومن هذه

(1) Erik Bergengren, Alfred Nobel

وقد صدر هذا الكتاب مترجما الى العربيةعن سلسلة « كتب الجوائز العالمية » بالقاهرة .

المادة ابتدع الديناميت. ثم ابتدع متفجرات أخرى.

ولم تقتصر اختراعات نوبل على الديناميت ، بل تعدته الى اختراع آخر لا يقل عنه اهمية ، ذلك هو جهاز تفجير المواد الناسفة الذى بدونه لا يمكن اطلاقا استخدام المتفجرات .

ومن صناعة المتفجرات ، واستغلال حقول نفط باكو فى روسيا ، جمع نوبل ثروة طائلة ، ولكنه كان معتل الصحة ، يكافح المرض طيلة حياته . وقضى طيلة حياته عزبا . ولعل هذا يفسر سبب تشاؤمه .

والفرد نوبل عالم الطبيعة ، والكيماوى والمهندس، كان أيضا شغوفا بالأدب ، محبا للغات، حتى انه اتقن خمس لغات هى : السويدية والانجليزية ، والفرنسية ، والالمانية ،والروسية.

ونوبل ، ملك الديناميت ، كان يكره الحرب ، ويسميها « هول الأهوال وأكبر الجرائم جميعا ».

هذا هو نوبل فى سطور قليلة . ونحب بعد هذا ان نقف عند الجوانب التى يحسن الوقوف عندها، من شخصيته .

العبقرى ذو الشخصية المتناقضة

واول ما يحسن الوقوف عنده هو شخصية نوبل المتناقضة ، فقد كان الرجل متناقضا الى درجة كبيرة : فعلى الرغم من انه كان معتل الصحة، الا انه استطاع أن يقوم بأعمال باهرة . ومن الفقر والمتاعب فى حياته الأولى استطاع أن يخلق ثروة ضخمة . وحيل بينه وبين التعليم المنظم ومع هذا استطاع بعقليته المتوقدة أن يحل المشكلات العلمية المعقدة . وكرس حياته لاختراع المتفجرات وتطويرها ، ومع هذا كان يكره العنف والحرب وكان محبا للسلام . وأصبح من كبار الرأسماليين، ورغما عن هذا كان يؤمن بالاشتراكية. وكان وهو العالم العملى ورجل الاعمال ، شاعرا حالما خياليا ينظم الشعر ، وهذا الرجل المنعزل فى حياته اليومية ، المتحفظ فى سلوكه تجاه من لا يعرفه ، قد أثر تأثيرا كبيرا فى عصره . وكان متشائما كثير الشك لم ينعم بالسعادة وهدوء البال ، ولكنه فى الوقت نفسه كان صديقا للانسانية يغفر للانسان ضعفه .

واذا أردنا أن نصف مظهره الخارجى قلنا : انه كان يرتدى الملابس العملية البسيطة ، بحيث اذا رآه الرائى لم يلحظ فيه شيئا يشير الى انه رجل غنى أو مشهور ، أو حتى ذكى ، ولكنه اذا تحدث كان حديثه منطقيا دقيقا . وقد عاش نوبل حياته كلها يتناول غذاء معينا ، ولم يكن يدخن ، أو يشرب الخمر ، أو يلعب الورق . كما انه لم يرقص طيلة حياته ، ولم يتعلم العزف على آلة موسيقية . وصورة الفرد نوبل التى بقيت حية فى خيال من عرفوه هى انه كان انسانا متوحدا حزينا ، ولكنه مهذب ودود .

خيبة أمل فى المرأة والحب

وهذا الانسان الذى عاش حياته أعزب ، له مع المرأة قصة ، وهى قصة لم تكن معروفة لمن كتبوا عنه ، وتبدأ قصته مع المرأة بوالدته التى كان يكن لها كل حب واحترام ، ويبدو أن هذه الأم كانت جديرة بكل هذا. وقد ذهب الذين كتبوا عنه الى أن المرأة الوحيدة فى حياته هى أمه ، ولكن المراسلات التى اطلع عليها مؤلف هذا الكتاب كشفت النقاب عن أنه كان له علاقات بثلاث نساء .

اما الأولى فقد كانت حب شبابه الباكر ،وتعود قصته معها الى عام ١٨٥٦ عندما لقيها فى باريس، وكانت فتاة جميلة جذابة جاذبته الحب وبادلته اياه ، فكانت أملا باسما فى حياة الشاب الحزين. ولكن سعادته هذه كانت قصيرة ، اذ سرعان ما اخترمت المنية هذه الفتاة وهى ما زالت على أولى عتبات الشباب . ويبدو ان وفاتها المبكرة كانت صدمة عنيفة لقلبه الشاب،فهو يقول فى مذكراته: « فمنذ تلك الساعة لم أشارك الناس فى ملذاتهم ومتعهم ، ولكنى تعلمت أن ادرس كتاب الطبيعة، واتفهم صفحاته ، وأنعم النظر فى محتوياتها ، واستخلص من معلوماتها العميقة عزاء وسلوى لآلامى وجروحى » .

واختفت الفتاة الصغيرة وراء حجب السنين .



الفرد نوبل

وعندما كان فى الثالثة والاربعين مر بتجربته الثانية مع المراة المحبوبة ، وكان اسمها فى هذه المـرة بيرتا كينسكى : ففى ربيع ١٨٧٦ وظف نوبـل هذه الكونتيسة الجميلة سكرتيرة له ، وأعجب بها ، وأحبها ، وبدأ يحلم بالزواج منها . وعندما عرض عليها الزواج أصيب بنكسته الثانية عندما علم أن قلبها ليس خاليا . ولم تلبث برتا أن تركت عملها كسكرتيرة له لتتزوج ممن أحبت . وهكذا عاد نوبل ليحيا حياة العلة القاسية ، وان قامت بينه وبين برتا صداقة استمرت طيلة العمر . وقد عبر عن احساسه بالوحدة والعزلة فى مذكراته فكتب يقول : « اننى مثل الآخرين ، بل ربما أكثر منهم ، احس بعبء العزلة الثقيل . ومنذ سنوات طويلة وانا ابحث عن المراة التى تستطيع أن تجد طريقها الى قلبى » .

وشهد خريف عام ١٨٧٦ قصة حبه الثالث ، حبه الكبير : ففى خريف هذا العام ، وفى محل لبيع الزهور فى (بادن بى وين) ، التقى بفتـاة جميلة صغيرة فى سن العشرين ، من أسرة متواضعة من فينا ، فهويها، وأسكنها شقة فاخرة فى باريس، وأغدق عليها فى الانفاق ، وحاول أن يخلق منها ، وهى الفتاة الأمية ، فتاة مثقفة ، ولكن جهوده ضاعت سدى ، لأنها لم تكن قابلة للتطور .

وقصته معها تذكرنا بمسرحيـة « بجماليون » لبرنارد شو ، حيث حاول بجماليون أن يخلق من فتاة فقيرة ، سيدة صالون مثقفة . ولكن اذا كان بجماليون قد نجح فى محاولته ، فان نوبل قد فشل . ومع هذا فانه لم يتخل عن الفتاة ، وبقى يرعاها ، وينفق عليها الكثير ، ويتحمل نزواتها، ومضايقاتها ، حتى قال : « ان حياتى لتنقلب الى مرارة حينما اجد نفسى مضطرا الى أن اتصرف كمربية بالنسبة لطفلة كبيرة . وهذا التصـرف يجعلنى هدفا لسخرية أصدقائى ومعارفى » .

وقد دامت صلة نوبل بهذه الفتاة ، واسمها صوفى ، مدة ثمانية عشر عاما ، كتب لها خلالها مائتين وست عشرة رسالة . ويبدو أن كل هـذه الرعاية لم تستطع أن تصلح من طينة هذه الفتاة الفاسدة ، اذ بعدما توفى نوبل هددت هذه الفتاة المشرفين على تنفيذ الوصية بأنها ستنشر رسائل نوبل اليها اذا لم يعطوها أكثر مما ترك لها نوبل فى وصيته . وتجنبا للفضيحة خضع المنفذون للوصية لطلبها ، وقاموا بشراء الخطابات منها .

هذه قصة الفرد نوبل مع المراة ، وهى قصة تعنى أنه مات وهو يشعر بخيبة أمل كبيرة فى المراة والحب .

الفرد نوبل الأديب

ومن الجوانب الخفية فى حياة هذا العبقرى الذى اقترن اسمه باختراع الديناميت ، انه كان شاعرا وأديبا مرهف الحس . وكان نوبل يقـوم باستمرار بترجمة الأدب الأجنبى الذى يعجبه ، وخاصة أدب فولتير ، وقد نمت اهتمامه بالأدب حتى أصبح كاتبا ، يقول البروفسور تشوك : « كان نوبل يتمتع بما يوحى بانه سيصبح شاعرا ، وذلك لأنه كان يتمتع باحساس مرهف ، وخيال محلق . ونحن نلمس هذا فى قصائده التى نظمها، والتى يبدو فيها متأثرا بالشاعر الانجليـزى شيلى

ولكن الطريق الذى سارت فيه حياة نوبل ، وانشغاله باختراعاته وأعماله الكثيرة ، صرفته عن

الشعر . وفى اخريات حياته عاد لكتابة القصص القصيرة ، ولكن الوقت كان قد فات . والقارىء لقصص نوبل ، وهى قصص لم تنشر ، مثل «فى افريقيا المضيئة » و « الشقيقان » يحس أنها ساذجة ، على ما فيها من لمحات ذكية .

وحاول كتابة المسرحية ، فكتب واحدة وطبعها فى باريس ، ولكن المنية وافته قبل أن توزع ،فحال افراد عائلته دون توزيعها بعد وفاته ، وكانوا على حق فى هذا ، لأن مثل هذه المسرحية الضعيفة لم تكن تتناسب مع عبقرية نوبل . وقد علق البروفسور تشوك على هذا التصرف من جانب عائلته فقال : « لقد كان هذا التصرف سليما ».

ورغم أن الفرد نوبل حاول كتابة القصة والمسرحية ، الا ان حبه للشعر كان يأتى اولا : وقد كان شاعرا بروحه ، ينظر الى الحياة والوجود بعين الشاعر . وبقى محتفظا بحبه للشعر طيلة حياته ، ويرى فيه مصدرا لبعث الانسان وتطوره نحو الحياة الافضل . ووصيته دليل على هذا . ومع أن الكتب التى تناولت نوبل بالدراسة ذكرت انه قد احرق الاشعار التى نظمها فى شبابه ، الا ان مؤلف هذا الكتاب يذكر انه قد عثر على الكثير من هذه الأشعار فىمحفوظات نوبل .

جائزة نوبل

والفرد نوبل معروف اليوم ، مشهور بجائزته المسماة باسمه .

وقد كتب نوبل وصيته فى ٢٧ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٨٩٦ ، اى قبل وفاته باسبوعين . وقد جاء فى هذه الوصية :

« ... ويجب أن يستخدم كل ما يتبقى من من ثروتى على النحو التالى :

يستثمر منفذو هذه الوصية رأس المال فى تامينات مضمونة ، وبشكل صندوق توزع أرباحه السنوية على شكل جوائز تمنح لأولئك الذين يكونون قد قدموا أعظم نفع للبشرية .

وتقسم تلك الفائدة الى خمسة أنصبة متساوية تخصص على الوجه التالى : نصيب يذهب الى الشخص الذى قام باهم اكتشاف او اختراع فى ميدان الطبيعة ، ونصيب الى الشخص الذى قام باهم اكتشاف أو تحسين فى الكيمياء . وآخر الى الشخص الذى قام باهم اكتشاف فى ميدان الطب او الفسيولوجيا . ورابع الى من قدم أبرز عمل فى ميدان الأدب ذى اتجاه وميول مثالية . ونصيب خامس الى من قام باكبر عمل أو افضله لتحقيق الاخاء بين الأمم ، أو لالغاء أو خفض الجيوش القائمة ، أو لعقد مؤتمرات السلام وتشجيعها .

ويتم منح جائزة الطبيعة والكيمياء من قبل الاكاديمية السويدية للعلوم ، وجائزة الطب والفسيولوجيا من قبل مؤسسة كارولين فى استكهولم ، وجائزة الأدب من قبل الاكاديمية فى استكهولم . أما جائزة السلام فتمنح من قبل لجنة من خمسة اشخاص ينتخبهم البرلمان النرويجى .

وان رغبتى الصريحة هى ألا يوضع اى اعتبار عند تقديم الجوائز لجنسية المرشحين لها ، ولكن الذى يستحقها هو الذى يتسلمها ، سواء كان اسكنديناقيا أم لا » .

وكانت الثروة التى جمعها نوبل كبيرة جدا بالنسبة لعصره ، اذ بلغت ٣٣ مليون كرون سويدى ، أى ما يعادل مليونين من الجنيهات الاسترلينية .

وقد قوبلت هذه الوصية بكثير من النقد ، وخاصة جائزته المخصصة للسلام : فقد اعترض المعترضون على أن يصبح مخترع المتفجرات التى استخدمت فى الحرب بطلا للسلام وداعية له . والواقع أن نوبل قد أعرب عن قلقه لان المتفجرات التى اخترعها لخدمة السلام ورفاهية الانسان ، قد أسىء استعمالها واستخدمت فى قتل الانسان. لقد كان نوبل يريد من الديناميت أن يستخدم فى أعمال المناجم والمواصلات ، لا فى التدمير ، وهو يقول معلقا على سوء استخدام اختراعه : «ليس هناك من شىء فى العالم لا يمكن أن يساء فهمه أو استخدامه » .

هل جائزة نوبل عالمية فعلا ؟

اذا استعرضنا أسماء الأشخاص الذين منحوا

جائزة نوبل وجدنا ان الكثرة الساحقة منهم من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية . وقد كانت جائزة نوبل للآداب تمنح حتى عام ١٩٦٠ الى اسكندينافيين وطليان وانجليز وفرنسيين والمان واسبان وامريكان ، ولم تمنح لغيرهم الا نادرا ، واولئك الذين منحت لهم من غير من ذكرناهم من المثقفين ثقافة غربية كطاغور ، أو من المترجمين للأدب الغربي كباسترناك .

ومن ناحية اخرى فان الأمم المتحدة تقدر عدد اللغات الأدبية فى العالم بما لا يقل عن أربعين لغة ، ولكن كم لغة فحصت لجنة نوبل للآداب قبل اصدار حكمها ؟ لا اظن أن العدد يمكن أن يزيد عن اثنتي عشرة لغة على أبعد تقدير . ان هذا هو ما يجعلنا نعتقد أن جائزة نوبل للآداب بالذات ، فى طريقة منحها ، لم تنفذ نص الوصية التى تركها صاحبها،لأنها لم تحقق الغاية المرجوة لبعدها عن أن تكون عالمية . وكنا نود لو أن المؤلف ناقش هذه الظاهرة .

حقائق أخرى

تتألف كل جائزة من جوائز نوبل من ميدالية ذهبية ، ودبلوم ، ومبلغ من المال يتراوح بين ٣٠ و ٤٠ ألف دولار ، وهذا يتوقف على مقدار دخل المؤسسة . وقد توزع الجائزة احيانا بين اثنين أو أكثر ، وقد تحجب فى سنة من السنين ، وفى هذه الحالة يعود المبلغ الى الصندوق الرئيسى ، أو الى الاحتياطى الخاص بكل جائزة . وأكثر جائزة حجبت هى جائزة السلام . وقد تمنح الجائزة أحيانا الى مؤسسة . وقد يمنح شخص واحد الجائزة مرتين : فمدام كورى منحت جائزة نوبل للطبيعة سنة ١٩٠٣ ، ثم منحت جائزة نوبل للكيمياء سنة ١٩١١ .

وقد بدأ توزيع جوائز نوبل لأول مرة فى ١٠ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠١ ، فى الذكرى الخاصة لوفاة الفرد نوبل . وجائزة السلام تمنح فى احتفال رسمى بأسلو عاصمة النرويج فى هذا التاريخ أيضا ، وفى اليوم نفسه يقدم ملك السويد الجوائز الأخرى فى استكهولم عاصمة السويد .

ويجب أن تصل أسماء المرشحين لجوائز نوبل الى المؤسسات المسؤولة قبل اليوم الاول من شهر فبراير (شباط) من كل عام ، وهذه الاسماء تقدم من قبل أفراد هم أعضاء ، فى أكثر الأحيان ، فى مؤسسات وحكومات ، ولا يتقدم لها الشخص بنفسه . وتتخذ قرارات منح الجوائز فى شهرى اكتوبر ونوفمبر (تشرين الاول وتشرين الثانى) من كل عام .

ومن الأشخاص الذين منحوا جائزة نوبل فى الطبيعة :

رونتجن (١٩٠١) لاكتشافه الأشعة السينية ، وبير كورى ومارى كورى (١٩٠٣) لاكتشافهما الراديوم ، وماركونى (١٩٠٩) لتطوير التلغراف اللاسلكى ، وانشتاين (١٩٢١) على نظرية النسبية .

ومن الذين نالوها فى الطب بافلوف (١٩٠٤) لاكتشافه وظائف الجهاز الهضمى ، وفلمنج(١٩٤٥) لاكتشافه البنسلين .

وممن نالوها فى الآداب : كبلنج (١٩٠٧) ، ورابندرانات طاغور (١٩١٣) ، واناتول فرانس (١٩٢١) ، وجورج برنارد شو (١٩٢٥) ، وتوماس مان (١٩٢٩) ، وبيرل بك (١٩٣٨) ، وبرتراند رسل (١٩٥٠) ، وونستون تشرشل (١٩٥٣) ، وأرنست همنغواى (١٩٥٤) .

ومن اولئك الذين نالوا جائزة نوبل للسلام : مؤسسة القانون الدولى (١٩٠٤) ، وتيودور روزفلت (١٩٠٦) ، ومكتب السلام الدولى (١٩١٠) ، وجمعية الصليب الاحمر الدولية (١٩١٧) ، ودورو ولسون (١٩١٩) ، والبرت لوثولى (١٩٦٠) ، وداج همرشولد (١٩٦١) .

وبعد ، ترى هل كان برنارد شو على حق حينما قال معلقا على منحه جائزة نوبل للآداب : « لم أبلغ بعد من الحمق درجة تجعلنى أرضى بقبول هذه الجائزة » ؟ لقد اتبع الرجل قوله العمل ، ورفض حضور الاحتفال وتسلم الجائزة . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

اقبال الشاعر والفيلسوف الانسان

تأليف حميد مجيد هدو – مطبعة الغرى الحديثة – النجف

● هذا الكتاب عن اقبال الشاعر والفيلسوف وهو من نوادر الرجال الذين خلقوا للانسانية جمعاء لينيروا طريق سعادتها وتقدمها ولينقذوها من هاوية الامراض الاجتماعية الفتاكة . وهو شاعر ومفكر وفيلسوف ومصلح وقائد من قواد الفكر الاسلامي والانساني في العالم كله ، وقد جاء هذا الكتاب باسلوب شيق شارحا وموضحا الكثير عن فلسفة هذا الرجل العظيم .

أصول علم النفس

تأليف دكتور أحمد عزت راجح – الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة الثمن ٧٥ قرشا

● هذا الكتاب يعتبر سفرا هاما في مادته وهو يدرس علما يتطور تطورا سريعا . والكتاب تعرض بأسلوب سهل وبوجه خاص لموضوعات الدوافع والذكاء والتعليم وهو مزود بأمثلة واقعية ملموسة تعين دارس هذا العلم على الاستبصار في نفسه وفهم غيره من الناس كما يزخر بكثير من البحوث التجريبية التي تفرق بين الراى والحقيقة وتفصل بين الشائع والواقع .

البعثات العلمية الشهيرة

تأليف رايموند هولدن ترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة – دار المعارف بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطبع – الثمن ٣٠ قرشا

● يروى هذا الكتاب بأسلوب ممتع خمس قصص من قصص مغامرات لرجال أفذاذ وبعضهم غاصوا في أغوار المحيط . وبعضهم صعد أعالي الجبال وآخرون كشفوا الاستار عن بعض اسرار الارض مثل سر قبر فرعون مصر توت عنخ آمون .

الصحة النفسية للاسرة

تأليف دالاس برات وجال نيهر ترجمة صموئيل مقاريوس – الخانجي بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – الثمن ٦ قروش

● يهدف هذا الكتاب الى تشخيص المشكلات التي يقاسي منها أفراد الاسرة ، ومعرفة أسبابها وكيفية الوقاية منها ، كما يعتبر مرشدا للآباء والأمهات في تقوية الروابط بينهم .

شجرة تنمو في بروكلين

تأليف بيتي سميث ترجمة الدكتورة نوال السعداوى دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة بالقاهرة الثمن ٥٠ قرشا

● هذا الكتاب تحفة أدبية رائعة قدمت للسينما بواسطة شركة فوكس والقصة ترمز لأسرة تعيش في حي فقير من أحياء بروكلين بالولايات المتحدة .

حقيقة السرطان

تأليف الدكتور شارلس س. كاميرون ترجمة الدكتور كمال سعيد – دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة الثمن ٦٠ قرشا

● هذا الكتاب يبصر القارىء بالكثير عن مرض السرطان وان كانت معرفة المرء بحقيقة مرض السرطان لا تضمن سلامته منه . فالسرطان يتطلب اهتماما شخصيا يفوق ما يتطلبه أي مرض آخر . كما يتناول الكتاب بالشرح كل ما توصل اليه الباحثون من وسائل عملية نافعة للوقاية من السرطان .

مع الأدب العاملي

تأليف علي الزين مطبعة سميا ببيروت الثمن ٥٠٠ قرش لبناني

● الكتاب عبارة عن دراسة ونقد وتحليل للادب في جبل عامل .

تراث الموسيقى العالمية

تأليف : كورت زاكس ترجمة الدكتورة سميحة الخولى دار النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة

● هذا الكتاب يجمع تاريخ الموسيقى منذ نشأة الانسان حتى العصر الحاضر فنا وصناعة وترجمة لحياة الموسيقيين واستعراضا لأعمالهم بأسلوب شيق كما يعد الكتاب مرجعا هاما فى هذا الصدد .

جدوى الفلسفة

جاك مارتيان . ترجمة رياض تجيب الريس . فرنكلين والمؤسسة الوطنية للطباعة والنشر . بيروت

● يعرض لنا المؤلف فى هذه المقالات الثلاث رأيه فى الدور الذى تلعبه الفلسفة فى حياة الانسان ككائن اجتماعى .

فى معركة الحضارة

قسطنطين زريق . دار العلم للملايين

● « ان هذه الدراسة تدور على محورين متلازمين ، وتعود الى حرصين متكاملين : حرص على ايضاح مفهوم أساسى من مفاهيم الحياة ، وعلى ربطه بسواه من المفاهيم الاساسية ، قصد الاسهام فى تكوين نظرة حضارية صحيحة لدى الشعوب العربية » .

الدب الصغير

تأليف : السى هوللاند ميناريك ـ ترجمة : عفاف محمد فؤاد

مكتبة النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ١٤ قرشا

● هذه قصة للاطفال الصغار تظهر سحر القراءة وقيمتها بالنسبة لأبنائنا الاحياء . وهى تمثل رحلة الدب الصغير الى القمر وذلك باسلوب يجذب انتباه الصغار شيق كما ازدانت برسوم ملونة رائعة .

فن الكاتب المسرحى

تأليف روجر م. بسفيلد (الابن) ترجمة دريني خشبة مكتبة النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٦٠ قرشا

■ الكتاب مقدم الى الكتاب المرحيين والمتعطشين الى الثقافة المسرحية العليا وكذا الى المخرجين والممثلين وفيه الخطوط العامة لكتابة المسرحية .

التقرير الى آباء التلاميذ

تأليف روث سترانج ترجمة الدكتور محمد خليفة بركات ـ دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ١٨٫٥ قرشا

● هذا الكتاب يتناول جانب التجارب العملية فى التعليم وفهم سلوك الأطفال وتحسين قدراتهم والتعاون بين الآباء والمدرسين والاطفال .

سلاسل الماضى

نزار مؤيد العظم . مطابع ابن زيدون ـ دمشق

● رواية يهديها كاتبها « الى اللذين اغترفت من منهلى واقعهما معطيات هذه الرواية .. الى اللذين عاشا الحب .. ليثبتا صحة الأسطورة القائلة : ما من سعادة الا والشقاء ختامها » .

دعنا نفهم مشكلات الشباب

ايمرز وهاكيت . ترجمة الدكتور عطية محمود هنا . مؤسسة فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية .

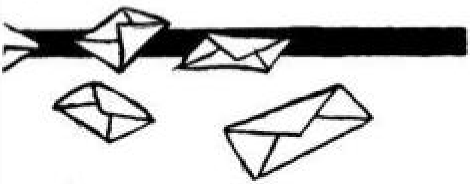
● من فصول الكتاب: مشكلات النمو ،مشكلات العلاقة بالوالدين ، المشكلات المتعلقة بالمدرسة ، مشكلات المراهقين الشخصية .

البحوث الممتعة

تأليف جورج بار ـ ترجمة الدكتور انور محمود عبد الواحد ـ مكتبة النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٢١ قرشا

● هذا الكتاب يصف للنشء كثيرا من البحوث العلمية ، كما يرشدهم الى استخدام الأساليب الفنية التى يستعملها العلماء الكبار . ■■

أنت تسأل



من خرافات التلمود

● ان بنى اسرائيل هـم شعب الله المختار ، الذى فرزه من بين الشعوب . أما بقية الأمم الخارجة عن دين اليهود فليست الا كلابا وحميرا وحيوانات خلقت للجز".

التَّلْمُودُ غيرُ التوراةِ

● أرجو التفضل بالاجابة عن الاسئلة التالية :

١ ـ ما الفرق بين اليهودية والصهيونية ؟

٢ ـ نقرأ احيانا أن التلمود هو الكتاب المقدس عند اليهود ، فهل هو التوراة التى أنزلت على سيدنا موسى ؟ أم هو كتاب غيرها ؟ واذا كان غيرها فعلى من أنزل من الرسل أو الانبياء ؟

صافيناز عبد الحليم ـ الاسكندرية

ـ اولا : احب ان تعرف ان الكتاب المتداول الآن باسم التوراة أو « الكتاب المقدس » « العهد القديم » ليس هو ما أنزل على سيدنا موسى ، وانما هو مجموعة من « الأسفار » تسجل الحوادث التى وقعت منذ بدأ الله خلق العالم ـ فى زعمهم ـ ولم تقف عند وفاة موسى بل استمرت الى ما حدث بعد ذلك لبني اسرائيل ، وما جاء على لسان انبيائهم الى الفترة التى سبقت ظهور السيد المسيح ..

ولا شك ان هذه الاسفار كتبت فى عصور مختلفة ، مترامية فى القدم ، وباقلام اشخاص مختلفين ، خلافا لما كان اليهود يزعمون من أن موسى هو مؤلف القسم الاول ، الذى ينتهي بموته ، بدليل انه حتى « شريعة موسى » المدونة فى سفر « تثنية الاشتراع » ـ تقول عنها الطبعة الأخيرة للكتاب المقدس اصدار المطبعة الكاثوليكية فى بيروت ما يلى : ـ (قد رأى مؤلفها، كي يحفظ ايمان معاصريه ويحذرهم من تأثير الكنعانيين المشئوم، أن يعتمد على تقاليد قديمة ، وعلى سلطة موسى ، ليعطي رسالته ، فوضع الكلام على لسان موسى لأنه امتداد لشريعته ، لكنه مطبق على الأيام الجديدة ، وذلك حسب عقلية العصر) !

كما ان واضعي معظم هذه الأسفار « لم يكترثوا بربط الحوادث بالتاريخ العام »

ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

من خرافات التلمود

- ان اليهود أقدس من الملائكة واغضاب الحاخام كاغضاب العزة الالهية !
- ان الله نفسه يدرس التلمود منتصبا على قدميه .
- ان التلمود وجد قبل الخليقة ولولا التلمود لزال الكون .

واليهودية غير الصهيونية

بقدر ما حرصوا على ابراز تاريخ « شعب الله المختار » وما حدث لهم منذ اخرجوا من مصر .. كما أن بين هذه الأسفار ما لا يتصل بالشريعة ولا بالتاريخ ، مثل « نشيد الانشاد » و « الجامعة » وغيرهما ..

أما الفرق بين اليهودية والصهيونية فهو : ان الاولى دين من أديان الله ، بينما الثانية فكرة سياسية ترمى الى تحقيق اغراض دنيوية اهمها انشاء دولة عنصرية يهودية فى فلسطين ، او بالاحرى اقامة امبراطورية يهودية عالية ، من النيل الى الفرات ، يكون مركزها فى فلسطين .

ولتحقيق هذه الغاية وضع بعض حاخامات اليهود كتاب « التلمود » واسبغوا عليه من القداسة ما لا تتمتع به التوراة نفسها . وقد وضع هذا الكتاب أيام سبى بنى اسرائيل ، وهدفه الاول تحريض شعب بنى اسرائيل على كل من عداه من الشعوب التى يسمونها « الغوييم » وتمييز بنى اسرائيل على كل من سواهم لأنهم « شعب الله المختار » الذى فرزه من بين الشعوب ! بينما بقية الشعوب والأمم الخارجة عن دين اليهود « ليست الا كلابا وحميرا وحيوانات خلقت لِلْعجز » !!

ومن امثلة تلك الخرافات ما يلي :

« ان التلمود وجد قبل الخليقة ولولا التلمود لزال الكون »! (سفر بيسلشيم ٥٤،٨٦)

« ان اليهود اقدس من الملائكة ، وان اغضاب الحاخام كاغضاب العزة الالهية » .. (سفر سنهدرين) .

« ان الله نفسه يدرس التلمود منتصبا على قدميه » !! (سفر مجيلا ١١) .

« وان للحاخامين السيادة على الله ، وعليه اجراء ما يرغبون فيه »!!(سفر مويدقنان).

قراءة الكف للتنبؤ عن المستقبل .. دجل أي دجل !

● أنا شاب متعلم ، مهندس جيولوجي ، تزوجت من أقل من عام بزميلة لي بادلتني الحب طيلة سنوات دراستنا الجامعية ، ونحن نعيش الآن كأسعد ما يمكن أن يعيش زوجان ، وكل أمنيتنا أن يمن الله علينا بطفل أو أكثر ، حتى تزداد الرابطة بيننا رسوخا وتوطيدا .

كنت من أيام أزور أحد أصدقائي فاذا بي التقى عنده بأحد قارئي الكف المعروفين ، فدفعني حب الاستطلاع والبحث وراء المجهول أن أطلب اليه قراءة كفي .. وما كان أشد الصدمة على نفسي عندما أكد لي أنني سأتزوج مرتين ، ولكني لن أنجب ذرية من الزواجين !

ولما سألته كيف عرف ذلك ، أخرج لي كتابا باللغة الانجليزية اسمه :

What your hands Reveal.

لمؤلفة لا أذكر اسمها الآن ، وأراني بعض الرسوم وفيهـا خطوط صغيرة ، عرضية وطولية ، في نهاية كلوة اليد تحت الاصبع الخنصر ، وقال : ان الاولى هي خطوط الزواج ، ومنها يتبين عدد الزوجات ، وأن الثانية تبين عدد الأولاد .

ولست اكتمكم اني أعيش منذ ذلك الوقت في دوامة ! فأنا أحب زوجتي وأكره أن نفترق يوما ما ، ولكني في الوقت نفسه أود ، كما تود هي ، أن يرزقنا الله طفلا يملأ علينا فراغنا في المستقبل.

وطبيعي أني لم أخبرها بشيء مما سمعت . ولكني عرضت نفسي على أحد كبار الأطباء ، فأكد لي بعد اجراء بعض التحاليل المعملية ، أن كل شيء عندي على ما يرام .. وأخشى أن أطلب الى زوجتي أن تجرى هي الاخرى مثل هذه التحاليل فتكون النتيجة مخيبة لآمالنا ...

أفيدوني بربكم ، ماذا أصنع ؟

س.ج. ـ القامشلي

ـ من قديم الزمن اهتم الكثيرون بدراسة الكف ، اعتقادا منهم بان شكل اليد والخطوط والعلامات المنتشرة فيها لم توجد عبثا ، وانما وجدت للدلالة على شخصية صاحب الكف وميوله وأخلاقه اذ ان شبكة الاعصاب التي تتصل بالمخ تتأثر بحالة المخ الذي يتحكم فيها .

لكن المغالاة في هذه الدراسات أدت الى ظهور طائفة من الدجالين الذين لم يقتصروا على دراسة العلاقة بين شكل الكف وخطوطها وبين أخلاق صاحبها وميوله وأمراضه ، بل زعموا القدرة على التنبؤ بالمستقبل وما يقع فيه ، من هذه الخطوط والاشكال ، بما في ذلك من زواج وطلاق ونجاح وفشل ، وثروة وذرية ، وصحة أو مرض ، ولا يتورعون عن أن يحددوا لكل من هذه الحوادث تاريخا معينا ! حتى الأعمار لم تسلم من «علمهم» بل من دجلهم ، فهم يقولون لك انك ستعيش كذا من السنين ، وتتزوج كذا من النساء وتنجب كذا من الأولاد والبنات ، لان ذلك كله ـ بزعمهم ـ مسطور في كفك !!

وقد أخرجت المطابع في السنوات الاخيرة مئات ، بل الافا ، من الكتب في « علم » قراءة الكف ، في الشرق ، والغرب على السواء . وكلها تتفنن في رسم اليد في أشكالها المختلفة وخطوطها المتباينة ، وتقسمها الى « تلال » و « سهول » و « جبال » وتنسب كل واحد منها الى نجم او كوكب ، كالشمس وعطارد والزهرة والمشترى والمريخ وزحل والقمر ، ولو ان مؤلفيها نسوا أن يضيفوا كوكبي أورانوس ونبتون ، وزميلهما الأحدث « بلوتو » !

أما نصيحتنا اليك ، يا سيدي القارىء فنستمدها من أحد هذه المؤلفات المعروفة في قراءة الكف ، وفيه يوصي المؤلف تلاميذه بما يأتي :

١ ـ « اياك أن ترتكب ما يرتكبه الدجالون من حماقات ، فتتنبأ لمن تقرأ كفه ، رجلا او سيدة ، بعدد الزيجات أو عدد الأولاد ، اعتمادا على الخطوط القصيرة التي تظهر في نهاية كلوة اليد أسفل الأصبع الخنصر ، والتي يدعي الجهال من قراء الكف انها تبين عدد الأزواج والأولاد » .

٢ ـ « لا تذكر تاريخا محددا أو سنة معينة لحادثة تظن أنها ستقع في المستقبل ، لأن هذا مستحيل بداهة وعلميا ، وان حدث مرة فمن قبيل الصدف التي لا تتكرر .. وحذار أن تحدد لشخص ما عمره وعدد السنين التي سيعيشها ، فذلك أسرار الغيب ، والغيب لا يعلمه الا الله .. » .

وهكذا يمكن أن نقول: «وشهد شاهد من أهلها».

فلا تلق بالا الى ما تنبأ به عراف السوء ، ولا تنغص سعادتك الزوجية بالاستماع الى مثل هذه الترهات التي لا تعدو أن تكون رجما بالغيب ، لا يستند ـ حتى الآن على الأقل ـ الى أساس من العلم يستريح اليه الانسان ...

العرب العاربة .. والعرب المستعربة

● كثيرا ما نقرأ في كتب الادب والتاريخ عبارتي « العرب العاربة » و « العرب المستعربة » دون أن نعرف الفرق بينهما . واخيرا أخبرني أحد الأصدقاء ان العرب المستعربة هم الشعوب العربية التي دخلت الاسلام واستعربت ، فدهشت من ذلك لأني كنت قرأت أن ذرية اسماعيل هم من العرب المستعربة ، ومنهم قبيلة قريش التي كانت تضم بني هاشم ، أسرة الرسول العربي الكريم . فكيف يمكن التوفيق بين هذه الآراء المتضاربة ؟

ابراهيم علي سعيد ـ الكويت

ـ ليس صديقك على حق فيما قاله لك من ان العرب المستعربة هم الشعوب العربية التى دخلت الاسلام وذابت في الدولة العربية .

وينقسم العرب عند علماء الانساب والمؤرخين الى ثلاثة اقسام :

العرب البائدة : وهم اقدم قبائل العرب . يرجع تاريخهم الى اكثر من اربعة آلاف عام .

واشهر قبائل العرب البائدة :

ـ العمالقة : وقد عاشوا في الحجاز ومصر والعراق حوالي سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد .

ـ عاد وثمود : وقد عاشوا في الاحقاف بين عمان وحضرموت حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

ـ مدين : وقد عاشوا في العقبة بالاردن حوالي سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد .

وقد بادت هذه القبائل وغيرها مثل اميم وجُرْهُم ، ولم يبق من آثار حضارتها الا النادر .

اما العرب العاربة : فهم القحطانيون الذين سكنوا اليمن وغيرها من الأقطار العربية ، وكانت لهم فيها دول دالت هي الأخرى ، كالمعينيين والسبئيين والحميريين في اليمن ، والغساسنة في الشام ، واللخميين في العراق .

وكان لكل دولة من هذه الدول حضارتها المستقلة ، وكانت دولا متعادية لا تجمعها رابطة .

واما العرب المستعربة : فهم نسل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ويقال لهم العدنانيون ، وهم قبائل كثيرة معروفة ، فمنهم تميم وغطفان وكنانة ـ ومنها قريش قبيلة بنى هاشم اسرة الرسول (صلعم) ـ وربيعة وتغلب وبكر وبنو شيبان .

وتجد أنساب العرب شعوبا وقبائل مفصلة في كتب الأنساب المختصة ، ككتاب « جمهرة العرب » لابن دريد و « العقد الفريد » لابن عبد ربه .

بدء التاريخ الهجرى

● كلنا نعلم أن التاريخ الهجرى بدأ عام ٦٢٢ من الميلاد . هل أستطيع أن أعرف في أى يوم وفي أى شهر من ذلك العام بدأ التقويم الهجرى ؟ .

اسماعيل ضياء الدين ـ طرابلس

ـ بدأ التقويم الهجرى على أصح الأقوال في يوم الجمعة الموافق ١٦ يوليو (تموز) سنة ٦٢٢ ميلادية و ١٢ أبيب سنة ٣٨٨ قبطية .

شرب اللبن بعد أكل السمك

● كثيرا ما نسمع اشاعة تقول ان شرب اللبن بعد أكل السمك مباشرة ، أو العكس ، يؤدى الى أحداث تسمم في الجسم .. فما هو وجه الحقيقة في هذه الاشاعة ؟

حمزة عبد العزيز : الدمام

مروان ناصح : الحسكة

ـ أصل هذه الاشاعة خرافة قديمة توارثتها الأجيال في بعض اقطار الوطن العربى التى كانت ترزح تحت أثقال الجهالة والخرافات ، دون أن يكون لهذا الزعم سند من علوم الطب والصحة العامة .

«وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات»

● انا شاب فى العشرين من عمرى ،متزوج منذ أقل من عام . وكنت قبل ذلك سفاحا وان لم أقتل أحدا ، بل كنت أسطو على أموال الناس وأنهبها وهم عنها غافلون .. وقد لبثت على هذا الحال بضع سنوات قبل زواجي ، ثم بعده بشهرين اثنين ، وعندها بدأ ضميرى يستيقظ ، وبدأت أحاسب نفسى على ما فعلت ، ثم تملكنى الندم على ما كان منى ، واعتزمت التوبة الى الله .

وقد سمعت من امام مسجد القرية أن من شروط التوبة رد المظالم الى أهلها ، وحيث انى لا أستطيع أن أرد ما سرقت الى أصحابه لأنى بذلك أعرض نفسى للحبس وربما لسنوات طويلة ثم اذا خرجت من السجن خرجت مدموغا بأنى لص قديم ، ولن ألقى من المجتمع الا النبذ والاحتقار ..

لكنى فى نفس الوقت راغب أشد الرغبة فى أن أتطهر من كل قرش اغتصبته أو سرقته ، فهل يقبل الله توبتى اذا ما تبرعت بما يوازى ما نهبت فى الماضى الى الفقراء والمساكين ، أم أن هناك طريقة أخرى أضمن بها أن يغفر الله ما تقدم من ذنبى ويقبل توبتى ؟

تائب صادق

ـ انا معك فى انه ليس معقولا أن ترد ما نهبت الى اصحابه فتعرض نفسك للعقاب الجسمانى والأدبى ، لأن هؤلاء لن يغفروا لك ما فعلت بهم ، وسيجدون من القانون سندا اى سند ، وقد قال الله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

ان صحوة ضميرك ، وندمك على ما فعلت ، واعتزامك ألا تعود ، كل أولئك دلائل على صدق توبتك . ولا يبقى من شروط التوبة الا رد المظالم الى أهلها ، فان تعذر ردها الى أهلها كما هو الحال فى مشكلتك ، فان التصدق بما يوازى ما سرقت على الفقراء والمساكين يكفى ، ما دمت تفعل ذلك بنية رد المظالم واكمال شروط التوبة ..

فهيا ولا تتردد ، وعلى بركة الله ، ويتوب الله على من تاب .

تزييف هدايا «العربي»

● كلما أقبل موعد وصول مجلتنا الحبيبة « العربي » تهافت الناس على المكتبات زرافات ووحدانا ، كل يريد أن يحصل على نسخته قبل أن تنفد الكمية التى لا تظل أكثر من ثلاث ساعات ، حتى أن الكثيرين يضطرون لأن يدفعوا فى النسخة الواحدة خمسة ريالات أى بضعفين ونصف من ثمنها المحدد !

وقد صدر العدد السابع والسبعون وعلى صفحته الاولى أن هديته هي صورة الحرم الشريف ، ولكن ما كان أشد دهشتنا عندما وجدنا أن الصورة المرفقة بهذا الخطاب هى المرفقة بالعدد باعتبارها هدية . وقد ناقشنا صاحب المكتبة فى ذلك خصوصا أن الصورة بالية ، فأصر على أنها هى الهدية وأراد أن يسترد العدد اذا لم تكن الصورة تعجبنا ، فقبلنا العدد على مضض لحرصنا على ألا يفوتنا ، ثم بادرنا بارسال « الهدية » المرفقة به ، حتى اذا كانت هي التى أصدرتموها قبلناها على العين والرأس ، وان لم تكن هى فنرجو أن تعملوا على ألا يتكرر مثل هذا العمل من هذا النفر من أصحاب المكتبات وباعة الصحف الذين كثيرا ما يخفون هدية « العربى » ويزعمون أن الأعداد وصلت بغير هدايا ، أو يزيفون كما فعل صاحبنا .

عبد الستار عبد الصمد . عبد الرحمن الشبل
عبد الرحيم صالح : المدينة المنورة

ـ ان نظرة واحدة الى « الهدية ! » التى أرفقتموها بكتابكم تكفى للحكم عليها بأنها ليست هدية من « العربى » ولا يمكن أن تكون . فهديتنا صورة فوتوغرافية جميلة لبيت الله الحرام فى الليل والحجيج حول الكعبة بملابس الاحرام ، و « الهدية » التى بعثتم بها مصورة رخيصة رسمتها يد عامية ، كتلك الرسوم التافهة التى تعرض بالفلس والفلسين على قارعة الطريق ...



قصة من واقع الحياة

المرأة الأخرى

بقلم : سميرة عزام

■ بشعور يقظ تجاه كل شيء ، حملت غربتي، وتربعت على طاولة يستند كرسيها الى واحد من الاعمدة الكثيرة في الردهة المربعة الملحقة بالفندق الكبير ، وجلست في مكاني ارقب الناس دون أن اشعر بحب نحوهم أو كراهية .

تارجحت فوقي بالونات منتفخة تحمل رسوما لوجوه ارانب او قرود ، ومصابيح ترمي بظلال على الحائط ، اشكالا كثيرة متداخلة . وكانت موسيقى الفرقة العازفة تهز الجدران وتحرك كل ما يتدلى من السقف فتترنح من جراء ذلك الظلال ، وتظلم امامي الوجوه حين تقع في منطقة الظل ، ثم ما تلبث ان تضيء . والراقصون كتلة ممتقعة متحركة تترابط بحبال من ورق (الكونفيتي) الملوّن يمدها عابثون من أطراف القاعة ، فتلتف حول الخصور والسيقان ، ثم ما تلبث أن تنقطع بحركات الأجساد .

امامي مباشرة مائدة صغيرة متوحدة ، تجثم عليها مُومِس" اخذت تغمز رجلا يجلس وحيدا أيضا على طاولة مقابلة ، وقد افهمها دون أن يقول شيئا أنه صيد" لا خير فيه ، الا انه طلب لها كأسا تشربها على طاولتها ، فقبلت الكاس ، والقت بها الى جوفها على دفعتين ، بينهما نفس طويل من سجارة ، ثم ارسلت من بين أسنانها العتيقة ابتسامة لم يرفضها الرجل ولم يقبلها ، فهزت

كتفها ، وتناولت سجارة من علبة زرقاء (اظنها فرنسية) واشعلتها من السجارة السابقة التى القت بها على الأرض (الواقع انه لم يكن أمامها منفضة سجائر) . ومدت قدمها وداستها بكعب غليظ . فلحظتُ حذاءها الذى يعود طرازه الى اربعينيات هذا القرن ، اذ كانت سيوره تلتف لفتين حول ساقيها . وقفزت عينى الى رأسها حيث تنافرت كتلة من الألوان : القبعة القطيفة الخضراء مزينة بوردة اصطناعية قذرة مُفتتلة الأطراف ، والشعر مصبوغ بحناء بهتت فباتت منابت الشعر أكثر بياضا فى المواضع التى لم تغطها القبعة ، وكان ثوبها من القطيفة الخضراء أيضا ، استهلك بقسوة حتى لم تعد هُويَّة القماش بادية فى التماع الكوعين وما حول الرقبة. امامها على الطاولة كانت حقيبة مزينة بمثل وردة القبعة ، بقايا عزٍّ لا يبهر أحدا ، ولا يتحدث الا عن علاقات ليست قطعا من بنات العقدين الأخيرين من الزمان .

اما وجهها فلوحة لا تنتمى لمدرسة ما فى أيامنا .. قوسان رفيعان بنيان للحواجب ، وفم تكاد حدود شفتيه لا تبين . والبقعتان الحمراوان على اعلى الخدين أشبه بالدوائر الحمراء على وجوه المهرجين . وكنتَ لا تدرى ، وانت تتأمل وجهها ، وعينيها المزمومتين اللتين لا تستكينان على شىء ، أى تعبير كانت تريد أن تبديه للرائى .

كانت الكاس فارغة أمامها ، وكان واضحا أنها تبحث عن كأس أخرى ، وقد مر بها النادل مرات، وسألها لماذا لا تقوم وتخلى المكان لمن يستطيع أن ينفق . ولم أستطع أن ألمس الى أى مدى كان جادا ، لأنه ضحك للشتيمة التى سمعها ، كأنه ما تحرش بها الا ليسمعها ، وخلاّها وانصرف حاملا كؤوسه وهى تدمدم بشىء لا تكف عنه الا متى زمت شفتيها على سجارة .

وكانت اذ تتعب من الجلوس تقوم تاركة حقيبتها على الطاولة ، تشق الزحام باصرار الخاسر . والاحقها بنظرى ، اترجم النظرات التى تتلقفها ثم تبصقها فلا أمسك بخيط أمل ، فالمأدبة مأدبة لحم ، تتزاحم فيها اذرع سمراء ، ممتلئة ، تلتف حول الاعناق أو الظهور ، أو تستقر بأظافرها المصبوغة المدببة على موائد غرقى بمزايدات الكرم.

ولم يكن لتلك المرأة من مكان حتى عند هؤلاء الذين جلسوا وحيدين يفتحون عيونا نهمة لكل شىء ، ويشربون بشراهتهم الموائد ومن عليها ، فتعود تمتص سجارتها ، وتدق بكعب حذائها ، وترمقنى ببعض الضيق باعتبارى شاهدا على اخفاقها متفرغا .

وكان الرجل قد عب كأسه الخامسة ، ثم قام من مكانه أحمر العينين ، فتململتْ واستدارت نحوه ، ولكنه تجاوزها دون أن ينظر اليها مرتين، ففقدت ما خلته أنا احتمالا ، فقلبت شفتيها وزاغ بصرها من جديد فى حين راح كعبها يدق بعصبية لا تشبه هذا الاستسلام المائل على وجهها. ورويدا رويدا كف كعبها عن الدق ، وبدأ رأسها يثقل ، وجفناها يرتخيان ، ثم انكفأت على المائدة ، وعزلتها الاغفاءةُ عن نثار الضحك المتطاير المنفتل بموسيقى متسارعة الايقاع فاجرة . وفى فترة السكون تلك ، كانت وردة القبعة منكسة كعَلَم قرصان قد استسلم . ولم يهتز فيها شىء ، لا الوردة ولا القبعة ولا الرأس ، حتى حين احتل الطاولة الفارغة المقابلة لها شخصان : رجل وامرأة ، زوج وزوجة من هؤلاء الذين يتحابون أكثر فى الأماكن العامة ، حين يكون فى الجو شىء من التوهج يغطى على بلادة المألوفات ، فيمارس الزوجان أدوارا منسية ، ويتحدثان بأشياء لا يعرفان كيف يقولانها فى البيوت .

من المرآة الصغيرة النائمة فى حقيبة سوداء مزينة بالترتر اللميع ، التمست الزوجة توكيدا صغيرا نالته دون عناء ، فتنهدت بارتياح ، وزمّت شفتيها على فستقة وهى تجوس بعينيها المكان بسرعة تستقرىء شيئا ، ولكن النظرة اكتسبت تركيزا خاصا وهى تعلق بطاولة المومس ، فضغطت على ذراع زوجها ، وكانت الوردة المنكسة علامة ناطقة لا تدع مجالا لاجتهاد كثير . ففهم الزوج شيئا ، وراحت المرأة تمسح المرأة الأخرى بنظرة لم ترحم حتى الحذاء . واذ اشتد سُعار الطبل، اجفلت المومس وانتفضت من نومها ، محاولة أن تتماسك، مُسَوِّيةً من وضع قبعتها ، بالعةً تعاسها بجَرعة ماء .. واذ تلقفتِ النظرةَ المحدقة بها ، جمعتْ فى عينيها شيئا كثيرا يمكن أن يقال ، شيئا ما لبث أن انطفأ حين عاد رأسها يثقل من جديد ، وأصابعها ترتخى عن السجارة المشتعلة .

توقفت ساعتى فما عرفت كم بقيتُ مشدودة الى الكرسى ، ولكننى ادركت اننى مكثت طويلا حين فقدتُ اهتمامى بملاحقة الراقصين ، وبدات احلم بفراش الفندق الوثير ، وبطعم معجون الاسنان يرطّب فمى الذى غدا حطبةً يابسة لكثرة ما عبّ من سُحُب زرقاء لسجائر لم ادخنها . ولكنى لم اقم .. وبفضول امراة ضنينة بتجارب السياحة بقيتُ أنتظر نهاية اللعبة .. وقد انحصر اهتمامى بالمكان متركزا كله على هذه الطاولة المقابلة ، وبدات ارى جسرا يمتد بينى وبين هذه المومس ، ولكن دون ان اكشف عنه بابتسامة حين تلتقى عيوننا فى فترات صحوها . منحتها فضُولى وأكثرَ عطفى واحتفظت بكبريائى.وبلهفة خفية رحت أنتظر معها أن تنتهى الليلة بشىء يضع حدا لنوم امضته ضرورة التصيد .. وكانت عيناى تلتقطان عينى المرأة الاخرى ، عند المائدة المقابلة ، حين لا تكون مشغولة بالالتصاق بزوجها، فنحاكم بشكل خفى ظروفا تجعل مترا من الفراش مطلبا يحلم به فى مكان عام ، ونتساءل لماذا لا تتحرك الرغائب الميتة فى تلك الرؤوس الصلعاء التى تتفصد بالعرق وبنكات يضحك لها أصحابها وحدهم . وحين لا يتحرك احد كانت المرأة تحزن بشكل مترف وتتطلع الى زوجها لتدفعه الى ان يحزن معها ، ولتؤكد لى انها مثلى تتمنى أن ترى نهاية اللعبة . وتلتقى العيون عند الوردة المنكسة، ثم تتفرق اذ يتململ الرأس وتمتد اليه اليدُ المعروقةُ لتسوى القبعة من جديد ، وتتقلص على سجارة جديدة لا تفلح فى تنشيطها أكثر من دقيقة ما تلبث اليد بعدها أن تهوى ، ويغطى عُواء الموسيقى على حشرجة التنفس ..

كان واضحا ان المرأة اذ مالت على زوجها قد قالت بشىء من الحزن النزّق : لماذا لا تذهب هذه وتنام .. فعب الزوج نصف كاسه وتجشا حقيقة عتيقة : « آكلة بثدييها .. » . ثم عب النصف الآخر وهمس فى اذنها بشىء ، وبحماسة لا تعرف كيف تدارى نفسها اخذت يده ، وفركت اطرافَ اصابعه بشىء من الجذل . فمدّ يده الى جيب سترته ، واخرج شيئا حمله، وخطا خطوات ثلاثا باتجاه النائمة ، ودسّه فى يدها المتصلبة على الطاولة . ومن مكانى استطعت ان المح انه ورقة نقد اخفقت فى تحديد قيمتها،اذ لم تمكنى الاضاءة الصفراء الحمراء البيضاء من تحديد لونها . وحين اجفلت المرأة وتمكنت من رفع راسها ، كان الرجل قد عاد الى مكانه ، وكان يتخفف باخراج زفرة عميقة ، فى حين اخذت الزوجة تستجدى اعجابى بلا تحفظ .

اما المرأة فقد تحسست الورقة ، واذ ادنتها من عينيها اصطبغ وجهها وعنقها باحمرار عجيب لم تمتصه اضواء المصابيح المختلفة . وبصعوبة ملحوظة انتفضت ، واخذت حقيبتها ، واخرجت مرآة صغيرة مدوّرة ، وتاملت وجهها من كل زواياه ، ثم اطبقت الحقيبة على المرآة ، وببرود عاصف صوّبت للمائدة الأخرى نظرة قاسية من رصاص ، وراحت تدعك الورقة ببطء متناه ، وقد اتسعت عيناها واكتسبت خطوط وجهها قوة غريبة . واذ تكوّرت الورقةُ تماما فى يدها ، كان وجه المرأة الاخرى هدفا قريبا لكرة عنيفة صلدة ! ■■

سميرة عزام ـ بيروت

الرجال أشد اختيالا من النساء

● كانت « ليدى استور » عضوة البرلمان الانجليزى الشهيرة تتحدث فى مأدبة كبيرة ، فزعمت ان الرجال أشد اختيالا من النساء ، فأحدث قولها عاصفة من الاعتراض ، فردت بأنها قادرة على اقامة الدليل الحسي ، ثم قالت :

ـ مما يؤسف له ان اذكي الرجال وأعلمهم اقل الناس عناية بملابسهم ، فحول هذه المائدة مثلا رجل لعله أعظم المعاصرين ثقافة ومع ذلك فان ربطة ياقته شوهاء تؤذى العين !

فامتدت أيدى الحاضرين فورا الى ربطات أعناقهم ليتحسسوها او ليصلحوا من شأنها .

بروجل .. الفلاح الفنان

■ عاش بيتر بروجل Pieter Bruegel فى زمن كثير التغير والشغب والاضطراب . وقد ولد فى هولندا وفيها رسم أكثر رسوماته .

وكانت هولندا جزءا من امبراطورية تتألف من عدة اقطار ، متفككة ، تضمنت اسبانيا ، وأجزاء من ايطاليا وفرنسا والمانيا، ومن بعض مستعمرات جديدة بأمريكا ، واخرى فى الشمال من افريقيا . وثارت فى قلوب مواطني بروجل فى هولندا ان يرفعوا عن أنفسهم نير الاسبان ، وأن ينشئوا لهم دولة مستقلة . وفعلا قاومت أجزاء من هولندا الحديثة ، تحت قيادة وليم أوانج ، جيوش فيليب الثانى ملك الاسبان ، مقاومة عنيفة دامت سنتين .

ولكن بروجل لم يلق باله الى هذه الاحداث. انه ألقى باله الى أشياء أكثر خلودا ، تتعلق بالحياة وبالموت ، وبالحياة من بعد موت ، وكذلك بتغيّر الفصول واختلاف مناظرها فى الريف الذى كان به . واهتم أكثر من كل ذلك بحياة الناس الجارية كل يوم (انظر اللوحة المنشورة على صفحة ٢) .

ان المعروف عن حياته قليل . وهو لا بد ولد قبل عام ١٥٣٠م بقليل ، وهو مات عام ١٥٦٩م . وعندما اكتشف أهله موهبته للرسم أرسلوه يدرس الرسم عند رسام القصر الامبراطورى فى عهد الامبراطور شارل الخامس . وهو الرسام بيتركوك (Pieter Coeck) .

وذهب بروجل الى فرنسا والى ايطاليا وعاد ليعيش بمدينة انتورب بـ Antwerp بهولندة .

وفى عام ١٥٦٣ انتقل الى بروكسل وتزوج ابنة استاذه كوك . ومنها خلف ابنين ، بيتر بروجل الاصغر ، وجان بروجل ، وكلا الابنين كان له اسم مذكور مشهور بين الرسامين من الفنانين .

وبروجل الاب كان له أثر عظيم فى من تبعه من الرسامين ، لأنه كان أول فنان رسم مناظر الريف والسماء وصور الناس فى مباذاتهم كما هم . وهو تحاشى ان يخلق الجمال فى صوره حيث لم يكن هناك جمال .

وجاء القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، وانتحى الرسامون فيهما ناحية التنميق والترفيه ولو بالكذب ، فنسيَ بروجل كل النسيان . ولم يظهر اسمه الا منذ قريب حين اتضح للنقاد حقيقة ما رسم واتضح الفن فيه والصدق فيه .

وفى هذه الأيام فقط عدّوه فنانا كبيرا ، وهو هكذا لا شك كان .

ولعل هذا الجنوح منا الى تقدير هذا الرجل الآن يرجع الى أننا كذلك نعيش فى زمن تحوط به الريبة ، ويساوره التعقيد من كل جانب ، ومن اجل ذلك اشتقنا الى البساطة فى الحياة والى الامن فيها . نحن نولد ، ونحن نتزوج ، ونحن نعمل ونلعب ، واخيرا نحن نموت ، وأملنا فى الحياة الآخرة عظيم .

فهذه هي نفس المظاهر والمخاطر والآمال التى ظل بروجل الأب يصورها فيما رسم منذ أربعة قرون مضت . ■■

حقق ربحاً جديداً في حياتك .. واضمن كسب

٦٪

ربح على حسابات الودائع

ان نقودك تحظى باقصى معدل للفائدة مامون ومضمون قدره ٦٪ حين تودعها فى « حساب الودائع » ببنك « لومبارد » فلن تخصم منها اية ضريبة على الدخل مقررة فى المملكة المتحدة ولن تتأثر نقودك اطلاقا بالاحوال الاقتصادية المتغيرة كما أن من السهل سحب اى مبلغ تشاء منها وفقا للشروط التى تعينها .

ولا بد ـ لكى تربح ٦٪ سنويا ـ من ان يكون الحد الادنى بين الايداع والاخطار بالسحب مدة لا تقل عن ستة أشهر ... ويدعم ودائعك فى مؤسسة « لومبارد » المصرفية راس مال مدفوع واحتياطيات تتجاوز ١٢ مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

بادر الى الكتابة الى المدير العام فى طلب مزيد من التفصيلات وفى طلب نسخة من كتيب « حساب الايداع » رقم A.O. 182 .

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: Lombard House, Curzon Street, Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)

City Office: 31 Lombard Street, London, E.C.3. MINcing Lane 4111 (7 lines)

بريد القراء

بقية المنشور على صفحة ٧

يخرج عن روحه ومادته ، دون أن يتخبط فيه ، كما وقع لغيره ممن أرادوا التوفيق بين القرآن والعلوم الحديثة ، « فوقعوا فى شر مما وقع فيه السابقون من المفسرين» كما يقول الاستاذ الفاضل الذى أجاب عن السؤال ، والذى أعجبني من اجابته ما اشترطه على الهيئة التى ستشرف على التفسير الجديد المقترح : « ان القرآن ليس كتاب طب أو فلك أو جيولوجيا أو طبيعة ، وانما هو كتاب تشريع فى المقام الاول ، فلا ينبغى ، بل ولا يجوز،أن نحمّل آياته من المعانى ما لا تحتمل، أو أن نحاول اخضاعها للاكتشافات الحديثة ، أو أن نخضع لها هذه الاكتشافات . لكيلا نعرّض القرآن فى المستقبل القريب أو البعيد لما تعرضت له بعض النظريات العلمية القديمة .. الخ » .

هذه كلمة حق أردت أن أنوه بها لما للاستاذ الفاضل صاحب السؤال من حسن ادراك لدينه، وفهم لحقيقته ، وأيضا تقديرا لتلك الاجابة الراشدة ، ولما لصاحبها من جزيل الفضل فى بيان كيفية تأليف الهيئة التى ستشرف على تفسير القرآن من العلماء والمتخصصين فى شتى العلوم والفنون .

محمد صالح سعدان / القاهرة

ـ هذه واحدة من عشرات الرسائل التى تلقيناها تأييدا للدعوة الى تنقية تفاسير القرآن الكريم مما حوته من ترهات واسرائيليات ، ننشرها لا للتدليل على أن هذه الدعوة تلقى التأييد الكامل من مختلف الأوساط الاسلامية المتحررة الواعية ، فذلك شيء لا شك فيه ولا خلاف عليه ، ولكن لنصحح كاتبها الفاضل قوله ان الامامين محمد عبده والمراغى لم يدونا تفسيرا للقرآن ..

فاما الامام محمد عبده فقد ترك تفسيرا متداولا من زمان بعيد لجزء عم ، وقد طبع عدة طبعات .

وهذا بخلاف ما نقله عنه الشيخ رشيد رضا اثناء دروسه فى الأزهر،وسجله فى تفسيره المعروف.

واما الشيخ المراغى فقد دوّن تفسيرا لكثير من السور والآيات كان يلقيه فى الدروس الدينية التى كانت تنظم فى شهر رمضان او فى غيره من المناسبات الدينية ، وقد قامت ادارة الأزهر بطبع هذه التفاسير فى اجزاء مستقلة ، فى متناول من يطلبها من المسلمين .

بقيت لنا كلمة عن « فى ظلال القرآن » للاستاذ سيد قطب ، وهو انه ليس تفسيرا للقرآن بالمعنى المفهوم بقدر ما هو خواطر عن القرآن كما يقول المؤلف نفسه .

دمشقى وليس مقدسياً

● تضمن مقال المؤرخ الكبير الأستاذ عارف العارف عن « دير ياسين » المنشور فى العدد السابع والسبعين من « العربى » صورة للفتى المناضل صباح عبد الغنى القحف ، مكتوبا فى شرحها ما يفيد بانه فتى مقدسى . والصواب انه دمشقى لا مقدسى ، ينتمى الى عائلة القحف ، وهى أسرة دمشقية عريقة تقطن فى حى ساروجة بدمشق ، ذلك الحى الذى عرف بنضال ابنائه وتضحياتهم فى مختلف العهود المظلمة التى تقلبت على دمشق . وأبوه ، عبد الغنى القحف ، من الرجال المشهود لهم بالنضال المتواصل سواء أكان ذلك فى القطر السوري أو فى غيره من أقطار العروبة التى ثارت ضد المستعمر ، الى أن انتهى به المطاف فى فلسطين ، حيث كان من أبطال معركة المالكية فى الوقت الذى كان فيه ولده الاكبر محمد، فى جبهة أخرى وولده الأوسط ، صباح فى جبهة القدس ، حيث استشهد فى معركة « مياشيرم » فحمل عنه السلاح أخوه الاصغر صلاح ، الذى لم يكن آنذاك يعدو الثانية عشرة من عمره .

وان أنس لا أنسى أن قائد قوات القدس فى ذلك الحين ، عهد الىّ بنقل جثمان الشهيد صباح الى عمان ، حيث كان والده يرعى ابنته المريضة ، فحسبت لمقابلة الوالد المحزون فى مثل هذه المناسبة

المحزنة ألف حساب ، وتصورت أن الأسى سيعصر قلبه فيقابلنا بالنواح والعويل . وكم هالني عندما رأيته يعود الى بيته من منزل ابنته المريضة بعد منتصف الليل، فيرحب بنا بحرارة وكأن ليس فى الأمر شيء ، وراح يحدق فى جثمان ولده المسجى امامه على الارض . ثم اتجه بنظره الى السماء يضرع الى الله أن يلحقه بركب الشهداء. وما زالت كلماته ترن فى أذني وهو يقول: «سبحانك ربى .. أهذا الصبى الحديث العهد بالجهاد اقرب اليك منى ، وأنا العريق فى تلبية نداء الواجب ؟ لم تشملنى بعد برضاك ! اللهم صفحك وغفرانك » .

وما كاد ينتهى من عبارته ، حتى اخذ يعد العدة للجنازة ، فمشينا من داره حاملين نعش الفقيد تحت الشمس المحرقة ، الى مقبرة تبعد حوالى عشرة أميال ، فوصلناها والعرق يتصبب من أجسامنا . وهناك كانت المفاجأة ! ، فقد أزاح الترب الغطاء عن الجثمان ليواريه التراب ، واذا بالعرق يتصبب من جسم الشهيد والحمرة تكسو وجهه ، وكأنه لا يزال على قيد الحياة، على الرغم من ان دمه كله كان قد نزف من أثر الجراح العديدة التى اصيب بها فى المعركة ! .

وبهت الجميع ، ولم يفيقوا من ذهولهم الا على كلمات شيخ جليل يردد قول الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون) .

رفيق النمرى/الكويت

٦٠ كلمة فقط تختلف فيها اللهجات العربية !

● حينما يريد العراقى التحدث الى مصرى ، أو مصرى الى مغربى ، أو المغربى الى سورى ،

أو الى أى فرد عربى آخر ، فان كلا منهم يلاقى الصعوبة البالغة فى محاولة معرفة ما ينطق به الآخر من حديث مع أنهم جميعا يتكلمون باللغة العربية . والحقيقة التى يجب أن تقال ان فى لغتنا العربية حوالى ١٦٠ كلمة او أكثر هى التى تحول دون فهم أهالى البلاد العربية بعضهم بعضا . وهى بالطبع ليست كلها كلمات عربية فصحى ، وانما هى كلمات عامية او لهجات . ولكن يوجد بينها بعض الكلمات المعروفة والمستعملة كثيرا لدى جميع أبناء الأمة العربية والتى يترفع بعض الكتاب العرب عن استعمالها فى كتاباتهم – كما أشرنا الى ذلك فى عدد «العربى» – وقد قرأت فى احدى المجلات انه أحصى عدد الكلمات العامية فى سوريا ولبنان فوجد انها تبلغ حوالى ٦٠ كلمة هى الحائل بين فهم المغاربة أو العراقيين أو أى فرد عربى آخر للهجات اخوانهم السوريين واللبنانيين . وكذلك فى لغة المغاربة حوالى ٤٠ كلمة ، فلو أن كتابا وضع فى بيان هذه الكلمات وشرحها والتقريب بين المتشابه منها فى اللهجات المختلفة لأمكن تضييق شقة هذا الخلاف اللغوى ولأصبح العراقى مفهوما فى المغرب والمغربى مفهوما فى مصر والسورى مفهوما فى السودان أو فى الجزيرة العربية أو فى أية بقعة عربية يحل فيها.

سامى عبد الرزاق الحمدانى / بصرة

(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

العربي

العدد ٨٠
ربيع اول ١٣٨٥
يوليو
تموز) ١٩٦٥



اطلب

العربي الصغير

مع هذا العدد

جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا

...ة الكويتية
تتهيأ لتكون
مدرسة للبنات

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٣٫٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	مليم
الجزائر	٢٠٠	مليم
المغرب	٢	درهم



حضارات سادت .. ثم بادت

الكلّيسيوم .. الأثر الرومانى القديم

مسرح وملعب ومعترك للجلاد فى آن، وأحيانا ينقلب بحرا تجرى فيه بين السفن وقائع

(أنظر صفحة ١٣)

عزيزى القارىء

●●● تاتينا الرسائل من القراء ، ومن وكلاء التوزيع ، وحتى من المسئولين فى شتى الأقطار العربية ، تطلب أن نصدر اليها المزيد من « العربى » . وتلح . ونعتذر . وعذرنا اننا ما ظننا أن يبلغ العربى فى انتشاره هذا الاتساع الباغت كله .

●●● وقد دبرنا الأمور بحيث نستطيع الوفاء بكل ما يطلب الموزعون والقراء .
وان غدا لناظره قريب .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

انباء الطب والعلم والاختراع :

طبيب الأسرة :

ركن الفضاء :

اسلاميات :

عروبة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 80 July 1965 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربى»

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● ٢١٦ فتاة كلهن كويتيات يتلقين العلم فى كلية المعلمات بالكويت على أيدى مدرسات مؤهلات تأهيلاً عاليا .. ان الهدف هو خلق جيل جديد من المدرسات الكويتيات .. وصورة الغلاف تبين احدى الطالبات تعزف على العود ، انه جزء من تخصصها فى شعبة التربية الفنية وهى احدى الشعب التى يمكن للطالبات أن يتخصصن فيها !

راجع استطلاع كلية المعلمات ابتداء من صفحة ١١٦

تاريخ وتاريخ اشخاص :

تربيـة :

شعر وشعراء :

ركن الاسرة والمراة :

جرائم وقصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ج٠ع٠م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٥ر٣ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



نحن بحاجة الى قواميس عصرية عربية انجليزية ، وانجليزية عربية

● لاحظت وصادفت وسمعت من شباب العرب في جملة من الاقطار العربية تذمرهم بسبب عدم وجود قاموس عصري عربي انكليزي وآخر انكليزي عربي ، يفي بحاجة العصر والعلوم والآداب الحاضرة ، وقد رأيتهم يشكرون الياس انطون الياس والأب شيخو في قاموسه الفرنسي ، فقد خدما اللغة العربية وشباب العرب عمرا طويلا ، ولانه لم يقم بعدهما من علماء اللغتين العربية والانكليزية من يسد حاجة المتضلعين بالعلم أو الأدب الحديث أو قد لا يقوم احد غيرهما مخلص وجريء . ولما شاهدوا معي قاموس سعادة هبطوا عليه ، لانه مبسط وواضح ، ولو انه يحتاج الى تهذيب .

ان الشباب يريد على الاقل ترجمة وابجدة قاموس وبستر كوليجييت الجديدة Webster Collegiate وقاموس آخر من العربي الى الانجليزي ، بالاضافة الى مثل هذا الترتيب أن يعمل به في اللغة الافرنسية . فهل من سامع مجيب ؟ وهل هذا ممكن ؟

جدة — محمد رشاد بن خضراء
استاذ في العلوم والاقتصاد

شكرا .. ثم شكرا !

● كلما صدر من « العربي » عدد جديد استعرض بذاكرتي تلك الانتصارات المبينة التي حققتها هذه المجلة في عالم الفكر في سنوات معدودات . فاحس بالنشوة التي تفيض بالاعجاب والغبطة والارتياح .

ولا يسعني وكل عربي حر الا ان افاخر بذلك الانتاج الفكري العظيم الذي تحمله مجلة «العربي» الى العرب في كل مكان . وانني كفرد من ابناء هذه الأمة كنت اتلقف العدد من المكتبة فور صدوره ، كمن يجد بها ضالته المنشودة . واسرع الى البيت لاقضي معظم الوقت متنزها في رياضها ، لا أكاد ارفع بصري عن صفحاتها حتى آتي على آخرها .

ولقد عودتني مجلة « العربي » ، مجلة كل عربي حقا وصدقا ، عودتني على كل جديد ، واطلعتني على القريب والبعيد ، ووصلت بيني – كعربي يعيش في القرن العشرين – وبين ماض مجيد . وأيقنت أن رسالة الفكر العربي تتجسد في « العربي » وتتمثل فيها احسن تمثيل . هذه المجلة التي مضت ترفع لواء الفكر الحر عبر الدياجير القائمة منذ تأسيسها . واستمرت في سيرها المستقيم . لا تتعثر ولا تنحرف . فاجادت واحسنت وابدعت .

لقد اظهرت لنا كنوزا مدفونة تحت الركام ، وكشفت عن معالم الحضارة العربية الغابرة ، ولا زالت تنقب عن الاشلاء المبعثرة فتسلط عليها الاضواء حتى تستبين . وبنفس الوقت والى جانب هذا العبء الثقيل آلت المجلة على أن تحمل باصرار عبء القضايا التحريرية المعاصرة ، لتؤدي دورها الانساني النبيل في خدمة الحرية ومحاربة الاستبداد . تناصر كل المعارك التي خاضتها الشعوب العربية وغيرها من أجل الحرية والاستقلال .

واني كعربي يعرف ان قيمة الفكر ليست في تدوينه فحسب ، وانه دائما وأبدا طريق الثورة والدافع الحثيث اليها ، وجدت في مجلة «العربي» لساني الناطق . والمعبر عن خلجات نفسي بصدق . والمصور لكل ما يجيش في اعماقي من احاسيس

أهو سطو ، أم اقتباس ، أم تلخيص ؟ !

● قرأت فى العدد ٧٨ من مجلة «العربى» مقالاللآنسة مجيدة رسلان بعنوان : « **للمرأة فى الاسلام شخصية حقوقية كاملة** » فما انهيتالصفحة الأولى منه حتى تذكرت أنى كنت قرأت مثله فى كتاب « **الاسلام والمرأة** » المطبوع بدمشقسنة ١٩٤٥ لمؤلفه سعيد الافغانى ، لكن عجبى كان يزداد كلما مضيت فى القراءة فلما أنهيتهأيقنت أن الكاتبة لم تزد على أن اقتطفتمنالكتاب اسطرا من هنا وفقرة من هنا بعد اجراء تعديلطفيف مع المحافظة على ترتيب القضايا وعناوينها كما وردت فى الكتاب . واغرب شيء أن فصلا فىالكتاب عنوانه « شخصيتها الحقوقية » سردت الكاتبة رؤوس موضوعاته سردا ، حتى حملةالمؤلف على تشريع صدر قبل تأليف الكتاب فى لبنان (ينقص من حقوق المرأة لولايتها على مالهامنون له بقوله : (نكسة رجعية حديثة) أدرجته فى مقالها كأنها هى المستنكرة ، بل حتى حاشيةيشير فيها الى مؤتمر المحامين الذى حضره بدمشق سنة ١٩٤٤ ويخص بالذكر انكارا شديدا لهـذاالتشريع للمرحوم محمد صالح بك عميد كلية التجارة فى الجامعة المصرية . كل ذلك تراه فىالمقال المذكور وليس هـذا الخبر واستنكاره وحاشيته فى مصدر آخر غير « الاسلام والمرأة » .

أنا لا أنكر أن تلخص احدانا كتابا لفائدة القراءفى موضوع المرأة ، ولكن نستنكر هذه الجرأة الزائدة عن الحد ، وان تتجاوز الواحدة مناالسطو على كتاب معروف ألف قبل ولادتها ، وتخبرنا بما فيه كأنها المؤلفة وكأنها حضرت المؤتمرلم لا تنشر هذا التزييف الا فى مجلة كان حقها أن تحترمها وتحترم قراءها وقارئاتها .

نبيهة خليل — دوما ـ سوريا

العربى : **ما رأى الآنسة مجيدة ارسلان فىهذا الاتهام ؟**

ومشاعر ، ولم يكن ليدور فى خلدى ان مجلة فى هذه الفترة القصيرة فى عمر الزمن تحقق ما عجز عنه غيرها فى عشرات السنين .

ولكن ذلك يعود الى نقطة البداية التى انطلقت منها مجلتكم « العربى » حيث كانت منطلقا سليما ساميا ، نجم عن ضرورة ملحة يتطلبها الواقع العربى ، لتكون بمثابة المرآة التى تنعكس عليها افكار العرب وآراؤهم الصريحة ، فى تجرد ونزاهة واخلاص ، لتحقق اهدافا سامية وغايات شريفة على مستوى الفكر العربى السليم .

ولعمرى ان « العربى » قد اضحت فخر الصحافة العربية مما يدعو الى الاعتزاز ويبعث على الاطمئنان ، والأمل كبير فى بقائها عند التزامها وحسن الظن بها ، وانى لأحيى المشرفين عليها ، واتمنى لها دوام التقدم والازدهار .

محمد وحيد الذياب

سورية/القنيطرة/الزوية

أكفياء .. لا أكفاء ولا أكفّاء

● **جاء فى عدد آيار الماضى ، كلمة للأخ عاهد اللبدى ، يصوب فيها خطأ شائعا ، فذكر انه كثيرا ما تتردد** «على ألسنة المذيعين فى المذياع والتلفزيون كلمة (أكفاء) بكسر الكاف وتشديد الفاء ، بمعنى ذوى كفاءة » . **ثم ذهب الى أن هـذا الخطأ** غير المقصود يقلب المعنى رأسا على عقب ، فكلمة (أكفاء) هى جمع «كفيف» ، أى أعمى ، فيصبح معناها عميان » . **وذكر فى نهاية كلمته ان صاحب** الكفاءة « يقال له « كفء » على وزن « فعل » ، ويجمع على (أكفاء) على وزن أفعال » .

هذا ما ذكره الأخ عاهد ، وليس صحيحا كله ، لان « كفء » لا تعنى صاحب كفاءة كما ظن ، وانما تعنى « نظير » «ومثيل» ، أما صاحب الكفاءة فيقال له « كفيّ » هذا هو الذى تذكره معاجم اللغة العربية ، و « كفى » هـذه تجمع على « اكفياء » مثل « ولى أولياء » .

واذا أحب الأخ عاهد التأكد من ذلك فليرجع الى المعاجم ، أو الى كتيب الاستاذ عبد القادر المغربى « عثرات اللسان » ، أو الى المجلد ١٧٣/١ من مجلة المجمع العلمى فى دمشق سنة ١٩٢١ ، أو الى كتاب الأستاذ سعيد الافغانى « حاضر اللغة العربية فى الشام » ص ١١٣ .

محمد خير الحلوانى

مدرس الادب العربى فى ثانويات حلب

الديمقراطية

بقلم رئيس التحرير

■ راح يقابل صاحب عمل له جديد لأول مرة ، وجاء يحكي لي ما جرى . قلت كيف وجدته ؟ فاخذ يصف لي ما وجد . واخيرا قال لى فى اختصار : وجدت الرجل رجلا لطيفا ديمقراطيا .

ووقفت عند لفظ « ديمقراطى » . ان الشاب الحاكى قصد به ، ان الرجل الذى راى كان متواضعا غير متعال .

وآخر راح وراء شغلة ينجزها فى دوائر احدى الحكومات فى الشرق ، واخذ يتنقل من مكتب الى مكتب . وتعب . وعاد بعد ايام يشكو . قال : يقولون ان هذا بلد ديمقراطى ، فأين هى الديمقراطية التى فيه .

ووقفت عند لفظ « ديمقراطية » ، وخلت انه انما اراد تسهيل حوائج المواطنين .

واسمع ما اسمع من الناس ، فما اكثر ما اسمع « الديمقراطى » و « الديمقراطية » . واقرأ ما اقرأ فى الصحف وفى الرسائل والكتب ، فما اكثر ما اقرأ عن « الديمقراطى » و « الديمقراطية » . واسماء الدول دخلت اليها ، رسميا ، وغير رسمى ، لفظة الديمقراطية ، وقد تكون الدول من النظم السياسية المعروفة فى اقصى اليمين ، وقد تكون فى اقصى اليسار ، ومع هذا فهى جميعا « ديمقراطية » .

يتغنى الروس بديمقراطيتهم ،وتتغنى الولايات بديمقراطيتها، وهما على طرفي نقيض .

وتتغنى المانيا الشرقية الديمقراطية بديمقراطيتها ، وتتغنى المانيا الغربية ، وهما على طرفي نقيض .

وبريطانيا الملكية تفخر بأنها موطن الديمقراطية الأول ، وأن الديمقراطية بها ولدت ، وفيها ترعرعت .

وفرنسا جمهورية . والجمهور والشعب شيء واحد . واذن فهى ديمقراطية . وهى تزهو بأنها البلد الأول الذى انتزع الديمقراطية من يد الدهر انتزاعا ، من يوم سقط فيها الباستيل ، الى اليوم الذى بلغ فيه عدد الرؤوس

اتخذت دول الأرض، من الديمقراطية، زورا، لقبا محببا إلى الناس، كتبوه كبيرا، وحبروه جميلا، ثم رفعوه فوق الأبواب، ليطمئن إلى الدخول كل داخل .

«وكل يدعي وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكا»

التي اطاحت بها الثورة الفرنسية الوفا كثيرة .

وترجموا معنى الديمقراطي او الديمقراطية ، فكان حكم الشعب والشعبية . وكانت من ذلك الصين الشعبية ، والجزائر الشعبية .

والخلاصة انه لم تكد تبقى على سطح هذه الكرة امة الا وتدعى الديمقراطية ، من كل زرقاء اللون الى حمرائه .

فهل صدقت كل هذه الأمم نظامها وصفا .

أم اتخذ كل منها ، من الديمقراطية ، زورا ، لقبا ، لفظا محببا الى الناس ، كتبوه كبيرا ، وحبّروه جميلا ، ثم رفعوه فوق الباب ليطمئن الى الدخول كل داخل . وليكن بعد الدخول ما يكون .

لقد انبهم معنى الديمقراطية انبهاما ، حتى لقد اقترح بعض الدارسين للنظم الدستورية ان يلغى هذا اللفظ الغاء ، لأنه يدل اليوم على عشرات من اشياء كلها متناقضة .

ولكن قبل الالغاء ، أو الاثبات ، لا بد من الدرس .

الديمقراطية عند اليونان

ونبدأ الدرس بالقول المعاد ، فى اصل هذه الكلمة .

الديمقراطية بالاغريقية Democracy ، تتألف من لفظين Demos ومعناها الناس ، و Kratien ومعناها الحكم . فالديمقراطية هى حكم الناس بالناس . وليس فى هذا جديد .

ولكن حكم الناس بالناس فى زمان الاغريق ، وفى تصورهم ، غير حكم الناس بالناس فى هذا الزمان ، وفى سائر الأزمان . وهو فى عهد الاغريق اعتمد على عمد اساسية منها :

ا ــ ان الحكم تمارسه جمعية عامة تضم كل مواطن ، لا فرق بين غنى أو فقير ، ولا بين رفيع المولد ووضيعه ، ولا بين ذى مهنة عالية فى تقدير الناس

واخرى واطئة . والصوت يعطيه المواطن قيمته واحدة عند الجميع .

ب ـ ان حرية الراى مكفولة ، وحرية القول لكل من اراده . وقد راى افلاطون ان من المتكلمين من قد يستغل هذه الحرية اسوأ استغلال،فتسوء به الحال، ومع هذا فقد رأى في حرية الراى ضرورة لا غنى عنها . وقد سجل التاريخ نقاشا في الجمعية الاثينية ، وصدع الصادعون فيه بكل رأى ،من كل محبذ ومعارض ،



ارسطو ، صاحب القلم ، يلقى بحكمته الى تلميذه صاحب السيف ، في القصر الملكى ، ذلك الذى صار من بعد ذلك الاسكندر الاكبر . وقد خلف الاسكندر امبراطورية ، لم تلبث انتساقطت اركانها من بعد وفاته ، وبنى ارسطو امبراطورية فكرية ، ظلت شغل اوروبا الشاغل الى عهد النهضة ، والى اليوم . كان يرى « المعلم الاول » ان الديمقراطية فى اصدق معانيها هى تلك التى بناؤها على العدالة وعلى المبدا القائل ان الجميع لهم فى الدولة حقوق وواجبات سواء .

واتخذ من بعد ذلك القرار على ضوء كل هذه الاقوال .

جـ ـ ان وظائف الحكومة مفتوحة للجميع ، على منزلة سواء . وهم يؤجرون الكفاية للعيش الكريم ، وذلك حتى لا يحرم الفقراء من شغل هذه الوظائف . واجريت شئون من شئون الحكم كثيرة بواسطة لجان ضمانا للعدل ودرءا للزيغ ، وعندئذ كان ينتخب هؤلاء بالقرعة . والمراكز الكبرى فى الحكم كان تختار شاغليها الجمعية العامة نفسها بسبب خطورة هؤلاء . ومع هذا فكانت الوظائف تخلو من شاغليها كل عام ليحل محلهم آخرون .

هذا مجمل ما كانت عليه الديمقراطية عند الاغارقة .

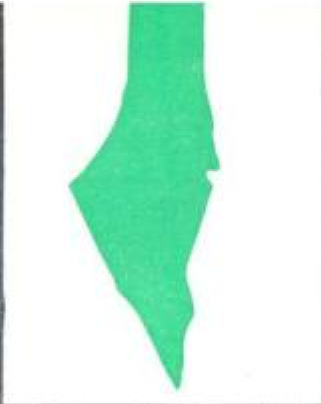
ويلاحظ عليها :

أ ـ ان الحكم بجمعية يحضرها من شاء من المواطنين جميعا ، انما جاز وامكن فى مثل الحال التى كان عليها الاغارقة . فهم كانوا مدنا ، وشكلت كل مدينة دولة ، واستقلت. فلم يكن بمتعذر ان يكون حكمها على الأسلوب الذى وصفنا .

ب ـ ان صدورهم اتسعت الى كل مخالف لراى،ولو جاء براى غير محبوب، الا ان يكونهذا قلبا للنظم الديمقراطية.

جـ ـ لم تكن فى تلك العهود تعرف الأحزاب على ما نعرف اليوم . فالأحزاب لم تبدا تعرف ، بشكلها هذا المتبلور ،الا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . نعم كان هناك ميول جماعية ، ويتلاقى اصحاب الميل الواحد معا ، ولكن فى غير نظام ، وغير تدبير وتخطيط . وهذا من بعض طبائع الانسان فى كل الأزمان .

د ـ لم تكن تلك الديمقراطية تفرق بين سلطات الدولة الثلاث ، التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية، تلكالتىفاصل بينها منتسكيو Montesquieu فى



العِلم في خدمة قضيّة فلسطين

بقلم : الدكتور قسطنطين زريق

■ ان الصفة المميزة لعصرنا الحاضر عما سبقه من عصور هي انه عصر العلم : العلم نهجا فى استقصاء الحقائق ، والعلم نظاما فى ربط هذه الحقائق وتأليفها ، والعلم تطبيقا على البيئة المادية والبشرية الفردية والمجتمعية .

فالعلم : نهجا ، هو الاعتقاد بان مظاهر الكون والحياة كلها خاضعة لقوانين شاملة تحكمها ، وان العقل البشرى قادر على اكتشاف هذه القوانين ، اذا طبق الاسلوب الصحيح – اى الاسلوب العلمي – فى البحث عنها . واستخدام الوسائل والادوات التى تساعده على تمديد ملاحظته ، عمقا واتساعا ، وعلى اختبار صحة النتائج التى يتوصل اليها ، فتزداد بذلك قدرته على استخلاص القوانين من الوقائع المشاهدة ، وعلى التثبت من صحة القوانين التى يستخلصها .

والعلم ، نظاما ، هو المجموعة المتآلفة المتناسقة من القوانين والحقائق والمعارف اليقينية التى يستخلصها النهج العلمي من الوقائع التى يلاحظها ويتثبت من صحتها . ولهذه المجموعة من القوانين والحقائق صفتان مميزتان اولاهما انها يقينية ، اى ثابتة ومحققة ، ومنطبقة دائما وتكرارا على المظاهر الخاضعة لها ، وثانيتهما انها شاملة ، اى انها لا تحكم ظاهرة واحدة من الظواهر الكثيرة المماثلة دون غيرها ، بل تحكمها كلها .

والعلم ، تطبيقا ، هو استخدام نهج العلم ، وقوانينه وحقائقه ، فى ابتداع الوسائل التى تمكن الانسان من السيطرة على بيئته المادية والبشرية .

ومن مظاهر هذا الجانب من جوانب العلم الانجازات المادية المذهلة التى حققها عصرنا الحالى فى مختلف نواحي الحياة . فالآلة ، وما تنتجه الآلة من اشياء لا حد لتنوعها وفوائدها . والاسلحة التى لا حد لقدرتها وفتكها ، وتسخير الطاقات الطبيعية من

فحم ونفط وماء وغاز وطاقةذريةلخدمة الانسان او للفتك به ، والطب معـــرفة وتشـــخيصا ودواء ، والزراعـــــة ، والمواصلات ، بل كل ما نشاهد من تقدم في مظاهر العمران والحياة ، او في وسائل تهديمها ، انما يعود الفضل فيه الى العلم التطبيقي . ومن منجزات العلم التطبيقي الضخمة في مجال السيطرة على البيئة الاجتماعية ، الوسائل الكثيرة المبتدعة لتطوير هذه البيئة والسيطرة عليها ، كأنظمة التعليم ، وانظمة الاقتصاد ، وانظمة الادارة ، وانظمة الصحة العامة ، والتخطيط المجتمعي الشامل : وهو احدث ما ابتدعه العلم التطبيقي في مجال البيئة الاجتماعية ، ليحكم الصلة بين هذه الانظمة كلها، ويحركها جميعا حركة ارادية مدبرة ، لتحقيق الأهداف المجتمعية المحددة من قبل .

★ ★ ★

والعلم قوة هائلة مختزنة ، بل هو شمس الحياة الثانية . اذ كما أن الشمس مصدر نور ، ومصدر طاقة ، ومصدر حياة ، وبدونها لا تكون حياة ، فكذلك العلم للحياة الانسانية ، هو ايضا مصدر النور والطاقة والحياة ، ولدفع الانسان قدما نحو مزيد من الرقي والحضارة ، وبدونه لا تكون حضارة .

العلم قوة بمعنى ان المعرفة قــوة ، والجهـل ضـعف . فالمعرفة بالمرض واسبابه مثلا ، سبب للصحة ، والجهل بها سبب للهزال والموت المبكر . والصحيح حتما أقوى من المريض . فاذا وجد مجتمعان احدهما يمتلك علم الصحة والآخر لا يمتلكه ، فان المجتمع الذى يمتلك علم الصحة هو ، بحكم التعريف، أقوى من المجتمع الذى لا يمتلكه ، لأنه مجتمع صحيح، بينما الآخر مجتمع مريض.

العلم قـوة بمعنى انه قادر على أن يسخر للانسان قـوة تفوق اضعاف أضعاف قوته البشرية الطبيعية ، وكلما تقدم العلم، سخر مزيداً ومزيدا من القوى.

فالقوة المنطلقة من وقـود كالنفط ، خلال آلة صناعية ، موضوعة في بناء صغير الحجم ، قد تعادل قوى بشرية عضلية لعشرات الوف من افراد البشر ، وتؤدى عملها باكفأ عشرات المرات مما يستطيعون . ولعل مصنع نسيج كبيرا واحدا مثلا يستطيع ان ينتج اليوم ما يعادل ما كان ينتجه جميع صناع النسيج في جميع انحاء العالم في عصر ما قبل الآلة . واذن فالقوة المختزنة في هذا المصنع تعادل تلك القوى جميعا . وقوة الفتك المختزنة في قنبلة هايدروجينية حديثة ، لا تزيد وزنا عن بضعة اطنان ، يقذف بها صاروخ من قاعدة ارضية او من طائرة او من غواصة مختبئة في اعماق البحار ، قد تعادل المجموع التراكمي لجميع قوى الفتك التي تيسرت لجميع البشر منذ ان امتلك الانسان وسائل فتك . فالعلم تطبيقا اذن هو قوة هائلة مختزنة في أوعية صغيرة مختلفة ــ كالمصنع ، ومحطة الكهرباء ، والباخرة ، والطيارة والقنبلة وغيرها .

والعلم قوة بمعنى ان نهجه في الاستقصاء متيقظ دائما لجميع أسباب الضعف ، عامل لتفهمها ، وابتداع وسائل معالجتها . العلم وعي بوجود مشكلات ، وتحديات ، وبامكان التغلب عليها . ومقابله ، وهو الجهل ، هو استسلام للضعف ، لعدم المعرفة بأسباب الضعف وبامكان قهره .

والعلم قوة بمعنى ان نهجه في التخطيط قادر على الاستباق، والتحريك المدبر ، والتغيير الهادف ، وقهر الصدفة وفرض الارادة .

تلك امثلة على ان العلم ، كالشمس ، قوة هائلة .

★ ★ ★

ولقد كانت الحركة الصهيونية العالمية، بحكم التصاقها بمواطن العلم الحديث في أوروبا واميركا ــ اذ انها نشأت ونمت وترعرعت في تلك المناطق ــ كانت ولا شك اسبق منا الى اكتشاف هذه الحقيقة واستغلالها الى اقصى مدى ممكن . لقد تنبهت قبلنا الى قدرة العلم

نهجا فى مجال استقصاء المعرفة والتوصل الى الوقائع ، والنفاذ منها ، وبواسطتها ، الى ما تبتغى وتريد . لقد تنبهت قبلنا الى قدرة العلم نهجا فى مجال التخطيط ، والتنظيم ، والعمل المنسق المدروس ، على جبهات عديدة ، وفى قطاعات مختلفة للوصول الى اهداف مرسومة . وما من دارس للصهيونية العالمية مثلا الا ويلفت انتباهه ان هذه الحركة اكملت وضع مخططها منذ السنوات الاولى من نشوئها ، وانها انصرفت منذ ذلك الحين الى استقصاء الوسائل واختبارها ، للوصول الى هذا الهدف .

ما من دارس للصهيونية العالمية الا ويلفت نظره بصورة بارزة مثلا اعتمادها الوثيق على علم النفس الحديث فى تفهم خبايا النفس البشرية وميكانيكية تصرفها ، وفى استغلال هذا التفهم للوصول الى الاذهان ، والسيطرة عليها ، فى بلاد كثيرة اختارتها ايضا مسرحا لعملها بعد أن اكتشفت انها ، اذا ضمنت القوى الموجودة فيها ، فقد امتلكت قوة ضخمة للسير قدما فى مخططها . الصهيونية العالمية من غير شك هي من ابرز الحركات الرائدة فى عصرنا الحالى لاسلوب رهيب من اساليب تفجير « مستودعات القوة المختزنة » ، وهو الأسلوب المعروف باسم « الحرب النفسية » ، اى استغلال ما فى النفس البشرية ، وفى النفس الاجتماعية المعينة ، من مزاج ، أو ميل ، او ضعف ، للنفوذ الى غاية ، كغاية نشر الاضطراب المجتمعي ، أو بذر الشك المجتمعي ، أو الاستيلاء على النفس المجتمعية . لم تكن حجج الصهيونية العالمية فى يوم من الأيام حجج منطق مجرد ، او حججا مستندة الى مبادىء عامة شاملة مقبولة لدى البشر . فكيف اذن نجحت فى اقناع الكثيرين بدعواها الباطلة ؟ انما توصلت الى هذا باستغلال الواقع النفسي ، وذلك بأن وضعت حججها فى قوالب سهل نفاذها الى قلوبهم ، أو بأن اتخذت تجاههم موقفا نفسيا ، استطاعت فيه بوسائل التأثير النفسى كالترغيب ، والترهيب ، واستدرار العطف والاغواء ، والارهاب ، أن تقنعهم أو تستدرجهم أو تفرض عليهم ما تريد .

لقد تنبهت الصهيونية العالمية قبلنا ايضا الى القوة الهائلة المختزنة فى التقنولوجيا الحديثة ، من خلال قوى الطاقة ، والآلة ، وادوات الحرب . وسبقتنا فى مجال استخدام هذه القوة . وسبقتنا فى مجال الصناعة والتنظيم المجتمعي . وتلك ايضا امثلة فحسب .

وان من واجبنا أن نوضح ايضا ان اسرائيل ، لأسباب كثيرة ، ليست نموذج العلم ، بل ان فيها من هذه الناحية نقاط ضعف كثيرة ، نستطيع ان نتبينها ، نحن بالعلم . وأن سبق اسرائيل لنا ايضا سبق نسبى فحسب ، راجع الى الظرف التاريخى الذى ابتدات منه المواجهة بيننا وبينها . وشقة هذا السبق تضيق يوما عن يوم . وهذا ما تعرفه اسرائيل ، فتركض مستميتة لتظل متقدمة علينا .

★ ★ ★

المهم انه اذا كان العلم قوة مختزنة ، كما قلنا ، واذا كان المزيد من العلم هو المزيد من القوة ، وجب أن تكون مواجهتنا لاسرائيل مستندة الى العلم . ونحن ماضون فى ذلك ، على كامل امتداد جبهة العلم ، التى هي بدورها جبهة الحياة باكملها . وتقدمنا هذا كله يزيدنا قدرة على مواجهة اسرائيل .

غير اننا ، فيما خص اسرائيل ، فى حاجة الى علم خاص ، الى جانب مختلف العلوم العامة الاخرى ، ولنسمه علم اسرائيل والصهيونية . نحن فى حاجة الى التعرف التفصيلي باسرائيل ، والصهيونية العالمية من كل زاوية : زاوية الأفكار والتيارات المنتشرة ، زاوية القوى المختلفة الموجودة فيها وعلاقاتها فيما بينها ، زاوية التنظيم ، والتخطيط . زاوية الأهداف ، والوسائل ، مكامن القوة ، ومكامن الضعف ، اساليب العمل فى شتى المجالات ، فى فلسطين نفسها

وفى سائر بلاد العالم ، اساليب الدعاية والحرب النفسية المتبعة فى مختلف الميادين ، اساليب التأثير على الدول والقوى القومية والعالمية ، سواء اكانت مصادقة لها ام لا مبالية ام معادية . كذلك يجب ان نعرف نقاط القوة والضعف الكامنة فى اساليب الفكر المتبعة فيها ، بحيث نصبح أقدر على التنبؤ بخط سيرها ، وبحيث يصبح لدينا العتاد الذى نواجهها به فى كل ميدان.

ونحن فى حاجة الى أن نصوغ حقنا فى قوالب جديدة ، وأن نتمعن ، على ضوء مانستخلصه من دراستنا لاسرائيل ، بأساليبنا ، ونكيفها ، بالعلم ، لتصبح أمضى وأقدر على مواجهة الخطر .

★ ★ ★

مثل هذه التأملات هى التى أوحت لنفر من الاساتذة العرب انشاء مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، التى كان لسمو أمير دولة الكويت الامير عبد الله السالم الصباح فضل الدعم والتأييد لها .

وقد نشأت فكرة اقامة هذه المؤسسة فى مطلع عام ١٩٦٣ ، ونالت ترخيصا من الحكومة اللبنانية فى نهاية ذلك العام .

وستقوم المؤسسة بانشاء مكتبة شاملة عن قضية فلسطين والحركة الصهيونية العالمية منذ نشوئها ، واسرائيل ، لتكون فى متناول باحثيها وجميع الباحثين العرب . وسيكون لها جهاز من الخبراء يضع كتابا سنويا فى هذه الموضوعات ويقوم بالدراسات المستمرة فى نطاقها ، وينشر جانبا من دراساته فى كتب ونشرات دورية وغير دورية ، ويترجم جانبا مما يجب اطلاع عامة الشعب أو الباحثين عليه . كما ستكلف المؤسسة من تستطيع تجنيده من الباحثين المتعمقين اعداد ابحاث تتناول مختلف نواحى القضية . وهى ترمي من وراء ذلك الى عدد من الاهداف فى مقدمتها اطلاع أمتنا على حقائق الوضع، والتوصل الى النتائج العلمية التى تفيد جميع العاملين العرب فى حقل قضية فلسطين ، من حيث انها تمدهم بصورة صحيحة دقيقة لما يجري ، ولمتضمناته الأسلوبية والواقعية ، وتهدى أذهانهم الى افضل مخططات المواجهة اسلوبا ، ومحتوى .

ولئن كانت المؤسسة نفسها ، بحكم تكوينها وامكاناتها ، ليست مؤسسة دعاية او عمل مباشر ، فان الحقائق التى تستخلصها وتضعها فى متناول جميع العاملين فى قضية فلسطين، ستفيد كثيرا فى دعم الجهد العربى فى سبيل هذه القضية ، بجعله أقدر على اختيار الأهداف والوسائل والأساليب المناسبة .

★ ★ ★

وللمؤسسة مجلس أمناء يتكون من السادة والسيدات المؤسسين ، وهم (مع حفظ الألقاب) : شارل حلو ، موريس الجميل ، سعيد حمادة ، وليد الخالدى ، برهان الدجاني ، أدمون رباط ، قسطنطين زريق ، فؤاد صروف، نجلا أبو عز الدين ، نبيه فارس ، وداد قرطاس ، وممن سيضافون اليهم فيما بعد من الأساتذة العرب المرموقين فى مجالات الفكر والتدريس الجامعي فى جميع البلاد العربية .

وقد أتم مجلس أمناء المؤسسة وضع منهاج لأعمالها للسنوات الثلاث الاولى ، كما أن المؤسسة تلقت التأييد من السيد احمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي تتبع نهج التعاون وتنسيق العمل مع مركز الأبحاث التابع لهذه المنظمة ، وقد اتفقت مع ادارة هذا المركز على أسلوب تنسيق العمل .

وتعمل المؤسسة الآن فى تنظيم جهازها الادارى والفنى لتستطيع البدء بتنفيذ منهاجها بأقرب وقت وأسلم أسلوب . وهي ترجو أن توفق ، بما ستبذل من جهد وما ستتلقى من عون ، الى تحقيق الغرض الذى تقصده وهو أن تسهم بدعم أساس رئيسى من أسس التعبئة العربية الشاملة التى يقتضيها حل قضية فلسطين . ■■

بيروت : **قسطنطين زريق**

نتيجة مسابقة العدد ٧٨

الاجابات الصحيحة.. والفائزون بالجوائز

■ اختلف كثير من الذين اشتركوافى هذه المسابقة حول بعض الأسئلة فمنهم من قال السيدة المقصودة بالسؤال الثالث هى سلامة بنت سعيد ، ومنهم من قال ان أول من وضع معجما فى اللغة العربية هو ابو الأسود الدؤلى ، وقال آخرون ان غازى صقلية هو عمارة بن حمزة، او اسامة بن منقذ . وقال غيرهم ان عمر المختار مات رميا بالرصاص .الى غير ذلك من الأخطاء . .

والاجابات الصحيحة هى بالترتيب الآتى :

(١) فى العصر الجاهلى .
(٢) أبو العباس السفاح .
(٣) هند بنت عتبة .
(٤) الخليل بن احمد الفراهيدى .
(٥) اسد بن الفرات .
(٦) معلقا بحبل المشنقة
(٧) غرناطة .
(٨) لويس التاسع .
(٩) امرؤ القيس .
(١٠) عبد الرحمن الغافقى .

الفائزون بالجوائز

وقد اجريت عملية الاقتراع بين الاجابات الصحيحة فاسفرت عن النتيجة الآتية :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا
فازت بها السيدة عزيزة عبد الحميد القاهرة ــ ج.ع.م.

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا
فاز بها السيد عبد القادر حقي الحفار : حلب ــ سوريا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير
فازت بها الآنسة ليلى عبد العزيز سليمان الدوسرى ــ الكويت

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها السادة :

١ ــ محمد منيف الحسينى : بيروت ــ لبنان .

٢ ــ امين عبد الفتاح قاسم : قلقيلية ــ الاردن .

٣ ــ فوزية محمد الحاج عبادى : كريتر ــ عدن .

٤ ــ باهرة مهدى الشيخلى : بغداد ــ العراق .

٥ ــ احمد محمد امفار : مكناس ــ المغرب .

٦ ــ رضا محمد لارى ــ وزارة الخارجية السعودية ــ جدة ــ السعودية

٧ ــ عبد الرؤوف خاتون : كانوا ــ نيجيريا .

٨ ــ مصطفى سعيد حجازى : طالب فلسطينى ــ بيوجراد ــ يوغوسلافيا .

وسترسل الجوائز الى أصحابها .

■■

الفنّان والإزميل العاشق



غائباً كان عن الدنيا بغُمْمَى الوحي هائمْ
يَدُهُ تخلق ، بالإزميل ، الافَ العوالمْ
وتحيل المرمر المِغْنَاج انسانا سويّا
يتحدى الدهر : عمرا وشبابا سرمديّا

★★★

كلما ابدع ، في التمثال ، رأساً أو ذراعا ،
كلما القى على القَسَمات ظلاً أو شُعاعا ،
كلما أبرز جزءا يَسلب الألباب فتنهْ ،
كلما موّج شَعراً ، كانسياب النور ، جنّهْ ،
كلما أحدث خطاً فوق صدرٍ أو جبينْ ،
كلما صب ابتساماً خالداً في شفتينْ ،
شعر الفنان أن الكون مِلكٌ ليديه
ومضى ، لا فرق بين العيشِ والموت لديهْ

★★★

كان يدرى أنّ للإزميل حساً مثلَ حِسهْ ،



كان يدرى أنه كالطيف في خفة لمسه
فاذا المرمر كالمخمل ، لطفاً ، كالحرير
وإذا التمثال مغمور بنور فوق نور
كان يدرى ذاك . لكن كيف يدرى
أن للأزميل سراً ، في الحنايا ، أيَّ سر ؟ !

★★★

كان يوما ، يلمس المرمر لمسات أخيره
راعه ، من بعد ما أنهى به كفاً صغيره ،
أن يراه يتلوى شادياً عند الأنامل
يرسل اللحن شجياً مثل تغريد البلابل :

★★★

ربعُ قرنٍ مرَّ والإزميل ، صبحاً ومساء ،
يبدع الحسنَ رُواءً بعده ألفُ رُواء .
لم يقفْ ، لم يتمهلْ ، لم يُعانِ التجربه
لم يشاهد أبداً ، حسناً بهذى المَرتبة !
هو ، بعد اليوم ، لن يعملَ ، لن يبدعَ حسنا
لن يرى وجهاً ، ولا زَنْداً ، ولا شعراً وعينا .
ولكى يأمن أن يُعمله الفنانُ قسرا ،
فر من كفيه ، فاندق على الحصباء كسرا !

★★★

شُده الفنان وارتاع ،وفي النفس مآسٍ ومآتم ،
نظرةٌ للقِطَع الثَملَى ،وأخرى تشمل التمثال قائم :
« يا لَسحر الفن ! فالتمثال في الروعة آيه ! »
« أحسنَ الأزميلُ فاحتار له هذى النهايه ! »
قال هذا ، وجثا يهمس للفن صلاتَه
موثرا أن يَختم اليومَ ،على الأرض،حياته ! »

■■

دمشق : **سعيد أبو الحسن**

عصر في التلفزة العالمية ،

« الطائر الباكر »

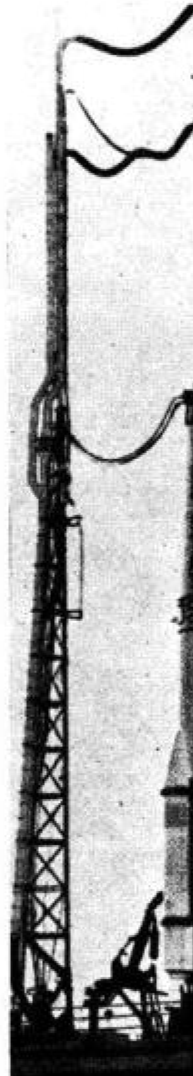
يبدأ حربا سماوية
قذائفها الكلمة المسموعة والصورة المنظورة
تهبط من فوق على رؤوس أهل الأرض جميعا

بقلم الدكتور أحمد زكي

الرئيس جونسون
أغراه "الطائر الباكر"
فاعتلاه
وخاطب منه أوروبا
فملأ أسماعها
وأبصارها
وتحدى بذلك
الأعراف الدبلوماسية

■ في اول يناير عام ١٩٦٣ نشرنا في « العربي » مقالا كبيرا ، مصورا ، كشفنا فيه عن وجه جديد ، من عصر جديد ، تتلاحق فيه وجوه التقدم بسرعة غريبة ، حتى ما يكاد ينظر الانسان الى وجه منها في يوم ، ثم يعيد النظر اليه في غده ، حتى يجده قد تحول . فالجديد يصبح اقل جدة ، ثم يتراكم عليه غبار من القدم ، ثم

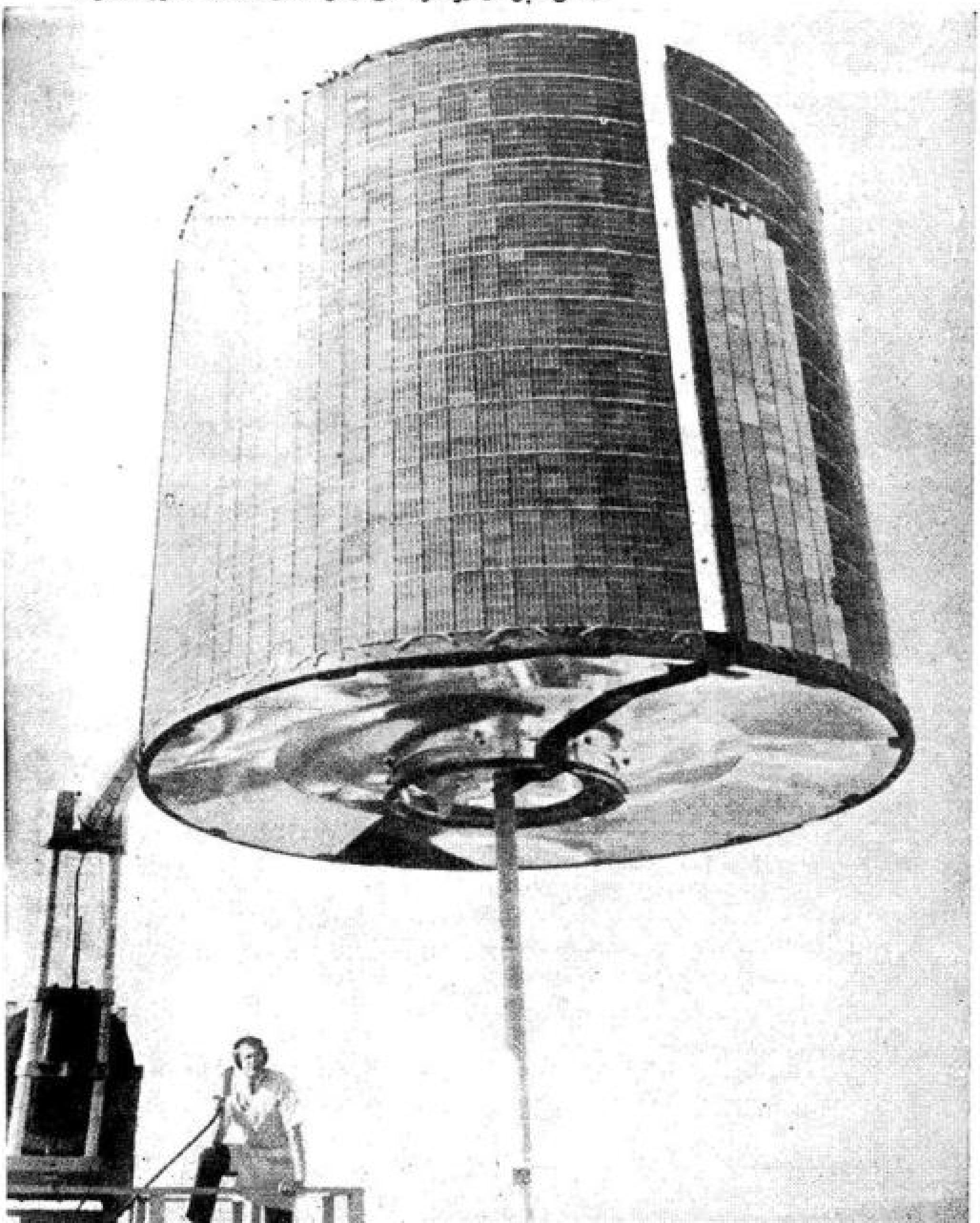
(البقية على الصفحات التالية)



الاصطناعي ، وقد احتل
في اعلى الصاروخ ، في
كندي ، قبل اطلاقه .

كعصر الصواريخ والأقمار، جديد

القمر الاصطناعي«الطائر الباكر» ، وهو في كلفورنيا،يمتحنون «هوائيه» الاذاعي قبل أن يرسلوه الى راس كندى لاطلاقه حول الارض .



هو يصبح قديما حقا وصدقا . ويخلفه الجديد من صنفه .

في ذلك العدد من « العربي » قدمنا للقارىء العربي اول قمر اصطناعي ، اتخذ منه اهل المواصلات الاذاعية ، السمعية والبصرية ، تلك التي نسميها بالتلفزة ، ونسمي اداتها بالتلفاز ، اتخذ منه أهل المواصلات التلفازية هذه وسيلة لرد اصداء التلفزة ، من كلام وصور ، يذاعان من الارض الى السماء ، فيرتدان الى الارض واهلها مرة اخرى .

التلستار ، أول قمر اذاعي

كان قمرا اصطناعيا اسموه التلستار Telstar ، حمل من الاجهزة الالكترونية ما حمل ، اطلقوه في يوليه (تموز) عام ١٩٦٢ ، فدار حول الارض . وارسلوا اليه الصور ، وارسلوا اليه الاحاديث ، من الولايات المتحدة ، فأعاد اذاعتها كما هي ، صورا واحاديث ، من السماء ، من فوق المحيط الاطلسي ، الى فرنسا ، والى الولايات المتحدة ذاتها . وكانت الصور واضحة ، وكانت الاحاديث صافية كما لو تحدث انسان الى انسان بالتلفون عبر شارع في مدينة .

التلستار جمع بين أمريكا واوروبا فترات قصيرة

غيران هذه الاذاعة ، من أمريكا الى اوروبا ، ما كانت تمكن في كل ساعة . هي أمكنت فقط في تلك الفترات القصيرة من الزمن الذي جمع فيها القمر ، في بصره ، لو ان له عينا ترى ، بين فرنسا والولايات معا ، وهو يدور في فلكه حول الارض مرات عديدة في اليوم . في هذه الفترات القصيرة فقط ، التي جمع بها بين طرفي القارتين فقط ، استطاع ان يأخذ من هذه ويرد الى هذه. فاذا تحول عنهما في دوراته ، امكنه ان يأخذ من بقاع أخرى من الارض ، ليرد الى بقاع أخرى تقع جميعا في عينه ، وذلك في الفترة التي فيها يجمع بينهما .

شروط الاذاعة القمرية طول النهار

كان لابد لدوام الاذاعة ، طول النهار وطول الليل ، بين اوروبا الغربية ، وأمريكا الشرقية ، من فوق المحيط الاطلسي ، من اطلاق قمر صناعي ، يشترط فيه شرطان :

(١) أن يكون مداره من العلو عن سطح الارض حيث يرى اكبر مساحة ممكنة من هذا السطح .

(٢) أن يدور حول الارض في مداره ذلك العالي ، فوق خط الاستواء بسرعة كبيرة ، بحيث يتم دورته في فلكه ، في نفس الوقت الذي تتم فيه الارض دورتها حول محورها ، اي ٢٤ ساعة . واذن فهو يتراءى للناس ، في السماء ، كأنه ثابت لا يدور فيها .

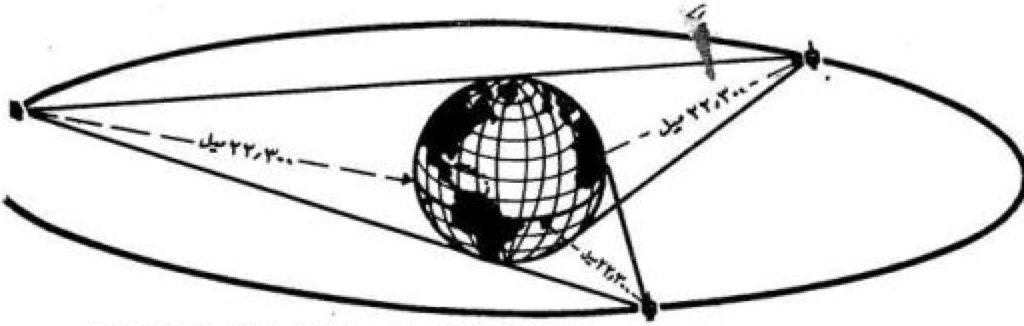
وبالحساب الكثير انتهوا الى ان مدار هذا القمر لابد ان يعلو عن سطح الارض ٢٢٣٠٠ ميل ، وانه لا بد ان يسير في هذا المدار بسرعة نحو ٧٠٠٠ ميل في الساعة (سرعة دوران سطح الارض حول محورها يبلغ نحو ١٠٠٠ ميل في الساعة) .

أما نقطة السماء التي ثبت فيها القمر، فهي النقطة التي يبدأ فيها سيره في فلكه المطلوب . وهي تختار عند اطلاقه . وكان من الطبيعي ان تكون نقطة فوق المحيط الاطلسي تجمع بين أمريكا واوروبا .

تجارب كثيرة لاستيفاء هذه الشروط

وكان لابد للوصول الى هذه الغاية من تجارب كثيرة، وأبحاث كثيرة ، ونفقات كثيرة ، وعلم كثير وتكنيئة كثيرة . فكان من بعد التلستار رقم ١ ، هذا الذي كنا قدمناه لقراء «العربي» ، التلستار رقم ٢ ، ثم الريلاي Relay رقم ١ والريلاي رقم ٢ .

وكلها دارت في أفلاكها فقطعتها في زمن



صورة توضح كيف تتوزع الأقمار الاصطناعية الاذاعية الثلاثة حول الأرض ، فوق خط الاستواء ، احدها فوق المحيط الهادى ، والثانى فوق المحيط الهندى ، والثالث فوق المحيط الأطلسى .

دون ٢٤ ساعة . وبالطبع كانت افلاكها واطئة فلم تستوعب فى الوقت الواحد المساحة الكبيرة من سطح الارض .

واذن فهى جمعت فى فترات من الزمن صغيرة ، بين بقاع من الارض ، كان من المستطاع تبادل التلفزة بينها .. ثم هى لا تفتأ تنتقل فى افلاكها الى بقاع من الارض اخرى تبادل التلفزة بينها لو تهيأ لها التبادل .

واخيرا توصلوا الى اطلاق قمر له الشروط المطلوبة ، ذلك السنكوم رقم ١، Syncom ثم السنكوم رقم ٢ . وهذه دارت فى الفلك العالى المطلوب وثبتت فى السماء فى موضع ما بقدر ما .

ولكن نتائج هاتين التجربتين ظلت اسرارا لدى وزارة الدفاع الامريكية .

ثم تمخض الحال عن اخ لهما ثالث ، هو « الطائر الباكر » . موضوع هذا الحديث .

لتغطية الارض كلها ، اذاعيا ، لا بد من ٣ اقمار

انه لا يوجد قمر واحد يستطيع ان يرى سطح الارض كله فى وقت واحد .

وانه لا يوجد قمران معا يستطيعان ان يريا معا سطح الارض كله فى وقت واحد .

علم الهندسة يأبى هذا ، الا اذا ذهبنا بالقمر بعيدا عن الارض الى مالا نهاية .

اقل عدد من الاقمار ترى الارض كلها معا هو ٣ اقمار .

وبالحساب لابد أن يرتفع كل منها عن سطح الارض ٢٢٣٠٠ ميل ، كما قلنا ، وهو عندئذ يجمع فى عينه ثلث هذا السطح .

« الطائر الباكر »

ونجحوا فى ارسال أول قمر من هذه الاقمار الثلاثة، يتقبل التلفزة من الارض، ويردها بعد تقويتها الى مساحات كبرى من الارض ، هى ثلث الارض .

نعم نجحوا فى اطلاق هذا القمر فوق خط الاستواء ، فوق المحيط الاطلسى ، على ارتفاع ٢٢٣٠٠ ميل ، يجرى فى فلكه الدائرى بسرعة ٧٠٠٠ ميل فى الساعة ليتم دورته فى فلكه هذا فى نفس المدة (٢٤ ساعة) التى تتم فيها الارض دورتها حول محورها لتصنع الليل والنهار ، فهو يزامنها . واذن فهو يتراءى الآن ثابتا فى السماء ، فوق المحيط ، وما هو ثابت .

واسموه « الطائر الباكر Early Bird » .

اما انه طائر ، فمعناه ظاهر .

اما انه باكر فلأنه أول القطر ، ولأنه

سوف يكون من بعد هذا الطائر طيور. بل ان فى مصانع الشـــركة التى صنعته (Hughes Aircraft Co.) بكلفورنيا طائر ، وطائر. وهما اكبر من هذا واوق.

كيف أطلقوه ، وفى نقطة من السماء فوق الارض ثبتوه

أطلق هذا القمر ، « الطائر الباكر » ، كما تطلق سائر الاقمار بالصاروخ ، الى اعالى السماء .

اطلقه الصاروخ دجلاس دلتا Douglas Delta ، وهو ذو ثلاث طبقات .

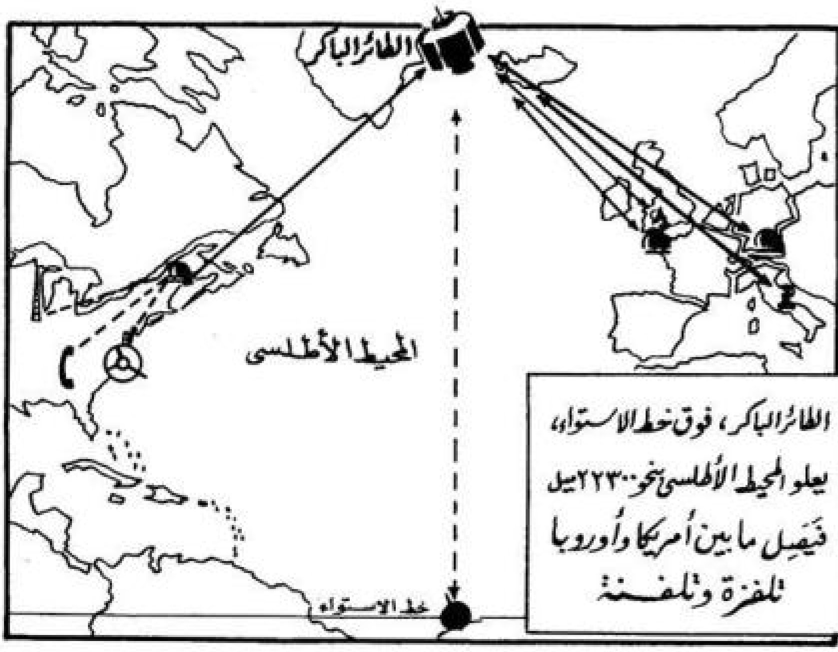
وكان وزن القمر ٨٥ رطلا ، فساعدت خفته ، وقوة الصاروخ ، على بلوغ هذا المرتقى العالى .

واطلقوه من راس كندى Cape Kennedy، من حيث تطلق الصواريخ .

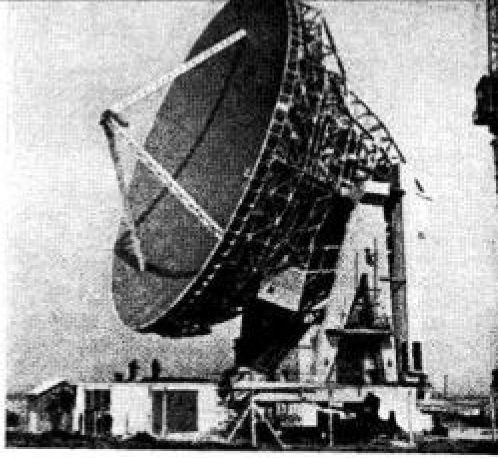
حتى اذا بلغ من العلو ٢٢٣٠٠ ميل فوق سطح الارض ، اتخذ مدارا اهليلجيا ، واذن فقد اخذ هذا العلو ينخفض حتى بلغ مقدار انخفاضه ٧٧٦ ميلا ، ثم هو يزداد ليبلغ ٢٢٣٠٠ ميل مرة اخرى . وهكذا دواليك . فهذا شأن الاهليلج . ذلك الذى نسميه بالشكل البيضاوى خطأ .

وحللوا هـــذا المدار . وقدروا كيف يجعلون منه مدارا دائريا لا اهليلجيا . وكيف يضعونه فوق خط الاستواء .

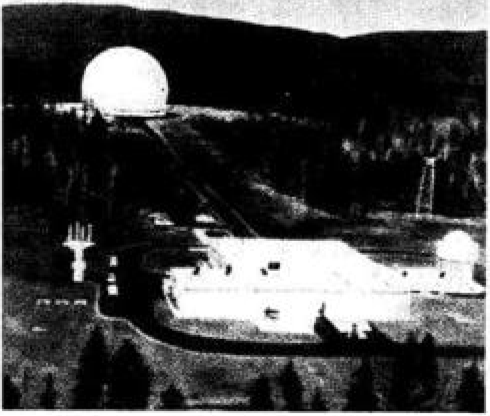
واذ خططوا لكل ذلك ، انتظروا بالقمر حتى يبلغ اقصى علو له فـوق المحيط الاطلسى ، وامروا ، وهم على الارض ، نفاثات صغيرة كانوا اودعوها اياه ، ان تنطلق . فانطلقت . وكان من نتيجة ذلك حصولهم على ما ارادوا منه : قمرا، فوق نقطة ثابتة من المحيط الاطلسى ،



وترى فى الرسم مراكز الاستقبال والارسال معا ، فى كل من الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنســا ، والمانيــا ، على نحــو ما هــو مذكــور فى المقال .



محطة الاستقبال الاذاعى ، فى « جونهلى دونز بكورن وال » ، بانجلترا ، وهى تستعد لاستقبال ما يتلفز القمر الاصطناعى من السماء الى الارض.



محطة الاستقبال الاذاعى فى أندوفر ، بولاية ماين ، بالولايات المتحدة ، وقد ظهرت فى الصورة ، وقد حماها من حولها نطاق طبيعى من التلال ، يرد عنها مافد يداخلها مما يهوش عليها من اشعاعات تاتى من مصادر فى الارض .

بين البرازيل وافريقيا ، يسير فوق خط الاستواء بالسرعة الواجبة التى تبقيه بقدر الامكان عند علو ٢٢٣٠٠ ميل، يقطع بها مداره الذى اصبح دائريا فى ٢٤ ساعة ، فهو اذن « يزامن » الارض فى دورانها . وينظر اليه الناظر من الارض فيحسبه ، لوانه اضاء ، معلقا ثابتا فى السماء ، كالمصباح ، وما هو بثابت .

صفة الطائر الباكر

ذكرنا وزن هذا القمر فكان ٨٥ رطلا

ونزيد وصفا له فنقول ان شكله اسطواني كالبرميل، أو هو كطبلة الجوقة الموسيقية الافرنجية .

وبداخله جهاز كامل لاستقبال الامواج الصوتية والبصرية للتلفزة التى توجه اليه ، ولتقويتها بعد أن ضعفت بسبب كبر المسافة التى قطعتها قبل الوصول ، ثم بارسالها الى محطات الاستقبال الكبرى لكل من امريكا واوروبا . وهى بامريكا محطة اندوفر Andover ، بولاية ماين، بالولات المتحدة ، ومحطة بلومور ـ بودو Pleumeur-Bodou بفرنسا ، ومحطة جون هلى دونز Goonhilly Downs ، بمقاطعة كورن وال بانجلترا ، ومحطة رشتنج Raisting بالمانيا . وهذه المحطات تقوم بتقوية الاذاعات قبل أن توزعها على محطات التلفزة المحلية .

والقوة الكهربائية التى يحتاجها لكل هذا ؟ .

تاتى من خلايا شمسية ، ٦٠٠٠ عدا ، توجد بظاهر القمر ، تأخذ من الشمس اشعتها الضوئية ، فتحيلها الى كهرباء ، انها هى الخلايا المعروفة بالخلايا الضوئية الكهربائية Photoelectric Cells ، ولطلاب المدارس الثانوية بهذه الخلايا دراسة وعلم .

وعمل آخر للقمر غير التلفزة ، خطير غاية الخطر :

ان القمر وصلة تلفونية بين امريكا واوروبا ، وعن طريقه تجرى المكالمات روحة وجيئة . وبه ٢٤٠ قناة تلفونية، تتلقى الكلام اخذا وردا .

والقمر يعمل ليل نهار ، فلا يتوقف، بحكم انه دائما مرئى، تراه أوروبا وأمريكا معا ... أو هو يشرف منهما على ما يقارب ثلث سطح الارض .

القمران الآخران

قلنا ان « الطائر الباكر » يغطى

باذاعاته ، من عليائه ، نحو ثلث سطح الارض واذن بقي الثلثان .

فلتغطية الارض كلها لا بد من قمرين آخرين ، يكونان مثل هذا تماما ، مثله ارتفاعا ، ومثله موضعا فوق خط الاستواء . احدهما يكون فوق المحيط الهندى ، والآخر فوق المحيط الهادى . وهما يزامنان الارض فىدوراتها ، اى يقطع كل فلكه فى الاربع والعشرين من الساعات التى تدور فيها الارض دورة واحدة حول محورها .

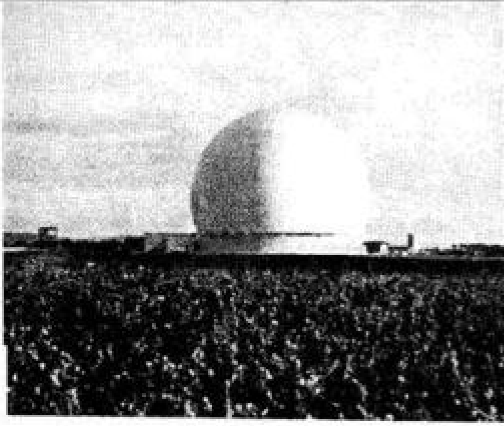
وعندئذ تستطيع اى محطة اذاعة ، على سطح الارض ، ان ترسل باذاعتها ، مسموعة ومنظورة معا ، الى كل بقاع الارض ، فى اللحظة الواحدة ، فهيتعطيها اولا للقمر الذى يغطيها ، وهذا يذيعها على سطح الارض الذى هو تحته ، وهو فى نفس الوقت يرسلها الى القمر الثاني، فيتلقفها ، ويصنع بها فى ناحيته ما صنع القمر الاول . واذ قد ارسلها الى القمر الثالث ، ففعل فيها ما فعل القمران ، فقد شملت تلك الاذاعة التى انبعثت اولا من محطة فى الارض ، كل الارض. ويقدر لتمام هذا عام ١٩٧٠ .

مواصلات تلفازية واخرى تلفونية

ولقد ذكرت ان هذه الاقمار تتلقف برامج التلفزة ثم تعيد اذاعتها ، ولكنها كذلك تتلقى الاحاديث التلفونية عبر قنوات فيها عدة ، سبق أن ذكرنا انها ٢٤ قناة تأذن بمائتين واربعين مكالمة .

وعندما يتم اطلاق القمرين الآخرين سوف تمكن التلفنة من اى بقعة فىالارض الى اى بقعة اخرى ، مهما بعدت .

ان البرامج التى تتلفز عبر الاقمار محدودة الانواع . لا بد ان تكون من النوع الذى يثيرهم الدنيا اجمع : من



محطة الاستقبال الالمانية فى ريتشتنج بالمانيا

مؤتمر عالمي خطير. خطبة من رئيس من رؤساء الدنيا يعلن بها حربا أو يبشر بسلام . او لقاءات فى مؤتمرات لها قوة فى حسم الأمور . او حدث فضائي لم يسبق له نظير. أعنى تلك الاحداث التى أكثر قيمتها يكون من الاستماع لها ورؤيتها ساعة حدوثها . والا تكفلت بها شرائط التسجيل المعتادة تنقلها الطائرات، ثم تذاع فى كل امة من محطاتها التلفازية العادية ، فان هى تأخرت يوما او يومين فلا بأس من ذلك .

لهذا كانت المواصلات التلفونية عبر الاقمار هى الاخطر ، وهى الاكثر ، وهى الاكثر عائدة على أصحاب الاقمار .

أصحاب هذه الاقمار

وقلنا أصحاب الاقمار

زلة لسان ما كنا نريدها . واذنوجب ان نسير بالحديث الى آخر المطاف .

ان صاحبهذه الاقمار شركةامريكية، وافق على انشائها مجلس الشيوخ بالولايات المتحدة. وهي الشركة الوحيدة التى انشئت بهذا الاجراء الرسمي منذ قرن كامل .

وخرجت بهذا الاجراء لخطورة عملها،



محطة الاستقبال فى فوشينو بايطاليا

فهى تتصل بالسياسة العليا للبلاد اتصالا وثيقا . وحسبك ان حديثا يذاع عن طريق هذه الاقمار، من اى بلد ، لا تلبث ان تسمعه الدنيا . واسمت هذه الشركة بالكمسات Comsat ، وهو اختصار صنعوه من جمع الحروف الاولى لاسمها الكامل الطويل ، فهو Communications Satellite Corporation ، أو باللفظ العربي « جمعية المواصلات بالتوابع » . والتوابع هنا هي الاقمار . فكل قمر تابع لما يدور حوله .

وهى شركة تألفت منذ ٣ سنوات ، اى منذ نجح القمر التجريبى الأول التلستار . وبدات براس مال قدره ٢٠٠ مليون دولار ، قسموه أسهما ، ذهب نصفها الى كبريات الشركات الاذاعية والنصف الثانى لصغار المساهمين . وبلغ عدد المساهمين ... ١٩٠ . وقد انذر المساهمون حديثا بانه لا يرجى من الشركة ربح قبل عام ١٩٧٠

ودفعت الشركة ... ... ٣ دولار ثمنا للطائر الباكر ، وهو من صناعة شركة هيوز وقد سبق ان ذكرناها .

ودفعت الشركة ... ٣٠٠ ٣ دولار ثمنا لاطلاقه ، دفعتها للادارة القومية لشئون الهواء والفضاء National Aeronautics and Space Administration

● الطائر الباكر

وهى صاحبة محطة اطلاق الصواريخ براس كندى ، وهى جزء من الحكومة الفدرالية للولايات المتحدة .

والشركة ، لخطورتها ، مسئولة عما تصنع أمام مساهميها كالعادة ، ولكن كذلك مسئولة أمام الكنجرس الأمريكى ورئيس الجمهورية .

فى الذكرى العشرين لانتهاء الحرب العالمية الثانية

وتظهر خطورة هذه الاقمار من الحادث الذى وقع فى الذكرى العشرين لانتهاء الحرب العالمية الثانية فى أوروبا ، فقد كانت الجيوش الالمانية سلمت فى الثامن من مايو عام ١٩٤٥ . واذن جاءت الذكرى العشرين فى مايو (أيار) عام ١٩٦٥ .

حدث ان الروس ، فى هذه الذكرى ، اغرقوا سماء أوروبا ، عن طريق محطاتها التلفازية ، بشتى الاذاعات . وامريكا قاعدة للروس دائما بالمرصاد . وساء الامريكان ان تسبق روسيا ويتخلفوا . فما كان من الرئيس الامريكى جونسون ، وبدون انذار ، ان اعتلى هو بنفسه السماء عن طريق « الطائر الباكر »، ووجه خطاب الذكرى لأهل أوروبا بنفسه ، ومن فوق سمائهم .

وكان حدثا غير معتاد ، أن يخاطب رئيس دولة شعوب دول أخرى ، فى عقر دارهم ، بدون سابق استئذان تلك الدول . وهو فى خطابه لم يتورع « عن أن يؤنب الرئيس الفرنسى ، ديجول ، على مسمع من أهل انجلترا وايطاليا » . ونحن انما ننقل هذا التعبير عن مصادر أخبار الولايات المتحدة ذاتها .

وهذا الحادث يدل على ما قد تتمخض

عنه الأقمار الاذاعية، وهى تشمل العالم، اذ تذيع للأذن والعين معا ، من خطورة بسبب انه تسيطر عليها من امم الأرض امة واحدة . وكل امة بالطبع تستطيع ان تسد آذانها وتغمض اعينها الاذاعية لاذاعات الولايات اذا هى انحازت .

وهناك احتمال آخر، ان يقوم الروس باطلاق اقمار اذاعية كالتى اطلقها الأمريكان

واحتمال ثالث: أن تطلق فرنسا ،وغير فرنسا .

من اجل هذا لا بد لهذه الأقمار الامريكية من أن تكون اقمارا يحكمها اتفاق دولى . والا رفضتها الأمم . فهذه الاقمار كذلك تقع تحت رحمة هذه الأمم، فالمحطات الاذاعية الأرضية لهذه الأمم هى التى تتلقف اذاعة القمر ، ثم هى تذيعه فى الدولة .

رجعة الى الوراء

انا نتحدث عن الأقمار الاذاعية وعامنا عام ١٩٦٥ .

ونرجع الى الوراء مائة عام ، الى عام ١٨٦٥ ، فنجده العام الذى تألف فيه اتحاد المواصلات الدولية Uuion of International Communications وكان عام اخترع فيه التلغراف قد سبق، فقد كان عام ١٨٣٧ .

وفى عام ١٨٦٦ وضع الكبل الموصل بين اوروبا وامريكا عبر المحيط الأطلسى، واستقر فى اعماقه ، وعن طريقه ظلت المراسلات تروح وتجىء .

وفى عام ١٨٧١ وضع الكبل الهندى الأوروبى .

وابتدع التلفون عام ١٨٧٦ ، فزادت المواصلات بين الناس والناس .

وتلا التلفون السلكى التلفون اللاسلكى، ولكن لم يدخل حياة الناس الا بعد الحرب العالمية الاولى ، والاذاعة البريطانية نفسها لم تبدأ الا فى عام ١٩٢٢ . وكم اذكر ونحن مجتمعون فى لندن ، فى تلك السنة على جهاز ملء الكفين،به بلورة سوداء ، وابرة نحركها. ونمس بطرف هذه الابرة من البلورة موضعا فيها ، فينطلق الجهاز بالموسيقى او بالحديث ، يأتى من قلب العاصمة صافيا كالماء . ونعجب .

وتلت الاذاعة الصوتية ، الاذاعة التلفازية ، وبدأتها لندن فى عام ١٩٣٧ اول البادئات والبادئين .

واتصل تلفاز امم بتلفاز امم ،واتصل تلفاز انجلترا بتلفاز فرنسا ، ونشأ من ذلك التلفاز الأوروبى Eurovision يوصل التلفاز البريطانى B. B. C. بالتلفاز الأوروبى European Broadcasting Union . واخيرا جاء التلفاز العالمي ، بداه ، ولم يتم ، « الطائر الباكر » .

وتأخر مجيئه ، وكان من حقه ان يتأخر ، فهو من نتاج عصر الصواريخ ، عصر الأقمار .

احداث ، هى فى سرعتها ، فى حياة الانسان الفرد ، تطور ، وهى فى سرعتها، فى حياة الشعوب والزمان ، ثورة . ■■

احمد زكى

	٨		١
٢	١١	٧	
٣		٦	١٥
١٦		٩	٤

مسابقة العدد

٥ مربعات خالية

وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تنحصر في ملء المربعات الخمسة الخالية في الشكل المرفق ، وذلك بأرقام جديدة يشترط فيها :

١ ـ أن تقع بين رقمي ١ و١٦ .

٢ ـ أن لا تكون من الأرقام الواردة في الشكل .

٣ ـ أن لا يتكرر أي رقم في الشكل كله .

٤ ـ أن يكون مجموع الأرقام واحدا في أي صف رأسي ، أو أفقي ، أو على خط يصل زاويتين متقابلتين في الرسم .

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٤ .

٢ ـ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العدد ٨٠ » .

٣ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر اغسطس (آب) ١٩٦٥ .

يمنح الفائزين جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■



الاذاعات القمرية عن طريق القمر التلفازى

● تحدثت مجلة الايكنمست اللندنية عن القمر التلفازى الذى اطلقته الولايات المتحدة ، وعنه اخذت محطات التلفزة فى الارض ترسل اليه باذاعاتها ، فيعيد القمر نشرها على اهل الارض . واسم هذا القمر « الطائر الباكر » او Early Bird قالت المجلة :

ان « الطائر الباكر » اثبت ، من اول اذاعاته ، انه عمل تكنىّ رائع . واذا اقيم فوق المحيط الهندى قمر صناعى مثله ، وفوق المحيط الهادى قمر آخر مثله ، فقد شملت الاذاعات الثلاثُ كلَّ سطح الارض ...

ان هذه الاذاعات القمرية لها خطر كبير . فعن طريقها يمكن اذاعة صور الاحداث الكبرى التى تحدث فى العالم ، وكذا الاخبار .

ان اهم ما يمكن ان يذيعه القمر ، « الطائر الباكر » ، فيما يتصل بنا نحن سكان هذا الجانب الشرقى من المحيط الاطلسى ، هو الاخبار تذاع فى الصباح الباكر ،فى الساعة ٧ صباحا ، وفى الثامنة صباحا .ولكن قد يترتب على هذا اغلاق اكثر من صحيفة يومية .

ومن حيث الاصدار ، قد يؤدى الحال الى اصدار برنامج اخبارى بريطانى واحد ،يكون من حيث السعة ، والمصادر والاثر ، ما لاخبار رويتر . وأمر التمويل لا شك تقوم به الشركات التجارية البريطانية .

ولكن بقى امر : ان القمر الامريكى ، وأمر اذاعة برنامج اخبارى بريطاني ، عن طريقه ، تموله شركات تجارية ، يتوقف على موافقة امريكا .

اسلوب جديد لرؤساء الكرملين ،الجدد ، فى روسيا

عن مجلة تيم الامريكية :

● كان اسلوب خروشوف اسلوب الجمل الصارخة التي تملأ الاسماع ، او اسلوب الاحذية يُدَقّ بها على الموائد . ولكن ، منذ تنحىّ خروشوف عن رئاسة روسيا ، اختفى هذا الاسلوب اختفاء ، وجاء من بعده رؤساء قلموا يعلنون عن شيء يصنعونه . ان برزنيف سكرتير الحزب ، وكوسجين رئيس الوزراء ، يقومان بواجباتهما فى سكوت تام ، لا يبرزون انفسهم فى شيء ، حتى اسماؤهم لا تكاد تذكرها جرائدهم .

مثال ذلك ما حدث فى امر الحصاد عام ١٩٦٤ ، حصاد الحب الذى يصنع منه خبز اليوم . فقد بلغ ذلك العام ١٥١ مليون طن ، وكان بلغ عام ١٩٦٣ فقط ١٠٧ مليون طن . وكان هذا خبرا جللا . قمينا بخروشوف ان يعلنه من مشارف الكرملين ليسمعه العالم . ولكن رؤساء الكرملين الجدَد اكتفوا بأن يظهر



ما فائدة الجيش البريطاني ، عند نهر الرين بالمانيا ؟

عن نيوستا تسمان :

● ان بريطانيا احتفظت فى المانية الاتحادية ، بجيش عرف بجيش (الرين) ، واحتفظت به مدة عشرين عاما . وكان جيشا كبيرا . وهو لا يزال الى الآن يبلغ ٥٠٠٠٠ ، ومعه قسم لا باس به من سلاحنا الجوى . وهو يكلفنا كل عام نحوا من ٨٠ مليون جنيه استرلينى ، اى ما يعادل هذا المبلغ بالعملة الاجنبية. وتسال عن حقيقة الاغراض الحربية التى هو قائم لتحقيقها فتجد الجواب عسيرا.

ان الجيش يسمى جيش الرين ، وهو اسم لا يتفق مطلقا وحالته الحاضرة . فهو من حيث القوة دون المستوى المطلوب ، فجهازه سيىء ، وكثير من سلاحه عتيق من اسلحة امريكية منبوذة.

واهل الخبرة يقولون ان هذا الجيش البريطانى هو ، من حيث التدريب ، والتوزع ، ورصيد السلاح ، لا يتفق مع المبادىء الذى سنها الحلف الاطلسى الذى بريطانيا عضو فيه . والسبب فى ذلك ان قادة الجيش لا يؤمنون بأن حربا تقوم فى اوروبا سيقدّر لها ان تطول .

اذن ، فما يصنع هذا الجيش فى المانيا الغربية ؟

ان قليلا جدا من الناس يستطيعون اليوم ان يجيبوا على هذا السؤال وهم على شيء من الاقتناع بصحة الجواب ، فيقولوا انه قائم هناك لحماية اوروبا الغربية من الغزو الروسى .

ان اى نية فى غزو اوروبا ، كانت تراود الروس فيما مضى ، لابد قد امّحت من انفسهم من زمن بعيد . وحتى لو هى عادت الى الحياة اليوم ، فالحرب التى تقوم نتيجة هذا الغزو لن يكون من اداتها جندنا ببذلاتهم الخاكية القائمون عن الرين . انها حرب ستكون اداتها الصاروخ والذرة . وحتى لو ان الحرب احتاجت الى جند الارض ، فان المانيا اليوم ، وكذا فرنسا ، عندهما من القوة المادية والقدرة الاقتصادية ما يستطيعان به حماية حدودهما . ■■



خروشوف



برجنيف

هذا الخبر مدفونا فى كتاب ، يتضمن احصاءات شتى عن الاتحاد الروسى .

ومع تغير الاسلوب ، او رغم تغيره ، بقيت السياسة واحدة ، فرؤساء روسيا الجدد استمروا فى سياسة التعايش التى رسمها خروشوف للخارج ، وفى سياسة تعزيز موائد الطعام فى الداخل ، والزيادة فى رفاهة الشعب . وقد اختط الكرملين لزيادة المصنوع من السيارات ، وكذلك لزيادة الانتاج من المواد الاستهلاكية لكى يبلغ حجمها فى العام القادم ما يساوى ثمانية آلاف مليون دولار.

وحتى لترفيه النساء بعث برئيسة محل للازياء بموسكو الى باريس لتزور محلات « ديور » الشهيرة فى ابتداع الموضات للسيدات ، وذلك رجاء ان تقتبس منها ما يجعل نساء الروس تظهر فى ملابس اكثر اناقة وفتنة .



نظرات في التعليم في الوطن العربي خلال العام الدراسي الماضي

١١ مليون طالب يُعلّمهم ٣٦٤ ألف مُدرّس

بقلم : ساطع الحصرى

▪ لدىّ الآن مجموعة من التقارير الرسمية التى تتضمن « خلاصات احصائية » عن التعليم خلال العام الدراسى المنصرم « ١٩٦٣ — ١٩٦٤ » فى كل قطر من الأقطار العربية .

لقد رايت ان استخلص منها هـذه النظرات العامة . لاعطاء « فكرة اجمالية » عن « حالة التعليم فى العالم العربى » — من وجهة الكمية — خلال العام الدراسى الأخير .

مجموع التلاميذ والطلاب عام ١٩٦٣ — ١٩٦٤

ان مجموع التلاميذ والطلاب فى مختلف أنواع معاهد التربية والتعليم القائمة فى مختلف انحاء العالم العربى قد زاد — خلال العام الدراسى الآنف الذكر — على : أحد عشر مليونا ومائتى الف . اذ كان : ١١ ٢١٣ ٩٤٥ .

واما حصة كل دولة من الدول العربية من هذا المجموع ، فتتبين من الجدول التالى : (وهو مرتب بترتيب الكثرة) .

مجموع التلاميذ والطلاب ، فى :

الجمهورية العربية المتحدة	٤ ١٦٩ ١٣٤
المملكة المغربية	١ ٢١١ ١٢٠
الجمهورية الجزائرية	١ ٢٠٠ ٧٥٩
الجمهورية العراقية	١ ١١٢ ٠٨٤
الجمهورية العربية السورية	٨٢٤ ٨١٤
الجمهورية التونسية	٦٩٤ ٤٢٧





مليون وربع مليون مقدار الزيادة فى عدد الطلبة فى عام واحد

٦٠ الفا مقدار الزيادة فى عدد المدرسين فى عام واحد

جمهورية السودان	٤٩٢ ٠٩١
الجمهورية اللبنانية	٤٠٣ ٤٣٢
المملكة الاردنية الهاشمية	٣٥٣ ٥٥٥
المملكة العربية السعودية	٢٢٥ ٤٩٣
المملكة الليبية	٢١١ ٦٤٦
قطاع غزة	٨٦ ٧٨٣
الجمهورية العربية اليمنية (تخمينا)	٧٥ ٠٠٠
دولة الكويت	٦٩ ٥٩٣
امارات الجنوب العربى مع عدن (تخمينا)	٤٠ ٠٠٠
امارة البحرين	٣٢ ٥٥٠
امارة قطر	٩ ٤٦٤

ملاحظات :

أ) ان الارقام العائدة الى كل من الاردن وسوريا ولبنان ، تشمل أولاد اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون ويدرسون فيها .

ب) أما مجموع التلاميذ فى الجمهورية العربية اليمنية فقد كان خلال العام الدراسى الأسبق ٦٤ ٣٢٢ .

ج) ان مجموع التلاميذ فى جنوب الجزيرة العربية وعدن . كان ـ حسب احصاءات العام الدراسى الأسبق ٢٧ ٨٩٦ .

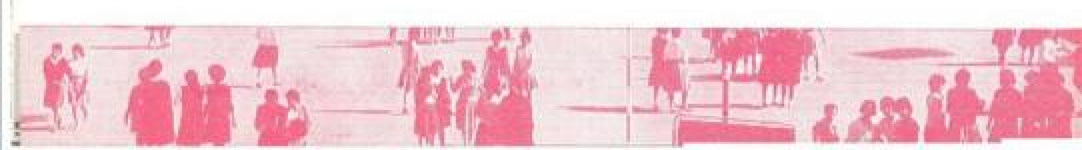
د) ان « طلاب العرب » الذين يدرسون فى المعاهد التعليمية القائمة « خارج العالم العربى » لم يدخلوا فى احصاءات هذا الجدول .

مجموع المعلمين والمعلمات عام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤

مجموع القائمين بالتربية والتعليم فى المعاهد الموجودة فى العالم العربى ، خلال العام الدراسى الاخير ، جاوز الثلاثمائة والستين الفا . اذ كان نحو : ٣٦٤ ٣٥٩ كما يتبين من الجدول التالى :

مجموع المعلمين والمعلمات فى :

الجمهورية العربية المتحدة	١٤٣ ٢٨٧
الجمهورية العراقية	٣٨ ٥٣٩
الجمهورية الجزائرية	٣٣ ٤٨٣
المملكة المغربية	٣٠ ٤٣٢
الجمهورية العربية السورية	٢٤ ٦٣٩
الجمهورية اللبنانية	١٧ ٧٢٧
الجمهورية التونسية	١٤ ٦٧٤
المملكة الاردنية	١٣ ٧٦٤
جمهورية السودان	١٢ ٧٧١
المملكة العربية السعودية	١٠ ٢٨٦
المملكة الليبية	٧ ١٧٤
دولة الكويت	٣ ٦٦٩
قطاع غزة	٣ ٤٢٨
الجمهورية اليمنية (تخمينا)	١ ٩٠٠
امارات الجنوب العربى مع عدن (تخمينا)	١ ٤٠٠
امارة البحرين	١ ٣٩١



امارة قطر	٦٦٤

ملحوظة :

اعتقد ان المجموع الحقيقي يزيد ـ ولو قليلا ـ على ما في هذا الجدول، لأن عدد المعلمين والمعلمات الذين يعملون في المدارس الأجنبية لم تدخل في احصاءات البعض من الدول العربية .

مجموع الطلاب في دور المعلمين والمعلمات الابتدائية عام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤

ان مجموع طلاب دور المعلمين والمعلمات ـ التي تتولى مهمة اعداد وتخريج المعلمين والمعلمات التي تحتاج اليهم المدارس الابتدائية ـ في مختلف انحاء العالم العربي ـ خلال العام الدراسي الأخير ، اصبح قريبا من ستة وسبعين الفا . كما يتضح من الجدول التالي :

مجموع طلاب دور المعلمين والمعلمات الابتدائية في :

الجمهورية العربية المتحدة	٣٤ ٧٠٦
الجمهورية العراقية	٨ ٦٥٣
المملكة العربية السعودية	٧ ٣١٨
الجمهورية العربية السورية	٤ ٢٤٩
المملكة المغربية	٢ ٧٧٦
الجمهورية التونسية	٢ ٦٩٩
المملكة الليبية	٢ ٢٧٢
جمهورية السودان	١ ٩٤٥
المملكة الاردنية	١ ٢٦١
الجمهورية اللبنانية	١ ١٩٤
الجمهورية الجزائرية	١ ١٤٧
دولة الكويت	٤٢٤
قطاع غزة	٢٨٨

ملحوظة :

ان طلاب معاهد التربية التابعة للجامعات ، ومعاهد المعلمين والمعلمات العليا التي تتولى مهمة اعداد المعلمين والمعلمات الذين تحتاج اليهم المدارس الثانوية والتكنية ، لم يدخلوا في هذه الأرقام .

مجموع الطلاب في الجامعات والمعاهد العليا عام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤

ان مجموع الطلبة والطالبات في الجامعات والمعاهد العليا القائمة في مختلف الدول العربية ، اصبح ـ خلال العام الدراسي الأخير ـ قريبا من ربع المليون : لأنه كان (٢٤٣ ٧١٥) ـ عدا طلاب جامعة القروين في المملكة المغربية ، وجامعة البيضاء في المملكة الليبية .

ان الجدول التالي يبين حصة كل دولة من الدول العربية ، من هذا المجموع ، حسب الاحصاءات العائدة الى ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ :

مجموع طلاب التعليم العالي والجامعي من :

الجمهورية العربية المتحدة	١٥٢ ٩٥٣
الجمهورية العربية السورية	٣١ ١٦٩
الجمهورية العراقية	١٩ ٣٩١
الجمهورية اللبنانية	١٥ ٩٥٢
المملكة المغربية	٨ ١١٩
الجمهورية الجزائرية	٥ ٩٥٦
الجمهورية التونسية	٣ ٨٨٤
جمهورية السودان	٣ ٨٦٧
المملكة الليبية	١ ١٣٤
المملكة العربية السعودية	١ ٠٣٣
المملكة الاردنية	٢٥٧

مقارنة عامة مع السنة السابقة

اذا قارنا الأرقام المدرجة في الجداول السابقة ـ التي تعود الى العام الدراسي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤، مع الأرقام التي تعود الى سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ ، علمنا انه قد حصل تزايد كبير ، في مختلف انواع معاهد التربية والتعليم القائمة في العالم العربي، خلال السنة الأخيرة ، كما يتضح من التفاصيل التالية :

تزايد مجموع التلاميذ

ان مجموع التلاميذ والطلاب الذين يدرسون في مختلف انواع معاهد التربية والتعليم القائمة



فى « العالم العربى » . وقد زاد خلال سنة واحدة : نحو مليون ومائتين وثلاثين الفا ، كما يتضح من التفاصيل التالية :

لقد زاد المجموع خلال العام الدراسى المنصرم ، فى :

الجمهورية العربية المتحدة	٣٤٦ ٣٠٧
الجمهورية الجزائرية	٣٠٣ ٩٥٩
المملكة المغربية	٢٠٣ ٢٢١
الجمهورية العربية السورية	٨٢ ٨٠٨
الجمهورية التونسية	٧٤ ٠٥٣
الجمهورية العراقية	٥١ ٦٢٧
المملكة العربية السعودية	٣٩ ٣٦٨
جمهورية السودان	٣١ ٨٩٤
المملكة الاردنية	٢٧ ٣٩٠
الجمهورية اللبنانية	٢٧ ٣٤١
المملكة الليبية	٢٣ ١٤٠
دولة الكويت	١٠ ٠٤٢
قطاع غزة	٤ ٥٤١
امارة البحرين	٤ ٠٢٦
امارة قطر	١ ٤٤٣

ان مجموعهذه الارقام المستندة الى الاحصاءات الرسمية يبلغ : ١ ٢٣١ ١٦٠ .

ملاحظات :

ا) لقد حسبنا التزايد فى الجمهورية العراقية بناء على الاحصاءات الرسمية الأخيرة ، التى صححت بعض الأرقام العائدة الى العام الدراسى ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، واظهرت ان المجموع فى تلك السنة كان ١ ٠٦٠ ٤٥٧ .

ب) لقد حسبنا التزايد فى الجمهورية العربية السورية أيضا ، بناء على الاحصاءات الرسمية الأخيرة التى عدلت الأرقام المنشورة قبلا عن العام الدراسى ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، واظهرت ان المجموع فى السنة المذكورة كان ٧٤٢ ٠٠٦ .

ج) لم نذكر فى هذا الجدول الجمهورية اليمنية وامارات الجنوب العربى ، لأننا لم نحصل على الاحصاءات الرسمية عن العام الدراسى الأخير .

ومع ذلك نظن ظنا قويا بان التزايد الذى حصل فى مجموع التلاميذ فى البلاد المذكورة لا يقل عن عشرة آلاف .

فاذا قلنا : ان مجموع التلاميذ فى العالمالعربى، قد زاد خلال العام الدراسى المنصرم نحو ٢٤٠ ٠٠٠ ١ لا نبتعد كثيرا عنالحقيقة والواقع.

تزايد مجموع المعلمين والمعلمات

ان مجموع القائمين بالتربية والتعليم فى العالم العربى خلال العام الدراسى ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ كان ١٨٣ ٣٠٤

ويتبين ذلك ــ ومما نشرناه آنفا ــ أن هذا المجموع قد زاد خلال عام واحد : ١٧٦ ٠٦٠ .

تزايد طلاب دور المعلمين والمعلمات الابتدائية

ان مجموع طلابدور المعلمينوالمعلمات الابتدائية فى العالم العربى خلال العام الدراسى ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ كان : ٥٥ ٤٤٣ .

ويتبين من ذلك ــ ومما نشرناه آنفا عن العام الدراسى الأخير ــ ان مجموع طلاب الدور التى تعد المعلمين والمعلمات للمدارس الابتدائية فى العالم العربى قد زاد خلال عام واحد : ١٣ ٥٦٩ .

تزايد طلاب التعليم العالى

ان مجموع الطلاب فى معاهد التعليم العالى والجامعات القائمة فى البلاد العربية خلال العام الدراسى ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ كان : ١٩٥ ٥٠٨ .

ويتبين من ذلك ــ ومما نشرناه آنفا عن العام الدراسى الاخير ــ ان مجموع طلاب معاهد التعليم العالى والجامعات قد زاد خلال العام الدراسى المنصرم نحو : ٥٨ ٢٠٧ . ■■

ابو خلدون
ساطع الحصرى



قال ابن الأثير : لم أجد ما ينتفع به في علم البلاغة الا كتاب «الموازنة» للآمدي ، وكتاب « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجي

ابن سنان الخفاجي

بقلم: الدكتور احمد احمد بدوى

الاستاذ بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

■ عبد الله بن محمد ، شاعر متادب ، أخذ الأدب عن أبى العلاء المعرى وغيره ، وسمع الحديث ، وبرع فيه ، ومات بقلعة « اعزاز » من اعمال « حلب » سنة ٤٦٦ هـ (١٠٨٩ م) وترك بعده ديوان شعر طبع في بيروت ، وكتاب « سر الفصاحة ».

وقد أعد بن سنان للأمر عدته عندما اراد ان يؤلف هذا الكتاب ، فقرأ ما استطاع أن يقرأ من الكتب التى ألفت قبله فى النقد الادبى ، ككتاب البديع لابن عسكر ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ، والموازنة بين الطائفتين للآمدى ، وغير ذلك مما أشير اليه فى كتابه .

واغلب الظن انه لم يقرأ ما كتبه عبد القاهر الجرجاني لاننا لم نلمح أثرا فى سر الفصاحة يوحى بهذا التأثر .

وكان هدف ابن سنان من تاليف كتابه ان يوضح حقيقة الفصاحة ، ويكشف عن سرها ، لانه يؤمن بأن لكل جمال فى الكلام سببا يمكن الاهتداء اليه ، فاراد ان يضع كتابا يستطيع به دارسه أن يعلل ويستدل ، ويعرف الوجوه والاسباب .

وكانت نظرته صائبة عندما قرر أن البلاغة انما تدرك بمخالطة الشعر وتأمله ، مع طول الوقت ، وتراخى الزمن .

وعندما أراد أن يؤلف كتابه كان عظيم الطموح فى أن يؤلف فى أسرار الفصاحة كتابا مفردا بغير نظير من الكتب فى معناه ، وأن يجمع من مسائلها ما أهمله من قبله الدارسون لها .

رأى ابن الأثير فى كتاب « سر الفصاحة »

وقد حقق المؤلف كثيرا من هدفه ، حتى قال ابن الأثير فى فاتحة كتابه : « وبعد ، فان علم البيان قد ألف الناس فيه كتبا ، وجلبوا ذهبا وحطبا ،



في كتابه سر الفصاحة

وما من تاليف الا وقد تصفحت شينه وسينه ، وعلمت غثه وسمينه ، فلم أجد ما ينتفع به فى ذلك الا كتاب الموازنة لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمِدى ، وكتاب سر الفصاحة لأبى محمد عبد الله بن سنان الخفاجى . وهو يبدو فى كتابه مجتهدا ، يريد أن يصل الى القواعد بنفسه ، وأن يطمئن الى ما يصل اليه منها ، لا يقلد فى ذلك سابقا ، مهما كانت مكانته الا عن عقيدة وايمان . يقول : وقد ذكرتُ فيه ما يقنع طالب هذا العلم ، على أننى لم ارجع فيه الى كتاب مؤلَّف ولا قول يُروَى ، ولا وجدتُ ما ذكرته مجموعا فى مكان ، وانما عرفته بالدُّربة ، وتأمل أشعار الناس ، وما نبه أهل العلم فى اثباتها » .

ولا يقلل من قيمة هذا المجهود ما قد يكون هناك من اعتراضات على ما وصل اليه من النتائج ، بل انه يؤمن بانه عرضة للزلل ، والوقوع فى الخطا .

وهو يجمع فى كتابه بين منهج الأدباء والمناطقة ، فتراه يحشد كثيرا من الأمثلة ، ويجنح الى الدليل والبرهان ، وكان لثقافته الأدبية ، ودراسته الكلامية أثر بارز فى هذا الاتجاه .

العربية تفضل سائر اللغات

لم يكن ابن سنان يعرف غير العربية ، ومع ذلك كان يؤمن بفضل اللغة العربية على سائر اللغات ، تابعا فى ذلك الظن والحدس ، ذاكرا من وسائل تفضيلها سعتها ، فمن تتبع جميع اللغات لم يجد فيها لغة تضاهى اللغة العربية فى كثرة الأسماء للمسمى الواحد ، وانها مع هذه السعة أخصر اللغات فى ايصال المعانى ، وانه اذا نقلت الألفاظ الحسنة الى السريانى قَبُحت ، واذا نقل الكلام المختار من السريانى الى العربى ازداد طلاوة وحسنا ، كما أخبره بذلك أحد المطارنة . ويعلل ابن سنان لذلك بأن لغتنا فيها من الاستعارات والألفاظ الحسنة ما ليس مثله فى غيرها من اللغات .

ولا ريب أن آراء ابن سنان فى ذلك مجال مناقشة وموضع نظر . واذا كان ابن سنان معجبًا باللغة العربية ، كما رأينا ، فهو معجَب ببلغائها فى القديم والحديث ، لا يتعصب لقديم لأنه قديم ، ولا ينتقص مُحدَثا لأنه حديث ، والأساس عنده فى تفضيل الشعر هو تقويم أسلوبه ومعناه .

وشغل ابن سنان اكثر من خمسين صفحة من كتابه في امور قليلة القيمة من حيث اتصالها بموضوع الفصاحة ، كالحديث عن الصوت ، وانه معقول وليس بجسم ، وبيان معنى الحرف ومخارج الحروف وانواعها ، وتحديد معنى الكلام والمتكلم واللغة .

ومن الغريب انه قد عد ذلك من محاسن كتابه . وقد اغفل المتكلمون الحديث عنها .

الكلمة التي تصل الى ذروة الكمال

وبعدئذ يصل الى المقصود من كتابه ، فيعرفنا بما ينبغي ان يتوافر في الكلمة حتى تصل الى الذروة في الجمال .

فيرى لذلك ان تكون الكلمة مؤلفة من حروف متباعدة المخارج ، لان الحروف التي هي اصوات تجرى من السمع مجرى الالوان من البصر ، ولا شك ان الالوان المتباينة اذا جمعت كانت في النظر احسن من الالوان المتقاربة .

ويرى لذلك كذلك ان نجد لتاليف اللفظة في السمع حسنا ومزية على غيرها ، وان لا تكون متوعرة وحشية ، ولا ساقطة عامية ، والا تكون قد عربها عن امر آخر يكره ذكره ، فاذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت . وهذا هو ما يعبر عنه في عصرنا الحديث بسوء الايحاء ، كالدلو في قول ابي تمام :

متفجر نادمته ، فكأنني
للدلو او للمرزمين نديم

فالدلو ها هنا احد البروج ، ولا يختار لموافقة اسم الدلو المذكور .

واهم ما وضعه ابن سنان من اصول فصاحة الكلام ان توضع الالفاظ موضعها فلايكون في العبارة تقديم وتاخير يؤدي الى فساد معناه ، وان تكون الاستعارة اوضح من الحقيقة ، لان الحقيقة لو قامت مقامها كانت اولى واحق منها بالاستعمال ، ويمثل لذلك بقول طفيل الغنوي :

وجعلتُ كوري فوق ناجية
يقتات شحمَ سنامها الرحْلُ (١)

فيقول : ان استعارة هذا البيت مرضية عند جماعة العلماء بالشعر ، لان الشحم لما كان من الاشياء التي تقتات ، وكان الرحل يتخونه ويذيبه كان ذلك بمنزلة من يقتاته وحسنت استعارته القوت للقرب والمناسبة والشبه الواضح .

ويرى ان ابا تمام لم يضع اللفظ في موضعه عندما قال :

سعى ، فاستنزل الشرف القسارا
ولولا السعي لم تكن المساعي

فان استنزال الشرف ليس بحقيقة فيه ، ولا على وجه الاستعارة الصحيحة ، لان الشرف اذا حُطَّ وأُنزل فقد وُصف بما لا يليق به ، وقد كان يمكنه ان يعبر عن نيله الشرف ووصوله اليه بغير استنزاله .

والكلمة الحشو معيبة

ويرى ايضا ان من وضع الالفاظ موضعها ان تجيء الكلمة في الجملة لتقوم بنصيبها في اداء المعنى الذي يريده الاديب ، فتعاب اذا وقعت حشوا ، بان يكون القصد بها اصلاح الوزن او تناسب القوافي في الشعر ، وتاليف الفصول في النثر ، كقول عدي بن الرقاع :

وكأنها بين النساء اعارها
عينيه احور من جآذر جاسم (٢)

لان « جاسم » انما وردت هنا لاجل القافية ، لا لمعنى فيها ، وهي قرية بالشام ، من اعمال دمشق ، وليس لجآذرها ميزة على غيرها .

السجع والوان البديع المتكلفة

وكان من الضروري وهو يتحدث عن وضع الكلمة في موضعها اللائق بها ان يتعرض للسجع ، اذ كثيرا ما يتعذر على مؤلفه ان ياتي بالسجعة ، فيتمحل الكلام تمحلا شديدا ، ويأتي بمعان خارجة عن غرضه ، حتى يظفر بالسجعة بعد تعب ، والواجب اطراح السجع في الموضع الذي يكون فيه متكلفا نافرا .

وكما ابغض ابن سنان السجع المتكلف ابغض التكلف في كل لون من الوان البديع وابغض الاكثار منها ، فهي انما تحسن اذا كانت قليلة غير متكلفة ولا مقصودة في ذاتها .

وتلك نظرة في البلاغة صائبة ، فانما تسرب الضعف الى اسلوب الكتابة والشعر عندما قصد

---

(١) الكور : رَحْل البعير . والناجية : الناقة السريعة .

(٢) جآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

الأدباء الى السجع والمحسنات البديعية قصدا ، ولم نجىء هذه الفنون طبيعية يسوق اليها المعنى.

والألغاز فى معنى الألفاظ

ومن وضع الألفاظ فى مواضعها الا يستعمل الأديب المشترك من الألفاظ ، وهو فى تطبيق هذا القانون لا يحابى احدا حتى استاذه المعرى ، فقد اورد قوله :

اذا صدق الجَدُّ افترى العَمُّ للفتى
مكارم لا تكرى وان كذب الخالُ

لأن ابا العلاء يريد بالجد : الحظ ، وبالعم : الجماعة من الناس ، وبالخال : المخيلة ، وقد ألغز بذلك عن العم والجد والخال من النسب . ثم قال ابن سنان فهذا وأمثاله ليس من الفصاحة بشىء .

اما الصفات التى تطلب من المعانى لتكون بليغة فاهمها الصحة والكمال والمبالغة .

صحة المعانى من صفات البلاغة

ومما كانت نظرته صائبة فيه انه راى من الصحة تجنب التناقض ، وهو بذلك يرى ان المعانى التى تذكر فى القصيدة يجب ان تتحد فى اتجاهاتها ، وكأنه يشير الى ما نسميه اليوم بوحدة التجربة ، اى ان المعنى الجزئى يجب ان يتضافر مع باقى المعانى على ابراز الغرض الذى انشئت له القصيدة .

ويكمل المعنى اذا استوفى الاحوال التى تتم بها صحته ، كقول نافع الغنوى :

رجال اذا لم يقبل الحق منهمو
ويعطوه لاذوا بالسيوف القواضب

فتمم المعنى بقوله : « ويعطوه » ، لأنه اذا اقتصر على قوله : « اذا لم يقبل الحق منهم لاذوا بالسيوف » كان المعنى ناقصا .

وبرغم ميل ابن سنان الى المبالغة والغلو يرى ان يستعمل فى ذلك كاد وما جرى فى معناها ليكون الكلام اقرب الى حد الصحة ، كقول البحترى :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن ، حتى كاد ان يتكلما

وربما كان حمده للمبالغة فى الشعر يرجع فى اعماق نفسه الى ان وقع الشىء على نفس الشاعر يكون اشد من وقعه على نفس غيره من الناس .

فحش المعنى لا يحط من قدره

ولا يحط من قدر المعنى عند ابن سنان ان يكون فاحشا ، ولهذا لم يقبل راى النقاد الذين عابوا شعر ابن الحجاج ، وهو شاعر ماجن ، بما تضمنه من فحش المعانى، وعلل لذلك بان صناعة التاليف فى المعنى الفاحش مثل الصناعة فى المعنى الجميل ، ويطلب فى كل واحد منها صحة الغرض ، وسلامة الالفاظ على حد واحد . وليس لكون المعنى فى نفسه فاحشا او جميلا تأثير فى الصناعة .

وذاك يدل على رحابة صدره ، وسعة نظره ، وعدم تزمته ، برغم انه كان من رجال الحديث .

وصية ابن سنان للكاتب والشاعر

ويختتم ابن سنان كتابه بوصية للشاعر والكاتب بترك التكلف ، والاسترسال مع الطبع ، وفرط التحرز ، وسوء الظن بالنفس ، ومشاورة أهل المعرفة ، وبغض الاكثار والاطالة ، فان كلام الانسان ترجمان عقله ، ومعيار فهمه ، وعنوان حسه ، والدليل على كل امر لولاه لخفى منه ، وبحسب ذلك يحتاج الى فضل التثقيف، واجتماع اللب عند النظم والتاليف وهى وصية تدل على معان كثيرة :

فهى تدعو الى ترك التكلف،وقد دعا ابن سنان الى ذلك مرارا فى ثنايا كتابه ، والمتامل فى الوصية يدرك انه ليس معنى الاسترسال مع الطبع ان يرضى الكاتب والشاعر بعفو الخاطر ، والا ما دعا الى فرط التحرز ، وسوء الظن بالنفس ، لأن فرط التحرز معناه العمل على تثقيف العبارة وتقويمها حتى تؤدى المعنى اداء كاملا ، وتصبح مهذبة بعيدة عما يشينها ، وهو بذلك يؤمن بان فى العمل الادبى جهدا كبيرا يبذل .

وهو رجل عالم لا يرى من العيب سؤال اهل الذكر والاستفادة برأيهم .

وفوق ذلك فهو يؤمن بالصلة الوثيقة التى تربط بين الانتاج الادبى وصاحبه ، ويرى انه من الممكن ان نستدل من النص على صاحبه ، فان كلام الانسان ترجمان عقله ، وعنوان حسه ، والدليل على كل امر لولاه لخفى منه . وهو بلا ريب يريد بقوله : ان الكلام عنوان حس الأديب ، ما نعبر عنه باسلوبنا الحديث، بان الادب تصوير لعواطف صاحبه، واحساسه الخاص به .

ويصرح في ختام وصيته بضرورة تثقيف النص الأدبي ، وذلك ، كما قلنا، لا يتنافى مع الاسترسال مع الطبع ، كما يصرح بضرورة الجهد المبذول ، فيدعو الى اجتماع اللب ، وتيقظ قوى النفس عند قرض الشعر ، وصنع النثر .

ابن الأثير خالف ابن سنان في أمور

هذا ، ولم يرق ابن الأثير بعض ما جاء به ابن سنان من الشروط التي يجب أن تتوافر في اللفظة الواحدة لكي تكون فصيحة ، وذلك لأن في الذي ذكره ما لا حاجة اليه ، كشرط تباعد المخارج ، فان معظم اللغة العربية دائر عليه ، ولهذا سقط في اللغة كلمات كثيرة تتألف من حروف يثقل النطق بها مجتمعة .

كما لم يعجبه رأيه في تصغير اللفظةاذا عبّر بها عن شيء لطيف او خفي او ما جرى مجراه . لان ذلك مما لا حاجة الى ذكره ، اذ المعنى هو الذي يسوق اليه ، ومعاني التصغير مدونة في كتب النحو ، والأديب مخير في ذلك ان شاء أن يورده بلفظ التصغير ، وان شاء بمعناه ، كقول بعضهم

لو كان يخفى على الرحمن خافية
من خلقه خَفِيَتْ عنه بَنُو لُبَدِ

فالوصية به اذا ملغاة لا حاجة اليها .

ولم يوافقه أيضا في أنه ينبغي الا يستخدم الاديب في الشعر والنثر الفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ، والألفاظ التي يختص بها اهل المهن والعلوم ، لأن للأدب لغته ، كما أن لهذه العلوم لغتها . فمما يذكر من استخدام الفاظ المتكلمين قول ابن تمام :

مودةٌ ذهب ° ، أثمار حاشية
وهمة جوهرٌ ، معروفها عرض

لأن الجوهر والعرض من الفاظ أهل الكلام الخاصة بهم . ومن الفاظ النحويين قوله أيضا يصف الخمر :

خرقاء يلعب بالعقول حبابها
كتلعّب الأفعال بالأسماء

ولم يعجب ابن سنان ما جاء من ذلك في شعر أبي العلاء ورسائله ، وهنا يبدي رأيه صريحا في استاذه حين يستخدم هذه الكلمات فيقول : « وكثيرا ما يسلك هذه الطريقة في كلامه ، وهي لاثقة به ، لأنه لم تكن له يد في صناعة الكتابة ، ولا طريقة محمودة ، وانما رسائله معدودة في كتب اللغة ، ودسائر الأدب » .

وخالفه ابن الأثير في ذلك ، ورأى ان الذي أنكره ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعة ، وحجة ابن الأثير هي أن صناعة المنظوم والمنثور مستمدة من كل علم وكل صناعة ، وموضوعة على الخوض في كل معنى ، فاذا أخذ ناظم الشعر أو صائغ النثر في صوغ معنى من المعاني ، وأداه ذلك الى استعمال معنى فقهي أو نحوي أو حسابي أو غير ذلك فليس له أن يتركه ، أو يحيد عنه ، الا ترى الى قول أبي تمام في الاعتذار :

فان يكُ جُرمٌ عنّ ، أو تكُ هفوة
على خطأ مني ، فعذري على عَمْدِ

فان هذا من احسن ما يجيء في باب الاعتذار عن الذنب ، مع أن فيه لفظتي الخطأ والعمد ، وهما من اخص الفاظ الفقهاء . وكذلك قول أبي الطيب المتنبي :

ولقيتُ كل الفاضلين كأنما
ردّ الالهُ نفوسهم والأعصُرا
نُسِقوا لنا نَسَق الحساب مقدّما
وأتى « فذلك » اذ أتيتَ مؤخرا

وهذا من المعاني البديعة ، وهذا المعنى الشريف لا يتم الا بتلك اللفظة . وكذلك ورد من هذا النوع في شعر بعض العراقيين يهجو طبيبا ، فقال :

قال حمارُ الطبيب توما
لو أنصفوني لكنت أركبْ
لانني جاهل بسيطٌ
وراكبي جهله مركّبْ

وهذا من المعنى الذي أغرب في الملاحة ، وجمع بين خفة السخرية ووقار الفصاحة .

والواقع أن ابن سنان له وجهة نظر صائبة ، تلك هي أنه كثيرا ما يكون في استخدام الألفاظ الخاصة بالعلوم تكلف وغموض يدفعان الى أن يصبح المعنى مغلقا لا يكاد يبين .

أما ما استشهد به ابن الأثير من أبيات رآها جميلة فمرجع ذلك الى أن هذه الألفاظ التي استخدمت شاعت على الألسنة ، وعرفها الناس ، حتى لم يعد استخدامها جالبا لابهام أو غموض .

وبعد ، فبحسب ابن سنان اجتهاده في أن يحاول معرفة سر الفصاحة في المفرد والجملة والمعاني ، وان يثير مثل هذه المناقشات التي تحرك فينا الرغبة في معرفة الصواب .

أحمد أحمد بدوي

أب جـ د هـ و ز ح ط ى ك ل مـ ن س ع ف ص



أحرقوا كتبها
وعبثوا بخزائنها
وقتلوا حفظتها
حتى يقطعوا
ما بين أجزاء الوطن العربى
من صلات
فمرت بها
كل هذه المحن والنكبات
وظلت هى :
عنوان الوحدة والتعبير الحى عن حقيقتها

بقلم الدكتور
عبد الستار الجوارى
وزير التربية السابق ـ بغداد

■ ألممتُ فى بعض الأسفار بمقر الأمم المتحدة فى نيويورك ، وعرفت فى بعض اروقتها سفيرا لدولة صديقة يجمعها بالعرب كفاح من اجل السلام وموقف من قضية الحرية واحد ، وعملٌ لمبدا الاتحاد الايجابى دائب متصل . وكان هذا اللقاء لقاء صداقة وتفاهم ، وصحبة تلاقٍ فى الراى والعمل .

وكان لنا ان نشهد جلسة من جلسات مجلس الامن عقدت للبحث فى عدوان على بعض البقاع العربية اصبح سليقة للعصابة الصهيونية التى ◄

زرعها الاستعمار في الأرض العربية خطرا يهدد الوطن العربي بالعدوان ويحول بينه وبين طبيعة الوحدة الحتمية بين أجزائه . وكان للعرب في المجلس مندوب يمثل اقصى المغرب . فلما انفضت الجلسة اقبل الاخ العربي علي ، وهو قد ادرك من مكان جلوسي اني واحد من ابناء الشرق العربي في اقصاه . وكانت تحية" حارة ، وكان حديث" مودة واخوة يعرفهما العربي كلما شطت به الدار فاشتاق الى لغته وبني قومه ، ووجد في اخيه العربي دفء الوطن الام وريح الامة الخالدة التي ما زالت على الرغم من كل شيء امة واحدة قائمة صامدة .

واقبل علينا الصديق الاوربي متعجبا يتساءل: هل لكما سابقة من معرفة او سابقة من لقاء ؟ واجبته : اني الفتى اخي العربي لاول مرة . وازداد عجبه بل زاد اعجابه بهذه اللغة التي تجمع بين العربيين من العراق الى اقصى المغرب حتى اذا تحدثا خيل لمن يراهما انهما من بقعة واحدة أو مدينة واحدة .

وقلت للصديق الاوربي : الم تسمعنا نحن العرب نقول : ان وطننا يمتد من المحيط الى الخليج . ها أنذا من القطر العربي الذى يقع عنده الخليج ، وهذا الاخ العربي من الجناح الذى يقع على المحيط . انها اللغة العربية التى وصلت بين ابناء هذه الأمة في هذا الوطن المترامي الاطراف يرتفع بها الصوت في وسط آسيا فيرن صداه في اقصى افريقية .

وهذه اللغة ، وهي عماد الفكر العربي وواسطة عقده معجزة خالدة على مدى الأيام لم تزل قائمة على أصولها أكثر من خمسة عشر قرنا ، تمر بها المحن والنكبات" صاغرة" ذليلة لا تنال منها منالا ولا تبلغ منها مبلغا ذا خطر . ولقد تعمدها الغزاة الطامعون كلما تعمدوا هدم كيان الأمة العربية ، فاحرقوا كتبها ، وعبثوا بخزائنها ، وقتلوا حفظتها حتى يقطعوا ما اتصل بين أجزاء الوطن العربي الأكبر من الاسباب . ولا تكاد هذه القلعة الحصينة تفلت من قبضة اولئك الغزاة حتى تجد لها موئلا تلجأ اليه ، ثم تعود بعد ذلك آصرة" شديدة متينة تتكسر عندها كل اسباب التخريب والتهديم .

كان هذا دأب الغزاة في القرون الوسطى ، حين أرادوا الثأر لدولهم والانتقام لأنفسهم من أولئك القوم الذين خرجوا من الجزيرة ، يحملون الى أمم الارض وشعوب العالم رسالة سماوية بلسان عربي مبين .

وكان هذا أيضا دأب غزاة الاستعمار الأوربي في سائر انحاء الوطن العربي وفي افريقية العربية على وجه التخصيص . فلقد حاولوا أن يطمسوا معالم اللغة العربية في الجزائر وفي المغرب ، وان يحلوا محلها اللغة الفرنسية . واشتغلوا بذلك مدة من الزمان مديدة بلغت قرنا وثلث قرن في الجزائر، واوهموا انفسهم بعد هذا الزمان الطويل ان افريقية العربية جزء من الارض الفرنسية لا علاقة له بالعرب والعربية .

وارتدت العربية تتحصن في قلوب المؤمنين، وفي عقول الواعين المدركين ، تتحفز ليوم النزال ، يوم يقول الشعب كلمته القاطعة على ملأ من أمم الارض ، بلسان واحد من ابر ابنائه : نحن عرب، نحن عرب . وانطلقت العربية انطلاق السهم الصائب لتصل بين مشرق الوطن العربي ومغربه صلة" طبيعية لا تكلف فيها ولا افتعال ولا اصطناع . وعاد العربي يجوس خلال وطنه من طنجة والدار البيضاء الى وهران وقسنطينة الى القاهرة ودمشق وبغداد ، أليف" الوجه أليف اللسان ، لا يحس غربة ولا يجد وحشة .

وأعود لصاحبنا الاوربي ، فلقد هزه مشهد اللقاء بين الاخوين العربيين فقال : عجبا لكم امة ! يلقى احدكم صاحبه وبينهما في بعد الشقة الاف الأميال فكأنه يلقى به قريبا في نسب أو جارا في سكن . وارسل حسرة وهو يصف حاله في بلاده التى تتقسمها السنة اربعة لا تكاد تصل بينها وشيجة ، والدار قريبة ، وليس بين البقعة والاخرى الا بضعة عشرات من الأميال .

والحق ان اللغة العربية ظاهرة انسانية فريدة بين سائر اللغات ، ولا سيما حين يلاحظ الباحث أن عوامل الحضارة البشرية قد وقفت منها في العصور الحديثة على وجه الخصوص موقف المناوىء الشديد الخصومة .

فقد كان انهيار الدولة العربية الاسلامية على أيدى الغزاة المغول أول ما أصاب الحضارة العربية

من النكبات بعد عصور الازدهار ، تلك العصور التى جعلت من اللغة العربية لغة العلم والمعرفة والثقافة فى العالم المتحضر عند ذاك ، علاوة على كونها لغة الدين والعبادة فى آسيا وافريقية خاصة وفى سائر بقاع الدنيا التى امرع فيها غيث الرسالة الاسلامية .

ولقد كان صمود اللغة العربية لتلك النكبة الفادحة التى اصابتها ، يعود الى اسباب عدة لعل اهمها واخطرها انها غدت بفضل كتاب الله ورسالة الاسلام لغة انسانية ، فلم تعد مثل سائر اللغات لغد قوم تعز اذا عزوا وتنهار اذا انهاروا، كالذى حدث لليونانية واللاتينية والعبرية ، تلك اللغات التى استسلمت لمصير الامبراطوريات والدول التى نشرتها فى اصقاع الارض وبين اممها، فعادت السنة بائدة أوت الى بطون الكتب واستقرت فى مطاوى المجلدات ، ثم أصابها التغيير والتقسيم والانشطار ، فعاد اهلها يجهلونها كما يجهلون لغات غيرهم من الامم ويتعلمونها كما يتعلمون الغريب الأجنبي من الألسنة .

أما العربية فقد أصبحت بعد أن نزل بها القرآن لغة المسلمين فى بلادها وفى بلاد العالم الاسلامى ، بها يتعبدون وبلسانها يقرأون كتاب الله مَجمَع شريعتهم ومَناط تفاهم الى خالقهم.

ولقد كان هذا ــ فى الحق ــ أعظم ما اصابته اللغة العربية فى عصور حياتها التى تمتد الى قرون موغلة فى القدم . ثم لم يكفها ان اصبحت لغة انسانية ينطق بها فى اعتزاز وتقديس ملايين من بنى الانسان ، يعدون ذلك قضاء لفرض من فروض الدين ، بل لقد وصلها ذلك بلغات أولئك الأقوام فاثرت فيها وتأثرت بها ، حتى أصهرت الى كثير من لغات آسيا وافريقية ، فانشأت بذلك اسرة من أسر اللغات جديدة فى طبيعتها وفى تكوينها تلك هى اسرة اللغات الاسلامية .

فالفارسية والأوردية والهندستانية والتركية والكردية فى آسيا والسواحلية والهوسا وغيرها فى افريقية كلها هي والعربية اعضاء فى اسرة اللغات الاسلامية التى قد لا تتشابه او تتقارب فى نحوها ، وفى تركيب الكلام فيها ، ولكنها تتقارب أشد التقارب فى المفردات والاصطلاحات، ولا سيما ما يتصل منها بمناحي الحياة الفكرية والحضارية والاجتماعية .

ولقد كان الاسلام ــ حقا ــ نسبا علا جميع الأنساب وغلب عليها ، فقد تقطع ــ أو كاد يتقطع ما بين العربية وقريباتها من اللغات السامية من وشائج واواصر بعد أن انطلقت بها الرسالة الاسلامية الخالدة وراء حدود البيئة الاولى الى آفاق انسانية واسعة رحيبة . ومثل هذا حدث للغات الاسلامية ، فانها لم تعد تستمد من أصولها الاولى كلما احتاجت الى مصطلح جديد أو صيغة للتعبير عن معنى من معانى العلم والفلسفة والفكر الحديث ، وانما صارت اللغات الاسلامية يعاون بعضها بعضا فى هذه الميادين الفسيحة حتى تشابهت اصطلاحات المعرفة وتقاربت مدلولات الأفكار العلمية والفلسفية ، وحتى أصبح التعبير عنها بهذه اللغات المتباعدة فى أصولها الاولى وفى أساليب تركيبها ، يكاد يكون واحدا لولا اختلاف طرق التركيب وأدواته ووسائل الربط بين اجزائه.

ولقد أصبح التفاهم الانسانى هدفا من اجل اهداف الانسان فى هذا العصر خاصة ، بعد أن تقاربت الأبعاد وتدانت المسافات ، فصار تداول الأفكار بين الشعوب والامم ضرورة حيوية بل وسيلة ناجعة فى درء أسباب النزاع الذى يؤدى بالأمم والشعوب الى كوارث ومآس .

ولقد دأبت المنظمات الدولية المسؤولة عن أمور المعرفة والعلم والثقافة على التماس السبيل الى هذا التفاهم بالترجمة والنقل حتى يتيسر للناس على اختلاف اجناسهم وعناصرهم والسنتهم أن يلتقوا فى فهم الآثار القيمة من التراث الفكرى العالمى وفى الانتفاع بها ، وحتى تتصل بينهم أسباب التواصل الانسانى فى الفكر وفى الشعور وهما أقوم ما فى حياة الانسان . واجتهد فريق من أهل الفكر فى اصطناع لغة عالمية تكون وسيلة للتواصل الفكرى والشعورى بين بنى الانسان فاخترعوا اللغة المسماة بالاسبرانتو ، ولكنها آلت ككل متكلف مصطنع الى السخرية والاهمال ، فلم يقم لها فى الحياة الفكرية للانسان أثر .

ثم جاءت المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة المعروفة باليونيسكو فارتفع صوتها بمثل هذه الدعوة على وجه أقرب الى الواقع العملي ، وأجدر بأن يوضع موضع التطبيق ، فطلبت الى كل دولة هي عضو فيها أن تتحفها بثبت يشتمل على ما كتب بلغتها من آثار قيمة حتى يتسنى لها ان تنقلها الى اللغات الشائعة الكثيرة التداول بين شعوب العالم . ويبدو ان صلة هذا المشروع الجليل الجزيل النفع بالدوائر والمكاتب والامور الرسمية قد قطعت صلته بالينابيع التى يمكن ان ترفده بحق وان تخرجه الى الوجود خلقا سويا .

ولقد مكن الله للغة العربية فى هذا الميدان ما لم يمكن لأى لغة أخرى من لغات بنى الانسان، فجعل منها لغة الدين والفكر والعلم فى بقاع من هذه الأرض واسعة شاسعة ،وخلق منها وشيجة القربى فى وطن واسع الرقعة يمتد فى ملتقى ثلاث قارات ، متصلا متواصلا لا تقوم بينه حواجز ولا يفصل بين اجزائه طارىء دخيل ذو قيمة لولا الدويلة الدخيلة التىفرضها الاستعمار فىفلسطين.

فاللغة العربية من هذا الوجه هى عنوان الوحدة ، والتعبير الواقعي الحي عن حقيقتها، وهى بذلك الوشيجة الانسانية التى تصل بين أبناء الامة العربية فى الفكر وفى الشعور ، وتشركهم جميعا فى تراث عريق قيم ، وفى حاضر نشيط متوثب ، وفى مستقبل يرجى له أن يكون حافلا بالتقدم والجد فى خدمةالانسان .

ولقد قام على خدمة هذه اللغة فى سالف العصور علماء أفاضل ، وصلتهم بها وباهلها صلة العقيدة لا صلة العنصر والنسب المادى ، وألف بها جلة علماء الاسلام آثارا خالدة ما تزال موضع الاعتزاز والافتخار .

واللغة العربية هي التى جعلت من أبى حنيفة والطبرى والرازى والغزالى وابن سينا وامثالهم أعلاما ينزلون من تاريخ الفكر العربى الاسلامى اكرم منزل . وهي اليوم هي التى تجعل من عبد العزيز الميمنى ، وأبى الحسن الندوى ، ومحمد حميد الله الحيدرآبادى ، وأضرابهم ، معالم اعتزاز واعجاب عند أهل العربية مهما اختلفت بهم العناصر وتناءت بهم الأقطار . على ان للعربية فى مغرب العالم الاسلامى مثل هذا الذى أشرت اليه فى المشرق ، فان لها فى افريقية من رجال الاسلام وأعلامه حَفَظة قاموا علىخدمتها خدمة للاسلام، ولقد صارعوا بها الاستعمار الفكرى الذى استماتت فى ازاحتها من افريقية حتى يحل محلها لغاته التى لا يصل بينها وبين أهل البلاد سبب أى سبب ، فلم ينل منها كبير منال .

والعربية اليوم جديرة أن تكون منطلقا للتعاون الانسانى فى البلاد الاسلامية ، ذلك التعاون الذى يرتفع عن حضيض المصالح المادية ، التى هى مجلبة التناحر والتنازع والخصام ، الى مجال اللقاء الفكرى والروحي الذى يستمد أصوله من كتاب الله وسنة محمد بن عبد الله ، ويقوم على أساس مكين من تراث فكرى حضارى عريض أسهمت فى ابدائه واقامة بنائه شعوب وأمم اجتمعت على كلمة التوحيد وجعلت منها نسبا فوق الأنساب وآصرة تعلو كل الأواصر .

وثمة حقيقة أخرى لا بد أن تكون فى موضعها من الاعتبار ، تلك هى أن اللغة العربية قد أصبحت بعد أن شاعت وانتشرت فى البلاد الاسلامية لغة حضارة تأثر بها المسلمون وغير المسلمين من أهل تلك البلاد ، وغدت لسان ثقافة فاتنفعت بما خالطت من ألسنة أولئك الاقوام ونفعتها ثم قام بين اللغة العربية وتلك اللغات علائق وأسباب تجعل دراسة العربية ذات أثر بين وفائدة اكيدة فى دراسة تلك اللغات والبحث فى تاريخها وما اكتسبته من عصور التقارب بينها وبين العربية .

ان طرائق التعاون الانسانى بين الأمم والشعوب عديدة ، وان عواقبها على وجه التأكيد مأمونة مضمونة النفع ، ولعل التعاون الفكرى أسلمها عاقبة وآكدها فائدة . وهو حين يسلم الى نتائجه المرجوة مجلبة خير ومصلحة ومدراة شر وخصومة، ومدعاة لتحقيق المعانى الانسانية فى أعلى مراتبها وأرفع مناحيها .

ولمثل هذا فليعمل العاملون . ■■

احمد عبد الستار الجوارى

أحـدث وسـائل الانقاذ لمن ارتطم فى بحر أو فى أرض

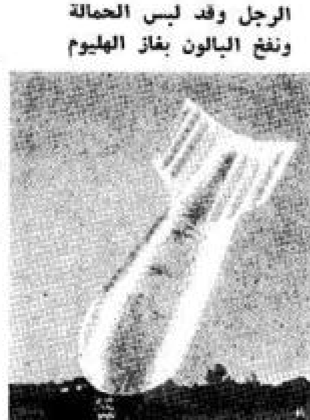
● سبيل ذلك ، من جديد السبل المبتكرة ، طائرة تطير الى تلك الناحية التى فيها ارتطم الرجل . وعندها تسقط الطائرة اليه صرة ، يفتحها ، فيجد بها شيئين : زجاجة بها غاز الهليوم مضفوطا تماما كما يضغط غاز البيوتان فى اسطوانات المطابخ ، ثم بالونا غير منفوخ ، ثم خيطا من النيلون طوله ١٥ مترا ، أحد طرفيه مربوط بالبالون وبالطرف الآخر حمالة يلبسها الرجل المرطوم ، كما يلبس رجل الهواء المظلي مظلته .

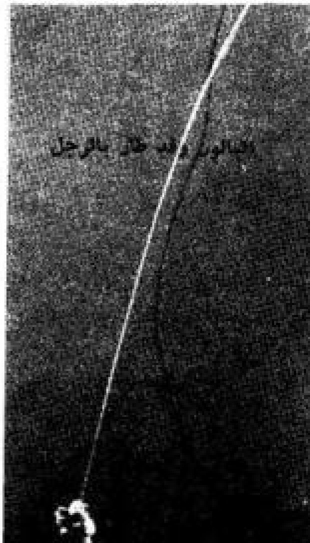
ويبدأ الرجل عملية النجاة ، فيلبس الحمالة ويحكمها على ظهره وكتفيه وجسمه ، ثم يطلق غاز الهليوم من الزجاجة فى البالون فينتفخ ، وعندئذ يعلو بحكم خفة الهليوم الى الجو ، ويحمل معه الرجل . ويخفف على الرجل مفاجأة رفعه الى الهواء ان النيلون خيط به مرونة كبيرة .

وعندئذ تأتى الطيارة ، وبشوكة فى مقدمتها ، تلتقط خيط النيلون ، وتقطعه ، بحيث يفلت البالون ، ويظل الرجل هو والحبل مربوطا بالشوكة .

ثم تحمله الطيارة الى حيث العمار والامان .

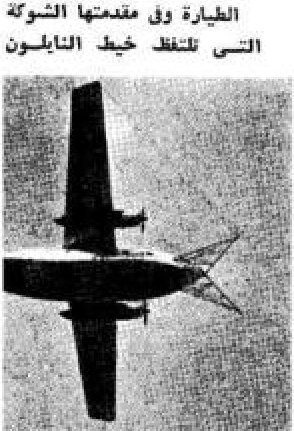
الرجل وقد لبس الحمالة ونفخ البالون بغاز الهليوم





البالون وقد طار بالرجل

الطيارة وفى مقدمتها الشوكة التى تلتقط خيط النايلون



في خدمة الانسان

استعمال الأسماك لتطهير الترع والقنوات من الأعشاب

● ولم لا ؟ اننا ناكل السمك . ولكن هل يمنع ذلك من أن يكون في خدمتنا ايضا .

اننا ناكل البقر والجاموس ، وما منع ذلك من أن يكون البقر والجاموس في خدمة الانسان .

والخدمة التي نذكر اليوم تتصل بالاعشاب التي تبتلى بها مجاري المياه من قنوات ، ومن ترع وأنهار .

والسمك الذي يقوم بهذه الخدمة انما هو سمك الشبوط الصيني Chinese Carp فهو يطهر الترع والقنوات بالتهام ما فيها من اعشاب .

وقد جربته روسيا فطهر لها ترعة من أعشابها، طولها ١٠٦ من الكيلومترات، وتعتزم انجلترا أن تجربه .

وهذا السمك ، قد تبلغ السمكة الواحدة منه في الوزن عند اكتمالها ٥٠ رطلا . ويبلغ طولها ٥ أقوام. وشهية هذا السمك قدرها أحد الباحثين فقال ان ١٥٠ سمكة منه تلتهم ١٩٠٠٠ رطل من العشب في شهرين .

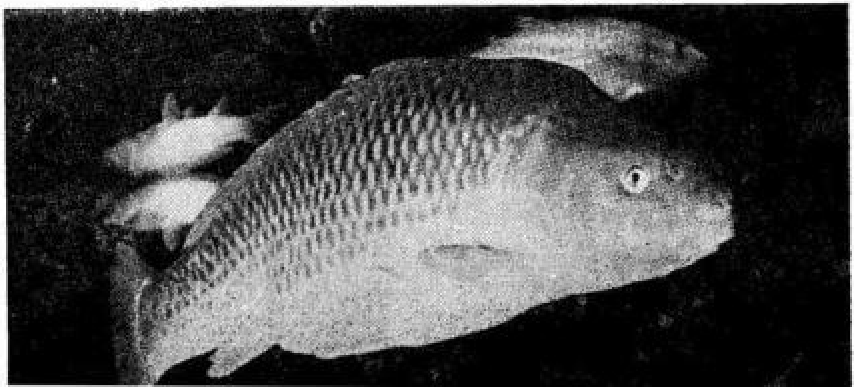
خدمة عظيمة ، وأجرها فيها . فنحن ننتفع . ولكن كذلك السمك .

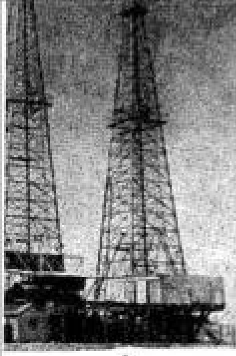
ولكن التجربة تحتاج الى الصبر . فهذا السمك لا يتم نموه الا في ٥ سنين !

قطران الفحم وزيت البترول

● عني الانسان من قديم بالرائحة الطيبة يستخرجها عطورا طيارة من الورد والنرجس والياسمين . وكل زهرة عطرة . وتقدم العلم ، والكيمياء العضوية خاصة ، وبحثت في هذه العطور ، ففصلتها الى موادها التي تألفت منها . ثم هي اخذت تبحث هذه المواد فرادى ، حتى عرفت من اى الذرات تتألف ، وكم منها تتألف ، وكيف ارتبطت بعضها ببعض . واذ اتضح كل ذلك راحت الكيمياء العضوية تصنع هذه المواد من مصادر هي ابعد ما تكون عن طيب الرائحة ، كقطران الفحم وزيت البترول . وسمت هذا تخليقا Synthesis . ثم جمعت بين المواد التي خلّقت ، والفت منها ما شابه عطور الطبيعة . ثم اذا بها تؤلف غير ما الفت الطبيعة ، فتأتي بخير منها رائحة واطيب .

سمك الشبوط الصيني تأكل الواحدة منه رطلين من الاعشاب يوميا







ينافسان الزهور فى انتاج العطور !

وفى هذه السنوات الاخيرة الماضية حدث اتساع عجيب فى صناعة العطور المخلقة، جعلها تصنع المقادير منها كبيرة، وتصنعها رخيصة . واصبح الناس لا يكتفون بالكيماويات التى تمنع حدوث الروائح الكريهة Deodorants وانما يريدون ان تكون الى جانب ذلك روائح طيبة عبقة تطيب فى الانوف . حتى حمامات السباحة دخلتها العطور التي تفوح .

وعطور خلقوها للاشياءالمصنوعةحتى يزيد شبهها بالاشياء المطبوعة التى صنعت لتقليدها . مثال ذلك الجلد ، تصنع من اللدائن اليوم اشباه له ، لها مظهره ، وتجوز على الناس شكلا ، ولكن ينقصها رائحة الجلد . فهذه صنعوا لها تلك الرائحة. والزهور صنعوهامن اللدائن، وشابهت الطبيعة شكلا ، وافتقدت عطرها . فتلك صنعوا لها ذلك العطر .

حتى السماد الطبيعى ، صنعوا له رائحة تذهب برائحته الطبيعية لمن يريد . واصطنعوا سمادا ، اشبه بالطبيعي ، ولكن لم تكن له تلك الرائحة الطبيعية التى هى ليست رائحة طيبة ابدا . فاذا بهم يطلبون هذه الرائحة ، فصنعت لهم مصانع العطور هذه الرائحة تزخم فى انوف من لم يتعودوها من المدن، وتطيب فى انوف اهل الريف .

وملخص هذا كله ، ان الازهار ، من حيث انها مصادر للعطور ، آخذه فى اختفاء ، وان حقولا واسعة شغلت دهورا ، بانتاج الزهر ، زراعة ، آخذة فى التراجع والتناقص .

ماذا صار ، من أمر مادار حول الأرض من أقمار ؟

● وُجد فى منتصف مارس الماضى ، دائرا حول الارض ، من الاقمار الاميركية ١٠٣ اقمار ، ومن الاقمار الروسية ٩٤ قمرا .

ومن الأقمار التى اصعدتها امريكا الى السماء سقط الى اليوم ١٤٠ ، ومن التى اصعدتها روسيا ٧٨ .

وعدد من هذه وتلك ، ليس بالقليل ، تحطم وهو فى السماء ، اما عمدا ، واما قهرا ، ونتج عن ذلك حطام منه ما لا يزال يدور حول الارض .

يضاف الى هذا الحطام نحو من ٤٠٠ ابرة او مسمار اطلقهاالامريكان الى السماء لتنتشر فتكون طبقة تعكس الى الارض الأشعة القصيرة للاذاعة ، وقد كان ذلك فى مايو عام ١٩٦٣ . وقد احتج العلماء على تلويث السماء بمثل هذه الطريقة .

وحول الشمس : يدور الآن ٧ اقمار امريكية ، وست صواريخ فارغة التحقت بالشمس بعد أن فرغت من واجبها فى قذف سفنها الى اعماق فى الفضاء . وللروس اليوم ست سفن فضائية تدور حول الشمس . وذلك عدا سفينتهم الذاهبة الى عطارد « زُند رقم ١ » وسفينتهم الذاهبة الى المريخ « زند رقم ٢ » .

وارسل الروس الى اليوم للفضاء ٥ سفن بها آدميون . وارسل الامريكان اربعا . والروس ضربوا سطح القمر مرتين ، وضربه الامريكان ثلاث مرات .



زرع اعضاء في الجسم سليمة مكان تالفة

الكرات الليمفاوية هي التي تثير الزوبعة ضد العضو الجديد

● قال الشاعر القديم :

ولي كبد مقروحة من يبيعني   بها كبدا ليست بذات قروح

وقرأ العدد العديد من قراء الأدب هذا ، فابتسموا : انه امل شاعر ، والشاعر ذو خيال بعيد .

وبتطور الزمان فاذا هذا الذى كان حلما كاذبا ، قد تحقق بعضه ، وبقي يتحقق كاملا ، رويدا رويدا .

وقد نجح الأطباء في نقل الاعضاء ، بعضها مكان بعض . رِجْلٌ مكان رجل . كُلْيةٌ مكان كلية . وحتى راس كلب ، نجحوا في نقله . والخطوة قريبة في نقل قلب ، ونقل كبد ، ونقل حتى الرئة . من يدري ؟

البشائر توحي بهذا

بشائر النجاح . ولكن فيما هو جراحة فحسب: القطع ، الربط ، واجراء الحياة في المقطوع والمربوط . ولكن الى حين ، قريب او بعيد .

ذلك أن الجسم يأبي كل غريب .

ان بالجسم خاصة نسميها الحصانة .

فهو يتحصن ضد المكروب ، وضد الفيروس ، وضد كل شيء يريد أن يدخل اليه ، يدخل الى مجتمع خلاياه ، ويريدان يعيش بينها . حتى الجلد ، يقتطع من جسم الغير ، يُرقَع به جسم المريض ، فيابى جسم المريض ان يترقع به . انه يرضى ان يترقع بجلد من ناحية اخرى من جسمه هو ، اما من جسم شخص آخر ، فذلك ما يأباه طبعا . الا ان يكون هذا الشخص الآخر توأما له . ان يكون كلاهما كامل المتاءمة ، أي انهما في بنائهما الوراثي شيء واحد .

والحصانة خاصة جوهرية في الحياة ، هي دفاع الجسم عن التلف . ولكنها وقفت من العضو الصحيح الذى نزرعه مكان العضو المخلوع المريض ، موقفا يسد الطريق الى الخير .

الحصانة ترفض الغريب ، من ضار أو نافع ، ولا تفرق .

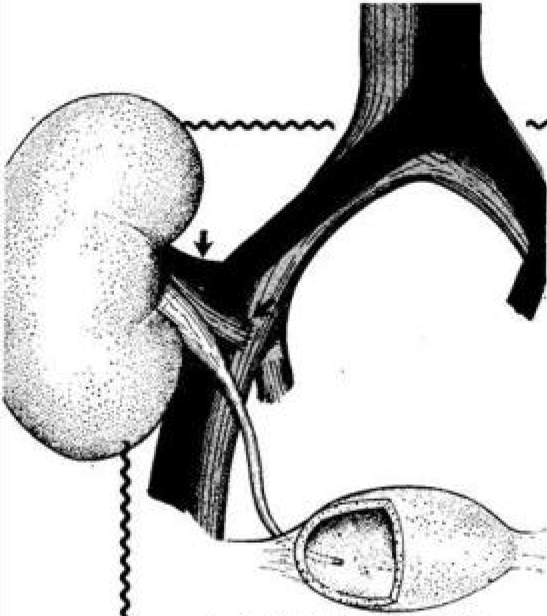
والأبحاث الطبية الآن جادة في الكشف عن تلك الاصول في الجسم التى تقوم

● ينتظر ، في غير بعيد من الزمن ، ان ترتفع الى السماء مهابط فضائية Platforms تدور حول الارض ، تبعد عن سطحها نحو ٥٠٠ كيلومتر ، تكون محطات تهبط عليها سفن الفضاء ، ثم تستأنف سفرها الى القمر والكواكب .

وقد بدات شركة لكهيد Lockhead ،



المزروع داخل الجسم !



عند زرع كلية سليمة مكان اخرى مريضة يوصل كل من الشريان والوريد الأساسيين فى الكلية بالشريان والوريد الأساسيين فى الحوض قبل أن يصل هذان الاثنان الى الفخذ .

بهذا الرفض ، رفض الشيء الغريب الضار . ورفض العضو المزروع كذلك ، كلية كان ، ذراع . . .

ووقع العلماء آخر الامر على تلك الاجسام التى تثير هذه الزوبعة فى الجسم ، تلك التى تنتهي بطرد الجسم الغريب او اهلاكه ، او برفض العضو الجديد الغريب المزروع فيه .

فاذا بهذه الاجسام ليست الا الكرات اللمفاوية Lymphocytes التى تؤلف نحو ربع الخلايا البيضاء فى الدم .

وهي خلايا ذات حركة دائبة كشف عنها حديثا ، تدخل الى الدم ، ومنه الى الغدد اللمفاوية ، ومنها الى الأوعية اللمفاوية المركزية ، ومنها الى الدم مرة اخرى . وهكذا دواليك .

شرطة أمن تظل دائما دائرة فى الجسم شاهدة يقظة .

واتجهت البحوث الطبية الى كسر حصانة الجسم الذى بها يقاوم قبول العضو الجديد المزروع . وكان النجاح ، جاءت به عقاقير من طوائف شتى . ولكن مما يؤسف له ان هذه العقاقير تكسر كل حصانة الجسم الذى يقاوم بها كل شيء من ضار ونافع . ولهذا لم يكن سبيل الى استخدامها ما نشاء من زمن .

وقد نجحت هذه الطريقة فى تثبيت العضو الجديد السليم ، مكان العضو التالف فى كثير من الحالات ، لا فيها جميعا .

والبحوث فى هذه السبيل لا تزال جارية .

وهي شركة جادة ، تخطط لصنع مركبة فضاء ، بها رجلان فضائيان ، ومعهما عشرة من الركاب ، تصعد الى هذه المهابط الفضائية ، ثم بهم من بعد ذلك تعود الى الأرض .

وقد قدرت الشركة المذكورة ثمن هذه التذكرة للفرد الواحد ، ذهابا وايابا ، مبلغ ١١٧٠٠ دولار . وهي لا تدخل فى هذا الثمن نفقة المركبة ولا نفقة البحوث التى تؤدى الى صناعتها .

وقدرت الشركة ان هذا السفر سيكون محتملا فى عام ١٩٨٠ .

اما المركبة ذاتها ، فقدرت الشركة انها تتم صنعا فى عام ١٩٧٥ . ■■



دردشة

من الذى صفعه ؟!

● جلس اربعة فى مقصورة قطار : فتاةحسناء ، وامراة عجوز ، وكهل فرنسي، وضابط المانى . ولما دخل القطار نفقاسمع فى المقصورة صوت قبلة وصفعة. ولما خرج القطار من النفق وهم صامتون،تبينوا على وجه الضابط أثر صفعة ، فقالت العجوز لنفسها : ما اطهرها من فتاة ! وقالت الفتاة لنفسها : عجبا له : يقبل العجوز ولا يقبلني ؟ وقال الضابط :ياله من فرنسي خبيث ، غنم القبلة ، وغنمت أنا الصفعة ! وقال الفرنسي :لقد نجوت بها،قبلت ظاهر كفّى،وصفعت الالماني ولم يتهمني احد !!



الامر يعود الينا أولا وأخيرا !

● قال بعض ندماء الاسكندر له : **ان فلانا يبسط لسانه فيك .**

فقال : انا أعلم أن فلانا ليس بشرير ، فينبغى أن ننظر هل ناله من ناحيتنا امر دعاه الى ذلك « فبحث عن حاله فوجدها رثة ، فامر له بصلة » فبلغه بعد ذلك انه ينشر الثناء عليه فى المحافل .

فقال : أما ترون ان الأمر الينا ، أن يقال فينا خير أو شر .

حماران !!

● جاء ريفي الى مدرسة القرية وجرى بينه وبين المعلم الحديث التالي :

القروى : اريد ان أعلم ابني لكي لايبقى جاهلا .

المعلم : حسنا تعمل،ولكن ذلك يكلفك ١٠ جنيهات .

الريفي : هذا كثير اذ يمكنني أن اشترى بهذه القيمة حمارا . .

فاجابه المعلم : اذا اشتريت حمارا ولم تعلم ابنك ، فقد اصبح عندك حماران !

امتياز للأدباء !!

● **نزل أحد الادباء الانكليز فى فندق ، ولما سال عن اجرة الغرفة ، قال له صاحب الفندق :**

ـ ثلاثون شلنا .

قال الأديب : اليس عندكم للأدباء امتياز ؟

قال صاحب الفندق :

بلى ، نطلب منهم أن يدفعوها مقدما !!

ما زلت جنديا !!

● كان احد النشالين يجلس فى الترام والى جانبه ضابط فرنسي ، فاغتنم النشال فرصة انشغال الضابط ، فمد خلالها يده ، ونشل منه حافظة نقوده ، وبعد برهة نزل من الترام ، فداعبه الضابط بقوله : مع السلامة . .

ولما أراد فحص الحافظة التى سرقها لم يجدها وكذلك لم يجد حافظة نقوده هو، ولا ساعته، فقال لنفسه متحسراً : « آسف يا سيدى ، فأنا ما زلت «جنديا» ! »

معقول !

● كان الوزير الايطالي «سان جوليانو» سريع الخاطر ، ومرة سألته احــدى السيدات :

ــ اريد ان اعرف لماذا كانت رقبة المراة ارفع من رقبة الرجل ؟

فاجابها :

ــ لأن ثخانة الرقبة يجب أن تكـون متناسبة مع ثقل الرأس الذى تحمله !

امنية خبيثة !؟

● **سئل حلاق حكم عليه بالاعدام، هل يطلب شيئا قبل تنفيذ الحكم فيه .**

فاجاب : نعم ، اتمنى ان احلق ذقن القاضي الذى حكم علي بالموت!

القبيح والجميل !

● **قال ديوجاسي** : ينبغى للانسان ان ينظر فى المرآة ، فان كان وجهه حسنا استقبح أن يضيف اليه فعلا قبيحا ، وان كان وجهه قبيحـا امتعض أن يضيف قبيحا الى قبيح حتى لايتضاعف القبح.



الموت .. والملك .. والمنجم !

● تنبأ منجم فى عهد لويس الحادى عشر بوفاة امـراة كان الملك متيما بها . وماتت المراة وفقا للنبوءة .. فاغتم الملك، واراد ان يعاقب المنجم، بالقائه من نافذة البرج الذى يقــع فى أعـلى القصر . فاستدعاه وقال له :

ــ انك تدعي العلم بالغيب، فبماذا تتنبا عن مصيرك ؟

فاجابه على الفور: ارى فى لوحة الغيب انني سأموت قبل وفاة جلالتك بثلاثة أيام .. فعدل الملك عن قتله ، وصار احرص ما يكون على حياته !!

حسود .. وبخيل !

● وقف حسود وبخيل بين يدى احد الملوك ، فقال لهما : اقترحا علىّ فانى سأعطي الثاني ضعف ما يطلبه الأول .

فصار احدهما يقول للآخر انت اولا . فتشاجرا طويلا ، وكان كل منهما يخشى أن يقترح اولا ، لئلا يصيب الآخر ضعف ما يصيبه .

فقال الملك : **ان لم تفعلا ما امرتكما به قطعت رأسيكما .**

فقال الحسود : يا مولاى اقلع احدى عينىّ أولا !

افلاطون والعلم

● **قال افلاطون : العلم مصباح النفس ، ينفي عنها ظلمة الجهل ، فما امكنك ان تضيف الى مصباحـك مصباح غيرك ، فافعل .**

علاج للالتهاب !

● شـكا احد البحارة البريطانيين التهابا فى حلقه ، فسألته سيدة شغلها أمره : « أجربت الغرغرة بالماء المالح؟ »

فقال : اتسألينني ذلك وأنا الذى أصاب الطوربيد سفينته ثلاث مرات ؟ !



الحياة الزوجية وما فيها من

بقلم : محمد شهير أرسلان

المستشار فى محكمة استئناف اللاذقية

■ الزواج رابطة مقدسة ، تربط الذكر بالانثى ، ولو دققنا النظر فى سلوك الزوجين ، نجد تشابها كبيرا بين هذا السلوك ، وسلوك الحيوان المنوى ، مع البويضة ، عند التلقح فى رحم المراة .

فالحيوان المنوى ، كما يبدو تحت المجهر ، سريع الحركة ، ينجذب الى البويضة انجذابا .

وحياته قصيرة ، ولعل ذلك لانه لا يحمل فى جوفه شيئا من العناصر المغذية ، فاذا لم يقم بعملية التلقيح فانه يموت لفوره .

اما البويضة التي تفرزها الانثى ، فانها اكبر حجما ، وابطأ حركة ، وهي تحمل فى جوفها كمية من العناصر الغذائية لكي تعيش عليها البويضة الملقحة فترة ولو قصيرة من الزمن فى بدء حياتها بالرحم .

ومن عادة البويضة الا تسمح الا بحيوان منوى واحد بالولوج الى داخلها ، بالرغم من تجمع الكثير من الحيوانات المنوية حولها .

أوجه التشابه

هذا هو سلوك الحيوان المنوى الذكر والبويضة الانثى ، عند التقائهما .

وما اشبه هذا بسلوك الرجل الذكر والمراة الانثى ، اللذين ينشآن نتيجة هذا الالتقاء . فالذكر سريع الحركة والنشاط ، وهو يسعى فى طلب الانثى ، حتى اذا ما تم له الاتصال بها قعد واستراح ، اما



صورة بويضة المراة وهى نازلة فى الرحم وهى مكبرة جدا . والى جانبها حيوان منوى وصل اليها ، ويحاول ان يخترق جدارها ليتمم تلقيحها . لاحظ الفرق بين الجرمين ، البويضة وهى من المراة ، والحيوان المنوى وهو من الرجل .

الانثى فانها تتخذ عادة، من حيث الاتصال الجنسي ، موقفا سلبيا على الأغلب ، لان مهمتها تكاد تنحصر فيما تقوم به من التجمل والتحسن اجتذابا للذكر ، حتى اذا ما تم التلقيح بدأ دورها فى تغذية الجنين ورعايته طول حياته الرحمية ، ثم العناية بارضاعه وتربيته وحضانته .

فمهمة الرجل ، من حيث التلقيح ، تنتهي حيث تبدأ مهمة المراة .

كبت الغرائز وتصعيدها



أبو العلاء رفض الغرائز كلا وصعدها فكرا وحكمة وشعرا . .

ولكن الرجل ، لاتنتهى مهمته بعد التلقيح،من حيث شئون أخرى ، فالحمل والوضع ، والنفاس والعناية بالمولود يشل حركة المراة ، والرجل يتدخل ليعوض عن ذلك .

لذلك كان التعاون بين الذكر والانثى، من بعد الفراغ من التلقيح وتوابعه ، أمرا تقتضيه الضرورة . وينتج عن ذلك ان الغريزة التناسلية التى كانت ، بالنسبة للذكر ، مقصورة على مهمة التلقيح ، اصبحت بالنسبة للانسان ، تشمل بجانب ذلك ، علاقات وروابط وصلات معنوية ، غير موجودة عند الحيوان ، كما تشمل الروابط العائلية الخاصة بالأولاد وتربية النسل .

ثلاث غرائز فرعية

لذلك فقد تفرع عن الغريزة التناسلية، ثلاث غرائز فرعية بالنسبة للانسان .

الاولى : تتعلق بالاتصال الجسماني او الميل الجنسي بين الزوجين .

والثانية : تتعلق بالناحية الروحية بين الزوجين او الحب بمعناه الكامل ، وما يترتب عليه من مودة وامتزاج روحي .

والثالثة : تتعلق بالحب العائلي الموجه للعائلة بمجموعها بما فى ذلك الأولاد ، وما يترتب عليه من شفقة وحنان نحو هؤلاء الأولاد .

وعلى هذا فالحياة الزوجية لا تكون كاملة ، الا اذا توفرت فيها ، العناصر الثلاثة ، وهي الصلة الجنسية ، والصلة الروحية ، والأولاد .

او بمعنى آخر، الصلة المادية، والصلة الروحية ، والأولاد .

وقد يفقد عنصر من هذه العناصر التى هى قوام الحياة الزوجية ، وقد يحدث ذلك كثيرا ، فقد يحصل نقص فى الاتصال الجنسي بسبب مرض او علة ، او نقص طبيعى،مع توفر الحب المعنوى . او قد يفقد الحب مع توفر الصلة الجسمانية . وقد يتوفر الاتصال الجنسي والحب المعنوى ، وينقص الحب العائلي اى الأولاد .

فاذا فقد عنصر من هذه العناصر الثلاثة فانه يحصل كبت للمركب المفقود. وبالتالى فانه يحصل سعي وراء تكملته خارج الحياة الزوجية . وهذا الكبت ، اذا لم يقترن بوسائل التصعيد ، اى بالانصراف الى بعض الهوايات والتسليات التى تملأ فراغ هذا النقص ، فان هذا الكبت يؤدى الى اعراض عصبية معروفة

باسم (القلق العصبى) الناشىء عن عدم ارواء الفريزة الجنسية من نواحيها الثلاث ، سواء أكان التعطش متعلقا بالشهوة الجثمانية او بالحب المعنوى او بعاطفة الأبوة والامومة .

وسائل التصعيد والتعويض

قد يتفق للزوجين الجمع بين العاطفتين المادية والمعنوية أى الصلة الجثمانية المادية مع الحب المعنوى ولكنهما يظلان محرومين من الاولاد ، فيساورهما أو يساور أحدهما قلق ، ويسود حياتهما الزوجية شعور بعدم الطمانينة والحيرة والفراغ .

فيلجأ البعض الى وسيلة (الاستعاضة) لتخفيف شدة الكبت وما يترتب عليه من اعراض عصبية . وقد تكون هذه الاستعاضة بتبنى أولاد الغير ، فيحول الزوجان عاطفة الحب العائلى الى العناية بشئون النسل المستعار . وقد تفشت هذه العادة فى أوربا وامريكا ، حتى أن بعض الزوجات يفضلن الولد المتبنى لكى يوفرن متاعب الحمل وآلام الولادة .

كما أن البعض يستعيض بتربية القطط والكلاب أو بعض الطيور . والبعض يقومون بتصعيد عواطفهم ونزعاتهم المكبوتة بتحويلها الى خدمات عامة واجتماعية ، كأعمال البر والاحسان والعمل بالجمعيات الخيرية أو العناية باللقطاء ، أو تعليم الناس ، أو مواساة المرضى والضعفاء .

فهؤلاء الاشخاص، يدمجون شخصيتهم فى شخصية المجتمع ، ويحولون عواطفهم ونزعاتهم الى ابناء الامة فيروون غريزتهم المكبوتة .

ويعتبر سعد زغلول فى مصر وغيره من زعماء العالم السياسيين (كدزرائيلي) ، أو من الكتاب (كعباس محمود العقاد) ، أو من الفلاسفة (كأبي العلاء المعرى) ، امثلة واقعية على ذلك .

يقول سقراط (على الانسان أن يتزوج ، فاما أن يكون سعيدا أو يصبح فيلسوفا) وهذا تفسير لما قلناه فى الاستعاضة عن العنصر المفقود فى الحياة الزوجية ، سواء كان الحب الجثماني او الحب الروحي أو الحب الأبوى .

وسائل التصعيد عند افتقاد الحب

واذا شعر احد الزوجين من نفسه بفتور فى عاطفة الحب المعنوى ، فقد يحول هذه العاطفة نحو الأولاد فيزداد شفقة عليهم . ويجاوز الحد فى العطف عليهم ، مما يترتب عليه تدليلهم وافساد طباعهم . وقد يحول احد الزوجين عاطفته نحو ابويه اذا كانا على قيد الحياة ، أو الى بعض الأهل او الاقارب او الاصدقاء .

وقد يوفق الانسان فى تصعيد نزعة الحب بتحويلها الى ولع ببعض الفنون او العلوم ، ويهيم بها لدرجة لا تقل عن ولع المرء بمعشوقته ، وتلهيه عن كثير من شؤون الحياة ، ويصبح الفن الجميل او العلم رمزا مستترا للمعشوقة المفتقدة .

وسائل التصعيد عند افتقاد الحب

وهناك من الناس من استطاع تصعيد الفريزة للمجموعة الجنسية الكبرى بعناصرها الثلاثة الجسمية والمعنوية وعاطفة الابوة ، أى انه عاش بدون زواج مطلقا .

ولكن المرء ، مهما بالغ أو امعن فى التسامى ، لا يستطيع تصعيد كل قطرة من ينبوع الفريزة الجنسية الى سماء المعنويات ، بل لا بد من بقاء كمية من ذلك النشاط على الفطرة تلتمس لها مخرجا طبيعيا من حين لآخر . لأن التصعيد الكامل ، يكاد يكون معدوما . وان ابا العلاء المعرى من أبرز الأمثلة على ما وصلت اليه الارادة البشرية فى وسائل التصعيد والتسامى بالفريزة الجنسية ورفعها من مستوى الشهوة المادية الى سماء الفلسفة والعلم والفن . وقد بالغ

ابو العلاء في تصعيد غريزته الجنسية الى درجة انكارها على نفسه انكارا مقترنا بمقت النساء ، حتى أنه اعتبر التناسل جناية ، فقد أوصى أن يكتب على قبره .

هذا جناه أبي عليّ (م)
وما جنيت على أحد

وبهذا يكون قانون (الاستعاضة) الذي يقول عنه علماء النفس قد حققه أبو العلاء ، فاستعاض عن الأولاد بما انتجه من علم وفلسفة وحكمة وأدب .

البيئة او الخلقة

ولا بد من القول ، ان الانصراف عن الغرائز وتصعيدها لدى بعض الناس قد يكون على الأغلب ناتجا عن أسباب طبيعية أو عن أسباب تتعلق بالظروف أو البيئة او الخلقة . فمن المحتمل أن يكون فقدان البصر عند أبي العلاء ، اثر اصابته بالجدرى وهو طفل صغير ، وما نتج عن ذلك المرض من تشويه في وجهه ، قد صرفه عن النساء والزواج ، وحمله على التحليق فيسماء الأدب والعلم والفلسفة، فيكون قد حقق زواجا روحيا للبحث الفكري بدلا من الزواج المادى ، ويكون قد خلّد بآثاره بدلا من تخليده بنسله .

الخلاصة

فمما يتضح ان الغرائز الجنسية الفرعية ، التي تتألف منها الغريزة الجنسية، لا يشترط اجتماعها في الحياة الزوجية ، بل كثيرا ما يتعذر اجتماعها كاملة ، نظرا لما يكون عليه الزوجان غالبا من تباين في الأمزجة والاستعدادات الجثمانية والفكرية والعقلية ، واختلاف في الزعات والبيئات . الامر الذى يؤدى بهما او بأحدهما ، الى كبت غريزة او اكثر من الغرائز الثلاث الفرعية الخاصة بالغريزة الجنسية . فان كان الكبت مرضيا ، كانت نتيجته القلق العصبي غالبا ، وهو عرض من الاعراض النفسية بين الطبقات الراقية ، وبصورة خاصة بين السيدات والافراد الذين ، بحكم مركزهم الاجتماعى او الادبى ، يتعذر عليهم ارضاء النزعات الفريزية المكبوتة بوسائل غير مشروعة .

ومما هو جدير بالذكر ، ان الاخلاص والحب ، بالنسبة للحياة الزوجية ، ليسا مترادفين في المعنى وليسا متلازمين دوما ، فقد يوجد احدهما دون الآخر ، لان الاخلاص صفة متوقفة على التربية المكتسبة ومستمدة من (أنا العليا) أو النفس المثالية ، بينما الحب عاطفة فطرية لشهوة غريزية مستمدة من النفس الواقعية ذات الشهوة او (أنا المادية) .

فقد تكون الزوجة مخلصة في حياتها الزوجية ، حريصة على القيام بواجباتها كزوجة ، وتتصف بالعفة والامانة وفق مركزها الاجتماعي .

ومع ذلك لا تشعر بحب زوجها ، سواء الحب الجنسى الجثمانى او الحب المعنوى العذرى . وربما كان الاخلاص الخالى من الحب ، اكثر شيوعا بين السيدات منه بين الرجال ، خاصة في مجتمعنا ، بالنظر لمركز المراة الاجتماعى وخضوعها للتقاليد والعادات ، واستنكار المجتمع بشدة عدم اخلاصها لتعلق ذلك بصحة نسب الاولاد .

اما الحب الخالى من الاخلاص ، فهو اكثر شيوعا بين الرجال ، فكثيرا ما يكون الرجل محبا لزوجته ولكنه غير مقتصر عليها ، اذ الرجل بطبيعته ميال لتعدد الزوجات ، وهذه الظاهرة بارزة في ذكور كثير من انواع الحيوانات ، ولكن تقاليد المجتمع تلجئه الى كبت هذه النزعة الفطرية ، فاذا لم يتمكن من تحقيق هذه النزعة بحكم الظروف القاهرة ، ولم يتمكن من تعدد الزوجات المشروع بسبب القوانين او الاعراف ، او لم يتمكن من الوسائل غير المشروعة ، ولم يستطع في الوقت نفسه من تصعيد هذه النزعات المكبوتة ، فانه يكون عرضة لاعراض القلق العصبى أو غيره من الظواهر النفسية المرضية . ■■

محمد شهير ارسلان

الكاتب الارلندى

جيمس جويس

رائد الرواية الحديثة ..

وقصته الفذة

أوليس

انقضى ربع قرن على وفاته وما زالت الدراسات تترى محللة أدبه كاشفة عن عمقه وأصالته ..

بقلم : الدكتور بديع حقى

أزف اليه ، يسعى بوجهه السلت النحيل ، وعلى شفتيه تنساب ابتسامة شاحبة ساخرة مريرة ، وامام جفنيه المتعبين تجثم نظارة يسيل النور من زجاجها الى انسان عينيه ، ولكنه ينكفىء وينطفىء فلا تلمح عيناه سوى أشباح مختلفة وخيالات مهتزة .

وتمتد من راحته عصاه العجفاء الضاوية ، لعلها أن تمائل برقتها جسمه الهضيم ، فتتلمس طريقهـا وتنقر الارض نقرات خفيفة رتيبة ، لتهمس له وتحدثه وتهديه .

انه (هومير) العصر الحديث ، الكاتب الارلندى (جيمس جويس) James Jouyce حين امتحنه القدر فى شيخوخته ، كما امتحن هومير اليونانى من قبل ، فسلبهما نعمة البصر ، غير أن المشابهة لا تقتصر على المشاركة فى المحنة ، فقد بلغ هومير ذروة الخلود بملحمته الاوديسة Odyssee ، وأعجب (جيمس جويس) بهذه الملحمة واستنزل بطلها اوليس Ulysse من اولمبه ، ليهب اسمه لعنوان روايته الرائعة اوليس التى تعد ، بحق ، اللبنة الأولى فى صرح الرواية الحديثة .

نشأته

ولد جيمس جويس فى دبلن فى ١٨٨٢/٢/٢ من أسرة كاثوليكية ، وكان الثانى من أحد عشر ولدا . وكان أبوه ماجنا ، يتبع النساء ، متلافا ، مولعا بالشراب ، كثير العربدة . وقد نأت بأبيه حياته هذه الصاخبة عن التمتع بهناءة الاستقرار ، فظل عمره كله ، يتنقل وأسرته من بيت الى بيت ، تلاحقه الديون ويتعقبه شبح الحجز .

أما أم (جيمس) فكانت امرأة طيبة القلب مرهفة العاطفة متدينة ، وقد تحملت نزوات زوجها وصبواته وطيشه بصبر متصل وابتسامة صافحة .

ووُضع (جيمس) ، وهو بعدُ طفل ، في مدرسة داخلية ، وتمزّع قلبه الصغير وهو يرى امه تنشج باكيــة حين ودعها وحُرم من دفء صدرها الحنون .

وانتقل من مدرسته بعــد ثلاث سنوات الى مدرســة داخلية أخرى في ضواحي (دبلن) ، يشرف عليها رهبان يسوعيون . وقد هيأته تربيتهم القاسية لأن يألف النظام ويتزود بدراسة كلاسيكية خصبة . غير أن التزمّت الشديد الذي اتسمت به تلك التربية خلّف في نفسه رواسب من التمرد والتحدي ، انتهت في شــبابه الى كرهه رجال الدين .

وشكا (جيمس) منــذ صغره من ضعف في بصره ، واضطر الى حمل نظارة ، ظلت ملازمة لعينيه عمره كله .

ولئن عرف في طفولته الحرمان والغربة ، فقد كان يبدو ظاهر المرح والابتسام حتى دعاه اخوته بجيمس الضاحك . وقد ركبته فيما بعد هموم الحيـاة ، وظلت ابتسامته متشبثة بشفتيه ، ولكنها أضحت ابتسامة ساخرة حاقدة .

وبرّز « جيمس » في دراسته ونال المركز الاول بين لِداته ، وظفر عام ١٨٩٤ باكبر جائزة أجريت لطلبة مختلف المدارس . وكانت الجائزة عشرين جنيها ، وجدها أبوه ـ وكان قد أحيـل الى التقاعد منذ أمد قريب ـ خير هدية لتعيش الاسرة في يسر موقت قصير .

بين جويس والكاتب النرويجي ابسن

وفي عام ١٨٩٨ التحق (جويس) بالجامعــة ليتابع فيها دراسة الفرنسية والايطالية والنرويجية وعلم النحو المقارن ، وقد اعانه تضلعه في اللغات على تلقيح مؤلفاته المقبلة بثقافة لغوية متشعبة .

وخلب لبه ، وهو في منبلج تفتحه الفكـري ، مسرحياتُ الكاتب النرويجي (ابسن) Ibsen فعكف على قراءتها وأعجب بما يشيع في أكثرهـا من تقديس لحرية الفكر وتمرد على قيود العادات الرجعية البالية ، وأغراه اعجابه بابسن بكتابة مقال ضاف عن احدى مسرحياته ، وتناهى المقال الى الكاتب النرويجي العظيم ، فكتب الى (جويس) شاكرا ، فاجاب هذا برسالة قال له فيها : اشكر لك تلطفك بالكتابة اليّ ، انني فتى ايرلندي في الثامنة عشرة من عمري . ان كلمـات ابسن ستبقى في قلبي ما عشت .

يدرس الطب في باريس

وفي عام ١٩٠٢ عزم على دراسة الطب في باريس، فسافر اليها وسكن في الحي اللاتيني ، ولعــل آماله المخيّبة في وضع اسرته وكفاح وطنه وثورته على تقاليد مجتمعه قد ألجأته الى الابتعاد عـن « دبلن » ليجد في « باريس » مدينة الألَق والنور والفكر الحر ملاذا لروحه الظامئة المتمردة . ولكنه اضحى وهو في « باريس » ملازما لمكتبتها الوطنية اكثر من اختلافه الى معهد الطب ، حتى اشتد ضعف بصره ، وتخبّط ثمة في العسر والاملاق ، واضطر الى اعطاء دروس وكتابة مقالات لعلها ان تفي ببعض نفقاته .

يعود الى دبلن ليرى أمه تحتضر

وفي العام التالي ، قفل عائدا الى « دبلـن » بعد أن تناهى اليه خبر بان أمه مشفية عـلى الموت ، وقد أدركها ورآها تحتضر أمامه ، ولكنه أبى أن يجثو مصليا الى جانب سريرها ، ـ كما تلزمه بذلك التقاليد الدينية ـ وشعر بعد وفاتها بفراغ رهيب يكتسح حياته .

وكانت سنة قاسية أضنته فيهـا المصائب ، ووجد في الخمر ـ كما وجـد أبوه من قبـل ـ مَفزعا يذيب فيها آلامه ، ومكث في « دبلـن » يرتزق من دروس تافهة يسيرة ، ولكـن غرامـه بالأدب ظل مشبوبا ، وكتب بحماسة متقدة كتابه (صورة الفنان وهو شاب) Portrait of the artist as a young man . ولكنه لم يعثر على ناشر يرضى بنشره ، وهو يصور قصة وصفت بانها اكبر قصة كلاسيكية لزماننا هذا ، فانصرف الى الشعر ونظم قصائد عديدة ، وبدا له ان يتقـدم الى مسابقة غناء ـ وكان له صوت ندي ـ ولكنه لم يفز بالجائزة المرغوبة .

زواجه

والتقى في هذه السنة بنورا بيرناكل ، فشغف بها حبا ـ وقد جعل من تاريخ يوم التقائه بهـا في ١٦ يونيو (حزيران) اليوم المشهور الـذي تدور فيه حوادث روايته المقبلة (اوليس) Ulysse

ـ وقد احبته (نورا) وأعجبت بمواهبه ، فلما طلب الزواج منها قبلت ، وبنى بها فى السنة نفسها . وقد اخلصت (نورا) له الحب وقاسمته مر الحياة وحلوها .

فى سويسرا

واذ كان يتوق الى الابتعاد عن « دبلن » بعد ان خاب امله فيها بالعثور على الغضارة ويسر العيش فقد سافر وزوجته الى (زوريخ) فى سويسرة ، لعله أن يجد فيها عملا ، فلم يعثر على طلبته .

فى تريستا

والقى عصا الترحال اخيرا فى (تريستا) ، بعد تنقل متصل مرهق ، ولكن كسبه من تدريس اللغة الانكليزية لم يكن يكفيه ، وترصدته كؤوس الخمر يغمس فيها شجونه .

وفى (تريستا) ولدت زوجته صبيا ، وتجاذبه الفرح بطفله والتخوف من ازدياد مسؤوليته ، ولكن همومه لم تثنه عن التاليف . وأتم ديوان شعر صغير ومجموعة قصصية هي (أهل دبلن) ، وبعث بمخطوطتيهما الى أخيه « ستانيسلاس » فى « دبلن » ، لعله ان يجد لهما ناشرا ، فلم يوفق . وكتب « جيمس » يغريه بالمجيء للعمل فى تريستا ، فقدم اليه وتقاسم الاخوان البيت . وكثيرا ما كان « جيمس » يسترفد من اخيه عونه المالي حين كانت الحاجة تلجئه الى ذلك . وبدا له أن يعمل موظفا صغيرا فى بنك بروما فلم يسغ عمله هناك ، وعاد الى « تريستا » بعد امد قصير اكثر املاقا .

ووضعت زوجته طفلة سماها « لوسيا آن » فى القسم المخصص للفقراء من مستشفى التوليد .

وامسك « جيمس » عن الخمر فترة ، اثر التهاب فى قزحية عينه . وتوعد زوجته وتهددها اذا هي عمدت طفليه (وكان يكره العماد والطقوس الدينية كرها متاصلا) .

فى دبلن لطبع كتابه

وسافر (جويس) الى « دبلن » ليشرف على نشر كتابه (اهل دبلن) . وتم طبع الكتاب بعد صعوبات جمة على نفقته . ويُروى انه لما ذهب الى الطابع ليستلم منه نُسَخ كتابه أعلمه هذا بان شخصا مجهولا قدم الى المطبعة فاشترى النسخ كلها ودفع ثمنها وامر بحرقها فى مكانها ثم مضى .

عودته الى تريستا

وآب (جويس) الى « تريستا » وفى جيبه ثمن نسخ كتابه المحروقة ، ولكن فى قلبه كانت تضطرم نار من الأسى وآلى الكاتب على نفسه ألا يعود الى وطنه ابدا .

وانصرف الى تاليف كتابه (ديدالوس) . وما عتم أن لفت انظار الأوساط الأدبية اليه ، واعجب به الشاعر الانجليزى ت.س اليوت T.S.Eliot ، والشاعر الامركي (ازرا باوند) Pound اعجابا كبيرا ، وازجى اليه « باوند » مساعدة مجدية لنشر كتابه الأخير ، وبدأ نجمه يتالق . واعيد طبع كتابه (اهل دبلن) .

وفى عام ١٩١٤ شرع فى كتابة رائعته (أوليس) . وفى هذه السنة أعلنت الحرب العالمية الاولى ، واضطر الى مغادرة (تريستا) وكانت بلدا تابعا للنمسا ، الى (سويسرة) ، وأمده باوند ثمة بمعونة مالية أنقذته من الفاقة ، ولما انتهت الحرب عاد الى « تريستا » ليستانف عمله فى التدريس وينكبّ على روايته « أوليس » .

فى باريس

ولكنه لم يستطع انهاءها الا فى « باريس » بعد أن حبّب اليه صديقه (باوند) الاقامة فيها . وظفر « جويس » فى مدينة النور ، بتقدير عدد كبير من الكتاب المعجبين بأدبه وعلى رأسهم « فاليرى لاربو » ، وكذلك احتضنت باريس عبقريته ، حفية به فى مدى عشرين عاما ، بعد أن مني بالخيبة القاسية فى وطنه .

وقام « جويس » بمحاولات يائسة لنشر روايته فى انكلترا وأميركا ، ولكن الرقابتين الانكليزية والاميركية مانعتا فى ذلك ، بحجة ان فى بعض صفحات الكتاب واقعية صارخة تكشف عن ضعة الانسان وغرائزه بأسلوب يخالف الآداب العامة .

واستطاع « جويس » بمساعدة السيدة (سيلفيابيتش) أن ينشر روايته فى فرنسا . وفى يوم عيد ميلاده الاربعين ، وصلته اول نسخة مطبوعة من روايته ، وترجم الكتاب الى الفرنسية بمساعدة (لاربو) واقبل المجد الأدبي الى (جويس) ، وانثال فيض من الثناء والتقدير

على الرواية فاذا باسم « جويس » يقفز الى مقدمة الكتاب العالميين فى النصف الاول من هذا القرن .

قصة اوليس

للقارىء ان يتساءل :

اى شىء يمكن ان يوحى به يوم عادى فى حياة انسان ما ، تتتابع حوادثه على نحو طبيعى دون ان يند منها حادث عجيب يستدعى الاهتمام أكثر من غيره ويتطلب من الكاتب الاطالة والاسهاب ؟ ومع ذلك فرواية (اوليس) التى كتبها (جويس) فى مدى ست سنوات أو تزيد ، انما هى سرد حوادث يوم واحد ، هو السادس عشر من يونيو عام ١٩٠٤ فى مدينة « دبلن » ، وهو لا شك يوم طويل ملأت حوادثه ٨٧٠ صفحة من القطع الكبير .

يوم واحد عادى من حياة انسان عادى ، ولكن قد تأتى لجويس ، أن يتناول ، بعبقريته الفذة هذا اليوم ، فيقص حوادثه فى دقة معجزة . فلا عجب أن يضع النقاد أثره فى الرواية الحديثة فى قرن واحد ، مع أثر (فرويد) فى علم النفس ، واينشتاين فى علم الفيزياء ، وان تنهض روايته هذه مع رواية (بحثا عن الزمن الضائع) للكاتب الفرنسى (مارسيل بروست Proust) (١) كقمتين شامختين من روائع الأدب المعاصر .

ولم يكن سرده فى هذا الكتاب متكئا على ترتيب زمنى ، وفقا لمنطق الساعة التى تحصى الزمن وتجزئه فى دقاتها الرتيبة ، بل على تفجير ذرات الزمن ـ ان جاز ان يكون للزمن ذرات ـ ، وقد تيسر له ذلك بمائة اسلوب واسلوب ، تأتلف وتفترق . فهو يعتمد على الحوار الداخلي ، يهدر وينساب وينفض خلجات النفس الانسانية ونزعاتها . وعلى الحوار العادى المألوف يترفق فى هينة وبساطة . وعلى الأسلوب الواقعى فى الوصف الفوتوغرافى الأمين فى النقل . وعلى الأسلوب السريالى Surrealist ، الفوق الواقعى ، فى صورة الأبدة الغريبة المسرفة فى الخيال . وعلى الأسلوب الملحمى الموشى بالأساطير . وتجتمع هذه الأساليب ، على نحو قد يبدو متنافرا ، غير متناسق ، ولكنها تعكس صورة صادقة عن عالم النفس الداخلى وعالمها الخارجي ، لتلخصها كما يستخلص الكون كله فى جوزة واحدة ، على حد قول (جويس) عن روايته .

وتتخلل الرواية دراسات وآراء علمية وفلسفية وابحاث لغوية ، وتتجاوب هنا وهناك ، قصائد واشعار تهب للرواية رعشات حلوة تنفى عنها بعض السأم .

كل هذا كان مقصودا مهيئا مرتبا من الكاتب ، وقد اداه فى لفانة المهندس الصنّاع الذى احكم بناء صرح ممرّد باذخ ، وفقا لتصميم مدروس دقيق ، فلا تجد جملة أو كلمة تجلو صورة أو فكرة ما ، ليس لها مكان فى هذا الصرح .

وقد اطلع الكاتب الفرنسى (فاليرى لاربو) على المراحل التى تم فيها تاليف هذه الرواية ، فذكر، فى دراسة له ، ان جويس قد أورد فى ألوف من القصاصات موجزا عن جمل الرواية مذيلة بخط يشير بلونه الى مكان الجملة من الرواية. انه عمل عجيب أشبه بالفسيفساء الدقيقة المنمنمة .

على ان أغرب ما فى هذه الرواية ، انها تماثل بتقسيمها وحوادثها وفصولها الثمانية عشر ، ملحمة (الأوديسة) اليونانية ، ومن هنا جاء اسم الرواية (اوليس) بطل ملحمة (هومير) ، فكل فصل منها يقابل فصلا من الملحمة اليونانية ويرمز له ويتجاوب معه .

ان القراءة السطحية لا تلحظ الصلة الخفية العميقة الجذور بين ملحمة « هومير » ورواية « جويس » ، ولكن القراءة الواعية الفاحصة تلفى فى الرواية أصداء تتناغم مع الملحمة .

وتواكب هذه المماثلة ، مماثلة اخرى مع الجسم الانسانى ، فكل فصل من الرواية يشير الى عضو من أعضاء الجسد ويتحدث عن وظيفته وحاسته المتصلة به .

وتتجاذب الألوان السبعة فصول الرواية كما تتجاذب قوس قزح ، فيبدو هنا قويا ظاهرا ، ويمّحى هناك ، ليغلب لون آخر بدلا منه .

فلو شئنا ان نلخص هذه الرواية ، لما وجدنا سوى حوادث تافهة تترادف على هذا النحو :

الساعة تشير الى الثامنة صباحا ، اليوم هو الخميس ، السادس عشر من يونيو ١٩٠٤ المكان

---

(١) من المصادفات ان كلا من الكاتبين ، جويس وبروست ، بدأ روايته فى وقت متقارب ، وأنهاها فى وقت قارب وقت صاحبه . وكل منهما غاص فى أعماق النفس الانسانية بأسلوبه الخاص المتميز به.

هو مدينة «دبلن»، وترى الى « ستيفن ديدالوس» ـ هو تليماك فى الملحمة ـ المقيم فى برج (سانديمونت) يعتزم بأن يغادر أصحابه ليعيش وحده . ونراه فى الساعة التاسعة يلقى درسا فى التنغيم والتاريخ . وفى الساعة الحادية عشرة يعود الى المدينة (ويماثل هذا الجزء من الرواية رحلة تليماك فى الملحمة) .

ونعود فى الفصل الرابع الى بطل الرواية الحقيقى (ليوبولد بلوم) وهو فى الرواية رمز لليهودى التائه (هو اوليس فى الملحمة) . فنرى اليه يستيقظ فى الساعة الثامنة صباحا ، ليهيىء لزوجته الغافية فطور الصباح ، ثم يدع زوجته مضطجعة فى سريرها ويذهب الى المطبخ . وفى الساعة العاشرة يخرج الى الشارع ، فلا يترك واجهة مخزن او عابر سبيل يقع فى بصره ، او كلمة تنادى الى سمعه دون أن يأتى على ذكره . ويشترى قطعة صابون لا تغادر جيبه البتة . وترى اليه يتفحصها بيده ، بين الفينة والفينة ، كنغم منفرد فى سمفونية طويلة . ويدخل كنيسة ثم يمضى لحضور مأتم أحد رفاقه . ويتخذ سمته نحو مكتب جريدة . ويتغذى فى مطعم . ويقصد مكتبة يغادرها الى الشاطىء ، ويثيره ثمة فتاة تسبح . ويلتقى بأصحاب له ويقصد بيت بغاء ويجتمع بديدالوس (كما يجتمع اوليس الى تليماك فى الملحمة) ويسكران معا ، ويفقد « بلوم » وقاره ويقفل عائدا ، وقد تعتعه السكر ، الى بيته حيث تنتظره زوجته المضطجعة وهى تلهج بحوار داخلى يجلو مغامراتها واغتلام جسدها الشبق ، وحين تستسلم الى أسر الحلم تغمغم لفظة (أجل) وبهذه الكلمة تختتم الرواية .

هذه هى الخطوط العامة التى تنتظم رواية (اوليس) . ولعل (جويس) قد هدف ـ وهو يتقى يهوديا عاديا (وقد اتهم جويس بكره اليهود بسبب انتقائه هذا) ، ويحشد له حوادث تافهة يملأ بها يومه ، قد هدف الى تصوير تفاهة الانسان وضعته وعقم حياته . ولم تكن هذه الصفحات الملأى بحوادث بسيطة ثرثرة تافلة بل عملا جبارا خلاقا . لقد جعل من الحوادث وهى تتسلسل متزلقة كحبات صغيرة من الرمل طودا شامخا من المعانى الصلدة الثابتة .

ولعل (ادوارد دوجاردان) كان أول من ابتدع الحوار الداخلى فى الرواية ، ولكن (جويس) جعله دافقا معبرا وجذعا اساسيا فى روايته .

ورغم التنوع الخصب الذى تتصف به هذه الرواية فان قارئها يجد سأما ومللا ان هو طلب منها حوادث مشوقة ذات حبكة مثيرة وخاتمة مفرحة او محزنة تتراخى اليها ، لهذا فان قراءها يظلون نخبة محدودة ، يحدوها صبر متصل ورغبة متقدة فى الغوص الى أعماق هذا الخضم . ويروى ان زوجة (جويس) نفسها لم تستطع ، على ثقافتها واعجابها بزوجها ، أن تتم قراءة روايته . وقد شبه أحد النقاد قارىء هذه الرواية براكب سفينة تشق عباب البحر ، وينبغى لهذا الراكب أن ينسى ذكرى المرفأ الذى غادرته السفينة وأن يجعل الهم والقلق والسأم دبر أذنيه ، لينساق مع سفينته الهائمة فى رحلة مجهولة .

ولا تجدى القراءة العابرة الأولى ، ان اقتحمت العين تفاصيل الرواية دون انتباه الى رموزها الخفية ، فقد كتب الكاتب الفرنسى (ييتس Yeats) مقالا ، اثر قراءته الأولى للرواية ، فنقدها نقدا قاسيا وتحيّف منها ، ثم بدا ان يعاود قراءتها ، فلم يملك الا ان يعترف بأنه ارتكب خطأ رهيبا فى النيل منها ، وقال : لعلها ان تكون اثرا رائعا من عبقرية فذة . انني افهم الآن انسجامها ..

لئن ظلمت الرقابتان الانكليزية والاميركية هذه الرواية فى البدء ، لما فى بعض صفحاتها من تصوير دقيق للشهوة ، وايرادها بعض البذاءات تجرى فى جزء من الحوار ، فانه يغتفر لجويس ما يغتفر للطبيب او العالم النفسى وهما يتحسّران بصراحة صادقة عن اسرار الجسد والنفس .

وقد شبه الباحث النفسى الشهير (يونغ Jung) هذه الرواية ، فى دراسة مستفيضة رائعة ، بنهر عظيم لُجّى تنساب امواهه غامرة كل شىء ، حتى اذا شارفت الرواية نهايتها ، تدفق حوار داخلى تريقه زوجة (بلوم) فى جملة واحدة تقع فى اربعين صفحة ، لا يحجز بين كلماتها نقطة او فاصلة ، كمويجات النهر المتصلة المتدفقة، كأنما قصد بها (جويس) الى تصوير الفراغ الذى يطوّق حياتنا ويكظم انفاسنا .

كتاب ينفق فى تأليفه ١٧ عاما

ولم يفىء (جويس) الى الراحة بعد المجد الذى اصابه فى (اوليس) ، فقد انصرف الى تأليف كتاب آخر هو Funnegans Wake ، وكان يطمح الى ان يتجاوز بأثره الأدبى رواية

(اوليس) . وقد انفق فى تاليفه سبعة عشر عاما ، كان بصره خلالها يضعف شيئا فشيئا ، ولكن عزيمته كانت لاتنى تملى عليه المضى والاستمرار . بيد ان هذا الكتاب لم يصب من النجاح ما اصابته رواية (اوليس) لعسره وغموضه ، وقد قال (جويس) نفسه ان هذا الكتاب الذى يستشرف به اغوار الاحلام الداجية الظليلة هو كتاب الليل، وان (اوليس) هو كتاب النهار .

وقد نحت (جويس) فى هذا الكتاب كلمات جديدة (يتجاوز بعضها سطرا برمته) ، قبسها واشتقها من اللغات الكثيرة التى كان يتكلمها بطلاقة ، فاذا الكتاب كيمياء لفظية ، ومزيج من الفاظ مبهمة ملتوية ، وصور غامضة هى بسبيل الى المعميات ، على ان بعض المتحمسين له وعلى رأسهم الناقد (اوجين جولاس) وجد فيه ثورة لغوية ليس لها نظير فى الآداب العالمية .

محنة جويس بابنته

بيد ان (جويس) لم يكن يابه لسهام النقد تفوّق الى كتابه هذا ، فقد كان مشغولا ، فى مقرب سنى حياته بمحنة تعدل محنته ببصره ، هى محنته بابنته (لوسيا) . فقد أحبت (لوسيا) الكاتب (صموئيل بيكيت) وكان يتردد على دار ابيها ، احبته حبا مبرحا دون ان يستجيب لحبها وتناهى بها اليأس الى الجنون المطبق ، ومن يدرى فلعلها تنتظر حتى الآن وهى فى احد مصحات (نورثامبتون) حبيبها الموهوم (بيكيت) .

وقد بذل (جويس) ثلثى ثروته التى اصابها من مؤلفاته فى معالجة ابنته ، وانتقل بها من مصح الى مصح دون جدوى . وكان يراعى ابنته المسكينة مرددا ، ودموعه تغيم فى عينيه : « مهما تكن شرارة الموهبة التى املكها فانها قد انتقلت الى (لوسيا) وأشعلت النار فى دماغها » .

وكذلك جعل بصره يضعف ويمتحى منه النور حتى شارف ظلمة العمى ، كما جعل النور ينطفىء فى عقل ابنته الحبيبة حتى سربلته دياجير الجنون.

وتقوم الحرب العالمية الثانية

وانزوى (جويس) بعيدا عن اضواء الشهرة لا يكاد يابه لأحداث العالم تتوالى مدلهمة منذرة بحرب ضروس ، فلما اعلنت عام ١٩٣٩ اقام (جويس) فى قرية (لابول) قريبا من مصح ابنته، واضطر بعد اكتساح الجيوش الالمانية لأراضى فرنسا الى مغادرتها ، فسافر مع زوجته وابنه الى (جنيف) ومنها الى (زوريخ) .

وفاة جويس

وفى ١٠ يناير ١٩٤١ احس (جويس) بآلام مفاجئة فى معدته ، فنقل الى المستشفى وتبين بعد الفحص ان قرحة معوية قد انفجرت واجريت له عملية عاجلة ، وتراءت فى البدء ناجحة ، ولكن الموت كان يتربص به ، ونادى (جويس) وهو يحتضر زوجته وابنه ثم اسلم الروح .

مات ، وما مات أدبه

وكذلك توارى (جيمس جويس) بعد ان عرف مرارة الفشل والخيبة وبلا لذع الجوع وضرب فى كل مراد من الأرض ، وظلمة العمى تهدد عينيه ، ومضى بعيدا عن وطنه بحثا عن اللقمة ، ثم قدر له ان ينجز اثرا ادبيا رائعا سما به الى قمة المجد ، ولم يكد يتذوق حلاوته سائغة شهية حتى رزىء بابنته فى عقلها ، ومات حزينا ، حسير القلب .

وقد انقضى ما يقرب من ربع قرن على وفاته وعشرات الدراسات ما تنى تطّرد محللة أدبه ، مبينة عمقه واصالته ، فاذا بهذا النهر الزاخر يمتد ويتفرع منه جداول جمة ، واذا باسم (جويس) يضحى رائدا للرواية الحديثة تحدّر منها (ناتالى ساروت) و « ميشيل بوتور » و « كلود سيمون » و « غرييه » وأضرابهم . ولعل (وليام فولكنر) الكاتب الأميركى اعظم من تأثر به واخذ بمدرجته فى الاعتماد على الحوار الداخلي فى رواياته ، وقد نوّه (فولكنر) بالتأثير البالغ الذى افاده من ادامة قراءته لرواية (اوليس) .

يقول (ارنولد بينيت) اننى لم اقرأ قط اثرا ادبيا يفوق (اوليس) واشك فى ان اكون قد قرات ما يماثله فى الروعة .

وفى الحق ان اثر (جويس) ، على غموض ادبه وتمنعه على القارىء العادى ، يتسع يوما بعد يوم مع اتساع آفاق الثقافة ، اذ لم تكن تجربته تجربة ادبية روائية فحسب بل هى الى ذلك تجربة فنية فكرية علمية معا . ■■

دمشق **بديع حقى**



بقلم : سنية قراعة

■ همهمة حيرى .. وهمسة شادية حنون .. سرت مع النسائم فى جوانب الكون الطروب ..

وتساءلت الكائنات :

لمن الترجيعة الحلوة .. كأنها لمسات الهوى تلعب بأوتار القلوب ؟..

وتحدث الورد الى النرجس ..

ولثم البنفسج جبين الياسمين ..

وتألقت قطرات الندى على بساط الخضرة كحبات الماس ..

ومال الغصن على الغصن يساره ويناجيه ..

وحوّم الكروان حول النجم يبوح له بسر الليل الغامض ، وينشده أعذب ترانيمه ..

واستحال الليل ومن فيه آذانا ، راحت تنصت الى الهمسة الحيرى وهي تتعالى قوية فى حنان ..

واستنار المعبد الغارق فى سواد الليل بومضات نورانية ..

وطافت به أرتال الملائكة وجموع الحور فى مواكب . كانَ الحبُ حاديها ومرشدها ..

ومن جوف المعبد كانت تتعالى ترتيلة ناعمة ، ونجوى فيها صمت الليل وأريج الورود .

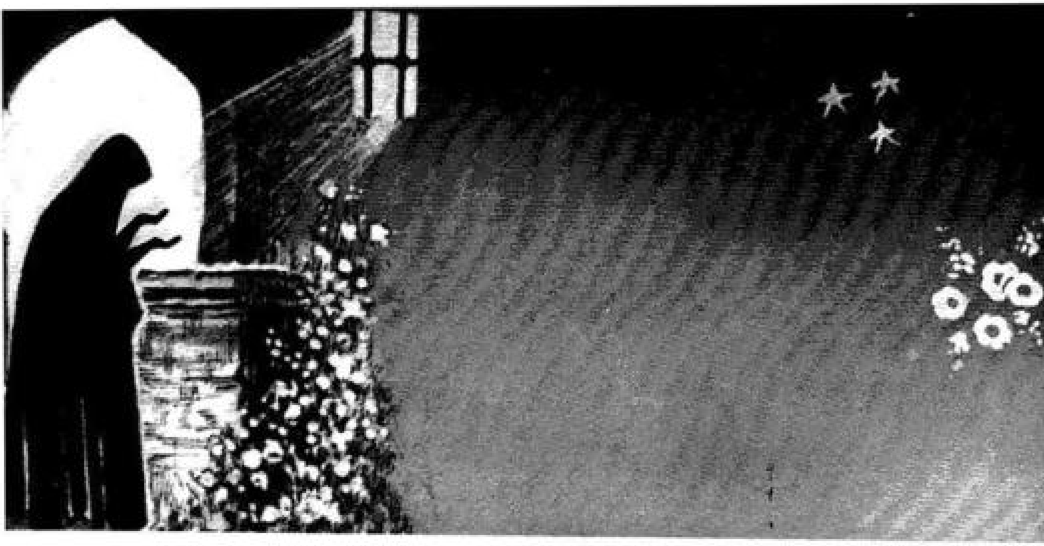
وانصتت الكائنات الى ايقاع لحن قدسى ، فيه أنين قلب يحترق ، وصراخ روح حائر !!

ورقصت عرائس الافق وتمايلت مع عذب النغم ..

ورفعت الفاتنة نحو السماء عينين بين شاطىء اهدابهما كان يضطرب سيل من الدموع ..

وقال البنفسج للياسمين :

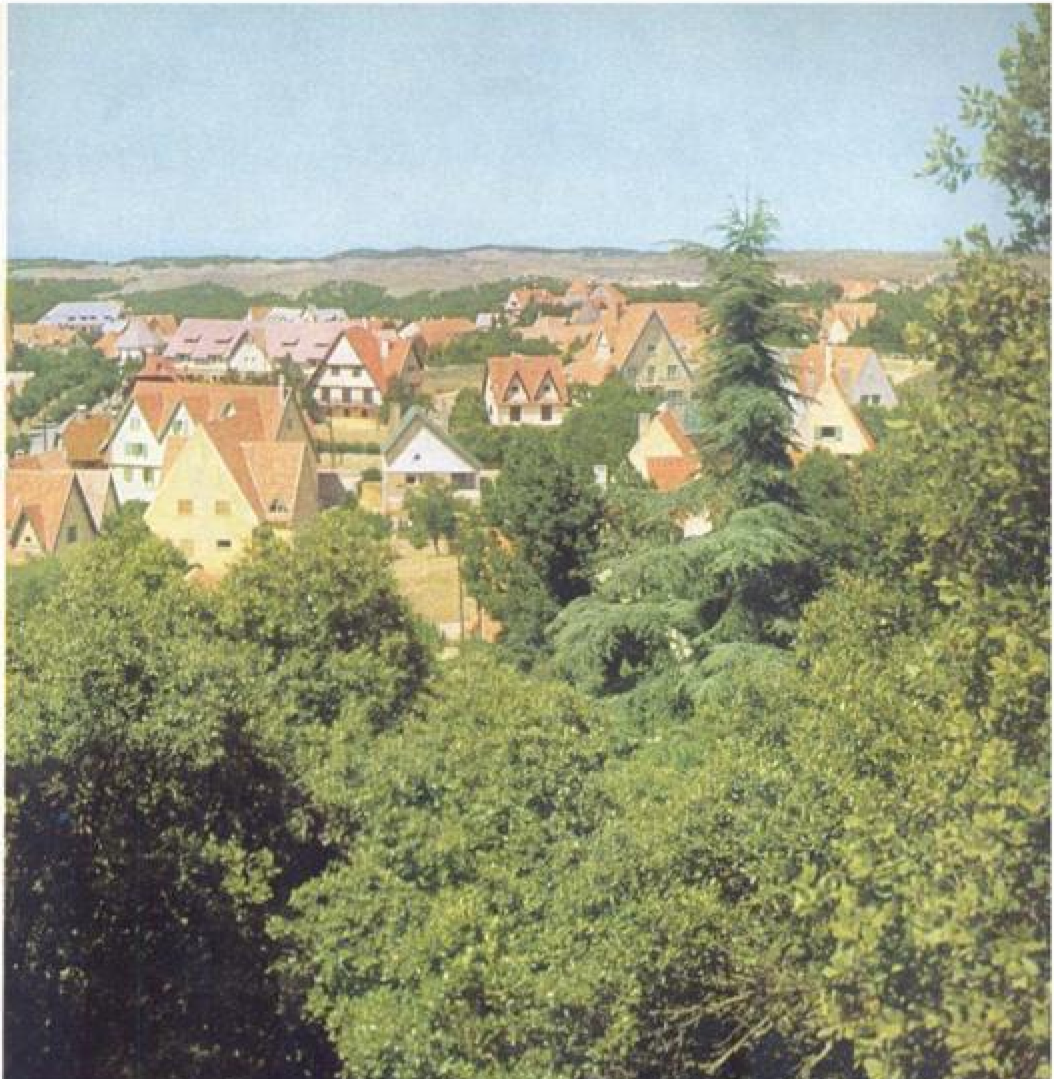
مالها والبكاء ؟! ما للشجن وقلب هذه العذراء الطاهرة ..



ـ انها تحب !! وكم اشقى الحب من قلوب !!
وعلا صوت الكروان يقول :
وما للعشاق والمعابد .. وهم اهل الهوى والخيال العذب ..
انهم يعيشون فى جنات من الوعود والضحكات ؟!.
وهمس الورد للبنفسج :
وهل الحب غير عبادة فى محراب الحسن ، وصلاة امام مذبح الفتنة وسحر الشباب ؟!
وسارع النرجس يقول :
بلى ! وانه لعبادة تقرب من الخالق .. انه دين جاء قبل الاديان ، وعبادة سبقت شتى العبادات ، وعقيدة جمعت الوحدانية فى صورة مقدسة !
وضرب الكروان الهواء بجناحين ، وعلت ترجيعته ثانية وهو يقول :
سمعتهم يقولون انه سر الشقاء !!
وابتسم النجم ليقول لسميره ومؤنسه :
انه رسالة السماء التى تنوء بها القلوب !
انه نار مقدسة تصهر النفوس ، لتذيقها بعد الجحيم حلاوة النعيم !!
وعلا صوت العذراء من جديد ..
يا للترنيمة العذبة .. جمعت الزفرات والأنين ، واطياف الامانى ، وظلال الآمال !
وانصت الكون الهاجع اسكرته النجوى ليسمعها وهي تقول :
الهى !! املأ بحبه قلبى !! واجعله قويا كالموت ، طاغيا كالصاعقة ، جبارا كالرعد ، متدفقا كالسيل ، صخابا كالموج ، طاهرا كقطرات الندى ، نقيا كماء الينبوع ! واجعله لى دينا بعد دينك ، وايمانا بعد ايمانى بك !!
واهتزت جدران المعبد خاشعة ..
وعلت الترنيمة الحارة نحو سدرة المنتهى !
وهدات النسائم .. وسكن الليل ..
وتحدث الورد الى النرجس ، ولثم البنفسج جبين الياسمين .
وملأت الكون ترجيعة الكروان وقد راح يردد انشودة الحب .. بلحن جديد !!

■■

سنية قراعة



اعرف وطنك أيها العربي

إفران

ذرّة جبال الأطلس، ومَصِيف ومَشتى، وأفضل مكان لِعلاج

الى اليمين : هذه هي افران درة جبال أطلس ، انها مصيف ومشتى المغرب الاقصى .. تقع على ارتفاع ١٦٧٠ مترا وسط بيئة طبيعية ساحرة، لا تغرب عنها الشمس في الصيف ..

الى اسفل : حوض السباحة الكبير الانيق الذى يسبح فيه المصطافون وهم على ارتفاع ١٧٠٠ متر عن سطح الارض .. حتى بائع البالون اصبح يأتى الى افران للاصطياف ، وليبيع البالون الملون



الى اسفل : اول ما يقابلك عند مدخل افران هو تمثال هذا الاسد الغريب الذى له اذنا فأر ! لقد اصبح هذا الاسد رمزاً لافران





قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

« اوسكار »

الربو والروماتزم ... ولكن !!

■ لو استطعنا التحليق فوق سلسلة جبال الأطلس لرأيناها تخترق تونس والجزائر وتنتهي في المغرب ، حيث تتناثر عليها أراض مسطحة مستوية على ارتفاعات تبدأ من ١٢٠٠ متر ، وتنتهي برؤوس جبال تصل الى ٣٠٠٠ متر ..

وتجذب هذه الجبال الغيوم ، فتسحب منها أحمالها من الامطار التي تهطل عليها بمعدل ٥٠ بوصة سنويا ..

ويقسو الشتاء ، في يناير وفبراير ، فتنهمر الثلوج بغزارة ، وتلبس المنطقة حلة بيضاء لا تتميز منها سوى بقع خضراء هي أطراف أشجار الأرز والسنديان العالية .. وبجوارها تسير الأغنام مع رعاتها الذين ينزحون الى مناطق أكثر دفئا في الوديان ..

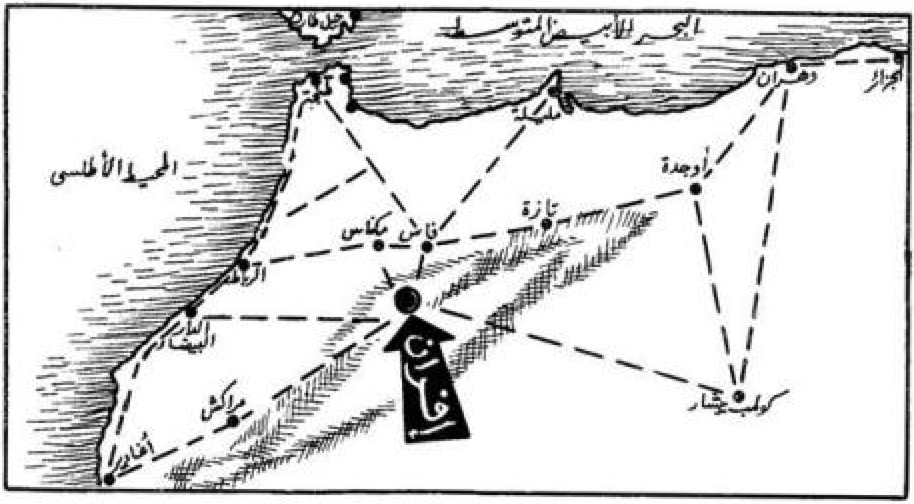
وما تكاد شمس مارس تلوح حتى تذوب الثلوج، وتنمو الأعشاب ، ويعود الرعاة .. فتلد الأغنام .. وتحلب الألبان .. ويكثر الصوف .. وتخضر الأرض .. وتمتلىء الينابيع فتندفع المياه غزيرة في الجداول والشلالات الصغيرة ، ويندفع فيها سمك التروتة Truite النادر الثمين ، ومعه « أبو لحية » وله أربع شعرات عند فمه ، وهو الآخر من الأسماك النادرة ، التي لا تعيش الا في جداول المياه العذبة ..

ويأتي الرجال الى أشجار السنديان يجمعون منها « القرط » لاستعماله في دبغ الجلود ، ثم يتجهون الى أشجار أرز الأطلس ، وهي شقيقة أرز لبنان ، فيحيطون جذوعها التي ترتفع ٤٠ مترا بالنيران ، حتى تضعف الساق وتقع الشجرة المتسامية ، فتقطع وتنشر خشبا . اما ما بقي من الساق في الارض فيعود ينمو من جديد وسط آلاف الأشجار في غابات الأرز المنتشرة على الجبال..

ومع الربيع الزاهي الجميل يصل طير اللقلق Cigogne المهاجر من أوربا فيحط فوق الأشجار ليكمل الصورة الرائعة لمهرجان الحياة الذي تعرض فيه الطبيعة بسخاء أجمل آياتها : من خضرة وماء ومناظر تخلب الألباب فوق جبال أطلس الشماء في قلب المغرب الأقصى ..

قطعة من فرنسا ..

وفي عام ١٩١٢ جاء الفرنسيون بجيوشهم واحتلوا البلاد ، وسيطروا على قمم الجبال بعد معارك مع رجال أشداء بشدة شجرتي الأرز والسنديان ..!



خريطة توضح موقع افران بالنسبة لمدن المغرب والجزائر .. ان جميع الطرق السياحية الكبرى تمر بالمدينة التي تبعد ٦٥ كيلو مترا عن مكناس ، و ٧٠ عن فاس ، و ٢٠٥ عن الرباط ، و ٢٩٥ عن الدار البيضاء ، و ٣٤٥ عن طنجة ، و ٦٥٠ عن وهران ، و ١٠٠٠ عن الجزائر ، و ٤٣٠ عن مراكش ، و ٥٢٠ عن كولمب بشار ، و ٧٦٠ عن اجادير .



تنتشر فى افران مجموعة من المتاجر الصغيرة ، يقصدها المصطافون لشراء حاجاتهم الضرورية.. وتفتح هذه المتاجر ابوابها مع أول القادمين ، الذين يأتون على اربع مراحل : المرحلة الاولى تبدأ من ١٥ يونيو وهى خاصة بأطفال المدارس فقط .. والمرحلة الثانية وتبدأ من ١٥ يوليو وهى خاصة بعائلات الطلبة .. ومن ١٥ سبتمبر يبدأ موسم العائلات التي تحب الهدوء بدون الأطفال .. ومن ٢٠ ديسمبر تبدأ مرحلة الشتاء وتستمر حتى منتصف مارس .

.. وتعاقبت السنون ، وظن الفرنسيون أنهم سيخلدون فى المغرب وعلى هذا الوهم قال بعضهم لبعض : « تعالوا لنختار منطقة عالية نقيم عليها قطعة من بلادنا .. »

ووقع اختيارهم فى قلب المغرب ، على مسطح من الارض فى اجمل مناطق جبال الاطلس المعروفة باسم افران ، وهى كلمة بربرية مشتقة من كلمة افرى أى المغارة ، وتقع على ارتفاع ١٦٧٠ مترا ، وعلى بعد ٧٠ كيلومترا جنوب فاس ، و ٦٥ كيلومترا من مكناس .

درة جبال الاطلس

وفى عام ١٩٢٩ بدأ العمل فى ازالة الاحراش والاعشاب والاشجار لتظهر فى وسطها المنازل الاولى من المصيف الذى سمى باسم الجبل : افران ..

وجاء أول فوج من المصطافين فى صيف ١٩٢٩ ، وبعده جاء الناس آلافا ، وازداد البناء ، وهم لم يتقيدوا فيه بالتخطيط العادى للمدن ، بل جعلوه متمشيا مع الطبيعة المحيطة بهم ، فتفننوا وابدعوا فخرجت افران آية من آيات الجمال بطابعها الخاص ، وسط الغابات والاعشاب الخضراء وشلالات المياه ..

وزادوها جمالا بالطرق الفسيحة المعبّدة ، التى شقوها وجمّلوها بأشجار الزيزفون ، وبحوض السباحة الانيق الكبير الذى حفروه فى الصخر ..

واطلقوا عليها بعد الانتهاء منها لقب : دُرّة جبال الاطلس ..

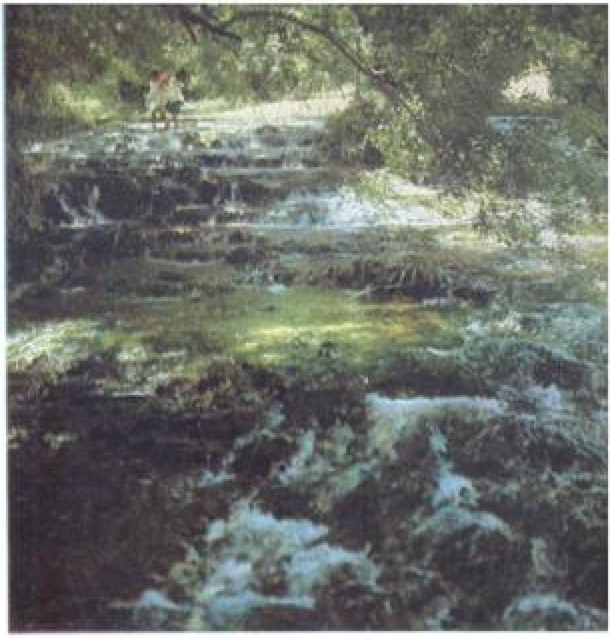
وأرادوا الاستئثار بها فجعلوها وقفا عليهم فقط .. فكانت المكان المفضل لرجال أعمالهم ولموظفيهم ولجنودهم ولعائلاتهم ، أولئك الذين لم تكن عندهم المقدرة ، أو الوقت أو المال للسفر الى مسقط رأسهم فى أوربا ..

للفرنسيين فقط !

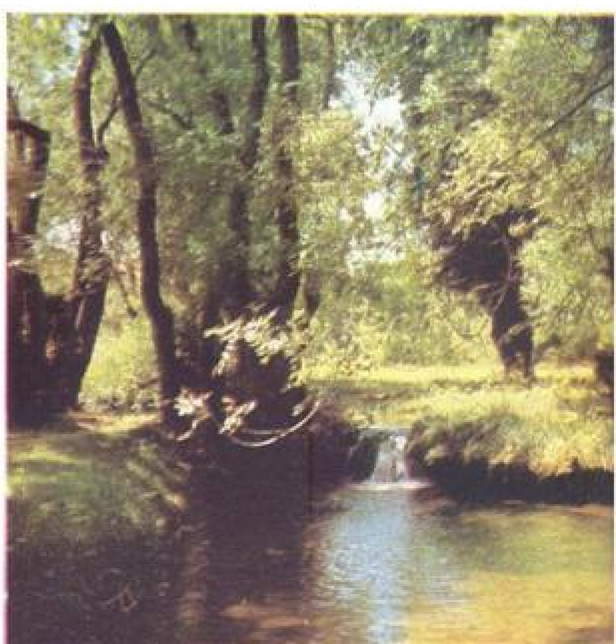
وامتدت شهرة افران فجاءها من جاء من الساحل ، من الداخل ، ومن جبل طارق ، حتى من الجزائر ومن مستعمرات فرنسا السابقة فى غرب افريقيا ، ليتمتعوا بالمدينة الباردة ذات الشمس الدافئة ، التى تتارجح حرارتها فى الصيف بين ٨ و ٢٥ درجة ، وفى الشتاء بين ١٥ و ٢٠ درجة ..

كان المغربي غريبا محروما من جمال افران ، تلك التى كان كل ما فيها فرنسيا ، من المصطاف ، الى ماسح الاحذية ، الى صاحب المنزل والمتجر





تتميز افران بوفرة ينابيع مياهها المتفجرة في مختلف أرجائها .. انها مياه معدنية ذات أثر فعال في معالجة مختلف الامراض .. ويتساب الماء في الجداول فتجده مرة هادئا ساكنا ، ومرة متحدرا كالشلالات.. ويجد هواة الصيد متعة في صيد الأسماك النادرة التي تعيش في هذه الجداول على ارتفاع ١٧٠٠ متر عن سطح البحر .. ويتجه التفكير الى تسليط الاضواء الملونة ليلا على شلالات عين عذارى الظاهرة في الصورة اليمنى .







الارض جرداء فى جنوب المغرب ، اما هنا ف



اعلى مبنى فى افران .. انه فندق باليما ذو المائة غرفة ، الذى يشرف على المصيف وعلى غابات الأرز والسنديان .. لقد ظل مغلقا عدة سنوات ، ثم تولاه أحد أبناء المغرب فأحياه من جديد وجعله المكان الوحيد الذى يعمل من أجل اجتذاب السياح لما يقيمه من رحلات وحفلات ، وما يحويه من ملاعب للتنس وحوض للسباحة ..

وجماع القمامة ! وكانت الحفلات فى المصيف لا تتوقف ، والوقت يمر بسرعة فى السهرات الراقصة ، والمسابقات المختلفة فى التنس والسباحة والشيش والكرات الحديدية ، والفروسية ، وكرة الطاولة والبيردج ، وصيد السمك ، فى الجداول العذبة ، والحيوانات فى الغابات ، والحفلات السينمائية والمسرحية ، والمعارض الفنية والمحاضرات الثقافية ..

وكانت سهرات عيد الميلاد وسط الثلوج البيضاء تجذب الناس ، لا من المغرب فحسب ، بل من اسبانيا وفرنسا نفسها .. لان الشتاء فى افران ينافس الصيف من حيث الزوار . فجميع العاب الشتاء من تزلج وانزلاق لها ساحاتها الخاصة حول افران .. التى ذاع صيتها مصيفا ومشتى فى آن واحد .

سكون ..

ان المرء عندما يجلس على المسطحات الخضراء ويستمع الى خرير مياه الشلالات ، ويمتد نظره عبر غابات الارز والسنديان التى تحيط بالمصيف من ثلاث جهات ، وينعم بهذا الهواء النقي المنعش الذى يجعل من الاستنشاق متعة ، يحس بعد كل هذا بقناعة واستكفاء ولا يعود يطلب مزيدا .

والمغاربة القلائل الذين شهدوا ازدهار افران كانوا يتساءلون : هل نحن حقا فى قلب بلادنا .. بلاد المغرب ؟

وجاءت نهاية الاستعمار المحتومة فى ٢ مارس ١٩٥٦ فاعترفت فرنسا باستقلال المغرب بعد جهاد وفداء واستشهاد ، وانفجارات ونيران تركت البلاد فى خراب وكساد ..

وخيم السكون على افران ووُضعت امورها

افران : فتجدها مكسوة بخضرة زاهية





جلسة مغربية في جو شاعرى ، حول طبق الكسكس والحمل المشوى .. انها أمنية كل سائح .. والصورة تبين رئيس النادى السياحي الأوربى ،الذى جاء الى افران لتحقيق هذه الامنية ، يجلس امام المائدة ، ويتناقش من اجل انشاء مركز سياحي يقصده السائح الاوربى أثناء عطلته السنوية ..

على رف المؤجلات ، لأن المسئولين كانت تواجههم مشاكل أهم بكثير من مشاكل افران ..

ولكن أبناء المغرب لم ينتظروا حل هذه المشاكل وانما ركبوا الحافلات (الاوتوبيس)والسيارات قاصدين «درة الأطلس» التى طالما سمعوا عنها دون أن يروها ..

كل الطرق تؤدى الى افران !

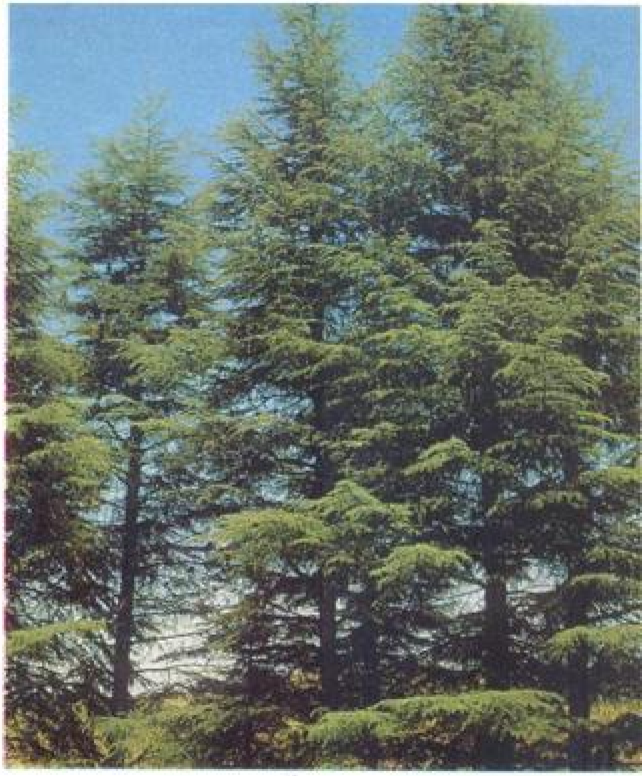
ان موقع افران في قلب المغرب العربى جعل جميع الطرق السياحية الكبرى المعبدة أحسن تعبيد تمر بها ، فهى متصلة مباشرة مع طنجة ، والدار البيضاء ، ومراكش ، وفاس ، وحتى مع الجزائر .

وأول ما يشهده المغربى القادم من افران هو ذلك الاسد القريب الذى يستقبل الوافدين اليه، فتقف عنده جميع وسائل المواصلات . انه تمثال صخرى صنعه قديما سائح كان يتجول فى المنطقة، لكن أهلها كانوا يقولون له : احذر الأسد : ولم يكن يفهم لغتهم فكانوا يخطون له رسوما ، وعلى ضوء وصفهم نحت قطعة صخر فجاءت على هذه الصورة المشوهة لأسد له أذنا فار ! اصبح اليوم رمزا لافران يوضع رسمه على « الكرت بوستال » .. وتلتقط بجانبه الصور التذكارية.. ويتسلقه الاطفال ، حتى كادت أذناه ان تتكسرا فاصلحوهما بالحديد والاسمنت ..

مياه فى كل مكان

واتجه ابن البلد يستطلع المدينة سائحا على قدميه .. كان كل شىء جميلا حوله .. السكون والهدوء مخيمان لا يعكرهما سوى حفيف أوراق





غابة الارز : تنتشر حول افران غابات اشجار الارز الكبيرة ، التى يصل عددها الى بضعة الاف .. انه نوع من شجر ارز لبنان ، ويقولون ان الطائر اللقلق ، المهاجر هو الذى نقل معه بذرة من لبنان والقاها هنا ، فنبتت بصورة فاقت بكثير نموها فى لبنان .. والى اسفل تبدو الغابة الكبيرة فى الطريق الممتد بين آزرو وافران ، والى فوق بعض هذه الاشجار





جلسة شاعرية هادئة تحت ظلال أشجار الزيزفون المنتشرة على امتداد الطرق فى افران ..



الى اليسار : تضم افران ١٢ فندقا من مختلف الدرجات ، وهى تتميز بنظافتها وبأسعارها التى تلائم الجميع ..

الزيزفون الفضية الخضراء .. المنازل كلهـا مقفلة .. وعلى أسطحها المثلثذات القرميد الاحمر كانت تعشش طيور اللقلق المهاجرة ، بينما حدائق المنازل مزدانة بالورود والرياحين التى نبتت فوق بعضها .. وكانت المحلات والسوق العامة مقفلة .. فترك ابن البلد المدينة واتجه الى ناحيـة الحدائق والمروج الخضراء ، والعيون التى تتفجر منها المياه فى كل مكان ، فتندفع مرة صاخبة من فوق شلالات ، ومرة هادئة صافية فى بحيـرات صغيرة ، وكأنها مرآة تعكس جمال الطبيعة .

ان الماء يأتى الى العيون من ذوبان الثلوج . وهو فى افران ليس اطارا مكملا للصورة فحسب ، بل هو اكبر عامل لجذب السياح من كل مكان ، فشلالات العذارى فى « جزيرة الحب » ، عنـد مدخل افران فى الوادى الصغير ، منظر شاعرى رائع ..

عيون معدنية .. عالمية

اما العيون المعدنية فى افران فمشهود لها من



أوشك العمل على الانتهاء من بناء أول مسجد فى افران ، وكان المغفور له الملك محمد الخامس هو الذى بدأه من ماله الخاص ، ثم تولته وزارة الاوقاف من بعد وفاته ..

الأجانب قبل أبناء البلد . حتى أسموا احداها « عين فيتل » لاحتوائها على نفس عناصر عـين فيتل الشهيرة بفرنسا .. أما « عـين دلماس Dulmas » ، وماء مولاى يعقوب فلا يعادلهما ماء فى العالم من ناحية علاج الروماتزم وأمراض الجلد والمثانة ، والكلى ، وقد وجد بعد تحليل مياههما انهما يتفوقان على مياه بادن بادن بالمانيا « ولونشان » Longchamp بفرنسا !

علاج الربو والروماتزم

ويشترك الماء المعدنى مع الهواء النقى الجاف الذى يمر على غابات الارز والسنديان ، فى جعل افران افضل مكان لعلاج الربو وأمراض التنفس والروماتزم حتى قالوا ان الذى يأتى متحاملا على عكاز تراه بعد ١٥ يوما يسير بقوة الشباب ويلقى بعكازه جانبا .. أما الأطفال فان وجودهم فى افران يفتح شهيتهم للاكل بشكل عجيب .

لقد تفتحت عيون المغاربة على أهمية افران فاصبحت مقصدهم فى عطلات نهايـة الاسبوع ، يجلسون على الحشائش ويضعون البطيخ فى الماء البارد لياكلوه مثلجا مع اللحم والدجاج والسمك .

وفى افران تتحرر المرأة المغربية من لثامها فتسير سافرة مع عائلتها تبحث عن ركن هادىء للجلوس .

الجلابة والبكيني !

اما الشابات فقد رأينا بعضهن يقصدن حوض السباحة الكبير ، ويسمونه الصهريج ، فيخلعن الجلابة واللثام ويرتدين البكيني ويغطسن فى الماء البارد ثم يخرجن ، ليضعن الزيوت على اجسادهن ويأخذن حمام الشمس ...

ويفضل الأطفـال والصبية الصغار صيد الاسماك النادرة من جداول المياه العذبة الواقعة على ارتفاع ١٧٠٠ متر !

لا تقتلوني ..

واذا لم يكتف المرء بمشاهد افران فان جـولة صغيرة فى ضواحيها تجعله يشعر براحة واكتفاء ..

وأجمل المشاهد هى غابة الأرز على الطـريق الى مدينة ازرو ، فهناك فوق أشجار الأرز تعيش الالوف من القرود يشهدها المرء وهى تتنقل من



تتحول افران ابتداء من ٢٠ ديسمبر الى مشتى يستمر حتى آخر فبراير أو مارس ، تهطل خلاله الثلوج فتصل الى ارتفاع متر تقريبا ، ورغم هذا تفتح جميع الفنادق أبوابها لاستقبال هواة التزحلق الذين تسير سياراتهم فى خط متصل تقريبا طوله ٥ كيلومترات ، هو الطريق المؤدى الى جبل ميشليفين ، ومعناه صوف الغنم ، حيث توجد أشهر ساحة للتزحلق ، على ارتفاع ٢٠٠٠ متر

شجرة الى شجرة ، وكثيرا ما تنزل الى الطريق المرصوف نفسه .. ويحاول الرعاة صيدها لبيعها للمدربين الذين يروضونها .

وفى غابة «عين لح» تكثر الطيور النادرة التى يهواها الصيادون .. وفى شهر نوفمبر تمتلىء الغابة بالخنازير البرية ، التى يصطادونها بكل سهولة رغم نظرات الاستعطاف التى ترسلها هذه الحيوانات لصائديها ، وكأنها تقول لهم : لاتقتلونى .. لكنهم يطلقون عليها النار حتى لا تتكاثر بشكل.

وعلى طول الوادى الصغير تقوم أشجار الفاكهة كالتفاح والكرز ، ويسمونه حب الملوك ،والفراولة والكمثرى (الانجاص) .

ثم حمل الاستعمار حقائبة ورحل !

وتمر السنون واحدة اثر الأخرى بعد الاستقلال ويزداد أبناء المغرب شغفا واقبالا على افران ،حتى أصبح الاطباء يصفونها لمرضاهم من أجل فوائدها الزائدة .. وبدأ الفرنسيون والايطاليون والالمان يبيعون منازلهم مع حدائقها بمليون ومليونين من من الفرنكات فيشتريها ابن البلد لنفسه ولعائلته.

ومع أن عدد منازل افران محدود لا يزيد عن ٤٠٠ منزل ، الا ان العرض ما زال أكثر من الطلب رغم الاسعار الرخيصة المعروضة .. والسبب ان افران قد مضى عليها تسع سنوات وهى تغط فى زوايا الاهمال والنسيان التى هى أكثر العوامل تخريبا لمدينة كبيرة ، فكيف الحال وافران مصيف ناشىء صغير ؟!

وفى حديث مع مجموعة من المصيفين قالوا لنا : حقيقة ان افران أخذت فى البداية شكلا أملتــه مصلحة الفرنسيين .. لكنها اليوم أصـبحت قطعة من بلادنا ، لهذا يجب أن نرعاها ونحسنها ونجعل ازدهارها لصالحنا .. لا أن نعاملها كما عاملنا طنجة التى قضينا على ازدهارها بجرة قلم، فى حين انه كان من المستطاع استغلالها فى ما يعود بالخير والنفع على البلاد كلها .

شىء ليس فى المكتب !

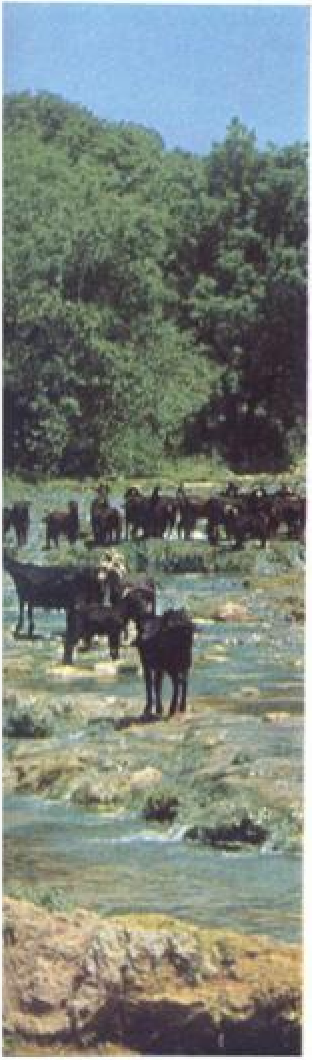
وسعيا وراء الحقيقة دخلنا مكتب وزارة الانباء والارشاد الذى يقع فى مبنى جميل . انه مكتب منظم أنيق وجدنا فيه اجمل الكتيبات السياحية توزع مجانا عن مصايف اسبانيا وجزر البليار وشاطىء الريفييرا بفرنسا ومصايف المانيا !! والى جانبها نشرات عن آوجده ، واجادير ، والرباط وشواطىء الدار البيضاء وطنجة ؟ وبحثنا عن كلمة افران فى المكتب فلم نجد لها أثرا !



افران هي جنة الاطفال ،
بهدوئها وجمالها واعتدال مناخها



طائر اللقلق المهاجر الذى يأتى فى يناير ويسافر فى نهاية يوليو



الى اسفل : منزل جميل معروض للبيع ..

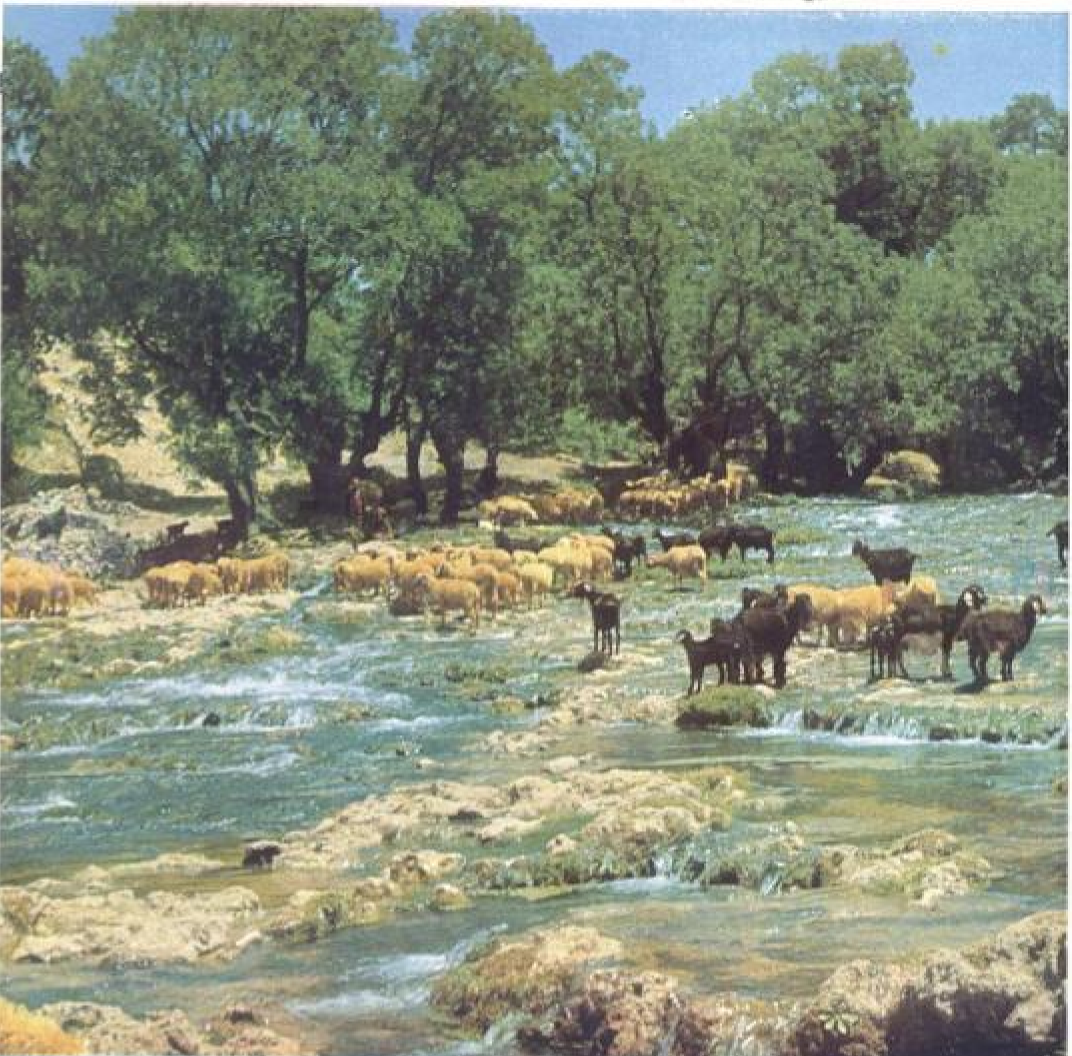




مركز الارشاد والسياحة ، أجمل ما فيه هو المبنى !



الى اسفل : في الصيف ترعى الاغنام الاعشاب وتشرب من المياه ؛ وفي الشتاء تنزح لمناطق أكثر دفءا ..



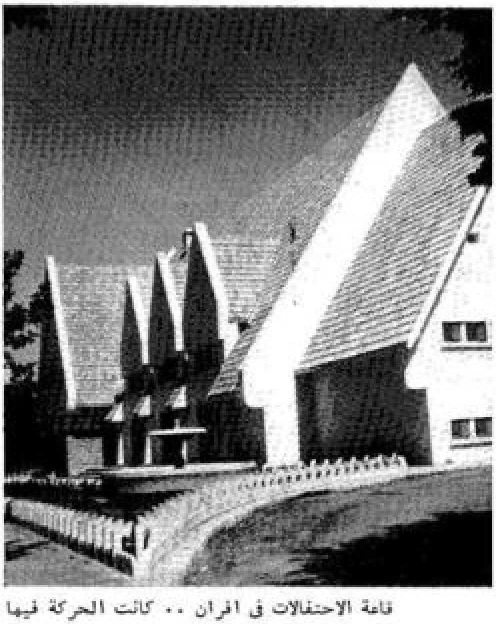
ووصلنا أخيرا الى المسئول السياحى الذى رحب بنا واعتذر بأنه لا يستطيع أن يعطى لنا معلومات قبل تصريح رئيس البلديــة .. واتجهنا الى رئيس البلدية فاعتذر بدوره عن عدم استطاعته الكلام الا اذا جاءه تصريح من المسئولين فى مكناس !!

وبعد الحاحنا الزائد باننا لا نريد حديثـــا سياسيا بل سياحيا ، افضى الينا ببعض المعلومات عن افران فقال :

« لايمكن ان نفكر فى جعلها مركزا سياحيا قبل تنظيمها واعطائها صفة مدينة ، وقبل أن نمـد الارصفة ، ونضىء الشوارع ونقيم الاعمـال الصحية . ان كل ذلك معد وسيبدأ تنفيذه فى صيف ١٩٦٥ ونحن نقوم الآن ببناء سوق عـام »

لا بد من علاج سريع

وخرجنا من عند رئيس البلدية ، واخذنا نتجول فى المصيف الذى ينخفض عدد سكانه من ١٨ الف نسمة فى الصيف الى ألف نسمة فقط فى الشتاء..! ان عدد فنادقه ١٢ فندقا ، منها الفاخر والمتوسط النظيف ، يفتح اغلبها صيفا وشتاء ، وبها الماء



قاعة الاحتفالات فى افران .. كانت الحركة فيها لا تهدأ .. أما اليوم فقد مضى عليها تسع سنوات وهى مغلقة الابواب !

العذب يجرى ساخنا وباردا ، وأسعارها رخيصة، وافخمها فندق باليما يتقاضى ٢٠ درهما للغرفة المفردة و ٣٠ درهما للغرفة المزدوجة ، وللحمام تضيف ٥ دراهم وتشمل الأجرة النوم والافطار . (١٤ درهما = جنيها استرلينيا) .

والى جانب الفنادق توجد « مستعمرات »وهى مبان ضخمة بحدائق واسعة يصيف فيها ابناء رجال نقابات البوليس ، والسكة الحـديد ، ومصانع الفوسفات ، والطاقة الكهربائية ، والبعثة الثقافية الفرنسية .

ويتوجه هؤلاء الاطفال الى ينابيع الماء فى الصباح ويعودون عند الغروب ، فيمرون فى شوارع المصيف الساكن وهم ينشدون الاغانى والأناشيد ، وما تكاد المجموعة الاولى منهم تمر حتى تلحقها اخرى، ثم يعود الهدوء ثانية ، ويبدأ الظلام فى اسدال ستاره .. وتضىء نصف المصابيح الكهربائية فى الشوارع فقط ، لان النصف الثانى محروق .. ويهدأ كل شىء ، ما عدا السوق حيث تعج المقاهى بالمصطافين .. أما قاعة الاحتفالات الواسعة التى لم تكن تغلق ابوابها أبدا فى الصيف ، فقد مضى عليها تسعة أعوام وهى مغلقة الابواب لا ينتفع بها احد !! حتى أفواج السياح الأجانب الذين يقومون بجولة شاملة فى المغرب يأتون الى افران ولكنهم لا يمكثون أكثر من ليلة واحدة يهربون بعـدها لعدم وجود ما يشجعهم على البقاء !

حتى بيت الشباب المقام وسط الأحـراش ، والذى يتسع لثلاثين فتى وفتاة ، ستة أو تسعة منهم فى غرفة ، اصبح فى حالة يرثى لها من الاهمال .

مدينة للبيع !

ان ترك العنان للطبيعة مدة تسعة أعـوام جعل الأعشاب تنمو كأنها أشجار !! حقيقة ان افران هى قطعة من اوربا محاطة بجمال وروعة الطبيعة الافريقية، لكن اهمالها اداريا جعلها مدينة معرضة للبيع بأكملها لو وجـدت شاريا !!

وأراضيها الجديدة قابلة للبيع كذلك ولكـن ليس من يشترى ؟!

ان افران مجهولة أولا .. ومهملة ثانيا .. ان هذا المصيف الكائن وسط اطار من أجمل اطارات العالم الطبيعية ، يجب أن يتبوأ مركزه مصيفا عالميا يعود بالخير على أبناء المغرب وعلى من يأتى المغرب من وراء الحدود . ■■

سليم زبال



شهيدة من بلادى

جولييت زكا

لا تسألوا أين جسمها فاسمها في فم الزمن !

بقلم : أسمى طوبى

■ اسمها الكامل .. جولييت نايف زكا .

عمرها يوم سقطت شهيدة .. تسعة عشر عاما . جميلة كزهرة نادرة .. حارة الوطنية كاحدى بطلات اسبرطة .

هكذا كانت فتاة حيفا يوم سقطت في ميدان الشرف شهيدةً بسالتها .

ما أكثر النساء الخالدات في بلادى .. وما أكثر الجنديات المجهولات اللواتى سفكن الدم الغالي رخيصا لأجل الوطن الغالي .

يوم أقر تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ في ٢٩ تشرين أول ، ديسمبر ، هبت البلاد التى كانت طوال ثلاثين عاما تثور وتبذل .. هبت هبة واحدة في ذلك اليوم .

لقد قرر الزعماء الاضراب والتظاهر ولكن الشعب استبق الزعماء فتظاهر قبل الموعد المعين له بثلاثة أيام .

آلاف الطلاب ساروا في الشوارع وقد أرغموا حتى مدارس الحكومة على اقفال أبوابها لأنهم هجروها الى الشارع .. آلاف الطلاب ، صغارا دون الخامسة ، وكبارا في العشرين ، يسيرون صفوفا وأساتذتهم بجانبهم ، والكل يُنشد :

قد حلفنا للحِمَى .. حَلفةً ترضيه
اننا نفديه .. من دماء الشهدا

الى آخر النشيد الممزوج بالدموع .

آلاف الجرحى يسقطون في معارك متفرقة هنا وهناك .. وعشرات المستشفيات فتحتها النساء في يافا وحيفا وعكا وغيرها .. أعددن الاسرة بما يلزمها من فرُش واغطية ووسائد في أيام قصيرة وتطوعن للعمل فيها .

في نابلس تحولت المنازل الى مستشفيات تؤوى الجرحى ، فقدمت هذه السيدة غرفة بسريرين ، وتلك بثلاثة اسرة ، وهكذا .

الجمعيات النسائية كلها .. الاتحاد النسائي بكل فروعه شكل فرق الاسعاف النسائية ووضع على أذرع الشابات شارة الهلال الاحمر وفي وسطها الصليب الاحمر .. صرخة صامتة في وجه المستعمرين مؤداها .. كلنا للوطن .

طالبات المدارس ، صغيرات وكبيرات ، شكلن « اتحاد الطالبات » ، ورحن يجمعن الدراهم من بيتهن متحدات في المعركة .

فرقٌ مناضلات تشكلت . ولم ترض الفتيات أن يسرن خلف المجاهدين ، وأبتْ فرقة زهرة الاقحوان بيافا الا أن تسير في المقدمة واحتجت

لدى الصحف على منعها من ذلك .

ساحة حرب اصبحت بلادي .. أسود ضارية، ولبؤات ثائرات تدافع عن حماها ..

تلك كانت حال فلسطين خلال الاشهر الستة الواقعة بين قرار التقسيم والنكبة المشؤومة .

صاحبة الرسم الجميل

ولأعد الى صاحبة الرسم الجميل التى تطل علي من اعلى هذه الكلمة وفي عينيها صمود البطولة وتحدي القدر .. لأعد الى الشابة جولييت زكا .

عن جولييت حدثتني شقيقتها السيدة روزيت زكا غنطوس التي شاركتها المهمة المقدسة ، ثم وقفت بجانبها ساعة استشهادها، ورصاص الغدر ينهال عليها من أعالي الكرمل الذي اتخذه اليهود مركزا حربيا نصبوا عليه مدافعهم ومضوا يضربون مدينة حيفا الجاثمة على أقدام الكرمل حتى سقطت يوم ٢٤ نيسان من عام ١٩٤٨ ..

في ذلك اليوم ابتدأ سكان المدينة يجلون عنها تحت وابل من هدير المدافع .. مضت المراكب التى اعدتها الدولة الحنون تحملهم الى بعيد .. ومضت القوارب تروح وتجيء الى عكا حاملة الجرحى والنساء والاطفال الذى بلغ عددهم ٣٥ الف شخص .. حملوا الى المساجد والكنائس ليناموا فيها وكلهم واله مضعضع .. تلك التى قتل زوجها وأولادها أمامها .. وتلك التى اصابتها شظية وما زال دمها ينزف منها .. أطفال قتل اباؤهم فجرفوا مع التيار جرفا. آلاف من الناس لم يذوقوا الطعام منذ يومين وصلوا الى ميناء عكا بالقوارب الصغيرة تلاقيهم على الشاطيء لجنة اسعاف الاتحاد النسائي ولفيف من الاطباء .. أكثر من ام أجهضت على شاطيء عكا ..

مجزرة هائلة لا يعلم أحد عدد ضحاياها .. تغلب اليهود فيها على العرب .. أو تغلب الانكليز على الأصح والا فمن أين جاء كل هذا العتاد الحربي الثقيل بينما كان العرب على النقيض ، وقد منعوا من شراء بندقية ..

انتصر الانكليز الذين نقلوا مركز حكومتهم من حيفا الى الكرمل ، ووقفوا يتفرجون على مجزرة حيفا ، فلما زارهم وفد رسمي من الأهلين واحتج قائلا ان موعد تخلي الحكومة البريطانية عن انتدابها هو يوم ١٥ أيار لا ٢٤ نيسان ، كان الجواب هو « هذه أوامر لندن » .

قلت لشقيقة الشهيدة حدثيني عنها .. أنا أعلم انني أنكأ جرحا في قلبك لم يندمل ، ولكن أليس من حقنا أن نعلم كل شيء عن بطلاتنا الفدائيات لنقدمهن للدنيا مثلا لأعظم ما وصل اليه نكران الذات والاستشهاد في سبيل الوطن .

ومضت تحدثني والدمعة في عينها . قالت :

تخرجت جولييت من المدرسة الانكليزية العليا بحيفا ، وكانت تحمل شهادة متركوليشن لندن .. وكانت مأساة التقسيم . وكنا في المدرسة الانكليزية هائجات مائجات عندما جاءتنا مندوبات عن جمعية الهلال والصليب الأحمر وسألن الرئيسة عن متطوعات يتمرن على الاسعاف ، فتقسيم البلاد قد تقرر في هيئة الامم ، والبلاد قائمة قاعدة ، والمعارك تدور كل يوم ، والجرحى يسقطون ، والهلال والصليب الاحمر بحاجة ماسة الى اسعاف ومسعفات .

واجابت مديرة المدرسة أنها ستسأل الطالبات فمن شاءت التطوع منهن فلها ذلك .. ولم تكد تقف أمامنا وتلقي السؤال حتى كانت شقيقتي وانا من أول الملبيات .

وابتدأنا حالا نأخذ دروس الاسعافات الأولية على يد الطبيب سعد مسلم .. وما أسرع ما كنا في الميدان . تخطف الواحدة منا حقيبة الاسعاف كلما دوى الرصاص ، وتركض الى الشارع ، فالى دار رعاية الطفل القريبة من منزلنا وكانت اتخذت مركزا من مراكز الاسعاف ينقل اليه الجرحى .

ومرت شهور ثلاثة .. هل أحدثك عن الأيدي والأرجل المبتورة ؟ عن بحور الدماء التى كنا نغوص فيها كل يوم نضمد الجراح ونسعف الى أن تصل سيارة الاسعاف فتحمل الجرحى الى مستشفى الهلال والصليب الاحمر حيث يكدسون ثم يفرزون ، فمن كان جرحه قابلا للشفاء أبقي في هذا المستشفى ، ومن كان لا أمل في شفائه ، حمل الى مستشفى الحكومة .. وهل أحدثك عن بطون الاطفال المبقورة ، الى غير ذلك من المآسي التى شهدتها بأم عيني ..! ان الحديث يطول .

وبعد .. فهل كنا ننام ليلة واحدة بسلام .. ؟ ذلك ما لم يحدث ، فمن ارتفاع الكرمل كان الرصاص يلعلع كل ليلة ، وهدير المدافع ينطلق . حتى كان يوم ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٨ .

لقد كان ذلك المساء أسود مبهما غريبا .. ترى أي شعور ساور شقيقتي الشهيدة وهي تقف أمام المرآة وتنظر الى جمالها بأسى كأنما ترثي نفسها وقد كشف لها المجهول وخافت الغد .

● جولييت نايف زكا

قالت تسألني ولأول مرة في حياتها :

ـ أترينني حلوة يا أختاه ..؟

قلت : بل أحلى مَنْ في الدنيا يا صغيرتي الغالية .. يا أختي .. ثم أضفت مستغربة : ولكن لماذا تسألين ..؟

وصمتت ولم تجب .. كان شعورها في هذه الليلة الأخيرة من حياتها أغمض من أن يُصوَّر بكلمات .. شعور من يخشى على جماله وشبابه من شيء ما يجهله .

ومع فجر ٢٤ نيسان كان قصف المدافع لا يحتمل .. وهزت أمي رأسها وهي تدخل المطبخ البعيد عن غرفتنا وقالت .. لا تخرجا اليوم يا حبيبتيّ فالمعركة كما يبدو قاسية .

ولم تكن نعي ما تقول فكل مشاعرنا كانت مركزة في الشارع .. والاسعاف .. والرصاص .

وبغتة دوى صراخ .. كان صوت امرأة يصيح فيعلو على هدير الرصاص .. وخَرِس الصوت.. ولحظة أخرى علا صوت آخر .. صوت امرأة تصيح .. النجدة .. النجدة .. هنا امرأة سقطت يا آنسات زكا .. النجدة .

وبلمح البرق خطفتُ حقيبة الاسعاف الصغيرة وأسرعت الى الباب .. لم أقل لأمي ، التي كانت ما زالت في المطبخ والتي حذَّرتنا قبل دقائق ، كلمة واحدة .. لم أقل لأختي الصغيرة الحلوة التي سألتني مساء أمس .. أترينني جميلة يا أختاه .. ركضتُ والحقيبة بيدي الى الباب .

وسمعت خطوات مسرعة ورائي فالتفت ... كانت أختي تركض وحقيبتها في يدها دون أن تقول الأخرى لأمنا كلمة .. كانت هنالك جريمة وصوت مواطنة يستنجد بنا وهذا كل ما وعيناه .

وأمام الباب ابتدأنا نزحف بحذر متداريتين بجدار الملعب المحاذي لمنزلنا والرصاص يتطاير من فوق رؤوسنا .. ثم قفزنا من فوق سور الملعب الواطيء فأصبحنا في داخله .. أصبحنا هدفا مكشوفا . ولكن ما حيلتنا وصراخ الاستنجاد جاء من هنا .

ورحنا نتلفت حولنا نبحث عن صوت المرأة الذي استنجد . ثم ماذا .. ؟ في أي لحظة حدث ذلك ؟ خلال دقائق .. ؟ لست أدري .. كان الرصاص يئز وبغتة صرخت شقيقتي بجانبي وارتمت أرضا .

وانحنيت عليها وأنا أصيح هلعا .. لم أدر أولا أين أصابتها الرصاصة ولكنني ما لبثت أن علمتُ .. كانت في معدتها .. لم ينزف دمها بكثرة ، ولكن كل ما كان على جدار معدتها من الخارج كان أزرق .. لقد استعمل الأنذال رصاص دمدم .

وحاولت أن التقط كلمة من فمها .. قلت أنا بجانبك يا حبيبتي ، فهمست : ولكنني لا أراك.

وابتدأتُ بدوري أصيح .. اليَّ .. اليَّ .. النجدةَ .. كنت أريد أن أصعد الى منزل مجاور لأتصل هاتفيا بمستشفى الاسعاف ، ولكن كيف أتركها على الارض وحدها .

وظللت أصيح ولا من يجسر على ترك منزله ليصل اليَّ ، أو لعل أحدا ما لم يسمعني .. وبعد قليل أقبلت أمي .. هل أصف أمي الوالهة ساعتئذ .. ؟ تلك لحظات لا أستطيع وصفها .

وحملناها ، أمي وأنا ، ولا أحد غيرنا . ورحنا نحاول اسعافها .. ولم تصل سيارة الاسعاف . ولما طلبتها ثانية قيل لي انها أُرسلت . وعلمنا بعدئذ أن سائقها قد قتل .. لم تكن هنالك حرمة للصليب أو الهلال الأحمر فأطلقوا النار على سيارة اسعاف .. كانت فرصة العمر عند السفاحين المجرمين أن يقتلوا ويقتلوا بلا حساب .. ووصلت سيارة الاسعاف الأخرى فحملناها الى المستشفى ، ولكنهم هناك أحالوها الى مستشفى الحكومة، ففهمت كل شيء .. لقد ماتت شقيقتي.

وساد الصمت وسكتت الأخت عن الحكاية ، فعدت أسأل : ثم ماذا جرى ؟ قالت .. عدنا بها الى المنزل ولم يستطع قريب أو صديق الوصول الينا .. فرحت وأمي نلفها بالشراشف البيضاء كروحها الطاهرة .. لا كفن لدينا ولا صندوق .

قلت وأنا أمسح دمعة: وأين دفنت؟..وكيف..؟

قالت وهي تمسح دموعا : ، لست أدري .. لقد حملها الجيش البريطاني الذي كان يدفن القتلى في ذلك اليوم .. الجيش الرحيم الذي وقف يتفرج علينا ونحن نخوض المعركة عزَّلا .. وعدونا مسلح برصاص دمدم .. لقد حملها الجيش من داخل المنزل ودفنها ولا ندري أين .

ثم أردفت ، وتصوري أن نعود الى فلسطين . فلا نعلم أين دفنت .. وتصوري أمي الشيخة الثاكلة وهي لا تعرف لابنتها ضريحا تبله بدموعها.

قلت لا عليك يا أختاه .. ألم تسمعي الشاعر الذي عناها وعنى كل شهيد بقوله :

لا تسل أين جسمه ، فاسمه في فم الزمن .

بيروت ـ **أسمى طوبى** ■■

ابن عطاء الله السكندرى

ثالث ثلاثة من المتصوفة كبار

بقلم : الدكتور جمال الدين الشيال
استاذ التاريخ الاسلامى ـ بجامعة الاسكندرية

■ هو تاج الدين أبو الفضل ـ أو أبو العباس ـ أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الجذامى السكندرى (حول ٦٥٨ ـ ٧٠٩ هـ ، ١٢٦٠ ـ ١٣١٠ م) ، مصرى أصيل ، ولد فى الاسكندرية ، وبهـا نشأ نشأته الأولى وتثقف ثقافته الأولى ، وان كانت المراجع لا تذكر شيئا عن هذه النشأة أو هذه الثقافة الأولى ، وغاية ما تذكره انه كان مالكى المذهب ، وان كان البعض يذكر انه كان حسن النظر فى المذهبين الشافعى والمالكى .

وتجمع هذه المراجع على انه درس علوم الظاهر ونبغ فى علوم الشريعة واللغة من تفسير وحديث وفقه ونحو وبيان وادب .

وتبدأ المراجع تسهب فى ترجمته وايراد سيرته منذ بدأ يتصل بشيخه ابى العباس المرسى .

تاريخ ابن عطاء يتصل بحركة التصوف التى انتشرت فى القرن السادس والسابع

وتاريخ ابن عطاء الله يتصل اتصالا وثيقا بتاريخ الحركة الفكرية وتاريخ التصوف فى مصر فى القرنين السادس والسابع الهجريين ، فهمـا القرنان اللذان انتشر فيهما التصوف فى جميع أنحاء العالم الاسلامى شرقا وغربا ، وفيهما اعترف أهل السنة بالتصوف أساسا لفهم الدين الاسلامى فهما روحيا بعد أن ظلوا يناضلونه وقتا طويلا ، وأصبحت الوسيلة لمعرفة الله هى التفرغ لعبادته والفناء فى حبه والاتصـال به عن طريق تصفية القلب والسمو بالنفس والروح ، وترك المتصوفة جانبا وسائل الفقهاء وعلماء الكلام من اعتماد على المنطق الجاف والجدل العقيم لاثبات وجود الله وبيان قدرته سبحانه وتعالى .

وفى هذين القرنين ظهرت الطرق الصوفيـة الكبرى من أمثال الطريقة القادرية والطريقة الرفاعية فى المشرق ، كما ظهرت فى مصر وفى نفس الوقت تقريبا الطريقة الاحمدية البدوية والطريقة الشاذلية ، وكثر بالتالى اتباع هذه الطرق من المتطلعين الى حياة روحية تعتمد فى أسسها ومثلها الأخلاقية العليا على أصول الاسلام وتعاليمه وعلى القواعد التى يعتمد عليها ويعترف بها أهل السنة وهى القرآن الكريم والحديث الشريف .

ابن عطاء والطريقة الشاذلية

ولابن عطاء الله فضـل كبير على الطريقـة الشاذلية ، فهو الذى ترجم لاستاذه أبى العباس المرسى ، ولاستاذ استاذه مؤسس الطريقة أبى الحسن الشاذلى ، وهو الذى سجل عنهما معظم مبادئهما وأقوالهما .

وابن عطاء الله نموذج وحده بين المتصوفية ،

● الشكر على ثلاثة أقسام: شكر باللسان، وشكر بالأركان وشكر بالجنان:
فشكر اللسان التحدث بالنعمة : قال تعالى : «وأما بنعمة ربك فحدث»
وشكر الأركان : العمل بطاعة الله ، قال سبحانه وتعالى : « اعملوا آل داود شكرا » .
وشكر الجنان الاعتراف بأن الله وحده هو المنعم : قال تعالى « وما بكم من نعمة فمن الله » .

ابن عطاء

فقد كان يجمع بين العلمين : علم الظاهر وعلم الحقيقة والطريق ، وكان مبرزا فيهما جميعا . فقد نبغ أول حياته فى علوم الظاهر ، وكان كغيره من الفقهاء ينكر على المتصوفة طريقتهم وعلومهم ، الى أن اتيحت له الفرصة للتعرف على أبى العباس المرسى . ومنذ تعرف اليه آمن بطريقتهم واعترف بعلومهم ، بل واصبح التلميذ الأثير لأبى العباس المرسى وواحدا من كبار المتصوفة .

لقاؤه بأبى العباس المرسى

وقد روى ابن عطاء الله قصة تعرفه بأبى العباس ، قال فى « لطائف المنن » :

كنت لأمره من المنكرين ، وعليه من المعترضين ، لا لشىء سمعته منه ، ولا لشىء صح نقله عنه ، حتى جرت بينى وبين بعض أصحابه مقاولة ، وذلك قبل صحبتى اياه . وقلت لرجل منهم : ليس الا أهل العلم الظاهر ، وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظيمة ، وظاهر الشرع يأباها . ثم قلت فى نفسى : دعنى أذهب الى هذا الرجل وأنظر فى شأنه ، فصاحب الحق له أمارات لا تخفى . فأتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم فى الأنفاس التى أمر الشارع بها ، فقال :

« الأول اسلام ، والثانى ايمان ، والثالث احسان .

وان شئت قلت :

الأول عبادة ، والثانى عبودية ، والثالث عبودة .

وان شئت قلت :

الأول شريعة والثانى حقيقة والثالث تحقيق .

أو نحو ذلك » .

فما زال يقول :

« وان شئت قلت ، وان شئت قلت » ، الى أن بهر عقلى ، وعلمت أن الرجل انما يغترف من فيض بحر الهى ، ومدد ربانى ، فأذهب الله ما كان عندى .

ثم يستطرد ابن عطاء الله فى رواية قصته مع أبى العباس فيقول :

ثم أتيت تلك الليلة الى المنزل فلم أجد فىّ شيئا يقبل الاجتماع بالأهل على عادتى ، ووجدت معنى غريبا لا أدرى ما هو ، فانفردت فى مكان أنظر الى السماء ، والى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته ، فحملنى ذلك على العود اليه مرة أخرى .

قال :

فأتيت اليه ، فاستؤذن لي عليه ، فلما دخلت اليه قام قائما وتلقانى ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا ، واستصغرت نفسى أن أكون أهلا لذلك ، فكان أول ما قلت له : يا سيدى أنا والله أحبك ، فقال : أحبك الله كما أحببتنى ، ثم شكوت اليه ما أجده من هموم وأحزان ، فقال : أحوال العبد أربع لا خامس لها : النعمة ، والبلية ، والطاعة ، والمعصية ، فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر ، وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منّته عليك فيها ، وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجوب الاستغفار .

فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبا نزعته ، ثم سألنى بعد ذلك بمدة ، كيف حالك ؟ فقلت : أفتش عن الهم فما أجده ، فقال:

ليلي بوجهك مشرق
وظلامه فى الناس سارى

والنــــاس في سَدَفِ الظـــلام ،
ونحـــــن في ضـــوء النهـــار
الزم ، فوالله لئن لزمتَ لتكونن مفتيا في المذهبين » .

يريد مذهب أهل الشريعة من أصحاب العلوم الظاهرة ، ومذهب أهل الحقيقة من أصحاب علوم الباطن .

هذا الحديث هو الذى رفع الغشاوة عن عيني ابن عطاء الله ، وعلمه ان الطريق الى الله طويل وله مراحـــل مختلفة ، وهو ما يسميه المتصوفة « درجات السالكين » .

درجات السالكين عند المتصوفة

وأولى هذه الدرجات عندهم ـ كما كان يشرح أبو العباس ـ الاسلام ، أي الطاعة والانقيـــاد والقيام بفروض الشريعة . وثانيتها « الايمان » وهو مقـــام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية ومقتضيات الربوبية.وثالثتها«الاحسان» وهو مقام شهود الحق تعالى في القلب ، ومن هنا سمى أبو العباس هذه المراتب في مقـــام الشرح والتفصـــيل بالعبـــادة والعبودية والعبودة أى التحقق .

وأدرك ابن عطاء الله أيضا ان لكل واحد من السالكين الى الله مرتبته ومقامه ، فمنهم من يرقى الى المقام الثانى او الثالث ، وبقـــدر ما يرقى السالك في هذا الطريق بقدر ما يحصـــل منه السعادة الناتجة عن معرفة الله سبحانه وتعـــالى والفناء في حبه .

زعامة الشاذلية تنتقل الى ابن عطاء

كان لهذا كله أثره في حياة ابن عطاء الله وفكره واتجاهه ، فقد بدأ مريدا بعد أن حصل من العلم قدرا وافرا ، وبعـــد أن نبغ في دراسة الفقه والشريعة والأدب وعلوم الظاهر عامة ، لهـــذا لم يلبث أن أصبح أقرب تلاميذ أبى العباس اليه ، وبعد وفاته انتقلتاليه زعامة الطريقة الشاذلية ، وجلس مجلس استاذه يلقى المواعظ ويفسر القرآن تفسيرا صوفيا . وانتقل الى القاهرة واتخذ له كرسيا في الجامع الأزهر يلقى فيه دروسه ويشرح آداب التصوف وتعاليمه .

وكـــان ابن عطـــاء الى جانب هـــذا أديبـــا حلو الحديث مشرق العبارة ، فكان لدروسه أثر كبير في نفوس سامعيه لهذا أجمع مؤرخوه عـــلى وصف أسلوبه « بالحلاوة » و « سحر التأثير » و « الجلالة » .

قال ابن تغرى بردى :

« وكان رجلا صالحـــا عالما يتكلم على كرسى ، ويحضر ميعـــاده خلق كثير ، وكان لوعظه تأثير في القلوب ، وكانت له معرفة تامة بكلام أهل الحقائق وأرباب الطرق » .

وقال الشعرانى :

كان ابن عطاء الله أديبا ممتازا ذا أســـلوب حلو مشرق ، وكان هذا الأسلوب ذا أثر خطير في نفوس الناس ، فأقبلوا على دروســـه وتحدثوا عنها .

لقاؤه مع السلطان حسام الدين

وسمع به السلطان المملوكى المعاصر حسامالدين لاجين فشاقه أن يرى الرجل وأن يستمع اليه ، فاستدعاه اليه . وقد روى لنـــا ابن عطاء الله نفسه خبر هذه المقابلة ، وطرفا من المواعظ التى ألقاها في حضرة السلطان ، قال :

لما اجتمعت بالسلطان الملك المنصور لاجين رحمه الله قلت له : « يجب عليكم الشكر لله فان الله قرن دولتكم بالرخاء ، وانشرحت قلوب الرعايا بكم ، والرخاء أمـــر لا يستطيع الملوك تكسّبه واستخلاصه ، كما يكتسبون العدل والجـــود والعطاء .

وقال السلطان :

وما الشكر ؟ « وقلت : » الشـــكر على ثلاثة أقسام :

شكر باللسان ، وشكر بالأركان ، وشـــكر بالجنان .

فشكر اللسان التحدث بالنعمة ، قال تعالى : واما بنعمة ربك فحدث » .

وشكر الأركان العمل بطاعة الله . قال تعالى : « اعملوا آل داود شكرا » .

وشكر الجنان الاعتراف بان الله وحـــده هو المنعم.قال تعالى : «وما بكم من نعمة فمن الله».

فقال السلطان : « وما الذى يصير به الشاكر شاكرا ؟

قلت : « اذا كان ذا علم فبالتبيين والارشاد ، واذا كان ذا غنى فبالبذل والايثار للعباد ، واذا كان ذا جاه فباظهار العدل فيهم ودفع الأضرار والانكار » .

قال ابن عطاء الله:« فسر بذلك غاية السرور.

بهذا الأسلوب الواضح المعبر المعتمد على الحكم والمنطق تحدث ابن عطاء الله عن الشكر للسلطان فاستطاع أن ينفذ الى قلبه وأن يستحوذ علـــى اعجابه .

أسلوب ابن عطاء فى كتابه « الحكم »

وأسلوب ابن عطاء الله فى الحكم لا يختلف عن هذا كثيرا ، بل لقد بلغ فيه الذروة القصوى من الابداع والتركيز والتحليل وشرح آداب الطريقة، فان له فيها منهجا خاصــا ، فهو لا يعنى بالمعنى وحده ولا بالأسلوب وحــده ، بل هو يعتقد ان للبيان سحرا خاصا ، لهذا كان يتخير الألفاظ ذات الجرس الخاص والنغم الموسيقى المؤثر ، ومـن هنا كان « لحكمه » ســحر يؤثر فى نفوس قارىء « الحكم » وسامعيه ، ولهذا ظل كتابه « الحكم » يقرأ قرونا طويلة فى الجامع الأزهر بالقاهرة وفى جامع « الزيتونة » بتونس،وفى جامعة «القرويين» بفاس .

واستمع اليه وهو يقول فى بعض حكمه :

« كيف يشرق قلبٌ صُوَرُ الأكوان منطبعة فى مرآته ؟

ام كيف يرحل الى الله وهو مكبَّل بشهواته ؟

ام كيف يطمع أن يدخل حضرة الله ، وهو لم يتطهَّر من جنابة غفلاته ؟

وانت تلاحظ عند قراءتك « لحكمه » ومؤلفاته الاخرى انه متأثر غاية التأثر باستاذه أبي العباس المرسى ، فهو يأتى بالحقيقة ثم يحللها ثم يشرحها ثم يكرر التعبير بأساليب وعبارات مختلفة ، ثم هو فى هذا كله يتخير اللفظ ذا الجرس الموسيقى المعبر المؤثر .

ثم هو أخيرا يراعى التدرج فى تفصيل أجزاء الحكمة أو الحقيقة التى يشرحها .

استمع الى هذه الحكمة الاخرى من حكمه :

« كيف يُتصوَّر أن يحجبه شيء وهو الذى اظهر كل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذى ظهر بكل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذى ظهر فى كل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذى ظهر لكل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهــو اظهر من كل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذى ليس معه شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب اليك من كل شيء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كـان وجود كل شيء ؟

جمع بين الشريعة والطريقة

وميزة أخرى كان يمتاز بها ابن عطاء الله عن غيره من المتصـوفة وذلــك انه لـم يدخـل الطريق الا بعد أن اتقن علوم الشريعة ، علـوم الظاهر ، ونبغ فيها ، ولهذا كان يعتز بهـذه المعرفة ، وان كان يخشى ان تمنعه من القربى الى شيخه وسلوك طريق المتصوفة . ومر فى اول امره بفترة قلقة وهو مضطرب النفس بين الطريقتين الى أن أخذ شيخه ابو العباس بيده وأفهمه انه يستطيع أن يجمع بين العلمين وأن يبرز فيهما جميعـا .

قال ابن عطاء الله :

« سمعت الطلبة يقولون : من صحب المشايخ لا يجيء منه فى العالم الظاهر شيء ، فشقَّ على ان يفوتني العلم وشق على ان تفوتنى صحبة الشيخ فجئت اليه فوجدته ياكل لحما بخل ، فقلت فى نفسى : ليت الشيخ يطعمنى لقمة من يده ؟ فما استممت الخاطر الا وقد وضع فى فمى لقمة من يده ، ثم قال : نحن اذا صحبنا تاجرا ما نقول له اترك تجارتك وتعال ، او صــاحب صنعة ما نقول له اترك صنعتك وتعال ، أو طالب علم ما نقول له اترك طلبك وتعال ، ولكن نقرُّ كلَّ واحد فيما اقامه الله تعالى فيه ، وما قسم له على آيدينا هو واصل اليه. وقد صحب الصحابةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قال لتاجر اترك تجارتك ، ولا لذى صنعة اترك صنعتك ، بل اقرهم على أسبابهم وأمرهم بتقوى اللــه فيهـا » .

وقال أيضا :

« دخلت يوما على الشـيخ ابى العباس وفى نفسى ترك الأسباب والتجرد وترك الاشتغال بالعلم الظاهر قائلا : ان الوصول الى الله لا يكون على

هذه الحالة ، فقال لي ــ من غير ان ابدى لــه شيئا ــ صحبني بِقُوصٍ انسان" يقال له ابن ناشر ، وكان مدرسا بها ونائب الحكم فيها ، فذاق من هذا الطريق شيئا على ايدينا،فقال يا سيدي: اترك ما انا فيه واتفرغ لصحبتك ؟ فقلت له : ليس الشان ذا ، ولكن امكث فيما اقامك الله ، وما قسم لك على ايدينا هو اليك واصل . ثم قال : هكذا شان الصدّيقين ، لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق هو الذى يتولى اخراجهم ، فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطـر من قلبي ، وكانها كانت ثوبا نزعته ، ورضيت عن الله فيما اقامني فيه .

ومر ابن عطاء الله بهذه الفترة القلقة وعـاد الهدوء الى نفسه منذ طمانه شيخه واستاذه ابو العباس بان يستطيع أن يجمع العلمين ، علـم الظاهر وعلم التصوف ، ولهذا حرص منذ تلك اللحظة على أن يحظى برعاية شيخه حتى يسير فى طريق الـسالكين الى نهايته ، روى انه قال مرة لبعض أصحاب الشيخ :

« أريد لو نظر الشيخ الى بعنايته وجعلني فى خاطره ، فقال ذلك للشيخ ، فلما دخلت عليـه قال : لا تطالبوا الشيخ بان تكونوا فى خاطره بل طالبوا انفسكم أن يكون الشيخ فى خاطركم ، فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده » .

قال ابن عطاء الله :

« ثم قال لي الشيخ : اى شيء تريد أن تكون ؟ والله ليكونن لك شان والله ليكونن لك شـان عظيم » .

ويعقب ابن عطاء الله على هذه الرواية بقوله :

« فكان من فضل الله سبحانه وتعالى ما لا ننكره » .

تحقق الصدارة لابن عطاء

ولما اختلف ابن عطاء الله فى شان نفسه أيظل فى دراسته لعلوم الشريعة والفقه أم ينطلق فى طريق التصوفة، كذلك اختلف تلاميذ الشيخ أبي العباس واتباعه فى شانه ، ولكن الشيخ جعل له الصدارة فى العلمين قال ابن عطاء الله :

اخبرنى سيدنا جمال الدين ولد الشيخ: قال : قلت للشيخ : هم يريدون أن يصدروا ابن عطاء الله فى الفقه ، فقال الشيخ : هم يصدرونه فى الفقه وانا أصدره فى التصوف . ثم دخلت عليه فقال لي : اذا عوفى الفقيه ناصر الدين (ابن المنيّر) يجلسك فى موضع جدك ، ويجلس الفقيه من ناحية ، وانا من ناحية ، وتتكلم ان شاء الله فى العلمين . فكان ما أخبر به .

وهكذا تحققت نبوءة الشيخ وأصبحت لابن عطاء الله الصدارة فى العلمين .

وآلت اليه رئاسة الطريقة بعد موت شيخه أبى العباس ، وأصبح له كرسى فى الجامع الأزهر يلقى منه دروسه فى الفقه والشريعة والتفسير وفى التصوف وآدابه . وكانت حلقات درسه تعج دائما بالمستمعين المعجبين ، فقد كانت لدروسـه ولأسلوبه فى الشرح حلاوة وتأثير على السـامعين .

وفاة ابن عطاء

وتوفى ابن عطاء الله فى القاهرة فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩م) ودفن بالقرافة الصغرى، وقبره معروف بها حتى اليوم .

وفى الاسكندرية مسجد منسوب اليه . وليس صحيحا انه دفن بهذا المسجد ، بل الصحيح انه دفن بالقاهرة . وقد حقق المرحوم محمد رمزى موضع قبره فى تعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة قـال :

« قبر ابن عطاء الله السكندرى لا يزال موجودا بجبانة سيدى علي أبي الوفاء الكائن تحت جبل المقطم من الجهة الشرقية لجبانة الامام الليث ».

مؤلفات ابن عطاء

ولابن عطاء الله مؤلفات كثيرة منها :

« التنوير فى أسقاط التدبير » .

« المرقى الى القدس الأبقى »

و « الحكم العطائية » .

و « مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح » .

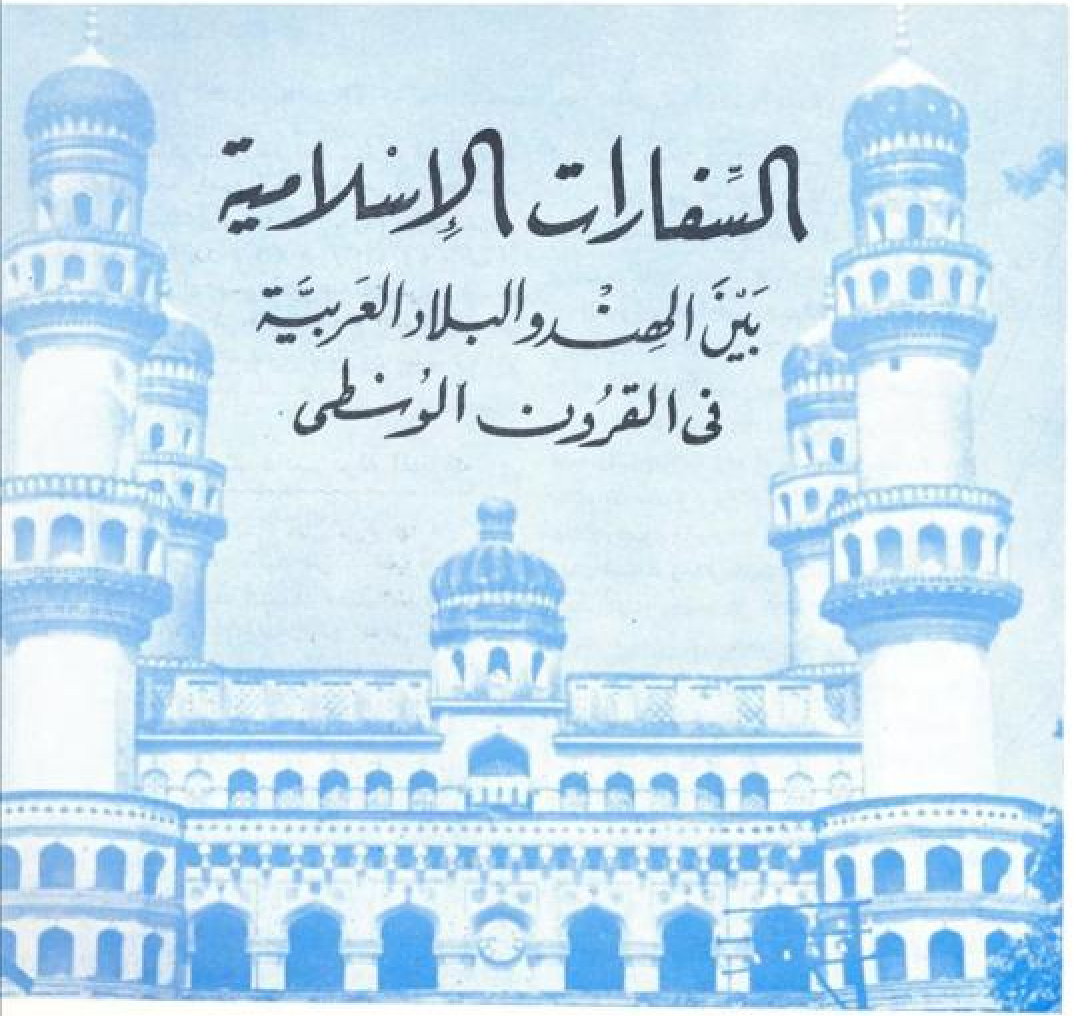
و « تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس » .

وغير ذلك .

ولعل أهمها كتابه « لطائف المنن فى مناقب أبى العباس المرسي وشيخه أبى الحسن » . فقـد رسم فيه صورة حية لشيخه ، وسجل الكثير من الحقائق عن الطريقة الشاذلية وعن التصـوف وآدابه بوجه عام . ■■

جمال الدين الشيال

السفارات الإسلامية
بين الهند والبلاد العربية في القرون الوسطى



بقلم : الدكتور محمد اسماعيل الندوى
استاذ اللغة الأردية بمدرسة الألسن العليا بالقاهرة

■ ظهر الاسلام فى الجزيرة العربية فاصبحت مدينة الرسول اول عاصمة اسلامية . ثم انتقلت هذه العاصمة بدورها الى دمشق مركز الأمويين . ولما سقطت الدولة الأموية اصبحت بغداد مركز الثقافة ومهد العلوم الاسلامية ، كما أصبحت قرطبة فى الأندلس فى هذه الايام مهد الحضارة ومنبع العلوم والفنون .

وناهيك عن دور مصر الاسلامية فى تقدم الحضارة الاسلامية ورفع شان العلوم الاسلامية بأجمعها .

وبهذا ظلت تلك العواصم الاسلامية تحمل راياتها وتلعب دورها الطليعي فى الحضارة الانسانية وثقافتها .

الهند والاسلام

كانت الهند من تلك البلدان الاسلامية التى انضمت الى الحظيرة الاسلامية فى دمشق

فى عهد الوليد بن عبد الملك سنة ١٣ هـ /٧١١ م. ثم زادت رقعتها رويدا رويدا من عصر محمــود ابن سبكتكين (٢٨٩ هـ / ٩٠١م) والســلطان محمد الغورى (٥٢٤ هـ /١١٢٩ م) ، الى أن قدر الله أن تصبح « دلهي » احدى عواصم الاسلام بعـد سـقوط معظم العواصم الاسلامية على أيدى التتار السفاكين الطغاة بين سنتى (٦١٦/ ٦٥٦هـ) واحدة بعد اخرى .

وفى الهند قامت دولة المماليك

وفى هـذه الفترة التى نؤرخ لها الآن قامت فى الهند دولة المماليك على يد قطب الدين ايبك ـ أحد مماليك السلطان محمد الغورى ـ سنة (٦٠٢هـ/١٢٠٦م.)ولما تولى العرش محمد بن تغلق سنة (٧٢٦هـ/١٣٣٥م) اتصلت الهنـد بالبلاد العربية اتصالا وثيقا لم يسبق له مثيل منذ عهد طويل .

جغرافيو العرب فى هذا العصر

وقبل ان نتحدث عن السفارات الاسلامية فى هذا العصر يحسن بنا أن نلقي نظرة عابرة على ما وصلت اليه الجغرافية العربية فى هذا العصر مما جعل البلاد الاسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا وتنتظم انتظاما متساويا متلاحقا فى سلك واحد .

صاحب كتاب مباهج الفكر

وقد نبغ فى هذا العصر من اعلام الجغرافيين العرب محمـد بن ابراهيـم الوطـواط الكتبـي الوراقى (المتوفى سنة ٧١٨ هـ) . والف كتابه الشهير فى الجغرافية « مباهج الفِكَر ومناهج العِبَر » . وكان هدفه من وراء تاليف هذا الكتاب جمع ما عرفه علماء العرب واليونان والسريان فى عصره فيما يختص بالارض والسماء .

النويرى صاحب كتاب نهاية الأرب

وشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب البكرى النُّوَيْرى (٦٧٧ هـ/٧٣٢ هـ ـ ١٢٧٩/١٣٣٢ م) الذى الف أشهر موسوعة فى الأدب والتاريـخ والجغرافيا وهى « نهاية الأرب فى فنون الأدب »

العمرى صاحب مسالك الابصار

وشهاب الدين احمد بن يحيى العُمَرى الدمشقى (٧٠٠/٧٤٩هـ ـ ١٣٠٠/١٣٤٨ م) مؤلف أشهر كتاب فى الجغرافيا وهو « مسالك الابصـار فى ممالك الأمصار » . وهذا الكتاب ينقسم الى عدة اقسام وفصول وأبواب . ولكن النوع الثانى الذى يحمل اسم « فى ذكر الممالك » أهم باب فى هذا الكتاب الذى يحتوى على طائفة كبيرة من المعلومات القيمة فيما يتعلق بالجغرافية واخبار الـدول الاسلامية مثـل الهند والسـند وممالك بيت جنكيزخان وآسيا الصـغرى ومصر والشـام والحجاز والعراق واليمن والحبشة والسودان ومملكة البربر وافريقيا ومراكش والاندلس .

جغرافيون غير مطوفين

رغم أن هؤلاء المؤلفين لم يطوفوا ولم يتجولوا عبر البلاد الاسلامية ، ولم يقوموا بجولات قط فى مختلف عواصمها ، الا انهم استطاعوا وصـف هذه البلدان وطبيعتها الفتانة وعجائبها وغرائبها ، مستمدين من المعارف التى وصلت اليهم بجهود السابقين والمعاصرين من اعلام التاريخ والجغرافية العرب وغيرهم . وهذه الظاهرة تدلنا اولا على معلوماتهم الوفيرة الغزيرة وشغفهم العميق وولوعهم البالغ فى العلوم والمعارف . وثانيا على شـدة الروابط والاتصال بين البلاد الاسلامية فى هذه العصور ، ولا سيما اذا قسنا التفاصيل التـى أوردها العُمَرى فيما يتعلق بالهند ، وبالاخص وصفه القيم الملكَ الهندى آنذاك وهو محمد بن تغلق وهوايته فى الصيد ومشاغله اليومية . ومما ذكر عنه العمرى أنه يُطعم على نفقته الخاصة كل

يوم أربعين فقيرا ويأتى فى نصيب كل واحد منهم ما يقرب من ٥ أرطال من القمح ودرهم نقدا » .

ابن بطوطة ، الجغرافى الرحالة

ولكن ابن بطوطة (وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجى المولود سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م)كان اخصهم ذكرا واكثرهم اهمية واعظمهم مكانة. قال فيه مستشرق روسى كبير : مهما اختلفت فيه الآراء فان من المستحيل الانكار انه كان آخر جغرافى عالمي من الناحية العلمية . أى انه لم يكن نقالا يعتمد على كتب الغير بل كان رحالة ، انتظم فى محيط أسفاره عدد كبير من الاقطار . وقد جاوز تجواله آلاف الأميال، فهو بهذا يعد منافسا خطيرا لمعاصره الأكبر منه سنا « ماركوبولو البندقي » .

وقد القى ابن بطوطة عصا رحلته من بلاده المغرب العربى الى مصر ومنها الى الحجاز والشام وبغداد واليمن وهرمز والبحرين وآسيا الصغرى والقسطنطينية وافغانستان والهند . ومن الهند الى الصين وبعدها الى ايران والعراق والشام ومصر والحجاز وأخيرا الى مراكش . فلما دخل الهند فى غرة المحرم من عام ٧٣٤هـ/١٢ سبتمبر ١٣٣٣ م حظى فى دلهى بمكانة كبيرة ونفوذ كبير لدى السلطان محمد بن تغلق الذى عينه فى منصب القضاء لمدة خمس سنوات . وفى تلك الأثناء جهز السلطان سفارة الى الصين كان من أعضائها ابن بطوطة .

ملوك الهند وحبهم للعرب والاسلام

كان السلطان محمد بن تغلق من اشهر الملوك قاطبه فى حبه للاسلام والعرب والعروبة وهذا الذى دعا الى أن يفد على بلاطه فى « دلهى » عاصمة الاسلام فى القرون الوسطى الاف من الكتاب والأدباء ورجال الفكر والدين من اقاصى البلاد الاسلامية ولا سيما من خراسان والعراق وما وراء النهر وخوارزم وسيستان وهرى ومصر ودمشق .قال المؤرخ الهندوكى « الاستاذ ايشورى برشاد » (أستاذ التاريخ بجامعة الله آباد فى الهند) : ان الملك كان يرحب بهؤلاء بصدر رحيب وحب بالغ وينزلهم منزلة مرموقة لديه ويغدق عليهم مما انعم الله عليه .

ومن اشهر هؤلاء كما ذكر ابن بطوطة ــ ناصر الدين الترمذى أشهر الدعاة والوعاظ ،وعبدالعزيز الاردويلى اشهر محدث وفقيه الذى تتلمذ على شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية وشمس الدين الذهبى . قال فيه ابن بطوطة قدم على السلطان فاحسن اليه وأكرمه واتفق يوما أنه سرد عليه احاديث فى كرم العباس (اى العباس بن عبدالمطلب) وابنه (اى عبد الله بن العباس) رضى الله عنهما وشيئا من مآثر الخلفاء وأولادهما فاعجب ذلك السلطان لحبه بنى العباس وقبل قدمى الفقيه وأمر أن يؤتى بصينية ذهب فيها ألف تنكة (نوع من العملة آنذاك) فصبها عليه بيده وقال هى لك مع الصينية .

وقد استطاع ابن بطوطة وصف هذا الملك وخدماته وانجازاته فى سبيل مجد بلاده عامة والاسلام خاصة أكثر من أى مؤرخ آخر بسبب اقامته فى بلاطه سنين عدة ومشاهدته اياه عن قرب وتسجيله كل المشاهد والانطباعات فيما يتعلق به وبحكمه فى هذه الاقامة الطويلة بين يدى السلطان .

جمع بين الدنيا والدين

وقد اشاد فيه ابن بطوطة اول ما اشاد بقوله :

« قد شهرت فى الناس حكايته فى الكرم والشجاعة وحكايته فى الفتك والبطش بذوى الجنايات .وهو أشد الناس مع ذلك تواضعا وأكثرهم اظهارا للعدل والحق . وشعائر الدين عنده محفوظة وله تشديد فى أمر الصلاة والعقوبة على تركها . وهو من الملوك الذين اطردت سعادتهم وخرق المعتاد يمن نقيبتهم ولكن الأغلب عليه الكرم . وسنذكر من

اخباره عجائب لم يسمع بمثلها عمن تقدمه . وأنا أشهد بالله وملائكته ورسله أن جميع ما انقله عنه من الكرم الخارق للعادة حق يقين وكفى بالله شهيدا » .

ومما يدل على كثرة الوفود العربية وبعثاتها في بلاطه موكب هذا الملك يوم العيد الذي كان يسير فيه الى المصلى ويلتف حوله من أعيان البلاد ومشاهيرهم الاف كما وصف ابن بطوطة : —

« ويركب قاضي القضاة صدر الجهان كمال الدين الغزنوي وقاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمي وسائر القضاة وكبار الأعزة من الخراسانيين والعراقيين والمصريين والمغاربة . كل واحد منهم على قدره . وجميع الغرباء عندهم يسمون الخراسانيين » .

هذه الوفود العربية وسفاراتها وحبه العميق المتزايد في الخلافة العباسية والعباسيين — كما ذكرنا نقلا عن ابن بطوطة — جعله يرتبط بهذه الخلافة ارتباطا وثيقا روحيا مع ان الخلافة العباسية في هذه الفترة فقدت أهميتها وضاع سلطانها ولم يبق لها الا اسم وظل فقط . كان الخليفة العباسي ابو العباس يقيم في مصر آنذاك . فبعث اليه السلطان — على حد قول ابن بطوطة — هدية وطلب منه ان يبعث له امر التقدمة على بلاد الهند والسند اعتقادا منه في الخلافة . فبعث اليه الخليفة ابو العباس بما طلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر ركن الدين . فلما قدم عليه بالغ في اكرامه وأعطاه عطاء جزيلا وكان يقوم له كلما دخل عليه ويعظمه .

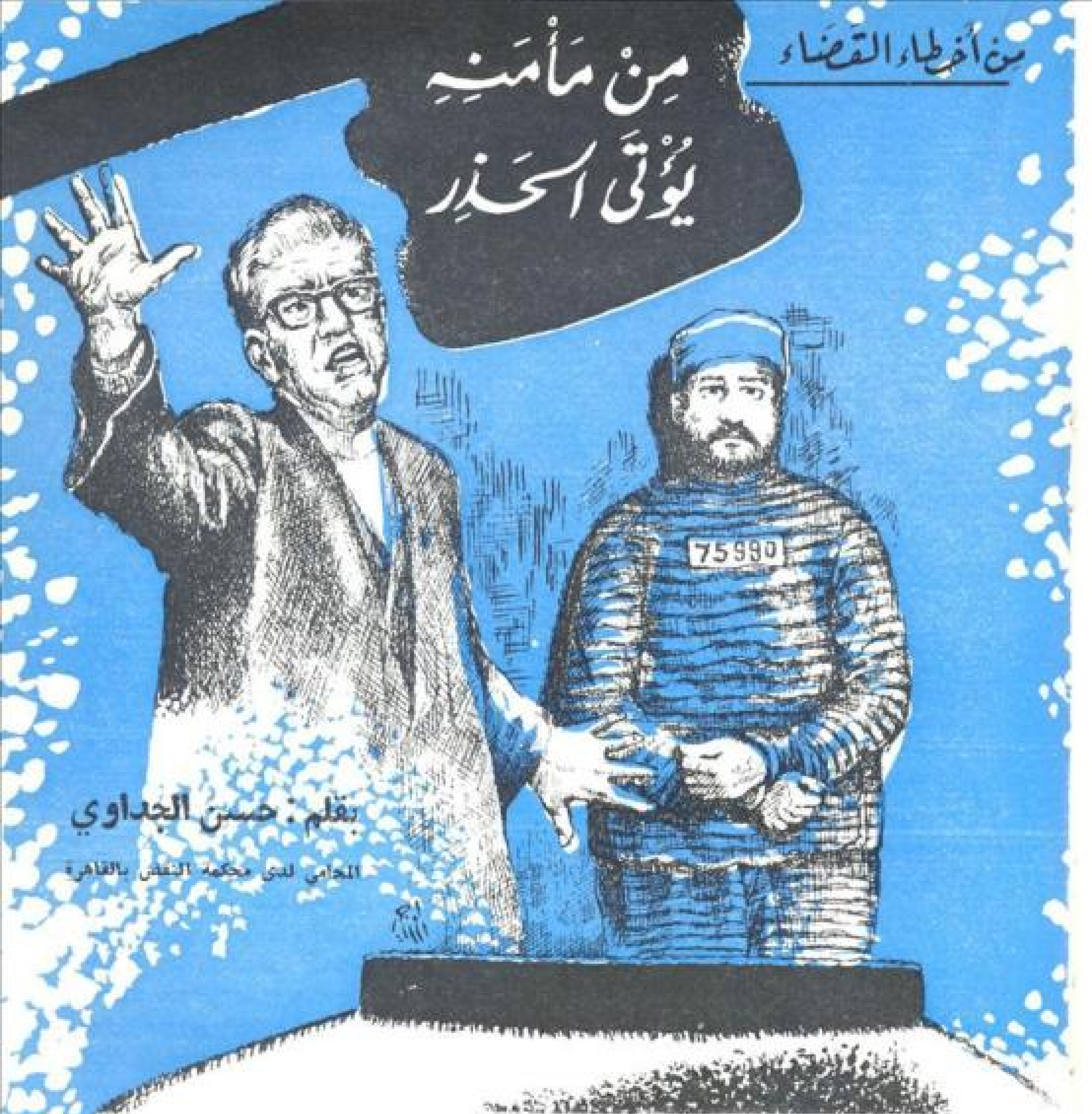
السلطان علاء الدين والامير غياث

ثم صادف في هذه الفترة أن قدم الامير غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز ابن الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي على السلطان علاء الدين ملك ما وراء النهر . فلما بلغه حب السلطان محمد بن تغلق للعباسيين والخلافة العباسية أراد الذهاب اليه والالتقاء به فبعث رسولين له أحدهما : صاحبه القديم — محمد بن أبي الشرقي الحرباوي — والثاني محمد الهمداني الصوفي . فلما وصل رسولاه الى السلطان أعطاهما الف دينار وبعث معهما ثلاثين الف دينار الى غياث الدين ليتزود بها اليه . وكتب له خطابا بخط يده يعظمه فيه ويسأل منه القدوم عليه . فلما وصله الكتاب رحل اليه ، فلما وصل الى بلاد السند وكتب المخبرون بقدومه بعث السلطان من يستقبله كالمعتاد . ولما وصل الى سرستي بعث أيضا لاستقباله صدر الجهان قاضي القضاة كمال الدين الغزنوي وجماعة من الفقهاء . ثم بعث الأمراء لاستقباله . فلما نزل بمسعود آباد خارج الحضرة خرج السلطان بنفسه لاستقباله . فلما التقيا ترجل غياث الدين فترجل له السلطان . وكان قد استصحب معه هدية في جملتها ثياب . فأخذ السلطان احد الأثواب وجعله على كتفه وخدم كما يفعل الناس معه . ثم خدمت الخيل فأخذ السلطان أحدها بيده وقدمها له وحلف أن يركب وأمسك بركابه حتى ركب . ثم ركب السلطان وسايره والشجرة تظلهما معا . وأخذ التنبول بيده وأعطاه اياه . وهذا أعظم ما اكرمه به . فانه لا يفعله مع أحد . وقال له : لولا اني بايعت الخليفة ابا العباس لبايعتك . فقال له غياث الدين وانا أيضا على تلك البيعة . وقال له غياث الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحيا أرضا مواتا فهي له » وانت أحييتنا فجاوبه السلطان بألطف جواب وأبره » .

وبهذا زادت العلاقات والروابط بين الهند الاسلامية والبلاد العربية في المجالات الأدبية والثقافية والسياسية مدى العصور وكثرت البعثات والوفود والسفارات بينهما . ■■

محمد أسماعيل الندوي

من مأمنه يؤتى الحذر



بقلم : حسن الجداوي

المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ نحن الآن فى شهر مارس من عام ١٩٢٤ ، وفى ضاحية من ضواحي نيويورك تعرف بجزيرة ستاتن . ومع أن تلك الجزيرة جزء من مدينة نيويورك الا أنها أشبه بقرية صغيرة يعرف أهلها بعضهم البعض ويتحدثون عن دخائل كل واحد منهم شأن سكان القرى .

واحد سكان تلك الضاحية ، واسمه هارى هوفمان ، رجل قصير وبدين بجبوح شأن كل شخص بدين يعمل فى احدى دور السينما . وهو فى الثانية والثلاثين من عمره . متزوج سعيد بزوجته وبابنتيه الصغيرتين .

وذات يوم بدا هوفمان يتصفح جريدتهالصباحية فاذا به يتوقف عند اعلان من البوليس يطلب الارشاد عن شخص متهم بالاعتداء على سيدة

تدعى بووير وقتلها فى ممر يدعى ممر العشاق بالغابة المحيطة بالقرية .

وكانت الاوصاف التى نشرها البوليس عن القاتل الذى يبحثون عنه انه « اسمر . رمادى الشعر . يرتدى قبعة ومعطفا رماديين . يضع نظارة اطارها من الصدف على عينيه . يملك سيارة فورد ليموزين سوداء ويحمل مسدس كولت عيار ٢٥ر. » .

واستولى الهلع على هوفمان فهذه الاوصاف كلها تنطبق عليه . وزاد من هلعه انه كان قد قرأ قبل ذلك بأيام قلائل ، ان شخصا يدعى فرنك كان قد اتهم بتهمة مماثلة فهجم عليه الجمهور وقتلوه ثم تبين بعد عشر سنين انه كان بريئا ، وحكم على القاتل الحقيقي .

هداه خوفه ــ والخوف مشير سيىء ــ الى انه يجب أن يعد لنفسه دفاعا محكما ليثبت براءته من تلك الجريمة التى لم يرتكبها .

انه ، بحكم انه كان نائب عمدة ، يحمل مسدسا من نفس العيار الذى قتلت به مدام بووير . لذلك بادر بارساله الى أخيه المقيم فى كاليفورنيا وكتب له يقول « اذا سئلت عن هذا المسدس فقل انه عندك من ثلاثة أسابيع سابقة » .

★ ★ ★

كان الذى حدث ان السيدة بووير كانت تقود سيارتها، والى جوارها ابنتها ووالدتها ، وانحرفت بسيارتها فى الطريق ففرزت عجلتين منها ولم تستطع متابعة السير ، فتركت السيارة طلبا لنجدة . ورأتها والدتها تركب سيارة فورد يقودها رجل بالاوصاف التى ذكرها البوليس . وبعد نصف ساعة عثر على جثتها ، واثبت التحقيق أن اعتداء وقع عليها قبل قتلها .

واثار هذا الاعتداء الشنيع سكان القرية، وجدّ البوليس فى البحث ، وتبيّن ــ كما تبين هوفمان ــ أن اوصاف الجانى تنطبق على صاحبنا فاوفد اليه المفتش واجنر يستجوبه .

قال له المفتش واجنر وهو يحاوره انه شوهد بجوار المكان الذى عثر فيه على جثة السيدة بووير وان فتاة تدعى بربارا قد تعرفت عليه من صورته الفوتوغرافية . فانكر .

ثم ذكره البوليس بأن لديه رخصة مسدس من مقاس المسدس الذى ارتكب به الحادث ، فقال انه اعطى مسدسه لاخيه قبل تاريخ الحادث بعدة اسابيع ولكن البوليس لم يأخذ هذه الاجابة مسلمة ، وارسل يسأل الاخ عن تاريخ وصول المسدس اليه ، فحدّد تاريخا بعد الجريمة بثلاثة ايام . وزاد الطين بلة انه حين أخرج المسدس ليسلمه للبوليس لم يكن قد استبعد خطاب أخيه فكان هذا دليلا جديدا ضد هوفمان .

واخذ المفتش واجنر يضيق الخناق على هوفمان . سأله كيف أمضى وقته يوم الحادث فقال انه ذهب الى مانهاتن لمقابلة وكيل أعماله ، ولكن هذا الأخير قال انه لا يذكر انه رآه فى ذلك التاريخ .

وقال هوفمان انه تناول الغداء فى ذلك اليوم فى مطعم صينى ، ولكن أحدا من الخدم الصينيين فى ذلك المطعم لا يذكر انه رآه . ولما نوقش ان كان قد قابل أحدا من معارفه وهو يمر بالمعدّية بين مانهاتن وجزيرة ستاتن لم يستطع ذكر احد .. وقال هوفمان كمن تذكر أمرا كان قد نسيه انه ذهب الى المسرح الذى يعمل فيه فى الساعة الثالثة والنصف وبقى يتحدث الى زميل له فى العمل يدعى ريس باركر الى الساعة الرابعة والنصف ، ولو صح لثبتت براءته اذ ان الجريمة ارتكبت فى هذا الوقت .

ولما سأل مفتش البوليس باركر هذا قال انه كان يتحدث الى هوفمان بعد ارتكاب الحادث ونشر اوصاف المتهم فى الصحف ، وأن هوفمان كان متوتر الاعصاب لأن الاوصاف تنطبق عليه . وذكر له انه جلس بمكتب وكيل اعماله ، وانه تغدى فى مطعم صينى ، وانه ركب المعدية دون أن يقابل احدا . وذكر أن البوليس يستجوب جميع الجيران عن صاحب سيارة فورد وطلب اليه أن يقول اذا سأله البوليس ان هوفمان كان معه فى وقت ارتكاب الجريمة. وقال باركر الذى لم يكن يتصور أن صديقه البدين يمكن ان يهاجم امرأة انه مستعد أن يقرر ذلك . ولكنه حين سمع أن هوفمان يحمل مسدسا من نفس العيار ، وانه أرسل المسدس لأخيه بعد الجريمة مباشرة ، ايقن انه من الجائز أن يكون هوفمان قد ارتكب الجريمة فعلا ولم يشأ أن يساعده على الافلات .

وانكر هوفمان انه اقترب من ممر العشاق حيث اكتشفت الجثة ولكن عاملا بالمسرح اسمه هوبتيت شهد بأن هوفمان قبل الحادث ببضعة أيام سأله ان كان يعرف طريقا مهجورا يستطيع ان يذهب اليه مع احدى الفتيات فارشده الى ذلك الممر الذى اطلقت عليه الصحف ـ عقب اكتشاف الحادث ـ اسم طريق العشاق .

ولم يقف حماس المفتش واجنر عند هـذا الحد فقد اتى بفلاح آخر اسمه ادكنز يقول انه ركب مرة مع هوفمان فى سيارته وانهما مرا من ذلك الطريق .

وازداد حرج موقف هوفمان حين اكد خبير السلاح ان الرصاصتين اللتين اخرجتا من جسم القتيلة اطلقتا من مسدس هوفمان . وكذلك حين تقدم جندى الوردية بعد شهر من الحادث يؤكد انه كان فى طريقه الى منزله حين رأى سيارة فورد سوداء تقترب منه بسرعة عشرين ميلا فى الساعة ولم تتوقف ولكنه استطاع أن ينظر الى وجه السائق وتأكد انه هوفمان وأكد انه لا يمكن أن يكون قد اخطأ .

كذلك ثبت أن هوفمان بعد الحادث باسبوع قد طلب من أحد الناس أن يغير له لون سيارته كما ثبت ان عنده نظارة اطارها من الصدف .

وترافع المدعى العام ضده بقوة وحماس . حقا ان احدا لم يره وهو يعتدى على الضحية او وهو يطلق النار عليها ، ولكن الظروف كلها تشير اليه ، فكل تصرفاته بعد الجريمة تدينه ، ولم يشهد تاريخ القضاء انسانا بريئا يبذل كل هذا الجهد لاثبات براءته الا أن يكون قد ارتكب الجريمة ، ان احساسه بالجرم هو الذى تابعه من وقت أن قتل ضحيته . وطلب المدعى العام أن يحكم عليه بالاعدام .

★ ★ ★

وحين نطق رئيس المحلفين بقرارهم بالادانة لم يكن فى قاعة الجلسة كلها من شك فى صحة القرار. ولما نطق القاضى بالعقوبة وهي عشرون سنة أو مدى الحياة أشغالا شاقة اعتقد الحاضرون أن العدالة لم تنل حقها من مجرم عات أثيم ، ولم يعر احد منهم التفاتا للمتهم وهو يصيح بالمدعى العام ـ وهم يقودونه الى السجن «اذهب» واقتسم المكافأة مع شهودك الكذَبة » .

★ ★ ★

كان الحكم الذى صدر موضع استغراب من الجميع . فاما المحلفون والقاضى فكأنى بهم قد قالوا لممثل الاتهام « اننا واثقون من صحة كل ما وجهته لهذا الرجل من اتهام ولكن يوجد احتمال صغير جدا أن يكون هذا الرجل بريئا . لذلك نكتفى بسجنه عشرين سنة » .

واما الصحافة فقد انتقدت الحكم أمرّ انتقاد لأنها بعد أن سممت الجو ضد المتهم ساءها ان يفلت من كرسى الاعدام . واما سكان جزيرة ستاتن الذين كانوا يعتبرون هوفمان انسانا عاديا هادئا وزوجا سعيدا وابا حنونا ، ولم يكونوا يتصورون انه يستطيع أن يرتكب جريمة قتل دجاجة لا قتل امرأة بعد الاعتداء عليها ، فقد اخذوا يتحدثون عن المظاهر الخداعة . وعن أن « الساهي تحته دواهي » وانه «الميّة تحت تبِنْ» الى غير ذلك من امثال هذه الأقوال المأثورة ونفضوا أيديهم منه .

★ ★ ★

ولكن زملاء المتهم فى العمل كانوا مؤمنين ببراءته. لذلك جمعوا مبلغا من المال وعهدوا الى محام قدير لكي يتولى الدفاع عنه . واكتشف المحامى عيبا قانونيا فى الحكم . ذلك أن المحلفين ادانوا هوفمان على اعتبار انه قتل السيدة اثناء الاعتداء عليها ، ولم تكن لديه نية القتل ، بينما التهمة التى وجهت اليه انه تعمد قتلها . وعلى هذا الاساس أعيدت المحاكمة .

ويأبى حظ هوفمان السيىء الا أن يسقط محاميه اثناء المحاكمة بنوبة قلبية لا ينهض منها ، فتوقف المحاكمة ثم تعاد الاجراءات للمرة الثالثة . ولكن المحلفين لا يصلون الى قرار فى شأنه . فلا هم ادانوه ولا هم برأوه وهكذا قضى على آخر أمل لهوفمان . فقد نفدت الاموال التى جمعها له زملاؤه ولم يعد فى مقدوره أن يصرف على محاكمة رابعة . .

حتى زوجته يئست فاستصدرت حكما ضده بالطلاق ووضعت ابنتيه فى ملجأ وتزوجت غيره .

واظلمت الدنيا في وجهه واصبح السجين رقم ٧٥٩٩٠ بسجن سنج سنج الرهيب .

★ ★ ★

ولكنه أبى أن يستسلم . لقد امضى من العقوبة المحكوم عليه بها خمس سنوات ، وأصبحنا في عام ١٩٢٩ . وحدثه زملاؤه في السجن عن نجم جديد ظهر في عالم المحاماة . وبين اليأس والرجاء كتب اليه الخطاب الآتي ولعله لم يأمل أبدا أن يرد عليه .

سيدي . أكتب لك النداء الاخير من انسان يائس . انني لم اتشرف بمعرفتك شخصيا وانت طبعا لا تعرفني . لقد اتهمت بجريمة قتل انا بريء منها . وحكم علي بالاشغال الشاقة عشرين سنة بسنج سنج . ولقد جاهدت خمس سنوات لاسترداد حريتي . وجمع أصدقائي مالا للدفاع عني ولكنه نفد . فهل تساعدني ؟

★ ★ ★

واستجاب المحامي لهذا النداء ، وذهب الى هوفمان في سجنه وهو يعتقد انه واحد من اولئك المجرمين الذين يدعون أنهم أبرياء . ولكنه بعد أن استمع الى أقواله أيقن انه لم يحاكم محاكمة عادلة . وقابل المحامي المدعى العام وكان لا يزال هو الذي حاكم هوفمان وأبدى له شكوكه ، ووافق المدعى العام على الفور انه اذا أقر هوفمان بأنه مذنب اكتفى المدعى العام بطلب عقوبة تعادل المدة التي قضاها في السجن .

★ ★ ★

وعاد المحامي الى هوفمان وشرح له النتيجة التي وصل اليها والخطر الذي يتعرض له اذا أصر على أن يحاكم للمرة الرابعة طالبا البراءة . ذلك أن القانون الامريكي لا يأخذ بالقاعدة التي تأخذ بها القوانين الأخرى من أن المتهم لا يضار بمعارضته أو استئنافه وأنه يعرض نفسه لصدور حكم عليه بالاعدام . ولكن هوفمان أصر على أن يحاكم وقال : « اما أن تثبت براءتي لأني بريء أو أعدم بريئا » .

★ ★ ★

وفي ٦ مايو سنة ١٩٢٩ بدأت محاكمة هوفمان للمرة الرابعة .

كان المحامي قد درس أوراق المحاكمتين السابقتين التي بلغت عدد صفحاتها ٣٦٠٠.. صفحة وعدد كلماتها ثلاثة أرباع المليون كلمة . وتبين مواطن الضعف فيها .

بدأت المحاكمة باختيار المحلفين. ذلك أن من حق الاتهام كما هو من حق الدفاع استبعاد بعض المحلفين دون ابداء الأسباب . وذلك بأن يوجه لهم أسئلة تكشف عن نواياهم مع أو ضد الاتهام . وكان محامي هوفمان يوجه للمحلفين سؤالا واحدا لا يتغير . « هل تعرف هوراشيو شاريت ؟ » ، فاذا أبدى المحلف دهشته قال المحامي «انه شقيق كليتون شاريت أحد الزعماء السياسيين بجزيرة ستاتن » .

وبدأ ممثل الاتهام يتململ ويحتد ويعارض بشدة ولكن المحامي طلب منه في هدوء أن يوجه اعتراضه للمحكمة .

وافتتح محامي الدفاع دفاعه بأن الاتهام في المحاكمات السابقة تعمد أن يخفي عن المحكمة وقائع لو عرفت لأدت الى براءة هوفمان . وأدى ذلك الى هياج ممثل الاتهام حتى انه قال في مقدمته انه سيدعو الى منصة الشهود هوراشيو شاريت لتثبت انه ليس هو الذي قتل السيدة بووير برغم تلميحات الدفاع .

وقال محامي الدفاع « انني لا أوجه أي اتهام لشاريت وان كان قد رئي بجوار الجريمة بعد ارتكابها بفترة قصيرة وأن أوصافه تتفق مع أوصاف الشخص الذي ركبت السيدة بووير عربته الفورد وانه تصرف تصرفات تدعو للريبة » .

واعترض ممثل الاتهام على ذلك وأقره القاضي على اعتراضه ، ولكن الدفاع قد حقق أول انتصار له فقد بذر بذرة الشك في عقول المحلفين وبدأوا يتساءلون من يكون ترى هذا الشاريت وما صلته بالجريمة ؟

★ ★ ★

كان محامي هوفمان يعرف أن أمامه صعوبات يجب التغلب عليها أو اضعافها لامكان هدم الاتهام الموجه لموكله . أهمها :

أولا : استعراف الفتاة بربارا وعسكري الدورية .

ثانيا : اقناع المحلفين بأن الشاهدين هويتيت وادكنز كاذبان .

ثالثا : التدليل على أن خبير السلاح قد اخطأ حين أكد أن الرصاصتين قد اطلقتا من مسدس هوفمان .

رابعا : اقناع المحلفين أن تصرفات هوفمان عقب ظهور الجريمة ترجع الى ما أصابه من هلع لا الى انه مذنب .

★ ★ ★

بدأ المحامى يستجوب الفتاة بربارا التى كانت قد بلغت الثامنة عشرة وقت ادائها الشهادة اثناء المحاكمة الأولى فاظهر الاستجواب أنها لا تذكر اسم المدرسة التى كانت تتردد عليها واسم الشارع الذى به المدرسة ولا عدد غرف منزلها . وبعد أن اظهر للمحلفين أنها محدودة الذكاء وجه اليهـا السؤال الآتى :

س : حين كنت بنقطة البوليس وجاءوا بهوفمان بصحبة المفتش واجنر وسألك المفتش « هل هذا هو الرجل ؟ »

هل كانت اجابتك « لا . ليس هذا الرجل » ؟

ج : « نعم »

س : وجيء بهوفمان الى الغرفة للمرة الثانية فقلت مرة أخرى انه ليس الرجل .

ج : « نعم » .

وشرح المحامى ان بربارا لم تتعرف على هوفمان الا بعد أن رأت صوره فى الجرائد وبعد عـــدة مقابلات مع مفتش البوليس واجنر وغيره من رجال التحقيق ، وبذلك قضى على شهادتها .

★ ★ ★

ثم جاء دور شرطى الدورية ماك كورماك فظهر من استجوابه انه لم يتقدم بشهادته الا فى ٢٥ ابريل أى بعد ارتكاب الحادث بشهر ، مع أن البوليس كان جادا فى البحث . وبيّن المحامى أن هذا الاستعراف جاء بايحاء من ممثل الاتهـام ، وبعد أن أعلن عن جائزة كبيرة لمن يرشد عن القاتل واصر الشاهد على أن ممثل الاتهام لم يبعثـه للاستعراف فدلل المحامى من أوراق التحقيق أن هذا يغاير أقواله السابقة واضطر ممثل الاتهام ان يسلم بان شاهده هذا يكذب فى أقواله الآن.

★ ★ ★

ثم استجوب هويتيت فاثبت الدفــاع سبق الحكم عليه بجريمة سرقة وبجريمة التلصص على سيدة اثناء خلعها لملابسها .

س ـ هل كنت فى الشارع وكانت هى بمنزلها ؟

ج ـ نعم

واعترف هويتيت انه لم يدل بأقواله بخصوص طلب هوفمان منه مكانا منعزلا يأخذ اليه فتاة الا بعد اتهامه بجريمة التلصص ووعد البوليس اياه بالافراج عنه . وهو ما حدث .

اما الشاهد ادكنز فلم يتطلب القضاء على شهادته الا سؤالا واحدا من المحامى :

س : هل تذكر المسطرة السوداء الكبيرة التى كانت على مكتب المدعى العام سنة ١٩٢٤ .

ج : (بصوت مرتفع) « نعم » لقد ضربنى بها المدعى العام حين رفضت أن أغير شهادتى بخصوص نظارة هوفمان ذات الاطار من الصدف .

وتبين انه شهد بأنه رأى تلك النظارة معلقة فى غرفة ملابس هوفمان بالمسرح فى وقت ارتكاب الجريمة وكان قد ثبت أن هوفمان لا يملك الا هذه النظارة واخرى بغير اطار .

وهكذا انهار أساسان من أسس الاتهـــــام . الاستعراف وشهادة شاهدين خطيرين .

★ ★ ★

واحس ممثل الاتهام ان الدفاع يريد أن يوجه الاتهام الى هوراشيو شاربت ، فاراد ان يقطع عليه خط الرجعة فاستدعى شاهدا هو روبرت فرجسون . وكان محامى الدفاع يعلم أن هذا الشاهد كان قد وقف بسيارته قريبا من مكان ارتكاب الجريمة، وانه اخبر رئيسه انه شاهد سيارة تمر من هناك وكان يقودها شاربت ، ولكنه عدل عن هذا القول بعد ذلك . فوجه اليه المحامى السؤال الآتى :

س : الم تمر لمدة أسابيع بعد الحادث أن

الذي كان يقود السيارة هو هوراشيو شاريت ؟

ج ـ ظننت انني رأيته .

س : ألم تبلغ المخبر لويس في الليلة التالية لارتكاب الجريمة أنك رأيت شاريت ؟

ج : حدث .

وجاء الدفاع بكونستابل من راكبي الموتوسيكلات كان قد رأى شاريت يمر بسيارته قريبا من ممر الشاق فاستوقفه وابلغه عن جريمة قتل مدام بووير ، ووجه اليه المحامي سؤالا واحدا .

س : هل فتشت شاريت للبحث عن مسدس ؟

ج ـ : لا .

وضيق المحامي حلقة الاستجواب حول مفتش البوليس واجبر حتى حصل منه على الرد الآتي :

س : هل قال لك المدعي العام انه استجوب مستر شاريت وأنه لا شبهة عليه ؟

ج ـ نعم .

س : هل قال لك المدعي العام أن تدع شاريت وشأنه لانه مقتنع بأنه لا غبار عليه ؟

ج : نعم .

وهنا سأل المدعي العام محامي الدفاع ان كان يقصد أن شاريت هو الذي ارتكب الجريمة ، فقال له « انني لا أزعم ذلك ولكن الذي اقوله انك لثقتك في شاريت ولصداقتك له لم تحقق معه بالدقة التي كانت تتطلبها ظروف الحادث » .

★ ★ ★

وبدأت أنظار المحلفين تبتعد عن هوفمان وتتجه نحو شاريت الذي ادخله الدفاع بمهارة فائقة في الصورة مما حمل ممثل الاتهام الى استدعائه كشاهد . وتصور كل من بالقاعة أن محامي الدفاع سيشتد في استجوابه ، ولكن الدفاع اكتفى بان اثبت في اجابات شاريت انه صديق للمدعي العام منذ اكثر من عشرين سنة ، وانه مر بسيارته بقرب مكان الحادث ، وانها سيارة فورد سوداء كالتي يملكها هوفمان .

★ ★ ★

ولكن كان لا يزال هناك توكيد خبير الأسلحة ان الرصاصتين اللتين استخرجتا من جثة القتيلة اطلقتا من مسدس هوفمان . وكان الدفاع يعلم أنه لا يكفي في دحض هذا الدليل الفني ان يأتي بتقرير استشاري ضده .

فاستدعى خبيرين آخرين اطلقا خمسين طلقة من مسدس هوفمان وظهر أن العلامات التي بالطلقات تختلف عن العلامات التي بالرصاصتين المستخرجتين من الجثة . ولكن الدفاع لم يكتف بذلك بل جاء بمكرسكوب وطلب من المحلفين ان يروا بأعينهم ذلك الخلاف .

واصبحت العقبة الوحيدة في طريق براءة هوفمان هو تعليل رعونته في تصرفاته . ولكن امر ذلك صار هينا بعد أن تخطت القضية جميع العقبات السابقة . لقد كانت كلها تصرفات انسان تسلط عليه الوهم بأنه سيشنق مظلوما فلم يعد يعي ما يفعل .

★ ★ ★

وصدر قرار المحلفين ببراءة هوفمان بعد ان امضى ستين شهرا في عذاب اليم وجهاد مستمر ، وعاد الى عمله في الشركة التي كان يعمل بها بفضل ثقة زملائه به ومهارة محاميه وتعلم درسا دفع ثمنه غاليا . وهو أن « الصدق منج » وأن « حبل الكذب قصير » . ■■

حسن الجداوي

فصـــل العمامة

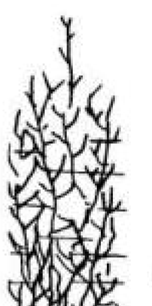
● ذكرت العمامة عند ابي الأسود الدؤلي فقال : « جنة في الحرب ، ودثار في البرد ، وكنة في الحر ، ووقار في النادي ، وشرف في الأحدوثة ، وزيادة في القامة ، وهي عادة من عادات العـرب » .

مذكّرات بَحّار

للشاعر : محمد الفايز

وصرختُ : عندي (١) . وانتفضتُ . وأبرقتْ كل العيونْ
كشموع أقبية المناجم كالجروح الداميات :
قمــــر (٢) صغير .
في عشه الفضيّ أمسِكُه . وصاح بي الصحاب :
طوباكَ . وانتفض الرئيس (٣) كمن يحاذر أن تذوب
من نار عيني : إنه يوم جميل
قال الرئيس. وراح يُشبع ناظريه ورحتُ أسأل أيُّ جيدٍ يافلان
ستشبع فيه قِلادةٌ حملت عذابي في البحار ؟
وذكَرت ، ليلى، عندما انتفضتْ ضلوعي كالحمامة في الصباح
حتى أكاد أشم رائحة الضفيرة والوشاح
ورطوبة البئر المُثَرثِرِ حين تُلقى دلوَها عند المساء .
طار الخيــال
بضلوعي الظمأى وأقدامي تُقرّحها الحبالْ .
وكأن سرا في البحار
مازلت أجهله ويفهمه القراصنةُ الكبارْ
الباحثون عن المحارْ
وعن اللآلى والجواهر للنساء الأخرياتْ .
وككف عفريتٍ تُمدُّ من العُبابْ
أبصرت صاريةً (٤) تكاد تطير . وابتسم الصحاب
عاد الغراب
وضحكت من غبن . وغنى بعضنا : ليت النساءْ
اللابسات لآلئ البحّار قد ذقن العذابْ
ومرارةَ الدنيا كزوجته الحزينـــة . (٥)







في بيتها الطيني حالمة وحيدة
سيعود ثانية بلؤلؤة فريدة
يا جارتي سيعود بحاري المغامر
سيعود من دنيا المخاطر .
ولسوف تغرقني هداياه الكثيرة
العطر ، والأحجار ، والماء المعطر ، والبخور
ولقاؤه لما يعود . كأنه بدر البدور .
وشعرتُ بالحقد اللذيذ على الحياة ، على الجميع ،على المدينة .
و « كَنخفرع » في أرضِ مصرَ ، وفي الصباح ،
جلس « الرئيس » يمصُ غليونا ويسعل في رياء كالملوك : —
هذا هو « الطواش » (٦) والكيس الكبير
كيس النقود . وكالغراب
يعلو ويهبط في سفينتنا الحزينة . والجميع
يتساءلون — بكم يبيع ؟
وكفأرتين
عيناى تندسان في ثوب الرئيس تفتشان



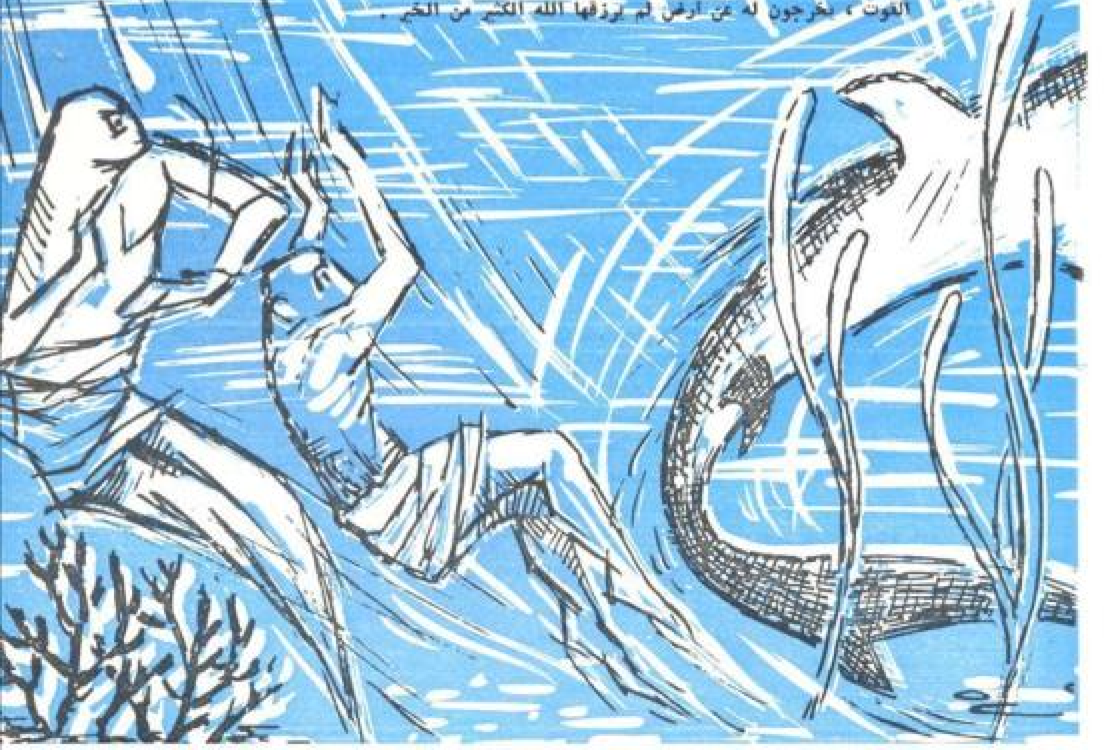


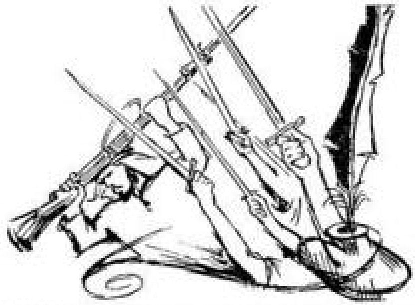
عن خرقة حمراء (٦) تحجب ضوء لؤلؤة عجيبه
تحلو على صدر الحبيبه
وسمعت دندنة النقود وضحكةً كصرير بابْ :
خذْها فأسواق الهنـــود
هيهات تملك مثلها . وكغيمة سوداء تلعنها الجرار
شقت سفينتُنا العُباب وغاب « طواشُ البحار »
كاللص في وضح النهار .
والأرض تَشْتُم من بعيد : يابحـــار
مازلتِ مثلي ترزحين بكل عبء . والسماء
خرساء صامتة تطل على الجميع بلا حياء (٨)

الكويت ـــ **محمد الفايز**

---

(١) عندى : كانوا يفلقون المحار فى الفجر بينما يجلس الرئيس فى مكان مشرف على الجميع ومن عاداتهم ان يهتف من يعثر على لؤلؤة بكلمة : عندى
(٢) يشير الى لؤلؤة عثر هو عليها . (٣) الرئيس قائد السفينة
(٤) هي صارية السفينة، سفينة الطواش تاجر اللؤلؤ، يأتى ليساوم فى شرائه.
(٥) زوجة البحار الذى تركها وركب البحر يبحث عن الرزق .
(٦) الطواش : تاجر اللؤلؤ . يتقفى سفن الغواصين قديما لشراء اللؤلؤ .
(٧) كانوا يضعون اللؤلؤ فى خرقة حمراء بعد ان يخرجوها من المحار .
(٨) اى بلا حياء مما ترى من الجهود المرهقة التى يبذلها البحارون لكسب القوت ، يخرجون له عن ارض لم يرزقها الله الكثير من الخير .





الشاعر الثائر

الشيخ محمد باقر الشبيبي

بقلم : عبد الرزاق الهلالي

المصرف الزراعي ـ بغداد

■ نقدم لقراء « العربي » الغراء ، في هذا العدد لمحة مختصرة عن حياة شاعر كبير من شعراء العراق الذين تركوا لهم في تاريخ العراق الحديث صفحات لامعة في مختلف مجالات الحياة ، ذاك هو المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي . وها نحن اولا ، نختصر تلك الحياة الحافلة بجلائل المواقف والأعمال في هذه الصفحات المعدودات .

اسرة آل الشبيبي

من الأسر العربية المعروفة في العراق ، ترجع في اصولها الى قبيلة بني اسد ، القبيلة العربية المشهورة التي كانت بعض افخاذها قد اتخذت من (البطائح) في لواء المنتفق مقرا لسكناها حيث لا تزال فيها حتى يومنا هذا .

الشيخ محمد بن الشيخ شبيب

وكان احد ابناء هذه الأسرة ، وهو الشيخ محمد ابن الشيخ شبيب ، قد وفد الى النجف الاشرف من تلك الديار طلبا للعلم والدراسة والتحصيل ، حتى اذا اكمل تحصيله وصار من ذوى الفضل والعلم والمكانة سافر الى (الشطرة) احدى حواضر المنتفق ، وهناك تزوج احدى كريمات (الشيخ صادق آل اطيمش) الذى كانت له رئاسة في تلك الاصقاع ، كما كانت له فيها مزارع وضياع كبيرة .

ونظرا لبعض الظروف القاهرة اضطر هذا الشيخ محمد الى مغادرة تلك المدينة قاصدا بغداد وذلك في عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) . وهناك في مدينة السلام ولد ابنه (جواد) ، غير انه لم يَسعد بهذا الوليد الجديد ، اذ توفى الله الشيخ بعد ولادته بأيام معدودات . فلم تجد ارملته بدا من التوجه الى النجف ثم العودة بعدها مع وليدها الى الشطرة بناء على امر والدها . وبرعاية ذلك الجد الحنون وعنايته .

الشيخ جواد آل شبيب

نشأ ذلك الطفل اليتيم (جواد) حتى اذا بلغ الخامسة عشرة من عمره فجع بوفاة جده لأمه ، فاضطر لمغادرة تلك المدينة قاصدا النجف ومنها الى بغداد . الا انه استقر به المقام اخيرا في النجف حيث اكمل تحصيله وواصل دراسته ، فاذا



(الشيخ جواد آل شبيب) بسبب نشأته في بيت جده ، المعروف بالفضل والعلم ، قد اصبح مسوقا الى الأدب منظومه ومنثوره ، حتى بات مـن الشهرة بحيث لا يذكر اسم الأدب بجميع فنونه الا وكانت له من المناسبة ما تجعل الاتصال به وثيقا . وبات في الرعيل الأول من الأدباء الموهوبين والعباقرة المتفوقين بين كتاب العرب وشعرائهـم الكبار (١) .

وقد رزق هذا الشيخ الكبير رحمه الله بستة أولاد كرام ذاعت شـهرة اكثرهم في شتى اقطار العروبة بسبب ما تركوا من صفحات نيرة في سجل الكفاح الوطني والقومي ، وعلى راسهم ابنه الكبير العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي حفظه الله ، وابناه الآخران اللذان توفاهما الله قبل سنوات وهما المرحومان الشيخ محمد باقر الشبيبي والحاج محمد جعفر الشبيبي .

الشيخ محمد باقر الشبيبي

هو ثاني انجـال المغفور له الشـيخ جواد الشبيبي . ولد في النجف الأشرف عام ١٣٠٨ هـ، فلما نمـا عوده ، وبلغ مبلغ الصبيان بدأ بقراءة القرآن الكريم والكتابة ، وحذق شيئا من الحساب وحسن الخط . ثم لما اصبح فتى يافعا سلك مسلك لداته واقرانه من ابناء الأسر النجفية الأخرى وراح يدرس (مقدمات العلوم) حسب اصطلاح الدراسة في النجف آنذاك .

وعندما تخرج فيها وبات (شيخا) من شيوخ الشباب انصرف الى معالجة قضايا الشعر والأدب بروح الشاب المتوثب في تلك المدينة التي راحت آنذاك تتململ ضد الحكم العثماني ، وبات ابناؤها يتطلعون الى غد أفضل وعيش أمثل ، ولسان حال كل واحد منهم في تلك المدينة المقدسة يقول مـا قاله احدهم وهو المرحوم الشيخ علي الشرقي :

ومـا بلـد ضـمّني سـجنه
ولكنـــه قفـص البلبــل
تــرف جناحاه لـم يستطع
مطـــارا فيفحص بالأرجـل
لقـد أقفلوا بـاب آمـاله
فحـام عـلى بـابه المقفـل

بداية الانطلاق

حقا لقد حام الشيخ محمـد باقر حول ذلك الباب المقفل ، ولكنه استطاع أن يفلت من بيـن قضبان ذلك القفص وينطلق الى آفاق أوسـع ، واذا هذا الشاب الهادىء الوديع تعتمل في نفسه عوامل ثورة جامحة ضد أوضاع تلك الحياة الجامدة وضد تسلط الحكم العثماني البغيض ، ثم تنعكس فيما بعد بما نظم من شـعر وما كتب من مقالات وأبحاث نشرتها له كثير من مجلات وصحف العراق والبلاد العربية الأخرى قبيل الحرب العالميـة الأولى .

الآلوسي الخبير ...

ويبلغ به البرَم والثورة على الحكم العثماني حدا لم يستطع معه الا ان ينشر قصيدة ثائرة في احدى صحف بغداد عام ١٩١١ ، يهاجم بها اولئكم الموظفين العرب الذين ارتضوا البقـاء في خدمة دولة الترك ، على الرغم من تنكرها لاماني الأمـة العربية وتنكيلها بالأحرار من ابنائها ، وكان البيت الذي قاله فيه ..

أأبنـاء هـذا الشرق تعسـا لشركم
امـا فيكـم الا ابنُ خالـة غمـر

كان هذا البيت سببا في اقامة (دعوى) ضده

---

١ ــ أعيان الشيعة ج ١٧ السيد محسن الأمين العاملي . دمشق ١٩٤٥ .

من قبل السلطة العثمانية ، بحجة انه قد طعن فى شرف أمهات هؤلاء الموظفين ومس كرامتهم !.

وبناء على طلب المحكمة ورغبتها فى حضور خبير بالشعر يفسر لها ما قصده الشاعر فقد انتخب العلامة الكبير المغفور له الاستاذ محمود شكرى الالوسي لهذا الغرض . وهناك فى قاعة المحكمة راح هذا العلامة الجليل يرد عن الشاعر الشاب ما ذهب اليه الخصوم ، بما راح يستشهد به من أبيات الشعر العربى ، وختم رأيه هذا مستشهدا بقوله تعالى « ضرب الله مثلا للذين كفروا ، امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين » ثم قال حاشا لله أن تكون نساء الأنبياء بالزنى. فالمقصود (بالخيانة) هنا مخالفة الأمر ليس غير . وعلى هذا فالشاعر لم يقصد بقوله (الا ابن خائنة) الا ابن (المخالفة للامر) لا (الزانية) كما يتوهم البعض!!

وهكذا وبهذا الرأى القاطع أغلقت أول قضية اقيمت فى المحاكم ضد هذا الشاعر الثائر !!

فى ساحات النضال ..

ثم اندفع هذا الشاعر الشاب بكليته مع غيره من أحرار البلاد فى ساحات النضال الوطني منذ أن بدأت تباشير الخلاص من الحكم العثمانى تلوح فى الافق القريب ، حتى اذا اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ونزلت القوات الانكليزية فى البصرة لطرد القوات العثمانية من العراق ، استبشر هو وغيره من احرار العراق بهذه الحرب التي ستساعدهم على الخلاص من ذلك الحكم الذى جثم على صدورهم أربعة قرون أو تزيد . ومما زاد فى اندفاعهم للعمل بجد واخلاص البلاغ (الانكليزى - الفرنسى) الذى أذيع يوم ١٩١٨/١١/٨ ، وادعوا فيه تأسيس حكومات وادارات وطنية ، وما كانوا يعلمون ما بيتته لهم الحلفاء فى الخفاء . ثم لما تكشفت لهم تلك النوايا وانتهت بوضع العراق تحت الانتداب البريطانى ، راح الشيخ محمد باقر الشبيبى واخوانه من المناضلين يعملون بكل جد ونشاط لاحباط خطط السلطة المحتلة ، واتفقت كلمتهم على تشكيل جمعية سرية هى (جمعية حرس الاستقلال) للعمل على استقلال البلاد استقلالا تاما والسعي لضم العراق تحت لواء الوحدة العربية وافساد خطط الاستعمار البريطانى . وقد كللت جهودهم بالنجاح اذ استطاعوا ان يوحدوا كلمة الامة فى الثورة على قوات الاحتلال البريطانى عام ١٩٢٠ .

الصحافى الثائر

ولما أخذت السلطة البريطانية المحتلة تنكل بالأحرار وتزج بهم بالسجون وتنفى بعض القادة منهم الى (هنجام) كانت نذر ثورة دامية على هذه السلطة الغاشمة تلوح فى الافق . حتى اذا حل يوم ٣٠ حزيران ١٩٢٠ اندلعت رصاصة الثورة من (الرميثة) فكانت الشرارة الأولى لتلك الثورة الوطنية . وفى هذا الوقت سارع الشيخ محمد باقر الى عاصمة الثورة (النجف الأشرف) ليقوم باصدار مناشير يومية ينشر فيها أخبار الثورة وأحداثها ، ثم بصدر بعد ذلك جريدة (الفرات) ، فبدت كما قال المرحوم (رفائيل بطي) (١) أشبه شيء بصاحبها ، تكتب بدم القلب لا بحبر القلم ، وحصرت بحثها فى الشؤون السياسية وكتابة المقالات الاستفزازية واذاعة الخطب التى تلقى فى محافل الثورة ! وان من يطالع المقالات التى كتبها هذا الصحافى الثائر فى الاعداد الخمسة ، (وهى كل الاعداد التى أصدرتها جريدته خلال تلك الثورة الوطنية الكبرى) ، يلمس صدق الشاعر الوطنية وقوة الاندفاع فى سبيل الحرية والاستقلال .

فى ظل الحكم الوطنى

ولما انتهت الثورة العراقية بمثل ما انتهت به . ومن ثم قيام الملكية فى العراق وتأليف المجلس التاسيسى لوضع الدستور وابرام المعاهدة مع بريطانيا ، ظن كثير من المخلصين ان الامور ستسير نحو الأحسن ، وان البلاد ستنال على أيدى أبنائها الذين سيتولون شؤونها كل تقدم وخير وفلاح ! الا ان هذه الامال خابت اذ ظل الانكليز هم الحكام الحقيقيين للعراق يصرفون شؤونه وسياسته حسبما يريدون .

ويصبح الاستاذ الشيخ محمد باقر الشبيبى فى بداية هذا العهد عضوا فى المجلس النيابى ، وتمر

---

١ - الصحافة فى العراق ، القاهرة ١٩٥٥

به الاحداث ويقف عن كثب على الاعيب السياسية البريطانية التي عقدت بها معاهداتها مع العراق ، فاذا به في مقدمة رجال المعارضة دفاعا عن حقوق البلاد وقدرة على مقارعة المفرطين بمصالح الامة بما وهبه الله من ملكة في الشعر وموهبة في الخطابة وقدرة على الكتابة . فلا عجب ان حفظت له سجلات الكفاح الوطني في العراق صفحات مليئة بالمفاخر والامجاد ، فقد صارع الاستعمار واذنابه ، وحارب الطغاة والحكام المستبدين ودافع عن حق العامل والفلاح وندد بالظلم والظالمين دون ان يخشى في الحق لومة لائم !

الشاعر الثائر

وسنحاول في هذه الصفحات أن نقدم للقارىء الكريم نماذج من شعر هذا السياسي العربي الكبير لا سيما تلك القصائد التي بدا فيها معبرا عن آمال الشعب وأمانيه ومصورا فيها وضع البلاد وحقيقة الحكم الوطني في تلك الحقبة من الزمن .

الشبيبي والمستر كراين

وفي مقدمة قصائده السياسية التي لا يزال صداها يرن في الاذان تلك القصيدة الوطنية الرائعة التي استقبل بها صديق العرب المعروف (المستر جارلس كراين Charles R. Crain) عندما احتفل بقدومه الى العراق عام ١٩٢٩ حيث قال ...

حقا تقوم لك البلاد وتقعد
وتشيد باسمك يا وفي وتنشد
هذي البلاد على كآبة حالها
تشدو بمقدم ضيفها وتغرد
كل البلاد من القيود تحررت
الا العراق الحر فهو مقيد
واحرتاه على العراق يسوده
عهد بموجبه يذل السيد

ثم يقول :

قالوا استقلت في العراق حكومة
فضحكت اذ قالوا ولم يتأكدوا
أحكومة والاستشارة ربها ؟
أحكومة فيها المشاور يعبد ؟
المستشار هو الذي شرب الطلا (١)
فعلام يا هذا الوزير تعربد ؟

وقد ذهب هذا البيت مذهب الأمثال وسرى بين الشعب مسرى النار بالهشيم لانه يمثل حقيقة الحكم الوطني في العراق انذاك !

الشبيبي ومعاهدة ١٩٣٠

ثم تعقد حكومة السيد نوري السعيد معاهدة عام ١٩٣٠ ، وتقف البلاد ضد هذه المعاهدة الجائرة ، وكان الشيخ محمد باقر الشبيبي في مقدمة الرجال الذين حملوا لواء المعارضة ضدها ، وقد سجل رأي الشعب فيها حين قال بعد عودة المندوب السامي (السير همفريز Francis Humphrys) الى بغداد ...

هل في حقيبته شيء من الأمل
ام المزيجان من سم ومن عسل ؟

ثم يندد بعاقدي تلك المعاهدة قائلا :

شلت يد وقعت عمدا معاهدة
صيغت من الظلم واشتقت من الحيل
صيغت بلندن اطواقا وأسورة
من الحديد وان كانت من الجمل
قالوا عشية خطتها أناملهم
هذي هي الخطوة الكبرى الى الامل

وبعد أن يبدي أسفه الذي هو أسف أبناء الشعب جميعا يتساءل قائلا :

من للبلاد ؟ الا نفس مشرقة
كشافة لظلام الحادث الجلل
ما أكبر الفرق شعب بات متكلا
على الزمان ، وشعب غير متكل
شتان هذا يهاب الموت من وكل
وآخر غير هياب ولا وكل
تأبى العروبة أن تبلى كرامتنا
وأن تعد عداد الشاة والابل

الشبيبي العربي الأصل

وان من يقرأ ما خلفه لنا هذا الشاعر العربي الكريم من قصائد ومقالات وخطب ، نظمها أو كتبها او القاها في مختلف المواقف والمناسبات القومية والوطنية يشعر بطغيان المشاعر العربية الاصيلة في نفس هذا العربي ويلمس اندفاعه القوي في قيام دولة الوحدة بين أقطار العروبة ، وان النماذج التي سنقدمها للقارىء ستوضح له حقيقة هذه

---

١ ــ الخمر

المشاعر التي أعرب عنها منذ أكثر من ثلاثين عاما ، أيام كانت الدعوة الى هذا الهدف العربى النبيل أشبه ما تكون بالدعوة الى حلم جميل . ولا نريد في هذا البحث أن نثبت ما جاء في خطبه تحت قبة البرلمان ، أو في مقالاته الكثيرة التى ندد بها بالمفرقين والدساسين وفضح بها الاعيب المستعمرين والعاملين على بذر بذور التفرقة بين ابناء الأمة العربية الكريمة ، بل سنكتفي بذكر ما جاء في بعض قصائده من هذه المشاعر القومية الصادقة .

يا ناشد الوحدة !

عندما احتفلت دمشق بذكرى مرور الف عام على وفاة شاعر العرب الأكبر (المتنبى) نظم الشيخ محمد باقر الشبيبى قصيدة بهذه المناسبة ، اعرب فيها عن مشاعره نحو هذا الشاعر العربى الخالد ، وتمنى أن تكون (الكوفة) بلده الاصلي ، اسبق من (جلّق)(١) في هذا التكريم . ومما جاء فيها قوله :

حق على الكوفة تسبق الطلب
وتستعيد بالمساعى ما ذهب
ما انفردت جلّق فى تكريمها
مذ نهضت سابقة لما وجب
فالنسب العريق ذلك النسب
والسبب الوثيق ذلك السبب
فقل لهم بغداد أخت جلّق
وقل لهم « أم الربيعين »(٢) حلب
ولا تقل تَشطر ان قد تجاوزا
بل اسرة يجمعها جدّ وأب
يا ناشد الوحدة ما أوضحها
فى وحدة الدم ووحدة النسب !!

الشبيبى والاوطان العربية

وفي قصيدته الرائعة التى نظمها في ذكرى الاربعين لوفاة المغفور له والده ، لم ينس تلك المشاعر بل قال :

غدت هذه الاوطان وهى مَهيضة
تخبّط يعروها من الهم ما يعرو
دعوتُ لها أن تستقل بأمرها
وتصبح لا نهىٌ عليها ولا أمر
وحذّرتها ان تُستباح طليقة
وأن يتولاها ليرهقها الأسر
مُنىً لك شاءت أن تنال حقوقها
دِمَشق وان تحظى بآمالها مصر
وكنتُ اذا مرّتْ بلبنان هزّة
هتفتُ ليحيا الأرز وليسلم الثغر
مواطن يؤذينا تفرّق شملها
ويزعجنا ، شطرٌ هنا وهنا شطرُ
تقرّبنا من بعضنا وتلفّنا
وشائجُ من عمر الزمان لها عمر
وما فصّلتْ بين القلوب حواجز
أقيمت ولم يقدر على فصلها البحر
اذا بذروا البغضاء جاء حصادهم
هشيما فما اجدى ولا نفع البذر !!

أبو كلثوم الوفدى

ولعل كثيرا من أدباء العروبة يتذكرون المقال الأدبى الطريف الذى نشره في مجلة الرسالة القاهرية المغفور له الدكتور زكى مبارك في شهر ديسمبر من عام ١٩٣٩ بهذا العنوان . ففى ذلك المقال بين للقراء من هو (أبو كلثوم الوفدى) وقال انه (الاخ العزيز الاستاذ محمد باقر الشبيبى أحد الشعراء المجيدين في العراق) .

فلماذا لقبه بهذا اللقب الذى أحبه كثيرا ويسره أن يلقب به ؟؟

لقبه بعد أن لمس فيه ناحيتين هامتين فهو (وفدى) لانه كان حقا وصدقا من أشياع حزب الوفد المصرى يهفو اليه كل حين ..

وهو (أبو كلثوم) لانه مفتون كل الفتون بأغاريد أم كلثوم . وقد أورد له في ذلك المقال الطريف قصيدتيه المشهورتين الأولى،قصيدته في (امكلثوم) التى نظمها عندما جاءت الى بغداد عام ١٩٣٢ ، والثانية قصيدته في الرد على القصيدة التى ألقاها الدكتور زكى مبارك نفسه في اجتماع (نادى القلم العراقى)في الرستمية عام ١٩٣٨ . وها نحن أولا ننشر بعض ما جاء في تينك القصيدتين ..

---

١ — جلق موضع في جنوب سوريا حشد فيه البيزنطون جيشهم قبل حربهم مع العرب في أجنادين عام ٦٣٤ م . والكاتب قصد به دمشق وسوريا في الاحتفال بالمتنبي .

٢ — ام الربيعين هى مدينة (الموصل) في العراق .

ام كلثوم

هَـلاً أيتُهـا الغـادة
تغنّي لـي على العـاده

* * *

تطلّعـتُ الـى الجـو
وقلبـي دائـم الخفَـق
فأبصرتـك فـي السرب
وشاهدتك فـي الافـق
فمـن سـوّاك كالطيـر
ومـن أنت مـن الخَلْـق
أمـن عائلـة البلبـل
ام مـن مجمـع الـوُرْق

* * *

هنيئـا لـك بغـدادُ
فهـذى أمُّ كلثـوم
مـن الغيـد الاعاريب
أتتنـا لا مـن الـروم
لقـد أحيـت لياليـك
بتغـريـد وترنيـم
فمـذرا فرحـةُ النفس
اذا قصّـر تكريمـي

* * *

أطِلّـي بنـتَ فرعـون
عـلى المسـرح والملعـبْ
ورقـا ربّـةَ الصـون
بأحشـائـي أن تنهـبْ
فأنـت الكاعـبُ الـرُّودُ
فمـا الظبـيُ ومـا الرَّبْرَبُ !
خـذى روحـي الـى مصـر
فمصـرُ وطنـي الاقـرب !

* * *

سلي قلبـي عـن الحـب
فقـد ذاب مـن الوجـد
وكـم لاب عـلى الـروض
وكـم حـام عـلى الـورد
سليني شـاحب اللـون
لمـن سـهد الـى سـهد
خـذى قلبـي للوفـد
فانـي فـي الهـوى وفـدى !!

وفاء بعهدى

اما قصيدته التي نظمها جوابا على قصيدة الدكتور زكي مبارك والتي عنوانها (من جحيم الظلم في القاهرة الى سعير الوجد في بغداد) والتي مطلعها :

وفدت على بغـدادَ والقلبُ مُوجَع
فهل فرّجت كربي وهـل أبرات دائي

فقد القاها الشبيبي في اجتماع نادي القلم العراقي في حديقتـه المطلة على نهر دجلة حيث قال :

وفـاء بعهـدي أو نزولا عـلى وعـدي
وقفتُ أحيّي معشـري وبني ودي
وقفت أحيي عصـبة عربيـة
بها نستبين الرشـدَ حقا ونستهدي
فاهـلا بكم في روضـة الحب والصفا
واهـلا بكـم عنـد المرة أو عندي
وهيّمني في الرُستمية شـاعر
به مثل ما بي من حنين ومن سهد
وذكّرني عهـد الصبا في نشـيده
سلام على عهـد الصبا في رُبَى نجد
هـواهُ عـلى اجراف دِجلة وافـد
واما هوى قلبي فللنيـل والوفد !!

الى ان يقول :

صريع الغواني لا تلمنـي فانني
صريع أغاني أمُّ كلثـوم لا دَعْـدِ
سلام عـلى تلك الاغاريـد انهـا
اغاريـد من وحي الصبابة والوجد

الشبيبي والمراة

ويمكن اعتبار الشيخ محمد باقر الشبيبي في مقدمة الكتاب والشعراء العراقيين الذين نادوا بانصاف المراة ومنحها حقوقها في التعلم ومسايرة تطور الحياة ، فقد نشر مقـالا بعنوان (المراة المسلمة والتربية) في الجزء العاشر من مجلة (لغة العرب) البغدادية الصادرة في شهر نيسان عام ١٩١٣ ، طالب فيه بتهذيب المراة وتعليمها وهاجم أولئك المتشدقين الواقفين حجر عثرة في سبيل كل خطوة اصلاحية في ذلك العهد ، فكان لمقالته هذه رد فعل كبير في ذلك المجتمع المتزمت الجامد !!

الشبيبي شـاعر الحزن والرثاء

ان من يقف على ما خلف لنا هذا الشاعر الكبير من قصائد ومقطوعات شعرية يجد ان القصائد

التي نظمها باكيا راثيا تتمثل بها الاصالة والاجادة والابداع ، ولعل مرد ذلك ما كان يحيط بحياته من شعور الياس والحزن والأسى نتيجة عوامل شتى ، فقد كان رجلا غير سعيد ، ولا يمكن لمن تجهز بمثل أعصابه أن يكون سعيدا . فقد كانت(١) (أعصابه ملتهبة، وكانت مخيلته متفجرة واسعة، فهو في حالة نفسية خاصة نشأت من عدم تكافؤ رغباته مع الواقع الذي يجد نفسه فيه ، ومن ذلك واقع وطنه الضعيف الحبيس . وهذا الاختلال سبب له اضطراب حياته وانعدام نصيبه من السعادة التي يرجوها ويتوقعها كل انسان لنفسه، فكيف اذا ما كان برهافة حس فقيدنا الباقر) .

ونورد فيما يلي نموذجين من ذلك الشعر الحزين :

في رثاء أمير الشعراء

وفي الحفلة التابينية التي اقامتها دار المعلمين الابتدائية بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاة امير الشعراء المغفور له أحمد شوقي ، وقف الشيخ محمد باقر الشبيبي يقول :

عجيبٌ أن يغيّبك الترابُ
ودونك أيها القمر السحابُ
فليت الحامليك دَرَوا يقينا
بمن ذهبوا هناك وكيف آبوا
سَرَوا يتخبطون وانت نور
وقد تاهوا وانت لهم شهاب
تدافعت الصدور على سرير
تكيّفه المناكب والرقاب

الى أن يقول :

وحلق في السماء وما درينا
أنعشٌ حين حلّقَ أم عقابُ
مصائبنا اذا عدّدت شتى
وأعظم ما دهى هذا المصاب
أراك سكتّ يا بحر القوافي
فأين هديرُ موجك والعُبابُ

في رثاء أبيه

وفي قصيدته التي انشدها في (نادي القلم العراقي) عام ١٩٤٤ راثيا بها المغفور له والده الشيخ جواد الشبيبي قال :

اذكراك أم هذي القيامةُ والحشرُ
فدَيناكَ هل انت الفقيدُ أم الذكرُ؟
أبي كيف استوحي الرثاء مفكرا
فمعذرة ان خانني الوحي والفكر
يقولون أبِّنْهُ بشعرك انه
بلد له من فيك أن يُنشَد الشعرُ
سانشده من مقلتيَّ قصيدة
برغم القوافي انها أدمعٌ حُمْر
واسكب احشائي عليه من الأسى
نشيدا واحشائي اذا سُكبت جَمْر
دعاني واسماني فقبلت ثغره
وودع بالايماء وابتسم الثغر

ثم ينهي قصيدته هذه قائلا :

أبي انت انشأت الحياة فليتها
تعود وفي آفاقها يطلع الفجر
أبي أنت ميراث العراق وذُخره
اذا ذُكر الميراث أو حُفظ الذكر
وعى ذمةَ الأجيال صدرُك واسعا
ففي ذمة التاريخ ما ضمّه الصدر

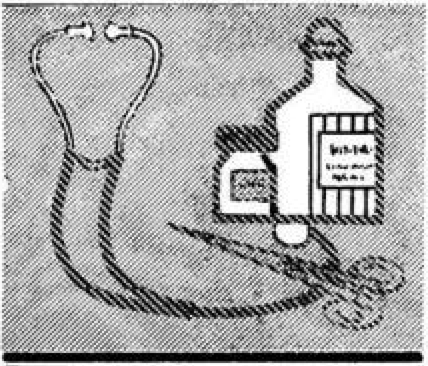
آخر الصفحات

ولقد شاءت ارادة الله تعالى أن يسدل الستار على حياة هذا الشاعر الثائر والشخصية العربية الفذة ، اذ توفاه الله يوم ٧ حزيران ١٩٦٠ اثر مرض عضال ذاك هو (مرض الربو) الذي لازمه اكثر من عشرين عاما ، فتركت وفاته في نفوس الكثيرين من محبي أدبه ومقدري فضله ووطنيته وجهاده ، موجة من الحزن والالم، فقد كان رحمه الله ثائرا جريئا وصحافيا ثائرا وسياسيا بارزا ومعارضا صعبا ، ترك له في سجلات الكفاح القومي والوطني صفحات نيرة مليئة بالمحامد والمفاخر ، كشفنا في ما مر من الصفحات عن جوانب لامعة من حياة هذه الشخصية الكريمة . ونحن اذ نسأله تعالى أن يتغمد المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي بواسع رحمته ، ونرجو أن نكون قد وفقنا بتعريف القارىء العربي الكريم بهذا الشاعر الثائر وهذا الذي نريد .. ■■

بغداد ــ عبد الرزاق الهلالي

---

(١) من مقال للأستاذ خالد الدرة عن هذا الشاعر الكبير نشره في مجلته (الوادي) في عددها الصادر يوم ١٨/٦/١٩٦٠ بمناسبة وفاته .



طبيب الأسرة

أنا مصاب بفقر دمي

● أرسلني الطبيب بعد فحصه اياي الى المختبر ، لفحص الدم ، وتقدير مقدار الصبغة الحمراء التي به ، زعما بان عندي فقرا فيه ، فما هو المقدار الذي يجب ان تهبط اليه هذه الصبغة ليكون عند الانسان فقر دم ؟

ـ قبل ان تسأن عن صبغة الدم ،يجب ان تذكر من اى شيء يتألف الدم . وعلى الاخص يجب ان تذكر انه يتألف اجمالا من خلايا حمراء ، احيانا تسمى بالكرات الحمراء ، هي وحدها التي تكون فيها صبغة الدم الحمراء ، ثم من خلايا بيضاء ، ومن سائل يعرف بالبلازما ، كذلك يجب ان تعرف أن عمل الخلايا الحمراء حمل اكسجين التنفس الى خلايا الجسم لأكسدة الأطعمة التي يحملها الدم اليها ، وأن الخلايا البيضاء خفراء على الجسم تشتبك مع كل غريب يدخله للدفاع عنه .

وفقر الدم يتصل اساسا بالكرات الحمراء وما تحمل من صبغة حمراء .

والتحليل فى المختبر يُعنى اولا بتقدير هذه الصبغة المسماة بالهيمجلوبين وهي تظهر فى نتيجة التحليل مقدرة بالجرام فى كل مائة سنتى مكعب من الدم . ومقدارها فى الشخص السليم يختلف بين الذكر والانثى ، ويختلف قليلا باختلاف السن .

فاذا زاد مقدار الصبغة عن ١٧ جراما فى المائة ، دل ذلك ، لا على فقر فى الدم ، ولكن على غنى هو المرض بعينه ، مرض كثرة هذه الكرات Polycythemia وله اسباب لا ندخل فيها الآن ، ونحن نقصر حديثنا على فقر الدم .

السرطان والرحم

● نصحتني صديقة جاءت من الخارج ان اجرى كل عام فحصا يكشف عن اصابة الرحم بالسرطان أو عن سلامته ، وتقول ان ذلك ما تصنعه النساء فى الغرب . فهل أطلب لنفسي هذا الفحص واطلبه كل عام ؟

ـ صديقتك لا بد عادت من كندا ، او من امة من أمم الغرب تقتدي بها . ففي كندا تجرى النساء فحص الرحم كل عام ، عملا روتينيا . فيأخذ الفاحص خلية من خلايا عنق الرحم ينظرها بالمجهر فيتبين منها ، باكرا ، أن كان أصاب الرحم سرطان أو لم يصب . ومع البكور يسهل علاج السرطان .

ولكن فى هذه الحالة لا بد من الاستمرار فى هذا الفحص سنويا

وهذا يجرى فى أمم الغرب فى مراكز خاصة به . وكثير من مستشفياتهم انشأت هذه المراكز لهذا الفحص خاصة .

وإذا قل مقدار الصبغة عن ١٢ جراما فى المائة سنتى المكعبة ، فذلك فقر الدم. فاذا نقص المقدار عن ٨ جرامات فمعنى ذلك ان انسجة الجسم لا تنال حاجتها من الاكسجين كاملة ، وعندئذ يقضى الطبيب بتقليل نشاط المريض . فان نقص المقدار الى ٤ جاز ان يتوقف القلب ، وعندئذ لا يكون للمريض مكان غير الفراش .

على ان فقر الدم ، صنوف ، وله اسباب عدة ، تتطلب فحوصا للدم فى المختبر اخرى .

الوقوف على الرأس

●● سمعت من بعض الأصدقاء، لا سيما الهنود ، ان وقوف المرء على راسه ، مقلوبا على الارض ، خمس دقائق كل يوم ، يفيد صحة الانسان فى عمومها ، وعلى الاخص دورته الدموية . فهل هذا صحيح ؟

ــ هذا واحد من التمارين الرياضية المعروفة بـ « اليوجو » ، وهو تمرين لا شك طيب ، يعطى الصحة ، ويعطى القوة . ولكنه يضرُّ بك ان كنت كهلا .

البيض ، كم هو بين الاغذية ؟

● هل يمكنك ان تحدثنا عن البيض من الوجهة الغذائية ؟ انهم يقولون انه غذاء كامل ، فهل هذا صحيح ؟ انهم يصفونه للاطفال الرضع حتى فى الشهر الثانى .

ــ اما أن البيض غذاء كامل . فدليل ذلك أن البيضة ، لو دفأناها اياما عشرين او نحوها من بعد خروجها من الدجاجة لاستحالت الى كتكوت (فرُوج) . اذن ففيها كل الغذاء الذى تحتاجه الحياة ، على الاقل الذى تحتاجه صناعة كتكوت.

والبيضة بداخلها نطفة صغيرة جدا هي فى لغة العلم «البيضة» حقا وصدقا. وهي خلية صغيرة واحدة ، تتكاثر ، فينتج عنها المخلوق الذى نسميه كتكوت، اما سائر ما فى البيضة ، بداخل القشرة، فهو على كبر حجمه ، ليس الا غذاء .

والبيض يختلف حجمه، فمنه الصغير، ومنه الكبير . واذا نحن اتخذنا البيضة الاوروبية مثلا لوجدنا انها تزن فى المتوسط نحوا من ستين جراما ، ثمنها قشرة ، والخمسة الاثمان بياض ، والثمنان الآخران صفار .

وقلنا ان البيضة غذاء كامل ، ولكن يجب ان نحدد هذا القول بأن نقول انه كاف لصنع كتكوت ، ذلك أن البيضة من حيث أنها غذاء ، تحتوى من عناصر الغذاء الرئيسية البروتين والدهن ، وينقصها العنصر الثالث (النشا والسكريات) فهو لا يكاد يوجد ، ومن اجل هذا تهدف النساء السمينات اللاتى يرون أن ينقصن من وزنهن الى التركيز على البيض طعاما ، كما يتركزن على اللحم من غير دهن .

والبيض به ، غير العناصر الأساسية للغذاء ، الأملاح المعدنية والفيتامينات ففى صفار البيض :

٤٨٫٥ فى المائة .. من الماء

١٦٫٦ فى المائة .. من البروتين

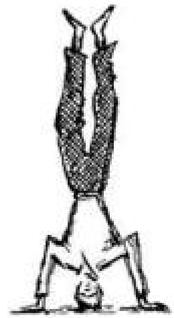
٣٢٫٦ فى المائة .. من الدهن

٠٫١ فى المائة .. من الكربوادراتات (سكريات)

١٫١ فى المائة .. من الاملاح المعدنية

ثم فيتامين أ ، د ، ك ، وفيتامينات ب وكذلك E

وفى بياض البيض :



فامثال هذه التمارين يبدأها اهلها من الصفر ، ويكبرون ، وقد تعوّدوا عليها. ففى هذا التمرين يهبط الكثير من الدم الى الراس ، فلا بد من تعود الراس على هذه الزيادة فى الدم الجارى اليها ، وهو تعود لا يتم الا بالتدرج .

ثم ان الوقوف على الراس ، بدل الرجلين، عمل فى ذاته يحتاج الى مِرَان . فقد تحاوله على كبر ، فتسقط رجلاك ، وجذعك ، سقوطا قد يسبب لجسمك التواء يضر به .

اذا كنت شابا اطلب من صديقك الهندوكى ان يعينك على هذا التمرين ، وعلى طوائف أخرى من تمارين «اليوجو» .

واقول صديقك الهندوكى لأن الذى اعلمه ان « اليوجو » أسلوب من أساليب الفلسفة الهندوكية الارثوذكسية ،وهو اسلوب من مقاصده جمع الانسان، وقدس هذا الوجود ، فى وحدة سبيلها هذا المران الرياضى وامثاله ، والتنفس المرسوم ، واوضاع يتخذها الجسم مختلفة ، وكذا الطعام المشروط ،وكذلك التأمل ، وقد يقضى فيه الانسان ساعات طويلة .

٨٦٫٨ فى المائة من الماء
١١٫٦ فى المائة من البروتين
٠٫٢ فى المائة من الدهن
٠٫٤ فى المائة من الكربوادراتات (سكريات)
٠٫٨ فى المائة من الاملاح المعدنية
ثم فيتامينات ب

وهذه متوسطات تحاليل أجريت على البيض ، وقد تختلف فيما بينها ولكن قليلا .

ويقدر المختصون فى تقدير حاجات الاجسام من الأغذية فيقولون ان بيضتين من مثل هذا الحجم تفى للبالغين من بنى الناس بالنسب الآتية من حاجاتهم اليومية :

١٦ فى المائة من البروتين
٦ فى المائة من الأسعار الحرارية
٧٫٥ فى المائة من الكلسيوم
١٨ فى المائة من الفسفور
٢٧ فى المائة من الحديد
٢٠ فى المائة من فيتامين ا
١٦ فى المائة من فيتامين ب ١
٢٠ من فيتامين ب ٢
٢٤ فى المائة من فيتامين د

الاشعة ، هل تضر أسنانى

● فى هذه الايام اكثر اطباء الاسنان من استخدام الاشعة فى الكشف عما فى الاسنان من تسويس، وقد بدأت تحدث عندى من هذه الاشعة ريبة ، فهل هي تضر بالاسنان ؟

ــ اما قولك « هذه الأيام » فغير صحيح ، فالكشف عن فساد السن بالأشعة السينية أمره قديم واقول انه قديم لاقول من بعد ذلك أن استخدامه هذا الطويل لم تنتج عنه شكوى . وهو لا يضر ، وذلك لأن الشعاع المستخدم فى كشف السن الواحدة شعاع رفيع ، لأن السن قليلة المساحة. ثم الكشف يحدث خطفا ، فلا يكاد الشعاع يطلق حتى يطفأ .

لا . لا خوف من اشعة س . انها عين الطبيب يرى بها ما لا تراه عين . وهي اداة من أدوات الطب كبرى .



لماذا هذا الجمود من جانب الآباء ؟

عن مجلة « الثقافة » القاهرة :

● لماذا يقاوم الآباء الأساليب الحديثة للتربية؟ ولماذا هذا الجمود من جانب الآباء ؟ والجواب على ذلك أن هؤلاء الآباء لا يعرفون بديلا لأساليب التربية التى خبروها عندما كانوا أطفالا ، والتى كان يستخدمها آباؤهم . ولا يعرفون اى اسلوب آخر يفضلها . وهؤلاء الآباء يرون ان أساليب التربية القديمة هذه قد استخدمت معهم من قبل ونجحت فلم لا تنجح مع ابنائهم ؟ اضف الى ذلك ان أساليب التربية القديمة تتميز عن الأساليب الحديثة بسهولة التطبيق ، اذ تقوم اساسا على الطاعة العمياء من جانب الأبناء لأوامر الآباء ، كما ان الآباء فى ظل التربية التقليدية يقومون بعمل القرارات الهامة لابنائهم : فهم يقررون لكل منهم نوع التعليم الذى يلتحق به ومتى يتمه ،ويقررون له نوع العمل او المهنة التى يلتحق بها ،ويحددون له وقت الزواج ويختارون له الزوجة ، وغير ذلك من القرارات الهامة . والآباء عندما يقومون بعمل القرارات الهامة لابنائهم ، دون اشراكهم فى عمل هذه القرارات ، فانهم يفعلون ذلك لاعتقادهم انهم اكبر من ابنائهم سنا ، وبالتالي اكثر منهم خبرة ، وبالتالي اكثر قدرةعلى عمل القرارات الصحيحة.

وجمود الآباء ومقاومتهم لتيار التغير يعرّض الأبناء للكثير من المشكلات والصراعات النفسية ، ويؤدى بهؤلاء الأبناء الى طريق الانحراف ، اذ كثيرا ما يستمر الآباء فىجمودهم فيصرون علىفرض آراء معينة على أبنائهم تبدو غريبة ومتناقضة مع ما يجرى فى المجتمع الذى يعيش فيه هؤلاء الأبناء، وقد يصر بعض الآباء على استخدام نفس أساليب المعاملة مع ابنائهم غير مقدرين ان الأساليب التى يستخدمونها مع ابنائهم يجب أن تختلف باختلاف مراحل نمو هؤلاء الابناء : فاسلوب معاملة الطفل يختلف عن أسلوب معاملة المراهق ، وأسلوب معاملة المراهق يختلف عن اسلوب معاملة الشاب ، وهكذا . ولعل هؤلاء الآباء فى أشد الحاجة الى برنامج توعية لتبصيرهم بحقيقة التغيرات التى تحدث فى المجتمع الذى يعيشون فيه ، وبحقيقة التغيرات التى تحدث فى أبنائهم وصلة ذلك بأساليب تربية الأبناء ، وفى حاجة لأن نقدم لهم فىهذه البرامجأساليبالتربية التى يستخدمونها.

مناورة بريطانيا السياسية لتغطية

عن جريدة « الجمهورية » العراقية :

● توشك مأساة جنوب افريقيا السياسية ان تتمثل هذه المرة فىروديسيا وعلى أيدى البريطانيين انفسهم ايضا ، وبالطريقة ذاتها دون اقل تحوير ، وان تظاهرت حكومة لندن بغير ذلك ، بعد أن وثقت بنجاح الخديعة والخطة الخفية التى وضعتها . فالمعارضة الناعمة الرقيقة ما هي الا تمويه وتضليل وقد تكون تحسبا مفتعلا لتطورات العواقب ، بغية التنصل منها .

فقد مضت مدة طويلة وبريطانيا تمارس سياسة التمييز العنصرى فى روديسيا عن طريق هؤلاء الحكام التابعين لها ، وهم اليوم يريدون الانفراد

ذابح العصافير يبكي ..

عن مجلة صوت الخليج الكويتية :

● في احدى خطبه الاخيرة قال الرئيس جونسون: « انا لا اريد ان اكون رئيسا يقيم الامبراطوريات، وانما الرئيس الذى يشبع الجياع ويساعد الفقراء ، ويمحو الكراهية بين مواطنيه ، وينهي الحرب بين الاخوة على الارض » ..

وهذا كلام جميل .. ولكن جونسون الذى يريد ان يشبع الجياع ، يطعم الانسان في فيتنام موتا ودماء ، وبدلا من ان يعمل على انهاء الحرب على الارض يشجع العدوان الغادر حيث وقع ، ويزود الغاصبين في فلسطين بالصواريخ ، لكى يقتلوا بها الأبرياء ويسرقوا مزيدا من الحقوق . وبدلا من ان يساعد على انهاء الكراهية بين مواطنيه يرسل جنوده الى الدومنيكان لغرس البغضاء والحقد واراقة الدماء !

من اجل ذلك فان الشعوب حين تسمع هـذا الكلام من رجل كجونسون ، فانها ترفضه ، وتجده لا يساوى قيمة الورقة التى طبع عليها ، لانها ترى في جونسون صورة الصياد الذى كان يذبح العصافير وهو يبكي !

الاستعمار بالتمييز العنصري

والاستقلال بهذه السياسة العدوانية الظالمة ، لابعاد المسؤولية عن حكومتهم المركزية من ناحية ، ولابقاء سكان البلاد مستعبدين للبيض الطارئين من ناحية اخرى ، والغاية تعزيز سياسة التمييز العنصرى في جنوب افريقيا .

والظاهر ان الاستعمار البريطاني الجديد اخذ شكل تشجيع سياسة التمييز العنصرى ، وتحكم الاجانب الدخلاء بأهل البلاد لتلعب بريطانيا دورها المعهود منوراء ستار،ولذلك طبقت هذا الأسلوب في ارجاء كثيرة وحققت لنفسها مصالح عظيمة ، فلا غرابة اذا سلمت مصير روديسيا الى عناصر بريطانية او الى موظفيها الذين استوطنوا البلاد .

منظمة التحرير في لحظة الخطر

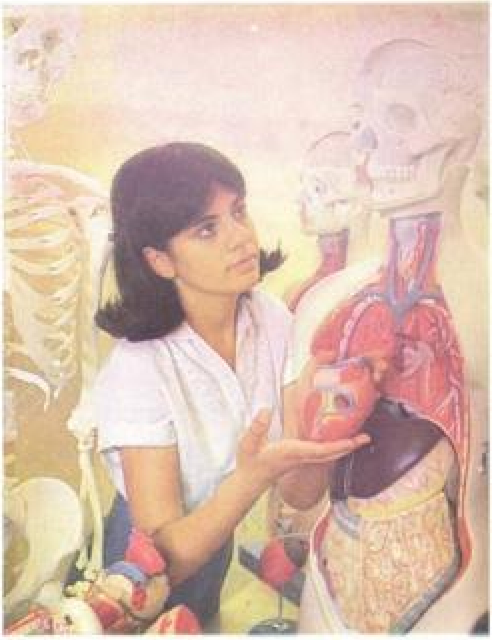
عن جريدة المحرر اللبنانية :

● الحديث عن قضية فلسطين كان منذ سبعة عشر عاما حديث العرب اجمع كقضية عامة . وقد خاض الفلسطيني معارك الوحدة العربية ومعارك الاستعمار . وسواء اكان هذا الخوض خطوة في سبيل قضيته ام لم يكن ، فان ذلك لم يدفع بالقضية خطوة في طريق العودة . في مدى سبعة عشر عاما لا تستطيع اية فئة او منظمة ان تدعى انها قامت بعمل ناجح في سبيل القضية اللهم الا في تعداد المنتسبين لها وخوض المعارك الجانبية !

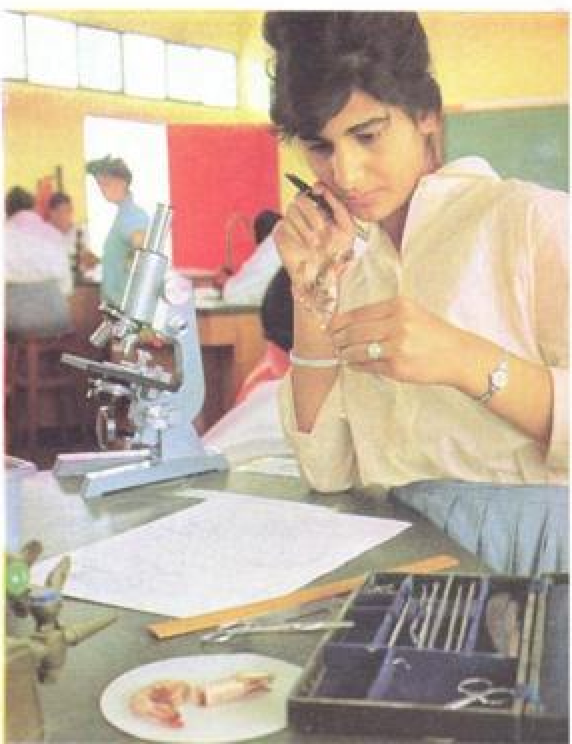
ان التحرير لا يستجدى استجداء كما انه ليس من المطلوب من مواطن في الصعيد او فلاح في الجزيرة ان يسترجع لي وطني ، بينما الفلسطيني يطالب بمركز في المنظمة ، او يحارب في سبيل زعامة هذا او ذاك .

ان التحرير بحاجة الى ثورية ودماء وشهداء وما كل الناس تؤمن بذلك . ان ثورة الجزائر بدات بأفراد قلائل ولم تنتظر التأييد الاجماعى وانما وضعت يدها بيد المؤمنين بها وكسبت معركة التحرير . ان « هوشي منه » قد طرد فرنسا من بلاده وهو بسبيل طرد أمريكا ، ولم ينتظر اذنا من الاتحاد السوفياتي او الصين . ان تحفظ اى دولة عربية قد يكون له مبرره ، اما منظمة التحرير فما هي مبرراتها ؟ ماذا لدينا لنخسره بعد ان خسرنا اغلى ما كنا نملك ؟





لقى طالبات كلية المعلمات دروسا عملية ونظرية في مادة
علوم . وفي الصورة العليا طالبة أمام نموذج حديث يمكنها
، معرفة أجزاء الجسم المختلفة .. وفي الصورة السفلى
لبة تتفحص قطعة من الروبيان (الجنبري) قبل فحصها بالمجهر



امتحان عملي في مادة العلوم على أحدث

كلية



المعدات والأجهزة العلمية .. ومما يذكر أن نتيجة النجاح في امتحانات هذا العام في كلية المعلمات كانت ١٠٠ في المائة!

المعلمات

المصنع الذي يصنع مدرسات الجيل الصاعد في الكويت

■ انتهى دور السيطرة وجاء دور المساواة ..

كانت المرأة بالأمس : طابخة وغاسلة وحاضنة ولا شيء غير ذلك تقريبا ، أما اليوم فهي شريكة للرجل في الحقوق والواجبات ، تقسمت بينهما بالسوية ،

كل فيما هو اقمن به واقدر عليه .

ولقد هيأت حكومة الكويت الأسس التى ساعدت المراة الكويتية على التخلص من الكثير من النظم والتقاليد التى كانت تجعلها حبيسة منزلها : تجلس خلف شباكها الخشبى الموصد وتنظر من خلال ثقوبه الى عالمها الذى لم يكن يتعدى الشارع الذى تقيم فيه !..

لقد انكسر القيد ولم تعد المراة تجلس هذه الجلسة الفارغة . وهى متخوفة على مصيرها الذى كانت ترسمه كلمة تصدر من فم الرجل ، ابا كان أو زوجا ، دون مناقشة او سؤال ..

ففى السنوات القلائل الأخيرة نالت المراة الكويتية الكثير من حقوقها بعد صراع عنيف بدا يظهر منذ عام ١٩٥٥ ، عندما قامت بعض طالبات المدارس بطرح ما على وجوههن من (البوشيات) « البراقع » واحرقنها .. وقامت الصحف بين مؤيدة ومعارضة ..البعض ينادي : « كفاكِ صبرا ايتها الزميلة » .. والبعض يقول: « لا سفور(١) ،وحذار ان تسبقى الزمن فى بيئة مثل بيئتنا » .. وارتفع صوت وسط يقول : « يجب علينا ان نبدأ السلم خطوة خطوة ، وكل درجة نخطوها يجب ان يكون العقل رائدنا والاتزان نصب اعيننا » .

مدرسة للمعلمات

حرية طلبتها الفتاة الكويتية ، فكانت . ولكن لا حرية اذا لم تسندها من ورائها تربية ويسندها تعليم . لهذا عاصر مطالب الحرية هذه فتح مدارس للبنات كثيرة ، بلغت ٦٣ مدرسة ، بها ٣٢٣٦٨ طالبة .

ولكن لا مدارس بدون مدرسات . وقد استعارت الكويت الكثيرات من المدرسات، من العربيات الشقيقات . ثم آن الأوان لتنشئة جيل من المدرسات الكويتيات يحللن محل المدرسات الشقيقات ،فكان أن فتحت وزارة التربية كلية للمعلمات لتخريج مدرسات يقع عليهن عبء تعليم تلميذات الروضة والابتدائي فى المستقبل القريب ان شاء الله .

وحتى تحقق هذه الكلية الفرض المنشود منها قامت وزارة التربية الكويتية باختيار ٣٥ مدرسة من خيرة مدرسات الجمهورية العربية المتحدة كلهن مؤهلات تأهيلا عاليا .. وعلى راسهن المربية بسمة نور الدين التى امضت ٢٥ سنة فى تدريس الفتاة ،منها عشر سنوات عملت خلالها ناظرة لمدرسة المعلمات بالقاهرة ، تخرج على يديها خلالها عشرة افواج من المدرسات العربيات



مدخل مبنى كلية المعلمات .. انه مبنى مؤقت الى ان يتم بناء المبنى الجديد

(١) السفور غير التبرج والمتاجرة بالمفاتن .

تخت شرقي كامل ، مكون من طالبات شعبة التخصص فى التربية الموسيقية .. وفى مقدمة الصورة احدى الطالبات تعزف على آلة القانون باجادة وامتياز ، بالرغم من أن القانون أصعب الآلات الشرقية .. هذا مع ملاحظة أن الفتاة لم يمض عليها سوى عام دراسى واحد .



.. والآن جاء دور الفتيات الكويتيات ليتخرجن مدرسات كفيئات على يديها ، ويستفدن من تجاربها ..

المسئولية الفردية .. والمحبة

وتتحدث السيدة بسمة فتقول :

« افضل وظيفة للفتاة هى أن تصبح مدرسة ، لأن التدريس يكمل وظيفتها فى المنزل فيجعلها أما صالحة من جميع الوجوه .

« ان الذى تتعلمه الفتيات الكويتيات هنا ليس تعليما بل تربية .. اننا نربيها وننشئها لتستطيع ان تربى الجيل الجديد من بنات البلاد .. وعندما تصبح أماً فى المستقبل فسوف يقع عليها عبء تربية اطفالها تربية سليمة ، وهذا بالتالى سيخلق روحا جديدة فى المجتمع الكويتى العربى ..

اننا ننمى فى فتياتنا روح المسئولية الفردية ، مع الابقاء على روح المحبة والتعاطف فى الاسرة » .

امراة خلف كل رجل ناجح

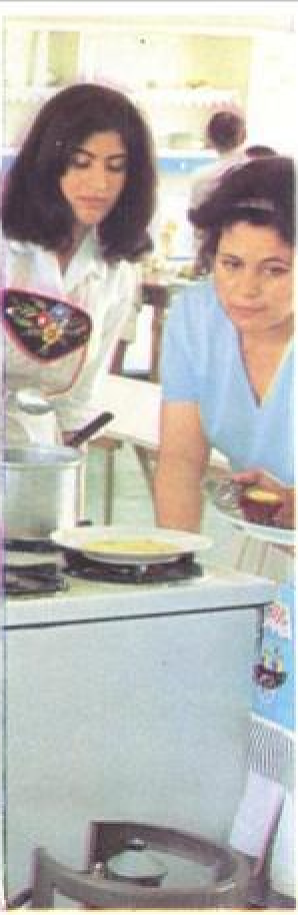
وسألناها : « **ولكن من الرجال من يقول لماذا هذا التعب ؟ الا يكفى المراة ان تتعلم القراءة فقط ؟** » .

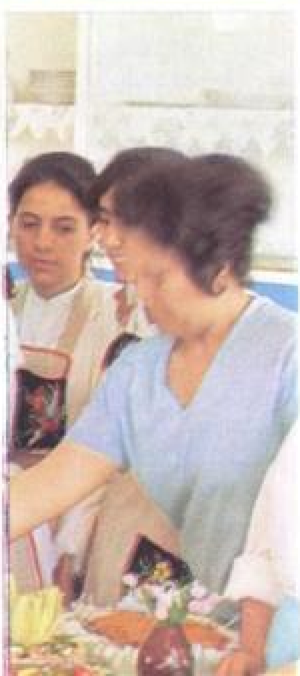
فقالت :

ـ «انا لا افهم لماذا يصر بعض الرجال على التفريق بين الرجل والمراة ؟ اننا نتساوى معهم ، فى سعة العقل وسلامة التفكير والانتاج فى الميادين المختلفة .

« ان تعليم المراة العربية هو الطريق

الى اليسار : صورتان توضحان بالدليل الملموس كيف ان تعليم الفتاة هو تكملة لوظيفتها في المنزل .. لقد دخلت الفتاة الكويتية الى مطبخ الكلية فوجدت المدرسة المتخصصة التي تجيد مختلف انواع المأكولات تنتظرها لتعلمها عمليا كيفية طبخ الدجاج والحمام ، وحشو ضلع الخروف ، وسلق المخ ، وخلط البيض باللحم . وصنع الحلويات الشرقية « والبيتي فور » ، وجوز الهند ، وحتى « السويس رول » .. انه انقلاب في المطبخ الكويتي الذي كان يعتمد على الخضار المسلوق مع اللحم اي المرق ، مع الارز ! وفي الصورة العليا الطالبات مع مدرساتهن أمام الافران منهمكات في اعداد الطعام .. وفي الصورة السفلى تراهن واقفات فخورات مزهوات أمام انتاج أيديهن الذي نسقته أحسن تنسيق ..







جزء من اوركسترا طالبات الكلية ، وفيه تظهر بوضوح مختلف الالات الموسيقية الحديثة التي تتدرب عليها فتيات الكلية داخل الفصل وخارجه ، اي في وقت النشاط المدرسي .. والى جانب الدروس العملية تتلقى الفتيات دروسا نظرية في تاريخ الموسيقى والقراءة الايقاعية .. ومما يذكر أن تفاني مدرسات الموسيقى في أداء عملهن ، حبب الطالبات لهذا الفن ، ودفعهن الى الالتحاق بهذه الشعبة ..

تصوير « اوسكار »





الرئيسي لتقدم العرب ، ولا ننس قولهم: ان خلف كل رجل ناجح امراة متعلمة » .

سؤال .. وسؤال !

ورجعنا بالحديث الى كلية المعلمات فسألنا الناظرة : « **هل تعتقدين أن الفتاة الكويتية قد استفادت من دراستها في الكلية ؟** » .

فقالت المربية الكبيرة : « هذا ما اريد أن اعرفه منكم ، بعد جولتكم في فصول الكلية » ..

كل تتخصص فيما تريد

لقد ارتفع عدد الطالبات في كلية المعلمات الى ٢١٦ طالبة خلال هذا العام، والسبب هو السمعة الطيبة التي تتمتع بها الكلية بين الأسر الكويتية .

ان الفتاة هنا لها مطلق الحرية في ان تختار ما تريد أن تتخصص فيه .. فاذا ارادت التربية الفنية فمَرْسَم الكلية الفني بأدواته ومعداته ومدرساته كفيل باشباع هوايتها وميلها ..

واذا ارادت التخصص في التربية الموسيقية فعليها أن تختار آلة اضافية، كالعود أو الكمان أو القانون أو الاكورديون، بالاضافة الى آلة البيانو كآلة اساسية تعليمية في التربية الموسيقية لتتدرب عليها وتقوم نخبة ممتازة من خريجات المعاهد العليا الموسيقية التربوية بتدريس هذه المادة .

واذا ارادت طالبة الكلية التخصص في التربية الرياضية فان ملاعب الكلية الداخلية والخارجية المزودة باحدث المعدات والأدوات، مع مجموعة المدرسات المتخصصات تؤهلها لتكون مدرسة تربية رياضية من الدرجة الاولى في المدارس الابتدائية .

علم النفس ضروري

اما مادة التربية وعلم النفس فهي مادة اساسية في الكلية ، تقول عنها السيدة صفية العطار المدرسة الأولى للتربية وعلم النفس والاجتماعيات :

« تهدف كلية المعلمات الى تخريج مربيات يقمن بتربية الأطفال في المرحلتين الابتدائية والرياض ، ولكي تنجح المعلمة في عملها يجب أن تلم بخصائص نمو الطفل وطبيعته وحاجاته النفسية



نظرا لاتساع كلية المعلمات ، التي تتكون من أربعة مبان ، ولكي يسهل الاتصال بين الادارة ومختلف الاقسام ، وتوفيرا للوقت امدت وزارة التربية ادارة الكلية بآلة « ديكتافون » تسهل « الاتصالات الداخلية.. وترى هنا السيدة بسمة مديرة الكلية ومعها الآنسة سيادة حشان وكيلة الكلية ، امام هذا الجهاز ..



تشمل نشاط الطالبات فى الجمعيات المختلفة عمل مجلات للحائط لمختلف المواد .. ونرى هنا بعض طالبات جماعة التربية وعلم النفس يقمن بمراجعة وتنسيق المجلة الحائطية الخاصة بمادة التربية .

والاجتماعية ، كما يستلزم عملها الالمام بطرق التدريس المختلفة ، والوقوف على النظريات التربوية الحديثة حتى تتمكن من معاملة الطفل بما يناسب ميوله وقدراته واستعداده . وتساعده فى التغلب على مشكلاته المختلفة التى قد تسبب تأخره الدراسى ، وتعيق نموه فى مختلف النواحي .

وتطبيقا للدراسات النظرية فى التربية وعلم النفس ، تقوم الطالبات بالتمرين العملى فى مدارس رياض الاطفال ، وفى المدارس الابتدائية . ويبدأ تمرين طالبات



تزاول طالبات كلية المعلمات مختلف أنواع الألعاب داخل الملاعب الداخلية في الكلية .. والصورة العليا لفتيات يقمن بحركات ايقاعية مستعينات بكرات خشبية **والى اسفل** القفز فوق الحصان الخشبي يكسب الجسم مرونة ورشاقة .. والى جانب هذا تزاول فتيات الكلية العاب الكرة ، ورمي القرص والرمح ، والكرة الطائرة في الملاعب الخارجية بالكليـــة ...





التخصص فى كلية المعلمات على اربعة أنواع : تخصص عام ، وتخصص فى التربية الرياضية أو الفنية او الموسيقية . وتبدأ الطالبات فى التخصص من السنة الثالثة لهن فى الكلية .. والهدف هو اعداد جيل من المدرسات الكويتيات المؤهلات احسن تأهيل فى مادتهن .. والتربية الرياضية تعد المدرسات الكويتيات ليصبحن مدرسات فى مدارس البنات الابتدائية .. وترى هنا زهرات من طالبات الكلية يقمن باداء حركات ايقاعية منظمة ومنسقة ، تبين مدى الترابط التام الذى يجعلهن منذ نشأتهن الأولى يملن الى التعلق بالنظام والتماسك .. وخير ما ترمى اليه التربية الرياضية هو : النظام ، والقوة ، وكمال الجسم .. والى جانب الدروس العملية تتلقى الطالبات دروسا نظرية فى اصول التربية الرياضية ، وفى تشريح جسم الانسان للتعرف على كيفية تحرك العضلات واوضاعها ..

الفصل الثانى فى مدارس الرياض فى النصف الثانى من العام الدراسى ، بعد ان يتلقين دروسا فى الطرق الخاصة للتدريس فى النصف الاول من العام .

اما طالبات الفصل الثالث ، بالكلية ، فيقمن بالتدريب العملى فى الرياض فى النصف الاول من العام ، ثم يتدربن فى المدارس الابتدائيةفىالنصف الثانى منه.

والى جانب التخصص تتلقى الفتيات دروسا فى اللغتين العربية والانجليزية .

ولقد عدل نظام التعليم فى الكلية فاصبح اربعة اعوام بدلا من ثلاثة ، لان الفتاة تزداد كفاءتها كلما قضتمدة أطول فى هذا المصنع الذى يصنعمربيات الجيل الصاعد فى الكويت .

تلميذة ورائدة ومشرفة

وحتى تبرز شخصية الفتاة وتتعود على القيادة ، اصبح لكل فصل رائدة من بين الطالبات هى المسئولة عن تصرفات المشرفات الرياضيات والاجتماعيات والثقافيات والصحيات اللواتى يخترن من بين الطالبات كذلك . اما المدرسة فتكون بمثابة مربية وموجهة لهن .. والرائدة هي التي تعرض عليها مشاكل الفصل ، فتحلها او تأخذ راى المربية فيها ..



يقام فى آخر كل عام دراسى ، معرض لمختلف أوجه نشاط طالبات الكلية .. وتقوم وزارة التربية بامداد الكلية بالخامات اللازمة لاعداد هذه المعروضات التى تشمل مفارش وملابس ومربيات وشرابا ومخللات وحلوى ولوحات ورسومات .. وفى الصورة بعض طالبات قسم الخياطة أمام انتاجهن .

اسر المجد والوفاء

وتوزع طالبات الكلية على ثماني اسر تحمل كل اسرة منها اسما هادفا ، مثل اسر المجد ، المحبة ، التعاون ، النصر ، السلام ، الوفاء ، النجاح .. وهـــذه الاسر تتنافس فيما بينها فى شتى المجالات الثقافية والرياضية والاجتماعية .

وتشترك طالبات الفصول الثلاثـــة بالكلية فى كل اسرة ، التى تراسها احدى الطالبات تحت اشراف المدرسة ، وتختار السكرتيرة من بين الطالبات .

نظام الاسرة

ولم يقتصر دور الطالبة على هذا ، بل اصبحت تشـــترك فى اجتماعات ادارة الكلية ، وتشرف على طوابير الصباح ، وعلى نظافة المدرسة ، وترتيب المباريات والحفلات الرياضية والثقافية .

والهـدف من هـذا هو ان تستطيع الطالبة ان تتعود على نظام الاسرة وعلى نظام الحكم الذاتي ..

الفتاة الكويتية لم تعد نصفا مشلولا

ان التطور الذى تمر به الكويت يمكننا من القول بأن فتاة الكويت لم تعد عضوا عاطلا فى المجتمع ، لأنها دخلت الى العصر الذى نعيش فيه من اوسع أبوابه .. الا وهو التعليم ..

ان طالبات الكلية اللواتى يبلغ عددهن ٢١٦ طالبة سيقمن بعد تخرجهن بتربية تلاميـــذ وتلميذات رياض الاطفال ، وتلميذات المدارس الابتدائية ليصبحن مواطنات كويتيات صالحـات لهن نفس الحقوق وعليهن نفس الواجبات .



ركن آخر من معرض نهاية السنة ، ويبدو فيه انتاج طالبات قسم التربية الفنية

★ ★ ★

يبقى بعد ذلك السؤال : أهل استفادت الفتاة الكويتية من دراستها فى الكلية ؟

والاجابة نتركها لك بدورنا أيهـــا القارىء بعد أن تلقى نظرة على الصـور المنشورة مع المقال . ■■

س. ز.



لى أسفل : مكتبة الكلية
تضم ستة آلاف كتاب فى
ختلف العلوم والفنون ..
الجلوس فى المكتبة لا يهدف
لى قتل الوقت ، وانما
مد الفتيات الى تلخيص
لكتب ، واقتباس مقتطفات
ن الصحف والمجلات لاذاعتها
ن ميكروفون الاذاعة
مدرسية .. والطالبات
تمن بأنفسهن بالمساعدة فى
رتيب الكتب وتصنيفها ،
عمل الفهارس ولزق
بطاقات اللازمة .. وتقوم
معية صديقات المكتبة
قد ندوات ثقافية وأحاديث
بوية فى قاعة المكتبة ..



الى اليمين ، والى اسفل : تلقى كل طالبة فى الكلية عناية فردية خاصة تمكنها من اظهار مواهبها لصقلها وفى قسم التربية الفنية ظهرت مواهب الفتاة الكويتية كرسامة مبدعة تساير آخر تطورات الحركات الفنية الحديثة . والى اسفل مجموعة من الطالبات المتخصصات مع مدرستهن يقمن بعمل رسوم بالورق الملون ، وعلى الحائط ظهر بعض النتاجين الفنى الجميل .. والصورة اليمنى لاحدى الطالبات ترسم منظرا من البيئة الكويتية





حضارات سادت

ثـم بادت

الكلّيسيوم .. الأثر الرومانى القديم

مسرح وملعب ، ومعترك للجلاد فى آن ، وأحيانا ينقلب بحرا يجرى فيه بين السفن وقائع

■ هـذه قصـته ، بعد أن نشرنا صورته فى الصفحة الثانية من هذا العدد .

هذه الصورة بالطبع صورة لرسام حديث ، خال ما كانت عليه الحال قبل نحو الألفين من الأعوام ، ثم رسم .

وانت تنظر الى الرسم فتحسب أنك تنظر الى بحر ، تعترك فوق مائه سفن حرب ، وما هو بذلك . انهم ملأوا ساحته بالماء ، وجاءوا بالسفن والرجال ، ومع الرجال الحراب . وحول المدرج الدائر ، ـ وهو يتألف من عشرين صفا من المقاعد بعضها فوق بعض ـ جلس خمسون ألفا يتفرجون على تلك الواقعة البحرية الدائرة . وتدور الحرب بين المتحاربين بعنف لا هوادة فيه . يُقتل من يُقتل ، ويَغرق من يغرق . والجمهور يصيح ابتهاجا لكل ضربة تخترق صدرا ، ولكل انسان يغرق . هكذا كان أسلوب العصر فى استمتاعه .

وكان الجمهور يستمتع بأقسى من ذلك ، وساحة القتال جافة لا ماء فيها ، حين كان يتصارع عليها الجلادون ، جلادٌ يصارع جلادا . وان ضرب احدهما وأفلت ، صاح الجمهور اشمئزازا ، وان ضرب وأصاب صاح الجمهور راضيا مبتهجا . ويصارع الرجال الوحش من الحيوان . ويخرجون الأسود الى المعركة وهى جائعة . وليفتك من يفتك بمن يفتك ، والأسرى ، والمسيحيون الأوائل خاصةً يلقون بهم فى « الأرينة » الى السباع ، هكذا جهارا نهارا ومائة ألف عين تنظر ، وتغتبط !

نوع من المدنية قام من زمن بعيد ، جاءت من بعده مدنية ثم مدنية ، فهل فترت فيها المتعة بالدم ، يسيل من أجسام البرية ، حتى والحرب غير متكافئة كتلك التى كانت بين الأسرى والسباع ؟!

ان الكلّيسيوم لا يزال فى وسط مدينة روما اليوم قائما ، أثرا يزوره كلَّ عام ألف ألف من الناس . وقد ذهب أكثره ، وذهب أفخمه .

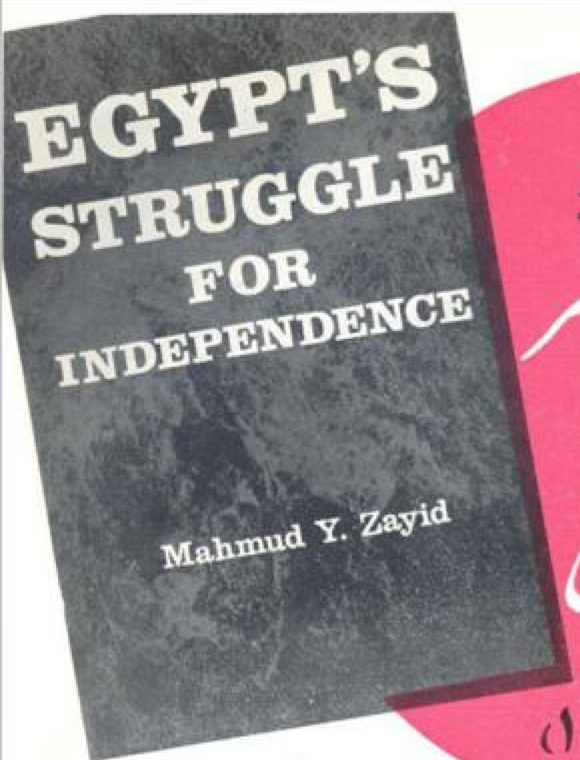
بدأه امبراطور الرومان فسباسيانوس Vespasianus ، الذى حكم من ٦٩ الى عام ٧٩ من التاريخ الميلادى ، وافتتحه ولده الامبراطور تيتوس فى سنة ٨٠ ميلادية .

انه اليوم حيطانٌ من الحجر ، ومقاعد من الآجرّ عارية ، وكانت قبل مكسوة بالرخام . وحمل الرخامَ حاملوه ، فى ثنايا التاريخ ، وحملوا حجره ، وبنوا به ما بنوا من منازل ومعابد ومقابر .

واسموه الكلّيسيوم Colossium أو Colissium وهى من لفظ اغريقى Kolossos ومعناه الضخم . لقد كان أضخم ملعب عرف فى ذلك الزمان . وقال قوم بل هو سُمّى بذلك من أجل تمثال ضخم للامبراطور والطاغية نيرو Nero ، الذى سبق وحكم فى روما من عام ٥٤ الى عام ٦٨. فلما احرق روما (أو أحرقها غيره ؟) ، ولما فتك بأصدقائه ، ولما كرهوا ظلمه ، ولما أعلن مجلس الشيوخ انّ نيرو عدو الدولة ، لم يكن لنيرو المجنون غير الانتحار سبيلا . وخرّبوا من بعد ذلك قصره ، « قصر الذهب » ، وحملوا تمثاله الضخم الى حيث قام بناء الكليسيوم بعد ذلك .

والكلّيسيوم نفسه انما بنى فى الحدائق الواسعة التى كانت لهذا القصر ، «قصر الذهب» قصر نيرو .

ولأن الكليسيوم كان مسرحا ، فقد سُمّيت بعض المسارح التمثيلية فى بعض أمم أوروبا بهذا الاسم . ■■



نقد كتاب الشهر

كفاح مِصْر مِنْ أَجْل الاستِقلال

للدكتور محمود يوسف زايد (1)

بقلم
الدكتور محمود السمره

■ يؤثر عن نابليون انه قال : **« اذا كنا نهدف الى تحطيم انجلترا ، فان علينا ان نجعل من انفسنا سادة لمصر »** وهذا القول صحيح ، لان وجود بريطانيا فى مصر كان يؤمن لها طريق مواصلاتها الى الهند ، شريان الامبراطورية التى لم تكن الشمس تغرب عن ممتلكاتها . ولقد كان لا بد لبريطانيا ، من اجل تامين الطريق البرى الى الهند ، من التحكم بسوريا والعراق ، لتنفذ منهما الى الهند عن طريق الخليج العربي ، او عن طريق ايران وافغانستان .

وقد وجدت بريطانيا فرصتها موانية فى مصر فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، اما فى بلاد الشام والعراق فكان لابد لها من أن تنتظر طور النزع فى الامبراطورية العثمانية . وقد تم لها هذا عندما اشعلت الدول الغربية نار الحرب الاولى . وهي حرب لم يشتعل اوارها الا من اجل تقطيع اوصال الامبراطورية العثمانية ، والتى كانت الدول الغربية تقعد منها مقعد ذى الناب والظفر من الفريسة الضعيفة . ولم تجد بريطانيا وفرنسا لحظة الانقضاض الا عندما باتتا على يقين من انهما ان لم تقدما ، وقعت الفريسة كاملة بين أنياب المانيا الطامحة الى مستعمرات ،

(1) Mahmud Y. Zayid Egypt's Struggle For Independence. Beirut, 1965.

والصديقة الجديدة للباب العالي .

وقد كان الخديوى اسماعيل هو المبرر لتدخل بريطانيا وفرنسا في شؤون مصر : حيث اوقع البلاد في ضائقة مالية بسبب اسرافه ، وباع اسهم مصر في قناة السويس للحكومة البريطانية . ولما عجز عن السداد تقدمت بريطانيا وفرنسا ، ووضعتا انفسهما رقيبتين على الخزينة المصرية . ولما عزّل الخديوى اسماعيل ، حل ابنه الخديوى توفيق مكانه ، ولكن الميجر سير ايفلين بارينغ (لورد كرومر فيما بعد) ممثل بريطانيا في مصر ، ومعه ممثل فرنسا في مصر ، كانا هما الحاكمين للبلاد فعلا .

ولقد سرى التذمر بين المصريين بسبب سوء الحكم ، ورقابة الدول الغربية على مصر ، فكانت ثورة احمد عرابي ، الفلاح المصرى ، الذى أصبح وزيرا . هنا وجدت بريطانيا الفرصة سانحة لاحتلال مصر ، وانفردت دون فرنسا فامرت اسطولها بالتوجه الى الاسكندرية ، فضربها بالمدافع ، وقضى على حركة عرابي بعد معركة التل الكبير ، وارسل عرابي الى المنفى ، وعاد الخديوى الى القاهرة ، ودخلت بريطانيا مصر فاتحة عام ١٨٨٢ ، وعيّن لورد كرومر قنصلا عاما عام ١٨٨٤ ، وبقي هو الحاكم الفعلي لمصر حتى يوم استقالته عام ١٩٠٧ (١) .

وبقيت بريطانيا منذ احتلالها لمصر عام ١٨٨٢ حتى عام ١٩٣٦ تبحث عن مبرر شرعي لوجودها في مصر ، الى أن تم لها هذا بعقد معاهدة سنة ١٩٣٦ بينها وبين مصر . والمراحل التى مرت بها القضية المصرية خلال هذه الفترة من تاريخها ، هي موضوع هذا الكتاب القيم ، مع التركيز على معاهدة ١٩٣٦ .

المؤلف والكتاب

والمؤلف هو الدكتور محمود يوسف زايد ، أحد اساتذة تاريخ العرب في الجامعة الامريكية ببيروت. وقد دَرَس ، من قبل ، ودرّس في جامعة ييل Yale بالولايات المتحدة الامريكية .

والكتاب في سبعة فصول وخاتمة . والفصل الاول مقدمة تاريخية تعرض فيها المؤلف للاحداث التى أدت الى ثورة عرابي وهزيمته واحتلال بريطانيا لمصر . وفي الفصول التالية يتناول المؤلف المحاولات التى بذلتها بريطانيا للحصول على مبرر قانوني لوجودها في مصر ، وكيف ان هذا قد تحقق بمعاهدة ١٩٣٦ .

ويبدو في هذا الكتاب الجدّ في البحث ،والاتزان في اصدار الاحكام ، والسعي الى استقاء المعلومات الدقيقة من مصادرها الاصلية . ومن مصادره وثائق لم يتناولها الدارسون من قبل .

ويمكن ايجاز الافكار الرئيسية في الكتاب فيما يلي :

منذ ان دخلت بريطانيا مصر محتلة لم تكن تفكر ابدا في الانسحاب منها ، ولكن وجودها في مصر كان يثير حفيظة الدول الكبرى واعتراضها، ولا سيما فرنسا . ولكنها استطاعت سنة ١٨٩٠ ان تتغلب على معارضة المانيا بمنحها امتيازات كثيرة . وجرت مساومات سياسية انتهت عام ١٩٠٤ باعتراف فرنسا بحق بريطانيا في أن تبقى في مصر ، كما سحبت كل من روسيا وايطاليا والنمسا اعتراضها على انفراد بريطانيا في حكم مصر .

وفي عام ١٩١٤ خطت بريطانيا خطوة اخرى نحو تثبيت حقها في حكم مصر ، فخلعت الخديوى عباس الثاني ، واعلنت وضع مصر تحت حمايتها. ولكن الشعب المصرى بقي غير معترف بالحكم البريطاني ، وكانت ثورة ١٩١٩ . وكان للوطنيين اعتراضات كثيرة على بريطانيا : فهى لم تف بوعدها بأن تخرج من مصر بعد أن تستتب الأمور وذلك بعد ثورة عرابي ، وهى اثناء وجودها قد أهملت التعليم ، وحالت دون نشوء حياة برلمانية

(١) وقد توفي عام ١٩١٧ .

ولم تقم باية خطوة لالغاء الامتيازات الاجنبية ، وهى اخيرا قد اغتصبت السودان .

وقد بدات بمباحثات زغلول ـ ملنر Milner سلسلة من المباحثات المصرية ـ الانجليزية انتهت بعقد معاهدة ١٩٣٦ . وتفاصيل هذه المباحثات ، ومناقشة نصوص الاتفاقيات ، هو الموضوع الأساسى لهذا الكتاب . وكان السبب الأساسى الذى جعل مصر تسرع فى عقد معاهدة ١٩٣٦ ، هو الحرب الايطالية ـ الحبشية ، لأن مصر خشيت ان تتورط بريطانيا فى الحرب ، وعندها تقود ابناءها الى الحرب ، فيكونون وقودا لها ، كما تنفق بريطانيا من الخزينة المصرية على الحرب دون وجود ما يمنعها من ذلك. اما بريطانيا فقد وافقت على هذه المعاهدة لانها خشيت تكتل الاحزاب المصرية ضدها ، وبهذا تواجه ثورة عارمة كما حدث عام ١٩١٩ وعام ١٩٢١ .

وحسب هذه المعاهدة فقد اصبح وجود بريطانيا فى مصر قانونيا ، كما منحتها المعاهدة حق ابقاء قوة فى منطقة القناة للدفاع عن قناة السويس . وقد رضيت مصر بهذا مقابل تخلصها من الامتيازات الاجنبية، ودخولها عضوا فى عصبة الامم . وعلى كل حال فان مصر كانت ترى فى المعاهدة خطوة الى الامام فى سبيل تحقيق الاستقلال الكامل .

هذه هى الافكار الرئيسية فى هذا الكتاب .

وقفة لا بد منها

لقد كان من اعتراضات الوطنيين على بريطانيا انها اهملت التعليم ، ولم تحاول ان ترفع من مستوى الفرد المصرى . وهو اعتراض فى محله ، وان كان جل من كتب تاريخ مصر الحديث من الانجليز ينكر هذا ، ويرى ضده . وأنا أحب ان اقف عند حكم كرومر لمصر بالذات لأن الشائع عند الاجانب انه من رجال الفكر ، وانه منح حرية القول للمواطنين ، ونظم الادارة المصرية تنظيما ممتازا على غرار الادارة الانجليزية ، وزاد من قدرة الارض المصرية على الانتاج . ولم يقف مؤلف الكتاب عند كرومر محللا دارسا لاعماله بالتفصيل ، ولعل السبب فى هذا هو ان دراسته انما تعنى اولا بالاتفاقيات والمعاهدات .

ولورد كرومر مثل واضح على العقلية الفيكتورية التى تحكمت فى مصيرنا زمنا ، وهذا ما نهدف الى توضيحه . فهو يتحدث فى كتابه « مصر الحديثة » Modern Egypt وكتاباته الاخرى ، عن تاخر الشرق العربى ، ويعزو هذا التاخر الى الدين ، وهو راى مبتسر لم تدعمه الدراسة المتأنية . وقد ادرك هذا بعض الكتاب الغربيين فوصفوه بانه « حاقد على الاسلام ، يتحدث عنه حديث من لم يعرفه » . ومبعث هذا التجنى من جانب كرومر ايمانه بتفوق المجتمع الاوروبى على المجتمع الشرقى ، حتى انه كان يرى ان الشرق ليس فيه ما يمكن ان يفيده . ولو كان هذا الراى نتيجة دراسة لوجدنا له بعض العذر ، ولكنه الغرور ، والعزة العمياء . لقد عاش كرومر فى مصر بعيدا عن المجتمع الذى أرسل اليه لاعانته على حل مشاكله، فهو فى الصباح فى مكتبه بالسفارة، وفى المساء بصحبة الاوروبيين الموجودين فى مصر . ولم يكن يختلط بالمصريين الا فى الشؤون الرسمية التى لا بد فيها من الاتصال بهم . ويقضى اوقات فراغه فى شرفة السفارة يقرأ الاداب الاغريقية والرومانية .

★ ★ ★

والعقلية الشرقية فى نظر كرومر ، عقبة كأداء تسد على الشرق طريق التقدم ، ودراستها اضاعة للوقت ، وخير ما يمكن عمله هو استبدالها بعقلية نامية متطورة كالعقلية الغربية . ولقد بلغ من غرور كرومر أن رفض أن يتعلم العربية ويدرس الأدب والتاريخ العربى .

وفى مقال لكرومر بعنوان « الشرق والغرب » ، تراه يؤكد على الفروق التى تفصل بين كل منهما بحيث يستحيل التقاؤهما ، فوصف الشرق بخنوعه الدائم للطغاة حتى اشرب اهله الذل ،

وآمن بالخرافات حتى فقد أهله القدرة على التفكير السليم . ونحن لا نستطيع أن نجد ردا على كرومر خيرا من اعترافه هو فى مقال نشرته له مجلة سبكتيتور Spectator عام ١٩١٦ ، بأن فهم الشرق موهبة لم يستطع أبدا أن يكتسبها . وكيف يستطيع أن يفهم الشرق ، وهو لم يكلف نفسه عناء الفهم ؟ لقد أحسن وصفه « ولفريد سكاوين بلنت حين قال : « لقد عاش كرومر نصف حياته فى الشرق دون أن يفهمه ، ودون أن يكلف نفسه أن يفهمه .»(١) .

ولما قامت الحركة القومية فى مصر تطالب بجلاء الانجليز ، لم ير كرومر فى هذه الحركة سوى « حركة قومية ليست لبُوسا اسلاميا ولكنه ليس من الاسلام فى شىء ، لأن مفاهيمها أوروبية المنبت ، نمت وترعرعت على ضفاف نهر التيمس ...» (مصر الحديثة ٢ ج/٢٢٨) .

أما الصحافة المصرية فهى ، فى رأيه هزيلة لدرجة أنه طيلة اقامته فى مصر « لم يستطع أن يقرأ فيها مقالا واحدا مفيدا فى الاقتصاد ، أو التربية ، أو التنظيم المالى القضائى » .

وهذا القول دليل على أن كرومر كان معزولا عن الحياة المصرية بحيث لم يستطع أن يدرك الدور الخطير الذى لعبته الصحافة فى توجيه المواطنين ، وتثقيفهم بالثقافة الغربية .

★★★

وقد حاول كرومر طيلة حكمه ، أن يبتعد بمصر عن الثقافة الغربية ، مما يكذب الادعاء بأنه حاول اصلاح الأحوال فى مصر ، ولكنها استعصت على الاصلاح . وحجة كرومر فى ذلك أن الاصلاح فى أى بلد مستحيل ، ما لم يكن أهله مستعدين لهذا الاصلاح « ولهذا فلا فائدة ترجى من الأحزاب السياسية ، والدساتير ، فى بلد متأخر ، ولن ينال منها هذا البلد سوى الأذى .

ومن الخطأ فرض المفاهيم الغربية على شعوب شرقية ، لأن تلك المفاهيم الغربية هى نتاج حضارة شعوب تختلف عن الشعوب الشرقية فى الجنس ، والدين واللغة . » (مصر الحديثة ٢ج/٢٢٤) .

واذا نظرنا الى مدى انطباق هذا القول على الواقع ، وجدنا ان سياسة كرومر فى مصر تناقض كل كلمة فيه . والواقع التاريخى يحدثنا ان الشعب كان راغبا فى الاصلاح ، متعطشا له ، ولكن ادارة كرومر كانت تقف فى وجه الاصلاح : من ذلك انه قامت فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر ، وبداية هذا القرن ، حركة قومية تدعو الى تحرير المرأة ، ونزع الحجاب ، قادها قاسم أمين صاحب كتابى «تحرير المرأة» و « المرأةالحديثة» . ونتيجة لهذه الدعوة زاد اقبال الفتيات على التعليم ، فقامت الادارة البريطانية بفرض رسوم مدرسية على الطالبات . وذهب بعض نظار المدارس ، وهم من الانجليز ، الى الزام الطالبات بلبس الحجاب، بحجة المحافظة على تقاليد البلاد. (انظر : تربية سلامى موسى) . ونادت الصحافة بزيادة فتح مدارس للبنات، ولكن الادارةالبريطانية لم تعر هذه النداءات اى اهتمام . والاحصائيات تقول ان عدد البنات فى مدارس الحكومة فى عام ١٨٩٤ كان ١٦٤ طالبة ، ولم يزد عددهن عن ٧٨٦ طالبة فى عام ١٩١٤ (أمير بقطر : المدرسة والمجتمع فى وادى النيل) . وبقى تعليم البنات يكاد يكون محصورا فى المدارس التبشيرية حتى عام ١٩٣٠ .

وأثناء حكم كرومر أهمل تدريس العلوم فى مصر، مخالفا بذلك السياسة التعليمية التى بدأها محمد علي : ففى عصر محمد على (١٨١٢ — ١٨٤٨) بلغ عدد طلاب الطب ١٥ ، والهندسة ٣١ ، بينما كان عدد طلاب الآداب ١٢ . وبقيت هذه الخطة التعليمية هى المتبعة ، حتى انعكست الآية تحت ادارة كرومر ، حيث كان عدد طلاب الطب ٢٥ ،

(1) Wilfred Scawen Biunt, Gordon at Khartoum.

والهندسة ٤٥ ، بينما طلاب الآداب ٢١٥ .

وفي ميدان القضاء ، حاول كرومر أن يدخل بعض الاصلاحات على المحاكم الشرعية ، ولكنه لم يلبث أن سحب مقترحاته عند أول اعتراض من قضاة هذه المحاكم . وعندما قام الشيخ محمد عبده بمحاولته الاصلاحية ، كان يتظاهر بأنــه يسنده ، ولكنه لم يقف معه في الأزمات .

وكرومر الذي كان حاكما مطلقا في مصر ،سكت عن سوء تصرف الخديوي عباس بأملاك الوقف ، ولو كان جادا في اصلاح أمر البلاد، لكان من السهل عليه أن يفعل شيئا في هذا السبيل .

وكان كرومر يختار وزراءه من الذين لايعنيهم أمر البلاد . وقد انتقده بلنت Blunt على هذا، واقترح عليه أن يدخل في الوزارة الشيخ محمد عبده وسعد زغلول ، فما كان من كرومر الا أن أجابه : « ان جميع المصريين سواء » . ولكنه اضطر في نهاية حكمه أن يضع سعد زغلول وزيرا للمعارف .

★★★

ولا يعني هذا القول ان بريطانيا لم تقم بأي اصلاح في مصر ، بل ان ما قامت به لم يكن بالقدر الذي كان يمكن أن تفعله لو كان ممثلها جادا في اصلاح البلاد ، ومن هذه الاصلاحات التي تمت : التعديلات التي أدخلت على القانون الجنائي ، ومشاريع الري .

ويعزو دزموند ستيوارت السبب في عــدم قيام كرومر باصلاحات فعلية في مصر الى انه كان ينظر اولا الى مصلحة بريطانيا ، فهي منطلــق تصرفاته ، ومصر المتأخرة مصر ضعيفة يسـهل حكمها ، والتصرف في شؤونها .(١) وقد يكون هذا القول صحيحا ، ولكن من يعرف نفسـية كرومر وعقلية أمثاله من الفيكتوريين ، يدرك انه لم يكن يخشى مصر المتقدمة الواعية ، لأنه كان يؤمن بقدرة بريطانيا على أية حركة ضــدها ، وانما السبب في عدم قيامه بأية اصلاحات حقيقية هو ايمانه بان الشرق غير قابل للاصلاح ، وهو رأي عبر عنه بصراحة في كتابه المعروف « مصر الحديثة » .

★★★

ولقد لقيت سياسة بريطانيــا في مصر نقدا شديدا من البريطانيين الاحرار وعلى رأسهم بلنت، كما لقيت معارضة بين صفوف حزب الأحــرار المعارضين لسياسة حزب المحافظين . وتحت ضغط أولئك الاحرار ، وأفراد هــذا الحزب ، ابتدأت وزارة الخارجية تتدخل في شؤون مصر ، فكان هذا التدخل من الأسباب التي دفعت كرومر الى الاستقالة عام ١٩٠٧ .

واقيمت لكرومر حفلة وداع في دار الأوبــرا الملكية ، ووقف رئيس وزراء مصر مصطفى فهمي باشا خطيبا يودعه وفي اللحظة التي ينتظر أن تتطهر فيها النفوس بعد زوال السلطان الدنيوي لم يفارق كرومر غروره وكبره ، ولم يتورع عن ان يقف ليرد على المحتفين به قائلا : « ان خروجي من مصر لا يعني انتهاء الحكم البريطاني فيها ، فبريطانيا باقية » !!

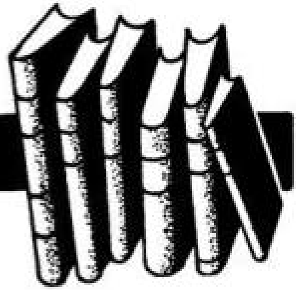
وعاد كرومر الى بريطانيا ليكتب كتابه الضخم « مصر الحديثة » في جزأين ، وفي هذا الكتاب نفث كل احقاده التي حملهــا للشرق العربي والاسلام .

★★★

هذه صورة من العقليات التي تحكمت في مصائرنا زمنا ، وهي صورة نجدها مكررة في كل بقعة من بلادنا حل بها مندوبون سامون . ■■

الاردن ـــ **محمود السمره**

(1) Desmond Stewart, Young Egypt. London, 1958 .



من الكتب التي وصلتنا

مبادىء الادارة

تأليف الدكتور سيد محمود الهوارى ـ مكتبة لبنان ببيروت

● هذا الكتاب عبارة عن بحث وتحليل الاصول والاسس العلمية للتنظيم والادارة فى المشروعات المختلفة ، وهو يوضح الأسس العلمية التى تحكم التصرفات الادارية فى مختلف المشروعات ، العامة منها والخاصة ، صناعية كانت او زراعية .

اوروبا المتحدة

تأليف والتر هولشتين ترجمة الدكتور رياض الشيخ ـ دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة بالقاهرة الثمن ١٥ قرشا

● تناول مؤلف هذا الكتاب موضوع الوحدة الاوروبية فى ثلاثة فصول هى : تاريخ الوحدة ثم اقتصاديات التكامل الاوروبى ثم التكامل الاوروبى من الناحية السياسية وذلك باسلوب شيق .

الاردن ١٩٦٤

دائرة الاحصاء العامة بالاردن

● كتاب فى الاحصاء العام عن الاردن عام ١٩٦٤ يتناول جميع الأوجه العامة بالاردن ومنشآته سنة ١٩٦٤ .

لاتقولي وداعا

تأليف رفعت الشيخ ـ مطابع ابن زيدون بدمشق الثمن ٢٥٠ قرشا سوريا

● هذا الديوان الشعرى يضم مجموعة فريدة من الشعر الحديث باسلوب شيق جميل .

ثوار

جمع وتقديم الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية

● فى هذا الكتاب جمعت الهيئة المذكورة اعمال اعضائها من شعراء الاسكندرية فى المناسبات الوطنية التى مرت بالجمهورية العربية المتحدة .

اسبوع العلم الرابع بالجمهورية العربية السورية

● ظهر هذا الكتاب فى أربعة أجزاء ، الاول فى كلمات الافتتاح ، والثانى فى دراسات وبحوث العلوم الأساسية ، والثالث فى دراسات وبحوث العلوم الطبية ، والرابع فى دراسات العلوم الهندسية ، والخامس فى دراسات وبحوث العلوم الزراعية والبيولوجية .

ديوان الحويزى

جمعه وعلق عليه حميد مجيد هدو دار مكتبة الحياة ببيروت ـ الثمن ٥٠٠ قرش لبنانى

● هذا الكتاب عبارة عن ديوان للشاعر العراقى الكبير الشيخ عبد الحسين الحويزى الذى كان شديد التعلق بقوميته فجاء شعره الحماسى قطعة من لهيب تتأجج حماسة فى سبيل نصرة القومية العربية والدفاع عن المثل العليا واستعادة مجد العرب .

الاصالة فى الشعر الشعبي العراقى

تأليف جميل الجبورى ـ يصدر من وزارة الارشاد بالعراق الثمن ٥٠ فلسا

● جمع مؤلف هذا الكتاب مجموعة طيبة من روائع القصيد الموروث والمعاصر من الشعر العراقى .

المرشد في داء البول السكري

تاليف الدكتور محمد أمين عبد الملك ـ المطبعة العصرية بالكويت ـ الثمن دينار كويتي

● يعتبر هذا الكتاب مصدر ثقافة للمريض بالسكري يسهل معه معرفه كنه هذا المرض وسبل النأى عن مسبباته والالمام بمسراه ، كما ينقل الحقائق الخاصة بالوراثة في هذا المرض .

العقيـدة

تأليف فاضل الحسينى الميلانى ـ مطابع النعمان بالنجف الثمن ١٥٠ فلسا عراقيا

● هـذا الكتاب يتناول بالبحث كثيرا من المواضيع الهامة عن العقيدة والدفاع عنها ويبين السبب الذى من اجله اغفل بعض الناس الايمان بالله كما يجيب عن كثير من الأسئلة التى قد تدور فى عقول بعضنا عن ايمانه .

قصـة السدود

تأليف : بيترفارب ترجمة المهندس محمد توفيق محمود

دار النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٤٠ قرشا

● يبحث مؤلف الكتاب فى تطور بناء السدود على مر الزمان مع تطور العلم والمعرفة كما يشرح فوائد السدود واغراضها بجانب اهدافها التقليدية لتخزين الماء .

البترول عامل وحدة وانماء فى العالم العربى

الدكتور نقولا سركيس ـ دار المعرفة والترجمة ـ دمشق الثمن ٢٧٠ قرشا سوريا

● قدم المؤلف فى كتابه هذا آراء سديدة حول حل المشكلة القائمة بين حكومات البلاد المنتجة للنفط والشركات العاملة فى صناعة البترول لديها.

مزيد من التجارب العلمية

تاليف : آلا بودندورف ترجمة الدكتور وليم ابراهيم عوض

دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٢٠ قرشا

● هذا الكتاب من سلسلة الف باء التى تقدم العلم الى الناشىء بين السادسة والعاشرة بطريقة مبسطة سهلة تساعده على تفهم الحقائق العلمية وتشوقه الى معرفة المزيد عنها .

الحب والآداب

تأليف عبد الوهاب ملا . يطلب من المؤلف ص.ب ٢٨١٩ دمشق

● هذا الكتاب أدبي يبين ما للقلب من تاثير على توجيه الأشخاص .

وظائف المديرين

تأليف الدكتور سيد محمود الهوارى ـ مطبعة الانصاف ببيروت

● يقول مؤلف هذا الكتاب ان ٨٨٪ من فشل المشروعات راجع الى ضعف الادارة ويبين فى كتابه اسس الادارة المثالية للمشروعات المختلفة .

محمد بن عبد الوهاب

تأليف حسين عبد الله بانبيلة ـ مطابع دار قريش بمكة

● هذا الكتاب عبارة عن دراسة عن الدعوة التى قام بها الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب

عصارة الأيـام

تأليف سمرست موم ترجمة حسام الخطيب دار دمشق الثمن ٣٠٠ قرش سورى

● يتولى المؤلف فى هذا الكتاب سرد أحداث حياته المديدة الخصبة التى عاشها وهو اشهر مؤلف مسرحى معاصر فى لندن . ■■



أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

الاحتفال بالمولد النبوى لم يكن يجرى فى صدر الإسلام

● يحتفل العالم الاسلامى بعد أيام بذكرى مولد الرسول الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وقد خلت كتب التاريخ والسيرة المحمدية من أية اشارة الى الاحتفال بهذه الذكرى سواء فى حياة المصطفى أو فى عهد الخلفاء الراشدين .

فمتى بدأ الاحتفال بالمولد النبوى ،ومن كان صاحب الفكرة فيه ؟ وهل كان يجرى على نحو ما نرى هذه الأيام من اقامة « الموالد » و « الأذكار » وسير مواكب الطرق الصوفية وقراءة السيرة النبوية ؟

نادية الاسلامبولى : دمشق

ـ لم يحدث أن احتفل بذكرى مولد النبى (ص) لا فى حياته ولا بعد وفاته ، سواء فى عهد الخلفاء الراشدين أو من تلاهم من خلفاء بنى امية أو بنى العباس .

فاما الخلفاء الراشدون فلم يحتفلوا بهذه

الصينيون ثلاثة أضعاف الروس !

● يسرنى أن أبعث اعجابى واحترامى الى مجلتنا « العربى » التى تعتبر فخراً، لا لدولة الكويت فحسب، بل لجميع الدول العربية ، وارجو أن تجيبوا على هذه الأسئلة :

ـ كم عدد سكان كل من: المملكة المتحدة، والولايات المتحدة الامريكية ، وجمهوريات الاتحاد السوفييتى ؟

على حسين عبد الله
البحرين

ـ المملكة المتحدة : مساحتها ٩٤ر٥١١ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ٥٢ر٨٧٤ر٨٠٠

الولايات المتحدة :مساحتها ٣ر٦١٣ر٢١١ م.م، وعدد سكانها ١٩٠ر٠٠٠ر٠٠٠

الاتحاد السوفييتى:مساحته ٨ر٥٩٩ر٧٧٦م.م، وعدد سكانه ٢٢٣ر١٢٢ر٠٠٠ .

الصين الشعبية : مساحتها ٣ر٢٧٩ر١٢٤ م.م، وعدد سكانها ٦٨٦ر٤٠٠ر٠٠٠ .

الذكرى لأنهم كانوا في شغل عن الاحتفالات بالدعوة الى دين الله وتوطيد اركانه وتثبيت دعائمه ، ونشره على أوسع نطاق سواء في الأقطار المجاورة أو غيرها .. فضلا عن انهم لم يجدوا في كتاب الله وسنة رسوله ومأثور قوله ما يدعو الى هذا الاحتفال أو يحثعليه، أو حتى يشير الى انه مستحب . وكذلك كان رأى الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين الذين ضبطوا أصول الشريعة وفروعها ، ومع ذلك لم تخطر لهم فكرة الاحتفال بذكرى مولد الرسول ببال ، بل كانوا يرون أن خير ما يكرمون به الرسول الاعظم في حياته أو بعد مماته ، ان يثبتوا دعوته ، ويدعوا الى سبيله في قوة وايمان .

بل ان من علماء الدين وفقهائه في العصر الحاضر من يرون الاحتفالبذكرى المولد النبوى على الصورة التى تجرى الآن في بعض البلدان الاسلامية من الرقص ودق الطبول ولبس المرقعات واقامة المراجيح ودور الملاهى والالعاب والمقامرات ، وابتلاع النار وأكل الثعابين وغير ذلك من أعمال الحواة ، كلها بدع من عمل السوء ، وان النبى صلى الله عليه وسلم برىء من كل ما يعملون .

اما أول من ابتدع الاحتفال بذكرى المولد النبوى الكريم ، فهم الفاطميون على ارجح الروايات . كما ابتدعوا غيره من الاحتفالات الدورية لعظماء الشيعة ، وكانوا ينفقون عليها الأموال بغير حساب ، فلما جاءت الدولة الأيوبية ـ والأيوبيون من أهل السنة ـ لم يجاروا الفاطميين فيما كانوا يفعلون ، اما لأنهم رأوه مخالفا للسنة ، واما لأنهم كانوا في شغل عنه بمحاربة الصليبيين .. حتى اذا ولى الملك المظفر ، وهو سنىّ ، احتفل بذكرى المولد احتفالا كبيرا يقول عنه ياقوت الحموى :

« انه كان مضرب الأمثال في العظمة والجلال ، وكان يبدى فيه من العناية والبذل ما هو فوق الآمال ، مع جهود تشكر ، وخيرات تذكر ، واموال لا تكاد تحصر » .

وكذلك قال « ابن خلكان » ، و « ابن كثير» في وصف الاحتفال أكثر من هذا بكثير ..

ثم فترت الهمة في عصر دولة « المماليك البحرية » سواء في عهد المظفر قطز أو الظاهر بيبرس أو المنصور قلاوون ، اما لانشغالها بالحروب والفتوحات ، واما لأنها كانت تعتبر نفسها خلفا للدولة الأيوبية ، فجرت على منهاجها في ترك السير على آثار الفاطميين .

ومن الذين احيوا هذه الذكرى بعد ذلك الجراكسة ، في عهد الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج ، والظاهر سيف الدين جقمق ، والأشرف قايتباى ، وقانصوه الغورى وغيرهم .. واما في العهد العثمانى فلم يكن الاحتفال ليشعر به أحد من الناس لأنه كان يجرى في أضيق الحدود .

الاباضية .. والخوارج

● من هم الاباضية؟ وأين نشأ مذهبهم؟ ومتى ؟ ومن هو امامهم ؟ ومن أين وكيف جاءوا الى الشمال الافريقى ؟

زينب عبد الحميد
طرابلس الغرب

ـ الاباضيون فرقة من الخوارج . والخوارج هم الذين خرجوا على الامام على وشقوا عصا الطاعة لقبوله تحكيم الحكمين في النزاع بينه وبين معاوية ، فقاتلهم بالنهروان ، فلم يبق منهم الا فلول هربوا ، ومنهم تفرعت الخوارج الى عشرين فرقة ، ابرزها الاباضية،وهم اربع فرق ،اشتهرت بالتزمت والجمود والشدة حتى ليحكموا بكفر مرتكب الكبائر من المسلمين ، وبأن الكبائر لايغفرها الله بدون توبة خلافا لنصوص القرآن ، ويرفض الاستدلال بغير نص الكتاب والسنة دون القياس والاجماع ، كما يحكمون بان كل من خالفهم من المسلمين لا يعد مؤمنا ، بل كافرا ، ويقولون بعدم لزوم الامامة في قريش ، ويتحاملون على الامامين

على وعثمان ، الى غير ذلك مما هو مفصل فى كتب التاريخ الاسلامى .

وينسب الأباضية الى عبد الله بن اباض المرى ، وهو اول المتهم .

وقد ظهر الأباضيون فى العراق ، ثم فى البلاد التى استولوا عليها على غرة من خلفاء المسلمين كحضرموت وعمان اللتين أسسوا لهم بهما دولة ، ثم شخص منهم جماعة الى البصرة ، واستولى آخرون على صنعاء ثم الحجاز والشام .

وهم الذين قتلوا معن بن زائدة الشيبانى فى سجستان بطريق الحيلة والاغتيال .

وقد وفد منهم جماعة الى شمال افريقيا فى القرن الثامن الميلادى وهبطوا المغرب، ومنه تفرقوا فى البلاد المجاورة .

أتكفر عن جريمة بجريمة ؟!

● قرأت مأساة الفتاة التى زوجها أبوها لشيخ أوفى على السبعين رغم ارادتها ، لثرائه فلم تلبث ان وجدت نفسها بعد شهر واحد ممرضة لزوجها العجوز الذى أصيب بنوبة قلبية حادة نتيجة زواجه فى مثل تلك السن بفتاة فى سن أحفاده ، وكيف وجدت نفسها محرومة من متعة الزوجية ، عاجزة عن تلبية نداء الجسد ، حتى كان ما كان بينها وبين ابن زوجها الشاب ، فحملت منه ، وعندئذ تمثلت لها بشاعة فعلتها واشتد تبكيت ضميرها لها فراحت تفكر فى الانتحار ..

ولقد كان ردكم عليها قاسيا . فلست أدرى لماذا تتحمل المرأة وحدها الوزر وتدفع ثمن الجريمة ، بينما الجناة الحقيقيون يسرحون ويمرحون ؟!

وعندى أن خير ما تفعله هو أن تتحدى الشرع مرة ثانية،لا بالانتحار ، ولكن بالاجهاض والتخلص من الجنين ، ثم عليها بعد ذلك ان تطلب الطلاق من زوجها ذلك العجوز المتصابى، والله يأخذ بحق الطفل البرىء ممن كانوا سببا فى حرمانه من ان يرى النور .

ستقولون ان ذلك عمل يعاقب عليه الله والقانون ، ولكنى اعتقد أن اصلاح الخطأ بالخطأ ، والتكفير عن الجريمة بجريمة أخرى فى مثل هذه الحالة بالذات ، هو وحده العلاج الذى يقضى على آثار الجريمة الأولى ، فلا تبقى المسكينة فى عذاب دائم ، بينما الذين ساقوها الى الجريمة أولى بهذا العذاب .

نفيسة توفيق الدويك/رام الله

ــ هذه واحدة من عشرات الرسائل التى بعث بها أصحابها تعقيبا على مشكلة الزوجة الخاطئة. بينما بعث آخرون غيرهم يقولون ان خير حل لمشكلتها هو أن تنتحر !

وكلا الرأيين خاطىء لا يقره شرع ولا قانون . فاذا كان الاجهاض جريمة تساوى قتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، فان الانتحار هو الآخر جريمة أعد الله لمرتكبها أشد العقاب . ففى الحديث الشريف : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى

سُقُطْرَى .. لا سوقطرة

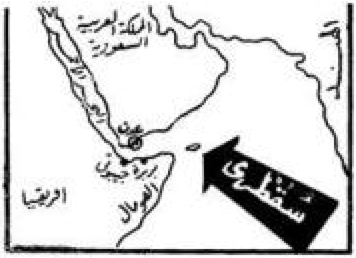
● قرأت فى أحد أعداد جريدة سنداى تيمز البريطانية أن هناك جزيرة تسمى «سوقطرة» تقع على بعد ٣٠٠ ميل جنوبى المكلا فى الجنوب الغربى للبحر العربى ، يحتلها البريطانيون من زمن بعيد ، وان معظم انتاج هذه الجزيرة من النفط ، وان سكانها عرب مسلمون يحكمون بناء على النص القرآنى ، وان لهم عادات وتقاليد قديمة ، ومن الاعتقادات السائدة هناك علاج المرضى بالمكاوى والرقيات الكتابية والتعويذات : والحقيقة أننا لا نعلم بل نجهل الكثير عنها : هل تتفضلون بنشر بعض المعلومات عن هذه الجزيرة التى يكاد يخفيها الاستعمار عن أنظار العالم ويسميها محمية من محمياته ؟

محمد قائد سعد

يمنى مهاجر : شيفلد

ــ تقع جزيرة «سُقُطْرى» ــ .. لا «سوقطره» ــ على بعد يتروح بين ٢٥٠ و ٣٠٠ ميل ، الى الجنوب من ساحل حضرموت .

ويبلغ عدد سكانها حوالى عشرين الفا من اجناس مختلفة نزحوا اليها فى فترات مختلفة ، قبل احتلال البرتغال لها عام ١٥٠٧ وبعده . واغلب هؤلاء السكان يرجعون الى اصل عربى ، نزحوا



الى الجزيرة من بلاد « المهرة » ومنهم حـاكم الجزيرة السلطان عيسى بن عفرير ، الذى هو فى نفس الوقت حاكم منطقة المهرة ، ويرجع نسبه الى بعض ملوك « حمير » الأقدمين .. وهـؤلاء يتكلمون اللغة المهرية .

وهناك طائفة اخرى نزحت من الصومال والحبشة ويتميزون بسواد بشرتهم . كما توجد بالجـزيرة فئة من الهنود ، واخيرا اقلية من البيض من بقايا الاحتلال البرتغالى اندمجت بسكان البلاد وآثرت البقاء فيها .

وتبلغ مساحة الجزيرة حوالى ثلاثة آلاف ميل بعضها جبال وبعضها مراع للماشية التى توجد فى الجزيرة بكثرة ، والتى تتميز بصغر حجمها .

ويعيش اهل الجزيرة حياة بدائية ، وهم لا يجيدون حتى الزراعة ، وان كانت توجد هنـاك انواع من الفاكهة والخضر والازهار ، معظمها برية.

واشهر صادرات سقطرى السمن والجلود لكثرة الماشية فيها ، ثم العنبر ، وانواع اخرى من العقاقير والنباتات الطبية وخاصة عطـر الزباد الذى اشتهر عندهم بتيسير الولادة . وكذلك «دم الأخوين » الذى يصدرونه الى أوروبا للاستفادة به فى بعض المستحضرات الطبية .

وعلى الرغم من خصوبة التربة هناك فان السكان يعيشون فى فقر مدقع ، ويعتمدون فى غذائهم على الأسماك واللحوم والتمور .

ومعظم نساء الجزيرة جميلات ، سواء فى ذلك البيضاوات والسمراوات . والمهور رخيصة جدا لا تتجاوز مائة روبية ، واحيانا ينخفض المهر الى نصف هذا المبلغ !

واهل الجزيرة يجهلون احكام الشريعة لانهم لا يجدون من يرشدهم او يعلمهم . وهـم يؤمنون بالسحر ، ويزعمون أن النساء يمارسنه للانتقام !

ويقول بعض من زاروا هذه الجزيرة انها خالية من الكلاب !

وليس فيهـا ايضـا شرطة ولا جنود ولا سجن ولا سيارات .. حتى الحاكم او السلطان كما يسمونه لا يملك سيارة .. وهو يتقاضى راتبا سنويا من الحكومة البريطانية عن طريق مستعمرة عدن بناء على معاهدة « حماية » !

ولا يسمح للاجانب بزيارة سـقطرى الا باذن خاص من ممثل الحكومة البريطانية فى عدن ، ولذا فانها تكاد تكون منقطعة عن العالم .

ويأخذ اهـل الجزيرة ببعض مبادىء الشريعة الاسلامية ، كما انهـم يتبعون عادة « البشعة » المعروفة عند كثير من البدو ، بان يحموا قطعة من الحديد فى النار ثم يطلبون من المتهم الذى لا يعترف بجريمته ان يضعها على لسانه ، فان كان بريئا لم يصبه منها سوء ، والا فهو مذنب .. !

نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا . ومن تحسّى سما فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحسّاه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا . ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يَجَأ بها بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا » .

والظاهر من رسالة الزوجة الخاطئة ان ضميرها قد استيقظ وبدأت تشعر ببشاعة جرمها وتندم عليه . والندم هو أول مراتب التوبة ، والتوبة الصادقة هى الباب الوحيد لمغفرة الله وعفـوه ، وقد فتح الله لنا باب التوبة علـى مصراعيه ، « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات » . وقال تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا، انه هو الغفور الرحيم». وقال ايضا : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم انه هو العزيز الحكيم » . ثم بلغت رحمته مداها عندما قال : « الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » . الى غير ذلك من عشرات الآيات ، بل مئاتها، التى تفيض برحمة الله وتعد التائبين بالعفو والمغفرة .

ولكى تكون توبتها صادقة مقبولة ، يجب عليها ان تخلص لزوجها المريض ، وتتفانى فى رعايته والعناية به ، حتى يشفى او يحدث الله امرا .

الرسل والأنبياء شيء .. والأولياء شيء آخر !

■ جاء في بريد القراء بالعدد ٧٨ من مجلتكم الزاهرة ، نقد بقلم السيد محمد صالح سعدان لما كتبه الدكتور جمال الدين الشيال عن أبي العباس المرسي ، بداه بأن تساءل عن **كيفية خروج الشاذلي من علمه وكيف أصبح فقيرا ؟** وأقول : ليس المقصود من الخروج هو الخروج الحسي والمادي ولكنه الخروج المعنوي ، ويمكن أن نؤيد ذلك بقول الله تعالى : « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد » .

اما قول الأخ عن كيفية علم ابن مشيش بالشاذلي قبل أن يراه ، وقوله له : طلعت الينا فقيرا من علمك وعملك ، أقول : ليس هذا بالشيء الغريب لمن عرف الايمان بمعناه الحق ، وتصفح تاريخ حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحياة الصحابة الكرام ...

روى أن أبا سفيان اجتمع بأبي عزة الشاعر في حجر اسماعيل ، وطلب منه أن يذهب الى المدينة ليقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو عزة : ان لي بناتا أخشى ضياعهن ، وان علي دينا ، فاذا ذهبت لقتل محمد أخشى أن تضيع بناتي ، وان لا يقضى ديني عني أحد . فقال أبو سفيان : أنا أقضي لك دينك وأكفل بناتك . وأعطى أبو سفيان أبا عزة الشاعر خنجرا مسموما ووعده

« طاقية الاخفاء » و « بساط الريح » و « خاتم سليمان »

● بعد أن توفي والدي ببضع سنوات ، عثرت على خزانة في احدى الغرف المهجورة ولما فتحتها وجدتها فارغة الا من قوس جميل جدا مصنوع من مادة تبهر النظر ، ومجموعة من نقود قديمة جدا ، وكتابين قديمين جدا أحدهما باللغة الانجليزية والثاني ارجح أن يكون بالهندية أو الفارسية ، والكتاب الانجليزي يشرح بدقة وبطريقة غريبة كيف صنعت طاقية الاخفاء ،وكيف يستطيع من وجد الكتاب عمل طاقية مماثلةمن جلد حشرة معروفة باسم «الفاشة» موجودة في جهة ما من شمال افريقيا ، وحشرة أخرى حقيرة موجودة في الجنوب من الطائف مع قطعة من ورق شجرة في جبال جبسوت في منابع النيل ، ولكني لم أصدق رغم أني قرأت قصصا بعدة لغات شرقية وغربية وشاهدت أفلاما عدة في كثير من الدول العربية وفي ألمانيا الغربية وفي اسبانيا والارجنتين بلغات مختلفة وسمعت أناسا مختلفين في السن يؤكدون وجود هذه الطاقية التي تخفي صاحبها عن الآخرين .

وقد طلب مني أحد قضاة المغرب اعطاءه هذا الكتاب مقابل خمسة آلاف ريال ، الا انني رفضت ليس طمعا في الطاقية ولكن لاني أريد الاحتفاظ بالكتاب . فما رأيكم .

الملازم/سعيد عبد العزيز : الرياض

ـ ما أظن أحدا منا نحن العرب لم يسمع عن « طاقية الاخفاء » وكيف أن من يحصل عليها يستطيع أن يختفي عن الناس متى وضعها على رأسه ، كما يقول كتاب ألف ليلة وليلة ، في كثير من أقاصيصه .

وحديث «طاقية الاخفاء» ليس مقصورا علينا نحن العرب ، ففي الأدب الانجليزي وغير الانجليزي أقاصيص لا تختلف كثيرا عن أقاصيص ألف ليلة وليلة ، وهي مليئة بالحديث عن «خاتم سليمان » و « بساط الريح » و « الحصان الطائر » ، و « العصا المسحورة » ، و « طاقية الاخفاء » وما الى ذلك من العجائب والغرائب التي لم نر منها شيئا !!

وحتى في عصر الصواريخ الذي نعيش فيه نجد التلفزيون الافرنجي يقدم مسلسلات من هذا القبيل ، آخر ما عرض منها في الكويت سلسلة « الرجل الخفي » الذي يرتدي شيئا أشبه بطاقية الاخفاء ويقود السيارة ويخترق الابواب ويقتحم البيوت ليطارد المجرمين !!

وطبيعي أن كل هذا مجرد تخيلات أشبه بتخيلات مدخني الحشيش والأفيون ، وان امتازت بأنها

بمكافأة ان هو قتل محمدا ، ولما توجه ابو عزة الى المدينة ودخل مسجد الرسول ، وجد النبى الكريم مع سيدنا عمر وغيره من الصحابة الكرام . فلما رأى سيدنا عمر أبا عزة يدخل الى المسجد قال : يا رسول الله ألمح بين عينَىَّ هذا شرا . فقال الرسول الكريم لسيدنا عمر : « دعه » ، فلما اقترب الرجل من رسول الله سأله النبى : ما الذى اتى بك الى هنا ؟ قال : جئت حتى أسلم واتعلم الاسلام . فقال له الرسول الكريم : « ما حديث دار بينك وبين ابى سفيان فى حجر اسماعيل ؟ قلت لولا بنات أخشى ضياعهن ، ولولا دين على أخشى عدم قضائه لذهبت وقتلت محمدا» فقال أبو عزة : « والله ما سمع بهذا الكلام أحد الا أبو سفيان وأنا » ، وأظهر الاسلام ، وأمره الرسول باخراج الخنجر المسموم الذى معه !

وقصة سيدنا عمر لما كان يخطب على منبر المدينة فقطع الخطبة وقال ، « يا سارية الجبل الجبل ! » اى احذر الجبل ، وسارية هو قائد جيش المسلمين فى معركة نهاوند التى تبعد عن المدينة مسيرة شهر ، واذا بسارية يقول : والله انى لأسمع صوت أمير المؤمنين يحذرنا من الجبل، فالتفت الى الجبل واذا بالأعداء قد أتوا من ورائه ! .

اما قول الأخ الناقد « ان الادهى والامر هو قول ابن مشيش للشاذلى : انك اوتيت منا علم الدنيا والآخرة . وكيف نستطيع أن نوفق بين هذا الكلام وقول الله عز وجل : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » أقول ، ان هذا من باب المبالغة ، كأن يقول رجل لآخر : انك ان حصلت على وظيفة كذا فقد ملكت الدنيا ! وكذلك فان قول ابن مشيش للشاذلى انك أوتيت منا علم الدنيا والآخرة لا يقصد به العلم كله ، وانما يقصد به العلم الذى انطوى عليه قلب ابن مشيش ، وليس هذا بالغريب ، وأظنك سمعت بقول الرسول الكريم بحق سيدنا أبى بكر : « ما صب فى صدرى شىء الا وصببته فى صدر أبى بكر » .

اما سؤال الأخ عن قول الدكتور الشيال بحق الشاذلى انه أدمن على الشرب والمحبة وكاسهما ، مع السكر والصحو ، فان المقصود بذلك هو شرب كأس المحبة الالهية ، وانه كان يحصل له حضور كامل مع الله فلا يشعر بوجود أحد ، وهذا هو معنى السكر أو الفناء .

اما استغراب الأخ عن سكن الشاذلى بغار فى جبل زغوان اسوة بأستاذه للتعبد فيه فهذا ليس بالشىء الغريب لمن تصفح حياة الرسول الكريم قبل بعثته ، حينما كان يخلو بنفسه الليالى فى غار حراء وهو يمضى الوقت فى التفكر والعبادة ، وهذه حالة لا بد منها لكل من يريد التقرب الى الله حتى يهيىء نفسه بابعادها عن ملاذ الدنيا ومشاغلها ، كى تتهيأ روحه ونفسه لهداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور .

اما بخصوص اعتقاد الأخ بان هذه الدعاوى باطلة لأنها تخرج عن طاقة البشر ، فاقول : اذا كان كل شىء خارج عن طاقة البشر فهو باطل ؛ فهذه

خرافات لا وجود لها ولا حقيقة

وضعت فى كتب أو أخرجت فى روايات أو افلام ، ثم وجدت من يصدقها وهى مجرد خيالات واوهام!!

ولو صح ان هنالك شيئا مثل « خاتم سليمان» أو « طاقية الاخفاء » ، أو غيرهما من هذه السحريات ، لاستطاع من يحصل على اي منها ان يغدو اغنى اغنياء العالم ، ولسارعت الدول الكبرى الى شراء الكتاب الذى عثرت عليه فى خزانة والدك والذى لا بد قد عثر على مثله كثيرون غيرك ، وذلك بدلا من انفاق الملايين فى صنع القنابل الذرية والصاروخية وغيرها ، ولاستطاعت كل دولة ان تسرق الخطط الحربية للدول المعادية لها ثم تحبطها أو تهاجمها على حين غرة فتقضى عليها قضاء مبرما !!

كان يكفى ايها الملازم الفاضل ان تقرأ «وصفة» صنع طاقية الاخفاء من جلد حشرة فى افريقيا واخرى فى الطائف ، وقطعة من ورق شجرة فى جبال جبسون ليقتنع بان هذا الكلام تخريف فى تخريف ، حتى ولو كان موجودا فى كتب افرنجية او هندية أو صينية !

اما صاحبك القاضى المغربى الذى عرض أن يشترى الكتاب بخمسة الاف ريال ، فاقل ما يوصف به ان رجلا بمثل هذه العقلية لا يصلح لولاية القضاء ....

مغالطة لا يليق بالناقد أن يقع فيها . فهل يمكن أن نعتقد أن ذكر القرآن لبعض الوقائع التي تخرج من طاقة البشر انها باطلة (مثل قصة سيدنا موسى لما ضرب البحر ، فجمد البحر وانفتح فيه اثنا عشر طريقا) ! فهذه خارجة عن طاقة البشر ، ولكن هل باستطاعة المسلم أن يشك فيها، انه ان شك بكلام الله فقد عرض نفسه للكفر الصريح .

محمد عدنان الخطيب
كلية الحقوق ــ جامعة دمشق

« العربي » : اننا مع احترامنا لابن مشيش وابى حسن الشاذلى وابى العباس المرسى ،وغيرهم من اعلام المتصوفة والمتعبدين والفقهاء ،ننكر على الكاتب ان يشبه اعمالهم او « كراماتهم » باعمال المصطفى صلوات الله عليه واصحابه الكرام ، امثال ابى بكر وعمر وعثمان وعلي ، او حتى سارية او حذيفة او غيرهما من الصحابة والتابعين ، وكذلك بما حدث لسيدنا موسى عندما اوحى الله اليه ان يضرب بعصاه البحر « فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم » .

قد يكون لبعض الصالحين ــ او الاولياء بالمعنى المتداول ــ « كرامات » ، لكن هذه الكرامات حتى لو صحت ، لا يمكن ان ترقى الى ما اختص الله به انبياءه ورسله كموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم من معجزات ، او حتى ما افاء على بعض صحابة الرسول الكريم . ■■

(كوبون)
ترفق مع الـرد

الاسم : ....
....
العنوان: ....
....
....



اربعة اشخاص يحتجون

بقلم : محمود سيف الدين الايرانى

« الى روح الكاتب القصصي الكبير - لودجي بيراند للو - اعجابا بمسرحيته العالمية الرائعة « ستة اشخاص يبحثون عن مؤلف »

■ ... والله ياسيدى ما كنا لنريد أن نزعجك فى مثل هذه الساعة من الليل . ونحن نعلم جيدا أن حاجتك الى الهدوء وصفاء الذهن أكثر من حاجتك الى ما ستسمعه من لغو الحديث فى هذه الساعة المتأخرة . انتى أرى فى عينيك انك تنكر وجودنا انكارا ... ومع ذلك فأنت الذى سوّى هذه الملامح فى وجوهنا ، ووضع هذه النظرات فى عيوننا ، وأنت الذى جعل أحدنا بدينا قميئا ، وقد كان فى الواقع نحيلا ، معروقا ، مديد القامة ... وأنت الذى أضفى علينا من اللباس ما لم يكن يخطر لاحدنا أن يرتديه ... فهذا وضعته فى بنطال وقميص وقد كان يرتدى القمباز المخطط، وذاك أقمت فوق رأسه طربوشا مائلا الى اليمين وقد كان يجب أن يكون حاسر الرأس أبدا ... وزوجتى أرسلت شعرها طويلا ، مضفورا ، وقد كانت تقصه على الطريقة الغلامية ... وأسميتنى انا يعقوب وقد كان اسمى فى دنيا الناس بطرس ، ثم أجريت بيننا حوادث وأحداثا بدّلت فيهـا وغيّرت حتى كدنا ننكرها وننكر أنفسنا معها ... وأدرت على ألسنتنا كلاما كثيرا ،وحوارا طويلا ، لا نذكر أنه كان مما تحدثنا به أو خطر على قلوبنا ...

تسألني يا سيدى ، من انا ومن أكون ؟ **عجيب والله ! ألم تعد تعرفنى ؟ اننى احد شخوص قصتك الأخيرة التى فرغتّ منها قبل قليل ... انا الزوج ... انا بطرس ... بطرس الذى سميته فى قصتك « يعقوب » ... أجل ، ان هذا يحدث اول مرة فى تاريخ الكتابة القصصية ، أو كما تسمونها : الخلاّق القصصى ... انها اول مرة يخرج شخوص قصة ما ، من الورق الى الوجود ، من رأس المؤلف وخياله الى دنيا الواقع الحى . انها قوة فوق قوتنا هى التى بعثتنا أحياء أسوياء كما ترى ... ولسنا نريد أن نقاضيك الحساب يا سيدى . وانما أتينا لكى نحتج لكى نفرغ ما فى أنفسنا ، فأنت لم تصورنا فى قصتك على حقيقتنا . يبدو لنا انك شوهتنا ، وزيفت واقعنا ، واضفت الينا ما ليس فينا ، وحذفت من طباعنا واهوائنا ، وحوادثنا ما كان أصيلا فى نفوسنا وحياتنا . لماذا تراك فعلت هذا يا سيدى ؟ تقول انك تشاهد الآن حدثا تاريخيا . فما تعرف ، من قبل ، ان شخوص القصص تخرج من بطون الكتب الى دنيا الناس ... هو فى الواقع حدث تاريخى كما تقول ... ونريده أن يكون عبرة لك ولغيرك .**

لماذا تزعم ، يا سيدى ، أن جميع الذين يكتبون القصص يفعلون مثلك ؟ ما شأننا نحن بغيرنا ؟ انها قصتنا نحن ، والأمر يخصنا نحن ، وكاتب القصة أنت لا غيرك . فأنت المسؤول لا سواك . هذا رأينا يا سيدى . اسمع ما تقول زوجتى ، وما يقوله الخواجه اندراوس ، وما يقوله « القهوجى » ابراهيم العواد ؟ انهم جميعا - مثلى - يحتجون ... بل هم ، اذا أردت الحقيقة ، ناقمون ، ثائرون، وسينتظر كل منهم دوره لكى يتكلم .. لكى يقول لك رأيه فيك ...

جميل جدا أن تسألنى : ما اريد ... وما هى شكواى .. اسمع اذن :

- لقد كنتّ فى دنيا الناس رجلا بسيطا انسانا لا يكاد يلتفت اليه أحد . بل ربما كنت أثر





الاشفاق ... وصحيح اننى كنت كثير الصياح والزعيق فى مقهى السيد ابراهيم العواد ، وصحيح اننى كنت اغش فى لعب الورق لكى اربح بضعة قروش كل يوم ... وكان بعضهم يمسك بطوقى ويدق لى عظامى ... هذا كله صحيح ... ولكننى فى الواقع كنت افتعل الصراخ والزعيق افتعالا .. واغش عامدا متعمدا ، غشا مكشوفا لكى اضرب وأركل والطم ... ولكننى كنت فى النهاية لا اسكت الا اذا نلت ثمن الضرب والركل واللطم ... افهمت ؟ وباستثناء هذا كان الناس يحبون حديثى ... ويحبون النوادر الطريفة التى كنت ارويها والفضائح العديدة التى كنت أسمعهم اياها ... فيغرقون فى الضحك وتهتز كروشهم ويربتون على ظهرى راضين ، مغتبطين وينفحنى بعضهم بقروش اخرى ، او يدفع ثمن ما اكون قد استهلكته من قهوة وشاى ... وكانوا ينسون ـ وهذا هو الأهم ـ حكاية زوجتى ... ينسيهم اياها مرحى ... وادعائى... ونوادرى...وعرج رجليّ الاثنتين...

هكـذا كان يجب أن تصور شخصيتى ... ولكنك ماذا صنعت بها ؟

لقد جعلتنى البس البنطال والقميص ... وما ارتديت فى حياتى كلهـا غير القمباز المخطط القاتم ... ثم اكثرت من الحديث ، وصورتنى من زوايا متعددة ... فاذا انا رجل مُربدّ السحنة دائما ، مكفهر الملامح ابدا ، يقـرأ الانسان مآسانى على وجهى ... وفى تصرفاتى وحركاتى ... جعلتنى من شخوص المآسى فلا يكاد قارىء يتصورنى الا ويضيق صدره ، ولا آكاد أعيش فى ذهنه هنيهة الا وتظلم الدنيا فى عينيه ... فانا ثقيل على النفوس، املأها كآبة وأسى ، واضيف الى همومهم هما جديدا ، والى وساوسهم وساوس علم الله انهـا من صنعك وتلفيقك انت ولا شان لي بها ... انى اعيش الآن مكروها فى اذهان الناس ... وقد

كانوا يُصفوننى حبهم خالصا من كل شائبة ...

ثم حكاية زوجتى : هل كنت أنا ، يا سيدى ، أول رجل تخونه زوجته ؟ ما اعجب أمرك أيهـا

المؤلف ! لقد دفعتها الى الخيانة فى ضوء مأساتى انا ... جعلت الفاقة والعوز ... سبب الخيانة ... وما كانت خيانتها الا نزوة من نزواتها ... واندفاعا وراء شهواتها ... وانصياعا لنداء الشيطان ... وما أكثر ما نكدت عيشى واهملتنى وازدرتنى ... وماذا كنت أستطيع ان افعل فى تلك الساعات الجهنمية ! كانت تضع يديها فى خاصرتيها وتروح تكوينى كيًّا بكلماتها الجارحة وعباراتها الوقحة وشتائمها العجيبة ... لقد كانت هى أول من أطلق على لقب « أبو عُص » ... وتلقفه منها صبية الحارات ، ورجال الأزقة ونساء الحى كله ... حتى حجب هذا اللقب اسمى تماما ... ولم أعد أُعرف الا به ...

هذا كله ، يا سيدى المؤلف ، تركته ... ولم تأبه به ... وجعلت همك أن تصورها — هى — طرفا آخر فى المأساة المروعة التى ابتكرتها ابتكارا ... وما هى بمأساة ... انها مهزلة ... أسامع انت ؟ مهزلة ... انها يوم خانتنى ارتحتُ تماما ... ولما توالت خياناتهــا هدأتُ واحسست ان عبئا ثقيلا كان يبهظنى قد انحط عن كاهلى ... وشعرت اننى غدوت حرا ، طليقا ، خفيفا ، كهذه النسائم الحلوة التى تهفو على وجهى الآن من نافذة غرفتك المفتوحة على الليل ... أصبحت وكأن لى جناحين اطير بهما فى الاجواء الرائعة فلا تقع عينى الا على ما يسرُّ ويُبهج ...

اتراك تفطنت الى شىء من هذا كله وانت تصور شخصيتى ... وتروى قصتى ؟ لقد فقدتُ ذاتى الأصلية فى قصتك ... وانى لأحس اليوم اننى ضائع بين خيالك المضل ... وواقعى الصحيح... فاي الرجلين انا ؟ واي الشخصيتين هى شخصيتى؟ هـذه الحيرة ستظل تفرى قلبى ... وتمــلاه بالحسرات ... انا ... من اكون انا ؟ قل .. قل .. أليست هذه جريمة.. الا يعاقب عليها القانون؟ ان تشويه وجه انسان بضربة سكين او بماء النار ... تؤدى بالفاعل الى السجن ... وانت ... هل تظل هكذا طليقا بعد ان شوهتنى تشويهــا كاملا ايها الرجل ؟ ماذا اسمعك تقول ؟ احقا تزعم اننى لست ملك نفسى ؟ وتزعم ايضـا انك حر تصنع ما تشاء ... واننى لم اكن اكثر من «خامة» تستطيع أن تشكل منها ما تشاء ... تماما كما يصنعون بالزجاج الذائب ... والحديد المصهور ... وغيره من المعادن واللدائن و « الخامات » التى لا تعد ولا تحصى .. وتزعم انك لا تستطيع أن تلتزم شكلا خاصا ولا صورة بعينها...وأن مزاجك كفنان هو الذى يقرر الشكل الذى تعطيه لشخوصك ... وأن نظرتك الى الأوضاع الاجتماعية هى التى تملي عليك حوادث القصــة ... واحداثها ... وانك تاخذ من الواقع ما تريد وتدع ما تريد ... وتصوغ قصتك على مثـال ما يتراءى لك ... ما شاء الله ... ما شاء الله ... هل سـمع أحد بمثل هذا ... اننى لا افهم ما تقول يا سيدى.. ردَّ الي شخصيتى .. رد لي حقيقتى ...

★★★

وانا يا سيدى المؤلف ، أحسب ان دورى قد جاء الآن لكى أتكلم .. أنا الزوجــة .. انا التى ألبستها فى قصتك اسم « اميلي » والناس كلهم — فى حينا — يعرفون انى أدعى « جوليا » ... حقا يا سيدى فاننى لا أكاد اعرف نفسى فى قصتك ... من اين أتيت لى بضفائر طويلة ، مكتنزة ، مرسلة على كتفي ... وقد كنت اقص شعرى على الطريقة الفلامية؟ طبعا...الضفائر «الرومانطقية» تلائم موضوعك ... تلائم الجو الذى وضعتنى فيه ... جو المأساة ... جو الشعر القاتم المريد ... جو المراة التى اذلها المجتمع ... واياسها الفقر ... فانزلقت الى مهاوى الخيانة فى ليل حالك بهيم ... هو ليل المجتمع الفاسد ... أليست الضفائر هى احسن ما يلائم هذا الجو ؟ والخد الأسيل ... والخصر النحيل ... والعيون التى تنظر على استحياء ... وخفر العـذارى القرويات ... هذا كله أليس هو الذى يضاعف تاثير قصتك فى النفوس ... ويستدر عطف قرائك ... ويستثير شهامتهــم ... ويملا مآقيهــم بالدموع ؟

الصحيح ، يا سيدى المؤلف،اننى امرأة اخرى، فيما يخيل الي وانا كما كتبت فى قصتك ، خنت زوجي هــذا ... ولم يكن الفقر ... ولم يكن العوز ... هو السبب ... هذا الرجل التافه... الصفيق ... هو زوجى ... وانا كمــا ترى ،

لست دميمة ... ولماذا لا اقول الحقيقة : انا امراة جميلة ... وما أكثر ما ادارت مفاتنى الرؤوس ... وكان يمكن ان يتزوجني رجل غيره ...ولكن اسرتي ... وبيئتي ... ما كانتا لتسموا بى الى من هو افضل منه ... لم أكن من طبقة شعبية وحسب ... وانما كنت من اسرة مشبوهة ... ليس فيهـــا غير السكير ، والعربيد ، والمقامر ، والفاسق ، والسارق وطريد العدالة ... كلهم كانوا اشقائي وابناء عمومتي...واهلي ... فكيف كنت تريدني ، انا الزهرة المتفتحة ، كما وصفتني، ان انشأ ؟ ان زهرتك الجميلة تفتحت فى الوحـــل ايها المؤلف الحاذق ...

ومع ذلك لو كان زوجي هذا ، أبو عثمي- ، لــو كان رجلا آخر ، رجلا لا تنبو العين عند مرآه ، ولا تشمئز النفس من وجوده ، لهـــان الأمر ... ولكنه كما تراه امامـــك الآن : ممصوص العود ، اعجف القامة ، مهيض الساقين ، شعره القـــذر يسرح وراء قذاليه ، وعيناه مفقوءتان ، ووجهه مسنون شاعت فيه التجاعيد والغضون ، وسعاله لا ينقطع ، ورائحته تزكم الانوف ... كيف كنت تريـــدني أن أرتمي بين أحضانه دون ان يقشعر جسمي كله ... دون أن يقف شعر بدنـــي مـــن الغثيان ... لقد خنته ايها المؤلف ، مع أول رجل مال الي .. مع أول رجل اشتهاني وخلبت" مفاتنى لبّه ... وقد كان الرجل ثريا ... ولكن ثق انني ما بحثت عن المال ... كان بوسعي ان اعيش مع زوجي فقيرة ... من غـــير جوع ... من غير ان البس حريرا وذهبا ... عيشة ستر وكفاف ... ولكن لماذا ؟ ما من شعرة اهتزت فى بدني يوم خنته ... كنت أتصور انني عادلة .. وانني انصفت نفسي ... ثم ، كما قلت لك ، ما عرفت فى اسرتي وبيئتي تلك الزواجـــر والنواهي والروادع التى تغرس فى النفس غرسا وهي بعد طرية ، قابلـــة للتوجيه والتكيف ... ولهذا السبب لم اندم ... ولم احسن فى قرارة نفسي انني ارتكبت اثما من الآثام ... انني انا التى استخف بها الطرب ، انا التى احست أن النشوة كادت تطير بها بجناحين خفيفين ... وليس هو .. ولقد الزمته حده ... كنت لا اسمح له أن يقربني ... كان حسبه ان ينظر الي ويتحسر ، ويشتهيني وتتمزق احشاؤه، واختـــال امامه فيطير صوابه ... واتبرج فيئن ويتفطر قلبه ... وترن ضحكتي مرحة ، عالية ، مديدة ، فى ارجاء البيت فيبهت كمن به مس من جنون ... ولذلك كان يعربد ، ويزعق ، ويتحرش بالاخرين فى مقهى صاحبه ابراهيـــم ... وكان يا سيدى ، يضرب دون ما رحمة ، وتدق عظامه دقا فيهدا ويستكين كانه يجـــد فى الاهانة والاذلال واوجاع الضرب لذة ونشوة ...

وقد لبست الحرير، يا سيدي ،وازدان معصماي بالذهب ، وكانت صورتي فى المرآة تبعث الفرح فى اعماق كياني ، ويذهلني شعرى الفلاحي المقصوص، فاتخطر ، وأجيس ، واغنى ، واضحـــك ، ويزداد افتتاني بجمالي ، ويتضاعف احساسي بمفاتني كلما رمقتني العيون ... العيون الجائعة الى مثـــل حسني ... لقد كنت فتنة الحي كله ... وكانت قلوب الشبان تتحرق تحت سطوة اغرائي ... وتشتعل النار فى صدور الرجال كلما حملت الريح شذا من انفاسي المعطرة ، وتنطوي النساء عـــلى انفسهن كمدا من مفاتني ، ولا يتحدثن عن أحد غيري ، ولا يتسقطن اخبارا سوى اخباري ... وما اكثر ما كـــن يروين عني .... حكايات وحكايات يبالغن فيها، ويضفن اليها من ذوات انفسهن،ومن اخيلتهن ما ينم على اشواق لهن مكبوتة ، واماني خائبة منسحقة ترقد فى اعماقهن ...

هكذا كنت انا يا سيدي، وتلك هي حقيقتي... ومعالم شخصيتي ... فماذا فعلت انت بها ؟ لقد احلتها صورة باهتة، بدلت بهجتي حزنا ، وفرحتي غما،ومرحي تعاسة وشقاء،وضحكاتي انينا موجعا ، ورثيت لحالي فاقمت الدنيا وكدت تصوغ مني صورة جديدة لغادة الكاميليا ... ارفع صوتك قليلا لاسمع ما تقول ... أتزعم انك لم تفعل أكثر من انك اخذت من ملامحي شيئا هنا وشيئا هناك ... وانني انما حركتك الى الكتابة ... او الى الخلق والابداع كما تصف عملك ... ثم لم يعد لك بى شأن ... وانك من خلال شخصيتي كنت تنظر الى ما فى المجتمع من مفاسد ... وأنني على رغمي ضحية هذا المجتمع ... سواء كان الفقر هو سبب سقوطي ، او كان سبب هذا السقوط الرجل الذى لم يكن يلائمني .. ولم يكن اهلا لي ؟ ...

هكذا اذن تشوه الواقع ... وتجرد الأشياء من سماتها ، وتكوّن من جملة شخوص ، أو من جملة ملامح ، شخصية أخرى مغايرة ، تبدل وتغير من طبائعها وخصائصها على هواك ... يا لك من رجل فذ يا سيدى ... ويا لشقائنا نحن مخلوقات خيالك العجيب الذى لا يعرف حدودا ولا قيودا ... سيدى المؤلف اننى أعرفك جيدا ... ولا أحب أن أذهب الى أبعد من هذا ... ولكن لا بد أن أقرر هذه الحقيقة وهى انك سلبت شخصيتى وفعلت فيها ما فعلت ، وانى لأنكر نفسى ، ولا أعرف من أنا ... رد الي شخصيتي ... أعدنى كما كنت فى حقيقتي التى لا أريد غيرها ..

★★★

احسب اننى أستطيع أن أتحدث الآن . فأنا « اندراوس » .. الخواجة اندراوس كما يدعونى الكثيرون الذين كانوا يبدون لي الاحترام ... ولكى أكون واضحا فانى أقول اننى أنا الرجل الذى قيل لك انه أحب تلك المرأة « جوليا » التى سميتها أنت فى قصتك « اميلى » ... لقد شوهتنى أنا أيضا وغيرت من ملامحى ، يا سيدى ، وبدلت من طباعى وخصائصي وحدود شخصيتى .. جعلت منى رجلا فاسقا ، وقحا ، زير نساء ، لا هم له غير البحث عن اللذات ، والتماس أسباب الشهوات حيثما وجدت ، ومن أى سبيل أتت.. وجعلتنى ، يا سيدى ، مستهترا بجميع القيم الخلقية والاجتماعية ، فبلغ بى الاستهتار حدا بعيدا لم أعفّ معه عن اغـراء تلك المرأة حتى أوقعها فى حبائلى ... ولوحت لها بالمال ، وهى الفقيرة المحرومة فخلب لبها المال ، فزلت قدمها ، الى آخر هذا الهراء ...

انى أستميحك العذر ، أيها السيد ، فلم يكن كل هذا الذى فعلته ، وقلته فى تصويرنا الا .. هراء ... فالناس كلهم يعرفون تماما اننى رجل محترم .. رجل فاضل .. يتمتع بمنزلة اجتماعية كريمة ... وتاجر كبير له كلمته ونفوذه ... وما كانت هذه المرأة لتخطر ببالى ... لولا انها هى التى تصدت لي .. هى التى طرحت شباك الغواية فى طريقى .. ولا أدرى كيف انزلقت .. ثم اندفعت فى طريق الاثم .. لقد سحرتنى يا سيدى .. اصطنعت كل دهائها النسوى الأصيل ... وتسلحت بكل مفاتنها لكي تذلنى ... وتخضعنى لسلطان هواها ... وكنت أصحو بين الحين والحين .. وأحس بمدى تدهورى ، فأحاول ان أتخلص منها وانجو بنفسى من شيطان غرامها ، واحطم قيود سحرها ، ولكنها كانت سرعان ما تغرقنى فى لجة لا قرار لها من مفاتن غرامها ، فأعود وكأنى عبد ذليل لها ،حتى اعتدت فى النهاية جوها المعطر ، وسكرت برحيق أنفاسها ، وأحببت شعلة النار التى كانت تضرمها فى بدنى ... وادركت هى اننى لن أستطيع أن أقاوم ، ولن استطيع أن أستنجد بارادتى التى اخمدتها ... فاستغلت ضعفى ، وتحرقى اليها ، واستعذبت خضوعى ، وراحت تبتز من مالى وتحيط نفسها بضروب النعيم، وترفل بحلل العز ،وتملأ معصميها ذهبا ، وتتقلب على مطارف من الحرير .. ولكنك أيها المؤلف لم تكلف نفسك مشقة النظر فى هذا كله ، لم تعن نفسك بالتفكير فى حقيقة أوضاعنا ، فتركت لخيالك الفنان يصور الأشياء ، على غير حقائقها ، ويطمسها طمسا ، ويزور الوقائع تزويرا ، ويبدل من ملامح الشخوص ومن حقائقهم النفسية كيف يشاء ...

أراك تبتسم ، يا سيدى ، وتهز كتفيك ... أتقول انك لست مصورا للواقع ... وأن فنك القصصى أبعد ما يكون عن التقاط الحكايات من قارعة الطريق والا لغدوت مصورا فوتغرافيا تافها، وانك انما تحتفظ بحريتك كفنان يفسر الأشياء ، ويحاول أن يستبطنها ، وينظر فى سرائر النفوس ، ويستخلص الحقائق الأبدية القابعة في الأعماق .. مما لا تراه العيون .. اننى لا أفهم هذا الذى تقوله ... وتزعم أيضا أن ما يظهر للعيون ليس أكثر من قشرة خارجية ، ليس أكثر من مظاهر خادعة ، واقنعة يضعها الناس فوق وجوههم ... وان على القصصى المبدع أن يرى ما وراء الأقنعة وما يكمن فى الأعماق ... ما أعجب وقاحتك يا سيدى الكريم ... أتبلغ بك الجرأة فتقول اننى كنت رجلا فاضلا ... ومحترما ... فى الظاهر فقط ... واننى كنت أخفى وراء هذا المظهر الماكر

حقيقتي الكبرى ... وهي أنني رجل فاسق لا يبالي بأية قيمة خلقية ... وانني كنت أداري هذا كله خلف قناع محكم من النفـــاق الاجتماعي .. والمنزلة الكريمة المصطنعة ... انك في الواقع لا تستحق أيها المؤلف ، غير ازدرائي .. و ...

★★★

مهلا .. مهلا .. يا خواجه اندراوس .. لا تدع للغضب سبيلا الى نفسك .. وأنت ، يا سيدي المؤلف ، لقد آن لي أن أتكلم ، فانا ابراهيم العواد صاحب القهوة ، أنا رجل من صميم الشعب كما تعلم . واني لعاتب عليك ، يا سيدي ، لسبب أو لآخر ، فلقد حسبت أن دوري في قصتك الطريفة يجب أن يكون ثانويا ... وأن علاقتي في القصة هي علاقـــة صاحب المقهى الذي كان يجلس فيه الزوج بطرس أو يعقوب كما سميته في قصتك ... ولا شيء غـير هذا ... وأنا عاتب عليك لأن الذي يقرأ قصتك يتبادر الى ذهنه أن مقهاي من تلك المقاهي الحديثة بكراسيها الأنيقة ، ومقـاعدهـا الوثيرة ، وصورها العصرية ، ومراياها الصقيلة المتالقة ... ولكنك تعلم جيدا انه مقهى شعبي ، يقع تحت تلك القناطر القديمة ، وهو واســـع رحيب ، وسقفه عقد جميل مقبب ، وجدرانه ذات سمك ، وبابه رتاج كبير ، ومقاعده كراسي واطئة سطوحها من القش المجدول ، وطاولاته صغيرة ، خفيفـــة ، مصنوعة ببساطة من خشب رخيص مدهون ...

وكنت أنت ، يا سيدي ، تحب الجلوس فيـه كثيرا ، وكنت تحدثني وتقول لي : ان مقهاك يـا ابراهيم مصدر الهام لي ... وكنت أشد ما تكون اعجابا بصوره الملونة الزاهيـــة ، صور عنترة ، والزير سالم ، وسيف بن ذي يزن ، والأميرة عليا ، المعلقـــة على جدرانه ، وكانت شوارب أولئك الرجال ، ودروعهم ، وسيوفهم ، وخيولهم المطهمة ، تخلب لبك ، كما كانت ضفائر الاميرة عليا ، وعيناها النجلاوان ، وصدرها العامر ... تملأك طربا ... وكنت تنشيء علاقات مودة بينك وبين رواد المقهى من بحـــارة وسائقي سيارات ، وباعة متجولين ، وأصحاب حرف بسيطة ، وكنت تتحدث اليهـم حديثا طويلا ، وتقدم لهم السكائر ، وتطلب لهم فناجين القهوة السادة الزكية الرائحة ... ثـم كنت المحك حين تخلو الى نفسك ، في ركن من المقهى ، تسجل في دفتر صغير ملاحظاتك ومذكرات لعلها كانت تنفعك في كتابة القصص ... قد أكون واهما ، يا سيدي ، ولكن هكذا كان يخيل الي .

واذكر يا سيدي أنك كنت لا ترتاح الى فنجان قهوة مضبوطة الا في مقهاي أنا ... كنت تقـول لي : انك فنان يا ابراهيم في صنع القهوة ... ودعني اذكر أيضا انك كنت تطرب لسماع اسطوانات الغناء التي كانت تـدار فوق « الفونغراف » في المقهى ... كنت تقول أن أمثال هذا الحاكي القديم ببوقه الاحمر أصبحت نادرة الوجود في هذه الأيام ، وكنت تصغي طويلا الى أغاني السيد سفطي ولياليه الشجية ، وصالـــح عبد الحي وآهاته الحلوة ومواويله المؤسية ... وكان يحلو لك أن تدخن « النارجيلة » وتنفث دخانها من خرطومها الطويل عاليا في جو المقهى كما يفعل سائر الزبائن من ابناء شعبنا الأصيل ... هكذا كنت أراك ...

وذاك هو مقهاي ، فلماذا بالله عليك أضفيت عليه ألوانا غريبة حتى التبس علي الأمر فلم أعد أعرفه بين المقاهي ؟

أجل ، ابتسم ، هكذا ، أيهــا السيد الكريم ، ودعني أتحدث الآن عن أولئك الذين نقموا عليك منذ قليل لأنك أثرت سخطهم بتصويرك اياهم على غير حقيقتهم في قصتك ...

أنت تعلـــم ان الزوج كان من زبائن المقهى المداومين فيه حتى ساعة متأخرة من الليل ... وكنت أراك تخالسه النظر ... ثم تستدرجه الى الحديث ، فكان يروي ما يحسب أنـه يـروق في نظرك ... ولذلك ربما كان يختلق أو يبالغ فيما يرويه لكي يرضيك ... والواقع ، كما عرفته أنا ، انه ليس مسكينا ، وليس شريرا ، وانما هو بكل بساطة مخلوق عادي ، قد هيضت ساقاه ، ولـه وسائله الخاصة في الكسب ، منها المقامرة اليسيرة الهينة كما روى لك ، ومنها القيام ببعض الوساطات ... وربما تعجب أشد العجب اذا أخبرتك أن من وسائل رزقه استطلاع الغيب ، والتنبؤ بقراءة الكف أو ضرب الرمل ، وقد كان لديه كتاب أصفر

قديم يصف بعض الأمراض وعلاجها ... لقد نظر يوما في كفي ، وتطلع في وجهي طويـــلا ، وقرأ في كتابه ثم زعم ، وهو يهز رأسه أسفا ، انني مصاب بداء « الكولونج » وبعد هذا قال كلاما كثيرا فلم أعره التفاتا ولم أفهم ما هو داء الكولونج ... ولكنني نفحته ببضعة قروش وقدمت له فنجانا من القهوة الطيبة .. كان الكثيرون يجودون عليه بمثل هذه القروش اليسيرة لكي يمتعهم بحديثه ،وينظر في أكفهم ويتنبأ لهم بلهجته الخاصة وتهريجه ، ومبالغاته ، وكثرة اشاراته وما يرتسم على وجهه من تعابير مضحكـــة ... وكنت انـــا احب ان يبقى في ركنه من المقهى ، فقد كان بعض الرواد لا يدخلون محلي الا اذا كان موجودا فيه ... كان باختصار ، عنصر ترفيه في المقهى ... حتى عاهته كانت تثير النشوة في النفوس وتنتزع الضحـــك العريض ، بدلا من الرثاء كما زعم ، كلما ســـار متقلقلا ، متخلعا ، الى اليمين مرة والى اليسار مرة ، وهو كما تراه هزيل ، مَرِيءُ العظام ، مهذار ، يدهور بين شدقيه عبارات وأنصاف عبارات ، ويطوّح بيديه في كل اتجاه ...

وبقيت حكاية زوجته : الحقيقة ان الرجل كان يشعر ان جوليا ـ أو اميلي كما شئت ان تسميها ـ مخلوق ثمين ... فوق قدرته ومستواه ... وكان يحس ان جمالها اعلى مما يستطيع ان يرفع اليه بصره ، وان شخصيتها بجموحها ، ونهمها ، وقسوتها ، اكثر من ان يسعه ان يعيش معها بسلام ... ولعلك لم تكن لتعلم ان والدها واخوتها رموها في أحضانه وزوجوها اياه لكي يستروا فضيحتهم وعارهم بعد ان آبقت وعاشت فترة على هواها ... ولقد اعطوه ايضـــا بعض المال ... تسوية محبوكة كما ترى ، رضي هو بها ، وادرك سلفـا انه لن يكون اكثر من ستار ، وانها ـ هي ـ لن تقلع عن غيهـــا ، وان عليه أن يذعن للواقع ... ويرضى بما قسم له ... ولكنه ، في قرارة نفسه ، يا سيدي كان مغتبطا ، فرحا ، فقد رأى فيها مورد رزق جديد ... كان يرجو أن ينال بعض المـــال بين حين وآخر .. ان يلتقط فتاتا كان يتصور ان ينهال عليها من عطاء الآخرين ... لكي يسكت... ويغض الطرف ... ويخلي المكان ... ولكن خاب فأله فقد كان ، في نظرها ، احقر من أن تهبه شيئا، او تقيم له وزنا ... ان مجـرد اقترابه منها كان يصيبها بالغثيان ، جعلته يكلمها من بعيد ، وهي لا تنفك تنفض برؤوس أصابعها شيئا تتوهمه عالقا بها منه ... ولهذا السبب ازداد سوء خلق ... كان يكبت في نفسه اهانتها واحتقارها ولا يجرؤ ان يفوه بكلمة واحدة أمامها ... ولكنه كان ينفجر صاخبا ، صارخا ، معربدا ، في مقهاي انا لسبب ولغير سبب ... هذه هي الحقيقة ... وكان في سورة غضبه أشـــــد امتاعا للزبائن منه في وقت هدوئه وسكينته ...

الصحيح ، أيها المؤلف ، انك شوهت شخصيته، وحذفت منهـا ، واضفت اليهـا واخفيت حقائق ، وذكرت حقائق أو ظلال حقائق ... ومن اهم هذه الحقائق ان جوليا ـ واسمح لي أن أدعوها دائما باسمها الحقيقي ـ لم تتخذ الخواجه اندراوس خليلا لها وحسب ، لقد كان لها غيره اخلاء ... وكان يقع في وهمه انه الحبيب الأثير وحده ، وكان هذا من فرط دهائها ، فقد استطاعت ان توهمه واذا شئت أن تغمض عينيه بأناملها الثعبانية ، فلا يقع في روعه ان احدا يشاركه في غرامها... وهكذا ظل مبسوط الكف ، وقد أضفى عليها الحريـــر والذهب ، واتاح لها ان تحقق احلامها كلها ...

الم تتساءل يا سيدي : ماذا كانت تجـــد في الخواجه اندراوس ؟ انه كما ترى فوق الستين من عمره ، وهو بعين واحدة سليمة والاخرى زجاجية ... وشـــعره الأسود هذا مصبوغ ، وشارباه المفتولان لا يشرئبان هكذا الا بفضل مادة «الكزمانيك» التي لا ينفك يدهنهما بها ... وهو ليس بمحترم ولا فاضل كما وصف نفسه ... انه لم يكترث بزوجته وأبنائه وبناتـــه ... أبناؤه رجال كانوا يعلمون علاقته بها ويسخرون منه ... وكان هو لا يحس أبدا انه امتلك خليلته بفضل المال الذى كانت تتلهف عليه .. جعلته يعتقد انه فتنها عـن نفسها ، وشغفها حبا وهياما ، وانها انما خضعت لسلطان هواه ، وانصاعت لرجولته الطاغية ... وكان هذا الوهم الكبير يزدهيه ، ويثير كبرياءه ، فيسير مزهوا ، ويميل طربوشه ، ويعدل قامتـه ويقع في نفسه انه لا يزال يرفل في حلل الشباب ... انها بدهائها الخبيث اختارته من بين الكثيرين ليكون فريستها ... وما أكثر ما استنزفت مـن ماله لنفسها ولكل خليل حبيب كانت تصطفيه من وراء الخواجه اندراوس التاجر الكبير ...

لا تضطرب يا سيدى المؤلف ... لماذا تجهمت أساريرك هكذا ... وغاضت الابتسامة المريضة التى كانت تتراقص فوق شفتيك ... وعقدت ما بين حاجبيك ؟ الانك تخشى أن اذكر تلك الحقيقة الضخمة الاخرى ، التى أخفيتها ، يا سيدى ، فى قصتك أخفاء شديدا ، مقصودا ، متعمدا ؟ ولكننا الآن فى موقف البوح والافضاء ، أيها السيد الكريم ، ولذلك فسأقولها انا تلك الحقيقة وهي :

ـ انك انت كنت خليلها ايضا ... خليل تلك التى اسميتها اميلى فى قصتك ... وكنت تنعم بمفاتنها .. وتعيش كل يوم ساعات فى ظلها .. دون أن يخطر ببال الخواجه اندراوس ولو شبه ريبة من هذا كله ... وقد كنت انت ، ايها السيد الكريم ، الحب الوحيد الصحيح فى حياتها ... أما سائر مغامراتها الاخرى فقد كانت مجرد نزوات لا تدوم طويلا ... يخيل الي انها احبتك لأنك كنت من طراز جديد ، طراز الرجل المثقف ، والمؤلف المشهور الذى تتحدث عنه الصحف والمجلات وتنشر مقالاته وقصصه وصوره وتشيد بنبوغه، ويجد فى مجتمعه التكريم والترحيب والاعجاب ... كانت تتصور انها فازت بك ، وانتزعتك من بين الفتيات والنساء ، المعطرات ، اللواتي يحطن بك ويقرأن ادبك ويزدهين انهن يعرفنك ويلقينك فى مجتمعهن ... واحسب يا سيدى أن تلونك ، وتقلب عاطفتك ولهجتك الآمرة ، اذ تتحدث ... أحسب أن هذا كله جعلها تهواك ... وتذوب فى غرامها بك ... والعجيب ... العجيب ... يا سيدى ... انك كنت ترى ان هذا الحب لا يعدو أن يكون مغامرة عابرة فى حياتك ... كنت أنت تلهو ... وتمرح ... وتضيف هذا الغرام الى قائمة انتصاراتك ... وكانت هي تسهر الليل وتناجيك ... وتستعد لساعة لقائك فتتزين وتتبرج ، وتتعطر ، وتملأ رحاب البيت زهرا وورد وغناء وطربا ... وتخطر وتميس ، فى انتظار الحبيب الغالى ...

اتسألني كيف عرفت هذا كله ؟ ان جوليا ، يا سيدى ، كانت بنت حارتنا منذ نشأت ... ولما كبرنا كانت كثيرا ما تهرع الي تستشيرنى وتطلب رايي فيما تلقى فى حياتها ... وكانت تفضى الي بدخيلة نفسها ولا تخفى عنى من امرها شيئا ... كانت يا سيدى ، اذا نأيت عنها ، وعذبتها ، ووقع فى وهمها انك توشك ان تقطع ما بينك وبينها ... كانت تهرع الي وتبكي وتبثني أشجانها وترتاح الى كلماتى الحادبة المشفقة ... وما أكثر ما انصرفت وهي تستغفر الله ، اشد ما تكون احساسا بأثمها ، وقد عقدت العزم ان تقلع عن غيها ، وتطهر نفسها بالحرمان ، والعكوف على الاستغفار وطلب رحمة الله ... ولكنها كانت لحظات سرعان ما تمّحى من افق نفسها ، فتعود اشدما تكون تهالكا على اسباب الغواية والضلال..

هذا كله ، أيها المؤلف المفتن ، لماذا لم تذكره فى قصتك ؟ ... ثم هى نفسها لماذا لم تشر الى مغامرتك معها ولو اشارة سريعة عابرة فى حديثها اليك منذ قليل ؟ اتراها ضنت بحبها ـ الوحيد ـ على البوح ؟ ثم ارايت يا سيدى ماذا صنعت بنا جميعا فى قصتك ، حتى كدنا أن ننكر انفسنا ؟ لماذا لم تكن امينا ، محايدا فى سرد الحوادث ، لماذا غيرت وبدلت فى ملامحنا ، لماذا تركتنا هكذا مضيعين ، وحائرين ، وقد فقدنا حقائقنا ، ومعالم شخصياتنا ؟ ... انك شردتنا ، يا سيدى ، وسنغادرك الآن لكى نبحث لنا عن مؤلف غيرك يضعنا فى قصتنا الحقيقة ... ويرد الينا ما ضيعته أنت من أنفسنا ، وما محوته من ذواتنا..

أتعود ثانية الى الحديث عن حرية الفن والفنان؟ ماذا يهمنا نحن .. ثم انك لن تقنعنى بقولك اننا نحن أنفسنا ناقض بعضنا بعضا فى سرد حقائقنا ، وان كلا منا روى قصته من زاوية بعينها ، ورواها الآخر من زاوية غيرها .. واننا نحن ايضا قد بدلنا وغيرنا ، واظهرنا أشياء واخفينا اشياء ، ووضعنا على وجوهنا أقنعة ، واننا لم تكن صادقين كل الصدق .. انك لن تقنعنى أبدا .. ولا أزال انا ، بل لا نزال نحن ، نصر على البحث عن المؤلف الذى يضعنا فى قصة معقولة .. قصة تتحدث عنا ، وتروى اخبارنا دون ما غرض ، دون ما تلفيق ... سنظل حائرين ، مضيعين ، ما لم نجد المؤلف الآخر الذى يستطيع ، باخلاص ، ان يضع قصتنا فى اطارها الملائم لها .. وأن يصور مشكلاتنا ، وهمومنا ، وازماتنا، تصويرا لا يداخله التحريف..

وداعا يا سيدى .. سنظل نبحث حتى نجد ذلك المؤلف الذي يردنا الى حقائقنا .. ويعيد الينا معالم شخصيتنا ..

محمود سيف الدين الايراني

طرائف عربية

صاحب اللجام

● قال ابو عبيدة : أجريت الخيل فى لحلبة فجاء فرس من الخيل سابقا ، نجعل رجل من النظارة يكثر الفرح يصفق ، فساله رجل الى جانبه :

ـ هل الفرس لك ؟

ـ لا ولكن اللجام لى . . .

درس !

● **تبخر مغفل فى ثياب ثمينة فاحترقت، فاقسم لايتبخر بعدها الا عريانا !**

اعرابى فى الحمام

وقالوا تَطهَّرْ إنه يومُ جمعةٍ ... فرُحْتُ من الحمام غيرَ مُطَهَّرِ

تَردَّيتُ منه واقعاً شُجَّ مَفْرِقي ... بِفَلْسَين ،إنِى بئس َما كان مَتْجَرِى!

ومايُحسِنُ الأعرابُ في السّوق مِشْيَةً ... فكيف ببيتٍ من رخامٍ ومرمرِ ؟ ؟

ليلة بالف دينار

● قال عمر بن عبد العزيز : « **والله انى لاشترى ليلة من ليالي عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بالف دينار من بيت مال المسلمين** » .

قيل له : يا امير المؤمنين ، اتقول هذا مع تحرّيك وشدة تحفظك وتنزّهك ؟

فقال : **اين يذهَبُ بكم ؟! والله ِ اني لأعودُ برايهِ ونصحه وهدايته على بيت مال المسلمين بالوف والوف الدنانير . . ان فى المحادثة تلقيحا للعقول ، وترويحا للقلب ، وتسريحا للهم ، وتنقيحا للأدب.**

بين ظريف

● كان « جَحْظة » ابو الحسن احمد ابن جعفر من احفاد يحيى بن خالد البرمكي ، شاعرا معروفا وواحدا من مشاهير ظرفاء عصره . دعا ذات يوم بناء ليبنى له حائطا ، فحضر ، فلما أمسى اقتضى الاجرةَ عشرين درهما ، فقال له جحظة : « **انما عملتَ يا هذا نصفَ يوم فقط ، وتطلب عشرين درهما ؟!** » .

قال البناء : « انت لا تدرى ! لقد

بالكـــاد !

● أدرك جرير الأخطل وهو شيخ قد تحطم فقال :
ـ أدركته وله ناب واحد ، ولو أدركته وله نابان لأكلني !

اكرم شعر لموتورة

● لم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من أسرى الحرب الا اثنين عقبة بن ابى مُعَيط ، والنضر بن الحارث ابن كلدة ، وكانا شديدى العداوة للرسول ودعوته . اتاه أولهما وهو يصلى فى الحجر فوضع ثوبه فى عنقه وخنقه به خنقا شديدا لولا ان انقذه منه ابو بكر ، واما الثانى فكان اذا ما تلا الرسول القرآن على قريش قال : « انما يأتيكم به محمد من أساطير الأولين » ، ثم يبدأ يحدثهم بأخبار ملوك الفرس وغيرهم .

ولما قتل النضر رثته اخته قتيلة بنت الحارث بقصيدة قالت فيها :

أمحمدٌ ولأنتَ نسلُ نجيبـةٍ ... في قومها والفحلُ فحلٌ مُعرِقُ
ما كان ضرّكَ لو مننت وربما ... مَنّ الفتى وهو المَغيظُ المُحنَقُ
لو كنتَ قابلَ فدية لفديتُه ... بأعز ما يغلو لديك وينفـقُ
فالنضرُ أقربُ مَن أخذتَ بزلـةٍ ... وأحقهم إن كان عِتقٌ يُعتَقِ

فلما بلغ رسولَ الله شعرُها قال : لو سمعتُ هذا قبل أن اقتله ما قتلته .

وقد اشتهرت لقصيدتها تلك بأن شعرَها اكرمُ شعر موتورةٍ واعفُّه .

وفاء النذر

● كان لبعض المغفلين حمار ، فمرض يوما ، فنذر ان عوفي أن يصوم عشرة ايام ، فعوفي الحمار ، فصام .. فلما تمت مات الحمار .... فقال :

ـ يا رب تلهيت بي ؟ ولكن سترى متى جاء رمضان !

وبنـــاء

بنيت لك حائطا يبقى مائة سنة » ...

واشتد بينهما الخلاف على الاجرة ، وبينما هما فى مشاحنتهما اذ سقط الحائط ، قال جحظة : **هـذا عملك الحسن ؟!**

قال البناء : « او كنت تريد أن يبقى الفَ سنة ؟ » .

قال جحظة : « **لا ... ولكن أن يبقى الى أن تستوفى اجرتك !** » وتضاحكا .



● **مدير الشركة للموظف :** اقسم لك بشرفى انى مصدق كل ما جاء فى طلبك بخصوص علاوة الأولاد ، وموافق عليه ، ولم يكن هناك داع لاحضار كل هذه المستندات !

اِضْحَكْ

فى المطعم

● الزبون يطلب نصيحة الجرسون : قل لى لو كنت انت مكانى ، وعليك دفع الحساب ، فماذا كنت تطلب ؟



معقـول

● فى اختيار القبول للعمل قال المدير لطالب الوظيفة :

ــ كم عمرك ؟

ــ ٤٠ سنة

ــ كم سنة عملت فى آخر وظيفة لك .

ــ ٥٠ سنة !!

ــ بربك .. كيف يكـون عمرك ٤٠ سنة واشتغلت ٥٠ سنة ؟

ــ وما الغرابة فى هذا ؟ .. لقـد احتسبت الوقت الاضافى الذى عملتـه طوال هذه المدة !!

العربي

العدد ٨١
ربيع الثاني ١٣٨٥
اغسطس
(آب) ١٩٦٥



اطلب

العربي الصغير

ع هذا العدد

جوائز

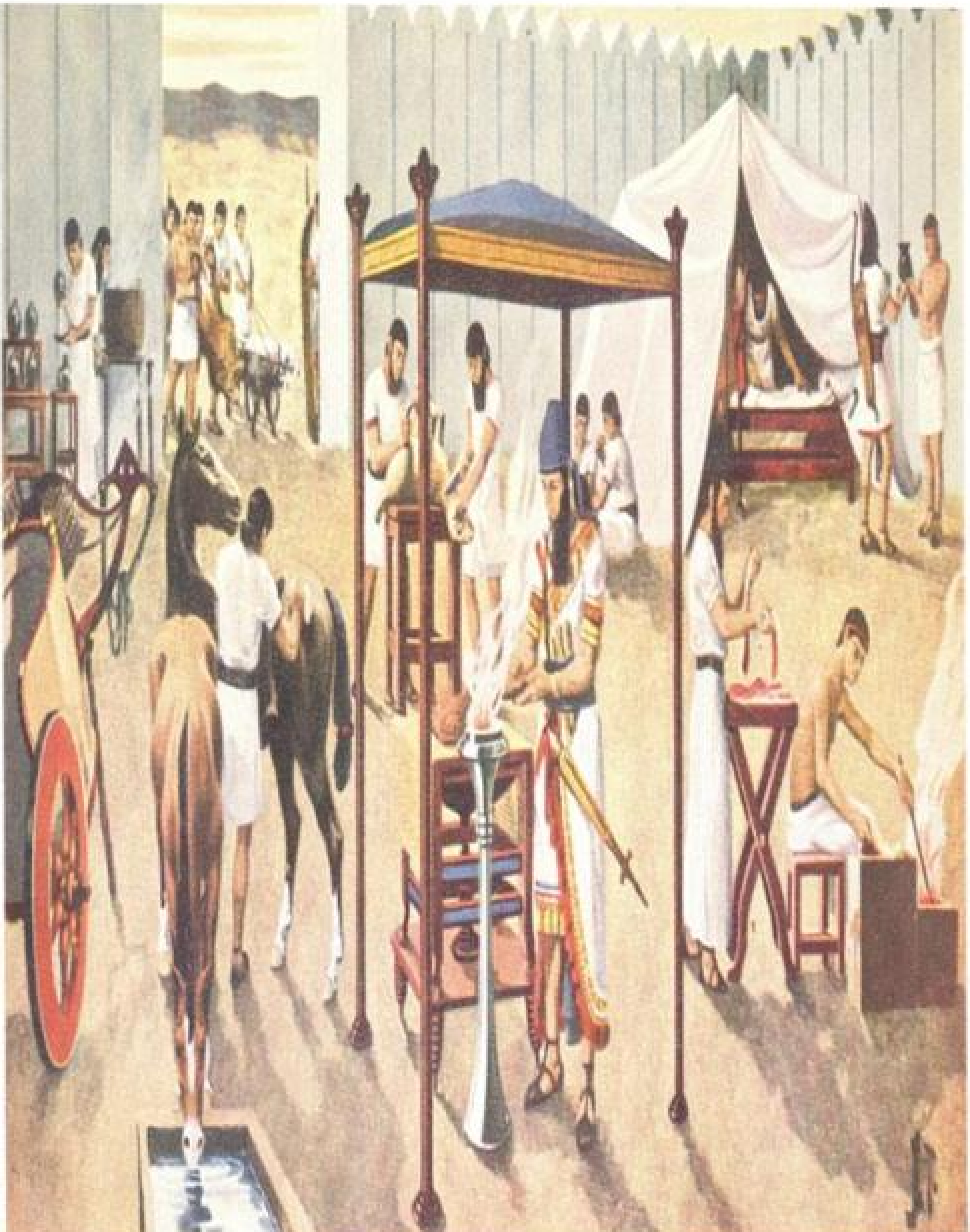
١٢٠٠

ينار سنويا

ـة يذهبن الحزن
ـرة والماء والوجه الحسن
الثلاثة افتقدت هنا ؟

الثمن

ـيت	١١٠	فلوس
ـج العربي ٢		روبية
ـعودية	٢	ريال
ـن	٢٫٥	شلن
ـراق	١٢٠	فلسا
ـان	١٠٠	قرش
ـن	١٠٠	فلس
ـرية	١٠٠	قرش
ـ ع.م.	١٠	قروش
ـودان	١٠	قروش
ـيا	١٥	قرشا
	٢٠٠	مليم



حضارات سادت .. ثم بادت

تمثل الصورة معسكراً من المعسكرات التي انتشرت في دولة آشور أيام عصرها الذهبي . كان ذلك قبل مولد السيد المسيح بحوالي ألفي سنة ، وفي النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد على وجه التدقيق . وكان ذلك أيضاً وبصفة التخصيص في عهد الملك (آشور ناصربال) الثاني الذي يرى دائماً في مقدمة الصورة يؤدي الصلوات والطقوس في جو عابق بالبخور تحت السرادق الملكي الأبيض .

(البقية على صفحة ١٥٩)

عزيزى القارىء :

●● هذا اغسطس ، وهو بالسريانية آب ، وآب فى العربية فعل ماض مضارعه يؤوب ، اى يعود . وقد عاد « آب » على البلاد العربية ، كما يعود كل عـام ، بالحر . والحر يذكر بعقاب الآخرة . والحر اذا زاد أكسل وأخمد . والبرد اذا زاد أقعد وجمد . والمناوبة بين حر الصيف وبرد الشتاء يعلم الانسان ان خير الامور اوسطها ..

ودخل الدفء الى بيوت العرب ، شتاء ، موقد غاز او موقد كهرباء ، فجعل اهلها احس ببـرد . ودخل الهواء بيوت العرب صيفا ، مكيفا مبردا ، فجعل أهلها أحس بحر . حساسية خلقتها المدنية عند العـرب فباعدت بينهم وبين بيئتهم . وخرجوا عن بلادهم ، على الاخص هربا من حر ، فاضاعوا مالا وانفقوا عمرا ، وهم على البطالة انفقوه ، او على جمر الضياع احرقوه .

قال الشاعر :

« لكل داء دواء يستطب به »

ولست أرى لهذا الداء دواء .

قد لانستطيع ان نعود بالزمان الى الوراء . ولكـن باستطاعتنا ان نغير ونبدل ونعدل ، فى كـل شىء ، بحيث نقلل من خسارة فيه ، ونزيد من كسب .

لا سيما ورحلة الصيف خير ، اذا هى جمعت بـين الرخىّ المستطاب من الاجواء ، والثمر المستفاد من اهل الرأى فى ربوع المدنية ومن العلماء .

المحرر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 81 August 1965 – P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ – تلفون ٢٩٤١١ – تلغرافيا «العربى»
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة – قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

في هذه الايام يقصد الناس الى المصايف الجبلية أو الشواطىء ، او النوادي البحرية هربا من الحر وترويحا عن النفس .. وهذه احدى المصطافات قد فضلت الشاطىء على الجبل ، وقد ظهرت خلفها بعض الزوارق التي يستقلها الراغبون في النزهات البحرية .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس. مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣٫٥ شلن . العـراق ١٢٠ فلسا ، سـوريا ١٠٠ قرش . لبنـان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السـودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف :



قصتي مع العربي

● هذا حديث طريف وددت لو اطرفتكم به من قبل ، ولطالما اشتاقت نفسي الى الكتابة اليكم لولا عدم وجود الفرصة المناسبة التى اراها اليوم متاحة امامي .

فلما كان والدى ـ رحمه الله ـ موزعا لمجلتكم الزاهرة « العربى » ، وقد صدر منها العددان الاول والثاني ونفذا كالبرق الخاطف ، ناولني والدى رسالة الى البريد وحثني على الاسراع بها لانها هامة فلما اودعت الرسالة مأواها فى مكتب البريد عدت اليه استفهمه عن مضمونها فاذا به يجيب بانها لزيادة كمية مجلة « العربي » اذ ان الكمية المرسلة لنا لم تعد تكفي القراء .

كانت لدى فكرة منذ الصبا وهي انني لا اطلع الا على المجلة الاكثر رواجا فى الاسواق فاراجع كشوفات الكميات دوما لاختار المجلة التي اقرأها باستمرار ، ولقد كانت تلك الرسالة السبب الذى دفعني الى اقتناء « العربي » وحفظها وتجليد كل ٣ اعداد فى مجلد لاملك مكتبة من مجلدات « العربى » .

لكن اين العددان الاول والثاني .. ان البحث عنهما كالبحث عن البترول فى الارض ، شاق ، متعب ، وكلما سألت انسانا عنهما قال : (لا افرط فيهما)، وآخر: (أود جمع الاعداد والاحتفاظ بها)، وثالث : (انها ثمينة) . حتى هداني السبيل الى صديق استغنى عنهما بسبب سفر طارىء فرايت عنده بغيتي الا انه ابتسم وقال ثلاثة دنانير عن النسخة الواحدة .

هزتني المفاجأة ، كيف ادفع هذا الثمن الضخم ؟ ! لكنى لم اجد بدا من ذلك لاكمل مجموعتى ..

وقبل ايام عاد صديقي ليطلب العددين بنفس الثمن الذى باعهما لى به فهزأت من طلبه وقلت له : لو اعطيتني ثقلهما ذهبا ما وافقت اطلاقا فحاول اقناعى قائلا : ولكنك اشتريتهما مني بسعر ٣ دنانير لكل نسخة وسأعطيك ضعف المبلغ لا تنتهز فرصة ندرتهما وترفض بيعهما ؟ ! فقلت له : ليس السبب هو ندرتهما ولكن السبب ان مجلة « العربى » هي الثمرة الاولى التي هذبت اسلوبي بل وشجعتني على اخراج باكورة انتاجي « نهاية قصة » .

سيدى رئيس التحرير : هذه هي الحادثة الطريفة التيوددت سردها عليك .

شاكرا لسيادتكم ذلك . هذا وقد بعثت لك نسخة من الكتاب كهدية راجيا القبول ، فارجو التكرم بابلاغي عن الاستلام للاطمئنان .

شاكرا لسيادتكم ذلك وتقبلوا عظيم الاحترام .

المنامة ـ البحرين : فؤاد ابراهيم عبيد

التاريخ الهجرى والتاريخ

● جاء فى صفحة ١٤٣ من العدد ٧٩ ان بدء التاريخ الاسلامي كان سنة ٦٢٣ م وهذا خطأ وصوابه سنة ٦٢٢ اثنين وعشرين وستمائة .

وجاء انه كان يوم ١٣ أبيب سنة ٢٨٨ قبطية ، وهذا ايضا خطأ ـ والصواب ٢٢ ابيب سنة ٣٣٨ . ومعروف ان السنة القبطية بدات سنة ٢٨٤ ميلادية أثر مذابح القيصر الروماني دقلد يانوس التىاستشهد فيها كثير منقبط مصر.

وهنا فائدة يحسن ذكرها وهى ان ١٦ يوليو سنة ٦٢٢ ميلادية وافق يوم ٢٢ أبيب بينما يقع ٩ ابيب ـ هذه الايام ـ فى ١٦ يوليو من كل سنة . وقد يبدو هذا غريبا لان التقويمين الميلادى والقبطى يسيران على الحساب الشمسى ، ولكن لا

حــول استطلاع المكــلا

الدولة القعيطية

السكرتارية ـ المكلا ـ حضرموت

● ... ولقد تلقيت ببالغ الشكر العدد ٧٩ من مجلة « العربي » الغراء ، شاكرا ومقدرا لكم مشاعركم الكريمة ، فقد كان الاستطلاع ممتعا حقا ، ونرجو أن يسفر نداء « العربي » للدول العربية الشقيقة لمساعدة حضرموت بنتائج طيبة ، تنقذ هذه البلاد العربية الصغيرة ، من مشاكلها الجمة ، والله نسأل أن يوفق الجميع لكل خير .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي ودمتم ،

المخلص : أحمد محمد العطاس

وزير السلطنة القعيطية

فلسفة العقاد وفلسفة كنط

● ان فكرة تخليد ذكرى العقاد فى عدد شهر آذار لفكرة فى غاية النبل ، ولكني للاسف اشعر ان العقاد لم يُنصَف . ولا ادرى من الملام ! اهو العقاد نفسه ام العرض السريع لفلسفته ؟ ان مقالة الدكتور عثمان امين ابرزت العقاد كفيلسوف سطحي وكمقتبس لفلسفة ديكارت وكنط بحذافيرها وطبعا بأخطائها مما يترك باب النقد مفتوحا على مصراعيه . وانا لن اخوض بفلسفة العقاد بحد ذاتها لاني لا اقدر ان احكم عليها بعدالة من مقالة الدكتور امين ، ولكنى آخذ على كاتب المقالة الاسلوب الذى سلكه فى الكتابة .

ان موت العقاد لا يعنى انه من واجبنا ان نعتبره معصوما عن الخطأ . فانا آخذ على كاتب المقالة قوله عن مذهب العقاد فى الاخلاق « وتلك لعمرى نفحات من نفحات الفيلسوف كنط . » هذه جملة تنم عن شعور بالفخر لمطابقة اراء العقاد وكنط . ولكن من لا يعلم ان فلسفة كنط حول « الامر الجازم » او التزام التصرف بما يمليه الواجب وحكم التصرف السلوكي على هذا الاساس لها جوانب ضعف كثيرة .

لقد كان من الاجدر ان يقتصر البحث على جانب واحد من فلسفة العقاد المتعددة الاطراف ، وملاحقة تطور افكاره . فمثلا على اى اساس فلسفة الروح والمادة مبنية ؟ وهل هنالك اى علاقة او اتصال بين الروح والمادة ؟ وهل هذه الاراء ايضا تطابق فلسفة ديكارت التي اكل الدهر عليها وشرب ؟ واما اذا كان الامر عكس ذلك فكيف توصل العقاد الى اعتناق ذلك الرأى ؟

ونحن اذ نتبع مثل هذا الاسلوب نعطي العقاد حقه ، فالنقد لن يقلل مطلقا من قيمته ، والدليل على ذلك ان كنط وديكارت لا يزالان يحتلان مركزا مرموقا فى الفلسفة ، كما اننا نعطى الفلسفة العربية الفرصة لتتعرف لذاتها بمحاسنها واخطائها .

جامعة بريستول : آنسة مي اسماعيل بلبيسي

البقية على صفحة ١٥٧

الميلادى خطأ مطبعي ..

غرابة فان تعديل التقويم الميلادى الذى حدث سنة ١٥٨٢ م جعل ايام التقويمين مختلفة عما كانت ، ومن اجل ذلك يقع عيد الميلاد بالحساب الغربي فى ٢٥ ديسمبر من كل سنة وبالحساب القبطي فى ٧ يناير من السنة التالية . والفرق هو الايام الثلاثة عشر التي نشأت عن تعديل التقويم الغربي من حسابه القديم الذى كان يسمى (باليولياني) الى حسابه الحالي المسمى (بالغريغورى) .

عبد السلام محمد النجار

العربي : كلنا نعرف ان التاريخ الهجرى بدأ عام ٦٢٢ ميلادية ، لا عام ٦٢٣ كما نشر خطأ ولم يتنبه اليه قسم المراجعة والتصحيح .



ويتمتع الناس اليوم بكل هذا الجديد من المدنية ، فيحسبه قديما قدم الشمس التي تطلع كل صباح

مدينتان بينهما نصف قرن



■ نحن الآن حول عام ١٩٠٠ .

البيت بيت أسرة متوسطة معروفة ، فى ميناء صغير ، ولكنه مشهور ، واقع عند ملتقى البحر ، الذى نعتوه بالأحمر ، بالقناة التى وصلت بينه وبين البحر الأبيض .

وأمام البيت ساحة كبيرة من ساحات الميناء الصغير ، ووراء البيت حديقة كبيرة ، وراءها الخلاء امتد عبر خط السكة الحديد ليكشف لعين الناظر طابية الميناء وما يجرى وراءها من ماء .

هذا البيت تمثلت فيه المدنية التى كانت فى ذلك العصر تمثلاً كاملا .

كان فى البيت كل شىء يأتلف والحياة التى كانت عندذاك . المندرة للضيوف . والفرن للخبيز ، والسطوح للقاء على العشاء عندما يبترد الجو فى الأمساء .

قصة الخبز

ولنبدأ بقصة الخبز . كان الخبز يأتى البيت زكيبة من بعد زكيبة ، ملؤها

وزحفت المدنية على الأزهر، فاختفت حلقاته . حتى اللحية والعمامة في سبيلهما إلى اختفاء .

من الزمان ١٩٠٠ ١٩٥٠

القمح ، ويظل هذا القمح مخزونا الى حين الحاجة فى حجرة الخزين ، وموقعها كان الى جانب حجرة الفرن فى الدار . واذا طال خزنه ظهر فيه السوس . ويأتى يومُ تحضيره للطحين ، فتجتمع عليه « صديقات » الأسرة من النساء .

صديقات الأسرة

وصديقات الأسرة ، وكل اسرة فى مثل مكانة هذه الأسرة ، كن من النساء ذوات الأسر الكادحة الفقيرة نوعا ما ، ويقدمن معونتهن غير ماجورات . الاجر لهن مهانة وضياع كرامة ، وعند الفراغ يجلسن على السجاد الى جانب نساء الأسرة ، يأتين بالأخبار ، وما يجرى بين الناس من اقوال . فهن صاحبات مؤانسات . وبالطبع كانت تدرُّ عليهن هذه الصحبة ، فى المناسبات ، وفى غير المناسبات ، بديلا من أجر . وهن دائما مستجيبات للدعوات، حينما يأتي الموسم الذي يتسع فيه العمل عن مقدور الأسرة والخدم .

طحين القمح

وتحضير الغلة للطحين كان موسما من هذه المواسم . يجلس فيه النساء حول الصوانى الكبيرة ، وهي من نحاس ، وقد تكوّم فى أواسطها القمح ، ويأخذن ينثرن القمح ناحيتهن ، حتى اذا ظهر فيه الطين والدحريج وسائر الخَبَث ، التقطنه بالأصابع . فهذه هي التنقية . ومن بعد التنقية يبلل القمح بالماء . ثم يأتي من يحمله الى طاحونة من طواحين الفلال بالبلدة . وكانت طواحين من النوع البسيط ، أجسامها ظاهرها من خشب . وينخل الطحين ويصنف من حيث النعومة صنوفا عدة ، نمرة ١ ، نمرة ٢ ... وفى آخر المطاف الردّة الخشنة . وقبل الردة الخشنة ، ردّة ناعمة .

العجين والخبز

والعجين ، والخبز كان يتم فى البيت . الخميرة ، وهى فضلة تملأ الكفين باقية من عجين الأسبوع الماضى ، تربّى فى المساء . ومعنى ذلك أن يضاف اليها ماء ودقيق وملح ، وتعجَن ، وتترك للصباح لتختمر ، أو لتزيد اختمارا .

ويأتي دور العجن . وهو يتم فى ماجور من الفخار كبير ، هو من الحجم بحيث يتسع لصبي صغير أن يجلس فيه . تذاب الخميرة فيه أولا فى الماء ؛



ويضاف اليها الدقيق ، ويعجن ، مرة من بعد مرة ، حتى تنعم العجينة . وتترك لتختمر . وتوضع علامة كالقرش من عجينة صغيرة على جدار الماجور من الداخل فوق الكتلة الكبيرة ، حتى اذا وصل اليها العجين، وهو يعلو فى اختماره، بعد ساعتين او نحوها ، فذاك اشارة الى أن وقت «التقريص» قد حان .

ويقرّص العجين على فرشة من الردّة . الردة الناعمة . ثم يخبز فى الفرن ، فرن الدار ، وقد كان جرى احماؤه منذ حين .

ويقوم على كل هذا نساء متخصصات فى هذا ، من خارج الأسرة طبعا .

والخبز الناتج يبقى لتأكل الأسرة منه اسبوعا . واذن فبعضه يقدّد فى الفرن بعد خبزه . وقد يتجمد على الخزن ، واذنْ يطرّى بالماء . وقد ينال الخبزَ ، غيرَ القديد ، العفنُ الأخضر ، فيقول القوم فى تبريره انه نافع للشعر واطالته ، وكانت النساء تتبارى جمالا بأطوال شعورها .

فهذه قصة الخبز ، طعام الأسرة كل يوم . قصة طويلة ، ولكنها كانت تملأ فراغ النساء فى وقت كان الفراغ طويلا ثقيلا .

وكالخبز سائر الطعام .



قصة السمن

فالسمن مثلا له قصة ، لأنه خزين عام . تأتي الزبدة بيت الاسرة ، قوالب قوالب، كقالب الطوب لولا استدارتها . وهذا قالب اصفر، فهو من لبن البقر. وهذا قالب ابيض ، فهو من لبن الجاموس . وتسيّح الزبدة فى اوان نحاسية ضخام ، من تحتها الموقد ، ووقوده فحم الكوك ، لأنه اعلى حرارة ، واقل دخانا .

وينفصل الدهن ، الذى هو السمن ، عما احتوته الزبدة من مكوّنات كانت فى اللبن اخرى . انها تنعقد ، ولا ينعقد الدهن .

والذى انعقد ، فانفصل ، له طعم الجبن ، ويسمونه « المرتّة » . وكان يؤكل غموسا مع الخبز ، لحذاقته وللذى به من دسم .



والسمن يعبّأ فى صفائح كانت تأتي المدينة بجاز (كيروسين) يأتى من روسيا يعرف بأبي خروف . وتفرغ الصفائح من الجاز فتهيّأ لاستعمالات اخرى ، منها خزين السمن . وقد يصل خزين الاسرة الى ست صفائح او اكثر .

مدنيّةُ مخزونات

وكخزين السمن ، خزين الجبن . يضاف اليه بعض اللبن ، ثم يختم عليه، لعدة اشهر .

والعسل الأسود كان يشترى فى

بلاصاته ، وهي من فخار ، ومنه تتزود الأسرة طول العام

وكخزين القمح والسمن والعسل ، خزين العدس ، والبصل ، والمخلل .

كانت المدنية ، مدنية خزن وتخزين .

وحتى الدجاج ، كان يجرى عليه نوع من التخزين ، ولكن ذى الأجل القصير .

يطرق بائع الكتاكيت الباب ، وعلى راسه قفص عرضه متر ، وطوله متران ، وارتفاعه قدم . وفيه مئات الكتاكيت الصغيرة، التى تفقست حديثا ، فلا تكاد تستقيم على ارجلها .

وتشترى الاسرة منه المائة والمائتين .

هذا كتكوت ابيض ، وهذا أصفر ، وهذا فيه اخضرار ، وهذا بالسواد مرقع .

وتأخذ الأسرة بتربيتها ، ويموت منها ما يموت ، ويحيى ليصير فرّوجا منها مايحيى .

وكالدجاج الحمام ، والبط والأوز ، كله فى طرف من اطراف البيت خاص به.

واللبن من الماعز

حتى اللبن . عز يوما ، فجاءت الأسرة بماعز تستدر حلبه . ولكنها تجربة أعصى .

والماء الماء

وبالطبع الماء ، اول حاجات الحياة ، كان يخزن فى الأزيار .

ويأتي السقاء حاملا القربة علي ظهره، وقد نفخها الماء فأشبهت الماشية الحية التى كان هذا جلدها. يأتي السقا ويصيح بالماء . ويؤذن له ، وقد اختفى من طريقه النساء ، ومع هذا هو يردد ، يا ستار ، يا ستار ، تحذيرا لمن قد تكون قد غفلت عن مجيئه فلم تستتر .

ومن فوهة القربة ، أو خشمها ، يصب الماء فى الزير .

وكان الزير بالذى به من مسام يتبخر منها الماء ، خير مبرد للماء .

ويؤجر الساقي خرزة واحدة لكل قربة ، من خرز من زجاج تشتريه الأسرة



منه أول كل شهر .

وحدث ان دخل الماء الدار ، ادخلته الحكومة فى أنابيب . فكان حدثا فىالشارع، بل فى الميناء ، كبيرا . الا ان الانبوب وقف داخل باب الدار من خلف . لم يستطيع ان يدور فى الدار ، ولا أن يصعد السلم الى الحجرات العليا .

ومع هذا كان حدثا عظيما .

وحدث أن ارادت الاسرة أن ترفع الماء الى اعلى بخراطيم من عندها . ثم علمت أن هذا غير جائز . لعل هذا كان بسبب ان الميناء لم يكن بها من الماء ما يكفي السكان جميعا .

على كل حال اختزنت الحكومة الماء بعد أن كانت تختزنه الدور .

الاضاحي ، وعيد الأضحى

شيء واحد لم تحاول الأسرة ان تخزنه ، ذلك اللحم ، ولم يكن فى ذلك الزمان ثلاجات .

خزين اللحم فقط يكون فى عيد الأضحى .

ويأتي عيد الاضحى فتشترى الاسرة الخروفين فالثلاثة . وفى صبيحة العيد يذبحها الجزار فى ساحة البيت ذبحا ، والدم يسيل ، والصبية تنظر . وهي بذلك تتعود ان لا تجفل من الدم . وتتشكل ضمائرهم على هذا النحو عندما يكبرون .

ويكون للنساء الفقيرات ، صديقات الأسرة ، من هذا اللحم نصيب غير منقوص .

ورمضان ، وعيد الفطر

وبذكر الأضحى ، نذكر عيد الفطر ورمضان .

اما رمضان ، فكان شهر صيام حقا للكبار ، وكانت لياليه فرحة للصغار . ويقترب غروب الشمس فتخرج صبية الأسرة الى سطح الدار تتسمّع المدفع الذى يدوى من الطابية التى عند الماء ، ويشوقهم ان يروا لمعته قبل ان يسمعوا دويّه . والتراويح كان لها شأن . ثم تبدأ فى الدار ، فى المندرة قراءة القرآن عشيّة . وكثيرا ما كان الأصدقاء من الحفظة يقومون بها . والاطفال تدور زمرا فى الطرقات ، وهي مظلمة اكبر ظلمة ، فلم يكن فى البلدة عند ذاك نور الا فى الشوارع الاصلية . وكان نورا ما اضعفه .



لهذا حمل الأطفال الفوانيس ، زرافات زرافات ، صفراء ، خضراء ، زرقاء ، حمراء ، وطوفوا بها . والذى يتخلف منهم لا يلبث أن تغمره الظلمة فيدخله الروع ، فيسرع ليحتمي فى الجمع . ان بالظلام جنّاً وعفاريت . وقد شاع عند الأطفال كذلك أن فى البلد خطافين ، يخطفون الأولاد . هكذا كانت تعلمهم الأسَر .

ويختفي الأطفال ، وتجزع الأسرة ، فتطلب المنادى يدور فى الشوارع والحوارى ، يعلن ضياع الولد ، يصفه ، طوله ، عمرَه ، ملبسه . ويختم بقوله «مدد يا رفاعى مدد» ، أو «ياعدَوى» ، استنجادا بأصحاب الكرامات .

ويأتي العيد فيكون ابرز شيء فيه كعكه . يبدؤونه ، ولم يتم رمضان . وتجتمع الأسرة ، تعزّزها الصديقات الكريمات ، ام محمود ، وام خضرة ، وبناتها اذا استدعى الأمر ، فيجلسن يصنعن الكعك، وفى داخله « العجمية » ، ثم ينقشن سطحه بالمنقاش . ثم صبيان الفران يحملونه ليلا الى الفرن العام .

ولم تكن فرحة عند صبية الأسرة كفرحتهم وهم يعودون ، حتى قبيل السحور ، مع الكعك ، ساخنا فوق صيجانه ، الى البيت .

انهم رأوا الفرن والفران ، والكريكات، يدخل الى النار رفيعها والعريض ، ورأوا النار كيف تحمى ، وكيف هي تهدأ ، لتكفي خبز الكعك ولا تحرقه .

تجارب للصبي الصغير يفهم منها دنياه عند جذورها الأولى .

وام محمود هناك، انها زوجة الخباز .

ان ام محمود وام خضرة ، وسائر هؤلاء النسوة الصديقات ، كن نساء ناميات فى السن متقدمات، خبرن الدنيا.

أم خضرة وأبو خضرة

وام خضرة كانت زوجة الصباغ . وكانت مصبغته فى البلدة ، تدخلها انت ، فتعلو ارضها بك خطوات . ثم ترى فى هذه الأرضية العالية فجوات كالآبار ، فيها الأصباغ . النيلة الزرقاء كانت هي الغالبة ، نيلة الهند . ويغرق الصباغ وصبيته الأثواب البيضاء ، فى تلك الآبار، من بئر لبئر ، ثم هو يرفعها بعد حين ، فاذا هي زرقاء .

ان الزرقة كانت اللون الغالب للباس الفقراء ، واهل الفلاحة خاصة .

وترى الصبّاغ ، ابا خضرة ، فتجد الزرقة قد بلغت من يديه الى مرفقيه .

وفى العرس

والى جانب الصباغ ، كان النجار ، وهو لصنع الأثاث ، والمنجد . ويكونان اوضح ظهورا فى الأسر عندما يقوم بها عرس . النجار يمسح الخشب ، او يجرى بالطلاء على المائدة . والمنجد يدق وتره ويمس به القطن فينفضه . او هو يخيط الستائر من حرير يقصه بطول الأبواب ، والنوافذ . والسرير ، سرير العرس ، كان شيئا عاليا كالعرش ، يصعد

اليه الصاعد والصاعدة بدرجة او درجتين ، وهو من حرير .

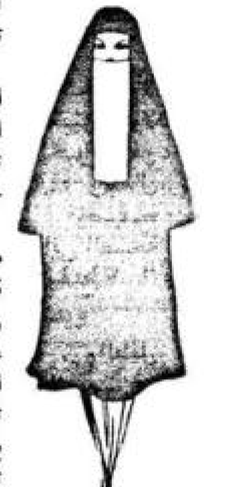
نعم . كانت مدنية اول هذا القرن ، مدنية تحاول ان تكفي نفسها بنفسها ، فى طعام البيت ، وسائر حوائج البيت . كانت مدنية استكفاء .

مجتمع ساده الحجاب

وفى المجتمع ، تجمع الناس على نحو .

اما النساء فلهن البيت . واذا خرجت نساء هذه الأسرة ، فبالملاءة السوداء ، وهي نصفان ، نصف للصدر والظهر ، وللرأس حتى الحاجب ، ونصف ادنى لسائر الجسم . ثم البيشة البيضاء ، وهي من حرير رقيق ، لا تحجب من الوجه الا ما فوق ارنبة الأنف ، فعند هذه الارنبة وقفت حدودها .

وكانت الأسرة تجتمع كلها على الطعام وغير الطعام ، نساء ورجالا واولادا ، الا ان يكون فى الدار غريب ، رجل او امراة ، واذن ينفصل الرجال للرجل الضيف ، أو تنفصل النساء للضيفة.



وكان يعد غريبا اخ الزوج ، تحتجب دونه امراة اخيه ، لا يراها ولا تراه . وقد تراه هي من خلل النافذة وهو خارج.

وكانت النساء لا تخرج من البيت الا لزيارة نساء ، وما كان اقلها . والا لزيارة الاموات فى عيد . وكن يحتفلن بهذه الزيارة احتفالا ، فلا تدرى اهو احتفال بالموت ، او احتفال تتفسح فيه النساء بعد طول انحباس.

وكان فى ليالي القمر للأسرة خروج الى البحر، يخرجون نساء ورجالا واطفالا . ولكن فى الليل ومعهم العشاء . وكان فى هذا للنساء خاصة تفريج وتفريح .

وللرجال المقاهي

والرجال ؟ لم تكن السينما قد ابتدعت . ولم يكن فى البلدة مسارح . ولا نوع ما من انواع الملاهي، الا الأراجيح فى ايام عيد . وكانت للأطفال بهجة اى بهجة .

كان للرجال المقاهي ، والمنادر فى البيوت .

وكان الجد ، وهو رب الأسرة ، يخرج الى مقهى مسقوف فى المدينة كانه الدار . انه مقهى حاجى عثمان . وهو تركي . والجد كان يلبس البالطو الطويل الأسود ، فوق السروال المخطط ، وكانت له لحية كثة ، وطربوش يكاد يصل الى حاجبيه ، لو رايته لحسبته احمد عرابي .

وكان يحمل فى جيبه الليمون ، فى ابانه ، اطيب ما يكون ، ويتهاداه هو واصدقاؤه من الشيوخ .

عهد علم ، وشمم

وكان هذا الجد فى صباه فى الجيش . ثم اختصم مع رئيس له . واحتد الجدل بينهما ، فاذا بالجد الشاب يثور ، واذا به يستل سيفه ويضرب به . وحوكم ، واخرج من الجيش . ثم انتظم فى عمل مدني آخر كان له فى المدينة مكانة .

كان فى رجال ذلك العهد شيء كثير من الشمم .

فذلك الجد .

اما الأب فكان يعمل فى المحافظة عملا لا يتصل بالأمن . وكان تخرج من مدرسة القاهرة الثانوية الوحيدة ، تسلق لدخولها السور ، فى اول عهد الانجليز بمصر ، ولم يفطن اليه احد ، وانتظم بها .

وكان فى اللغة العربية ضليعا . فدعته مدرسة الارسالية المسيحية فى الميناء الى تدريس العربية بها . ففعل . وبها تعلم الفرنسية .

والصلاة ، كانت كالقوت ، راتبة

وكان رجال الأسرة على شيء كثير من التقوى . كانت الصلاة فى ذلك الزمن ، كالقوت ، يأتيها الرجل منهم ، وحتى المرأة المسنة ، عفوا .

وكان بالأسرة عدد كبير من الكتب ذات الصحائف الصفراء ، والجلدة ، ذات اللسان ، الحمراء .

كان فراغ الناس يملأ ، من بعد السعي الى الرزق ، فى هذه الأسرة ، بالاحاديث ، تأتي مع التزاور ، او فى القراءة ، يمارسها الفرد وحده فى هذاة الحجرات .

رحلة آخر الأسبوع

وكان للوالد ، واصدقائه من مدرسي المدارس ، فى كل مساء خميس ، رحلة قصيرة الى ظاهر المدينة ، الى الحدائق ، عند ترعة الاسماعيلية ، وقد وصلت الى هذه الناحية من الميناء لتصب فى البحر الملح ، عند طرف القناة .

وعند الترعة يجلسون ، وقصب السكر يمصون . ثم يغتسلون ويسمرون . فاذا غابت الشمس قاموا جميعا للصلاة ، فى مصلى صغير ارضه من حصير ، عند حافة الترعة ، احاطوه بحائط قصير من طين . ثم الرواح .

هذه كانت اعلى متعة للقوم . انها رحلة آخر الأسبوع . للرجال فقط .

من الميناء الى العاصمة

وانتقلت الأسرة جملة ، من الميناء الى العاصمة ، واستقلت بدارها ، عند «باب المتولى» ، قرب الدرب الأحمر ، فى منطقة من اقدم مناطق القاهرة ، واقربها الى عصر المعز لدين الله .

ووجدت الاسرة الحال فى العاصمة مثله فى الميناء .

المدينة المستكفية بذاتها هي المدينة المستكفية بذاتها . والحزين هو الحزين . والحجاب هو الحجاب . حتى السقاء هو السقاء . وكان بالدار بئر ، ككل دار فى ذلك العهد القديم ، وداروا على الآبار بالجير فى ذلك العهد يصبونه فيها ليطهرها . قالوا انها الكوليرا .

المدنيّة واحدة ، انما اتسع نطاقها ، والثقافة ، ومصدرها الأزهر ، تفتحت اكثر ابوابها . والوالد بهذه الأسرة التي عنها احكي ، كان يحضر فى الامساء دروس الشيخ الامام ، محمد عبده ، ومن بعده الشيخ رشيد رضا .

المدنية بعد خمسين عاما

بعد خمسين عاما ، او تزيد ، تبدل كل شيء .

الأسرة مات منها الأجداد والآباء . والصبية صاروا آباء وصاروا اجدادا .

وتلك المدنيّة القديمة ، التي طواها نصف قرن او يزيد ، مدنية لا وجود لها عند هذه الأسرة ، او على الأصح عند اسر ابنائها واحفادها .

المنزل لا يعرف اليوم الفلة ، ولا الطحين ، ولا العجين ، ولا الخبيز ، ولا يعرف الخبز القديد . ولا الخبز العفن الذى كان عفنه يطيل الشعور . وجمال الشعور نفسه كان فى طولها ، فاصبح فى قصرها . وكان هذا اقرب الى الصحة واعون على ازالة القذارة ، ومنع ايواء الحشر .

قصة الخبز لم تعد بقصة . والطفل الذى يولد اليوم فى الأسرة لا يعرف الخبز الا شيئا يأتي به بائع الخبز الى الباب ، او هو يشترى عند الخباز .

وكعك العيد فى هذه الاسر ، التي هي فروع تلك الأسرة الأولى التي نشأت فى الميناء ، وهي تمثل الاسرة الحديثة كما هي فى الشرق ، وعلى الأسلوب الذى سوف تعم الأسرة عليه — اقول كعك العيد صار شيئا لا يصنع فى المنزل ، ولا

تجتمع عليه صديقات الأسرة لتسويه ، وتنقشه بالمناقيش ، ولا هو يتحمل الى الفران ليلا على الصيجان ، كل ذلك اختفى . كعك العيد صار شيئا يشترى في السوق ، مع «البقلاوة» واشباهها . ومع «الكنافة» ، وقد كانت هي الاخرى صناعة بيت ، فصارت صناعة سوق .

وقصة السمن وخزينه في العام ، لم تعد بقصة . السمن اليوم من زيت القطن . انه السمن النباتي . وكرهه الناس في اول امره ، ثم تهافتوا عليه . وهو ما كان يوما من صنع البيت . انه صناعة كيماوية ضخمة عظيمة .

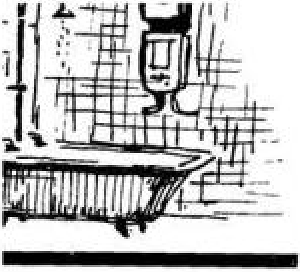
وبقيت الزبدة في البيوت ، ولكن لا قوالب تأتي الى البيت قناطير ، ولكن لتؤكل على المائدة . زبدة طازجة . وهي تشترى من البقال بالرطل ونصف الرطل او نصف الكيلو او ربعه ، مربوعة ذات اركان ، عليها غلاف من الورق شفاف يحميها من التراب وما يحمل التراب . انها ليست صنع منزل ، ولكن صنع مصانع تزود بالزبد المئات والألوف من الناس . وتأتي من الوطن ، وتأتي من خارجه .

وكالخبز والزبدة ، الجبن ، وسائر خزين البيت .

دخلت الصناعة الحديثة فاعفت ربات البيوت من اعمال كثيرة طويلة رتيبة مرهقة .

والسقا، لم يعد يطرق الأبواب ، ويصيح : يا ساتر

والزير اختفى ، واختفى معه السقا. ودخلت المياه الأنابيب ، لا الى الدور الاول فحسب ، وانما الى الدور الرابع والرابع عشر ، تلك الادوار العالية التي لم يكن لها وجود . انها الصناعة الجديدة صناعة البناء ، وصناعة الماء ، والهندسة الجديدة التي تجرى بأنابيب العذب الزلال المطهر عبر العاصمة ، من اقصاها شمالا ، الى اقصاها جنوبا ، وتجرى كذلك بأنابيب اوسع ، تحمل ما يتخلف من هذا الماء ، في المنازل ، من بعد استخدام، فتحمله منها الى اطراف العاصمة . انها المجارى .



والمواقد والثلاجات والمكانس

وكما جاءت الصناعة والهندسة فحملت عن ربة البيت اكثر اعباء البيت، فكذلك هي دخلت البيت تخفف عنها ما بقي فيه من اعمال . فدخلت بغاز البوتان وموقد البوتان . ودخلت بالثلاجة الكهربائية تحفظ وتبرد في الصيف الطعام . والمكنسة الكهربائية تدور بها ربة البيت على ابسطة الأرض فتمتص ترابها ، ولا تنفق ربة البيت الا الجهد ، الذى يتمثل في جرها .

وقبل استخدام الكهرباء في الثلاجات والمكانس ، دخلت الكهرباء المنازل تنشر فيها النور . كان طالب اول هذا القرن لا يعرف المذاكرة ليلا الا على ضوء « لمبة الجاز» ، وما كان اضعفها . واليوم لو انك اعطيته اياها لم يكد يعرف كيف يوقدها ، الا ان يكون في الريف البعيد .

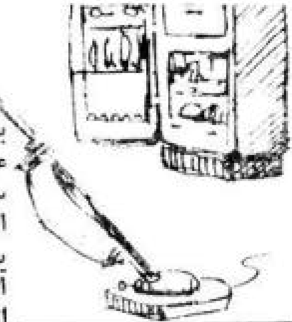
ودخلت الصناعة البيت بالترفيه . فمكيفة الهواء ، وسخانة الماء . ثم الاذاعة مسموعة ، ثم مسموعة ومرئية معا ، اعني التلفاز .

كل هذه اشياء جديدة على الانسان ، من اهل الشرق، انسان في ذلك الزمان .

والمواصلات

والمواصلات ؟ انتقل صبية تلك الأسرة من تلك الميناء الى العاصمة في اوائل هذا القرن ، فشاقهم اكثر ما شاق : تلك العربات التي كانت تجرى على الأرض ولا يجرها حمار او حصان . واختفت عجلاتها فبانت كانها كانت تزحف على الأرض زحفا . تلك عربات الترام .

وكان اكثر النقل ، نقل الناس ،



بالعاصمة ، يتم في عربات يسمونها عربات سوارس ، نسبة الى اسم صاحبها ، يجرها من الخيل اثنان . وما كان انحفها من خيل ! وبدأوا في العقد الأول من القرن تسيير السيارات العامة . خطا واحدا بداوه على سبيل التجربة ، بين العتبة الخضراء الى محطة العاصمة . وما اكثر ما توقفت السيارة في الطريق . خربت ولم يكن هناك من يصلحها ، حتى كان الناس يفضلون السير على الأقدام .

ولم تكن تعرف الطائرات .

خمسون عاما قلبت الحال في الشرق العربي قلبا . وينشأ ناشيء اليوم بين كل هذا الجديد ، فينظر اليه كأنه شيء مسلّم به ، ويحسبه قديما قدم الشمس التي تطلع كل صباح ، والنجوم التي تزدان بها السماء من بعد كل مغيب .

زحف المدنية

وكما زحفت صناعة الغرب على الشرق ، بحدوها العلم وتحدوها التكنيّة ، فغيرت الكثير ، كذلك زحفت الثقافة فغيرت الكثير . انه زحف مدنية .

مثَلُ التعليم الأمثل في الشرق كان الأزهر واشباه الأزهر ، يسبقه الكتّاب ، وفيه حفظ القرآن . وكان اسلوب الأزهر ، الحلقة يتحلقها الطلبة حول الشيخ . ثم تبدل كل هذا في الخمسين هذه الماضية من السنين . صار التعليم غربيا في نظامه ، وفي اسلوبه ، ومادته . وغزا هذا الاسلوب الأزهر ، فاختفت حلقاته . حتى الجبة والعمامة فيه ، في سبيلهما الى اختفاء .

انه فيض من المدنية الحديث غامر ، لم يستطع حتى الأزهر ان يقيم دونه سدا يحمي منه تراثه . اني الى اليوم لم ادخل جامعة الأزهر التي استحدثوها ، ولكني احسب انه لم يبق بها شيء يؤكد ازهريتها الا لقاء مديرها ، وهو انيق في جبّته ، والرائع من عمامته . وقد يشكك حتى في ذلك ، وجه له حليق ، فيه بشاشة ووسامة .

اقول هذا ليعيَ الذي يصيح بأعلى صوته ليوقف مجرى الزمان .

ووددت لو توقف لأكثر من سبب .

والحجاب

والغرب سافرة نساؤه ، والشرق كان لنسائه الحجاب ، حتى الزوجة كانت تحتجب عن أخ زوجها .

ثم تمزقت الحجب جميعا ، وسفر النساء .

انه جيل من النساء جديد ، جاء مع الحرب العالمية الأولى ، دخل المدرسة سافرا ، وخرج منها سافرا ، وظل الى اليوم سافرا ، وستتبع المتحجباتُ في الأقطار الشرقية التي لم تسفر بعد نساؤها

ومن استطاع ان يمنع فليمنع . فالحياة جهاد ، ولو كان جهاداً فاشلا ضائعا .

وانا اصف ولا ادعو .



والعلم

وعلم الغرب علم بيننا اليوم منشور . وعلم الشرق اكثره الدفين . الا علما يتصل بلغة العرب أو بدين ، فهذا حي مصون .

ودليلي على ذلك ان اطلب منك دخول دار استاذ بجامعة ، كان من كان . ادخلْ مكتبته وأحصِ ما بها من كتب ، تجد اكثرها الاكثر الافرنجي ، واقلها الأقل العربي .

ومكتبتي ، بداري التي خلفت ورائي ، بها بضعة آلاف من الكتب ، لا يبلغ العربي منها خمس ما فيها . ففي اي فنون المعرفة كان سائرها ؟ في صنوف العلم جميعا وصنوف العرفان : رياضة ، هندسة ،

كيمياء ، فيزياء ، جيولوجيا ، احياء طب، فروع طب ، جغرافيا ، تاريخ ، فلسفة ، علم نفس ، علم انسان ، علم مجتمع ، علم اقتصاد،وللغات ركن . وللآداب والاديان .

وسردت ما سردت ليستيقن القارىء ، ان امتلاء المكتبات بالكتب الغربية لم يكن حبا للغرب او كرها ، ولا تعاطفا معهم او نفورا ، ولكن كان لحاجة الزمان . اين الجديد فى العربية الذى عالج كل هـذه الصنوف من المعرفة ؟

رجل واحد يصيح منددا عندما يسمع هذا ، وهو يتغنى بالعربية وثروة العربية انه الرجل الذى يتحـدث عن عاطفـة حميدة ، وجهل غير حميد .

ان ثروة العرب عظيمة جـدا مقيسة بمقاييس تلك الأزمان . ولكن رجل كهذا ينسى انها ثروة غابرة لا تغني عن حاجة هذه الأيام شيئا .

وهو يصيح منددا ، لما عز عليه ان يجد شيئا فى حاضر الامة ذا بال يعطيه ولاءه ، فراح يعطي ولاءه لغابر الزمان . انه الحنين ، وهو حيلة الانفس ، تتزود بها من ماضيها الزاهي المجيد لتزوق به حاضرا لها ان كان به مجد فهو مجد طميس للذى تراكم عليه من تراب القرون .

اما بعـــد

اما بعد ، ففي هذه الكلمة ، وقد زادت اكثر مما قدرت لها ، اتيت بايجاز ، غاية الايجاز ، على وصف مدنية عربية كانت فى اول هذا القرن ، ووصف هذه المدنية بالذى صارت اليه فى منتصف هذا القرن .

والغرض من ذلك الكشف عن الاتجاه الذى سوف تسير فيه المدنية فى النصف الثاني من هذا القرن ، الى عام ٢٠٠٠م .

والمدنيات ، فى سيرها ، لا تتعرج فى طريقها . قد تتريث ويقل خطـوها ، ولكن الاتجاه واحد .

والعوامل التى تصنع هذا الاتجـاه كثيرة متعددة ، واكثرها الخافي . وهي اعصى ما تكون على من يريد ان يتحكم فيها . قد تميل الامة عن هذا الاتجـاه يمنة ، وقد تميل يسرة . انه انحـراف بسيط ، ولكن فى اتجاه المجرى العالمي الكبير . وهو مجرى عالمي لم يصنعه انسان بذاته ، ولامة بذاتها ، ولم تصنعه نصرانية او يهودية او اسلام ، ولم تصنعه هندوكية او بوذية . ان المدنيات ، فى كل عصر ، انما هي تفاعل معقد بين اطراف عدة ، لا يتحكم فيه طرف دون طرف . كالوعاء على النار ، تصب فيه الف مركب كيماوى ، تتفاعل جميعا ولا يستطيع احد ان يتنبأ بنواتجها . وقـد امكن الانسان أن يتنبأ بنواتجها لو ان له علما بكل خصائصها ، وحتى لو تنبأ وعلم ، فانما هي تفاعلات اعقد من ان يتتبعهـا جميعا ويستوعبها عقل انسان .

والذين يصنعون هذه المدنيات ، من افراد وأمم ، لا يصنعونها وهم واعون . وتحول قصر الاعمار دون الجمع بـين الأسباب والنتائج .

والمدنيات نامت عشـرة آلاف مـن الاعوام . خطت فيها بعض خطو فى فترات من صحو ، ولكن خطوات وئيدة . ثم تشاء ارادة خفية خافية ان يخرج المارد مـن القمقم ، فكانت الثورة العلمية ، وكانت الثورة الصناعيـة ، وكـانت الثـورة السياسية وكانت الثورة الاجتماعية . ثورات متلاحقة ضمتها قرون قليلة ، ثلاثة .

ارادة خفية خافية . لمن هي ؟

ان علماء الأحياء يقولون ان الحيوات العظمى تطورت عن حيوات صغرى . وهذه الصغرى عن اصغر منها . وان الأبسط سبق ، وان الاكمل الأتم لحق .

والعجيب ان هذا المجرى العظيم للاحياء يجرى التطور فيه فى عمومه ، فى اتجاه واحد ، الى الامام . الى امام .

ارادة خفية خافية ، تدفع الى الامام .

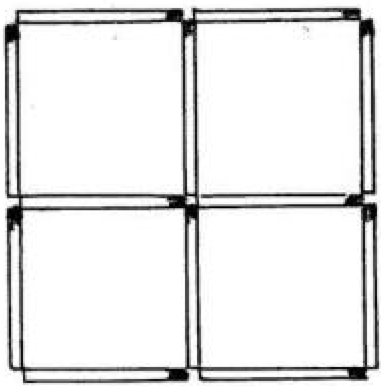
فهل هى هي نفس تلك الارادة الخفية الخافية التى تدفع الانسان ، فى مدنيته ، فى ذلك المجرى العالمي الكبير ، الى الامام ، ودائما الى الامام ؟

علم ذلك عند الله .

احمد زكي

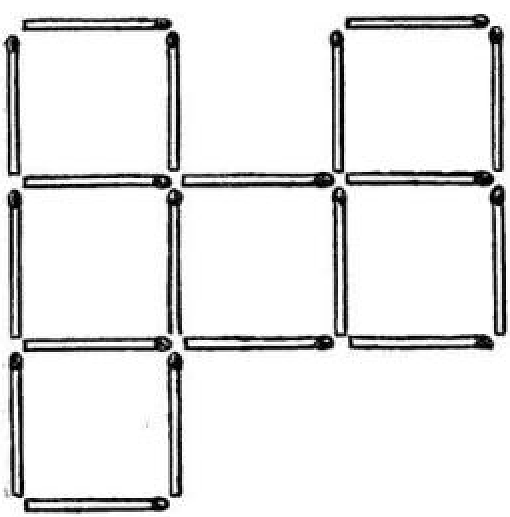
مسابقة العدد

أعواد من الثقاب .. وجوائز ١٠٠ دينار



■ انها مسابقة صيفية لا تحتاج الا الى قليل من التفكير لايجاد الحل الصحيح .. ان الشكلين اللذين امامك مكونان من عدة عيدان من الثقاب ، والمطلوب منك فى الشكل الاول تحريك اربعة عيدان كيفما شئت بحيث تكون ثلاثة مربعات بدلا من الاربعة الموجودة فى الرسم .

اما الشكل الثانى فالمطلوب أن ترفع ثلاثة عيدان فقط من الشكل بحيث يتبقى بعد ذلك اربعة مربعات ..



شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ بعد أن تجد الحلين الصحيحين تعيد رسم الشكلين على ورقة مستقلة وترفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٤ .

٢ ـ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العدد ٨١ » .

٣ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ .

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ،كل منها ٥ دنانير . . وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

■■

مسلمات خالدات

زينب

بنت محمد بن عبد الله

بقلم : سنية قراعه

■ عند الوفاء والحب وصدق الايمان. يقف التاريخ طويلا ليحنى رأسه فى اجلال امام زينب الكبرى ، بنت محمد رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، من زوجته ام المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد ... ويسطر فى صحائفه الناصعة انضر واندر سطور فى كتاب الحب والوفاء والاخلاص للعقيدة وصدق الايمان ..

وتمر بعد زينب وايامها المشرقة ، اجيال فى أثرها أجيال... ويفتح التاريخ صحائفه ليعرض للعالمين عبره الخالدة ويذكر الناس بالقدوة الصالحة ، والأمثولة الحلوة ، ويروى الذكريات العبقة عن أحب خلق الله الى الله ، واقربهم الى قلوب الناس ...

زينب فى بيت زوجها ، أبو العاص بن الربيع

وتضىء السطور القليلة التى سطرها التاريخ عن زينب الكبرى ... ويقرأ القارئون فى حب واكبار قصة حياة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكبرى بناته المطهرات ، التى لم تكد تكتمل أنوثتها حتى خطبها ابو العاص بن الربيع ابنُ خالتها هالةَ بنتِ خوَيلدٍ ثم بنى بها وانتقلت من بيتِ محمدٍ الى بيت زوجها وهو فى السنام من قريش ومن أعز شبابها محتدا وجاها ومالا ...

وعاشت زينب فى بيت زوجها حياة الدعة والطمانينة ، بعيدة عن سوامر قريش ومجاليها ، وصخبها الذى سبق بعثة سيد الخلق اجمعين ، لعزوف فى طبعها عن الاختلاط ، وحب منها للوحدة،

وتوفر على الطاعة وخدمة الزوج والقيام بشتى الواجبات ...

ثم جاء محمد بالدعوة

ومرت الحياة بزينب ، رضيئة لينة ، فهي في بيتها مثل كامل للاخلاص والتفاني والوفاء ،بعيدة عن الحياة الاجتماعية في قريش اللاهية بمباذلها ، وما كانت تفهق به منتدياتها من مباذل وشرور ، حتى شاء الله القادر أن يرتفع صوت محمد خاتم رسله ليقول للقرشيين انه هو البشير النذير ، وانه جاءهم من الله بدين الهدى والحق ،ليطهرهم ويزكيهم ويخرج بهم من محيط الضلالات والكفر الى دنيا الهدى والايمان ...

واهتزت قريش ... واضطربت امورها ، وكما قاسى الرسول عليه صلوات الله وهو يجاهد في اول بعثته ، كذلك قاست بعض بناته ، وأولاهن رقية التي طلقها زوجها « عتبة » بأمر من أبيه ابى لهب وزوجته ، أم جميل حمالة الحطب واشد النساء كرها لرسول الله ....

واستمرت العاصفة التي اثارتها احقاد سادات قريش في هبوبها ، تدمر وتعصف وتفرق ، ولكنها كانت ترتد دائما امام بيت أبي العاص بن الربيع الذي استمسك بزوجته زينب الكبرى ، وأبى التفكير في طلاقها ، كما فعل ابن ابي لهب باختها رقية، بل زاد استمساك الزوج بزوجته التي آمنت بدين محمد ، وشهدت انه لا اله الا الله وان الصادق محمدا رسول الله في حين بقى الزوج على دينه ودين قومه ..

هاجر الرسول الى المدينة وبقيت زينب في مكة

وسارت الحياة في قريش معروفة الأحداث ، رتيبة النوائب ، ضاربة الخصومة ، وحشية البغضاء ، مقيتة الكراهية التي كان يذكى ضرامها ضد محمد أعداؤه من سفهاء قريش ، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله اليه بالهجرة من مكة الى المدينة مع صاحبه الصديق ابى بكر ..

واعتز الاسلام في المدينة ، وانتشرت اضواؤه وغمرت القلوب المؤمنة ولحق الرسول أهل بيته في مهجره ، وبقيت زينب مع زوجها أبي العاص في مكة بعيدين عن أهواء غضب قريش وبغضاء سفهائها ..

غزوة بدر

ومهدت الحوادث لغزو بدر الكبرى ...وساقت ظروف التعصب والحماقة سفهاء قريش الى مصارعهم ، وخرجوا في جموعهم الماجنة لحرب المجاهدين من المسلمين ، ولم يستطع أبو العاص ابن الربيع زوج زينب أن يخرج على اجماع قومه بضرورة المشاركة في حرب معه ، فكان أن سار هو الآخر الى بدر ...

ودارت الدائرة على عابدي الصنم . وكانت الحجارة الصماء ، التي يسجدون لها اعجز واضعف من أن تنصر عابديها أو تحميهم من تحمس المسلمين وسيوفهم ، ففر القرشيون يستنقذون من نجا منهم من الموت ، وتركوا وراءهم عديدا من الاسرى كان فيهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت محمد رسول الله ...

وفرضت الدية على الاسرى ، وبعثت قريش تفتدى بالمال اسراها ..

زينب ترسل الى أبيها ما تفتدى به زوجها من الأسر

واسرعت زينب الكبرى فارسلت الى أبيها عليه الصلاة والسلام فدية زوجها .. بعثت اليه بمال، ومعه قلادة كانت أمها أم المؤمنين خديجة اعطتها اياها ليلة زفافها .

وامسك النبي صلى الله عليه وسلم بالقلادة بين يديه .. ثم زفر زفرة حارة تولته بعدها ذكريات ماض رجعت به الى أيام خالية ، ومرت امام ناظريه صور عديدة لماض بعيد لم تستطع نوب الدهر وأحداثه أن تعدو عليه أو تذهب بأثره وسحره وقوته ..

الى أيام خديجة الطاهرة الحانية وهي ترعاه وتحنو على بناته ... تذكر أيام كان بمكة ، واسرعت اليه خديجة ذات يوم تبلغه ان أبا العاص، ابن أختها هالة ، طرق بابهم يخطب زينب الكبرى لنفسه ، وسألته أن يبارك هذا الزواج ، ففعل . وزفت كبرى بناته الى زوجها وسط مظاهر الفرح

والسعادة .. ويومها اهدت خديجة ابنتها هـذه القلادة بالذات لتتحلى بهـا ليلة زفافها وهى « عروس » ضمن زينة النساء .

واخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يتأمل القلادة وهى بين يديه .. انهـا قلادة الذكريات الغالية ...

قلادة الماضى الحبيب ..

وخُيِّل الى الرسول الكريم والأب الحـانى والزوج البار ، ان روح ام المؤمنين خديجة تطل عليه من سمائها تذكره بزينب المحبوبة ، وزوجهـا الشاب .. وحبهما !!

تذكره بزينب كبرى بناته وبناتها ، التى آمنت به وصدقته ، ووفت بعهد زوجها كذلك ، فكانت الجديرة حقا بان تكون ابنة محمد خير خلق الله ، وابنة ام المؤمنين خديجة سيدة نساء العالمين !!

وان زينب لتضرب الآن المثل الأعلى فى الوفـاء والكرم والنجدة .. واطرق محمد صلى الله عليه وسلم طويلا والقلادة بين يديه .. ثم رفع راسـه وقال فى نبرة شبه هامسة لمن حوله من المسلمين :

ـ ايها الناس ... ان رأيتم ان تطلقوا اسيرها، وتردُّوا عليها الذى لها ، فافعلوا !!

واطاع المسلمون دون تردد ، ولبوا رغبة نبيهم فاطلقوا سراح الأسير .. واحضروه امامه ..

انفكت عقدة الأسير ، وبقيت عقدة المشرك بالله

ولكن لينتظر ابن العاص قليلا .. اذا ان هناك حسابا آخر معه لم يصفه بعد ..

ان ابن العاص زوج ابنته ما زال مشركا ، لـم يؤمن بالله ورسوله ، ولقد اتبع نعرة الجاهلية ، وكان من قوم اخرجوا المسلمين من ديارهم قسرا .. وكان القرآن الكريم قد بدأ فى تلك الآونة بالمدينة يشرِّع وينظم المجتمـع الجديد ، ويبين القوانين السماوية الواجب ان ياخذ المسلمون بها .. ما نص صراحة على ان المراة المسلمة لا تحلُّ لكافر او مشرك !!

وجلس المشرك امام مُطلِق اساره صامتا .. حتى تكلم الرسول الكريم فاخذ ينصت اليه وهو يحدثه حديث الاسلام فى الزواج ، وكيف انه يحتم عليه ان يطلق زينب . فدينها « الاسلام » يحرم هذه الزيجة ويبطلها ، لأن المراة اذا اسـلمت لم تصبح حلالا لزوجها المشرك ، فوجب التفريق بينه وبينها .. وتلا قول الله تعالى :

« يا أيهـا الذين آمنوا اذا جاءكـم المؤمنـاتُ مهاجرات ٍ فامتحنوهن ، الله اعلم بايمانهن ، فان علمتموهن مؤمنات ٍ فلا ترجعوهن الى الكفار ، لا هن حلٌ لهم ولا هم يحلون لهن ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم .. »

واقر « ابو العاص » الرسول على ما قال .. وفى هدوء اقترب مـن الأب الحانى واسر اليه ان ابنته زينب منعته نفسها مُطيعةً فى ذلك امر الله .. وان صـلة الزواج الفعلية قد انقطعت بينه وبينها منذ اسلمت ودخلت دين الله ، ولكنه ابقاها فى بيته لأنها نور ذلك البيت ومصدر راحة وسعادة لكل من فيه ، ولان رابطة الحب التى جمعت بين قلبيهما جعلت امر فراقها عزيزا عليه .. جعلته مستحيلا ..

وتوسل ابو العاص الى رسول الله ان يترك زينب حيث هى ، فهى ابنة خالته قبل ان تكون زوجته ..

ولكن الرسول الكريم ابى ان يقبل الجدل فى حكم من احكام الله ، واصر ان يرسل الزوج الكافر زوجته المسلمة لتلتحق بابيها ، فهى طالق منه بحكم الشرع وامر الله ، ولا يصح شرعا ان تبقى مطلقةً تحت سقف ٍ واحد ٍ مع زوج هى حـرام عليه ..

وهكذا اخذ النبى صلى الله عليه وسلم على ابى العاص وعدا بان يخلـى سبيل زينب شرطا لاطلاق سراحه .

وبرغم ابو العاص .. احنى راسه للامر الواقع، وخرج من المدينة فى طريقه الى مكة ، وكان معه ـ بامر الرسول الكريم ـ مُنبَثاه زيدُ بن حارثة، ورجل من الأنصـار ، ليصحبا ابا العاص الى مشارف مكة ، وينتظراه هناك سرا حتى يأتيهمـا بزينب فيعودا بها الى ابيها ..

وخلا النبى الى نفسه ..

ذهب الأسير .. وذهب غيره من اسرى قريش.

وتذكر الرسول فضل الله عليه فى « بدر » فرفع الى السماء وجهه شاكرا ..

ابو العاص يعود الى زينب فى مكة

وعاد الأسير الى بيته بعد طول فراق ، لا لينعم بالراحة والهدوء ، ولا ليسترجع ماضيا طال حنينه اليه .. ولكن ليُسر الى زوجته ونياط قلبه تتقطع ، ان أباها قد قيده بوعد رهيب كان الموت أهون عليه منه ..

وهكذا كان لقاء .. أعقبه وداع .

أى موقف رهيب وغريب بين زوجين متحابين !!

لحظات وداع ليس للقلم أن يخطئ وصفها .. بل ان الفكر ليعجز عن وضع صورتهما الباكية الحزينة فى وضعها الصحيح !!

واطاعت زينب امر الله ورسوله ، وقامت تعد نفسها لمفارقة دارها ، ومكة وما حوت ، لتلحق بأبيها العظيم فى المدينة .

وعلمت هند بنت عتبة أن زينب تتجهز لتلحق بأبيها ، وارادت أن تستوثق من الامر ، فذهبت اليها وقالت لها متطلقة :

ــ يا بنت محمد ، ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟

فاجابتها زينب : ما أردت ذلك .

فقالت هند : أى ابنة عمى، ان كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بمال تتبلغين به الى أبيك ، فان عندى حاجتك ، فلا تستحى منى أو تتهمينى ، فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال !!

وكادت زينب أن تفضى الى هند بنبأ سفرها الى أبيها لولا أنها شعرت ببعض القلق فانكرت انها كانت تريد ذلك بقولها الذى قالته فيما بعد :

« والله ما أراها قالت ذلك الا لتفعل ، ولكنى خفتها ، فانكرت أن أكون أريد اللحوق بيثرب ».

فراق مكة

وحلت لحظة الفراق الرهيبة بين زينب وأبى العاص .. فبكت هى ، وتخاذل هو .. وعجز عن مواجهة الموقف العصيب،ولم تمطه عواطفه ليتبعها، بل لم يجد فى نفسه القدرة لان يرى زينب الحبيبة الغالية وهى تفارق بيته ، وعز عليه أن يشاهدها وهى تغادر مكة ، فطلب من أخيه «كنانة بن الربيع» أن يصحبها الى حيث ينتظرها مبعوثا أبيها رسول الله ، زيد بن حارثة ومن معه ، لتعود معهما الى المدينة ..

وكانت قريش فى تلك الآونة الدقيقة مليئة القلب بالحقد على محمد الذى أطاش أحلامها الرعناء فى « بدر » . وكان جرح دعاة الضلال لم يندمل بعد .. وكانت أصداء النائحات واصوات الباكيات ما تزال تدوى فى كل بيت ، رغم أن أبا سفيان وزوجته هند بنت عتبة حرما البكاء حتى لا تشمت المدينة بقريش .

خرجت زينب مع كنانة بن الربيع أخو زوجها، وقدم لها بعيرا فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته وخرج بها رابعة النهار بين سمع قريش وبصرها .

ولما كان الجو غير ممهد بحال من الاحوال لعودة زينب الى أبيها ــ فقد حدث أن ثارت قريش كلها لهذه الجرأة ، وخرجت وعلى رأسها السفهاء جميعا ليلحقوا بها وليعيدوا بنت محمد الذى فجعهم فى أهليهم الى دار مطلقها ..

وأرهب هجوم قريش الفجائى زينب ، وقد لحقوا بها قرب مكة وأدركوها « بذى طوى » وهم يصيحون صيحات الغضب !!

واقترب منها بعضهم . وكان أسبقهم اليها « هبار بن الاسود الاسدى » الذى روعها بالرمح ، وقد كان حزنه شديدا على أخوة له ثلاثة ، صرعوا جميعا فى بدر بأيدى رجال أبيها ..

فما كان منه عندما رأى زينب بنت محمد الا أن اقترب برمحه ونخس البعير الذى يحملها ، فالقى بها على صخرة هناك .. وكانت زينب « حاملا » فطرحت حملها لشدة ما أصابها من خوف وفزع..

وسرعان ما تصدى للمجموعة الثائرة الحاقدة مرافق زينب ، كنانة بن الربيع ، ونثر سهامه ، وأقسم ليقتلن المجترى ، الذى يقترب منها ..

وتقدم اليه أبو سفيان بن حرب ، سيد قريش ، وهمس فى أذنه معاتبا ومحذرا اياه لانه تحدى مشاعر اهليه ، وقال له :

ــ ان خروجك علانية بابنة محمد الذى نكلهم ، يجعل الناس يظنون ان ذلك عن ذل وضعف منا !! ولعمرى ما لنا فى حبسها عن أبيها من حاجة ، ولكن ارجع بها ، ليهدأ الناس وليتحدثوا بأنا رددناها ، ثم اخرج بها ليلا فى ستر الظلام وألحقها بأبيها !!

وكبر على « كنانة » أن يردها ، ليعود فيتسلل

بها سرا بعد أن يعرف الجميع أن قريش ردتها ثانية الى ديارها .. ولكن ما كاد يراها تتألم وقد طرحت حملها على رمال الصحراء حتى أسرع بها الى مكة ...

عاد الركب ... وفيه زينب وابن الربيع .. فهدأت ثائرة القوم وظنوا ان هذا نصر نالوه على محمد !!

وما ان أقبل الليل حتى خرج كنانة بن الربيع ومعه المطهرة ابنة الرسول تسترها الظلمة الى حيث كان ينتظرهما زيد بن حارثة وصاحبه ، فسارا بها الى المدينة دون أن يتبعها أحد ممن طاردوها بالأمس ، وقد ركبهم الخزى والعار مما حدث لزينب ، ومما قالته هند بنت عتبة تعيرهم وتسخر بهم حيث قالت :

— أمعركة مع انثى عزلاء ؟! فهلا كانت هذه الشجاعة فى بدر .

أفى السلم أعيار" ، جفاء" وغلظة .
وفى الحرب أشباه النساء العوارك ؟ !

وعاد كنانة الى أخيه ابو العاص بعد ان اطمأن على وصول زينب يردد :

عجبتُ لهبّار وأوباش قومه
يريدون اخفارى ببنت محمد
ولست أبالى ما حييت عديدهم
وما استجمعت قبضا يدى بالمهند

زينب عند أبيها

ما كادت زينب بنت الرسول الكريم تصل الى المدينة ويسمع أهلوها بما حدث لها حتى تأثر لها الجميع وغضب الأب الرسول لابنته ، وثار أحد شعراء الأنصار منذرا متوعدا :

أتانى الذى لا يقدر الناس قدره
لزينب فيهم من عقوق ومأثم
فأقسمتُ لا تنفكُّ منا كتائب
سراة خميس فى لهام مسوّم
نزوع قريش الكفر حتى نعلّها
بخاطمة فوق الأنوف بميسم
ننزلهم أكناف نجد ونخلة
وان يتهموا بالخيل والرّجل نتهم
يد الدهر حتى لا يعوج سربنا
ونلحقهم آثار عاد وجرهم

فابلغ « أبا سفيان » اما لقيته
لئن أنت لم تخلص سجودا وتسلم
فابشر بخزى فى الحياة معجّل
وسربال قار خالدا فى جهنم

وعاشت بنت محمد فى معقل الاسلام تنشق شذاه وتستروح عبيره وتهنا فى ظله ناعمة برعاية أبيها ، قريرة العين بما وصل اليه حال الاسلام والمسلمين ..

وكانت المدينة فى تلك الآونة ، اشبه ما تكون بخلية ، نحلاتها دائبات على العمل المثمر المفيد ، عيون يقظة ، ونفوس متوثبة ، وقلوب تتفتح لتعاليم الدين ، ولا تنسى العمل من أجل اقراره وارهاب الكافرين ، فخرجت السرايا تجوب الصحراء وتتربص بأعداء الله ، وترى سفهاء مكة ان المسلمين عيونهم لا تنام ..

واطمأن محمد فى المدينة ، وبدأ يوجه السرايا للكشف والاستطلاع وعينه الساهرة ترعى شئون من اتبعوه ..

أبو العاص ، زوج زينب ، فى المدينة مرة أخرى

وذات يوم ، وقعت فى يد سَرية من هذه السرايا ، وكانت تحت قيادة زيد بن حارثة ، قافلة خرجت فى تجارة . وكان على رأسها ابو العاص بن الربيع ..

يا للكارثة !!

وتلاقى الوجهان مرة ثانية .. أبو العاص ، وزيد ...

لقد صحبه فى المرة الأولى ليعود بزينب الحبيبة الى أبيها ويظلم بيته من نورها ، وانه ليلقاه فى المرة الثانية ... ليستولى منه على تجارة قريش!!

وأبى ابو العاص أن يترك الفىء للمسلمين وأصر على ألا يعود الى مكة .. ووجد نفسه يسير الى المدينة ولكن .. الى أين .. ذلك ما لم يكن يدريه !!

لقد كان بوسعه أن يعود الى أهليه من قريش بلا عير ولا مال ، اذ لا دخل له فيما حدث ولا حيلة فيما كان ... ولكنه عز عليه أن يعود للقوم وقد فقد أموالهم قبل أمواله ، فأصر على أن لا يعود ،

وبقي في المدينة وهو لا يدري ماذا يصنع أو كيف يتصرف ...

وعاد المسلمون بفيئهم وتركوا « ابن الربيع » يندب حظه وضياع مال الناس وماله ، حتى أمسى الليل عليه وهو لا يعرف ماذا يصنع ؟!

ايعود الى قريش صفر اليدين من ماله ومال غيره من الناس!ويخبرهم بان رجال محمد هاجموه! وانه لم يستطع دفاعا عن نفسه ولا عن ماله ..؟!

ولم ترقه هذه الفكرة ، وراح يفكر من جديد في حل .. انه يعرف مكانته من زينب بنت محمد ، زوجته سابقا !! ويعرف مكانة زينب من ابيها ، فلم لا يلجأ الى حمايتها مرة اخرى وهي التي انقذت حياته قبلا وافتدته يوم وقع بين أسرى « بدر » ؟!

وبينما الليل يلف الصحراء بعباءته السوداء ، دخل « ابو العاص » المدينة ووقف قريبا من حجرات النبي يتعرف مكان مطلقته زينب ، وما كاد يراها حتى استجار بها وسالها ان تكون شفيعته في رد ماله !!

وقال لها : أجيريني يا بنت محمد .. !!

اي موقف حرج يقفه ابن الربيع بين يدي حبيبته المطلقة !!

واي موقف تقفه بنت الرسول من حبيب فارقته على عينها بامر الله !!

واصغت زينب الى صرخة الاستنجاد التي انطلقت من قلب عزيز كانت هي احب المخلوقات الى صاحبه .. ومرت امامها حشود من الذكريات الغالية ثم غامت عيناها ، وحارت .. ولم تدر ماذا تفعل !!

ان ابا العاص بن الربيع يستجير .. لا بزينب مطلقته ، أو ابنة خالته ... بل ببنت محمد البرّ الكريم .. فماذا تفعل واي موقف تتخذه من هذه الاجارة التي تحتم تقاليد العرب قبولها ، فكيف بالهاشمية بنت رسول الله ..

وانجابت عن صدر الصحراء ظلمة الليل ، وخرج المسلمون للصلاة ، وكبّر رسول الله فيهم وكبر الناس معه .. حتى فرغ المسلمون من صلاتهم .. واذا بصوت نسائي يشق الفضاء مناديا في جموع المسلمين :

ـ أيها الناس !! قد أجرت أبا العاص بن الربيع !!

زينب بنت رسول الله تجير قرشيا مشركا !! اذن فليتسابق المسلمون سراعا ، يلبون نداء زينب ويخلون سبيل الرجل ! فهو آمن ما دامت زينب قد اعطته الأمان وضمنت سلامته !!

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لجموع المسلمين الذين نظروا اليه كمن يستفسرونه سر هذه الاجارة ، وفي هدوء وتؤدة قال الرسول :

ـ والذي نفسي بيده ما علمت من هذا شيئا ، بل سمعته الآن كما سمعتم !! انه ليجير على المسلمين أدناهم !

ثم قام الرسول الى بيته وقد احمد وجهه عليه الصلاة والسلام من الغضب ، وذهب الى زينب ابنته يلومها على اقحامها نفسها في هذا الامر وتعرضها بالاجارة الى مطلقها وقال لها :

ـ أي بنية ، اكرمي مثواه ، ولا يخلصن* اليك، فانك لا تحلين له .

ثم بعث رسول الله الى السّرية الذين اصابوا مال ابي العاص فقال لهم :

ـ ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فان تحسنوا وتردوا عليه الذي له فانا نحب ذلك ، وان أبيتم فهو فيء الله الذي افاء عليكم فانتم احق به ...

فقالوا : يا رسول الله بل نرده عليه ..

وتسابق الغزاة من المسلمين في رد ما اخذوه من ابي العاص بن الربيع ، مرضاة للرسول وتكريما لابنته التي اجارته !

ولم ينسوا ان يظهروا اخلاصهم لدينهم وهم يعطون ابا العاص تجارته ، فعرضوا عليه الاسلام !

وأبى أبو العاص !! أبى أن يعلن اسلامه وفي نفسه أمر لا يعلمه الا الله !

أمر لم يرد اعلانه الا بعد ان يوفي الذمم التي عنده لاصحابها !!

أبو العاص في مكة

وترك المدينة وسار في طريقه آمنا الى مكة ..

وخرجت قريش فرحة سعيدة تستقبل ابا العاص ابن الربيع الذي راح يعطي لكل ذي تجارة تجارته، ولكل صاحب مال ماله ، والقوم سعداء فرحون لا

يكادون يصدقون ما حدث .. حتى لم يبق لأحد عنده شيئا .. وعندها ارتقى نشزا من الارض وصاح فى الجميع الحاشد من قومه :

ـ يا معشر قريش .. هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه !

ـ لا .. فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما ..

فقال :

ـ واذن فاسمعوا واشهدوا انى : أشهد الا اله الا الله ! وأشهد أن محمدا رسول الله !!

أعلنها مدوية على رؤوس الملأ جميعا ، والله ما منعنى من الاسلام عنده الا تخوف أن تظنوا انى انما أردت أن آكل أموالكم ، فلما اداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت ..

« وانى اليوم لراحل الى يثرب .. »

وذهل القوم وبهتوا .. وراحوا ينظرون الى أبى العاص الذى هتف فيهم بكلمته الأخيرة قائلا :

ـ وانى اليوم لراحل الى يثرب ، لاستدرك ما فاتنى من عمر طويل فى الجهاد فى سبيل الله مع المسلمين ، ووراء الصادق الأمين ، محمد رسول الله !!

وضجت قريش كلها .. ثم ران عليها صمت الخزى الجديد الذى انزله بها ابو العاص بن الربيع ، ووقفت لا تحير جوابا ، بل راحت ترقب فى أسى هجرة ابن من اعز ابنائها وهو يغادرها بمحض ارادته ليلحق بمحمد والمسلمين فى المدينة ..

ابو العاص بن الربيع فى يثرب

ووصل ابن الربيع الى يثرب ..

وكان لقاء عظيما بينه وبين المسلمين .. حينما راوه يدخل على محمد صلى الله عليه وسلم ويعلن اسلامه الذى كان اخفاه ساعة اجارته زينب وعرضه عليه المسلمون !!

وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودة ابو العاص ، وأسعده ان أعلن اسلامه جهارا فى قريش ، واكبر فيه الوفاء بعهده ، واصراره على رد أمانات القوم اليهم ، واباءه ان يعلن اسلامه من قبل حتى لا يقال انه ساوم فيه التجارة وعروض المال ...

ورد اليه زينب بزواج جديد .

زينب تعود الى أبى العاص

وعادت زينب الوفية الى زوجها الكريم الذى ما فتر قلبه عن حبها .. عادت اليه لينعما بالسعادة من جديد ... فى ظل الاسلام وعز المسلمين ..

وعاشت زينب وزوجها حياة رغدة يظللها الحب الكبير الذى عجز عن ابرائها من علة قديمة لزمتها يوم طرحت حملها وهى خارجة من مكة بليل ، مع كنانة بن الربيع ، ليسلمها الى زيد بن حارثة .

وطاة الداء القديم ، ووفاة زينب

اذ اشتدت وطاة الداء وانحل جسدها حتى دنى منها الأجل المحتوم ، وأسلمت الروح بين يدى زوجها الحبيب الذى روعه المصاب ، واخذت بلبه الفاجعة فكاد يجن ، ولم يتصور كيف يعيش لحظة واحدة بعد زينب الحبيبة الوفية ، وراح يندبها ولم يُسكته الا مَقدمُ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء ليلقى على كبرى بناته نظرة الوداع ويامر النساء بغسلها وترا ، ثلاثا او خمسا ، وان يجعلن فى الآخرة كافورا ..

ودفنت زينب بالبقيع ، وتركت لزوجها قطعة حية منها هى وحيدته « أمامة » التى كانت سلواه ومتنفس روحه ، فعكف على تربيتها ولم يفكر فى ان تحل امراة اخرى مكان بنت محمد .

كما كانت امامة مصدر راحة لجدها العظيم ، فكان يتبعها معه فى اغلب الاحيان ، وكان يحملها بنفسه على عاتقه ويصحبها معه حتى وقت تادية الصلاة الى ان يقضى صلاته ، ثم يعود اليها فيحملها ثانية .. وكانى به كان يستروح فيها عبق الجنة التى بُعثت زينب فى ظلالها ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، يوفى الصابرين حقهم ويولى اهل الحب والوفاء ما هم أهله من الدرجات العلا فى الفردوس المقيم . ■■

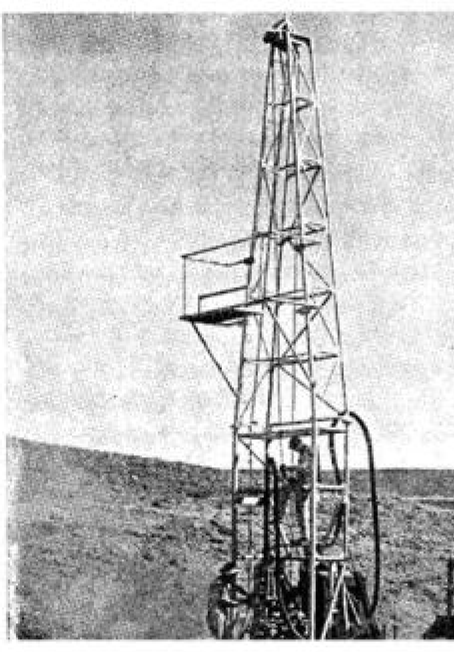
سنية قراعه

الصندوق الكويتي
للتنمية الاقتصادية العربية

حقق الكثير مما رجاه من إعانة الدول العربية
على تنفيذ بعض مشاريعها الاقتصادية

وطننا العربى الكبير يمر اليوم بفترة انتقال حاسمة فى تاريخه ..
انهـا فترة بناء ، وتعمير ، وانشاء مشـاريع انمائية واقتصادية وصناعية لرفع مستوى الشعب العربى حيثما كان .

فى عام ١٩٦١ قام وزير مالية الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح على رأس وفد اقتصادى كويتى بجولة فى البلاد العربية اطلع خلالها على مدى حاجة البلاد العربية الى رؤوس الأموال اللازمة لتمويل مشاريع التنمية فيها ..



وشهد يوم ٢١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦١ مولد « الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية » ... وحدد الغرض من انشائه وصيغته انه « لمساعدة الدول العربية فى تطوير اقتصادياتها ومدها بالقروض اللازمة لتنفيذ برامج التنمية فيها » .

خير الامة العربية هو
مجموع الخير الحاصل لدولها

ويقدم الصندوق القروض للدول العربية لتمويل

الى اليمن : يشتمل الاردن على مناطق غنية بخامات الفوسفات مثل منطقة الحسا ، وقد خصص صندوق التنمية مبلغ ٣ ملايين دينار لتطوير هذه المنطقة ، وانشاء مصنع تصل طاقته الانتاجية الى نصف مليون طن سنويا .



السكك الحديدية هي وسيلة النقل الرئيسية في السودان .. وقد قام صندوق التنمية الكويتي بتقديم ٧ ملايين دينار لتنفيذ المرحلة الثانية من مشروع لتحسين شبكة السكة الحديد عن طريق تمويل شراء ٣٥ قاطرة ديزل واضافة عربات وقضبان حديدية ، ومعدات وآلات ، ومهمات لورش التصليح والصيانة .. بالاضافة الى انشاء مرسيين جديدين في ميناء بورسودان ، وسيكون لهذا المشروع فائدة كبيرة ، اذ سيزيد من كفاءة سكة حديد السودان ، ومن امكانية ميناء بورسودان .. ويسير العمل في المشروع بصورة مرضية ، وقد بدأ أخيرا في تشغيل جزء منه .

المشاريع التي تتميز بأولويتها في مخططات الانماء ، والتي تثبت فائدتها الاقتصادية والقومية ، والتي تساهم في تطوير النفع العام الدائم الذي سوف تتمخض عنه هذه المشاريع ..

وهنا تظهر النية الطيبة للكويت ، انها تريد ، كما يدل اسم الصندوق ، ان تعين على تنمية الدول العربية في اقتصادياتها .. واذن ففي قدرتها على الحياة ..

والكويت أدركت بهذا أن الدول العربية انما هي كالاعضاء في الجسم الواحد التي هي عضو فيه ، حباها الله بما حبا ، وان قوة هذا الجسم تعود في النهاية على أعضائه قوة وكرامة وجهادا مشتركا في الحياة .

مبادىء لا بد منها

بدأت السنة الأولى للصندوق براسمال قدره ٥٠ مليون دينار .. وفي هذه السنة تبلورت المبادىء والاسس التي سوف يسير عليها الصندوق ، وتقبلت الدول العربية هذه الاسس والمبادىء بالارتياح .. ثم زيد رأس ماله أخيرا الى ١٠٠ مليون دينار .

ويلتزم الصندوق بالقيد الوارد في نظامه ، فلا يعطي قرضا يزيد عن ١٠٪ من قيمة راسمال الصندوق . وكذلك لا يجوز أن يتجاوز ما يعطيه الصندوق من النقد اكثر من ٥٠٪ من تكاليف المشاريع الاقتصادية .

وفي العام الماضي أعطى الصندوق الأولوية للدول التي تقدمت لأول مرة بطلب قروض ، حتى يعم نشاطه مختلف أجزاء الوطن العربي . على أنه ، في نفس الوقت ، اهتم بدراسة وتقييم المشاريع الجديدة المقدمة اليه من الدول التي لم يكن لها أولية حتى تكون على اهبة الاستعداد للقرض عندما يجيء أوانه .





يعتبر وادى مجردة من أخصب الاراضى التونسية ، وقد قام صندوق التنمية بتقديم ٢ مليون
هذا الوادى .. ان هذا المشروع سوف تصيب فوائده ٤٠٫٠٠٠ مزارع جديد بالاضافة الى المزارعين
السيطرة على انجراف التربة والفيضان على الانتهاء ، اما الاعمال التى ما تزال تحت الانشاء ، فهى

مـرونة

ويصادف الصندوق اثناء القيام بعملياته أوضاعا اقتصادية تتباين تباينا كبيرا بين بلد عربى وآخر. ونظرا لهذا الاختلاف يحاول الصندوق أن يبدى ما يمكنه من المرونة فى معالجة مسائل التنمية فى هذه الدول ضمن اطار قوانينه وانظمته .

سعر الفائدة ومدة السداد

اما سعر الفائدة ، الذى حدده الصندوق لقروضه ، فيتراوح بين ٣ و ٤ بالمائة .

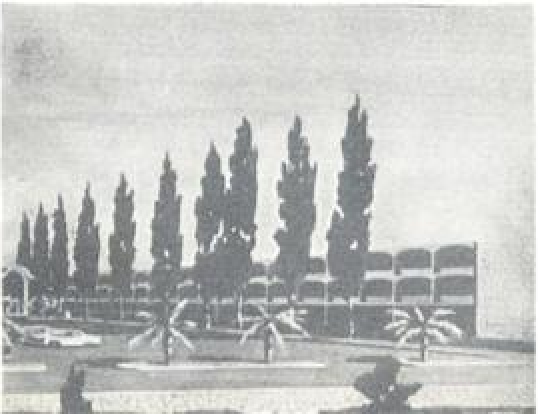
اما فترة سداد القرض فيراعى الصندوق ظروف وحاجات كل مشروع . وقد تراوحت مدة السداد حتى الآن بين ١٠ سنوات و ٢٥ سنة .

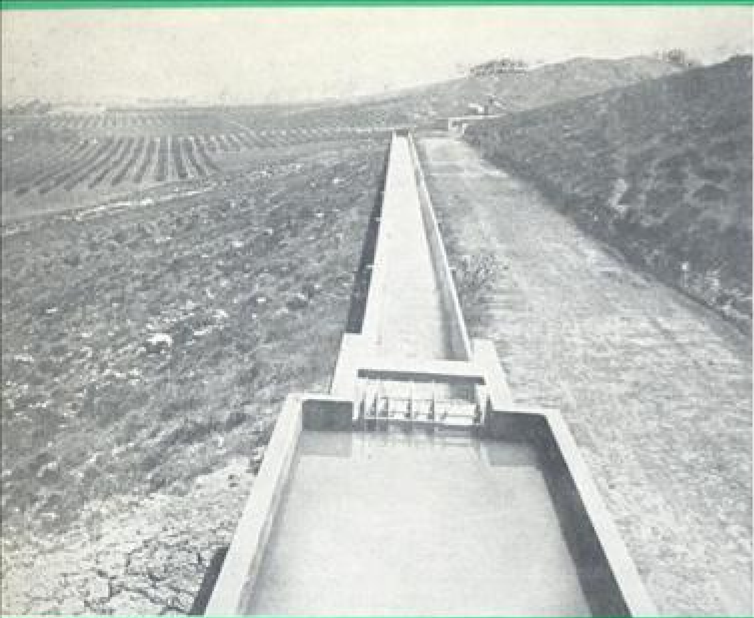
مدير الصندوق يتحدث

وجلسنا الى الاستاذ عبداللطيف يوسف الحمد مدير عام الصندوق .. انه من الشباب الكويتى الواسعي الالمام بشئون الاقتصاد والمال.. وهو كتلة نشاط لا تهدأ او تستقر ، يدرس المشاريع على الاوراق ، ويطير الى مواقعها لرؤيتها رؤية العين .. ويقابل ويناقش المسئولين حتى أصبح يلم الماما كبيرا باهم المشاكل الاقتصادية فى الوطن العربى ..

وطلبنا منه أن يحدثنا عما حققه الصندوق للبلاد العربية خلال السنوات الثلاث المالية التى مر بها ، وعن مشاريع المستقبل . فقال :

كانت مدينة القدس تفتقر الى الفنادق السياحية
الف دينارا لتمويل مشروع انشاء وتجهيز فندق
.. وقد انتهى المشروع ، وبدأ الفندق يستقبل النزلاء







دينار لتحسين الرى ، وترك وسائل الزراعة ونظام المحاصيل القديمة واستبدل وسائل ونظم حديثة فى المقيمين فيه حاليا . وقد تم حتى نهاية مارس ١٩٦٠ انجاز جهاز الرى الرئيسى ، وتوشك أعمال أعمال تطوير المزارع ... وينتظر أن ينجز المشروع كله قبل ابتداء الموسم الزراعى القادم .

ـ « لقد حقق الصندوق خلال السنوات المالية الثلاث الماضية أعمالا كبيرة مرضية ..

فقد قمنا بتقديم ١١ قرضا مجموع قيمتها ٣٩ مليون و ٥٠٠ ألف دينار الى خمس دول عربية مختلفة .

« واستمر الصندوق فى توثيق علاقاته مع الدول العربية عن طريق ارسال المبعوثين الذين قاموا بدراسة المشاريع الجديدة ، وبحثوا امكانية اعطاء قروض جديدة ...

« كما زارت بعثات أخرى الدول التى للصندوق فيها مشاريع تحت التنفيذ لتتبع سير العمل وتقدمه ..

« كما وفدت الى ادارة الصندوق بعثات من عدة دول عربية .. » .

نقص الدراسة يعطل القروض

ومضى مدير الصندوق يقول :

« وقد تلقى الصندوق فى العام الماضى ، طلبات قروض من الجزائر والاردن، والمغرب، والسودان، وسوريا ، وتونس ، قام خبراء الصندوق بدراستها ، فوجدوا ان بعضها لم يستوف دراسة ، ولم تثبت جدواه الاقتصادية بعد ، بسبب نقص المعلومات ، ونحن نأمل أن تتوفر لنا المعلومات الكافية ليتمكن الصندوق من ابداء رأى نهائي فيها » .

مصنع جديد للسكر فى السودان

« ومن المشاريع التى كانت فى مرحلة متقدمة من الدراسة عند نهاية هذه السنة المالية مشروع

الكبرى ، وقد قام صندوق التنمية بدفع مبلغ ١٧٥ القدس السياحي على الجانب الجنوبى لجبل الزيتون فى غرفه المائتين والاربع ، وصالاته وغرف طعامه



مصنع للسكر ومشروع مطار في السودان ، ومشروع زراعي ومصنع للبابة الورق في المغرب .

وقد تم تقييم مشروع مصنع السكر في السودان بعد نهاية السنة المالية بقليل ، ووافق الصندوق على المساهمة في تمويل المشروع بمبلغ ١٧٠٠٠٠٠ دينار .

كما تم التقييم الاولي للمشاريع الاخرى . وينتظر الصندوق الآن معلومات جديدة من الجزائر والمغرب والسودان وسوريا وتونس عن هذه المشاريع » .

المشاريع التى ساهم فيها الصندوق

« اما معدل السحب من القروض العشرة التى يقوم الصندوق بتمويلها ، فقد ارتفع بسرعة خلال عام ٦٥/٦٤ حيث بلغ ما سحب خلال هذه السنة ٢٠ر١ مليون دينار ، مقابل ٣ر٤ مليون دينار للسنة الماضية ، و٨ر. مليون دينار للسنة التى سبقتها .

« ويظهر الجدول التالى مجموع المسحوبات الى مجموع القروض حسب المشاريع حتى نهاية شهر يونية ١٩٦٥ .

المشروع	مبلغ القرض	المبلغ المسحوب
سكة حديد السودان	٧٠٠٠٠٠٠	٦٧٤٢٦١٠
فوسفات الحسا	٣٠٠٠٠٠٠	٩٣٦٢٣٨
مشروع اليرموك	٤٠٠٠٠٠٠	١١٩٧٩٨
كهرباء لواء القدس	٢٤٠٠٠٠	٢٤٠٠٠٠
فندق القدس السياحي	١٧٥٠٠٠	١٧٥٠٠٠
فندق الاردن بعمان	٨٥٠٠٠	٦٣٤٩
وادى مجردة بتونس	٢٠٠٠٠٠٠	١٥٠٧٠٠٠
كهرباء تونس	٤٠٠٠٠٠٠	٢١٩٩٨١٨
انبوب النفط بالجزائر	٧٥٠٠٠٠٠	٤٧٥١٢٩٧
قناة السويس	٩٨٠٠٠٠٠	٩٤٢٢١٣
مصنع السكر في السودان	١٧٠٠٠٠٠	

وتشير المسحوبات الى تقدم مرض في تنفيذ معظم المشاريع .

ثلاثة مشاريع أعطت ثمارها

ويستطرد الاستاذ عبد اللطيف الحمد مدير الصندوق فيقول :

« ومن دواعي الاغتباط ان اثنين من المشاريع التى ساهم الصندوق في تمويلها ، وهما كهرباء لواء القدس ، وفندق القدس السياحي ، قد تم تنفيذهما وابتدأ تشغيلهما .

« كما ان مشروع سكك حديد السودان قد اوشك على الانتهاء وابتدأ تشغيله كذلك . ومما يذكر ان هذا اول قرض منحه الصندوق ، وكان لتمويل جزء من مخطط عام لتحسين وتوسيع شبكة سكة حديد السودان خلال عشر سنوات ، وعلى ثلاث مراحل .. وكان البنك الدولى قد مول المرحلة الاولى واستعمل قرض الصندوق لتمويل المرحلة الثانية من المخطط ، وسيمول البنك الدولى المرحلة الثالثة منه ..

اول انبوب نفط تملكه حكومة الجزائر

ويستطرد المدير في القول :

« وفي الجزائر قام الصندوق بتمويل مشروع انشاء خط انابيب ثالث لنقل النفط الخام ، يبلغ طوله ٨٠٥ كيلومترا ، وقطره ٢٨ بوصة ، من حقول النفط « بحاسي مسعود » في منطقة حوض الحمراء ، الى ميناء ارزوا على البحر المتوسط .

« وستكون طاقة الانبوب الاولية ١٠ر١ مليون طن من النفط الخام ، مع امكانية زيادة هذه الطاقة في المستقبل الى حد ٢٢ مليون طن سنويا باضافة محطات ضخ جديدة الى الثلاث محطات الموجودة حاليا .

« وتقدر تكاليف المشروع بحوالى ٢٤ مليون دينار كويتي ، منها حوالي ٨٠٪ بعملات اجنبية. وسيغطي قرض الصندوق حوالي ٢٧٪ من مجمل احتياجات العملات الاجنبية ، وتتم تغطية الباقى من قبل بنوك اجنبية . وهذا هو اول انبوب تملكه وتديره الحكومة الجزائرية كاملا ... ويتوقع ان يبدأ تشغيله قبل نهاية ١٩٦٥ ليساهم مساهمة كبيرة في زيادة واردات الجزائر من العملات الاجنبية عن طريق زيادة النفط المصدر » .

احياء وادى سردود في اليمن

« اما اليمن فقد وافق الصندوق على مبدأ



لتعميق قناة السويس وتحسين منشآتها ومعداتها من الاعمال التى تعود بالنفع على العالم كله .
وقد قام صندوق التنمية باقراض هيئة قناة السويس مبلغ ٩٫٨٠٠٫٠٠٠ دينار تمثل المرحلة الثانية فى برنامج طويل المدى ، كان البنك الدولي قد مول مرحلته الاولى . وبانتهاء هذا المشروع سوف تتمكن الناقلات حمولة ٥٥ ألف طن ، من عبور القناة .. فى حين ان الناقلات حمولة ٤٦ ألف طن هي التى كانت تستطيع اجتياز القناة حتى الآن .

المشاركة مع الصندوق الخاص للهيئة الخاصة بالامم المتحدة ومنظمة الاغذية والزراعة الدولية فى المرحلة الاولى من تطوير وادى سردود فى منطقة تهامة باليمن . وتتضمن هذه المرحلة دراسة شاملة للوادى وامكانية تطويره ، واجراء مسح جوى للمنطقة وانشاءات تكميلية كالطرق والمساكن والمزارع التجريبية وكذلك تدريب أبناء اليمن ..

« وسيتحمل كلفة المشروع كل من الصندوق الكويتي والصندوق الخاص لهيئة الامم » ..

« ويرى خبراء صندوق التنمية انه لا بد من اجراء مسح شامل لامكانيات اليمن الاقتصادية قبل البدء بتنفيذ أي مخطط عام للتنمية ... وقد زارت اليمن بعثة من الصندوق للتشاور مع الحكومة اليمنية حول هذا المشروع لتهيئة الامور لتنفيذه ، ومن المنتظر ان تسافر بعثة اخرى فى أواخر السنة الحالية لانهاء بعض المسائل المعلقة ليمكن البدء بالعمل .

تعاون دولي

ويختتم السيد عبد اللطيف يوسف الحمد مدير عام صندوق التنمية حديثه بقوله :

« ويأمل الصندوق أن يتسع التعاون القائم حاليا بينه وبين المؤسسات الدولية بحيث يصبح فى المستقبل واسطة لتوجيه الرأسمال الدولي نحو المشاريع العربية ، ليتمكن بذلك من اداء دوره الفعال فى خدمة الاقتصاد العربى عن طريق انماء الامكانيات الجبارة فى وطننا الكبير ، وبذلك يتمكن من خدمة الامة العربية عن طريق اسعاد الفرد العربى .. والله الموفق » . ■■

طرائف عربية

سكير عند الوالي

● جيء بسكير الى الوالي . فقال : استنكهوه .

فقالوا : ان نكهته لاتبين عنه .

قال : فقيئوه .

فقال الرجل : فان لم اقيء نبيذا فمن يضمن لي عشائي ؟

لا يكون شيء الا بشيء !

● قيل لاعرابي :

ـ اتريد ان يكون لك الف درهم ؟

قال : نعم واضرب مائة جلدة .

فقيل له : ولماذا تريد ان تضرب مائة جلدة ؟

قال : لانه لا يكون شيء الا بشيء !

حكمة مأثورة

● قال بعض بلغاء العرب : اذااسدل الوالي على نفسه ستر الحجاب ، وهَىَ عمود تدبيره ، واسترخت عليه حمائل الحزم ، وازدلفت اليه وفود الذم ، وتولى عنه رشد الراجى ، ونال اموره خلل الانتشار ، وآفة الاهمال ، وتسرع اليه العائبون بلواذع السنتهم ، ودبيب قوارضهم .

الرؤيا حق .. والتاويل باطل

● لقي ابن جامع ابراهيم الموصلي ، وكانا من اقطاب الغناء فى عصر العباسيين ، فقال ابن جامع : رايت كاني واياك فى ركاب واحد ، ثم سقطت انت حتى كدت تلتصق بالأرض ، وعلا الشق الذى انا فيه . ففسرت هذا بأن صيتي سيعلو عليك فى الغناء ...

فقال ابراهيم : الرؤيا حق .. والتاويل باطل .. انني واياك كنا فى ميزان ، فرجحت كفتي وشالت كفتك !

قدضل من كانت العميان تهديه

● لقي بشار بن برد رجلا غريبا يسأل عن منزل احد سكان البصرة ، فقال له بشار : سر فى هذا الطريق فان صاحبك يقيم فى المنزل الأخير منه .

فقال : ولكن الا ترشدني ؟

فقال بشار : اتريد من الاعمى الارشاد

قال : انى امسك بيدك وانت تقودني !

ففعل ، بشار ثم انشد :

اعمى يقود بصيرا لا ابا لكم
قد ضل من كانت العميان تهديه

زيارة المريض

دخل قوم على مريض فأطالوا ، ثم قالوا عند انصرافهم : أوصنا شيئا
فقال : اوصيكم أن لاتطيلوا الجلوس عند المريض اذا عدتموه !

ابن عباس يحفظ شعر عمر بن أبي ربيعة !

كان عبد الله بن عباس يقول :« ما سمعت شيئا قط الا رويته ، واني لاسمع صوت النائحة فاسد اذني كراهية ان احفظ ما تقول » !

وبينا هو في المسجد الحرام ذات مرة ،وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج يسألونه ، اذ اقبل عمر بن ابي ربيعة وجلس ، فقال له ابن عباس : «أنشدنا»، فانشده :

امن آل نعم انت غادٍ فمبكر ْ غداة ً غدٍ أو رائح ٌ فمهجر ُ

واستمر ينشد حتى فرغ من قصيدته وابن عباس مقبل عليه ، فقال له نافع بن الازرق : اللهَ اللهَ يا ابن عباس ! اتانضرب اليك اكباد المطيّ من اقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام ،وتتثاقل عنا ، ويأتيك مترَف ٌ من مترَفي قريش فينشدك :

رات ْ رجلا ً اما اذا الشمس عارَضَت فيَخزَى واما بالعشي فيخسر ؟

قال ابن عباس : ليس هكذا ، بل قال:

رات رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيَخصَر ُ

فقال نافع : الله الله ! ما اراك الا قدحفظت !

قال : « اجل ، وان شئت انشدتك القصيدة » .

قال : « فاني اشاء » ، فأنشده القصيدة حتى اتى على آخرها ..

قال له بعضهم «ما رايت اذكى منك» .

قال : « لكني لم ار اذكى من امير المؤمنين علي بن ابي طالب » .

المنصور والخوارج

قال المنصور لبعض الخوارج ، وقد أتي به اليه اسيرا :

ــ اخبرني اى اصحابي كان اشد اقداما فى مبارزتكم ؟

فقال : ما اعرف وجوههم مقبلين ، وانما اعرف اقفاءهم ، فمرهم ان يدبروا ظهورهم لاعرفك اشدهم ادبارا !

بشار بن برد يختبر جارية

امر المتوكل بشارا الشاعر ان يختبر جارية زعمت انها تنظم الشعر .

فقال لها بشار : اتقرضين الشعر ؟

قالت الجارية : نعم

قال بشار : احمد الله كثيرا

قالت الجارية : حيث انشاك ضريرا !

نتيجة مسابقة العدد ٧٩

٤٠ دولة تشترك فى المسابقة

■ تميزت هذه المسابقة بكثرة الردود الصحيحة التى وردت من اكثر من ٤٠ دولة مختلفة .. ولوحظ اشتراك بعض الدول ، لأول مرة باجابات عديدة جاءت من بلغاريا وامريكا اللاتينية وغينيا .

وقد اجريت المسابقة بين الاجابات ففاز القراء الآتية اسماؤهم فيما بعد بجوائز مجموع قيمتها ١٠٠ دينار :

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا فاز بها : عبد الله حسين البار المكلا ـ حضرموت .

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا فاز بها : هاني حجرات ـ محكمة استئناف عمان ـ الاردن .

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير فاز بها : عوض محمد الهادى بالكويت .

٨ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ـ خديجة الميلودى ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

٢ ـ محمود امين احمد ـ اسبورتنج ـ اسكندرية .

٣ ـ حسين حسون القرينى ـ البصرة ـ العراق .

٤ ـ رجاء وهبة صعب ـ الشويفات ـ لبنان .

٥ ـ لوزى عبد الله الارناؤوطى ـ بنغازى ـ ليبيا .

٦ ـ محمد الجاسر الماضى ـ الرياض ـ السعودية .

٧ ـ عبد الملك محمد الفربللي ـ ميتشجان ـ امريكا .

٨ ـ الياس جباره ـ اللاذقية ـ سوريا .

وسوف ترسل الجوائز بالبريد للفائزين . ■■

رسولة الحق

في هولندا

السيدة التي قالت :

أَنتُمُ العَرَب أَسوأُ المُحامِين في أَعْدَلِ قَضِيَّة



بقلم : الدكتور
منذر العنبتاوى

■ قبل حوالي خمسين عاما لم يجد الفنان البلجيكي ، اللاجىء في منزل الأديب الهولندي ، من شيء يقدمه الى مضيفه الكبير ، لقاء اقامته في منزله طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى ، سوى لمسة من فنه العبقري .

وفي تردد وارتباك قال له وقد أزمع على الرحيل :

اعترف بانني عاجز عن الوفاء بما قدمته لي . ولكن هل تسمح لي بصنع تمثال صغير لابنتك الصغيرة لينيكة ؟

وأجاب والدها :

بكل سرور اذا كنت قادرا على اقناعها بالجلوس !

وعبثا حاول الاثنان ، الفنان والأب ، اقناع لينيكة التي كانت تبلغ من العمر عشر سنوات بالجلوس لمدة تكفي لكي يقوم الفنان بانجاز عمله . فقد كانت منذ نعومة أظفارها شعلة من النشاط والحركة . وأعادا المحاولة يوما بعد يوم دون جدوى ...

الى أن خطرت للأديب الكبير فكرة قام على أثرها يلتقط كتابا من مكتبته العامرة ويعرضه على ابنته الصغيرة . وجلست ولفت نظرها من الكتاب

غلافه الغريب ... فسكنت فى مكانها ... وما أن قرات فيه بضعة أسطر حتى ثار فى نفسها اهتمام غريب لمتابعة القراءة ... وهكذا نسيت نفسها وهى تلتهم الكتاب التهاما !

ولما انتهى الفنان من اكمال عمله كانت لينيكة لا تزال فى مكانها تتابع بشغف قراءة الكتاب الذى كانت تحتضنه : الف ليلة وليلة !

تكشف مواهبها الفنية والشعرية

ومرت لعب وكتب كثيرة بين يدى لينيكة فى الأيام والشهور والسنوات القليلة التى تلت ذلك، ولكن شيئا لم يثر خيالها واهتمامها قدر ما أثاره كتاب الف ليلة وليلة ! وكانت أولى نتائج هذا الحدث الفريد فى طفولتها ان كشف عن مواهبها الفنية والشعرية التى كانت حتى ذلك الوقت دفينة تنتظر ساعة الانطلاق . وهكذا بدأت تمارس الرسم والنحت والعزف على البيانو .. وقرض الشعر ! وما هى الا سنوات قليلة حتى اكتشفت فى نفسها طموحا شديدا الى التخصص فى الفنون فارسلها والدها الى باريس لدراسة الرسم والنحت والموسيقى . وبعد فترة قصيرة من الدرس والتحصيل بدا تفوقها الواضح على اقرانها .

زواجها

ووجدت نفسها فجاة امام من تصورته أحد أشخاص الف ليلة وليلة ! وهكذا تزوجت ؟ وكان زوجها مهندسا مصريا التقت به فى باريس ... وعندما ركبت الباخرة لأول مرة متجهة بها نحو مصر كانت أقصى أمانيها ان تصل الى البلاد التى تمثلت فيها بنظرها أحداث الف ليلة وليلة !.

فى المعصرة ، بين حلوان وطرة

وعندما وصلت الى مصر رافقت زوجها الى المعصرة بين حلوان وطرة فى ضواحي القاهرة حيث كان يقطن فى منزل يطل على أطراف الصحراء قريبا من مصنع الاسمنت الذى كان يعمل فيه . وكانت اول نصيحة قالها لها زوجها وهو يغادر منزله الى مقر عمله : اياك والتعامل مع أولاد البلد من العرب أو الاتصال بهم أو الخروج وحدك من المنزل فانه لا يؤتمن جانبهم ولا يتورعون عن منكر! ونزلت هذه النصيحة نزول الصاعقة على الطفلة التى كبرت وهي تعيش فى حلم من أحلام ألف ليلة وليلة !

ولم تصدق ما قاله لها زوجها وخرجت الى شوارع البلدة وتجولت فيها ساعات دون أن يتحرش بها انسان . وفى الأيام التالية تحدثت الى صاحب الدكان المجاور ودخلت بعض المحلات التجارية ومحلات البقالة ورأت نفسها مأخوذة ببساطة ابن البلد المصرى، طيبته ومرحه واصالته.

ضلت فى الصحراء

الى أن جاء يوم ارادت فيه أن تكتشف الصحراء وسرها . فسارت وحيدة مسافة طويلة الى أن شعرت انها قد فقدت طريقها ولم تعد قادرة على العودة . وسارت على غير هدى الى أن تبينت لها معالم خيمة « أو بيت شعر »فاقتربت منها لتجد فيها بعض الأعراب . فجزعت بادىء الأمر ولكن الرجال هبوا لدعوتها . ودون سؤال قدموا لها كوبا من الماء وفنجانا من القهوة المرة ولم تكن قد ذاقتها من قبل . وبعد استراحة قصيرة رافقوها الى المعادى ، وهى فى ذهول من فرط طيبتهم وشهامتهم وكرمهم .

نفرة بينها وبين زوجها

وبقدر ما اكدت هذه الحادثة صدق حدسها وصحة نظرتها الى العرب بقدر ما أثارت سخط زوجها وثورته عليها لاهمالها نصيحته . واخذت علاقتها بزوجها تسوء يوما بعد يوم .. الى أن اكتشفت سر كراهية زوجها للشعب المصرى . فقد تبين لها انه لم يكن عربيا وانما كان أجنبيا متمصرا لم تربطه بابناء ذلك الشعب الطيب اية رابطة . واكتشفت انها أخذت تتعلق بابناء البلد وبطبيعة حياتهم اكثر من تعلقها بزوجها وبطبيعة حياته المادية . واكتشفت الحقيقة الكبرى الثانية وهى أنها عندما أحبته وتزوجته فى باريس انما كانت تحب مصر والعرب والشرق ، فلما سقط القناع عن وجهه سقطت كل فضائله ولم يبق منه سوى صورة لأجنبي ناكر للجميل آوته مصر وتقبله شعبها الطيب ويسّر له كل سبل الحياة الكريمة فحصل على الجنسية ليتساوى مع أبناء

مصر فى ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، ومع ذلك فلم يكن لكل ذلك فى نظره من معنى سوى امتصاص أكبر قدر ممكن من خيرات مصر واستثمار عرق أكبر عدد ممكن من أبنائها !

طلاق ثم عودتها الى هولندة

وهكذا لم يكن هناك بد من الانفصال ثم الطلاق. وعندما عادت الى بلادها فى عام ١٩٣١ لم يكن يؤرقها شىء سوى اضطرارها الى ترك البلاد التى أخذت بلبها .

ومنذ ساعة وصولها الى هولندا أخذت تتحدث بشوق عن سحر الشرق ومفاتنه وعن طيبة العرب وكرمهم وصدق مشاعرهم الى أن مل والدها هذا الحديث فقال لها ذات يوم : « كفى الحديث عن القشور . اذا أردت فعلا أن تعرفى حقيقة العرب فاقرئى هذا الكتاب » .

ودفع اليها هذه المرة بكتاب صديقه جوستاف لوبون الشهير : حضارة العرب ! وكما تجاوبت مع الف ليلة وليلة قبل ذلك بسنوات كذلك كان تجاوبها مع حضارة العرب ! وكان هذا الكتاب نقطة التحول الكبرى الثانية فى حياتها وذلك أنها لم تكن قد فرغت منه حتى أخذت تبحث فى كل ما كتب عن حضارة العرب وتاريخهم القديم .

دراسة حضارة العرب وتاريخهم ، والمحاضرة فيهم

وما هى الا فترة قصيرة حتى انغمست كلية فى دراسة حضارة العرب وتاريخهم ولما استشعرت فى نفسها الماما كافيا فى الموضوع أخذت تكتب وتحاضر فى هذين الموضوعين كلما سنحت لهـا الفرصة .

وفى هذه الأثناء التقت بالرجل الذى يمكن أن يقال عنه بحق انه أكمل نصف دينها : كيس وولتجر ، الرجل الذى لا تستطيع منذ تزوجته أن تخطو خطوة بدونه ، والذى يرجع اليـه الفضل الأول فى ما وصلت اليه هذه السـيدة العظيمة . كان كيس محاميا ناشئا عندما تزوجته فى عام ١٩٢٤ ولم يكن يعرف من أمر العرب شيئا: لا ماضيا ولا حاضرا .الا أن حبه لزوجتـه واهتمامها بتاريخهم خلق عنده فضولا عجيبـا للقراءة عنهم.وهكذا أحبهم من خلال حبه لزوجته.

واذا كان حبها لزوجها الأول كان من خلال حبها للعرب فقد كانت بداية تعلق زوجها الثانى بهم من خلال حبه لها . والغريب فى الأمر أن ارتباطه بزوجته قد زاد بعـد أن درس تاريخ العـرب وحضارتهم . وتراه اليوم لا يقل حماسا عـن زوجته فى العمل من أجل العرب وقضاياهم . ولما كان اسمه الأول هو كيس واسمها الأول هـو ليتيكة فقد عن على باله ذات يوم أن يطلق عليها اسم ليلى . وهكذا عرفا بين أصدقائهما منذ سنين بالاسمين العربيين الخالدين : قيس وليلى !

عام النكبة الفلسطينية

وجاءت النكبة فى عام ١٩٤٨ ولم تكن ليلى على صلة بأحداث العرب المعاصرة . كانت تعيش مع ماضيهم : مع تراثهم وتاريخهم .. وأمواتهم .الى أن جاءها زوجها حزينا ذات يوم وقال لها : لقد عملت طويلا من أجل عرب الأمس ولكن عـرب اليوم هم اليك أحوج !

وهكذا سمعت بقضية فلسطين وما يجرى فيها لأول مرة فقد كانت فى شغل عن العرب الأحياء بالعرب الأموات! وكانت تلك نقطة التحول الثالثة فى حياتها .

أخذت ليلى تدرس قضية فلسطين وتبحث عن أصولها وفروعها الى ان وصلت الى النتيجـة التى يصل اليها كل انسان ذى ضمير حي . فقد أذهلتها المأساة وصدمتها حقيقة الصهيونيـة والجرائم التى ارتكبتها على أرض فلسـطين . وأصابت ضميرها رعشة قوية عندما تبينت الدور المخزى الذى لعبه الغرب فى التآمر على الحقوق العربية واقامة دولة دخيلة فى قلب الارض العربية.

وحتى لا يتصور أحد لحظة من اللحظـات أنها كانت ذات ميول نازية أو لاسامية كما يفعل اليهود الذين يحاربونهـا ويحاربون زوجها بلؤم ودناءة فى هولندا منذ سنوات ، حتى لا يتصور أحد ذلك نسارع الى الاشارة بان ليلى اشتركت فعليا فى المقاومة السرية للاحتلال النازى لبلادها خلال الحرب العالمية الثانية . وقد ألقت قصيدة شهيرة فى أول احتفال أقامته بلدية لاهاى بمناسبة جلاء القوات الالمانية عن هولندا ، كما أنها صنعت تمثالا خلدت فيه المقاومة الهولندية لهذا الاحتلال لا يزال معروضا حتى اليوم فى المتحف الحربى الهولندى فى مدينة لايدن .

رحلتها هى وزوجها فى البلاد العربية

وخلال عامى ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ قامت ليلى وزوجها برحلتين الى البلاد العربية زارت فيهما الاردن وسوريا ولبنان ومصر وليبيا وتونس بالسيارة .

فى الطريق بين رام الله ونابلس

ومن ذكرياتها فى هذا ما حدث ذات مساء عندما كانا يتوجهان بسيارتهما من رام الله الى نابلس فى طريقهما الى الخطوط الأمامية فى طولكرم . فقد اوقف زوجها السيارة عند قرية سنجل ليتأكد من انه كان يسير فعلا على الطريق الموصل الى نابلس . وكانت تقف قريبا منهم على الشارع العام سيارة « بيك ــ آب » قديمة يجلس فيها بعض العمال العائدين من عملهم . وعند سؤال العمال أجاب هؤلاء بانهم متجهون الى نابلس ونصحوا السائل الغريب أن يتبعهم عندما تتحرك سيارتهم بعد قليل . وكان اثنان من العمال يشتريان العنب من دكان المحطة عندما لمحا السيارة الغريبة ، فاتجها نحوها ، وقدما كمية من العنب الى ليلى وزوجها . الا انهما اعتذرا عن قبولها ، فاصر العاملان . وهنا اخذ قيس يتحسس جيوبه فى ارتباك ، ثم قال : آسف ولكن ليس لدينا نقود اردنية فى هذه اللحظة . وهنا قال أحد العاملين باسما : عيب ! من قال ان عليكم ان تدفعوا ثمن العنب . انكم هنا ضيوف فى بلادنا ومن حقكم أن تذوقوا ثمارها !

ولم تستطع ليلى رغم تعاقب السنين أن تنسى كوبا من الماء وفنجانا من القهوة المرة قدمهما لها اعراب فى صحراء حلوان ذات يوم قبل حوالى ثلاثين عاما عندما كانت فى حالة يرثى لها من الاعياء والعطش والخوف ، ولا بضعة عناقيد من العنب حملها اليها بعض العمال العرب على طريق رام الله ــ نابلس ذات مساء قبل عشر سنوات ، ولا المساعدة الهائلة التى بذلها لها ولزوجها مواطن من ليبيا عندما كسرت بهما السيارة على طريق بنغازى ــ طبرق ذات يوم من نفس السنة ... كل ذلك بدون مقابل ولمجرد أن ليلى وزوجها كانا يزوران أرضا عربية !!

وكنت كلما رأيت ليلى تحرق أعصابها وهى تعمل فى أبحاثها وكتاباتها ومحاضراتها دفاعا عن حقوق العرب المهضومة فى فلسطين تذكرت قصور العرب الفاضح فى حق انفسهم .. وكنت اقول لها فى تلك الساعات : هل تستحق يا ليلى منك ومن زوجك كل هذا الاخلاص والتفانى من أجل قضيتنا .. وكانت دوما ترد قائلة : اذا كنت سأنسى ما فعله الغرب بكم والجريمة التى ارتكبها بحقكم وهو امر مستحيل فهل أستطيع من ناحية شخصية ان انسى ما قدمه أفراد عاديون من مواطنيكم لى شخصيا ولزوجى فى ساعات ضياع او محنة ؟!

حديث الكلبة التى ماتت

وأذكر أنها حزنت حزنا شديدا خلال عام ١٩٦١ على وفاة كلبتها وكانت رفيقتها الوحيدة فى المنزل اثناء غياب زوجها عنه . ويوم وفاة الكلبة دخل زوجها المنزل ليرى زوجته تعسة حزينة وكانت تبكى كالأطفال . حاول جهده التخفيف عنها دون جدوى . واخيرا قام الى أحد الرفوف .. وأتى لها « بصينية » تقدم عليها القهوة والشاى ، وقال لها مشيرا الى الصورة المثبتة تحت زجاج الصينية : اذا كان لا بد من البكاء فان هؤلاء احق به وأجدر .. وكانت الصورة تمثل مجموعة من « العائدين » العرب وهم يقفون فى ثيابهم الممزقة امام خيامهم البالية .

كانت ليلى تحدثنى فى منزلها عن وفاة الكلبة بعد حدوثها بيومين وكانت تقول : قد تستغرب حزنى الشديد على حيوان ، ولكن لا تنس أن هذا الحيوان كان حيوانا وفيا وأمينا ، ونحن كما ترى نعيش فى عصر عز فيه الوفاء والأمانة بين بنى الانسان ! وعندما وصلت الى الحديث عن زوجها وصينية القهوة قامت لتريني ماذا فعل ، واتت بالصينية ووضعتها على حجرها وقالت : ولقد اتى لى بهذه الصينية وقال : وما انهت جملتها حتى كانت الدموع تنهمر من عينيها بغزارة .. وتمردت الدموع من عينى وقمت وانا القادم من أرض النكبة أهون عليها من آثارها التى تركت جروحا عميقة فى نفسها ..

انتم العرب أسوأ محامين لأعدل قضية

وذات مرة احتاجت ليلى لمطالعة بعض المراجع

بحثا عن صحة ما جاء فى احدى الوثائق المتعلقة بقضية فلسطين والمتصلة بمؤتمر الصلح الذى انعقد فى باريس فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، فكتبت الى أحد المسئولين فى مكتب الاعلام العربى التابع لجامعة الدول العربية فى نيويورك لمساعدتها فى التحرى عن تلك الوثيقة فى مكتبات المدينة الكبيرة . وانقضت بضعة شهور كتبت خلالها عدة رسائل للمسئول المذكور دون أن يصل اى رد حتى ولا بالاستلام .. وظنت انه لا بد وان يكون الشخص المسئول خارج نيويورك ، فكتبت الى الدكتور « الما برجر » وهو يهودى من زعماء المجلس اليهودى الامريكى المعادى للصهيونية والمقيم فى نيويورك ، وكانت تعرفه ، واعتذرت عن ازعاجها له ، واخبرته بانها كانت ترغب من السيد (هـ) فى مكتب الاعلام العربى أن يقوم بهذه المهمة لولا انه تبين لها انه غير موجود فى نيويورك . وفى خلال اسبوع جاءها الاستيضاح المطلوب من الدكتور « برجر » الذى لم ينس أن يشير فى رده الى انه اتصل تلفونيا بالسيد (هـ) فور استلامه رسالتها فتبين له انه موجود وانه تسلم رسائلها كلها ولكنه كان مشغولا لدرجة لم يتمكن معها من الرد عليها!!

وقالت لى ليلى وهى تعتصر من الألم : أليس من سخريات القدر أن يكون الدكتور برجر أسرع استجابة لطلب يخدم قضية فلسطين من أحد المسئولين العرب واضافت جملتها الشهيرة الجارحة :

انتم العرب أسوأ محامين لأعدل قضية .

وبعد ، فهذه لمحة قصيرة عن السيدة التى تعمل منذ ستة عشر عاما بمعدل خمس عشرة ساعة فى اليوم لخدمة قضية فلسطين . ومن يعرف هذه السيدة يعرف هذه الحقيقة . ومن يعرفها جيدا أو من قرأ ما كتبته من أبحاث أو مقالات عن قضية فلسطين يدرك انه قل أن يوجد فى الشرق أو الغرب ، بين العرب أو غير العرب من يتفهم قضية فلسطين تفهما علميا تاريخيا مثبتا بالأدلة والمستندات الأجنبية ، والتى ليس بينها وثيقة أو مرجع عربي واحد ، كما تتفهمها هذه السيدة .

ولقيتها هى وزوجها فى القاهرة

وقد شاءت الصدف أن القاها وزوجها فى القاهرة مساء أول أيام آب ـ أغسطس الماضى وهما يزورانها لاول مرة منذ تسع سنوات وكانا قد عادا لتوهما من زيارة قصيرة لقطاع غزة ، فرأيت فيها وفى زوجها عزما جديدا واندفاعا لا حد له فى الدفاع عن حقوق عرب فلسطين .

وقالت ليلى فى حفل العشاء التكريمى الذى اقامه تكريما لها ذلك المساء وكيل وزارة التربية والتعليم العالى فى الجمهورية العربية المتحدة انها ذهلت من ذلك الاصرار العجيب على العودة المظفرة الذى لمسته لدى كل من قابلته من أبناء فلسطين فى غزة . وتحدثت عن مظاهر التقدم الذى شاهدته فى الجمهورية وخاصة فى المجالين العلمى والعسكرى ، والذى كان دليله الواضح ذلك الاستعراض الرياضى الكبير الذى أقيم فى استاد القاهرة بمناسبة أعياد الثورة والذى شارك فيه الألوف من شباب الجمهورية وشاباتها وهو أمر يناقض ما يحاول أعداء العرب أن يقولوه دوما من أن العربى انسان فردى النزعة وغير قابل للتعاون المشترك . ولقد سعدت عندما سمعت الدكتور وكيل وزارة التربية والتعليم فى الجمهورية يقول عنها فى كلمة القاها فى حفلة العشاء المذكورة :

« اننى اذ أحيى السيدة الجليلة فاننى أحيى فيها حبها للعرب ودفاعها عن قضاياهم العادلة ، وفى مقدمتها قضية فلسطين ، بقدر ما أحيى فيها رسولة للحق فى بلادها ، وفى القارة التى حان الوقت لكى تعرف الحقيقة وتسمع كلمة الحق بعد أن كاد طوفان الدجل الصهيونى والاستعمارى أن يغرق كل مبادىء الحق والخير التى رفعها أحرار الفكر فى ربوعها » .

انى أكتب هذه الكلمات وأنا ادرك تماما أنها أبعد ما تكون عن الرغبة فى الاعلان عن نفسها . واذا كان لى من عذر فى الكتابة عنها دون استئذانها فهو رغبتى فى حث بنى قومى فى هذا الوقت بالذات لكى يؤدى كل منهم واجبه تجاه قضية بلاده من خلال ساعة عمل واحدة فقط كل يوم ، وليس خمس عشرة ساعة كما تفعل القديسة الهولندية الخالدة لينيكه فان درهوفن ليونارد . ■■

نابلس : منذر العنبتاوى

القمر

سطحه : من رمل هو ؟
فوهاته : أفواه براكين ؟

■ أرسل العلماء الى القمر مركبة الفضاء المسماة رانجر رقم ٧ ، Ranger ثم ارسلوا مركبة الفضاء رانجر رقم ٨ .

وكل من المركبتين حمل عدة تلسكوبات تلفازية . وكلٌ اخذ من القمر صورا تلفازية كثيرة تراءى فيها سطحه من قريب جدا ، قبل أن ترتطم المركبة بسطح القمر ارتطاما .

ومع هذا ظل هذا السطح ، سطح القمر الذى راته التلسكوبات ، وارسلت لنا صوره عبر هذه الأبعاد البعيدة التى تفرق بين الارض وقمرها ، ظل هذا السطح موضع خلاف بين العلماء .

هذا السطح ، هل هو من صخر جلمود ؟ .

ام هذا السطح من تراب،لو نزل عليه رجل الفضاء ، اغترز فيه اغترازا، حتى رقبته ، هو ومركبته ، أو لعلهما جميعا غرقا فيه غرقا ؟ .

بعض العلماء اليوم يقول : رغم الصور الكثيره المأخوذة ، فان القمر مغطى بطبقة كالزغب ، سببها تخرّق هذا السطح بالشُهُب الدقيقة المكروئية التى ظلت تصيب هذا السطح ، ملايين ملايين ، طوال الأحقاب . وان كل دقيقة مكروئية من هذه الشهب تصيب سطح القمر تمزق من هذا السطح مِزَقا تطير فى الفضاء آلافا ، ثم هى تهبط عليه ، وتستقر ، ويتكون من ذلك سطح هش ،كالرماد ، لا قوة فيه ولا تماسك . حتى اذا بلغ سمك هذا التراب تسعة اقدام ،ثقل على اوطأ طبقاته ، فتجمعت هذه الطبقات الدنيا ، فصارت شيئا كالحصى .

وعلماء آخرون يرون أنها قد تزيد على مائة قدم .

ومسألة اختلاف بين العلماء أخرى : تلك الفوهات التى تتراءى على سطحه ، وكأنها فوهات براكين .

قوم يرون أنها كانت بسبب ارتطام شهب عظيمة ضربت هذا السطح بسرعة هائلة ، لانعدام جو القمر ، فبقوة هائلة ، فتحت فى سطح القمر افواها .

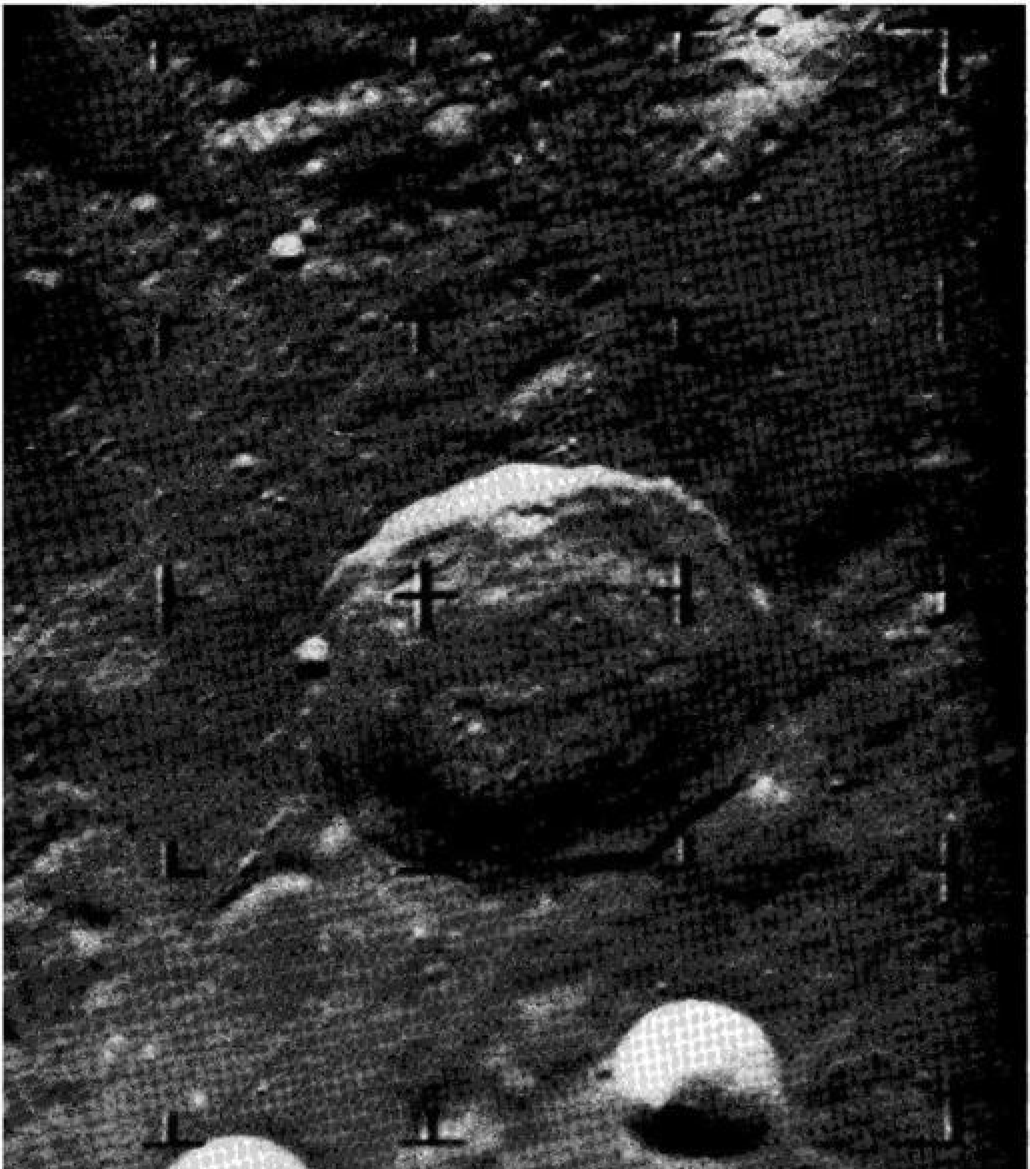
وآخرون يرون انها فوهات براكين حقا وصدقا .

لم تفصل الصور التى اتت بها المركبات التى ذكرنا فى هذه الأمور .

ويرى العلماء انه لا يمكن ان يكون فصل فيها حتى تبدأ السلسلة الجديدة من المركبات فى الصعود الى القمر ، والهبوط عليه ، لا ارتطاما ولكن على هوادة ، وبدون رجال . وهى مركبات قد يصل عددها الى ١٧ مركبة .

واذا هى هبطت على القمر أخذت من أرضه عينات ، واختبرتها بالذى عليها من أدوات ، وارسلت الى علماء الأرض بالذى تجد .

وستحمل هذه المركبات مكروسكوبات تلفازية كالتى حملتها رانجر ،



صورة من سطح القمر ، اخذتها عدسة من عدسات مركبة الفضاء رانجر ٨ ، وهي على بعد ٤٧٫٠ ميلا من السطح ، وقبل ان ترتطم عليه بنحو ٧ دقائق . وهى الصورة الحادية والثمانين قبل الاخيرة . وابعاد هذه المساحة المصورة من القمر هي ٩٣ ميلا فى : ٢/٧١١ ميل .

ولكن ، بما انها ستأخذ صورا وهى هابطة فعلا على سطح القمر ، على هوادة ، فسوف تختلف اختلافا كبيرا عن صور وصلتنا من القمر حتى اليوم .

ان المركبة من السلسلة الجديدة اسمها « المساح » أو هى سرفاير Surveyor



عندما يفترق

ماذا تقول هي ؟

قالت الزوجة الشابة لنفسها ، وهى تخرج ملابسها من الحقيبة ، وقد عادت لبيت والديها تاركة بيت الزوجية، بعد مشاجرة مع زوجها ، قالت :

ــ يجب ان انسى ما فعل ، ويجب ان أعود الى بيتي واستأنف حياتى معه . لقد اخطأت منه انا الأخرى أكثر من الف مرة . انني حقا حمقاء : ولكن . .

ولكن اهانته لي ، وضربه اياى أيمكن اغفر ذلك؟ اذا جلسنا على المائدة فانه كثيرا ما ينتهر طفلى (من زوج سابق) ويقول انه لا يحسن آداب المائدة . ودائما يعنفنى بقسوة لانى لا اجيد طهى الطعام .. الطعام الذى يدفع ثمنه من ماله كما يقول . كيف انسى ما كان منه حين رفض طفلى الطعام فحمله على ازدراده حملا ، وبالقوة .. وقاوم الطفل ، ففتح فمه عنوة فعض اصبعه ، فتدخلت فنهرنى ووقع طبق الحساء من يدى وتحطم على المائدة !؟ واستطعت اخيرا ان احمل طفلى واهدهده حتى نام فى فراشه ، وانتهى العشاء كما تنتهى موقعة من المواقع .

وجلس بعد هذا يشهد التلفزيون ، وكان لا بد لي ان اخرج من جو البيت الخانق بسبب او لغير سبب ، وانتظرت فلعله يقترح أن نخرج معا للنادى أو للسينما ، ولكنه كان يشاهد كرة القدم ، وهو مجنون بها . فعرفت ان ليست هناك قوة على الارض تستطيع انتزاعه من أمام التلفزيون فاستأذنته ان آخذ السيارة واذهب لبيت والدى ازورهما ، فاخذته الدهشة أولا ، ثم هز رأسه موافقا ، وسألنى هل معي فلوس فقد ينفد البترول فى الطريق ، واعطانى جنيها واوصانى الا انسى البترول من اول محطة تقابلنى ، وفعلت ذلك ، ولكني لم اذهب لبيت والدى ، ففى الطريق اغرتني واجهات الدكاكين بالنظر ، ولم يكن معى الا اقل من عشرين قرشا (الا اقل من ربع دينار) ولم اكن افكر فى شراء شيء حينما وجدت نفسى اقف بالسيارة على محل الملابس الأنيق الذى كنت اتعامل معه ، وكان لى فيه حساب مفتوح ، وانظر فتقع عيني على بنطلون نسائى أخضر جميل اللون بالغ الاناقة . قد خفضوا سعره الى النصف ، فغلبنى الاغراء ، ولم أستطع أن أقاوم ، وفتحوا حسابى القديم الذى كان زوجي قد قفله ، واشتريته .

وفى طريقى لبيت والدى مررت ببيت صديقة لى كانت أنيقة ذواقة فى الملابس ، فعرجت عليها ، دفعني الى ذلك حبي لمعرفة رأيها فى ذوقى ، فلما لبسته ظلت تثنى عليه وتمتدح ذوقى السليم فى اختياره ، ونسيت زيارة بيتنا ، وجلسنا نحتسى القهوة ونتحدث الى ان كانت الساعة الحادية عشرة

مشاجرة

وعدت الى البيت ، وكان صوت التلفزيون لا يزال يهدر ، والمعلق على اللعب لا يزال يصيح ، وخطر لى انه من الحماقة أن أقطع عليه مشاهدته، فادخلت السيارة الجراج ، ودلفت من الباب



الزوجان

وماذا يقول هو؟ وماذا نقول نحن؟

الخلفي ماشية على أطراف قدمي لئلا يسمعني ، ولسوء الحظ كان قد سأل والدي بالهاتف عني فعلم منهما اني لم أزرهما تلك الليلة ، وسمعني وانا ادخل المطبخ ، فاذا به يهجم علي كالقذيفة ويقبض على كتفي بيده كأنها مخلب حيوان مفترس ، وصار يهزني هزا عنيفا صائحا : « أين كنتِ؟أين كنتِ قولي أين كنتِ ! ومع مَن قضيت الليل ؟ » ، وصار يرغي ويزبد ، واتهمني بأشياء، حتى لكأني مجرمة في ساحة القضاء ألصقت بي تهمة خطيرة ! وبلغ بي الخوف ، فلم انبس بكلمة. وأثناء هديره استيقظ ولدي وأخذ يعول ويصيح، وحاولت أن انتزع نفسي منه ، وعفوا أثناء مجاذبتي اصطدم مرفقي بصدغه فكأني صفعته صفعةً قوية ، ونظرت اليه فاذا وجهه باهت وعيناه زائغتان يتطاير الشرر منهما ، واذا هو يهجم عليّ ويقبض على خصري بيديه القويتين محاولا أن ينزع عني بنطلوني الجديد ، ثم أخذ يدفعني دفعا عنيفا حتى أخرجني من البيت ، ثم أطاح بالباب يقفله فرآني بعض جيراننا ، فنزل واستأذنه ليتحدث معه . وأثناء ذلك دلفت الى البيت خلسة وأسرعت الى غرفتي ، وفي صبيحة اليوم التالي حزمت بعض متاعي ، وعدت الى بيت والدي . هذا ما حدث .

ولا بد لي أن أقول انني عندما تزوجته كنت ارجو أن أعيش معه حياة سعيدة ، لكن هذا الأمل كان يغشاه ضباب ، وكانت تخامرني شكوك في هذه السعادة المرتقبة ! ومع اني حاولت أن أكون امرأة تملأ حياة زوجها بالحب الدافىء ، وتغمره بالحنان الدافق ، الا اني في الحقيقة أخفقت في ذلك ، وعرفت أخيرا اني لست تلك الزوجة .

حياتي الأولى

ولقد نشأت بين ابوين لم يتعودا أن يحتضناني أو يقبلاني ، مع اني كنت وحيدتهما ، وقد ولدت على كره منهما ، وكان كل منهما في الأربعين من عمره . لم يمنحاني حبا ، ولا ثقة بهما أو بنفسي: وما كدت أتعرف الى شاب صغير حتى علق به قلبي،وكنت في السابعة عشرة من العمر ، وأسرعنا فتزوجنا ، وأسرعنا كذلك فانفصلنا بعد أن ولدت له ولدا وأنا في الثامنة عشرة، وما شعرت بحبه لي يوما . وكذلك أنا لم أشعر بحب نحوه ، ولما بدأت أعراض الحمل تظهر علي ، اغتم أبي واغتمت أمي . وعلى كل حال هذا ما كان ، ولم يدم زواجنا طويلا .

وبدل أن أعود الى الكلية ، توظفت وفرحت بالوظيفة ، لأنها أتاحت لي بعض الاستقلال الذي كنت أفتقده . ولكن أمي وأبي مع ذلك ظلا يعاملانني معاملة الطفلة التي تحتاج الى رقيب عليها ، وكم ظلت أمي تبدي وتعيد وتذكرني بغلطتي في هذا الزواج .. وتبنت أمي ولدي ، ولم تغمض عينها عن مراقبتي ، تقرأ الخطابات التي تصلني ، وتصغي الى حديثي في الهاتف بانتباه ، مع من أتحدث وفيم أتحدث ؟ واعطت لنفسها الحق في اختيار أصدقائي وصديقاتي ... وصرت

ادفع ثمن هذه الغلطة . هذا الزواج الأول بفوائده التي لا تنتهي .

الزوج الثاني

واختارت لي امي زوجي الثاني هذا ، فقد كان مهندسا وله وظيفة مرموقة وكانت امه صديقة امي . وكانت العلاقة بينه وبين والدى طيبة ، يتحدث مع أبي عن كرة القدم ، ويمزح مع امي ويتندر على أوامرها وشدتها : وكانت خطوبتنا في أول الأمر تبدو سعيدة مشرقة ، نذهب الى النوادي ، ونتعشى في الخارج ، ولم يكن يتردد في شراء اي شيء احبه .

وتزوجنا ، ولكن بعد الزواج تغير كثيرا . واحسست انني استبدلت حارسا بحارس ، وانتقلت من سجن الى سجن ، وصرت لا اكاد أقول شيئا حتى يعترض عليه ، ويستهزء ما اقول، واصبح يتدخل في خاص اموري ، ثم أصبح يصيح في وجهي ، فاذا خرج كاد يهشم الباب خلفه ! وكان يضايقني منه محاضراته لي كيف أغسل طفلي ، وكيف أمشط له شعره وأرجله ، وكيف ينبغي أن أنضج الطعام واحسن تسبيكه ، وكيف ينبغي أن أقوم على حوائج البيت .. الخ

ورأيتني أكره البيت الذى اشتراه لنا ، ولا اخف لتنظيفه والعناية به . وكان قسطه الشهري وقسط الأثاث باهظا ، ولذلك كان دائما يقول لي لا لزوم أن نخرج للنزهة الا لضرورة ملحة ، وفي الوقت الذي يأخذني بهذا كنت اراه لا ينفك من الذهاب لناديه يمتع نفسه بالرياضة فيه !

واخيرا ها أنا مرة أخرى أعود الى سجني القديم ، وها هي أمي قد أخذت تمارس وظيفة القيادة فتوجهني حيث شاءت ، فاذا جلسنا وتحدثنا عنه معا رأيت أبي وأمي يأخذان دائما صفه . مع انى كنت أنتظر وانا في هذه الظروف ان تعاملني امي معاملة أخرى ، خاصة وقد صرت اما وفي الثانية والعشرين من عمري ، ولكنهما أبيا علي الا أن اظل كأني طفلة صغيرة .»

الزوج يقول .. !

وفيما كانت الزوجة تحدث نفسها هذا الحديث الذي يروى قصتها ، كان الزوج الشاب بدوره يحدث نفسه قائلا :

ــ من ألوم ! الوم نفسي على زواجي منها . لقد كنت في غاية الحماقة حين تزوجت منها ! لا عذر لي في ذلك فيما أعتقد .! ولكن ذلك المساء الذي لقيتها فيه ، وتحدثنا فجذبتني اليها ، ووقعت في حبها .

انا مهندس ، تخرجت من كلية الهندسة .. احاول دائما الا ازعجها بمتاعبي في عملي ، وعلى كل حال فاني لو فعلت لما فهمت عني . في ذلك اليوم حاولت التحدث اليها بالهاتف لأذكرها ان تكوى قمصاني ، وأذكر لها ما احب أن يكون عليه عشائي ، غير أن الخط كان دائما مشغولا كلما حاولت الاتصال بها ! وركبت سيارتي وعدت بعد انتهاء عملي الى بيتي .

وفي الطريق تذكرت أنها كانت دائما في الأيام الأخيرة تشكو من ثقل حياتنا الرتيبة المملة ، فعرجت على بائعة الزهر ، واشتريت لها باقة جميلة، ولما دخلت البيت كان الطفل يصيح ويعول، على حين كانت هي ممسكة بسماعة الهاتف !وحين راتني وضعت السماعة في الحال ، ولم تشأ ان تخبرني مع من كانت تتكلم ، فخامرني شعور غريب وسألت نفسي : كم من الوقت تراها قطعت في حديثها هذا وذكرت أني وأنا بالعمل كلما اتصلت بها وجدت الخط مشغولا : وحاولت ان اطرد عني وهمي ، وانتظرت منها قبلة وانا احمل لها باقة الزهر ، غير أن كل ما صنعته أن فاهت بكلمة شكر آية عابرة ، ونظرت فرأيت قمصاني لا زالت ملقاة كما هي غير مكوية ، وحين جلسنا للعشاء تذوقته فاذا هو رديء الطهي ، غاية في الرداءة ، مع أني لم أدع كتابا في تعليم الطهي الا اشتريته لها ، ومع ذلك فقد ظلت لا تعرف شيئا في ذلك .

وبعد العشاء ، بدأت المعركة الصغيرة المألوفة الدائمة ، معركة تنويم الطفل ، فصعدت به ، وبقيت طويلا انتظرها ، ولما أبطأت صعدت فاذا هي في غرفة النوم ، مشغولة بطلاء أظافرها . وانتظرت فاذا كل ما يعنيها طلاء أظافرها ، ولم ترض عن الطلاء الاول فأعادته مرة أخرى ، ثم انتظرت فاذا هي أيضا لم تقتنع بالطلاء الثاني فأعادته للمرة الثالثة .. الى أن بدت راضية أو كالراضية !!! ثم أخذت في وضع ظلال العيون واحمر الشفاه : وأخيرا مرت بي وهي عابر ، تقول : أنا ذاهبة لزيارة والدتي . وخرجت !

تجسم الوهم الى حقيقة

ومضت ساعات ثلاث ، ثم عادت . فسألتها كيف

حال والديك فأجابت أنهما على خير حال : ونظرت الى شعرها فاذا هو مهوش (منكوش) فاحسست بشيء ، وخامرنى ما كان لا بد أن يخامرنى ، فاذا بى انفجر كالبركان !! .. لو اخذت نفسى بشيء من الصبر والاناة ، وانتظرت حتى تخبرنى ؟! ولكن منظر شعرها وشفتيها ، وهذا البنطلون (السروال الجديد) الذى يبدو غالى الثمن ؟!

ولقد نشأت فى أسرة أورثتنى الغضب السريع .. وكنت كثيرا ما احس ان اخوتى الاربعة مفضلون على ، وكثيرا ما حنقت على أخى الذى يكبرنى حتى اننى ذات يوم كسرت طبقا على رأسه ونحن نتعارك . وكانت أمى سريعة الغضب ، ودائما تطلب من أبى أن ينهرنى او يعاقبنى ، وكان أبى احيانا يترضاها متظاهرا انه سيفعل ذلك ثم يغمزنى ببعض الفلوس لأشترى حلوى ! وكان أبى وأمى كثيرا ما يتشاحنان،وذات مرةاثناء شجارهما، وفى نوبة من نوبات غضبه لطمنى على وجهى فكسر احدى أسنانى ، وأسرع بى بعدها الى طبيب الأسنان ، وكثيرا ما كان صوتاهما يجلجلان فى البيت كانه هدير هادر ، وكانت أمى كلما حاجته وجاذبته تصيح بصوت يشبه صياح الديكة ، وحين كانت مثل هذه الموقعة تنشب بينهما كنت أسرع فأختبىء فى الجراج ، فيأتى أبى ويخرجنى منه ، ثم يمسك بيدى ونخرج نمشى معا . وفى أحاديثه لى كان كثيرا ما ينصحنى أن احذر النساء، وكان ينصحنى الا أتزوج مبكرا ، ومات أبى بضربة قلب وكنت فى الحادية عشرة ، واحسست أن خيط مستقبلى قد انقطع وتملكنى الخوف ، واستولت على الحيرة، وحزنت لفقده ، وكنت دائما أقول لنفسى: لو كان أبى تزوج من امرأة غير أمى !! امرأةسمحة رقيقة الشعور طيعة ، ملسة الحديث مستضعفة ، لا تصرخ فى وجهه هكذا ، ولا تحطم الابواب اذا اغلقتها ، ولا تضرب الارض بقدميها ؟! واخيرا استطعت أن أدخل الكلية اذ كنت أعمل ليلا فى مصنع ، واحضر الدروس نهارا بالكلية الى ان تخرجت .. ثم تزوجت ، وكنت وقتئذ فى مركز مرموق ، ولى رصيد لا بأس به فى البنك ، وكان فى نيتى ان اظل عزبا الى أن ابلغ الثلاثين ، فلما تلاقينا ، وتحاببنا .. كان الزواج !

وكنت أسكن مع صديقين كنا عزابا ثلاثة ،وكان يغشى بيتنا فتيات كثيرات .. وهتف فى نفسى هاتف : ان أيام عزوبتك قد انتهت ! وكانت هى فى موقف يغرينى بمساعدتها وولدها اذ فشلت فى زواجها الاول ، وكانت تنظر لى وكأنها تهتف بى أن أتزوج منها : كانت شخصيتها ضعيفة وصوتها الرقيق الحنون العذب .. وطيبتها وسذاجتها .. وموقفها .. كل ذلك اغرانى بها ! كانت بالنسبة لى دنيا أخرى غير دنيا هؤلاء البنات اللاتى كن يغشيننى وصاحبى !

شهر العسل

وتزوجنا يوم عيد ميلادها الواحد والعشرين ، وكنت أنا قد بلغت الثامنة والعشرين . غير أن متاعبنا بدأت منذ رحلة شهر العسل . فقد قدم لى صديق بيته الصغير على سفح الجبل لقضاء شهر العسل. وطربت أنا لذلك غير أنها لم توافق، واحبت أن تقضيه فى فندق مرتفع الاجر لأنها علمت أن به أوركسترا وصالة فخمة للرقص وحمام سباحة جميل ، وهناك فى هذا الفندق ، وفى شهر العسل بدأت متاعبنا حقا : احسست ان شغفها بحياة ذلك الفندق كانه كان أكثر من شغفها بى ! وكانت حريصة أن تبدو فتنتها للرجال وهى فى لباس الحمام .. وكانت نظرات الاعجاب بجمالها وأنوثتها كأنها كل شيء فى حياتها ! واكثر من ذلك فقد لاحظت أنها وهى معى كأنما هى تنتظر لتعاودها أنوثتها !

وانقضى شهر العسل . وعدنا الى بيتنا الذى اشتريته لها ، فلاحظت أول ما لاحظت أنها غير سعيدة به ، وكانت فى هذا الوقت قد بدأت تشعر باعراض حمل . وقد وصلت بها الحال الى أن اصبحت تدعو بيتنا هو الآخر بالسجن . فكنت أقول لها اذا كان سجنا فليس به سجان !

هذه هى قصتى ، واعتقد انى صورتها على قدر ما استطعت ، وعلى العموم لم تكن حياتى معها سعيدة ، ولكنى مع ذلك أحب أن تستأنف حياتنا، احب أن تعود وولدها الى البيت ، ننتظر طفلنا ! انها فى حاجة الى ، وأنا كذلك فى حاجة لها . ومن يدرى ، فقد استطيع أن أتغاضى عن رداءة طهيها ، وقد استطيع ان أكبح من جماح نفسى عند غضبى » .

★★★

رأيت ما تقول هى !
رأيت ما يقول هو ؟
فماذا ترانا نقول نحن ؟!

■■ دكتور محمد عبده عزام

طهمان

الشاعر الثائر
اللص المقامر

الذى قال :

وَنُبِّئْتُ لَيْلَى بِالعِرَاقِ مَرِيضَةً
فَمَا ذَا الذى تُغْنِي وَأَنْتَ صَدِيقُ

بقلم : الدكتور حسين نصار

الاستاذ المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

طلع الاسلام على بنى عامر بن صعصعة ، وهم يقطنون منطقة شاسعة الأرجاء ، تمتد من المدينة شمالا ، الى ما وراء الطائف جنوبا ، ومن نجد شرقا ، الى غور تهامة غربا. فيقضون الصيف بمنطقة الطائف المعتدلة الجو، ويخرجون بحيواناتهم ساعين وراء الماء فى نجد لسعتها وكثرة مراعيها .

واختار بنو كلاب وهم من بطون هذه القبيلة بقعة من أخصب الأراضى فى تلك المنطقة ، واتخذوها مقاما أصيلا ، تلك هى ضَرِيّة التى ذكر الأصمعى أنها كبد نجد ، اى وسطها ، وتقع على الطريق بين البصرة ومكة ، وتتبع فى الادارة أمراء المدينة . ولم ينفرد بنو كلاب بهذه البقعة بل ساكنتهم فيها بنو غَنِيّ أيضا .

وشأن كل متجاورين ، أن تكون بينهما صداقة، وأن تكون بينهما عداوة . وفى خصومةٍ نشأت عن غيرة على نساء ، استبد الغضب بأحد رجال بنى كلاب ، فطاش صوابه وبطش برجل من بنى غَنِيّ ، فقتله ، وكان ذلك القاتل ، وهو الرجل الذى نريده بالحديث الآن : «طهمان بن عمر بن سَلَمة » الذى يقال له الكلابى غالبا ، والذى دعا نفسه فى شعره بالبكرى .

وعندما سكن الغضب عن طهمان ، شعر بفداحة ما ارتكب ، وعرف أن الحكومة مقتصة منه . فهرب ناجيا بنفسه حتى لحق بالعارض من أرض اليمامة . وأقام بالجبل معتصما به ، يعيش على قطع الطريق ، ونهب المارة ، والاغارة على القريب من الدور ثم يعود لائذا بملجئه . وأقام على تلك الحال قرابة سنتين .

صعاليك فى الجاهلية،لصوص فى الاسلام

ويكشف لنا ذلك الحادث عما اعترى المجتمع العربى من اختلاف وتغير بين الجاهلية والاسلام. فقد كانت القبيلة فى مثل تلك الحالة تحمى ابنها ولا تدعه يفر ، وتقاوم كل ضغط تقوم به قبيلة



الدارسين المُحدَثين ، الذين تناولوهم أفرادا وجماعات ، وشَهَرُوا بيننا « تَأبَّطَ شرًّا » و« الشنفَرَى » و«عُروةَ بنَ الورد »،وأحسنوا صورهم فى عيوننا ، ما زال لصوص الاسلام ينتظرون من يُلقى اليهم شيئا من عناية ، وان كان القدماء لم يبخلوا عليهم بها فاصدر الراوية المعروف السكرى كتاب « أخبار اللصوص » . وقد وصلت الينا قطعة من هذا الكتاب ، وهى تحتوى على بعض شعر طهمان وأخباره .

طهمان يضيق بالغربة ، ويستعطف ويعود الى أهله

وضاق الرجل بحياته المشردة ، وعظم حنينه

شَفَى اللهُ مَرْضَى بالعِراقِ فإنَّنى
عَلَى كُلِّ مَرْضَى بالعِراقِ شَفِيقُ

القتيل ، ولو أدى بهم الأمر الى الحرب .

كذلك لم يكن اعتماد الفرد على الاغارة والنهب امرا غريبا على الجاهلية او كريها فيها ، بل كان نظاما معروفا من نظم الحياة ، مارسته القبائل مع خصومها ، ومارسته فئة من الرجال كانوا ــ وما زالوا ــ مَناطَ الانظار المُعجبة ، التى تعدهم ممثلين للخلق العربى ، والمثل البدوية ، حين ينفسح بها المدى ، فتنفر من الخضوع للضوابط والقواعد الاجتماعية ، اولئك هم الصعاليك .

اما الرجال الذين ارغمتهم الظروف المختلفة على الانسلاخ من المجتمع العربى فى الاسلام ، واتخاذ النهب عمادا لحياتهم ، فقد عدَّتهم الانظار فئة متخلفة عن زمن مضى ، ظهرت خلسة فى غير عصرها . وضن عليهم المجتمع بالاسم القديم : الصعاليك ، على الرغم من كل ما يوحى به ، واطلق عليهم اسما جرَّدهم من كل ايحاء طيب اعنى اللصوص .

كتاب أخبار اللصوص

وعلى حين لقى صعاليك الجاهلية عناية

الى العودة الى مجتمعه . فجعل يترقب الفرص الى ان عثر على جماعة تخترق الطريق الذى يقطعه ، وفيها رجل من قبيلته بنى كلاب . فتتبَّعهم الى ان استطاع الانفراد بالكلابىّ دون ان يراه احد . والتمس منه ان يتصل بجماعة من اشراف قومه ، ويرجوهم ان يشفعوا له ، ليغفر الأمير زلته ، ويُرضى بنى عَنْبىٍّ بالدية ، ويستطيع هو ان يعود الى حياة الجماعة . وروَّاه شعرا له يصوّر حاله وما بلغ اليه :

مَن مُبلِغٌ عبدَ العزيز ومحفنا
وذُبيانَ أنى قد مَلِلتُ ثَوائيا
مَلِلتُ ثَواءً باليمامة لا أرى
من الناس إلا العبد يحدو السَّوانيا
وأشرب ليلا ثم أُصبح طاويا
تظلُّ عِتاقُ الطيرِ حَوْلى حَوَانيا

فاخبر الرجل من ذكرهم طهمان من الاشراف . ولكن شريفا آخر لم يرد اسمه فى الشعر ، ويُدعَى

صَدِيُّ ابن قيس ، عرف الخبر . فركب وخرج دون أن يُعلم أحدا ، وأسرع الى والى المدينة . فما زال يستعطفه حتى أعطاه الأمان . فانقضّ صَدِيُّ قصد طهمان ، وأخبره بما فعل ، وحمل دونه دم الفتوى . وعندما أتى بقية الاشراف الى أمير المدينة أعلمهم بما قد حصل . وعاد طهمان الى موطنه فرحا يقول :

خليليَّ ، روحا مُصعِدين ، فلم يدع
صِدَيُّ مُناخا للمَطِيِّ المحزَّم

واستقر المقام بطهمان بين قومه . ولكن الدهر كان لا يزال يدخر له من الاحداث ما هو أعظم وأبعد أثرا .

انتقال الخلافة من بيت معاوية الى بيت الحكم

فقد توفى الخليفة الأموى يزيد بن معاوية فى سنة ٦٤ هـ وخلفه ابنه معاوية . ولكن هذا لم يستقر على العرش حتى اختطفه الموت . فاحاطت ببنى أمية العواصف وثارت الزلازل ، وظهرت الدولة الاسلامية وكأنما هى على وشك الزوال . فلم يكن فى البيت الأموى من تتجه اليه الأنظار المتاعة فورا ، على حين كان بالحجاز رجل يتمتع بكثير من صفات الخلافة ، ويتولى الحكم فيه فعلا، ويطالب به فى جميع أرجاء العالم الاسلامى . فتوزعت أنظار المسلمين بين مكةودمشق .واستولى الخوارج على مصر تحت قيادة عبد الرحمن بن جَحْدَم ، وأعلنوا الولاء لعبد الله بن الزبير فى الحجاز . واعترف بسلطته زُفَر بن الحارث الكلابى بقنسرين ، والنعمان بن بشير الأنصارى بحِمْص . بل قام بعض المغامرين بمدن العراق ودعوا الى أنفسهم ، من أمثال عبيد الله بن زياد ابن أبيه ، وان لم تفلح دعوتهم ، وسقط العراق شان بقية الأقطار العربية فى أيدى أتباع عبدالله ابن الزبير .

ولم يبق من يعترف بسلطة دمشق غير حسان ابن مالك بن بَحْدَل بفلسطين . ولكنه عندما تركها الى الاردن ، خلف بها رَوْح بن زنباع الجذامى . فثار عليه ناتل بن قيس الجذامى ، واستطاع أن يطرده ويدعو للزبيريين .

واذ بلغت الأمور هذا المبلغ ، وأوشك المُلك الأموى على الضياع ، جد الأمويون فى البحث عمن يصلح لقيادتهم واخراجهم من مأزقهم الخطير ، سواء كان من الفرع المالك أو من غيره . وأخيرا استقرت أبصارهم على مروان بن الحكم ، الذى استطاع ان يُغرى مَنْ أصله يمنىٌّ من عرب الشام بمساعدته . والتقت الجيوش بمرج راهط: الأمويون يناصرهم اليمنيون من عرب الجنوب ، والزبيريون يناصرهم القيسيون من عرب الشمال . واجتمعت عوامل متعددة فكانت سببا فى انهزام القيسيين هزيمة فادحة ، وعودة الأسرة الأموية الى السيطرة الكاملة على الخلافة الاسلامية ثانية، غير أن مقاليد الحكم آلت الى بنى مروان من البيت الحاكم .

حارب طهمان بنى مروان فلما غلبوا ، لاذ بالفرار

ولما عزم بنو قيس بن عَيْلان على مناصرة الزبيريين ناشدوا جميع القبائل التى تنتمى اليهم الانضمام اليهم فى الحرب . فكان من الطبيعى أن يستجيب لهم بنو كلاب ، وهم القبيلة القيسية التى تقطن قريبا من حاضرة الزبيريين ، وعلى الطريق بينهم وبين الأمويين . وكان من الطبيعى أن يخرج فى هذا الجيش رجل مارس القتال من قبل ، بل رجل عرف باجادة رمى السهام ، فكان – فى وصف الواصف له – يضع سهمه حيث يريد فلا يخطىء ، مثل طهمان بن عمرو . وقد كان فعلا أحد الذين قاتلوا مع الضحاك بن قيس فى مرج راهط ، وأنكَوْا العدو بسهامهم .

طهمان يلحق بجند ناتل بن قيس بفلسطين

وعندما حاقت الهزيمة بالفريق الذى قاتل طهمانُ معه ، وجد نفسه مضطرا الى الفرار . فأى الطرق يسلك : أيعود الى موطنه بالبادية أم يشق له طريقا آخر ؟ يبدو أن الرجل تعذر عليه الرجوع لأمر ما ، ولعله ما أظهره فى القتال من حمية واستبسال . فرأى أن يشارك الفئة التى ما زالت تقاتل الأمويين فى فلسطين . فلحق بجند ناتل بن قيس .

طهمان ينخرط فى جيش بن جَحدم بمصر

ولكن قلاع المقاومة الزبيرية تهاوت واحدة بعد أخرى . فقتل النعمان بحمص وهرع زُفَر الى قَرْقيسياء ، ونصح بنو جذام ناتلا باللجوء الى عبدالله بن الزبير بالحجاز .

ووجد طهمان نفسه وحيدا ، مشردا ، مطاردا مرة اخرى . وكان قد استمرأ حياة القتال . فآثر أن يواصله فى قلعة بعيدة عن الشام . فغادره الى مصر وانخرط فى جند ابن جحدم . وجاء مروان بن الحكم على رأس جيش كبير الى مصر ليخمد مقاومتها . وعندما توغل الجيش المروانى فى ارض مصر ، ووجد أتباع ابن الزبير أنهم لاطاقة لهم به ، حفروا حول الفسطاط خندقا كبيرا ، وقسموا جيشهم الى فرق ، لكل منها نوبتها فى حراسة الخندق ، ومقاتلة المغيرين . فسميت تلك الحرب : حرب الخندق ، وحرب التراويح، لتعاقب الفرق عليها .

طهمان يبلى فى الحرب بلاء حسنا ولكنه يغلب

وقاتل طهمان فى صفوف بنى فهم وأبلى بلاء حسنا . فلقى أصحاب مروان منه ما لم يلقوا من احد ، فيما يقول الرواة . فقد كتب اسمه على سهامه ليعلمها وآثر الا يرمى بها اعتباطا بل كان يلتقط الرؤساء والأشداء فيرديهم . وعرف له المصريون هذا الاخلاص فجعلوه أحد رؤساء بنى فهم .

ولكن القتال انتهى على غير ما ود طهمان . فقد كان النصر حليف المروانيين ، وان لم يكن نصرا حاسما . فاستطاع الزبيريون أن يتفاوضوا لانهاء القتال ، ونالوا شروطا مكنتهم من مغادرة مصر سالمين آمنين فى سنة ٦٥ هـ . وكان مِنْ مغادريها رجلنا طهمان بن عمرو .

طهمان يغادر مصر الى عبدالله بن الزبير فى الحجاز

ولم يكن امامه غير طريق واحد يؤدى الى الحجاز ، فسلكه . وكان شأنه مع عبدالله بن الزبير شأنه مع قواده فى الشام ومصر . وكانت النتيجة واحدة اذ قتل عبدالله بن الزبير فى سنة ٧٣ هـ . واخمدت المعارضة الزبيرية . ولكن طهمان نجا من الموت فى هذه المعارك جميعا ،وخرج منها طريدا ، وان كان فى هذه المرة جائرا سدت امامه الطرق جميعا .

وذكر المقريزى فى كتابه المقفى أن طهمان اتخذ طريقه الى منطقة نجران من أرض اليمن ، حيث اتصل ببنى الحارث بن كعب من مذحج من عرب اليمن وعاد الى حياته القديمة : قطع الطريق .

طهمان عند نجدة بن عامر قائد الخوارج

ويأخذ الضباب فى الاحاطة بحياة الرجل حتى يكاد يخفى وراءه معالمها وأدى ذلك الى اختلاف القدماء والمحدثين فى حدث هام ألم به فى تلك المدة فى غالب الظن . فقد ذكر محمد بن حبيب والمقريزى أن نَجْدَة بن عامر ، قائدَ الخوارج الذين عاونوا عبدالله بن الزبير ، أمسك بطهمان . ثم تفترق طريق الرجلين،فيذكر ابن حبيب أن نجدة جعل طهمان دليلا له . ولكن هذا لم يرض أن يربط مصيره بمصير الخوارج . فانتظر حتى وجد غرة من القوم ذات ليلة ، واستولى على نجيبة عليها رحلها وأداتها وركبها . واسرع يعتسف الطريق فى الفلاة . ويضيف ابن حبيب أن نجدة كان معه رجل يدعى عبدالله بن سراقة ، من بنى جعفر ابن كلاب ، وهم قوم طهمان أيضا . فتطوع عبدالله للاتيان بطهمان . وذلك امر غريب ، لا يبرره غير اعتناقه مذهب الخوارج ، ومعرفته بالطريق المؤدى الى ديار قومه ، والمرجح أن طهمان سلكه . فوجهه « نَجْدَة » فى جند فلحقوه وأتوا به الى نجدة ، الذى اتهمه بسرقة النجيبة وما عليها .

طهمان يرمى البعر بسهامه من فوق قربة

ولا يذكر المقريزى هذا الخبر ، بل يورد خبرا يلتقى بآخر وارد من مكان بعيد كل البعد عن شبه الجزيرة العربية ، ويكشف عن ضآلة ما بين المشرق والمغرب من أبعاد . يذكر المقريزى أن « نجدة » كان قد سمع عن براعة طهمان فى رمى السهام . فطلب منه ان يريه هذه البراعة . فقال طهمان : « مُرْ بقربة تملأ ، ثم ضَعْ عليها ثلاث بَعَرات . ثم سلنى أيهن شئت أرميها ، ولا أصيب القربة » . فأتوا بقربة وقال نجدة : « ارم البعرة الوسطى » فرماها فأصابها دون أن يخدش القربة . ثم رمى البعرة الثانية فالثالثة .

فما أشبه هذه القصة بما تورد الروايات عن واحد من الذين يعدهم السويسريون من ابطال مقاومتهم للاحتلال النمسوى ، فى القرن الرابع عشر ، أعنى وليم تل William Tell فقد أمره جسلر Gessler والى اورى Uri احدى مقاطعات وسط سويسرا ، عندما سمع ببراعته فى الرمى بالقوس، أن يصيب تفاحة وضعت

على راس ابنه الصغير ، والا انتقم منه . ففعل وافلح .

ولما راى نجدة ما راى من براعة طهمان ، قال : « لا ترَمِنا مع المشركين ابدا ، يقصد غير الخوارج من المسلمين ، فقد كانوا يسمونهم كذلك » .

اختلف الرواة فى امر طهمان كثيرا

وكانت النتيجة فى الروايتين: روايتى ابن حبيب والقريزى واحدة : قطع يد طهمان اليمنى .وليس ببعيد أن يكون الخبران صحيحين ، وان يكون اختبار نجدة طهمان قد وقع بعد اتهامه بالسرقة.

وهناك روايات اخرى غير هذه نغفلها خشية التشويش على القارىء .

طهمان يبكي يده المقطوعة امام عبد الملك بن مروان

وتذهب رواية ابن حبيب والقريزى الى ان طهمان بعد أن قطعت يده اتخذ طريقه الى قومه وقد عزم على الانتقام من الخوارج . فمهدوا له الطريق الى عبد الملك بن مروان ، لما كان بينهما من مصاهرة حتى وقف أمامه بيده المقطوعة ، يبكيها بالشعر ، ويحرضه على الثار لها . فبلغ من تاثر الخليفة بشعره أن جعل لطهمان آيمان مئة من بنى حنيفة ماوى الخوارج ، وان لم يتم الأمر لموت عبد الملك قبل ذلك .

وقطعة الشعر التى تدور حولها هذه الأخبار من اجمل الشعر ، وازخره بالمشاعر الرقيقة ، واعذبه موسيقى ، وتقول :

يَدِي يا أميرَ المؤمنين — أُعيذها
بعفوك أن تُلقَى بَمْلَقىً يُهينها

فقد كانت الحسناءَ لو تمَّ شَبْرُها
ولا تعدم الحسناء عابا يَشينها

وإنك مسئول بحكمك في يدي
على حالة من ربنا ستكونها

تَشُدُّ حبالَ الرَّحْل في كل منزل
إلىَّ شِمالٌ لايَمين تُعينها

دَعَتْ لبنَي مروان بالنصر والهُدَى
شِمالُ كريمٍ زايلتْها يَمينها

ولاخير في الدنيا ولا في نعيمها
إذا ما شِمالٌ فارقتها يمينها

وإن شمالا زايلتها يمينُها
لباقٍ عليها في الحياة حَنينُها

وقد جمعَتْني وابنَ مروانَ حُرَّةٌ
كلابيةٌ فرعٌ كرامٌ غصونُها

ولو قد أتى الانباءُ قومي لقنَّصت
إليك المطايا وهي خُوصٌ عيونها

وان بحَجْرٍ والخضارمِ عُصْبةً
حَروريَّةً حُبْنا عليك بطونها

إذا شب منهم ناشيء شبَّ لاعناً
لمروان ، والملعون منهم لَعينها

طهمان يعود الى قبيلته مرّة اخرى

وعاد طهمان ليعيش بين قبيلته . ولكن الاقدار لم تسكت عنه ، بل كانت لا تزال تدخر له المزيد، فقد اوقعت سخرية الناس من يده المقطوعة بينه وبين كثيرين ، عظم التهاجى بينه وبين اثنين منهم خاصة . روى ديوانه انه قال فى مَوْزُونِ بن عُمَير وقومه :

ولن تجد الأخراب أيمنَ منسَجاً
إلى الثُّغل إلاَّ ألأمَ الناسِ عامرُه

وقام إلى رَحْلي قبيلٌ كأنهم
إماءٌ نفاها حَضرةَ اللَّحمِ جازرُه

لحا الله أهل الثُّغل بعد ابن حاتم
ولا أُسقيت أعطانُه ومصادرُه

فقال موزون :

يا باغيَ اللؤم ، إن اللؤمَ مَحْتِدُهُ
بنو قُرَيط إذا شابتْ نواصيها

لايسلمون ولاتَلْقَى لهم سَلَما
ولايُعرِّج عن لؤم عذَاريها

تبْلَى عظامُ بنى سكْنَ إذا دُفنتْ
تحت التراب ولا تبلَى مخازيهـــا
السارقون إذا مَا لزْبةٌ أزمتْ
وقُطِّعت عند باب الملْك أيديهـا

بين طهمان وزوج أخته

وجعل هانىء بن شبل ، زوج اخت طهمان ، يعيرها بيد اخيها ، وهى تنهاه وتوعده . فيقول لها : « ابالاجَيْنِم توعدينني ! » فبلغ ذلك طهمان وساءه . ولج بينهما الهجاء . وفى ذات يوم اجتمع ناس من بنى بكر بن كلاب على ماء من مياههم ، وفيهم طهمان وقد غطى يده المقطوعة بثوب . فاتى هانىء خلسة وامسك بالثوب والقاه عن يده ليكشفها للقوم . فحلف طهمان ليضربن هانئا بالسيف .

ومكث زمانا لم لَقيَ هانئا صادرا فى ابله . فاتبعه حتى ادركه وهو غافل فضربه بالسيف وقطع يده واكثر به الجراح ، غير انه لم يقتله . واتخذ الفرار مطية له حتى وقع فى ارض بنى الحارث بن كعب بن نجران ، الذين كان قد لجا اليهم بعد فراره فى مطلع حياته ، وقال :

لقد سرنى ماجرّفَ السيف هانئـا
ومالقيت من حدّ سيفى أناملُـــهُ
ومترَكُـهُ بالبرّتين مُجدّلا
تنوح عليه أمـه وحلائلــه
ظننت به ظنا فقَصّرَ دونـه
فلازال رثّـا غمده وحمائلـه
ضربت به عبدا سمينا فقلّـه
وماكنت أخشى أن يفلَّـهَ كاهلـه
على ضربة أبدت سناس ظهـره
وأخرى أمالت شِقّه فهو عادلـه
حبوتُ به الصهر الذى كان بيننـا
وذو الصهر حابِ صهْره ومُواصله

واذ تصل الاخبار الى هذا الوضع ، نجد حلقات الظلام تعاظمت وتكاثفت وتلاحمت حتى اخفت ما وراءها كل الاخفاء ، ولم نعد نرى من طهمان شيئا ، ولا نسمع له ذكرا .

ديوان طهمان

ولكن ديوان طهمان يضم من الاشعار ما يلقى بعض الاضواء على بعض المراحل السابقة ، وما يصور مواقف لست أدرى على وجه اليقين اين موقعها من تيار حياته . فقد وصف تشرده فى ارض نجران مع صديق له من بنى عبس ، فقال :

فإنى والعبسىّ في أرض مـذحج
لما كانت الدنيا لمُغتربـان
طريدان مَجفُوان ، في مثل عيشنا
وجيفٌ ، مكانانا بكل مـكان
فمن ير مُمْسانا ومُلْقَى رحالنـا
من الناس يحسبْ أننا سَبُعـان

والم به المرض فى تلك البلاد فعطفت عليه نساء بنى الحارث بن كعب ، وبينهن وجد المراة التى احبها ومنحها اجمل ما نظم من غزل ، وان كان لم يصرح باسمها ، بل كنى عنها باسماء متعددة شانَ غيره من شعراء العرب . فابدى عجبه فى قصيدة من الاقدار التى جمعت بينهما على تباعد مواطنهما ، وكشف عن الاسباب التى اوقعته فى هواها :

ماصبٌ بكْريًـا على كعْبيّـة
تحَلّ خَطمةَ أو تَحِـل قُفَـالا
إلا المقادرُ ، فاستَهِم فـؤادهُ
من أن رأى ذَهَبا يزين غـزالا
رئمـا أغنّ يَصيد حسنُ دلالـه
قلبَ الحليم ، ويطّبِى الجُهّالا
نظرت إليك غداة أنت على حِمىً
نظر الدّوا ذكر الوصاةَ فمالا

وبلغ من جمال بعض ما تغزل به طهمان من شعر ان اختلط عند الرواة بما قاله كبار شعراء

الغزل كجميل بثينة ، مثل قوله :

ولو أن ليلى الحارثيَّة سلَّمتْ
علىَّ مُسَجَّى في الثياب أَسوقُ
حنُوطى ، وأكفانى لدىَّ مُعَدَّةٌ
وللنفس من قُرب الوفاة شهيقُ
إذن لحسبت الموت يتركني لها
ويُفرج عنى غمَّه ، فأُفيقُ
ونُبِّئتُ ليلى بالعراق مريضة
فماذا الذى تُغني وأنتَ صديقُ
سقى الله مرْضَى بالعراق ، فإننى
على كلِّ شاكٍ بالعراق شفيقُ
وإنى لليلى بعدَ شَيْب مفارقى
وبعد تحنِّى أعظُمى لصديق
لعلك بعد القيد والسجن أن ترىَ
تمرُّ على ليلى وأنت طليقُ
طليقُ الذى نَجَّى من الكَرْب بعدما
تلاحمَ من درب عليك مضيقُ
ألاطرقتْ ليلى على نأْى دارها
وليلى على شحْط المزار طَروقُ
أسيرًا يعضُّ القيدُ ساقيه ، فيهما
من الحلَق السُّمرْ اللطاف وثيقُ

ويذكر الشاعر فى هذه الأبيات انه رهين السجن ، مقيَّد الساقين ، أسير . ولا يذكر المترجمون له شيئا من ذلك . فلا ندرى متى ولا اين ولا لماذا كان هذا السجن . وان كنا لا نستبعد أن يكون بعد أن كبرت سنه ، فشابت مفارقه ، وانحنت عظامه ، كما ذكر ، وان كان غير بعيد أيضا أن يكون ما وصفه من نفسه مبالغا فيه أو من أثر السن لا السجن .

ووصل الينا من المدة التى صفا فيها الجو بينه وبين المروانيين قطعتان من الشعر . احداهما قصيدة تقليدية الصورة ، تستهل بوصف الاطلال ثم ما قاساه فى الرحلة الى الممدوح وتنتهى بالمدح:

ياخيرَ من بُسطت له أيْمانُنا
بعد النبي ، وخيرُ مأتى زائر
أمِّى عبيدةُ أختُ أم أبيكم
بنتا عبَيد من ذُؤابةِ عامر
مازلت أسأل أين أنت ، وأنتحى
عرْض الغلاة بصُحبتى وأباعرى
حتى خشيت لأُسْهبَنَّ من الذى
ألقىَ ، ولستُ على المنون بقادر

ووجه الثانية الى الوليد بن عبد الملك ، فجعلتنا نعرف انه ادرك خلافته . قال فيها :

لقد أدى الوليدَ إلى أبيه
نَجيباتٌ يُقدْن إلى نَجيبِ
فإما يَغلب المقدارَ شيء
فقد أبليتُ ما يُبلِي الصليب
فمُرْدُ بني أمية خيرُ مُرد
وشِيبُ بنى أمية خيرُ شيب

ولا يخلص طهمان مدحه بل يخلطه بايجاد الصلات بينه وبين الممدوح . ويضل الطريق أحيانا الى المدح المرضى ، فهو مقصر فيه ، لا يطاول شعراءه الآخرين ، بل لا يطاول شعره فى غير المدح .

ولعل افضل ما يُختم به الحديث عن ذلك الشاعر الذى عاند الزمانَ فعانده الزمانُ ، واتخذ من الخوف أداة لكسب عيشه ، فسلط القدرُ الخوفَ يطارده فى كل مكان ، وانزل بالآمنين الكوارث ، فلاحقته الكوارثُ واحدةً بعد أخرى ، لعل افضل ما يُختم به ما وصفه به ابن فضل الله العمرى الذى قال فى مسالك الابصار عنه : « جرو من كلاب ، واسد فى غِلاب ، ومُدرك لا يبعد عليه طِلاب ، وفاتك ودماء الأبطال له حِلاب ، فاق فتاك اللصوص ، وفات حبائل الشخصوص ، وكان لا يهاب اقتحام كبير ، ولا يسأل ومال الله فى البلاد كثير ، لا تروعه هيبة سلطان ، ولا تنزعه نفس الى أوطان ، ولا تمتنع عليه ابل فى ذنب كلِّ بعيرٍ شيطان ». ■■

حسين نصار

مُوَشَّح أَنْدَلُسِي

● الى الصديق الذي كتب الي من انجلترا يقول :
« الطبيعة أغنى من اي شيء هنا .. ولكن الشمس ، كلون المياه ، بلا لون .. بلا حرارة . ما أشد شوقي الى بلاد الحرارة واللون مجتمعين.. الى بلادنا .. مع تحياتي وحبي.»

تصرخ الشمسُ ، تُغنّي عندنـــا — تنبُت اللــون غنيا عَطِـرا
وورثنـاهـا ، فأمــواجُ السنـا — في دمانا ، نَهـر زهو احمـرا

★★★

تصرخ الشمس على صحرائنـــا — وشواطينا « مُعنّى » و « عتَابا »(١)
اسمها الخالــد من اسمائنـــا — حين كُنّا في يد الارض كتابـا
وانـحنى الدهر على لألائنـــا — فذرانـا في السماوات شهـابا
إرثُنا الشمسُ ، تغنّي عندنـــا — تُنبت اللـون سخيًـا أسـمرا
وَهَجُهـا فينـا .. عنيفٌ مثلنـا — ضارب في التّيه ، أعياه السُّرى
يا صديقي ، انا من هذي الرمـال — قبضـةٌ مثلك ، من هذا الظمـا
وطـنٌ نشربُهُ صحــراءَ آل — ونحبُّ الارض فيه والسمـا
ربما اظلم في عيني الخيـــال — سأراه فـيَّ .. مهما أظلمـا
إرثُنا الليـل ، يغنّي عندنـــا — وانبرى نجم يدير السَّمَــرا
أَوجزِ الغربةَ وارجـعْ ، اننـا — قد عصرنا في الكؤوس القمــرا
أمس في الحي الذي تعرفـــه — سألتني عنك امواج الرخـــامْ
مرمرٌ أزهــرَ ، لو تعطفُــهُ — اسكر الجنّةَ عطــرا وخُــزامْ
كلمـا بي مرَّ .. استحلفـــه — قطرةٌ اجلـو بهـا سرَّ الأُوام
وتصب الشمس لحنـا فوقنـا — صارخَ الشوق يهزُّ المرمـرا
ارضُنـا ، لو احرقتنا ، أرضُنـا — حسبُنـا عينانِ فيهـا مطـرا

★★★

من وراء الموج ، من خلف الضبـاب — انتَ في المقهى ، على الدرب معي
قد نُسجنا منه ، من هذا الـتّراب — كيف ننساه ، فاوجزْ ، وارجـع
اي لغْز ، اي سر في الـشراب ؟ — انني اهواه مُــرَّ الجُــرَعِ

★★★

اعشقُ الشمس التي تُحرقنــا — وتُغنّي الرمل حتى يسكـــرا
وَهَجُهـا فينا ، شقيٌّ مثلنــا — ضاربٌ في التيه ، اضناه السُّرى

(١) المعنى والعتابا : من اغانينا المعروفة .

حلب ــ **سليمان العيسى**

فقه واقعي

الفقه الاسلامي

بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

استاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق ـ جامعة القاهرة

■ الناس بطبيعتهم فى حاجـة الى تشريع يحدد لهم علاقاتهم ، ويبين لهم حقوقهم وواجباتهم ، ويحد من انانيتهم، وينظم من صلاتهم والتزاماتهم . والا لكان الامر فوضى بين الناس . يأخـذ القوى كل ما يريـد بقوته ، ويفقـد الضعيف كل ما يحتاج اليه بضعفه .

والتشريع الذى ينظـم المجتمـع الانسانى ، اما ان يأتى عن طريق مُشَرِّع منزل ، يحفـز الناس على الانقياد له ايمانهم بالثواب والعقاب فى حياة بعد هذه الحياة ، ثم سلطان الحاكم القائم على تنفيذ أوامر الدين وتعاليمه . واما ان تأتي عن طريق سياسة عقلية تنظم شئون الحياة الدنيا وتقيمها على الرهبة والسلطان .

التشريع السماوى انفع

ولما كان القول بوجود اله قوى هو الخالق لكل الاحياء والاشياء أمرا اهتدى اليه العقل البشرى من قـديم الزمان ، والعلم الحديث يؤيـده ولا ينفيه ، كان التشريع السماوى انفع لانه من عند الله علام الغيوب المنزه عن الاخطاء والغرض والهوى .

وهو تشريع سن لكل عمـل من اعمال الانسان حكمين : حكما فى الدنيا يتعلق بظاهر العمل واثره بين الناس ، وحكمـا فى الاخرة يتعلق بالجـزء الباطن من العمل ، اى بالقصد الحقيقى منـه والباعث عليه : اى حكما ينظم الصلة بين الانسان وغيره من البشر ، وحكما فى نفس المسالة ينظم صلة الانسان بربه . فهو تشريع يحاسب عـلى الاعمـال الداخلية حتى التحضيرية كما يحاسب على الاعمال الخارجية .

انه تشريع متفق فى احكامه مع قانون الاخلاق ومتصل بالضمير الانسـانى اتصالا وثيقا . انه تشريع يهدف الى امرين : تنظيم ، رابطة الانسان بربه ، وتنظيم رابطة الناس بعضهم ببعض . وهذا مبني على ان القوانين التي تنظم امور الناس لا توصل الى كمال المقصود الا اذا سايرتها قوانين تنظيم رابطة الانسان بربه فتوقظ فيه الضمير ، وتجعله يحس من داخله بانه واحد من كل ، وفرد فى مجتمع ، وان صلاحه لا يتم على الوجه الاكمل الا بصلاح المجتمع كله الذى هو بمثابة عضو من جسده .

مرن، يجب أن لا تفقده مرونته الأيام

اقتراح مجمع فقهي إسلامي ينظر في الأحكام نظرة تتفق مع ماجريات الأمور ومصالح الناس.

والاحكام السماوية لها من القوة والبطش ما لا يمكن ان يتوافر لغيرها من التشريعات الوضعية ، اذ ان كل من يؤمن بالاديان السماوية يؤمن بالبعث والحساب ويخشى الآخرة واذن فهو اذا استطاع ان يتنصل من جرمه في الحياة الدنيا ، فانه لايستطيع ذلك في الحياة الآخرة ، قال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

الاسلام خوطب به الناس جميعا

والاسلام خوطب به الناس جميعا ليكون دينهم الذى يجب ان يتعبدوا ربهم على مقتضاه ، وان تتحرك عواطفهم في ظله ، وليكون قانونهم الذى يجب ان تكون تصرفاتهم والتزاماتهم على أساسه وان يكون مرجعهم في الحكم والقضاء ، ولذا فان احكامه جاءت في الغالب عامة تقف عند وضع الاسس والقواعد الكلية . وكانت احكامه تستقى من مصادر مرنة تساير مصالح الناس وتتفق مع اعرافهم السليمة ، وتتبدل تبعا لتبدل المصلحة وتغيرها ما دام لم يعينها نص قطعى من ناحية ثبوته ، وقطعى من ناحية ما يدل عليه ، ومن اجل ذلك كان التشريع الاسلامي ، بسبب انه عام يقف عند الاسس والقواعد الكلية ، صالحا للتطبيق في كل زمان ومكان .

ولهذا العموم جاء التشريع الاسلامي وافيا بحاجة الناس أفرادا وجماعات عادلا سهلا من غير افراط ولا تفريط . ومن ميزاته الاولى انه يخاطب العقل ويدفع الى العمل في الحياة والتعاون بين الافراد والجماعات ، ويهدف الى التسامح والمساواة والحرية، وجاء يساير الفطرة التي فطر الناس عليها وبنى على دعائم قوية واسس متينة . وقد راعى التيسير على الناس ورفع الحرج عنهم . فجاءت تكاليفه في حدود الاستطاعة البشرية ، ولذلك نجده القصد في التكاليف ايضا مع التدرج فيها كي لا يرهق كاهل الناس ولا يشق عليهم ، ولكي تبقى مسائلهم تستنتج أحكامها من القواعد العامة تحقيقا لمصالح الناس .

ومراعاة مصالح الناس أمر أساسي في التشريع

ومراعاة مصالح الناس في أمور معاملاتهم امر أساسى في التشريع الاسلامي ، بدليل توسع الشارع في بيان عللها ليدور الحكم مع علته وجودا وعدما ، لينبهنا الى ان نسلك هذا الطريق ولا نتجمد على النصوص الذى ربما ورد لمصلحة خاصة وبطائفة خاصة واقليم خاص ، فان تضاربت هذه المصالح وكان اساس تحقق بعض المصالح الاضرار بالغير ، لوحظ تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، ودفع الضرر الاكبر بالضرر الادنى .

ومن اجل عموم رسالة الاسلام ومخاطبة الناس بها في كل عصر ومكان نجد القرآن ــ وهو المصدر الأول للتشريع ــ وان فصل أحكام العبادات اذ أحكامها تعبدية ثابتة لا تتغير بتغير الزمن ، وكذا فانه فصل بعض الشيء الأحكام المتعلقة بتكوين

الأسرة التي هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع الاسلامي ، والبناء كلما كانت لبناته على نسق واحد كان قويا متينا حسن المظهر . فاذا كان القرآن فصل في هذه الأحكام بعض الشيء ، وعنيت السنة ببيانها ، فان المصادر الأولى للتشريع الاسلامي لم تتناول بالتفصيل احكام المعاملات المالية والجنايات وما يتعلق بالقضاء والحكم وعلاقات الدولة الاسلامية بغيرها في السلم والحرب ، وما شابه ذلك ، مما يتغير بتطور البيئة ويختلف باختلاف الأوطان والأيام ، وانما دل عليها بوجه عام حتى يكون ولاة الأمر في كل عصر وجهة . في سعة من أن يفصلوا قوانينهم فيها حسب مصالحهم في حدود اسس القرآن من غير اصطدام بحكم جزئي .

ومن أجل هذا أيضا كانت مصادر أحكامه في الغالبمرنة ـ كما اشرنا ـ لا جمود فيهاولا اعنات، وكان العرف مصدرا تشريعيا ، وكانت المصالح معتبرة في التشريع تتغير بها الأحكام أحيانا ، ومن أجل هذا قال الفقهاء والاصوليون « ان الحكم يتغير بتغير المصلحة وكثيرا ما قالوا في الخلاف بين الأئمة انه اختلاف عصر وزمان لا حجة وبرهان .

الدعوة لانشاء مجمع فقهي اسلامي

وقد ناديت في مؤتمر الفقه الاسلامي المنعقد بمدينة دمشق في أول ابريل ١٩٦١ بضرورة تكوين مجمع فقهي اسلامي على غرار المجمع اللغوي يضم فطاحل الفقهاء، منكل اقليم ومذهب فيتدارسون حكم كل جديد ، وينظرون في الأحكام الاجتهادية نظرة تتفق مع ماجريات الحياة ومصالح الحياة ومصالح الناس ، على ان يتبع هذا المجمع مكتب فني لنقل أحكامالفقه الاسلامي وتعاليمه اليجميع اللغات . وأرجو أن يكون مجمع البحوث الاسلامي التابع للأزهر الذى انشىء سنة ١٩٦٣ صدى لهذه الدعوة ونواة لهذه الفكرة .

واعتقد انه من المفيد النافع اخراج موسوعة للفقه الاسلامي تجمع أحكامه من مختلف المذاهب، وتعرضها في أسلوب سهل شيق ، وتيسر سبيل الرجوع اليها لكل راغب دون عناء أو تتبع ، والحق ان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية التابع لوزارة الاوقاف بالجمهورية العربية المتحدة ، احتضن هذه الفكرة وبادر في الاعداد لتنفيذ هذا المشرع . نرجو من الله أن تذلل له السبل وتزول من طريقه كل عقبة وأن يكون منارا لكل مسترشد في الحياة .

واقعية الفقه الاسلامي

وبهذه العناية وتلك الدعاية نستطيع أن نثبت للملا صلاحية فقهنا لكل عصر ومكان ، ونظهر حقيقة انه فقه واقعي يعالج كل شيء في الحياة بما يساير مصالح الناس ، ونستطيع أن ندفع دعوى أنه فقه مثالي او نظري او أثري ، ونثبت للكافة انه فقه واقعي وصالح للتطبيق ، وأنه يفوق أي نظام حديث . ويعلو على كل دعوة اصلاحية أيا كان مصدرها ، لأن جميع الدعوات الاصلاحية النافعة للمجتمع توجد جميع المفاهيم النافعة فيها بصورة واضحة دقيقة في الفقه الاسلامي ، وبصورة تجعلها أدعى للقبول واقرب الى القلوب ، كما أن قواعد التشريع الاسلامي تتسع لكل ما هو نافع مفيد ويحقق للمجتمع الانساني السعادة والسلام .

فقهاء المسلمين في حضاراتهم ، كانوا أسبق من فقهاء الحضارة الحاضرة

وقد كان بعض المثقفين ينظرون الى الفقه الاسلامي ، في ظل الركود الأول والجمود الذى كانت تعين عليه ظروف الحياة في عهود الاستعمار، على أنه أثر تاريخي يحتفظ به تراثا للسابقين ، ويرون فيه عدم الصلاحية للتطبيق عليه والأخذ من أحكامه وقواعده ، وكان يدفعهم الى ذلك أيضا ايغالهم في الدراسات الغربية وتأثرهم بالحضارات القانونية الحديثة وما فيها من استيعاب وحسن صياغة وبساطة عرض ويسر الرجوع الى المطلوب .

لو علم هؤلاء الافاضل ان الفقه الاسلامي ليشتمل على كل ما يعتقدون انه من النظريات الحديثة ، وكان فقهاء المسلمين أسبق بالقرون العديدة البعيدة من فقهاء هذه الحضارات ، لفطنوا الى ان هذه الحضارات القانونية كثيرا ما تكون عالة على فقهنا ومستمدة منه في كثير من أحكامها ونظرياتها وبخاصة الفقه المالكي الذى كان منتشرا في الاندلس الاسلامية وما زال منتشرا في شمال افريقيا .

تخلف الفقه حينا بجمود الفقهاء

ويمكن أن نلتمس العذر من قبل ، وقد مر الفقه

الاسلامي حقبة كبيرة من الزمن بعيدا عن الحياة الواقعية نعيش معه في دائــرة التقليد الصرف لعصور سابقة تختلف فيها الاعراف والمصالح دون نظر الى مفاهيمه الحقيقية وقواعد التيسير فيه ، حيث قصر فقهاؤنا في عرض ذلك الفقه القــديم الدقيق باسلوب يسمح للناس أن يتذوقوا حلاوته ويدركوا محاسنه ويشعروا بانه جدير بأن يوضع موضع كل قانون في الأرض .

الاستعمار والفقه الاسلامي

وكان الاستعمار في الدول الاسلامية يشجع على التهوين من الفقه الاسلامي ويباركه لتيمم هــذه الدول وجهها شطر الدول المستعمرة تاخذ عنهــا نظمها وقوانينها وترتبط بعجلتها تبعا لارتباطهــا بالاستعمار الذى يرى في التكتل الاسلامي والتمسك بالاحكام المستنبطة منه ما يفسـد عليه غرضــه ويزلزل قدمه .

أما الآن وقد نهضت الدول العربية والأمــة الاسلامية نهضتها المباركة ، واطاحت بالاستعمار واعوانه ، وطهرت أراضيها منه ، واصبح للقومية العربية كيانها القاهر الأثر في المحيط الدولي ، فان الانظار تطلعت من جديد الى الفقه الاسلامي وبدأت العناية به بشكل واضح طيب الأثر يظهر هذا في الدراسات المقارنة ، كما يظهر في المؤتمرات الفقهية التى تعقد والكتب والرسائل الاسلامية التى ظهرت بشكل واضح في عصرنا .

ضرورة الخروج على الجمود

على انه يدخل في الغرض المنشود لنا ، ولكل صديق للفقه الاسلامي ، محب له ، منتصف للحق من حيث هو ، الا نقف جامدين امام اى جزئيـة يعرضها العصر الحديث وتحدث في زماننا ، ولا نقف مكتوفي الأيدى امام اية مشكلة ، ولعمر الله لو علم كل فقيه او مشتغل بالفقه ان لكل جزئية في حياة الانسان حكما لله في ما يتفق مع ما تشتمل عليه من خير وان كل عقل زاول قواعد الاسلام ومسائله يستطيع أن يدرك ذلك الحكم باوفى تفكير اذا تجرد من الجمود ونأى من التقاعس . لو علم كل فقيه او مشتغل بالفقه ذلك لما توانى أو تقاعد أو تقاعس عن البحث والاجتهاد للتعرف علــى حكمها واظهار حكم الله فيها للناس . ولا ضير ان يخطىء المجتهـد المنصف المخلص لدينه الـذى يبتغي وجه الله . فالمجتهد ان أصاب له أجران ، وان أخطأ فله أجر واحد .

وانه لا يخلينا من المسئولية ان نتكاسل ونتباطأ باسم التحرى والاحتياط ، او الوقوف عنــد المتشابهات ، فان ذلك موقف العامى الــذى لا يستطيع ان ينظر في الدين نظر متصرف ، ولا ان ياخذ من قواعده ما يستطيع به أن يحكم على كل عمله ويستطب لكل داء في محيط الناس .

فلنتيقظ جميعا لهذا الواجب وياخذ كل منــا بيد الآخر ، اذا نسى ذكره ، واذا ذكر أعانه ، واذا فتر نشطه ، معرضين جانبا عن التنــافس الرخيص والتنابذ الذى لا يغنى من الحق شيئا ، ولنتذكر دائما قول النبى صلوات الله عليــه « صنفان من امتي اذا صلحا صلح الناس ، واذا فسدا فسد الناس : العلماء والامراء » .

وبعد

وبعـد ، فيقيني انه لن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، وقد كانت تعاليم الاسلام سببا في توحيد أمة الاسلام من أجناس مختلفة والسمو بها الى أعلى الدرجات . وبسط سلطانها على جزء كبير من العالم ، فقد كانت الامة الاسلامية خير أمة أخرجت للناس ، وكانت الأمة الأولى في قوتها وعدالتها حين كانت مخلصة لدينها متبعة لاحكامه .

ونحن واثقون من ان الفقه الاســلامي يسد حاجة المجتمع وبنظمه خير تنظيم اذا اجهد الفقهاء في عصرنا انفسهم لمواجهة الحياة مواجهة فعلية غير واقفين عنـد اجتهادات السابقين اذ الوقوف عندها كما يقول القرافى « ضلال في الدين وجهل بمقاصد العلماء السابقين » .

فالشريعة الاسلامية التي وسـعت العالم الاسلامي في أزهى عصوره ، وقضت حاجة بلادنا من التشريع مئات السنين ، لا تقصر عن ان تكون أصلح مصدر لتشريع الاحكام ـ حتى قــال المستشرق المجرى الاستاذ فجرى : ان فقهكــم الاسلامي واسع جدا الى درجة انى أعجب كلما فكرت في انكم لم تستنبطوا منه الانظمة والاحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم . ■■

محمد سلام مدكور

أكبر مؤرخ معاصر يتحدث عن:
مستقبل البشرية
آرنلد توينبي

بقلم : الدكتور محمد جواد رضا

كلية التربية ـ جامعة بغداد

■ آرنولد توينبي Arnold Toynbee هو واضع نظرية (التحدى والاستجابة) فى تفسير حركة التاريخ الانسانى وهو مهندس هذه النظرية . ويكاد يكون هناك اجماع أو شبه اجماع ، بين كبار المفكرين الغربيين المعاصرين ، على ان تفسير توينبى للتاريخ يُجَمِّل روح الحضارة الغربية التى تواجِه اليوم بتحدٍ جدى وخطير . ومن ههنا غدت آراء توينبى تزن كثيرا وثقيلا فى غمرة الصراع الفكرى الذى يجتاح البشرية الآن .

ولم تنل التربية ودورها فى توجيه حركة التاريخ حصة من اهتمام هذا المؤرخ الكبير الا مؤخرا حين طلع على العالم بدعوة جديدة يربط فى بنائها ، بين أحداث التاريخ ، ونظم التربية والتعليم فى العالم، ربطا عضويا* يجمل بالمَعْنِيِين بشؤون التدريب العلمى فى العالم العربى ان يقفوا عنده وقفة جادة متأملة عسى ان يكون لنا فيها نفع وغناء غير يسير .

وسنأتى فى هذه الكلمة على :

(١) نظرية التحدى والاستجابة فى حركة التاريخ .

(٢) ربطها بنظم التربية والتعليم فى العالم .

ما هو التحدى وما هى الاستجابة ؟

ومن غير الميسور تلمس جوانب دعوة توينبى التربوية خارج اطار فلسفته التاريخية ، فلسفة (التحدى والاستجابة Challenge and Response

يبنى توينبى فلسفته هذه على التسليم بان

---

* ظهرت هذه الدعوة فى الفصل الختامي الذى كتبه ارنولد توينبي لكتاب :
Education in the Perspective of History الذى الفه الاستاذان ادوارد مايرز والبرت لانكستر بتكليف من (صندوق التقدم التربوى الامريكي The Fund for Advancement of Education.) .
وقد نشر الكتاب عام ١٩٦١ .



بين البقاء والفناء

- حركة التاريخ عند توينبي : تحدٍّ واستجابة
- طيبات الحياة احتكرتها أقليات من البشر

(الخلق) فى التاريخ هو الى حد ما وظيفة من وظائف (التفاعل) ، وأن العبارة التى تجسد هذه الفكرة تجسيدا كاملا هى (التحدى والاستجابة) . ويقرر توينبى أن الحضارات كلها قامت ، بين أفراد الجنس البشرى ، استجابة للتحديات التى واجهتهم بها بيئاتهم المادية أو بيئاتهم الانسانية (الاجتماعية) .

ان المفهوم الضمنى لعبارة(التحدى والاستجابة) ممكن التطبيق على الأفراد والجماعات .

وجوهر هذا المفهوم هو أنه عندما يضطرب توازن الفرد النفسى Equilibrium (أو احساسه بالارتياح الداخلى) وتحل محله حالة من عدم التوازن النفسى (أو افتقاد الاحساس بالارتياح الداخلى) ، أو عندما تضطرب الحالة الثابتة بفعل قوة من القوى ، سواء انبثقت من الخارج كما فى البيئة المادية أو الاجتماعية ، أم من الداخل ، أو من استيعاب فكرة جديدة أو من تجربة روحية أو زيادة فى الوعى ، آنئذ يكون الجهد المبذول لاستعادة التوازن استجابة" من الفرد الى تلك القوة .

ان الانسان من حيث هو جرم مادى وكائن حى ، أو من حيث هو مخلوق مُدْرِك" لذاته ، هو فى حالة دائمة من التوازن غير المستقر نوعا .فالقوى المادية فاعلة فعلها فيه بلا انقطاع ، والقوى الحيوية البيولوجية ماتنى تضغط عليه ضغطا يوازى فعل القوى المادية فيه ، وقوى البيئة الانسانية (الاجتماعية) ماثلة أمامه . وهكذا فان اية حالة من حالات التوازن هى حالة مستقرة نسبيا فقط ، وان أى تحدٍ" يواجهه الفرد هو واحد من مجموعة من عوامل الاضطراب المحيقة به فى وقت معا ، وهو فى الوقت ذاته التحدى الاكبر تأثيرا والأهم بالنسبة للفرد فى تلك اللحظة. ان استجابة الفرد للتحدى ما هى الا جهد مبذول" لاستعادة التوازن المضطرب . واذا كان هذا الجهد ناجحا استعاد الكائن الحى توازنه ، ولكن على مستوى أو صعيد أعلى للكائن الحى المدرك لذاته.

التحدى والاستجابة فى البيت والمدرسة

وهذا المفهوم المجرد يمكن أن توضحه بجلاء التجربة الاعتيادية فى حياة كل انسان . فالتحدى المنبعث من داخل البيئة الانسانية (الاجتماعية)، من البيت والعائلة ، يضغط على الفرد ، والفرد يستجيب لتلك الخدمات بطريقته الخاصة ، وباستحالته هذه يبدأ الفرد ببناء منزلته فى العائلة .. وببناء شخصيته كفرد . وبعد فترة من الزمن يدخل المدرسة أو روضة الأطفال ،ويكتشف، بدهشة وحيرة فى الأغلب ، انه لا المعلمين ولا اقرانه

فى المدرسة يتخذون منه المواقف ذاتها التى يتخذها منه أبواه وأخوته . ان هذه المجموعة الجديدة والغريبة من المواقف تتطلب استجابة وتكيفا جديدين من لدنه . وهو يقوم بهذه الاستجابات . وهلم جرا . وتتكرر هذه الظاهرة فى حياته المهنية كلها . وفى بعض الاحيان يوميا تقريبا .

التحدى والاستجابة فى المجتمعات

ان عملية التحدى والاستجابة فى المجتمع يمكن أن نلاحظ بوضوح فى مطالع الحضارة المصرية القديمة . فعندما بدأ طقس افريقيا الشمالية يتبدل قبل سبعة آلاف أو ثمانية آلاف من السنين بدأت الشعوب البدائية فى تلك المنطقة تواجه تحديا طبيعيا من النوع الشديد القاسى . فالأرض التى عاش عليها افراد هذه الشعوب هم وآباؤهم شرعت تتحول تدريجيا – وبسبب تلاشى الامطار – من أرض خصبة مزروعة تقوت الماشية وتوفر لأهلها مادة الحياة ، الى ارض رملية جرداء كالتى نعرفها الآن . ولقد كانت كافة تقاليد هاتيك الشعوب وعاداتها وطرق معيشتها خلال أجيال لا حصر لها قبل ذلك استجابة للاحوال القائمة وتكيفا معها . واذ اخذت البيئة الطبيعية فى التبدل كان على افراد الشعوب فى هذه الأرض ان يختاروا حلاً من ثلاثة حلول : كان فى مقدورهم الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم على أن يهاجروا جنوبا حيث كانت الأحوال الجوية القديمة ما تزال سائدة وهكذا يستمرون يحيون حياة آبائهم الأولين . ويبدو أن بعض الشعوب اتخذت الهجرة حلاً متجنبة بذلك تحدى الجفاف .

وكان الحل الثانى الاحتفاظ بتقاليد آبائهم والبقاء فى الأرض . واذ لم يكن فى مستطاع تلك التقاليد أن تكفي لتوفير موارد الرزق تحت الأحوال المتبدلة ، والتى ما تزال فى حالة تبدل ، فان الشعوب التى أخذت بهذا الحل دفعت ثمنه موتا وفناء لعجزها عن التكيف . وكان الحل الثالث البقاء فى الارض والائتمام بتلك العبقريات الخلاقة التى تخيلت للوهلة الاولى امكانية ضبط مياه النيل وحبسها وطرق تنظيم الرى واستثمار الأرض وانشاء مستعمرات ثابتة على الأرض الثمرة الآن . وقد دفع تبني هذا الحل بالشعب فى طريق (النمو الحركي Dynamic grouth) .

وهكذا يرى توينبي أن التاريخ الانسانى ليس الا نوعية Quality معينة من الاستجابة للتحديات التى يواجه بها الكائن الحي ، وهذه النوعية من الاستجابة هي التى تقرر بقاء الكائن الحي أو بقاء نظام حضارى معين أو زوالهما . واذا كان ذلك كذلك ، فما هى التحديات التى تواجه حضارتنا المعاصرة ؟ وما هي مسؤولية المؤسسات التربوية المعاصرة فى توجيه نظامنا الحضارى نحو اختيار أحسن الاستجابات لهاته التحديات ؟

التحدى الكبير

وفى معرض الاجابة على هذا السؤال يلاحظ توينبي ان التحدى الكبير الذى يواجه حضارتنا المعاصرة يمكن استقراؤه فى الحضارات السابقة علينا ، وهو يتمثل فى أمرين جوهريين هما :

١ – احتكار الأقلية من أبناء البشر ، نِعَم الحياة وأطايبها .

٢ – والاخفاق فى تعلم العيش على هذا الكوكب كأسرة واحدة . ذلك اننا نعيش فى عصر حضارة عالمية شاملة Ecumenical ، لا خيار لنا الا بين أن نعيش فيها معا وننتحر انتحارا جماعيا .

احتكار طيبات الحياة للأقلية من أبناء البشر

أما احتكار نعم الحياة وطيباتها – مادية وروحية – من قبل اقلية صغيرة من أعضاء المجتمعات فقد كان احدى الخصائص المميزة للحضارات القديمة وواحدا من أشد معالمها قبحا . ولم تكن هذه اللطخة على وجه الحضارة فى مراحلها القديمة لترجع الى انانية الأقلية الحاكمة فقط . ذلك انه ، حتى لو استطاع جميع افراد هذه الطبقة أن يرتفعوا فوق نزعتهم الذاتية ، وحتى لو كانوا قد حاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يقتسموا مواردهم الاقتصادية مع الأكثرية المحرومة لباؤوا بالخيبة والفشل ، وذلك لصغر حجم

الفائض الاقتصادي المتبقي في أيديهم بعد اشباع الحاجات الأولية التي كان في مقدور المجتمع الانساني انتاجها قبل الثورة الصناعية الحديثة. تلك التي بدات في المجتمع الغربي قبل ما يقرب من مائتي عام ، ومنذ ذلك الحين كان زخمها في تعاظم مستمر وكانت تمد وجودها من الشعوب الغربية الى بقية الجنس البشري .

ان الاقتصاد الزراعي تقدم على الثورة الصناعية ، ولم تكن تعمل فيه الا قوة العضلات الانسانية والحيوانية . فلم تكن دعمتها بعد قوة الآلة — لهذا كتب على الجميع ، الا اقلية محدودة من أعضاء المجتمع ، أن يحيوا حياة الفلاحين ، اذ لا يقوى انتاجهم الضئيل على توفير امكانية التمتع بنعم الحياة للجميع فوق الضرورات العامة الاخرى كالطعام والكساء والمأوى .

حرمان طال زمانه .

ثم جاءت الأديان فنادت بالقيمة الروحية لكل روح انسانية ، وقدستها بغض النظر عن الطبقة الاجتماعية التي وضعتها فيها الصدفة المولد .

ثم أصبح هذا الظلم غير ضروري الآن بوجود الثورة الصناعية التي مكنتنا اقتصاديا — وفي النهاية — من توفير نعم الحياة وطيباتها للجماهير.

ان ثورتنا الصناعية الحاضرة هي بطبيعة الحال واحدة فقط في سلسلة طويلة من الثورات التي طورت حياة الانسان منذ اختراع الزراعة ، ثم تطويرها بابتكار فنون السيطرة على المياه ، وبالتخصص في زراعة الغلال وزيادة غلتها . ولكن ثورتنا الصناعية هذه هي الأولى التي فتحت باب المستقبل لتطوير الوسائل المادية للارتفاع بالمستوى المعاشي لطبقة الفلاحين في العالم وسائر الطبقات. ان الامكانية الراهنة لوضع منافع الحضارة في متناول الاكثرية العظمى من أبناء الطبقات المحرومة تحمل معها أمرا أخلاقيا بتحقيق العدالة ... العدالة التي غدت الآن — وأخير — في حدود امكانياتنا . ان هذا هو احد التحديات الجديدة الذي تجابهه البشرية اليوم ، وتجابهه معها ، وبالتبعية ، المؤسسة الانسانية القديمة : التربية والمشاكل التي تنطوي عليها هذه المواجهة هي من طبقة هذا التحدي الجديد نفسه ومن نسقه ومن حجمه أيضا .

تعلم العيش على هذا الكوكب كأسرة واحدة

وهكذا يتجلى أمامنا اول وجهي التحدي الكبير الذي تواجه به حضارتنا المعاصرة . وليس بأيسر من هذا شقه الثاني المتمثل في ضرورة تعلم شعوب الارض العيش كعائلة واحدة لتنجو من ارتكاب جريمة الانتحار الجماعي .

العجز عن التمام الذى عاشته ، الحضارتان ، الصينية والرومانية

وهنا يذكرنا توينبي بالعجز عن التمام الذى عاشته الحضارتان الصينية والرومانية ، كما انه يذكرنا بأن علة هذا تعود الى أمرين يجدر بالمعنيين بمستقبل البشرية أن يتدبروهما وأن يلتمسوا حل المشاكل الانسانية الراهنة على ضوئهما .

اول هذين الأمرين هو الفقر التربوي الذى ابتلى به نظام الاقلية ذات الامتيازات القديمة فلقد انحط هذا النظام الى تربية نمطية في التعلم الكتابي منفصل عن الممارسة التلقائية للحياة كلها .

وكان الأمر الثاني يتمثل في أن مدى التربية محدود في كلتا الحضارتين ومقصور على الدراسات الانسانية دون دراسات العلوم الطبيعية والهندسية . وعلى الرغم من أن الاغريق والصينيين كانوا قد أضافوا في العصر الكلاسيكي اضافات جوهرية الى معدات الانسان التكنولوجية ، وأن الاغريق وان كانوا أولا في اكتشاف الرياضيات والعلوم الفيزيائية ، فلقد عمرت العصبية الأستقراطية ضد (الفنون النافعة) اطول مما عمر النظام الاستقراطي نفسه في كلا المجتمعين .

وتبعا لذلك لم يتفعل اى شيء في اى من المجتمعين من أجل الارتفاع بالمستوى الاقتصادى فوق المستوى الزراعي المحض . وحال هذا التعصب الارستقراطي دون تحقيق ذلك الاتحاد بين العالم والتكنولوجيا ، ذلك الاتحاد الذى تكامل في العالم الغربي الحديث في القرن السابع عشر وما بعده وجاء بثمرات كبار . وكانت النتيجة في كل من العالم الاغريقي — اللاتيني وعالم آسيا الشرقية أن بقيت طبقة هزيلة تعيش طفيلية على طبقة الفلاحين الذين لم ترفع

طاقتهم الانتاجية ليتمكنوا من النهوض بما وضع على اكتافهم من احمال . في هذه الظروف ليس مما يثير العجب أن تثور طبقة الفلاحين في كلتا الحالتين وان تنهار الدولتان وتنهار الحضارتان اللتان تجسدتا فيهما . وان لنا في هذا كله بعض الدروس اليوم .

ومن هذا يخلص توينبي الى تركيز الانتباه على الدرس الكبير من مسيرة التاريخ . هذا الدرس هو اذا كانت الانسانية تواجه بهذا الاختيار العسير فان التاريخ قد أسند الى (التربية) دورا مركزيا في امكانية توجيه البشرية نحو انتقاء (الاستجابة) المناسبة لهذا التحدى الكبير . ولكن كيف يفكر توينبي في التربية ؟ أو ما هي مفهومية توينبي التربوية أولا ؟

التربيــــة

يرى توينبي أن التربية ـ حصرا ـ هي فعالية انسانية ، وأن الانسان يرث ـ خلافا للحيوانات الاخرى ـ شيئا هو أسمى من كل ما ينقل اليه اليا بالوراثة الجسدية والنفسية انه يرث ثقافة يكتسبها أفراد الجيل الصاعد ، لا على أنها حق وراثى ينتقل اليهم اليا ، بل عن طريق تنشئتهم في تلك الثقافة وتكييفهم لها على يد الراشدين في المجتمع ولا « تبنى » الثقافة في « العقول الانسانية » ، انما هي « آلة » عقلية تنقل وتحفظ وتشغل من قبلها ، وهي ممكنة الفصل وقابلة للتنوع . أن عقولنا أشبه ما تكون ب « العرى » التى تركب على أنظمة اختيارية من الثقافة . وثقافتنا لا تشبه تكويننا المادى وتكويننا النفسى المتبدلين ابدا خلال أطوار نقل الثقافة الينا . غير أن سرعة التبدل في الطبيعة هي دون هذه السرعة في الثقافة بشكل غير قابل للمقارنة . وحتى عندما تكون نوايا كافة الأطراف المعنية محافظة Conservative فان الجيل الناقل للثقافة لا يفلح أبدا في نقل تراثه الثقافي بنفس « الشكل » الذى تسلمه به من أسلافه بالضبط . زد هذا أن عمر الجيل الواحد هو من القصر بما لا يقارن بعمر الجنس البشرى حتى تاريخ ذلك الجيل .

لقد كانت التربية ـ بمعناها الأوسع وهو نقل الميراث الثقافي ـ في أكثر المجتمعات الانسانية وفي أغلب الأمكنة والأزمنة ، وحتى الآن ، فعالية غير منظمة وغير واعية لذاتها . وكان الناس ، في الأغلب ، يكسبون ثقافة أجدادهم بذات الطريقة التى يتعلمون بها لغتهم القومية .. يختلطون بمن هم أكبر منهم سنا ويتعلمون منهم بصورة غير واعية ، على حين أن الكبار أنفسهم قلما يكونون أكثر وعيا من الناشئة لكونهم معلمين .

ويستمر هذا النوع غير المنظوم ولا المرسوم من التربية يلعب دوره حتى في المجتمعات المتحضرة التى عرفت النظم التربوية مرسومة موحدة منظمة . حتى في المؤسسات التربوية ، التى يكون فيها التعليم من الكتب هو النوع الرسمي الرئيسى من التعليم ، لا يزال بناء السجايا وتكوين العادات يتركان لعناية التأثيرات التلقائية التى تصنعها العلاقات الاجتماعية بين الجيل وشيوخه . ولربما كان ما يتأثر به الطالب في البيت على غير قصد مهما أهمية ما يختتم به على قلبه وعقله قصدا في المدرسة .

وتتجلى أهمية ما يسهم به البيت في ذلك عندما تفتح مؤسسة تربوية ، سبق ان كانت حكرا للاقلية ذات الامتيازات ، أبوابها للعامة من الناس .

وان واحدا من أعظم الامتيازات هنا للاقلية هو كون الفرد منها وريثا لتراث ثقافي أغنى من ذلك الذى كان ميسورا للاكثرية ، ثم ينقل هذا التراث الأغنى من جيل الى جيل من هذه الأقلية من خلال أسرها كما ينقل من خلال المدارس والكليات .

ويتجلى هذا الامتياز عند ما يتقبل الاطفال ذوو التراث الثقافي الأدنى الى مدارس الأقلية الممتازة . انهم يجدون عسرا ويكلفون من أمرهم شططا في محاولة الانتفاع بدروس التربية المرسومة انتفاعا يناظر انتفاع لداتهم المتحدرين من العوائل الممتازة لأنهم يجلبون معهم من عوائلهم زادا ثقافيا أدنى مما يجلبه الآخرون . ولكل ما كسبت يداه . ان هذا ليس عدلا بطبيعة الحال ، الا أنه بعض حقائق الحياة . ولقد يمر زمن طويل ، جيل أو أكثر ، قبل أن تظفر العائلة ، التى استطاعت أن

ترتفع بنفسها الى طبقة اجتماعية أكثر امتيازا ، بالتراث لتلك الطبقة التي ارتفعت اليها وقبلت فيهـا .

عصرنا وتحدياته التربوية

على أن خضـوع التربية لما يفرضه المركز الاجتماعي لا يأذن لنـا بالاكتفاء بمجرد التسليم بوجود هذه القيود وواقعيتها ، ذلك اننـا نعيش اليوم في مرحلة تاريخية تتحدانا بوجوب الاختيار الناجح . ان هذا التحدي لا يأذن لنا أن تكون لا أبَاليين ازاء كل شيء يمس الحياة البشرية وطبيعة الانسان . ان كل رجل وكل امراة وكل طفل حي اليوم يعيش في عالم تواجه فيه البشرية بان تختار احد امرين لا ثالث لهما ، أما تعلم العيش سويا كعائلة واحدة ، أو اقتراف جريمة الدمار الجماعي على نطاق الكرة الارضية . ولا يستطيع الجنس البشري ولا اى عضو من أعضائه ان يتجاهل الحالة الانسانية الراهنة . اننا يجب ان نطاول هذه الحالة وأن نسايرها ونرتفع الى مستواها اذا كان مقدرا لنا الا ندمر انفسنا.وكيما نطاول هذه الحالة ونسايرها ونرتفع الىمستواها يجب علينا أولا وقبل كل شيء أن نفهمها . وتلزم محاولة فهمها كلا منا على انفراد ، كما تلزمنـا مجتمعين ، بالتعرف على ثلاثة حقول واسعة مـن حقول المعرفة على الأقل . وهذه الحقول هي :

١ ــ معرفة بالعلوم الطبيعية والتكنولوجية .

٢ ــ معرفة بالطبيعة الانسانية .

٣ ــ معرفة بشخصيات وتواريخالثقافات المحلية التي قام الانسان بخلقها ونقلها وتحويرها ثم اسقطها من حسابه خلال العصور المنصرمة منـذ أصبح أجداده المتوحشون بشرا .

وهكذا فقد اصبح الحد الأدنى من مهمة التربية مسؤولية كبرى في يومنا هذا . كما غدا مـن الواجب ان يأخذ كل طفل برنامجا دراسيا كافيا من التربية وغير المنظمة على حد سواء كيما ينمو ويصبح مواطنا فعالا في عالمنا الجديد .

اننا يجب أن نتقحم المشـاكل الاكثر عسرا وتعقيدا ، مشاكل تربية الأكثرية المجردة مـن الامتيازات من الغربيين ، والأكثريات الضخمة من غير الغربيين ، من أبناء الجنس البشرى التى يكون الاطار الغربى الحاضر بالنسبة لها شيئا غريبا وغير متجانس معها . ومن الواضح أنهذه مهمة تربوية ضخمة ، ومع هذا فاننا لا نستطيع أن نتهرب منها كما لا نستطيع استثناء قسم مـن الجنس البشرى ، فنحن ملزمون بمعاونة الجنس البشرى على تثقيف نفسه ضد خطر تدمير نفسه بنفسه ، وهـذا واجب لـن نجرؤ على رفضه .

معالم يستدل بها على طريق الاستجابة المرتقبة

وبصدد تحديد معالم (المهمة التربوية الضخمة) يشير توينبي باصبع المؤرخ الحصيف الى طريق المستقبل التربوى ويضع بعض المعالم التى تهدى الى هـذا الهدف البعيد داعيا رجـال التربية والتعليم في العالم للنهوض بمسؤوليتهم الكبيرة .

وأولى هذه المعالم تخبرنا أن حاجـة عصرنا التربوية الرئيسية هي وجوب جعـــل بضـعة الموضوعات الأساسية في التربية متوازنة فيمـا بينها . وليس من ريب في أن الموضوع الاهم بين هذه الموضوعات هو الانسان نفسه . ان الجنس البشرى لا يقوى على البقاء اذا لم نتعلم في كل جيل شيئا يسيرا على الأقل من اسلافنا في فـن الحيـاة ، شـيئا ييسر تنظيم علاقاتنا بزملائنا وبانفسنا . هذا هو جوهر التربية الانسانية . غير أن هذا الجوهر لا يمكن أن يكتسب من دراسة الانسانيات Humanities وحدها ومن الكتب . نعم ان التعليم من الكتب أصبح في عالم اليوم جزءا ضروريا من تربية كل شخص من الأشخاص. غير أن جوهر التربية الانسانية يجب أن يكتسب في ذات الوقت بطريقة الممارســة غير المدرسـية الرسمية ، تلك الممارسة التى هي لب التربية في كل المجتمعات وكل الطبقات الاجتماعية عـلى مختلف المستويات . وهذا هو ما يجعلنا بشرا وهو ما يعيننا على الاستمرار في بشريتنا هذه .

ويستطيع التعلم من الكتب أن يكون بذاتـه

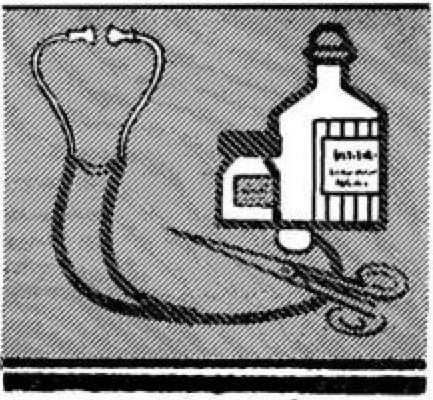
اضافة ثمينـــة الى التعليم بالممارسة ، ولكنه لا يستطيع أن يكون بديلا عنها . ويجب أن تتذكر أن تمرس الانسان بفن الحياة مع زملائه البشر أمر لا غنى عنه بالنسبة لكل انسان . فالثقافة عـن طريق الكتب انما جاءت الى الوجود أصلا كتربية مهنية للاشخاص الاداريين الرسميين فى الخدمة الحكومية أو لكهنة الاديان العليا ، وهاتان مهنتان متخصصتان بدرجة عالية . وعلى الرغم من أن مدى التخصص قد اتسع سعة كبيرة استجابة لتزايد التعقيد فى الحضارة فى العصر الحديث ، فان طرق الحياة واساليبها لم توفر الاستخدام – فيما يبدو – لأكثر من جزء صغير من الجنس البشرى ، أو انها لم تجد أكثر من مجموعة صغيرة من الناس راغبة فى طلب هذه المهن وقادرة عليها .

اننا اذا حاولنا أن نكره الجماهير على أخذ التربية الادبية الرسمية ليس على المســتوى الابتدائى أو الثانوى وحسب ، وانما على المستوى المطلوب لتأهيل الفرد للمهن الحرة ، فاننا ينبغى أن نهدم هذه المستويات العليا فى محاولة خفضها وجعلها ضمن حدود طاقات وامكانيات اناس ليس لهم ولع خاص للارتفاع الى مستواها ، وفى الوقت ذاته ينبغى أن نعلم اننا نثير اشمئزاز هــذه الجماهير بفرض هذه التربية الأدبية عليها . اننا يجب أن نعترف بوجود تنوع فى المواهب الانسانية، وان هذا التنوع ذو قيمة بالغة بالنسبة للمجتمع، وان (المفكرين بالولادة) يتقسمون بين أولئك الذين تجتذبهم علوم الانسانيات اليها ، وأولئك الذين تجتذبهم اليها العلوم الطبيعية . غير أن (المفكرين) من كلا النوعين هم قلة صغيرة نوعا ما فى كل طبقة وكل مجتمع وكل جنس . ان نوع التعليم العالى الذى يجب أن يطلبه الفــرد لا ينبغى أن يكون قضية امتياز اجتماعى ، بـل قضية ولع ورغبة.ان اغلب أفراد الجنسالبشرى فى كل الاجناس والمجتمعات والطبقات يولدونولهم ميول (عملية) . ويحس هــؤلاء عندما يبلغون مستوى التربية الاكثر تقدما بالأمن والثقة اذا ما تحولوا من التعليـــم الكتابى الى التمــرس بالتكنولوجيا بغض النظر عما يمكن أن يكون عليه مركز عاالانهم الاجتماعى .

ان هذا لا يعنى بطبيعة الحال أن التربيــة الرسمية ينبغى أن تنتقص أو تهمل . ذلك ان للتربية الرسمية – فى عالم تلزَم فيه شـعوب ورثت طرقا متباينة فى العيش أن تحيا سويا – مهام واضحة فى آفاق التكنولوجيا والانسانيات فى وقت معا . ان حاجتنا الاولى هى الى التواصـل الفعال فيما بيننا . .

اما حاجة عصرنا الرئيسية الثانية فتتمثل فى ضرورة اعترافنا بان العالم لا يستطيع أن يصبـح عالما واحدا فىروحه بمجرد تحسين وسائل تواصله الداخلى . فالتعارف عن كثب ربما تمخض عن العداء بدلا منالصداقة ما دامت الشعوب المتباينة والطبقات المختلفة داخل الجماعة الواحدة ذات انصبة غير متساوية من نعم الحياة واطايبهــا كتلك التى ستوجد بينهم حتما . لقد كان عـدم التساوى هذا نتيجـة من نتائج التخــلــف فى التكنولوجيـــا ، ولقد ذلل هـــذا التخلف فى التكنولوجيا بالاتحاد بين العالم والتكنولوجى . ان العالم ليحتاج الى تربيــة مفكرية العلميين ، واكثرية شعوبه التى ينصبُ تفكيرها علـــى التكنولوجيا ، لكى يعملوا سوية فى اتجاه واحـد نحو رفع الحد الادنى من مستوى الحياة المادية لكل ابناء الجنس البشرى الى مستوى لم يحلم به الانسان من قبل . فالآن وبعد أن اكتشفنا كيف نفجر الطاقة الذرية ، ليس هناك ما يحول أو يستطيع ان يحول دون أن يصبح أى فلاح هندى مرفتها رفاهية فلاح من ولاية امريكية. ان الارتفاع بالمستوى المعاشى الجديد الى هذه الدرجة ربما لم يكن خيرا كله بالنسبة لروح الفلاح . غير أن هذا الفلاح سيظل عاجزا عن نوال الخير الروحى – الذى هو الغاية الحقيقة من الحياة – اذا حيل بينه وبين الارتفاع فوق مستواه المعاشى الواطىء الكئيب . ■■

محمد جواد رضا



طبيب الأسرة

خلايا الدم البيضاء، بعد الحمراء

● في الدم كرات حمراء وكرات بيضاء، وقد ذكرتم لنا « بالعربي » بالعدد ٨٠ كيف يستدل بفحص الدم على فقر في الدم يكون عند الناس، وعلى التعرف على صنف هذا الفقر، وانه صنوف. ولكني أسمع أن الكرات البيضاء كذلك لها دلالتها عند فحص الدم، فعن أي شيء يكشف فحص هذه الكرات البيضاء في دماء المرضى ؟

ـ نعم ذكرنا بالعدد ٨٠ من العربي كيف يستدل على فقر الدم من الكرات الحمراء اما عن الكرات البيضاء، أو الأصح الخلايا البيضاء فهي ليست كرات، فلها عمل في الدم، يختلف كل الاختلاف عن عمل الخلايا الحمراء. الخلايا الحمراء للتنفس وللاحتراق. ان الهيموجلوبين الأحمر الذي بها يحمل الاكسجين من الرئة الى خلايا الجسم وفيها يحترق الطعام. وهو ككل حريق يحتاج الى اكسجين. فاذا لم يحمل الكفاية منه، او اذا لم يكن في الدم كفاية من هذه الخلايا الحمراء التي تحمل الهيموجلوبين، اختلت التفاعلات الكيماوية في الجسم، تلك التي عليها تقوم الحياة. واذن تختل هذه الحياة.

وغير ذلك الخلايا البيضاء. انها بوليس الجسم. انها شرطته. انها خفراؤه. انها تدور في الدم تبحث في الجسم عن كل داخل اليه غريب. ومن الدواخل الغريبة المكروبات. فاذا عثرت على مدخل دخل منه المكروب، تجمعت حوله الخلايا البيضاء، وتكاثرت، وقامت معركة بين الغزو والدفاع، وتقضي السلامة بتغلب الدفاع.

وعدد هذه الخلايا البيضاء في الدم، على الصحة، يتراوح بين ٣٠٠٠ و٥٠٠٠ خلية بيضاء في المليمتر المكعب.

فبعد هذه الخلايا، عند فحص الدم، يتراءى للطبيب ان كان في جسم المريض عدوى أو لم يكن، وكم قوتها. وباعادة

الحذاء من اللدين ؟

● ارجو ان تتكرموا فتذكروا لنا فوائد الاحذية التي تصنع من البلاستيك، ومضارها، فالناس تتحدث كثيرا عنها.

ـ الاحذية المصنوعة من اللدين (البلاستيك) ليس لها منافع وليس منها أضرار، كل الذي يطلب منها ان تكون على سعة القدم وعلى شكلها، فلا تضيق فتزنق، ولا تختلف شكلا فتؤثر على الخطوط التي اعطتها الطبيعة للاقدام، ولقدمك انت خاصة.

ان الاقدام السليمة طبعا لا تحتاج في الواقع ساندا يسندها وليس في الجلد ميزة على غير الجلد مادامت الاقدام على طبعها سوية.

الفحص بعد العلاج يدرك الطبيب كم أفاد العلاج .

وهذا الفحص لا يطلب الطبيب بالطبع اجراءه فى كل الأحوال .

أريد تعقيم نفسي

● انا رجل فوق الاربعين ، وقد خلفت من الأولاد الكفاية حتى صاروا حملا ثقيلا ، واريد ان اجرى عملية تعقيم لي ، فهل هذه العملية كبيرة وخطرة ، ثم هل هي تحتاج الى تنويم كامل . وهل هي قانونية ؟ ...

ــ جميل ان تسعى لتقف بالنسل بعد هذا الحمل الثقيل ، ستة أولاد !! وكان اجمل ان تسبق فتحد منه ، لا رحمة بنفسك فحسب ، ولكن رحمة بالمجتمع الذى انت فيه وهو لا يكاد يجد الكفاية من الطعام . اما عن العملية فهي من اسهل العمليات واكثرها اختصارا . حبل رفيع يقطع ، ثم لا شيء . ولا يفقدك هذا الشهوة .

اما عن المخدر، فقد يكون محليا ، وقد يكون عاما ، حسب الحالة .

اما عن الناحية القضائية فاستشر فيها المختصين بالقانون فى بلدك ، فقد يختلف هذا الأمر من بلد الى بلد . على أن البلاد العربية لا تلقى الى ذلك بالا . وقد عقم كثير ممن نعرف انفسهم ولم يثر احد حول ذلك زوبعة .

ولكن الزوجة لها فى هذا الامر صالح، أو طالح ، فاستشارتها واجبة . ان هذا امر لا يقضي فيه الزوج وحده .

وبهذا الصدد اقرأ ما قلناه فى هذا الموضوع بالعربي فى شهر يونية عام ١٩٦٠

الخندرية ، مرض خبيء ،

● لي عم ، حار فى مرضه الأطباء ، حتى انتهى الى طبيب ونفسانى معا ، فشخص مرضه بالذى اسماه الكندرية، وفهمنا من ذلك انه المرض الكاذب . فما هي هذه الكندرية . وكيف يكون المرض كاذبا .

ــ أولا يجب تصحيح الاسم . فهو اسم افرنجي . انه الهيبوكندريا Hypochondria ، وهيبو معناها تحت. والكندريا معناها الغضروف. والغضروف هنا هو نهاية عظم القصّ الذى هو فى الصدر ومنه تخرج الأضلاع ، وهو يقع، اى هذا الغضروف ، فوق فم المعدة ، أو عنده . والهيبوكندريا اذن يحدد موضعا فى البطن ، يتجه اليه المريض فى تحديد مرضه ، فهو يتخيله فى المعدة ، أو عند الكبد ، او فى تلك النواحي .

ونقول يتخيله ، لأن المرض نفسانى اكثر منه جثماني ، وقد يكون فى ذلك الموضع أعراض خفيفة تبرر دعوى المريض بأن هناك مرضا .

وقد سمى المرض بالخندرية ، والمريض بالخندرى Hypochondriac وقد اجريت بحوث دلت على أن

خصية ابني لم تهبط الى كيسها

● خصيتا ابني لم تنزلا بعد فى كيسهما . انه كاد أن يبلغ السنتين ، وهو سليم وعليه امارات الصحة .وقد ولدته فى المستشفى ، ولما تركت المستشفى قال لي الطبيب « ان ابنك خصيتاه لم تنزلا بعد ، ولم نقل لك ذلك من قبل املا فى ان ينزلا ، ولكنهما لم يفعلا » . وها قد مضى ما قارب السنتين منذ ذلك الحين . ان خصيته تنزل احيانا ثم تختفي . ان الذى أريد أن أطمئن اليه ان ابنى لن يكون عقيما عندما يكبر .

ــ اطمئني يا سيدتى ، فان وجود خصية واحدة تكفي لتمنع ابنك عندما يكبر من ان يكون عقيما . ولا ضير مطلقا من انها تختفي أحيانا ثم تعود . وعلى

عند أكثر الناس شيء منه

حبوبا ، ذات الوان زاهية ، اعطيت لهؤلاء المرضى ، ليس بها عقار قط ، فازالت ما عندهم من آلام .

ولو عمدنا الى الاحصاء لوجدنا ان اقراصا ، لا دواء فيها ، اعطيت لـ ١٩٩ مريضا بالصداع ، رفعت الصداع عن ١٢٢ منهم . وهذه الأقراص شفت ٣٥ فى المائة من البرد ، و ٥٨ فى المائة من دوار البحر .

ومن الخندريين من يتنقلون من طبيب الى طبيب ، زعما بأن الطبيب الأخير لم يفدهم شيئا . وذلك لأن مرضهم وهم صرف . وامراة فحصوها ، فوجدوا انها زارت ١٢ طبيبا فى اسبوعين .

ورجل قضى ليالي لا يذوق النوم . انها ضربات تأتى القلب بغتة ، خالها السبيل الى القبر . وفحصوا قلبه ، ورسموا دقاته،وصوروا صدره بالأشعة، ولم يجدوا شيئا . واخيرا كشفوا سر هذه الضربات . كان يستدفيء ببطانية، من تلك البطانيات التىتسخنها الكهرباء. والدقات انما هي دقات الجهاز الذى يضبط الحرارة عند المدى المطلوب .

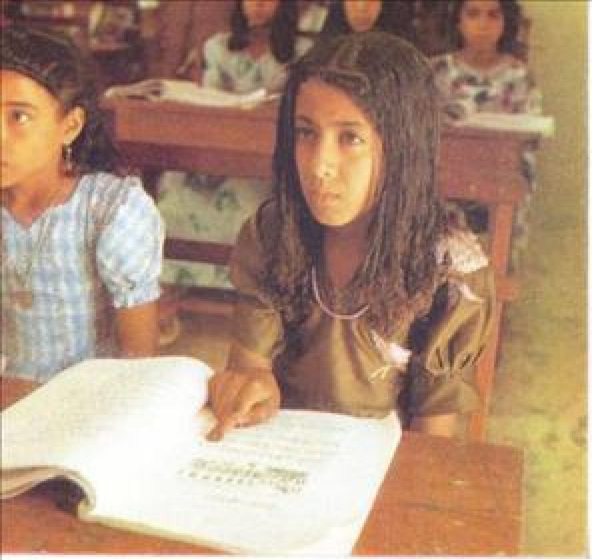
ومن الأمثلة الكلاسيكية المشهورة مثل اليزابث برونتج . كان لها والد فظ قاس . واصيبت اصابة بسيطة فى سلسلة الظهر ، فبالغت فيها ، وتأثرت بهذه المبالغة الكاذبة فظنتها حقيقة . وعجزت فعلا عن العمل . وصارت أكثر الوقت حبيسة الفراش . حتى جاءها الزوج. جاء به القدر . فأدرك ما هناك. فكذب الفرية . وحملها عن الفراش . وتزوجها. وصارت بعد ذلك منمتسلقى الجبال . وحملت له الأطفال ، ودخلت حتى ميدان السياسة .

ومن الناس من يتخذ من الخندرية مهربا من مأزق هو فيه . يتمارض ليخلص من المأزق ، او ليستجلب لنفسه العطف . ويفعل ذلك من غير قصد او وعي .

ونحن لو دققنا النظر ، وتابعنا الفحص ، لوجدنا انفسنا كلنا ، لنا حظ من الخندرية ، يقل حتى يكاد يفني ، ويزيد حتى يصبح ظاهرة تلفت النظر ، او مرضا قد يبلغ مبلغ السوداوية ، وقد يصعب علاجه .

كل حال أنت لم تقولي هل هي نفس الخصية الواحدة التى تختفى ثم تعود ، ام هما الخصيتان يتبادلان ذلك . ان كان الامر كذلك ، فولدك له خصيتان سليمتان، وسوف يهبطان الى كيسهما. فاذا هما لم يفعلا ، وظل الطبيب يمس فلا يحس وجودهما ، وجب عليه اجراء جراحة ، فليس من المستحب ترك الحال على هذا زمنا طويلا .

على ان للخصية بل الخصيتين قصة ممتعة ، انهما تتكونان فى الجسم والجنين لم يزد حجمه على حجم فار صغير ، ولكن مرضعهما يكون فى البطن الى جانب الكليتين . ثم هما بعد ذلك يبدآن رحلتهما الى أسفل الجسم ، فيخرجان من قناة ضيقة بين عضلات الجسم السفلى الى مكان رحب هو كيس الخصية . وهذه الرحلة تتم بتأثير الهرمونات . واحيانا يتعطل عمل الهرمونات فتتوقف الخصيتان فىالطريق فلا تخرجان من البطن الى الكيس . واحيانا تتوقف الرحلة فى القناة الضيقة الموصلة الى الكيس وعندئذ لا بد من الجراحة . ■■



الى اليسار : درس في الظالمة لصبية من سيئون ، لاحظ الحناء على أصابعها ، وكذلك طريقة تصفيف شعرها المسدل ضفائر رفيعة ، مثلها في ذلك مثل فتيات شاهدناهن في أواسط افريقيا ، وفي واحة سيوه ... لقد جاءت هذه التسريحة الى سيئون مع عادات اخرى جلبتها هجرات اهل البلاد الى مختلف الاقطار .

اعرف وطنك أيها العربي

قام بهذا الاستطلاع **سليم زبال**

وصوره **« أوسكار »**

سَيئُون

الباب الجنوبي للربع الخالي تدقه يد التطور ..

لاول مرة تصل بعثة صحفية عربية الى سيئون ، عاصمة سلطنة حضرموت الكثيرية ، لتنقل عنها استطلاعا واقعيا وافيا ..

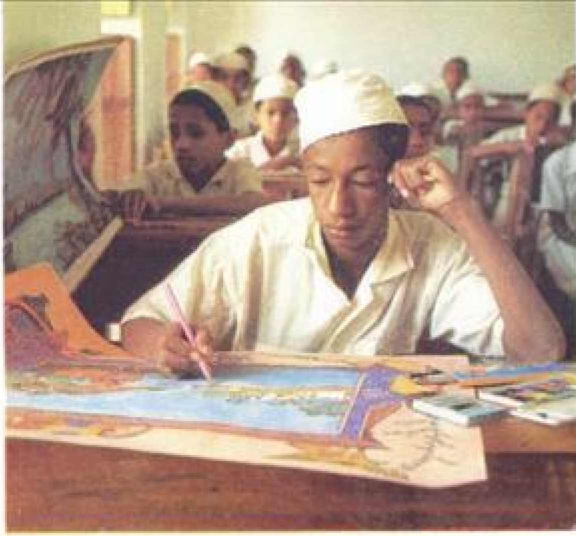
وكانت هذه البعثة هي بعثة مجلتك « العربي » ذهبت الى هناك لتؤدى رسالتها في تعريف الشعوب العربية .

اننا ننقل اليك في هذا العدد أوفى استطلاع عن البلد العربي الذى لم يكد يسمع به العرب !!

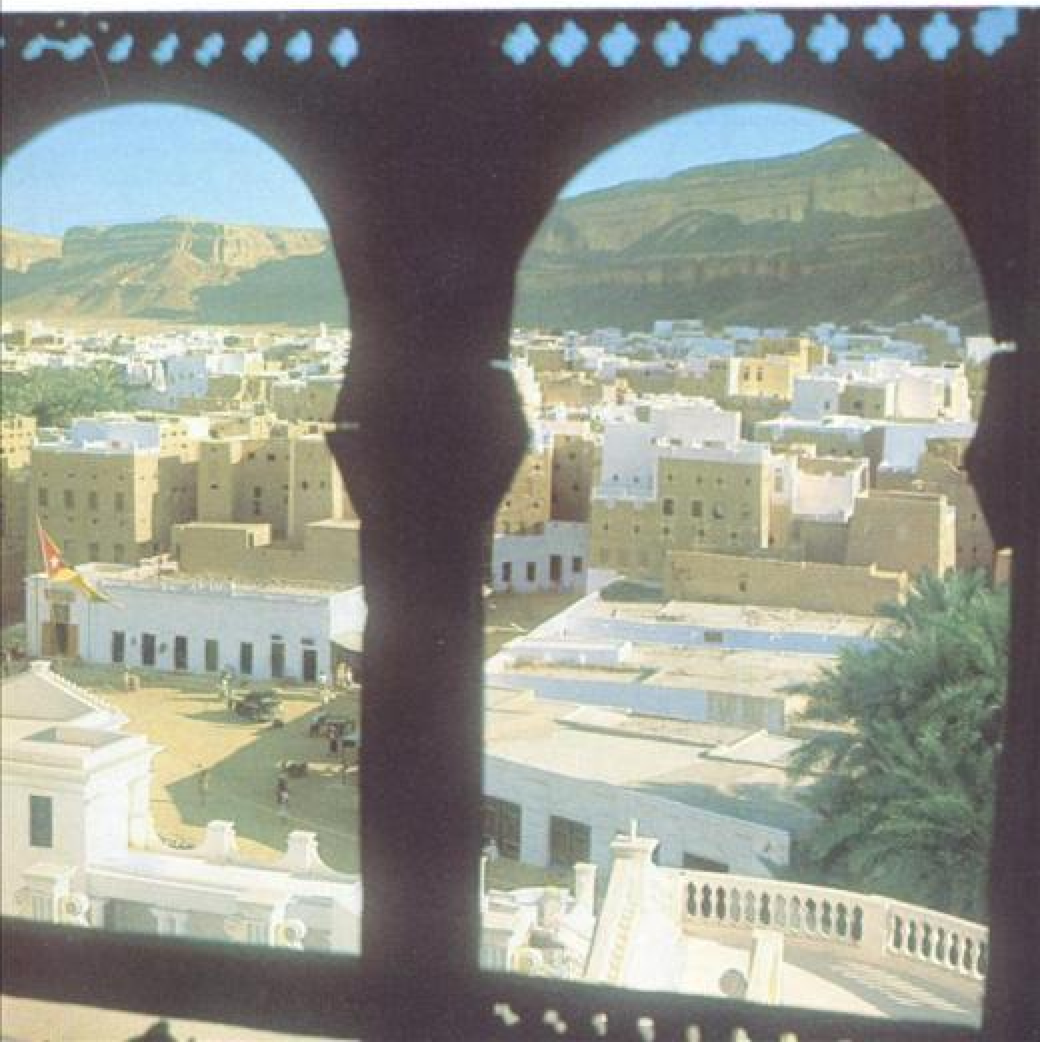


الى اليمين : ثلاجة سيئون ! : انها من جلد الماعز ، يوضع فيها الماء وتعلق بحبل متدل من سقف الغرفة امام النافذة المفتوحة التي يأتي منها الهواء ، فيبرد الجلد ويجعل الماء

الى اليمين : تفتح هائل على التعليم .. و
فقر البلاد وضيق الامكانيات يقفان كالسد
تعليم جميع ابناء سلطنة حضرموت الكثيرية
ليبدأ عدد الاهالي الى فتح المدارس الاهل
لتعليم ابنائهم بالمجان .. سابقين بذل
الحكومة ، ومتفوقين عليها من الناحية العد
..اما مستوى التعليم عامة فهو دون المتوس



الى اسفل : هذه هي سيئون عاصـ
حضرموت الكثيرية ، انها مدينة حديثـ
البنيـان ، يقـدر عـدد سكانها بنحـو
الف نسمة ، والوصول اليها عن طريق عدن
المكلا بالطائرات الصغيرة .. اما الطريق ال
الوصل بينها وبين المكلا ، فشاق وصعـ



تقع سيئون ـ عاصمة السلطنة الكثيرية ، وكبرى مدن وادي حضرموت ـ في وادي حضرموت كالواحة الكبيرة المجهولة وسط الصحراء ، لا يقصدها الا الرحالة والمغامرون ، او السياسيون الذين يهدفون لغاية ... اما الفرد العادي فذهابه الى سيئون لن يعود عليه بشيء ، اللهم الا رحلة شاقة مجهدة لمدينة مغلقة بعيدة عن مراكز التجمع العربية ، تعيش منكمشة داخل قوقعتها ، وكانها تحاول ان تحجب عن العالم طريقة عيشها الرتيبة الغريبة التي تنقلب فيها الأوضاع وتتغير فيها المقاييس ، وتختلف القيم والمعايير ، لتغرق في حضارة معقدة التركيب ، توارثها الناس جيلا بعد جيل .

كيف نحكم على المدينة ؟

ان سيئون ليست المدينة العربية المتقدمة بالمقاييس الحضارية القائمة اليوم . ولكنها حققت منذ سنوات تقدما نسبيا كبيرا ملحوظا يغفر لاهلها سباتها الطويل الذي عاشت فيه قرونا ..

جيب في الصحراء

تقع سيئون في الجنوب العربي ، داخل اراضي حضرموت الكثيرية ، تلك السلطنة التي تنزوي كالجيب الصغير وسط رمال وجبال السلطنة القعيطية ، لا يربطها بالساحل اي رابط ...

لم يكن هذا حال الأمور في القديم ، ولكن الحروب والمعارك والسياسة قلبت اوضاع المنطقة وجمدتها عند الحدود العجيبة الحالية ، التي جعلت خارطة الجنوب العربي تبدو وكانها ثوب مرقع لفرط ما يحويه من سلطنات وامارات ...

وزاد الطين بلة ، رائحة البترول المزعومة التي بدات تفوح كذبا في انوف اهل حضرموت ، مما ادى الى تمسك كل سلطنة بحدودها حرصا على امتيازاتها الخاصة ...

ولكن الالحاح الشعبي المستمر بضرورة ازالة هذه الحدود ، يدفع المسئولين في السلطنتين الحضرميتين الى مائدة المفاوضات ، التي تنتهي دائما بالتعثر والفشل في ايجاد اي حل مشترك لازالة هذه الحدود ...

ضريبة مزدوجة !

ونتيجة لهذا الفشل ينوء ابناء سيئون تحت وطاة الغلاء في مدينتهم .. فالضرائب على وارداتهم تجبى مرتين : مرة في الموانيء القعيطية ،

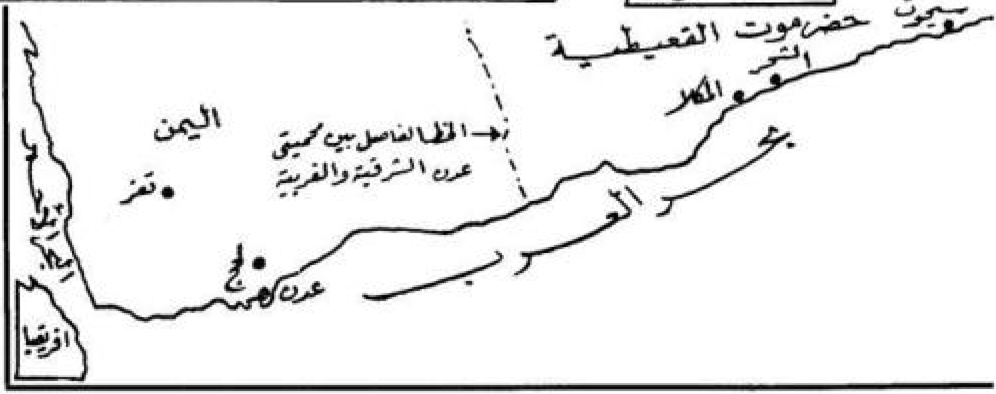


الى اليمين : هذا هو وادي حضرموت .. كان في يوم ما نهرا متدفقا ثم جفت مياهه فظهرت صخوره الغنية بالمعادن والتي يقدرها بعض المستشرقين بخمسين نوعا .. منها **الذهب الذي يعتقد** بوجوده حول سيئون



أول خريطة مفصلة لبين السلطنة الكثيرية وأهم مدنها ، وموقع سيون في وسطها





ومرة في المطارات الكثيرية ، فضلا عن رسوم الطرق ، ورسوم الاعشار ، ورسوم النقل ، ورسوم الخبرة !!

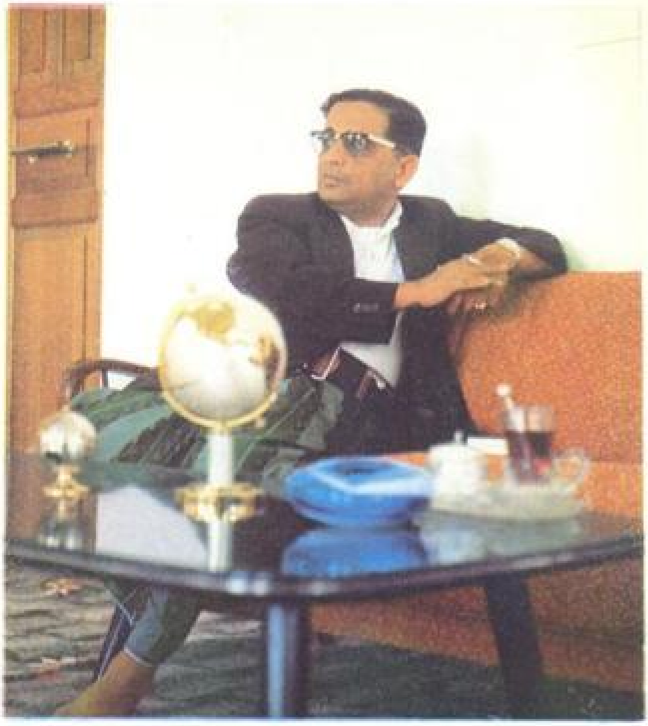
فمثلا تأخذ الحكومة القعيطية ٢٠٪ ضريبة على البضائع الكمالية التي ترد لتجار الكثيرية عن طريق المكلا ، وبعدها تنقل هذه البضائع على السيارات او على ظهور الجمال مسافة ٢٠٠ ميل حتى تصل الى مشارف سيون ، حيث تفرض عليها السلطات الكثيرية ضريبة جديدة تبلغ ١٥٪ على الكماليات و ٦٠٪ على السجائر و ٥٪ على المواد الغذائية !! وضج الناس .. وسعى المسئولون في سيون مرارا لايقاف هذه الضربة المزدوجة ، ولكن الحكومة القعيطية تعتذر باستحالة الغائها ، لانها من الموارد الرئيسية في ميزانيتها الهزيلة .. وكذلك الحال بالنسبة للكثيرية ، لا يمكنها ان تلغي الضريبة الثانية خوفا من انهيار ميزانيتها التي تبلغ ٢ مليون شلن ، اى ١٠٠ الف دينار سنويا !

الاتجاه الى الجـو !

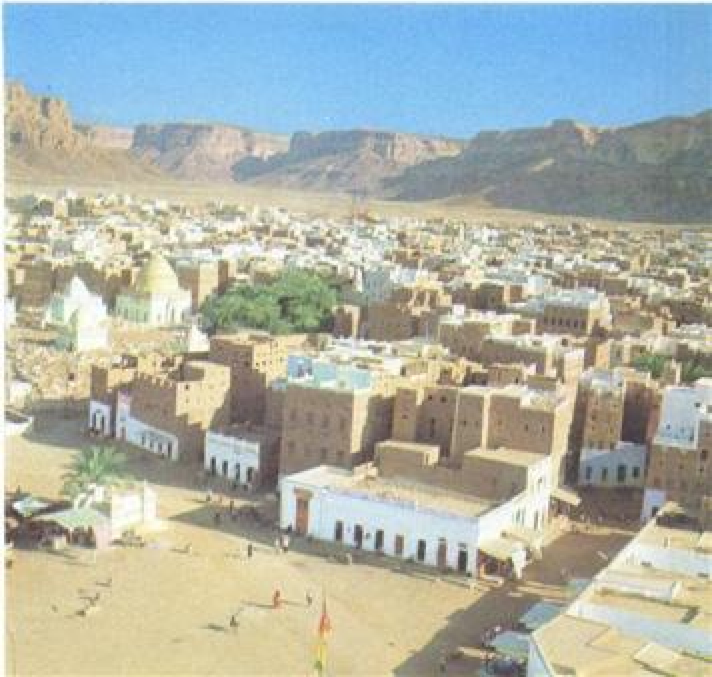
ولم يقتنع تجار سيون بهذه الاعذار ، فعمدوا الى جلب حاجياتهم من المواد الخفيفة مباشرة من عدن عن طريق الجو دون المرور على ميناء المكلا تخلصا من دفع الضرائب ...

ورغم مصاريف الطائرة الباهظة فان تكاليف





السلطان حسين بن علي الكثيري ، سلطان السلطنة الكثيرية ، التي تأسست عام ٧٨١هـ . انه على بينة بكل كبيرة وصغيرة تحدث في بلده ، وهو الذي يترأس المجلس الاستشاري لسن القوانين والتشريعات في البلد.



الى اليمين : منظر آخر لمدينة سيئون ، انها مدينة ترتفع مبانيها اعتباطا دون اي تخطيط او تنظيم حول قبور الاولى وقباب الاضرحة ،



أجمل ما في سيئون هو قصر سلطانها ، انه تحفة في فن البناء العربي القديم وسط الصحراء ، لقد بني منذ
قرن ونصف قرن في عهد السلطان حسين بن علي منصور الكثيري . . . وكأنه بجدرانه البيضاء المغمورة دائما بأشعة
الشمس ، يذكرنا بالقصر الخيالي الذي اقامه جني المصباح السحري في قصة علاء الدين الشهيرة ! . . .

الواردات عن طريق الجو ارخص من تكاليفها عن طريق المكلا بالبحر والبر ...

وقد تسبب هذا الاجراء فى انتعاش مفاجىء بمطار سيون المسمى مطار « القَرّف » انه مطار صغير ، لا يزيد طول مَدْرجه الرملي عن ١٤٠٠ ياردة ، كان يستقبل ثلاث طائرات اسبوعيا ، اما اليوم فيستقبل يوميا طائرة واحدة على الأقل من طراز الداكوتا الصغيرة ، التي ما تكاد عجلاتها تلامس الارض حتى يهرع اليها رجال الجمارك ، فيأخذون نصيبهم من الضرائب على بضاعتها .. ويتجه اليها الاهالي على سيارات اللاند روفر Land Rover وظهور الحمير ، فيستظلون تحت اجنحتها ، وهم يشهدون القادمين والمسافرين ... انها الوسيلة الوحيدة لاحتكاكهم بالعالم الخارجي ..

سفينة الصحراء واللاندروفر

اما المواد الثقيلة فتخضع لقوانين عجيبة عند نقلها عبر الطريق الشاق الطويل الذى فتحه ابو بكر الكاف الثرى الحضرمي عام ١٩٢٦ بين المكلا وسيون ..



تغص منازل أهل العلم والفضل فى سيون ليلا بالوافدين ، مثل منزل الشيخ عبد القادر أحمد السقاف فى جلسات يسمونها « الروحة » يتحدثون فيها فى مختلف الشئون .. بينما يذهب الشباب الى الاندية الرياضية .. أما السينما فممنوعة فى سيون الا فى الاعياد !

كانت الجمال هي الوسيلة الوحيدة المسيطرة على حركة النقل بين الداخل والساحل ... وبعد شق الطريق بدأت الشاحنات وسيارات اللاند روفر تزاحم « سفينة الصحراء » فى سيرها ، واحتدم الخلاف بين السائقين والبدو من اصحاب الجمال التي يقرب عددها من ٣٠ الف جمل تقريبا ، وانحازت الحكومة القعيطية الى البدو ففرضت على تجار سيون ضرورة تحميل ٢٠ جملا مقابل كل سيارة تحمل البضائع ، حتى لا يتضرر البدو من اصحاب الجمال !

وضج الناس مرة ثانية فى سيون فالجمل يحمل ٤٠٠ رطل بينما السيارة تحمل ٢٠ الف رطل ! والنقل بالجمل يكلف ضعف سعره بالسيارة ، التيتقطع الطريق فى ١٢ ساعة بينما يقطعها الجمل فى ٨ ايام !!

انها مشكلة مرت بها اغلب بلاد العالم ، انها فترة الانتقال من استعمال الحيوان الى استعمال الآليات ...

استيقاظ مفاجىء

ان مراحل التطور والتغيير والتبديل ترج جبال وادى حضرموت رجا .. وسيون هي المسرح الذى يشهد فصول هذا الصراع الكبير ...

لقد استيقظ ابناء هذا الوادى فجأة من سباتهم ، ليجدوا أنفسهم مضعضعين .. فقراء .. متاخرين ... مبعثرين .. ولكن الحماس لا ينقصهم ، فشمروا عن سواعدهم يريدون اللحاق بالركب المتطور غير عابئين بالمتاعب والمشاكل ونقص المادة الكبير ..

النهر الذى جف

ووادى حضرموت هو اهم اودية حضرموت ، ولكنه ليس واديا بالمعنى المفهوم ، وانما هو مجرى لنهر ضخم كانت تغذيه انهر صغيرة تتجه كلها الى الشرق ، وتقوم على ضفافه المدن والقرى ... ودارت عجلة الزمان فجف ماء النهر ، وانتقل الناس بمبانيهم الى اسفل الوادى بحثا عن الماء .. فأصبحت المدن وكأنها واحات ، واحدة وراء الاخرى فى منطقة لا يزيد طولها عن ٦٠ كيلومترا ، تمثل الجزء المزدهر من هذا الوادى ، الذى يمتد مسافة ١٥٠ ميلا من الشمال ، لينتهي عند مدينة سَيْحوت على ساحل المحيط الهندى ...



مجلس السكرتارية : وهو أشبه بمجلس الوزراء برأسه السكرتير حسين بن صالح الكثيرى ويضم مديرا لكل من هذه الادارات : المالية ، الجمارك ، الهجرة ، البريد واللاسلكي ، المعارف ، الشرطة المسلحة والمدنية .. وجميع الاعضاء من أبناء حضرموت الكثيرية .. ومما يذكر ان حضرموت مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدتين الاولى معاهدة الحماية وتتولى بموجبها بريطانيا حماية السلطنة من الاعتداء الخارجي ، وبمقتضاها لا يجوز للسلطنة أن تقوم بأى اتصال خارجي أو معاهدة الا بواسطة بريطانيا .. والمعاهدة الثانية هى « المستشارية » وتقضى بأن تقبل السلطنة « نصيحة » المستشار فى جميع الامور ، ما عدا ما يختص بالدين والتقاليد .. ومعروف ان نصيحة المستشار البريطاني أمر مطاع .

ويتراوح عرض الوادى من ٢٠ ميلا الى اربعة اميال .

غناء .. وحشرجة !

كان صدى الحياة الوحيد الذى يتردد بين جنبات هذا الوادى هو نغمات غناء رتيب حزين، ينبعث من افواه الفلاحين والعبيد والخدم ، وهم يسحبون الحبال الطويلة لجذب الماء من الآبار ، لارواء المنازل والمزارع والحقول ..

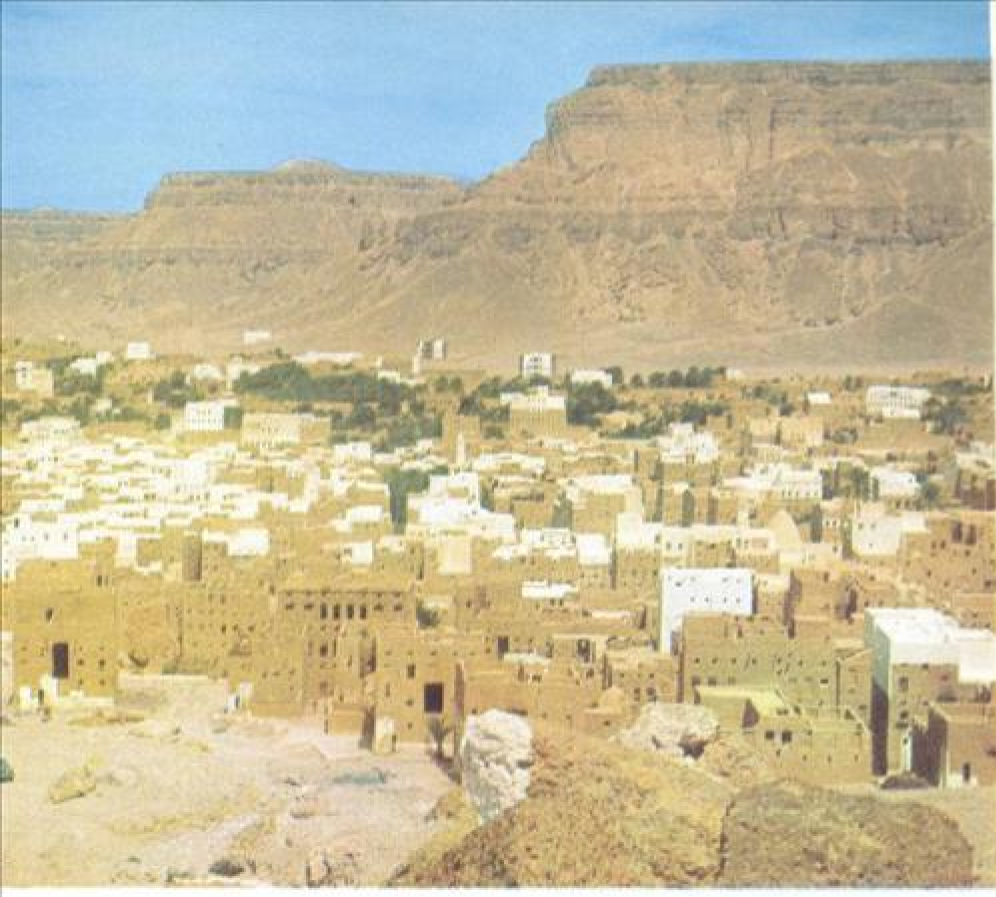
وظلت هذه الانغام الحزينة تتردد اصداؤها حتى كان عام ١٩٤٢ ففيها قل الماء .. فجف الزرع ... وتوقف الغناء ... وارتفعت اصوات غريبة كئيبة .. انها حشرجة الموت تجود بها ارواح الآلاف من الناس ، وهم فى صراع يائس مع المجاعة القاسية التى لازمتهم مدة عامين كاملين .. اهلكت خلالهما الزرع والحرث والنسل ، والانسان والحيوان .. كان الناس يتساقطون فى شوارع سيون من الجوع والألم ، بالرغم من اكياس الطعام التي كانت تلقيها اليهم الطائرات من الجو ..

٣٠٠ جالون بدلا من ثلاثة جالونات

وبعد انقضاء اربعة اعوام على انتهاء المجاعة ، صحا الناس على هدير مكنات الديزل وهي تعمل لاخراج الماء من الاعماق .. وارتاب الناس بادىء الأمر فى هذه الآلة ، ونعتوها بمختلف الأوصاف ، واحجموا عنها ، ولكنهم سرعان ما الفوها وافتنوها .... واصبح فى الوادى منها اليوم ١٢٠٠ مكنة ، الواحدة منها تسحب الماء بمعدل ٣٠٠ جالون فى الدقيقة الواحدة ، فى حين ان الانسان كان يكد ويشقى ليستخرج ٣ جالونات فقط فى الدقيقة !!

وهكذا تضاعفت الرقعة المزروعة ثلاثة اضعاف مساحتها فى عام ١٩٤٩ .

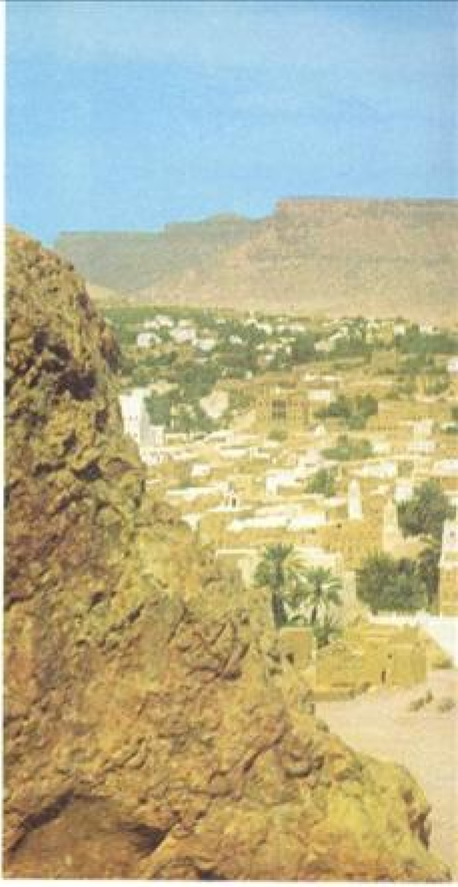
ويعتمد اهل سيون على الزراعة اعتمادا كليا



تقبع سَيْئُون هادئة في وادي حضرموت بين الجبال الصماء التي ترتفع الى علو الف قدم ، وبالرغم من وجود هذه الجبال الصخرية ، فمباني المدينة مشيدة بالطين وجذوع النخيل ، لان تقطيع الاحجار من الجبال يتطلب نفقات باهظة يعجز عنها الأهلون .. وتمتد حركة البناء في المدينة طوليا ، حتى اطلقوا عليها اسم « سيون الطويلة » .



الى اليمين : كانت سَيْئُون في نشأتها بمثابة حصن لسكانها ، فجاء تصميم منازلها متسما بالطابع الحربي الدفاعي اكثر من اتسامه بالطابع الهندسي الجميل ! فالطابق الارضي من المنازل جدرانه صماء خالية من الفتحات ، والنوافذ لا تظهر الا ابتداء من الطابق الثاني ، اما الطابق الثالث فيتصل ، بجسر صغير ، مع المبنى المجاور ، ويستعمله اهل المنزل للهرب في حالة اقتحام منزلهم من الاعداء ... كان هذا في الماضي ، اما اليوم ، فالهدوء والسلام يسودان المدينة التي ما زالت تحوي الكثير من هذه المباني .





الى اليسار : تفتخر سيئون بمنارة مسجد الرياض الذي بناه السيد علي الحبشي عام ٢٥٩ هـ ... وهي منارة مرتفعة مبنية بالطين وجذوع النخل ، ومطلية بالنورة البيضاء ، وقد تم بناؤها عام ١٣١٦ هـ على يد المعلم عوض بن عفيف واخوانه ، المحفورة اسماؤهم عند قاعدة المئذنة ، مع ابيات من الشعر على نحو ما كان سائدا في ذلك الزمان ، مطلعها :

هذي المنارة ما رأينا مثلها
هيهات ان شكلا يحاكي شكلها !



دهشنا عندما وجدنا عددا كبيرا من أبناء سيون تميل ملامحهم الى ملامح أهل آسيا .. انهم ابناء الحضارمة المهاجرين الذين تزوجوا الاندونيسيات.



هل تصدق ان هذه المنازل العالية ان هندسة البناء العربية القديمة بدأت تنافسها باستعمال الاسمنت

في حياتهم ، فتجدهم يزرعون الحبوب وخاصة القمح بكثرة خوفا من شبح المجاعة التي مرت بهم .. وهذا يؤدي بالتالي الى اضعاف اقتصاديات البلاد .. فالقمح الاسترالي ممكن استيراده بسعر اقل من نصف سعر القمح المزروع محليا .. ولكن الزراعة هنا تقوم على اساس سد حاجة الافواه الى الطعام دون التفكير في تخطيط او تقدير لحالة البلاد الاقتصادية .

٣ أنواع من التمر

وتحيط بسيون نحو ٢ مليون نخلة تعطي تمرا حلوا لذيذا ، يقسمونه الى ثلاثة انواع : المدريني والمجراف والحمْرة ، يعتمد عليه اهل المدينة والبدو في وجباتهم اليومية ، فيخزنونه داخل ازيار كبيرة يتسع كل منها لنحو ٤٠٠ رطل ، يأخذون منها حاجتهم اليومية ..

والأراضي المحيطة بسيون من اخصب الأراضي التي تنجح فيها زراعة الحبوب والخضروات ، وخاصة البصل والثوم والطماطم ...

نكبة بعد رخاء

ولكن اعتماد اقتصاد البلاد على هذه المنتوجات غير الاقتصادية ، جعل السكان يتابعون هجراتهم الى الخارج .. تلك الهجرة التي بدأت بعد ان تحولت طرق قوافل البخور والتوابل من البر الى البحر ، فقضت على ازدهار الوادي ، ووصلت بسكانه حدا جعلهم يهجرونه الى سنغافورة ، واندونيسيا ، حتى وصل عدد مهاجريهم الى ٧٠٠٠٠ نسمة ، اختلطت دماؤهم بدماء اندونيسية وصينية وملاوية .

ولم ينس المهاجر الحضرمي بلده ، فكان يرسل الأموال والمساعدات لأهله ، وقال لنا السلطان حسين بن علي الكثيري : « ان مدينة سيون شيدها مال المهاجرين الى اندونيسيا » ... وفجأة توقف كل شيء ... وانقلبت الاوضاع ، فاصبح اهل سيون يرسلون الأموال لاقاربهم في اندونيسيا بعد ان صودرت اموالهم هناك ، وفرضت القيود عليهم ، فلم يعد يسمح لهم الا بثمن تذكرة الطائرة لعودتهم الى بلادهم ...



مبنية من الطين وجذوع النخيل فقط!!
تختلف من الهندسة الحديثة التي
والحديد في البناء الحديث ..



هذه هي مدرسة عمال القرن التي بنوها بمجهودهم وبأموالهم لتعليم أبنائهم وبناتهم .. وقد عمدوا أخيرا الى فتح متجر تعاوني تخصص ٣٠٪ من أرباحه لهذه المدرسة ..

الهمزة الحائرة !

والى جانب مشكلة عودة المهاجرين الى سيون بمعدل ٢٠٠ نسمة شهريا تقريبا ، تولدت مشكلة هجرة اخرى من البادية والريف ، ملأت شوارع سيون بخليط عجيب من الناس ، اتوا بجمالهم واغنامهم للبيع والشراء داخل المدينة المرتفعة ٢٣٤٠ مترا عن سطح البحر ، والتي يبلغ عدد سكانها ١٢ الف نسمة ..

واختلف اهل سيون في كتابة اسم مدينتهم فمرة : سيوون ، ومرة سيؤن ، واخرى سيون .. ولكنهم اتفقوا على ان اسم المدينة مقتبس من اسم سيدة كانت تسكن في قصر هناك ثم تحرف اسمها الى سيئون ..

تاريخ آل كثير

وعمر سيون غير معروف بالضبط ، ولكنهم يقولون انها من عمر الدولة الكثيرية ، اى ٨٠٠ سنة .

وروى لنا المؤرخ الحضرمي الاستاذ سعيد عوض باوزير ، قصة تولي آل كثير للحكم فقال :

« في عام ٦١٤ هـ ، غزا حضرموت عمر بن مهدى اليمني بقوة كبيرة باسم الأيوبيين ، حكام اليمن في ذلك الوقت ، واكثر من القتل والذبح ، حتى عاشت البلاد في حالة فوضى وعدم استقرار ، فانتهز سلطان ظفار سالم بن ادريس الحبّوظي الفرصة واحتل مدن وادى حضرموت وساحلها ، ثم عاد الى بلاده في ظفار واناب عنه آل كثير في حكم المناطق التي احتلها في حضرموت ... وحدث ان قتل الحبوظي فانتهز آل كثير الفرصة ، فاعلنوا استقلالهم بالحكم في المناطق والقرى التي تحت نفوذهم ، وكانت هذه المناطق نواة السلطنة الكثيرية ، التي اصبحت سلطة رسمية معترفا بها في عهد الأمير علي بن عمر بن جعفر الكثيرى عام ٩٢٢ هـ . وهو اول من نصب سلطانا على حضرموت من آل كثير ، ومن نسل هذا السلطان جميع سلاطين آل كثير الذين حكموا منذ ذلك التاريخ » ...

غزل في غير محله !

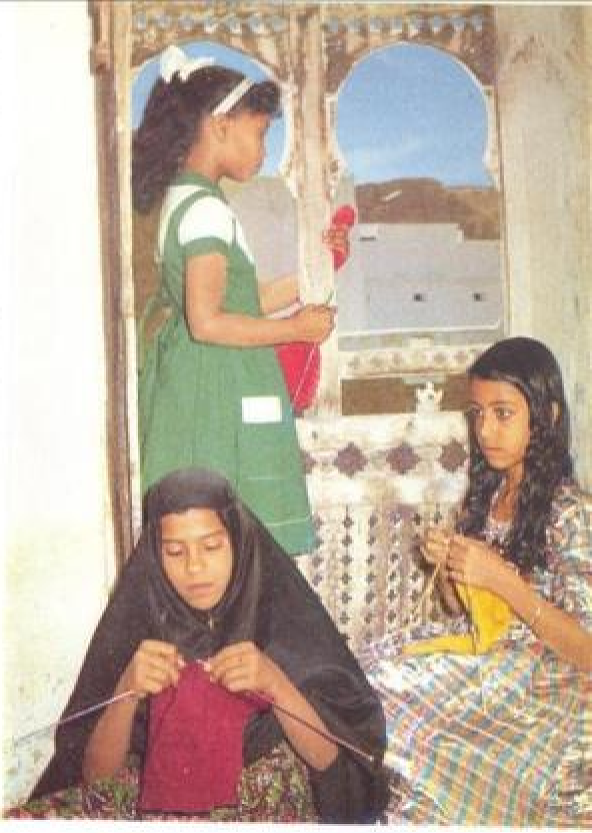
وكانت سيون المركز المفضل لهؤلاء السلاطين

الى اليمين : بتصريح خاص سمح لنا بتصوير بعض فتيات المدرسة الابتدائية اللواتي قاربن سن الثانية عشرة .. ان العام الدراسي القادم لن يشهد هؤلاء الفتيات الثلاث لانهن سوف يتحجبن ، اى يصبحن معزولات من العالم داخل جدران .. منزلهن ! انها التقاليد البالية المتوارثة التي يسعى الشباب جاهدا للقضاء عليها !

الى اليسار : المدرسة الوحيدة الكاملة في سيئون هي المدرسة المتوسطة . وتضم ١٧٦ تلميذا ، و ٧ مدرسين ثلاثة منهم من ابناء البلد ، وثلاثة من السودان ، وواحد من السعودية ... ومبنى المدرسة كان قصرا لأسرة الكاف . ونرى هنا الطلبة حول حوض السباحة في المبنى يذاكرون دروسهم قبل دخول الامتحان .

الى اسفل اليسار : درس عملي في حديقة المدرسة الابتدائية .. ان الزراعة هي الاساس الذي ترتكز عليه حياة السكان في سيئون ..

الى اسفل : احد المحلات التجارية في المدينة ، انه يحوى تشكيلة من كل صنف : حلويات عطورة القشة، علب طماطم، خردوات، لبان، قطع غيار ... الخ.











واتباعهم ، فجاءت مبانيها صورة مجسمة لواقع حال البلاد ، التي كانت نهبا للحروب القبائلية والفتن والقتل والنهب .

ان هذه المباني التي يتغزل الاجانب في جمالها ، لا تفي باى احتياجات صحية ، لانها ليست سوى حصون حربية لا تصلح لحياة هذا العصر بتاتا !! فالشكل الخارجي يخفى غرفا لا يكاد يدخلها نور الشمس او الهواء الا من فتحات كانت تستعمل لاطلاق النار !! ودرجات سلالم المنازل مرتفعة عالية ترهق الاقدام وتقطع الانفاس !

ولحسن الحظ ان المعايير التي روعيت في بناء المنازل القديمة بدأت تنزاح بعض الشيء امام الخرسانة المسلحة التي بدات تأخذ مكان الطين المقوى بتبن القمح ، وجذوع النخيل !!

حـق الاحترام

وما زال اهل سيون يعيشون داخل منازلهم مثلما كان يعيش اجدادهم : للكبير على الصغير حق الاحترام ، وحق الطاعة ، وحق السيادة .. انه صاحب الزعامة ، سواء كان متعلما او جاهلا وسواء كان هذا الكبير ابا او غير اب . يفرض كلمته على اهل البيت ، ولو ادى ذلك الى شقائهم .. اما المشاركة في الراى ، والصراحة ، فمعدومان تماما ... وتبدأ المراة من سن الثانية عشرة في ملازمة منزلها لا تبرحه او تتركه الا لتذهب عند بعض قريباتها .. والفتاة العازبة غير مسموح لها بالظهور امام المراة المتزوجة !

سجينات التقاليد

وتتجه النساء في الامسيات الى المتاجر ، فيروحن عن انفسهن بالتنقل من متجر الى آخر لمشاهدة ما تحويه من الوان الحرير والاقطان والثرثرة فيما بينهن ، دون ان تكون لديهن ادنى نية للشراء .. انها فرصتهن الوحيدة للاحتكاك مع العالم ، والخروج من حبسهن الطوعي الذى تفرضه التقاليد والعادات !

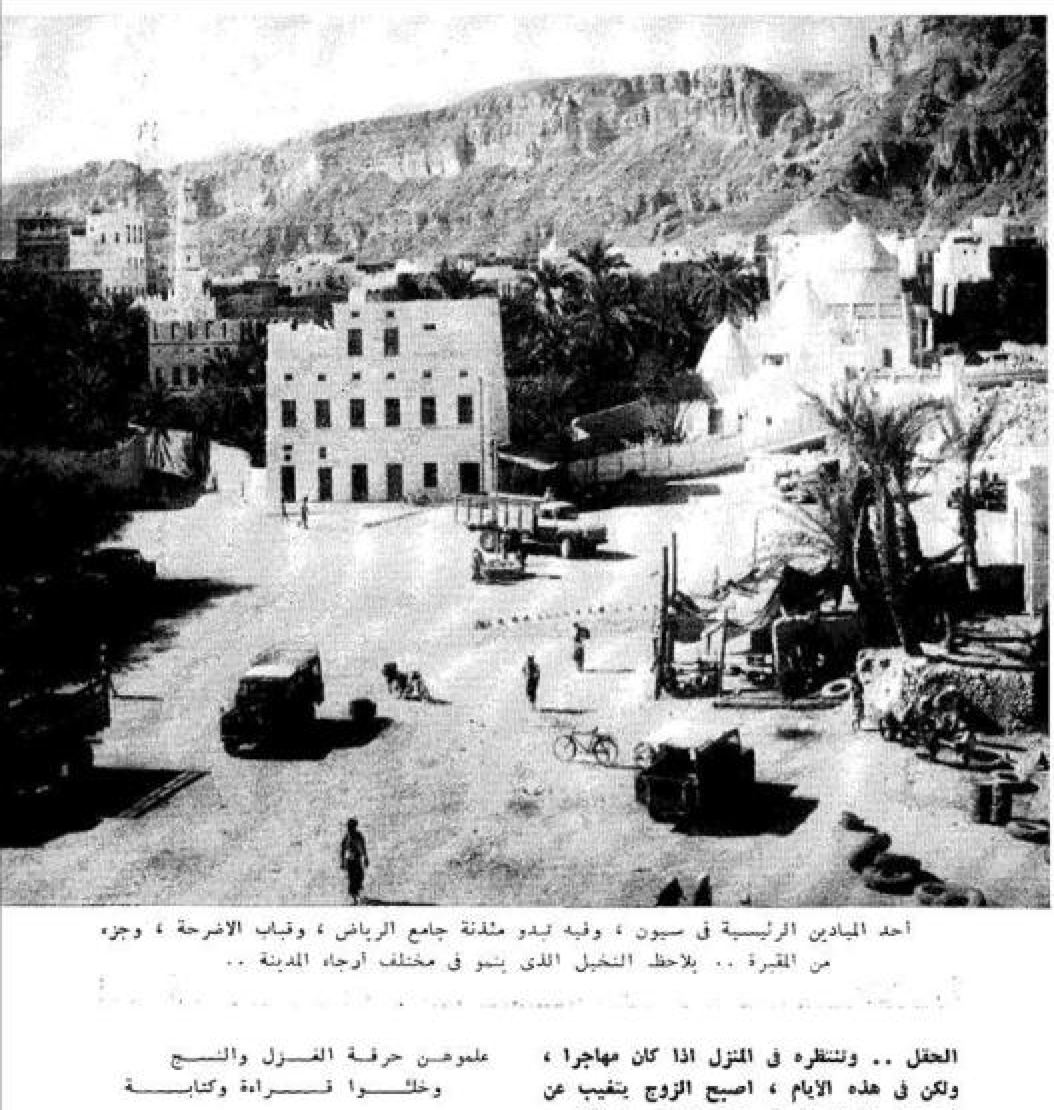
والمراة السيونية شقية في حياتها ، وفية لزوجها ، فهي تعمل الى جانبه اذا كان فلاحا في



تسير نساء سيون عند الاصيل الى المتاجر بخمرهن السوداء وكأنهن مخلوقات جئن من عالم آخر !

ويقول الاستاذ الشاطرى المؤرخ الحضرمى « ان القائد معن بن زائدة جاء الى حضرموت عام ١٤٠ هـ على رأس جيش عباسى بلغ عدده ٤٠ ألف جندى . فاستباح البلاد وقتل منها ١٥ الف نسمة . واصدر اوامره بأن تلبس النساء السواد ، وبشاع بأنه امرهن بجعل ذيول لثيابهن السوداء تزحف خلفهن على الارض. ولا تزال الاذيال موجودة الى اليوم. وهي التى قال فيها عمر بن أبي ربيعة :

كتب القتل والقتال علينــا   وعلى الغانيات جر الذيول



أحد الميادين الرئيسية فى سيون ، وفيه تبدو مئذنة جامع الرياض ، وقباب الاضرحة ، وجزء من المقبرة .. يلاحظ النخيل الذى ينمو فى مختلف أرجاء المدينة ..

الحقل .. وتنتظره فى المنزل اذا كان مهاجرا ، ولكن فى هذه الايام ، اصبح الزوج يتغيب عن زوجته عشرات السنين فى المهجر ، فتشيب الزوجة ، ويشب اولاده ، وهو لا يعرفهم ، وهم لا يعرفونه .. وهذا خطأ اجتماعي كبير يأباه الشرع ، وترفضه الانسانية !

أبو العلاء هو السبب !

ويصر بعض الرجال فى سيون على ضرورة قصر تعليم الفتاة على القراءة دون الكتابة !! وسحبها من المدرسة متى بلغت سن الثانية عشرة . واندهشنا من هذا القول ، ورحنا نسألهم عن السبب ، فقالوا لنا : اننا نطالب بهذا منعا للفتنة ، ولا بد انكم سمعتم قول ابي العلاء المعرى :

علموهن حرفة الغزل والنسج
وخلوا قراءة وكتابة

المدرسات العربيات ممنوعات

ويحاول وزير المعارف الشاب علي محمد السقاف القضاء على هذه النظرة الضيقة فى هذا العصر المتفتح ، ولكن مساعيه تصطدم بعقبات شتى . وخاصة فيما يتعلق باحضار بالمدرسات العربيات اللواتى يصر البعض على ضرورة ارتدائهن للخمار الاسود الذى يغطيهن من رأسهن الى أخمص أقدامهن ...

ويحتج الوزير ... وتتسع حلقة المناقشات فى فضل السفور على الحجاب ، او الحجاب على السفور !!





يفتقر تعليم البنات في سئيون الى جميع اسس التعليم ، من نقص في المكاتب والكتب ، والمدرسات ، وحتى التلميذات ! اذ ما تكاد الفتاة تبلغ سن ١٢ سنة حتى تنسحب من المدرسة لتحتجب داخل منزلها !





وتركنا سيون ، والمناقشات محتدمة ، وان تكن قد وصلت الى اتفاق على احضار المدرسات العربيات على ان يرتدين زيا محتشما مثلهن مثل المدرسات اللواتي يعملن في المكلا ..

عـزلة ثقافيـة

وليس تعليم الفتاة هو المتردي في هذه المدينة فقط ، بل التعليم عموما . فمنذ القرن الثاني عشر الهجري اخذت العقول تتحجر على معلومات متناقلة محدودة ، تلقن للطلبة تلقينا آليا خاليا من الروح والحياة .

وما كاد القرن الرابع عشر الهجري يطل ، حتى كانت حضرموت من اقصاها الى اقصاها تستسلم لموجة طاغية من الجهالة عمت الحواضر والبوادي ...

ورغم بوادر النهضة العربية بعد الحرب العالمية الأولى ، الا ان حضرموت ظلت بعيدة عن التأثر بها ، وكانت الافكار الرجعية تسود لتعزلها عزلة ثقافية ، فحرمت اكثرية السكان من بصيص العلم ، لينحصر في طبقة او عائلات معروفة من السادة أو المشايخ ...

وفي منتصف القرن الرابع عشر الهجري غمر الوعي الأهالي ففتحوا المدارس الأهلية رغم فقرهم المدقع ، ولكنها كانت مدارس بلا موارد مالية ولا وسائل تعليمية ، ولا خبرة فنية .

شـك وريبـة

وفي عام ١٩٣٨ تحطمت اسوار العزلة الفكرية التي كان يعيش فيها الحضارم ، فظهرت الافكار العصرية الحديثة ، واخذ الناس يتحدثون عن الوطنية والعروبة والتحرر السياسي والتقدم الاجتماعي ..

وظهرت في سيون مجلة « زهرة الشباب » ، شهرية مكتوبة بخط اليد لعدم توفر المطابع !

وفي عام ١٩٤٤ حاولوا فتح مدرسة وسطى في سيون ، ولكن وجود نخبة من ذوى العقليات المتصلة ، التي تنظر الى هذا النوع من التعليم نظرة ملؤها الشك والريبة ، حاربوا هذه الفكرة ، فنقل مقر المدرسة الى « غيل باوزير » بأراضي السلطنة القعيطية حيث فتحت أول مدرسة وسطى في حضرموت ..

ولكنه بعد مرور ١٣ سنة ، اقتنع الناس في سيون بفكرة انشاء مدرسة وسطى فافتتحوها عام ١٩٥٧ .

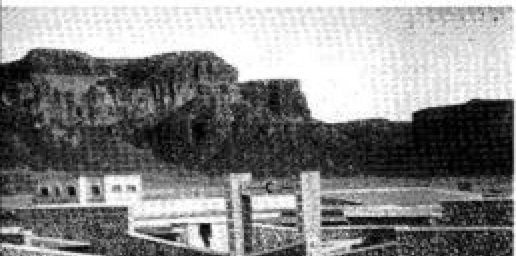
وظل التعليم الأهلي متقدما على التعليم الحكومي فترة طويلة ، واشترك المهاجرون الحضارم في اندونيسيا وسنغافورة في هذه النهضة فأسسوا في عام ١٩٢٠ مدرسة النهضة العلمية ، وهي أقدم مدرسة في سيون ، ومنها تخرج كل الرجال القائمين بمرافق البلاد .

ســاعدوا عمال ســيون

وأحس العمال بأن قطار التعليم سوف يفوت على أبنائهم ، فقاموا بعمل جماعي على الارض التي منحتهم اياها الدولة تحت جبل الفلس ... كان كل شيء ينقصهم، ما عدا العزيمة ، وبهذه العزيمة استطاعوا أن يشيدوا مدرسة حديثة نظيفة .

لقد اتحد ٥٠٠ عامل واتفقوا على أن يعمل كل منهم في أوقات فراغه في بناء مبنى المدرسة ، حتى تم البناء بالصورة الجميلة التي هي عليه الآن .. وكانت تنقصهم الكتب ، فارسلوا استغاثة الى الدول العربية ، لا يدري أحد هل وصلت او لم تصل . ولكنها لا شك وصلت الكويت ، فقد أرسلت لهم خمسة الاف كتاب ..

لقد اصبح عدد الطلبة من أبناء العمال في هذه المدرسة ٢٠٦ طلاب ... وأخيرا أضافوا لها مدرسة للبنات تضم ٥٥ فتاة . ونقص الاساتذة كان



مستشفى سيون : فتح منذ عام فقط يسع ٤٤ مريضا ، والعلاج به مجاني ، وبه طبيب حضرمي وآخر هندي ، توجد به غرفة للاشعة ليس بها جهاز للاشعة !! أهم الامراض : السل ، والانيميا

ملحوظا ، الى جانب نقص المادة ... ويقوم حاليا وفد من عمال لجنة مدرسة القرن الاهلية العمالية بجولة في الاقطار العربية لجمع التبرعات لصالح المدرسة .

نسبة التعليم ١٪

واخيرا ... وفي عام ١٩٤٨ لحقت الحكومة بالمدارس الاهلية ، ففتحت أول مدرسة ابتدائية ، بفصل واحد ، ومدرس واحد ، يساعده ناظر المعارف نفسه ! وكانت ميزانية التعليم ٢٧٥ دينارا .. أما اليوم فقد وصلت ميزانية المعارف الى ١٠. الاف دينار ، وبلغ عدد مدارسها : ٨ مدارس ابتدائية ومتوسطة للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات .. يعمل فيها ٣٢ مدرسا و ٤ مدرسات ، ويبلغ عدد تلامذتها ١٢٦٠. طالبا وطالبة . أي نسبة التعليم ١٪ اذا قصرنا الارقام على سكان سيون فقط !!

بين القديم والجديد

ان الوعي الذى أدخله هذا التعليم البسيط الى سيون خلق تناقضا اجتماعيا هائلا في البلاد ، فالشباب ، بحكم حماسهم لكل جديد ، اصبحوا يحتقرون كل ما هو قديم ... وانصار القديم ينساقون ، بحكم تعصبهم لقديمهم ، الى انكار فائدة كل ما هو جديد ، سواء كان هذا الجديد نافعا او ضارا ! وهم بحربهم هذه ، يعتقدون أن بامكانهم ايقاف عجلة التاريخ !

والى جانب هذا يواجه مجتمع سيون اكثر من معضلة ، فهو ما زال يبحث عن كيانه وسط مشاكل الطفولة ، ومشاكل المراهقة ، ومشاكل الحرمان ، ومشاكل المراة ، ومشاكل الشيوخ ، ومشاكل البداوة ، والتشرد ، وأوقات الفراغ ، والرياضة . والاندية ... وغير ذلك مما لا يمكن حصره في هذا الاستطلاع .. انها كلها مشاكل لم يفكر أحد بعد في ايجاد حل لها رغم اهميتها وخطورتها ..

وقبل ان ننتهي ، لا بد من التساؤل : وماذا بعد ذلك ؟

كلمة هادئة ..

لم تبق سوى كلمة هادئة نقولها لبريطانيا ، التي مضى عليها ١٢٥ سنة في المنطقة ، نقول لها : كنا نامل أن نرى مصنعا واحدا .. او بئرا ارتوازيا كبيرا واحدا .. أو طريقا معبدا صالحا .. أو تخطيطا للحاضر أو للمستقبل سواء كان اقتصاديا أو زراعيا أو تعليميا .. كنا نطمع في ايجاد حل لمشكلة الضريبة المزدوجة التي تثقل كاهل الناس . كنا نطمع في أن نرى عناية بنكبة الحضارمة في مهاجرهم ، خاصة وان بريطانيا هي المسئولة عن علاقات حضرموت الخارجية بموجب معاهدتي الحماية والاستشارية اللتين تعطيانها حق التصرف في جميع الامور ، ما عدا الدينية والتقليدية .. كنا نطمع في أن نرى العناية الصحية متقدمة . أما المستشفى الذى اقيم منذ سنة فقد جاء متأخرا عن موعده ١٢٤ عاما !

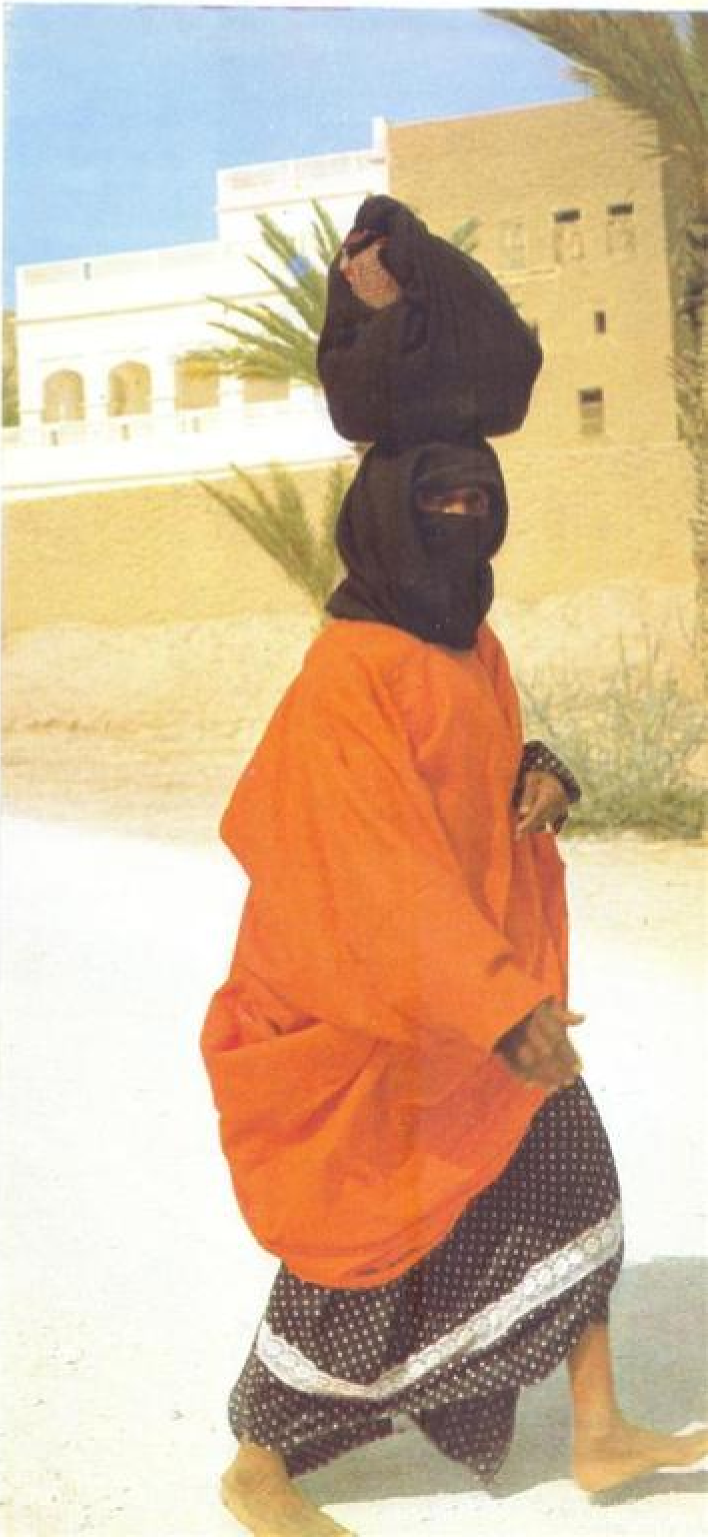
ان الفشل في تحقيق كل هذا يحتم على بريطانيا أن تجلو عن البلاد ... ومن الافضل لها ان تخرج سريعا .. لان لهب الثورة سوف يعم كل بقعة فيها مستعمر بريطاني ...

لقد وعدت بريطانيا باعطاء المنطقة استقلالها قبل عام ١٩٦٨ . فمتى تعطيه ؟!

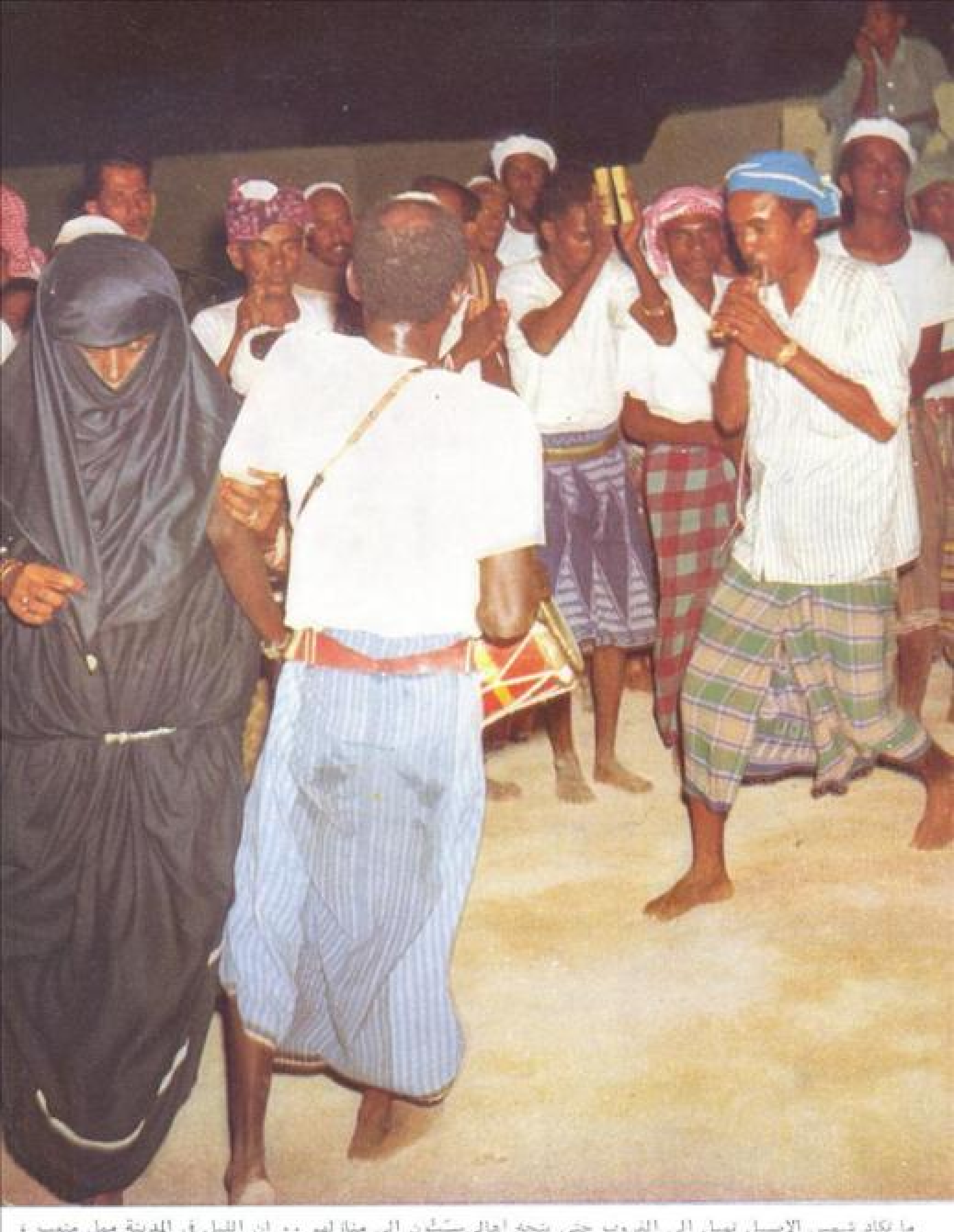


تبين هذه الصورة التغيير الكبير الذى طرأ على الزراعة ، فمكان البئر الارتوازى القديم ، وضعت مكنة الديزل لسحب الماء بمعدل ٣٠٠ جالون في الدقيقة بدلا من ثلاثة جالونات .





المرأة فى سيئون مثل المرأة فى
اى مكان آخر ، فرغم القيود
القاسية التى تخضع لها ،
تجدها تعنى بمظهرها الخارجى
وتتفنن فى ملبسها البسيط ،
مضيفة له الدانتيلا والالوان
الزاهية ، كما ترى فى الصورة



ما تكاد شمس الاصيل تميل الى الغروب حتى يتجه اهالي سيئون الى منازلهم .. ان الليل في المدينة ممل متعب ، فهي خالية حتى من دار للسينما التي حرموا اقامتها في المدينة ... ولكن في الاعياد والافراح يزاول الاهالي رقصاتهم الشعبية ، التي تشبه رقصات السمبا والتشاتشا ، وانما على نغمات المزمار ، وقرع الطبل ، وتصفيق الحاضرين ، الذين يلتفون على شكل دائرة تندفع الراقصة الى وسطها وتبدأ الرقص بمفردها ، ثم يتقدم اليها احد الرجال ، فتمسكه من ساعده وتدور به .. ويزداد التصفيق ، ويعلو نغم المزمار العجيب ، وتسرع دقات الطبال ، وتلتهب ايدي المصفقين ، ويتناوب الرجال الرقص مع الراقصة حتى مطلع الفجر ، فيتعب الرجال ، ويتساقطون اعياء ، والراقصة صامدة لا تمل ، بل تعيرهم بقولها : هيا الى الرقص يا رجال !

من كانت له اذنان فليسمع !

واخيرا لا بد من كلمة نصرخ بها في اذن الحضارمة المهاجرين الاثرياء ، ولتسمعها الحكومات العربية : ان حضرموت ما تزال بكـرا بالنسبة لثرواتها المدفونة .. والنفط أمره في علم الغيب .. والبلاد تئن من فرط التأخر الذى تعيش فيه .. وانقاذها لا يتم الا بمدها بالخبراء وبالأموال التى تشكل العائق الاكبر في سبيل تنفيذ مجموعة من المشاريع التى تعود بالخير العميم على البلاد .

فهناك مشروع لاصلاح السدود الحالية لاستغلال كل قطرة من مياه الامطار الشحيحة ، وهـذا المشروع يحتاج الى نصف مليون دينار ...

والمشروع الثاني هو حفر ١٠٠ بئر ارتوازى كبير تهبط ماسورتها الى أعماق ٢٠٠ الى ٢٥٠ قدما ، لتساعد الآبار الحالية التى تهبط ٧٠ قدما تحت الارض . وتكاليف هذا المشروع ٥٠٠ دينار لكل بئر مع مضخاته ... وهذا المشروع يضاعف مساحة المنطقة المروية ..



الطريق الوحيد المعبد في سيون هو المؤدى من المطار الى المدينة وطوله ١٥ ميلا ، وقامت بتعبيده شركة النفط التي تقوم بالحفر في ثمود .. ويجرى الآن تعبيد بعض الطرق في سيون باستعمال الزلط (الصلبوخ) الكبير المجلوب من الجبال ..

وكانت سيون تصدر المنسوجات القطنية والحريرية الى اليمن ، وتستبدل البن بها ، أما اليوم فقد توقفت هذه الصناعة رغم توفر المواد والأيدى العاملة .. ان تأسيس محلج ومغزل ، لعمل مناسج محلية ومنزلية يحتاج الى ١٠٠ الف دينـار ...

وهناك مشروع لمصنع تعبئة التمور ، وتكاليفه ١٠ آلاف دينار .

ومشروع لفتـح محطـة للتجارب الحيوانيـة والزراعية ، تكاليفها ١٠٠ الف دينار ..

أما المشروع الذى يمكن أن يوطد الاستقرار الاقتصادى والزراعى ، ويسهل على الناس حياتهم فهو تعبيد الطريق الموصل من سيون الى المكلا ، وتكاليفه تقرب من المليون دينار ..

والى جانب هذا كله يمكن اقامة مصانع صغيرة لتعليب الطماطم ... ومصانع لتجفيف البصل والثوم اللذين ينموان بكميات هائلة ..

٨٠٠ ألف دينار تنقذ التعليم

أما عن مساعدات التعليم ، فتطلب البلاد أولا تزويد المعارف بأخصائيين ليضعوا حدا لفوضى البرامج والكتب التى تمارسها المدارس الاهلية دون تخطيط أو دراسة ..

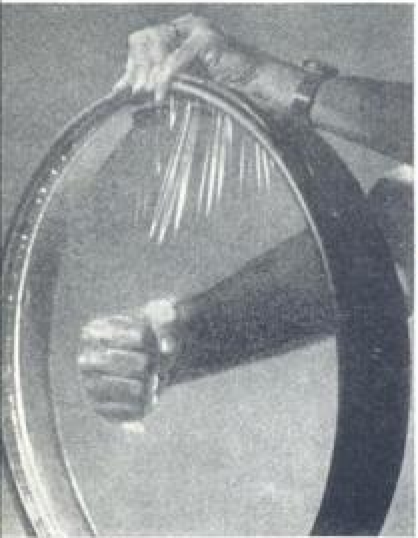
والحاجة ملحة الى بناء عشر مدارس حكومية في عشر قرى ... وتحويل عشر مدارس أهليـة الى مدارس حكومية تتولى الدولة كل تكاليفها .. وفتح ثلاثة فصول وسطى .. وبناء ثانوية ، ومدرستين ابتدائيتين للبنات .. ومعهد لتدريب المعلمين ... وفتح عشرة فصول لمحو الأمية ، وتعليم الكبار في المساء .. وتوفير الكتب والمقررات المدرسية .. وفتح مختبر للتدريس العملي للعلوم .. وجلب ٢١ مدرسا جديدا ... ومدرستين .. واكمال تأثيث المدارس كلها ..

ان جميع هذه الطلبات من بناء وطلب مدرسين تحتاج الى ٨٠٠ الف دينار لتحقيقها كلها !

انـنا هنا نتقدم بالحقائق .. ونسلط الاضواء على النقص ونقترح بعض الحلول .. عسى ان يجد ابناء سيون من يعينهم على النهوض من وضعهم الحالي الى وضع أفضل ، في سبيل مستقبل باسم ان شاء الله .

سليم زبال

أنباء الطب والعلم والاختراع



حذار من «التتراسيكلين»

لا تعطه للحامل

● ان التترا سيكلين Tetra-cycline عقار معروف يعطي لمقاومة العدوى داخل الجسم، عند التهاب الكلى . واليوم يحذر الاطباء ، والبحاث ومصانع الصيدلة من اعطائه للأم الحامل ، ذلك انه يتضمن خطرا عليها ، وعلى ما حملت . وقد يذهب خطره عليها الى حد الموت ، والى الطفل ، الى حد التشوه عند الولادة .

نوع من اللدين جديد

● انه رقيق ، فسمكه نحو ربع من جزء من الف من المليمتر .

وانه شديد ، تدل عليه الصورة ، وقد لكم الرجل ورقة منه ، مشدودة على اطار ، بقوة ، فلم تتمزق .

اما اسمه فالسرلين Surlyn .

واما صانعوه فالشركة العالمية الشهيرة دوبونت Dupont .

عجلة القيادة فى الغد

● انها عجلة السيارة عجلة قيادتها .

ان تلك الدائرة الجامدة التي يمسك بها قائد السيارة او قائدتها ، بيديه ، فيحول بها السيارة يمينا ، ويحولها يسارا ، تسبب له خطرا عظيما عند التصادم . ان هذه العجلة ، عندما تقف السيارة بغتة ، وجسمه متحرك غصبا الى امام ، جديرة بأن تدخل الى صدره ، فتحطمه تحطيما .

واذن فقد خطر للمصممين السيارات : لِمَ الدائرة كاملة ؟

يكفي قبضتان واحدة لليمنى ، والثانية لليسرى ، كما ترى فى الصورة .



يحاول العلماء كشف أعماق الفضاء، فهل بدأوا بكشف

● تنبه العلماء منذ عدة سنوات، الى شيء من التناقض عظيم فى سلوك الامم مسالك العلم، وبحوث العلم. فبينا هم يبذلون الجهود الجبارة، وينفقون الاموال الطائلة، وهدفهم البلوغ الى القمر، او كشف عن طبيعة المريخ، وسائر الاجرام التى تبعد عنا ملايين الاميال، نراهم غفلوا ازمانا طويلة عما هو اقرب من الكواكب، وايسر هدفا من اجرام السماء، تلك البحار والمحيطات، بالذى فيها من احياء، اختلفت اجناسا، وكثرت سكانا، وما احتوته من ركائز دلت البشائر الاولى على انها فوق ركائز الارض كثرة وقيمة.

وبتنبه العلماء الى ذلك، اتجهوا، من سنوات ليست بالطويلة، الى البحار والمحيطات يجعلون منها لابحاثهم هدفا.

وكانت العقدة فى الوصول الى تلك الاعماق.

وكانت العقدة فى العمل فى تلك الاعماق وليس بها هواء.

ولكن حمل الرجال هواءهم، الى الفضاء، فلم لا يحملونه الى اعماق الماء؟

وكانوا قد داروا بسفنهم، على سطح الماء، يدلون من فوق سطوحها بدلائهم فى الماء، فترفع لهم مادة البحث التى يطلبون. وكشفوا بذلك من البحار الكثير. وكشفوا عن اعماقها وعن املاحها، ودرجات حراراتها، عن احيائها، وحتى عن قيعانها. وكان من اشهر تلك السفن، السفينة تشالنجر Challenger وبعثتها العلمية البحرية الشهيرة فى النصف الثانى من القرن الماضي.

وتلت هذه السفينة سفن اخرى.

ولكن كانت هذه السفن السطحية للكشف عن المحيطات من «بعيد»، كما كان الكشف عن اجرام السماء بالتلسكوبات «من بعيد».

ثم كان صعود الانسان الى السماء.

ثم كان نزول الانسان الى اعماق الماء.

وقد جئنا فى «العربي» على ذكر اوعية تهبط من الماء الى اعماق محدودة، كان اكثر هدفها تحقيق الهبوط، واليوم نذكر آخر ما صممه المصممون مما ينزل به العلماء الى الاعماق.

وهى خطوة الى امام كبيرة فى سبيل البحث لها ما وراءها.

انها سفينة غائصة تغوص تحت الماء.

كم يعيشون فى المدن، وكم فى الريف

● فى المدن يتركز السكان.

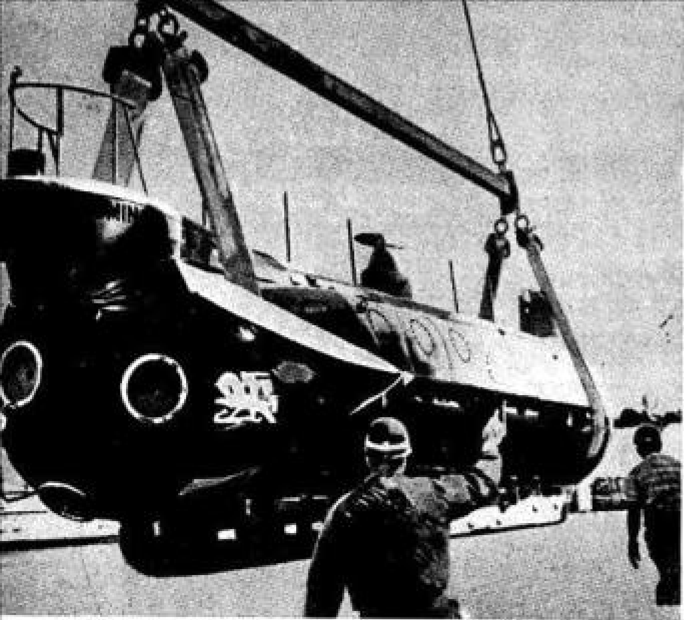
وفى الريف واشباهه ينتشر السكان ويتوزعون.

والمصنع الواحد فى المدينة قد يضم مئات من الناس.

وقل من الريف ما يضم العشرة من الحقول العشرة من الناس.

وتقوم هيئة الأمم المتحدة، فيما تقوم به من احصاءات نافعة، فيتبين لها ان ۷۰۰٬۰۰۰٬۰۰۰ نفس تعيش فى المدن، اى ان ربع سكان الأرض يعيشون فى المدن.

ويقول الاحصاء ان امريكا الشمالية، واوروبا، واستراليا، وما حولها من جزائر، وكذا روسيا، اكثر عيشا فى المدن بمقدار الضعف، من سائر بلاد الدنيا.



أعماق الماء

الى اليسار : هذه السفينة هى آخر ما صممه المصممون للنزول الى اعماق الماء

طولها ٥ر١٥ مترا ، وعرضها ٥٤ر٢ مترا ، وتزيح من الماء ٥ر٧٣ طنا .

وتحمل طنين من الاجهزة العلمية .

وتبقى تحت الماء ، فى المرة الواحدة ، ٣٦ ساعة . وقد تطال الى ضعفها .

وفى اوسطها ، وفى اعلاها ، مروحة تدور بالكهرباء ، فتحرك السفينة افقيا ، وبها ، فى مؤخرتها مروحتان تدوران بالكهرباء ، فتحرك السفينة راسيا ، وبها ، فى مقدمتها ، يدان ، ميكانيكيتان يلتقط العلماء بهما من اشياء البحر ما يشاؤون .

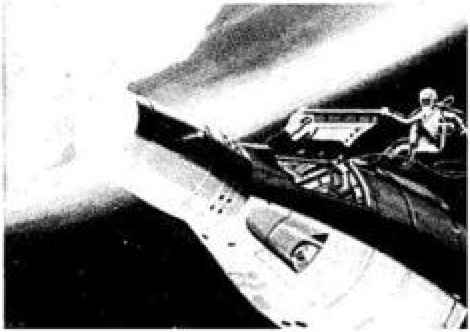
وهي تحمل من بها الى عمق ٤٥٠٠ متر تحت الماء ، ولها مجال تعمل فيه ، دائرة نصف قطرها ٢٢٠ كيلو متر .

وهي تسير بسرعة ٤ اميال بحرية فى الساعة .

ومن الطريف ، والخطير فى آن ، انها مصنوعة من الالمنيوم ، مضافا اليه نسب بسيطة من الزنك والمغنسيوم ، ومقادير تافهة من النحاس والمنجنيز والكروم . وهذه الاشابة كان فيها سر النجاح . فهى تجمع بين الخفة ، فلا تثقل الغائصة عند الرفع فى الماء ، والمتانة التى تقاوم هذه الضغوط الهائلة ، ضغوط الماء ، عند هذه الاعماق .

٣١ محاولة اخرى قبل الوصول بالرجال الى القمر

● يقول ناطق من ادارة الشئون الهوائية والفضاء فى الولايات المتحدة انه يلزم ، قبل الصعود بالرجال الى القمر ، من ٣١ تجربة تطلقها الى السماء ، تمهد السبيل للوصول بالرجال الى سطح القمر سالمين ، والعودة بهم .



المتخلفون طبقات: المعتوهون البلهاء الأفونون

■ خلق الله الانسان وميزه على جميع مخلوقاته بالعقل وبالقدرة على التفكير المنطقى ، وقد مكن العقل الانسانى من ان يغوص مع الأسماك فى اعماق المحيطات، وان يطير ويشارك الطير أجواء الفضاء ، وباستخدام هذا العقل اخترع الانسان من الوسائل ما يسّر عليه حياته وجعله يعيش عيشة راضية هنيئة .

ولكن بواسطة هذا العقل ايضا توصل الانسان الى انتاج اشد وسائل الدمار واكثرها فتكا . فالعقل ولا شك نعمة كبرى يحظى بها بنو الانسان ، ولكن اذا اسيء استخدامه اصبح نقمة واصبح

المُتَخَلِّفُونَ عَقْلِيًّا

مصدرا للشرور والآثام ، والدموع والالام .

• المتخلفون : يعذبون فى الأرض يوقعون الحيرة فى الأسرة ، والخبال فى الدولة ، وهم مطايا يركبها أهل الذكاء فى سبيلهم إلى الإجرام

الموهوبون والمتخلفون

والله الذى منح الانسان نعمة العقل قد شاءت قدرته سبحانه وتعالى ان يمنح الأفراد من القدرة العقلية قدرا متفاوتا . ففى المجتمع الواحد نجد أن حوالى ٣٪ من افراد هذا المجتمع من ذوى القدرة العقلية المرتفعة ، وهم ما يطلق عليهم لفظ الموهوبين أو العباقرة ، كما يوجد حوالى ٣٪ من افراد هذا المجتمع ممن يتميزون بقدرة عقلية منخفضة للغاية ، ويطلق عليهم عادة المتخلفون عقليا ، بينما يتراوح بقية افراد اي مجتمع بين هذا المستوى المرتفع من

القدرة العقلية ، والمستوى المنخفض من هذه القدرة ، حسب ما يوضحه الرسم البيانى التالى :



وسنقصر حديثنا فى هذا المقال عن المتخلفين عقليا .

سبق ان ذكرنا انه فى اى مجتمع يوجد حوالى ٣ ٪ من عدد افراده من المتخلفين عقليا ، وهذا يعنى انه يوجد مثلا حوالى ٣/٤ مليون متخلف عقليا فى مجتمع يبلغ عدد سكانه ٢٥ مليون نسمة ، وهذا العدد الكبير من المتخلفين عقليا امر يتطلب المزيد من العناية والاهتمام .

من ذلك بكثير . ويمكن تلخيص دوافع رعاية المتخلفين عقليا الى ما يلى :

أولا : الدافع الانسانى :

فالله كرم بنى آدم وميزهم بالعقل على سائر مخلوقاته ، فما أحرانا أن نقدم يد العون لمن حرم من نعمة تمام هذا العقل ، وما أحرى المجتمع ان يقدم لهذه الفئة غير المحظوظة من المتخلفين عقليا كافة أنواع الرعاية والعناية . وكيف تتباطأ الدول المتقدمة فى رعاية المتخلفين عقليا والعناية بهم وهى تولى الحيوانات الأليفة وغيرها رعايتها وتمنحها العطف ، أليس أحق أن يحظى ببعض هذه الرعاية وهذا العطف التعساء من بنى الانسان ممن ابتلوا بالتخلف العقلى .

ثانيا : تخفيف العبء عن كاهل الاسرة :

فالأسرة التى ابتليت بالتخلف العقلى فى أحد ابنائها تواجه الكثير من المشكلات والمصاعب نتيجة لوجود هذا الطفل بينها . فالطفل المتخلف عقليا غالبا ما يكون مصدرا للمتاعب والاضطراب فى

كَمْ تعْرِفْ عَنْهُم ؟

بقلم : الدكتور علي أحمد علي

بتخطيط التعليم العالى ـ القاهرة

وقد وجه معظم الاهتمام لضعاف العقول من الأطفال وخاصة الذين هم فى سن المرحلة الابتدائية . وقد شجع على الاهتمام بهم ظهور اختبارات الذكاء التى أمكن بواسطتها اكتشاف حالات التخلف العقلى ، تلك التى بالرغم من استخدامها على نطاق واسع ، لم تصل بعد الى المستوى الذى يمكن الاعتماد عليها بمفردها فى عملية اكتشاف المتخلفين عقليا دون اللجوء الى بعض الأساليب الأخرى كأسلوب الملاحظة وغيرها .

دوافع العناية بالمتخلفين عقليا

بدأ اهتمام الدول بالأطفال المتخلفين عقليا فى الخمسين من السنين الاخيرة ، وان كان هذا لا يمنع من وجود محاولات متفرقة لرعايتهم ترجع الى ازمنة ابعد

الأسرة ، ذلك لأن هذا الطفل فى حاجة دائمة الى الرعاية الدائمة والملاحظة المستمرة من جانب الوالدين . وتزيد الصعاب والمتاعب اذا كان كل من الزوج والزوجة يعمل . والواقع ان وجود الطفل المتخلف عقليا بين اخوة له من ذوى الذكاء العادى كثيرا ما يوقع الآباء فى حيرة من أمرهم فيما يتصل بالأسلوب الذى يتبعونه فى تربية ابنائهم . فمثلا قد يضطر الآباء الى عقاب طفلهم العادى اذا اقدم على فعل مرذول يستحق عليه العقوبة ، فى حين يعفون عن طفلهم المتخلف عقليا من العقوبة اذا اقدم على نفس العمل . وقد يثير هذا التصرف حفيظة اخوته وخاصة اذا كانوا فى سن الطفولة لأنهم يرون أبويهم يعاملان اخاهم المتخلف عقليا معاملة خاصة . يصعب عليهم بسبب صغر سنهم ادراك السبب او معرفة دوافع التمييز والتفرقة فى المعاملة .

وكثيرا ما يتصرف الطفل المتخلف عقليا فى المنزل بطريقة تدل على منتهى عدم المسئولية ،

ويخاف الآباء من تقليد أخوته الصغار اياه في افعاله وتصرفاته .

والطفل المتخلف عقليا ـ ذكرا كان او أنثى ، عند وصوله الى سن المراهقة يجرى جريا حثيثا وراء غرائزه الجنسية ، يسعى الى اشباعها ويندفع في تيارها الجارف دون أي ضابط خلقي ، أو سلطان من عقله المحدود القدرة ، وهذا يلقى مسئولية كبيرة على عاتق الأبناء ويضعهم في أحرج المواقف واعقدها .

ونظرا للمشاكل الكثيرة المتعددة التي يثيرها الطفل المتخلف عقليا في المنزل ، وثقل التبعة الملقاة على عاتق الوالدين ، فقد نظم هؤلاء الآباء في الكثير من بلدان العالم اتحادات فيما بينهم هدفها بذل الجهد لتوجيه نظر المسئولين لأهمية العناية بالمتخلفين عقليا ، وزيادة رعايتهم ، والتوسع في انشاء المدارس الخاصة لتعليمهم وتدريبهم على عدد من المهارات المهنية . ويوجد في الولايات المتحدة عدد كبير من اتحادات الآباء هذه والتي تهدف الى توعية الرأى العام بمشكلة المتخلفين عقليا وزيادة الاعانات الحكومية واعانات الأفراد والهيئات الموجهة لرعايتهم ، وزيادة الاهتمام باعداد المعلمين المتخصصين للتدريس لهذه الفئات .

ثالثا : تكافؤ الفرص :

ويعتبر تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بالنسبة لجميع المواطنين من أهم دوافع العناية بالمتخلفين عقليا في أية دولة تسعى الى تحقيق هذا المبدأ ، اذ أن تكافؤ الفرص في التعليم يعني أن يمد كل فرد في المجتمع بقدر من التعليم يمكنه من استغلال قدراته وطاقاته ومواهبه . وفي ظل تكافؤ الفرص في التعليم فانه يجب الا يقتصر اهتمام الدولة بالمتفوقين والموهوبين عقليا بل يجب ان ينطلق اهتمامها الى جميع الأفراد من كافة مستويات الذكاء والقدرة العقلية ، وعلى هذا الأساس يجب أن يحظى المتخلفون عقليا برعاية الدولة وعنايتها ، حقا واجب الأداء .

رابعا : استغلال الطاقات البشرية :

ثم لا شك ان المتخلفين عقليا يمثلون طاقة بشرية معطلة يجب على الدولة استغلالها وتوجيهها . ويعتبر هذا بمثابة دافع قوى يحفز بعض الدول التي تعاني نقصا في الأيدي العاملة الى الاهتمام برعاية المتخلفين عقليا . ولا شك ان هذا الدافع يقل في قيمته في الدول التي يوجد فيها فائض من القوى العاملة وترتفع معدلات البطالة .

من هم المتخلفون عقليا ؟

يعتبر الذكاء العامل الاساسي الذي يميز المتخلفين عن غيرهم من العاديين . ويستخدم لقياس الذكاء اختبارات الذكاء المختلفة التي شاع وكثر استخدامها منذ بداية القرن الحالي . ويمكن عن طريق تطبيق اختبار الذكاء على شخص معين الحصول على ما يسمى بالعمر العقلي لهذا الشخص Mental age وهو العمر الذي يصحبه عادة مثل هذا القدر من الذكاء . وبعد معرفة العمر العقلي للشخص يمكن تحديد نسبة ذكائه وذلك عن طريق المعادلة الآتية :

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

هذا ويجب ملاحظة ان نسبة الذكاء هذه لم تبلغ درجة كبيرة من الصدق والدقة ما يمكننا من الاعتماد عليها اعتمادا كليا لتشخيص حالات التخلف العقلي ، لذلك يجب الالتجاء الى بعض الوسائل المعينة الاخرى كأسلوب الملاحظة Observation حتى يمكن اصدار الحكم الصادق في حالات التخلف العقلي .

والآباء هم خير من يستطيع اكتشاف الطفل المتخلف عقليا منذ سن مبكرة ، اذ ان هذا الطفل عادة ما يتصرف بطريقة غير عادية ، ويسلك سلوكا مغايرا لسلوك الأطفال العاديين ، وغالبا ما يكون هذا الطفل متخلفا أيضا في قدرته اللغوية . وقد يعاني أيضا من عيوب الكلام ما يشير الى التخلف. هذا بالاضافة الى ان الطفل المتخلف عادة ما يظهر عدم الاهتمام أو المبالاة بما يجرى حوله من احداث. وتتسم استجابته للمواقف المختلفة والمثيرات المحيطة به بالبطء الشديد . وغالبا ما يكون هذا الطفل منطويا على نفسه ، ليس لديه الميل لمشاركة غيره من الأطفال لهوهم ولعبهم . وقد يظهر الطفل أيضا نوعا من عدم الاتزان والمنطق في استجاباته . فمثلا قد يضحك الطفل المتخلف عقليا عند رؤيته شخصا ضخم الجثة وهو يتزحلق على قشرة موز فيقع على الأرض ، في حين قد لا

تضحكه نكته سهلة تثير الضحك الشديد عند غيره من الأطفال العاديين .

وقد يوجد من بين الأطفال العاديين من تظهر سماتهم واشكالهم الخارجية تخلفهم العقلي ، في حين يبدو بعضهم عاديا في مظهره الخارجي يصعب التفريق بينه وبين العاديين .

درجات التخلف العقلي

قسم علماء النفس ، وعلى رأسهم عالم النفس الفرنسي بينيه Binet ، قسموا المتخلفين عقليا حسب درجات ذكائهم الى الاقسام الثلاثة الآتية :

أ ـ طبقة المعتوهين (Idiots) وهم اقل المتخلفين عقليا ذكاءا . والشخص الذى ينتمى لهذه الطبقة لا تتعدى درجة ذكائه ـ مهما بلغ من العمر ـ ذكاء طفل عادى سنه ثلاث سنوات . ولا يمكن التعبير عما يريد بسهولة أو يلفظ الا بكلمات بسيطة وحيدة المقطع . ولا يستطيع هذا الشخص تنظيف جسمه أو غسل وجهه او تصفيف شعره او ارتداء ملابسه بنفسه دون مساعدة الآخرين . وفوق ذلك فانه من الصعب تعليم أو تدريب هذا الشخص على القيام باى عمل نافع .

ب ـ طبقة البلهاء Imbeciles ، وهى لا تتعدى درجة ذكاء الشخص المنتمى لهذه الطبقة ذكاء طفل عادى سنه ثمانى سنوات ، ويستطيع ان يستخدم كلمات وجملاً غاية في البساطة . وكثيرا ما يردد ألفاظا في غير مواضعها وينطق بلا سبب جملا مبتورة غير كاملة المعنى . والافراد المنتمون لهذه الطبقة يمكن تدريبهم على بعض الصناعات البسيطة . وبالرغم من أن الشخص المنتمى لطبقة البلهاء يبلغ اقصى ما يستطيع في ذكائه ذكاء طفل عادى سنه ثمان سنوات ، الا انه مع ذلك لا يستطيع القيام بجميع العمليات العقلية التى يقوم بها طفل عمره ثمان سنوات ، ولا يستطيع أن يتعلم الكثير من الأشياء التى يستطيع أن يتعلمها طفل عادى عمره ثمان سنوات . وبذلك فانه يختلف فيما يتعلمه من ناحية الكم والكيف .

جـ ـ طبقة المافونين أو المورون Moron ولا تتعدى نسبة ذكاء الافراد المنتمين لهذه الطبقة ٧٠٪ ، وهم يمثلون أرقى طبقات المتخلفين عقليا . ويمكن تعليم هؤلاء الافراد تعليما محدودا يتلاءم مع قدراتهم العقلية المحدودة . ويمكن بجهد خاص اتمام هؤلاء الافراد تعليمهم الابتدائي كما يمكن تدريبهم على القيام بالكثير من الاعمال اليدوية المفيدة والتى لا تحتاج الى قدر كبير من السرعة واليقظة والقدرة على التصرف .

أسباب التخلف العقلي

ما زالت الاسباب المؤدية الى التخلف العقلى خافية الى حد كبير بالرغم من الكثير من المحاولات والجهود التى بذلت والابحاث التى أجريت لالقاء الضوء على هذه الأسباب . فقد ينشأ التخلف العقلى نتيجة لجروح أو كدمات بالمخ ، والتى قد تحدث أثناء عملية الولادة ، وهذا الأمر محتمل حدوثه أكثر في حالة المولود الاول أو في حالة الولادة القيصرية . ولعل أهم مناقشة عن أسباب التخلف العقلي تدور حول أثر الوراثة والبيئة على التخلف العقلي . فبينما اعترف الكثير من العلماء بالوراثة كعامل مسبب للتخلف العقلى لم ينكر بعضهم الآخر أثر البيئة في هذا المجال . ولكن الخلاف القائم بين هؤلاء وهؤلاء قائم على القدر الذى تتدخل به كل من البيئة والوراثة كعامل مسبب للتخلف العقلى ، وليس هناك أمل في الوصول لرأى قاطع بشان هذا الخلاف بدون مزيد من الدراسة والبحث .

التخلف العقلى والاجرام

أثير الكثير من المناقشات عن الجريمة ومدى انتشارها بين صفوف المتخلفين عقليا . وقد اثبتت الابحاث التى اجريت على الجريمة ومدى انتشارها ان الجريمة توجد في جميع مستويات الذكاء وجميع الطبقات الاجتماعية . فظاهرة الاجرام موجودة بين الموسرين كما انها موجودة بين المعسرين . والجريمة قد ترتكب بواسطة الأذكياء والمتخلفين عقليا على حد سواء . كما ان جميع الطبقات الاجتماعية تسهم بنصيب في الجرائم التى ترتكب في المجتمع . وليس يهمنا في هذا المجال مناقشة ظاهرة الاجرام على الاطلاق ، فالذى يهمنا هو معرفة الاجابة على السؤال الآتى : ما العلاقة بين الذكاء والاجرام ؟ وهل صحيح ان المتخلفين عقليا يزيد احتمال وقوع الجريمة بين صفوفهم ؟

ولالقاء الضوء على السؤالين السابقين فانه

يحسن الاشارة الى ما اثبتته الكثير من الابحاث من انه كلما ارتفع ذكاء الفرد كلما كان هذا الفرد اقدر على حل مشكلاته والتكيف مع البيئة ومواجهة صعوبات الحياة وايجاد الحلول المناسبة لها ، وهو بذلك يكون اقدر من غيره على التعايش على السلم مع بيئته ومع المجتمع الذى يحيا فيه . وقد يفسر ذلك انخفاض معدلات الجريمة بين فئات الاذكياء .

وقد اثبتت بعض الدراسات التى أجريت ان معدلات الجريمة ترتفع بين المتخلفين عقليا عنها بين الاذكياء والعاديين فى الذكاء ، وقد يرجع ذلك الى ان ضعاف العقول يكونون عادة هدفا لمعتادى الاجرام ، يستخدمونهم لتنفيذ أهدافهم الاجرامية، وذلك بسبب سهولة اغرائهم وسرعة انقيادهم وامكان التأثير عليهم وضعف سلطان الضمير . ومن جهةاخرى قد يرجع انخفاض معدلاتالجريمة بين الاذكياء الى قدرتهم على التهرب من الجريمة واخفاء آثارها ، وبالتالى الهرب من سلطان العدالة التى لا يستطيع عادة أن يهرب منها المتخلف عقليا اذا ارتكب جرما يعاقب عليه .

هذا وان كانت الجريمة ترتكب بواسطة افراد يتباين ذكاؤهم وتتفاوت قدراتهم العقلية الا ان نوع الجريمة عادة يرتبط بمستوى ذكاء الفرد ، فالذكى عادة ما يستغل ذكاءه فى الجرائم التى يرتكبها . فمن الجرائم التى ترتكب بواسطة الاذكياء جرائم الاحتيال التى تحتاج الى قدر كبير من المهارة واللباقة والذكاء والقدرة على التصرف والطلاقة اللغوية ، وكذلك جرائم السطو المسلح التى تحتاج عادة الى قدر كبير من التخطيط والاعداد المنظم والتدبير المحكم .

تعليم وتدريب المتخلفين عقليا

يمكن تقسيمالمتخلفين عقليا الى فئتين متميزتين:

أ ــ فئة قابلة للتعليم Educable ب ــ فئة قابلة للتدريب Trainable

الفئة القابلة للتعليم

ويزيد متوسط نسبة ذكاء افراد هذه الفئة عادة على ٥٠ ، ويمكن لأفراد هذه الفئة أن يتعلموا المبادىء الأساسية للقراءة والكتابة،ويمكن لبعض أفراد هذه الفئة الوصول الى نهاية المرحلة الابتدائية، وان كان هذا لا يعنى ان الأطفال المنتمين لهذه المجموعة يمكنهم تحصيل نفس الكم الذى يحصل عليه الطفل العادى الذى يتم مرحلةالتعليم الابتدائى . فالأطفال المتخلفون عقليا يختلفون فى أسلوب وطريقة تعلمهم عن الأطفال العاديين ، وكذلك فى قدرتهم على الفهم وادراك العلاقات والقدرة على التصور ، كما يتميز الأطفال المنتمون لهذه المجموعة بعدم القدرة على التركيز وصعوبة الاحتفاظ بالمعلومات التى يتلقونها . لذلك فان عملية التعليم بالنسبة لهؤلاء الأطفال تسير فى منتهى البطء ، وهم يحتاجون عادة الى ضعف عدد السنوات التى يحتاج اليها الأطفال العاديين لكى يتموا نفس القدر من التعليم .

ويجب ملاحظة انه ، نظرا للفروق الفردية الكبيرة القائمة بين طبقة المتخلفين عقليا ، يجب الا يزيد عدد الأفراد المتخلفين عقليا فى الفصل الواحد عن ثمانية حتى يمكن للمدرس اعداد البرنامج التعليمى الذى يتناسب مع كل طفل .

ويحتاج معلم هذه الفئة من الاطفال الىاستخدام كافة أنواع المعينات السمعية والبصرية حتى ييسر عملية التعلم وان يركز فيما يقدمه لهؤلاء الاطفال على المحسوسات دون المجردات .

ولا شك ان هدف التعليم بالنسبة لهذه الفئة من المتخلفين عقليا ليس فى اعطائهم أية درجات علمية ، فهذا أمر بعيد المنال ، ولا يتناسب مع قدراتهم العقلية ، ولكن الهدف الأساسى من تعليم المتخلفين عقليا هو مدهم بقدر من الثقافة يعتبر اساسيا لكل مواطن صالح .

وقد يتساءل البعض عن مصير هؤلاء الأطفال بعد تخرجهم من المدرسة الابتدائية . والجواب ان مناهج المدرسة الابتدائية يجب الا تقتصر على الناحية الاكاديمية ذات الطابع الثقافى فقط ، بل يجب أن تتجه هذه المناهج الى تدريب هؤلاء الأطفال المتخلفين عقليا على احدى المهارات الصناعية التىيستطيعون متابعتها والاكتساب منها

عندما يكبرون ويخرجون للحياة العملية ومن أمثلة هذه المهارات : ـ

بالنسبة للبنين :

النسيج ـ فلاحة البساتين ـ صناعة السلال ـ صناعة الملابس ـ حفر الخشب ـ السباكة ـ صناعة الفرش ـ صناعة اللعب ـ الأعمال المنزلية ـ صناعة الكراسى الخيزران ـ صناعة الجلد .

فى قسم البنات :

التفصيل ـ صناعة السجاد ـ أشغال الكروشة ـ صناعة الجلد ـ اشغال الابرة ـ البرودريه ـ الغسيل والكى ـ اشغال اللاسيه .

والمتخلفون عقليا الذين تزيد نسبة ذكائهم عن ٥٠ يمكن توظيفهم كعمال غير مهرة فى مختلف المشروعات الصناعية حيث يستطيعون القيام ببعض الاعمال الروتينية التى لا تحتاج الى قدر كبير من التركيز ، أو القدرة على التصرف ، ولا تتطلب مستوى عاليا من السرعة والاتقان ، ومن الملاحظات الجديرة بالذكر ان هؤلاء المتخلفين عقليا اذا ما شعروا بتقدير ومحبة الافراد المحيطين بهم فى محيط العمل فانهم غالبا ما يخلصون ويتفانون فى أعمالهم .

الفئة القابلة للتدريب

وهذه الفئة يقل متوسط نسبة ذكاء افرادها عن ٥٠ ، وهى فئة يصعب الاعتماد على غالبية افرادها فى القيام بأىعمل منتج . وهناك الكثير من المدارس الخاصة فى بعض البلاد الاجنبية المخصصة للعناية بهذه الفئة وتهدف هذه المدارس اساسا الى مساعدة تلاميذها حتى يستطيعوا الاعتماد على انفسهم لدرجة كبيرة ، والتقليل من خطرهم على المجتمع الذى يعيشون فيه . ويمكن تلخيص أهداف تدريب هذه الفئة من المتخلفين عقليا الى الآتى :

الهدف الأول : العناية الشخصية :

ويعتبر هذا هدفا هاما لمدارس هذا النوع من المتخلفين عقليا ، فمعظم الافراد الذين تقل نسبة ذكائهم عن ٥٠ لا يستطيعون العناية بأنفسهم فلا يستطيعون مثلا غسل وجوههم أو تنظيف أجسامهم او الباس أنفسهم اذا تركوا دون تدريب وتوجيه مستمر .

الهدف الثانى : التعبير عن النفس :

فالمتخلف عقليا فى أشد الحاجة الى التعبير عن نفسه وعن رغباته وحاجاته ، وهذا التعبير لا يكون عن طريق اللغة فقط بل يأتى عن طريق الرسم والموسيقى والاشغال اليدوية والتعبير الحركى ، لذلك فانه يجب على المدارس الخاصة بالمتخلفين عقليا ان تدرب تلاميذها على أن يحسنوا التعبير عن انفسهم بكافة الطرق والوسائل الممكنة وان تضع المدارس هذا الهدف من بين الاهداف الهامة التى تسعى لتحقيقها .

الهدف الثالث : التكيف مع البيئة :

فالمتخلفون عقليا ممن تقل نسبة ذكائهم عن ٥٠ يصعب عليهم عادة التعامل مع الناس المحيطين بهم،وعادة ما يثيرون المشاكل لانفسهم وللمحيطين بهم. لذلك يجب أن تعمل المدارس الخاصة التى تقوم بتدريب هذا النوع من المتخلفين عقليا على زيادة فهمهم للبيئة المحيطة بهم . فالمتخلف عقليا نظرا لانخفاض مستوى قدرته العقلية يصعب عليه تفهم الظواهر المحيطة به كما يصعب عليه اقامة علاقات عادية مع غيره من الافراد .

والواقع ان هذا النوعمن المتخلفين عقليا يحتاج الى نوع خاصمن المعلمين أعدّ اعدادا خاصا حتى يستطيع ان يتحمل امانة التدريس لهذه الفئات من المتخلفين عقليا . وهذا المعلم لا يحتاج فقط الى المعرفة التامة بأسلوب معاملة وتربية هؤلاء المتخلفين عقليا وطرق تدريبهم ، بل يحتاج فوق ذلك الى الصبر والايمان العميق بانسانية الرسالة الملقاة على عاتقه ، ذلك لأن التدريس للمتخلفين عقليا عملية عسيرة ليست باليسيرة.وكثيرا مايكون الجزاء المادى للمعلمين غير متكافىء على الاطلاق مع الجهد الانسانى الكبير المبذول فى هذا المجال . ■■

علي أحمد علي



حرمة اللغة العربية بين بلدية بيروت ومفوضية السياحة

عن جريدة « الكفاح » اللبنانية :

● على رغم اثارتنا موضوع اللغة العربية وعدم استعمالها فى المحلات العامة ، فان احدا من المسئولين لم يحرك ساكنا ، ولم يتخذ اى اجراء للحد من هذه الحرب الخفية القائمة على اللغة العربية مع ان هذا مخالف لابسط قواعد اللياقة والعرف والقانون ، وبالتالي الدستور .

فقوانين البلدية تحتم ان تكون الكتابة على لوحات المحلات بلغة عربية اولا ، وان يكون حجم الكتابة العربية على اللوحة ثلثي حجم اللغة الاجنبية . فعلى الرغم من هذا فان معظم المحلات العامة تهمل الكتابة باللغة العربية ، وخاصة دور السينما ، وان وجدت اللغة العربية فى بعض المحلات فانك تراها موضوعة بشكل غير ظاهر ومنزوية فى ركن لا يرى ، وكأن واضعها وضعها وهو خجل منها او انه وضعها من باب رفع العتب ، وبخط هزيل لا يتناسب مع فخامة وحجم اللغة الاجنبية ، فهل تفضلت البلدية مشكورة ونفذت قوانينها ؟ !

اما قوائم الاصناف والأسعار ـ وهذه مسئولة عنها مفوضية السياحة والاصطياف ـ فانها موضوعة بلغة اجنبية ولا يوجد اى اثر للعربية فى هذه القوائم .

ان اولئك الذين يحاولون مسخ اللغة العربية هم الذين « تهذبوا وتمدنوا » فى اوروبا ورجعوا الى البلاد ، منهم : اللندني ـ والباريسي ـ والبرليني ـ والرومي ، رجعوا الى البلاد باجسام غابت قلوبها ، ونفوس بردت دماؤها . فاذا دعاهم الوطن لتأدية الواجب تراهم كالغرباء .

وهم دائما حرب على لغة البلاد . وهذه الحرب مع الأسف لا تشن بمدفع وحسام ، بل بقلم ولسان ، وهم يجهلون كل الجهل امجاد بلادهم وحضارتهم وآدابها ، وصدق من قال : « الناس اعداء ما جهلوا » .

التحرر والاستعمار

عن جريدة الجمهورية العراقية :

● حياة الأمة وعزتها فى حريتها وسيادتها ، وحياة الاستعمار وقوته واستمراره فى استعباد الامم واذلالها وسلب ثرواتها ، وحيث يكون التحرر يرحل الاستعمار او ينحسر ، ولكنه يظل يبحث عن طريق العودة ومواضع الارتكاز ، ويجند ما تيسر من صنائع وعملاء لتشويه الحرية ، ومماكسة التقدم ، والحيلولة دون الانطلاق نحو آفاق جديدة ، ولذلك كانت حماية التحرر لا تقل صعوبة عن الحصول عليه ، لان حركة الحصول على التحرر تتسم عادة بمباغتة الاعداء ، وتنزل بهم الضربة قبل ان يشعروا وينظموا انفسهم للمقاومة والدس والكيد ، ولكن المؤامرات المعادية تظهر بعد زمن قد يطول او يقصر ، تبعا للمدة التى يتطلبها جمع العملاء واعدادهم وتوزيع مواقعهم .

اخطاء المسلمين

عن جريدة « العلم » المغربية : الرباط

● بدأنا نستشف هذه الايام آثار صراع بين الذين يحاولون الدفاع عن الاسلام أو عن مصالحهم باسم الاسلام ، وبين الذين يكيدون للاسلام باسم التقدمية ، ونعتقد ان يدا اجنبية تجر بالفريقين الى صراع فى ميدان غير ميدان الصراع الحقيقى .

فمن الخطأ أن يفتى العلماء فى أى بلد مثلا ، بكون تأميم المصانع مخالفا للاسلام ، مع ان الاسلام هو مصدر كل تأميم ممكن ، حينما حرم امتلاك الماء والكلأ والنار ، وأخطر من ذلك أن يقع تضامن بين علماء المسلمين والطبقة البورجوازية فى الدفاع عن مصالح معجلة لفئة معينة ، ويقحم اسم الدين فيها .

واذن فيجب أن يفصل ما بين موضوع الخلاف والصراع وبين ما هو أمر مسلم ، فالخروج من دور التخلف عن طريق العلاج الاشتراكى لم يعد فيمانظن موضوع نقاش من أحد يعتد به اليوم . وأن يكون ذلك فى جو يتلاءم وما ينشده كل الذين يقدرون حاجة العرب الى نهوض سريع مع المحافظة على تراثهم الثقافى والحضارى .

ويجب أن يقف هذا التطاحن فى ميدان لا يريد الشعب العربى أن يتناطح فيه عنزان . بينما العدو الصهيونى جاثم على الأبواب ومهدد بالانقضاض على ما بقى من أرض فلسطين العزيزة.

أين تقف الحرية الأدبية

عن مجلة « الرسالة » القاهرية :

● ليس معنى الحرية أن نطلق العنان للادب المكشوف حتى يتغلغل ويفسد عقول النشء فى مجتمعنا ويكون بمثابة سموم تنفث فى جسد الأمة .

ليس معنى الحرية أن نسمح بالكتاب الذى يحمل المعانى السافرة ويستغل الشهوات الرخيصة ويتجافى مع القيم الكريمة .

ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى اعظم القوى الدافعة كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات .. فالثقافة التى لا تعبر عن هذه الطاقات الروحية الخلاقة أو تتناسى هذه القيم الروحية ، ثقافة مبتورة غريبة عن حياتنا وآمالنا .. والثقافة التى تهدف الى تحريك الغرائز واثارة الاحاسيس الحيوانية لا يمكن أن تكون أساسا لتقدم أو قاعدة لنهوض .

وباختصار : فان قضية الحرية الفكرية ينبغى الا تؤخذ على استقلال ، وانما يتحتم النظر اليها فى معالجة واسعة ، من خلال ارتباطها بالفلسفة العقائدية العامة للأمة. واذا كانت الحرية الفكرية جوهرا انسانيا مقدسا ، فان القيم الاخلاقية والمعنوية هى الاخرى كذلك ، ولا ينبغى أن تأخذ الحرية الفكرية مدلولا مطلقا على حسابها ... وثمة تفرقة واجبة دائما بين حرية الفكر والتجرد عن المسئولية والاستهانة بقيم الأمة وأخلاقياتها .

طبيعة العاطفة الادبية

عن مجلة « الثقافة » ـ دمشق

● ان العاطفة الأدبية المتزنة هي التى يؤثرها النقاد ويطلبونها ، بعكس العاطفة المائعة التى لا تستطيع ان تتماسك أو تقف على رجليها .. هى كالشمس المتوهجة التى تغشى البصر ، والآلام الكبيرة التى تحطم القلوب والاجسام .. العاطفة العنيفة تشل التفكير ، وتضعف التصور فلا يرجى منها فى ميدان الأدب خير ...

والعاطفة الطبيعية لا تكون متسرعة ، ولا تستخدم من قبل النزعات السياسية والمذاهب الاقتصادية أو الدينية لئلا تصبح رخيصة ، تستعمل كمطية لبلوغ المآرب ، ومن هنا جاء عدم تقييمنا لشعر المدح الذى قاله أصحابه وهم يتمسحون بالاعتاب لقاء صلة رخيصة من مال أو متاع .

وأول ما يجب أن تتسم به العاطفة الصحيحة هو الايحاء ، ولذلك كانت الآثار الفنية أشد ايحاء من غيرها ، لتعدد المؤثرات التى تتضمنها .

الألفاظ السُّريانية في المعاجم العربية

بقلم : الأب اسحاق ساكا

■ اتيحت لي الفرصة، فحظيت بزيارة الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير مجلة « العربي » ، زيارة تخللتها احاديث أدبية ولغوية سيما موضوع « العلاقات ما بين العربية والسريانية » .

وقد شاءت المصادفة أن كان موعد زيارتي تلك في اليوم التالي لصدور العدد الممتاز من « العربي » الغراء لشهر كانون الثاني ١٩٦٥ فلفت نظري في ركن « انت تسأل ونحن نجيب » مقال تحت عنوان « والقرآن ما رأيكم فيه » ص ١٧٢ ـ ١٧٤ ، أورد فيه كاتبه بعض الألفاظ الاعجمية التي جاءت في القرآن الكريم ، اقتباسا من كتاب العلامة جلال الدين السيوطي أحد أئمة التفسير في العصر العباسي . وحيث ان تأصيل بعض تلك الكلمات الأعجمية جاء غير مطابق للحقيقة اللغوية ، فقد دار في خلدي من ثمّ أن انشيء تعليقا وتعقيبا واستدراكا حول الموضوع ، فلما عرضت الفكره لاقت عنده قبولا واستحسانا وتشجيعا ، وها اني ابدأ بذلك وعلى الله الاتكال .

العربية اغنى اللغات السامية

أجرى الأب مرمرجي الدومنكي احصاء لمعجميات سامية فكان على وجه التقريب التالي : « تبلغ مجموع أصول العربية ٧٢٢٠ ومزيداتها ١٢٠٣٢ في حين ان أصول اللغات السريانية والعبرية والحبشية والاكدية مجتمعة تبلغ ٤٩٥١ ومزيداتها ٨٦١٠ ، ولذا يسوغ القول بأن العربية أغنى اللغات السامية طرا ، ولعلها أوفر ثروة من لغات العالم قاطبة (معجميات عربية سامية للاب مرمرجي ص ٧٩) .

وبالرغم من غناها اللغوي وسعتها ، فالعربية لغة ، واللغة كالكائن الحي فيها روح وحياة ، وتحتاج الى غذاء ورواء للنمو والتكامل ،واللغة العربية أعظم اللغات حيوية وقوة وقابلية للنمو والازدهار ، فلا غرو اذن أن تستمد لها المواد اللازمة من سائر اللغات « من أي وعاء خرجت » وان تطبع بطابعها الخاص وتجعل أداة صالحة لنموها وتكاملها .

كيف دخلت كلمات أعجمية الى اللغة العربية ؟

كان العرب منذ العصر الجاهلي على اتصال دائم بالشعوب المجاورة لهم اتصالا متنوع الأسباب ، ولما كانت الهجرة العربية بعد ظهور الاسلام الى جميع أطراف العالم القديم غمرت وجه الارض ، اختلط العرب بأمم وأقوام عديدة متباينة كالفرس والرومان واليونان والسريان والاحباش والاقباط، وكانت اللغة العربية تسايرهم في جميع البلاد التي انتشروا فيها وبسطوا سلطانهم عليها ، وكان من نتاج هذا الاتصال ان تغلغلت الفاظ أعجمية في اللغة العربية ، تكلم بها العرب ودخلت في أشعار شعرائهم وكتب آبائهم

وادخلوها معاجمهم وجعلوها جزءا من العربية ووسموها بالمعربة (الاثار الارامية في لغة الموصل العامية للدكتور داود الجلبي ص٢) .

والكلمات الفارسية المعربة جُمعت معظمها بعناية لغويين من الفرس الذين دانوا بالاسلام ، وحذقوا لسان العرب ، اما الالفاظ الاخرى التي عربها العرب فلم يَعمد احد من قدماء الائمة الى جمعها ، خلا نزرا يسيرا من السريانية تعرض له ابو عبد الله محمد الخطيب الاسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ ١٠٣٠ م في كتابه مبادىء اللغة ، وابو منصور موهوب الجواليقي البغدادي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ١١٤٤م صاحب كتاب المعرب .

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

ان اول من عمد الى جمع الالفاظ السريانية بصورة واسعة تامة ، وبطريقة موجزة منقطعة النظير ، هو المرحوم مار اغناطيوس افرام الاول برصوم ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق على السريان الارثوذكس ، وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو معهد اللغات السامية بجامعة شيكاجو . فقد وضع كتابا سماه « الالفاظ السريانية في المعاجم العربية ». وهو رسالة مشتملة على ما ادخل في اللغة العربية من الالفاظ السريانية ، نشرها سنة ١٩٥٠ تباعا في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق من المجلد ٢٣ ص ١٦١ الى المجلد ٢٥ ص ١٧٨ ، ثم افردت في كتاب وقع في ٣٢٢ صفحة ، اورد المؤلف فيه ٧٥٩ لفظة وضعها على بساط البحث درسا وتحقيقا ، واصدر ٣٥٢ كلمة من اصول سريانية ، والباقية وهي ٤٠٧ كلمات انزلها من اصول اكدية وعبرية وفارسية ويونانية ، وقد تشاركت في معظمها لغات سامية كثيرة . وهذه الرسالة قيمة نفيسة تعتبر مرجع ثقة في موضوعها وذلك :

١ ـ لان المؤلف جمع فيها معظم الالفاظ السريانية في المعاجم العربية ، الامر الذي لم يسبقه اليه احد .

٢ ـ جَوَّد فيها تحقيقا وتدقيقا وتمحيصا ونقدا مما فات الائمة ونبه عن اشياء تكتب بعضهم فيها عن جادة الصواب .

٣ ـ سلك طريقا لغويا علميا محكم الوضع سهل الشريعة فريدا ، سنده ائمة العربية والسريانية .

٤ ـ استدرك على بعض المعجمات في صحة تصريف الفاظها واشتقاقها .

٥ ـ وهي اخيرا نتاج مجهود مؤلف يعتبر من ائمة علماء اللغتين السريانية والعربية استغرق نصف قرن في تحصيلهما وممارستهما .

قال المؤلف في مقدمة رسالته « في اثناء مطالعتنا لمعاجم اللغة العربية وكتبها اللغوية وقفنا على الفاظ سريانية الاصل معربة وهي على اربعة اضرب ، ضرب افصحت المعاجم باصله ولكنها قصرت في تحديده واشتقاقه ، وضرب اذنت بكونه معربا غير انها لم تشر الى اللغة التي نقل منها ، وضرب مرت به سراعا ولم تقم بحق بيانه مع بروز عُجمته ، او انها وسمته بالمعترب او المولد او الدخيل على سبيل الحدس والظن ، وضرب اخطات في نسبته الى لغة دون لغة تقصيرا من مؤلفيها في تحقيق اصله واستقصاء من اهل اللغة السريانية وغيرها » (الرسالة المذكورة ص ١) .

وهذا هو الواقع كما يبدو لكل مطلع ، ولعل سبب ذلك يعود الى ما قاله الدكتور ولفنسون « ولكن مما يؤسف له اشد الاسف ان جميع علماء اللغة من المسلمين لم يكونوا يعرفون شيئا عن اللغات السامية كالعبرية والسريانية معرفة صحيحة ، فنشأ عن ذلك انهم لم يوفقوا الى بيان المعاني الدقيقة التي يؤديها كثير من الكلمات العربية » (تاريخ اللغات السامية للدكتور ولفنسون ص ٢١٧) .

واكد ذلك الدكتور داود الجلبي بقوله « ولو كان للغويي العرب القدماء وقوف على الارامية لما وقعوا في حيص وبيص عند بيان معاني امثال هذه الكلمات (المعربة من السريانية) اذ لاشك في ان معرفة الارامية وغيرها من اللغات السامية تكون واسطة لحل مشاكل لغوية كثيرة » . ولا غرو في ذلك فالعربية والسريانية شقيقتان ، اي فرعان من اللغة السامية الام ، عاشتا متساندتين احقابا طويلة ، وتبادلتا الكلمات والتعابير والاصطلاحات والاساليب الادبية ، وان غالب موادهما الاصلية متفقة في الوزن والمعنى حتى بات تمييز الكلمات الارامية من الكلمات العربية صعبا جدا بسبب ذلك ، حتى ان اربعة اخماس الكلمات الارامية تشترك والعربية اما حرفيا او اختلافا يسيرا في التلفظ او بتبادل بعض الحروف (الاثار الارامية في لغة الموصل العامية للدكتور الجلبي ص ٤) .

اللغة الآرامية السريانية

ان لمحات خاطفة حول هذه النقطة ، تلقي ضوءا

كاشفا على التعقيبات التي نحن بصددها . قدر العلماء وجود الارامية في القرن الرابع عشر ق.م (تاريخ اللغات السامية للدكتور ولفنسون ص ١١٥ .) ، الا ان الكتاب المقدس يعتبرها موجودة في حوالي الالف الثاني ق.م (تك ٢٤ : ٢) . وقد انتشرت في كل رقاع العالم القديم انتشارا واسعا ، وصفه المستشرق الاب شابو بانه كان انتشارا خارقا (اللغات الارامية وادابها للمستشرق الافرنسي شابو ص ١٠) فغدت حروفها حروف هجاء لجميع الامم الشرقية (براستدف ٢١١ ص ١٠٩) . وفي عهد الملك نيوبلاصر اصبحت لغة البلاط البابلي (محاضرة الاستاذ ديون سومر ٦ تشرين الثاني ١٩٥١) . وفي سنة ٥٢٢ ق.م لغة البلاط الفارسي (سفر عزرا الاول ٤ : ٦و٧) . وكانت تحل من نصيبين الى رافيا ومن سواحل الخليج الى سواحل البحر الاحمر محل كافة اللغات السامية وغيرها التي كانت مستعملة الى ذلك العهد (اللغات الارامية وادابها للاب شابو ص ١٠ و ١١) . وغدت قبل الميلاد بازمان مديدة على ضفاف الدجلة والفرات لغة التجارة ، والمعاهدات الرسمية والدولية ، بل امست لغة دولية في الشرق كله زمنا طويلا (كلاي واورد ج ١ ص ١٦ ، اللغات الارامية ص ٩ ، فقه اللغة للدكتور علي وافي طبعة ثانية ١٩٤٤ ص ١٢٠) .

ونتيجة لهذا التقدم العريق والانتشار الخارق والمكانة السنية ، جمعت الارامية السريانية تراثا لغويا غزيرا هو خلاصة اللغات السامية القدمى . (تحقيقات تاريخية لغوية لغريغوريوس بولس بهنام مطران بغداد ص ٢٤) .

تعقيبات حول الألفاظ الفارسية

ذكرنا ان السريانية كانت لغة البلاط الفارسي في عهد كورش ، اللغة الفارسية استعملت الابجدية السريانية (براستد ص ١٤٠) . كما استعمل الفرس الخط السرياني في عهد الدولة الساسانية (ولفنسون ص ٦٠) . فاحدث ذلك علاقات بين اللغتين (تحقيقات تاريخية للمطران بولس بهنام ص ٢١) وبذلك وجدت كلمات مشتركة بينهما .

فلاجل ارجاع الكلمة المعربة الى احدى اللغتين جعل الدكتور الجلبي دليله الاشتقاق ، ففي اى اللغتين وجد اشتقاقات اكثر لتلك الكلمة اعتبرها اصيلة فيها ، او نسبها الى السريانية بسبب سبق السريان للفرس بالتمدن (الاثار الارامية في لغة الموصل العامية ص ١٢ و ٢٣) .

وقد رجح المطران بولس بهنام سريانيتها استنادا الى البرهان التاريخي فقال « نعلم ان العربية لم تلتق بالفارسية الا بعد الفتح الاسلامي وان امتزاج العرب بالفرس تبلور في صدر الدولة العباسية ، والكلمات المعربة المنسوبة الى الفارسية موجودة في الارامية السريانية قبل هذا التاريخ بزمن بعيد » (تحقيقات تاريخية ص ٥٧) .

ان الالفاظ ال ٢٣ التي وردت في مجلة العربي ، ونسبها السيوطي الى الفارسية ، ليست كلها بفارسية ، فنستدرك على سبع الفاظ كما يلي :

١ ـ البيعة : اجمع اللغويون المتتبعون على ان « بيعة » لفظة سريانية محضة غير انهم اختلفوا في تاصيلها ، فارتاى الاب شيخو ، والاب مرمرجي على انها سريانية من « بيعتو » Bito التي تدل في اصل وضعها على « البيضة » لكن يعني بها ايضا كل بناء مقبب بشكل البيضة ، وفي العربية نفسها يطلق لفظ « البيضة » على الخوذة لهيئتها البيضية فمن باب المقايسة يسوغ لنا القول بان الكنائس سميت وقتا ما عند السريان باسم « بيعتو » لانها مقببة بشكل بيضة (النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية ج ١ ص ٢٠١ ـ ١٠٢ ، ومعجميات عربية سامية ص ١١١ ـ ١١٢) . وقد ايدت ذلك بعض المعاجم السريانية (معجم المطران توما اودو الكلداني ج ١ ص ٧٤) .

وذهب البطريرك برصوم انها اشتقت من « عيذو » اى العيد وهو عبراني آرامي كانهم قالوا فيها Beth ito وادغمت فيها التاء والدال Ito وسَرينها السرْيانْ بتحويلهاعن لفظ العبراني الى لفظهم فقالوا فيها ومعناها المجمع الحافل او المحفل البهيج (الالفاظ السريانية ص ٣٢ و ٢٤٢) .

٢ ـ كنيسة : قيل فيها لفظة سامية معناها المجتمع ، وردت في العربية والسريانية بمعنى موضع صلاة اليهود والنصارى . والواقع ان الكنيسة سريانية النجار Beith -cnoushtoo, Cnoushto مشتقة من فعل Cnoush ، بمعنى اجتمع ، التام ، ومعناها جماعة ، محفل ، وهي ترجمة « اكلسيا » اليونانية بالمدلول نفسه (الرسالة المذكورة ص ١٥٦ والاثار الارامية ص ٧٨) .

٣ ـ تنور : بالعربية مشددة تنور ،

وبالسريانية Tanouro ، وارتأى معظمهم ان اللفظة عمت جميع اللغات والالسنة ، واختلفوا في نسبتها الى لغة دون اخرى ، واعتبرها صاحب الرسالة والاثار الارامية اما لفظة سريانية او سامية قدمى ومنها سرى وتداولها الى اللغات الشرقية (الرسالة ٣٨ — ٤٠ والاثار الارامية ص ٥٧ — ٥٨) .

٤ — جهنم : لفظة عبرية النجار ، ومن العبرية اقتبستها السريانية واليونانية والعربية واللاتينية والفرنسية ، اصلها Gethimon ومعناها وادى هنوم ، وهو واد في جنوبي اورشليم تحت اسوارها ، كان في بادئة الامر متنزها ، وكان اليهود قد انشأوا فيه هيكلا لوثن اسمه « مولوخ » وضحوا فيه بالذبائح البشرية فهدمه الملك يوشيا دكا ، وجعله موضعا للقاذورات حتى استفظعه اليهود وامسى عندهم مرادفا للجحيم (الرسالة ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، وسفر الملوك الثاني ٢٣ : ١٠ ومعجم Petit Iarive et fleury ص ٥٤٣، ومعجميات عربية سامية للاب مرمرجي ص ٢١٢) .

٥ — كافور : قال الفيروزابادى ٢ : ١٢٨ « الكافور طيب يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين ، يظل خلقا كثيرا ، وتالفه النمورة ، وخشبه ابيض هش ويوجد في اجوافه الكافور ، وهو انواع ولونها احمر ، وانما يبيض بالتصعيد » وقد اجمعت معظم المعاجم على هذا المعنى سيما احدار الكلمة من لفظة هندية .

وذكر الجواليقي وغيره ان اللفظة فارسية معربة (الاتقان ص ١٤٠) . وكذلك بفارسيتها قال الثعالبي (فقه اللغة ص ٣١٨) . واحصاها دوقال في عداد الالفاظ السريانية . اما صاحب كتاب الرسالة فرجح نجارها الهندى بدليل منابتها في الهند والصين ، ومن الهندية نقلها السريان على طريقتهم بالقاف دون الكاف قالوا : قفور : وبهذا الوضع تلقاها منهم العرب قال جرير .

قالت فدتك مجاشع فاستنشقت
من منخريه عصارة القفور
(الرسالة ص ١٤٤) .

٦ — مرجان : نقل المطران ادى شير عن الازهرى قال : لا ادرى اثلاثي هو ام رباعي ؟ وعلى تقدير زيادة النون يكون ماخوذا من المرج بمعنى الخلط لانه بين الحجر والشجر ، وعلى تقدير اصالة النون لا يبعد ان يكون فارسي الاصل « ثم ذهب يؤيد انها فارسية وذكر انها من لغات كثيرة ثم رجح ان اصلها ارامي » .

وقال صاحب الرسالة انها بالسريانية Margonitho ومعناها مرجانة ، لولوة ، درة ، جوهرة وتوافقها بالعبرية « مركليتا » (الرسالة ص ١٦٤) .

٧ — سرادق : السرادق الفسطاط الذى يمد فوق سطح البيت جمعه سرادقات ، سريانية Sarodhigo ستر حجاب وليس معربا من الفارسية (والاثار الارامية ص ٥١) .

تعقيبات حول الالفاظ السريانية

ان قسما من الالفاظ التي نسبها السيوطى ، كما ورد في « العربى » ، الى السريانية ليست بسريانية وهي :

١ — القمل : يستدرك على السيوطي قوله في الاتقان ص ١٤٠ في « قمل » قال الواسطى هو الدبا بلسان العربية والسريانية ، قال ابو عمرو لا اعرفه في لغة احد من العرب انه فارسى معرب فانه ليس من كلام السريان وانما الدبا Debo يعني ذبابة (الرسالة ١ — ص ١٤٨) .

٢ — هيت لك : بمعنى هلم ، ذهب اللغويون في اصلها مذاهب شتى ، فجعلها بعضهم حورانية، واعتبرها آخرون عبرانية ،وغيرهم قبطية ، ونسبت الى السريانية . ونحن نستنكر سريانيتها ونقول ان تولوخ Tolokh تعني هلم،تعال . ولا نرى خلطة بينها وبين اللفظة المنحوت عنها (ص ١٨٦) .

واعتقد قد تكون لفظة ارامية عامية غير كتابية محورة عن Ecthilaka التي تعني هات الى هنا ، ولا تزال لفظة Eethilaka تستعمل في القرى النصرانية المجاورة لمدينة الموصل .

٣ ، ٤ ، ٥ — طه ، لات ، سريا ، وهذه الالفاظ غريبة عن السريانية تماما ، اذ لم ترد في اى معجم سرياني او كتاب ادب او لغة .

٦ — سفر : لفظة عبرية اخذتها السريانية ومعناها كتاب، لغة، كتابة ، قراءة ،ومن السريانية اقتبسها العرب واشتق منها السريان فعل Sfar درس ، كتب، فقه، تعلم ،ويراد بالاسفار خصوصا الكتب المقدسة (ص ٨٥) .

٧ — رهوا : ليست سريانية ولعلها من «رحب» العبرية (الرسالة ص ٧٤) .

٨ — عدن : احدرها صاحب الرسالة من

العبرية اما الاب مرمرجي فاحدرها من السومرية فالاكدية فالعبرية ، ودخلت الى العربية عن طريقة السريان (ص ٥٥) .

تعقيبات حول الالفاظ الحبشية

من بين الالفاظ التي نسبها السيوطي الى الحبشية خمس هي سريانية بحتة ؟

١ ـ طاغوت : اللفظة سريانية الاصل Tooioutho ومعناها ضلال ، غلط ، غش ، من فعل Too ضل ، طغى ، غلط . اغوى (ص ١١٦) .

٢ ـ حوبا ـ سريانة Hawbtho مدلولها اثم ، واجب ، فريضة . والفعل Hobe ، حاب Haibe حوّب Ethhaiabe تحوّب ، واسم المصدر Hawbo الاثم ، والفاعل Haiobo خابث (ص ١١٤) .

٣ ـ السكر ـ سريانية النجار Sacar, scar ومدلوله اغلق ، سد ، اطبق ، ومنه السكر Scoro (٨٧٨) .

٤ ـ طوبى ـ جاء في التاج ٣ : ط ٧٥ طوبى اسم الجنة بالهندية ، وعن سعيد ابن جبير ان طوبى اسم الجنة بالحبشية ، والصحيح ان طوبى سريانية Toubo ومدلولها الغبطة ، السعادة ، الحسنى . وليست من جمع الطيبة من نوادر الجموع كما زعموا ، ولا هي شجرة في الجنة ، وليست الجنة بالهندية والحبشية . وانّى لهم ان يعرفوا اسم الشجرة في الجنة فقالوا فيها طيبى . وابن ورد هذا ما سنده ؟ (ص ١٠٩) .

٥ ـ العَرِم ـ الكدس من الزرع الذى جُمع وديس ليُذرّى ، وهي لفظة سريانية Eromtho, Eromtho ، والفعل Eram تكوّم ، و Areme كوّم ، جمع (ص ١٠٦) .

تعقيبات حول الالفاظ الرومية

١ ـ الفردوس : قيل ان اللفظة عربية او رومية او سريانية او نبطية ، وعدها دوقال من الالفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية . وقال البطريرك برصوم انها يونانية الاصل Paradeiror اتخذها السريان Paradairo وعنهم اخذها العرب . والصواب : توافقت فيها الاثورية والسريانية والعبرية والفارسية ، ومن اللغات القدامى اقتبستها العربية (الرسالة ص ١٢٨ و ٢٦٣) .

٢ ـ صرهن : اللفظة سريانية بحتة من فعل S r o ومعناه قطع شق فرق (ص ١٠٤) .

تعقيبات حول الالفاظ العبرية

١ ـ القس : وجمعه قسوس،ومثله القسيس ، وجمعه قسيسون وقسان ، وهو دون الاسقف وفوق الشماس ، واللفظة ومشتقاتها سريانية Kashishoutho, Kashisho, Kasho ومعناها اللغوى الشيخ . ولا فعل بالسريانية يعني معنى القس .

٢ ـ كفر : الكفر القرية بالسريانية Cafro وتوافقها الاثورية والعبرية : كفر (معجم برون ص ٢٤٨) فهي لفظة من اللغة السامية القدمى (١٥٤) .

تعقيبات حول الالفاظ النبطية

١ ـ النبطية لهجة سريانية وليست لغة قائمة بذاتها : بسبب ذيوع السريانية الخارق وانتشارها الهائل فقد ارتقت مع الزمن وتحولت ، فاننا نراها في صور شتى من اللهجات العديدة . ونعني بكلمة لهجة للدلالة على لغة قطر باسره او شعب باجمعه ، واللهجات الارامية تتباعد الواحدة من الاخرى من حيث الصرف والالفاظ اكثر من تباعد اللهجات اليونانية . وقد ذكر ابن بهلول في قاموسه ست عشرة لهجة سريانية (اللغات الارامية وادابها لشابو ص ١١) .

ولئن اختلف العلماء في اصل الانباط وتاريخهم الا انهم اجمعوا على ان الارامية السريانية كانت لغتهم الادبية (ولفنسون ص ١٣٥) .

٢ ـ بعض الكلمات التي اوردها الكاتب في العربي ليست من اللهجة النبطية ، ولا نرى حاجه لبحثها الان ، ونكتفي بايضاح كلمة واحدة منها فقط هي :

الحواري : والجمع الحواريون : رسل السيد المسيح ، فقد اختلف اللغويون في اداء مدلول هذه اللفظة . ففي اقرب الموارد ، الحواري، الناصر ، وقيل ناصر الانبياء ، ومن هنا قيل لرسل السيد المسيح الحواريون ، وقال آخرون الحواري القصّار لحويره وتبييضه ، والحميم والناصح . وذهب غيرهم مذاهب اخرى .

والصواب هو ما ذهب اليه نولدكي ، العالم الالماني المتوفي عام ١٩٣٠ من ان الكلمة حبشية النجار (حواريا) مدلولها الرسول (الرسالة ص ٥٦) . ■■

الاب اسحاق ساكا

قصة
للكاتب الفرنسى
جى دى موباسان

البرميل الصغير



■ السيد شيكو، صاحب فندق قرية ابريفيل، اوقف عربته امام مزرعة الأم مجلوار، وربط جواده الى الحاجز، ثم دلف الى الفناء.

كان رجلا طويل القامة متين البنيان فى الاربعين من عمره، متورد الخدين، بادى الكرش، تلمع عيناه ببريق الخبث والدهاء. وهو يملك قطعة من الأرض لصق اراضى المراة العجوز الأم مجلوار، ويحاول منذ مدة طويلة شراء أرضها ليضمها الى ارضه بيد أن الأم مجلوار كانت ترفض أن تبيعه اياها فى اصرار وهى تقول :

ــ كلا. لقد ولدت فى هذه الارض وسأموت فيها.

ووجدها تقشر البطاطس امام البيت وكانت فى الثانية والسبعين من عمرها، قد امتلا وجهها بالتجاعيد، واحدودب ظهرها. ولكنها كانت لا تزال قوية كما لو كانت فتاة فى مقتبل العمر وربّت شيكو بيده على ظهرها، فى مودة

ثم جلس على مقربة منها قائلا :

ـ كيف صحتك اليوم أيتها الأم مجلوار ؟ .. على ما يرام ان شاء الله ؟

ـ لا بأس . وكيف حالك أنت يا سيد شيكو ؟

ـ لولا بضعة آلام خفية لكانت حالى على أتم ما يكون من الرضا .

ـ حسنا .

ولم تزد . وراح شيكو يتأملهـــا وهى تتناول بأصابعهـا النحيلة المعوجة الجافـة البطاطس ، الواحدة بعد الاخرى ، فتديرها بسرعة وهى تنزع عنها قشرها بسكين عتيقة تمسكها فى يدها الأخرى، وعندما تفرغ منها تلقى بها فى دَلْو به ماء. وكان فى الفناء ثلاث دجاجات كانت تجرؤ من وقت لآخر فتقترب من الأم مجلوار وتلتقط القشر بمناقيرها ثم تولى هاربة مسرعة .

وبدا على شيكو الارتباك والتردد ، ولم يطاوعه الكلام أكثر من مرة ، ولكنه لم يلبث أن قـال أخيرا :

ـ ألا تخبريننى أيتها الأم مجلوار ؟

ـ ماذا تريد ؟

ـ ألا تبيعيننى هذه المزرعة ؟

ـ كلا يا صديقى .. انزع هذه الفكرة مـــن رأسك .. لقد سبق أن اطلعتك على رأيى ولا أريد أن تعود الى هذه المسألة مرة أخرى .

ـ وما رأيك فى حل يرضينا نحن الاثنين ؟

ـ وما هو ؟

ـ هو أن تبيعينى اياها ثم تحتفظين بها فى نفس الوقت .. ألا تفهمين ؟ .. اصغى الى ..

وكفت العجوز عن تقشير البطاطس ، وراحت تحدق فى صاحب الفندق بعينين حادتين تحت أجفان متعبة .

واستطرد يقول :

ـ سأوضح لك كل شىء . سأعطيك كل شهر مائة وخمسين فرنكا . هل تسمعين ؟ .. سأحضر اليك كل شهر وأعطيك المائة والخمسين فرنكا . وهذا كل شىء .. لن يكون هناك أى تغيير ، فسوف تبقين فى بيتك كما أنت الآن . وأنا من ناحيتى لن أزعجك . ثم انك لن تدينى لى بشىء ما .. لن تفعلى أكثر من أن تأخذى نقودى . أفلا يوافقك هذا ؟

ونظر اليها مسرورا مغتبطا بينما تأملته العجوز فى ارتياب محاولة أن تهتدى الى الفخ الكامن بين طيات كلماته وسألته قائلة :

ـ ولكن هذه الطريقة لن تعطيك المزرعة .

فقال : لا تزعجى نفسك بهذا . سوف تبقين فى مزرعتك طالما مدّ الله فى عمرك ، ولن تفعلى أكثر من تحرير ورقة صغيرة عند موثق العقود تؤدى المزرعة الىّ بعد وفاتك ، فانت لا أولاد لك وليس هناك من يهمك أمرهم . الا يوافقك هذا ؟ .. ستحتفظين بأملاكك طول حياتك وتأخذين منى فوق ذلك مائة وخمسين فرنكا كل شهر .

بانت الدهشة والقلق على العجـوز . ولكـن الرغبة كانت أشد تأثيرا فقالت :

ـ هذا صحيح .. ولكن اترك لى مهلة أفكر فيها .. عد الى فى الأسبوع المقبل لأعطيك رأيى.

وانصرف السيد شيكو مسرورا كأنما هو ملك غزا دولة .

وغرقت الأم مجلوار فى لجة عميقة من الافكار ، ولم تستطع أن تغمض عينيها ليلتين متتاليتين . واستبدت بها حمى التردد طيلة الايام الأربعة التالية . كانت تحس كأن هناك شيئا مريبا فى هـــذه الصفقة سوف يلحق بها الضرر . ولكن المائة والخمسين فرنكا التى ستأتيها فى كل شهر من غير تعب تغلبت على ترددها .

وذهبت الى موثق العقود تســأله الرأى ، فنصحها أن تقبل عرض السيد شيكو ، ولكن على أن تطالبه بمائتين وخمسين فرنكا بدلا من مـائة

وخمسين ، فان مزرعتها تساوى ستين الف فرنك على اقل تقدير . واردف يقول :

ـ وانت اذا عشت خمس عشرة سنة اخرى فانه لن يدفع لك بهذه الطريقة اكثر من خمسة واربعين الف فرنك .

واقشعرت العجوز لمجرد احتمال قبول السيد شيكو بأن يدفع لها مائتين وخمسين فرنكا .ولكنها كانت متشككة وتخشى احتمال وقوع اى شيء،فراحت تلقى على الموثق الف سؤال وسؤال حتى تأمن شر الخدع المستترة . كل هذا وقلبها لا يطاوعها على الانصراف . واخيرا سألته أن يعد الوثيقة ، وعادت الى مزرعتها ورأسها تدور كما لو كانت شربت أربع زجاجات من النبيذ الخالص .

وعندما ذهب شيكو اليها ليستطلعها رأيها اظهرت كثيرا من التردد ، ورفضت فى باديء الأمر وهى تخشى فى قرارة نفسها أن يتراجع أمام فكرة المائتين والخمسين فرنكا . واخيرا ازاء اصراره اوقفته على رغبتها . وانتفض شيكو وقد تملكته خيبة الأمل ورفض الفكرة .

وحاولت العجوز عندئذ اقناعه فقالت له انها لن تعمر طويلا ، وأردفت تقول :

ـ ليس امامى غير خمس أو ست سنوات على الاكثر ، فانا الآن قد بلغت الثالثة والسبعين ولم أعد قوية كما كنت . وقد خيل الى فى الليلة الماضية اننى سأموت وبدا لى كأن جسدى قد انهار بحيث اضطروا أن يحملونى الى الفراش حملا .

ولكن شيكو اعترض عليها قائلا :

ـ كفاك مكرا أيتها العجوز ، فانت قوية كالثور ، وسوف تعمترين ثلاثين سنة أخرى على الأقل . وسأموت انا قبلك بكل تأكيد .

وضاع اليوم كله فى مجادلات عقيمة . ولما لم تتزحزح العجوز عن رأيها قبل السيد شيكو أخيرا أن يدفع لها المائتين والخمسين فرنكا .

ووقعا الوثيقة فى اليوم التالى . وأصرت الأم مجلوار على أن ينقدها شيكو خمسين فرنكا حلوانا .

ومرت ثلاث سنوات والعجوز على أتم ما تكون من الصحة ، لم تشك فيها من أية علة . وبدأ اليأس يدب فى قلب السيد شيكو وقد خيل اليه انه يدفع لها ذلك المعاش منذ أكثر من نصف قرن وانها خدعته فى هذه الصفقة . وكان يذهب من وقت لآخر لزيارتها شأن المرء حين يذهب الى الحقل ليرى ان كان الوقت قد ازف ليجنى ثمار ما زرعه . وكانت تستقبله فى خبث كما لو كانت تهنيء نفسها على الدور الذى مثلته . وكان يسرع الى عربته وهو يتمتم بينه وبين نفسه :

ـ أما آن لك أن تموتى أيتها « الكركوبة » ؟

ولم يدر ماذا يفعل ، وود لو انه يستطيع أن يخنقها. وأحس بكراهية شديدة نحوها لم يحسها نحو احد من قبل .

وراح يبحث عن وسيلة .

وذهب ليراها ذات يوم وهو يفرك يديه جذلا كما فعل فى نفس اليوم الذى عرض عليها فيه الصفقة الاولى . وبعد أن تبادلا الحديث هنيهة قال :

ـ لماذا لا تأتين لتناول الغداء فى فندقى عندما تذهبين الى ابريفيل لقضاء حاجياتك ؟ .. ان الناس يتكلمون ويقولون اننا لم نعد أصدقاء ، وهذا يثقل علىّ .. انك لن تدفعى سنتيما واحدا وأنت تعلمين أننى أنفق فى الطعام بغير حساب .. فاذا قدمت الى ابريفيل فتعالى الى فندقى من غير أى تحفظ فان ذلك يسرنى كل السرور .

وقبلت الأم مجلوار الدعوة على الفور ، وذهبت الى السوق فى غداة اليوم التالى مستقلة عربتها التى يقودها خادمها سلستان ، وبعد أن فرغت من قضاء حاجاتها ، أمرت خادمها أن يذهب بها الى فندق السيد شيكو ، وهناك طالبته بالغداء الموعود .

وعاملها صاحب الفندق أحسن معاملة فقدم لها

كل ما لذ وطاب من الطعام ، غير أنها لم تتناول شيئا تقريبا ، فهى عاشت طول حياتها على الكفاف بحيث يكفيها قليل من الحساء وكسرة من الخبز القدد .

واحس شيكو بخيبة امل كبيرة ، وكدره انها لم تشرب كذلك . كما رفضت القهوة التى قدمها اليها . وعندئذ سألها قائلا :

ـ لعلك لا تمانعين فى شرب كأس صغير ؟

ـ اذا كان الأمر كذلك فلا بأس .

وصاح يقول بكل قوته : احضرى النبيـــذ يا روزاليا .. النبيذ المعتق .

واقبلت الخادمة ومعها زجاجة كبيرة من النبيذ، فملأ شيكو كأسين وقال :

ـ تذوقى هذا النبيذ ايتها الأم مجلوار .. انه اجود انبذة فرنسا كلها .

وراحت العجوز تشرب فى تؤدة وفى جرعـــات صغيرة فى استمتاع .

ـ نعم . هذا نبيذ جيد حقا .

وملأ شيكو كأسها للمرة الثانية قبل ان تفرغ من كلماتها هذه ، وأرادت أن ترفض ولكن الكأس المملوءة كانت أقوى من ارادتها فشربتها فى بطء كما فعلت بالكأس الاولى .

واراد أن يملأ كأسها للمرة الثالثة ، ولكنهـا رفضت ، فاصر وهو يقول :

ـ ولكن هذا النبيذ حلو كاللبن . اننى أشرب منه كل يوم عشر كئوس بل أكثر بدون أن احس باى ضيق .. انه خفيف على المعدة وخفيف على الراس . وهو يتبخر وهو على اللسان .

وكانت رغبتها اشد فقبلت ، ولكنها لم تشرب غير نصف الكأس . ولما رأى شيكو ذلك صـــاح يقول وهو فى نوبة من الكرم .

ـ ما دام هذا النبيذ قد اعجبك فســـأعطيك برميلا صغيرا منه لا لشىء الا توطيدا لصداقتنا .

ولم ترفض العجوز الهدية . وعادت الى بيتها وهى سكرى شيئا ما .

وفى اليوم التالى أقبل صاحب الفندق الى المزرعة واخرج من عربته برميلا صغيرا وأصر على أن تذوقه لترى أنه من نفس النوع الذى تناولته امس . وعندما شرب كل منهما ثلاث كئوس قال وهو ينصرف :

ـ يمكنك أن تطلبى برميلا غيره اذا فرغ هذا ، فان عندى منه الكثير ، ولا تهتمى بأمر النقود .

وعاد بعد أربعة أيام ، وكانت العجوز واقفة أمام البيت تقطع الخبز للحساء .

ودنا منها وحياها تحية الصباح وحدثها وهـو يشم انفاسها .. وعرف رائحة الخمر التى تفوح منها فانبسطت أساريره وقال :

ـ الا تقدمين لى كأسا ؟

وتناول كل منهما كأسين او ثلاثا .

ولم تلبث الشائعات ان اخذت تدور فى كل مكان . وكان محورها أن الأم مجلوار أخذت تسكر فتارة يلتقطونها فى المطبخ ، وتارة فى الفناء،واخرى فى الطرقات المجاورة فيحملونها الى البيت وهى لا تبدى أى حركة كالجثة الهامدة .

ولم يعد شيكو يذهب اليها . واذا تحدثوا عنها امامه يهز رأسه فى حزن باد ويقول :

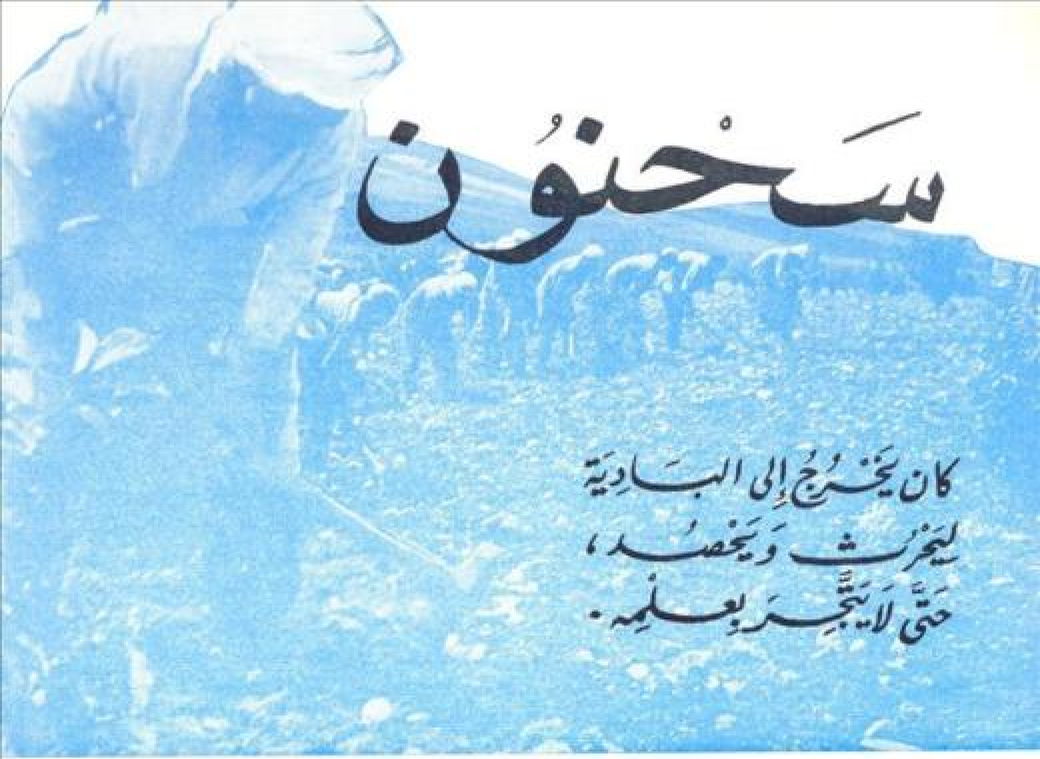
ـ أليس معيبــا أن تتمكن هذه العادة الذميمة منها بعد أن بلغت هذه السن ؟ .. ان المــرء اذا كبر وشاخ لا يستطيع المقاومة وسترون أن الخمر سوف تقضىعليها .

وصح ما توقعه فقد ماتت فى الشتاء التالى ، عشية عيد الميلاد ، اذ سقطت على الجليد وهى سكرى وتجمدت اطرافها .

وآلت المزرعة الى السيد شيكو وعندئذ قال :

ـ لو أن هذه الفلاحة الفظة لم تشرب ، لبقيت على قيد الحياة عشر سنوات أخرى على الأقل ، فشكرا لك يا خمر . ■■

عبد المنعم جلال



سَحْنُون

كان يخرج إلى البادية ليحرث ويحصد، حتى لا يتجر بعلمه.

فقيه إفريقية البارع، والورع الصادق. قال للأمير وقد ولاه القضاء: سأبدأ برد ظلامات أهل بيتك. فقال الأمير: أجر الحق على مفرق رأسي.

بقلم : الدكتور طه الحاجرى

استاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة الاسكندرية

■ نحن من سحنون ، عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ، ازاء شخصية أخرى من أكبر الشخصيات التى تمثل الفكر الاسلامى ، والخلق الدينى ، فى شمال افريقية ، وان أغفلها الدرس العلمى ، مثلما أغفل شخصية أسد بن الفرات ، كما تقدم لنا صورة رائعة من صور الحياة العلمية فى هذا الأفق من آفاق العالم الاسلامى فى القرن الثانى والثالث للهجرة ، أى فى الجيل الذى يلي جيل أسد بن الفرات (١)، وهو جيل الطبقة الرابعة فى تصنيف أبى بكر المالكي .

وحياة سحنون تقع بين هذين القرنين ، اقتسماها بينهما قسمة عادلة ، فذهب القرن الثانى بنصفها الاول الذى يبدأ بمولده سنة ١٦٠ ، وذهب القرن الثالث بنصفها الثانى الذى ينتهي بوفاته سنة ٢٤٠ .

وفى النصف الاول تقع الأسباب والعوامل التى وجهت حياته، وانضجت ملكاته، وكونت شخصيته، منذ أخذ يتلقى تعليمه الأول ، كما كان يتلقاه

(١) انظر مجلة « العربى » ، العدد ٥٤ (مايو ١٩٦٣) .

الصبيان فى عصره ، الى أن عاد الى القيروان من رحلته العلمية الى المشرق ، سنة ١٩١ .

سحنون عند شيخ القيروان : البهلول بن راشد

وقد نشأ سحنون نشأته الأولى فى القيروان . وكان شيخ القيروان فى ذلك الوقت هو البهلول بن راشد ، علما وورعا وقوة شخصية ، فاقبل سحنون عليه يأخذ عنه ويتفقه به ، كما اخذ من غيره من علماء القيروان ، كعبد الله بن غانم ، قاضى افريقية واحد أصحاب مالك بن أنس . ولكنه كان ـ فيما يبدو ـ أوثق بالبهلول صلة ، واشد له اكبارا ،اذ كان يرى فيه المثل الاعلى لرجل العلم والدين ، كما كان البهلول يتوسم فى تلميذه مخايل تنبىء عن شخصية متميزة . ومن ذلك توثق ما بينهما . وعلى قدر هذه الصلة كان أثر البهلول فىتلميذه سحنون، وفى تكوين شخصيته العلمية والاجتماعية ، حتى كان ـ فيما صار اليه بعد ـ اقرب الناس اليه واشبههم به .

ولكن اعجاب سحنون بشيخه البهلول وتعلقه به لم يصرفه عن غيره من الشيوخ ، فقد كان من تقاليد العلم الاسلامى أن يلتمسه الرجل فى كل سبيل ، وأن يسعى اليه فى كل موطن ، وأن يأخذ عن كل من يتاح له الأخذ عنه ، من أهل الثقة . وهذا الى أن الطموح العلمى كان يملأ نفس سحنون ، ويدفعه دائما الى تلقى العلم اينما كان ، والتماسه فى كل مظانه .

سحنون عند شيخ تونس : علي بن زياد

وكانت تونس قد أصبحت،بشيخها على بن زياد ـكما رأينا فى حديثنا عن أسد بن الفرات ـ مثابة من مثابات العلم ، وكانت بذلك تجاذب نفس سحنون . فازمع أن يمضى اليها ليجلس الى شيخها ، وشجعه استاذه البهلول على ذلك وأعانه عليه ، فكتب الى علي بن زياد كتابا يوصيه به ، ويقول له فيه : « انى انما كتبت اليك فى رجل يطلب العلم لله عز وجل » ، وما كان أجلها تقدمة . لقد كانت هذه الصفة غاية الغايات وطلب العلم .

وأخذ سحنون مكانه فى مجلس علي بن زياد ، وقد احتفى ابن زياد به وأحسن استقباله ، لما توسمه فيه ، ولكتاب البهلول بشأنه . وتوثقت الصلة الروحية بين الرجلين ، فقد وجد التلميذ فى أستاذه صورة من المثل الأعلى الذى يغمر قلبه، ووجد الاستاذ فى تلميذه ما حقق عنده الصفة التى قدمه بها البهلول .

وكما لم يقتصر فى القيروان على البهلول ، لم يقتصر فى تونس على علي بن زياد ، فكان ممن اخذ العلم عنهم فيها العباس بن الأشرس ، وكان احد الذين تقوم بهم الحياة العلمية فيها ، من الذين رحلوا الى الشرق وأخذوا عن مالك . وكان ـ كما يقال فى ترجمته ـ حسن الضبط للعلم ، شديد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

رحلته الاولى الى المشرق

ولا يقف التطلع العلمي بسحنون عند رحلته هذه الى تونس ، فقد كانت له بعد ذلك رحلته الكبرى الى المشرق ، كما رأينا عند سلفه أسد ابن الفرات . وما كان لسحنون أن يغفل القيام بمثل هذه الرحلة التى يستجيب بها لحاجته الدينية والعلمية معا . بل ان بعض المؤرخين يذهب الى أنه رحل الى المشرق مرتين :

اما أولاهما فكانت سنة ١٧٨ ، وسحنون فى مطالع شبابه ، فى الثامنة عشرة من عمره ، وقد انتهى فى هذه الرحلة الى مصر ، ولم يبلغ بها الى غايتها فلم يتجاوز مصر الى الحجاز لقلة ذات يده ، ولكنه استطاع فى اثناء مقامه بمصر أن يعقد صلته بابن القاسم،فكان يشهد مجلسه ، ويأخذ عنه . وكانت رسائل مالك التى كان يضمنها اجوبته ترد عليه وهو عنده ، فتبعث فى نفسه الوانا من التطلع اليه ، والرغبة فى المثول بين يديه ، فيقال له : وما يمنعك من السماع منه ؟ فيقول : قلة الدراهم .

وما زال سحنون مطوى النفس على الحسرة لعدم ادراكه مالكا ، فقد مات فى السنة التالية ، سنة ١٧٩ .

رحلته الثانية الى المشرق

وقد ظل حريصا على أن يبلغ بالرحلة الى المشرق غايتها فى الحجاز،وظل يتربص بهذه الرغبة عشر سنين ، الى أن أتيحت له سنة ١٨٨ ، بعد مضى خمس سنين على موت شيخه البهلول .

وفى هذه الرحلة الثانية استأنف صلاته التى

بداها فى رحلته الاولى بعلماء مصر : ابن القاسم ، وأشهب بن عبد العزيز ، وعبد الله بن وهب ، وعبدالله بن عبدالحكم، وسعيد بن الليث بن سعد، وغيرهم من الائمة . ولكن أكبر هذه الصلات وأوثقها وابعدها أثرا هي صلته بابن القاسم . وعليه قرأ « الأسدية » التى كان أسد بن الفرات تلقاها عنه ، وسمعها سحنون من أسد فى افريقية. وقد بدا لابن القاسم فيها ، وهو يقروها عليه ، فصممها ، وغير ما بدا له فيها . وبذلك أصبحت نسخة سحنون هيالنسخة المعتبرة ، دون نسخة أسد بن الفرات . وكتب ابن القاسم بذلك الى أسد ، وطلب اليه فى كتابه أن يرد مدونته الى مدونة سحنون .

صار ابن القاسم لسحنون فى مصر ، نظير البهلول له فى أفريقية

وكان ابن القاسم شيخ الفقهاء المصريين فى وقته، صحب مالكا عشرين سنة . وكان قوى الشخصية، الى جانب قوته الفكرية ومنزلته العلمية . كان فى مصر نظير البهلول فى افريقية . وهكذا اتيح لسحنون منه استاذ كبير ياخذ عنه ويانس اليه ويشعر بعمق استاذيته بعد استاذه البهلول ، كما تجددت فيه صورة المثل الأعلى فى قوة الخلق وشدة الورع واصالة الرأى ونفاذ الشخصية ، وهى الصورة التى كان يمثلها فى نفسه استاذه الاول فى القيروان .

ركب الاعلام الى الحجاز ، وفيهم سحنون

وهكذا كان مقام سحنون فى مصر مقاما طيبا مباركا ، وهكذا كان الجو الذى عاش فيه وملأ نفسه غبطة بها ، الى أن تهيأ القوم للرحيل الى الحجاز فخرجوا جميعا : سحنون ، وابن القاسم، وابنه موسى ، وأشهب ، وابن وهب . وما كان أروعه ركبا ذلك الذى يضم هؤلاء الأعلام ، يزجون رحلتهم بالحديث فى مسائل العلم ، كل مع زميله. وكان سحنون يزامل ابن وهب ، اما ابن القاسم فكان يزامله ابنه موسى . فاذا أراح الركب ونزل القوم مضى سحنون الى أستاذه الأكبر ابن القاسم، فجعل يسائله ويقرأ عليه . وهكذا حتى بلغ الركب الحجاز ، وشارفوا تلك المعالم الروحية الكبرى .

اتصال سحنون بعلماء الحجاز والامصار

وانصرف سحنون الى مناسك الحج يقضيها ، ثم مضى الى علماء الحجاز يقرأ عليهم ويسمع منهم ، أبى محمد ، شعبان بن عيينه ، محدث الحرم المكي ، وشيخ محدثي وقته ، وانس بن عياض ، محدث المدينة . كما أتاح له موسم الحج أن يتصل بكثير من علماء الأمصار ، فيتعرف اليهم وياخذ عنهم ، كأبي سفيان وكيع بن الجراح الكوفى ، وأبى سعيد عبد الرحمن بن مهدى البصرى . فاذا قضى من القراءة عليهم والأخذ عنهم حاجته مضى الى الشام ، آخذا عن علمائها ، ثم عاد الى مصر ، فى طريقه الى أفريقية .

كانت رحلة علمية مباركة ، أمضى فيها سحنون ثلاث سنين ، نضجت فيها ملكاته ، واكتملت شخصيته ، واتسعت آفاقه العلمية ، وأصبح جديرا بالمكان الذى احتله فى أفريقية فى المرحلة التالية لهذه الرحلة .

عودة سحنون الى أفريقية ، وما جرى بينه وبين أسد بن الفرات

عاد سحنون الى أفريقية سنة ١٩١ ، ليبدأ مرحلة جديدة من حياته .

وكانت زعامة الحياة العلمية فى أفريقية قد انعقدت لأسد بن الفرات ، كما رأينا من قبل فى حديثنا عنه ، وكان كتابه الأسدية هو عمدة الفقهاء وأساس الدرس . فاذ عاد سحنون من رحلته يحمل معه مدونته التى صحح بها ابن القاسم مدونة أسد بن الفرات ، التى سميت الاسدية ، والكتاب الذى كتبه ابن القاسم الى أسد ، ليرد مدونته الى مدونة سحنون ، كان فى ذلك ما أثار فى جو الحياة العلمية شيئا شبيها بالمنافسة بين الرجلين على هذه الزعامة العلمية . وما كان سحنون يقصد الى شىء من ذلك . انما هى الأمانة العلمية التى دفعته الى مكاشفة أسد بشأنه مع ابن القاسم ، ودفع كتابه اليه .

وكان وقع هذا الكتاب شديدا على أسد ، كما أثار فى نفسه الاضطراب وأعنف الحيرة ، بين الاذعان له ، محافظة على حق أستاذه عليه ، وهو ما زال يحتفظ له أجمل صورة ويتمثل منه أروع مثل ، وبين التأبى عليه ، خضوعا لكبريائه التى أخذت تطل برأسها ، وأخذ بعض تلاميذه يثيرونها وينفخون فيها .

قال المالكي في الفصل الذى كتبه عن أسد بن الفرات ، وفي سياق الحديث عن كتاب ابن القاسم اليه : « ... فلما قرأه أراد أن يفعل ما أمره به من ذلك ، فشاور في ذلك جماعة من تلامذته ، فقالو له : « لا تفعل ، فانك تتصنع عند الناس ان رددت كتبك على كتب سحنون ، ويسود بذلك عليك ، وترجع له تلميذا ، وانت قد أدركت مالكا واخذت عنه ، ثم دخلت الكوفة واخذت عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن ، فاترك هذا ... » . فلم يقبل كتاب ابن القاسم في ذلك ، وتمسك بكتابه الأسدية ، ونشر مذاهب أهل العراق . وتمسك سحنون بمدونته التي قدم بها ، ونشرها وسمعها عليه أهل المغرب ، وانتشر ذكرها في الآفاق ، وعول الناس عليها ، وأعرضوا عن الأسدية ، وغلب عليها اسم سحنون » .

انقسام الناس بين سحنون وأسد بن الفرات

هكذا بدا سحنون هذه المرحلة الجديدة من حياته في افريقية بهذا المظهر من مظاهر المجاذبة والمشادة، وبهذا الخلاف الذى اوشك أن يكون نوعا من الخصومة بينه وبين أسد بن الفرات ، انقسم الناس فيها بين الرجلين . أما سحنون فكان اقوم الرجلين بمذهب مالك ، وكان هو ممثله والمرجع فيه ، واما اسد فكان مذهبه ــ كما رأينا من قبل ــ مزاجا بين مذهب أهل المدينة ومذهب اهل العراق ، وكان ذلك ــ الى جانب موقفه الاخير من ابن القاسم ــ مما قربه من السلطان، بقدر ما باعد بين سحنون وبينه تحققه بمذهب مالك .

سحنون يخرج الى البادية ليحرث الارض ، حتى لا يتجر بالعلم

ولم تكن المجاذبة والمحادة من طبيعة سحنون ، ولم يكن ثمة ما يورث هذه الخصومة او ذلك الخلاف بينه وبين أسد بن الفرات ، من منافسة على المجد ، أو مساماة على منزلة من المنازل ، فلم يكن سحنون من ذلك في شيء : لم يكن يشغله منذ عاد الى افريقية الا أن يؤدى العلم الذى اؤتمن عليه ، وان يملك القدرة على ذلك الاداء خالصا لوجه الله ، لا تزل له في ذلك قدم ، ولا ينحرف عن هذه الغاية قيد شعرة . فكان يلتمس أسباب عيشه بكده وعمل يده : كان يخرج الى البادية في وقت الحرث وابان الحصاد ويحرث بنفسه ، ويستخرج من الارض ما يقيم به أوده ، ويصل به تلاميذه ومريديه ، حتى يبقى على ما اخذ به نفسه من البعد عن السلطان ، والتجرد من شبهات ملابسته ، وحتى لا تلجئه الحاجة الى الاتجار بالعلم ، فيخرج به عن نصابه الحق عنده ، وهو أن يكون خالصا لوجه الله وحده .

وظل سحنون على ما أخلص له نفسه من التعليم والتهذيب والدعوة للمثل الدينية العليا ، وقد أصبح مقصد طلاب العلم في المغرب العربي كله ، يرحلون اليه من كل ناحية . اكثر من اربعين عاما متحرزا من مداخلة السلطان ، وهو يرى أن المنزلة التي أصابها الناس أكبر من كل منزلة ، وان ما يرجوه من تحقيق ما أمر الله به أعظم من كل رجاء .

محنة خلق القرآن تبلغ المغرب

وفي خلال هذه الفترة كانت محنة خلق القرآن التي اضطرب بها العراق منذ سنة ٢١٨ قد بلغت المغرب ، واضطربت بها افريقية ، وانتدب أميرها ، محمد بن الأغلب ، للأخذ بنصيبه منها ، كما انتصب قاضيها ابن أبي الجواد ، يتعقب العلماء من أهل السنة ، ويغرى السلطان بهم . وتعرض سحنون ، وهو رأس هؤلاء العلماء ، لهذه المحنة ، ووقع في حبائل ابن أبي الجواد ، وقد أهدر دمه ، وكاد يقضى عليه ، لولا حكمة علي بن حميد ، وزير ابن الأغلب ، وقد رأى في ذلك كارثة يجب أن يحول دونها ويمنع وقوعها .

خصومة سحنون والقاضي ابن أبي الجواد ، تنتهي بعزل القاضي

وقد زادت هذه المحنة ما بين سحنون والسلطان بعدا ، وافسدت ما بينه وبين ابن أبي الجواد افسادا كبيرا ، وقد جعل ينكر عليه ويندد به ، ويرفض ان يصلى خلفه . فيزيد هذا من حقد أبي الجواد عليه ، ويحاول أن يناله بالأذى ، فلا يزيد هذا سحنون الا اصرارا على موقفه منه وانكاره عليه وتشهيره به ، حتى ليصفه بانه « فرعون هذه الأمة وجبارها » ، ويبلغ الأمر بينهما ، ويربد الجو حول ابن أبي الجواد ، ويسوء

موضعه بين الناس ، ويأخذه الانكار من كل جانب، وتعظم الشكوى منه ، ويشيع التذمر، حتى أوجس السلطان خيفة من عاقبة ذلك ، ولم يعد من الحكمة أن يبقى ابن الجواد في منصبه ، فلم يجد بدا من عزله . وشاعت الغبطة في قلوب العامة ، ورضي سحنون — ولا ريب — لتنقشع هذه الغمة.

وهنا أخذ السلطان يرمق سحنون ويود لو وصل به حبله . فعرض الأمير ابن الأغلب عليه أن يلي منصب القضاء ، فاعتذر منه ، واحتج بانه لا يقوى عليه .

سحنون يتولى القضاء

ولكن الأمير كان حريصا على أن يعفي ، بتولية سحنون ، على الآثار السيئة التي تركتها ولاية ابن أبي الجواد مدة ثمانية عشر عاما ، فما زال به يراجعه في رأيه عاما كاملا ، كان هو خلاله يتأمل الأمر من وجوهه المختلفة ، ويعرضه على شتى نواحيه ، ويلاحظ جميع اعتباراته ، حتى رجح عنده أخيرا الا بأس في أن يلي القضاء اذا أطلقت يده في كل ما يقتضيه ذلك المنصب ، حتى يرد له اعتباره ويؤدي له حقه ، من اقرار الحقوق ورفع المظالم أيا كان مجترموها .

وكذلك ولي سحنون القضاء بعد أن أخذ لنفسه المواثيق بذلك ، حتى لقد قال للأمير : « أبدا بأهل بيتك وقرابتك وأعوانهم ، فان قبلهم ظلامات للناس وأموالا لهم ، منذ زمان طويل ، اذ لم يجترىء عليهم من كان قبلي » ، فقال له الأمير : « نعم ! لا تبدأ الا بهم ، وأجر الحق على مفرق راسي » .

كثير من الناس كرهوا تولي سحنون القضاء

ومع ذلك فان كثيرا من الناس استقبلوا ولايته القضاء بالوجوم والكراهية ، منهم من كان يرى في ابن الأغلب سلطانا جائرا ، ولا يجوز التعاون مع السلطان الجائر . وهم — على كل حال — كانوا يريدون أن تبقى لهم هذه الصورة الرائعة من التأبي على السلطان والاستعلاء عليه ، يستمتعون بها ، فاذ قبل ان يتعاون مع السلطان فجدير بذلك أن ينكر هذه الصورة ، ويحرمهم هذه المتعة.

وقد كتب اليه عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد منكرا عليه أن يتحول من النظر في شؤون الآخرة الى النظر في شؤون الدنيا ، فرد عليه سحنون برسالة شرح فيها وجهة نظره في أمر ولاية القضاء . ومن هذه الرسالة نرى انه لم يكن ينظر الى هذا الأمر من تلك الزاوية الضيقة التي كان ينظر اليه العامة منها ، ويعتبرونه بها ، بل كان يراه جزءا من الغاية التي هيأ نفسه لها . فهو بذلك واجب لا يجوز التخلف عنه ، ما دام قد أخذ لنفسه المواثيق التي تمكنه منه . فاقامة حدود الله فرض محتوم ، كان يقوم به منذ أربعين سنة مفتيا ، فما له لا يؤديه قاضيا ؟ وهو واثق من نفسه مطمئن الى أن السلطان لا يملك ان يغير هذه النفس ، اذ لا سلطان له عليها .

ولاية سحنون القضاء حدث كبير في تاريخ الاغالبة

ومهما يكن من أمر ، فقد كانت ولاية سحنون القضاء من الأحداث الكبيرة المذكورة في تاريخ الاغالبة ، ولا سيما انه استحدث الحسبة في افريقية، فاتخذ الى جانب القضاء صفة المحتسب. وكان صارما لا تأخذه في الحق لائمة ، ولا يعبأ بما يتعرض له في سبيل ذلك من غضب الأمير. وكثيرا ما ألبه خصومه عليه فاوغروا صدره . ولكنه ظل ماضيا في سبيله التي اختطها وأخذ نفسه بها ، الى أن قضى نحبه سنة ٢٤٠ .

ما قال فيه أحمد بن تميم الافريقي

وبعد ، فان خير ما تختتم به هذا الحديث عن سحنون هذه الفقرات التي أجمل بها صفته ابو العرب محمد بن أحمد تميم الافريقي :

« اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره : الفقه البارع ، والورع الصادق ، والصرامة في الحق ، والزهادة في الدنيا ، والتخشن في الملبس والمطعم ، والسماحة : كان ربما وصل اخوانه بالثلاثين دينارا ، وكان لا يقبل من أحد شيئا ، سلطانا أو غيره . ولم يكن يهاب سلطانا في حق يقوله ، سليم الصدر للمؤمنين ، شديدا على أهل البدع .

انتشرت امامته بالشرق والمغرب ، وسلّم له الامامة أهل عصره ، واجمعوا كلهم على فضله وتقدمه » . ■■

طـه الحاجري



دردشة



جاليليو ، عندما عَمِى ..

● كان جاليليو (١٥٦٤ – ١٦٤٢ م) أول من استخدم التلسكوب ينظر بها الى السماء .

وبتلسكوباته التى صنعها ، وكانت اعجوبة ذلك الزمان على بساطتها ، نظر الى القمر ورأى ، ما به من « جبال »، ورأى كوكب المشترى واقماره الاربعة أول راء ، ورأى زُحَل وما استدار حوله من حَلَق .

وكبر جاليليو ، وضعف بصره . وكان رجلا متواضعا . ومع هذا ، فعندما بلغ بصره من الضعف حدا انتهى به الى العمى ، كان دائما يصبّر نفسه ، فيأذن لها بشىء من الفخر فيقول عن عينيه : انهما رأتا ما لم يكن رآه انسان .

لو لم تكن حمارا ما ذهبت اليه!

● اصيب فلاح يهـودى بمرض فى عينـه .. فذهب الى طبيب بيطـرى ، وطلب منه أن يعالجه ، وذلك امعانا فى الاقتصاد . فوضع الطبيب البيطرى فى عين الرجل ما يضعه فى عين الدواب من دواء ، فعميت عينه .

فلما رفع الأمر للقاضي قال له :

– ليس على البيطرى من اثم ، اذ لو لم تكن حمارا ما ذهبت اليه !

شيخوخة !

● فى قريتنا شيخان ، زوج وزوجة ، فات كلاهما سن العمل فتقاعدا . لم يكن لهمـا عمل ، ولا أمل ، ولا مورد رزق .

وكانت لهما ابنـة فى القريـة متزوجـة . فحاولت ان تجد فى بيتها الصغير لامها ماوى ، ومع الماوى يأتيها من كنيسة القرية معونة شلنين ونصف فى الاسبوع .

والاب ؟ لا مكان له ، ولا طعام .

ولو ان الشيخين ذهبا معا ، الى الملجـا لافترقا ، الرجل عند ملجا للرجال ، والمراة عند ملجـا للنسـاء . واذن فلتبـقَ الام

وكذلك تُصلَب وأنت كاره" !

● أمر ملك بصلب سارق ، فقال : أيها الملك انني قد سرقت وانا كاره .

فأجابه الملك : وكذلك تصلب وانت كاره !!

آخر ما قال روبرت بروس

● « اى اولادى،اولادى الاعزاء ، لكم الله

« الآن فرغتُ من الطعام

« نعم ، هذا افطارى تناولته معكم »

اما عشائي فسوف يكون فى جناب الله .

وقد كان .

ليس من السهل ...

● ليس من السهل ان يعتذر الانسان عن خطأ وقع منه .

ليس من السهل ان يرى الانسان أمله ينهدم ثم يعود يبنيه

ليس من السهل ان يعطى الانسان الى المسيء اليه وينسى الاساءة .

ليس من السهل ان يثور الانسان غضبا ثم يكتم غضبه .

ليس من السهل اذا اسود ليله أن يذكر ان الصباح آت بشمس ومع هذا ،

فالغنم كل الغنم فى ممارسة كل هذا .

أرض عزيزة

● توجد ارض . هى أعز ارض .

حيث حقوق الرجل الحر ثابتة كالأرض ، واسعة كالبحر .

حيث الأزهار تتفتح ، وقبّرات الليل تغرّد .

وحيث الرجل الفقير الأمين الجاد لهمن الكرامة ما للملك .

توجد ارض ، هى اعز ارض .

ارواحنا فيها تستمد قوتها من قوةالريح العاصف يهب علينا من ناحية القطب .

ارض لايستطيع ان يتنفس فيها عبد.

ولا يستطيع من يغزوها ان يمتلكمنها الا ما يكفى لغطاء جثته من تراب .

شارلس ماكاى

الشيخة عند ابنتها ، وليذهب الرجل الشيخ الى الملجأ .

وصحبت العجوز زوجها الى الملجا . سارا معا جنبا الى جنب ، لا حديث من احدهما ، ولا طرفة عين . بصر متجه الى الامام لا يتحول ، لا يبالي بشيء . ان راى شيئا او تخيله ، فهو مستقبل كله خلاء وخواء .

ومر بي الاثنان . وسمعت الرجل يقول لامرأته ، كفى بك سيرا وعليك الآن ان تعودى. وهزت المراة راسها . وسارا معا حتى بلغا راس التل فى ذلك الريف . وعند الراس

توقفا ، وتصافحا ، وافترقا . احدهما ظل فى اتجاهه يسير ، والاخرى عادت ادراجها .

وعندما مرت بي المراة العجوز وهي تعرج ، وتكاد لاتستقيم فى طريقها ، اشحت بصرى عنها . ان فى الدنيا مناظر لا يقوى الانسان على النظر اليها .

وعندئذ سمعت صوتا رفيعا صفيرا يصيح : « اين انت ياجدتي . لقد جئت ابحث عنك » وكان فى هذا الصوت شفائي . قلت يارب ، ما زالت الدنيا بخير ، ليس فيها شعور بالوحدة ومع الوحدة الخوف ، ما دام فيها اطفال صغار .



فكتور هوجو

بقلم : ظافر القاسمي

■ منذ فجر التاريخ والأمم المختلفة المتعاقبة ، تعرف حق عباقرتها وعظمائها عليها ، أو تتنكر لهم ، فلا تفيهم حقهم الا بعد الموت . وقد يمتد هذا التنكر قرونا قليلة او كثيرة . ومرد ذلك الى عوامل مختلفة : بعضها يتصل بالحياة السياسية ، وبعضها الآخر ينشأ عن طبيعة المجتمع ، وقد يكون من اسباب التنكر شخصية العبقري او العظيم ، وبعدها عن النفوس ، وقلة حظوتها لدى القلوب .

فهذا سقراط مات مسموما ، بعد محاكمة معروفة ، وهو رأس فلاسفة الاغريق . واليوم لا تجد جامعة فى الدنيا الا وقد اتخذت من فلسفته مادة تدرس .

وهذا (سيبيون Scipion) الافريقى الذى قهر (أنيبال) فى موقعة (زاما) عام ٢٠٢ قبل المسيح ، تنكر له مواطنوه ، فعاش بعيدا عن وطنه ، واوصى ان يكتب على قبره : **أيها الوطن العاق ! لن يضم ترابك عظامي !!**

وهذا التوحيدى ، لم يذكره احد من المؤرخين الا بعد ثلاثة قرون من وفاته .

كان ياقوت اول من اشاد به ، واليوم نحرص على كل حرف تركه هذا العبقرى العظيم ، ونجوب الدنيا لنبحث فى مكتباتها عن أثر له .

والأمثلة على ذلك فى التاريخ كثيرة . ولعل شوقى قد عبر عن هذه الفكرة احلى تعبير يوم قال :

حسنٌ فى أوانه كلُّ شيء
وجمالُ القريض بعدَ أوانه

وقد يواتي الحظ بعض العباقرة وهم احياء ، فينعمون بتقدير مواطنيهم ، وغير مواطنيهم أحيانا ، اذا امتد أثر عبقريتهم الى ما وراء حدود أوطانهم . وإذا كان مألوفا فى هذا الزمان أن يحتفل الناس بمرور خمسين عاما أو مئة أو الف على ميلاد احد العظماء أو وفاته ، فان هذا التقليد لم يكن مألوفا فيما مضى من الزمان ، الا فى الندرة النادرة . ولهذا استوقفنى وانا أتتبع حياة شاعر فرنسا الاكبر (فكتور هوجو) تكريم قومه له حين بلغ الثمانين ، وهو أمر نادر الوقوع قبل هوجو .

شاعر فرنسا الأكبر

يوم بلغ الثمانين ويوم توفاه الله مشى في جنازته ألف ألف من الفرنسيين

في عام ١٨٨١

ففي كتب تاريخ الأدب الفرنسي ان عام ١٨٨١ كان العام الذي دخل فيه هوجو سن الثمانين ، وقد احتفل به وكأنه عيد وطني . كان ذلك في اليوم السادس والعشرين من فبراير (شباط)، فأقيم قوس للنصر في شارع (ايليو Eylau) الذي سمي فيما بعد باسمه. وقام شعب باريس للقيام باستعراض تحت نوافذ بيت الشاعر العظيم ؛ وارسلت المدن والمقاطعات وفودها العديدة وازهارها الجميلة للمشاركة في هذا العيد .

كذلك حضر رئيس مجلس الوزراء ، جول فيري Jules Ferry ، مع حكومته لتحية النابغة العبقري .

وكان من احلى ما وقع ان الغيت جميع العقوبات المدرسية في الكليات والثانويات والمدارس .

ووقف الشاعر في النافذة المفتوحة بين حفيديه ، جورج وجان ، غير عابىء ببرد الشتاء القارس ، ليرى طوال النهار مرور موكب المعجبين الذين بلغوا ستمئة الف انسان . وقامت على الرصيف اكوام الزهور ارتفعت كالتلال . وكان هوجو يحيي جماهير المعجبين وهو يهز راسه .

وفي الاسبوع التالي دخل هوجو مجلس الشيوخ ، فوقف اعضاؤه جميعا وقد اكتفى رئيس المجلس ، ليون سي Leon Soy ، بان قال : « **لقد حضر العبقري الجلسة** وحياه المجلس بالتصفيق » ، وهو امر لم يقع له مثيل في تاريخ هذا المجلس .

يوم كان هوجو شابا ، يتطلع الى النضج بلهفة ، كان يدخل مجلس النواب بثيابه الرسمية المذهبة ، اما اليوم فمن رآه يدخل مجلس الشيوخ ، خيل اليه انه نجار ، او معماري قديم . كان وهو يرتدي سترة من الالبكا السوداء ، أحال لونها زبد السنين الأبيض ، فهذا هو الرجل الذي تكن له فرنسا كلها اعمق الاحترام .

وفي يوليو (تموز) من العام نفسه ، عام ١٨٨١ ، سمي شارع (ايليو) شارع (فكتور هوجو) ، وبهذا استطاع اصدقاؤه ان يبعثوا اليه برسائلهم وقد عنونوها : **الى السيد فكتور هوجو ، في شارعه .**

وفي ١٤ يوليو وهو يوم عيد فرنسا الوطني ، عاد الاستعراض امام منزله بموسيقاه ، وجوقاته الفنائية ، وعزف النشيد الوطني (المارسلياز) الذي كان يحبه ، مئة مرة .

على هذا النحو الباهر، اهتزت فرنسا

بأسرها لبلوغ شاعرها الأكبر الثمانين من العمر ، وكأن الأقدار كانت قد ارادت أن تمحو بعض الذى أصابه من الألم ، خلال اغترابه تسعة عشر عاما ، في عهد الامبراطورية الثالثة . كانت أعواما مرهقة له ، غاب فيها عن وطنه الذى تغنى فيه بروائع خالدات من شعره ، فجاء هذا اليوم ، يوم بلوغه الثمانين ، يؤكد عرفان فرنسا بالجميل ، وتعويضا عما لحقه من غصص الاغتراب .

وفي عام ١٨٨٤

وفى عام ١٨٨٤ أراد أصدقاؤه أن يحتفلوا بعيد ميلاده فقال لهم : **« دعوكم من هذا أيها الأصدقاء ! ان ما فى حياتي من الأحزان الكثيرة ، لم يدع فيها مكانا للأعياد »** .

ايمانه بالله

كان يُرى خلال تلك الفترة في شوارع باريس ، حتى حين كان يتساقط الثلج ، وهو يرتدي (الريدنكوت) وكان يقول : **« ان معطفى هو شبابي ! »** .

وكان يخرج من بيته متوكئا على ذراع تولادوريان Tola Dorian، وهي أميرة روسية شاعرة ، كانت تعرف باسم الأميرة متشرسكي Mestchersky ، اشتغلت قبلا بتراجمها للشاعر الانجليزي شللي Shell ، وكانت قارئة لامبراطورة روسيا .

كانت الى جانبه ذات يوم ، فوقف ينظر الى الشمس المائلة الى المغيب ، واشار بيده الى السماء وهي كشعلة من اللهب ، وقال لصاحبته :

« ما أعظم هذا ! سترين هذا المشهد طويلا يا بنيتي ! أما أنا فسيكون أمامي قريبا مشهد أعظم منه . انني شيخ ، وسأموت ، وسأرى الله . نعم أرى الله ! واكلمه ! ما أعظم هذا ! ماذا ساقول له ؟ انى أفكر فى هذا دوما ، وأتهيأ له ... ».

لقد ظل مخلصا لايمانه بالله وبالخلود. قال له احد جلسائه يوما أن مصير الروح هو الفناء بعد هذا العالم فأجابه : **« أما روحك فيمكن أن تكون فانية ، أما روحي فاني لا أعرف الا أنها خالدة »**.

وقال له سكرتيره يوما : **« الجو شديد البرودة هذا اليوم »** .

فأجابه : **« الجو فى يد غير أيدينا »** .

آمن بالله وأنكر الكنيسة

كان مؤمنا بالله ، منكرا للكنيسة . وكتب وثيقة ايمانه فى عام ١٨٦٠ فقال فيها :

« أومن بالله ، وبالروح ، وبمسؤولية الانسان عن أعماله . انني الجأ الى رب العالمين . وبما أن الديانات فى هذا العصر هي دون واجبها نحو الله ونحو الانسانية ، فلا أسمح لأى راهب بحضور دفني . انني أترك قلبي للكائنات الحلوة التى أحببتها » .

وصيته

وفى ٣١ آب ١٨٨١ كتب وصيته فقال فيها :

« الله . الروح . المسؤولية . هذا المفهوم الثلاثي يكفى الانسان . وقد كفاني . انه الديانة الحقة . عشت فيها واموت فيها. الحقيقة والنور والعدالة والضمير ، هذا هو الله » .

« انني أوصي بأربعين الف فرنك للفقراء ، وأريد ان أحمل الى المقبرة على عربة دفن موتى الفقراء » .

« انني أوصي بجميع مخطوطاتي ، وبكل ما يمكن أن أكون قد كتبته أو رسمته الى المكتبة الوطنية فى باريس ، التى ستصبح ذات يوم المكتبة الوطنية للولايات المتحدة الأوربية » .

« سأغمض هذه العين الجسدية ، ولكن عين الروح ستبقى مفتوحة ، بشكل واسع لم تعهده من قبل . انني ارفض تأبين جميع الكنائس ، واطلب الدعاء من جميع النفوس » .

وفاته

وفى عام ١٨٨٤ أحس بقرب نهايته ، فسجل فى دفتره يوم ٩ يناير هذه الأبيات :

أيها الحزين الشيخ ،
الاصم ،
اغمض عينيك ،
المفتّحين نحو السماوات .

وقال لحفيده قبل بضعة ايام من وفاته : « الحب . . . ابحث عن الحب . . اعط فى حبك من الفرح وخذ منه بقدر ما تستطيع . »

وحينما ادركه الاعياء ، وكان فى حالة الاغماء ، قال بالاسبانية مرحّبا بالموت : « اهلا به وسهلا » ثم قال بالفرنسية بيتا من الشعر ، هو آخر ما نظم : « هذه هي معركة الليل والنهار » ، فكان ذلك تعبيرا عن حياته من مهده الى لحده .

وفى ٢١ نوار (مايو) كتب اسقف باريس الى كنّة الشاعر يقول ، « انه قد دعا للمريض العظيم ، وانه اذا كان يرغب فى ان يرى راهبا ، فان الأسقف ، يقوم بواجب عذب ، ويذهب اليه ليحمل معه العون والعزاء ، اللذين يحتاج اليهما فى مثل هذه المحن القاسية » .

الا ان هذا الرجاء قد رفض .

وحينما تلقى الكاردينال كتاب الرفض قال : « ان هوجو راغب كثيرا فى ان يذهب الى لقاء الله ، ولكنه لا يريد أن يأتى الله اليه !! » .

وكان آخر ما نطق به قوله : « انني ارى نورا اسود » .

وهذا القول يذكرنا ببيت من اجمل ابياته يقول فيه : **« هذه الشمس المخيفة السوداء التى يشع منها الليل ! »** .

وحين اعلنت وفاته ، رفع مجلسا الشيوخ والنواب جلساتهما حدادا على الراحل العظيم ، وتقرر أن يدفن فى البانتيون Panthéon ، مدفن كبار الرجال ، وان يكتب فوق قبره : **« الوطن يعترف بجميل رجاله العظام »** . تقرر أن يرقد فيه ولكن بعد أن يعرّض جثمانه تحت قبة قوس النصر

قال موريس باريس :

« واما الذى وقع ليلة ٢١ مايو ، واما سهر هذه المدينة العظيمة بأسرها ، فما راه كمن سمعا. كان ينبغى ان ترى النعش وقد دُفع فى الليل البهيم ، بينما كان اللهب الاخضر المنبعث من المصابيح ينشر الحزن على الأبواب الملكية ، ويتضاعف هذا اللهب مع الشعل التى كان يحملها الرماة الفرسان القائمون على حفظ النظام ، ويحولون دون دفع الجمهور . كانت الموجات البشرية فى تدافع واسع منذ ميدان الكونكورد Place de la Concorde مع خيول الفرسان المروعة حتى مئتي متر من النعش . وكانت هذه الجماهير فى نشوة الاعجاب لانها استطاعت ان تلقى نظرة الوداع الاخيرة على الراحل العظيم » .

اما حرس الشرف الذى وقف حول النعش ، فكان يتألف من اثنى عشر شاعرا فرنسيا من شعراء الشباب .

وكنت تسمع حول قوس النصر ، وفى الشوارع ، وفى البيوت ، على السنة الناس آلاف الأبيات التى قالها هوجو ، وبعض كلماته ، وكأن الناس قد اتخذوا من ترديد اشعاره وكلماته نوعا من الدعاء له والصلاة عليه . لقد كان ربّ الكلمة الفرنسية ، وكان هذا بعض القابه. وكان له لقب آخر اعظم من هذا اللقب : **لقد كان سيد العواطف الانسانية** ، ذلك بانه كان خير من غنّى بكل مشاعر الناس: **« بر الوطن بابنائه الراحلين »** ، **« وافراح الوالد الشاب »** ، **« ومفاتن الطفولة »** ، **« وسكر حب الشباب »** ، **« وواجب الناس حيال المعوزين »** ، **« وقبح الهزيمة »** ، **« وعظمة الرحمة »** . ان صوت شعب كامل كان يهز سرير هذا الميت فى لحده .

لقد رافق نعش فكتور هوجو من ساحة النجمة الى البانتيون موكب حزين ظافر ، وتبعه مليونان من الفرنسيين . وزينت الشوارع التى مر فيها الموكب بلوحات كتب عليها اسم بعض مؤلفاته ، كالبؤساء، واوراق الخريف، والتأملات.

لأول مرة فى تاريخ الناس ، قامت امة باسرها بتكريم شاعر من ابنائها ، على نحو لم يعهد الا للملوك، وهيهات. ■■

دمشق : **ظافر القاسمي**



إِدْريس وَالأَدَارِسَة

قِصَّة مَشْهُورَة مَذْكُورَة يَحْفَظُهَا أَهْلُ المَغْرِب عَنْ ظَهْر قَلْب

■ نشرنا في العدد رقم ٧١ من « العربي » استطلاعا عن مدينة فاس : حاضرة المغرب ، وأم مدنه ، ومركز حركاته العلمية والسياسية والاقتصادية والادبية .. وذكرنا أن في وسط المدينة يقوم ضريح يتبرك به أهل المدينة صباح مساء .. ويحتفلون بذكرى صاحبه أروع احتفال، يشهده القاصي والداني ..

انه ضريح مولاى ادريس بن ادريس ، منشيء فاس وبانيها حتى أن البعض يسميها مدينة مولاى ادريس ..

أول دولة اسلامية مغربية

وقصة الادارسة هي قصة أول دولة اسلامية مغربية تأسست مستقلة عن الخلافة في الشرق ..

انها قصة مليئة بالصبر والكفاح والمثابرة والمؤامراة والبطولة .. وتتبعها من أولها يتطلب الرجوع الى الوراء ١٢٠٠ سنة .. وبالتحديد الى عام ١٧٠ هـ .

عندما يصبح التابع سيدا

ففي أحد أيام ذلك العام ، كان رجلان يسيران فوق احجار جبال زرهون بالمغرب الاوسط ..

كان احدهما من آل بيت النبي ، ويدعى ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .. والآخر كان تابعه ووليته ، راشد ..

ولكن مظهرهما لم يكن ينم عن هذا الفارق أبدا ! فادريس كان يرتدى مدرعة صوفية خشنة، وقد وضع على رأسه عمامة غليظة ، وهو يسير كالخادم لعبده راشد ، ذلك الذى كان يأمره وينهاه امام الناس كأنه هو السيد المطاع !!

كان راشد هذا من المخلصين لاهل البيت ، ومن أهل النجدة والشجاعة والقوة والعقل ، فعمد الى خدعة ، هي ان يستبدل ملابس سيده بملابسه فظهر كأنه هو السيد ، وظهر ادريس كأنه التابع، وذلك خوفا على حياة مولاه، وحيطة له..

لقد كانا يهربان من القدر القاسي المكتوب الذى ابتلى به ابناء علي رضي الله عنه ..

« النفس الزكية » يثور على المنصور

كان ادريس هو أصغر اشقاء محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان لا يفتأ يطالب بالخلافة حتى بايعه أهل البيت في المدينة بعد أن آلت امور بني امية الى اختلال .

وفي عام ١٥٤ هـ . قام الامام محمد ، وكانوا يلقبونه بـ « النفس الزكية » لنسكه وكثرة عبادته وزهده وعلمه وفضله ، قام ينكر على أبي جعفر المنصور ، ثاني الخلفاء العباسيين ، جوره وعسفه

.. فارسل له المنصور جيشا عظيما الى المدينة ، وهزمه وقبض على الكثير من جماعته .. واستطاع محمد « النفس الزكية » أن يلتجيء الى بلاد النوبة ، ليعود ثانية الى مكة داعيا الناس الى بيعته . وبعث باخوته الى الممالك المجاورة فبايعه خلق كثير ..

ولما قويت شوكته بمكة خرج الى لقاء جيش ابي جعفر المنصور ، بموضع يعرف بفخ على بعد ستة أميال من مكة . وبعد قتال عنيف ، وحرب طحون ، دارت الدائرة على الامام محمد وقُتل في المعركة مع بعض اشقائه وعدد هائل من جنوده..

حالة الطوارىء

ونجا شقيقه الاصغر ادريس من الموت ففرر الهرب الى المغرب الاقصى ومعه تابعه راشد هذا ..

وبدأا رحلتهما من مكة فوصلا القاهرة حيث سمعا بالاوامر الصارمة بالبحث عنهما والقبض عليهما .. وشاهدا العيون المبثوثة على الطرقات وفي أطراف البلاد ، حتى لم يكن باستطاعة احد أن يمر من البوابات الا بعد أن يثبت هويته ، ومن أين قدم والى أين يسير ؟ !

وبالرغم من هذه القيود الشديدة استطاعا دخول القاهرة .. وفي يوم ، بينما وقفا يتأملان نقوش دار حسنة البناء ، فخرج صاحب الدار فشك فيهما . فقال راشد :

ـ أن أخبرناك من نحن ، فهل تستر علينا ؟ ..

قال : « نعم .. ورب الكعبة أكتم أمركما ، وأصون سركما ، وأبذل جهدي في أصلاح حالكما..»

وبعد أن عرفاه بانفسهما ومقصدهما استضافهما واكرمهما .. ولكن خبرهما اتصل بعامل مصر ، علي بن سليمان الهاشمي ، فارسل لصاحب الدار يقول له : « قد رُفع الي خبر الرجلين اللذين هما عندك في منزلك متخفيين ، واني أكره أن أتعرض لدماء أهل البيت أو أن ينالهم أذى بسببي ، فلك الامان ولهما ، وقد آجلتكم في الخروج ثلاثة أيام »

لقاء في برقة

واشترى صاحب الدار راحلتين ، ولنفسه ثالثة . وصنع لضيفيه زادا يبلغان به أفريقيا ، فهكذا كانت تسمى تونس .. ومن أجل سلامتهما سافر راشد من طريق وسافر ادريس مع صاحب الدار من طريق آخر ، حتى بلغا برقة في ليبيا ، فقعدا بها حتى لحقهما راشد ، فعاد صاحب الدار وجدّد لهما زادهما ، وودعهما وانصرف عائدا الى بلاده ثانية ..

وسار ادريس مع راشد فاقاما في القيروان مدة، ثم خرجا للمغرب الاقصى ، فوصلا طنجة فاقاما بها أياما ارتحلا بعدها .

القبائل تبايع ادريس

ثم اقترب ادريس مع مولاه راشد من مدينة" وليلي فدخلاها .. وهي قرية كبيرة محاطة بسور، بجانب اطلال مدينة فيولوبوليس الرومانية الاثرية.

ولم تكن هذه المنطقة قد شهدت من قبل احدا من آل بيت رسول الله ، لهذا استقبل ادريس ومولاه راشد ، بالترحيب والتكريم ، واستضافهما اسحاق عبد الحميد ، أمير قبائل اوربة مدة ستة شهور ..

وفي رمضان ١٧٢هـ . وقف عبد الحميد وسط اخوانه ورجال قبيلته فعرفهم بنسب ادريس وفضله وعلمه وقرابته من الرسول (ص) .

فقالوا له : « الحمد لله الذي اتانا به وشرفنا بجواره ، فهو سيدنا ونحن عبيده ، نموت بين يديه ، فما تريد منا ؟ »

قال : «تبايعونه»

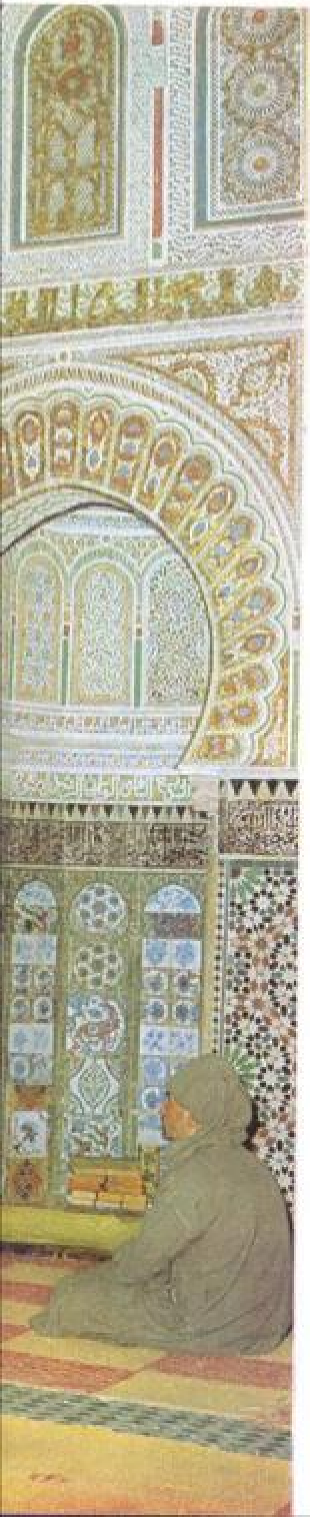
قالوا : « سمعا وطاعة ، ما منا من يتوقف عن بيعته وما يريد »

وكان أول من بايعه رجال قبيلة أوربة ، وكانت يومئذ من أقوى واعظم قبائل البربر بالمغرب الاقصى واكثرها عددا ، وتلتها في البيعة قبائل مغيلة ، وصدينة ، وزناتة وزواغة وزواوة ، ومعظم البربر بالمغرب الاقصى ، بايعوه ودخلوا في طاعته ، حتى استتب أمره ، وقويت شوكته .. وتمكن سلطانه، وعظم جيشه .. فخرج فاتحا ناشرا كلمة الاسلام بين القبائل البربرية في المدن والمعاقل والحصون والجبال المنيعة الممتدة من ساحل المحيط الاطلسي حتى مدينة تلمسان التي افتتحها ادريس سلما دون قتال ، فبنى مسجدها الكبير وكتب اسمه على منبرها ..

فاتح المغرب ..

ثم عاد الى مدينة" وليلي قاعدة ملكه ..

واحلت حركته هذه الاسلام محل الوثنية والمسيحية واليهودية في المغرب ، وقضت على القلاقل والاضطرابات والحروب بين القبائل ..





تتميز مدينة وليلي (زرهون حاليا) بهذه القبة الدائرية المكسوة بالقاشاني ..

ولذلك لقبوا ادريس بانه : فاتح المغرب .. وان كان المغرب قد فتح قبله بما يزيد على قرن من الزمان .

مكر ودهاء

وجلس ادريس مع جيشه في مدينته ليستريح ..

ولكن في بغداد على بعد الاف الكيلو مترات ، كان هارون الرشيد الخليفة الكبير يتحرق غضبا .. لقد بلغته اخبار انتصارات ادريس ومبايعة القبائل له ، وكثرة جنوده وشدته في الحرب ، وعزمه على غزو افريقيا ، فاغتم الرشيد لذلك غما شديدا ، وقال لوزيره يحيى بن برمك :

« لقد فتح ادريس مدينة تلمسان وهي بـاب افريقية ، ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار !! وقد عزمت أن ابعث له جيشا عظيما لقتاله ، ثم اني فكرت في طول المسافة على الجيوش لتصل من العراق الى المغرب فرجعت عن ذلك ، فأشر الي برأيك فيه ؟ »

فقال الوزير : « يا امير المؤمنين من الرأى ان تبعث اليه برجل ذى حزم ومكر ودهاء ، ولسان واقدام ، فيقتله وتستريح منه »

فقال الرشيد : « الرأى ما ذكرت ، من يكون الرجل ؟ »

فقال الوزير : « اعرف رجلا اسمه سليمان بن

الى أسفل : أول صورة تنشر من الداخل لضريح مولاى ادريس بن ادريس فى مدينة فاس بالمغرب الاقصى ..



جرير ، يعرف بالشماخ ، من أهل الحزم والفتك ، والعلم بالجدل والكلام ، والمكر والدهاء .. »

الشماخ يستأثر بعطف ادريس

وسافر «الشماخ» مزودا بالمال والوعد وبالمنزلة السامية اذا نجح في مهمته . وانتحل الشماخ الطب مهنة ، وجد في السير حتى وصل الى المغرب ، فقدم على ادريس ، واخبره انه أتاه لخدمته ، لأجل محبته وولايته لاهل البيت .. الخ. وانس به ادريس ، وسر به سرورا عظيما ، وحل من قلبه منزلة رفيعة ، فكان لا يقعد ولا يأكل الا ومعه « الشماخ » لانه لم يجد بين اهل المغرب من يأنس اليه ويسرى عنه في وحدته وغربته ، فضلا عما اظهره « الشماخ » من نبل ، وأدب ، وظرف ، وبلاغة ، جعلت ادريس في لهفة دائمة عليــه .

عندما تضحك الاقدار ..

وظل « الشماخ » جالسا يتحين الفرص لقتل « ادريس » ، دون أن يجد لذلك سبيلا ... اذ كان راشد لا يزايل مولاه ولا يفارقه أبدا ..

ولكن الاقدار ارادت ان يتغيب راشد في يوم ما لبعض شؤونه .. وانتهز « الشماخ » الفرصة فجلس بين يدي ادريس ، على عادته ، فتحدث اليه ، ثم قال له : « يا سيدي جُعلت فداك اني جئت من المشرق بقارورة طيب أتطيب بها ، ثم اني رأيت هذه البلاد ليس بها طيب ، فخذها تطيّب بها ، فقد آثرتك على نفسي ، وهو بعض ما يجب لك علي »

فاخذ ادريس القارورة ففتحها وشمها ، فلما راى شامخ ذلك أظهر كانه يريد قضاء حاجة ، فسار الى منزله وركب فرسا من عتاق الخيل ، كان قد أعدها لتلك الساعة ، وخرج من مدينة وَليلى طالبا النجاة ..

جهد ضائع ..

اما ادريس فعندما استنشق الطيب من القارورة المسمومة ، صعد السم في خيشومه وانتهى الى دماغه ، فغشي عليه وسقط على وجهه ، لا يعلم احد ما به وما أصابه .. وجاء راشد ..

راشد يلحق بالشماخ

وحاولوا انقاذ ادريس ولكنجهودهم ذهبت هباء، اذ توفي في المساء من يوم أول ربيع الآخر عام ١٧٧هـ هـ .

وبحث راشد عن الشماخ فلم يجده ، فادرك انه هو الذي سم مولاه ، فاسرع خلفه في جمع من البربر على ظهور الخيول ، ولكنها كلها تقطعت في الطريق ، فلم يلحق به الا راشد وحده . فشد عليه السيف وقطع يده اليمنى ، وشجه في رأسه ثلاث شجات وجرحه في مواضع من جسمه .. ولكن « الشماخ » استطاع النجاة عندما سقطت فرس راشد أعياء ..

ويقال ان « الشماخ » رُئي بعد ذلك ببغداد مقطوع اليد .. وعاد راشد الى وَليلى « زرهون حاليا) حيث دفن سيده وأقام له ضريحا ليتبرك الناس به .. ولم يكن التبرك معروفا قبل ذلك العهد في المغرب ..

ادريس بن ادريس !

ولم يترك ادريس ولدا الا أنه ترك جارية بربرية اسمها كنزة ، حاملا منه في شهرها السابع. وصبر القوم عليها شهرين حتى وضعت طفلها ، فحمله راشد الى رؤساء البربر ، الذين قالوا : « هذا هو ادريس بعينه ، وكأنه لم يمت ! »

فسماه راشد باسم ابيه ادريس .. وقام بأمره، وأمر البربر فنشأه أحسن تنشئة ، وأدبه أحسن ادب ، وأقرأه القرآن وله من العمر ثماني سنين ، وعلمه السنة والفقه ، والنحو والحديث ، والشعر وأمثال العرب وسير ملوكها وساستها ، ودرّبه على ركوب الخيل ومكايد الحروب والرمي بالسهام

مقتل راشد

وعندما بلغ ادريس الحادية عشرة من عمره عزم راشد على أخذ البيعة له من قبائل المغرب ، فاتصل الخبر بابراهيم بن الاغلب عامل افريقية (تونس) ، فدسَّ أموالا كثيرة الى خدام راشد من البربر ، فاستهواهم بها ، فقتلوا راشدا في عام ١٨٨هـ .

وكتب ابن الاغلب للرشيد يقول :

الم ترني بالكيد أرْديتُ راشدا
وأني بأخرى لابن ادريس راصدُ ؟

غير ان القبائل بايعت ادريس اماما بعد عشرين يوما من مقتل راشد .

وفي رواية اخرى يقال ان ادريس الصغير قد بويع اماما قبل مقتل راشد بأيام ..



هذه هي مدينة وَليلى ، أو زرهون كما تدعى حاليا ..

فصيح وقوى منذ حداثته

ومهما يكن من شيء فقد بويع ادريس واصبح اماما وهو فى سن الحادية عشرة فصعد المنبر وخطب الناس فى ذاك اليوم وقال فى ختام خطبته :

« .. أنا قد ولينا هذا الامر الذى يضاعف للمحسن فيه الاجر ، وللمسيء الوزر ، ونحن — والحمد لله — على قصد جميل ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فان ما تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا » فاندهش الناس من فصاحته ونبله وقوة جأشه على صغر سنه ..

ازدحام المدينة

وبعد أن توطد سلطانه وزاد عدد جنوده واتباعه، وعظمت جيوشه واشياعه بعد أن انضم اليهم فرسان العرب من افريقية والاندلس ، وقصد اليه الناس من كل مكان ، ضاقت وَليلى بهذه الجموع ، فرغب ادريس فى بناء مدينة جديدة، فشرع فى بنائها عند سفح جبل زالغ ، غير أن سيلا اتى من أعلى سفح الجبل فهدم جميع ما بناه !

وخرج وزيره يبحث عن موقع آخر مناسب للمدينة فرأى مجموعة عيون ماء كثيرة تزيد على الستين ، حولها المزارع والاشجار ، فتتبع مجرى الماء حتى وصل الى موضع بين جبلين فى خيام من شعر تسكنها قبائل زناتة .. فشرب من ذلك الماء فاستطابه ، واستحسن طيب تربة الارض واعتدال هوائها .. فرجع الى ادريس فوافق على الموقع ودفع للقبائل ستة آلاف درهم ثمنا لارضهم ، وشرع فى بناء مدينة عام ١٩٢ هـ .

الناس ومدينة فاس

وكان ادريس رضى الله عنه ، يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين . وصنعوا له فاسا من ذهب وفضة ، فكان ادريس يمسكه بيديه ويبتدىء به الحفر ويختط به الاساس للفعلة ، فكثر عند ذلك ذكر « الفاس » على السنتهم ، فكان الفعلة يقولون : هاتوا الفاس .. خذوا الفاس .. احفروا بالفاس .. فسميت المدينة « فاس » لاجل ذلك .. هكذا قالوا

وهناك قصص أخرى تدور حول أصل التسمية، التى اختلف فيها الناس

سبب البناء ..

وبعد انتهاء المدينة وقف ادريس بن ادريس وخطب من فوق المنبر رافعا يده قائلا :

« اللهم انك تعلم اني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ، ولا مفاخرة، ولا سمعة ، ولا مكابرة وانما أردت ببنائها ان تعبد بها ، وَيتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك ، وشرائع دينك ، وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا .. »

حبة العنب هي السبب !

وخرج ادريس بعد هذا غازيا وفاتحا لبلاد المصامدة (السوس حاليا) فاستولى عليها .. ثم اتجه الى تلمسان وجلس فيها ثلاثة اعوام ، أصلح خلالها أمورها ومسجدها وسورها وحصنها .. ثم صالح ابن الاغلب ، فصفا له الملك ، فاقعد اريكته فى فاس ساكنا وادعا حتى بلغ من العمر ثماني وثلاثين سنة ..

وبينما هو ياكل عنبا ، شرق بحبة منه ، فمات من حينه هكذا قالوا ، وذلك فى ثاني جمادى الآخر عام ٢١٣ هـ . بعد ان حكم ٢٦ عاما ، مخلفا من الاولاد اثنى عشر ذكرا ..

واختلف المؤرخون فى موقع قبره فقال الكثيرون انه دفن الى جانب قبر ابيه فى وَليلى .. وقال البعض : .. بل دفن فى مسجده بازاء الحائط الشرقي بفاس .. وهذا ما يقوله ابن أبي زرع مؤلف كتاب : « روض القرطاس فى اخبار مدينة فاس » الذى يعتبر أشهر كتاب فى تاريخ المغرب.. اذ عليه اعتمد معظم كتاب التاريخ فى العصور الغابرة ، والعصور الحاضرة ... ! ■■

س • ز •



قبل أن أنطق بكلمة واحدة ، ينبغي أن أعلن جاداً أنني أحب شقيقتي حبا جما .. أحبها وأعجب بها من أعماقي ، فهي في نظرى تقريبا كاملة . وعندما لا أكون بجانبها أحس بكثير من الوحشة لبعدها فلا أطيق فراقها وقتا طويلا .

لم يقتضيني حبي الصادق لشقيقتي أن أعلن ثانية بأنني أغار منها على نحو ما ! وليست هذه الغيرة حسدا – وقانا الله شر خطيئة قبيحة كالحسد – ولكنها شيء آخر ... ، هي مظاهرة من الغيرة العابرة الناجمة عن العطف الكبير الذى استشعره نحوها .

بقى أن أقول ان شقيقتي هذه أكبر منى ... أكبر منى بكثير ، فسنها تناهز الثلاثين ان لم تكن قد تخطتها بعد ، وليست فى جمالى ، ثم هى بعد هذا كله عانس . فما الذى يبرر غيرتى منها حينئذ ؟ .. الا ما أصعب شرح ذلك !! اننى أغار منها لأننى أحبها ، ولأن حبها لأى أحد غيرى مما يضايقنى .. ولأشياء كثيرة . !!

عندما كنت صغيرة سمعتها ذات مرة تقول انها

لي أخت عانس!

تفضل علىّ أخوتى الذكور ، فهى تفهمهم أكثر مما تفهمنى .. ومن يدرى ؟ ربما كان الجانب الأكبر من غيرتى منها يرجع الى ذلك ! على كل حال أنا سلخت عشرين عاما من عمرى .. عشرين ربيعا مرحة مفعمة بالآمال . وأنا أيضا مرحة أتعشق الصخب الى الحد الذى يجعل أخوتى يصفوننى بالحماقة أحيانا . ثم أنا جميلة . ولست أخجل اذ أقول هذا ، لأن جمالى لا يجعلنى أحس بالغرور على أية صورة . ان شقيقتي وان لم تكن فى جمالى كما قلت ، فانها أكثر منى جاذبية !

عيناى واسعتان خضراوان وضاحكتان. وأسنانى ناصعة البياض ولو أنها غير متناسقة الى حد ما . وأنفى مستقيم . ولست بشقراء . وليس لىّ من عيب الا بضع نقط سوداء صغيرة فى جبهتى. أما فيما يتصل بجسمى فأنا فارعة نحيفة ذات مظهر أنيق ، وأعتقد أننى لست دميمة وليس ينقصنى شيء .

ذات يوم جاء أحد الشبان لزيارتنا ، ولم يكد يستقر به المجلس حتى ثبت نظره فى شقيقتى منتهزا فرصة جلوسه بجوارها . واننى لأذكر أنه قد بدأ يغازلها قائلا :

– نظراتك بعيدة المدى !!

.. وعندما وصلنا الى محاذاته شعرنا بشيء من الخوف ، ولم استطع ان امنع نفسي من الابتسام ، لانى كنت ارى شقيقتى يتزايد غضبها ثم حولت نظرها فى عصبية ...

الرسم بريشة احمد الوردجى



قصة للكاتبة الاسبانية

خوسيفينا ريقاس

سمعت انا هذا باهتمام ولكننى كنت أتظاهر باننى لا أفهم ، وقد رأيت شقيقتى تبتسم ابتسامة تحمل أكثر من معنى ثم ترفع بصرها اليه لتسأله :

ـ حقيقة ؟

وكان عبارته قد جلبت الى رأسها ذكريات أخرى فقالت دون أن تغير نبرات صوتها :

ـ أرنى عينيك اللتين تبدوان كأنهما طريقان ..

ـ هذا صحيح فمن قال لك ذلك ؟

ـ كنت قد قرأت هذا المعنى فى ديوان شعر ، ولست أدرى ما الذى ذكرنى به الآن ..

ـ من الممكن أن يكون هـذا امتدادا لعباراتى السابقة .. فعيناك ترسلان نظراتهما نحو الافق البعيد ، كأنهما تسيران فى طريقين غريبين .. فالى اين تؤديان ؟

لست انكر أنني كنت مندهشة . فالشاب كان جميلا جدا ، ومع ذلك لم أدر لم ظلت اختى جامدة والى جوارها فتى له خطره . ولكن ذلك هو ما حدث . فقد ظلت على جمودها كأنها دُمية، وكانت تضحك فى برود مع الشاب الجميل الذى كان يرمقها فى اعجاب جعله يقول لها :

ـ انت خطيرة .. فى عينيك شيء يجذب لست ادرك كنهه .. كأنه هوة سحيقة . انني أرى فى عينيك امورا لست افهمها كأنهما تتحدثان بلغة غريبة .. لست ادرى ماذا ستقول عيناك لو انني سألتك !!

فضحكت شقيقتي حتى بدت اسنانها المتألقة ، ثم استرسلت فى ابتسامة مرحة جعلتها تبدو اكثر جمالا مما هي عليه فى الواقع ، ثم قالت :

ـ ستقولان لك : انت لا ينبغى لك أن تنظر هنا . فطرقى ستؤدى بك الى منعطفات غريبة لن تتعرف عليها ابدا...لأنك لست انت الشخص المنتظر الذى يستطيع أن يتجول فيها دون أنيضل السبيل .. هذا هو ما ستقوله لك عيناى لو انك سألتهما عن الشيء الذى لا اعتقد أنك سوف تسأل عنه أبدا .. !

فى تلك الليلة واثناء العودة الى المنزل كنت ادافع عن الشاب ذى الكلمات الحلوة ،والحديث الرقيق . واحسست اذ ذاك بأنه مما يضايقنى ان تكون لى اخت عانس . ولكنها هي لم تلق بالا لاطرائى للشاب المعجَب بها . وتحدثت الىَّ جادة كما لو كنت فى مثل سنها ، فقالت :

ـ التفتى يا بيلاروتش واستمعى الى جيدا : منذ عدة أعوام كانت لدى آمال كآمالك الآن ، ورغائب كرغائبك . وكنت اعتقد أنني أعشق الفتيان الذين يلقون على مسامعى جملا ساحرة ، وأهيم وجدا بالفتيان الذين يتمتعون بقسط كبير من الجمال او خفة الظل .. أما الآن فقد بلغت السن التى تجعلنى ادرك أن الحب كثيرا ما تختفى حقيقته وراء الكلمات المعسولة او خلف مظاهر الزينة البراقة .. أتفهمين الآن سر سلوكى فى هذه الليلة ؟

انا أحب شقيقتي كثيرا كما صرحت بذلك من قبل . ولكن فى بعض الحالات لا أكاد أفهمها ، ومن ثمَّ فقد قلت لها :

ـ لا .. لست افهم سر سلوكك ، ولست أدرى لم لا يروقك هذا الشاب ! انه جميل وجذاب ، وقد ألقى علىمسامعك كثيرا من العباراتالرقيقة. فقالت :

هنالك يكمن الشر .. فى العبارات الرقيقة التى اسمعنى اياها . ولقد ادركت بغريزة الأنثى انه قد تعب من طول ما ردد امثال هذه العبارات على مسامع النساء اللاتى قد عرفهن ، وأدركت أننى لم أرُق فى عينيه من قريب أو من بعيد !! لا لم ارق فى عينيه ابدا . لقد اعجبته منى عيناى ونظراتهما البعيدة وربما جاذبيتي ! .. ثم من يدرى ! فلعله رغب فى أن يستخف بى الى حد ما !! ولكن يا عزيزتى يجب أن تعرفى بأن الاعيب الشباب لا تعجبني . فقد تعبت وسئمت ، وأصبح مما يثير أعصابى أن استمع الى كلمات الغزل المعسولة .. تلك الكلمات الجوفاء التى لا تساوى شيئا فى نظرى . وقد تعلمت أننى لا أحكم على الأشياء بمظاهرها البراقة ولكن بقيمها الحقيقية .. اننى أرغب فى حب يدوم الحياة كلها والا فاننى أفضل أن أظل مطمئنة فى بيتي .. أما الألاعيب فلا يا عزيزتى !! انها لا تلائمنى ، وربما تلائمك أنت ! وليس هناك شيء أكثر تكلفا وأجلب لسخرية الناس من عانس تتعلق بحب لا يلائمها . ومن ثم فالأفضل عدم الاسترسال فى حب كهذا وانهاؤه سريعا . لقد هزت مشاعرك أنت كلماته ، أما أنا فلم تحرك منى ساكنا .. وكل ما أعرفه هو أننى لم أشعر نحوه بعاطفة حب .

ولما كنا قد وصلنا الى المنزل فاننا لم نتمكن من أن نستمر فى حديثنا .. واعتقدت اذ ذاك أن شقيقتى تبالغ فى سوء ظنها بالشباب ، وأن عينيها دون شك تكذبانها فى أمور كثيرة ، كما تكذبنى عيناى .

فى الحقيقة شقيقتى تحسن معاملتى ولو أنها تلومنى أحيانا عندما ترانى قد استعملت مشجبا لها أو حزاما أو حذاء دون اذن منها . ولكن لومها لا يستمر طويلا . وأنا من جانبى لا أحفل به كثيرا.

واذا ما حدث وثارت علىَّ أمي من اجلها ، فانني اراها سريعا ماتتحول من مهاجمة لي الى مدافعة عني امام امي فتقول في صوت رقيق :

ـ دعيها يا امي فهي شابة ، والفتيات في مثل سنها يعجبهن العبث واللهو !

ولا تلبث امي أن تقول لها :

ـ نعم ، ولكن أنت أيضا لست عجوزا ! انك في زهرة الشباب ، ولست أدري لماذا انت دائما مكتئبة .

اما انا فانني دائما مرحة .. مرحة ! لا اظل حزينة او مهمومة اذا رسب أحد اخوتي في الامتحان مثلا ؟ انني اتأثر لذلك دون شك . ولكن بعد ربع ساعة انساه ولا أتمادى في الحزن كما تفعل شقيقتي . هذه هي طبيعتي ارقص واغني واجري فما ذنبي في أن اكون كذلك ؟

الأمر الجلي هو انني اود أن أكون مثل شقيقتي في شيء واحد : في سماحتها المطلقة . فهي لاترفض ابدا ما يطلب منها . واذا اقتضى الأمر ان يقوم احد اخوتي بتضحية ، فهي التي تقوم بهذه التضحية دائما . ثم تبتسم بعد ذلك حتى لا تجعل أمها تحزن . بيد أني في مرات كثيرة أرى بريق الدموع من خلال عينيها المنكسرتين ، تلك الدموع التي يمنع تساقطها سيطرتها التامة على نفسها . وهذا مما يجعل اشقائي يكنون لها حبا عميقا ، ويجعلني انا شخصيا كثيرا ما أحس نحوها بالحنو البالغ .

قد تنشب بيني وبين شقيقتي احيانا مناقشات . وسبب هذه المناقشات في الغالب ينجم عن وضعها . فانا أريد لها أن تتزوج . وقد يعترض طريقي شاب أرى فيه الشروط التي ترضيها ، فاقدمه اليها ، ولكنها تفسد علىَّ ما اكون قد هيأته بما تقوم به من تصرفات اعتبرها انا غير معقولة . ذلك بأن فتاة في مثل سنها لا يجدر بها ان تفرط في كبت عواطفها ، ولا ان تتعلق بالخيال . على انني لا اقول ذلك لكي ارميها بالشذوذ ، بل بدافع الحرص على مصلحتها . وقد يستولي علىَّ اليأس احيانا حينما اتنبأ بانني

سوف أجدني في المستقبل مضطرة أن احتمل عبء شقيقة عانس ، الأمر الذي سيشق علي عندما اتزوج ـ وآمل أن يكون زواجي قريبا ـ فليس من شك في انها ستعكس على ابنائي كثيرا من صور السآمة . على أنني اذا نحيت هذه الاعتبارات الذاتية جانبا . فانني اتمنى لها ما هي جديرة به من سعادة ، لطيبة قلبها واستقامتها وما تعمل من خير .

انا لست أخشى على مستقبلي شيئا . فكثير من الشبان يلتفون من حولي دائما ، ومن ثم فقد تعودت شقيقتي أن تقول عني انني امتلك أحسن حرَس في العالم . وانا اعامل الجميع بطريقتي المرحة الخفيفة ، وانتظر دون قلق اليوم الذي سيصل قريبا ، فقد تعبت من أن اظل على ترددي فيمن اختاره ليكون شريك حياتي الدائم . هذه هي انا ؟ اما شقيقتي .. !!

ذات يوم كنا انا ووالدتي في المنزل نتحدث عن زواج فاشل لواحدة تمتُّ الينا بقرابة بعيدة . وكانت شقيقتي تقرأ في كتاب من تلك الكتب المسئمة التي تسحرها هي .. كتاب قد فاز باحسن جائزة في العالم . على أن قراءة صفحة واحدة من صفحات هذا الكتاب كفيلة بأن تبعث فيَّ النوم . كانت هي منهمكة انهماكا كبيرا في القراءة . اما انا ووالدتي فقد كانت كل واحدة منا تدافع عن وجهة نظرها . واخيرا هبطت شقيقتي من برجها العاجي ، وتدخلت بيننا لتهدئتنا ، وتساءلت في ضيق :

ـ ماذا وقع لكما ؟ الا تدعاني أقرأ !

فاجابتها امي في لطف :

ـ شقيقتك تراهن على أن « ماريانا » هي المسئولة عما وقع بينها وبين زوجها . وانا أرى بان زوجها هو المسئول ، وماريانا ضحية مسكينة فقط . ولكن شقيقتي اثارت دهشتي الشديدة عندما قالت :

ـ الحق مع «بيلاروتش» ، وماريانا ماكان ينبغي لها ان تتزوج ابدا .. لقد كان ينتظرني أمر مثل هذا . كم يعجبك يا الهي أن يظل الجميع عوانس ..!!

« عوانس » هي الكلمة التي قرأتها من قبل

واعجبتنى ، ومن ثم استعملتها . كذلك فقد اعجبتنى عبارة « مكروبات معدية » ولكن دون أن ادرك معناها . ومع أن المخاوف تعجبنى فاننى لا اجترىء على استعمالها . بيد انى قلت فى احتجاج:

ـ ولكنى لا اقول ان ماريانا مسئولة من اجل ذلك . بل ما اعتقده وادافع عنه هو أن ماريانا لو انها قد صفعت زوجها صفعات طيبة ، لاماتت فيه وَلعَه المتزايد بمعاقرة الخمر .

ـ تصفع زوجها يا بنيّة .. !!

ـ دعيها يا امى فهى تعلم بان هذا ليس سبيل الزواج .. ولكنها لا تريد أن تعترف بما قلت ، على الرغم من علمها بأن ما قلته هو الحقيقة . لم تزوجت ماريانا ؟

ـ تزوجت حتى لا تظل عانسا !

ـ هذا صحيح ! حتى لا تظل عانسا . فقد مرت السنون دون أن يتقدم اليها فتى أحلامها فقلقت .. ثم تزوجت بأول من لقيت .. برجل تتحكم فيه عادة متأصلة لا يستطيع الاقلاع عنها ابدا . كانت هى تعلم ذلك كما نعلمه جميعا .. ولكن .. لكى لا تظل مطمئنة سعيدة فى دارها تزوجت حتى تجد فى الزواج فجيعة كبرى ! .. ثم تشتكى . انه جزاء وفاق لعدم صبرها .

ـ ولكن لو لم تتزوج هذا الزواج لظلت مرتدية مسوح القديسين .

فسألتنى شقيقتى دون أن تغير من هدوئها :

ـ وهل عمل القديسين اكثر ثقلا من القيام على رعاية السكارى ؟

ثم ظلت هادئة ، واستأنفت القراءة فى كتابها . ولكن فيم تفكر يا الهى ؟ ألا تدرك بانه كلما مر الزمن كلما قلت الفرص التى تصادفها ؟ ان ما يضايقنى منها هو انه قد كان فى امكانها أن تتزوج. وكان هنالك من يطلبون يدها وما يزالون يفعلون ! .. ولكن لا شىء . انها تفعل كما لو كانت فى العشرين من عمرها وتنتظر اميرا من امراء الأساطير!! .. انتظار !.. انتظار ! كيف تنتظر وشعر رأسها يوشك أن يبيض .. وانا لى اخت عانس !!

البارحة مساء عدنا من السينما انا وهى ،بعد أن شاهدنا رواية ممتعة . وكنا نسرع فى خطونا نوعا ما لان منزلنا يقع فى ضواحى المدينة ! كما كنا مسرورتين نتجاذب اطراف الحديث ونتضاحك. وعندما كنا نغير اتجاهنا عند أحد المنعطفات ، التقينا وجها لوجه بفارس جميل الشكل يمتطى جوادا لونه بين البياض والصفرة وهو يتوائب من تحته لكثرة نشاطه . فغمزت اختى بكوعى وانا اهمس فى اذنها :

ـ يا له من رجل ! يبدو وكأنه أحد نجوم السينما . فاجابت فى صوت عال تقريبا :

ـ فرس جميل !!

ولا بد ان يكون الفارس قد سمعها ، لانه كان على مقربة منا . وقد جعل يتعقبنا ويفحصنا بنظراته . ونظرت انا اليه فى جراة ، كما رأيت شقيقتى تفعل نفس الشىء .. ثم قال لها .

ـ كم انت جميلة أيتها الشقراء !!

فضحكت انا ، وما كان ينبغى لى أن افعل ، لان ذاك الرجل كان عديم الذوق معى . فانا غير شقراء ! ولكن أضحكنى انه قدم لغزله بهذه الصفة التى تضايق شقيقتى كثيرا . وطالما ادهشنى ان اراها تضيق ذرعا بكلمة « شقراء » فذلك من الغرابة بمكان . ذلك بأن لها شعرا طويلا ذهبيا ، وهى تجمعه الى أعلى على نحو يجعل محياها كبيرا نوعا ما . مع أنها لو ارسلت شعرها لكانت اكثر جاذبية ! فهى شقراء فى الحقيقة ، ومن المستغرب أن تضيق بهذه الصفة .

قالت لى شقيقتى ذات مرة بأنه كان لها خطيب يهيم بها وجدا ، وكثيرا ما كان يصفها بـ«الشقراء» وكانت اذ ذاك تستريح لهذه الصفة ، ولكن منذ فسخت الخطبة لم تعد تطيق سماعها .

وليس من شك فى أنها تعرف كيف تسيطر على مشاعرها عندما تثور . ادركت أنا ذلك فى وضوح عندما احسست بأن أعماقها تحتدم غيظا بفعل النظرات التى كان الفارس يوجهها اليها وبفعل عبارات الغزل التى ينفضها على

مسامعها . فقد غضت بصرها ، وحولت وجهها ثانية نحو الجواد وهى تقول فى صوت خشن :

ـ جواد ساحر !

ـ استأنفنا سيرنا بعد مسرعتين لان شقيقتي كانت غضبى كما قلت . وجعل الفارس يلاحقنا ، ثم سبقنا ببضعة امتار وتوقف واستدار نحونا ، ونظر الى شقيقتى وهو يقول :

ان الابتسام ليس غاليا أيتها الشقراء .

وعندما وصلنا الى محاذاته شعرنا بشىء من الخوف،ولم أستطع انا ان امنع نفسى من الابتسام، لانني كنت ارى شقيقتى يتزايد غضبها ، ثم حولت نظرها الى الجواد فى عصبية ولم تنظر الى الفارس .

على هذا النحو قطعنا الطريق حتى المنزل . وعلى مقربة من الباب التقينا بالفارس الذى كان فى هذه المرة يشعل سجارة . ووقفت شقيقتي لحظة ونظرت الى الفرس فى امعان ثم عادت الي تقول :

ـ لنتابع سيرنا . فسألتها فى دهشة من تصرفها الغريب :

ـ ولكن الى اى شىء تنظرين ؟

ـ الى الشىء الوحيد الذى يستحق النظر اليه .

وعلى نحو يجلب المضايقة عادت تنظر الى الجواد وكانت دون شك تتلاف ان تلتقى نظراتها بنظرات الفارس . أما هذا فقد وجه وجهه للطريق ، والقى بالسجارة التى كان قد اشعلها منذ ثوان واخذ يضرب بسوطه الهواء فى هذا الاتجاه الذى كانت فيه عينا شقيقتي ثابتتين ، مما جعل الفرس يجمح ويعانى صاحبه جهدا فى كبح جماحه ،قبل أن يعود سيرته الاولى فى السير الرتيب . ولم يشأ الفارس أن يبعد قبل أن يوجه الى أختى هذه العبارات :

ـ الى الغد يا شقراء ! وآمل ان نلتقى !

لست أخفى أننى دهشت للآثار التى خلفتها كلمات الفارس فى نفسية أختى .. شحوبها ، واضطراب ساعدها الذى كانت تعتمد به على ذراعى . ومن ثم فقد قلت لها فى استنكار :

ـ انه لم يضربك انت ، فماذا أصابك ؟فقالت:

ـ لأنه لم يستطع أن يفعل .

وقد كان هذا حقيقة . لان نظرات الرجل اليها كانت تتسم بمعانى الحذر والرهبة .

فى هذا الصباح نشبت بينى وبين أحد أخوتى مناقشة حادة بعد أن وصمنى بالغفلة والضعف . وكان ذلك لأنى لم أقم بحياكة شىء طلب هو الى حياكته ، لان نفسى لم تنشرح لتحقيق رغبته . وكان مما قلته له :

ـ ليس مما يعاب على أن أصبر على تطاولك فذلك يعد من فضائلى .

هكذا أجبته فى عنف وصرامة . ولو أن لهجته هو لم تكن اقل من لهجتى عنفا وصرامة .. وأخيرا انهيت المناقشة وقررت الذهاب للنزهة .

كنت فى منتهى الثورة والضيق ، ولذا فقد خرجت مسرعة الى الخلاء تحت اشعة الشمس التى كانت تغمر الصباح ... ! كنت أسير فى سرعة كبيرة مدفوعة بالغضب من جهة ، وبسرعة افكارى من جهة أخرى ، الأمر الذى جعلنى بعد لحظة أحس بالحرارة وأتوقف عن المشى . ذلك لان السترة الصوفية التى كنت أرتديها قد غمرها العرق حتى التصقت ببدنى ، ومن ثم انتحيت جانبا وجلست . على أننى ما لبثت أن انتهيت الى أننى قد ابتعدت كثيرا عن المنزل ، وانني فى طريق جانبى مطروق قليلا . ومع أن الحقل كان خاليا ، الا اننى لم أحس بالوحشة ، فقد قضيت طفولتى فى مزرعة تقع فى مكان خلوى . ولذا فقد شعرت بالراحة والاطمئنان عندما بلغت هذا المكان .

ثم لمحت وانا فى هذا الموضع من الطريق ربوة بين الأشجار لا تكاد ترى . فاتجهت اليها .وهنالك القيت بنفسى على بساط الله الاخضر .

أما الثوب الذى كنت أرتديه اذ ذاك ، فهو

الثوب الذي البسه في المنزل في الأيام التي لا تكون لدى فيها رغبة للبس ملابس انيقة ، بل ارتداء اي ثوب عادي ، لانني بهذه الطريقةاستطيع ان أتحرك في اطمئنان ولا أكون رهينــة الملابس ومقتضياتها .

كانت ملابسي تتألف من سترة صوفية حمراء ، ورداء أسود ، وعقد براق ، وحذاء ذي عقب منخفض . ولكي أكون منصفة لنفسي يجب أن اقرر بان ملابسي كانت في الجملة زرية . ومع أن ملابس مثل هذه كانت كفيلة بمضايقتي فيمناسبات أخرى ، الا انها في هذه المرة قد ملأتني رضــا . فقد مكنتني من أن استلقي على العشب ، دون أن أحسب اى حساب لما عساه أن يعلق بملابسي من آثار العشب . وقد ثارت خصائل شعري هنا وهناك ، وحينئذ توارد على ذهني انني اشبه فتاة غجرية متسكعة جلست في منتصف طرق الحياة كي تستريح بعيدة عن الأذى..وعن النظم. وقد ذهب عني الغضب وأخذت اغنى في صــوت غير واضح احدى الأغنيات التي تذاع كثيرا في الاذاعة . وبعد لحظة توقفت عن الغناء حينما تذكرت أن المطر قد يصيبني في هذا المكان العاري، الا انني استجمعت قواي وتلفتت يمنة ويسرة فوقع بصري على عصفور قد حط على شــجرة مجاورة ، فوجهت اليه حديثي قائلة :

ـ استمع يا أحمق : ماذا تفعل هنا ؟ وكيف لم تات لتحيتي ؟ الا تهزك عظمتي أم انك لا تدرى من أكون ؟

انا ملكة هذه الحقول والغابات ، آمــر كل من فيها فيجيئون ليقدموا الى فــروض الولاء وليلثموا يدى السمراوين !! .. وبينما كنت منهمكة في هذا الخيال أحسست بحركة من ورائي، ثم رايت شابا جميلا جدا يظهر امامى ، ويوجه الى نظرات فاحصة . وبعد أن بدت عليه علائم الاعجاب بي ، تقدم نحوى يحييني تحية حارة على طريقة الفلاحين :

ـ يا صاحبة الجلالة : ها انذا ، وقد مثلت في حضرتك الملكية ، يختلط على الأمر . وقد جئت لتنفيذ أوامرك ، ولأحوز الشرف بتقبيل يديك البيضاوين .. أريد أن أقول : السمراوين !!

اذ ذاك استحوذ على الخجل ، وودت لو كانت لدى القدرة على ان اتلاشى حتى لا يبدو اضطرابي .. ذلك الاضطراب الذي جعل الشاب يضحك مني في سخرية خفيفة اثارت أعصابي فقلت له :

ـ لم أر في حياتي أكثر منك حماقة !

ولكنه لم يغضب ، واستغرق في الضحكوهو يقول :

ـ انت لطيفة أيتها الآنسة ..

ولما كانت عيناه تنمان عن اعجاب ظاهر بي ، فقد ذهب ما بي من غضب ، لأن اعجابه قد مس جوانب نفسي . غير انه ما لبث أن اختفى في سرعة كانه حيوان غير اليف..فضحكت ثم ادهشني أن أرى الشاب يقبل ثانية ويمد الى يديه ينهضني، ولا يلبث أن ترعبه الانطباعات التي يراها على وجهي . ودون أن يقول شيئا يقودني نحو مزرعة أخرى مجاورة حيث تهالكت هنالك تحت ظلال احدى الأشجار . ولما كان عقب رجلي اليمنى قد أخذ يؤلمني بشدة فانني لم أتشبث ببقائه عندما قال انه سيذهب ليبحث عن عمه في ضيعة قريبة. لأن بقاءه أو انصرافه لم يكن ليخفف مما بي شيئا.

عاد بعد قليل يرافقه رجل فارع، باديالاناقة، قد تناثر الشعر الأبيض في جوانب رأسه هنــا وهناك ، عليه سمات الصرامة . وفي الحق اني لست بمستطيعة أن أصور مدى الدهشة التي استولت عليّ حينما تبين لي أنه هو بعينه الفارس الذي كان يتغزل في شــقيقتي ويقفو أثرنا . واحسبني قرأت في وجهه ما ينم عن دهشــته لرؤيتي كذلك . فقد وجه الى نظرات فاحصة ثم سالني :

ـ أتراني أعرفك يا آنسة ؟

ـ ليست بيني وبينكاية معرفة .. وانا متاكدة من انك تتذكر شقيقتي فقط !

لم يجبني ، ولكني لاحظت وانا مسرورة انه بدأ يبتسم ابتسامة خفيفة ، ثم وضع أصابعه على عقبي يتحسس موضع الألم . غير أن تأوهاتي لم تحركه ، وان كنت لاحظت أنها هزت مشاعر

ابن أخيه الذى بدا عليه الاضطراب والتأثر وكأنه هو المسئول عما اصاب قدمى من الم . ولما اشار عليه عمه بانه ينبغى أن احمل الى منزلى ، ارتعش، وبدا عليه أن خوفا كبيرا قد استبد به .

بعد لحظة وجدتنى فى سيارة فاخرة ، والى جانبى ذلك الفتى الذى أحاطنى بعناية كبيرة ، وذلك الفارس الذى لم يكن يبدو عليه الاهتمام بى ، بقدر ما يظهر عليه انه مشوق أن يصل الى المنزل سريعا ليتخفف منى ..

هذا وقد كان دخولى المنزل على هذه الصورة شيئا فظيعا بالنسبة لأمى . ذلك بأن الفزع الذى اصابها عندما بصرت بى متهالكة بين ذراعى شاب غريب كان مما يؤرخ به. أما اخوتى فقد استولت عليهم الدهشة كذلك . ولم تبق سوى شقيقتى التى لم تفقد توازنها - وهذا ما كنت افعله أنا لو كنت فى مكانها - واعانتنى أن استريح فى فراشى، وفى نفس الوقت استمعت الى ما أشار به عليها الفارس وهو أن تذهب لتستدعى طبيبا .

وبعد خمسة عشر يوما كانت صحتى قد تحسنت، ولكنى كنت ما ازال ألازم الفراش ورجلى مربوطة. كان يهمنى كثيرا أن يأتى خوان لويس (وهذا هو اسم الفتى) كل مساء لمرافقتى وقضاء لحظات سعيدة الى جانبه .. لحظات سعيدة جدا لدرجة انه لم يعد يهمنى لو أن رجلى كانت قد انكسرت فى سبيل التعرف عليه !!

وقد قص على تاريخ حياته ، وهى حياة بسيطة: حياة يتيم فقد ابويه فرباه عم عزب صلب يحبه حبا جما، ووجهه لدراسة هندسة الطرق والقناطر. وانتقل معه الى مدريد حتى لا يدعه وحده . ولما وجده قد أتم دراسته بنجاح منحه أياما للراحة يقضيها فى تلك المزرعة التى يمتلكها والتى تقع فى نفس المنطقة التى أقيم فيها .

لم يكن الفتى قد عرف من قبل حبا غير حبه لعمه الذى كان ينزله من نفسه منزلة الوالد .. ثم ذلك الحب الذى ثبت فى نفسه يوم أن تعرف على .. حبه لى !!

وكان عمه يرافقه كل مساء فى زيارته لى ، ولست أدرى بأى حق ، لانه قلما كان يكلمنى ! كما ان شقيقتى كانت تبدى فى أدب نفورها منه .ولكن يبدو لى أنه كان يضيق بالوحدة فى منزله !!

ذات مساء كانت شقيقتى تعزف على البيانو فى فناء المنزل مما يلاصق حجرتى. وكانت المقطوعة التى تعزفها من الموسيقى الصاخبة المرحة التى ترقص الشاعر . بيد أنها ما لبثت أن توقفت عن العزف فجاة قبل أن تكمل المقطوعة . فانتظرت أن تستأنف العزف ولكن دون جدوى . ولما أعيانى الانتظار ، طلبت الى خوان لويس - وقد كان معى - أن يساعدنى على النهوض حتى أستكشف سبب انقطاعها المفاجىء عن العزف . ففعل .

هنالك كانت تكمن المفاجاة المذهلة ! .. المفاجاة التى لم تكن تخطر لى على بال ! .. شقيقتى الفتاة العنيفة التى طالما سخرت من الشبان .. واستخفت بالرجال - كل الرجال - كانت بين ذراعى الفارس ، ونظراتها سابحة فى نظراته .. ويداها تمسكان بيديه فى جراة ودون خجل !!

وما كادت ترانى حتى اقبلت نحوى واخذت تربت على شعرى وتقول :

- أنا ذى قد عثرت أخيرا على رجل أحلامى يا بيلاروتش !! واذ ذاك أكد الفارس ما أخبرتنى به قائلا :

- نعم وسنتزوج خلال ثلاثة أشهر .. فما أسعد المناسبات التى جمعت بين قلبينا !!

لقد عقدت المفاجاة لسان الشاب لحظات قبل أن يقول لى :

- ونحن متى سنعلن خطبتنا ونتزوج ؟ ماذا تقولين يا بيلاروتش ؟

فقلت فى سرور :

فى اقرب وقت حينما أتماثل تماما للشفاء .

وفى الحقيقة أننى كنت أراعى أمرين :

أحدهما حب الشاب لى واعجابه بى !

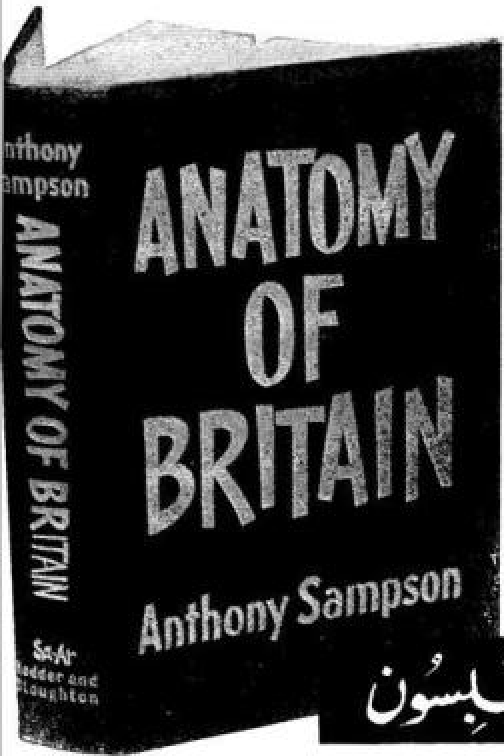
والآخر أننى كنت أخشى أن أصير عانسا .. !!

■■

ترجمة الدكتور محمد الامين محمد

نقد كتاب الشهر

تشريح بريطانيا



لمؤلفه انطوني سمبسون

بقلم : الدكتور محمود السمره

هذا كتاب يحتل واجهات المكتبات في البلدان الغربية ، وفي بريطانيا نفسها ، منذ صدوره ، قبل نحو سنتين . وهو ايضا من الكتب التي اعتاد مرتادو المكتبات في العواصم العربية ، ان يروها معروضة باستمرار ، دون ان يختفي من واجهاتها ، بسبب كثرة الاقبال على شرائه . وقد كان هذا الكتاب من اكثر الكتب رواجا منذ صدوره ، وقد طبع حتى اليوم اكثر من عشر طبعات . ونحن لانستغرب ان يروج كتاب يستهوي الشباب والشابات لما فيه ، ولكن رواج مثل هذا الكتاب الجاد القيم يجعل لهذا الرواج معنى ، هو انه قد لمس كبد الحقيقة في الموضوع الذي تناوله .

ومؤلف هذا الكتاب ، انطوني سمبسون ، من محرري جريدة « الاوبزرفر » اللندنية المرموقين وكان قبل هذا قد مضى اربع سنوات في جنوب افريقيا لتحرير صحيفة « الطبل » Drum ولما عاد الى بريطانيا تفتحت عيناه على حقيقة حالته ، فقد دهش لما في الحياة الانجليزية « من بطء ، وتعقيد ، وانعدام الحافز » . وعمل محررا بجريدة « الاوبزرفر » ، واتصل بعلية القوم ، فازداد ايمانا بما وقر في ذهنه . عندها قرر ان يترك عمله في

1) Anthony Sampson, Anatomy of Britain .

« الاوبزرفر » ، ويتفرغ ليدرس كيف تسير الامور فى البلاد .

وامضى انطوني سمبسون ثمانية عشر شهرا باحثا منقبا ، حتى استطاع ان يجلو هذه الحقيقة،المدعومة بالاحصائيات والوثائق . وقابل نحو مائتين من كبار الرجال البارزين ، واجرى معهم محادثات طويلة . وكانت هذه المحادثات جزءا من الحقائق التى اعتمد عليها المؤلف فى اصدار احكامه .

وهذا الكتاب ضخم يقع فى نحو ٦٥٠ صفحة ، تسعة وثلاثين فصلا ، وله فهرس يقع فى عشرين صفحة . وكل صفحة فيه مدعومة بالاحصائيات والوثائق .

وهذا الكتاب يذكرني بكتاب جون جنتر Gunther فى تحليله الدقيق الواعي للاوضاع الداخلية فى بقاع عدة من العالم . كما يذكرني ايضا بكتاب مماثل صدر فى القرن الماضي لولتر باجيهوت Bagehot وفى هذا الكتاب حلل باجيهوت تحليلا بارعا نافذا المجتمع البريطاني فى عهد الملكة فكتوريا . ويخيل لي ان انطوني سمبسون ، مؤلف الكتاب ، قد وضع فى ذهنه كتاب باجيهوت ، عندما اقبل بهذا الجد على موضوعه .

وقد يجد القارىء الواعي دافعا داخليا يصرفه عن قراءة هذا الكتاب ، اذا القى به بين يديه ، وذلك بسبب ضخامته . ولكنه اذا بدأ به لايستطيع ان يتركه قبل الفراغ منه : لان الكتاب ــ على الرغم من كثرة ما فيه من احصائيات ووثائق ــ ممتع . وهو مكتوب باسلوب طلي جذاب، وبتفكير ممنطق متصل .

★★★

وموضوع الكتاب الاساسي هو :

ترى من يسيطر على مقدرات الامور فى بريطانيا ؟

وكل ما فى الكتاب انما يحاول ان يجيب عن هذا السؤال اجابة « بعيدة عن الارتجال » ، واجابة فريدة فى الوصف والتحليل .

وقبل ان ادخل فى التفاصيل اوجز فكرة الكاتب الاساسية : ان ما انتهى اليه فى بحثه هو ان الفئة التي تملك المال هي التي تسيطر على مقدرات الامور . وهي فئة ، فى اكثر الحالات ، ورثت المال سلفا عن خلف ، وورثت معه السلطة . والقارىء للكتاب يخرج بنتيجة تقول : ان المال والسلطة فى بريطانيا يسيران يدا بيد ، ويتوارثان ابا عن جد .

ويؤكد المؤلف مرارا وتكرارا ان الكيان السياسي والاجتماعي للمجتمع البريطاني ، ما زال كما كان فى الماضي ، على الرغم من انه حاول ان يكيف نفسه حسب الظروف . وهذا الكيان لا يشكل وحدة متماسكة ، بل هو مجموعة انظمة تقوم بينها صلة واهية . والبريطانيون المسؤولون انفسهم يعترفون بهذا ،ولكنهم يزيدون فيقولون : ان هذه ميزة من ميزات نظامهم الديمقراطي . ويضيفون ايضا ان هذا التفكك الظاهرى ، قد استطاع ان يكون مجتمعا سليما متماسكا . والمؤلف يشك فى قولهم هذا ، ويتساءل : ولكن هل هذا المجتمع سليم حقا ؟ والى متى سيحتفظ بتماسكه ؟ ويؤكد قائلا : « واثناء اقبالي على جمع مادة هذا الكتاب ، كنت احس احساسا يتزايد يوما بعد يوم ، كلما تقدمت فى الكشف عن حقائق جديدة ، بانني لا اكتب عن بلد واحد ، بل عن مجموعة من الانظمة تجمع بينها وحدة واهية » .

★★★

وقد استقبلت الصحف البريطانية هذا الكتاب عند صدوره ، مشيدة به ، الا القلة البالغة من الصحف ذات الاتجاهات المخالفة لراى الكاتب .

فكتبت مجلة « نيوستيتسمان » قائلة : « هذا كتاب يثبت بالدليل القاطع ان جهلنا للطريقة التي تدار بها امورنا ، هو جهل لايليق بامة متحضرة . واننا لعلى يقين من ان هذا الجهل لم يأت عفوا ، بل هو تجهيل قد خطط له من فوق » .

وقالت جريدة « الاوبزرفر » : « ان هذا خير كتاب صدر فى تشخيص حال المجتمع البريطاني ، وهو اوفى كتاب من نوعه فى دقة معلوماته » .

وكانت تعليقات الصحف البريطانية شبيهة بهذا ، ومتفقة مع راى هاتين الصحيفتين . ولم تهاجمه سوى جريدة « الصندى اكسبريس » ، وهي جريدة لورد بيفر بروك ، فقد قالت فيه

بعد هجوم عنيف عليه : « لقد اضاع انطوني سمبسون وقته في كتابة كتاب يستحق منا اكثر من الاستنكار » .

وفي رأيي ان هذا الكتاب سيكون مرجعا للباحثين والكتاب في المستقبل ، يرجعون الى ما فيه من احصائيات ووثائق ، اكثر مما يرجعون الى ما فيه من آراء .

ولكن يبدو لي ان عنوان الكتاب ليس دقيقا تماما ، فعنوانه هو « تشريح بريطانيا » ، وهو في حقيقته ليس تشريحا لبريطانيا ، وانما هو تشريح للطبقة المسيرة للامور في بريطانيا . ويبدو لي ايضا ان اضعف اجزاء الكتاب هي تلك الاجزاء التي يتحدث فيها عن حزب العمال ، فالمؤلف في هذه الاجزاء لايعطي القارىء صورة واضحة عن الدور الذي يلعبه هذا الحزب في بريطانيا .

***

وليس انطوني سمبسون هو اول من تصدى لنقد المجتمع البريطاني ، بما فيه من مفارقات ، فقد سبقه الى هذا فئة من كتاب المسرح الشباب عرفوا باسم « الشباب الغاضب » . وقد هاجم هؤلاء الشباب في مسرحياتهم بعنف القيم التي نشئوا عليها في مجتمعهم ، وسخروا من تراث امتهم الذي تعتز به ، واتهموا الاجهزة المسؤولة بانها انما تضلل الشباب . ومن هؤلاء الكتاب الشباب جون اوزبورن Osborne ، وبنتر Pinter ووسكر Wescker .

ومع ان هؤلاء الكتاب الشباب قد وخزوا الامة في مكامن مرضها ، ودار وما يزال يدور حولهم كلام كثير ، الا ان الكثرة الساحقة من البريطانيين كانت تظن ان هذه الامراض ليست سوى امراض جسمها وضخمها خيال كاتب مسرحي . فلما جاء كتاب انطوني سمبسون هذا ، كان اشبه بقنبلة مدوية ايقظت النوم من سباتهم ، وفتحت عيونهم على حقيقة كانوا يجهلونها ، او يحاولون تجاهلها . انه كتاب لا يرسل الكلام ارسالا ، وانما يدعم الرأى بالرقم ، ويعززه بالوثيقة .

***

والآن ، ماذا في الكتاب ؟؟

ان المؤلف لايكاد يترك امرا من الامور العليا الا تعرض له .

فالملكة عنده باهظة التكاليف ، بالغة الثراء ، وقد اورد قائمة بمواعيد الملكة ، وارتباطاتها ، خلال أيام الاسبوع ، ليخرج من ذلك بنتيجة هي انها لا تكاد تفعل شيئا يعود بالنفع على الامة . ويقارن ما تتمتع به من امتيازات بحال ملوك شمال غربي اوروبا الذين لا يجدون حرجا في ان يركبوا الدراجات ، ويسيروا بين المواطنين .

ونظم التعليم قديمة لم تتطور بما يتناسب واحوال العصر . وسيطرة ابناء العائلات من خريجي اكسفورد وكمبردج على مقدرات البلاد ، في ازدياد .

ويورد حقيقة ، ان صحت بحرفيتها ، والارجح انها صحيحة ، فهي مذهلة حقا ، انه يقول : ان الطبقة الارستقراطية البريطانية التي تكون ١٪ من السكان ، تملك ٤٣٪ من مجموع الثروة القومية !

ويضرب انطوني سمبسون الامثلة العديدة ليثبت ان الارستقراطية البريطانية هي المتحكمة في شؤون البلاد ، والمالكة للثروة : من ذلك ان اكثر من نصف دوقات بريطانيا ما زال الواحد منهم حتى اليوم يملك الملايين : فهذا دوق بوفورت Beaufort يملك اثنين وخمسين الف فدان . ودوق بكلوش Buccleuch ، وريث احدى العائلات الاسكتلندية العريقة ، يملك ثلاثة قصور ضخمة ، وشقة فاخرة في ارقى احياء لندن ، ومرسى خاصا وهو في الوقت نفسه رئيس مجلس ادارة احد البنوك . وعائلة سيسل Cecil تتمتع بالثراء والسلطان منذ القديم الى اليوم : فاحد افراد هذه العائلة كان وزير الخارجية في عهد الملكة اليصابات الاولى ، وكان ابنه مستشار الملك جيمس الاول ، لايبرم امرا دون مشورته . وهكذا .

وهذه الحقائق . في راى المؤلف ، تجعلنا نميل الى اطلاق اسم « مجلس اصحاب المال » على « مجلس اللوردات » ، لان هذا الاسم الجديد اقرب الى الحقيقة والواقع .

وما زال حتى اليوم في بريطانيا ٩٢٤ من اصحاب الالقاب النبيلة الموروثة . وهؤلاء يتمتعون

بالثروة والسلطان كحق موروث ، دون ان يقدموا شيئا يستحقون بسببه هذه الميزات .

***

واذا تجاوزنا « مجلس اللوردات » ، الذى هو فى كثرته الساحقة وراثي ، الى القضاء والكنيسة، وجدنا ان المراكز العليا فيهما مقصورة ايضا على فئة معينة . فجميع الذين يتسنمون المراتب المرموقة فيهما هم من خريجي اكسفورد وكمبردج . وليس بين القضاة الكبار اليوم غير واحد فقط من غير هاتين الجامعتين . والقضاة الكبار ، بوجه عام ، هم ابناء واحفاد قضاة كبار : فقاضي القضاة الحالى Lord Chief Justice هولورد باركر ، وهو ابن وحفيد قضاة مشهورين .

وحال المراكز العليا فى الكنيسة كحال القضاء : فاصحاب النفوذ فى الكنيسة هم اولا ، ابناء رجال تسنموا مراتب عليا فى الكنيسة ، وهم ثانيا من خريجي اكسفورد وكمبردج ، وليس بينهم غير واحد من خريجي دبلن .

ولا يختلف الامر فى الجيش باقسامه عنه فى القضاء والكنيسة : فالجنرالات والمرشالات هم ابناء واحفاد جنرالات ومرشالات . وهم اذا كانوا لايجدون اليوم من يحاربون ، فانهم يحاربون رجال السياسة الذين يحبسون عنهم السلطة ، لانهم لايريدون ان يعودوا الى تلك الايام ، ايام كتشنر ومن سبقه ، حين كان امر الجنرالات والمرشالات نافذا ، لايستطيع احد ان يقف فى وجهه .

***

والامور فى وزارة المالية ، ووزارة الخارجية ، والبنوك ، تسير على المنوال نفسه : فوزارة المالية تكاد تكون مقصورة على عائلات بعينها . وفى هذه الوزارة خيرة ابناء العائلات من الذين يعملون فى الوظائف المدنية . ولا يزيد عدد من بيدهم الامر فى هذه الوزارة عن مائتين ، كل واحد منهم يعرف الاخر ، وله به اكثر من رابط ، انهم يعملون ، وياكلون ، ويسهرون ، ويفكرون ، معا .

اما فى وزارة الخارجية فقد بلغ من طبقيتها انه ، حتى عام ١٩١٩ ، لم يكن يقبل فيها الا من يملكون دخلا خاصا لا يقل عن مبلغ كذا . ويطلق المؤلف على هذه الوزارة اسم « شركة محدودة الاسهم يملكها من ولدوا وفى أفواهم ملاعق من ذهب » .

والبنوك تملكها عائلات بعينها : فعائلة بارنج Baring مثلا ، هي وريثة سير فرانسيس بارنج ، صاحب مصانع الاقمشة الاصم الشهير ، الذى خلف وراءه بعد وفاته ثروة تقدر بمبلغ سبعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية ، فى زمن كان للجنيه فيه قيمة ، وقدرة شرائية كبيرة . وهذه العائلة اليوم تملك البنوك ، ولها عن طريق ابنائها نفوذ فى القصر ، ومجلس الوزراء ، ومن هذه العائلة اليوم خمسة يحملون القاب النبل .

***

والانتقال من طبقة الى طبقة فى المجتمع البريطاني امر عسير ، فى رأى المؤلف ، وان كان هذا الانتقال سهلا ضمن الطبقة الواحدة : كان يصبح وزير سابق مديرا لشركة .

ويصف المؤلف المجتمع البريطاني بانه مجتمع هرمي . وهذا التكوين الهرمي يجعل الصلة معدومة بين الارستقراطية المتحكمة فى مصير البلاد، وابناء الطبقة المتوسطة التى اخذ ابناؤها يتفوقون فى شتى ميادين المعرفة .

اما السبب فى بقاء الارستقراطية البريطانية ، واستمرارها ، فهو انها لم تكن تقف فى وجه الاثرياء الجدد من الانضمام اليها ، عندما يصبحون مالكين لقدر معين من الثراء .

***

هذا بعض ما فى هذا الكتاب القيم المثير .

واذا كانت مشكلة المجتمع البريطاني فى عهد الملكة فكتوريا ، هي النمو السريع ، فان مشكلة هذا المجتمع اليوم ، السقوط البطيء : سقوط بدأ بضياع الامبراطورية ، ووضع جديد حدا بالمسؤولين الى البحث عن شخصية جديدة لائقة ، تبدو بها البلاد التى لم تكن الشمس تغرب عن ممتلكاتها .

ومع هذا ، فاننا لا نملك الا ان نشيد بالنظام الذى يسمح بنشر الحقيقة ، مهما كانت هذه الحقيقة مرة ، وتخزه فى الصميم . والصراحة ومجابهة الواقع ، صفتان من صفات الامة الواثقة بنفسها . ■■

محمود السمره
الجامعة الاردنية ــ عمان

من الكتب التى وصلتنا



الأرنب معلم الوقت

تأليف وليام هول ترجمة الدكتور محمد قدرى لطفى ـ الدار القومية للطباعة بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة الثمن ١٢ قرشا

● من المشاكل التى تواجه الطفل ان يتعلم معرفة الوقت ، وهذا الكتاب لا يحل له هذه المشكلة فقط ، بل يقص عليه ايضا قصة طريفة ومسلية تسهل له عملية تعلم الوقت كما تجعلها مثيرة له .

على دروب الكفاح

تأليف محمود الروسان مطابع الايتام الاسلامية بالقدس

● اشترك المؤلف بهذا الكتاب فى المسابقة الشعرية لنيل جائزة شوقى عام ١٩٦٤ وهو يضم مجموعة فريدة من انتاجه الشعرى .

نداء الدماء

تأليف حسن عبد الله القرشى

دار العلم للملايين ببيروت

● ديوان شعرى يسير معظمه بطواعيه وانفعال مع ركب الوطن العربى الكبير المناضل فى سبيل استعادة ماضيه .

النباتات الطبية فى العراق

تأليف الدكتور علي الراوى والدكتور ج.ل. جاكره فارلي ـ مطبعة الحكومة ببغداد

● الكتاب عبارة عن دراسة فى علم النباتات الطبية وموضع أسمائها العلمية والمحلية ويعتبر مرجعا هاما .

التوزيع الجغرافى للنباتات البرية فى العراق

تأليف الدكتور علي الراوى مطبعة الحكومة ببغداد

● هذا الكتاب يفى بحاجة المختصين بالنبات والزراعة وأساتذة وطلاب الكليات العلمية لمصدر يساعدهم على التعرف بنباتات العراق ومناطق نموها ويعتبر بحق مرجعا علميا هاما .

الجوانيه

تأليف الدكتور عثمان أمين ـ دار القلم بالقاهرة الثمن ٦٠ قرشا

● يعتبر هذا الكتاب فلسفة جديدة . وبه دراسة عميقة عن الجوانية وهي فلسفة تنظر الى المخبر ولا تقف عند المظهر وتلتمس الباطن دون أن تقنع بالظاهر وتلتفت الى المعنى والى القيمة والى الروح من وراء اللفظ والحس والظواهر .

هكذا عرفتهم

تأليف جعفر الخليلي ـ مطبعة الزهراء ببغداد

● هذا الكتاب خواطر عن اناس افذاذ عاشوا بعض الأحيان لغيرهم اكثر مما عاشوا لانفسهم ، بأسلوب شيق ادبى .

أجراس الفرح

تأليف سوسن الجندى مطابع نفرى برس بيروت

● كتاب ادبي تشرح فيه المؤلفة الطريق الى السعادة كما تراه باسلوب ادبي شيق .

تاريخ العرب العسكرى

تأليف محمود الدره دار الكاتب العربى ببغداد

● خرج مؤلف هذا الكتاب باسلوبه عن الأسلوب الذى اتبع فى تدوين تاريخ العرب العسكرى ، اذ البسه لبوسا يتناسب وجدته ، وفيه تكلم عن حروب محمد (صلعم) وحروب الردة وعن تحرير العراق ايضا وذلك باسلوب شيق سهل .

مجلة المجمع العلمي العراقى

مطبعة المجمع العلمي العراقى ببغداد

● ظهر المجلد الحادى عشر من المجلة وبها كالعادة من الموضوعات الهامة الكثير ، باسلوب ادبى وباقلام رواد الفكر والادب .

كفاح المسلمين فى تحرير الهند

تأليف عبد المنعم النمر مكتبة وهبي بالقاهرة الثمن ٥٠ قرشا

● الكتاب يبحث فى جهاد المسلمين ضد الاستعمار فى الهند ، وفى كيفية قيام قيادتهم الدينية والسياسية برفع لواء الكفاح حتى كان الاستقلال ، وقامت دولتا الهند وباكستان . ثم موقف مسلمي الهند بعد التقسيم . كما يتتبع مشكلة كشمير من جذورها ويحلل موقف الهند وباكستان منها .

القصة العراقية قديما وحديثا

تأليف جعفر الخليلي مطبعة الانصاف ببيروت

● مؤلف هذا الكتاب احد كبار قصاصي العراق وأدبائها البارزين وفى الكتاب يشرح تاريخ القصة العراقية .

الموسوعة القانونية للتوظيف والخدمة فى الكويت

تأليف محمد عبد الحميد الجزار المحامى دار مكتبة الحياة ببيروت

● تضم هذه المجموعة القوانين الهامة فى دولة الكويت وتعتبر مرجعا هاما للعاملين بالكويت .

الزاوية الدلائية

تأليف : محمد حجي ـ المطبعة الوطنية بالرباط ـ المغرب

● رسالة تقدم بها المؤلف لنيل شهادة الماجستير فى الآداب وهي تبحث فى أثر الزاوية الدلائية العلمي والديني والسياسي كما تشرح الدور الذى قام به الدلائيون فى الميدان السياسي وعلاقاتهم بالدول الأوربية الكبرى فى عصرهم

نسمات الجبل

تأليف ـ فيليب لطف الله ـ سان باولو بالبرازيل

● ديوان شعرى ، والمؤلف لبناني مغترب

نهاية قصه

تأليف : فؤاد عبيد ـ المكتبة الوطنية بالبحرين ـ الخليج العربي

● مجموعة قصص من صميم الحياة كتبها مؤلفها بأسلوب سلس جميل

صدى الصوت من الخفاش الى الانسان

تأليف : دونا لدر . جريفن ـ ترجمة ـ الدكتور محمد الشحات ـ دار النهضة العربية بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة ـ الثمن ١٨ قرشا

● بحث مستفيض فى البيولوجيا الفيزيائية تضمن استقصاء الوسائل التى تشق بها الحيوانات المختلفة طريقها فى الظلام . وهو بحث ممتع فى كيفية استخدام الخفافيش فى توسيع دراية الانسان بعلم الفيزياء وتطبيقها فى مجال معاونة المكفوفين .

صخرة الرعد

تأليف : روبرت اردرى ـ ترجمة مرسي سعد الدين مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ١٥ قرشا

● مسرحية يتحرك أبطالها طيلة احداثها فى فنار فى بحيرة ميتشجان على جزيرة صغيرة اسمها « صخرة الرعد » ومحور المسرحية هو حارس الفنار اختار وظيفة بعيدة عن عالم الاحياء الشرير

رواد الصحافة فى الولايات المتحدة

تأليف : جيرارد بريفين ميسير ـ ترجمة أحمد ابو كف ـ دار الكرنك للنشر بالقاهرة ـ ٢٠ قرشا

● كتاب فى تاريخ الصحافة الأمريكية وتطورها وهو فى الحقيقة صورة لتقدم الصحافة فى العالم

تصنيع الطرق

تأليف : كاثلين م . لانكلي ترجمة ـ الدكتور محمد حامد والدكتور خطاب صكار العاني مكتبة المثنى ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ الثمن ٧٠٠ فلس

● يتناول هذا الكتاب دراسة مراحل حركة التنمية الصناعية فى العراق سيما وأن المؤلفة عملت بالعراق استاذة بكلية الآداب وعاشت فى المشكلات التى تعرقل نمو الصناعة فى وادى الرافدين

جسمك .. هذا العجيب الفريد

تأليف : روبرت فوليت ـ ترجمة الدكتور معمر خالد الشابندر ـ مكتبة الوفاء بالموصل بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين

● كتاب يشرح بشكل مبسط تشريح عضلي لجسم الانسان ووظائف كل جزء باسلوب مبسط وشيق . ■■



بمناسبة مرور عشرين عاما على هيئة الامم المتحدة

عن صحيفة « الأوبزرفر » اللندنية :

● لقد مضى على مولد هيئة الأمم المتحدة عشرون عاما . بدأ التفكير فى تأسيسها ابان الحرب ، وكان الغرض من تأسيسها تفادى وقوع الحرب .

بيد أن العمل فى هذا الاتجاه لم يكن رائد المنظمة الدولية الوحيدة فرسالتها الحقيقية ايجابية لا سلبية ، وقد تمثلت وما تزال تتمثل فى العمل الجدى لبناء السلم العالمي وتوطيد أركانه على نحو يكفل تدارك الحروب وتحاشي ويلاتها . ولا يخفى أن حصيلة أعمال هيئة الأمم طيلة العشرين سنة الماضية كانت مخيبة للآمال . وباتت المنظمة فى أمس الحاجة الى التعديل .

أضف الى ذلك أن تصنيف الدول الاعضاء فى المنظمة الدولية فى فئتين فقط ، فئة أعضاء مجلس الامن الدائميين ، وفئة سائر الاعضاء غير الدائميين ، فيه تصنيف عقيم ، ولا يتجاوب وحقائق الواقع . وتقضي الضرورة بقيام فئة ثالثة قوامها الدول التى يمكن اعتبارها وسطا بين الكبرى والصغرى على غرار ما كان معمولا به فى عصبة الأمم .

ويترتب على هذا وذلك انشاء جهاز أو سلطة جديدة داخل المنظمة الدولية تكون مهمتها الوحيدة الحفاظ على السلام العالمي . اما أعضاء هذه السلطة المقترحة فينبغي أن يكونوا :

١ ـ الدول الكبرى الخمس التىتمتلك الأسلحة النووية وهي : الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين الشعبية .

٢ ـ خمس دول أخرى تلي الدول الكبرى قوة، وتنتخب لعضوية السلطة الجديدة على أساس دورى ولمدة سبعة أعوام ويسهم فى انتخابها لهذه العضوية كافة أعضاء هيئة الأمم المتحدة .

٣ ـ خمس دول من الدول الصغرى تنتخب على نحو ما أسلفنا على الا تطول مدة عضويتها أكثر من ثلاث سنوات .

ويناط بالسلطة الجديدة المقترحة حق التدخل الفعال لسحق كل حركة تظهر فى بلد اى عضو من أعضاء المنظمة الدولية وتنذر بالحرب أو تتسم بطابعه . على الا يسمح لهذه السلطة باتخاذ اجراء جماعي من هذا القبيل ضد الولايات المتحدة او الاتحاد السوفياتي. اما قراراتها فتتخذ جميعها على أساس أغلبية الاصوات دون أن يكون لأي عضو من أعضائها حق الفيتو بالنسبة الى تلك القرارات .

سوق اللوحات الفنية

عن مجلة « الايكونومست » :

● لقد كان أسبوعا حافلا بالنسبة الى معارض بيع اللوحات الفنية فى لندن . نشطت السوق مساء ونشط فيها الشراء تلفونيا من قبل هواة الفنون فى بيوتهم فى القارة الأمريكية نفسها . ولم يكن الثمن الذى دفع فى لوحة للفنان دوفي والبالغ ٢٥٠٠٠ جنيه الا أقل ما سجلته السوق . فقد تم شراء لوحة لرنوار مقابل ٢٨٠٠٠ جنيه وأخرى لموني لقاء ٣٤٠٠٠ جنية وثالثة لبيكاسو بمبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه . وبانتهاء الساعات الثلاث التى استغرقتها السوق كان عدد ما بيع من اللوحات الفنية ١٦٠ لوحة ومجموع ما دفع فيها من أثمان ٨٢٩٠٠٠ جنيه .

بريطانيا تريد احياء ما مات من سيطرتها

عن صحيفة « المانشيستر جارديان الاسبوعية » اللندنية :

● كانت فرنسا (الديجولية) هي الدولة التي فاقت غيرها من دول أوروبا الغربية من حيث تحررها من آثار الحرب العالمية الثانية وتخلصها من ذيولها ، لذلك أمكننا اعتبارها الدولة الأكثر استقلالا من غيرها من تلك الدول . أما بريطانيا فما زالت تتخبط على غير هدى . فهي تعاني ما خلفته الحرب فيها من مشاكل اقتصادية ومالية من جهة وتنوء بأعباء بقايا امبراطوريتها في افريقيا والشرقين الأوسط والأقصى من جهة اخرى .

والوهم السائد في بريطانيا حاليا هو ان في وسع حكومتها احياء ما مات من سيطرتها ونفوذها عن طريق رابطة الشعوب البريطانية (الكومونولث) ويتجلى مدى تغلغل هذا الوهم في محاولة المستر ولسون الاخيرة لترأس بعثة تمثل دول الكومونولث الهادفة الى احلال السلام في الشرق الاقص .

على ان الكومونولث البريطاني شيء ، والامبراطورية البريطانية شيء آخر ، ولا مفر من مجابهة الواقع ، والنظر الى رابطة الشعوب البريطانية باعتبارها هيئة هزيلة مفككة الأوصال .. فما لم تتضح هذه الحقيقة بجلاء ، وما لم تتكشف ملابساتها ومتضمناتها لرجال الدولة والساسة الانجليز على السواء ، تفاقم الوهم وظل أولو الامر في بريطانيا على ما هم فيه من تخبط حافل بالمهازل .

اذا لم تحل أمة قضاياها ،حلها الآخرون

عن مجلة « الأيكونومست » اللندنية :

● نشطت مؤخرا المساعي الرامية الى احلال السلام في قبرص . على أن نشاطها لم يتركز هذه المرة في العاصمة القبرصية ، وانما فيما جرى بين اثينا وانقرة من اتصالات على الصعيد الدبلوماسي . وظهرت بوادر هذه المساعي في المجالات التى تبادلها ممثلو تركيا واليونان اثناء المناقشات التي جرت حول قضية قبرص في اجتماع مجلس الأمن في الاسبوع الماضي . وتجلت تلك البوادر اكثر ما تجلت في التهاني التى تبادلها اولئك الممثلون ايضا على قيام تلك المساعي التى ان دلت على شيء ، فانما تدل على حسن نية الدولتين المعنيتين ، تركيا واليونان .. بيد ان هذه النية الحسنة لا تشمل على ما يبدو اهل قبرص بالذات . فاليونانيون من سكان قبرص غير راضين عن تدخل غيرهم في شئونهم حتى ولو جاء هذا التدخل من جانب حكومة اليونان نفسها . فهم يصرون على ممارسة حقهم في تقرير مصيرهم دون أن يشاركهم في ذلك أحد .

وموقف القبارصة اليونان في هذا الصدد مفهوم . الا أن عليهم أن يدركوا بأن لا سبيل الى تحاشي تدخل الغير في قضاياهم والحيلولة دون تسوية قضيتهم من الخارج الا اذا اظهروا استعدادهم لوضع حل لمشكلتهم يستطيع القبارصة الاتراك قبوله دون خوف أو خجل .

ومهما يكن من أمر فان على اليونان وتركيا الا تسمحا بتسمم العلاقات بينهما بسبب قضية قبرص الى ما لا نهاية له .



أنتم تسألون ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

ولو ...

١

روح أمير الشعراء "شوقي" تملي على "الوسيطة" قصيدة جديدة

● قرأت في آخر صفحة من جريدة « الاهرام » الصادرة بتاريخ السبت ٢٧ يونيه ١٩٦٥ ان الدكتور رؤوف عبيد ، الاستاذ في جامعة القاهرة أكد بعد ٢٠ سنة من الدراسة أن تحضير الارواح أصبح علماً جاداً ، وضرب لذلك مثلا زوجة الدكتور سلامه طبيب المنيا التي استطاعت ان تتلقى - كوسيطة روحية - اشعارا لامير الشعراء احمد شوقي ، من العالم الاخر ، وكان آخرها قصيدة تلقتها من امير الشعراء يدافع فيها عن نفسه ضد من هاجموه في السنوات الاخيرة قائلين انه كان متحفظا في شعره حتى يتقي غضب الخديو ، وفي هذه القصيدة يقول :

((بيرل بك)) .. وقصتها الخالدة ((الارض الطيبة))

● يسعدني أن ألفت انظاركم الى شيء استرعى انتباهي في العدد السادس والسبعين حيث نشرتم قصة « الحالك الصيني » وقلتم انها « للكاتب الامريكي بيرل بك » مع اني أعرف كما تعرف الالاف والملايين ، ان « بيرل بك » سيدة وليست رجلا .. فهل هو خطأ مطبعي ؟ أم أن هناك بالفعل كاتبا أمريكيا يحمل هذا الاسم ؟ أم ان طول مقامها في الصين بين أوساط الفقراء والجياع أفقدها انوثتها وجعل منها رجلا ؟ !

وهل لكم بهذه المناسبة أن تنشروا شيئا عن تاريخ « بيرل بك » - امرأة كانت أم رجلا - وعن قصة « الارض الطيبة » ؟

الدريوش - المغرب - رشدي احمد قدور

- هو خطأ مطبعي ليس اكثر ، وقع فيه قسم

ضج الاباء وهاج النقد من عجبي
خرف يهاجم ند الفكر والادب
والروح اجفل من مدعاة من زعموا
اني حبيت اسير الدر والذهب

وقبل ذلك بقليل اطلعت على كلمة بتوقيع الدكتور علي عبد الجليل راضي استاذ الطبيعة بكلية علوم عين شمس ، ورئيس جمعية الاهرام الروحية بالقاهرة ، مفادها ان روح العلامة عبد اللطيف البغدادي الفارسي الذي مات عام ١٢٣٢ م في بغداد ، هو الآن اشهر من نار على علم في الجلسات الروحية ، حتى لقد ظهر فيها برسمه ، وبذلك تمكن احد الوسطاء من رسم صورته ، وبمنحه مفتاح الحكمة الرمزي « فتح » ، وانه الآن المرشد للحركة العلاجية في كثير من البلدان ، وانه ارشد اخيرا أحد الوسطاء عن مكان كتابه النادر « الافادة والاعتبار » ، وكيف ان النسخة التي كتبها بخط يده ما زالت موجودة في مكان ما ، وصفه للوسيط الذي توجه الى هناك ووجد المخطوط الذي ظل خافيا عدة قرون !

ولست اكتمكم ان قراءة هذين النبأين ، وصدور هذا الكلام عن استاذين جامعيين ، مما زادني حيرة على حيرة .. أفلا ترون معي انه ينقض ما أوردتموه في العدد ٧٧ من «العربي» من أن تحضير الارواح أقرب الى الخرافات والاوهام؟! ثم الا ترون فيه ما يحملكم على ان تعدلوا عن رأيكم هذا ، وتؤمنوا بان تحضير الارواح حقيقة واقعة وليست خرافة كما تقولون ؟ !

القاهرة ـ دكتور توفيق احمد

ـ صدقني يا اخي اني شهدت اكثر من مائة جلسة من جلسات تحضير الارواح ، مع نخبة مختارة من الاطباء والمحامين والصحفيين واساتذة الجامعات ورجال الدين والتعليم ، من بينهم المرحومان الشيخ عبد الوهاب خلاف والاستاذ عبد الوهاب حمودة والدكتور على عبد الجليل راضي والمرحوم الاستاذ احمد فهمي أبو الخير الذين قرات لهم اكثر من عشرة كتب ، بعضها مترجم وبعضها موضوع ، وكان ثانيهما يعقد جلسات دورية لعلاج الامراض المستعصية بواسطة من كان يقول انهم أرواح بعض كبار الاطباء الاجانب الذين ماتوا من مئات السنين،وبينهم بعض الجراحين كانوا يقومون باجراء عمليات جراحية خطيرة ، في المخ تارة ، وفي القلب تارة اخرى ، كما كانوا يزعمون !

ولقد دفعنا ثمنا لجرينا وراء هذا الدجل أي ثمن ! عروسا من قريباتي زفت الى القبر في نفس الاسبوع الذي كان مقررا ان تزف فيه الى بيتها السعيد المنشود !!

وحسبك ان تقرا هذه الكتب أو بعضها

البقية على الصفحة التالية

المراجعة والتصحيح عن غير قصد .. فان « بيرل بك » أشهر من نار على علم ، وروايتها « الارض الطيبة » التي صدرت الطبعة الاولى منها عام ١٩٣١ حظيت بنجاح لم تحظ به رواية قبلها ، وربما بعدها ، حتى اصبحت تطبع ويعاد طبعها عشرات المرات ، وتترجم الى مختلف اللغات ، حتى امست جزءا من التراث الكلاسيكي العالمي ،

والرواية تصور حياة اسرة صينية ، وكذلك معظم كتب « بيرل بك » ، فهي قد امضت الشطر الاكبر من عمرها في الصين ، اكثر من ثلاثين عاما ، قضت معظمها في تدريس اللغة الانجليزية ،فسرعان ما كانت تتكلم وتكتب الصينية،وكان الصين هي وطنها الاصلي . لكن أحداث عام ١٩٢٧ وموجة الكراهية التي عمت البلاد ضد الاجانب ، اضطرتها الى أن تترك البلاد التي احبتها ، فما لبثت أن عبّرت عن هذا الحب في اربع كتب نشرتها في ٤ سنوات ، « الارض الطيبة » ثانيها ، واقواها ، واخلدها ، حتى فازت بجائزة نوبل ، وبيع منها ملايين النسخ في مختلف الاقطار وبجميع اللغات الحية ..

ولو ..

بقية المنشور على صفحة ١٤٤

لتجد فيها من المطرب والمعجب مالا تجده فى « الف ليلة وليلة » !

فهذا طبيب امريكي مشهور ، لا اذكر من اسمه الآن الا « باورز » ، استاذ فى احدى الجامعات ، يقول انه حضّر روح امه ، واستطاع بعلمه ان يجعلها « تتجسّد » ، فظهرت له وللحاضرين فى شكلها المعروف لهم جميعا ، وبنفس الثياب التى كانت ترتديها فى حياتها ، وانه استطاع ان يقتص خصلة من شعرها وهي متجسدة !

وهذا كتاب آخر يزعم مؤلفة الامريكى ايضا انهم استطاعوا تحضير روح الراقصة العالمية « آنا بافلوفا » ، وانها هى الاخرى «تجسدت»



جمال الدين الافغاني

أهو أفغاني .. أم ايراني ؟

● فى سهرة أدبية ثار نقاش حول السيد جمال الدين الافغاني ، لمناسبة المقال الذى نشرته عنه « العربي » فى عددها التاسع والسبعين ، والذى أشار كاتبه الى تنافس الشرقيين فى نسبة جمال الدين الى بلادهم ، « حتى ذهب بعض الايرانيين الى انه ايراني الاصل ، وانه ولد فى « سعد آباد » الخ ...

لكن هذا الرأى لم يعجب بعض الحاضرين الذين اصروا على ان السيد كان أفغانيا ، ولم يكن ايرانيا .

نرجو أن توضحوا لنا وجة الحقيقة فى هذا الموضوع .

النجف الاشرف **علي صالح**

« .... والقول بأن جمال الدين ايراني الاصل لم يذهب اليه بعض الايرانيين فحسب ، كما يقول الدكتور عثمان امين فى مقاله ، وانما ذهب اليه كل العارفين بحقيقة موطنه » من عرب وايرانيين وغربين وشرقيين . فهو قد ولد فى بلدة « اسد اباد » لا « أسعد اباد » كما جاء بالمقال ، وهي قرية على بعد سبعة فراسخ من مدينة همدان الايرانية ، ولا يزال بها من أفراد اسرته ما يناهز المائة نسمة بين ذكر وانثى ، وكان أحد أحفاد أخيه حتى عام ١٣٥١هـ مدرس القرية ، ولا تزال الغرفة التى ولد فيها السيد جمال الدين فى دار والده ، الواقعة فى محلة سيدان ، على حالها حتى اليوم ..

وقد ورد ذلك فى كتاب بقلم شقيقته السيدة « طيبة بيكم » مطبوع بالفارسية فى برلين ، وفى غيره من الكتب تعرض لسيرته .

بيروت **حسن الامين**

ـ مع التقدير لما يقوله السيد حسن الامين ، والمراجع التى يستند اليها ، لا تظن انها تقطع بان السيد جمال الدين كان ايرانيا .. والا لسُمّي جمال الدين الايراني ، بدلا من الافغاني.. والتعديل الذى يمكن أن يكون معقولا هو انه افغاني الاصل ولكنه لما ولد فى ايران ، وبسبب أرومته هذه سمي « الافغاني » ..

ومع ذلك فان هناك عدة قرائن تكاد تقطع ـ ان لم تقطع بالفعل ـ بان السيد افغاني وليس ايرانيا ، نذكر منها :

لهم ، ثم راحت تعرض عليهم بعض الرقصات التي اشتهرت بها .. بملابس الرقص طبعا .. بينما كانت الموسيقى تعزف لها اللحن المناسب !!

وهذا طبيب ثالث يقول انه اراد ان يختبر روحا تجسدت لهم ، فاقتطع بضعة من لحمها ، ثم ذهب بها الى معمله ليجرى عليها اختباراته !

وزعم صديقنا المرحوم احمد فهمى ابو الخير ان شابا من شباب مصر الوطنيين ، كان قد القى قنبلة على سيارة احد رؤساء الوزارات بعد ثورة سنة ١٩١٩ فحكم عليه بالسجن المؤبد ، وكانت له خطيبة ماتت قبل سجنه بقليل ، فكانت روحها تزوره كل يوم فى زنزانته ، واستطاعت ان تجعل من هذه الزنزانة عشا سعيدا عاشرت فيه خطيبها معاشرة الازواج ، حتى اذا ما فرج عنه بعد بضع سنين لاحقته الى بيت أسرته التي ما لبثت ان استعانت بالاستاذ ابو الخير كى « يصرفها » اى يطردها !!

والامثلة التي من هذا النوع كثيرة لا تحصى، ولا تتسع لها هذه الصفحات ، بل تحتاج الى اكثر من كتاب .. اتظن يا سيدى ان شيئا من هذا يصدقه العقل ، الا ان يكون واقعا تحت تأثير خاص ، كالتنويم المغناطيسى ، او الايحاء ، ولا اقول الحشيش ؟ !

ومن طريف ما اذكر ان الدكتور على عبد الجليل راضى دعا ذات مرة منذ نحو عشرة اعوام أو اكثر وسيطا امريكيا .. ولست انكر أن هذا الوسيط قام بعرض بعض الخوارق زاعما انها من عمل الارواح ، فى حين ان معظمها مما يفعله الحواة والمشتغلون بالتنويم المغناطيسى وقراءة الافكار .

اما حكاية الشعر الذى تمليه روح امير الشعراء شوقى على هذا الوسيط وذاك ، فلعبة « قديمه » ! فقد زعموا مثلها منذ بضع سنوات ، فاجمع الشعراء يومئذ على ان الشعر المزعوم لا يرقى الى قدمى شوقى لو انه كان حيا .. لركاكته .. !

واين قصيدته الجديدة المزعومة من بائيته التى مطلعها :

> الله اكبر كم فى الفتح من عجب
> ياخالد الترك جدد خالد العرب ؟

وخلاصة القول هى ان تحضير الارواح كما ذكر الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الازهر السابق : « لايخرج عن مظاهر خداع والهاء بالخيالات لايلبث ان ينكشف امره ، فنحن فى حل من رفضه ، الى ان يقوم الدليل على صدقه » .

ونعود فنقول ان هذا « الدليل » لم يقم حتى الآن برغم كل ما يزعمون !

اولا : انه فضلا عن تسميته قد الف تاريخ افغانستان ، ولم يكتب حرفا واحدا فى تاريخ ايران ، ولو كان ايرانيا لفعل العكس .

ثانيا : انه كتب تاريخ سلطان افغانستان الامير عبد الرحمن خان ، ولو كان ايرانيا لكان أولى به ان يؤلف تاريخ ناصر الدين شاه ، شاه ايران الذى عاش فى عصره .

ثالثا : ان هناك تقريرا من السفير البريطاني فى ايران يرجع الى اكثر من ثمانين سنة ، يؤكد فيه ان السيد جمال الدين افغاني وليس ايرانيا .. وقد نشرت صورة هذا التقرير غير مرة وهو ما يزال محفوظا فى سجلات وزارة الخارجية البريطانية .

رابعا : انه توفى بتركيا على ما هو معروف ، فلما أريدَ نقل رفاته الى بلده ، نقل الى افغانستان ، ولو كان ايرانيا لنقلت رفاته الى ايران ...

وكل هذه القرائن وغيرها مما لا يحضرنا الآن ابلغ فى الدلالة على انه افغاني ، من أن انفارا من اسرته ما يزالون يعيشون فى ايران ، أو انه ولد فى دار ما تزال قائمة فى محلة « سيدان » ما تزال قائمة حتى الآن ...

على انه ما هو هذا الخطر الكبير الذىيكمن وراء جمال الدين ، افغاني هو ، أم ايراني ، أم روسي ، أم صيني ، الرجل كان مسلما ، يعمل للاسلام فى تحرر كثير ، والاسلام عنده الله أولا ، وللاوطان المحل الثاني ، ان كان لها فيه محل اصلا .

زوجات النبي ... وبناته

"ما حسدت امرأة ما حسدت خديجة .
وما تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا بعد أن ماتت" ! السيدة عائشة

● كثيرا ما نسمع ان السيدة خديجة بنت خويلد ، اولى زوجات الرسول الكريم (ص) تزوجت قبله رجلا غيره . فما اسم هذا الرجل أومن اى القبائل كان ؟
وهل بين زوجات الرسول من كانت متزوجة قبله بسواه ؟

دير الزور : سورية — جاسم عوض

● قرات فى كتاب عن تاريخ الصومال انزوجات النبي صلى الله عليه وسلم ١١ زوجة ، وقرأت فى كتاب للدكتورة بنت الشاطىء انهن اثنتا عشرة ، فى حين اننا تعلمنا فى المدارس الاولية والابتدائية انهن كن تسع زوجات فقط .. فايهذه الروايات الثلاث اصح ؟ ومن هن زوجاته (ص) بترتيب زواجه بهن ؟ وكم عدد بناته ؟ وماهي اسماؤهن وأسماء أزواجهن ؟

الاسكندرية — جيهان رافت

● اولى زوجات المصطفى هى السيدة خديجة بنت خوَيلد ، وهي أم أولاده الا ابراهيم ، فهو من مارية القبطية . وكانت سيدة نساء قريش . تزوجت مرتين ، لا مرة واحدة كما يقول صاحب السؤال الاول . وكان زوجاها فى المرتين من سادات العرب واشرافهم : أبى هالة بن زرارة التميمى ، وعتيق بن عائذ المخزومى . وان اختلفت الروايات فى أيهما كان اسبق اليها .

وكانت خير زوجات الرسول واحبهن جميعا الى قلبه ، حتى انه لم يتزوج غيرها فى حياتها . فلما ماتت ظلت ذكراها عنده اعز الذكريات . فقد كانت تحوطه فى كل ازمة مرت به بحب الزوجات وحنان الامهات .

حدث يوما ان اقبلت اختها « هالة بنت خويلد » الى دار الرسول بعد ان تزوج بثالث زوجاته « عائشة » ، فما ان سمع صوتها فى فناء الدار

حتى هتف وقلبه يخفق : « اللهم هالة » ! فما ملكت عائشة نفسها من الغيرة من ذكرى خديجة ، فقالت : « ما تذكر من عجوز هلكت في الهالكين ، فابدلك الله خيرا منها ؟ فبدأ الغضب على وجهه وصاح بها : والله ما ابدلني الله خيرا منها .. امنت بي حين كفر الناس ، وصدقتني اذ كذبني الناس ، وواستني بمالها اذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » !

(ولم يكن صلى الله عليه وسلم قد تزوج بمارية القبطية بعد ، ورزق منها بابنه ابراهيم)

فاسكت عائشة ، وآلت الا تذكرها بعد ذلك ، وكانت من قبله لاتكف عن الكلام فيها والغيرة منها !

وكثيرا ما سمعت في كثير من المناسبات وهي تقول : « ما حسدت امراة ما حسدت خديجة ، وما تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد ان ماتت » !

● وثانية زوجات الرسول هي السيدة « سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس » وكانت ارملة مسنة غير ذات جمال ، تزوجها الرسول لترعى شؤونه وشؤون بناته بعد فاة امهن ، واكراما لذكرى زوجها « السكران بن عمرو » احد الثمانية المهاجرين الاوائل الذين اوذوا في سبيله حتى اضطروا الى الهجرة لينجوا بدينهم من مطاردة كفار قريش لهم ...

● وفي نفس الوقت كان الرسول قد خطب « عائشة » بنت خليله وصفيه وصاحبه في الغار : ابي بكر الصديق ، الذي ستظل سيرته مع الرسول وسيرة ابنته معه من بعده ، حديث التاريخ .

● وكانت رابعة زوجاته « حفصه » بنت عمر بن الخطاب التي يذكرها التاريخ بانها « حافظة المصحف الشريف » .. وكانت عند زواجه بها ارملة في الثامنة عشرة .

● وتلتها « زينب بنت خزيمة بن الحارث » ، وكانت هي الاخرى قد استشهد زوجها الذي اختلف المؤرخون في اسمه : أهو عبد الله بن جحش ، ابن عمة الرسول ، ام الطفيل بن الحارث بن المطلب ، ام شقيقه عبيدة بن الحارث ؟

ولم تلبث عند الرسول الا قليلا ثم ماتت .. وكانت تعرف بانها « ام المساكين » ..

وجاءت بعد ذلك « ام سَلَمَة » ، هند بنت ابي امية بن المغيرة ، وكان يعرف باسم « زاد الرَّكْب » . وكانت عريقة المنبت ، ذات جمال باهر .. وكانت قبل ذلك زوجا لابي سَلَمَة ، عبد الله بن عبد الأسد الصحابي الفارس الذي قضى متاثرا بجراحه بعد معركة « أُحُد » .. كما كانت اولى المهاجرات الى الحبشة ، ثم الى المدينة .

● وجاء بعد ذلك دور الشريفة الحسناء ، زينب بنت جحش ، وكانت معتزة بجمالها وشبابها وقرابتها للرسول فكانت تقول : « انا سيدة ابناء عبد شمس » .

وقصتها مع الرسول ، وقصة زوجها الاول « اسامة بن زيد » وابيه « زيد بن حارثه » مشهورة .. وكانت تفخر على ضرائرها بان زواجها من الرسول كان بامر من السماء .

● وثامنة زوجاته صلى الله عليه وسلم هي « برّة » بنت الحارث بن ابي ضرار ، سيدة بني المصطلق .. كانت من السبايا ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس ، ففزعت الى الرسول لينقذها من مهانة السبي وعار الرق ، فتزوجها وسماها « جُوَيْرِية » .

● أما التاسعة فكانت « صفية بنت حُيَيّ بن اخطب » عقيلة بني النضير واحدى سباياهم في غزوة خيبر ، وكانت اذ ذاك في السابعة عشرة ، ثم تزوجت مرتين ، اولاهما من فارس قومها وشاعرهم ، سلام بن مشكم ، وثانيتهما من كنانة بن الربيع صاحب حصن « القموص » اعز حصون خيبر ، ثم سيقت في السبايا الى رسول الله ، فالقى عليها رداءه ، واعتقها ، وتزوجها .

● وعاشرتهن رملة بنت أبي سفيان زعيم مكة وقائد المشركين ، وكانت زوجة لابن عمة الرسول ، عبيد الله بن جحش الاسدي وأسلمت معه ، وهاجرا الى الحبشة ، حيث وضعت ابنتها « حبيبة » ، فصارت تدعى « أم حبيبة » .. لكن زوجها لم يلبث ان ارتد عن الاسلام واعتنق المسيحية ، فاحست بالخزي واعتزلت الناس ، حتى فوجئت ذات يوم بجارية من جواري النجاشي تدعوها لمقابلته وتقول لها : « ان الملك يقول لك وكّلي من يزوجك من نبي العرب ، فقد ارسل اليه ليخطبك له » .

وتم زواجها على يد النجاشي ، الذي دفع مهرها عن الرسول اربعمائة دينار ..

ولما اسلم ابوها بعد طول عناء ، كرّمه الرسول بان امر من ينادي يوم الفتح : « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن » .

واما الحادية عشرة فهى « مارية القبطية » هدية المقوقس وشعب مصر الى الرسول ، هى واختها ، « سيرين » التى وهبها الرسول الى شاعره حسان بن ثابت .

وقد اشتدت غيرة السيدة عائشة وبقية زوجات الرسول منها لجمالها ، ولانه كان يقضى معظم وقته عندها ، وتضاعفت هذه الغيرة عندما تبين انها حامل ، ومالبثت ان ولدت له ابنه ابراهيم .

وآخر نسائه صلى الله عليه وسلم « برة » بنت الحارث بن حزن الهلالية ، واخت « لبابة » زوجة العباس ابن عبد المطلب ، اول امرأة آمنت بالرسول بعد السيدة خديجة ، والتي ضربت عدو الله أبا لهب يوم دخل بيت اخيه العباس وراح يضرب مولاه « أبا رافع » لانه اسلم ، فقامت اليه بعمود شجت به رأسه ، فما لبث أن هلك بعدها .

وكانت « برة » أرملة يوم دخل الرسول مكة فى ظل « صلح الحديبية » فلما رأته هفا اليه قلبها ، وبعثت اليه بزوج اختها العباس يتحدث اليه فى امر زواجها وكانت آخر زوجاته ، وتاسعة من كن على ذمتـه يوم لقى اللـه .

اما بنات النبى صلى الله عليه وسلم فاربع : زينب ، ورقية ، وام كلثوم ، وفاطمة .

فاما زينب فتزوجت قبل بعثة الرسول بابن خالتها « أبي العاص ابن الربيع » وقصتها معـه فى هذا العدد .

وكذلك تزوجت رقية وام كلثوم بكل من عتبة وعتيبة ابنى « ابى لهب » ، فلما قام الرسول يدعو الى الاسلام ردهما الكفار الى بيت ابيهما ، بايعاز من حماتهما « حَمّالة الحَطَب » .

ثم تزوجت رقية من عثمان بن عفـان ، وهاجرت معه الى الحبشة ، ثم الى يثرب ، ولذلك سميت « ذات الهجرتين » ، ولكنها لم تلبث ان لقيت ربها قبل امها بعد أن مات طفلها الاول .

وما لبثت أم كلثوم ان شغلت مكان اختها فى بيت عثمان ، بعد اعوام قلائل ، فعاشت معه ست سنوات ثم لحقت بهـا ..

واما صغراهن « فاطمة » فكـانت احب اخواتها الى قلب ابويها ، حتى قال فيها الرسول : « خير نساء العالمين اربع : مريـم ، وآسيـة ، وخديجة وفاطمة » ، وزاد على ذلك ان زوجها من اقرب الناس اليه : علي بن أبي طالب .

رأس الرجاء الصالح وأصغر قائد فى الاسلام

● قرات فى احد الكتب الانجليزية ان مكتشف رأس الرجاء الصالح هو « فاسكودى جاما » ثم قرات بعد ذلك فى كتاب تاريخى عربي ان مكتشف رأس الرجـاء الصـالح هـو شخـص اسمـه « بارتليمـوديـاز » . فاريـد ان تجيبـونني اى الشخصين هو المتكشف الحقيقي ؟

● سؤالى الثانى : من هـو اصغر قائـد فى الاسلام ، ومتى ولد ومتى توفى ؟

الهام اسماعيل أبو عاصى

ـ اما عن رأس الرجاء الصالح فقد كان البحار البرتغالى « بارتلوميو دياز » اول من دار حوله وعاد ثانية الى بلده ، وكان ذلك عام ١٤٨٨م .

وفى عام ١٤٩٧ ـ ٩٨ قام « فاسكودى جاما » بمحاولته التى استطاع فيها الدوران حول رأس الرجاء الصالح والنزول على الارض المسماة اليوم « ناتال » واستمر فى طريقه الى الهنـد ، وبذا كان أول من دار حول الرأس واختصر بذلك الطريق الى الهند ، وحقق امنية ملوك البرتغال الذين كانوا قد أرسلوا قبله كثيرين من رواد البحار لاكتشاف الطريق فاخفقوا ...

ومما يذكر ان « فاسكودى جاما »استعان فى محاولته الناجحة هذه بالبحار العربي «ابن ماجد» الذى صحبه فى تلك الرحلة التاريخية .

★ ★ ★

اما أصغر قائد فى الاسلام فهو اسامة بن زيد الذى عقد له الرسول « ص » لواء الجيش لقتال الروم وعمره اذ ذاك ١٨ عاما ، تكريما لذكرى والده « زيد بن حارثه » ، وكان ذلك قبيل وفاة الرسول بقليل ، فلما مات صلوات الله عليه رأى اسامة أن يترك للخليفة أبى بكر حرية اختيار من يقود الجيش ، لكن أبا بكر أبَى الا أن ينفذ رغبـة الرسول ، ولم يكتفِ بذلك بل ودّعه وجيشـه سائرا على قدميه واسامة راكب ، فقال لـه اسامة :

ـ يا خليفة رسول الله.. لتركبنّ أو لانزلنّ!

فرد أبو بكر قائلا :

ـ والله لا تنزل ولا أركب .. وما علي ان أنا غبّرت قدمي ساعة فى سبيل الله .

وقد توفى رحمه الله فى عام ٦٧٣م ■■

اِ ضْ حَ كْ

تضحك الدنيا معك

ابكِ تبكِ وحدك

سبب البكـاء

● وجدت هـذه الجملة محفـورة على أحد القبور :

« ان دموعي لن تحييك .. لأجل هذا انا دائمة البكاء !! » .

اذا عرف السبب ..

● كانت واجبـات التلميذة دائمـا سيئة للغاية .. وفجاة اصبحت تحصل على درجة امتياز .. وتعجب الاستاذ فسأل التلميـذة :

ـ هل يمكنني معرفة السر فى التقدم الملحوظ الذى طـرأ عـلى واجباتك فى الاسابيع الأخيرة ؟

التلميذة : ليس هناك سر،انما السبب هو ان والدى قد سافر الى الخـارج لمدة شهر !!

قصة مجانين

● رفض المجنون تناول القهوة من زميله قائلا :

ـ عندما اشرب القهـوة لا استطيع ان انام ..

فتعجب المجنون الثاني وقال : مـن الغريب اني على عكسك .. فانا عندما انام لا استطيع ان اشرب القهوة !!

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ....
....
العنوان: ....
....
....

بقية اضحك

خبــرة ..

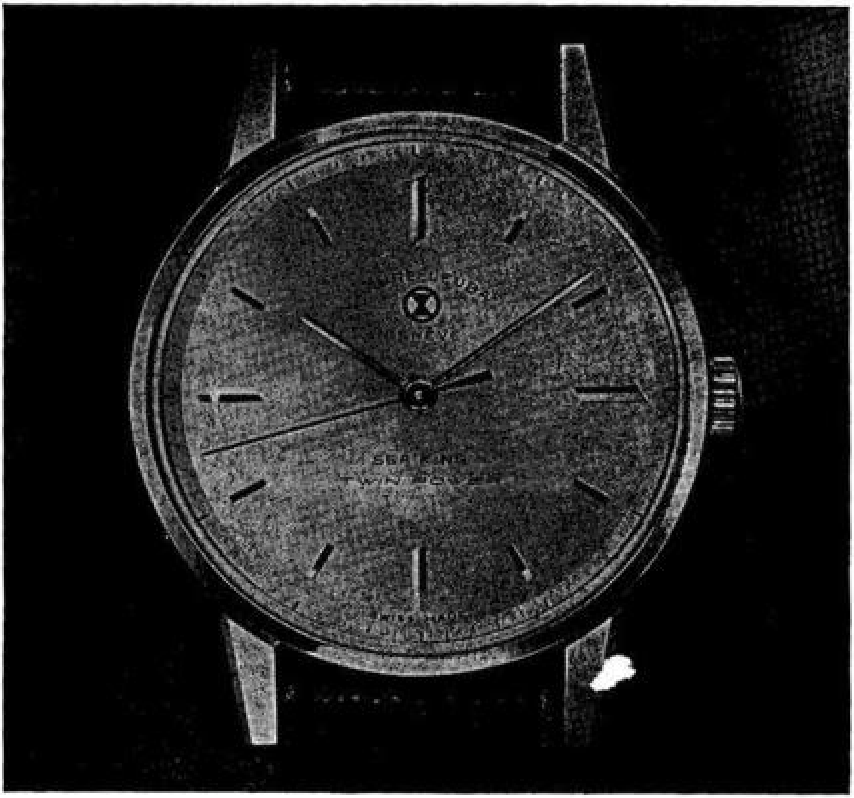
تقابل يهوديان بعــد فراق ثلاثة أعوام فقال ليفي :

ــ أهلا بصديقي سلمون .. ما هذه الاناقة ، هل ورثت ثروة ؟

فأجاب سلمون : لا ميراث ولا ارث .. أنت تعلم يا ليفي ان هناك نوعين مــن الناس : ناس ذوى خبرة .. وناس ذوى مال .. وفى يوم ما ، قابلت شــخصاعنده الكثير من المال ، ولكن بدون خبرة .. فاشتركنا معا ، أنا بخبرتي ، خبرةثلاثة أعوام ، وهو بماله .

ــ وما الذى حدث ..؟

ــ أنت ترى النتيجة اليوم .. أصبحزميلي يملك خبرة ٣سنوات.. وأصبحت أنا أملك الكثير من المال !! ■■



FAVRE-LEUBA

GENÈVE

ساعات فافر - لوبا

فخر الصناعة السويسرية

الكويت محمد عبد الله الشهاب

شارع عبد الله السالم (الجديد سابقا)

ص.ب ٢٣٨ ـ تلفون ٣٢٣٢٢

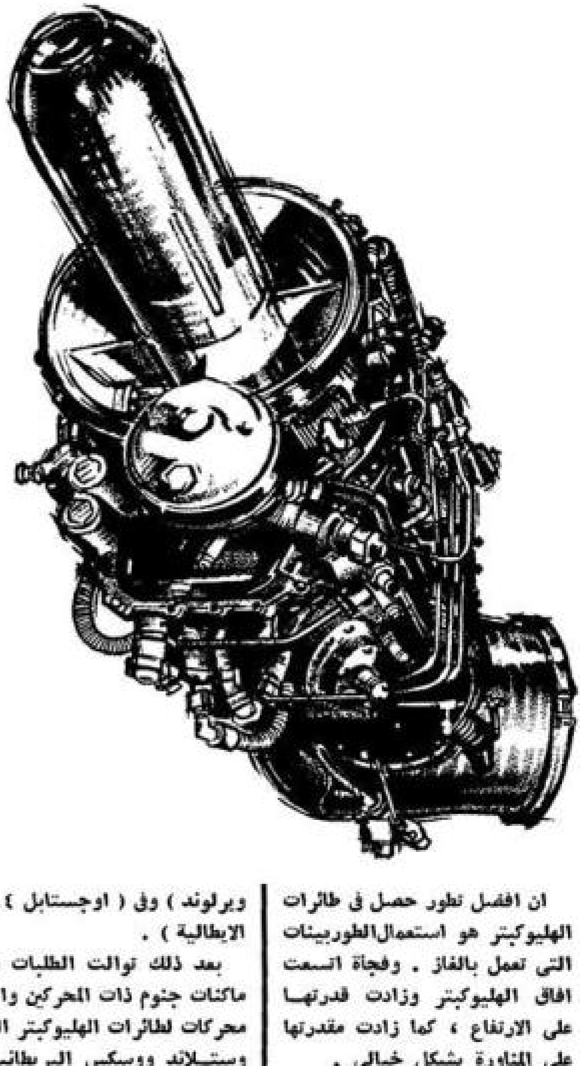
فرع: شارع فهد السالم ـ تلفون ٣٥٣٤١

مكافآت وجوائز ردت لعدم العثور على أصحابها

● كنا قد أرسلنا الى السادة المبينة اسماؤهم فيما بعد ، حوالات نقدية مبينة أرقامها وتواريخها، عن مبالغ فاز بها أصحابها فى جوائز « العربى » ، ما عدا السيد ابراهيم صالح الذى أرسل اليه المبلغ مكافأة عن قصة أرسلها للعربى ولم تنشر بعد « ماتيو فالكون » ولكن هذه الحوالات ردت الينا بعد أن تبين عدم ثبوتية عناوين أصحابها ، وهذا بيانها :

الاسم والعنوان	رقم الحوالة	تاريخها
سالم بن سليمان : العذيبة ـ عمان	٢٩٨٥١٦	١٩٦٢/٦/١٤
الحبيب بن حسين كرموصى : المدرسة الصالحية رقم ٣١ نهج سيدى بن عروس ـ تونس	٢٣٤٦	١٩٦٢/٧/١
علي محمد عمر الحديدي: مدرسة صباح الاعدادية طرابلس ـ ليبيا	٥٥٣٨٢٤	١٩٦٤/٧/٢٧
فودالي محمد: سيدي مؤمن ـ زنقة ١٢ رقم ١١٦ الدار البيضاء المغرب	٧٤٨٥٥٥	١٩٦٤/١٠/٥
محمد الحاج موسى فولانه : ص.ب ١١١ ـ الزرقاء ـ الاردن	٢٠٤	١٩٦٤/١١/٢٩
السيد ابراهيم صالح ـ كلية الآداب ـ جامعة دمشق ـ سوريا	٥٦٥١٤٨	١٩٦٤/١٢/٢٦

ويبدو من هذا البيان أن بعض تلك الحوالات قد مضى عليها أكثر من ثلاثة أعوام دون أن يطالب بها أصحابها أو يخطرونا بتغيير عناوينهم . لذلك نرجوهم أن يبعثوا الينا بالعناوين الصحيحة لتجديد تلك الحوالات التي ألغيت بسبب ردها ، وان يأتينا ردهم خلال شهر أغسطس (آب) الحالي ، والا سقط حقهم فى المطالبة بقيمتها . ■■



جنوم ـ المحرك الذى يصنع تاريخا فى الطيران

تسير خمسة انواع من الهليوكبتر تطلب بكميات كبيرة ، تستخدم حاليا فى ثلاثة عشر بلدا

ان افضل تطور حصل فى طائرات الهليوكبتر هو استعمال الطوربينات التى تعمل بالغاز . وفجاة اتسعت افاق الهليوكبتر وزادت قدرتها على الارتفاع ، كما زادت مقدرتها على المناورة بشكل خيالي .

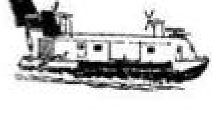
فى اوروبا بدات القفزة الحقيقية بتركيب ماكنة (برستول سدلي جنوم) فى هليوكبتر (وست لاند ويرلوند) وفى (اوجستابل ٢٠٤ ـ الايطالية) .

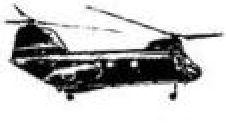
بعد ذلك توالت الطلبات على ماكنات جنوم ذات المحركين والثلاثة محركات لطائرات الهليوكبتر الكبيرة وستلاند ووسكس البريطانية ، واوجستا ١٠١ جي ، الايطالية وبوينج ١٠٧ الامريكية .. انها الان تستعمل فى تسيير طائرات وستلاند SRN 3 , SRN 5 , SRN 6

وبذلك تشكل ما مجموعه حوالي (٨٠٠) ماكنة جنوم فى الخدمة الفعلية وهي تحت الطلب .

برستول سدلى توفر الطاقة

Bristol Siddeley Engines Limited , Executive Headquarters :
Mercury House , 195 Knightbridge ,
London , S. W. 7 , England







برستول سدلى توفر الطاقة

المعسكر الأشورى .. حيث الحركة دائبة .. والحياة نابضة

بقية المنشور على الصفحة الثانية

لا يكاد المرء يذكر دولة آشور ، التي سادت القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين (على مقربة من كركوك والموصل حاليا) ، الا ويذكر فى الوقت نفسه دولة بابل التي حكمت القسم الجنوبي من ذلك الاقليم . ولا يعزى ذلك الى وئام أو تعايش سلمي جمع بين الدولتين ، وانما الى ضغائن وحروب فرقت بينهما . مثلهما فى ذلك كمثل أثينا واسبرطة أيام الاغريق . فقد نحت" بابل كما نحت" أثينا نحو الحضارة على حساب الطموح العسكرى ، فانجبت للجنس البشرى ما انجبت على صعيد العلوم والفنون والقوانين . ونحت آشور كما نحت اسبارطة نحو الحروب ومد السيطرة والسلطان دون أن تفرط باسباب الحضارة والفنون الا بالقدر الذى حملتها عليه الحروب . وانتهى الصراع بين الدولتين بقهر بابل وظفر آشور على يد الملك الاشورى تيكولتي نيتورتا الاول (١٢٤٣ ــ ١٢٠٧ق م) الذى استطاع أن يدوس رأس ملك بابل بقدمه مرددا « دعني ادوس بقدمي هذا العنق الملكي كما تدوس القدم موطئها » .

لذلك كله كادت الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد ان تنطق وتعبر عن روح دولة آشور وهي فى أوجها . فالمعسكر حافل بالمحاربين يتأهبون لخوض معركة او يستجمون بعد خوضها . وفريق الصيد عائد من صيده يحمل أسدا ضخما وتحف به كلاب الصيد الاصيلة . فالصيد والقنص شغل ملوك آشور الشاغل من بعد الحرب .. وتدل الزخارف التي ازدانت بها ثياب الملك وجوانب السرادق على مدى ما أحرزته آشور فى المجال الفني . اما الخيمة والسرادق والمنضدة والعربة وقاعدة البخور فتدل على ما حققه الآشوريون فى الميدان الصناعي . ولعل ما يقوم به أحدهم عند باب المعسكر من تكرير لمياه الشرب وتبريد ، وما يمضي فيه زميله من طهي وتسخين ، لا يختلف فى شيء عما ألفناه هنا وهناك فى قرننا العشرين .

على أن أبرز ما يتجلى فى الصورة تلك الروح الديمقراطية التى سادت الحياة فى بلاد ما بين النهرين قبل ظهورها أيام بركليس والاغريق بستة قرون أو تزيد . فالملك ليس آلها ، ولا غضاضة فى الا يتلقى اهتماما خاصا من أفراد رعيته فى المعسكر ، عندما كان يؤدى صلواته وعندما انصرفوا هم للقيام بواجباتهم العادية . اختلف الوضع اذن عما كان عليه أيام الفراعنة على ضفاف النيل . لقد كان الناس هنا سواسية امام القانون ، يحكم فيهم الحاكم ويذعن المحكوم ، فى ظل الشرائع والقوانين . وكان للناس هنا مجالس شديدة الشبه بالبرلمانات والمجالس النيابية فى القرن العشرين .

على أن ما تميزت به الحضارة فى بابل وآشور لا يقف عند ماانجبته من سنن وشرائع نسبت الى حمورابي ، وتضمنت فيما تضمنت تأكيدا لحكم القانون ، وتوطيدا للملكية الخاصة ، وتعزيزا للمساواة بين سائر المواطنين . فقد تميزت أيضا بالتقدم العلمي فى ميدان الفلك على وجه التخصيص وبالتقدم الفني سواء فى النحت او البناء أو الزخرفة الخزفية وغير الخزفية. ويسبق هذا وذاك على سلم تلك الحضارة الكتابة التى عرفها أهل بابل وآشور قبل آلاف السنين والتى مهدت للشرائع والعلوم والفنون السبيل .

تلك هي حضارة ما بين النهرين وتلك هي الخصائص التى خلدتها على مر الاجيال . فهي من الحضارات التى سادت ثم بادت ، وهي من الحضارات التى عمرت وخلدت من بعد أن بادت . ■■

اعــلان

ان مؤسسة البن البرازيلي تعلن بواسطة مكتبها فى بيروت ــ لبنان ــ شارع رياض الصلح ــ بناية البنك اللبناني للتجارة ، أنها قد حددت سعر مبيع البن البرازيلى فى مستودعاتها الى الكويت ، عمان ، البحرين ، دبي ، أبو ظبي ، الدوحة ، أم سعيد ، مسقط ، قطر و Trucial Coast بـ/٣٠/ دولارا أميركيا للشوال الواحد ٦٠ كيلو قائم ويعتبر الوزن عند التسليم فى بيروت • أما مصاريف الشحن فهي على المؤسسة ما عـدا رسوم الضمان ــ وقد حددت كمية معينة لكل بلد من بلدان الخليج العربى لا يمكن تصديرها الى خارجه على أن يقدم الشارى الى مكتب المؤسسة كفالة مصرفية بقيمة/٢٥/ دولارا أميركيا عن كل شوال تضمن عدم تصدير البضاعة الى خارج البلد الذى شحنت اليه • وفى حـال المخالفة يحق للمكتب المذكور تنفيذ شروط الكفالة والتصرف بقيمتها •

العربي

العدد ٨٢
جمادى الاول ١٣٨٥
سبتمبر
(ايلول) ١٩٦٥



اطلب

ربي الصغير

ع هذا العدد

جوائز

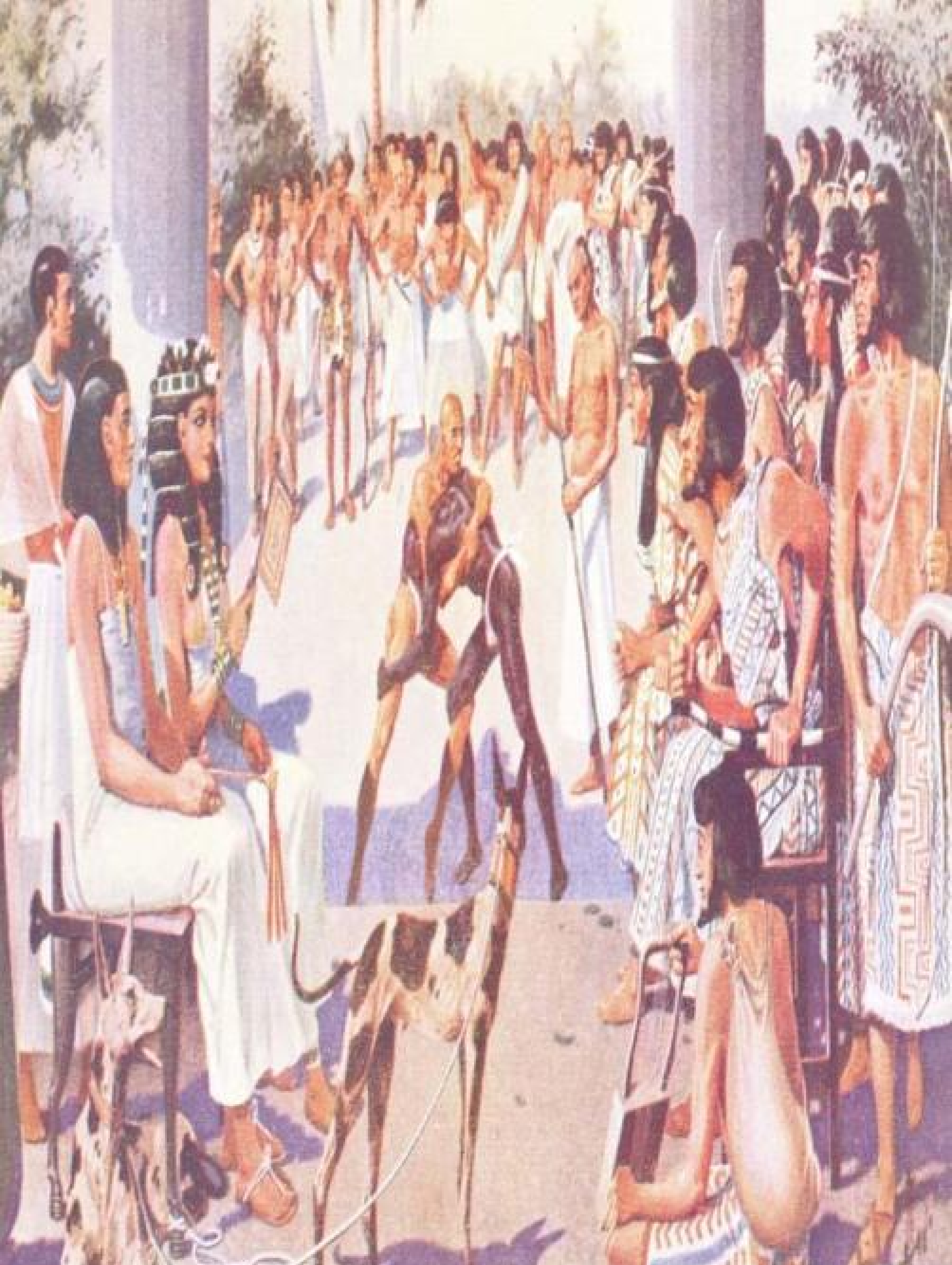
١٣٠٠

ار سنويا

بسمة حالمة
للنيل الخالد
القناطر الخيريه

الثمن

ت	١١٠	فلوس
ج العربي	٢	روبية
ودية	٢	ريال
ن	٥ر٣	شلن
راق	١٢٠	فلسا
ن	١٠٠	قرش
.	١٠٠	فلس
	١٠٠	قرش
.م.	١٠	قروش
دان	١٠	قروش
ا	١٥	قرشا
	٢٠٠	مليم
ال	٢٠٠	مليم



حضارات سادت .. ثم بادت

صورة ناطقة لحفلة سمر وترفيه اقامها امير فرعوني لضيف له هكسوسي وذلك حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد .

(أنظر صفحة ١٤٣)

عزيزى القارىء

●● يحمل الينا البريد كل يوم رسائل شتى ،تتعلق بامور لا شان لنا بها البتة ...

فهذا قارىء يطلب الينا ان نبحث له عن عمل في الكويت ، وهذا آخر يرجو ان نزكيه لدى هذه الوزارة أو تلك ليحصل على وظيفة ، وثالث يريد ان تتشفع له ((العربي)) ليحصل من حكومة الكويت أو احد شيوخها على منحة مالية يعالج بها مرضا او يقضي بها دينا ، الخ ...

وطبيعي ان ((العربي)) لم تنشأ لتكون مكتبا من مكاتب التوظف، ولا هى فرع لوزارة الشؤون الاجتماعية أو وزارة الاوقاف ، وبالتالى لا شأن لها بايجاد الوظائف او جمع التبرعات والاعانات والصدقات ..

●● وعلى الرغم من اننا نشرنا غير مرة ان الاشتراكات فى ((العربي)) ، سواء اكانت داخل البلاد العربية او خارجها ، انما هي من اختصاص الشركة العربية للتوزيع : ص.ب ٤٢٢٨ بيروت ، ما نزال نتلقى كل يوم طلبات جديدة للاشتراك ، فلا نملك الا تحويلها للشركة المذكورة .. فماذا على طلاب الاشتراك لو اتصلوا بها راسا ، فيريحون ويستريحون !

المحرر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 82 September 1965 — P.O.B.748 = KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٩٤١١ ــ تلغرافيا «العربي»
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات



القناطر الخيرية بالنسبة للقاهرة كالرئة بالنسبة للانسان .. فعلى ارضها التى تغطيها الحشائش الخضراء ، وفى ظلال النخيل والاشجار من مختلف الانواع والاحجام ، يمضى الكثيرون من اهل القاهرة عطلة نهاية الاسبوع والمواسم والاعياد ، بعيدا عن ضوضاء العاصمة وازدحامها .. وهذه احدى القاهريات وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة حالمة ، وهى تنظر الى النيل ، وتستمتع بهذا الجو الشاعرى الجميل .

انظر استطلاع القناطر الخيرية ابتداء من صفحة ٦٨

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٢٫٥ شلن . العـراق ١٢٠ فلسـا ، سـوريا ١٠٠ قرش . لبنـان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السـودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام فى البلد الذى هو فيه وتكون المعاملة رأسـا بين الشركة العـربية للتوزيع ببيروت وعنوانها بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف (اشتراكات



العربي .. سفير العرب

● قبل « العربي » لم يكن للعربي من سفير على صورته ، على الصعيدين العربي والاجنبي ، وبوجود « العربي » وجد هذا السفير العربي ، ولولا وجوده لكان يجب ان يوجد على الشكل الذى وجد عليه ، حتى اصبح وجوده الذى هو فيه الآن ، وجودا قوميا رائعا ، يقدم للعرب خدمات قومية رائعة ، اكثر من ان تعد ، واكبر من ان تحصى .

وما وجد « العربي » الا لوجود اكثر من ضرورة، ولوجود امور اكثر من خطيرة ، على العرب مواجهتها ، ومواجهة الصعاب فيها ، لاجتيازها ، واجتياز ما تفرضه من أبعاد ، فيها الخطر الاكبر ليس على العرب فحسب ، بل على ما فى الارض العربية من خيرات عربية ، وحتى على الوجود العربي نفسه !

و « العربي » ، كسفير للرسالة العربية الجديدة ، قد جاء العرب ـ حتىالآن ، ومنذ اقبل منسبع سنوات ـ باكثر مما جاءهم سائر السفراء العرب ، منذ ان وجد اول سفير عربي ، على ارض عربية او أجنبية . يقوم على ذلك الف دليل ودليل . حسبه أنه ، انطلق كافوى ما يكون الانطلاق ، حاملا للعرب مطلع كل شهر ، سفرا عربيا ضخما ، بل سفارة عربية عظيمة وقوية ، لا تعمل لدولة عربية واحدة ، بل تعمل لسائر العرب ، من خليجهم حتى المحيط ، تجوب مشرق الارض العربية ومغربها ، لاتوقفها حدود ، ولا تمنعها سدود ، بل تجوزها الى غيرها ، لكل ارض اجنبية ، يوجد على ارضها من ينطق بلغة الضاد ، لتحمل رسالة امنت بها ، فحملتها ، وراحت تعمل لها ، عربيا ودوليا ، حتى راينا من امرها ـ ولاول مرة فى تاريخ العرب الثقافى والصحافى ـ هذا الاقبال الذى ما بعده اقبال ، حاملة فى طياتها علما وادبا ومعرفة وسياسة ، وابحاثا ، ومقدرة ما بعدها مقدرة على حب الاستطلاع ، وفى كل استطلاع ، يعرف العرب ، بما عندهم ، وما لديهم ، وما يتوجب عليهم ، ليعودوا كما كانوا ، اقوياء اشداء ، وسادة نجباء ، فى كل ارض وتحت كل سماء .

فتحيتي كعربي ، وتحية كل عربي ، لسفارتنا العربية ولاسرتها الكريمة ، ولكل مساهم فيها ، وشكرنا للذين اوحوا بفكرتها ، وعملوا على اخراجها ، لتكون منطلقا فكريا عربيا رائعا ، يستقطب الصفوة الطيبة المختارة من علماء ومفكرى ومثقفي البلاد العربية قاطبة .

دمشق : حسين احمد كمونة

خطاب من اندونيسيا

لماذا ترك الحضارمة

● اطلعت على استطلاعكم عن « المكلا » والحق انه خطوة موفقة لتذكير كافة الشعوب العربية الذين نسوا ، أو تناسوا ، تلك الديار ..

الا اني وقفت مندهشا امام فقرة يقول فيها كاتب المقال نقلا عن بعض من حادثهم : « ان المهاجرين فى اندونيسيا قد صودرت اموالهم » ، وانا بصفتي احد المهاجرين ، يهمني ان أوضح ان هذا لا يطابق الواقع ابدا .. ففي اندونيسيا تعيش جاليات كثيرة منها العربي والصيني والهندى وغيرهم ، وعندما تريد الحكومة الاندونيسية تنظيم اقتصادها فقوانينها تسرى على جميع قوانين ـ منها قانون خاص باخراج العملة ـ طبقت على الجميع . .. وانا

كفار قريش .. وماء بدر

● بينما كنت اطالع فى العدد « ٧٨ » وفى مقال« صفية بنت عبد المطلب » رضي الله عنها عمة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وكنت مسترسلا فى الدراسة ومتابعة الاحداث حتى وصلت الى قول الكاتبة : « وسار ابو جهل ومن خلفه قريش العابثة اللاهية ، حتى نزلوا بماء « بدر » ... الخ » .

واعتراضي هنا على الاخت سنية قراعة كاتبة المقال : هو أن قريشا لم تنزل بدرا ولم تصل الى الماء ابدا ، وانما حال خروجهم من مكة لقتال المسلمين سمع الرسول (ص) وصحبه بذلك فخرجوا ، فاثناء سيرهم وبعد المشورات العديدة والنصرة من اصحاب الرسول له مع نصرة ربه عز وجل نزلوا فى مكان قبل ماء بدر فوقف « الحباب بن المنذر » وقال للرسول (ص) : أهذا منزل انزلك الله اياه أم هي الحرب والخديعة ؟ فقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « بل هي الحرب والخديعة » فقال الحباب بن المنذر : « اذن ننزل ماء بدر فنشرب ولا يشربون ، ونسقي الابل والخيل ولا يسقون » . فنظر الرسول (ص) الى باقي الصحابة مستفسرا فكان الرد بالموافقة فاتفقوا على النزول بما بدر . فكان بذلك نزولهم ببدر قبل قريش وليست قريش هى التى نزلت ببدر ثم سمع بهم الرسول (ص) .

طيبة بني علوان ــ الاردن — مظهر جميل علاونة

هذه فلسفة .. وليست اسلاما !

● قرات تعقيب الاستاذ عبد الوارث كبير على ما كتبه السيدان محمد صالح سعدان ومحمد عدنان الخطيب فى اعداد سابقة ، تعليقا على مقالات الدكتور جمال الدين الشيال استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية عن ابي الحسن الشاذلي وابى العباس المرسى ، ولست ابغى الكلام فى هذا الصدد فان كلمة الاستاذ عبد الوارث على اختصارها الشديد ، فيها الكفاية « نظرا للظروف » .

ولكن ما يدفعنى لكتابة هذه الكلمة ما جاء بمقال الدكتور الشيال حول ابن عطاء الله السكندرى ، من « ان اهل السنة فى القرنين ٦ ، ٧ اعترفوا بالتصوف اساسا لفهم الدين الاسلامي فهما روحيا بعد ان ظلوا يناضلونه وقتا طويلا ، واصبحت الوسيلة لمعرفة الله هى التفرغ لعبادته والفناء فى حبه » . ولست اعرف من هم اهل السنة الذين قصدهم الدكتور ، وكنت ارجو ان يذكر لنا واحدا منهم حتى نستطيع ان نقف على وجه المعارضة ، ونتبين اسس التسليم والاعتراف ، اللهم الا اذا كان الدكتور يقصد ان ابن عطاء الله نفسه كان واحدا من اهل السنة قبل الاتصال بشيخه .

والمعلوم ان الاسلام كامل العقيدة وان صاحب

(البقية على صفحة ١٥٠)

اندونيسيا

اؤكد لكم انه ليس هناك حضرمي واحد صودرت امواله . .

امـا عودة المهاجرين الى حضرموت فمردها الى انهم سمعوا بأن خيرات بلادهم ، من نفط ويورانيوم ، على وشك التدفق والظهور ، فتركوا اندونيسيا الى وطنهم الاصلي .

واخيرا ثق يا سيدى بان الحضارمة يعيشون فى اندونيسيا مكرمين معززين جنبا الى جنب مع اخوانهم الاندونيسيين واني لاخشى ان يشوش ما سمعتموه افكار قرائكم مما قد يتسبب عنه اساءة الى العلاقة الطيبة التي تلاقيها الجالية العربية ، وخاصة الحضارمة فى اندونيسيا .

بوقور ــ اندونيسيا : عبد الله عثمان باوهاب

صارت الزراعة صناعة ، شاهد ذلك

النّاسُ جياعٌ فعلّموهُمْ

حقيقة غفل عنها الناس : طيب الغذاء

انّ الأمّة الزراعية أفقر من أن تستمتع بثمرات

بقلم رئيس التحرير

■ تسأل الرجل التاجر ، اين تصنع الحياة ، فيقول على البديهة : في السوق . انهـا مغداه ومراحه ، وفيها تنقضي اصباحه وامساؤه .

وتسأل الرجل القاضي ، او الرجل المحامي ، اين تصنع الحياة ، فيقول لك على الفور : في المحاكم ففيها يعتصر اكثر ذهنه ، ولها يبذل اكثر جهده .

وتسأل الرجل المدرس ، اين تصنع الحياة ، فيقول لك : في المدرسة .

وتسأل الرجل المهندس ، اين تصنع الحياة ، فيقول لك : في المكتب ، ففيه تصمم مخططات البناء ، او مخططات الآلـة .

والطبيب يصنع الحياة في عيادته

والعالم يصنع الحياة في مختبره

والكاتب يصنع الحياة بين كتبه

والسياسي يصنع الحياة في برلمانه ومؤتمراته ، وحينا في مؤامراته .

والمدينة العظيمة تعج بالناس حين هم في الغداة من منازلهم يخرجون ، والطرقات يزدحمون ، الى ان يحين رواح ، فالى منازلهم ينقلبون . وهم في كل هذا غادون رائحون . وتسألهم ما يصنعون . وجوابهم دائما انها الحياة يصنعون .

ان أكبر الأمم الصناعية، هي أكبر الأمم الزراعية

شق الأرض واخراج الطعام

يعطي الذكاء، وسوء الغذاء يعطي الغباء

هذه المدنية، الأقلة من أهلها في عهد إقطاع

الحياة عند جذورها الاولى

ولكن الحياة ، عند جذورها الاولى ، لاتصنع فى سوق تاجر ، ولا فى محكمة قاض ، ولا فى مكتب مهندس ، ولا فى مختبر عالم . ولا هى تصنع ، عند جذورها الاولى ، فى المدينة مهما كثر سكانها واتسعت ارجاؤها .

ان الحياة ، عند جذورها الاولى ، انما تصنع بعيدا عن صخب المدينة ، وعن ضوضائها .

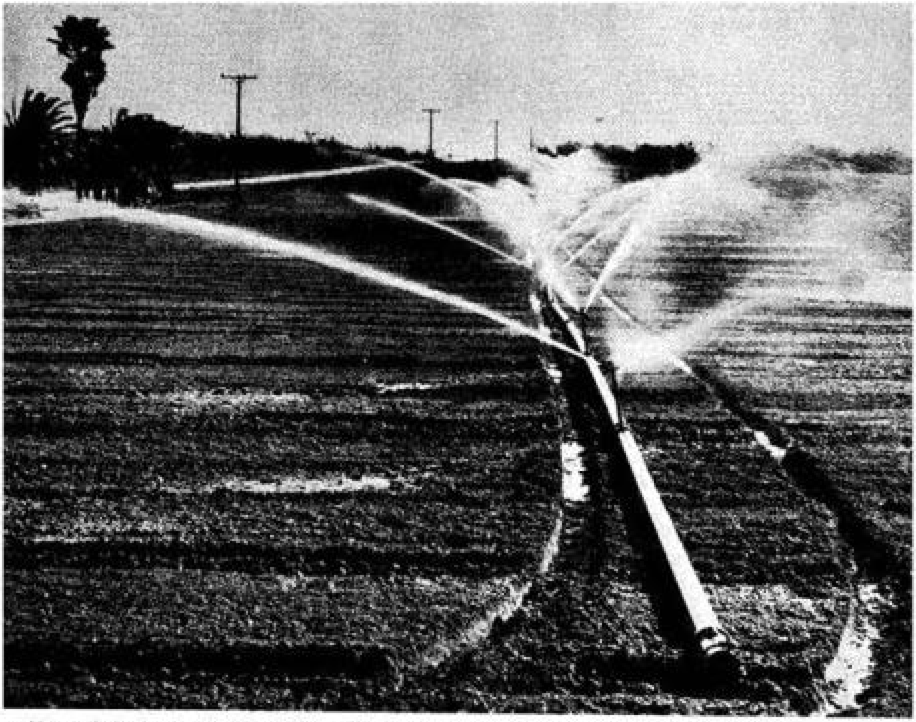
ان الحياةعند جذورها الاولى ، تصنع فى الريف ، حيث الناس اقل ، وحيث الانسان اقل ، وحيث الطعام ـ قوام الحياة الاول ـ ينمو به النبات وينمو الشجر فى هدوء شامل وبطء ، فكانما هو ينمو فى غفلة عن الزمان .

ومع النبات ، فى الريف ينمو اللحم بطيئا كذلك . ان اللحم ، من ضأن ، وبقر ، ودجاج ، كلها تنمو فى الريف ، بطيئة ، الى جانب اصول طعامها من الحقول .

ورجل المدينة ، القاضي ، والطبيب والمدرس ، والكاتب ، والشاعر ، ينسون الريف ، اصلا للحياة ، عند جذورها الاولى . ان رجل المدينة عنده أن الطعام انما ينمو عند الخضرىّ ، والبقّال ، وان كان لحما فانما نماؤه فى دكان الجزار . وقد يتسع خياله ليشمل مذبح المدينة ، لا لأنه رآه ، ولكن لانه سمع به فآمن بوجوده . جعله يؤمن به مذاقُ اللحم فى فمه .

اغفال الريف جعل نصف سكان الارض تجوع

ان اغفال اهل المدن ، اهل الثقافة ، اهل الادارة ، اهل الحكم ، والمخططين فى يوم الامة لغدها ، ان اغفالهم للريف



حقول تسقى بالماء ، يصلها رشاً من انابيب ، تحمل حملا الى الحقل عند الحاجة ، وتغذى من اصول للماء مثل خزانات ماء او ترع . وترى على جانبي الانابيب خطين غائرين خلفتهما عجلات السيارة التي حملت الانابيب . والارض عند هؤلاء القوم ، وهم فى تكساس بالولايات المتحدة تسقى بمقدار .

جعل نصف سكان الارض تجوع . تجوع كمًا ، وتجوع كيفا . وجعل الموت يسير بمنجله فيها يحصد لا سيما الاطفال .

ان سوء التغذية وما ينتج عنه ، او ما يصاحبه من مرض — ومع المرض الجهل — يقتل من اطفال الامم المتخلفة ، الى سن الرابعة ، ما قارب الستين ضعفا ، قدر ما يذهب الموت بهم من امثالهم فى الامم المتقدمة .

وهو شر ، قد يرى فيه بعض المفكرين خيرا

ولكن شر ممن يموت ، من يعفى من الاطفال ، على سوء التغذية ، ليحيى .

انه النسل الضعيف ، والحياة الحاضرة تتطلب القوة .

وانه النسل المتخلف ذهنه ، والحياة الحاضرة ، حياة الصناعة ، حياة التكنية ، تتطلب الذهن الذى يقطع كما تقطع السكين الحادة .

الغذاء يعطى الناس الذكاء ويعطى الغباء

ان علاقة الغذاء بضعف الاجسام وقوتها علاقة بينة ظاهرة لا تحتاج الى ايضاح . ولكن علاقة الغذاء بالذكاء والغباء لا تزال خافية .

ان الذكاء ميراث فى بذور السلالات لا ينكر . ولكن الغذاء الطيب يسقى هذه البذور وينبتها ويحييها . لقد كشف العلم الحديث عن الرابطة الوثيقة القائمة بين القدرة العقلية على اختلاف اشكالها ، وبين ما يجرى فى الجسم من كيمياء . وبلغ الامر الى ان صارت الذاكرة لها عقاقير تقويها . ان الحياة



مزارع العنب في اكرانيا . هندسة ، وتخطيط ، ونظام ، ونظافة ، وتقوم على العناية بها اصابع رقاق ، تحركها عقول ذات معرفة وثقافة ، واجسام نشأت وترعرت على المدنية .

كيمياء ، وما الطعام المختار الا بعض عقاقيرها .

وذكاء الامة محسوب عليها . وكذا غباؤها .

والناس تحسب ان الذكاء يأتي عفوا . وانه كذلك يأتي الغباء . وما هذا ولا ذاك بعفو ، فلكل اسباب ، وان خفيت دهرا . ومما كان خافيا ، ثم انكشف ، عمل الغذاء الطيب في تنشيط الذكاء ، وعمل الغذاء السيء في تثبيطه وتعطيله .

والناس تربي الدجاج . ومن الدجاج : العقيم الذي لا ينتج البيض . فهذا يذبح للمائدة . ولا يستطيع الانسان ان يصنع في تربية الناس ما يصنع في الدجاج . فالاغبياء ، بسبب سوء الطعام ، باقون ، حملا على الامة ، الى ارذل الاعمار .

وطيب الطعام غير التخمة . فالتخمة تفبّش العقل ، وترجع بالذكاء الى الوراء .

الصرخة القائمة المدوية : الصناعة ، الصناعة !!

ان الصرخة القائمة المدوية ، في البلاد المتخلفة ، هي اليوم : الصناعة ، الصناعة ، وهي صرخة حق ، تأخرت في الزمن كثيرا .

ان آباءنا ، وآباء الآباء خاصة ، عاشوا في زمانهم عيشة البساطة ، وكانت عيشة اقرب ما تكون الى الفطرة . الطعام يجلس له على الارض ، والثريد وغير الثريد تمد اليه الايدي بالاصابع ، والانتقال كان على الارجل ، وقد يحظى الراجل بحمار . وان كان ضوء النهار من شمس ، فضياء الليل من فتيل يغمس في الزيت . والكتاب كان من ورق خشن أصفر ، لم

يعرف ما الصورة قط . وانا اتحدث عن سواد الشعب لا عن الفئة الحاكمة التي تيسر لها شيء من النعيم .

واليوم تغير كل شيء وتبدل . كل يطلب طيبات الحياة الحديثة ، او ما شاع في الناس انها الطيبات . المنازل المريحة الانيقة . الاثاث الوثير . الاقمشة الجيدة الناعمة ، وفي البيت المطابخ الغازية والكهربائية ، والسخانات والثلاجات ، والمستقبلات الاذاعية مسموعة ومنظورة وفي الطريق السيارات ، وبين المدن الطائرات ، الى غير ذلك مما لا يحصى ، ونضمه جميعا في اسم واحد فنقول

الطائرة تنثر المبيدات
الحشرية على الشجر



المدينة . هذه الاشياء كلها لاتشتريها الزراعة ، ولا تقدر على دفع اثمانها امة زراعية ، الا لقلة قليلة من اهلها في عهد اقطاع .

فالامة التي تريد ان تستمتع بثمرات المدينة ، ومن ثمراتها العلم الانساني ، ومن ثمراتها الكرامة الانسانية ، لا بد ان تتصنع . ذلك لان العائد من الزراعة لايغني . ولكي تقتنع ، احسب كم ثمن السيارة مثلا تشتريها من اوروبا ، وكم قنطار من قطن مثلا يؤدي هذا الثمن ، وكم فدانا من الارض تنتج هذه القناطير . ثم كم في الامة من فدادين ، وكم في الامة من ناس كلهم راغب في شراء سيارة ، وغير سيارة .

الصناعة اذن هي سبيل العيش على نمطه المدني الحاضر . والناس لا تختار انماط العيش . ان انماط العيش يصنعها الزمان ، ثم يلبسها من استطاع . والذي لا يستطيع يقال له « المتخلف » . فاذا هو زحف نحو استطاعة فهو « النامي » .

فهذا عن الصناعة

بداهة ليس وراءها بداهة

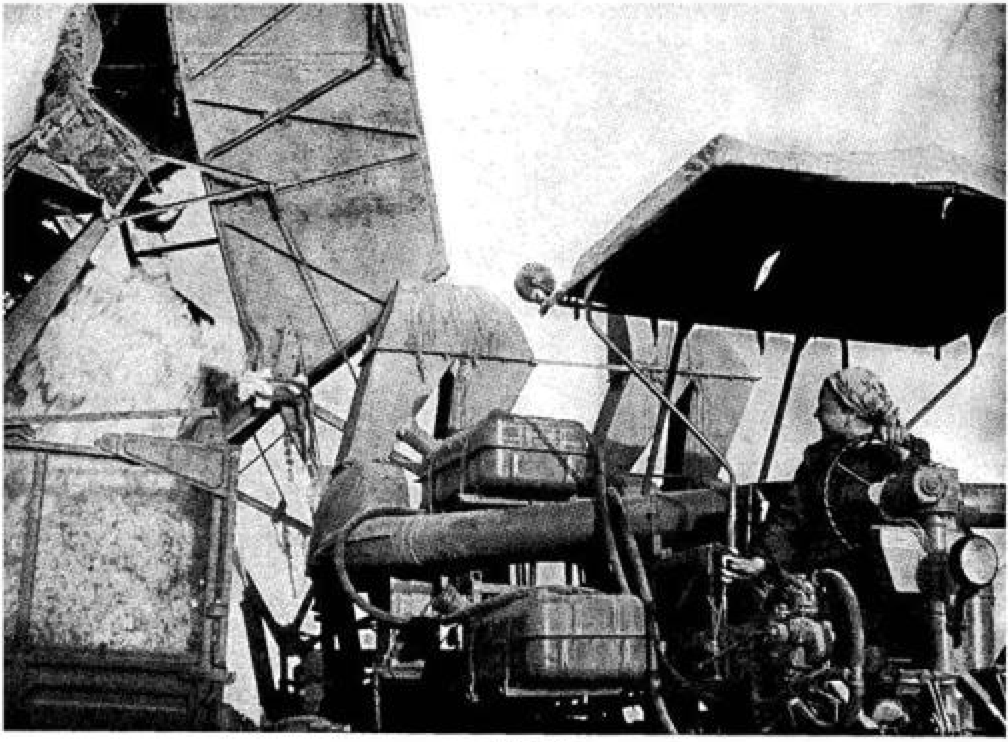
ولكن ما بال الزراعة

الزراعة صارت صناعة

اما ان الزراعة وجبت ان تكون قبل الصناعة فبديهية اخرى .

وهي بديهة يدعمها التاريخ . فالانسان زرع ، ثم صنع . والزراعة تقدمت كثيرا ، على القرون ، عن بداءاتها الاولى ، وتخلفت الصناعة . فلما جاء الوقت الذي تقدمت الصناعة فيه تقدمها الذريع السريع سمينا تقدمها العارم هذا بالثورة الصناعية .

وشاع في الناس القول بالثورة



فى روسيا ، كما فى البلاد المتقدمة ، يجمع القطن بالآلات من الحقل . وتدور بهذه الآلات هذه السيارة ، وتقودها سيدة ، لا يمكن الا ان تكون مثقفة كل التثقف . وهي فى الواقع امرأة لها سمعة فى الجهاد طيبة . والى جانب السيارة سيارة اخرى تفرغ فيها محصول القطن الذى جمعت .

الصناعية .. ولم يشع فى الناس القول بالثورة الزراعية ، وكان حقيقا بهم ان يقولوا ، وان يشيعوا ، فالذى حدث فى عالم الزراعة لم يقل عن ثورة .

والثورة الزراعية احسبها بدات من حيث بدأ الناس ، بل بدأ العلماء يدركون وظائف الاسمدة ، لا سيما الاسمدة الاصطناعية الكيماوية ، فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن .

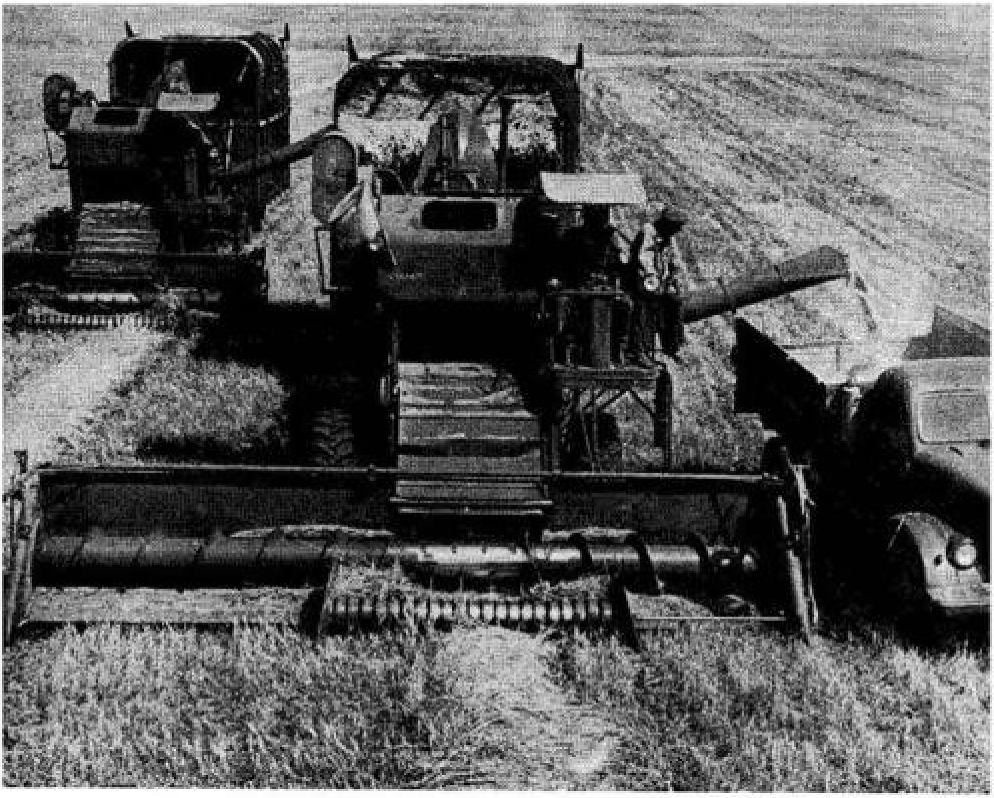
والذي حفز الى الثورة الزراعية حافزان :

(١)حافز التطلع والتشوق والتحرق للربط بين الاسباب ومسبباتها ، ذلك الحافز الذى هو وليد العلم الحديث ، او العلم الحديث وليده .

(٢) حافز الصناعة التى قامت الى جانب الزراعة ، وازدهرت . واقترحت على كل ذى عين يرى ما قد تؤديه الصناعة ، وابتكاراتها وابتداعاتها لو انها دخلت الحقول ، حقول الحرث والبذر والحصاد .

ان الزراعة اصبحت صناعة .

الصناعة قد تحل الدور الواسعة ، ذات الجدران المتطاولة والاسقف المترامية والمداخن العالية ، والزراعة صناعة بيوتها الحقول وسقفها السماء . المكنات فيها هى الحارثة ، والمكنات هى الباذرة وهى الساقية وهى الحاصدة . والمكنات هى الناشرة الدواء اذا مرض النبات . والحيوان اختفى من ارضها ــ او كاد ــ اختفاء .



هكذا تقوم الآلة بحصد الغلال من الحقل ، وبالدراس ، وفصل الحب ، ثم تدفعه كما يدفع الماء في الانابيب في سيارة اخرى تحمله الى المخازن

ومن اجل هذا كانت اكبر الامم الصناعية هي اكبر الامم الزراعية .

والولايات المتحدة تأتي في المحل الاول ، ضخامة وعلما وانتاجا . لا يماري في ذلك احد ، ويأتي الروس في المرتبة الثانية ، ضخامة وعلما وانتاجا .

ونعلم الكثير عن الامريكان ، ونتحدث عنهم ، لانهم ينشرون ، ولا نعلم عن الروس لانهم لا ينشرون ، او لا تبلغنا نشراتهم .

زيادة الانتاج الزراعي ليست ، بالضرورة ، زيادة ارض وكثرة عمال

ان المنطق الظاهر ، عندما تقل المحاصيل عن تغذية السكان ، يقول على الفور بزيادة مساحة الارض المنزرعة وزيادة العمال . وهذا ، في الجمع والطرح الحسابي ، لا ينكره انسان .

ولكن يخالف المنطق الظاهر ان هناك امما زادت محاصيلها ، عندما نقصت المزروع من ارضها ، ونقصت عدد العاملين فيها .

ان هذا ما وقع في الامم المتقدمة . الامم الصناعية ، امم العلم امم التكنية . ليس في واحدة منها ولكن الكثير .

نعم ، نعم . وأعيدها مرة ثانية فلعلها لغرابتها لم تستقر في الآذان . نعم زادت المحاصيل ، على نقص مقصود في الارض ، ونقص مقصود في الرجال .



حقل مرت عليه السيارات بالالات فحصدت حبه . ثم جاء هذا الجرار بادواته ، وهي تنبش الارض وتخلصها مما بقي بها من جذور المحصول .

ولنضرب مثلا بالولايات :

انمحاصيل الولايات زادت ٣ اضعاف منذ عام ١٩٤٠

ومع ان الارض المنزرعة نقصت في الولايات بنحو ٧ في المائة فقد زادت المحاصيل بنسبة ٥٠ في المائة .

وكان الفرد الذى يعمل فى الزراعة ينتج من الطعام ما يكفى لنحو ٧ اشخاص فى عام ١٩٠ ، اصبح ما ينتجه يكفى لنحو ١٠ اشخاص فى عام ١٩٣٠ ، ولنحو ١٥ شخصا فى عام ١٩٥٠ ، ولنحو ٢٧ شخصا فى عام ١٩٦٣ .

ووفر هذا من العاملين فى الزراعة نحوا من ٢٢ مليون نسمة ، ذهبت تعمل فى قطاعات منتجة من الاعمال الاخرى .

نقص عدد العاملين الثلث .

بينما زادت المحاصيل ثلاثة اضعاف ،

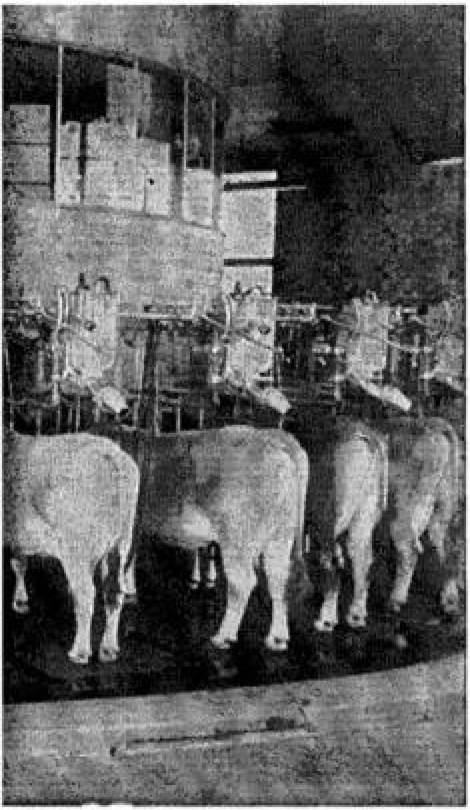
بينما نقصت الارض المنزرعة !!

اضف الى هذا ان نواتج الارض كفت السكان جميعا ، على الوفرة ، وفاضت بالذى اسموه فائض المحاصيل : ٩٠٠ الف طن من الطعام تصدرها الولايات كل عام .

كلام يذكر بحديث اللامعقول « الذى شاع فى هذه الايام فى احاديث الادباء » .

اسباب لا تؤدى الى هذه المسببات !

ان الشيء الرابض وراء التناقض انما



هو العلم الحديث ، وانما هو التكنية الحديثة . وما التكنية الحديثة الا العلم مطبّقا . او هو الهندسة ، وهي علم ، زاوجته فنون من العلم اخرى .

والعلم ، والتكنية ، دخلتا الى الزراعة على صور شتى ، نذكر منها في اختصار، عناوين يصلح كل منها ليكون عنوان كتاب :

(اولا) : استخدام حصيلات علم الكيمياء على النحو الآتي :

اسمدة صناعية وهذا امرها الآن معروف مشهور .

ب ـ سموم لابادة الحشرات والفطر وسائر الآفات التي تصيب النبات .

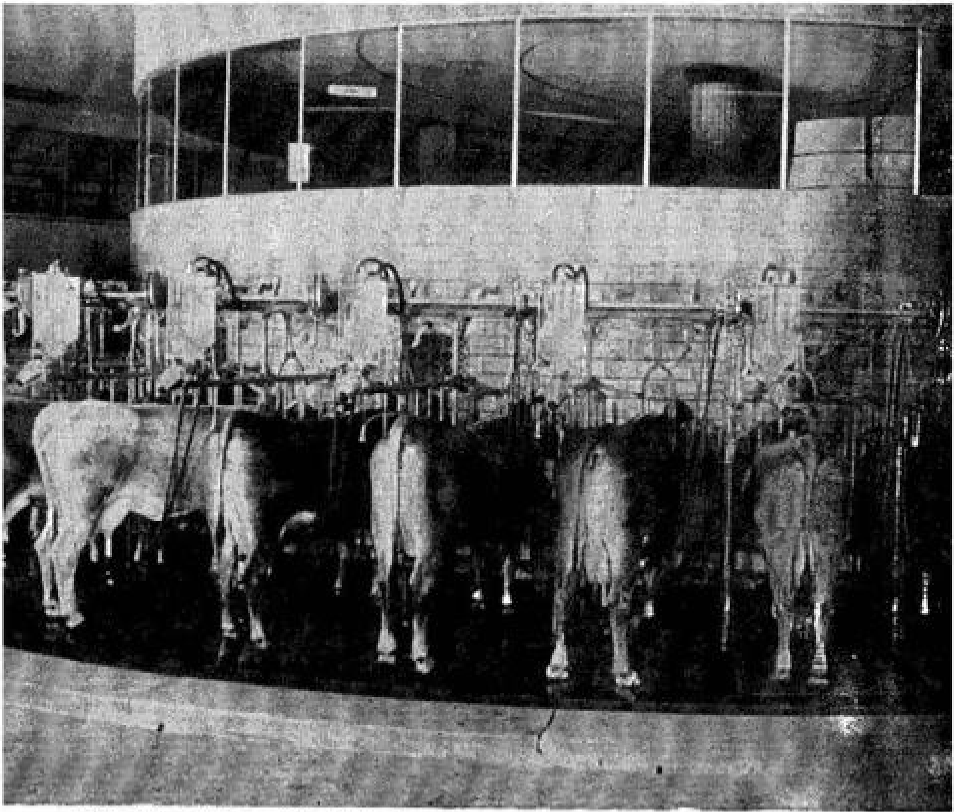
جـ ـ الكيماويات التي تحكم الحشائش فلا تنمو ، وتلك التي تسرع في انبات البذور ، وتنبت الشجر عامة ، وتشجع على انضاج الثمار .

د ـ الكيماويات التي تمزَج بالتربة لتصلح من طبيعتها .

(ثانيا) : استخدام الآلات في الزراعة على النحو الذي يتفق وحال البلاد ، حال ارضها ، وحال ناسها ، علما بانه ليس هناك حال تستعصي على التغيير . ان الآلات قلبت الريف في الامم المتقدمة راسا على عقب . انها تحرث ، وانها تبذر ، وتحفر ، وتحمل الاحمال الثقال. وعند الحصاد هي التي تحصد ، وتدرس وتفصل الحب ، وتحش ، وتعالج الثمر غسلا وتنظيفا ، وهي تعمل مالا يمكن لماشية أن تعمله ، وما لا يستطيع انسان ان يتحمله ، وفي وقت يكاد يكون كلمح البصر اذا هو قورن بوقت يستغرقه الحيوان والانسان في هذه الاعمال ، لا سيما اذا ما نظرنا الى الحقول الشاسعة الواسعة التي يدور فيها المكَنُ حارثا او حاصدا . وكان أهل الغرب يستخدمون الخيل في كل ذلك ، وقد اختفت او كادت . قال أحدهم : « ان تزويد الآلة بالوقود أرخص من تزويد الحصان بالطعام . والعناية التي تتطلبها الآلة لتصح أقل من العناية التي يتطلبها الحصان ليصح . والآلة أذكى من الحصان ، وأكثر حيلة . وباحلال الآلة محل الحصان تحولت أرض كانت تنتج الطعام للحصان الى أرض تنتج الطعام للانسان » .

(ثالثا) : استنباط السلالات التي تعطي المحصول الاوفر ، وتقاوم الامراض مقاومة أوفى . ولقد أفادت من ذلك زراعات كثيرة ، من هاتين الوجهتين . نذكر على سبيل المثال زراعة الفول والفاصوليا والبسلة . زراعة الخيار . زراعة البطاطس . والقمح نسلوا منها انسالا ذات بروتينات أعلى مرتبة مما ألِفنا فيه . والقطن جاءوا منه بذرية تعطي بذورا خلت من الصبغة السامة التي اسمها جوسيبول Gossypol الى آخر ما هناك .

ونذكر النبات ، ولا ننسى الماشية ،



هـذه زرائب البقر فى الامم المتقدمة ، تحسبها من نظافتها انها المستشفى . وفيها يُغسل البقر ويُجفف من بعد غسل، ويُحلب. وبالكنات يصنع كل هذا .

لا سيما فيما نحن بصدده من استنباط سلالات تعطى نتاجا أوفر وتقاوم الامراض . وامر هذا شائع ذائع انما نحن نذكر . وعلى سبيل المثل ، نذكر انهم حصلوا على سلالة من الدجاجة تبيض الدجاجة الواحدة منها ..٢٠ بيضة فى العام ، ودجاجات تبلغ فى النمو مبلغا ، ففى الوزن، ثلاثة ارطال فى عشرة أسابيع. ومن اجل هذا كان هذا الفيض العامر من الدجاج الذى نراه فى الشرق العربى ، ومصدره الولايات المتحدة والدنمركة وسائر الدول المتقدمة زراعتها .

والتخزين والتعقيم والتعليب

ويغرينا الحديث فى الزراعة ، فى الدخول الى ما يلي جنى ثمارها من تخزين ، فتعقيم ، فتعليب ، فتبريد ، لا سيما ونحن نتحدث فى الاكثر عن الثمار المأكولة التى تشبع الجياع . وكل هذه من عمل الآلة . من عمل الصناعة .

بيت القصيد

ونعود آخر الشوط الى بيت القصيد

قلنا : ان الناس جياع ، فعلموهم شق الارض واخراج الطعام .

فمن نريد أن نعلم ؟

نريد أن نعلم الفلاح العربي أينما كان .

انه العنصر الانساني فى هذا الصدد كله . والعنصر الانساني فى الشيء ، انما

يهيمن على هذا الشيء . ان فيه صلاحه وفيه فساده . وبه يسير هذا الشيء على رجلين ، مشيا او رهوا ، او جريا ، او اعرج الخطى . وقد يتوفر للزراعة المال ، وتتوفر الارض ، وحتى الآلة تتوفر ، ولا يتوفر الذكاء الذي يديرها ، - الذكاء الانساني - فتسوء الحال .

والفلاح الشرقي يفخر دائما فى جلبابه الازرق ، أو سرواله الابيض ، بانه فلاح عريق . وهذا الاعتزاز بالفلاحة ثروة . ويقول لك فى اعتزازه انه ورث الفلاحة ابا عن جد ، وورث خبرة القرون . وهذا حق . ولكنه لم يكتسب خبرة القرن الحاضر ، ولا علم القرن الحاضر ، ولا ثقافة القرن الحاضر ، وهو فى الغالب الا غلب اميّ ، والامية تحد من الذكاء الفطرى . وهو من اجل ذلك

هكذا تدخلت الآلات فى تفقيس البيض . وهذا احد العمال يركب فى غرفة الفراريج الصغيرة ، وهي من عمر واحد ، مصابيح الكهرباء ذات الضياء ، الدون الاحمر ، لتدفئة المكان فى الشتاء القارس



لا يدري حتى ما علاقة الزرع بالهواء ، وما علاقته بالماء . والتربة لا يدرى الا انها صفراء أو سوداء . امراض الزرع عنده ، بعضها « ندوات » تهبط على الارض من السماء . وهو لا يدرى ما البكتير ولا الفطر ولا صنوف الحشر ، ولهذا قل ايمانه بما يأتى به العلم فيزيد غلة او يوقف فساداً .

سمعت من فلاح عجوز يقول لابنه الرجل ، بعد ان تركهم رسول وزارة الزراعة بعد حديث معهم فى الحقل طويل . قال الشيخ : انظر الى هؤلاء الشبان ترسلهم الينا الوزارة ، ليعلمونا الزرع . شبان لم يحملوا الفأس يوما ، يعلموننا نحن ، وعندنا خبرة الف عام .

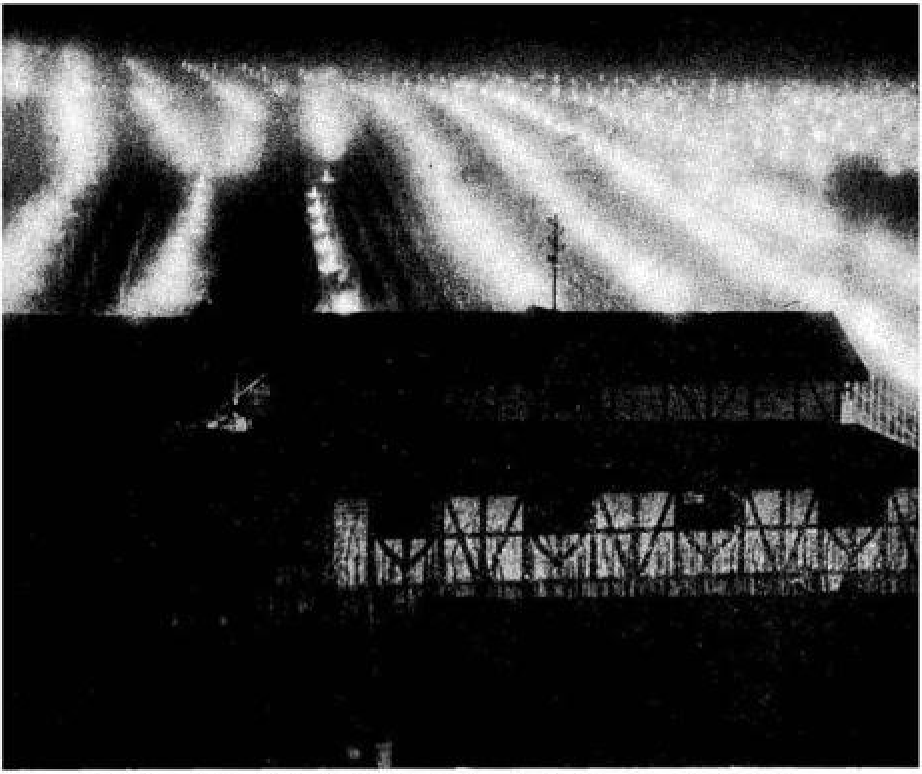
قلت للشيخ : ايكما اعلم بزراعة انت او ابنك هذا ؟

قال الشيخ : علمته كل ما اعلم .

قلت : وهكذا فعل أبوك . وهكذا فعل جدك . فكلكم سواسية فى علم . لم يزد ولم ينقص . فهو ليس علم الف عام . انما هو علمٌ واحد ، لعمر واحد ، تناقلته اجيال فى الف عام . لم يزد . واليوم ، اعنى فى هذا القرن خاصة ، انقلبت الحال .

وزدت فى الحديث فتفتح الرجل الشيخ ، وبدأ يؤمن . وكلما تحدثت زاد ايمانا . واخيرا قال لى كلمة اصابت كبدا ، يسمونها احيانا كبد الحقيقة . قال انا فلاح ، والفلاح لا يؤمن الا بالذى تراه عيناه .

قلت : وددت لو تعود صبيا ، وتذهب الى المدرسة ، وتتعلم الكتابة والقراءة ، وتتثقف عامة . هذه ضرورية لفهم الدنيا . الدنيا هذه الحديثة . ومتى تفتحت امامك ابواب المعرفة ، سهل عليك الدخول الى الزراعة من ابوابها الحديثة ، فتفهم الزرع كيف ينمو ، وكيف يأكل ، وكيف يشرب ، واى الطعام أصلح له ، واى ارض . وتعلم انه يمرض ، وكيف



حقل تدفىء زهوره وبراعمه المصابيح ، ترفع عنها الصقيع الذى يقتلها . ويقوم فى الحقل الواحد مائة مصباح . وهذا شاهد من الشواهد التى تدل الى اى حد دخلت الصناعة حقول الزراعة تبذل لها العون . اما هذه الحقول ففى سويسرا .

يمرض . وهل هذا المرض جدرى ، ام حصبة ، ام هو ضعف عام . واى دواء يحتاج ، واى الفيتامينات ، واى ...

ونظر الشيخ كأنما أهزأ به .

قال : وهل يصاب الزرع بالحصبة والجدرى ؟

قلت : لا . انما ذكرت لك ذلك لأؤكد لك ان النبات شيء حي ، يأكل ويشرب، وتجوز عليه الصحة والمرض تماما كما تجوز على الانسان ، انما على مراتب أخرى .

ان الفلاح رجل سليم الفطرة ، ولكن يفسدها الجهل .

والمخططون للامم ، ولنهضات الامم ، يخططون لاستغلال الارض ، واستغلال البحر ، وحتى استغلال السماء . ولكن وراء كل هذه الاستغلالات استغلال الانسان . ان الانسان ثروة الامة الاولى .

والفلاح صاحب مؤونة الدولة . هو الذي يطعمها .

فلابد من تعليمه وتثقيفه ليكون جديرا بحمل تبعات الزراعة الحديثة فى هذا الزمان . ومن اول التثقيف محو الامية كما قدمت . وليت الوقت يأتى الذى لا يدخل فيه رجل حقلا الا بعد ان يكون على الاقل قد اكمل التعليم الابتدائي .

واختم فأقول :

الناس جياع ، فعلموهم شق الارض واخراج الطعام على مقتضى العلم الحديث ، والتكنية الحديثة .

أحمد زكى

عمود الشعر العربي

وتطوره منذ

بقلم : أنيس المقدسي

■ في مقدمة ديوان الحماسة لابي تمام يستعرض شارح الديوان احمد بن محمد المرزوقي (٤٢١هـ) مذاهب نقاد الكلام واختلاف مواقفهم في بحث خصائص البلاغة الشعرية ، ثم يعقب على ذلك بقوله ـ « فاذا كان الامر على هذا فالواجب ان يتبيّن ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ، ليتميز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث » .

فلنقف قليلا متسائلين ما هو هذا العمود الذى ذكر المرزوقي انه كان معروفا عند العرب ، وكيف نعرفه نحن اليوم بعد تحدُّره الينا عبر الاجيال ؟ سؤال حري" بالنظر . وما هذا المقال الا محاولة وجيزة للاجابة عن هذا السؤال .

ولا نحسبنا بعيدين عن جادة الصواب اذا قلنا في تعريفه انه طريقة محددة المعالم لجودة النظم . والذى يبدو ان هذه الطريقة وان عرفت منذ اواخر القرن الثاني الهجرى ، لم تنتظم تماما الا في ابان القرن الثالث . فان جل ما وصلنا من النقد البلاغي السابق لذلك العهد ، لم يخرج عن كونه نظرات اولية مبعثها ذوق ادبي فطرى ، كالذى يروونه مثلا عن عمر بن الخطاب انه كان يفضل شعر زهير لخلوه من المعاظلة والحوشية (١) او كالذى يروونه عن تصَيّب انه انتقد بيتا للكميت لانه لم يراعِ فيه المؤاخاة بين الالفاظ (٢) واشباه ذلك مما كان يصدر عن بعض من وهبتهم الطبيعة حسا فنيا ، وغريزة تميز الحسن من غير الحسن .

نشط بحث البلاغة في القرن الثالث فالذى يليه

فلما كان القرن الثالث نشطت الاوساط الادبية الى البحث في البلاغة وخصائصها . وما زالت حركة البحث فيها تتقدم حتى بلغت اوجها في القرن الخامس وما يليه . ويكفى ان نذكر من اعلام هذا البحث الجاحظ (٢٥٠ هـ) وابن قتيبة (٢٧٦) ، وقدامة بن جعفر (٣٣٧) وابا الحسن الجرجاني (٣٦٦) والآمدي (٣٧٠) وابا هلال العسكرى (٣٩٥) والباقلاني (٤٠٢) وابن رشيق (٤٦٣) وابن سنان (٤٦٦) وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١) .

(١) العقد الفريد (بولاق) ٣ ـ ١١٧ (٢) المثل السائر لابن الاثير (بولاق) ٣٥)

تطور الشعر العربي فى القرن العشرين عن الزخرفية البديعة ، الى النشاطة الطبيعية ، وفتح بابا الى الروحانية ، ثم تحول عنها الى الرمزية والايغال فى الغموض ، ثم سار طريقا وسطا بين الاثنين .

القرون الأولى إلى القرن الحاضر

ويمكن القول ان نظر النقاد البيانيين كان فى اول امرهم مصوبا بالاكثر الى الصناعة الشعرية او الجمالية الشكلية ، فاهتموا باحكام اللفظ وعلاقته بالمعنى ، والقافية والبيت ، وما يجب على الناظم ان يتقيد به فى كل غرض من اغراض الشعر كالمديح والرثاء والهجاء والغزل والعتاب والوصف وسواها .

ابن قتيبة يقرر حسنات الشعر

وهنا يبرز امامنا ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء حيث يقرر حسنات الشعر فيجعلها ـ سهولة اللفظ ـ اصابة التشبيه ـ جودة القوافي ويضيف الى ذلك تجنب الضرورات والفضول والتكرير والافراط فى المبالغة والاخطاء المعنوية والعروضية . ولا يكتفي بهذه الحسنات بل يحدد للشاعر طريقة يحتم عليه اتباعها ، وهي كما جاءت فى مقدمة كتابه : « ان يبتدىء الناظم بذكر الديار والدِّمَن والآثار ، فيشكو ويبكي ، ويخاطب الربع ويستوقف الرفيق ... ثم يصل ذلك بالنسيب ، فيشكو شدة الشوق والم الوجد والفراق ، ثم يرحل ويشكو النصب والسهر وسُرَى الليل وإنضاءَ الراحلة ... ثم يتخلص الى المديح او غيره من الاغراض . الخ » فهذه الطريقة كانت عنده كما كانت عند من سبقه الطريقةَ المثلى للنظم ، وعلى الشاعر ان يسير عليها ليُعَدّ من الفحول . وظلت كذلك مدة طويلة بعد ابن قتيبة .

محاولة التجديد والخروج فى الشعر عن سنة القدماء

ولا ينكر ان بعض الشعراء فى كل جيل قد حاولوا شيئا من التجديد فى نسق العمود الشعرى والى ذلك اشار ابو نواس فى احدى خمرياته اذ قال :

صفةُ الطلول بلاغةُ القِدَمِ
فاجعل صفاتك لابنة الكَرْمِ

وكقوله متهكما بالشاعر الذى يجرى على الطريقة القديمة .

عاج الشقيُّ على رسمٍ يسائله
وبتُّ اسأل عن خمّارة البلدِ
يبكي على طلل الماضين من أسدٍ
لا درَّ درُّك قل لي من بنو أسدِ ؟
لا جف دمع الذى يبكي على حجَرٍ
ولا صفا قلب من يصبو الى وتِدِ

وكم عاب النقاد المحافظون ابا تمام لتفننه البياني وخروجه بذلك عن سنة القدماء حتى ان الآمدى فى كتابه الموازنة حكم بتفضيل البحترى عليه لان البحترىَّ على حد قوله « أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الاوائل ما فارق عمود الشعر المعروف » .

وقد قام بعض النقاد يدعون الشعراء الى التحول عن البيئة البدوية الى وصف اسباب

الحياة الحضرية كما فعل ابن رشيق صاحب كتاب العمدة قال :

« وليس بالمحدث من الحاجة الى اوصاف الابل ونعوتها ، والقفار ومياهها وحمر الوحش والبقر والظلمات والوعول ، وما بالأعراب واهل البادية ، لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات ، وعلمهم ان الشاعر انما يتكلفها تكلفا ليجري على سنن الشعراء قديما ... » الى ان يقول : « والاولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما شاكلهما وما كان مناسبا لهما ... ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين » (١) .

ولكن هذه الدعوة الى ترك البيئة البدوية والاخذ بوصف البيئة الحضرية لم تهدم عمود الشعر الذى نصبه العرف العام . فظلت القصيدة تجري على ما رُسم لها من مقدمة غزلية فوصف ، فتخلص الى غرض من الاغراض .

عمود الشعر ، في القرن الخامس ، قام على سبعة اركان

وفي القرن الخامس نرى العمود الشعري قائما على سبعة اركان ذكرها المرزوقي في مقدمة شرحه للحماسة ونلخصها عنه بما يلي :

في المعنى — ان يقبله العقل الصحيح . اى ان يكون مستقيما لا يخالف المعقول .

في اللفظ — ان يسلم من الهُجنة . اى ان يكون مالوفا مستعذبا .

في الوصف — الاصابة وحسن التمييز — اى ان يكون صادقا مناسبا للموصوف .

في التشبيه — ان يقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات اكثر من انفرادهما ولا ينتقض عند العكس .

في الاستعارة — ان يكون المستعار مناسبا للمستعار له ويكتفى بذكر المستعار فقط في التحام اجزاء الكلام — ان يكون الكلام منسجما لطيف التركيب حسن التوقيع . في القافية — ان تكون مما يتشوقه المعنى واللفظ .

ثم يقول : « فهذه الخصال هي عمود الشعر عندهم فمن لزمها بحق وبني شعره عليها فهو الشاعر المفلق » .

رأى الباقلاني في البليغ

ومن الانصاف ان نقول ان بعض علماء البلاغة في ذلك العهد قد نظروا في الشعر والنثر الى ما وراء الصناعة المحددة بمقاييس بيانية ومحسنات معنوية او لفظية . وذلك ما يعنيه ابو بكر الباقلاني في كتابه « اعجاز القرآن » اذ يقول : لان وجوه البديع والبلاغة درجات فمنها ما يمكن الوقوع والتمثل له ويدرك بالتعلم . وما كان كذلك فلا سبيل الى معرفة اعجاز القرآن به . واما ما لا سبيل اليه بالتعلم والتمثل من البلاغات فذلك هو الذى يدل على اعجازه . فكانه يقول ان البلاغة لا تقوم على قواعد وقياسات يمكن لكل ان يتدرب عليها ويتقنها ، وانما هي شيء اعمق لا يستطيع ادراكه غير صاحب الذوق الرفيع المثقف .

الاجادة في رصف الالفاظ ليست بلاغة عند الجرجاني

وقد خطا عبد القادر الجرجاني في كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة خطوة اخرى في هذا السبيل فاثبت مبدأين هامّين : الاول ان البلاغة لا تقوم على اللفظ بذاته ولا على المعنى بذاته بل على طريقة نظمهما معا في الجملة . والمبدأ الثاني ان النظم العالي لا يعني مجرد الاجادة في رصف الالفاظ والعبارات كقول احدهم « لله درّ خطيب قام عندك يا امير المؤمنين — ما افصح لسانه ، واحسن بيانه ، وامضى جنانه ، وابل ريقه ، واسهل طريقه الخ » . او حتى كقول الجاحظ :

« جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا ، وبين الصدق سببا ، وحبب اليك التثبت ، وزين في عينيك الانصاف .. الخ » (٢) فهذا عند الجرجاني كلام حسن الرصف « سبيل صاحبه في ضم بعضه الى بعض سبيل من عمد الى لآل فخرطها في سلك لا يبتغي اكثر من ان يمنعها من التفرق » .

ولكن المسألة ليست مسألة رصف منسجم لا

---

(١) العمدة (مصر ١٩٢٥) ٢ — ٢٢٧ (٢) الباقلاني ١١٥ — ١١٦ (٣) دلائل الاعجاز ٧٦

خطأ فيه ، بل هي ان يكون للكلام تلك الروعة المعنوية التي تمسّ القلوب اذ يرتفع بتركيبه عن المعتاد ، ويوحي بمعاني وراء المعاني . وهذا مسلك دقيق لا يسلكه الا من اوتي ملكة التمييز بين العالي من اساليب التعبير وغير العالي .

استقرار البديع على عرش السيادة

حاول الجرجاني ومن سلك مسلكه من علماء المعاني ان يجعلوا للبلاغة عمودا غير قائم على اقيسة صناعية محددة . وقد نجحوا ولكن الى حين فعادت الاقيسة الصناعية الى البروز ـ واشتدّ بروزها منذ القرن السادس فاستقر « البديع » على عرش السيادة حتى اصبح الشعر والنثر يتنافسان في استعمال المحسنات اللفظية والمعنوية .

فالعمود الشعرى الذى بُني قديما على اسس الاسلوب الجاهلي وصدر الاسلام حرٌّ من التكلّف الصناعي ، البسه امراء الشعر في ابّان العصر العباسي ثوبا قشيبا من التوليد اللفظي والمعنويّ ، ثم اضيف اليه مع الزمن زخارف من التصنع البديعي . ولم يصل الى القرن التاسع عشر حتى كان قد رثّت ثيابه ، وتحول الى هرم شبابه .

عمود الشعر في قرننا هذا الحاضر

ولمّا طلعت انوار النهضة الحديثة نهض الشعر ولكنه ظل حتى اواخر القرن الماضي يسير مثقلا بما كان يحمله من زخارف الماضي . والواقع انه لم يخلص منها الا تدريجيا في قرننا الحالي .

في هذا القرن اشتدّ اتصال العالم العربي بالحضارة الغربية فتأثرت حياته الادبية تأثرا بينا مما ادّى الى تطور في الشعر العربي . ومن ظواهر هذا التطور ما يلي :

١ ـ التحول عن الطريقة القديمة من وقوفٍ على الطلول او الابتداء بمقدمة غزلية. وفي ذلك يقول مصطفى الرافعي من قصيدة يصف فيها القطار

يا سعدُ هذا عصرنا فدع النياق
يشفها الاتهام والانجادُ
واهجر حديث الرقمتين واهله
بادت ليالي الرقمتين وبادوا

٢ ـ تحوله عن الزخرفة البديعية الى البساطة الطبيعية وسلوك سبيل الحرية . وفي هذا التحول فتح الباب لنزعة شعرية جديدة هي النزعة الرومانسية او الابداعية . ولم يعد عمود الشعر قائما على الاسس التي وضعها ابن قتيبة او المرزوقي ولا ما كان يفهمه اصحاب الصناعة البديعية ، اذ اصبحت طريقة السهولة الممتنعة او حرية التعبير الشخصي . ومن مزاياها تجنب التقارب المعنوي والتصنع اللفظي في التعبير عن العواطف الشخصية .

ومن امثلتها قول علي محمود طه متشوّقا الى حياة الريف :

اني لأذكر حقلنا ولياليَهْ
ازهرن في ظلِّ لديه وَريفِ
ومَراحَنا بقُرى الشمال وكوخَنا
تحت العرائش في ظلال التلوّف
يا حبذا هوٌ من مراح للصبا
والكوخ من مَتشتىً لنا ومَصيفِ

وقول ايليا ابو ماضي في قصيدته « الطلاسم »

انني جئت وامضي
وانا لا اعلمُ
انا لغزٌ وذهابي
كمجيئي طلسمُ
لا تجادلْ ـ ذو الحجى من قال اني لست ادرى
والذى اوجد هذا اللغزَ لغز مبهم :

واكثر شعراء النصف الاول من قرننا الحالي كانوا يجرون هذا المجرى السهل الجميل بل هو مذهب عرف به كثير من القدماء الذين يجرون مع السجية السمحة في نظمهم ، على ان سهولة الرومانسية في النصف الاول من قرننا الحالي لم تبق على حالها فقد تطرف بعضهم فيها حتى اصبح الشعر اقرب الى الكلام المنثور ـ لاجهدَ فنيّ فيه ولا وثوب الى البعيد من المعاني . ولعلّ ذلك هو السبب في حدوث ظاهرة جديدة في الشعر هي :

٣ ـ تحوله عن السهولة الرومانسية ووضوحها الى غموض الرمزية وبعد دلالاتها ويذهب اصحابها الى ان هدفها تجديد الشعر بتحريره من الابتذال

اللفظي والتميع العاطفي اللذين شابا الرومانسية اخيرا وذهبا بروعتها الفنية وكذلك تحريره من ادب الواقع والملموس ارتيادا لآفاق جديدة تمتد الى ابعد من الظاهر القريب .

والعمود الشعري في الرمزية قائم على الايقاع اللفظي وما يوحيه من ومضات فكرية خفيه وحبذا تلك الومضات اذا لم تكن مغرقة في الغموض بحيث تصبح من قبل المعميات والاحاجي . ولكنها للاسف قد حملت عند البعض على محمل التطرف فاصبحت هي ايضا طريقة متكلفة فبعدت عن الغاية التي كانت تهدف اليها . مما ادى الى تطور جديد في الفن الشعري ولعلنا نستطيع ان نسميه :

الابداعية الجديدة : وهي نزعة تاخذ من كلا الرومانسية والرمزية احسن ما فيهما ، فتجمع بين جدة التعبير وحسن التخيل واشراق المعاني جميعا وتجعل للشعر رونقا من حيث الاخراج وروعة من حيث التصوير ونفوذا الى ابعد اغوار المعاني .

ومن امثلتها قول بشاره الخوري في مرثاته للزهاوي واصفا طريقه عبر الصحراء الى بغداد .

بغداد ما حمل السرى
مثلي سوى شبح مريب
جفلت له الصحراء والتفت الكثيب الى الكثيب
يتساءلون من الفتى العربي في الزي العريب
صحراء يا بنت السماء البكر والوحي الخصيب
انا دمعة الادب الحزين رسالة الالم المذيب
من قلب لبنان الكئيب لقلب بغداد الكئيب

وقول عمر أبو ريشة في وصفه بقايا طلل لا يزال ثابتا رغم عوادي الزمان

لقد تعبت منه كف الدما
ر وباتت تخاف آذى لمسه
هنا ينفض الوهم اشباحه
وينتحر الموت في بأسه

ولنقرر هنا ان الاخراج الشعرى في هذا العصر قد ازداد حرية فهو لا يتقيد باسلوب القصيدة القديمة المطردة القوافي وان كانت لاتزال طريقة شائعه ، ولكنه يجرى ايضا في مسالك جديدة امثا على طريقة التوشيح الاندلسي او على اساليب النظم عند الغربيين . فترى لكل شاعر اسلوبا خاصا في التعبير عن خواطره وعواطفه ، على ان يظل محافظا على الموسيقى المطربة التي لا يكون الشعر شعرا اذا خلا منها .

اما مواضيعه فمستوحاة من الحياة والحضارة الانسانية ، حياة الفرد وحياة المجتمع ، ومن الطبيعة في جمال مجاليها ، وروعة معانيها ، وما كشفه العلم من اسرارها وغرائبها . وهكذا يقف امام هذا الكون الانساني والطبيعي متاملا ، مستوحيا ، ناشدا مواطن الجمال فيه ، حاملا للناس من موسيقى الفكر ما يطربهم ويرفع نفوسهم ويريهم من حقائق الوجود ما لايرونه بانفسهم .

ذلك هو عمود الشعر العربي في شتى اطواره التاريخية . والواقع ان الشعر الرفيع مهما تغيرت ظروفه واحكام النقاد فيه فهو اليوم وامس والى الابد الفكر الرائع في اللفظ الرائع . ■■

انيس المقدسي

يحيى بن أكثم

قال يحيى بن أكثم للمأمون يذكر حاجة له قد وعده بقضائها ، واغفل ذلك :

« أنت يا أمير المؤمنين اكرم من ان نعرض له بالاستنجاز ، ونقابلك بالادكار ، وانت شاهدي على وعدك ، لا تأمر بشيء لم تتقدم أيامه ، ولا يقدر زمانه ، ونحن اضعف من ان يستولي علينا صبر انتظار نعمتك ، وانت الذي لا يؤده احسان ، ولا يعجزه كرم ، فعجل لنا يا أمير المؤمنين ما يزيدك كرما ، ونزداد به نعما ، ونتلقاه بالشكر الدائم »

فاستحسن المأمون هذا الكلام، وامر بقضاء حاجته

اليك يا فلسطين

■ يا ديارَ المجد ما هذا الجفـــا　　هام قلـــبي يا حياتى فارْحمـــى
كلما فكَّرتُ في هذا البعــــادِ
صارهَمِّي وهُيامى بازديــــادِ
لاتَصُــدى واحفظــى عهد الوداد
وارحمــى قلبا إليك قد هفَــا　　بات من فرْط الهوى في سقَـــمِ
ياملاذ العُرب يا أرض الحِمَـــى
انظرى دمعــى على خدى هَمَـــى
واســتعدى كي تعودى مثلمـــا
كان عهدى حين أيام الصفـــا　　عهدَ وُد وازدهارِ مُفعَـــمِ
جـــدى أنس الليالى الخاليـــه
حققى خير الأمانـــى الغاليـــه
ثم عودى للحيـــاة الصافيـــه
تُنعشـــى الأرواح من بعد العفا　　وبأفيـاء الأمانى تَنْعمـــى
لاتعودى للبكا يا بلدتـــــى
كثرةُ الأشجان زادت لوعـــتى
روضُك الفتــان يَشْفى علـــتى
ياحياتى اسعفينى بالوفـــا　　واسعدى يانور عينى واسلمى ■■

دمشق　　**نهى التميمي**



دردشة

القديم والجديد

● قال فيلسوف حديث ساخر: « اذا اردت الحديث من الآراء ، والجديد من الافكار ، عليك بالكتب القديمة . أما اذا أردت القديم من الآراء ، البالي من الافكار ، فعليك بالكتب الحديثة ».

الفيلسوف والشجرة



● يروى عن الفيلسوف الالماني كَنْط أنه لجأ الى القضاء ذات مرة مدعيا ان جيرانا له قد اقتلعوا شجرة كانت في بيتهم ، فعكروا بالتالي مزاجه ، وعرقلوا انسياب تفكيره ، ونالوا من قدرته حينئذ على الكتابة والتأليف ، نظرا لما كان قد نشأ بين تدافع تأملاته ومنظر تلك الشجرة من تداع واتصال . وقال فيما قاله بصدد الدفاع عن وجهة نظره ، ان الشجرة ، وان كانت ملكا لأولئك الجيران ، من حيث هي جذع واغصان واوراق وثمار ، فان ملكيتها ليست وقفا عليهم من حيث هي منظر للناظرين ومصدر وحي للمفكرين . الا أن المحكمة لم تأخذ برأى الفيلسوف ولم تحكم له بما طلب !!

الموسيقى بين الذكاء والغباء

● كان الموسيقار العالمي جوهانز براهمز Johannes Brahms شديد التأثر بسلفه العظيم بيتهوفن Beethoven يقتفي أثره ويحذو حذوه فى معظم الحانه وانغامه . وقد تجلى الشبه بين سيمفونية بيتهوفن التاسعة ، وسيمفونية براهمز الاولى ، لدى عزف الاخيرة للمرة الاولى بقيادته . فعم الهياج جمهور المستمعين وجعلوا يتصايحون « موسيقى بيتهوفن! نسخة طبق الاصل ! » فالتفت اليهم براهمز وخاطبهم بتأثر عيق قائلا : « الشبه بين الحان بيتهوفن والحاني كبير ، وفى وسع الاغبياء من الناس ملاحظته . أما التباين بين هذه الانغام وتلك ، فمن الدقة بما يفوت الاغبياء ادراكه » .

قول مأثور

ــ قال ابراهام لنكولن : « تستطيع ان تستغفل كل الناس بعض الوقت ، او بعض الناس كل الوقت ، الا انك لا تستطيع أن تستغفل كل الناس كل الوقت » .

شرود الذهن

● يروى ان استاذا شارد الذهن انطلق مسرعا الى سيارته لدى الانتهاء من عمله . وجعل يحاول فتح السيارة دون جدوى . فحلقة المفاتيح التى كانت فى يده كان بها عدد كبير من المفاتيح . واعاد الكرة مرتين أو ثلاثاً بلا فائدة . وتملكه الغيظ وتصبب من جبينه العرق



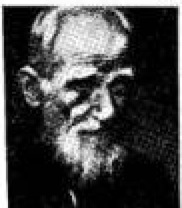
الفاتيكان والاسهم المالية والسندات

● الفاتيكان ، هو مقر البابا ، خليفة القديس بطرس الشرعي ، وبالتالي الحاكم المطلق فيما يتصل بالكنيسة الكاثوليكية من شؤون . ومن الطريف أن نذكر أنه من اغنى أغنياء العالم قاطبة . فهو يملك من الاسهم والسندات ما تبلغ قيمته ٥٦٠٠ مليون دولار ، اى ما يقارب خمسة أضعاف ما تمتلكه الحكومة البريطانية من الاسهم والسندات القابلة للتداول بالدولار . ولا يشمل هذا المبلغ طبعا قيمة الاراضى والعقارات التى يمتلكها الفاتيكان فى مشارق الارض ومغاربها ، ولا قيمة ما فى حوزته من لوحات وتماثيل وما اليها من ثروات فنية هائلة . ولعل قيمة كل من هذه وتلك تفوق المبلغ الذى ذكرنا أضعافا مضاعفة .

الى ان فاجأه صديق له بالسؤال : « ما الذى تحاوله يا استاذ ...! » اجاب : « اريد فتح سيارتى والانطلاق بها الى بيتى قبل وصول ضيوف » .

فرد الصديق : « لكن سيارتك ليست هذه التى تحاول فتحها ! انها هناك على الجانب الآخر من الطريق !! » .

رأى فى المرأة



● يقول برناردشو : « شغل المرأة الشاغل هو تعجيل الزواج فى اقرب وقت ممكن ، اما الرجل فشغله الشاغل هو ارجاء الزواج الى ابعد وقت ممكن » .

لا تخطيط بغير احصاء

بقلم فؤاد عبد الرحمن حسين
مدير عام الادارة المركزية للاحصاء ـ الكويت

■ ما هو الاحصاء .. وما المقصود به ؟ يقول رجال الاحصاء انه وصف بالارقام لكافة ظواهر المجتمع وحقائقه ، وهو حينما يصفها بالارقام فانما يعبر عنها ويعرضها بوسيلة قاطعة واضحة ، لان الارقام بطبيعتها قاطعة وواضحة ، تمتاز بتحديد المفاهيم والمعاني . فمثلا لو قيل ان الجو بالامس كان حارا ، لكان هذا تعبيرا عاما ينقصه مقدار حرارة الجو ، ولكن لو ترجمنا ذلك بالارقام وقلنا ان درجة الحرارة قد وصلت بالامس الى ٤٨ درجة مئوية لكان ذلك وصفا قاطعا .

والاحصاء لا يعني بمجرد العدد العام لهذه الظواهر والحقائق ، بل انه يعبّر عن خصائصها وبذلك تكمل الصورة التى تعطيها لنا هذه الظواهر والحقائق . فحين يجرى احصاء او تعداد عام للسكان فان الاحصاء لا يكتفي باعطائنا مجرد العدد الكلي للسكان ، وانما يعبّر عن خصائص هؤلاء السكان : كم منهم من الذكور ، وكم منهم من الاناث .. وكم منهم اميون ، وكم منهم يعرفون القراءة والكتابة ، وكم منهم من حملة المؤهلات الدراسية ، وما هي درجة هذه المؤهلات هل الابتدائية ام المتوسطة .. الخ .

كما انه يعبر عن المهنة التى يحترفها هؤلاء السكان فيبين كم منهم يعمل مهندسا ، وكم منهم يعمل طبيبا ، وكم منهم يعمل مدرسا ، وهكذا...

وما يحدث للسكان يحدث بالنسبة لاى موضوع اخر يتناوله الاحصاء ، فمثلا لو كنا بصدد احصاءات التجارة الخارجية ، فاننا نجدها لا تكتفى باعطائنا مجرد القيمة الكلية لما استوردناه او صدّرناه وانما تعطينا القيمة لكل سلعة

الذكور في عاصمة الكويت ثلاثة اضعاف الاناث!

عدد السكان يزحف الى ما يقرب من نصف مليون

استوردناها او صدرناها ، كما انها تبين لنا البلاد التى استوردنا منها او صدرنا اليها ... وهكذا .

الاحصاء فى الكويت

ولا شك ان هذا النهج الذى يتبعه الاحصاء فى وصف الظواهر والحقائق بالارقام مصنفة تبعا لخصائصها ، يمكننا من الوقوف بشكل دقيق محدد على تفاصيل كل موضوع يتناوله الاحصاء . ولذلك عمدت الامم الراقية الى ادخال الاحصاء فى كافة جوانب مجتمعاتها حتى تكون على بينة من كل ما يدور فى هذه المجتمعات بطريقة تنير لها كل سبيل فتأتي تصرفاتها حيال هذه المجتمعات صائبة سليمة مبنية على اسس مستنيرة .

ولقد اخذت دولة الكويت الحديثة ذلك فى اعتبارها فاصدرت فى عام ١٩٦٣ قانونا تضمن انشاء الادارة المركزية للاحصاء تلحق بمجلس التخطيط ، ويكون لها حق اجراء الاحصاءات والتعدادات فى جميع المجالات بحيث تصبح المرجع الاحصائي الوحيد فى الدولة .

ولم يكن بمحض الصدفة ان تلحق ادارة الاحصاء بمجلس التخطيط ، لان العلاقة بين الاحصاء والتخطيط هي كالعلاقة بين اى جزء فى جسم الانسان وبقية الاجزاء .. وكذلك لا تخطيط بلا احصاء . لان الاحصائيات والارقام هى التى ترسم السياسة التخطيطية .

تدريب ٩٠٠ شاب

ورغم حداثة عمر التنظيم الاحصائي فى الكويت ، الا ان الادارة المركزية للاحصاء قامت خلال هذه المدة باعمال احصائية كبيرة ومتعددة . مستعينة فى اعمالها بمجموعة من الخبراء من دول مختلفة ، وخاصة من الدول العربية الشقيقة .

الى اسفل : تحفظ البيانات التى جمعها العدادون داخل صناديق خاصة للمحافظة على سريتها ولا يسمح بالاطلاع عليها الا للمختصين





تقوم هذه الفتاة بنقل البيانات من دفتر التعداد الى بطاقات خاصة على هذه الآلة التى تقوم بثقب البطاقة ثقوبا متنوعة لكل منها دلالة خاصة .



بعد تثقيب البطاقات على الآلة الاولى ومراجعة ثقوبها ، تنتقل البطاقات الى هذه الآلة الجديدة ، التى تقوم مرة اخرى بتثقيب البيانات المتماثلة على البطاقات ، مثل البيانات الخاصة باسم المدينة والمحافظة والقرية

وفى شهر ابريل (نيسان) الماضى قامت هذه الادارة المركزية باجراء التعداد العام لسكان الكويت .

وبعد ان تم تدريب ٩٠٠ شاب على ايدى خبراء عرب لمدة ١٢ يوما ، انطلقوا يجمعون المعلومات من السكان عن : عددهم ، واعمارهم ، ونوعهم ، ومكان ولادتهم ، وجنسيتهم ودياناتهم ، ومدة اقامتهم ، وحالتهم التعليمية والاجتماعية ، وعدد الزوجات ، ومهنتهم ، وكم يدفعون ايجارا لسكناهم ..و..و.

وقد استغرقت العملية الميدانية لهذا التعداد قرابة الشهرين ، ما بين اجراءات تمهيدية ، وحتى والوصول الى كل اسرة وجمع البيانات عن كل فرد.وقد انتهى ذلك فى اواخر شهر ابريل ١٩٦٥ .

وفى يوم ٦ مايو اعدت الادارة المركزية للاحصاء النتائج الاولية لهذا التعداد .

الآلات الالكترونية تظهر النتائج

وكانت الادارة على استعداد تام لتلقى هذا السيل من البيانات فقد تدربت مجموعة من الفتيات للقيام بالمرحلة الثانية وقد انصب الاختيار على الفتيات لانه ثبت ان المراة اكثر مثابرة على الاعمال الرتيبة التى تحتاج الى تكرار باستمرار ..

وما كادت سجلات العدادين تصل الى الادارة حتى بدأت مراجعتها وتحويلها الى رموز وثقوب على بطاقات خاصة .. بحيث ان بيانات الاسرة بكاملها تحولت الى رموز رقمية ، تمهيدا لادخالها الى الآلات لمراجعتها وفرزها وتصنيفها ..

وبعض هذه الآلات الالكتروني يستطيع قراءة ٢٧ الف بطاقة فى الساعة الواحدة ! وهناك آلات اخرى تقوم بفرز الف بطاقة فى الدقيقة الواحدة .

وتخضع البطاقة بعد تثقيبها الى مراجعة دقيقة لهذه الثقوب ، بحيث انها لا تصل الى مراحل الفرز والترتيب والتبويب النهائية ، الا بعد اختبار آلي للبيانات التى تثبت على كل بطاقة ، وذلك باجراء مقابلة منطقية موضوعية بين بيانات الفرد الواحد من السكان وبعضها .. فمثلا تجرى مقابلة بين عمر الشخص وحالته التعليمية ، فمن

تجمع هذه الصورة بعض الفتيات وهن يقمن
واقع سجلات التعداد التى قام العدادون





الآلة الالكترونية العجيبة التى تستطيع ان تقرأ وتصنف النتائج التلخيصية وتفرز ٢٧٠٠٠ بطاقة فى الساعة لتستخرج منها الجداول وتقوم بتدقيق صحة البيانات . فهى تلقى جانبا كل بطاقة فيها معلومات متناقضة .



ونقل البيانات التلخيصية الى آلة التبويب ، وهى المرحلة النهائية فى العملية وتقوم هذه الآلة باعداد نتائج الاحصاءات المطلوبة فى شكل جداول شبه نهائية . وسرعة هذه الآلة ٦٠٠٠ بطاقة فى الساعة .

غير المعقول مثلا ان يكون هناك شخص عمره ١٤ سنة وحاصل على بكالوريوس هندسة !

ويرى القارىء وصفا تفصيليا لهذه الآلات تحت الصور المنشورة مع هذا الكلام ..

ومن دراسة النتائج الاولية لتعداد ١٩٦٥ ، الذى يعتبر اول احصاء دقيق لاهل الكويت ، يتضح ان عدد سكان البلاد ٤٨٦٠٤٢ نسمة نسبة الذكور فيهم ٢٨٦٦٦١ بينما الاناث ١٩٩٣٨١ اى ان الرجال يزيدون عن النساء بنحو ١٠٠ الف نسمة.

وبلغ عدد المقيمين فى الكويت العاصمة ٩٩٦٣٣ نسمة ، نسبة الرجال فيهم ثلاثة اضعاف النساء تقريبا ، اذ بلغ عددهم ٧١٤٢٦ رجلا مقابل ٢٨٢٠٧ انثى .

عداد بطاقات منقبة على الآلات الخاصة من
تجميع معلوماتها من الاهالى .



عدد السكان

ان النتيجة النهائية للاحصاء ستكون معدة فى اواخر سبتمبر القادم ، ولكن ادارة الاحصاء رأت ان حبس البيانات المتوفرة لديها فترة طويلة ليس من الصالح العام ، لهذا عمدت الى تضمين نشرتها الشهرية بيانات أولية عن تعداد السكان .

ومما يذكر ان هذه النشرة الشهرية تتيح الفرصة للمتخصصين للوقوف على الاحصائيات المتجمعة شهريا ، كما ان هناك نشرة سنوية تعد خير مرشد لكل من يريد الوقوف على معلومات احصائية حيوية متعلقة بالسكان ، والتربية ، والتجارة الخارجية ، وثروات البلاد من نفط وصناعة وتجارة ، والمواصلات والنقل وكل ما يتعلق بالاحصاءات الاخرى المتنوعة .

وقد صدر العدد الاول منها عن عام ١٩٦٤ ويجرى الاعداد لاخراج العدد الخاص بعام ١٩٦٥ .

عدد المؤسسات الاقتصادية

اما عدد المؤسسات التى تزاول مختلف اوجه النشاط الاقتصادى فى الكويت فقد اعلنت النتائج الاولية لها ، ومنها يتضح بان عددها ١٥٠٤٦ مؤسسة يتركز معظمها فى محافظة العاصمة ، حيث نجد بها ٩٤٩٤ مؤسسة ، بينما يعمل فى محافظة حولي ٤٧٠٤ مؤسسة ، وبمحافظة الاحمدى ٨٤٨ مؤسسة .



استعانت الكويت بفنيين وخبراء فى الاحصاء من الدول العربية والاجنبية ويعقد هؤلاء الخبراء اجتماعات دورية لدراسة التقارير والارقام ،والموضوعات الاحصائية المختلفة ونرى هنا احد هذه الاجتماعات ويتصدرها السيد فؤاد عبد الرحمن حسين مدير عام الادارة المركزية للاحصاء .

وبلغ مجموع المشتغلين فى جميع هذه المؤسسات ٦٩،٠٤٤ شخصا يغلب عليهم العنصر الرجالي ، اذ لا تبلغ نسبة الاناث فيهم سوى ٤ر١٪ فقط !... (ولا يشمل هذا العدد المشتغلين فى المؤسسات والدوائر الحكومية) .

وادارة الاحصاء تقوم حاليا بتجهيز بيانات هذا الحصر تمهيدا لاخراج نتائجه التفصيلية التى ستصدر فى مجلد ضخم .

ان مبنى الادارة المركزية للاحصاء يكاد ان يهتز من كثرة حركة الآلات التى تعمل فيه اكثر من ١٢ ساعة يوميا ..

وعمله هذا محاط بسرية تامة نص عليها القانون ، ويعاقب كل من يحاول افشاء اى سر متعلق بشخص او اسرة ...

مشاريع للمستقبل

وامام الادارة المركزية للاحصاء مشاريع وبرامج عمل ضخمة للسنوات القادمة تدخل ضمن خطة الانتاج الاحصائي للسنوات الثلاث المقبلة نذكر منها :

- بحث ميزانية الاسرة .
- دراسة تسجيل المواليد والوفيات .
- تعداد واحصاء التجارة الداخلية والخدمات .
- احصاء التوظف والاجور وساعات العمل .
- تعداد الانتاج الصناعي
- تعداد النقل والمواصلات والتخزين .
- دراسة خصوبة السكان .
- احصاءات العمالة والبطالة .
- بحث حالة تلاميذ المدارس .
- احصاء الحالة السكنية .

تعاون ايجابي مع التخطيط

ان البرنامج الاحصائي فى دولة الكويت يسير وفق اهداف ومتطلبات خطط التنمية . ولذلك بادرت الادارة المركزية للاحصاء استجابة لهذه المتطلبات ، باجراء التعداد العام للسكان حتى يوفر صورة احصائية وافية عن المجتمع البشرى للكويت حسب خصائصه المختلفة ، وهى معلومات يلزم للمخطط ان يعرفها عن القوة البشرية التى يخطط لها .

وكذلك باقي انواع الاحصاءات التى تقوم بها الادارة المركزية والتى ستقوم بها ، هدفها كلها تحقيق متطلبات وخطط التنمية .

ويتم التعاون بين ادارة الاحصاء ومجلس التخطيط فى دولة الكويت بشكل ايجابي وثيق . فالهيئة ما تكاد تأخذ خبرا عن احتياجات مجلس التخطيط ، حتى تضع البرامج الاحصائية المتجاوبة مع هذه الاحتياجات .. فتيسر لجهاز التخطيط الحصول على كافة الارقام والتقديرات الاحصائية اللازمة له فى حينها ،وبالدرجة والشكل المتفقان تماما عليه .

واخيرا ان ادارة الاحصاء اصبحت تلعب دورا هاما فى حياة دولة الكويت لتحقيق الاهداف المثلى التى نادى بها دستور البلاد ، والتى يعمل مجلس التخطيط على ترجمتها وتحديدها ضمن اطار التخطيط العلمى الشامل .. ■■

مسابقة العربي :

ماهي عواصم هذه الدول ؟

جوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقتنا هذه المرة ليست الاختبارا بسيطا لبعض المعلومات العامة التي يجب ان يلم بها كل مثقف يتابع الاحداث الجارية . فهي عبارة عن اسماء بعض الدول التي اتجهت اليها الانظار في الاونة الاخيرة لانها كانت مسرحا لتلك الاحداث . وكل ما هو مطلوب منك ان تذكر اسماء عواصم ١٥ دولة من الدول الآتية وهي :

فيتنام الشمالية ـ فيتنام الجنوبية ـ كوريا الشمالية ـ كوريا الجنوبية ـ روديسيا الجنوبية ـ روديسيا الشمالية ـ المانيا الشرقية ـ المانيا الغربية ـ الصين الشيوعية ـ الصين الوطنية ـ حضرموت الكثيرية ـ حضرموت القعيطية ـ الهند ـ باكستان ـ الصومال الفرنسي ـ جمهورية الصومال ـ موريتانيا ـ المغرب ـ الكونغو ـ جمهورية الكونغو .

شروط المسابقة

١ ـ اكتب على ورقة مستقلة اسماء الدول التي تضمنتها هذه المسابقة ، وامام كل دولة اسم عاصمتها .

٢ ـ ارفق باجابتك كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة

٣ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٤ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت (مسابقة العدد ٨٢)

٥ ـ آخر موعد لوصول الاجابات الينا هو السابع عشر من سبتمبر (ايلول) عام ١٩٦٥ .

٦ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ـ ٣٠/ دينارا

الجائزة الثانية ـ ٢٠/ دينارا

الجائزة الثالثة ـ ١٠/ دنانير

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ه دنانير توزع على الفائزين الثمانية ، التالين لاصحاب الجوائز الثلاث الاولى .

نتيجة مسابقة العدد ٨٠

الأرقام الناقصة والفائزون بالجوائز

	١٢		١٣
١٤			
		١٠	
		٥	

■ يبين الرسم المنشور هنا الارقام الناقصة ليكون مجموع ارقام كل المربعات في كل صف او على خط يصل بين زاويتين متقابلتين : ٣٤

الفائزون بالجوائز

وقد اجريت عملية الاقتراح على الجوائز بين الاجابات الصحيحة ، وكانت نتيجتها كالآتي : —

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمد بن عثمان باحرثي، المحاسب بشركة الزاهر للمقاولات مكة ، جرول ، السعودية .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : عبد المهدى الغفور ، نائب الضابط الكاتب، قرية الهويدر، بعقوبة — العراق .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : صلاح دفع الله كنان ، حسابات المخازن ، وزارة الاشغال بالخرطوم — السودان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ — عبد الله محمد بارجاء : البنك الشرقي، العين، ص.ب ٢٤٠ — البريمي، ابو ظبي الخليج العربي .

٢ — فهد عبد المحسن الزيد : ٥٦ شارع الروضة — دمشق — سورية .

٣ — وليد عبد العزيز هلال : شارع الملاحة — طرابلس — لبنان .

٤ — فاطمة محمود برهوم : بقالة الاستقامة — حي الشرقة : البيرة — الاردن .

٥ — خلدون ابو القاسم كرو : ص.ب ١٠٧ تونس .

٦ — سالم الكيلاني : رئاسة منطقة طرابلس العسكرية — طرابلس — ليبيا .

٧ — سامية عبد العزيز محمد : رقم ١٠١ شارعي عباس ورياض ، ببور سعيد : ج.ع.م .

٨ — عبد الله جاسم الرجيب : ثانوية الشويخ — الكويت .

وسترسل الجوائز الى اصحابها . ■■



سئل مسلم عن حديث ، فراح يبحث عن قوته ، واشعل السراج ، ومنع اهله من ان يدخلوا ، ففاضت روحه الى ربه وهو يبحث عنه .

مُسلِم بن الحَجّاج

- ٢٠٤ إلى ٢٦١هـ -

صحيح مسلم ، ناظر صحيح البخارى . وجمهرة العلماء ترى ان الاول احسن تبويبا ، وانالثاني اوثق رواية .

بقلم : الشيخ محمد أبو زهرة

■ كثرت علوم الفقه والحديث والتفسير فى القرن الثالث الهجري بمشرق البلاد الاسلامية خراسان وفارس وسمرقند وما وراءها ، لان أهل هذه البلاد كانوا قبل الاسلام أهل علوم وحكمة وفلسفة ، فلما جاء الاسلام أشبعوا نهمتهم العلمية فى علومه ، وكما روى فى الأثر « منهومان لايشبعان أبدا طالب علم وطالب مال » ومرد ذلك الى كل من اقام معهم من العرب ، ولان اهل هذه البلاد سلبوا الولاية والحكم باستيلاء العرب المسلمين على اراضيهم ، فانصرفوا الى العلم ، لينالوا الرياسة عن طريقه ، وقد فقدوها عن طريق الحكم والسلطان ، فاستولوا على رياسة خالده لاتبلى

بكر الغداة ومر العشي ، واستبدلوها برياسة وقتية لا تبقى الا امدا محدودا مهما يكن طوله او قصره .

ولم يتخذوا بغداد مستقرا ومقاما ، لانها كانت فى أول القرن الثالث تحت سلطان المعتزلة والحركة الفكرية فى ظلهم ، وكانت فيها الفتن ، بسبب المعركة بين اهل الفقه والحديث ، واهل الاعتزال ، وقد اكتوى بنارها امام السنه والفقه احمد بن حنبل رضى الله عنه ، فكان علماء الفقه والحديث والتفسير لايرون فى مدينة دار السلام الهداة والاطمئنان ، والعلم لا يعيش الا فى جو هادىء مستقر مطمئن . وفوق ذلك فانه كان فى تلك الجهات النائية ولاة يشجعون العلماء ، ويحرضون على العلم وطلبه .

فلم يكن غريبا ان يوجد فى هذه البلاد النجادي كما روينا من قبل ثم رصيفه مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين القشيري صاحب الصحيح الذي يقارب كتاب البخاري ، او يساويه فى نظر بعض العلماء ، بل ادعى بعض المشارقة والمغاربة انه خير منه .

ولد مسلم بنيسابور ، ونشا نشاة دينية لانه كان فى بيت ديني ، ومع انه نشا فى نيسابور وولد فيها ، فهو ينتمي الى اصل عربي . لانه ابن بني قشير ، وهي قبيلة عربية ، فهو يشبه الامام احمد بن حنبل اذ ولد بخراسان ، وهو شيباني من اسرة عربية ، ويظهر انها آوت الى تلك البلاد النائية طلبا للراحة والاطمئنان ، ولم يكن لها صلة باهل السلطان كاكثر هذه البلاد .

وقد حفظ القرآن الكريم وتعلم اصول الدين واخذ الفقه عن المذهب الشافعي ، وان كان له اجتهاد يخرجه عن ان يكون مقلدا ، وذلك لان مذهب الشافعي كان منتشرا فى تلك الجهات ولم يكن يغالبه فى السيطرة والنفوذ سوى المذهب الحنفي ، الذي كان مذهب الدولة ، بيد ان المذهب الشافعي كان يستمد قوته من الشعب وايثاره له ، والمذهب الحنفي يستمد قوته من السلطان ، ولكن المناظرة كانت تعقد حرة بين مذهبين سنيتين يلتقيان فى زاوية راسها الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح رضى الله عنهم ، ولم يكن انفراج كبير فى خطيّ الزاوية ، بل ان خطيها متقاربان ، لا يبتعدان .

الى الحديث

بعد ان اعد العدة ، واخذ الاهبة ، وصار فتى سويا اتجه الى الحديث بكليته ، والحديث فيه علم الاسلام ، والتقى بكبار المحدثين فى نيسابور حتى جمع الرواية عنهم كاملة غير منقوصة ، وقد اخذ عنهم اخذ متقين ملازم ، فلما استوى وقوى عوده ، رحل الى البلاد الاسلامية يطلب الحديث من مواطنه ، وياخذه عن رجاله ، فسافر الى الاقطار الاسلامية فى طلب الائمة ، فارتحل الى خراسان ، وذهب الى الريّ ، والى العراق ، واخصّ من التقى فيه واخذ عنه الامامُ احمد ، وكان فى اوجه ، وقد تسامعت به الركبان ، ثم رحل الى الحجاز يطلب الحديث فيه مع الحج ، ويروى عن كبار المحدثين فيه . ولم تقف رحلته عند حد العراق ، بل رحل الى الشام ياخذ من محدثيها ، والى مصر ، ولعله كان ياخذ فى مصر علمين علم الحديث عن الرواة ، وفقه الشافعي عن تلاميذ الشافعي الذين كانت مصر لهم مستقرا ومقاما .

وعندما زار البخاري نيسابور التقى به مسلم واخذ عنه واعجب به اشد الاعجاب ، ولازمه ، وادام الاختلاف الى مجلسه . ولما استمع اليه احبه ، وتعصب له ، حتى لقد روي الرواة انه بعد أن استمع اليه قبّل ما بين عينيه ، وقال له : « دعني يا استاذ الاستاذين ، وسيد المحدثين وطبيب الحديث فى علله »

الصدق والاستقامة

بلغ مسلم بن الحجاج الشاو فى الرواية بعد ان

طوف في البلاد مشرقا ومغربا ، مختلفا الى مجالس الرجال ، وهو يتلقى عنهم ، وينقدهم ، وينقد ما ينقلون نقد الصيرفي للدراهم ، يدفع زيوفها ، ويقبل جيادها وينقل الى الاخلاف ما يراه محض الصدق في النقل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه ،

فهو لا ياخذ الا عن الثقاة الصادقين الامناء اهل الاستقامة ، ويوجب على طالب الحديث ان يبتعد عن اهل التهم ، يتقيهم ، ويقول في ذلك رضي الله عنه « اعلم وفقك الله ان الواجب على كل احد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها ، وثقات الناقلين لها من المتهمين ، أن يتقي منها ما كان من اهل التهم ، والعائدين من اهل البدع ، والدليل على أن الذى قلنا هو اللازم دون ما خالفه ، قول الله جل ذكره يا أيها الناس ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » ، وقال جل ثناؤه : « ممن ترضون من الشهداء » ، وقال عز وجل : « واشهدوا ذوى عدل منكم » ، وما ذكرنا من هذه الاى يدل على ان خبر الفاسق ساقط غير مقبول ، وان شهادة غير العدل مردودة(١) .

فهو يشترط فيمن يروى عنهم من معاصريه ان يكونوا معروفين بالصدق ، والعدالة ، والاستقامة والا يكون غرامهم كثرة التحديث من غير ان يعرفوا السقيم من الصحيح ، بل انه يتخذ من الاكثار دليلا على عدم الاتقان ، ويروى في ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع » . ويروى عن عمر بن الخطاب قوله : « بحسب المرء من الكذب ان يحدث بكل ما سمع » ،

وكان ياخذ من كثرة التحديث دليلا على عدم التحرى في صدق ما ينقل عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويذكر عن نفسه انه اختار كتابه من بين ثلاثمائة الف حديث بعد ان اختبر صدق ما أخذه ورواه ، فلم يكن همه لا هو ولا غيره من المحدثين الاكثار والجمع ، كما افترى بعض المستشرقين ، بل كان همه التحرى ، وتعرف الصحيح ، ورد السقيم .

وكان يبعد من روايته الاخبار الغريبة التى لم تستانس بمثلها ، أو التي تكون في ذاتها غريبة على المعقول ، ويروى عن ذلك قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « ما انت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لهم فتنة »

وكان رضى الله لا يقبل حديثا ممن كان يغتاب الناس ، وخاصة العلماء . « ذكر الخطيب البغدادى » ان مسلم بن الحجاج كان يدافع عن البخارى في قوله بالنسبة للقرآن ، وكان محمد بن يحيى الذهلي من شيوخه ينال من البخارى لرايه ، وقال يوما لاهل مجلسه ، وفيهم مسلم : « من كان يقول بقول البخارى في مسالة اللفظ بالقرآن ، فليعتزل مجلسنا » ، فنهض مسلم من فوره الى منزله ، وجمع ما كان سمعه من الذهلى ، وارسله اليه ، وترك الرواية عنه ، واستحكمت الوحشة بينهما .

وكان من الغريب أن البخارى ، الذى قيل فيه ما قيل ، لم يترك الاخذ عن محمد بن يحيى هذا ، بل روى عنه في صحيحه وعذره .

ان هذا الخبر يدل على قوة التحرى ، والاخلاص للعلماء عند مسلم ، ويدل على السماحة عند البخارى ، واخذه بالعفو وترجيحه على سواه .

اتصال السند

٥ ـ يشترط في الرواية ان يكون السند متصلا، فيعد من الضعيف الحديث الذى يرويه التابعى . ولا يذكر الصحابي الذىروىعنه،ويسمىالمرسل،

---

١ ـ مقدمة مسلم طبع استانبول ص ٧ .

كما لا يروى الخبر الذى ينقطع فى احدى طبقاته. ويروى فى ذلك ان عبد الله بن المبارك رد الخبر المروى عن الحجاج بن دينار ان النبي قال : « أن تصلي لأبويك مع صلاتك ، وأن تصوم لهما مع صومك » ، فقد قال ابن المبارك « ان بين الحجاج بن دينار وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي » .

وان مسلما يقسم المحدثين الذين التقى بهم وتتبع أسنادهم الى ثلاثة اقسام ، ويجعل كل قسم طبقة تليها اخرى ، فاهل الطبقة الاولى الذين عرفوا بالاستقامة والاتقان ، لما ينقلون ، ومن ينقلون عنهم ، لم يوجد فى رواياتهم اختلاف ولا تخليط ، ولا فى أسنادهم ضعف ، بل صدق ، وهؤلاء تقدم رواياتهم على غيرهم .

والقسم الثانى من لم يعرف عنهم كذب ، ولا انحراف عن الجادة ، ولكن لم يعرفوا بالاتقان فى الرواية والسنة ، وهم طبقة دون الاولى ، وتقدم الاولى عليها ان كان تعارض ، فهم منزلة دون منزلتهم . ويروى فى ذلك حديث عائشة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قالت : « أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم » .

والقسم الثالث من لا يقبل حديثهم ، وهم المتهمون عند أهل الحديث ، أو عند الاكثر منهم ، وكذلك من يكون الغالب على حديثه المنكر الذى يخالف المعروف عن الثقات أو من يكثر عنده الغلط ، فان هؤلاء لا يروى عنهم أيضا .

كتبه ومروياته وقوتها

٦ ــ بهذه الدقة فى اختيار من ينقل عنهم ، روى الاحاديث التى اشتملت عليها كتبه ، ولكن أهل الخبرة كانوا يرون ان البخارى قد اشترط فيمن يأخذ عنهم ما لم يشترط مسلم ، فالبخارى اشترط الاتقان والصدق والعدالة والضبط والحفظ كما اشترط مسلم ، بيد ان البخارى اشترط الملازمة لمن يروى عنه ، لانه بالملازمة امدا غير قصير يتعرف حاله بالعيان ، لا بالخبر ، بينما اشترط مسلم ان يلقاه ، وان يكونا فى عصر واحد ، ولا شك ان مجرد اللقاء دون الملازمة .

واذا كان البخارى فى روايته يمتاز على مسلم بهذه الميزة التى توثق الرواية أشد توثيق ، فمسلم يمتاز على البخارى بجودة التصنيف ، وحسن الترتيب ، وقد بدا ذلك فى كل مؤلفاته .

ومن كتبه السند الكبير على أسماء الرجال ، وكتاب الجامع الكبير على الابواب ، وكتاب العلل، وكتاب أوهام المحدثين ، وكتاب التمييز ، وكتاب من ليس له الا راو واحد ، وكتاب طبقات التابعين ، وكتاب المخضرمين .

ولكن كتابه العظيم الذى خدم به الاسلام ، وناظر البخارى به فى كتابه ، هو الصحيح ، والاكثرون من العلماء على ان كتاب البخارى أوثق رواية ، وكتاب مسلم أحسن تبويبا وترتيبا ،وقد بالغعلماء المغرب وبعض علماء المشرق فىتقدير كتاب مسلم ، حتى قدموه على البخارى ، ولكن الجمهور الاعظم من المحدثين على غير ذلك .

وانه مما أخذ على البخارى تكراره الحديث الواحد فى عدة مواضع ، واحيانا يذكر بعض الحديث فى موضع ، وبعضه فى موضع آخر ، وقد تحاشى ذلك مسلم فى صحيحه ، فلم يكن فيه تكرار ، الا ما تضطر الضرورة اليه ، وقد ذكر هو ذلك فى مقدمة صحيحه ، فقال رضى الله عنه : « نقسمها على ثلاثة اقسام . وثلاث طبقات من الناس (١) من غير تكرار ، الا انه يأتى موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة

(١) قد ذكرنا الاقسام الثلاثة .

معنى ، أو اسناد يقع الى جنب أسناده لعلة تكون هناك ، فلا بد من اعادة الحديث الذى فيه ما وصفنا من الزيادة ، أو ان يفصل ذلك المعنى من جملة الحديث على اختصاره اذا أمكن ، ولكن تفصيله ربما عسر من جملته ، فاعادته اذا ضاق ذلك أسلم » .

ومؤدى هذا الكلام انه لا يعيد الا اذا كانت ثمة زيادة لا تفهم من غير ذكر الحديث كله ، او يكون هناك اسناد يقوى الاسناد الذى يكون فيه علة قد تنزله عن درجته ، فيذكر الاسناد الجديد ليعلو به او تكون احدى الروايتين فيها اختصار ، والاخرى فيها تفصيل ، فيذكر المفصل ، اذ يضيق المختصر عن أن يشمل كل المعاني .

استمر مسلم رضى الله عنه فى طلب الحديث وتحريره ، وتخليص احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه من كل ما يشوبها ، ورد كل ما يتوهم فيه كذبا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل رد كل ما لم يكن الراوى فيه يطمأن الى روايته ، وكل ما يكون غريبا لم يستأنس بالمعروف من احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

يموت وهو يبحث

وقد كان يجاهد ، حتى حضرته الوفاة ، وهو يبحث عن حديث سئل عنه ، فلم يعرف مقدار قوته ، فاشعل السراج ومنع اهله من ان يدخلوا ، حتى فاضت روحه الى ربه ، وهو يبحث عنه ، وكان ذلك عشيئة الاحد ، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة ٢٦١ ـ لم يعمر الا سبعا وخمسين سنة اتى فيها بذلك التراث العلمي العظيم . ■■

محمد أبو زهره

الاعراب والشعر

اسلم اعرابي فى ايام عمر بن الخطاب ، فجعل عمر يعلمه الصلاة فيقول : صل الظهر اربعا ، والعصر اربعا ، والمغرب ثلاثا ، والعشاء اربعا والصبح ركعتين .

فلم يستطع الاعرابي حفظ ذلك ، فجعل يخلط بالأعداد ، فضجر عمر ، فقال :

ـ ان الاعراب احفظ شيء للشعر ، فقال :

ان الصلاة اربع فاربعُ
ثم ثلاثٌ بعدهن اربع
ثم صلاة الفجر لاتُضيّعُ

احفظت ؟ قال : نعم . قال عمر : الحق بأهلك .

حديث شبابي ..!

■ حديث شبابي يشغل القلب والفكرَ — اما لمشيبي سلطة تمنــــع الهذرا؟!
تظل خيـالات الصبى في تنقـــل — فمن مقلتي الشكرى إلى مُهجتي السكرى
تجدد احــلامي وتذكــي لواعجي — وتنفخ بالتذكار في كبدي جمـــرا
ولو خففت آلام نفسي حمدتُهـــا — ولكنها زادت على وقرها وقـــرا
وهيهات ، لا تخفيفَ بعد الذي مضى — ولا متعـةٌ تُقنى ولا لذةٌ تُشرى
فمن ذاق شهد الحب في ميْعة الصبا — رأى كل شهد بعــده حامضاً مرا

★★★

سقى الله ايام الشباب فانهـــــا — ، اذا ذكرت اعمارُنا ، كانت العُمرا
عرفنــا بها لُبَّ الحياة ولم نعــش — الى يومنـــا الا لكي نعرف القشرا
يعـود ربيـعُ الدهـر في العام مرة — ولكنْ ربيعي لن يعــود وقــد مرا
فإمــا استعاد القلبُ ذكراه خلتــه — يئن كأن الوجـدَ يعصــره عصرا
كذلك ايام الشبــاب وهكــذا — تفيض دموعي حين اذكرها غُــزْرا
فما دام في جنبيَّ منهـــا بقيـــة — فما انا مجبول لا ذهبهـــا هــدرا
سأملؤهـــا مما أزيد بـه جـَـوىً — واجعل منها كل ثانيةٍ شهـــرا!

★★★

فهل تذكر السمـراءُ ساعات انسنا ؟ — فما تأخـذ الايام تُرجعـه الذكرى
وذكرُ العشيات التي كان بشرهـا — يغذي خيالي هل يُعيـد لها البشرا !؟
وأرسل انفاسي إلى شعْرها لظىً — واسترجع الانفاس من شعْرها عطْرا
فان همَّ شيطـاني بأمـــر تبدلت — ملامحهـــا فورا وقد نظرت شزرا
فحكّمتُ عقلي خائفـا من قطيعـةٍ — اكون لنفسي قد حفرت بهـا قبرا
وارسلت اعذاري وان كنت لم اجد — لتسكينها الا جُموحَ الهوى عذرا
فسرعان مايبدو على وجههـا الرضى — ويفتـرُّ ثغرٌ فاتنٌ طالمـا افتـرا

وتنسى كردّ الطرف ماساء وقعه   لتذكر طول العمر ماوقعه سرّا
فتنشر في سمعي حديثا كأنه   عقودُ اللآلى ثم تُنشد او تقرا
وما انشدت الا سمعت لصوتها   صدى مستحبا يملأ القلب والصدرا

***

وهل تذكر السمراء غابات عبقر   وانشادنا في ظل ادواحها الشعرا ؟
ونزهتنا حول البحيرة ضحوةً   وعودتنا منها الى عشنا عصرا
ويوما لنا بين البحيرات كاملا   بما كان فيه بزّ ايامنا طرا
اردناه عيدا للحبيب فكانه   وكانت لنا في العيد مأدبة كبرى!
فغنى مغنينا على الغصن راقصا   فهيجّ اسرابا فغنّت هى الاخرى
فابطل شدوَ الطير شدوٌ سمعته   قريبا كأن الحب أودعه سحرا
اطارت به محبوبتى لُبّ صبّها   واسكرت الاحياءَ والنبت والنهرا

***

وهل تذكر السمراء مرجا كأنما   عليه يد سحرية تفرش الخُضْرا؟
قطعناه في احدى العشيات، كفّها   بكفي تُحيمُ الجوَّ انفاسُنا الحرّى؟
فاذهلها عن موقع الرجل مابدا   على الافق من غيم ترى خيره شرا
فما شعرت الا وكعبا حذائها   يغوصان فاسترخت وقد صرخت ذعرا
ومالت على جسمي بمشوق جسمها   فكنت كأنى غيمة تحضن البدرا !
واضحكني ما كاد يذرى دموعها   ولو فكّر الفزعانُ لاستسهل الامرا
فلما نجتْ راحت توالى صداحها   كعصفورة خلّت لآسرها الاسرا

***

تمنيت ايام الشباب لانني   تذكرت هندا والبشاشةَ والطهرا
ولو رجعتْ ياهندُ دونكِ عفتُها   واشبعتها شتما واوسعتها هجرا
فان شبابا لستِ فيه رفيقةً   لصبك احلى منه شيخوخةٌ عسرى

■■

البرازيل   **الياس فرحات**



المَدرَسَة قَدْ تُربي للتَّقَدُّم
والمَدرَسَة قَدْ تُربي للتَّأخُّر

التربية للمستقبل

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

قيل دوما ان التربية هي اعداد الفرد لمقبلات ايامه وتحضيره لحياته المستقبلة وما قد تتطلبه هذه الحياة من معارف ومهارات لايستغني الفرد عنها اذا اراد ان يواجه محيطه وما في هذا المحيط من عوامل ودوافع .

ثم جاء (ديوى) المربي والفيلسوف الاميركي فقال ان التربية هي الحياة ، اذ ليس يكفي ان نعد الفرد لمستقبله ، بل لا بد لنا من ان نمكنه من ان يحيا حياته الحاضرة ويستمتع بها ، وان نعد لمستقبله من خلال حياته الحاضرة هذه .

ولا شك في ان ما قاله (ديوى) صحيح كل الصحة ، هام كل الاهمية ، فما المستقبل الا امتداد الحاضر ، وكل قطع بين الحاضر والمستقبل يترك في نفس الطفل فجوة مضرة ليس من حق المربي ان يخاطر بايجادها .

على ان الذى يهمني في حديثي هذا هو التربية للمستقبل ، ولست اعني مستقبل الفرد بقدر ما اعني مستقبل الامة ، علما بان مستقبل الامة في مستقبل افرادها ومصيرها من مصيرهم .

فما هو المستقبل الذى نريده لامتنا العربية ؟ وكيف نربي اجيالنا القادمة له ؟ ذلك هو الذى ارمي اليه في هذا الحديث .

المستقبل الذى نريد

من ابسط الحقائق واهمها القول بان الغاية تحدد الواسطة وان الذى لا يعرف غايته يعجز عن تحديد طريقه . ومن هنا كانت اهمية تحديد غايات الامة العربية وصوغ اهدافها والتفكير في مستقبلها ليستطاع فيما بعد رسم الطرق



ليست التقدمية حرص على قشور الثقافة الغربية وتنكر للثقافة العربية

دور المدرسة أساسي
فى كل عملية تقدمية

الموصلة الى هذه الغايات وتحديد الوسائل التي تحقق تلك الاهداف .

ولا بد لي وانا احاول تحديد غايات امتنا العربية فى هذه الفترة من حياتها ان اشير الى ان القليلين من زعمائنا واولي الامر فينا من حاولوا رسم مثل هذه الاهداف وتحديد مثل هذه الغايات ، وبالتالي تحديد مهمة المدرسة العربية ورسم خطوط التربية العربية ، وقد آن لنا ان نفعل ذلك وبشيء كثير من الدقة والحذر والمرونة.

ولا بد لي كذلك من ان الاحظ ان ما اقوله انما هو محاولة عامة قد تصح فى قطر اكثر من قطر ، وتنطبق على بلد اكثر من بلد ، وقد يوافق عليها فريق ويخالف فيها فرقاء .

الهدف العام

وهنا ملاحظة هامة لابد من ايرادها الا وهي ان الاهداف تكون عامة وخاصة كما تكون قريبة وبعيدة ، وما اظنني بحاجة الى تمييز بين انواع الاهداف هذه فهي واضحة بينة .

واحسب ان الهدف العام الذى تستهدفه امتنا، وتطلب الى المدرسة خاصة والتربية عامة ان تعد له اجيالنا الحاضرة ، هو التقدم بمعناه الواسع الشامل : التقدم العلمي والتقدم الاجتماعي والتقدم الاقتصادى والتقدم التقني (التكنولوجي) والتقدم السياسي الخ .. الخ ..

وبديهي ان هذا الهدف العام الغائي مجمل يحتاج الى تفصيل ، عام يحتاج الى تخصيص ، واسع يحتاج الى تحديد ، بعيد يحتاج الى تفريد فى مراحل .

على انى ملاحظ هنا ان للتقدم بطبيعته مفهوما كليا منسجما متماسكا . فما من امة تستطيع ان تتقدم اقتصاديا لتتخلف علميا ، وليس طبيعيا ان تتقدم الامة اجتماعيا وتتخلف تكنولوجيا وهكذا ...

اذن فالتقدم الذى نهدف اليه تقدم عام شامل يتناول مناحي الحياة كلها ويشمل ميادينها جميعها ، ويقوم على اساس متماسك من علم وعمل واجتماع واخلاق واقتصاد وصحة وغير ذلك من امور اساسية .

الاهداف الخاصة

واذن فلا يكفي بحال من الاحوال ان نحدد هذا الهدف العام ثم نقف عنده نتأمله او ندعو اليه ، بل لا بد لنا من ان ننظر فى كل منحى من مناحي

حياتنا تتعرف على واقعه وامكاناته ونحدد مطالبنا بالنسبة اليه وخطواتنا للتقدم به وايصاله الى ما نحب له . ثم لابد لنا من ان نعد لهذا التقدم عدته ونيسر اسبابه ونحدد دروبه ونقدم ثمنه ونقدم على التضحيات من اجله .

والحق ان عددا كبيرا من حكوماتنا العربية آمن بما يسمى الان بالتخطيط - ولا سيما فى المجال الاقتصادى - ووضع لذلك خطط السنوات الخمس او الا ربع او سواها وحاول ان ييسر أسباب نجاحها ويهيىء وسائل تحقيقها ، لكن ملاحظتي على بعض هذه الخطط - ولا اقول جميعها - انها اهتمت اكثر ما اهتمت بالاقتصاد وبعضها لم يجاوزه اطلاقا الى المجالات الاخرى . واذا صح ان الاقتصاد هام واساسي فانه صحيح ايضا ان الاقتصاد السليم لا يقوم الا على علم صحيح وفى مجتمع واع وضمن سياسة مخلصة وهكذا ...

واجب ان الاحظ أيضا ان كل تخطيط لا يجعل من المدرسة خاصة ، والمؤسسات التربوية عامة ، وسيلة التقدم وطريق النهوض تخطيط جاهل ، تخطيط منته الى فشل اكيد .

واذا كنت لا ارى ضرورة للتفصيل فى هذه الاهداف الخاصة بعد ان المحت الى معظمها ، فاني احب ان اذكر بان عصرنا عصر علم وتكنولوجيا، وان كل تقدم لايجعل من هاتين الركيزتين الاساس الذى يقوم عليه ، انما هو تقدم ابتر او زائف ، ومن هنا كان مرجع التقدم الى المدرسة بمختلف انواعها ودرجاتها من دار الحضانة الى الجامعة المعهد التكنولوجي العالي .

دور المدرسة

لقد بات مقبولا اليوم بان المدرسة ليست هي المؤسسة التربوية الوحيدة وان البيت والنادى والمذياع والمجلة والجريدة والتلفزة وسواها اصبحت وسائل تربوية ممتازة ، ولكن هل يقلل هذا من اهمية المدرسة او يخفف من الدور الذى تلعبه فى التقدم ؟؟ كلا ، فالمدرسة كانت وما زالت واغلب الظن انها ستبقى موئل العلم وملاذ المعرفة ومكان البحث ومجال التطبيق ، ومرة اخرى فانا حين اقول المدرسة لا اقتصر فى كلامي على المدرسة العادية وانما اشمل كلمتي كل مؤسسة تربوية تعني بالعلم والبحث العلمي والتعليم والتطبيق والتكنولوجيا .

اذن فالمدرسة هي اداة التقدم والتربية هي المسؤولة عنه ودورهما اساسي رئيسي فى كل عملية تقدمية .

اقول هذا وانا اعلم علم اليقين ان المدرسة يمكن ان تكون قلعة للرجعية وحصنا للتاخر ، وان التربية يمكن ان تربي للتقدم كما يمكن ان تربي للتاخر وما مثل مدرستنا العربية الحاضرة عنا بغريب .

وهكذا ينطرح السؤال البسيط الهام كيف تكون المدرسة تقدمية وكيف تصبح رجيعة ؟

واذا كان الجواب عن هذا السؤال يمكن ان يطول حتى يملأ مجلدا كاملا فاني استطيع ان اقول باختصار ان المدرسة تكون تقدمية بمقدار ما تستطيع ان تتفهم حاجات الامة وآمالها فتصوغ مستقبلها وتعمل على تحقيقه ، وانها تصبح رجعية بمقدار ما تمنع هذه الامة من تحقيق اهدافها فى التقدم والانطلاق لتحد مستقبلها المرجو وغدها المنشود .

ومعلوم ان المدرسة بالقائمين عليها وان التربية بالقائمين بها ، ولكن هنا عملية تاثير وتاثر لا تخفى على القارىء الفطين . فالمدرسة لا تستطيع ان تكون قائدة رائدة تقدمية الا اذا سمح لها المجتمع بذلك واولاها من العناية والرعاية وسمح لها من الحرية بالمقدار الذى يمكنها من اداء هذه المهمة . والمجتمع بدوره لا يمكن ان يسمح بذلك كله الا اذا كان قد ربي تربية تقدمية ونظم تنظيما ذكيا يمكنه من ان يفعل ذلك كله .

تقدمية التربية العربية

ولنرجع الى التربية العربية ولنحاول ان نستبين كيف يمكن لها أن تكون تقدمية تهيىء للنهوض وتعمل على التقدم وتحقق للامة العربية مستقبلها الزاهر الذى تحلم به ؟

على اني لا احب ان امضي فى كلامي قبل ان انفي من ذهن القارىء ما قد يكون علق به من مفهوم سطحي للتقدمية ، ذلك بان التقدمية قد زيفت كما زيف غيرها من مفاهيم .

ليست التقدمية ما يقول به بعض السطحيين من حرص على قشور الحضارة الغربية وتنكر لكل ما هو عربي ، وخروج على مفاهيم الاخلاق



المربي الشهير ديوي يقـول
ان التربيـة هـي الحيـاة

والتقاليد الصحيحة والعادات الطيبة ، او تجهم لكل ما هـو ديني ، وانمـا التقدمية مـن التقدم والتحسن في كل ميدان : خلق واجتماع،واقتصاد وصحة ، وتعليم الخ . الخ ...

اذن كيف تكون التربية العربية تقدمية ؟ وكيف تحقق للامة العربية تقدمها ؟

عندي ان التربية العـربية تكـون تقدمية اذا حرصت ـ فيما تحرص عليه ـ على ما يلي :

١ ـ الايمان بالمثل الاعلى
والله هو المثل الاعلى

٢ ـ الايمان بالانسان
والانسان اثمن رأس مال

٣ ـ الايمان بالامة العربية
والعرب امة اثبتت قدرتها على التقدم

٤ ـ الايمان بالعلم
والعلم هو طريق التقدم

٥ ـ الايمان بالحرية
والحرية هي الجو الطبيعي للتقدم

٦ ـ الايمان بالعمل
والعمل سبيل الانسان للتقدم وهو حق للانسان وواجب عليه .

ولنقف عند هذه المبادىء نستوضح اهميتها في تقدم الانســان الفـرد ومـن بعده في تقدم الامم والشعوب .

اما الايمان بالمثل العليا فضرورة لازمة للتقدم ، وكل تقدم لا يقوم على اسـاس منهـا تقدم مزيف مضر ، فالحق والخير والعدل وما اليها مـن مثل عليا جوهر كل تقدم وبدونهـا يكون التقدم تقدم الشر والاذى والتخريب .

واما الايمان بالانسان وكرامة الانسان وقدسية الانسان بقطع النظر عن لونه وعرقه ودينه وجنسه ومواطنه ومعتقده فأساس من أسس التقدم وبدونه يكون التقدم استعمارا والتمدن استثمارا .

واما الايمـان بالامـة العربية فايمـان بذاتنا وقدرتنا على التقدم والنهوض والسير في موكب الانسانية نحو الافضل ، وفي ماضي العرب ما يدل على قـدرة العرب ان يكـونوا اكثر الامم تقدمـا وارقاها مدنية .

واما الايمان بالعلم فضـرورة اخـرى ذلك بان التقـدم بدون علم مسـتحيل وكل تقدم لا ينهض على علم صحيح ومعرفة حقة انمـا هـو تدجيل وتزييف .

واما الايمان بالحرية فهو كالايمان بالهواء والنور للحياة ، ذلك بانه دون نور وهواء لاتتم حيـاة ، وكذلك الحرية التي لايتم تقدم بدونها .

واخيرا فان الايمان بالعمل بوصفه حقا للانسان وواجبا عليه وباعتباره سبيل الانسان الى التقدم امر يعتبر بمثابة الروح للجسد فبدون عمل لايكون تقدم ولو تسامت الاحلام وتعالت الامال .

والخلاصة

والخلاصـة فان التربية العـربية لاتسـتطيع ايصـال العرب الى التقـدم الا اذا تفهمت هذه المبادىء تفهما عميقا صحيحا وغرستها في نفوس المتربين وربتهم عليها وهيأت الوسـائل والطرائـق لتحقيقها .

بهذا وحده تستطيع التربية العربية أن تهيىء الامة العربية لمستقبلها وان تعدها للتقدم الي هدفها الاكبر . والله ارجو ان يلهم القائمين على التربية في وطننا العربي سواء السبيل . ■■

فاخر عاقل



فلسفة التاريخ عند هيجل

التاريخ تحقيق لملكوت الله

لا يتحقق شئ فى دنيا البشر إلا إذا دخلت فيه مصلح

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

الاستاذ المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ حاولنا ـ فى مقال سابق بالعدد الثامن والسبعين ـ أن نضع بين يدى القارىء صورة سريعة لمنهج الفيلسوف هيجل Hegel الجدلي ، فربما كان من واجبنا ـ فى هذا المقال ـ أن نكمل تلك الصورة بالحديث عن أصول فلسفة التاريخ عند عملاق الفكر الالماني الحديث .

لم يكن هيجل ، بطبيعة الحال ، أول مفكر متحدث خاص فى فلسفة التاريخ ، فاننا لنعرف من بين فلاسفة التاريخ مفكرين ممتازين من أمثال فولتير ، وروسو ، وفيكو ، وكندورسيه وغيرهم . ولكن فلسفة التاريخ التى قدمها لنا هيجل قد اتسمت بسمات خاصة جعلت منها فتحا جديدا فى هذا الباب ، فكانت بمثابة نقطة تحول هام فى مجرى التفكير التاريخي الحديث . ولئن كانت بعض آراء هيجل ـ فى فلسفة التاريخ ـ قد أصبحت اليوم مجرد آراء كلاسيكية معروفة ، فما ذلك الا لان الفلاسفة اللاحقين له قد عملوا على نشرها ودعمها . ولا شك ان الماركسيين مسئولون ـ الى حد غير قليل ـ عن اذاعة آراء هيجل فى فلسفة التاريخ ، وان كانوا قد أخذوا على عاتقهم تصحيحها والتعديل منها . وعلى كل حال ، فان الكثير مما يكتب اليوم عن سارتر Sartre أو كامى Camus أو هيدجر Heidiger أو يسبر Iaspar ، يفترض الماما واسعا ـ من جانب القارىء المثقف ـ بالفكر الهيجلي على وجه العموم ، وبفلسفة هيجل التاريخية على وجه الخصوص . وهذا هو السر فى اهتمام الكثيرين من مؤرخي الفكر الحديث بالرجوع الى هيجل ، خصوصا وانهم

العقل هو نسيج الوجود وجوهر التاريخ ومضمون الوقائع

على الأرض

الذين يشتركون فى تحقيقه

قد فطنوا الى تردد أصداء الفكر الهيجلي لدى الغالبية العظمى من مفكرى القرن العشرين ، سواء أكان ذلك عن طريق التأييد أم عن طريق المعارضة . . .

ليس للطبيعة من تاريخ . .

ولا بد لنا من أن نلاحظ ـ باديء ذى بدء ـ أن نظرية هيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١م) فى التاريخ قد ظهرت قبل ظهور نظرية دارون (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢) فى النشوء والارتقاء . وهذا هو السبب فى أن هيجل يأبى أن ينسب الى الطبيعة اى طابع تاريخي ، ما دامت الطبيعة فى نظره لا تعرف «ترقيا» أو «تطورا» (بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة) حقا اننا قد نستطيع ـ على سبيل التجاوز ـ أن نتحدث عن «صيرورة طبيعية» ولكن ثمة فارقا هائلا ـ فى نظر هيجل ـ بين «صيرورة الطبيعة» و «صيرورة التاريخ» : ما دمنا لا نستطيع (مثلا) أن نعد تتابع المراحل الجيولوجية بمثابة تتابع تاريخي (بمعنى الكلمة) . وآية ذلك ان علم طبقات الارض يضع بين ايدينا سلاسل (أو مجاميع) من « الاحداث » ، ولكن هذه « الاحداث » ليست من التاريخ فى شيء : لان التاريخ لا يكون كذلك ، اللهم الا اذا كان فى وسعنا أن نعيد تصور «احداثه» فى اذهاننا ، بحيث نفهم دوافعها وبواعثها ، وغاياتها .. الخ . ولئن كان فى الطبيعة الشيء الكثير من مظاهر التغير ، الا أن كل التغيرات الطبيعية لا تخرج عن كونها عمليات تكرارية ذات حركة دائرية . فالطبيعة ـ فى رأى هيجل ـ لا تتطور ، ولا تترقى فى الزمان ، بل هى تظل دائما على ما هي عليه . واذا كان الفارق جوهريا بين « الطبيعة » من جهة ، « والروح » من جهة أخرى ، فذلك لان للروح تاريخا يتحقق فى الزمان ، فى حين ان كل تحقق طبيعي لايكاد يعدو حدود المكان . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان التاريخ ـ فى نظر هيجل ـ وقف" على الروح (دون الطبيعة) : لان الروح ـ وحدها ـ هي التى تستطيع أن تبدع ذاتها ، ولان التاريخ انما هو النتيجة المترتبة على فاعلية الروح حين تخلق وجودها بفعلها !

التاريخ من خلق « العمل البشرى »

لقد وقع فى ظن الكثيرين أن التاريخ مجموعة من الصدف أو الأحداث العارضة ، فى حين ظن آخرون أن التاريخ هو من خلق بعض الأفراد الممتازين كالقادة أو الزعماء أو الأبطال .. واما هيجل فانه قد حرص على تأكيد هذه الحقيقة الأولية الهامة ، الا وهى أن التاريخ وليد عمل الشعوب (لا الافراد) . حقا ان الانسان هو الذى يصنع التاريخ ، ولكنه انما يصنعه عن طريق العمل المتراكم ، أو الجهود المتجمعة ، التى تقوم بها الشعوب . وهيجل هنا يعارض شتى النزعات الفردية المتطرفة ، فيقرر بكل قوة ان سائر المُبدَعات الهائلة التى حققتها الروح البشرية ، عبر العصور المختلفة، انما هى من خلق ذلك الجهد الجماعى المشترك الذى قامت به الانسانية منذ آلاف السنين . ومعنى هذا أن التاريخ تراث حي" اسهمت فى تكوينه الأجيال السابقة ، وعملت على استبقائه جهود الشعوب السالفة من ابناء الجنس البشرى .

وليس يكفى أن نربط الانتاج البشرى بحياة

هذا الشعب أو ذاك ، أو بحضارة هذه الأمة أو تلك ، بل يجب أن نضيف الى ذلك أنه ليس فى وسعنا أن نفصل (على الاطلاق) أى انتاج فنى أو أي عمل أدبى أو أى جهد فلسفى عن الشروط التاريخية والظروف الاجتماعية التى عملت على ظهوره . وتبعا لذلك فانه لا موضع للحديث عن روح « لا زمانية » ، كما أنه لا مبرر للقول بامكان وجود ابداع بشرى يكون بمثابة «خلق من العدم»: Exnihilo واذا كان الانسان — فيما يقول هيجل — هو الوجود الوحيد الذى يملك تاريخا ، فما ذلك الا لأن «التاريخ» نفسه انما هو من خلق البشر .

ليس التاريخ سوى تاريخ الفكر

يؤكد هيجل فى مقدمة كتابه الضخم المسمى باسم « فلسفة التاريخ » أن العقل هو جوهر التاريخ . ولئن كان الناس قد دأبوا على اتهام الفلسفة بأنها لا تتعرض الا وهى مزودة ببعض الأفكار ، وكان التاريخ فى نظر الفلاسفة هو مجرد وقائع عقلية، الا أن هيجل لا يرى حرجا فىالاعتراف بأن الفكرة الوحيدة التى تقدمها لنا الفلسفة انما هى فكرة « العقل » ومن هنا فان هيجل يسلم منذ البداية بأن « العقل » يحكم العالم ، وان الوقائع التى حدثت على مر عصور التاريخ



فيكو Vico (١٦٦٨ — ١٧٤٤م)
فيلسوف ايطالى ، ولد فى نابلى ، وهو مؤلف«العلم الجديد ومبادىء فلسفة التاريخ » . وهو مؤلف مشهور ميّز فيه المؤلف فى تاريخ كل شعب بين ٣ عصور ، عصر التقديس ، وعصر البطولات ، والعصر الانسانى .

« العربي »

لم تحدث الا بطريقة عقلية . واذا كانت هذه الفكرة — فى نظر المؤرخين— انما هى مجرد «فرض» فانها فى نظر الفلاسفة حقيقة مؤكدة تدعمها المعرفة النظرية التى يمدنا بها العقل . وآية ذلك أن الفلسفة لا ترى فى « العقل » مجرد حقيقة مثالية تعبّر عما ينبغى أن يكون ، بل هى ترى فيه قوة واقعية تعبر عما هو كائن . فالعقل — فى نظر —هيجل— هونسيج الوجود ، وجوهر التاريخ، ومضمون الواقع . وسواء نظرنا الى الحياة الطبيعية ، أم الى الحياة الروحية ، فاننا لن نجد فى كلتا الحالتين سوى حقيقة عقلية واحدة تشيع فى هذه كما تشيع فى تلك ، لأنها بمثابة الصورة اللامتناهية والمادة اللامتناهية لكل موجود كائنا ما كان .

ويعود هيجل الى تاريخ الفلسفة اليونانية فيذكرنا بما قاله انكساغوراس من أن العقل (أو ما سماه هو باسم « النوس » Nous) هو الذى يحكم العالم ، ويبين لنا أن هذا المفكر اليونانى لم يكن يعنى بالعقل قوة واعية تشعر بذاتها ، بل كان يعنى به مجموعة من القوانين المنظمة التى تشير الىوجود اطراد ثابت فىالطبيعة. والانسان وحده (فى نظر انكساغوراس) هو الموجود الناطق الذى يستطيع أن يستخلص تلكالقوانين من غمرة الوقائع،لكى يتعقلها ويكوّن من مجموعها معرفة نظرية .

ثم يحدثنا هيجل عن سقراط فيقول انه اخذ عن انسكاغوراس فكرته عن « العقل » ، وان كان سقراط قد أخذ على انكساغوراس انه لم يطبق هذه الفكرة على الطبيعة كلها ، فلم يفهم الطبيعة على انها تحقق للمبدأ العقلى ، بل ظلت فكرة « العقل » عنده فكرة مجردة تفتقر الى التطبيق.

ولو أننا عدنا الى الفكرة الدينية القائلة بوجود « عناية » الهية تحكم العالم ، لوجدنا فيها تعبيرا عن حقيقة عقلية هامة : الا وهى أن العالم ليس نهبا للصدفة أو لمجموعة من العللالخارجية العرضية . فالعناية الالهية انما تعنى تلك الحكمة الشاملة التى تعمل على تحقيق غاياتها ، بمقتضى ما لديها من قدرة لا نهائية . ونحن حين نتحدث عن « عناية الهية » ، فاننا نفترض أن ثمة غاية نهائية مطلقة هى من العالم بمثابة الهدف العقلى الاسمى الذى تعمل على تحقيقه تلك القوة الالهية المطلقة . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان «العقل»



كندورسيـــــــــــــية Condorcet (١٧٤٣ ــ ١٧٩٤ م) ، هو رياضي فرنسي ، وفيلسوف واقتصادي. وكان رئيس الجمعية التشريعية في عهد الثورة الفرنسية . ثم لما انقلبت الثورة فصارت حكمـــــا ارهابيا، شرب السم لينجي رقبته من المقصلة . وكتب وهو فى السجن «رسما تخطيطيا للصور التاريخية التى اتخذتها الروح الانسانية فى سبيل تقدمها » ، فكان هذا من خير ما ألف . وكان يؤمن ايمانا علميا شديدا جعله يرى أن التقدم الانسانى ليس له حدود .

« العربى »

هو ذلك «الفكر» الذى يحدد ذاته بذاته ،بمقتضى ما لديه من حرية .

بيد أن القائلين بالعناية الالهية ــ فيما يرى هيجل ــ قد آمنوا بها ايمانا عاما غير محـــدود ، دون أن يعملوا على تحديدها تحديدا دقيقا ، وبالتالى فانهم لم يطبقوها على مجموع الوقائع ، أو على مجرى الاحداث . وهذا هو السبب فى انهم قد ظلوا يفسرون التاريخ بمجموعة من العلـــل الطبيعية ، وكـــان ما يفسر لنا كل أحـــداث التاريخ انما هو أهواء البشر ، أو قوة الجيوش ، أو عبقرية بعض الأفراد ، أو افتقار الدولة الى أصحاب المواهب ، أو غير ذلك من العلل الطبيعية العرضية . وهكذا بقيت فكرة « العناية » عندهم فكرة مجردة عائمة ، فظلوا يرددونها كمبدأ عام ، دون أن ينجحوا فى تطبيقها على التفاصيل الدقيقة للوقائع . حقا ان أصحاب هذا الرأى يسلمون بأن للعناية الالهية «خطة» تلتزمها فى كل تصرفاتها، ولكنهم يقررون فى الوقت نفســه ان هـــذه الخطــة محجوبة عنــا ، وانه قد يكون مـــن التهور أن نحاول الوقـــوف عليها . وأما هيجـــل فانه يرى فى التاريخ مظهرا دقيقا لتدخل تلـــك القوة العاقلة التى تتحكم فى مجرى الأحداث ، وبالتالى فانه يحاول الوقوف على السبل التى اصطنعتها العناية الالهيـــة فى تنظيمها لـــواقع البشر . ولكن هيجل لا يعنى بالتاريخ تاريـــخ الأفراد ، بل تاريخ الشعوب (كما سبق لنا القول)، وهو لهذا يحاول دائما أن يكشف لنا عن تلـــك « الحكمة الازلية » التى عملت ولا زالت تعمـــل على توجيه مصائر الأمم . وليس «التاريخ الشامل» سوى ذلك الانتاج الخصب الذى حققه العقـــل المبدع فى ميدان النشاط الانسانى ، منذ فجـــر التاريخ حتى يومنا هذا .

التاريخ تحقيق لملكوت الله على الارض !

وهيجل يساير الفيلســــوف الالمانى ليبنتس Leibniz (١٦٤٦ ــ ١٧١٦) الـذى سبقـه باكثر من قرن فى فهمه للعناية الالهية ، فيحـــاول أن يقرن فلسفته التاريخية بضرب من « اللاهوت العقلى » الذى يقوم فيه بتبرير المقاصد الالهية وتفسير الشرور والطبيعة.ولما كان التاريخ مسرحا هائلا لشتى مظاهر الشر ، فليس بدعا أن نـــرى هيجل يهتم فى فلسفته التاريخية بتفسير «السلب» Negation وتبرير الشر ، وتحقيق ضرب من التوافق بين الروح الناطقة من جهة ، وقوى السلب الهدامة من جهة أخرى .

وليس المهم ــ فى نظر هيجل ــ أن نعمد الى استنباط وجود الشر (بطريقة عقلية منطقية) ، بل المهم أن نقف على تلك النقطة التى ينخـرط عندها الشر (على نحو ضرورى) فى صميم مجرى الكون . والشر الذى يتحدث عنه هيجل ــ فى هذا الصدد ــ انما هو أولا وقبل كل شىء ذلك «الشر الموضوعى » الناجم عن الحروب والثورات وشتى مظاهر التدمير والتخريب . واذا كان هيجل يعطى هذا النوع من الشر أو الالم قيمة كبرى ، فذلك لأنه يرى فيه مظهرا هاما من مظاهر سير التاريخ .

والواقع أن من شأن التقدم التاريخى أن يصطبغ ــ ضرورة ــ بصبغة أليمة شاقة ، نظرا لأنه لا بد لهذا التقدم من أن يفضى الى ظهور الحرية.وليس فى استطاعة الحرية أن تتحقق ، اللهم الا من خلال الآلام والمحن وشتى ضروب الصراع . وكثيرا ما يستمسك الانسان بما درج عليه من عادات فى تصور الوجود والحكم على الأشياء ، فتكون نتيجة ذلك الموقف هى عجزه عن فهم منطق التاريخ الـذى يقضى حتما بزوال « القديم » من أجل ظهـــور « الجديد » . ولكن قوانين التطور هى التى تعمل

على انحلال الاشكال القديمة والقيم العتيقة ، من اجل ظهور اشكال جديدة وقيم حديثة تكون اخصب واكمل . وكثيرا ما تكون المحن التى تنزل بالشعوب مجرد نتيجة لتمسك هذا الشعب أو ذاك بتلك الاشكال البائدة أو القيم العتيقة التى ربط بها مصيره ، بينما تكون هناك شعوب اخرى قد اخذت تظهر الى عالم الوجود حاملة معها فكرة اخصب وأكمل عن الحرية . ولا بد من ان يحدث ضرب من « الصدام » أو «الصراع» بين هؤلاء واولئك ، ولكن من المؤكد – فى نظر الفيلسوف – أن هذا الصراع حدث ضرورى يستلزمه تقدم البشرية . وحينما تنحل الاشكال القديمة ، أو حينما تتداعى القيم العتيقة ، فانها تفتح السبيل امام تطورات جديدة تكون ايذانا بظهور اشكال اعمق واخصب .

وهكذا تجيء «الحقيقة الايجابية» فتحل محل « الحقيقة السلبية » ، دون أن يكون ثمة موضع للحديث عن اى فراغ عقلى أو تاريخى . وما دام « العقل كامنا فى باطن « التاريخ » ، فليس هناك مبرر لليأس من مصير الانسان ، أو الطعن فى عدالة الله . واذا عرفنا أن الشر ليس الا لحظة مؤقتة فى تاريخ التطور الكلى الشامل ، امكننا أن ندرك كيف أن « الحقيقة الموجبة » هى التى تجيء فتستوعب فى ثناياها كل « حقيقة سالبة » . وليس فى وسع العقل ان يعلق كبير اهمية على ما قد يلحق ببعض الافراد من غبن ، فان من شأن امثال هذه « الوقائع الجزئية » أن تمحى بالضرورة فى تلك « الحقبة الشاملة » . ومعنى هذا ان « الغايات الجزئية » تذوب فى طوايا « التاريخ الكلى » بحيث أن الفيلسوف ليجد نفسه مدفوعا الى القول بأن التاريخ – على الرغم من كل ما ينطوى عليه من مظاهر تناقض وصراع وألم – انما هو فى صميمه تحقيق لملكوت الله على الأرض !

دور « التناقض » فى « ديالكتيك » التاريخ ..

ولكن ، ربما كانت السمة الأساسية التى تميز فلسفة هيجل فى التاريخ هى السمة الجدلية (أو الديالكتيكية Dialectical) . فعلى حين أن رجال الموسوعة الفرنسية فى القرن الثامن عشر كانوا يَعدّون « التقدم » تطورا مستمرا يسير فى خط مستقيم ، نجد هيجل يدخل مفهوم « التناقض » ومفهوم « الصراع » ، فى تصوره للتطور ، فلا يجعل من « التاريخ » تقدما آليا مطردا ، بل يجعل منه حركة ديالكتيكية مليئة بشتى مظاهر التناقض ، والصراع ، حافلة بصنوف الازمات والثورات . وهيجل يلاحظ فى كتابه « علم المنطق » انه لا سبيل الى تفسير التغير تفسيرا كميًا ميكانيكيا ، نظرا لأن ظهور «الجديد» لا يمكن أن يفسر برد كل ما فى الصيرورة من تراء الى بعض العناصر الفيسفسائية المتشابهة، او بارجاع كل ما فى التغير من جدة الى عملية تراكم بعض العناصر الجزئية المتجمعة . وهو يضيف فى هذا الكتاب ايضا أن من شأن استمرار التغير ان يفضى حتما الى بعض الطفرات الكيفية ، وان التناقض انما هو روح الحركة ..

وأما فى كتاب « فلسفة التاريخ » ، فاننا نرى هيجل يكشف لنا عن الطابع الثورى لمنهجه الجدلي، فيظهرنا بوضوح على انه لا سبيل الى انقاذ اى نظام اجتماعي فاسد (مثلا) عن طريق تعديل ما فيه من أوضاع خاطئة ، أو تصحيح بعض مساوئه، وانما لا بد من انقلاب جذرى يقتضي على ما فيه من فساد قضاء مبرما . ويضرب هيجل لنا مثلا بحركة الإصلاح التى ترتبت على فساد الكنيسة ، فيقول ان هذه الحركة لم تكن مجرد تصحيح لبعض الاوضاع الخارجية ، بل هى قد كانت بمثابة ثورة جذرية قضت على جوهر الفساد الديني .

ولئن كان هيجل قد استحال – فى أواخر ايامه – الى مواطن بروسي محافظ ، الا اننا نراه مع ذلك يسلم بالمشروعية التاريخية للثورة الفرنسية ، وكانما هو قد ظل مؤمنا – فى قرارة نفسه – بأن « الديالكتيك » هو تلك المحكمة العادلة التى لابد لكل شيء – مهما كان من ثباته أو دوامه – أن يَمثل امامها ، لكي يَحكم عليه بالزوال أو الفناء ! وهذا هو السبب فيما ذهب اليه بعض مؤرخى الفلسفة من أن « للديالكتيك » الهيجلي طابعا ثوريا أكيدا .

هذا الى ان هيجل يجعل لكل من السلب والشر دوره فى دراما التاريخ فيقرر أن السلب والشر لحظتان ضروريتان من لحظات التقدم . واذا كان هيجل قد فرق منذ البداية بين «التطور البيولوجي»

(أو الحيوى) و « التاريخ البشرى » ، فذلك لانه قد لاحظ أن التطور الحيوى هو مجرد تحقيق لامكانيات محددة من ذى قبل ، فى حين أن التاريخ البشرى يفترض صراع الروح نفسها ضد ذاتها ، وكانما هى بمثابة عائق حقيقي لا بد لها من التغلب عليه . فليس التطور الانساني مجرد عملية ازدهار او تفتح ، تتم دون اى صراع أو أية مشقة ، كما هو الحال بالنسبة الى الحياة العضوية ، وانما التطور الانساني عمل شاق اليم يمارسه الانسان فى نفسه ، وكانما هو يتحامل على ذاته من أجل العلو على نفسه .

ويمضي هيجل الى حد ابعد من ذلك فيقول انه لما كان « التقدم » يتسم دائما بطابع « التناقض » فان فى الامكان دائما ظهور حالات « نكوص » أو «ارتداد» تكون بمثابة عَوْد الى عصر «البربرية». ولئن كانت « الحرية » هى فى نظر هيجل غاية التقدم البشرى ، الا اننا نراه يؤكد انه لا سبيل الى بلوغ الحرية اللهم الا من خلال التمزق ، والالم ، والصراع . ولعل هذا ما عبر عنه الفيلسوف الالماني الكبير بعبارته الخاصة حينما كتب يقول : « ان الميزة الكبرى التى تتسم بها الاحياء انما هى حاجتها الدائمة الى اجتياز مرحلة التعارض والتناقض والسلب ، من أجل الوصول الى المرحلة التى يتسنى لها فيها التوفيق بين الحدود المتعارضة . »

الصلة بين « التاريخ » و « المنطق » ...

... اذا كان هيجل قد خلع على التاريخ صبغة « عقلية » ، « جدلية » ، فليس بدعا أن نراه يوثق الصلة بين « التاريخ » و « المنطق » . فيقرر ان التاريخ عملية منطقية تتحقق عبر الزمان . وليس يكفي – فى نظر هيجل – ان نقول ان التاريخ البشرى عملية منطقية شاملة ، أو حقيقة كلية تخضع لقوانين ، او واقعة حتمية تسير فى تطورها وفقا لضرورة ، وانما يجب أن نضيف الى كل هذا أن ثمة « علاقات منطقية » أو « ارتباطات ضرورية » باطنة فى صميم التاريخ . وهذا هو السبب فى أن هيجل يوحد بين العامل « التاريخي » والعامل « المنطقي » ، فيجعل من التاريخ مجموعة من العلاقات المنطقية الضرورية .

حقا اننا لو تصورنا التاريخ على انه مجموعة من الاحداث التى تتوالى فى عالم التجربة ، او على انه مجرد وقائع خارجية تتعاقب فى الزمان ، فاننا قد لا نفطن الى امثال تلك « الارتباطات الضرورية » أو « العلاقات المنطقية » ، ولكننا لو نظرنا الى تلك الاحداث « من الباطن » لوجدنا انها فى جوهرها « افكار » مرتبط بعضها ببعض عن طريق مجموعة من « العلاقات المنطقية » . ولا شك ان هيجل هنا قد فتح مجالا خصبا امام الباحثين فى فلسفة التاريخ ، فانه قد كشف لهم عن الطابع العلمى للتاريخ ، ما دام التاريخ علما يخضع لقوانين ، وما دام يعبر – من خلال عرضيئة الاحداث – عن ضرورة عميقة تقودنا الى الكشف عن جدله الباطن او منطقه الخفي .

بيد ان مثالية هيجل قد أوقعته فى خطا منهجي فادح : لأنها قد صورت له امكان استخلاص « التاريخ » من « المنطق » بطريقة اولية سَبْقية Apriori ، بدلا من العمل على استخلاص « المنطق » من « التاريخ » بطريقة علمية دقيقة . ومن هنا فقد عمد هيجل الى اسقاط تخطيطه العقلى الاولى على التاريخ بطريقة تعسفية تحكمية ، مما جعله يقحم «الجدل» على «الوقائع» بصورة لا تخلو من افتعال وتخبط . وهكذا أصبح الجدل الهيجلي بمثابة سرير « بروقرسط Procruste » تُقَدّ فيه الوقائع قدًّا ، دون مراعاة لطبائعها الخاصة ، على نحو ما كان يصنع بروقرسط ، قطاع الطريق الذى زعمت الخرافة اليونانية انه كان يقدُّ قامات الناس على قدّ أسرّته ! ولعل هذا هو السبب فى تلك الاخطاء التاريخية العديدة التى تردّى فيها هيجل ، خلال عرضه للفلسفات المختلفة على مر العصور ، فكان يقدم ويؤخر بحسب ما تقتضيه طبيعة منطقه الجدلى ، دون احترام لتسلسل العصور وتعاقب الازمنة . وهكذا بقى التاريخ عند هيجل مجرد تعبير عن انتشار الروح المطلقة عبر الزمان ، بدلا من أن يكون بمثابة جهد علوي من أجل استخلاص قوانين الجدل (أو الديالكتيك) من صميم التجربة التاريخية . وربما كان السر فى اهتمام كلٍّ من ماركس Marx وانجلز Engels ، زعيما الشيوعية بالعمل على تصحيح وضع « الجدل » ،

هو ما لا حظناه لدى هيجل من تعسف في فرض منطقه المثالي على التاريخ ، كما سنرى فيما بعد بالتفصيل ...

دور « الاهواء » في التاريخ البشري ..

اذا كان هيجل قد ذهب الى ان « العقل » هو الذي يتحكم في مصائر الاحداث ، وان أفعال الناس لاتفهم الا بوصفها تعبيرا خارجيا عن « أفكار »، فليس معنى هذا انه أنكر دور « الاهواء » و « الانفعالات » و « الحاجات » و « المصالح » في تحديد افعال البشر . والحق ان هيجل يقرر بكل صراحة ان « الاحداث » تظل مجرد « ممكنات »، الى ان تجيء الفاعلية البشرية فتحيلها الى «وقائع» ومعنى هذا انه لا شيء يتحقق في الوجود ، بدون ارادة البشر ، ما دامت هذه الفاعلية الانسانية هي التي تعمل على تحقيق كل ما يحدث في العالم من وقائع . ولولا حاجة البشر، وميولهم، ونزوعهم وارادتهم ،لما كان ثمة نشاط بشري ، وبالتالي لما كان ثمة تاريخ . وقد يكون من الحديث المعاد ان نقول ان الانسان لا يعمل ، اللهم الا اذا كان يشعر بان ما سيعمله سيكون هو الكفيل باشباع حاجته ، وارضاء أهوائه ، وتحقيق غاياته . حقا ان الانسان قد يعمل في سبيل المصلحة العامة ، ولكنه حتى في هذه الحالة ، لا بد من أن يشعر بأن هذه المصلحة العامة متوافقة مع مصلحته الخاصة ، وأن من شأنها ـ بالتالي ـ أن تزيد من شعوره بقيمته الشخصية . ولهذا يقرر هيجل بصفة عامة انه لا يمكن أن يتحقق شيء في دنيا البشر على الوجه الاكمل ، اللهم الا اذا دخلت فيه مصلحة أولئك الذين يشتركون في تحقيقه . وحسبنا أن نلقي نظرة على التاريخ البشري لكي تتبين « انه لم يتحقق يوما شيء عظيم في هذا العالم ، الا وكان للهوى Passion او الانفعال الشخصي دور كبير في تحقيقه ..» .

بيد أن كل هذه العوامل الذاتية ـ من ارادات وفاعليات وحاجات وميول ومصالح وأهواء خاصة ـ لا تخرج عن كونها مجرد « وسائل » أو «وسائط» تستعين بها الروح الكلية من أجل الوصول الى غايتها . واذن فان الأفراد والشعوب ـ حين تعمل على بلوغ غاياتها الخاصة ـ انما هي مجرد « وسائط » أو « وسائل » تحقق غاية أخرى أسمى وأوسع بكثير من غاياتها الخاصة ، وان كانت تحققها بطريقة لا ارادية ، تجهلها هي نفسها .

والواقع ان الأهواء البشرية التي تتحكم في أفعال الناس لا تمنعنا مطلقا من القول بأن العقل هو الذي يحكم العالم ، وهو الذي يسيطر على التاريخ . وهيجل يعود هنا الى نظريته الأصلية في وحدة « الكلي » و « الجزئي » (أو « الفردي») فيقول ان هذه « الوحدة » هي الحقيقة التاريخية الكبرى .

ولكن المشاهد ـ في مجرى التاريخ ـ أن الجانب الذاتي ، أو الوعي ، يظل غافلا عن الغاية النهائية المطلقة للتاريخ ، الا وهي تحقق « الروح » وسيادة « الحرية » . ومن هنا فان الناس كثيرا ما يظنون انهم يحققون بافعالهم غاياتهم الجزئية الخاصة ، في حين أن « الحقيقة الكلية » تظل ماثلة في تلك الغايات الجزئية ، ان لم نقل بانها تتحقق من خلالها ، حتى ولو بقي الناس على غير وعي بتلك « الحقيقة الكلية » الماثلة في صميم غاياتهم . وهيجل يمضي الى حد أبعد من ذلك فيقرر أن افعال البشر التي تتحقق في التاريخ ، كثيرا ما تفضي الى نتائج تتجاوز تلك الغايات التي كانوا يهدفون اليها ، أو التي استطاعوا بلوغها بالفعل ، أعني تلك الاهداف التي كانوا على علم بها ، والتي أرادوا الوصول اليها بطريقة مباشرة وبعبارة أخرى يمكننا أن نقول ان البشر يحققون بالفعل مصالحهم الخاصة،ولكن الملاحظ في الوقت نفسه أن ثمة « غاية » أسمى وأبعد مدى تتحقق من خلال افعالهم ، وتلك هي الغاية الكلية التي كانت « باطنة » في صميم اعمالهم ، دون أن يكونوا هم على وعي بها ، بل دون أن تكون نيتهم قد اتجهت الى تحقيقها . وهذا ما اصطلح النقاد على تسميته باسم « مكر العقل » (أو تحايله) في فلسفة هيجل التاريخية . وخلاصة هذه النظرية أن الصانع الخفي للتاريخ الكلي انما هو تلك الروح المطلقة (الازلية ـ الأبدية) التي تحقق في صميم الانسانية ، مستعينة بالأفراد والشعوب من أجل العمل على بلوغ غاياتها ، دون أن يكون البشر انفسهم على وعي بحقيقة مقصدها . وهكذا يعود هيجل الى نظريته الأصلية في سيطرة العقل على التاريخ فيقول مرة أخرى ان « العقل باطن

فى الوجود التاريخى ، وهو انما يتحقق فى صميم هذا الوجود التاريخى ، ومن خلاله .. » .

دور «الافراد» فى الحركات التاريخية ...

يهتم هيجل بدراسة دور «الافراد» فى حركات التاريخ ، فيقول ان عظماء البشرية لا يوجهون مجرى التاريخ ، ولا يملكون القدرة على تغيير اتجاهه ، وانما كل ما هنالك أنهم يستجيبون لحاجات عصرهم، ويتوافقون مع الضرورة التاريخية، وهذا هو سر عظمتهم . ويشرح هيجل وجهة نظره بوضوح فيقول : « ان الافراد لا يكونون عظماء ومميزين ، اللهم الا حين تجيء فردياتهم على مستوى الهدف العام المتضمن فى صميم المعنى الباطن للموقف الراهن . وأما حينما يعمل الافراد من أجل تحقيق آمالهم الخاصة ، دون الاهتمام باشباع حاجات أهل عصرهم ، أو حينما ينفصلون عن أهل عصرهم ، لكى يقتصروا على توجيه كل اهتمامهم الى فردياتهم الخاصة ، فانهم عندئذ يكونون افرادا اشرارا لا يعودون على مجتمعاتهم الا بالضرر والأذى . ولكن ، حتى حينما يتعارض عمل هؤلاء الافراد مع نظم عصرهم وآرائه السائدة فانهم مع ذلك قد يعبرون عن ضرورة تاريخية عميقة ، الا وهى ضرورة التجاوز الثورى لنظام استنفد زمانه . وهذا — بوجه عام — هو موقف الابطال فى تاريخ العالم : اذ بوساطتهم يتحقق للبشرية ضرب من الترقى أو التصاعد نحو عالم جديد . ولما كان مبدأ « البطل » يجيء فى الغالب متعارضا مع المبادىء المقررة ، فانه لا بد من أن يبدو — لأول وهلة — مبدأ خطيرا هداما . وهذا هو السبب فى أن الأبطال كثيرا ما يبدون لنا بصورة رجال مارقين على القانون أو خارجين على العرف . وأشخاص الأبطال محكوم عليها دائما بالزوال ، ولكن مبادئهم لا بد من أن تعمل عملها ، وتواصل تأثيرها ، وان كان ذلك بصورة أخرى لم تكن فى الحسبان ، لكى لا تلبث أن تسحق كل ما كان معمولا به من مبادىء .. »

واذن فان « الرجل العظيم » — فى رأى هيجل — انما هو ذلك الانسان الذى يعبر عن الدرجة الحالية لترقى « روح العالم » . ومعنى هذا ان عظماء البشرية انما ينطقون باسم « الروح الكلية» أو « الحقيقة المطلقة » ، متخذين من الغاية العامة غاية خاصة لهم .

ومهما كان من عظمة الفرد فانه لا يمكن أن يجد لنفسه رسالة اعظم أو أسمى من أن يعمل فى سبيل تحقيق غايات شعبه وعصره . وقد يكون من شأن تلك الرسالة أن تجيء معارضة للنظام القائم او للعرف السائد ، ولكنها لا بد من أن تكون معبرة عن ذلك التجاوز الضرورى (أو التعالى الحتمى) الذى تتطلبه المتناقضات الموضوعية لهذه المرحلة أو تلك من مراحل التاريخ . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان ما يفرض على الرجل العظيم الصراع ضد النظام القائم ، انما هو الحاجة الى تجاوز تلك المتناقضات الباطنة فى صميم ذلك النظام ، من اجل العمل على اقامة نظام جديد يكون أكثر تلاؤما مع حاجات العصر وآمال الشعب ..

ويعود هيجل الى شرح نظريته فى البطولة فيقرر — فى موضع آخر — ان عظماء البشرية لم يكونوا يوما سوى مجرد ناطقين باسم الروح الكلية أو الحقيقية المطلقة . فالبطل هو ذلك الفرد الذى تجيء غايته الشخصية منطوية على المضمون الجوهرى لا ارادة الروح الكلية . وقد يتوهم البعض أن عظماء البشرية هم أولئك الافراد الذين يعملون فى سبيل غايات خيالية او أهداف وهمية ، ولكن الحقيقة ان عظماء البشرية انما هم أولئك الافراد الذين يدركون الحلول الدقيقة التى يقتضيها الموقف ، والذين يعرفون ما ينبغى فعله فى كل ظرف ، والذين يفهمون ما يتطلبه الوضع الراهن ، أو بعبارة موجزة هم أولئك الذين يضعون أيديهم على ما هو « ضرورى » . واذا كانت الجماهير تلتف حول أمثال هؤلاء الأبطال ، فما ذلك الا لانهم يكشفون لتلك الجماهير عما فى أعماقها من ميول دفينة ، ويعبرون لها عما يكمن فى باطنها من آمال عميقة ..

نهاية التاريخ فى رأى هيجل ...

ولا يقتصر هيجل على القول بأن تاريخ البشرية واحد، وانه تاريخ منطقى جدلى ، وانه وليد الفعل الجماعى المشترك ، وانه تقدم ديالكتيكى يقوم على الصراع والتناقض ، وانه ليس من خلق الافراد ، بل هو يضيف الى كل هذا أن تاريخ البشرية تاريخ متناه مكتمل فى الحاضر ، لا فى المستقبل . وهنا نصل الى نظرية عابها الكثيرون

على هيجل ، وتلك هي نظرية اكتمال التاريخ ، بالوضع الراهن ، لا بالحكم الاخير . ولا شك ان هيجل حينما قال بانتهاء التاريخ الحاضر (لا في المستقبل) فانه لم يكن يرمي فقط الى القول باستحالة التنبؤ بالمستقبل او الحكم عليه سلفا ، وانما كان يرمي ايضا الى تمجيد الحاضر واعتباره بمثابة « مثل أعلى » . وهكذا جاءت نزعة هيجل المحافظة فاملت عليه انكار امكان تحقق اي تقدم آخر في المستقبل ، وكأنما هو قد أراد أن يقدم لنا مجرد تبرير عقلي لسياسة المحافظة البروسية التي كانت تتسم بالجمود والتحجر . ولكن بعض الباحثين قد دافعوا عن هيجل بقولهم انه لما كان من المستحيل على المؤرخ أن يعد المستقبل كتابا مفتوحا ، فلا بد للتاريخ من أن ينتهي بالحاضر ، خصوصا واننا لا نعلم شيئا عن ذلك التقدم الذي قد يحدث في المستقبل . فالمستقبل - كما يقول هيجل - لا يمكن أن يكون موضوعا لعلم أو معرفة، بل هو موضوع للآمال والمخاوف ، وهذه ليست من التاريخ في شيء . ولكن من المؤكد - مع ذلك - أن نزعة هيجل التبريرية هي التي املت عليه اعتبار النظام البروسي القائم اذذاك (وهو النظام المطابق لمصالح البورجوازية) بمثابة النظام العقلي الأوحد في كل مسار التاريخ ، فكان من ذلك أن عمد الى ايقاف التاريخ عند المرحلة التي تحققت فيها السيادة لطبقة البورجوازية الألمانية ..

ولما كانت نهاية التاريخ - في رأي هيجل - انما تتحقق عندما يصبح العالم معقولا ، ولما كان النظام الذي دعمته البورجوازية (بفعل الثورة الفرنسية، واصلاحات نابوليون ، ومشاريع شتاين Stein) قد عمل على تثبيت أركان هذا النظام المعقول ، فليس بدعا أن نجد هيجل ينادي باننا قد بلغنا نهاية التاريخ ! .. ولا شك أن هيجل حينما واجه عصره بكلمة « نعم » ، فانه لم يعبر فقط عن نزعة تاريخية تفاؤلية ترى في الحاضر أحسن الأزمنة بل هو قد عبر أيضا عن فلسفة مثالية مطلقة ترى « الابدية » ماثلة في « الزمان » ، وتعد « المطلق » متحققا في صميم « التاريخ » .

كلمة أخيرة ..

ولسنا نريد أن نسترسل في شرح تفاصيل فلسفة هيجل في التاريخ ، وانما حسبنا ان نكون قد أعطينا القارىء العربي صورة سريعة لأهم معالم هذه الفلسفة . ولا بد أن يكون القارىء قد لاحظ معنا أن هيجل كان في مقدمة الفلاسفة المحدثين الذين دعوا الى «تألية» التاريخ، وكان « الديالكتيك » هو المحكمة العليا التي تتحكم في مصير الوجود بأسره ! ولئن كان من بعض افضال هيجل على فلسفة التاريخ أنه لفت أنظار الباحثين الى ضرورة ربط التاريخ بالمنطق ، والعمل على اكتشاف ما في الأحداث من علاقات ضرورية ، الا انه قد استعان بكل ما لديه من أجهزة عقلية ومعارف تاريخية من أجل تبرير النظام السياسي الذي كان قائما في عهده . ومن هنا فقد جاءت فلسفة هيجل التاريخية مجرد صورة أخرى من صور « البورجوازية الالمانية » التي كانت تعتبر أوج التاريخ هو مرحلة انتصارها . ولئن كان هيجل قد ربط نهاية التاريخ بتحقق الحرية ، الا أننا نعجب كيف سول له تفكيره السياسي أن يعتبر عهد الملكية الالمانية بمثابة أكمل عهد من عهود الحرية .. ! أو على كل حال ، فقد اهتم هيجل في فلسفته التاريخية باستعراض تاريخ الشعوب المختلفة التي تعاقبت على مسرح العالم ، ابتداء من الشعوب الشرقية القديمة حتى الشعب الجرماني ، فصور لنا الانسان بصورة الجهاز العضوي الواحد ، وقال ان العالم الشرقي يمثل طفولته ، بينما يمثل العالم اليوناني شبابه ، والعالم الروماني رجولته ، والعالم الجرماني كهولته . ومن هنا فقد سيطر على كل تفكير هيجل التاريخي مفهوم « التطور » أو « النمو البيولوجي » ، وكأن الانسانية كائن حي واحد يتقدم ، ويتطور ، ويترقى ، بجملته . وأما غاية التاريخ - في نظر هيجل - فهي بلوغ مرحلة الحرية او زيادة شعور الروح بما لديها من حرية. ولعل هذا ما حدا ببعض الباحثين الى القول بانه لا سبيل الى فهم فلسفة التاريخ عند هيجل ، اللهم الا في ضوء مذهبه السياسي ، ونظريته في الحرية السياسية .. أفلا يحسن بنا - اذن - أن نتعرض لفهم تفكير هيجل السياسي في حديث مقبل ، نجعل منه تمهيدا لدراسة المادية التاريخية ؟. ■■

زكريا ابراهيم

يـاليـل !!

■ أيها الجمال الناعس !!
أيتها الفتنة الفارقة فى محيط من التيه ! ..
يا من تهدهدك النسائم وتهـزك الرياح فى أرجوحة الصمت العبقرى ! ..
أيها المنصت الى أرغن الازل ..
يا من تتراقص فى أجوائك عرائس المرح ..
يا ناعسا تداعبه طيوف الأحلام ..
أيها الصامت المهيب فى صمته
انت يا من تنصت الى انات المحبين ..
أيها الأمين الذى طالما رأى وشهد وسمع وما باح !!
يا من سرت من نسائمك الآهات
وترددت فى جوانبك أصداء الوعود
يا وحى الشعراء وأغرودة الشادين ..
يا ليـل !!
فيك يا ليل من كل شىء صورة ..
ومن كل عاطفة لون !!
فيك من الحب غموضه وقداسته ..
وفيك من الصد" لوعته وأساه ..
فيك أصداء الحنين ترددها نسائمك ..
وفيك ثورات الجفاء تمثلها رياحك الزعزع !!
ظلمتك ترتيلة عذبة ..
وصمتك أهزوجة صادحة ..
يا ليل !!
كم فيك وكم فيك !
يا سر الخليقة ومرآتهـا الغامضة !
على صفحة سوادك تنعكس شتى الصور . ولا يبين للعين منها خيال !
وعلى وسائدك يريح صرعى الحياة رؤوسهم .. ويحلمون !!
وتسكب يدك الحنون فى أفواههم بلسمك الشافى
يا ليـل !!
كأنك زفرة .. صعّدها صدر الزمان وقد ناء بحمولات الشجون !
كأنك نغم ضال .. يردد الأفق صداه ، وتفتقد العيون ظله !!
يا ليل العشاق ..
يا ليـل .. !!

■■ سنية قراعه



الميسر فى بريطانيا

عن صحيفة التايمز ـ اللندنية

● بلغ مجموع ما انفقته بريطانيا على القمار والمراهنات بمختلف اشكالها ، وما جنته منه من اموال ، فى السنة الماضية ٩٫٥ ملايين جنيه استرليني . وتجدر الاشارة الى ان هذا المبلغ يزيد على مثيله فى السنة السالفة (اى ١٩٦٢) بنحو ٣٥ مليون جنيه . ويعزى هذا الفائض فى الغالب للزيادة التي حققها سباق الخيل وقد بلغت اربعين مليون جنيه ، وللزيادة الاخرى التي سجلتها المراهنات الخاصة بمباريات كرة القدم وقيمتها ١٥ مليون جنيه . يقابل ذلك هبوط طرا على فروع اخرى من فروع هذه الصناعة كالمراهنات الاستثنائية المتصلة بمباريات كرة القدم مثلا وقد نقص مجموع ايراداتها ونفقاتها ٢٫٠ مليون جنيه .

ويعتبر مبلغ ال ٩٫٥ ملايين جنيه رقما قياسيا لم يسبق له مثيل فى تاريخ المراهنات فى بريطانيا . لا غرابة اذن فى ان يثير هذا التفاقم قلق الكنائس الانجليزية ومجالسها ويحملها على رفع تقرير مفصل حول هذا الموضوع الى الحكومة .

وجاء فى مقدمة هذا التقرير أن ما يشغل بال الكنيسة لا يقف عند حد الارقام وما طرا عليها من ارتفاع او هبوط . فهي لا تملك الا ان ترى من وراء تلك الارقام نفسية معينةدفعت بافراد الشعب البريطاني الى الاقبال المتزايد على الميسر ولا تستطيع الا ان تتحسس ما يعكسه هذا الاقبال من امراض اجتماعية وما يلحقه بالامة من خسائر مادية .

وجاء فى التقرير :

« فاى نوع من الشعوب نريد ان نكون او فى وسعنا ان نكون ، واى مصير يتهددنا ويتهدد ابناءنا واحفادنا فى المستقبل القريب والبعيد اذا استمر اقبالنا المتزايد على الميسر ، وخاصة لدى

المجتمع الامر

مجلة تايم

● هل من علاقة ما بين التاريخ والخادمات او بين الحضارة والوصيفات ؟

لقد ذهب بعض المؤرخين ، على نحو من الجد ، الى ان اثينا الاغريقية بالذات لم تأخذ سبيلها الى الانحطاط والانهيار الا بعد ان تكاثر الخدم فيها وانتشروا . ويؤكد آخرون ، على نحو من الجد أيضا ، ان قلة عدد الخدم فى الغرب ما زالت تنخر فى حضارته وتدفع بها الى الهاوية . أما الكاتب المفكر مرجان Morgan فيقول بالحرف الواحد « اقض على الطبقة المترفة من الناس ، تقض على المدنية بأسرها » . وليست هذه الطبقة المترفة فى رأيه سوى مجموعة العائلات التي يسهر على راحتها خادم واحد على الاقل . ولئن لم يكن مرجان المذكور من فلاسفة العصر اللامعين الا ان موضوع طبقته المترفة هذه كان ولا يزال موضع اهتمام كل من يفكر بطبيعة الحياة الامريكية . فقد نشأ فى الولايات المتحدة الامريكية طبقة وسطى هي فى طليعة الطبقات الوسطى فى

اجتيازنا هذه المرحلة الانتقالية من التغير والتطور الاقتصادي والاجتماعي التي نمر بها في الوقت الحاضر ؟ »

ويمضي التقرير في تساؤلاته وتعليقاته : « هل يجدر بنا ان نحول بين الناس وبين الميسر ، ام ان الاجدر بنا ان نقرر اولا موقفنا من القمار والمراهنات ومدى رغبتنا في تنشيط هذه الصناعة او الحد منهـا ؟ »

« ان التشريعات والقوانين النافذة حاليا والخاصة بالميسر في بريطانيا كانت وليدة الصدفة، ولم يكن في نية البرلمان ابدا ان تصدر عنه مثل هذه القوانين . لذلك كان اقتراحنا الذي نرفعه الى الحكومة البريطانية في هذا التقرير ان تأخذ بعين الاعتبار ضرورة النظر في قوانين الميسر وتشريعاته بغية تعديلها وتنقيحها بما يتفق وصالح الامة الحقيقي ، لا في الوقت الحاضر فحسب ، ولكن في الايام المقبلة ايضا . »

يكي .. والخدم

العالم اجمع . وعلى كل ما تنعم به هذه الطبقة من بذخ خارق نادر فانها تعتبر اولى الطبقات الوسطى المترفة في العالم التي لا يقوم على راحتها الخدم .

فالعيش بلا خدم هو من صميم حياة الاسرة الامريكية التي تملك من السيارات اثنتين ، ومن اجهزة التلفزيون ثلاثة ، فضلا عن جهاز الجراماقون (الستريو) الذي يكلف نحوا من ألف دولار ، وبالاضافة الى كوخ ريفي في المرتفعات لقضاء العطل والاجازات ، وحوض حلزوني الشكل للسباحة داخل البيت .. فالاسرة الامريكية الوسطى بين الاسر تنعم بذلك كله دون ان يسهر على راحتها الخدم ، ودون ان تشعر باية غضاضة لافتقادها الخدم . ليس غريبا والحالة هذه ان يكتب عالم الاجتماع بول بروان قبل ثلاثة عقود من السنين او تزيد : « لعل الطبقة الامريكية المترفة التي لا يقوم ترفها على أكتاف الخدم هي اهم ما طلعت به الولايات المتحدة على العالم من مستحدث جديد » .

السير في الفضاء

مجلة لايف

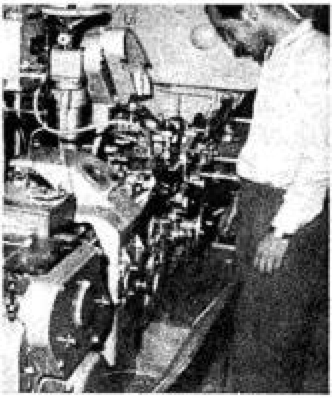
● خرج (هُوَيت White) من مركبته الفضائية ، وهو ومركبته يسيران في الفضاء بسرعة لا تقل عن ١٧٥٠٠ ميلا في الساعة ! اما المشاعر التي غمرت قلبه لدى نظره الى عالمه على نحو لم يحلم به من قبل ، فكانت مشاعر النشوة التي كادت ان تبلغ حد الاغماء . فقد رأى « الارض » كوكبا سابحا في الفضاء كسائر الكواكب . شاهدها بعيدة هناك لا هي فوقه ولا هي تحته . رآها ، لا بصفته ابنا من ابنائها البررة ، ولكن بوصفه جرما فضائيا يجرى في فلكها ويدور . فماذا رأى عبر تلك المسافة السحيقة والاميال العشرين بعد المائة التي فصلت بينه وبين عالمه ؟ لقد بدت الارض لرائد الفضاء « هويت » كوكبا كروى الشكل يشع ويتلالأ على نحو ما تبدو لنا كواكب السماء في ظلمة الليل .. بدت زرقاء تحاكي احجار الياقوت زرقة وتضاهيها بهاء . وبدت فوق ذلك كله بعيدة نائية تحيط بها هالة من حرمة الغيب وهيبة المجهول .

على ان سباحة الفضاء هذه لم تكن ملهاة او رياضة او لونا جديدا من حركات البهلوانات بالرغم من كل ما رافقها من نشوة وروعة ومتعة . لقد كانت امتحانا عسيرا بالغ الخطورة والدقة لما ابتكره العقل البشرى من اجهزة واساليب تكنيكية ، ولمدى اهليتها لخدمة رواد الفضاء فيما قد يضطرون اليه من توقف او اصلاح لمركباتهم اثناء جولاتهم الفضائية في المستقبل .

اضف الى ذلك ما انطوت عليه من مغامرة ، كان من الممكن ان تودى بحياة الرائد (هويت) على نحو لم يسبق له مثيل. تصور ان حياة هذا الرائد كانت رهنا باثوابه الفضائية التي احكمت حول جسمه ، والمدفع الصغير الصاروخي الذى يطلقه فيوجه حركته في الفضاء ، وكلاهما لم يُجَرَّب في الفضاء بالذات ، وانما جرب فقط في ظروف مصطنعة تشبه ظروف الفضاء من قريب او من بعيد . فلو ان تلك البزة ، التي بدت كاللحاف بأبطنتها العشر ، تعرضت لثقب ما ، لسبب ما ، لكان مصير هويت الى الفناء بسبب الحرارة العالية عند تعرضه للشمس او البرودة المتناهية عندما يحتمي منها .



بدأت الحضارة بالقطاع الزراعي



بعد القطاع الزراعي

حضارة الغد

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدايم

■ السؤال عن حضارة الانسان ومستقبل الانسان قديم قدم الانسان ، ولا نغلو اذا قلنا ان التطلع الى المستقبل وسؤال المستقبل كانا وما يزالان شغل الانسان الاول ، ومصدر قلقه وسعيه .

بين الرجم بالغيب ، واستكناه العلم

وقد بدأ سؤال المستقبل احيانا ضربا من الرجم بالغيب وشكلا من اشكال النبوءة لجأ اليه الانسان الاول يوم كان اعزل من سلاح العلم ، ويلجأ اليه الفكر العامي العادى حتى اليوم ، ويلذه ويجب فيه شفاء لصبوته الى استكناه المجهول من امر حياته . غير أن هذا التساؤل عن الغد عرف فى كثير من الاحيان اشكالا ادنى الى العلم والبحث العلمي ، وخاض فى امره مفكرون افذاذ وفلاسفة بارزون وعلماء مجلون فى شتى عصور التاريخ . وليس من جديد القول أن نقرر ان البحث العلمي لا يعدو فى معظم الاحيان أن يترجم الى لغة الوقائع الثابتة والقوانين المجربة صبوات راودت اذهان الناس ، غامضة ملحفة ، وشطحات عاشت فى عقول البشر مجللة بالغيب مطلية بالتخرص والعرافة .

ولا يتسع المجال للتذكير بعديد من الدراسات الفلسفية والعلمية التي ارادت أن تنضو صفحة المستقبل وان تقتفي أثر الانسانية ، لاهثة وراء خطى هذا المستقبل ، متطلعة الى معرفة بعض ملامحه وقسماته .

نريد كشف المستقبل لتطور الحاضر

وما غرضنا ان نقف عند هذه الدراسات المختلفة ، من ايام افلاطون بل فيثاغوروس بل فلاسفة بابل والهند ومصر ، حتى ايام « دوهاميل Georges Duhamel » و « اشبنغلر Spengler » و « ديورانت Durant » و « توينبي Toynbee » . ولا همنا ان نرى آثار هذه الاطلالات على المستقبل فى الديانات عن مستقبل الانسان وحضارته ، بالاضافة



اء القطاع الصناعي



بعد القطاع الزراعي والصناعي جاء قطاع الخدمات

اليوم تستعبد الآلة الانسان، وغدًا تسيّر الآلة نفسها بنفسها، فيتحرّر الانسان.

الى كونه تساؤلا طبيعياً يروى نزعة عميقة لـدى البشر ، ضـروري للانسـان فـي كـل عصـر ومصـر ، واداة اساسية مساعدة لفهم حاضر الانسان ورسم خطة عمله وحياته . ان فهم الحاضر والمستقبل القريب الـذي يطوف حول حياة الانسـان لا يمكن ان يتم الا عن طريق فهم المستقبل البعيد والتطلع الـى اتجاه خط التطور . ومعرفة الغد ليست ضربا من الطمأنينة تلذ للانسان ، ولا نوعا من التسلي برؤية الافق البعيد والاستمتاع بمفاجآت المستقبل ومعجزاته وفنونه . ولا هي قرار يصطنعه الانسان هربا من مصيره ، من فنائه ، من عمره القصير على وجه البسيطة ، حين يسقط افكاره وتصوراته وعواطفه على مستقبل بعيد كأنه يعيشه ، وكأنه يجعل من توهمه اداة لخلوده وامتدادا لزواله . فمثل هذه الاهداف فى رؤى المستقبل قد ترضي منازع الفرد العادي ، غير انها ليست جوهر الامر فى نظر الباحث والعالم . فالاصل عند مثل هذا الباحث ان تساعد معرفة المستقبل ـ والمستقبل البعيد ـ على تطوير الحاضر وعلى تغييره ، وان تقدم معيارا ومستندا يهدى الى التغيير الواجب والتطوير اللازم .

الامس ، واليوم ، والغد

والنقطة التي ينطلق منها معظم الباحثين اليوم عندما يومئون الى خطر المستقبل ويركضون وراء معالمه ، هي ان هذا الخط المقبل جزء من الحاضر يملي عليه صورته ويطبعه بطابعه . وكما ان الحاضر يرسم المستقبل ويشير الى اتجاهه ، فاتجاه المستقبل ـ انطلاقا من اتجاهات الحاضر ـ ليس بالامر اليسير الذي يستبين من تلقاء ذاته ، ويأتي عفو الخاطر . ومعرفة الاتجاهات الحقة لهذا المستقبل عمل جاهد شاق يحتاج الى دراسة وخبرة ووسائل فنية . ان فى الزمن اجزاء ثلاثة متداخلة يغوص بعضها فى بعض ، هي الامس واليوم والغد . فالامس لازم لمعرفة اليوم ، وتاريخ الامس اساس لفهم الحاضر واستكناه روحه وذاكرته ونشأته . والغد حيّ فى الحاضر باتجاهاته وخطوطه ، يملي على

هذا الحاضر لونه وطابعه ، وتاريخ الغد يوجه اليوم ويهديه كتاريخ الامس .

من هنا يلحض باحثو اليوم في ضرورة التعرف على حقيقة المستقبل وعلى منازعه وبنيانه ومقوماته ، سواء في جوانبه الاقتصادية او الاجتماعية او الثقافية . وهم يرون بحق ان الجهل بهذا المستقبل هو المسؤول عن كثير من المآسي والصعوبات والحيرة والقلق التي تراود انسان عصرنا .

الانسان وطغيان الآلة وتحكمها

ولندع هذا الشاغل الاول الذي نطلق منه في بحثنا هذا ــ فالشرح فيه يطول ــ ولننتقل الى الشاغل الثاني الذي دفعنا الى العناية بالحديث عن حضارة الغد : تحدث المتحدثون عن ماساة الانسان في عصر الاله ، وارتفعت اصوات كثيرة واهتزت اقلام عديدة ، متشائمة كلها من مصير الانسان ، كل انسان ، امام طغيان الالة وتحكمها . وغدا الخوض في المعضلات الانسانية الناشئة عن الصناعة والالة ، ديدنَ رجال الدين والفلاسفة والساسة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وكثير غيرهم . وما نريد هنا ان نضم الى هذه الاصوات صوتا جديدا ، فنسائل مع من تساءل : الى اين تذهب حضارة الآلة بالانسان وانسانيته ؟ وهل خلقت الآلة للانسان ام سخر الانسان للآلة ؟ ولا نريد ان تصل بنا هذه النظرة المتشائمة المتصلة بالانسان وترديه في عصر التقدم الآلي ، الى حد القول مع من قال بالعود الى حياة الطبيعة وحسن الطبيعة . فمثل هذه الاقوال ــ رغم كل ما جند لها من حجج وذكاء ــ تظل بدائية في تفكيرها ، غارقة في احلام « الوضع الاول » و « الماضي » و « الايام الغابرة » بعيدة عن ان تدرك ان الركب قد سار ، وان السفينة ابحرت ، وان علاج ادواء الحضارة لا يكون ولا يمكن ان يكون بالنكوص عنها والارتداد على الاعقاب ، بل يكون اولا وآخرا بالحضارة نفسها ، بمزيد منها ، بتطويرها واغنائها .

حضارة الآلة ، هل تحرر الانسان منها ؟

ان ما نريده هو ان نطرح المشكلة طرحا جديدا بعض الشيء ومناقضا للمالوف ، لنقول مع طائفة من العلماء المحدَثين : افلا تؤدي حضارة الآلة نفسها الى تحرير الانسان من الآلة ؟ افلا يؤدي الامعان في الصناعة الى التحرر من الصناعة والى خلق حضارة هي ابعد ما تكون من الصناعة ؟ افلا يحق لنا ان نعقد الامال على حضارة الآلة نفسها لنجد فيها المخلص والمحرِّر ، ولنرى في فرط تقدمها ارهاصا بمستقبل انساني تسوده قيم الانسان الفكرية والفنية والخلقية ؟ ولنفصح عما نقول :

التقدم الفني انتج نتائج طيبة للانسان

الظاهرة الكبرى التي تميز العصر الحديث هي دون شك ظاهرة التقدم الفني ، والمقصود بالتقدم الفني او التقني استخدام نتائج التقدم العلمي في مجال الصناعة وغيرها من اجل زيادة الانتاج . واذا اردنا تعريفا ادق قلنا ان التقدم التقني يعني زيادة حجم الانتاج الذي نحصل عليه عن طريق كمية ثابته من المواد الاولية او من العمل البشري . فاذا قلنا ان مائة متر مربع مزروعة قمحا يحتاج حصادها الى ساعة عمل بالمنجل عام ١٨٠٠ ، بينما يحتاج عام ١٩٤٥ الى ٣٥ ثانية فقط عن طريق الحاصدة الدارسة الحديثه ، كان الفرق ناجما عن التقدم الفني .

ونستطيع ان نقول ان العناصر الاساسية في عملية الانتاج اليوم هي الطبيعة وثرواتها ، ثم العمل الذي يقوم به الانسان ، ثم التقدم التقني . ولا شك ان هذا العنصر الاخير هو افعلها واعظمها شانا . ولهذا فهو الذي يحدد في النهاية تحديدا جذريا شكل الانتاج ومقداره ، وشكل الاستهلاك ومقداره . ومعنى هذا

انه يكاد يحدد التطور الاقتصادى من الفه الى يائه . والذى يخلق الحضارة الحديثة اذن ليس هو راس المال الطبيعي ــ بل هو ذلك التقدم الفني الرائع والمريع . ونستطيع ان نقول ان عاملا جديدا راجحا غزا الحياة الحديثة منذ القرن الثامن عشر ، وازداد شأنه فى القرون التالية ، هو عامل التقدم الفني .

وقد نتجت عن هذا التقدم نتائج كثيرة متباينة لا يتسع المجال للحديث عنها . غير ان من المفيد ان نذكر بالنتائج الطيبة التي احدثها هذا التقدم بالنسبة الى الانسان كانسان وبالنسبة الى تحسين مصيره . فلقد ادى ــ فيما ادى اليه ــ الى ارتفاع فى مستوى المعيشة والدخل ، والى مد سنوات الدراسة واطالة فترتها (بسبب الاستغناء عن الايدى العاملة الفنية نتيجة لحلول الآلة محل الانسان الى حد كبير) ، والى تطوير الخدمات الصحية والانخفاض فى معدل الوفيات جملة وفى معدل وفيات الاطفال خاصة ، والى زيادة الاجر الحقيقي الذى يتناوله العامل (اى اجره مقدراً بما يقابله من خيرات معاشية يستطيع ان يحصل عليها) ، والى تطور نوع المعيشة وطراز الحياة وانتشار وسائل الراحة وادوات الرفاهية .

المتشائمون

ويضع المتشائمون عادة فى مقابل هذه المكاسب التي جناها الانسان من التقدم الفني ، مآسي انسانية خلقها هذا التقدم ليست الحرب اقلها . وجوهر هذه المكاسي خضوع الانسان لهذا التقدم الفني ، وعبوديته له . فالعامل مستعبَد للآلة ، بل هو جزء من الآلة ، وعجلة من عجلات الانتاج . والانسانية كلها تتلقى خاضعة خانعة ما يقذف به هذا التقدم الالي وما يمليه ، وان يكن ما يقذف به حمى الحرب وتمزق الكون وتزايد مطالب الانسان الاستهلاكية وخضوعه لما يفرضه انتاج الآلة من استهلاك متجدد متجاوز لذاته دوما لا يرتوى ابدا .

ولا جدال فى ان التقدم الفني خلق مرحلة من خضوع الانسان للآلة ــ رغم كل ما قدمته الآلة من خدمات . ولا يماري انسان فى ان المراحل الاولى من اشراق الثورة الصناعية عرفت تسخيرا للعامل ولا انسانيته ، وعرفت تغليبا لمصلحة الانتاج والآلة على مصلحة العامل والانسان ، وعرفت نظاما كنظام «تايلور» يجند فيه الانسان ليكون آلة تقدم اكبر نتاج ممكن باقل النفقات الممكنة . ولا شك فى ان حياة العامل الجسدية والنفسية والاجتماعية اصابها اهمال كبير وحيف خطير فى بداية القفزة الصناعية الكبرى فى العالم .

نور جديد يلمع وسط ضجيج المصانع

غير ان السؤال الكبير الذى يطرح : هل يدل اتجاه التطور التقني فى السنوات الاخيرة على استرسال فى هذا المنزع ــ منزع اهمال الانسان وتسخيره للآلة ــ ام ان نورا جديدا يلمع وسط ضجيج المصانع وصخب الآلة ، يبشر بمستقبل آخر ، يحقق للانسان تحررا اكبر وسعادة اكبر ؟

لقد ذهب هذا المذهب الاخير طائفة من علماء الاقتصاد ونذكر على راسهم « كلارك Clarak » فى كتابه الشهير « التقدم الاقتصادى ، » ومن قبله « فيشر Fischer » الانكليزى و « بيتي Petty » الانكليزى (ومن بعدهم جميعا الاستاذ الفرنسي « فوراستييه Fourastie » الذى انطلق من آرائهم وزاد عليها ، وكاد ينتهي الى فلسفة اقتصادية هي نسيج وحدها . ولا يتسع المجال للحديث عن افكار هؤلاء وعن تطورها ، ولتفصيل القول خاصة فى آراء آخرهم « فوراستييه » ، تلك الاراء التى شاعت وذاعت فى كتبه العديدة وان لم نذكر طرفا من هذه الكتب نذكر

كتابه الذى ترجم الى العربية ، وكتابه عن « الآلية والرفاهية » .

من قطاع الزراعة الى قطاع الصناعة الى قطاع الخدمات

وحسبنا ان نقول ان منطلق هؤلاء جميعا ، حقيقة تكشف عنها الدراسات الاقتصادية والاحصاءات المتصلة بالطاقة العاملة خاصة ، وهي ان عصرنا الحديث يشهد - بفضل التقدم التقني - انتقالا من سيطرة القطاع الاقتصادى المعتمد على الزراعة والصيد وما شابههما (وهو ما يعرف بالقطاع الاول) الى سيطرة القطاع الاقتصادى المعتمد على الصناعة (وهو ما يعرف بالقطاع الثاني) ، ثم الى سيطرة القطاع الاقتصادى المعتمد على الخدمات والادارة التجارية (وهو ما يعرف بالقطاع الثالث) . وبتعبير آخر ، اذا تابعنا تطور الاشخاص العاملين فى كل مجال من هذه المجالات الثلاثة لوجدنا ان العاملين فى الزراعة وما شاكلها يتناقص عددهم ، وان العاملين فى الصناعة يزداد عددهم بالقياس الى العاملين فى الزراعة ، بينما يتناقص اذا قيس بالعاملين فى القطاع الثالث ، قطاع الادارة والخدمات ، ذلك القطاع الذى يزداد عدد العاملين فيه زيادة كبرى .

ويرجع هذا التغير فى هذه المجالات جميعها الى ظاهرة التقدم الفني . فدخول الالة الحديثة الى الزراعة يقلل من عدد العاملين فيها . ودخول الالة الى الصناعة وازدياد الالية يوما بعد يوم يجعل عدد الاشخاص الذين تحتاج اليهم فى تناقص دائم . وهذا كله يؤدى الى تزايد عدد الذين يعملون فى القطاع الثالث ، وهو القطاع الذى لا يتأثر بالتقدم التقني تأثرا كبيرا .

هكذا نجد فى الولايات المتحدة مثلا ان النسبة المئوية للعاملين فى هذه القطاعات الثلاثة عام ١٨٢٠ كانت كما يلي : ٧٣٪ فى الزراعة وما شابهها ، ١٢٪ فى الصناعة وما شاكلها ، ١٥٪ فى القطاع الثالث . اما عام ١٩٦٠ فقد غدت هذه النسبة على النحو التالي : ٩٪ فى الزراعة ٣٢٪ فى الصناعة ، ٥٩٪ فى الخدمات والتجارة (القطاع الثالث) .

وما نريد ان ندخل فى الحديث عن المنطق الداخلي لهذه الظاهرة وعن عواملها البنيوية ، ويكفي ان نقول انها تومىء الى تطور اساسي فى حياة الانسان ، بفضل الالة والتقدم الالى ، هو ان الالة تؤدى الى تناقص عدد العاملين فى الصناعة نفسها ، والى زيادة عدد الذين يعملون فى غير الصناعة فى الخدمات التعليمية والفنية والاجتماعية، فى الادارة والاعمال ، فى التجارة وغيرها .

وقد بدات هذه الحقيقة تظهر للعيان فى مختلف المجتمعات المتقدمة ، اذ تبدى الحاجة يوما بعد يوم الى الذين يعملون فى القطاع الثالث ، وتزداد حاجة الاقتصاد والحديث الى الاداريين والمشرفين وغيرهم من القائمين بالخدمات حتى غدا العثور على مثل هؤلاء مطلبا عسيرا فى مثل الولايات المتحدة او فرنسا او غيرهما من الدول المتقدمة . بل ان احد الباحثين وهو « برنهام Burnham » اطلق على الثورة الحديثة اسم « الثورة الادارية The mangerial Revolution »

الآلة تعمل بنفسها لنفسها فيتحرر الانسان

ومعنى هذا كله فى لغة التطور ومستقبل الحضارة ان ازدياد آلية الالة يؤدي الى تقليل عدد الذين يعملون لها . فالالة كلما غدت آلة اكثر قلت الحاجة الى من يسيرها واصبحت تعمل بنفسها لنفسها . وهذا ما تدل عليه الاحصاءات المختلفة .

ومنا هنا ينطلق امثال « فوراشتييه » ليقولوا ان الالة - بفضل تزايد التقدم التقني وبفضل تزايد آليتها - تؤدى الى تحرير الانسان ، الى هبوط الحاجة الى من يعملون فى الالة ، والى افساح المجال امام الانسان ليعمل فى القطاع

الثالث ، واهم ما في هذا القطاع الثالث الخدمات التي تقدم للانسان من خدمات تعليمية ثقافية ، ومن خدمات فنية وترويحية وترفيهية ، ومن خدمات طبية واجتماعية وغيرها .

وهكذا تحرر الالة الانسان بعد ان استعبدته بعض الشيء ، تولد من الحضارة الحديثة التي قامت على الصناعة ، حضارة هي ابعد ما تكون عن الصناعة ، حضارة صناعية محضة في الالية ، تفسح المجال بسبب غلو طابعها الصناعي الالي ، لاوقات فراغ تتسع للتأمل الفكري والابداع الفني وسائر انواع الخدمات التي تمس جوهر الانسان وقوام انسانيته .

ان التقدم التقني — في عرف هؤلاء — هو الذي يحرر الانسان من العمل الاستعبادي ، ويجبره نتيجة لذلك على عمل الفكر .

والفئة العاملة « التي تعمل بيدها وتسخر في سبيل الالة بدات تذبل بعد طور ازدهار . والحال البرولتيارية ستزول مع الفترة الانتقالية التي اوجدتها .

فكرة « الانسان سجين الالة » سوف تصبح فكرة بالية

والفكرة التي غلبت وسيطرت على عقول المتحدثين عن الحضارة الحديثة : فكرة الانسان الميكانيكي ، فكرة الانسان الذي هو سجين التطور الفني تغدو فكرة بالية . وسوف يشهد المستقبل القريب اجتماع الظروف الملائمة لنمو الثقافة والحضارة الانسانية الحقة ، وسيسترد الانسان العهد الذي كان ينعم به في الاجيال الماضية والذي اضاعه في الفترة الانتقالية الحالية ، عهد البحث في ما يهم الانسان كانسان .

تغيرات اصيلة في حضارة المستقبل

ان اتجاهات المستقبل — على نحو ما يكشف عنها تقرى الحاضر ، وعلى نحو ما تبديها الدراسات الاقتصادية المتصلة بتطور الانتاج وتطور الطاقة العاملة — تشير الى تغيرات بنيوية اصيلة في الحضارة الحديثة تميزها الخصائص التالية :

انتقال الناس من العمل في القطاع الاول الى العمل في القطاع الثالث ، احياء القيم الانسانية وانتشار اللجوء الى الفكر في العمل المهني نفسه ، تناقص الدخل الناجم عن القطاع الاول والثاني وتزايد الدخل الناجم عن القطاع الثالث، انتشار الخدمات التعليمية ولا سيما في نطاق التعليم العالي ، عود الى شروط السكن القديمة (من حيث الاتساع والبحبوحة) مع وسائل راحة اكبر دون شك (ارتفاع مستوى المعيشة الى حد يجعل في المقام الثاني امر البحث عن ارضاء حاجات الطعام التقليدية ويرفع الى المقام الاول ارواء الحاجات الترفيهية والثقافية والفنية .

وفي الجملة ستؤدي حضارة الالة — فيما يرى هؤلاء الباحثون — الى ان يختص الانسان في ما هو انساني . وهي اذ تعمل على تحرير الانسان من العمل الاستعبادي ، تجعله اقبل لضروب النشاط الفكري والفني والخلقي . وهكذا تعود الالة — بواسطة الالة — لتبعد الانسان عن الالة — ويعود العلم الحديث فيكتشف ما هو انساني — من قلب ما مادي آلي . وبهذا تقودنا قوانين الالة — بضرب من الخلف والتناقض يبدو عجيبا — الى ان نكتشف قوانين الحياة .

هذه نظرة عجلى خاطفة الى امهات الافكار التي تراود بعض الباحثين اليوم — ومعظمهم من علماء الاقتصاد — حول مستقبل الانسانية . ولقد اجتزانا الكثير منها واهملنا تفصيلات فنية وعلمية عديدة ،وتجاوزنا احصاءات كثيرة هامة، طمعنا منا في ان نطرح جوهر الامر ، نعني ما يراه هؤلاء الباحثون من آمال في حضارة الغد ، حضارة الالة المتحررة من الالة ، حضارة الصناعة التي تهيء الظروف لحضارة الانسان ، حضارة

الفكر والفن والخلق .

فهل تصدق النبوءة الحلوة ؟ سؤال ضخم يحتاج الى صفحات طـوال . وحسبنا ان نقول بايجـاز ، ان جملة الوثائق والدراسات التي يقدمها اصحاب هذا الراي ، تشير الى ان الامل ممكن ، ان توافرت له شروط الرعاية. وما نريد ان نقوله خاصة ، هو ان خط التطور رهين دوما بادراك الانسان له وبارادته وعزمه على تحقيقه .

مصير الانسان لا يحدده الا الانسان

والخط الذي تومىء بـه الحضارة الآلية الحديثة لا يتحقق تحققا آليا ولا يأتي – شأن اى مطلب من مطالب الانسان – من تلقاء ذاته . والذي يحدد أخيرا خط التطور – بالاضافة الى عوامل التقدم الثقافي والاقتصادي التى يجعلها الباحثون تحدثنا عنهم عوامل حاسمة فى حضارة الانسان – موقف الانسان من هذا كله واستجابته وردود فعله. ومهما يكن خط العوامل الخارجة عن الانسان – ومن بينها عوامل الاقتصاد والتطور التقنى – كبيرا فى تحـديد مصير الانسـان ، فمن الصحيح أن مصير الانسان لا يحدده اخيرا الا هذا الانسان نفسه ، الا موقفه من العوامل التى تفعل فيه ، وتأثيره فيها الى جانب تأثره بها .

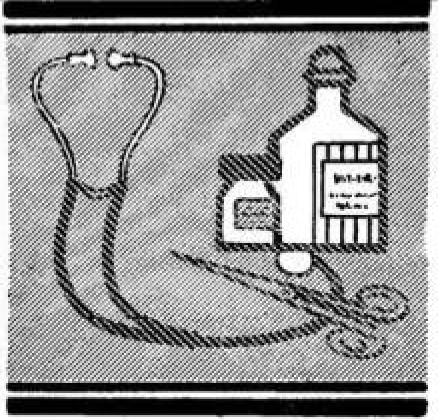
تداخل عوامل عدة فى تطوير الحضارات

ان النظرة الاقتصادية الضيقـة التى يقع فيها الباحثون الذين تحدثنا عنهم ، نظرة مرفوضة ، لا سيما عندما يكون البحث بحثا فى مستقبل الانسان وقيمة الانسانية . ومهما يكن شأن قوانين الآلة وقوانين الصناعة وقوانين الانتـاج والاستهلاك ، فانهـا جميعها لا تسمح بالنتيجة التي يريدها مثل «فوراستييه» حين يقرر ان التطـور الاجتماعى ليس سبب التطور الاقتصادى وانمـا هـو نتيجة له . ولقد زال الوقت الذى كانت تفسر فيه ظواهر الحضارة بعامل وحيد غالب ، هو العامل الاقتصادى او العامل الاجتماعى او العامل الثقافى . والتفسير الصحيح هو الذى يلجـا الى تداخل العوامل وتشابكها وسيرها فى خط افقي : فما هو اقتصادي يعمل فيما هو اجتماعى والعكس . وما هو ثقافى يعمل فيما هو اجتماعي واقتصادى والعكس .

ان حضارة الآلة قد تؤدى الى تحرير الانسان من الآلة وقد تكون المرحلة التى اجتازتها الحضارة الصناعية فى بدايتها حتى اوائل هذا القرن مرحلة انتقاليـة تمهد لحضارة الانسان الحقة . وقـد تكون حضارة الآلة على العكس دافعا الى التزيد مـن تحكم الآلة فى الانسـان ، واستعباد الاشياء للبشر . والذى يرجح الكفة هنا او هناك هو الجهد الذى يقوم به الانسان فى قلب هـذه الحضارة ، والسعي الذى يبذله من اجل تعميق قيم الانسان واهدافه ، من أجل الحفاظ على انسانيته .

ان تاريخ الحضارة – تاريخ الامس والغد – تفاعل بين العوامل الخارجـة عن الانسان الى حد ما ، وبين العوامل الانسانية الذاتيـة . وتظل العـوامل الاقتصادية والتقنيـة وغيرها – وان كانت من نتاج الانسان – شيئا خارجـا عن الانسان ، ويظل تطورها رهين موقفه منها ونشاطه تجاهها . وحضارة الآلة ليست قادرة على خلق حضارة الانسان، الا من خلال وعي الانسـان وتصميمه وبنائه . وحضارة الصناعة لن تـولد الفكر والفن والخلق ، الا بمقدار ما يضع فيها الانسان مـن قيم الفكـر والفـن والخلـق . على ان ايماننـا بالانسـان وبقيمه ، ايماننا بان مصيره مزيد مـن الوعي للقيم المثلى ومزيد من الاتصال بعالم المبادىء ، يجعلنا ، رغم كل شيء ، نؤمن بان هـذا الانسان قادر فى النهاية على تقليب حضارة الانسان على حضارة الآلة ، وعلى تشقيق حضارة الانسان من قلب الآلية والعبودية والصراع . ■■

عبد الله عبد الدايم



طبيب الأسرة

فى عين ابنى حول



ظهر الحول فى عين الطفل وعمره سنتان ، فلبس نظارة ، ثم كسرت أسنانه .

● ابني الصغير فى عينه حول ، وقد قيل لى انه قد يزول عند ما يكبر . والا فتصلحه عملية جراحية . وقد كبر ولم يتصلح حوله . واريد ان اطمئن على ان العملية سوف تصلح حوله .

ـ لا اجد جوابا على هذا احسن من صورتين اقدمهما لك ، صورة صبي اصابه الحول وهو فى نحو السنتين . ثم كان لا بد له بعد سنوات قليلة من لبس نظارة ، وكان منظره فى نظر ابويه غريبا فى هذا السن . ثم سقط وهو يلعب فاطار السقوط سنتين فى مقدم فمه ، فزاد منظره غرابة . اذن اجتمع عليه الحول ، والنظارة ، ومنظر الاهتم . ثم اجريت له جراحة فى عينه لما بلغ السابعة . وقامت الطبيعة بملء الخانات الخالية من مقدمة فمه ، باسنان جديده . وهذه هي صورته وهو فى التاسعة : صف من الاسنان كامل ، وعين بفضل الطب لا حوَل فيها . اطمئن ، فهذه الجراحة لاخطر منها على ابنك ، وناجحة ان شاء الله .



نفس الطفل ، فى سن التاسعة ، بعد عملية فى العين ، واصلاح اسنانه .

ازالوا حويصلة الصفراء لزوجي

● **اجروا لزوجي عملية جراحيةازالوا بها حويصلته الصفراوية . ثم اعادوه الى المستشفى ، وقيل لى همسا انه اصيب بالصفراوية . فهل تكرم بشرح شيء عن الصفراء ،والحويصلة والصفراوية وما الذى دعا الى ازالة الحويصلة . ثم ذلك الطارىءالجديد الذى طرأ بعدها .**

ـ سؤال يتضمن عدة أجوبة :

اما الامر الاول ، فمادة الصفراء ذاتها . انها مادة كثيفة مرة الطعم (تذكرك بمرارة الدجاج عند تنظيفه) لونها بين الصفرة والخضرة . وهى تتألف من الماء ، ومن مادة مخاطية ، ومن صبغتين بنية وخضراء ، ومن املاح حامضين غير بسيطى التركيب ، ثم من املاح معدنية . وتخرج الصفراء من الكبد فتجرى فى قنوات ، لتصب آخر الامر فى الامعاء ، او على الاصح والادق هى تصب فى الاثنى عشرى الذى يصل بين المعدة والامعاء . وتتصل بهذه القناة وهى فى طريقها الى الاثنى عشرى ، قناة الحويصلة الصفراوية . والحويصلة الصفراوية او كيس الصفراء هى مخزن للصفراء الفائضة تحتفظ بها الى حين الحاجة ، فتصب ما بها فى الاثنى عشرى .

وانصباب الصفراء فى الأمعاء متصل ، يتزايد عقب الطعام ، ثم بعد ساعات من ذلك عندما يهبط الطعام الى الأمعاء ويبدأ هضمه فيها .

والصفراء تعين فى هذا الهضم ، ولا سيما فى هضم الدهون التى يتعاطاها الانسان ، وهى كذلك تساعد الأمعاء على امتصاص المهضوم من الطعام ، وتمنع تكاثر البكتير فى الأمعاء .

والذى تفرزة الكبد من الصفراء يبلغ ما بين نصف لتر الى لتر فى اليوم ، ولكن اكثر هذا المقدار تمتصه الأمعاء مع الطعام ، ويدخل الدم ، ويدور فيه ، حتى اذا وصل الى الكبد ، زودته بالجديد من الصفراء ، وتعود تفرزه وتصبه فى الأمعاء مرة أخرى ، وهلم جرا .

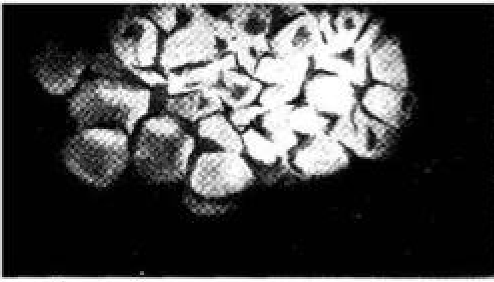
انا فوق الخمسين ، وقد اضر بي الجلوس الى التلفزيون

● **انا رجل قاربت الخمسين ، وانا قليل الحركة ، وقد اضر بي الجلوس مع الاسرة كل مساء تنظر الى الشاشة التلفزيونية ، فهل تغنى الرياضة الجثمانية ، أم قد فات أوانها ؟**

ـ الرياضة الجثمانية لا يفوت أوانها ابدا ، الا اذا مرض الانسان ، وذلك لأن الرياضات صنوف وانواع ، منها الثقيل ومنها الخفيف ، كالطعام تماما ، يختار الانسان منها ما يتفق وحالته ، وقدرته .

والمشى ، وهو ابسط الرياضيات ، وأرخصها ، ميسور لكل الانسان . ربع ساعة منه فى المساء او فى الصباح ، أو وانت غاد الى العمل ، او وانت رائح عنه ، يحفظ على الجسم الكثير من صحته .

اما ازالة الحويصلة الصفراوية او الكيس الصفراوى فسببها عادة التهاب تلك الحويصلة أو تكوّن الحصا فيها . والحصا يتكون من تفاعل الصبغة مع ما فى الصفراء من عنصر الجير ، أو من مادة الجسم المعروفة بالكولستيرول . ويكون صغيرا كحب الرمل واذن قد تحتوى الحويصلة على بضع مئات منه ، أو يكون كبيرا ، وعندئذ قد لا يتألف الا من حصوة واحدة فى حجم البيضة الكبيرة .



مجموعة الحصوات فى الحويصلة الصفراوية

اما اصابة زوجك بالصفراء من بعد جراحة فسببها انسداد القناة الصفراوية من بعد جراحة . واذن يتوقف انصباب الصفراء فى الأمعاء ، واذن لا تجد له طريقا الا أن تدور فى الدم فتظهر الصفرة اول ما تظهر فى بياض العين ، ثم فى الوجه وسائر جلد الجسم .

والجراح عادة يتأكد من عدم انسداد هذه القناة ، مستعينا بأشعة س ، وذلك بحقن القناة بمادة تظهر فى الأشعة ، على شاشتها المتفلورة فتراها العين . فان رأت العين ان هذه المادة قد دخلت الى الأمعاء دون عائق ، اطمأن الجراح الى حال المريض . ويسمى هذا الاختبار فى الطب ب Choledochogram .



بعد ازالة الحويصلة الصفراوية ، تحقن قنوات الصفراء بمادة ، بواسطة الانبوبة الظاهرة فى الصورة ، تظهر بها حدود هذه القنوات فى أشعة س .

وفى الأمم التى نمت ، مدارس خاصة للكهول والأشياخ ، يحضرونها عادة فى المساء ، بعد الفراغ من العمل ، يقومون فيها بشتى التمارين ، على مستويات عدة . ويدخل هذه الفصول من الناس كل الأصناف ، من مديرى الاعمال ، الى كتاب الحسابات والمكاتب . كلهم فى ساحة الرياضة ، وهى واسعة مسقوفة ، سواء ، وفيها الأطباء لمن أراد ، يمتحنون الطلاب ، ويصفون لهم الألعاب المناسبة .

وانى ذاكر لك رأيا للأطباء اخيرا ، عن أولئك الرجال الذين يصابون بداءات القلب . قالوا ، من تجاربهم ، ان الرجل منهم ، ذا الحركة المتصلة ، التى لا عنف فيها ، تضمن له الحركة حياة اطول مما يضمن القعود والجلوس ، وقلة الحركة .

هذا فى المرضى .

فكيف بأصحاء الاجسام ، ولو على الكهولة ، ولو على الشيخوخة . وقديما جرى المثل يقول : كل حركة ، بركة .

■■

اعرف وطنك أيها العربي

القناطِر الخَيرِيَة

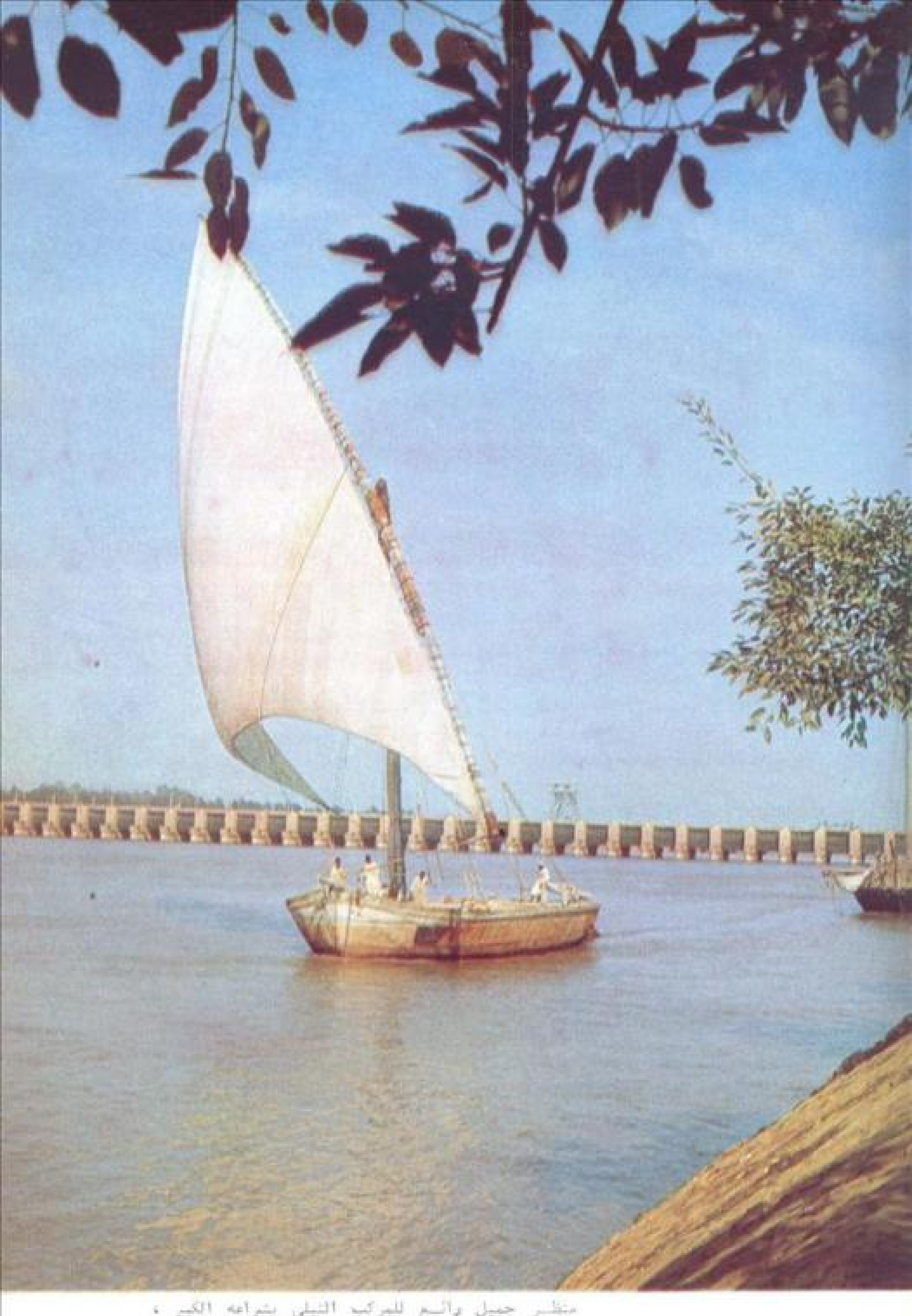
قام بهذا الاستطلاع سليم زبال

وصوره «أوسكار»





الى اليمين : الاوتوبيس النهري ، ينقل الركاب من امام فندق سميراميس الى القناطر الخيرية في ساعة وربع ،



منظر جميل رائع للمركب النيلي بشراعه الكبير ، يمر من أمام القناطر الخيرية ، التي كانت أول السدود الكبرى المبنية على النيل ..

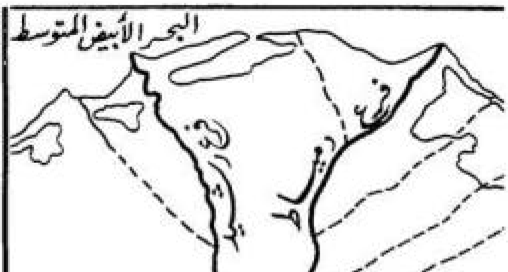
■ القناطر .. كلمة تعني عند الكثيرين : ارضا مستوية خضراء يقصدها بعض سكان القاهرة لقضاء يوم من عطلتهم الاسبوعية ..

قد يكون هذا المفهوم صحيحا ومنطبقا على الماضي .. اما الحاضر فيختلف كلياً عن هذا الماضي ..

لقد مرت منطقة القناطر بفترة نوم طويلة ، عانت خلالها تأخرا واهمالا كبيرين .. فلم يكن هناك مسئول يدافع عنها ، او يعمل على اصلاحها، او حتى يسعى لتجميع اجزائها المقسمة بين ثلاث مديريات تقسيما عجيبا يفرضه فرعا النيل : فالمنطقة الوسطى تتبع مديرية المنوفية ، والمنطقة الغربية تتبع الجيزة ، والمنطقة الشرقية تتبع القليوبية !! وكان اى اصلاح فى المنطقة يستوجب روتينا حكوميا مطولا للحصول على موافقة المديريات الثلاث !

وظلت القناطر ، تقاسي الامرين من هذا النظام الذى جعلها تعيش بدون مستشفى ، او مركز شرطة ، ناهيك عن بقية النواقص .

ولكن بالرغم من كل ذلك كان موقعها السياحي الفريد ، ونسيمها العليل ، وما تمتاز به من هدوء كل هذا كان يفرضها على اهل الحل والربط مكانا مناسبا لكل اجتماع رسمي يحتاج الى التروى ، بعيداً عن ضجيج العاصمة .



دلتا النيل بفروعها السبعة ، كما ذكرها الجغرافي القديم اصطرابون

حادث تصادم ينقذ المدينة

وفى عام ١٩٥٨ وقع حادث تصادم لشخصية كبيرة معروفة ، من جراء فجوة فى الطريق .. فطار الخبر الى جميع المسئولين .. وكان هذا الحادث شعاعا قويا سلط على الوضع المظلم الذى كانت تعيش فيه القناطر ، وفى الحال صدرت الاوامر بضرورة اعادة تخطيط البلد واصلاحها ..

وبينما كان المهندسون يرسمون ويخططون صدر نظام جديد للحكم المحلي فى عام ١٩٦٠. اعيد على أثره تنظيم البلاد من حيث تقسيمها الى مديريات، سميت بناء على هذا التنظيم الجديد بالمحافظات .. وعندما جاء دور « القناطر » فى هذا التنظيم نظروا اليها نظرة خاصة ، فوحّدوا مناطقها الثلاث وضموها جميعا الى محافظة واحدة بدل ثلاث ، هى محافظة القليوبية ..

ولم يكتف بهذا ، بل صدر بعده مباشرة قرار وزارى يعلن مولد مدينة القناطر الخيرية باقسامها الثلاثة المجتمعة ..

وهكذا دخلت المنطقة عهدا جديدا بعد مضي اكثر من مائة عام على وضع حجر اساس قناطرها فى عهد محمد علي ، والى مصر ، فى عام ١٨٤٧ .

النيل يفقد وحدته عند القناطر

كان النيل يجرى من منبعه الى مصبه دون ان يوقفه واقف ، او يسد مجراه حاجز ..

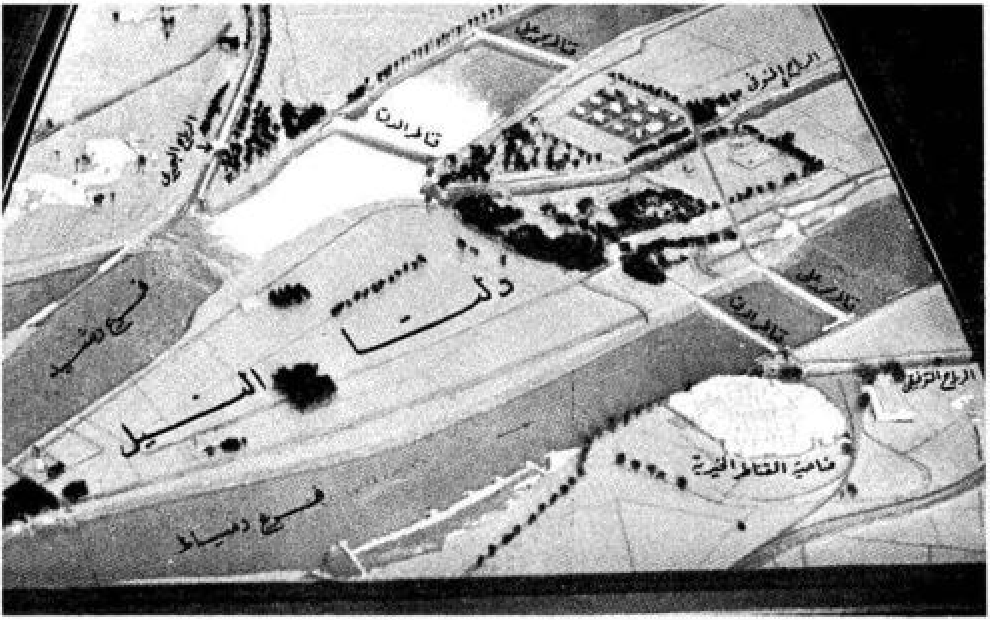
والنيل هو اكثر انهار الدنيا طولا (٦٠٠٠ كيلو متر) ، ولكنه ليس اغزر الانهار ماء ، فهو يمر بمناطق ذات مطر غزير الى مناطق عديمة الامطار .. ويقطع رحلته هذه فى ١٥٠ يوما .

لكن النيل وما يكاد يفوت اكبر مدينة فى مجراه (القاهرة) ويصل الى القناطر ، حتى يفقد وحدته فينقسم الى فرعين كبيرين : فرع دمياط ، وطوله ٢٤٢ كيلو مترا ومتوسط عرضه ٢٧٠ مترا . وفرع رشيد ، وطوله ٢٣٦ كيلو مترا ، وهو اكثر حركة واتساعا اذ يبلغ متوسط عرضه ٥٠٠ متر .

كانت سبعة فروع

وفى قديم الزمان كان النيل يتفرع الى سبعة فروع ، ذكرها الدكتور محمد عوض محمد فى كتابه « النيل » بقوله :

« ذكر الجغرافى القديم اصطرابون ما لا يقل





خريطة مجسمة للقناطر الخيرية .. فى الوسط دلتا النيل ، ويطلقون على الجزء الامامى منها اسم جزيرة الشعير ، وعلى الضفة الشرقية منازل ضاحية القناطر ، وعلى الضفة الغربية منطقة المناشى ، التى أصبحت ضاحية من مدينة القناطر الخيرية. وظهرت كذلك الرياحات الثلاثة ، والقناطر القديمة والحديثة، المقامة على فرعى دمياط ورشيد .. والى اليسار خريطة تبين موقع القناطر الخيرية على النيل ..

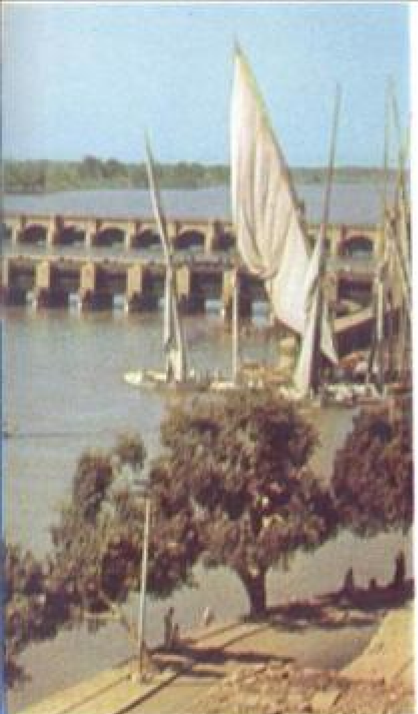
عن سبعة مصبات مختلفة للنيل هي : البيلوزى Pelusiac والتنيسى Tanitic والمنديزى Mendesien وفاطميك Phatemic وهو مطابق لفرع دمياط الحالى . وسبينيتيك Sebennetic ، وبلبتى Bolbitic وهو مطابق لفرع رشيد الحالى ، والكانوبى Canopic .

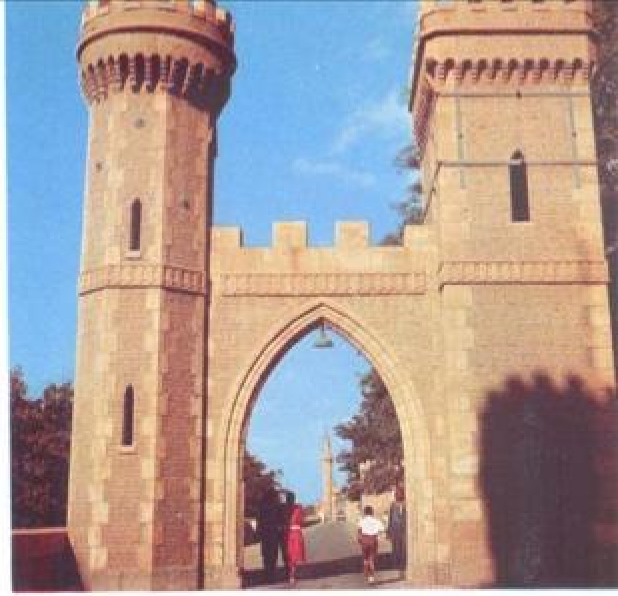
« تلك هي المصبات القديمة كما ذكرها اصطرابون وقد زاد عليها بطليموس فرعا آخر بين دمياط والبرلس .

« وقد تغير الحال بعد ذلك فزال الكثير من تلك المصبات .. ويعللون هذا الزوال بتحركات فى القشرة الارضية سببت ارتفاعا فى شرق القطر المصرى . ولهذا السبب نفسه يعزى صغر حجم فرع دمياط بالنسبة لفرع رشيد » .

وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون فى عدد الفروع القديمة ، فقال هيرودتس انها خمس شعب ، أما الادريسي فعدها ست شعب فقط !

ومع مرور الزمان تركزت هذه الفروع فى الفرعين الموجودين حاليا : دمياط ورشيد .. وبينهما دلتا

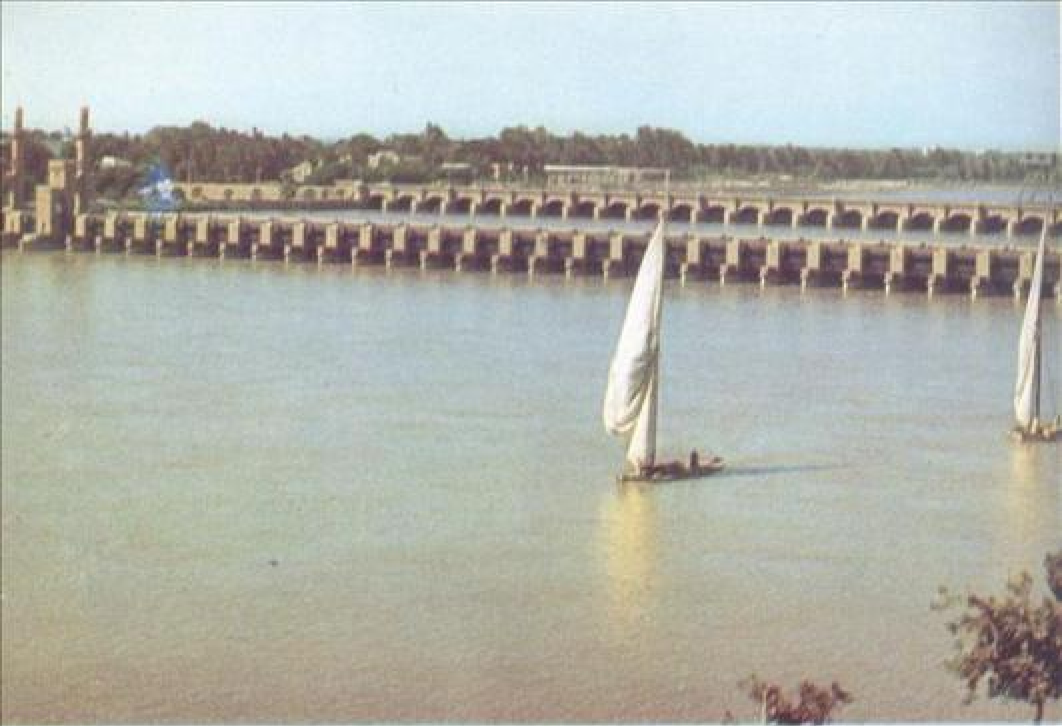




روعى فى بناء القناطر الطابع الذى كان سائدا وقت انشائها ، وهو الطابع الحربى الذى يتطلب القلاع . لذلك تضمن تصميمها ابراجا عالية عند مداخلها يمر من تحتها كل من أراد التوجه الى حدائق القناطر ..

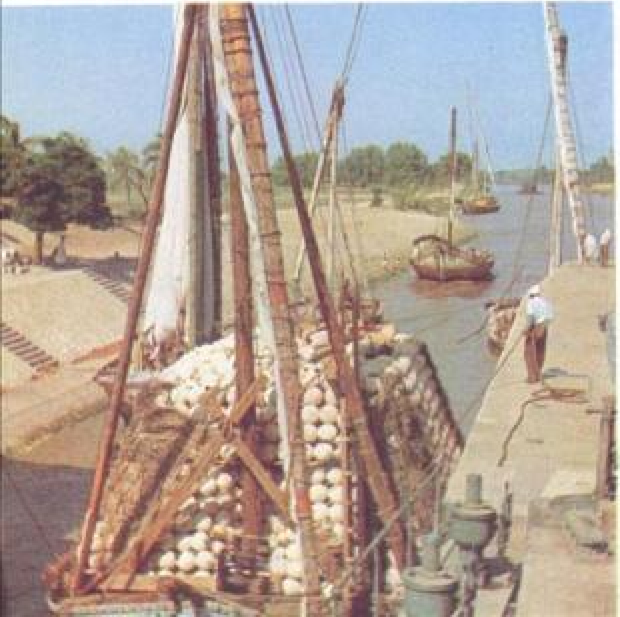


نظرة تأمل واعجاب .. أمام القناطر القديمة التى أصبحت تستعمل كجسر عادى يربط بين شفتى النيل الخالد .



منظر جميل يجمع بين القناطر القديمة التى بدأ بناؤها عام ١٨٤٣ ، والقناطر الجديدة التى تبعد عنها نحو ٢٧٠ مترا فقط ، والتى تم بناؤها عام ١٩٣٩ لتأخذ مكان القناطر القديمة .

الى أسفل : تمر يوميا من « أهوسة » القناطر نحو ٥٠ سفينة نهرية متجهة من الجنوب الى الشمال ، محملة ببضائع الصعيد ، وأهمها الجرار « والقلل القناوى » أى المصنوعة فى محافظة قنا .





النيل ، اخصب مناطق العالم المعمور .. والتي من أسمها « الدلتا » سمى مصب كل نهر من هذا النوع، اى له فرعان،بينهما حرف الدال.

الدلتا ترتفع مترا .. كل ٧٧٠ عاما

وتربة هذه الدلتا ، تربة غرينية نقلها النيل معه فى رحلته الطويلة من الحبشة ليتركها عند مصبه هناك .

وهذا الغرين يرتفع بارض الدلتا مترا كل ٧٧٠ عاما ، وبما ان مستوى الارض حاليا هو ثمانية عشر مترا ، فان تكوين الدلتا يظهر انه قد تم فى نحو ١٣٨٦٠ عاما على الاقل .. !

نابليون يحلم بالنيل

وادرك الفراعنة والرومان ونابليون اهمية النيل . قال الاخير : « النيل بمصر رسول خير.. والصحراء رسول شر،والاثنان حاضران علىالدوام» ودرس نابليون فكرة اقامة السدود والقنوات ، وظلت هذه الفكرة تراوده حتى فى منفاه بجزيرة سانت هيلانه ، فكتب الكثير عن قنوات الرى والسدود التى يقترح اقامتها على النيل « لتنتشر الحضارة فى افريقيا » .

القطن والقناطر

ثم جاء محمد علي ، فتوسع فى زراعة القطن فى الدلتا .. ولكن انخفاض مياه النيل تسعة شهور فى السنة جعل محمد علي يفكر فى رفع مستوى المياه عن طريق اقامة سد يقام عند رأس الدلتا ..

حجارة الاهرام للقناطر

ويروى اميل لودفيغ Lodwig اسرار هذه الحقبة من التاريخ فى كتابه القيم عن « النيل » ، الذى ترجمه عادل زعيتر فيقول : « عنّ لمحمد على فكرة جائرة فى بدء الامر ، عنّ له سد شعبة للنيل سدا نهائيا ، لكيلا يجرى الى غير دمياط ، وقد اثبت له الفرنسى لينان تعذر ذلك ، وابان له أن الاسكندرية تحرم الماء العذب بذلك .. وهنالك قرر أن يقيم سدودا على شعبتي النيل مستعينا بحجارة الاهرام الكبرى ..!! وهو لم يترك هذا المشروع عن شعور فني ، وانما عدل عنه لما يوجبه النقل من نفقات كثيرة .. »

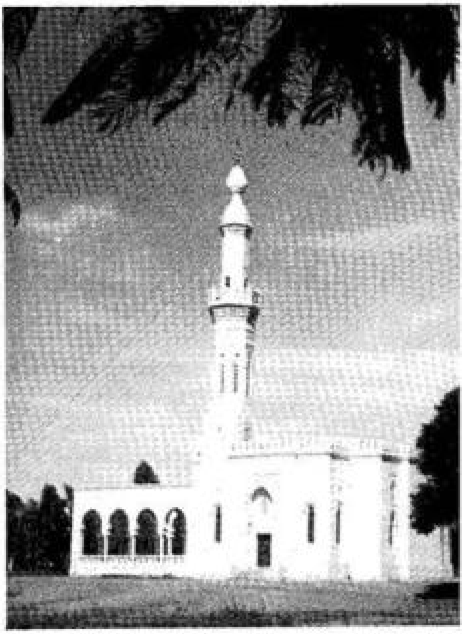
« وتطول مدة انشاء « سد النيل » لا لما يتطلبه من نقود كثيرة ، ما دام يؤخذ ما يحتاج اليه من العمال قسرا ، بل لما انتشر من طاعون ، ثم لما كان من قتال السلطان ، ثم لما كان من انتقاد المهندس الجديد للمشروع الاول ، وعدم وضعه ما هو احسن منه .. »

« ومحمد على لم يضع أول حجر للسد وفق مشروعه الثانى او الثالث الا فى عام ١٨٤٧ أى فى أواخر حياته .. »

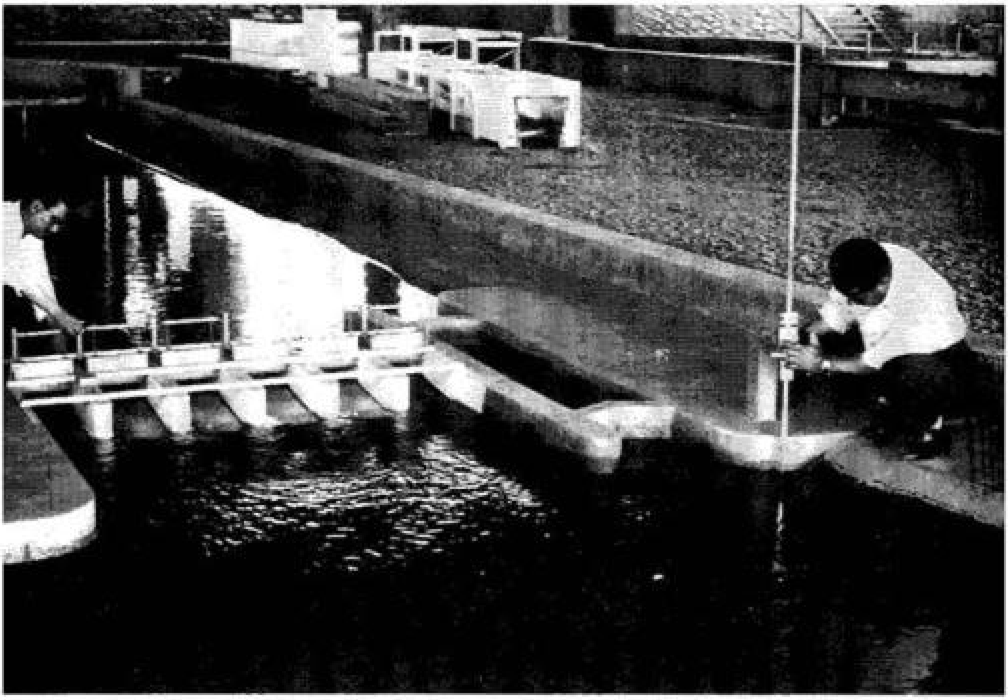
وان يكن الاستعداد لانشاء هذه القناطر ، التى أسموها « قناطر الدلتا » قد بدأ منذ عام ١٨٤٢، فانه لم ينته بناؤها الا فى عام ١٨٦٠ فى عهد الخديوى محمد سعيد باشا .

حفر الرياحات

وقد ظهرت ، بعد انتهاء بناء القناطر ، عيوب كثيرة فيها ، جعلت الانتفاع بها جزئيا ، حتى تمت تقوية اساساتها على مراحل انتهت فى عام ١٨٩٠ .



تضم القناطر ثلاثة مساجد ، يؤمها الاهالى وتكتظ بزوار المدينة . وهذه صورة لاحدث هذه المساجد وقد تكلف بناؤه ٢٥ الف جنيه .



التجارب لا تخطىء : فى محطة التجارب والبحوث تجرى التجارب الهيدروليكية على نماذج صغيرة لمشاريع الرى المقترحة . وتعمل هذه المحطة منذ عام ١٩٤٩ ويقول مديرها : « لتفسير الادوار التى تمر بها حركة المياه ، ينبغى أن نستعرضها بالتجربة أولا ، لتبرر التعليل بعد ذلك . فالتجارب لا تخطىء البتة ، وانما الخطأ يأتى من التقدير والتكهن بالنتائج المنتظرة » .

وفى نفس الوقت الذى كانت قناطر الدلتا تبنى فيه ، كان العمل يجرى فى حفر الرياحات الثلاثة : التوفيقى والمنوفى والبحيرى ، وهى الترع الكبيرة التى تقرر أن تأخذ مياهها من أمام القناطر مباشرة لتغذى شرق الدلتا ووسطها وغربها على الترتيب ...

قنطرتان

وقناطر الدلتا ليست قنطرة واحدة ، بل قنطرتين : واحدة على فرع رشيد ، والاخرى على فرع دمياط .

الاولى بها ٦٣ عينا عرض كل منها ٥ أمتار ، وعند طرفها « هويسان(١) » عرض الايمن ١٥ مترا والايسر ١٢ مترا .

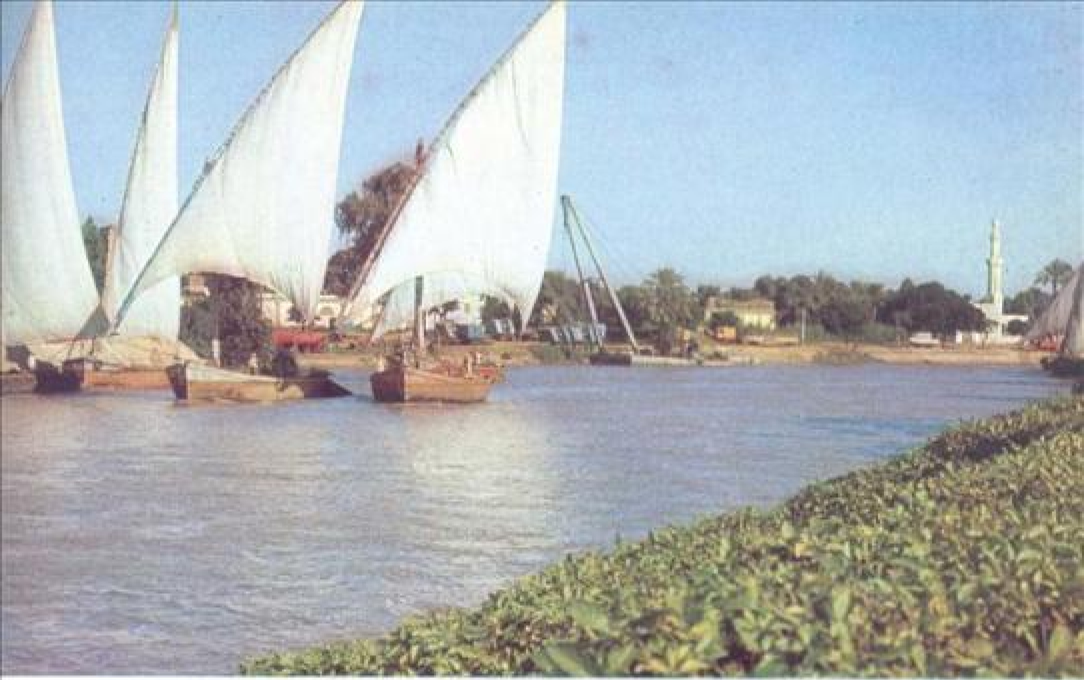
والثانية ، أى قناطر دمياط ، بها ٧١ عينا عرض كل منها ٥ أمتار .. وبها هويس واحد ، بالجهة اليمنى ، عرضه ١٢ مترا .

وقد بلغت تكاليف بناء قناطر الدلتا وتقويتها ٢٧٨٥٠٠٠ جنيه مصرى ، فى ذاك الوقت ، وتطلب العمل ازالة مليون متر مكعب من الاتربة ، واستعمال ١٥٠ ألف متر مكعب من الخرسانة ، واقامة ٢٠٠ ألف متر مكعب من المبانى ، و٣ الاف طن حديد ، لبناء القناطر وأساساتها ..

لماذا اقيمت القناطر ؟

ان الهدف من بناء القناطر لم يكن لحجز الماء أثناء الفيضان ، بل لرفع منسوب مياه النيل عندما ينتهى الفيضان ، وذلك الى المنسوب الذى يتناسب مع مستوى الرياحات فيغذيها بالماء ، لتغذى هى بدورها الاراضى الزراعية .. واعتبرت القناطر لفترة طويلة ، أكبر عمل هيدروليكي مائي

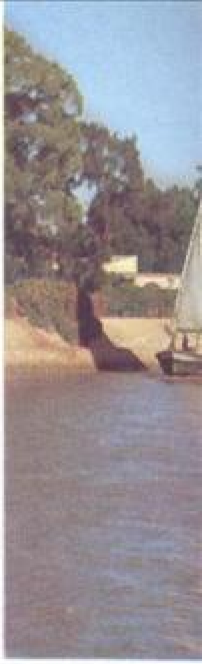
١ — والهويس هو بيت ماء ، بين مستويين مختلفين من الماء ، يعدل مستوى الماء فيه لتدخله السفينة ، ثم يغلق وراءها الباب . ويفتح الباب لها من ناحية المستوى المائي الآخر .



يتفرع النيل من أمام القناطر الى ثلاثة فروع غير فرعي رشيد ودمياط تعرف بالرياحات ، وهي الرياح التوفيقي والرياح المنوفي والرياح البحيري.. وتأخذ هذه الرياحات مياهها من امام القناطر مباشرة لتغذي شرق الدلتا ، ووسطها ، وغربها على الترتيب .. والصورة العليا هي للرياح التوفيقي ..







متحف الرى فى القناطر الخيرية .. متحف متواضع يحوى مجموعة كبيرة من الصور لمختلف أعمال الرى .. أما النماذج الظاهرة فهى لمحطات كهرباء طلخا والمنصورة وبلقاس ... الخ .

الى اليمين : المدخل المؤدى الى القناطر ، والحدائق .. **والى أسفل** : منظر التقط فوق القناطر الخيرية القديمة التى أصبحت تستعمل للمرور





في العالم ، وكانت أول مشروع كبير يبنى لحبس مياه النيل .

من الاسلوب الفرعوني الى الاسلوب الحديث

وقد أحدثت هذه القناطر انقلابا في طريقة ري أراضي الوجه البحري، التي تحولت من استعمال اسلوب الفراعنة ، اى الري باطلاق الفيضان في الاحواض دفعة واحدة للحصول على محصول سنوي واحد ، الى نظام الرى الصيفي الحديث، الذي تستطيع الارض بفضله ان تنتج محصولين ، أو ثلاثة في السنة ، احدهم محصول القطن الثمين ..

ودارت الايام ، وبدأت المنطقة المحيطة بهذه القناطر تشهد تحولا وحركة وانتعاشا .. وخاصة في منطقة وسط الدلتا ، حيث شيدت الفيلات على أحدث طراز ، لسكنى موظفي الري ، وكانوا في بادىء الامر من الاجانب ، فشقت الطرق ، واقيمت لهم الحدائق الخاصة .. وشيد للوالي استراحة خاصة له في هذه البقعة الرائعة ... وعمدت وزارة الاشغال الى زراعة الاشجار .. وفرشت الارض بالحشائش الخضراء ، وظهرت مزارع ثمر المانجو الذى نجحت زراعته هناك نجاحا مذهلا .

قناطر جديدة ..

وفى عام ١٩٣٤ وبعد أن تم بناء خزاني أسوان وجبل الاولياء ، أريد زيادة الحجز على القناطر الخيرية ولكنها لم تستطيع تحمل اى ضغط جديد .. ونشأ عن هذا تفكير في بناء قناطر جديدة ..

ولم يستمر التفكير طويلا ، اذ سرعان ما بدأ العمل في بناء القناطر الجديدة في عام ١٩٣٦ لينتهي بعد ٣ سنوات فقط ..

وكانت القناطر الجديدة ، المسماة قناطر محمد علي ، مثل القناطر القديمة . قسم منها أقيم على فرع دمياط ، على بعد ٢٧٠ مترا من القناطر القديمة ، وبه ٣٤ فتحة عرض كل منها ٨ أمتار ، وهويس وعرضه ١٢ مترا . وقسم ثان اقيم على فرع رشيد بعيدا مسافة ٨٤٠ مترا من القناطر القديمة وبه ٤٦ فتحة بعرض ٨ امتار وهويس مثل هويس قناطر فرع دمياط .

وجميع هذه الفتحات تغلق عادة في شهر مارس وابريل ومايو ويونيو لترفع مستوى المياه ... ولكن ما تكاد مياه الفيضان تحل حتى تفتح جميع الابواب خوفا من اكتساح المياه للقناطر كلها ..

القناطر القديمة للمرور فقط

وقد كسيت الجدران الخارجية للقناطر الجديدة باحجار الجرانيت ، وبلغت تكاليفها ٢٤٠٠٠٠٠ جنيه .

وهكذا استغنى عن القناطر القديمة التى اصبح استخدامها قاصرا على أغراض المرور .. ولم يعد يحجز الماء امامها الا في الحالات الطارئة ، التى تستدعى اصلاحا في القناطر الجديدة ..

الصورة الشاحبة تتغير

ورغم الانتهاء من قهر النيل واخضاعه لسطوة الانسان ظل حال الساحل عند هذا الموقع الفريد متدهورا .. فمياه النهر لا تعكس سوى صورة شاحبة للحياة عند « بطن البقرة » أو رأس الدلتا .



محطة ابحاث النباتات الطبية ، وبها مزارع لتجربة زراعة النباتات التى لا تزرع فى الجمهورية العربية المتحدة ، لمعرفة مدى صلاحيتها للزراعة في أرض الجمهورية .. وعلاوة على هذا تزرع فيها النباتات التى تستعمل في معمل التقطير للزيوت الطبية .



استمرت القناطر القديمة فى اداء رسالتها حتى عام ١٩٣٩ وبعدها بدأت القناطر الجديدة ، فى القيام بأعمالها . وهذه صورة تذكارية تبين العمل فى القناطر الجديدة . الذى بدأ فى عام ١٩٣٦ وانتهى عام ١٩٣٩ ، وكان متوسط عدد الذين يعملون ٧٦٠٠ عامل فى اليوم الواحد . يزدادون فى بعض الايام الى ١٣٦٠٠ عامل ..

ولكن الصورة الشاحبة بدأت تزهو وتتبدل .. فثمة نشاط كبير ملحوظ بدأ يطرأ علىالمنطقة التى أصبحت تسمى مركز القناطر الخيرية ، ويضم هذا المركز مدينة القناطر و ١٨ قرية ، مجموع سكانها حوالى ٤٠ ألف نسمة .

واصبح « للقناطر » مجلس مدينة هو المسئول المباشر عن تجميلها ، والنهوض بها ..

طريق الكورنيش ..

والوصول الى القناطر يتم عبر طريقين : برى .. او نهرى ..

والطريق البرى يبدأ من القاهرة بالسير على طريق الكورنيش القاهرى البديع ، فتمر فيه على مناطق شبرا وروض الفرج .. ولكنك سرعان ما تجد نفسك أمام مباني مصانع الزجاج والنسيج التى تسد عليك طريق الكورنيش فتضطر للتوجه شرقا لتصل الى القناطر بعد ان تكون قد قطعت ٢٥ كيلو مترا من القاهرة .. اما اذا امتد الكورنيش طبيعيا محاذيا للنيل فلن تزيد المسافة عن ١٥ كيلو مترا فقط .. ويقال انوزارة الاسكان قد أقرت مشروع مد الكورنيش ونزعت ملكية بعض المبانى ، تمهيدا لمد الكورنيش فى اتجاهه الطبيعى الى القناطر ، وبهذا لن تشعر انك تركت القاهرة ، لان السيارة سوف تقطع الـ ١٥ كيلو مترا فى ١٥ دقيقة فقط !

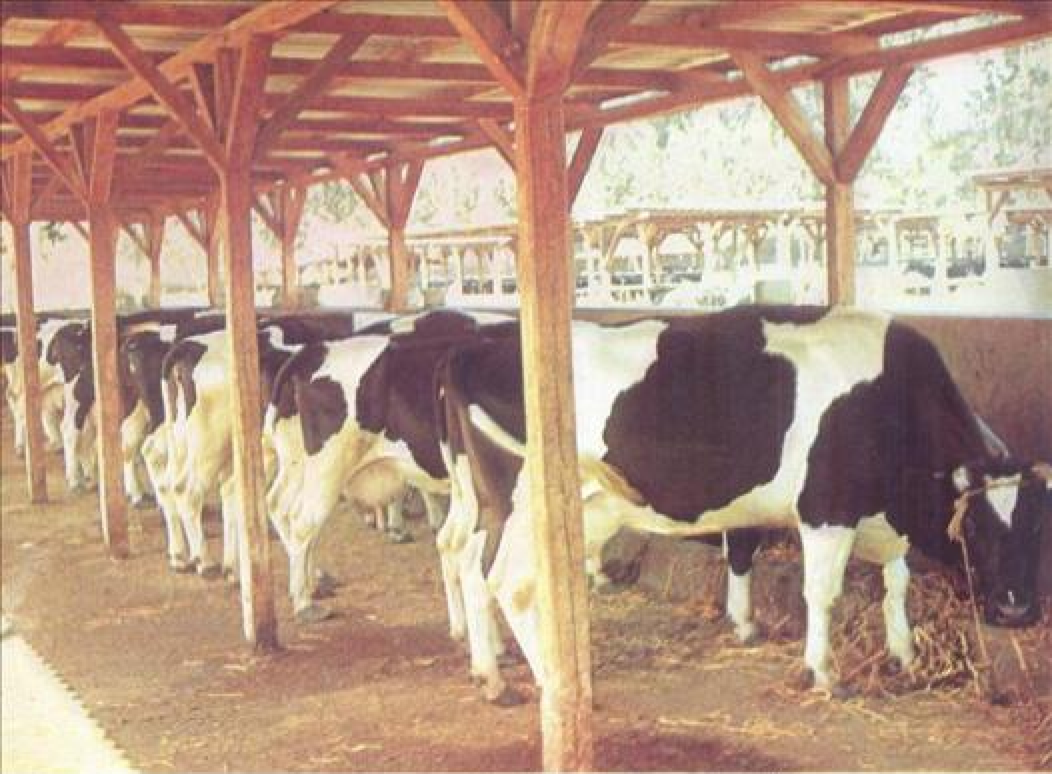
.. وطريق النهر

اما الطريق النهرى فيبدأ من امام فندق



تقع مزرعة الدواجن النموذجية في جزيرة الشعير بالقناطر الخيرية ، وفي هذه المزرعة تربى السلالات الأجنبية للدواجن المستوردة من الخارج لتسمينها، وجعلها تتأقلم على مناخ البلاد قبل توزيعها على القرى والفلاحين .. وفي الصورتين العليا والسفلى مجموعتان من بط بكين، ودجاج رود أيلند .





تضم القناطر الخيرية اكبر مركز لانتاج طلائق « الفريزيان » .. والفريزيان نوع ممتاز من الابقار الهولندية ، استورد منه ٢٤٠ عجلة عشار و ٣٧ ثورا في عام ١٩٥٨ . ومنذ هذا التاريخ والمركز يوزع النتاج على الوحدات المجمعة لاستعمالها في خلط الفصيلة البقرية المحلية لرفع كفاءتها بالنسبة لكل من اللبن واللحم .. ومما يذكر ان متوسط ادرار البقرة الهولندية الواحدة من اللبن هو ٢٠ كيلوجراما في اليوم، بينما متوسط ادرار البقرة المحلية لا يزيد عن ٢١/٢ كيلوجراما في اليوم الواحد!



الى جانب البط والدجاج والبقر تربى أنواع مختلفة من الارانب . ترى منها هنا مجموعة جلبت من المانيا وهولندا وفرنسا لتربيتها في القناطر ، قبل توزيع نتاجها على مختلف ارجاء الجمهورية .



رئة القاهرة : تعتبر حدائق القناطر ، ومساحتها ٢٥٠ فدانا ، بمثابة رئة تتنفس منها القاهرة التى اكتظت بالمبانى حتى أصبحت نسبة حدائقها لا تتناسب مطلقا مع نسبة النمو المطرد فى السكان الذين يقصدون القناطر لقضاء وقت طيب فوق أرضها الخضراء .

سميراميس عند كوبرى قصر النيل حيث تنتظر ٧ أوتوبيسات نهرية تحمل مختلف الاسماء مثل جميلة ، وشهرزاد ، وعلى بابا ، وآمون ، وعمر الخيام ..

انالرحلة بالاوتوبيس النهرى تكلفك ١٠ قروش لينقلك اللنش فى رحلة نيلية رائعة تستغرق ساعة وربع ساعة حتى تصل القناطر .. وهناالطريق آخر يبدأ من منطقة روض الفرج على كورنيش النيل ، تنطلق منه السفن النهرية العادية .. وننصحك أن تذهب بالطريق النهرى، لان مدخل القناطر البرى الذى نزعت ملكية اغلب مبانيه تمهيدا لهدمه واعادة تخطيطه لا يسر احدا .. وحتى يتم مشروع تجميل مدخل القناطر البرى فان طريق النهر هو المفضل فهو يؤدى مباشرة الى الحدائق التى هى متعة الناظر .

نصف مليون زائر

وهذه الحدائق ما هى الا مسطحات خضراء كبيرة ، مساحتها ٢٥٠ فدانا ، يقبل اليها ١٠ آلاف نسمة من سكان القاهرة كل يوم جمعة وأحد ويرتفع الرقم الى ١٠٠ ألف فى عطلة الاعياد .. أما الموسم الحقيقى للقناطر فهو يوم « شم النسيم » ففيه يأتيها نحو نصف مليون نسمة ..

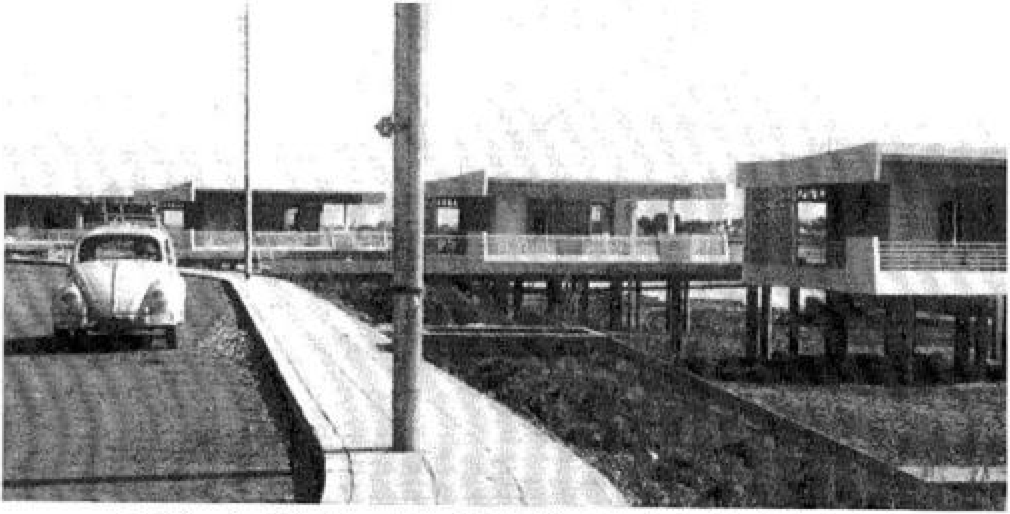
ما اكثر السعداء

ان هذه الحشود تقصد القناطر ومعها أكلها وشربها ووسائل تسليتها ، والسعيد من الزوار هو الذى يجد مكانا تحت ظل شجرة .. وما أكثر الاشجار فى القناطر ! .. وتجلس العائلة فتفرش المفرش أو الملاءة البيضاء على الارض ، وتبدأ فى اخراج ما أحضرته معها من زاد .. وتفاجأ العائلة بالجناينى الذى يمسك بخرطوم الماء يريد رش المنطقة التى يجلس عليها الناس بالذات .. وبعد تفاهم ينسحب الجناينى راضيا ..

الكاديلاك فى القناطر

ويلعب الكبار « طاولة الزهر » بينما السيدات يطهين القهوة فوق « بابور اسبرتو » ... ويهرع الصبية مع الصبايا الى محطة « الكاديلاك » فيستأجرون « الكاديلاك » بخمسة قروش لمدة نصف ساعة يتجولون به حول الحدائق !!

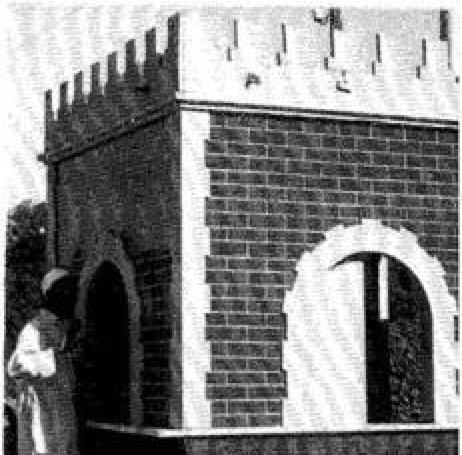
والكاديلاك هنا لفظ يطلقونه مجازا على الحمار .. وعلى عربات الخيل الصغيرة ، وحتى على « الفلوكة » اى المركب ، الذى تستقله العائلة فى رحلة نهرية جميلة لمشاهدة مختلف معالم القناطر من البحر ..



شاليهات فى اجمل بقعة على النيل ، يمكنك استئجارها بثمن معتدل لتقضى اسبوعا فى جو شاعرى هادىء .. وهى مزودة بجميع ما يلزم من وسائل الراحة الحديثة فتحتوى على غرفة نوم واحدة وتليفون ، وصالون ومطبخ .. انها تجربة ناجحة يقوم بها « مجلس المدينة » النشيط

موكب الحياة

وما تكاد تمر الساعة حتى يعود الجميع الى



تنبه أعضاء مجلس المدينة الى متاعب الباعة المتجولين ، فأقاموا لهم أكشاكا لها طابع القناطر ، مزودة بالكهرباء والماء وموقد للغاز ، ويعفى البائع من ايجار الاشهر الستة الاولى ، وبعدها يدفع جنيها ونصفا كايجار شهرى .

قاعدتهم تحت الشجرة فيجتمعون ثانية .

ويتجه الشباب الى طرف منعزل فيبدؤون فى دق الطبلة ، ثم يقف احدهم ويرقص « عشرة بلدى » على صوت الدق والغناء والتصفيق ، ويشتد الحماس ، فيشترك معه شاب آخر فى الرقص .

ثم يبدا الناس فى تناول الطعام ويحس الباعة الاذكياء بانها فرصتهم فترتفع أصواتهم بالنداءات اللطيفة وهم يمرون الواحد تلو الآخر من امام الزبائن ، فهذا ينادى : « مين عطشان ، مثلج .. ساقعة القازوزة » ويتبعه بائع « المشوية العجمية .. بطاطا عسل أبيض زبدة .. بطاطا سخنة » . ويمر آخر حاملا صندوقا صغيرا فيقول : « أيوة السجاير .. الشيكولاته .. اللبان .. كورونة بالبندق .. لب اسمر .. فول سودانى » . ثم تاتى بائعة البلح : « البلح الرملى عال . يا عسل يا ملبن .. » أما بائع السميط فله معرفة بزبائنه من الاطفال والنساء ، وله نداؤه الخاص المعروف : « سميط .. جبنة .. بيض، طازة السميط .. »

ثم ياتي بائع العرقسوس بوعائه الكبير يعلن عن نفسه بدق صاجاته ، فتمتد الايدى ويميل الوعاء الكبير فتمتلىء الاكواب بالشراب الاسود المنعش ..

ثم ياتي « العجلاتي » اى صاحب الدراجات ،





كان موظفو الري يتنقلون على « الترولل » وهو عربات تجرى على قضبان حديدية يدفعها أحد أبناء البلد .. ومع الأيام ازداد عدد هذه العربات حتى اصبحت وسيلة نقل الزوار من محطة السكة الحديد الى الحدائق .. ثم جاءت ثورة ١٩٥٢ فرأت في هذا الترولل اهدارا لكرامة المواطن ، فأوقفته، فلم يعد أحد يراه الا في متحف القناطر ، حيث رسموا له هذه اللوحة الزيتية

الى اسفل : محطة الكاديلاك ! انها محطة الحمير التي يقبل الصبية والشباب على ركوبها للتجول وسط الحدائق ، مقابل ١٠ قروش للساعة





جزء كبير من هذه الحدائق سيتحول ليصبح حدائق سياحية من الدرجة الاولى ، تضم بركا صناعية ، ونافورات، وحدائق للزهور، ومدينة ملاهي مائية .. وغيرها .



الى اليسار : يقصد أهل القاهرة الى القناطر لشراء حاجاتهم ، من البلح السماني والزغلول.. وثمار المانجو التي تزرع أجود أنواعها في القناطر . وتربو مساحة الاراضي المزروعة بهذه الفاكهة الشهية من ٥٠٠ فدان .

يبحث عن صبي استاجر منه الدراجة لمدة نصف ساعة ثم زاغ منه ولم يردها حتى الآن رغم مرور اكثر من ساعتين !!

وبعد الغداء تظهر قارئة البخت بالودع فتقول « نبيِّن زين .. واشوف البخت » ويتبعهما القرداتى بقردته التى تسحر الاطفال والكبار بحركاتها .

هروب من التقاليد

انه موكب الحياة يمر من امام سكان القاهرة الهاربين من التقاليد والزحام والزمامير الى الهدوء والانطلاق والتمتع بالنسيم يهب عليهم عليلا منعشا وهم فوق المسطحات الخضراء التى لا نهاية لهــا ..

تجاوز .. وشطارة

ان اهل القناطر الخيرية وعددهم ٢٧ الف نسمة يعملون فى التجارة البسيطة والربح الحلال من

الى أسفل : بعض أعضاء « مجلس المدينة » ، يتوسطهم الاستاذ أنور أبو العطا رئيس المجلس ، يعملون من أجل تجميل « القناطر » حتى تصبح عروس النيل .



زوار القناطر، واغلبهم من اهل القاهرة ، بتأجيرهم للمراكب والدراجات والحمير وبيعهم المثلجات والفطائر والحلويات .

فريزيان مصرى

ولكن هذه التجارة البسيطة مهددة بالزوال لان سنة التطور السريع بدأت تبدل الحياة فى القناطر .. بعد ان افتتحت المصانع والمزارع ، وفى مقدمتها مزرعة « الفريزيان Friesian » التى تهدف الى تنمية الثروة الحيوانية وزيادة انتاج الابقار لمواجهة ازمة اللحوم والالبان .. والفريزيان نوع ممتاز من الابقار الهولندية استوردوا منه ٢٤٠ بقرة و ٢٧ ثورا تكاثروا وتوالدوا حتى اصبح عددهم ١٠٠٠ رأس بين أبقار وثيران ، وزع أكثرها على الوحدات المجمعة المختلفة ..

ومهمة المحطة ليست قاصرة على تربية الماشية بل تهدف الى الحصول على نوع فريزيان مصرى متأقلم بجو البلاد .. وقد نجحت تجارب خلط النوع المستورد مع النوع البلدى فكانت النتيجة نجاحا كبيرا أعطى مزيدا من اللحم واللبن ..

علف للجمهورية

والى جانب مزرعة الفريزيان يقوم مصنع العلف الذى يغطى انتاجه مختلف أنحاء الجمهورية ، اذ يزودها بالغذاء اللازم للماشية والدواجن والاغنام .. ويبلغ انتاج المصنع ٦٠ طنا من العلف يوميا ..

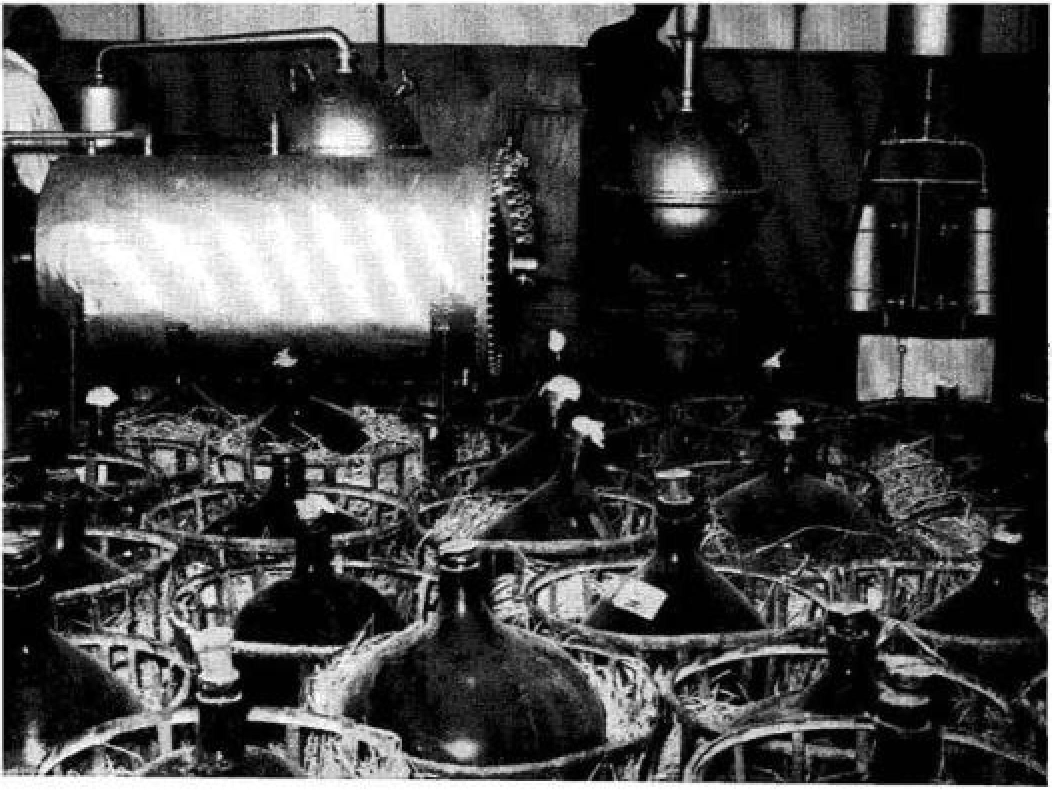
٣٢ الف جنيه من الفاكهة

والى جانب هـذا تنتشر فى القناطر عدة مؤسسات مثل معهد التجارب والبحوث المالية ، ومزرعة الدجاج والارانب والبط ، ومحطة زراعة النباتات الطبية . وحدائق الفاكهة والموالح التى تقرب مساحتها من ٤٠٠ فدان ، وقد بيع انتاجها فى العام الماضى بمبلغ يقرب من ٣٢ الف جنيــه .

مشاريع المستقبل

كل هذا مضافا اليه نشاط مجلس المدينة الذى جلسنا الى رئيسه السيد أنور ابو العطا نسأله عن احوال ومشاريع القناطر فقال :

ــ اننا على بينة من كل نقص فى المدينة ، ولكننا



تجرى فى معمل التقطير بالقناطر، عملية استخلاص الزيوت الطبية والعطور من النعناع ، والياسمين، والزهر ، وحشيشة الليمون ، والورد ، ولبلوب اللارنج، والفولاية ، والبردقوش .. انه معمل للبحوث فقط .. فى حين من الممكن تحويله الى معمل للانتاج التجارى ، الى جانب البحوث التى يقوم بها .

نامل عندما ينتهى تنفيذ المخطط المرسوم للقناطر الخيرية ، أن تكون قد قضينا تماما على كل مجال للشكوى ..

« ويتضمن التخطيط المرسوم ثلاث مراحل : السياحة ، والعمران ، والطرق . انها مشروعات تكاليفها مليون ونصف مليون جنيه ، فضلا عن الفندق الكبير الذى سيقام عند « سن الجزيرة » حيث ينشق النيل ، والذى ستبلغ نفقاته مليون جنيه .. »

« وهذه المشروعات سوف تنفذ فى خلال اربع سنوات .. »

التقسيم والموظف ، هما السبب

وسألنا رئيس مجلس المدينة عن أسباب تخلف المدينة ، وعن مشروعات تجميل حدائقها فقال :

« اكبر سبب لتأخر القناطر مرجعه الى نظام تقسيمها السابق بين ثلاث مديريات .

« واعتقد أن السبب الثاني هو : الموظف .. فالموظفون الذين يعملون فى القناطر يعيشون فى القاهرة . انهم يأتون فى قطار الصباح ليعودوا الى القاهرة فى قطار المساء ، لينفقوا فيهـا أموالهم ويربوا فيها أولادهم .. بحيث أن مدينة القناطر لا تنال أية فائدة منهم .. وقد عمدنا الى تطبيق نظام ضرورة اقامة واستقرار الموظف فىالمدينة التى يعمل بها ، حتى نخفف الضغط على القاهرة من ناحية .. ونحيى القناطر من ناحية أخرى . »

مدينة سياحية

« اما مشاريع المستقبل بالنسبة للحـدائق فتنحصر فى تحـويل « جزيرة الشعير » ، وهى المنطقة التى انفرج عندها النيل ، الى منطقة سياحية كبرى فيها حديقة للزهور ، ومدينة



مدرسة القناطر الاعدادية للبنات ، وتضم ٣٦٠ طالبة يتلقون مختلف انواع العلوم والفنون ، من تمثيل وموسيقى ، وتصوير ، وزخرفة .. والى اسفل بعض طلبة مدرسة القناطر الخيرية الابتدائية النموذجية المتوسطة ، يتلقون درسا عمليا في كيفية اعداد الارض للزراعة ، تحت اشراف مربيهم ..





تضم الوحدة المجمعة بالقناطر ، روضة للاطفال تتوفر فيها العناية والالعاب والمدرسات اللواتي يشرفن على تربية ١٣٠ طفلا وطفلة تقل أعمارهم عن ٥ سنوات ، كما ترى في الصورة العليا ، وقد ظهرت كذلك المجموعة الاولى من العمارات الشعبية التي شيدها مجلس المدينة . وعددها ٣٠ عمارة ، تحوي ٦٠٠ شقة ، بلغت تكاليفها ٤٨٣ ألف جنيه ..



مهارة وكفاءة بين التلاميذ والتلميذات الصغار فى مدرسة القناطر الخيرية النموذجية الابتدائية المختلطة ، التى تضم ٦١٠ تلاميذ و ٣٨٩ تلميذة يتلقون دروسهم على دفعتين دفعة فى الصباح مكونة من ١١ فصلا ، وأخرى فى المساء وتضم ١٠ فصول ، ويقوم بالتدريس فيها ١١ معلمة و ١٢ معلما . وقد افتتحت فى عام ١٩٥٦ والتعليم فيها مجانى .

للملاهى المائية ، وحديقة للحيوانات مفتوحة ، وحديقة للاطفال ، وفندق فى منطقة سن الجزيرة أى رأس الدلتا كما قدمنا ، وحمام كبير للسباحة، وبركة صناعية ، وتلفريك يحمل الناس فى الجو فوق معالم القناطر .

مدينة النيل

ان النيل اليوم أصبح يمر مزهوا مفتخرا امام القناطر الخيرية ، انها مدينته التى صنع أرضها بطمية وروى زرعها بمائه ..

ويشترك أهل القناطر مع النيل فى فرحته ، وأن اختلف السبب . فهم فرحون لان النيل لن يستطيع أن يفيض مرة أخرى فيوقف أعمالهم ومراكبهم ، أو يجب فيؤدى الى اجاعتهم .. لقد اصبح السد العالي مفتاحا انقذ الوجه البحرى كله ، الجم النيل الذى لم يكن أحد قد استطاع قهره قبل الآن .. فاصبح الماء لا يسير فيه الا بمقدار يحدده المسئولون عن الرى فى البلاد ..

حسرة .. ووداع

وان كان ثمة حسرة يتحسرها النيل فهي على واردات مياهه ، اللواتى كن يملان جرارهن عند القناطر ، ويحملنها على رؤسهن بدلال ، ثم يسندنها بحركة رشيقة من أيديهن ، بينما الشباب ينادى : « عطشان يا صبايا ! » .. قد انقضى هذا العهد ، وأصبح الماء كله مقطرا نقيا .. ولم يعد أحد يرى حاملات الجرار الا على لوحات الرسامين وتماثيل النحاتين ..

سليم زبال

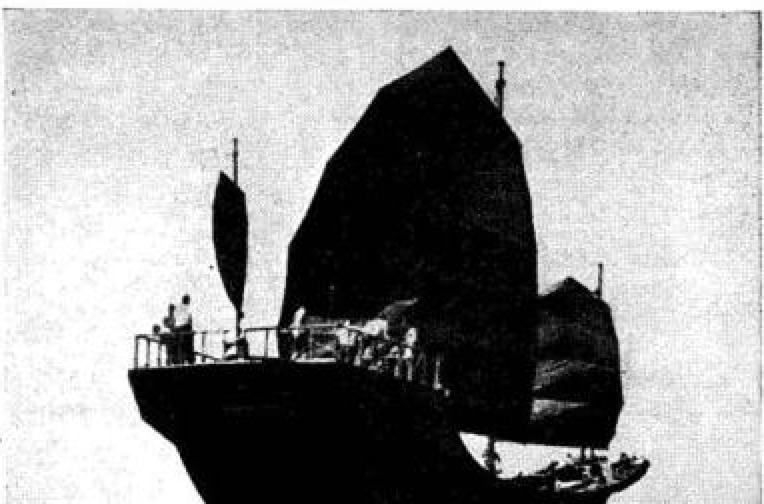
أنباء الطب والعلم والاختراع

مغامرة شهيرة فى القرن ١٣ ، يمثلونها فى القرن العشرين ، فى غير مغامرة

● ليس من مثقف لم يقرأ عن رجل البندقية ، ماركو بولو Marco Polo ، وعن رحلته فى القرن الثالث عشر ، من البندقية ، بايطاليا ، عبر الأرض ، الى الصين ، ثم عودته التاريخية عن طريق البحر الى الخليج العربي فبلاد فارس . ثم ذهابه ارضا الى بلده البندقية ، بعد غياب ٢٤ عاما .

فهذه المغامرة البحرية الكبرى ، فى عهد لم تكن البحار مخطوطة ولا مرسومة بل كانت متاهات يضل بها سالكوها ، هذه المغامرة اعادوها هذه الايام . انهم صنعوا سفينة اشبه ما تكون بالسفن التي امر بها الامبراطور الصيني المغولي عندئذ ، كوبلاخان (انظر الصورة) ، وساروا بها هذه المرة عبر بحار مرسومة مخصوصة مطروقة معروف كل شبر فيها ، ووصلوا بها الى البحر الأحمر ، وعبروا قناة السويس ولم تكن هناك فى ذلك الزمان ، ووصلوا اخيرا فى البحر الابيض الى « كان » فى الرفييرا الفرنسية .

فعلوا ذلك ، فيما فعلوا ، ليظهر الفرق ، بين البحار تقتحم الآن ، وبحار اقتحمت قبل اكثر من ستة قرون . ومحرك السفينة ؟ كان هو هو : القلاع المنشورة تدفعها الرياح .



العربي : العدد ٨٢ سبتمبر ١٩٦٥

أصوات فى الأعماق

● انها توجد فى اعماق البحار ، وفى غير الأعماق .

انك لو سألت انسانا ، ان يذكر مكانا ، اهدأ ما يكون ، واسكن ما يكون ، لخطر له فى البال اول خاطر ، نفقٌ فى الأرض ، او غواصة فى اعماق ماء .

ولكن ، فى الحرب العالمية الماضية ، حاول العلماء كشف الغواصات ، بما يصدر عنها من اصوات . واذا باصوات غريبة تتدخل .

وكان هذا بدء بحوث هذه الأصوات .

وخرج اليوم بها كتاب كبير ، يصف ما اخرجت هذه البحوث .

وفيها أن للاسماك ، وغير الاسماك من ساكنات الماء ، اصوات . حتى الجنبرى Shrimps .

وفيها أن هذه الأصوات هدفها التعرف على الغير ، وعلى الموضع . وهي في ظلام الأعماق للتجسس على الضحية ، او التحسس وتلمس العدو وموضع العدو .

وفيها ان الحيتان لها اصوات ، تهتدى بأصدائها .

وفيها كيف تصنع احياء البحار الصوت ، فأحيانا تصنعه بمثابة العوم ، واحيانا بقرض السن ، واحيانا بالزعانف واداة العوم .

وفي الكتاب أن الأحاسيس تهدى ، وهي تحمي . وساد فى الانسان البصر ، فضعفت بالنسبة اليه الأحاسيس الاخرى ، ومنها السمع . وضعف البصر عند السمك ، وقل النور فى بيئته ، فاحتد فيه السمع .

انه كتاب به ٤٠٠ صفحة ! فى هذا الموضوع وحده .

الجدرى
داء لا يزال يعيث فى خلق الله

● نعم انه داء وبيل . وهو داء كذلك رذيل ثقيل ، يمنع الزائرين من زيارة مرضاهم فى المستشفيات لسببين، أولهما ان الزائرين يحملون معهم العدوى عند خروجهم فينشرونها حيثما ذهبوا . وثانيهما ان من المرضى الذين يثقل عليهم الداء من تتشوّه وجوهم الى حد انها تتغير وتتبدل بحيث يعز على اقاربهم ان يتعرفوا عليهم .

والداء ينتشر كالنار فى الهشيم . فالمريض ، وحتى قبل ان يظهر على جلده الرشح المعروف ، يتنفس ويخرج مع انفاسه البليلة فيروس المرض فيتلقفه امسّ الناس به ، وهو لا يدرى ، فلا يلبث ان يصاب . وكذلك ينتشر الداء عن طريق ملابس المريض ومفارشه .

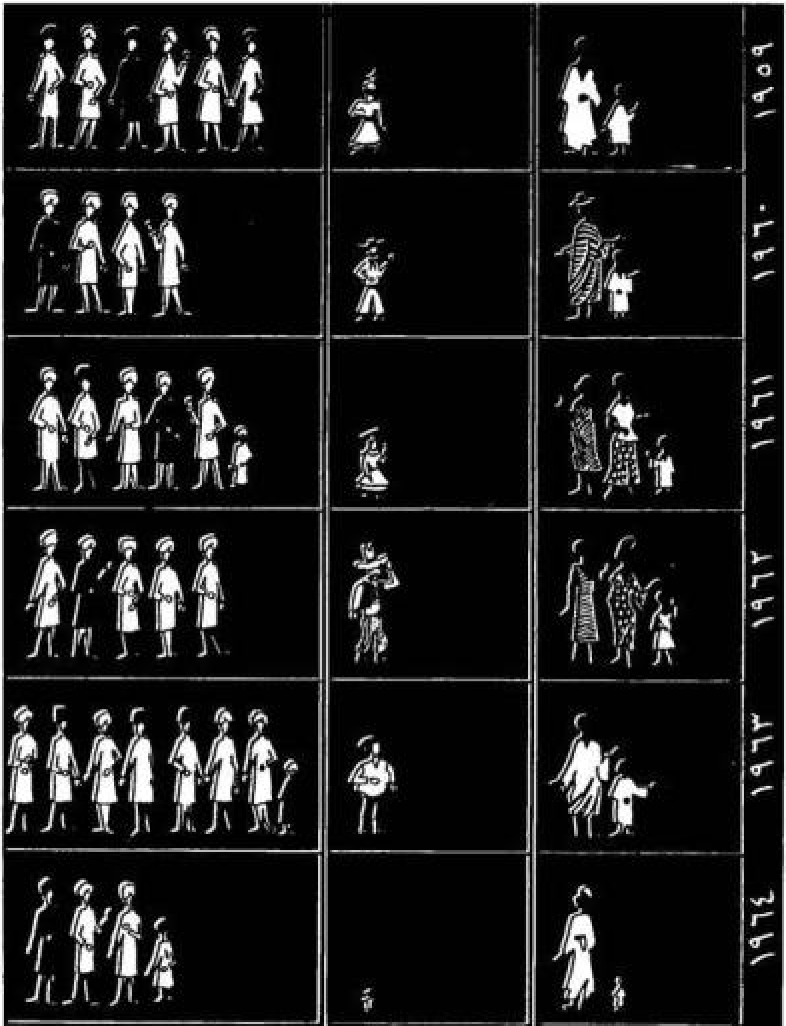
والداء يحمله من دار لدار ، من مدينة الى مدينة ، ومن قطر الى قطر ، المصابون به حتى قبل ان يتبينوا انهم مصابون . ومن اجل هذا كانت الرقابة على هذا الداء شديدة .

وقد اخذت منظمة الصحة العالمية على عاتقها ، منذ عام ١٩٥٨ مكافحة هذا المرض حتى يختفي من الدنيا ، ونظمت فى العالم له نظامَ كشف له عجيب ، حتى يتوقف الداء حيث اكتُشف ، فلا ينشره المسافرون فى البلاد نشرا . وهي لا تزال تجاهد فى هذا السبيل .

وقد احصت المنظمة عدد من اصيبوا بهذا الداء فى القارات جميعها ، فى عام ١٩٦٣ ، وخرجت بان عدد الاصابات كانت ١٠٠ر٠٠٠ اصابة، بلغ الرجال المسئولون فى سائر الامم عنها ، توفى منهم ٢٥٠٠٠ ، اى الربع .

ولم تقع فى اوروبا اصابات لشدة المراقبة القائمة هناك .

ووزعت المنظمة هذه الاصابات على



عن الصحة العالمية

الاصابات بمرض الجدري ، فى القارات المذكورة ، فى السنوات المذكورة ، بين عام ١٩٥٩ الى عام ١٩٦٤

القارات الثلاث فكان من ذلك الرسم الذى يصحب هذه الكلمات . والاحصاء المذكور بدأ من عام ١٩٥٩ ، وهو العام الذى بدأت فيه هذه المنظمة العالمية جهودها المشكورة .

قصة هذا الداء

وهي تحكي ، فى نشرتها عن هذا الداء ، قصة هذا الداء ، منذ عهد الفراعين الى اليوم ، وكيف فعل بالناس على الاحقاب، وكم وكيف اكتشفوا الوقاية منه ، فى انجلترا عن طريق سفير انجلترا فيها ، بل زوجته . ثم باللقاح ، ذلك الذى كشفه الطبيب الانجليزي الشاب جنر Jenner فى أواخر القرن الثامن عشر . وهي قصص فى التاريخ الانساني شيقة خالدة . وهي ليست قصص طب فحسب . وانما هي قصص تحكي عن ذكاء الانسان ، وعن جموده كيف لان ، وعن فكره الذى قيدوه حتى صار القيد عادة ، كيف تحرر .

المريخ ، بعد القمر

● الولايات المتحدة تخطط اليوم للوصول الى القمر ، والمشروع الذى هي اليوم قائمة فى انفاذه يسمى مشروع ابولو Apollo ، وبه تهدف ان ينزل الى القمر ثلاثة رجال .

وتقدر لنزولهم عام ١٩٧٠

ثم ماذا ؟

ان برامج السماء برامج يحتاج تحضيرها الى وقت طويل ، لهذا وجب السبق فى التخطيط ، ومن بعد التخطيط النفاذ ، ولو تخطيطا لعشرات من السنين ، فالسنين هنا لا تنسب الى عمر الفرد ، ولكن الى عمر الامة وحياتها ، والمفروض انها تطاول اعمار الافراد وتطولهم اضعافا مضاعفة .

لهذا يرى المسئولون فى هذه الشئون فى الولايات ان يكون للمريخ فى البحث الاولية من بعد فراغهم من برنامج ابولو عام ١٩٧٠ .

بالطبع يتحدث العلماء بعد الوصول الى القمر عن محطات ينشئها الانسان على القمر . ويتحدثون كذلك عن محطات تنشأ فى الفضاء ومختبرات وغير ذلك . وكل هذه اهداف جديرة بالتحقيق ، ولكنها فى راى الكثرة من العلماء ، لها فى الاولوية المحل الثاني بعد المريخ

والمريخ مفضل لانه سوف يكشف للانسان عن حقائق غاية فى الروعة تتعلق بالحياة وامكانها على الكوكب . ثم ان الصاروخ القوى الذى سيرسل بالرجال الى القمر جدير من بعد ذلك ان يرسل المركبات الفضائية بغير رجال الى المريخ .

وفى هذه الاثناء ، ومن بعد عام ١٩٧٠ ، والى نحو عام ١٩٧٥ ، يكون الطب الفضائي تقدم تقدما يأذن بارسال الرجال الى المريخ .

فموعد ارسالهم الى المريخ هو اذن عام ١٩٨٥ .

خليج عدن ، له فكان ، كانا قديما منطبقين

● هذا ما كشفته بحوث البحار التى جرت هناك ، اجرتها البعثة الدولية للمحيط الهندى .

ذلك انه تبين من الدراسات الجيولوجية للساحل العربى فى الشمال وما يليه جنوبا فى أعماق الماء ، وكذلك من الدراسات للساحل الصومالى فى الجنوب وما يليه شمالا فى أعماق الماء ، تبين ان الطبقات الجيولوجية هنا ، هى الطبقات هناك ، وانه لو ادرنا الساحل العربى باتخاذ عدن محورا ثابتا للدوران ، وبلغنا بالدوران الى الشمال نحو ٨ درجات ، اذا لتم تقابل الطبقات ، لاسيما عند عمق ٥٠٠ قامة ، ولم يبق بعد ذلك الا ان تقارب بينهما ليلتحما .

من بعد النار والكهرباء يستخدم الاشعاع الذري فى تخليق المركبات فى الكيمياء

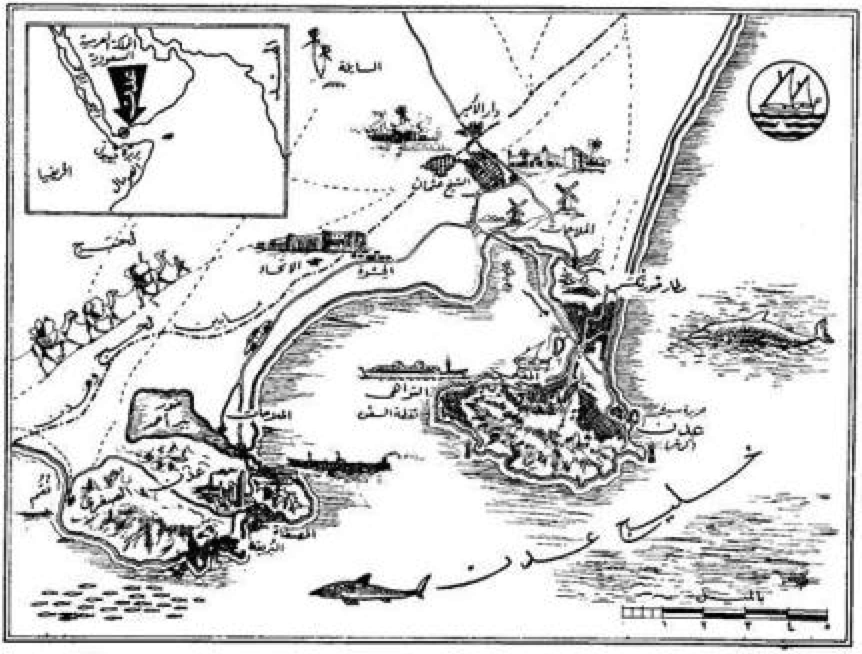
● كل يوم ينفتح فى ساحة العلم باب جديد ، يؤدى الى خير جديد .

والاشعاع الذرى ظهر اول استخدام له فى غير الخير ، ثم فى الخير ، فيما اسموه بالأغراض السلمية .

وقد دخل الاشعاع الذرى ، والنظائر المشعة التى تحدثه ، دخلت جميعا فى الطب وفى الزراعة .

ولكن كذلك فى الصناعة .

ودخلت فى الصناعة اول الامر على استحياء ، ثم توغلت ، وتعددت جبهات



وعدا ذلك فيوجد فى الصعيد العربي مجارى انهار ، وكذلك فى الصومال . وهذه كانت مجارى واحدة . فلو اننا لحمنا الشاطئين اذن لصب ماء يجرى فى الصعيد العربي عند ساحل الصومال

أما كيف تكوّن خليج عدن ؟ فالظن انه تكوّن بسبب انقلابات عنيفة وقعت فى قشرة الارض وذلك منذ نحو ٢٠ مليون عام .

تعمل فيها . وقد صار الاشماع اليوم ، وسيلة عظمى تصنع به الأشياء .

مثال ذلك المواد الكيماوية .

كانت تجمع المادة الى المادة لتتفاعل معها ، يساعدها على ذلك رفع الحرارة بالنار ، ووجود جسم آخر ثالث اسميناه بالعامل المساعد .

ثم اذا بالاشماع ، من نظير مشع مثل الكوبلت رقم ٦٠ ، يدخل فى المركب الكيماوى ، فيشقه شقا ، ثم تتفاعل الاجزاء المشقوقة ، بعضها مع بعض ، على اسلوب جديد ، او تتفاعل مع ما جعلنا معها فى الوعاء من مركب آخر . والنتيجة مركب جديد .

وفى غير المركبات الكيماوية لعبت دورا هاما فى اللدائن (البلاستيك) وصناعتها ، وفى الاخشاب وتقويتها ومن النتروجين والادروجين ، أو منه ومن الاكسجين ، صنعت هذه الأشعة تلك المركبات التى تنتهي بأن تكون اسمدة للزراعات .

والفحم فى استطاعتها تحويله الى زيت .

والاطعمة يعقمها الاشعاع ، فيعقم اللحم ، ويعقم البيض ، وبه تعقم الحبوب ، وتعقم الفواكه .

ارجاء من الصناعة فتحت ابوابها جديدة ، فتحها الاشعاع الذرى ، بوسائله الشتى .

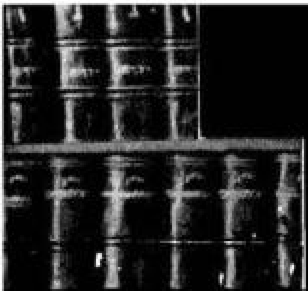
ومن وسائله عنصر الكوبلت (٦٠) كما قدمنا .

وعنصر الاسترنتيوم (٩٠)

وعنصر السزيوم (١٣٧)

وكذا شعاعات النترونات من مصادرها المختلفة .

■■



ابن المنجم

مؤسس أول مكتبة عربية عامة

بقلم : لطفي ملحس

المدرس في الكلية العلمية الاسلامية ــ عمان

■ هو علي بن يحيى ، من عائلة وجدت زمن العباسيين واسمها عائلة (المنجم) . وقد اشتهر أبوه (يحيى) بانه خادم المامون ونادمه .

وأما (علي) فقد اتصل في أيام شبابه بمحمد ابن اسحق المصعبي من زعماء ذلك العصر . ثم اتصل بالفتح بن خاقان وزير المتوكل وصديقه ، وعمل له خزانة كتب كبيرة ما اشتملت عليها مكتبة" مثلها قط . واستكتب له كثيرا منها . فكان يستنسخ لها الكتب القيمة بنفسه ، أو يستأجر من يفعل ذلك تحت اشرافه حتى بلغت مبلغا كبيرا .

واتصل بعد ذلك بالمتوكل ، وحظي عنده حظوة عظيمة فكانا لا يفترقان تقريبا .

رفض أن يكون نديم الخليفة بين زوجاته

وأراد الخليفة اختيار رجل ينادمه وهو بين زوجاته وجواريه . فقال للفتح ليس لدى من يصلح لذلك غير (علي بن يحيى) فوافق الوزير متحمسا ، وحسب الفتح أن (عليا) سيرحب بالمهمة الجديدة اذ يصبح في منزلة لم يصل اليها غيره . ولكنه رفض العرض باصرار ، ورأى فيه خطرا اى خطر . فقد يسكر الاثنان او يسكر أحدهما ، أو قد تسيطر الغيرة على المتوكل متى ثمل فيامر بقتله او اقصائه . وقبل الخليفة عذره وأعفاه ..

نال ابن المنجم حظوة الخلفاء ولو أعداء

ومع ما كان عليه (ابن المنجم) من دماثة في الخلقة فانه بلغ حظوة قصوى في قصور الخلفاء ، وكسب ثقةالملوك واحدا اثر واحد ، مع أن بعضهم وصل الى العرش على جثة سلفه ، وبعضهم اثارها حربا شعواء على من قبله ، وانتزع منه التاج . ورغم ذلك فقد ظل هذا الرجل محل ثقة الجميع واعزازهم ، يأتمنونه على أسرارهم ، ويطلعونه على خفاياهم .

ويزيد في غرابة صفات هذا الرجل انه كان يعصى أحيانا أوامر هؤلاء الخلفاء الذين اعتادوا أن يبيدوا من خدموا سلفهم ، أو على الأقل أن يصادروا ممتلكاتهم ويزجوهمفي غياهب السجون ان أبقوا على حياتهم ..



قصته مع المتوكل

ومما ذكر على لسان احد المعاصرين لابن المنجم انه قال : ذهبت الى قصر المتوكل على الله ذات صباح ، فرأيته مخمورا من سهرة طويلة قضاها في الشرب ، يستثقل من كل شيء ويتبرم من كل شيء لشدة تعبه . وجاء على بن يحيى المنجم ، ورأى الخليفة لا يستطيع فتح عينيه لكثرة ما احتسى من الخمر ليلة أمس . فقال : ان دعا سيدى بالسواك فاستعمله ، وغسل بماء الورد وجهه ، وشرب قليلا من رُب الحصرم أو بعض الماء المثلج ، زال عنه ما يشعر به من تعب . وبعد ذلك يأكل مولاى طعاما خفيفا ثم يتبعه بالفراريج مشوية ومقلية ، وبعض الحوامض ، فينشط جسمه ، وتهش نفسه الى ما كان عليه يوم أمس .

فطلب المتوكل أن يؤتى اليه بكل ما طلب (على) . ولما فاحت روائح القدور تفتحت شهيته وسأل عليا أن يذيقه من كل قدر جانبا .

وما لبث أن زال عنه التوعك واقبل على الطعام والشراب . ثم استدعى المغنين فغنوا . وكان (على) بعد كل لحن يقول : الشعر لفلان والتلحين من صنع فلان . وجعل يشاركهم في العزف والغناء ، ويتفرد أحيانا بهما الى أن اقترب الزوال . فسأل المتوكل : اين نحن من وقت الصلاة ؟ فأخرج أسطرلابا من فضة ، فقاس الشمس وأخبر عن الارتفاع والوقت ..

وتابع صاحب القصة فقال : ما زال على بن يحيى يعظم في عيني حتى صار كالجبل وصارت مقابح وجهه محاسن .. وقلت له : فيك خصال كثيرة .. طبيب بارع ، وجليس أنيس ، وطباخ حاذق ومغن متصرف ، وشاعر فطن .. ما تركت شيئا مما يحتاج اليه الملوك الا ملكته ..

ابن المنجم يؤسس أول مكتبة عامة

عنى العرب بالكتب والمكتبات ، وعنى بها المسلمون عناية كبرى . وكذلك اخذوا في تأسيس مكتبات عامرة بالمؤلفات الخاصة بالعلوم ، وقد بدأ الأمويون في ذلك التأسيس ، ومن بعدهم العباسيون ، فقد اقبلوا على جمع المكتبات الغنية ، ولم يبلغ شأوهم في ذلك غير الفاطميين بالقاهرة .

واذا نحن عددنا أسماء ما أسس من تلك المكتبات وما احتوت عليه من أعداد الكتب في تلك العصور فانه يطول بنا المقال .

ولكن الذى نريد أن نتوصل اليه هو انه الى جانب تلك المكتبات العامة الواسعة ، كانت اقيمت مكتبات خاصة تبحث فى فروع معينة من العلوم . فاذا كان صاحبها مهتما بعلم الفلك جمع المؤلفات التى تبحث فى هذا العلم . وقس على ذلك المعنيين بالطب او الهندسة او الكيمياء او التاريخ او الشعر .

واحيانا يكون صاحبها راغبا فى أكثر من فرع، واحد . مثل هذا الرجل المقصود فى حديثنا وهو على بن يحيى بن المنجم،فانه قد أسس مكتبة فى بيت كبير له بضواحي بغداد أطلق عليها اسم « خزانة الحكمة » حوت على انفس المخطوطات فى شتى العلوم ، وشاعت شهرتها حتى كان الناس يقصدونها من كل فج عميق .

وقد فتح ابوابها للراغبين فى تلقى العلم ، وعين فيها موظفين . وكانوا يتقاضون رواتبهم من ماله الخاص لمساعدة الوافدين عليها ، كما تفعل البلاد المتحضرة اليوم . ولم يكتف بهذا، بل بنى اجنحة فى ذلك القصر فى ضواحي بغداد لاقامة الراغبين فى التعلم ومطالعة الكتب ، فكانوا ياكلون على نفقته ويؤويهم ايضا . وفى عمله هذا انما اراد أن يجعل من مكتبته جامعة علمية ..

ومما يذكر أن العالم الفلكى (أبا معشر) قدم من خراسان ينوى اداء فريضة الحج ، ومر ببغداد ، وزار المكتبة (اى مكتبة ابن المنجم) فاعجب بها اعجابا شديدا ..

هذا واذا كانت الدول فى العهود الاسلامية الزاهرة تعهدت دور العلم ورعتها وانفقت على طلابها الأموال . فان فضل على بن المنجم فى هذا المضمار يفوق كل فضل ، لأنه كان فردا واحدا وضع على عاتقه هذا العبء الكبير متطوعا . كما كانت داره فى (سر من رأى) هى بمثابة (مضافة) لكل أديب وعالم ، يمنحهم الهبات وينتزع لهم العطايا من الكبراء،ويقربهم الى الخلفاء والأمراء.

قال أبو على التنوخى فى كتابه (نشوار المحاضرة): كانت لعلى بن يحيى بن المنجم ضيعة نفيسة وقصر جليل ، فيه خزانة كتب عظيمة يسميها (خزانة الحكمة) يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ، ويتعلمون منها صنوف العلم . والكتب مبذولة فى ذلك لهم ، والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن يحيى .

بيت ابن المنجم (مضافة) للعلماء والشعراء

ومن الأمثلة الدالة على سمو مكانة على بن يحيى ان بختيشوع الطبيب كان اخبر المتوكل بان عليا استقرض منه عشرين الف درهم ، فغضب المتوكل وساله : لم فعلت ذلك ؟ وما منعك أن تسألنى فاصلك .. اتانف من مساءلتى ؟ فاعتذر ابن المنجم بانه اقترض المال لأمر عاجل ، وانه سيرده عندما تصل اليه احدى هبات امير المؤمنين .

فقال المتوكل : قد عفوت عنك هذه المرة ، فلا تعد الى مثلها ، وان احتجت الى شيء فلا تسأل غيرى أو تبذل وجهك له .

وقد كان ابن المنجم يصرف نقوده فى سبيل مكتبته او لينفقها على العلماء والشعراء ..

حدث ان وفد عليه مرة رجل اسمه (عافية بن شبيب) من البصرة ، فاكرم مثواه وأبقاه عنده فى كفاية وكرامة ، وحسن ضيافة،وجمع له هبات من اصدقائه حتى حسنت حاله ، واعطاه فرسا من جياد الخيل ، وأوصله بعد ذلك للمتوكل ، فانعم عليه بمال كثير . ولكن عافية هذا انكر النعمة والفضل ، فصار ينتقص من على بن يحيى وادبه وعلمه ، وبسط لسانه فيه . وأراد أمير المؤمنين أن يعابث عليا . فاغرى (عافية) بالاستمرار فى شتمه — وهو غائب — ثم اهدى هذا الشاعر فرس (على)الى الخليفة فاستحسنه واثنى عليه . وكان لابد من التقاء الاثنين فى حضرة المتوكل . فقال (عافية) : انى اكرم من (على) واحسن مروءة ، فقال الفتح بن خاقان :

ما أسهل اثبات هذه الدعوى أو نقضها ، ليوجه امير المؤمنين الى منزليهما من يحضر ما يجده حاضرا من الطعام ..

فاستدعى المتوكل احد قواده ، واصدر اليه امره بتنفيذ راى الفتح . وحمل ذلك القائد طعاما كثيرا من منزل على ولم يجد في منزل عافية غير كسرات من خبز وملح وقطعة جبن يابس ، وقطعة من سمك مالح وقصعة مكسورة . وجاء الى القصر بكل ما وجد . فاستحسن الخليفة طعام على وأكل منه . واستهجن بخل عافية .. وجفاه وأمر بتشهيره وشرح اعماله في البصرة . وصار بعد ذلك يأتى بما يطبخ من طعام في بيت على الى القصر ليأكله . ومنحه مئة الف دينار - دفعها له على أقساط حتى لايقال انه منح هذه الثروة الضخمة لأحد ندمائه في ليلة واحدة ..

الخلفاء بعد المتوكل يقربون ابن المنجم

وحكاياته مع المتوكل قد ورد منها كثير في كتب الأدب ، وانه بعد قتل المتوكل نتيجة تآمر ابنه (المنتصر بالله) عليه قربه هذا ايضا اليه وقلده اهم الأعمال،وكذلك فقد جاء بعد المنتصر المستعين بالله ثم المعتز وجميعهم كانوا يقدرون علمه وفضله الا واحدا منهم وهو (المهتدى) الذى هم عدة مرات بقتل ابن المنجم ، وما كان لينقذه من الموت الا قصر عهد المهتدى . ولما ولى الخلافة (المعتمد على الله) قربه منه وأغدق عليه الاموال. وظل على حاله تلك حتى ادركه الموت عام ٢٧٥ هجرية في اواخر ايام ذلك الخليفة ، وقد دفن في سامراء (سر من راى) ..

شعر ابن المنجم ومؤلفاته

ان التاريخ لم ينصف هذا الرجل . لانك لاتجد اسمه الا في بعض المراجع القليلة مثل تاريخ بغداد ونشوار المحاضرة ومعجم الأدباء مع ان من الواجب خلود اسمه وشيوعه بين الطبقات المتعلمة في كل الأقطار العربية لأن مشروعا كهذا الذى قام به وهو تأسيس مكتبة عامة، وعلى نفقته الخاصة، أعتقد انه لم يسبقه احد الى ذلك كما انني لم اسمع ان احدا في أيامنا هذه قد اقتفى أثر ذلك الفاضل في مشروعه ..

اما آثار ابن المنجم الادبية والعلمية فلم يرد عنها شيء اللهم الا ذكر كتابله في الشعراء القدماء والاسلاميين ، وكذلك في الشعر . فقد عثرت له على الأبيات التالية :

سيعلم دهرى اذ تنكر انني
صبورٌ على تنكرانه غيرُ جازع

وأني أسوس النفس في حال عُسرها
سياسةَ راضٍ بالمعيشة قانع

كما كنت في حال اليسار أسوسها
سياسةَ عفةٍ في الغنى متواضع

وأمنعها الورد الذى لا يليق بى
وان كنت ظمآنا بعيد الشرائع

■■

لطفي ملحس
الكلية العلمية الاسلامية : عمان

صديق ثقيل

دخل احد الثقلاء على صديق له ، ولما جنه الليل سأله صاحب الدار : أين منزلك ؟

فأجابه : ما لي منزل ، انما اشتمل الليل اذا عَسْعَسَ ، وأظهر في النهار اذا تنفس ! ..

طرائف عربية

ذلة السؤال

● قال ابو بكر الحنفي ، حضرتُ مجلس الجماعة بالكوفة . وقد قام سائل يتكلم عند صلاة الظهر . ثم عند صلاة العصر والمغرب ، فلم يُعْطَ شيئا فقال : اللهم انك بحاجتي عالم غير معلَّم ، وواسع غير مكلَّف ، وانت الذي لايرزؤك نائل ولا يُحفيك سائل ، ولايبلغ مِدْحتك قائل . انت كما قال المُثْنُون . وفوق مايقولون . أسألك صبرا جميلا ، وفرجا قريباً ونصرا بالهدى ، وقرة عين فيما تحب وترضى . ثم ولى لينصرف . فابتدره الناس يعطونه ، فلم يأخذ شيئا . ثم مضى وهو يقول :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخفَّ كل نوال

صدق الوداد

● **كتب بعض الكتاب الى اخ له :**

« ان رأيت ان تحدد لي ميعادا لزيارتك ، أتوق به الى وقت رؤيتك ، ويؤنسني الى حين لقائك ، فعلت » .

فاجابه : « اخاف ان اعدك وعدا يعترض دون الوفاء به ما لا اقدر على دفعه ، فتكون الحسرة اعظم من الفرقة » .

فاجابه : « انا اسر بموعدك ، واكون جذلا بانتظارك ، فان عاق عن الانجاز عائق ، كنت قد ربحت السرور ، بالتوقع لما احبه ، واصبت اجرى على الحسرة بما حرمته » .

جحا والقاضي

● كان جحا في نزهة مع اصحاب له ، وبعد الطعام انصرفوا الى بركة كبيرة يغسلون بها ايديهم ، فصادف ان زلقت رجل القاضي ، فوقع في البركة . فتسابق الرفاق لانتشاله قائلين : هات يدك ، هات يدك ، فلم يمد القاضي يده .

فصاح بهم جحا : لا تقولوا له هات ! لانه لم يتعود سماعها . ثم تقدم منه وقال : خذ، خذ يدي . فمد القاضي يده، وامسك بيد جحا ونجا ! .

علي يوصي ابنه الحسن

يا بني ، احفظ عني اربعا : لا يضرك ما عملت معهن :
اغنى الغنى العقل ، واكبر الفقر الحمق ، واوحش الوحشة العجب ، واكرم الحسب حسن الخلق .

رثاء مصلوب

قال العقيلي يرثي صديقا له أخذ فقتل وصلب :

لعمري لئن اصبحت فوق مشذَّب ... طويل تُعفِّيك الرياحُ مع القطر
لقد عشت مبسوط اليدين مبرزا ... وعوفيت عند الموت من ضغطة القبر
وأفلتَّ من ضيق التراب وغمّه ... ولم تفقد الدنيا فهل لك من شكر
فما تشتفي عيناي من دائم البكا ... عليك ولو اني بكيت الى الحشر

البخيل وأولاده

قال رجل من البخلاء لأولاده: اشتروا لي لحما ، فاشتروه، فامر بطبخه، فلما استوى ، اكله جميعه حتى لم يبق في يده الا عظمة ، وعيون اولاده ترمقه ، فقال : لن اعطي احدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف اكلها .

فقال ولده الاكبر : امشمشها يا ابت وامصها حتى لا ادع للذر فيها مقيلا .

قال : لست بصاحبها .

فقال الأوسط : الوكها يا ابت والحسها حتى لا يدري احد لعام هي ام لعامين .

قال : لست بصاحبها .

فقال الأصغر : انا يا ابت امصها ثم ادقها ، واسفها .

قال الأب : انت صاحبها ، وهي لك زادك الله معرفة وحزما !

ابن ابي عتيق وامرأته

قال ابن ابي عتيق لامرأته : تمنيت ان يهدى الينا جدي مسلوخ ، فنتخذ من الطعام لون كذا وكذا . فسمعته جارة له ، فظنت انه امر يعمل ما سمعته فانتظرت الى وقت الطعام ثم جاءت فقرعت الباب ، وقالت : شممت رائحة قدوركم ، فجئت لتطعموني منها .

فقال ابن ابي عتيق لامرأته : ليس لنا مقام في هذه الدار التي يتشمم جيرانها رائحة الاماني !

عثمان بن حفص وابي نواس

مر عثمان بن حفص الثقفي بأبي نواس ، وقد خرج من علة ، وهو مصفر الوجه ، وكان عثمان من اقبح الناس وجها .

فقال له عثمان : ما لي اراك مصفرا ؟

فقال ابو نواس : رايتك فذكرت ذنوبي !

قال : وما ذكرك ذنوبك عند رؤيتي ؟

فقال : خفت ان يعاقبني الله فيمسخني مثلك !



مهمة الاديب فى العصر الحاضر

عن مجلة « الهدف » الكويتية :

● لقد ذهبت تلك الفترة التى يسمى فيها الفرد اديبا حينما يستطيع أن يتحدث عن الشعر والنثر فى العصر الجاهلي ، والعصر الاموى والعصر العباسى .. ويستطيع أن يعرف شيئا عن الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب ، وما اليهم من الكتاب ، ويعرف أسماء المشهورين من الشعراء ، كما يستطيع أن يروى بعض الخطب او النكات الادبية .

كان هذا الفرد يسمى اديبا فيما مضى أما الآن، فان الاديب هو ذلك الذى يلم بالتاريخ الادبي وباللغة الماما تاما ، كما عليه أن لا يكون بعيدا عن مجريات الامور ، وان يكون له راى محدد فيها ، وان يرفض كل ما يبدو له بانه مخالف للحق والعدل والمنطق ، وبمعنى آخر ، على الاديب أن يشارك مواطنيه فى كل ما يجرى من أمور على أن يكون فى طليعتهم ، لان الاديب الحق هو الذى يتأثر بالاحداث ويؤثر فيها .. أما الفرد المنعزل عن الحياة لا يكاد يعرف عنها شيئا .. فاننا لا نستطيع أن نسميه الا اديبا مزيفا ، لان الاديب الحق هو الذى يقوم بتادية رسالته كما يجب .. حتى ولو ادى به ذلك الى ازعاجه او اضطهاده لان ذلك من صميم مسؤولياته .

لهذا رأينا بعض الامم الراقية ، تدعو كتابها ومفكريها بمهندسى الحياة .. وهذه التسمية تعنى أن تلك الامم تقدر أدباءها ومفكريها حق التقدير وتفهمهم حق الفهم .. كما أنها تعني أن أولئك الكتاب والمفكرين لم يستحقوا هذه المنزلة العظيمة الا لانهم شاركوا فى صنع الحياة .

العلم والمجتمع

عن مجلة « الكاتب » ــ القاهرية :

● ان حياتنا المستقبلة تتوقف على مدى ماتطور به نظمنا بحيث تتمشى مع ما طرأ على العالم من تغيرات . لان اكبر ما يهددنا به هذا العصر هوعدم كفاية انظمته الحالية ، وعدم مسايرتها لاحتياجاته المادية ولا لأمانيه الروحية .

لذلك فالعلم والتكنولوجيا يعتبران امرين هامين فى التطور الاجتماعى الذى يسير فى مجتمعنا .وقد أصبح واضحا ان اعتماد المجتمع على العلم والتكنولوجيا يقتضى احداث تغيير فى نظرة الناس الى العلم . فلا يمكن للعلم او التكنولوجيا أن يزدهرا اذا كان الناس ينظرون اليهما نظرة عادية .

وتجابه المجتمعات الحديثة التى تسير فى طريق التطور ، وتحاول استحداث التغيرات التكنولوجية مشكلتين رئيسيتين : المشكلة الأولى هى تغييرنظرة الناس القديمة الى العلم ، والمشكلة الثانية الجو أو البيئة التى يعيش فيها الناس للمساعدةفى حل المشكلة الأولى .

الكتب الاجنبية .. بين الثقافة والحياد

عن صحيفة « المنار » الاردنية :

● ما هو رأى الدول العربية فى الهبات من الكتب التى تقدمها مكاتب الثقافة الاجنبية الى مكتبات المدارس الثانوية وغيرها ..

لقد تضخمت تلك الهبات وغمرت الاسواق بشكل يمكن أن يخلق انفصاما روحيا بين المثقفين وبين تراثهم وحضارتهم العربية الاصيلة .. انه تهاون من جانبها فى قضية الانهدامات الثقافية التى يمكن أن تجرف مفاهيم الناشئة عندنا الى دوامة الشلل والضياع الفكرى .

نحن لا نطالب بمنع الثقافة غربية كانت ام شرقية .. ولكننا نطالب بأن نعي صحة تثقيف اجيالنا وصحة انفتاحهم السليم على الثقافات الاجنبية ، بحيث لا تنجرف ثقافتنا وتضيع اصولنا .

لقد آن للدولة أن تتنبه للاستعمار الثقافى الذى تحاول بعض الجهات أن تهدم به حضارتنا .

القلب السليم

عن مجلة « الايمان المغربية » :

● عندما يتجه الانسان الى معرفة العالم المحيط به ، يشعر أن له مرآة صقيلة تنعكس عليها شتى الارتسامات والانفعالات .. تنعكس عليها ردود الفعل اثر كل عملية يقوم بها نحو نفسه ونحو خالقه ونحو الناس .. تنعكس عليها اصداء الخير والشر .. واشباح الاستقامة والضلال .. تتسع وكأنها الافق اللانهائى .. ! وتضيق وكأنها سم الخياط ..!

تلك المرآة الانسانية هى القلب الانسانى فى كل حركاته ونبضاته .. القلب الذى يصلح الجسم بصلاحه ويفسد بفساده ... القلب الذى يفيض بالمحبة والخير والاحسان والنبل والطهارة .. كما يفيض بالحقد والشر والنذالة والدنس .

فهل نحن مطمئنون الى هذه القلوب التى بين جوانحنا ؟ وهل نحن مطمئنون الى حركاتها التى تقودنا الى متاهات لا ندرى مبدأها ولا منتهاها ؟ وهل نحن مطمئنون الى هذا الحبل الطويل الذى يبدأ بشهوات ثم اغراض ثم انحرافات عن الصراط المستقيم ؟

الواقع أن المؤمن المتبصر يجب أن يحاسب نفسه حسابا دقيقا قبل أن يحاسبه خالقه حسابا عسيرا .

صفة المعلم الحق

عن مجلة « الأديب » اللبنانية :

● متانة الأعصاب صفة تمكن المعلم من ان يهذب بالرفق ويرشد بالرحمة ويضبط بالهدوء ، وبهذا يبقى على محبة تلاميذه له ، وينمى ثقتهم به . والمعلم الذى يجد أن من عهد اليه بتعليمهم لا يحبونه، عليه أن يبحث فى اصلاح ما بينه وبينهم، والا فليدعهم لسواه ممن يستطيعون الحفاظ على هذه الصلة الأساسية ، الجامعة المطمئنة . ومتانة الأعصاب الضامنة تبادل المحبة بين المعلمين والمتعلمين هى نفسها تكفل الصبر على مشقة التهيؤ الطويل للعطاء السخى .

ولكى يستطيع المعلم الحديث أن يقوم بواجبه يجب أن يكون مربيا ، والتربية ، كما يقول علماؤها ، اعداد للحياة فى جميع ميادينها ، اذن ، لا مجال للشك ، فى ضرورة قسط وافر من الثقافة العامة يحرزه مربى اليوم حتى تتهيأ له مؤالفة الطبيعة والحياة الاجتماعية ، ويتيسر له الأخذ باسباب القيم المعنوية والروحية . ومن خلال هذه المؤالفة الشاملة يتسنى للمعلم ان ينفذ الى مفاهيم متنوعة يدخر منها مؤونة تعينه على مشاركات ذهنية تشحذ ذكاءه وتولد فى عاقلته الاذعان للموضوعية فى ما يدرس أو يدرِّس . وبقدر ما يكون تمرس المعلم بالانضباط الموضوعى ، تزداد قدرته على العطاء المفيد ، ويشتد حرصه على الوقت فلا ينفق منه هدرا على جوانب طريق التلمذة أو خارج نطاقها .

من أخطاء القضاء

أشعلت النار في المصنع .. وبقى الفاعل مجهولا

بقلم حسن الجداوى
محامى النقض بالقاهرة



■ فى النصف الثانى من القرن الماضى حين اتجهت انجلترا الى التصنيع فكر دانييل هاندز فى كسب المال عن طريق الصناعة . فانشأ فى عام ـ ١٨٦٦ ـ مصنعا للملابس الداخلية بمدينة لستر ، وبنى على ذلك المصنع الامال العراض ، ووضع فيه كل ما استطاع جمعه من مال وبذل كل ما فى قدرته من جهد . ولكن الربح لم تكن مواتية فوجد نفسه ـ بعد اربعة اعوام من الجهد المتواصل ـ على حافة الافلاس .

ولكن الحظ واتاه ـ من حيث يدرى او لا يدرى ـ او لعله يدرى ـ فشب فى جزء من المصنع حريق ودفعت له شركة التامين اربعة الاف جنيه استرلينى .

ولكن هذا المبلغ ـ على ضخامته فى تلك الايام ـ لم يكن كافيا لاعادة الحياة الى المصنع ، فقد ذهب كله فى اسكات الدائنين ذوى المطالب العاجلة . فما كاد يمضى العام حتى وجد دانييل هاندز نفسه مضطرا للبحث عن مال سائل يستعين به على استمرار المصنع .

وكان دانييل هاندز مؤمنا ان مصنعه لا بد ان ينجح ويدر عليه ثروة ضخمة اذا استطاع ان يجتاز به الفترة العصيبة التى يمر بها . لذلك لجا الى الحيل العديدة التى يلجا اليها رجال الاعمال كلما نضب المال السائل من بين ايديهم . صار ـ كما يقولون ـ ياخذ القبعة من فوق راس دائن ليضعها على راس دائن آخر ـ ويكثر من الوعود لهذا وذاك ـ ليوهمهم ان صناعته رائجة وانه لاخوف من ضياع اموالهم .

وهذه الحيل قصيرة الاجل . فما من مصنع يستطيع ان يستمر فى الانتاج اذا لم يتوفر المال السائل للادارة اليومية .

وكان بين عمال هاندز فتى صغيرا اسمه توماس سكانتون ، محدود الذكاء لا يصلح لغير العمل الصغير الذى يتولاه ويتقاضى عنه اجرا ضئيلا ... جنيه واحد فى الاسبوع . وكان صاحبنا قانعا بمرتبه الضئيل لا مطمع له فى مزيد ولا امل له فى ترقية . ولكن والد سكانتون كان يدخر بعض المال وهاندز فى اشد الحاجة لذلك المال المدخر .

وهنا نبتت عند هاندز فكرة شيطانية . واقترح على الوالد ان يضع ماله المدخر فى المصنع موهما اياه انه اكتشف فى ابنه نبوغا واستعدادا خاصا للاشتراك فى ادارة المصنع وانه لذلك سيرقيه الى وظيفة ادارية ليستفيد بخبرته ونبوغه .

وصدق الفتى الصغير ما زعمه له صاحب المصنع . كذلك صدق الاب . فاذا كانت كل فتاة بأبيها معجبة ، فان كل اب بابنه اكثر اعجابا خصوصا اذا كانت الشهادة فى حقه من رئيس اختبره فى العمل .



وهكذا اصبح سكانتون الصغير شريكا فى المصنع، وتحرر عقد الشركة بين هاندز الذى قدر موجودات المصنع بمبلغ ١١٠٠ جنيه ، اضاف اليها ١٢٠ جنيها هى كل ما كان يمتلكه فى ذلك الوقت ، بينما دفع والد سكانتون حصة ابنه وقدرها خمسمائة جنيه . واصبح المرؤوس السابق شريكا بالاسم سعيدا بالجلوس على مكتب يحلم بالنجاح المنتظر، وان كان هاندز ـ فى الواقع ـ قد ركنه على الرف اكتفاء بقبض الخمسمائة جنيه التى كان يسيل لها لعابه .

وساعدت الخمسمائة جنيه التى دفعها سكانتون وبعض المبالغ التي كان ينجح هاندز فى اقتراضها بوعوده الخلابة على سير المصنع لمدة اربعة اعوام اخرى وسط صعوبات جمة كسفينة فى مهب الريح . وسكانتون ـ فى غفلته ـ لا يدرى من امور المصنع شيئا . وكان يجرى على لسان ادارة المصنع قولا ـ على سبيل المزاح ـ انه لا ينقذ المصنع من وهدته الا حريق كالحريق السابق .

انها نكتة اطلقها هاندز فى ساعة عدم انتباه . ولكن توماس سكانتون ـ بذكائه المحدود ـ اتخذها كلمة يرددها بمناسبة وبغير مناسبة . لقد كان يجهل الحالة المالية للمصنع والصعوبات التى يتردى فيها ، ولكن النكتة اعجبته فصار يرددها خالى الذهن عما يخبئه له القدر . فكلما وصل المصنع خطاب من احد الدائنين يهدد باشهار افلاس المصنع اذا لم تسدد ديونه كان يضحك ملء شدقيه ويكرر عبارة « اذا لم نستطع ايجاد حل لهذه المطالبة فما علينا الا ان نشعل النار فى المصنع » .

وفى مرة اخرى ـ امام تعدد مطالب الدائنين قال

امام كثير من العمال « ليت النار تشب فى المصنع وتحيله الى رماد » .

★ ★ ★

لو كان سكانتون يعلم ما يخبئه له القدر او لو انه كان معتزما ان يشعل النار فى المصنع – كما اتهم فيما بعد – لكان آخر كلام يرد على لسانه ذلك التعبير السخيف الذى كان يردده .

وما الذى يدعو سكانتون الى اشعال النار فى المصنع ؟ .. لقد ابتسمت له الحياة واختاره صاحب المصنع شريكا له – دون غيره من العمال – لما توسمه فيه من نبوغ – واصبح شريكا فى ملكية المصنع . اما ان المصنع كان فى ازمة فقد اكد له هاندز ان جميع الاعمال الناجحة تمر فى البداية بمثل هذه الازمات .

★ ★ ★

وفى مساء ١٧ فبراير سنة ١٨٧٥ حلت الكارثة .. فقد اغلق المصنع فى الساعة الثامنة مساء كالمعتاد . وانصرف العمال . وانصرف سكانتون الى منزله فى احدى ضواحى لستر ، وبعد ساعتين ونصف من اغلاق المصنع هب فى المصنع حريق التهم كل موجودات المصنع من مبان وآلات وبضائع مخزونة .

وابلغ هاندز فجاء على الفور ووقف ينظر الى النار وهى تلتهم المصنع ولم يفكر فى ان يبعث برسول ليستدعى شريكه سكانتون بل ذهب الى منزله بعد ان اكلت النار الاخضر واليابس واتجه الى سريره ونام ملء جفونه يحلم بالامال العريضة التى سوف يحققها بعد قبضه قيمة التامين . فقد كان هاندز برغم الصعوبات التى كان يجتازها المصنع ، وبرغم عجزه عن دفع الديون المتراكمة وبرغم ان موجودات المصنع عند تحرير عقد الشركة مع سكانتون قد قدرت بالف ومائة جنيه ، مستمرا على دفع اقساط التامين على اعتبار ان قيمة المصنع ١٣٩٣٨ اى اربعة عشر الف جنيه الا قليلا .

★ ★ ★

وفى صباح اليوم التالى ذهب الى سكانتون ينقل اليه الخبر المشئوم فوجده يستعد للذهاب الى المصنع وتحدث اليه والى ابيه – صاحب الخمسماية جنيه – ففزعا ولكنه طمانهما بان شركة التامين ستدفع قيمة التامين وتغطى كل الخسائر .

★ ★ ★

ولكن شركات التامين لا تنظر بعين الارتياح الى نشوب حريق مرتين خلال خمس سنوات . انها ترتاب فى الحريق الثاني وتبث عيونها . فاذا علمت ان المصنع كان يتردى فى صعوبات مالية خانقة وانه كان على وشك اشهار افلاسه تحولت شكوكها الى يقين .

لذلك توقفت الشركة عن دفع التعويض وابرزت تناقض اقوال الشريكين فى سبب الحريق ، وقال رئيسها انه سيحيل الموضوع الى البوليس ليجرى فيه تحقيقا .

★ ★ ★

وسارع هاندز الى البوليس واتهم شريكه سكانتون بانه هو الذى اشعل النار عمدا فى المصنع وقال انه تجمعت لديه ادلة تثبت ذلك . واستشهد باخيه وابنه وبعدد من عمال المصنع .

اشهد كثيرين ان سكانتون قال فى مناسبات عديدة ان حرق المصنع وقبض التعويض من شركة التامين هو السبيل الوحيد لانقاذ المصنع من ازمته .

وشهد اخو هاندز ان سكانتون قال له فى صباح يوم الحريق انه يعتزم اشعال النار فى المصنع .

وقال هاندز ان سكانتون وضع – على غير المعتاد – كمية كبيرة من الاخشاب فى صندوق فى بئر السلم وان الحريق بدأ من هناك . كما قال ان سكانتون فى ليلة الحادث صرف العمال قبل موعد انصرافهم المعتاد وبقى وحده فى المصنع . وقال ان شكوكه بدأت بمجرد علمه بالحريق وانه حين قابل سكانتون واباه – فى صباح الغد – افضى اليهما بشكوكه ولم يتحرج فى توجيه التهمة الى شريكه . وانهما لم ينكرا التهمة بل قالا له « لا تقلق فستحصل على تعويض كبير . » واضاف هاندز ان سكانتون حمل كثيرين من موظفى المصنع على المغالات فى تقدير البضائع التى كانت مخزونة لتضخيم مبلغ التعويض المطالب به .

★ ★ ★

ورفعت الدعوى على سكانتون امام محكمة الجنايات . ولم يكن موفقا فى اختيار من يدافع عنه . كان الدفاع يواجه صعوبتين . الاولى ان القانون الانجليزى لم يكن يسمح للمتهم بالادلاء بشهادته بعد حلف اليمين كما هو الحال منذ بداية هذا القرن . ولو كان يسمح لاستطاع سكانتون ان يدحض كل الاقوال المكذوبة التى ادلى بها هاندز واعوانه .

اما الصعوبة الثانية فترجع الى ان محاميه كان

من النوع الذى يبذل اقل جهد فى الدفاع . لقد آمن المحامى ان موكله برىء وان التهمة واضحة البطلان لا تقف على قدمين وان الاتهام عجز عن تقديم ادلة مقنعة . فما حاجته لاستدعاء شهود نفى . ان المتهم برىء حتى تثبت ادانته والادانة فى تقديره لم تثبت . فلم يستدع والد المتهم الذى زعم هاندز كذبا انه واجهه باتهام ابنه . واكتفى المحامى بمرافعة حماسية بليغة مزق بها ادلة الاتهام وسخر منها وقال ان التهمة من صنع هاندز الذى يغار من سكانتون ، وبين ان الذى يستفيد من الحريق هو هاندز لاسكانتون .

✶ ✶ ✶

ولسوء حظ سكانتون لم تقنع تلك المرافعة لا القاضى فى تلخيصه ولا المحلفين فى قرارهم ، وغابت عنهم الحقيقة لانهم لم يسمعوا الا احد وجهى الحقيقة فادانوه وصدر الحكم ضده بالسجن مع الاشغال الشاقة لمدة اثنى عشر عاما .

وخرج سكانتون من قاعة الجلسة ليقضى سنين محنتـه .

★ ★ ★

وضعوه فى زنزانة انفرادية لمدة تسعة اشهر . لا يتحدث الى أحد ولا يرد احد عليه اذا تحدث . كان ذلك هو نظام السجن فى تلك الايام وكانوا يظنون انها وسيلة ليراجع المحكوم عليه نفسه ويندم على ما فعل . ولكن سكانتون لم يفعل شيئا يندم عليه بل ارتكب فى حقه جرم ووقعت عليه مصيبة لا يعرف لها مبررا . فكانت افكاره تدور حول الاكاذيب التى ادلى بها هاندز غير عابىء باليمين التى اقسمها .. وكان يتساءل كيف صدقه القاضى وكيف صدقه المحلفون وحكموا عليه بالموت حيا ؟ .. فقد تأكد انه لن يعيش حتى نهاية العقوبة المحكوم بها عليه وان عاش فسيخرج من السجن كسير الفؤاد منبوذا من الهيئة الاجتماعية .

واستولى عليه يأس قاتل .

✶ ✶ ✶

ولكن اليأس لم يعرف سبيله الى اثنين من اقرب المقربين اليه ، ابيه وزوجته . فقد آمنا ببراءته وعملا على اثباتها .

ولم تكن محكمة الاستئناف لقضايا الجنايات قد انشئت بعد فى انجلترا ، فلم يكن من سبيل امامهما الا جمع توقيعات من أهل المدينة رفعاها الى وزير الداخلية . ولكن وزير الداخلية لم يعرها أى اهتمام . وحاولا أن يجدا صحيفة كبيرة تتبنى القضية فعجزا عن اقناع أية جريدة . ومع ذلك لم ييأسا وعرضا الموضوع على أحد المحامين فاشار برفع دعوى ضد هاندز بتهمة الحنث فى اليمين .

ولكن هذه الدعوة تتطلب مصاريف باهظة يجب أن يتحملها المدعيان . ولم يجدا لديهما المال الكافى فظلا اربع سنوات كاملة حتى دبراه وذهبا الى المحامي لرفع الدعوى . ودرس المحامي القضية وقال أن أمله فى الوصول الى ادانة هاندز ضعيف وانه بغير حكم بالادانة فلن تعود القضية بأية فائدة على سكانتون .

ومع ذلك قدم الوالد والزوجة المال وطلبا رفع الدعوى .

✶ ✶ ✶

واخرج سكانتون من السجن وجيىء به فى ملابس السجن والحديد فى يديه ليقف فى منصة الشهود ويدلى بأقواله فى التهمة الموجهة الى هاندز .وأدلى بشهادة فى غاية الوضوح انكر كل ما جاء على لسان هاندز فى محاكمته ضده وقال ان الاقوال المنسوبة اليه عن حرق المصنع كانت على سبيل المزاح اعتقادا منه أنها احدى النكات التى ترد على لسان كبار رجال الاعمال وانه اراد أن يتشبه بهم . وانكر أنه وضع اخشابا فى بئر السلم وبين أن البئر كان مزدحما بالمتروكات لدرجة استحالة وضع اخشاب به . وانكر انه صرف العمال قبل موعدهم وقال انه حقيقة بقى بعض الوقت بعد انصرافهم لاتمام الاعمال المتاخرة وان ذلك شأنه فى كثير من أيام العمل .

وكذب هاندز فيما ادعاه من انه اشترك بمبلغ ثلاثة الاف جنيه اذ أن كل ما دفعه هاندز ١٣٠ جنيها زيادة على موجودات المصنع التى قدرت بألف ومائة جنيه . وأوضح ان الاربعة آلاف جنيه التى قبضها هاندز من شركة التامين ذهبت كلها فى تسديد الديون الصارخة .

وأيد شهود عديدون أقوال سكانتون .

وانكر سكانتون أن هاندز حين حضر اليه غداة يوم الحريق أبدى شكا فى سبب الحريق او وجه اليه اتهاما بل كان الحديث بينهما وديا . واستشهد فى ذلك بوالده وزوجته فأيداه فى أقواله .

★ ★ ★

ووجد سكانتون الطريق امامه فسيحا للادلاء

بالمعلومات التى لم يبدها أثناء محاكمته لانالقانون لم يكن يسمح بذلك فقال أن هاندز اقترح ـ قبل أن يعلم أن شركة التـأمين ستتوقف عـن دفع التعويض ـ دعوة الدائنين ليشرحلهم حالة الشركة وانهم مضطرون لاشهار افلاسهم ويعـرض عليهم التصالح على أساس ٥٠٪ من ديونهم وانـه ـ سكانتون ـ عارض فى ذلك لان التعويض المنتظر دفعه كاف لسداد جميع الديون بالكامل وبقاء رصيد كبير للشريكين فقال هاندز « اننا اذا دفعنا نصف الديون كان المبلغ المتوفر لنا اكبر بكثير » .

وادرك سكانتون ان هاندز يريد أن ينصب على الدائنين ورفض الاشتراك فى هذا النصب فحقد عليه هاندز .

واقترح هاندز على سكانتونادراج ديون صورية فى سجلات المصنع وذكر بالذات اسم والد زوجة سكانتون الذى لم يكن له أية صلة بالمصنع كما ذكر أسماء دائنينآخرين واظهر سكانتوناشمئزازه منهذه التصرفات فكان جزاءه انه ـ بمجرد رفض شركة التامين دفع التعويض ـ ان وجه اليه هاندز تهمة الحريق المعمد .

* * *

كذلك أشهد سكانتون حارس المصنع الذى قال ان هاندز مرّ عليه قبل محاكمة سكانتون بتهمة الحريق ، ووجد عنده حصانا فقال له : « هـذا الحصان حصاني وأحسبك ستدعي انك اشتريته من سكانتون » فرد عليه : « لا . لا . لقد اعارنيه سكانتون » وبدا على هاندز انه تضايق من ذلك الرد . وقال « لقد ظننت انني أوقعت سكانتون ، ولكن لا يزال فى جعبتي أمر آخر ان لم أوقعه فيه، فسوف أقتله » . وانصرف غاضبا .

* * *

كانت شهادات الشهود مترابطة متساندة وآمن كل من تتبع القضية ان سكانتون ضحية خطـا قضائي وان هاندز افترى عليه . ولكن المحلفين وجدوا حين اختلوا الى غرفتهم وتداولوا فى امر الشهادات ، ان سكانتون انما يدافع عن نفسه . وان الاب والزوجة قد يتحيزون . وان عمـال المصنع والحارس يشهدون عن واقعة مضى عليها خمسون شهرا فقد تخونهم ذاكرتهم . وقد قال القاضي فى تلخيصه ان الظاهر ان هاندز قد كذب فى شهادتـه ولكن ذلـك لا يكفى لادانتـه بتهمـة الحنث فى يمينه .

وازاء هــذه الشكوك وعملا بان الشك يؤول لمصلحة المتهم قرر المحلفون أن هاندز غير مذنب . وقضوا بذلك على آخر امل لسكانتون واسرته .

وعاد سكانتون الى السجن مهيض الجنـاح مكسور الخاطر .

* * *

فلما ضاقت واستحكمت حلقاتهـا ، فرجت ، وكان سكانتون واسرته يظنونها انها لن تفرّج . فقد حضر المحاكمة الثانية مندوب جريدة الديلي نيوز فخرج مـن قاعة الجلسة مؤمنـا ببـراءة سكانتون . فنشر مقالا افتتاحيا فى جريدته شرح فيه وقائع المحاكمتين وختمه بقوله :

ان الاشغال الشاقة لمدة اثنى عشر سـنة عقوبة قاتلة خصوصا اذا اصابت شخصا ممن اعتادوا الحيـاة الرغيـدة وانتزعته من بين احضان اسرته .... ان المحلفين لم يستطيعوا فى المحاكمة الثانية ان يصلـوا الى القـرار المطلوب ، ولكن اجـراءات المحاكمة اظهـرت بوضوح وجود شك فى أن سكانتون هو الذى أشعل النار وان لم تكف لادانة هاندز . لقد كانت المحاكمة الاولى قاصرة اذ لم تسمع فيها الا اقوال هاندز وشهوده .

* * *

وكان لهذا الهجوم العنيف دوى شديد أيقظ النائمين من نومتهم ، ولم يستطيع وزير الداخلية أن يصمّ اذنيه عن سماعه . فارسل يطلب ملف القضيتين ، وعهد بدراستهما لكبير القضـاة ، فافتى بأن خطا قضائيا ارتكب فى حق سكانتون اثناء المحاكمة الاولى ، واشار باستصدار عفو شامل عنه . وصـدر العفـو وردت لسكانتون حريته .

* * *

وحين خرج سكانتون من السجن التف حوله الصحفيون يريدون منه أن يحدثهم عما لاقاه فى السجن منعذاب وعنمشاعره ـ وهو برىء ـ حين سمع الحكم بادانته ، وحين ذاق عذاب الحرمان من الحرية . ولكنه رفض أن يتحدث أو يفكر فى محنته فقد كان كل ما يريده هو أن يعود الى منزله وأن لا تحسب هذه السنين الاربع مـن ايام عمره . ■■

حسن الجداوي
القاهرة

رقاع الدعوات



وبعض آداب المائدة في العصور العباسية

بقلم : ناجى محفوظ

وزارة التربية ـ بغداد

■ كان للدعوات ـ فى العصور العباسية ـ آداب خاصة بها ، اتبعها ذوو السعة واليسار واهل المروءات ، ممن بسطت الدنيا لهم يديها .

ومن تلك الآداب : ان الرجل منهم اذا دعا الى منزله احد اخوانه او اصحابه ، كان عليه اما ان يبعث اليه ـ اذا حان الوقت ـ رسولا يذكره ويحثه على الحضور . وفى ذلك يقول منصور الفقيه :

اذا ما كان بينك من صديق
وبين أخ من الاخوان وعد
فجدد بالغداة له رسولا
فان حوادث الايام تعدو

دعوة ورقعة

واما أن يرسل اليه برقعة ـ بيد رسوله ـ يضمنها ذلك . اذ كانوا يرون فى ارسال الرقعة تقوية لعزيمة المدعو على تلبية الدعوة .

قال احمد بن اسماعيل الكاتب :

اذا صاحب لك واعدته
ليوم اجتماع من الجمعة
فقو عزيمته فى الوفا
بتذكرة منك فى رقعة

وبعض الناس كانوا عندما يدعون يطالبون بأن يشفع القول برقعة ، فالرقعة سند وقوة ظهر . يروى: أن أبا العيناء كان يوما عند ابراهيم ابن المدبر، فقال ابراهيم له : « كن عندى غدا ». فقال له : « قو ظهرى برقعة » .

وفى الرقعة وصف المائدة

والداعي يحض فى رقعته أخاه أو صاحبه على الحضور والتبكير فى المجيء ، واصفا له المائدة وصفا مشوقا ، ذاكرا له ما هيئ من شهى الطعام ولذيذ المأكول ، مؤمئا الى ما يفوح من طيب الروائح من القدور . أو أن يذكر له :

ان المدعوين كلهم اخوانه ، يشتاقون الى لقائه ، ويودون الاجتماع به،وهم ينتظرون مجيئه ليانسوا به ، فهو يدعوه الى القدوم ليكتمل به انسهم ويتم سرورهم . ويرجوه الا يكدر عليهم ما هم فيه بالاعتذار او التأخر . وقد يصف له ما في داره من شراب وانية ، وجوار فاتنات ، وغناء والات .

ومثال ذلك ما كتبه احمد بن جعفر بن موسى البرمكي (الملقب بجحظة) :

لنا يا أخي زَلّةٌ(١) وافـــره
وقِدْرٌ معجّلــة حاضـــره
وراحٌ تزيـــل اذا صُفّقَتْ
ســنا البـرق في الليلــة الماطره
ومُسْمِعةٌ لـم يخنهـا الصوا
ب وزَمّـرةٌ أيّما زامــره
ومـا شئتَ من خبر نـادر
ونادرةٍ بَعْـدها نـادره
فــوافِ وان كنت يا ابن الكـرام
وحاشـاك في الساعة الآخره

عندما أخطأت الرقعة صاحبها

هذا وقد يمضي الرسول بالرقعة ، فيخطىء ولا يسلمها الى من أرسلت اليه ، بل يعطيها لاخر غيره ، كما حدث لابن المعتز :

فقد أرسل ابو احمد ابنُ المنجّم الى اخيه ابي القاسم رقعة يدعوه فيها ، فغلط الرسول واعطاها ابن المعتز ، فقراها ، وعلم أنها ليست اليه ، فقلبها وكتب عليها :

دعـاني الرسـول ولم تدعني
ولكن لعلـي أبـو القاسـم

فاخذ الرسول الرقعة ومضى ، ثم عاد بها الى ابن المعتز ، واذا مكتوب فيها :

ايـا سيـدا قـد غـدا مفتخـرا
لهاشمٍ اذ هـو من هاشـم
تفضّـلْ وصـدّقْ خطـاء الرسول
تفضّـلَ مولىً على خـادم
فدىً لـك من كل ما تتقيــه
ابـو أحمـد وابو القاسـم

فقام ابن المعتز ومضى اليه .

آداب في تقديم الطعام

ولتقديم الطعام ــ عند حضور المدعوين ــ آداب ورسوم خاصة ، فقد كانت سُنّة المتقدّمين من آبائنا ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ، ويصففوا القِصاع من الطعام على المائدة ، لياكل كل واحد مما يشتهي . وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ، ليستوفوا منه ولا ينتظروا اطيب منه ، فيبقى بعضهم جائعا .

وكان بعضهم يدعو خبازه فيمثل بين يديه قائما والضيوف تسمع ، فيقول له : « ما عندك ؟» فيقول : « عندي كذا وكذا » . فيعدّد ماعنده ، يريد بذلك أن يحبس كل رجل من اصحابه نفسه وشهوته على ما يريد من الطعام . وتقبل الالوان فتوضع على المائدة . ولكن البعض من اصحاب المروءات كان يذكر ما صنع لاخوانه من الطعام في رقعة ، ويعرضها عليهم ، فمن استطـاب لونا حبس نفســه عليه .

ولم يكن يليق بالزائر ان يقترح على المزوُر شيئا بعينه ، فربما يشق عليه احضاره . اما اذا هو خيّره فيختار ايسرها عليه . ولكنه اذا علم ان مضيفه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك ، فلم يكن من باس أن يقترح عليه .

فكذلك فعل الشافعي

فكذلك فعل الشافعي : فقد كان نازلا ــ عند الزعفراني ــ ببغداد ، وكان الزعفراني يكتب ــ كل يوم ــ رقعة بما يطبخ من الالوان ، ويسلمها الى الجارية . فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الايام ، والحق بها لونا آخر بخطه ، فلما رأى الزعفراني

---

(١) الزلة : الوليمة .

ذلك اللون انكره وقال للجارية : « ما امرت بهذا ؟ » . فعرضت عليه الرقعة وقد الحق فيها بخط الشافعي ذلك اللون . فلما وقعت عينه على خطه ، فرح بذلك واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه .

رِقاع تنثر فى العرس ، وبها أسماء ضياع

وهناك نوع آخر من انواع هذه الرقاع ، كان ينثر في العرس ، بعد أن تكتب في الرقاع أسماء ضياع او أموال نفيسة ، ثم توضع داخل بنادق الطيب ، وتنثر فمن يُصيب من المدعوين رقعة مَلَكَ ما كتب فيها . ولكن هذا النوع كان نادرا ، فلم نسمع بنثر مثل هذه الرقاع الا في عرسين اثنين ، لا نعرف لهما ثالثا حتى يومنا هذا .

الاول : عرس المامون في فم الصلح ، فقد كتب الحسن بن سهل ـ أبو بوران زوج المأمون ـ اسماء ضياعه في رقاع ، ونثرها على القواد وبنى هاشم ، فمن وقعت في يده رقعة أشهد له الحسن بها . وذهب بعض المؤرخين الى انه كتب في رقاع صغار اسماء ضياع وقرى وجواري ووُصفاء وخيل وجواهر وصياغات ، ودنانير ، ثم جعلت في بنادق المسك والعنبر ، ونثرها بين الحاضرين فاستبرد الناس ذلك ، فامرهم بكسرها واستخراج ما فيها، فلما كسرت البنادق وجد فيها رقاع ، فقبض كل من وجد رقعة ما فيها من عقار او غيره ...

الثاني : عرس الامام أبي جعفر محمد الجواد بن علي الرضا عليهما السلام ، فقد زوجه المأمون ابنته ام الفضل ... ثم أولم عليهما ، وجاء الناس على مراتبهم ، الخاص والعام ، وبعدها جاء الخدم يجرون سفينة من فضة مملوءة غالية ، فخضبوا لحى الخاصة بها ، ثم مدّوها الى دار العامة فطيّبوا .. وبعد أن تفرقوا امر المامون أن ينثر على أبي جعفر ثلاثة أطباق فيها بنادق مسك وزعفران معجون بماء الورد ، في جوف بعضها رقاع بعمالات لبني هاشم ، وفي بعضها رقاع بضياع طعمة للوزراء وفي بعضها رقاع بِبِدَر للقواد ...

وللمفاليس رقاع

هذا ، وللمفاليس والبخلاء رقاعهم ـ التى تدل على حالهم او تكشف عن سرائرهم ـ كما كان لذوى السمعة واليسار رقاعهم ايضا .

من ذلك : ما يحكي أن بعض مفاليس الكتاب كان في دعوة ، فلما اخذت الكاس منه ، قال لهم : « انتم عندي غدا » . فلما أصبح حدثه غلامه ما بدا منه ، فسُقِط في يده ، واخذ يعنف غلامه ، كيف لم ينبههم على افلاسه وسوء حاله ، والغلام يعتذر عن ذلك باشفاقه من عربدته لو اطلعهم على ذلك .

وبينما هم على ذلك ـ اذ دق القوم الباب ـ فقال لغلامه : « علي بالدواة والقرطاس » . وكتب اليهم : « ان الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فاخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلوموني ولوموا انفسكم ، ما انا بمصْرخكم وما انتم بمصْرخيَّ » . فلما قرأوا الرقعة عرفوا عذره وتفرقوا عنه .

وذكر احد الكتاب : انه كان يعاشر سوقيا ، فاتفق أن دعاه يوما، فلما تمكن اشتغل عنه صاحب الدعوة ، فعثر برقعة بخطه ، فيها : « فلان دعاني مرتين ، ودعوته ثلاث مرات ، فعليه دعوة ، وقد ذكرنا على هذا اسامي كل من يعاشرنا .. » ، فلما انتهى الى اسمه ورأى انه قد حصل عليه دعوات، قام وخرج وقال : « علي ان لا اتناول طعامك حتى اردها علي » وقال في ذلك :

أرى الدعوات قد صارت فروضا
ودَيْنا في البرية مستفيضا
فاكره أن أجيب فتى دعاني
ولا أدعو فيلقاني بغيضا

■■

ناجي محفوظ

المرأة والأسرة

الزوج يرهن زوجته وأولاده في سبيل سداد دين

بقلم : شريف يوسف

استاذ مساعد بجامعة بغداد

■ في القوانين والشرائع البابلية تفاصيل كثيرة تشرح موضوع الارث في العائلة ، وتحدد حقوق ووظيفة كل من الزوجات والحظايا . وقد عثر المنقبون على رقيمات من طين عديدة تخص عقود الزواج لديهم ، وفيها الزام لما للزوجة على الزوج من حقوق وواجبات . ومما لا شك فيه ان مثل هذه العقود كانت تنظم الامور بين الطبقات الموسرة من الشعب ، اما الطبقات الفقيرة فليس هناك من حاجة لمثلها ، طالما ان الفرد فيها لم يكن يملك الكثير من حطام الدنيا ، وحالته المادية لاتساعده على تعدد الزوجات والتسري .

النسل والعناية بالحوامل

في هذه الشرائع نصوص تبين حرص الدولة على زيادة النسل والعناية بالحوامل ، فقد نصت على وجوب المحافظة على الابناء وحسن تربيتهم . والمرأة التي تحاول الاجهاض بأية طريقة من الطرق يشهر بها على قماطة تحصر العنق واليدين ، ثم تضرب على ملأ من الناس ، اما اذا ماتت بسبب ارتكابها هذه الجريمة فتصبح نجسة ولا تجرى لها الطقوس الدينية الخاصة بالوفاة .

وهناك عقوبات معينة لمن يسبب اسقاط الجنين لامرأة عرَضا ، وذلك بالزامه دفع غرامة للدولة ويحكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة شهر . كما ان هناك درجات لهذه العقوبة . فهي بالنسبة لامرأة حامل من الطبقة العليا خمسة اضعاف العقوبة التي ينالها الجاني اذا كان المجنى عليها امرأة من الطبقة السفلى ، وفوق ذلك تعمل هذه الشرائع على تعويض المرأة عن فقدانها جنينها .

من شرائع بابل استقت روما شرائعها

كانت بابل المعين الذي استقت منه روما شرائعها ، اذ كان القانون سائدا ، وكانت شرائعها المدونة تمنح المواطن حقوقا وتفرض عليه تبعات ، وعليه الابتعاد عن نواهيها والعقاب لمن يتصدى الى ذلك . ففي بداية الالف الثانية قبل المسيح وضع الملك حمورابي شرائعه المعروفة ودونها في لوحة بقيت نافذة قرونا عدة . وهذه الشرائع تحتوي على نصوص اجتماعية تفوق ما سبقتها من نظم وشرائع ، اذ كان هدفها حماية الضعفاء ، ومنهم النساء ، كما انها كانت تعنى كثيرا بالمحافظة على الملكية الخاصة .

شريعة حمورابي خصت الاسرة بنصيب ذي بال

كان البابليون اناسا واقعي التفكير وقوانينهم موجزة المبادىء شاملة ، والغرض منها توضيح مشكلات الحياة اليومية وما يجب اتخاذه ازائها ، وفي الحق ان الاساطير البابلية الاولى كانت ترتكز على فكرة خلق الانسان لارضاء الالهة . ولكن تفكير البابلي الدنيوي كان مرتكزا على المادة ، وان

عِنْدَ البَابِلِيِّين

إذا قُبِضَ على المَرأَةِ مُتَلَبِّسَة مَعَ عَشِيقٍ لَهَا أُلْقِيَ الإِثْنَانِ مُكَبَّلَيْنِ فِي النَّهْرِ .

اغلب مواد شريعة حمورابي الخاصة بالاسرة تتناول قضية المال على ضروبه المختلفة ، منقولة وغير منقولة ، وكذلك معاملات البيوع والقروض والرهون وغيرها ، كما انها كانت تعير العلاقات البشرية القائمة بين الرجل والمراة واقاربهما اهمية خاصة . فالمواد المتعلقة بالعائلة خصص لها ٦٤ مادة من ٢٥٠ مادة من هذه الشريعة .

الزواج والتسرى فى شريعة حمورابى

ان اساس الاسرة فى شريعة حمورابى هو الزواج الاول الذى يثبته عقد النكاح ، ولكن بامكان الزوج ان يتخذ له حظية واحدة او اكثر يساكنها في بيته ان كانت زوجته مريضة او عاقرا على الاخص. فاذا لم يكن له اولاد من زوجته وحظاياه ، واصر على انجاب الاولاد ، يحق له ان يتخذ زوجة ثانية شريطة ان يحتفظ بزوجته الاولى ، والزوجة الثانية لا تحتل الا المقام الثاني فى الاسرة ، وعليها دلالة على ذلك ان تغسل قدمي الزوجة الاولى عندما يطلب منها ذلك .

شريعة حمورابى خففت من قسوة الشرائع التى سبقتها

وفى الشرائع القديمة التى سبقت شريعة حمورابي يفرض على الشاب الذى يغتصب فتاة ان يبادر الى طلب يدها من والديها ، فان ابى ذلك لقي حتفه . على ان هذا التزمت فى الشرائع القديمة خفت حدته بعد ذلك فى شريعة حمورابى ، اذ ليس فيها ذكر لما يسبق الزواج من وصال ، فالدولة لايعنيها من امر الرجل وحبه شيء الا عندما يقرر الزواج .

الزواج والطلاق فى بابل

ولما كان الزواج يتطلب التزامات مالية كبيرة وجب تنظيم الشؤون الخاصة به كافة ، فالناحية المادية من الزواج تتم على مرحلتين : اولاهما تقديم الرجل هدايا الزواج الى عروسه ، وبعدها يتسلم من والديها الصداق الذى لم يكن يعني مبلغ شراء الزوج ، لكنه اسهام منهما فى القيام بتكاليف الحياة الزوجية . فاذا ابقى الزوج زوجته في بيت والديها فعليه ان يقوم باودها . والصداق يعتبر من مال المراة وتبقيه عندها اذا تركها زوجها وتزوج بامراة اخرى .

اما الشروط الخاصة بفراق الزوجين نتيجة الطلاق فعديدة ، وفيها الشيء الكثير من السماحة. واهم اسبابه عدم انجاب الاولاد طبعا ، لان ذلك اساس الزواج . وللزوج الحق فى طلاق زوجته اذا كانت واهنة الصحة وغير قادرة على القيام بواجباتها الزوجية والمنزلية ، او اذا ثبت انها سيئة الخلق وغير محمودة السيرة . وفى جميع هذه الحالات يحق للرجل ان يعلن فسخ عقد الزواج ويسمح للزوجة باخذ صداقها او ما تبقى منه . فان كان لها اولاد وجب على الزوج القيام باودهم وليس عليه واجبات اخرى تجاههم ، واذا كان الرجل ذا حمية فله ابقاء الزوجة المطلقة فى بيته على اعتبارها خادمة بموافقة المحكمة .

قد تبدو هذه الاحكام جائرة بالنسبة للمراة ، الا أن المشرع احتاط لذلك بجعل الطلاق من حق الزوجة ايضا اذا لم يسلك الرجل مسلكا حسنا او اهمل القيام بواجباته الزوجية وفى مثل هذه الاحوال يجب ان يكون ذلك مقرونا برضاء المحكمة. فبعد قبض الزوجة صداقها تعوض عما يصيبها من اضرار ويحق لها الزواج من رجل اخر .

الزواج والطلاق فى بابل

اما من ناحية اخلاص الزوجين لبعضهما فالرجل اذا اهمل زوجته اهمالا كبيرا حق لها تركه دون

رضاه . والخيانة الزوجية المرتكبة من قبل الرجل لا تستوجب العقوبة وانما تتطلب دفع التعويض للزوجة فقط ولكن اذا لم تخلص الزوجة بحبها لزوجها فجزاؤها الموت غرقا . فاذا وجدت متلبسة بالجريمة مع عشيقها فتلقى في النهر معه وهما مغلولان مكبلان بالحبال . اما اذا تقاذفتهما الريب فيلقيان في النهر دون ربطهما معا . وهنا يتقرر مصيرهما ويترك الحكم عليهما لالهة النهر فان كانا بريئين نجيا من الموت . فعقوبة القاء الخائن في النهر كان لها المقام الاسمى في التشريع البابلي .

رهن الزوجة والاولاد في سداد دين

ومن المواد المشددة في هذه الشرائع مايسمح للزوج ـ شريطة موافقة المحكمة ـ ان يضع زوجته واولاده رهينة لسداد دين وضمانه . وللحيلولة دون اساءة استعمال هذا الحق واتخاذه بديلا عن الطلاق حددت الشرائع مدة ثلاث سنوات كحد اقصى لرهن الزوجة . ولاشك ان هذه الطريقة لايلجا اليها من الرجال الا القليل . ومع هذا فان مدة الرهن زيدت ابان عهد الدولة البابلية الثانية على ما كانت عليه سابقا وتطور رهن الزوجات والاطفال حتى صار اشبه بتجارة الرقيق .

بعد الفتح الأشورى لبابل

وقد اشتدت سطوة الشرائع هذه بعد الفتح الاشورى لبابل ، وبقدر تعلق الامر بالخيانة الزوجية حتم التشريع عقوبة بتر انف الزوجة الخائنة واخصاء عشيقها ، كما فرضت عقوبة البتر على من يغرر بالمحصنات ويحملهن على ارتكاب الفاحشة ليكونوا عبرة لم يعتبر .

المجتمع البابلي لم يخل من الفحشاء

وعلى الرغم من صرامة هذه الشرائع فلا يمكني اعتبار المجتمع البابلي مثاليا خاليا من الفحشاء . فقد حاول الرجل ايجاد منفذ للتخلص من قيود هذه الشرائع وذلك بتاسيس ملاجىء للبنات في المعابد.

فالسومريون ، الذين اتخذوا (انو Anu) الها لهم في (اوروك (Uruk) ، كانوا يقدمون اجمل بناتهم هدية الى (عشتار Ishtar) الابنة الجميلة للاله (انو) . الا انه من المحقق ان قسما من هاته البنات لم يكرسن حياتهن لخدمة المعبد حصرا ، بل كن يتعاطين البغاء خارجه . وقد وجدت رقيمة من طين كتب عليها ما يحذر الشباب من ملامسة العواهر التي يطلق عليهن اسم (حاريمت Harimate) ومضمونها : (لا تتزوج من حاريمت الكثيرة الخلان فهي لن تسعفك عند الشدة ، انها تشهد عليك في المحاكم ولا تعرف الطاعة ولا الاحترام ، كما انها تسيء الى سمعة بيتك ، فعليك طرد تلك التي تفتن الرجال ، لانها تحط من قدر البيت الذى تدخله ، ومن يتزوجها يفقد السعادة والخير) .

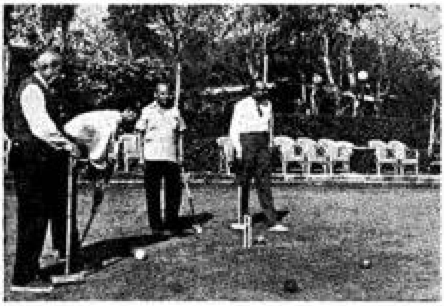
ان التجاء البنات الى المعابد والاقامة فيها تضحية محضة للالهة . ويذكر المؤرخ الشهير (هيرودوت Herodotus) ان معبد (ايتمننكي Etemenenki) في بابل كان يعلو برجه حرم خاص فيه سرير جميل براق وبجانبه منضدة من ذهب واليه كان تستدعى فتيات بابل الجميلات لتقضي ليلة سعيدة بجانب الاله (مردخ Marduk) كبير آلهة بابل ، وربما كان الملك او الكاهن بديلا عنه في ذلك .

وعلى الرغم من ذلك كله يمكن القول اجمالا ان البابليين كانوا حربا على الفاحشة بشرائعهم ونظمهم الاجتماعية ، فقد ابتدعوا نظاما للاسرة كان دعامته كيان العائلة والمحافظة على ميزاتها ، وجعل للمراة حقوقا ومنزلة . ومهما نسب الى تلك الشرائع من هنات فانها ، بلا ريب ، اسدت خدمة كبيرة في عالم التشريع لكثير من الامم . فالمثل الاخلاقية السامية التى وردت في شرائع بابل ـ تلك المدينة التى عفا عليها الدهر فغدت خرابا وركاما ـ لجديرة بالاجلال والتقدير مدى الازمان والاحقاب . ■■

شريف يوسف ـ بغداد

المصادر :

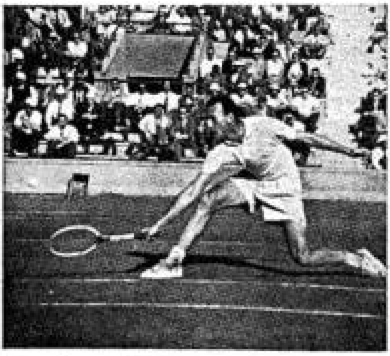
L.Delaporte, La Mesopotamie Les Civilisations Babylonienne et Assyrienne (Paris 1925). Herodotus, Histories, I. Plessis, Etude sur les textes concernant Ishtar Astarte (Paris 1921). Parrot, La tour de Babel (Neuchatel 1953). Sir Frederick Kenyon, The Bible & Archaeology (London 1940). Richard Lewinsohn, A History of Sexual Customs Translated by Alexander Mayce (New York).





● كان السلطان ، يفتتح موسم اللعب ، فيركب بعد الغداء الى الميدان ، فى صحبة الأمراء والأعيان ، فإذا أذن للصلاة ، صلى معهم ، ثم عاد إلى قصره.

ألعاب الكرة



عند العرب

بقلم : ابراهيم محمد الفحام

■ انتشرت العاب الكرةفى هذا الزمن، وتعددت أنواعها ، حتى حظيت باقبال الملايين من الناس ، على اختلاف أعمارهم وميولهم ، ومستوياتهم الاجتماعية . ولا تكاد توجد لعبة من هذه الالعاب ، أيا كان موطنها الاصلي ، الا وتجد لها لاعبين مجيدين ، ومتفرجين معجبين ، فى بعض البلاد العربية .

وليست ألعاب الكرة ـ كما يعتقد البعض ـ دخيلة على العرب . فقد كان أجدادنا يعرفون منها أنواعا عديدة ، لم يزل بعضها شائعا ـ مع قدر من التطور ـ فى أوساطنا الشعبية ، كما بلغ من تطور البعض الآخر ان صار يحسب اليوم فى عداد الألعاب العالمية وكما توجد اليوم العاب خفيفة للكرة ،تحقق للاعبيها

قدرا محددا من الرياضة الهادئة المسلية التى تناسب المرضى وكبار السن ، مثل البلياردو والكروكية ، وكما توجد العاب اخرى تتطلب بذل درجات متفاوتة من الجهد مثل كرة السلة ، والهوكي ، والبولو ، وكرة القدم ، فكذلك كان أسلافنا العرب يعرفون العابا خفيفة للكرة ، لا تلعب لغير التسلية الهادئة او المغامرة ، والعابا اخرى ، تكبد لاعبيها درجات متفاوتة من الجهد والمشقة .

لعبة الكجة والبكسة

ومن الالعاب الخفيفة التى كانت شائعة عند أسلافنا العرب ، لعبة (الكجة) ، وكان قوامها كرتان : احداهما تسمى (البكسة) وتصنع من الحجارة او الاجر ، والاخرى تسمى (التون) او (التوز) وتصنع من الخرق . وقد اشتق العرب من اسم تلك اللعبة ، التى كثيرا ما كانت تلعب للمقامرة ، فعلا ، فقالوا كج اى لعب الكجة ، كما توجد افعال اخرى فى العربية تعبر عن وسائل اللعب بالكرة ، مثل (مَقَط الكرة) اى ضرب بها الارض ثم لقفها ، و (جَحَف الكرة) اى خطفها ، (وتجاحف اللاعبون الكرة) اى تخاطفوها ، (وكرا بالكرة) اى ضربها لترتفع ، و (صَلَج الكرة) اى دفعها بمضربها المسمى الصولجان .

صنع الكرات

ولم تكن صناعة الكرة قاصرة على الحجارة ، والاجر ، والخرق التى كان يصنع منها نوع من الكرات يسمى (اللوثة) وجمعها (لوثان) . بل كانت تصنع أحيانا من مادة مرنة تشبه المطاط ، وان لم تكن منه ، كما كانت تكسى احيانا بالجلود ، او الفراء ، وخاصة فراء الارانب ، فتبدو مثل كرات (التنس) المعروفة الآن .

كرات للأيدي ، واخرى للمضارب

والى جانب انواع الكرة التى كانت تلعب بالايدي المجردة ، كانت توجد انواع اخرى تلعب بالمضارب . وكانت تلك المضارب تصنع من الخشب المصقول ، او من غصون الشجر ، على هيئات معينة ، تختلف باختلاف الالعاب التى تستعمل فيها ، فكان منها المحْجن ، وهى عصا ذات طرف معوج ، تدفع بها الكرة ، مثلما تدفع كرة الهوكي فى أيامنا هذه . وكان منها (الطبطاب) وهى خشبة عريضة تشبه مضارب الكرة المعروفة الآن . كما كان يوجد نوع آخر من المضارب يسمى (الميجار) وكان هذا الاسم يطلق على اللعبة التى يستعمل فيها .

وكان لاعبو الكرة من الفرسان يستعملون نوعا من العصى المعقوفة الطويلة ، يسمونه (الصولجان) او (الجوكان) . وكان طول تلك العصى يبلغ اربعة اذرع ، وتتصل براسها خشبة مخروطة محدودبة ، ينوف طولها عن نصف ذراع ، وبداخلها حشو بهيئة الشبكة .

أول من لعب من العرب بالصولجان

ويقال ان الشاعر عدى بن زيد ، كان اول من لعب بالصولجان من العرب ، كما كان الرشيد أول من لعبها من الخلفاء ، وانشأ لتلك اللعبة ميدانا بجانب قصره . وقد اولى سائر الخلفاء العباسيين تلك اللعبة عناية كبيرة ، فأعدوا لها الملاعب المفخمة ، ونظموا لها المباريات الحافلة ، التى كان يشاركهم اللعب فيها وزراؤهم وسائر عظماء دولتهم . ويروى ان المعتصم قسم اصحابه يوما للعب ، فجعل قائده الافشين فى فريق غير فريقه ، فقال الافشين :

ـ يعفيني امير المؤمنين من هذا .

فلما سأله عن السبب قال :

ـ لاني ما ارى ان اكون على امير المؤمنين فى جد ولا هزل .

فاستحسن المعتصم ذلك منه ،وجعله فى فريقه .

هواة اللعبة من الملوك والخلفاء

ومن اشهر من اغرموا بتلك اللعبة احمد بن طولون ، والخليفة العزيز الفاطمي ، ونجم الدين والد صلاح الدين الايوبي ، ونور الدين الشهد ، والملك الكامل الايوبي ، الذي جدد ميدان ابن طولون، والملك الصالح نجم الدين الايوبي الذي انشأ ميدانا على شاطىء النيل ، كان يسمى الميدان الصالحي ، والملك الظاهر بيبرس الذي حدد لمبارياتها أياما معلومة كالاعياد ، وانشأ ميدانا عرف بالميدان الظاهري ، كما انشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون ميدانا سمي الميدان الناصري ، وانشأ ميدانا آخر في (سرياقوس) على بعد اميال قلائل من القاهرة . ويذكر العلامة كاترمير ان بعض السيدات كن يشتركن في تلك اللعبة أيضا .

وكان يعد لتلك اللعبة ميدان مستو فسيح ، يقسم بخطوط بيضاء ثابتة ، لا يسهل ضياع معالمها ، وعلى جانبي الميدان كان يصطف الفرسان بملابسهم الزاهية ، وقد تسلم كل منهم صولجانه من تابعه المكلف بحمله ، والذي يسمى (الجوكندار) ، بينما توضع في الوسط كرة مصنوعة من الجلد المضغوط نحو حجم التفاحة ، ثم يتنافس الفريقان في اجتذاب الكرة بتلك العصي ، حتى اذا ما سيطر عليها احدهم ، حاول بمساعدة فريقه ، أن يدفعها نحو المكان المحدد . ولا يلبث ان يحمي وطيس اللعب ، الذي يزيده هتاف المشجعين التهابا . .

وكان للعبة اصول مرسومة

وكان لتلك اللعبة قواعد وأصول متفق عليها ، فكان من أهم ما ينبغي على اللاعب مرعاته :

١ ــ أن يضرب الكرة من تحت مخرم الدابة ، ومن قبل لبتها (اى موضع نحرها) .

٢ ــ ان يدير يده الى اذنه عند الضرب ، ويميل صولجانه الى أسفل من صدره .

٣ ــ ان يكون ضربه مائلا من جانب الى آخر ، وان ينطلق قدما ، وفي رفق وترسل .

٤ ــ أن يحسن التحكم في دابته أثناء جريها ــ دون الاستعانة بسوط ــ فلا يتسبب في عقر قوائمها ، ولا ايذاء غيره من اللاعبين .

٥ ــ أن يتحاشى كسر صولجانه ، او التأثير به في الارض .

٦ ــ أن يتجنب اخراج الكرة من حدود الميدان .

وكان من عادتهم بعد اللعب أن يدخلوا الحمام الساخن ، حيث يستحمون ويدلكون ، ثم يتناولون الاشربة المناسبة .

« مساج » الفرنسية من « معس » العربية ؟

وقد أجمع الباحثون في أصول الدلك الحديث ، Message الذي يستعان به في التجميل ، وتنشيط أجسام الرياضيين ، ان تلك الكلمة اخذت من الكلمة العربية (معس) و (المعس) هو دلك الجلد دلكا شديدا حتى يلين . ومن المعتقد ان الفرنسين اخذوا الدلك عن اطباء العرب ، وان كان من المعروف انه كان موجودا عند الشعوب القديمة ، كالهنود والاغريق .

الحسن بن عبد الله يقول في فوائد هذه الالعاب الصحية والنفسية

وكان العرب يؤمنون بالفوائد الصحية والنفسية والخلقية لالعاب الكرة . وفي ذلك يقول حسن بن عبد الله في كتابه (آثار الأول ، في ترتيب الدول) : « واللعب بالكرة هو رياضة حسنة تامة، وصفها الحكماء والفضلاء من الملوك لرياضة الجسد ، ورياضة الخيل ،

واللعب بالكرة والجوكان واستعمالهـا بالغدوات ، مـن اتم الرياضات واكملها وانفعها ، لان من الرياضات ما يختص بالكفوف والسواعد مثل الشباك وتناول الطابة ايضا . وما يختص بالرِّجْل مثل المشي والسعي. ومنها ما يختص بانواع البدن ، مثل الصراع وحمل الاثقـال . وهذه تعم البدن جميعه ، وهو يتحرك لها حركات مختلفة ، والبصر يتبعهـا ، والـراس تلتفت اليهـا ، والاصوات والصيحات ترتفع فيها، والخيل ترتاض وتلين رؤوسها للجوال والكر والفر . ومنها تحريك العدة النفسية لما فيها من طلب المغالبة » .

ثم استمر يتحدث عـن الفوائـد النفسية والخلقيـة ، التى تحققها تلك اللعبة ، « ومنها السرور والفرح بالظفر والاستيلاء ، مع مباشرة التالم من العجز والغلبة ، فان بذلك يعرف مقدار لـذة الغلبـة . ومنهـا تعـوُّد الاجتماع ، والتدرب ، ومساعدة الاصحاب لبعضها، وتعاضد الاولياء وتعـاونهم على الخصم والاعداء » .

واشـار الى القـواعد الصحية التى ينبغى مراعاتها فى تلك اللعبة ، ومنها ان يلتزم اللاعبون فى لعبتهم حد الاعتدال ، يتجنبوا تحميل الجسد ما يفوق طاقته، وان يباشروا اللعب فى اجواء مناسبة ، وان يتحاشوا اللعب عند امتلاء المعـدة بالطعام .

وابن النفيس يقول

وذكر ابن النفيس فى معرض كلامـه عن الرياضة البدنية فى كتابه (الموجز فى الطب) : « واللعب بالصولجان رياضة للبدن والنفس ، لما يلزمه مـن الفرح بالغلبة ، والغضب بالانقهار » .

والجاحظ يقول

كما ذكر الجاحظ من مزيا النـدماء « الرمى بالاقراص ، وطلب الصيـد ، واللعب بالكرة ، واللعب بالشطرنج » .

السلاطين واللعب بالكرة

وكان الملك الصـالح نجم الدين ، يشترط اجادة تلك اللعبة ، فيمن يلحق بخدمته ، كما كان ينصح ابنه بالاقتداء به . وقد وصف القلقشندى فى (صبح الاعشي) هيئة ركـوب السلطان للعب بالكرة ، فذكر انه كان يركب بعد وفـاء النيل ، ثلاثة مواكب ، فى ثلاثة من ايـام السبت متوالية . فيتوجه الى الميدان وخلفه الامراء فيبدؤون اللعب بعد صلاة الظهر . ثم ينزل السلطان ليستريح ، ويستمر الامراء فى لعبتهم ، حتى يؤذن لصلاة العصر ، فيصلي معهم ، ويعـود الى قصره .

وكان من عادة السلطان أن ينعم على امرائه يـوم افتتـاح مـوسم اللعب ، بالخيول ، وبحوائص من ذهب . كمـا كان من المعتاد ان يقيـم المنهـزم مـن اللاعبين مأدبة باهظة التكاليف ، يذبح فيها عدد وفير من المواشي والطيـور . وكثيرا ما كان السلطان يتحمل نفقـات المأدبة ، حتى ولو كان الغـالب ، ففي زمن السلطان الظاهر برقوق لعب الكرة مع الامراء كالعادة ،فغلب الامير (ايتمش البجاسي) ووجب عليه اعـداد وليمة بمائتي الف درهم فضية ، ولكن السلطان قام عنه بهـا ، ثم اذن للعامة فى انتهاب ما بقي من الطعام والشراب . وذكـر المقريزى فى (السلوك) ما دار اثناء ذلك من«الشناعات بحيث ابيحت المسكرات، وتجاهر الناس بالمعاصى » .

مخلفات هذه اللعبات فى السودان

ولم تزل العاب الكرة القديمة ، شائعة الى يومنا هذا ، فى المجتمعات الشعبية ، بمختلف البلاد العـربية . ففى بعض مناطق السودان ، مثل جزيرة توتي ، وبرى ، وشمبات ، والكاملين ، لا يزال الصبية يلعبون الكجة ، وخاصة فى أيام الخريف . وقد لحق تلك اللعبـة التى

يسمونها اليوم (تيوة العصا) شيء من التطور . ولا شك ان كلمة (التيوة) التي يطلقونها في تلك اللعبة على الكرة محرفة من (التون) وهو اسم احدى الكرتين اللتين كانت تلعب بهما الكجة . ولا زال السودانيون يعبرون عن اللعب بتلك الكرة (بالكد) وهو دفعها بالعصا اي المحجن ، والكلمة محرفة عن (الكج) وهو لعب الكجة في العربية الفصحى .

وفى الريف المصرى

وفى الريف المصرى ، يلعب الفلاحون الكجة بعد ان تطورت اسما وموضوعا الى لعبة تشبهها الى حد بعيد يسمونها (الحكشة) ، كما يسمون المحجن الذى تدفع به الكرة (المحكاش) ، ويتخذ فى الغالب من احد اغصان الشجر المعقوفة .

وفى سائر البلاد العربية

والعاب الطابة الشائعة اليوم فى كثير من البلاد العربية ، مثل سوريا ولبنان ومصر ، كطابة (الميس) وطابة (المحج) وغيرهما من العاب الكرة الشعبية ، تشبه فى كثير من قواعدها وفى المواد التى تصنع منها كراتها ومضاربها ، العاب الكرة التى كانت شائعة عند اسلافنا الاول .

وربما كانت كلمة الطابة مشتقة من الطبطاب ، أو من (الطبة) وهى قطعة من الجلد ، كانت تحشى خرقا وتضم اطرافها ثم تخاط ، فتصبح على هيئة الكرة .

العاب غربية ، اصولها عربية

وقد انتقلت بعض العاب الكرة العربية الى البلاد الغربية ، حيث ارتقت الى مصاف الالعاب العالمية . ويؤكد بعض الباحثين فى أصول تلك الالعاب ان لعبة (الحكشة) المصرية ، التى تطورت عن لعبة (الكجة) ، قد تطورت اسما وموضوعا مرة أخرى الى لعبة (الهوكى) Hockey التى تدفع الكرة فيها بعصا تشبه الحجن .

ويرجع بعض الباحثين ان لعبة (التنس) Tennis قد تطورت من لعبة الطبطاب العربية، وان الكلمة قد اشتقت من اسم مدينة (تينس) المصرية الواقعة فى منطقة بحيرة المنزلة بشمال الدلتا ، لان منسوجاتها التى اشتهرت منذ القدم ، كانت تدخل فى صناعة كرات التنس .

ولا شك ان لعبة الجوكان قد انتقلت عن طريق العرب الى اوربا ، حيث عرفت فى مقاطعة (لنجدوك) الفرنسية باسم (لاشكان) La chicane فى العصور الوسطى ، وهى التى تعرف اليوم باسم (البولو) . وليس صحيحا ما يقال ان تلك اللعبة قد دخلت اوروبا لاول مرة عن طريق ضابط بريطاني عاش فى الهند ، فى القرن الماضى .

وتكاد تجمع المعاجم الاوربية التى تبحث فى أصول الالفاظ ان كلمة (الراكت) Rocket الانجليزية وكلمة Raquette الفرنسية ، وتعني مضرب الكرة ، مشتقة من الكلمة العربية (راحة) اي (راحة اليد) . ولا تزال كلمة (الراحة) تطلق فى بعض اللهجات العربية الحديثة ، على شيء يشبه مضرب الكرة هو (راحة الخباز) التى ينقل بها الارغفة .

ولا شك اننا لو بحثنا عن أصول بعض الالعاب الشعبية والعالمية الاخرى . ــ غير العاب الكرة ــ لوجدنا ان كثيرا منها قد تطور عن العاب كانت شائعة عند اسلافنا ، أو تأثرت بها ، وان كنا لا ننكر تأثر العابنا العربية ، القديمة والحديثة أيضا ، بمؤثرات أجنبية سبقتها او حضرتها . ■■

ابراهيم محمد الفحام

● مُصارعة الثيران رياضة تمتزج بدم كل أسبانى

مصارع الثيران

وتأثيرها فى الفكر الأسبانى

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ هذه السطور جالت بخاطرى ، ذات مساء فى أوائل شهر مايو سنة ١٩٦٣ ، حينما كنت بمدينة قرطبة ، اشترك فى مهرجان الاحتفال بذكرى العلامة ابن حزم القرطبي . ففى هذا المساء دعينا لمشاهدة بعض المتاحف القرطبية الخاصة ، وكان من بينها متحف صغير « لمصارعة الثيران » يضم نماذج لثياب المصارعين المزركشة ، وسيوفا وقرونا وغيرها ، مما يتصل بهذه الرياضة الاسبانية التالدة ، وكان مما استرعى انظارنا جلد ثور كبير أسود ، قد نصب على الجدار بعناية ، ولما سألت صاحبي عن أمره ، أجابني :

ـ انه جلد الثور الذى قتل بقرنيه مانوليتي أعظم المصارعين الاسبان فى عصرنا ، ومانوليتي من

● قالوا ان عرب الاندلس بدأوا مصارعة الثيران، وما فعلوا



يظن البعض ان المصارع يواجه ثورا بكامل قوته ، وهذا خطأ شائع ، لانه ما تكاد تبدا المباراة حتى يعتلي بعض المصارعين ظهور جياد مكسوة بدروع واقية من قرون الثور وبايديهم حربة طويلة يغرسونها فى ظهر الثور عدة مرات حتى تنزف منه الدماء غزيرة ..

ابناء قرطبة ، وقد حرصت قرطبة على ان تحتفظ بهذا الاثر المحزن تخليدا لذكرى ابنها الشهيد .

وهكذا ادركت ، انا الذى يمثل فى قرطبة ، خصيصا للاشتراك فى مهرجان الاحتفال ، بذكرى مفكر عظيم من ابناء قرطبة الاسلامية ، هو العلامة الفيلسوف ابن حزم ، ان القرطبيين ، وهم الذى اقاموا هذا المهرجان العظيم ، واشادوا خلاله بذكرى العلامة المسلم ايما اشادة : انهم يضعون مصارع الثيران كذلك فى صف العباقرة الذين يزداد تاريخ قرطبة بسيرهم .

مانوليتي ، أعظم المصارعين فى هذا العصر

وقلت فمن هو مانوليتي هذا ، الذى تحرص مدينة قرطبة العظيمة على تمجيده ، على هذا

اصل المصا

● قد يتبادر الى الذهن ان المتعة التي يجدها الكثيرون في مصارعة الثيران مقتصرة على الاسبانيين في القرن العشرين . والحقيقة خلاف ذلك . فقد انتشرت هذه الهواية في اسبانيا منذ القدم وانتقلت عدواها الى سائر البلدان على مر السنين والى روما ـ بالتحديد ـ قبيل مولد السيد المسيح . يدلنا على ذلك ان الامبراطور يوليوس قيصر كان يستورد المصارعين والثيران من اسبانيا فيما بين سنة ٩٥ و ٤٥ قبل الميلاد . وهذه الهواية الاسبانية هواية رومانية كان يستمتع بها رواد الكلوزيوم ويسمرون . وجرت العادة في تلك الايام على ان يمتطي مصارع الثيران صهوة جواده ، وان يكون الرمح سلاحه .

وكان اول من استطاع توجيه طعنة مميتة الى غريمه الثور وهو راكب حصانه ، المصارع الاسباني المدعو (رود ريجو دياز ذي فينار) وقد عاش فيما بين ١٠٤٣ ـ ١٠٩٩ بعد الميلاد . اما مجابهة المصارع للثور بلا رمح ولا حصان ، مترجلا يحمل (الاشوالا) او السيف في

النحو ؟ هو كما علمت من محدثي مصارع نابغ ، بل هو انبغ مصارع عرفته اسبانيا ، وهو سليل اسرة من المصارعين . ومصارعة الثيران من الحرف المتوارثة ، ويندر ان ينبغ مصارع لم يرث براعته خلال اجيال متعاقبة ، واسمه الكامل مانولورد ريجيز سانشيز . وقد ولد في قرطبة سنة ١٩١٧ ، وشغف منذ صباه بالتدرب على المصارعة ، وظهرت براعته في بكرة شبابه ، وما كاد يبلغ الثالثة والعشرين من عمره حتى نزل الى « الكوريدا » Corrida ، وهي ساحة المصارعة ، فطارت شهرته بسرعة ، وخلب الباب الجماهير ببراعته الفائقة ، وخفته ورشاقته في مصارعة الثيران ، وتألق نجمه في ساحات المصارعة في اسبانيا والمكسيك وفنزويلا وبيرو ، وهي البلاد اللاتينية التي ما زالت تجيز هذه الرياضة . وفي سن الثلاثين ، كان مانوليتي أعظم المصارعين في عصره ، وألمع نجوم هذه الحرفة ، وكان اجره يصل في الحفلة الواحدة الى عشرين الف دولار ، وكان ثمن التذكرة الواحدة في الحفلات التي يشترك فيها يصل احيانا الى خمسمائة دولار . وكان بالرغم من كل هذا النجاح الباهر ، في هذه السن المبكرة ، يتسم بكثير من التواضع والرقة ودماثة الخلق .

مصرع المصارع النابغ

ولكن القدر القاسي كان يتربص بهذا المصارع النابغ ، ففي اليوم الثامن والعشرين من اغسطس سنة ١٩٤٧ ، اقيمت حفلة مصارعة كبرى بمدينة ليناريس على مقربة من بياسة ، وكان من المقرر ان يشترك فيها مانوليتي ، وكانت « الكوريدا » تموج بالمتفرجين ، الذين اربى عددهم على عشرة الاف . ونزل مانوليتي الى الحلبة كعادته ، واثقا بنفسه ، واخذ يصاول الثور ويطاوله ، واذا بالثور يهاجمه فجاة ، ويمسكه باسنانه القوية من اعلى فخذه الايمن ، ويرفعه الى اعلى ، بين هلع الجمهور وصراخه . وفي الحال هجم المصارعون الاخرون على الثور ، واخذوا يطاولونه بمحارمهم ،

الى اليسار : حتى المرأة نزلت الى الساحة ، وترى هنا المصارعة باتريشيا تتهيأ للاجهاز على الثور الذي نال منه التعب كل منال فوقف كأنه مستسلم لمصيره المؤلم ..

رعة رومانى

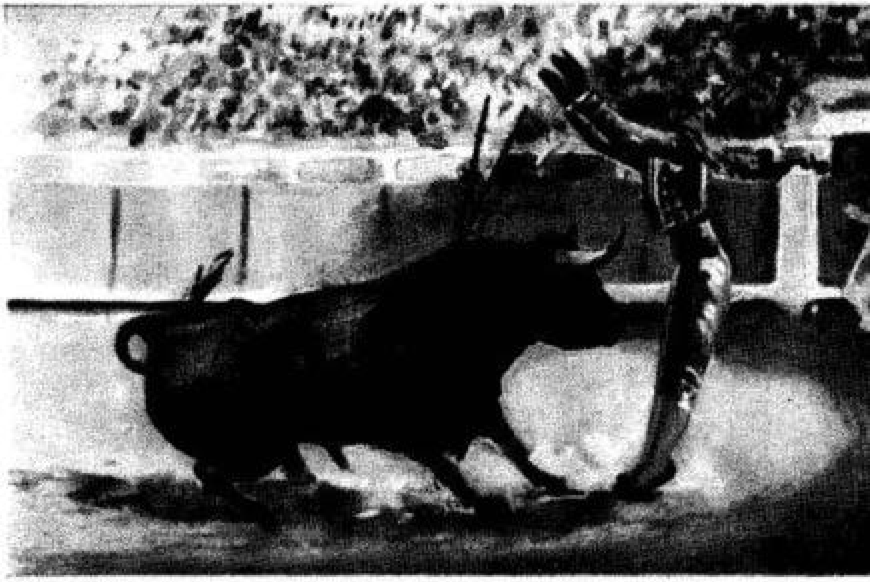
يد و (الموليتا) او الوشاح الأحمر فى اليد الاخرى ، فلم تعرف حتى سنة ١٧٠٠ بعد الميلاد . واستمرت مصارعة الثيران على هذا النحو حتى يومنا هذا .

ومن قوانين مصارعة الثيران الا يسمح للثور بالظهور فى الحلبة والاشتراك فى المصارعة مرتين . ويعزى ذلك الى الذاكرة القوية التي يتصف بها الثور ، فهى تحول بينه وبين المصارعة على النحو المرغوب فيه فى جولة ثانية . ويعزى ايضا الى الحرص على لياقة الثور التامة ، لياقته الجسدية والسلوكية على السواء ، فهذه تفسدها جولته الاولى .

ويقتل من الثيران عادة ستة فى اليوم الواحد . ويقدر عدد ما يقتل من الثيران بالمصارعة فى اسبانيا بنحو ١٢٠٠ ثور فى السنة الواحدة .

« العربي »





قبل الاجهاز على الثور تصدر عن المصارع حركات بارعة وخطرة عندما يغرس الحراب الصغيرة فى الثور فتنبثق الدماء داكنة غزيرة مما يثير حماسة النظارة الاسبان ، واشمئـــزاز النظارة الاجانب !

ليستغرقوا اهتمامه . ولكن الثور كان قد اصاب مانوليتي بجرح عميق ، وفى الوقت الذى حمل فيه مانوليتي مغميا عليه ، الى المستشفى ، قتل الثور فى الحال ، ولم تنجح جهود الاطباء فى انقاذ المصارع الكبير . وتوفي مانوليتي فى صباح اليوم التالي ، وحمل جثمانه الى قرطبه ، وشيع الى قبره ، فى اروع جنازة شهدتها مدينة قرطبة منذ عصور ، ومشى فيها مائة الف او يزيدون . وبعث الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية ، الى امه ببرقية تعزية مؤثرة ، وفى اول حفلة مصارعة اقيمت بعد وفاته حملت لافتات كتب عليها « ان مانوليتي لم يمت ، اذ هو حي فى قلوب اهـــل قرطبـــة » .

رياضة تمتزج بدم كل أسباني

تلك هي قصة مانولو سانشيز ، الذى يضعه الاسبان والقرطبيون بنوع خاص بين ابطالهم ، والخالدين من ابناء مدينتهم . ولقد اثارت هذه القصة ، وهذه المناظر فى نفسي خواطر شتى عـن « الكوريدا » (ساحة المصارعة) ، وعن مصارعة الثيران ، وعن اولئك المصارعين الذين يخلبـون الباب الملايين من الاسبان ، وابناء عمومتهم فـي بعض بلاد امريكا اللاتينية ، والذين يسطعون فى ميدان المصارعة ، كنجوم السينما المتألقة . وقد زرت « الكوريدا » مرارا ، خلال رحلاتي العديدة فى اسبانيا ، وشهدت هيام الجماهير ، وحماستها المضطرمة فى هذه الحفلات الصاخبة ، التى تصرع فيها الثيران تباعا ، بعد ان تسيل دماؤها تحت الحراب المغروسة فى ظهرها ، وادركت ان الشغف بشهود هذه الرياضة ، هو شغف تضطرم به جوانح كل أسباني ، ويمتزج بدمه وروحه ايما امتزاج .



يتفنن مصارعو الثيران فى اظهار جرأتهم وبراعتهم ورشاقتهم فى مناوشة الثور الضخم الهائج بمحارمهم الحمراء التى يثير لونها ثائرة الثور فيهجم على المصارع دون أن ينتبه لخطر الحراب والسيف ..

وغير ما نوليتي ضحايا كثيرة

وليست مأساة مانوليتي هي الوحيدة من نوعها فى سير « الكوريدا » ، فمن آن لاخر يسقط احد المصارعين قتيلا امام الثور الجامح المضطرم . ومنذ اشهر قلائل فقط فى شهر اغسطس الماضى ، سقط مصارع شهير آخر ، هو مانديل ليتو صريعا فى حلبة مدريد ، تحت اقدام الثور ، أمام انظار الجماهير الهلعة المرتجفة ، وهكذا تغدو هذه المآسى الدموية ، خاصة لازمة من خواص « الكوريدا » تشهدها الجماهير من آن لاخر ، الى جانب ما تشهده من براعة المصارعين ومهارتهم ورشاقتهم .

مدى تأثير المصارعة فى الفكر الاسباني

والآن وقد استعرضنا ذلك الجانب المادى من لعبة « الكوريدا » ، فانه يحسن ان نعطف قليلا على جانبها المعنوى . ان مصارعة الثيران ليست فقط رياضة قومية ، تهز مشاعر الملايين من الاسبان ، ولكنها فى نفس الوقت تحدث تأثيرها البالغ فى العقلية الاسبانية والتفكير الاسباني . وانك لتستطيع ان تقدر مدى تأثر العقلية الاسبانية بهذه المناظر العنيفة الصاخبة ، التي يشهدها الاسبان فى « الكوريدا » من صراع مضطرم بين الثور وبين هذا الرهط من المصارعين المهرة الذين يتبارون فى اظهار جرأتهم وبراعتهم ورشاقتهم فى مناوشة الثور الضخم الهائج ، ومطاولته بمحارمهم ، (كابا Capa) ، حتى تنهار مقاومته وقواه ثم يسقط صريعا مضرجا بدمه على الارض بين الهتاف المدوى من الآلاف المؤلفة من النظارة ، التي يبهرها مناظر الصراع طول الوقت ، والتي

لاتنقطع عن الهتاف بعبارة Olé (١) كلما صدرت حركة او صولة بارعة من المصارع . وان تلك الدماء الداكنة التي تنبثق بين كتفي الثور من الحراب المغروسة ، والتي تسيل طول الوقت على جانبيه تثير حماسة النظارة الاسبان الى اقصى حد .

ومن ثم فان مناظر الكوريدا ، كما انها متعة ورياضة ، تغدو كذلك مصدر وحي والهام فكري ، او بعبارة اخرى هي عنصر من العناصر القوية التي تغذي الخيال والادب الاسباني . ويكفي ان تعلم ان أخبار « الكوريدا » ، واخبار المصارعين ، تشغل فراغا كبيرا في الصحافة الاسبانية ، ولكل صحيفة اسبانية كبرى او صغرى باب خاص « للثيران » Los Toros الاسبوعية بمدريد حفلات المصارعة ، ومناظرها البارزة ، وتقدم اللاعبين وتنوه ببراعة البارعين منهم . وهذا الباب المخصص « للثيران » يعتبر من أبواب الصحيفة الهامة ، وقد يبزّ في اهميته باب « الرياضية » وهو يزود عادة بلقطات مصورة مثيرة من حركات المصارعين ، وصراعهم مع الثور . واحيانا تزين الصحف والمجلات الكبرى غلافاتها بصور المصارعين في ثيابهم المزركشة الزاهية ، ووقفاتهم امام الثور في مختلف الاوضاع .

وتوجد فوق ذلك صحف خاصة تعني بالكوريدا « والثيران والمصارعين » ، واهمها صحيفة « الثيران » Los Toros الاسبوعية بمدريد العاصمة ، وهي من اكثر الصحف الاسبانية انتشارا واوسعها نفوذا في المجتمع المدريلي .

وتاثير الصحافة « الثيرانية » لا يقتصر على الطبقات الوسطى والدنيا ، ولكنه يشمل كل الطبقات في أسبانيا . والطبقة الارستقراطية من اشد الطبقات مثابرة على زيارة « الكوريدا » والمشاركة في مظاهرها الصاخبة ، وانك لترى يوم الحفل أرقى نساء المجتمع في مدريد يحتلون اللوحات الممتازة في حلبة الصراع ، وترى في الميدان خارجا ، عشرات السيارات الفخمة ، تنتظر اصحابها من عليه القوم .

قالوا ان عرب الاندلس بدأوا مصارعة الثيران

ومن جهة أخرى فانه ، يوجد عدا الصحافة ، ادب خاص يتناول تاريخ هذه الرياضة ، وتطوراتها خلال العصور ، كما يتناول سير ابطالها ، والاشادة بمزاياهم وعبقريتهم .

وتميل النظرية الاسبانية الى نسبة هذا النوع من الرياضة الى الاندلسيين ، والقول بانهم هم الذين استحدثوها في شبه الجزيرة الاسبانية ، وعنهم اخذها القشتاليون . بيد انه لا يوجد ما يؤيد هذا القول من الناحية التاريخية . صحيح ان واحدا من الخلفاء الموحدين هو يوسف المستنصر ، كان مولعا بالبقر والخيل ، وكان يلهو بتأنيس الخيل والابقار الجامحة ، وانه توفي من جراء ضربة بقرة شرود اصابته بقرنيها في قلبه ولكن ذلك لا يمكن ان يؤيد القول بان عرب الاندلس هم الذين بدأوا مصارعة الثيران في اسبانيا ، وليس هنالك في أخبار مملكة غرناطة ، آخر دول الاسلام بالاندلس ، وهي التي اشتهرت بمباريات الفروسية ، ما يدل على ان مصارعة الثيران ، كانت من الرياضات المعروفة في مملكة غرناطة .

واغلب الظن ان هذه الرياضة الاسبانية تستمد جذورها من العاب المصارعة الرومانية القديمة ، وانها كانت معروفة في قشتالة في بعض صورها البدائية ، قبل ان ينتهي عصر الاسلام بالاندلس ، ثم تطورت مع الزمن حتى غدت هي الرياضة الاسبانية القومية المفضلة .

الكوريدا في الشعر الاسباني

ونجد كذلك أثر « الكوريدا » والمصارعة واضحا في الشعر الاسباني ، وكثير من الشعراء المحدثين يستوحون مناظر الكوريدا في بعض قصائدهم ، ويوجد شعراء يخصون هذه الرياضة وابطالها بمعظم قصائدهم .

---

(١) يقال ان كلمة Olé أصلها كلمة الله عندما تقال للاستحسان .



● النهاية المحتومة للثور .. ثلاثة بغال تجره وتدور به في الساحة بعد ان سقط صريعا مضرجا بدمه على الارض ..

الكوريدا ، طرازها رومانى ، وواجهتها عربية

واخيرا يجب الا ننسى تأثير « الكوريدا » في الفنون المعمارية الاسبانية . ذلك ان الكوريدا أو ساحة المصارعة ، تنشأ وفقا لطراز هندسي خاص ، يقترب في مجموعة من طراز الكليسيوم الروماني . ومن الملاحظ ، مما رأيناه في ساحات الكوريدا في مدريد وبرشلونه وبنبلونة واشبيلية وبلنسية وغرناطة ، ومالقة ، ورنده وغيرها ، ان معظم هذه المسارح يغلب على واجهاتها ، وتقاسيمها الطراز العربي ، ويبدو ذلك واضحا بالاخص في « كوريدا » مدريد التى تبدو للناظر بواجهتها العربية الجميلة في ميدان الثيران الشاسع Plaza de Toros ، واقدم « كوريدا » من هذا الطراز توجد في بلدة « رندة » في جنوبي الاندلس، وهي ترجع الى القرن الثامن عشر ، وتمتاز بواجهتها وزخارفها العربية التي تستوحى الطراز الغرناطي .

■■

محمد عبد الله عنان



الثَّوْر

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات العربية الإسلامية ـ بمدريد

كانت ساعة الغروب اثقل ساعات النهار على قلب عبد الكريم محمد خطاب المزارع بقرية كوم الأشراف ، مركز ميت غمر ، دقهلية ..

عندما تأخذ الشمس فى انحدارها السريع نحو المغيب ، وتهبط اشعتها الذابلة من مئذنة الجامع ورءوس النخيل الى حائط الجامع وجدران البيوت ، ومن الجدران الى الارض ، ثم تنسحب شيئا فشيئا كانها ذيول ثوب عروس تمضى وتطول فى اثناء ذلك الظلال حتى تصبح ظلمات ..

ثم عندما تتجمع اسراب عصافير الجنة ، وترف باجنحتها طائرة فى دوائر تضيق شيئا فشيئا ، كانها تودع الشمس الذاهبة برقصة اخيرة حزينة ، عندما كان يتامل هذه العصافير الصغيرة تدور كانها سهوم مارقة وتعلو فى الجو شيئا فشيئا حتى تظل فى الاشعة الذهبية الى اللحظة الاخيرة كان يشعر بصدره يضيق وقلبه يثقل تحت عبء خانق من خوف وحزن غامضين ، لان الليل فى القرية موحش مخيف خطر ، وربما لان شيئا مبهما فى نفسه كان يقول له ان النهار لا يموت وحده ابدا ، وانما يموت معه منا شىء ..

ثم يمر به اخوانه اصحاب الحقول المجاورة فى طريقهم الى بيوتهم فى كوم الاشراف ، يسيرون نياما خلف الجاموس النائم هو الاخر والحمير الغارقة فى النعاس وارجلها تمضى بها الى البيوت ، وكلما مر به واحد منهم هتف به صوت نعسان : سلام عليكم يا عبد الكريم ! ويمضى دون ان ينتظر ردا ويده ممسكة بحبل الجاموسة او بذيلها ، وقد جلس على ظهرها ابن له صغير ممسكا بحمل صغير من الذرة أو البرسيم او اى شىء تسير به الجاموسة على وهن ، وربما غنى الغلام لها شيئا .. ويتبعهم عبد الكريم بنظره ، ويتامل هذا الركب البطىء يسير ظلالا سوداء فى عرض الافق ، ثم تختفى عن بصره فى الظلام ، ثم يأخذ بالحبل الصغير



..وبينما النقاش محتدما اندفعت الام قائلة : « عيشة ؟ .. بنتى عيشة ؟ .. لكى يطلقها بعد اسبوع ، او تقتلها امراته ثقيلة .. »

الذى يحيط برقبة ثوره العزيز « ورد » ، ويضع فأسه على كتفه ويمضى هو الاخر الى بيته ، ويصبح هو وثوره ظلين اسودين آخرين من ظلام موكب الغروب الحزين .

★★★

ولكنه اليوم لم يكن يستطيع السير فى اعقاب القافلة كما تعود ان يفعل كل يوم . كان فى ساعة العودة الى البيت هذه جالسا على الارض فى حالة اعياء شديد لايستطيع معه ان ينصب قامته . كان يجمع بقايا قوته الذاهبة لينهض . ثم ان عم محجوب ، ذلك الشيطان الرجيم كان ينتظره فى البيت ، وكان كل شيء فى الدنيا هينا هينا عليه الى جانب لقاء ذلك الدائن اللدود .

كان منهوك القوى لان مغص الكلى — او الدور كما يسميه — زاره اليوم زيارة ثقيلة قبل الغروب بقليل .

شعر كما هى العادة كل مرة بذلك الالم الشديد الذى يفاجئه دفعة واحدة كانه سكين يوغل فى اسفل ظهره ، فاستند الى شجرة الجميز وامسك جانبيه واخذ يئن فى صوت مكتوم مخافة ان يسمعه احد من جيرانه فيجمع عليه الناس ، فيمضى كل منهم يقترح عليه ويشير باشياء لا تنفع ولا تشفع . وتصبب على جبينه وجسمه كله العرق ، فجلس مستسلما منتظرا ان تأتي بنته « عيشه » فهي تأتي كل يوم فى مثل هذا الوقت حاملة ابريق الشاى .

وتصابر حتى وصلت ، فما رات اباها على هذه الصورة حتى فهمت ، فهي بنت لطيفة حادة الذكاء . واسرعت الى « ورد » وكان مربوطا الى الساقية يدور ويدور ، فحلت رباط الثور ثم رفعت العصابة من على عينيه ، فسار « ورد » بخطوات متثاقلة حتى اذا صار على خطوة من صاحبه برك ونظر اليه كانه يستدعيه ، ونهض عبد الكريم ، فجلس مستندا ظهره الى ورد كانه يستعين بدفء جسده على الالم ، واسرعت عيشة فوضعت ابريق الشاى على الاحجار الثلاثة الى جانب الشجرة ، وجمعت قشا وقوالح ذرة واوقدت تحت الابريق ، ثم مضت الى ابيها تجفف عرقه بمنديل رأسها ، ثم مدت يدها فى جيبه فاخرجت علبة الدخان ، وناولته سيجارة منها واشعلتها له ، ثم ذهبت فوضعت الابريق ، وصبت منه فى الكوب واتت به الى ابيها ، ومضى هذا يرشف منه شيئا بعد شيء ، ويأخذ انفاسا طويلة من السيجارة ، وشيئا فشيئا اخذ الالم يخف ، وتصبب على جبينه الملتهب عرق كثير بارد يسمونه فى القرية « عرق العافية » ، وهبط عليه شيء من النعاس بينما كانت عيشة تجفف له العرق وتنظر مبتسمة الى « ورد » فينظر اليها هذا فى سرور ويزداد التصاقا بصاحبه تعبيرا عن حبه له وحنانه عليه ..

وكان الظلام قد هبط واختفت القرية عن النظر ، فلم يعد يبدو منها من بعيد الا اضواء بعض مصابيح البترول والقناديل ، ونظرت عيشة الى ابيها تستحثه على النهوض الى البيت ، فاشار اليها بان تتريث ، وكانت شديدة الحب لابيها والاعجاب به ، فنهضت وسارت حتى جلست الى جانب النار التى يغلى فوقها الابريق ، وملات لنفسها كوبا من الشاى ، واضافت شيئا من الحطب الى اللهب الخابى فتاجج من جديد ، واخذت تنظر الى السنة اللهب تتلظى وترشف الشاى على مهل فى انتظار اشارة من ابيها بالعودة الى الدار .

★ ★ ★

وكان ابوها اشد شوقا منها الى العودة الى البيت فى ذلك اليوم ، فان الرقود فى الفراش والاستدفاء خير ما يرد اليه عافيته بعد ذلك « الدور » الذى يهد الكيان هدا ، ولكنه لم يكن يستطيع دخول بيته هذا المساء الا اذا اذن المؤذن لصلاة العشاء ، فان عزرائيل كان ينتظره هناك ولن يغادر باب البيت الا اذا اذن المؤذن لصلاة العشاء .

وعزرائيل كان الاسم الذى اطلقه اهل قرية كوم الاشراف على عم محجوب ابراهيم عزب — وهذا هو اسمه الكامل — اغنى اهل قريتهم وابغضهم الى نفوسهم . ولم يكن الرجل اول الامر ثقيلا او رذلا الى الدرجة التى يستحق معها لقب قابض الارواح ولكنه كان ذكيا متحركا فاستطاع ان يقتنى واحدا واربعين فدانا قطعة واحدة تمتد قبلى القرية من حوض الدراويش الى زمام ميت العز ، واشترى بيتا فى ميت غمر ، واودع البنك مالا يقولون انه آلوف ، وهذه كلها ذنوب قلما يغفرها القرويون لاحد من اهل بلدهم ، فكانوا جميعا طامعين فى ماله . وكانوا فى نظره اعداء لا بد من

الحذر الدائم منهم ، وشيئا فشيئا اصبح جامد العواطف قاسي القلب لا يفكر الا في المال وسبل الحصول عليه ، ومن ثم نشبت معركة طويلة صامتة بينه وبينهم ، وزاد اسباب العداوة انه كان ممن يقرضون الناس قرضا غير حسن ، وكان يصر على استيفاء دينه في الاجل المضروب ولو ادى ذلك الى خراب بيت المدين .

وكان محجوب لا يعرف في موضوع النقود هذا رحمة او رفقا ، فهو لا يفرق بين من يقترض المال منه للضرورة التي لا مفر منها مثل شراء التقاوى او شراء جاموسة بدل التي نفقت ، او للذهاب الى القاهرة لعلاج مرض اعيا طب القرية وبين اولئك الذين يستدينون ليقيموا الافراح لابنائهم اذا تزوجوا هم انفسهم . هؤلاء جميعا كانوا عنده سواء : كان يتقاضى منهم ارباحا ، « الجنيه عشرة » ، اى عشرة قروش على كل جنيه في السنة، وهو يقتطع ربح السنة الاولى من الدين قبل ان يعطيه . وكان عارفا بكل ما يملكه اى واحد من اهل القرية ، فكانت وثائق الرهن التي كان يحمل الناسَ على توقيعها في غاية الدقة ، فلا يكاد المدين يتاخر في الدفع يوما حتى تكون اجراءات الحجز في الطريق . واذا طلب المدين مهلة عملت له عملية معقدة تنتهي بالشيء المرهون الى قائمة املاك عم محجوب قطعا .

وكان عبد الكريم مدينا له بثلاثين جنيه كامله اخذها منه العام الماضى ليعين امه على الحج ، وذهبت المراة الطيبة فحجت ثم ماتت ودفنت في الارض الطيبة ، وها هو العام قد دار وحل اوان الدفع وليس لدى صاحبنا قرش واحد ، وبدا عزرائيل يلازم البيت على طريقته عندما يحل اوان السداد على معسر ، وكان امله ان يتنازل له عبد الكريم عن قيراط ارض من الفدان المرهون على ذمة السداد .

★ ★ ★

وقد بدات هذه المساومات من ايام ، وتبين لمحجوب ان استخلاص قيراط الارض عسير جدا ، فوضع عينه على « ورد » ذلك الثور العظيم الذى يعتبر زينة ثيران مركز ميت غمر ومقصد الراغبين في السلالة الطيبة لمواشيهم في الدقهلية كلها . لقد عرضت عليه الجمعية الزراعية ستين جنيها كاملة في مقابل « ورد » فرفض لان وردا كان اكثر من ثور ، كان اشبه بصديق كريم وانسان فهيم . كان يعمل من طلعة الشمس الى مغيبها فيروى الفدانين في اليوم ويحمل على ظهره الاربعة ارادب او الخمسة ويسير بها من الحقل الى الطاحونة في «بيت العز» في ساعتين ، وكان الى جانب ذلك ذكيا لبيبا يفهم عن عبد الكريم ما يريد باشارة يسيرة ، ولو استطاع الكلام لكان دون شك من رجال القرية المحترمين ..

لهذا كان عبد الكريم يراوغ ويتهرب ، فقد كان مستعدا — في سبيل الاحتفاظ بورد — لان يبيع قيراطا من الارض ويدفع لعزرائيل دينه ، اما ابوه فكان — ككل شيوخ الفلاحين — لا يعدل بالارض شيئا في الوجود ، وهو لهذا لا يمكن ان يسلم ببيع قيراط الارض مهما حدث . وخلال الايام الماضية كلها كانت المناقشة حامية بين الرجلين : هذا يريد ان يبيع الارض وذاك يريد ان يبيع الثور ، وبعد صلاة العصر من كل يوم يهبط بهما عزرائيل ويجلس يشرب الشاى كوبا بعد كوب ، وفي كل كوب اربعة قوالب من السكر ، ويصغى اليهما وهما يتناقشان في حمية وعنف ، ويمد يده فياخذ مرة سيجارة من علبة هذا ومرة من علبة ذاك ، ويضحك فيما بينه وبين نفسه واثقا من ان الامر سينتهي بحصوله على الثور والقيراط جميعا ..

وكان عبد الكريم يعرف ان عم محجوب لا يمكن ان يدع صلاة تفوته ، لان تقاه يابى عليه الا ان يصلي الخمس في مواعيدها وفي الجامع خلف صديقه وصهره وشبيهه في كل شيء الشيخ خالد المدرس الا لزامى الذى « يتبرع » بخدمة الجامع وامامة الصلاة فيه لوجه الله كما يقول . وكانت هذه الامامة تخلع عليه مهابة وتؤمنه وامواله من عدوان الناس ، فلم يكن احد يجرؤ على ان ياكل عليه مليما ، خاصة وقد كان هو حريصا على ان يذكر الناس في خطبة كل جمعه بالايات الكريمة التي تحض الناس على ان يؤدوا الامانات الى اهلها في حين ان احدا من القرية لا يذكر انه تلا عليهم مرة واحدة الاية الكريمة التي تحرم الربا ، فاذا ذكره بها احدهم اتى بتفسير لها غريب كل الغرابة ملخصه ان الربا المحرم هو ربا الجاهلية ، وذلك ان ابا جهل كان يقرض الناس الجنية بعشرة في الشهر ، فكان يقرض الرجل جنيها ويطالبه في آخر السنة بمائة وواحد وعشرين ، وهذا هو عين

الظلم ! فاذا قالوا له : ولكن يا شيخ خالد هل كان الناس يتعاملون بالجنيه اذ ذاك ؟ ضحك وقال : سبحان الله ! ان الجنيه مشتق من الجن ، وهم الذين اخترعوه « ليجننوا » به بني آدم ، وهو موجود قبل الطوفان ! وامام هذا العلم المتدفق يصمت القرويون في دهشة ويبادر المدينون منهم الى دفع ما لديهم او يبيعون الشيء المرهون ويخلصون من متابعة الشيخ خالد اياهم باللوم والتقريع في الجامع على ملأ من الناس .

وكانت فكرة عبد الكريم ان ينتظر حتى اذا اذن الشيخ خالد لصلاة العشاء ، اسرع هو واقترب من البيت ، فاذا مضى العم محجوب للصلاة انسل هو الى بيته ورقد في فراشه ومضى يتلوى من الالم ، فاذا عاد محجوب لم تكن امامه وسيلة للمطالبة والالحاح ذلك اليوم ، ولا يستطيع ان يهدد بتوقيع الحجز لان الناس سيصيحون في وجهه : حرام عليك يا راجل ! خل عندك رحمة وانسانية ! الرجل يموت في فراشه وانت وراءه بالمطالبة والتهديد ! بهذه الطريقة يكسب من عزرائيل يوما ، وربما بضعة ايام ...

لهذا اخذ بعنان « ورد » وسار ، وجلست عيشة على ظهر هذا الاخير وقد امسكت بحمل من البرسيم والذرة وبعض رؤوس القلقاس ، ومرت القافلة الصغيرة ببيت ابراهيم خضر ، وكان قاعدا على الباب وحده يشرب الشاي ويدخن المعسل ، فتبادل عبد الكريم التحية معه ، وعند حائط بيت داود سعفان وقف عبد الكريم وثوره في انتظار الأذان ، ولم يطل الانتظار فقد انطلق صوت الشيخ خالد ولم يلبث عبد الكريم ان رأى من بعيد عم محجوب يسرع الى الجامع ، فاسرع هو والثور ودخلا البيت ، ثم وضع يديه على كليتيه وسار في بطء وهو يتوجع ، في حين مضت عيشة بالثور الى الغرفة التي ينام فيها في رحبة الدار ، ووضعت له البرسيم ومضت لتأتي بالماء . اما عبد الكريم فقد رقد في فراشه وغطته امرأته باللحاف ومضت لتأتيه بالحبوب التي وصفها له حكيمباشي مستشفى ميت غمر ، ثم وضعت الشاي على النار ، وبعد قليل كانت جالسة الى جواره تمسح له جبينه بمنديل ، وتناوله كوب الشاي ليرشف منه حتى « يفوت الدور » بسلام . وبعد قليل اتى ابوه وجلس الى جواره يحدثه ويطيب خاطره ويلف له السيجارة ويشعلها له ويمضيان في الحديث في ضوء مصباح الكيروسين الصغير ..

وعاد العم محجوب بعد ان « خطف » الركعات الاربع . لقد استغرقت منه الصلاة ربع ساعة كاملة ، اى اضعاف ما تستغرقه كل يوم ، لان العادة ان يخطفها خطفا في ثلاث دقائق او اربع ، ولكنه اضطر الى الحديث بعض الوقت مع صهره الشيخ خالد ، ثم جرى نحو بيت عبد الكريم خطاب لانه احس ان في الامر تلاعبا ، فما كانت عادة هذا القروي المدين ان يتأخر الى صلاة العشاء في الحقل ، ولكنه لم يكد يدخل البيت حتى اطمأن ، فقد شم رائحة الثور وكان يخشى ان يهربه عبد الكريم او يخفيه عند احد معارفه خوفا من الحجز عليه ...

لم يستقبله احد بترحاب او ابتسام ، ولكنه ابتسم وحيا متهللا ، وكانت تلك وسيلته في تجاهل عبوس المدينين في وجهه وتجهمهم عند رؤيته ، وكان يعرف انه ليس في الدنيا مدين يبتسم في وجه دائن مطالب ابدا .

وكانت عادته اذا دخل على قوم ان يلح في التحية ولا يزال يكرر : ازاى الحال ؟ بخير ان شاء الله ... سلامات ... ! ، الى غير هذه من عبارات التأنيس حتى تنفرج الوجوه العابسة ، وتتلاشى معالم الكرب والخوف ، فاذا اطمأن الى ان الضحية استأنست واستسلمت باغتها بالمطالبة والتضييق والتهديد .

ولكنه احس عندما دخل بعد عودته من المسجد ان هناك شيئا جديدا في الجو ، فقد عادت الوجوه الى العبوس بعد ان كان قد انسها ، فجعل يتبسط ويتظرف دون فائدة ، ظلت الوجوه جامدة كالصخر ، واخيرا قال الشيخ محمد خطاب والد عبد الكريم وهو يهز رأسه في اسف :

ــ والله يا عم محجوب ، لا ندرى ماذا اصاب عبد الكريم ...

فقال محجوب في انزعاج ظاهر :

ــ خير ان شاء الله .. ماذا جرى له ؟

ــ رجع من الغيط في غاية التعب لا يستطيع الوقوف على قدميه ..

ــ عنده ايه ؟ الشر بره وبعيد ؟

ــ اتاه الدور في غاية الشدة هذه المرة ..

فانفرجت اسارير عم محجوب ، وقال فى سرور متكلف :

ـ يا شيخ خوفتني ... قل باسم الله ... انه الدور الذى يأتيه وسيأخذ الله بيده ببركة سيدى ابراهيم ... اعطوه قرص الحكيم وشوية شاى ، وفى ربع ساعة يعود كالحصان ...

فعاد الوالد يهز راسه فى اسف ويقول :

ـ لا والله يا عم محجوب ... هذه المرة اشد بكثير من كل مرة فاتت .. الجدع فى غاية الالم .. لا ندرى ان كان يفيق الليلة ...

فتغير وجه محجوب وتجهم ، ثم قال فى صوته الجهورى الجامد :

ـ بقى اسمع يا محمد يا خطاب ... هذا اللؤم لا يجوز علي ، انا عارفك كويس ... هذه حيلة تحسبون انها تنفعكم فى التهرب من السداد ...

واطلت عزيزة ـ زوجة عبد الكريم ـ براسها من باب الغرفة وقالت :

ـ يا عم محجوب حرام عليك ، الرجل « راقد دايخ مش قادر ياخذ نفسه » وحرارته فوق الاربعين ... وانت ...

فلم يدعها تتم كلامها واندفع يقول :

ـ الرجل بخير ، لا حرارة عنده ولا شيء ...

فقال الوالد : يا رجل اتق الله ، خل عندك رحمة .. اليس لك أولاد ؟ ..

ـ اتقوا الله انتم ... ابنكم بخير

ـ من أين تعرف ذلك ؟

ـ ابراهيم خضر قال لى ... كان جالسا على عتبة بيته ساعة المغرب ، ومر به ابنك وسلم عليه بصوت كالرعد . كان معه الثور وبنته عيشة ، وعندما مر ببيت داوود سعفان وقف طويلا كأنه كان ينتظر شيئا .

ففتح محمد خطاب عينيه دهشا وقال :

ـ سبحان الله يا عم محجوب .. انك ترقب هذا المسكين خطوة خطوة كأنه قتل لك احدا ... ماذا تريد منه ؟

ـ نقودى .. حقى .. لا أريد الا حقي .. هل المطالبة بالحق حرام ... ام تريدون أن تنهبوا مالنا وننام ... ؟

ـ لا أحد ينهب مالك يا عم محجوب ... عيب هذا الكلام الذى تقوله ...

ـ أنا عارف انه عيب ... ولكن ماذا اعمل اذا كنتم تحاولون اخفاء رجل فى حجم الباب وتدعون المرض والموت .

ـ الا زلت لا تصدق أن الدور أتاه ...

ـ الدور يأتي أهل القرية جميعا ... ليس فى هذه القرية انسان لا يشكو مغصا ... كلنا مرضى وانت عالم بالحال ...

ثم ضرب كفا بكف وجعل يهز راسه ويقول :

ـ ... قال مغص قال ! هل الفلاح يكون فلاحا بدون مغص يا محمد يا خطاب ؟ ارني واحدا فى هذه القرية لا يأتيه دور كدور ابنك هذا .

فقال محمد خطاب محاولا تهدئة الرجل :

ـ صحيح يا عم محجوب كلنا أصحاب مرض ... والمريض يا شيخ محجوب يعذر المريض ... غدا يكون عبد الكريم بخير وتاخذ نقودك الى آخر مليم والدنيا لن تطير ..

ـ نعم .. الدنيا لن تطير ، ولكنني أعرف ما الذى سيطير .. نقودى ! انا ذاهب للعمدة الآن ، ومن باكر نبدأ الاجراءات ... سلام عليكم .

ونهض مغضبا واتجه نحو الباب ، وقام من خلفه محمد خطاب وأمسك بذراعه ليمنعه من الخروج فان هذا الرجل لو ذهب الى العمدة وطلب اليه البدء فى الاجراءات فان شيئا فى الدنيا لن ينفع محمد خطاب أو ابنه ، فان العمدة نسيب محجوب ، والاغنياء فى كل بلد اقارب وحلفاء .

وما زال محمد خطاب يتلطف مع محجوب ويطيب خاطره حتى هدأ وعاد الى مجلسه ، ثم صب له محمد خطاب كوب شاى كأنه الحبر الاسود وأضاف اليه أربعة قوالب من السكر مزيدا فى الاكرام ولف له سيجارة بيده واشعلها له ثم قال :

ـ يا عم محجوب أنت خيرنا وبركتنا ، بس أنت عارف الاحوال ...

ـ أنا اعرفها جيدا : عندك فدان ونصف وعند ابنك اثنان ، وعندكما اشياء أخرى كثيرة ...

ـ يعنى ، الا تنتظر علينا أسبوعا ؟

ـ ولا ساعة ...

ـ يرضيك أن نبيع الارض ؟

ـ ويرضيك ان يضيع مالى ؟

ـ مالك لن يضيع ... سنعطيك نقودك فى الصباح يا عم محجوب والناس اعذار ...

ـ وماذا ستعمل اذا كنت لا تبيع قيراطا من الارض ..

ـ ساجعل عبد الكريم يعطيك الثور ...

فصرخت زوجة عبد الكريم وهي تضرب صدرها :

ـ يا للمصيبة ! ورد لا يخرج من بيتنا ابدا ..

وسمعوا صوت حركة داخل الغرفة ، ثم اطل راس عبد الكريم وقد استند بيديه على الباب وقال : اذا مس احد منكم الثور بيده اطلقت عليه النار ..

ونظر اليه محجوب دون ان تبدو على وجهه اقل علائم الدهشة وقال : هذا هو المريض ..!

فقال الاب محمد خطاب وهو في حرج :

ـ صدقني انه مريض . ثلاثة بالله العظيم انه بالكاد يستطيع ان ياخذ نفسه .

ـ بل صدقني انت ، ثلاثة بالله العظيم ـ وليس لك علي يمين ـ ان ابنك عبد الكريم سليم قوى مثل شجرة الجميز ، ولو تركناه لاكلنا جميعا ..

فصاحت زوجة عبد الكريم في رعب شديد :

ـ يا حفيظ .. احفظنا يا رب من عين السوء ... هذا الرجل يندب في عينه مسمار ...

ـ انا يا ام عيشة..انا يا بنت نفر التراحيل !.

فانفجر عبد الكريم غاضبا يقول :

ـ احفظ لسانك يا عم محجوب .. ام عيشة ابوها كان فقيرا حقا ولكنه اشرف من ناس كثيرين ...

ووجم الجميع . فقد كانت هذه العبارة اشبه بقنبلة . كان مفهوما من هم اولئك الناس الكثيرون . بعد مثل هذه الجملة لا يبقى الا التماسك والتضارب ، واذا وصل الامر الى ان يمسك عبد الكريم بعم محجوب ويضربه فان احدا في القرية بل في المديرية كلها لا يستطيع اصلاح الامر ...

في هذه اللحظة دخل الشيخ خالد صهر محجوب وصديقه وحليفه . دخل في اللحظة الحرجة ، ليوفق بينهما ، ومضى يهدىء هذا تارة وذاك تارة اخرى ، وطالت عملية التهدئة حتى تعبت أم عيشة من عمل الشاى وصبه في الاكواب. سمع الشيخ خالد من كل من الرجال حكايته مائة مرة حتى دقت الساعة على الحادية عشرة ، وكل من الاطراف متمسك برايه : محمد خطاب يقسم الا يباع قيراط من ارضه او ارض ابنه ، وعبد الكريم يقسم انه سيطلق النار على من يمس بيده ثوره « ورد » والشيخ محجوب يقسم على البدء باجراءات الحجز وخراب البيوت من الغد اذا لم يحصل على المال أو الثور أو تنازل عن قيراط من الارض الليلة ..

وساد صمت بعد كلام كثير جدا ...

ثم رفع الشيخ خالد راسه وقال وقد انفرجت اساريره كانما وجد طريق الفرج : عندى حل ..

فقال له الاب : خير باذن الله ..

ـ تزوجوه عيشه .

وظل ساكتا لحظة ، ثم تلفت في وجهي عبدالكريم وابيه متفحصا : ثم نظر الى ام عيشه التي وقفت واجمة تنظر بعيون بلهاء الى هذا الشيخ العاتى ، ثم افاقت من ذهولها وقالت في انكار شديد :

ـ عيشة ؟ بنتي عيشة ؟ .. لكي يطلقها بعد اسبوع او تقتلها امراته نفيسة ..

وضحك الثعلب العجوز ، فقد كان يتوقع ذلك . كان معتادا على هذا النوع من احتجاجات الامهات كلما القى شباكه على واحدة من بناتهن . كانت تلك هي لذته الكافية في الحياة بعد جمع المال : الزواج . في سبيل الحصول على بنت حلوة مثل عيشة ، كان مستعدا لاحتمال اى اهانة . كانت زوجته الدائمة الحاجة نفيسة بنت عم الشيخ خالد تقف له بالمرصاد ، فكان لا يفاقلها ويتزوج عليها الا اسرعت مع اخوتها واجبروه على الطلاق ، بعد اسبوع او اسبوعين ، ربما شهر ..

هذه المرة احكم الامر مع الشيخ خالد ، وسارت الامور الى هنا كما رسما معا ، بقى أن تسرع الخطوات التالية فيتم الزواج قبل أن تعلم زوجته .

وكان واثقا من ان هذا الزواج سيتم فان عبد الكريم ومحمد خطاب ، ككل اب او جد لا يكرهان أبدا فكرة تزويج بنت تخطت الخامسة عشرة ، أما ان عم محجوب عجوز فمن قال ان الرجال لهم سن ؟ وبالنسبة للطلاق القريب المحتمل فمن الذى يضمن انها لا تطلق بنفس السرعة اذا تزوجت شابا ؟ على اى الاحوال هناك احتمال وفاة العم محجوب وحصول البنت على تركة ، وهناك احتمالات المساومة على ما يعطيها وما يكتب لها من المال والعقار ، وهو رجل موسر مولع بالنساء . وعيشة بنت حلوة ، لطيفة بيضاء ، سمينة ، يعرف قيمتها رجل خبير مثل محجوب !

هذ هيه هي الافكار التي كان محجوب يقرؤها على وجوههم وهم يناقشونه . لقد سبق ان قرأ

مثلها على وجوه اخرى كثيرة قبل ذلك وعرف كيف يمكر بهم ويخرج من المازق رابحا غانما .

واحس محجوب ان المقاومة تنهار شيئا فشيئا ، فضاعف الهجوم ومضى يذكر كيف سيقدم لعيشة من فرص السعادة والهناء ما لا يمكن ان يدور بخلد امها او ابيها او جدها : سيسكنها فى شقة وحدها فى بيته فى ميت غمر بعيدا عن الحاجة نفيسة ، وسيشترى المتاع كله باسمها وسيأتيها بالمصاغ الغالى وملابس الحرير وسيكرم امها بالهدايا ، ولديه على سبيل المثال « ملس » حرير شغل المحلة معتبر احضره لها خاصة ، ونظر الى الشيخ خالد وقال : فين الملس يا شيخ خالد .. ؟

ـ عند منصور البقال .. نرسل من يحضره .

وقال محجوب :

ـ الثلاثون جنيها التي لي عليكم هي المهر .

وفكر جد العروس قليلا ثم قال :

ـ يا عم محجوب ، خل المهر خمسين جنيها ، منها الثلاثون التي تدينتا بها ، والباقي تعطيه لنا فتشترى البنت حاجة وتجهزها ..

واراد محجوب ان يحتج ، ولكن الشيخ خالد سارع فقال :

ـ لا مانع، كل هذا ،اكراما لخاطرك يا محمد .

ومضى الكلام فى التفاصيل . كان محجوب يريد ان يفرغ من العقد هذه الليلة فوافق على كثير مما لم يعجبه ، وارسلوا فاتوا بالشيخ زيدان مأذون القرية ، فكتب العقد بعد أن سلم محجوب لعبد الكريم عشرين جنيها بقية الصداق وفرد فى الوثيقة ان عليه خمسين جنيها مؤخر صداق ...

★ ★ ★

وبينما كان المأذون يكتب والرجال يتحدثون مضت ام عيشة الى ابنها الصغير احمد وايقظته وامرته ان يسرع الى بيت الحاجة نفيسة ويبلغها الخبر ويرجوها الاسراع فى المجيء .

وبعد العقد ارسلوا الى عم منصور البقال ، ففتح الدكان واتى بملس الحرير وزجاجتين من الشربات . وفيما كانت الاكواب تدور سمعوا ضجة واصوات اقدام مقبلة ، ثم فتح الباب ودخلت الحاجة نفيسة يتطاير الشرر من عينيها ، ومعها اخوتها الثلاثة بدوى ومحروس ودسوقى ، وكل منهم كالمارد ضخامة ورهبة ، ووقفوا فى رحبة الدار كانهم سباع تتاهب للانقضاض . ونظر اليهم محجوب واجما وتمشى فى جسده الخوف وهو يرى هذه العيون النارية الثمانية تنظر اليه فى غضب وتهديد ، وقالت نفيسه :

ـ ماذا عملت يا عجوز السوء ؟

ولم ينطق . وضع كوب الشربات على الارض ولم ينطق ، وقالت ام عيشة :

ـ تزوج .. تزوج ابنتي عيشة .. رغما عنا ! انا عارفة .. انه يعمل هكذا دائما ... ياخذ بنات الناس بالديون ...

وقال دسوقي وهو ينظر الى محجوب بعيون تخرق الرصاص : طلقها .. !

وجمع الشيخ خالد اطراف شجاعته وقال :

ـ بس يا دسوقي ...

ولم يدعه دسوقي يتم كلامه ، وانما لكزه بفوهة بندقيته لكزة المته واخرست صوته . وكانت ورقة الزواج فى يد عيشة ، فطوتها ووضعتها فى صدرها ، وقالت نفيسة : طلقها الآن .. !

ولم يشعر محجوب فى حياته بمثل هذا الخوف كان الموت يتمشى فى عينى دسوقي ، وكان هذا رجلا رهيبا له جرائم ومصائب ، ولا يجرؤ احد على تحديه ، خاصة اذا كان فى هذه الحالة من الغضب . وقال دسوقي : قلت لك طلقها ..

ـ قل انها طالقة بالثلاثة !

ـ انها طالق بالثلاثة ..

ـ اكتب يا شيخ زيدان ورقة الطلاق ..

وفى اقل من خمس دقائق كانت الورقة قد كتبت ، وتم التوقيع والاشهاد عليها ، ثم سلمت لعبد الكريم ...

ونهض محجوب والشيخ خالد وخرجا ومن خلفهما الحاجة نفيسة وهؤلاء المردة الثلاثة ... واقفل الباب وساد الصمت ، ثم انفجرت ام عيشة ضاحكة وقالت : خلصنا منه ومن الدين ...

وقال محمد خطاب :

ـ ولنا عنده خمسون جنيها مؤخر الصداق...

ولم يسمع عبد الكريم شيئا . كان لا يفكر فى مؤخر الصداق هذا . كان شعوره بالسعادة لمجرد الخلاص من الدين لا يوصف . اخذ زجاجة شربات ومضى يفرغ منها فى الماء الذى يشرب منه « ورد » وهو يقول :

ـ اشرب يا ورد اشرب ... كلك بركة يا امير ... ! ■■

حسين مؤنس

نيكولاي جوجول والارواح

بقلم : الدكتور محمود السمرة

الجامعة الاردنية ـ عمان

■ «نيكولا جوجول» قمة من قمم الادب الروسى والعالمى . وبه ، وبالكاتب بوشكين ، بدأ الادب القومي الروسى .

وجوجول انسان غريب عجيب ، عاش حياته عبدا لسوداوية قابعة فى أعماقه ، لم يستطع الفكاك منها . وقضى عمره وروحه تكره جسده وتحتقره ، فكان من نتيجة هذا الانقسام فى الذات ان فقدت شخصيته التوازن، حتى ليصح ان نعمم فنقول : انه ما من انسان عرف جوجول واتصل به ، واستطاع بعد هذا ان يحبه . وكان جوجول يدرك هذا . ولكن اذا كان افتقاد حب الآخرين مؤلما ، فان كراهية المرء لنفسه اشد ايلاما .

والعجيب بعد هذا ان تستطيع مثل هذه الشخصية ان تبدع أثرا خالدا يضعها جنبا الى جنب مع بوشكين ، وتولستوى ، ودوستويفسكي .. اما هذا الاثر الخالد فهو قصة « الارواح الميتة » .

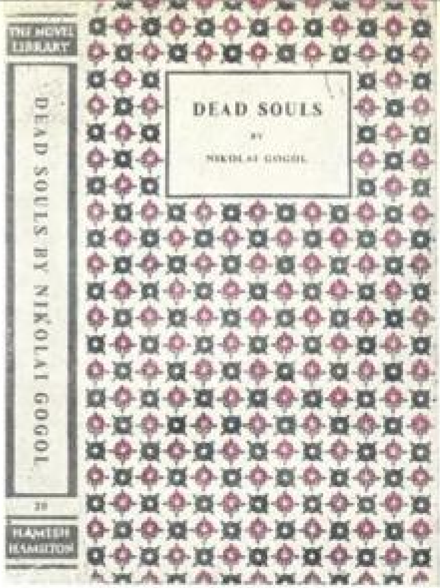
ولم تكن ارومة جوجول تنبىء عما آل اليه . فقد ولد فى اوكرانيا ، ذات الاراضى الخصبة ، والمياه الثرة ، والمحاصيل الغزيرة ، والطبيعة الجميلة . فهو بهذا من القوزاق ، فرسان الجنوب ، الذين اشتهروا بحروبهم ضد الاتراك العثمانيين ، والبولونيين .

وكان والده من صغار الملاك ، يملأ وقت فراغه بكتابة المسرحيات الهزلية ، وكانت امه التى تزوجت من والده فى سن الرابعة عشرة ، امرأة متدينة ، ساذجة ، عطوفة ، مدلهة بزوجها الذى كان يبادلها حبا بحب . ولم يكن يعكر صفاء هذا الجو وجماله غير انتشار الرق . فهذه الاراضى الزراعية الشاسعة كانت تحتاج الى الايدى العاملة ، التى كان يملكها صاحب الارض ، ويتصرف فيها بالبيع والشراء . فاذا عددوا ثروة الرجل اضافوا فقالوا : انه يملك مائة او الف نفس ايضا . ولم يكن الملاك يجدون فى هذا النظام عيبا ، لانهم نشأوا عليه ، ولم يعرفوا غيره .

★ ★ ★

هذا هو الجو العام الذى استقبل الوليد سنة ١٨٠٩ . وكان جوجول ضعيف البنية ، حاضر البديهة ، قزما ، قميئا ، له انف مدبب كمنقار الطير ، ووجه على صورة غير الصورة التى ألف الناس عليها الوجوه ، وعينان يصفهما من عرفوه بانهما عينا ابن عرس ركبتا فى وجه بشرى !

Nickolai Gogol, Dead Souls.



الميـّتة

وكان زملاؤه في المدرسة يرتجفون رعبا من مرآه، وبينهم عرف باسم « القزم العجيب » . وهو الى هذا كان سليط اللسان ، ذا قدرة فائقة على تقليد اى الاشخاص واى المواقف . وعندما شب احب المسرح ، واخذ يحس بميل الى الكتابة ، ولكن حلمه الذى كان يعيش فيه هو أن يصبح موظفا فى الدولة ، يرقى فى سلم الوظائف الى ان يصل الى المرتبة التى تمكنه من ان يقود روسيا نحو الرفعة والتقدم ! ولم يكن يترك فرصة دون أن يفيض فى الحديث عن آرائه ومشاريعه لاصلاح البلاد ، وخير العباد . وهو لا يتحدث كما يتحدث الناس ، بل بطريقة تمثيلية ، وعبارات بولغ فى تنميقها .

وهكذا كان جوجول طيلة حياته ، مبالغا فى اقواله ، يقول ولا يفعل : كان اذا شكا من مرض ظننت انه على عتبة الآخرة ، وصمم على الانتحار عند وفاة والده ، وعمره يومذاك ست عشرة سنة، ولكنه لم ينتحر .

وفى سن التاسعة عشرة شد الرحال الى سانت بطرسبورغ ليبدأ سيره نحو المجد الذى تصوره.. ولكن العاصمة خيبت امله ، واصبح فيها الفقير المتشرد ، لا يجد لنفسه مأوى الا فى الاقبية الرطبة مع زمرة من ابناء اوكرانيا . واخذ يمطر امه برسائله ،واصفا لها كيف ان الفتيات الجميلات يلاحقنه ، ويتمنين نظرة منه ، ولكنه لا يحفل بهن . بينما الحقيقة هى ان جوجول عاش حياته كلها يحلم بالمرأة من بعيد ، دون أن يجرؤ على الاقتراب منها .

وضاق ذرعا بالحياة فى العاصمة ، وخاصة بعد ان نشر مجموعة شعرية تحت اسم مستعار ، ففشلت فشلا ذريعا ، حتى انه جمع النسخ التى لم تجد من يشتريها فحرقها . وارسل الى امه يستنجد بها لكي ترسل له بعض المال ، مدعيا ان صديقا غنيا طلب منه ان يصحبه الى لوبك ، ولكن الصديق ــ كفتياته الوهميات ــ لم يكن له وجود . وقد افادته الرحلة الى الغرب ، لانه رأى فيها انماطا جديدة من الحياة ادارها فى خياله مقارنا بينها وبين الحياة فى وطنه . وعندما عاد من الرحلة استطاع بعد الجهد والوساطات أن يحصل على وظيفة بسيطة فى الدولة .

★ ★ ★

وقد بدأ التحول فى حياة جوجول يوم استطاع ان يصل الى الالتقاء بكاتب روسيا وشاعرها العظيم بوشكين . ولم يستطع شكل جوجول القميء ، ولا ثرثرته واضطراب شخصيته ، ان تحجب عن عيني الكاتب العبقرى الموهبة الفذة

الكامنة داخل هذا الجسد المنفر . وهكذا قربه واخذ يسدي اليه نصائحه .

ويبدو ان هذا اللقاء كان اشبه بعصا ساحر مست الشاب الحائر اليائس ، فايقظت فيه موهبته الغافية . وصدرت له « ليالي القرية » ، وهي مجموعة حكايات من قريته الاوكرانية ، فاذا به بين عشية وضحاها يصبح مشهورا . كتب بوشكين في تقريظ الكتاب يقول : « هنا المرح الطبيعي ، والفكاهة الحلوة .. وهنا الشعر ، ورهافة الحس » .

وكان عمال المطابع يغرقون في الضحك ، وهم يصففون الحروف ، كما وجد القراء فيها تسرية وهروبا من حياتهم العابسة ، واحبتها الامبراطورة وتحدثت عنها الى من يحيطون بها .

★ ★ ★

ولكن هذا النجاح لم يجلب الراحة لهذه النفس القلقة ، وكان ما به من كبرياء يدفعه الى ان يكون اكثر من كاتب حكايات مسلية مضحكة . انه يريد ان يكتب ما يعين ابناء وطنه على أن يتحرروا من التفاهة والسطحية في حياتهم ، وما يساعدهم على ان ينتصروا على الشيطان القابع في اعماقهم . وهكذا بدا يصور بقلمه الساخر جوانب الفساد في المجتمع والبؤس الذى تغرق فيه الكثرة الساحقة من المواطنين .

وقد اجاد وصف فساد المجتمع في مسرحيته « مفتش الحكومة » ، كما ابدع في وصف بؤس الطبقة الفقيرة في قصته « المعطف » ، التى قال فيها الكاتب القصصي ترجنيف : « لقد خرجنا جميعا من تحت معطف جوجول . » ، أى ان جوجول في قصته هذه كان معلما لخلفه من الكتاب القصصيين .. و « المعطف » قصة موظف بسيط قضى سنوات يحلم باليوم الذى يستطيع فيه ان يشترى معطفا جديدا . واخيرا استطاع أن يوفر ثمن معطف ، ولكن المعطف سرق في نفس المساء الذى اشتراه فيه .

وقد راودت فكرة مسرحية « مفتش الحكومة » جوجول زمنا ، اذ اراد ان يصور ما رآى من فساد موظفي الدولة في العاصمة . ولكنه كان يدرك ان الرقابة لن تجيز مثل هذه المسرحية . واخيرا استقر رايه ـ تجنبا للمشاكل ـ على ان يجرى احداث المسرحية في احدى المدن الصغيرة . وخلاصة المسرحية : ان كل موظفي الدولة في هذه المدينة غير امناء ، يرتشون ، يهدرون المصالح ويعبثون بالامن ، ثم نما اليهم ان الحكومة قد اكتشفت امرهم ، وهي بسبيل ارسال مفتش متنكر ليعرف حقيقة ما يفعلون . ويحدث صدفة ان يحل في فندق المدينة غريب لا يعرفه احد ، فظنوه المفتش متنكرا ، ولهذا حاول كل كبار الموظفين التودد اليه ، وكسب رضاه بوسائل الرشوة التقليدية : بالمال والنساء . وقد فوجيء الغريب بهذا التصرف اول الامر ، ولكنه ارتاح اليه عندما ادرك غايتهم ، واستغل الفرصة ، واقبل على ما قدموا اليه ، فاخذ منهم المال ، وغازل نساءهم وبناتهم . ولما وصل المفتش الحقيقي ادركوا خطأهم ، ولكن بعد فوات الاوان ، وبعد ان كان الغريب المتشرد قد لاذ بالفرار واختفى !

والواقع ان هذه المسرحية نقد لاذع مر للفساد الذى انغمست فيه طبقة موظفي الدولة ، ولترديهم الخلقي وكسلهم . والارجح ان الرقابة لم تكن لتسمح بعرضها لو لم يأذن بذلك الامبراطور نيقولا الذى قرا مخطوطة المسرحية بنفسه ، وعلق قائلا : « انه لم يُبْقِ على احد ، حتى عليّ انا . » ثم اصدر امره بوجوب تمثيلها .

وعندما مثلت سنة ١٨٣٦ في سانت بطرسبورغ تركت دويا : فاستقبلتها الاوساط الادبية بالتهليل والترحيب لقيمتها الفنية ، ولكراهيتها للفساد المتفشي بين موظفى الدولة . ولكنها اثارت حفيظة وحنق رجال الدولة من كبير وصغير ، فهاجموا جوجول ، واستاجروا من يهاجمونه . وقد دهش جوجول للكراهية التى حملها رجال الدولة له بسبب مسرحيته ، وهو الذى كان يظن انه بها انما يساعدهم على التخلص من رذائلهم .

واخذ جوجول يحس ان جو سانت بطرسبورغ يكاد يخنقه ، بسبب ما احاط به من كراهية ، فقرر الرحيل عن وطنه قائلا : « من الخير للكاتب الساخر ان يعيش بعيدا عن وطنه . »

★ ★ ★

وقبل ان يغادر جوجول روسيا الى أوروبا سعى الى بوشكين طالبا منه أن يمده بموضوع لقصة ، فاقترح عليه بوشكين موضوعا من صميم الحياة الروسية يدور حول الاقنان (عبيد الارض) ، فاستحال هذا الموضوع بين يدى جوجول الى رائعة ادبية لها من المكانة عند الروس ما لقصة سرفانتس « دونكيشوت » من مكانة عند الاسبان .

وفكرة القصة هى كما يلي : كانت العادة ان يدفع مالك الاقنان ضريبة للدولة عن كل قن يملكه ، وكانت الدولة تقوم باحصاء الاقنان كل بضع سنوات . فاذا حدث ومات احد من الاقنان خلال الفترة الواقعة بين احصائين ، كان على المالك ان يدفع ضريبة حتى عن الاقنان الذين يكونون قد ماتوا . وكان ملاك الاقنان يعجزون احيانا عن دفع الضريبة ، فتستولى الدولة على عدد من الاقنان بقيمة الضريبة ، ثم تتصرف فيهم بالبيع . وقد ادى هذا الوضع الى قيام بنك يتولى اقراض ملاك الاقنان مبلغا محددا عن كل قن مقابل رهن القن عنده . وفي حالة العجز عن السداد يستولي البنك على الاقنان المرهونة ، ثم يتصرف فيها بالبيع . والفرق بين الدولة والبنك بالنسبة لمالكي الاقنان ان البنك يقرضهم انتظارا ليوم ميسرة يسددون فيه القرض ، وهو لا يستولي على الاقنان الا بعد الامهال ، بينما الدولة لا تمهلهم ابدا .

هذا الوضع أوحى لأفاق متشرد بان يجول فى القرى والمزارع عارضا على ملاك الاقنان شراء اقنانهم الذين توفوا . وكان الملاك — بداهة — مستعدين لبيعهم مقابل ثمن اسمى لا يكاد يذكر . ثم قام هذا المتشرد برهن الاقنان عند البنك ، وقبض الرهن ، ثم اختفى !

هذه هى الخطوط العريضة للقصة . وقد انهى جوجول كتابة الفصول الاولى منها قبل ان يغادر سانت بطرسبورغ الى الخارج ، وعندما قرأ هذه الفصول على بوشكين ، صاح بأسى وحزن : « يا الله ! ما أشقى روسيا اذا كانت كما تصورها ! » وكان رد جوجول انه قد رسم لروسيا صورة قاتمة لانها تبدو لعينيه هكذا .

وترك جوجول العاصمة وارتحل الى الغرب ، فزار سويسرة وباريس ، ولكنه استقر فى روما لانه احبها ، وبقي فيها مدة عامين مقبلا على كتابة قصته . واثناء وجوده في روما جاءته الانباء بان بوشكين قتل فى مبارزة ، فحزن لذلك حزنا شديدا . ولكن بوشكين غادر دنيانا بعد أن كان قد مد يده « للقزم العجيب » ودله على الطريق .

وعندما نفدت نقوده وهو فى روما ، أرسل الى الامبراطور نيقولا طالبا العون ، فأمده هذا الامبراطور الدكتاتور النير الفكر بمائة الف روبل . وكان لروما تأثير كبير فى حياته فيما بعد : اذ فيها بدأ يحس بميل قوى يدفعه الى التدين ، وهو ميل سيطر عليه فى اخريات حياته .

وفى روما أتم كتابة قصة « الأرواح الميتة » . وهى قصة ذات معان عميقة ، وفيها من الرموز الشيء الكثير .

ان بطلها أفاق متشرد ، اسمه تشيتشيكوف ، ليس سيئا بطبعه ، ولكن المجتمع قد دفعه الى الفساد . ونحن نراه فى القصة مقبلا بكل جوارحه على تنفيذ خطته ، متنقلا من قرية الى قرية بصحبة سائق عربته (سليفان) وخيوله الثلاثة . وهو فى هذا يذكرنا بدونكيشوت ، وخادمه سانكوبانزا ، وحصانه روزينانتي . وهو اثناء تطوافه لشراء الارواح الميتة يلتقى بصنوف عدة من البشر : فهناك البخيل الذى يساوم ويشتد فى المساومة للحصول على أكبر مبلغ ممكن ثمنا لاقنانه الميتة ، ثم يرضى بروبلين ثمنا لكل روح ميتة . وهناك العجوز المتدينة التى تفزعها فكرة بيع الارواح الميتة . وهل تموت الروح ؟! انها حسب تعاليم الدين ، خالدة . وترفض الفكرة ، وتقدم

له ولخادمه بدلا من ذلك عسلا وفحما . ورجال الحكومة هم على العهد بهم ، يجرون وراء كل بارقة تلوح لهم بالمغانم ،ولهذا فهم يحفون بتشيتشيكوف مبجلين معظمين، ظنا منهم انه ثرى ما دام يستطيع شراء هذا العدد الكبير من الاقنان .

وجو القصة قاتم حزين، لانها تصور لنا المجتمع الانساني بليدا جشعا ، فعلا . ان تشيتشيكوف ومن يبيعون له ، ليسوا مجرمين عن وعي ، ولكنهم اناس اموات ، لان كل الاحاسيس النبيلة قد ماتت فيهم . وهو يشترى ارواحا لا وجود لها سعيا وراء الكسب المادى ، فالمال والحياة الرخيصة هما كل ما يشغل فكره ، « ان عالمه هو عالمنا .. ولكن كن على ثقة ان تشيتشيكوف واضرابه هم الناس المعظمون المبجلون في كل زمان ومكان » !

★ ★ ★

وعام ١٨٤١ رجع جوجول الى وطنه ، لنشر قصته ، ولان الحنين اليها استبد به . وقدم قصته للرقابة ، فذهل مدير الرقابة عند قراءتها وقال معلقا عليها : « ان الروح خالدة ، ولهذا فليس هناك ما يمكن ان يسمى روحا ميتة.. اضف الى هذا ان فكرة بيع الارواح بسعر بخس (روبلين ونصف) اهانة للكرامة الانسانية ! » ولكن الامبراطور اجاز نشر القصة عندما عرضت عليه ، وظهرت في حينها .

ووجد جوجول نفسه للمرة الثانية محاطا بجو من الكراهية والحقد لم يستطع تفسيره ، وسلقه الجميع بالسنتهم لان كل واحد منهم كان يرى في هذه القصة تفاهته وفراغ حياته . ولعل جوجول يقف على راس الكتاب الذين ابدعوا في تصوير خواء الوجود الانساني ، ولهذا فلا عجب اذا كان مكروها . ولم يحاول جوجول ان يخفي معانيه في قصته ، بل عبر عن ذلك صراحة فقال : « ان الارواح الميتة هى انا وانت والآخرون » .

ولم يكن الناس فقط هم نقاد جوجول ، بل انه هو نفسه كان ناقدا لنفسه . كتب الى صديق له بعد نشر الكتاب يقول : « اذا كان القراء قد استقبلوا كتابي بفزع واستهجان ، فان ذلك لا يعود الى انه يكشف عن الامراض ، ويعرى الآثام ، ويبين كيف ان النصر للرذيلة في مجتمعنا ، والاضطهاد والخسران من نصيب الفضيلة . لقد فزع القراء لانهم لم يجدوا فيه بصيصا من نور » .

ثم يعد بانه سيعوض عن هذا في الجزء الثاني من كتابه : « انني احب الخير ، واسعى اليه . واكره الشر وانفر منه ، وبعون الله سانتصر عليه . ولقد استطعت ان احرر نفسي من الصغار والضعة ، عندما قذفت ما فيها في نفوس ابطال قصتي » .

★ ★ ★

وهكذا بعد أن كتب رائعته الخالدة « الارواح الميتة » ، قرر السفر الى اوروبا ليكتب قصة « الارواح الحية » . وها هو تشيتشيكوف يعود الى تطوافه في شخص جوجول فيقضى المدة بين عامي ١٨٤٢ و ١٨٤٨ متنقلا في البلدان الاوروبية ، ومقبلا على كتابة الجزء الثاني من قصته ، مضيفا اليها شخصيات نبيلة . ولكن الكاتب الذى يريد أن يصور أرواحا حية لا بد وان يكون هو نفسه روحا حية ، وافتعال الاحساس عند الاديب يقضى على العمل الادبي . وكم كانت دهشته للنقد المر الذى قوبل به الجزء الثاني من قصته ، لقد كان نقدا يفوق في عنفه النقد الذى استقبل به الجزء الاول . والنقاد على حق في موقفهم : فجوجول في الجزء الثاني قد لبس لبوس الواعظ ، وفني في المسيح ، واستحال الى ناسك متصوف ! واذا كانت شخصيات « الارواح الميتة » قد خرجت مليئة بالحياة من تحت قلم جوجول، فان شخصيات « الارواح الحية » ولدت ميتة لم تجر فيها نسمة من حياة . وهذا يذكرنا « بالكوميديا الالهية » لدانتي ، حيث « الجحيم » عنده خير من «الجنة» وبالاول عرف واشتهر. ويذكرنا ايضا بملتون الذى قامت شهرته على « الفردوس المفقود » ، بينما لا يذكر له الدارسون والقراء « الفردوس

المستعاد » . وهذا ايضا يجعلنا نتساءل : ترى لماذا يبدع الفنانون في تصوير الشر ، والرذيلة ، ولا يرقون الى هذا المستوى عند تناولهم لموضوع الخير والفضيلة ؟! اترى السر كامنا في الاديب نفسه ، أم في الموضوع ؟

★ ★ ★

وضاق جوجول بنفسه بعد الذي لقيه من النقاد والقراء على السواء ، وحج عام ١٨٤٧ الى القدس ، وزار قبر المسيح طالبا منه الهداية والارشاد . وعندما عاد وصف لصديقه الكونت ليوتولستوى كيف انه أحس ببرودة الثلج عندما ركع وقبل ضريح المسيح ، بينما كان هذا هو آخر ما تمنى ان يحس به . ولعل التفسير المعقول لهذا هو ان جوجول عاش عمره كله وهو اسير اعتقاد يملأ عليه نفسه ، ويقول له انه انسان ذو روح ميتة . والواقع ان حياته كلها كانت موتا بطيئا .

وظن انه ان عاد الى أوكرانيا ونعم بحب وعطف امه واخته ، فانه سيشفى مما هو فيه ، ولكنه عدل عن ذلك لانه وجد أن الحب لكل ما في الوجود قد غاض من نفسه .

وذهب الى القسيس واعترف ، فنصحه بأن يكف عن الكتابة ، فقال له : انك لأذكى من قابلت . ولكن التوقف عن الكتابة عندى يعني الموت » .

ولم يجده نطس الاطباء ، ولا نفعه نصح الاصدقاء ، واعتقد الجميع ان به مسا من جنون !

وفي ٢١ فبراير (شباط) من عام ١٨٥٢ اغلق بابه امام كل انسان ، واشعل النار في المدفئة والقى بكل ما كتبه فيها ، واخذ يرقب الاوراق وهي تحترق حتى استحالت رمادا . عندها هدأت نفسه ، وأسلم الروح .

نهاية كنهاية الكاتب الفرنسى « مارسيل بروست » الذى لفظ آخر انفاسه مع آخر حرف خطه في كتابه : « البحث عن الزمن الضائع »

انه حب الموت الذى يستطيع — اذا استبد بالانسان — ان يطفيء نور الحياة . ■■

محمود السمره



البنوك والاقتصاد الأردني

تأليف : فهد الفلنك — يطلب من المؤلف بالبنك العربي — عمان — الثمن ٢٠٠ فلس

● يبحث هذا الكتاب قصة النقود وتطورها ونشأة البنوك ووظائفها كما يتناول بالبحث احتياطات الارصدة الاجنبية بالاردن وميزان الدفع وذلك باسلوب سهل مبسط

حياة جائعة

تأليف : فاضل السباعي — مؤسسة المعارف ببيروت — الثمن ٢٥٠ قرشا لبنانيا

● مجموعة قصص شيقة في بيئات مختلفة يختمها المؤلف بصورة اجتماعية نقية وذلك باسلوب سهل مشوق

تمتع بطفلك في سنواته الثلاث الاولى

تأليف : جيمس هايمز ـ ترجمة الدكتور معمر خالد الشابندر ـ دار الفكر بيروت بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ببغداد الثمن ١٢٥ قرشا لبنانيا

● هذه هي الحلقة الثانية من السلسلة التي تقوم بنشرها لجنة الشئون العامة وغايتها تيسير المعلومات الصحيحة للقارئين كافة حول المشكلات الاقتصادية والاجتماعية باسلوب سهل مقبول

الدعاية العربية وأثرها

تأليف : بدوى التمام مؤسسة الدليل العام للبلاد العربية ـ حلب

● يعرض هذا الكتاب الكثير من معالم الاقطار العربية ويعتبر مرجعا للباحثين في الشئون العربية

حصاد المحيط

تأليف : هيلين ولف فوجل ـ مارى ليونارد كاروزو ـ ترجمة زكريا فهمي دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ١٥ قرشا

● كتاب فيه جهد صادق لاثارة اهتمام القارىء بدراسة قاع المحيط وهو يعرض المعلومات السابقة والكشوفات الحديثة التي تحققت في هذا الميدان ويناقشها بتفصيل باسلوب سهل جذاب

المطالعات في مختلف المؤلفات

تأليف : محمد علي الموسوى الحمامي ـ مكتبة السيد الحمامي النجف الاشرف

● يستعرض هذا الكتاب جانبا كبيرا من تاريخ حياة التاليف في مراحله الثلاث ، مرحلة الكتابة الحجرية المسمارية ، ومرحلة الكتابة على الرق والقرطاس والمرحلة الاخيرة التي يتمتع فيها عصر انشاء الطباعة .

مجلة المجمع العلمي العربي

● تصدر هذه المجلة في دمشق وقد ظهر الجزء الاول من المجلد الاربعين ، يضم الكثير من الموضوعات الادبية الهامة

الفراشات وابو دقيق

تأليف : روبرت لن ـ ترجمة الدكتورة سميرة الزيات ـ دار المعارف بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٣٠ قرشا .

● يتناول المؤلف الفراشات بمختلف انواعها بالشرح والتفصيل مبينا أوجه الشبه والخلاف بينها والمراحل التى تمر بها في مختلف اطوار حياتها التى قد تقتصر بالنسبة لبعض انواعها فلا تتعدى بضع ساعات . ويبين المؤلف وسائل دراسة الفراشات بحيث تستطيع ان تدرسها بنفسك بطريقة علمية منظمة وذلك باسلوب شيق مبسط .

الصخور المتغيرة

تأليف : آن ترى هوايت ـ ترجمة الدكتور محمد يوسف حسن ـ دار المعارف القاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٣٠ قرشا .

● في هذا الكتاب تشرح المؤلفة الانواع المختلفة للصخور وتتحدث عن التغييرات الكبرى التى ادت الى وجود هذه الانواع ، فتبين كيف ان جبالا تبلي وتزول بفعل عوامل التعرية ، وكيف ان جبالا اخرى تنشا وتقوم بفعل الضغط الشديد الذى يتولد في باطن الارض . وتتناول بالشرح مكونات الصخور وكيف أن بعض هذه الصخور لامع كالزجاج وبعضها تتلألأ فيه ذرات من المعدن وبعضها ناعم الملمس ، وتدعم ذلك بالامثلة .

الثعابين

تأليف : بسي م. هخت ـ ترجمة الدكتور عبدالحليم كامل ـ دار المعارف بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٣٠ قرشا .

● هذا الكتاب يوضح فوائد الثعابين ويلغي الفكرة التي ترتكز في مخيلة الكثيرين من ان كل الثعابين مؤذية بينما معظمها غير ضار . والكتاب يحوى الكثير من الطرائف والمعلومات الشيقة .

حضارات سادت ثم بادت

بقية المنشور على صفحة ٢

■ من الحضارات التى سادت ثم بادت ، حضارة وادى النيل التى عاشت قبل نحو خمسة آلاف من السنين وظلت مزدهرة الى أن بادت واخذت سبيلها الى الخلود فيما تركته من آثار واسرار وكنوز حفظتها لنا مخطوطات واهرامات وصروح ما زالت موضع دهشة واعجاب على مر الاجيال .

وتمثل الصورة المنشورة على الصفحة الثانية حفلة تكريم وترفيه اقامها امير فرعوني لضيفه الشيخ البدوى . ويرى الامير وزوجته جالسين الى اليسار فى مقدمة الصورة . تدل عليها دلائل عديدة منها الحلى الفاخرة التى تزين معصمي الاميرة وصدر الامير . ومنها مظاهر الترف البادية فى النعال فى ارجلهما والمراوح فى أيديهما ، فضلا عن ثياب الاميرة السافرة عند الصدر ، وشعرها المصفف على احسن ما يكون التصفيف ، تزينه الاشرطة والزهور البيضاء من فوق ، والربطات الحمراء فى اسفل الضفائر . أضف الى ذلك ما تزين به وجه الاميرة من احمر للشفاه وكحل للعيون ، وما تدثرت به هى وزوجها الامير من ثياب بيضاء من الكتان الرفيع بل الشفاف ، كما يدل على ذلك غطاء اكتاف الوصيف الواقف وراءها رهن الاشارة . وتدل كلاب الصيد الاصيلة على ولع الامير وذويه بالصيد والقنص ، هواية الامراء والملوك فى مختلف الاقطار والعصور .

ويجلس الضيف البدوى وزوجته فى الجهة المقابلة على مقعد خشبي تتجلى بساطته لدى مقارنته بمقعد الامير . ويحيط بهما افراد بطانتها، ومنهم الواقف وبيده القوس والنشاب او الجالس على الارض وبيده الربابة . اما ثيابهم فلا تعدو كونها مصنوعة من قماش صوفى خشن تكاد خشونته انتختفي بما ازدان به القماش منتلوين وزركشة. ولن يفت الناظر الى الصورة ظهور احد الواقفين من بطانة الشيخ منتعلا . فالشيخ وصحبه كلهم حفاة ، وحتى هذا الواقف لم تنتعل من قدميه الا واحدة . ولعل ابرز ما يميز الضيف وذويه تلك الدهشة التى تملكتهم وهم يرقبون المصارعة الجارية فى وسط المشهد بين زنجي ورجل آخر . ولا غرابة فى ذلك فالمصارعة غريبة عليهم مالوفة بالنسبة الى الامير الفرعوني وحاشيته .

اما هذا الامير الفرعونيفهو (تحوتي — حوتبى) احد حكام الولايات (واسمه عندهم نومارش) فى عهد الملك (سن — ورست) الثالث . تمثل الصورة اذن جانبا من الحياة الفرعونية فى زمن المملكة الوسطى التى بسطت على الديار المصرية طيلة سبعة قرون اعتبارا من سنة ٢٧٦٠ قبل الميلاد . وكان قوام هذه المملكة اسرتان من الملوك ، الاسرة الحادية عشرة والاسرة الثانية عشرة ، وكان الملك (سن ورست) من ملوك هذه الاسرة الاخيرة . وقد آلت اليها السلطة من المملكة الاولى القديمة وكان قوامها اربع أُسَر من الملوك حكموا البلاد بين ٢٧٨٠ — ٢٢٧٠ قبل الميلاد.وكان الامير (تحوتى — حوتبى) حاكما لولاية (هار) من ولايات مصر الوسطى الواقعة بين مصر العليا والدلتا او مصر السفلى كما كان من اصدقاء الملك (سن — ورست) المقربين .

وعلى كل ما يتجلى فى الصورة من مظاهر الرقي والحضارة فى حياة الفراعنة فانها لا تمثل حضارة مصر القديمة فىأوجها ، بل فى حقبة من تاريخها سبقت ذروتها بقرون عديدة .

وتكفي الاشارة الى ان التقويم الغربي الذى يسير عليه كافة الناس فى سائر الاقطار والامصار ، والذى يقسمونالسنة بموجبه الى اربعة فصول ، وكل فصل الى ثلاثة شهور ، وكل شهر الى ثلاثين يوما ، هذا التقويم انما هو انتاج فرعوني . تكفي الاشارة الى ذلك لكى نذكر ما آلت اليه حضارة مصر القديمة من خلود . ■■



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

حديث « الكلب » .. وحديث « الذباب »

● روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « اذا وقع الذباب فى شراب احدكم او طعامه فليغمسه ثم لينزعه ، فان فى احد جناحيه داء وفي الآخر شفاء » .

فما مبلغ ما لهذا الحديث من الصحة والضعف؟

● من الاحاديث المتفق عليها فى صيغ مختلفة ما يحتم تطهير الاناء الذى ولغ فيه الكلب بغسله سبع مرات احداهن بالتراب .. افلا يجوز تطهير الاناء الذى ولغ فيه كلب بمادة مطهرة غير التراب، كالصابون مثلا ؟!!

برقة ـ ليبيا صالح ونيس عبد النبي دير القمر ـ لبنان ابو صادق

ـ اما حديث الذباب وما فى جناحيه من داء وشفاء ، فحديث ضعيف : بل هو ـ عقلا ـ حديث مفترى .. فمن المسلم به ان الذباب يحمل من الجراثيم والاقذار التى يقع عليها ما قد يؤدى الى انتشار بعض الامراض المعدية كالتيفوئيد والسل وغيرها . ومن هنا تعمل الجهات الصحية على مكافحته خشية انتشار الاوبئة ..

ولم يقل احد قط ان فى جناحي الذبابة داء وفى الاخر شفاء ، الا من وضع هذا الحديث او افتراه .. ولو صح ذلك لكشف عنه العلم الحديث الذى يقطع بمضار الذباب ويحض على مكافحته .

واما حديث تطهير الاناء الذى يلغ فيه الكلب سبع مرات احداهن بالتراب ، وان يكن حديثا صحيحا متفقا عليه ، الا ان بعض العلماء قد فهموه على غير ما كان ينبغي ان يفهم : فزعموا ان العدد فى الغسل مع الترتيب مقصودان لذاتهما ، فاوجبوا غسل الاناء سبع مرات ، واوجبوا ان تكون احداهن بالتراب ..

وفى ذلك يقول الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر السابق : « ولكن الذى نفهمه هو ان المقصود من العدد مجرد الكثرة التي يتطلبها الاطمئنان الى زوال اثر لعاب الكلب من الآنية ، وان المقصود من التراب هو استعمال مادة مع الماء من شأنها تقوية الماء فى ازالة ذلك الاثر . وانما ذكر التراب فى الحديث لانه الميسور لعامة الناس ، ولانه كان هو المعروف فى ذلك الوقت كمادة قوية فى التطهير واقتلاع ما عساه يتركه لعاب الكلب فى الاناء من جراثيم .

« ومن هنا نستطيع ان نقرر الاكتفاء فى التطهير المطلوب بما عرفه العلماء بخواص الاشياء من المطهرات القوية ، وان لم تكن ترابا ، ولا من عناصرها التراب » .

تنظيم النسل ليس حراما
بل يكون مستحبا عند الضرورة

● اني سيدة متزوجة وقد رزقني الله ثلاثة اولاد واربع بنات ، وهؤلاء يحتاجون الى عناية تامة ، ولما كنت وحيدة في البيت، قررت أن استعمل حبوب منع الحمل ، ولكني سألت احد رجال الدين عن رأيه في استعمال هذه الحبوب من الناحية الدينية فأجابني بانها محرمة ، وعلق بقوله : « هذا ما كان يعمله اهل الجاهلية في قتل اولادهم ! » .

ولما كنت امرأة متدينة لا اريد ان اغضب الله سبحانه وتعالى لذا توجهت بسؤالي اليكم لعلي اجد عندكم حلا لمشكلتي ، وهل كلام هذا الرجل صحيح ام لا ؟

الزبير ـ البصرة ـ العراق　　　　عائشة حسن

ـ اولا : احب ان تقولي لرجل الدين الذي سألته فافتى بأن استعمال حبوب منع الحمل حرام ، وانه من اعمال الجاهلية ـ احب ان تقولي له انهم في الجاهلية لم يكونوا يعرفون حبوب منع الحمل ، لانها لم تكن قد عرفت بعد ، ولكنهم كانوا يئدون البنات والاولاد احيانا خوف العار او الفقر فقط !

قال تعالى : « واذا الموؤدة سئلت ، باى ذنب قتلت » ، وقال ايضا : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق » .

وهذا هو الذى حرمه الله .

وكذلك الاجهاض بعد ان يكتمل تخلق الجنين ، لانه قتل نفس حرم الله قتلها .

اما تحديد النسل او تنظيمه بالنسبة لسيدة يسرع اليها الحمل ولا تقوى على تربية اولادها لكثرتهم ، او لسيدة لا تقوى على آلام الحمل والوضع ، وبالنسبة للآباء الذين لا تساعدهم ظروفهم الصحية او الاجتماعية على احتمال مسؤولية تربية الاولاد على صورة مرضية تجعل منهم مواطنين صالحين ، لا عالة على المجتمع ، فذلك كله امر لا حرمة فيه ، ولا تمنعه الشريعة ان لم تطلبه وتحث عليه ، دفعا لما يتوقع من الضرر الذى يحتمل ان يقع على الام او الاب او الاولاد ، او المجتمع الذى يعيشون فيه .

القبول بالكلية الصناعية بالكويت

● طالعت في العدد رقم ٧٧ لشهر ابريل الماضي استطلاعا عن الكلية الصناعية في الكويت ، فارجو افادتي اذا كان في الامكان انتساب طلاب من البلاد العربية . وشكرا .

حلب ـ　　　　عمر فاروق بركات

ـ اتصلنا بمدير الكلية فاجاب بان من شروط الالتحاق بها ان يكون والد الطالب او ولي امره مقيما بالكويت ، وان يكون الطالب منتظما بالكلية وليس فيها نظام للانتساب .

نهر النيل .. والجنة !

● سمعت كثيرا من الناس يقولون ان نهر « النيل » ـ ينبع من الجنة فهل هذا صحيح ؟ وما الدليل على ذلك ؟

القاهرة ـ　　　　حسن اسحاق فطاني جالا

ـ القول بان هذا النهر او ذاك ينبع من الجنة قول لا يعدو الخرافات .. ونهر النيل ينبع من منطقة البحيرات الاستوائية ، وجبال الحبشة ، ففي اى هاتين المنطقتين تقع الجنة يا ترى ؟ !!

ايتها المسكينة .. شفاك الله

● منذ ثلاثة اشهر وانا احاول ان اكتب اليك ولكنني اخشى ردك اللاذع ، فاحجم عن مكاشفتك بمشكلتي بصراحة ، واخيرا استجمعت شجاعتي ، وكتبت اليك ..

انا فتاة في السابعة عشرة ، جميلة ، جذابة ، ذكية ، بشهادة المجتمع الذي اعيش فيه . مدللة من الناس ، ومن زميلاتي ومعلماتي . وعندما بلغت الحادية عشرة اكتمل نموي واصبحت اقلد من هن اكبر سنا مني . وعرفت الحب وانا في الثانية عشرة ، ولكنه كان حبا من جانب واحد ، وفي الثالثة عشرة التقيت بحب ثان ، وكان ايضا من جانب واحد ، حتى بدأت اشك في جمالي فانطويت على نفسي واغرقتها في الدروس . وفي المدرسة عرفته ، فاحببته ، لانه اطرى جمالي ، فاعاد الي الثقة في نفسي . وقد كان في الثالثة والثلاثين ، ومتزوجا ، ولكن الحب اعماني عن كل شيء . وكم كانت الصدمة قاسية عندما تبينت انني لم اكن الا مجرد حلقة في سلسلة من مغامراته وغرامياته ، فتركته ، واعتبرت كل رجل في الدنيا خائنا ! ومضت مدة لملمت نفسي فيها حتى عرفت الرجل الرابع ، فأردت ان انتقم من الرجال في شخصه ، واحطمه كما حطمني الآخرون ، ولكن الآية انعكست لانني غرقت في حبه ، رغم انه مسيحي وانا مسلمة ! ونسيت الانتقام الذي كان هدفي ، وعشت في هذا الحب حتى الآن .. حيث بلغت السابعة عشرة . وحدث في هذه الاثناء ان تقدم احد الشباب المثقفين لخطبتي ، ورضيت ، ولكنني لم استطع ان انفصل عن الآخر الذي كلما رأيته سألت نفسي : لماذا لا اعبر عن رغبتي في الحياة كأي شاب ؟ لماذا تعاقب الفتاة وحدها اذا احبت شابا ووهبته جسمها كما وهبته قلبها ؟ ولماذا يعتبر الناس الحب حراما ، والمتعة اجراما ؟

اجبني بربك ، وارشدني ، ولكن لا تكن قاسيا في اجابتك ، فأنا بشر ككل الناس احب واريد ان اتمتع بحبي ، لماذا تحرمونني هذا الحق ؟ اجيبوني .. !

عمان ـ الاردن　　　　الحائرة : أ . ب . ج

ـ كان في مقدوري ان اصارحك برأيي بلا رحمة ، وان اقول لك انك فتاة عابثة ، مستهترة ، كافرة بالقيم والانسانية ، والخلق ، والناس اجمعين .. لكنني ساكتفي بان اقول لك « شفاك الله ! ... وهداك » .

اقولها من كل قلبي ، فانت لا شك مريضة .. وامراض المراهقة ما اكثرها ، وما اقساها ... وليسامح الله اولئك الذين دللوك ، فعلموك امور الحب والجنس والحرمان قبل الاوان ، وتركوك تحبين وتعشقين ، وانت طفلة لا تفقهين معنى الحب .. وما تزالين !

فالحب ليس فستانا تغيرينه بآخر وثالث ورابع ، متى تشائين .. انه شيء اعظم من هذا واقوى ، وانبل واسمى .. اما الذي تشعرين به نحو فتاك الحالي وفتيانك السابقين ، فليس الا مجرد اشتهاء رخيص ، ونزوة عارضة ، ووهم من اوهام خيالك المريض لن يخلف الا الحسرة والندم والدموع !

ثم اتدرين ماذا سيحدث لو انك انسقت في طيشك وجنونك ؟ سيقضي منك هذا الفاسق العابث لبانته ثم يلفظك بعد شهر او اكثر او اقل ، تاركا اياك لمن يقذف بك الشيطان في طريقهم من الفساق المستهترين الذين لا شرف لهم ولا ضمير !

فافتحي عينيك جيدا .. واني لأسأل الله ان يهديك سبيل الرشاد فتعودي الى خطيبك الشريف النظيف ، وتغسلي ما علق بنفسك من اقذار ، والا فان الهاوية ليست عنك ببعيدة !

التلقيح الصناعي متى يكون حلالا .. ومتى يكون حراما ؟

● مضى على زواجي اكثر من خمس سنوات ولم انجب ، بالرغم من كثرة ما راجعت وزوجي من اطباء ، واخيرا اقترح احدهم ان نلجأ الى التلقيح الاصطناعي ، اذ انه مضمون النتيجة ، وخاصة بعد ان اثبتت التجارب سلامة جسمي من التقصير . وقد وافق زوجي على ذلك .

ولكن مجرد التفكير بهذا الامر يملؤني رعبا . اذ انني مسلمة ومتدينة ، وقد يكون هذا العمل منافيا لاصول الدين وشرع الاسلام ، وذلك لما اعتقده من انه يشابه الزنا وان كان بصورة غير مباشرة ، وقد حرم الله سبحانه وتعالى هذا العمل الشنيع ، وفرض عقابا صارما لمن يمارسه ..

وانني اتساءل : ما موقف الدين من التلقيح الاصطناعي ؟ وما هو رأى رجال الدين ؟ هل هو حرام ام يجوز الاخذ به بقلب مطمئن ودون اغضاب الله

ساهرة — م . ح

— ظاهر من رسالتك ان العيب الذى ادى الى عدم الحمل ليس منك ، وانما هو من زوجك .. ومعنى ذلك ان التلقيح الصناعي لن يكون بماء الزوج ، وانما بماء رجل اجنبي ، وهذا عمل تمجه النفس ويأباه المستوى الانساني ، وان كانت تلجأ اليه بعض الدول المتحضرة في اعقاب الحروب ، لتعوض ما فقدت من شبابها ورجالها .

اما في راى الشريعة فهو وان لم يكن زنا في نظرها ، لان للزنا شروطا وحدودا لا تتوفر هنا ، الا انه جريمة منكرة واثم عظيم ، يلتقي مع الزنا في اطار واحد ، ولولا قصور في صورة الجريمة لكان حكمه حكم الزنا الذى حددته الشرائع السماوية ونصت على عقاب مرتكبيه ..

اما اذا كان التلقيح الصناعي بماء الزوج نفسه لسبب او لآخر ، كبعده عن زوجته او عدم قدرته على الاتصال الجنسي ، مع حرص الزوجين على ان يكون لهما ولد شرعي تكتمل به سعادتهما في حياتهما ، ويطمئنان بوجوده على دوام العشرة بينهما ، ويذكران به بعد وفاتهما ، فذلك عمل مشروع لا تاباه شريعة ولا قانون ، ولا اثم فيه ولا حرج على الاطلاق .

سدوم .. وعمورة وقصتهما مع النبي لوط

● اين تقع مدينتا «سدوم» « وعمورة » الوارد ذكرهما في التوراة ، والتي يقال ان النبي لوط كان يعيش فيهما ، وان الله اهلك اهلهما عقابا لهم على ما كانوا يرتكبون من الفواحش ؟

اربد — الاردن سعيد حداد

— تقول موسوعة « لاروس » الفرنسية انه لما وصل سيدنا ابراهيم وابن اخيه لوط ارض الكنعانيين ، كانت مدينة « سدوم » ومعها اربع مدن اخرى هي « عمورة » و «ادامة» و «سيبويم» و « سيجور » في الوادى الذى هو الآن « البحر الميت » ، وان المدن الخمسة حاربت القادمين واسر اهلها « لوطا » ولكن ابرهيم تمكن من هزيمتهم والتغلب عليهم واطلق سراح ابن اخيه الذى استقر في « سيجور » ، فنزل الوحى عليهما بان المدن الخمس ستعاقب على ما كان اهلها يرتكبون من اباحية كادت تمتد الى ملائكة الرب ، فطلب سيدنا ابراهيم من الله ان ينقذ « سيجور » اصغر تلك المدن حيث كان لوط يعيش مع اهله ، ولكن الله رفض ، بعد محاورة مع ابراهيم تقول موسوعة « لاروس » انها من اجمل ما ورد في التوراة ، وانه لما حان وقت انزال العقاب الآلهى امر الله لوطا ان ينجو بنفسه ، ومن آمن معه ، ثم امطرت السماء على تلك المدن نارا وكبريتا ، بعد ان هرب لوط وبناته وامرأته ، وكان الله قد حذرهم من ان يلتفت احد منهم الى الخلف ، ولكن امراة لوط توقفت اثناء السير والتفتت وراءها فمسخها الله تمثالا من الملح !

وقد وردت قصة النبي لوط وقومه في القرآن الكريم على صورة تقرب من هذه الصورة ، وان لم تتعرض لذكر التفاصيل واسماء البلاد على نحو ما هو في التوراة .

ويكاد المؤرخون وعلماء الآثار يجمعون على ان سدوم وعمورة تقعان تحت « البحر الميت » ، ولكن في اى مكان على التحقيق ، ذلك ما لم يتفقوا عليه ، ولم يهتدوا اليه ، رغم عمليات البحث والتنقيب المتكررة ، بسبب انعدام الرؤية عندما كان المستكشفون يغطسون الى ما تحت ١٤ بوصة فقط من سطح الماء الذى تبلغ كثافته ١٦٥ر١ درجة

بقية سدوم .. وعمورة

تقريبا . ومع ذلك فان عمليات الكشف لم تنقطع رغم ما يواجهها من صعوبات ومخاطر ، اذ ان البحر الميت يصل عمقه فى بعض اجزائه الى اكثر من ١٣٠٠ قدم .

وقد اطلق اليونانيون القدامى على هذا البحر اسم « البحر الميت » . اما العرب فيسميه بعضهم « بحيرة لوط » ويسميه آخرون « بحر زغر » و « بحر سدوم » و « البحر النتن » الخ ....

نظرية « النسبية » بين آينشتين و « هـ . ج . ولز »

● قرأت فى كتاب « مختارات من القصص الانجليزى » المطبوع فى القاهرة سنة ١٩٣٩ قصة للكاتب المعروف « هـ . ج . ولز » ، فاذا هى تتضمن عبارات علمية كثيرة الشبه بالعبارات الواردة فى نظرية النسبية لاينشتين ، كقوله ان للفضاء اربعة ابعاد ، لا ثلاثة ، هى الطول والعرض والسمك ، والرابع هو الزمن .. كما ان بها بعض البراهين الواردة فى نظرية اينشتين . فمتى كتب « ولز » قصته تلك ؟ وهل سبق بآرائه هذه آينشتين ـ خاصة وقد ولد قبله ـ ام انه اقتبس هذه الآراء من نظرية اينشتين وضمنها قصته ؟

منال بديع النائب — بغداد

ـ المعروف ان آينشتين اذاع نظرية النسبية فى عام ١٩٠٥ ، وان « اتش جى ولز H.G.Wells » وان كان قد ولد عام ١٨٦٦ الا انه مات عام ١٩٤٦ ، ولا شك انه الف قصته بعد ان عرفت نظرية النسبية ، التي لم يقل احد ان هناك من سبق آينشتين فيها ، فضلا عن انه لم يعرف عن « ولز » الاشتغال بالعلوم الرياضية او الطبيعية .


WEST END WATCH Co
W
EVERBRIGHT
وست إند
أكثر الساعات انتشاراً في الشرق الأوسط
THE FAMOUS WATCH
IN THE MIDDLE EAST
WEST END
يعقوب يوسف بهبهاني
دولة الكويت

بقية بريد القراء

الرسالة لم يقبض الا بعد ان اكتمل الاسلام دينا ، وان الرسول قد ترك المسلمين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، وانه ترك لنا الكتاب والسنة ولو تمسك المسلمون بهذين الاصلين ما زاغ زائغ ولا ضل ضال . وليس لاحد ـ كبر أو صغر ـ ان يضيف او يحذف شيئا دق او عظم في العقائد أو العبادات التي جاء بها الكتاب والسنة .

والكلام بالتفرغ والفناء في حب الله كأساس لفهم الاسلام ومعرفة الله ، لا يوافق التعاليم الاسلامية ، وليس له قياس من الكتاب أو السنة. وما التفرغ والفناء الا كهانة نهى عنها الاسلام ، والا كلام وآراء من المذاهب الفلسفية والتصوف الهندى بصفة خاصة .وليرجع الدكتور الى تعاليم المدرسة اليوغية والا وبانشادا والكتب الدينية القديمة عند اليهود ، ثم آراء افلاطون وفلسفته التصوفية ليتحقق بنفسه .

اما الاسلام فشأن آخر « قل من حرم زينة الله والطيبات من الرزق » . وفي العبادة نهى الرسول عليه السلام الناس ان يشتدوا فيها فيصبحوا كالمنبت « لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى »: « يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا » .

سؤال واحد فقط : هل ظل الاسلام بغير فهم والعقيدة بغير ادراك ، عند الخلفاء عليهم رضوان الله ، والصحابة والسلف والتابعين وجمهور المسلمين طوال سبعة قرون ، حتى اعترف اهل السنة بالتصوف اساسا لفهم الدين الاسلامي ؟

في حين اننا نعلم ان القر الثاني الهجرى لم ينته الا وحركة الجمع والتدوين والتحقق قد صارت في اوج اكتمالها ، واصبح لكل مسألة في العقيدة والعبادات مهما دقت ، حكم ظاهر لكل طالب وبأيسر الجهد ، بل واصبح هناك قياس واضح من الكتاب والسنة واحكام الخلفاء ، مهما دقت المسألة بالنسبة للمعاملات وما يستجد فيها تبعا للتطور .

ثم يقول الدكتور : « وابن عطاء الله نموذج وحده بين المتصوفية فقد كان يجمع بين العلمين علم الظاهر وعلم الحقيقة والطريق ... » ويقول رب العزة جل وعلا : «وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون » ، « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » ، « تلك آيات القرآن وكتاب مبين » .

اود ان اسأل الدكتور الشيال بعدهذه الآيات البينات عن ماهية علم الحقيقة وعن اسس علم الطريقة ثم عن علاقة هذا وذاك بعلم الظاهر الذى هو علم الفقه والسنة .. ولا اعتقد مطلقا ان الدكتور لا يدرى ما المقصود بعلم الحقيقة ، فالذى يعرفه كل مسلم ـ على دراية بالدين ـ ان صحابة رسول الله (ص) كانوا اذا اعترضتهم مسألة في دينهم رجعوا الى كتاب الله والى سنة رسوله واخذوا بما قضى به الكتاب والسنة بغير تنطع ولا لجاج . والذى نعرفه ويعرفه كل مسلم ان الحلال بيّن والحرام بيّن ، ثم بعد ذلك دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، اما ان نذهب الى ابعد من ذلك فهذا ما ليس في كتاب ولا سنة ..

الا ترى مشركي الجاهلية الاولى كيف كانوا يطوفون بالكعبة ـ عرايا رجالا ونساء ـ ويقولون بانهم لا يبغون الطواف بملابس عصوا الله فيها !. وليس في صحابة رسول الله ولا السلف ولا احد من الائمة الفضلاء عليهم رضوان الله من بحث في الوجود ، وهل هو « عين الوجود » ام صفة خارجية او بحث في القرآن ، هل هو كلام الله وقديم هو ام حديث..ورحم الله عمر بن عبدالعزيز سألوه عن الشمس في اى سماء هى ؟ فقال قولة المؤمن بالله : « اينما كانت انتفعنا بها » .. ولا يعني هذا القعود عن طلب العلم ، وانما يعنى ان الدين موضوع ، والبحث في الاسباب والمسببات وفي الحركة والسكون موضوع آخر .

اما مذهب « اهل الحقيقة من اصحاب علوم الباطن » كما يقول الدكتور فليس الا فلسفة يستطيع ان يقف الدكتور على اصولها من مصادرها في مذاهب التصوف الهندى والصيني والفيثاغورى .. الخ ...

واما ما يقوله الدكتور من ان التصوف العلمي قد فرض على كل شخص ضرورة الاتصال بشيخ من المشايخ الصوفية والانقياد له والتسليم والفناء في حبه حتى ليقولون : « من لا شيخ له فشيخه الشيطان » وان من صحب شيخا من الشيوخ ثم

(البقية على صفحة ١٥٤)

اضحك تضحك الدنيا معك ابك تبك وحدك

الجند فى التمرين

● كان الجاويش يمرن فريقا من الجند على الرياضة البدنية . وفى ذات صباح امرهم أن يرقدوا على الأرض على ظهورهم ، ويرفعوا ارجلهم فى الفضاء ، ويحركوها كما لو كانوا يركبون درّاجة . ففعلوا ولكن واحدا منهم رفع رجليه ولم يحركهما ، لتعبه .

فصاح به الجاويش : انت يا من هناك ، لم لا تحرك رجليك ؟

قال الجندى : لأنى نازل بالدراجة فى طريق على سفح جبل .

★ ★ ★

اطمئنان ..

● شريكان فى دكان ، فرغا من البيع ذات يوم ، وذهبا معا الى السينما ، وبعد ان استقرا فى مقعديهما ، وبدأ الفلم ، تذكر احدهما شيئا .

قال : « يا خبر ؟! نحن نسينا ان نقفل خزانة النقود وهمّ بالقيام . فأمسك به الآخر ، وهو يقول : « وما الذى نخشاه ، ونحن الاثنان هنا ؟! » .

★ ★ ★

طبيب ماهر !

● **المريض للطبيب** : صباح الخير يا دكتور . جئتك لاشكرك واثني على طريقتك السريعة فى العلاج .

الطبيب : ولكني لا اذكر انى عالجتك .

المريض : نعم . ولكنك كنت تعالج عمي ، وقد استفدت من ذلك جدا .

الطبيب : كيف ، وما علاقة هذا بحالتك ؟

المريض : لأنى انا الوريث الوحيد له !

شهر عسل !!

● التقى صديقان بباريس ، فقال الاول للثاني متعجبا :

ــ انت اندرو .. هنا فى باريس !!

ــ نعم ، وأنت كذلك ..

ــ ولكن ما الذى تفعله فى باريس ..؟

ــ اقضى شهر العسل ..

ــ شهر العسل ؟ واين زوجتك ؟ .. فى الفندق طبعا !

ــ لا .. لقد تركتها فى .. اسكتلندا

ــ ولماذا ..؟

ــ لأنها زارت باريس من قبل ..!!

★ ★ ★

اذا عرف السبب ...

● وقف احد اعضاء جمعية منع الخمور يلقى محاضرة فى مساوىء الخمر ومضاره على جمهور غفير من الناس ، وكان المحاضر يتكلم بحرارة مدافعا عن وجهة نظره ، ثم قال :

حتى الحيوانات تعرف جيدا من الاشياء ما ينفعها وما يضرها . مثلا : لو اتينا بحمار ووضعنا امامه حوضاً به ماء ، وآخر به كحول ، فمن ايهما يشرب ؟

الجمهور : من حوض الماء ..

المحاضر : ولماذا ..؟

الجمهور بصوت واحد : لانه حمار !!؟

فى بلاد « نيام نيام »

● **هي** : اظن انهم لو بداوا باكلك فلن يحتاجوا الى بعدك .

بقية بريد القراء

اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة ، وان على المريد الطاعة وان امره الشيخ بمعصية كافطار رمضان او الاهمال في اقامة الصلاة .. وان « من اشرك بشيخه فقد اشرك بالله » ، فهذا هو الشرك بعينه ، والا فماذا يكون الشرك بالله ؟ !!

يقول الله في كتابه العزيز « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .

مستشفيات جامعة الاسكندرية : محمد سلام

ج٠٤٠٤٠

حمامة « باب الطاق »

● قرات في العدد ٧٦ من مجلة « العربي » ردكم على سؤال الأخ خليل سلطان عن قائل بيت الشعر :

بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي
مَن فكّ أسرَكِ أن يحل وثاقي

ويسرني أن اطلعكم بان يعقوب الحموي مؤلف كتاب « معجم البلدان » يقول في كتابه شارحا كلمتي « باب الطاق » :

باب الطاق محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي ، تعرف بطاق أسماء ، وقد ذكرت في موضعها .. واجتاز عبد الله بن طاهر بها فرأى قمرية تنوح ، فامر بشرائها ، واطلاقها ، فامتنع صاحبها ان يبيعها باقل من خمسمائة درهم ، فاشتراها بذلك واطلقها . وانشد يقول :

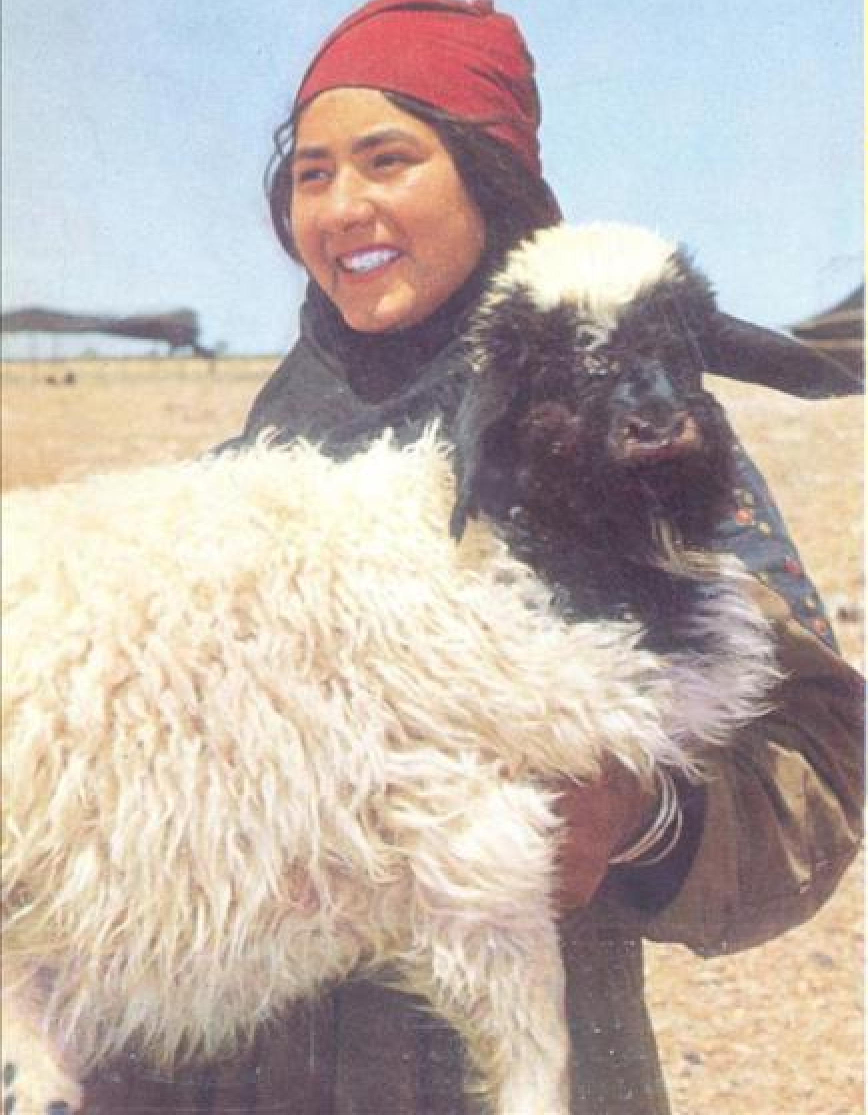
ناحت مطوّقة بباب الطاق
فجرت سوابق دمعي المهراق

الخ .. وقد روى ان صاحب هذه القصة هو اليمان بن ابي اليمان البندنيجي ، الشاعر الضرير ، مصنف كتاب التقفيه ، وقد ذكره في كتاب معجم الادباء » انتهى ما قاله يعقوب الحموي .

عبد الله بن صخر / مسقط

العربي

العدد ٨٣
٦ جمادى الآخر ١٣٨٥
اكتوبر
(تشرين الاول) ١٩٦٥



جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا

بدوية
من سهل البقاع

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٣٫٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الخليج	١٠٠	فلس
السعود	١٠٠	قرش
اليمن	١٠	قروش
العراق	١٠	قروش
[illegible]	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	مليم



المراة الاغريقية والتجمل

■ لم تختلف المراة الاغريقية عن غيرها من النساء عبر العصور ، وفى كافة الاقطار ، فى حرصها على التانق والزينة ، وابراز محاسنها ومفاتنها ، والظهور باجمل مظهر تسمح لها به

حضارات سادت
ثم بادت

عزيزي القارئ

● هذا عدد اكتوبر ، أو تشرين الأول .. وسيليه بالطبع عدد نوفمبر ، فديسمبر ، فالعدد الممتاز الذى يصدر فى أول يناير ، والذى تفتتح به ((العربى)) عامها الثامن باذن الله ..

وكانت ((الشركة العربية للتوزيع)) ـ وهى التى تتولى توزيع ((العربى)) ـ قد كتبت الينا تطلب زيادة الكمية التى تطبع من العدد الممتاز الى مائة وسبعين الف نسخة على الاقل حتى تتمكن من تلبية ما يطلب الموزعون والقراء .. وهذا رقم لم يكن يخطر ببالنا اننا بالفوه فى يوم من الايام ...

وان نفوسنا لتمتلىء بالغبطة والرضى لهذا الاقبال المنقطع النظير ، لانه ترجمة صادقة لما تتمتع به ((العربى)) لدى قرائها من اعزاز وتقدير ، فى الوقت الذى نرى فيه عشرات الصحف والمجلات ما تكاد تصدر حتى تحتجب فى عمر الزهور !

وهذا الاقبال يتطلب منا ان نقابله بمزيد من التجويد والتجديد ، تعبيرا عمليا عن شكرنا للقارىء العربى الذى برهن على انه لا يقبل الا على كل جديد ومفيد ..

فالى اللقاء فى العدد الممتاز ..

وما يناير عنا ببعيد

((المحرر))

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — NO. 83 October 1965 — P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربى»
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

ما تكاد بشائر الصيف تلوح حتى يسارع البدو الرحل فى الانتقال من سهل حوران بسوريا ، الى سهل البقاع بلبنان حيث الجو المعتدل والمراعى الفسيحة ومعهم أغنامهم ومعيزهم .. ولكن ما يكاد الشتاء يقبل حتى يسارعوا بالعودة الى اراضيهم بسوريا بحثا عن الدفء .. وهذه صورة امراة بدوية مع حملها الوديع فى سهل البقاع ..

(انظر الاستطلاع المنشور فى هذا العدد)

فنون :

شعر ـ وشعراء :

ركن الاسرة :

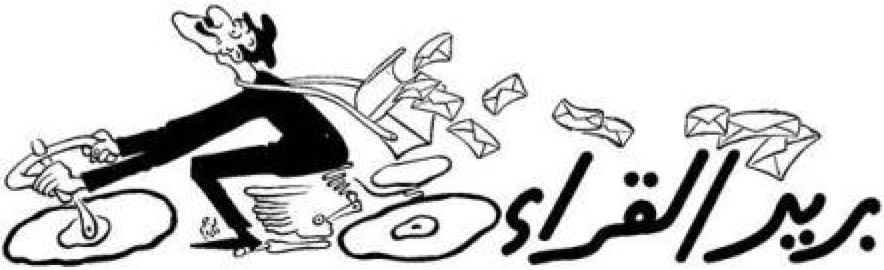
جرائم وقصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣٫٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف :



ادريس والأدارسة

● ورد في عدد آب الاخير تحت عنوان « ادريس والادارسة » ان « محمد النفس الزكية » قد ثار في الحجاز سنة ١٥٤ هـ والصحيح انه ثار سنة ١٤٥ هـ زمن خلافة المنصور ، وجاء كذلك ان ادريس بن عبد الله بن الحسن قد هرب بعد معركة فخ التى جرت بين محمد النفس الزكية وجيش المنصور ، ولكن الذى اجمعت عليه كتب التاريخ وخاصة المصادر ، ان ادريس قد هرب الى شمال افريقية في زمن موسى الهادى بن محمد المهدى وذلك بعد انهزام العلويين في المدينة بعد معركة فتح التي حدثت سنة ١٦٩ هـ . وكان قائد العلويين آئنذ هو الحسين بن علي بن الحسن ابن عم ادريس العلوى وابن عم محمد النفس الزكية وبين تاريخ ثورة محمد العلوى وتاريخ ثورة الحسين بن علي بن الحسن حوالي ٢٤ سنة .

كما ورد ايضـا ان ادريس يدعى ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب والصحيح ان اسمه ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب (رض) ولعلها غلطة مطبعية .

البصرة ـ صالح محمد الصالح

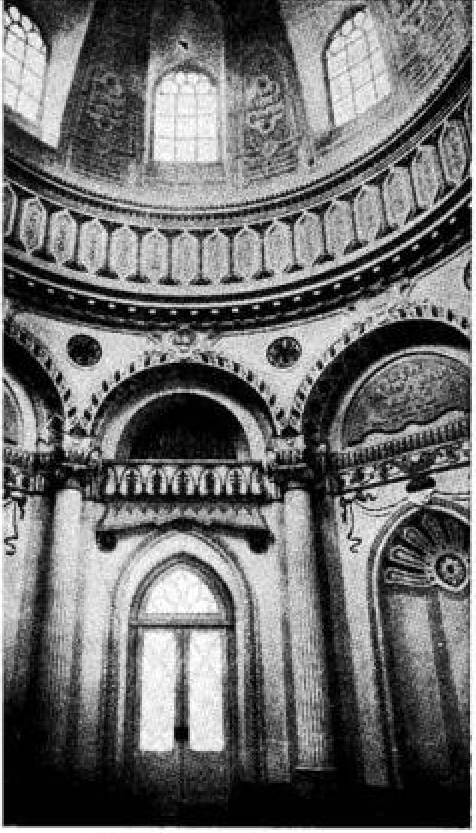
منبر للحق في هولندا

● اطلعت بشيء من التقدير والامتنـان على المقال القيم الذى سطره الدكتور منذر العنبتاوى الذى اشاد فيه بجهود السيدة الفاضلة « لينكه فوليجر » في سبيل الدعوة للقضايا العربية العادلة ، في زمن شحت فيه المروءة ، واصبحت المجاهرة بالحق جرما يعاقب عليه ـ اقول هذا ونفسي يغمرها الأسى لما آلت اليه حال بعض أبناء العروبة الذين بلغ بهم نكران الجميل حدا لا يذكرون معه بالخير أولئك النفر من الغربيين الذين آلوا على أنفسهم الدفاع عن الحق أينما يكون ، لايثنيهم عن ذلك لومة لائم . وكان حريـا بأبناء فلسطين على وجه الخصوص ـ وهم في الغرب كثر ، وقد كانـوا يرتادون دارهـا كثيرا ـ ان يذكروا دار فوليجر بخير ، تلك الدار الأنيقة المطلة على الربوة على مشارف لاهاي ، والتى فتحت ابوابها عن رضى وطواعية لكل أبناء الوطن العربي ، وجعلتها منتدى لكل زائر أو طارق ينشد العدل أو اسماع صوت الحق ، ولا سيما في مأساة فلسطين . كما فتحتها في مختلف المناسبات والمواسم العربية والاسلامية مثل الاحتفال بالأعياد وحفلات العرس . واذكر اننا احتفلنـا بزفاف اخ عربي بـدار فوليجر ، فاحاطتنا بكرمها ، واغدقت علينا عطفها حتى كادت تنسينا الغربة ، وبعد الديار . .

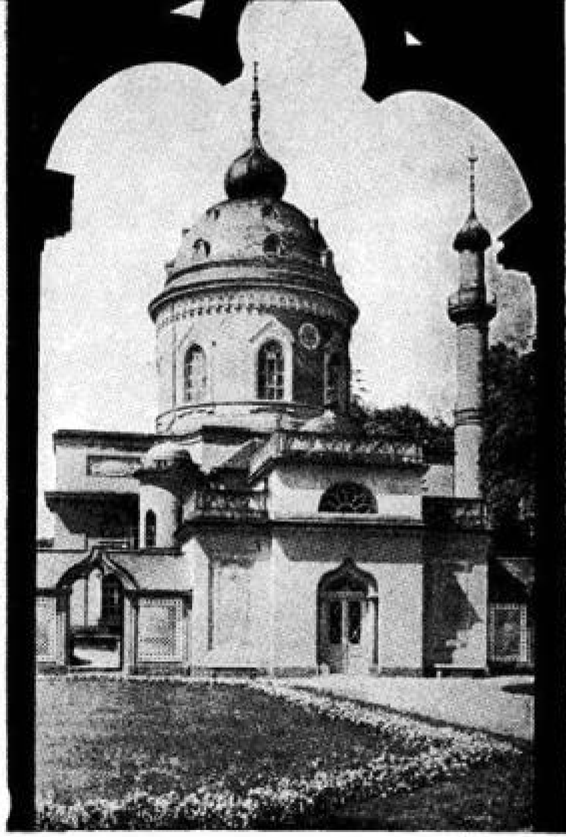
وان أنس لا انسى اننا كنا نتخذ من دارها منبرا للمحاضرات وحلقات النقاش كلمـا المت بالعرب نازلة وما أكثرهـا ، بل لقـد اتخذناها مركزا انتخابيا لاتحاد الطلبة العرب بهولندا ـ وكانت السيدة فوليجر لاتكف عن السهر لراحتنا وتوفير سبل الحياة لنا ، في شعاب المشاكل التى كنا نواجهها والاعداء يتربصون بهـا وبنـا مـن كل جانب .

الا رعى الله تلك السيدة وعمر دارها ، وجزاها عن العروبة كل خير .

عثمان خيرى / الخرطوم



المسجد من الداخل



المسجد من الخارج

أهو مسجد .. أم متحف أثرى ؟!

● منذ أسبوع ذهبت مع صديق لى الى مدينة « سفيتسنجن » فى جنوب غرب المانيا لمشاهدة جامع فيها حدثنا عنه صديق المانى ، وقبل ذهابنا كنت اتصور أن أرى مسجدا يؤمه المسلمون للصلاة، ولكنى صدمت بان رايت بيتا لله عُمِلَ وكأنه متحف أثرى ، يزوره كل من شاء من مختلف الأجناس البشرية ، فيدخلونه بأحذيتهم ، وابدانهم نجسة ، دون تقيد بشرائع الاسلام وتعاليمه ، وهذا بالطبع لا يرضى الاسلام ولا المسلمين . فأين الاسلام اذاً من هذا الذى يمثل فى بيت من بيوت الله ، وهل سمع الأزهر بهذه المهزلة ؟ ما اظن .. واعتقد انه لو سمع القائمون عليه لما سكتوا ... وقد كتبت هذه الرسالة اليكم لكي ترفعوا صوتكم لانقاذ هذا المسجد من عبث من لا يعرفون حرمة المساجد ...

وهذا المسجد يقع في مدينة في جنوب غرب المانيا،وفى ساحة قصر من قصور احد قياصرةالمانيا القدماء ، وله مئذنتان ، وفي مقدمته بهو فسيح طوله حوالي مئة متر ، وعرضه مايقارب الثلاثين مترا . وهذا البهو محاط بممر مسقوف على أعمدة من الخشب الأحمر تظهر وكأنها من رخام ، وقد ارفقت برسالتي بعض المناظر الخارجية والداخلية للمسجد لكي يشاهد أبناء العالم الاسلامي ماصنعته ايدى أجدادهم في الغرب .

محمد حسين ابو عامر
المانيا الغربية

البقية على الصفحة ١٤٦

موازنة بين الفرد والمجتمع

سحقاً للفرد يضحي بالمجتمع الذي هو فيه
وسحقاً للمجتمع يضحي بالفرد الذي هو فيه

بقلم رئيس التحرير

■ قرات لكاتب ، فى صحيفة كبيرة سيارة ، يصف التربية العربية المعاصرة ، بانها تربية لا توائم العصر ، وقال انه سيضرب الأمثال .

وتفتحت نفسي لأقرا المزيد ، لان فى طبعي كراهة الأحكام المجملة المطلقة الشاملة التي تنسحب على كل شيء فلا تذر شيئا ، ولأني احب ان اسمع ـ بعد اطلاق الحكم ـ الأمثال ، لان فيها التوضيح ، وفيها التحديد والتجسيد ، وكثيرا ما مالت نفسي الى حكم ، ولا اقول قبلته ، فلما ضرب كاتبه الأمثال كفرت به وبها . وكثيرا ما مالت نفسى عن حكم ، ولا اقول رفضته ، فلما ضرب كاتبه الأمثال آمنت به وبها .

تربية لا توائم العصر

وضرب صاحبي الأمثال عن التربية العربية المعاصرة التي لا توائم العصر :

دخل احدى حجرات الدرس ، وكان درسا أخلاقيا لصبية ، وكان موضوعه الصدق . قال المدرس : ان الصدق منجٍ ، اى انك بـه تنجو ايها الطالب . واخذ المدرس يعدد فوائد الصدق على قائل الصدق .

واذا بالكاتب الفاضل المتجدد يثور على المدرس المسكين . انه مدرس



للفـرد على المجتمع ، غير الطعام والكساء والايواء ، رحابة ما بين هذه الارض وهذه السماء

رجعي ، مـدرس يعيش فى القرون التي بادت . مدرس لم يسمع ــ وهو يعيش فىالقرن العشرين ــ ان الحال قد انقلبت، وان المجتمع صار هو الأعلى ، وان الفرد صار هو الأدنى . وان التربية التي توائم العصر هي التي تبنَى على ان الفـرد لا خطـر له ، وأن الخطـر كـل الخطـر للمجتمع . وان الدرس الصحيح الذى يجب ان يلقى على ناشئة هـذا العصر الحديث ، ليس ان الصدق طيب لأنـه يفيد صاحبه الفرد ، ويحفظ كرامته ، ويصون عرضه ، ولكنه طيب ، ومحبب ، وحتى هو مقدس ، لانه يفيد المجتمع . وعلى الفرد العفاء .

وانتقلت الى المثل الثاني ، فكففت عن قراءته .

نسي الكـاتب الدكتور ــ ومـا اكثر الدكترة فى هذه الأيام ــ نسي انـه وهو يكتب انما هـو فرد يكتب . ونسي اني انا عندما اقرأ له انما انا فرد اقرأ . ونسي انه عندما يكتب ، ويؤجَر ، انمـا يؤجر ليقيم اود هذا الفرد الكاتب ، وان كان له اسرة ، فهو انما يؤود افراد هذه الأسرة . ونسي انه لو دُعي الى ان يكتب، بدون اجر ، عملا بقاعدة « اهلا بالمجتمع وعفاء على الفرد » ، لما رضي ان يكتب .

انه مذهب رسمه راسموه الكرام فى اعتدال ، وقبله الناس عن رضـا لانه العدل الصريح ، يريد هو ان يَرىَ الناس انه بلغ اقصاه ، ليبلغ بـه الأجر اعلاه ، والا فأين ضاعت العقول ، واين ضاعت فى العقول بدائه الأمور ؟!

ان المذهب ــ اى مذهب ــ لا يسعد بامثال هؤلاء الفلاة من الكتاب شيئا .

ان المزايدات فى السيـاسة قبيحة ،

وهي اقبح فى الثقافة ، وعند من ينصبون انفسهم معلمين فى الناس .

وقد آن لأهل المذهب ان يردوا هؤلاء الى الطريق الوسط ، ولكم ارتاحت نفسي عندما نقض محرر الجريدة التي اعنى ما يهرف به صاحبنا هذا وامثاله، وما يهرفون به فى جريدته هو خاصة .

فى الدنيا مثانٍ كثيرة

ان فى الدنيا مثاني كثيرة . مثنى يتألف من شيئين . مثنى يتألف من شيء وشيء ، وكل شيء — مهما انبهم — له فى ذهنك وذهني انفصال وله استقلال . ومع ذلك عندما تريد ان تفصل يعز عليك فصل ، ويتعسر عليهما انفصال .

خذ الجسم والروح . معنيان لا تستطيع ان تفصل بينهما . اذا انت هدمت الجسم هدمت الروح معه . واذا انت هدمت الروح هدمت الجسم معه . ولا يكاد احد يقول ان صلاح الروح غير صلاح الجسم ، او ان صلاح الجسم غير صلاح الروح. هما شيئان متلابسان، يصحان معا ، او يعتلان معا .

وكذا الفرد والمجتمع ، لا صلاح لفرد الا بصلاح المجتمع ، ولا صلاح لمجتمع الا بصلاح الفرد . ولا يتحقق الفرد الا بتحقق فرديته . ولا تتحقق الجماعة الا بتحقق جماعيتها مع تحقق فردية افرادها .

معان بديهية ، ولكنها غابت عن ذهن المتدكترين فى حَمْوة المزايدات الصحفية .

اما « قطيع » من غنم ، فنعم
واما « قطيع » من الناس ، فلا

نظرت الى قطيع الف من الاغنام ، نزلت من سفنها ، وتجمعت لتسير فى الصحراء الى المدينة . تأملت القطيع جملة ، فوجدته يسير فى اتجاه واحد هياه لهم قواده يجمعهم على السلامة ، ويؤدى بهم الى غاية . وتأملت القطيع فرادي ، فوجدت كل فرد معنياً بنفسه يزحم الآخرين حتى لا يتخلف فى الطريق ، فهو فى الجماعة آمن . وشاة اصابها سوء فى الطريق فرقدت ، او لعلها كانت مصابة قبل ذلك فعجزت ، ولم اجد فى الشياه شاة لفتتها تخلف هذه الشاة ، كل مضى لسبيله ، وخلّف المسكينة (لولا انسان ادرك انها لحم يضيع) .

قارنت مسيرة هذا القطيع ، بمسيرة جيش من بني الناس .لا يمكن ان يتخلف منه عاجز ، او يسقط جريح ، الا ويجد من الجمع من يتخلف معه . وهو يتخلف معه حتى ولو صار عاجزا عن حرب . انه فرد اعطى قسطه لتعيش الجماعة ، وتخلفت معه الجماعة — لما عجز — لتعطي له قسطه فى الحياة ، الذى هو قسطها من الواجب .

مجتمع الاغنام لا يعنى احدٌ من الأغنام بالفرد فيه .



كان الفيلسوف الفرنسي اوجست كونت يرى ، ومعه الفيلسوف الانجليزي اسبنسر ، والفيلسوف الالماني هيجل ، ان المجتمع كجسم الانسان ، والافراد خلاياه . وراح آخرون يبحثون للمجتمع عن مخ واعصاب .



كان الفيلسوف الانجليزي هُبُز يرى ان المجتمع يتضمن عقدا غير مكتوب بين افراد المجتمع .



فى مجتمع الاغنام، اذا سقط فرد منها فى الطريق، لم يهتم به القطيع. وليس هكذا مجتمع الانسان.

ومجتمع الانسان ، الفرد فيه اول ، ولا اقول للمجتمع المحل الثاني . ولكن اقول : من الفرد يتالف المجتمع .

كان للفرد من قديم الزمان نصراء ، وللمجتمع نصراء

وناصر قوم من قديم الزمان الفرد ، فى سبيل عدائهم للمجتمع .

وناصر قوم المجتمع فى سبيل عدائهم للفرد .

قال السفسطائيون من فلاسفة الاغريق بأن المجتمع شيء ليس من صنع الطبيعة ، ولكنه من اصطناع الانسان . انه شيء مصطنع . قالوا بذلك لما ثاروا على عادات قومهم وتقاليد مجتمعهم فى القرن الخامس والرابع قبل الميلاد .

وقفى على آثارهم قوم : قالوا ان المجتمع نظام ابتدعه بعض الناس ابتداعا، وهدفوا من ورائه ، الى غايات بعينها مريبة .

وآخرون قالوا : ان فى طبائع الانسان سوءا واعتداء ، فاصطنع الناس المجتمع ليحمي الناس بعضا من بعض من سوء المآل واضطراب الحال .

وآخرون قالوا : ما اصطنعت المجتمعات الا لتيسّر للقوى الاخذ من الضعيف عسفا ، فذلك قول الفيلسوف ثراسماخوس السفسطائي ، وقد جاء ذكره فى جمهورية افلاطون .

وننزل من هذه القرون البعيدة الى القرن السابع عشر فنجد الفيلسوف الانجليزى هبز Hobbs يرى ان المجتمع انما هو عقد غير مكتوب بين افراد المجتمع . سئموا الحروب فيما بينهم والمنازعات واراقة الدماء ، فقاموا

يتعاهدون على قانون يصنعونه ليسود فيهم ، يذهب بحرياتهم ، ويعطيهم فى مقابل ذلك الأمن والسلامة .

وسميت نظرتهم هذه الى المجتمع بنظرية العقد الاجتماعي Social Contract

ويأتي القرن الثامن عشر ، وتصبح فرنسا مهد الفكر ، ومصطرع الآراء ، لا سيما الآراء السياسية بالذى قاسته من حكم ملوكها ، وقد اتخذوا من مجتمعاتها وطاعتها ، وسيادتها ، مطية الى الظلم البالغ،والاجحاف والاستبداد، فثاروا على معنى المجتمع بانه عقد قائم ، ودعوا الى الفردية ، وتحرير الفرد . واطلاقه واعزازه ، وعفاء على المجتمع .

وتأتي الثورة الفرنسية (١٨٨٩) صارخة بكل ذلك .

ثم هي تغلو وتسفك الدماء، ثم تصبح استبدادية ، كما كانت الحال فى عهد لويس الرابع عشر واشد استبدادا . ويأتي نابليون فيصل استبدادا باستبداد ، ويدور يعبث فى اوروبا يوسع وجوه اهلها لطما .

ويتأرجح معنى المجتمع من جديد ، فيخالفه الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر Spencer (١٨٢٠ — ١٩٠٣) ، ويخاله الفيلسوف الفرنسي اوجست كونت Auguste Conte (١٧٩٨ — ١٨٥٧) ويخاله الفيلسوف الالماني هيجل Hegel (١٧٧٠ — ١٨٣١)؛ يخالون المجتمع شيئا كجسم الانسان ، والافراد خلاياه ، ويذهب بعضهم فى هذا التحليل — وقد اسموه النظرية العضوية — Organistic Theary الى حد انه يروح يبحث فى المجتمع عن مكان المخ فيه ، ومكان الاعصاب ، ومكان الرئة وسائر الاعضاء .

نظرية العقد الاجتماعي نظرية خاطئة

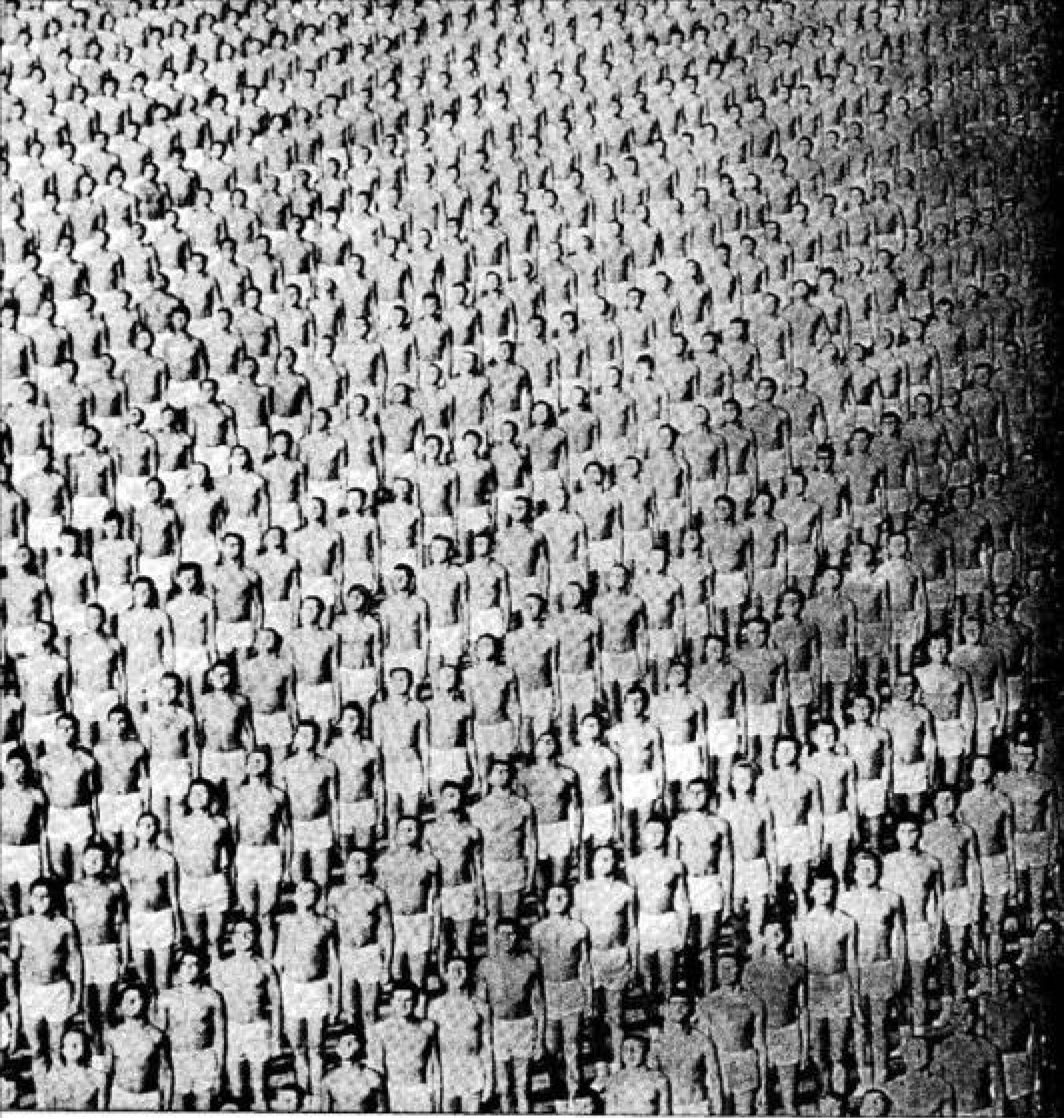
تلك التي تقول بأن الانسان اصطنع المجتمع اصطناعا ليحمي به نفسه ، ويحمي متاعه ، ويحمي أمنه . وهي نظرية خاطئة لأنها تفرض ان الانسان كان اول الأمر فردا ، ثم تجمع . وان الانفراد هو الحال السوى ، وان التجمع هو الحال المصنوع .

وما كان الانسان يوما فردا . ان الانسان من ذكر وانثى ، وهذا اجتماع . وهو وحدة المجتمع الاولى . انها الأسرة. وهي الوحدة التى طبعتها الطبيعة وما استنها الانسان .

والانسان — الى جانب انه جسم عضوى — هو ايضا عقل ، وهو ايضا لسان . ولا يمكن لانسان — فى غير مجتمع ولو صغير — ان يكون بلا لسان . ان اللغة شيء يتعلمه الطفل بالممارسة . والممارسة تفاعل ، ولا تفاعل الا فى مجتمع . وفى التاريخ امثلة ، عزل فيها الانسان عزلا ، وعزل سنوات قسرا وظلما ، وخرج ، وهو يكاد يكون اخرس اللسان . ولما كان بالكلام نشوء الفكر ، وبتداول الآراء تقدم العقل ، خرج هؤلاء الناس ، من بعد حبس قسرا ، وهم اقرب الى البلهاء منهم الى العقلاء .

فالمجتمع موجود فى حياة الناس منذ كانوا ، وحيثما كانوا ، وهو ليس بالشيء

هذه صورة أخذت فى مهرجان لشباب أمة. ان قصد بها انه البناء المرصوص يشد بعضه بعضا فأهلا به رمزا . وان قصد بها ان الناس ، يعتريهم هذا ، سواسية" كما ارادهم الله عندما خلقهم اول مرة ، فذلك الاحرام عند بيت الله الحرام ، وأهلا بـه معنى . اما اذا قصد به ان الفرد فى المجتمع كالطوبة الصمّاء فى الحائط او كالقطرة فى الماء، او الجزىء فى الهواء ، لا وزن له ولا خطر ولا أثر ، فذاك معنى يقشعر منه، — بحكم الطبع — كل من ينظر الى هذه الصورة من القراء .



المصنوع ، وليس بالعقد الموضوع . انه البيئة التي يتنشأ فيها الانسان ، ويتربى ، وتكتمل مواهبه ، مواهب الانسان .

والانسان الفرد،هو–في حكم الزمان– وصلة ، وصلة بين اب ذهب ، وبين ابن يولد ، فهو يرث نفسه من ابيه ، وهو يورث نفسه لابنه . وللانسان ميراث ثقافى هائل يأخذه جيل عن جيل . وما الجيل الا المجتمع . وهذا الأرث الثقافى الهائل – ووعاؤه المجتمع بكل صنوف رجاله ونسائه – هو الذى يرثه المجتمع ، فيبلغ المجتمع من ذلك غاية ، ويبلغ الفرد . ولا غاية يبلغها الفرد الا وهو بعض الناس ، بعض مجتمع .

فالقول بأن المجتمع نشأ عن عقد

◄



« فى المجتمعات الابتدائية تكون
لا يفكر احد فى احتمال قبولها او

اجتماعي صنعه الناس ــ لغاية ــ قول لا يأتلف مع التجربة الانسانية فى مجتمعاتها ، ولا مع التاريخ . فالمجتمعات مع التجربة الانسانية ، ومع التاريخ ، اشد اصالة من هذا ، واشد كثيرا . ومع بطلان حقيقة هذا العقد الاجتماعي ، وبطلان اصطناعه ، فقد يكون التعبير بأنه عقد انما كان ليؤكد معنى الترابط القائم طبعا ، غصبا ، لا اختيارا ، بين افراده ، من حيث الحقوق والواجبات ، وانزال هذه الحقوق منزلة الالزام التى تقتضيها العقود .

وكذا نظرية الكائن العضوى ، جميلة « شبها » ليس الا

ان هذه النظرية تشبّه المجتمعَ بجسم الانسان : اعضاء مترابطة يحكمها راس . ونحن نقبل هذا على انه تشبيه . والتشابيه عادة تؤكد لك ناحية واحدة من الحقيقة . فقولنا هذا الرجل كالأسد ، لا يفيد انه اسد ، ولكن يؤكد ما يشتركان فيه من قوة .

ولكن المفكرين او بعضهم ، راحوا يطلبون لسائر وجوه الحقيقة فى الجسم العضوى ، نظائر لها فى المجتمع الانساني، ونتيجة ذلك النزول بقيمة الانسان الفرد الى الحضيض .

حتى لقد قالوا ان المجتمع يفكر ، وانه ليحس ، وانه ليتنفس ، وما يتنفس ، وما يحس ، وما يفكر ، الا افراد المجتمع .

وحتى لقد قالوا ان خير المجتمع يمكن تحقيقه بتضحية خير الافراد !

ونسوا ان الخير انما يرسمه الافراد ، وانما ينفذه الافراد ، وان الخير ليس له وجود الا اذا كان خيرا يعود على الافراد فى المجتمع .

وللفرد مطالب جثمانية . وللفرد مطالب نفسانية .

ومن المطالب النفسانية ان يفكر الفرد فيما هو خير له ، وان يشارك فى رسم ما هو خير له ، وان تكون له ولسائر اعضاء المجتمع حرية النقاش والجدل ، ففي الجدل الحر وحده ، وفى النقاش ، يتبين الصحيح من الآراء والمعتل . والجدل فى الطعام الفكرى مضغ له ، وانت لا تبلع الخبز ولا اللحم قبل ان تمضغه وان تستمرئه ، وكذا لا بد من مضغ الراى واستمرائه ، بالجدل الحر قبل بلعه .

وقد يتصور الانسان مجتمعا قائما على مطالب الاجسام وحدها يعمل فيه افراده عمل النمل ، او عمل النحل . كله طاعة كل الطاعة . الطعام الراتب فيه أحسن طعام ، واللباس الواحد فيه أروح لباس ، وسائر ضروب الشهوة والاشتهاء موفورة . ومع هذا لا يرضى عنه الانسان ، لانه لم يكن له راى فيه ،



العادات موروثة يقبلها الجميع ، رفضها » .

ولا راى فى شيء من اسلوب الحياة تحت قبته . ذلك ان المطالب النفسانية لم تشبَع . ومن أولها حرية الفكر واصطراعه ، والقول بالرضى لما يُرضى ، والصراخ بغير الرضى عن ما لا يُرضى .

انالسجن قد يكون فراشه من حرير ، وطعامه من الجنة . ومع هذا يبقى فيه الحرمان النفسى عذابا مقيما . يبقى فيه انعدام الحركة ، والحركة حياة . والحركة حركة جسم وعقل معا . يعرف هذا كل من مارس اعتقالا ، على الكرامة ، ولو شهرا .

الخلاف والانسجام فى المجتمعات البدائية ، والمجتمعات المدنية

ان المجتمعات البدائية هي اقل المجتمعات حركة ، واقلها تغيرا وتبدلا ، ذلك لان الانسجام فيها كامل . عادات موروثة يقبلها المجموع ، لا يفكر أحد فى احتمال قبولها او رفضها . وصور من

الولاء كذلك موروثة ، لا يفكر احد فى استكناهها . وقواعد من السلوك ـ محرّما ومستباحا ـ لا يفكر احد فى الخروج عليها ، وان غلبه أمرها ـ فخرج عليها ـ لا يخرج جهارا . وصنوف من العمل فى اجتلاب الرزق بدائية ، وهى قليلة التنوع ، وهي ثابتة كالجبال القائمة وراء القرية ، لا يفكر احد فى تحويلها .

الفردية فى مثل هذا المجتمع مفقودة . ومن اجل هذا سكن . ومن اجل هذا جر عليه الدهر اذياله خفيفة لا تكاد تحرك فيه ساكنا .

وغير ذلك المجتمع المدني المتقدم ، المجتمع المتحرك . المجتمع الذى فيه كل فرد مركز للحركة ، جثمانية وفكرية ، تقل وتزيد . وفيه التقاليد ، ولكن ليس لها كبير وطأة . له ان ينظرها ، وله ان يغيرها اذا راى انها لا تستقيم وحاضر دنياه . وهو يرضى بالذى يرث من علم ، ومن فن ومن مهنة رزق . ولكنه يطلب المزيد .

هذا التطلع فى الفرد ، فى المجتمع المتقدم ، هو سر تقدمه . كل علم فيه ، علم فرد . وكل حيلة ، وكل تكنئية ، انما هى حيلة فرد وتكنية فرد . والادب ادب فرد . والفلسفة ـ فلسفة الحياة ـ فلسفة فرد .

انه فرد يرث ، لا من ابيه وحده ، ولكن من كل فرد آخر يلقاه فى مجتمعه ، ويتحدث اليه الحديث الحر ، ويناقش ويجادل . ونتاجه نتاج فرد ، ولكنه فرد فى مجتمع . وما كان لينتج من شيء الا فى المجتمع .

والفرد ، فى المجتمع المتقدم ، يقلد ، لانه لا بد من درجة من الانسجام بين الاقدام التى تخطو خطوا واحدا على عتبات الزمان . وهو يقلد المجتمع الى



« وثار الفرنسيون على معنى المجتمع بانه عقد قائم ، ودعوا الى الفردية وتحرير الفرد ، واطلاقه واعزازه.وتأتى الثورة الفرنسية صارخة بكلهذا »

مدى ، ومع تقليده تفهّم للذى يقلد ، لعله يضيف اليه شيئا جديدا ، يصبح تقليداً لجيل جديد .

والمجتمع المدني المتقدم مجتمع تصنّفَ فيه العمل صنوفا الفا ، واذن تصنف فيه الناس صنوفا الفا ، لكلٍ مجتمعهُ الصغير . ويتفاعل الفرد مع الفرد فى مجتمعه الصغير . وتتفاعل المجتمعات الصغيرة بخبراتها المصنّفة ، فى اطار المجتمع الكبير . ولكن لا تفاعل الا واللسان مطلق ، والفكر حر ، ومجال الفرد فيه واسع يأذن بالحركة الواسعة .

ويتآلفون هدفا حينا ، ويتآلفون وسيلة . ولكنهم كذلك ، بحكم الوضع ، يتخالفون ويتناقضون .

والمجتمع الذى كله ائتلاف مجتمع ميت .

والمجتمع الذى فيه التناقض هو الحيُ .

والخلاصة

والخلاصة انه لا فردية الا فى مجتمع، لانها لا تنشأ جسما ، وفكرا ، وروحا ، الا فيه .

ولكن كذلك لا مجتمع الا بأفراده ، ولا حركة له الا بحركة افراده ، ولا حركة للفرد ، اذا نحن وضعناه فى خانة طولها خمس اقدام فى خمس .

وللدكتور الذى بدات به هذه الكلمة ، ذلك الذى حكم على المدرس ، الذى قال لتلاميذه « انالصدق منجٍ »، بأنه رجعي وكان يجب ان يقول ان الصدق نافع للمجتمع ، ولا شيء غير المجتمع » .

اقول للدكتور المذكور : انه لا يكره فى المجتمع الذى تدعوه اليه شيئا ، كتلك الدعوة التى تدعو اليها . انالصدق نافع للفرد لا شك فى هذا ، وهو نافع للمجتمع لانه لافراد .

وذلك لسبب بسيط : ان الذى ينفع الفرد انما ينفع المجتمع ، وان المجتمع الذى ننادي باصلاحه ، انما ننادى باصلاحه ، لخير أفراده ، ولاسعادهم . وسحقا للمجتمع الذى لا يكون فيه للفرد غير الشقاء . ■■

احمد زكى

أبو العباس بن الرومية

أعظم النباتيين المسلمين

«ومن عجب، ظهور عباقرة علم فى الأندلس، وشمسها تجنح للأصيل»

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ كانت دراسة النباتات والحشائش الطبية ، تحتل فى العصور الوسطى ، مكانة هامة ، فى البحوث الطبية ، واليها ترتكز معظم الجهود فى تركيب الادوية والعقاقير الطبية ، وقد بدات هذه الدراسات فى عصر مبكر ، وكان استاذها الاول دسقوردیس .

اليونانى ، الذى عاش فى القرن الأول للميلاد ، واشتهر بكتابه عن الحشائش الطبية ، ومركبات الأدوية ، وكان يعتبر طوال العصور الوسطى أنفس مرجع من نوعه ، حتى أن قيصر قسطنطينة ، قسطنطين السابع،حينما ارسل سفارته الشهيرة الى عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٨) م . لم يجد أنفس من نسخة مصورة من كتاب دسقوردیس المذكور ، هدية يهديها الى الخليفة .

وقد عنى العلماء المسلمون عناية خاصة ، بدراسة الحشائش الطبية وتصنيفها ، ودراسة خواصها العلاجية ، وظهر منهم فى هذا الميدان عدة من أكابر العلماء والباحثين،واشتهر منهم بالأخص عالمان اندلسيان ، بلغا فى هذا الميدان ذروة التفوق والنبوغ ، هما ابو العباس بن الرومية الاشبيلى ، وتلميذه ابن البيطار المالقى .

ابن الرومية اعظم النباتيين المسلمين

يعتبر أبو العباس بن الرومية أعظم النباتيين المسلمين ، ويعتبر دسقوردیس اليونانى ، اعظم العشابين سواء فى الشرق أو الغرب ، ومن ثم فقد اشتهر بالنباتى وبالعشاب . وهو احمد بن محمد بن ابى الخليل مفرج الأموى ، ويعرف بالأخص بابن الرومية ، وينتمى الى اسرة قرطبية من موالى بنى امية ، نبغ فيها اطباء ونباتيون ، ونزحت فيما بعد الى اشبيلية ، وفى اشبيلية ولد أبو العباس فى المحرم سنة ٥٦١ هـ (نوفمبر ١١٦٥ م) .

وكانت اشبيلية يومئذ قاعدة الحكومة الموحدية بالاندلس ، وقد غدت فى ظل الموحدين مركز العلوم والآداب ، بعد أن تضاءلت هيبة قرطبة السياسية والادبية .

ودرس أبو العباس على جمهرة من أكابر العلماء فى عصره ، وبرز بالاخص فى الحديث ، حتى غدا فيه اماما حافظا ، لا يبارى فى ذكر تواريـــخ المحدثين وانسابهم وتجريحهم وتعديلهم ، وشغف فى الوقت نفسه بدراسة النبات وخصائص الاعشاب الطبية ، وتجول من أجل ذلك فى ربوع الاندلس والمغرب ، وشمال افريقية ، ومصر والشام ، والعراق ، والحجاز ، ووصل فى هذا الميدان من تحقيق أصول الأعشاب المختلفة ، وخواصهــا وتميزها ، الى ما لم يصل اليه أحد من قبل ،

الجامعة الغريبة المشتركة ، بين علم الحديث ، وعلم النبات

وهنا تبرز تلك الجامعة الغريبة المشتركة ، بين علم الحديث وعلم النبات ، واليك كيف يوضح لنا الوزير ابن الخطيب كنه هذه الجامعة بين الصناعتين خلال حديثه عن ابن الرومية ، فهو يقول مشيرا اليه :

« عجيبة نوع الانسان فى عصره ، وما قبلــه وما بعده ، فى معرفة علم النبات وتمييز العشب وتحليتها ، واثبات أعيانها ، على اختلاف أطوار منابتها ، بمشرق أو بمغرب ، حسا ، ومشاهدة، وتحقيقا ، لا مدافع له فى ذلك ولا منازع ، حجة لا ترد ولا تدفع ، قام على الصنعتين ، لوجود القدر المشترك بينهما ، وهما الحديث والنبات ، اذ مواردهما الرحلة والتقييد ، وتصحيح الأصول ، وتحقيق المشكلات اللفظيـة ، وحفــظ الاديان والأبدان ، وغير ذلك » .

وهذه الظاهرة فى الجمع بين الحديث وبين العلوم البحتة ، تبدو فى حياة كثير من أكابر العلماء المسلمين ، فانا نجد مثلا عميد بنى زُهْر ، عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر ، أبرع أطباء الأندلس فى عصره ، وولده أبا العلاء بن زهر ، المتوفى سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠م) ، ثم حفيده أبا مروان عبد الملك بن زهر ، أعظم طبيب فى العصور الوسطى ، أو على قول تلميذه ابن رشد ، أعظم طبيب بعد جالينوس ، نجد هؤلاء جميعا من أئمة الحديث وأكابر الحفاظ ، وهم فى نفس الوقت من أعظم عباقرة الطب والكيمياء .

الرحلات الدراسية لابن الرومية استغرقت ٣٠ عاما

وقضى ابن الرومية فى رحلاته الدراســية فى شمال افريقية وبلاد المشرق منذ بداها بعد سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤م) بقليل ، زهاء ثلاثين عاما ،وادى فريضة الحج فى سنة ٦١٣هـ ، ولقى خلال تجواله جمهرة كبيرة ، من العلماء المشارقة ، بمصــر والشام والعراق ومكة ، واخذ وروى عنهم ، ثم عاد الى الاندلس بعد طول التجوال .

واستقر ببلده اشبيلية ، وافتتح بها متجرا للنباتات الطبية ، فكان مقصد الأطباء والنباتيين وطلاب العلاج من سائر الانحاء . وهنالك وفد عليه معاصره الفقيه المؤرخ والشاعر ابن الأبار القضاعى ، غير مرة ، حسبما يذكر لنا ذلك فى ترجمته فى « التكملة » .

قال ابن عبد الملك المراكشى فى « الذيل والتكملة» يصف ابن الرومية ورحلاته وبحوثه :

« امام المغرب قاطبة فيما كان سبيله ، جال بالأندلس ومغرب العدوة ، ورحل الى المشرق فاستوعب المشهور من افريقيه ومصره وشــامه وعراقه وحجازه ، وعاين الكثير مما ليس بالمغرب وعارض كثيرا فيه كل ما أمكنه ، ولم يزل باحثا على حقائقه ، كاشفا عن غوامضه ، حتى وقف منه ما لم يقف عليه غيره ، ممن تقدم فى الملــة الاسلامية ، فصار واحد عصره فردا ، لا يجاريه فيه أحد باجماع أهل ذلك الشأن » .

كان ابن الرومية يتعصب لابن حزم

وكان ابن الرومية فقيها ظاهرىَّ المذهب ،شديد التعصب للعلامة ابن حزم القرطبى، امام الظاهرية وقطبهم الاكبر ، وعلى يديه انتشرت تصــانيف ابن حزم بما أبداه منغيرة وعناية فائقة فى اظهارها والانفاق على استنساخها ، وقد انفق فى هــذا السبيل اموالا جمة .

وكان الى جانب ذلك وَرِعا صالحا زاهدا ، وكان شديد العطف على طلبة العلم ، يجود عليهم بالمال والكتب التى يعز وجودها ، مستعينا على ذلك بيساره وجِدَته ، وله فى ذلك أخبار كثيرة ، وكان كثير الشغف بالدرس ، يواصل سهر الليل فى تقييد بحوثه ومصنفاته ، ويقضى أوقاتا كثيرة ، فى فحص المرضى وامدادهم بالأدوية النباتية ،التى سهر فى تمييزها واعدادها .

تصانيف ابن الرومية

ولابن الرومية تصانيف عديدة فى الحديث والنبات ، منها فى الحديث :

و « اختصار حديث مالك ، للدارقطنى » .
« رحالة المعلم بزوائد البخارى على مُسْلم ».
و«نظم الدرارى فيما تفرد به مسالم عن البخارى»
و« الحافل فى تذييل الكامل » . وغيرها .
ومن مصنفاته فى النبات :

« شرح حشائش ديسقوريدس وأدوية جالينوس والتنبيه على أوهام ترجمتها » .

و « التنبيه على أغلاط الغافقى » .
و « الرحلة النباتية » .
و « المستدركة » . وغيرها .

وله كتاب فى «الأدوية المفردة» على نمط كتب بنى زُهْر فى ذلك ، وله غير ذلك مصنفات ورسائل عديدة . بيد أننا لم تتلق مع الأسف من هذا التراث الحافل سوى القليل ، ومعظمه فصول وشذور نقلت الينا على يد المتأخرين .

أدب ابن الرومية

وكان ابن الرومية ، الى جانب براعته فى الحديث ، وتفوقه فى دراسة النبات ، أديبا وشاعرا محسنا . وقد نقل الينا ابن الخطيب من نظمه الأبيات الآتية :

خيم" تخلق بين الكاس والوتر
فى جنة هى ملء السمع والبصر
ومتع الطرف فى مرأى محاسنها
بروض فكرك بين الروض والزهر
وانظر الى ذهبيات الأصيل بها
واسمع الى نغمات الطير والسحر
وقل لمن لام فى لذاته بشرا
دعنى فانك عندى من سوى البشر

وفاة ابن الرومية

وتوفى ابن الرومية بعد حياة علمية حافلة باشبيلية فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٣٧ هـ (نوفمبر سنة ١٢٣٩م) قبل سقوطها فى أيدى القشتاليين بنحو تسعة أعوام فقط .

وخلفه ابن البيطار

وجاء من بعده تلميذه ابن البيطار المالقى ، فحمل علمه ، وبرع مثله فى النبات ، ودراسة الحشائش الطبية ، وتجول مثله فى المغرب والمشرق وطاف بمصر والشام وآسيا الصغرى ، وبلاد اليونان ، ووضع عدة تصانيف فى الأدوية النباتية. وتوفى بدمشق فى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨م) .

عباقرة فى العلوم ، وشمس الاندلس تميل للغروب

ومما يلفت النظر أن يظهر فى هذا الوقت الذى مالت فيه شمس الاندلس الى الغروب ، وسقطت معظم قواعدها الكبرى ، عباقرة فى ميدان العلوم البحتة، أمثال ابن الرومية وابن البيطار، ولكن القوى الحضارية والفكرية الاندلسية الكامنة، كانت تنفتح خلال المحنة فى سائر الميادين، وتنساب من القواعد الشمالية، التى سقطت تباعا فى أيدى القشتاليين، الى ما وراء نهر الوادى الكبير ، حيث كانت تجتمع أشلاء الاندلس الباقية فى مملكة غرناطة الصغيرة ، التى شاء القدر أن تحمل علم الاسلام ، ومشعل الحضارة الانسانية مائتى عام أخرى .

■■

محمد عبد الله عنان

لِمَن الاسرَة في فترة ما قبل الاسلام: للزوج أم للزوجَة؟

بقلم: الدكتور نبيه عاقل

■ فسّر بعض مستشرقي القرن التاسع عشر، ومن بينهم روبرتسون سميث Smith وولكن G. A. Wilken بعض اخبار الحياة الاجتماعية اعتقادهم بان نظام الامومة matriarchy كان في الجزيرة العربية زمن الرسول الكريم من خلال النظام الغالب في الجزيرة في تلك الفترة. وقد كان هذا الاعتقاد هو الاعتقاد السائد في زمنهم، ولكن الدراسات الحديثة قد غيرت هذا المعتقد، وجعلت الاساس في دراسة انتروبولوجية عصر لا نملك عنه معلومات كافية، الحقائقَ المتداولة المقبولةَ في العصر الاقرب اليه، على ان لا يثنينا هذا او يوقفنا عن محاولة اكتشاف ما يتعلق بانتروبولوجية العصر موضوع الدراسة.

ولعل من المناسب ان نذكر في هذه المقدمة لدراستنا ان المعلومات الانتروبولوجية المتعلقة بالجزيرة العربية قبل الاسلام معلومات وافرة، وان اغلبها باللغة العربية، ولكن المهم في الامر ان يكون الذي يتصدى لاستعمال هذه المعلومات على معرفة كافية بعلم الانتروبولوجيا.

نظام الابوة في مكة قبل الاسلام

بعد هذا ننتقل الى القول بان اغلب المجتمعات الابتدائية تتمثل فيها ملامح واضحة من نظامي الابوة والامومة وان النظامين يتعايشان جنبا الى جنب. وقد كان نظام الابوة في مكة في فترة ما قبل الاسلام هو النظام الاكثر شيوعا. ولكن علينا ان نذكر ان هذا الرأى مبنى على معلومات استقيناها من كتابات مؤلفين مسلمين كتبوا بعد وفاة الرسول الكريم بما لا يقل عن قرن من الزمن استطاع خلاله نظام الابوة ان يوطد اقدامه وان يطرد كل اثر من آثار نظام الامومة الذى كان موجودا في مجتمع مكة في فترة ما قبل الاسلام. يضاف الى هذا ان السيادة الابوية كانت على ما يبدو عنصرا هاما من عناصر التنظيم الاجتماعي في مكة في هذه الفترة، بدليل ان الوحدة الاجتماعية كانت القبيلة المبنية على اساس من علاقات النسب الابوية. ويستطيع المؤرخ المحدَث ان يجزم بان هذا النظام كان هو النظام السائد في مكة منذ زمن قصَيّ بن كلاب الذى لا يكتنف قصةً حياته وحياة ابنائه واحفاده اى ظل من شك او غيبية.

وفي المدينة

وليس هذا هو الحال بالنسبة للمدينة، حيث كانت الانساب والسلالات — حتى فيما قبل الهجرة بقليل — انسابا وسلالات لا تدخل ضمن نطاق الحقيقة التاريخية المؤكدة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. ففي مكة كان الناس رجالا ونساء، ينتسبون الى آبائهم، وتظهر هذه النسبة في كنياتهم، فالرجل أبو فلان والمرأة أم فلان، اى ان كليهما يكتنى باسم ابنه الذكر.

على ان الامر لم يكن ليخلو من بعض الشواذ، ومن بين هذه الشواذ اسم ابن أبي كبشة، وهو

في الجاهلية تزوج الاخوة من نفس المرأة ، وتزوج الابن ارملة ابيه

كان من حق بعض النساء في الجاهلية خلع ازواجهن

عن البخاري ان عمر بن الخطاب رأى ان في مكة سادت الرجال النساء ، وفي المدينة سادت النساء الرجال

الاسم الذى كان يطلق على الرسول صلوات الله عليه . ولكن هذا الشاذ من النوع الذى يبرهن القاعدة ، اذ ان اسم كبشة كان من الاسماء المؤنثة الشائعة في المدينة كما يذكر ابن سعد(١) . ولم يكن كذلك في مكـة . كما انـه كان في بعض الكنيات المدنية اسماء مؤنثة كاسم ابي لبابة . ومن المؤكد ان اسم ابن أبي كبشة الذى كـان يطلق عـلى الرسول لا علاقة له اطلاقا باسم ابى كبشه الذى كان من موالي محمد (صلعم) والذى حارب في صفوف المسلمين في بدر . وقد يكون السبب فى اطلاق هذا الاسم على الرسول ان احد اجداده لامه (الرسول مدنيٌّ من جهة امه) كان يكني بابي كبشة ، فكناه المدنيون حين قدم اليهم بهذه الكنية لاظهار صلة نسبه بمدينتهم .

من القرشيين من عرفوا باسماء امهاتهم

وهناك امثلة قليلة عن بعض القرشيين الذين كانوا يعرفون باسماء امهاتهم : كمحمد بن علي بن ابى طالب الـذى كان يعرف باسم امـه الحنفية (محمد بن الحنفية) ، وربما كان هذا تمييزا له عن بقية اخوته الذين هم من‌ام غير امه (اى فاطمة بنت الرسـول) . وكـابي جهل ، عدوّ الرسول اللدود ، الـذى كان يعـرف ايضـا باسـم ابن الحنظلية نسبة الى امه اسماء بنت مُخَرّبة من قبيلة حنظلة ، احد فروع تميم . وكانت اسماء هذه تاجرة عطور مشهورة ، ونسبة ابنها اليهـا تثبت ان بعض آثار نظام الاموّمة كانت ما تـزال موجودة في مجتمع مكة زمن الرسول . ومما يزيد في هذا الاعتقاد ان بعض المصادر تذكر ان صحيفة المقاطعة التى نظمتها قريش ضد بني هاشم قـد وضعت عند ام الجلاس بنت مخرّبة خالة ابي جهل ، في حين ان مصادر اخرى تذهب الى القول بان ام الجُلاس هي اسماء بنت مخربة نفسها التى كانت تكني بام الجُلاس (٢) .

على ان الابوة كنظام يحدد العلاقات فى المجتمع والاسرة ظل النظام السائد الذى تجمع كل الدلائل على سيادته وثبـوت اركانـه في المجتمع المكي ، وافضل ما نستشهد به على ما ندعي هو قضايا الارث والثأر والزواج .

الارث والثأر في مكة ابويان

فالارث في مكـة كان ارثا ابـويا ، يرث الابن بموجبه ما كان لابيه دون ان يكون للولد البكر اية حقوق تفوق حقوق بقية اخوته . وكما كان الولد يرث مال ابيه ، فقد كان له ايضا ارث وظائفـه

---

(١) انظر ، ابن سعد ، الطبقات ، ط . أوربية ، الفهرس .

(٢) تخلط بعض المصادر بين اسماء بنت مخربة‌ام ابي جهل وبين ابنة اخيها اسماء بنت سلمة بن مخربة التى كانت زوجة عياش اخي ابي جهل ،كما ان كلمة « مخربة » تظهر في بعض النصوص بشكل آخر هو « مُخَرِمّة » ، وهذا خطأ .

ومظاهر سيادته . فاولاد قُصَيّ واحفاده ورثوا وظائف أبيهم وجدهم وتمتعوا بمظاهر السيادة التى كانت له . وربما كان الاساس فى هذا الارث المعنوى ان الابن الذى يرث مال ابيه له الحق ان يرث ما للاب من مكانة ومميزات اذا كان اهلا لذلك . ولم يقتصر الامر على قُصَيّ واولاده واعقابه، فقد ورث الوليد بن المغيرة مركز أبيه المغيرة سيد بني مخزوم ، وانتقلت هذه السيادة بعد ذلك الى ابن اخيه أبي جهل .

وتنطبق هذه الظاهرة فى الارث الابوى على قضايا الثار . فواجب الثار يقع على اقرب الناس الى المقتول من جهة ابيه . وحتى فى القبائل التى ظل فيها نظام الامومة نظاما معترفا به ، كان واجب الثار يقع ايضا على اقرب الناس الى المقتول من جهة ابيه . فقد قتل ابنُ كُليب ، زعيم تغلب الشهير ، جساس انتقاما لمقتل أبيه كُليب ، بالرغم من ان كليبا كان يعيش مع قبيلة زوجته التى كان يتزعمها جساس ، مما يدل على ان قبيلته كانت تتبع نظام الامومة . وكذلك كانت الفدية ودية القتيل من حق اقربائه لابيه .

والزواج : المبادرة فيه للرجل

يتضح من كل ذلك ان الاب او الزوج كان سيد الاسرة فى المجتمع المكى فى فترة ما قبل الاسلام ، واذن فهو الذى يأخذ بزمام المبادرة فى عملية الزواج . وتسند هذا الزعم ادلة مستقاة مما تذكره المصادر عن زيجات كانت تعقد فى « شِعْب أبي طالب » ، أو فى « دار الارقم » ، أو ما نعلمه عن اصطحاب المهاجرين الى الحبشة زوجاتهم معهم ، مما يدل على ان الزوج هو السيد وان الزوجة تابع وفى المحل الثاني بعده .

على انه كانت هناك حالات قليلة كانت فيها الزوجة الشخص الرئيسي الذى يمسك بزمام المبادرة فى عملية الزواج ، وهي حالات نادرة فى مجتمع يؤمن بسيادة الزوج . وكمثال على هذا النوع من الزيجات ، يتحدث البعض عن زواج عبد الله بن عبد المطلب (والد الرسول الكريم) من آمنة بنت وهب التي بقيت فى قبيلتها بعد زواجها ، وكان زوجها يزورها فى المدينة بين الفينة والفينة ، كما بقي معها ابنها محمد طوال مدة حياتها ، ما عدا الفترة التي كان فيها مسترضعا عند حليمة السعدية . ولم ينتقل الى حضانة أهله لابيه الا بعد وفاتها . وتشير بعض المصادر (١) الى « ظهور النبوة فى بني زهرة » ، مما يستدل منه على الصلة المتينة بين الرسول الكريم وقبيلة أمه ، سيما وان الذين نقلوا هذا الحديث من بني زهرة ايضا ، القبيلة التي كانت تسكن المدينة حيث كان نظام الامومة ما يزال موجودا ومعترفا به من قبل المجتمع . كما انه من الممكن ان نعتبر ان زواج محمد نفسه من السيدة خديجة بنت خويلد مظهرا من مظاهر وجود بعض الحالات التي تلعب فيها المرأة المكية الدور الاول فى عملية زواجها . فقد كانت السيدة خديجة على جانب كبير من الغنى ولها مكانة اجتماعية رفيعة ساعدتها على الظهور بمظهر الشخص المستقل الذى يستطيع ان يرتب جميع اموره بنفسه ، بما فى ذلك امر زواجه .

وحدة الدم عند الاخوة واولاد العمومة

وهنا لا بد لنا من ان نشير الى ان هناك صلة متينة بين نمو الفردية عند الانسان العربي وانتشار نظام الابوة فى المجتمع الجاهلي . على ان بعض تقاليد الجاهلية تظهر ان التعلق بالقرابة الابوية لم يكن دوما مظهرا من مظاهر الفردية وانتشارها فى مجتمع تجارى كمكة ، وتؤكد ان هذا التعلق انما هو دليل على وجود روح جماعية تجمع الافراد الذكور المنحدرين من جد واحد لحاجتهم لهذا التجمع فى عملياتهم التجارية وحراستهم لقوافلهم فى سفرها الطويل فى ارض لا امن فيها ولا قانون . والمثل العربي القديم الذى يقول : « العم صنو الاب » ، دليل لا يقبل الجدل على وحدة الرجل مع ابناء عمومته أو من يحملون دما هو نفس دمه .

زواج الاخوة من نفس المراة

وقد ادى وجود هذا الشعور القوى بوحدة الدم عند الاخوة واولاد العمومة الى نشوء تقليد غريب فى الزواج قبل الاسلام ، وهو زواج الاخوة العقدة من نفس المراة . فقد جاء فى طبقات ابن سعد عدة امثلة عن هذا النوع من الزواج حدثت كلها فى يثرب قبل الاسلام(٢) . وهناك مثل آخر

---

(١) انظر ، ابن سعد ج١ : ص٥١ ، ٢٣

(٢) انظر ، ابن سعد ، ج٨ ، ص٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥١ ، ٢٤٠ ، ٢٩٢ ، وغيرها كثير .

على الاقل حدث فى مكة ، فى الجاهلية ، وهو زواج اسماء بنت مخربة من هشام بن المغيرة والد ابي جهل ، ومن اخيه (اخي هشام) ابي ربيعة .

والابن يتزوج ارملة ابيه

وقد كان شائعا فى مكة ويثرب وغيرهما من حواضر الجزيرة وبواديها ان يتزوج الابن ارملة ابيه المتوفي (غير امه) . ويعزو بعض الباحثين المحدثين شيوع هذا العرف الى اعتقاد العربي الجاهلي بان مقدرة المراة على الانسال هي ثروة يرثها الابن عن ابيه والاخ عن اخيه ، فعليه ان يستغل هذه الثروة والا يفرط بها . ويقول محمد بن كعب القرظي ان الرجل حين يتوفي ويترك زوجه ، فابنه « احق بها ان ينكحها » اذا اراد شريطة الا تكون امه .

الغيلة ، فى مكة والمدينة

كما ان قضية الغيلة او الغيل(١) هى دليل آخر على وجود فوارق فى عادات الزواج بين مكة والمدينة . فقد كان من عادة المكي اذا تزوج امراة ترضع طفلا لاب غيره امتنع عن معاشرتها معاشرة زوجية طيلة مدة ارضاعها ، اعتقادا منه بأن هذه المعاشرة تضر بالرضيع ، فى حين ان اليثربي كان لا يرى فى ذلك ما يضر . ويقال ان الرسول كان ينوى النهى عن الغيلة ، ولكنه عدل عن ذلك حين علم ان الفرس والروم يمارسونها دون ان تضر باطفالهم . ورغم ذلك فانه ، صلوات الله عليه ، لم ينجز زواجه على ام سلمة ، كما يزعم ابن سعد ، حتى انتهت من ارضاع ابنتها زينب من زوجها ابي سلمة . وكان الكثيرون يانفون من معاشرة زوجاتهم الحوامل من ازواج غيرهم ، لانهم كانوا يعتقدون انهم ان فعلوا ذلك فانهم انما « يسقون زرع رجل غيرهم » .

والقرابة للام والاب اختلفت

والملاحظة الهامة فى مجال القرابة عن طريق الزواج ان المكيين كانوا لا يسوون بين اقربائهم لابيهم واقربائهم لامهم ، ويعتبرون القرابة عن طريق الاب هى الصلة الامتن ، فى حين ان اليثربيين كانوا لا يفرقون بين القرابتين ، وكثيرا ما كانوا يقدمون نسبهم لامهم على نسبهم لابيهم . فبعض القبائل اليثربية تنتسب صراحة الى امراة . كبني هذيلة وبني قمالة . حتى ان الاوس والخزرج كثيرا ما كانوا يدعون فى الجاهلية ببنى قيلة نسبة الى امراة يعتقدون انهم تحدروا منها . وكما كانت القبائل تنسب الى نسوة ، فان بعض الافراد ايضا كانوا ينتسبون الى نسوة هن فى الغالب امهاتهم . ومثال معاذ ومعاوذ وعوف ابناء عفرة ، وعبد الله ابن أبيّ الذى يعرف بعبد الله بن سلول نسبة الى جدته سلول ، من الامثلة المعروفة الشائعة . وقد انتقلت عادة الانتساب الى الامهات الى يهود يثرب ايضا فى فترة ما قبل الاسلام ، ومثال كعب بن الاشرف العربي الاب واليهودى الام خير ما يضرب للدلالة على ما قدمنا . فكعب ينسب الى بني النضير اليهود ، وهى قبيلة امه ، فى حين ان اباه من قبيلة عربية كما يذكر ابن هشام .

الزواج فى الجاهلية اربعة انواع

بعد هذه المقدمة التى تعرفنا من خلالها على وضع المراة فى الجاهلية فى كل من مكة ويثرب ، وصلات القرابة فى كل من المدينتين ، نرى من المناسب ان نذكر خلاصة عن رواية يذكرها البخارى حول الزواج فى الجاهلية . يقول البخارى نقلا عن ابن شهاب الزهرى عن عروة بن الزبير ان السيدة عائشة زوج الرسول الكريم اخبرته ان الزواج فى الجاهلية كان على اربعة انواع :

١ ـ الزواج العادى الذى يخطب فيه رجل ابنة رجل آخر ويمهرها ويتزوجها .

٢ ـ ويعرف النوع الثاني من انواع الزواج عندهم باسم « نكاح الاستبضاع » ، ويكون حين يقول زوج لزوجته بعد طهرها ان ارسلي الى فلان من الاشراف واطلبي اليه ان يضاجعك . فاذا فعلت ، امتنع هو عن مقاربتها حتى يتأكد من حملها من الرجل الآخر ، وحين يتاكد من ذلك يعود الى معاشرتها معاشرة زوجية عادية . ويقصد الزوج عادة من هذا الامر ، ان يحصل من زوجته على ولد نبيل الصفات شريف المحتد ، كالاب الذى ولد من صلبه .

٣ ـ اما النوع الثالث من الزواج فهو زواج الرهط دون العشرة . ويكون بان يقوم اشخاص يقل عددهم عن العشرة بزيارة امراة ومضاجعتها ، فاذا حملت ووضعت طفلا ترسل فى طلبهم ، وعليهم

(١) ارضاع المرأة طفلها وهى حامل

جميعا ان يحضروا اليها ، فتخبرهم انها حملت ليلة زاروها وانها تقرر ان الوليد لفلان منهم ، وعلى الشخص الذى ادعت أبوته لوليدها ان يقبل هذه الابوة دونما تعلل او رفض .

٤ ـ واخيرا ، هناك البغايا اللواتي يستقبلن اى طارق ويرفعن على بيوتهن الرايات تمييزا لها عن غيرها . فاذا حملت احداهن اجتمع الاشخاص الذين زاروها قبيل حملها وجاءوا بعراف ليقرر من منهم اب الوليد . وقرار العراف ملزم لا يقبل اى نوع من انواع الاعتراض . ويصبح الوليد ابنا للشخص الذى قرر العراف انه الوالد .

وتنهي السيدة عائشة حديثها بقولها ان الرسول صلوات الله عليه ، قد حرم جميع هذه الانواع من الزواج ولم يستبق منها الا اولها .

ونحن وان كنا لا نستطيع التشكيك فى صحة هذا الحديث ، فانا نستطيع القول انه لا يخلو من فجوات تجعل الصورة التي يعطينا اياها ناقصة . فليس فيه مثلا ذكر للمكان الذى يتم فيه الزواج ، وما اذا كان يجرى فى مستقر الزوج ام الزوجة . على انا قادرون على استنباط بعض الحقائق رغم عدم صراحة النص عليها . ففي النوع الاول قد يكون مكان الزواج فى مستقر الزوجة او الزوج ، وكذلك فى النوع الثاني ، اما فى النوعين الثالث والرابع فالزواج لا بد يتم فى مستقر الزوجة . ويساعدنا شعر الحب الجاهلي على توضيح بعض الحقائق . فاغلب العشاق كانوا من قبيلتين متجاورتين او من نفس القبيلة . وكان العاشق يتسلل الى حبيبته ليلا فيناجيها وتناجيه . وتشتعل نار الجوى فى نفسه اذا ما ارتحلت قبيلة الحبيبة ، وقد يرتحل اليها فيتزوجها ويعيش مع قبيلتها . ويبدو ان زواج هاشم « جد الرسول » كان من هذا النوع . فقد امضى بعد زواجه فترة قصيرة مع زوجته فى المدينة ، وما لبث ان غادرها تاركا وراءه ابنه عبد المطلب مع زوجته . ولم يعد عبد المطلب الى مكة ، مستقر عشيرة أبيه ، الا بعد لأي كما يذكر ابن هشام .

اما حين يستقر الزوج مع قبيلة زوجته ولا يفارقها فيصبح حليفا لهذه القبيلة ويتمتع بصفات العضوية الكاملة فيها التي تخوله حق رئاستها . ومن هذا القبيل كانت قصة رئاسة الأخنس بن شريق لقبيلة زُهرة فى مكة ، رغم انه فى الاصل من الطائف ، وصلته بهذه القبيلة صلة الحليف فقط .

رواسب من رئاسة الام فى زواج النبى

ونستطيع من دراستنا لتاريخ بعض الاسر المكية ان نستخلص امثلة على وجود رواسب لقضية رئاسة الام للاسرة فى الفترة التي سبقت الاسلام مباشرة،وفى السنوات الاولى لقيام الدعوة الاسلامية ايضا . فيحدثنا ابن هشام فى سيرته ان الرسول (صلعم) قد تزوج حين ذهب الى مكة فى عمرة القضاء سنة سبع للهجرة ميمونة بنت الحارث ، وان الذى زوجه اياها عمه العباس بن عبد المطلب باعتباره زوج اختها ام الفضل . وكانت ميمونة قد جعلت امرها الى اختها ام الفضل « وكانت ام الفضل تحت العباس ، فجعلت ام الفضل امرها الى العباس ، فزوجها (اى ميمونة) رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، واصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع مئة درهم . » وحتى تتضح اهمية الام فى الاسرة فى هذا المثال الذى قدمنا ، لا بد لنا من ذكر ان ميمونة بنت الحارث هذه ، وسلمى بنت عُمَيس كانتا اختين لام واحدة هي هند بنت عوف . وابوين مختلفين . فى حين ان ميمونة وام الفضل زوجة العباس كانتا اختين شقيقتين (لأب وام واحدة) . ونتيجة هذه القرابة عن طريق الامهات بين كل من ميمونة وسلمى من جهة ، وام الفضل زوجة العباس من جهة اخرى ، فقد كانت ميمونة وسلمى تسكنان بيت العباس وتعتبران افرادا فى أسرته ، وتفوض ميمونة امر زواجها لاختها ام الفضل التي تفوضه بدورها لزوجها . وفى هذا ما فيه من دلالة على اهمية القرابة من جهة الام عند بعض الاسر المكية فى هذه الفترة .

خلع الازواج فى الجاهلية

وفى حالات الزواج الذى تكون فيه الزوجة هي السيدة تكون للزوجة سلطات وحقوق واسعة يمثلها ما يحدثنا به صاحب الاغاني من ان بعض النساء فى الجاهلية كن يملكن حق طرد ازواجهن او خلعهم . وكان الخلع يتم بان تغير الزوجة اتجاه باب خيمتها ، فاذا كان يواجه الشرق حولته الى الغرب ، فيعلم الزوج اذا رأى ذلك ان زوجته لم يعد لها رغبة فى بقائه عندها فينصرف عنها ولا يعود اليها . وابسط ما يمكن ان يستنتج من هذا ان الخيمة ملك للزوجة او لأسرتها وانها تسمح

لزوجها بالعيش فيها ما ارادت ، ومن حقها ان تصرفه او تخلعه حين تشاء .

مدنيات يحتفظن بحق الطلاق

ويكمل هذه الصورة ما نعرفه عن الكثيرات من النساء المدنيات اللواتي كن يشترطن في زواجهن ان يكون الطلاق من حقهن . وخير مثال على هذا النوع من النساء سلمى بنت عمرو (من المدينة) التي تزوجها هاشم ، « جد الرسول » والتي اشترطت عند زواجها ان يكون امرها بيدها وان يكون لها وحدها حق حل الرابطةالزوجية .

ومعروف ان نساء المدينة كن مشهورات بالغيرة والانفة لحد جعل الرسول (صلعم) يمتنع عن الزواج منهن لان واحدتهن لن تحتمل ان يكون لها ضرائر ، على حد زعم ابن سعد (١) . ويبدو ان هذه الصفة في النساء المدنيات كانت معروفة عند المكيين الذين قدموا المدينة مهاجرين مع الرسول الكريم مما جعل جلهم يحجمون عن الزواج من نساء المدينة . وينسب البخارى الى عمر بن الخطاب قولا يعلق فيه على القضية ، ويتلخص في ان المكيين كانوا سادة نسائهم ، ولكنهم حين قدموا المدينة وجدوا ان الحال معكوسة وان نساء المدينة سادت رجالهن ، وانه بنتيجة الاختلاط بين المكيات والمدنيات « فسدت » المكيات ، واخذن يتعلمن عادات المدنيات « السيئة » .

والملاحظ ان نساء المدينة ـ رغم ما كن يتمتعن به من نفوذ ومكانة ـ كن محرومات من حق التملك ومعنى ذلك انه رغم ان الارث والتملك كان يجرى عن طريق اسرة الام ، فان الذى يشرف عادة على ادارة الاملاك واستغلالها هو احد الرجال الذين تربطهم بالاسرة قرابة من جهة الام ، كان يكون اخا غير شقيق او خالا او ابنا .

لماذا تسيطر المراة ؟

ويقودنا كل هذا الى التساؤل : هل تعني سيطرة المراة على الاسرة وسيادتها لها في بعض المجتمعات العربية قبل الاسلام انهم كانوا يعتقدون ان ما يرثه الطفل عن ابيه هو اقل مما يرثه عن امه وان الام هي صاحبة النصيب الاكبر في عملية انجاب الاولاد ؟؟ !!

ان ما بين يدينا من معلومات لا يسمح لنا بان نجزم بشيء في هذا الخصوص ، ولكن رغم هذا فانا لا نستطيع الا ان نستدل من الحاح القرآن الكريم على قضية العدة حتى يستبين حمل المراة قبل زواج ثان على اهتمام الاسلام باظهار مركز الاب ودوره في تحديد هوية الوليد ونسبته، مما قد يدل على وجود شيء مشابه للموقف الذى افترضنا . ويزيد في قناعتنا بان لهذا التساؤل الذى اثرنا ما يبرره شيوع قاعدة « الولد للفراش » عند الجاهليين . وغير خاف ان الفراش المقصود هنا هو الفراش الذى ولد عليه الطفل لا الفراش الذى حملت منه الام ، يضاف الى هذا ان العرف في الجاهلية ينص على ان الطفل الذى يولد من ام حملت به قبل زواجها الثاني ينسب الى الاب الذى حصلت الولادة في كنفه لا الى الاب الاول الذى حملت الزوجة منه .

الاسلام يجعل الابوة في المكان الاول

على ان الذى لا يشك فيه اطلاقا هو ان الاسلام حاول جاهدا وبشكل واضح لاغموض فيه ان يشجع صلات القرابة الابوية وان يجعلها في المكان الاول في كافة الحقول والميادين ، وان يحلها المحل اللائق في جميع انواع العلاقات والصلات . ولم يمض قرن من الزمن على صدوع محمد بأمر ربه حتى كانت سيادة الاب في الاسرة وفي علاقات الابناء العامة والخاصة قد اصبحت وطيدة الاركان لاينازعها منازع .

وبعد فان ما اثرناه على الصفحات السابقة عن حال الزواج والاسرة في الجاهلية يظهر للقارىء مقدار ما يكتنف معلوماتنا عن هذه الفترة من غموض ، وكيف ان الباحث في كثير من النواحي الاجتماعية عند عرب الجاهلية يتلمس طريقه في متاهة من المعلومات غير المباشرة التي لا تشفي غليله ولا تعطيه صورة كاملة واضحة المعالم . وكل ما نستطيع قوله هو ان الاسلام جاء ومجتمع العرب يعيش فترة تحول من حال للام فيها بقية من سيادة ، الى مجتمع يسيطر عليه الرجل وينشر فوقه ظلال حمايته . وقد شجع الاسلام سيادة الرجل ونصت اوامره ونواهيه وتشريعاته على ذلك بصراحة . وليس ادل على هذا من قوله عز وجل : « الرجال قوامون على النساء ... » .

نبيه عاقل

(١) انظر ، الطبقات ج٨ ، ص١٤٨

نتيجة مسابقة العدد ٨١

اسماء الفائزين بالجوائز

■ على الرغم من ان هذه المسابقةكانت من السهولة بمكان ، فان الاجابات التى تلقيناها كانت قليلة نسبيا ..

حيث كانت الاجابات الصحيحة اقل بكثير مما كان متوقعا .

الفائزون بالجوائز

وقد اجريت عملية الاقتراع على توزيع الجوائز بين هذه الاجابات فاسفرت عما يأتي :

الجائزة الاولى وقدرها ٣٠ دينارا :

فازبها عبد المنعم احمد محمد : ٢٢ طريق الحرية ـ الاسكندرية ـ ج.ع.م .

الجائزة الثانية وقدرها ٢٠ دينارا :

فاز بها جابر محمد العلى : سلاح الطيران الكويتى ص.ب ٣٠٢ الكويت .

الجائزة الثالثة وقدرها ١٠ دنانير :

فاز بها بكرى محمد : ٢٤ زنقة باطنة ـ حي فكتور هيجو ـ وهران ـ الجمهورية الجزائرية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا لكل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ مصطفى رشيد محمد بكر ـ السلط ـ قرب جامع الميدان ـ الاردن

٢ ـ فكرية ترك (ام وليد) الكلية الحربية ـ حمص ـ سورية

٣ ـ سنوسى موسى حسين : طالب ليبي ـ كلية الطب ـ جامعة بروكسل

٤ ـ صفاء عبد الرزاق حمزى : بغداد العراق

٥ ـ شهاب حسين فزع : الصحة ـ سنجة ـ جمهورية السودان

٦ ـ سمير معصرانى : محل نجيب وعبد الحميد معصرانى ـ سوق البارزكان ـ طرابلس ـ لبنان

٧ ـ ابو علي : ص.ب ٦٧٠ دبى الخليج العربى

٨ ـ صالح البراهيم الفرج ـ الرياض السعودية ـ البطحاء قيصرية المصيريعى

وسوف ترسل الجوائز الى اصحابها مباشرة . ■■

البلبل الاسير

■ أيها البلبل غنى   لى فؤادٌ لايُغنّي
انت في اسرك تشدو   لاتبالى بالتجنّي
وانا حرٌ طليقٌ   جائمٌ في أسْر ظنّي
كلّما لاحتْ طيوف   غرقتْ في ماء عيني

★★★

أيها البلبل انت اليوم   لى أوفى صديقِ
شتّت الدهرُ جميع النـ   ـاس في كل طريقِ
غير هذا البلبل الصـ   ـداح قد ظل رفيقي
يبعث اللحن طروبا   في غروبي وشروقي

★★★

أيها البلبل لا أعـ   ـجبُ من هذا السهاد
فأنا مثلك ضاعت   من يدى اغلى بلادى ..
قد همَتْ عيني حتى   اغرق الدمعُ وسادى
لم أر النوم مع الليل   ولم يهدأ فؤادى

★★★

ان يكن أسُرك يوما   عندهم او بعضَ يوم
طال هَجْرى وابتعادى   فاكتوَى بالبعد عظْمى
وبلادى ساد فيها   اليوم قومٌ غير قومى

★★★

فغدا يبسم فجرى   وغدا يبسم فجرُكْ
وغدا يفلت أسرى   وغدا يفلت اسرك
انت مثلى ايها الطا   ئر سرّى هو سرك ■■

عمان ـ محمد عبد الله خلاد

مسابقة
العربي

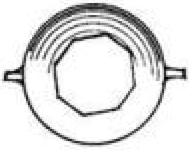
جولة في الحمّام و جوائز ١٠٠ دينار

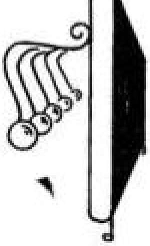
■ تتألف هذه المسابقة من تسعة اشكال ، كلها لأشياء مألوفة لنا ، اذ نراها فى حياتنا اليومية ، وبعبارة اوضح هي لأشياء نراها فى حمام كل بيت حديث ، ولكن من زوايا غير الزاوية التى رآها منها رسام العربى ..

والمطلوب ممن يريد الاشتراك فى المسابقة ان ينظر الى الاشكال العشرة المرسومة هنا ثم يحاول ان يعرف اسماء ستة منها على الأقل فلعله يفوز باحدى الجوائز .

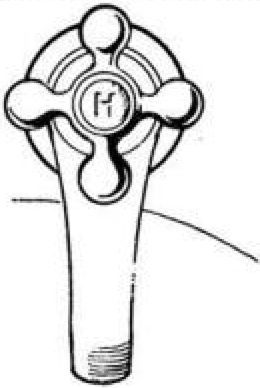
شروط المسابقة

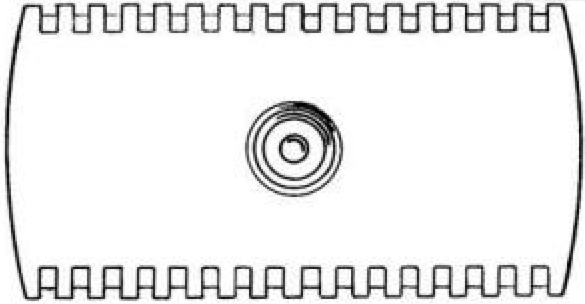
١ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٢ ـ ارفق باجابتك كوبون المسابقة المنشور فى ذيل الصفحة المقابلة .
٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت (مسابقة العدد ٨٣)











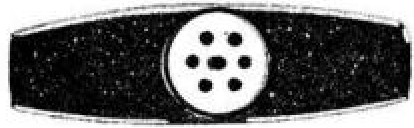
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابات الينا هو السابع عشر من اكتوبر (تشرين اول) عام ١٩٦٥ .

ملاحظة هامة : كل اجابة لا يكتب على غلافها عبارة « مسابقة العربي » ورقم العدد لا تدخل الاقتراع على الجوائز .

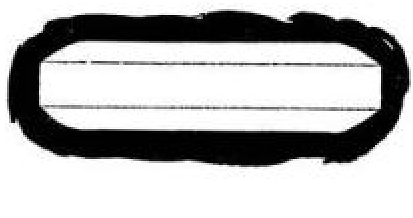
الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ـ/٣٠ دينارا
الجائزة الثانية ـ/٢٠ دينارا
الجائزة الثالثة ـ/١٠ دنانير
٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير توزع على الفائزين الثمانية ، التالين لاصحاب الجوائز الثلاث الاولى . ■■









كوبون مسابقة العدد ٨٣

ركن الأسرة والمرأة

كرامة الزوجة وسعادتها والسبيل إلى توفيرها

■ يقول برناردشو : « ليس فى العالم كله ما هو اهم من المال » . ولعل فى هذا القول شيئا من المبالغة . ولعله اكثر تجاوبا والحياة الزوجية على وجه التخصيص . اذ لا ينكر احد ان السعادة الزوجية تكاد تعتمد الى حد كبير على نظرتنا الى المال ، او بالحرى على المبدأ الذى نعتمده فى الانفاق .

فالزوج الذى يحرص على توافر كافة اسباب الراحة فى البيت ، والذى يدفع آخر كل شهر سائر ما يطالب بدفعه من نفقات اقتضتها تلك الاسباب ، هذا الزوج يوافق دائما على شراء ثوب جديد لزوجته متى طلبت منه ذلك ، ولا يرى غضاضة فى ان تشعره زوجته برغبتها فى الحصول على ذلك الثوب كلما شعرت هى بالرغبة فى شرائه . وفى ذلك دليل على سخاء الرجل وبعده عن مظاهر الخسة . ومع هذا فذلك ايضا دليل على جهله بنفسية زوجته .

فالمراة انسان ذو كرامة ، واضطرارها للرجوع الى زوجها بصدد كل صغيرة وكبيرة ترغب فى شرائها لا يخلو من مساس بكرامتها . فهي والحالة هذه لا تملك شيئا البتة . وحصولها على اى شيء او عدم حصولها عليه رهن باشارة زوجها . وبعبارة اخرى ، لا تستطيع الزوجة مثلا مفاجأة زوجها بهدية ما بمناسبة عيد ميلاده ، او تتمكن من شراء اناء زجاجى قديم اعجبها ، على سبيل المثال أيضا دون الحصول على سبق موافقته بصدد تلك الهدية او هذا الاناء .

ومن يدرى فقد لا يسمح له جهله بنفسيتها بأكثر من التعليق « لسنا بحاجة الى مزيد من الاوانى الزجاجية وقد بتنا نملك منها الشيء الكثير » . او « مالنا والهدايا نتبادلها فى المناسبات وقد مضى على زواجنا كثير من السنين ولم نعد نحفل بهذه او تلك ، على نحو ما يفعل صغار المراهقين ! » .

ولا يختلف الامر كثيرا فى الحالات التى يكون فيها للزوجين حساب مشترك فى البنك .

ان ما ترنو اليه الزوجة هو ان يناط بها حق التصرف بمبلغ من المال ، كبر ام صغر ، والا يشاركها فى صرفه احد من الناس . فلا الحساب المشترك فى البنك ، ولا تأكيد الزوج بانها « تستطيع شراء كل ما ترغب فيه ما دام ذلك الحساب موجودا والرصيد فيه كافيا » ، بقادر على تغيير ما فطرت عليه نفسيتها .

اضف الى ذلك ان عزة النفس فى الزوجة لا تسمح لها بالاقدام على شراء شيء



دون الحصول على موافقة زوجها حتى ولو كان لها حساب مشترك فى البنك . فما دامت بلا حساب خاص مستقل ، او بلا مبلغ من المال يكون فى متناول يدها وتكون حرة التصرف فيه ، تظل الزوجة عرضة لتوبيخ الضمير اذا هي اضطرت الى شراء شيء دون موافقة سابقة من زوجها . وهى لا تستطيع منع نفسها عن الشعور بمساس فى كرامتها على كل حال لاضطرارها الى الرجوع اليـه وتلمس موافقـة زوجها على شراء مـا ترغب فى شرائه .

ولعل المشكلـة التى نحـن بصددها تفقد الكثير من حدتها بل تكاد تتلاشى فى الاحوال التى تكون الزوجة فيها مضطلعة بعمل او وظيفـة ما وتتقـاضى مرتبهـا الشهرى لقاء القيام بذلك العمل . بيد ان المشكلة تعود الى الظهور وتكتسب مزيدا مـن الجـدة فيما اذا اضطرت الزوجة الموظفة الى ترك وظيفتها والتفرغ لاعمال بيتها .

فالمرارة والمهانة التى تشعر بها فى تلك الحال، نتيجة اعتمادها الكلي على زوجها من الناحية المالية ، تفوق كل ما تشعر بـه الزوجة العروس فى هـذا الصدد . فانتقال العروس من بيت ابيها وولايته ، الى بيت زوجها وولايته مباشرة ، ودون ان تتاح لها فرصة العمل فى وظيفة ، او بالحرى قبض مرتبـات تلك الوظيفة والتصرف بها ، من شأنه ان يجعلها اقل تأثرا من زميلتها واقل شعورا بالمرارة والمهانة او توبيخ الضمير .

ولا جـدال فى ان الحـل الوحيـد للمشكلة هو فى وضع مبلغ من المال مهما كان ضئيلا فى متناول يد الزوجة ، تنفقه كما تشاء او توفر منه كما تشاء . ومن شأن مبلغ ضئيل كهذا ان يحل مشكلة كبيرة ما زالت تسبب تعكر صفو الحياة الزوجية وتقلب نعيمها الى جحيم . بل من شأن مبلغ كهذا ـ على ضآلته ـ أن يرد الى الزوجة شعورها بكرامتها وعزة نفسها الى حد كبير . ■■

الطلبة أمزجة ثلاثة

المزاج الواقعي
المزاج المثالي
المزاج البرجماني

■ هذا اول الشهر العاشر

وفيه المدارس لا بد بدأت واستقرت وكذا الجامعات ، ويبدأ المدرسون يواجهون وجوها من الطلبة جديدة ، او وجوها قديمة . وكذا الطلبة ترى من مدرسيها وجوها جديدة . وقد ترى وجوها قديمة كذلك .

والسؤال الذي لا يكاد يسأل ابدا : ما رد الفعل في الطلبة عند رؤيتهم مدرسا جديدا او قديما . بل ما رد الفعل عند المدرس وهو يرى امامه عشرات الوجوه ، جديدها والقديم .

عقول وامزجة غير سواء

ويمضي المدرس في تدريسه اليوم بعد اليوم ، والاسبوع بعد الاسبوع . ثم تأخذ تتكشف له وراء هذه الوجوه الصامدة ، وجوه الطلبه ، ما يتحرك وراءها من النفس غير صامدة . ولو كان المدرس ممن يَعْنون ، وممن يلاحظون ويفصّلون ، وينوعون مادة تجربتهم ، اعني الطلبة ، صنوفا وانواعا ، لخرجوا على ان الطلبة ليسوا فى العقول سواء ، وليسوا فى الاهداف سواء ، وليسوا فى الاقبال على ما يعطى المدرس او الادبار عنه ، سواء . والى جانب العقول غير السواء : امزجة غير سواء . والامزجه نتاج شامل من انتجة العقول ، تضاف اليها الحوافز والشعور .

الطلبة امزجة ثلاثة

ومن طريف ما خرج به الخبيرون ،من خبرة لهم ومراقبة واعمال فكر ، ما انتهى اليه الاستاذ روبرت لودج ، الاستاذ بجامعة الملكة بكندا ، وعضو الجمعية الملكية بها، من تصنيف الامزجة، ــ امزجة الطلبة ــ الى امزجة ثلاثة .

الطالب ذو المزاج الواقعي

واول هؤلاء : الطالب ذو المزاج الواقعي . وكل ما يطلبه صاحب هذا المزاج من المدرس هو ما يعطيه اياه من معارف ، معارف تنفعه في الامتحان . ففي درس الفزياء هو يطلب معارف فزيائية . وفي درس الرياضة هو يطلب معارف رياضية ، وفي التاريخ معارف تاريخية . وهلم جرا .



● الطلبة امزجة ثلاثة ●

فى كل درس هو يطلب الحقائق .

وفي الجامعة كل ما يطلبه الطالب الواقعي من استاذه ان يكون ملما بموضوع درسه ، وان ينقله اليه بلغة المنطق ، حقائقَ واضحة ، متتابعة . وهو لا يرضى من الاستاذ ان يتدخل في خصوص روحه ، روحِ الفرد ، يريد بذلك ان يؤثر في نفسه او طبعه او خلقه او شخصيته . استاذٌ كهذا يجب ان يتفضل عليه وعلى امثاله، بحصر مجهوده في اعطاء المعارف المتصلة بالعلم الذي يدرّسه ، اما عن انفسهم هم ، وطبائعهم هم ، وخلقهم وشخصياتهم ، فذلك شأنهم هم ، وشأنهم وحدهم .

ان هذا الطالب ، ذا المزاج الواقعي ، انما جاء هو وأمثاله الى المدرسة او الى الجامعة ليستبدلوا بالجهل علما ، وذلك حسبهم وحسب استاذهم . انهم لم يحضروا « ليتربوا » ، وهم يعارضون هذه « التربية » .

وهم من اجل ذلك لا يبالون بما يحب استاذهم وما يكره ، ولا ما يوافق عليه او لا يوافق من سلوك . ان اراءه هي اراؤه وحده ، فليحتفظ بها لنفسه . والتعليم عندهم لا يتضمن الا شيئا واحدا : مبادلة بين قوم يعطون معارف هم المدرسون ، وقوم يأخذون ، هم الطلبة والتلاميذ .

والمدرسون يجب ان يتكلموا ، لا بلغة الناس ولا لغة الملائكة ولا لغة الشياطين ، وانما بلغة الموسوعيّين .

الطالب ذو المزاج المثالي

او ذو المزاج الخيالي . وهو عادة ذو حياء وبه تردد ، وهو لا يدرى بالضبط ما يريد . والمعارف وحدها لا تكاد تثيره ، وتجذبه الاشخاص لا الحقائق . ولو انك سألته من بعد خروج من مدرسة ما الذى اثر فيه اكثر من كل شيء آخر ، لذكر لك اسماء مدرسين كان لهم شخصية بارزة قوية مؤثرة . انه انجذب اليهم ، بل احبهم ، بل اتخذ منهم لنفسه ابطالا وحاول ان يجعل من نفسه نسخة اخرى منهم . وتساله عما



● الطالب ذو المزاج العملي عنده تجارب

قرا من كتب، فيذكر لك ما قرأ . وتحدثه فيها ، فتجد انه ، قبل الكتاب ، جذبه مؤلف الكتاب ، لان له شخصية استطاع هذا الطالب ان يمزج بها شخصيته ، وله رسالة اتخذ الطالب منها رسالة تهديه في حياته . وقد يكون قرأ كتابا آخر ، لمؤلف آخر ، اكثر موضوعية ، وهو فيما يكتب عمدة اكبر ، ولكنه لم يستطع ان يقتبس منه لحياته شيئا . وفي العلم ، لم يفتنه العلم ، بقدر ما فتنه ان قام بتجارب مع اساتذة قرأ تجاربهم في كشف العلوم ففتنه ما كشفوا وكيف كشفوا .

مثل هذا الطالب المثالي الخيالي يطلب في مدرسيه ، القادة ، والفلاسفة ، والاصدقاء ليتسنى له — وهو لا يدرى ذلك ولا يعيه — ان يمزج باعمالهم الناضجة آماله البادئة ، وبأفكارهم التي تفتحت ، براعم فكره التي تحاول التفتح ، ويتخذ من بصائرهم بصيرة تهديه ، لا من الخارج ، ولكن من الداخل . من داخل نفسه ، من الاعماق . ويستعير آراءهم الى حين ، ولا يبقى له منها آخر الامر الا تلك التي تتفق مع اسلوب فكره هو ، وشعوره هو . اما التي لا تتفق فيفعل فيها الزمن ما يفعل بأوراق الخريف . تتساقط كل خريف واحدة منها بعد اخرى .

هذا الطالب ، المثالي ، الخيالي ، ينتهي بان يكون قد أقتبس ممن احب من معلميه ثمرات شتى ، ونضجت كل هذه الثمرات فأصبحت نفسه بها متعددة الجنبات والوجهات ، هي نفسه هو لا نفس غيره . ثم هو ينميها بعد ذلك ، وينشئها ويعلمها ويربيها .

الطالب ذو المزاج العملي

وان شئت فسمه بلغة الفلاسفة ذا المزاج البرجماتي .

وهو غير المزاج المثالي ، وغير المزاج الواقعي

انه طالب نشيط ، يهدف الى العمل المنتج الذى دلت على انتاجه ونفعه الخبرة . وهو يحب الناس وتحبه الناس ، وهو دائما يجتمع بهم ، وبه يجتمعون . واذا بحث عنه المدرس وجده دائما في اوسط كل زحام . في اوسط كل جمع ، واوسط كل عمل ، يؤثر في مجراه بالكلمة او بالعمل .

والطالب العملي ، البرجماتي ، يميل الى الاسماع اكثر من ان يسمع ، ويميل الى عمل المختبرات اكثر من ميله الى جلسة المحاضرات يدوّن فيها ما يلقى الاستاذ ، لانه يميل اكثر الى ان يكون معبرا عن نفسه كاشفا عما اختفى في طياتها .

وهو يود ان يبدا امرا ، ليرى عاقبته ، اكثر مما يود ان يجلس ويفكر في هدوء صامتا . وهو يحب التجارب ، لا سيما تلك التي يشترك فيها اكثر من واحد . اثنان ، ثلاثة او اكثر . ذلك لان فعله في الناس ، وانفعاله بهم ، هما احب شيء اليه .

والعمل اليدوى ، والدراسة تقوم بها



المختبر اروح من الجلوس الى المحاضرة ●

الفرقة لا الفرد الواحد ، والمشاريع الاجتماعية ، كل هذه وامثالها محببة اليه .

والتخطيط ، وعمل اللجان، والمناقشة كذلك حبيبة اليه .

ولقد بلغ من هذه النزعة العملية البرجماتية ان صار الطلبة ، في بعض المعاهد التربوية التي يدخلها خريجو الجامعات ، هم القائمون فعلا بتحضير البرامج والقائها ، وادارتها ، ولم يتخذوا من الاساتذة الا ناصحين ومشيرين ، وفى اخر المطاف ممتحنين . لقد كرهوا ان يؤمروا ، وكرهوا ان يعظهم الواعظون ، واحبوا ان يقوموا انفسهم بما يريدون وان ينقبوا حتى يكشفوا عما يطلبون .. مجموعة من الشباب تريد ان تشب فتبلغ مبلغ النضوج ، مبلغ الرجال ، بجهودهم هم ، وعلى طريقة هم مبتدعوها وهم يفخرون بأنهم هكذا يصنعون .

مشكلة المعلم

وهنا تنشأ مشكلة المعلم . وما هي بمشكلة انه يواجه هذه الامزجة الثلاثة ، لا بهذا التفاضل بينها وهذا الصفاء ، ولكن على شيء من التفاضل قريب من ذلك .

وهو ان رسم طريقة تلائم مزاجا واحدا من هذه الامزجة ، ارضى البعض. ارضى القِلة ، ولم يرض الكثرة . ولكن ما اسرع ان يدرك انه يجب ان يتحول . يجب ان لا يكون صاحب الخطة الواحدة ، ولكن صاحب خطط ثلاث ، يوازن بينها . يعطى من كلٍّ كلاً نصيبه .

يستطيع بل لا بد له ان يعطى الحقائق والمعارف على الطريقة المألوفة التي رضيتها القرون ، ولكنه يستطيع ان يخفف من قسوتها بالدخول فى تفسيره هذه الحقائق والتعليق عليها ، واخراج ما خفى وراءها من علائق انسانية كانت بالامس ، او من روابط سوف تكون لها في الناس في الغد .

والى جانب هذه يستطيع المدرس ان يؤمن جانب الخبرة بما يبتدعه من تجارب ، او كتابة مقالات ، او اقامة مناقشات ومناظرات . اى احداث تلك الاشياء التي تشبع اولئك الذين يودون ان يكون لهم فيما يجرى شيء يصنعون. يصنعونه بانفسهم هم .

والمدرس والاستاذ اذ يحاول ان يجعل من نفسه ، قبالة هذه الامزجة الثلاثة ، ميزانا لا يميل ، يحاول كذلك ان ينمّي فى طلبته مثل هذه الميزان . وهو انجح فى هذه المحاولة لدى طلبته فى الجامعة . وهو فى هذه المرحلة يستطيع اطلاعهم على خبيئة قصده ، فيقول لهم صراحة ان الدنيا بها تلك الامزجة الثلاثة ، وانه لا ينجح فيها الا من وازن بينها جميعا ، وجعل لنفسه شيئا منها . او على الاقل ادرك هذا الخلاف فى الناس ، ولبس لكل حال لبوسها . وجعل بذلك الحياة على الناس ايسر ، والتعايش ، على الحق ، امكن . والحقُ يُسعى اليه من اكثر من طريق . ■■

عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب

يَفصِلُ بَيْنَ السُّلْطَتَيْنِ

التَّنفِيذيَّة

بقلم الدكتور
احمد عبد المنعم البهى
الاستاذ بالدراسات العليا بكلية الشريعة
بجامعة الازهر ــ القاهرة

■ من النظم الاسلامية التي سنها عمر ابن الخطاب ، الخليفة الثاني للمسلمين ، اتجاهه الى فصل سلطة القضاء عن سلطة الولاية فعيّن قضاة مهمتهم الفصل فى مشكلات الناس وخصوماتهم . وبعبارة أخرى فصل السلطة التنفيذية عن السلطة القضائية ، وكان ولاة الامصار قبل ذلك يقومون بأعمال الولاية والقضاء ويجمعون الى السلطة التنفيذية السلطة القضائية أيضا .

وعمر وأن لم يجر على هذا النمط فى كل الولايات الاسلامية ، الا انه أتبع هذا النهج وتلك السياسة الجديدة فى معظم الولايات ، ففصل القضاء عن الولاية فى مصر والكوفة والبصرة وغيرها من الولايات الكبيرة . وربما كان ذلك حرصا منه على أن يتفرغ الولاة للتنظيم الادارى والسياسي فى هذه الولايات التي كانت حديثه عهد بتعاليم الاسلام ونظمه ، ويتفرغ القضاة لتحقيق العدالة على أتم وجه وأكمله فى خلافات الناس ومنازعاتهم .

عمر رأى أن يتصل القضاة به ، وأن فى ذلك الخير

وقد كان عمر على اتصال مباشر بقضاته ، وجعلهم تابعين له مباشرة ، يكاتبونه فيما اشكل عليهم فى بعض القضايا ، ويرد عليهم بما يجب أن يكون ، ويوجههم الى ضرورة الاتصال به فى كل ما يحتاج الى المشاورة وتقليب وجهات النظر للوصول الى رأى سديد فى النزاع ينظرونه . فقد كتب الى شريح وهو على قضاء الكوفة يقول له :

« اذا حضرك أمر لا بد منه ، فانظر ما فى كتاب الله ، فاقض به ، فان لم يكن ففيما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شئت أن تجتهد رأيك ، وأن شئت أن تؤامرنى ، ولا أرى مؤامرتك اياى الا خيرا لك والسلام » .

وهذه الرسالة تفيد أن عمر رضى الله عنه كان يرى أن يتصل به قضاته ، اذا شاءوا ، فى كل أمر مشكل قبل الفصل فيه بوصفه الرئيس الاعلى لهم ، والامام المسئول عن السهر على العدالة وتحقيقها فى ربوع الدولة وفى كل ناحية من نواحيها .

وهذا هو الذى حدا به أن يكتب الى ابى موسى الاشعرى ، وهو على قضاء اليمن ، الا يفصل فى أمر المرأة التي رُفع اليه أمرها وقد وُجدت حبلى من غير بعل ، وأن يوافيه بها وناس من قومها والا يصدر فى شأنها أى حكم .

قوم أنكروا فصل القضاء على عمر

ومع هذه العناية التي وجهها عمر الى القضاء بصفة خاصة ، وتخير الرجال الذين يصلحون له ، وعزل من لا تتحقق فيه الصلاحية المنشودة لهذا الأمر الخطير ، كما عزل أبا مريم الحنفي عن قضاء البصرة لما استبان له ضعفه .. مع كل هذا فان فريقا من العلماء والباحثين قد أنكر كلية ان عمر فصل سلطة القضاء عن سلطة الولاية وعين قضاة من قبله ، أنكروا هذا وبالتالي أنكروا أيضا ان عمر رضى الله عنه راسل هؤلاء القضاة وكاتبهم فى شئون القضاء ونظمه وغير ذلك مما له صلة بهذا الموضوع .

والقضائية

وقد عول بعضهم فى ذلك على بعض الروايات فى تأييد ما ذهب اليه ونسوقها فيما يلي :

قالوا : انه ثبت بطريق الرواية الصحيحة عن الأمام مالك رضى الله عنه انه قال « أول من اتخذ قاضيا معاوية بن أبى سفيان ، وكان الخلفاء قبل ذلك يباشرون كل شيء من أمور الناس بأنفسهم .

واستنادا الى هذه الرواية نفوا ما جاء فى الروايات التى تفيد أن عمر ولى قضاة وأنه فصل السلطة التنفيذية .

واستندوا أيضا الى قول وكيع فى كتابه أخبار القضاة فيما رواه عن بعض أهل المدينة قال « أهل المدينة ينكرون أن عمر استقضى شريحا . وقالوا والدليل على ذلك انا لم نسمع له فى أيام عثمان ذكرا وتساءلوا كيف يوليه عمر على المهاجرين ولم نعرفه قط ؟ » .

وهذا أيضا يفيد انكار تولية عمر لشريح قضاء الكوفة مع ان ذلك من الامور المشهورة عن عمر رضى الله عنه .

واستندوا أيضا الى ما رواه اليعقوبي فى تاريخه « أول خليفة ولى قضاء الامصار من قبله كان أبا جعفر المنصور » .

وقالوا أيضا قد قيل أن عمر ارسل كتابا الى ابى موسى الاشعرى وهو على قضاء الكوفة ، وهذا القول غير صحيح بالمرة ، اذ أن عمر لم يول أبا موسى قضاء الكوفة ، وهو لم يكن بها فى عهد عمر حتى يتصور أن يوليه قضاءها .

وانتهوا من هذا كله الى الجزم بأن عمر لم يفصل سلطة القضاء عن الولاية ، وأنه لم يعين فى الامصار قضاة مستقلين بشئون القضاء ، وأن الولاة أنفسهم كانوا يباشرون القضاء كجزء من عملهم المنوط بهم . وقالوا اذا انتفى هذا فانه ينتفى بالطبع ما نسب الى عمر من ارسال كتب الى قضاته .

هذه الروايات التي استندوا اليها ، على فرض أنه لا توجد روايات أخرى تعارضها وتثبت عكسها لا تقوم مقام الحجة فى تعزيز رأيهم فى مجال البحث الحر والتجرد عن الهوى . اذ أن ما عولوا عليه وما أخذوا به من هذه الروايات كان مبنيا على ما يستفاد من ظاهرها لا غير ، وما أكثر ما يخدع الظاهر لمن يعول عليه ويكتفى به ، وما من حجة من حججهم الا وهناك ما هو أكثر منها قوة وأبين فى الدلالة على عكس رأيهم فيها . فكيف يقدم الضعيف على القوى ، ونسلم بالقول المرجوح مع وجود القول الراجح .

رد ما قيل عن مالك فى أول من أتخذ قاضيا

ومن مناقشة حججهم يتبين لكل منصف أنهم أنكروا أمرا ثابتا ، وقضية تعاورت الادلة من كل جانب على صحتها . فتمسكهم بقول الامام مالك « أول من اتخذ قاضيا معاوية بن أبي سفيان الخ » مردود عليه من ناحيتين .

أولاهما : أن هذه الرواية رواها راو واحد عن مالك هو احمد بن اسماعيل أبو حذافة ولم ترد عن غير من تلاميذ مالك وأصحابه مع كثرتهم وكثرة ما رووا عنه ، وهذا يدل على ضعف الرواية وعدم التعويل عليها .

وثانيتهما : ان هذه الرواية على فرض صحتها فان مراد مالك منها ان الخلفاء لم يعينوا قضاة فى حاضرة الخلافة لا غير ، وان أول من فعل ذلك كان معاوية ،وهذا لا ينفى ان عمر عين قضاة فى غير عاصمة الخلافة والحكم .

وقد رجح هذا ابن عبد البر وابن رشد وغيرهما من جلة العلماء . فابن عبد البر يقول فى الاستيعاب : « وهذا عندنا محمول على حضرتهم

ـ أي الخلفاء الاربعة ـ لا من بعد عنهم ، لان استقضاء عمر لشريح على الكوفة اشهر عند علمائها من كل شهرة وحجة » .

وقال ابن رشد ، معلقا على قول مالك السابق في « العتبية » كأن مالكا رضي الله عنه يريد ان يقول : ان معاوية أول من استقضى في موضعه الذي كان به لانشغاله بما سوى ذلك من أمور المسلمين ، والا فقد ولى عمر بن الخطاب كعب بن سور على البصرة وولى شريحا قضاء الكوفة .

واذن فلا حجة لهم في التمسك بقول الامام مالك على فرض صحة هذه الرواية ، وان كنا نرجح عدم العمل بها وردها، استنادا الى الروايات التي تفيد ان عمر عين قضاة في حاضرة الخلافة كما عين في خارجها . فقد روى الطبراني بسند جيد عن السائب بن يزيد « أول من استقضى عمر قال : رد عني الناس في الدرهم والدرهمين » . وكان السائب معه في المدينة .

اما ما رواه وكيع من أن أهل المدينة انكروا استقضاء عمر لشريح ، فقد تولى وكيع بنفسه الرد على ذلك فقال « من الحجة عليهم أن عمر استقضى يزيد بن اخت النمر على المهاجرين ، واستقضى سلمان بن ربيعة على أهل القادسية ، وكعب بن سور على البصرة ، وكذلك ابا مريم الحنفي ، وهؤلاء كلهم مثل شريح » .

ومضمون قوله أنه لا يشترط في اختيار القضاة أن يكونوا من المهاجرين السابقين الى الاسلام وهذا ليس قدحا في قدرهم ولا في منزلتهم ، فليس كل المهاجرين من السابقين الى الاسلام فقهاء ولا على استعداد لتولي القضاء ، ومن اجل ذلك عين عمر شريحا وغيره ممن رأى فيهم الاستعداد لهذا العمل .

قول اليعقوبي أن أبا منصور أول من عين قضاة الأمصار

اما ما جاء في اليعقوبي من ان ابا جعفر المنصور اول من ولى قضاة الامصار فانه فرض" قبوله محمول على أن ذلك التعيين كان في عهد الدولة العباسية ولا يتناول نفي ما كان قبل ذلك من تعيين قضاة للامصار من عهد عمر الى نهاية الدولة الاموية .

والذي يؤيد هذا الفهم أن السفاح الحاكم الاول للدولة العباسية كان مشغولا عن مثل هذا بتأمين الدولة والترصد لفلول الامويين ، فلما تولى أبو جعفر المنصور واطمأن الى استقرار الدولة اخذ في تنظيم شئونها ، ومن ذلك تعيين القضاة في الامصار .

ولا يمكن ان يفهم كلام اليعقوبي على وجه غير هذا لان هناك ادلة لا حصر لها تمنع من الأخذ بظاهر كلامه .

بقي بعد ذلك استنادهم الى خطأ بعض الولاة الذين قالوا ان عمر أرسل كتابه الى أبي موسى الاشعري وهو على قضاء الكوفة ، ورتبوا على ذلك نفي استقضاء عمر له والطعن في صحة صدور هذا الكتاب من عمر اليه ـ وردا على ذلك نقول ان خطأ هؤلاء لا يعني نفي واحد من هذين الامرين كما سنوضح هذا في حينه .

روايات متواترة تفيد ان عمر عين قضاة

ولا ادري كيف اغفل هؤلاء ما عدا ذلك من الروايات التي بلغت حد الشهرة والتواتر والتي تفيد صراحة أن عمر عين قضاة وكانت بينه وبينهم مكاتبات ، ويحسن بنا ان نوضح هذين الجانبين كلا على حدة .

عمر عين قضاة في المدينة

فمن الجانب الاول نقول ان عمر قد عين قضاة في المدينة وخارجها واليك الدليل على ذلك .

١ ـ روى ابن سعد في الطبقات عن نافع « ان عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء وعين له رزقا » وكان محل عمله المدينة .

٢ ـ وعين السائب بن يزيد بن أخت النمر للقضاء في الامور الصغيرة بالمدينة كما مر بك هذا فيما رواه الطبراني .

٣ ـ الف محكمة عليا برياسته وكان عضوا دائما بها الامام علي رضي الله عنه وكان من اختصاصها الفصل في قضايا الحدود والامور المشكلة .

عمر عين قضاة خارج المدينة

هذا فيما يتعلق بالقضاء في المدينة ذاتها ، اما في خارجها فقد عين في بعض الولاة قضاة مستقلين عن الولاة ، فمن ذلك أنه عين قيس بن العاص على قضاء مصر وقال عنه يزيد بن حبيب « هو أول قاض قضى بها في الاسلام » .

وعين على قضاء البصرة أبا مريم الحنفي ثم عزله لما استبان له ضعفه ، وولى على قضاء الكوفة عبد الله بن مسعود فقد روى قتادة عن مجلز « ان عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر على صلاة اهل الكوفة وبعث عبد الله بن مسعود على بيت المال والقضاء » .

ثم ولى على قضاء الكوفة شريحا بعد عبد الله ابن مسعود وكان سبب توليته واقعة معروفة ، ذلك ان عمر رضى الله عنه اخذ فرسا من رجل على سوم « أجر » فعطب الفرس ، فخاصم الرجل عمر ، وأبى ان ياخذ فرسه وهو على هذه الحال ، فترك له عمر اختيار من يحكم بينهما في هذا الخلاف ، وكان هذا منتهى الكرامة والعدل من عمر حتى لا يقال اذا احال عمر الخصومة على احد قضاة المدينة وحكم لصالح عمر انه جامل الخليفة في حكمه .

وقال الرجل اني اختار هذا الفتى العراقي شريحا للفصل فيما بيننا ، فعرضا عليه الامر واعجب عمر بنهجه في القضاء وبحكمه الذي اصدره عليه اذ قال له « أخذت الفرس فعليك أن ترده سليما كما أخذته » فولاه قضاء الكوفة وظل يقضي بها الى عهد الحجاج .

ويطول بنا المقام لو أخذنا في سرد الادلة التي تفيد بدون مواربة ولا شك ان عمر عين قضاة في داخل المدينة وفي خارجها وانه كان اول من مهد للفصل بين السلطتين القضائية والتنفيذية بهذا العمل ، وان كان قدعهد الى بعض الولاةبالاستمرار على القضاء كما فعل معاوية ، فان هذا لا يعني انه لم يمهد للفصل بين السلطتين .

كتب عمر الى قضاته أمرها مشهور

اما الجانب الثاني وهو كتبه التي بعث بها الى قضاته فامرها أشهر من أن يذكر . اذا كان كتابه الى أبي موسى قد دار حوله نقاش فكذلك دار نقاش حول كتابه الى شريح في استعمال الرأى عند عدم وجود نص من كتاب أو سنة . فهذا الكتاب قد أنكره علماء المذهب الظاهري ، كما انكروا كتابه الى أبي موسى . وانكار الظاهرية لهما لا يقدح في صحة صدورهما من عمر .

الا اننا لا نفصل القول فيما يتعلق بكتابه الى ابي موسى الآن ، ونقصر ردنا على كتابه الى شريح — لان الكلام في كتاب أبي موسى يتعلق بجوانب مختلفة قد تعالج في مقال خاص —

ونعود لكتاب عمر الى شريح فنقول ردا على انكارهم له ان هذا الكتاب ليس الوحيد الذى كتبه عمر الى شريح فقد كتب اليه اكثر من كتاب.

كتب اليه « لا تجيزوا لامراة في مالها أمرا حتى يحول عليها حول عند زوجها أو تلد ولدا » .

وكتب اليه « اذا طلق الرجل امرأته وهو مريض انما ترثه ما دامت في عدته » .

وكتب اليه في امر القصاص والديات وغيرها « ان الاسنان سواء والاصابع سواء وفي عين الداية ربع ثمنها ، وان الرجل يسال عن ولده عند موته فاصدقما يكونعند موته،وجراحةالرجال والنساء سواء الى ثلث دية الرجل » .

كتب له هذه الكتب وغيرها مما يطول المقام بسردها ، وجميع رواة هذه الكتب ثقات ، فبعضها رواه الشعبي وبعضها رواه عمر بن دينار عن أبى بكر بن حفص ، وبعضها عن الحسن بن عماره عن الحكم .

فكيف يتصور مع كثرة هذهالكتبوتعدد روايتها انكار واحد منها والتسليم بباقيها مع ان بعض رواة هذه الكتب رواة الكتاب الاول الذى انكره اهل الظاهر .

اظن بعد هذا فانه لا مجال للقول بان عمر لم يمهد للفصل بين السلطتين القضائية والتنفيذية بما جرى عليه من تعيين قضاة مستقلين في عملهم كل الاستقلال عن الولاة ، ولا مجال بعد ذلك لانكار كتبه الى هؤلاء القضاة او بعضهم .

فلعل لنا مجالا في هذا في فرصة أخرى

■■

احمد عبد المنعم البهي

مراجع البحث : فتح البارى في شرح احاديثالبخارى — النووى على مسلم — كنز العمال في سنن الاقوال والافعال — الطبراني — اعلام الموقعينوالطرق الحكيمة لابن القيم — أخبار القضاة لوكيع وتعليقات الشيخ عبد العزيز المراغي عليه— المحلى لابن حزم — طبقات بن سعد — اليعقوبى — تاريخ الفقه الاسلامي للحجوى — نظرة في تاريخالفقه الاسلامي للدكتور علي حسن عبد القادر .

الرّئيس ابرهام لنكولن

كيف



■ في احدى ضواحي بلتيمور بمقاطعة فرجينيا جلس فوق ربوة طالبان يعبثان ببعض الحشائش النامية ويتبادلان الحديث عن المستقبل ، وكان احد هذين الطالبين نجل ممثل معروف كان يُعَد في مسارح لندن في المرتبة الثانية بعد الممثل الذائع الصيت ادمُنْد كين ، وقد هاجر هذا الممثل ـ واسمه جونياس بروتاس بوث ـ الى الولايات المتحدة ، وعلت شهرته وتوطدت مكانته .

قال الطالب تيدْ اورام لصاحبه « ماذا تريد أن تعمل ؟ » .

فاجاب جون ويلكزبوث « لا اريد ان اكون ممثلا بارعا مثل ابي ، وانما اريد ان يُعرَّف اسمي في التاريخ ، ولو ان تمثال رودس الضخم الأشم كان لا يزال قائما لعملت على استنزاله ، وقضيت نحبي راضيا مطمئنا لاني قمت بعمل لم يقم به اى انسان قبلي » .

وقد اطلق على بوث اسم « جون ويلكز » وهو اسم احد الزعماء الشعبيين المهرجين ، وكان عضوا



كان مصرعه

بقلم : على ادهم

فى مجلس النواب معروفا بالفحة والدعارة وقبح المنظر ، وقد اشتهر بانه المدافع الناجح عن حرية الصحافة فى انجلترا ، وقد اشبه بوث سميه فى القدرة على استغواء الفتيات ، ولكن بوسيلة مختلفة عن وسائل سميه ، فقد رزق حظا موفورا من الوسامة ، وكان يعني بترجيل شعره الاسود الفاحم وتسريح شاربه ، ويضاف الى ذلك انه كان يجيد اصابة الهدف بالمسدس ، وكان هذا كله فى سنة ١٨٦٤ ولما تتجاوز سنة الخامسة بعد العشرين .

وقد اظهر استعدادا طيبا فى العمل بالمسرح ، وطاف بانحاء الولايات المتحدة حتى بلغ كاليفورنيا، وبلغ دخله فى العام الواحد عشرين الفا من الدولارات ، ولكنه كان يغار من اخيه ادون الذى نجح نجاحا مرموقا فى تمثيل روايات شكسبير حتى اصبح النجم المفضل فى نيويورك ، ولذلك آثر جون ان يظفر بالنجاح فى واشنجتن العاصمة السياسية للولايات المتحدة .

وكانت واشنجتن حينذاك برغم وجود مجلس النواب الامريكي بها لا تزال بلدة ناشئة أشبه بالقرى منها بالعواصم الزاهرة ، ولكنها مع ذلك كانت سائرة فى طريق التقدم ، وقد بدات تكثر فيها الفنادق والمطاعم الحافلة بالوان الطعوم والاشربة ، وكان توفر الاطعمة لازما بوجه خاص فى النصف الاول من ابريل سنة ١٨٦٥ ، فقد اقبل القوم على الاكثار من المسكرات فى اثناء الليل واطراف النهار ، احتفالا بالانتصارات المتوالية على الولايات الجنوبية ،وايذان الحرب الداخلية التي استمرت اربعة اعوام بالانتهاء .

وكان باعث هذه الحرب مشكلة قانونية ،

فحينما بدأ الامريكيون يشقون الطريق الى الغرب من امريكا طلبت المقاطعات الجديدة الانضمام الى « الولايات المتحدة » . وكانت نظم الحكم الاصلية تسمح بوجود الرقيق وتعترف بشرعية العبودية ، ولكن ضمير الشعب اخذ يستيقظ ، وظهر حزب سياسى لم يكن مستعدا لمنح حق الاستعباد فى الولايات الجديدة التى لم يكن لها هذا الحق من قبل . وفى سنة ١٨٦١ نجم خلاف شديد ، فقد اعلنت احدى عشرة ولاية من ولايات الجنوب رغبتها فى الانفصال عن الولايات الشمالية التى كانت تهدد حقها فى الاحتفاظ بقانون الاستعباد الذى كان مباحا بموجب نظام الحكم القديم . وكان ابرهام لنكولن رئيس حكومة الولايات المتحدة فى ذلك الوقت ، وبرغم انه فى بادىء الامر كان مدافعا عن حقوق الولايات الجنوبية القديمة ، الا انه اعلن بعد ذلك عزمه على الغاء العبودية الغاء تاما ، وبذلك اصبح فى نظر الجنوبيين رمزا يمثل محاولة القضاء على حضارتهم ، وقد كانت حضارة الجنوب قائمة على العبودية مثل حضارة اليونان وحضارة روما . وقد نشأ جو ويكلز بوث فى الجنوب ، وصار لنكولن فى خياله الجامح يمثل تمثال رودس الضخم الاشم ، فلا بد اذن من هدم هذا الصرح الشاهق !

★ ★ ★

كان لنكولن رجلا طوالا ممشوق القوام ، فى مفاصله لين واسترخاء ، اسود الشعر ، متلبّد شعر الذقن رافله . وقد قاسى الكثير فى طفولته ولم يتلق سوى القليل من التعليم ، واستطاع متاخرا ان ينتظم فى سلك المحامين . واجتذب الانتباه السياسى بقوة خلقه ومضاء عزيمته . وقد قيل انه لم يكن عنده من الخبرة بشؤون الدولة ما يكفي للنهوض بالاعباء فى ابان تلك الازمة ، ولكنه كان فى الواقع السياسى الذى يشعر بالجو المحلي ويحسن رصد علامات الزمن وطلائع الحوادث . وكان بعض اعيان حكومته يضحكون من تكهناته حتى تثبت صحتها ، ثم يضحكون بعد ذلك لانها رغم غرابتها كان لها ما يسوغها . واحبه الامريكيون وتعلقت به قلوبهم ، فاعادوا انتخابه للرياسة مرة ثانية . وحينما لاحت لوائح النصر اخذ يتحدث عن موادعة الجنوبيين والترفق لهم فى اجراء الصلح ، واحلال العفو والغفران محل حب التشفى والانتقام ، فترددت الاشاعات عن مؤامرات تدبر للخلاص منه ، وكثر الهمس عن المحاولات الخفية لاغتياله . وكان الرجل حينذاك واهن الجسد من فرط الاعياء ، فقد بذل جهودا جبارة واحتمل اعباء شاقة وصبر وصابر ، وفى الوقت الذي يفكر فيه فى مداواة الجرح ولم الشعث ومعالجة ويلات الحرب الداخلية وازالة آثارها كان بوث يضع الخطط للقضاء عليه .

وكانت مسلاة الرئيس الوحيدة هي الذهاب الى المسرح ودار الاوبرا ، وكان يزورها مع زوجته واصدقائه المقربين ، وقد شغل ذلك بال وزير الدفاع ادوارد ستانتون واطال همه ، فقد كانت الاشاعات عن تدبير المؤامرات لقتل الرئيس ماتنفك تاتيه من مختلف المصادر . وقد نصح الرئيس كثيرا بالاقلال من الظهور فى الاماكن العامة حيث يسهل استهدافه للاخطار ، ويتعرض للاعتداء على حياته ، وكان كلما الح عليه فى ذلك يجيبه لنكولن قائلا « اذا كان مقدرا لي ان اقتل فاني سأموت مرة واحدة ، ولكنى اذا عشت فى خوف دائم من الموت فانني سأموت مرارا وتكرارا » .

ومهما يكن من الامر فقد قبل بعد لأى ان يكون له حرس ، وتأكدت علاقات المودة بينه وبين رئيس حرسه ، ومن سخرية القدر انه فى اليوم الموعود كان رئيس فرقة الحرس هذا متغيبا فى احد الاعمال الرسمية ، وناب عنه فى الاشراف على الحراسة احد رجال الشرطة ، وكان رجلا عاجزا اشد العجز قليل الشعور بالتبعة ، وفى اللحظة التي كان يتوقعها ستانتون ويخشاها كان رئيس الحرس الهمام باركر مشغولا باحتساء كأس من الشراب !

وكانت الخطة التي وضعها بوث لازالة الرئيس من الطريق معقدة ، وتحتاج الى مشاركة رجال كثيرين ، ولذلك بدأ يبحث عمن يستطيع ان يثق بهم من اصحابه ، ووقع اختياره على صديقين من بلتيمور عرفهما منذ عهد الدراسة ، وهما ميخائيل اولفلن ، وكان شابا مليحا صاحب لهو ، وصامويل ارنولد ، وكان جادا ضخم الوجه . وكلاهما كان من الجنوب . وكذلك كان الشاب الناشىء دافيد هيرولد الذى كانت سنه لا تتجاوز السابعة عشرة ، وكان شديد الاعجاب ببوث منذ رآه يقوم بالتمثيل فى احد المسارح الاقليمية ، وكانت له معرفة جيدة بالخيل والصيد والطرق والمسالك ، وعنده ذخيرة من القصص المسلية ولم يكن خارق الذكاء ، ولكنه

كان على جانب من سرعة الخاطر . وكانت هناك الارملة ماري سرات صاحبة النزل الذى يقيم فيه بوث وابنها جون الذى كان لا يخلو من الحصافة ، وقد ضم بوث الى من اشركهم فى التآمر رجلين آخرين وهما جورج اتزيرودت الالماني ، وكان من مدمني الشراب المصابين بعقدة الشعور بالنقص والذين يتخلون عن جماعتهم ولا يتورعون عن الخيانة اذا استلزم الامر . وقد ضمه بوث الى جماعته لانه ـ على ما يبدو ـ كان يعرف كيف يحرك المعدية عبر نهر بوتوماك . والآخر هو لويس باول الذى اشتهر باسم « لويس بين » وكان معروفا بانه لايخطىء الاصابة بالمسدس ، ويجيد استعمال السكين ، وكان يغضب ويثور اذا عورض ، ولا يبالي بقتل اى انسان اذا امر بقتله ، وكان شديد الغباء يضل السبيل ويتبهم عليه امره اذا ترك وشأنه .

وفى شهر يناير من تلك السنة كثر اجتماع « لويس بين » بصاحبه بوث فى نـزل السيدة سرات ، وكان لويس ينتظر اللحظة التي يؤمر فيها بقتل اي انسان ، وكان أولفلن وارنولد لا يزالان فى بلتيمور لانهما لم يكونا لازمين فى هذه المرحلة .

وقال بوث : « اذا استطعنا ان نخطف الرئيس فان ذلك سيبدو فى صورة عمل من أعمال الحرب ، وهو فى حكم القائد الاعلى للجيش ، ويمكن ان نجعله اسيرا ونفتدى به الكثير من اسرانا » .

فقال اتزيرودت : « ولكن كيف تفعل ذلك ؟ ان ستانتون معه ثلة من الحرس ، فانت فى حاجة الى عصبة من الرجال » .

فاجاب بوث قائلا : « كلا ، لقد رسمت الخطة المناسبة ، وكل شيء متوقف على الوصول الى المفتاح الرئيسي للغاز تحت المسرح مباشرة ، ومتى عم الظلام المكان كله استطعنا القيام بالاعمال الباقية ، وهذا فى وسعك يا سيد سرات فان عندك من الجلد والثبات ما يكفى للنهوض به » .

فقال جون سرات « اني ياسيد بوث مستعد للقيام بذلك » .

« لقد دبرت الامر ، وسادخل مع لويس مقصورة الرئيس فى لحظة انطفاء الانوار » .

فسأله هيرولد : « وماذا تصنع بالحارس » ؟

« ان سكين لويس كاف للبت فى امره ، ويستطيع هو وانا تكميم فم الرئيس وتكتيفه ـ وهو سيرى مسدسي ـ وتدليه الى المسرح بحبل ، اليس هذا واضحا ياسادة ؟ » .

فهز جميع المتآمرين رؤوسهم موافقين .

واسترسل بوث فى الحديث متحمسا قائلا : « وانت يا سيد سرات ستتسلم الجسد على المسرح ، وساوافيك هنالك ، وانت تعرف قدرتي على الوثب ، وسبق لك ان رأيت وثبتي وانا اقوم بالتمثيل فى رواية ماكبث ، وساثب فى تلك المرة من المقصورة الى المسرح ، وتسرع بالرئيس الى الخارج وتسلمه لدافيد الذى يكون منتظرا بالعربة فى الساحة الخلفية ، وستقوم بذلك يادافيد » .

فاجاب الشاب وقد التمعت عيناه اعجابا ببطله المحبوب : « نعم ياسيد بوث ، اني اعرف كل الطرق فيما بين واشنجتن وريشموند ولن اخيب لكم املا ، ولكن عليكم ان تعبروا به النهر » .

فقال بوث « هذا عمل جورج اتزيرودت » .

فرفع اتزيرودت رأسه من الشراب الذى كان يحتسيه وقال : « اني اعرف كيف أعبر به النهر » « نعم ، لقد عبرت النهر مع الكثيرين فى السنوات الاربع الاخيرة حسب ما اظن » .

ولم يكن من الحزم فى شيء الخوض فى احاديث المؤامرة فى المنزل ، فقد كان الكثيرون من النزلاء يتسمعون هذه الاحاديث ، ويدفعهم حب الاستطلاع والرغبة فى التجسس على جيرانهم الى استقصاء اخبارها . وكان من هذا الطراز رجل من نـزلاء المنزل يدعى جوزيف ويشمان ، وكان قصير القامة بدينا حاول ان يكون قسيسا ولكنه اخفق فى ذلك ، وقد سمع طرفا من حديث المؤامرة فلم يملك لسانه وكان لذلك نتائج سيئة فيما بعد .

وعرف بوث من اصدقائه الممثلين ان لنكولن وزوجته سيذهبان الى مسرح فورد فى ليلة ١٨ يناير ، فاخذ دافيد فى اعداد الخيل للعربة التي ستحمل الرئيس الاسير وتطوى به مسافة الاميال الممتدة بين واشنجتن وريشموند مستقر الجنوبيين واعد كل شيء ولكن فى اللحظة الاخيرة فشلت المؤامرة ، فقد كان الرئيس مُجهدا جدا فلم يستطع الحضور الى المسرح .

ولكن لم يمض زمن طويل حتى لاحت فرصة

اخرى . فقد كانت قوات الجنرال اليساس جرانت تتقدم وتدفع امامها جيوش الجنوبيين برغم براعة قيادتهم ، فاذا كان بوث يريد ان يصنع شيئا فان عليه ان يبادر الى العمل ، والا فان الحــرب تنهى كل شيء ، فاستدعى بوث صاحبيه أولفلن وارنولد من بلتيمور ، وفي يوم ١٧ مارس اجتمع المتآمرون جميعا اجتماعهم الاول والاخير .

وكان بوث قد اتخذ حجرة خاصة في مطعم مـن المطاعم الرئيسية ، وجـاء أولفلن متألما من آثار الخمر فقـد كان الاحتفال بالانتصارات التي احرزتها جيوش الشماليين تشجع على الاسراف في الشراب ، وزال ما كان يشعر به من التعب حينما تناول الطعام وعبة من الشراب اللذين اعدهما بوث . وبينما كـان المتآمـرون ياكلـون ويشربون أخذ بوث يشرح لهم خطته لخطف الرئيس ببراعة الممثل القدير ، واعجب هيرولد بالخطة ، واستخف السرور اتزرودن واولفلن ، واستغرق سرات في التفكير ، وتضايق لويس بين من الحديث ولكنه قنع بالاكل والشرب .

وخرج صامويل ارنولد الضخم الوجه من صمته معترضا قائلا : « انـي ارى المسالـة شديـدة التعقيد ، فهم يقولون ان الرئيس رجل قوى ، وسواء أكان يحمل مسدسا ام لا فانه سيقاوم قبل ان تكمموا فمـه وتكتفوه وتذيع حينـذاك نـذر الخطـر » .

فدافع جون عن خطته التي بدت له معقـولة وعملية لمعرفته بالمسرح من داخله ولكن صامويل ارنولد اعترض قائلا : « اني لا اسهم في تنفيـذ مثل هذه الخطة ، واذا لم يتم شيء في مـدى أسبوع فاني سانفض يدى من هذا الامر » .

وايده اولفلن قائلا وهو يضحك : « وهـذا هو موقفى » .

فقال بوث : « ياصمويل ويامبخائيل لا يمكـن ان تعنيا ما تقولان ، انكما سيدان شريفان وقـد عرفتكما طوال حياتي ! فكيف تنسحبان ؟ ومـا احسب عندكما شيئا تقترحانه ؟

فاجاب صامويل متشدقا : « احسب ان عنـدى ما اقترحه » .

اقام بوث خطته على اساس معرفته بالمسـرح من الداخل ، أما صامويل ارنولد الذى كان يعرف ضواحى المدينة معرفة جيدة فقد رأى ان مهاجمة الرئيس في الضواحى اسلم عاقبة حيث يمكـن توفر عنصر المفاجاة والاعتماد على اشتراك الكثيرين في المحاولة ، والرئيس يكثر من زيارة مستشفى الجند ، والطريق اليه لا يخلو من وعورة تتيـح الفرصة لاعداد الكمين ومهاجمة العربة التي تقله .

واقتنع بوث بهذا الراى ووضعت خطة لمهاجمة الرئيس يوم ٢٠ مارس ، فقد وعد القائمين على المسرح والملحق بالمستشفى للترفيه عن الجنـود بحضور الحفلة الصباحية ، وفي باكورة الصبـاح خرج المتآمرون من واشنجتن ، وفي ظلال الاشجار ناقشوا في تفاصيل المحاولة ، واوضح بوث لكل فرد من المتآمرين الدور الذى عليه ان يقوم به ، واقبلت العربة السوداء اللامعة الخاصة بالرئيس تشق الطريق المترب ، واستعد بوث للقيام بمهمته ولكنه حينما القى نظرة في داخل العربة لم يجـد بها الرئيس ، فاعطى الاشارة غير المنتظرة ، وساور الجماعة الشـك في ان سر المؤامرة قد كشف ، وحينما عاد المتآمرون الى نُزُل سرات ثاروا ببوث وابدوا عدم ثقتهم به، فان تخلف الرئيس عن حضور الحفل بعد ان اعلن ذلك لا بد ان يكون سببـه تسرب اخبار المؤامرة ، وعاد صامويل ارنولـد واولفلن الى بلتيمور ، واخذ جون سرات يذيع انه قد دُمّرت حياته ، وطلب من جوزيف ويشمان ان يبحث له في الحكومة عن عمل كتابى وارتحل الى الجنـوب .

ولم يبق من المتآمرين حول بوث سوى الشاب هيرولد المعجب ببطولته ، ولم يقطـع اتزرودت الصلة ببوث لانه كان يدفع لهما اجر سكنهمـا بالنـزل .

وكان جوزيف ويشمان يعمل في الادارة الخاصة باسرى الحرب ، وحدث مرة ان دار الحـديث بينه وبين بعض زملائه عن المؤامرات التي تدبر ضد الرئيس ، فقال جوزيف لزملائه ان تلـك الاشاعات فيها من الصدق اكثر مما يظنون وانـه سمع في النزل الذى يقيم به ما يثبت ذلك .

فقال له احد زملائه : « الم تبلغ العميد ماك ديفت الضابط الخاص بالاشراف على الامـن ؟ وحث هذا السؤال ويشمان على ان يفعل ما كان يجب ان يعمله من بادىء الامر ، اذا كان في قصته



اوليسيس سمسون جرانت

● الرئيس الثامن عشر للولايات المتحدة الامريكية يتحدر من اصل اسكتلندى .

ولد فى عام ١٨٢٢ فى ولاية اوهايووتوق فى عام ١٨٨٥ ، كان يعمل برتبة جنرال فى الجيش اثناء الحرب الاهلية الامريكية التى وقعت فيما بين عام ١٨٦١ - ١٨٦٥ والتى لم تكن حربا بالمعنى المعروف تهدف للحصول على رئاسة ، وانما كانت تهدف للحصول علىالاستقلال الذاتي لكل ولاية .

وتعد تلك الحرب من اكبر الحروب التى عرفها العالم فى ذلك الوقت وبمعنى اصح كانت اول حرب منظمة فىالتاريخ الحديث. استخدمت فيها اجهزة التلغراف لاول مرة كاداة للاتصال وكذلك الطربيد استعمل لاغراق البوارج ، والتفجير الكهربي للبارود كما اثبتت السكك الحديدية اهميتها فى عمليات النقل المختلفة واصبحت هدفا هاما للعدو . اما الوجه الآخر لتلك الحرب فكان اثره فى موسيقى ذلك الوقت اذ تأثروا بالحرب والفوا الحانا ومقطوعات تحمل انطباعاتهم ومشاعرهم .

ذرة من الحق ، فاسرع الى مساعد رئيس البوليس الحربي وابلغه ما ترامى الى سمعه ، وسرعان ما احاط الشرطة بنزل السيدة سرات ، ولكن البحث لم يسفر عن شيء ، ولم يرفع الامر الى ادوارد ستانتون برغم ان الذين قاموا بالبحث كانوا مسؤولين امامه ، وربما كان السبب فى ذلك انهم شكوا فى اقوال ويشمان ، وهكذا اراد القدر ان يهيىء فرصة اخرى لبوث لا سقاط تمثال رودس الاثم الضخم ! وكان لنكولن يشعر شعورا خفيا ان حياته قاربت نهايتها فقد قال للسيدة هاريت بيتشر ستاو مؤلفة الرواية المشهورة « كوخ العم توما » : « مهما تكن الطريقة التى ستنتهى بها الحرب فاني اشعر باني لن اعيش طويلا بعد انتهائها » .

★ ★ ★

وسقطت ريشموند معقل الجنوبيين ، وانتظرت واشنجتن الشروط النهائية للتسليم للجنرال جرانت ، وجاء القائد الى واشنجتن للاتفاق على تخفيض نفقات الجيش فى وقت السلم ، وكان حريصا على العودة الى منزله فى برلنجتن ليرى اطفاله بمناسبة عيد القيامة ، ولذلك اعتذر عن قبول الدعوة التي وجهها اليه الرئيس لحضور حفلة التمثيل فى مسرح فورد فى مساء يوم الجمعة الحزينة ، وكان جرانت لا يحب الظهور فى المجتمعات ويميل الى الحياة العائلية المنزلية .

وفى صباح ذلك اليوم كان بوث يحتسى الخمر فى صالون جون ديرى ، وقد لحظ ديرى ان بوث قد افرط فى الشراب خلال ذلك الاسبوع بوجه خاص ، وطلب منه بوث ان يرسل احدا الى مسرح فورد لشراء تذكرتين لحضور الحفلة المسائية ، وعجب من ذلك جون ديرى ، فقد كان يعرف الصلة الوثيقة بين بوث ومسرح فورد ، فسأله لماذا يرسل ثمن التذكرتين ، فقال بوث : ان الرئيس سيحضر تلك الحفلة ، ويستطيع فورد ان يبيع كل مقعد مرتين ، وانه يخجل من استغلال مجاملة صاحب المسرح وقال لديرى انه سيمر عليه لاخذ التذكرتين فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم .

ولم يكن بوث يريد التذكرتين باسمه ، ولم يكن على بيّنة من قصة ويشمان ، ولم يكن يدرى هل ورد اسمه ضمن الاسماء التي ذكرها ويشمان ام لا ، وقد وضع خطة جديدة فى اثناء تناوله للشراب ، وكانت هذه الخطة اضيق نطاقا من الخطتين السابقتين ، كان هو الذى سيقوم بالدور الرئيسي فى الخطة الجديدة ، وقد يئس بوث من انتصار الجنوب ، ولكنّ لنكولن ، سببُ الهزيمة التي منى بها الجنوب ، يمكن القضاء عليه ، والمؤامرة فى هذه المرة هدفها القتل لا الخطف .

وكان يوم الجمعة الحزينة من ايام الرئيس

الحافلة بالاعمال ، فقد بدأ كعادته يقرأ الرسائل الواردة له في الساعة السابعة والنصف ، وتناول فطوره وتحدث مع زوجته عن رغبته في الذهاب الى مسرح فورد لحضور تمثيل مسرحية « العم الامريكي » المضحكة وحضور القائد جرانت وقالت له زوجته : « واذا لم يحضر القائد ؟ » فسألها ان تدعو الكولونيل راثبون وخطيبته الآنسة هارس ليكونا معهما في المقصورة .

وبعد نصف ساعة عقد مجلس الوزراء ، وكان جو المجلس يشعر بان حادثا جللا يوشك ان يقع ، وقد تعود الوزراء سماع النوادر الطريفة التي كان يرويها لهم الرئيس ، وكانت هذه النوادر تلقى ضوءا على الموضوعات التي يناقشها المجلس ، وكان بعض الوزراء يتذوق هذه النوادر ويستريح لها ، وبعضهم مثل ادوارد ستانتون لم يكن راضيا عن هذه الطريقة لانه كان يرى فيها اضاعة للوقت والحرب الداخلية دائرة الارحاء . وتحدث لنكولن في ذلك الصباح عن الاحلام ، وروى لهم حلما رآه منذ ليالي قلائل ، وقوام هذا الحلم انه كان يطوف في الجناح الشرقي بالبيت الابيض وسمع اصوات المعزين الذين لم يستطع ان يجدهم ، واخيرا سمع من احد الناس ان الرئيس قد مات وتابع حديثه قائلا : « ولكني يا سادة اظن ان هذا غير حقيقي لانني لا ازال هنا » وتمهل في الحديث واسترسل قائلا : « في الليلة الاخيرة رأيت حلما عجيبا ، وغرابة هذا الحلم راجعة الى انني كنت اراه قبل كل ازمة من ازمات هذه الحرب ، فقد رأيته قبل سقوط حصن سمبتر وقبل معارك بول ران وجتزبرج وويلمنجتن . رأيت انني في قارب عجيب الشان لا يمكن وصفه وانني اتحرك بسرعة الى شاطىء مجهول » .

ولحظ خاصته انه لم يذكر هذا الحلم الذي ازعجه لزوجته العصبية المزاج ، والتي كانت تعلق اهمية كبيرة على امثال هذا الحلم ، فقد خشي تأويلاتها له .

وشعر بشيء من الاجهاد بعد تناول وجبة الغداء ، وركب العربة مع زوجته التماسا للراحة ، وافاده الهواء المنعش النقي والتأكد من النصر فتغيرت حالته النفسية ، وشعر بالارتياح ، وعلت روحه المعنوية واشرق وجهه بالابتسام ، وقال لزوجته : « لم اشعر في حياتي قط بمثل الغبطة التي اشعر بها اليوم » .

فاجابته ماري لنكولن قائلة « الا تذكر ان مثل هذا الشعور انتابك في اليوم السابق ليوم وفاة طفلنا الصغير ؟ »

★ ★ ★

وشغل بوث في ذلك اليوم بالاستعداد لتنفيذ المؤامرة ، واتسع نطاق الخطة فلم تقتصر على قتل الرئيس وحده ، بل اشتملت كذلك على قتل اندرو جونسون نائب الرئيس ، ووزير الخارجية وليام سيوارد ، وكان طريح الفراش من جراء حادث خطير اصيب فيه .

وفي المساء حوالي الساعة الثامنة اجتمع بوث بثلاثة من اصحابه المخلصين ، وحينما عرض عليهم الخطة قال له جورج اتزيرودت : « أيّ قتل ؟ اني لا استطيع القيام بذلك » .

فقال له بوث في شموخ : « انك ستفعل ذلك ، وستقتل اندرو جونسون والا فاني سأرتب الامور بحيث لا يكون هناك أهمية للمسألة ـ قتلته أو لم تقتله .

وخضع جورج اتزيرودت في النهاية ، اما لويس بين فقد ابدى ارتياحه لاقتراب ساعة العمل ، وكان عليه ان يحمل مجموعة من الادوية الى منزل سيوارد ويزعم انها من الطبيب المشرف على علاجه ، ويصعد الى الطابق العلوي ويدخل حجرة الرجل العجوز ويصوب اليه المسدس او يستعمل السكين وكانت العقبة الوحيدة في طريقه انه لم يكن يحسن معرفة شوارع واشنجتن ، ولكن امكن التغلب على هذه العقبة بجعل دافيد هيرولد مرشدا له .

وبقيت مسألة واحدة ، وهي مسألة كيفية الوصول الى مقصورة الرئيس واختيار طريق الهرب . وكانت هذه المشكلة الثانية سهلة وهي ان يرشو العامل الموكل بالمسرح وكان هذا العامل يعرف السيد بوث ممثلا قديرا وينتظر منه المساعدة في المستقبل ، وكان عليه ان يحضر الحصان الذي سيمتطيه بوث بعد قتل الرئيس في السقيفة بالساحة الخلفية للمسرح . ويظهر في الساعة العاشرة .

وذهب بوث الى المسرح فى الساعة الحادية عشرة ليحضر تجربة تمثيل الرواية ويستكمل استعداده لتنفيذ المؤامرة ، ولم يكن فى حضوره ما يدعو الى الريبة ، فهو ممثل معروف ولا بأس فى مشاهدته للتجربة التي يقوم بها زملاؤه من الممثلين . واستطاع ان يتسلل الى ناحيةالمقصورة التي سيشاهد الرئيس منها تمثيل الرواية فى الحفلة المسائية. ولحظ وجود كسر فى مغلاق الباب المفضى الى المقصورة ، واختار اللحظة التي سيلقى فيها الممثل بعض العبارات المضحكة التي تجعل صوت قهقهة الضحك تفوق صوت طلقات المسدس وتخفيها مما يتيح له فرصة الهرب بعد اطلاق الرصاص ، واغتنم فرصة اشتغال الممثلينبالقيام بالتجربة وعمل على توسيع ثقب صغير فى الواح خشب باب المقصورة بحيث يستطيعمن هذا الثقب ان يرى مكان جلوس الرئيس .

ومر بوث على جون ديرى لاخذ التذكرتين حسب وعده ، وجلس بعد ذلك يحتسى الشراب ويحرر رسالة للمخابرات ليبقى اسمه فى التاريخ، واعلن فى الرسالة انه مدبر المؤامرة ، وبالغفىبيان الاسباب التي حملته على تدبيرها . واضاف الى اسمه اسماء اتزرودت وبين وهارولد ، وفى الساعة الثامنة من المساء اخبرهم انه اداتهم بالاشتراك معه فى المؤامرة وانه لا فائدة منالتراجع، ولم يخطر لاحد منهم الاقدام على التبليغ عن المؤامرة قبل حلول الميعاد المضروب ، وعهدبالرسالة الى احد الممثلين لتوصيلها الى الجرائد ، وقد نسى الممثل ان يسلم الرسالة .

ووصل لنكولن ومعه زوجته الى المسرح فى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، ودخل المقصورة ، وفى الساعة التاسعة كان بوث مع عمال المسرح يبادلهم النكات ، ويقدم لهم الشراب ، وتركهم بعد ساعة ثملين لا يستطيعون حراكا ، وضمن بذلك عجزهم عن التدخل فيما يحاوله .

ونال السكر من اتزرودت فلم يفعل شيئا ، وحينما ترك بوث عمال المسرح هاجم لويس بين منزل سيوارد العجوز حاملا الادوية ، وقد دله هيرولد ، على المنزل ووقف في انتظاره ومعه الخيل . واعترض طريق بين خادم زنجي وهو مندفع الى حجرة نوم سيوارد فثار غضب « بين » واشتد حنقه وضرب الخادم الزنجي بطرف المسدس ، ولكنه لم يقتله ، وانطلق الخادم يصيح خارج المنزل طالبا النجدة لوجود قاتل بالمنزل ، واطلق « بين » رصاصة على نجل سيوارد فى طريقه الى الطابق الاعلى وطعن ابنته ، وطعن الرجل العجوز فى اجزاء شتى من جسمه ، ولكنه فى هذه الثورة الوحشية لم يتمكن من ان يطعن طعنة قاتلة . وحينما سمع هيرولد صياح الخادم مستنجدا للقبض على القاتل اعتلى جواد « بين » واسرع للقاء بوث خلف ساحة جسر الاسطولحسب الاتفاق بينهما ، وضل بين الطريق وكان اول من القى عليه القبض من المتامرين .

ونجح بوث فى مهمته ، فقد ذهب حارس الرئيس الكونستابل باركر خارج المقصورة فى الساعة التاسعة ليتناول الشراب مع سائق العربة وخادم الرئيس الخاص ، ولم يكن هناك حارس على باب المقصورة حينما جاء بوث فى الساعة العاشرة والدقيقة الحادية عشرة ، وكان ظهر رأس لنكولن باديا لبوث من الثقب الذى وسعه فى الصباح ، وكانت زوجة الرئيس جالسة على مقعد امامه ، وعلى مقربة منها الآنسة هارس ، وجلس رائبون عن كثب من الرئيس . ودفع بوث الباب فى رفق وهو يمسك انفاسه ، واطلق الرصاصة التي اصابت الرئيس خلف اذنه اليسرى وطعن بالسكين الكولونيل رائبون . وكان بوث يجيد الوثب ، فحاول ان يقفز الى المسرح ، ولكن حينما وثب اشتبك مهمازه فى بعض الزخارف المدلاة . ولم ير احد دخان البارود الازرق ، ولم يسمع صوت اطلاق النار ، لان جمهور النظارة كان مستغرقا فى الضحكات التي اثارتها كلمات الرواية على السنة الممثلين . وهبط بوث المسرح وكسر رسغه قبل ان يلحظ احد ما اصاب الرئيس .

واستطاع بوث ان يخرج من المسرح ويمتطى الجواد الذى كان فى انتظاره مع هيرولد وطوى فى تلك الليلة خمسة عشر ميلا ودافع عن نفسه وقاوم قبل ان يصيبه الرصاص ويخر قتيلا، ودفع سائر المتآمرين من دمائهم ثمن انقيادهم لاوهام ممثل استخفه الغرور ودفعته الأثرة على اغتيال رجل من انبل الرجال الذين عرفتهم الانسانية فى العصر الحديث . ■■

على أدهم

كعيبة الأسلمية

أول ممرضة فى الإسلام

بقلم : سنية قراعة

■ الهدوء يخيم على يثرب الوادعة .. والجلال يسود ربوعها .. والرءوس تتقارب فى اخاء وتفاهم، دون تشاحن ولا بغضاء ولا تذكر بأيام الجاهلية الاولى ، بل حب جمع بين الناس وازال الفوارق القبلية ، وألف بين القلوب ، فاتحدت الافكار ، وصفت النفوس وتعالت عن مستوى الاحداث العادية الى مستويات اجل وارفع شأنا ...

انها لظاهرة غريبة وجديدة فالكل اليوم فى يثرب واحد ... جمعتهم فكرة وهزهم ولا شك حادث جلل ـ التفوا حوله ، لاليتنازعوا ويختلفوا ، ولكن ليتدبروه ويتمعنوا فيه ، والروية رائدهم جميعا ..

لقد تولى الامس بما وقر ... وان انوار الغد المشرق لتتبدى مع الغيب ، وانها لبشارات الجلال والرفعة والسمو لمت فى الحجب الداكنة أضواؤها منذ اصفى نفر من حجيج يثرب الى دعوة محمد بن عبد الله فاستقرت فى احناء القلوب ، وتفتحت لها المهج وارتاحت لسماعها الآذان ...

دين يدعو الى الايمان بالله لارب غيره ، والمعبودات من دونه ضلال ...

وللمرة الاولى يتجمع اوس يثرب وخزرجها ، ناسين يوم بعاث ، واحَنْ الامس الذى تولى وثارات قديمة طالما حالت دون الاخاء والحب بين هذا الحي من احياء العرب الأماجد ... وان يثرب التى جمعتها بالأمس القريب دعوة محمد ، فدخل أهلوها فى دينه أفواجا ، لتستعد اليوم للحادث العظيم لتبدأ به صفحة جديدة فى كتاب حياتها ، فى تاريخ البشر .

لقد جاء الى محمد امر الله ربه ليهاجر بدينه من مكة الى يثرب ... وان الانصار ليشغلهم اليوم حديث الهجرة المباركة ، وحادثها الجلل ، وانهم ليستعدون .. لا لاستقبال المهاجر العظيم فحسب ... بل لاستقبال تبعات الجهاد القادمة معه ، والتى شاءت ارادة الحق جل وعلا ان تجعل من هذه المدينة المباركة ركيزتها ، ودعامة استقرارها ونقطة تجميعها .. ثم انطلاقها فى المشارق والمغارب مبشرة بالحق ، داعية الى الاخاء ...

وان « كعيبة بنت سعد الأسلمية » لتقف بدورها حيث وقفت نساء قومها ، ترقب وتسأل وتتقصى فى لهفة ...

ان محمدا لقادم الى يثرب ، ويثرب تستعد لاستقبال الرجل الذى بايعته على السمع والطاعة . ذلك ما عرفته كعيبة ، كما عرفته معها جميع اليثربيات ...

ولكن كعيبة الأسلمية لم تكن كغيرها ...

كانت رقيقة الحس ، دقيقة الفهم ، لا تأخذ الامور بمظاهرها ، بل تتقصى وتدقق ، ليكون علمها على اساس من المعرفة المدعمة ، وايمانها على بينة واضحة لا تحتمل الايهام او الغموض ،



من اجل هذا راحت اليثربية الشابة تفكر وقد جرها الفكر الى ان تذكر الامس وهى ترقب مظاهر الحياة الجديدة تدب فى موطنها الغالي ...

ان دعوة محمد الامين هى التى صنعت هذه المعجزات كلها ... آخت ... وربطت .. ووحدت الكلمة ... فماذا يحدث اذن لو جاء محمد بنفسه الى هذا الحي من أحياء العرب وعاش بين اهليه !!

تلك كانت الانطلاقة الكبرى فى نظرة كعيبة ولا شك ، وانها لتسائل نفسها ... ترى ماذا سيكون حالنا نحن النساء .. ؟ واين سيكون مكاننا فى التغير الشامل الذى تبدو بشائره .. ؟ وأى عبء ستحمله لتسهم به فى نشر الدعوة بعد ان آمنا بها وصدقنا الرسول العظيم ... ؟

وتفتح قلب كعيبة لاحساس مجهول غمرها بشعور من البشر والاعتزاز ، ووقف بها عند حد الرضا بما حدث و ... انتظار ما سوف يكون ..

وافاقت الانصارية الشابة من احلامها على دوى المزاهر « ولعلعة » الزغاريد ، وتعالت اصوات الفرح ، وراحت ترقب جموع الانصار وهم يسرعون الى مشارف يثرب حاملين الازاهر وسعف النخيل مكبرين مهللين ليستقبلوا المهاجر الحبيب ...

وصاح صائح من اعلى احدى النخيلات ... انه قادم وصاحبه الى جانبه ...

وانطلقت صيحات البشر من اعماق القلوب ، وعلت اصوات الشاديات يغنين ...

طلع البدر علينا
من ثنيات الوَدَاع
وجب الشكر علينا
مادعا لله داع
ايها المبعوث فينا
جئتَ بالامر المطاع

ووجدت كعيبة الأسلمية نفسها تندفع بوجدانها وسط الجموع لتملأ قلبها من فيض النور القادم .

واهلت طلعة سيدنا رسول الله ... وراحت الانصارية المؤمنة ترقب النور يتقدم فى جلال ، فتفتح قلبها للدعوة وصاحبها ، ووجدت نفسها فى خشوع تردد قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عَنِتُم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » ..

وتندت عيناها بالدمع ، معبرة عن هزات الروح، وسعادة القلب الذى راح يهتف فى فورة : مرحبا بالقادم العزيز ، مرحبا بسيد البشر ، مرحبا بالبشير النذير ، مرحبا بالامام الهادى ..

ثم اسرعت كعيبة نحو الحبيب المحبوب ، فاذا بالناقة تنطلق به فى سرعة وتنزل حيث شاء الله لرسوله ان يستقر ، وان يقيم حجراته ومسجده .

كانت كعيبة تلهث ... لا فى ارهاق وضنى .. بل فى راحة وطمانينة ... ووقفت حيث وصلت ، وجعلت ترقب جموع الانصار وهم يندفعون نحو الرسول الكريم مرحبين مبايعين معلنين الطاعة ، والسمع شاهدين انه : لا اله الا الله وحده

لاشريك له ، وان محمدا رسول الله الصادق الامين . واذا بمشاعرها تغلبها ... واذا بها تندفع هى الاخرى الى حيث كان محمد عليه الصلاة والسلام فمدت اليه يدها تبايعه وقلبها عامر بالنور ، ونفسها ناعمة بالايمان ... !!

وهكذا دخلت كعيبة بنت سعد الأسلمية فى العهد ، وآمنت عن صدق ، ثم عادت الى دارها قريرة العين سعيدة ترجو الخير ، وتتطلع الى الغد ، وهى تتصور الأمس لترى على هدى احداثه وصوره ، اى مستقبل ينتظر يثرب واهليها جميعا ...

لقد هاجر محمد بدينه ، وترك وراءه مكة وعبدة اوثانها ، وهم غلاظ الاكباد قساة القلوب ، لن يتركوه ولا شك ، ولا بد انه سيكون بينهم وبينه لقاء وصراع ، على يثرب ان تستعد لهما ..

وتصورت كعيبة ذلك الجهاد المرتقب ، وعلى اى صورة سيكون ، وسألت الله فى اخلاص وحرارة ان يكون لها فى ميدانه مجال ، وان تسهم بنصيب يعادل ايمانها ، وحبها للرسول .

وصح ما تصورته كعيبة وقومها معها ... ولم يكد المهاجر العظيم يستقر فى مدينته المنورة حتى اعلن بدء الجهاد ، وخرجت السرايا المؤمنة تجوب الصحراء وتقطع على قريش طرق تجارتها لتعرف ان محمدا لم يكف عن الدعوة لدينه ، وان هجرته ليست غير بداية جديدة للدعوة نفسها ...

وتطورت الاحداث والحوادث ونزل قول الله بالجهاد الاكبر لنصرة دينه حاملا الى المسلمين البشائر بالنصر والفتوح ...

وخرجت قريش تذود عن باطلها ، وقد وقر فى نفوس سفهائها انهم بجموعهم سيرهبون القلة المعدودة من المسلمين ...

وعلا صوت محمد يدعو الى الجهاد امتثالا لأمر الله ... ودوى صوت الانصار معلنا وقوفهم مع رسول الله ولو خاض بهم « برك الغماد » ، وطلبوا منه ان يمضى بهم الى حيث يشاء ، فهم اهل الحرب وسادتها المغاوير ...

وقال سعد" بن معاذ محدثا النبى : لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثقنا على السمع والطاعة . فامض لما اردت ، فنحن معك ، فو الذى بعثك بالحق،لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر فى الحرب، صدق فى اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » !!

وخرج محمد بين انصاره ومهاجريه ... خرج الرجال ... الرجال ابطال الحرب والطعان ... الرجال وحدهم دون النساء ....

وسألت كعيبة نفسها وهى ترقب الجموع المؤمنة سائرة نحو ماء بدر ...

ترى هل كتب الجهاد على الرجال وحدهم دون النساء ؟! واذا كان قد قدر علينا الا نحمل السلاح ، او نصول ونجول بالسيف وسط الجموع فهل نظل قعيدات الدور ورحى الجهاد دائرة ، ونحن والرجال سواء فى الايمان بدين الله !!

ورأت كعيبة الباسلة ان الجهاد الوان متعددة ، وله ـ عدا السيف ـ الف وسيلة وميدان ..

ووراء الجيش المحمدى ، خرجت حفنة من النساء يحملن الماء للمحاربين ... وفيهن كعيبة ، ثم لمعت السيوف وتهاوت لتصيب اهدافها ... وهنا ... وامام الاحداث ، بدا لعينى كعيبة دورها الذى احبته وارتاحت اليه والى اختياره وهو الدور الطبيعى للمرأة ... دور المواساة والتطبيب وتضميد الجراح ... فاسرعت تتنقل بين الصفوف تأسو وتطبب وتسعف المصاب لترد اليه يقينه ، وتشعره بأن هناك عينا ساهرة ترقبه، وقلبا حانيا يعطف عليه ، ويدا رحيمة تمسح ما يحسه من تعب وارهاق ...

وكتب الله النصر للمسلمين فى « بدر » ودارت الدائرة على قريش ... وعاد المنتصرون الى مدينتهم تشملهم الفرحة الكبرى بتوفيق الله ، وعادت معهم كعيبة ، قريرة العين لأن الله هداها الى طريق جهاد كان عليها بعد ذلك ان تشق سبله ، وتعبّد مسالكه ، وتمضى فيه قدما وهى سعيدة مزهوة بانها استجابت لدعوة الجهاد واسهمت بنصيب فى سبيل نصرة دين الله ..

وانار الله بصيرة كعيبة بنت سعد الأسلمية ، وشاء لها ان تعرف اسرار مهنة التمريض والتطبيب البدائي ، فذاع صيتها ، ونالت فى يثرب شهرة جعلتها مقصد الراغبين والراغبات فى العلاج .

وامام هذا النجاح الذى حققته كعيبة فى مهنة التمريض ، شعرت ان واجب الاخاء الاسلامى يفرض عليها ان تخرج بعلمها الذى حذقته ، تاركة الحيز المحدود الذى كانت تعيش فيه ، الى ميدان الحياة العامة ، ورات الاتقصر نشاطها على اسعاف الجرحى فى ميدان الحرب ، وآثرت ان يكون نشاطها فى كل مجال ومقام وان يكون عملها الانسانى الرحيم على نطاق واسع وان يستمر فى وقت السلم ، وبنفس الهمة والاخلاص اللذين عرفا عنها فى زمن الحروب ...

ومن اجل هذا انشات كعيبة ـ وفى حدود علمها واخلاصها ـ اول « عيادة » للتمريض جعلت مقرها مسجد سيدنا رسول الله ، فاقامت فيه خيمة ، كان يتردد عليها المرضى فى اى وقت يشاءون وفيها كانت تمارس عملها فى علاجهم .

وهكذا كانت كعيبة اول ملاك رحيم يحوم بالحنان والحدب فى سماء يثرب ، وبين نساء العرب جميعا فذاع صيتها بين الناس ، واستطاعت بذكائها وخبرتها واخلاصها ان تحرز نجاحا جعلها موضع الثقة والاعزاز ...

وشهدت كعيبة بنت سعد موقعة « أحُد » الى جانب اخت لها فى الاسلام هى « نسيبة » ام عمارة ، التى جاهدت بالسيف ووقفت تذود عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فسجلت كلتا المرأتين المسلمتين للمراة خلودا ومقاما لم تتطاول اليهما الكثيرات ...

وعادت كعيبة من « احد » لتجد امامها مزيدا من التبعات ومزيدا من العمل فاتسعت الخيمة وكبر مقام صاحبتها المرضة المسلمة الاولى واصبح اسمها على كل لسان ...

وزحفت الاحزاب الى يثرب ، واسرع المسلمون يحفرون « الخندق » حول مدينة رسول الله ، وخرج المجاهدون الى الميدان لنصرة الحق الصراح ... وطبيعي أنيكون مقام كعيبة الباسلة بين صفوف المحاربين ..

ودارت رحى المعركة ... واحتدمت نيرانها ، وغدر يهود « بني قريظة » بعهدهم مع محمد ، وحالفوا الاحزاب عليه ، وتفاهموا معهم على فتح حصونهم لمهاجمته من موضع يتفادون منه « الخندق » . ويصلون بذلك الى قلب يثرب ليتم القضاء على مقاومة المسلمين ...

وكان « بنو قريظة » حلفاء سيد الانصار سعد بن معاذ ، فاسرع اليهم يحذرهم مغبة الغدر ويدعوهم الى الاستمساك بحلف المسالة والحيدة مع رسول الله ، فردوه ردا قبيحا وتطاولوا عليه ، وسخروا منه وهو يهددهم بالانتقام السريع مؤكدين له ، ان الاحزاب سوف تقضى على محمد هذه المرة ولن تقوم للمسلمين قائمة بعد اليوم ...

وعاد سعد بن معاذ الى مكانه فى الخندق وفى قلبه حقد على الغادرين ...

واستمرت الحرب ، وطال امدها ، ولا جديد يتم فى الميدان ، فالاحزاب حيث هى بجميع السهول والمسلمون مكانهم وراء الخندق ...

وساد الميدان فجاة بعض النشاط ... وتعالت صيحات الحرب ... وتبادل الفريقان رمى السهام وفجاة دوت صرخة" رهيبة ، وصاح المسلمون ... لقد اصيب سعد" بن معاذ !!

واسرعت كعيبة الى سيد الانصار وكشفت عن جرحه ... سهم ريش بأعلا الصدر ، ودماء غزيرة كانت تنزف منه ...

واقبلت كعيبة تعالج جراح المؤمن الباسل الذى كان يلهث فى ضيق ، ويضرع الى الله فى حرارة ، ويدعوه فى ايمان ... لا ليرد عنه موتا يعرف انه نهاية كل حى .. بل ليبقيه ان كانت للحرب بقية حتى تقر عينه بدحر بنى قريظة الغادرين !!

والهم الحقُ سبحانه كعيبةَ المؤمنة ما تصنع بجرح سيد الانصار ، وراحت فى حذق ترعاه لتوقف نزف الدماء ، وتدفقها من الجرح . ولم تمد يدها الى السهم المستقر فى الصدر المؤمن الجرىء بل تركته حيث كان ، ليكون شبه سد طبيعي يحول دون المزيد من انبثاق الدم العزيز ..

وبقيت كعيبة الى جانب سعد بن معاذ ، تواسيه وتشجعه وتؤكد له ان نصر الله قريب .

ووجد سعد راحته فى ايمانه ورعاية كعيبة ، واحس ان القدرة الرحيمة قد استجابت له فاسلم امره الى الله ، وجرحه الى كعيبة ..

وارسل الله على الاحزاب ريحا وجنودا لم

بروها ... وبدات الطبيعة الزمجرة تحارب في صف المسلمين ضد اعداء الله ، فسادهم الهرج والرعب ، ولم تلبث الاحزاب ان ولت الادبار .

ونصر الله عبده .. وهزم الاحزاب وحده ... وقضى على مناصروهم.وأبى جلت عظمته وتعالى جلاله سبحانه ، الا ان يحقق دعاء « سعد بن معاذ » ساعة اصيب في الخندق فاذلّ مواليه القدماء ناكثي العهد ، وجعله يراهم قبل موته وهم يساقون الى القصاص اذلاء محتقرين .

وافاق سعد من غاشيته على تكبير المسلمين وهم يقولون : الله اكبر ... الله اكبر ... الله اكبر ... نصر عبده ، واعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده ... فابتسم في رضىً وراحة ، ونظر الى كعيبة كمن يوصيها بالجرح العميق !!

وفي غمرة النصر ... وفرحة المسلمين بهزيمة الاحزاب علا صوت رسول الله يأمر المسلمين بالتجهز ، وان يصلوا العصر في بني قريظة !!

وتحرك المنتصرون لاحراز نصر جديد ، وأبى سعد بن معاذ الجريح الا ان يكون بين المجاهدين .. وفي مقدمتهم ، فاجيب الى طلبه وبقيت كعيبة الى جانبه تمرضه وترعاه ....

وكتب الله النصر للمسلمين ، وادخل الرعب في قلوب اعدائهم وانزلهم من حصونهم ، وسقاهم صاب الهزيمة وعلقهم الخسران ...

وحلت ساعة الحساب .... وسيق الغادرون الى القصاص فبكوا وصاح سيدهم كعب بن اسد. يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون الحكم فيهم الى مولاهم سعد بن معاذ .

ورضي الرسول ، ونزل على مشيئة يهود ... واسترد سعد وعيه لحظة قال فيها انه يحكم بقتل المقاتلة ، وسبي النساء وتقسيم الاموال ...

وهلل المسلمون وكبروا ، اذ رضي رسول الله بالحكم العادل ، وقال انه حكم الله ... وسيق المجمون الى النهاية .....

ورفع سعد الى الله وجهه شاكرا ، لانه ابقاه حتى اقر عينه باندحار بني قريظة .. ثم انفجر جرحه القديم .. فانتقل الى الرفيق الاعلى قرير العين ، وصعدت روحه الى بارئها ، وهي تشعر بالراحة والرضا مات بين يدي كعيبة الاسلمية وامه التي راحت تبكيه احر بكاء ....

وقد كان حزن امه عليه شديدا ، فقالت تبكيه يوم حمل نعشه :

ويلُ امِّ سعدٍ سعدا
صرامةً وحدا
وسؤددا ومجدا
وفارسا معدا
سد به مسدا
يقدُّها ما قدّا !

فقال لها عمر : انظري ما تقولين يا ام سعد .

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« دعها يا عمر .. كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ » !! .

وعاد المسلمون الى مدينة رسول الله ، وعادت كعيبة الى خيمتها تاسو وتداوي وتطبب وتستجيب لداعية الجهاد كلما علت رايته ، وسارت الجموع المؤمنة لاحراز نصر جديد ، وتحرك المسلمون الى خيبر ليقضوا على اليهود ويجلوهم عن الديار ، فلا مقام لهم فيها وهم بذور الشر وراس الفساد ...

ومع جند الله سارت كعيبة الاسلمية ... وبروح الجد والاخلاص راحت تعمل وتمرض الجرحى وتشفي الشاكين حتى اتم الله النصر للمسلمين فاستولوا على حصون خيبر حصنا بعد حصن ، واذاقوهم الهزيمة والخزي والعار ، وأفاء الله عليهم اموال العدو المطرود وما غنموه منه ..

وسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اراحه الله من يهود ومؤامراتهم .. ووقف يشهد جموعهم الذليلة وهي تجلو الى الابد عن ارض العرب ثم ... راح يوزع الفيء ..

واخذ كل مجاهد سهمه ونصيبه ... وقسم رسول الله للمجاهدة كعيبة فاعطاها سهم رجل !!. لانها بذلت في الميدان من نفسها وقلبها ومشاعرها ما ينوء بحمله الكثير من الرجال ..

وتقبلت كعيبة سهمها راضية شاكرة قريرة العين ... وزادت ثقتها في نفسها ، وتضاعف ايمانها بقدرة بني جنسها على الجهاد ، وبأن الدين القيم لا يفرق ابدا بين العاملين والعاملات .

■■

سنية قراعة

اللغة : انتجت الفكر العميق المديد
وانتجت المجتمع الانساني الواسع

سيكولوجية اللغة

اللغة لغتان

لغة بصرية (الاشارة والحركة والكتاب
ولغة سمعية (لغة الطبل والمزمار وال

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ يعرف علماء النفس اللغة بانها مجموعة اشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور ، أي عن حالات الانسان الفكرية والعاطفية والارادية ، ومعنى ذلك ان اللغة ـ أية لغة ـ اشارات يطلب الانسان بواسطتها ما يريد ويعبر بها عن افكاره ويفصح بواسطتها عن انفعالاته .

ومفهوم مما تقدم اننا وسعنا مفهوم اللغة لتدل به على جميع انواع اللغات وما لغة الكلام الا واحدة من هذه اللغات . ولذلك كان من المفيد في سبيل الحصول على فكرة واضحة عن اللغة ان ندرس :

(١) الاشارات .

(٢) ومن بين الاشارات ندرس اللغة عامة .

(٣) ومن عداد اللغات ندرس لغة الكلام دراسة مفصلة لانها أهم اللغات البشرية .

على انه من المفيد ان نشيرها هنا الى ما يجمع عليه علماء النفس من ان تفوق الانسان على الحيوان مردود بالدرجة الاولى والاهم الى تمتع الانسان بالقدرة على التعبير عن افكاره بالكلام واعتقادهم بان نمو الذكاء رهين بنمو اللغة عند الطفل ، وانه بالتالي يشترط النمو اللغوى من أجل النمو العقلي . وقد سبق ان ألمحنا الى هذا كله في حديثنا المنشور في مجلة العربي القراء عن نمو الذكاء .

ما هي الاشارة ؟

الاشارة ـ اى اشارة ـ حادث ظاهر يدل على حادث خفي ، وهكذا ففي الدخان الذى ارى اشارة الى وجود النار التى لا ارى ، وفي الحمرة التى تعلو وجنتي فتاة اشارة لانفعالها الـذى

لا اراه وانما استنتج وجوده . والجملة التى اسمعها تصدر عن شاب اشارة الى فكرة يعبر عنها او ارادة يمليها .

وهنا نلاحظ الآلية السيكولوجية التى تكمن وراء الاشارة ، فالاشارة ــ كما هو ملحوظ ــ توقظ استجابة . وهكذا فالحصان يرفع قائمتيه الاماميتين حين يُرفع عليه السوط ، رفعه اياهما حين تقع عليه الضربة . ثم ان الاشارة توقظ فكرة فملاحظة الدخان تبعث فى النفس فكرة وجود النار ، وما ذلك الا لان الدخان اقترن فى النفس البشرية بالنار ، وكان ثمة محاكمة سريعة استنتاجية تجرى فيقول الانسان لنفسه ــ وان لم يقل ــ « لا دخان بلا نار ، وبما انى ارى دخانا فانه لا بد ان يكون ثمة نار » .

وتفسير الاشارات ــ المرئية منها او المسموعة او المشموعة او غير ذلك ــ عمل هام من اعمال العقل البشرى والحيواني ، تزيد اهميته على اهمية اللغة نفسها . فالحياة العقلية كلها قراءة للاشارات . فالادراك تفسير للاحساس وهو الاشارة الخارجية ، والمعرفة العلمية تفسير للحوادث الظاهرة بوصفها اشارات لاخرى خفية ، وهذا ما يفعله الطبيب الذى يرى او يسمع او يشم عوارض وظواهر يفسرها كدلائل على وجود كذا او كذا من الامراض . وقل الشيء نفسه عن عالِم الطبيعة او الكيمياوى او المهندس او غيرهم .

ولنذكر ــ بعد ذلك ــ ان الخطأ انما يحصل فى تفسير الاشارة . فالطبيب قد يلاحظ الاعراض ولكنه لا يحسن تفسيرها فيخطىء فى تشخيص المرض ومثله العالم ــ اى عالم ــ . والخلاصة فان شرط البشرية المعرفة بالاشارات والله وحده هو الذى يعرف الاشياء بحد ذاتها ، اما نحن فلا نستطيع اكثر من الاستقراء والاستنتاج .

اللغة

الاشارات ــ اذن ــ هي العناصر المكونة للغة فما هي الخصائص الواجب توفرها فى الاشارات لكي تكون عنصرا من عناصر اللغة ؟ فى الجواب عن هذا السؤال لا بد من ملاحظات ، اهمها :

اولا : لكي تكون هناك لغة يجب ان يكون الشيء المعني حالة شعورية كانفعال او فكرة او رغبة ، فالدخان لا يصبح لغة الا اذا قصدنا ذلك اى اذا اوجدناه نحن لنجعل منه علامة وحينئذ يصبح دليلا على ارادة وبالتالي لغة حقيقية . وكذا اذا اتفقت مع شخص آخر بانك ستشعل له النار وتطلق الدخان اذا كانت الظروف مناسبة للهجوم، ثم رأى الدخان فانه يفهم منه انك تريد ان تقول له ما كنت قد اتفقت معه عليه .

ثانيا : يجب ان تحصل الاشارة عن قصد وتصميم لكي يكون لها معنى وتصبح لغة . فصراخ الطفل الرضيع مثلا حين لا يكون الا مجرد رد فعل سببه الجوع ليس لغة بالمعنى الصحيح وان كان اشارة تدل على الجوع . بيد ان هذه الصرخة نفسها تصبح لغة حين يعيدها الطفل ليدعو أمه ، اى حين يأمر امه بالحضور .

وهنا نلاحظ ان الكثير من الاشارات التى اصبحت لغة انما تكون طبيعية فى البدء ثم يقلدها الانسان ويجعل منها جزءا من لغته .

وينتج عن هذا ان اللغه لا يمكن ان تتكون الا من اشارات يستطيع الانسان احداثها بارادته (اى متى اراد) ، وهذا هو السبب فى ان اللغة تتكون فى المعتاد من حركات واصوات فقط .

واللغات المكونة من حركات (او اللغات البصرية) على انواع ثلاثة هى :

لغة الاشارات .

ولغة الحركات الناتجة عن الاشياء المادية ، كلغة السيمافور .

وأخيرا الكتابة وهي أهمها .

اما اللغات المكونة من اصوات (او اللغات السمعية) فتحتوى على اشارات تحصل عليها بقرع الطبل او رنّ الجرس او النفخ فى البوق او الصفارة او غير ذلك ، لكن اهمها هي لغة الكلام التى سنقف عندها وقفة طويلة .

وهكذا تكون اللغة ارادية بالتعريف . فما القصد الكامن وراءها ؟ وما فائدتها ؟ .

فائدة اللغة فى الاصل هى دفع المخاطب للعمل، فالطفل يتكلم ليستقدم امه وليحصل منها على ما يريد . والانسان الابتدائي استعمل لغته الاولى، كائنة ما كانت ، ليستنجد او ليدل على اقتراب

العدو أو القنيصة. وانت تتكلم اليوم لتأمر وتنهى وتحصل على أعمال مختلفة ، ولو لاحظت كلامك طوال يومك لهالك القدر الكبير من أفعال الامر الذى تستعمل وان كنت أحيانا تغلفها بغلافات مهذبة من مثل : من فضلك وأرجوك وسواها .

وفيما بعد تطور الأمر فاصبح رغبة فى اثارة فكرة عند سامعك أوقارئك وحتى فى هذا الحال فانك تدفع الى نوع من العمل ، انك حين تشرح فكرتك للشخص الجالس اليك وتحاول اقناعه بصحتها انما تدفعه الى موافقتك واتخاذ وجهة نظرك والتصرف وفقا لذلك .

الكلام

تستحق لغة الكلام ـ دون سائر اللغات ـ دراسة خاصة نظرا لاهميتها البالغة فى الحياة والفكر البشريين . وتتكون لغة الكلام من أصوات يحدثها الجهاز الصوتي للانسان ، ذلك الجهاز المؤلف من منفاخ (الرئتين) وقصبة الهواء والحنجرة وما فيها ، ومنها الحبال الصوتية ، وما يأتي بعد من الحنجرة واللسان والاسنان والشفتين .

على أنه لا بد لنا قبل المضي فى الحديث عن لغة الكلام من الاشارة الى أن اللغة الكلامية كائن حي ، فالكلمة تولد وتتطور وتتغير وتموت . أما ولادة الكلمات فأمر واضح لايحتاج الى برهان ، واللغويون يعرفون تاريخ ميلاد الكلمات ويدلون على نسبها (مصادرها) ، فهي قد تؤخذ عن اللغات الاخرى أو تنحت من اللغة نفسها أو تؤخذ عن العامية . كما انالكلمات تتطور وهذا التطور يستحق ان يكون موضع ملاحظة ودرس ، فقد يكون سبب التغيير خطأ ارتكبه فرد أو جمهور ، وقد يكون سببه توسيع معنى كلمة ما او تضييقه او نقله من شيء الى آخر قريب منه أو تبديله او قصره على بعض مدلوله أو غير ذلك من الاسباب . واخيرا فالكلمات تموت أى يبطل استعمالها وذلك لاسباب عدة اجتماعية أو غير ذلك . وجدير بالذكر ان ما قلناه عن الكلمات صحيح بالنسبة للصيغ التى تولد وتتغير وتموت ايضا .

وللغة الكلام قدرة على التعبير لامثيل لها ، وهى لهذا السبب ، وبالاضافة لاسباب اخرى ـ من مثل امكان استعمالها مع وجود العوائق كالظلام مثلا وعدم اعاقتها لحركة اليدين وغير ذلك ـ تحتل المكان الاسمى بين اللغات .

انها لاتثير الافكار فحسب بل تحتوى على عناصر تعبيرية أربعة لا بد من الاشارة اليها ، فهي :

(١) تدفع الى العمل برغم كل الكياسة التي قد يتذرع الانسان المتمدن بها لاخفاء ذلك .

(٢) وهى توجه الانتباه الى الصفات العامة اى تكون المفهوم،وما المفاهيم الا كلمات (عروبة ، انسان ، شجرة ، حق ، جمال ، عدل الخ ...) ،

(٣) وهي تثير حالات ذهنية ونفسية معقدة مما يجعلها تملك قدرة ايحائية عجيبة فكلمة ما تحزننا وأخرى تفرحنا وثالثة تقتلنا .

(٤) وهي تملك عنصرا موسيقيا هاما جدا يجعل الكلمة دعابة حبيبة او اهانة بالغة وذلك وفقا للهجة التي تلفظ بها الكلمة او الجملة وما تدل عليه هذه اللهجة من تحبب او مهاجمة او ثورة او قرف .

علاقة اللغة بالفكر

سبق ان اشرنا فى مطلع هذا المقال الى ما يعتقده علماء النفس من أن اللغة ـ ولاسيما لغة الكلام ـ هي سبب تميز الانسان عن الحيوان وتفوقه عليه وربطهم بين نمو الذكاء والعقل والنمو اللغوى .. وهنا نلاحظ أن اللغة واسطة للاتصال اولا . ومساعد للتفكير ثانيا . وسنحاول ان نشرح ذلك باختصار .

اللغة واسطة اتصال

وهذه هي وظيفتها الاولى والأهم اذ انها تفيد فى نقل الافكار من نفس الى اخرى . وهنا يكفي ان نقف عند خصائص ثلاث للغة :

اولا : انها تفيد فى صوغ الاوامر اى الدعوة للعمل وهذه هي وظيفتها الاصلية . واذا كان من غير السهل ان تبرهن على ان الكلمات الاولى التي استعملها الانسان البدائي كانت اوامر فان ذلك يبدو شديد الاحتمال ، وفى كل حال فان كلام الطفل اكثره اوامر وكذلك جل كلامنا اوامر تختلف درجة صراحتها . ان هناك الاوامر

الواضحة الصريحة التي تلقي بها مئات المرات يوميا ، وهناك النصائح والصلوات والادعيــة التي لا تزيد عن انها اوامر فيها لباقة وكياسة ، والسؤالات نفسها اوامر ، وقل الشيء نفسه عن التأكيدات التي لا تزيد عن كونها اوامر موجهة لسامعينا لكي يوافقونا على ما نقول .

ثانيا : تصل اللغة بين الاجيال المختلفــة فبواسطتهـا ينتقـل رأس مال البشـر العقلـي والحضاري من السلف الى الخلف ، والكنوز التي جمعها الاجداد من علوم ومعارف ومناهج وتصنيفات وقواعد اخلاقية ودينية تنحدر الينا بواسطة اللغة ، ومفهوم طبعا ان لغة الكتابة هي الشكل المفضل بهذا الخصوص . وهنا مجـال للتأمل عظيم : لو تساءل احدنا عما يبقى له لو حرم من تراث البشرية لرأى انه قد لا تبقى له الا الحياة الحيوانية ، وفي هذا عبرة ومدعاة للتواضع وعرفان الجميـل .

ثالثا : غير ان اللغة قد تكون مانعا من الاتصال الحقيقي بين الكائنات ، هناك مثلا الدور الـذى يلعبه الكذب في منعه الاتصال الحقيقي المخلص بين الناس ، والتهذيب نفسه يصبح احيانا حجابا كثيفا لعواطفنا ، ثم ان الكلمة كثيرا ما تبتذل ولا تعود تحمل معناها الحقيقي ، الم تر الى كلمات تستعمل على ألسنة الناس استعمالا ارعن لا يبقى لها من معناها الأصلي شيء ؟ ! انظر الى كلمـة ككلمة (فظيع) يستعملها الناس دون انتبـاه الى معناها الحقيقي حتى ليستعملونها مـرات ليدلوا بها على الجمال الباهر او العظمة الخالدة ! واخيرا فانه من النادر ان يكون للكلمة نفسها المعنى ذاته عند انسانين مما يجعل من المستحيل عليهما ان يتفاهما تفاهما صحيحا بالرغم من صدق نية كل منهما واخلاصه ، وسوء التفاهم هذا يتجلى حين يكون المتخاطبان من نموذجين عقليين مختلفين .

اللغة مساعدة على التفكير

ثم ان اللغة مساعد للفكر ويتجلى لنا هـذا الأمر اذا فكرنا في المسائل الثلاث التالية : عـدم امكان فصل اللغة عن الفكر ، وتوضيح اللغـة للفكر ، والصلات الناشئة عن اللغة .

١ ــ لقد تساءل علماء النفس عما اذا كان مـن الممكن وجود فكر بدون لغة ؟ ! وكان جوابهـم انه اذا كان من الممكن ــ نظريا على الاقل ــ وجود فكر ابتدائي بدون لغة ، فانه من غير الممكن وجود فكر وتفكير حقيقين عميقين بدون لغة . واذا كان المجال لا يتسع لبسط نظريات العلماء واقوالهم في هذا الصدد فلا اقل من ان نشير الى تأكيـد العلماء بان التفكير في المستوى الحسي قد يكون ممكنا في حالة عدم وجود اللغة ــ كما هو الحال عند الحيوانات ــ اما التفكير التجريدي الحقيقي فلا بد له من اللغة .

وهنا نحب ان نلاحظ ان التفكير معناه التحدث الى النفس او الى الآخرين ذهنيا . ولقد دلت الملاحظة العلمية على ان الحبال الصوتية والجهاز الصوتي كله يعمل اثناء التفكير . وهنا لا بد مـن ان نقف قليلا عند اعتراض يقول بان ثمة افكارا لا نستطيع التعبير عنها ، اننا نبحث عبثا عـن كلمات تعبر عن بعض افكارنا فلا نجد مثل هـذه الكلمات ، وفي هذا دليل ــ في رأيهم ــ على وجود افكار بدون كلمات ! وجوابنا على هذا الاعتراض انه كثيرا ما يخيل الينا اننا نملك فكرة لا نستطيع التعبير عنها في حين ان الواقع هو اننا نبحث عن الفكرة ولا نملكهـا . هذه واحدة والاخرى انـه يحدث احيانا ان نملك فكرة دون ان نستطيع التعبير عنها وهنا يكون الذى ينقصنا هو اللغة الاجتماعية، اللغة التي يمكن نقلها الى الآخرين ، ذلك بانه لكل منا لغتان : لغته الخاصة واللغة العامة التـي يتكلمها . واللغة الخاصة بالانسان الفرد تتألف عادة من اختصارات سريعة وافكار مقتضبة لا بد من ترجمتها الى اللغة العامة اذا اردنا لها ان تكون مفهومة من لدى الآخرين ، وهذا هو الأمر الصعب او المستحيل احيانا .

٢ ــ لو اردنا ان نلخص الخدمات التي تقدمها اللغة للفكر في صفة واحدة لقلنا انها توضحه ، انها توضح الفكر لأنها تسمح بالتجريد ولولا الكلمـة لما امكن التجريد . ثم ان الكلمة تثبت الفـكرة وبدونها يبقى الفكر غامضا مضطربا . والكلمـة بعد ذلك تحدد الفكرة وتحللها وهذه كلها خدمات جلّى للفكر يستحيل التفكير بدونها .

٣ ــ على ان ثمة اخطارا وضلالات تنشأ عـن اللغة . هناك مثلا خطر التفكير بالكلمات فقط ، الببغائية (ترديد الكلام دون ادراك معناه) وخطر الكلام الفارغ . ثم هناك خطأ مصدره الاستعمال

الخاطىء للكلمات واللغة ، هناك الالتباس وهناك بعد ذلك اخطاء وضلالات مصدرها طبيعة اللغة .. اية لغة .

ضلالات مصدرها اللغات

ومن اهم هذه الضلالات ما يلي :

ضلال الهوية : ان ثبات الكلمة يجعلنا نعتقد بثبات الاشياء انفسها خلال الزمن ، ولعل احسن مثال على ذلك اسم العلم فهو سبب توهمنا بان الكائن ثابت (هو هو) لم يتغير مع الزمن ، مع ان العكس هو الصحيح . خذ مثلا كلمة (دمشق) ، ان دمشق التى كانت تحمل نفس الاسم فى فجر الاسلام قد تغيرت منذ ذلك الحين تغيرا كبيرا ، بل انها تغيرت منذ عشر سنوات حتى الآن ومع ذلك فانه يصعب على الواحد منا ان يظن انها اليوم غير ما كانت عليه آنئذ .

ضلال التفريق الفاصل : تفرق اللغة بوضوح بين الصحة والمرض ، مع ان هناك كل الدرجات بينهما فانت قد تكون مريضا بعض الشيء ، نصف الشيء (ان صح التعبير) ، مريضا جدا واللغة عاجزة عن مثل هذا التفريق ، وقل الأمر نفسه عن العقل والجنون ، الصدق والكذب الخ ...

ضلال المادية : لقد وضعت الكلمات فى الاصل للدلالة على اشياء مادية واعمال تحقق بهذه الاشياء ولذلك فهي تحتفظ بشيء من هذه الصفة القديمة وتنقل مظهر المادية هذا الى كل ما تتصل به . وهذا هو السبب فى تمثل الكثيرين من الناس الذاكرة على انها مخزن ذكريات ! واذا كانوا اكثر ثقافة حسبوا ان الذكريات تختزن فى الحجيرات الدماغية !

ضلال الحقيقة : اننا لا نكاد نسمع اسما حتى نحسب وجود كائن ، وهذا هو الضلال البشرى الخالد . وهكذا يظهر الحظ ـ مثلا ـ لمعظم الناس قوة حقيقية كما تظهر الجاذبية وكانها قوة خبيئة فى المغناطيس !

اما بعد

اما بعد فهذه دراسة عاجلة ناقصة لسيكولوجية اللغة احببت ان اقدمها للمشتغلين بالكلمة لعلهم يجدون فيها عونا على فهم اللغة واستكناه سر الكلمة فاذا استطاعت ان تفتح عيونهم على اشياء تهمهم وتساعدهم كان ذلك حسبي والا فان عذرى اني اجتهدت .... ■■

فاخر عاقل

حال العشاق

قال قائل :

وما في الأرض اشقى من محب
وان وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا في كل حين
مخافة فرقة او لاشتياق

فيبكى ان نأوا حذرا عليهم
ويبكى ان دنوا خوف الفراق

وتسخن عينه عند التنائي
وتسخن عينه عند التلاق

دردشة





الضرائب تاتي على المليون دولار التي خلفتها مارلين مونرو

● النجمة السينمائية المعروفة ، مارلين مونرو انتحرت وماتت في غضون صيف عام ١٩٦٢ . ومع ان التركة التي خلفتها لورثتها قد بلغت نحوا من مليون دولار ، اوصت بتوزيعها على ذويها وخاصة امها التي كانت من نزلاء مستشفى الامراض العقلية منذ حين ، فان احدا من اولئك الورثة لم ينعم ولو بجزء مما اوصت له به الممثلة المشهورة قبل وفاتها .

فقد بلغت الضرائب المستحقة الاداء التي تخلفت الممثلة المذكورة عن دفعها في حينها ١٥٠,٠٠٠ دولارا تقريبا اى ما يعادل قيمة الدخل الذى تحقق لمارلين بعد وفاتها بما في ذلك مرتباتها التي لم تقبضها وقيمة الاشرطة والافلام التي ابتاعتها منها مصالح التلفزيون الخ ..

اضف الى ذلك الضرائب الحكومية المستحقة سواء منها العائدة لحكومة ولاية نيويورك او لحكومة واشنطن المركزية وسواء منها ضريبة الدخل او ضريبة الميراث او غيرهما مما لا يعد ولا يحصى من الضرائب قد بلغ مجموعها ٩٠٠,٠٠٠/- دولار ! فضلا عن ذلك فان عددا من الدائنين يطالبون بدفع ديون لهم على الممثلة الراحلة بلغت قيمتها ١٧٣,٠٠٠ دولار . وهكذا تلاشت تركة المليون دولار التي خلفتها مارلين مونرو . ومما يذكر ان احد المحسنين الاميركيين قد تبرع بما يكفي لعلاج ام الممثلة فضلا عن نفقات معيشتها الاخرى دون ان يسمح بذكر اسمه .

الحياة كما تنظر اليها

كتب احدهم الى امه معربا عن حيرته وتشاؤمه قال : « ما قيمة هذه الحياة يا اماه والمرء مكره فيها على الاخذ باحد احتمالين لا ثالث لهما . فهو اما ان يقول الصدق فيغضب سائر الناس او ان يعمد الى الكذب فيغضب الله عز وجل . فالانسان محكوم عليه اذن اما باغضاب الله او باغضاب الناس » . واجابته امه على ذلك بقولها : « ما تقوله صحيح ولا يحتاج الا الى تعديل ضئيل في التعبير . فالانسان مكره كما تقول على الاخذ باحد الاحتمالين اللذين تذكر ، وهو مضطر اما الى قول الصدق او الكذب . ولكن الا ترى بانه اذا لجأ الى الكذب ارضى الناس واذا قال الصدق ارضى الله سبحانه وتعالى ، وان حيرته انما هي بين رضى الله ورضى الناس ، وان الحياة بالتالي ذات قيمة كبيرة » .

دهاء ...

● كان الوقت ليلا ، حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، حينما انطلق احدهم بسيارته يقودها في الاتجاه المعاكس ، مخالفا بذلك قوانين المرور المرعية . لعله كان ثملا قليلا او لعله كان حديث العهد في قيادة السيارات . فقد كان في طريق عودته من حفلة كوكتيل اقامها احد اصدقائه ولم يكن حائزا على رخصة قيادة السيارات . وان هي الا دقائق حتى فوجىء بشرطة النجدة تلحق به . وبسرعة البرق ، وقبل أن يستوقفه رجال الشرطة لاستجوابه واصطحابه الى المخفر للتحقيق معه تبين الخطأ الذى ارتكبه والعواقب الوخيمة التي تنتظره . اذ ان خرق قوانين السير على هذا النحو

الفلسفة خير أو شر لا بد منه

✻ قال احد الفلاسفة :

« لا مفر من الفلسفة . فان كنت من انصارها وجب عليك التفكير الفلسفي لتبرير نصرتك لها واقناع الغير بمناصرتها . وان كنت من خصومها ، وجب عليك اقامة المبررات لموقفك هذا ، ولا سبيل الى هذا او ذاك الا بالتفكير الفلسفي ايضا ! » .

التنويم المغناطيسى في المدارس

✻ بدات اليابان فى الافادة من التنويم المغناطيسى فى بعض مدارسها الابتدائية فقد تبين ان قدرة الطلاب على فهم الدروس وحفظها تزداد عن طريق هذا التنويم . فضلا عن ذلك فان معهدا خاصا للتنويم المغناطيسى قد انشىء فى اليابان لمساعدة رجال الاعمال على التخلص مما يعانون من ارهاق واعياء . فقد ثبت ان ذلك اقرب منالا بواسطة التنويم المغناطيسى .

الابناء والاباء



✻ يقول اوسكار وايلد (Oscar Waild) : « النساء ، كل النساء ، سرعان ما يصبحن نسخة طبق الاصل عن امهاتهن . تلك هي مأساتهن . أما الرجل فليس عرضة لمثل ذلك . وتلك هي مأساته ! »

ويقول ايضا : « يعمد الاطفال منذ البدء الى حب آبائهم . ثم يأخذون فى الحكم عليهم بعد فترة من الزمن . بيد انهم لايعفون عنهم الا فى النادر ، وقد لا يعفون عنهم على الاطلاق » .

وسذاجة !

الفاضح كفيل بقضائه بقية الليل فى المخفر ريثما يحين موعد دوام الضباط المسؤولين فيحكموا عليه بغرامة قد تجاوز الثلاثين دينارا . اما عدم حيازته على رخصة القيادة فكفيل بمضاعفة تلك الغرامة . واما احتمال اعتباره فى حكم السكران فوق هذا وذلك فمن شأنه تحويل الجنحة الى جناية والحكم عليه بعقوبة اخرى فضلا عن الغرامة . لذلك كله وبسرعة البرق ايضا قرر صاحبنا التصرف على نحو يخرجه من هذا المأزق وينجيه .

قال احد رجال شرطة النجدة :

« حسبك يا هذا خرقا للقوانين ! من انت والى اين انت ذاهب ! هات رخصة قيادتك ودفتر سيارتك ؟

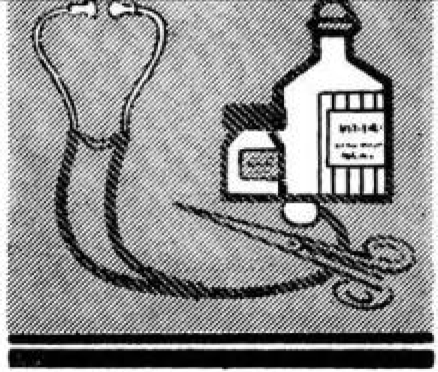
فاجاب صاحبنا بلغة انجليزية سليمة وكأنه لا يعرف العربية وقال ما معناه :

« ماذا تقولون ؟! تكلموا باللغة الانجليزية رجاء ! »

ابتسم رجال الشرطة حينئذ وقال احدهم للآخر « الم اقل لك انه انجليزى حديث العهد ببلدنا وقوانيننا ، اعتاد السير على اليسار وفق القوانين المرعية فى بلاده !! » .

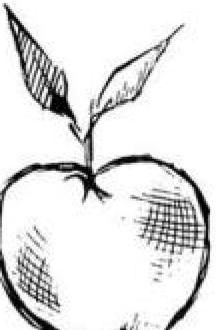
وهكذا انتهى المشهد بتبادل التحيات والابتسامات والمجاملات واسدل الستار بارشاد صاحبنا الى الجانب الايمن من الطريق لينطلق فى سبيله معززا مكرما بدلا من اقتياده الى مخفر الشرطة ليقضي بقية ليله فيه .

طبيب



التفاحة اذا أعطبت ، هل آكلها

● عندما آكل تفاحة أو برتقالة أو شيئا من الفواكه ، اجد بها جزءا معطوبا ، ويعز عليّ أن أرمي بالثمرة كلها لهذا أنا أقطع منها الجزء المعطوب. وآكل باقيها . فهل في هذا ضرر على الصحة ؟ أعني هل العطب سرى من حيث لا يدري الانسان الى سائر جسم الثمرة وأصبح ضارا ؟ .



ـ لا ، لا ، كل من غير المعطـوب ولا تخشَ شيئا ، سواء أكان ذلك من تفاحة أو برتقالة ، أو كان من الخضروات . لا ضرر مطلقا ، الا في حالات نادرة جـدا لا تتصل بالساري الجاري من المأكولات .

وان كان لا بد من مثال للنادر ، فخذ مثلا الفول السوداني ، يصاب احيـانا بفطر نادر ، اذا أكله الانسان أمرضـه .

لسان ابنتي قذر

● لسـان ابنتي مغطى دائما بمـا يشبه الفـرو الأبيض القـذر وليس بالأحمر العادي ، وأعطيتهـا الشرب المسهلة الكثيرة فما نفع من ذلك شيء..

ـ الحقيقة يا سيدتي انه لا علاقة بين الامساك وما يظهر ان اللسان يتغطى به من طبقة بيضاء أو صفراء ، تشبه الفرو كما تصفين . وعلى النقيض من ذلك يغلب على ذوي الامساك أن تبقى ألسنتهم حمـراء .

ان اللسان ، كل لسان ، تغطيه مـن فوق طبقة من حليمات نابتة منـه ، ثابتة فيه ، كالزرع في الأرض . وهـذه تطول اذا لم تحتك بالطعام الخشن ، وهي تحتك بالطعـام فتقصر ، وكذلك يفعل فيها هذا احتكاكها بسقف الفم . فاذا هي لم تقصر ، فانها اذن تطـول ، وتصبح مصـايد فتختبيء بينهـا بقايا الأطعمة . ثم يعمل البكتير في هذه البقايا، ويعمل الفطر ، فتنشأ عن ذلك تلـك الطبقة البيضـاء ، التى تظهر كالفـرو الأبيض على اللسـان .

ويساعد على احداث هذه الطبقة ان يكون سقف الفم فيه زيادة في التقوس . ويساعد على احداثها النوم بفم مفتوح ، منه تدخـل الفطر . ويذهب به أكـل الطعام الخشن الذي يحتاج الى مضـغ طيب . وهذه الطبقة يمكن ازالتها بحكها بالفرشة عند تنظيف الاسنان .

وابيضاض اللسان بها يجب ان لا يقلق احـدا .

وغير ذلك تغيرات اخـرى باللسـان تتصـل بأمراض عدة تكـون هي بعض اعراضها .

الأسرة

الجدرى الكاذب

● ما هو جدرى الفراريج ، وما سببه . وهل هو يصيب الفراريج كما يدل عليه اسمه ؟ ان بعض الناس قد سموه جدرى القرود .

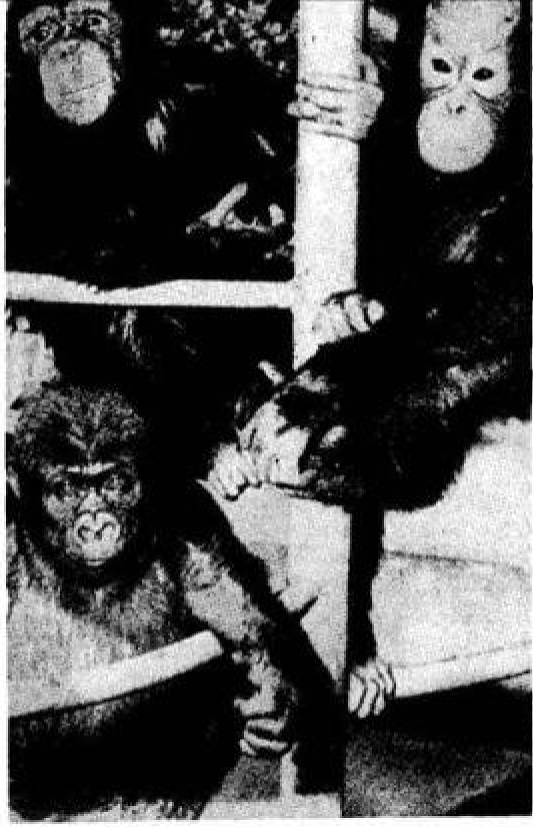
* * *

ـ اولا : نتناول اسم الداء . ان اسمه العلمي Variceila واسمه بالانجليزية Chicken Pox والكلمة الاولى Chicken معناها الفراريج ، وهي متحولة عن لفظ Children ومعناها الاطفال ، لان هذا الجدرى يصيب الأطفال . فمن الخطأ ترجمة اسم هذا الداء بأنه جدرى الفراريج. ولهذا جرت تسميته بالعربية بالجدرى الكاذب .

اما انه جدرى القرود . فلم نسمع به ، والقرود حقا تصاب به ، ولكن هذا اللفظ لم يجر اصطلاحا .

وقد اتضح انه يصيب القرود من حادث وقع فى حديقة حيوانات للاطفال على الساحل الغربي من الولايات المتحدة على مقربة من المكسيك . فقد كان فى هذه الحديقة ، منذ قريب ثلاثة قرود مدللة مشهورة بين الأطفال ، معروفة بينهم باسمائها : تريا Tria وهو من الشمبانزى ، ونوئل Noel وهو من الاورانج أو تانج ، وسكوب Scoop وهو طفل من الجورلا . وهي جميعا من الصنوف القريبة فى مراتبها من الانسان .

وقد حدث أن مرضت بعد حفلة شاي دعت هذه القرود اليها الأطفال فى

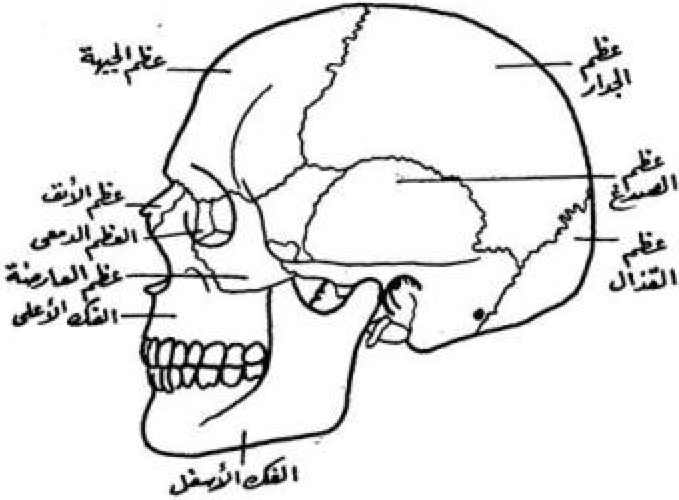


القردة الثلاث التى دعت الاطفال الى حفلة شاى واعدتهم بالحمى الكاذبة ، « حمى الاطفال »

الحديقة. وجاء الطبيب وفحصها فحصا دقيقا ، فتبين له أنها مصابة بجدرى الاطفال ، الجدرى الذى جرى اسمه بأنه الكاذب Chicken Poy . وكانت هذه اول مرة يكتشف بها ان هذا الجدرى يصيب هذه القرود . وقد انتقل اليها من الاطفال . فقد كان هذا المرض شائعا فيهم . وهو مرض سريع الانتقال .

فلعل صاحبك الذى سمى هذا الداء بجدرى القرود ، انما كان يشير الى هذا الحادث .

اما سبب هذا المرض فقد اكتشف من نحو ١٢ عاما فقط ، فهو فيروس اكتشفه مكتشفوه فى يونية عام ١٩٥٣ فى مركز طب الأطفال الشهير فى مدينة بسطن Boston .



جيوب أنفي ملتهبة

● كثيرا ما يصيبنى البرد ، ويطول . واجد انفي قد انسدت،ويعتريني من ذلك آلام عندما أتمخط بقوة . وقيل لي ان جيوب انفي ملتهبة . وعالجها الطبيب بعدة علاجات، ولكنها تعود . فما هي هذه الجيوب ، وكيف تلتهب ؟

ـ أولا عن الجيوب . فهذه فجوات فى عظام الوجه ، فارغة ، ليس فيها الا الهواء ، وهي منفصلة عن الأنف ، ولكنها متصلة بالأنف بوسطه بقنوات ضيقة .

واشهر هذه الجيوب، واكبرها ، ذلك التجويف المسمى بالجيب الفكي ، Maxillary antrum، ويوجد فى عظمة الخد ، وهي العظمة التى يتألف منها الفك الأعلى للانسان . ويوجد جيبان ، فوق كل عين جيب ، وتعرف بالجيوب الجبهية ، لأنها فجوات فىعظمة الجبهة .

وجيوب أخرى فى عظام الراس لا داعي لتعقيد الصورة بذكرها ووصفها .

وهي فراغات حار العلماء فى فهم الغرض منها . قال قوم انها لتخفيف ثقل الراس ، وقال قوم لحماية الوجه عند اللكم والاصطدام . وقال آخرون انها تعطي صوت الانسان رنينة .

والمهم ان هذه الفجوات ، كما ينتظر ، مبطنة جدرانها بالأغشية المخاطية . فاذا أصاب الأنف التهاب ، كان ما كان ، او دخل الىالأنف عدوى ـ والبرد عدوى عاملها الفيروس ـ فقد يمتد هذا الالتهاب الى اغشية هذه الجيوب ، عبر القنوات التي تصلها بالأنف ، فتلتهب وتتقيح . والأصل فى الاغشية المخاطية داخل هذه الفجوات أن تفرز قليلا من المخاط ، يجد دائما سبيله الى الأنف فالى خارج الجسم . ولكن بالتهاب هذه الانسجة المخاطية داخل الجيوب ، تتورم هذه الأنسجة، واذن تسد القناة الضيقة التى تصلها بالأنف . ويتغير الضغط داخل هذه الجيوب فيحدث الآلام المعروفة .

وعدا الآلام يصبح الخد شديد الحساسية عند اللمس ، او تصبح الجبهة ، وفيها جيوب الجبهة .

والطبيب يتولى علاج هذه الحال بالمبيدات العضوية كالبنسلين واضرابه ، ليخفف منالالتهاب . ثم عقاقير لتخفيف الألم . ولكن الأهم من هذا وهذا ، هو سعي الطبيب فى فتح القناة المسدودة بشتى الوسائل ، وهي معروفة لديه ، فهي اذا انفتحت، وتسرب المخزون الذى تراكم فى الجيوب الى الخارج ، احس المريض بتحسن الحال فورا . وقد يكون من المحتم غسل هذه الجيوب .

ثم نصيحة صغيرة : اذا اصابك برد شديد ، وشعرت بانسداد فى انفك ، فلا تتحمس فتحاول أن تفتح هذا السد بأن تغلق منخريك بمنديلك ثم تنفخ بقوة . انهذه الطريقة هي أحسن طريقة لتوصيل الميكروب الى الجيوب .

مولد قصيدة

الى الزائرة الصغيرة التي سألتني
كيف اكتب قصائدي

للشاعر : سليمان العيسى

■ أومضُ في الأعماق لمْحَ الشهابْ
فــى شـارعٍ ،
فــى هـدأةٍ ،
فــى اصطخـابْ
أومضُ ، وخزَ البرقِ ، في رأسهِ
أتركُـه ، أمضى وراء السحابْ
يظنُّني ضعتُ ،
يَلُـمّ الـرُّؤى
ينسى يدا دقّتْ بقلبِ الضبابْ
وينطـوى يومٌ ، وعامٌ ، فما
للعمر .. للتاريخ .. عندى حسابْ
عمـرى هو التاريخُ ..
اشـراقـتي
هى المَدَى .. لاينتهى ، لايُجابْ
وبَغْتـةً .. ينفُضُ عن جفنهِ
شيئا ، كما دَفَّ جنَاحا عُقَابْ

كما هوَتْ فوق الثرى قطرةٌ
من غيمةٍ مجهولة ..
من سرابْ ..
– وهْمٌ ... أعادتْ ؟
انه صوتها ...
اعرفُهُ .. يهمس خلف الحِجاب
يشتد ، يجتاح ، بلا موعد ،
بلا صدّى ، ينذرني بالعقابْ
يضيء بالذكرى .. يصبُّ السَّما
في شَفَتَي غمغمةٌ من رَبَابْ
يالَلصِّراع الحاوِ ... ما بيننا !
أرهقتُهُ .. مازلتُ حتّى استجابْ

★★★

وأغلق الدنيا على طَرفه
فما يرى الارُوْاىَ العِذابَ
الدربْ ، في زحمةِ ضوضائه ،
والبيتُ ، والمقهى ،ولغْوُ الصِّحابْ ،
وحدى انا الضوضاءُ في سَمْعِهِ
وحدى التّي يقرؤُني في الكتابْ
يَنْفثني عبْرَ الدخان الذى
يمورُ حولى خُصَلا في اضطراب
يَلْمُسُني في الغيْم .
يصطادني ..
لو تعرف الكأسُ كداح الشراب !



إبـدأ اذاً ..
جَسَـد علـى مِزْقَـةٍ
بيضـاءَ ، او سـمراءَ
هـذا العـذابْ ..
وفـي غيابٍ عـن حـدود الـدُّنَى
أَدِبٌ فـي مزْقَتـهِ ..
فـي غيـابْ ..
بَيْتَـانِ ..قـد اوْثَقَـني .. خمسةٌ ،
أفلـتُ منـه ،
بالسِّحْر الغـلابْ !
غـدائرى فـى كفّـه .. ثورتـى
فى جفنـهِ .. اسـرار صدرى الرِّطَـابْ
أهـوِى علـى جبهتـه عاصِفـاً
وتـارةً همْسَ اللّمَـى المُستطابْ
وتـارةً ..
ـ لا ، لـن تبوحى ... فمـا
أرضى بـأن يُهتَـك كلُّ النقـاب .

★★★

هـذى أنـا ..
حشـرجةٌ مُـرَّةٌ
تحمـلُ للفانـين
بُـرْدَ الشـبابْ ..

سليمان العيسى ـ حلب



تكهنات حول صناعة النفط

عن صحيفة الفاينانشيال تايمز اللندنية :

حاجة العالم الغربى الى الغاز والنفط فى نمو وتزايد مضطرد . وستصبح على الارجح ثلاثة اضعاف ما هى عليه الآن بحلول عام ١٩٩٠ ، اى بعد ٢٥ سنة . اما رؤوس الاموال التى ستحتاج اليها صناعة النفط فى الفترة المذكورة فلن تقل عن ١٢٥٠٠٠ مليون جنيه استرليني .

ويقتضى تزايد تلك الحاجة مضاعفة فى الانتاج بحيث يصبح معدل انتاج النفط ١٠٠ مليون برميل يوميا . ولا يخفى ان النسبة الكبرى من هذه الزيادة ستأتينا من منطقة الشرق الاوسط .

وتفوق كميات النفط الاحتياطية الثابتة المختزنة فى جوف الارض تلك الكميات التى تنتج منه سنويا بنحو ٣٥ ضعفا . اما كميات الاحتياطى الثابت وغير الثابت اجمالا فتقدر بنحو الف ضعف ما يجرى انتاجه من النفط فى كل سنة .

وسيزداد انتاج النفط من قاع البحار فى غضون السنوات الخمس او العشر المقبلة . هذا بالاضافة الى ما ستشهده الفترة المذكورة من تضخم فى حجم ناقلات النفط يتراوح بين ٢٠٠٠٠ – ٢٥٠٠٠٠ طن للناقلة الواحدة .

وتجدر الاشارة الى ان عدد سكان العالم المتزايد سيبلغ فى سنة ١٩٩٠ نحو ٧٠٠٠ مليون نسمة . ومن شان هذا التضخم ان يبعث على الكثير من التشاؤم ما لم يرافقه تطور اقتصادى بعيد المدى يتكافأ ونسبة ذلك التضخم فى عدد السكان . ولعل الطاقة بصورة عامة ، والطاقة النفطية على وجه التخصيص هى الشرط الذى لا يكون تطور اقتصادى بدونه البتة .

لو نشبت الحرب بين امريكا والصين

عن مجلة لايف الاميركية :

يصعب على المرء تصور مدى ما تحدثه الاسلحة النووية من فتك وافناء . ويصدق ذلك بصورة خاصة على القنابل الهيدروجينية المسماة (٢٥ ميجاتون) . فهي اشد فتكا من القنبلة التى القيت على هيروشيما بنحو (١٢٥٠) مرة !

ولو قدر للانسانية أن تشهد فى هذه الحقبة من تاريخها حربا نووية تنشب بين الولايات المتحدة والصين الشعبية – على سبيل المثال – لكانت القنابل الهيدروجينية التى تستطيع امريكا القاءها دفعة واحدة على بلاد الصين ..، قنبلة من قنابل

الضوضاء وضجيج السيارات يطيلان مدة النقاهة للمرضى

عن صحيفة التايمز اللندنية :

عم التذمر وكثر الاحتجاج بصدد ما تحدثه السيارات من ضجيج فى الشوارع وضرورة وضع حد لتلك الضوضاء فى القريب العاجل . وقد يظن البعض ان التخلص من الضجة المذكورة ضرب من المستحيل . ولو فكر المرء قليلا لما وجد من الاسباب ما يحول دون القضاء على تلك الجلبة واحلال الهدوء والسكينة محلها . ومهما يكن من امر فلا بد من العمل على حماية الناس ،

(٢٥ ميجاتون) . وتقدر فعالية هذه القنابل مجتمعة بنحو عشرة الاف مليون طن من المادة الشديدة الانفجار المعروفة باسم (Tnt) وهذا يعني ان ما يصيب سكان الصين جميعا وعددهم لا يقل عن ٧٠٠ مليون نسمة من هذه الملايين من الاطنان لا يقل عن ١٤ طنا لكل فرد منهم ، رجلا كان ام طفلا ام امرأة .

والاخطر من هذا وذلك ان القنبلة المذكورة تنشر من رمادها او قل من سمومها ما يكفي لتغطية (١٥٠٠) ميل مربع من الاراضي (اى ما يعادل مساحة ولاية كونتيكيت وجزيرة رود وفيرمونت مجتمعة) ويبلغ هذا الرماد من الحدة والفعالية – فى الجهات التى يصيب فيها تركيزا يفوق ما يصيبه فى الجهات الاخرى – ما يكفي للفتك بكل من يتعرض له على نحو مباشر وفى مدة لا تزيد على ساعة واحدة من الزمن .

على ان الصين الشعبية تسير بخطى سريعة فى ميدان الابحاث النووية . وقد لا يأتي عام ١٩٧٠ حتى تصبح فى عداد الدول النووية الكبرى . وفى اللحظة التى تستطيع فيها الصين الشعبية تهديد الولايات المتحدة على هذا الصعيد تصبح حياة ما لا يقل عن ٨٠ مليونا من سكان الولايات المتحدة وكانها على كف عفريت .



ماوتسى تونج والفيت كونج

عن صحيفة (التحرير) بفيتنام الجنوبية

تدل الحرب المستعرة فى فيتنام الجنوبية ، على ان الشجاعة والضراوة فى مجابهة العدوان والحنكة البالغة فى رد المعتدين الغاصبين هى الصفات البارزة التى يتحلى بها الشعب الصينى من جهة وجيش التحرير الفيتنامي من جهة اخرى وقد شهروا فى يمينهم سلاحهم الاول ، آراء ماوتسى تونج وافكاره ، وتدرعوا فى يسارهم بسلاحهم النارى ، وصلابة معدنهم وقد زادته الحرب صلابة ومنعة .

وبعد هذا وذلك يندفع المستعمرون الامريكيون فى ظنهم ووهمهم بان انيابهم ومخالبهم تفزعنا ، ويطيب لنا ان ننذر الغاصبين المعتدين من الامريكيين باننا سنسحق كل من يتجرأ منهم على مهاجمتنا .

كل الناس ، والمرضى منهم على وجه التخصيص ، من شرور ذلك الضجيج وآثاره .

ويجمع الاطباء او يكادون على ان ضجة السيارات والشوارع تطيل امد دور النقاهة وتعيق تماثل المرضى للشفاء . وقد بلغ ذلك حدا لا مناص لوزارة الصحة معه من ان تبادر الى الاضطلاع بمهمة التخلص من الضجة ، وهى مهمة ليست من اختصاصها اصلا . ولعل نفقة قليلة تنفقها الوزارة المذكورة فى هذا السبيل خير واجدى من النفقات الباهظة التى تتكلفها نتيجة وجود الضوضاء ، ولعل من شأنها ان توفر تلك المصاريف الباهظة وتداركها .

وقد تكون الخطوة الاولى التى يجدر بوزارة الصحة اتخاذها فى هذا الصدد هى استبدال شبابيك المستشفيات الحالية باخرى مزدوجة الصنع . ولا يخفي ان وجود شباكين من الزجاج او الخشب فى النافذة الواحدة من نوافذ المستشفى يكفل للمرضى فى الداخل ما هم فى امس الحاجة اليه من الهدوء والسكينة . والاعتراض على الشبابيك المزدوجة من حيث تعذر تهوية الغرف اعتراض لا مبرر له . فقد اصبح فى الامكان ضمان التهوية المطلوبة هذه عبر الشبابيك المزدوجة نفسها بواسطة جهاز بسيط صامت زهيد التكاليف يركب على تلك الشبابيك .

اعرف وطنك
ايها العربى



سهل

ثلاث صور من البقاع : الاولى لفتاة البقاع بزيها
تحت جبل الشيخ .. والثالثة لكروم العنب ف







قام بهذا الاستطلاع : سليم زبال
وصوره : «اوسكار»

البقاع

تنقلك العربي فى هذا العدد الى سهل من اكثر سهول العرب خصوبة .. انه سهل مرتفع يقسم جبال لبنان الى شطرين ليستقر بينهما، يتلقى منهما المياه المتدفقة، ويحتمي بهما من الرياح العاتية : سهل البقاع

الوطني الجميل .. والثانية لسنابل القمح الذهبية منطقة كسارة بالبقاع ..



■ « ويل لامة تأكل مما لا تزرع ..

« وتلبس مما لا تنسج ..

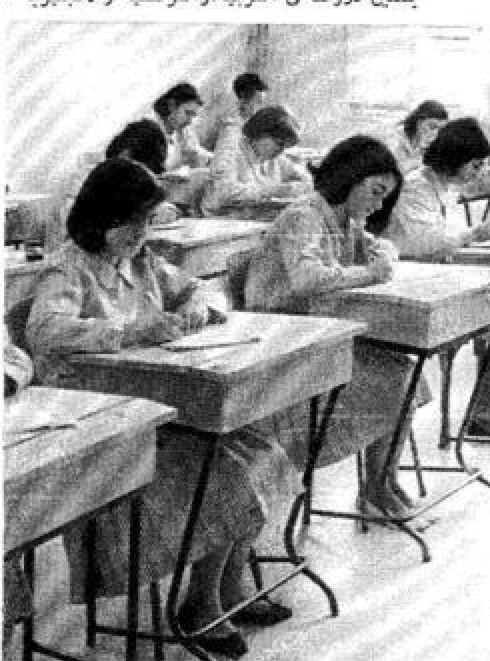
« وتشرب مما لا تعصر .. »

كلمات عميقة للفيلسوف اللبناني جبران خليل جبران ، ظل صداها يتردد عاليا بين جنبات جبال لبنان حتى أيقظت أهل البقاع ، الذين قاموا قومة رجل واحد ، يحولون القحط والجدب والتربة المتحجرة العطشى ، الى رخاء وازدهار ، ومروج يانعة خضراء ، تكفل الرغد والازدهار والرخاء ..

انها عصا سحرية مست « البقاع » العزيز فحولت خموله الى حركة وحياة ..

ورغم هذه النهضة الهائلة ، فما زال البقاع غامضا مجهولا ، لا من ابناء الوطن العربى فحسب بل من معظم اهل لبنان انفسهم الذين يجهلون ما يحويه هـذا « المخزن » الذى يمدهم بحاجتهم من الخضر ، والفواكه والحبوب ، والاغنام،والالبان ، والبيض ، والدجاج ..و..و.

انتقلت فتاة البقاع من المراعي والمزارع الى ارائك العلم والمعرفة .. وترى هنا مجموعة منهن يتلقين دروسا في العربية،والفرنسية والانجليزية .



٢٣٥ قرية و ٥ مدن

يتقسم سهل البقاع اداريا الى خمسة اقضية هي : **قضاء زحلة** : واكبر مدنه زحلة عاصمة البقاع ، ويضم ٤٣ قرية . **وقضاء البقاع الغربي** : وقاعدته جب جنين ، ويضم ٣٧ قرية . **وقضاء راشيا** : وقاعدته الهرمل ، ويضم ٣١ قرية . **وقضاء بعلبك** : وقاعدته بعلبك ، وهو اكبر الاقضية في البقاع ويضم ٩٣ قرية .

هضبة بين سلسلتى جبال

والبقاع سهل زراعي خصب ، منبسط الارض ، يتراوح ارتفاعه بين ٩٠٠ و ١٠٠٠ متر عن سطح البحر ، ولكنه لا يرى مياه هذا البحر ابدا ، لان سلسلة جبال لبنان الغربية التى ترتفع ثلاثة آلاف متر تحجبها عنه .. وكذلك لا يرى سهول سوريا لان سلسلة جبال لبنان الشرقية تحجبها عنه ..

ومن هذا الوصف يتضح ان سهل البقاع ما هو الا ملء لاخدود يفصل بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية ، ويمتد بينها مسافة ١١٠ أميال .. اما عرضه فيختلف اختلافا بينا ، اذ يصل الى نحو عشرة اميال في الوسط ليضيق في الجنوب الى نصف ميل فقط !

لبنان هبة الليطاني

وكما ان مصر تتميز بالنيل ، والعراق بدجلة وسوريا بنهر العاصى .. فان لبنان يتميز بنهر الليطاني . حتى قيل : « لبنان هبة الليطاني » كما قالوا من قبل : « مصر هبة من النيل » !

انه النهر الوحيد الذى يعتبر ملكا خالصا للبنان : فمنبعه جنوب بعلبك ، ومجراه خط رفيع متعرج يقسم سهل البقاع الى شطرين ، ثم يعرج غربا بزاوية قائمة تقريبا ليلقىسنويا بنحو ٥٠٠ مليون متر مكعب من مياهه العذبة في مياه البحر الابيض المالحة ـ شمال صور ـ بعد ان يكون قد قطع مسافة ١٧٠ كيلو مترا ..

السد العالى اللبناني

وفى عام ١٩٥١ بدأت تظهر فكرة السيطرة على



وسط جو خلاب ، محاط بالاشجار والحدائق والمياه يمضي العرسان اجمل ايامهم .. ويقصد هذا الفندق أسبوعيا نحو ٣٠ عريسا وعروسا فيلقون رعاية خاصة .. ومما يذكر ان الشيوخ يأتون كذلك الى هذا الفندق ليتذكروا ايام شبابهم .

مياه هذا النهر وتحويلها لارواء الاراضي العطشى ، مع استخراج الطاقة الكهربائية من مساقطها ..

وتحولت هذه الفكرة الى اضخم مشروع قام به لبنان لتبديل المظهر الطبيعي والاقتصادى لمنطقة شاسعة جدباء ..

انه مشروع الليطاني ، الذى يشتمل فى شكله النهائي على ثلاث محطات للكهرباء و٣٠ كيلو مترا من الانفاق .

وقد بدأ تنفيذ المشروع ، عام ١٩٥٧ ، ولكن ثورة ١٩٥٨ اوقفته ، ثم توقف ثانية لادخال تعديلات جوهرية على هندسته ، اقتضت تحويل سده الرئيسى ، من سد ذى اقواس ، الى سد ركامي اصم يحجز امامه ٢٢٠ مليون متر مكعب من الماء . تسمح برى الاراضى المجاورة طوال شهور السنة ، دون اعتبار لفترة جفاف او قحط ..

وفى شهر اغسطس (آب) الماضى انتهت المراحل الاولى للمشروع ، وبدأ انتاج الكهرباء ، وانطلقت مياه الليطاني فى نفق طوله ١٦ كيلو مترا تحت جبل نيحا ، لتروى لاول مرة منطقة جزين .

الليطاني سيروى الجنوب

ان مشروع الليطاني سوف يزيد الطاقة الكهربائية ، والاراضى المروية فى لبنان بنسبة ٣٠ الى ٤٠٪ .

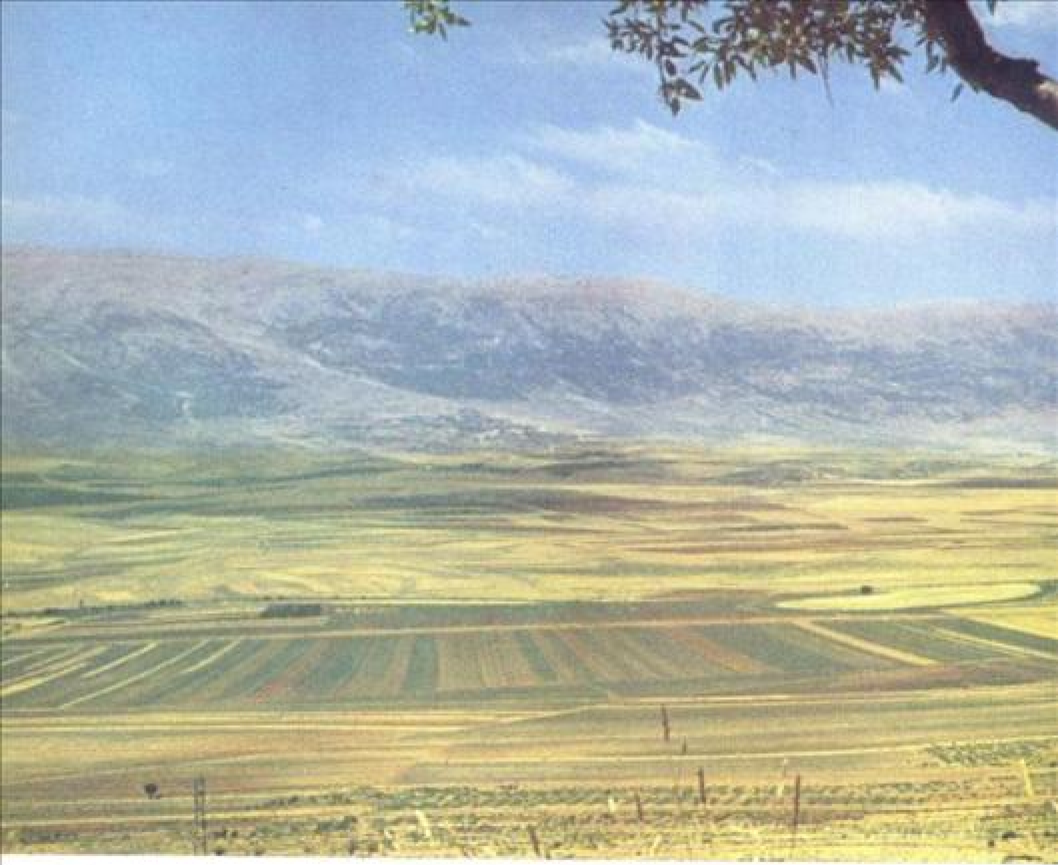
وقد قامت اخيرا ضجة كبرى ، لان



نظرة من عل ، يبدو فيها سهل البقاع وكأنه سجادة شرقية رائعة



الى اليمين : تعلم المزارع اللبناني منذ وقت طويل زراعة اشجار الفاكهة وتطويرها فمثلا شجرة التوت ، التى كانت تربى عليها دودة القز ، اقتلعها ليزرع مكانها اشجار التفاح والكرز والكمثرى (الانجاص) ، والمشمش الذي نرى فى الصورة اليسرى مجموعة من اشجاره وبجانبها اسرة لبنانية تقوم بقطف ثمارها .



الى اسفل : تطورت اساليب الزراعة في سهل البقاع تطورا كبيرا بعد الحرب العالمية الثانية .. وما زالت تتطور كلما ازدادت مشاريع الري .. وتعتبر البطاطا (البطاطس) من المحاصيل الرئيسية في سهل البقاع ، الا ان الشمندر السكري بدأ يزيح البطاطا عن مكانتها ليحتلها هو ..





هذا النوع الجديد من الدجاج الالماني ، يعيش فى مزارع البقاع .. ويمتاز بانتاجه الوفير وقلة اكله .. وهم يربونه على انغام الموسيقى لتهدئة اعصابه ، حتى يزيد انتاجه من البيض !



مكنات التفقيس الجبارة التى .. والطراز الحديث منها يتسع البيضة ٢١ يوما داخل المكنات

الثمرات الاولى للمشروع ، استأثرت بها بيروت دون الجنوب الفقير .. الا ان المسئولين اكدوا لنا بان مياه الليطاني سوف تغذى منطقة الجنوب واقليم الخروب بنحو ١.٥ ملايين متر مكعب فى القريب العاجل .

الكهرباء تخلق الصناعة

لقد قلب مشروع الليطاني اسلوب الحياة فى البقاع ، فالقوة الكهربائية المستخلصة منه انارت القرى ، ودفعت بعجلة الصناعات الصغيرة الى الامام ، وجعلت الناس يستعدون للانطلاق فى مجال الصناعات الكبيرة ، التى لم تكن متيسرة لنقص الطاقة الكهربائية ..

بحيرة مساحتها ١٤ كيلو مترا

والى جانب هذا قام مشروع الليطاني بارواء الارض ريا مستديما من مياه البحيرة الكبيرة التى ظهرت خلف السد الرئيسى وغطت ما مساحته ١٤ كيلو مترا مربعا من الاراضى .. ويجرى حاليا اعداد الترتيبات النهائية لتجميل هذه البحيرة وتحويلها الى بحيرة ضاحكة ، وصفها لنا صاحب المشروع ، السيد رفيق الدبس ، بقوله : « سنجعلها تضاهى اجمل البحيرات السويسرية ... وسوف ننفق نحو مليوني ليرة لبنانية لتحويل الجزيرة الصغيرة التى فى وسطها الى قرية سياحية عالية فيها ملاعب وفلات وكازينو وفندق ، وشواطىء للاستحمام والتزلج على الماء .. وسيبدأ تنفيذ مشروع التجميل حال الانتهاء من بناء السد الرئيسى الذى كاد ان يكتمل .. »

ان هذا المشروع سوف يجعل من البقاع الجنوبي مركزا سياحيا جديدا فى لبنان ، التى أصبحت السياحة فيها صناعة مزدهرة لها خبراؤها ، ولها ايرادها الذى يساعد كثيرا فى تغطية العجز الدائم فى الميزان التجارى ، فصادرات لبنان قيمتها ٣٠٠ مليون ليرة بينما وارداته تصل الى الف مليون ليرة !!

معابد وحضارات

ويقدم سهل البقاع للسائح مراكز سياحية



تتسع كل منها لـ ٣٢٥٠٠ بيضة
لتسعين الف بيضة .. وتمكث
قبل ان تصبح كتكوتا ..



الى جانب مزارع الدجاج تقوم مزرعة لتربية الفصائل الثمينة من الاسماك وتقع هذه المزرعة فى عنجر ، وفيها يتم تفقيس بيض السمك، وتتم تربيته فى احواض يلقى بعدها فى البحيرات لزيادة الثروة السمكية

رائعة..منها : بعلبك ..مدينة الشمس حيثمعابد جوبيتر وفينوس وباخوس .. وبعدها تأتي « عنجر » المدينة القديمة بآثارها البيزنطية والعربية ..

ويزخر سهل البقاع ــ الى جانب هذا ــ بآثار كثيرة لحضارات نشأت به او استوطنته او مرت به ، من فينيقية وسريانية واشورية واغريقية ورومانية ، وفارسية ، ترك كل منها اثرا من آثاره فيه .

البقاع من بقيع

ويتحدث الدكتور فيليب حتى المؤرخ اللبناني عن تاريخ سهل البقاع فى كتابه « تاريخ لبنان » فيقول :

« عرف البقاع منذ قديم الزمان ، وكان يسمى فى عهد الرومان : اهراء رومة ، لما كان يقدمه من الحبوب والغلال .. وكان مؤرخو الاغريق والرومان يعرفونه باسم « سورية المجوفة » ..

« اما المؤرخون والجغرافيون العرب فكانوا يقسمون البقاع الى بقاعين : البقاع البعلبكى فى الشمال والبقاع العزيزى فى الجنوب . ولبست تسمية البقاع العزيزى عائدة الى العزيز بن صلاح الدين ، او الى الخليفة الفاطمي العزيز ، بل تعود الى اسم اله سامي قديم « عزيزو » اى العزيز » ومعناه القوى الجبار الشديد » .

وكانت عبادته شائعة فى حوران وتدمر .. »

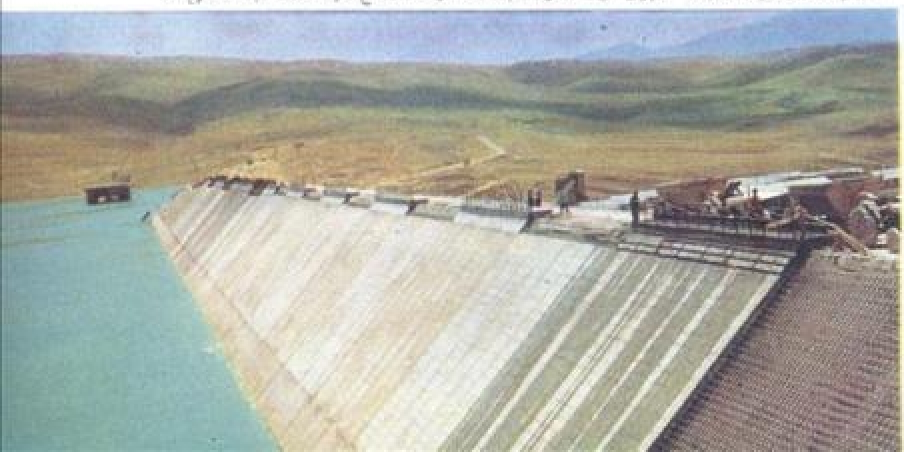
اما لفظة « بقاع » فهى جمع (بقيع) ومعناها مكان فيه أروم الشجر ...

اين قبر نوح

وفى البقاع تختلط وقائع التاريخ بطرائف الاساطير وخاصة ما يتعلق فيها بالطوفان ونوح عليه السلام الذى كان يقطع المسافة من جبل صنين الى الجبل الشيخ فى خطوة واحدة !! وفى اواخر ايامه تضرع نوح اليه تعالى ان يكون مثواه الاخير فى البقاع ، فقبل الله رجاءه ، فمات فى البقاع ودفن فيه !



مدخل النفق الرئيسي في مشروع الليطاني ، انه نفق « الاولي » الذي يبلغ طوله ١٦ كيلو متراً ، وقطره ٣٫٢٧ متراً ويستطيع تصريف ٢٥ متراً مكعباً من الماء في الثانية .. لقد بلغت تكاليفه ٥٫٦٢ مليون ليرة . وقد بدأت المياه تتدفق فيه منذ آب الماضي .





تحت ظلال « الجبل الشيخ » ، الذى يسميه البعض خطأ جبل الشيخ ظهرت بحيرة جديدة مساحتها ١٣ كيلو مترا مربعا ، انها بحيرة الليطاني .. وتقوم هذه البحيرة بتخزين ٢٣٠ مليون متر مكعب من الماء ، يذهب قسم منها الى محطة توليد الكهرباء بواسطة نفق يمر تحت السد .. ويذهب الباقي لرى اراضى الجنوب .. وقد القيت فى هذه البحيرة نحو خمسة ملايين سمكة من نوعي « التروتة » و« السومون » لتربيتها فيها..

الى اليمين : سد القرعون ، وهو السد الرئيسى فى مشروع الليطاني ، ويبلغ طوله ١٢٠٠ متر ، وارتفاعه ٦٢ مترا ، ويمكنه حجز ٢٣٠ مليون متر مكعب من الماء .. ان الهدف من بناء هذا السد هو حجز المياه فى فصل الشتاء وتخزينها لفصل الجفاف ..

ورحنا نتحرى ، ونبحث عن قبر نوح .. انه في البقاع .. لكن اين ؟ .. لا احد يدري !

واخيرا اهتدينا اليه في قرية صغيرة ، قرب زحلة ، تدعى الكرك .. وصعدنا الدرجات المؤدية اليه ، والى مسجد قديم ملاصق نقشت على جداره : « سلام على نوح في العالمين ، انا كذلك نجزي المحسنين » .

..واتجهنا الى الضريح وما كدنا نلجه حتى وقفنا مشدوهين ! فامامنا انفتح الباب عن حجرة طويلة جدا على ارضها نتوء صغير طوله ٢٥ مترا غطي بقطع من القماش الاخضر كتبت عليها سورة الفاتحة (انظروا الصورة ص ٨٠) .. ولم يترك لنا الحارس وقتا طويلا للتفكير اذ بادرنا بقوله : « هنا يرقد سيدنا نوح .. ان طول هذا الضريح لم يكن كافيا ليتسع للجثمان لهذا ثنيت ركبتاه ، حتى يستطيع الرقود هنا بسلام » !! وفي مطلع شهر ابريل (نيسان) من كل عام يحتفل خارج الضريح بذكرى « خميس الدعشة » وهو احتفال كبير تقام فيه العاب الفروسية والرقصات الشعبية التي يشترك فيها عدد كبير من اهل البقاع ..

يهبط البدو الرحل من منطقة حوران بسوريا الى سهل البقاع في فصل الصيف لرعي قطعان اغنامهم وسقيها وهذه اسرة بدوية بجانب مضارب خيامها ....



ماذا قال سنوحي عن البقاع ؟

وليس نوح فقط هو الذي اقام في البقاع بل جاء الى هنا الامير سنوحي بعد ان هرب من مصر حوالي عام ١٨٠٠ ق.م فاستجار باحد شيوخ البقاع ، واقام عنده وتزوج ابنته ، ثم اصبح رئيسا للقبيلة .. ويتقدم سنوحي في السن ، فيشعر بحنين شديد الى موطنه الاول ، فيقيم ابنه الاكبر وصيا ووكيلا على ممتلكاته في البقاع .. ويعود هو الى مصر ليكتب قصته على ورق البردي، يصف فيها ارض البقاع بقوله : « فيها التين والعنب ، وخمرها اكثر وفرا من الماء ، فيها العسل الكثير والزيتون الوفير ، فيها من جميع الثمار ، وفيها الحنطة ، وماشيتها لا يعرف لها عد » ..

اين الفلاح اللبناني ؟

ومنذ اقدم العصور وابن البقاع يزرع .. ويزرع .. وما زال حتى اليوم يزرع .. ! ولكن شتان بين الزمنين .. لقد تغير كل شيء وتبدل ..

فقد جبنا سهل البقاع شمالا وجنوبا ، وشرقا وغربا ، بحثا عن الفلاح اللبناني الاصيل ذي السروال الاسود الواسع الكبير ، والقمباز المخطط بالالوان ، والشارب الاسود المفتول المدهون بالشمع ، « والذي يقف عليه النسر ! » .. واعيانا البحث فلم نشهد لهذا الفلاح اثرا .. لقد اختفى من سهل البقاع ، بعد ان بهرته اضواء المدينة فجذبته اليها .. وهناك ادرك قيمة العلم والثقافة، فعمد الى ابنه يعلمه تعليما عاليا ليصبح محاميا ، او طبيبا ، او مهندسا صناعيا ، واكتفى هو بالجلوس امام منزله « وتبريش النارجيلة » في فمه يسحب منه الانفاس الطويلة ، ويراقب العمال الزراعيين ، من ابناء حوران وفلسطين ، يحرثون له ارضه ويجمعون له محصوله ، مقابل ثلاث او خمس ليرات يدفعها يوميا لكل منهم ..



٣ محطات لتوليد الكهرباء اقيمت فى مشروع الليطاني ، وهذه غرفة القيادة تحت الارض ، ومنها تتم عملية مراقبة سير محطة توليد الكهرباء الاولى التى تبلغ طاقتها ٦٠٠ مليون كيلواط ساعة فى السنة .. ويتم استخراج الكهرباء باستغلال سقوط المياه من ارتفاع ٢٠٠ متر داخل انابيب مصفحة ، بقوة اندفاع مقدارها ٢٥ مترا مكعبا فى الثانية ..

الآلة محل الفلاح

واتجهنا الى وزارة التصميم نسالها رايها فى حال الفلاح اللبناني فجاءنا ردها :

« نحن نحبذ نقص الايدى الزراعية ، ونسعى لتحويل البقية الباقية من الفلاحين اللبنانيين وتوجيههم ناحية الصناعة بعد رفع مستواهم .. ولا خوف على الانتاج الزراعى ، فالآلة اليوم اصبحت تقوم مقام مئات المزارعين ، وباقل التكاليف » ..

افخر نوع فى العالم

واتجهنا صوب الاراضى الزراعية ، لنرى من الذى يزرع سهل البقاع ، وما الذى يزرعه ، ومدى التقدم الذى طرأ عليه .

وبدانا بالبقاع الشمالى ، او البقاع البعلبكى ! افقر اجزاء سهل البقاع .. الاشجار فيه تكاد تنعدم الا حول مجارى الماء .. والارض جرداء تنمو فيها الاعشاب .. وسالنا عن سبب هذا البوار فهمسوا : انه « حشيشة الكيف » كان زرعها هنا على نطاق واسع ، وكانت تأتي بربح خيالى ، فالحشيش اللبنانى هو اجود الاصناف ، وقد اخذ اخيرا تقديرا عالميا فى مؤتمر منظمة الانتروبول الذى عقد فى البرازيل اذ وصفوه بانه « افخر انواع الحشيش فى العالم » .. وكانت زراعته فى البقاع الشمالى تتم على نطاق علنى واسع ، أما اليوم فقد اوقفت زراعته ، بعد ان حرمت تجارته » ..

ومن اللطيف ان عصابات التهريب الدولية اصبحت تزرع الحشيش فى اراضيها ، وتعبئه داخل اكياس كتب عليها : « صنع لبنان » لايهام المدمنين بانهم يتعاطون اجود الانواع ..

لماذا لا يزرعون ؟

ان الشكوى المرة فى البقاع الشمالي تتمثل فى الاراضى الواسعة الكبيرة التى لم تزرع بعد ، فهناك نفر قليل من الناس يملك مساحات شاسعة من الارض ، ولكنهم لايستغلونها لعدم حاجتهم الى استغلالها ، او لعدم قدرتهم على ادارة زراعتها لاتساعها الهائل !! وان كانوا يدعون بان نقص مشاريع الرى هو السبب ..

اهلا بالبدو ..

وفى البقاع الشمالى ينتهز البدو الرحل السوريون فرصة اعتدال حرارة الصيف فى البقاع فيعبرون الجبال الشرقية افواجا مع قطعان اغنامهم وماعزهم ، فترحب بهم السلطات اللبنانية لانهم يجلبون معهم الاغنام ، والماعز ، والاصواف ، وجلود الحيوان ، والبيض ، والجبن ، والسمن ، وحليب الماعز ..

وما يكاد الشتاء يلوح حتى يجمع البدو خيامهم ويستعدوا للترحال شرقا الى البادية ..

عدو الزراعة !

وبينما ترعى قطعان الاغنام والماعز فى ارض البقاع ، تدور فى محطة تربل ، بالبقاع الاوسط ، الدراسات لتنفيذ « المشروع الاخضر » الذى يستهدف التخلص من ٥٠،٤ الف من الماعز البلدى،

مدينة سياحية بدلا من مدينة بعلبك الحالية





عنجر : المدينة القديمة التى كشف عن آثارها اخيرا ، فظهر هذا التمثال الروماني ، واطلال هذا القصر العربى الذى سكنه مروان بن عبد الملك .

الى اسفل : يزعمون ان سيدنا نوح يرقد فى هذا الضريح وطوله ٣٥ مترا ! .



الى اسفل : تقع بعلبك وسط سهل البقاع الشمالى ، وتتميز بآثارها الرومانية .. والصورة لبين الاعمدة الستة لمعبد جوبيتير ، التى تقام اسفلها مهرجانات بعلبك الدولية فتجلب عددا كبيرا من السائحين والسائحات يهربون منها ، لعدم وجود فندق او مطعم ، او حتى مقهى سياحى !!



بتهمة عدائها للزراعة !! فالماعز البلدى يضبط دائما متلبسا بالفتك بالاحراش ، والتهام كل ما يصادفه من الخضروات ، ومع ذلك لا تدر الواحدة منه سوى ٥٠ الى ٨٠ كيلو جراما من الالبان فى العام !

وقبل اصدار الامر بتنفيذ هذه التصفية الجماعية ، استوردت محطة التجارب عددا من الماعز السويسرى والشامى ، لمعرفة مقدار تحمل النوعين لجو البقاع ، قبل اعلانهما خليفة للماعز البلدى .

ومن نتائج التجارب الاولية على هذا الماعز الاجنبي ثبت ان الواحدة منه تستطيع ان تدر ٨٠٠ كيلو جراما من الالبان سنويا ، اى عشرة اضعاف ادرار الماعز البلدى !!

وتجرى محطة التجارب اختبارات اخرى على الابقار ، والاغنام ، والدجاج بادخال عناصر اجنبية مستوردة ذات انتاج كبير لتحسين الثروة الحيوانية فى البلاد .

عروس البقاع

وتقع محطة التجارب فى البقاع الاوسط وهو اكثر مناطق البقاع رخاء وازدهارا .. اذ يضم اهم مدن البقاع مثل « شتورة » : قلب سهل البقاع النابض ، ومقصد العرسان فى شهر العسل ، ومركز طلاب الاطعمة والاجبان الشهية .. كل ذلك وسط اطار خلاب من صنع الطبيعة ..

وبعد شتورة تاتي « عروس البقاع » المدينة التى خلدها شوقى بشعره ، واحياها عبد الوهاب بالحانه وغنائه :

ياجارة الوادى طربت وعادنى
ما يشبه الاحلام من ذكراك

انها « زحلة » .. مدينة الكروم ، والنارجيلة ، والكبة والمقاهى التى تتخللها مياه البردوني الباردة ، التى ما تكاد تترك « البطيخة » فيها لمدة دقائق حتى تنشقق من تاثرها ببرودة الماء الزائدة !

لقد اصبحت زحلة عاصمة البقاع ، مقر

اقبال هائل على التعليم فى البقاع .. وتضم المدرسة الشرقية التى تأسست فى زحلة عام ١٨٩٨ اكثر من ٩٠٠ تلميذ أتوا اليها من مختلف مدن البقاع وبيروت وحلب ودمشق وافريقيا ، ليتلقوا دروسا فى الآداب والعلوم تؤهلهم لدخول الجامعة مباشرة .. وتعتبر المدرسة الشرقية من اقدم المدارس التى تخرج منها اغلب الشخصيات اللامعة فى لبنان ..





حتى اطفال البقاع اصبحت لهم مدارسهم التي يتلقون فيها مبادىء العلوم الاولية ، على احدث وسائل الايضاح ، من كتب والعاب .. ومما يذكر ان هذه المدارس المنتشرة في زحلة ، تضم مجموعة كبيرة من اطفال ابناء لبنان المهاجرين الى افريقيا ..

المحافظ ، ومركز العلم والنور ، يقصدها ابناء البقاع من جميع الاطراف للتعلم فيها ..

سر المزارع الجديدة

وقامت اخيرا في زحلة صناعة الادوات اللازمة للمزارع الجديدة التي عمت البقاع ومختلف ارجاء لبنان .

لقد ظهر من هذه المزارع حتى الآن في منطقة سهل البقاع ..٤٠ مزرعة في فترة السنوات الاربع الماضية .

انها مزارع الدجاج التي اصبح انتاجها يكاد يوازي انتاج تفاح لبنان !!

وتكمن « شركات العلف » خلف هذه الكثرة الهائلة من مزارع الدواجن ، فهذه الشركات هي التي تشجع اصحاب الارض الفضاء على بناء المزارع ، بتقديمها تصاميم البناء البسيطة ، ومعها ٦ الاف كتكوت (صيصان كما يسمونها في لبنان) مع علفها اللازم حتى تنمو لتصبح دجاجا يعطي بيضا .. وبعدها يبدأ صاحب المزرعة في سداد الاقساط ، من ايراد مزرعته ، لاصحاب شركات العلف ..

الدجاج يستيقظ على انغام الموسيقى !

لقد صادفت هذه المزارع هوى في نفوس اهل البقاع ، الذين غالوا في تنظيمها والانفاق عليها ببذخ زائد وصل الى ملايين الليرات ، لتصبح مزارع نموذجية من الطراز الاول ..

وفي مزرعة سرسق قرب زحلة يربون الدجاج ويطعمونه على اصوات الموسيقى لاراحة اعصابه ! لانه - كما يقولون - قد ثبت ان الموسيقى تهدىء اعصاب الدجاج ، وبالتالي يزيد الانتاج بمقدار ٦ ٪ وهذه النسبة تعني الكثير عندما يصل





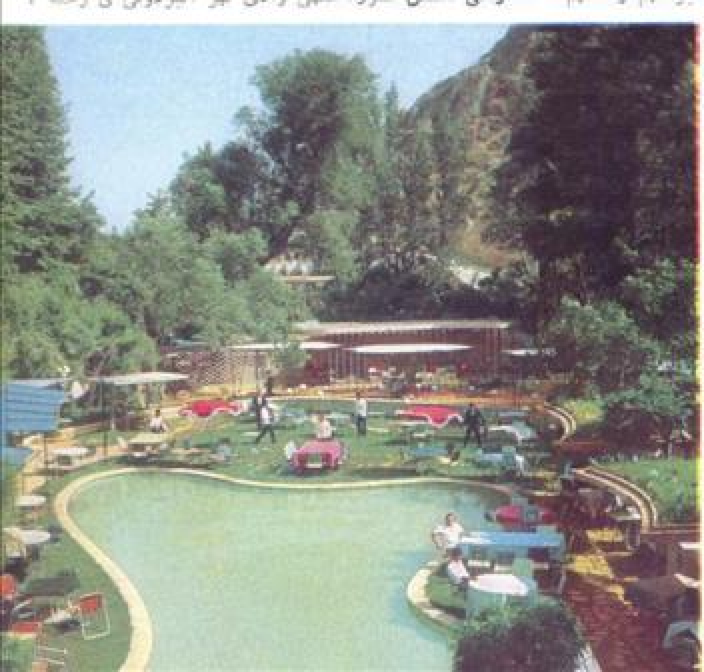
وعند مشارف بعلبك اقام احدهم خيمة يقف عندها السائح لتلتقط له صورة تذكارية وسط اطار عربي !

الى اسفل : الشمندر السكري .. المحصول الجديد لسهل البقاع .. الذى اصبح المزروع منه ٢٠ الف دونم ..





نهر الاربعين في البقاع الشمالي : تجف مياهه في منتصف ايلول ليعود الى الاندفاع في اوائل آذار عندما تذوب الثلوج .. سمي « الاربعين » ، لان اربعين شخصا كانوا نائمين في مجراه الجاف ، ثم فاجأتهم المياه وهم نيام فجرفتهم وقتلتهم ! .. **والى اسفل** صورة مقهى وادي نهر البردوني في زحلة .







مرصد « كسارة » في البقاع الاوسط ، ويقوم بتسجيل الهزات الارضية ومغناطيسية وجاذبية الارض .. وينشر نتائجه شهريا .. وقد قام المرصد بعمل خريطة لمعدل سقوط الامطار ، كما يقوم حاليا بعمل اطلس شامل للبنان .. وقد اقيم هذا المرصد عام ١٩٠٧ ويديره الآباء اليسوعيون ..

عدد دجاج المزرعة الى اكثر من ٤٠ الف دجاجة !

ومن اللطيف ان الموسيقى العذبة تنطلق طوال النهار من الميكروفونات ولا تتوقف سوى لمدة ٨ ساعات هي الفترة المحددة لنوم الدجاجة ..

حضانة الكترونية

وقد تخصصت كل واحدة من هذه المزارع لانتاج نوع معين .. فهذه مزرعة لتربية « الفروج المشوي » ، وهذه لتربية الكتاكيت ، وتلك لتفقيس البيض ..

وقد قمنا بزيارة مزرعة من النوع الاخير قرب زحلة شهدنا فيها ثماني مكنات للتفقيس تتسع كل واحدة منها لـ ٣٢٥٠٠ بيضة مرة واحدة ، وبجانبها مكنتان آخريان تتسع كل منهما لتسمين الف بيضة مرة واحدة ! .. انها احدث الآلات الالكترونية التي ظهرت ، تمكث فيها البيضة ٢١ يوما في درجة ٤٢ مئوية ، تمثل المدة والحرارة التي ترقد فيها الدجاجة على بيضها الطبيعي ..

وما تكاد تمر فترة ٢١ يوما حتى تدق اجراس الماكنات ، وتلمع اضواؤها الحمراء والصفراء معلنة مولد نحو نصف مليون كتكوت مرة واحدة !!

رحمة بالكتاكيت !!

وبعدها تنقل الكتاكيت مباشرة للفرز ، اي لمعرفة نوعها ، اذا كانت ديكة ام دجاجات . وتتم عملية الفرز بطرق خاصة يعرفها الاخصائيون ، منها الطريقة اليابانية التي تعتمد على اللمس ، والطريقة الامريكية التي تفحص الجناح ، والطريقة الانجليزية التي تشك الكتكوت بدبوس ..

وبعد انتهاء هذه العملية توضع الكتاكيت الذكور في أقفاص ، لتنقل الى افران خاصة ، هي افران الموت ! ففيها يسلط المازوت الملتهب على الكتاكيت لاعدامها !!

والسبب في عملية اعدام ذكور الكتاكيت تعود الى عدم فائدتها من الناحية الاقتصادية ، فالديك يأكل ضعف كمية العلف الذي تأكله الدجاجة ، بينما لا يزيد حجم لحمه بالقدر الموازي لزيادة لحم الدجاج !

ومما يذكر ان بيع ذكور الكتاكيت في الاسواق يعتبر غشا .. !

٦٠ مليون ليرة دخل لبنان من الدجاج

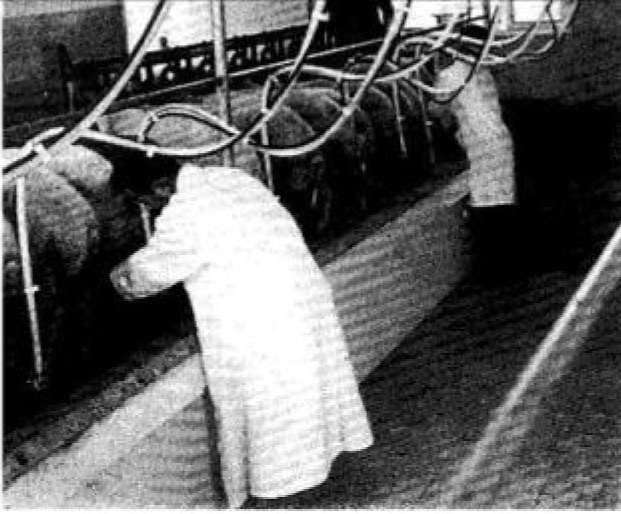
ان انتاج مزارع الدواجن ، رغم حداثة عهدها اصبح يفوق حاجة لبنان ، واصبح يغطي جزءا كبيرا من حاجة الاردن والعراق وسوريا والسعودية والكويت وبلدان الخليج العربي ..

ومع هذا التوزيع الكبير للانتاج ، بدأ اصحاب المزارع يحسون بمشكلة تصريف الزيادة المستمرة في الانتاج .. انها مشكلة خطيرة بدأت تطل برأسها، مما يستوجب تدخلا وحماية حكومية للمحافظة على هذه الصناعة الجديدة الرابحة ، التي اظهرت ارقام التصدير انها تدر دخلا على لبنان يقدر بنحو ٦٠ مليون ليرة موزعة بهذه الصورة :

٢٥٠ مليون بيضة بسعر ٢٥ مليون ليرة

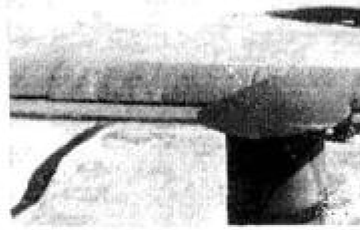
١٢ مليون فروج بسعر ٣٥ مليون ليرة

ان الحماية الحكومية الحالية تتمثل في منع



توصلت محطة تربل للتجارب الى نتائج طيبة للغاية في تربية غنم العويس لانتاج الحليب بالطرق الآلية .. ان انتاج النعجة العويسية عند المربين ، لا يتعدى ٧٠ كيلو جراما من الحليب في العام .. بينما توصلت محطة تربل، بواسطة المعدات الآلية ، الى ادرار ٤٣٦ كيلو جراما من النعجة الواحدة ! والصورة تبين النعاج اثناء حليها آليا





استيراد الدجاج ، أما البيض فما زال يستورد من الخارج .

ويقوم مختبر الابحاث العلمية بتسليم مليوني جرعة من لقاحات الدجاج والحيوان لوزارة الزراعة التي تقوم بتوزيعها مجانا على اصحاب المزارع ..

ثلاثة مستشفيات ولكن ..

أما العناية الصحية باهل البقاع ، فتقول وزارة الصحة : « ان الاوبئة والامراض ، واهمها التيفوئيد وغيرها من الحميات ، تضاءلت حتى ان لبنان كله اصبح خاليا تماما من اى اصابة بالملاريا .. » ولكن اهل البقاع – رغم هذا التقدم الصحي – ما زالوا يضطرون لحمل مرضاهم ، والتوجه بهم الى مستشفيات بيروت لاجراء العمليات الهامة ..

فالمستشفيات الحكومية في البقاع ثلاثة ، اثنان منها لم تفتح أبوابهما بعد !! وهناك مستشفى واحد اهلي وملجأ للعجزة في « كفر شيما » .

الارقام تدق ناقوس الخطر

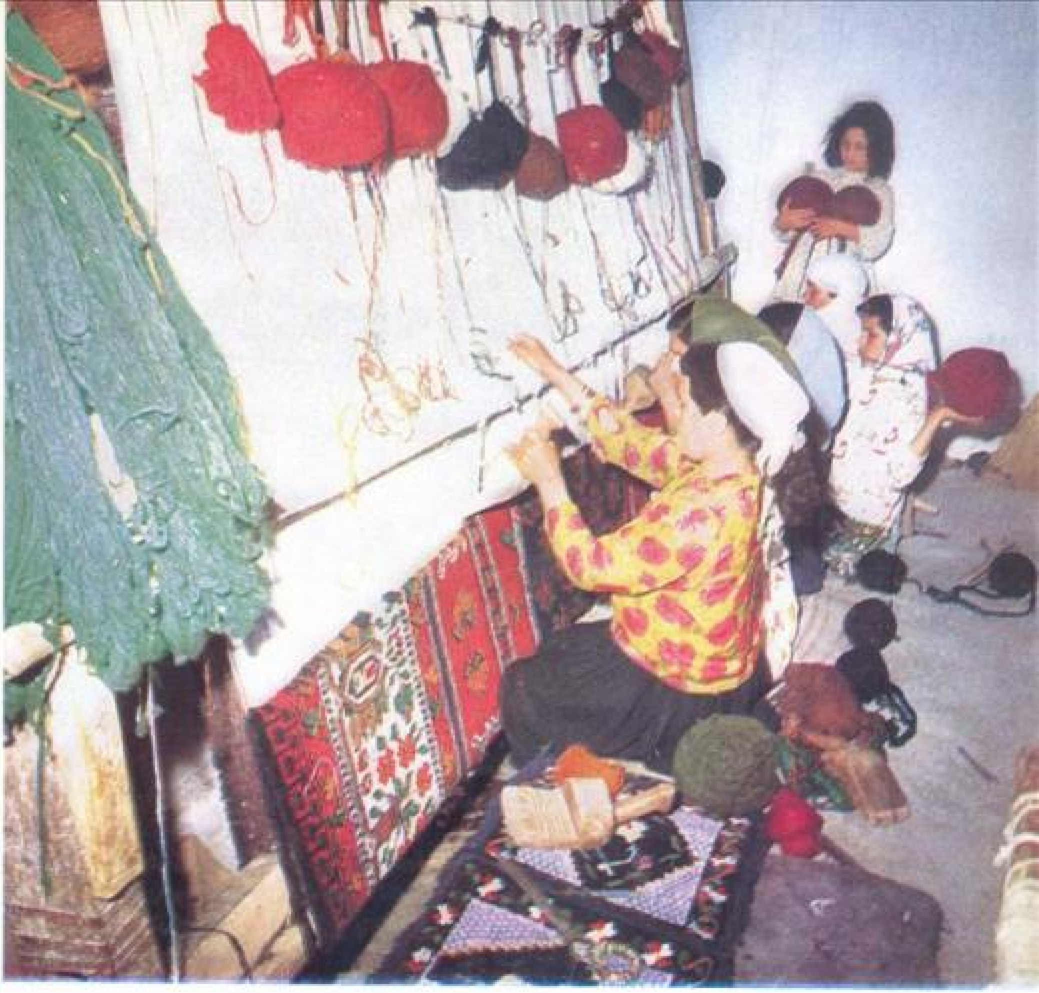
ان عدد سكان البقاع ٢٢٥ الف نسمة ، وهذا الرقم يتضاعف مرة كل عشرين عاما مع تعداد بقية السكان الذين كانوا في عام ١٩٢٤ نحو ٦٣٠ الف نسمة ، وصلوا الى ١٫١٢٦٫٦٠٠ في عام ١٩٤٢ ، وارتفعوا الى ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ في عام ١٩٦٤ .

ان استمرار زيادة الناس بهذا المعدل سوف يوصل كثافة السكان بعد عشرين عاما الى ٤٦٠ نسمة في الكيلو متر المربع الواحد ، وهي نسبة هائلة ..

كيف يعيش لبنان ؟

وقد تنبه المسئولون اللبنانيون الى خطورة هذا الوضع فجاءوا بالخبراء العالميين أمثال « فان زيلند » ، و « كالدروود » ، وبعثة ايرفد ، والاب لوبريه ، وطلبوا منهم درس وضع لبنان من جميع وجوهه الاقتصادية والاجتماعية ، مع وضع برنامج يقوم على اسس علمية صحيحة لاستمرار الازدهار الذي يشهده البلد ..

ان مسئولية اطعام الافواه المتزايده ، والمحافظة على التوازن الاقتصادى ، تقع كلها على اكتاف سهل البقاع الذي يجب ان تزاد رقعته المزروعة ، وتحسن صناعاته الموجودة ، التي تأخذ شكل



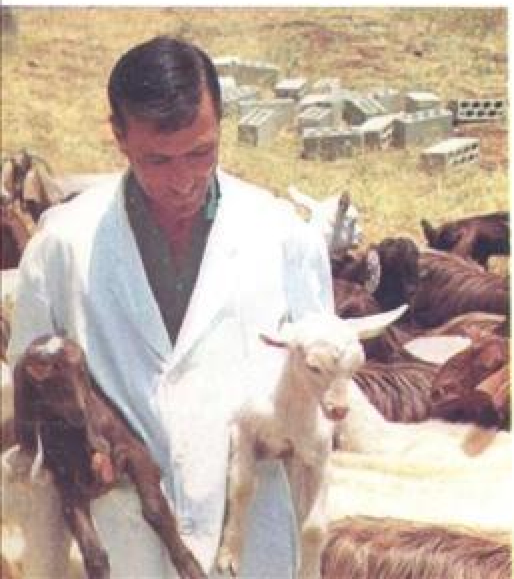
تشتهر قرية « الفاكهة » الواقعة على بعد ٤٠ كيلو مترا شمال بعلبك ، بصناعة السجاد « الفكهاني » وهي صناعة تعاونية ريفية ، اذ تتعاون فيها نساء القرية .



الى اليمين : بعض الفتيات العاملات يقمن بجمع البيض ، بعد غسله ووزنه وفرزه بواسطة المكنات الحديثة ، التي اشترتها الجمعية التعاونية لبيع البيض الناتج من ٨٥ مزرعة من مزارع الدواجن يصدر معظمه بالطائرة الى الكويت والعراق والسعودية



مليون كيلو جرام من الفواكه والخضر يقوم بتعليبها هذا المصنع الواقع في شتورا ،
.. ونرى هنا بعض عاملات المصنع ، ومجموعهن ٢٠٠ عاملة ، يعدون الكرز للتعليب .



الى اليسار : احد العاملين في « المشروع الاخضر » بمحطة تربل للتجارب ، يحمل في يده اليمنى معزة شامية وبيده اليسرى معزة سويسرية . انهما اول نتاج « سويسري ـ شامي » في سهل البقاع ، حيث تجرى التجارب لاحلالهما مكان الماعز البلدي .

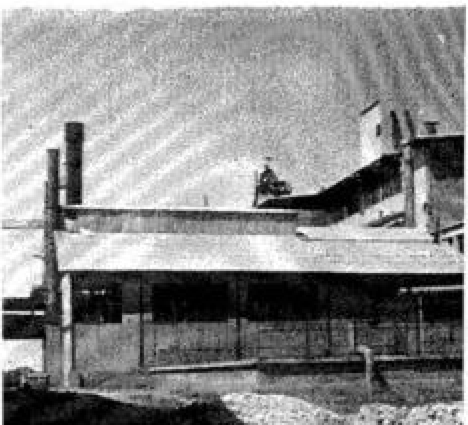
حرف يدويه اكثر من صناعات انتاجية ، فيما عدا بعض مصانع النسيج ، ومعلبات الفواكه والخضروات ومصنع السكر ، وتجفيف البصل ..

الا انه بدأت تظهر فى افق البقاع مشاريع انشاء صناعات كبيرة بعد توفر الكهرباء من مشروع الليطاني .

ولكن انشاء الصناعات الجديدة ليس بالامر الهين ، لان تجار بيروت المستوردين لنفس مواد الصناعات الجديدة ، يقيمون العراقيل فى وجه كل مشروع جديد ، كما حدث فى مشروع صناعة الاسمدة الكيماوية رغم فائدته الكبرى . حتى صناعة السكر المتمثلة فى المصنع الوحيد وسط البقاع ، تعانى الامرين من مناورات التجار الذين يتحايلون للحصول على اذون الاستيراد ، فيغرقون الاسواق بالسكر الابيض والاحمر .. فلما بدأت فكرة اقامة مصنع للسكر ، فى منتصف الطريق بين بيروت ودمشق ، قام اصحاب المصنع بحملة توعية كبرى بين مزارعى البقاع لاقناعهم بزرع الشمندر السكرى بدلا من البطاطا ، وقدموا للمزارعين البذور .. واتفقوا على شراء انتاج ارضهم مقدما .. وفرح الفلاح وبدأ يزرع الشمندر فربح ضعف ربحه من البطاطا .. واصبحت البقاع تزرع اليوم ٢٠٠٠٠ دونم من الشمندر (البنجر)، ولكن الفرحة لم تتم . اذ فوجىء المزارع هذا العام باصحاب المصنع ينذرونه بانهم غير مسئولين عن شراء انتاجه من الشمندر طالما ان الحكومة اعطت للتجار اذون استيراد للسكر !!

ان استهلاك لبنان من السكر يبلغ ٤٠ الف طن سنويا ، وانتاج هذا المصنع ممكن الوصول به الى ٦٠ الف طن ، ولكن عدم توفر الحماية الكافية يجعله لاينتج سوى ٢٥ الف طن !

مصنع السكر ، الذى تكلف بناؤه ثمانية ملايين ليرة ، والذى من اجله ادخلت زراعة الشمندر السكرى الى سهل البقاع .



تضارب

والى جانب الشمندر يزرع البقاع : البطاطس والبصل ، والحمص ، والقمح والشعير .. وهذان الصنفان الاخيران لهما قصة عجيبة .. فالكمية المزروعة منهما تعطى ٧٥ الف طن من القمح والشعير ، وهى كمية لا تكفى لسد حاجة البلاد ابدا ، فتضطر لاستيراد ٧٥ الف طن اخرى .. واتجهنا ثانية نسأل وزارة الاحصاء والتخطيط عن سبب عدم التوسع فى زراعة القمح فاجابونا :

« ليس من مصلحة لبنان زرع شبر واحد من القمح ، لانه من المحاصيل الفقيرة التى لا تأتي بدخل ، فالسعر العالمى اقل من سعر التكلفة فى لبنان ، لهذا نحبذ عدم زرع « المحاصيل الفقيرة » لنفسح المجال امام المحاصيل الاخرى التى تأتي بنتائج وايراد افضل » .

ولكن ما تقوله وزارة الاحصاء يتعارض مع ما تقوم به مصلحة الابحاث العلمية الزراعية ومكتب القمح .. فالاولى تنفق الاموال لاستنباط انواع جديدة من القمح الخشن والطرى .. والثانية تشترى القمح من المزارع باسعار تشجيعية عالية !!

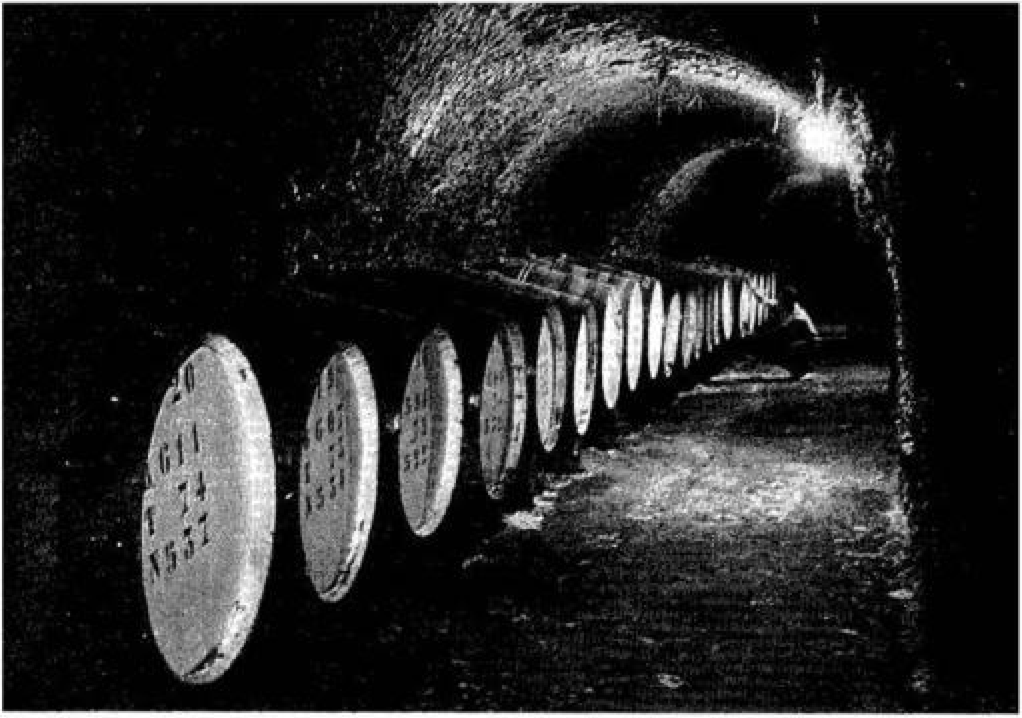
وبين هذه المؤسسات الحكومية الثلاث وقفنا مع المزارع اللبناني حائرين لانه لا يعرف لنفسه سياسة مرسومة او تخطيطا مدروسا !!

بستان الشرق

لقد مضت خمس سنوات على استيقاظ « سهل البقاع » تم خلالها انجاز اعمال ضخمة جبارة غيرت حال السهل ، وحال الناس انفسهم ، الذين يفخرون ويقولون لقد اصبح عندنا اكتفاء ذاتي .

« فاصبحنا نحصد ما نزرع ، ونلبس ما ننسج، ونشرب ما نعصر » ..

ولكن جمال هذا الكلام يجب الا ينسينا ان مسئولية البقاع لا تقف عند حد سد حاجته او حاجة لبنان فقط ، بل يجب أن يمد منطقة الشرق العربي كله من انتاجه ..



تشتهر قرية « كسارة » في البقاع بكروم عنبها المستوردة سلالاتها من فرنسا منذ مائة عام .. وعلى هذه الزراعة قامت صناعة النبيذ ، الذي يصنع منه سنويا ربع مليون زجاجة من مختلف الانواع .. يباع معظمها ، ولكن يتم تخزين جزء منها في كهوف اثرية تحت الارض ، لتعتيق النبيذ ، حتى يزداد ثمنه مع مرور السنين ..

ان البقاع يستطيع ان يتحول الى بستان الشرق الهائل ليضم اشجار التفاح والليمون والكرز والدراق ومزارع الخضراوات والحبوب ..

مطلوب طرق ومطار

ان الماء لا ينقصه .. فالانهار والينابيع والابار تنساب في كل مكان .. ومشاريع الري التي كانت تنقصه بدأت تظهر الواحدة منها وراء الاخرى .. والكهرباء والهاتف والبريد اصبحت في كل قرية من قرى البقاع تقريبا ..

والمدارس اصبح عددها ٢٥٠ مدرسة تضم اكثر من ٢٠ الف تلميذ من ابناء وبنات البقاع ..

والطرق اصبحت تربط بين القرى والمدن ..

ولكن ما زال البقاع في حاجة الى طرق تزيد من ربطه مع الساحل .. وما زال في حاجة الى مطار مدني كبير .. وما زال ينقصه زيادة عدد المدارس ، وخاصة المهنية ، والملاعب والمستشفيات .. وما زال ينقصه زرع نحو ٢٥٠٠ كيلو متر من ارضه الزراعية التي لم تستغل بعد ..

انقضى عهد السجع

أما امنية ابن البقاع فهي محو الفكرة الخاطئة المنطبعة عنه في اذهان الناس ، الذين ما زالوا يذكرونه وكأنه ما زال يعيش في العهد العثماني ، عيشة قبلية عشائرية متأخرة !

ان البقاع اليوم هو من اكثر المناطق العربية حركة ونشاطا .. لقد انقضى الزمن الذي كان يقال فيه « ما اطيب الهواء العليل ، والماء الزلال السلسبيل ، والوجه الفتان الجميل » .. لقد انقضى عهد السجع والمجاملات هذا ، وبدأ عهد الجد والعمل والكفاح ، في سبيل مستقبل افضل لبقعة عزيزة من بقاع وطننا الكبير .. ■■

سليم زبال

طرائف عربية

خير الاصهار

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لكل ابي بنت, يرجى بقاؤهـــا
ثلاثة اصـهار اذا ذكـر الصهر

فبيت يغطيهـا ، وبعل يصونهـا ،
وقبـر يواريهـا ، وخيرهم القبر

وقـال عقيل بن علقمـة وكان اغير العرب :

انى وان سـيق الـي المهـر
الف" وعبـدان وذود" عشـر
احـب اصهارى الى القبـر

اكراما للسيدة عائشة رضى الله عنها ..

روى عـن ابن الجصاص انه قال يوما : « اللهم امسخني حورية، وزوجني بعمر بن الخطاب » .

فقالت له زوجته : « سـل اللـه ان يزوجك مـن النبي صـلى الله عليـه وسلم » .

فقـال : مـا احب ان اكـون ضرة لعائشة رضى الله عنها !

مفارقات

في بعض البلاد الشرقية لا يرى الزوج امرأته قبل الزواج . وفى بعض البلاد الغربية لا يراها بعده !

من أقوال حكماء العرب المأثورة

وفى الجملـة ، الخلق الحسـن مشتق من الخلق ، فكما لا سبيل الى تبديل الخلق ، كذلك لا قدرة على تحويل الخلق ، لكن الحض على اصلاح الخلق وتهذيب النفس لم يقع مـن الحكمـاء بالعبث والتجـزيف ، بل لمنفعة عظيمـة موجودة ظاهـرة ، ومثالـه ان الحبشى يتدلك بالماء والفسول لا ليستفيد بياضا، ولكن ليستفيد نقـاء شـبيها بالبياض ، ويقال للهذار : « اكفف » لا ليكف عـن النطق ، ولكن ليؤثر الصمت .

ويقال للموتور : « لا تحقد » لا ليزول عنه ما حنق عليه ، ولكن ليتكلف الصبر ويتناسى الجزاء على هذا ابدا .

لكل مقام مقال

قال الحجاج لامرأة من الخوارج :

ـ اقرئي شيئا من القرآن .

فقرأت :

اذا جـاء نصر اللـه والفتح ، ورأيت الناس (يخرجون) من دين الله افواجا .

فقال : ويحك يدخلون !

قالت : كـان ذلك فى عهـد اسلافك ، وانما فى عهدك يخرجون ! . .

قالوا: ● الصمت اوجد للمراد من النطق ، والتسليم اظفر بالبغية من البحث .

فاطر السموات وفاطر رمضان

● راى احدهم محمدا البابلي وهوجالس فى مقهى يدخن النارجيلة ، وكان اليوم من رمضان ، فقال له :

ـ لا يصح ولا يليق ان تفطر فى رمضان واسمك كاسم النبي ..

فقال على الفور : انما انا من حزب فاطر السموات والارض .

لباقة

● سأل زياد حارثة بن بدر :

ـ من أخطب : انا أم انت ؟

فقال : الامير اخطب اذا توعد او وعد، وبرق ورعد ، وانا أخطب فى الوفادة والثناء والتحبير . وانا اكذب اذا خطبت ، والامير يقصد الحق ، ولا يزيد الا فى العطاء .

شروط المنادمة

● قال بعض الظرفاء : شرط المنادمة قلة الخلاف ، والمعاملة بالانصاف ، والمسامحة فى الشراب ، والتغافل عن رد الجواب ، وادمان الرضى ، واطراح ما مضى ، واسقاط التحيات ، واجتناب اقتراح الاصوات ، واكل ما حضر ، واحضار ما تيسر ، وستر العيب ، وحفظ الغيب .

حذلقة وسرعة خاطر

جيء لابي علقمة النحوى بغلام يخدمه، فاراد يوما البكور فى حاجة له ، فقال :

ـ يا غلام اصقعت العتاريف ؟

فقال الغلام : زقفيلم !

فقال ابو علقمة : وما زقفيلم ؟

فأجابه : وما العتاريف ؟

قال : الديوك !

فسأله : وما زقفيلم ؟

قال : زقفيلم ، يعني لم تصح بعد !

آراء للعرب اخرى

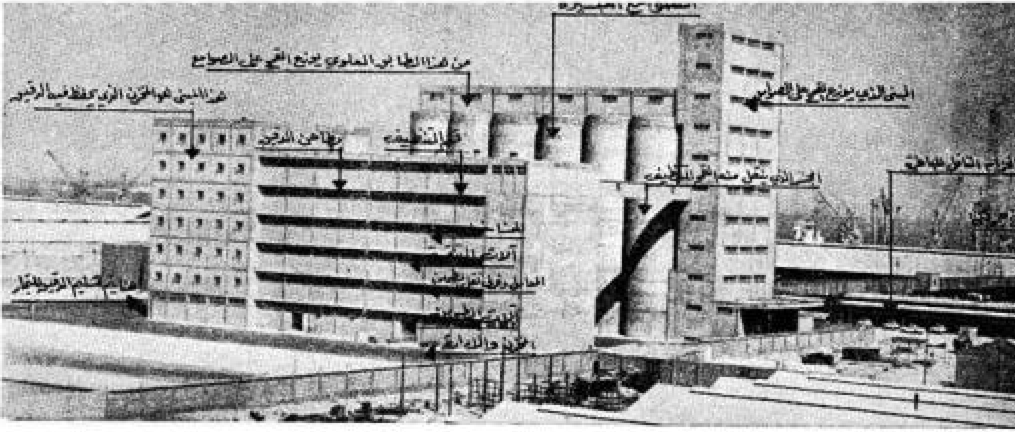
● من احرق عقربا طرد برائحة حريقها عقارب ذلك البيت

فأما حمة العقرب فهي جوفاء كهيئة المزمار معقفة الراس مكونة للدغ ، فاذا ضربت شيئا تحركت فخرج سمها وجرى فى حمتها وسرى فى الملدوغ .

الاناث من بنات عرس انما تلقح من افواهها وتلد من آذانها .

من عادة هذا الجنس ان يسرق ما وجد من حلى الذهب والفضة ، ويخبئه فى حجرته ، فان وجد ايضا فى البيت حبوبا خلط بعضها كأن عمله عمل الطباخين فى خلط التوابل .

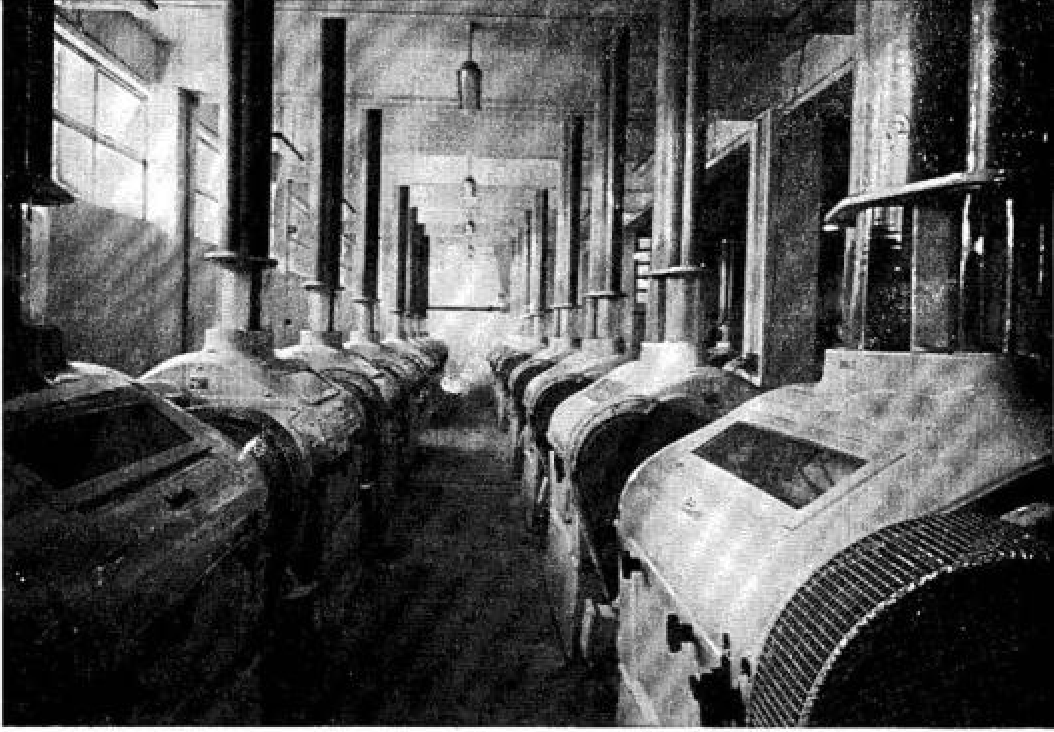
الفار الفارسى اطيب ريحا من كل طيب



أحدث مطحنة للدقيق في الكويت

آلة تعبئة الطحين : هذه الآلة تعمل بعاملين ، وتعبيء الطحين في اكياس سعة ٥٠ كيلو جراما بمعدل ٣٠ طنا في الساعة ، وتعبأ الاكياس بالكمية الصحيحة وتخاط وترسل الى مخزن الاكياس بصورة آلية .





الات الطحين : هذه هي الآلات التي تطحن القمح ، وهي تقوم بالطحن بطريقة تدريجية ، وكل آلة لها عمل يختلف عن الاخرى .

■ هل تساءلت يوما ، وانت تأكل رغيف الخبز ، عن المدة التي استغرقتها طحن حبة القمح لتصبح دقيقا ناعما يصنع منه رغيفك ؟

قد تظن انها ثوان ... او دقائق ...

ولكن الواقع ان طحن حبة القمح اصبح يستغرق مدة نصف ساعة كاملة ليتحول الى دقيق ، داخل المطاحن الحديثة التي اخذت مكان المطاحن الرحوية القديمة التي كانت تدار باليد ، او الهواء ، او الماء ، او البخار .

ان مطاحن اليوم أصبحت مطاحن آلية ضخمة تدار من غرفة خاصة بواسطة الضغط على الأزرار ، فتسير دواليب المكنات دون حاجة الى عمال !

والدافع الاكبر وراء انشاء هذه المطاحن الكبيرة الآلية يعود الى مطلب الجماهير للرغيف النظيف ..

وفي الكويت ارتفعت الأصوات شاكية من رداءة الدقيق واتساخه ، وحاولت



تندفع اكياس الدقيق من المخزن اليا حيث تسلم للتجار زنة ٥٠ كيلو جراما .

البلدية عبثا السيطرة على نظافة الدقيق الذى كان يرد من مختلف الاض مطحونا جاهزا ، مما يجعل مهمة مراقبته مستحيلة .. وهنا اتجه تفكير المسئولين فى البلدية الى انشاء مطحنة كبيرة حديثة تكون مسئولة عن نظافة الدقيق .. وما كادت تتبلور الفكرة حتى تبنتها وزارة المالية الكويتية ، فاعلنت عن تاسيس شركة مطاحن الدقيق ، واكتتبت هي بمبلغ مليون دينار اى نصف قيمة راس المال .. وطرحت للاكتتاب اسهما بمبلغ مليون دينار اخرى ... وما كاد الاكتتاب يفتح حتى غطاه الجمهور بمقدار ٢٦ ضعفا ..

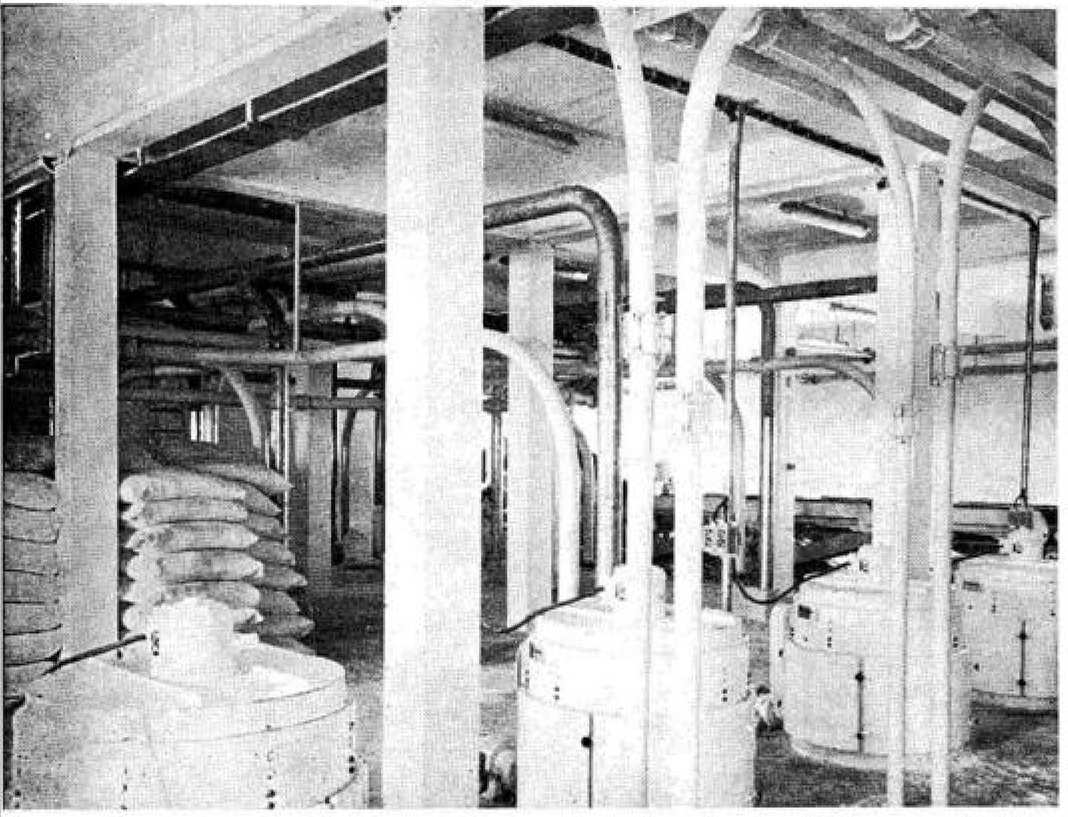
ولكن الحكومة اصرت على الاشتراك مع القطاع الخاص منعا لأى تلاعب ممكن ان يحدث فى اسعار الدقيق الذى هو مادة غذائية رئيسية لأفراد الشعب ..

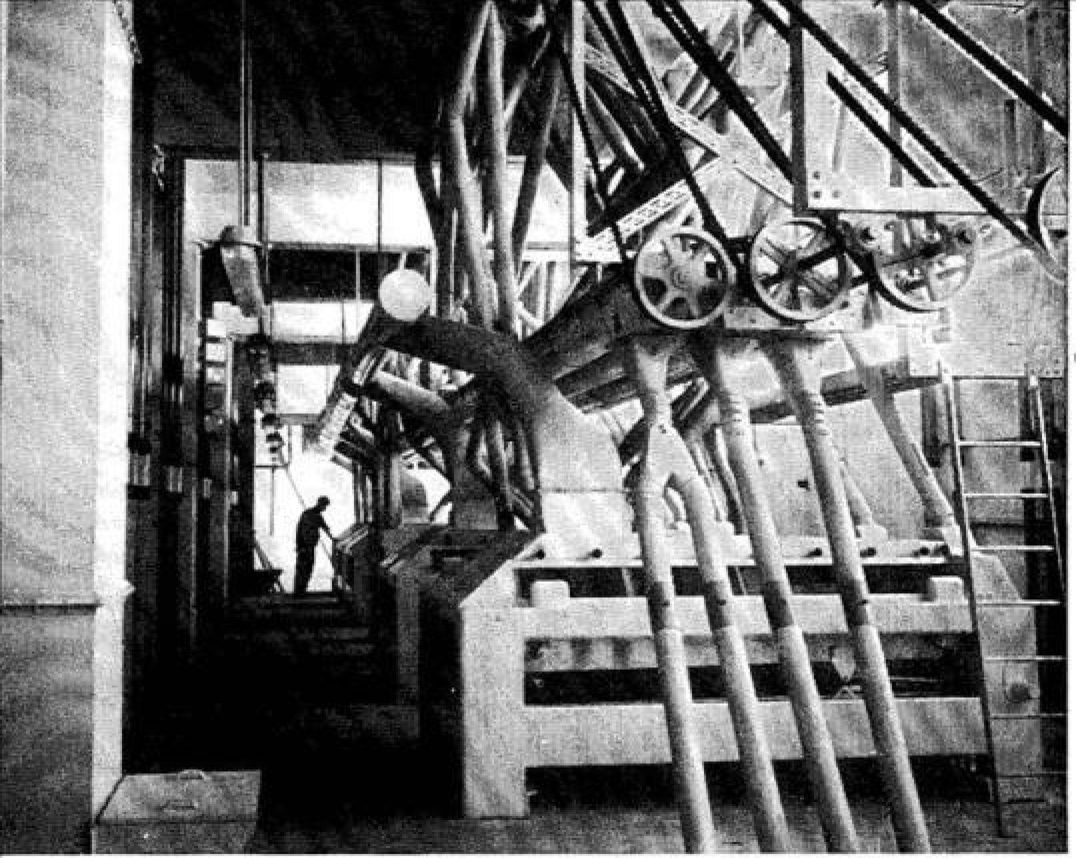
ان الهدف الرئيسي من اقامة الشركة هو ـ كما سبق ـ وذكرنا تأمين الرغيف المكتمل صحيا للمواطن ... لهذا جاءت المطحنة على أحدث طراز واكمله .. وقد بلغ ثمن المطحنة بمفردها ٧٠٠ الف دينار .. وقد تم تركيبها على الأرض ، التي اعدت اعدادا خاصا لتحملها ، وبعدها بدأ البناء حولها ، الذى جاء مكونا من خمسة طوابق ، مما يعطينا فكرة عن مدى ضخامة المطحنة ..

اما تكاليف المشروع كله ، بما فيها تركيب الآلات والأعمال الكهربائية .. والمباني المدنية ، والمطحنة فقد بلغت ١٧٠٠٠٠٠ دينار .

وتقوم هذه المطحنة بطحن ١٥٠ طنا من الدقيق يوميا،اى ما يزيد عن استهلاك

هذه الفلترات تسحب الغبار من القمح .





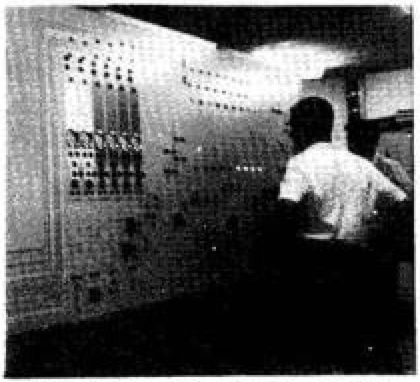
الات التنقية : الغرض من هذه الالات هو فصل الاجزاء الصغيرة من النخالة العالقة بالطحين ، كما انها تقسم الطحين الى انواع مختلفة من حيث النعومة والخشونة والنقاوة .

الكويت الذي يتراوح بين ١١٠ و ١٣٠ طنا يوميا .. وباستطاعة المطحنة زيادة انتاجها الى ٢٠٠ طن يوميا .

ان الكويت ليس بلدا زراعيا ، لهذا يعمد الى جلب كل حبة قمح من الخارج بالبواخر ، التي ترسو على الرصيف البحري قرب المطحنة .

وتتم عملية تفريغ القمح من السفن بأنابيب تعمل بالهواء المضغوط .. فما تكاد الأنبوب توضع في عنابر السفينة حتى تسحب القمح بسرعة ١٥٠ طنا في الساعة ، لتنقله الى حزام دائري متحرك يوصله الى الصوامع الكبيرة .. حيث لن يراه احد بعد ذلك الا وقد اصبح دقيقا !

لأن جميع العمليات التالية ، وعددها



غرفة الضوابط الكهربائية ومنها تتم ادارة ومراقبة سير المطحنة .

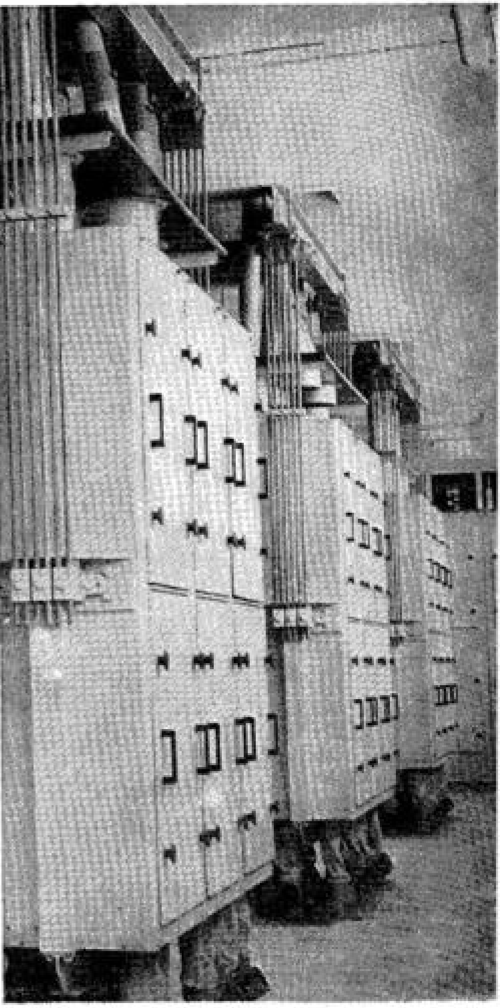
١٦ عملية ، تتم آليا فى مكنات مقفلة لا تلمسها يد الانسان ..

ان الصوامع الكبيرة التى يحفظ فيها القمح هي بمثابة قلب المطحنة فهى التى تستلم القمح من الباخرة ، وهى التى تسلمه للمطحنة ، كل هذا عن طريق احزمة متحركة ناقلة ..

وقبل ان تنتقل حبة القمح الى المطحنة تمر بفترة صعبة قاسية ، لا يحسدها عليها احد ! فهي تمر اولا فى مكنة التنظيف التى تنزع عنها قشرتها وتزيل ما علق بها من اتربة واوساخ .. وفى احد الاركان يوجد مغناطيس قوى يجذب كل ما يكون قد اندس من معادن بين حبات القمح ..

وتظل حبات القمح تنتقل بواسطة الاحزمة الآلية والمصاعد للتنظيف ٥ مرات متتالية ، ثم تجرى عملية تقسيم الحبات حسب احجامها .. وتنقل الحبات الكبيرة الى المغسل حيث ترش بالماء ثم تبدأ عملية تفقد فيها حبة القمح وحدتها وتكوينها اذ تتكسر لتتجزأ قبل ان تطحن وتغربل لآخر مرة لتصبح دقيقا معبأ فى اكياس وزن كل منها ٥٠ كيلو جراما ..

وتنتقل الاكياس الى مخازن خاصة كبيرة مفتوحة لضمان تهوية الدقيق ، حتى لا يفسد .. ومن هذه المخازن يتم



المناخل : تنخل هذه الآلات الدقيق الآتي من المطاحن، وتقسمه الى عدة اصناف، وتعيد الخشن منه الى آلة الطحن المناسبة للمزيد من الطحن .



الردة انها قشرة القمح وهى تعبأ فى اكياس زنة ٥٠ كيلو وتعطى كطعام للماشية .



مخزن اكياس الطحين .. انه مصاعد كهربائية تنقل الاكياس وتستطيع ان تخزن ١٥٠٠ كيس طحين. وخزنها بهذه الطريقة يضمن لها التهوية التي تساعد على ابقاء الدقيق بحالة جيدة .

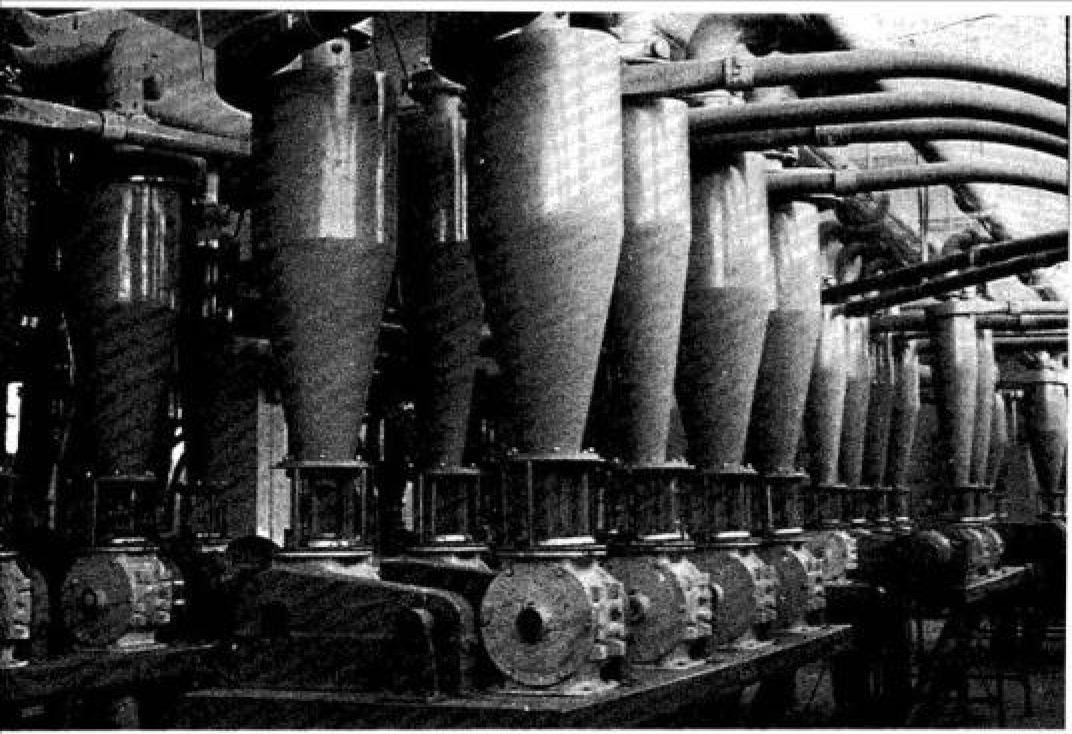
تزويد التجار بحاجتهم من الدقيق ... ولا يسمح بالبيع الا لمن يشترى عشرين كيسا على الاقل ..

وينقسم الدقيق الى ثلاثة انواع ، طبقا لنعومته ومقدار النخالة التى فيه .. واطلقوا على هذه الانواع اسماء : صفرين .. ثلاثة اصفار .. اربعة اصفار ..

ولكل منها استعمال خاص به ، فالاول يصنع منه الخبز البلدى المحلي .. والثاني يصنع منه الخبز العربي الشامي .. والثالث يصنع منه الخبز الافرنجي .

وقد نزلت الى الاسواق اخيرا اكياس بها دقيق خاص للحلوى ..

ومما يذكر ان الشركة بدات اعمالها باجراء التجارب على آلات المطحنة لمعرفة



اجهزة فصل الطحين من الهواء : وهذه الاجهزة هى لفصل الهواء عن الدقيق فبعد ان يمر القمح فى المطاحن ترفعه مراوح هوائية الى هذه الاجهزة ومنها ينزل الدقيق الى آلات اخرى ، بينما يذهب الهواء للخارج بعد ان يمر فى جهاز لتنظيفه من الغبار .

قوة تحملها . وجاءت النتائج محققة للآمال الكبار المعقودة على الشركة .. فقد استطاعت الآلات تحمل ضغط عمل متواصل بلا انقطاع لمدة ١٧٦ ساعة دون حدوث اى خلل او عطب .

وتحتفظ الشركة فى صوامعها بثلاثة وعشرين الف طن من القمح تمثل احتياج الكويت لمدة ستة اشهر على الاقل .

وقد عمدت الادارة الى سياسة حكيمة اذ تعاقدت مع الفنيين الذين قاموا بتركيب الآلات لما لهم من كفاءة ودراية بكل صغيرة وكبيرة فى المكنات ..

ان شركة مطاحن الدقيق التى لم تر الشمس الا منذ بضعة اشهر بدات تدرس جديا اقامة اكثر من مشروع حيوى يستمد مواده من الدقيق ..

ان هذه المشاريع سوف ترى النور فى القريب العاجل لتجعل من الكويت بلدا منتجا لما يستهلك . ■■



فى هذا المختبر تعمل تجارب كل ساعة على انتاج المصنع لمعرفة مدى جودة الانتاج ونوعية الطحين

أنباء الطب والعلم والاختراع

الفول السوداني ، قد ينطوي على سم

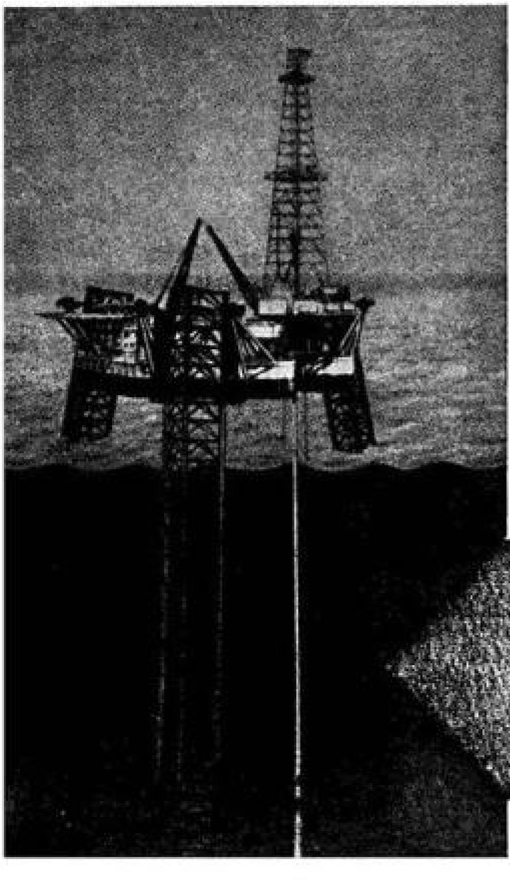
● حدث فى عام ١٩٦٠ ان مات عدد كبير من صغار الديكة الرومية فى انجلترا ، وبالفحص وجدوا هناك ان الموت كان بسبب سم جاء من عفن خاص . وبالفحص وجدوا ان هذا السم ، واسموه افلاتكسين Aflatoxin ، سم ينتجه العفن المعروف بالاسم العلمى Aspargi-llus Flavus . واليه نسبوا سرطان الكبد وهم وجدوه فى الحيوانات التي تأكل هذا الفول العفن .

ومن ذلك الوقت اتخذت الولايات المتحدة احتياطاتها فيما يختص بالفول السوداني Peanuts ، وهو منتشر بين سكان الولايات غذاء طيبا ، وهو كذلك يستصنع منه اشياء كثيرة .

وقد نشر ثلاثة علماء من ولاية تكساس ، فى عام ١٩٦٥ ، بحوثهم فى هذا الموضوع ، وفيها ان هذا العفن لايوجد فى قرون الفول السليمة ، التي لم ينكسر قشرها .

وقد قامت مختبرات ستة فى الولايات المتحدة كبيرة بفحص عينات كثيرة من الفول المقشور ، ومن دهن هذا الفول ، ومن طحينه . فأحصت من المقشور ٢٨٠٠ عينه ، ومن الدهن ١٤٠٠ عينه ، ومن الطحين ٢٠٠ عينه .

وخرجت فيما خرجت به على ان جزءا من الف فقط من هذه العينات التى تطرح للطعام هى التى اصابها هذا العفن بسمه .



الحفر عن البترول تحت الماء

[illegible]

وجبات ، تحملها الى المنازل عجلات

● هذا اسم مشروع ، بدا فى لندن منذ عام ١٩٠٥ .

وهدفه اجتماعي ، رحمة بالعجزة من المرضى الذين هم حبساء فى منازلهم ، لا يستطيعون ان يغادروها . وهم بالطبع لا يستطيعون ان يتسوقوا الطعام فى اسواقه ، او يطبخوه فى مطابخهم . واكثرهم المسنون . واكثرهم الوحيدون الذين لا يكاد يطرق بابهم طارق .

واحصوا من عدد هؤلاء فى عام ١٩٦٠ فى لندن ٢١٠٠ .

والجمعية التي تقوم بهذا خيرية ، تنفق على الاغذية ، شراءها ، وطبخها وتجهيزها ، وحملها على عربات والطعام بها ساخن ، الى منازل هؤلاء الذين حرموا متعة هذه الحياة من صحة ومن حركة . وهى تبيع هذه الاغذية لهؤلاء بثمن التكلفة .

وفى الامم المتقدمة بيوت للعجزة ، يعيشون فيها ، ويدفعون فيها بالقدر الذي يستطيعون . وفيها العناية الطبية قائمة . وهى بمثابة ملاجيء ، صنوفا بين المنازل والمستشفيات . ويلتجيء اليها ليس الفقير خاصة ، ولكن العجوز الوحيد الذى تقطعت علاقاته باهله .

والوجبات التي تحملها الى المنازل العجلات ، مشروع كان القصد منه تخفيف الضغط عن تلك البيوت .

ولكن اتضح من تقارير نشرت فى انجلترا واسكتلنده والولايات المتحدة ان هذا المشروع لم يحقق كل الغاية منه . فتفرق هؤلاء الناس يجعل العناية الطبية بهم عسيرة .

ثم الوحدة القاتلة التي يشعر بها هؤلاء الناس . فالطعام الجاهز اثبت انه يفى ببعض حاجة الحياة ، ولكنه لا يقوم بحاجة النفس الى الاجتماع بالنفس ، واسماع النفس صوت النفس ، والاستماع لها .

طائرات تغير اجنحتها

● من البحوث الحديثة فى عالم الطيران بحث يتركز فى كيف ترفع الطائرة عن الارض ، دون ان تجرى على الارض مدة طويلة تكتسب فيها سرعة تاخذ بعدها ترتفع عن الارض ثم تطير . وهكذا هي تفعل عند الهبوط . البحوث الجارية هي تقصير هذه المهابط الطويلة على الارض ، وما يترتب عليها من تصغير ساحات الطيران لاسيما فى المدن .

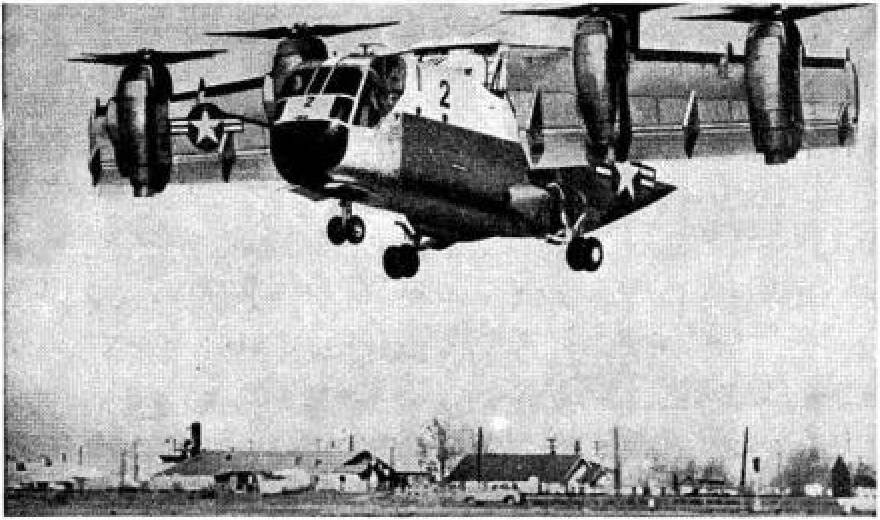
وكانوا ابتدعو طائرة يستطيع قائدها ان يوجه محركاتها بحيث تسير بالطائرة قدما فى الهواء وهو يوجهها بحيث ترفع وجهها الى اعلى ، فتعلو بالطائرة ، كما تفعل الهلكبتر .

وفى الصورة ترى الطائرة Xc 192 A فى الوضع الذى ترتفع فيه الى اعلى ، فى مساحة من الارض صغيرة ، ثم فى الوضع التي تطير به فى السماء . والملاحظ ان الذى توجه الى اعلى ليس محركاتها الاربعة فقط ، بل والجناحان اللذان حملاها . وضعُ الجناحين فى الصورة الاولى رأسيّ . ووضعهما فى الثانية أفقيّ كالذى تعودناه فى الطائرة .

قلوب مصطنعة

● دخلنا هذه السنوات فى عصر فى الطب جديد . جديد فى كثير من نواحيه واهدافه . ومن هذه النواحي والاهداف استعاضة اعضاء سليمة مكان اعضاء فى الجسم مريضة . كاحلال كلية سليمة من رجل يتطوع بها مكان كلية مريضة لرجل لم يبق له امل فى الحياة الا بالاستعاضة بها .

وفى نفس الوقت اتجه الطب الى احلال اعضاء مصنوعة من لدين (بلاستيك) وغير لدين ، مكان اعضاء مريضة . ومن ذلك ازالة صمامات قلب





تالفة وتعويضها بصمامات صنعها الانسان من لدائن .

والنجاح يغرى بالنجاح ويزيد الاطماع . واليوم يطمع الطب فى احلال اعضاء كاملة مصنوعة من لدين مكان اعضاء تالفة هى من صنع الطبيعة فى اجسام المرضى .

ويتجه الامل الاكبر الى القلب . نعم القلب كله . يريدون ان يستبدلوه كله بقلب من لدين .

انهم فى جراحات القلب الحاضرة ، وهي تستغرق وقتا ليس بالقليل ، صنع العلماء قلوبا خارج الجسم ، من مواد لادخل لانسجة الجسم فيها ، فهي من لدائن ومعادن . ووصلوها بدورة الانسان ، فقامت مقام القلوب تجرى الحياة ، بينما الجراحون يصلحون من خلل هذه القلوب ما يصلحون . ثم تعاد الروابط الى ما كانت عليه .

هذا فى ذاته عمل عظيم .

ولكن اعظم منه استبدال قلب مصنوع بقلب مطبوع .

ان القلب مضخة ، تتلقى الدم من الاوردة ، وتضخه الى الرئتين ليتهوى وليحمل من اكسجين الهواء ما يحمل ، ثم هو يعود الى القلب ليضخه مرة اخرى الى الجسم يدور فى شوارعه والازقة يزود خلايا الجسم بالغذاء .

الخشب الذرى ، بعد الخشب الطبيعي

● اسم مخوف . انه الخشب الذرى . ولكن يطمئن منه ان الذرة لا تدخله الا اشعاعا ، ثم لا يكون بعد ذلك من الذرة شيء .

انه ابتداع جديد خطير ، حتى لعدوه من الابداعات العشر الاولى التي تمخض عنها العلم فى عام .

انه خشب سقوه باللدين (البلاستيك)، قبل ان ينعقد فيصبح لدينا جامدا . وهو ينعقد بالاشعاع الذرى يخرج من الذرات المشعة ، كالكوبلت المشع مثلا .

والنتيجة خشب ولدين معا . وهو نتاج يحتفظ بشكل الخشب ، ولونه ، لان تلدينه لا يتم بالحرارة وكذلك هو يحتفظ بتعريقة الخشب ، ولكنه يزيد عنه قوة . يضاف الى ذلك ما يعطى اللدين من خواصه المعروفة .

والخشب اللدينى ينشر ، ويخرق ، ويخرط ، ويعالج سطحه فيعطى سطحا جامدا ولكنه املس كالحرير .

واذا اضيف لون الى سائل اللدين قبل تشريب الخشب به ، عم اللون الخشب كله ، فكانما كان طبيعيا .

وقد اجرى التلدين على خشب الصنوبر الابيض والاصفر ، وعلى الارو والتامول ، وكل نجم .

اما تجهيز التلدين فبسيط . يجهز الخشب اطوالا واسماكا مطلوبة . ويحضر سائل التلدين وفيه الجزيئات الكيماوية البسيطة Monomer التي سوف تشبك بعضها فى بعض لتكوين الجزيئات الطويلة Polymer التي هي اللدين الجامد بعد تجهيزه . تماما كما تشبك الحلقة الحلقة فالحلقة عشرات المرات لتتكون منها السلاسل الطويلة .

اما الذى يعمل على شبكها كيماويا فهى الاشعة الذرية المعروفة باشعة ج Gamma ray كالتي تخرج من عنصر الكوبلت المشع ، ومن اجل هذا جاء اسم

غواصة لرجلين

● انها غواصة تتسع لرجلين فقط ، سميت باسم الألهة الفينيقية عشيراب ، وصنعوها لبحث الجرف القارى فى الشمال الشرقي من الولايات المتحدة ، ذلك الذى تغطيه مياه المحيط الاطلسى .

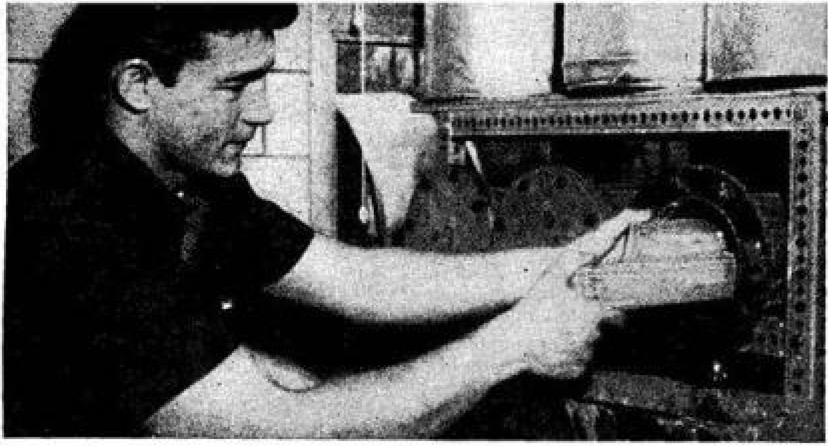


والغواصة تستطيع ان تهبط الى عمق ٦٠٠ قدم ، وان تسير بسرعة اربعة اميال بحرية فى الساعة (الميل البحرى ٢٠٢٦ يارده) .

ولها محركان جانبيان ، يمكن توجيههما الى نواح عدة ، وبذلك يمكن بهما تحريك الغواصة الى كل اتجاه افقي ، كما يمكن رفعها من الماء او خفضها فيه ، فهى فى الماء ، قاربت الهليكوبتر فى حرية حركتها فى الهواء .

وسوف يستخدمها الاستاذ كونوفر ، الاستاذ المساعد لعلوم المحيطات بجامعة رود ايلند Rode Island للكشف عن صنوف

الفواصة عند تدشينها ، وتدشنها ــ وفقا للتقاليد ــ زوجة عالم الاثار ، جورج باس صاحب فكرة المشروع .



طالب فى جامعة فرجينيا ، يضع عينات من الخشب فى الانابيب التي فى الصورة لاشرابها بسائل اللدين قبل تلدينه . وتجد السائل فى الاسطوانات التي فى اعلى الانابيب . والاشراب يكون بضغط السائل فى الخشب . ومن بعد اشراب يعرض الخشب لاشعة جاما او جيم لينتج اللدين وقد ملأ كل فراغ فى النسيج الخشبى .

هـذا الخشب : الخشب الذرى . وان شئت فالخشب اللدينى

انه لم يخرج الى السوق بعد ، ولكنه اوشك على الخروج ، واذن فالى الصناعة والتجارة .

ان اللدين فى اول امره لم يسمع به الا العلماء . امـا الناس فراوه شيئا مصنوعا : اطباقا ، او معالـق ، او علبا ، او اغطية قد غطيت بها الموائد فى المطاعم فهي ثابته يغسلها الغاسل من بعد طعام ، فتلمع كما لمعت اول مرة .

النبات الموجودة عند هذا الجرف تحت ١٤٠ قدما عمقا .

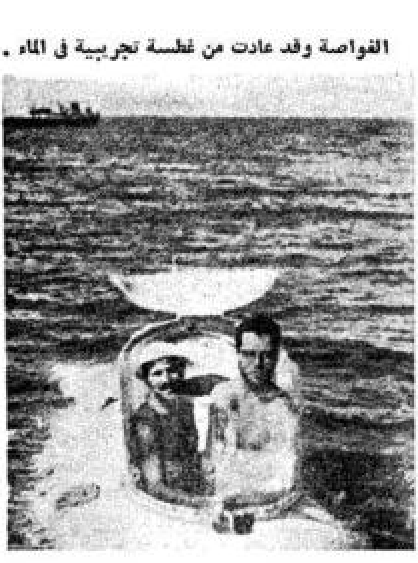
واما الاستاذ ماك ماستر ، استاذ الجيولوجيا ، فقال انه سوف يستخدمها للكشف عـن النجاد والوهاد والوديان الموجودة فى تلك الاعماق .

وبالفواصة ست نوافذ تأذن بالرؤية ، الى امام ، والى تحت ، والى الجانبين .

ولعل الغرض الاول من صنع هـذه الغواصة الباكرة هو اكتشاف الصعوبات التي يجدها العامل، وهو يبحث، فى مثلها. وذلك حتى تكون الغواصات التى تبنى بعد ذلك افضل واسهل واوفق باغراضها.

والدرس المستفاد من هذا الخبر ، وغيره مما يتصل بالغواصات والغاطسات من شتى الانواع ، انه يدل على مقدار المجهودات التي يبذلها الانسان فى هـذا العهد الجديد الذى اغرى بافتتاحه قول القائلين انه قبل بحوث الفضاء يجب ان يبحث الناس ما هو اقرب اليهم : اعماق المـاء .

الغواصة وقد عادت من غطسة تجريبية فى الماء .





دهاء نبيل .. ودهاء ممقوت !

عن جريدة « اليمامة » السعودية :

كان عمر بن الخطاب مشهورا بالدهاء، وكذلك كان غيره من الرعيل الاول من رجالات الاسلام .. لكنه كان دهاء نبيلا يصفه المغيرة بن شعبة بقوله : « كان له عقل يمنعه من ان يُخدَع ،وكان له فضل يمنعه من ان يَخدَع » !

وهذا هو الفرق بين دهاء عمر ورهطه، وبين دهاء ساسة هذه الايام الذى يقوم على الخديعة والمكر والتحايل . كل ذلك ليسلبوا الشعوب خيراتها وثرواتها ، كما نشاهد فى الكونغو وفلسطين وجنوب افريقيا من البلاد التى اصبحت مسرحا لألاعيب الساسة ، وتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية . وذلك هو الدهاء (الممقوت) الذى يسعى الى الشر والاستعباد ، اما دهاء عمر وصحبه فقد كان دهاءا نبيلا خَيِّرا يدفع الشر عن الناس ، لا يسعى ليصيب الناس به !

ولو ان الله قد اتاح للارض دهاة من هذا الطراز لنشطت البشرية الى العمل لخيرها ، ولساد الحب والتفاهم بين الناس ، فى هذا العصر الذى لا يؤمن الا بالقوة ، ولا يصفي الا للاقوياء ، رضى الله عن عمر بن الخطاب ــ كان يعرف الدهاء بقوله : لا تكن خبا ولا يخدعنك الخب عن نفسك .

الأمم المتحدة .. ما فائدتها ؟!

عن جريدة « العلم » المغربية :

النهاية القديمة تعيد نفسها على كل الاشكال والصور ..

حكاية القطط التى سرقت الجبنة وذهبت بها الى قرد يقسمها بينهم ، فضحك عليهم واكل كل الجبنة !

هذه الحكاية تكرر نفسها كل يوم !

مشاكل

عن جريدة « الانوار » اللبنانية :

كلما تقدم لبنان سياحيا تزداد الشكوى من الغلاء .. وهى شكوى يشارك المصطافون فيها الشعب اللبناني كله ، عدا حفنة من ذوى الثروات والمصالح تعج بهم المطاعم والمؤسسات السياحية الكبرى فى المدينة وفى الجبل وهم لا يشكلون خمسة بالألف من الشعب .

واما اللبنانيون الآخرون فلهم الاحراج ، ولهم صخور الشاطىء ، لانهم لا يجرؤون على اقتحام مطعم او ملهى محترم !

ومهما عملت مفوضية السياحة والاصطياف لمكافحة ارتفاع الاسعار فى تلك الاماكن تبقى الشكوى مستمرة . فمن النظافة والخدمة الممتازة تبدا

القوي يأخذ جميع حقوقه بنفسه ، واحيانا كثيرة يأخذ ايضا حقوق الاخرين، وتبقى للضعيف امكانية ان يلتجىء الى محكمة يقف في بابها طويلا لتأخذ له حقه ! وغالبا ما تعجز عن رد هذا الحق .

والمحكمة التى تلجأ اليهـا الشعوب الضعيفة هي الامم المتحدة ..

ولكن ماذا افادت هذه الامم المتحدة ؟

هل اوقفت العدوان الثلاثي على شعب الجمهورية العربية المتحدة ؟

هل منعت جريمة اغتيال لومومبا ؟

هل اقامت سلاما فى الكونغو ؟ وفى الدومنيك ؟

هل هى التى كانت وراء توقف عدوان امريكا على كوبا ؟

الاسئلة لن تعطينا غير جواب واحد ، هى ان الامم المتحدة سلاح جديد فى يد الاقوياء فقط ، يسخرونه لصالحهم رغم النوايا الحسنة التى يعرب عنها ثانت ..

سياحية

مكافحة الغلاء ويخف الازدحام عن المؤسسات السياحية المشهورة، ويتحول الناس نحو المحلات المتواضعة .

فى اوروبا فروقات كبيرة فى الاسعار بين مطعم وآخر او بين فندق وآخر .. ولكن رائحة المطعم الصغير والكبير واحدة : النظافة والمعاملة والخدمة تكاد تكون واحدة : وهكذا الابتسامة واللطف ..

اما فروقات الاسعار ، فتعود لشهرة المحل او لمظهر غناه ومفروشاته ..

لذلك فان مهمة مكافحة الغلاء ليست ملقاة على عاتق المسئولين فحسب ، بل على أصحاب المؤسسات والمحلات التى تشكو عدم اقبال الزبائن .. الا اننا لا نبرىء مفوضية السياحة والاصطياف من مسئولية اخذ المبادرة للوصول الى وضع سياحي مقبول .

هذا هو صوت أمريكا الحقيقي !!

عن جريدة « الجمهورية » القاهرية

هاجم الكاتب اليهودى الامريكى المعروف الفريد ليلينتال ــ الشهير بعداوته للصهيونية ــ قرار الرئيس الامريكى جونسون ، بتعيين اليهودى الصهيونى آرثر جولد برج رئيسا للوفد الامريكى فى الامم المتحدة ، خلفا لادلاى ستيفنسون الذى داهمته الوفاة فجأة وقال : ان الرئيس الامريكي قد اخطأ خطأ فاحشا باتخاذ هذا القرار !

ولكنى اختلف مع الفريد ليلينتال فى هذا الرأى ! فالرئيس جونسون لم يخطىء ابدا عند ما اختار آرثر جولد برج بل انه ــ على عكس ذلك ــ كان منطقيا فى تصرفه الى حد بعيد !

فما دام الصهيونيون هم الذين يوجهون السياسة الامريكية ، وهم الذين يضعون أسسها ، فمن اولى منهم بالتحدث باسم امريكا دوليا ؟!

وما داموا هم الذين يحددون للرسميين الامريكيين ــ على مختلف مستوياتهم ــ ، ما الذى ينبغى عليهم ان يقولوه ويفعلوه ، فمن أجدر منهم بتمثيل امريكا رسميا فى كل مجال ؟!

ان جونسون كان واقعيا ومنطقيا عندما عين جولدبرج فى منصبه الجديد ــ كما قلنا ــ ولو اراد أن يكون اكثر تمشيا مع المنطق ، لجعل اعضاء حكومته جميعا من اليهود الصهيونيين ولكي ينفذ



الصهيونيون بانفسهم السياسة التى يقررونها بدلا من ان يقوم بهذا العمل بالنيابة عنهم امريكيون.. كل مهمتهم ان يتلقوا منهم التعليمات !

بل لو سار جونسون فى طريق المنطق الى نهايته ، لتخلى عن منصبه نفسه ، لواحد من الصهيونيين .. ما داموا هم حكام امريكا الحقيقيين!

البارودي في غزله وحبه

البارودي يتغزل فلا يتبذل وحبه أعف حب.

بقلم : الدكتور محمد محمود الدش

■ حينما يحاول الدارس ان يولي وجهه شطر الأدب الحديث ، مستقبلا مشارف النهضة وبواكيرها ، مستشرفا انجم هذه النهضة وروادها الاول . .

وحينما يحاول كذلك ان يخلص من الوهدة بل الوهاد التى تردى فيها الادب بصفة خاصة ، والحياة الثقافية والفنية بصفة عامة .

بل حينما يحاول أن يخلص من المغاور والكهوف المظلمة المتعفنة ، ليتحسس الطريق الى النور أو ما يشبه النور ، ويلتمس نسمة جديدة ترد اليه روحه أو بعض روحه فى أعقاب الجو الخانق المقبض الكئيب .

حين يحاول ذلك يجد نفسه فجاة امام هالة من الضوء المشرق المبهج يرسلها نجم طارق جديد ، فيبدد بها الظلمات المتراكبة ، ويقشع حنادس التخلف ، واغلاس الجمود التى رانت على الشعر العربى فأخمدت انفاسه أو كادت ، وازهقت عزيز حياته لولا ما بقى بها من ذماء .

ذلك النجم الرائع الساطع هو محمود سامي البارودى ، ابو الشعر العربى الحديث ، وله خصوصية هذه الابوة غير مدافع ، دون شك أو مراء .

الذين ينسبون البارودى الى التقليد

والذين ينسبون البارودى الى التقليد ، انما يقفون فوق السطوح ، ويتشبثون بالقشور التى ليس تحتها أو وراءها غناء . وهم لا يختلفون فى



البارودى كان فى الأدب ، كالشهاب لمع ، فى سواد من ليل العرب .

نظرتهم هذه عن ذلك الذى ينسب أهل عصرنا هذا ، وربما أهل العصور القادمة ، الى التقليد لأنهم يستخدمون فى كتاباتهم وقراءاتهم اللغة التى نزل بها القرآن الكريم، وجاءتنا على أجنحتها أقدم النصوص العربية ، فكأن « التقليدية » عندهم لا يرادفها الا مطلق القديم ، حتى ولو كان فى هذا القديم خير أى خير .

البارودى جديد فيما حوله من خمول وجمود

والبارودى فى عصره ـ فيما نرى ـ جديد كل الجدة ، بعد الذى رأيناه قبله ومن حوله من خمول وخمود ، وتخلف وجمود ، فى كل ما يتصل بالحياة الادبية والفنية .

فهو جديد فى شخصيته وصفاته الذاتية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والفنية ، حتى حينما يكون متأثرا بالاقدمين ، فى الفروسية ، والبطولة ، والشهامة ، والاقدام ، والكرم ، والنزعات العربية الكريمة ، أو فى السير على عمود الشعر ، والوقوف على الاطلال ومناجاة الرسوم والآثار ، سواء فى نجد أو فى الحجاز أو فى العراق. ونحن نستطيع أن نلمس ذلك كله فى سهولة ويسر حينما نراجع تفصيلات حياته ونستقصى حنايا فنه وشعره ..

البارودى جديد فى مجتمعه وأهله

كان البارودى جديدا فى مجتمعه وأهله .. فقد كان غريبا حين ترك لداته وأترابه من أبناء الطبقة الموسرة المترفة الحاكمة المترفعة تعيش لذاتها ، وتحيا حياتها الفارغة التافهة ، وعكف جادا على الدرس والحفظ والتحصيل والنظر فى فروسية العرب ، وصناديد حروبهم ، وشجعان حلباتهم ، وبيان أمرائهم ، وشعر أبطالهم ، وأدب فحولهم ، وأخبارهم .

كان جديدا أو غريبا فى طبقته على النحو الذى بينا ، وحين أخذ يرسل الشعر طبعيا مطبوعا ينساب منه انسيابا ، وهو لا يزال قريب عهد بالصبا ، فيغيظ بذلك أقرانه وزملاء صباه وأتراب ملاعبه ، ويستنكرون هم منه أن يقول الشعر ، وينكرون عليه أن يأتى هذا الكلام الذى لا يليق

بطبقتهم العالية المتعالية ، وانما يليق هذا الكلام بالكادحين المتكسبين بصناعة القول والكتابة وليس ذلك من شأن اكابر القوم وعليتهم في ذلك الحين .

كان جديدا غريبا حين اكد خصومته الغالية للآفات الاجتماعية ، وحربه العنيفة على تلك الامراض الخبيثة التي كانت فاشية في المجتمع متاصلة الجذور منذ أمد طويل،رسختها وافشتها عهود الظلم والطغيان وايدى السفك والقتل والحرمان ، وكرابيج السلب والنهب «الرسمي» ونزف الدماء ، والتمثيل بالاشلاء ، ثم التفرقة الآثمة بين طبقة المواطنين المسخرين المغلوبين على امرهم في سغب ورعب ، وبين الطبقة الغريبة الحاكمة التي تستمتع بكل جاه وكل ثروة وكل سلطان ، وبين الطبقتين ظلام من النفاق والارتياع والجبن والكذب والخداع وما الى ذلك من الادران والاوضار ... فكان البارودي خصيما لهذا السوء كله ، ولشر هؤلاء جميعا ، وحربا عليهم في شعره الذي شن فيه حملات قاسية شعواء لا تعرف الهوادة ولا المهادنة ، وكان بذلك غريبا على الجماعة جديدا على بيئته .

البارودي في عصره ، ظاهرة فنية لم تكد تخضع لقوانين التطور

اما شاعرية البارودي الفياضة المتدفقة في غزارة ويسر ... وأما موهبته الفنية الفذة التي جعلت من شعره انغاما حلوة حبيبة ، فقد كانت ظاهرة جديدة لافتة دون شك ، محيّرة . خرج البارودي في تلك الفترة عملاقا ضخما ، كأنه المارد ينطلق من القمقم ، ولكنه بغير ضباب أو دخان ، وانما يلفه الوضوح المشرق ويغمره الجلاء الوضيء ، وذلك على الرغم من أن الظواهر الأدبية لا تأتي على هذا النحو الاسطوري الذي لا يعرف التطور أو التدرج . ان الظواهر الفنية لا شك تخضع لقوانين التطور التي تحكم هذه الحياة في غير استثناء أو شذوذ. ومعنى هذا ان البارودي لم يخرج الينا هكذا من قاع المحيط ليستوي في غمضة عين على قمة شاهقة ، ولكننا نستطيع ان نقول ان السرعة التي استوى بها البارودي على هذا النحو بعد انطلاقته القوية أفزعت الحياة الادبية وافاقت التاريخ بعد أن كاد يسترخي غافيا او نائما على قلمه وأوراقه .

انها ظاهرة استحقت منا الوقوف والتلبث قبل ان نخوض في حديث حبه وغرامه وغزله . ان الوجه المثير اللافت فيها هو هذه المفارقة القوية ، وذلك التناقض الباهر ، بين البارودي وبين عصره، ثم بين أدبه القوي وشعره الرائع ، وبين الخور والضعف والهزال الذي كان يرهق الحياة الادبية من حوله ويذلها .

غزل البارودي

ان غزل البارودي هو اول فنون الشعر عنده ، ففيه نستطيع ان نلتمس مظاهر التجديد، ولهذا الالتماس اهمية خاصة في غزل البارودي ، لانه كان ينزع فيه كثيرا الى مجاراة الشعراء القدامى ومعارضتهم ، وان شئت فقل مسابقتهم فيه ومنافستهم . ولعل ذلك كان من أهم الاسباب التي دعت البعض الى وسمه بالتقليد وقلة التجديد او عدمه .

والذين يعرفون البارودي من بعد ، وكذلك الذين يعرفونه عن كتب ، يعرفون فيه الشاعر الجادّ ، والسياسي الوقور ، والفارس الجريء المقدام ، ويعرفونه بطلا مُجليًا في الحَلَبات ، ولعلهم يعرفون قوله :

سواي بتحنان الأغاريد يَطرب
وغيري باللـذات يلهو ويلعب
وما أنا ممن تأسر الخمر لبّه
ويملك سمعيه اليراع المثقّب
ولكن أخوهم اذا ما ترجّحت
به سَورة نحو العلا راح يدأب
نفى النوم عن عينيه نفسٌ أبيّةٌ
لها بين أطراف الأسنة مطلب
بعيدُ مناط الهمّ : فالغرب مَشرق
اذا ما رمى عينيه والشرقُ مَغرب
ومن تكن العلياء همّة نفسه
فكل الذي يلقاه فيها محبّب

والقصيدة مهمة ، وأهم ما فيها انه قالها وهو لا يزال في ميعة الصبا ، ولكنها تحمل ــ على صغر سن صاحبها ــ روحا كبيرة وهمة عالية ، وأكثر من ذلك ، موهبة فنية نادرة .

والبارودي الذي ينفي عن نفسه ، ويدفع عنها في شدة ، انها تطرب لغناء ، أو تميل الى لذة ، أو تنصرف الى خمر وموسيقى ، يؤكد هذه المعاني ويكررها . ولنتأمل قصيدته التي يقول فيها :

تلذت جيد المعالي حلية الغزل
وقلت في الجد ما أغنى عن الهزل

يأبى لي الغي قلب لا يميل به
عن شرعة المجد سحر الاعين النجل

أهيم بالبيض في الاغماد باسمة
عن غرة النصر لا بالبيض في الكلل

لم تلهني عن طلاب المجد غانية
في لذة الصحو ما يغني عن الثمل

فهو لا يتغزل الا في جيد المعالي ولا يعرف الهزل في طريقه الى العلا والجد ، وقلبه منصرف عن الاعين النجل وسحرها الى التطلع نحو المجد، وهو عازف عن الفتاة المستكنة في فراشها الى وسائل الجد وسيوف المجد . اما تلذذه بالصحو والعمل فهو تلذذ يفوق كل تلذذ بالسكر والخمر .

اسرة البارودى ونشأته

ذلكم هو الاطار العام للصورة المعروفة للشاعر الجندى الفارس السياسي الثائر محمود سامي البارودى ، الذى ولد في ٢٧ رجب ١٢٥٥ هـ الموافق ٧ اكتوبر ١٨٣٩م ، منتميا الى احدى الاسر الشركسية المملوكية ذات الشان في البلاد ، وحملت اسرته لقب « البارودى » منذ كان احد اجداده ، وهو مراد يوسف شاويش ملتزما في ايام الحكم العثماني لبلدة ايتاى البارود — احدى بلاد محافظة البحيرة في مصر — فنسب اليها ، ولقب بالبارودى . اما والد شاعرنا واسمه : حسن حسني ، فكان أميرا من امراء المدفعية ، ثم مديرا لمديرية دنقلة في السودان ، حينما توفى وترك ابنه (محمود سامي) في السابعة عن عمره، ولعل صورة الاب — الذى ظل يترقى في مناصب الجيش حتى وصل الى هذه المكانة — ظلت في ذهن الابن ، لا تفارقه حينما كان يتمثل المعالى التى ينشدها ، ولعله ظل يستلهمها ويناجيها في شعره ، حتى نجده لا يزال يردد الحديث عنها وهو في سن العشرين ، بنفس روح الجد والسعي والطموح التى اشرنا اليها اذ يقول في قصيدة :

لا فارس اليوم يحمي سرحة الوادى
طاح الردى بشهاب الحرب والنادى

مات الذى ترهب الاقران صولته
ويتقى بأسه الضرغامة العادى

مضى وخلفني في سن سابعة
لا يرهب الخصم ابراقي وارعادى

فان أكن عشت فردا بين آصرتي
فها أنا اليوم فرد بين أندادى

والقصيدة على الرغم من انها تدلنا على انه كان يناجي اباه ويتمنى لو انه حي يقف بجانبه يعضده ويقويه ، الا انها تدلنا في نفس الوقت على قوة اعتداد الشاعر بمواهبه وشدة ثقته بصفاته ، واحسب انه قال هذه القصيدة في أحرج فترات شبابه ، بعد ان تخرج في المدرسة الحربية سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤م) في اوائل تولية سعيد باشا حكم مصر ، ولم يجد في حياته العملية ما يضطلع به او يؤديه واجبا نحو وطنه ، وكان الجيش حينذاك اشبه بمتحف للاسلحة والآدميين منذ شدة وناقه في مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠ م ، ولعل ذلك هو ما دفعه الى السفر الى الاستانة ، حاضرة الدولة العثمانية ، والعمل في وزارة الخارجية بها . وقد عاد بعد ذلك الى مصر سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٣م) مع الخديوى اسماعيل باشا ليتقلب في المناصب العسكرية والادارية حتى يصل الى ارقاها واعلاها ، اذ وصل الى رتبة فريق في الجيش ، ووصل الى رئاسة الوزارة ... وشارك في الاعمال السياسية المهمة ، والحركات والثورات التى شبت في عصره وفي مقدمتها الثورة العرابية المعروفة .

ولما اخفقت الثورة ، وجثم الاستعمار البغيض على صدر البلاد ، ونفي زعماء الثورة ومنهم البارودى ، ظل البارودى نحو سبعة عشر عامة في منفاه ، بسيلان ، طائرا حبيسا ، يبكي بعد اهله ووطنه وأحبابه ، في لحن شجي حزين ، وحرقة والم دفين ، حتى فقد بصره بعد فقد زوجه وابنتيه ، ثم عفا عنه الخديوى توفيق ليعود الطائر الى وطنه الحبيب وترابه العزيز وذكرياته البعيدة ، في سنة ١٩٠٠م — ١٣١٨هـ .

والحق ان حياة البارودى — وهي حياة جديرة بأن يضاف اليها لفظ التاريخ — انما هي تاريخ حافل خصيب مترع ، سواء في حياته العسكرية والحروب التى خاضها ، أو في حياته السياسية والاحداث التى شهدها وشارك فيها ، أو في حياته الفنية على النحو الذى صورنا جانبا منه في صدر هذا الحديث .

قلب شاعر ، بالحب عامر

غير ان هذا الجندى المحارب ، والسياسى المناور ، كان يحمل بين اضلعه قلب الشاعر ، وخفقات الفنان وخلجات المرهف ، الذى تداعب فؤاده نسمات الحب فتعلو ضرباته ، وتشتد خفقاته ، وتمر عليه هفهفة الغرام فتؤجج فيه الغرام شعلة من نور ونار . والحب بوتقة الطموح وهذا لا ينصهر ولا يؤتى نفعه وجلاله الا فى بوتقته ، ونفس المحب طموحها خير كله وجمال دائم . وهكذا نفس البارودى ، كانت عامرة بالحب ، والحب باوسع معانيه ، للخير والجمال ، احب اهله ، ووطنه ، وعمله ، وعروبته ، احب الجد حتى كان لا يهاب الموت فيه ، وقد لقى الموت فيه مرات كثيرة ، ولكنه حين يترك الموت ويفلت منه كان يحب الحياة ويستمتع بها ويتلذذ فيها .

والبارودى الذىاحب الطبيعة الجميلة والحياة الجميلة فى كل مظاهرها ، حينما احب الحياة ومارسها بشغف وملأها بشوق وجهد وعمل وحب ، وحينما أحب الزهر والشجر والطير والغدير ، والبحر والجبل ، والنهر والخميلة ، والروض والكاس ، وغرد بذلك كله وغيره من الوان الجمال ، حتى فى أعصب الظروف واحلك الاوقات ، حينما كان يواجه الموت على أرض كريت وعلى ارض الروس ، كان يتغنى بجمال الطبيعة والحياة الخصبة النامية ، حتى فى منفاه حين حرم اقدس حق فى الحياة ، حق الحياة الحرة ، غنّى فى اسى ولوعة ولم يفارقه حب الطبيعة وجمالها . واذن ليس بدعا أن يحب البارودى المراة وحبها هو اقوى مظهر من مظاهر الحيوية والحياة وجمالها والذين يزعمون ان ما جاء فى شعره من غزل كان من قبيل رياضة القول ومجاراة الشعراء انما يجردون الشاعر من أهم صفاته وينكرون عليه الزم سماته ، وكأني بهؤلاء يريدون ان يجعلوا من الشاعر ببغاء ينطق او يستنطق بما قال غيره ، وما هكذا يكون الشاعر ، اى شاعر ، الا ان يكون فى خيالهم الوان اخرى من الشعراء بلا عاطفة ولا احساس ولا شعور ولا قلب .

غزل البارودى أعف صور الغزل

والبارودى لم يحب فتاة واحدة او امراة واحدة ، ولكنه احب فى الانثى ــ اية انثى ــ صفات بعينها لا تتغير .

ومع ذلك فحب البارودى ، وغزل البارودى يعد من اروع واعف صور الغزل التى عرفناها فى تاريخ الشعر العربى كله . لقد أحب البارودى جمال المراة وعشقه فى ارقى صوره واعلى مراتبه . لقد أحب جمال المراة ، لا كما يحبه الناس ، وانما كما يحبه الفنان الملهم العبقرى فى رهافة حسه وفرط رقة مشاعره .

جمال المراة ، عند البارودى ، بعض جمال الكون

لقد أحب البارودى من المراة جمالها ، وتغنى بهذا الجمال وناجاه ، بما هو مظهر من مظاهر الكون والحياة ، وسرٌ من اسرار الكون والحياة ايضا . انها المرحلة التى يمكن أن يصل اليها الشاعر ، ويتغنى فيها فنه فى نهاية المطاف .

ولا نريد ان نحمل البارودى وفنه مزيدا من مصطلحات التجريد والفناء ، بل سوف نرى ان جمال المراة عنده لم يكن سوى بعض جمال هذا الكون ، ولم يكن سوى جزء من جمال الحياة عند من يحب الحياة ويفهم اسرارها . وهكذا نستطيع ان نقول فى ايجاز ان البارودى انما كان يحب الجمال نفسه ، سواء كان هذا الجمال فى المراة او فى غير المراة من سائر الكائنات .

البارودي تكفيه النظرة

وديوان البارودى يطالعنا باسماء مختلفة لفتيات ، وكذلك بصفات لهن ، فهناك ليلى ولمياء ، وريّا واسماء وأمَيمة ، وهناك ظبية المقياس ايضا. اما مسارح حبه وغرامه فانها تتنوع بين روضة المَنْيل او روضة المقياس ، وبين حلوان والفسطاط والجزيرة . ونلاحظ ان البارودى يختار لمحبوبته الاسماء الجميلة ايضا ، ومع كل هذا فهو لا يريد من محبوبته اكثر من شيء واحد يردده فى كل مواقفه معها :

أفتّانةَ العينين كُفّي عن القلب
وصُوني حِماهُ فهو منزلةُ الحُبّ

ولا تسلمي عيني للسهد والبكا
فانهما مَجْرَى هـواك الى قلبي

واني لراضٍ من هـواك بنظرة
وحسبي بها انْ انت لم تبخلي حسبي

اذا كــان ذنبي ان قلبي معلّـق
بحبك يـا ليلى فـلا تغفـرى ذنبي

والمعنى فيه طرافة لا شك ، اذ يطلب اليها الا تستبيح قلبه لانه حمى الحب ، والا تتلف عينيه لانهما طريق الحب الى القلب ، وحسبه فى غرامه بها هذه النظرة التى ترضيه ولا يريد اكثر منها ، بل هو لا يريد من اية امراة يعشق جمالها ويهواه اكثر من ذلك .

وجمال الصوت مثل جمال الصورة يخلب لب البارودى ويسحر عقله ، والقطعة التالية تعطينا نموذجا طيبا لما يهواه فى المراة :

اربـّة العـود أم قمـريّة السحَر
غنّت فحـركت الاشـجان بالوتَر
حوراء ، للسحـر فى الحاظهـا أثـر
يريك ان البـرق ضرب مـن الهذر
لو لم تكن قمـرا فى الحسن ما ظهـرت
لأعين النـاس فى ليل من الشَّعَر
املتْ علي بلحظيْها حديث هـوى
عـرفتُ منـه ضمير العين بالاثر
كأنهـا بين جفنيهـا اذا نظـرت
هـاروت يعبث بالالبـاب والفِكَر
لا غرو انْ هِمْتُ من وجد بصورتها
فالحسـن مَشغلة للعقل والبصر
لا تقنـع العين منهـا كلما نظـرت
وكـيف يقتنـع المشتـاق بالنظر
نافيتهـا بلسـان الشوق فازدهرت
للحسن فى وجنتيهـا وردتا خَفَر
وازور حاجبها عـن نظـرة رشقت
سـواد قلبي بسهم صيغ من حَوَر
تبسمت فجلتْ للعين مـن فمهـا
ياقوتةً أودعت سطرين مـن درر
ابحت للعين فيهـا مـا تقربه
وذُدت كفَّ الصبا عن مَنقِد الأزر

والبارودى يؤكد هذه النظرة الى المراة وهذا الوقف من جمالها ويكرره فى شعره ليقنع هؤلاء الذين لا يستطيعون فهمه او لا يقدرون على الوقوف منه على هذا النحو ، وكانه يرد ايضا على هؤلاء الذين يزعمون ان الحب ضرب من العبث أو لون من اللهو واللعب :

فان أك مشغوفا فـذو الحلم ربمـا
أطاع الهوى والحبُّ من عُقَد السحر
وأى امـرىء يقـوى على ردّ لوعـة
اذا التهبت أربت علـى وهـج الجمر
على انني لـم آت فى الحب زلّـة
تغض بذكرى فى المحافل او تزرى
ولكنني طـوفت فى عـالم الصبى
وعدت ولـم تعلق بفاضحة أزْري
سجيةُ نفس آثـرتْ مـا يسرهـا
وللنـاس أخلاق على وفقهـا تجرى
ملكت يدى عـن كل سـوء ومنطقي
فعشت برىء النفس من دنس الغدر

وهي حقيقة قوية يقررها البارودى فى شعره ويكررها ويؤكدهـا ، وتطالعنا بها كـذلك سيرة حياته واقوال الناس فيه ، كما يطالعنا بها ديوان شعره الذى يدور بين ايدينا .

البارودى سبق اليه الشيب والوقار فى أبان شبابه

وكأني بالبارودى قد ادركته الحكمة ووقارها فى سني شبابه الاولى ، فادرك هـو كذلك قيمة الحياة الدنيا ، وعزف عن استمراء المتاع بها ، فكانت بذلك ممارسته لالوان متاعها ممارسة الكبير الوقور :

ومـن يك جـاوز العشرين تترى
واردفهـا باربعـة وخمس
فقـد سفرت لعينيـه الليـالى
وبان لـه الهـدى مـن بعد لبس
نظـرت الى المـراة فكشفت لي
قتيـاما لاح فيـه قتير راسى

هكذا يطبق الشيب على راس الضابط الشاعر الصغير فى هذه السن التي يحلو لغيره فيها ان يمارس كل فنون العبث واللهو والخلاعة ! ولكن الامر لا يتعلق بالشيب وحده ، وانما هي خطة حياة وارادة جد ووقار وعمل ، انمـا هي سجية نفس وشيمة انسان كما قرر هو منذ قليل . وحتى اذا عدنا قليلا الى ايام صباه اللاهية ، وايام غرامه الصغير ، لم نجده يعدو هذه السجية او تلك الخطة .

ولنتامل ما يصنعه فى أمر محبوبته الصغيرة .

خرجت الى البستان لاهية
تختال بين كواعب خمس
فتبعت مسراها على عجل
حتى ظفرت بنظرة خلس
فسترتها عني وسرن بها
في روضة فينانة الغرس
فوقفت مطويا على كمد
ومضت على آثارها نفسي
تلك التي لولا هواي بها
ما بت من امل على يأس
هيهات انسى حسن صورتها
وحوادث الايام قد تنسي

البارودى كان غريبا بين أصحابه ولداته

وفي شعر البارودى الوان من قصص الغرام الذى كان يمارسه في سن الصبا والشباب المبكر ، ولكنه لا يتجاوز فيه السلوك العف النظيف الى غيره من اساليب لداته واترابه ، وانما كانت تخلب لبه النظرة وتأسر قلبه الايماءة او البسمة، وتهز كيانه الكلمة او النغمة ، وهكذا كان البارودى في غيرشك غريبا في طبقته وبين اصحابه ممن يملكون اسباب العبث الصاخب واللهو الجامح من ترف وسلطان وجاه وثراء .

وفي الحرب ، وقع البارودى في شرك الحب

وارسل البارودى الجندى الى تاديب الثائرين في كريت ، وشارك في حرب الدولة العثمانية مع روسيا ، ولم تعصمه الحرب عن الوقوع في شرك الحب . قال

فتاة لها في منصب الحسن سورة
تقصر عنها الغيد وهي رواجح
عجبت لعيني كيف تظمأ دونها
وانسانها في لجة الماء سابح
احن لها شوقاودون مزارها
مسالك يأويها الردى ومنادح
فقلبي تحت البرد كالنار لا فح
ودمعي فوق الخد كالماء سافح
يكافحني شوقي اذا الليل جنني
واغدو على جمع العدى فاكافح

خصيمان هذا بالفؤاد مخيم
وذلك عن مرمى القذيفة نازح
وما بي ما اخشاه من صولة العدى
لو ان الهوى يولي يدا او يسامح

الحب الاضخم والأفخم ـ يتجلى ـ والبارودى فى منفاه بسرنديب

على ان شعر البارودى في الحب تشتد وقدته وتلفح حرارته بعد ان يحكم عليه بالنفي مع زعماء الثورة الى سرنديب (سيلان) ، هناك تفيض اشعاره بالحب الجارف الشديد ، بالحب الضخم الكبير ، بالحب القوى الاسي الملتاع ، بالحب القديم المتجدد في الروضة والجزيرة ، هنالك تمتزج في نفسه كل عناصر الحب واشكاله ومظاهره حبه لذكريات حبه ، وحبه لاهله وولده ، وحبه لوطنه وتراب وطنه ، وحبه للناس وللطبيعة وللخير وللجمال :

فكيف اكتم اشواقي وبي كلف
تكاد من مسه الاحشاء تنشعب
ام كيف اسلو ولي قلب اذا التهبت
بالافق لمعة برق كاد يلتهب
اصبحت في الحب مطويا على حرق
يكاد ايسرها بالروح ينتشب
اذا تنفست فاضت زفرتي شررا
كما استنار وراء القدحة اللهب
لم يبق لي غير نفسي ما اجود به
وقد فعلت فهل من رحمة تجب
كأن قلبي اذا هاج الغرام به
بين الحشا طائر في الفخ يضطرب
لايترك الحب قلبي من لواعجه
كأنما بين قلبي والهوى نسب

نعم ! لم يترك الحب قلبه حتى كف عن ضرباته واختلاجاته ، فقد كان البارودى مقيما على عهده للحب ، وفياله مخلصا اينما رحل او اقام ، في حرب او سلام ، وهي سمات نادرة وصفات عزيزة في عهده وفي طبقتـه .

مطالع قصائد البارودى ، وعادة القدامى من الشعراء من ذكر الملاعب والديار

والذين يرمون البارودى بانه لم يحسن سوى

تقليد القدامى ومجاراتهم ، وقفوا ــ فى اغلب ظني عند مطالع قصائده الطويلة فى الفنون المختلفة ووجدوا انها تبدأ بالغزل ، شيمة شعراء الجاهلية ومن لف لفهم من بعدهم ، ولم يمعنوا النظر او يطيلوه فيما تضمنه هذه المطالع الغزلية من معان بارودية خالصة ، وان كان يقف فيها البارودى امام ديار الاحبة ويناجى ملاعبهم ومنازلهم وايامهم الخوالي وغير ذلك مما ورد فى شعرنا العربى القديم ... وحتى المهامه والقفار ، وكل ما يتصل بالبادية مما جاء ذكره فى شعر البارودى ، نستطيع ان ننسبه الى معاناة البارودى والى خيال البارودى وذهنه فى سهولة ويسر ، وكل ما بينها وبين القدم من سبب ، انما هو اثر من آثار ثقافته وقراءته الدائبة وحفظه المستمر لادب القدامى وتاريخهم . واما فى غير ذلك : فالديار والاثار والمهامه والقفار وغيرها كلها بارودية تعيش فى ذهنه وفى خياله ، وتحيا وتنمو مع تجاربه الخاصة . واذا كان هؤلاء يذهبون الى ان شعر البارودى فى الغزل هو الذى تتضح فيه آثار التقليد فاننا نذهب الى ان هذا الشعر ذاته هو المكان الذى تبرز فيه بروزا قويا ملامح الجديد وعناصره ولنقرأ ما مر بنا من شعر فى هذا السبيل وغيره لنتأكد من ان هذا الشعر لا يمكن ان ينسب الى غير البارودى وتجارب البارودى ، وحتى اذا نهل من القديم فانه يخرجه الينا مطبوعا بالطابع البارودى وشاعريته العبقرية العملاقة .

نحن لا ننكر تأثره بالقدامى العرب واشعارهم وافكارهم ، لانها دون شك مصدر ثقافته الادبية الى جانب ما تعلم من آداب الترك والفرس والانجليز ، ولكننا ننكر ان تكون عواطفه منقولة بالتقليد اشد الانكار ، وخاصة فيما يتعلق بعاطفة الحب بالذات ، وحب البارودى الراقي العظيم على وجه اخص .

البارودى اولع بالعربيات

ايكون البارودى فى حبه وغرامه قد احب فتاة عربية على سبيل التقليد ؟ لقد كان مفروضا ان يحب البارودى فتاة من طبقته من المماليك والشراكسة او الاتراك وفيهم الجمال البارع الاخاذ ، ولكن فتاة البارودى كانت عربية ، فاجبها ، وملكت ملامحها العربية قلبه ، واسر جمالها العربي روحه ونفسه ، واخذت اخلاقها العربية منه كل ماخذ :

فلا تطلبون الحسن في غير اهله
فابدع ما فى الارض حسن الاعارب

فمن الالى عودن قلبي على الهوى
واخلفن ظني بالعدات الكواذب

وقال على لسان محبوبته ليلى ، وقد سمعته يهتف باسمها :

اراه يهتف باسمي غير مكترث
ولو كنى لم يدع للظن من سبب

فكيف اصنع ان ذاعت مقالته
ما بين قومي وهم من سادة العرب

واما حبه لفتاته فهو حب عذري عربي نجدي وهو يفخر بهذا الحب العربي وبصفاته العربية :

وما كنت لولا الحب اخضع للتي
تسيء ولكن الفتى للهوى عبد

واننا اناس ليس فينا مَعابة
سوى ان وادينا بحكم الهوى نجد

نلين وان كنا اشداء ، للهوى
ونغضب في شروى نقير فنشتد

وحسبك مني شيمة عربية
هي الخمر ما لم يأت من دونها حرد

وهكذا احب البارودى الجمال العربي وذكره صراحة فى غزله وتشبيبه بفتاته العربية ، واحب فيها السمات الجسدية للفتاة العربية ، حتى لون البشرة احب فيه السمرة العربية .

ولقد احب البارودى ، غير المراة العربية ايضاً الاخلاق العربية والخلال العربية ، والتاريخ العربي والادب العربي ، ثم الامجاد العربية والحرية العربية والطموح العربي . من اجل هذا نستطيع ان نؤكد ان البارودى بحكم نشاته وثقافته وبيئته انما كان عربياً خالصا والعروبة ليست عنصرية ، وانما هى لسان ، وهى شيم ، وهى تاريخ ونجدة وشهامة ، وهى ، فى اعلى مراقيها ، انسانية خالصة . ■■

محمد محمود الدش

لو أنه وعد!

قصة

بقلم : حسيب الكيالى

■ العصر .. راح النهار وما صححت غير ست أوراق من أصل مئة وعشرين . انا فكرى بطبعه شرود ، ولكنه يغدو جموحا ، طيارا ، أثناء تصحيح أوراق الطلاب . ثمينان ، مئة وعشرون طالبا ما فيهم واحد متميز ببشر بفنان او عالم ، أو شاعر متشرد على الأقل .. قطيع نسخ لا طعم لها ولا لون ولا رائحة .

وفتح الباب واندفعت ابنتى عائشة هازجة .

ـ بابا

فرفصت ، وأخذتها بين ذراعى :

ـ تعالى . تسلمى لى . والله نظرة واحدة الى وجهك الفاتن تساوى كل ما فى الدنيا من مواضيع انشاء .

ورددت الريحانة الصغيرة الكلمة الأخيرة :

ـ انشا ؟

قلت :

ـ أى روح البابا ، انشا !

ولم تلبث زوجتى أن أقبلت :

ـ تعالى ماما . بابا بِدُّه يشتغل .

وتشبثت عائشة بعنقى ، قلت :

ـ اتركيها .

ودنوت بحملى اللطيف من النافذة المفتوحة . كانت جارتنا ، امرأة بدر الدين ، المِعمار ، قد نشرت غسيلها المرتب النظيف . أكثره أواعى صغيرة . بياض الغسيل . شُهبة شجرة تمر الحناء الباسقة . فى الداخل يضعون تمر الحناء فى شقوف ويحملونه شتاء الى الحمامات . الأصيل . بشرة عائشة ، رائحتها ، هدوء فى بيت أبى ياسين المقابل . كم بقى من وقت حتى يركب أبو ياسين السكرة ؟ الفتاتان مشتركان ، فتاة بدر الدين وفتاة ابى ياسين . ست أوراق من أصل مئة وعشرين علىّ أن أوزعها غدا من كل بد على الأولاد .

واطلت سناء صغرى أولاد ابى ياسين من شرفتهم . بيتهم طابق أول . بضع درجات تنتهى بشرفة واسعة لها درابزون من الحجر . وما أن لمحت عائشة بين ذراعىّ حتى هرولت تقفز الدرجات رافعة يديها كما تفعل دائما :

ـ حبيبتى شوشو ، تعالى حبيبتى .

وكما تفعل شوشو دائما ، هى أيضا ، نظرت الى سناء فى دلّ ، وغير قليل من صدود ، وقالت :

ـ مادّى يوه .

هذه معناها : « ما بدى ياه » .

ويطفح وجه سناء جذلا وهيمانا ونقاوة وتقول شوشو ويداها مرفوعتان دائما :

ـ ليش حبيبتى ، أنا سناء .

وأقول أنا :

ـ دادا سناء بابا .

وتقول سناء فى اغراء :

ـ شوشانة بدنا نروح نلعب حبيبتى .

حينئذ تتلطف شوشو فتمد يدها الى سناء التى ترتفع على رؤوس أصابع قدميها وتتخطف الطفلة فى حذر وتمضى بها تلعبان فى البستان المجاور .

والتفت الى زوجتى . كانت تبتسم فى مكر :

ـ ما حجتك الآن فى التشاغل عن أوراقك ؟



ــ ما الموضوع هذه المرة ؟ الموضوع الأبدى : « وطنى لو شغلت بالخلد عنه » .

واتسعت ابتسامتها . قلت :

ــ انا لا أمل من تأمل سناء انها ينبوع لا أصفى ولا انقى . كيف نبتت هذه الريحانة الهفهافة فى هذا الحقل الأجرد الذى جافاه المطر ، بيتهم . وهذه القسمات النبيلة ، الكبرياء ، الرقة العفوية فى مدافعة هدايانا من حلوى وألعاب ودفاتر . والهندام ؟ يظهر أن أم ياسين تدرك أى كنز منحت ، أو انها على الأقل تحس على نحو غامض أن سناء تجسيد لشوق لها قديم لم يبتل له ظما . لا بد أنها تحرم نفسها حتى توفر لابنتها الأثيرة هذه الفساتين الآسرة . ولكن ، من يدرى . لعل ما أتوهمه برية قاحلة هو فى الحقيقة تربة ريانة . ان صمت الأم ، صبرها ، عنفوانها وهى فى شدة الحاجة والفقر الساحق ، يفصح عن الانسان الرحيب الذى فيها ، عن أن هذه القسمات النبيلة فى سناء منها هى :

كانت زوجتى تقف فى الباب الموارب وتصغى . الابتسامة الواسعة الماكرة ما زالت ولكنى لمحت فيها طيفا من حنو ، من اشفاق . وضحكت أخيرا وقالت وهى تشير الى الأوراق !

ــ اذا بقيت هذه من غير تصحيح فلا تتهم عائشة !

وردت الباب ولكنها عادت فمطت رأسها من فتحته :

ــ انهم تفلسفك .

شوفوا الملعونة ! الا يحق لى أن أتأمل الناس من حولى ، وأن أغوص وانفعل وأصور . أنا لولا هذه التلال من الاوراق السخيفة، بدك تقول فنان. ان لى فى الواقع ملاحظات بديعة جدا . ولكن ، حتى زوجتى ، أم أولادى ، ترى فى كل عمل لا يجلب نفعا ماديا ، لا يجلب عملة توضع فى محفظة النقود ، تفلسفا ، أى عبثا واضاعة وقت ... ولكن ، أليس معها حق من ناحية ؟ ألا أتفلسف أنا هنا محاولا سبر ما لا يسبر !

ايه ، فليكن ! لأعد الى أوراقى المتلفة . هذا قدرى : « وطنى لو شغلت بالخلد عنه » ... صحيح ما قالته أم أولادى . لى خمسة عشر عاما فى التدريس ، وقد أعطيت الأولاد هذا الموضوع أكثر من ستين مرة . من أين أطرق لهم مواضيع . وكل مرة تنهال على الأجوبة متشابهة: « وطنى أمى الثانية تمنحنى الحياة والعزة والكرامة وتعلمنى محبة الوطن من الايمان ، وطنى هو الذى علمنى أن أرضع لبان المجد والعزة » . والأخطاء الميتة ، المزمنة ، المعضلة .. المثنى المرفوع منصوب ، النواصب ترفع ، المعدود مخالف للعدد من الواحد حتى المليار ... فى بعض الاوراق تنشق لك الارض ، بسم الله الرحمن الرحيم ، عن جملة حسنة السبك ، تبدو لك كأنها رقعة من البروكار فى جلباب شحاذ خلق .. وتثور ثائرتك لما اقترفه المنفلوطى أو العقاد أو الزيات حتى يستحيل عليك الاستمرار فى الجلسة ذاتها ..

وعدت الى النافذة، ولكنى لم ألبث أن تقهقرت .. كانت هيفاء ، كبرى بنات أبى ياسين متمددة على « الشيز لونغ » المهشم ، المحطم ، وقد لفت ساقا على ساق فظهر نصف فخذها العبل المكتنز. انسحبت بغير قليل من صعوبة ، هيفاء غير مغرية ولكنها فى العشرين ، و ... على الأخص ،الوضع .. أنا أحب هذه الاستلقاءة تستلقيها الصبايا فيظهر ظل خفيف فوق الركبة ، وفكرت :«هيفاء نصف امرأة » .

ثمانية أولاد بعضهم على رأس بعض هيفاء بكرهم زوجوها فى العام الماضى ولكنها عادت بعد خمسة عشر يوما تتبعها ورقة الطلاق . لماذا ؟ أهو فمها الواسع الهابط الذى يشبه فم أبيها ، أم عيناها قليلتا الرموش ؟ زوجتى تروى، تلميحا، أن السبب اختلاف بينها وبين مطلقها من نوع آخر ، هى طفلة ، على قدر من الغرارة ، بينا هو رجل ذو ماض ، رجل مقطع موصل .. المهم انها رجعت الى البيت وما هى الا بضعة أسابيع حتى عادت الى صدرية المدرسة ، ونفقات المدرسة .

يجب قولا واحدا ، أن أعود الى (وطنى لو شغلت بالخلد عنه) . ليس من اللائق أن تؤجل الاولاد أكثر مما فعلنا .. الهمة ، الهمة ، فعلا : دفعة واحدة جرى قلمى الاحمر على عشرين ورقة . هاه ، الطريق الى روما يبدأ بخطوة .. لم أعد أرى فى وضوح . الظلمة تسربت الى الغرفة . يجب أن أشعل المصباح . اذا نظر أحد من الخارج لم يرنى . قمت ، ولكنى لم أفتل زر المصباح . وقفت على بعد يسير من النافذة . هيفاء لا تزال متمددة . روبها انشمر أكثر قليلا .

فى الحارة صاروا يقولون : « مسكينة . مالها حظ ، مثل خالتها ... » صحيح ، خالتها ، معلمة المدرسة ما لها حظ . تزوجت أول مرة ووضعت بنتا . ولكنها لم تسعد . كان زوجها فظا ، تركزت همته كلها فى سرقتها . الزوج الثانى فلسطينى، طفران ، طيب ولكنه مقامر .استولدها هذا صبيين . وبعد أن أنفقت كل ما ادخرته طلقها ، فلجأت الى بيت أم ياسين ، أختها . انها تقوم الآن بالعبء الأكبر فى البيت لما يخالجها من وجد عميق بأنها عالة على الأسرة المعوزة ، ولأن أختها فى حاجة حقا لمن يقوم عنها ببعض العبء . ثمانية أولاد ، ودخل الزوج لا يكاد يكفى لطاولة عرقه اليومية . المعلمة اذن تضع راتبها كله . وهى التى تطبخ وتكوى وتغسل .. وأما أم ياسين فقد استنجدت بكل ما تعلمته فى صباها من مبادىء الخياطة ، واتخذت غرفة القعود مشغلا . بين نسوان الحارة انعقد اتفاق صامت على اعانتها .. بديهى أن الأرواب الأنيقة ، التيورات ، المعاطف التى لها قبات من الفرو

.. لا يذهب بها احد الى ام ياسين . ولكن البسة الاطفال ، ارواب البيت ، الناموسيات ، بيوت المخدات .. كلها تصنع عندها . والأجرة على طلبها وحبة مسك !

احيانا يفصلن ما لسن بحاجة اليه ..

ودخلت زوجتى :

جارنا بدر الدين فى غرفة الضيوف ، يريد مواجهتك .

ـ بدر الدين ؟

ـ اى نعم

ـ خير ان شاء الله ؟

لا اعرف .

ـ ما له عادة غير فى الاعياد .

من طريقته فى مصافحتى عرفت انه لم يأت زائرا . ان لبدر الدين فى الاصل هيئة تقية ، متنسكة . امرأته تضع كل سنة بنتا ، وتقول على استحياء ، كانها بنت عشر سنين ، ان بدر الدين هكذا يريد . انه يقول : « هذه هبة من الله والمنع حرام » .

قال بدر الدين :

ـ لا تؤاخذنى يا استاذ الله يخليك . يمكن ازعجك .

ـ اعوذ بالله يا بدر . اذا شئت الحقيقة ، انت انقذتنى . وظائف الاولاد اعمت لى عينى . لم يكن يصغى . وعاد يقول :

فكرى انى آخذ رايك فى مسألة صغيرة .

ـ تفضل .

ـ الله يزيد فضلك . المسألة ، انه ، حكايتى .. مع أبى ياسين .

قال هذه الكلمة الاخيرة دفعة واحدة . كنت أعرف القصة ولكنى تجاهلت .

ـ خير ان شاء الله ؟

ـ المسألة ، والله أنا حيران فى أمرى . أبو ياسين رجل طيب ، نعم الجار . والله تعالى اوصى بالجار . ولكن أنت أعلم . انا أحيانا لا اشتغل ... يمضى علي شهر ، يمكن اكثر ، لا اطلع على حائط . والعملية ، معلومك ....

وقطع حديثه هكذا فجاة . بتره بترا . كان يحدق فى الأرض مثل تلميذ خجول يلقى درسا لم يتقنه .

صحيح . شقى بدر الدين عمرا حتى بنى هذين البيتين المتجاورين اللذين تطل نافذتى على فنائهما المشترك ، فسكن احدهما واجر الاخر لأبى ياسين الذى لا يدفع ...

وعاد يتأتىء :

ـ يعنى ، المسألة ، معلومك ، ابو ياسين ، مثل كل اهل الحارة ، كلمة حضرتك عنده لا تصير ثنتين ..

ووعدته أن أذهب لتوى أقابل أبا ياسين :
رحت . صاح أبو ياسين وهو يركز الكأس على المائدة :

ـ أهلين ومرحبتين بالاستاذ سليم . تعال ذق لي اكلة المخلل هدى ال فى عمرك ما ذقت اختها .

جلست ، قلت :

ـ انا مشغول شوية والله يا ابويا ......

قال يسد علي الطريق :

ـ مشغول ، مشغول .. غير لى نغمتك هدى . هدا الشغل ما له نهاية ..

ـ لا ، القصة ان عندى كبسة وظائف علي ان اصححها الليلة ....

ـ تصححها ، تصححها ، لا يكن لك فكر ، اطمئن .. عندما ترجع الى البيت تراها مطرحها فى انتظارك .ها ، ها ، ها ، يا سناء .

ـ لا أرجوك ..

قال يقلدنى :

ـ ارجوك ، أرجوك ..

ودخلت سناء . قال :

ـ روحى حبيبتى هاتى قدح لعمو سليم . هل

تعرف يا استاذ انى لو كنت مثلك أدرس الأولاد كان طق عقلى من مئة سنة . يا بيي من الصبح الى المسا مع أولاد صغار . شي بجنن حقيقة ...

وعادت سناء بقدح صغير . قلت :

ــ مساء الخير عمو .

فابتسمت ابتسامتها الساحرة الخجول واسبلت اهدابها .

وقلت لما اغلقت الباب وراءها :

ــ انا جيتك الليلة فى مهمة .

سأل ضاحكا :

ــ معك امر مهمة .

واردف :

ــ انا افهم فى برابيك الموظفين أيضا .

وصب لي قدحا ، من « العرق » واضاف :

ــ خذ اشرب الآن ، واجّل لي المهمات حتى يصحو راسك ...

قلت بنفس واحد :

ــ بدر الدين جارك كان عندى الآن .

ــ اى ، ايش فيها ؟

ــ كلمنى ....

ــ ظننت انه كركرك !

ــ لا ، جد . فاتحنى فى مسالة أجرة البيت .

قال ضاحكا :

ــ دفعت له عنى ؟

ــ فكرتى لو انك دفعت له دفعة . بدر الدين رجل طيب شروالك ..

ــ انعم واكرم !

ــ لو انك دفعت له دفعة .

ــ وقف احك لك حكاية ، لما كنت فى استنبول .

اذا كانت النبالة عند سناء وامها تصرفا صموتا جميلا لا يعي نفسه فهى عند أبى ياسين مرض . انه يحيا فى الماضى . وامـــا الحاضر فيغرقه ، يغطسه فى العرق . هذه السفرة تمتد كل ليلة ، لا ينقصها شي . المخللات . الكبد المشوية . الموالح الغالية .. وقد يشتهى الخيار ويكون لا يزال فى الباكورة ، باهظا ، ولكن غلاءه لا يمنـــع من أن « يخلق » على السفرة خلقـــا . انه ينسينى ، عندما أزوره ، ما أعرفه من مصاعب الأسرة بمـا يغرقنى فى اللحظة الحاضرة ، فى القصـــة التى يرويها . قصة استنبول هذه سمعتها منه اكثر من مرة ولكنها تبقى لها كل مرة نكهة خاصة .. أرسله اخوه التاجر الكبير فى تجارة الى تركيا منذ بضع سنوات . نجح نجاحا لـم يكن مامولا + نجاحين اذا شئت . أحدهما من فرق العملة والآخر من نفاد البضاعة سريعا . فجـــأة ، وجد فى جيبه كدسة من آلاف الليرات « ما للدهر بها حاجة » كما يقول أبو ياسين فى تماكر . وفيما كان مفروضا أن يعود بعد اسبوع قضى فى استنبول شهرا انفق فيه كل ما وصلت يده اليه .. يظهر ان النساء الاستنبوليات شيء يكسر الظهر . والعرق هنـاك ليس كالعرق اللبنانى أو عرق البطة لأنهـم لا يضيفون اليه اليانسون الشامى والمسكة . ومع ذلك فهو عرق لطيف . يومهـــا خاصمه أخوه ، وظل هذا مصرا على ألا يحكى معه سنتين ، اشتغل خلالهما مستخدما عند عميل جمركى ..

.... ولم أرجع الى البيت الا بعد الثانيـــة عشرة ، سكران ، لم افز من أبى ياسين ، عوضـا عن « دفعة » على الحساب لبـــدر الدين ، بغير مجموعة طيبة من النصـــائح عن الصبر ، وفوائد طول البال وقول يردده لا يغنى شيئا :

ــ استاذ سليم حكمتك انت . دبرها بمعرفتك.

حكمانى انا . كانهمـــا ــ هذين العزيزين ــ يفترضان فى القوة !

والأنكى من هذا كله ان أقل من ثلاثين « وظيفة » من أصل مئة وعشرين هى التى صححت فقط ، ويجب علي من كل بد ان ....

محاولات كثيرة مثل هذه ، و « اكثر صحوا » دامت اكثر من ثلاثة أشهر ، اقام بدر الدين بعدها الدعوى على أبى ياسين . انا أظن ان اناســـا

اشرارا ، ادخلوا في ذهنه الفكرة . الدليل انه صار يتعمد التغيب عن الحارة والامتناع عن العودة الى البيت أثناء النهار . مرة لمحته في الحديقة العامة ، على جرف البحر ، فظل بين الناس كأنه يتهيب لقائي . وأما أبو ياسين فلم يبد عليه انه اهتم أو حنق أو استنكر ...

وحكمت المحكمة بالاخلاء . وها هو ذا أبو ياسين ينتقل . قالت لي زوجتي انهم استأجروا غير بعيد . رددت السجف وتركت شقا ضيقا جعلت أنظر منه منقبض القلب . بيتهم قائم قاعد . لم يأت أبو ياسين لتوديعي . سناء وحدها جاءت عدة مرات . انتبهت الى حركة معينة كانت تكررها كل مرة . انها تقرفص أمام عائشة ، تركي راسها الصغير الأشعث على عنقها ، وتضمها في حرارة وعيناها نديتان ، طافحتان ، حزنا . ولم تكن تتلبث طويلا . كانت تنطلق نحو الباب كأنها هاربة .. قبل يومين طلبت من زوجتي أن تعطيها صورة لعائشة وهي تلاعب دبها الأبيض ...

كأنهم سيهجرون البلدة كلها .

اطفال الحارة أعجبتهم هذه الشوشرة . انهم اسمعهم يتزاعقون ، يتهازجون ، يجربون أصواتهم في الغرفات الخالية ...

يا رب لو كان معي لكنت سددت انا ..

الليل يهبط والنقلة تستمر الآن في ظلمة لا تزال خفيفة . الكميون الضخم أمام الشرفة وعلى ظهره الدفعة الأخيرة من عفش بيت أبي ياسين . كنت أطيل النظر الى المناضد والكراسي وقد قلبت على اقفيتها ورفعت سوقها الى أعلى كأنها كائنات فاجأها الموت وهي تتضرع .. وهدأت ضجة أولاد الحارة . يظهر انهم ملوا اللعبة . العمل يجري الآن في صمت ، أعني ان أصواتا متناثرة كانت تبلغ أذني : سجادة تسحب ، منضدة تزلق فوق الأثاث .. أصوات بدت في صمت المساء كأنها حشرجات ..

أول عهدي برحيل في مساء ثقيل مثل هذا منذ حوالي ثلث قرن . كنت طفلا وقد انتقل أبي الموظف من بلدة الى بلدة .. ذلك المساء عرفت لأول مرة احساسا خضل فيما بعد حياتي كلها ، كان قاعها ، لازمتها : الاحساس بأن بعضي قد ظل ههنا . اني لم أرحل كلي ..

انهم يرحلون ...

الكميون يشخر ، يهدر ، يتجه نحو الشارع ثم يبتعد ضجيجه ...

رحلوا ...

وهبط على الحارة هدوء كل ليلة ، ولكن أي هدوء اليوم !

حوالي الساعة العاشرة جاء بدر الدين . لم يكن وضع قدمه عندي منذ تلك الليلة . كان محتقن الوجه . قعد على حافة المقعد ولبث فترة لا يقول شيئا . ولم أجد أنا ، من جهتي ، ما أقوله . أخيرا قال وهو ينظر في الأرض :

ـ والله أنا ما أردتها . المسألة ان الجار له على الجار .

غمغمت ولم اقل شيئا . فاستمر .

ـ لو انه قسط الماضي ونظم الدفع شهريا حتى لا يتراكم عليه مبلغ جديد ...

كان مصباح متحرك ملون في زاوية عن يمينه هو الذي يضيء الغرفة بنور هادىء عذب . كان صوته كأنه يأتيني من بعيد . كأنه اعتذار للقرارة غير شخصي . وعاد يقول :

ـ الله يلعن الشيطان .

التقطت معنى من عصبية في صوته . هذا واضح لأنه يغير جلسته على نحو مطرد أيضا وينقر باصابع يديه على مسند الكرسي . ما أكثر شفافيته . ثيابه ذاتها بيضاء ناصعة ، ووجهه مضيء . وقال :

ـ لو انه وعدني فقط !

وكرر :

ـ لو انه وعد ، وعد فقط .. ■■

حسيب الكيالي

دمشق ـ وزارة الشئون الاجتماعية والعمل

جذور الفن العربي في الفن الرافدي*

بقلم : الدكتور عفيف بهنسي
استاذ تاريخ الفن بجامعة دمشق ومدير الفنون في سورية

■ لم يتفق المؤرخون والجغرافيون بعد على تسمية واحدة للجزيرة العربية في التاريخ القديم ويرجع ذلك الى فقدان الشواهد الاثرية الموضحة لذلك ، ولكن مهما يكن من امر ، فان مجموعة من القبائل التي لا ندرى بعد حدود حضارتها ، كانت قد توزعت في اطراف الجزيرة العربية ، وخاصة في المناطق التي توفرت فيها الحياة او السدود او السيول . ومن الثابت ان هذه القبائل كانت ذات خصائص حضارية وثقافية واحدة ، وكانت لغتهم السامية وكتابتهم المسندية واحدة . وكان تركيبهم العرقي واحدا ، كما كانت عقائدهم الروحية البعيدة ذات مفهوم واحد .

ولقد اطلق على هذه الامة اسم الامة السامية(١) نسبة الى اللغة التي كانوا يتكلمونها . وكان الاحرى ان تسمى بالامة العربية ، خاصة وقد توضح منذ فجر الاسلام ان العرب ــ كامة ــ هي الارومة الاصلية التي ما زالت مقيمة في الجزيرة وان اللغة السامية هي لغتهم الاولى . وان اللغات الاخرى هي لهجات متنوعة ذات اصل واحد(٢) .

موجات متوالية من الهجرة الى شمال الجزيرة العربية

ومما لا شك فيه ان الطبيعة الجافة القاسية

---

* آثرنا استعمال تسمية الفن الرافدي لتدل على جميع الفنون التي ظهرت بين الرافدين ، دجلة والفرات ، وهذه التسمية تقابل باللغات الاجنبية عبارة : L'art Mesopotaian

(١) شلونسر الالماني عام ١٧٨٠

(٢) ان كتابة (ابرهة) على سد مأرب بالخط المسند تدل على ان هذا الخط كان شائعا الى جانب الخط العربي ، اذ ان ابرهة مات في صدر الاسلام .



الزيقورات التي كان يتميز بها قصر « دور شاروكين » كما تخيلها الرسامون

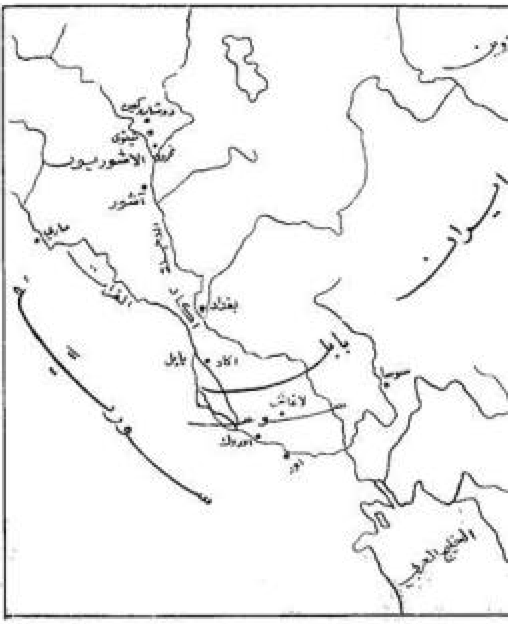
التى كان العرب الاوائل يعيشونها فى الجزيرة ، كانت تفرض عليهم الهجرة وارتياد الشواطىء فى الشمال . وهكذا فان ثمة موجات متتالية منذ عام ٢٩٠٠ ق.م قد استقرت شمالي سورية ، وهم الاموريون،وفى غربها وهم الفينيقيون والكنعانيون، كما استقرت موجة فى (الجزيرة) شمالى العراق اطلق عليهم اسم (الاشوريون) .اما الآراميون فقد استقروا فى دمشق منذ عام ١٥٠٠ ق.م ثم استقر الانباط فى الاردن عام ٥٠٠ ق.م وتتالت الهجرات مؤسسة دولة الغساسنة (بصرى) والمناذرة (الحيرة) .

على ان الذى يهمنا الآن هو شان الشعوب التى امتدت بين الرافدين اى الشعوب الرافدية Mesopotamian والتى شكلت باستثناء الحضارة السومرية(١) ، حضارة آكاد وآشور وبابل .

الأموريون

ويبدو ان الاموريين (سكان الغرب) هم اول من

على هذه الرقعة قامت الشعوب الرافدية التى شكلت حضارة من اقدم الحضارات الانسانية



حاول غزو السومريين الذين كانوا قد تربعوا على شواطىء الرافدين عند الخليج العربى ، فشكلوا حضارة عريقة تعتبر من اقدم الحضارات الانسانية، فكانت لهم لغتهم وكتابتهم (المسمارية) وتشريعهم وحسابهم وتقويمهم . واخيرا كان لهم فن مستقل يدل ـ بمقارنته مع الفن المصرى الذى يعاصره ـ على اصول الافتراق والاتفاق التى تحدد الفروق بين كل من الشعبين السومرى والمصرى .

كان صارغون (الامورى) اول حاكم عربي ، وان شئت فقل سامي ، قد اسس مملكة واسعة متحضرة ، وجعل آكاد عاصمته ، وكانت الحضارة السومرية والفن السومرى مصدر الهام للشعب الاكادى الذى استمر مهيمنا على السومريين ما يقارب قرنا ونصفا .

ثم انتقلت العاصمة الى اور السومرية فطبع الاكاديون الحياة بطابعهم ، وحكموا متعاونين مع السومريين وهم السكان الاصليون ، وبقي الحال ثلاثة قرون اى حتى القرن الثاني والعشرين ق.م. فى ذلك الوقت عاد الاموريون من جديد لتجديد سلطانهم على الرافدين فاستقروا فى مدينة بابل زهاء ثلاثة قرون ، وصلت ذروتها فى عهد حمورابي حيث سيطر على الجنوب كله واهتم بالاقتصاد والعدل (راجع قوانين حمورابي) والعلم .

الاشوريون

ومنذ عهد صارغون الامورى كانت آشور فى الشمال مجالا للحياة والحضارة لمجموعات من الساميين الاراميين(٢) الذين وفدوا من الجزيرة العربية تباعا واختلطوا بشعوب اخرى غير سامية كالحوريين . وقد استمرت الحروب بين آشور وبابل ، وكان النصر حليف الاشوريين. وقد بلغت آشور اوج مجدها بعد عام ٧٠٠ ق.م على يد

(١) يرجح أن السومريين جاءوا من آسيا الوسطى ـ وما زال منشؤهم مختلفا فيه .

(٢) الاراميون او السوريون القدماء . ثبت وجودهم قبل عام ١٥٠٠ ق.م ، اى قبل نزوح القبائل السامية أحلام وسوتي التى اطلق عليها اسم الاراميين فيما بعد ، فلقد ورد ذكرهم فى نقوش نارام شن ملك آكاد ـ سومر .

صارغون الثاني الذى بنى قصر شاروكين (أوصاروخين) العظيم ، ثم زحف ابنه سخاريب الى فينيقيا ومنها الى مصر . ثم قضى نهائيا على بابل . وهكذا احتلت آشور الهلال الخصيب باسره . ولكن هذا السلطان الواسع لم يدم طويلا ، فلم يحل عام ٦١٦ ق.م حتى سيطرت قبيلة كالدى السامية ، وهى آرامية ايضا ، على بابل ، ثم زحف نبوبلا سر على آور واستولى الكلدان عليها عام ٦١٢ ق.م وجعلوا بابل عاصمة لهم واطلقوا على دولتهم اسم الدولة الكلدانية (او البابلية الثانية) ، وكان نبوخذ نصر أعظم ملوكها وهو الذى قضى على اورشليم العبرية ٥٨٦ ق.م وبنى برج بابل العظيم .

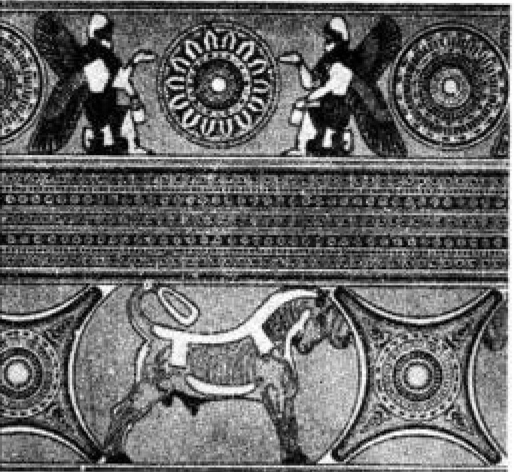
يتضح من هذا العرض السريع لدول الرافدين ان الساميين كانوا هم المسيطرون على تلك البقعة من العالم منذ الالف الثالثة قبل الميلاد وحتى اليوم .

فما هي خصائص تلك الحضارة التى تضافرت جميع حلقاتها لكي تصبح الحضارة العربية آخر حلقة فيها تحمل جميع خصائصها وخلاصة تطورها ؟

العقيدة السماوية عند الرافدين

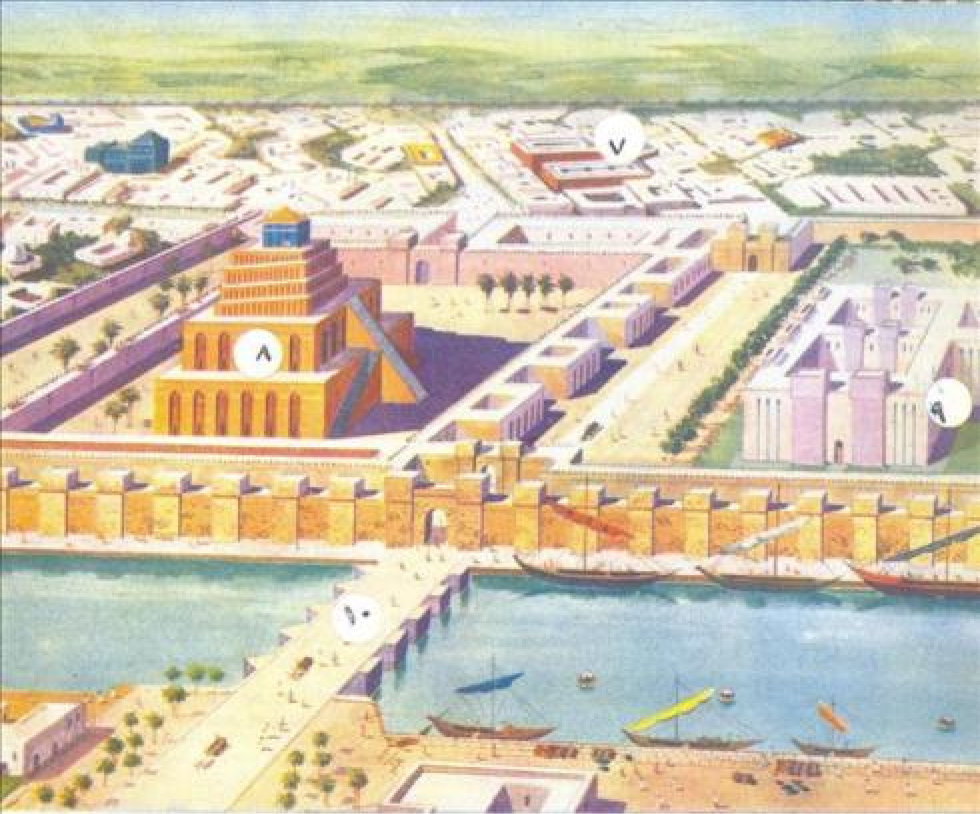
الحق ان العقيدة السماوية التى كانت سائدة منذ خمسة آلاف سنة قد وضعت حدود الافتراق بين الفنين المصرى والرافدى وبين جميع مظاهر الحكم والحياة فى كلا الامبراطوريتين القديمتين . ففى الوقت الذى كان الفراعنة فيه اربابا روحيين، كان ملوك آكاد وآشور وبابل ملوكا زمنيين يعبدون الله (آنو) الذى يسكن السماء وهو اكبر الآلهة، لم ينزل قط الى الارض ولا يمكن ادراكه ، ويسود مجموعة الآلهة ذات القوة الواسعة الازلية التى لا يمكن تشبيهها ولا يمكن تمثيلها ، الا بالكواكب، الشمس والقمر وزحل والمشترى ...

وكانت هذه الكواكب مصدر الغيب بالنسبة للمنجمين الذين كانوا هم انفسهم رجال الدين . ولقد تجسدت العقيدة السماوية بالزيقورات Ziggourat ، وهو البناء المدرج الهرمي الضخم



هكذا زينت جدران قصر « شاروكين » فى بغداد

والذى كان ينتهى بالمعبد المقدس الذى يؤمه الناس أيام الاعياد للصلاة . ولقد كان المعبد يرتفع فوق سبعة اطباق ملونة ، كل لون يرمز الى كوكب من الكواكب ، وقد وصف هيرودوت الزيقورات فى عهد نبوبلاسر فذكر انها كانت ذات آجر ملون مؤلفة من سبع طبقات ، كل طبقة تحمل لونا خاصا ، وكل لون يرمز الى كوكب . لون الطبقة الاولى هو الاسود لون زحل – كيوان – ثم الطبقة الصفرى وتحمل اللون الابيض لون الزهرة (مردوخ) . ثم الطبقة التى تعلوها وهى ذات لون أحمر ارجواني، وترمز الى المشترى (عشتار) . فالرابعة وهى زرقاء وترمز الى عطارد . والخامسة القرمزية وتشير الى المريخ ، والسادسة فضية وترمز الى القمر (ننار) . واخيرا الشمس (شماس) وتحمل اللون الذهبي . وكان المعبد يعلو هذه الكواكب مما يؤكد ان الله عندهم كان فوق كل الفكر المشخصة وهو فى السماء (آنو) ، ولكن الشمس والقمر والكواكب ، كانت دائما ذات منزلة قدسية عند جميع الساميين . وقد وجدت آثار فى اليمن وفى بلاد تدل على ان العرب كانوا يقدسون هذه الكواكب . ولقد اشار القرآن الى هذا فى (سورة فصلت ٣٧) : « ومن آياته الليل والنهار والشمس



والقمر، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون »(١) .

ومفهوم البعث لم يكن موجودا عند الساميين

لم يكن لمفهوم البعث وجود عند الساميين ، فالانسان مخلوق فان, غيرُ قابل للخلود بل ان الخلود هو من صفات الله وحده . ويفسر ذلك الكثير من الاساطير ، نذكر منها قصة (اتانا) Atana الذى اصاب العقمُ اغنامه فاراد الصعود الى السماء على ظهر نسر ، ولما اصبح قريبا من ابواب السماء سقط ثانية على الارض . وكانت هذه الاسطورة رمزا لعجز الانسان عن دخول السماوات حيث الخلود . كذلك قصة جيلغامش Gilgamesh الذى قام بمغامرات واعمال خارقة كسبا للخلود دون جدوى .

لهذا فانه لم يكن للموت ذلك المعنى الذى لدى

---

(١) ان تسمية الآلهة Beosse يختلف عن معنى الرب Diou . ويختلفان ايضا عن معنى الله Allah عند العرب وهو الذى حمل معنى التوحيد السرمدى ، بينما كانت الآلهة عندهم هى الكواكب التى درسوا تحركاتها للتنجيم ومعرفة المستقبل والفأل ، وكانوا يسألونها الاستسقاء والزلفى ، من ذلك الحديث : « ثلاثة من امور الجاهلية ... والاستسقاء بالانواء » ويبدو ان الآلهة السامية انتقلت الى الاغريق عن طريق الفينيقيين فقدسوها ، لانها كانت تحمل خصائص بشرية خارقة ، ولم يؤمنوا بفكرة الله البعيد عن معنى البشر ، بل اخذوا بفكرة الرب على انه رئيس الآلهة ، وهكذا كان زيوس Zeus هو (ائليل) اله الهواء والطبيعة عند الاوائل العرب ، وكانت فينوس Venus هى (عشتار) ، وبوسيدون Poseidon هو (ايا) اله الماء . وميركور Mercure هو (مردوخ) وهكذا .. ولقد وقف الاغريق دون قبول فكرة السماء (آنو) التى كانت مجال الله عند الاجداد .



هكذا كانت مدينة بابل

كانت مدينة بابل ، وبرجها العظيم احدى عجائب العالم القديم ، وقد تخيل الرسام تصميم هذه المدينة التى لم يبق منها غير الاطلال ، فى هذا الرسم الذى تظهر فيه المبانى الرئيسية التى كانت قائمة اذ ذاك على ضفاف نهر الفرات (اوفراتيس) والطريق الذى يبدأ من بداية عشتار وينتهى بالكوبرى المقام على النهر بينما ظهر فى الجانب الايمن (رقم ٨) برج (اتمن — انج — كى) الذى يرجح المؤرخون انه برج بابل (١) بوابة عشتار (٢) اسوار تحيط بالقصور الملكية (٣) قاعة العرش (٤) الحدائق المعلقة (٥) معبد «ننماج» (٦) معبد عشتار (٧) السوق (٨) برج بابل (٩) معبد مردوخ (١٠) جسر الفرات

المصريين ، ففى الوقت الذى كانت القبور الضخمة كالاهرامات ، مكانا لحفظ الروح من الشرود ولضمان خلودها ، كانت القبور العادية فى افنية المنازل مكانا عاما توضع فيه الموتى دون اى تفريق فى مكانتها .

ولقد كانت فكرة الاله السماوى الذى يسمو على الشبه ، السبب فى ان الفن التشبيهى عند الساميين لم يكن مسوغا ومشجعا ، على عكس الامر فيما يتعلق بالفن السومرى ، فكثيرا ما نشاهد تماثيل الملك غوديا(١) Goudea الذى حكم الى جانب الاكاديين ، منتشرة بين خرائب اور ونيبور وسوسا وغيرها ، دون ان نجد نظيرها عند الاكاديين . واذا كانت بعض النقوش والرسوم تمثل بعض مظاهر الفروسية والحرب عند الاشوريين ، فلان هذه الامبراطورية القوية

(١) ان هذه التماثيل وجدت جميعا تقريبا وقد فصل رأسها ، ويعتقد انها فصلت بتأثير العصبية السامية التى تحارب تصوير الانسان .

الصارمة ، قد وضعت القوة المادية دائما فى المكان الاول . فكان لا بد من الاشارة المستمرة لقوة شكيمة ملوكها وقوادها فى حروبهم المستمرة مع بابل وفينيقيا ومصر وميتاني وميديا وغيرها .

العقيدة الروحانية منذ بداية الحكم الأكادى

غير ان العقيدة الروحانية على ما يبدو كانت السائدة دائما منذ بداية الحكم الاكادى وحتى فى عهد سنحاريب ونبوخذ نصر . ففى قصر شاروكين الضخم فى (خورسباد) نشاهد على جدران الغرف الكبيرة تزيينات متوازية ذات صيغ متكررة ،وبينها جداول من الرسوم الزخرفية التى تحمل صور كائنات مجنحة مقدسة ، وقد وضعت بشكل تعبيرى متقابل ، وبينهما رنوك ذات اشكال او « خيوط » نابذة وجاذبة . ان هذه الرسوم لتبين مدى القرابة بين الرقش العربى المتأخر وبين الرسم الاشورى القديم . كما تبدو بجلاء وحدة الفكرة التى تقوم عليها تلك الرسوم المركزية التى رمزت عند الاسلام بوضوح الى فكرة الاله مصدر كل شيء وهو الواحد الاحد .

ثم ان اتجاه الكائنين المقدسين نحو هذه الدائرة يدل على ان الآلهة المقدسة مردوخ وعشتار وشمس ... لم تكن الا مرحلة من مراحل الرقي الى السدة الالهية . ولما كانت هذه القوى المقدسة سبع وهى الشمس (شماس) والقمر (ننار) وعطارد والزهرة (عشتار) والمريخ (آذار) والمشترى (مردوخ) وزحل (كيوان) ، كانت طبقات السماء عند الاسلام سبعة ايضا ، وفى القرآن « الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا » (سورة نوح ١٥/٧١) وكلمة طبقات ذات اصل بابلى[١] ، كذلك كلمة فلك واصلها بلك[١] .

كذلك كانت ايام الاسبوع عندهم سبعة حملت اسماء هذه الكواكب وانتقلت بنفس المعنى الى الغربيين : فيوم الاحد عندهم Sun - day اى يوم الشمس . ويوم السبت هو عندهم Satur day ، اى يوم زحل . ويوم الاثنين Monday اى يوم القمر الخ ...

والفرنسيون يسمون يوم الخميس Jeudi ، وهو من اللاتينية Jovis dies اى يوم المشترى يوم جوبيتر . وهم يسمون يوم الاثنين Sundi ، وهو من اللاتينية Suna dies اى يوم القمر . وهم يسمون يوم الجمعة Verdredi وهو من اللاتينية Veneris dies اى يوم عشتار (الزهرة). وهم يسمون يوم الاربعاء Mercredi وهو من اللاتينية Merculii dies اى يوم عطارد .

ولقد منع الاسلام قدسية هذه الكواكب « فلا اقسم بالخنس . الجوار الكنس » (التكوير ١٥/٨١ ، ١٦) .

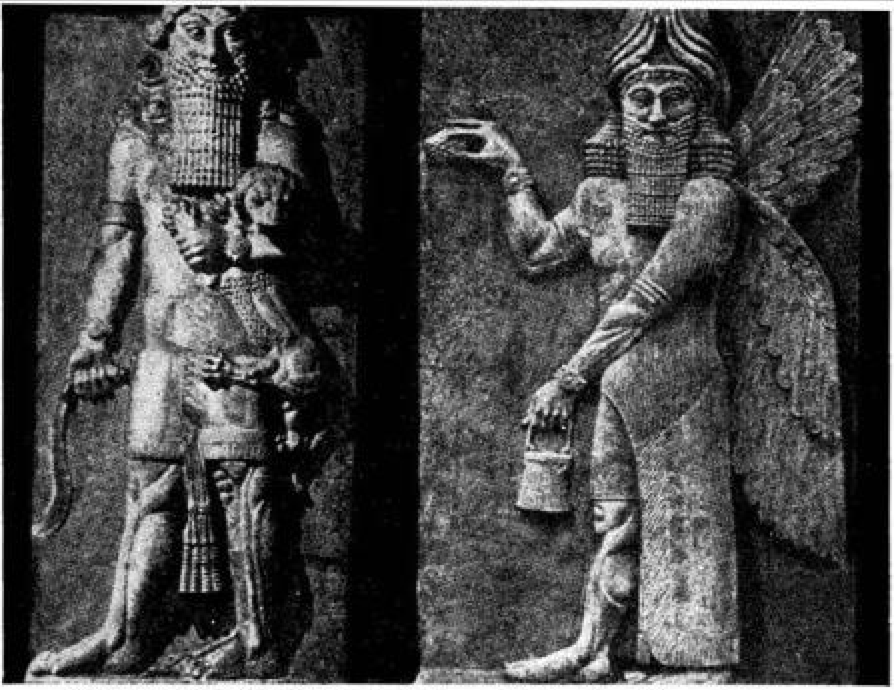
العزوف عن التصوير التشبيهي عند اسلاف العرب

ولا بد من ابداء ملاحظة هامة فى مجال العزوف عن التصوير التشبيهي عند اسلاف العرب . فنحن نرى انه فى كل مرة كانت الشعوب المسيطرة والحاكمة سامية صرفة ، فان هذا العزوف عن التشبيه ، او ذلك الرمز فى الفن ، كان سائدا وكان النحت والتصوير التشبيهي مكروها ، كما كان الحال عند الكلدانيين فى الدولة البابلية الاولى ، فحتى الآن لم يعثر المنقبون على اى تمثال كامل البروز Ronde Bosse يرجع لتاريخهم ، الا بعضا من النقوش البارزة Bas roliefs نذكر منها لوحة قوانين حمورابي وفى اعلاها صورة حمورابي يستلهم القوانين من الالهة شمش . وثمة نقوش اخرى واختام كلها ترمز الى السماء وما فيها من كواكب هى مصاعد الى الله .

اما فى النحت الاشورى فان التماثيل القليلة جدا التى عثر عليها ، هي اقرب الى النحت السومرى ، اما النقش البارز او النافر فلقد بلغ حدا رائعا ، وكانت الامثلة التى عثر عليها خاصة فى خورسباد من روائع الفن الاشورى . على اننا رغم هذا نلاحظ بضعة امور هامة فى الفن الاشورى، الامر الاول هو : الابتعاد عن (تصوير ماله ظل) اى التمثال المجسّد . والثاني : الانصراف الى تصوير الحيوانات الثيران ـ الاسود ـ البقر ـ

---

(١) انظر (علم الفلك ، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى) ص ١٠٥ للبيرونى .



تماثيل من النحت الاشورى فى خورسباد بالعراق ترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد

الحياة الخ ... والملاحظة الثالثة هى : عدم الاهتمام بالبعد الثالث .

الاسس الاولية للفن العربي

ان هذه المظاهر هى الاسس الاولية للفن العربي الذى اصبحنا نراه فى العهد الاسلامي وقد اخذ طابعا دينيا وعقائديا ، مع انه فى الواقع يستند الى تقليد اصيل عند الساميين القدماء ، وظهر ايضا عند الارامين والفينيقيين والانباط والغساسنة والمناذرة اللخميين .

بل ظهر ذلك على شكل تحريم فى جميع الاديان السماوية التى نشأت على ارض الساميين .

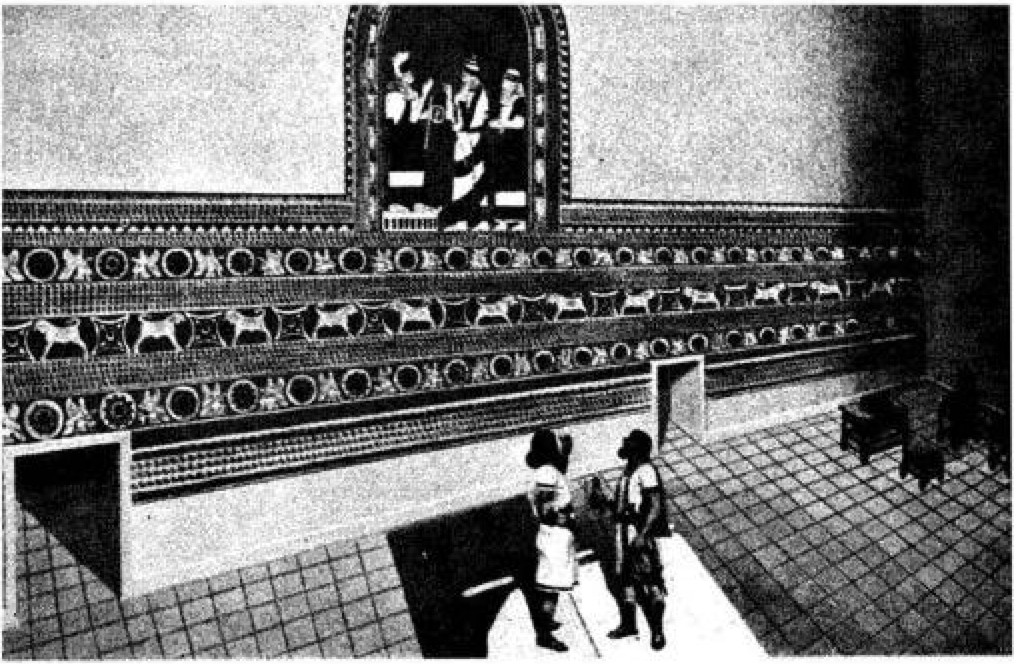
تحريم الصور والتماثيل

فالدين الموسوى حرم التصوير التشبيهي . فلقد ورد فى الآية الرابعة من الاصحاح العشرين فى سفر الخروج « لا تصنع لك تمثالا ولا صورة مما فى السماء من فوق ، وما فى الارض من تحت ، وما فى الماء من تحت الارض . لاتسجد لهن ولا تعبدهن ».

اما فى المسيحية فلقد ظهرت مقاومة التصاوير فى حركة الايكونوكلازم Econoclasme التى نشأت عام ٧٢٣م فى آسيا الصغرى ورعاها امبراطور بيزنطة . وكان اكثر رجال الدين المسيحي يحاربون التماثيل والصور الدينية وخاصة منها ما يصور المسيح والقديسين وآباء الكنيسة .

اما فى الاسلام فقد ورد فى الحديث « ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله » ، وان « من صور صورة فى الدنيا كلّف ان ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ ».

ولعل ابرز مظاهر الوحدة الفنية بين العرب واسلافهم هو فن العمارة وخاصة عمارة المنازل . ان نفس الطراز المتبع فى المنازل حتى يومنا هذا فى بلادنا ــ خاصة فى دمشق (قصر العظم) كان شائعا بين الرافدين ، فالمنزل هو المكان المغلق على نفسه البعيد عن العالم الخارجي والذى تملأه الزخارف من الداخل . ويبدو من الخارج عديم الزخرفة مغلقا لا محل للنوافذ فيه ، وكان المنزل من الداخل يحوى الصحن المكشوف ، والغرف المطلة على الصحن ، وذات الارض المرتفعة



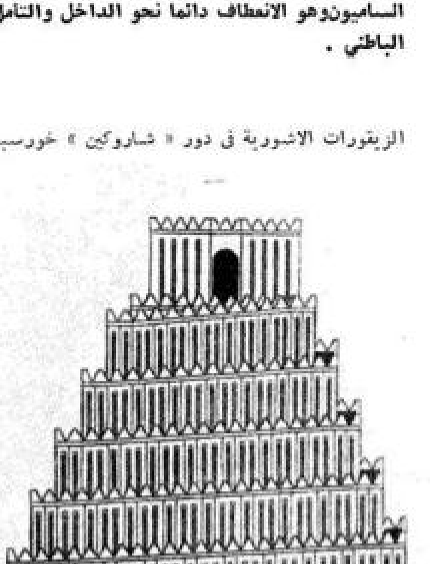
من اهم عناصر الفن الرافدى ، نقش الجدران وتزيينها .. وهذا الرسم من عمل مجلة الجمعية الجغرافية لاحد القصور فى ذلك العصر ، على ضوء الدراسات التى قام بها معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو ، فى خورسباد بالعراق

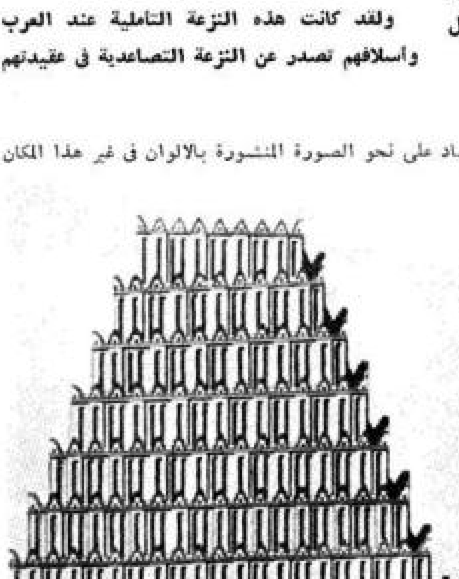
كالقاعات الشامية . لقد كان طراز هذا البناء انعكاسا للوضع النفسى والروحي الذى عاشه الساميون وهو الانعطاف دائما نحو الداخل والتامل الباطني .

النزعة التصاعدية عند العرب

ولقد كانت هذه النزعة التاملية عند العرب وأسلافهم تصدر عن النزعة التصاعدية فى عقيدتهم

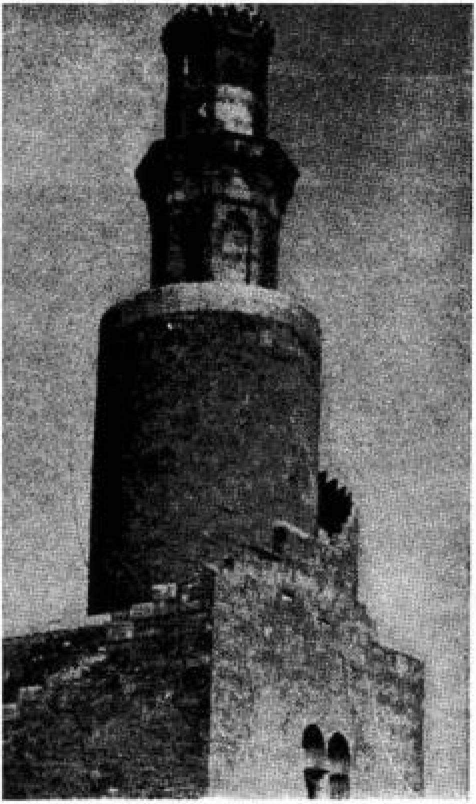
الزيقورات الاشورية فى دور « شاروكين » خورسباد على نحو الصورة المنشورة بالالوان فى غير هذا المكان







مئذنة «الملوية» في سامراء،واشهر آثارها.استوحى المعتصم بناءها من الزيقورات (الابراج) الاشورية ، وكان يصعد اليها على ظهر حماره « المريسي » !



وهذه مئذنة جامع احمد بن طولون بالقاهرة ، وهي المنارة الوحيدة في مصر ، ذات السلم الخارجي ، وهي تشابه منارة سامراء

وروحهم . ولقد تمثلت هذه التصاعدية في اسلوب وشكل العمارة بصورة عامة ، فالزيقورات التي تطورت الى مآذن ، (ومنها ما شابه الزيقورات ذاتها مثل الملوية في مسجد سامراء) ، كانت صورة مجسدة لذلك الطابع التصاعدي ، الذي فصلنا صورته المادية .

اما الاقواس والقباب فلقد كانت تعبيرا عن الكرة الكونية (او الكهف الكوني) كما يقول شبنجلر Spengler والذي يوحي دائما بالخفة وبالانطلاق نحو السماء ويبدو ذلك واضحا عند مقارنته بطراز العمارة الأغريقي القائم على فكرة الحامل والمحمول، والذي يوحي برسوخه وارتباطه بالارض .

وثمة ظاهرة روحية اخرى كانت واحدة في جميع العصور السالفة وهي ظاهرة الرقش العربي (الارابسك Arabesgue) ، فالفن التصويري جنح دائما ومنذ عهد صارغون الاموري الى الزخرفة مبتعدا عن تصوير الاحياء . وكان هذا مظهرا من مظاهر التحرر من الاشكال المادية الصرفة والانطلاق الى الاشكان المجردة التي تتجمع فيها وحدة الكون .

كذلك كان اللون الذهبي الذي غلب على الالوان السامية لونا مجردا لا ماديا خارقا للطبيعة ، وهو لون الشمس عند الاوائل ، وهو كالشمس القوية يسلب الاشياء حدودها وظلها ويبعث على الحلم والدخول في اعماق الغيبيات والسماء (آنو) ، واللون الثاني هو اللون الازرق لون السماء ، لون البعد والعمق واللانهائي والابدي لون الهواء .ولم يستعمل الاغريق والرومان هذا اللون لاعتماد حضارتهم على المادة والغريزة الكامنة في اللون الاحمر . ■■

عفيف بهنسي

«دكتور جيفاكو»: بوريس باسترناك

بقلم : الدكتور محمود السمره
الجامعة الاردنية ـ عمان

■ لقد كان صدور قصة « دكتور جيفاكو »[1] للكاتب الروسى بوريس باسترناك ، فى سبتمبر (ايلول) ١٩٥٨ ، حدثا أدبيا شغل الأدباء والصحافة سنوات : يتتبعون اخبار الكاتب ، ويتناولون الكتاب بالتحليل .

وقد وقف القراء من هذه الضجة حائرين ، لا يستطيعون تحديد موقفهم : اترى السياسة الغربية قد انتهزت فرصة ذهبية كهذه لتستغلها لمصلحتها ؟ أم ان الكتاب جدير فعلا بكل هذه الضجة ، حتى استحق مؤلفه من أجله جائزة نوبل ؟

اما ان السياسة الغربية قد استغلت الظروف التي رافقت ظهور الكتاب ، فهذا صحيح : اذ لاول مرة نجد اديبا روسيا كبيرا يتحدى السلطة فى بلده ، ويرسل بكتابه لينشر فى الخارج . وكان هذا الكتاب قد رفضت السلطة نشره فى روسيا عندما عرض عليها .

واما ان الكتاب عمل أدبى رائع يستحق كل هذه الضجة ، وهذا التقدير ، فهذا صحيح أيضا . وهذا ما سنحاول بيانه .

ولعل مما زاد فى تشيع الأدباء والنقاد فى الغرب لقصة « دكتور جيفاكو » ان الأدباء السوفييت اعتادوا أن يصوروا مجتمعهم نقيا ، لا عيب فيه ، وما سواه فاسد . فلما جاء باسترناك ليرسم الجوانب المظلمة، بالاضافة الى الجوانب المضيئة، هللوا له . وفى رأى باسترناك ان الناس فى الحياة الواقعية مزيج من الحسن والقبيح، والخير والشر، اما الخير المصفى ، والشر الذى لا يخالطه خير ، فلا وجود لهما فى واقع البشر .

ولم يكن باسترناك أول من فعل هذا ، بل سبقه الى ذلك كاتب آخر ذائع الشهرة ، هو شولوخوف فى قصته الشهيرة « بهدوء يجرى الدون »[2] .

وفى عام ١٨٩٠ ، وفى موسكو ، ولد مؤلف « دكتور جيفاكو » بوريس باسترناك ، من عائلة عالية التهذيب ، عميقة الثقافة : فوالده رسام مشهور ، وامه موسيقية معروفة . ونشأ الطفل بوريس وهو يحلم ان يكون موسيقارا لامعا كالموسيقار سكريبيان Scribian ، صديق العائلة الذى كان يكثر من التردد عليها ، ويوليه حبه ورعايته .

---

(1) Boris Pasternak, Doctor Zhivago.
(2) Sholokhov, Quiet Flows the Don.



وتذكر شقيقته في مقدمتها لمجموعة شعرية اختارتها من شعر أخيها ، ان بوريس كان يجيد العزف على البيانو منذ طفولته ، وانه كان يعزف فتنهل دموع أفراد العائلة تأثرا وانفعالا ، « لأنه كان يصب عواطفه في موسيقاه » . فلما كبر أصبحت الكلمة هي اداة التعبير ، بدلا من الموسيقى .

والتحق باسترناك بعد المدرسة الثانوية بجامعة موسكو ليدرس الحقوق ، ولكنه لم يلبث أن قطع دراسته ، وسافر الى المانيا ليدرس الفلسفة في جامعة مربورغ Marborg ، وبقي فيها الى ان انهى دراسته للفلسفة عام ١٩١٣ ، وعاد الى موسكو .

وفي مربورغ مرّ باسترناك بتجربة عاطفية كان لها أثر بعيد في حياته : فقد هوى فتاة فاتنة ساحرة ـ كما وصفها ـ ولما تركت الفتاة المدينة مع شقيقتها الى برلين ، ذهب لوداعها في القطار، ولما استقلته لم يتمالك نفسه من أن يلقي بنفسه وراءها فيه ، بعد أن كان قد بدأ التحرك . وكادت ان تطحنه عجلات القطار لو لم يسارع قاطع التذاكر لمساعدته ، وجره الى داخل العربة. ووقع على ركبتيه أمام فاتنته راجيا منها أن توافق على الزواج منه ، ولكنها صدته ، وأعرضت عنه ، وطلبت منه الا يرى معهما في محطة برلين لان والديهما سيكونان في الانتظار .

وهكذا وصل باسترناك الى برلين وحيدا ، حزينا ، يائسا . وفي صبيحة اليوم التالي حمل القطار الى مربورغ « انسانا يختلف كل الاختلاف عن انسان الأمس » : فهذه الصدمة قد فجرت ينبوع الشعر في نفسه ، وكشفت عن مواهبه الكامنة التي بها أصبح أشهر شاعر في روسيا طول حياته .

والدارس لحياة باسترناك، وشعر شبابه الذي ترجم الى أكثر اللغات الحية ، يلمس التشابك بينهما : ففي شعره لوعة المحب،وتأمل الفيلسوف الذي وعى دروس الفلسفة .

وفي موسكو نشر الشاب باسترناك عام ١٩١٤ اول ديوان شعر له . ولما نشبت نار الحرب العالمية الاولى أعفي من الجندية لعاهة في رجله ، اذ كانت قد كسرت في طفولته «وهكذا أعفيت من الاشتراك في القتال في حربين عالميتين بسبب هذه العاهة » .

وتنقل باسترناك بين مختلف الأعمال : فترجم بعض المسرحيات لمسرح في موسكو ، وعمل مديرا

لمصنع كيماني في الاورال ، ونشر مجموعة شعرية ثانية(١) وفي الحرب الأهلية كان أمين مكتبة وزارة التربية والتعليم .

وفي عام ١٩٢١ غادر والداه مع شقيقتيه روسيا لعلاج الأم المريضة مرضا مستعصيا . ووالده هو ليونيد باسترناك رسام مشهور من المدرسة الانطباعية في الرسم ، ووالدته هي روزا كوفمان باسترناك عازفة البيانو الموهوبة . وبقي بوريس وشقيقه الاسكندر ، في روسيا ينتظران عودة الغائبين ولكنهم لم يعودوا أبدا .

وانصرف باسترناك الى نظم الشعر ، وأخذت تصدر له مجموعات من الشعر متعددة ، جعلته شاعر روسيا الأول في حياته . وبالاضافة الى انتاجه الشعرى صدرت له ترجمة لحياته تنتهي بانتحار صديقه الشاعر المعروف ماياكوفسكي ، كما نشر أربع اقاصيص في مجلد واحد .

وانصرف في العقدين الأخيرين من حياته الى ترجمة روائع الادب الغربي : فترجم شكسبير ، وجيته ، وبن جونسون ، وفيرلين ، وسوينبرن ، وشلي ، وغيرهم .

وكان دوما يحلم بكتابة قصة نثرية يضع فيها خلاصة تجاربه وأفكاره . وقد تحقق هذا الحلم أخيرا فكان قصة « دكتور جيفاكو » .

وما نعرفه عن حياة باسترناك الخاصة قليل جدا ، ولكنا نعرف انه قد تزوج في شبابه وله من زوجته ولد . وقد توفي بوريس باسترناك عام ١٩٦١ .

وقد وصف باسترناك عارفوه فقالوا : انه كان انسانا لطيفا ، يستقبل الناس بمودة وحرارة ، ويرفع في ثوان الحواجز القائمة بينه وبينهم . وكان قوى البنية ، ربع القامة ، يبدو أصغر من سنه . ومن هواياته المحببة الى نفسه العمل ساعات في حديقة البيت : يقلم الأشجار ، ويرتب الأزهار في الأصص ، ويزرع البطاطا . واذا تحدث أفاض في الحديث وتدفق ، وطرق كل موضوع يمكن ان يخطر بالبال .

هذا هو مؤلف « دكتور جيفاكو » .

أما « دكتور جيفاكو » فهي القصة الوحيدة التي كتبها باسترناك الشاعر . ويبدو أن فكرتها كانت تراوده منذ سنين بعيدة،منذ شبابه الباكر : فهو يقول على لسان البطل : « ومنذ أن كان شابا يجلس على مقاعد الدراسة كان يحلم بكتابة كتاب يسجل فيه انطباعاته عن الحياة ، ويخفي وراء معناه الظاهرى أشياء مثيرة عاشها ، وشاهدها ، وفكر فيها . انه يريد أن يخفي هذه المعاني وراء الالفاظ ، كما تختفي أصابع من الديناميت تحت طبقة رقيقة من القش . لقد كان من اليفاعة ، وعدم النضج ، بحيث لم يستطع كتابة مثل هذا الكتاب ، ولهذا انصرف الى نظم الشعر » .

وعندما كبر ونضج ، وخبر الدنيا والناس ، صار الحلم كابوسا يقض مضجعه ، ويهتف به أن يكتب شيئا عظيما . ويبدو ان هذا الهاجس كان مبعثه احساسه ان فن القرن العشرين لم يستطع ان يصور عظم مأساة انسان هذا القرن بحربه العالمية الأولى ، وثورة ١٩١٧ ، والحرب الأهلية ، والحرب العالمية الثانية ، وأهوال الاحتلال النازى ، والمجاعات ، والموت المتربص في كل مكان .

وقد بدأ باسترناك بكتابة « دكتور جيفاكو » بعد الحرب العالمية الثانية بقليل ، وقدمها للنشر عام ١٩٥٦ ، ولكن السلطات ردتها . وفي عام ١٩٥٨ ظهر الكتاب في البلاد الأوروبية بترجمات متعددة .

ويبدو ان باسترناك كان راضيا كل الرضى عن الصورة التي تحقق بها حلم شبابه ، لأنه يقول : « ان الشيء الوحيد الذى اعتز به من انتاجي هو « دكتور جيفاكو » أما شعرى وكتاباتي الأخرى ، فلا قيمة لها تذكر في نظرى » .

(١) ديواناه هذان مترجمان الى الانجليزية بعنوان : The Twin in Clouds, Above the Barriers.

والقارىء لقصة « دكتور جيفاكو » قد يجد سببين يصرفانه عن قراءتها : أولهما بطء الأحداث فى الصفحات الخمسين الأولى ، وثانيهما امتلاء القصة بحشد من الشخصيات حتى انه ليضل بينها . ولكنه اذا تغلب على هذه الصفحات فسيجد ان الكتاب ممتع ، يغذى الفكر والروح . وكثرة الشخصيات لا مناص منها فى مثل هذا العمل الأدبي ، لأنه ليس قصة بطل ، بل قصة مجتمع بكامله فى فترة من الزمن حافلة بالأحداث. انها شبيهة بقصة « الحرب والسلم » لتولستوى: كلاهما قصة اجتماعية ، تاريخية ، فلسفية ، وان اختلفت طريقة التناول .

ومع هذا فان القارىء ليس محتاجا لان يذكر هذه الشخصيات ، واذا نسيها أثناء قراءته فانه لا يخسر شيئا ، لأنها تظهر وتختفي ، ولا يبقى الا شخصيتان رئيسيتان هما : دكتور جيفاكو البطل، وعشيقته لارا وهي البطلة . وشخصية ثالثة هي شخصية باشا ، زوج لارا ، الذى تركها وترك مهنة التدريس فى مدرسة ثانوية بالأورال ليلتحق بجيش الثورة ، ويصبح من قوادها البارزين .

والخطوط الرئيسية للقصة فى ايجاز بالغ هي:

يموت جيفاكو الأب فى قطار ، ويبقى الطفل يورى جيفاكو يتيما بلا أبوين ، فيأخذه عمه الى بيت صديق له ، هو استاذ فى الجامعة . وهكذا ينشأ جيفاكو الصغير فىرعاية هذه الأسرة الكريمة، ثم يلتحق بالجامعة ليدرس الطب « ومع انه كان يحب الفن والتاريخ ، الا انه لم يتردد فى اختيار مهنته للمستقبل . لقد كان يؤمن ان الفن لا يمكن أن يكون مهنة ، كما ان الهناءة والحزن لا يمكن ان يكونا مهنة . انها أحاسيس تلقائية . وما يريده هو أن يعمل شيئا نافعا فى حياته العملية ، ولهذا اختار دراسة الطب » .

ويتخرج جيفاكو طبيبا من الجامعة ، وتمرض زوجة الاستاذ فيقضى جيفاكو وابنتها كاتيا الليالي الى جانبها . وعندما تشعر بدنو الأجل توصى الشابين أن يتزوجا ، فيعداها بذلك . وتموت الأم هادئة البال ، ويتزوج جيفاكو الصبية الجميلة البريئة كاتيا ، ويعيشان مع الأب الذى يحبانه أعمق حب .

وتشتعل نار الحرب العالمية الأولى ، فيجند جيفاكو طبيبا فى المستشفى أولا ، ثم ينتقل بعد ذلك الى الجبهة . وهناك يقضى ساعات الراحة النادرة فى نظم الشعر . وفى جبهة القتال يلتقى بممرضة اسمها لارا جاءت تبحث عن زوجها الذى انقطعت عنها أخباره . ثم يخبرها أحد أصدقاء زوجها انه قد قتل ، لأنه كان معه فى المعركة . والحقيقة انه لم يقتل وانما أسر .

ويهزم الجيش القيصرى فى الحرب ، وهذا يتيح الفرصة لقيام ثورة ١٩١٧ .

وعاد جيفاكو الىزوجته،وابنه الذىولد أثناء غيابه ــ وحميه . ويأخذ يفكر فى طريقة لانقاذ العائلة من الجوع والبرد . وهربا من جو موسكو الرهيب.وتقرر الزوجة ووالدها أن خير ما يفعلونه هو أن يرحلوا الى الأورال ، حيث يعيشون فى عزلة بعيدا عن أهوال الحرب ، آمنين من الموت جوعا ، لأن تلك التربة الغنية تستطيع أن تقدم لهم بيسر ما يكفيهم .

وبعد انتظار طويل استطاعوا أن يحشروا أنفسهم فى القطار الذاهب الى الأورال . وقبل أن يصلوا المدينة المرجوة يكونون قد مروا بألوان عديدة من الصعوبات والمخاطر . واستقر بهم الحال سنتين فى تلك المدينة ، ولكن الأخطار التي ظنوا انهم قد نجوا منها ، تطاردهم فى كل مكان .

وفى هذه المدينة يلتقى جيفاكو بالممرضةالسابقة لارا التي عرفها فى جبهة القتال . ويقوم بين الاثنين غرام عنيف ، ويقع جيفاكو فريسة صراع نفسى : اخلاصه لزوجته الطيبة كاتيا ، وحبه العارم للارا الجميلة الذكية التي أحبته فوق كل حب .

وفي ليلة كان عائدا الى بيته ، واذا بجماعة من رجال الثورة تستوقفه ، ثم تأخذه عنوة ليكون طبيبا في جيش الثورة ، وينتقل من مكان الى مكان الى ان ينتهي في سيبيريا . ولما استتب الأمر للثورة عاد جيفاكو الى مدينته في الأورال ، ليجد عائلته قد عادت الى موسكو ، فيذهب الى لارا ويقيم معها . وأثناء ذلك كانت تصلها أخبار زوجها وبسالته في جيش الثورة . ومن احداث القصة نعرف ان زوجها قد فعل كل ما فعل ليكون جديرا بحبها ، فهو قد انخرط في جيش الثورة ، وعرّض نفسه للمخاطر لانه كان يحس انها لا تحبه. ولما بدأت الثورة تأكل ابناءها ، كان هذا الزوج من المأكولين اذ دفعته الى الانتحار .

وتصبح حياة جيفاكو وحياة لارا مهددة في هذه المدينة ، فينصحها أن ترحل مع صديق ، على أن يلحق بها فيما بعد . ويعود جيفاكو الى موسكو باحثا عن عائلته ، فيعرف انه قد حكم عليها بالنفي ، لأن حميه استاذ الجامعة اعتبر خطرا على النظام الجديد .

ويعيش جيفاكو في موسكو حياة تشرد وبؤس ، ويهمل نفسه ، بعد أن فقد من احب : لارا ، كاتيا ، ابنه ، حميه ، اصدقاءه . وفجأة يقع ميتا بالسكتة القلبية في الشارع .

وينتهي الموقف الرئيسي في الكتاب بلارا وتأملاتها، وهي واقفة تبكي فوق جثة حبيبها ، ثم تخرج فلا نسمع عنها شيئا . لقد اختفت هي أيضا .

هذا ايجاز للقصة يسلبها الحياة ، وكل تلخيص لأي عمل أدبي رائع يميته . ولكنه ايجاز دعت اليه ضرورة التعريف ، والحاجة اليه لفهم ما سيأتي :

ان جيفاكو ، بطل القصة ، هو باسترناك ، الى حد كبير : فهو في القصة في عمر المؤلف ، ويمر بالظروف التي مر بها : ثورة ١٩٠٥ الفاشلة ، وأهوال الحرب العالمية الأولى ، وثورة ١٩١٧ ، والحرب الأهلية التي تلتها والتي انتهت عام ١٩٢١ .

ولارا بطلة القصة ، وخليلة جيفاكو ، قد استوحاها باسترناك من شخصية صديقته أولغا ايفنسكايا ،والتي كانت تسهر عليه في مرضه الأخير، وتحت بصرها فارق الحياة .

وبطل القصة يعاني من حرمانه من عائلته المنفية ، ومؤلفها قضى حياته دون أن يرى ابويه وشقيقتيه بعد أن تركتا روسيا الى الخارج .

ويرى بعض الدارسين ان قصة « دكتور جيفاكو » هي قصة الثورة ، وهذا غير صحيح ، فالثورة ليست الا جانبا من جوانب عدة تتناولها القصة . ولكن الثورة هي التي تذهب بأبطال القصة : فتسلب جيفاكو زوجته ، وابنه ، وحبيبته . وتدفع بزوج لارا الى الانتحار .

والكتاب مليء باللقاءات العارضة التي تتم بمحض الصدفة ، ولكنها لقاءات تزيد القصة غنى، وتقربها من واقع الحياة . واذا كان بعض كتاب القصة يلجأون الى اقحام عامل الصدفة في قصصهم لحل موقف معقد ، فان باسترناك بعيد عن هذا كل البعد . ومع هذا فان هناك من الشخصيات والأحداث ما يمكن أن يعتبر نافلة ، لأنها لا تمس جوهر القصة .

والموت هو السلطان المهيمن على الكتاب : فهو يبدأ بوفاة والد جيفاكو ، وينتهي بوفاة لارا بطلة القصة « ففي أحد الأيام خرجت لارا ولكنها لم تعد . وهي اما أن تكون قد اعتقلت ، أو قتلت ، أو اختفت في مكان ما ... » والموت هنا ليس دليلا على يأس الكاتب وسلبيته ، بل على صدقه في تصوير هذه الفترة من تاريخ وطنه .

وليس جيفاكو في القصة مدافعا عن القيصرية ، كما انه ليس ناقدا للثورة التي يراها من منجزات العالم العظيمة . والحقيقة ان السياسة لا تهمه كثيرا . وما يهمه هو : كيف يستطيع أن يحافظ على عائلته ، ويكفل لها العيش ، وسط كل مظاهر الدمار المحيطة بها ؟ انه يقول :« لا شيء في الحياة أثمن من السعادة العائلية » . وهذا الاهتمام بالعائلة ، وسلامة العائلة ، والبيت الهادىء ، من المواقف الرئيسية في الكتاب . وهو موقف يؤكد فيه باسترناك على ان الفرد يأتي قبل المجموع .

وفى القصة مواقف عدة توضح هذا : من ذلك اننا نجــد البطل جيفاكو معنيا بجمع الحطب لتدفئة عائلته ، منكبــا على اصلاح المدخنة فى بيته ، منصرفا الى العناية بصحة ابنه وزوجته ، مفكرا فى طريق يحصل بها على الطعام لها . انه يفعل هذا فى الوقت الذى ينصرف فيه الآخرون الى رفع الشعارات المنددة بالقيصرية واتباعها ، ويطاردون هؤلاء الأتباع ويفتكون بهم . وهو يفعل هذا لأنه يؤمن ان انقاذه لعائلته من الموت جوعا أهم من اشتغاله بالسياسة ، ولهذا فانه كان يعتبر فى نظرهم مارقا ، وخطرا على النظام الجديد .

وباسترناك من المعنيين فى أدبهم بالصـلة بين الروح والجسد . وفى رأيي ان جعله بطل قصته طبيبا لم يكن عبثــا ، فدكتور جيفاكو شـــاعر وطبيب ، ولهذا فهو قادر على التأمل فى الصـلة بين الروح والجسد .

وباسترناك فى كتابه هذا لا يرى ان الانســان سيد قدره ، وعنـده ان الراحة النفسية ودفء العاطفة فوق كل العقائد . وبطل القصة وبطلتها يجسّدان هــذا المفهوم ، فيقول جيفاكو : « ان محاولة جعل الناس نسخا متشابهة يعني انتحار انسانية الانسان » . وهذا القول تفسره حيــاة جيفاكو ، وحياة ياشا زوج لارا ، فجيفاكو بحبه للانسان يتغلب على كل العقبات ، وعلى مشقات الحياة ، ويكافح ، ويجاهد الى أن يسقط ميتــا عندما يتوقف قلبه عن الخفقان . اما ياشا فهو العقــائدى الذى ركب أول موجة من موجــات الثورة ، وولغ فى الدماء ، وقسا قلبه وهو خريج الجامعة ، وانتهى به الأمر الى الانتحار .

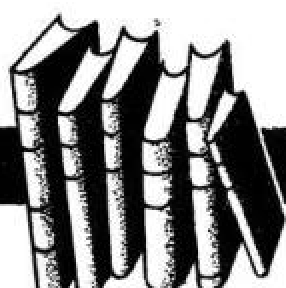
والعمق ، واتزان العاطفة ، صفتان أصيلتان فى الكتاب : فهو يبعث على التفكير والتأمل ، وهو يثير فى نفس القارىء عواطف وانفعالات باقية فى النفس ، حتى لكأن العاطفـــة فيه قد قطّرت تقطيرا ، كما يقطر العطر من الزهرة الفواحة . أما ضجيج العواطف وصخبها فلا وجود لهما فى ادب باسترناك .

وباسترناك لا يقف هنا موقف المتفلسف ، او الواعظ ، أو الداعية لأمر من الأمور ، ولكنه يرسم الأحداث والشخصيات بصدق وعمق وقوة ، ثم يترك للقارىء ان يفهم ما يريده لأنه يؤمن بالقارىء وبالعقل الانسانى .

وباسترناك فى كتابه مرهف الحس والسمع ، حتى ليرصد ادق الانفعالات على وجه شخصياته ويسمع الهمسة الخافتة فى الطبيعة . وقد وصفته الكاتبة مرينا تزفيتايفا بانه أشبه الكتاب ببدوى الصحراء اليقظ لكل حركة وصوت .

ان « دكتور جيفاكو » فى كلمة : حافل بالمعانى ، وانا على يقين من أن كل قارىء يستطيع أن يجد شيئا من نفسه فيه . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

ادوار التاريخ الحضرمي

تأليف : محمد بن أحمد بن عمر الشاطرى ـ مكتبة الارشاد بجدة .

● يعتبر هذا الكتاب سفرا قيما فى التــاريخ الحضرمي وما جرى فى تلك المنطقة من الوطن .

أحاديثي عبر الأثير

تأليف أحمد ابراهيم أبو يوسف .

● هذه المجموعة من الأحاديث الشيقة المتنوعة اذيعت فى اذاعة العراق . نذكر منها محمد نبي الانسانية والسلام ـ أبو يوسف قاضى القضاة ـ محمد بن الحسن القاضى ـ الدراسة الفقهية فى النجف الأشرف ، وغيرها من المواضيع الهامة .

تدريس التاريخ

تأليف : هنري جونسون ـ ترجمة الدكتور ابو الفتوح رضوان ـ دار النهضة العربية بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٧٠ قرشا .

● هذا الكتاب بيان علمي شامل لكيفية معالجة علم التاريخ بحيث يكون اداة ناجحة في تقرير كل ما يهم مدرس التاريخ من اهداف واتجاهات في تدريس مادته .

يوم ميسلون

تأليف : ابو خلدون ساطع الحصري ـ دار الاتحاد ببيروت ـ الثمن ٧٥٠ قرشا لبنانيا .

● هذا الكتاب انما هو صفحة من تاريخ العرب الحديث ولا غنى لقراء العربية عنه فهو يستعرض ما حدث في سوريا من يوم ميسلون الى يوم الجلاء مبينا اطماع فرنسا في سورية والتنازع الدولي حول البلاد العربية قبل الحرب العالمية وخلالها وبعدها. وقد ذيل الكتاب بوثائق ومعلومات فريدة في نوعها .

الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي

تأليف : عبد الرزاق الهلالي مكتبة النهضة ببغداد ـ الثمن ٥٠٠ فلس عراقي .

● هذا الكتاب وان كان منصبا على دراسة سيرة الشاعر الثائر المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي الا انه في الوقت نفسه دراسة لثورة الفكر والأدب التي مهدت لثورة العراق الكبرى .

المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة

تأليف : الدكتور أحمد بدوي والدكتور خرمن كيس ـ الهيئة العليا لشئون المطابع الاميرية بالقاهرة .

● هذا الكتاب يعتبر من أهم المصادر العلمية في مفردات اللغة المصرية القديمة ومعناها باللغة القبطية والألمانية وقد اشرف عليه استاذان كبيران من جامعة القاهرة . وجامعة جوتمن بالمانيا .

السائرون وحدهم في الحياة

تأليف : بيري برجس ترجمة الدكتور سعيد عبده ـ دار النهضة بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٣٢ قرشا .

● هذه قصة جندي امريكي خدم في الحرب الاسبانية الامريكية في الفيلبين وبعد عودته الى بلاده بسنوات عدة ظهرت عليه أعراض الجذام وعزل في مستعمرات خاصة بمرضى ذلك الداء الفتاك ولقد كان جهاد هذا الجندي البطولي المظفر لمواجهة هذا المرض من العوامل التي مست شغاف قلب المؤلف كما لو كان احدى الأساطير البشرية العظيمة .

الاسلام ومعركة المصير الانساني

تأليف : محمد عبد الساعدي ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● هذا الكتاب يسعى به صاحبه الى ازالة الصراع الماثل في هذه الأيام في أجزاء متفرقة من العالم بتحكيم الاسلام وتعاليمه في الحياة العامة كقابض ماسك للميزان الدولي .

تاريخ المن بالامامة

تأليف : عبد الملك بن صاحب الصلاة ـ دار الأندلس ببيروت .

● هذا الكتاب يعتبر من أثمن الوثائق التاريخية التي ظهرت الى الآن عن الامبراطورية الموحدية بالمغرب وافريقية والأندلس وهو الى جانب ما تضمنه من حقائق مهمة فانه يتناول جوانب من الآثار المعمارية والحضارية كما يحتوى على تراث ممتاز من الأدب المغربي بما فيه الشعر والنثر .

الكويت لؤلؤة الخليج

تأليف : اسكندر معروف ـ من موسوعة وطننا العربي الكبير .

● هذا الكتاب يصور مرحلة من المراحل التي قطعتها الكويت العربية الحديثة خلال العشر سنوات الأخيرة . وتمثل قصة الكويت الرائعة التي كتبها خلال هذه الاعوام آل الصباح والشعب الكويتي وأبناؤه الغر . ■■

(بقية المنشور على صفحة ٢)

المرأة الاغريقية واخذها بأسباب الزينة والتجمل

الصورة المنشورة على الصفحة الثانية ان دلت على شيء فانما تدل على مدى ما بلغته المرأة اليونانية على صعيد التزويق والتجميل . ففى مقدمتها فتاة حسناء تحمل المرآة البرُنزية في اليد الواحدة ، وتصفف شعرها باليد الاخرى، ولسان حالها يردد القول المأثور عن ارستوفانس Aristophanes كاتب الكوميديا الاغريقي المشهور « نقضي أوقاتنا وأحمر الشفاه عن يميننا، واصباغ الوجه ومساحيقه عن شمالنا ، والملابس الشفافة من حولنا » .

على ان ثياب المرأة اليونانية لم تكن كلها شفافة . فقد شملت فيما شملت العباءة التى كانت ترتديها وتلفها على جسدها وتغطي بها احيانا راسها لدى خروجها من البيت . وكان هناك الشال الذى غالبا ما حجبت به وجهها في حِلها وترحالها . بل لعلها التزمت التحجب وتقيدت به أثناء تجوالها في الشوارع . ان كان زوجها مواطنا محترما ومعروفا .

تلك هى حال المرأة الاغريقية في القرن الخامس قبل الميلاد ، وفيما سبقه من قرون . ولقد اوجز المؤرخ اليوناني القديم ثوسيديدس Thucydides وصف حالها بقوله : « ينبغي للمرأة أن تحتجز في البيت فلا يعرف اسمها احد ولا يرى شخصها احد » .

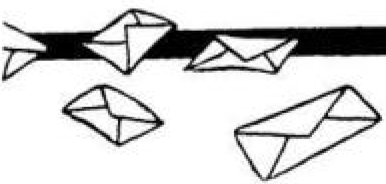
ولم يقف بؤس حال المرأة الاغريقية عند هذا الحد . فقد حُرمت نعمة الأخذ من العلوم بنصيب، وحيل بينها وبين ارتياد الاسواق بقصد التسوق، وشراء الحاجات . يستثنى من ذلك نفر من النساء سُمّين بالصديقات أو الهيتايرى Hitairi وسمح لهن بتلقي العلوم وبالاسهام في ندوات الرجال وفيما تخللها من محاورات ومناقشات .

ويستثني من ذلك ايضا طبقة أخرى من النساء سمح لهن بقدر من الحرية ، نظرا لما تعرضت له سمعتهن من مساس ، ويذكر هنا ان خليلة بريكلس Pericles كانت من هذه الطبقة الاخيرة ، الا انها كانت تتمتع بقسط وافر من المواهب العقلية والذكاء فضلا عن الجمال . فقد امتدحها سقراط الحكيم نفسه ونسب اليها الفضل في وضع الخطبة التاريخية المشهورة التى القاها بريكلس احياء لذكرى ضحايا حروب البلبونيز Peloponnesian . وقد تكون هذه المرأة الموهوبة هي التى كثرت الاشارة اليها في محاورات افلاطون ، وكأنها المرجع الذى طالما لجأ اليه سقراط مستوضحا مستفسرا .

وينسب بعض المؤرخين وضع المرأة الاغريقية هذا الى مؤثرات شرقية ظهرت أيضا في هذا وذاك من الفنون الاثينية بيد أن هذا الوضع لم يلبث حتى تمائل الى التحسن ، ولكن فيما بعد القرن الخامس قبل الميلاد .

على ان وضع المرأة في المجتمع الاغريقي لم يحل دون قيام صرح من الحضارة الفذة الشامخة في ذلك المجتمع نفسه ، ضاهت وفاقت كثيرا مما سبقها ولحقها من حضارات .. ولعل أبرز ما تتصف به حضارة الاغريق صمودها وبقاؤها قلبا وقالبا حتى يومنا هذا . فجل ما في حضارة الغرب المعاصرة من علوم وفلسفة وفنون ، مردّه الى ارسطو وسقراط وافلاطون . لقد كانت حضارة حية ، ثم بادت من حيث اطار الزمان والمكان الذى ترعرعت فيه ، الا انها عادت الى الحياة من بعد ان بادت ، فالتقت بحضارة العرب والمسلمين ، ومن ثم بحضارة النهضة من تاريخ الأوروبيين لتأخذ سبيلها الى البقاء والخلود . ■■

أنت تسأل



« قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

« قرآن كريم »

الوصول الى القمر والمريخ شيء..

● في مجلة « العربي » غذاء فكرى ، وادب شهى ، وتثبت علمى ، يعتز به رواد العلم وطلاب الحقيقة . وقد جاء في باب : « أنت تسأل ونحن نجيب » تحت عنوان « الربط بين القرآن وما كشف عنه العلم الحديث من مخترعات مسألة فيها نظر » ما يوحى بأن « العربى » لا يؤمن بأن هناك آيات تدل على الاكتشافات الحديثة .

وعقيدتى أن القرآن حينما يشير الى غزو الفضاء الكونى فذلك من متممات اعجازه ، ودلالة على صلاحه وملاءمته لجميع الازمان ، حيث لم يكن لعصر دون عصر ، ولا لزمان دون زمان ، ولا لجيل دون جيل ، ولا لامة دون امة ، وانما هو لجميع الاجيال ، هو للانسان اينما كان .

ويطيب لى ان اسأل مجلتنا المحبوبة عن معنى الآية الكريمة « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا ،لا تنفذون الا بسلطان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟»

وهل من الغريب أن نقول ان الآية تنبأ عما سيجىء في المستقبل من خروج الانسان من نطاق الغلاف الأرضى الى آفاق اوسع باستخدام سلطان العلم والقوة ، وان غزو الفضاء وارد في القرآن ؟

النجف الأشرف الخطيب جواد شبّر

ـ قلنا من قبل ، وما زلنا نقول ونكرر القول ، باننا مع ايماننا الكامل باعجاز القرآن ، وصلاحيته لكل زمان ومكان ، نرى ان محاولة الربط بينه وبين ما كشف عنه العلم الحديث من مخترعات ، على الصورة التى يزعمها بعض المتفيقهين ، مسألة فيها نظر ، وان معظم الذين يتزعمون هذه المحاولات يتخبطون في محاولاتهم اكثر من تخبط معظم المفسرين القدامى ، امّا عن جهالة أو عن حسن نية ، متأثرين بما دسّ على التفاسير من اسرائيليات هى احدى الثغرات التى يهاجم الاسلام من خلالها خصومه الكثيرون ..

اما كان اجدى وانفع ، للناس ولهم ، لو انهم اتجهوا الى تنقية كتب التفسير من تلك الخرافات التى دُسّت عليه ، كزعم « كعب الأحبار » مثلا ، ان الله سبحانه بعد أن ايبس الارض جعلها على « حوت » هو « نون » الوارد في قوله : « ن ، والقلم وما يسطرون » وقوله : « وذا النون ـ اى صاحب الحوت ـ اذ ذهب مغاضبا » ، وان الله جعل هذا الحوت في الماء على صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة في الريح ، ليست في السماء ولا في الارض ، فجاء ابليس فتغلغل الى الحوت ، فالقى في قلبه قائلا :



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

ونحن نجيب

« من قال في القرآن بغير علم فليتبوأْ مقعده من النار »

« حديث شريف »

« أيُّ أرضٍ تُقِلُّني ، وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني ، إذا قلت في القرآن مالا أَعْلم »

« ابو بكر الصديق »

والنفاذ من أقطار السموات والأرض شيء

« هل تدرى ما على ظهرك من الامم والشجر والدواب والناس والجبال » ؟ ـ مع انه لم يكن اذ ذاك على ظهرها شيء من ذلك كله ! ـ « فلو نفضتهم لألقيتهم عن ظهرك اجمع » ! فهمَّ الحوت بذلك فاهتزت الارض ، فبعث الله دابة دخلت فى منخره ، فعجَّ الى الله منها ، فخرجت !! وانه ـ اى الحوت ـ فيما زعم كعب الاخبار ـ لينظر اليها بين يديه وتنظر اليه ، ان همَّ بشيء من ذلك عادت حيث كانت !! » .

ونعود الى الآية الكريمة التى تستشهدون بها كما يستشهد بها الكثيرون على ان غزو الفضاء وارد فى القرآن ، وانها تتنبأ بما سيحدث فى المستقبل من خروج الانسان من نطاق الغلاف الارضى الى آفاق اوسع باستخدام سلطان العلم وقوته ، فنقول انكم قد نسيتم ـ كما نسى الآخرون او تناسوا ـ أهمَّ ما تضمنته هذه الآية الكريمة ، فهى تقول : « اقطار السموات والارض » ولم تقل « اقطار الارض » وحدها .. وحسبك يا سيدى ان تعرف ان ارضنا هذه وما معها من كواكب المجموعة الشمسية واقمارها ، على الرغم مما بينها من ابعاد شاسعة ، ليست اكثر من قطرة فى محيط ، بالنسبة لما تشير اليه الآية الكريمةمن اقطار السموات التى تضم عدة ملايين من امثال هذه المجموعة ، موزعة فى مجرَّات مختلفة ، لا يعلم عددها الا الله !

فالقول بان الآية تتنبأ بخروج الانسان من نطاق الغلاف الجوى خطأ فاضح ، ولو تبينّا حقيقة معناها لوجدنا انها انما تنفى قدرة الجن والانس على ان ينفذوا من اقطار السموات والارض ، اى من ملكوت الله ، وانها تتحداهم ، وتؤكد عجزهم عن ذلك ، وتشعرهم بانهم لا سلطان لهم ، ولن يكون لهم قط سلطان امام قدرة الله وسلطانه ، وانهم ابد الدهر لا يمكنهم ان يخرجوا من اقطار سمواته وارضه ..!

ثم ان اهل اللغة من علماء التفسير يقولون ان قوله تعالى « فانفذوا » انما هو امر تحدٍّ وتعجيز .. بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة ، « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس .. فلا تنتصران » !

افبعد ذلك تحد ؟ وهل ابلغ من ذلك دلالة على عجز الانسان عن ان ينفذ من اقطار السموات ، حتى ولو خرج من نطاق الغلاف الجوى للارض ، او للمجموعة الشمسية كلها ؟ !!

واخيرا هل قرات يا سيدى قصيدة ابى العلاء المعرى التى يقول فيها :

وهل يَأْبَق الانسان من مُلك ربّه
ويهرب من أرضٍ له وسماء ؟ !

الا ترى معى أن هذا البيت هو خير تفسير للآية الكريمة التى عنها تتحدثون .. !

هذا هو « الكومنولث » ودوله

● نسمع بين حين وآخر انباء عن اجتماع دول « الكومنولث البريطاني » ، ولكنا نقرأ بين اسماء هذه الدول اسماء دول نعرف انها مستقلة ، مثل الهند وباكستان وغانا وسيلان وقبرص وغيرها . فلماذا يقال عن هذه الدول انها من « الكومنولث البريطاني » مع انها مستقلة ؟ وما هي الدول التي يتألف منها « الكومنولث » ؟ وما هو نوع علاقتها مع بريطانيا ؟ وما هي اشهر حاصلات تلك الدول ، ومساحتها ، وعدد سكانها ؟

حوران : سوريا — محمد خير علوش

ـ « الكومنولث » تعبير يطلق على بعض الدول التى كانت فى الماضي تابعة لبريطانيا وكانت تعرف باسم « الدومنيون » ، ثم استقلت عنها ولكنها ترتبط معها بارتباطات سياسية او اقتصادية كالهند واستراليا وباكستان وكندا ونيوزيلاندا وجبل طارق وغانا واتحاد الملايو ونيجيريا وسيراليون وتنجانيقا وجنوب افريقيا ونياسالاند وغيرها .

ولا يشمل « الكومنولث » البلاد التي لا تزال تعتبر مستعمرات بريطانية حتى الآن ..

وقد تالف « الكومنولث » عام ١٩٢٦ . وهو يضم حوالي ١٢ مليون ميل مربع ، اى نحو ١/٤ مجموع مساحة اليابسة فى العالم ...

واكبر دوله مساحة هي كندا .

ويبلغ مجموع سكان الدول التي يتالف منها الكومنولث ٧٠٠ مليون نسمة ، اى ما يقرب من ربع مجموع سكان العالم .

وتنتج دول الكومنولث ما يزيد على ثلث ما ينتجه العالم من الصفيح والمطاط الطبيعي والالومنيوم والارز والكاكاو والفول السوداني والقنب . وكذلك ما يزيد على خمس ما ينتجه من جوز الهند ومعادن الكروم والنحاس والرصاص والزنك والفضة والكوبالت

جمال الدين الافغانى .. والمستبد العادل

● قرأت المقال القيم الذى نشرته « العربى » للدكتور عثمان أمين عن « عبقرية جمال الدين الافغانى » ، كما قرأت تعقيب المشرف على ركن « انت تسأل ونحن نجيب » على رسالة السيد حسن الامين عن جنسية السيد الافغانى وتناقش أهل الشرق عليه .. وانى مع اقرارى بعظمة جمال الدين كداعية ثورى آخذ عليه شيئين هامين : أولهما ما أثر من قوله « ان مصر والشرق لاينفع فى حكمهما الا مستبد عادل » ، وثانيهما : انتظامه فى سلك الماسونية وهو زعيم دينى ، والماسونية جماعة « لا دينية » ؟

ترى هل أجد عندكم تفسيرا معقولا لهذين المأخذين يريح بالى ويزيل شكوكى ؟

اسماعيل زهدى / القاهرة

ـ أنت معذور فى ما تأخذه على السيد جمال الدين ، بحسب الظاهر .. فان عبارة « المستبد العادل » ما تزال تنسب اليه ، تلوكها الالسن وتجرى بها الاقلام منذ أجيال ، دون أن يحاول الذين يرددونها أن يحققوها أو يتحققوا من صحتها ، مع أن الاستبداد لا يتفق مع العدل ، ومع أن السيد لم يكن داعيا ثوريا فحسب ، بل كان أول داعية للحرية فى الشرق الاسلامى ، وأول شهيد من شهدائها .. وليس معقولا أن يدعو للحرية ويستشهد فى سبيلها ، ثم ينادى فى الوقت نفسه بحكومة استبدادية !

على أنك لو رجعت الى تاريخ السيد جمال الدين ، أو قرأت « خاطراته » التى سجلها محمد المخزومى باشا أحد تلامذته ومرافقيه ، لوجدت ما يريح بالك ..

والفحم الحجرى فضلا عن القمح والشوفان وقصب السكر والزبدة وعجينة الورق .

وتعتبر استراليا اكبر دولة منتجة للصوف ، لا فى الكومنولث وحده ، بل فى العالم كله .

وتصدر نيوزيلاندا من لحم الضأن اكثر مما يصدره اى بلد آخر ، وهى فى عداد اهم الدول المصدرة للبيض والزبدة ايضا .

وتنتج قبرص اكثر من مليون ونصف مليون صندوق من الحمضيات كل عام .

ويمثل سكان الهند وحدها نصف مجموع سكان دول الكومنولث ، كما انها اكبر بلد تنتج الشاى فى العالم الحر .

وكذلك تعتبر باكستان اكبر بلاد العالم المنتجة للجوت . وغانا اكبر بلاده المصدرة لجوز الهند . والملايو اكبر البلاد المنتجة للصفيح ـ التنك ـ الخام ، وثانى البلاد المنتجة للمطاط الطبيعي .

وتعتمد روديسيا ونياسالاند فى اقتصادهما على زراعة التبغ ، الى جانب انتاجهما للنحاس والكروم والاسبستوس .

وتملك دول الكومنولث من البواخر ما تبلغ حمولته حوالي ٢٤ مليون طن .

وقد اعلن استقلال الهند وباكستان عام ١٩٤٧ ، وسيلان عام ١٩٤٨ ، وانشىء اتحاد روديسيا ونياسالاند عام ١٩٥٣ . واستقلت غانا واتحاد الملايو عام ١٩٥٧ ، ونيجيريا عام ١٩٦٠ ، وسيراليون وتنجانيقا عام ١٩٦١ .

اما استراليا وكندا ونيوزيلاندا فقد استقلت عام ١٩٣١ .

وجميع دول الكومنولث مستقلة ذات سيادة ، وهي متساوية مع المملكة المتحدة ، ولكنها ترتبط معها برباط التعاون والتشاور فى الحقلين السياسي والاقتصادى على السواء ، دون ان يؤثر ذلك على حريتها واستقلالها .



يقول المخزومى باشا انه سأل السيد عن صحة ما ينسب اليه من عبارة « المستبد العادل » فصححها له ، وأن حقيقتها هى أنه « لا تحيا مصر ولا الشرق الا اذا أتاح الله لكل دولة من دوله رجلا قويا عادلا » . فان خير صفات الحاكم القوة والعدل ، وان المطلوب هو « القوى » لا المستبد ، لأن الاستبداد يتنافى مع العدالة والحرية .

أما عن انتظام « السيد » فى المحفل الماسونى بالقاهرة فلا بد أن يكون قد حدث لحكمة . فليس من المعقول أن ينضم زعيم دينى ، وداعية ثورى ، ومصلح اجتماعى ، كالسيد جمال الدين الافغانى الى جمعية لا تؤمن بدين ولا قومية ، وهو عليم بحقيقة اهدافها الصهيونية التى لم تتكشف الا اخيرا .. والارجح أنه انضم اليها متأثرا بالمبادىء البراقة التى كانت تتظاهر بها ، وأهمها العمل لتحقيق الحرية والاخاء والمساواة ، وتقديس كرامة الفرد ، واقامة ميزان العدل ، والقضاء على جرائيم الاثرة والانانية وحب الرياسة والانتهازية التى كانت سائدة فى عصره ، وما تزال .. لكنه ما لبث أن تبين خداع القوم ، وانهم يبطنون خلاف ما يظهرون ، فانسلخ منهم وراح يوجه اليهم النقد أشد النقد ، ويكشف زيف شعاراتهم فى خطبه وكتاباته ، التى تجد اكثرها فى « خاطراته » ، فارجع اليها ان اردت .

مرة أخرى:
لا تفتروا على «الأرواح» .. ولا تظلموها!

● « .... والحقيقة التى اريد اثباتها هى ان القصيدة التى اشرتم اليها ، ونشرتم مطلعها ، ليست احدث ما املى روح امير الشعراء احمد شوقى ، وانما هى قصيدة املاها الروح معاتبا فيها الدكتور طه حسين عام ١٩٥٥ .. ووفاء لأمانة الرسالة الروحية المقدسة ارسل اليكم نص القصيدة كاملة ، وحبذا لو اتسعت صفحات « العربى » لنشرها وترك الحكم على اصالتها للقراء ..

« كذلك ارسل اليكم بعض القصائد التى املاها روح امير الشعراء فى مناسبات سياسية وغير سياسية ، وهى كلها مهداة اليكم بتصريح من روح امير الشعراء ، ولو كان لدى الوقت الكافى لجئت بقصيدة جديدة فى كل صباح من روح احمد شوقى ، امير الشعراء حيا وميتا !

الوسيطة الروحية
حرم الدكتور سلامة روفائيل سعد

ـ اسمحي لى يا سيدتى ان اصارحك برأيي الشخصي .. وهو رأى اعلم علم اليقين انه لا يرضيك ، ولا يرضى احدا من المشتغلين بخرافة « تحضير الارواح » !

ان القصائد التى بعثت بها ، ليس فيها ما يمكن ان يسمى شعرا ! فما بالك اذا كنت تريدننى ان اصدق انها من نظم « روح » امير الشعراء ، حيا او ميتا !!

ومن دواعي الاسف الا يتسع هذا الركن لنشر تلك القصائد العجيبة ، ولكن ما دمت تريدين الاحتكام الى القراء ، فاليهم بعض ابياتها :

ولنبدأ بالقصيدة التى نشرنا مطلعها فى العدد الاسبق ، والتى تقولين انها موجهة الى الدكتور طه حسين لنقرأ فيها ما يأتى :

والله اشهد بالمحمود آزرني
خلقا ودينا صنت العهد فى لقبى
القت نجمي بالممدوح ارفعه
فوق السحائب بالاحساب والنسب
وايم المهيمن فى الافلاك والشهب
شدت الرواسخ كالبناء فى الصلب
ما استبق فيضه للمكدود مرتصب
فانساب يزخر بالامجاد للعرب
يا صاح مهلا ، فيم اليوم لائمة
والامس طوح دون الصد والعتب
الشرق فى لهف التواق اخطرني
انى المظفر فى المضمار بالقصب
خلدت شعرى كالاعلام فى قمم
يعلو أبيا لا يجتاح بالصخب
ما ضر لو نشر النقاد فى كنفى
اذ كنت حيا بالشكوك فى ادبي
حقا ان كنت كالمخبوء فى جدث
او بت كما كالمطمور فى الجدب
اسبغت شعرى بالمنظوم دافقة
همس ونجوى للاطفاء من لهب
لحن يرنم فى الآفاق تسمعه
يغنيك عن أفك التمادح بالطرب
الخ ....

فهل هذا طراز من الشعر ينسب الى شوقى ؟!

ومن القصيدة التى القيت فى الاجتماع الاول لجمعية الشعراء ، بنا على طلب مكتوب من بعض الشخصيات المعروفة فاجيبوا الى ما طلبوا فى ٣٠ ساعة فقط كما يقولون ، ننقل الابيات الآتية :

بنيتم للقريض صروح مجد
واطربتم نصابه والقواما !
فما نظم القريض سوى غذاء
ومن يهدى قلحما او عظاما !
وتحتسب الكياسة فيه ملحا
ودون الملح قد تأبى الطعاما
وللذواق ما يسع احتمالا
والا يرتضى عنه الصياما
ومن يغنى الشاعر للتلهى
فهذه الطامة الكبرى الاما !!
الخ .. الخ ......

هذه كلها مجرد «عينات» من ذلك الشعر الذى تريد السيدة « الوسيطة الروحية » ان تحتكم الى القراء فى « اصالته » ! وما اظن احدا ، اوتى



الدومنيكان .. وفيتنام

● فى الشهور الاخيرة الماضية كثر ترديد اسم الدومنيكان .. وفيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية بمناسبة الغزو الامريكى لهذه البلاد .. أرجو التفضل ببيان موقع كل من هذه الدول الثلاث من العالم ، ومساحة كل منها وعدد سكانها وأشهر حاصلاتها ، لأن هذه البلاد لم تكن على الخرائط القديمة أيام كنا طلبة فى المدارس .

وشكرا جزيلا .

حامد صلاح الدين حسن / دمشق

ـ فى البحر الكاريبى ، والى الغرب من جزيرة كوبا ، توجد جزيرة أخرى صغيرة ، اسماها كولمبوس « اسبانيولا » عندما اكتشفها عام ١٤٩٢ .. وقد ظلت هذه الجزيرة تحت الحكم الاسبانى ثم الحكم الفرنسى ، كما تعرضت للاحتلال الامريكى واخيرا قسمت الى قسمين ، القسم الشرقى ، وهو يمثل ثلثى الجزيرة ، هو جمهورية الدومنيكان ، والقسم الغربى يمثل الباقى وهو جمهورية هايتى .

وتبلغ مساحة الدمنيكان حوالى ١٨٫٨١٦ ميلا مربعا وعاصمتها سانت دومنجو ، وعدد سكانها حوالى ٣٫٥ مليون نسمة ، وتقطعها من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى سلسلة من الجبال ترتفع الى عشرة الاف قدم ، وهى من الدول الغنيــة بالزراعة ، وبها موانىء بحرية هامة ..

حصلت على استقلالها عام ١٨٦٥ ، لكنهــا تعرضت لاضطرابات عدة ، واحتلها الاســطول الامريكى ما بين عامى ١٩١٦ ، ١٩٢٤ ثـم اعلن دستورها الجديد ، وفى عام ١٩٣٠ انتخب الجنرال « فافيال اليونيداس تريجيلو موليتا » رئيســا للجمهورية ، فظل يحكمها حكما دكتاتوريا حتى اغتيل فى ٣٠ مايو عام ١٩٦١ .

وقد هاجمتها القوات الامريكية اخيرا لان امريكا تريد أن تقوم فيها حكومة موالية لها ..

اما فيتنام فتمثل الدولتين الواقعتين على شاطىء بحر الصين الجنوبى ، وهى من الدول التى تمخض عنها تقسيم الهند الصينية ، بعد حرب ضارية ، والى جوارها من الغرب كل من دولتى لاوس وكمبوديا .

وتنقسم فيتنام الان قسمين ، فيتنام الشمالية وهى دولة شيوعية ، وفيتنام الجنوبية وهى تدور فى فلك امريكا .

وتبلغ مساحة فيتنام الشمالية ٦٠٫١٥٦ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ١٧ مليونا ، وعاصمتها هانوى ، ورئيسها « هوشى منه » ، وتعتمد على الزراعة والتعدين ، وخاصة مناجم الفحم والصفيح والذهب .

واما فيتنام الجنوبية فمساحتها ٦٥٫٩٨٤ ميلا مربعا ، وسكانها ١٥ مليونا وعاصمتها سايجون . ومن منتجاتها الرئيسية المطاط .

وتشترك الدولتان فى انتاج التبغ والســمك والفلفل والماشية والقمح والشاى والبن .

حظا ولو ضئيلا من الذوق الفنى أو الحاســة الشاعرية ، يصدق ان هذا الشعر المهلهل الركيك من نظم « روح » أمير الشعراء !!

وهذا طبعا اذا سلمنا جدلا بان الارواح تستطيع تلبية الدعوة الى جلسات « التحضير » ، فتتكلم حينا ، وتتجسد حينا ، ثم ترقص وتغنى وتنظم الشعر ، وتعالج من استعصى علاجه من مرضى الأحياء ، كما يزعم الذين يعيشون فى ذلك الوهم الكبير !

ولست أدرى لماذا يخاف الناس الموت ويكرهونه ، وقد رأى القراء مما نشرنا من قبل ، ما « يؤكده » علماء الارواح الافاضل من أن روح احدى الفتيات كانت تعيش مع خطيبها « الحى » وتعاشره معاشرة الازواج بضع سنوات ؟! وان لم يقولوا لنا ان كانت قد حملت منه ، وكم انجبت له من البنين والبنات ؟! ■■

صوت من تركستان .. المسلمة

● لا شك انكم وبجهودكم المشكورة تمثلون المستوى الثقافي العربي في هذا القرن ، ومجلتكم هذه ليست فريدة من نوعها وقيمة في العالم العربي فحسب ، بل انها وحيدة وفريدة في كل خصائصها ومميزاتها في العالم الاسلامي جميعا ، بضخامة محتواها من بحوث قيمة وموضوعات مفيدة ، وبالابواب التي تطرقها في شتى الميادين من علمية وادبية وفنية ، وكذلك بمساهمتها العظيمة في اعادة تاريخ العرب وامجاد الامة الاسلامية الى الاذهان بذكر اصدق الحقائق والحوادث عنه .. ولو ان القارىء جمع كل بحث تحت عنوان عام ، بصورة افرادية ، لخرج بعد بضع سنوات بموسوعات ضخمة في شتى المواد من العلوم والاداب والفنون ... نحمد الله تعالى على هذه النعمة ونتمنى لكم دوام التوفيق ولسائر العرب والمسلمين .

ومجلتكم اسمها ((العربي)) ، وتمثل الثقافة العربية والفكر العربي والوعي العربي لهذا القرن وكذلك تتعداها الى ميادين ، عامة مفيدة ، اخرى ... وكثيرا ما يلفت نظرى انها تقدم في كل عدد ((ريبورتاجا)) او اكثر عن مدينة من مدن الوطن العربي الكبير مزودا بالصور الملونة تمثل عن نواحيها العمرانية والاثار ، والاوضاع الاجتماعية والثقافية .. الخ ، وعلى تتابعي للاعداد الصادرة من المجلة شهريا وقراءة مواضيعها صفحة بعد صفحة ، لاحظت ان هذه الزاوية تعرض صورا وحقائق عن مدن الوطن العربي فقط ولا تتعداها . وهنا اسأل سيادتكم : هل يمكن للمجلة ان تفتح صدرها من حين الى آخر للدول الاسلامية ؟ وخاصة تلك التي كان لها تاريخ مجيد ولكنها اصيبت كما اصيبت شقيقاتها من الدول الاسلامية والشرقية ، بالاستعمار ، وانتكبت اسوأ انتكابة فاستطاع بعضها بحكم الاوضاع والظروف ان يخلص نفسه من هذا القفص في حين ما زال بعضها يئن تحت براثن الاستعمار الدامية وفي سلاسل العبودية ، بينما منها ما ضرب حوله ستار سميك من الحديد ليختفي من المسرح السياسى ، فتركستان دولة اسلامية كبيرة تقع على الشاطىء الشرقي من بحر قزوين ، وتمتد نحو الشرق بسهولها وسهوبها وجبالها الخضراء واراضيها الخصبة التي تنتج الذهب الابيض ((القطن)) بكميات خيالية ، وبسكانها المسلمين الذين يزيد عددهم على ثلاثين مليونا من العاملين لرفع راية الاسلام ونشر دعوته السليمة .. فهذا الشعب قدم في ايام مضت ، من ابنائه الى التاريخ الاسلامي رجالا لا تتساهم صفحاته على مر الازمان كمحمد بن اسماعيل البخاري والفارابى والفرغاني وابن سينا ، والخوارزمى ، وحجة الاسلام الغزالي وعشرات آخرين من امثالهم ، وهذا البلد الاسلامي، اليوم يكاد يختفي من المسرح السياسي في العالم لولا جهود بعض المهاجرين التركستانيين الذين يبذلون قصارى جهودهم لرفع صوت التركستان وانات شعبها الى مسمع الرأى العام العالمي . وقد غادر هؤلاء المهاجرون اوطانهم لكي يحيوا قضية بلادهم بين اخوتهم المسلمين فلذا ـ وبعد هذا العرض الوجيز ـ اسأل ان كان ممكنا ان تنشروا بعض الحقائق التاريخية والصور الملونة او العادية لبعض مناظر بلدان تركستان المسلمة ؟

انا في انتظار جوابكم بفارغ الصبر ولكم جزيل الشكر وعظيم الاجر .

الرياض هداية الله حكيم ـ تركستاني

العربى : نفعل ان شاء الله .

من شعر القراء :

الحسناء والمرآة

رآها تخرج مرآتها من حقيبة يدها تتفحص بها محياها الجميل فقال :

يا حلوتي ما هذه المرآة أبصرها لديك ؟ ؟
تتفحصين بها جمالك بل مفاتن وجنتيك
أنسيت ان الحسن كل الحسن ملك في يديك ؟ ؟
والفتنة العمياء تبرز كلها من مقلتيك ؟ ؟
انى لأخشى ان يصيبك فتنة من ناظريك
واخاف من عينيك ان يرتد سحرهما اليك
عيناك قاتلتان . اشفق من سهامهما عليك

عبد الهادى كامل
دمشق



اضحك

تضحك الدنيا معك

ابك تبك وحدك ..

فصاحة ...

● دخلت المريضة عيادة الطبيب ، ولما سألها عما بها اجابته :

ــ عندى الم شديد لا اعرف بالضبط اين هو .. وقد بدأ ولا اعرف من اى وقت بالضبط .. ويزداد يوميا ولا اعرف فى اى وقت بالضبط ..!

فالتفت لها الطبيب بعد ان كتب لها وصفة طبية ، وقال : خذى هذا الدواء ، ولا اعرف فى اى وقت ، وخذيه مرات لا اعرف عددها بالضبط ، وستشفين ، ولا اعرف كم يستغرق هذا من الوقت بالضبط !!

معقول !

● دخل رجل قسم البوليس مهرولا، واتجه الى ضابط التحقيق وقال له :

ــ لقد سرق أحدهم سيارتي يا سيدي .

ــ فيمن تشك ؟ هل تشتبه فى احد ؟

ــ لا .. لا اشتبه فى احد ..

ــ لا بد أن يكون أحد النشالين فى المنطقة !!

صراحة ...

● قالت الشابة لزميلتها : لقد قابلت خطيبى عندما كنا صغيرين فى المدرسة كان عمرى خمس سنوات وكان عمره كذلك خمس سنوات.أما الآن فقد كبرنا .. أصبح عمرى ٢١ سنة،وصار عمره يقرب من ٣٣ سنة !

غبـاء

● استدعت السيدة مهندس التلفزيون ليرى ما أصاب جهازها ، واحضر المهندس ادوات التصليح ورتبها على الطاولة ، ثم استدار للسيدة وقال لها : ممَ تشكين من جهازك ؟

ــ كل شيء عادى، والبرامج واضحة، ولكن الصوت دائما عال ٍ ؟!

تفسير

● قال مدير المحل للموظف الجديد : ان الصدق والتعقل هما أساس نجاح أعمالنا فى هذا المحل يا بنى .. وأعنى انك عندما تعطى وعدا لأحد العملاء .. عليك بتنفيذه ولو على حساب خسارة المحل ..

فالتفت له الشاب وسأله : وما معنى التعقل يا سيدى ؟!

قال : التعقل ان تتجنب اعطاء مثل تلك الوعود ..

ذكاء

● عندما بدأ الطيار فى الارتفاع بطائرته الى علو شاهق أسرعت المضيفة نحو الركاب وقدمت لكل منهم قطعة من اللبان قائلة : ان هذا اللبان سيساعد على عدم تأثر آذانهم بضغط الارتفاع . ولما هبطت الطائرة اقترب رجل عجوز من المضيفة وقال لها : « لقد كانت فكرتك عظيمة يا آنستي .. ولكن هل لك ان تساعديني على اخراج اللبان من اذنَيّ ؟!! » .

■■

العربي

العدد ٨٤

٨ رجب ١٣٨٥

نوفمبر

تشرين الثاني) ١٩٦٥



اطلب

ربى الصغير

مع هذا العدد

جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا

ية من لحج
لح بالتعلم
تنتصر على التقاليد

الثمن

ويت	١١٠	فلوس
لج العربي	٢	روبية
ية	٢	ريال
من	٥ر٣	شلن
راق	١٢٠	فلسا
نان	١٠٠	قرش
ردن	١٠٠	فلس
ورية	١٠٠	قرش
ع.م.	١٠	قروش
سودان	١٠	قروش
يا	١٥	ترشا
ي	٢٠٠	مليم



حضارات سادت ثم بادت

منذ آلاف السنين سادت في بلاد ما بين النهرين حضارة من أقدم الحضارات الرائدة ، هي الحضارة السومرية التي بقيت آثارها بضعة آلاف من السنين . وهذه صورة احدى المعارك التي نشبت بين مدينة لاجاش السومرية ومدينة أمه التابعة لدولة مجاورة لها في تلك العصور

(اقرأ صفحة ١١٥)

عزيزى القارىء :

اجتمع مؤتمر القمة العربى فى سبتمبر ، أيلول ، الماضى ، وانتهى . وما كادت تظهر نتائجه حتى كان عدد « العربى » لأول أكتوبر ، تشرين الاول ، فى طريقه الى سائر البلاد العربية .

وتحدثت الصحف من يومية وأسبوعية ، عن المؤتمر ، قبل انعقاده ، بالذى تحدثت ، وفصّلت فيه ، من بعد انعقاد ، وفى ظروفه ، وفى ثمرات جناها ، ما فصلت .

والواقع أنه لم يبق للقول مزيد .

الا كلمة قليلة قصيرة .

ذلك أن نغمة اليأس ، قبل انعقاد ، غلبت على نغمة الرجاء ، حتى خيّل للناس أن هذا هو المؤتمر الثالث والأخير .

وقد خفتت نغمة اليأس من بعد انعقاد ، وكثر الرجاء ، ولكن ظلّت صحف تنفث الريبة وتشكك فى الذى كان ، عن ايمان . وصحف أخرى ظلت تفح فحيح الأفاعى ، لا هدف لها الا تسميم الجو وقتل الرجاء .

فللجمهور العربى نود أن نقول ان الحركة العربية تعثرت فى السنوات الماضية من هذا القرن كثيرا ، وأقيلت العثرات كثيرا . وانها سوف تتعثر ،وسوف تقال . فهذه طبيعة الحركات التاريخية الكبرى جميعا. وأى حركة أكبر من الحركة العربية؟وأى تفاعل كالتفاعل القائم اليوم بين اشتات هذه القومية ؟

وللافكار ، على اختلافها ، أى جولة وأى صولة .

ما دام أن كل عثرة تزيدنا خبرة ، فأهلا بالعثرات.

ان الله ليس مع القانطين

ان الله مع الصابرين .

« فصبر جميل ،والله المستعان على ما تصفون».

■■ المحــرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

تاريخ ـ وتاريخ أشخاص :

عروبة :

طب وعلوم :

اسلاميات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = NO. 84 November 1965 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربى»

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● بدأ رجال الجيل الجديد فى الجنوب العربى ، بالعمل على تزويد بناتهم بالثقافة والادب ليستطعن المساهمة مستقبلا فى تدبير شئون المنزل والعناية بتربية الطفل ، والمشاركة فى انجاح الحياة الزوجية .. وهذه الصورة لفتاة من فتيات سلطنة لحج بالجنوب العربى ، تتلقى تعليما حديثا راقيا ، بعد ان ظلت الفتاة هناك حبيسة منزلها لا تتعلم أو تتثقف خوفا من الخروج على العادات والتقاليد القديمة البالية . (انظر استطلاع لحج داخل العدد) .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣ر٥ شلن . العـراق ١٢٠ فلسا ، سـوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣ر٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



الشخصية الجديدة للمرأة العربية وواجب الصحافة النسائية تجاهها

● لا ينكر أحد اليوم أن المرأة العربية قدتخلصت فى أكثر مجتمعاتنا من قبول الدور التقليدى لها كامرأة ، وطغمت ذلك الدور بدورجديد أطلقت عليه الكاتبة (بيتى فريدن) اسم (الاتجاه الرابع) حيث زادت على كونها زوجةوأما وربة بيت ، دورها الجديد كانسانة تستغل طاقاتها فى العمل خارج البيت للمساهمة فى بناءالمجتمع. ولعلة للمرأة العربية تبرز ذلك بوضوح، حيث انها تعمل اليوم فى جميع الميادين ، ولا تزال بجميع مستوياتها الفكرية والطبقية تكافح لأجل انتزاع حقوقها السياسية والاجتماعية فى المجتمعات التى لم تعطها الفرصة بعد لتتطور التطور الحتمى نحو انسان القرن العشرين ..

ان المرأة العربية وان تكن حققت عدة انتصارات باهرة فى ثورتها على التقاليد القديمة ،فهى تمر بمرحلة انتقالية بالنسبة لشخصيتها وتحتاج لدعم بواسطة وسائل الاعلام ، وبالاخص مجلاتها ..

ان على المجلات النسائية أولا أن تؤمن بهذا التطور، وبأن قراءها جيل غير الجيل الماضى ، وبأن المرأة فرد تتفاعل مع الأحداث فى المجتمع والعالم . وان للمرأة زيادة على شخصيتها كأنثى شخصية مستقلة كانسان ، وتستطيع المجلات أن تخدم المرأة اليوم بأن تدفعها وتشجعها لتستغل طاقاتها ومواهبها وكفاءاتها لتعمل ما يمكن عمله .

كذلك فالمجلات النسائية يمكنها أن تخدم المرأة والرجل على حد سواء اذا ما عالجت مشاكل مشتركة ومواضيع عامة بحيث تشعر الاثنين أن هناك ما يهم الطرفين فى حياتهما غير البيت والطعام ومشاكل الاطفال . فتغيير المواضيع يساعد على خلق تفكير منطلق وواسع لتفهم الأمور . وبالرغم من أن مثل هذه المواضيع كثيرا ما تعالج فى المجلات غير المخصصة للمرأة ، الا أن معالجتها على صفحات مجلات المرأة تخلق بالايحاء شخصية المرأة المتفاعلة التى يجب أن يتحلى بها انسان القرن العشرين .

آنسة عائدة نجار/ عمان

المرصد .. والمرصاد

● لفت نظرى فى المقال الذى نشرته « العربى » عن مركبة الفضاء التى أعدت « لرصد السماء » ان المجلة اختارت له عنوانا « المرصد الطائر » بفتح الميم وسكون الراء وفتح الصاد ، مع اسقاط الالف ..

ان لفظ « مرصد » ورد فى القرآن بمعنى الممر أو الطريق حيث قال تعالى فى وجوب قتال المشركين « واقعدوا لهم كل مَرْصَد » .

فماذا تقصد « العربى » بقولها المَرْصَد الطائر ؟

الحسيمة : المغرب — تاركيستي يتزيان

« العربى » رَصَد ، لغة ، معناها قعد له فى طريقه يتوقع به ، والمرصد هو الطريق أو المكان يُرْصَدُ فيه العدو أو يتربص به . وقد استخدم هذا اللفظ فى علم الفلك للمكان الذى تراقب فيه النجوم والكواكب وما اليها .

لا فرق بين بدوى وقروى فى الجيش الاردنى

● كتب السيد سليمان موسى مقتبسا ، فى « العربى » تحت عنوان « الحروب والغزوات » ما نصه :

« ويضم الجيش الاردنى كتائب منفصلة ، من هؤلاء وهؤلاء ، وغالبا ما تقوم الخطط العسكرية ، على أن تهاجم كتيبة بدوية موقعا ما ، وتحتله بعد ذلك كتيبة من أبناء القرى » . ولا يسعنا الا أن نعقب على ما كتبه ، بانه لا أساس له من الصحة، وانه يفتقر الى تأييد المنطق والواقع .

فنحن اليوم وبعد طرد الاستعمار من أرضنا ، لا فرق بين بدوى وقروى ، وبين شرقى وغربى .

وكان جديرا بالسيد سليمان موسى الاشارة الى أن هذه الناحية هى احدى سلع الاستعمار التى لا يألو جهدا بترويجها فى كل سوق تفتح أبوابها لتجارته القائمة على أساس التفرقة بين الأخ واخيه . وهى حقيقة لا تخفى على أحد .

عواد صباح المبارك
القوات المسلحة الاردنية

لسنا مسؤولين عن الاعلانات

● فى العدد ٧٢ من « العربي » وفى الصفحة ١٥٥ نشرتم اعلانا لشركة « باركر » بعنوان (انشىء لك صداقة جديدة فى عبر البحار . واربح احدى هذه الجوائز الثمينة) فاشتركت فيها وارسلت القسيمة الى العنوان الموجود فى اسفل الصفحة التي كتب فيها (ترقم هذه القسائم لدى ورودها الينا وستشترك فى السحب المجاني على الجوائز الثمينة المذكورة اعلاه والذى سيجرى فى ١٠ يناير ١٩٦٥ وتعلن نتائجه فى الصحف) والى الآن لم تظهر تلك النتيجة لا فى مجلتكم ولا فى غيرها فأرجو اخبارى عنها وهل اعلنت ؟ وما هي النتيجة ؟ ... وشكرا .

المرسل
مصطفى مرتضى الشهرستاني
الكوفة

« العربي » : ليست هذه المجلة ، ولا اية مجلة، مسؤولة عما ينشر فيها من اعلانات ، سواء من ناحية صحة المعلومات أو من ناحية الالتزامات المادية والادبية .

خرائط « العربي »

● كانت خريطة افريقيا التي وزعت مع العدد الممتاز الذى صدر فى اول يناير من هذا العام هدية رائعة حقا من « العربي » الى قرائها ، زاد من أهميتها ذلك الشرح الموجز الذى نشر عن كل دولة . فلماذا لا تستمر « العربي » فى اصدار مثل هذه الخرائط عن مختلف القارات والدول الكبرى، ولماذا لا تصدر خريطة للعالم كله وتتبع فيها ما اتبعته فى خريطة أفريقيا ؟

ان هذه الخرائط هى فعلا أثمن هدايا « العربي » المفضلة الى قرائها .

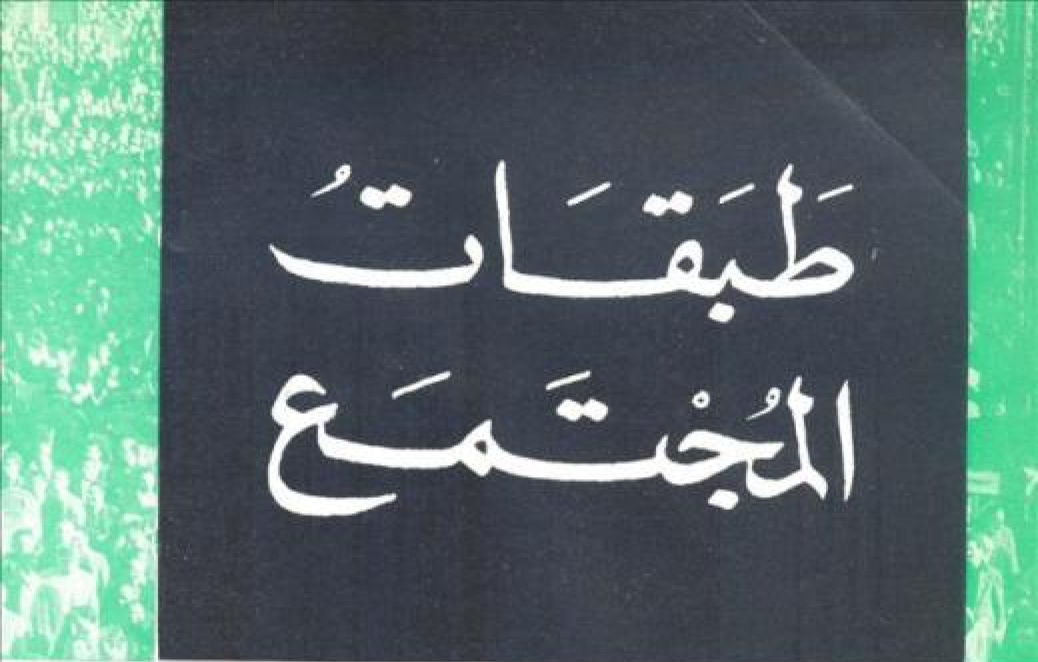
عبد القادر بن عبد الرحيم الهدني
بريد مكة المكرمة

العربي : خريطة العالم نشرناها على قسمين ، كان أولهما هدية العدد الممتاز الذى صدر فى أول يناير سنة ١٩٦٤ ، والآخر هدية العدد الذى تلاه .

وقد سبق للعربى أن نشرت فى العام الاول من صدورها ، خريطة « العالم العربى » كانت هدية العدد الاول ، ثم عادت فنشرت خرائط عدة للاقطار التى كانت تزورها بعثاتها الاستطلاعية .

ونحن ندرس الآن العودة الى نشر الخرائط فى مناسباتها ، بعد ان ازداد الحاح القراء على نشرها .

وكل آت قريب .



طَبَقَاتُ المُجْتَمَع

بقلم رئيس التحرير

■ لو انك سألت الرجل المطلع على احداث الدنيا ، فى اوائل هذا الصيف المنصرم ، عن رئيس وزراء بريطانيا ، لقال لك على الفور : انه الدكتور هارولد ولسن Wilson ، وانه فى الوقت نفسه رئيس حزب العمال .

ولو انك سألته عند ذاك ، عن زعيم حزب المحافظين الذى هو زعيم المعارضة فى البرلمان فى آن ، لقال لك على الفور انه السير الك دجلاس هيوم Home ، ولربما زاد فذكر لك انه رئيس الوزراء الذى كان قبل ولسن ورئيس الوزراء المنتظر الذى سوف يخلف ولسن Wilson ، اذا خذل الناخبون حزب العمال .

فى يوليو ، تموز ، الماضي : ولسن رئيس حزب العمال فى الحكم ، وهيوم رئيس حزب المحافظين فى المعارضة .

ثم يأتي اغسطس ، آب ، فاذا : ولسن عن العمال فى الحكم ، وهيث Heath عن المحافظين فى المعارضة .

المحافظون استبدلوا رجلا برجل .

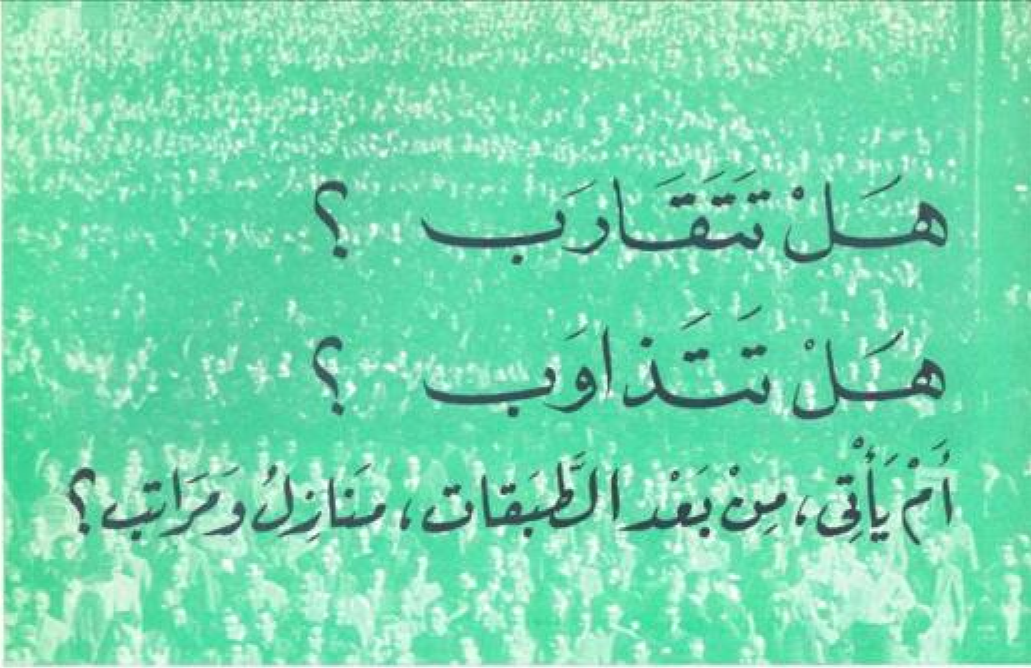
ليس الأمر فى ظاهره بخطير . ومع هذا فقد استيقظ كتاب العالم عند ذاك ، الى معنى خطير تضمنه ذلك التبديل والتغيير . ومع انه حادث سياسي ، فقد لمح فيه كتاب علم الاجتماع تطورا فى البيئة البريطانية كان لا بد من تسجيله .

ابن لورد ، وابن نجار

كان الفرق بين الحالين فرقا بين رجلين . .

او ان شئت ، لفظا اوضح ، كان فرقا بين طبقتين ، طبقة ارستقراطية ممن لا يراها الناس الا على صهوة جواد ، او فى سيارة ضخمة سوداء ، وطبقة عادية ممن يراها الناس فى الأسواق تمشي على ارجلها . . .

اما هيوم فحقيقته انه اللورد دجلاس



هَلْ تَتَقَارَب ؟
هَلْ تَتَذَاوَب ؟
أَمْ يَأْتِى ، مِنْ بَعْدِ الطَّبقات ، مَنَازِلُ وَمَرَاتِب ؟

هيوم ، لورد ، ابن لورد ، الى ٧٥٠ سنة الى الوراء من السنين ، اقطع الملك وليم جده في اسكتلندة ارضا واسعة ، وقصرا ، وقلعة ، فهو اقطاعي صميم .

وهيوم هذا عندما تهيأ ليكون رئيس وزراء انجلترا لاول مرة ، منذ سنتين ، راى ان يطرح لقبه فما جاز له أن يتقدم للناخبين ، وروح العصر في انجلترا هي ما هي ، وهو يحمل هذا اللقب الضخم : لورد ، أو على الأدق ارل Earl

اما المستر ادوارد هيث Edward Heath فمن اسرة ، على الأقل في حكم المحافظين الذين انتخبوه ، هي غاية في التواضع . كان أبوه ، على ما روت مجلة التايم Time الأمريكية ، نجارا .

الارستقراطية في حزب المحافظين

ان المعروف في بريطانيا ان رئيس المحافظين ، وهو رئيس وزراء بريطانيا المحتمل ، كان يختار دائما أبدا من البيوت الارستقراطية العريقة ، مثل بيت ملبَرا Marlborough ، وبيت سالسبرى Salisbury واشباههما . وكان من شروطه ان يكون تربى في مدرسة ارستقراطية ، واشهر المدارس الارستقراطية ايتن Eton . ويكفي أن تستعرض اسماء رؤساء وزراء بريطانيا من المحافظين لتعرف أين وقعوا من المجتمع البريطاني . تشمبرلن Chamberlain مكملان Macmillan ، تشرشل . ولم يكن من الضرورى أن يحمل رئيس الوزراء المحافظ لقبا . وتشرشل لم يرث لقبا ، ومع هذا هو ابو العراقة جميعا . فهو ولد في قصر بلنهيم Blenheim قصر الأسرة العريقة ، أسرة ملبرا Marlborough في ضيعتهم وهي تضم ٢١٠٠٠ فدان ، وابوه كان الدوق رَنْدلف تشرشل ، سابع دوق في الأسرة . ولم يرث تشرشل لقب ابيه لأنه كان الابنَ الثالث لا الأول .

انتخاب من بعد اختيار

ولضمان هذه العراقة كان هناك اختيار لزعيم الحزب المحافظ ، ولم يكن هناك انتخاب . والذين يختارونه هم القلة ممن يحتلون القمة في الحزب .

ودخلت روح الزمان الى أعضاء حزب المحافظين آخر الأمر ، فطالبوا بأن يكون اختيار الزعيم ، بعد هيوم ، انتخابا . وخضع



المستر ادوارد هيث ، انتخبه المحافظون فى بريطانيا زعيما لحزب المحافظين ، وهو اول رئيس يتخذه الحزب من أسرة غير استقراطية. فهو من اسرة شعبية غاية فى التواضع .



السير الك هيوم، رئيس وزراء بريطانيا السابق، وهو لورد بن لورد بن لورد . استقال من رئاسة حزب المحافظين،فاختار الحزب خلفا بالانتخاب لاول مرة ، فجاء من الشعب ، من أرومته المتواضعة .

الحزب لروح العصر . وكانت استقالة هيوم التى مهدت لانتخاب هيث ، هى نفسها خضوعا لروح العصر .

تقاليد تتهاوى

ففى اسبوعين عظيمين من الصيف الماضي تحطم فى انجلترا تقليدان سياسيان ، تقليد اختيار العريق ، ولا شيء غير العريق ، زعيما لحزب المحافظين،وتقليد تولى القلة من اشياخ الحزب ، وكلهم عريقون ، اختيار الزعيم . وتولى ذلك وحدهم ، وعلى السوقة من الحزب أن تتبع .

الاقطاع الزراعي ، والنظام الطبقي

ان هذه الطبقة التي جرى عليها حزب المحافظين ، بدأت فى اول أمرها طبقةً زراعية اقطاعية .

والاقطاع الزراعي له فى اوروبا تاريخ مدروس ، لا احسبه يختلف ، فى حوافزه الأولى ، ونتائجه الاخيرة ، عن اى اقطاع آخر كان فى مشرق الارض ومغربها .

والاقطاع فى أوروبا كان اقطاع ضرورة. فقد بدأت الامبراطورية الرومانية ، منذ القرن الرابع الميلادى، تضعف . واضعفها خاصة غزو « برابرة » الشمال ، وجاءوا اصلا من شبه الجزيرة الاسكندنافية . وظلت هذه الحروب قائمة قرونا . واذ ضعف الحكم المركزى فى روما، كان لابد من ابداله بشيء يقوم مقام الحكم المركزى ، يحمي الناس ، ويؤمن لهم الحياة ، فكان الاقطاع . اخذ الملوك ، ومن فى حكمهم وقد ضعفوا عن ردّ البرابرة ، يقطعون الأرض لكل قادر على الدفاع عنها وتأمين حياة الناس فيها . فكان اللوردات . للورد الأرض والناس ، وللملك منه الولاء . ويقطع اللورد ، لمن دونه ، أرضا ومن عليها ، فهؤلاء سادة أصغر . وللوردات السادة القصور ، والقلاع على قمم الجبال ، وللزرّاع فلاحة الارض التى انبسطت حولها . ومن الفلاحين تجبى الأطعمة(١) ، وتجبى الأموال . ومنهم يؤلف الجند عند الفزع .

وصار النظام طبقات ، عليا شديدة العلاء ، وسفلى شديدة التسفل .

---

(١) لورد . Lord لفظ اصله انجلوسكسونى هو KlaefWaerd ، اما Klaef فمعناها Loaf اى الرغيف . واما Waerd فمعناها Ward اى الخازن . واذن لورد اصل معناها « خازن الرغيف » . وهو هكذا كان ، فهو صاحب الارزاق .



فى النظام الاقطاعى ، باوروبا ، فى القرون الوسطى ، يقطع الملك الاراضى للورد كبير . وهذا يقطع منها للوردات اصغر ، ويظل يدين للاكبر بالولاء. وهذه صورة تمثل « حفلة الولاء » وفيها يركع الاصغر للاكبر دليل الخضوع والاتباع .

وكانت هذه هي الطبقية الشائعة فى اوروبا فى العصور الوسطى .

وتبع هذا الانفصال فى المجتمع ، انفصام وتباعد . فالسيادة اعطت معها الغنى . والسيادة اعطت القصور ، وما بداخل القصور من ترف . والسيادة اعطت اسلوب الحياة الرافه . والسيادة اعطت النفوذ فى ادارة المجتمع وشئونه . وبمقدار ما زاد السادة النبلاء ، نقص الأجراء . فالسكن غير السكن ، والطعام غير الطعام ، واللباس كان غير اللباس .

ونظرة الحياة ، فى الطبقتين ، وما بينهما ، اختلفت واختلفت الآمال . آمال ازدهرت ، وآمال ما تكاد تزدهر حتى يصيبها الأفول .

ومما زاد الفرقة بين هاتين الطبقتين ، وبين كل طبقات تكون ، احاسيس نفسية عند الطبقة العليا تتصل بالاستعلاء ، وتؤمن بالأرومات، وباختلافها ، وتحتفظ لنفسها بالأرومة الأولى . فقيمة الرجل فى الحياة انتماء .

والاحساس بالطبقية عند هذه الطبقات العليا احساس شديد ، ففيهم تماسك تشده القوة ، ويشده الثراء ، ويشده عند الوضيع من الطبقات نوع من الاستخذاء .

ومن خواص هذه الطبقية ، ان الفرد كان يرث طبقة ابيه ، حتى الملابس تصاغ بحيث تدل على الطبقات . فامراة العامل مثلا لا يجوز لها أن تلبس كما تلبس المراة النبيلة ولو كان فى مقدورها ان تفعل .

فهذه هي الطبقة الارستقراطية الزراعية ، طبقة القرون الوسطى ، التي عاشت طويلا ، وظلت لها حتى الى اليوم ذيول ، لا سيما فى الغرب من أوروبا ، وذلك بالطبع بعد تبديل كثير ، وتحوير . ظلت لها ذيول ،مع أن الاقطاع ،بحسبانه نظاما اجتماعيا ، بدأ يتزايل منذ القرن الرابع عشر الميلادى . وذلك بنشأة القوميات فى الأمم المختلفة ، وعودة الملوك الى عروشها ، وتجنيدهم الجنود للدفاع ،على مستوى الدولة الواحدة ، لا على مستوى المناطق الصغيرة والاقطاعات .

الطبقية الهندية

واقدم من الطبقية الاقطاعية الزراعية الأوروبية ، واشد قسوة ، الطبقية الهندية .

وتسأل عن منشأ هذه الطبقات ، فتعلم انها كانت موجودة على الأقل منذ عام ١٥٠٠ ق.م. ففي ذلك الزمن غزا الهند من شمالها آريون ، ومع الغزو نشأت بالتدرج كتب قديمة ، كتبت بالسنسكريتية، سميت بالفيدا Vedas .



الدين الهندوسي يؤمن بالطبقات . ومن أحطها في القرى الهندية لانهم انجاس . وتبلغ هـذه

وهي تتألف من مائة كتاب ، يضاف اليها ملاحق كثيرة ، نالت على الزمان قدسية الأديان عندهم . وهي تتحدث ، في كثير من الخفاء ، حديث أهل الباطن ، عن الوهية تشمل الكون كله ، مسكنها الأحياء والجمادات على السواء .

وتتحدث الفيدا عن المجتمع الآرى الذى كان .

وهو تالف من اربع طبقات . البراهمة ، وهم القساوسة ، وهم السادة . تليهم طبقة الجند ، ثم طبقة الزراع . ثم طبقة العمال . وتمثل طبقة العمال وحدها الطبقة غير الآرية ، اى المواطنين الأصليين الذين غزاهم الآريون (هتلرية قديمة !!) .

ثم تغير الدين القديم ، وتحول وتبدل ، وسلك نواحي شتى .

والذى يهمنا في حديثنا هذا ، انما هي الطبقات الأربع .

ثم الطبقة الخامسة ، تلك التي خرجت ، حتى عن التقسيم . تلك طبقة المنبوذين او الانجاس .

ويقضي هـذا النظام الطبقي ، في عمومه ، أن لا يتزوج احد من طبقة احدا من غير طبقته ، او يصادق او يصاحب من هو دونه طبقة . واذا احتاج احدهم الى طعام ، او حتى الى ماء ، فهو لايتقبل شيئا من ذلك الا من طبقة يحددها النظام الطبقي القائم .

أما طبقة المنبوذين ، وتبلغ الآن ٦٠ مليون نفس ، فمسهم تجس . وحرم عليهم السير في الطرقات العامة ، وحرم عليهم دخول المعابد . وحرم عليهم دخول القرى ، فاذا جاءوها ، عاشوا خارجها ، واشتغلوا بأقذر الأعمال كدبغ الجلود وحمل النفايات والأوساخ .

وهذا النظام الطبقي لا يزال الى اليوم في الهند هو الغالب . وعاني القادة في محوه ما عانوا ، جاهد في ذلك غاندى ، وجاهد نهرو ، وجاهد كثيرون .

والصعوبة القائمة هي ان هذا النظام اجتماعي وديني في آن . والعقائد تمتد جذورهما في الأنفس البشرية عميقة ، ولكن ليس كامتداد عقائد تدعمها الاديان ، ولو كانت الأديان منها براء .

وهنا لا يسع الانسان الا ان يقول اهلا بدين محمد ، واهلا بدين عيسى ، اديانا انسانية ، محت عن الانسان الفرد أن يرث التعاسة عن ابيه ، او حتى أن يرث الجاه . « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . « ونادى نوح ربه ، فقال ربّ ان ابني من اهلي ، وان وعدك الحق ، وانت أحكم الحاكمين . قال يا نوح انه ليس من اهلك ، انه عمل غير صالح » .

طبقية المدينة

ونعود الى المجتمع الأوروبي ، الى المجتمع الغربي . لقد تركناه والمجتمع الاقطاعي يتهاوى .

وبتهاوى المجتمع الاقطاعي نشأت المدن . كانت في أول امرها صغيرة ، ثم كبيرة ، فأكبر . واخذ رجالها يقبضون على زمام الاقتصاد ، فزمام السياسة في البلاد . ونشأت طبقة التجار وطبقة رجال الاعمال . ورفضت الاقطاعَ ، ورفضت النبالةَ ، ورفضت اللوردات والأتباع ومن دونهم من الكادحين ، رفضتهم طبقات . وجعلت الكد هو سبيل حيازة ثمرات هـذه الدنيا . وساعدهم على ذلك كشف امريكا . وساعدهم على ذلك بَعثات الاستعمار التي بعثت بها البرتغال وهولندة وانجلترا عبر البحار . وساعدهم على ذلك طلوع



طبقة تعرف بالمنبوذين ، لا يؤذن لها بالعيش حتى الطائفة عشرات الملايين من الانفس .

فجر الصناعة فى اوروبا . ولم تكن بزغت شمسها ضحى . واحتاجوا الى خامات فجلبوها من اقصى الأرض . واخترع البخار ،ودارت به المكنات ، وشتيت من الآلات التي ابتدعها العلم وصاغتها التكنية الباكرة . وصارت التجارات عالمية بعد ان كانت محلية . وتكدست بذلك أموال فى شتى أمم الغرب ضخمة .

ومن هنا نشأت طبقة جديدة ، لا تعرف فى سياسة الدنيا غير القوة ، ولا فى التجارة ، وقد صارت دولية ، الا نهبا وانتهابا ، وعمدها الاستعمار الى اقصى الحدود . وتسمى هذه الطبقة عند الافرنج بالطبقة البرجوازية Bourgoisie ، وهي من لفظ B o u r g اى المدينة . وجرى المترجمون العرب على ترجمة هذا اللفظ بالطبقة المتوسطة ، وهي ليست بها . فالطبقة المتوسطة تضم أهل المهن من اطباء ومهندسين ومدرسين وغير هؤلاء . وما كان هؤلاء، فى تلك العصور ، ضمن الطبقة المستغلة ، طبقة التجار واصحاب الاعمال والأموال. لقد كان اصحاب هذه المهن للبرجوازية « خدما » . هكذا ذكر المؤرخون ، حتى العقائديون منهم .

الطبقية الصناعية

ويمضي الزمان ، وتتطور الصناعة تطورا لم يكن يخطر فى بال . طورها العلم وطورتها التكنية ، وطورتها رؤوس الأموال الكبيرة الكثيرة . وما جاء القرن التاسع عشر حتى انفصلت الطبقات الغربية فى اجمالها الى طبقتين كبيرتين بارزتين،طبقة اصحاب رؤوس الأموال ، وطبقة العمال .

وبلغ من سوء حال العمال فى تلك الأزمان درجة لا يكاد يصدقها عقل ، اذا قورن به حال العمال اليوم ، فى امم الغرب ، فانما يقرن المرء اليأس الآفل ، بالأمل المشرق .

ولقد رأينا صورا من ذلك فى أوائل هذا القرن ، ونحن صبية ، كانت بشعة غاية البشاعة ، لو قرنها الانسان بالرق الذى عنه يتحدثون ، واياه ينكرون ، كان الرق احسن حالا ، واحسن كثيرا . كان العامل يعمل اطول الساعات فلا يفرغ لبيته ، وفى اسوأ الاحوال والظروف ، ويعطى اخس الأجور ، ويعيش هو واسرته فى الجحور . وابنته وابنه ، وهم صبية ، يعملون لسد الرمق ، ويغلبهم النوم من التعب فيسقطون على ما يعملون . ولم يكن تعليم ولم يكن تدريب ، ولم تكن رحمة .

غول المال كان هو الحاكم .

والى جانبه غول المكنات ، ولها صراخ هو فى الآذان صمم ، والوان قاتمة هي فى الأنفس سواد وظلمة .

وليس بعجيب أن تنشأ تلك المذاهب الاجتماعية ، التي شجبت الطبقية ، فى ذلك القرن البغيض ، القرن الثامن عشر ، ولكي يفهم الانسان المعاني التي حركت أقلام أصحاب هذه المذاهب ، فكتبوا ما كتبوا ، يجب أن يرجع المرء الى صحف ذلك القرن ، والى مجلاته ، وسجلاته ، ليدرك الظروف الانسانية التعسة التي كتب فيها هؤلاء الكتاب ما كتبوا .

ولقد امتدت هذه الظروف ، بمثل هذه الدرجة من البشاعة ، الى اوائل قرننا هذا الحاضر .

وما خفّ حظ العمال من شر الامس، وزاد حظهم نسبيا من طيبات الدنيا اليوم ، فى دول أوروبا الغربية ، الا تحت ضغط ما كتب هؤلاء الكاتبون ، وشكا

الشاكون . ولقد كانوا كثرة في انجلترا . ومما يدعو الى الابتسام الهازيء ، ان المحافظين بانجلترا كانوا أسبق الى التفريج عن عمال انجلترا من رجال حزب العمال . واسألْ عن التأمين الصحي ، وتأمين الشيخوخة ، وغير ذلك ، مَنْ بداه في انجلترا ؟ تقول صنعوه عن خوف ؟ فليكن . ولكني أؤمن بأن في قلب كل انسان ركنا مليئا بالرحمة ، تغلبه على أمره جبلةٌ في الانسان طاغية ، تبدأ من الحفاظ على النفس ، وتنتهي بالأثرة والانانية . الا ان يدخل هذا القلب شعاع من ايمان يُزيح ما غشى ركن الرحمة هذا في قلب الانسان ، من قتام ، ويذكره بأن الانسان من تراب بدأ ، والى تراب هو صائر .

هل تتقارب الطبقات ، وهل تتذاوب ؟

الجواب : نعم .

والجواب : لا .

وهو يتوقف على معنى الطبقة ، فللطبقة معنيان :

معنى الطبقة الأول ، انها شريحة من الناس مغلقة ، لا سيما ان كانت عالية في جدول قيم المجتمع ، فهي لا تأذن لمن دونها بأن يدخلها . جواز داخلها ، الأرومة السابقة ، ومع الأرومة المال المذخور . وبين اعضائها الحس بالبعد عما حولها ، واختلاف « اللون » الذي يكاد يكون اختلاف نوع ، واختلاف معيشة ، واختلاف مصالح تقوم بينها وبين ما حولها من شرائح من بني الناس .

مجتمع فيه هذه الطبقات ، بهذا المعنى ، مجتمع به الطبقات كطبقات الأرض التي يحدثنا عنها علم الجيولوجيا ، بعضها فوق بعض ، يثقل عاليها على سافلها ، لا تأذن لصاعد ان يصعد ، ولا لهابط ان يهبط .

مجتمع بهذا المعنى ، لا يمكن بعد اليوم ان يكون فيه سلام ولا دوام ، انه التخاصم ، وانه التناحر ، وانها الغلبة تكون آخر الأمر للقوم الاكثرين .

ومعنى الطبقة الثاني ، ان اعمال الحياة ، لا اشخاص الناس ، مراتب ، بعضها فوق بعض ، يصعد اليها الصاعد بعمله . جواز دخولها التأهل لها . يدخلها ذو الأرومة الوضيعة ، وكذلك ذو الأرومة الرفيعة ، ما تأهلا لها . ومن امثلتها المهن المتعددة . منها فئة أهل القانون من قضاة ومحامين . وان شئت قلت طبقة . وان شئت قلت مرتبة . ومنها فئة الأطباء . ومنها فئة الممرضين والممرضات . ومنها فئة المدرسين . ومنها الجند ، ومنها قادة الجند ، ومنها زراع الأرض ، ومنها الصناع المهرة . ومنها الصناع نصف المهرة . ومنها العمال حافرو الأرض . ومنها سعاة البريد ، ومنها الكتّاب . ومنها العلماء والتكنيون . ومنها رؤساء الدول . تعددت الأعمال وتصنفت ، وكلٌ عمال يعملون .

الف مرتبة ومرتبة ، كلها مراتب مفتوحة . ليس على بابها حارس ، الا حارس الكفاية .

وهي مراتب لا شك غير متكافئة . غير متكافئة في التحضير . غير متكافئة في الجهد للوصول . واذن فغير متكافئة في الأجور . وهذه صورة من المجتمع تنسجم مع معنى الآية الكريمة : «ولكلٍ درجاتٌ مما عملوا » .

وللمراتب العليا ما تجنيه بكدها ، وللعبقرية — وهي تنفع الناس — الثواب العظيم . ولكن للمراتب الدنيا ما يَفي بحياة الانسان الكريمة .

فطبقات المستقبل احسبها مراتب للناس ، يسكنها ساكنوها ، ولكن لا ليخلدوا فيها وتخلد ذراريهم ، وجاز ان تخلد ، لو انهم درجوا على سنة الآباء كفاية . مراتب وجوه رجالها في هذا الجيل هي في كثيرها غير وجوه رجال جيل يأتي ونسائه . مراتب بعضها فوق بعض ، وهي افقية ، ولكن بها الحركة الراسية

لا تفتأ قائمة : غزو من المراتب السفلى الى العليا، وتدهور من العليا الى السفلى.

وتظل الحياة كفاحا .

ولكنه كفاح جهود وكفاية .

وتظل الرحمة التي دعت اليها الاديان موجودة ، لأن ضحايا الكفاية سيظلون كثيرين .

والمساواة

ويقودني هذا الى معنى المساواة .

والمساواة معنى جميل ، ولكنه عزيز فى هذا الوجود .

لو أن الانسان نشأ على غير هذا الكوكب ، تنبت ارضه من ذات نفسها الطعام ، ويتفجر من آبارها العسل الشهد ، وتمطر سماؤه الالبان ، لكان معنى المساواة بين انسان وانسان فى حيز الامكان .

ولكن بما أن الانسان انما يجني من ثمرات هذا الكوكب ما يجني بالذى يبذل من مجهود ، وبما أن هذا المجهود يثمر بمقدار ما عند الانسان من كفاية ، وبما أن الله تعالى وهب الكفاية للناس درجات متفاوتات ، اذن لم يكن بد من اختلاف الناس فى انصبتهم من هذه الحياة .

ولكن الكفاية موهوبة ومكسوبة .

والكفاية الموهوبة من عند الله .

والكفاية المكسوبة من عند البشر . من عند المجتمع .

والمجتمع يستطيع ان يزيد فى الكفاية المكسوبة للناس بالتعليم والتدريب ، وبالتثقيف بشتى صنوفه ، ثم باتاحة الفرص لكل انسان عند كل خطوة من خطوات الحياة .

انها مساواة فى التعليم اذن ، مجانا فى كل درجاته .

وانها مساواة فى الفرص أيضا ، مفتحة ابوابها لكل جدير بها .

مساواتان اثنتان ، لا تمنع منهما ارومة رفيعة أو خفيضة ، ولا مال ، قل او كثر ، هما جديرتان بتفتيت كل تلك الطبقات الجامدة جمود صخور الأرض وطبقاتها .

تذهب الطبقات الجامدة جمود الحجر، وتحل محلها المراتب ، مختلفة الانواع والاصناف : منازل على سلم الحياة ، الف ، تختلف قيمة وعددا ، بمقدار ما تختلف حظوظ الناس من جهود فى معركة الحياة مبذولة ، ومن كفايات موهوبة واخرى مكسوبة .

انه سلم يصعده الناس فرادى ، لا جماعات تجمعها اواصر ارحام،او روابط اموال ، تماما كما يصعد الصاعد يلقى ربه بعد الحياة الدنيا .

حركة دائبة ، صاعدة بين المراتب هابطة ، لا احتكار لأحد فيها .

تقويم المراتب

على ان اختلاف المراتب لا يجعل منها ما منزلته السماء السابعة ، ومنها ما منزلته الأرض السابعة ، لو انه كان هناك ارض سابعة حقا .

كنت ازور شركة من الشركات الصناعية الكبرى ، فى الولايات المتحدة . واشرفت من احد نوافذها العليا على ساحة كانت فى الريف واسعة ، بها بضع مئات من السيارات مصففة . قلت لصاحب ضيافتي : اعندكم من رجال الادارة كل هذا العدد . فنظر الي كأنه لم يفهم . ثم قال : ان كل هذه السيارات للعمال .

واستطرد يقول : ان عندنا من العمال المهرة ، ذوى السراويل الزرقاء ، من يتناولون اجورا تزيد على اجور رجال « الياقات البيضاء » وبعض رجال الادارات . فالفرق فى الأجور عندنا ليس كبيرا جدا .

ودخلت المصنع انظر . ودرت بين رجاله . وتحدثت . كان الرجل منهم ، فى سترته وقد بقعها الزيت ، يتحدث حديث الرجل المثقف العالي التثقيف .



وسألت ، فوجدت اكثرهم اتموا تعليمهم الثانوى ، ثم بداوا تعليمهم الفنى . ووقفت الى جانب « خراط » يقوم على مكنة غاية فى الدقة ، فادركت انها دقة لا تكاد تقل عن دقة جراح قائم بجراحة.

ان الذى ازرى بالعامل فى المجتمعات المتاخرة ، قلة التثقيف العام ، وقلة التثقف فى المهنة ، وهذان اديا به الى الانتاج القليل الحقير ، وهذا ادى به الى الفقر . ولست ابحث الآن فى التبعات .

ولكن الذى اريد ان اقوله ، ان تنشئة طبيب ، او مهندس ، او مدرس ، لاتكاد تزيد كلفة ، ولا تكاد تزيد جهدا ، عن تنشئة رجل صانع ماهر ممن رأيت . واكمل الرجل الصانع الماهر ما كان اعوزه من ثقافة ، فتقاربت بذلك المراتب ، وتقاربت قيمها .

والمهنة قد تفرق ، ولكن الثقافة تجمّع .

وتجميع الثقافة يخلق الالفة ، وبها يزول ما قد يكون بين المراتب من جفاء ، هو جفاء الغريب يلقى الغريب ، يلتقيان وليس بينهما من جفاء غير ريبة الغربة.

الطبقية والعرب

واخيرا كلمة عابرة عن الطبقات عند العرب .

ان نظرة العرب الى الحياة مستمدة من مصدرين، مصدر ثقافتهم وهو دينى، ومصدر عرفهم وهو صحراوى .

وثقافة العرب اسلامية ، شملت من عاش فى الدولة العربية مهما اختلفت اديانهم . حتى المسيحيون تثقفوا هذه الثقافة الاسلامية رغم اختلاف العقيدة. وساعد على ذلك ان المسيحية لم تختلف كثيرا عن الاسلام ثقافة .

والثقافة الاسلامية التى ورثها العرب جميعا تسوّى بين بنى الناس جميعا ساعة سقوطهم من ارحام امهاتهم ، ثم هى تخالف بينهم درجات بعد ذلك بالقدر الذى يعملون .

قال عمر : متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا .

فثقافة العرب تأبى تكتل الناس طبقات يتوارثها خلف عن سلف .

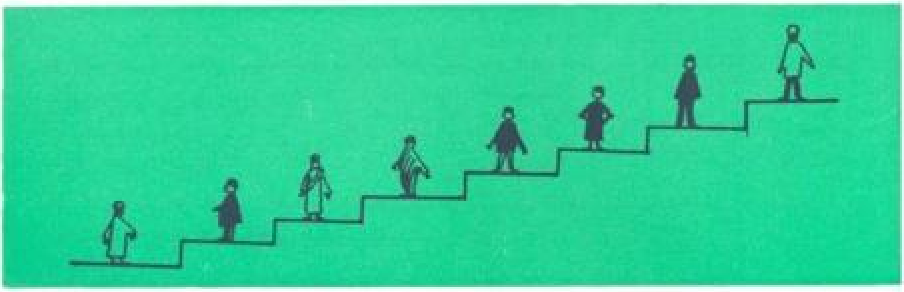
وكذلك يأبى ذلك عرفهم ، ذلك الذى صنعته الصحراء . ان الصحراء فيها استواء . وهو استواء رمال ، واستواء ارزاق . فهى ما اذنت يوما ، على الصعيد الواسع ، بذلك التفاوت الذى يجعل من بعض الناس رؤوسا ، ومن بعضهم اقداما. أو من بعضهم عمائم ، ومن بعضهم احذية .

والطبيعة فى الصحراء عارية ، وحقائق الحياة مكشوفة مفضوحة ، فليس هناك مجال كبير لتزويقها وتزويرها . ثم ان الحياة فيها تقوم على شفا جرف ، لهذا رخصت ، وزادتها المذلة ، اذا هى انذرت ارخاصا .

والشرف عند اهل الصحراء شرف فى

← طبقات الأمس قليلة متباعدة متنافرة ، صعب صعودها

وطبقات الغد كثيرة متقاربة متآلفة ، سهل صعودها والهبوط



المكارم ، فيما تقتضيه حاجة الصحراء . وهو شرف عمل ، وشرف بذل . فلقريش سقاية الحجيج ، وحاتم رب العطاء .

وان كان تنازع على منزلة ، فهو ليس بتنازع بين طبقة وطبقة ، وانما بين قبيلة وقبيلة . وهو تنازع اقتضته ظروف هذه الحياة نفسها :

قال شاعرهم :

فغضّ الطرفَ انك من نُمَيْرٍ
فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

وقال آخر :

لو كنتُ من مازن لم يستبحْ ابلى
بَنُو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا
اذنْ لقام بنصرى معشرٌ خُشُنٌ
عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

وفى القبيلة الواحدة ، ليست الطاعة فى طبقة لطبقة ، وانما هى طاعة السواد لشيخ او اشياخ ، كطاعة الجند للقادة ، تدفع اليها طوعا وجبلة ، ضرورات الحياة، وحاجة كل قبيلة لاثبات وجودها بين قبائل متنافرة ، ثم تجاه حياة وراء هذه القبائل جميعا تظهر لهم غامضة نافرة .

فهذه هى الاصول فى نظرات العرب الى المراتب ، وهى تجب معانى الطبقية الغربية جبا .

ثم خرج العرب عن جزيرتهم ، واختلطوا بالامم ، واقتبسوا من مدنيات سبقت ، ومدنيات حضرت ، اشكالا من العيش شتى . ومن الطبقات اقتبسوا الطبقية الزراعية . وما كاد الزمن ان يأذن لهم بأن يقتبسوا من الطبقية الصناعية شيئا ذا بال .

وهم فى طبقيتهم الزراعية (٢) ، لم يبلغوا من القسوة مبلغ طبقية اوروبا الزراعية المنطوية .

ومستقبل الدنيا ، كما يتراءى اليوم، ليس مستقبل طبقات تجمد عليها وتتوارثها طوائف وجماعات ، ولكنه مستقبل يتساوى فيه الناس ، فرادى، بادئين ، ويتبارون ويتباينون فى الحياة عاملين ، فمنهم سابق ، ومنهم لاحق .

« من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها » . ■■

أحمد زكى

---

(٢) ومن الطبقات الزراعية الحديثة ، طبقاتالقطاعية جاء بها المستعمرون . نزلوا بلاد ليس فيها لهم مؤازر ، فاصطنعوا المؤازرين ،واقطعوهمالارض ألفا فألفا . فصار منهم طبقة . وزال الاستعمار ، ومنهم من ساعد فى ازالته ، ومع هذابقيت الطبقة طبقة .

مسابقة العربي ١٠ أسئلة

■ هذه عشرة أسئلة استنبطناها مما نشرت « العربى » فى بعض أعدادها السابقة ، ووضعنا لكل سؤال منها ٤ أجوبة بينها جواب واحد هو الجواب الصحيح .

اقرا الاسئلة بامعان، ثم اختبر ذاكرتك فى استيعاب ما قرات من قبل فى «العربى» ، واختر الجواب الصحيح من بين الاجابات الاربعة لكل سؤال ، فقد يحالفك الحظ ، وتربح احدى جوائز المسابقة .

علما بأن الرسائل التى ستدخل القرعة هى التى تتضمن الاجوبة الصحيحة عن ٧ أسئلة على الاقل . وكلما زاد عدد الاجوبة الصحيحة زادت فرص الفوز .

(١)

● **حاول العرب فتح القسطنطينية مرارا ، فى عهود مختلفة ، ولكن استحكامات المدينة، واستماتة الروم فى الدفاع عنها حالت دون ذلك ، الى أن فتحت عام ١٤٥٣ على يد :** (١) عبد الملك بن مروان (٢) الوليد بن عبد الملك (٣) السلطان محمد الثانى (٤) عمر بن عبد العزيز .

(٢)

● **فر من مذابح العباسيين الى الاندلس ،واسس فى قرطبة دولة أموية ، وبنى جامعها الشهير ، وحارب شارلمان وسمى « صقر قريش »لبأسه ، واسمه الرسمى :** (١) عبد الرحمن الناصر (٢) عبد الرحمن الداخل (٣) عبد الرحمن الغافقى (٤) عبد الرحمن بن المنصور .

(٣)

● **تقع مدينة طنجة عند اقصى الطرف الشمالى الشرقى من افريقيا ، اقتطعها الاستعمار الغربى من أمها «المغرب» منذ أكثر من ٣٥ عاما وهى الآن:** (١) تحت الاستعمار الفرنسى (٢) تحت الاستعمار البريطانى (٣) تحت الاستعمار الاسبانى (٤) عادت الى أمها « المغرب » .

(٤)

● **« معجم البلدان » من أقدم المصادر التاريخية التى تبحث فى تاريخ المدن والأماكن المختلفة ، من السهل والوعر ، والعمار ، والخراب : مؤلف هذا الكتاب هو :** (١) ابن جرير الطبرى (٢) ابن الاثير (٣) ياقوت الحموى (٤) الجبرتى .

(٥)

● **اى انهار الدنيا يحمل اكبر كمية من الماء :** (١) نهر النيل بافريقيا (٢) نهر المسيسبى بأمريكا الشمالية (٣) نهر الأمازون بأمريكا الجنوبية (٤) نهر السين بفرنسا

٤٠٠ جوابًا وجوائز ١٠٠ دينار

(٦)

● ولد « تولستوى » كاتب روسيا العظيم عام ١٨٢٨ فى مقاطعة « تولا » الى الجنوب من موسكو ، وكانت أمه : (١) فلاحة (٢) عاملة فى مصنع (٣) أميرة (٤) ممرضة .

(٧)

● « هولاكو » المغولى ، زحف من شرق آسيا الى غربها ، فدمر ايران ، وقوض العراق ، ونفذ الى الشام مستهدفا مصر ، ولكن المصريين دحروا المغول وطاردوهم حتى الفرات . وكان ذلك فى معركة : (١) حطين (٢) المنصورة (٣) عين جالوت (٤) طبرية .

(٨)

● الخلفاء الراشدون اربعة هم : (١) أبو بكر الصديق (٢) عمر بن الخطاب (٣) عثمان بن عفان (٤) على بن أبى طالب .

وقد مات ثلاثة منهم مقتولين ، ومات الرابع حتف انفه ، فمن هو ؟

(٩)

● أبو الفرج الاصبهانى ، ولد فى أصبهان ونشأ فى بغداد ، تمتع بحماية سيف الدولة الحمدانى ، وانصرف الى جمع التاريخ وتدوينه فى كتاب اسمه (١) نهاية الأرب (٢) تاريخ العرب (٣) الأغانى (٤) الآثار الباقية من القرون الخالية .

(١٠)

● الهرم الاكبر فى القاهرة هو احدى عجائب الدنيا السبع القديمة التى أودى بها الزمن كما يودى بكل شىء ، الا اهرامات الفراعنة ، لانهما تزال قائمة منذ خمسة الاف سنة . امر ببناء الهرم الاكبر : (١) الملك سنفرو (٢) توت عنخ آمون (٣) الملك خوفو (٤) امحوتب .

★ ★ ★

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ الاجابات التى تدخل القرعة هى التى تحوى الاجابة عن ٧ أسئلة على الأقل .

(البقية على صفحة ١٦٢)

أصالتنا العربية مهددة

والحفاظ عليها لا يكون بالأقوال والآمال

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

استاذ فى الجامعة الاردنية

■ يشكو الكثيرون من اهل الفكر والراى فينا اننا نفقد اصالتنا تدريجيا ، ويلاحظون أننا نتنازل عن صفاتنا المميزة لنتبنى صفات ترد علينا من الغرب او الشرق ، ويطالب بعضهم بان نرتد الى صفاتنا القديمة وعاداتنا السابقة ، تلك الصفات والعادات التى اوصلت اجدادنا الى حيث قادوا امم الارض ووضعتهم فى طليعة الشعوب !

والحق ان الناظر فى اوضاعنا الحاضرة يفتقد الاصالة فى جميع ميادين الحياة ومجالاتها : فى النظم والافكار الاجتماعية ، فى الاقتصاد ، فى السياسة ، فى الفلسفة ، فى الادب والفن ، فى التربية ، وقبل ذلك وبعده فى جميع مجالات الحياة اليومية من مأكول ومشروب وملبوس وعادات وتقاليد ومعاملات يومية .

فقدان الاصالة وافتقادها

ويكفي ان تعيش اياما قليلة فى بيروت او دمشق او القاهرة او عمان او الكويت او الرياض او سواها من حواضر العرب لترى الى اى مدى تتنازل هذه المدن وسكانها عن طابعهم المميز الاصيل للطابع الوارد عليهم من باريس ولندن وواشنطن بل ومن موسكو وبكين !

وانك لتسمع قائلا يقول ان الاستعمار هو المسؤول عن هذا الامر وانه ـ بوصفه قويا ـ فرض علينا لغته وطرائق حياته ومعاملاته وعاداته وتقاليده واسلوب تفكيره . ولقد شهدت فى بلد عربي عريق وفدا من رجال الدين يطلب الى السلطات الحاكمة منع النساء من ارتياد دور السينما بحجة انها مفسدة لاخلاقهن ، ولما أجابهم رئيس الحكومة بان عليهم اولا ان يمنعوا نساءهم وبناتهم من ارتيادها اعترفوا بانهم عاجزون عن ذلك !

والذى يهمني من هذا الموقف ليس منع النساء من ارتياد دور السينما او عدمه ففى الافلام السينمائية الضار كما

• امة لا تحرص على اصالتها ، ولا تحافظ على مميزاتها وطابعها القومى، محكوم عليها بالتخلف عن ركب الحضارة العالمية .

ان فيها المفيد ، والسينما يمكن ان تكون اداة تثقيف للمراة والرجل كما يمكن ان تكون وسيلة اغراء وتضليل ، ولكن الذى يهمنى هو جواب رجال الدين بانهم عاجزون عن ذلك ، وهو جواب ــ مع الاسف ــ صحيح ، ذلك بأن التيار قوى وجارف ولا يستطيع فرد او افراد الوقوف فى طريقه .

وانك لتسمع ــ كذلك ــ صيحات هنا وهناك تنطلق مطالبة بهذه الاصالة منحية باللوم على هذا او ذاك من الاسباب،مشيرة بهذه او تلك من الطرائق لاستعادة اصالتنا وفرض طابع امتنا المميز . والذى احب ان اشير اليه فى هذا المقام شيئان :

اولهما : ان فقدان هذه الاصالة بالمعنى القديم والضيق امر غير مستغرب .

وثانيهما : ان افتقاد هذه الاصالة والمطالبة بها امر ضرورى ولازم اذا اردنا لانفسنا البقاء .

اما فقدان اصالتنا فأمر لا نختص به وحدنا ، والحق ان الكثير من امم الارض ــ ولا سيما المستضعفة الناشئة منها ــ تشاركنا هذه المحنة . فما يسمى بالحضارة الغربية قوى وطاغ لدرجة انه قادر على اكتساح كل ما يخالفه والقضاء عليه . ولهذا اسباب عديدة منها :

اولا : الموقف النفسى المعروف من ميل الضعيف الى تقليد القوى ، والمغلوب الى التشبه بالغالب وشعوره بالنقص ازاءه .

ثانيا : مسايرة الكثير من طرائق الحياة الغربية وموافقتها لحياة العصر ومطالبها ونبوعها منها .

ثالثا : صغر العالم الحديث وتزايد وسائل الاتصال بين اجزائه مما لم يكن ميسورا فى العالم القديم ومما اوجد حضارة عالمية ومجتمعا عالميا .

رابعا : التقدم العلمي الهائل الذى حققه الغرب وافادته منه فى حياته اليومية وطرائقها واساليبها .

خامسا : تأثر قادتنا ومفكرينا بحياة الغرب الذى يدرسون فى مدارسه وجامعاته ويعيشون فيه ويحملون منه عاداته وتقاليده وغير ذلك من الاسباب .

وغير ذلك من الاسباب .

واما افتقادنا لاصالتنا ومطالبة اهل الراى والفكر منا بضرورتها ولزوم الحفاظ على طابعنا القومي المميز فأمر هام وحيوى لا لنهضتنا وتحررنا فحسب بل ولبقائنا ايضا ولاغناء الانسانية وحضارتها كذلك .

والحق ان امة لا تحرص على اصالتها ولا تحافظ على مميزاتها ولا تعني بالابقاء على الصالح من عاداتها وتقاليدها امة يصعب عليها ان تبقى ، ناهيك أن يكون لها شان ومكانة ومساهمة فى الحضارة العالمية . وما نظن ان الانسانية تفيد اطلاقا من طمس معالم الحضارات المختلفة والمدنيات المتباينة ، وان كان كل مفكر مخلص يعطف عطفا صادقا على ضرورة وجود حضارة عالمية موحدة تجمع مختلف الحضارات وتنسق بينها وتحتفظ من كل منها بخير ما فيها .

وهنا احب ان اذكر بأن امما متقدمة كثيرة تصرخ اليوم مطالبة بضرورة المحافظة على اصالتها . ففرنسا وانكلترا مثلا تشكوان مر الشكوى من ان الحضارة

الاميركية اخذت تطغى عليهما . والصين جاهدة فى الحفاظ على طابعها المميز لها عن روسيا ومثل هذه البلاد كثير ، فما اولانا نحن بأن نحرص على هذه الاصالة ونعمل على استعادتها والحفاظ على مظاهرها .

ما هي الاصالة ؟

وبعد هذا الذى قدمت يحسن ان اتمهل قليلا لأحاول تحديد معنى الاصالة ، وفى سبيل تحديد مفهوم الاصالة احب ان الاحظ امورا منها :

١ ـ ان الاصالة لا تعني تماثل الافراد وكونهم نسخا طبق الاصل بعضهم عن بعض ، فالفردية حقيقة واقعة ولكل فرد شخصيته المميزة وطابعه الخاص ، وهو امر واقع وضرورى ومفيد .

٢ ـ الاصالة لا تعنى تماثل الجماعات او المجتمعات المكونة للمجتمع الكبير ، فالاختلاف هنا والتباين امران لا بد منهما ولا ضرر منهما بل العكس هو الصحيح .

وهكذا فقد يختلف الشعب العربى فى مصر قليلا او كثيرا عن الشعب العربى فى العراق وان كانا ينتميان جميعا الى الامة العربية ذات المميزات الواحدة والتراث الواحد والمستقبل الواحد .

٣ ـ الاصالة لا تعنى اختلاف الامة اختلافا كاملا عن اية امة اخرى ، ذلك بان الامة المعينة عضو فى الاسرة الانسانية تشاركها الكثير من صفاتها والعديد من آلامها وآمالها وامانيها .

٤ ـ الاصالة لا تعنى عداء الامم بعضها لبعض او نقصا فى تعاونها بعضها مع بعض او نقدا لبعضها البعض . انها تعني عكس ذلك تماما اذ انها تقوم على التفاهم بين الامم والتعاون فيما بينها والتكاتف على ايصال الانسانية الى اهدافها فى العالم الاحسن .

وهكذا تكون الاصالة هي الاطار الصغير المميز لامة داخل الاطار العام للمجموعة الانسانية . وبهذا المعنى فقط نفتقد اصالتنا العربية وندعو لها ويجب ان نعمل على استعادتها واعادة تكوينها .

ولاضرب على ما قلت مثلا امتنا العربية بالذات :

من المعلوم ان الامة العربية امة تتميز بوطن ، وتاريخ معين وتراث مشترك وامان مقررة قائمة على اساس من حاجات حاضرة واهداف مستقبلة وامكانات ميسرة . ولقد حدد الوطن العربى الواحد والتاريخ العربى المشترك والتراث العربى الفنى والواقع العربى الاليم والغد العربى المنشود ، حددت جميعها صفات للعربى تختلف بعض الاختلاف من الحجاز الى المغرب ولكنها تشترك جميعها فى مقومات اساسية تجعل من العربى انسانا مميزا (بالفتح) ولو اختلف وطنه الصغير او اختلفت صفاته الفردية . والعربى هذا يشترك مع غيره من بنى الانسان (سواء اكانوا اميركيين او صينيين او فرنسيين او هنودا) فى امان وآمال واهداف انسانية واحدة لا تختلف ولا تتباين من مثل التوق الى السلام والميل الى الحياة الافضل والحرص على التعايش السلمي وغير ذلك من الوف المطاليب والاهداف.

فاذا صح هذا ـ وهو صحيح ـ كان السؤال الهام : **كيف نحقق اصالتنا ؟**

عندى ان كل خطة تختط لتحقيق اصالتنا يجب ان تلتزم بما يلى :

١ ـ التعرف الدقيق الذكى على تراثنا القومي . وقد سبق لى ـ فى هذه المجلة الغراء ـ ان تحدثت عن ذلك مطولا فلا ارى لزوما لتكراره ، وان كنت ارى ضرورة للتنويه بأهمية تعرفنا على تاريخنا تعرفا دقيقا واعيا ولا سيما تاريخنا الاجتماعي والحضارى والعوامل التى اثرت فيه . والواقع ان دراستنا لتاريخنا اهتمت حتى الآن بالنواحي السياسية واهملت النواحي الاجتماعية والاقتصادية والحضارية مما جعل احاطتنا بهذا التاريخ وتعرفنا على ذاتيتنا امرا واضح النقص .

٢ ـ التعرف الدقيق على واقعنا بما فى ذلك حاجاتنا وامكاناتنا ومطاليبنا وقدراتنا . ولعل لا ابالغ حين اقول بأن

معظمنا جاهل بهذا الواقع وان كان ملما بعمومياته . ان صياغة الانسان العربى الحديث لا يمكن ان تكون كاملة الا اذا صدرت عن وعي عميق لامكانات الوطن العربى وقدرات الانسان العربى ومميزات الفرد العربى ومطاليب المواطن العربى .

٣ ــ الاطلاع الواسع الشامل على ما يجرى فى العالم من تفاعل حضارى وما يتم فيه من احداث اجتماعية وتطورات علمية وتقنية (تكنولوجية) واتجاهات اقتصادية واتصالات سياسية وصراعات فكرية . وليس بخاف ان عالم اليوم يمور بالاحداث ويفور بالتغيرات ويتميز بالتطور السريع والانقلاب الكلي ونحن لا نستطيع ــ اذا اردنا لانفسنا مكانا متميزا فيه ــ الا ان نبقى على اتصال وثيق بمجريات الامور فيه .

٤ ــ تحديد اهدافنا ورسم امانينا وتصور مستقبلنا على ضوء من ماضينا وحاضرنا وواقع عالمنا . لقد ذهب الى غير رجعة الزمان الذى كانت تسير فيه الامور وفقا للصدفة وعلى اساس من العفوية ، فالعصر عصر تخطيط وتنهيج وكل وطن لا يعرف ما يريد بالضبط ولا يهيىء لهذا الذى يريد اسباب النجاح وطن محكوم عليه بالتخلف والتبعية وفقدان الاصالة .

٥ ــ اختيار الطرق والاساليب والوسائل التى تحقق غاياتنا وتوصلنا لاهدافنا وتجعل من امانينا حقائق واقعة لا أحلاما وخيالات . وبديهي ان اشير الى ان الطرق شتى والوسائل متباينة والاساليب مختلفة وان ما يصلح منها لزمان او مكان قد لا يصلح لزمان آخر او مكان مخالف . وبديهي بعد ذلك ان اؤكد انى مؤمن بأن خبرات الآخرين مفيدة لنا وان طرائقهم تنفعنا وان اخطاءهم يجب ان نتجنبها ولكن شتان بين هذا ــ من حيث علاقته بالاصالة ــ وبين التقليد الاعمى والتبنى الكامل لاساليب الآخرين وخططهم وطرائقهم ومفاهيمهم .

٦ ــ الحرص فيما تقدم على امور اساسية منها الوعي والمرونة والتقييم الدائم . اما الوعي فللتفريق بين الغث والسمين ، بين الاساسي وغير الاساسي ، واما المرونة فللقدرة على الحركة وعدم الجمود على فكرة او طريقة معينة ، واما التقييم فلكشف الصحيح ودعمه وترسيخه واكتشاف الخطأ وتجنبه والتخلص منه .

تلك هي بعض المبادىء التي تعين على تحقيق الاصالة العربية استفيد منها فى اعطاء مثل واحد آخذه من حقل تخصصي واعني به التربية . ان المربين العرب يشكون عدم الاصالة فى النظم التربوية العربية . فنظمنا التربوية حتى الآن وبالرغم من المحاولات الصادقة التى يبذلها المربون العرب فى مختلف اقطارهم ما زالت ممسوخة عن النظم التربوية الغربية عالة عليها مقلدة لها .

وانى ــ بوصفى مربيا عربيا ــ احلم باليوم الذى يكون فيه لوطننا العربى نظام تعليم عربى اصيل واتساءل عن وسائل تحقيق مثل هذا النظام ؟؟ وعلى ضوء ما قدمت ارى ان علينا ــ فى سبيل الوصول الى مثل هذا النظام التربوى العربى الاصيل ــ ان :

١ ــ نحدد اهدافنا الحاضرة والمستقبلة على ضوء من واقعنا وامكاناتنا ومطاليبنا .

٢ ــ ننتقي طرائقنا ووسائلنا فى ضوء هذه الاهداف وبوحي من واقعنا ومستقبلنا المنشود . ونحدد مادة تربيتنا على هذه الاسس .

٣ ــ نحدد مفهومنا الدقيق عن الانسان العربى وكيف نريده ان يكون .

٤ ــ نحافظ على وعينا الدقيق ومرونتنا التامة فى ذلك كله .

٥ ــ ننظر الى عملنا هذا بوصفه واجبا فرديا وقوميا وانسانيا .

وانى لاعلم علم اليقين ان قول الامور اهون من فعلها ، وتحقيق الاصالة العربية هدف قومي هام لا يكفى لتحقيقه ان يقول قائل : ان الاصالة العربية حقيقة واقعة وان الزمان كفيل بتحقيقها على شكل او آخر ، وذلك بأني أعتقد مخلصا ان ثمة عملا مقصودا على طمس هذه الاصالة له اسباب كثيرة معروفة . ■■

فاخر عاقل

عقار

يولد بعض النساء العقيمات مثنى وثلاث ورباع وخماس

قرات فى عدة صحف غربية ، مثل مجلة بارى ماتش Paris Match ومجلة لايف Life وغيرهما ، ثم فى صحف عربية بعد ذلك ، اخبارا مثيرة عن امكان علاج عقم النساء بعقار جديد . وقد اختلطت الروايات فهل عند « العربى » ايضاح ما اختلفت فيه الروايات . وانى مرفق صورا من المجلتين المذكورتين ، واحداهما فرنسية كما هو معروف والاخرى امريكية .

قارىء

ليس خبر يشير الناس ، كخبر يتصل بوفاة او ميلاد ، لا سيما اذا خالف هذا عرف السواد .

وخبر اليوم ، الذى ترددت اصداؤه ،ان عقارا جديدا ، لطبيب سويدى ، تعاطته زوجة لا تحمل ، فى الركن البعيدالأبعد من الأرض ، بزيلندة الجديدة ، فانتجت خمسة من التوائم .

وان هذا العقار نفسه ، عقار الطبيب السويدى ، تعاطته زوجة اخرى لا تحمل فى نفس بلد الطبيب الباحث ، فاولدها توائم خمسة .

وتقاربت الحادثتان زمنا ، فكانتا اقوى اثارة .

وحدثنا والطبيب المعالج ، بعيدا عن جامعته ، يصطاف فى جزيرة فى بحر البلطيق .

وليس هذان الحادثان فريدين ، فقد سبقتهما ولادات اولد فيها العقار النساء التوائم مثنى وثلاث . .

هذه السيدة شرلى ان لوصن ، بين توائمها الخمسة ، وهم : ولد واحد ، واربع بنات ، ولدتهن ، بعد العلاج بالعقار ، فى مستشفى النساء ، باوكلاند ، بزيلندة الجديدة، باقصى الارض . وقد تراوح وزن الاطفال الخمسة عند ولادتهم بين ثلاثة ارطال واربعة ، وخمسة ارطال . ولذا نراهم فى الصورة ، فى صناديق من لدين شفاف يحفظ عليهم الحرارة ، ويعالجون فيها علاجا خاصا حتى يكتمل نموهم السوى . والمعروف بالطبع ان الطفل الوليد يكون وزنه غالبا ضعف هذا الوزن . وهذه الصورة وما سيتبعها هى من بعض الصور التى سبق الغرب الى اذاعتها .

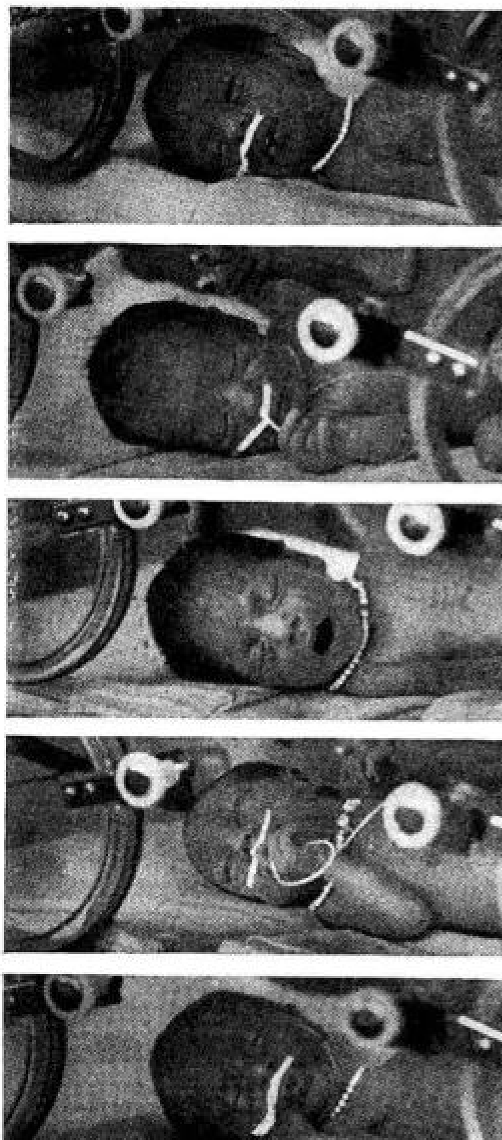


الطبيب الباحث

ونبدأ بالطبيب الباحث .

انه الدكتور جِمْتسل Carl-Axel Gemzell في الخامسة والخمسين من عمره ، له شهرة قبل هذا الفتح واسعة . وهو استاذ في جامعة ابسالا Upsala ، استاذ

التوائم الخمسة في صف واحد



علم الولادة وامراض النساء بها . ومن شهرته السابقة انه مبدع كاشف الحمل ، المعروف باسمه ، وبه يكتشف باكرا ان كانت المرأة حاملا او غير حامل .

ومن الغريب ، ان الطبيب ، ميسّر الولادة للأُسَر ، هو نفسه عديم الخلف .

زاره صحفي ، واراد ان يعرف الحافز الذى حفزه الى هذا البحث الطريف ، وساله ، فلم يجب . ادرك الطبيب ان جواب هذا السؤال يتصل بكشف حالته هو شخصيا ، وهو يأبى ان يتحدث عن شخصه ، ولا ان يتدخل احد فى خصوصياته . ولكن جاء الجواب منه فى سياق الحديث بعد ذلك على غير عمد . قال انه تزوج زوجته الحاضرة ، منذ ٢٩ عاما ، ولم يرزق ببنين او بنات . وقال انه ود لو فعل . فأدرك الزائر الحافز الذى عنه سأل .

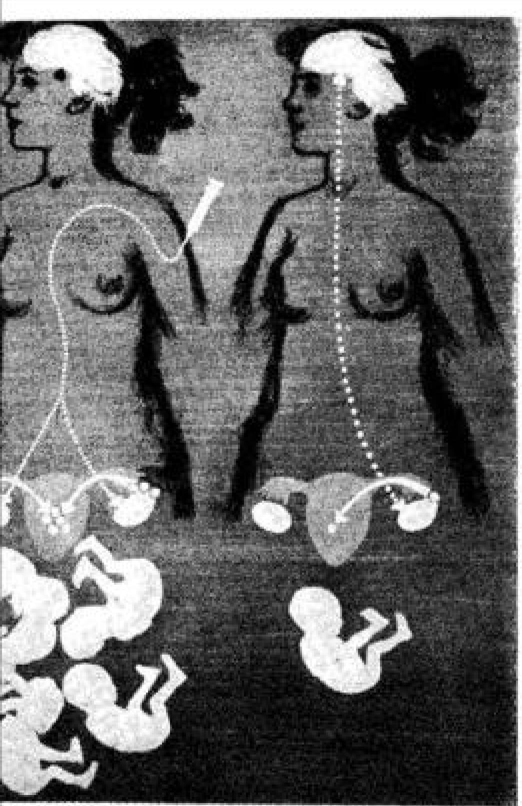
ليس كل عقم يرجى شفاؤه

ان النساء العقائم يرجع سبب عقمهن الى اسباب كثيرة ، منها الاورام ، ومنها عدم اكتمال النمو ، ومنها انسداد المسالك ، الى آخر ما هناك من اسباب . ولكن نحو ٥ فى المائة منهن يرجع عقمهن الى عدم كفاية ما تصنع اجسامهن من هرمونات جنسية .

ويرجع هذا القصور الى الغدة النخامية Pituitary gland وعملها فى الحمل ، وحثه .

ان الغدة النخامية جسم صغير ، موضعه تحت المخ . وهو يفرز افرازات عدة ، اى هرمونات ، لها آثار مختلفة فى وظائف الجسم المختلفة .

ومن هذه الهرمونات هرمونان جنسيان ، احدهما يعرف اختصارا بالحروف الثلاثة F. S. H وهي اختصار Follicle Stimulating Hormone ، او بالعربية هو الهرمون المنشط للحويصلة (وهى الكيس



رسمان ايضاحيان : الرسم الاول يمثل المراة على الحالة العادية السوية . وغدتها النخامية ، (النقطة البيضاء فى الرسم تحت المخ مباشرة) تفرز هرموناتها ، فتجرى هذه الهرمونات مع الدم فى الدورة الدموية.ومنها هرمونان جنسيان يبلغان مبيض المراة فينشطانه تنشيطا يكفى لاغراء أحد المبيضين بانضاج خلية جنسية بدائية من خلاياه(وفى النادر جدا أكثر من خلية)، هي البيضة التى تخرج من المبيض وتسير فى قناة البيض فى طريقها الى الرحم . وهي فى هذه الاثناء تتلقح ، يلقحها حيوان يلقاها من الحيوانات المنوية للرجل . والنتيجة طفل واحد فى الغالب الاغلب . اما الرسم الآخر فللمراة التى لم تفرز غدتها النخامية الكفاية التى تؤدى الى انضاج بيضة فانتاج طفل، فهي لذلك عقيم لا تأتيها العادة الشهرية . ويسد الطبيب هذا النقص بالهرمونات المنشطة يأتى بها من غدد نخامية لنساء ماتت ، يحقنها فى ذراع العقيم ، على نحو ما ذكرنا فى نص المقال . والنتيجة زيادة طارئة فى نشاط المبيضين. وفى الصورة أنتج مبيض ٣ بيضات ، وانتج الآخر بيضتين ، التقت بخمسة من الحيوانات المنوية للرجل ، وما أكثرها ، فانتجت خمسة من التوائم.

الذى فيه تَنْضجُ بُويضة المراة وهى فى مبيضها) .

اما الهرمون الثاني ، فيعرف اختصارا بالحرفين L. H ، وهما اختصار للكلمتين Luteinising Hormone ، أو هرمون الاجسام الصفراء فى المبيض ، وله آثار عدة منها تنشيط الخلايا الداخلية فى مبايض النساء .

والنقص فى هذين الهرمونين ، فى المراة بسبب عقمها ، فلا تنضج فى مبيض لها بيضة ، ولا تأتيها العادة الشهرية اذن .

استخلاص الهرمونات من حيوانات

ان العلماء الذين سبقوا ، بداوا بحوثهم بالحيوانات ، كالخراف والخنازير . انهم انتزعوا من هذه الحيوانات غددها النخامية ، ومن هذه الغدد استخلصوا الهرمونات المطلوبة وحقنوها فى النساء ، ولكن اجسامهن ابت ان تتقبل هرمونات تجيء من حيوانات .

استخلاص الهرمونات من آدميات

عندئذ خطر الخاطر لصاحبنا ، الدكتور جمتسل ، بأن يأتي بهذه الهرمونات من النساء . من آدميات بدلا من حيوانات . من نساء عقب موتهن مباشرة .

وفعل ، وجرب ، وحقن . وكانت هذه النتائج التي ذكرنا .

وهو بدأ بحوثه، مع فرقته السويدية، منذ عام ١٩٥٨ .

اسم العقار

واسم العقار الذى يحقنه

الدكتور جمتسل جنادو تروفين Gonadotrophine ، والمقطع الاول ، جونادو Gonado ، نسبة الى الفدد التناسلية ، والمقطع الثاني تروفين Trophine ، مقطع يضاف للعقاقير فيه معنى التنشيط .

واذن فمعنى اسم العقار المنشط التناسلي ، وهو اسم قمين بأهدافه . وهم اسم عام متداول بين الاطباء ليس فيه جديد .

فكرتان تؤرقان الطبيب الباحث

ومع هذا ظلت فكرتان تؤرقان الدكتور جمتسل ومن اتبع خطته فى علاج هذا النوع من العقم .

اول الفكرتين صعوبة الحصول على هذا العقار . انه من رؤوس نساء تموت . ونعم ، تأتيه اليوم من اقاصي الدنيا غدد نخامية كثيرة منزوعة من رؤوس نساء ماتت ، ولكن ، كم تحتاج الثلاث عشرة من الحقنات اللازمة للمراة لتحمل ، من هذه الفدد النخاميّة ؟

انها تحتاج الى مائة غدّة ! الى مائة امراة تموت .

اما الفكرة الثانية التى تؤرقه فهي انه انما اراد بهذا العقار ان تأتي المراة بطفل واحد ، لا ان تأتي بهن رباع وخماس .

ان الطفلة الانثى تولد وبمبيضها مئات الالوف من خلايا جنسية، يحتمل انضاج الواحدة منها بعد الواحدة ، لتخرج من المبيض بعد نضوج ، بيضة تامة النمو فتجرى فى قناة البيض وغايتها دخول الرحم . وهى فى هذه الاثناء تلتقى بالحيوان المنوى ، يأتي من الرجل ، فتتلقح . وبيضة واحدة هي التى تنضج فى الشهر الواحد . وقد تنضج اثنتان ، وهذا نادر . اما ان تأتى الام ، بعدة من توائم ، فاحتمال فى الاحصاء المعروف بعيد . انه واحد من عدة ملايين .

والعقار الجديد يجعل من هذا النادر شيئا سويا .



صورة الدكتور العالم السويدى جمتسل ، وهو فى مستشفاه بمدينة ابسالا . ان نساء كثيرات من شتى ارجاء العالم تقصده ، وبضيق وقته الا عن بعضهن . وهو لا يبدأ مع احداهن علاجا الا بعد اختبارات عديدة يكشف منها سر العقم ، فان كان سببه نقص فى الهرمونات ، بدأ العلاج وهو مطمئن الى النتيجة .



صورة الدكتور السويدى جمتسل ، وهو فى مصيفه بجزيرة قرب الساحل السويدى فى بحر البلطيق . ومعه زوجته ، بقيت عند الساحل تصيد السمك . انه وزوجته يطمئنان الى العزلة كثيرا . والدكتور فى سنته الخامسة والخمسين من عمره ، ومع هذا تراه خفيف الخطى .

ومَنْ مِنَ الناس يودُّ ان يكون له كل عام خمسة أو ستة من الاطفال ؟ انهم اذن ستون بعد عشرة اعوام او اثنى عشر عاما . فمن أين لهم الطعام ، ومن اين الكساء ، واين السقف ، واين البلد التى تحتمل كل هؤلاء ، والى اى درك من الفقر ينزلون .

ثم كم من أرحام النساء تحتمل حمل التوائم خمسة ، خمسة . ان أكثرها تموت اذ تولد .

والمراة السويدية التى ولدت توائم خمسة ، مات منهم أربعة ، وبقى واحد حاول الأطباء ابقاءه حيا .

على ان الطبيب العالم يأمل أن يجد لكل عقبة وثبة تتخطاها . والعقبة الاولى التى لا بد له ، ولامثاله ان يتخطوها ، انما هى تقدير الجرعة اللازمة لكل عقيم على حدة. فالظاهر ان الجرعة التى تزيد ولو قليلا تكون لها آثار بعيدة،توائم عدة.

والدكتور جمتسل ذو امل كبير . انه يأمل أن يجد علاجا لعقم الرجال كذلك ! انه يقول ان هذا النقص فى الهرمونات يسبب عقم الرجال ، وان ٥٠ فى المائة من عقم الاسر مردّه الى عقم الرجال لا النساء .

والدكتور الايطالي

ودكتور آخر سلك نفس السبيل ، ثم اختلف . انه الدكتور بيير دونينى Piero Donini انه مدير « مختبر بحوث سيرونا » بروما . فهو ايطالي .

وعقاره يسمى برجونال Pergonal وهو الآن فى الولايات المتحدة ، يختبره بحاثها .

والدكتور الايطالي بدأ بحوثه ايضا بأجسام الموتى ، يطلب غددها النخامية. ولكنه تحول . وصار يستخلص هذه الهرمونات من بول النساء اللاتي بلغن سِنّ اليأس .

وعقاره هذا هو الآن فى الولايات المتحدة ، يجربونه ويختبرونه . وهو يقول انه أيسر وآمن من عقار صاحبه .

وقد عالج الطبيب الايطالي ، بعقاره هذا ، نحو ألف من النساء ، اكثرهن فى روما . ■■

أحمد زكى



الاهتمام برسائل قاتل كندي

عن جريدة « المنار » الأردنيـة :

● فى هذا الاسبوع ، ستباع رسائل ــ اوزوالد الراحل فى مزاد علني كبير. ومن المنتظر كما تقول الوكالات ، ان يبلغ ثمن هذه الرسائل خمسة آلاف دولار ، على الاقل تقبضها ارملته الجميلة . ومما هو جدير بالذكر ان هذه الارملة اخذت تصعد سلم المجد سريعا بعد ان ترملت ، احتلت صورها الصفحات الاولى من الجرائد . وطلبت ودها شركات هوليود . وتنافس فى خطبتها الشاهر ، حتى ظفرت بزواج سعيد ، ولم يشوه سعادتـه ذلك الجنين المحظوظ الذى حملته فى بطنها الـى حفلة اكليلها ، بعد ان مضى على مصرع زوجها ــ اوزوالد ــ عامان فقط لا غير ..

اوزوالد ؟ من هو هذا الذى تباع رسائلـه ، وصوره ، وقصة حياته ، بهذه الاسعار الخيالية ؟

عملاق ؟ مصلح ؟ بطل ؟ شاعر . او ــ على الاقل ــ نجم كوميدى ..

لا . لا . لا . اوزوالد هو قاتل كندى . الذى وصفت جريمته بانها بشعة خسيسة وهذه هـي مكافاتـه ..

يروى ان قبيلة من قبائل العرب القدامى ، اسمها قبيلة حنيفة ، كانت عندما تجوع ، تأكل صنمها المصنوع من التمر ، فهل اكلت حنيفـة الجديدة ، ربما ، فهي تحتفـل وتنتشي علـى ذكـراه ؟؟

جوهـر

عن جريدة « الجمهورية » القاهرية :

● ان الكلمة هى جوهـر الانسان .. ولسان الانسان هو الذى يحول هذا الجوهر الى معدن صاف او الى سـم زعاف .. أما الذين حسنت السنتهم فهم الذين يستحقون أن نفتح لهم أبوابنا وقلوبنا جميعا ، واما الذين سـاءت السنتهم فحسبهم من الاحتقار انهم اخوان الثعابين .

ان أى مجتمع هو صورة من صور الحياة ، وكما أن الحياة لا يمكن أن تخلو من الحشرات ــ كذلك فان أى مجتمـع لا يمكن أن يخلو من الحشرات الآدمية أيضا ، وكمـا يطارد الناس الحشرات الحيوانية فى الأرض الطيبـة ــ كذلك ينبغى أن يطارد افاضل الناس تلك الحشرات الآدمية من المجتمع الجديد .. ذلك ان الانسان « الحشرى » الذى تسول له نفسه ايـذاء فرد أحسن اليه ،

أمريكا .. وسياسة القوة

عن جريدة « الصناعة » السورية :

● هـذا الاسبوع دشـن الرئيس جـونسون « سياسة القوة » التي اعلن عنها واعتمدها اسلوبا ونهجا وهـدفا .

وهو بخلاف الرئيس السابق كندى ، يحاول ان يسيطر على الطاقات البشرية الفاعلة فى العالم كله، سيطرة ملك قوى يضع قوته اساسا فى بناء المجتمع الانسانى العالمى الذى يأمل ان يحققه .

كان الرئيس كندى يعتمد القوة وسيلة لاغاية . ودون استعمال القـوة محاذير عديدة فى عالم مليء بالصواريخ والقنابل المدمرة . ولولا ان سلامة الولايات المتحدة كانت فى خطر ، لما سارع الى اعلان الحرب وتهديد كوبـا .

ومعنى هذا ان الرئيس الاميركي الراحل كـان يلجا الى القوة عندما تفشل الدبلوماسية . بينما يرى الرئيس جونسون ان القوة هي السلم الوحيد الذى يفضي الى عالم سعيد حر .

الادب المغربي الحديث

عن جريدة « العلم » المغربية :

● آن لنا ان ندافع عن انفسنا . ان الطاقات الجديدة الشابة بـدأت تحاول فرض وجـودها بالرغم من وجود كثير من العراقيل . ان « الكبار » الصامتين هنا ، اولئك الذين يبدون انهم اوصياء على الثقافة فى هذا البلد ، لا يكلفون انفسهم عناء قراءة بعض انتاج الجيل الجديد ، فهو فى نظرهم لا يصلح حتى للنظر ، هل تعرفون لماذا ! لانهم لا يفهمونه ! حتى اذا وكل اليهم الحديث عن الوضع الادبي بالمغرب ، بصفـة عامـة ، قالوا بصـريح العبارة : « ليس هناك ادب ... » وماذا يفعلون هم ؟ عندى ان الوجه الادبي الحاضر ، بالرغم من ضعفه نسبيا ، لا يمثله سوى الجيل الحديث ، فهو يكتب بمعاناة حقيقية ، وهو يتحسس مشاكل الاخرين المضطهدين ، كما انه ، تثبيتا لنضاليته ، يضع امام عينيه ما معنى ان يكتب المرء فى مجتمع متخلف مثل مجتمعنا .

نظام جديد للمطوفين فى بيت الله الحرام

عن جريدة « الندوة السعودية » :

● المرسوم الصادر بشأن طوائف المطوفين والأدلاء ، والزمازمة ، مرسوم عملي لمعالجة اضخم مشكلة محلية طالما كتب عنها الكتاب وفكر فيهـا المصلحون منذ عشرين عاما او اكثر ، ومع ذلك فان المرسوم قد راعى كل اطراف الموضوع من جوانبه المختلفة ، ولهذا فانه قد قوبل بالرضاء العام من المطوفين والادلاء والوكلاء . والمرسوم قد عالج مشكلة من اهل مشاكلنا الاقتصادية ، تلك التي تتعلقبحياة المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ، بل انه يعالج مشكلة اقتصادية تتعلق باقتصاديات هذه البلاد من اقصاها الى ادناها .. فقد كان من المعروف ان اكثر حاصلات الواردات من مصالح الحجاج وارباب الخـدمات تعـود مباشـرة ، وباسرع ما يمكن الـى من يسمونهم السماسرة او الوسطاء .. وبهذا المرسوم قضت الدولة على هذا ، وردت الأموال الضائعة الـى اصحابها .. الى مكانهـا الطبيعـي .. الـى السعوديين فقـط ! ...

الانســـان

كذلك قد تسول له نفسه ايذاء المجتمع الــذى يؤويه .. ومن هنا كان حتما على مجتمعنا الجديد ان يضع فى حسابه مقاومة الانسان الحشرى الذى يشوه جمال هذا المجتمع .

اننا ندعو الى اعلان الطوارىء ضد دودة الحقد والغيرة كما نعلن الطوارىء ضـــد دودة القطن ، فدودة القطن عدو للانتاج الزراعى ، ودودة الحقد عدو للانتاج الروحى .

والطريقة التى تستطيع ان تتعرف بها على هذه الديدان البشـرية ، لا ببسماتها ، بل بألسنتها ، فالديدان البشرية ناس لهم صور بعض الناس ، لكن الحقـــد والغيرة يحولان السنتهم الى ثرثرة دائمة ضد كل شيء ، وضد كل شخص له صـلة باى نجاح او فضيلة .

القصص العربي

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

■ خلال السنوات الاربع الماضية ظهرت فى شتى لغات اوروبا ترجمات لروايات عربية طويلة او لقصص قصيرة ، وظهرت كذلك دراسات كثيرة عن بعض ادبائنا المعاصرين آخرها ذلك الكتاب اللطيف الذى نشره الاستاذ مزيد بالانجليزية عن استاذنا احمد امين طيب الله ثراه : A. M. H. Mazyad, Ahmad Amin (Cairo 1886 - 1954)

Advocate of Social and Literary Reform in Egypt - Leiden, 1964.

ومن خلال مقدمات رواياتنا المترجمة ومقدمات ما ينشر من مجموعات القصص يتجلى لنا ان الغرب يكتشف رويدا رويدا عناصر الاصالة فى ادبنا المعاصر ، ويوسع له مكانه الحقيق به فى اسواق الادب فى الدنيا .

وانا اعنى فى هذا المقال ما يترجمه الاوروبيون من اعمال ادبائنا من تلقاء انفسهم اعجابا بها او تقديرا لما تقدمه للثروة الفكرية الفنية المعاصرة من زاد جديد ، ولا تدخل فى حسابي تلك الترجمات التى تقوم بها فى بلادنا وننشرها ـ توزيعا بالمجان فى الغالب ـ تعريفا بأدبنا او تقريبا له لمتناول الناس ، وهذا فى ذاته عمل مشكور وضرورى ، ولكنه يصور تقديرنا نحن لادبنا ولا يعطينا فكرة عن تقدير الناس اياه ، فنحن نترجم ونطبع ونهدى ، ولكننا لا نعرف ان كان الناس يقرأون هذا الذى يهدى اليهم ، ولا نعرف كذلك مدى تقديرهم اياه .

وتحت يدى وانا اكتب هذا المقال ثمانية مجلدات مما نشر فى اوروبا خلال العامين الاخيرين من ترجمات الروايات ومجموعات القصص والدراسات الخاصة بها ، وقد اكتفيت بها كنماذج لما نشر وينشر هناك من ترجمات اعمال ادبائنا ، ولا يتسع المجال للاحصاء الكامل لان قوائم الكتب تتوالى علينا كأنها صحف يومية ، وربما استطعنا القيام بذلك الاحصاء اذا فرغنا له حينا من الوقت ، خاصة ومعلوماتنا قليلة عما ينشر فى بلاد مثل روسيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وبولونيا والصين ، فليس لدينا ـ ولا لدى غيرنا ـ قوائم منتظمة دقيقة بما ينشر هناك .

من النماذج الدراسية الى الكتب الادبية العالمية

والحقيقة الرئيسية عما ينشر من ادبنا وعنه اليوم فى الغرب هى انه خطا خلال السنوات الاخيرة من دائرة النماذج الدراسية الى افق الكتب العامة التى تنشر ليقرأها كل الناس ، وانتقل من نطاق الطبعات التجريبية المحدودة الى مجال الطبعات



طه حسين

المعاصر

في مرآة الغرب

ادبنا عالمي بطبعه، لان لغته عالمية ..

في العصور الوسطى كان الأدب العربي هو الوحيد الجدير بوصف العالمية

خطوة خطوة يستعيد أدبنا عالميته الكاملة ..

تاريخ القصص العربي المعاصر قصير ولكنه حافل بالاعلام والاعمال

التجارية التى تنشر فى عشرات الالوف من النسخ وتطرحها دور النشر فى الاسواق واثقة من اقبال الناس عليها ، وذلك هو الذى عنيناه عندما قلنا ان ادبنا خطا خلال السنوات الاخيرة خطوات فسيحة نحو العالمية .

اما عن النماذج الدراسية فقد كان المستشرقون ـ ولا يزالون ـ ينشرون نماذج مختارة من الادب العربى القديم والمعاصر لينتفع بها طلابهم فى الفصول ، ولدينا من هذه الكتب نماذج كثيرة ، ولكنها لا تصور ادبنا تصويرا صادقا ، لان الذين يقومون بتصنيفها لا ينظرون الى الناحية الفنية بل الى الناحية اللغوية ، فكلما كان النص ابسط صياغة واسهل قراءة واقل مفردات كان افضل ، ولا يتصور القارىء ان هذه الكتب قليلة الرواج ، اذ ان الحقيقة انها تبيع مع الزمن اضعاف ما يبيعه غيرها ومن هنا فهى ـ رغم طابعها الدراسى ـ من اكبر وسائل التعريف بادبنا وادبائنا رغم ما قلناه عنها .



محمد حسين هيكل



ميخائيل نعيمة

واحدث نموذج وصلنا من هذا الطراز هو كتاب «مختارات للمطالعة» فى العربية الحديثة الفصحى : A Reader in Modern Literary Arabic ومؤلف هذا الكتاب ليس مستشرقا وانما هو اخ لبناني يشغل احد كراسى الدراسات العربية فى جامعة برينستون الامريكية ، وهو الدكتور فرحات زيادة، وقد نشر الكتاب فى الولايات المتحدة هذا العام وان كان طبعه قد تم فى مطبعة جامعة اوكسفورد .

الكتاب لا يقتصر على القصص ، بل يتناول مقالات وفصولا او صفحات مختارة من كتب ، وهو لا يرتب مختاراته بحسب الفن الادبى او بحسب عصور المؤلفين ، لان غرضه تعليمى صرف ، فهو يبدأ بفصل من هذه الفصول القصصية التى اولع بها ابراهيم عبد القادر المازني طول حياته ، ثم يثني بصفحتين من كتاب « الادب والشعب » لسلامة موسى ، وتلى ذلك صفحات من « مذكرات » خليل تقى الدين التى كان ينشرها فى مجلة العصبة وصفحات اخرى من « مذكرات محام مصرى » لمحمود كامل وصفحتان من « تحرير المرأة » لقاسم امين ، وهكذا حتى نصل الى آخر نماذج الكتاب ، وهى قصة « نجية بنت الفقي » لمحمود تيمور .

وجدير بالملاحظة انالطابع الغالب على مختارات الكتاب هو القصص ، فالغالبية العظمى من المختارات قصص او صور قصصية ، فقد اختار فرحات زيادة من كتابات النقاد فصلا من كتاب « سعد زغلول ، سيرة وتحية » ، وهو الفصل الذى يدور على نفى سعد وزملائه الى مالطة ، واختار لاحمد امين فصلا عنوانه « حارتي » من مذكراته التى سماها « حياتي » . واختار لزكي مبارك قطعة من كتابه المسمى « البدائع » عنوانها « العيد فى سنتريس » ، وهكذا ، ومعنى هذا ان مصنف الكتاب قدر ان المختارات القصصية اقرب الى نفوس الناس من المقالات او الدراسات ، وانه ايسر على القارىء غير العربي أن يتتبع تطورا قصصيا من ان يلاحق التسلسل المنطقى فى مقال او بحث .

والظاهرة الكبرى فى هذا الكتاب هي أن من يقرأ مختاراته كلها يخرج بصورة صحيحة للفكر العربى الحديث وميادين اهتمامه ونزعاته العاطفية ومستوياته الفنية والذوقية وطاقاته الذهنية ، ولا شك ان الدكتور فرحات زيادة بذل جهدا كبيرا فى القراءة والاختيار ، ولا شك ايضا فى ان اى قارىء يطالع هذا الكتاب يحس انه يقرأ صفحات من ادب حي متطور قوى .

وقد نشر هذا الكتاب فى عام ١٩٦٤ ولكنك لا تجد فيه اى اشارة الى واحد من الكتاب الذين طار صوتهم بعد الحرب العالمية الثانية ، فليس فيه ذكر لنجيب محفوظ او عبد الحليم عبد الله او يوسف ادريس او يوسف السباعي او احسان عبد القدوس . وفاته كذلك ان يورد مختارات لنفر ممن نعتقد انهم بناة الادب العربي الحديث من امثال محمد التابعي وفكرى اباظة والدكتور احمد زكي وحسين فوزى ويحيى حقي .

كتاب نصوص ،
ولكنه عظيم الدلالة

ويختلف عن هذا الكتاب اختلافا بينا كتاب آخر دراسى الطابع فى الظاهر ولكنه ينطوى فى الحقيقة على دراسة ممتعة للقصص العربى المعاصر وتصوير بارع لجوانب شتى من ذلك القصص . عنوان هذا الكتاب : Anthologie Bilingue de la Litterature Arabe Contemporaire (مختارات ثقافية اللغة من الادب العربى المعاصر) ومؤلفه هو المستشرق الفرنسى المعروف فنسان مونتي Vincent Monteil ، وقد طبع الكتاب ونشر فى بيروت من سنتين .

والكتاب كما يفهم من عنوانه ينشر المختارات فى لغتها العربية مع ترجمتها الىالفرنسية ، فجهد المؤلف فيه جهد اختيار وترجمة ، حتى المقدمة وعنوانها « اهم التيارات فىالادب العربى المعاصر » عبارة عن محاضرة القاها (فى بيروت سنة ١٩٥٩) السيد ميشيل أسمر بالفرنسية فى الاصل ، ثم ترجمت الى العربية لتنشر فى هذا الكتاب ، والطريف ان نصها الفرنسى اوضح بكثير من نصها العربى حتى بالنسبة لنا نحن العرب .

ولا شك ان هذه المقدمة تعتبر من طلائع الدراسات الجامعة عن ادبنا العربي المعاصر ، لان لدينا ابحاثا مفردة لهذا الاديب او ذلك الشاعر ، ولدينا كذلك دراسات قيمة عن هذه الناحية او تلك من نواحي ذلك الادب ، ولكننا لا نملك اى

دراسة موضوعية شاملة له او للاتجاهات والتيارات الفكرية التى تسود الانتاج العربى الفكرى المعاصر ، ومما يؤسف له ان صاحب هذه المقدمة لم يدرس الادب العربي المعاصر على انه ادب اصيل او استمرار لتقليدنا الادبي القديم ، بل على انه اصداء للادب الاوروبي فهذا الاديب العربي يسير فى اعقاب ذاك الاديب الغربي ، وهذه الفكرة التى فى كتاب « فلان » اصلها فى كتاب كذا للمؤلف العربي « فلان » ، وعندما يريد ان يستثنى من ذلك يقول : « اليس ثمة غير اشخاص من اوروبا يتسترون باللباس الشرقى ؟ اكيد لا . فالانسان هو ذاته دواما ، الا ان المأساة العالمية ، هنا تدور فى مناخ خاص ، مناخ العالم العربى فى طور المخاض ... » ثم يقول بعد ذلك : « ولا بد لنا ها هنا من ان نحيي الاسماء الكثيرة فى الآداب العربية من جبران الى الريحاني ، الى ابي ماضي الى امين نخلة ، الى ميخائيل نعيمة وطه حسين » .... والرأى هنا كما هو واضح شخصى صرف محلى خالص .

والمختارات بعد ذلك كلها قصصية (عدا قطعة شعرية واحدة) . وقد قسمها المصنف حسب البلاد بادئا بلبنان وخاتما بالمملكة المغربية ، وهذا بيان بما اختار لكل منهم :

لبنان : جميل جبر ، قطعة من رواية « بعد العاصفة » ــ انيس فريحة ، قطعة من كتاب « اسمع يا رضا » ــ سهيل ادريس ، قصة قصيرة عنوانها « قلق » ــ خليل سركيس ، محاورة عنوانها « مثال » ــ ليلى بعلبكي ، صفحات من « انا احيا » .

العراق : عبد الملك نورى ، صفحات من « نشيد الارض » ــ ذو النون ايوب ، قصة « اللاجىء اللاجىء » ــ نازك الملائكة ، خمس قطع شعرية : « خمس اغان للالم » .

مصر : توفيق الحكيم ، صفحات من « اهل الكهف » ــ طه حسين ، قطعة من « الايام » يحيى حقى ، صفحات من « قنديل ام هاشم » ــ عبد الرحمن الشرقاوى ، قطعة من رواية « الارض » ــ يوسف ادريس ، قصة « ارخص ليالي » ــ محمد حسين هيكل ، قطعة من « هكذا خلقت » ــ محمد صدقى ، قصة « فى الاوتوبيس » ــ نجيب محفوظ ، صفحات من رواية « السكرية » .



توفيق الحكيم



مارون عبود

سوريا : فؤاد الشايب ، قصة « جنازة الاله »

تونس : محمود المسعدى ، حوار من مسرحية « السد » .

المملكة المغربية : عبد المجيد بن جلان : « صائد الاسماك » .

وقد أتبعت بهذا البيان لاعطى القارىء فكرة عن اتجاه الذوق الغربى فى الاختيار من ادبنا ، لان هذا الذوق يختلف عن ذوقنا فى كثير ، فقد نقرأ قصة لاديب من ادبائنا فلا يستوقفنا فيها شىء كثير ، ولكنها عند الغربي ذات قدر كبير ، ولها فى حسابه دلالة ومعنى يحسهما بذوقه الخاص . ومثال قصة محمد صدقي المسماة « فى الاوتوبيس » ، هى فى ظاهرها قصة غاية فى البساطة ولكنها تنطوى على حساسية فنية مرهفة، فهى لمحة من حياة موظف مصرى صغير تسلم راتبه اول الشهر ، وقدره ثمانية جنيهات . ثم مضى يحسب وهو جالس الى مكتبه ــ كما يفعل امثاله جميعا ــ المطلوب منه فى ذلك اليوم ، فوجد انه عشرة جنيهات ونصف . ولم يدر كيف يدبّر امره، وغاص فى ذلك التفكير المضنى الذى يغوص فيه اول كل شهر دون نتيجة ، ثم بارح مكتبه الى الطريق، وركب « الاوتوبيس رقم ١٣ » عائدا الى بيته ، واخرج ورقة ذات خمسة قروش ، وظل ينتظر مجيء الكومسارى ولكنه لم يأت . وعندما اقتربت الحافلة من المحطة التى لا بد ان ينزل فيها نادى « الكومسارى » واصر على ان يدفع أجر ركوبه ، ودفعه ، وهبط الى الارض وسار الى بيته وهو يشعر انه انسان محترم تربطه بالانسانية كلها

رابطة حب شامل « لانه دفع ثمن التذكرة .... دونان يتهرب من الكومسارى لانه مارس الاحساس بالشرف » .

هذه اللمحة الانسانية الدقيقة استلفتت اهتمام قارىء غربي ذواقة هو المستشرق الفرنسى فنسان مونتى فحرص على ان يضمنها كتابه الذى نحن بصدده على صغره ، ولم يذكر فى نفس الوقت بعض اعلام القصة عندنا ممن يجرى اسمهم على كل لسان كان شيئا من قصصهم الكثير لم يعجبه .

جاك بيرك ، والفكر العربى المعاصر

ومن خير ما يعرفنا بما يعجب الذوق الغربي ولا يعجبه هى هـذه المقدمة الطريفة التى ساقها جاك بيرك Jacque Berque بين يدى أضخم عمل من أعمال الترجمة من أدبنا المعاصر الى لغة اوروبية تولته دار نشر أوروبية ، وهو كتاب « مختارات من الادب العربى المعاصر » المجلد الاول : الرواية والقصة (١) .

وجاك بيرك من اولئك الاوروبيين القلائل الذين اجتهدوا فى فهمنا ودراسة حضارتنا فى صدق واخلاص . وهو مستشرق مجود للغة العربية يقرؤها ويكتبها كاحسن ما يقرؤها ويكتبها ابناؤها ، ويمتاز الى جانب ذلك بذوق فنى مرهف واحساس انسانى اصيل يشوقانك الى قراءة ما يكتب رغم صعوبة ادراك معانيه ومراجعه .

هذه المقدمة ليست عن الادب العربي المعاصر فحسب، انها تاملات وخطرات نفس عن الفكر العربى والنفس العربية وموقفنا تجاه مشكلات العصر . انها تحليل ودراسة تتفق معه فى بعض نتائجها وتختلف معه فى البعض الآخر ، ولكن اسلوبه لا يفقد طلاوته واعجابك به ابدا ، وهذه سمة الكلام الجدير بأن يقرأ ويوضع موضع البحث والتفكير .

والمقدمة كلها فى حاجة الى ترجمة ، ولولا ضيق المجال لقمنا بذلك هنا ، ولهذا فسنجتزىء منها بما يمس الموضوع الذى نتولاه .

ثقافتنا كانت عالمية .. وهى اليوم تستعيد عالميتها

فى فقـرة عنوانها « الادب الاجتماعي والادب الخالص » يتحدث جاك بيرك عن الفنون التقليدية للادب العربى وما اصابها من تقدم او خمول فى العصر الحاضر وما ينتظر لها من تطور فى المستقبل، ثم يقول : « اما فى الرواية فالاجنبى يشعر وكانه فى بيته ، فان هـذا الفن الادبى منقول عنـه ، والنماذج المحتذاة أصلها عنه ، وكذلك الحال بالنسبة للاهداف التى يرمي اليهـا التحليل النفسى ووصف البيئات والمستوى الاجتماعى ، ومع ذلك فمن الافضل هنـا الاعتماد على مقاييس ادبية محلية (يريد عربية) ، وهذه المقاييس ـ رغم محليتها ـ لا تقوم ـ حتى فيما يتصل بالقصص ـ على عنصر اللغة كما هو الحال مع فنون الادب العربى الاخرى ، ولهذا فسيكون عمادنا فى هذا الباب على المقاييس الاجتماعية . ان اكبر عمل روائي واقربه الى الكمال ظهر فى الادب العربى الى الآن هى روايات نجيب محفوظ ، والقول بانه بول بورجيه قاهرى ـ وقد قلت انا ذلك مرة فيما مضى ـ فيه غبن له ، لاننا فى هذه الحالة نقيسه بالنسبة لآداب اكثر نضجا فى هذا الميدان ، ومن ثم فلا بد من قياسه بالنسبة لقومه لا بالنسبة الى تولستوى او بلـزاك . على هـذا الاسـاس نستطيع ان نقول ان نجيب محفوظ ـ لطول نفسه وضبط عاطفته واخلاصه وضخامة القضايا التى يعالجها ودقته التاريخية ـ يعيّن بسلسلة رواياته عن احياء القاهرة القديمة تقدما محسوسا بالنسبة لسابقيه وشيئا مـن الشفوف على معاصريه . وروايتاه الاخيرتان تنبئان عن تحليقه الى آفـاق جديدة ... »

وهذا الكلام فيه تحفظ شديد ، وفيه شىء من الحيف فى النظرة العامة الى الادب العربى وفى الحكم على نجيب محفوظ ، ولكنه كلام رجل قرأ نجيب محفوظ وغير نجيب محفوظ من ادبائنـا السابقين والمعاصرين . انه كلام رجل قرأ فى اتساع وعمق ، وقرأ فى هدوء وروية وفهم كل ما يمكن فهمه . قد تختلف معه فى كثير ولكنك تفيد منه على

(1) Anthologie de la Litterature arabe Contemporaine, Vol 1, Le Roman et la Nouvelle par Raoul et Laura Makarius. Editions du Scuil, Paris 1964

الاختلاف اضعاف ما تفيد ممن يسبقك الى رضاك. هـذا الرجل المتحفظ فى كلامـه ، البخيل بعض الشيء فى احكامه يقول فى موضع آخر من هذه المقدمة الطريفة ان كل ثقافة عظيمة لا بد ان تكون عالمية ، وان الثقافة العربية كانت عالمية فى عصرها الزاهر الماضى ، وانها تنبىء بالعودة الى العالمية مرة اخرى .

محاولة طيبة للتأريخ للقصة العربية المعاصرة

بعد مقدمة جاك بيرك هذه نجد دراسة تحليلية موجزة لتطور القصةالعربية المعاصرة منذ البدايات البعيدة نوعا ما ــ اوائل هذا القرن ــ الى اليوم .

كتب هذه الدراسة اثنان منالباحثين الفرنسيين هما راءود ولورا مكاريوس ، واجتهدا فى ان يجملا فى صفحات قليلة تاريخا طويلا حافلا بالاسماء والاعمال . والحق ان الانسان ليدهش ــ وهـو يتأمل ثروتنا القصصية المعاصرة ــ من ان هذا الفن قد وصل بالفعل الى مستوى من الجودة يثير العجب . فان محاولاتنا القصصية الاولى بدأت بالامس فقط ، ايام محمد المويلحى وابراهيم جلال ومعاصريهما ، وخلال هذه الفترة القصيرة ــ حوالي نصف قرن ــ وصـــلنا الى مستويات توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف ادريس ، وهى مستويات رفيعة حقا فى التاليف المسرحى والرواية الطويلة والقصة القصيرة .

لا يتسع المجال لعرض هذه المقدمة ونقدها ، فهى تاريخ للقصة العـربية حسب المنهج الـذى اختاره المصنفان ، وهذا التاريخ فى ذاته فى غاية الايجاز ، ومن ثم فلا يمكن ايجازه ، ولكنه يضم ملاحظات غاية فى الطرافة والبراعة ، وهى لهذا جديرة بالذكر . مثال ذلك قولهما ان الانسـان يدهش للتفاوت فى القيمـة بـين اعمال الكاتب الواحد ، فان القصصى منهم يكتب مرة شيئا يرتفع به الى اعلى المستويات ، ثم يهبط فى شيء ثان الى العادية ، وربما الى الركاكة ، هـذا شيء صحيح الى حد كبير بالنسبة الى كثير من الكتاب الجدد ، وسببه انهم ينشرون كل ما يكتبون ، وينشرونه كما يخرج من ايديهم دون مراجعة ، دون قراءة ثانية ، من المسودة الى القارىء كما يقولـون ، وسببه كذلك ضـعف النقـد الادبى



ليلى بعلبكي



يوسف السباعي

الصحيح ، فان النقاد يبنون نقدهم على الصداقات والعداوات ، فكل ما كتب الصديق جيد ، وكل ما كتب العدو سيىء ، اما الذين لا تربطهم بهـم عداوة او صداقة فهؤلاء لا يشـــار الى انتاجهم بكلمة ، بل لا يقرأ اصلا .

والشيء الذى يستوقف النظر فى هذه المقدمة، ان الصـــورة العامـة للادب العربى المعاصر ــ فى القصـــة وغيرهـــا ــ غير واضحة فى نظـــر النقاد الغربيين . اسماء الكتاب المختارين يختلفون من كتاب لكتاب ، والنماذج المختارة تختلف فى المستوى اختلافا شديدا : الى جانب شيء ممتاز لهـذا الكاتب او ذاك تجد شيئا ضعيفا لكاتب آخر ، وقد يكون لهذا الكاتب الثاني انتاج احسن وارفع مما اختاروه له ، ولكـن الناقد الاوروبي يحكـم بحسب ما يصل اليه ، وليست هناك مجموعات كاملة لاعمال كل اديب ، والكثير مـــن القصص الجيدة لا تزال فى صفحات الجرائد لم تجمع بعد فى كتب . وحتى لو جمعت تجد الاديب لا يتخير من انتاجه فينشر الجيد ، ولكنه ينشر كل شيء دون غربلة او مراجعة ، وفى احيان كثيرة نلاحظ الغلطة المطبعيـة فى الجـريدة تظهر بنفسهـا فى الكتـــاب .

هذه الدراسة وامثالها ينبغى ان تؤخذ على انها محاولة من محاولات كثيرة للتأريخ لادبنا المعاصر وتقييمه ، وهى ــ على هذا الاعتبار ــ جديرة جدا بالاعتبار والتقدير ، خاصة اذا ذكرنا اننا نحن لم نقم بمثل هذه المحاولة ، اى ان احدا منا لم يتصد لجمع اعمال ادبائنا المعاصرين من الخليج

الى المحيط وفى المهاجر ودراستها وتبويبهـا ، ومحاولة وضع دراسة عنها او على الاقل عمل ببليوغرافية مفصلة .

فاذا كانت دار نشر فرنسية قد فكرت فى ذلك العمل ، وعمدت الى نفر من المستشرقين فى القيام به ، فذلك جدير بان يلفت انظارنا الى واجبنا نحو ادبنا فى دور التطور الحاسم الذى يجتازه .

قصاصون كثيرون .. وقصص وافر

مختارات هذا الكتاب فى ذاتها دراسـة ، لان المصنفين قدما للمختار من عمل كل اديب بدراسة قصيرة عنه ، بالاضافة الى المقدمة العامة التى اشرنا اليها وتقديم جاك بيرك ، وهذه المقدمات القصيرة عظيمة القيمة لانها موضوعية صرفـة . سطور قليلة عن كل قصاص ترسم هيكل حياتـه وتثبت اهم اعمالـه .

وهذه المختارات القصصية مقسمة الى ثلاث مجموعات ، وتحت كل مجموعة يورد المؤلفـان اسماء عدد من القصصيين من كل بلد عربي مع نماذج من كتابتهم ، ولسنا نتعرض هنا لمناقشة هذا التقسيم او نقده ، لان المجال هنا لا يسمح باكثر من التعريف .

المجموعة الاولى يسميانها مجموعة المؤسسين ، أى مؤسسى فن القصة الحديثة فى الادب العربي، وهؤلاء هم وما اختار المصنفان لكل منهم :

لبنان : يعقوب مروض : قطعة من رواية « فتاة مصر » عنوانها « باللو الخديوى » .

امين الريحاني : قطعة من رواية « زنبقـة الغور » عنوانها « الفجر فى الناصرة » .

ميخائيل نعيمة : قطعة من رواية « كان ما كان » عنوانها « سعادة البك » .

فؤاد افرام البستاني : صفحات من روايـة « على عهد الامير » بعنوان « ليلة فى الوادى » .

خليل تقي الدين : قصة عنوانها « الجاوتشو » من مجموعة قصصه المسماة « الاعدام » .

توفيـق يوسف عـواد : قطـع مـن روايـة « الرغيف » .

مارون عبود : قصة عنوانها « الشرق » مـن مجموعة قصصه « احاديث القرية » .

مصر : اختار المصنفان نماذج لتسـعة مـن القصاصين ، هم :

محمد حسين هيكـل : صفحـات من روايـة « زينب »

شحاته عبيد : قطعة من رواية « درس مؤلم »

محمود طاهر لاشين : قصة من مجموعة « حواء بلا آدم »

ابراهيم المصرى : صفحات من رواية « الانثى الخالـدة »

محمود تيمور : قصة « الاوسطى شحاته » من مجموعة « الشيخ جمعه وقصص اخرى »

ابراهيم عبد القادر المازنى : صفحات مـن رواية « ابراهيم الكاتب »

صلاح ذهنى : صفحات من رواية « رئيـس التحرير وقصص اخرى »

طـه حسين : صفحات من رواية « المعذبون فى الارض » .

توفيق الحكيم : صفحات من « يوميات نائب فى الارياف »

والمجموعة الثانية يضعها المصنفان تحت عنوان « نهضة جديدة » يتحدثان فيها عن ٢٧ قصاصا ويوردان نماذج من اعمالهم . هنا سنكتفي بايراد اسماء المختارين من قصاصى كل بلد عربي دون ذكر ما اختير لهم ، لان القائمة طويلة ، والمجال ضيـق :

من مصر : يحيى حقي ، نجيب محفوظ ، يوسف السباعى ، احسان عبد القدوس ، عبد الرحمن الخميسى ، عبد الرحمن الشرقاوى ، يوسـف ادريس ، مختار العطار ، امين يوسف غـراب ، محمود البدوى ، يوسف الشاروني،محمد صدقي .

من العراق : يعقوب بلبول ، ذو النون ايوب ، عبد الله نيازى ، شاكر خزبك ، عبد الملك نورى ، ادمون صبرى ، سفيرة جميل حافـظ ، جبـرة ابراهيم جبرة ، مهدى عيسى الصقـر .

من سوريا : عبد السلام العجيلى ، فارس زرزور .

من فلسطين : سميرة عزام .

من لبنان : رشاد درغوث ، احمد سويد ، سهيل ادريس ، ليلى بعلبكى ، جميل جبر .

من السودان : خوجلى شكر الله .

من تونس : على الدعاجى ، محمد رشاد حمزاوى ، بشير خرايف ، حسن نصر ، محمد فرج الشاذلي .

من الجزائر : عبد الحميد بن حدوقة .

من المغرب : عبد الجبار السميحى .

وقد نص المصنفان فى المقدمة على ان اختيار هؤلاء ليس معناه انهم هم وحدهم القصاصون ولا قصاصون سواهم ، انما هم نماذج للاتجاهات القصصية ، وعلى هذا الاعتبار قد يغنى واحد عن واحد دون ان يكون احدهما افضل من الآخر ، لان المجال ضيق والاحصاء الكامل عسير ، وقد اعتذرا عن عدم امكانهما ايراد مختارات لمؤلفين ممتازين مثل محمد عبد الحليم عبد الله وسعد مكاوى وعبد الحميد جودة السحار ومحمود كامل (من ج.ع.م.) وكرم ملحم كرم وسعيد تقي الدين (من لبنان) وعبد المجيد لطفي وغايب طعمه خرمان (من العراق) .

والمجموعة الاخرة فى هذا الكتاب هى مجموعة اصحاب المحاولات الجديدة ، اى الذين يفتحون للقصة العربية ابوابا جديدة او يدخلون ببعض اعمالهم فى دور جديد من ادوار تطورهم الفنى . من الطراز الاول بشر فارس فى قصة (الخريف فى باريس » (من مجموعة قصص « سوء تفاهم ») وفتحي غانم فى قصة « غروب الشمس » (نشرت فى مجلة الاديب فى بيروت) وفؤاد فكرلى فى قصة « القنديل المنطفىء » وزكريا تامر فى قصة « قرنفلة الاسفلت » والطيب صالح فى قصة « هكذا ياسادة » فى قصة « الى رجال القرن العشرين » .

ومن الطراز الثاني نجيب محفوظ فى رواية « اللص والكلاب » وعبد الملك نورى فى قصة « الصديقان » .


محمود تيمور


جبران خليل جبران

وكتب اخرى كثيرة

ولم اذكر الى الآن الترجمات الكاملة لاعمال نفر من قصصيينا الى لغات اوروبية لان هذا امر معروف ، ونجاح هذه الترجمات فى اوروبا حقيقة يعرفها كل المتتبعين لحركة انتقال آدابنا الى الغرب .

فمعظم مؤلفات توفيق الحكيم تقرأ الآن فى اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الحية ، « والايام » لطه حسين اصبحت من سنوات جزءا من الثروة الادبية العالمية ، والكثير جدا من قصص محمود تيمور تقرأ فى لغات الغرب كما تقرأ فى اللغة العربية ، ورواية « قرية ظالمة » لمحمد كامل حسين تقرأ الآن فى الانجليزية والاسبانية والفرنسية ، وتعتبر من الاعمال الفريدة فى بابها فى الادب العالمى .

ولسنا فى حاجة الى ان نذكر ان قصص جبران خليل جبران قرئت وراجت فى لغات الغرب قبل ان تقرأ فى اللغة العربية .

وثلاثية نجيب محفوظ معدودة فى الاعمال الفنية العالمية الكبرى وخاصة بعد ان نشر الاب جوميه دراسته المشهورة عنها باللغة الفرنسية .

والى جانب الدراسة التي ذكرناها فى اول هذا المقال عن احمد امين يؤلفون اليوم فى نابلى كتابا جامعا عن طه حسين . سيكتب كل عضو من اعضاء

معهد الدراسات الشرقية في جامعة ذلك البلد فصلا عن ناحية من نواحي عبقرية الاديب والمفكر العربي الكبير .

وتصلنا انباء كثيرة عن دراسات تعد عن القصة العربية المعاصرة او ترجمات اوروبية لاعمال قصاصينا ، والى ان تظهر هذه الاعمال نشير هنا الى كتابين اطلعنا عليهما هذا العام .

الاول باللغة الالمانية الفه هيرمان زيوك وعنوانه :
Herman Ziock; Aegeypten in Erzaelungen Seiner besten Zeitgenossischen Autoren (Horst Erdmann Verlag, Stuttgart 1963)

(مصر كما تصورها قصص احسن قصاصيها المعاصرين ، تاليف هيرمان زيوك ، دار هورست ايردمان للنشر ، شتوتجارت ١٩٦٣) .

هذا الكتاب ــ كما هو واضح من عنوانه ــ خاص بالقصاصين المصريين ، وهو يقع في ٢٦٥ صفحة ويضم تراجم لست وثلاثين قصة لنفر من القاهرين من كتابنا ، ورد ذكر معظمهم في الكتب التي عرضنا لها . الاسماء الجديدة التي عبرت الى اللغة الالمانية في هذا الكتاب هي : عبد العزيز البشرى واحمد راسم وسعيد عبده ومحمود كامل وجاذبية صدقي ورشاد رشدي ومحمود البدوى ومحمد عفيفي ومرسى سعد الدين وادوار خراط ولهذا الكتاب مقدمة لا بأس بها وان لم تصل في مستواها واصالتها الى جودة مقدمات فنسان مونتي وجاك بيرك ، ولكنها لا تخلو من لمحات ذات عمق وصدق .

والكتاب الثاني ظهر في اللغة الاسبانية ، الفه بدرو مونتايث بعنوان « سبعة قصاصين مصريين معاصرين » .

Pedro Martinez Montavez Siete Cuentistas Egipcios Contemporanevs (Madrid, 1964) .

ومؤلف هذا الكتاب شاب من علماء الاسبان اقام في القاهرة ودرس فيها سنوات ، وهو يتذوق الادب العربي كاحسن ما يتذوقه اهله ، ويكاد يعرف كل ادباء مصر المعاصرين ، ولهذا فمقدمة كتابه ــ رغم صغرها ــ تعتبر من امتع ما قرأت عن ادبنا في اى لغة اوروبية ، والاسماء الجديدة التي انتقلت الى الادب الاوروبي عن طريق هذا الكتاب هي : محمد عبد الحليم عبد الله وحسين مؤنس .

ادبنا عالمي بطبعه ، وهو في الطريق لاستعادة مكانه

بنظرة عابرة على اسماء قصاصينا الذين ترجمت اعمالهم او شيء منها الى هذه اللغة الاوروبية او تلك تستطيع ان تقول ان كل ادبائنا المعروفين عندنا معروفون خارج حدودنا ايضا . في موسكو وبرلين وباريس وروما ولندن ونيويورك تستطيع ان تحصل على ترجمات جيدة لمن تحب من كتاب لغتك العربية ، نعم ان واحدا من كتبنا لم يصل بعد الى ان يكون كتابا طائرا (جست ـ سيلر) في اسواق الادب العالمية كما هو الحال مع قصة « رحيق في غربال » للقصصية الهندية كمالا ماركاندايا او قصة « قنطرة على نهر الدرنيا » للكاتب اليوغوسلافي ايفواندريك ، ولكن هذا آت ولا ريب في يوم قريب .

المهم لدينا هنا ان قصصنا العربي وجد طريقه مرة اخرى الى نهر الادب العالمي ، والادب العالمي سوق لا ينفق فيها غير الجيد والصالح والقادر على المنافسة في النطاق الواسع ، والرواج فيه يمكن ان يتخذ اساسا لتقدير القيمة الحقيقية لهذا الكتاب او ذاك ، لاننا قد نقدر كتابا لقيمته العاطفية ، اى انه يحرك عواطفنا كعرب دون ان تكون له قيمة فنية حقيقية . وكما قال جاك بيرك ان كل ثقافة كبرى ينبغي ان تكون عالمية ، نقول نحن ان كل اديب اصيل ينبغي ان تروج مؤلفاته على الصعيد العالمي ، ينبغي ان يتخطى حدود بلده وياخذ مكانه بين ما يقرأ الناس في كل ركن من اركان هذا الكوكب .

قلنا ان ادبنا وجد طريقه مرة اخرى الى نهر الادب العالمي ، لان ادبنا بطبيعته عالمي لان لغته عالمية . في العصور الوسطى كان ادبنا هو الوحيد الجدير بوصف العالمية كان يقرأ في اقطار الارض جميعا ويترجم الى اللاتينية واليونانية والعبرية ... ومن واجبنا اليوم ان نستعيد له مكانته كاملة ، فان الفخر بالماضي جميل ، ولكن الفخر بالحاضر والمستقبل اجمل بكثير .... ■■

حسين مؤنس

أبعاد الشخصيّة الانسانية

السلوك مجموعة
من مظاهر النشاط
المختلفة، الكل منها وحدة ونشاط

والشخصية هي النظام الذي
يؤلف بين هذه الوظائف ويجعلها
تعمل معًا

بقلم : الدكتور مصطفى سويف

استاذ مساعد علم النفس بجامعة القاهرة

■ يعتبر موضوع الشخصية الانسانية من أهم الموضوعات التي تستأثر بقدر كبير من جهود علماء النفس المحدثين . ولعلنا لا نجانب الصواب كثيرا اذا قلنا ان هذا الموضوع لا يكاد يختلف عن سائر موضوعات علم النفس الحديث فى انها جميعا تقوم على ماض طويل من التفكير النظرى او التاملى ، لكن تاريخها فى التفكير العلمى التجريبي قصير جدا .

ذلك ان معظم الموضوعات شغلت اذهان كثير من المفكرين منذ مئات السنين ، واستثارت لديهم محاولات للفهم والتفسير تفاوتت اوزان قيمتها النظرية والعلمية ، الا ان تاريخ معالجتها باسلوب البحث العلمى لم يبدأ الا مع بداية القرن العشرين . وحتى هذه البداية ظلت فى كثير من الموضوعات تنمو كانما على استيحاء ، بطيئة متعثرة غير مستقرة على اساليب محددة المعالم ، ظلت على هذه الحال اكثر من ربع قرن ، ولم تبدأ ما يشبه الازدهار الا فى اواخر العشرينات واوائل الثلاثينات . هذا صحيح بالنسبة للكثرة الغالبة من موضوعات علم النفس الحديث ، وبالنسبة لموضوع الشخصية بوجه خاص . وعلى ذلك فالانصاف يقتضينا ان نشهد بان العمر العلمى لهذا الموضوع والموضوعات المماثلة له لا يزيد على ثلاثين او اربعين سنة ، او على اقصى تقدير فانه

يبدأ مع بداية هذا القرن . وهي شهادة أقل ما يقال فيها انها تمدنا بالاطار الذهني الذي يسمح لنا بان نحسن تقدير ما أنجزته الدراسات النفسية حتى الان .

واجهات متعددة للموضوع

ومع ذلك فالموضوع كما نعرفه في دراستنا المعاصرة موضوع متشعب أو متعدد الواجهات ، ولا يمكن الوفاء بحقه في حديث واحد اذا اردنا لهذا الحديث أن يظل ذا حجم معقول وفائدة ميسرة . ورحم الله ابن خلدون اذ كان يقول : « ذهب كثير من المتاخرين الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا من كل علم يشتمل على حصر مسائله وادلتها باختصار في الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ، وصار ذلك مخلا بالبدعة وعسرا على الفهم .. »

لذلك ، وعملا بهذه النصيحة التي تنطوي على بصيرة نافذة ، فسوف نقتصر في السطور القليلة القادمة على الاشارة الى الواجهات الرئيسية لموضوعنا ، مجرد اشارة موجزة تقوم امام القارىء بمثابة خريطة فكرية مبسطة تعينه على حسن الاتجاه في مجال الدراسات التي نحن بصددها ، وننتقل بعد ذلك مباشرة الى تركيز الحديث على واجهة واحدة ، هي واجهة الدراسات التي تناولت ما يعرف باسم « ابعاد الشخصية » ، أو « تنظيم سمات الشخصية وانماطها » .

السلوك والشخصية

لا بد للقارىء اولا من ان يعرف ان علم النفس الحديث لايقتصر على دراسة الشخصية ، لكنه يدرس السلوك كذلك . ونحن نفرق بين الاثنين لا لانهما منفصلان في الواقع ولكن لانه لا بد من نوع من تقسيم العمل بين الدارسين حتى يمكنهم ان ينجزوا شيئا . وعندما يتحدث عالم النفس عن السلوك فانه يقصد الاشارة الى مظاهر النشاط المختلفة التي تشير رغم اختلافها الى اننا بصدد تجمعات فيما بينها ، تجمعات يشير كل منها الى اننا بصدد وظيفة لها وحدتها وتجانسها ، فهذه وظيفة التفكير المجرد ، وتلك وظيفة الكلام ، والثالثة وظيفة الادراك ، والرابعة وظيفة الحركة من المكان .. الخ .

فاذا انتقل هذا العالم الى الحديث عن الشخصية فانه يقصد الاشارة الى النظام الاساسي الذي يؤلف بين هذه الوظائف ويجعلها « تعمل معا » باساليب متباينة تختلف اختلافا ملحوظا من شخص الى آخر ، او هي على اقل تقدير تختلف من فئة الى اخرى ، او من طراز من الاشخاص الى طراز آخر .

ومن العلماء من يكرسون جهودهم لدراسة وظيفة نفسية واحدة او عدد من الوظائف النفسية، هدفهم الكشف عن القوانين الاساسية لعمل هذه الوظائف دون ان يمتد بهم البحث الى مسالة التنظيم او خصائص البناء الذي يضمها . ومنهم من تشغل اذهانهم منذ البداية مسالة نظام العلاقات القائمة بين الوظائف . وبالنسبة للمتفرج من خارج ميدان التخصص يبدو ان عمل كل من الفريقين ناقص ، وهذا صحيح اذا ظللنا ننظر اليه على حدة ، الا انه في ميدان البحث العلمي لا يوجد من يقول : « انا ابنى العالم وحدي » . ومن ثمّ فان التقييم السليم لجهود الفريقين انما يكون بالنظر فيما يسهم به كل منهما من تقدم الميدان الذي يضمهما معا ، وهو ميدان علم النفس اجمالا .

اربع طرق لدراسة الشخصية

ولنترك موضوع الوظائف ونركز الحديث على التنظيم ، الذي هو الشخصية .. للعلماء هنا اربع طرق رئيسية لدراستها ، احدى هذه الطرق هي الاساس ، والباقي يقوم على هذا الاساس او يبدأ من حصيلته .

اما الطريقة الاولى فهي المعروفة باسم « التحليل العاملي لبناء الشخصية » ، وتنتهي عادة بتحديد عدد قليل مما يسمى بعوامل الشخصية او ابعادها الاساسية ، وتحديد شكل - طراز - العلاقة المستقرة بين هذه الابعاد . ويمكن للقارىء ان يتصور حصيلة هذه الدراسة على انها الوصول الى ما يمكن تسميته بالخطة الهندسية او التصميم الهندسي الاساسي الذي تقوم عليه الشخصية . ويمكن تشبيه المشهد الذي يواجهه الدارس هنا بالمشهد الذي يواجهه الباحث في علم الفلك عندما يهتدي الى تحديد خريطة منطقة معينة من السماء فيجد نفسه امام تجمعات للنجوم والاجرام تنتظمها اشكال هندسية مستقرة ، ثم يهتدي الى

تحديد شبكة الافلاك التى تقوم كاطار ينتظم حركة هذه النجوم والاجرام . ويمكن تشبيهه كذلك بالمشهد الذى يتكشف لدارس علم البلورات (احد فروع الدراسات الطبيعية فى خصائص المادة) عندما ينتهي هذا الدارس الى تحديد الخصائص الهندسية للتركيبة التى تتجمع على اساسها جزئيات المادة فى بلورات . ويمكن تشبيه المشهد ايضا بمشاهد اخرى متعددة ينتهى اليها العلماء فى مسالك العلم المختلفة . ويستطيع القارىء ، اذا اراد ، ان يهتدى الى كثير منها بنفسه حتى يستسيغ هذه الزاوية التى نتحدث عنها فى دراسة الشخصية . المهم هو ان يكون اساس التشبيه واضحا فى الذهن ، ففى الشخصية الانسانية نجد الوظائف النفسية او مظاهر السلوك من ناحية ، والنمط الهندسى لانتظامها من ناحية اخرى . يناظر ذلك فى السماوات النجوم والاجرام عامة ، ثم الاشكال الهندسية لتجمعاتها ولمساراتها ويناظر ذلك فى البلورات الجزئيات من ناحية ، والهيكل الهندسى لائتلافها من ناحية اخرى .

الدراسة الارتقائية

نعود الى متابعة الحديث عن الطرق الثلاث الباقية لدراسة الشخصية :

اما الطريقة الاولى من بين هذه الطرق فهى الدراسة الارتقائية ، وفيها يتابع الباحث اثر عمليات النمو والارتقاء فى احد عوامل الشخصية (اى فى جانب واحد من جوانب التنظيم) او فى عدد من هذه العوامل او فى طراز التنظيم اجمالا ، فيحاول مثلا انيتتبع موضوعه ، وليكن « عامل المثابرة » ، وهو من العوامل التى امكن بالفعل تحديدها بدقة عن طريق تحديد مظاهر السلوك التى تنتظم حولها والاوزان النسبية لكل من هذه المظاهر فى تحديد معالم هذا العامل . نقول يحاول الباحث ان يتتبع هذه السمة من مراحل العمر المختلفة موضحا كيف يتغير شكلها ، او كيف تتغير الاوزان النسبية لمكوناتها ، وتتغير علاقتها — اى علاقة هذه السمة — بالبقية الباقية من سمات الشخصية او عواملها ، ليصل فى نهاية المطاف الى وضع صيغة دقيقة موجزة لتحديد علاقة العمر بالخصائص الكمية لنظام الشخصية . وقد اجريت بالفعل عدة دراسات من هذا القبيل ، ونتائجها النظرية شيقة للغاية ، هذا بالاضافة الى نتائجها العملية البالغة الاهمية .

دراسات شبكية للبيئة الداخلية

واما الطريقتان الثانية والثالثة فيجتمعان معا تحت اسم « الدراسات الشبكية للشخصية » ، نسبة الى ان الباحث ينظر هنا الى الشخصية من خلال شبكة العلاقات التى تكتنفها فى اللحظة الراهنة . وفى احدى الطريقتين يهتم الدارس بالكشف عن مدى تاثر الشخصية (احد عواملها او طراز بنائها) بالتغيرات العضوية التى تطرأ على البيئة الداخلية للفرد ، كالتغيرات فى كيمياء الدم او التغيرات المؤقتة التى تصيب مواضع معينة فى الجهاز العصبى المركزى نتيجة لتناول الفرد بعض العقاقير المنبهة او المخدرة .. الخ .. ويهتم فى الطريقة الثانية بدراسة مدى تاثر الشخصية بمؤثرات البيئة الاجتماعية ، متتبعا هذه المؤثرات فى دوائرها المتفاوتة الاتساع ابتداء من اضيق الدوائر ، دائرة الاسرة بمعناها المحدود وما كان على شاكلتها ، حتى دائرة الاطار الحضارى الذى يضم هذا الفرد ومجتمعه ضمن عدة مجتمعات اخرى متشابهة .

هذه هى الطرق الاربعة الرئيسية لدراسة الشخصية الانسانية فى علم النفس الحديث . ويخيل الينا ان توضيحها على هذا النحو يكفى لتحديد المسالك الرئيسية فى الميدان اجمالا . وبذلك يمكننا ان نتقدم نحو الحديث على دراسات التحليل العاملى لبناء الشخصية ، ونحن نعرف اين يقع طريقنا هذا بالنسبة لسائر الدروب فى الميدان .

دراسات بناء الشخصية

تبدا هذه الدراسات من مقدمة بسيطة تستند الى عدد لا آخر له من الملاحظات التى تراكمت على مر السنين فى شتى ميادين الحياة العلمية ، مؤداها ان الصورة الاجمالية لتصرفات اى شخص ممن يتكرر التقاؤنا بهم لسبب او لآخر ، هذه الصورة رغم تعدد عناصرها وتنوعها ، فانها تشف عن منطق واحد يجعلها تبدو متسقة مع نفسها ، تدور حول محور ارتكاز واحد فى معظم مواقف

الحياة . فهذا شخص يغلب عليه الاتزان والتحكم فى انفعالاته ، وفى التعبير عنها فى مواقف الغضب وفى مواقف الرضا ، وفى الحزن وفى الفرح ، وعند الخوف وعند الاطمئنان ، وهو بوجه عام قليل الشكوى والبكاء ، يستطيع ان يقف مستقلا بالراى اذا لزم الامر ، عريض الاهتمامات ، واقعى النظرة الى الحياة والاحياء . وذاك شخص تغلب عليه اضداد هذه الصفات . والثالث يبدو فى موضع بين الموضعين : هذا مشهد من مشاهد اتساق الشخصية ، وقد نفتح عيوننا على مشهد آخر من زاوية اخرى غير زاوية الاتزان وضبط النفس هذه ، وما اكثر الزوايا التى نلمحها على هذا النحو .

وربما كان اكثرنا تعرضا لملاحظة هذا الاتساق او بالاحرى لاستشفافه اولئك الذين يشتغلون بالتربية ، وبعلاج الامراض النفسية والعقلية ، هؤلاء يتعرضون له لانه يفرض نفسه عليهم بحكم طبيعة عملهم ، المربون بما يفرضون على النشء من عمليات تربوية متواصلة لا تلبث ان تكشف عن ان لكل امرىء اسلوبه الفريد فى الاستجابة لهذه العمليات ، والمعالجون لا لشىء الا لانهم يشاهدون عن كثب مرضاهم ، وقد اكتسب الاتساق لدى هؤلاء المرضى درجة من البروز والتحجر تتناسب الى حد كبير مع شدة وطأة المرض عليهم .

ولعل اكثرنا حرصا على النفوذ الى وحدة الشخصية واتساقها لتحقيق اوضح رؤية ممكنة لهذا الجانب هم المشتغلون بالادب ، وخاصة كتاب القصة والمسرحية من بينهم . ومن ذا يستطيع ان ينسى شخصية عطيل ، أو أنا كارنينا ، أو شخصية « السيد احمد عبد الجواد » فى قصة « بين القصرين » لنجيب محفوظ !

اليونان والعرب وهذه الشخصية

وقد عرف قدماء اليونان والعرب هذا الموضوع ، موضوع وحدة الشخصية الانسانية او تماسكها واتساقها . ومن المع كتاباتهم فى هذا الصدد ما كتبه هيقراط فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وما كتبه الفخر الرازى فى القرن الثالث عشر الميلادى . وقد حاول كل منهما ان يقيم دعائم نظرته فى وحدة الشخصية . وكان الفخر الرازى يطلق على هذه النظرية اسم « الفراسة » . وجدير بالذكر اننا اذا قرأنا كتابه فى هذا الموضوع قراءة منصفة فغضضنا النظر عن بعض الافكار التي كانت تتفق مع ثقافة عصره لكنها لا تلائم التفكير العلمي فى عصرنا ، وعن بعض الالفاظ والعبارات التي لم تعد ذائعة بيننا ، لوجدنا هذا الكتاب زاخرا باللمحات الموضوعية والمنهجية الداعية الى الاكبار حقا .

غير ان هذا الاكبار يجب الا يغرينا بما هو اكثر منه ، سواء بالنسبة للفخر الرازى وبالنسبة لهيقراط ولغيرهما من الكتاب القدامى ، بل والمحدثين حتى اواخر القرن التاسع عشر . ذلك لانهم على كل ما كان فى افكارهم من ثاقب النظر ، لم يكونوا يستطيعون ان يصلوا الى الكشف عن مقومات بناء الشخصية بالصورة المفصلة المضبوطة التي نعرفها حاليا ، لسبب رئيسي هو ان ادوات الدراسة التجريبية للشخصية ، وطرق قياسها ، وطرق التحليل الاحصائي المتاحة لنا فى الوقت الحاضر ، والتي لا بد من الاعتماد عليها للقيام بهذا النوع من الدراسة ، لم تكن معروفة لهم ، ومعظمها لم يعرف الا فى خلال القرن العشرين .

كيف ندرس بناء الشخصية الآن ؟

لا يستطيع المثقف ان يلم باى موضوع من موضوعات العلم الحديث دون ان يلم ببعض مسائل البحث ووسائله . ولعل السبب الرئيسي لذلك أن تقدم المعرفة العملية فيما هو أبعد من مستوى المشاهدة العادية يعنى مزيدا من الاعتماد على وسائل واساليب فنية معينة ، وهذا بدوره يعنى مزيدا من التداخل والالتحام بين خصائص الاساليب والوسائل التي نستخدمها وبين مواصفات الوقائع التي نبحثها . من أجل ذلك لا نجد بدا من تقديم حديثنا عن بناء الشخصية وقد التحمت فيه شعبتان : احداهما عن الموضوع والاخرى عن المنهج .

ان الدراسات الحديثة لبناء الشخصية تعتمد على عدد من الخطوات الرئيسية :

اولاها ان ينتخب الباحث عددا معقولا من الاشخاص ، يحسن الا يقل كثيرا عن مائتي شخص حتى يمكن الثقة فى النتائج بدرجة لا بأس بها . والخطوة الثانية أن يطبق على هؤلاء الاشخاص

عددا من المقاييس يهدف بها الى قياس مجموعة من مظاهر النشاط النفسي تحت شروط معملية محددة ، من هذا القبيل من المظاهر : القابلية للايحاء ، وسرعة تعلم الشخص لبعض المهارات الحركية ، ومستوى الطموح لديه ، وبعض جوانب في عملية الادراك ، وبعض جوانب في عمليات التفكير .. الخ . والخطوة الثالثة هي استخدام بعض أساليب التحليل الاحصائي في الكشف عما عساه يوجد من علاقات بين نتائج كل مقياس وآخر من المقاييس المستخدمة ، فاذا طبق الباحث خمسة مقاييس فسيحصل على عشر علاقات (بغض النظر عن احجامها) ، واذا طبق عشرة مقاييس فستظهر امامه ٤٥ علاقة ، واذا طبق عشرين مقياسا فستترتب عليها ١٩٠ علاقة ... هكذا . ويكون التعبير عن هذه العلاقات بما يعرف في لغة الاحصاء باسم معاملات الارتباط . والخطوة الرابعة هي ان يعود فيحلل هذه الارتباطات تحليلا احصائيا من نوع اشد تعقدا ، ويعرف باسم التحليل العاملي . ويخرج منه بما يسمى بعوامل الشخصية او ابعادها او محاورها الرئيسية .

وهكذا يتضح أن أبعاد الشخصية ان هي الا مفاهيم احصائية في طبيعتها ، تقوم بمثابة خطوط وهمية كخطوط الطول والعرض على الكرة الارضية ، ليس لها وجود فعلي في الحياة النفسية كوجود عمليات التفكير أو الحركة ، لكنها مع ذلك مفيدة جدا في بناء علمنا ، تماما كفائدة خطوط الطول والعرض في بناء قسط من معلوماتنا الجغرافية .

هذا هو مجمل العمل الذي تقوم عليه الدراسات الحديثة لبناء الشخصية : القيام بهذه الخطوات الاربع . وهو عمل لا الغاز فيه ، منهجه واضح وأدواته معروفة ، يمكن لكل شخص على مستوى متوسط من الذكاء ان يتقن القيام به ، كما ان الخطوات موضوعية الى حد كبير ، لا دخل لهوى الباحث في توجيهها هذه الوجهة او تلك .

وجدير بالذكر ان استمرار العلماء في جهودهم التجريبية على هذا النحو ، وفي مناقشاتهم النظرية ، وابتكاراتهم المنهجية ، ادى الى تراكم قدر كبير من المعلومات المحققة داخل اطار بناء الشخصية ، كما مهد الطريق لمزيد من النمو ومزيد من سرعة هذا النمو ، ولا سيما في السنوات القليلة الماضية .

معلوماتنا في الوقت الحاضر

وتتلخص معلوماتنا في الوقت الحاضر فيما يأتي :

أولا : هناك عدد محدود جدا من الابعاد او المحاور الاساسية او الكبرى للشخصية ، نحن نعرف الان منها ثلاثة ، هي : محور تنظيم جميع العمليات التي درجنا على تسميتها بالعمليات العقلية العليا ، وهي تضم كل ضروب النشاط الذي يؤدي الى تحقيق قدر من المعرفة ، ويطلق على هذا المحور اسم « العامل او البعد الخاص بالذكاء » . والمحور الثاني ينتظم جميع العمليات الانفعالية او الوجدانية من حيث تحقيقها لاتزان الشخصية وتوافقها ، او من حيث اخلالها بهذا الاتزان والتوافق . وقد جرت عادة الباحثين بتسمية هذا العامل بالاشارة الى ناحية اختلال الاتزان ، والاسم الاصطلاحي هنا هو « العصابية » والمحور الثالث ينتظم مجموعة العادات التي تنبيء عن المصدر الرئيسي للقيم المحركة لهذا الفرد أو ذاك ، أهو المحيط الاجتماعي المباشر امهو الذات . ويسمى هذا البعد « بالانطواء » احيانا و « بالانبساط » احيانا أخرى نسبة الى هذا الطرف او ذاك . وجدير بالذكر أن هذا المحور لا علاقة له بالمرض النفسي ولا بالانانية بمعناها الاخلاقي ، ولا بأي شيء من هذا القبيل كما يتبادر الى اذهان بعض القراء ، فالمسألة مختلفة عن ذلك تماما ، وترجع في نهاية الامر الى درجة التنبه العام السائد في الانسجة العليا في الجهاز العصبي المركزي لدى كل منا .

هذه هي الابعاد الثلاثة الكبرى التي نعرفها حتى الآن معرفة يقينية الى حد كبير ، اي التي أمكن استخلاصها في عدد كبير من البحوث التجريبية ، اجريت على عشرات العينات من الافراد ، وقام بها علماء مختلفون في معامل متفرقة .

ثانيا : هناك عدد آخر من الابعاد لا يزال دون المرتبة السابقة ، لأنه يظهر من بعض التحليلات ويختفي في البعض الآخر ، دون ان يكون لذلك سبب واحد معروف . ولهذا لا يزال حكم المختصين

على هذه الابعاد معلقا . هنا نذكر بعدا واحدا بوجه خاص يدور حوله كثير من البحث والجدل في الوقت الحاضر ، يطلق عليه اسم « الذهانية » (نسبة الى الذهان وهو الجنون بانواعه المختلفة) والمفروض فيه انه يضم مجموعة من الوظائف النفسية تنظم عملية التوافق مع مدركات العالم الخارجي بوجه خاص ، ويؤدي اختلالها الى ظهور اعراض الجنون على الشخص .

ثالثا : الابعاد الثلاثة الكبرى المحققة يعتبر كل منها تلخيصا بلغة رياضية لعدد كبير من ابعاد اخرى صغرى . وهذه الابعاد الصغرى تقف اقرب ما تكون الى وقائع النشاط النفسي او مظاهره . ومعنى ذلك اذا ان التصميم الهندسي للشخصية كما يتمثل لنا في المرحلة الحاضرة من تقدم علمنا تصميم هرمي ، يبدأ في اسفله بقاعدة عريضة تضم وقائع سلوك الافراد وعاداتهم او عينة كبيرة من هذه الوقائع والعادات ، ثم تتلخص هذه القاعدة في مستوى أعلى منها عبارة عن عدد محدود من الابعاد الصغرى او « السمات » ، ثم تتلخص هذه السمات او تتجمع في مستوى اعلى منها ، هو مستوى الابعاد الكبرى .

هذه الابعاد : ما معناها ؟

ما معنى هذه الابعاد جميعا ، الصغرى منها والكبرى ؟ بعبارة اخرى ما هي اقرب صورة عقلية نستطيع ان نتصورها لاي بعد من هذه الابعاد ، وبالتالي نتصور الكيفية التي يعيننا بها على تنظيم معلوماتنا عن الواقع ؟ نحن نتصور البعد على انه مسافة او مستقيم يمتد بين نقطتين . نفرض اننا بصدد احد الابعاد الصغرى ، البعد الدال على سمة معينة ولتكن « المثابرة » . معنى ذلك ان هذا البعد يمتد من نقطة تمثل اكبر قدر من المثابرة الى النقطة التي تمثل ادنى قدر منها ، والمسافة بين النقطتين متدرجة ، فاذا كان لدينا مقياس دقيق لهذه السمة وطبقناه على عدد من الاشخاص بحيث ينال كل شخص درجة على هذا المقياس فان هذه الدرجة تحدد لكل منهم موضعا معينا على البعد الذي نحن بصدده . هذه هي الصورة التي ترتسم في مخيلتنا (ويمكننا ان نسجلها على الورق في شكل رسم بياني) عندما نتحدث عن احد ابعاد الشخصية ، سواء أكان من بين الابعاد الصغرى ام كان من بين الابعاد الكبرى ، وأهم ما فيها انها تقدم لنا اطارا يصلح للمقارنة الكمية بين بعض جوانب النشاط النفسي لدى الافراد . تماما كما يقدم لنا مفهوم درجة الحرارة ومفهوم ضغط الدم وما اليها اطارا للمقارنة الكمية بين بعض مظاهر النشاط الفيزيولوجي لدى الافراد .. صحيح ان هذا ليس كل شيء عن هؤلاء الافراد ، لكنه على كل حال جزء من خصائصهم .

وتتعقد الصورة اكثر من ذلك عندما نحاول ان نجمع فيها بين مجموعة الابعاد التي امكن استخلاصها من التحليلات المختلفة حتى الان ، وذلك لاننا لانستطيع ان نجعل من هذه الصورة مجرد مجموعة من المستقيمات او الابعاد المفككة المتناثرة ، بل لا بد من ان تحتوي الصورة على عنصر يمثل العلاقات القائمة بين هذه الابعاد (او بالاحرى بين السمات التي تمثلها هذه الابعاد) . وكما أننا وجدنا ان الخط المستقيم اصطلاح (أو تصور) هندسي مفيد للتعبير الكمي عن السمة ، فكذلك يمكن التعبير عن العلاقة بين سمة وأخرى باستخدام اصطلاح هندسي آخر هو الزاوية . ويتفاوت حجم الزاوية تبعا لحجم العلاقة بناء على صيغة رياضية معينة .

اظن ان المقام لا يسمح بالدخول في مزيد من التفاصيل الفنية حول القواعد الرياضية التي يلتزم بها الباحثون في هذه الترجمة الهندسية لنتائج مشاهداتهم وتحليلاتهم . ولكن لا بد من اضافة تعليق موجز في هذا الموضع ، مؤداه ان هذا التصوير الهندسي ليس من قبيل الزخرف ، بل ولا تقتصر مهمته على التوضيح فحسب كما هو الحال بالنسبة لبعض الرسوم البيانية ، لكنه هو نفسه يترتب عليه احيانا تحليلات رياضية جديدة لا يمكن الا ان تبدأ منه .

★★★

وبعد ، فماذا نفيد من هذه الصورة ؟

هذه الصورة تقدم لنا اطارا اساسيا لتصنيف جميع مظاهر النشاط النفسي .. انها لا تقدم لنا

تعليلا او تفسيرا لهذه المظاهر ، يجب ان يكون يكون هذا واضحا حتى لا نطالبها بما لا يتفـق وطبيعتها . انها تقدم تبويبا او تنظيما فحسب . كل بعد من الابعاد الصغرى يمثل عددا كبيرا من عاداتنا او من وقائع السلوك التى يتكرر حدوثها فى كثير من مواقف الحياة التى تواجهنا ، الوقائع والعادات التى بينها علاقات منتظمة (بحيث يزيد وقوعها معا ، او يقل معا ، او يزداد حـدوث واحدة كلما قل حدوث الاخرى . المهم هو توافر اية صورة من صور الترابط المنتظم) ، يمثلهـا بعد واحد ، وتأخذ هى شكل قيم كمية على هذا البعد . فاذا وجدت مجموعة اخرى من الوقائع تترابط فيما بينها بعلاقات اقوى مما قد يربطها بالمجموعة السابقة فانها تتجمع فى شكل بعد ثان ثم مجموعة ثالثة وبعد ثالث ، وهكذا .. ثم تأتى الابعاد الكبرى ، كل بعد او كل محور منها يمثل عددا من الابعاد الصغرى تجتمع حوله وتستحيل الى قيم كمية عليه . وطبيعى ان يكون كل محور من هذه المحاور الكبرى مستقلا عن الاخر ، والا لتجمعت من جديد حول محور واحد اعلى .

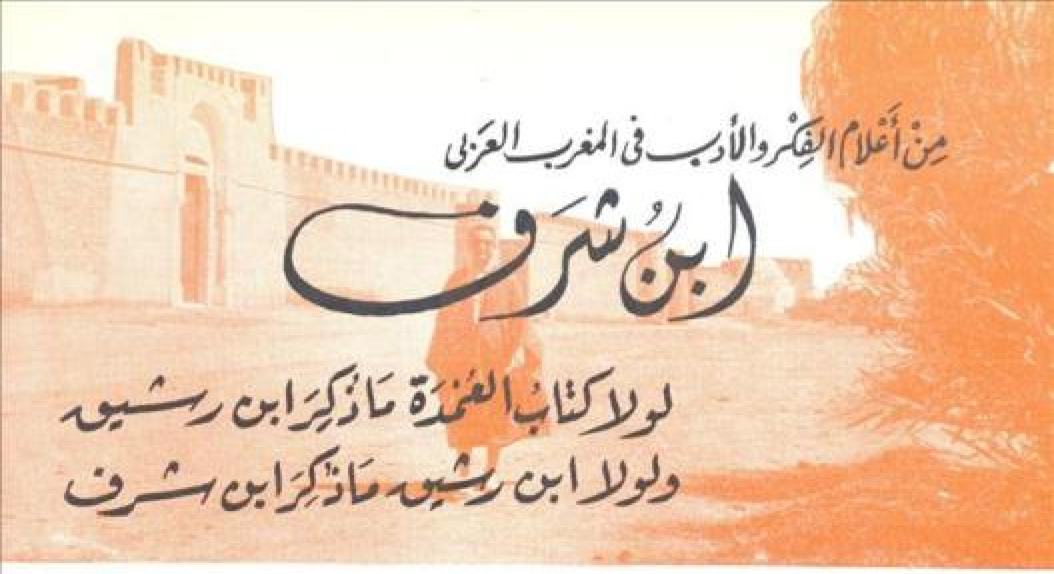
ان عملية التصنيف عملية بالغة الاهمية فى كثير من العلوم . والذين لهم من القراء صلة بعلـوم الحيوان والنبات والكيمياء يعرفون ذلك حـق المعرفة . ولهذه الاهمية جانبان ، احدهما نظرى والاخر عملي . أما النظرى فهو ان اقامـة اى اطار للتصنيف يعتبر خطوة نحو تحقيق احـد اهداف المعرفة العلمية ، وهو تكوين صورة عقلية منظمة ومختصرة عن جانب كبير نسبيا من الوجود لانستطيع ان نحتفظ فى ذاكرتنا بمعرفة مفصلـة بجميع جزئياته وما بينها من علاقات . ولما كـان من الممكن اقامة اطر للتصنيف متعددة ، فمـن الطبيعى ان تكون بعض هذه الاطر افضل مـن البعض الاخر . واحد اسس المفاضلة هو مزيد من الاقتراب من الهدف المذكور ، هـدف التنظيم والايجـاز .

هذا عن الاهمية النظرية لهذا التصنيف .. واما عن الاهمية العملية فتتلخص فى ان الاطار الـذى نحن بصدده يحدد لنا متى نستطيـع ان نتنبأ بسلوك الغير ممن نتعامل معهم ، ومتى لانستطيع (وخاصة فى ميدانى العلاج النفسى والتنشئة) .

وحيث نستطيع فانه يعيننا على صياغة تنبؤات محددة بدلا من التخبط بين مجموعة من التخمينات لا ضابط لها . فمثلا اذا عرفنا درجة شخص على مقياس لسمة معينة ولتكن سمة « المثابرة » ، فاننا نستطيع ان نتنبأ بدرجاته التى سينالها على اى مقياس لاية سمة اخرى تجتمع مع المثابرة على محور « الاتزان الوجدانى » (او « العصابية ») ، مثل « القابلية للايحاء » و « مستوى الطموح » و «سرعة تكيف الابصار فى الظلام ..» وهى جميعا من الابعاد الصغرى . لكننا لن نستطيع ان نتنبأ (باى مستوى من اليقين) بالدرجة التى يحتمل ان ينالها هذا الشخص على احد مقاييس النشاط العقلى ، لا استطيع ان اتنبأ مثلا من درجة الشخص على مقياس « للقابلية للايحاء » بدرجته التـى يحتمل ان ينالها على مقياس لتلك الوظيفة التى نسميها « ادراك العلاقات المكانية » ، او بدرجته على مقياس « لسرعة الادراك » . وبعبارة موجزة ان هذا الاطار يوضح لنا اننا نستطيع ان نتنبأ (باستخدام المعادلات الاحصائية المناسبة) مـن سمة الى سمة اخرى ما دامت السمتان علـى محور واحد من المحاور الكبرى . بينما نحن لا نستطيع ان نقوم بهذا التنبؤ اذا كانت احـدى السمتين تقع على واحد من هذه المحاور « كالاتزان الوجدانى » وتقع الثانية على محور آخر كمحور « العمليات العقلية » .

مثل هذا النوع من التنبؤ كثيرا ما يحتاج اليه المعالج النفسى مع مرضاه ، والمربى مع تلاميذه او من يقوم على تنشئتهم . هذان هما اوضـح مواقف الحياة التى تظهر فيها الحاجة العملية الى الاعتماد على المعرفة العلمية بابعاد الشخصيـة الانسانية . ومع ذلك فثمة مواقف اخرى قد لا تفرض نفسها على عقولنا بهذا الوضوح ، الا انها لاتقل عن ذلك الحاحا فى دفعنـا الى الشعـور بالحاجة نفسها ، الحاجة الى ان نتنبأ مما نعرفه بما لا نعرفه عن شخصية الغير . ورحم اللـه الفخر الرازى اذ كان يقول : « ان الانسان مدنى بالطبع ، ولا ينفك عن مخالطة الناس،والشر فاش فى الخلق ، فاذا كانت هذه الصناعة تفيدنا معرفة اخـلاق الناس فى الخير والشر كانت المنفعـة جليلـة » . ■■

مصطفى سويف



من أعلام الفكر والأدب فى المغرب العربى

ابن شرف

لولا كتاب العمدة ما ذكر ابن رشيق
ولولا ابن رشيق ما ذكر ابن شرف

■ فى ترجمتنا « لابن رشيق » (١) قلنا : انه لولا كتاب العمدة ، وما أتيح له من منزلة ، وما أصاب من شهرة، لكاد أن يذهب ابن رشيق فى غمرة النسيان والاغفال . ونقول اليوم انه لولا ابن رشيق لكان ذلك ، فى أغلب الظن ،حظ ابن شرف ، فما ذكر ابن شرف الا بذكر ابن رشيق .

فقد ارتبطت حياة كل منهما بحياة الآخر : نشآ فى القيروان معا ، وان انفرد ابن رشيق بنشأته الأولى فى المسيلة ، واتصلا بابن أبى الرجال جميعا ، ثم أتيح لهما أن يكونا من شعراء المعز ابن باديس واصحاب مجلسه . وعرض لهما من أسباب المنافسة ما وضع كلا منهما بازاء الآخر . ثم رحلا مع المعز الى المهدية ، ودخلا بعد المهدية جزيرة صقلية .

ثم افترقا فى آخر حياتهما ، كما انفرد كل منهما فى مبدئها : فقد مضى ابن شرف الى الأندلس وامضى فيها بقية أيامه ، وبقى ابن رشيق فى صقلية حتى وافاه فيها حمامه . وما عدا ذلك فقد عاش الرجلان رفيقين ، يأتلفان حينا ويختلفان حينا آخر .

وكما كان ابن رشيق شاعرا أديبا عالما ، كذلك كان ابن شرف : مهد له الشعر السبيل الى مجلس المعز ، كما مهدها لابن رشيق ، وفتحت له شخصيته الأدبية أبواب التأليف والنقد ، كما أتيح ذلك لابن رشيق ، وان لم يظفر من ذلك بما ظفر به صاحبه ، بكتابه العمدة ، من بعد الصيت وخلود الذكر .

وما كانت الشهرة وحدها هى التى خالفت بين الرجلين فى هذا الميدان ، فانهما ليختلفان – فيما أرى – فى المنزع الغالب عليهما فيه . فاذا كانت النزعة الغالبة على ابن رشيق – كما تبدو فى كتابه العمدة – هى النزعة العلمية التقريرية المتجهة الى الحكاية والاحاطة والتصنيف ، فان ما بلغنا من آثار ابن شرف النثرية ، وهى البقايا الباقية من مقاماته ورسائله ، ومن كتابيه : أبكار الأفكار وأعلام الكلام ، يدلنا على نزعة فنية أصيلة لا تعبأ بالرواية ، والجمع وتصنيف المعارف المختلفة ، وانما تتحول بها هذه المعارف الى ألوان من الفن رائعة .

نشأة ابن شرف

وابن شرف هو أبو عبد الله ، محمد بن أبى سعيد بن احمد بن شرف الجذامى القيروانى ، ولد فى أواخر القرن الرابع ، فى مدينة القيروان ، من اسرة لم يبلغنا شىء عنها ، كما لم يبلغنا شىء عن نشأته والأسباب التى وجهته والعوامل التى كونته ، ورسمت قسمات شخصيته. ولكنا نستطيع أن نلتمس هذه العوامل فى الحياة الأدبية التى بلغت فى القيروان ، فى ذلك الوقت شأوا بعيدا ، كما نستطيع أن نتبين هذه النشأة فى مجالس العلماء والأدباء الذين كانت تمثل هذه الحياة

(١) « العربى » عدد فبراير ١٩٦٤

بقلم الدكتور
طه الحاجرى
استاذ اللغة العربية بجامعة الاسكندرية

نشأ فى القَيْرَوَان
وحضر مع ابن رشيق مجالس أميرها
ونكبها الأعراب وخرّبوها
فرحل عنها أهْلُوهَا
لاجئين مُشَرَّدين الى المهدِيَّة
وذهب ابن شرف
الى صَقلّيَة
ثم إلى الأندلس
وظلّ يبكى القَيْرَوَان ما عاش.



بهم ، والذين تتلمذ ابن شرف لهم ، وجلس اليهم وأخذ عنهم .

ابن شرف فى مجالس علماء القيروان

فها هو ذا فى مجلس ابى الحسن القابسى ، يتلقى عنه فنون الثقافة الدينية ، ويستمع لما يدور فى هذا المجلس من مناظرة بين الآراء المختلفة ، وما كان يتطرق اليه احيانا من انشاد الشعر ـ وخاصة شعر المتنبى ـ والمناقشة فى معانيه ، ثم ها هو ذا فى مجلس ابى عمران الفاسى ، اكبر الشخصيات التى كانت تمثل النشاط العلمى الاسلامى فى أحسن صوره ، اقبالا عليه . واخلاصا له ، وجهادا فى سبيله . والى جانب هـذين المجلسين نستطيع ان نتمثله فى مجلس أبى عبدالله محمد بن جعفر القزاز ، شيخ علماء العـربية فى القيروان ، وقد كان ـ فضلا عن هذا ـ شاعـرا اديبا ، ما تزال بين أيدينا بقايا من شعره ، ثم نراه مرة أخرى فى مجلس أبى اسحاق الحصرى ،

صاحب كتاب زهر الآداب ، وكتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر ، وفي هذين الكتابين نستطيع ان نتبين ملامحه الفنية . وقد « كان شبان القيروان يجتمعون عنده ، ويأخذون منه . ورأس عندهم وشرف لديهم » كما يقول ابن رشيق عنه.

وفي خلال ذلك نراه مقبلا على الكتب ، وخاصة هذه التي تجيء من المشرق ، والتي كان أمراء افريقية ما يزالون معنيين باجتلابها وتيسيرها للناس ، كما كانت من أعظم الذخائر التي يعود بها الراجعون من رحلات الحاج وما اليها .

في قصر المعز بن باديس

ويمكن القول بانه لم يكد يحس بجذوة الأدب والشعر تتوهج في صدره ، فتثير مشاعره ، وتحفز مطامحه ، حتى اخذت صور المجد الأدبي تتبرج له، متمثلة في قصر المعز . وكان المعز شابا مرموقا ، نشأ على عرش افريقية منذ مات ابوه باديس وهو في الثامنة من عمره ، وقد تولى عليّ بنُ أبي الرجال امره . وابن أبي الرجال شاعر أديب ، فنشأ المعز على حب الأدب وتقدير الادباء، وعلى الرغبة فيهم والحفاوة بهم . كما كان يرى فيهم من مظاهر الترف التي اخذ يسبغها على قصره ، وصورة من صور الرفعة والأبهة التي ارادها لعصره .

وكان ابن أبي الرجال هذا رئيس ديوان المعز ، وكان ـ بهذه المثابة ، وبالمنزلة التي ينزلها من قلب الأمير ـ صاحب الكلمة الأولى في قصره ، وكانما اراد ان يكون في المغرب كما كان ابن العميد والصاحب بن عباد في المشرق ، وأن يضفي على بلاط الأمير في القيروان تلك الصبغة الرائعة التي عرفت بها قصور الخلفاء والأمراء فيبغداد والري ، فيكون كعبة للشعراء والعلماء .

وبذلك أتيح لابن شرف أن يشارف ما كان يطمح اليه ، وما كان يتبرج لخياله ، فقد وصل بابن أبي الرجال اسبابه ، ثم لم يلبث أن صار من أصحاب مجلس المعز ، وأحد شعراء حضرته ، بل اصبح ثاني اثنين في ذلك المجلس وتلك الحضرة ، يتنافسان في الزلفى ، ويبذل كل منهما غاية جهده في أن يكون عند الأمير وكاتبه اجدر بالتقديم وأحق بالايثار . وكان ذلك ـ فيما نقدر ـ هو الأصل فيما وقع بين ابن شرف وابن رشيق من خصومة، وما هاج بينهما من ملاحاة ومهاترة ، استطارت في الآفاق انباؤها ، وترددت في الكتب والرسائل أصداؤها .

ومهما يكن من أمر هذه الخصومة ، فلم يكن مثلها أمرا بدعا في حياة الأدباء ، ولعلها كانت من حوافز انتاجهم ومثيرات نشاطهم . وما أحسبها كدرت لابن شرف صفوا ، وانما مضت الأيام به في القيروان مطردة وادعة ، حتى شارف الخمسين،وبدت في الأفق نذر حياة قلقة مضطربة.

اربدت سماء القيروان فغادرها المعز، ومعه صاحباه ، الى المهدية

لقد اربدت سماء القيروان واغبرت آفاقها ، وامتلأت القلوب خشية وفرقا ، منذ انصبت عليها جماهير الأعراب الذين سيرهم العبيديون اليها ، وأطمعوهم فيها ، وجعلت منذ ذلك الوقت تعاني حصار الأعراب ، واضطراب الامور فيها ، وقسوة الحياة بها ، وسيطرة الخوف عليها ، كما أخذ أهلها يهجرونها ويضطربون في مسالك الأرض ومساربها يتلمسون موئلا يلجأون اليه ، وتعرضوا في ذلك لألوان من الشقاء والتشرد ، ومن العدوان عليهم والتنكيل بهم . وظل الحال على ذلك خمس سنين أو نحوها ، انتهى فيها أمر القيروان الى الخراب ، ولم يجد المعز بدا من أن يلتمس الصلح مع الأعراب ، ثم هو يهاجر بأهله وحاشيته الى المهدية .

وكذلك مضى ابن شرف ، كما مضى ابن رشيق، الى هذه المدينة على ساحل البحر ، وأقاما بها. وفيين للمعز في هذه المحنة ، يحاولان قدر الطاقة أن يسريا عنه ، ويرفها من معنويته ، بما يزجيان من حديث ، وما ينشدانه من قصائد الشعر في المناسبات المختلفة .

ولكن الخطوب التي حلت بافريقية من عدوان الأعراب عليها ، والأخطار التي كانت تتهددها من ناحية البحر بمناوشة الفرنجة لها ، والفوضى التي مزقتها ونكرت صورتها ، كل ذلك جعل المعز ضيق الصدر ، سيىء الظن ، سريع الغضب، حتى لقد أحس ابن شرف الا مكان له في المهدية ، فاتخذ سبيله الى صقلية ، ثم لحقه فيها ابن رشيق .

ولا ندري كم اقام ابن شرف في صقلية ، وماذا كان ـ على وجه التحقيق ـ نشاطه فيها

على انى احسب أن نشاطه فى هذه الفترة كان يمضى فى طريقين ، ويتخذ منهجين : الشعر والكتابة .

اما الشعر فلعله أخذ يتجه به الى ابن منكود ومن اليه من أمراء صقلية ، كما أخذ يلتمس به التنفيس عن نفسه ، اذ يتغنى به غناء الموجع المحزون ، وهو يتمثل مأساة القيروان التى مازالت صورها تكر فى خياله وتثير أشجانه .

قصيدة ابن شرف فى رثاء القيروان

وبين أيدينا بقية من شعره الذى صور به هذه المأساة ، وعبر به عما يغمر قلبه من الأسى والوجيعة . واذا كان بعض هذا الشعر يحمل فى نفسه الدلالة على أنه انما قاله بعد ذلك ، حين حل بالاندلس ، فاكبر الظن ان كثيرا منه كان مما تنفست به شاعريته خلال اقامته فى صقلية ، وكانت ـ فيما يبدو ـ اقامة قلقة متوفزة .

ومهما يكن من أمر فشعر ابن شرف فى هذه المأساة يعد من أروع الشعر العربى ، دقة تصوير وصدق تعبير . ولولا قصيدة ابن الرومى فى نكبة البصرة بالزنج لكان ممكنا أن يتصدر الشعر العربى فى مثل ما عرض له .

ها هو ذا ـ مثلا ـ يصف القيروان ، وقد لفها الظلام ، واطبقت عليها الوحشة ، كل شىء فيها ساكن سكون الموت ، موحش وحشة الفناء ، مظلم ظلمة القبر . لا شىء من مظاهر الحياة فيها، الا أن تكون هذه الأنجم فى افقها . ومع ذلك فكان هذه الأنجم قد مستها المأساة ، واعدتها هذه الحالة ، فهى تبدو على افق هذه المدينة المنكوبة ثقيلة الخطا ، بطيئة الحركة ، فاترة متوانية ، كانما قد غلبها النعاس على حبوتها .

آه للقيروان ! أنّةَ شجوٍ
من فؤاد بجاحم الحزن يصلَى
حين عادت بها الديار قبورا
بل أقول الديارُ منهن أخلَى
ثم لا شمعةٌ ، سوى أنجمٍ تخـ
ـطو على أفقها نواعسَ كَسْلَى
بعد زُهْر الشماع توقد وقدا
وميثارِ الذُّبال تفتل فتلا
والوجوه الحسان أشرق منهـ
ـن ، ويَفْضُلْنهن معنىً وشكلا

ثم ها هى ذى صورة « الجلاء » جلاء أهل هذه المدينة عنها : رجالها ونسائها ، شيوخهـا واطفالها ، وقد سالت بهم الطرق ، وازدحمت بهم مسالك البادية ، وما تعرضوا له فى خلال ذلك من عدوان وحشى ، لا يعرف ضميرا ، ولا يرقب فى هؤلاء الاًّ ولا ذمة . صورة لا نملك ازاءها الا أن نعرضها كما هى :

... بعد يوم كأنما حُشِر الخلـ
ـقُ حُفاةً به ، عوارىَ ، رجْلَى
ولهم زحمةٌ هنالك تحكى
زحمة الحشر والصحائفُ تُتْلَى
وعجيجٌ وضجةٌ كعجيج الخلـ
ـق يبكون والسرائرُ تُبْلَى
من أيامَى وراءهن يتامَى
مُلِئوا حسرةً وضجوا وثكلا
وحَصَانٍ كأنها الشمس حسنا
كنفتها الأطمارُ ، نجلاءَ ، كَحْلا
قاتَ كرسيها الجلاء فأضحت
فى ثياب الجلاء للناس تُجلَى
جار فيهم زمانهم وأولوا الا ...
مر ففرُّوا يرجُون فى الارض عدلا
تركوا الرَّبْع والأثاث وما يثـ
ـقلُ ، لا حاملٌ من الناس ثقلا
لبسوا الباليات من خَشِن الصو
ف ، وعاد النبيه فى الناس غفلا
نادبات : عفراءُ تَسْعد سُعدَى
وسُعاد تجيب بالنوح جملا
ليس منهن من يودِّع جارا
لا ، ولا حرمة تشيِّع أهلا
كلهن اعتدى الفراقُ عليه
فاقتحمن الجلاء حفلا فحفلا
فاذا القفر ضمُّهم فرَّق الدهـ
ـر لهم غير ذلك النبل نبلا
من ثعابين حاملين ثيوبا
عصلا : ذابلا ونبلا ونصلا
وشياطين رامحين يلاقو
ن بجوف الفلا مساكين عزلا
فتعرِّى الظهور تعتل عتلا
وتشقُّ البطون تغتَّل غلا
فاذا مطمع أصابوه فى أحـ
ـشاء قوم عموا بذلك كلا

فـاذا نجّت المقــادير منهـــم
راحــلا بالخـلاص يحمل رحــلا
لقـى الهـون والمذلـة أنـــى
كان فى سـائر البـلاد وحـلا
ليس يلقـى الا امرأ مســتطيلا
طـالبا عنـده حقـودا وذحــلا
فتـرى اشـرف البرية نفسـا
ناكســا راسـه يلاطف نـــذلا
فهمْــو كلمـــا نَبَتْ بهم ار
ض مطايا الفــراق خَيْلا ورَجْلا
مزّقــوا فى البلاد شـرقا وغربا
يسكبـون الدمـع هَطْلا ووبـلا
لا يلاقـى النـسيب منهـم نسـيبا
يتعزّى به ، ولا الخِلّ خـــلا

ولعل هذه الصورة هى أروع صورة لمن يطلق عليهم هذا العصر اسم « اللاجئين » فى مرحلة جلائهم .

ابن شرف يعارض مقامات بديع الزمان

أما الوجه الآخر من نشاط ابن شرف الأدبى فى صقلية،والذى كان يتمثل ـ كما قلنا ـ فى الكتابة، فهو نوع من النثر الفنى ، صاغ فيه طائفة من آرائه فى الأدب والنقد ، وأودعه بعض الطرائف والصور ، فى صورة مقامات أراد أن يعارض بها مقامات بديع الزمان ، فى الأسلوب الذى عرفت به ، بل وفى عدد هذه المقامات كما كان يزعم رواتها فى افريقية ، وهو عشرون مقامة ، فكانت عـدة مقاماته هو ايضا عشرين ، وان لم يبلغنا منها غير ثلاث : اثنتين منها فى النقد الأدبى ، والثالثة جرت مجرى الهزل والمجون . وكما اجرى البديع الحديث على لسان أبى الفتح السكندرى ، جعل ابن شرف الحديث فى مقاماته على لسان رجل سماه ابا الريان السلامانى ، ووصفه بأنه « كان شيخا هما فى اللسان ، وبدرا تما فى البيان ، قد بقى احقابا ، ولقى اعقابا ، ثم القته الينا من باديته الأزمات ، وأوردته علينا العزمات ، فامتحنا من علمه بحرا جاريا ، وقدحنا من فهمه زندا واريا».

ولعل فكرة هذه المقامات كانت قد خامرت نفس ابن شرف منذ كان يجلس الى ابى اسحاق الحصرى ، وكانت مقامات البديع مما كان يعنى به ، ويوجه تلاميذه واصحابه اليه ، كما يبدو من تنويهه بها فى كتابه « زهر الآداب » . حتى اذا كان فى صقلية ، وكان من ادبائها أبو عبدالله محمد بن الحسن الطوبى ، « وله مقامات تزرى بمقامات البديع » ، كما يقول القفطى فى حديثه عنه ، ظهرت تلك الفكرة الكامنة ، واستيقظت فى نفسه الرغبة فى اصطناع ذلك الاسلوب ، فكانت هذه المقامات .

وقد عرض فيما قدم به لها لشىء من الحالة النفسية التى كان يعانيها ، ابان كتابته اياها ، اذ يقول : « ولعمرى ما أشكر من نفسى ، ولا اثنى على شىء من حسبى ، الا ظفرى بالأقل مما حاولته، على ما اضرمته نيران الغربة فى قلبى ، وثلمته صفقات الفتنة فى لبى ، وقطعت أهوال البـر والبحر من خواطرى،واضعفت الوحشة من غرائزى وبصائرى » .

وقد دلنا بذلك على أن هذه المقامات ترجع الى ما بعد مغادرته افريقية . اما أن ذلك يعنى فترة مقامه فى صقلية ، لا المرحلة التالية وهى المرحلة الأندلسية ، فقد يدل عليه ما عرض به بعد لابن عبد ربه من بعد دياره ، مع مصاقبة اشعاره .

لم يلبث ابن شرف أن ضاق بصقلية ، فطمح ببصره الى الأندلس ، وعرض اقتراح الرحلة اليها على صاحبه ابن رشيق ، فاعرض عنه ، فمضى وحده ومعه أسرته ، وعاد مرة أخرى الى مكابدة السفر فى البحر ، والى معاناة الاشفاق علـى صغاره فى مثل هذه الرحلة ، وقد مثل لخياله ما امتحنوا به منذ ترك القيروان الى المهدية ، ثم حين مضى بهم فى البحر الى صقلية . وقد كانت هذه الصورة من اكثر الصور تحريكا لأشجانه ، واثاره للواعجة . وكانت ـ فيما يبدو ـ ما تفتأ تعرض له ، كما نرى ذلك فى غير موضع فيما بقى لنا من شعره كقوله :

كأنى وافراخى ـ اذا الليـل جنّنـا
وبات الكرى يجفو جفونا ويَطْـرُقُ
حمائم اضللن الوكورَ فضمّهـا
تجانُسُهـا حتى تراءى المفــرق
اذا افزعتهم نبـوةٌ زاحمـوا لها
ضلوعى حتى ودّهم لو تُفتَّقُ
ويصـغر جسمى من جميع احتضانهم
فيثبت ذا فيـه وذا عنـه يزْهق

كأنهم لم يسكنوا ظل نعمة
لها بهجة ملء العيون ورونق
الى ان غدوا فيء الفيافى فتارة
تباع ، وفى بعض الأحايين تعتق
وطورا على موج البحار ، كأننا
قذى قد وثقنا أننا ليس تغرق
ونحن نفوس تسمة ليس بيننا
وبين الردى الا عويشد ملفق

او فى مثل قوله ، يذكر هؤلاء الصغار ، فيما امتحنت به ، وما كانت قبل عليه من نعمة :

اطافل ما سمعت بالفلا
قط ، فعاينت الفلا دارها
ولا رأت ابصارها شاطئا
ثم جلت باللج ابصارها
وكانت الأستار آفاقها
فعادت الآفاق أستارها
ولم تكن تعلو سريرا علا
الا اذا وافق مقدارها
ثم علت كل عثور الخطا
ترمى بها الأرض واحجارها
ولم تكن تلحظها مقلة...
لو كحلت بالشمس أشفارها
فأصبحت لا تتقى لحظة
الا بأن تجمع أطمارها

عشر سنين قضاها فى الاندلس

وبلغ ابن شرف الاندلس ، وبدأ بذلك مرحلة جديدة فى حياته ، احسب انها امتدت نحوا من عشر سنين . ولسنا نحاول فى هذا الفصل ان نتابع خطاه فى هذه المرحلة . ولكنها كانت - على كل حال - خطا مكدودة مضطربة بين الاقدام والاحجام ، وبين الطموح والحذر والاشفاق .

كانت وجهته الأولى فى الاندلس ، منذ ازمع الرحلة اليها،باديس بن حبوس ، صاحب غرناطة، للصلة الوثيقة التى تربطه بأفريقية ، وبالمعز بن باديس خاصة ، ولكنه لم يلبث أن تحول عنه واعرض عن قصده ، وعدل عن أن يوجه اليه ما كان كتبه باسمه . فقد عرف ، منذ حل بالأندلس انه ليس بالصفة التى كان يتوهمها ، فلم يكن - كما كان قريبه المعز - يتذوق الأدب او يعنى به، ولا كان للأدباء حظوة عنده . انما كان رجلا جافيا، ثم كان - فوق ذلك - جبارا عاتيا لا تؤمن غوائله.

وحاول المعتضد ابن عباد ، صاحب اشبيلة ، ان يجتذبه اليه ، ويصطنعه ، ويجعله فى حاشيته . وكان جديرا بابن شرف أن يهش لذلك . ولكن ما كان يتحدث به الناس عن جبروت المعتضد وغدره، وما كان يترامى الى سمعه عن فلان وفلان من اهل الأدب ممن استجابوا لاغرائه ، فوقعوا فى حبائله، ملأ قلبه خشية ورهبة ، وجعله يمتنع من القدوم عليه بالرغم من الحاح المعتضد ، واكتفى من عقد صلته به بتوجيه رسائله وشعره اليه ، كما وجه اليه كتابيه : ابكار الأفكار ، واعلام الكلام ، وقد وسمهما باسمه .

وفيما عدا هذين : باديس والمعتضد ، اخذ يتردد على ملوك الطوائف فى شرق الأندلس وغربها، لا يكاد يطمئن به المقام ، فمرة هو عند المنصور ابن أبى عامر صاحب بلنسية ، وأخرى عند ابن طاهر فى مرسية ، وثالثة عند المظفر بن الافطس ببطليوس ، واخيرا عند المأمون بن ذى النون فى طليطلة .

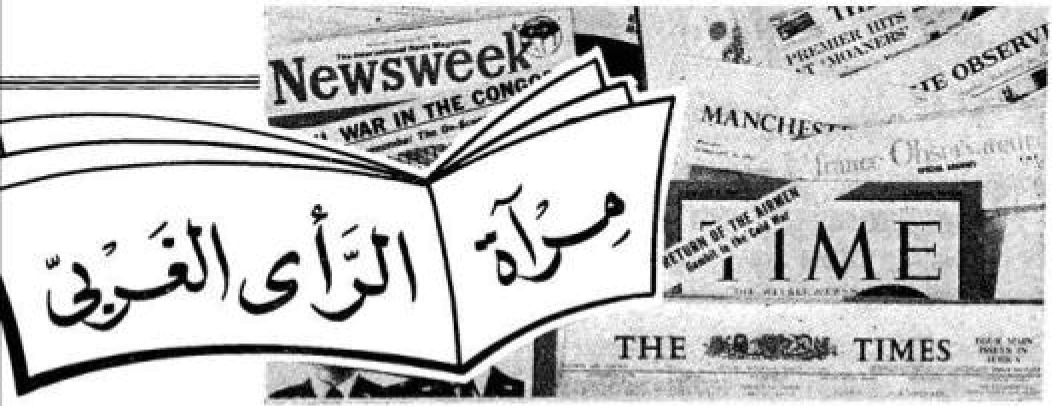
وظل يذكر القيروان دائما

وفى خلال ذلك كله كانت القيروان ملء خاطره، وكانت النكبات التى حلت بها ما تزال تثيره ، فهو لا يفتأ يذكرها فى شعره فى كل مناسبة تعرض له ، يتفنى بها ويحن اليها فيقول فيما يقول :

يا قيروان ! وددت انى طائر
فأراك رؤية باحث متأمل
آها ! وأية آهة تشفى جوى
قلب بنيران الصبابة مصطلى
لا كثرة الاحسان تنسى حسرة
هيهات تذهب علة بتعلل
واذا تجدد لى أخ ومنادم
جددت ذكر اخ هنالك اول
(لو كنت أعلم أن آخر عهدهم
يوم الرحيل فعلت ما لم افعل)

وهكذا كانت حياة ابن شرف ، منذ مأساة القيروان ، صورة حية من هذه المأساة ، حتى ادركه الموت ، نحو سنة ٤٦٠ ، مغمورا ، فرغ من الملوك والجلوس اليهم ، مكتفيا بذكرياته يراجعها ويعيش فى غمارها . ■■

طه الحاجرى



الزعماء السوفييت فى رأى سياسى بريطانى

عن صحيفة/الصنداى تايمز اللندنية

● لقد تسنى لى التحدث طويلا الى كوزيجين وميكويان وبريجنيف فى زيارتى الأخيرة الى موسكو . وتسنى لى ايضا الاطلاع على مدى تعاونهم فى تصريف شؤون الدولة : كوزيجين بصفته رئيسا للحكومة او الوزارة ، وبريجنيف باعتباره رئيسا للحزب ، وميكويان بوصفه رئيسا للدولة . فالاختصاصات موزعة فيما بينهم على نحو من الدقة ، تجلى فى الحفلات التى اقيمت فى الكرملين مؤخرا . فقد كانت وظيفة بريجنيف فى تلك الحفلة مجرد الحضور . واسندت الى ميكويان مهمة القاء كلمة ترحيبية تليق بالمناسبة ولا عجب فهو رئيس الدولة . اما اختصاصات كوزيجين فى الحفلة المذكورة فقد اقتصرت على عدم التفوه بشىء البتة

والجدير بالذكر ان كوزيجين هذا يجمع بين الجد فى التفكير والصلابة فى المزاج من جهة ولطف المعشر الواضح فى الابتسامة الجذابة التى لا تفارق ثغره من جهة ثانية . فالأثر الذى يتركه فى الغير تبعا لذلك اثر عميق ولا ريب . وهو فضلا عن ذلك واضح التفكير الى حد بالغ ، واسلوبه فى التفكير ، بل فى الحديث ايضا ، يدل دلالة واضحة على اعداده العلمى السابق .

لقد كان مؤدبا معى للغاية وصريحا فى التحدث الىّ الى ابعد الحدود . ولم يبد اى انزعاج على الاطلاق لدى انطلاقى فى الحديث معه بمثل الصراحة التامة التى حدثنى بها . ولعل ابرز صفاته انه لا يحفل كثيرا بمصالحه الخاصة ، فهو لا يسعى الى ترقية ولا يلجا الى التمثيل على نحو ما كان يفعل خروشوف .

روسيا تغازل فرنسا

عن صحيفة / ازفستيا الروسية

● لا جدال في ان الاتحاد السوفييتى وفرنسا فى طليعة الدول الكبرى الأوروبية ، ولا ريب فى ان مسؤولية العمل على تفادى اندلاع الحرب فى اوربا ثانية لتقع على عاتقهما .

ولا شك ايضا فى ان التعاون الوثيق بين الاتحاد السوفياتى وفرنسا خير ضمان لكافة الدول المعنية ، ولمساعدتها على فتح صفحة جديدة فى مساعيها لتوطيد الامن فى اوربا وتعزيز التعاون المثمر فيما بينها .

العقل البشرى والتحكم بأسباب الوراثة

عن صحيفة / النيوستيتسمان اللندنية

● آن الأوان لمجابهة مشكلة التوالد والتكاثر ، لا من حيث عدد المواليد فحسب ، ولكن من حيث نوعيتها وصفاتها ايضا . فلئن كان العلم الحديث عاجزا فى الوقت الحاضر عن التحكم فى عوامل الوراثة واسبابها ونوع المواليد وصفاتها كذكائها وطيب معدنها الخ .. فان التطورات الأخيرة فى ميدان الطب وعلم الحياة وعلم الوراثة تبشر بمثل ذلك التحكم فى غضون السنوات العشرين او الثلاثين القادمة . لقد اصبح فى وسع هذه العلوم التنبؤ ، على نحو مشوب حاليا بالتخمين واليقين ، باحتمالات انجاب طفل مشوه . فما بالك فيما لو احرزت هذه العلوم من التقدم ما يمكنها من الجزم بتشويه المولود جزما علميا ثابتا .. ولعل شيئا من هذا التقدم قد تحقق بالفعل . فقد اصبح ممكنا تحديد التشويه الذى ذكرنا فى الحالات التى يكون للتشويه فيها اساس وراثى فى الآباء .

ويصدق ذلك ايضا على التحكم بجنس المولود ، ان كان ذكرا ام انثى ، فضلا عن التنبؤ به. فقد اصبح ذلك قريب المنال. اضف الى ذلك أن « بنك التوالد الاصطناعى » وما ينطوى عليه من تحكم بمكان الولادة وزمنها ، وتحكم آخر أهم يتصل بالجمع بين صفات وراثية معينة دون صفات، قد بات قاب قوسين او ادنى .

ولا غرابة اذن فى أن يصبح العلم الحديث قادرا فى مستقبل غير بعيد ، على زيادة عدد الذكور او الأذكياء او الشجعان من المواليد .

اغتيال الرئيس كندى وبعض ذيوله

من صحيفة/ مينابوليس تريبيون الامريكية

● ثمة حق يليق بالحكومة الاتحادية (حكومة الولايات المتحدة) ممارسته . ذلك هو حق محاكمة من يقدم على اغتيال رئيس جمهورية الولايات المتحدة او نائبه ، وقد كانت ممارسة هذا الحق حتى الآن وقفا على حكومات الولايات المحلية نظرا لأن جريمة القتل بالذات لم تكن فى نظر القوانين الامريكية من الجرائم التى تدخل ضمن اختصاص الحكومة الاتحادية .

ويذهب البعض الى أن اعدام القاتل لا ينفع القتيل ولا يفيد القاتل على الرغم من أن الموت هو العقاب الوحيد الذى يبدو اكثر تجاوبا وبعض الجرائم ، وخاصة تلك التى تفوق غيرها فظاعة وبشاعة .

اننا نأمل الا يتكرر حادث اغتيال الرئيس الأمريكى فى المستقبل ، والا



تضطر السلطات ثانية الى انزال عقوبة الموت بمن يقدم على مثل هذه الجريمة النكراء . أما أن يعمد المشرع الأمريكى الى سن القوانين التى تبيح عقوبة الاعدام اصلا ، وتجعلها — فضلا عن ذلك — من اختصاصات حكومة الاتحاد المركزية ، فأمر يدعو الى الأسف الشديد . ولعل فى هذا الاجراء اسوأ قدوة لحكومات الولايات المحلية ، وقد شرعت منذ أمد قصير فقط فى الرجوع الى الضمير وفى الغاء عقوبة الاعدام .

عندما تكون الوطنية

بقلم : خليل الهنداوى



انه لربيــع رهيب !

واى معنى للربيع اذا لم يكن فى موكبه الانسان ؟

واين هو الانسان ؟

كان ذلك فى ربيع سنة ١٩٢٦ ...

يوم كانت الثورة التي اعلنها شعبي بكل مكان ، تأكل كل شيء ، وتدمر كل شيء ... كانت تستعر فى اقليم البلان على روابي جبل الشيخ ، وتستمد لظاها من جبل العرب ، وتتفجر حممًا فى مسارب الغوطة وعلى مشارف دمشق ... وتؤج فى جبل العلويين ، وجبل الزاوية وبطون حماة . بل هي فى كل سهل ، وواد ، وفى كل جديب ، وخصيب !

وقل ان يمر يوم دون ان يدوّى فيه الرصاص ، وتزعق القذائف ، وتهدر الطائرات ... وكان العدو يجند كل ما عنده ليجابه الثورة ، وكان يشترى العيون والارصاد ، ليدلوه على دخائل الثورة ... وبلادي كانت تحارب ...

■ وكان الربيــع !

الطبيعـة وحدها تزدهى ، وتتبرج ، لاستقبال فتاها الربيع !

الازهار تحتفى بالازهار ...

والطيور تسجع للطيور ...

الينابيع تتفجر بدون صوت ،

والسواقى تنحدر بدون صدى ..!

فوق المصيدة



.. واقترب الامير عادل من الخائن ، وهو يهز جواده الاشهب نحوه ... حتى اذا اصبح قريبا من المرمى ، اشهر مسدسه ، واطلق عليه الرصاصة الاولى، فالثانية، فالثالثة... وساد صمت رهيب

صخور بلادى كانت تقاوم ...
واشجارها كانت تحمى لرجال الثورة ...

هؤلاء الرجال الفلاحون ، الذين يزرعون نهارا ، ويباغتون العدو ليلا .

هؤلاء الرجال العمال الذين يديرون آلاتهم ومعاملهم مع الصباح ، وفى المساء يحملون البنادق للكفاح !

كمين اثر كمين ...

وقافلة بعد قافلة من الشهداء تتلاشى ...

فى الايام العشرة الماضية ، ادرك المجاهدون ان العدو اصبح اكثر معرفة باماكنهم ، فهو يصب النار عليهم صبا ، بعد ان كانت ناره تذهب ضائعة .. طائشة :

— لماذا ؟ من اين انتهى الى العدو مكان تجمعنا ؟ هل فى الامر حيلة ؟

جمع الامير عادل ارسلان — قائد الحملة — رجاله وشاورهم فيما يقلق خاطره وهو يتساءل :

— هل يمكن ان يكون فى المجاهدين من اشترى العدو ضميره ؟

اصبحت مهمتهم الآن مراقبة بعضهم بعضا ، كما يراقبون العدو ...

كان الوقت عند الهجيرة ، وشمس الربيع لاتقل لذعا عن شمس الصيف فى الهاجرة ! دخل الثائر « فؤاد » وهو اصغر المجاهدين سنا ، تحت عليقة ممدودة الاطراف ، يريد ان يتقى بظلها وَهَج الشمس والحر ، وبندقيته لا تترك منكبه ! فما راعه الا ان يرى رجلا مستخفيا ، نائما تحت العليقة .

تأمل فيه ... انه غريب الوجه ! لم يسبق له ان رآه ... أهو ثائر جديد انضم الى الثوار حديثا ؟

أعد سلاحه ، وايقظه ، وسأله :

ـ من انت ؟

تلجلج الرجل فى البدء ، ثم قال :

ـ منصور !

ـ من اى بلد ؟

ـ من مجدل شمس ... !

انه يعرف مجدل شمس ، والقرى المحيطة بمجدل شمس ، ولكنه لم يسبق له ان عرف هذا الرجل فيها ... فساقه امامه الى مجلس قيادة الثورة لاستجوابه ...

نادى الامير عادل بعض رجال المنطقة وفيهم « سلمان » ابن زعيم من زعمائها ، وسألهم :

ـ هل تعرفون الرجل ؟

لم يكن ـ هناك ـ من يعرفه ... قبض عليه ، ووضع تحت حراسة « سلمان » حتى الصباح لمحاكمته محاكمة علنية .

وفى الصباح ، تفقدوا الرجل ، فلم يجدوه ... فسئل من كان يحرسه :

ـ اين الرجل ؟

تلجلج سلمان فى الجواب ، وغمغم قائلا :

ـ لعله اغتنم فرصة غرقي فى النوم ، فهرب !

ارسلوا الخيل وراء الهارب ، فى كل مسلك يمكن ان يمر به ... وما هي الا ساعة حتى وقعوا على الهارب ، واعادوه مقيدا .

بدأت المحاكمة :

أعترف الآن بأنه جاسوس للعدو ، اشتراه بالمال ... انه كان يعطي انباء تحركاتهم للعدو ، من اجل المال . المال شيطان يغرى ... انهم اشتروه بثمن بخس ... انهم وعدوه ... ومنوه الاماني ، وزخرفوا له القصور ... ولكن ضميره الآن يوبخه ، لان جاسوسيته كان حصادها ازهاق ارواح العشرات من الثائرين الذين هبوا لتحرير وطنهم ، بدون طمع فى شيء . وهو ينتظر جزاءه ليكفر عن ذنبه ...

وسألوه :

ـ من يسر لك سبيل الهرب ؟

أشار الى « سلمان » وسكت !

ـ وانت ، يا سلمان . ما الذى اغراك باطلاق سراحه ؟

اطرق سلمان رأسه ، ولم يجب ...

عند ذلك قطع الامير عادل الصمت العميق بصوته الأجش :

ـ ما هو نصيب الخائن يا قوم ؟ ما هو جزاء الذى يعين الخائن على الفرار ؟ هل غير الموت ؟

ولم يكن ـ هناك ـ مجال للاختيار والانتظار .

ـ انه الاعدام !

ولكن « سلمان » لم يكن برجل ضعيف المنزلة فى عشيرته ، انه من اسرة عريقة ، كثيرة العدد ، شديدة البأس ، طالما قدم رجالها الضحايا على مذبح الثورة .

احب بعض الرجال ان يخففوا الجزاء عنه ، معتبرين ان خيانته لم تثمر شيئا للعدو .

ولكن الامير عادل قاطع هذا الميل بقوله :

ـ ولكن هنالك مبدأ ، مبدأ جزاء الخيانة ، نحن نجازى الخيانة بحقيقتها ، ولا نجازى الخائن حسبما ينتهي اليه عمله .

وهكذا أصر الامير عادل على اعدام الخائن ، لانه بذلك يجازى الخيانة ..

ـ ولكن سلمان ـ ايها الامير ـ من قبيلة تملك الآن اربعمائة بندقية مشهورة فى وجه العدو ، ماذا يكون مصيرنا ، ومصير الثورة اذا انسحبت قبيلته من ساحة المعركة ناقمة ؟

أجاب الامير بلهجة رصينة :

ـ انني اذود عن حق شريف لا يتساهل مع الخيانة ، وساذود عنه ، ولو بقيت فى الساحة وحدى ، لا خير فى الف بندقية اذا تهاونت مع الخيانة !

ساد الهمس ، ثم صار الهمس حسيسا ، ثم صار الحسيس صوتا واحتجاجا ، ومشى الذعر والقلق في



١ ـ بطل هذه القصة الواقعية هو الامير عادل ارسلان : «امير مجاهد، شاعر، من قادة الثورة الاستقلالية فى سورية ، ينعت بامير السيف والقلم . وكان من اعضاء مجلس النواب العثماني ، وهو شقيق الامير شكيب ارسلان ، تولى اعمالا حكومية ، ودخل فى جمعية « العربية الفتاة » السرية ، وعين مساعدا لرئيس الحكومة السورية بدمشق فى العهد الفيصلي ، ونزح عنها يوم احتلها الفرنسيون (سنة ١٩٢٠ م) فحكموا عليه غيابيا بالاعدام .. وحين ثارت سورية على الفرنسيين سنة ١٩٢٤ ــ ١٩٢٦ م بقيادة سلطان باشا الاطرش كان عادل زعيمها الثاني ، وفى معاركها ظهرت بطولته ... ولما جلا الفرنسيون عن سورية رجع اليها ، وتولى فى عهدها الوطني بعض الوزارات ... توفى فى بيروت . وكان المحيا ، كريم النفس ، ابيا . له شعر جيد حلو المعاني ، رفيع الاسلوب » .

عن موسوعة « الاعلام »

صفوف الثوار ، لا لخوف ، او تردد ، وهم الذين تحدوا الخوف والموت فى ساحات النضال ، ولكنهم باتوا يخشون الانقسام ...

انهم يخافون التمزق والانقسام ، والانقسام عدو مخيف ، يفرق امر الجماعة، ويبدد عزم القوة، انهم يخافون ان تتخلى عشيرته عن تأييد الثورة .

ــ ولكن ... لماذا لا تخافون ان يتحطم المثل الاعلى لهذه الثورة ؟ ان سكتنا عن الخيانة اصبحت بنادقنا خشبا ، لاروح فيها ، وانطفات ومضة الحق والمقاومة فى انفسنا ، حين نشعر بان هنالك خونة فى صفوفنا ، يسرحون ويمرحون ، ويدلون العدو على سوآتنا دون ان ينالهم الجزاء ...

اقتيد الخائن المحكوم عليه الى الساحة ..

وصاح الامير عادل :

ــ اطلق عليه النار يا فؤاد !

لم يطلق فؤاد النار ، بل تراجع الى الصف متواريا !

ــ اطلق يا شكيب النار !

ــ اعذرني يا امير ! ان العصبية تمنعني ، وتقيد يدى ! أطلب الي ان اجود بروحي ! ذلك اسهل علي .

خشي الامير عادل عاقبة هذا التردد ، وادرك انه اذا تمادى فى هذا الطريق ، فان الخائن سيفلت من الجزاء ، بداعي هذه العصبية التي لا تزال تغلب على النفوس ...

ــ حسنا ! انا الذى سأتولى تنفيذ الجزاء ! وعلي تبعة عملي !

اقترب الامير عادل من الخائن ، وهو يهمز جواده الاشهب نحوه ... حتى اذا اصبح قريبا من المرمى ، اشهر مسدسه، واطلق عليه الرصاصة الاولى ، فالثانية، فالثالثة ... وساد صمت رهيب . بينما راحت الجثة تتخبط على التراب ، تتمدد ، وتتقلص ، ونافورة من الدم القاني تنسكب !!

لم يكن هنالك الا عيون مقلوبة ، يشخص بعضها فى بعض ، ووجوه ارتسمت عليها علامات القلق الذى ينتظر فى الغيب نبأ سيئا .

ووريت الجثة فى الحفرة ، وهيل عليها التراب ، واخذ الناس ينصرفون جماعة بعد جماعة ، ورجلا بعد رجل ، بدون ان تلفظ كلمة ، او تقال تعزية ... ولم يبق فى الساحة الا قاتل وقتيل ... يحجب بينهما طبقة من التراب ، وطائف من الصمت العميق فرضه التحسس المجهول بالمستقبل .

ــ ما عسى تصنع بنادق العشيرة ؟ هل

يتفرق امر الثوار ؟ هل تتغلب العصبية على الوطنية ؟

اسئلة كانت تلح على خاطر الامير عادل ، وهو يريد ان يهرب منها ... ولكنها كانت تسد عليه كل منافذ تفكيره .

ـ ولكن ... لماذا تتوالى علي هذه الخواطر ، وقد كفيتها بالجواب ، وانا غير خائف ولا نادم !

عاد الامير الى مضربه، وقد أخذ الليل يحجب كل شيء ، حتى تستوي تحت قبضته الاشياء الحية والاشياء الجامدة !

ليس ـ هنالك ـ شيء يدل على مظهر من مظاهر الحياة، فلا صوت يشق صمت الليل، ولا نار تتحدى ظلام الليل !

وبات الثوار ـ ليلتهم ـ ينتظرون نبأ سيئا ..

ظلت عينا الامير عادل طوال تلك الليلة ساهرتين ، تترصدان ...

ـ وماذا تترصدان ؟ العدو بعيد ،وهم في مأمن منه ، والليل ، عادة ، يملكه الثوار ويخشى فتكاته ومفاجآته العدو .

انه في الواقع يترصد نبأ سيئا ..

وفي الهزيع الاخير من الليل ، لم تستطع عيناه مغالبة السهر ، فاغفى .. وهو لا يزال يرتدي ثيابه ، ويعتمر بكوفيته وعقاله ، ويده على زناد بندقيته ...

احس الحارس في أواخر الليل بان قائده نائم ، فاشفق عليه من لذع البرد ، وهو بدون غطاء ، : فالقى عليه عباءته ، لتحمل اليه الدفء ، وغادره نائما !

لاحت تباشير الشروق ، وتراكضت خيوط من النور الى مضجعه ، فحركت هذا النائم من نومه ، فما راعه الا ان يرى هذه العباءة على جسمه .

في هذه اللحظة ، يطرق عليه الباب احد رجاله ، ينبئه ان والد القتيل يود مقابلته على انفراد !

ـ والد القتيل يأتي لمقابلتي ؟ هل هو وحده ؟

ـ انه وحده ايها الامير !

رجل في العقد الخامس من عمره ، لا تزال تبرق عيناه بلمحات الحزم والصرامة ، يدخل بخطى ثابتة .. يمشي، ولا يزال يمشي حتى يواجه الامير الذي وقف لاستقباله ، وهم بالتقدم خطوات للقائه ...

مد الامير يده مصافحا ، بدون شعور منه وهو يتساءل في هذه اللحظة :

ـ كيف يليق بي ان امد يدي لمصافحة الرجل الذي قتلت امس ولده بيده ؟ هل يرى الدم على اصابعي ؟ هل تثور نفسه الان لولده ؟؟؟ هل يصوب بندقيته التي يحملها علي ؟؟

وفي غمرة هذه الشكوك راح الرجل يتناول يد الامير ويقبلها .. الدموع تترقرق في عينيه ، وشفتاه ترددان هذه الكلمة :

ـ جئتك ايها الامير شاكرا .. لانك ، بقتلك هذا الخائن محوت عني عارا كان سيرافقني الى الابد !

لم يكن الجواب الا دمعتين ترقرقتا في عيني الامير ، وانحدرتا على اليد التي اخذت يده لتقبلها ..

ـ لقد كانت هذه الدمعة وحدها كافية لغسل هذا الدم المدنس !

التفت الرجل الى الامير وقال :

ـ والآن ايها الامير ، لن يهدىء بالي الا ان تزورني في مضاربي ، حتى يدرك هؤلاء الثوار ان وطني فوق ولدي، وان القضية اسمى من العصبية ..

وفي اليوم الثاني كان الامير عادل وحده في طريقه الى مضارب الشيخ ، ليزوره ويجدد العهد على مواصلة الكفاح ..

لم يصدق الثوار ما رأوه...بل شك بعضهم في ان يكون هذا المظهر يخفي نبأ سيئا ...

وفي اليوم نفسه نادى المنادي محذرا بان العدو قد باغت طلائعهم .. فهب الثوار من مكامنهم ، يطيرون الى حيث مد العدو اجنحته ...

وكانت بندقية الشيخ ، وبنادق عشيرته ، وقبيلته في هذه المعركة ، على راس البنادق التي صدقت في الكفاح . ■■

خليل الهنداوي

سوء التغذية فى الامم المتخلفة

● تقرير ظهر اخيرا دل على ان حالة الطعام ، والصحة ، معا ، فى الامم المتخلفة تزداد سوءا . ففي هذه الامم ٦٦٧ مليون صبي وصبية دون الرابعة عشرة ، سبعون فى المائة منهم ساء طعامهم . ومن هؤلاء اكثر من ٢٦٠ مليونا مصابون بأمراض سببها سوء التغذية ، والمقدر ان يرتفع هذا العدد الى ٣٢٩ مليونا فى عام ١٩٧٥ .

والراى السائد اليوم ان ارسال الاطعمة الى هذه الاقطار اليوم يسد حاجة عاجلة ، ولكن هذا لا يشفى هؤلاء الناس من الحالة السيئة المزمنة التى هم فيها . لا بد من تعليم هؤلاء الناس كيف يزرعون لانفسهم ، وكيف يرعون الزرع بأنفسهم ، وكيف يحصدون لانفسهم .

من أجل هذا اتجهت سياسة المعونة التى تجرى عليها الامم التى تعين بالمحاصيل ، الى ارسال البذور الى اهل تلك الاقطار ، وارسال ادوات الزرع واجهزة الحصد ، وتعليمهم كيف يجنون من عرق جبينهم ما تحسن به حالهم ، وتصلح تغذيتهم، وبذلك تطيب صحتهم .

ويتضمن التقرير حقيقة ذات بال : لقد ظلت الولايات المتحدة ترسل الطعام الى سائر الاقطار ، ثم اتضح ان مقدار ما تصدره الولايات المتحدة من الانتجة الزراعية قد تضاعف فى العشر السنوات هذه الماضية . وضرب مثلا باليابان : ظلت الولايات تبعث الى اليابان بالطعام بالمجان . واليوم أصبحت اليابان تنفق أكثر من ٥٠٠ مليون دولار سنويا تشترى بها من الولايات ما تحتاجه من بضائع الزراعة . ارسال الطعام بالمجان اذن كان مفيدا .

طلبة المدارس فى ليبريا يفلحون الارض ليزرعوا بها ما يحتاجون اليه من خضراوات تاتي بذورها منتقاة من حيث تستزرع البذور الاصلح



اصوات فى الاعماق

● انهـا أعمـاق البحار ، وفى غير الأعماق .

انك لوسألت انسانا ، ان يذكر مكانا ، اهدأ مايكون ، واسكن مايكون ، لخطر له فى البال اول خاطر ، نفـق فى الأرض ، او غواصة فى اعماق الماء .

ولكن : فى الحرب العالمية الماضية ، حاول العلماء كشف الغواصات ، بما يصدر عنها من اصوات . واذا باصوات غريبة تتدخل .

وكان هذا بدء بحوث هذه الأصوات .

وخرج اليوم بها كتاب كبير ، يصف ما أخرجت هذه البحوث .

وفيها ان للاسماك ، وغير الاسماك من سـاكنات المـاء ، اصـواتا . حتى الجنبرى .

وفيها ان للاسـماك ، وغير الأسماك عـلى الفـير ، وعـلى الموضـع . وفى ظلام الأعماق للتجسس على الضحية ، او التحسس وتلمس العدو وموضعه .

وفيهـا ان الحيتان لها اصـوات ، تهتدى بأصدائها .

وفيها كيف يصنع الصوت ، فأحيانا بمثانة العوم ، واحيانا بقرض السن ، واحيانا بالزعانف واداة العوم .

وفي الكتاب ان الأحاسيس تهدى ، وهي تحمي. وساد في الانسان البصر ، فضعفـت بالنسبة اليه الاحـاسيس الأخرى ، ومنها السمع . وضعف البصر عند السـمك ، وقـل النور في بيئتـه ، فاحتد فيه السـمع .

انه كتاب فى ٤٠٠ صفحة ! فى هـذا الموضوع وحده .

طريقة جديدة لفتح البيض

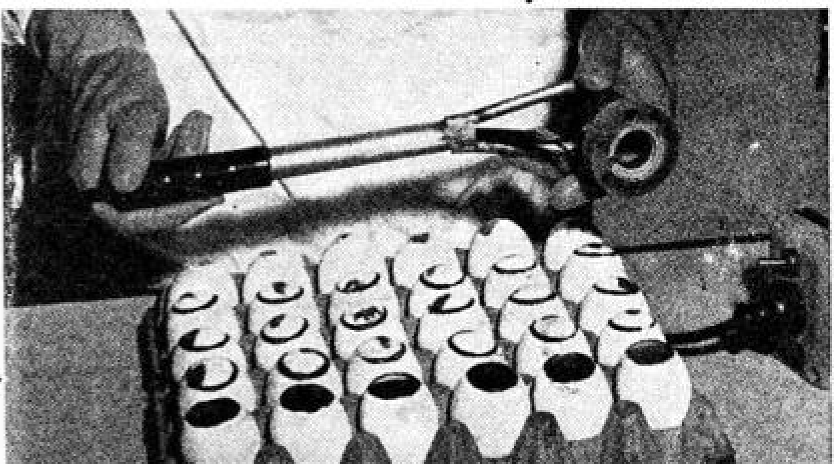
● فى الصباح ، أنت تفتـح البيض بالملعقة الصغيرة حيثما اتفق .

والصورة المرفقة تريك عددا من البيض فتحوه آليا . انها حلقة من الحـديد يجرى فيها التيار فيسخنها . وتنطبق على اعلى البيضة فتفتحها فتحا منتظما كما ترى .

هل هى لبيضة الافطار فى الصباح ؟

بالطبع لا . ان الافطار أيسر من هذا.

انها لفتح العديد من البيض للبحوث العلمية الطبية ، حيث يجب أن يكـون البيض معقما ، قبل فتحه ، ومن بعـد فتح . والحرارة تعقم .







فى الصورة الاولى احد الرجلين ، وهو يرى صورة صاحبه الذى يكلمه على بعد . والصورة الثانية الرجل الثاني يستمع ويرى صاحبه كذلك

تلفون اليوم ، وتلفون الغد

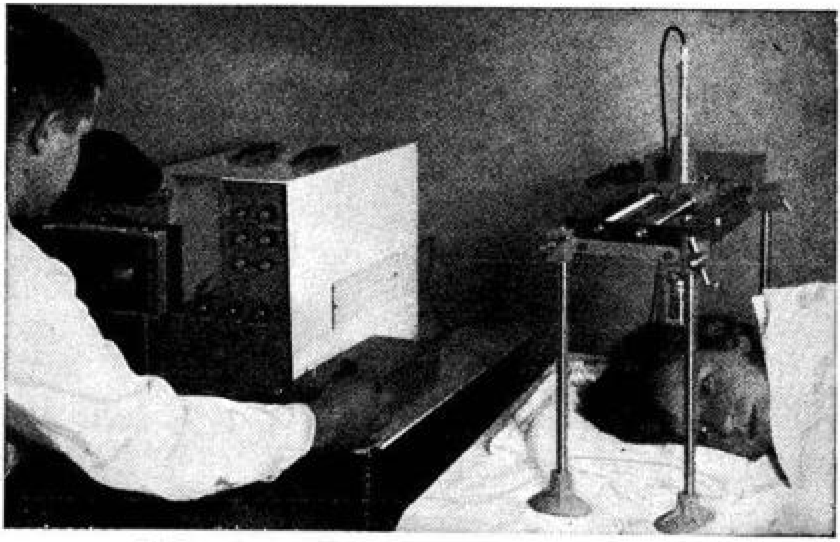
● احصوا عدد التلفونات الموجودة فى العالم فى عام ١٩٥٤ فكانت نحو ٩٠ مليون تلفون ، ثم هم احصوها فى عام ١٩٦٥ فكانت ١٧٠ مليونا ، ويتوقعون ان يبلغ عددها فى عام ٢٠٠٠ نحوا من ٦٠٠ مليون تلفون . وهذا التوسع فى المواصلات التلفونية سيكون من اسبابه اتساع نطاقه ، لا فى الامة الواحدة . وانما بين الامم المختلفة كذلك . وقد دخلنا اليوم فى عصر التلفنة عبر السماء ، عبر القمر الاصطناعى ، « الطائر الباكر » ، وما سيصحبه قريبا من اخوة تشغل الارض كلها بمواصلاتها .

والتلفزة ستدخل تلفونات المنازل .

وعما قريب سوف يستطيع المتكلم فى تلفونه ان يرى من يكلمه ، وان يرى ذاك هذا ، فكانما هما حاضران معا فى حجرة واحدة يتحدثان . وتصبح المواصلة التلفونية ، التى هى وصل بين اذن واذن ، وصلا بين عين وعين .

وفى الصورة تلفون المستقبل وهو تحت التجربة . والمتحدثان به يجلسان فى حجرة واحدة . وهى وقد نجحت فى المختبر ، وبين الرجلين متر او متران ، وهى تنجح وبينهما مئات الاميال .

وان غدا لناظره قريب .



هذا الطبيب ، يرسم مخ هذه الصبية بواسطة الامواج الصوتية فوق السمعية . والصورة الناتجة تكشف عما في المخ من آفة قد تكون

اورام فى المخ تكشف عنها اصوات ما فوق السمع

● اولا ماهي اصوات ما فوق السمع، تلك التى نسمع عنها كثيرا ؟

ان الصوت ، كما يعلم كل طالب ، يحدث من اهتزاز شيء ، كغشاء طبل ، او نحاس جرس . وهو يهز اذ يهتز الهواء ، يدفع اجزاء الى امام ، ثم يردها الى خلف ، وتسمى هذه هزة او ترددا . وتصل هذه الى طبلة الاذن فتهزها ، فيسمعها الانسان صاحب الاذن .

كلام بديهى معروف .

والاصوات تنتج عن اهتزازات سريعة جدا ، تبلغ المئات فى الثانية الواحدة . والاذن الانسانية تستطيع سماع الصوت وهزاته نحو ١٦ هزة فى الثانية ، فاذا نزلت عن ذلك لم تسمعها الاذن . وكذلك اذا هي زادت عن نحو ٢٠٠٠٠ هزة فى الثانية ، لا تسمعها الاذن . وهو قول اجمالي .

وهناك صفافير يصفر فيها الصافر ، فيسمعها الكلب فيأتي ، ولا يسمعها الانسان . وذلك لان ذبذباتها تعلو عددا عن ذبذبات تسمعها اذن الانسان ، ويسمعها الكلب .

هذه اذن هى الاصوات التى فوق السمع Supersonic .

والخبر الجديد الذى نورده هو دخول هذه الاصوات فوق السمعية الى الطب ، اداة للتشخيص وهى تستخدم للكشف

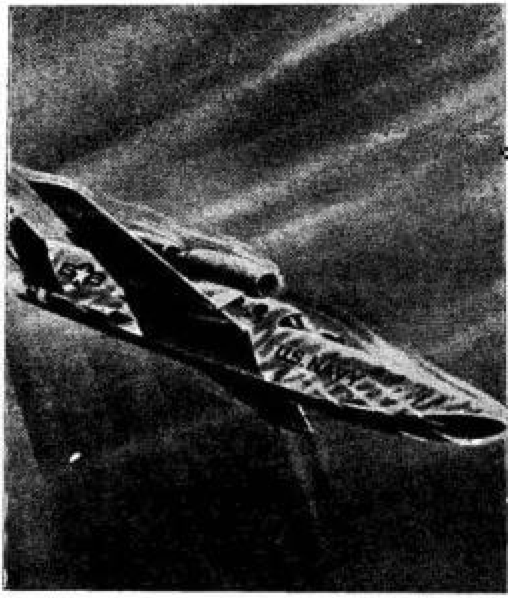
عن الاورام التى قد تصيب المخ . وقد حصل عدة من بحاث الطب ، بواسطة هـذه الموجات ، على صـور للمخ ، بل خرائط لـه .

ان الاصـوات فـوق السمعيـة استخدمت بضع سنوات للكشف عـن الاورام فى اجزاء اخرى من الجسم .مثلا فى الكشف عن الحصى فى الكلية ، وعن الجسم الغريب فى العين . اما فيما يختص بالرأس فالاطباء الباحثون لم يستطيعوا قراءة الرسوم التى تنتجها هذه الاصوات وهى تدور فى المخ الا فى الاشهر العشرين الماضية .

اما الاصوات التى تستخدم فهى تلك التى تصل ذبذباتها الى نحو مليوني ذبذبة فى الثانية. وهذه يصنعها جهاز يحول الطاقة الكهربائية الى طاقة ميكانيكية او طاقة صوتية . وعكس ذلك . والصوت الذى ينعكس عن الحدود التي يحدث عنها فارق فى كثافة (كالذى يكون بين ورم ومادة المخ) ، هـذا الصوت يرتد انعكاسا ، فيحوله الجهاز الى ذبذبات كهربائية تظهر على ستار الجهاز المعروف بالاوسيلوسكوب فتراه العين . ويمكن تصويره فوتغرافيا .

والمريض فى كل هذا لا يحس بسوء ابدا . لا يحس بشيء .

وثمن هـذا الجهاز يقع اليوم بين ٥٠٠٠ و ١٥٠٠٠ دولار . وقد حصلت عليه عشرات من المستشفيات . هـذه الاجهزة تزيد المستشفيات ثروة ، والاطباء قوة ، والمرضى صحة وامنا .



طائرة وغواصة فى آن

● ليست طائرة كالطائرات . ولا هي غواصة كالغواصات . ولكنها اثنتان معا . وان شئت فسمها طائرة غواصة. وهى اليوم مشروع تقوم ببحثه شركة امريكية لحساب بحرية الولايات المتحدة . انها تطير الى حيث يراد منها ان تنزل الى الماء ، الى هدفها الذى تريده تحت الماء ، غواصة للعدو أو هدف آخر من اهداف الحرب .

انها عندئذ تتحول من طائرة الى غواصة . أن بها ٣ محركات، فاذا تهيأت للنزول الى الماء غطت اثنين من هـذه المحركات الثلاثة واحكمت اغلاقهما حتى لا ينفذ اليهما الماء . اما المحرك الثالث ، وهو على ظهرها ، فيعمل في تحريك الطائرة تحت الماء .

ومجالها وهي طائرة فى الهواء دائرة قد يبلغ قطرها ٩٠٠ كيلو متر ، فى حين تبلغ سرعتها ٤٠٠ كيلو متر في الساعة. اما في الماء فقد يبلغ مدى تجوالها ٩٢ كيلو مترا بسرعة ٩ كيلو مترات فى الساعة ، وهي على عمق ٢٣ مترا تحت سطح الماء ، وهي تغطس بملء اكثر حجمها الداخلي بالماء . ■■



دردشة

قصة السير على الجانب الايسر او الايمن من الطرق

● قد يتساءل البعض عن الاسباب التي حملت بريطانيا على تفضيل الجانب الايسر من الطريق واعتباره الاتجاه الصحيح الذى ينبغي للسيارات التقيد به . فالسير على اليسار في بريطانيا ليس عادة اعتباطية ولا هو وليد الصدفة . فقد شرع البرلمان البريطاني في سن جملة من القوانين التي تفرض التزام الجانب الايسر من الطريق ، منذ عام ١٧٧٢ . ولذلك قصة طريفة ، كما ان للسير على اليمين ، وهو الاكثر شيوعا في العالم ، قصة طريفة ايضا .

تعزى بداية التقليد البريطاني في هذا الصدد الى ايام الحروب الصليبية والى استراتيجية القائد البريطاني المعروف ريتشارد قلب الاسد في الانقضاض على الجناح الايسر من جيوش اعدائه .

رحلات الفضاء

* قد لا يخطر ببال احد ان تكاليف الرحلة المرتقبة الى القمر لاتقل عن ٢٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠/- دولار وتتجلى ضخامة هذا المبلغ اذا اخذنا بعين الاعتبار ان ميزانية الولايات المتحدة الشاملة لابحاث الفضاء ورحلاته جميعا لا تتجاوز ٥٠٠٠ مليون دولار لعام ١٩٦٦ ولو قورنت تكاليف رحلة القمر هذه بتكاليف رحلة المريخ لتضاءلت الاولى وبدت تافهة للغاية . والمتوقع ان ياخذ الاعداد لرحلة المريخ سبيله ، فيحظى بالمخصصات اللازمة له في غضون عام ١٩٦٧ .

الا ان هذه الاستراتيجية العسكرية قد تجاوزت حدود ساحة المعركة بحيث اصبحت الجيوش البريطانية لاتسير في طريق ما الا وتتخذ الجانب الايسر من ذلك الطريق اتجاها لها . وانتقل هذا التقليد العسكرى وشاع بين المدنيين تبعا للقوانين التى سنتها الحكومة البريطانية في هذا الشأن. فقد قضت تلك القوانين على المدنيين باخلاء الطرق للجيوش كلما ظهرت فيها تلك الجيوش . واقتضت ضمانا لذلك الاخلاء ، التزام المدنيين دوما للجانب الايسر من الطرق . اذ لا يعقل ان يسير العسكريون والمدنيون على الجانب الايسر من طريق ما معا وفي آن واحد .

وظل هذا التقليد شائعا لا في بريطانيا فحسب ولكن في سائر البلدان الاوروبية الى ان ظهر نابليون وقلب استراتيجية ريتشارد قلب الاسد راسا على عقب . فقد شذّ القائد الفرنسي على القاعدة – جريا على عادته – وجعل الجناح الايمن من جيوش اعدائه بدلا من الايسر هدفا لهجماته . وهكذا تحولت سائر البلدان الاوروبية عن التقليد البريطاني ودرجت على التزام الجانب الايمن من الطرق كاتجاه لسير العسكريين فيها والمدنيين على السواء .

ولا يعرف السبب الذى حدا ببلاد السويد الى الابقاء على التقليد البريطاني . بيد ان السويد قد قررت مؤخرا العدول عن السير على الجانب الايسر وعمدت الى سن القوانين المعاكسة التي ستوضع موضع التنفيذ اعتبارا من الخريف المقبل . ويقال ان هذا التغيير سيكلف حكومة السويد نحوا من ٢٧ مليون جنيه استرليني .

وقد يكلف الحكومة البريطانية نحوا من ٢٠٠ مليون جنيه استرليني فيما لو اخذت به وهو احتمال مستبعد .

الطبع غلب التطبع

* طلبت سيدة من صديق مرافقتها الى السوقلشراء بعض الهدايا نظرا لخبرته بالاسواق . ولما كانت راغبة في شراء بنطلون لابنها قال لهاالصديق : « هنالك نوع واحد من البنطلونات انصح بشرائه ، ويباع هذا النوع بالذات فيمحلين اثنين فقط . اولهما يبيعه باربعة دنانير والاخر بدينارين ! » واوضح لها ان هذا الفرقفي سعر البيع انما يعزى الى وجود احد المحلين في سوق الطبقة الارستقراطية ووجود المحل الآخرفي سوق الطبقة الشعبية . ولم تتردد السيدة طبعا في تفضيل شراء البنطلون من حيث المبدابالثمن الاقل . الا ان صديقها آثر ان يرافقها الى كلا المحلين لترى بنفسها ان نوع البنطلون الذىيبيعانه واحد رغم الفارق الكبير في الثمن ، ولتكون على يقين من ان المنطق والمصلحة يقضيان بشراءالبنطلون من المحل الموجود في سوق الطبقة الشعبية . بعد ان امعنت النظر في البنطلون في كلمن المحلين قالت : « رغم كل تقديرى لخبرتك وتاكيدك بان البنطلونين من نوع واحد ، وبالرغممن تطابق الوانهما ومقاساتهما وماركتهما ، الا انني ميالة للاعتقاد بان البنطلون الاغلى ثمنا افضلمن الاخر ، وذلك لسبب اجهله ، ومع ذلك لا استطيع تجاهله » .

وغني عن البيان ان السيدة قررت في النهايةشراء البنطلون من المحل الموجود في سوق الطبقة الارستقراطية !

الفيلسوف والزواج

● يروى أن فيلسوفا خطب بقصد الزواج مرتين . الا انه لم يتزوج وبقي اعزب طيلة حياته . اما خطبته الاولى فقد نسيها نسيانا تاما مما حمل خطيبته بعد مضي سنة او سنتين علىقبول عرض بالزواج من آخر . واما خطبته الثانية ، وقد حرص اشد الحرص على عدم نسيانها ، فقد أولاها من اهتمامه الجدى ما جعله يعكف على اعداد ميزانية شاملة مفصلة لحياته الزوجية المقبلة . بيد ان الميزانية المسهبة هذه قد طال العمل فيها واستنفدت من الزمن أكثر مما استطاعت الخطيبة الثانية احتماله . وكانت النتيجة ان طلبت الفتاة فسخ خطبتها من فتى احلامها الفيلسوف ، وجهوده الدائبة في اعداد ميزانية حياته الزوجية .

الطبيعة البشرية

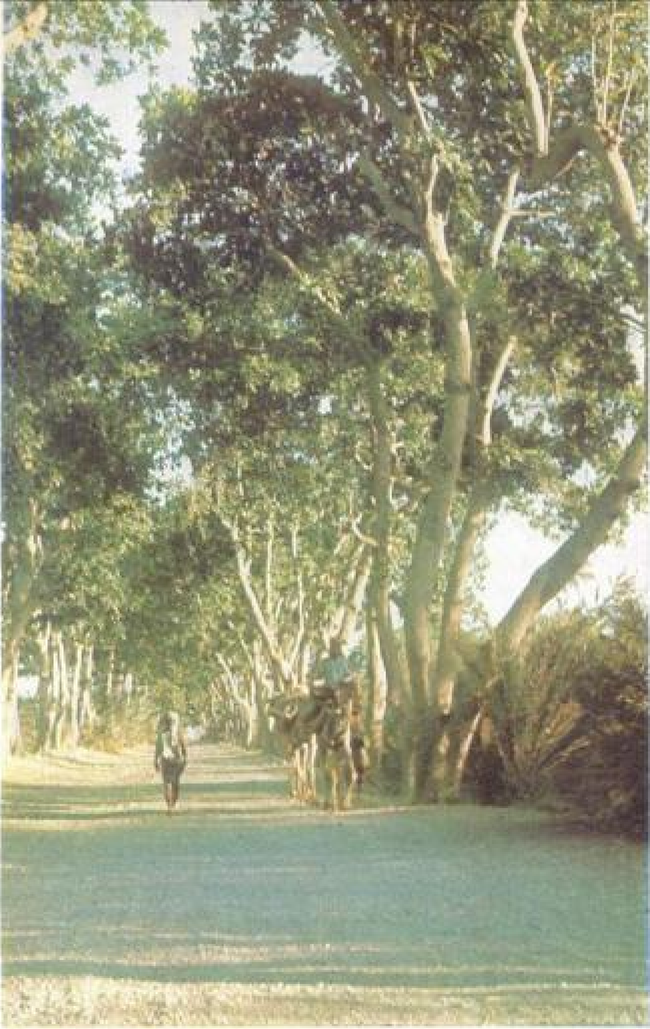
* هل خطر ببالك اننا جميعا نقيم وزنا للاشياء التي ندفع ثمنها ، أكثر مما نقيم وزنا لتلك الاشياء بالذات فيما لو لم ندفعثمنا لها ؟ واننا جميعا نوليالمعلومات والاخبار من اهتمامنا وتقديرنا فيما اذا كانت مطبوعة في صحيفة او كتاب ، اكثر مما نوليها فيما لو لم تكن مطبوعة ؟

أقوال مأثورة :

● **يقول باسكال :**

* **اذا طلبت امتداح الناس واطراءهم لك فما عليك الا أن تكف عن اطراء نفسك وامتداحها أمام الناس .**

* **لو كان أنف كليوباترا أقصر قليلا مما كان لتغير وجهالبسيطة .**



أعرف وطنك أيها العربي

لحج

ملكة واحات الجنوب العربي



الى اليمين : يتميز اللباس الوطني اللحجي بالوانه الزاهية الجميلة .. والصورة اليمنى تمثل الطف شخصية في لحج ، انه عبده على الـوبجي « الفيلسوف » الذي لا يترك بندقيته ولا يتوقف عن الحديث !

■ لحج .. اسم تردد على مسامع القراء في السنوات الاخيرة من خلال الاحداث ، فاصبح مألوفا لدى الكثيرين ممن لم يسمعوا به من قبل ، او سمعوا به دون أن يعرفوا عن مسماه شيئا .

واليوم تقدم «العربي» لاول مرة استطلاعا مصورا بالالوان عن « لحج » هذه .. انه الاستطلاع الثالث الذي قامت به بعثتنا في جنوب الجزيرة العربية .



جزء من الطريق الموصل بين لحج وتعز باليمن ... ويلاحظ انه لم يرصف بعد ، بعكس الطريق الموصل من لحج الى عدن ...

قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

« أوسكار »



يطبق في مدارس لحج جزء من المنهاج الدراسي السوداني ... ونرى هنا احدى المدرستين السودانيتين في لحج ، تدرب احدى الفتيات على أعمال الابرة



القطن ... اصبح المحصول الرئيسي في لحج . وتقدر كمية الانتاج السنوي منه بنحو خمسة ملايين رطل انجليزي ... وهذا احد ابناء لحج يجمع الذهب الابيض من فوق شجيراته ..

ولحج هي احدى سلطنات الجنوب العربي الخمس والعشرين ... ولكنها ـ طبقا للعرف السياسي ـ لم يعد لها كيانها المستقل ... لقد ذاب هذا الكيان عام ١٩٥٩ عندما انضمت الى ما يسمى باتحاد الجنوب لتصبح أكبر ولاية من ولاياته الاربع عشرة .

وسلطنة لحج ، أو سلطنة العبادل كما تسمى ، تقع في الشمال الغربي من عدن .. وعاصمتها « الحوطة » ، ويسمونها لحج أيضا .

واهميتها تكمن في موقعها الاستراتيجي الهام على الطريق الرئيسي الموصل بين عدن واليمن .. وقد جرّ عليها هذا الموقع الخراب والدمار في الحرب العالمية الاولى ... اذ كان الاتراك ، حلفاء الالمان في تلك الحرب ، يحتلون اليمن ، فاخذوا على عاتقهم مهمة مهاجمة الانجليز المتمركزين في عدن ، وكتبوا لسلطان لحج ، احمد بن علي ، يطلبون منه مساعدتهم لطرد الانجليز ، فرفض السلطان .

وفي عام ١٩١٥ انطلقت القوات التركية من قاعدتها في تعز باليمن ، وكانت مؤلفة من ٢٧٠٠ جندي مزودين بالمدافع الرشاشة المحملة على ظهور البغال والحمير .. فتصدى لهم سلطان لحج على أمل وصول مدد بريطاني ، ولكن هذا المدد ضل طريقه وسط كثبان رمال الصحراء ، ولم يصل منه الى لحج سوى شرذمة صغيرة تقدم اليها سلطان لحج ، ولكنه لم يقابلها أبدا ، اذ حسبته من طلائع العدو التركي ففتحت عليه نيران أسلحتها وأردته قتيلا !!

واستولى الاتراك على مدينة الحوطة ـ لحج ـ « فقتلوا عددا كبيرا من اهلها ، وانتهبوا اموالها وكل ما فيها » ... واتجهوا صوب عدن فاحتلوا بلدة « الشيخ عثمان » ، وظلوا يتقدمون حتى مشارف عدن ، ولكنهم لم يدخلوها وانما عسكروا عند مشارفها ..

ولم يجلُ الاتراك عن لحج الا عام ١٩١٨ بعد أن خسروا الحرب مع حلفائهم الالمان ..

دلتا لحج

وارض لحج منبسطة قرب عدن ، ولكنها تاخذ في الارتفاع كلما اتجهنا شمالا صوب اليمن، لتتحول الى جبال مرتفعة تفصل بين اليمن ولحج .. وفي شهري اغسطس وسبتمبر من كل عام ، تتساقط الامطار غزيرة على هذه الجبال فتندفع على هيئة سيول في مجرى واحد كبير يعرف بوادي تبَن ... وتستمر هذه السيول في اندفاعها حتى رأس الوادي حيث تنقسم الى فرعين : الوادي الكبير ، والوادي الصغير ..

وبين هذين الفرعين تكونت دلتا لحج من ارض غريَنية خصبة ..

الماء .. الماء

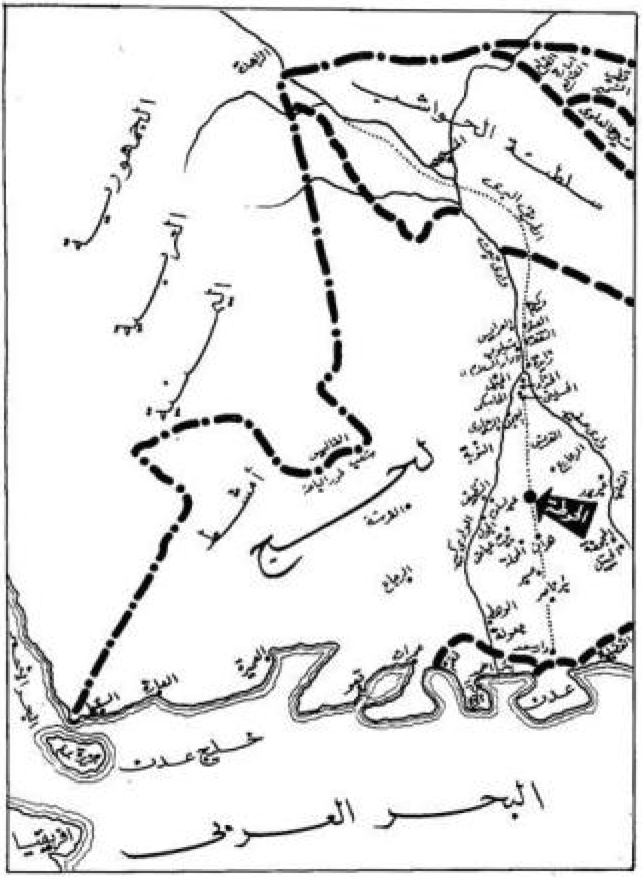
وعند رأس الدلتا كان يقوم سد ترابي هزيل ما تكاد السيول تندفع نحوه حتى تجرفه في طريقها .. وفي عام ١٩٥٩ قامت « لجنة الانعاش » ببناء سد كبير مكانه كلفها ٥٥ الف جنيه ، ليتحكم في توزيع مياه السيول على الفرعين ، وعلى القنوات الثلاث التي تروي وسط الدلتا وجانبيها .

وكثيرا ما تقل الامطار وتتوقف السيول ، ولكن أرض لحج تتميز بمياهها الجوفية الغنية ، فما يكاد صاحب الارض يحفر بئرا حتى يندفع الماء بكميات غزيرة ..

وقد تم حتى الآن حفر ٤٠٠ بئر صغيرة ، فلبت

أجمل مباني الحوطة (لحج) انه مقر رئاسة المديرية ، ويضم جميع الادارات الرسمية .. وكان في السابق قصرا للسلطان عبد الكريم ابن فضل بن علي ، شيده عام ١٣٤٣هـ ، واقاموا في حديقته هذه الاعمدة الاثرية ..





خريطة سلطنة لحج .. من الغرب تحدها الجمهورية اليمنية .. ومن الشمال سلطنة الحواشب .. ومن الجنوب عدن ، وخليج عدن.. ان مساحة لحج خمسة آلاف ميل مربع تقريبا ، وعاصمتها الحوطة، وتسمى لحج أيضا.. أما عدد سكانها فقد اختلف فيه ، بعضهم يقدره بأربعين ألفا ، والبعض يرفعه الى ١٠٠ الف !



السلطان ابن فضل بن علي العبدلي ، سلطان لحج .

★ ★ ★

نظام الرى القديم ، الى رى مستديم ...

عدن تشرب من لحج

ومما يذكر ان عدن وضواحيها تشرب من ماء آبار لحج الذى ينساب من ٢٤ بئرا ارتوازية ، تعمل عليها المضخات بلا توقف ليلا ونهارا لتسد حاجة عدن من الماء ، وتبلغ ٦٠٠ الف جالون يوميا.

ويصل هذا الماء العذب الى عدن عبر انبوبين يمتدان بمحاذاة الطريق البرى الوحيد الذى كانت تسير عليه قوافل الجمال منذ آلاف السنين ..

قصة طريق ..

وقد ظلت لحج تعيش فى عزلة بدون طريق معبد يوصل اليها ، حتى الحرب العالمية الاولى، فمندها مد الانجليز خطا حديديا مفردا يربط بين شمال لحج ومدينة عدن ، لاستخدامه فى أغراضهم الحربية .. واستمر هذا الخط اليتيم يعمل حتى ازيل عام ١٩٣٢ ، وبإزالته أصبح الجنوب العربى خاليا من أى خط للسكة الحديد ..

ومرة اخرى ، ولاغراض حربية بحتة ، بدأوا ، فى مطلع الحرب العالمية الثانية ، فى رصف جزء من طريق القوافل القديم بالاسفلت والرمل ، ولكنه لم يعمر طويلا ، فقد تحول مع انتهاء الحرب الى كومة من الاحجار والفجوات ، لرداءة المواد التي استعملت فى رصفه .

وعندما ازدادت اهمية عدن عام ١٩٥٨ وكثر عدد سكانها ، تزايد طلبهم للمأكولات من خضر وفواكه فعاد التفكير فى تعبيد الطريق ليربط بين عدن ولحج حيث تكثر المزارع ... وفى عام ١٩٦٢ انتهى العمل من رصف الطريق على احدث الاساليب ، بعد مجهود شاق كلفته ١٠٠ الف جنيه .

الطريق يقسم الحوطة

وكان هذا الطريق بمثابة العصا السحرية





كانت لحج مركزا لصناعة «الشيلان» والكوفيات الحريرية، وكان الصانعون منتشرين في مختلف انحاء السلطنة ... وكان انتاجهم يكفي استهلاك البلاد .. ولكن منافسة الحرير الياباني قضت تقريبا على هذه الصناعة، حتى لم يعد في لحج اليوم سوى ٤ محلات تصنع الكوفيات الحريرية، ويسمونها «المعْواس». ان ثمن الواحدة منها يتراوح بين ٣ و ٦ دنانير .. وتستورد خيوطها من الهند واليابان .. وما زالت تصنع على الطريقة القديمة، كما نرى في الصورة العليا ..



بدا حرص الناس على الماء فى لحج يتزايد .. وبداوا يعملون على اقامة السدود على الواديين المحيطين ببلدنا لحج لتنظيم توزيع المياه ... وتراهم فى الصورة العليا يعملون على اقامة محطة لتوزيع المياه على فرع الوادى الصغير ... والهدف من اقامة المحطة هو توزيع مياه الرى على قناتين جانبيتين ، تستطيع كل منهما ارواء ٤ آلاف فدان . وقد تكلف بناء المحطة مبلغ ٢٥ الف دينار ، وعمل فيها ١٥٠ عاملا يوميا ، وهى تبعد ٤ اميال شمال « الحوطة » ... ومما يذكر ان المهندس المسئول عنها هو ناصر محمد عامر احد ابناء لحج الذين تخرجوا من كلية الهندسة بجامعة عين شمس

الى اليمن : اقامت لجنة الانعاش الزراعى فى لحج محلجا يحوى ٣٠ مكنة لحلج القطن ، وبعد ان يتم الحلج يتحول القطن آليا الى المكبس ، الذى يكبسه فى بالات وزن كل منها ٣٦٠ رطلا ... اما بذرة القطن فتصدر للخارج بحالتها الطبيعية .. ومن المنتظر ان يصل الى المحلج غربال لتنظيف البذرة قبل تصديرها .. وقد اتفق على صنع هذا الغربال فى مدينة المحلة الكبرى بالجمهورية العربية المتحدة ...

التي حولت قوافل الجمال الى قوافل للسيارات، مختلفة الانواع والأحجام ، تسير على الطريق وهي مشحونة بالخضر تنقلها الى عدن ، التي تبعد ٢٥ ميلا عن لحج ، وترجع من هناك محملة بالمصنوعات، التي يعاد تصديرها على ظهر السيارات الى تعز باليمن ، وتبعد ١٠٠ ميل عن لحج ، عبر طريق شاق غير معبد ، لأن الطريق المعبد يمتد فقط من عدن الى الحوطة عاصمة لحج .

وهذا الطريق يقسم مدينة الحوطة الى نصفين ، وعلى جانبيه تصطف مئات المتاجر الصغيرة المتلاصقة التي تبيع الجلود ، والحقائب المعدنية ، والفواكه ، والمعلبات ، والنعال وغيرها .

والى جانب المتاجر تصطف المقاهي التي تنطلق من اجهزة الراديو فيها اغاني مطربي الجنوب العربي ، فتملأ الطريق ضوضاء ، فوق الجلبة التي تسببها العربات التي تجرها الجمال ، واصوات بائعي الفل والكادى الذين يحتلون مداخل اسواق الخضر .

الكادى .. والندّ .. والمعسلة !

ان الفل والكادى ، وهو غصن شجرة له رائحة طيبة ، من الحاجيات الاساسية عند المرأة ، فهي تتجمل بهما فتضعهما في شعرها وعلى ملابسها ...

وقد ورثت المرأة اللحجية عن جدتها حبها للتعطر والتطيب بمختلف الطيوب التي تصنعها بنفسها داخل منزلها ..

واشهر الطيوب المنزلية هما النِدّ والمِعَسلة ... ويصنع الاول من خلط المسك بقليل من السكر وعود الصندل ، تطبخ على النار ثم تجفف وتستعمل في البخور ...

اما المعسلة فتصنع بدق السكر مع الصندل والزعفران ، وبعد طبخ الخليط على النار يترك ليجف ، وبعدها تتبخر به المرأة !

والمرأة اللحجية ما زالت حتى الآن تعيش على نفس النمط الذي كانت تعيشه جدتها ! فما تكاد الفتاة تبلغ الثانية عشرة من عمرها حتى « تتشرّشف » اي تغلف نفسها بالعباءة السوداء وتسمى « شرّشف » في لحج ، وتغطي وجهها بالقناع الاسود ، ويسمونه « المَقْرمة » !

وتعيش المرأة اللحجية في فراغ ثقيل قاتل خلف اخشاب نافذتها ، تنظر الى الاطفال يلعبون في الازقة الرملية المحيطة بمنزلها ، والى جوارهم مجموعات من الماعز الاسود تلتهم كل ما يصادفها من اوراق او مهملات ...

تعليم الفتاة بدأ بخدعة !

وقد ظلت الفتاة اللحجية بعيدة عن مقاعد التعليم حتى عام ١٩٥٧ . ففي هذا العام جرى

أثناء جلسات مضغ القات وتخزينه في الفم ، يحلو الرقص للبعض .. فيقوم كل واحد مع زميله ليرقصا رقصا شعبيا ذا خطوات لطيفة منتظمة ، على نغمات آلات الطرب ، من عود وكمنجة وطبلة.







لا تتوقف حركة السيارات على الطريق الوحيد في لحج .. انها تأتي من عدن .. وتستريح في لحج .. لتتابع سيرها الى تعز باليمن .. حاملة مختلف الانواع والاصناف .. وفوق كل هذا اكداس من البشر في طريقهم الى تعز ..

استعراض عام لطلبة المدارس .. واثناء سير الموكب اندست ١١ فتاة صغيرة بين مجموعات الطلبة ، وسرن وكأنهن يمثلن اول مدرسة للبنات ! فقوبلن من المتفرجين بالتصفيق الحاد ...

وكانت هذه بداية البداية ، اذ بدأ بعدها تعليم الفتاة ، الذي ظل يتطور ويتطور حتى اصبح عدد التلميذات اليوم ٦٣٢ تلميذة .

لقد وصل التعليم الى ذروته في لحج خلال العام الماضي اذ تقدم ١٧٠٠ طالب مستجد للالتحاق بالمدارس ... وقد ترتب على قبول هذا العدد الضخم ـ نسبيا ـ ان اصبحت الدراسة تتم على فترتين فترة صباحية ، واخرى مسائية للتغلب على ازمة مباني المدارس ...

المتعلمون ٦٪ فقط

ان عدد سكان لحج ٤٥ الف نسمة تقريبا ، لا تزيد نسبة المتعلمين منهم عن ٦٪ فقط ، يشغلون مختلف الوظائف في السلطنة ، اذ ان لحج تتميز عن غيرها من الامارات والسلطنات بموظفيها المحليين المختارين من ابناء البلاد نفسها ... وقد لاحظ الآباء ان الشاب المتعلم هو الذي يحتل اكبر المراكز فعمدوا الى تعليم ابنائهم ، بعد ان كانوا يرفضون تعليمهم في السابق ..

وقد اصبح مجموع عدد الطلبة اليوم ٥٠٠٠ طالب يتعلمون في ٢٧ مدرسة ابتدائية ومدرستين متوسطتين ومدرسة ثانوية حديثة بها فصل واحد ... وهناك مدرستان مشتركتان بين التلاميذ والتلميذات لضيق الاماكن ...

وقد بدأ التعليم الحديث في لحج منذ ٢١ سنة على المنهاج المصري ، ولكنه اليوم يتأرجح بين المنهاج المصري والمنهاج السوداني ... !

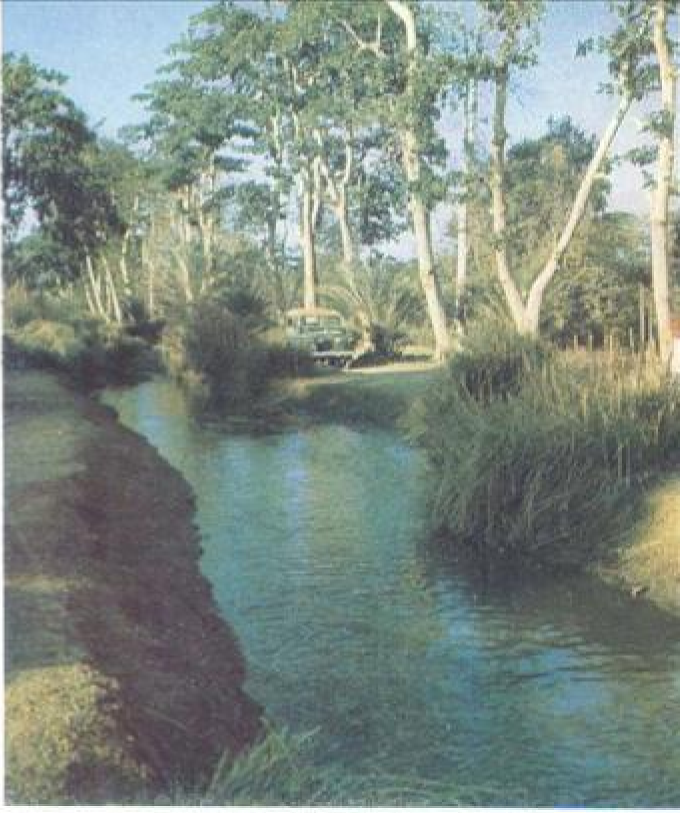
ضرائب للتعليم

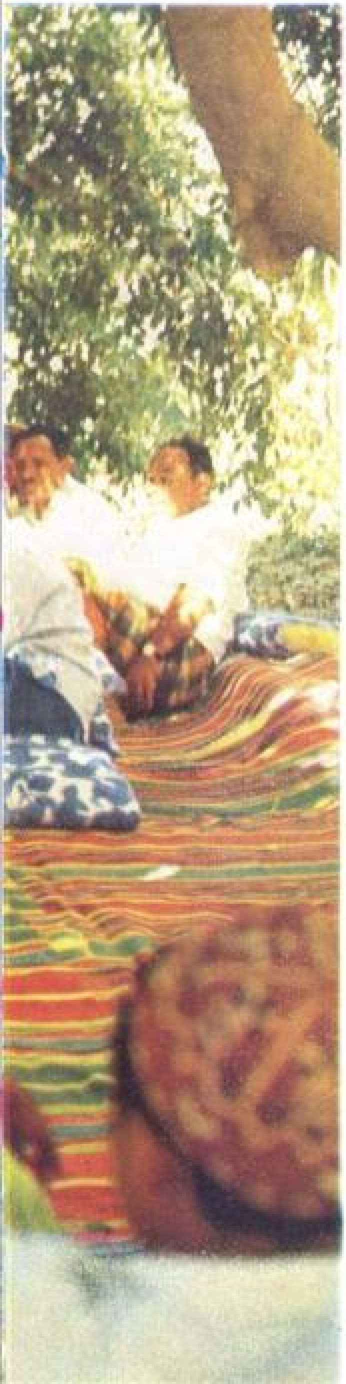
اما مشكلته الرئيسية فهي في قلة عدد المدرسين والمدرسات .. والذين يعملون حاليا هم من ابناء لحج والسودان وسوريا ولبنان والاردن ...

وقد شعر المسئولون عن التعليم بأسى عميق عندما الغيت المنح الدراسية التي كانت الكويت والعراق قد خصصتاها لابناء لحج .

ولكن كل هذه المصاعب لم تثبط عزيمة الاهالي ، الذين مضوا في طريقهم وكونوا مع المسئولين « هيئة التعليم الاهلية اللحجية » لتتولى

بساتين الحسيني
ماء .. وخضرة .. وقات







تشتهر منطقة الحسيني ، عند رأس دلتا لحج ، ببساتينها الجميلة التي تروى من مياه الينابيع الطبيعية ، وترتفع على ضفاف جداول الينابيع أشجار البيدان العالية التي تستعمل جذوعها في أعمال البناء .. ويتصعد أهل لحج وعدن الى هذه البساتين فيتناولون طعامهم تحت ظلال الأشجار .. وبعدها يجلسون على الوسائد ، ويبدأون في مضغ القات وتخزينه في أفواههم ، بينما يشنف المغني الوطني آذانهم بأغانيه المحلية بصحبة العود والطبلة .. ومما يذكران التفكير في انشاء كازينو في هذه المنطقة الجميلة يعود الى سنين عديدة مضت .. ولكنه لم ينفذ



فتح المدارس والمعاهد الجديدة ، واتاحة الفرصة امام أكبر عدد من ابناء لحج للدراسة العالية ...

وميزانية هذه الهيئة تأتي من ضرائب مباشرة على الشعب يؤديها الجميع عن طيب خاطر ، فمثلا كل شخص مسافر في سيارة من لحج الى عدن ، عليه دفع مبلغ ٢٠ سنتا ، لمساعدة ميزانية الهيئة ، فتتجمع من هذه الضريبة حصيلة تصل الى ما قيمته ٦٥٠ دينارا شهريا ...

وفي مطلع كل شهر يدفع كل موظف ١٪ من راتبه للهيئة ومجموع حاصل هذه الضريبة ١٠٠ دينار شهريا ... وكذلك كل من يدخل السينما يدفع ١٠٪ من ثمن التذكرة كضريبة للتعليم ...

وتمد الحكومة الهيئة التعليمية باعانة قدرها ٥٠٠ دينار سنويا ...

ويجبى على كل قنطار قطن ضريبة مقدارها سنت واحد ، وهذه تأتي بريع يتراوح مجموعه بين ٥و٦ الاف دينار سنويا ، تخصص كلها للتعليم .

القطن مكان الذرة

وهذا المبلغ الذى يتجمع من ضريبة القطن يبين لنا مدى اهمية هذا المحصول في البلد ...

لقد احتل القطن مركز الصدارة على سائر المحصولات ابتداء من عام ١٩٥٥ ، واحدثت زراعته تغييرا جذريا في مختلف نواحي الحياة في لحج بعد ان ترك المزارعون الذرة والمحاصيل الفقيرة الاخرى ، واتجهوا نحو القطن ، حتى وصلت مساحة الارض المزروعة منه ١٤ الف فدان ، تعطي ١٤ الف بالة سنويا ، تزن اكثر من خمسة ملايين رطل انجليزي، كلها من نوع القطن الطويل التيلة.

وتقوم لجنة الانعاش الزراعي ، المكونة من الملاك والمستاجرين برئاسة السلطان ، بشراء القطن مع بذرته من المزارعين بسعر ٦٦ سنتا للرطل الواحد ، وتنقله الى المحلج الذى يضم ٣٠ مكنة ، وبعد حلجه ينقل بالسيارات الى عدن ومنها يعبر البحر بالبواخر الى انجلترا وهولندا والهند وجنوب افريقيا حيث يباع بسعر بورصة ليفربول ...

ويقسم الفرق بين ثمن الشراء والبيع الى ثلاثة اجزاء متساوية : جزء يضاف لرأس مال لجنة الانعاش ، وجزء يعطى للمزارع كأرباح ، وجزء يصرف على المشروعات الزراعية ..

وبهذه الوسيلة تم تغطية ثمن المحلج في عام



أحد فصول المدرسة الابتدائية
الفصل حتى تركت ١٣ طالبة تراهن
الاطمئنان الى أن المصور لن

واحد ، وأعطيت القروض للفلاحين فاقاموا ٤٠٠ مضخة للماء ، كما تم بناء سد رأس الوادى .

استصلاح الاراضي

ان مساحة الارض المزروعة في لحج هي ٣٠ الف فدان أى نصف مساحة الارض الصالحة للزراعة هناك ..

وكان الاقطاع هو النظام السائد ، وكان الفلاح يعيش في ظل أوضاع شاذة .. ثم بدأ التفتح والوعي ينتشران بين مختلف الفئات ، ومعهما بدأت تظهر مشاريع لاستصلاح الاجزاء المهملة من الاراضي الزراعية ، وفي مقدمتها مشروع منطقة الفيوش الذى سيحيي الف فدان ، سيتم تقسيمها الى قطع مساحة كل منها خمسة أفدنة سوف يتم تأجيرها بايجار اسمي لمائتي عائلة .. وقد كان الاصل تمليك الفلاح للارض التى سوف يزرعها ...

وقد أوشك العمل على الانتهاء من استصلاح هذه الاراضى التى وضعت عليها مضخات كبيرة تستطيع سحب ٧٠ الف جالون ماء في الساعة من باطن الارض ..

وهناك مشروعا « العرب » و « حَمّولة »





للبنات فى مدينة الحوطة (لحج) يضم ٢٢ طالبة ، ولكن ما كاد مصورنا يدخل حجرة فى الصورة اليسرى ـ مكاتبهن هاربات من التصوير ـ ولم يعدن الى مقاعدهن . الا بعد يلتقط صورتهن !!!

لاستصلاح ٤٠٠ فدان أخرى ، وكلها سوف تروى بمياه الآبار الارتوازية التى تعمل بالمحركات الكهربائية ..

الآفة الكبرى فى لحج

وليس معنى هذا ان لحج تخلو من الينابيع الطبيعية ، بل على العكس ، فمنطقة بساتين الحسيني ، شمال الحوطة ، تزخر بالينابيع التى تتدفق مياهها فتروى اشجار البساتين وتحيل المنطقة الى منتزهات كبيرة ، هى بمثابة رئة يتنفس منها اهل لحج وأهل عدن أيضا ، خلال أوقات فراغهم وعطلة نهاية الاسبوع.

ويحلو للكثيرين منهم عقد مجالس القات تحت ظلال الاشجار ، مخالفين بذلك الاساليب المتبعة فى مجالس القات بالبلاد المجاورة ... ففى اليمن تعقد هذه المجالس داخل غرف زجاجية عالية تسمى « المَنْظر » ... وفى عدن تعقد فى قاعات فسيحة مغلقة تسمى « المَبْرز » .

وقد أخذت قصة القات فى لحج شكلا جديدا منذ أن بدأت حركة مقاطعة القات « الهررى » الذى كان يأتي يوميا على متن طائرتين من الحبشة لسد حاجة أهالي لحج وعدن ...

لقد استغنى عن هذا القات الهررى ، الذى يعتبرونه من افخر الانواع ، واستعيض عنه بالقات اليمنى المعروف بالقات الصَبْرى ، أى المزروع فى جبال صبر المطلة على تعز . ومعه القات المزروع فى امارة الضالع ...

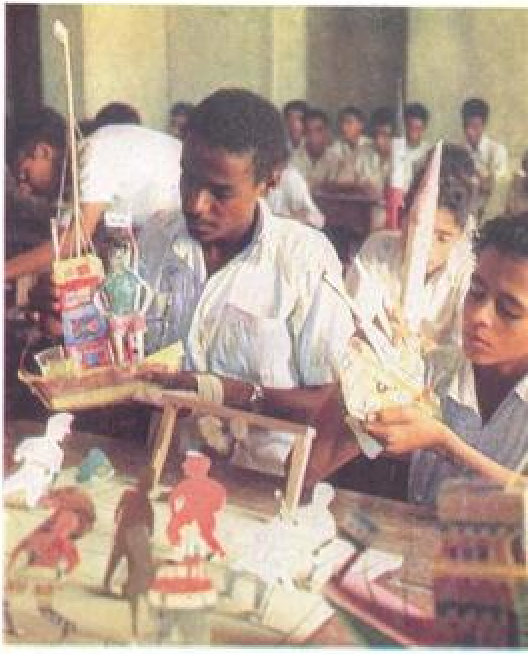
ان القات هو الآفة الكبرى التى تعانى منها لحج ، ففيه شقاء نحو ٨٠٪ من سكان البلاد الذين يمضغونه يوميا ، مضحين بكل شيء فى سبيله . حتى ان الموظف الذى يتقاضى ١٥ دينارا شهريا ينفق منها ما يقرب من عشرة دنانير لشراء القات !

القات منبه ، وليس مخدرا

وما يكاد الظهر يحل حتى تصل ثلاث سيارات نقل كبيرة من اليمن محملة بالقات .. فيتهافت الناس على شرائه ويحمل الواحد منهم «الدَّرْبة» اى اللفة ، وتتكون من عشرة عيدان صغيرة ثمنها ٦ شلنات ، يحملها فى يده مزهوا وهو يسير فى طريقه الى مجلس القات !

... ان تجارة القات هي التجارة الوحيدة التى لا تبور فى لحج ... فما تكاد الساعة تصل للثانية حتى يكون السوق قد انتهى ، ووقفت الحركة فى البلد ، وأقفرت الشوارع ...





ورغم قلة الموارد استطاع هؤلاء التلاميذ في المدرسة المحسنية صنع هذه النماذج الجميلة بالورق العادي ..

الى اليمين : تشارك الفتاة العربية مشاركة فعالة في تعليم أختها الفتاة اللحجية ..والصورة اليمنى التقطت في المدرسة الإبتدائية للبنات ، وفيها تبدو الآنسة خضرة شكيب أبو حجلة التي جاءت من الأردن ، أثناء تدريسها للفتيات اللحجيات



الى اليسار: بدأت التقاليد والعادات القديمة تتراجع وتنكمش أمام الاقبال الهائل على التعلم من جانب الفتيات .. وفي الصورة اليسرى تبدو الآنسة سعود المنتصر مرآسات لحج تلقن بنات الجيل الجديد دروس الحساب .. انها أول مدرسة لحجية دخلت ميدان التعليم ...



وصل عدد التلاميذ في المدرستين المتوسطتين الى ٤٠٠ تلميذ يتلقون تعليمهم بالمجان . والمدرسة الثانوية الوحيدة فتحت ابوابها في العام الماضي فقط .. اما البعثات للخارج فعدد طلبتها ٣٦ طالبا يدرسون في القاهرة ، وليبيا ، والاردن ، والبحرين على نفقة اهاليهم .. وفي الصورة العليا يبدو بعض طلبة مدرسة الحوطة المتوسطة اثناء حصة الرياضة



وتحت ظلال اشجار مزارع الحسيني يجلس الناس متكئين على الوسائد ، ويخرج كل منهم لفته ، ويبدأ في انتقاء الاوراق الصغيرة الخضراء من اغصانها فيضعها في فمه ويلوكها ، ويظل يضع الاوراق واحدة بعد الاخرى في فمه حتى تصبح على هيئة كرة صغيرة يخزنها بين اسنانه وخده ، وبين الفينة والفينة يتناول رشفة من شراب مثلج، ويمر الشراب المثلج على اوراق القات الممضوغة فينقل عصاراتها معه الى داخل جوفه .. فاذا ما استنفدت اغراضها القى بها ، وبدأ في تخزين اوراق جديدة طازجة .. وهكذا تمر الساعات الطوال والناس يمضغون ويخزنون حتى تغيب الشمس فينفض المجلس ويتجه كل منهم الى منزله ، وهو متنبه تماما ...

كيف نقضي على القات ؟

وسألنا بعض « المخزنين » عن رأيهم في هذا البلاء ، فاجابونا : « نحن اسعد حالا منكم .. حقيقة انه مرض ابتلينا به ، لكنه اخف مما عندكم من حشيش وافيون وخمور ...! » .

ان الفراغ الكبير الذي يعيشه أبناء لحج هو المجرم الذي يدفع بالناس الى اغصان القات ، بالرغم من سخطهم عليه ... وقد حاولوا الحد من انتشاره ففرضوا عليه ضريبة مرتفعة بلغت جملتها ثلاثة آلاف دينار في عام واحد ... ولكنها لم تستطع أن توقف الاقبال الزائد على شرائه !

ويعتقد اهل لحج ان الخطوة الرئيسية للقضاء على القات في الجنوب تستوجب اتفاقا بين اليمن وعدن ولحج . واى اصلاح من طرف واحد لن يعطي اى ثمرة او نتيجة .

القات ينقذ « دار سعد »

وقد سبق منذ حوالى عشر سنوات ان منعت سلطات عدن دخول القات الى البلاد ومنعت استيراده . ولكن لحج لم تمنعه . فكانت النتيجة ان اهل عدن اتجهوا بالآلاف الى حدود عدن فعبروها الى قرية « دار سعد » في لحج ، لمضغ وتخزين القات الممنوع في عدن ..

وشهدت « دار سعد » ازدهارا مصطنعا مفاجئا ، وبدأت منازلها تتحول من الخشب والصفيح الى الاسمنت والحديد .

وتنبه المسئولون في عدن الى عقم اجرائهم فاعادوا التصريح بدخول القات الى عدن .. وتوقفت السيارات المتجهة الى « دار سعد » ، وكادت البلدة ، التى شهدت هذا الازدهار المؤقت أن تعود الى زوايا النسيان كقرية صغيرة مهملة ، لولا أن أهل عدن تنبهوا الى أهمية « دار سعد » كموقع قريب من عدن يصلح لحل ازمة السكن التي يعانونها .. وكانت النتيجة زيادة في الانشاء والتعمير وازدهارا حقيقيا لدار سعد التى كانت قرية صغيرة فاصبحت المدينة الثانية في لحج .. ولن يمضي وقت طويل حتى تصبح المدينة الاولى لكثرة العمران وامتداده فيها .

مدن وقرى لحج

اما بقية مدن لحج فهي قرى شبه معزولة لعدم وجود طرق معبدة توصل بينها ، واشهرها : الوَهْط ، والمِجْحَفة ، الحمراء ، الخُداد ، صوبر، جلاجل ، الفيوش ، الشُقْعة ، الرعارع، سفليان ، القريشي ..

وتذكر كتب التاريخ ان مدينة الشيخ عثمان ، وهي حاليا المدينة الثانية في عدن ، كانت ضمن حدود سلطنة لحج حتى عام ١٨٨٢ عندما باعها السلطان العبدلي بطريقة تجارية بحتة الىسلطات عدن .

ويمتد شاطىء لحج حتى باب المندب ، وبحاره تزخر بشتى أنواع الاسماك ..

برميل بارود

وسلطان لحج الحالي هو السلطان ابن فضل ابن علي العبدلي ، ويشغل وظيفة وزير الدفاع في مجلس وزراء اتحاد الجنوب العربى .

اما سلطان لحج السابق فهو السلطان علي عبد الكريم الذى اصطدم مع الانجليز ، فكانت النتيجة احتلال الجيش البريطاني لأراضي سلطنة لحج ، واقصاء السلطان علي عبد الكريم عن الحكم !

ان شعب لحج ، مثله مثل شعب المنطقة الجنوبية كلها يتطلع الى حياة حرة كريمة يتمتع فيها بخيرات بلاده ، وقد جاءت قرارات الامم المتحدة صريحة وواضحة ومؤيدة لرغبته في تقرير مصيره بنفسه . ولكن سياسة بريطانيا التصفية في عدن تنذر بأحداث جسام فيالجنوب العربى كله. ■■

سليم زبال

من اخطاء القضاء

عاقبة الكذب وخيمة



بقلم : حسن الجداوى

المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ كانوا ثلاثة اصدقاء : جيمي ، ولن ، وآرثر. وكانت اعمارهم تتراوح بين ٢٢ و ٢٨ سنة . جمع بينهم ما يجمع الطيور التى على اشكالها تقع كما قال الشاعر . فاولهم « جيمي » قضى خمس سنوات فى السجن ولم يمض على خروجه منه الا ستة اشهر . والاثنان الآخران سبق لهما تذوق طعم السجون ولهما مع البوليس جولات .

وكان الاصدقاء الثلاثة معروفين للبوليس . ولكنهم – فى تلك الليلة لم ينتووا شرا ولم يرتكبوا جرما . بل امضوا ليلتهم فى عربدة بريئة ، ثم استقلوا سيارة احدهم ماركة ولسلى السوداء للوصول الى منازلهم ، فقد كان كل واحد منهم يقيم فى ضاحية من ضواحي لندن .

وليست هناك اية جريمة فى ركوب سيارة فى

الساعة الرابعة صباحا فى طريق عام . ولكن اذا كان الراكبون ممن سبق ان سببوا متاعب للبوليس فانهم يوجسون خيفة من ان يقابلهم احد رجال البوليس ويدس انفه فيما لا يعنيه ، فيسألهم من اين جاءوا؟ والى اين يقصدون؟ وماذا كانوا يعملون؟ وماذا ينتوون ؟ وغير ذلك من الاسئلة المحرجة. فاذا اختلفت اقوالهم كانت الطامة الكبرى وألبسهم البوليس - اللعين - تهمة من حيث لا يدرون !

مرت هذه الافكار بالاصدقاء الثلاثة فرأوا ان يتخذوا الحيطة لذلك بان يتفقوا على رواية واحدة يقولونها اذا استوقفهم احد رجال البوليس . وتصوروا انهم لو قالوا الحقيقة وهى انهم خرجوا لمجرد العربدة فان ذلك لا ينطلى على البوليس . فقد تكونت لدى البوليس فكرة ثابتة راسخة هى ان امثالهم لا يجتمعون الا لارتكاب جريمة .

لذلك اتفقوا على ان يقولوا - اذا سألهم احد رجال البوليس - انهم دبروا كسر خزانة حانوت مجوهرات يعرفونه ، وانهم حين وصلوا اليه وجدوا به حارسا فعادوا ادراجهم قانعين من الغنيمة بالاياب .

★ ★ ★

وصح ما توقعوه . فقد شاء حظهم العاثر ان يقفوا بسيارتهم امام احدى مقاهى الطريق واذا برجلين من رجال البوليس السرى يقتربان من السيارة ويبدآن فى التحدث اليهم . وبالرغم من ان رجلى البوليس لم يفصحا عن وظيفتهما فقد عرفهما الاصدقاء الثلاثة وتوجسوا شرا .

ولم تقنع اجاباتهم رجلى البوليس وطلبا منهم ان يصحبوهم الى مقر البوليس .

★ ★ ★

وهناك علموا ان ثلاثة اشخاص يركبون سيارة سوداء ماركة ولسلى - من نوع السيارة التى يركبونها - قد اعتدوا فى مدينة مارلو على احد رجال البوليس بكرسى ومضارب جولف واحدثوا به خمسا وثلاثين اصابة وتركوه بين الحياة والموت .

لقد اكدوا للبوليس انهم لم يذهبوا الى مدينة مارلو وانه لا علم لهم بهذا الشجار ، ومع ذلك احتجزوهم حتى صباح الغد ليستجوبهم رئيس البوليس . وبعد ان استجوب الرئيس كلا منهم على انفراد لم يجد اى دليل يدينهم فاستدعاهم مجتمعين وقال لهم انه لا دليل ضدهم - بعد - الا وجودهم فى سيارة ولسلى سوداء فى الساعة الرابعة صباحا فى الطريق العام - وهو لذلك يخلى سبيلهم .

★ ★ ★

ركبوا سيارتهم وانصرفوا . ولكن قبل ان يتفرقوا اخذوا يتدبرون امرهم . ان رجل البوليس المعتدى عليه لا بد ان يكون قد قضى نحبه . فخمس وثلاثون اصابة بالكراسي ومضارب الجولف ليست بالامر الهين . والبوليس لا يتساهل فى الاعتداء على احد رجاله . وعدم ثبوت التهمة « بعد » لن يحول دون تدبير البوليس لادلة ضدهم خصوصا وانهم من اصحاب السوابق .

لا بد لهم اذا من اثبات انهم لم يكونوا موجودين بمكان الحادث وقت ارتكابه ، . وليس يكفى فى ذلك ان يقول ثلاثتهم رواية لا يؤيدها شهود آخرون .

فاتفقوا على دفاع معين يدلون به امام محكمة الجنايات اذا ما وجهت اليهم التهمة ، ثم انصرف كل منهم الى حال سبيله .

★ ★ ★

ومع بزوغ شمس اليوم التالي طرق البوليس باب مسكن ارثر للقبض عليه كما قبض على جيمى . اما لن فلم يعثر عليه فى العنوان الذى كان قد اعطاه للبوليس ولكن ذلك لم يمنع من القبض عليه فيما بعد ، وتوجيه التهمة الى ثلاثتهم بانهم متهمون بالاعتداء على الكونستابل « سيسيل باى » وان حالته تنذر بالخطر .

وامضى المتهمون - بجريمة لم يرتكبوها - فترة رعب وقلق بين جدران السجن . لقد كانت التهمة الموجهة اليهم هى الاعتداء على الكونستابل بالضرب

ولكن الوهم صور لهم ان الكونستابل لن ينجو من اصاباته وتراءى لهم حبل المشنقة يلتف حول اعناقهم .

★ ★ ★

ومثلوا امام محكمة الجنايات .

ونودى على الشاهد الاول فاذا به المجنى عليه الكونستابل سيسيل باى الذى كان قد شفى من جراحه . وعندها تنفس المتهمون الثلاثة الصعداء وقالوا فى سريرتهم انه قضاء اخف من قضاء ، فقد نجوا من الاعدام وان كانت اية عقوبة توقع عليهم ستكون عقوبة ظالمة .

شهد المجنى عليه انه كان يقوم بداوريته فى مدينة مارلو ، فسمع ضجيجا خلف احدى المقاهى فذهب يتبين ماهيته ، فاذا برجل يتجه نحوه من خلف سيارة ولسلى سوداء ويلقى عليه جسما صلبا لم يتبينه ولم يصبه . وما كاد يستدير حتى تقدم نحوه اثنان آخران بيد كل منهما مضرب جولف فوجه اليهما مشعله وانسحب القهقرى متجها الى كشك تليفون بجوار مكتب البريد محاولا ان يطلب نجدة . ولكن الرجلين لحقا به واخذا يكيلان له الضربات وبدأ الدم يسيل على وجهه . واستطاع بصعوبة ان يفتح باب الكشك وحاول الامساك بسماعة التليفون ، ولكن الاعتداء عليه استمر ، وكل ما استطاعه هو الضغط على زر جرس النجدة . ولم يتوقف الاعتداء عليه الا عند سماع نفير سيارة النجدة .

وتقدم ثلاثة شهود ممن يسكنون امام مكتب البريد فقالوا : ان صوت نفير سيارة النجدة ايقظهم من النوم وانهم رأوا الاعتداء ولكنهم لم يتبينوا ملامح المعتدين وان كانوا قد رأوا أن أحدهم يضع على رأسه قبعة من نوع خاص ، وانهم ركبوا سيارة ولسلي سوداء وفروا بها قبل وصول سيارة النجدة .

وشهد احد مفتشى البوليس انه وجد بمكان الحادث كرسيا ومضرب جولف مكسورا .

كذلك شهد رئيس البوليس الذى تولى التحقيق انه بمجرد علمه بالحادث اصدر امرا بمراقبة جميع الطرق الموصلة من مارلو الى لندن بحثا عن سيارة ولسلى سوداء وانه بعد القبض على المتهمين عرض صورهم الفوتوغرافية بين سبع عشرة صورة أخرى على الكونستابل باى الذى تعرف من الوهلة الاولى وبغير تردد على صور اثنين من المتهمين .

وشهد رجلا البوليس اللذان تعرضا للمتهمين فى سيارتهم انهما فتشا السيارة فوجدا بها قبعة من النوع الذى وصفه الشهود وعليها بقع اعتقدا انها دموية . وقد عرضت القبعة على الطبيب الشرعى فقال انه تبين ان البقع التى على القبعة هى بقع دموية ولكنه لم يستطع ان يتحقق من فصيلتها .

وشهد رجل البوليس الذى القى القبض على آرثر ان آرثر قال له انهم لم يذهبوا الى مدينة مارلو لانهم كانوا فى واتفورد بقصد سرقة خزانة حديدية وعدلوا عن ذلك حين وجدوا ان خفيرا كان يحرس الخزانة . وكان ذلك هو الدفاع الاول الذى اتفقوا عليه والذى عدلوا عنه ولكن الظاهر ان ارثر فى ارتباكه حين القبض عليه نسى انهم عدلوا عن هذا الدفاع الى دفاع آخر .

★ ★ ★

والقانون الجنائى الانجليزى يبيح للمتهمين ان يكونوا شهودا فى قضيتهم فيدلوا باقوالهم بعد حلف اليمين . فان ادعوا باقوال تبدو صادقة وصمدوا لاستجوابهم امام ممثل الاتهام جازت براءتهم .

★ ★ ★

وجلس المتهمون الثلاثة ــ كل بدوره ــ على كرسى الشهود واقسموا اليمين وادلوا بدفاع جديد كانوا قد اتفقوا عليه .

قالوا انهم امضوا ليلة الحادث فى مدينة اشفورد حيث يقيم جيمي وانهم امضوا فى منزل جيمى من

الساعة العاشرة مساء حتى الثالثة والنصف صباحا يتفقون على صفقة فحم .

وتقدم الدفاع عنهم بسيدة من سكان اشفورد اقسمت اليمين وشهدت ان زوجها كان حاضرا ذلك الاجتماع وكان يتحدث الى ثلاثتهم طوال تلك الساعات الطوال .

كما جاء شاهد آخر من سكان المدينة يشهد انه رأى سيارة ولسلي سوداء واقفة امام منزله حتى الساعة الثالثة صباحا ثم ركبها ثلاثة رجال احدهم جيمي ... تعرف عليه من صوته ..

★ ★ ★

واثبات عدم الوجود فى محل الجريمة وقت ارتكابها — وهو ما يعرف فى القانون الانجليزى بالاليبى — هو اقوى دفاع يمكن ان يتقدم به متهم. وهو دفاع قاطع ، ولكنه سلاح ذو حدين . انه اشبه بتلك القطعة الخشبية المقوفة التى يستعملها سكان استراليا الاصلاء فى صيد الطير. يقذفون بها الطير فترسم دائرة فى الهواء وترتد الى حيث رميت . اذا اصابت الطير صادته واذا لم تصبه اصابت راميها . ذلك شأن الاليبى اذا لم يقنع المحلفين انقلب الى دليل ادانة .

ولم يقبل هذا الدفاع فى حالة متهمينا لتناقضه مع اقوالهم السابقة ، فادانهم المحلفون واصدر القاضى حكمه على لن بالسجن عشرة اعوام وعلى آرثر بسبعة وجيمي باربعة .

★ ★ ★

ووجد الرجال الثلاثة انفسهم فى السجن محكوما عليهم بمدد لا يستهان بها لجريمة لم يرتكبوها واخذت تتناوبهم مشاعر مختلفة . لقد نجوا من حبل المشنقة الذى كانوا سيتدلون منه حتما لو لم يشف الكونستابل من جراحه ، فهم حامدون شاكرون سعداء بتلك النجاة . ولكنهم حانقون فى ذات الوقت لان الاشخاص الذين ارتكبوا الحادث احرار طلقاء يتنسمون عبير الحرية بينما هم بين جدران السجن . ولا سبيل لهم لرد الظلم الذى وقع عليهم وتصحيح الخطأ الذى ارتكبه القضاء .

★ ★ ★

يئسوا واستسلموا لمصيرهم . ولكن اناسا — خارج السجن — لم ييأسوا .

كان مخدوم آرثر احد الذين لم ييأسوا . انه يعرف ان آرثر انسان هادىء وقال فى شجاعة انه موقن انه لا يمكن ان يرتكب الاعتداء المنسوب اليه . وكان ايضا رأى اسرة آرثر وخاصة اخته وزوجها .

لذلك لجأوا الى محام شاب درسوا معه اوراق القضية وتبينوا ان عملية التعرف لم تكن سليمة . فان مما لا يقبله العقل ان يكون المجنى عليه فى حالة وقوعه تحت هجمات ثلاثة اشخاص قد استطاع ان يتبين ملامحهم . فالاعتداء لم يستغرق الا بضع ثوان كان المعتدى عليه فى اثنائها مشغولا بحماية رأسه من الضربات، فلا يتصور ان يستطيع اثناءها اضاءة مشعله، وان اضاءه فلا يستطيع تبين ملامح الوجوه ، وان استطاع فان خمسا وثلاثين ضربة على رأسه كفيلة بان تطير تلك الملامح من ذاكرته .. فضلا عن ان الاستعراف قام عن طريق التصوير الفوتوغرافى الذى كثيرا ما يخدع .

فاذا استبعدنا الدليل المستمد من الاستعراف — والعدل يقتضى استبعاده — لم يبق من دليل الا ضعف الدفاع الذى لم يثبت . والقول بان ضعف الدفاع دليل ادانة يقضى على الاساس الاول لكل محاكمة جنائية — وخاصة فى القانون الانجليزى — وهو ان المتهم برىء حتى تثبت ادانته .

★ ★ ★

قدم المحامى الشاب مذكرة تشرح كل هذه الاعتراضات الى لجنة الدفاع عن الحريات المدنية التى تبنت الموضوع وكتبت بذلك الى وزير الداخلية . ولكن وزراء الداخلية فى انجلترا لا يقدمون بسهولة على اتخاذ قرار فى مثل هذه الحالة . لقد حوكم المتهمون محاكمة عادلة وسمع دفاعهم . وشهد ضدهم شهود عدول اقسموا اليمين وقرر المحلفون ادانتهم ، واصدر القاضى

حكمه ، والاحكام ـ كما يعرف الناس ـ هى عنوان الحقيقة .

لذلك لم يحرك وزير الداخلية ساكنا . وقضى على كل امل للمتهمين وللمدافعين عنهم .

★ ★ ★

ولكن النجدة جاءت من بين جدران السجون .

ففي السجون ـ فى جميع انحاء العالم ـ نظام خاص للمراسلة . هو النقر على الحيطان فصلة المسجون تنقطع عن العالم الخارجي ولكنها ـ مهما اتخذ من احتياطات ـ لا تنقطع عن زملائه المسجونين . واخبار المسجونين تنتقل من زنزانة لاخرى ومن سجن لآخر بطريقة النقر هذه . وهكذا وصل الى علم المسجونين ان اصحابنا الثلاثة يقضون فى السجن عقوباتهم بسبب الاعتداء الذى حدث فى بلدة مارلو .

ووصل خبر ذلك الى اسماع مسجون اسمه وليام بيردى يقضي اربعة عشر سنة محكوما عليه بها لارتكابه سرقة كيس بريد .

واحس وليام بيردى بضميره يؤنبه ، فهو يعلم انه واثنان من شركائه فى جريمة سرقة كيس البريد هم الذين ارتكبوا جريمة بلدة مارلو . وقد توفى احدهما والآخر لا يزال يقضي مدة العقوبة المحكوم بها عليه .

طلب بيردى أن يقابل مامور السجن واعترف له اعترافا كاملا بارتكابه هو للجريمة . ومثل هذا الاعتراف لا يؤخذ عادة على محمل الجد . فان بيردى يعلم ـ ولا شك ـ ان العقوبة المحكوم بها عليه تجب عقوبة الاعتداء على الكونستابل . فاعترافه هذا لا يضيره ، وقد يكون المقصود منه افلات مسجون آخر من السجن ، فالمجرمون يتبادلون احيانا امثال هذه الخدمات . ولكن التفاصيل التى ادلى بها بيردى حملت مامور السجن على احالة اعترافه الى وزير الداخلية . وهذا بدوره احاله على رئاسة البوليس فى بوكنجهام شير لفحصه .

وتولى الفحص احد مفتشي البوليس المعروفين بالدقة والكفاية ، واستغرق البحث ثلاثة اشهر استجوب فيها مفتش البوليس اكثر من مائة شخص وقدم تقريرا لم يدع مجالا للشك فى ان بيردى وزميليه هم الذين ارتكبوا حادث الاعتداء على الكونستابل باى .

وهكذا صدر عفو شامل عن أبطالنا الثلاثة بعد أن قضوا فى السجن سنتين . ومنحت الحكومة اربعمائة جنيه تعويضا لارثر وثلاثمائة جنيه لكل من زميليه .

واعترض عدد من اعضاء مجلس العموم على هذا التعويض الذى لا يتناسب مع ما تحملـه الرجال الثلاثة من الام وفقد للحرية . ولكن وزير الداخلية أجاب بان التعويض يقدر على اساس مقدرة المحكوم عليه فى الكسب بطريق شريف من جهة ، وعلى تصرفه اثناء المحاكمة . وقال انه سال القاضي الذى أصدر الحكم فاكد له ان المحكوم عليهم يتحملون مسئولية كبيرة فى الخطا الذى وقع لانهم اقسموا يمينا كاذبة على انهم لم يكونوا فى مكان الحادث وقت ارتكاب الجريمة ووضح له وللمحلفين ان هذا الدفاع غير صحيح .

★ ★ ★

واثارت هذه القضية اعتراضا آخر ـ لـه وجاهته ـ على تعبير « العفو الشامل » الذى يصدر لصالح المحكوم عليهم بعد أن يثبت انهم لم يرتكبوا الجريمة التى حكم عليهم من اجلها . وقال المعترضون ان هذا التعبير يعني بأن الجريمة قد ارتكبت ولكن الملكة أصدرت عفوا عن فاعلها وليست هذه هى الحقيقة .

وقال وزير الداخلية ـ الميجر لويد جورج ـ ان البراءة التى تستصدر من الملكة بالعفو الشامل تصاغ بحيث تتجنب كل ما قد يفهم منه ان العفو صادر عن الجريمة . بل ينص على اسقاط الادانة ذاتها وما تستتبعه من نتائج قانونية . أى ان العفو هنا ليس تسامحا بل اسقاطا للجريمة من اساسها ونتائجها القانونية .

أما المتهمون الثلاثة فلم يهتموا بهذه التفرقة اللفظية . فقد كان كل ما يشغل بالهم ان أبواب السجن فتحت لهم وانهم عادوا للحرية التى حرموا منها لغير ذنب جنوه ■■

حسن الجداوى
القاهرة

اصحاب الحديث

ابن ماجة القزويني

« سنن » ابن ماجة من صحاح الستة الستة : صحيح البخاري ، ومسلم ، وأبي داوود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة

بقلم : الشيخ محمد ابو زهرة

استاذ الشريعة الاسلامية بجامعة القاهرة

■ فى بلاد قزوين ، وفى قصبتها حيث كانت الارض التى تتاخم ارض الروم ، وتتاخم روسيا ، وحيث البحر الذى تسمى بها ، كان الاسلام منتشرا ، وكان ثمة علم الاسلام غزيرا ، وكان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى ، وينقله الثقات الاخيار اليها من سائر الديار الاسلامية .

مولد ابن ماجة ونسبه

فى مدينة قزوين من هذه البلاد التى كانت عامرة طيبة ، تؤتى اكلها من العلم والفضل ، ولد امام من ائمة السنة ، الذى اشتهر بكنيته ، وهو ابن ماجة ، وهو ابو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة ، وقد اتفق العلماء على ان ماجة هذا ليس جدّه ابا ابيه ، ولكنه لقب" لأبيه . واما اسم" لأمه ، فقد قال الزبيدى فى كتابه تاج العروس شرح القاموس : انه اسم" لأمه ، ولعل أمه كان لها شأن فى العلم كما كان الامر فى كثيرات من نساء العرب . ولكن الاكثرين على ان ماجة لقب لأبيه .

ويقال له ابن ماجة الربعى نسبة لربيعة الازد ، ولم يكن ابن ماجة عربيا بل كان مولى اعجميا وذلك لانه فى صدر الاسلام كان الاعجمى الذى يسلم يتخذ احيانا أخوة بينه وبين اسرة من العرب ، فيكون كواحد من هذه الاسرة بعقد يسمى عقد الموالاة ، واساس هذا العقد ان يكون كواحد من هذه الاسرة بحيث تدفع الدية اذا ارتكب ما يوجب الدية ، واذا مات من غير وارث كانت تلك الاسرة ترثه على بعض المذاهب الفقهية ، وكان هذا اقتداء برسول الله صلى الله تعالى



كتابه في التفسير وضعه السيوطي في رتبة قريبة من تفسير الطبري الذي جاء بعده

عليه وسلم فيما عقد من اخاء بين المهاجرين والانصار فى اول الهجرة الاسلامية ،

وبهذا يكون عقد الولاء او الموالاة — توثيقا للعلاقات الاخوية بين المسلمين ، وابعادا للوحشة وايجادا للانس بالاسلام واخوته بالنسبة للاعاجم الذين يدخلون فى الاسلام ، وينقطعون في كثير من الاحيان عن آلهم وذويهم ، فيلتقون بالمحبة والولاء القلبى والقانونى مع اخوانهم العرب ، ولا يتعالى فريق منهم على فريق .

الموالى : آل العلم الاسلامى اليهم ، خلفا عن سلف

كان أولئك الاعاجم او اولئك الموالى الذين عقدوا مع اخوانهم — قد آل العلم الاسلامي اليهم خلفا عن سلف ، فكان اكثر التابعين الذين تلقوا علم الصحابة من الموالى ، وكان أكثر تابعي التابعين كذلك ، وعوّضوا بذلك عن سلطان القوة والسيطرة ، سلطان الفكر والعلم الصحيح ، فكان منهم ائمة اعلام ، في الفقه والحديث والتفسير ، والعلم العربي نفسه — من بعد ذلك ، كسيبويه والزمخشري وغيرهم من قادة الفكر الاسلامى فى علم العقيدة ، ومادونه من سائر علوم الاسلام .

اتجاهه الى علم القرآن والحديث ، والفقه

كان ابن ماجه من الموالى كالبخارى وغيره . وقد اتجه الى علم الدين يدرسه، وعلم الدين كان ذا ثلاث شعب ، علم العقيدة ، ولم يعرف انه اتجه اليه ، وعلم القرآن ، والحديث ، وعلم الفقه ، وقد مزج بين هذه الشعب الاخيرة التي تنتهي الى شعبتين ، وجعلهما يصبان فى

مصب واحد ، وهو علم الاحكام الشرعية التكليفية .

اتجه منذ نشأته الى علم القرآن ، لحفظه ، والى علوم اللغة العربية فأتقنها، اذ انه قد تصدى من بعد ذلك لتفسير القرآن ، ولا يمكن ان يتصدى لتفسير القرآن الا من يكون له ذوق فى البيان العربي لانه ابلغ كلام فى الوجود ، وهو الذى اعجز العرب عن ان يأتوا بمثله ، ويعجز الناس اجمعين عن ان يأتوا بمثله « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتو بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وانه من المؤكد ان تفسيره ـ كما سنبين ـ كان نتيجة لدراسته العربية ، ولروايته لاقوال الصحابة والتابعين ولقد اخذ من بعد الدراسة الاولى يتجه الى الجهاد فى سبيل العلم كشأن الكثيرين من علماء الاثر ، سواء ما يتعلق منه بالفقه والتفسير ، والرواية المجردة .

رحلاته فى سبيل العلم

اخذ يجوب الافاق حاملا معه حقيبة علمه ، فرحل الى فارس وخراسان والرى ، مشرقا ، ثم رحل الى العراق والحجاز ، ثم الى الشامات ومصر ، مغربا . وقال فيه ابن حجر العسقلانى فى كتابه التهذيب « وسمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام » .

قرا كتاب الموطأ لمالك على اصحاب مالك ، وقرا الجوامع للحديث قبله مثل مسند الامام احمد وصحيح البخارى ومسلم على تلاميذهم .

ولم تنته رحلته فى طلب الأثر الا بعد ان جمع ما يمكن ان يكون ثروة للخلف ، واخذ من بعد ذلك يرتبها وينسقها ، ويضع كل قسم منها فى موضعه من ابواب العلم الاسلامي .

كان همه فى رحلاته وفى التقائه بشيوخ الاثر ، ان يجمع كل ما عندهم من علم فى الاسلام ، فهو يجمع منهم احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التي صحت عندهم ، وفتاوى الصحابة واقضيتهم ، وكذلك فتاوى التابعين من بعدهم ، وقضاء المشهورين من القضاة الذين التقوا بالصحابة ونالوا ثقتهم ، وما اثر عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من بيان القرآن الكريم ، وما اثر عن الصحابة والتابعين من فهم للتنزيل ، ولا يمكن لمحدث ان يستوثق من صدق الحديث عن النبي او الخبر عن الصحابة الا اذا عرف رجاله ليميز الخبيث من الطيب ، والصادق الذى يقبل قوله ، من المتهم الذى لا يقبل قوله عند الناس الا بعد ان يتبين امره . ومثل هذا لا يقبل منه خبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او صحابته فانه ظنين غير عدل .

وقد نثر كنانته من بعد ما جمع ، وتفحص فى عيدانها عودا عودا ، ليعرف نوع كل واحد منها . وقد قسمها من بعد ذلك الى ثلاثة اقسام ، قسم فى التفسير ، وقسم فى التاريخ ، وقسم فى السنن والأثر .

صنف فى ثلاثة ابواب : فى التفسير ، والتاريخ ، والسنن

ولذلك كانت مصنفاته فى ثلاثة ابواب فى التفسير ، والتاريخ ، والسنن ، فله كتاب فى كل واحد منها .

وكانت هذه المصنفات تصدر عن عالم قوى العقل والادراك مخلص نافذ البصيرة ، قد اشرق قلبه بنور الحكمة ، فكثر صوابه ، وقل خطؤه ، وهو مأجور فى الحالين ، ففي صوابه طلب الحق فأصابه ، وفى خطئه طلب الحق فأخطأه ، وله فى ذلك اجر المجتهدين المخلصين .

ولنتكلم فى كتابيه التفسير والتاريخ ، ثم فى السنن من بعد .

كتابه فى التفسير

فأما كتابه فى التفسير فقد قال فيه ابن كثير فى تاريخه : « هو تفسير حافل » ولم يكن تفسيره هذا بالراى ، بل كان تفسيرا بالاثر ، كان يجمع اقوال الصحابة والتابعين فى فهمهم للقرآن الكريم ، وقد جعله السيوطى فى رتبة قريبة من تفسير ابن جرير الطبرى الذى جاء من بعده ، ولعل فرق الرتبة كان سببه تأخر ابن جرير ، فان المتأخر ينتفع من علم من سبقه وتجاربهم ، ولعل ما امتاز به ابن جرير على ابن ماجه ومن فى طبقته من المفسرين ان ابن جرير يتعرض لتوجيه الاقوال المأثورة ، ويرجح بعضها على بعض ، ويتعرض للاستنباط والاعراب والتخريج ، وذلك لانه فى عصر ابن جرير قد اخذ الراى يدخل التفسير . اما ابن ماجه ومن معه فقد دونوا تفسير القرآن على انه باب من ابواب الرواية ، ولا يتجاوزون حد الرواية والاثر ، وقد تلقوه مع ما تلقوا من فتاوى الصحابة واقوالهم .

كتابه فى التاريخ

وكتابه التاريخ ، وهو تاريخ كامل من لدن عصر الصحابة الى عصره ، وواضح انه قد دون فيه اخبار الرجال الذين رووا السنة ، وذكروا فى اسانيد الاحاديث ، ليُعرَف مقدار الثقة فى رواياتهم ، وبذلك يتبين انه كان خادما للرواية كما كان التفسير للقرآن جزءا من الرواية .

وفى الجملة كانت حياته كلها للرواية ، بدأ بها ، وسار فيها ، وانتهى منها الى هذين الكتابين ثم الى كتابه الذى عرف به وهو كتاب السنن .

كتاب السنن

يقسم علماء الحديث كتب الحديث الى اقسام ، منها قسمان رئيسيان هما : الجوامع والسنن . فالجوامع ككتاب البخارى ومسلم . وهي تجمع كل اقسام الاخبار المروية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من احاديث العقائد واحاديث الاحكام ، واحاديث التربية النفسية والادب الديني فى الحياة عامة وفى بعض احوالها كالسفر وغيره ، واحاديث التفسير ، واحاديث سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، واحاديث الفقه مما تنبأ به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ، وما يجب فيها ، ومناقب الصحابة الذين ذكرهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالخير كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة المبشرين بالجنة كأبي عبيدة عامر بن الجراح امير هذه الامة .

واما السنن ، فان اكثرها فى الفقه ، وهي مرتبة بترتيب ابوابه ، وقد تتبع راويها احاديث الاحكام وقضاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واعماله التي ستنبىء عن احكام فقهية ، وما اقره من اقوال واعمال تتعلق بالاحكام ، ويروون معها اقوال الصحابة الفقهية . وانه من اول كتب السنن كتاب الموطأ للامام مالك رضي الله عنه ففيه مصادر فقهه من الاثار . فيه اقوال الصحابة ، وما يستنبط منها . ولذلك قال فى مقدمته : انه راى وليس براى من حيث ان الاستنباط كان له مدخل فيما ينتهي اليه ، ولكنه استنباط متصل بصلة وثيقة بالسنن والاثار .

ولقد نهج ذلك المنهاج كتاب السنن الاربعة ، ابن ماجة ، وابو داود ، والترمذى ، والنسائى ، على اختلاف بينهم فى مقدار التقيد بالفقه وابوابه .

وسنن أبى داود قال فيه اهل

الخبرة انه كتاب دقيق دال على اتقان صاحبه ، فقد قال فيه الحافظ ابن كثير : « السنن (لابن ماجة) دالة على عمله وعلمه وتبحره واطلاعه واتباعه للسنة فى الاصول والفروع، ويشتمل على اثنين وثلاثين كتابا ، والف وخمسمائة باب ، وعلى اربعة آلاف حديث كلها جياد سوى اليسيرة » وقارب ذلك الذهبي فى كتابة « تذكرة الحفاظ » ، فقد قال ما نصه : « سنن ابى عبد الله بن ماجة كتاب حسن لولا ما كرره من احاديث واهية ليست بالكثيرة » .

وقد اجمع هؤلاء الخبراء على امرين بشأن هذا الكتاب .

اولهما ــ انه حسن التبويب ، قد وضع كل حديث فى موضعه من فقه الاحكام ، بحيث يسهل على طالب فقه السنة ان يرجع اليه من غير عسر .

ثانيهما ــ ان فيه احاديث واهية السند ، بل قال بعض العلماء ان فيه اخبارا مكذوبة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا تصح نسبتها اليه عليه السلام .

وقد احصى ابن الجوزى اربعة وثلاثين خبرا فى السنن ، قال انها من الموضوعات .

وبالرجوع اليها نجد ابن الجوزى نظر الى السند ، فقرر ان كل سند فيه رجل لم يعرف بالعدالة والصدق ، يكون حديثه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موضوعا عليه ، ولم ينظر الى متن الخبر المروى عن النبي عليه السلام ، اهو ملائم للمبادىء الاسلامية ام غير ملائم . وحكم على الخبر بالوضع من جهة السند الذى وصل اليه ابن ماجه ولم ينظر اليه من جهة مجموع الاسناد ، فقد يكون بعض رجاله ثقات .

ولذلك كانت الاخبار التى قال عنها انها موضوعة على اقسام ثلاثة :

قسم ظاهر الوضع ، كاخبار فضل بعض البلاد ، وفضل بعض الاطعمة ، ونحو ذلك ، وهذه اجتمع فيها ضعف السند وضعف المتن ، وعدم توثيقها بإسناد اخرى .

وقسم معناه صحيح فى ذاته ، ولكن فى بعض رواته ضعف ، مثل ما نسب الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : « الايمان معرفة بالقلب ، وقول باللسان، وعمل بالأركان » ففي رواته مَن من ضعفت الثقة فيه ، ولكن المعنى سليم متفق مع المبادىء الاسلامية ، وضعف الراوى لايستلزم الكذب ، وقد يستلزم الاتهام والتحفظ ، ولذا قال السيوطى فى هذا الخبر : « الحق انه ليس بموضوع » .

والقسم الثالث معناه صحيح ، وروى بسند كل رجاله ثقات ، وان كان السند الذى رواه ابن ماجه فيه ضعف ، وذلك مثل ما روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « يا معشر التجار » فاستجابوا ومدوا اعناقهم ، فقال : « ان الله باعثكم يوم القيامة فجّارا الا من صدق ، وادى الامانة » فمعنى الحديث سليم ، وفى رواية ابن ماجة ضعف ، ولكن روى بسند آخر غير سنده ، وهو قوى .

وننتهى من هذا الى ان سنن ابن ماجة كتاب يوثق به ، ويعتمد عليه ، وقد فحصه العلماء بمخبار دقيق سليم . وهو من صحاح السنة الستة : صحيح البخارى ، ومسلم : وابى داود : والترمذى : والنسائى وابن ماجه وهو آخر الستة فى الرتبة من حيث كمال الثقة ، لا من حيث اصلها ، والله سبحانه وتعالى بكل شىء عليم . ■■

محمد ابو زهرة

اصبت بالحصبة مرتين،والطبيب يقول لا يمكن

● اصيب اولادى بالحصبة الالمانية، واعدوني فاصبت انا كذلك بها . وهذه هى المرة الثانية التى اصاب بها مع ان عمرى قارب الاربعين . فكيف يتفق هذا وقول الاطباء ان الاصابة مرة اخرى بهذه الحمى مستحيلة ؟

ـ حديثك عن الاطباء وما يقولونه غير صحيح ، فالاكثرية العظمى منهم لا تقول الذى تقول انت عنهم . ان الذى يقولونه ان المريض عندما يصاب بمرض معد ، ثم يشفى بفاعليته من هذا المرض ، فان هذا المرض يترك فى جسمه حصانة قيمة ضد هذا المرض ، اذا هو تعرض له مرة اخرى . وقد دلت على هذا الخبرة الواسعة . دلت على ان اصابة ثانية تصيب المرء بعدوى الحصبة او الحصبة الالمانية او الجدرى الكاذب ، بعد اصابة له اولى ، عزيزة الوقوع . ان الاطباء لا يقولون انها لا تقع ، ولكنهم يقولون ان وقوعها للمرة الثانية نادر .

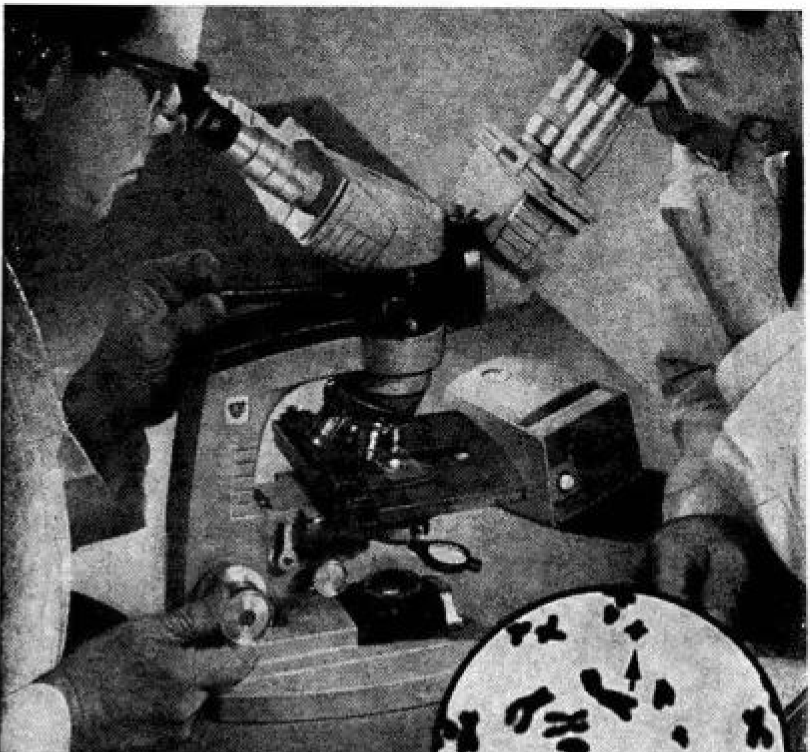
ثم انك تقول انك اصبت بالحصبة الالمانية منذ عشر سنوات . ولو انك قلت هذا لطبيب لود ان يتأكد من ان الذى اصبت به اول مرة هو الحصبة الالمانية حقا وصدقا . ذلك ان الحصبة كثيرا ما تختلط اعراضها بالحصبة الالمانية . وهناك امراض كثيرة يصيب المريض فيها طفح كالذى يصيبه من هاتين الحميين .

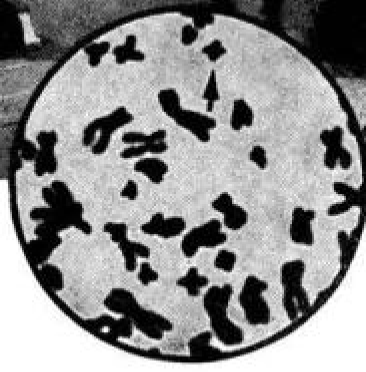
ثم ان كثيرا من الامراض المعدية لا يتأكد وجوده تأكدا لا تخالطه ريبة الا فى مختبرات الفحص . ولكن ليس لكل الامراض فحوص فى المختبرات تدل عليها قطعا . وحتى تلك التى يمكن القطع بها فى المختبرات لا تتسع المختبرات لفحص كل حالة منها .

انك تقول ان طبيبك قال لك ان ما ذكرت من عودة الحمى اليك امر « مستحيل » . والذى اخال ان الطبيب اراده ، انما هو تشككه فيما ذكرت له من عدواك الاولى . ذلك ان الطب حذر جدا عندما يستخدم هذه اللفظة ، لفظة مستحيل .

صبى اصيب بالحصبة وهذا هو الطفح فى اوله







صورة لمجهر من احدث المجاهر ، ينظره شخصان معا ، عملا بالمثل « راسان خير من رأس » . والصورة التى فى الدائرة صورة المكروب الذى يريانه ، وترى فى الصورة سهما ، هو من تحريك احد الرجلين بيده اليسرى يشير به الى ما يريد لفت صاحبه اليه

خلق الانسان

● يحدثنا العلماء عن خلق الانسان وانه من بيضة ، ومن حيوان منوى ، وانها تندمج معه ، وانها .. وانها .. وهذه اشياء غاية فى الصغر ، وهى مع ذلك خافية فى ظلام الرحم ، فهل هم رأوا كل هذا حقا ، ومتى رأوه ، أرجو ان لا يظهر سؤالي هذا سخيفا عندكم ؟

ــ أولا ، كل سؤال وراءه معرفة لا يتسم الا بالحكمة .

وسؤالك وراءه احساس عند كل الناس ، بأن اليقين ، اشد اليقين ، يكون نتيجة الرؤية ــ الرؤية بالعين الباصرة ــ وهكذا الذى يتحدث عنه العلماء ، عن اصل الانسان ، وانه من بيضة ، وما يتلو ذلك من تلقيح ونمو على درجات ، كل ذلك رآه العلماء رأى العين .

وكان من اكبر الادوات فى تقدم الطب : المجهر « المكرسكوب » .

ان كثيرا مما كتبه الكتاب فى القديم كان بناؤه على الظن . والرسوم التى رسموها كانت تشككا ، وقد كان لا بد من انتظار المكرسكوب ، انتظار ابتداعها ، ليرى الانسان ، اول راء ، بيضة المرأة ، اذ تخرج من المبيض ، وليرى ملايين الحيوانات المنوية المكروئية الدقيقة التى تتدافع نحو البيضة الواحدة لتلقحها .

وكان من الضرورى بعد ابتداع



الطفل فى بطن امه ، فى اول شهره الخامس ، وقد اكتمل كل شيء فيه وهو الآن طوله نحو ٢٠ سنتيمترا ووزنه نحو رطل ، يستطيع ان يتحرك حركات تحسها الأم قوية

المكرسكوب البدائي الاول ان تمضى من السنوات مائة وخمسون سنة تتحسن فيها المكرسكوبات تحسنا كافيا يسيرعلى العالم فون بير Karl Ernest Von Baer ان يرى بيضة كلبة فى مبيضها، وان يصفها وصفا دقيقا ، وذلك فى عام ١٨٢٧ .

وتقدم العلم ، علم الخلق ، بعد هذا ، رويدا رويدا . لكنه لم يتقدم تقدما سريعا وشاملا الا فى جيلنا هذا ، فهو الجيل الذى امكنه ان يصف بدقة ، وان يرسم صورة كاملة لكل الخطوات التى تبدأ بتلقيح البيضة ، وتنتهى بخروج الوليد من رحم امه ، بشرا سويا .

فالبيضة الانسانية الناضجة رآها الانسان لاول مرة عام ١٩٣٠ .

والبيضة الانسانية عند اتحادها بالحيوان المنوى لتتلقح رآها الانسان لاول مرة عام ١٩٤٤ .

والجنين فى الايام الستة الاولى من حياته لم ير الانسان تطوره لاول مرة الا بعد عام ١٩٥٠ .

وفى هذه العقود الثلاثة الاخيرة من السنين عملت المكرسكوبات والكمرات فى هذا الحقل عملا مركزا ، فصورت لنا فى كثير من التفصيل ما يحدث من اول القصة ، قصة الخلق ، الى نهايتها .

فالذى يصفه العلماء اليوم ، يا سيدى السائل ، من كل ذلك ، انما وصفوه عن رؤية ، والرؤية قاعدة الايمان الاولى .

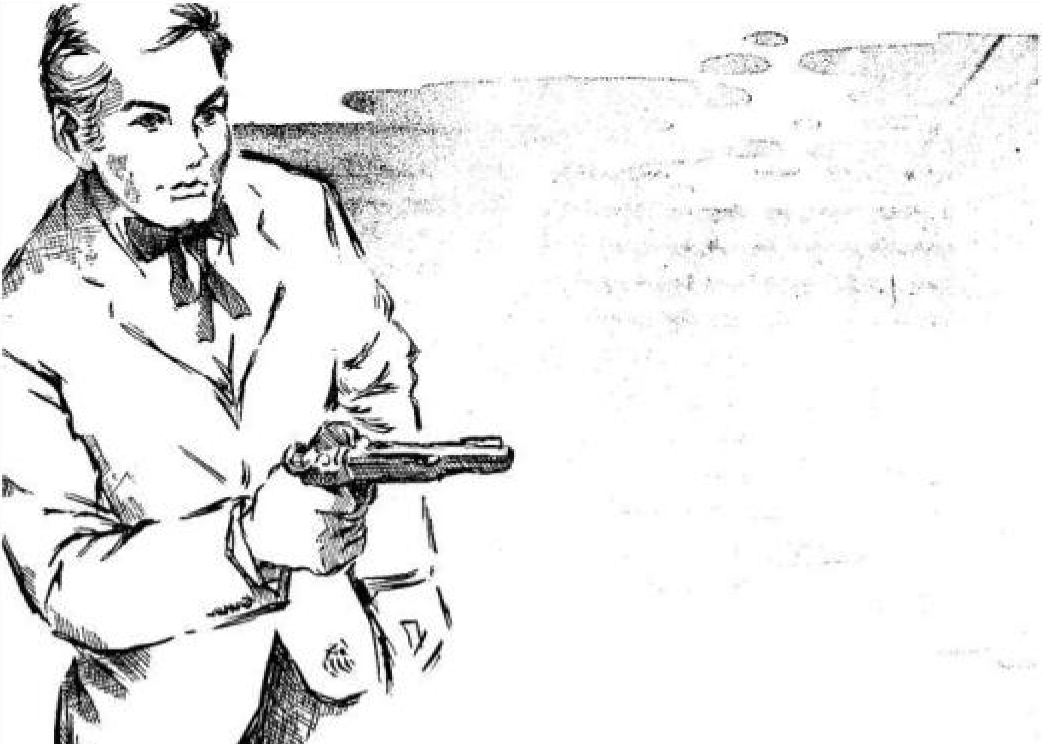
■■

ليلة المبارزة

للكاتب الالماني المعاصر
هنريك شيرمبك



■ وقع عالم شاب فى غرام سيدة متزوجة ، وتحدى الزوج المخدوع العالم ليبارزه دفاعا عن شرفه المثلوم . ولم يخش العاشق الشاب نتيجة المبارزة وقبل التحدى المحتوم ، ولما كان واثقا من ان الشروق التالى سيكون آخر شروق يشهده فى حياته ، فقد سهر الليل كله ليكتب وصية تتضمن ما توصل اليه من ابحاث علمية لفائدة الانسانية جمعاء ، وكان خصمه رجلا محترما معروفا . اشتهر كخبير فى اطلاق الرصاص ودقة الرماية بالمسدسات، وسبق له الدخول فى مبارزات من هذا النوع ولنفس السبب ، وخرج منها جميعا سالما . وكان امبرواز بونار ـ وهو العالم الشاب ـ على وشك التوصل الى اكتشاف علمى هام لا يجعله بطلا فى دنيا العلم وحدها بل من اشهر شخصيات العالم قاطبة ، ولو كان الوقت قد اتاح



له اكتشاف الحلقة التي تربط بين سلسلتي المعادلتين اللتين وضعهما ـ لقدم للعلماء امكانيات لا حدود لها في ميدان البحث العلمي . وكان يعلم انه لا يوجد في العالم كله انسان يستطيع التوصل الى حلقة الاتصال الضرورية هذه سواه ، لان احدا لم يتعمق في ذلك الميدان مثل تعمقه ، او يصل الى مثل ما وصل اليه من نتائج باهرة .

ولكن مبارزة المسدسات ستحرم العالم من مكتشف عبقرى اصيل في صباح اليوم التالى وتتركه اشد ضحالة واكثر فقرا ، ولن تقول عنه رمال الزمن سوى انه عالم شاب كان يبشر بمستقبل طيب،وسيفزع اصدقاؤه ولن يدركوا لماذا خان واجبه تجاه العلم بسبب اصراره العنيد على قبول التحدى ، والعجيب انه شعر بشعور غريب من الرضى بسبب اصراره على تمسكه بموقفه مهما كانت النتائج .

كان يحس انه سينتقم من الدنيا الغادرة لانها تغار من عظمته ، ولانها اوقعته في هذه المشكلة ، وفرضت عليه اتباع قواعد هذه العادة القديمة المستهجنة .. ان الاجيال القادمة ستبحث بلا جدوى لفترة طويلة ، وستناضل من خلال اكوام من الاخطاء وخيبة الامل ، قبل ان تكتشف السر الذى سيحمله معه الى القبر قريبا .

كان في امكانه تصور منظر المبارزة ، والظلام الدامس الذى سيحل عندما يسدل الستار الاخير فجاة ، وتتسلل الحياة من جسمه وعقله ، وتنطفىء الشعلة المتوهجة ، العبقرية ، الشعلة التى كانت اكاديمية العلوم سوف تعلن انها نور وفجر عهد جديد . واغتصبت افكاره ضحكة مريرة من فمه ، وصب لنفسه قدحا آخر من الزجاجة شربه كنخب مفارقته الحياة !

وعند منتصف الليل سمع طرقا على الباب ، فسار اليه على مضض شديد ، فمن ذا الذى يرغب في لقائه الآن ؟ لم يكن يريد لقاء الناس ولم يكن لديه المزيد ليقوله لهم . كان الطارق وصيفة عشيقته ترتدى « حرملة » ضخمة وكانها لا تريد ان يتعرف عليها احد وهى تقوم بمهمتها السرية في ظلام الليل .

وسألها : « ماذا تريدين ؟ اخبري سيدتك كرجاء اخير انى اتوسل اليها باسم حبها لى ، الا تفعل شيئا يزيد من صعوبة الفراق . فالساعات معدودة ، ان أيام سعادتى كانت ايام حبنا ، ولكنى الليلة لا انيس لى سوى شبح الموت » .

وكان البرد شديدا فدثر نفسه بمعطفه الصوفى وسرى خوف قليل الى قلب الوصيفة نتيجة لكلماته وتصرفاته، والقت نظرة حولها لترى حجرته الكئيبة المليئة بالكتب ، وسلمته خطابا وهى تهمس : من مدام شانتيلى .. اقراه بالله عليك .. اقراه .

وتردد برهة ثم فتح الظرف المعطر وهو يقول لنفسه « حتى والموت وشيك الوقوع فان النساء لا يكففن عن التدلل » وجاء فى الخطاب « امبرواز .. انى مستعدة للتضحية بأى شيء من أجل مستقبلنا . يجب الا تظن ان سمعتى اغلى من الحياة معك .. ومعك وحدك .. سواء كانت فى النعيم أو الشقاء .. اتبع « آنا بللا » فانها ستقودك الى عربة سأنتظرك فيها ، وانا على استعداد لان اذهب معك الى اى مكان ترغب فيه ، انك لا تعرف زوجى حق المعرفة ان هذه ليست مبارزته الاولى .. انه سوف يقتلك بالتأكيد ، ولكنى اريدك ان تعيش واريد لحبنا ان يعيش .. لا تخف من المستقبل فان لدى كل شيء يهيىء لنا حياة هنية معا فى سلام وسعادة . انك لن تضطر الى هجر ابحاثك العلمية ، فوراء هذه الحدود ايضا يوجد علماء عظماء يلقون الحب والتكريم » .

هلواز

ولم يكن هناك ادنى شك فى انه خطها ، نفس الحروف التىسبق له انرآها فىخطاباتها الغرامية العديدة ، وتحولت افكاره اليها فى حب ، وتاه فى سحابة من العاطفة كما لو ان سحابة من الضباب الوردى قد لفته ، وكانت لحظة من الاغراء الذى لا يقاوم ، لِمَ لا يقبل عرض الحب السخي هذا ؟! لماذا يقامر بخسارةفرصةالخلود باتباعهطريقا يشك كثيرا فى مدى ارتباطه بالشرف .. طريقا لا يربطه به شيء ، فى الوقت الذى كان فيه على وشك ان يجنى ثمار عمله بعد سنوات من الكفاح والبحث المضنى ؟

وجلس وقتا طويلا وقد دفن رأسه بين يديه ، واخيرا توقف عن النظر الى الفضاء وتنهد فى ارتياح ، وارتسمت علىوجهه بسمة حزينةارتجفت لها الوصيفة وبدا وجهها شاحبا كالموت ، ولمعت عيناه كومض النار وهو يتناول قلمه ليبدأ الرد على حبيبته :

« سيدتى .. لقد فات الوقت .. فقد قررت ان اسلك الطريق الشريف طبقا لتقاليد المجتمع ، ولن تستطيع نيران حبنا ان تضيء الظلام الذى سيخلفه جبن هروبى ، وسيتوقف العلم عن تقديم اى مجد لروح دنيئة .. وداعا ! فبهذه النهاية وحدها استطيع ان احمل معى ذكريات حبنا الغالية الى الابدية » .

امبرواز

وطوى الورقة ووضعها فىمظروف اعطاه للوصيفة قائلا : « ارجوك توصيل الرسالة الى مدام دى شانتيل ، لقد اتخذت قرارى فلا فائدة من عودة اى انسان الى بيتي هذه الليلة ، اننى لن افتح الباب لاحد ! » .

وتمدد على مقعده جاذبا نفسا عميقا ثم اطلق تنهيدة ، وصب لنفسه قدحا آخر من النبيذ . وعاد تدريجيا الى نفسه ، هادىء الاعصاب يقظ الذهن .. وبدأ يسرح فى احلام اليقظة وغرق فى افكاره ، ومرت امام عينيه صور من حياته ... ايام طفولته تحت اشجار التفاح المزدهرة فى نورماندى ! ، وسنوات دراسته كطالب فى مدرسة العلوم ! واحلامه الاولى عن الشهرة والخلود ! والملك وهو يستعرض حرس الشرف ! ، والرهبة التى تملكته قبل ان يلقى اول محاضرة له فى الاكاديمية ورغبته الملحة فى ان يصبح عالما بحاثة ! .. والسعادة التى نعم بها خلال عمله ! . وجوه الاصدقاء .. والفتيات ذوات البشرة البيضاء الرقيقة والجمال الذى دفعه الى الاستمتاع بكثير من البهجة .. اللذة والاثارة التى تصاحب الحب المحرم ! ما الذى يبتغيه اكثر من ذلك من دنياه ؟ لقد تمتع بعينات سخية من كل اطايب الحياة .. وكان يكره التكرار !! .

واخذ يشرب الكأس تلو الكأس فرفعت روحه المعنوية درجات،حتىخيل اليه فىالنهاية انه يحلق

الى اعلى بجناحيه تاركا وراءه ذلك القفص الذى سجن فيه كل هذه السنوات . وبدا له انه كان دائما يدرك ان ساعته ستحين فى وقت ما ، لأن الستار سيرفع فجاة وينكشف له المجهول بكل وضوحه ومفاهيمه .. وفى نفس الوقت يدرك انها اللحظة التى سيحقق فيها ثمرة نضاله العلمى بشكل وصورة واضحين، فقد بدات المعادلة المفقودة، بدات حلقة الوصل الحيوية الضرورية لاستكمال اكتشافه العلمي ، بدات تومض فى اعماق ذهنه وتتضح شيئا فشيئا .. حتى ادركها عن يقين صادق ودليل منطقى ، لقد نجح قبل ان يودع الحياة بساعات قليلة ، ويمكنه الآن ان يترك الدنيا وهو يحس بشعور من رضى النفس .

انجح حقا ؟ الا يرتكب جرما ضد البشرية لو اخذ كشفه معه الى قبره وكان ذلك الكشف خاص به وحده ؟ اوليست هذه الهبة النادرة ، وعقله اللامع ، وعبقريته ، ملكا للعالم كله ؟ اوليس من واجبه ان يقدم اكتشافه الى الانسانية ؟

وفجاة اصبح امبرواز بونار جادا للغاية ، وغرق فى افكاره ، ونظر الى الساعة وادرك ان المبارزة قد بقى عليها ثلاث ساعات ، وفى حماسة مجنونة محمومة بدأ يستخدم الساعات الثلاث القصار ليسجل النقاط العلمية الضرورية التى توصل اليها لتستخدمها الاجيال القادمة ، واسرع قلمه فوق الورق وكانه سهم مريش منطلق ، وتكومت الاوراق التى سودها باكتشافه وكانها اوراق شجر ينتزعها ريح الخريف ولسعته عيناه ، ولكنه واصل العمل وقد تجمعت قطرات العرق على جبينه .. كان سباقا مع الموت ، ونضالا من اجل الخلود ، ولكنه ليس من اجل الخلود الفردى الذى لم يعد له اية قيمة فى نظره .. بل من اجل خلود العمل الخلاق .. من اجل تقديم البحث العلمي لخدمة البشرية .

وعنون العالم الشاب رسالته الى الاكاديمية الفرنسية ولفها ووضعها فى زجاجة واغلقها بسدادة محكمة ثم وضعها فى جيب معطفه ، وارتمى على فراشه منهك القوى مجهدا .. وبدت اشعة الفجر الاولى عبر نوافذ غرفته المتربة الكائنة فوق سطح المنزل عندما طرق بابه صديقان كان قد طلب منهما ان يكونا شاهدين ، فنهض من فراشه واستقبلهما بابتسامة دون ان ينبس ببنت شفه ، وارتدى معطفه ونزل معهما ، وحاول الصديقان ان يثنياه عن عزمه ولكنه رفض مناقشة الامر ، وابتسم ابتسامة غامضة سعيدة فيها الكثير من الكبرياء ، فاستسلما لرغبته ، وعندما وصلوا الى شاطىء نهر السين طلب امبرواز من سائق العربة ان يتوقف عن السير وفتح بابها وخرج منها وبحركة مسرحية القى بالزجاجة فى النهر فاحدثت دويا بعد سكون الماء ثم جرفها التيار معه ، ان مستقبل اكتشافه قد اصبح هكذا فى يد القدر ، لقد فعل كل مافى استطاعته ان يفعله . وكان المكان الذى اختاروه من الغابة ليكون مسرحا للمبارزة مفروشا بقطرات من الندى وكانها الماس ... وكانت اشعة الشمس الاولى تخترق اغصان الشجر ، كما كان السيد دى شانتيل وشاهداه فى انتظارهم .

كان دى شانتيلي رجلا طويلا عريض الكتفين يرتدى ملابس زاهية وكانه قد حضر ليشهد سباقا للخيل .. وكان يهز بيده عصا صغيرة من العاج فى عصبية ظاهرة ، ولم يشعر امبرواز بذرة كره او حقد نحوه ، رغم انه كان يدرك حق الادراك مدى السخف الفظيع الذى يحدث عندما تقتل يد رجل هو فقاعة من فقاعات المجتمع الراقى ، عالما عبقريا !

وقام الشهود بالمحاولات التقليدية للصلح ولكن المتبارزين اتخذا وضع الاستعداد فاجرى الشهود القرعة وكان من نصيب السيد دى شانتيلى اطلاق مسدسه اولا ، وبيد الرامي الماهر التقط المسدس المطعم بالفضة وصوبه الى صدر العالم الشاب الذى واجهه بلا خوف . واعترى امبرواز شعور غريب باللامبالاة واصبح نافد الصبر متلهفا الى رؤية ختام ذلك العرض الساخر . كان على استعداد للرحيل عن هذه الدنيا التى فقدت كل معناها بالنسبة له واصبحت مغرياتها مجرد قيم رمزية فى نظره . وبفضول ساخر نظر الى فوهة المسدس المصوب نحوه وفجاة بدا له انه من الصعب عليه ان يصدق ان آلة الموت هذه لها القوة لتنتزعه

من هذه الدنيا وتنقله الى الدار الاخرى ، وانطلق المسدس ودوى صوت عال وانبعثت سحابة من دخان ، واحاطت بصدر وذراع السيد دي شانتيلي سحابة بيضاء وكأنه قد اطلق خرطوشة دخان كتلك التي تستعمل في حدائق التويلري في استعراض الالعاب النارية ، وبدا في عينيه تعبير حزين .. جاد .. رفيق وهو ينظر الى العالم الشاب ، ولمح امبرواز هذا التعبير الذى ضايقه ، ثم صوب مسدسه نحو وجه منافسه واطلق النار وبعد لحظة كان السيد دي شانتيلي ملقى على الحشيش وقد اخترقت الرصاصة راسه بعد ان نفذت من بين عينيه ومات لتوه .

ولما فكر امبرواز فى الاحداث التى اعقبت المبارزة خيل اليه وكأنه فى حلم لم يقرر هو فيه شيئا .. بل قررت مصيره سلسلة من الاحداث المتوالية، ونتيجة لها وجد امبرواز نفسه خارج فرنسا وجيوبه مليئة بخطابات توصية وجهتها السيدة دي شانتيلي الى عدد من الأصدقاء والشخصيات الهامة ، ولكنه لم يستخدم هذه الرسائل بل مزقها والقى بها بعيدا فقد كانت آخر بقايا ماض طويل لحياة خلفها وراءه،وعاش عدة سنوات لاطعم لها ولا لون لانه لم يكن يتوقع أن ينجو من المبارزة ، وكان متأكدا من الموت ، وبدا له أن حياته التى استمرت بفضل يد القدر الشريرة وكأنها هدية كريهة ، هدية لم يردها ابدا او يرغب فيها ، هدية عديمة المعنى فى نظره ، هدية يكرهها .. كان الأمر بالنسبة اليه سخفا بل خدعة دنيئة ، وخاتمة تعسة تجعله يتمسك بوجود استهلك معناه الحقيقى ، وساعدته سلسلة من الاعمال الزهيدة الاجر ليكسب قوته ، وعاش فى فنادق رخيصة موحشة ، وكان يجرى فى الطرقات ليلا وهو يغمغم بكلمات لا معنى لها ، واعتبره الناس رجلا غريب الاطوار الى حد بعيد ، واعتبره عارفوه انه عبقرى خمدت جذوة عبقريته ، وروحا ضائعا ، وان كان فى مناسبات نادرة يظهر لمحات من الذكاء والجمال الخارقين مثل وميض برق ليلة صيف: عينات نادرة تستدر الاسى لعقل عبقرى كان وانقضى.

ووصل امبرواز فى تنقلاته الى دبلن وعمل كمساعد فى المرصد الفلكى ، وعندما كان يثمل كان يربط نفسه بحبل الى منظار مقرب ضخم ، فطرد شر طردة ، وبين الحين والآخر كان يأمل فى أن يعثر أحد على الزجاجة التى ألقاها فى السين ومخطوطه بداخلها ، ولكن يبدو أن القدر لم يكن راضيا عن مثل هذا الحل السهل ، فقد كان مكان الزجاجة لا يزال سرا لا يعرفه أحد ، ولم يكن امبرواز يستطيع تذكر تفاصيل تلك المعادلة الحيوية التى ومضت فى ذهنه فى الليلة التى سبقت المبارزة، انه لا يستطيع ، لأن مثل هذه اللمحة من لمحات العبقرية لا تحدث الا مرة واحدة فى العمر ، فى عمر الرجل الواحد .

★ ★ ★

وبعد ذلك بأثنى عشر عاما وفى غسق ليلة صيف حارة رطبة ، صعد رجل متهدل الكتفين رمادى الشعر درج منزل ذى غرف مفروشة للايجار فى شارع « مورج » ، ودق جرس شقة فى الدور العلوى وسأل سيدة عجوزا تجعد وجهها ان كانت تستطيع أن تؤجر له غرفة من الغرف الاثينية الطراز الموجودة على سطح المنزل . واجابت السيدة بأنه لا توجد سوى غرفة واحدة خالية ولكنه من غير المسموح لها أن تؤجر هذه الغرفة بالذات .

فسألها « لماذا ؟ »

فبسمت العجوز فى نبرة واثقة : « منذ عشر سنوات كان يقيم فى هذه الغرفة شاب اضطر الى الهرب بسبب مبارزة ، وكان رجلا عالى الثقافة وترك وراءه غرفة مليئة بالكتب والاوراق ومعها جهاز غريب ، وبعد أيام قليلة من المبارزة جاءت سيدة من علية المجتمع وأجرت الغرفة » ، واضافت السيدة العجوز بأنه قد طلب منها الا تغير أى شىء فى الغرفة والا تلمس حتى كتابا واحدا ، وانها كانت تتسلم فى كل شهر شيكا بقيمة الايجار وان ذلك النظام متبع منذ ذلك الوقت حتى الآن ، وأن سيدة المجتمع البارزة ما زالت تأمل فى عودة العالم الشاب الذى تحداه أحدهم للمبارزة بسببها .

وازداد الظلام حلكة في غرفة السيدة العجوز فسألها الغريب ارجو أن تسمحي لي بمشاهدة الغرفة » .

وكشفوهج قداحته ملامح وجهه لحظة، فاطلقت العجوز فجأة صيحة دهشة ، وهتفت في صوت أجش : انك السيد بونار ! » .

ومرت لحظات لم تستطع أن تحرك فيها عضلة واحدة ثم نهضت واوقدت مصباحا واقتربت منه في خطوات قصيرة سريعة ، وغمرته بفيض من مشاعر الترحيب والمحبة بينما كانت دموعها تجري بين أخاديد وجهها المجعد .

ونظر اليها وكأنها غريبة عنه تماما وسألها : هل أستطيع أن أرى الغرفة يا مدام بيرو ؟ ارجو ان اراها وحدي ؟ » .

وكان كل شيء على ما تركه عليه منذ اثنى عشر عاما ! وجلس في المقعد القديم ذي الذراعين في الظلام ساعات طويلة ، وزحف ضوء القمر على فراشه وسجادته ومنضدته وكرسيه ووجهه ليستقر أخيرا على شعره الفضي .

ولم يفعل شيئا سوى الجلوس فوق مقعده ليتنفس هواء الغرفة الراكد وينتظر ، ينتظر ويأمل في يأس عودة شعاع العبقرية الذي هبط عليه منذ اثنى عشر عاما مضت ، ولكن شيئا لم يحدث ، ولم تحرك ومضة واحدة من ومضات الفكر جو الغرفة المكتوم . ان الرجل الذي كان يجلس في تلك الغرفة من قبل ، والرجل الذي يجلس فيها الآن ، من عالمين مختلفين تماما ولا يوجد ثمة جسر يربط بينهما !

وعندما أشرق الصباح كان متعبا فرقد على فراشه ، ولما غادر الغرفة في الظهيرة كان يمثل صورة حزينة صامتة كئيبة ، تماما كما جاء في الليلة السابقة .

ولمح قبل خروجه خطابا عليه اسمه موضوعا على المائدة فوضعه في جيب معطفه ، وذهب الى حديقة اللوكسمبورج وجلس على دكة تحت شجرة عجوز واخذ يتأمل دوائر أشعة الشمس التي نفذت خلال أوراق الشجر ، ثم فتح الخطاب وبدأ يقرأ :

« سيدي ، في الوقت الذي تتسلم فيه هذا الخطاب سأكون انا قد مت مقتولا على يديك ، وانك تعلم انه كان من السهل على ان اسلك طريقا آخر ، طريقا لو اتبعته لتمددت انت فوق الحشيش ، بدلا مني، ان واحدا منا فقط يستطيع ان يعيش ، وانت احق بالحياة مني ، اني احني هامتي لعبقريتك ، واحني رأسي لسلوكك وتصرفاتك المهذبة ..

ان الخطاب الذي سلمته الوصيفة لك الليلة لم يكن من مدام شانتيلي ، بل انا الذي كتبته مقلدا خطها ، ولقد نجحت انت في الاختيار .. أتمنى لك السعادة ، وأتمنى ان تحقق الآمال التي عقدتها الدنيا عليك ... البرت شانتيلي .

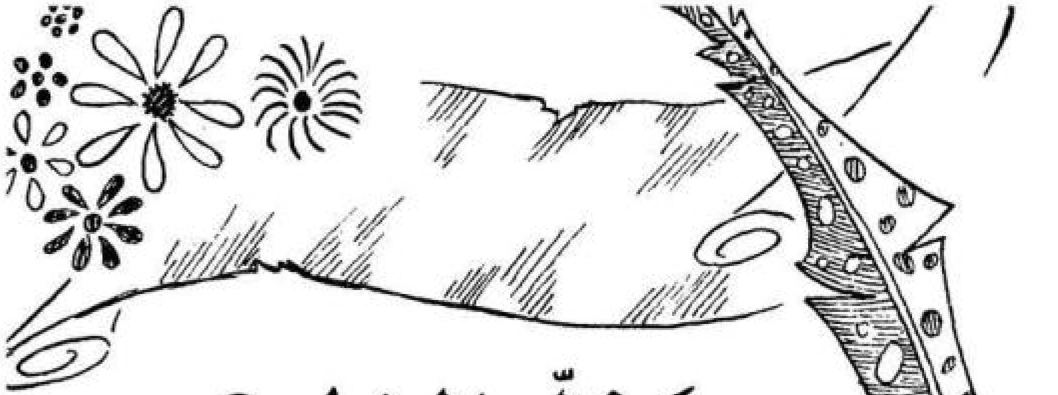
وسقط الخطاب من يديه ، واغمض عينيه وبدا وجهه رمادي اللون وكأنه قناع موت .

★ ★ ★

وبعد خمس سنوات قذفت امواج بحر الشمال زجاجة محكمة الاغلاق على شاطيء قرية صيد دنمركية صغيرة ، ورأى الصبي الذي التقطها انها تضم اوراقا تبدو وكأنها أوراق هامة ، فقدمها الى ناظر مدرسة القرية الذي أرسلها الى جمعية علمية في كوبنهاجن ، ارسلتها بدورها الى باريس ، حيث اجتمع نخبة من العلماء المشهورين لفحص محتوياتها ، واتفقوا جميعا على ان كشفا رائعا وعملا عبقريا كان تحت رحمة البحر قرابة عقدين من السنين، لان العالم الشاب كان قد أرخ أوراقه .

وبذلت كل الجهود للعثور على هذا العالم العبقري ولكن بلا جدوى . بيد ان ثمار عمله كانت اسهاما رائعا في بحث الانسانية الابدي من اجل المعرفة والدور الخالد للفكر الخلاق .. ■■

ترجمة : عادل شريف



حَظّ الشاعِر

ما اكثر ما يعاني الشعراء ... وما اقل ما يحصلون

كالريح شعرك سار ... ياشاعرا لا يبارى
فتارة كان همسا ... وتارة اعصارا
ان رقّ كان نسيما ... يسرى كهمس العذارى
او جدّ كان رياحا ... تجرى تهز الديارا
او ثار كان انطلاقا ... كالموج ترمى الشرارا
جمعت كل المعانى ... وكنت نورا ونارا

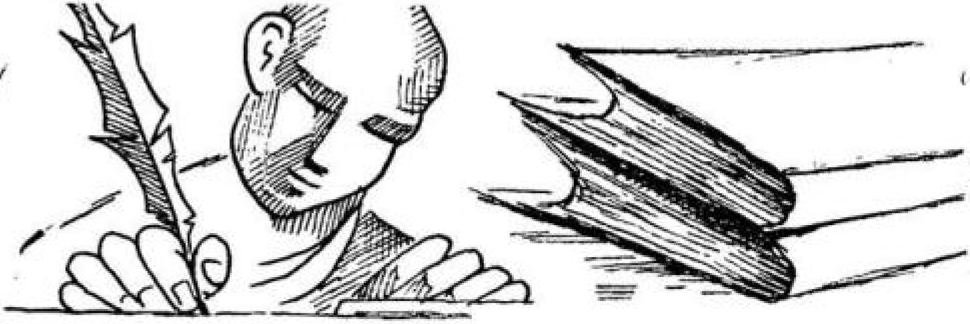
★★★

احببت حتى رأينا ... هواك يلقى العذارا
وعدت شيخا عفيفا ... اشاع فينا الوقارا
واشتد حتّى تحدى ... ورقّ حتّى توارى

★★★

اقمْتَ للحب سوقا ... شبعت فيه انتصارا
فعن يمينك قتلى ... وفي الشمال الاسارى
وزرت شرقا وغربا ... وخفية وجهارا
ورحت تحكى وتشكو ... وتفضح الاسرارا
وبات شعرك نجوى ... للعاشقين الحيارى





وكنت للشعب صوتا   مجلجلا جبارا
ترد عنه الأعادى   وتلهم الثوارا
ان سقته لكفاح   فكل فرد ثارا
او هجته للمنايا   يسعى لها مختارا
كأن شعرك سحر   يصيّر الماء نارا

★★★

يافارس الشعر مهلا   فكم رصيدك صارا
فكم سهرت بليل   دفنت فيه النهارا
وكم سهدت الليالى   طِوالها والقصارا
حتى ظفرت بمعنى   أثبت فيه اقتدارا

★★★

لو كنتَ تفلح ارضا   جنيت منها الثمارا
او كنت تاجر حسن   جمعت منه النضارا
او كنت حتى تغنى   أو تُضحك السمارا
او طفت في ثوب حاو   وعشت تأكل نارا
احرزت في الناس جاها   ونعمة ويسارا

★★★

لكن بُليت بفن   عرضتَه أشعارا
انفقت فيه كثيرا   وبات يشكو البوارا
فقد عرضتَ اللآلى   فلم تجد تُجّارا
أخيّ نحن الضحايا   فكن لها صبارا

■■

بغداد ــ محمد التهامي



الشاعر الغزل

عمر بن أبي ربيعة

بقلم : محمد خير الحلواني

مدرس الادب العربى فى ثانوية سوريا

■ لقي عمر بن أبي ربيعة من اهتمام الادباء المعاصرين فوق ما كان يلقاه من النقاد وعلماء الادب فى عصره ، فقد كثرت فيه دراساتهم ، وتوالت تكشف جوانبه الشخصية ، وتنظر فى ظواهر غزله ، وتأثيره فيمن جاء بعده ، وتأثره بمن سبقه ، الا ان الكثرة الغالبة لهذه الدراسات تشيع فيها السرعة فى الحكم ، والاضطراب فى الراى ، وسنجد ان البحث الذى يأخذ نفسه بشيء من الصبر والاناة ، يستطيع ان يلتمس فى غزل عمر دوافع لم ينتبه اليها من درسوه فى العصور الحديثة ، فقد زعم بعضهم ان هذا الغزل يصور ما وصلت اليه المراة العربية من ميوعه خلقية ، وذهب بعضهم الآخر كالدكتور طه حسين الى ان شعره يمثل الصلة بين الرجال والنساء فى تلك العصور، فانت لا تحتاج الى ان تنظر فى كتب المؤرخين ، ولا ان ترجع الى ما تركه الرواة من وثائق

كانَ يَترَصَّدُ الحِسانَ، يَتغزّلُ بِهِنَّ، دُونَ عِلمِهِنّ



واخبار ، بل حسبك ان تعود الى عمر ، لترى اشياء تفوق ما يقوله المؤرخون ، وتعلو ما تركوه من مصادر ووثائق .

دوافـع ثلاثة

والواقع الذى يتبدى للباحث المدقق ان شعر عمر لا يمثل من عصره الزمنى ، ولا من بيئته المكانية ، الا جانبا هزيلا ينحصر فى عدد من المغنين ، وفيمن كان يختلف الى دورهم من المستمعين . وحين نرجع الى ديوان الشاعر ، واخباره المروية ، نجد لغزله دوافع ثلاثة ، بعضها شخصى ينبع من نفس الرجل ، وبعضها اجتماعى تحمله البيئة الواسعة ، وثالثها ادبي يظهر فى تقاليد شعرنا العربى وطبيعته ، وتلك الدوافع التى املت على عمر هذا الديوان من الشعر ، ومنحته هذه الروح الغزلة التى تطالعنا فى شعره واخباره على السواء .

دافـع شخصى

وقد عرف الدارسون ان عمر ينتمى الى قبيلة مخزوم ، وهي التى لقبها الناس آنذاك بريحانة قريش ، لما عرفت به من يسار ، وجاه ، وترف ، ونهَم فى تتبع اللذات ، وامّهُ من اليمن ، وقد عرفت اليمن كذلك بالرقة ، والغزل الناعم الذى لا يخلو من الوان الاستهتار . يضاف الى ذلك ان عمر لم يكن يهتم بشئون الحياة السياسية من حوله ، كما لم يكن يأبه لأمور اخرى ، حتى لقد وصفته محبوبته « الثريا » بانه « فارغ » حين قالت لرسوله : « ابن ابي ربيعة فارغ ونحن فى شغل » .

وعمر ايضا حادُّ العاطفة ، هائجها ، يشقُّ أثوابه طرباً لصوت سمعه من عَزَّةَ الميلاء – احدى المغنيات الشهيرات – كما لا يخلو من بعض الغفلة والسذاجة ، فقد خدعته بعض العراقيات – كما يروى ابو الفرج – وذهبت به الى العراق ، موهمةً له أنها ستتزوجه ، حتى اذا أضنته ونالت منه ما تشاء ، صرفته بشيء من المال رَدَّهُ اليها . وكذلك كانت تخدعه صاحبته الثريا ، فقد بعثت اليه مرة تخبره أنها مريضة ،

فهب الى جواده يلهبه بسوطه ، حتى بلغ منه الجهد والاعياء مبلغاً كبيراً ، ولما وصل اليها رآها تضحك منه . ثم لم تكن الثريا نفسها لتجد حرجاً في ان تضربه أو تصفعه . ودفع اليه أخوه الف دينار ليكف عن الغزل ، فقبلها منه، وسافر الى اليمن .

اضف الى هذا كله ان عمر الشاعر ، يفتقر الى كثير من مقومات الرجولة ، فقد كان يحلو له أن يتغزل به النسوة ، وأن يتحدثن عنه ، وهذه الظاهرة البادية في ديوانه ، دفعت باحثاً كالأستاذ العقاد الى أن يزعم أن في جسد عمر وشخصه كثيرا من صفات الانثى ، واذا كان في هذا شيء من المبالغة ، فانها المبالغة التي تجد ما يعللها في آثار الشاعر وأخباره .

هذه الشخصية العمرية التي تلمسنا جوانب منها ، هي التي تسلطت على شعره كله ، ومن هنا كان يقول في المرأة ، ويسوق الحوار على لسانها ، دون دراية منها ، فقد رأته مرة سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف يطوف بالبيت ، فقالت له : ما لك سادراً في حرم الله ، الا تتوب ؟ فقال لها : اما سمعت ما قلت فيك ؟ قالت : لا ، فأسمعها قصيدة مليئة بالحوار ، فقالت له : علم الله أني ما قلت شيئا ، ولكنك انسان بهوت .. وكان يقول ايضا فيمن سمع عنهن دون رؤيتهن ، فقد ذكر له ابن ابي عتيق زينب بنت موسى ، فتغزل بها وهي لا تدرى .. كما كان يتعرض للنساء بكرههن ، كما فعل مع المراة الجميلة التي نفرت منه ، ثم صحبت أخاها الى الكعبة في اليوم الثاني ، فلما رآهما خاف وتراجع ، فتمثل بقول النابغة :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له

وتتقي صولة المستأسد الضاري

وعلى هذه الطريقة تعرض لزوجة ابي الأسود الدؤلي ، وعائشة بنت طلحة . ولهذا كانت بعض النسوة يشكين امورهن الى ذوي قرباهن ، فيتوعده هؤلاء ويتهددونه ، فيعلن امامهم عن توبته ، وتهدده الحجاج بن يوسف ان هو قال بفاطمة بنت عبد الملك حين قدمت الحجاز حاجة ، وكان بعض الرجال يهربون بفتياتهم من وجهه خوفاً من لسانه .

هذا كله يوحي بأن جل ما قاله عمر لم يكن تصويراً لواقع جرى ، بل اقرب الى أن يكون مختلقاً متصوراً، شبيهاً بأحلام اليقظة ، ويدل على هذا ان عمر نفسه لما سئل عن غزله الذى قال ، أجاب بأن شيئاً من ذلك لم يقع له ، ولكنه رجل مولع بالجمال يتبعه .

ويظهر ان الناس في ذلك الوقت يعرفون هذا ، فقد روى صاحب « زهر الآداب » ان الحارث بن خالد المخزومي، كان يشبب بعائشة بنت طلحة ، فلما مات عنها زوجها الثاني قيل له : « ما يمنعك منها الآن؟ » اي لم لا تطلبها زوجة : قال : « اني لاكره أن يتوهم الناس اني كنت معتقداً لما اقول فيها».

دافع اجتماعي

تضافرت اذن هذه الدوافع الشخصية لتخلق من عمر غزلا من هذا النوع ، غير ان هذه الجوانب لا تقف وحدها في ميدان البحث عن علل الغزل العمرى، بل هناك دافع اجتماعي بيئي ، يوفر لشخصية عمر أرضاً خصبة لتنمو فيها مواهبه ، وتورق اغصانه . لقد عرف بالاختلاف الى دور المغنين ، وكان يلازم ابن سريج المغني ملازمة ملحة ، هو ينظم الشعر وذاك يغنيه ، حتى قرن لحن المغني بشعر الشاعر ، وكانت الاندية التي يختلف اليها هي التي تجمع بينه وبين محبوباته اللواتي قال فيهن عن دراية منهن وعلم ، ولا سيما الثريا.

ومن هنا كان المستمعون يحرصون على ازالة الجفوة العارضة بين عمر وصواحبه. وما قيمة الحياة اذا ابتعدن عنه ، أو جفونه ؟ على حد قول ابن ابي العتيق أحد الملازمين لأندية الفناء .

هذا النهم العمرى ، واللذة الجامحة فى الاستماع والطرب ، هما اللذان يفسّران لنا الجزء الاكبر من اخباره وقصائده، فقد كان يقول الشعر ليلحّن، ثم يغنّى ، ومن هنا كان يتصيد فى مواسم الحج حسانا ، ليكن موضوعاً صالحاً يقدمه للمستمعين ، فى شعر غنائي تحلو فيه الرقة اللفظية ، ويطيب فيه الفزل ، وتعذب القصص عن المحب والمحبوب . واذا ذكرت بعض اسماء الحسان اللائي يعرفهن السامعون ، اشاع ذلك فى الجو أنغاماً نفسية تتلذها الأسماع ، وتنتعش بها القلوب .

ولنا من الزجالين الذين ينظمون للمطربين فى هذه الأيام خير شاهد على ما نقوله ، فهم يلوذون بالفزل غالبا ، ثم انهم يروون اخبارا كثيرة لا يستطيع واحد ممن يستمع اليها أن يزعم انها تصور واقعاً محيطاً بالناظم . أليس اذن من التسرع بالحكم أن نجد فى كتب ادبائنا المعاصرين، هذا التصديق الجامح لكل ما يرد فى كتب الأقدمين من أخبار عمر ، وهذا الايمان بواقعية الشعر الذى قاله .

دافع أدبي

وهناك دافع آخر لا يقل قيمة عن الدافعين المتقدمين ... دافع ادبي يتجلى فيما عرف به الشعر العربى من التقليد ، فقد كان شعراء العرب يحاكون نماذج سابقيهم ويقلدونهم ، فى بناء القصيدة ، وموضوعها العام ، وأفكارها الجزئية ، ولهذا عرفت المعاني التى يجب ان تقال فى الفزل ، وفى المديح ، وفى الفخر ، وفى الهجاء ، وفى الرثاء ، و ... وهذا الجو التقليدى هو الذى كان له تأثيره الكبير فى الفزل العمَرى، اذ سبقه الى فنه شعراء عدة ، نعرف بعضهم ، ونجهل آخرين ، أولهم امرؤ القيس ، وثانيهم عبد بني الحسحاس ، الذى عاش عمر فى كنفه ، وتأثر به وحاكاه . ويظهر ان ثمة عدداً غير قليل ممن كانوا يفصّلون القول فىالحديث عن مغامراتهم الفزلية ، ويلجأون الى القصة الشعرية، والحوار التمثيلي ، ولكن اشعارهم قد ضاعت ، ولم تصل الينا لان « التعبير عما فى القلب من الهوى والعشق والشوق ، يستدعي كلاما ليناً سهل المأخذ ، بعيدا عن الألفاظ الفريبة ، قريب المعانى ، فاستنكفت من جمعه علماء اللغة فى القرن الثانى للهجرة ، لان غرضهم من لمّ الاشعار القديمة ، وحفظ شذراتها هو الفريب من الالفاظ ، والمهم من الاخبار (١) .

فليس من الفريب اذاً ان يكون هناك شعراء تأثروا امرأ القيس ، فقالوا غزلا مكشوفا على غرار غزله ، وتغنيه بحادثة « يوم دارة جلجل » . ولا غرابة ان يكون عبد بني الحسحاس الذى قتل أيام الخليفة الراشدى الثانى ، من هؤلاء المتأثرين ، الذين اضافوا الى هذا اللون من الشعر اشياء جديدة ، كما لا غرابة أن يكون عمر بن ابي ربيعة الذى عرفت صلته بالعبد المقتول شاعرا مقلدا، يحكي مغامرات ، ويروى اخبارا ، لم يشهدها الواقع ، بل اخترعها الخيال .

■■

حلب : **محمد خير الحلواني**

---

(١) « تاريخ الآداب العربية » للمستشرق نالينوص ١٠٢ .

طرائف عربية

المصران الاعور فى الجهة اليسرى !

● انتاب الشاعر حافظ ابراهيم الم في بطنه من الجهة اليسرى ، فاعتقد انه مريض « بالمصران الاعور » ، فكاشف بذلك صديقا له ، فطمأنه بأن «الاعور» لا يكون الا فىالجهة اليمنى. فقال حافظ: مين عارف يا اخي يمكن يكون اللي عندي اعور شمال !

منطق جحا

● اصيبت ناقة احد الفلاحين بالجرَب فأخذها الى جحا وقال له : اقرأ لي على هذه الناقة لتشفى .

فقال له جحا : اذا اردت أن تبرأ ناقتك من الجرب فاضف الى قراءتي شيئا من القطران .

المغفلون

● نظر رجل فى بئر فراى وجهه ،فعاد الى امه ، فقال : فى الجب لص . فجاءت الام فأطلت معه فقالت: اى واللهومعه فاجرة !

المعلم والطلبة

● قال الجاحظ : مررت بمعلم والصبيان يضربونه وينتفون لحيته ، فتقدمت لأخلصه ، فمنعني وقال : دعهم ، بيني وبينهم شرط ، انْ سبقتهم الى الكتّاب ضربتهم ، وان سبقوني ضربوني ، واليوم غلبني النوم فتاخرت . ولكن وحياتك الا بكرتَ غدا من نصف الليل وتنظر فعلي بهم .

فالتفت اليه صبي وقال :

ــ انا ابيت الليلة هاهنا حتى تجيء وافعل بك ما افعل .

ملك الرشيد

● كان ابو العباس محمد بن صبيح المعروف بابن السماك زاهدا مشهورا ، قدم من « الكوفة » الى بغداد زمن الرشيد ، ودخل عليه مرة فقال له : « عظني » ، ثم دعا الرشيد بماء ليشربه، فقال ابن السماك : « ناشدتك الله ، لو منعك الله من شربه، ما كنت فاعلا ؟ » قال الرشيد : « كنت افديه بنصف

عَمَى البصر وعَمَى البصيرة

● كان أحد العميان يسير فى الليل وبيده مصباح، فصدمه رجل بصير وقال له :
ـ لماذا تحمل مصباحا وأنت لا ترى شيئا ؟
فأجابه حملته لأتقى به عَمَى القلوب !

فَتَن الشعبيُّ لمّا ..!

● كان الشعبى علامة الكوفة وأشهر قضاتها ، وهو أكبر شيوخ أبي حنيفة.. اختصم عنده رجل وامرأة فى قضية ، فحكم للمرأة ، فأحفظ حكمُه خصمها، فقال لفوره فى مجلس الحكم :

فَتَن الشعبيَّ لمـا رفع الطرف اليهـا
فتنتـه ببنـان وبخطّـي حاجبيهـا
ومشت مشيا وئيدا ثم هزت منكبيهـا
قـال للجلـواز قرِّبهـا واحضر شاهديهـا
فقضى جَـوْراً عـلى الخصـم ولـم يقض عليهـا

فأمر به الشعبى فضربه حتى أوجعه.
الا أن هذه الأبيات ما لبثت أن انتشرت فى الكوفة ، ثم فى العراق ، ثم أصبحت تتناقلها الالسن فى سائر الدولة العربية .
قال الشعبي : مررت بعد مدة بفتاة تملأ جرة لها من غدير فسمعتها تقول : فتن الشعبى .. فتن الشعبى .. ولم يستقم لها تمام المصراع ، فقلت لها : « فتن الشعبى لما رفع الطرف اليها » فشكرتني من غير ان تعرفني ، وحملت جرتها وانطلقت تترنم بهذه الابيات !
قال : ودخلت بعد زمن على عبد الملك بن مروان ، واذ وقع نظره علي ابتسم وقال : « فتن الشعبي لما رفع الطرف اليها » فقلت : قد ظلمني والله يا امير المؤمنين . قال : فما فعلت به ؟ قلت : قد اوجعته ضربا لما انتقصني ، واجترأ به علي . قال : احسنت .

لا يساوى شربة ماء !

ملكي » . قال : « فاشربه » ، فلما شرب الخليفة قال له ابن السماك : « ناشدتك الله ، لو منعك الله من خروجه ، ما كنت فاعلا ؟ » قال الرشيد : « افديه بنصف ملكي » .

قال ابن السماك : ان ملكا تفتدى به شربة ماء ، لخليق الا ينافس عليه !

أعمى يثقب اللؤلؤ !

● دخل بشار على المهدى وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري، فأنشده قصيدة ، فلما اتمها قال له يزيد : « ما صناعتك يا شيخ ؟ » قال : « أثقب اللؤلؤ » .
فقال له المهدى : « اتهزأ بخالي ؟ » .
فقال : « يا امير المؤمنين . فما يكون جوابي لمن يرى شيخا أعمى ينشد شعرا فيسأله عن صناعته ؟ » .

أيتها الامهات!
أيها الآباء!

احذروا في تربية أبنائكم هذه الأخطاء

■ أيتها الأم تربية أطفالك مهمة شاقة عسيرة ، وان بدت لكثير من الآباء والأمهات سهلة يسيرة . انها من الصعوبة بحيث يتعذر النجاح فى أدائها على عدد ممن أصابوا أوفر قسط من النجاح فى النواحى الأخرى من الحياة . ان الكثيرين من ذوى الكفاءات الممتازة ليتخبطون ويشطون ازاء مشاكل صغارهم السيكلوجية . حتى الأمهات المتفوقات فى تدبير الشؤون المنزلية لا يستطعن فى معظم الأحيان تفادى الحيرة التى تتملكهن بصدد سلوك أبنائهن . حتى المعلمون ـ وهم آباء الطلبة الروحيون ، وهم أهل اختصاص فى التربية والتعليم ، درج معظمهم على الشعور بالارتياح التام اذا انتهت أعمالهم اليومية الروتينية دون أن يرافقها من ازعاج طلابهم لهم الا القدر اليسير.

فالمشكلة اذن ، ليست مشكلة أطفال ، بقدر ما هى مشكلة أمهات وآباء ومعلمين .

لماذا ترانا نعالج أطفالنا،وهم خاماتنا البشرية، بقدر من المهارة والذكاء يكاد يكون تافها اذا ما قورن بالقدر الذى نبذله فى معالجتنا لخاماتنا الطبيعية ! لماذا ترانا نرصد الملايين من الدولارات لتطوير العلوم والصناعات ونتقاعس ، ونضن عن البذل فى تطوير أساليب التربية !

أربعة أوهام فى التربية شائعة

ثمة أوهام أربعة تحول بيننا وبين استغلال حصيلتنا العلمية عن طبيعة بنى الانسان وتدفع بالآباء والمعلمين الى اقتراف الآثام وارتكاب الأخطاء الجسام .

١ ـ أول تلك الأوهام اعتقادنا الراسخ باننا نفهم الطبيعة البشرية ونتفهم مقتضياتها النفسانية ، الى حد نشعر معه بالقدرة التامة ، لا على تنشئة أطفالنا على أحسن وجه فحسب ، وانما أيضا على اسداء النصح بصدد تربية أبناء الغير . فشعورنا السائد هو أننا نستطيع صقل الطبيعة الانسانية بمجرد اعتمادنا على فطرتنا الدولية ومعلوماتنا البدائية . ويبلغ اطمئناننا الى هذه المشاعر البدائية ورضانا عن تلك المعتقدات الساذجة حدا يسمح لنا بالتهكم والسخرية من علم النفس والطب النفسانى ، وبتوزيع النصائح والارشادات على أصدقائنا حول مشاكل التربية المشحونة بالملابسات والتعقيدات العاطفية ، وذلك فى الوقت الذى لا نجسر فيه على تقديم نصيحة واحدة لذىساق مكسورة تحتاج الى علاج كثير وتجبير . وغنى عن البيان أن فطرتنا الأولية ومعلوماتنا تلك البدائية لا تعدو فى الغالب أن تكون مجموعة من انطباعات للمرء سطحية ، وخبرات له عرضية ، مضافا اليها نظرات له ضيقة ومغالطات ساذجة توافرت له على مر السنين .

٢ ـ ويتصل الوهم الثانى من تلك الأوهام بالاتجاه الشائع فى تمسك الآباء بالأساليب التربوية



التى ألفوها فى طفولتهم ، أو فى الخروج عليها والأخذ بنقيضها .

وتتمثل نزعة اقتفاء أثر الآباء فى تربية الأبناء فى أولئك الذين نشأوا نشأة غلب عليها التحكم والقسر . فهم قد يشعرون بالرضى عن أنفسهم وعما غرسته فيهم تربية آبائهم فلا يترددون مطلقا فى السير على منوال الآباء فى تنشئة الأبناء ، بصرف النظر عما اذا كانت أساليب ذلك السلف تلائم هذا الخلف وتتمشى واحتياجاته .

وتظهر النزعة الى تحاشى أخطاء الآباء فى أولئك الذين لا يشعرون بالرضى عن أنفسهم وتربيتهم ، فيعمدون الى اللين فى معاملة أطفالهم حيث عوملوا هم بالشدة،والى الأخذ بالتسامح بدلا من القسوة.

وبديهى أن الاندفاع فى تقليد أساليب الآباء كالاندفاع فى تحاشى أساليبهم ، كلاهما لا يقوم مقام الأساس الصالح لتربية الجيل الجديد .

٣ ـ أما الوهم الثالث فهو الاعتقاد بأن التربية السليمة تقتضى الحد من نزعة الأطفال الى احداث الشغب والازعاج بقدر الامكان . فالجدير بالطفل بحسب هذا الاعتقاد ، أن يتحول الى « رجل صغير » بالسرعة الممكنة اللازمة لترويضه على الهدوء والنظافة والسكينة والطاعة .

ومن أمثلة ذلك أن تعمد الأمهات اللواتى يأخذن بهذا الاعتقاد الى تركيز جهودهن الهستيرية على تعويد الطفل على النظافة ، لا سيما عند قضاء الحاجة ، بحيث لا يكاد يبلغ الشهر الثامن من عمره الا ويكون قد حقق لأمه « مثلها الأعلى » فى النظافة .

انهن يعمدن الى ذلك وأمثاله دون أن يخطر ببالهن ما تخلفه هذه الحرب الشعواء الموجهة الى كيان الطفل فى الصميم من عقد عاطفية تنذر بالانفجار على نحو ما فى وقت ما .

ومثل ذلك يقال عن كثير من المعلمين الذين لهم مثل هذا الرأى فى تربية الأطفال ، ويبررون مثل هذا الأسلوب بحجة غرس بذور الخير والصلاح فى وقت مبكر .



انه لا مفر من العمل على اجتثاث هذه الأساليب العميقة من جذورها ، وتفادى ما يترتب عليها من آثار خطيرة تلم بالطفولة البريئة قبل ان يستفحل امرها .

٤ ـ واما آخر تلك الأوهام الاربعة ففى الجنوح الى تطبيق طائفة من النظريات والقواعد يعتقد البعض بأنها مستمدة مما يسمى « السيكلوجية الحديثة » .ولعل هذا الوهم ابعث على الاحساس بالمرارة والأسى مما سلف ذكره من أوهام تتصل بتربية الأطفال . ذلك لأن الآباء فى هذه الحالة ينشدون الحقيقة ويتلمسونها بامانة واخلاص . ويعزى ضلالهم وتخبطهم الى استعدادهم للتقلب بين اسلوب فى التربية واسلوب كلما قرأوا او سمعوا رأيا جديدا او فكرة مستحدثة . فهم بلا مبادىء راسخة ، وكثيرا ما يعمدون الى تطبيق اساليب متناقضة فى آن واحد من حيث لا يدرون . مثال ذلك أن يسمعوا بأن اطلاق العنان للأطفال حرية ، والحرية خير ، فيطلقونه ارخى ما يكون. ثم يسمعون بأن الخطر كل الخطر فى ترك العنان مرخيا ، فيشدونه شدا بحيث يؤذى .

المبالغة فى دلال الأطفال

ولا يقف بعض الآباء عند هذا الحد . فمنهم من هم على أتم استعداد للتخلى عن سلطتهم كآباء، والتضحية بكرامتهم ، واحترام ابنائهم لهم ، لمجرد سماعهم بان اصول التربية الحديثة تقتضى اشاعة جو من الود والصداقة بين الوالد والولد . واذا ما قيل لهم بأن المحبة هى أهم ما يحتاج اليه الطفل انطلقوا فى احاطته بمزيد من تلك المحبة بلا قيد ولا شرط على نحو يفقد الطفل الكثير من اصالته وحيويته . ويقدمون على هذا وذلك رغبة منهم فى ان يكونوا فى عداد احدث المربين .

الأطفال ليسوا « رجالا صغارا »

نخلص من ذلك كله الى السؤال الهام التالى : ما هى مظاهر السلوك التى يمكن اعتبارها طبيعية فى الأطفال والتى لا مبرر لكبتها او الحد منها ، وما هى تلك المظاهر التى ينبغى اعتبارها مشاكل خطيرة لا يجوز السكوت عليها !

ان الأطفال ليسوا « رجالا صغارا » ، وما هم الا فئة من بنى الانسان آخذة فى الانتقال والتدرج من حالة الاتكال على الغير ، وانعدام المسؤولية ، والتخبط على غير هدى ، الى حالة النضج الانسانى فى سائر مراتبها ودرجاتها . والكبار الذين نسوا طفولتهم ، وما رافقها من شغب وقذارة ، وحب استطلاع ، ومكر ، وافتقار الى المسؤولية ، ونفور من الذين يكبرونهم سنا ، كاولئك الذين فرض عليهم أن يكونوا « رجالا صغارا » منذ نعومة أظفارهم ، لا يستطيعون من بعد نسيان ، أن يرتضوا مثل تلك الصفات والمظاهر فى أبنائهم .

انه لا سبيل الى صقل طبيعة الطفل من هذه الناحية بفرض القيود القاسية عليه اذ أن من شان القسوة أن تزيد تلك الصفات والمظاهر تفاقما وخطرا . ولا ريب فى أن التروى والتسامح فى معاملة الطفل ، فضلا عن المضى فى تعليمه وتثقيفه ، هما السبيل الوحيد الى الحد من تلك المظاهر وصقل تلك الصفات .



الطفل الذى خدع أمه ، واشترى بالنقود حلوى

ولنضرب مثلا على ذلك بقصة الأم التى أعطت ابنها بضعة قروش ليضعها بيده فى صندوق التبرعات صبيحة يوم عيد . فقد تمكن الطفل من تضليل امه بالتظاهر بوضع النقود فى الصندوق دون أن يضع شيئا .. احتفظ بالنقود فى يده معتقدا أن لا مبرر للتبرع بها ووضعها فى الصندوق وقد امتلأ بالنقود . واحتفظ بها أيضا ليتمكن من شراء الحلوى التى طالما اشتهاها وحال حرمان امه له من النقود دون الحصول عليها . وتسنى له شراء الحلوى وأكلها وهو فى طريق عودته الى البيت . بيد أن قصته لم تبق سرا طى الكتمان كما كان يأمل . فقد اكتشف فعلته احد المعارف فلحق به خفية ليرى ما هو صانع بالنقود التى حرم الصندوق منها . وما أن شاهده يشترى الحلوى ويأكلها حتى تلفن الى والدته بما اكتشف وما شاهد .

ولدى وصول الصبى الى البيت ، استجوبته امه بشأن تلك النقود . سألته هل تبرع بهـا عملا بتعليماتها . وما أن وقع الصبى فى ورطة من بعد ورطة نتيجة استجوابات امه حتى فاجأته هى بالقول بأنها كانت تعلم بكذبه منذ البدء ، وأن فعلته الشنيعة لدليل على انه لص ، وأنه من اسوأ انواع اللصوص نظرا لتجرؤه على سرقة نقود خصصت لأعمال البر والاحسان . وفجأة انطلقت الأم مجهشة بالبكاء أو بالحرى بالتظاهر به . وبالغت فى تمثيلها لدور من خاب امله فى ابنه بالنظر للميول الاجرامية التى تكشفت عنهـا تصرفاته ، فامتنعت عن تناول الغذاء ، واعتكفت فى غرفتها طيلة ذلك اليوم .

وعلى كل ما حل بالصبى من فزع وقلق لما بدا على أمه ، كان الدرس الذى تعلمه ، هو ضرورة التذرع بمزيد من الحيطة والحذر فى المستقبل تحاشيا لاكتشاف امره .

وتكررت القصة على نحو ما مرارا وانتهى به الأمر بعد مرور خمس عشرة سنة الى اتقان تزوير امضاء أبيه على الشيكات التى لم يكن لأبيه مفر من تسديد قيمتها . كما انتهى به الأمر أيضا الى اتقان الكذب وعدم الانفعال والتأثر لدى استجوابه ومناقشته .

وما كان الفتى ليقدم على كذبته الاولى فينزلق تدريجيا على هذا المنزلق لو عرفت امه كيف تعالج قصة النقود والحلوى على نحو يشعره بقيمة الامانة واهميتها ، ولو عرفت كيف تتدارك شعوره بالحرمان باعطائه بعض النقود ليشترى بها ما يشاء ويشتهى من الحلوى وما اليهـا . فلو اتيحت للطفل فرصة الشعور بخطئه كلما ارتكب مثل ذلك الخطأ ، ولو تسنى له التوجيه العملى الصحيح والارشاد بالتلميح غير المباشر من قبل امه وابيه ، لما انتهى به الأمر الى ذلك المنزلق الاجرامى الخطير .

الطفل الذى غار من اخته فنسخ صورة

وثمة مثل آخر يتجلى فيه جهل الآباء بالدوافع الدفينة فى نفوس ابنائهم ، وبالاساليب الصحيحة فى معالجة ما يحتاج الى المعالجة من تصرفاتهم . فقد غلبت على صبى مشاعر الغيرة من أختـه التى كانت تكبره بسنتين وتحظى بثناء الوالدين

البالغ نظرا لقدرتها الفائقة على الرسم .ودفعت هذه المشاعر بالصبي الى رسم صورة لحصان نسخها عن أحد الكتب نسخا ، وادعى بانها من ابتكاره . وبدلا من أن يحاول الأب تفهم الحاجة العاطفية التي حملت الطفل على التصرف على هذا النحو ، انطلق في البحث عن الأصل الذي نقل الطفل عنه صورة الحصان ، وبدلا من أن يعمل الأب على تلبية تلك الحاجة ، اندفع في استجواب ابنه ومجابهته بالاصل الذى اعتمده في رسم صورة الحصان . اذن فالصبي كذاب ، والكذب رذيلة تستحق العقاب. وانتهت حملة الأب التربوية هذه بضرب الصبي ضربا لم يخل من القسوة .

وهكذا انتصرت الحقيقة ـ في نظر الاب ـ وزهق الباطل . اما ما حل بعواطف الصبي من انفجارات وتعقيدات من جراء هذا الوعظ العقيم والضرب الأليم فلم يكن موضع اهتمام الأب « المربى » من قريب أو من بعيد .

الكذب والسرقة عند الأطفال

من المؤسف أن يكون الكثيرون من الآباء مفتقرين الى الحلم والحكمة ، وهما بلا ريب قوام التربية الصحيحة . فالأب في القصة الاخيرة لم يكن بحاجة الى اثارة موضوع الكذب اصلا . وكان الأولى به أن يدرك حاجة ابنه الى المديح والثناء الذى حصلت عليه أخته بلا حساب . وكان الأجدر به أيضا أن يتحسس رغبة الصبي في ارضاء أبويه بغية الحصول على مثل ذلك الاطراء . كان في وسعه أن يهنيء ابنه على رسمه الممتاز المنسوخ، وكان في وسعه أيضا أن يشجعه على المضي في رسم الصور نسخا ، مبينا له أنه في غير حاجة الى التضليل للظفر بالمديح ما دام نقله للصور متقنا الى ذلك الحد ، ويجعله أهلا لكل ثناء واطراء .

فالأطفال لا يستطيعون في الغالب التمييز الدقيق بين الحقيقة والكذب وهم في السابعة أو الثامنة من العمر ، وخاصة اذا وُضعوا موضع استجواب بصدد خطأ ما ارتكبوه . فالتركيز على موضوع الكذب والاعتبارات الخلقية المتصلة به في مناقشتهم الحساب ، ليس من التربية الصحيحة في شيء.

علينا أن نتفهم دوافع الطفل العاطفية الخفية اولا وأن نشعر الطفل بمدى سهولة قول الحقيقة ثانيا . بذلك يصبح أسلوبنا في معاملتهم أسلوبا تربويا فعالا .

كذلك يجدر بالآباء أن يتخذوا موقفا واضحا ازاء «السرقات» التي يقدم عليها صغارهم . فالسرقة شيء مألوف عادى بالنسبة الى الاطفال. وعلى الآباء الا يثوروا في مثل هذه الحالات وأن يتذرعوا بسعة الصدر ويكتفوا باعادة الشيء المسروق الى صاحبه دون أن يغفلوا عن التحدث الى صغارهم ببساطة وتبسيط حول الملكية وحقوقها والنقود واهميتها بين حين وآخر .

دعوا الطفل يشرح لكم أموره كما يفهمها

اما نزعة الاطفال الى الرجوع الى تصرفات لهم مضت وعوقبوا عليها ، والتحدث الى آبائهم ومعلميهم ثانية عن مثل تلك التصرفات ،فليست رغبة في اللغو أو في تحدى سلطة الآباء وهيبتهم . ويحسن بالآباء والمعلمين الا يحدُّوا من تلك النزعة ، بل عليهم أن يشجعوا الطفل على ايضاح الأمور كما يفهمها هو ، والدفاع عن النفس بصدد ما مضى من تصرفاته وما لاقاه من عقاب عليها . ففي ذلك التشجيع ما ينمى شعور الطفل بحقوقه وشعوره بواجب الدفاع عنها فضلا عما فيه من توطيد لبذور شخصيته .

لا تغضبوا من الطفل اذا دعا عليكم بالويل

وليس في شعور الأطفال أحيانا بالنفور من آبائهم والحقد عليهم الى حد القول « ليتكم تموتون ! » ما يوجب الغضب أو القلق . فمثل هذا الشعور العرضى طبيعى عند الاطفال عموما . والغضب على الطفل في مثل هذه الحال أو ضربه أو تركه وحيدا في غرفة مغلقة من شانه أن يحول التعابير الخارجية للكراهية الى مشاعر داخلية لا تلبث حتى تسمم مخيلته بأبشع الصور وتملأ قلبه بالمخاوف وتولد في فؤاده الشعور بالاثم . والرد المفضل على مثل تلك العبارة هو القول « آسف يا بنى لانك تشعر نحوى هذا الشعور لا لسبب الا لأننى لم أسمح لك بما تريد ! على كل حال ، امك تحبك كثيرا وهى واثقة من أن شعورك على هذا النحو لن يطول » . بذلك يدرك الطفل أنه لا يستطيع ايذاء أبيه بمثل تلك الكلمات والاقوال. وادراكه لهذه الحقيقة خطوة هامة للغاية على الصعيد التربوى السيكولوجى . ■■

(بقية المنشور على صفحة ٢)

الاستراتيجية العسكرية فى الجيش السومرى

حضـــارة سومر فى بلاد ما بين النهرين من أعظم الحضارات الرائدة التى سادت ثم بادت .

وتمثل الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد معركة ضارية احتدمت بين أهل مدينة لاجاش Lagash السومرية واهل مدينة (أمه) وهى مدينة دولة بجوارها .

أما موقع هاتين المدينتين القديمتين ففى منتصف المسافة تقريبا بين مدينة العمارة ومدينة النجف القائمتين حاليا فى جنوب العراق .

وأما الزمن الذى وقعت فيه المعركة فمنتصف الالف الرابعة من السنين قبل المسيح .

لقد جاء السومريون الى ذلك المكان من أواسط آسيا منذ القدم . ولم يقف المؤرخون بعد على تفاصيل اصولهم ومعالم مواطنهم الآسيوية السالفة. فلغتهم السومرية فذة لا مثيل لها بين اللغات ولا شبيه . قدموا الى ما بين النهرين وبســطوا نفوذهم على جزء من جنوبه ، ثم مدوا سلطانهم بين حين وآخر ، الى المناطق الجبلية فى الشمال ، والى ايلام (ايران) فى الشرق .

لا عجب اذن أن تنشأ الخصومة بين هــؤلاء السومريين وبين قبائل الاكاديين من الســاميين الذين جاوروهم الى الشمال الغربى من مدينة لاجاش المذكورة ، فاصبحوا بذلك أعداءهــم التقليديين .

والمعركة التى تصورها لنا الصورة انما هـى احدى المعارك الفاصلة بين الجارين المتخاصمين . كانت الغلبة فيها للسومريين بقيادة مليكهم وكاهنهم (ايناتوم) . على أن الصورة لا تقف عند حـد اظهار النصر المبين الذى أحرزه السومريون على جيش (امه) . فهى تكاد تنطق بمدى ما أحرزه الانسان فى تلك العصور الغابرة من الفنون الحربية والاستراتيجية العسكرية . فالجيش السومرى المظفر مكون من حملة الرماح والمعاول فى مقدمته ، ومن ضاربى السهام فى مؤخرته ، على نحو ما درج عليه اليونان والرومان بعد ذلك التاريخ بنحــو الفين من السنين .

ولا يخفى أن العربة الفاخرة من بين العربتين الظاهرتين فى الصــورة هي عربة الملـك ايناتوم السومرى . فهى أكبر حجما من الاخرى ، ويجرها أربعة من حُمُر الوحش فى حين أن الثانية لايجرها الا اثنان . وفضلا عن ذلك فان مقدمتها مزدانة بشعار السومريين ، وهو عبارة عن نسر برأس أسد ، أنشب مخالبه فى أسدين واقفين فى اتجاهين مختلفين . وتدل على الملك ايناتوم ثيابه الأنيقة ان لم تدل عليه خوذته الصفراء اللماعة .

وبالرغم من انصراف السومريين الى الحرب والقتال ، وبالرغم من اتصال عهدهم بأزمنة ما قبل التاريخ ، فانهم قد آلفوا التمدين كما ألفوا الكتابة . وان كانت حاجتهم الى المعادن قـد دفعت بهم الى الانطلاق بحثا عنها فى كافة الاتجاهات والى محاربة كل من وقف فى طريقهم ، فان الفاهم للكتابة واقبالهم على تسجيل أخبارهم وأحداثهم قد مكن المؤرخين من استجلاء معالم حضارتهم الفذة .

ومن المعروف أن الحضارة السومرية هذه قد تفاعلت وسائر الحضارات التى عاصرتها وجاءت بعدها فى بلاد ما بين النهرين بحيث يكاد يتعذر التمييز بينها وبين غيرها من تلك الحضارات لولا اللغة السومرية الفريدة التى احتضنتها .

وتجدر الاشارة هنا الى أن حضارة بلاد ما بين النهرين قد سجلت للجنس البشرى أربعة آلاف سنة من التقدم المثمر الفعال فى حين أن التقدم الذى سجلته الحضارة العالمية بمجملها منذ أيام هوميروس حتى الآن لم يستغرق سوى ألفين ونيف من الأعوام . ■■



الاطفاء في الكويت

النار

الماء لا يزال له الدور الأول في اطفائها زاد العلم اليه الكيماويات من شتى الأنواع

قد يحسب الانسان اذ ينظر الى رجل الاطفاء وهو يوجه الماء صوب الحريق أن بامكان أى شخص أن يقوم بهذه العملية ، الا انها فى الواقع تتطلب قوة ودقة وثباتا وتوازنا ، لأن قوة الماء المتدفقة تجعل الاطفائي اذا أخطأ فى حركته فقد سيطرته على الخرطوم. كذلك تجد الاطفائي الخلفي ممسكا الخرطوم بقوة وقدمه ملاصقة لقدم الاطفائي الموجود فى المقدمة لتدعيمها وتثبيتها ، **كما ترى فى الصورة السفلى ..** والى اليسار رجال الاطفاء يمسكون بالخراطيم استعدادا لاخماد الحريق .. انه حريق وهمى أقيم لتدريب رجال الاطفاء فى الكويت على مكافحة الحرائق ..





■ دقت أجراس الانذار .. ولمعت أضواء المصابيح الحمراء .. فقفز جنود الاطفاء من اسرتهم ، ليستقروا وقوفا على جوانب سياراتهم الحمراء الكبيرة ، التى اندفعت بهم كالبرق تطلق نفيرها عاليا فى شوارع الكويت التى تموج بالسيارات والمشاة .. ويفسح الناس الطريق امام هؤلاء الجنود الشجعان الذين يخوضون غمار حرب لا تنتهى مع اشد أعداء الانسان ضراوة : النار .

لقد برع العرب فى اخماد النار منذ قديم الزمان ، فكان الاعرابى الذى تندلع النيران تحت خيمته الكبيرة يسارع باقتلاع أوتادها وقطع حبالها حتى تقع الخيمة على النار فتخنقها ، ويسارع هو مع عائلته بتغطيتها بالرمال للقضاء على اى أثر للنار ..

كان هذا هو اسلوب المكافحة الفطرى الذى كان يزاوله العرب فى القديم ، وهو نفس الاسلوب الذى كان متبعا فى الكويت ..

ثم بدأت مبانى الطين تحل محل الخيام ، فكان اخماد الحريق يتم بتجنيد أهل البلدة جميعهم فى جلب الماء من البحر ومن الآبار ..

وكلما شب حريق فى الكويت تجلت الاصالة العربية فى أهلها ، فكانوا يلتفون حول البيت المنكوب لاعانة صاحبه فى مواجهة ما لحق به من خسائر .

←



أحد أجهزة دفع الماء والمادة الرغوية لمكافحة حرائق الزيوت . ويمتلك الاطفاء العام فى الكويت عددا من هذه الاجهزة . ويمكن لهذا الجهاز قذف ٥٠٠٠ غالون من المادة الرغوية .

بهذه الروح التعاونية العربية كانت تتم عمليات اطفاء الحريق فى الكويت ..

تعاون هنا .. واستغلال هناك !

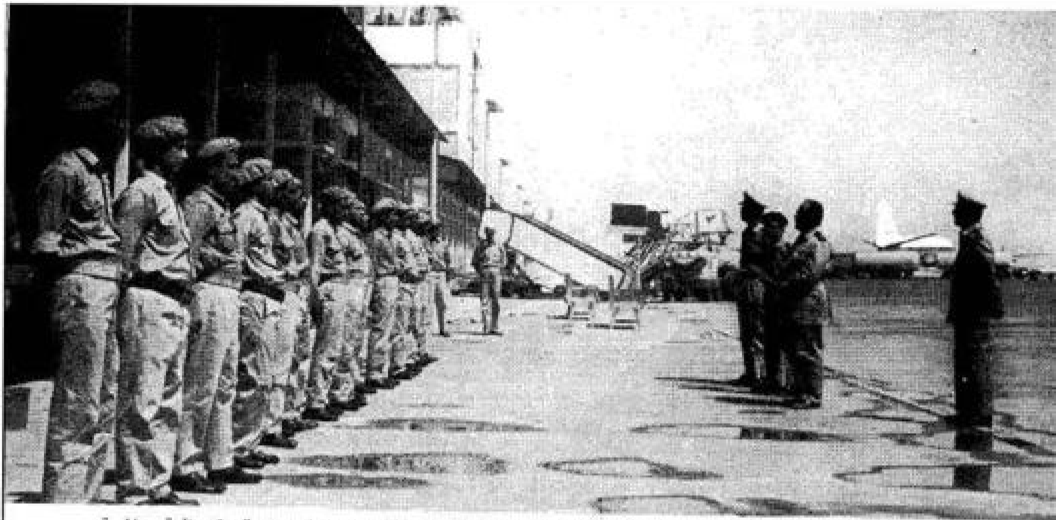
أما فى العالم الخارجى فكانت فرق الاطفاء فى أوروبا ، وبالتحديد فى بلاد اليونان ، عبارة عن مجموعة من الرجال يتزعمهم شخص يعملون تحت امرته .. وعند حدوث حريق تذهب تلك الجماعة ويبدأ رئيسها بالتفاوض مع صاحب الحريق عارضا عليه مبلغا معينا لشراء الممتلكات المعرضة للحريق . ثم تبدأ المساومة ، وكلما طال زمن المساومة انخفض الأجر الى أن يقبل صاحب الحريق العرض ، فيأمر الرئيس رجاله بالمكافحة ، وكل ما ينقذه يصبح ملكا له !

ثم تطورت فرق الاطفاء والانقاذ ، فاصبحت شركات ، ثم جمعيات ومتطوعين بدون راتب ، ثم متطوعين يعملون نصف الوقت . ولما كانت أخطار الحرائق تنتقل من مكان لآخر وتهدد القرية والمدينة ، وضع تنظيم لفرق الاطفاء حيث يكافأ المنتسبون لها لقاء العمل الذى يقومون به عندما يطلب منهم ذلك . ومع تقدم العمران والصناعة والتجارة أصبح ضروريا وجود أشخاص متفرغين للعمل فى فرق الاطفاء بدلا من استدعائهم عند حدوث كل حريق . وأخذت فرق الاطفاء تتقدم وتتطور لحماية الأرواح والممتلكات على أسس سليمة وحسب قواعد علمية صحيحة .

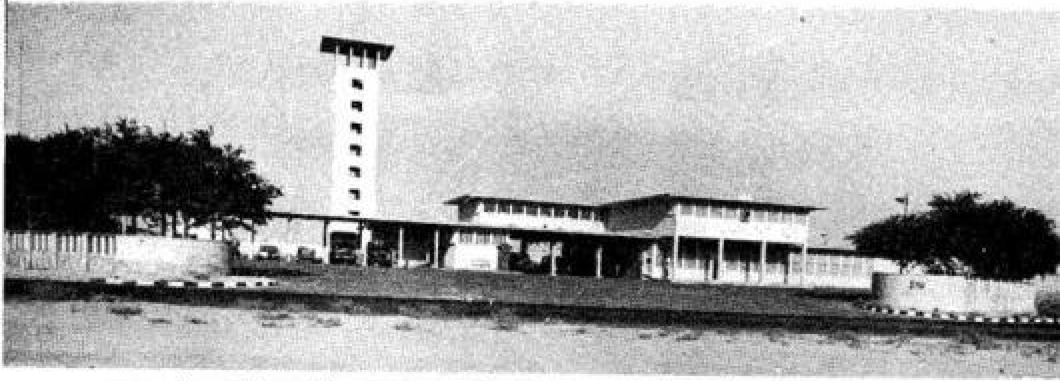
★ ★ ★

اجتماع ضباط الاطفاء حيث يبدون فيه ملاحظاتهم بالنسبة للحرائق والاستيضاحات التي تتعلق بمناطق مراكزهم . ومن هؤلاء الضباط عدد كبير تلقوا تدريباتهم فى انجلترا وهم يشاركون الآن فى نهضة مطافىء الكويت .





مركز مطافىء المطار ، وهو مجهز بأحدث معدات مكافحة الحرائق من مواد رغوية وكيمائية جافـة وعلى استعداد تام مـع حركة هبوط واقلاع الطائرات .



مبنى مركز الاطفاء الرئيسي . ويوجد فى الاطفاء العام (٧٧٠) موظفا بين ادارى وفني وبمهن اخرى مختلفة ، وهذا المركز كغيره من المراكز الموزعة فى الكويت مزود بكافة المتطلبات الاساسية بالنسبة للآليات والافراد .

موعد مع القدر

وكما تطورت فرق الاطفاء وأساليبها فى العالم، تطورت فى الكويت ، ولكن تدريجيا . فاصبح فى الكويت فى عام ١٩٥٠ سيارة صغيرة واحدة ، كثيرا ما كانت تصل الى مكان الحريق بعد اخماده من قبل الأهالى !!

وما كادت تمضى خمس سنوات حتى بدأ تكوين اول فرقة اطفاء فى الكويت على النظام الحديث ، وكان هذه الفرقة الجديدة كانت على موعد مع القدر الذى اراد أن يمتحنها ويمتحن قوة شبابها وصلابتهم .

فكان شبوب حريق كبير فى مصنع للاصلاحات الكهربائية فى الشويخ .. وتقدم جنود الاطفاء الابطال يقتحمون النار المتاججة بشجاعة وبلا مبالاة ، معرضين انفسهم لاشد الاخطار .. وما هو الا قليل حتى كانت السيطرة على السنة اللهيب قد تمت نهائيا . وبينما افراد الفرقة يتهيأون لانهاء عملهم ، دوى انفجار رهيب هز اركان المصنع واضرم النار فيه ثانية .. انه برميل يحوى غاز الفربون Fréon ، المستخدم فى تبريد الثلاجات واجال ضابط المطافىء النظر حوله فوجد تسعة من جنوده واقعين على الارض ، وهم مصابون باصابات متفاوتة .





الى اليمين : التدريب المتواصل يعطى رجال الاطفاء قوة ومرونة تجعلانهم يصمدون امام عمليات مكافحة الحرائق والانقاذ التى تتطلب بذل اكبر طاقة من المجهود فى اقل وقت ، ومن اجل هذا حرصت ادارة الاطفاء العام على تدريب افرادها على الحركات التى تتطلبها مكافحة الحرائق .





الى اليسار : تلعب سلالم الحريق دورا هاما فى عمليات المكافحة والانقاذ ، حيث تستعمل كأبراج لدفع الماء فى الابنية ذات الطوابق المتعددة . ان العمل على برج السلم سواء كان لعملية مكافحة ، او عملية انقاذ يتطلب دقة ومهارة .. وهذا السلم يمكن رفعه الى ١٢٠ قدما .

الى اليمين: يمر اعداد رجال الاطفاء للمهمة التى ستلقى على عاتقهم بمراحل تدريبية قاسية نظريا وعمليا . ان معرفة اسماء معدات الاطفاء ، وحفظ قياساتها ، ومدى تأثيرها وعملها بين مجموعة الآليات ، ضرورى جدا قبل القيام بالتدريبات العملية .

كان منظر الجنود حافزا للضابط على متابعة اطفاء الحريق ونقل المصابين ، وبعد قليل تمت السيطرة على الحريق تماما .. ولم يشعر الضابط الا وهو فى سرير بالمستشفى ، حيث نقلوه لمعالجة اصاباته التى لم يشعر بها اثناء مكافحته لهذا الحريق ..

انها طبيعة هؤلاء الرجال الأشداء الذين اتخذوا من المغامرات والاخطار هواية لهم ..

برقية شكر

وحدث بعد ذلك أن وصلت الى ميناء الكويت سفينة شحن مشتعلة بالنيران .. وقال قائدها لا أمل فى انقاذها ، انها على وشك الغرق الى الاعماق .. أعماق مياه الخليج .. ولكن رجال مطافىء الكويت سرعان ما جابهوا النيران وظلوا فى صراع مرير معها مدة عشر ساعات حتى استطاعوا التغلب على النيران وانقاذ الباخرة من الغرق ..

وفى اليوم التالى استلمت ادارة الاطفاء البرقية التالية :

(تقديرا للمساعدة والكفاءة النادرة التى قمتم بها فى اطفاء الحريق الذى وقع على ظهر باخرتنا « ستار اركتورس » ، واظهارا لشكرنا وتقديرنا العميق ، يسرنا أن نرسل اليكم مبلغ عشرة آلاف روبية لصرفها كهدية رمزية الى موظفى الاطفاء .

الامضاء

جونسون لاين/استوكهلم

وليست مهمة رجال الاطفاء مقصورة على مكافحة واخماد الحرائق بل تتعداها الى مد يد المساعدة والاسعاف فى مختلف أنواع الحوادث ، مثلما حدث عندما انهار مسكن فى ضاحية الخالدية بالكويت ، فقد قامت المطافىء بمجهود جبار

لا بد من توفر سيارات ومضخات سريعة ذات طاقة دفع قوية لمكافحة الحرائق ، وهذه السيارة تستطيع دفع ١٥٠٠ غالون من الماء فى الدقيقة ، وهي مجهزة بأجهزة لاسلكية مرتبطة بمراكز الاطفاء .





تبين هذه الصورة طريقة نصب أحواض ماء من القماش سعة ١٥٠٠٠ غالون تزود مضخات الحريق بالمياه اثناء الحرائق الكبيرة البعيدة عن مصادر المياه .

لانقاذ حياة العمال الذين دفنوا تحت أنقاض المنزل المنهار .

كيف تكافح الكويت الحرائق

وأول سؤال يتبادر الى أذهان الكثيرين : كيف تكافح الكويت الحرائق ، وهى الدولة المعروف عنها افتقارها الى الماء ؟

والواقع أن الكويت لم تعد فيها أزمات ماء كما كانت فى السابق ، بعد أن استجدت مصادر عديدة جديدة للمياه .. حتى أن رجال الاطفاء أصبحوا يعتمدون على شبكة من حنفيات ماء متصلة بخزانات الماء الرئيسية بالكويت ، وهذه الفوهات منتشرة فى المناطق التجارية والصناعية .. مضافا الى ذلك ، أن سيارات وصهاريج الاطفاء يمكنها نقل ٧٠ الف جالون ماء الى مكان الحريق فى خلال عشر دقائق فقط !

ولم يعد الماء هو الوسيلة الوحيدة المستعملة فى اطفاء الحرائق بالكويت ، بل أصبحت نفس المواد الكيماوية التى تستعملها فرق الاطفاء العالمية تستعمل فى الكويت ، ولكل مادة منها ميزات وخصائص .

فمثلا مادة ثانى اكسيد الكربون تستعمل وتؤثر تأثيرا كبيرا على حرائق الكهرباء .

ومادة رابع كلوريد الكربون تستعمل لحرائق الماكنات ومحركات السيارات ..

ومادة الرغوة تستعمل فى حرائق الزيوت لأنها تشكل طبقة رغوية عازلة تمنع استمرار تزويد الاكسجين للحريق .

ومادة البودرة الجافة ، وهى مادة تعطى تأثيرا كبيرا على حرائق الكهرباء والزيوت .

يتضح من ذلك أن المواد الكيماوية التى يدخل الماء فى تركيبها يمنع استعمالها على حرائق الكهرباء خوفا من حدوث التماس الكهربائى .

اتصال دائم مع الهيئات العالمية

ولا يزال المهندسون والمختصون فى شئون الاطفاء يوالون الدرس والبحث فى ايجاد مواد كيماوية جديدة وطرق للمكافحة أكثر أثرا .

ولكى يكون الاطفاء فى الكويت على اتصال دائم بأحدث وسائل المكافحة وطرقها ، اشترك فى العديد من المنظمات العالمية ، منها منظمة الاطفاء فى انجلترا ودول ما وراء البحار ، ومنظمة الدفاع المدنى فى سويسرا ، ومنظمة الطيران المدنى الدولية فى كندا ، ومفتشية الاطفاء فى انجلترا والكثير من فرق الاطفاء العربية والأجنبية .

كذلك يقوم مدير ادارة الاطفاء العام السيد



الى اسفل : ان حماية رجال الاطفاء من الاخطار ضرورية ، خصوصا اخطار الدخان لذلك تم تجهيزهم باجهزة التنفس التى تمكنهم من الدخول الى اماكن الحريق رغم الدخان الكثيف .

الى اعلى : ان التدريب المتواصل يعطى رجال الاطفاء قوة ومرونة تجعلانهم يصمدون أمام عمليات مكافحة الحرائق والانقاذ التى تتطلب بذل اكبر طاقة من المجهود فى أقل وقت .

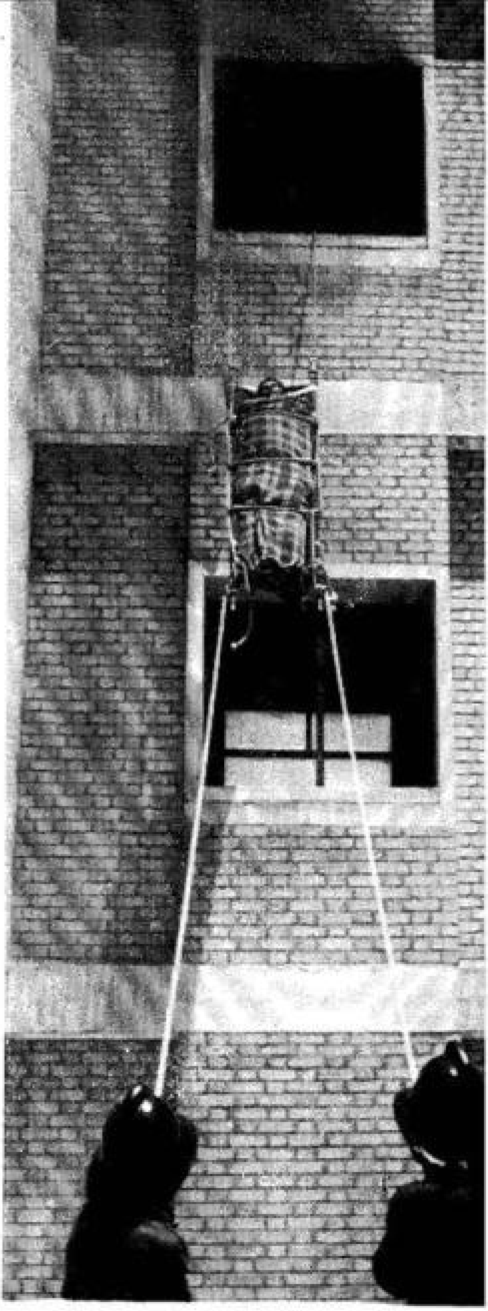




يقدم الاطفاء العام فى الكويت جميع المساعدات التى تطلب منه لاخماد حرائق آبار النفط حسب توصيات خبراء مكافحة مثل هذه الحرائق .

الى أسفل : تتحرك زوارق الاطفاء المجهزة بجميع معدات مكافحة الحرائق فى البحر لتؤدى واجبها كاملا اثناء استدعائها لمكافحة حريق .





قد يصادف رجال الاطفاء اماكن لا تصل اليها السلالم . ان رجال الاطفاء دائما على استعداد لعمليات الانقاذ بأي طريقة لحماية المواطنين، فلهذا تجدهم يقومون بعملية انقاذ لانزال شخص من طوابق عليا بواسطة الحمالة .

على عبد الرزاق الصالح بتمثيل الاطفاء فى المؤتمرات الدولية لبحث وتبادل الراى حول شئون الاطفاء والوقاية وما يتعلق بهما .

مدرسة لتدريب رجال الاطفاء

ان عملية الاطفاء لم تعد عملية عضلات فقط، بل اصبحت علما وفنا ، أنشئت له المدارس والكليات لتدريس فنون مكافحة الحرائق عمليا ونظريا وكيميائيا .

وفى الكويت افتتحت فى ضاحية السالمية مدرسة للتدريب ، يتلقى فيها الاطفائى دروسا فى فنون المكافحة والوقاية والانقاذ نظريا وعمليا حسب برامج موضوعة تشمل كافة النواحي المتعلقة بالاطفاء ..

وقد اختير عدد من الشباب المؤهل الكويتى ، من الذين تلقوا دورة تدريبية فى مدرسة الاطفاء بالكويت ، للسفر فى دورة تدريبية الى فرق الاطفاء بانجلترا لمدة سنتين . وقد عادوا من انجلترا بعد انتهاء تدريبهم وهم الآن يشاركون فى نهضة مطافىء الكويت .

متى تزداد الحرائق بالكويت

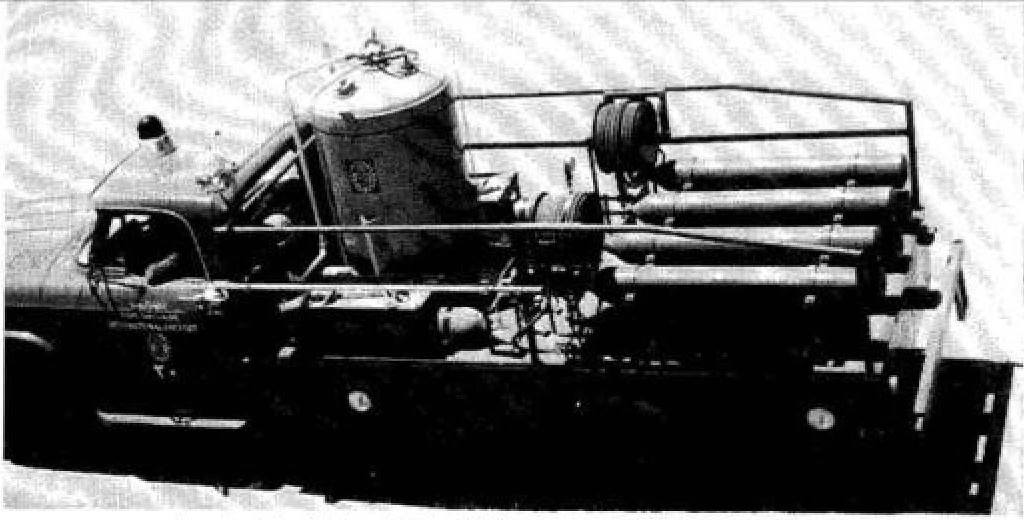
وتضم الكويت ١١ مركزا للاطفاء مزودة باحدث الالات والمعدات وموزعة حسب المناطق ودرجة خطورتها ، وجميع هذه المراكز مرتبطة بعضها مع بعض بشبكة لاسلكية للاتصال المباشر بينها . ويجرى العمل حاليا فى اضافة مركزين جديدين.

هذا بالاضافة الى مركز الزوارق البحرية وفيه زورقان مزودان باجهزة دفع الماء والمواد الكيماوية لمجابهة حرائق البواخر .. وسيتم قريبا شراء وحدة بحرية قوية لتتمكن من تلبية النداءات فى عرض البحار ...

ويعمل فى هذا الجهاز ٧٥٠ ضابطا وصف ضابط وجنديا للاطفاء .

ونظرة واحدة على جداول الاحصاء فى مراكز الاطفاء بالكويت ترينا ان عدد الحرائق يرتفع فى فصل الصيف حيث الحرارة والجفاف يساعدان على اشتعال النيران . الا انه نتيجة لتوزيع المراكز توزيعا صحيحا ، اصبح من السهل السيطرة على الحريق فى مراحله الاولى ومنعه من الانتشار وهذا مما يجعل نسبة الخسائر فى اغلب الحرائق صغيرة .

وتشير الاحصائيات الى أن عدد الحوادث التى دُعيت فرق الاطفاء اليها خلال سنة ١٩٦٤ كانت



احدث السيارات التي تدفع المادة الكيمائية الجافة على ضغط الهواء ، بها جهاز ثاني اكسيد الكربون وهذه السيارات تستعمل فى حرائق المواد سريعة الاشتعال

كما يلى :

حوادث الحريق	٧٦٦ حادثة
حوادث الانقاذ	٣٣ حادثة
حوادث الاسعاف	٣٢٦ حادثة

وكان عدد الوفيات فى هذه الحوادث كلهـا ١١ وفـاة .

الشئون الاجتماعية بدلا من التامين

وقد تبين أن نسبة الحرائق التى حـدثت فى المساكن كانت اكبر نسبة من مجموع عـدد الحـرائق ، حيث بلغت ٢٣٦ حريقا ، أى بنسبة ٣١٪ تقريبا من مجموع عدد الحرائق .

وأغلب تلك الحرائق شب فى مطابخ البيوت .

أما اهم أسبابها فكان الاهمال فى مراقبة أجهزة الطبخ ، وترك الاجهزة الكهربائية موقدة ،والعبث فى الكهرباء واضافة أسلاك عليها ، والاهمال فى اطفاء اعقاب السجائر ـ وبلغ مجموع الحرائق من جراء هذه الاسباب البسيطة ٢٥٥ حريقـا أى بنسبة ٣ر٣٣٪ من المجموع تقريبا .

وبمقارنة عدد الحرائق بعدد السكان نجد ان النسبة تبلغ ٦ر١ حريق لكل ١٠٠٠ نسـمة ،

ومما يذكر بهذه المناسبة أن أغلب اهـالى الكويت لا يؤمنون بالتأمين ضد الحريق لانه فى حسبانهم مخالف للشريعة الاسلامية .. وعادة بعد حدوث الحريق تتولى وزارة الشئون الاجتماعية دراسة تقارير ادارة الاطفاء ووزارة الداخلية ، لبحث أسباب الحريق وحالة المنكوبين قبـل ان تقرر لهم التعويضات اللازمة .

الوقاية خير من العلاج

وفى ادارة الاطفاء العـام بالكويت قسم للوقاية يعمل على دراسة المخططات التى تعرض علـى الاطفاء العام ، والتفتيش على مؤسسات وابنية القطاعين الحكومى والاهلى ، واعطاء الارشادات الكفيلة بتوفير الحماية اللازمة للسكان مثل تركيب معدات الحرائق للاسعافات الاولية ، والحنفيات الارضية، ومرشات الماء،واجهزة الغاز الاوتوماتيكية واجهزة الانذار ، وبذلك امكن التغلب على عدد من الحرائق قبل وصول فرق الاطفاء .

وقد قامت ادارة الاطفاء بتوزيع ٢٣٥.٥ مطفاة حريق على مختلف الوزارات والمؤسسات الحكومية.

كما قامت بالتوصية بتركيب ٢٢.٥ مطفأة فى مبانى القطاع الأهلى .

ان رجل الاطفاء هو جندى مجند ٢٤ سـاعة يوميا لحماية الجمهور من الكوارث التى قد تصيبه .. وهو مع زملائه لا يعرفون متى يأتيهم نداء الاستغاثة فى الليل أم فى النهار .. ولكن ما يكاد الجرس يدق حتى يقوموا قومة رجل واحد واضعين أرواحهم على أكفهم وباذلين انفسهم فى سـبيل انقاذ طفل أو عجوز أو امراة من براثن اللهب الاحمر ..

انهم رجال أشداء يؤدون عملا من أعمال البطولة بصمت وهوادة .. انهم الجنود المجهولون العاملون من أجل المحافظة على سلامة كل فرد من أبنـاء الشعب . ■■

مسلمات خالدات

نائلة

زوجة ذي النورين

بقلم : سنية قراعة

■ كانت الراية العربية تخفق عالية مزهوة فى الافاق ... وكان جند الله يتقدمون فى الامصار لجمع شمل الوطن العربى الكبير تحت راية موحدة ظليلة ... وكانت خلافة المسلمين يومها لذى النورين « عثمان بن عفان » ثالث الراشدين الكرام ، صهر سيدنا رسول الله وزوج ابنتيه ، واحب الناس اليه واقربهم منه ...

وكان الملك العربى يتسع ، والعرب يشبه صيتهم وهم يتقدمون مبشرين بالدين القيم ، منادين باعظم حضارة عرفها الناس ...

وكان عثمان الكريم اميرهم ، فى دار الخلافة ، يسوس ويحكم ويعدل ، ويرقب كتائب النصر فى اثر الكتائب وهو .. هو ، لم يتغير ولم يتبدل ..

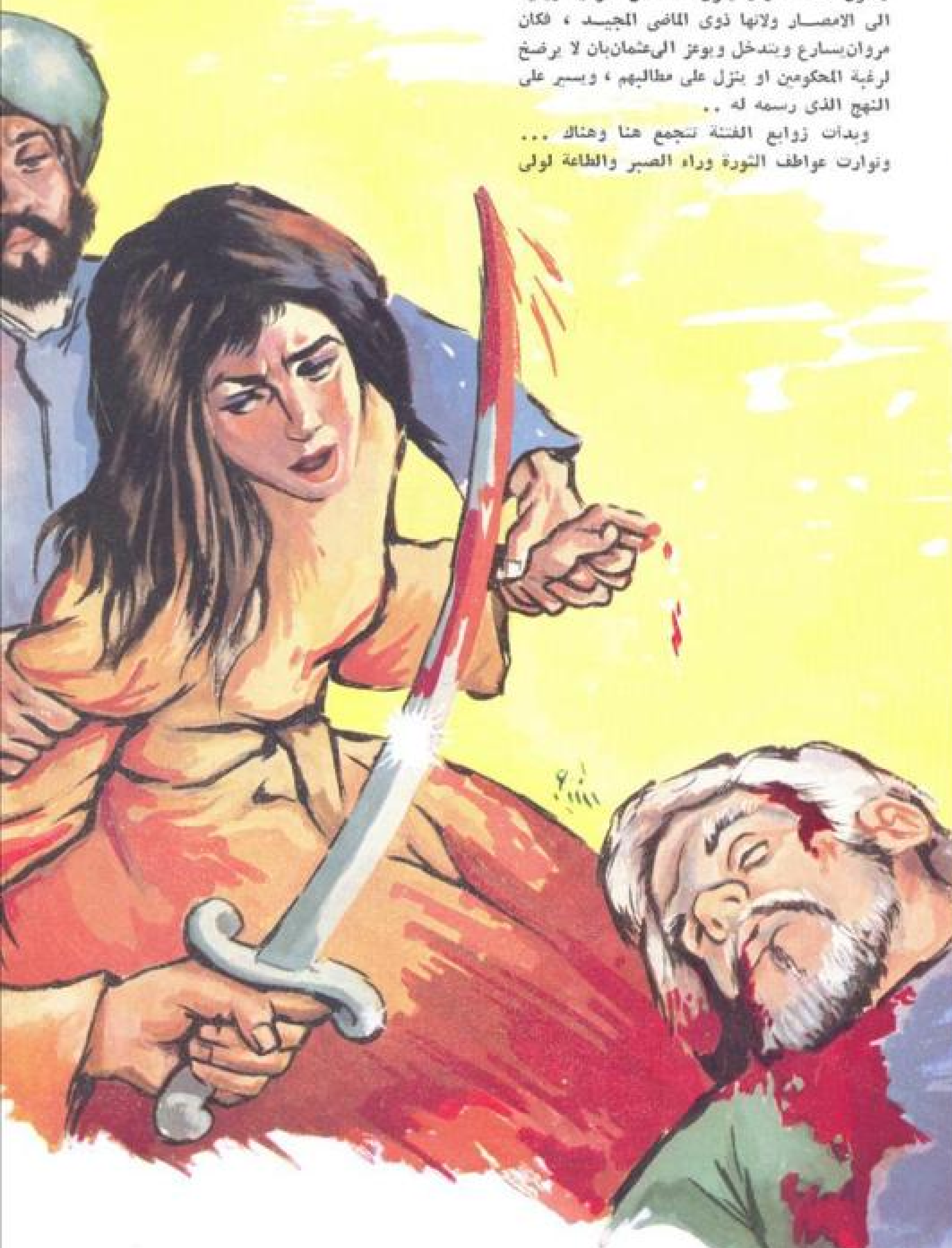
المسلم العف الخجول الذى كانت تستحى منه الملائكة ، والانسان ذو القلب الرحيم الذى ما اقام للمال وزنا ، بل سارع الى المكرمات ، ووصل الرحم ، وكان بره باهله مضرب الامثال ومثار السخط بين المسلمين !!

بدأ عثمان عهده،بان اعاد الى المدينة أحدقرابته « مروان بن الحكم » طريد رسول الله وقربه منه، وجعله كاتم سره ... وكانما كانت عودة مروان ، بداية تسلل السوس الى حكم ثالث الراشدين ، اذ فرض نفسه على عثمان واقحم ذاته فى شئون الدولة ، وراح ينفث من ذاته حقدها القديم على المجاهدين من المهاجرين والانصار ، وينتقم لايام نفيه خارج المدينة فاوعز الى عثمان أن يعزل من لم يرق فى عينيه ، ويولى بدلا منه انصار مروان وذوى قرباه ، وكانما كان ابن الحكم يجمع الكلمة لبنى امية ، ويمهد لعودة تحكم الارستقراطية الوثنية مرة اخرة ، وهى الارستقراطية التى كان يمثلها ابو سفيان بن حرب بن امية واهله ومن شايعوه، حتى قضى عليهم الدين ، واذل كبرياءهم عز الاسلام ...

وتذمرت الامصار ، وثار احرار المسلمين وتوالت كتبهم على دار الخلافة تطلب من عثمان ان يقضى على الفتنة الاموية المستترة ، ويبعد عنه اصحاب المطامع ، ويرجع فى الشورى الى اصحاب سيدنا

رسول الله ، وان يعزل اهله عن الولاية ويعيد الى الامصار ولاتها ذوى الماضي المجيد ، فكان مروان يسارع ويتدخل ويوعز الى عثمان بان لا يرضخ لرغبة المحكومين او ينزل على مطالبهم ، ويسير على النهج الذى رسمه له ..

وبدأت زوابع الفتنة تتجمع هنا وهناك ... وتوارت عواطف الثورة وراء الصبر والطاعة لولى



الامر ، والكل يرجون ان ينتبه عثمان الى دقة موقفه .... واخذت الامور تسير على وتيرة يعلمها الله ، وان استمرت الفتوح وتم انشاء اول اسطول اسلامي عزز انتصارات المسلمين ، وجعلهم قوة مرهوبة في البحار ...

وخلال تلك الفترات الحرجة القلقة من حكم عثمان الرضى العف الكريم – وصل الى سمعه ان « سعيد بن العاص » قد تزوج من هند بنت الفرافصة بن الاحوص الكلبي ، فكتب اليه ليوافيه بنسبها وان يصفها له . فاسرع سعيد يكتب الى امير المؤمنين بما طلب ، واطنب في الوصف وذكر مالها من جمال وحسن يميزه بياض مشرب بحمرة وقوام فارع جميل .

ولعل الوصف قد راق لذى النورين ، فكتب الى سعيد يسأله ان كانت لهند اخت فليخطبها له ويزوجه منها .. وما اسرع ما بعث سعيد الى حميه الفرافصة بن الاحوص الكلبي برغبة امير المؤمنين ...

واسرع الفرافصة يلبي الامر ، وهو يومها نصراني لم يدخل الاسلام ، على عكس ولده «ضبة» الذي كان قد اسلم ،فتولى عن ابيه تزويج اخته نائلة الى امير المؤمنين عثمان بن عفان ...

وسارت الكلبية من ديار قومها الى دار الخلافة، ووصية ابيها تدوي في اذنيها وقد قال لها : « تقدّمين على نساء من قريش هن اقدر منك على الطيب ، فتكحلي وتطيّبي بالماء حتى يكون ريحك شن اصابه مطر ... »

فكانت كما اراد لها ابوها ان تكون .. جديرة بزوجها امير المؤمنين قادرة على ان تملأ الفراغ الذي احدثته وفاة زوجتيه « رُقية ، وام كلثوم » بنتي رسول الله ...

وكانت نائلة وضاءة الحسن ، رائعة الجمال شديدة الذكاء عرفت من اللحظة الاولى التي دخلت فيها بيت عثمان كيف تنال حبه وتحظى برضاه ، وتكون اثيرة عنده ، مفضلة لديه بما تميزت به من ذكاء وحسن جواب وطاعة ووفاء ...

وعاشت نائلة بنت الفرافصة مع زوجها الطيب ادق فترات حياته وخلافته .. وشهدت تطور الاحداث الجسام ، واحست بقرب هبوب الزوابع والاعاصير ، واستطاعت بذكائها اللماح ان تعرف من اثاروها ومن كانوا السبب في تحركها السريع ..

انهم بنو امية .. مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وغيرهما ....

وقد حارت نائلة في امرها وامر زوجها الطيب السمح ، وعز عليها ان تقف منه موقف المستسلمة الراضية بما كان يحدث دون ان تبدي رأيها في الامور وتقدم لعثمان النصح في رفق ولين ، ولم يلتفت اليها امير المؤمنين الطيب الذي تابع سياسة الاصفاء الى كاتم سره مروان ، واستمر على سياسة اغضاب اهل الامصار الذين طالبوه بعزل ولاته واقصاء الامويين عن الحكم والتوجيه السياسي.

وعرف مروان بن الحكم في نائلة بنت الفرافصة توجسها منه خيفة ، وبغضها له واعتقادها عن يقين انه سيجر زوجها الى الهاوية عن طريق مشورته السيئة وتدخله البغيض في شئون الخلافة والحكم .. فراح يرقبها في حذر المتوجس ، محاولا ان يتفاداها اذا هي ارادت مخادعته او حاولت ان تصده عن زوجها بنصح عثمان بالابتعاد عن كاتم سره الذي كان يبغضه عامة المسلمين – ولكنه كان يتحاشاها ، كما كانت هي الاخرى تتحاشاه ، حتى شاء لهما القدر ان يتصادما في الرأي ذات يوم رهيب ، وقد عاد عثمان الى داره بعد ان خطب المسلمين واعطاهم من نفسه التوبة ، فرقوا له واحسوا حياله بالحب والحنان ، وقد راح يترضاهم ويترضى ثوارهم من معارضي سياسته وهو يبكي وهم يسمعونه ويبكون ...

واراد مروان في ذلك اليوم الرهيب ان يتكلم ، وان يحدث امير المؤمنين برأيه فيما فعل مع الناس، فانبرت له نائلة وطلبت منه ان يصمت وان يكف عن الحديث ، فلا فائدة ترجى من نصحه ، لان عثمان انما اسلم معارضيه امره بخطبته تلك واقسمت له انهم لا بد قاتلوه !!

وثار مروان على نائلة ، وعرّض بها ولم يقف لسانه عن النيل من ابيها ، فقال عنه انه مات ولم يحسن الوضوء . ولم يعرفه . ولم تسكت نائلة على مروان وردت عليه بمثل قوله واحبت لو تبعده عن زوجها في تلك اللحظات الدقيقة الحرجة ولكنه اصر على البقاء ، وراح ينفث في عثمان الرضى السمح سمومه وبغضاءه ، مما اثار

نيران الفتنة الكبرى من جديد واحفظ قلوب المسلمين على عثمان ..

واستعرت نار الفتنة واحتدم اوارها واستطار الشرر وانذر بشبوب النار في الهشيم ، وامتلات المدينة بالوفود من اهل الامصار يطالبون عثمان بعزل ولاته وابعاد الامويين من ذوى قرباه عن الحكم . خاصة عبد الله بن ابى السرح الذى ولاه على مصر ، وجاء اهل مصر يشكونه ويتظلمون منه.

وثار الجدل وتطورت الامور في غير صالح عثمان المستسلم الى كاتم سره ، وعلت الاصوات وانطلقت الالسن من عقالها .

وكتب اليه عثمان كتابا يتهدده فيه .. فابى ابن ابى السرح ان يقبل ما نهاه عنه عثمان ، وضرب بعض من اتاه من قبل عثمان من اهل مصر فقتله !!

فخرج من اهل مصر سبعمائة رجل ، فنزلوا المسجد وشكوا الى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن ابى السرح بهم ، فقام طلحة بن عبيد الله وكلم عثمان بكلام شديد ..

وتدخلت في النزاع ام المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق ، واحبّت لو ينتصح عثمان بنصحها كام للمؤمنين قال عنها رسول الله خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ..

ارسلت اليه رضى الله عنها فقالت : « تقدم اليك اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام وسالوك عزل هذا الرجل فابيت ؟ فهذا قد قتل منهم رجلا، فانصفهم من عاملك» .

ولكن عثمان أبى عليها النصيحة وكره ان تتدخل النساء في شئون الحكم ...

ووجدت الفتنة مرتعها الخصيب ، واسرع دعاة الشر يروجون للمأساة ، ويشيعون من القول اغربه حتى لقد ادعوا(كذبا) ان أم المؤمنين عائشة حرضت على قتل عثمان صهر محمد، وأحبّ الناس اليه وحكمت بكفره واحلت للثوار دمه ..

وتدخل « على بن ابى طالب » في الامر وتوجه بالنصيحة الى امير المؤمنين عثمان وطالبه بان ينزل على رأى اهل الامصار ويعين عليهم من ارتضوه للحكم والولاية ، وان ينفى بطانته من اهل السوء وان لا يستشير في امور الدولة مروان بن الحكم ابدا .. لان مروان في رأى « على بن ابى طالب » ورأى عامة المسلمين لم يكن بذى رأى في دينه ولا نفسه ، وانه لا بد وان نتيجة الاصغاء اليه ستكون وبالا على عثمان !!

وقال له : انما المصريون يسالونك رجلا مكان رجل ، وقد ادّعَوا قِبَلَه دما ، فاعزله عنهم واقض بينهم ، فان وجب عليه حق فانصفهم منه !

وخرج على وقد عز عليه ان لا يستجيب له عثمان ولا يعمل بنصحه ، واقسم الا يعود اليه ثانية ..

ولم يكد يخرج ابن ابى طالب حتى اسرعت نائلة فدخلت على زوجها الحائر المتردد وقالت له : « اتق الله وحده ، واتبع سنة صاحبيك من قبلك ، فانك ان اطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له من الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وانما تركك الناس لمكان مروان منك . فارسل الى علىّ فاستصلحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى .. »!!

وارتاح عثمان الى رأى نائلة السديد واحب في قرارة نفسه ان يأخذ به ... ولكن مروان سمع بذلك فأسرع الىعثمان واحبان ينالمن نائلة .. فتصدى له عثمان غاضبا ونهره ومنعه من الحديث عنها ، وهدده بابعاده واكد له انها انصح له منه .. فسكت مروان في مضض ولكن .. هل استسلم .. او هل رضى ان تهزمه نائلة بنت الفرافصة يوم حاولت ابعاده عن عثمان وتحريض عثمان على عدم الركون اليه ومشورته في اى امر من امور المسلمين !!

لقد تراجع مروان فعلا في دهاء الارقم ليتوارى عن عيون مهاجميه ، ويحاول ان ينفذ من جديد الى حيث يشاء ليافت ويفتك ...

وعاد مروان بن الحكم ينفث سمومه في صورة جديدة .. انه يوصى لعثمان ان ينزل على رأى الناصحين ويترضى اهل الامصار الثائرين ، فيكتب الى ولاته الذين عيّنهم بقرار العزل ويرسله مع زعماء المعارضة المطالبين بعزلهم ، لينفذه اولئك الولاة ... ولكن في صورة رهيبة !!

لقد اراد طريد رسول الله ان يعظم أمر الفتنة وتندلع نيرانها رهيبة ، فكانت خطته الدموية تتلخص في القضاء على الثائرين الذين حضروا الى

المدينة واعادتهم الى بلادهم ليفتك بهم الولاة ويسكتوا اصواتهم الى الابد ..

وبدأ مروان ينفذ خطته ... وبدا للمصريين ان امير المؤمنين قد استجاب لهم واراد تخفيف غضبتهم ، فعين محمدا بن ابى بكر واليا علىمصر، وقضى بان يرسله الى هناك مع كتاب التولية ، وفى صحبته الثائرون من المصريين وكتاب بعزل الوالى المغضوب عليه منهم ..

بدأ محمد بن ابى بكر رحلته .. وبدأ المصريون .. وساد الهدوء المدينة وانسحبت الجموع الغاضبة الى اوطانها ، وتنفس مروان الصعداء ، وابتسم فى دهاء الواثق انه لن يعود الى المدينة ثائر منهم بعد اليوم ولن يرتفع صوت بالاعتراض على سياسة مروان !!

واستمر محمد بن ابى بكر فى مسيره الى مصر ومعه كتاب ولايته ، وآخر بعزل الحاكم المغضوب عليه . واذا بالقدر يتدخل فى آخر لحظة وقبل ان تتم الرحلة .. يكتشف محمد بن ابى بكر المؤامرة الرهيبة البشعة وخطة الغدر التى بُيِّتت له فى كتاب وقع فى يده ، من عثمان الى ابن ابى السرح حاكم مصر ، وفيه امر اليه بان يقبض على ابن ابى بكر ورؤوس الثائرين معه ، فيقتله وينكل بهم ...

يقول : « اذا أتاك محمد بن ابى بكر ومن معه، فاحتل فى قتلهم ، وابطل كتابه ، وقر على عملك حتى يأتيك رايى ، واحبسْ من يجيء اليَّ يتظلم منك ... »

وثار محمد بن ابى بكر وعز عليه ان تصل اساليب امير المؤمنين الى هذا الحد . وفزع من كان معه . ولوى عنان رواحله مرة اخرى عائدا الى المدينة .. فجمع طلحة والزبير وعليًا وسعدا وعمار بن ياسر ونفرا من اصحاب رسول الله ودخلوا على عثمان ومعهم الكتاب ...

وساله على :

قال : اانت كتبت هذا الكتاب ؟

قال : لا .. « وحلف بالله » ما كتبت هذا الكتاب ، ولا امرت به ، ولا علم لى به ..

فتبين لهم ان الخط خط مروان بن الحكم !

فسألوه ان يدفع اليهم مروان .. فأبى عثمان، وكان مروان عنده فى الدار .

فخرج اصحاب رسول الله من عنده غضابا .. وشكوا فى امره ، وعلموا ان عثمان لا يحلف بباطل .. الا ان قوما قالوا :

لن يَبْرَأ عثمان من قلوبنا الا ان يدفع الينا مروان حتى نحقق معه ، وكيف يأمر بقتل رجل من اصحاب رسول الله بغير حق ، فان يكن عثمان كتبه عزلناه ، وان يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا فى امر مروان .

وابى عثمان ان يُخرج اليهم مروان خشية ان يقتلوه .. وحوصر عثمان فى بيته ، ومنعوه الماء .. واستيقظ الناس على الانباء .. وضاعت احلام مروان .. وبدأ ثوار مصر يتخذون خطة جديدة للهجوم وفرض مطالبهم على امير المؤمنين ...

وتوتر الموقف وحَوَّم الشر ، وحاول عقلاء المسلمين وكبار الصحابة تدارك الامر ولا جدوى ، اذ اصر كل من الطرفين المتنازعين على رأيه ..

ودقت نائلة صدرها فى ذعر ورهبة ، وتبدت لعينيها النُّذُر التى خشيت مَقْدمها ، ولعنت فى نفسها مروان بن الحكم ومغامراته التى ستسلم زوجها البار الى معارضيه ، وبدا لها ان الزمام قد افلت واجبت لو تستنجد بكبار الصحابة ولا جدوى اذ عوى الشر وانطلقت ذئابه الجائعة ..

وهاجم المصريون ـ بزعامة محمد بن ابى بكر ـ دار الخلافة،وحاصروا عثمانفىداخلهاوبدأوا يزحفون اليه وقد انتووا الشر وصمموا على وضع نهاية لكل مضطرب من الامور ..

واحس كبار الصحابة ان الامر قد افلت من ايديهم وان الخرق قد اتسع على الراقع ، واحسوا عجزهم عن الوقوف فى وجه الثوار ..

وصرخت نائلة وولولت .. وراعها هدوء عثمان الذى لم يفعل اكثر من انه ارسل كتابا الى على ابن ابى طالب يقول له فيه ...

« بلغ السيلُ الزُّبَى ، وجاوز الحزام الطُّبْيَيْن .. فان كنت ماكولا فكن خير آكل ، والا فادركني ولمَّا أمزق .. والسلام » !!

وحار على ، وارسل ولديه الحسن والحسين

للدفاع عن عثمان فى جثملة من ذهب من الصحابة واولادهم ، ولكن الثوار كانوا قد تسلقوا دار امير المؤمنين وهجموا عليه والسيوف فى ايديهم والشر يحكم تصرفاتهم والموت مترقب والنهاية مقدورة !!

ورأت نائلة الثوار ينزلون بامراس الحبال ، ويصلون الى داخل الدار ، وشهدت السيوف تلمع والموت على شفارها ، فثارت حميتها وعز عليها الا تقف الى جانب عثمان البار تذود عنه قدر استطاعتها وترد عنه بما وسعتها مقدرتها ، وقد ظنت ان رؤيتها وقد تصدت لمهاجمة الثوار . ربما ردتهم بعض الشيء .

ونشرت نائلة شعرها ، وعز ذلك على « ذى النورين » ، فسألها ان تحتجب . وقال لهـا فى اسى « خذى خمارك يا نائلة،فلعمرى لحرمة شعرك اعظم علي من دخولهم دارى .. » !!

واراد عثمان ان يحجب نائلة ، فاذا بالثوار يدخلون عليه ، وقد تقدمهم محمد بن ابى بكر الذى اخذ بلحيته ، فقال له عثمان متأثرا :

ـ « والله لو رآك ابوك لساءه مكانك منى » !؟

فتراخت يد محمد ... واذا بالثوار ينزعون سيوفهم ويهوون بها على الرجل .. على احب الناس الى رسول الله ... على عثمان بن عفان (الذى تستحى منه الملائكة) .. ويستحلون دمه فى البلد الحرام وفى الشهر الحرام ..

« فكان اول خليفة فتكت به يد مسلمة وذلك فى ١٧ يونية ٦٥٦ ميلادية وكان يبلغ من العمر اثنين وثمانين .. »

وفى غمرة الذعر ، وروعة الحنان ، وقوة الحب نسيت نائلة نفسها امام ما رأت ، فانكبت على الزوج الحبيب تحميه بجسدها وتصد عنه السيوف .

ووجه ثائر سيفه الى بطن عثمان فنفذ فيه .. وجذبت نائلة السيف فقطع اناملها ...

ومات عثمان .. سقط الشهيد الرضى فى ساحة الاستمساك برأى تمسك به ودافع عنه وقد كره من رعاياه ان يحاولوا ارغامه بالقوة على قبول آرائهم ...

وصرخت نائلة .. وولولت ، وخرجت تصيح وتستنجد ، وفر القوم من حيث اتوا وقد نالوا اعظم دم واطهره واسقطوا ابر المسلمين بدين الله واخلصهم لدعوة رسوله ...

خرجت نائلة الى الناس معولة نادبة تقول :

ـ ان امير المؤمنين قد قتل !!

فدخل الحسن والحسين ومن معهما من ابناء كبار الصحابة فوجدوا عثمان مقتولا .. وقد مثّل به ، فاكبوا عليه يبكون . وخرجوا .. ليشيعوا انباء الفاجعة بين الناس ، فساد المدينة الذهول واختلط الامر فيهم،وغشيت النفوس كآبة" خرساء واحتبست الكلمات فى الافواه ... واسرع على بن ابى طالب الى بيت اخيه فى الاسلام وزميله فى الجهاد ، وصهر ابن عمه ، ومعه الزبير وطلحة وسعد ، ودخلوا على الجثمان الطاهر واكبوا عليه باكين نادبين مترحمين ، حتى لقد زحمت الفجيعة ابن ابى طالب ، وكبرت عليه البلوى فسقط مكانه مغشيا عليه .

وراحت نائلة تنظر حواليها فى ذهول وهى تتلفت متسائلة فى صمت ! اين مروان سبب البلاء .. اين العصبة الذين حاربوا زوجها واسلموه الى قاتليه .. اين هم الآن ليروا نتيجة مشورتهم وآخرة نصيحتهم .. »

وغامت عيناها تحت سحائب الدمع الهتون .. لم تدر معه اتعول ام تصيح ، ام تندب امير المؤمنين البر الرحيم ...

ونظرت نائلة الى الجسد الطاهر المسجى وهو على فراشه ، وبكت ... تلك آخر ساعاته من الدنيا ، وانه لعلى ابواب القبر ، ومن الواجب ان تمهده لذلك ، اذ ما جدوى بقاؤه هكذا . لا بد من تجهيزه ...

وارسلت نائلة الى حويطب بن عبد العزى ، وجبير بن مطعم ، وابى الجهم بن حذيفة ، وحكيم ابن حزام ، ليجهزوا امير المؤمنين ، فتمهلوا وترددوا ...

وثارت نائلة فيهم : لم التردد ايها الناس ؟ وهل لاحد بعد ما حدث من مطلب لدى امير المؤمنين .. ؟

كانت المدينة ما زالت تغلى بنيران الغضب ، وكان الثوار الذين حاصروا داره وتسللوا لقتله

ما زالوا فى اماكنهم ، وان خروج جثمان عثمان فى تلك الآونة لمغامرة خطيرة ربما تسببت فى فواجع جديدة تنزل بالمسلمين .

وصاحت نائلة فى القوم ليجهزوا امرهم ويشيعوه بما يليق به ، فاذا هم يسألونها راجين ان تتريث حتى المساء ، فتثور وتغضب ، ولكن الموقف كان يفرض عليها الخضوع والطاعة ..

واقبل الليل .. وبدأ اعداد الخروج بعثمان الى قبره ... ومرة اخرى ثار الشعب ، وكادت قلة من المتآمرين ان تقف دون ذلك . وهنالك صرخت نائلة غاضبة مستنجدةً بالهِمَم والنخوات، واذا ابو الجُهَم يصيح مغاضبا مهددا يقول :

ـ والله لا يحولن بينى وبين عثمان احد الا مت دونه !!

وصرخ فى المسلمين وكبار الصحابة ليحملوه الى البقيع فحملوه .. وخرجوا بالجثمان الطاهر الى قبره ، ونائلة الباكية المعولة تتبعه ، وهى تحمل فى يدها سراجا مُضاء حتى انتهوا الى نخلات عليها جدار ، انزلوه ثم دفنوه ، وصلى عليه جبير بن مطعم ...

ورفرف الجلال على البقيع ، واسدل الستار على نهاية الفتنة الكبرى ... ووقفت نائلة الوفية بالقبر خاشعة صامتة وقد تحجرت الدموع فى عينيها ...

واحست بحاجتها الى مناجاة الروح الذى كان يطوف بها فى تلك الآونة الدقيقة .. وشعرت باجواء من حنانه وفيوض من عطفه ، وتمثلته وهو مشفق عليها من اهوال وحدتها وتنكر الناس لها ، فجعلت تهمس محدثة نفسها مرة ، مرددة فى صمت بعض اشعار مرة ...

وتراجعت نائلة لتترك القبر وصاحبه .. تلك كانت لحظة رهيبة ... لقد حاولت ان تحمى رجلها مرات منذ تسلل اليه الثوار ... مرة ساعة هاجموه ، واخرى ساعة جردوا عليه السيوف ، وثالثة ساعة مات ونجت هى ، ورابعة ساعة اعدته للدفن ، وخامسة ساعة خرجت بجثمانه من الدار الى البقيع ثم ... ها هى ذى تتركه وحده . تتركه عند من لا تضيع عنده الامانات . تتركه فى جوار الله مرغمة ، تلك سنة الوجود !!

وعادت نائلة من البقيع تسائل نفسها اين تذهب !! وبمن تستجير ... لقد استجارت المسكينة قبلا فما استمع لها احد ولا اجارها سامع ، وانها هذه المرة لتتجه الى قبر محمد .. الى حبيب الله مجيرها فى يوم الكرب ، فتستجيره وتسأله .

سارت نائلة الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وناجته بما شاءت لها النجوى ، وحدثته بما عنَّ لها من حديث .. واستجارته وابدت شكواها فى حضرته فاستشعرت بعض الراحة واحست كانما قد انجاب عن روحها حمل ثقيل وبدات تفيق وتسترجع الموقف وتفكر بعقل سديد ...

انها امراة عزلاء .. امراة لا حول لها ولا قوة ولا جاه ... امراة اعجز من ان تتبع قتلة عثمان لتاخذ بدمه ... وان حبها له ليحتم عليها ان تعمل والا تقف ساكنة مستسلمة لتترك عجلة الاحداث تسير كما اراد الثوار ، فتسرع بهم بعيدا عن الحادث ولا يلبث الناس ان ينسوا عثمان ..

واصرت نائلة ان تجاهد على طريقتها ، وان تحاول تملك القلوب عن طريق عبراتها المسفوحة وتستثير النفوس بدموعها ، وهى تشرح للمسلم ظروف مقتل عثمان . فوجهت احدى نسائها لتستنهض الناس لها فوافوها ملبين مسرعين ليسمعوها . تحكى القصة الفاجعة ، وتتهم الذين استحلوا حرمة الاسلام ، وحرمة الخلافة ، وحرمة البلد الحرام والشهر الحرام ، وتستعدى عليهم .

ثم انصرفت باكية مسترحمة وتفرق الناس مع انصرافها .

وعادت نائلة الى دارها التى اقفرت من نور ذى النورين .. وتولتها وحشة وكآبة .. وخيم عليها الاسى والحزن ... ونظرت حواليها تسترجع الماضى وتناجى الروح الكريم ، وقد عز عليها انها لم تلحق به ، وان سيوف الثائرين لم تنلها قبله، اذا لاستراحت وكفت نفسها اهوال الوحدة ولوعات الفراق ..

وكبر على نائلة بعد هذا ان تستقر فى عقر دارها، شان اى امراة عاجزة لا تقدر على شىء ولا تستطيع دفع بلاء ...

وسألت نفسها : أهذا كل ما استطعت عمله من

اجل عثمان والمطالبة بدمه..لقد تفرق الناس ولا مجيب ، فهل استسلم انا الاخرى ... واذا كان اهل المدينة لم يغضبوا لمقتل ذى النورين ... فلماذا لا احاول الاتجاه وجهة اخرى .. لماذا لا استصرخ بنى مروان ... لماذا لا انادى بني اميه .. لماذا لا اضع فى اعناقهم اغلال المطالبة بدم عثمان ..

وشاقتها الفكرة وطابت لها نفسها،فاستحضرت قميص عثمان الملوث بدمه ، ودرجت فيه اصابعها التى بترت ، وارسلته الى معاوية فى الشام تستنهضه للثار لابن عمه امير المؤمنين ، وكتبت اليه تقول :

ـ « ان امير المؤمنين قد بغى عليه ، وانه حتى ان لم يكن له عليك حق الولاية ، لكان حقا عليك كمسلم ان تنصره .. »

وراحت نائلة تقص القصة المؤلمة، وتصف الحادث الاجل ، وتعدد مآثر عثمان وفضائله ، وتذكر قاتليه وعلى راسهم محمد بن ابى بكر وعمار بن ياسر ، وكيف انهما حاصرا ومن معهما داره ومنعوا عنه الماء ، ثم مثلوا به ، ولم يرحموا ضراعاتها ولا وقوفها دونه ، ولم يابهوا لمكانتها كزوجة ، وحرمتها كامراة ، واعتدوا عليها بالسلاح ..

وختمت نائلة كتابها تقول :

« وقد ارسلت اليكم بثوبه وعليه دمه ، وانه والله لئن كان أثِمَ من قتله ، لما سَلِم من خذله . فانظروا اين أنتم من الله جل وعز . فانا نشكو ما مسنا اليه ، ونستنصر وليه وصالح عباده . ورحمة الله على عثمان ، ولعن الله من قتله ، وصرعهم فى الدنيا مصارع الخزى والمذلة » .

تلك كانت نائلة بنت الفرافصة .. وكان هذا مبلغ وفائها لعثمان فى حياته ويوم قتل ..

اما وفاؤها بعد ان مات فكان مضرب الامثال . فقد اراد معاوية بن ابى سفيان ان يترضاها على طريقته ، وان يعوضها عن زوجها الرحيم ، ورأى ان يخطبها الى نفسه ، فابت عليه ذلك ، وكرهت ان تستمع الى رسوله الذى ارسله اليها فى ذلك واقسمت لتقضين العمر بعيدة عن الناس تسترجع ايام عثمان معها وتبكيه بالدمع الهتون ..

بل لقد اقدمت نائلة فى سبيل وفائها لعثمان ابن عفان على افساد مظاهر جمالها والعدوان عليه بما يذهب بمعالم ذلك الجمال ، فكان ان دقت اسنانها فتحطمت وهى ترجو بذلك ان يبتعد عنها الخاطبون .

وسئلت بنت الفرافصة لماذا فعلت ذلك بنفسها واسنانها فقالت باكية :

« رايت الحزن يبلى ، كما يبلى الثوب ، وخفت ان يبلى حزنى على عثمان فيطلع منى رجل على ما اطلع عليه وذلك ما لن يكون ابدا .. »

وبقيت نائلة فى عزلتها وبعدها عن الناس حتى لقيت الله ، ولحقت بعثمان فى جنات الخلد حيث لا فراق ولا نصب ولا لغوب .. ■■

سنية قراعة

عمر يعفو عن سارقين

ويغرم مخدوميهم لتجويعهم اياهم

● رُوى عن عبد الرحمن بن حاطب ان غلمانا لأبيه سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، فأتى بهم عمرُ بن الخطاب ، فأقرُّوا ، فارسل الى عبد الرحمن بن حاطب ، فجاء ، فقال : ان غلمان حاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، واقروا على انفسهم . ثم قال عمر لغلام له : اذهب بهؤلاء فاقطع ايديهم . فلما انطلق بهم امر بهم عمر فرُدُّوا ، ثم قال : اما والله ، لولا انى أعلم انكم تستعملونهم وتجيعونهم ، حتى ان احدهم لو أكل ما حرم الله عليه حلَّ له ، لقطعت أيديهم . وأيم الله ان لم افعل لأغرمنك غرامة توجعك . ثم قال : يا مزينى !! بكم اريدت ناقتك ؟ فقال : بأربعمائة . فقال عمر لعبد الرحمن بن حاطب : اذهب « فأعطه ثمانمائة » . وعفا عن السارقين .

كتاب نادر

رحلة إلى ولاية

لمؤلفه القس الانجليزى الدكتور «شو» في أوائل القرن الثامن عشر

بقلم : نور الدين محمود

■ كان الشرق دوما موطنا من مواطن السحر التي تشد اليها الخيال ، وكان الشرق دوما افقا تتطلع اليه مشاعر الكثيرين من اولئك الذين يفتنهم السحر ويأخذ بألبابهم الغموض . .

ولقد حاول عدد عديد من الرحالة والمستكشفين ان يميطوا اللثام عن سحر الشرق فتوجهوا اليه محاولين ان يتعرفوا عليه وان يكتبوا عنه من خلال التجربة والواقع لا من خلال الخيال والاحلام .

ومن اروع الكتب واوسعها انتشارا اليوم فى اوربا وفى العالم اجمع كتب الرحلات التي تحدث القارىء عن تجربة الكاتب نفسه في الافاق التي اغترب اليها . ولقد كان للكتاب العرب من المشارقة والمغاربة قصب السبق فى هذا الميدان ولدينا امثلة على ذلك : رحلة ابن جبير وابن بطوطة وابن خلدون والادريسي وهي نماذج رائعة في هذا الفن الرفيع من ادب الرحلات .

كتاب نادر

بيد اني هنا اود ان احدث القارىء « العربي » عن كتاب ممتع نادر هو كتاب « رحلة الى ولاية الجزائر » لمؤلفه القس الانجليزى الدكتور شو Shaw وهو كتاب عثرت على نسخة منه باللغة انفرنسية ترجمها عام ١٨٣٠ المترجم ماك ارثي عضو الجمعيه الجغرافية بباريس ونشرها في تلك السنة ، مؤكدا اهميتها في البيان الذى نشره في صدر الترجمة حيث قال : « وعلى الرغم من ان هذه الرحلة قد مضى عليها ما ينيف على القرن فهي مع ذلك احسن رحلة لدينا تهم الجغرافية القديمة وحتى الحديثة لولايتي الجزائر وتونس » .

الجزائر

- تجارة الجزائر وبلاد النيجر
- وصف للعاصمة الجزائرية
- قراصنة الجزائر والدول الاوربية
- رسالة نابليون الى والى الجزائر
- رسالة والى الجزائر الى نابليون

ولقد حاولت ان اجد طبعة ثانية للترجمة الفرنسية من هذا الكتاب الذى نشر فى باريس قبل اكثر من قرن من الزمان فلم استطع ان اجد لها اثرا في مختلف مكتبات باريس ودور النشر فيها . والمظنون ان النسخة التي عثرت عليها المطبوعة سنة ١٨٣٠ هي الطبعة الاولى والاخيرة فى اللغة الفرنسية، والنص الانجليزى ليس باقل ندرة من الترجمة الفرنسية هذه .

فالكتاب الذى أود ان أقدمه لقارىء « العربي » في هذا المقال كتاب نادر وممتع فى آن واحد . الفه مؤلفه الانجليزى القس شو Shaw في مستهل القرن الثامن عشر بعد ان قضى نحوا من اثنتي عشرة سنة فى بلاد الجزائر تعرف فيها على التقاليد الجزائرية يومذاك وتر... لمجتمع والعلاقات الاجتماعية ، ثم عرضها عرضا ممتعا نادر المثال .

ولا شك ان اهم ما في الكتاب الخارطة التى الحقت به ، وهي تجلو لنا مواقع العمران ومعاقل القبائل العربية والبطون الجزائرية التي كانت مستوطنة بالجزائر والتي امتدت اليها يد العفاء والفناء بعد المعارك الطاحنة التي شهدتها الجزائر اثناء حرب الاكتساح التي شاب من هولها الولدان .

بين الجزائر وبلاد نهر النيجر

يتحدث الرحالة عن التبادل التجاري بين الجزائر والبلاد الافريقية الواقعة على ضفتي نهر النيجر فيشيد بوفائهم وبعدهم عن الغش فيكتب بالصفحة ١٤٥ من المجلد الاول :

واقول احقاقا للحق ان المورسك(١) العربيين كانوا منذ عهد بعيد يتاجرون مع عدة شعوب بربرية تعيش على ضفاف نهر النيجر من دون ان تغشهم ولو مرة واحدة وبدون ان تخرق ولو بصيغة من الصيغ

(١) المورسك أو المور Mauresques كلمة يطلقها الافرنج على العرب المسلمين الذين نزحوا من الاندلس الى شمال افريقيا، واصل «المورسك» محرفة عن الكلمة العربية « المشرق » ويعنون بهذا اللفظ المشارقة الاندلسيين بالمغرب العربي الكبير .

الاتفاقات التي ابرموها معها ، مع العلم بان ليس لهم مع تلك الشعوب اى اتصال مباشر » .

ويستطرد الكاتب فيقول :

« واليكم الصورة التي يقع بمقتضاها التعامل التجاری . يوجه الورسك في موسم الشتاء من كل سنة قافلة وفيرة العدد محملة بكمية عظيمة من المرجان والعقود الزجاجية واساور قرنية ومدى ومقصات وعدة ادوات منزلية. وعند وصول القافلة للمكان المعين في اليوم المتفق عليه من الشهر القمرى يجد ربابنة القافلة عند المساء اكداسا صغيرة من التبر فى سمط واحد . فيضع الورسك عند كل كدس الكمية المناسبة له من البضائع التي اوردوها ، ويتولى النيجريون في صباح الغد اخذها ان كانوا بها راضين ، تاركين اكداس التبر كماهي لا يمسونها . وعلى العكس من ذلك اذا قدروا انه من العدل التنقيص من الكدس .ويجرى كل ذلك من دون أى غش » .

عند الجزائريين للضيوف كرم وحسن معاملة

ويجره الحديث الى بيان معاملة الجزائريين للضيوف الاجانب ، وعلى الخصوص ، بوصفه رجل دين ، فيعصمهم عن التعصب ويشيد بذكر كرمهم اذ يكتب في الصفحة الستين من مجلده الاول :

« عندما ندرك خياما للعرب فتزولنا عليهم لا يكلفنا شيئا ، فهم يتولون الانفاق علينا وعلى دوابنا . يقدمون لنا اولا الحليب ، مع سلة صغيرة من الفواكه الجافة ، ثم يقدم لنا شيخهم معزا او عنزا او شاة او خروفا . وفي لمح البصر يحضرون لنا بنصف الدابة كسكسيا (طعام خاص باهل شمال افريقيا ، وهو معروف فى مصر ايضا) والنصف الباقي يعدونه مشويا لفطورنا او عشائنا في الغد » .

احترام الجزائريين للمعاهدات

وفي موضع آخر يتحدث عن احترام ولاية الجزائر للمعاهدات وتطبيقها حرفيا بلا تردد او مداورة اذ يقول في الصفحة مائة وثلاثة وثمانين ـ من المجلد الاول « ما تعريبه :

«عندما يرفع قنصل اجنبي شكوى للداى(الحاكم الاعلى التركي) عند حصول مخالفة من المخالفات الماسة بالمعاهدة المبرمة بين الدولة التي يمثلها وحكومة الجزائر ، وضد اى اعتداء حصل في علائق الدولتين ، يامر الداى على الفور امين سر الدولة ، المؤتمن على سجل المعاهدات وحفظه ، بفتحه ، وبالرد حالا على شكاوى القنصل .فيتولى عندئذ امين سر الدولة تلاوة البند الذى ادعى القنصل انه خرق ، بصوته الجهورى . فان كان محقا فى دعواه صدر الحكم لفائدته اما اذا كانت دعواه باطلة فلا يؤبه لطلبه . فالقضايا الهامة تفض في اسرع وقت » .

اساطيل الجزائر والجزية التى كانت تدفع لها

ويحدثنا الكاتب في مكان آخر عن علاقة الجزائر ببعض الدول الاوروبية الكبرى وعن مبلغ الجزية التي كانت تدفعها لها في مقابل عدم تعرض اساطيل الجزائر لقوافلها البحرية فيكتب بالصفحة مائتين وثلاثة وثلاثين من المجلد الاول :

امتنعت دول اوروبا من عقد الاجتماعات لوضع حد لاعمال القرصنة التى يتولاها البرابرة فرأوا ان يبرموا معهم معاهدات عرجاء من اجل السلم . ومن ناحية اخرى سلكت بعض الدول الكبرى سياسة قليلة السخاء ، وحرصت منذ مدة طويلة على الاحتفاظ بحرية الملاحة عبر البحر الابيض المتوسط على حساب الدول الصغرى . والحقيقة هي ان كل تلك الدول قد اصبحت اليوم مرغمة ـ وهي مطاطئة الراس ، على دفع الاتاوات لقراصنة الجزائر بعناوين مختلفة . خذ لك مثلا مملكة الصقليتين . هي تدفع لهم سنويا ٢٤.٠ الفا من الفرنكات عدا الهدايا التي يبلغ ثمنها ٣٠.٠ الف فرنك ، وطوسكانيا معفاة من الاداء بموجب معاهدة، ولكن قنصلها مرغم عند استلامه لوظيفته أن يقدم هدية قيمتها ٢٥.٠ الف فرنك (قيمة الالف فرنك فى ذلك الوقت أربع ليرات استرلينية) .وسردانيا بفضل انجلترا معفاة هي ايضا من الجزية ، ولكنها

تدفع مبلغا طائلا من المال عند تغيير قنصلها . وابرمت البرتغال مع الجزائر معاهدة شبيهة بالمعاهدة التي أبرمتها حكومة الصقليتين . ولاتدفع اسبانيا جزية ، ولكنها تقدم الهدايا عند نقلة كل قنصل . وانجلترا مرغمة على تقديم هدية تبلغ ٦٠٠ ليرة استرلينية اى ما يعادل ١٥٠ الف فرنك في مثل تلك المناسبات رغم وجود معاهدة ابرمها اللورد ايكسموث . والبلاد المنخفضة (هولاندة) التي شاركتفي حملة امير البحر الانجليزى المذكور مشمولة بتلك المعاهدة ولا تدفع في هذا الوقت جزية ، غير أن «داى الجزائر» سيهتبل أول فرصة لوضع حد لاتفاقه معها . وبفضل الحمايةالانجليزية حصلت هانوفر وبريم على نفس الشروط . ولكن قنصلي الدولتين عند وصولهما للجزائر اضطرا الى دفع مبالغ عظيمة من المال ، بينما تولت العاصمتان قبلا تقديم الهدايا . ويعود الفضل لفرنسا في اعفاء دولة الكنيسة من دفع الجزية .

وتدفعالسويد والدانماركضريبة سنوية تتشكل في ذخيرة بحرية تبلغ قيمتها ٤٠ الف فرنك مع تقديم هدايا تبلغ قيمتها ١٠٠ الف فرنك عند تجديد المعاهدات اى في كل عقد من السنين ، او عند تغيير ممثليها السياسيين . والولايات المتحدة الامريكية بموجب معاهدة ابرمتها بعد بريطانيا والتي اشرف عليها اللورد اكسموث قد حصلت على نفس الشروط البريطانية » .

هذه الحقائق التي جاءت فى المجلد الاول من الكتاب استرعت اهتمامى فعربتها حتى يكون قراء « العربى » على بينة من حقائق،تهم وطنهم، غير معروفة.

المجلد الثاني

اما بالمجلد الثاني فجاء به وصف رائع لمدينة الجزائر في حدود سنة ١٧٣٠ ميلادية ، وذكر الحملات البحرية التي هاجمت بواسطتها دول اوروبا منفردة او مجتمعة الولاية الجزائرية ، واعترافالكاتببعدمجدواها.ثم هو يذيعالرسالتين المتبادلتين بين نابوليون وداى الجزائر مصطفىباشا داى ، بعد فشل الحملات العدائية . ويعود تاريخ الرسالتين الى ما يزيد عن القرن والنصف .

عاصمة الجزائر

ويتحدث القس شو الانجليزى عن عاصمة الجزائر فيقول في الصفحة ثلاث وثمانين من المجلد الثاني :

« هذه المدينة التي تحدت منذ عدة قرون الدول المسيحية صولة وباسا ، مبنية على شكل نصف دائرة متدرجة ، على سفح هضبة ممتدة الى خط البحر . وباستثناء الشارع الرئيسى فغالب الطرقات ضيقة .. والمباني ذات طوابق ثلاثة في الاكثر الغالب ، ولها سطوح مطلية بالجص تضفي على المدينة طابعا خاصا ، يلجون اليها من ابوابها الستة . واسوارها مدعمة بالابراج المربعة وترتفع اربعين قدما من ناحية البحر وثلاثين قدما من ناحية البر . وسمكها اثنتا عشرة قدما . وقاعدة الاسوار من الحجر والباقي من الآجر . وعرض الخنادق عشرون قدما وعمقها سبع اقدام .

وتحرس المدينة ــ عدا قلعتها الجاثمة في المنطقة العليا ــ عدة مراكز للمدفعية متفرقة وموزعة على الساحل ، وسبعة بروج ، احدها بجزيرة المنارة. وهو يحمي الميناء مباشرة ، وبرجان يحميان الجون ويمنعان الاقتراب من الحامية من جهة البحر .

ويتكون الميناء من جزيرة صغيرة يشدها معبر الى الأرض . ولا يوجد بالمدينة ميدان واحد ولا حديقة واحدة ، وانما يوجد بها عشرة جوامع وخمسون مسجدا وثلاث مدارس ثانوية عمومية وعدة مدارس صغيرة وخمسة سجون لجمع رقيق الدولة ، واثنا عشر حماما عموميا عاديا ، واثنان وسبعون حماما بخاريا ، وكنيسة كاثوليكية ،وبيعة لليهود ، ومائة وخمسون سبيلا للماء على ذمة السكان .

والجدير بالملاحظة قصر الداى بالجزائر ، والجوامع ، والثكنات الخمس . يمكن لكل واحدة ان تسع لستمائة جندى . وتوجد عدة قصور جميلة مبلطة بالرخام من اعلاها لأسفلها ، تعتمد على عمدان مرمرية ، وسقوفها مزركشة بايدي صناع . ولا تختلف عن غيرها من البيوت في مظهرها الخارجي . وبني غالبها الدايات او الباشاوات او كبار التجار .

ولا يعرف بالضبط عددسكان العاصمة الجزائرية

فبعضهم يقدره بثمانين الفا ، وبعضهم بمائة وخمسة وثلاثين الفا ، والباقي بمائة وثمانين الفا من المسلمين واليهود والنصارى » .

الحملات التي تعرضت لها العاصمة الجزائرية

ويتخلص الكاتب من بعد ذلك الى الحديث عن الحملات التي تعرضت لها العاصمة الجزائرية فيكتب في الصفحة الثمانية والثمانين من المجلد الثاني :

« لم تفكر الدول المسيحية لحد الآن في ايجاد الفرصة السانحة للاجتماع بنية نسف واتلاف هذا المعقل من معاقل القراصنة ، ومع ذلك فانها تولت في مناسبات عديدة النيل منه بقسوة . فلقد رجمته بالحمم في عام ١٦٨٢ وعام ١٦٨٣ بواسطة الاسطول الفرنسي بامرة امير البحر ديكان . وفي سنة ١٦٨٨ تحت قيادة الشير ديستري ، وفي سنة ١٧٧٠ و ١٧٧٢ من طرف الفالاندين وفي سنة ١٧٨٣ و ١٧٨٤ من طرف الاسبان وفي سنة ١٨١٦ من طرف الانجليز والهولانديين مجتمعين » .

بين والى الجزائر ونابليون بونابرت

وبعد هذا الاستعراض للحملات التي تعرضت لها العاصمة الجزائرية من طرف الاساطيل الاوروبية يتخلص الى الحديث عن نتائج تلك الحملات فيكتب بالصفحة ٩٤ من المجلد الثاني :

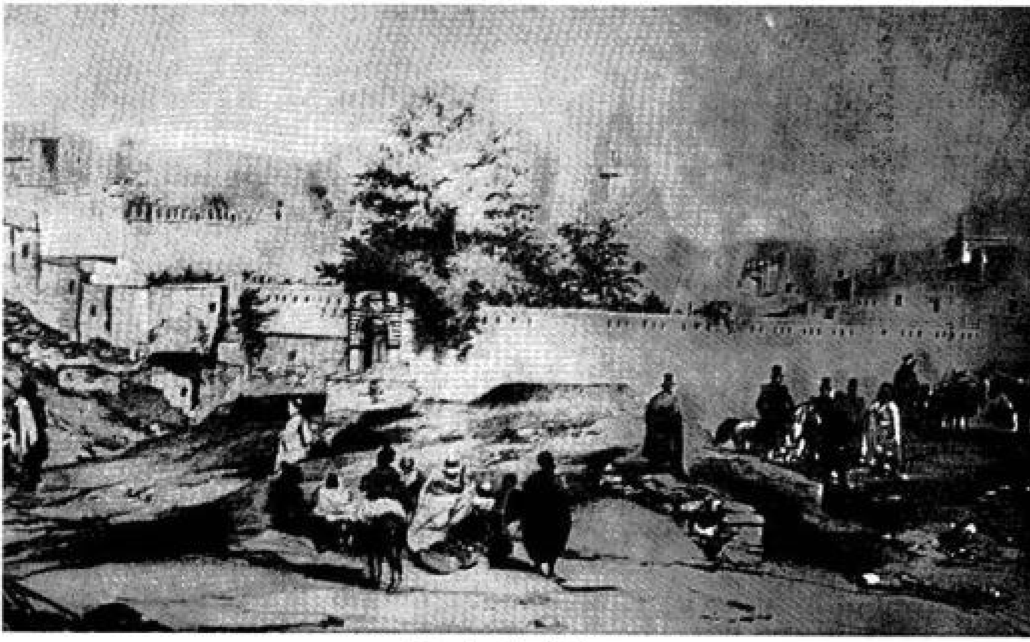
« .. على الرغم من الدروس القاسية المختلفة التي اعطتها الدول الاوروبية لتلك الشوكة (يعني الجزائر) فمن المسلم به مع ذلك ان هذه الدروس وتلك لم تات الا بنتيجة مزرية عند مقارنتها بالمفاوضة السلمية التي اجرتها حكومة فرنسا في سنة ١٨٠١ والتى لم يساندها جيش جرار بل ساندتها قوة عتيدة لاسم عظيم (يعني نابليون) ».

رسالة نابليون الى والى الجزائر

ويورد الكاتب من بعد ذلك نص الرسالتين المتبادلتين بين نابليون وبين داى الجزائر فيكتب بالصفحة الرابعة والتسعين من المجلد الثاني :

« من بونابرت القنصل الاول الى صاحب السمو الاسنى والجناب الرفيع داى الجزائر حرس الله سؤدده ورفاهيته .

« اوجه اليكم هذه الرسالة بطريقة مباشرة لما اعلمه من ان وزراءكم يزيفون لكم الحقائق ، ويحملونكم على التصرف تصرفا من شانه ان يجلب لكم وخيم العواقب وجسيم المصائب . سيسلم اليكم هذه الرسالة يدا بيد احد ضباط حاشيتي، والهدف منها مطالبتكم بالتعويض العاجل ،يحفزني الى ذلك ما انتظره من عواطفكم التي اعربتم عنها نحوى دائما . لقد ضرب احد ضباطكم من رؤساء البحر احد ضباطنا في خليج تونس . وتقدم عون الجمهورية مطالبا بترضيته ولكنذهب سعيهسدى. كما استولى قراصنتكم على سفينتين وقادوهما للجزائر فاخرا موعد رحلتيهما . واستولى قراصنتكم ايضا على سفينه نبوبية في جون هيار (مرفا واقع بالجنوب الفرنسي) وبهذا الصنيع خرقوا حرمة التراب الفرنسي . واخيرا تعطلت باخرة قرب سواحلكم في فصل الشتاء وما زلت فاقدا لنوتيتها المائة والخمسين الذين هم في قبضة البرابرة ، واني اطالبكم بالتعويض عن كل تلك المآخذ . ولا اشك في اتخاذكم كافة الاجراءات التي كنت اتولاها بنفسي لو حصلت لي نفس الظروف . وقد وجهت منشاة بحرية لتعود بالمائة والخمسين نوتيا المفقودين الى فرنسا . وارجوكم ان تحذروا البعض من وزرائكم الذين يناصبون فرنسا العداء فليس لشخصكم اشد منهم عداء . واذا حرصت على ابقاء السلم مخيمة على علاقتنا فلا بد لكم من الحفاظ على حسن الوفاق الذى تم اخيرا ، والكفيل وحده باحرازكم على المكانة والرفاهية اللتين تتمتعون بهما ، فالله قد كتب وقدر ان كل من قسى واعتدى ، ناله العقاب . فان كانت لكم رغبة صادقة في العيش معنا على وفاق فمن الواجب الحتمي ان لا تعاملوني معاملة الدولة الضعيفة . يجب ان تامروا بوجوب احترام العلم الفرنسي وعلم الجمهورية الايطالية التي عينتني على راسها ، وان تعوضوني عن



مدينة الجزائر عام ١٨٣٠

الاهانات التي تحملتها والتى اصابتني . ليس لهذه الرسالة هدف آخر ، فالرجاء ان تطالعوها شخصيا باهتمام وان تحيطوني علما ـ عند عودة الضابط الذى ارسلته اليكم ـ بما تقرر لديكم مناسبا فى القضية » .

رسالة والى الجزائر الى نابليون

ونشرت هذه الرسالة بالجريدة الرسمية الفرنسية لومونيتور Le Moniteur بتاريخ سابع سبتمبر ١٨٠٢ مشفوعة بهذا الرد :

« من عبده سبحانه وتعالى الافخم الامجد المولى مصطفى باشا ، داى الجزائر ، خلد الله سؤدده ، الى صديقنا بونابرت القنصل الاول للجمهورية الفرنسية ورئيس الجمهورية الايطالية. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

اما بعد ، ايها الصديق ، فاني احيطكم علما بأن رسالتكم المؤرخة بالعشرين من شهر مسيدور وصلتني وطالعتها بعد ان سلمها اليّ قائد بلاطكم ووكيلكم ، ديبوا تانفيل ، وارد عليها فصلا فصلا :

اولا : شكوتم تصرفات علي تاتار . على الرغم من انه من سيّاق فاني القيت عليه القبض بنية تقديمه للاعدام ، ولكن تدخل عند التنفيذ وكيلكم وطلب مني الصفح عنه نيابة عنكم. واذا ما افرجت عنه واخليت سبيله فاخذا بخاطركم .

ثانيا : طالبتم بالسفينة النابولية التي وقع السطو عليها تحت رحمة مدفع فرنسا كما تزعمون. ولكن تفاصيل الحادثة حول هذه القضية قد ابلغوها اليكم على غير حقيقتها . ونزولا عند رغبتكم قد رفعت الاسر عن ثمانية عشر مسيحيا من نوتيتها وسلمتهم الى وكيلكم .

ثالثا : تطالبون بمنشأة بحرية نابولية يقولون انها ابحرت من كورفو محملة بالبضائع الفرنسية. اننا لم نعثر على ورقة فرنسية واحدة تشير الى ذلك . ونزولا عند رغبتكم قد فككت اسار النوتية وسلمتهم لوكيلكم .

رابعا : تطالبون بزجر الريس (ربان السفينة) الذى قاد الى هنا سفينتين تابعتين للجمهورية الفرنسية ونزولا عند رغبتكم قد عزلته . وسبب ذلك هو ان ربابنة بحرنا لايعرفون حروف الهجاء الاوروبية ولا يعرفون سوى الجوازات العادية . ولهذه الدواعي والاسباب فمن المستحسن في المستقبل ان تعلن ، بواسطة الشارات ، بوارجكم

الحربية عن جنسيتها ليتعرف اليها قراصنتنا .

خامسا : تطالبون باطلاق سراح مائة وخمسين رجلا تدعون انهم مقيمون ببلادنا . لا يوجد ببلادنا احد منهم.وأرادت مشيئة الله ان يهلكوا فتكدرت من اجل ذلك كثيرا .

سادسا : تقولون ان البعض من مستشاري يسدى نصائح من شانها التفرقة بيننا.ان صداقتنا متينة وقديمة ولن يفلح من يريد بث الشقاق بيننا .

سابعا :تريدون مني ان اكون صديقا للجمهورية الايطالية . اذن سأحترم علمها نزولا عند رغبتكم كاحترامي لعلمكم . ولو طلب ذلك مني سواكم لما رضيت حتى ولو قدم لي ثمنا عن ذلك مليون قرش .

ثامنا : لم تشاؤوا دفع المائتي ألف قرش التي طلبتها منكم كتعويض عن الخسائر التي لحقتني بسببكم وسواء أدفعتموها ام لم تدفعوها فلن يؤثر ذلك في صداقتنا شيئا .

تاسعا : انهيت من صديقي ، ديبوا تانفيل ، وكيلكم جميع القضايا الخاصة بالقالة . ويمكن في المستقبل القدوم من اجل صيد المرجان ، وستتمتع شركة افريقيا بنفس الامتيازات التي كانت تتمتع بها قبلا . وأصدرت أوامري لباي قسنطينة ليمنحها كل انواع الحماية .

عاشرا : لبيت رغباتكم حسبما رمتم ولهذا فمن حقي ان اطالبكم بالمثل .

احد عشر : لهذا ارجوكم اصدار التعليمات اللازمة حتى لا يرفع علمكم او علم الجمهورية الايطالية على سفن البلاد المعادية لنا والتي تمخر عباب البحر ، تفاديا من النزاع بيننا وحرصا على صداقتكم .

ثاني عشر : امرت رؤساء بحريتي باحترام العلم الفرنسي في البحر وسأعاقب أول رئيس يقود منشاة فرنسية الى احد الموانىء الجزائرية .

واذا ما شب نزاع بيننا في المستقبل راسلوني مباشرة فسيفض كل نزاع بالطرق الودية .تحياتي اليكم وحرس الله مجدكم والسلام .

تحريرا في ١٥ ربيع الاول ١٢١٧هـ » .

وبالكتاب فصول عشرة اختص كل مجلد بخمسة منها . فالمجلد الاول يشتمل على :

١ ـ وصف طبيعة الارض ومناخها ومنتوجاتها .

٢ ـ الحيوانات والطيور والحشرات والاسماك .

٣ ـ العلوم والفنون والصنائع والتقاليد والعادات واللباس .

٤ ـ نظام الحكم ووظائف الداى والآغة وضباط الميليشيا التركية .

٥ ـ اهمية هذه الميليشيا وهيئتها وشوكتها ومرابطها ومرتبات افرادها وطريقتها في الحرب والسلم مع ملاحظات مختلفة .

والمجلد الاول هو اهم ما في الكتاب لانه يرشدنا الى الدافع الذى من اجله عاش القس شو بالجزائر مدة اثنتى عشرة سنة . كتب اربعين صفحة لكشف اسرار القوى الجزائرية التي كانت الدول الاوروبية متشوقة لمعرفتها ومتطلعة لاستكناه حقائقها ومتشوقة لمعرفة نظامها الدقيق . فالكتاب أحرى بأن ينسب الى ضابط استعلامات بدلا من ان ينسب الى رجل دين .

اما الفصول الخمسة التي اشتمل عليها المجلد الثاني فتحتوى على وصف للعمالات الخمس :

تلمسان . فالجزائر . فتيزى . فقسنطينة . فالزاب.وكل وصف لا يخلو من ذكر مسهب ووصف مدقق لمواقع الجيش وتعداده وتكناته .

ولعل المؤرخين في المستقبل يصححون بعض الاخطاء ويضعون الامور في انصبتها وينطلقون معتمدين على بعض هذه الحقائق لرد بعض الافتراءات التي حرص كاتبوها المغرضون او المأجورون على ترديدها لطمس الحقيقة وللافتراء على التاريخ مدة احقاب من الزمن . ■■

نور الدين بن محمود

صاحب «الثريا» و «الاسبوع» التونسيتين سابقا



من الكتب التي وصلتنا

التوجيه في المدرسة

تأليف : دونالدج . سورتنسن الن م . شمولر ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ وابراهيم خليل دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ١٢٢ قرشا .

● من احدث الكتب في ميدان التوجيه في المدرسة ، ويمتاز الى جانب الشمول بدقة العرض وسلامة المحتوى كما ان فائدته لا تقتصر على المتخصصين في التوجيه وحدهم وانما تمتد أيضا الى سائر المعنيين بالهدف الأساسي للتربية .

رصيد البنك الكبير

تأليف : كاترين فوربز ـ ترجمة : احمد محمد عيسى ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ١٧ قرشا

● هذه قصة رائعة تصور كفاح اسرة من أجل حياة كريمة وسط حياة صاخبة أحيانا وهادئة أحيانا أخرى وكان للام فيها دور هام في رفع مستوى تلك الأسرة ثقافيا واقتصاديا ـ وذلك باسلوب شيق جميل .

ابن بيلا .. الاسطورة

تأليف : غالب عبدالرزاق ـ دار منشورات البصرى ببغداد الثمن ١٠٠ فلس عراقي

● في هذا الكتاب تجد القصة الكاملة لثورة الجزائر كتبها مؤلف عرف معظم أبطال الثورة معرفة شخصية .

سلام في فلسطين

تأليف : ادمون خياط ـ شركة الطبع والنشر اللبنانية ببيروت

● في هذا الكتاب صور حية عن المشكلة الفلسطينية ومآسيها الدامية .

الاصلاح الزراعي في تايوان

تأليف : شن شنغ ـ مطبعة سيما بلبنان .

● يبحث هذا الكتاب في مشكلة توزيع الأرض تلك المشكلة التي تعد من أقدم المشاكل الاجتماعية التي عرفها الانسان . ويصف الكاتب باسهاب واف مفيد كيف قامت حكومة الجمهورية الصينية بحل هذه المشكلة في مقاطعة جزيرة تايوان .

المطالعات في مختلف المؤلفات

تأليف : السيد محمد علي الحمامي ـ مطبعة الآداب النجف الأشرف .

● يستعرض هذا الكتاب جانبا كبيرا من تاريخ حياة التأليف في مراحله الثلاث ، مرحلة الكتابة الحجرية ومرحلة الكتابة على الرق والقرطاس والمرحلة الاخيرة التي يتمتع فيها عصر انشاء الطباعة. كما يعالج المؤلف كثيرا من المشاكل الاجتماعية التي جاءت من قبل بعض الكتاب والمؤلفين الذين يكتبون اشباعا لرغباتهم الخاصة .

قطرات من ظمأ

من نظم غازي عبد الرحمن القصيبي ـ مطابع دار الكتب ببيروت الثمن ٢٠٠ قرش لبناني

● مجموعة شعرية من نظم الشاعر .

ثورة العراق سنة ١٩٢٠

تأليف : الفريق سر الم هولدين ترجمة : فؤاد جميل ـ مطبعة الزمان ببغداد ـ الثمن ٩٠٠ فلس عراقي

● ضم هذا الكتاب بين دفتيه معلومات قيمة مهمة عن هذه الثورة العظيمة بقدر ما تيسر للمؤلف من تقارير رسمية وما حصل عليه من خبرة شخصية وهو يدير الحركات الحربية بازاء الثوار البواسل والكتاب يعد من أهم المصادر في دراسة « ثورة العشرين » . ■ ■

أنت تسأل ونحن نجيب



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

لماذا لا يجوز لغير المسلمين
دخول مكة والمدينة والاقامة فيهما ؟

● أنا مصور صحفى ، على صلة بالصحف الأجنبية من أمريكية وانجليزية وفرنسية ، اذ أزودها بصور تاريخية وغير تاريخية للبلاد العربية . وقد قمت أخيرا برحلة فى الخليج العربى ثم فى الجنوب العربى ، ولكنى لما أردت تصوير الأماكن المقدسة فى مكة والمدينة لم يسمح لى بدخول هاتين المدينتين لأنى مسيحى ، وان كنت عربيا ، ولأن دخولهما ممنوع لغير المسلمين .

فما هو سبب المنع ؟ وهل هناك فى القرآن أو فى الحديث الشريف ما ينص عليه ؟ علما بأن السياح الأجانب ـ وهم من غير المسلمين ـ يدخلون المساجد التاريخية كالأزهر الشريف ومسجدى الامام الحسين والسيدة زينب وغيرها بالقاهرة وبغداد وغيرهما ، ويقومون بتصويرها من الداخل والخارج على السواء .

أ. ع/بيروت

ـ يقول سعادة الشيخ حافظ وهبه ، سفير المملكة العربية السعودية بلندن ، فى

وافق شن طبقة

● كثيرا ما نقرأ فى الأمثال العربية القديمة مثلا يقول « وافق شن طبقة » . فما معنى « شن » ، وما معنى « طبقة » ، وما هو مغزى هذا المثل ؟

عبد الصاحب جعفر / بغداد

ـ كان « شن » رجلا من أذكياء العرب ، أراد ان يتزوج فتاة فى مثل ذكائه ، فراح يبحث هنا وهناك عسى ان يجد ضالته . وبينما هو فى تجواله ذات يوم التقى باعرابي عرض عليه ان يكون رفيق طريقه ، فسأله شن « أتحملنى ام احملك ؟ » ، فدهش الاعرابى وقال : « ايها الجاهل .. هل يحمل الراكب الراكب ؟ » وانطلقا .. حتى اذا رأيا زرعا قد اينع وحان حصاده سأل شن صاحبه : « أترى هذا الزرع قد اكل ام لا ؟ » فقال له الرجل : « يا جاهل .. اما تراه قائما؟» وانطلقا .. حتى رأيا جنازة ، فقال شن لصاحبه: « أترى صاحب هذه الجنازة حيا ام ميتا ؟ »

مؤلفه القيم « جزيرة العرب » عن منع غير المسلمين من دخول الحجاز ما نصه :

« لقد جرى العرف على الا يدخل البلدين المقدسين ، مكة والمدينة ، غير المسلمين . ومنشا هذا ما روى عن ابن عباس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى مرض موته : « آخرجوا المشركين من جزيرة العرب » . وان عمر سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا آدع فيها الا مسلما ». وان عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : « آخر ما عهد النبى أنه قال : لا يترك بجزيرة العرب دينان » ، وان ابن عمر قال : « ان عمر أجلى اليهود والنصارى من ارض الحجاز ، وانه أجلى يهود خيبر الى تيماء واريحيا » . وحكى الحافظ بن حجر فى « الفتح » فى كتاب الجهاد ، « ان الذى يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة ، وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها ، لا ما سوى ذلك مما يطلق عليه جزيرة العرب ، لاتفاق الجميع أن اليمن لا يمنعون منها مع انها من جملة جزيرة العرب » . وعن الحنفية « يجوز مطلقا الا المسجد » . وعن مالك « يجوز دخولهم الحرم للتجارة » . وقال الشافعى : « لا يدخلون الحرم أصلا الا باذن الامام لمصلحة المسلمين ».

« وذكر فى المغنى أنه لا يجوز لغير المسلمين دخول الحرم للتجارة . وبهذا قال الشافعى . وقال ابو حنيفة : « لهم دخوله كالحجاز كله ، ولا يستوطنون به ، ولهم دخول الكعبة . والمنع من الاستيطان لا يمنع الدخول والتصرف » .

وذكر صاحب « المغنى » أيضا أنه يجوز لهم دخول الحجاز للتجارة ، لأن النصارى كانوا يتجرون الى المدينة فى زمن عمر .

ويؤيدهما ورد فى كتاب أخبار مكة للازرقى ما نصه :

« ... واخبرنى جدى قال : أول من عمل القبة بين زمزم وبيت الشراب المهدى فى خلافته ، عملها لهم أبو بحر المجوسى النجار ، وكان جاء به عيسى بن على بن عبد الله بن عباس (رض) الى مكة من العراق » .

ويؤيده أيضا ما ورد فى تاريخ المدينة للمطرى :

« ... وارسل الوليد الى ملك الروم فقال : انا نريد أن نعمر مسجد نبينا الاعظم ، فاعنا بعمال وفسيفساء . فبعث اليه بثمانين عاملا : أربعين من الروم واربعين من القبط ، وثمانين الف مثقال ، وباحمال من الفسيفساء وباحمال من سلاسل للقناديل » .

(وقد وضعت الحكومة الحالية تشريعا ، من مقتضاه الا يدخل الحجاز من يدخل فى الاسـلام الا بعد مضى سنة على اعلان اسلامه ، منعا لبعض الاوروبيين الذين يدعون الدخول فى الاسلام بقصد زيارة مكة أو المدينة فقط).

انتهى كلام الشيخ حافظ وهبه ، وفيه جواب ما تسال عنه بافاضة وتفصيل .

قال الرجل : « ويحك وهل يحمل الناس الى القبور أحياء ؟! » .

ووصل الاعرابى الى خيامه فاقسم على شن ليكونن ضيفه حتى يستريح .. وكان للرجل ابنة ذكية تدعى « طبقة » راح والدها يحدثها فيما بينه وبينها عن ضيفه الابله الغبى ، ويعيد عليها اسئلته العجيبة ، فنظرت طبقة الى أبيها وقالت: والله يا أبت ما صاحبك بابله ولا غبى ، بل لقد وهبه الله عقلا حاضرا ولسانا لافظا .. فاما قوله « اتحملنى أم احملك » فيعنى « اتحدثنى فى الطريق ام احدثك ؟ » واما قوله « أترى هذا الزرع قد أكل أم لا ؟ » فيعنى « هل باعه أهله فاكلوا ثمنه أم لا ؟ » واما قوله عن الميت « أحى هو أم ميت ؟ » فيعنى هل ترك خلفا يحيى به ذكره أم لا ؟ » .

فعجب الرجل لذكاء ابنته ، وخرج يتحدث الى « شن » بتأويلها لاسئلته فقال « شن » : هذه والله ضالتى المنشودة ، ثم خطبها ، وحملها الى اهله ، فلما راوا ذكاءها قالوا : « وافق شن طبقة » ، فذهبت مثلا ..

الأباضية : هل هم من الخوارج أم لهم مذهب مستقل عنهم؟

« أسوأ الخوارج حالا الغلاة ، واقربهم الى قول أهل الحق : الاباضية »

الامام ابن حزم

قرأت فى باب « أنت تسأل ونحن نجيب » اجابة على سؤال عن «الاباضية» وانى اذ اسجل اعجابى وتقديرى لمجلة « العربى » التى ما فتئت تتحف القراء بمختلف أنواع العلوم والفنون ، وتزودهم بثقافة واسعة فى شتى المجالات والميادين ، ليسعدنى أن أعقب على ما تضمنته اجابة السيد الكاتب عن حسن قصد ، أو لعدم توفر المصادر اللازمة لديه. فأقول ان الاباضية مذهب مستقل بذاته وليسوا بخوارج ، لانهم لم ينكروا نصا شرعيا ، ولانهم لم يثبت أن عملوا بما يخالف المقطوع به من نصوص الشريعة الاسلامية .. فقط كان رأيهم فى موضوع التحكيم الا يقبل الامام على كرم الله وجهه تحكيم المحكمين لانه خليفة المسلمين الشرعى باجماعهم ، ومجرد قبوله للتحكيم يطعن فى خلافته.

واتفاق الاباضية والخوارج فى قضية عدم قبول التحكيم لا يجعل الاباضية خوارج ، كما لا يجعل الخوارج أباضية .. والأباضية فرقة واحدة من الأمة الاسلامية الكبرى ، أو مذهب واحد ، ولم نعرف ونحن أتباع هذا المذهب أن الاباضية بدورهم ينقسمون الى أربع فرق .

ولم يكن الاباضيـــة فى يوم مــا متزمتين فى آرائهم ، ولا جامدين فى أفكارهم ، ولا أشداء فى احكامهم كما يقرر الكاتب ، وهم عندما يطلقون كلمة الكفر على عصاة المسلمين يقصدون من ذلك « كفر نعمة » لا « كفر شرك » ، استنادا الى الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة .

وليس صحيحا أن الاباضية يرفضون الاستدلال بغير نص الكتاب والسنة دون القياس والاجماع .

أما فيما يتعلق برأى الاباضية فى الامامة فذلك ما أصاب فيه السيد الكاتب حقا . فالأباضية لا يشترطون لزوم الامامة فى قريش لأنهم يرون الا يلى شئون المسلمين وأمورهم الا من توفرت فيه الكفاءة الدينية والكفاءة العلمية والكفاءة العقلية والخلقية بقطع النظر عن جنســه ولونــه ، والــدين الاسلامى يعلــن فى صراحــة ووضــوح الا تفاضل بين بنى البشر الا بالتقوى وبما يقدمونه من خدمات فيها خير ونفع للمجتمع الاسلامى .

وليس صحيحا كذلك أن الاباضية يتحاملون على الامامين عثمان وعلى ، وان كانوا أخـــذوا عليهما مآخذ لم تبلغ الى درجة التحامل .

ورغم ذلك فالاباضيــة يجلونهما ويقدرون ما لهمـــا من ماض مجيد وتاريخ ناصع الصفحات .

افلح بن جابر
طرابلس الغرب ـ ليبيا

ـ نشكر للسيد أفلح رسالته القيمة ، وان كنا قد اختصرنا بعض ما تضمنته من تفاصيل لا تتسع لها صفحات هذا الباب . كما نشكر للسادة سعود سعيد البوفارى، ويوسف، وعيسى الباروني، وعلى محمد على الطيواني ، على رســائلهم فى تاريخ الاباضية وحقيقة مذهبهم ، ونفى صلتهم بالخوارج ، تلك الصلة التى لم نبتدعها من عندياتنا وانما قال بها كثير من المؤرخين المسلمين والاجانب. كالامام بن حزم الذى قال فيهم : « أسوأ الخوارج

شبه القارة الهندية
وكيف انقسمت الى دولتين ؟

● أكتب اليكم هذه الرسالة والحرب غير المعلنة بين الهند وباكستان ما تزال ، كي أسألكم عن أسباب انقسام شبه القارة الهندية الى دولتين هما الهند وباكستان ، وعن أسباب الحرب القائمة بين الدولتين ، وكذا عن أسباب تأييد الصين الشعبية لباكستان مع أن العلاقات بينها وبين الهند كانت الى عهد قريب علاقات ودية ، باعتبار الهند من دول الحياد ، بينما باكستان ترتبط بعلاقات قوية مع المعسكر الغربي المناوىء للشيوعية ؟

خالد محمد عبد الغفور / السعودية

ـ كانت القارة الهندية واقعة تحت السيطرة البريطانية منذ أواسط القرن السادس عشر ، بل كانت درة التاج البريطاني .. لكن هذه السيطرة اصطدمت في ربع القرن الاخير بوعي قومي اشترك في توجيهه الزعيمان الراحلان غاندي ومحمد على جناح وغيرهما ، فتوالت الثورات ضد الانجليز ، ولكنهم كانوا يقمعونها بالقوة . وأخيرا ـ في ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٧ ـ قررت بريطانيا تقسيم الهند الى دولتين هما الهند وباكستان ،وانسحاب قواتها منها . وفي ١٥ أغسطس من نفس السنة أعلن استقلال كل من الدولتين ، وانضمتا الى دول الكومنولث ، ثم الى الأمم المتحدة بعد ذلك .

والحرب التى نشبت أخيرا بين الدولتين ليست أول حرب من نوعها ، فقد سبقتها منازعات واحتكاكات مسلحة عديدة ، ولكن الأمم المتحدة كانت تحول دون تطور تلك الاحتكاكات الى حرب حقيقية ، رسمية .

اما أسباب النزاع فكثيرة ، ولكن أهمها الخلاف على ولاية كشمير ، الى أى الدولتين تتبع ؟

وصحيح أن العلاقات بين الهند والصين الشعبية كانت تتسم بروح الصداقة بسبب اشتراكهما في معسكر عدم الانحياز ، وارتباط باكستان بالاحلاف العسكرية مع المعسكر الغربى الذى يناوىء الشيوعية ، ويقف حائلا دون انضمام الصين الشعبية الى هيئة الأمم ، ويأبى أن يتخلى عن تأييده للصين الوطنية (فرموزا) التى هى احدى دول مجلس الأمن الدائمة !! لكن الخلاف الأخير بين الهند والصين الشعبية على الحدود المشتركة بينهما هو الذى أدى الى موقف الصين الشعبية من الهند ، وتأييدها لباكستان ، كوسيلة للضغط على الهند لتنزل عند رغبة الصين في مشكلة الحدود وغيرها ..

حالا الغلاة ، واقربهم الى قول اهل الحق الاباضية » ، وفي كتابه « الفصل في الملل والأهواء والنحل » كلام كثير عنهم ..

وقاله الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » .

وجاء مثله وأكثر منه في كتاب « الفرق بين الفرق » وغيره وغيره من كتب الاقدمين .

اما كتب المحدثين فمنها « في حاضر العالم الاسلامى » للامير شكيب أرسلان و « ضحى الاسلام » للاستاذ أحمد أمين ، و « تاريخ الجزيرة العربية » لسعيد عوض باوزير و « ادوار التاريخ الحضرمى » لمحمد بن احمد بن عمر الشاطرى ، وغيرها ، وكلها تؤكد ان الاباضية من الخوارج ، وأنهم اربع فرق ، وتتهمهم بالجمود والتزمت والشدة في مذهبهم الخ ..

فاذا كان ما نشرناه عن الاباضية قد جاء مخالفا لما كانوا عليه ، فما تلك غلطتنا ، وانما هى غلطة تاريخية وقع فيها كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين ، والأصل الشرعى أن ناقل الكفر ليس بكافر ..

« اللؤلؤ والمرجان ، فى تسخير ملوك الجان » !

● انا طالب جامعي ، بالسنة النهائية باحدى الكليات النظرية ، لى زميلة أهيم بها وأتمنى أن تغدو زوجة لي ، لكنني أخفقت في ان أجعلها تبادلني حبي ، أو حتى تحس بوجودي ، ثم تبينت انها مشغولة بزميل آخر وعدها بالزواج بعد أن يتخرجا .. وأخيرا وقع في يدى كتاب اسمه « اللؤلؤ والمرجان ، في تسخير ملوك الجان » ، يتضمن طائفة من الاعمال السحرية للمحبة والقبول ، والبغض والتفرقة ، وتسليط الامراض ، والانتقام من الاعداء ، فضلا عن الاخفاء والمشى على الماء والطيران في الهواء ، الى غير ذلك من الفوائد، وذلك بواسطة كتابة بعض الطلاسم وتلاوة « التعازيم » واطلاق البخور ، والقاء بعض الرقى والتعاويذ في الماء أو دفنها في القبور ، الخ ..

وقد فكرت في أن أستعين ببعض هذه الفوائد السحرية في جلب محبة فتاتي وجذب قلبها الى وصرفه عن صاحبها الآخر مهما كلفنى ذلك ، ولكنى رأيت أن أسألكم : هل هذه الاشياء محرّمة حقا كما يقول الكتاب ؟ وهل هناك خطر من استخدام الجان ، خصوصا أن المؤلف يقول في مقدمته ان أهم شروط العمل القدرة على « الخدّام » والا الحقوا به أذى كبيرا ؟!

دمشق ــ ح. س. ك.

ــ أعجب ما في رسالتك ان تصدر من طالب جامعي ، في السنة النهائية ، فضلا عن

الاتحاد السوفييتى بين الدكتاتورية الفردية والقيادة الجماعية

● متى عرفت روسيا باسم الاتحاد السوفييتى؟ ومن أى الدول يتألف هذا الاتحاد ؟ وكم عدد سكانها ؟ وهل بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا من دول الاتحاد ؟ وما هى الأسباب التى قضت على قداسة ستالين باعتباره خليفة لينين ؟

آنسة وفاء صبرى / الاسكندرية

ــ بعد أن انتصرت الثورة الروسية عام ١٩١٧ على أعدائها ، وتولى « لينين » رئاسة الحكومة الشيوعية الاولى ، أعلن فى روسيا دستور جديد، واصبحت تسمى « الاتحاد السوفييتى » وكان ذلك عام ١٩٢٢ .

ويتألف الاتحاد السوفييتى من جمهوريات : روسيا ، أوكرانيا ، روسيا البيضاء ، ارمينيا السوفيتية ، اذربيجان السوفييتية ، ازبكستان ، جورجيا ، تركستان ، قرغيزيا ، مولدافيا ، لتوانيا ، لاتافيا ، استونيا ، كازاخستان ..

ويبلغ عدد سكان الاتحاد السوفييتى حوالى ٢١٤ مليون نسمة (تعداد ١٩٦٠) .

وليست بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا من جمهوريات الاتحاد السوفييتى ، ولكنها دول شيوعية تدور فى فلك ذلك الاتحاد وترتبط به ارتباطا قويا ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

ففى الحرب العالمية الثانية كانت دول شرق أوروبا ــ وهى المجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وبلغاريا والبانيا ــ خاضعة للاحتلال النازى ، فلما بدأ الحلفاء ينتصرون على«المحور» دخلت القوات السوفييتية ــ التى كانت هى

انه يعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين ، اى فى عصر الذرة والصواريخ والاقمار الصناعية .. كيف تصدق ، وانت ما انت ، هذه الكتب وما تزعمه من امكان تسخير الجان والعفاريت فى شؤون الحب والغرام ، والكيد والانتقام ، فضلا عن الاخفاء ، والمشى على الماء ، والطيران فى الهواء ، الى آخر ما تتضمنه امثال تلك الكتب من سفسطة وهراء ؟

ولست ادرى كيف يغيب عن طالب جامعى مثلك ان هذه الوسائل السحرية لو كانت صحيحة ، لاستخدمتها الدول المختلفة فى حربها مع اعدائها ، لتضمن لنفسها الغلبة والنصر ، بدلا من ان تنفق فى سباق التسلح ما تنفق من بلايين الجنيهات والدولارات ، ثم تتعرض فى النهاية للخراب والدمار والشتات !

بل لو كان صحيحا هذا الهراء لاستخدمته الدول الكبرى فى افساد ما لدى المعسكر الآخر من قنابل ذرية ، ولاستخدمته الدول النامية فى معرفة سر هذه القنابل ، أو فى سرقة بعضها ، وهى سرقة مشروعة ، لا جريمة فيها ، ولا عقاب عليها ، لو كانوا عليها يقدرون !

بقيت كلمة .. ما دامت زميلتك قد اختارت من تأنس اليه ليشاركها فى رحلة الحياة، فلماذا تريد أن تقف فى طريقها ؟!

الحب يا صاحبى لا يكون بالسحر ، ولا باستخدام الجان ، وانما هو شىء يودعه الله فى قلوب من يشاء من عباده ، ودراستك اولى بهذا الوقت الذى تضيعه فى هذه الخرافات !

الاخرى فى حرب ضد « المحور » ـ هذه الدول لتحريرها من الاحتلال النازى ، واستطاعت بفضل العناصر الشيوعية التى كانت تتزعم مقاومة المحور بعد انضمام الاتحاد السوفييتى الى الحلفاء فى محاربة النازية ، أن تدعم نفوذها فى تلك الدول وتسيطر على الحياة السياسية فى داخلها ، ولم تحاول دول الحلفاء أن تقف فى وجه التيار الشيوعى خشية انقلاب الاتحاد السوفييتى عليها ، وكانت النتيجة أن تحولت هذه الدول الى دول شيوعية .

وكذلك كان حال يوغوسلافيا حتى عام ١٩٤٨ ، حيث وقع الخلاف بينها وبين الاتحاد السوفييتى بسبب دكتاتورية ستالين ، ومحاولته التدخل فى شئون يوغوسلافيا الداخلية . وتبادل الفريقان التهم ، وانتهى الأمر بحدوث قطيعة بينهما ، وقرر « الكومنفورم » طرد يوغوسلافيا من الكتلة الشيوعية .

وقد ظل الخلاف قائما بين الدولتين الى ما بعد موت ستالين ، وخلفه خروشوف ، فوقع مع المارشال تيتو بيانا مشتركا خفف من حدة النزاع ، ومع ذلك فان يوغوسلافيا ما تزال مستقلة فى سياستها عن الكتلة الشيوعية .

ولما خلف خروشوف ستالين بعد موته حمل عليه حملات شعواء وهاجم سياسته ودكتاتوريته الفردية والمحاكمات التى كان يجريها للتخلص من خصومه بعد تعذيبهم،وكيف انه اهان زوجة لينين، وقد كان لينين قد اوصى بألا يتولى ستالين سكرتيرية الحزب الشيوعى .

وكان لهذه الحملات اثرها فى القضاء على قدسية ستالين المصطنعة ، وفى التخلص من عملائه فى دول شرق أوروبا ، ورد الاعتبار للذين ذهبوا ضحية استبداده .

والعجيب فى الأمر ان خروشوف استند فى مهاجمته لستالين الى دكتاتوريته الفردية، وطالب بتطبيق سياسة « القيادة الجماعية » .. وهذه هى نفس الاسباب التى استند اليها العهد الجديد فى الاتحاد السوفييتى لاقصاء خروشوف عن منصبه !

البخارى .. والحديث

● قرات مقال الشيخ محمد ابو زهرة عن البخارى ، فاذا هو يقول تحت عنوان « النبي ينهى عن كتابة كلامه ثم يجيز » ، ما يلي :

« ولقد هموا فى اول الرسالة ان يكتبوا كلامه فنهاهم . حتى لا يختلط عليهم قوله بالقرآن . حتى اذا استطاعوا ان يفرقوا بين كلام الحق وكلام الرسول ـ فى آخر حياته ـ أذن عليه السلام لمن ارادوا الكتابة ان يكتبوا . فاذن لعبد الله بن عمرو بن العاص ان يكتب فكتب هو غيره » ، أ هـ .

وكنت قد قرات فى كتاب « اضواء على السنة المحمدية » احببت ان يطلع عليه الاستاذ « ابو زهرة » والذين قراوا مقاله ولم يتيسر لهم قراءة كتاب « اضواء على السنة المحمدية » .. فقد جاء فى ص ٤٦ و ص ٤٧ من الاضواء ما يلي :

« وقد ذكروا ان نهى النبي (ص) عن كتابة حديثه انما كان لخوفه من اختلاط الحديث بالقرآن وهو سبب لا يقنع به عاقل عالم . ولا يقبله محقق دارس اللهم الا اذا جعلت الاحاديث من جنس القرآن فى البلاغة وان اسلوبها فى الاعجاز من اسلوبه ، وهذا ما لا يقره احد حتى ولا الذين جاءوا بهذا الرأى ! اذ معناه ابطال معجزة القرآن وهدم اصولها من القواعد .

هذا على ان الاحاديث لو كانت قد كتبت قائما ذلك على انها احاديث للنبى (ص) وبين الحديث والقرآن ولا ريب فروق كثيرة يعرفها كل من له بصر بالبلاغة وذوق فى البيان أ هـ .

وجاء في ص ٤٧ ما يلي :

وقد يكون قريبا من الصواب في حكمة نهي النبي عن كتابة حديثه هو لكي لا تكثر أوامر التشريع ولا تتسع ادلة الاحكام. وهو ما كان يتحاشاه (ص) حتى كان يكره كثرة السؤال — او يكون من احاديث في أمور خاصة بوقتها لا يصح الاستمرار في العمل بها أ هـ . مثل حديث « من أكل لحم جزور فليتوضأ » القصة المعروفة .

واليك هذين الخبرين اللذين حدثا على عهد الخليفة عمر بن الخطاب وعهد معاوية . جاء في ص ٤٣ ما يلي :

« روى ابن سعد عن عبد الله بن العلاء قال : سألت القاسم بن محمد ان يملي علي احاديث . فقال : ان الاحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فانشد الناس ان ياتوه بها فلما اتوه امر بتحريقها ثم قال : مثناة كمثناة اهل الكتاب — « يقصد اليهود » بمجموعة الاسرائيليات — فمنعني القاسم ابن محمد يومئذ ان اكتب حديثا ».

وجاء في ص ٤٣ ايضا :

« ودخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث ، وأمر انسانا ان يكتبه ، فقال له زيد « ان رسول الله (ص) امرنا ان لا نكتب شيئا عن حديثه » ، فمحاه .

ونحن نرجو الشيخ « أبو زهرة » ان يتلطف بالاجابة عن المصادر الوثيقة التي تثبت ان النبي (ص) اجاز في آخر حياته بان تكتب الاحاديث عنه بعدما ذكرنا ما اورده الشيخ ابو رية وهو جزء يسير مما اتحفنا به ، فليراجع المصدر من أراد المزيد والايضاح . وأخيرا اسأل

الشيخ « أبو زهرة » عن تفسير الآية « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فكيف يكون حفظ الله للقرآن ان كان النبي يخاف من اختلاط قوله وقول غيره بالقرآن ؟

العراق ـ البصرة — شريف الدين شبر

ردود خاصة

● **السيد الياس عبده : المدينة المنورة**

ـ مشكلتك أهون من أن تشغلك الى هذا الحد ، وانطواؤك من اجلها على نفسك لا يتفق وما تذكره عن ثقافتك وفهمك العميق للحياة والناس . ان قيمة المرء ليست فى هيئته ولا فى شكله، فدع اليأس والقلق والانطواء ، واندمج فى مجتمعك ، وستجد عندها أن الحياة جميلة وان النجاح فيها أجمل .

حول مقال « الشخصية الحقوقية »

● تعقيبا على النقد الذى ذكرته الآنسة نبيهة خليل حول مقالي عن « الشخصية الحقوقية للمرأة فى الاسلام » ، أقول ان هذا المقال « ليس منقولا عن أحد ، انما هو ايجاز وتبسيط لبحث من أبحاث اطروحتي ورسالتي التي نلت بها شهادة الليسانس والاختصاص فى الحقوق من الجامعة السورية عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ ، والتي كانت باشراف استاذى الدكتور عدنان القوتلي ، وعنوانها : « خطرات فى مكانة المرأة بين الجاهلية والاسلام » ...

لذلك أرجو نشر هذا الايضاح .

مجيدة شنن ارسلان

اجازة فى الحقوق

ودبلوم فى الحقوق الخاصة / حلب

البقية على صفحة ١٥٤

من شعر القراء

بقية المنشور على صفحة ١٥٢

ذل الذى يعتز بالماضى فقط !

من يرعب الايام وقع خطاه
تجرى حثيثا نحو نيل مناه
ويسير مرفوع الجبين الى غد
يعنو اليه جبين من عاداه
ليست حياة المرء ملك يمينه
الا اذا بنت الاساس يداه
هبني حييت على حطام اوائلي
وكانني رغم البلى احياه
هل ينفع الظمآن ورد سائغ
في غفوة حلمت به شفتاه .. ؟
لا ينفع الولهان طيف حبيبه
وحبيبه تحت الثرى مثواه
ذل الذى يعتز بالماضي اذا
عزت عليه مكاسب .. او جاه

عبد الرزاق العائش
الموصل



اضحك تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك ..

منطق الاطفال !

● اعجب طفل فى الثامنة بجمال زميلة له فى مثل عمره. وفيما كانا يلعبان ويلهوان بادر الى طلب يدها والزواج منها حرصا على البقاء الى جانبها .. وجاء رد الطفلة مخيبا لآماله اذ اعتذرت عن قبول طلبه ، قائلة : هذا غير ممكن .. فعائلتنا حريصة على الا تزوج ابناءها وبناتها الا من الاقارب بدليل ان أمي قد تزوجت من ابي وجدتي من جدى . وامراة عمي من عمي ..!

أحسن دعاية !

● اتصل احد مصانع المستحضرات الخاصة باستنبات الشعر فى رؤوس الرجال الصلع ، برسام اشتهر باعداد الصور والرسوم الاعلانية ، وطلب منه موافاته بصورة مبتكرة تظهر مدى فعالية تلك المستحضرات ، وذلك بصورة راس احدهم قبل استعمالها ، ومن بعد استعمالها ، وذلك ضمانا لرواج هذه المستحضرات فى الاسواق . ولم تمض ساعة حتى عاد الرسام وبيده صورة تفوق فى نظره كافة الصور الاخرى تحقيقا للغاية المنشودة . اما تلك الصورة فلم تكن سوى صورة خروشوف ، والى جانبه فيدل كاسترو !!




على دفعات ..!

● اضطر احدهم الى ترك سيارته فى الكراج . وكان موضع دعابة اصدقائه ومزاحهم نظرا لحجمه الكبير ، ووزنه الثقيل الذى جاوز الـ ١٣٥ من الكيلوجرامات . وفيما كان ينتظر سيارة تكسى تنقله الى البيت ، رأى صديقا له منطلقا فى سيارته الصغيرة ، الفولكس فاجن ، فاستوقفه قائلا : هلا أوصلتني الى بيتي فى سيارتك ، فسيارتى فى الكراج وسيارات التكسى قلما تمر من هنا ؟

الصديق : يا مرحبا .. ولكن بشرط ان يكون النقل على دفعات ...

تطبيق عملي !

● اكتشف استاذ التربية وعلم النفس ، فيما كان يحاضر ويؤكد لطلابه فى احد الصفوف ان مقياس نجاح المعلم فى اداء رسالته انما يتمثل فى مدى ما يستطيع ذلك المعلم اثارته من اهتمام طلابه بمحاضراته وتتبعهم لحديثه .. اكتشف ان معظم الطلاب الذين كان يحاضرهم فى ذلك كانوا نياما يغطون فى سبات عميق .

موظف .. بلا عمل !

● المدير العام لأحد موظفيه فى المستشفى : « لاتقلق يا مختار ابدا . فزملاؤك فى الدائرة على اتم استعداد للقيام باعمالك اثناء غيابك .. وذلك حالما يتسنى لنا اكتشاف ما كنت تقوم به من اعمال ... !

مسابقة العربى (بقية صفحة ١٩)

٢ ـ ارفق باجابتك كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٣ ـ أكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٤ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الاتى :

مجلة العربى ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت (مسابقة العدد ٨٤) .

٥ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٥ .

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

نتيجة مسابقة العدد ٨٢

الاجابات الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

■ عواصم الدول موضوع المسابقة هى بالترتيب الآتى : هانوى . سايجون ، بيونج يانج . سيئول . سالسبورى . لوساكا . برلين الشرقية . بون . بكين . تايبيه . سيئون . المكلا . نيودلهى . كراتشي سابقا وروالبندى حالا . جيبوتي . مقديشو . نواكشوط . الرباط . برازفيل . ليوبولدفيل .

ولم يكتف كثير من القراء بذكر أسماء ١٥ عاصمة ، بل ذكروا العواصم العشرين كلها .

وقد أسفرت عملية القرعة عن فوز السيدات والسادة الآتية أسماؤهم بالجوائز الآتية :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها : سهام السيد ـ حلب ـ سوريا

٢ ـ **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها: عبد اللطيف البحراوى ـ الرباط ـ المغرب .

٣ ـ **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها: احمد محمد احمد عبدالله ـ الابيض ـ السودان.

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها السيدات والسادة :

١ ـ محمد عبد الله الحميضى : الكويت

٢ ـ موريس فايق سلامة : القاهرة (ج٠ع٠م)

٣ ـ على حمادى الجبورى : الموصل ـ العراق

٤ ـ تواصيف عبد الرحيم أبو نوار : جرش ـ الاردن .

٥ ـ يوسف حسين ناجي : بيروت ـ لبنان

٦ ـ حسين محضار ناجي : تعز ـ اليمن

٧ ـ أحمد حسين المرغني : طرابلس ـ ليبيا

٨ ـ جمعة سعيد المشرق : الشارقة ـ الخليج العربى .

وسترسل الجوائز الى أصحابها . ■■

العربي

شعبان ١٣٨٥
ديسمبر
نون اول) ١٩٦٥



اطلب

ربي الصغير

هذا العدد

جوائز

١٢٠٠

ار سنويا

السماء دائما

الانظار بالآمال

الثمن

	١١٠	فلوس
عربي ٢		روبية
ة	٢	ريال
	٣ر٥	شلن
	١٢٠	فلسا
	١٠٠	قرش
	١٠٠	فلس
	١٠٠	قرش
	١٠	قروش
	١٠	قروش
	١٥	قرشا
	٢٠٠	مليم
	٢٠٠	مليم
	٢	درهم

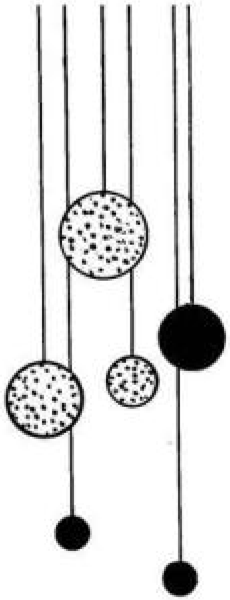


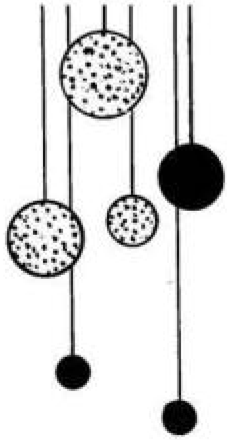
حضارات سادت
ثم بادت

الحضارة الرومانية

■ الحضارة الرومانية هي احدى تلك الحضارات التى سادت ثم بادت ، أو لعلها بادت ثم سادت . .

(انظر صفحة ٥٥)





عزيزى القارىء

العــدد القــادم

عدد رأس السنة (١٩٦٦)

عدد ممتاز

مع هدية رائعة ملونة ، منفصلة ، هي جزء لا يتجزأ من العدد

اطلبها من البائع

١٥٠٠٠ نسخة

وكــل عــام وأنتم بخــير

المحــرد

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

اسلاميات :

طب وعلوم :

ركن الذرة والفضاء :

تربية وعلم نفس :

تاريخ وتاريخ أشخاص :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = NO. 85 December 1965 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ – تلفون ٣٩٤١١ – تلغرافيا «العربي»
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة – قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

العدد القادم عدد ممتاز

لم نستطع أن نطبع منه غير ١٥٠٠٠ نسخة ترسل الى الأسواق

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٢ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٥ر٢ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



أى الروايتين أصح ؟

● كنت اطالع فى مجلتنا « العربي » موضوع« العاب الكرة عند العرب » بقلم « ابراهيم محمد الفحام » فتعلقت بنظرى عبارة منعته من مواصلةتنقله على ظهر السطور . جاءت هذه العبارة تحت عنوان : « اول من لعب من العرب بالصولجان » .

فبعد أن اورد الكاتب اول من لعب بالصولجان من العرب ثم من الخلفاء قال : « ويروى ان المعتصم قسم اصحابه يوما للعب فجعل قائده الافشين فى فريق غير فريقه . فقال الافشين : يعفينى امير المؤمنين من ذلك . فلما سأله عن السبب قال : لانى ما ارى أن أكون على امير المؤمنين فى جد ولا هزل » .

وكنت فى نفس اليوم انقل نظرى على صفحات كتاب « يزيد بن مزيد الشيباني » للدكتور عبد الجبار الجومرد . ، وعرضت لي فى اثناء الكتاب عبارة مشابهة لتلك التي اوردناها من حيث المعنى ، مختلفة معها من حيث الشخصيات، فالأشخاص هنا : الخليفة هارون الرشيد وقائده يزيد بن مزيد الشيباني ، وينسب الدكتور الجومرد عبارته الى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٣٧٧ .

فاى الكاتبين على صواب ؟

محمد علي حسن / حلة / العراق

« العربى » : كان يزيد بن مزيد الشيباني أسبق من الأفشين من حيث الزمن ، والدكتور عبد الجبار الجومرد كاتب محقق حتى لقد لقب « مؤلف هرون الرشيد » وهو يستند فى رواية قصة الرشيد مع قائده الى مراجع ثقة . ومع ذلك فليس بمستبعد أن تكون القصة قد تكررت بين المعتصم وقائده الأفشين ، بعد ذلك ببضع سنين .

رفيدة .. لا كعيبة :

● الكاتبة سنية قراعة ، باحثة ذات يد طولى فى كشف النقاب عن المسلمات اللواتي تصدرن التاريخ العربي خالدات بفخار واعتزاز . وهى مشكورة فى جهدها القيم هذا .

وفى العدد ٨٣ من « العربي » عزت اولية الطب والتمريض ــ فى المسلمات ــ الى كعيبة الاسلمية اذ قالت : « من اجل هذا انشأت كعيبة وفى حدود علمها واخلاصها اول عيادة للتمريض ... وهكذا كانت كعيبة اول ملاك رحيم يحوم بالحنان والحدب فى سماء يثرب ... »

بينما نرى ــ فيما قرأنا ــ ان رفيدة الأسلمية قد سبقتها فى هذه المهنة ، فقد قال عنها ابن اسحاق : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من اسلم يقال لها رفيدة ، كانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كان به أذى من

العدد القادم من

العربي

هو

العدد السنوى

الممتـــاز

البارودى فى غزله وفى رثائه

● فى مقالة الدكتور محمد محمود الدش عن البارودى فى غزله وحبه جاءت عبارات اوفت للبارودى حقه من التقدير والاحترام فى موضوع شعره عن الحب والغزل ، ولكنى استغربت من الدكتور عدم تعرضه لشعر البارودى فى الرثاء الذى اجاد فيه البارودى ، واحتل شعره بذلك مكانة مرموقة لا تقل اهمية عن مكانة شعره فى الحب والغزل وله فى ذلك قصائد رائعة ، واود ان اذكر مطلع القصيدة الرائعة التى رثى بها زوجته حين سمع بخبر وفاتها وهو فى المنفى :

أيَدَ المنون ، قدحتِ ايَّ زناد ؟
واطرت أيةَ شعلة بفؤادى ؟

لذا نرجو أن لا نبخس من قدر البارودى ، ونقلل من فضله فى موضوع الرثاء فى شعره ، بل نذكر فضله باعتزاز وفخر فى كافة ميادين الشعر .

القارىء محمد روحي محمد / القامشلي

أول طبيبة فى الاسلام

المسلمين . وقد كان رسول الله قد قال لأصحابه حين اصيب احدهم :

« اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى اعوده من قريب » .

وجاء فى كتاب «الاسلام والطب» للدكتور شوكت الشطي : « ان رفيدة طبيبة متميزة بالجراحة ولذلك اختارها الرسول لتقوم بالعمل فى خيمة متنقلة » .

وبهذا تكون رفيدة أول طبيبة وأول جراحة وأول ممرضة فى أول مستشفى حربي متنقل فى الاسلام .

وقد جاء فى كتاب « اعلام النساء » ان « الشفاء بنت عبد الله » صحابية جليلة اسلمت قبل الهجرة ، وعقب على ذلك الدكتور شوكت الشطي فقال فى كتابه « الاسلام والطب » : « ان الشفاء اشتغلت فى الطب ومما اشتهرت به معالجتها النملة (الاكزيما) . فاذا استثنيا الشفاء من الطبيبات المسلمات وجدنا ان رفيدة الأسلمية هي أول طبيبة وأول ممرضة (ملاك رحيم) فى المسلمات الخالدات .

مختار فوزى النعال / القنيطرة / سوريا

● .... وقد وردت قصة « رفيدة » وسعد ابن معاذ مفصلة فى سيرة ابن هشام (الجزء الثالث صفحة ١٩٢) عند الحديث عن تالب الأحزاب .

وقد بلغ من شهرة رفيدة ان تناولها الشعراء بشعرهم ، ومنهم الشاعر المصرى احمد محرم الذى خلدها فى ملحمته الاسلامية ، وهو يصف مشهدا من مشاهد قتال المسلمين ، يوم الاحزاب ، ومطلع هذا الجزء :

رفيـدة علمي النـاس الحنانـا
وزيـدى قومـك العالـين شانا
خـذى الجرحـى اليـك فأكرميهـم
وطوفـي حولهـم آنـاً فآنـا

الى آخر القصيدة ، فليرجع اليها من يشاء .

محمد صلاح الدين قضيب / دمنهور / ج٠م٠ع

بقلم رئيس التحرير

إِسْرَائِيل مِنَ القُنْبلةِ الذَّرِّيَّة "قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى"

يضطرنا السياق، والحاجة الى الايضاح، الى خوض فى الحقائق العلمية خوضا غير عميق. والحقائق التى نوردها فى هذا المقال هي من بسائط العلم الحديث، وتدخل فى برامج التعليم فى المدارس الثانوية فى الامم المتقدمة. والالفاظ التى نذكرها هنا ليست بغريبة هناك على سمع الصبي المراهق الدارس والصبية، وقد صارت بين اهل الثقافة فى تلك البلاد، بعض لغة العصر، عصر الذرة

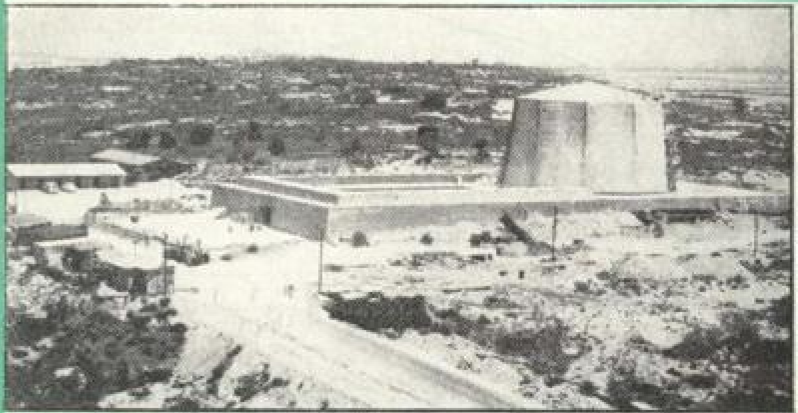
● "الذَّرَّة فى خِدمَة السَّلام" عُنوانُ بَرّاق

● يَتَنَبَّأ العُلَماء بِأَنَّ إِسْرَائِيل سَتُصبِح الدَّوْلَة الذَّرِّيَّة السَّادِسَة

قَنابِل مِن نَوْع آخَر زَرَعَها رِجال الغَرب

■ كان حلما، لا كسائر الاحلام. كان فيه من وضوح الرؤية فى العين، وبيان اللفظ فى السمع، ما لم يكن من العادة اجتلاؤه. ومع ذلك كان فيه من الخلط فى الصور، ومن الجمع بين ظلمة ليل، وضحوة صباحه، ما لا يجيزه الا عقل نائم.

دق باب البيت، ونحن نيام، وذهبت مسرعا الى ناحية الدق استطلع، فاذا راس رجل، ذى عنق طويل، كعنق الاوزة، يدخل من فرجة الباب، ويقول بصوت حازم جاد: دولة العصابات فجرت الذرة. وترك الباب مسرعا الى باب الجيران يدقه، فالى جيران الجيران، فكأنما كنا نسكن فى معسكر، والطريق خال، متصل السواد، الا من صفوف متباعدة من مصابيح كانت ترسل نورها فى بياض خافت.



المفاعل الذرى ديمونا لاسرائيل فى النقب

تسربت منه أسرار الذرة

اليورنيوم كثر إنتاجه فأصبح يعرض للبيع ولا يجد مشتريا

في شتى البلاد العربية

واصبح الصباح فى لحظة ، فاذا بنا نسير فى شوارع واسعة مديدة ، ملأها الناس ، فكأنما قامت فى هذا البلد الكبير القيامة . ونسمع من يقول : فجروها ولكنها لم تنفجر . وسألنا متى وأين تفجرت ، فلم يبال احد بسؤالنا . وسألنا عن امريكا ، قال قائل ، تظاهرت بالغضب .

واذا بطوابير متراصة كأنها الجند ، تمخر هذه الجموع ، وهي تصيح هاتفة غاضبة .

وكان بصحبتي ، صديقي الحميم ، الدكتور احمد امين ، يتحدث الي حديث الحياة . لم يدر فى خلدى وانا نائم ، انه ذهب عن الدنيا من اكثر من سنوات عشر ، وانه انما كان يتحدث الى بصوت يأتي من وراء الغيب . قال الصديق

العزيز قولة من تلك الأقوال القليلة اللفظ الكثيرة اللذع ، الساخرة ، التي كان ينطق بها في الحياة : « عجز العرب عن حل مشكلة فلسطين ، فحلتها اسرائيل » قلت : « خفّض صوتك ، فقد يسمعك هؤلاء الناس » . قال : « ان الذي يملأ حناجره بالصراخ هذا الملء ، وينفخ اوداجه هذا النفخ ، لا يمكن ان يَسمع ، لأن آذانه تنسد » !

وحملنا الزحام حملا كالبحر الزاخر ، وضاقت الأنفاس في الصدور ، فاستيقظت .

انه حلم من الأحلام ، والأحلام اضغاث او هي بعض ما تكشف عنه الانفس مما ارتسم فيها من وقائع العيش ، وذلك عندما تتعرّى بواطنها في سوق النيام .

ولندع الاحلام ..

ولندع الأحلام ، وسوق القوم النيام ، ولننظر على اليقظة .

ولننظر على اليقظة في امكان هذا الاحتمال ، احتمال تفجير اسرائيل ذرتها الاولى .

الحق انه لو قيل لي غدا ، على اليقظة ، ان اسرائيل فجرت قنبلتها الاولى ، ما دهشت لهذا الخبر ابدا . ذلك لأني اتوقعه . ويتوقعه معي قوم كثيرون . وانا اتوقعه لأن كل الظروف القائمة اليوم تشير الى امكانه .

ولو اني كنت اسرائيليا ، وكنت حيث اسرائيل اليوم من العرب ، ولم يخطر لي صنع القنبلة الذرية ، لكنت من الغباء في الدرك الأسفل .

ولو ان ذكائي كشف لي خطورة الذرة مَخلصا مما انا فيه ، وقامت حولي كل هذه الظروف المتاحة لصنع القنبلة ، ولم افعل ، كان ذكائي وغبائي في الميزان شيئا سواء .

ولو اني فعلتُ ، والقنبلةَ صنعتُ ، لكنتُ افرّق بين القنبلة اصنعها ، والقنبلة افجرها ، فحيازة القنبلة وحدها دون تفجير ، لها منافع ومَدَافع لا حدّ لها . كالرجل يحمل مسدسه بين رجال عزْلٍ من السلاح قد لا يحتاج الى اطلاقه ابدا .

وقبل ان نتابع النظر في هذا الأمر ، ننظر نظرة عَجلَى الى ما صار اليه العلم اليوم في أمر الذرة ... في امر القنبلة الذرية ، وصعوبة صنعها أو سهولته ، وحظ امم الأرض من ذلك .

امم "خمس" ، استطاعت تفجير الذّرة ، وسوف تزيد

انها امم خمس استطاعت الى اليوم تفجير الذرة : الولايات المتحدة . روسيا . بريطانيا . فرنسا . ثم الصين وبالطبع فرق هائل بين ما عند الولايات مثلا ، وما عند الصين . ولكن سوف تزيد ما عند الصين السنون . وليس من اللازم ان يكون عند الدولة النووية الف قنبلة . ان قنابل عشرا ، اومائة ، قد تحقق ما تحققه الألف . فالخراب الذى تصنعه قنبلة ، لا تزيده خرابا قنبلة تنفجر فيه ثانية .

الدول التي تملك الذرة هي اليوم خمس ، وغدا هي عشر ، وبعد غد عشرون .

قال بعض خبراء الذرة من الأمريكان :

« ان نادى الذرة لم يعد بالنادى الارستقراطي القديم ، فعلماء الارض اليوم ، في كل دولة يتطلعون الى اليوم الذى يكشفون فيه اسرار القنبلة ، وهم يجدون اليوم ، حتى في دور كتبهم العامة ، كثيرا من المعلومات التي يحتاجونها لصنع هذه القنبلة . يضاف الى هذا ، الانخفاض الذى وقع في اثمان الخامات ، وأثمان الاجهزة التي يحتاجون اليها لبلوغ هذه الغاية » .

والدكتور وِيزنر Wiesner ، المستشار العلمي لرئيس الولايات المتحدة السابق ، الرئيس كندى ، يتنبأ عن المستقبل

فيقول : « اني ارجح ان يحصل عشرون من الأمم فى العشرين من السنوات القادمة على سلاحهم الذرى » .

اذن هي عشرون من السنين ، وعشرون من الامم .

فى العشرين سنة الماضية ، منذ ان فجرت القنبلة الذرية الاولى فى عام ١٩٤٥ ، استطاعت امم خمس ان تفجر الذرة : الولايات المتحدة **فجرتها فى عام** ١٩٤٥ ، وروسيا فى عام ١٩٤٩ ، وبريطانيا فى عام ١٩٥٢ ، وفرنسا فى عام ١٩٦٠ ، والصين الشعبية فى عام ١٩٦٤ .

وفى العشرين سنة القادمة يحزرون ان سوف يستطيع تفجير الذرة أمم عشرون ، منها المانيا الاتحادية ، وكندا ، واليابان ، والسويد ، وجنوب افريقيا ، والهند ، ومصر ، واسرائيل .

هكذا يتنبأون .

تسرّبُ اسرار الذرّة

ومن الأسباب التى حملتهم على هذه النبوءات ما تسرب من أسرار الذرة . بعضها تسرب عن عمد ، وبعضها عن غير عمد . وبعضها عن حسن نية ، وبعضها عن سذاجة طوية .

فانجلترا شاركت الولايات فى علم الذرة فى سنوات الحرب العالمية .

والروس دفعوا بالصين فى سبيل الذرة أول دفعة ، ثم كفوا . وكان فى هذه الدفعة الاولى الكفاية لعلمائها والفنانين .

ولعل فرنسا وحدها التى قامت تكشف بغير عون مباشر ، واستغرقت فى ذلك ست سنين .

وتسربت اسرار الذرة عندما بدات تلك الحملة التى شعارها « الذرة فى اغراض السلم » ، وذلك فى آخر عام ١٩٥٣ . فقد كان من نتائج هذا البرنامج، على ما تقول الولايات المتحدة ، انها عقدت عقودا فى سبيل الذرة مع كثير من الدول ، ومع دول اوروبا الست المشتركة فى بحوث الذرة . واصبح عدد هذه الأمم لا يقل عن ٢٦ دولة .

واقتضى ذلك ان صدّرت الولايات المتحدة الى هذه الدول ٢٥٠ طنا من اليورنيوم الطبيعي Natural Uranium تستطيع المفاعلات الذرية Atomic Reactors (وان شئت فسمّها الافران الذرية) ان تحولها الى مقادير من عنصر البلوتنيوم Plutonium ، عند من عندهم مفاعلٌ ذريٌ من الأمم ، فى عام واحد ، تكفى لصنع ٣٠ قنبلة ذرية بلوتنيومية .

وصدرت الولايات كذلك من اليورنيوم المقوّى Enriched Uranium ١٨٧ طنا ، واليورنيوم المقوى هو اليورنيوم الذى زيدت فيه ، بالصناعة ، نسبة اليورنيوم ٢٣٥ ، القابل للتفجير ، الى اليورنيوم ٢٣٨ ، وهو النظير المستقر، وذلك بعملية من عمليات التركيز . طبقا لما ذكرناه فى اطار مستقل على صفحة ١٤ .

وقد تضمنت كمية اليورنيوم التى صدرتها الولايات المتحدة ٧ اطنان من اليورنيوم المتجهز للتفجير (يورنيوم ٢٣٥) ، وهذا المقدار يكفى لصنع نحو ٣٢٠ قنبلة ذرية يورنيومية عند الأمم التى تعرف كيف تفصل من هذا اليورنيوم المقوى ما به من يورنيوم ٢٣٥ القنبلىّ .

وكلها قنابل لها من قوة التفجير مثل ما كان للقنبلة الأولى التى اسقطت على اليابان .

وكذلك صدرت الولايات ٦٠ رطلا من البلوتنيوم الخالص Plutonium ، تكفى لصناعة ٤ قنابل ذرية بلوتنيومية .

وبالطبع لم تخرج هذه المقادير من الولايات ، خرساء .

كثير منها كان لبحوث الذرة ، وانتاج

الكهرباء من مفاعلاتها (افرانها) . واذن لا بد كان معها كتب تشرح ، ورجال تهدي ، ورجال تقوم بتركيب هذه المفاعلات (الأفران) وتشرح .

علم الذرة انفضح منه ، فى سبيل « برنامج الذرة للاغراض السلمية » الكثيرُ الذى يؤدى الى صنع القنبلة ، اما للحرب ، واما للدفاع عن النفس فى حرب ظالمة .

وفعَل الروس ما فعل الامريكان .

ولكلٍ احباب . ومَن احبَّ الى أمريكا من ربيبتها ، تلك التي زرعتها فى الشرق العربى زرعا ؟!

وعامل آخر ، سهّل انتاج القنبلة

ذلك ان مادة القنبلة صارت تتولد فى المفاعلات الذرية ، التى تنتج الكهرباء ، من ذات نفسها .

ولايضاح ذلك نقول انهما طريقان

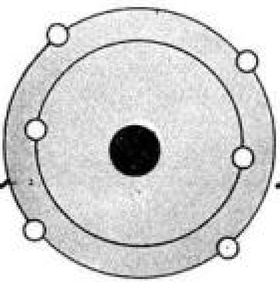
ذرة اليورانيوم

● بعد التحدث عن ذرة الكربون يسهل التحدث عن ذرة اليورانيوم .

وهذا رسم ايضاحى لذرة اليورانيوم ، باوسطه مكان النواة ، وحولها المنطقة التى تدور فيها الالكترونات فى افلاكها .

اما اليورانيوم ٢٣٨ فبنواته ٩٢ بروتونا ، ومعها ١٤٦ نيوترونا ، ومجموعهما ٢٣٨ هو وزن النواة ، ووزن الذرة . اما الالكترونات فعددها ٩٢ ، اى كعدد البروتونات ، كما وجب ان يكون الحال حتى تكون الذرة متعادلة كهربائيا . وهذه المجموعة كلها ذات اتزان ثابت طيب .

اما اليورانيوم ٢٣٥ فبنواته ٩٢ بروتونا ومعها ١٤٣ نيوترونا ، فمجموعهما ٢٣٥ . والكتروناتها ٩٢ ، واذن فالصفات الكيماوية بهذا



ذرة الكربون

● هذه صورة ايضاحية لذرة الكربون ، وهى ككل الذرات ، بها فى الوسط نواة تحتوى على نوعين من الجسيمات الدقيقة جدا، يسمى احدهما بروتون Proton والآخر نيوترون Neutron والاول يحمل من الكهرباء شحنة موجبة ، والثانى متعادل كهربائيا فلا شحنة له . ونواة ذرة الكربون بها من البروتونات ستةومن النيوترونات ستة . وبما ان وزن (كتلة) البروتون لا يكاد يفترق عن وزن (كتلة) النيوترون ، وقد اتخذنا البروتون وحدة للاوزان الذرية ، فالآن اصبح وزن نواة ذرة الكربون هذه ٦+٦ = ١٢ .

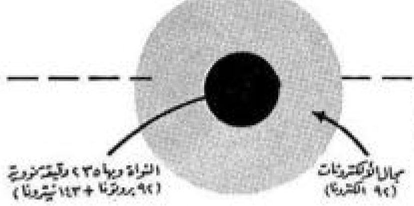
ويوجد خارج النواة جسيمات غاية فى الدقة تعرف بالالكترونات ، وهى تدور حول النواة فى أفلاك ، كما تدور الكواكب حول الشمس . وكل الكترون يحمل شحنة كهرباء سالبة تتعادل مع الشحنة الموجبة التى يحملها البروتون . وبما ان عندنا فى النواة ٦ بروتونات موجبة،وجب ان يكون فى الافلاك الدوارة حول النواة ٦ الكترونات كذلك ، حتى يتم التعادل الكهربائي فلا تكون الذرة فى مجموعها متكهربة . واذن عدد البروتونات فى الذرة هو عدد الالكترونات .

ولكن وزن الالكترون يساوى نحو ١/١٨٤٠ من وزن البروتون . واذن اوزان الالكترونات بالذرات تكاد تكون معدومة . واذا وزن النواة هو وزن الذرة كلها .

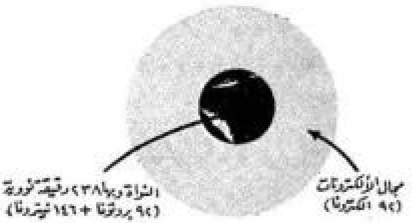
بقى التفرقة بين النواة والالكترونات . فمن

اليورنيوم لم تتغير عن سابقه. ولكن هذه المجموعة من الجسيمات قليلة الاتزان ، ومنها تصنع القنبلة .

وقد تدخل على اليورنيوم ٢٣٨ نيوترونات تغير من نواته فيصبح بها ٩٤ بروتونا و١٤٥ نيوترونا ، وتصبح الكترونات ذرته ٩٤. واذن فقد تغيرت خواص العنصر الكيماوية بأن احتوت ذرته ٩٤ الكترونا بدل ٩٢. اذن فهو عنصر جديد . انه البلوتنيوم Plutonium . ومجموعة جسيماته التى ذكرنا ، جعلت ذرته « قليلة الاتزان » ، واذن فهذا العنصر الجديد يستخدم فى القنبلة الذرية . وهو ينتج فى المفاعلات الذرية التى قد تنتج الكهرباء ، اذ بها اليورنيوم ٢٣٨ يمتص النيوترونات الشائعة فى المفاعل فتتحول الى بلوتنيوم .



ذرة يورنيوم ٢٣٥



ذرة يورنيوم ٢٣٨

لانتاج القنبلة ، احدهما وعر ، والثاني اقل وعورة ، وعن الطريق الوعر صنعت قنبلة هيروشيما ، وعن الطريق الأيسر صنعت قنبلة نجازاكى .

الالكترونات تنشأ التفاعلات الكيماوية لان بها تتشابك العناصر لصنع المركبات . والعنصر باق هو كما هو،كربونا مثلا، ما بقيت الكتروناته ٦. وقد نضيف الى النواة نيوترونين ، فيصبح وزنها الذرى ١٤ بدل ١٢ ، وتبقى الكتروناتها كما هى ، واذن فالكربون لا يزال كربونا .والذرة الجديدة تكون لكربون هو « نظير » الكربون الاول وخواصهما الكيماوية واحدة .

واضافة نيوترونات الى النواة قد يخل باتزانها، واذا تأخذ النواة تتفتت ، وتخرج صنوفا من الاشعاع . وقد يبلغ الخلل فى الاتزان ان تنشق النواة انشقاقا ، واذن تنفجر . وهذا ما يحدث عند انفجار القنبلة . فهو انفجار ذرة كبيرة ثقيلة.

ونتحدث عن الذرات ، ولا يغيب عن بالنا صغرها . فالجرام الواحد من الكربون (الجرافيت مثلا) به ٥٠،٠٠٠ مليون مليون مليون ذرة .

قنبلة هيروشيما

ولشرح هذا فى ايجاز كثير نقول ان اليورنيوم الذى يوجد فى الطبيعة ، والذى نسميه بالطبيعي Natural Uranium يتألف ، بعد استخلاصه من الصخور ، من نوعين من هذا العنصر ، من تلك التي تعرف بالنظائر Isotopes ، كلاهما سواء من حيث التفاعلات الكيماوية وارتباطهما واتحادهما بسائر العناصر فى المركبات .

ولكن يوجد اختلاف فى عدد ما تحتويه نواة الذرة من الدقائق فى كليهما . (هنا يحسن الاطلاع على ذرة الكربون وذرة اليورنيوم بالاطارين بصفحة ١٢ و ١٣).

فذرة احدهما بنواتها من الدقائق النووية ٢٣٥ دقيقة ، وهي مبنية بناء غير مستقر ، فما اسرع ان تنفجر هذه النواة عندما تتطلب ذلك ظروف خاصة ، تراعى فى صنع القنبلة . ونسمي هذا اليورنيوم المتفجر ، صانع القنبلة ، قنبلة هيروشيما ، بيورنيوم ٢٣٥ .

اما ذرة النوع الآخر من اليورنيوم ،

ففي ثوانيها من الدقائق النووية ٢٣٨ دقيقة ، وبناؤها ذو استقرار . لهذا لايستخدم هذا اليورنيوم ، يورنيوم ٢٣٨ ، في صنع القنبلة .

واذن كان لا بد لصنع القنبلة من فصل يورنيوم ٢٣٥ عن يورنيوم ٢٣٨ من اليورنيوم الطبيعي ، وصنعوا هذا بان جعلوا هذا اليورنيوم الطبيعي يتحد بعنصر الفلور Flourine (وهو اخ للكلور) ليكون فلوريد يورنيوم ٢٣٥ ، ومعه فلوريد يورنيوم ٢٣٨ ، وكلاهما غاز ، وأولهما اخف وزنا قليلا . وما كان يمكن فصلهما بالكيمياء ، لأن خصائصهما الكيماوية واحدة . واذن فقد اتخذوا من الفرق في وزن الغازين القليل ، اى الفرق في كثافتيهما ، طريقة معروفة للفصل تسمىبطريقة «الانتشار التفريقي» الغازى (انظر الاطار اللاحق)، وهي تعتمد على ان الغاز الاخف اسرع انتشارا من الأثقل . وهي عملية غاية في الطول ، غاية في الصعوبة ، استخدمت فيها مئات المضخات ، في خطوات مئات ، ازدادت فيها نسبة فلوريد ٢٣٥ في بطء شديد . وبعد الفصل حولوا فلوريد يورنيوم ٢٣٥ الى معدن اليورنيوم نفسه، يورنيوم ٢٣٥ . وهي طريقة عوقت انتاج قنبلة هيروشيما تعويقا كثيرا . وهذا بالطبع يعني ان قنبلة هيروشيما صنعت من اليورنيوم ٢٣٥ كما سبق انذكرنا .

فهذا هو الطريق الوعر ، نسبيا ، لصنع القنبلة .

قنبلة نجازاكي

وهي القنبلة الذرية الثانية التي أسقطتها الولايات المتحدة على اليابان ، على مدينة « ناجازاكي » بعد اسقاط القنبلة الاولى ، قنبلة هيروشيما ، بثلاثة أيام .

وهذه القنبلة لم تصنع من اليورنيوم ٢٣٥ ، ولكن من البلوتنيوم ، وهو عنصر ينتج من تحول يورنيوم ٢٣٨ الذى بالمفاعلات الذرية الى بلوتنيوم بفعل النيوترونات المتناثرة في المفاعل الذرى الناتجة من انشقاق ذرة يورنيوم ٢٣٥ .

ولزيادة الايضاح نقول انهذا التحويل يجرى من ذات نفسه في المفاعلات الذرية التى تنتج لنا الكهرباء تلك التى وقودها اليورنيوم الطبيعي ، ذلك الذى به القليل الاقل من يورنيوم ٢٣٥ ، والكثير الاكثر من يورنيوم ٢٣٨ . ان الذى ينشق في هذه المفاعلات وينتج الحرارة ومعها أشياء أخرى انما هي ذرة يورنيوم ٢٣٥ . وهي تنشق ويخرج

فصل غازين

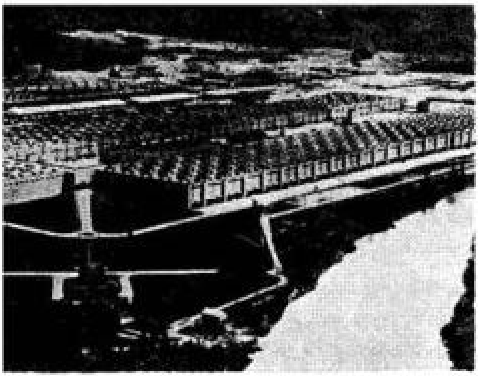
● يحول اليورنيوم الطبيعي ، وهو خليط من يورنيوم ٢٣٥ ويورنيوم ٢٣٨ (ونظير ثالث لا قيمة لمقداره) بالاتحاد أولا بعنصر الفلور ، الى فلوريد كل من هذين النظيرين من اليورنيوم. ثم يساق هذا الفلوريد المختلط، بعد تحويله الى غاز بالحرارة، الى هذه الخزانة التى بالرسم ، ويقسمها في الوسط حاجز له مسام غاية في الصغر . ويحاول الفلوريد ان يدخل هذه المسام ،ويخترق الحاجز، ولكن فلوريد يورنيوم ٢٣٥ ، وهو الاخف يكون اسرع اختراقا . والنتيجة ان الفلوريد الخارج من الانبوبة اليمنى تكون نسبة يورنيوم ٢٣٥ التى به اقل . ويساق الغازان بعد ذلك من خزانة كهذه الى أخرى ، الى أخرى وبعد تكرار هذه العملية مئات المرات ، نحصل على فلوريد ليورنيوم ٢٣٥ يكاد يكون صافيا . وهذا يحول الى يورنيوم ٢٣٥ ، ومنه صنعت القنبلة الذرية الاولى . وهذه عملية شاقة . لهذا تحولوا الى عنصر البلوتنيوم، مادة للقنبلة الذرية .

من انشقاقها أيضا دقائق نووية ، هي النيوترونات . فهذه تنطلق فتصيب الذرات المجاورة ، ذرات يورنيوم ٢٣٨ فتحيلها الى ذرات بلوتنيوم ٢٣٩ ، على مثل ما وصفنا فى اطار « ذرة اليورنيوم » فانظره بصفحة ١٢ و ١٣ .

فى هذه المفاعلات ، التى تستخدم فى السلم ، لانتاج الكهرباء ، تنتج اذن مادة القنبلة الاكثر يسرا . وتنتج غصبا عنا ، شئنا او لم نشأ .

واذن لا يبقى الا معرفة استخلاص البلوتنيوم من أنتجة هذه المفاعلات، وهي عملية كانت غاية فى الصعوبة ، غاية فى التعقيد ، وصفها العالم الذرى سيبرج Seaborg ، كاشف البلوتنيوم ، بل صانعه ، قال :

« فى عملية الفصل هذه ، استخدم



صورة لمصانع أولاردج، وهي مدينة بولاية تنسى بالولايات المتحدة.وهي مركز البحوث النووية الاول فى الولايات ، وبها مصانع عدة . ومن هذه المصانع مصانع قامت بفصل اليورنيوم المتفجر التى صنعت منه قنبلة هيروشيما ، يورنيوم ٢٢٥ ، من اليورنيوم الطبيعي ، وكثرته الكبرى من يورنيوم ٢٣٨ الذى لا تصنع منه القنبلة لثبات ذرته .

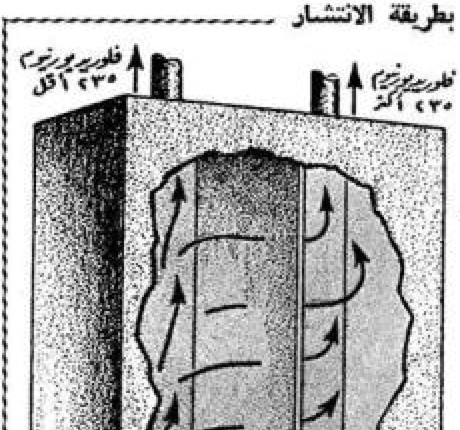
نحو ٣٠ تفاعلا كيماويا ، ومئات من الخطوات، قبل أن يخرج البلوتنيوم من الخليط الذى هو به . والمصنع نفسه الذى اجرى فيه الفصل عز عن الوصف، بتركيباته الضخمة ، واناييبه المديدة ، ومراكز التحكم فى معالجة تلك السوائل المشعة ، وقد وجب أن تبعد بمقدار ما يأمن العامل على نفسه من اشعاعها » .

اتضحت الصورة

اظن انه بعد هذا الشرح القليل قد اتضحت الصورة ، الصورة التى تكشف عن موضع اسرائيل من الدول التى تحاول أن تصنع القنبلة .

ان كل الظروف تؤهلها لتكون فى المقدمة . وقد اجرى بعض علماء الولايات المتحدة استفتاء يتنبأ العلماء فيه ، عن الدولة التى سوف تصنع القنبلة أولا فتجعل من الدول الذرية الخمس ، ستا،

بطريقة الانتشار



صورتان للقنبلتين الذريتين الأوليين اللتين عرفهما العالم عند تفجيرهما . الاولى (العليا) فجرتها الولايات المتحدة فوق مدينة هيروشيما باليابان،والثانية (السفلى) فكانت فوق نجازاكي.

اما قنبلة هيروشيما فكان وزنها نحو ٤٫٥ اطنان ، وحملتها الى المدينة طائرة مقاتلة من النوع B 29 وهي اسقطت في الساعة ٨ وربع من يوم ٦ اغسطس عام ١٩٤٥ على ميناء هيروشيما ، وانفجرت وهي على علو نحو ٦٠٠ متر من المدينة . وتسببت في قتل ٨٠٠٠٠ شخص ، وجرّح نحو من ذلك ، وهدّم ما بين ٦٠٠٠٠ الى ٩٠٠٠٠ منزل . اما مادتها الذرية المتفجرة ، فقد بلغت نحوا من ٢٠ كيلوجراما من يورنيوم ٢٣٥ بنقاء بلغ ٩٦ في المائة ، قامت بفصلها وتنقيتها مصانع مدينة اوك ردج Oak Ridge ، بالولايات المتحدة . اما قدرة نسف هذه القنبلة فقد قدرت بنحو ٢٠٠٠٠ طن من الناسف الكلاسيكي الشديد النسف المعروف ت .ن . ت . T. N. T. ، وهو اختصار اسمه ، فهو المركب الكيماوي Tri-nitro-toluene وقال آخرون : بل كانت قدرة هذه القنبلة ١٣٠٠٠ طن فقط .

اما القنبلة الثانية ، قنبلة نجازاكي ، فقد اسقطت على هذه المدينة الصناعية بعد ٣ أيام من اسقاط القنبلة الأولى ، وقد قتلت ٣٦٠٠٠ شخص وجرحت نحوا من ٤٠٠٠٠ . أما مادتها الذرية المتفجرة، فلم تكن يورنيوم ٢٣٥، وانما كانت بلوتنيوم Plutonium ، ذلك الذى حصلوا عليه من الفاعلات الذرية التي استخدمت اليورنيوم ٢٣٨ ، وقودا كما ذكرنا في نص المقال .

وقامت بصنع بلوتنيوم هذه القنبلة الفاعلات الذرية بمصانع هنفورد Hanford Engineering Works ، قرب زنشلاند بمقاطعة وشنجطن . وهي مصانع اقيمت عام ١٩٤٣ خصيصا لانتاج البلوتنيوم .

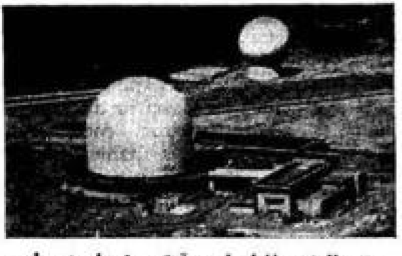
فقلبت اسرائيل الهند بصوت أو صوتين.

وما كان العلماء بحاجة الى استفتاء .

فان تسرب سر القنبلة الذرية ، اذ قد تسرب من الولايات، لا بد حظيت اسرائيل منه بالحظ الاكبر .

واذ صدّرت الولايات الى الدول اطنانا من اليورنيوم والبلوتنيوم، في سبيل استخدام الذرة في اغراض السلم ، فلا بد ان اسرائيل فازت ، بمقدار ما لها من خطر عند الولايات ، بالمقدار الاوفر .

والعلماء ، هل اسرائيل في حاجة الى علماء ؟ ان الذين حملوا خبر شق الالمان للذرة عام ١٩٣٨ أول شاقين ، انما كانوا يهوديين المانيين عالمين ، رجلا وامرأة ، هما الآنسة ليزه ميتنر Lise Meitner واوتو فريش Otto Frisch ، وصحبهما



عند الهند مفاعل ذرى قوته ٤٠ مليون وط . وهو يعمل منذ عام ١٩٦٣ ، وهو في هذه المدة لا بد انتج من البلوتنيوم ما يكفي لصنع قنبلتين من قنابل هيروشيما ، وقنبلتها تعادل في التفجير قوة ٢٠٠٠٠ طن من الناسف الكلاسيكي ت.ن.ت .

حتى أنتجوا القنبلة كانوا اخلاطا، احتووا من اليهود عناصر قوية .

ومختبرات لوس الاموس Los Alamos ، بولاية مكسيك الجديدة ، بالولايات المتحدة ، تلك التى قامت ببحوث القنبلة الذرية الى أن تمت ، من كان رئيسها وقائدها ورائدها ؟ أليس هو روبرت اوبنهيمر Oppenheimer .

ولقد وددت لو كان عندنا من وقف عند باب اسرائيل يحصى من دخل اليها من هؤلاء العلماء ومن خرج . ومن بها اقام . . .

واقامت اسرائيل فى النقب مصنعا ، سئلت عنه ، فقالت انه مصنع للغزل والنسيج . ولم تقتنع الولايات المتحدة. والحت تطلب الحقيقة ، فعلمت فى عام ١٩٦٠ انه مفاعل ذرى قدرته ٢٤ مليون وط (هذا فى عام ١٩٦٠ ، ونحن الآن فى عام ١٩٦٥) .

وطلبت الولايات التفتيش ، فرفضت اسرائيل التفتيش ، والتفتيش لا تطلبه الولايات الا اذا كانت قد أعطت الدولة عطاء مشروطا .

والسبب ظاهر . هذا المفاعل ، وتحيطه اسرائيل بالاسلاك الشائكة ، لا شك مفاعل يتحول فيه اليورنيوم الطبيعي الى بلوتنيوم قنبلي .

ويزيد هذا تأكيدا ، الخبر الآخر المستقل الذى يقول : بأن فرنسا قائمة تعين اسرائيل « فى فصل البلوتنيوم » . اى بلوتنيوم ؟!. لا بد انه البلوتنيوم الذى ينتجه هذا المفاعل الذرى ، مفاعل ديمونا Dimona بالنقب .

يضاف الى كل هذا ، كثرة انتاج



عالم دنمركي ذائع الصيت له فى اليهودية أرومة ، هو العالم الشهير نيلزبور Niels Bohr وله فى نظريات الذرة صيت قديم .

والذين لفتوا نظر الرئيس روزفلت والحرب قائمة الى الذرة ، واخبروه بخبر الذرة عند هتلر ، واغروه ببحوث القنبلة ، كانوا يهودا تراسهم آينشتين .

والذين قاموا ببحث الذرة فى الولايات

اليورنيوم فى العالم، ورخصه (١) ، يعرض للبيع ولا يجد مشتريا . وبالطبع للبيع شروط ، ومنها الشروط السياسية . ومَنْ اقرب لأهل الغرب ، منتجي اليورنيوم ، سياسةً ، واطوعهم عمالة ، من اسرائيل ؟!

والعرب ...؟

الذى اعرفه ، من الاخبار المنشورة ، ان بانشاص مفاعلا ذريًا ، قوته ٢ مليون وط ، وهو للبحوث والتجربة والتعلم .

ولقد سمعت ان هناك تدبيرا لمفاعل يقام فى الاسكندرية ، لم تذكر الاخبار المنشورة ما قوته .

ولقد ذكرنا ان مفاعل النقب ، مفاعل ديمونا Dimona ، المفاعل الاسرائيلي ، قوته ٢٤ مليون وط .

والمفاعل الذى ينتج البلوتنيوم لا بد ان تزيد قوته عن عشرين مليون وط ، لينتج المقدار المعقول فى الزمن المعقول .

ولا يفوتنا ان نذكر ، على سبيل الحصر ، قنابل اخرى زرعها رجال العرب، فى شتى البلاد العربية ، من النوع البطىء المفعول . النوع الهادم ، الذى يهدم وحدة العقول ، ووحدة القلوب .

قنبلة نسفت ما بين أهل الاديان ، فهذا نصراني ، وهذا مسلم ، وهذا صابىء ، وهذا لا دين له .

وقنبلة نسفت ما بين ذوي الدين الواحد، فهذا كاثوليكي ، وهذا أرثوكسي ، وهذا شيعي ، وهذا سني ، وهذا شافعي ، وهذا زيدى ، وهذا درزى ، وهذا اباضى، وهذا خارجى، وهذا معتزلى .. لأكثرهم اله يعبده غير اله الآخرين ، عدا من عبدوا من آلهة من ذرية آدم ، من اموات رُفات ، وغير اموات .

وقنبلة نسفت ومزقت وشائج القومية الواحدة ، فهذا يرمي بأصوله الى عرب ، وهذا يرمي الى كرد ، وذاك الى بَرْبَر .

وقنبلة نسفت وحدة الهدف فى الوطن العربي ، فهذا راسمالي، وهذا اشتراكي، وهذا شيوعى ، وهذا يتربص بهم جميعا ليرى لمن تكون الغلبة .

قنابل ما أكثرها ، وما أفعلها ، كلها كانت كفيلة بأن تهدّىء من غلواء اسرائيل، فلا تسرع الى ما هي مسرعة اليه من مفاجأة العالم بالقنبلة الذرية فتثير عليها فى العالم موجة استنكار كانت فى غنى عنها . أم لعلها تدرك انه استنكار ، ولا شىء من ورائه . ■■

٢٩ اكتوبر ١٩٦٥

أحمد زكي

---

(١) كان اليورنيوم بالامس معدنا نادرا ، اما اليوم فهو من كثرته فى أزمة . فاقت كثرته اليوم حاجة الناس اليه . معروض للبيع ولا يجد المشترى . ولنضرب مثلا بكندا ، فكندا هي البلد الوحيد الذى يبلغ رصيده من اليورنيوم ٢٠٠٠٠٠طن . كانت فى عام ١٩٥٩ اول بلد منتج لليورنيوم، وفى هذا العام صدرت ما مقداره ١٥٠٠٠ طن من اكسيد اليورنيوم ، استخرجتها من ٢٥ منجما. ثم ما جاء عام ١٩٦٣ حتى نزلت بانتاجها الى ٨٠٠٠ طن ، استخرجتها من ٧ مناجم ، بعد ان اغلقت سائر المناجم . ويتنبأ الخبراء ، بانه لن يأتي عام ١٩٧٠ حتى يكون استخراج اليورنيوم فى كندا قد قصروه على منجم واحد .

والثمن هبط . كان ثمن الرطل الرسمي من اكسيد اليورنيوم ١٠ دولارات ، فهبط الى ٨ دولارات . وجرت معاملات كان ثمن الرطل فيها ٤ دولارات فقط .

نتيجة مسابقة العدد ٨٣

الحلول الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

■ الاشكال التسعة التى كانت موضوع مسابقة العدد الثالث والثمانين (جولة فى الحمام) هى بترتيب ظهورها فى الرسم :

مصباح كهربائى. مشجب (شماعة). انبوبة معجون . مكنة حلاقة . صنبور مياه (حنفية) . علبة بودرة . فرشاة حلاقة . قطعة صابون. فرشاة أسنان.

وقد جاءتنا آلاف الاجابات من القراء، ولكن أغلبها كان الخطأ فيه أكثر من الصواب .. ومن بين الاجابات **الصحيحة** أجريت القرعة ففاز الآتية أسماؤهم بالجوائز التالية :

١ ـ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محسن مسحل مشعل: كتيبة المدرعات الثانية عشرة ـ الحرس الاميرى ـ قصر الشعب العامر : الكويت

٢ ـ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : الياس جميل سلمان : ص ب ٩٦٣ عمان ـ الاردن .

٣ ـ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : محمود عبد المؤمن تركستاني : أجياد ـ مكة المكرمة ـ السعودية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **مسعود بن سعيد عبد السلام :** ص.ب ٩١٣ رودوفا ـ تانزانيا .

٢ ـ **حسن الشاوى** ـ العطبرية ـ العشار ـ البصرة ـ العراق .

٣ ـ **احمد منصور** : نادى الطلائع الرياضى ـ حمص ـ سوريا .

٤ ـ **نفيسة ابراهيم الطيب** :الخرطوم ـ السودان .

٥ ـ **الطالب عبد الله محمد بصيعر :** مدرسة الثغر الاعدادية ـ الحديدة ـ اليمن .

٦ ـ **احمد محمد احمد بحر** ـ المحرق ـ البحرين .

٧ ـ **محمد ابراهيم شديد** : ١ حارة فرج غانم ـ شارع وابور الطحين ـ امبابة ـ القاهرة ـ ج.ع.م .

٨ ـ **موسى الحاج مال الله الحاج حبيب مراد** ـ ص.ب ٤٨ ـ مسقط ـ عمان .

وسترسل الجوائز لأصحابها ■■

ابن خلدون وابن الخطيب



بقلم : محمد عبد الله عنان

■ يعرض لنا تاريخ التفكير العربى فى القرن الثامن الهجري ، سيرة رجلين عظيمين تجمع بينهما طائفة من المشابهات القوية ، سواء فيما خاضه كل منهما من حياة غريبة مثيرة ، او فيما خلفه كل منهما من تراث غزير منوع ، او فيما كان يتبوأه كل منهما فى قطره ، وفى عصره ، من مكانة بارزة فى عالم التفكير والآداب .

هذان الرجلان هما : ابن خلدون ، وابن الخطيب. وقد عاش كلاهما فى نفس العصر ، وخاض كلاهما غمار السياسة ، وتقلب فى حياة القصور ، وتبوأ ذروة السلطان ، وذاق محنة الاعتقال والنفى ، وجمعت بينهما الصداقة والتقدير المتبادل ، وتخللت صداقتهما عوامل الغيرة والنفرة فى بعض الاحيان .

أول لقاء بين الرجلين

كان اول لقاء بين هذين الرجلين العظيمين فى ظروف مثيرة مشجية ، خلاصتها : ان ابن الخطيب وقد منفيا على المغرب مع سلطانه المخلوع محمد الغنى بالله ملك غرناطة ، وكانت الثورة قد أطاحت بعرشه وحملته على ان يعبر البحر مع وزيره ، ملتجئا الى حماية السلطان أبى سالم المريني ملك المغرب .

ووصل الغني بالله ووزيره ابن الخطيب ومن معهما من الحاشية والصحب الى

عملاقان عربيان ،
جمع بينهما الديوان ،
وجمع بينهما الفكر والبيان ،
وجمعت بينهما النكبات وغدر السلطان .



وكان ابن خلدون ، وهو يومئذ من اكابر رجال الدولة ، فى بلاط فاس ، من شهود ذلك الحفل . وهو يصفه لنا ، ويقول لنا ان ابن الخطيب أبكى سامعيه تأثرا واسى . ويقول لنا ابن الخطيب نفسه ان القوم كانوا يرتجفون تأثرا لانشاده ، وتسيل منهم العبرات .

والتقى ابن الخطيب وابن خلدون فى هذا الحفل لاول مرة ، وكان هذا اللقاء بين الرجلين العظيمين ، حادثا فى حياة كل منهما ، له اثره ونتائجه . وكان كل منهما يسمع عن صاحبه ويتوق الى لقائه ، حتى جمعت بينهما الحوادث .

مشابهات بين الرجلين عديدة

وكانت تجمع بينهما بالرغم من فارق السن ــ اذ كان ابن خلدون فى شرخ شبابه ، وكان ابن الخطيب فى طور الكهولة ــ مشابهات عديدة ، ادبية ومادية . فقد كان كلاهما أستاذ عصره وقطره ، فى التفكير والكتابة . وكان كلاهما شخصية بارزة فى حوادث عصره ، يتصل منها بأوثق صلة ، ويخوض غمارها ، متقلبا بين الظفر والمحنة ، وكان كلاهما وزيرا مستبدا ، ومستشارا لأمراء عصره ، ومحرضا لهم أو عليهم .

كان ابن خلدون يشغل فى دول المغرب نفس المركز الذى كان يشغله ابن الخطيب فى الاندلس ، وقد استأثر فى المغرب بزعامة التفكير والكتابة ، التى كان يستأثر بها ابن الخطيب فى الاندلس ،

فاس ، فى المحرم سنة ٧٦١هـ ، فاستقبلهم السلطان ابو سالم اجمل استقبال . واحتفل بقدومهم فى يوم مشهود ، وانشد ابن الخطيب بين يدي السلطان يومئذ قصيدة من اروع قصائده ، يدعوه فيها لنصرة سلطانه وهذا مطلعها :

سلا هل لديها من مخبّرة ذكرُ
وهل اعشب الوادى ونمّ به الزهر

وهل باكر الوسميّ دارا على اللوى
عفتْ آيها الا التوهم والذكر

بلادى التى عاطيت مشمولة الهوى
بأكنافها والعيش فينان مخضرُ

وجوى الذى ربّى جناحيَ وكرُه
فهأنا ذا مالي جناحٌ ولا وكر

وقد جمعت بين الرجلين أواصر الحب والصداقة فى البداية ، ثم فرقت بينهما عوامل الغيرة والتنافس ، وكان كل منهما ، بالرغم من ذلك ، يحترم صاحبه ويجله ، ويكبر مواهبه وخلاله ، وقد ترجم كل منهما للآخر ، وذكره بما ينم عن خالص التقدير والاجلال ، وتبادلا طائفة من الرسائل الشخصية والسياسية ، تعتبر من ابدع نماذج النثر والترسل فى هذا العصر .

ابن خلدون يترجم لابن الخطيب

يقول لنا ابن خلدون فى ترجمته لابن الخطيب « انه بلغ فى الشعر والترسل حيث لا يجارى فيهما ، وملأ الدولة بمدائحه ، وانتشر فى الآفاق قدماه » ثم ينوه بعد ذلك بروعة رسائله السلطانية ، وبعد همته فى الادارة والحكم . ويعترف ابن خلدون فى موضع آخر ، بأنه لم يكن يستطيع مساجلة ابن الخطيب فى الترسل والسجع،اذ لم يكن شأوه يلحق فى ذلك . واخيرا يجمل لنا ابن خلدون تقديره لابن الخطيب واعجابه به « فى تلك الكلمة الجامعة : » كان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله فى النثر والنظم ، والمعارف والادب ، لا يساجل مداه ، ولا يهتدى فيها بمثل هداه » .

اسلوب ابن الخطيب البياني ، واسلوب ابن خلدون التاريخي

والحقيقة التي لا ريب فيها ان ابن الخطيب ، يتفوق على ابن خلدون فى اسلوبه البياني ، سواء فى الرسائل السلطانية او فى كتابة التاريخ . ولا شك ان اسلوب ابن خلدون التاريخي ، يعتبر من ارفع الاساليب التاريخية ، من حيث قوة التعبير ، وابراز المعانى ، ومن حيث الاصالة ، وضبط النفس والمشاعر ، وان ابن الخطيب لايجاريه فى ذلك . وانه فى احيان كثيرة يترك العنان لاهوائه وعواطفه الشخصية ، ويمزج العرض التاريخي بالجملات العنيفة ، التي ترجع الى بواعث شخصية محضة . ولكنه يمتاز فى عرضه التاريخي ، ببيان قوى ساحر ، لايجاريه فيه احد من المؤرخين المسلمين . اما رسائله السلطانية فتعتبر من اروع نماذج الكتابة الدبلوماسية ، فى الادب العربى ، سواء فى المشرق او المغرب .

ابن الخطيب يشيد بابن خلدون

ويشيد ابن الخطيب كذلك بخلال ابن خلدون ومواهبه ، ومقدرته العلمية والبيانية ، ويصفه فى ترجمته اياه بما يأتي : « جم الفضائل ، باهر الخصال ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، اصيل المجد، وقور المجلس ، عالى الهمة ، عزوف عن الضيم ، صعب المقادة ، قوى الجاش ، طامع لقنن الرياسة ، خاطب للخط ، متقدم فى عدة فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور » .

ويصف لنا نثره ونظمه فى قوله : « اما نثره وسلطانياته السجعية فخلج بلاغة ، ورياض فنون ، ومعادن ابداع ، يفرغ عنها يراعه الجرىء . شبيهة البداءات بالخواتم ، فى نداوة الحروف وقرب العهد بحرية المداد ، ونفوذ امر القريحة ، واسترسال الطبع . واما نظمه فنهض لهذا العهد قدما فى ميدان الشعر ونقده ، باعتبار اساليبه ، فانثال عليه جوه ، وهان عليه صعبه ، فأتى منه بكل غريب » .

ابن الخطيب يترجم لابن خلدون

ويلاحظ ان ابن الخطيب ترجم لصديقه ابن خلدون عند وضعه لكتابه « الاحاطة » ما بين سنتى ٧٦٥و٧٧٠هـ ، وذلك قبل ان يكتب ابن خلدون تاريخه الكبير ، ومقدمته الفريدة ، ثم توفى قتيلا فى سنة ٧٧٦ هـ . ومن المحقق انه لو امتد الاجل بابن الخطيب ــ حتى ادرك التاريخ والمقدمة ــ لكان له فيهما رأى من اجل الآراء واعظمها .

ويجتمعان فى الاندلس ، ثم يفترقان

وعبر ابن خلدون الى الاندلس فى شهر ربيع الاول سنة ٧٦٤ هـ ، بعد ان فقد مناصبه فى بلاط فاس ، عقب مصرع السلطان ابى سالم ، وتغلب الوزير عمر ابن عبد الله على الدولة ، وتوجسه من مشاريع ابن خلدون واطماعه ، فتلقاه السلطان الغنى بالله وصديقه الوزير ابن الخطيب بأجمل آيات الترحاب والمودة ، واغدق عليه السلطان رعايته ، وبعثه سفيرا عنه الى ملك قشتالة ، وغمره باحسانه وصلاته . ولكنه ما لبث ان شعر بانقباض السلطان عنه ، وشعر فى نفس الوقت ، ان لصديقه القديم الوزير ابن الخطيب يدا فى هذا التحول ، وهنا لم يجد ابن خلدون بدا من مغادرة الاندلس ، فغادرها آسفا ، وعاد الى المغرب ، ليخوض مرحلة اخرى من المغامرات والخدمات فى قصوره .

ابن الخطيب يعبر البحر الى المغرب لما احس بانقباض السلطان عنه

وبالرغم مما سرى يومئذ الى علائق المفكرين العظيمين من كدر ، فقد لبث كلاهما يحتفظ ازاء صاحبه ، بمظاهر المودة والتقدير ، واستمرا يتبادلان الرسائل من آن لآخر ، ثم شاء القدر ان تتطور الظروف فى الاندلس ، وان يفقد الوزير ابن الخطيب حظوة مليكه ، وان يشعر بتجهم الجو من حوله ، ونجاح خصومه فى السعاية فى حقه ، وعندئذ اتخذ قراره الشهير بمغادرة الاندلس والهجرة الى المغرب ، ولم يكشف لمليكه حقيقة نيته الا حينما ارسل اليه خطاب الوداع ، عقب دخوله جبل طارق ، وكان يومئذ من املاك بنى مرين ، وكان ابن الخطيب قد دبر امره بالاتفاق مع السلطان عبد العزيز المرينى ملك المغرب، وكانت تجمع بينهما اواصر صداقة متينة ، وعبر ابن الخطيب البحر الى المغرب فى أوائل سنة ٧٧٣هـ وسارتوا الى تلمسان ، حيث كان السلطان عبد العزيز يعقد بلاطه ، على اثر افتتاحه لها ، وشمل السلطان الوزير المنفى بوافر اكرامه وجزيل عطائه .

ابن الخطيب يكاتب ابن خلدون ويعتب

وكتب ابن الخطيب الى صديقه ابن خلدون ، وكان يقيم يومئذ ببسكرة ، يخبره فيه بمقدمه ويعتب عليه ، فيما كان منه بحقه فى الاندلس ، فرد عليه ابن خلدون برسالة مؤثرة يؤكد فيها حبه وتقديره ويهنئه بنجاته .

خصوم ابن الخطيب فى الاندلس اتخذوا من فراره ذريعة لاتهامه

وعاش ابن الخطيب حينا فى سلام ودعة ، ولكن فراره على هذا النحو لم

يهدىء خصومه بغرناطه ، بل كان بالعكس ذريعة جديدة لديهم ، تنهض على ادانته وخيانته لوطنه ومليكه ، فضاعفوا سعيهم لمطاردته وملاحقته ، والعمل على تلويث سمعته وسحق هيبته ، واتهموه بالخروج على شريعة الاسلام ، ونسبوا اليه فى ذلك اقوالا ومقالات،مما جاء فى بعض كتبه ورسائله، اولوها وفق مقاصدهم ، وزعموا أن منها ما يتضمن طعنا فى النبى والقول بالحلول، واعتمدوا فى ذلك بالاخص على بعض ما جاء فى رسالته المشهورة « روضة التعريف بالحب الشريف » ، واعتبروا ان ما جاء فى كتبه التاريخية ، مثل « الاحاطة » وغيره مما يتناول التاريخ المعاصر ، انما هو من قبيل الغيبة المحرمة .

يحرقون كتب ابن الخطيب

وتولى صوغ الاتهام قاضي غرناطة ابو الحسن النباهى ، وافتى بوجوب حرق كتب ابن الخطيب ، فجمعت واحرقت ، ووجه الى ابن الخطيب بالمغرب ، رسالة شديدة ، يبسط فيها ما تقدم من التهم ، وينحى على ابن الخطيب بشديد اللائمة ، ويتهمه فضلا عن الالحاد والزندقة ، بخيانته لوطنه ومليكه ، ويعدد مثالبه ومظالمه ، اثناء قيامه بالحكم ، وما كان منه بالاخص من تدخل فى شئون القضاء ، وجمعه الاموال بمختلف الطرق ، وغير ذلك مما يشين حكمه وشخصه .

سلطان غرناطة يبعث الى ملك المغرب باتهام ابن الخطيب ، فلا يهتم به

وبعث سلطان غرناطة الى السلطان عبد العزيز برسله ، يحملون صيغة الاتهام ضد الوزير الملحد ، ويطالبون بانفاذ حكم الشرع فيه ، وهو الاعدام ، فردهم السلطان بأنفة واستكبار ، وزاد فى اكرام ابن الخطيب ورعايته .

وشاء القدر ان يتوفى السلطان عبد العزيز بعد ذلك بقليل ، فى شهر ربيع الآخر سنة ٧٧٤هـ ، فاعلن ولده الطفل السعيد ملكا مكانه ، وانتقل البلاط على اثر ذلك من تلمسان الى فاس ، وسار ابن الخطيب فى صحبة الوزير ابن غازى المتغلب على الدولة ، ولقى منه مثل ما كان يلقاه من الملك الراحل ، من ضروب الحماية والرعاية ، وعاش ابن الخطيب فترة واقتنى الدور والضياع ، وحاول الغنى بالله سلطان غرناطة مرة اخرى ، ان يحمل الوزير ابن غازى ، على التنكر لابن الخطيب ونكبته ، فابى الوزير وكان الغنى بالله يضطرم بغضا ضد وزيره السابق ، لما كان يعتقده ، من انه كان يحرض السلطان عبد العزيز على غزو الاندلس ، ومن ثم كانت هذه المساعى المتكررة فى سبيل اهلاكه .

انقلاب فى الدولة يبت فى مصير ابن الخطيب

على ان القدر كان يتربص بابن الخطيب ، وسرعان ما تطورت حوادث المغرب ، وتمخضت عن انقلاب جديد ، ترتب عليه سقوط الوزير ابن غازى ومليكه الطفل السعيد ، وجلوس السلطان احمد بن ابي سالم المريني على العرش وذلك فى اوائل سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م) . وكان السلطان احمد تربطه بالغنى بالله مودة وثيقة ، اذ كان الغنى بالله هو الذى عاونه بالمال والرجال

على ارتقاء العرش ، وكان من الواضح عندئذ ان مصير ابن الخطيب قد بت فيه .

وكان ابن الخطيب قد لجأ اثناء ذلك الى البلد الجديد (ضاحية فاس الملوكية). وكان التفاهم قد تم بين الغنى بالله والسلطان احمد ، بشأن ابن الخطيب ومصيره ، فلما وقع الانقلاب المنشود ، وجلس السلطان احمد على العرش ، بادر بالقبض على ابن الخطيب ، وبعث الغنى بالله وزيره ابن زمرك ليشرف على الاجراءات التى تتخذ ضد الوزير المنكوب . ووجهت الى ابن الخطيب التهم السابقة ، وهى التى وجهت اليه فى غرناطة ، من دينية وسياسية .

محاكمة ابن الخطيب ، وقتله خنقا فى سجنه

ورأى السلطان احمد ان يعقد مجلسا من رجال الدولة واهل الشورى ، واستدعى اليه ابن الخطيب لمناقشته ، ومواجهة التهم المنسوبة اليه ، واخصها تهمة الالحاد والزندقة . وعزر ابن الخطيب ، وعذب امام الملأ ، وافتى بعض الفقهاء المتعصبين بوجوب اعدامه ودس عليه وزير السلطان احمد ، سليمان بن داوود ، بعض الاوغاد فقتلوه خنقا فى سجنه ، وكان ذلك فى جمادى الاولى سنة ٧٧٦ هـ (اكتوبر سنة ١٣٧٤ م) واخذت جثته فى الغد واضرمت فيها النار فاحترق شعر الراس واسودت البشرة ، ثم حملت الى القبر قبل ان تأتي عليها النار ، وتركت هنالك لتثوى الثواء الاخير ، وما زال هذا القبر يقوم الى يومنا فى مكانه على مقربة من باب المحروق احد ابواب فاس التاريخية .

ابن خلدون يذكر موت ابن الخطيب ويعلق عليه فى هدوء

وهكذا ذهب الكاتب والمفكر الكبير ضحية الجهالة والتعصب ، والاحقاد السياسة الوضيعة . وهنا — وفى هذه الصفحة الاخيرة من حياة ابن الخطيب — يمثل ابن خلدون مرة اخرى . ويجمل ابن خلدون حوادث هذه المأساة فى قوله فى مقدمته ، مشيرا الى صديقه ابن الخطيب : « بأنه هو الهالك لهذا العهد شهيدا بسعاية اعدائه » ويعلق عليها فى تاريخه بقوله : « وكان فى ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه السفاهة التى جاء بها سليمان ، واعتبروها من هناته ، وعظم الكبر فيها عليه ، وعلى قومه واهل دولته » ونحن لانستشعر فيما يكتبه ابن خلدون عن مصرع صديقه العظيم ، شيئا من عميق التأسى ، ولا تلمس فى وصفه للمأساة كل ما يجب ان تثيره من الافكار والروع ، ودمغ الجناة بكل ما يجب ان يدمغوا به من الصفات القاتمة المثيرة . اجل ان ابن خلدون ، يقص علينا فى « التعريف » او ترجمته لنفسه ، ان ابن الخطيب كتب اليه من محبسه « مستصرخا ومتوسلا » ، وكان ابن خلدون يومئذ قد عبر الى الاندلس فى رحلته الثانية ، ويزيد ابن خلدون على ذلك بأنه خاطب فى شأن صديقه بعض اهل الدولة ، فلم تنجح سعايته . ولكن ذلك لا يزيل هذا الشعور الذى يخالجنا من ان ابن خلدون ، حسبما يبدو من لهجته الهادئة ، لم يهتز لمصرع صديقه العظيم ، ولم يستقبله بكثير من التلهف والجزع ، شأنه فى كثير من الاحداث العنيفة المماثلة . ■■

محمد عبد الله عنان

مسابقة العربي

١٠ أسئلة .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد اختبار جديد لمعلوماتك العامة ، تتألف من خمسة عشر سؤالا ، وضعنا لكل منها اربع اجابات ،بينها اجابة واحـدة هي الصحيحة .. فاذا وُفقت لهـذه الاجابـة الصحيحة لعشرة اسئلة ، فقد يحالفك الحظ وتفوز باحدى الجوائز .

١ ـ قصر اللوفر من أعظم قصـور الدنيـا وافخمها ، وهو موجود في : روما ـ باريس ـ لندن ـ برلين .

٢ ـ ولد احد الائمة الاربعة في غزة ، وفيها قال :

سقى الله ارضـا لو ظفرت بتربها
كحلت به من شدة الشوق أجفاني

هذا الامام هو : ابو حنيفة ـ مالك ـ الشافعي ـ ابن حنبل .

٣ ـ أصـغر دولة في العالم وأقلها سكانا هي : موناكو ـ لكسمبورج ـ الفاتيكان ـ ليشتنشتين .

٤ ـ هزم صلاح الدين الأيوبي جيوش الصليبيين في معركة :

عين جالوت ـ ذي قار ـ حطين ـ التل الكبير .

٥ ـ برج بيزا المائل احد عجائب الدنيا . وهو موجود في : فرنسا ـ ايطاليا ـ المانيا ـ انجلترا.

٦ ـ العاصمة الدبلوماسيـة للمملكة العربيـة السعودية ، التي يقيم فيهـا السفراء ورجال السلك السياسي هي : الرياض ـ مكة ـ جدة ـ المدينة .

٧ ـ البيت الأبيض هو مقر الحكم في : لندن ـ نيويورك ـ واشنطون ـ جنيف .

٨ ـ مؤسس القاهرة هو : عمرو بن العاص ـ جوهر الصقلي ـ المعز لدين الله الفاطمي ـ الظاهر بيبرس .

٩ ـ تاج محل هو رائعة الروائع فيما ابتنـاه الانسان ، بناه احد اباطرة الهند في العصر المغولي الاسلامي ليكون ضريحا لزوجته : نورجهان ـ نور محل ـ ممتاز محل ـ جهان جير .

١٠ ـ كان ارسطو يعرف باسم « المعلم الاول ». وقد أطلق المؤرخون فيما بعد اسم « المعلم الثاني » على احد الفلاسفة المسلمين وهو : ابن سينا ـ ابن خلدون ـ ابن رشد ـ الفارابي .

١١ ـ ولد السيد المسيح في : اورشليم ـ بيت لحم ـ الناصرة ـ الجليل .

١٢ ـ اشتهرت مدينة يافا من قديم بانتاج نوع ممتاز من : العنب ـ البطيخ ـ البرتقال ـ التفاح.

١٣ ـ دفن خالد بن الوليد في احدى هذه المدن الاربع : حلب ـ بغداد ـ حمص ـ القاهرة .

١٤ ـ بين فلاسفة هذا العصر فيلسوف اشتهر بشـدة عدائه للحـرب والاستعمار والتمييز العنصري ، حتى تعرض للسجن ، ورفض جائزة نوبل . هذا الفيلسوف هو ـ البير كامو ـ جان بول سارتر ـ برتراند راسل ـ هوايتهد .

١٥ ـ كـانت عاصـمة فلسطين ايام الانتـداب البريطاني هي : حيفا ـ رام الله ـ القدس ـ يافـا .

كوبون مسابقة العدد ٨٥

شروط المسابقة

١ ـ الاجابات التى يحق لها ان تدخل عملية الاقتراع على الجوائز ينبغى ان تشتمل على عشر اجابات صحيحة .

٢ ـ ارفق باجابتك كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٣ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٤ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الاتى :

مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت (مسابقة العدد ٨٥) .

٥ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من يناير (كانون ثانى) ١٩٦٦ .

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الاتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الأجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

العدد القادم من :

العربي

هو العدد السنوي الممتاز

علاقات العرب بالروم في صدر الاسلام

بقلم : الدكتور محمد جمال الدين سرور
استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ لم تكن العلاقة بين الدولة العربية والدولة الرومانية الشرقية فى صدر الاسلام على شىء كثير من الصفاء لاتخاذ كل منها صفة دينية تخالف الاخرى ، ولانتزاع العرب بلاد الشام ومصر والمغرب من ايدي الروم . وفضلا عن ذلك فان الدولة الرومانية الشرقية كانت بحاجة الى المنتجات الشرقية التى تأتى اليها عن طريق بلاد العرب والبحر الاحمر ، فلما قامت الدولة العربية ، تأثرت تجارة الروم مع بلاد الشرق الأقصى ، فقل نشاطها ، وصار الروم يرون ان قيام هذه الدولة حال دون اتصالهم اتصالا مباشرا بتلك البلاد ، فأدى ذلك الى توتر العلاقات بين الدولتين العربية ، والرومانية الشرقية .

موقف عمر بن الخطاب من هجرة العرب لبلاد الروم

اصبحت بيزنطة منذ عهد عمر بن



العرب ينتزعون من الروم مصر والشام والمغرب

ويحاصرون القسطنطينية اكثر من مرة

ويوقعون الهزيمة باسطول الروم في معركة ذات الصواري



الخطاب ملجأ لكل من يريد الهجرة من بلاد الدولة العربية من غير المسلمين ، فلجأ الأمير الغساني جبلة بن الايهم اليها. وهمت قبيلة « تغلب » النصرانية التى تسكن الجزيرة بالجلاء الى ارض الروم أنفة من أداء الجزية لأنها من اصل عربي . ولكن عمر ما لبث أن ابقاها وفرض عليها ضعف الزكاة حرصا منه على عزة العرب . كذلك جلت قبيلة اياد الى بلاد الروم، فطلب عمر بن الخطاب من هرقل قيصر الروم اخراج هؤلاء العرب من بلاده ، وتوعده بأنه اذا لم يجب طلبه ، أخرج اليه النصارى

الذين يقيمون بالدولة العربية ، فأجابه القيصر الى ما اراد . وعادت اياد الى موطنها الجزيرة .

الروم يخربون الشام قبل جلائهم عنها

وكانت الحدود بين الدولة العربية والدولة الرومانية الشرقية في بداية العهد الاسلامي غير مستقرة ويصعب تحديدها ، لأن الروم حين جلوا من الشام عقب الفتح العربي ، خربوا كل البلاد التي تصلح مراكز لهجوم العرب واصبحت منطقة خربة يصعب عبورها.

كذلك اتى الروم بالقبائل والعشائر التي اخرجها العرب من بلاد الشام ، وكانت تقيم بجبل اللكام بأعالي تلك البلاد ، وأنزلوهم على حدود آسيا الصغرى الجنوبية ليكونوا درعا يتقون به غارات العرب . وهذه الجماعات تعرف في المراجع العربية بالجراجمة ، ويطلق عليهم اسم المردة . وكانوا يدينون بالمسيحية. وقد هم فريق منهم باللحاق بالروم بعد ان فتح أبو عبيدة عامر بن الجراح أنطاكية خشية على أنفسهم من العرب ، فلم ينتبه اليهم المسلمون وتركوهم وشأنهم .

اول اسطول بحري عربي

ولما كانت الدولة البيزنطية دولة بحرية ، اصبحت الضرورة الحربية تقضي بأن يكون للدولة العربية المعادية لها قوة تماثل قوتها . وكان عمر بن الخطاب شديد المعارضة في ركوب البحر وكذلك عثمان بن عفان في السنوات الاولى من خلافته ، لكن معاوية بن ابي سفيان استطاع ان يقنعه بالفائدة التي تعود على دولته من انشاء بحرية اسلامية ، فأجابه الى طلبه . واستحالت المانعة في ركوب البحر ايام عمر الى ترحيب به في أواخر عهد عثمان . واصبح للدولة العربية اسطول قوامه ملاحون من اليمن ، ومن اهالي سواحل الشام ومصر .

معركة « ذات الصواري »

كان معاوية اول من وضع للدولة العربية سياسة خارجية ، تتبعها ازاء الدولة البيزنطية . ومما حمله على توجيه نشاطه الى هذه الدولة رغبته في ابعاد خطر الروم عن العرب ، هذا الى طموحه في الوصول الى ذروة المجد عن طريق فتحه القسطنطينية بعد ان فاتته فرصة اظهار شخصيته في الفتوح العربية الكبرى ، ومن ثم بدأ في غزو جزر البحر المتوسط الخاضعة لنفوذ الروم بعد أن أصبح للدولة الاسلامية اسطول بجانب قوتها البرية، فغزا جزيرة قبرص سنة ٢٨ هـ (٦٤٩ م) في خلافة عثمان بن عفان، كما خرج اذ ذاك عبدالله ابن سعد بن ابي سرح على رأس الاسطول الاسلامي واشتبك مع الروم في معركة ذات الصواري البحرية سنة ٣٤ هـ (٦٥٤ م) ، واوقع الهزيمة بأسطولهم الذي كان يقوده الامبراطور قنستانز (قسطنطين) الثاني .

حصار القسطنطينية

ظل معاوية منذ جمعت له ولاية الشام في ايام عمر الى أن توفي سنة ٦٠هـ يغزو أراضي الدولة البيزنطية . وسار بنفسه في خلافة عثمان بن عفان سنة ٣٢ هـ (٦٥٣ م) الى القسطنطينية وحاصرها ، ثم اضطر الى رفع الحصار عنها للاحداث الداخلية التي وقعت في الدولة العربية،هذا الى مناعتها الطبيعية والصناعية .

لم يغز معاوية بلاد الدولة البيزنطية

فى المدة بين سنتى ٣٣ ، ٤٠ هـ وانما عقد هدنة مع الامبراطور البيزنطى قنستانز (قسطنطين) الثانى ، مؤداها أن يدفع له مبلغا من المال سنويا . وكان مما دعا معاوية الى عقدها ، رغبته فى اتخاذ الحيطة لمحاربة خصمه على بن ابى طالب، هذا الى اشتداد غارات الجراجمة على اعالى بلاد الشام فى ذلك الوقت . فلما تغلب على هذه الصعاب التى واجهته سعى فى التحلل من تلك الهدنة التى قبلها مضطرا ، فامتنع عن دفع الاتاوة واستؤنفت الحروب بين الدولة العربية والدولة الرومانية الشرقية سنة ٤١هـ .

على ان معاوية وان كان قد غزا القسطنطينية ووصل الى اسوارها فى عهد امارته على الشام ، فانه لما ولى الخلافة لم يسر اليها بنفسه ، بل أعد سنة ٤٨هـ (٦٦٨ م) حملة برية وبحرية بقيادة فضالة بن عبيد الانصارى لارتياد اسهل الطرق التى تؤدى الى الاستيلاء على القسطنطينية ، ثم جهز فى العام التالى جيشا ضخما ليكون مددا لقواته التى ارسلها من قبل الى حاضرة الدولة البيزنطية ، وأسند الى ابنه يزيد قيادته ــ وكان اذذاك قد اخذ يرشحه لولاية العهد ــ ، واشترك فى هذه الغزوة غير واحد من كبار الصحابة ، نذكر من بينهم عبد الله بن عباس المحدث المشهور ، وابو ايوب الانصارى الذى اضاف النبى صلى الله عليه وسلم فى داره على أثر هجرته الى المدينة . ولما اجتمعت هذه القوات امام اسوار القسطنطينية ، شرعت فى تضييق الحصار عليها من البر والبحر ، كما اخذت تهاجمها بضعة ايام دون ان تظفر منها بشىء ، ثم اضطرت الى رفع الحصار عنها سنة ٦٧٠ م فى عهد الامبراطور قسطنطين الرابع ، وعاد يزيد مع الجيش العربى الى الشام . اما البيزنطيون ، فانهم رأوا ــ بعد تلك الاخطار التى تعرضت لها حاضرتهم ــ ان يوجهوا اهتمامهم الى تقوية وسائل الدفاع عنها .

الروم يستخدمون النار اليونانية

وعلى الرغم من الصعوبات التى واجهت القوات العربية اثناء حصارها القسطنطينية، فان معاوية عول على انفاذ حملة اخرى لغزو هذه المدينة ، وأمدها بأسطول قوى ، واستأنفت هذه الحملة مهاجمة القسطنطينية سنة ٦٧٤م ، غير انها لم تشتبك مع البيزنطيين فى حروب متصلة ، كما لم تستمر طويلا فى حصار عاصمتهم ، بل كانت ترتد عنها فى الشتاء، وتعاود حصارها فى الصيف . ودارت خلال هذا الحصار عدة معارك حربية بين الاسطولين العربى والبيزنطى فى مضيق البسفور وبحر مرمرة . لكن للمرة الثانية لم تستطع القوات العربية اخذ هذه المدينة لحصانتها من جهة ولاستخدام البيزنطيين النار اليونانية التى انزلت كثيرا من الاضرار فى سفن العرب ، واضطر معاوية الى الدخول فى مفاوضات مع البيزنطيين ، انتهت بعقد صلح بين الفريقين ، تعهد بمقتضاه الخليفة الاموى ان يؤدى للامبراطور البيزنطى قسطنطين الرابع مبلغا معينا من المال كل سنة .

بين جستنيان وعبد الملك بن مروان

ولما اضطربت الأمور فى بعض ولايات الدولة العربية منذ وفاة معاوية حتى اوائل عهد عبد الملك بن مروان ، حاول الروم استغلال هذا الاضطراب على الرغم من ان هناك صلحا بينهم وبين العرب ليحصلوا على مزايا جديدة ، وذلك بالضغط على خصمهم، فطلب الامبراطور جستنيان الثانى من عبد الملك النزول

عن نصف ايراد ارمينية وجزيرة قبرس، فقبل الخليفة الأموى مطالب الروم لأن مركزه فى داخل دولته كان فى اشد حالات الحرج وعلى الاخص فى بلاد الحجاز والعراق ، واشترط ان تنقل الدولة البيزنطية الجراجمة من الاراضى التى كانوا يحتلونها على حدود الشام الشمالية الى داخل آسيا الصغرى ـ وكان الروم يستخدمونهم فى ازعاج الدولة العربية . فقبل الامبراطور البيزنطى هذا الشرط ، وبذلك زال خطرهم عن المسلمين .

هزيمة الروم أمام العرب

على أن عبد الملك بن مروان ما لبث ، بعد أن توطدت سلطته فى داخل الدولة العربية سنة ٧٣ هـ ، ان عول على انتهاز الفرص لالغاء الصلح الذى عقده مع الروم. فلما اغار قائد الحامية البيزنطية التى فى الجهة الشرقية من آسيا الصغرى على مقاطعة ارمينية الاسلامية وضمها الى القسم التابع لدولة الروم من اقليم ارمينية ، راى عبدالملك فى هذه السياسة الاستعمارية نقضا جديدا من ناحية الروم للعهد المبرم بينهم وبين الدولة العربية ، ومن ثم اعلن الحرب على الروم . ودارت الحرب بين الفريقين فى الشرق والغرب . ففي الشرق اوقع العرب الهزيمة بالامبراطور جستنيان الثانى فى واقعة كبيرة عند بلدة سيباستوبليس فى قيليقيا (وتقع على الحدود بين الدولتين) . اما فى الغرب ، فكانت الحرب سجالا فى اقليم افريقية (تونس) ، تارة ينتصر العرب ، وطورا ينتصر الروم . وظل الحال على ذلك الى أن اسندت القيادة الى موسى ابن نصير ، فافتتح منطقة شمال افريقيا واستولى على قرطاجنة وجلت حاميات الروم عن تلك المنطقة عائدة الى القسطنطينية . وفى اثناء رجوعها ،اشتد سخط الروم على الامبراطور تيبريس الثالث الذى انتقم من سلفه ، فجدع انفه وحبسه فى بعض الأديرة .

وكانت الاحوال فى الدولة العربية قد استقرت فى زمن الوليد بن عبد الملك ، ولم يبق للاضطرابات الداخلية التى سادت فى عهد من سبقه من الخلفاء وجود. اما فيما يتعلق بالدولة البيزنطية فقد استحكمت فيها الفوضى واشتد النزاع على العرش ، وانقسم الروم الى شيع واحزاب . ولم يكن عدم استقرار الأمور فى هذه الدولة بسبب النزاع على العرش خافيا على حكومة الامويين بدمشق فى عهد الوليد بن عبد الملك ، فحاول هذا الخليفة الانتفاع بالاضطراب السائد فى الدولة البيزنطية فى الوقت الذى كانت جيوشه تغزو فى الشرق والغرب ،وراى ان يتم فتوحه بتقويض عرش تلك الدولة والاستيلاء على حاضرتها ، فاخذ يعد حملة برية واخرى بحرية لحصار القسطنطينية .

العرب يغزون آسيا الصغرى

على أن الامبراطور البيزنطى انستاسيس الثانى ما لبث أن اعد العدة لاحباط هذا المشروع سنة ٧١٤م ،فبعث سفنا الى مرافىء الشام التى كانت تبنى فيها السفن العربية لاحراق خشبها وعرقلة سيرها . لكنه لم يفلح فى تحقيق غرضه وتوفى الوليد سنة ٩٦ هـ(٧١٤م) قبل ان يتم تكوين الحملة . فلما خلفه اخوه سليمان مضى فى تنفيذ ذلك المشروع، فارسل القوة البرية الى آسيا الصغرى تحت قيادة اخيه مسلمة سنة ٩٨هـ (٧١٦) وامر عمر بن هبيرة قائد الاسطول العربى بالابحار الى القسطنطينية ، ورابط الخليفة بقوة عند دابق بالقرب من حلب ليكون مددا عند اللزوم للحملة العربية.

ولما اجتاح مسلمة بن عبد الملك آسيا

الصفرى ووصل الى بلدة عمورية ،اخذ فى محاصرتها ،وكان يقود الدفاع عنها ليو الايسورى الذى قيل انه من أصل سورى ويجيد العربية ، كما عرف عنه انه يتطلع الى عرش بيزنطه ، فحاول الاستعانة بالعرب للوصول الى الملك ، ومن ثم دخل فى مفاوضات مع مسلمة ، واوهمه انه اذا ساعده على ارتقاء عرش الدولة البيزنطية يتعهد له بأداء جزية سنوية للدولة الاسلامية ويصبح تابعا للخليفة العربى . فاغتر مسلمة بهذا الوعد ورفع الحصار عن عمورية . اما ليو فسار من فوره صوب القسطنطينية وكان بها اثنان يتنافسان على الملك ، فأوهم اهلها انه خدع القائد العربى ، وانهم ان ولوه العرش صد عنهم غارة العرب ، فلم يشكوا فى قوله ، وولوه امبراطورا للدولة البيزنطية باسم ليو الثالث (مارس ٧١٧ م) . وكان مسلمة وقتذاك يرابط بجيوشه أمام القسطنطينية ينتظر أن يرسل اليه ليو الاموال ويحقق ما وعده به . أما الأسطول العربى ، فدخل مضيق القسطنطينية ورابط فى البسفور (سبتمبر ٧١٧ م) .

ولما لم يف ليو بوعده ، صمم مسلمة على مداومة الحصار، وامر اتباعه بادخار المؤن وزراعة الارض ، وصارت الاقوات عنده ــ كما يقول الطبرى ــ أمثال الجبال من كثرتها . فخشى ليو عاقبة استمرار العرب فى محاصرة القسطنطينية ودخل فى مفاوضات مع مسلمة . وكان ليو كلما اشتد الحصار لجأ الى مفاوضة مسلمة، ومصانعته ، فتخف وطأة الحصار وتتسرب المؤن الى المدينة ، لكنه لم يلبث أن غدر بمسلمة وأصبح محاربا له . ثم اقبل الشتاء ــ وكان شديدا قارسا ــ فهلك كثير من جند العرب . وفى الربيع التالى وصلت الى مسلمة امدادات برية وبحرية . لكن هذه النجدات لم تتمكن من أحكام الحصار حول القسطنطينية كما أن البيزنطيين القوا النار اليونانية على السفن العربية ، فأوقعت فيها الاضطراب . وفضلا عن ذلك فان المجاعة بدأت تهاجم المعسكر الاسلامى ، فأخذت مخازن الأقوات فى النفاد ، ولقى الجند كثيرا من الشدائد ، اذ اضطروا الى أكل الدواب واوراق الشجر .

عمر بن عبد العزيز يأمر بالانسحاب

لم تضعف عزيمة مسلمة رغم الصعاب التى صادفها أثناء قتاله مع البيزنطيين ، فأصر على مواصلة حصار القسطنطينية حتى جاءته الأخبار بوفاة سليمان بن عبد الملك، ثم اضطر الى الانسحاب سنة ٩٩ هـ (٧١٨ م) تنفيذا لأوامر الخليفة الجديد عمر بن عبد العزيز الذى أرسل اليه يأمره بالقفول بمن معه من المسلمين، وأنفذ اليه خيلا وكثيرا من المؤن ، فعاد مسلمة مع ثلاثين الف جندى . اما بقية الأسطول العربى ، فحطمته أثناء عودته عاصفة عنيفة ، ولم يصل منه سالما الى الشاطىء السورى سوى خمس سفن .

على أن عدم نجاح العرب فى محاولة الاستيلاء على القسطنطينية فى أيام سليمان بن عبد الملك لم يثن عزمهم عن غزو أراضى الدولة الرومانية الشرقية ، فقد استمرت الغزوات صيفا وشتاء فى عهد هشام بن عبد الملك بقيادة أولاد الخليفة نفسه،نخص بالذكر منهم معاوية والد عبد الرحمن الداخل . لكن العرب لم يحالفهم التوفيق فى أيامه ، وشغل الخلفاء الأمويون منذ ذلك الوقت بظهور الدعوة العباسية .

الخلفاء الامويون : يتهرقلون

لم تكن العلاقة بين العرب والروم فى العصر الأموى مقصورة على مجرد تبادل الغارات والحروب ، وانما أدى اتصالهم ببعض بحكم الجوار الى تأثر

كل فريق بالآخر، فمن الناحية السياسية تأثرت خلافة الأمويين بالنظم السائدة فى الدولة الرومانية الشرقية ، فسميت قيصرية أو هرقلية بمعنى انها قائمة على النظام الامبراطورى البيزنطى ، فمعاوية كان فى مظهره كالامبراطور البيزنطى ، كما انه هو وخلفاءه من بعده عاشوا فى شيء من الأبهة لم يعرفه الخلفاء الراشدون من قبل . وقد لاحظ عمر بن الخطاب حين ذهب الى الشام أن معاوية ـ وكان وقتذاك يتقلد ولاية هذه البلاد ـ يحيط نفسه بمظاهر الأبهة ، فأنكرها عليه فى باديء الامر ، ثم اقرها على اعتبار ان مجاورته للروم تضطره الى اتخاذ هذا المظهر .

ازدياد التوتر بين العرب والروم

كذلك كان من اثر اتصال العرب بالروم ان شاع استعمال العملة الرومية فى بلادهم ، فصاروا يتعاملون بالدنانير البيزنطية جنبا الى جنب مع النقود التى سكها خلفاء الدولة العربية وامراؤها وظل الحال على ذلك الى أن ولى عبد الملك بن مروان الخلافة ، فراى بعد ان تمهدت له الأمور فى الدولة العربية ان يصلح السكة ويوحدها فى جميع انحاء دولته ، كما عمد أمام الخصومة التى بينه وبين الروم الى التخلص من عملتهم المتداولة فى بلاده ، فأنشأ دارا لضرب النقود فى دمشق وسك عملة جديدة من الذهب والفضة وامر أن ينقش عليها بعض الآيات القرآنية . ولما راى الروم ان الاموال التى يؤديها عبد الملك اليهم طبقا لشروط الصلح التى عقدها معهم مكتوب عليها آيات قرآنية ، استاءوا من ذلك واعتبروه اهانة موجهة اليهم لعدول العرب عن عملتهم ، ومن ثم ازداد التوتر فى العلاقات بين الفريقين .

أثر الاسلام على الروم

اما عن تأثر الروم بالعرب ، فنستطيع ان نقول على ضوء أحداث ذلك العصر ان الديانة الاسلامية التى سادت البلاد العربية اثرت بعض الشيء فى الروم ، ذلك أنه قد شاع فى الدولة البيزنطية فى القرنين السادس والسابع الميلاديين عبادة الصور التى تمثل المسيح والسيدة مريم والقديسين وكان كثير من البيزنطيين يعرفون ان الشريعة الاسلامية تحرم تقديس الصور وعبادتها . ومن هؤلاء ليو الايسورى الذى وجه اهتمامه بعد ان ولى عرش بيزنطة ، وتخلص من خطر حصار الجيوش العربية الى القضاء على بدعة عبادة الصور ، **فأمر بتحطيم** التماثيل والصور فى الكنائس والأديرة . وحذا حذوه ابنه قسطنطين الخامس فى القضاء على عبادة الصور ، بل زاد عليه فى اغلاقه الاديرة وسماحه للرهبان بالتزوج . وهنا نجد تأثيرا مباشرا للاسلام . وقد أدت هذه السياسة الدينية التى اتبعها الامبراطور الى نفور البابوية من الدولة البيزنطية . ■■

محمد جمال الدين سرور

الفراسة عند العرب

● قالوا : عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة ، واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد ، والعين المتوسطة فى حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروءة ، والتى يطول تحديقها تدل على الحمق ، والتى تكسر طرفها تدل على خفة وطيش ، والشعر على الاذن يدل على جودة السمع ، والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان .
والله أعلم !

أنباء الطب والعلم والاختراع

سمعت صوتا، فنظرت يمينا، فكيف عرفت انه اليمين ؟

● هذه واحدة

والثانية سؤال : انت غاطس فى الماء ، فهل تعرف من اى جهة ياتيك الصوت ؟ والجواب لا .

نفسر هذين الأمرين قبل ان نعطيك الخبر الذى وراءهما

اما أنك سمعت صوتا فنظرت الى يمينك فسببه ان لك اذنين . الاذن التى الى اليمين سمعت الخبر قبل الأذن التى الى اليسار . فأدرك ذلك المخ ، فنظرت الى يمين .

اما فى الماء ، فالصوت يسير اسرع مما يسير فى الهواء اربع مرات . واذن فالزمن الذى تسبق به اذنك اليمين للتعرف على الصوت فى الماء ، فى المثل الذى ذكرناه ، قبل اذنك اليسرى ، انخفض الى الربع . واذن لم يستطع هذا الزمن القصير أن يفرق بين يمين وشمال .

اما الخبر ، فان العلماء استطاعوا ان يصنعوا جهازا يحمله الغاطس فى الماء على راسه فيؤخر الصوت الذى تسمعه اذن عن اختها الاخرى ، او يقدمه ، المهم ان يكون بين سماعهما للصوت فترة كالفترة التي يجيزها الهواء . واذن صار الغاطس فى الماء يعرف اتجاه الصوت كما يعرفه سامع الصوت فوق الارض ، فى الهواء .

انه العلم ابو العجائب

طائرة بدون طيار ، تطير وحدها ١٧٤ ميلا

● ونبدأ فنقول انها ليست طائرة ، وانما نموذج من طائرة ، وقد حملها صاحبها فى الصورة ، لا تزيد المسافة بين طرفى جناحيها عن ٨ اقدام .

وهو أطارها ، وتحكم فى طيرانها بالراديو . وهى طارت مسافة ١٧٤ ميلا فى مجال مقفل . وبذلك حقق رقما قياسيا . وكان الرقم الذى سبقه ١٣٥ر٤ ميلا .



هذا هو الرجل ، ونموذج الطائرة ، وقد أطارها وهو على الارض مسافة ١٧٤ ميلا ، بواسطة موجات الراديو ، يرسلها اليها من الارض . وهو أطارها فى مجال دائرى مقفل .

قلب من لدين

نعم ، نعم . ان القلب مضغة فلم لا نصنعها من لدين (بلاستيك) ، ثم نودعه الصدر ، فيجرى من عمليات الحياة ما يجريه القلب وهو من لحم ودم .

أمل يرى الاطباء انه يتحقق فى عشرة اعوام. انهم متركزون اليوم على اختيار المادة التي منها يصنعون القلب المصنوع وسوف تكون على الاغلب من لدين . وما اكثر اللدائن ، وما اكثر انواعها فى هذه الايام . غير ان اللدين الذى يبحثون عنه يجب أن تكون له خواص تأتلف والغرض الذى يستهدف منه واولها أن يكون له من الصفات مالا يؤثر فى الدم الذى يجرى فيه ، وما لا يتأثر بالدم اذ يجرى فيه . ومن اهم هذه المخاوف الخوف من تخثر الدم بسبب مسه المستديم لهذا اللدين .

تحدثت فى هذا الامر الى صاحب مجاور ، من اهل الراى وصاحب النظرات . قال ما كل هذا التعب ، والقلوب ، من لحم كانت او لدين ، مآلها آخر الامر الى التوقف ، ومآل صاحب القلب الى الفناء

قلت : نظرة فى الفلسفة مقبولة ، ولكنها فى الحياة الجارية مرفوضة . ترفضها الحياة لا صاحب الحياة . فالحياة تحفز الى مواصلة العيش ، حتى على المرض ، وعلى العرج ، وعلى العمى . جبلة فى الانسان هي مشيئة الحياة وصانع هذه الحياة .

الارض كرة ؟ وكيف ولها أربعة أركان ؟

● كل يوم يخرج فى العلم شيء جديد ، غريب

من ذلك ان الارض ليست كرة . هي قاربت ان تكون ، ولم تفعل

عرف العلماء ذلك من الاقمار الاصطناعية وقياس ابعادها . ابعادها عن سطح الارض .

عرفوا ان فى الارض بروزات اربعة . يشمل كل بروز بضعة الوف من الاميال المربعة من سطحها . ويقترب القمر الاصطناعي من هذا البروز فيجذبه اليه فيهبط . ثم يمر على المنخفض من سطح الارض الذى يليه فيقل جذبه للقمر فيرتفع القمر .

وهذه البروز ترتفع نحو ٢٢٠ قدما فوق مستواها الذى وجب لو أن الارض كروية . ثم ينخفض ما يليها نحو ٢٥٣ قدما دون مستواه الذى وجب لو ان الارض كروية .

وعدوها فكانت اربعة أركان

اما الاقمار فهي تهبط عندما تكون فوق اوساط هذه الاركان عدة مئات من الاقدام

وملخص شكل الارض الآن هو ما يلي :

١ ـ انبعاج عند اوسطها ، عند خط

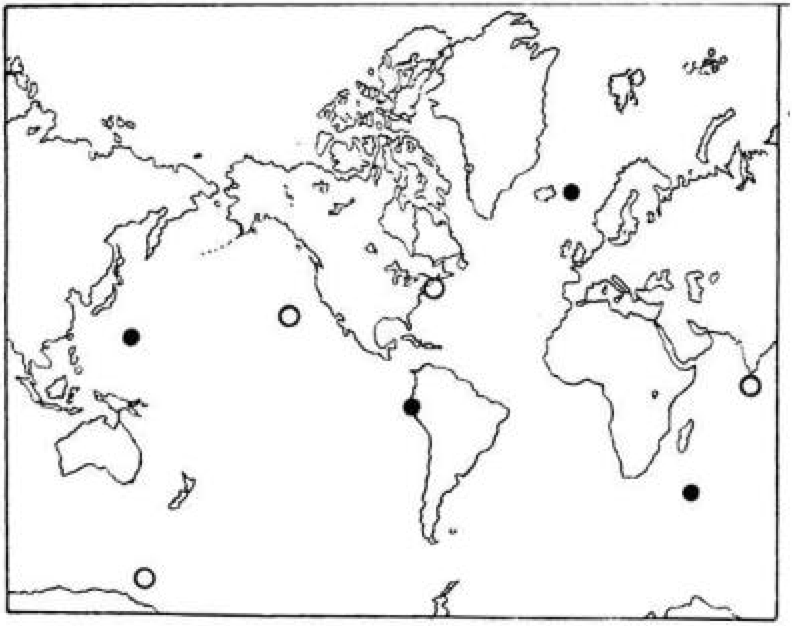
اصداء من القلب ، تصور حالة القلب

● القلب شيء دفين فى الجسم لاتراه العين .

والقلب ، يمرض ، ويحس صاحب القلب بمرضه . ولم يكن للطبيب فى قديم الزمان الا النبض يمسه ، قويا وضعيفا ، وبطيئا ومسرعا ، ومنه يستنتج ما يستطيع .

ثم كانت الاشعة السينية فكشفت عن حالة الصدر ، وفيه القلب .

ثم كان تصوير حركة القلب بالكهرباء ، وترسم كل نبضة على الورق ، فيستنتج



خريطة تبين اركان الارض الاربعة ، وهي التي عليهـا دوائر سوداء مطموسة . وهي تمثل النقط التي عندها يرتفع سطح الارض. أما الدوائر الفارغةالبيضاء فعندها ينخفض سطح الارض

الاستواء ، وهذا كان معروفا من زمـن بعيد .

٢ ـ شكلهـا شابه الكمثـرى بعض الشيء ، من حيث ان طرفها الاعلى عند المحيط المتجمد الشمالي اصغر منطرفها الادنى عند المحيط المتجمد الجنوبى ، فهذا الاخير اعرض .

٣ ـ ان حزام الارض ، ذلك الـذى نسميه خط الاستواء ، شـكله بيضوى لا دائرى .

٤ ـ لها أربعة أركان اشبه برؤوس الهرم الثلاثي .

ومع هذا ، ومع كل هذا ، فان قصور الارض عن ان تكون كـرة هندسـية ، ليس بالقصور الخطير . فخروجها من هذا الشكل قليل بالنسبة لحجم الارض الـكبير . يجب ان لا ننسى ان دائـرة الاستواء محيطها نحو ٢٥٠٠٠ ميل ، وان مساحة سطح الارض نحو من ١٩٧ مليون ميل مربع .

الطبيب من شـكلها سـلامة القلب اومرضه . وقد نسميها راسـمة القلب الكهربائية او راسمة نبضه Electro-Cardio-Graph

واليوم يدخل فى الكشف عـن القلبجهاز جديد ، ليس يعتمد على الاشعاع ، ولا يعتمد على الـكهرباء ، وانما يعتمدعلى الاصوات واصدائها .

وملخص امره ان موجات من امـواجالصوت تخرج منه ، من هذا الجهاز ، وتوجـه الى القلب ، ثـم هي ترتد عنهاصداؤها . والقلب يتألف من انسجة ذات كثافات مختلفة . فالصوت الذيـيصـل الى القلب عبر الصـدر يحدث

في معهد بمباي التكنى

● او ان شئت فالتكنولوجي ، وهو معهد ككل المعاهد التكنية لتعليم الطرق المستخدمة في الصناعة مع مختلف فروعها .

ومعهد بمباي مظهر من المظاهر الهندية التي تنبىء عن مستقبل الهند كيف يكون ، وعن مستقبل اى بلد تكون فيه هذه المعاهد . انه مستقبل الغد ، مستقبل الصناعة ، الذى لا مستقبل في السنوات ، وحتى القرون ، القادمة ، الا مستقبله .

وهو معهد ، فوق انه يشارك في بناء مستقبل الهند ، يمزق النظام القديم للمجتمع الهندى ، الذى يقسم الناس الى طبقات ، لكل في الحياة عمل ، ولكل منزلة لا يتعداها . وادناها طبقة المنبوذين .

ففي هذا المعهد طلبة من كل الطبقات ، لا يفرق بين طبقة وطبقة . ومن امثلة ذلك رئيس قسم الفزياء بالمعهد ، انه يمثل اول شاب من طبقته الدنيا ، تهيأ له ان ينال تعليما عاليا ، بداه في جامعة الله اباد ، وفيها نال الماجستير ، ثم ذهب الى الولايات المتحدة ونال درجة الدكتوراه . واجرى بحوثا في فزياء الاجسام الصلبة في كندا ، ثم عاد الى الهند وتنقل من معهد للعلم الى معهد ، حتى استقر في معهد بمباي .

وكما ضم المعهد شباب المستقبل ، ضم كذلك شاباته . وبهذا اكمل المعهد الخروج عن عتيق الزمان وتزمته الى ما يتفق وحياة الناس في الغد على سطح هذه الارض .

وفي الصورة آنسة هندية من آنسات المعهد ، تدرس الهندسة .

وهي قائمة الى مخرط تديره بمهارة لا تقل عن مهارة شاب في ادارته .

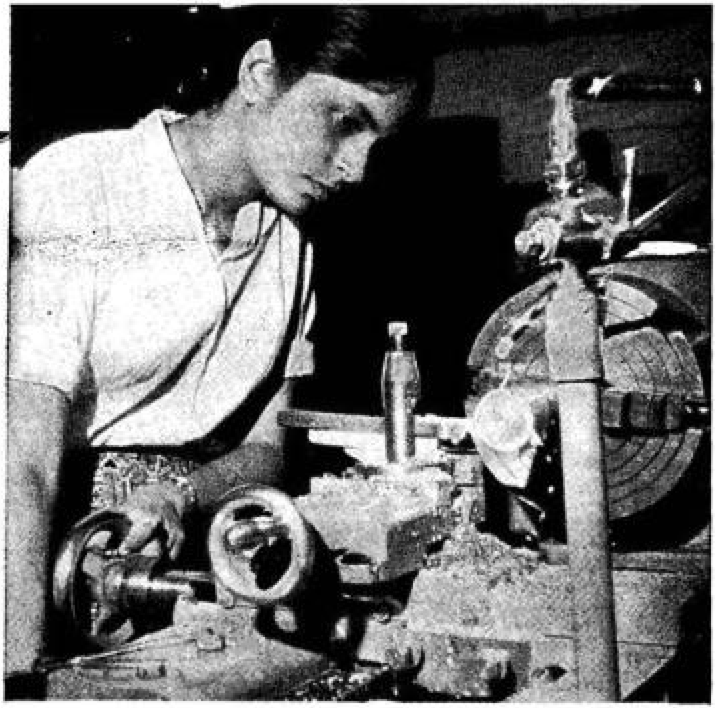
فلنستيقظ نحن العرب ، من سباتنا . فالدنيا سبقت . حتى الهند ، وهي العتيقة القديمة .

اصداء ترتد عن جدار القلب الاعلى ،وعن جداره الخلفى ، ومن ذلك يعرف حجم ما بينهما . وما بينهما الا خزانات القلب . وصمامات القلب التي لا تفتأ تنفتح وتنغلق ، وتحكم بذلك جريان الدم في القلب ، هي الاخرى ترد اصداء سريعة الحركة .

وهذه الاصداء يمكن تصويرها جميعا على الورق ، وعلى شاشة التلفاز ، وبذلك يستطيع دارسها ان يقرنها بالرسوم الكهربائية لنبضات القلب ، ومنها يستنتج استنتاجات يؤكد بعضها بعضا.

وقد استخدم هذا الجهاز فعلا فكشف عن امراض في الصمامات ، وعن تضخم في الخزانات ، وعن اورام موضعية ، وعن رواسب كلسية، وكشف كذلك عن حالة الاورطة ، شريان الجسم الاكبر .

ويسمى هذا الجهاز Echo-cardio-graph ونترجمه براسم اصداء القلب . ولن يمضي عليه قليل من السنين حتى يعم استعماله ، ويصغر حتى ليحمله الاطباء الى المنازل كما يفعلون اليوم بالراسم الكهربائي .



اول آنسة هندية دخلت معهد بومباى التكنى ، منذ سنين ، وتبعها اخريات .
وها هى تتدرب على اعمال الورشة بالمعهد تمهيدا لتخصصها فى الالكترونيات

رأى غريب : الهستيريا مرض لا وجود له

● ذلك ما يراه الدكتور سلاتر Eliot Slater، رئيس وحدة البحث الوراثي النفساني فى مستشفى مودزلي Maudsley بلندن .

انه يقول : ان الهستيريا Hysteria خرافة ، وهي اسم يغطى جهلا ، وهي فى عيادات الاطباء مصدر للاخطاء ، وهى يجب أن تنحى بحسبانها مرضا يهرع اليه الاطباء فى تشخيص متاعب المرضى .

وهو يقول ان استعراض مليون حالةعصابية ، امتحنها اطباء نفسانيون ، دلت على انهم يشخصون منها اكثر من ٥ ١/٢ فى المائة على انها هستيريا . واربعة امثال هذه الحالاتشخصوها على انها حالات حصر اى قلق ، والمرض يسمى بالحصار Anxiety

فعدد المسمّين هستيريين عدد لا شك قليل

وعند الدكتور سلاتر ان مرض الهستريا ، بحسبانه قراناً من اعراض Syndrome، لا وجود له . وقد اتضح له ان هؤلاء المسمّين هستيريين انما هم مرضى بسبب علات اخرى : آفة فى المخ او شنج . او علات نفسية كالحصار (مرض القلق) والاكتئاب Depression ، والفصام Schizophrenia .

وعلى الرغم من غرابة هذا الراى ، وفجاءته ، فان محرر المجلة الطبية البريطانية الشهيرة British Medical Journal يعلق على ذلك فيقول ان اكثر الاطباء النفسانيين يقبلون هذا الراى على غرابته . ■■



حرية الاعتقاد

عن جريدة « الصنداى تايمز » اللندنية:

● لقد أقدمت الكنيسة الكاثوليكية مؤخرا على الاعتراف بحق الانسان الأزلى وبحريته فى اختيار عقيدته وممارسة شعائره الدينية كيفما يشاء . تلك هى النتيجة التى ترتبت على القرار التاريخى الذى اتخذه مجلس الفاتيكان ، باكثرية بالغة ، يوم الثلاثاء الواقع فى ٢١ سبتمبر (ايلول) الماضى . واهم ما ينص عليه ذلك القرار هو أن الانسان ، اى انسان له الحق فى عبادة الله كما يشاء ، ووفق ما يمليه عليه ضميره ، دون قيد او شرط ، ما خلا التزام الحدود التى تفرضها الأخلاق ويستوجبها النظام العام .

اما المبادىء التى اعتمدها مجلس الفاتيكان اسسا لقراره المذكور فاثنان : أولهما : هو ان المجتمع الانسانى قد بلغ مرتبة النضج والرشد ، وان العروة الوثقى التى تجمع بين الافراد وتكون منهم المجتمع الانسانى الحديث ، لم تعد الدين، بل أصبحت كرامة الفرد الانسانى وحريته . لذلك أصبحت المطالب التى ينادى بها المواطن الحر هذه الأيام اهم واجل شأنا من تلك التى تفرضها المؤسسات الكنسية . والمبدأ الثانى الذى استند اليه قرار مجلس الفاتيكان الأخير هو الاقرار بحرية المرء الأصلية التى لا سبيل الى الايمان بهذه او تلك من المعتقدات الدينية الا بممارسة تلك الحرية . فالايمان هبة انعم بها الله على الانسان دون أن يفرضها عليه ، والايمان ايضا نعمة يستطيع المرء قبولها او رفضها كما يشاء .. والقوة والضغط لا يجوز ان يَحُلا محل هذه الحرية فى العطاء والقبول .

ولا يخفى ما ينطوى عليه هذا القرار من اعتراف ضمنى بأن الكنيسة الكاثوليكية لم تعد ، فى نظر الفاتيكان ، السبيل الوحيد الى الدين الحق. ففضلا عن الكنائس الأخرى ، وقد اعترف الفاتيكان مؤخرا لها ببعض الحقيقة التى اعتبرها فيما سبق وقفاً على الكنيسة الكاثوليكية ، هنالك الحقوق المدنية (والقضائية) التى اصبحت فى نظر الفاتيكان سبيلا آخر الى الحقيقة .



أهم المخاطر التى تنذر بها الاسلحة الذرية

عن مجلة « نيوزويك » الامريكية :

● لعل أخطر ما تنذر به الأسلحة النووية هو فى تسرب هذه الأسلحة الى الدول الصغرى . ويذهب احد الخبراء فى هذا الميدان الى أن السنوات العشرين القادمة ستشهد انتشار الأسلحة النووية فى ما يقارب العشرين من الدول التى لا تملكها حاليا . ويذهب آخر الى توقع نشوب حرب نووية بين الدول الكبرى نفسها نتيجة للعبث الذى قد تقدم عليه احدى الدول الصغرى التى تقف طاقاتها فى هذا الصدد عند حد امتلاك قنبلة نووية واحدة أو اثنتين .

وتجدر الاشارة الى ان التخوف من تسرب الأسلحة النووية الى الدول الصغرى ، أو حتى الى بعض العصابات والفئات الخارجة على القانون، قد سبق ظهور تلك الأسلحة بالذات . فقد أثار الى هذا الاحتمال ، والى احتمال صنع القنابل الذرية بطرق أكثر سهولة وأقل كلفة ، وزير الدفاع الامريكى السابق المستر هنرى ستيمسون سنة ١٩٤٥ . وبالرغم من هذه الاشارات والتحذيرات المسبقة، فان الكثيرين من كبار المسئولين الأمريكيين قد أساءوا تقدير السرعة التى يمكن لسائر الدول التحول بها الى دول نووية . ولم يسلم الجنرال ليزلى جروفز نفسه من هذا الخطأ فى الحساب والتقدير . فقد تنبأ سنة ١٩٤٥ بأن من المتعذر على الاتحاد السوفياتى صنع القنبلة الذرية قبل مضى عشرين سنة ، علما بأن الجنرال المذكور كان المدير المسؤول لمشروع مانهاتان الذرى فى ذلك الحين ، وان روسيا قد فجرت قنبلتها الذرية الاولى عام ١٩٤٩ .



سياسة ديجول الاقتصادية

عن مجلة « تايم » الأميركية :

● لا جدال فى ان اقتصاديات فرنسا قد نشطت فى السنوات الأخيرة تبعا لعاملين اثنين : اولهما تولى شارل ديجول للحكم سنة ١٩٥٨ ، والثانى قيام السوق الاوروبية المشتركة فى السنة نفسها . فمنذ أن أصبح ديجول رئيسا للجمهورية وهو يعمل على توطيد الفرنك الفرنسى بحيث أصبح لفرنسا عملة ثابتة ، واتصفت اقتصادياتها بالرخاء الى حد كبير وذلك للمرة الأولى منذ ما يقارب الخمسين عاما . فضلا عن ذلك، فان صادرات فرنسا الى دول السوق الأوروبية الخمس الأخرى قد ازدادت منذ تأسيس تلك السوق بحيث تضاعفت المنتجات الزراعية من تلك الصادرات خمسة أضعاف ، كما تضاعفت المنتجات الصناعية منها ثلاثة أضعاف ، بالنسبة الى ما كانت عليه هذه وتلك قبل تأسيس السوق . .

والسؤال الذى تتعذر الاجابة عليه فى الوقت الحاضر هو : ماذا يكون موقف رجال الأعمال الفرنسيين ، فيما لو اعترض أحد هذين العاملين سبيل الآخر، كما حصل فعلا فى السياسة التى انتهجها ديجول فى الآونة الأخيرة بقصد تدمير تلك السوق والقضاء عليها ؟! هل يساندون ديجول أم يشدون أزر السوق؟

المرأة المسلمة فى الهند





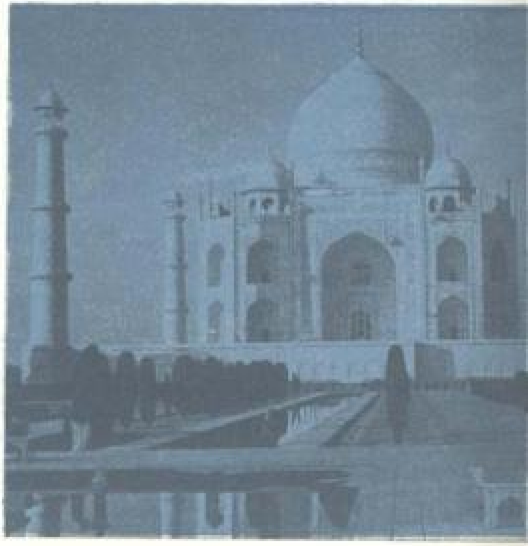


بقلم : الدكتور محمد اسماعيل الندوى

استاذ اللغة الاردية بمدرسة الالسن العليا : القاهرة

■ هذا الحديث شيق جدا نظرا الى الصداقة العميقة التى تربط بين الهند والبلاد العربية منذ اقدم العصور . وهناك تفاعل فكرى بين البلدين منذ اقدم العصور ، اذ قامت دولة المماليك فى كل من الهند ومصر فى القرن السابع الهجرى ، وكذلك ظلت هذه العلاقات تزداد وتتضاعف على مر السنين حتى





زادت زيادة كبيرة منذ اواخر القرن التاسع عشر الميلادى اذ واجه كلا البلدين نفس المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وبصفة خاصة فى المشكلة الاجتماعية يتشابه كلا البلدين ، وظهرت دعوات فيهما لتحرير المرأة ورفع مكانتها واعطائها حقها المغتصب فى بعض العصور المظلمة . ولا يسعني فى هذه العجالة ان اتحدث عن جميع هذه النواحى ، بل اكتفى بالحديث عن المراة المسلمة في الهند فقط .

قبل بداية الحديث عن المراة المسلمة فى الهند ينبغي لنا كتافلة القول ان ننظر الى ناحيتين ، اولاهما مكانة المراة الهندية لدى الهندوس قبل الاسلام ، وثانيهما مكانة المراة فى الاسلام .

المراة الهندية قبل الاسلام

كانت المراة الهندية قبل الاسلام رمزا للحب والالوهية . وحينما نقرأ الاساطير الهندوكية مثل « **المهابهارتا** » و « **الرامايانا** » نرى بوضوح ان المراة الهندية كانت تتمتع بحب وتقدير واعجاب واحترام لا حد له من قبل الرجال . كان الرجل يضحى فى سبيلها بكل غال وثمين ، ويواجه صعوبات لا حد لها فى سبيل توفير السعادة لها ، ويغامر بنفسه لاجلها فى مغامرات لا يمكن تصورها فى هذا العصر . والاسطورة الهندية الشهيرة « **الرامايانا** » تصف بطولة البطل الهندوكى الشهير « **راما** » وزوجته « سيتا » قبل ثلاثة آلاف من السنين بهذه الاوصاف النبيلة الانسانية . كانت « سيتا » هى السبب لجميع الحروب التى خاضها « راما » فى هذه الاسطورة الشهيرة التى اصبحت بمثابة الحروب المقدسة لدى الهندوس . وكذلك كانت المراة تقدس زوجها الى حد العبودية . فقد اصبح الزوج لديها بمثابة اله من الآلهة تقدسه وتضحى فى سبيله كلما فى وسعها . وهذا التجارب بين الجنسين قد خلق قصصا كثيرة جدا فى الهند ومن اهمها مسرحية « شكنتلا » التى الفت فى الهند قبل الفين وخمسمائة سنة والتى تعبر عن تفانى الهنود فى سبيل زوجاتهم والتضحيات الغالية التى تقدمها الزوجة لزوجها .

وهذا هو السبب فى ان الهندوس القدامى رفعوا المراة الى الالوهية حتى نجد الالاهات كثيرات بجانب الالهة الهندوكية تتداولن سلطات واسعة فى ادارة شئون العالم .

وهذه الظواهر تبلورت فى المجتمع الهندوكى وتقاليده على الوجوه الآتية : فقد اصبحت المراة تتفانى فى حب زوجها لدرجة انها كانت تحرق نفسها مع جثة زوجها لانها كانت تعتقد انه لا حياة لها بعد زوجها . وهذا التقليد قد كان سارى المفعول الى العصر المغولى حتى الغاه ملوك المغول . واما الرجال فقد اصبحوا مقتنعين بزوجة واحدة ولذلك لم يعرف لديهم نظام الطلاق على عبر السنين .

المراة فى الاسلام

وبعد هذه الوقفة فى الديانة الهندوكية وحضارتها ينبغى لنا ان نقف قليلا عند موقف الاسلام من قضايا المراة . الحقيقة ان الاسلام قد فتح مجالات واسعة وآفاقا بعيدة امام المراة ، واعطى لها فرصة كبيرة لاظهار عبقريتها وطموحها . ونرى امثلة كثيرة حتى فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابيات اللاتى لعبن دورا كبيرا فى تنشيط الدعوة الاسلامية وبالاخص ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى تزعمت صفوة من الصحابة ضد قاتلى عثمان بن عفان رضى الله عنه . وكذلك كان لها دور كبير فى الحركة العلمية التى ازدهرت فى عصر الصحابة . وكانت تعتبر على راس الصحابة الذين كانوا يفتون فى الشئون الدينية ويناقشون فى المسائل الهامة . وقد كانت تناقش كبار الصحابة من امثال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتعارضهم فى بعض آرائهم ،وانفردت برأيها فى بعض المسائل الدينية مثل الاسراء والمعراج . اذ ترى عائشة ان معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان فى منامه ولم يكن جسديا قط . وهذا الراى اثار خلافات كثيرة فى العقائد والكلام عند المسلمين على عبر السنين .

وكذلك ظلت المراة المسلمة تلعب دورها الطليعى فى الحركة العلمية والدينية طوال القرون الاسلامية فى دمشق وبغداد ومصر .

دخول الاسلام الى الهند

ونعود الآن الى موضوعنا « المراة المسلمة فى الهند » . وقد دخل الاسلام الهند على يد الفاتح العربى الشهير محمد ابن القاسم وذلك فى عهد الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك . وبهذا دخلت ولاية السند التى تقع الآن فى باكستان الغربية فى حظيرة الدولة العربية لاول مرة . ثم توالت الفتوحات الاسلامية واتسعت رقعة الدولة الاسلامية فى الهند رويدا رويدا . وكان من بين هؤلاء الفاتحين محمود بن سبكتكين الغزنوى وشهاب الدين محمد الغورى .

قيام دولة المماليك فى الهند

وفى مستهل القرن الثالث عشر الميلادى ، وبالتاكيد سنة ٦٠٢ هـ الموافق ١٢٠٦ م ، قامت فى الهند دولة المماليك على يد السلطان « قطب الدين ايبك » واستمرت هذه الدولة الى سنة ٦٨٨هـ ومن الصدفة الغريبة ان دولة للمماليك على طراز الهند قامت فى مصر ايضا على يد الملكة شجرة الدر سنة ٦٤٨هـ اى بعد ٤٦ سنة من قيامها فى الهند .

امراة مسلمة سلطانة

كان عصر المماليك فى الهند عصر ازدهار علم وفكر . ومن اهم الاحداث فى هذا العصر ان السلطانة رضية بنت السلطان شمس الدين جلست على عرش اخيها الاكبر فى العاصمة « دلهى » سنة ٦٣٤هـ فى اللحظات الحرجة التى اشتدت فيها الخلافات بين اخوتها وسادت الفوضى والاضطراب انحاء

البلاد . ولم تجلس هذه السيدة على اريكة ابيها الا بجدارتها وعبقريتها ونبوغها رغم وجود اخوتها . ولقد حكمت الهند ما يقرب من اربع سنوات ازدهرت فى عهدها العلوم والفنون برعايتها وتشجيعها . قال فيها المؤرخون انها كانت تضاهى الرجال بذكائها وفهمها وذلك الى جانب مواظبتها على الصلاة والصوم وميولها الى العلوم والفنون . وقد كانت هذه السيدة مستشارة لابيها فى الشئون السياسية وبهذا حصلت على هذه الخبرة والعبقرية التى بسببها اصبحت اول امراة فى تاريخ الهند تتولى اكبر دولة اسلامية .

بين السلطانة رضية الهندية ، وشجرة الدر المصرية

وقد زاد التجاوب السياسي والفكرى بين مصر والهند فى هذه الآونة . لان فى مصر قامت دولة المماليك على طراز دولة المماليك فى الهند . وبعد السلطانة رضية بعشر سنوات فقط حكمت مصر « شجرة الدر » ما يقرب من ثلاثة اشهر بجانب اعمالها الباهرة ومشورتها ايام سيدها السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب . كانت شجرة الدر هى الاخرى جديرة بهذا المنصب . ولذلك قال فيها مؤلف « النجوم الزاهرة » « واتفقوا على ولايتها لحسن سيرتها وغزير عقلها وجودة تدبيرها وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة » .

المراة المسلمة فى عهد الدولة المغولية بالهند

ثم قامت فى الهند الدولة المغولية على يد ظهير الدين بابر فى مستهل القرن السادس عشر الميلادى . وفى عهد ملوك المغول بلغت المراة المسلمة مكانة علمية كبيرة يحسدها عليها الرجال . ومن اوضح الامثلة لذلك ان الاميرة كلبدن بيكم الفت اروع كتاب فى تاريخ اخيها السلطان همايون بن بابر باسم « همايون نامة » . وهذا الكتاب يعتبر اروع كتاب ادبي فى اللغة الفارسية . لان اللغة الفارسية هى التى ظلت اللغة الرسمية فى الهند الاسلامية . ومن الصدفة الغريبة ان سيدة انجليزية وهى « اينست الن بيورج » تصدت لنفض الغبار المتراكم عن هذا الكتاب وحققته ونشرته فى انجلترا بتعليقاتها الرائعة .

وكذلك كانت شقيقتها الاميرة كلزخ بيكم بنت بابر شاعرة كبيرة واديبة ممتازة . وبهذا دخلت الاميرات المغوليات فى مجال الحركات العلمية والادبية .

وفى هذا العصر استعلى نجم « السيدة تشاند بى بى سلطانة » فى السياسة الهندية اذ كانت تدبر أمور « احمد نكر » بجنوب الهند . فقد هجم الملك المغولي « اكبر » عليها فالحقته هزيمة ساحقة مع أن « اكبر » كان من اعظم الملوك الذين لم ينالوا هزيمة بالمرة . وهذا الفتح المبين عمل على رفع اسمها وكتبها فى سجل اعظم القواد فى الهند .

الملكة « ممتاز محل » ومثواها الاثر الخالد « تاج محل »

هذه من الناحية السياسية واما من الناحية الاخرى فقد نالت الملكات والاميرات فى هذا العصر شهرة كبيرة فى العلم والثقافة ولعبن اروع دور فى رفع مجد العلوم . كانت الملكة « ممتاز محل » اكثر النساء الهنديات التى خلد اسمها فى التاريخ بسبب « التاج محل » اروع فن اسلامى بناه زوجها الملك « شاهجهان » تذكارا لحبه واخلاصه لها . وهذا الضريح العظيم يعتبر من عجائب الدهر السبعة الذى يفد لمشاهدتها آلاف من الناس من مشارق الارض ومغاربها كل يوم وليلة .

الاميرة « زيب النساء »

وكانت الاميرة زيب النساء آخر آية فى الاسرة المغولية فى هذا الصدد التى ارتفع بها العلم والادب والفن الى غايته

المنشودة . وكذلك قد بلغت هذه الاميرة فى العلوم الاسلامية مبلغا لم تشهده النساء المسلمات فى الهند من قبل. كانت تحفظ القرآن عن ظهر قلبها مما جعل اباها يسر بها سرورا بالغا ويغدق عليها جوائز غالية . وبأمرها ترجم الشيخ صفى الدين الكشميرى التفسير الكبير للامام فخر الدين الرازى الى اللغة الفارسية وسماه « زيب التفاسير » تخليدا لاسمها .

وهناك عشرات من النساء المسلمات فى هذا العصر اللاتى ساهمن مساهمة كبيرة فى الحركة العلمية والادبية وتلمع اسماؤهن بجانب الرجال فى افق العلم والفكر . وهذه الظاهرة تدل على ان العصور الاسلامية ـ رغم تزمت العلماء والفقهاء فى كثير من الاحيان ـ فتحت مجالات واسعة امام النساء واظهرت مواهبهن وعبقريتهن .

ومما يدهشنا فى هذه العصور ان العلماء قد فرضوا الحجاب على النساء وكانت هؤلاء النساء يعشن فى القصور فى وسط الجنات والانهار والنعيم ومع ذلك لم تخمد مواهبهن العلمية والملكة الادبية والشعرية .

سقوط الدولة الاسلامية على يد الانجليز

وبعد سقوط الدولة الاسلامية على يد الانجليز فى القرن التاسع عشر بعد ان حكمت الهند قرابة تسعة قرون ، ساد الجهل والفقر والبؤس هذه الامة العظيمة ، لأن الانجليز قد بذلوا اقصى ما فى وسعهم للقضاء على الاسلام والمسلمين ليحكموا الارض المغتصبة ، ولذلك ابعدوهم عن اراضيهم وتجارتهم وصناعتهم اليدوية كما قضوا على المدارس والمعاهد التى كان يشع منها نور العلم والمعرفة طوال هذه القرون . وهذه الكراهية والمعاداة من الانجليز ضد المسلمين جعلتا المسلمين ، علماءهم ومثقفيهم ، يكرهون الانجليز وكل ما جاء به الانجليز من الحضارة والثقافة . وسيطول بنا الحديث لو حاولنا استعراض هذه المقاومة والمعارضة من جانب المسلمين وسنكتفي بذكر التخلف الفكري والمعاداة اللذين انعكس اثرهما على العلماء مما جعل النساء المسلمات يتخلفن عن الموكب العلمي والفكري الذى كن يسرن فيه مع الرجال قرونا طويلة على رغم الحجاب وعدم الاختلاط .

لقد حرم العلماء على المسلمين دخول المدارس الانجليزية ومعاهدها وحذروهم من التقرب الى الحضارة الغربية واتخاذ ملابسهم وازيائهم . ومن اجل ذلك حافظوا على النساء محافظة كبيرة ولم يسمحوا لهن بالخروج حتى فى أحرج اللحظات للحصول على العلم والمعرفة ، وفرضوا عليهن الحجاب بشدة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ الاسلامى . وهذا التعصب والشدة فى هذه الظروف ، التى ضعفت فيها شوكة المسلمين ومجدهم جعلا النساء المسلمات يتخلفن عن الموكب الحضارى تخلفا لم يشهد له مثيل فى تاريخ الهند . ولكن سرعان ما ظهرت بوادر التمرد من بعض المسلمين مما سبب دخول المسلمات فى الجامعات وهن سافرات رغم الموانع والعوائق . وهذا التحدى السافر قد سبب صعوبات جمة ، ومع ذلك تغلب الجيل على هذه الصعوبات وتخرجت مئات من النساء فى الجامعات حاملات شهادات جامعية كبرى ليشاركن الرجال فى بناء الحضارة المعاصرة والصرح الشامخ . وكم من النساء المسلمات برزن فى المجال السياسى والنضال الوطنى لنيل الاستقلال مثل فاطمة جناح شقيقة الزعيم محمد على جناح الذى انشأ دولة باكستان فيما بعد .

انقسام الهند الى دولتين ، وقيام باكستان

ولما انقسمت الهند الى دولتين : الهند





وباكستان فى ١٩٤٧ م اصبحت النساء المسلمات فى الهند تختلفن عن النساء الباكستانيات فى مسئوليتهن والاهداف السياسية والعلمية والدينية لان باكستان دولة اسلامية يطبق فيها النظام الاسلامى . واما الهند فهى دولة يعيش فيها المسلمون مع اصحاب اديان كثيرة لهم اغلبية ساحقة واجناس وطوائف مختلفة . وفى مثل هذه الظروف تحتاج المسلمات الهنديات ان تتحررن لتشاركن الرجال فى بناء الكيان القومي وتجهزن انفسهن لرفع راية الاسلام عالية خفاقة الى الأبد وتعلمن الجيل الاسلامى الناشىء فى احضانهن ان المسلمين حكموا هذه الارض العزيزة قرابة تسعة قرون بالمبادىء الانسانية السامية . فلا بد لهذا الجيل ان يرفع اسم أجداده ويحيى ذكراهم .

المراة المسلمة بالهند تاثرت بالبيئة الهندوكية

وفى حقوق المراة المسلمة فى الهند ينبغى لنا القول ان الرواسب الهندوكية قد بقيت فى المجتمع الاسلامي ببعض النواحى . وقد ذكرت فى بداية الحديث ان الديانة الهندوكية لم تعرف تعدد الزوجات والطلاق . ومع ان الاسلام سمح بتعدد الزوجات والطلاق فى بعض الظروف الملحة حيث لا مناص من تعدد الزوجات والطلاق الا ان المسلمين فى الهند لايطلقون زوجاتهم الا نادرا جدا كما ان تعدد الزوجات فى الهند لايوجد الا قليلا جدا . وهذه الظواهر كلها من الاثار الهندوكية القديمة التي تأثر المسلمون فيها من الهندوس .

ان المراة المسلمة الهندية كالنساء الهندوكيات تتمسك بتقاليدها ومقدساتها بشدة بخلاف الرجال الذين يتسامحون فى ذلك الى حد كبير . ومن أوضح الامثلة لذلك ان الرجال لا يبالون بأزيائهم ويقلدون فيها الغرب فى كثير من الاحيان بخلاف المراة الهندية التى تتفانى فى ازيائها الوطنية ولا تتخلى عنها بحال من الاحوال حتى فى احرج الظروف . ■■

محمد اسماعيل الندوى

أُغْنِيَة لِلسَّلام



للشاعر : محمد احمد العزب

■ لأن ابتساماتنا لـيّنه   لأن خطانا خُطى هـيّنـه
لأن العـبير على دَرْبـنا   تُعانق أذرعُـه سَوْسَنَـه
لأن الفراشـات في حقلنا   علَى أبَدِ الحُبِّ مستوطنه
لأنّ السلام هنا غُـنوةٌ   تطـير إلى اللّـهُ مستعلنه
لأن فَمَ الحُـبِّ في أرضنا   يغـرّد في الديْر والمِئـذنه
لأن ثـرانا .... ذراعـان مـدّاً لكل غريـب يداً مُحْسِنه
تأله فيـنا الجبـان ..وما   ل على كل نـبعٍ لنا أسـنّه

★★★

بكل البطولات في موطـني   وبالحب .. لسْنا رُباً مُذْعِنَه
ولسنا بقـايا مدىً عـازفٍ   أذلت رياحُ الأسى أرْغُنَه
ففي كل شبرٍ جـريحٍ هـنا   ألوفٌ تدمـدم : من أثخـنه ؟
ويَجْرفها الثـأر .... فالعنفوا   ن .... هتافٌ يسيل على الألسنه
فتحنا شبابيكنـا للضـيا   ء وليـس لريح الدجى المنتنه

فقولوا لكل زحوف الظلا   م هنا يستعيد السَّنا موطنه

★★★

وقولوا لمن داس وجه الصبا   ح وطارد في اللون مَنْ لَوَّنَهْ
وشوّه بالحقد أعماقه   وأغرى الضياع بمن حصّنه
وكيَّلَ كلَّ طموح الحيا   ة وكان من الغدر قد أوهنه
مشارفنا تعبد اللاحدو   د وتعرف أن تهزم الأزمنه
وزحف الحضارات من كفّنا   تموّج .. وانداح في الأمكنه

★★★

ومنذ بزغنا .. أطلّت بنا   على الومض إطلالةٌ مؤمنه
هنا المستحيلات في أرضنا   وبين يدىْ شرقنا ممكنه

★★★

عرفنا الطريق إلى فجرنا   فلن يقدر الليل أن يَسجُنَه
سنغسل كل غضون الظلا   م ونجتاح في الضوء من غَضَّنَه
ونترك للشمس أن تسترِ   ح وتدفئَ في حقلنا أغْصُنَه
وللعازف الحرّ فوق الضفا   ف إذا أطرق الليلُ أن يفتنه
وللحبّ في الأعين المتعبا   ت وخلف الرُّؤى أن يرى مسكنه
ولن يذبل الزهر تحت الجليـ   ـد ولن يحرق المنتهى ألْحُنَه
سلامٌ لكل زحوف السلا   م وحرب على القهر والهيمنه
وموعدنا .. خلف كلّ التخو   م على أفق .. نحن لن نطعنه
ويا وطني .. ياغدير الضيا   ء وياقَدَراً فاتحاً أعْيُنَه
إليك سيأوى الغناء الشفيـ   ـف وينشد في التيه أن تحضنه ■■

القاهرة : **محمد أحمد العزب**



■ قد تتحجب الغيرة بأقنعة كثيرة مختلفة فيلتبس امرها وتنطمس معالمها . الا ان هذه الاقنعة لا تغير من طبيعة الغيرة القاتلة شيئا . فهي سم في جوهرها ولا ريب . تنزع أولا الى الحفاظ على الحب ، واذا بها تقضي على الثقة ، وتنتهي آخر الأمر بغرس بذور الكراهية والبغضاء .

تفوق الغيرة بلا نزاع كل ما سواها من أبواب العذاب العاطفي ، التي ما زال الواحد منا يذيقها بالآخر ، فهي تتميز على غيرها من حيث تواريها وتغلغلها في طيات اللاوعي الخفية ، وتضاهي ما عداها قدرة ، لا على تدمير الغَيُور نفسه فحسب ، ولكن على تدمير من يكون موضع غيرته أيضا . فان كانت الغيرة في ظاهرها نزعة ترمي الى الاحتفاظ بحب الآخرين ، فانها في جوهرها اداة تنحرف بذلك الحب عادة وتحوله عن مجراه ، ان هي لم تخنقه خنقا وتأت عليه .

والباعث على شعور المرء بالغيرة ليس الشخص الآخر ، يحمله على الاكتواء بلهيبها تبعا لمسلكه وتصرفاته . فقد أثبت طب النفس الحديث ان الغيرة تكاد تكون عديمة الصلة بالغير . فهي تعزى الى فشل المرء وعجزه عن التكيف وحقائق الواقع . انها تنبت في تربة ذلك الفشل وتعكس معالمه وخصائصه .

الغيرة في الاصل ظاهرة طبيعية

ليس منا من هو كامل التكيف . لذلك كنا جميعا عرضة للشعور بالغيرة بقدر ما . وشعورنا بها من حين الى آخر عادي طبيعي كشعورنا بالغضب والارتياح والحب والبغضاء وما الى ذلك من مشاعر مألوفة . ومن الناس من لا تظهر عليهم مشاعر الغيرة ، وفي هؤلاء يقول فرويد (Frued) « يسهل الحكم على كل من لا تظهر عليه مشاعر الغيرة بان الكبت الخانق هو الذي يحجبها ويحول دون ظهورها بحيث يتسع لها المجال لمزيد من التأثير على حياة ذلك الفرد بتأثيرها على الجانب الباطن (اللاواعي) من حياته العقلية . »

والغريب ان الغيرة غالبا ما تلتبس علينا وتدفع بنا الى الظن بأنها شيء آخر غيرها ، ويزيد هذا الالتباس بقدر ما تكون بالغة الحدة عميقة الجذور . لذلك كانت المهمة الشاقة في معالجة الغيرة هي في الخروج بها من طيات الباطن (اللاواعي) في نفس صاحبها الى منافذ الوعي واخضاعها بالتالي لنور العقل والتفكير وفطرة المنطق السليم .

ظاهرة طبيعية

قد تتحول الى عاطفة إنسانية قاتلة !

ولعل ما يزيد هذه المهمة صعوبة ومشقة هو ما تنطوى عليه الغيرة من شعور صاحبها بعدم اهليته للظفر بما يحرص عليه من حب الغير واعجابه . فبدلا من الاعتراف بالغيرة بصراحة وبساطة ، تذهب الزوجة الغيور ، على سبيل المثال ، الى تقريع زوجها وتصيد أخطائه ، كما قد يذهب الزوج الغيور ايضا الى توبيخ زوجته لاهمالها شؤون البيت او سوء تصرفها فى تربية الاطفال . وما هذا التوبيخ وذلك التقريع الا بمثابة التنفيس عن مشاعر الغيرة .

الغيرة تتقنع اقنعة شتى

وقد يعمد المرء أحيانا الى الاقرار بغيرة عابرة يشعر بها ، وذلك بُغية اخفاء ما يشعر به من اهانة واذى . يتضح ذلك فى مثل الزوج الذى ادعى الغيرة من رئيس الدائرة التي تعمل فيها زوجته بل تعمد الاصطدام به والعراك معه فى احدى الحفلات العامة . وبلغت به غيرته ، او بالحرى ما تخفيه غيرته من مشاعر اخرى الى مصارحة صديق له برغبته فى خروج زوجته من وظيفتها . والحقيقة هى أن الزوج كان يشعر بشىء من النقص بالنسبة لزوجته ، والغيرة منها هى ، نظرا لان مرتب زوجته الشهرى بلغ ضعف المرتب الذى كان يتقاضاه . وفى ذلك ما فيه من طعن بكبريائه كرجل . الا انه لا يجرؤ على مجابهة شعوره بالغيرة ، فضلا عن الاعتراف بها علانية كخطوة اولى فى سبيل تخطيها والتخلص منها . وهو غير قادر أيضا على اخمادهـا او كبتها . لذلك كانت الغيرة ذريعته ومتنفسه .

وتعزى الغيرة فى الحياة الزوجية فى الغالب الى المنافسة التي تنشأ بين الزوج وزوجته فيما يتصل بالاطفال . فقد يشعر الزوج بالنفور من أطفاله الذين حرموه من بعض ما كان ينعم به من عواطف زوجته . وقد لا يجد متنفسا لنفوره هذا الا بتأنيب الاطفال الابرياء وضربهم . شأنه فى ذلك شأن الزوجة التي قد تعمد الى تصرف مماثل فى ظروف ولاسباب مماثلة .

وقد تؤدى بالحماة غيرتها من زوجة ابنها الى ادعاء مرض عضال فى القلب او فى غير القلب ، استدرارا للعطف ، كما قد تدفعها الغيرة أيضا الى لوم ابنها وتوبيخه بقصد اجتذاب المزيد من اهتمامه وعنايته .

مظاهر الغيرة ودوافعها بين الزوج وزوجته

من المعتقدات الشائعة ان الغيرة انما هي مظهر

من مظاهر الحب القوى الجامح . ولعل الاصح من ذلك ان يقال بان الحب لا يستطيع الصمود فى فى وجه الغيرة والخلاص من سمومها ما لم يكن قويا راسخا. فالغيرة تنبع جزئيا من الشعور بالاحتقار، وتعبّر بالتالي عن شعور الرجل الفطرى بان المراة مخلوق ضعيف وغير جدير بالثقة ، كما تعبر عن شعور المراة الراسخ بان الرجل مفطور على الخيانة والقسوة .

على ان مشاعر الغيرة العابرة شائعة فى الكثيرين من الناس . قد تاتى نتيجة لمرض يلم بزيد او ارهاق او حادث مفجع يتعرض له عمرو .

وقد تزداد ريبة الزوجة فى زوجها مثلا قبيل الدورة الشهرية . كما قد تكون غيرة الزوج مظهرا من مظاهر قلقه على وظيفته ومستقبله . والعامل الواحد المشترك فى كل هذه الحالات هو الشعور بمزيد من حاجة المرء الى من يحب وبمزيد من اعتماده عليه نظرا لشعوره بالحاجة الى العون فى هذه الظروف .

وتبعث هـذه الحاجة بدورها على الشعور بالجميل لما قد يحظى به الواحد من عطاء الآخر واهتمامه . ولكنها تبعث أيضا على الشعور بالقلق خشية الحرمان من ذلك العطاء وذلك الاهتمام . والغريب انها قد تبعث فوق هذا وذلك على الشعور بشيء من الضغينة والاحتقار نظرا للقدرة على العطاء والحرمان على السواء . لذلك كان من أبرز خصائص الغيور تصوّر الانتقاص والاحتقار فيمن يحب ، وتوقّع الاسوا منه فى آن معا .

وثمة حالات يكون للشك والريبة فيهـا مبرر وأساس . وعلى امكان حدوث مثل هذه الحالات فى الحياة الزوجية التي يكون الزوجان فيها على غاية من الانسجام فيما بينهما وبالنسبة الى واقع الحياة ، الا انها لا تحدث كثيرا على كل حال ، وغالبا ما يكون مردها الى وهم يسيطر على احد الزوجين ويخدعه ، وغالبا أيضا ما يتعرض لمثل هذه الاوهام من يشكو مرض العصاب من الازواج. ولا مفر لذوى الاعصاب المتوترة من الشعور بجراح نفسية تجنح بهم الى تصيد الخيانة فى اقرانهم ، وافتعالها وتوهمها اذا هم لم يجدوها فعلا .

الغيرة التى منشؤها الطفولة

والاطفال الذين نشاوا على الشعور بعـدم الاستقرار وبالحرمان من العطف والحنان يكونون أكثر عرضة للغيرة فى رجولتهم من اولئك الذين احيطوا بالمحبة من كل جانب .

والتسامح والتفهم من جانب الآباء فى تربيتهم لاطفالهم من شانه أن يحد كثيرا من استعداد اولئك الاطفال للشعور بالغيرة فى مستقبلهم . اما ضرب الاطفال وتقريعهم بسبب ما يظهرون من الغيرة من أخوتهم او اقرانهم فلا يؤدى الا الى تنمية الشعور بالاثم فيهم .

بعض صنوف الغيرة

ونستطيع تصنيف الغيرة فى خمسة أنواع ، اذا تسنى لنا النظر اليها مجردة عن سائر الحجب والاقنعة التي تخفيها عنا وتطمس معالمها .

غيرة « الاستحواذ »

تعزى هذه الغيرة الى الطفولة ، وخاصة الى خوف الطفل من أن يحظى غيره بعطف امه وحنانها. ويذهب علماء النفس الى ان الذكور من صغار الاطفال يعانون الشعور بمنافسة آبائهم لهم على محبة امهاتهم ، كما تعاني الاناث منهم منافسة الامهات على حب الآباء . والذكور والاناث من اولئك الاطفال يمقتون المولود الجديد باعتباره شريكا لهم فى محبة الآباء .

تلك هى أولى مظاهر « المثلث الازلي » الذى يلازم حياة الانسان فى سائر مراحلها . فما من علاقة انسانية تجمـع بين ثلاثة من الناس الا وتشوبها المنافسة بين اثنين منهـم للظفر بحب الثالث واهتمامه .. ولعل هذه النزعة هي ابسط مظاهر الغيرة .

ولا خطورة فى هـذه المشاعر الا فى بقائهـا واستمرارها الى ما بعد الزواج . ومهما يكن من

امر ،فقد ثبت للاطباء النفسانيين الارتباط الوثيق بين غيرة الاستحواذ فى الكبـار وبين مخـاوف الطفولة ، وخاصة خوف الطفل من آن يتخـلى عنه الآخرون .

الغيرة ((الفاضحة)) المفتعلة

قالت الزوجة الشابة لطبيبهـا النفسانى : « يتصل بي زوجي تلفونيا من مقر عمله مـرارا وتكرارا . ويعمد الى استجوابى فى المساء عما فعلته طيلة النهار . واذا ما أخبرته عن زيارة التزمت القيام بها لاحدى صديقاتى فى المساء حال بينى وبين تلك الزيارة بطريقة ما . ولا يفوته ابدا أن يغرى بوّاب البناية على مراقبـة حركاتى وسكناتى أثناء تغيبه عن المدينة . ومن يـدرى فقد لا يمضى وقت طويل حتى يكلف احد العاملين فى المباحث بتعقبى خفية واقتفاء أثرى . »

فالزوج غيور اذن والى حد لا يوصف ، فى نظر الزوجة الشابة . ولكنه غيور من حيث لا يدرى هو . اما غيرته هذه فقد لا تعدو كونها انعكاسـا مفتعلا لمشاعر زوجته الملتوية بالفرور والحسد والالم مجتمعة . فهى تصوره لطبيبها لا كما هو وانما كما تريده هى أن يكون .

غيرة الكتمان

وتعزى شكوك الغيور وريبته احيانا الى رسوخ عدم الثقة فى النفس . يتضح ذلك فيما أفضت به زوجة غيور الى طبيبهـا النفسانى ، اذ قالت : « يؤكد لى زوجى دائما انه يحبنى . الا انه كاذب لا محالة . اذ لا يعقل أن يقع رجل وسيم وذكى مثله فى حب امراة بليدة وبغيضة مثلى .. ! »

ويرى الأطباء ان معظـم الغيورين من الناس يعانون مثل هذا الشعور بالضعة وعدم الثقة فى اعماقهم . هذا بالرغم مما يحاولونه من تمويه فى هذا الصدد بالتظاهر بالكبرياء الجوفاء والانانية البالغة . وقد يدفع بهم حرصهم على كتمـان سرّهم الى الغيرة الشديدة التى قد تبلغ حـد العنف والعدوان . باعثهـم على ذلك الرغبة فى الهجوم كوسيلة للدفاع والحرص على اكتشـاف مواطن الضعف فى الغير قبـل أن يكتشف الغير مواطن الضعة والصغارة فيهم .

الغيرة الملتوية

ويعمد بعض الغيورين من الناس الى تشجيع اقرانهم على توفير المبررات والذرائع لشكوكهم وظنونهم . ويتجلىهذا النوع من الغيرة المرَضية فى الحديث التالى الذى أفضت به زوجة مضطربة الى طبيبها النفسى :

« تكاد تبلغ غيرة زوجى الى حد الجنون . اذ ليس من بين أصدقائنا من لا يتهمنى زوجى بعلاقة مريبة لى معه . والغريب انه يصر دائما على دعوة من يشتبه فيه على هذا النحو الى بيتنا ويتعمد تركى معه فى خلوة . وتثور ثائرته بعد ذلك ويجعل يمطرنى بالأسئلة عما حدث بيننا وتفاصيل مـا تطرقنـا اليه من احاديث . غير انه سرعان ما يحيطنى بمزيد من اهتمامه وحنانه . »

مثل ذلك يقال فى المرأة التى تعانى غيرة ملتوية كالتى عاناها الزوج فى المثل السابق . فهىحريصة على ترك زوجها فى خلوة مع احدى صديقاتها بقصد التجربةوالامتحان كلما سنحتلها الفرصة لذلك. وبالرغم من التزام زوجها وصديقتها الحدود ، لا تلبث الزوجة الغيور حتى تطلق لخيالها العنان فتتصور نفسها ضحية الخيانة الزوجية وتنطلق فى تخيل فصول تلك الخيانة وكأنها حقيقة واقعة.

الغيرة من مرض الهذاء Paranoid

يقول شاكسبير « قد تكون بوادر تافهة للغاية الا انها شواهد تثبيت وأدلة يقين كتعاليم الدين فى نظر الغيورين . » الا ان بعض الغيورين فى غير حاجة الى دليـل . واولئك المصابون بالمرض النفسانى Paranoid ، وقد عربه بعضهم بلفظ الهذاء . وغيرتهم هذه ان هى الا مظهر من مظاهر هذا المرض العقلى الذى يعانون ، والذى لا سبيل الى تفاديه الا بالمعالجة الطبية المتصلة .

ويجنح المصاب بهذا المرض الى الاشتباهواساءة الظن فىكل ما يصادفه من الفاظ المطفوبوادره.

يكاد يعتبر الناس جميعا بمثابة اعداء له . الا انه يحرص على اخفاء شعوره بالعدوان تحت ستار من اللطف والحياد السلبي في المعاملة . هذا اذا لم يكن من النوع العنيف الذي لا يتردد صاحبه في اتهام الآخرين جميعا بأنهم يتربصون به الدوائر وذلك جهرا وعلى رؤوس الاشهاد .

والمبدأ الذي يفترضه المصابون بهذا المرض هو ان الناس جميعا مذنبون حتى تثبت براءتهم ... ولكنهم يأبون الاعتراف بأنهم قد يكونون في افتراضهم هذا المبدأ مخطئين . وسرعان ما يثيرون الخلاف الشخصي بينهم وبين الآخرين لدى عثورهم على ابسط بوادر الاختلاف في الرأي معهم . فما لم يكن الآخر من محبيه ومؤيديه ، اعتبره من خصومه واعدائه اللدودين .

الغيرة في الميزان

نستطيع القول بأن مشاعر الغيرة مشاعر طبيعية مألوفة في الاصحاء ما لم تصبح اسلوبا راسخا في الحياة وطريقة ثابتة في التعامل . حينئذ تصبح غيرة تنم عن الشذوذ والانحراف او عن مرض .

فبدلا من ان تكون مشاعر عرضية عابرة ، تثور في عنف وحدة احيانا ، ولكنها لا تلبث حتى تتلاشى وتزول لمجرد استجلاء حقائق الواقع ، تصبح الغيرة في المرضى والمنحرفين بمثابة الشر المستطير ، ولكنه الشر الذي لا بد منه .

كيفية معالجة الغيرة

لا جدال في ان الغيرة تزداد قوة وتفاقما بالسكوت عليها وعدم الجهر بها .

فمثلا انت ، أيتها الزوجة ، لم لا تناقشين زوجك في امر هذه الغيرة اذا باتت مشكلة من مشاكل حياتك الزوجية ؟ قد تكونين انت السبب في احجام زوجك عن مصارحتك بالحقيقة ، اذا لم يكن لغيرتك اساس حقيقي او مبرر ؟

وانت ايها الزوج ، هل انت من اولئك الرجال الذين يتهكمون من زوجاتهم اذا ما رغبن في محادثتهم عما يقض مضجعهن من مشاعر الغيرة ، حتى لو كانت تلك المشاعر وهمية خيالية ؟

ان اول ما يجدر بالغيور فعله ، في سبيل الخلاص من غيرته ، هو الاعلان عن شكوكه الخفية والاعراب عن ريبته في صراحة ، قد يشوبها الغضب . يستطيع بعد ذلك التأمل والتفكير فيما اذا كانت بواعث غيرته بوادر فعلية في تصرفات زوجه او كانت من نسج خياله .

ومن ثم يستطيع استعراض تلك البوادر ، اذا ثبت له وجودها اصلا ، كما يستطيع التحقيق في مدى اتصال الغيرة بهذه البادرة او تلك . وعلى الغيور ، قبل الدخول في مرحلة التحقيق هذه ، أن يتثبت من ان معاملة زوجته للاطفال ليست الباعث الدفين على شعوره بالغيرة . وأهم ما في الأمر هو التزام جانب الجد في الحديث مع الزوج أو الزوجة الغيور حول موضوع غيرته . عليه ان يتجنب التهكم واللامبالاة وكل ما من شأنه اثارة الشعور بالصغارة . عليه أيضا أن يتحاشى تضييق الخناق على الغيور في حديثه معه أو معها وتفادي حمله على الدفاع عن نفسه لمجرد الدفاع عن النفس . وبدلا من انتظار مبادرة الغيور الى المصارحة او الثورة في هذا الصدد ، ينبغي للزوج الآخر الاخذ بزمام المبادرة والعمل على تهيئة الجو على نحو قد يساعد الغيور على الاعتراف بغيرته . لا ريب في ان مثل هذه المجابهة للموضوع لدليل على قوة الشخصية في الانسان ولا ريب في ان فيها امتحانا لها ، فضلا عن انها السبيل المؤكد الى المزيد من سعادة الزوجين .

ان الغيرة بشتى انواعها لا تعدو كونها شعورا مرده الى العاطفة لا الى العقل . وان سلاحها الوحيد انما هو الشك في الاخلاص والريبة في الوفاء . وقد لا تكون هذه الشكوك قائمة على اساس من الواقع . حينئذ تكون الغيرة وهمية ، تهز اركان الحياة الزوجية بلا مبرر ابدا . وقد تكون تلك الشكوك وجيهة ولها ما يبررها في تصرفات الآخر . وحينئذ لا تعمل الغيرة الا على تعقيد المشاكل وتفاقمها اذ لا سبيل مطلقا الى حل تلك المشاكل بالغيرة . ■■

(بقية المنشور على صفحة ٢)

الحضارة الرومانية

تكشف الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد عن بعض معالم الحضارة الرومانية ، تلك الحضارة التى سادت عبر قرون طويلة ، سبق بعضها الميلاد وجاء بعضها الآخر بعده . عمت وازدهرت فى وقت لم يكن لها فيه من منافس بين سائر الحضارات القديمة لاسيما فى القرنين الاول والثاني بعد الميلاد، فقد كانت الحضارة الفرعونية قد بادت وانطوت داخل قبورها واهراماتها، وبادت الحضارة الاغريقية وتوارت خلف معابدها فى الاكروبوليس وتماثيلها، او بين صفحات مخطوطاتها ومؤلفاتها ، واصبحت مصر واليونان بعض مقاطعات روما وولاياتها . ويصدق ذلك ايضا على فينيقيا وغيرها من الحضارات التى سادت فى الجانب الشرقى من حوض البحر المتوسط ، كما يصدق على بابل وفارس ، وقد اندثرت حضاراتهما الاصيلة وخلا الجو فيهما لخليط مبهم من بقايا الحضارات الاغريقية والايرانية وغيرها . اما قرطاجنة التى بدات تعود الى الحياة من بعد تدمير ، فلم تعد ذات خطر او بال. واما الاسكندرية وانطاكية فلم يشفع لهما شغفهما بالعلم والتعليم بل سادهما الاضطراب وتفشى فيهما الانحلال . لقد اصبحت روما عاصمة العالم ومركز الحضارة الانسانية بلا نزاع وخاصة فى القرنين الاولين بعد الميلاد .

ولعل النظام والقانون والروح العسكرية المتطلعة دوما الى مزيد من امتداد واحتلال هي ابرز ما اتصفت به الحضارة الرومانية وانجبته .

وتمثل الصورة موكب النصر مارا عبر قوس النصر . اما موكب النصر هذا فتقليد شاع فى روما ، حين كانت جمهورية وبعد ان اصبحت امبراطورية سواء بسواء . لم يكن يسمح للقائد العسكرى الذى انتصر فى معاركه على الاعداء ، بدخول روما والاحتفاظ برتبه العسكرية وما حققه لنفسه سابقا من امجاد . كان عليه ان يلتمس ذلك اولا وينتظر خارج العاصمة ريثما يوافق مجلس الشيوخ او الامبراطور على تلبية طلبه . حينئذ يسير القائد فى مقدمة موكب النصر ويسير وراءه ضباطه وجنوده والاسرى الذين عادوا من معاركهم .

وعلى هذا النحو يدخل روما ويطوف فى شوارعها ، اعلانا لظفره وتقديرا لفضله وايذانا بالسماح له بممارسة ذلك القدر من النفوذ والسلطان الذى يخوله اياه نصره . وينتهى الموكب عند معبد كبير الآلهة جوبيتر Jupiter حيث تقام الحفلات والاعياد احتفاء بتلك المناسبة.

اما اقواس النصر فلم يشيدها الرومان الا لمرور مثل هذه المواكب من تحتها . ومن اشهر تلك الاقواس فى روما قوس الامبراطور تيتوس Titus الذى اقامه دومتيان Domitian عام ٨١ بعد الميلاد تخليدا لذكرى سلفه (تيتوس) قاهر اليهود الذى دمر عاصمتهم وشتت شملهم وعلى كل ما شيدت به تلك الاقواس من فن فى البناء وضخامة ، وعلى كل ما استنفده بناؤها من جهد وتكلفة ، فان الغاية الوحيدة التى انشئت تلك الصروح من اجلها لم تكن سوى الروعة التى تضفيها على مواكب النصر والبهاء الذى تحيطها به . ■■



دردشة

قيراط الماس .. وقيراط الذهب

● يقاس الذهب الخالص الموجود فى الخواتم والحلقان والساعات وغير ذلك بالقراريط كما يعلم الجميع . فهذا الخاتم مصنوع من ذهب عياره (٢٢) وذاك من ذهب عياره (١٨ قيراطا) . ولكن كذلك يقاس الماس بالقراريط ، ولكن بمعنى آخر غير معنى استخدامه فى السبائك الذهبية .

اما قراريط الذهب ، فتعبر عن نسبة الذهب الموجودة فى السبيكة بفرض اننا قسمناها بالوزن الى اجزاء ٢٤ كلها متساوية . فان قلنا ان عيار الخاتم الذهبي ١٨ قيراطا كان معنى هذا ان ما فيه من ذهب خالص ١٨ قيراطا (اى ١٨ جزءا) من اصل ٢٣ اى اجزاء من حيث الوزن . اما الستة الأجزاء الباقية فمن الفضة والنحاس عادة . واذن فالقيراط فى امور الذهب ليس له وزن ثابت . انه نسبة .

اما فى الماس فالقيراط أوزان . والقيراط وزنه فى هذه الحالة خمس جرام .

السعادة الزوجية

● يقال ان الزواج فى هوليود يعتبر سعيدا اذا استمر اسبوعين بعد التاريخ الذى يتكهن الناس هناك انه سيكون يوم نهايته .

فرق آخر بين الانسان والحيوان

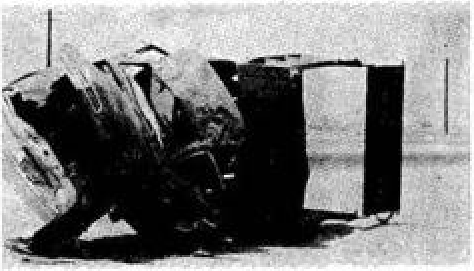
● ليس غريبا ان يكون الانسان هو الحيوان الوحيد الذى يستطيع الضحك والبكاء . فهو الحيوان الوحيد القادر على التمييز بين الاشياء كما هى، وكما كان يمكن ان تكون ..

التنويم المغناطيسي فى اليابان

● لا ريب فى ان اليابان قد سبقت الكثير غيرها من البلاد فى ميدان التنويم المغناطيسي . فقد شاع استعماله فى بعض المدارس الابتدائية وخاصة للطلاب الذين يبلغون العاشرة من عمرهم ، لاعانتهم فى المواد التى تتطلب الحفظ كالجغرافيا وما اليها .

حتى المصانع اليابانية بدأت تلجأ الى استعمال التنويم المغناطيسي . فقد تبين للمسؤولين فيها انه خير وسيلة تحقق للعمال المرهقين ما هم فى أمس الحاجة اليه من راحة وهدوء اعصاب .

على هامش حوادث السيارات



● آن لنا ان تكفّ عن التذمر من السيارات ومما تسببه من حوادث دامية وقاتلة فى الطرقات . فعدد الذين ذهبوا ضحية تلك الحوادث فى انجلترا لم يجاوز (٥٥٥٠) عام ١٩٥٧ مع ان عدد تلك الضحايا بلغ (٦٦٦٧) عام ١٩٣٢ . هذا بالرغم من أن عدد السيارات فى تلك البلاد بلغ ٢/٧١ مليون سيارة سنة ١٩٥٧ ولم يكد يبلغ ٤/١ر٢ مليون سنة ١٩٣٢ .

ومما يذكر فى هذه المناسبة ان جمعية أصدقاء السيارات فى بريطانيا قد احتجت مؤخرا على الفحوص التى تخضع لها السيارات تمهيدا لتجديد رخصة سيرها . وجاء فى تعليق لرئيس الجمعية المذكورة ان مثل هذه الفحوص تنطوى على مساس خطير بالحرية الشخصية ، وان المشاة من الناس أجدر بأن يخضعوا لفحوص طبية دورية تجرى للتثبت من سلامة قلوبهم واعصابهم وارجلهم فحوادث السيارات ليس سببها دائما السيارات ولكن من بعض اسبابها المشاة .

الاساليب الدبلوماسية

● **سأل فتى أباه** ، العميد فى احدى الكليات ، عن المقصود بالدبلوماسي والدبلوماسية ، **فاجاب الأب** : « تصور نفسك مضطرا لمصارحة فتاة بما هي عليه من قبح الوجه . تستطيع ان تقول لها « ان وجهك القبيح كفيل بايقاف عقارب الساعة حيث هي » فلا تكون دبلوماسيا حينئذ . ولكنك تستطيع مصارحتها بأسلوب لا يختلف عن الأسلوب السابق الا قليلا اذ تقول : « حينما انظر الى عينيك ، اشعر وكأن حركة الزمن قد توقفت » ، وبذلك تصبح دبلوماسيا .

وأردف الأب قائلا :

« فالدبلوماسي اذن ، هو الرجل الذى يتقن ازعاج الآخرين بطريقة غير مزعجة !

اللقطاء فى بريطانيا

● تفيد التقارير ان عدد المواليد غير الشرعيين فى بريطانيا قد بلغ ٥٩١٠٤ مواليد سنة ١٩٦٣ . ويشكل هذا العدد نسبة ٩ر٦٪ من مجمل عدد المواليد فى بلاد الانجليز فى السنة المذكورة . ومع ان العدد السالف الذكر هو أكبر عدد للمواليد غير الشرعيين عرفته بريطانيا طيلة ثماني عشرة سنة ، فان نسبة الزيادة فى عدد هؤلاء المواليد آخذة فى الهبوط . وتجدر الاشارة الى أن زيادة ملحوظة قد طرات على عدد الآباء الذين انجبوا مثل أولئك المواليد ، واقدموا على تبنيهم على نحو ما فيما بعد ، نظرا لعدم تمكنهم ، لأسباب مادية وغير مادية ، من جعل علاقتهم شرعية واحتضان أطفالهم هؤلاء غير الشرعيين ضمن اطار العائلة المشروع .

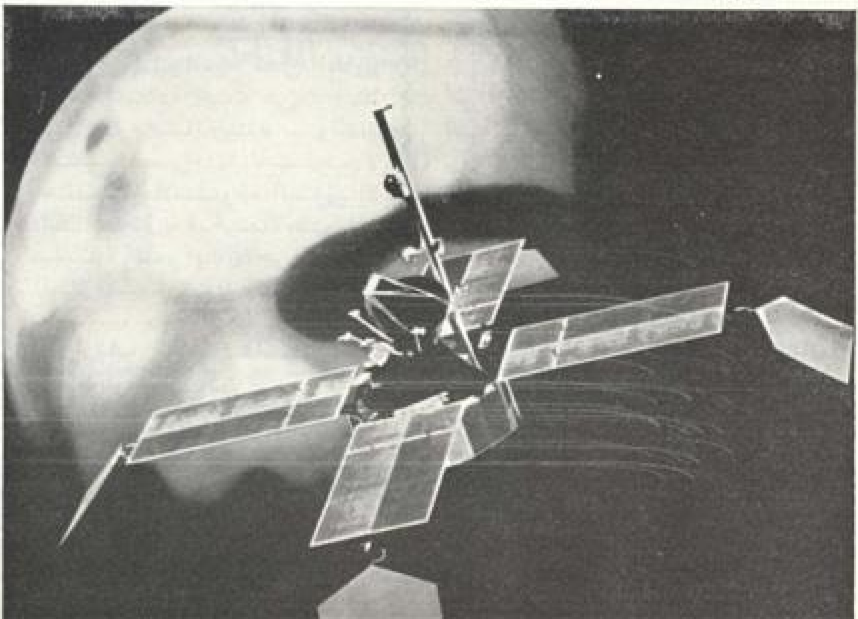
المريخ

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ فى الثامن والعشرين من نوفمبر ، عام ١٩٦٤ ، اطلقت الولايات المتحدة مركبة الفضاء ، التى اسمتها مارينر الرابع Mariner IV ، وهى كلمة معناها الملاح ، اشتقوها من قولة قالها رئيس الولايات المتحدة الراحل ، كندى ، دعا فيها العلماء ، أن يمخروا بسفائنهم بحر الفضاء Sail the Sea of Space .

وبدات المركبة تدور أول الأمر حول الارض كما تدور الأقمار الصناعية . ثم عاد صاروخها ينطلق ، فخرج بها عن جاذبية الارض ، وارسلها « تابعا »

المركبة الفضائية امام كوكب المريخ عند التقائها به ، كما تخيلها الرسام الفنان



المريخ خيب رجاء الناس، والعلماء

ولكن كشفه رفع مجد العقل الإنساني فوق ما كان ارتفع

Satellite جديدا يدور حول الشمس؛ كما تدور الأرض ويدور المريخ ، لتلتقى بالمريخ بعد نحو من سبعة أشهر ونصف، أى ٢٢٨ يوما ، قطعت فيها نحوا من ٣٥٠ مليون ميل .

وإذ واجهت المريخ ، انفتحت كمرتها الفوتغرافية التلفازية ، والتقطت من سطحه صورا عددها ٢٢ ، ثم هي ارسلت هذه الصور تباعا الى علماء الأرض .

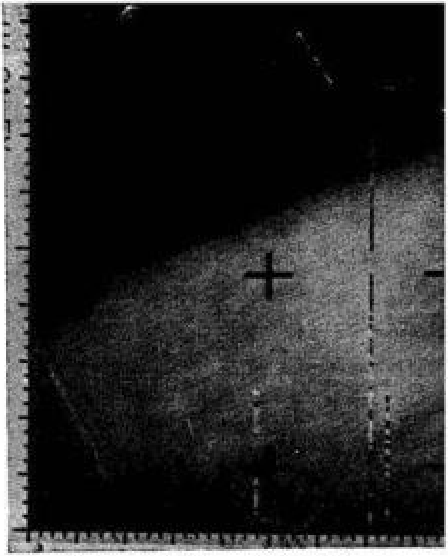
وتمضي مركبة الفضاء ، وهي فى مدارها الشمسى ، خلف المريخ ، وتنقطع عندئذ صلتها بأهل الأرض ، لانقطاع الاتصال الراديوى بينهما ، ثم تعود الى الظهور من وراء المريخ ، وتظل المركبة ماضية بعد ذلك فى فلكها الشمسى ، مربوطة الى الشمس بجاذبية الشمس الكبرى ، بمثل ما ارتبطت كواكب الشمس التسعة ، عطارد ، والزهرة ، والأرض ، والمريخ ..

وغاية هذه التجربة التاريخية الكبرى انما هى الكشف عن المريخ ، عن سطحه ، من صوره التلفازية هذه .

ولكن المركبة حملت كذلك ، غير الكمرة التلفازية ، عدة اجهزة فزيائية، تسجل ما تلقى فى الفضاء من ظواهر تتعلق بالفضاء من حيث هو . وكذلك لتكشف عن المريخ ، هل به مغناطيسية كمغناطيسية الأرض (ولهذا مستنتجات فى العلم ذات بال) ، وهل للمريخ جو مثل جو الأرض (وهذا متصل باحتمال وجود الحياة على المريخ اتصالا وثيقا) ، وغير ذلك .

فهذا ملخص التجربة التى سوف تظل حدثا فى التاريخ لا يمحى ابدا ، لأنه حدث لا يتعلق بحياة اشخاص الناس ، صغروا أو كبروا . والناس فانون ، يخلو وجه الأرض منهم كل جيل ، ليحل مكان الجيل جيل ، وانما يتعلق بحياة البشر من حيث أنهم جنس مطرد ، وفكر متسلسل ، له علائق لا انفصام لها بهذا الكون الذى شاء الله ان يكون وعاء حياتهم ، ما شاء لهم حياة، وشاء لهذا الكون من خلود .

ونبدا الحديث بالنهاية : بالنتائج التى جناها العلماء من هذه التجربة الرائعة عن المريخ ، من حيث أنه كوكب، خال الناس فيه من صنوف الحياة ما خالوا . حتى لخالوا ان به رجالا فوق رجال أهل الارض ذكاء وفطنة وحيلة ، وحتى لخالوا أنهم نزلوا الى أهل الارض بأطباق زعموها طائرة ، وتحدثوا اليهم تارة بالفرنسية ، وتارة بالانجليزية ،وكان بعضهم اكثر حذرا فقال انهم تحدثوا



صورة رقم واحد ، من المريخ ، وهي تظهر حرفه مستويا ليس فيه فروق ارتفاعات وانخفاضات ظاهرة . وهي أخذت والمريخ على بعد ١٠٥٠٠ ميل من الكوكب . وحرف المريخ في الصورة يبلغ ٢٠٠ ميل .



وهذه هي صورة المريخ رقم ١٦ ، وهي اخذت من النصف الجنوبي للمريخ ، حيث كان الفصل شتاء ، وقد رأى العلماء حروف فوهاتها مغطاة بطبقة بيضاء افترضوا انها صقيع ماء ترسب عليها من البرد .

بالاشارة ، ثم ركبوا أطباقهم فعادت بهم من حيث جاءوا .

سطح المريخ كسطح القمر ، لا كسطح الارض

ذكرنا ان الكمرة أرسلت ٢٢ صورة من سطح المريخ الى الارض .

واخذ العلماء ينظرون الى الصور . وجاءت الصورة الخامسة وبها من الوضوح الشيء الكثير ، ورأى العلماء فيها حلقات دائرية كبيرة ، كأنها فوهات البراكين . وكانت واضحة ، بينة الحدود والمعالم ، منثورة على سطح ظاهر الاستواء . وعجب العلماء لأن هذا السطح يشبه سطح القمر الذي كشفت عنه الرحلات الفضائية السابقة . ونظروا الى الصورة رقم ٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ ، فخالوا انهم ينظرون الى سطح القمر حقا وصدقا . وكثرت الفوهات، وتزاحمت، وامتدت في كل اتجاه . ومن الفوهات الكبيرة التي قطرها ٨٠ ميلا ، والصغيرة التي قطرها ٣ أميال ، والمتوسطة التي قطرها ٢٠ ميلا . ومنها فوهات نتأت بأوسطها قمة ، واخرى ظلت أعماقها منبسطة .

وعدّ العلماء في الصور نحو ٧٠ فوهة.

والصورة رقم ١١ (في الصفحة المقابلة) ملأتها دائرة عظيمة ، ظهر في ارضها ، في داخل قطرها ، دوائر كالفوهات اخرى عديدة صغيرة .

وفرك العلماء اعينهم ، واعادوا النظر يستيقنون . أهم الى المريخ ام الى القمر ينظرون ؟

ولقد علموا أن هذه الصور ماكشفت الا عن جزء قليل من سطح المريخ ، ولكن وقع ظنهم ان هكذا لا بد أن يكون سائر السطح الذي لم تنله الكمرة بعدستها .

وكيف جاءت هذه الفوهات على سطح فيه هذا الاستواء والانبساط ؟

قال العلماء : انها النيازك وقعت على

سطح المريخ فصنعت فيه هذه الحفر ، فتراءت كالفوهات . فهكذا هم فسروا دوائر على سطح القمر .

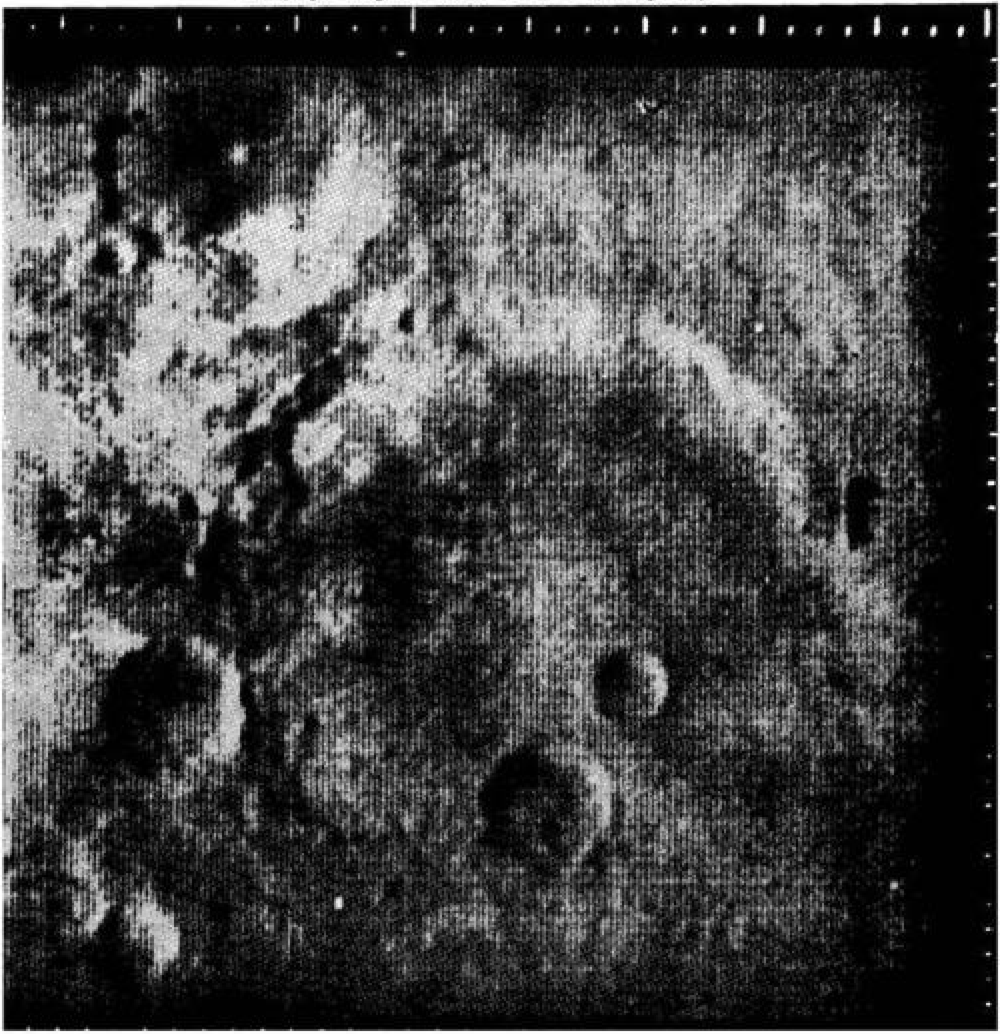
ولكن ، منذ كم من السنين حدث هذا ؟

ان الفوهات هذه الكبيرة ، لا يحدثها الا نيازك هائلة عظيمة . فهي لا بد سقطت والكواكب كانت لا تزال في ثائرة من التخلق لم تكن هدأت بعد . وقدّروا الزمن الذى مضى عليها ، فكان ما بين الفين الى خمسة آلاف من ملايين السنين .

ولكن ، كذلك كانت الارض ، كوكبنا هذا ، هدفا لهذه النيازك ، فأين آثارها؟

ذهب الكثير منها . ذهب بفعل

وهذه هي الصورة الحادية عشرة يتبين الناظر فيها فوهتين قطرهما يزيد على ٢٥ ميلا ، عدا فوهات اخرى اصغر من ذلك

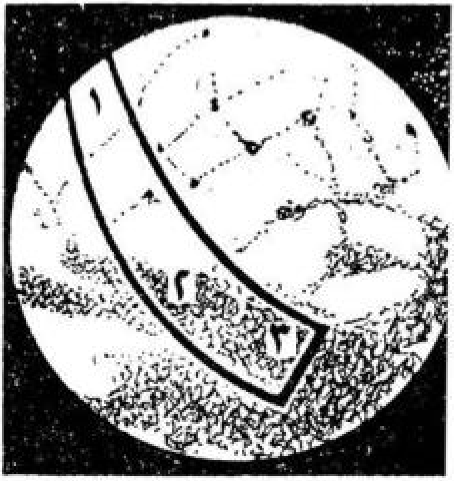


« التعرية » الجيولوجية. سوتها الأمطار وسوتها الرياح ، تلك التى فتتت حتى الصخر الجامد على السنين . اما سطح المريخ فلا أمطار فيه ولا رياح كالتى على ظهر الأرض ، ولا « تعرية » كتعرية الأرض لصخورها .

وأمسى المساء ، مساء المريخ ،فأخذت تنبهم التفاصيل، من الصورة رقم ١٦ الى الصورة رقم ٢٢ .

وقنوات المريخ ، التى زعموا ، لم يكن لها فى الصور اى أثر

انها قنوات اختلف فيها العلماء من قبل .



رسم تخطيطي للمريخ تظهر فيه المنطقة التي مرت عليها مركبة الفضاء بكمرتها الفوتغرافية . وللمريخ خريطة معروفة عند علماء الفلك ، أشرنا منها فى هذا الرسم التخطيطي الى ثلاثة مناطق : رقم ١ وهي منطقة تعرف بصحراء أمازون A mazonis ورقم ٢ وهي منطقة تعرف ببحر سيرينم Mare Sirenum . ورقم ٣ وتعرف بجيب اونيوس Aonius Sinus . وهي اسماء من نتاج الخيال لا الحقيقة . وتظهر فى الجزء الاعلى من الرسم خطوط من نقاط ، هي التى خالها بعض الفلكيين قنوات .

قال قوم انهم رأوها . ورأوها فى هذه المنطقة كثيرة متقاطعة . وقال من آمنوا بهذا ، لعلها من عمل قبيل من الناس له ذكاء أهل الأرض او هم أكثر ذكاء .

وقال قوم ان العلماء الذين رأوا ، ما رأوا ، وانما خالوا . وان الذى رأوه جاء اثرا لِخُدَعات بصرية .

المهم ان عدسة الكمرة التلفازية كانت من القدرة على التفصيل بحيث تكشف عن كل شيء على سطح المريخ يبلغ الميلين فأكثر .

وهي لم تكشف عن هذه القنوات ، وهى لا شك طويلة مديدة ، شيئا .

وكان جديرا بها ان تكشف عن اشياء قيل ان من علماء الارض من رأوها وهم على سطح الأرض ، وبمناظير بالطبع أقل قدرة على الابانة والتفصيل ، واقل كثيرا (اقل ٥٠ مرة) .

المريخ ، ليس له مغناطيسية كمغناطيسية الارض

ودل الجهاز الذى حملته المركبة الفضائية ، للكشف عن المغناطيسية، على ان المريخ لا تكاد ان تكون به مغناطيسية تحَسّ . فهو على نقيض الأرض .

ونحن نذكر ان أكثر العلماء الفزيائيين الأرضيين ينسبون مغناطيسية الارض للذى بجوفها من معدن منصهر ، هودائم الدوران حول نفسه ، وبذلك نتجت القوة المغناطيسية .

واذن ، فقلب المريخ ، على هذا الحسبان ، ليس مائعا ، وانما هو جلمود أصم .

ثم ان هذه الحركة القائمة فى جوف الارض احدثت فيها الزلازل ، وفجّرت فى سطحها البراكين . ومن هذا نشأت الجبال والوديان والقارات والبحار . وبهذا زال عن سطح الارض استواؤه .

وسطح المريخ بقى مستويا ، ويكاد

يكون قد بقى على استوائه القديم العتيق الذى كان منذ آلاف الملايين من السنين.

المريخ ليس حوله أحزمة من اشعاع كالتى حول الارض

وحملت مركبة الفضاء ، مارينر ٤ ، اجهزة تكشف الالكترونات ، اذا هى اخترقت نطاقا به الكترونات ، وهى تقترب من المريخ ، فلم تكشف هذه الأجهزة عن شىء .

ان هذه الأحزمة Radiation belts كالأحزمة المسماة احزمة فان الن Van Allen تكريما للرجل الذى كشفها ، تلك التى تلف الأرض على ارتفاع كبير من سطحها ، تتألف من جسيمات ذرية منشأها الشمس ، وكذلك الفضاء . فاذا هى وصلت الى الأرض ، وهى مغناطيس عظيم ، له خطوط قوى مغناطيسية مديدة ، صادت هذه الخطوط تلك الجسيمات الذرية وحبستها فكانت تلك الأحزمة .

وقد سبق أن قلنا انهم لم يجدوا للمريخ مغناطيسية تذكر وتحس ، وهذا يتفق اذن مع غياب الأحزمة التى كان من شأنها أن يتمنطق المريخ بها كما تمنطقت الارض .

ولكن اين تذهب هذه الاشعاعات الذرية الآتية من الشمس ، وكذا من الفضاء ؟ لا بد انها تنصب على سطح المريخ انصبابا !

وحملت المركبة اجهزة اخرى تكشف من الفضاء عن امور اخرى ، بعض يتصل بالبروتونات Protons التى تخرج من الشمس ، كثافتها ، اتجاهها ، سرعتها ، وبعض يتصل بالأشعة المعروفة بالكونية Cosmic Rays وغير ذلك . وعملت كلها الا واحدة عملا منتجا مرضيا ، وارسلت ما كانت تجد باللاسلكي الى علماء الأرض ، قطعة قطعة من المعلومات المكشوفة حتى بلغ ما كانت ترسله المركبة من هذه القطع اللاسلكية فى اليوم نحوا من ١٢٠٠٠ .

جو المريخ $\frac{1}{10}$ من جو الارض

وكيف عرفوا ذلك ؟

بطريقة غاية فى الحنكة .

ذكرنا أن مركبة الفضاء ، لما بلغت المريخ ، دارت وراءه ، أى من الناحية الأخرى غير التى نراه نحن اهل الارض منها .

ومعنى ذلك ان المريخ حجب المركبة عنا ، وحبس اذاعتها اللاسلكية كذلك عنا ، مدة هذا الاحتجاب .

وهذه الاذاعة احتجبت عن اهل الارض ٥٣ دقيقة .

ولكن ، فى الدقيقة التى كانت قبل احتجاب ، وفى الدقيقة التى جاءت مباشرة من بعد احتجاب ، مرت امواج الراديو الصادرة من المركبة الينا ، بجو المريخ لا محالة ، وتأثرت به لا شك فى هذا .

ومن هذا التأثر ، ومن مقداره ، امكن العلماءَ عملُ الحساب .

وقد حسبوا ، فعلموا أن كثافة جو المريخ ، المباشر لسطحه ، لا تزيد على جزء من اربعين جزءا من جو الأرض ، المباشر لسطح الارض .

وهو جو اخف عشر مرات مما كان زعم الفلكيون .

وهو جو اشبه بجو الارض ، وهو على ارتفاع ٢٥ الف متر من سطحها .

هل من حياة على سطح المريخ

هذا هو السؤال الذى يدور على لسان كل انسان .

ونحن اذا اخذنا بكل تلك النتائج مجتمعة لقلنا لأول وهلة انه لا حياة على

المريخ . ولقد يكفي في استنتاجنا هذا البادء حقيقتان : رهافة جو المريخ الزائدة ، يضاف اليها ذلك الاشعاع القاسي من الشمس ومن سائر الفضاء الذي ينصب عليه انصبابا ، وقد كان يحميه منه أن يكون له جو كثيف كجو الأرض .

ويميل الفكر على الفور الى استبعاد وجود حياة كحياة الانسان النامي العاقل المدبر على ظهر هذه الارض .

اما الحياة الدنيئة ، فالحق أن الذى كشفته مركبة الفضاء لم يكن كافيا لانكار وجود حياة ، من الصنوف الدنيا، على سطح المريخ .

فالمعروف أن العلماء قاموا بتجارب ، نصبوا فيها بالونات ، جعلوا فيها أجواء اقرب ما تكون الى جو يتخال في المريخ ، ووضعوا فيها « بذورا » من الحيوانات الدنيئة والنباتات ، فانطلقت فيها انطلاقا . كان فيها البكتير ، وكان فيها المكروب ، وصنوف من النباتات البدائية وكذا الحشرات . والجو الذى كان في البالون كاد أن يكون عديم الاكسجين . وغمروه من حين لحين بالأشعة الفوق البنفسجية وهى قاسية .

ويقول الذين لايميلون الى انكار الحياة، ولو دنيئة ، على سطح المريخ ، ان صورا من سطح الأرض ، أخذتها الاقمار الصناعية التى دارت حولها ، لو رآها راء من غير اهل الارض لاستنتج انه ليس على سطح كوبنا هذا حياة قط ، لانها لا تريه شيئا من آثار هذه الحياة .

لا بد من نزول الانسان على المريخ ، ليرى ، وليحس ، او من نزول مركبة فضائية على سطح المريخ ، تصنع عليه من الكشوف ما كان يصنع الانسان . انها مشاريع كالأحلام يعدنا العلماء بابتداء تحققها بعد خمسة أعوام ؟

مجد المريخ ، ومجد الانسان

ان النتائج التى جاء بها الملاح مارينر رقم ٤ ، مركبة الفضاء هذه ، نتائج يغلب عليها السلب لا الايجاب . فليس للمريخ .. وليس له .. وليس .. نتائج ان صح انها تصعد بقدر المريخ ، او تهبط ، فهى قد هبطت بهذا القدر كثيرا .

وبمقدارماهبطت بقدر المريخ ،ارتفعت بقدر الانسان . فالتجربة هذه التى أجراها الانسان ، فأرسل بها رسوله الجماد الأبكم ، يشق الفضاء شقا ، الى موعد ضربه فى هذا الفضاء البعيد ، وصدق وعدا ، هذه التجربة رفعت من قدر الانسان بمقدار ما هبطت بقدر الكوكب الاحمر .

مجد المريخ خبا

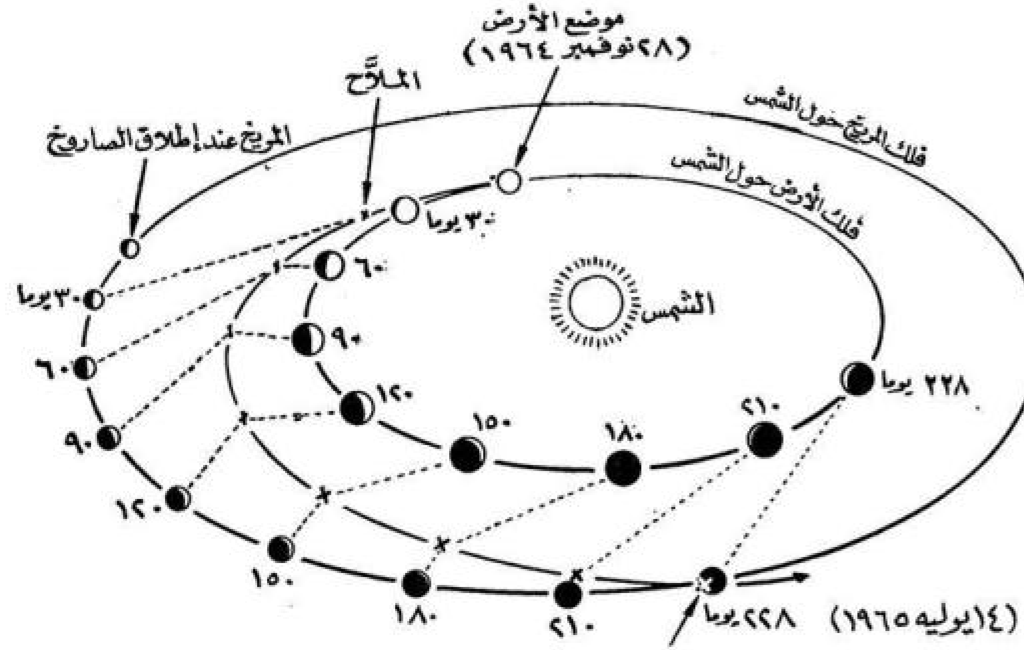
ومجد الانسان لمع

وقصة التماع هذا المجد الانسانى قصة رائعة طويلة ، نجتزىء منها بالقليل ، فى الصفحات القليلة التالية ، تسجيلا لهذا الحدث العظيم .

مدار الأرض ، والمريخ ، ومركبة الفضاء

ونبدأ بوصف المدارات الثلاثة التى دارت فيها الارض والمريخ ومركبة الفضاء معا .

وهذا رسم ايضاحي للشمس (بالصفحة المقابلة) ، وحولها مداران ، مدار الأرض اذ تدور حول الشمس ، ومدار المريخ اذ يدور حول الشمس ايضا . ثم مدار ثالث هو مسار مركبة الهواء ، مارينر ٤ (وترجمت بالعربية الملاح)، وقد أطلقت من الارض فى الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٦٤ ، وبلغت المريخ ، ومرت به ، فى منتصف يوليه ١٩٦٥ ، ثم انطلقت المركبة الفضائية بعد ذلك فى الفضاء الواسع



لتدور حول الشمس ، كوكبا مصنوعا من كواكب الانسان،كما سبق ان ذكرنا.

ومركبة الفضاء التقت بالمريخ فى الرابع عشر من يوليه عام ١٩٦٥ ، وهو على بعد ١٣٤ مليون ميل من الأرض .

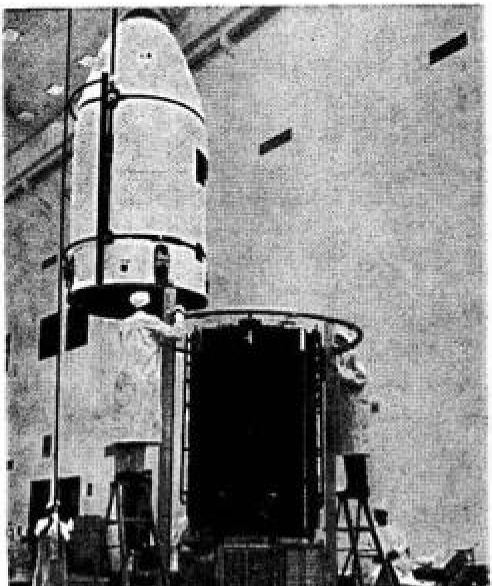
وليس معنى هذا ان المركبة قطعت فى الفضاء ١٣٤ مليون ميل فقط لتصل الى المريخ .

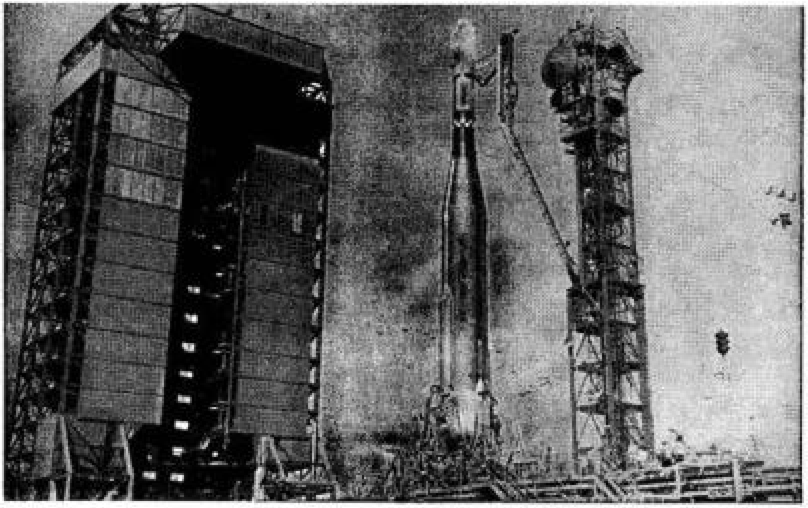
وذلك لأن المريخ ، فى الاشهر الكثيرة التى استغرقتها الرحلة ، لم يكن ثابتا ، وانما كان متحركا . والمركبة سائرة ايضا تهدف فى رحلتها الى المكان الذى سوف يكون فيه المريخ بعد هذه الاشهر الطويلة . فهى سارت اكثر من ١٣٤ مليون ميل ، واكثر كثيرا .

والحق ان المركبة قطعت فى رحلتها هذه ٣٥٠ مليون ميل .

مركبة الفضاء وقد طوت أجنحتها الأربعة

وهذه هى المركبة الفضائية وقد حملت على عجل، وقد تهيأ المختصون بوضع درعها





الصاروخ الذى رفع مركبة الهواء

الأبيض عليها ، وذلك قبل وضعها فى مكان فوق الصاروخ لاطلاقه . ويلاحظ أن المركبة قد طوت أجنحتها توفيرا للمكان ، ولكى يشملها الغطاء ، أى الدرع الواقى . والمركبة تنبذ هذا الغطاء عندما تصل الى الفضاء ، وتمد بأجنحتها الأربعة وتتزود بها من ضوء الشمس ، فتحوله الى كهرباء هى مصدر القوة التى تحتاجها المركبة كما سنذكر فيما بعد .

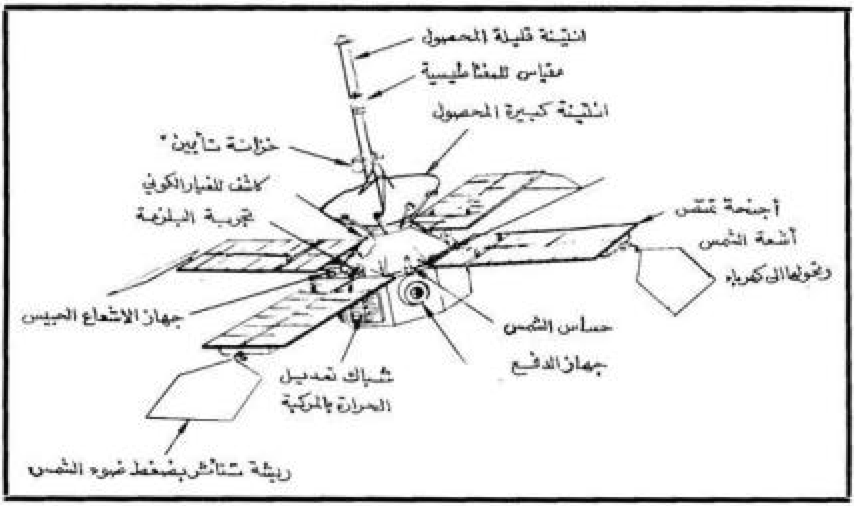
وبسبب أن هذه الاجنحة لم تنفتح فى الفضاء فى المركبة الفضائية الروسية «زند» Zond التى أطلقها الروس بعد مارينر بيومين ، مضت « زند » فى رحلتها الى المريخ صامتة ، لا تسمع من علماء الارض الروس ، ولا تسمع كذلك . ولذلك السبب نفسه أخفق مارينر رقم ٣ وكان الامريكان اطلقوه قبل أخيه رقم ٤ بأسابيع ثلاثة ، وبالدقة فى ٥ نوفمبر ١٩٦٤ .

الصاروخ الذى رفع مركبة الفضاء

وهذا هو الصاروخ « أطلس ــ اجينا Atlas Agena (بهذه الصفحة) وفى رأسه الأبيض ، بعاليه استقرت مركبة الفضاء مارينر ٤ وقد انزاح عن الصاروخ التركيبة المتحركة التى اعانت فى بناء الصاروخ (الى اليسار) ، وكذلك البرج « السُرى » (الى اليمين) الذى يصل الصاروخ بمصادر القوة ، وذلك الى حين اطلاق الصاروخ . وبينهما حبل كالحبل السُرى الذى بين الام ووليدها .

وسموه الصاروخ اطلس ــ اجينا ، لانه يتألف فى الواقع من هذين الصاروخين . الاول الاسفل هو اطلس ، والثانى الذى فوقه اجينا . وأطلق الصاروخ فبدأ اطلس بالاشتعال ، فرفع الجرم كله ، ووزنه ١٢٥ طنا ، الى ارتفاع ٩٠ ميلا قبل أن يفرغ وقوده . وفى هذه اللحظة انفصل هذا الصاروخ عن مركبة الفضاء ، وانفصل عنها درعها الابيض ايضا ، ذلك الذى كان يحميها من ضغوط الصعود . وما كان نسى العلماء ما كان حدث للمركبة مارينر ٣ تلك التى افسد رحلتها ان درعها لم يسقط . وايقنوا بسقوط الدرع عندما زادت قوة الاشارات اللاسلكية التى كانت تبعثها المركبة ، لان الدرع ، وهو من معدن ، كان يضعفها .

وعلى الفور اشتعل الصاروخ الثانى ــ اجينا ــ ورفع سرعة المركبة ، فى نحو دقيقتين ونصف ، الى نحو ١٨٠٠٠ ميل فى الساعة . ثم انطفأ الصاروخ ، ولم ينفصل بعدُ ، لأن له عملا آخر . عندئذ



منظر المركبة من اعلاها

كانت المركبة تدور حول الارض ، كما تدور الاقمار الاصطناعية . كانت فوق المحيط الاطلسي ، واتجهت ناحية افريقيا ثم الى المحيط الهندى . واذ مضى على دورانها ٣٢ دقيقة وثانية واحدة ، أمر الصاروخ اجينا ان يشتعل مرة اخرى ليبلغ بالمركبة السرعة التى تستطيع بها ان تتغلب على جاذبية الارض ، وتقطع علائقها بالارض قطعا . وبلغت المركبة هذه السرعة ، ومقدارها ٢٥٠٠٠ ميل ؛ بل زادت قليلا ، فى نحو دقيقتين . بلغت السرعة فعلا ٢٥٥٩٨ ميلا فى الساعة .

واذ فرغ الصاروخ اجينا من واجبه ، انفصل .

وبقيت المركبة القليلة الصغيرة وحدها سائرة فى الفضاء ، وهى واقعة تحت جاذبية الشمس ، تماما كما تجذب الشمس الارض والمريخ وسائر الكواكب. صارت المركبة كوكبا ، ولكنه كوكب مصنوع ، أطلق ، وحسبت كل حساباته وكل حركاته ، ليلتقى بكوكب المريخ فى نقطة ما ، بعد زمن ما ، هو سبعة اشهر ونصف شهر .

المركبة الفضائية ، اجزاؤها واجهزتها

والمركبة الفضائية تتألف من اجزاء كل منها له عمل ، وكذلك من اجهزة ذات اهداف .

ويتضح كل هذا من رسمين تخطيطيين ايضاحيين يصحبان هذه الكلمة .

وترى فى الرسم المخطط الاول (بأعلى الصفحة) اربعة اجنحة كبيرة تحمل الواحا ضوئية كهربائية ، تمتص ضوء الشمس ، وتحيله الى طاقة كهربائية تستخدمها المركبة فى شتى اغراضها . وبأطراف هذه الاجنحة ريشات اربع تحس ضغط ضوء الشمس ، فتنحنى له ، وبذلك تقلل المساحة التى تنالها الاجنحة الشمسية .

وهذه الريش تعمل كذلك عملا ثانويا فى تثبيت اتجاه المركبة ، وسوف نشرح ذلك .

وبالرسم انتينتان . والانتينة يقابلها الهوائى فى اجهزة الاذاعة على سطح الارض وعملهما فى المركبة واضح ، اذ يصلان المركبة بعلماء الارض عن طريق الراديو . وانتينة قليلة المحصول هى تلك العصا الظاهرة فى اعلى الصورة ، وهى ترسل الامواج اللاسلكية الى كل اتجاه . اما الانتينة كبيرة المحصول ، وشكلها شكل الطبق ، فهم لا ترسل الموجات اللاسلكية فى كل

اتجاه ، وانما فى اتجاه وجه الطبق فقط ولذلك كان من الضرورى توجيهها دائما نحو الارض .

وفى التخطيط كذلك جهاز للدفع ، يأمره علماء الارض بالعمل عندما تقضى الحاجة لتعديل توجيه المركبة فى الفضاء . وشباك لضبط حرارة المركبة فلا تبرد فوق ما يجب . وجهاز كاشف للغبار الكونى وهى النيازك الصغيرة غاية الصغر . وجهاز التأين ويكشف الاشعة الكونية .. الخ ..

وفى هذا المخطط الثاني (بهذهالصفحة) تظهر الكمرة التى اخذت صورة المريخ . والى جانبها الجساس الذى يتعرف على المريخ ويوجه الكمرة اليه . ثم الجساس الذى يربط المركبة بالنجم سهيل فيحدد ذلك اتجاهها كما سنفصل ذلك * .

وضع المركبة فى الفضاء وضرورة تثبيت اتجاهها فيه

ان المركبة فى حاجة الى قوة كهربائية ، وهى تستمدها بتحويل اشعة الشمس الى كهرباء ، وذلك عندما تسقط هذه الاشعة على اجنحتها الاربعة ، وقد انبسطت على سطحها « الخلايا الضوئية الكهربائية » التى تجرى هذا التحويل . ومعنى هذا ان هذه الاجنحة لا بد ان تظل فى مواجهة الشمس .

ثم بالمركبة الانتينة الكبيرة المحصول (الهوائى) وعن طريقها ترسل اشارات المركبةاللاسلكية الىعلماء الارض . وهذه لا بد ان تتخذ على المركبة مكانا يكون فى مواجهة الارض .

ثم ان المركبة بها كمرة تلفازية ، لا بد ان تكون فى مواجهة المريخ عند وصول المركبة اليه ومرورها به .

فهذه امور ثلاثة لا تأذن للمركبة ان تتخذ اى وضع او اى اتجاه تشاء فى الفضاء . لا بد اذن من تثبيت وضع المركبة فى الفضاء من اجل الوفاء بكل هذه الاشياء .

ويكفى لتثبيتها محوران ثابتان ، يمنع احدهما حركة المركبة الا ان تدور حول هذا المحور . ويمنع المحور الثانى ، مع المحور الاول ، الحركات جميعا . وعندئذ فقط تثبت المركبة على وضع يفى بكل هذه الاغراض السابقة . وبعد اختيار الوضع الذى تثبت عليه توضع انتينة اللاسلكى فيها بحيث تتجه ، مع هذا الوضع الثابت ، الى الارض ، وتوضع الكمرة بحيث تكون مواجهة للمريخ حين تبلغه . وكذا فى امر الاجنحة .

اما المحوران فأولهما محور يصل المركبة بالشمس ، وفيه تكون الاجنحة فى مواجهة الشمس تستقى منها القوة . والذى يثبتها فى هذا الاتجاه « عين » تمتلىء بأشعة الشمس امتلاء ، فاذا نقص امتلاؤها ، ارسلت باشارة كهربائية الى جهاز تعديل الاتجاه فى المركبة فأخذ يعمل .

واما المحور الثانى فهو يصل المركبة بالنجم الشهير المعروف بكانوباس Canopus ، وهو بالعربية « سُهَيل » ، وهو فى جنوب السماء ، ومحوره يكاد ان يكون عموديا على المحور الاول ، محور الشمس . وسهيل هو ثانى نجوم السماء التماعا . واولها نجم الشِّعرَى اليمانية .

---

* جسم المركبة كالصندوق مثمن الجوانب ، قطره نحو متر وربع ، وارتفاعه ، الى آخر الهوائى الذى تحمله ، وشكله كشكل العصا ، يبلغ نحو ٣ أمتار . اما اذا حسبنا طول الاجنحة الشمسية وهى منبسطة لقلنا ان قطر المركبة نحو من ٧ أمتار . والمركبة وزنها على سطح الارض نحو من ٥٧٥ رطلا .

وسهيل المع نجم فى منطقته . والـذى يربط سهيل هكذا بالمركبة « عين » فى المركبة تظل ممتلئة بضوئه على قـدر معلوم . فاذا انحرفت عنه اعطت اشارة كهربائية تجعل جهاز تعديل الاتجاه يعمل ليصحح الوضع .

اما جهاز تعديل الاتجـاه فيتضمن صواريخ صـغيرة مـن غاز مـن الازوت مضغوط ، اذا خرج من قنيناته احدث حركة صاروخية حقيقية تكفى جدا لتغيير اتجاه المركبة .

تغيير خط سير المركبة وهى فى الفضاء

اطلقت المركبة يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٦٤ . وما كاد الراصدون ان يرصدوا مجرى المركبة فى مسارها حتى ادركوا، بالحساب العالى ، السريع ، انها ، عندما تبلغ المريخ تكون على بعد ١٥١٠٠٠ ميل منه . واذن لن تكون لصور تؤخذ منه على هذا البعد الوضوح الكافى .

واذن قرروا تغيير اتجاه سير المركبة لتقترب من المريخ عندما تبلغه .

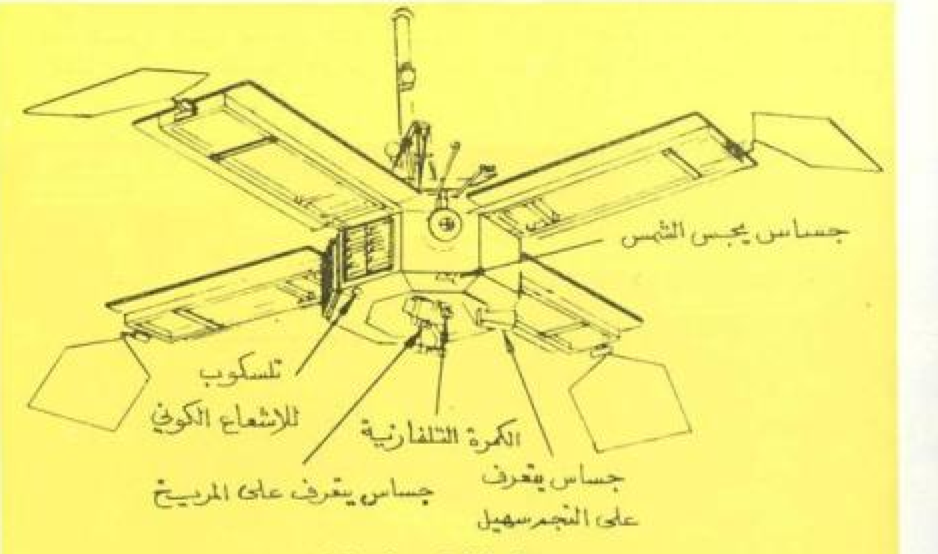
وسبيل ذلك تغيير سرعتها فى الفضاء . ان زيادة سرعتها ، وهـى تدور حـول الشمس ، تبعدها عن الشمس . ونقص سرعتها يقربها من الشمس . وبهـذا تقترب المركبة او تبتعد عن المريخ .

ان خطأ مقداره ميل واحد ، فى السرعة التى تحوزها المركبة عند اطلاقها من فوق سطح الارض ، يسبب ان تبعد المركبة عن الهدف، اى المريخ بمقدار ٩٠٠ ميل .

كل هذا حسبوه، وقدروه ، وتوقعوه . ومن اجل هذا وضعوا احتياطا فى المركبة صاروخا صغيرا له قوة دفع تساوى ٥٠ رطلا ، لتغيير سرعة المركبة ، فتعديل اتجاه سيرها .

واتموا ذلك فى ٥ ديسمبر ١٩٦٤ .

وكان من نتيجة ذلك ان مرت المركبة



منظر المركبة من اسفلها

فى يوليو ١٩٦٥ بالمريخ ، وهى منه على بعد نحو ٦٠٠٠ ميل فقط .

والذى اتموه من ذلك كان عملا فى حكم العلم رائعا . واتمه العلماء وهم على الارض ، والمركبة بعيدة تبعد عنهم فى السماء بمقدار ١٢٦٧٦١٣ ميلا . يأمرون اجهزتها ان تعمل فتطيع .

كان لا بد لتغيير اتجاه سير المركبة ، من فك ربط المركبة بالشمس ، وبالنجم سهيل . وبعد تعديل الاتجاه ربطوا المركبة بهما . وهذا واضح فى الرسم التالى (باسفل الصفحة) .

اخذ الصور من المريخ

عندما مرت الكمرة التلفازية بالمريخ اخذت ٢٢ صورة منه ، واخذتها زوجا ، زوجا،وكل صورتين من الزوج متطارفتين من المنطقة الواحدة من المريخ ، اى طرف الواحدة على طرف الاخرى من الزوج الواحد . ولم تستغرق مدة اخذ الصورة غير جزء بسيط من الثانية . وكان بين اخذ الزوج من الصور والزوج الذى يليه ٤٨ ثانية . ثم حولت المركبة هذه الصور الى نبضات كهربائية سجلتها على شريط مغناطيسي كالتى تسجل عليه الصور التلفازية التى تؤخذ على الارض .

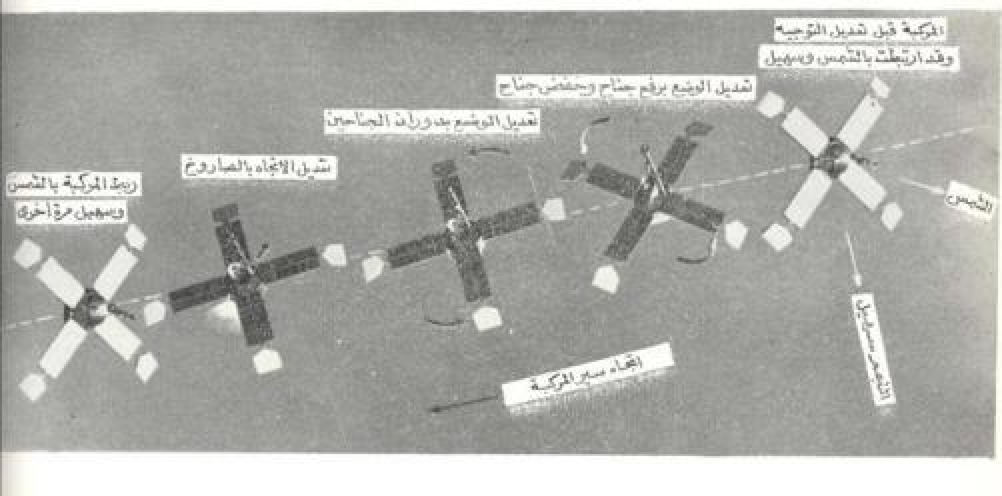
ثم اخذت المركبة بعد ذلك بارسال هذه الصور الى علماء الارض ، وقد استغرق ارسال الصورة الواحدة منها اكثر قليلا من ثمانى ساعات ، واذن لم يتسع اليوم الواحد لارسال اكثر من ٣ صور .

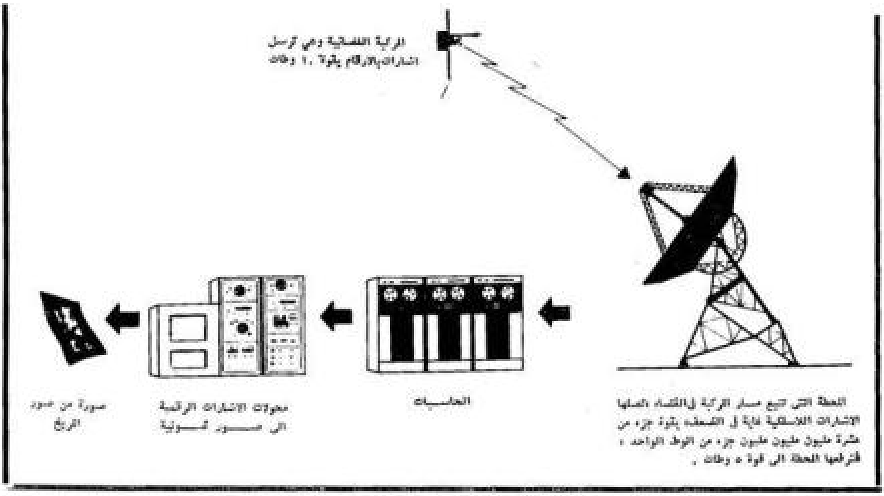
القوة الكهربائية بمركبة الفضاء

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن الآن هو : لماذا استغرق ارسال الصورة الواحدة الى الارض اكثر من ثمانى ساعات،مع اننا نعلم ان الموجات اللاسلكية تقطع هذه المسافة التى كانت بين المريخ والارض عندئذ ، وهي ١٣٤٠٠٠٠٠٠ ميل فى نحو من ١٢ دقيقة ؟

والجواب: ان السبب هو الزاد القليل الذى للمركبة من القدرة الكهربائية التى بها ترسل الاشارات اللاسلكية الى الارض .

ان هذه القدرة مستمدة من الشمس، تتزود بها المركبة لحاجة يومها ، وحاجة ساعتها وحاضرها . وهي قوة ارسال تبلغ عشرة وطات فقط (تلفاز الارض قوته ١٠٠٠٠٠ وط) لا تكاد تصل الى الارض البعيدة حتى تكون ضعفت أشد الضعف فما تكاد تبين ، لولا محطات





ارسال صور المريخ الى الارض : اشارات لاسلكية ، تتحول الى صور فوتغرافية

ذات انتينات هائلة ، تحس هذه الاشارات الضعيفة ، ثم مقويات لها هائلة ترفعها ملايين الاضعاف .

فمن أجل هذه التغذية الضئيلة من الكهرباء ، التي تتزود بها المركبة ، كان لا بد لها من عشرة ايام لترسل الى الارض كل تلك الصور .

ارسال صور المريخ الى الارض

هذه لعبة علمية تشبع العقل اشباعا، أعني العقل الذي يحس الحاجة الى الامتلاء ، فالشبع ، اذا هو فرغ وجاع .

ان الصورة الفوتغرافية ، اىّ صورة، يمكن تقسيمها الى عشرات الالوف من النقط ، بعضها أبيض كل البياض ، وبعضها أسود كل السواد ، وبين هذين الطرفين صنوف من نقط يختلف مقدار اسودادها او ابيضاضها درجات عشرات .

فلو ان المركبة ارسلت الى الارض هذه النقاط كلها ، بترتيبها في الصورة ، وامكن لأجهزة الارض ضمها ، لكان منها نفس الصورة التي اخذت من المريخ .

ولكن المركبة لا ترسل الى الارض نقطا بيضاء وسوداء . واذن فقد جعلوا لكل هذه الدرجات العشرات ، حسب نصيبها من السواد أو البياض ، أرقاما تدل عليها . وهذه الارقام هي التي نقلها اللاسلكي بترتيبها في الصورة المرسلة الى اهل الارض .

وفي الصورة (بأعلى الصفحة) ترى الانتينة الكبرى للمحطة الارضية التي تلتقط الاشارات الرقمية من المركبة ، ثم الحاسبة العجيبة التي تهضم الاشارات، ثم محولات الاشارات الرقمية الى الصورة الفوتغرافية .

خاتمة

ان ارسال مركبة الى المريخ ، تجربة، مجرد محاولتها يذهل. ونجاحها لا شك اكثر اذهالا .

دع عنك النتائج الحاصلة . فليس من ذنب التجربة أن لا يكون بالمريخ جبال ووديان ، او ان لا يكون به جو ، او ان لا تكون به حياة .

التجربة في ذاتها . اطلاقها لتدور حول الارض في الموضع المحسوب تماما ، لتدرك الكوكب ، في الموضع المحسوب تماما ، على بعد عشرات الملايين من الاميال ، في الوقت المحسوب تماما .

كل هذا كان من نسج العناكب لا يصمد لريح . يقال ، فيبتسم الناس له ،



كوكب المريخ كما رسمه الفنان و
وكذا الجنوبية ، وهمـا زرقاو
تزداد فى ربيع المريخ ، وتتقاصر

ويرتاحون الى سماعه ، كما يرتاحـون الى القصة التى تدغدغ الخيال .

اما ان تصبح هـذه القصة حقيقـة واقعة ، وان تفعل المركبة ، من ذاتهـا ولذاتها ، أشياء حتى كأن بها انسـانا يقودها . . . .

واما ان تضل الطريق بعض الشيء ، فيرسل لها الانسان من فوق سطح كوكبه بالامر ، فتستمع له ، وتطيع ، وتفعل ولكن بمقدار ، وتصحح مسيرها بالقدر اللازم ، فلا تزيد ولا تنقص . . . .

واما ان تمر آخر الامر على الكوكب الموعود ، فى المكاد الموعـود ، فى الزمـن الموعود،بعد مضى تلك الاشهر العديدة . . .
هذا كله شيء يذهل .

يدل على ما بلغ الانسان من عظمـة فكـر ، ومن عظمـة علم ، ومن عظمـة تكنيـة ، ومن عظمة خيال وبعد آمال .
ونفخر نحن البشر ان يكون منا من فعل هذا ، امريكيين كانوا ، او روسيين ، او غير ذلك .

وانما نأسى لشيء : ان الانسان الذى اهتدى فى هذا المجال ، مجال العقـل ، ضل ضلالا بعيدا فى مجالات اخـرى ، سيما مجالات القلب .

ان الذى قام به هؤلاء العلماء، من هذه الامة او تلك، عمل رائع من اعمال العقل، ولكن صاحب العقل فيه ومضات مـن خيال ، واحاسيس عميقة من الشعر .
والشعر لا ينبت الا فـى القلب . هكذا علمنا دائما ، فكيف يعمر فى هـذه القلوب جانب ، ويبقى سائرها خرابا ؟!
ام ان العلماء قائمون فيما هم فيه ، غارقون مستغرقون ، والناس من حولهم ينظرون . كلاعب السرك او لاعبتـه ، يتحديان على اراجيح الهواء الموت ، حتى ليحسا مذاقه ، والناس من حولهما فى متعة ، لا تهزهم الا الرشاقة وجمـال الحركة رغم الاخطار المحدقة ؟! ■■

احمد زكى



لما وصفه به الفلكيون قبل تجربة الفضاء هذه . وترى فى أعلاه وفى أسفله الطاقية القطبية الشمالية ، بيضاوان يحسبون أنهما من ثلوج . وفى الصورة مناطق خضراء داكنة ، يحسبون انها من نبات ، ومساحتها شتائه . أما المناطق الصفراء فهي عندهم الصحارى المترامية .

وقفة

فى رحلة العمر القصير الام نمضي مسرعين .. ؟
بالامس اجهدني التأمل فى جموع السائرين
وتلمست قدمي الطريق تلمس المترفقين
فرجعت ادراجي الى ماض باعماقي دفين
ومضت اكف الذكريات تفك اغلال السجين
فاذا بعهد طفولتي يجلو الظلام ويستبين
ويلوح وجها مشرق القسمات لألاء الجبين
ايام كنت وكان لي بشر الصغار الحالمين
وبراءة الاطفال تغمرني وزهو المعجبين
وهياكلي .. كم شدتها فى السفح من رمل وطين
وهدمتها فى لحظة فعل الصغار العابثين

★★★

دنيا من الاحلام ملء اهابها دعة ولين
تطفو حلاوتها على شفتي من حين لحين
ويعودني منها كخفق الحلم او رجع الحنين
انا فى صراع لا يكل مع الزمان ولا يلين
وحدي .. على درب الحياة بلا دليل او معين

★★★

اليوم تلهو بي الحياة كما تشاء واستكين
وادان فيما اشتهيه وكنت فى امسي ادين
والشيب فى فودي يعبث بالسواد ويستهين
يا طول ما استبعدته وكرهته فى الآخرين
أبصرته فى ذا الصباح يلوح من فوق الجبين
كاللص يسترق الخطى ويحل فى حصن حصين
فأهب مذعور الجنان على النذير لأستبين !
فاذا خطاي على انحدار مظلم .. وغد جنين !
واعنتي فى كف اقداري كأجنحة السفين

فى الأربَعِين

للشاعر : نور الدين ابو ريشة

تقتادنى .. ذاتَ الشمال وتارةً ذات اليمين !
مالى أحسّ بخافقى خوف الفجاءة والكمين ؟
يا للصبا الريّان كيف أراه يذبل قبل حين !
مرت عليه مراشفي الظمأى مرور العابرين !
لي وقفة منها اطلّ عليه مشبوب الحنين
وتلفت المشدوه .. يبحث فيه عن كنز ثمين
قد ضاع بين ملاعب الذكرى على شط السنين !

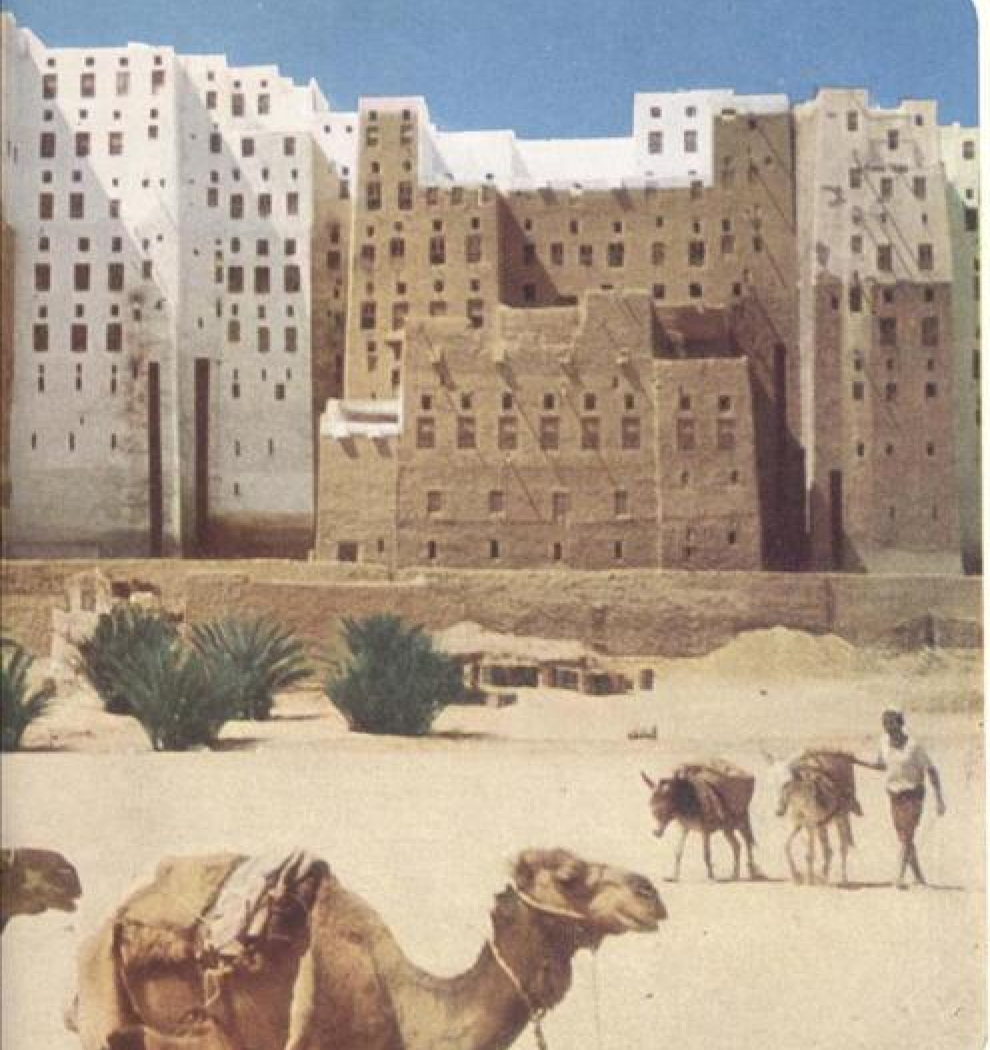
★★★

تلك البقية من شباب العمر توشك ان تبين
هي سؤرة الكاس التي تكوى شفاه الظامئين
انا لا اصدق انني كهل بلغت الاربعين
ضيعت احلام الشباب وكنّ فى حرز مكين
وطويت اجنحتي على وعد كمصر الياسمين ..

★★★

يا طيب لمسات الخيال على جراح المتعبين
لي فى هياكله الوضيئة راحة وحمى امين
وترقّب .. قد طال فى بحرانه سطل المدين
كم قلت يقبل فى غد ثدي الحياة ويستلين
امل يداعب خاطرى اعنو لديه واستكين
يخبو ويومض نوره فى زحمة العمر الضنين
لولاه لانتصرت شكوك النفس وانهزم اليقين !
حسبي به ، اقوى على .. شق الطريق .. واستعين !!!

الكويت : **نور الدين ابو ريشة**



اعرف وطنك أيها العربي

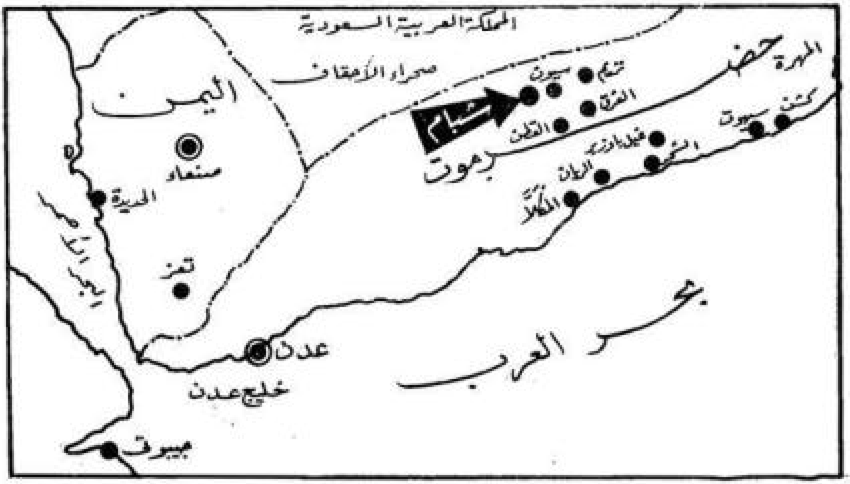
شبام



قام بهذا الاستطلاع **سليم زبال** وصوره «**أوسكار**»

■ **تقدم لك « العربي » في هـذا العـدد مدينة من اجمل مدننـا الصحراوية العربية ..**

انهـا المدينة التي تتراءى عماراتها عالية متسامية وسـط وادي حضرموت الكئيب ، عند حدود رمال الربع الخالي ، فتجعل المرء يتساءل : احقيقة هي ام سراب ، ام شبح من اشباح مدن الف ليلة وليلة ؟



خريطة الجنوب العربى ، وفيها يبدو موقع مدينة شبام

انها مدينة « شبام » ... اعظم مدن ناطحات السحاب فى حضرموت .. بناها العرب الاقدمون قبل ان يبنى الامريكيون نيويورك بعشرات القرون ..

وتساءل مندهشا : ومن اين للعرب الاقدمين الحديد والأسمنت لبناء مثل هذه المنازل ذات الستة الطوابق والسبعة ، والتى يخالها الناظر ، وكأنها ١٤ طابقا ، لوجود صفين من الشبابيك فى كل طابق : الشباك العادى الكبير ، وفوقه شباك صغير للتهوية ولادخال أكبر كمية من ضوء الشمس .

وتزداد دهشة السائل واستغرابه عندما يعلم ان بناء هذه العمارات العالية لم يدخله شىء من الحديد او الاسمنت ، وانما هى مبنية من طين مخلوط بالتبن ، ومجفف باشعة الشمس !! .. اما الاعمدة التى يظنها خرسانية ، فما هى سوى جذوع نخيل او جذوع اشجار الحِمْر المغطاة بالطين !!

لقد استطاعت هذه المواد البسيطة ان تتحدى الأمطار والزوابع ، فالمنازل المبنية بهذه المواد ما زالت تقف عالية متلاصقة بعضها ببعض ، فتبدو وكأنها عمارة واحدة هائلة ذات هندسة متشابهة !

واجهة مضللة

ان روعة الواجهة الخارجية لهذه المنازل تجعل المرء يقف مشدوها .. ولكن سرعان ما ينزاح القناع ، ويدرك المرء انه امام منظر زائف مضلل ، يخفى الوانا من البؤس ، والاما من الحياة القاسية الحزنة التى يحياها ابناء هذه المدينة المجهولة القابعة عند طرف صحراء الاحقاف او الربع الخالى ..

ولا يحيط بشبام اى نوع من الاسوار القديمة ، لأن منازلها العالية المتلاصقة هى اشبه ما تكون بسور ضخم منيع يحميها ، ولذا لا تجد اثرا للابواب فيها ، وانما هى تنفتح جميعا فى الناحية الاخرى داخل قلب المدينة ..

والمدينة نفسها لها مدخل رئيسى وحيد ، كان يقفل ابوابه فى الليل ، ولكنه جدد ، فازيلت بوابته القديمة لتاخذ مكانها بوابتان يدخل منهما الناس ، ولكنهما مختلفتان فواحدة كبيرة تدخل منها الجمال وسيارات الشحن ، والصغيرة وتدخل منها حاملات الماء والجنازات ـ هكذا عرفهم ـ !

ممرات .. واخاديد !

وتركنا سيارتنا الصحراوية (اللاندروفر) عند

الساحة الداخلية قرب البوابة ، لانهم قالوا لنا : لا يمكن للسيارات ان تسير داخل شبام ... وسالنا عن السبب .. فقالوا : ادخلوا وسوف ترون العجب !!

وعبرنا من بوابة الجمال الى ساحة واسعة ، فيها قلعة نائب اللواء وصيدلية تعاونية ... وملعب لكرة السلة يلعب فيه تلامذة المدرسة الابتدائية ..

وفى هذه الساحة تصب او تلتقى جميع ازقة وحارات شبام ! .. ولم نقل شوارع ، لانه لا يوجد فى شبام شارع ، وانما ممرات او اخاديد لا حصر لها ، تتقاطع فيما بينها لتعود فتتلاقى اسفل المنازل المتعالية ... وفى هذه الممرات يصعب على اربعة اشخاص السير معا صفا واحدا، فى بعض الاحيان .

مجار مكشوفة

وليس ضيق الممرات هو الازعاج الوحيد الذى صادفنا .. ففى أركان هذه الأزقة تتجمع قطعان الماعز والدجاج مع اطفال شبام ، الذين يعبثون وسط المياه القذرة المندفعة من مزاريب المنازل فى طريقها الى شق طولى وسط الازقة..انها المجارى المكشوفة ، التى تنبعث منها روائح تعافها النفس، وتعيش فيها جراثيم تفوق الحصر !

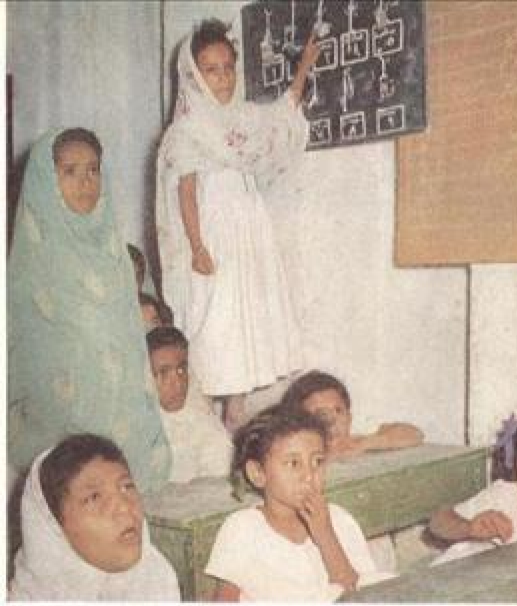
وقد زادت كمية مياه هذه المجارى زيادة كبيرة فى الاونة الاخيرة ، بعد أن زاد نصيب الفرد من الماء فاصبح عشرة جالونات يوميا ، بدلا من جالونين فقط !

الماء من جوجة !

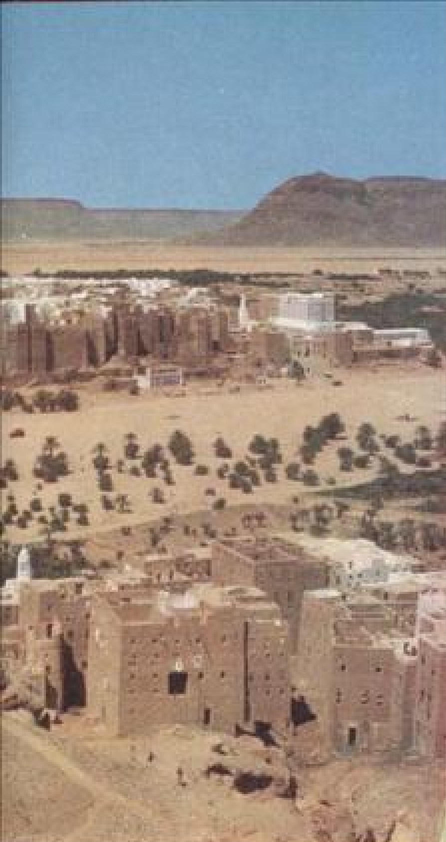
كان أهل شبام يعانون متاعب جمة للتغلب على ازمة جلب الماء الى منازلهم .. ففى كل صباح كانت النسوة المتشحات بالسواد يخرجن الى الابار المحيطة بشبام فيسحبن بالدلو ماء فيه كثير من الملوحة يستعملونه للوضوء والغسيل وشرب الماعز .. أما ماء الشرب فكان السقاءون يجلبونه على ظهور الحمير من آبار الجبل القريب من شبام .. وظل الحال على هذا المنوال حتى تأسست فى العام الماضى شركة الماء الاهلية المحدودة براس مال قدره ٣٠ الف دينار .. وكان أول عمل قامت به ، أن



مئذنة جامع هارون .. انها تطل على زقاق السوق .. وقد جددت المئذنة عدة مرات كان آخرها عام ١٣٦١ هـ . ومع ذلك فما زالت المئذنة والجامع فى حاجة ماسة للترميم والاصلاح



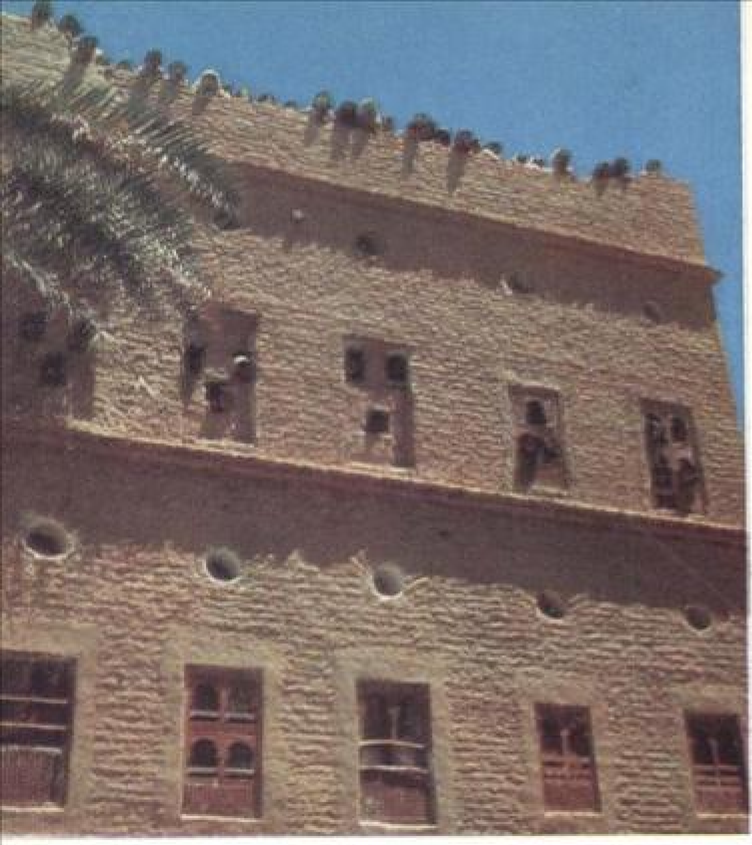
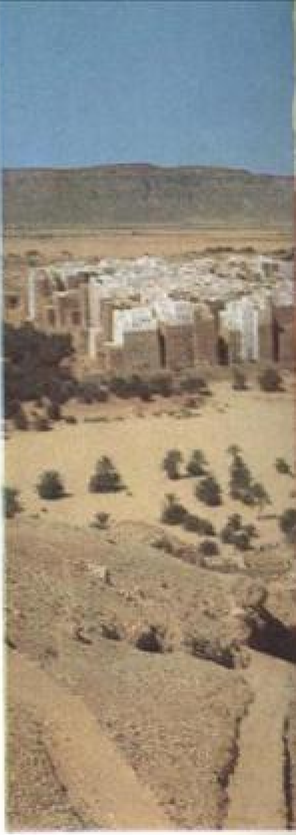
تختلف نظرة أهل شبام الى المرأة اختلافا كبيرا . فعدد كبير من الرجال يريدها دائما جاهلة متأخرة . ولكن منذ ثلاث سنوات فقط بدأ تعليم الفتاة ، فاستؤجرت لهن شقة صغيرة في الطابق العلوى من منزل قديم (انظر الصورة التى الى أقصى اليسار) تقوم معلمتان محليتان غير مؤهلتين بتلقينهن النزر اليسير من المبادىء الاولية .. وحتى هذا القدر لم يستمر ، فمنذ أشهر نقلت احدى المعلمتين الى خارج شبام ..



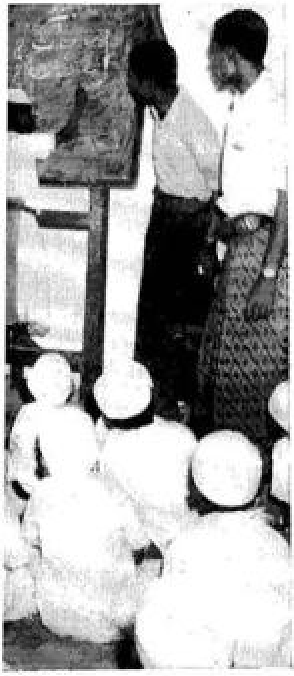
هذه هي شبام .. خمسمائة منزل متلاصقة وسط وادي حضرموت .. **والى اليمين** يبدو أحد أزقة المدينة .. لقد قالت « الوعى » النشرة الشهرية التى تصدر في شبام « .. اننا جميعا نعيش في اسطبل جنبا الى جنب مع الجمال والحمير والبقر والغنم ، التى تزاحمنا في كل شبر من السوق والشوارع الضيقة .. » ومما يذكر أن المجلس البلدى أصدر قرارات بمنع تجول الاغنام والحمير .. ولكن بدون نتيجة !



الى اليسار : أعضاء نادى التعاون في شبام جالسون في الغرفة الوحيدة التى يتكون منها ناديهم ، ومن هذه الغرفة تصدر النشرة الشهرية الوحيدة في شمال حضرموت .. ان امكانيات النادى المادية هزيلة ومع ذلك فقد أنشأ صيدلية تعاونية ، ولجنة لمكافحة السل ، وفتح صفوفا لمحو الامية .. وأخيرا أعلن النادى تحوله الى الهيئة القومية السياسية الاجتماعية الثقافية ، بعد صدور قانون الجمعيات في حضرموت ...



ثلاث صور لطلبة المدرسة الابتدائية بشبام .. فى الاولى يلعبون كرة السلة قرب الـ
طالبا ، اصبحوا اليوم ٢٤٠ طالبا .. والتعليم فيها يتبع المنهاج السودانى .. والى
التبرعات من الاهالى .. والصورة الثانية تبين الطلبة جالسين على الارض

مدت الانابيب من آبار قرية جوجة ـ وتبعد ثلاثة أميال عن شبام ـ حتى خزانات الماء الضخمة التى أقاموها لهذا الغرض ، على قمة جبل الخبة المطل على شبام .. وبذلك اصبحت المياه تصل الى جميع منازل شبام ، وعددها ٥٠٠ منزل ، تضم نحو ٥٠٠٠ نسمة ، حتى الطوابق العليا من هذه المنازل المرتفعة الى ٧٥ قدماً، وصلها الماء .. وذلك لعلو مصدرها فى الجبل .

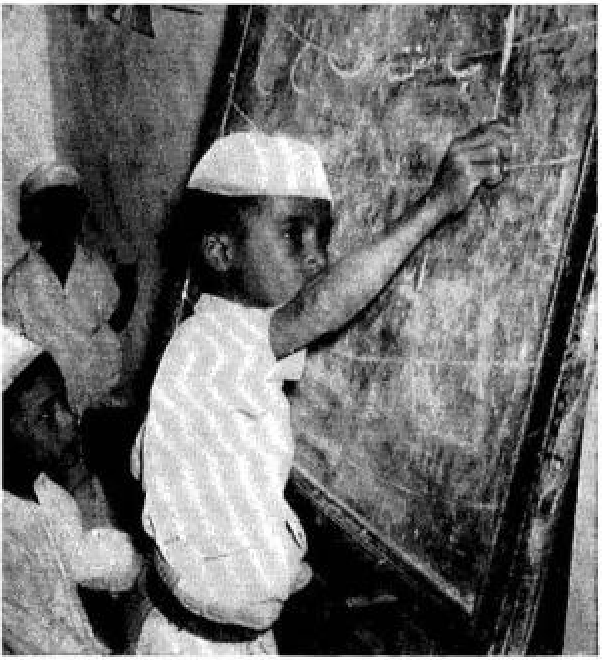
ممرات فى الطابق الخامس !

وفى هذه الطوابق العليا يعيش الناس .. ومن اللطيف أن بعض العائلات الكبيرة تعيش متجاورة فى منازل متلاصقة ، وقد هدتها الحيلة الى فتح ممرات فيما بينها عند الطابق الخامس ،فاصبحت المرأة تقوم بزيارة قريباتها فى المنازل المتجاورة دون حاجة للنزول الى الشارع .. ! اما الرجال فقد فتحوا لأنفسهم ممرات فى الطوابق السفلى ..

السيول توقف نمو المدينة

وكثيرا ما تهطل الامطار بغزارة ، فيمتلىء وادى حضرموت بمياه السيول ، وتصبح شبام وكأنها جزيرة تحيط بها المياه من كل جانب دون أن تنالها لان المدينة مشيدة على ربوة صخرية مرتفعة عن سطح الوادى ..

وكانت هذه السيول العقبة الرئيسية فى عدم اتساع رقعة المساحة المبنية فى شبام .. لان كل منزل يبنى خارج رقعة الخمسمائة منزل الحالية، كانت تجرفه السيول ، حتى أصبحت المدينة تعانى مشكلة سكنية هائلة ، لم يخفف حدتها سوى بناء ضاحية جديدة عند سفح الجبل اسموها « السحَيل » لا يفصلها عن شبام سوى ارض الوادى ، التى تتحول أيام الصيف الى طريق رملى تتناثر عليه آبار المياه المالحة ، التى ما زال الاهالى يأخذون منها حاجتهم للغسيل ولشرب الماشية ..





الرئيسية فى المدينة .. لقد فتحت هذه المدرسة ابوابها عام ١٩٤٤ وكان عدد طلبتها ٤٠
هذه المدرسة الحكومية توجد مدرستان أهليتان ، تابعتان للجنة الاهلية التى تجمع
وجود مكاتب .. بينما الثالثة تبين مدى الشغف الزائد الذى يقبل به الطلبة على التعلم

تجارة .. وهجرة مريبة

ويعتمد اهل شبام على التجارة منذ قديم الزمان ، فموقع مدينتهم وسط وادى حضرموت يتيح لها ان تسيطر على طرق القوافل ، مما جعلها من أهم مدن حضرموت الداخلة .. وكانت الى زمن قريب عاصمة لسلطان الشحر والمكلا ..

وتحيط بشبام مزارع للنخيل واسعة ، تروى اغلبها من مياه السيول ، وتقدم للاهالى محصولا من التمر يعتمدون عليه فى وجباتهم الرئيسية .

ان انتاج هذا النخيل يمكن ان يتضاعف اذا زادت العناية به .. لقد أصبح الكثير منه مهملا ، ينمو ويتكاثر من ذات نفسه دون اى رعاية ، والسبب ان بعض رجال شبام قد مل التجارة البدائية التى كان يزاولها اجدادهم وآباؤهم ، فبدأوا ينزحون عن مدينتهم ، مخلفين عائلاتهم لرعاية مزارعهم ، مكتفين بزيارة مسقط رأسهم مرة كل سنة .

لقد اصبح لكل منهم متجر فى المكلا على الساحل ولم تعد تجارتهم الجديدة تسمح للكثيرين منهم بالعودة الى شبام فأهملوها ، وكادوا ان ينسوها ، وان كانوا يدعون العكس ..

وقد ترتب على هذه الهجرات وضع غريب شاذ ، ففى الكثير من العمارات العالية ، التى تحوى سبعة طوابق تعيش امراة وحيدة ، او اسرة صغيرة ، تركها عائلها وسافر الى اندونيسيا وشرق افريقيا والهند ، بحثا عن لقمة العيش !

ورجال شبام لا يأخذون زوجاتهم معهم فى مهجرهم ، وانما يكتفون بارسال النقود لهن شهريا .. وكم من مآس تخفيها جدران منازل شبام بسبب هذه الهجرات .. وبسبب قوانين الزواج الغريبة فى شبام ، التى تختلف عن بقية البلاد ..

فعندهم ما يسمى « الشرط » واسرة العروس هى التى تشترط هذا الشرط ، وهو على عدة انواع .. فمرة تشترط عدم سفر الزوجة ، ومرة تشترط تزوج الرجل من الطفلة ، على ان ينتظرها حتى تصل الى سن البلوغ .

وتتميز حفلات العرس فى شبام بالاسراف الزائد

الذى يقصم ظهر اسرة العريس ، والعروس على حد سواء ، لكثرة مصاريف المآدب والدعوات التى يحضرها كل مرة ما يزيد عن ٥٠٠ مدعو ياكلون ويشربون على حساب العريس وأهل العروس !

أزمة بسبب السكن

وبعد احتفالات الزواج العادية تنتقل أم العروس الى منزل العريس فتقيم فيه بعض السجاد والبساط والحصير والمشمع التى هى كل اثاث المنزل !

ورغم عروض الايجار العالية فان الاهالى لا يؤجرون منازلهم الخاصة ابدا ، لان تأجير المنزل الخاص يعتبر فى اعتقادهم ـ دليلا على العوز والفقر !!

وقد تسببت ازمة السكن فى حدوث مأساة ذات ذيول طويلة : لقد ظلت شبام تعيش فترة طويلة دون طبيب لعلاج سكانها ، وسكان ضواحيها ، وانهالت البرقيات على المسئولين فى المكلا تطلب طبيبا .. وجاء الطبيب من باكستان .. وظن نائب لواء شبام ان اعداد السكن اللازم له سيكون امرا سهلا .. ولكن الامور جاءت بعكس ما يشتهى نائب لواء شبام .. لقد طرق جميع ابواب المنازل وكان الرد واحدا : « امهلونا وقتا للتفكير والبحث » وهذا اعتذار مهذب ، بدلا من الرفض الصريح !

وعقد اكثر من اجتماع ، فشلت كلها فى ايجاد مأوى للطبيب الباكستانى ، وعندما فتح هذا الطبيب ابواب صيدلية مستشفى شبام ، وهو مستشفى يضم ١٤ سريرا ، وجد أن الصيدلية فارغة الا من شربة ملح !

وطلب رؤية غرفة العمليات ، فهالة النقص الهائل فى جميع ادواتها !

وسأل عن عدد السكان الذين سيتولى علاجهم ، فاجابوه : ستعالج خمسين الفا .. يمثلون سكان لواء شبام كله !

يقبل اهل شبام على لعب كرة القدم بشغف زائد .. وقد تكونت عدة اندية صغيرة فى المدينة يضم كل منها فريقا رياضيا .. وترى هنا السيد عمر محمد باصالح نائب لواء شبام يصافح اعضاء احد الفرق الفائزة فى المباريات





تتناثر عند مدخل شبام آبار المياه المالحة ، التى تقصدها السيدات فى الصباح لتسحب حاجتهن من مياهها الذى يستعملونه للغسيل وشرب المعز !

وبعد مجهود استطاعوا ان يقدموا لـه منزلا مناسبا ، اعترض على طريقة تأثيثه وفرشه ، واتخذ من هذه الحجة ذريعة تمسك بها ليهرب من شبام ويعود بسرعة لبلاده !

وبقيت شبام بدون طبيب ، حتى يوم زيارتنا لهـا ، ويقـوم حاليـا بعض المساعدين الصحيين المحليين بمهمة الطبيب لسكان شبام وضواحيها ..

الشعوذة ، والتدجيل ، والمرأة

وليست الامراض هى الوحيـدة التى تعصف بأهل المنطقة ، وانما يشترك معها الجهل والفقر ، والعادات والتقاليد البالية ، والمعتقدات السخيفة من تدجيل .. وسحر .. وشعوذة .. مما زاد من مصائب والام اهل شبام !!

وتسبب المرأة الشبامية التى تعيش فى جهل قاتم فى اكثر هذه المتاعب .. ان تعليمها لم يبدأ الا منذ ثلاث سنوات ، وهو تعليم تافه يهدف الى تلقينها كيفية « فك الخط » مع النزر اليسير من امور الدين !

ان مجموع عدد التلميذات فى لواء شبام كله ٥٤ تلميذة فقط بينما عدد السكان ٥٠ الف نسمة !

وما تكاد التلميذة تبلغ العاشرة من عمرها حتى تسحب من المدرسة وتحجب داخل البيت لا تظهر

على احد ، ولا حتى على المرأة المتزوجة ، وانما على اقرب المقربين لها فقط !

ان المرأة المتعلمة فى شبام ينظر اليها نظرة مريبة .. والمسئولية فى هذا تقع على بعض الرجال الضعاف الذين يريدون المرأة دائما جاهلة متأخرة حتى يستطيعوا التحكم فيها طبق اهوائهم ، فيطلقوها ويهجروها متى شاء لهم مزاجهم .. وهم يؤكدون ان التعليم والثقافة مفسدة وانحلال !!

نتائج جهل المرأة

وقد ترتب على جهل المرأة كارثة رهيبة ما زالت تعيشها شبام حتى اليوم .. فقد حدث منذ ثلاث سنوات ان احست احدى النساء ببعض الآلام .. فقالوا لها : تعالى تذهب للطبيب فى المستشفى .. فقالت مستنكرة : « الموت افضل عندى من الذهاب للطبيب فى المستشفى » .

وجاء صديقاتها لعيادتها .. كل منهن تصف لها علاجا ودواء ، او تحضر لها تعويذة مكتوبة على ورقة من عند احد « السادة » وتضعها لها فى كوب الماء ، وتقدمه لها لتشربه حتى تصح !

وتشرب المسكينة « الدواء » ولكن الآلام تزداد كلما مرت الايام ..

وبدأت بعض قريباتها فى التخلف عن زيارتها ، فسألت عنهن ، فقيل لها : انهن بدأن يشعرن بألم مماثل للألم الذى تشعر به فى صدرها ..

وتمر فترة سكون يعقبها همس ، سرعان ما يصبح حديثا يتناقله الناس : انه السل (بدأ ينتشر بين النساء الجاهلات ومنهن امتد للرجال ، حتى اصبح عدد المرضى المصابين به ـ حسب الاحصاء الرسمي ـ ١٥٠ مريضا ، داخل شبام نفسها ، عدا المرضى الذين يعيشون حول المدينة ، وعددهم يفوق بكثير عدد الذين بداخلها ..

ويقوم بمساعدة هؤلاء المرضى حاليا ، افراد لجنة السل بنادى التعاون بشبام .. انه النادى الثقافى الوحيد فى المدينة ، موارده محدودة للغاية ، ومع ذلك يتولى العناية بـ ٢٤ مريضا ، يقدم لهم الدواء ولكنه لا يستطيع تقديم الطعام الا لاثنين فقط من المرضى !!

فاذا علمنا ان نقص التغذية هو السبب الرئيسى لانتشار السل بشبام ، لهالنا الموقف الصحى الذى يزداد سوءا يوما بعد يوم !

ان كوبا من الحليب مع قليل من الخضار واللحم هى وجبة تافهة لا تكفى ، ومع هذا فلجنة السل بنادى التعاون فى حاجة الى الفي دينار فقط لتقديم حتى هذه الوجبة التافهة لمدة سنة الى ١٥٠ مريضا ومريضة !

أمراض بالجملة

ان حاجة اهل شبام الى الاطباء ، تعادل حاجتهم الى الهواء ! .. وقد تقلب على هذه المدينة اطباء هنود وباكستانيون وطبيبة المانية .. اما الاطباء العرب ، فلم يسمع بهم اهل شبام .. وقد يكون لهؤلاء الاطباء بعض العذر لانهم لم يسمعوا ابدا عن مدينة اسمها شبام ـ ينتشر فيها السل .. ويموت فيها ٦٣ من كل ١٠٠ طفل يولدون .. ويصاب اهلها بالبلهارسيا ، رغم وجودهم عند رمال الربع الخالى .. وتنتشر فيها الملاريا ،

مدخل شبام الرئيسى : باب كبير لدخول الجمال ، وباب صغير لمرور الجنازات، وحاملات الماء .. !





اجتماع لاعضاء المجلس البلدى بمدينة شبام .. والمجلس مكون من ١٢ عضوا يعينهم نائب لواء شبام بعد مشاوراته مع وجهاء البلد ، ويرفع كشفا باسمائهم الى المسئولين فى المكلا ، وبعد الموافقة تصدر الاوامر السلطانية بالتعيين .. ان ميزانية المجلس هى ١٧٥٠ دينارا سنويا ويتعرض المجلس لحملة شديدة من ابناء شبام الذين يطالبونه باصلاح كل اعوجاج فى المدينة . بينما هو مقيد لا يستطيع حراكا كبيرا بسبب نقص المادة من جهة .. وتراكم الاعمال الكثيرة المطلوبة منه ، من جهة اخرى !

والروماتزم ، والتراخوما والانيميا وغيرها .. فضلا عن الاصابات الناتجة عن الحوادث .

ان الطبيب الذى يفكر فى الذهاب الى هناك يجب ان يكون قادرا على علاج جميع هذه الحالات التى سوف تعرض عليه !

اسلوب جديد فى الطب

وقد نشرت الطبيبة الالمانية ايفا هوبك التى قضت خمس سنوات فى شبام كتابا عن ذكرياتها هناك .. وفى احد فصوله وصفت كيف اصلحت اعوجاج السلسلة الفقرية لاحد المرضى فقالت :

« لم يسبق لى ان عالجت عمودا فقريا محطما طيلة عملى فى مهنة الطب ، وفى شبام جاءونى برجل سقط فى البئر ، فانكسر عموده الفقرى ..

« واطلعت على صورة الاشعة ، فوجدت ان عموده الفقرى لم يكن محطما فحسب ، بل كان العظم قد خرج من موضعه ايضا .

« وقلبنا الرجل على بطنه .. وراح اثنان من زملائه يجذبان ساقيه وذراعيه ، وقمت بالضغط على خصره ونحره ، وشهدت رجة واضحة، فقد استقام الشق الفقرى الذى كان اتخذ شكلا ملتويا كحرف S (الافرنجى) .. ولم تكن النتيجة مرضية .. ورحت اقول للجميع : « حاولوا .. لا تتخلوا عنه، ان شفاء الرجل يعتمد على معونتكم » ..

« وواصل اصدقاء الرجل الجذب والشد والدعم

والاسناد بكل قواهم ، وبذلا غاية ما لديهما من جهد ، حتى تصبّب العرق من جبهتيهما .. واخيرا استقام العمود الفقري تماما .. وارتحنا الى النجاح الذى حققناه فى تقويم العمود الفقرى .. ووضعنا اربطة الجبس من حوله .. وفى اليوم الثاني استطاع السير وتحريك ذراعيه وساقيه !! »

انه اسلوب فى عالم الطب لم يكن من الممكن القيام به الا فى شبام !

البنطلون .. والطاقية !

والى جانب المرضى يوجد الاصحاء من ابناء شبام وهؤلاء يقضون وقتهم فى فراغ قاتل .. ان المدينة ليس فيها شجرة او وردة واحدة ! كما ليس فيها سينما او مكان يذهب اليه الناس لتمضية وقتهم .. حتى الكهرباء تبدأ من الرابعة مساء حتى منتصف الليل ، وبعدها يسود الظلام ..

وعلى ضوء (لمبة الجاز) ـ اذ لم تدخل الكهرباء بعد الى جميع المنازل ـ يجلس ابن شبام ، الذى يتعلم بالمدرسة المتوسطة الوحيدة التى فتحت ابوابها منذ عامين فقط ، يجلس هذا الشاب مفكرا ومتسائلا : « لماذا تغير العالم كله ولم يتغير بلدى ! ان ابسط الامور التى اتعلمها فى المدرسة لا استطيع تطبيقها فى بلدى ، حتى ارتدائى « البنطلون » أو خلعى للطاقية يسببان امتعاضا واعتراضا .. انى لا اظن ان اجدادى الاوائل كانوا يعيشون اسوأ منى .. لقد قال استاذنا فى حصة التاريخ : ان وادى حضرموت كله كان ينعم فى عام ٦٠٦ هـ برخاء عجيب ، حتى انه لم يكن هناك سارق او محتاج .. « فأين ذلك الماضى المجيد من هذا الحاضر التعس الذى يعيش كل انسان فيه محتاجا !! » .

أصل كلمة ((شبام))

والى الغرب من المدينة كانت تقوم مدينة شبوة الحميرية التاريخية القديمة ، التى يذكرها المؤرخ احمد الهمدانى فى كتابه صفة جزيرة العرب فيقول : « .. وبعد ان قامت الحروب وتهدمت شَبْوة اتجه اهلها الى شبام فسكنوها ، وبهم سميت شبام .. وكانت فى الاصل شباة ، ثم تحورت التاء الى ميم ، فاصبحت « شبام » ..

دخول الاسلام

وفى العام العاشر من الهجرة اتجه وفد كبير من سادة قبيلة كندة ، برئاسة الاشعث بن قيس الكندى الى المدينة المنورة ، حيث مثلوا عند النبى عليه الصلاة والسلام ، واعلنوا له اعتناق الحضارمة للاسلام ، وكانوا يدينون بالوثنية ، واليهودية ، والنصرانية .

وفى عام ١٢٩هـ ارسل الخليفة الاموى عامله على رأس جيش كبير لاحتلال شبام .. وفى عام ٥٥٣ هـ. احتلها الزنجيلى عامل الدولة الأيوبية فى اليمن .. ثم اصبحت شبام مركزا لسالم بن ادريس الحبوظى الذى جاء من ظفار لفتح حضرموت . ولما عاد الى ظفار اناب عنه آل كثير فى ادارة الحكم، فاستقلوا بها .. ولكن شبام ما لبثت ان اصبحت مركزا لقتال شديد ، ومعارك هائلة بين القبائل الكثيرية وانصار القعيطية .. وفى عام ١٧٢٥ هـ اتفق على ان تقسم شبام مناصفة بين القعيطي والكثيرى .. ولكن القعيطى انفرد بحكمها بعد دسائس ومؤامرات طويلة ..

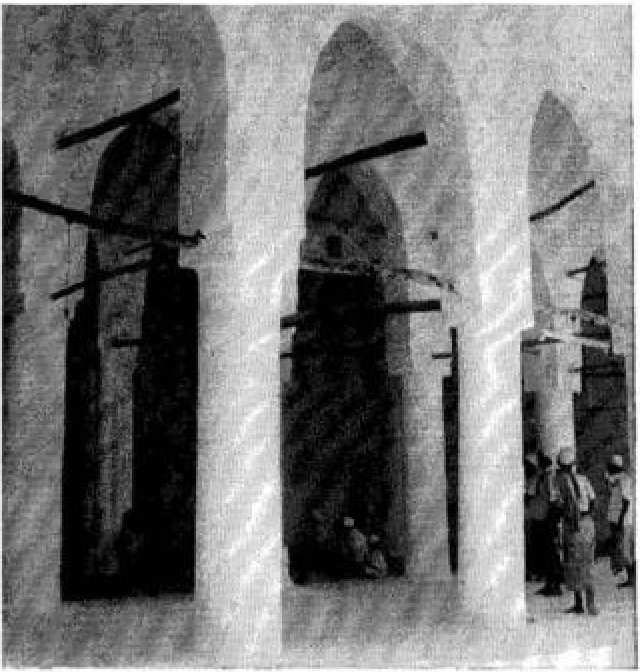
وما زالت شبام حتى اليوم ضمن اراضى السلطنة القعيطية رغم انزوائها فى داخل حضرموت قرب حدود السلطنة الكثيرية .

الأمل الكبير .. هل يتحقق ؟

ان اهل شبام يدركون جيدا مقدار تخلفهم ، ولكنهم يعيشون على الامل .. فتجدهم فى المساء يجلسون مثلما يجلس اجدادهم امام نوافذ منازلهم الشاهقة ، ولكنهم لا يتطلعون الى قوافل الجمال التى كانت تنقل التوابل والمسك والبخور ، ثم تدنت حتى اصبحت تنقل اليوم السمك المجفف والارز .. لم تعد الانظار تتجه الى هذه الجمال بحمولتها الهزيلة ، انما كل الانظار تتجه صوب الشمال .. صوب صحراء ثمود .. حيث يجرى التنقيب بحثا عن الذهب الاسود ..

انه الامل الكبير الذى تعيش عليه شبام ، ولكنه امل لم يتحقق حتى اليوم ..

لقد انتهى الخبراء من حفر البئر الثانية ، ووصلوا فى حفرهم الى عمق ٥٧٥٠ قدما بحثا عن آثار للنفط ، ولكن بدون نتيجة . وفى نهاية شهر



تضم شبام ستة مساجد ، اكبرها مسجد هارون ، نسبة الى هارون الرشيد الذى امر عامله ببنائه عام ٢١٥ هـ . وترى هنا صورة البهو الداخلى للمسجد

اغسطس الماضى اذاعت شركة بان امريكان للزيت الحضرمية ، بيانا قالت فيه : « ان نتائج حفر بئر طارقيت ـ البئر الثانية ـ اثبتت بأن هذه البئر لا يمكن ان تنتج بترولا بأية كميات تجارية .. وان الشركة مع جميع موظفيها ، قد اصيبوا بالاسف الشديد كما هو الحال بالنسبة لاهالى حضرموت والمَهَرة ، لان البئر لم تكن منتجة .

« ولكن الشركة مستمرة فى عملياتها ، وهى متفائلة جدا فى وجود حلقات اخرى منتجة للبترول بكميات تجارية ، وسوف يتم فحصها بحفر آبار اخرى . »

كيف ننهض بشبام ؟

ان انقاذ شبام اعتمادا على موارد الحكومة القعيطية امر مستحيل ، لان حكومة هذه السلطنة لا تجد امكانيات لانقاذ ورفع مستوى عاصمتها « المكلا » .. فكيف الحال بشبام المدينة المنعزلة عند مشارف الربع الخالى ، وهى المدينة التى يربطها بالساحل طريق وعر للغاية ما تكاد الامطار تهطل عليه حتى ينقطع السير ، وتصبح شبام معزولة تماما عن العالم ، اللهم الا الطائرة الصغيرة التى تهبط فى مطارى «القطن»و«الغرف»

المجاورين .. ويعانى ابناء شبام الامرين من اهمال وعدم مبالاة شركة الطيران وعدم احترامها للمواعيد، فكثيرا ما تتأخر الطائرة دون ان يعلم احد متى سوف تصل .

لقد قال لنا اهل شبام « ان ماضينا الكئيب وحاضرنا المشئوم يسدان امامنا اى امل فى المستقبل المنشود ، ما لم تتكاتف معنا سواعد اخواننا العرب لمساعدتنا فى العمل المخلص للقضاء على القوى الهدامة التى اوصلتنا الى هذا الدرك من التأخر المخزى » .

وفى وسط هذا الاضطراب فى جميع المجالات نجد الكتاب والصحفيين الاجانب يتغزلون بجمال الفن الهندسى العربى القديم الذى تمثله مبانى شبام ، ويطالبون بالمحافظة عليه ..

وهذا كلام جميل عذب .. ولكنه من المستحيل ان تظل شبام على ما هى عليه ارضاء لحفنة من السياح والفنانين .

ان هدم بعض المنازل ، وازالة اجزاء من بعضها الاخر امر ضرورى للمحافظة على صحة وسعادة خمسة آلاف شخص ، يعيشون داخل مدينة ناطحات السحاب !

اللغة العربية..

بقلم : الدكتور خليل يحيى نامى

الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة

■ اللغة العـــربية هى الأصل الذى نشأت منه كل اللغات التى عرفت باسم اللغات السامية ، وذلك لأن اللغة العربية القديمـــة كانت لغة الاعراب او البدو الذين كانوا يعيشون فى الجزيرة العربية، وهاجروا بعد ذلك فى موجات متعاقبـة الى بعض البلاد الآسيوية والافريقية ، وكانت من نتاج تلك الهجرات نشـــأة اللغات التى تعرف باسم اللغات السامية، كما ان دراسة اللهجات العربية المختلفة فى كتب القراءات والنحو واللغة تعكس لنا صورا عديدة من السمات والخصائص الموجودة فى تلك اللغات التى اطلق عليها العلماء فى ســـنة ١٨٧١ اسم اللغات السامية ، وفقا لما جاء فى الاصحـــاح العاشر من سفر التكوين ، فى الآيات من ٢٢ الى ٣٠ عن أبناء سام بن نوح .

معرفة علماء العرب بصلة لغتهم باللغات الأخرى

تحدثنا الكتب العربية ان علماء العرب عرفوا أن اللغات المجاورة لهم من قريب او من بعيد ، او المحتكة بلغتهم العربية ، لها صلة قوية بلغتهم التى تأثرت بها ، لذلك سارعوا الى البحث عن كثير من اصول الكلمات الدخيلة فى لغتهم من اللغات الفارسية والعبرية والسريانيـة والحبشية ، وغيرها من اللغات الأخرى.

ويخبرنا ابن حزم العالم الاندلسى المشهور الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى فى كتابه « الاحكام فى أصول الأحكام » ص٣ أن العربية والسريانية والعبرانية مـن اصل واحد ، وانها كانت لغة واحـدة فى الأصل تبدلت بتبدل مساكن اهلها ، غير اننا نلاحظ على قول ابن حزم انه استبعد ــ كغيره من علماء العرب ــ لغة حمـير عن لغة ربيعة ومضر، مع أن اللغة العربية اقرب الى الحميرية منها الى اللغتـين العبرانية والسريانية ، وليس ذلك راجعا الى أن اللغة الحميرية وهى لغة النقوش اليمنية القديمة لغة عربية جنوبية ، بل لأنها كما روى علماء العرب فى كتبهم عبارة عن لهجة عربية نشـــأت وتطورت من احتكاك اللغات اليمنية القديمة بلغــة ربيعة ومضر ، وذلك بالرغم من قول ابن خلدون فى مقدمته: لغة حمير لغة اخرى

وصلتها باللغات السامية

مغايرة للغة مضر فى الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هى لغة العرب لعهدنا مع لغة مضر .

الموطن الاصلى للجماعات السامية

اختلف العلماء فى الموطن الأصلى للجماعات السامية ، وقيلت آراء عديدة فى ذلك ، منها شمال افريقيا ، وافريقيا الشرقية ، وشبه جزيرة العرب، ومنطقة العروض بشرقى الجزيرة العربية ، واليمن وسهول العراق ، والصحراء السورية ، ووسط آسيا ، وغير ذلك من الاماكن الأخرى التى ذكرها العلماء والباحثون فى كتاباتهم . وهذه الآراء التى ذكرناها هى آراء ظنية يعوزها كثير من الادلة والبراهين التى تثبتها أو تؤيدها ، غير أن الدراسات التاريخية المقارنة للغات السامية قد دلت على أن الجماعات السامية القديمة هى جماعات بدوية عاشت مدة طويلة من الزمن فى بيئة جغرافية واحدة ، اكتسبت فى خلالها الخصائص اللغوية المشتركة التى يتبينها الباحثون فى لغات تلك الجماعات ، وأن تلك البيئة التى استقرت فيها تلك الجماعات السامية الأولى البدوية هى شبه الجزيرة العربية .

أقسام اللغات السامية

قسم العلماء اللغات السامية حسب وجودها فى الجزيرة العربية الى مجموعتين: مجموعة شرقية ، واخرى غربية ، وقسموا اللغات الغربية الى شمالية وجنوبية ، كما قسموا اللغات الجنوبية الى شمالية ، واخرى جنوبية خالصة . وهذه المجموعات اللغوية هى كما يلى :

مجموعة اللغات السامية الشرقية

هى اللغة الأكدية القديمة ، وكانت فى المنطقة التى تقع فيها بغداد الحالية ، وامتدت بعد ذلك الى جنوبى العراق ، والى الولايات التى كانت موجودة بين اواسط نهرى دجلة والفرات ، وبسطت نفوذها على المنطقة الغربية لتلك الولايات حتى الخليج العربى . وتشمل تلك المجموعة من اللغات اللغة البابلية ، وكانت فى وسط جنوبى العراق ، وكذلك اللغة الاشورية ، وكانت فى شمالى العراق .

مجموعة اللغات الشمالية الغربية

هى عبارة عن اللغتين الامورية والاوجريتية، واللغات الكنعانية والآرامية ولا نعلم شيئا حتى اليوم عن اللغة الامورية اذ لم توجد بعد كتابات كتبت

تلك اللغة ، ويقال انها كانت فى بلاد الشام ، وفى واحة تيماء ، وتعد تلك اللغة أصلا للغة الاوجريتية واللغات الكنعانية. وتنسب اللغة الاوجريتية الى بلدة اوجريت التى اكتشفت انقاضها بالقرب من بلدة راس شمرا ، وهى على بعد اثنى عشر كيلو مترا شمالي اللاذقية ،ويقول بعض العلماء انها لهجة من اللهجات الكنعانية .. وتنسب اللغات الكنعانية الى بلاد كنعان التى سماها اليونان والرومان باسم فلسطين ، وسماها العرب باسم سوريا ، واطلق اليهود اسم كنعان على شعوب غير اسرائيلية كانت تسكن فلسطين وبلاد الفينيقيين ، اى ما يعرف عند علماء العرب باسم ساحل الشام . وتشمل تلك المجموعة من اللغات : اللغة الكنعانية القديمة ، والفينيقية ، والمؤابية ، والعبرية .

وكانت اللغة الفينيقية لغة ساحل الشام من قيسارية أو صيداءالى طرابلس الشام ، ووجدت النقوش الفينيقية القديمة فى جبيل وصور وصيداء بلبنان، وفى مصر ، وفى جزيرة قبرص وبلاد اليونان ومرسيليا . وعرفت لغة الفينيقيين الذين كانوا فى افريقيا(تونس) باسم اللغة البونية،وبعد أن دمر الرومان مدينة « قرت حدشت »اى المدينة الجديدة وهى قرطاجنة ، عرفت اللغة البونية باسم البونية الحديثة . . واللغات الارامية هى عبارة عن اللغات الارامية القديمة التى كان يتكلمها رجال الحكومات التى كانت فى دمشق وزنجيرلى وحلب وحماة ، وكان ملوك تلك الحكومات من العرب ، كما تشمل ايضا اللغة التى التى استخدمها الفرس فى دواوينهم ، وكذلك آرامية اوراق البردي التى وجدت فى ارض مصر ، وآرامية العهد القديم ، والسريانية ، والارامية اليهودية البابلية التى كتب بها التلمود البابلى بشمالى العراق وكذلك المندعية لغة الصابئة عبدة النجوم ، كما تشمل ايضا التدمرية والنبطية ، وكان ملوك تدمر والنبط من العرب ، وكذلك كثير من شعوبهما ، واليهودية الغربية المقدسية ، والجليلية وهى لغة اهل فلسطين فى زمن السيد المسيح ،وكتب بها « الترجوم » ، وهو عبارة عن الترجمة الارامية لكتاب العهد القديم ، كما كتب ايضا « المدراشيم » و « التلمود » الفلسطينى او المقدسى . وتشمل تلك المجموعة من اللغات ايضا السامرية وهى لهجة اهل السامرة ، وهم من اليهود القدماء ، وترجمت التوراة بلهجتهم ، كما تشمل ايضا اللهجة الملكية او الارامية الفلسطينية المسيحية ، وقد ترجمت التوراة بهذه اللهجة ، وتشمل ايضا اللهجات الارامية الحديثة وهى فى معلولة وجبعدين ونجعة ، وهي قرى فى سوريا . وتوجد لهجات آرامية حديثة فى بعض النواحي الموجودة بين بحيرة اورميا وبحيرة فان بشمالى العراق ، وكذلك فى شمالى الموصل ، وفى طور عابدين ، وكل هذه اللهجات الحديثة هى من بقايا اللغة السريانية المتأثرة باللغة العربية .

مجموعة اللغات الجنوبية الشمالية

تشمل هذه المجموعة من اللغات اللغة العربية ، لغة ربيعة ومضر ، كما تشمل ايضا اللهجات العربية الجاهلية المكتوبة، وهى الثمودية واللحيانية والصفوية والعربية النبطية . ووجدت الكتابات الثمودية فى ناحية حائل عاصمة شمر الواقعة فى السهل الممتد بين جبلى اجاوسلمى ، وهى الى جنوبى النفود الشمالى . وعثر على الكتابات الثمودية ايضا فى تيماء ومدائن صالح (الحجى) والعلاوتبوك ومدين حتى منطقة آدوم ومؤاب ، وكذلك فى الطائف ، وفى ارض

مصر فى القرآن الكريم . وجاء اسم ثمود فى نقش سرجون الاشورى المؤرخ فى سنة ٧١٥ قبل الميلاد ضمن الشعوب العربية التى خضعت لنفوذ ذلك الملك فى شمالى بلاد العرب ، وكون الرومان فرقة من الثموديين فى جيشهم اثناء اقامتهم فى مصر .

ووجدت الكتابات اللحيانية فى مدينتى العلا ومدائن صالح ، وفى بعض المناطق الواقعة بشمالى الجزيرة العربية ، وبشمالها الشرقى كمنطقة الاحساء المعروفة فى الكتب العربية باسم هجر او البحرين . ويرجع تاريخ اقدم تلك الكتابات الى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ، كما يرجع تاريخ احدثها الى القرون الثلاثة الميلادية ، وكان ملوك لحيان تحت سيادة ملوك اليمن ، وقام اللحيانيون بنقل التجارة فى القرن الثانى الميلادى من شمالى بلاد العرب الى شمالى سوريا حتى قضى الرومان عليهم فى القرن الثالث الميلادى ، فتفرقوا فى البلاد العربية . ومما هو جدير بالذكر اننا نعرف من المصادر العربية ان لحيان بطن من قبيلة هذيل ، ولذلك قال الباحثون ان اللحيانيين اندمجوا فى قبيلة هذيل .

والكتابات الصفوية هى التى عثر عليها مخطوطة على حرار الصفا جنوبى شرقى دمشق ، ويقال انها كتبت فى القرون الثلاثة لسقوط مملكة النبط فى ايدى الرومان فى سنة ١٠٦ م . ووجدت كتابة صفوية مؤرخة فى القرن السادس الميلادى ، وهذا مما يدل على ان تلك الكتابة ظلت معروفة او مستعملة حتى القرن السادس . ومما هو جدير بالذكر ان الصفويين كانوا مولعين كأحفادهم العرب بكتابة سلسلة طويلة من انسابهم فى كتاباتهم ، ولا نجد مثل ذلك فى اى كتابة اخرى جاهلية كالثمودية اللحيانية .

ومن الجائز ان يقال ان السبب فى انتشار تلك الكتابات فى معظم انحاء الجزيرة العربية قبل الميلاد وبعده ، وبخاصة الكتابات الثمودية قد يرجع الى ان خط تلك الكتابات المتفرع من الخط المسند اليمنى كان الخط الشعبى لكافة الشعوب البدوية العربية فى جنوبها وشمالها ، وظل ذلك الخط منتشرا بين تلك الجماعات العربية حتى اتخذ ملوك عرب الشمال الخط النبطى خطا قوميا لهم فى القرن الثالث الميلادى .

واللهجة العربية النبطية هى لغة الكتابات العربية المؤرخة فى القرون الثلاثة السابقة للاسلام ، ومن البديهيات المعروفة ان الخط العربي قد نشأ وتطور من الكتابة النبطية فى الفترة التاريخية الواقعة بين القرنين الثالث والخامس الميلاديين .

مجموعة اللغات الجنوبية الخالصة

تشمل هذه المجموعة من اللغات : اللغات اليمنية القديمة وهى السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية والهرمية ، كما تشمل ايضا لهجاتها الحديثة وهى المهرية والسخرية والحرسوسية والبوتاحارية والسوقرطية . وتشمل ايضا اللغات السامية الحبشية ، وهى اللغة الحبشية القديمة (الجعز) ، والامهرية وهى اللغة الرسمية للحبشة ، ولغة تيجرى وتيجرينيا ، وهما لغتان فى شمالى الحبشة ، ولغة جورجواى وهى فى جنوبي الحبشة ، ولهجة هوركا وهى فى شرقى الحبشة .

هذا هو التقسيم الجغرافى للغات

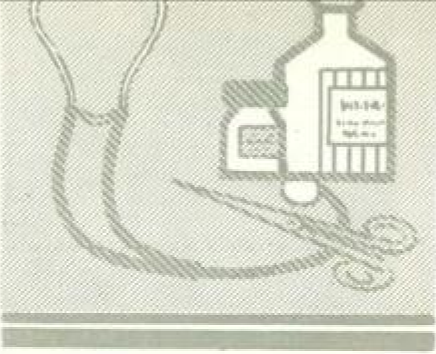
السامية ، او بمعنى آخر للغات العربية الاولى ، وتوجد تقسيمات اخرى ، اغفلناها لعدم وجود الداعي لذكرها ، وهذه التقسيمات العديدة لاتمنع من وجود الصلات اللغوية التى تربط بعض اللغات ببعضها الاخر ، وقد تزداد هذه الصلات فى بعض اللغات وتضعف فى بعضها الاخر ، فنجد على سبيل المثال صلة قوية تربط بين مجموعة اللغات الاكدية وبين مجموعة اللغات الكنعانية ، وبين مجموعة اللغات الاكدية ، وبخاصة اللغة البابلية ، وبين مجموعة اللغات العربية ، الجنوبية منها والشمالية ، وكذلك بين اللغات الحبشية . وتوجد صلات قوية ايضا بين اللغة الاوجريتية وبين مجموعة اللغات العربية ، وقد ادى وجود هذه الصلات التى ذكرناها ، والتى تربط بعض اللغات السامية ببعضها الاخر ، الى الاختلاف فى تقسيم تلك اللغات .

اللغة العربية اكمل اللغات السامية

اللغة العربية كما يصورها القرآن الكريم والشعر العربي من اقدم اللغات السامية واقربها الى اللغة السامية الاولى ، ولا عجب فى ذلك فان اللغة العربية نشأت وتطورت فى نفس البقعة التى نزحت منها الجماعات البدوية الاولى الى ارض مصر وبلاد الشام والعراق وشمالى افريقيا ، ومع ذلك فان اللغة العربية من اكمل اللغات واتمها وابعدها عن الاصل فى بعض الخصائص والسمات ، اى ان اللغة العربية من اقدم اللغات السامية واحدثها كما تدل على ذلك المقارنات التاريخية للغات السامية ، اذ احتفظت اللغة العربية ببعض الظواهر اللغوية القديمة التى كانت الجماعات البدوية الاولى تتكلم بها ايام أن كانت تعيش عيشتها البدوية فى شبه الجزيرة العربية كاحتفاظ تلك اللغة باكثر الحروف والضمائر . وغير ذلك من السمات البدوية الاخرى التى ما زلنا نراها فى كثير من اللهجات العربية القديمة والحديثة ، وكذلك الاعراب ، وان كانت اللغة العربية قد اكملته وصقلته ، وبلغت به حد الكمال والاتقان ، وذلك لانها تميل الى التحديد والتعيين والتفريق بين المعانى المختلفة للكلمة مثل اعراب الخبر والمضاف والتميز اذ نصبته بعد الاعداد من احد عشر الى تسعة وتسعين .

واحتفظت اللغة العربية ببعض الخصائص والسمات التى توجد بذورها فى اللغات السامية الاولى ، وقد تعهدت تلك اللغة نمو تلك البذور واكملتها وصقلتها ، وبلغت بها حد الكمال والاتقان مثل التعريف والتنكير والاسماء الممنوعة من الصرف ، والاكثار من الحروف والنواسخ للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الاسمية والفعلية ، ووضعت اللغة العربية القواعد الدقيقة للاستثناء ، واكثرت من حروفه التى فرقت بينها فى بعض الاحيان وتفننت فى الاشتقاقات الصرفية وتوسعت فيها اكثر من اى امة من الامم السامية الاخرى . وكان العرب يميلون الى الاكثار من الصيغ والتفنن فيها ، ويشاهد الباحث ذلك فى صيغ جموع التكسير المتعددة التى لانجد غير بعضها فى اللهجات العربية الجاهلية المكتوبة ، وفى اللغات اليمنية وفى الحبشية ، وغير ذلك من الظواهر اللغوية التى تدل المقارنات التاريخية للغات السامية على ان تلك الخصائص قد خرجت من جماعات ذات وعى لغوى ممتاز ، صقلته وكونته حضارات وثقافات مختلفة . ■■

خليل يحيى نامي



طبيب الأُسرة

الجُدَرِي ما قصته ؟

● فى العدد الماضى ذكرتم تحت عنوان « مرض الجدرى يعيث فى الخلق » شيئا عن مجهود منظمة الصحة العالمية فى استئصال هذا الداء ، وذكرتم أن لهذا الداء قصصا تاريخية شيقة تتصل بالوقاية من هذا الداء ، هي تاريخ للطب عظيم ، ولكنها أعظم فى الدلالة على تحرر الانسان من جمود تلك القرون السابقة كيف كان . فهل لنا فى شىء من هذه القصص ، ولو فى ايجاز ؟

ـ اما عن تاريخ الجدرى فهو مرض قديم عرف حتى فى مصر القديمة ، وفى الصين القديمة . عرفه الشرق والغرب فى قديمه وحديثه . واصاب السوقة والملوك ، ولم يفرق بينهما . واكتشفت امريكا ، وسكانها الاوائل ، وذهب الداء اليهم حيث ذهبوا . وينزل بهم ويقضى على الالوف .



مومياء فرعون مصر ، رمسيس الخامس ، لا تزال تحمل آثار الجدرى

وعرفه بالطبع العرب ، حتى فى الجاهلية . ولم لا . انى ازعم ان الداءات قديمة قدم الانسان . وابو بكر الرازى ، طبيب العرب ، عرف الجدرى ، ولعله اول من وصفه حيث قال : ان اظهر اعراضه آلام فى الظهر ، واهتياج فى الانف ، وحمى ، واحمرار فى الخدين والعينين ، وسعال ، وبياض فوق اللسان ، وموعان نفس ، وصداع رأس ، وقلق وضيق . والبثور الصغيرة المتقيحة يتصل بعضها ببعض .

ومن الأمثلة على الجدرى الذى كان منتشرا بين العرب ، جدرى الشاعر بشار ، وجدرى المعرّى ومعه العمى . وكثيرا ما يصحب الجدرى العمى .

فهذه أول قصة .

اما القصة الثانية فقصة سفارة انجلترا فى اسلامبول ، عاصمة الترك ، وقد وقعت هذه القصة فى اوائل القرن الثامن عشر . كان فى العاصمة التركية

امراتان كبيرتان تمارسان تحصين الناس ضد الجدري ، وذلك باعطاء الاصحاء المرض خفيفا بحك جلد ذراعهم بالقيح المأخوذ من بثور المرضى وهي متقيحة ، فقد عرف عندئذ ، في الهند والصين وفي الشرق اجمع ، ان الذي يصاب بهذا المرض مرة ، لا يصاب به مرة اخرى .

واطلعت على ما تصنع المراتان المجوزان اللادى مارى منتاجيو Lady Mary Montagu زوجة السفير البريطاني في العاصمة التركية، واثارها ما تصنعان، واعجبتها النتائج الحاصلة ، وتعلمت منهما كيف تصنعان .

وعادت الى انجلترا في عام ١٧١٨ وهي متحمسة للطريقة الجديدة التي تقي من الداء . وفي عام ١٧٢١ طعمت بالقيح ابنها امام اطباء القصر الملكي ، فكان لهذا الحدث رجة في البلاد .

فهذه هي القصة الثانية .



اللادى مارى منتاجيو . زوجة سفير بريطانيا في تركيا ، وهي منها عادت عام ١٧١٨ ومعها طريقة التحصين ضد الجدرى . حصنت بها ابنها أمام اطباء القصر الملكي

اما القصة الثالثة فقصة الطبيب الانجليزي الشاب جنر Jenner (١٧٤٩ – ١٨٢٣ م) .

جاءته في نحو عام ١٧٧٠ ، وهو لا يزال يتتلمذ الطب في بلدة بركلي الصغيرة على عادة ذلك الزمان ، فتاة من الريف تستشيره في امر لها . وسالها : هل سبق لك ان مرضت بمرض تذكرينه . قالت : نعم ، مرضت ، اصابني جدري البقر . وهذا شيء قد ارتحت له ، لانه يقيني من الاصابة بجدرى الانسان .

وقف جنر عند هذه الجملة : جدرى البقر ، يحمي من جدرى الانسان !

وكان قد حان وقت ذهابه الى لندن ليتم تدريبه في احدى المستشفيات ليستقل بعد ذلك في ممارسة الطب ، ونزل عند الجراح الشهير جون هنتر Hunter. وأفضى له بما خاله من ان جدري البقرى يقي من جدرى الناس ، وانهما لا بد بينهما قرابة ما . ولكن الجراح الكبير والمشرح العظيم لم يلق لنظرية جنر باله .

وراح جنر ، الى جانب تدريبه ودراسته ، يدرس جدرى البقر .

أحب التفاح

● **انا احب التفاح ، واكل تفاحة بعد كل وجبة من طعام ، وقد آكل اربع تفاحات في اليوم ، فهل في هذا ضرر ؟**

ـ بالطبع لا ضرر ، ولو صارت هذه الاربع اربع عشرة ، ولكن الواجب عليك ان تذكرى ما في التفاحة الواحدة من اصول طعام . ان بها شيئا غير قليل من الكربوادراتات (نشويات وسكريات)، كما يتضح مما يلي :

٥ جرامات من الكربوادراتات توجد

واتضح له انه نوعان ، نوع منهمـــا هو الاشبه بجدرى الانسان .

وفى ١٤ مايو عام ١٧٩٦ لقح صبيــا ذا ٨ سنوات بقيح جدرى البقر هـذا . جرحه فى ذراعه جرحين، ومسهما بالقيح. ولم يحدث للولد شيء فى الايام الاولى . ولكن بـدأ الجلد ، حيث كان الجرح ، يتورم ويحمر ، ثم يتقيح . وفى اليوم التالي كانت الحمى ، ومعها الصداع ، وظهـر المرض على الصبي . ونام ، ليستيقظ فى الصباح وقد صح .

وبمضى شهران . ثم فى يوليه يقـوم جنر بتلقيح هذا الصبي بقيح مأخوذ من مرضى الجدرى أنفسهم . ان هـذه التواريخ اخطر الف مرة من تواريخ تولى ملوكٍ حكما ، او انتصار جيش عـلى جيش .

ويصيب جنرَ القلقُ من جراء مـا صنع بالصبي . ويقوم الليل يتفحصه . لا شيء . ويمضى يوم ويوم، واذا الصبى معافى . لم تظهر عليـه أعراض للمرض قط .

نجحت التجربة الكبرى

كان نجاحها نتيجة يقظةِ ذهنٍ ومزاج



الدكتور جنر ، صاحب تطعيم الجدرى

علمي . لقد عرف الناس قبل جنر ان الجـدرى البقرى يأتي الناس عفوا ، يشفى من الجدرى الانساني .

ولم يخطر لأحد ، غير جنر ، ان يجعل من هذا « العفو » ، عمدا . ان يقـوم هو باعطاء الناس الجدرى البقرى ليقيهم من الجدرى الانساني .

وفى عام ١٧٩٦ كتب رسالته الخالدة .

وقابلها العالم الطبي فى لندن ببرود . وقامت الجماهير تعارض . ورجال الدين راحوا يقولون ان هذه مؤامرة مصنوعة فى معارضة السنن الطبيعية التي سنها الله .

ويقوم طبيبان عالمان ، لهما احتـرام فى لنــدن ، باعادة التجربة ، وتنجح ، ويعلنان ذلك فى جمهور الاطباء .

ورويدا رويدا تخف الضجة ضـد جنر ، وينتشر لقاحه .

ويأسر الفرنسيون مـن الجيش البريطاني ما يأسرون . ويجيء خطاب الى نابليون يرجوه الافراج عـن اسير انجليزي خاص . فيهمُ برفض الطلب . واذا بزوجتـه جوزفين تقول له : ولكن الخطاب من « جنر » ؟!! واذ يسـمع نابليون ذلك يقول : اذن فأطلقوه ، نحن لا نستطيع ان نرد لجنر رجاء . ■■

فى :

٥٤ جراما من التفاح بقشره
٤٢ جراما من التفاح المقشور
١١٤ جراما من التفاح المغلي بالماء (قبل أن يضاف اليه السكر)

وهذا يؤثر على وزن جسمك لا سيما اذا اطرد أكلك التفاح كل يوم .

ومع هذا تستطيعين ان تنقصى مـن سائر طعامك ، ما يعادل ما تتعاطين مـن السكريات فى التفاح . وعدا هذا فالتفاح طعام يشتهى .

الذكاء

بين الوراثة والاكتساب

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

استاذ فى الجامعة الاردنية

من الامور التى شغلت اذهان علماء الوراثة وعلماء النفس ، السؤال عما اذا كان الذكاء وراثيا أم كسبيا ؟! وبتعبير آخر السؤال عما اذا كان الانسان يولد بقدر محدود من الذكاء لا يستطيع تجاوزه مهما أحسنت تربيته واتيحت له فرص الاكتساب والتعلم ؟ ام ان حسن التربية وغنى البيئة وفرص التعلم قادرة على زيادة ذكاء الانسان نفسه وتنمية قدراته العقلية وقابلياته الذهنية ؟!

الوراثة والمحيط

وقبل ان احاول الاجابة عن هذا السؤال احب ان اذكر بمجمل ما سبق ان ذكرته فى عدد سابق من هذه المجلة الغراء عن حدود عمل الوراثة والمحيط . فلقد اشرت الى انه من الصعب جدا ـ ان لم يكن من المستحيل ـ ان نفرق تفريقا قاطعا بين اثر الوراثة والمحيط اللذين يعملان متكاملين متكاتفين . ولقد اشرت الى ان مبادىء الوراثة الاساسية ثلاثة وهى :

١ ـ ولادة الامثال : ونعني به ان المخلوق ميال لان يلد أمثاله ، فأبناء الطوال طوال او على الاقل ميالون للطول ، وابناء الاذكياء اذكياء او على الاقل ميالون للذكاء وهكذا بالنسبة لعدد عديد من الصفات .

٢ ـ الاختلاف : ومؤداه انه بالرغم من ان المخلوقات ميالة لولادة اشباهها فان ثمة اختلافا بينا يحدث فيما بينها فالطوال قد يلدون القصار ، والاذكياء قد يلدون الاغبياء وهكذا . . .

٣ ـ التراجع : والمقصود به ان الطبيعة ميالة للتوسط فابناء الطوال جدا يكونون عادة اقصر من آبائهم واولاد القصار يكونون فى المألوف اطول من والديهم ، وابناء الاذكياء يكونون فى الاعم الاغلب اقل ذكاء من والديهم وهكذا . . . وهم جميعا يتقربون الى الوسط ويميلون اليه ، حتى



لكاني بالطبيعة تكره التباعد وتميل الى التقريب بين المخلوقات التى تنتمي الى نوع واحد .

واذن فالذكاء يورث ، وابناء الذكي والذكية اميل الى الذكاء ، وان كانوا فى المعتاد اقل ذكاء من والديهم . ولكن الانسان يولد فى محيط او محيطات ويعيش فى مجتمع او مجتمعات . فما هو اثر هذا المحيط وعوامله فى ذكاء الانسان ؟ وهل تستطيع قوى المحيط ، ولا سيما التربية وعواملها ، ان تزيد او تنقص من ذكاء الانسان ؟ ام ان عملها مقصور على تفتيح ذكائه أو طمسه دون زيادة او نقصان ؟ ذلك هو السؤال الذى سأحاول الاجابة عنه .

طبيعة الذكاء

للعلماء فى طبيعة الذكاء نظريات يمكن اجمالها فى اربع هى :

١ ــ النظريات البيولوجية
٢ ــ النظريات السيكولوجية
٣ ــ النظريات التعاملية
٤ ــ النظريات النمائية

واذا كان المجال لا يتسع لشرح هذه النظريات وتفصيلها(١) فلا اقل من ان اشير اشارات سريعة للنظريات الثلاث الاولى لاقف وقفة اطول عند النظرية الأخيرة .

اما النظريات البيولوجية فهى نظريات (داروين) و (سبنسر) واتباعهما مثل (مورجان) و (ماك دوجال) و (بينة) وسواهم ، وهى تبنى الذكاء على اساس بيولوجي ، وتعرفه بانه (القدرة على الافادة من الخبرة ، ومواءمة المحيط والمرونة او القدرة على التعلم) . وهم يعتبرون الذكاء قدرة عامة وموروثة ،

(١) يستطيع القارىء الراغب فى الاستزادة والتوسع الرجوع الى كتابي (اعرف نفسك) من منشورات دار العلم للملايين ببيروت .

ويرون ان القدرات الاكثر تخصصا تميزت بالتدريج او نجمت عن القدرة التكيفية العامة خلال تطور كل من الانواع ونمو الفرد معا .

واما النظريات السيكولوجية فتركز اهتمامها على الوظائف الادراكية التي تميز الانسان عن سواه من المخلوقات ولا تهتم بتطور الذكاء في العالم الحيواني . وقد قال العلماء المؤمنون بهذه النظريات بعدد من القدرات اعتبروها جوهر الذكاء،من مثل القدرة على حل المشاكل، او القدرة على التفكير المجرد او غيرهما. وقال بعضهم بان الذكاء قدرة مركبة من عدد من القدرات . وعمل (سبيرمان) الانكليزي على تحليل هذه القدرة العامة الى قدرات خاصة واخرى طائفية ، واشار الىان هذه القدرات الطائفية اقل عمومية من القدرة العامة ، واقل خصوصية من القدرات الخاصة . وهكذا تكون القدرة اللغوية مثلا قدرة طائفية ، والموهبة الشعرية قدرة خاصة، تتبع جميعها من القدرة العامة والذكاء . وعلى ضوء هذه الدراسات عرف العالم الانجليزي (نايت) الذكاء بانه (القدرة على التفكير في العلاقات تفكيرا بنائيا موجها نحو هدف) . وهو يميز بين هذه القدرة وبين مجرد الحصول علىمعلومات او مهارات .

واما النظريات التعاملية فقد حاولت تجنب البحث في مشكلة طبيعةالذكاء بان قالت (ان الذكاء هو ما تقيسه مقاييس الذكاء) . وواضح ان هذا النوع من النظريات لا يفعل أكثر من تجنب المشكلة على طريقة تفسير الماء بالماء ، ناسيا ان واضعي مقاييس الذكاء لم يكونوا ليصفوها على هذا الشكل او ذاك لو لم تكن لهم نظرياتهم عن الذكاء وطبيعته .

واخيرا ظهرت النظريات النمائية التي تعتبر بحق اقرب النظريات الى الصحة واكثرها توفيقا في تفسير طبيعة الذكاء .

واشهر القائلين بهذه النظريات عالمان، احدهما اميركي اسمه (هب Hebb) ، والآخر سويسري افرنسي اسمه (بياجه Piaget) . وبالرغم من ان معالجتهما للموضوع مختلفة جدا ، وذلك على اعتبار ان (هب) يصرف جل اهتمامه الى سيكولوجية الحيوان وفيزيولوجيا الدماغ ، وان (بياجة) يهتم اكثر ما يهتم بسيكولوجية الطفل والمنطق الصوري ، فان النتائج التي توصل اليها كل منهما متناسقة متوافقة بشكل ملحوظ .

ويهتم العالمان باظهار كيفية توصل الطفل ـ الذي يكون شعوره في البداية غير متميز اطلاقا ـ الى ادراك عالم من الاشياء منفصل عن ذاته ، ذلك بان اشكال الادراك والتفكير التي نحملها نحن الراشدين بصورة آلية تجعلنا نظن انها جزء من الترتيب الطبيعي للاشياء ، في حين انهذه الاشكال من التفكير والادراك يحصل عليها الطفل بطرائق معقدة منذ الطفولة الباكرة،ولكل شكل يحصل عليه الطفل قصة طويلة .

نظرية هب

ويرى (هب) ان خبرات الطفل في السنة الاولى من عمره تقود الى تكوين تجمعات من الخلايا العصبية في المناطق الاقترانية من دماغه ، كما يرى ان تكون الافكار (اى الادراك) يشتمل على فاعلية مستقلة او تفريغ عصبي ضمن هذه الخلايا العصبية . وهو يسمي هذه الفاعلية (انتظاما لوجوه الامر المختلفة) او ايجادا لمخطط عقلي Sohema هو نوع من النمط او الاطار الذى تنتظم فيه كل خبرة الطفل الماضية اللازمة للفكرة (او المفهوم) . ويكون هذا الانتظام بشكل يجعل كل انطباع جديد يدخل الشعور موسوقا بكل ما جرى من قبل .

وكذلك يرى (هب) انه يجب الحصول على المخططات العقلية في الزمن المناسب اذا اريد للنمو العقلي الارقى ان يكون ممكنا . كما يرى ان هذه

المخططات تعتمد فى تكونها على الاحساسات ـ ولا سيما البصرية والسمعية واللمسية ـ الواسعة والمتنوعة ، اذ ان الطفل ـ او الحيوان ـ يحتاج الى التعرف على البيئة والفة الحجوم والاشكال والعلاقات الزمانية والمكانية وذلك بغية التعرف على كيفية حدوث الامور فى العالم . ولا بد لذلك كله من كل من الاطمئنان والحرية .

وهو يرى بعد ذلك ان هذه المخططات العقلية هى الاسس اللازمة للاستمرار فى التعلم المتقدم الذى يستطيعه الانسان اكثر من الحيوان . وعلى هذا فمن المحتمل جدا ان يكون فقد الخبرات الادراكية الباكرة،او عدم توفر الاطمئنان العاطفي والحرية ، مؤثرات سيئة فى النمو العقلي للطفل ، ولعلها السبب فى الفروق الذكائية بين ابناء الطبقات المختلفة .

هذا وتنتظم المخططات الادراكية الباكرة فى مخططات اعلى مرتبة (اى افكار ومفاهيم) تعمل بحرية اكثر فى المناطق الاقترانية الدماغية حتى لتصبح مستقلة عن الخلايا العصبية الخاصة ، او الممرات الدماغية المعينة ، ولذلك فهي لا تتأثر كثيرا بالاصابات التىتصيب الدماغ حتى ولو كانت اصابات خطيرة ، علما بان القدرة على بناء مخططات عقلية جديدة كل الجدة لا بد ان تظهر عليها علامات واضحة من العجز فى مثل هذه الحالات ، حالات الاصابات الدماغية .

وللعالم (هب) مساهمة اهم وهى تفريقه بين نوعين من الذكاء ـ الذكاء (أ) : ويقصد به الذكاء الوراثي بصورة كامنة ـ والذكاء (ب) : ويقصد به الكفاءة العقلية الحاضرة . والذكاء الاول يمثل فى راى (هب) كفاءة الجملة العصبية من تكوين المخططات والاحتفاظ بها وتمازجها ، وهو فى المدى البعيد تحدده الوراثة والمورثات (الجينات) . اما النوع الثاني فيمثل القابليات العقلية التى بنيت اثناء الحداثة والطفولة والذى لا يمكن ان ينمو الا فى اثارة محيطية مناسبة .

وفى راى (هب) ان الذكاء (أ) افتراضى فقط وذلك لاننا نعجز عن ملاحظته او قياسه بصورة مباشرة وان كان ثمة دلائل قوية على وجوده . ومعنى هذا ان الذكاء الذى تقيسه مقاييس الذكاء يجب الا يعتبر قابلية موروثة بصورة محضة وهو قول ـ فيما ارى ـ صحيح كل الصحة .

نظرية بياجه

اما (بياجه) فقد وصف كيفية انبثاق التفكير والصور عن سلوك المحاولة والخطأ الظاهر ، فابن السنتين مثلا ، الراغب فى الوصول الى لعبة موضوعة على رف عال ، يبدأ باختصار اعماله ، فهو عوضا عن ان يأتي الى الرف ويحاول الحصول على اللعبة فيعجز ويعمد الى كرسي يعتليه ، انه بدلا عن ذلك ينفذ المراحل الاولى بصورة فكرية وحينئذ يذهب الى الكرسي مباشرة فيحمله ويعتليه . ومعني ذلك انه حصل على مخطط عقلي يناسب الوضع المشكل. وخلال السنة الثانية من عمره وما يليها تلعب اللغة دورا متزايد الاهمية فى تكوين مخططاته العقلية :

اولا : انها تساعد الطفل على تصنيف ادراكاته وتثبيتها . فالاشياء والاحداث تصبح لها هوية وتميز حين تعطي اسماء متمايزة .

ثانيا : الكلمات رموز للمفاهيم اى لمجموعات الاشياء والافعال ، فاذا قالت الأم للطفل :

« هذا خطر فلا تلمسه » استطاع الطفل فى السريع العاجل ان يتصرف التصرف المناسب وذلك على اساس من المخططات التي كان قد اكتسبها فى سياقات مختلفة .

ثالثا : يستعمل المجتمع اللغة لينقل ادراكاته عن العالم الى اجياله اللاحقة .

رابعا : تعرف اللغة بانها مجموعة من القواعد لقول امور لم يسبق ان قيلت من قبل . ومثل ذلك استعمال الطفل مجموعة من الكلمات والقواعد فى كتابة وظيفة انشاء مستعملا مخططات فكرية ولغوية كان قد اكتسبها من قبل ولكنه ركبها بطريقة جديدة خاصة .

ومن الواضح ـ برغم امكان حدوث التفكير دون استعمال كلمات ـ ان التفكير الذكي لا يمكن ان ينمو الا فى سياق اجتماعي حيث يساعد الراشدون والاطفال الاكبر سنا الطفل الاصغر (فى البيت او سواه) على اغناء حصيلته من الافكار والمفاهيم وايضاح الصلة بينها عن طريق الكلام .

أضف الى ذلك ان المنجزات العقلية المبدعة عند الكاتب او العالم او الفنان انما تنفذ عن طريق الرموز اللغوية او العددية او سواها ، ولذلك كان من الصعب جدا ان ينمو الذكاء بدون اللغة التى يقتبسها الطفل عن مجتمعه الذى يربى فيه . واذن فالذكاء ونموه متوقفان على المجتمع الى حد كبير .

هذا ويصر (بياجه) على ان الذكاء ليس ملكة واحدة متميزة ، بل هو موجود فى كل العمليات التكيفية عند الحيوانات الدنيا والاطفال الصغار والراشدين الكبار . ويتزايد ذكاء السلوك بصورة تقدمية بازدياد تعقد الصلات المتبادلة بين العضوية ومحيطها . وهو فى هذا ـ كما هو واضح ـ يتفق مع (هب) تمام الاتفاق .

وفى راى (بياجه) ان الطفل فى السنين الباكرة ينحصر سلوكه ـ فى معظم الاحيان ـ فى الاستجابات الحسية المباشرة للخبرات العملية ، وهى تكيفات وحيدة الاتجاه وغير مرنة (اى غير ذكية)، اما فى المراحل المتقدمة من العمر حيث يتجلى التفكير المنطقى المجرد فيتصف تفكير الانسان بالمرونة والحركة اى فى القدرة على الانتقال الى المواقف الجديدة وسهولة تقليب الافكار والرجوع الى الخبرة الماضية والانتقال منها الى الوضع الحاضر .

وفيما بين هاتين المرحلتين ـ الحسية والمنطقية ـ تقوم مرحلة يكون اليافع فيها متركزا حول ذاته Egocentric وتكون مفاهيمه فيها عن الزمان والمكان والسببية والاخلاقية غير عقلية ولا ثابتة وانما حدسية متصلة بحاجاته الشخصية واهتماماته الذاتية . وفى هذه المرحلة ينسب الطفل الروح الى الجمادات ويعتبر ان الاشياء الحادثة معا يسبب بعضها بعضا . وتتم محاكاة الطفل فى هذه المرحلة بالمماثلة وهو يتسامح فى التناقضات .

والواقع ان الكثيرين من علماء النفس لا يوافقون (بياجه) فيما يخص المرور بهذه المراحل المحدودة من النمو الفكرى . والذى اعتقده انه اذا كان لا بد من وجود مثل هذه المراحل فهى اوثق اتصالا بالعمر العقلي منها بالعمر الزمني .

والخلاصة

تلك هى خلاصة تفكير العلماء فيما يخص وراثية الذكاء او كسبيته والذى يبدو لي ان الاتجاه الاخير ـ الاتجاه النمائي ـ هو الاقرب الى الصحة . والحق ان جمهرة علماء النفس اليوم اميل الى الاخذ به والاعتقاد بان ما قاله (هب) و (بياجه) يكمل احدهما الآخر ويجعل من الذكاء قدرة موروثة فى اصلها ولكنها قابلة للنمو والتطور ، وان نموها انما يتم فى سياق اجتماعي ، وان المجتمع الاغني والاقدر على تحدى الطفل هو المجتمع الاصلح لنمو الذكاء وتزايده ، وان اللغة بالذات تلعب فى هذا دورا اساسيا . ■■

فاخر عاقل

الرُّوحِيَّة في الشِّعْر العَرَبي

في زهديات أبي العتاهية وازوميات المعري وصوفية ابن الفارض وفلسفة ابن سينا ثم شعر الورع الديني من البوصيري ، الى أحمد شوقي .

بقلم : أنيس الخوري المقدسي

استاذ اللغة العربية وآدابها بالجامعة الامريكية (سابقا) بيروت

■ ان الذى يلقى نظرة عامة على تاريخنا الادبي وما ظهر فيه جيلا بعد جيل من نزعات روحية ، يرى صورا شتى تنعكس عن حياة المجتمع العربي عَبْر الاجيال . ففى ما روى لنا من شعر الجاهلية مثلا – برغم الشك فى كثير منه – اشارات غير قليلة الى ما كان لهم فى ذلك العهد من معتقدات وعبادات .

الالهي من شعر الجاهلية

منها الهيٌ مصدره الكتب السماوية كقول النابغة الذبياني فى ملوك بني غسّان .

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم
من الجود والاحلام غيرُ عوازب
مَجلّتهم ذات الاله ودينهم
قويم فما يرجون غير العواقب

وقول ورقة بن نوفل ، وكان قد ترك عبادة الاوثان :

سبحانَ ذى العرش سبحانا نعوذ به
وقبل قد سبَّح الجوديُّ والجَمَدُ
مسخَّر كل ما تحت السماء له
لا ينبغي ان يناوي ملكه أحدُ
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
يبقى الاله ويُودى المال والولد

الوثني من شعر الجاهلية

ومنها وثني وهو يرجع الى ما كان يدين به السواد الأكبر من عرب الجاهلية وما كانوا يمارسونه من عادات وتقاليد . ولم يكن اسم الله مجهولا بين هؤلاء العرب ولكن ديانتهم لم تكن الهيئة كديانة أهل الكتاب ، فهم عبّاد اصنام ، وليس فى معتقداتهم ما يدلُّ على توقعهم حياة ثانية بعد الموت وموقفا يحاسبون فيه على اعمالهم . وقد اشار القرآن الى ذلك كما ورد فى سورة الواقعة : « وكانوا يقولون أاذا متنا وكنا ترابا ووعظاما أانا لمبعوثون . او آباؤنا الاولون » . وفى سورة الاسراء

ـ « وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا أانا لمبعوثون خلقا جديدا » . فلا عجب أن ينسب الى بعضهم قوله :

يخبّرنا الرسول بأن سنحيا
وكيف حياة أصداءٍ وهامِ

ومهما كان المرويُّ من أدبهم على اختلاف مصادره فانه لم يصل الى درجة التفكير الروحي العميق أو التأمل الفكري المنظم ، وانما هو بعض خواطر أولية ونفثات مقتضبة تمسُّ مسّاً سطحيا ما كانوا عليه من معتقدات وعادات .

الروحية في ظل الاسلام

فلما جاء الاسلام قضى على هذه النزعة البدوية المادية وأحلَّ محلها في نفوسهم الايمان بالله وبالآخرة وحب الجهاد في سبيلهما . وما كادت تنقضي فترة الفتوح في القرنين الأولين حتى كان الادب العربي قد تطور تطورا بيّنا . فظهرت في الشعر حركات فكرية وروحية . منها ما يرجع الى صميم الرسالة الدينية التي حملها اليهم الايمان الجديد، كالزهد في الحياة الفانية والتوق الى الحياة الباقية . ومنها ما تأثر بعوامل خارجية كالذي نراه في التخيلات الصوفية والتأملات الفلسفية . وأشهر الأمثلة على الشعر الزهدي ، ديوانان ، أحدهما لأبي العتاهية في القرن الثاني للهجرة ، والثاني للمعري في القرن الخامس .

زهديات أبي العتاهية

فمن زهديات الأول قوله :

رجعت الى نفسي بفكري لعلها
تفارق ما قد غرّها وأذلها
فقلت لها يا نفس ما كنت آخذا
من الارض لو أصبحت أملك كلها
فهل هي الا شبعة بعد جوعةٍ
والا مُنىً قد حان لي أن أملّها

وقوله :

لِدُوا للموت وابنوا للخرابِ
فكلكم يصير الى تبابِ
لمن نبني ونحن الى تراب
نصير كما خلقنا من تراب
الا يا موت لم أرَ منك بدا
أتيت وما تحيف وما تحابي

وموعد كل ذي عملٍ وسعي
بما أسدى غدا دارُ الثواب
هما أمران يوضح عنهما لي
كتابي حين أنظر في كتابي
فاما أن أخلد في نعيم
واما أن أخلد في عذاب

وكلُّ ديوانه على هذا النسق من الوقوف لدى القبور واعظا الناس بالاعراض عن الدنيا مهيبا بهم الى طلب الآخرة . وسواء أكان صادقا في زهده أم لم يكن فقد عبّر عنه بشعر عذب الالفاظ سائغ المعاني لطيف الايقاع .

وأبو العلاء المعرّي

أما شعر المعرّي في لزومياته فمعظمه نقد للفساد السائد في مجتمعه كقوله :

قد فاضت الدنيا بأدناسها
على براياها وأجناسها
وكلُّ حيٍّ فوقها ظالم
وما بها أظلم من ناسها

وهو على تشاؤمه الشديد وما قد يخامره أحيانا من شك في الحياة وما بعدها ، وعلى انكاره للتقاليد الزائفة والحمل على أصحابها وعلى الذين يستخدمونها لأغراضهم ، هو ذو ايمان بالله وبالمبادىء الالهية العليا حريص على الدعوة اليها .

ما الخير صوم يذوب الصائمون له
ولا صلاة ولا صوف على جسد
وانما هو ترك الشر مطّرحا
ونفضُك الصدرَ من غلٍّ ومن حسد

نظر المعري الى الدنيا بعين الزاهد الحقيقي وعاش فيها طبقا لقوله :

لو أن كل نفوس الناس رائيةٌ
كرأي نفسي تناءت عن خزاياها
وعطّلوا هذه الدنيا فمّا ولدوا
ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

على أنه وان كانت نفسه قد تعالت عن حطام الدنيا فلزم منزله متقشفا قانعا بأقلِّ من القليل، فان ذلك لم يمنعه عن مواصلة خدمته الأدبية والروحية لمجتمعه .

والشعر الصوفي بلغ غايته ابن الفارض

ولا يتسع المقام الآن للبحث في الحركة الصوفية

ـ كيف ظهرت وكيف تطورت ـ يكفى أن نقول ان الشعر الصوفى بلغ غايته فى ديوان ابن الفارض ، ولا سيما تائيته الكبرى . وهذه التائية تقتضى دراستها مقالا خاصا فاجتزىء منها بالمثل التالى مشيرا الى حقيقة الحقائق التى تتجلى بمظاهر مختلفة فى الوجود . هذه الحقيقة التى ـ فى راى الصوفيين ـ لا تدرك الا اذا انفصل الانسان عن ذاتيه المادية وامّحى فى الوجود الالهى الشامل . وفى هذا الامّحاء يصحو الى كمال السعادة والمعرفة اذ يصبح هو والله واحدا ـ ذاته هى ذات الله ـ.

ففى الصحو بعد المحو لم أك غيرها
وذاتى بذاتى اذ تحلّت تجلّتِ
فكل الذى شاهدته فعل واحد
بمفرده لكن بحُجب الاكنّةِ
اذا ما أزال السترُ لم تر غيره
ولم يبق بالأشكال اشكالُ ريبةِ

وهكذا يشطح به الخيال الى أن يقول :

فأتلو علوم الاولين بلفظةٍ
واجلو على العالمين بلحظة
واستعرض الآفاق نحوى بخطرة
واخترق السبع الطباق بخطوة
فمن قال أو من طال أو صال انما
يمتّ بامدادى له برقيقة
وما سار فوق الماء أو طار فى الهوا
أو اقتحم النيران الا بهمتى

وللشعر الصوفى قطبان يعيش الشاعر فى حالة سكر بينهما . هما الحبّ والجمال ، فالحبّ هو ذلك الوجد الروحى الذى يتسامى والانسان نحو جمال الذات الالهية فيشغله عن كل شىء فى الوجود .

وفى حبّها بعت السعادة بالشقا
ضلالا وعقلى عن هُداى به عقل
فقلت لرشدى والتنسّكِ والتقى
تخلّوا ، وما بينى وبين الهوى خلّوا

ويا لها من سكرة يغيب بها عن مشاهدة الخلق ولكنها عند الصوفى : ـ

تهذّب أخلاق الندامى فيهتدى
بها لطريق العزم من لا عزم لهُ
وفى سكرة منها ولو عمرَ ساعةٍ
ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحكمُ

الحب ـ الجمال ـ الفناءفى الحقيقة العليا ـ الاتحاد بذات الله . هذى هى النزعة الصوفية التى أسمعتنا فى عهد من العهود انغامها العذبة الشجية .

النزعة الفلسفية عند ابن سينا

واذا التفتنا الى النزعة الفلسفية فى شعرنا القديم لا نجدها ذات نطاق واسع ، اللهمّ الا اذا ادخلنا فيها توسّعاً الأقوال الحِكَمية التى عرف بها بعض الشعراء كالمتنبى والمعرّى وأمثالهما. على اننا نقصد بها هنا ما يمسّ بعض المذاهب الفلسفية المنظمة . ولعل أفضل الأمثلة عليها قصيدة ابن سينا التى يصف بها النفس البشرية، ومطلعها :

هبطتْ اليك من المحلّ الأرفع
ورقاءُ ذات تعزز وتمنّع

فهو يشبه النفس بحمامة هبطت من الأعالى واستقرت فى جسم الانسان ، ويقول :

وصلتْ على كره اليك وربّما
كرهتْ فراقك وهى ذاتُ تفجّع
أنِفتْ وما أَلِفت ، فلما واصلت
ألفت مجاورة الخراب البلقع

والقصيدة معروفة يراجعها من شاء فى «وفيات الأعيان» تحت ترجمة ابن سينا . وقد عارضها عدد من الشعراء . وفيها نلمس أثر الافلاطونية الجديدة ونظراتها فى طبيعة النفس البشرية ومصيرها .

وللمعرى نفثات

وللمعرّى بعض نفثات فلسفية كقوله :

قد قيل ان الروح تأسف بعدما
تناى من الجسد الذى غنيتْ به
ان كان يصحبها الحِجافلعلّها
تدرى وتأبه للزمان وغَيْبِه
أو ، لا ، فكم هذيان قوم غابر
فى الكتْب ضاع مداده فى كتْبه

وله كثير غير ذلك . على انه فى مواقفه الفلسفية الغيبية يقف موقفا مضطربا ـ يحاول أن يجمع بين

العقل والنقل فيقع فى شىء من الارتباك ، ارتباك مؤمن يتلمس فى الظلام .

ومن الفلسفة الى نفثات ورع ديني

قلنا ان نطاق الشعر الفلسفى البحت كان ضيقا فلم يستمر طويلا . ويمكن ان نقول ايضا ان الشعر الصوفى لم يبق على طبيعته الاصيلة اذ تحول مع الزمن الى نفثات ورع دينى — ورع قائم على ما جاءت به الرسل والأنبياء وما أعلنته الكتب السماوية . وقد اكتسب منه ادبنا العربى ثروة من المنظومات العاطفية الجميلة . نخصُّ بالذكر منها تلك القصائد النبوية المعروفة ،كبردة البوصيرى (٦٩٥هـ) ومطلعها :

أمن تذكّر جيرانٍ بذى سَلَمٍ
مزجتَ دمعاً جرى من مقلة بدمِ

وبديعية صفى الدين الحلّى التى تجمع ١٥٠ نوعا من البديع ويستهلها بقوله :

ان جئت سَلعاً فسَلْ عن جيرة العَلَمِ
واقرَ السلامَ على عرب بذى سَلَمِ

ومنها :

ما روضةٌ وشّع الوسميُّ بردتها
يوما بأحسن من آثار سعيهمِ
لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم
يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

ومثل هذه العواطف تتدفق من اقلام كثيرة فى العصور المتأخرة .

ففى مطلع القرن الماضى مثلا يطالعنا امين الجندى بقصيدته « توسلت بالمختار ارجى الوسائل » وتخميسه لهمزية البوصيرى التى مطلعها :

كيف يرقى رُقيَّك الأنبياءُ
يا سماءً ما طاولتها سماءُ

وفى صدر قرننا الحالى ينظم احمد شوقى « نهج البردة » معارضا بردة البوصيرى فيقول :

ريمٌ على القاع بين البانِ والعَلَمِ
أحلَّ سفكَ دمى فى الأشهر الحُرُمِ

ومنها :

يا لائمى فى هواه والهوى قَدَرٌ
لو شفّك الوجدُ لم تعذل ولم تلمِ
لقد أنلتك اذنا غير واعيةٍ
وربَّ منتصتٍ والقلبُ فى صَمَمِ

ولغير الجندى وشوقى شىء غير قليل من هذا القبيل . هذا عدا ما لا يحصى من التوشيحات والأناشيد الدينية عند مختلف الملل والطوائف فى أوطاننا العربية .

المشاحنات المذهبية بين الروحيّين

ومما لا ينكر أن العهود السالفة شهدت كثيرا من الخصومات والمشاحنات المذهبية التى نشأت عن الجهل والتعصب — أو قل عن عدم فهم لروح الدين — فكانت سببا فى زرع بذور الشقاق والتخاذل ، واحداث الاضطرابات والقلاقل وتوليد الحقد والبغضاء .

ولكن ما كاد فجر قرننا الحالى ينبثق حتى سطع فى عالمنا العربى نور جديد من العلم والحضارة كان له تأثير فعّال فى تطور ادبه الروحى . فمنذ ذلك العهد او قبله بقليل أخذت النزعات القديمة تنكمش أمام نظريات جديدة.وهكذا تحولت الافكار تدريجيا عن التنازع الناجم عن اختلاف المذاهب الى التفاهم القائم على الايمان بالله واخوة الانسان . حتى ليندر اليوم أن تجد فى البيئات الأدبية الراقية من يحتكر الله ، أو يجعل السعادة وقفا على نفسه دون سواه ، وكاد يزول ذلك العداء الروحى الذى طالما اجتاح الغرب والشرق على السواء ، فليس غريبا أن نسمع الكاتب المصرى المشهور لطفى المنفلوطى يقول من فصل موضوعه « الانسانية » :

« ان الانسانية مِلاك كل شىء ، فاذا ذهبت ذهب بذهابها كل شىء . فليس لصاحب دين من الاديان أن يقول لغيره ممن يدين بدين غير دينه : انا غيرك فيجب أن أكون عدوك ، لان الانسانية وحدة لا تكثّر فيها ولا تغيّر » .

ويعبر عن ذلك شاعر عراقى بقوله :

ان المذاهب كالزهور تنوعت
ولكلّ نوع نفحة وزَهاءُ
مهما تعددت الفروع بشكلها
فالحق فرد والأصول سواء

ولعل ذلك ما عناه ميخائيل نعيمة اذ يصوّر لنا فى كتابه « المراحل » ، بوذا الهندى ولاوتسو الصينى ، ويسوع الناصرى فيقول : « ثلاث منارات على شواطىء الوجود تستمدّ نورها من مصدر واحد وتنير سبيلا واحدا الى مرفأ واحد »

بل ذلك ما كان يقوله عدد غير قليل من دعاة التجديد الفكري في ادبنا الحديث .

وفي جدل اهل المذاهب قال احمد الصافي النجفي من ابيات :

كم تضجّون بالجدال ، دعونا
نستمع ما يقول داعي الحقيقة
جاء سيل العلوم فابتنوا بيوتا
جدداً واهدموا البيوت العتيقة

وفي القرن الماضي نشر دارون مذهبه في كتابه اصل الانواع فاحدث في الغرب هزة فكرية عنيفة اشتدّ من جرائها النزاع بين الالهيين والطبيعيين. وما هي الا حقبة قصيرة من الزمن حتى علقت بالشرق العربي شرارة من ذلك النزاع ، احدثت في الادب بعض امواج من القلق الروحي. ومن الطبيعي في مثل هذه الحال ان يقف الشعر احيانا موقف الأسى لشعوره بالعجز عن ادراك الحقيقة فنسمع فيه مثل قول ندره حداد يخاطب زهرة قد ذبلت نضارتها .

اني غبطتك بالذبول كما غبطتك زاهية
فسترجعين وان ذبلت مع الطبيعة نامية
اما انا ما زلت اجهل ما يحلّ غدا بيه
لا العقلُ ارشدني ولا كتبُ الديانة وافية

او موقف الشوق الى ادراك المجهول ـ فنسمع فدوى طوقان تتناجى « في الليل اذ تهبط روح الظلام » : ـ

ما أنتِ يا مَن في ظلال الليالْ
احسّه ملءَ حنايا الوجودْ
في الارض في الاثير في اللاوجودْ
في قلب قلبي في سماواتي
في روح روحي في مدى ذاتي
هلاّ توشحت لافاقي
هلاّ تجسّدت لاشواقي
هلا ، ولكن كيف ؟ هيهاتِ
فأنت مثل الغيب لا تنجلي
يا لغزُ يا حقيقةً كالخيال

على انه من الانصاف ان نعترف ان الشعر الحديث مع ما يسوده احيانا من قلق وشك وأسى، لم يزل مؤمنا بالقيم الروحية ، ناظرا الى ما فوق المادة في الحياة ، ومع موالاته لناموس الكون المتطور لم يهبط بعد الى دركة الالحاد بل ينحني بخشوع امام القوة الأزلية التي يعجز عن ادراك اسرارها .

وهو فوق كل ذلك راضٍ يقبل الواقع. فليست تسوده نقمة ابي العلاء على الناس فيجاريه اذ يقول :

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن
الا وعنديّ من اخبارهم طُرَفُ
يخبّر العقل ان القوم ما كرُموا
ولا افادوا ولا طابوا ولا عرفوا

بيد ان رضاه غير رضى الاستهتار التواسي ولا رضى التزهّد المتاهي ، ولا رضى الضعيف المستسلم للاقدار ، والباكي لدى حوادث الايام ، بل هو ذلك الرضى المنبعث عن شجاعة معنوية كالتي يصورها ايليا ابو ماضي اذ يقول لنفسه ولكل نفس :

ابسمي كالورد في فجر الضياءْ
وابسمي كالنجم ان جنّ المساءْ
واذا ما كفّن الثلجُ الثرى
واذا ما ستر الغيمُ السماءْ
فاحلمي بالصيف ثم ابتسمي
تخلقي حولك زهرا وشذاءْ
واذا سرّ نفوسا أنها
تحسن الاخذ ، فسُرّي بالعطاء
واذا اعياك أن تعطي الغنى
فافرحي انك تعطين الرجاء

هذه الشجاعة المعنوية التي تأبى أن تنفق الحياة مجونا وخمولا واستسلاما ، ولا ترى الجمال الحقيقي الا في السير المطّرد نحو الافضل ، وهي التي يسميها ابو القاسم الشابي « ارادة الحياة» فيقول :

اذا طمَحَت للحياة النفو
س فلا بدّ أن يستجيب القدر

وبها نفسّر تمرد جبران خليل جبران اذ يصيح « فلنتمرّد على كل ما يجعلنا عاجزين ، ولنسرْ الى الامام بقلوب ملؤها العزم واليقين » .

بقي ان نقول ان روح الشعر الحديث تتجلى بالاكثر في تصويرها ودعوتها للمجردات المثالية كالحرية والعدالة والوطنية والمحبة والحقيقة والسعادة والانسانية وما الى ذلك مما يتسامى نحوه الخيال فينشد لنا اناشيد الحياة الكريمة ويجلو لنا سر الجمال الخالد . ولشعرائنا من ذلك شيء كثير لا يتسع لذكره المقام . ■■

أنيس المقدسي
الجامعة الامريكية ـ بيروت



الاستعمار العالمي عامة والامريكي خاصة

عن جريدة « البعث » السورية :

● ان المراقب للسياسة الاميركية الاستعمارية فى اطراف الدنيا الأربعة ، وهو يرى ، بما يشبه النبوءة ، تلك العواقب الوخيمة المترتبة على هذه التخبطات العمياء المستميتة التى تبذلها قواها العدوانية فى محاولات جنونية يائسة لاتقاء شبح الموت فى لحظات النزع الأخيرة .. هذا المراقب تنتابه موجة من الرثاء الشامت لا يملك لها دفعا ، أكثر مما تنتابه أمواج الحقد والانتقام . ذلك ان هذه الدولة الضخمة « المتنفخة » لدرجة التورم الخطير ، والتى اخذت على عاتقها مهمة القرصنة الدامية فى العصر الحاضر ، قد كتبت نهايتها الفاجعة بنفسها ، وهي تسير الى تلك النهاية بسرعة هذا الزمن العجيب .

والاستعمار العالمي عامة ، والأميركي بخاصة ، والذى يستمد وجوده واستمراره من النار والتجويع والتخريب فى اية بقعة من العالم ، لن يتراجع عن تنفيذ مخططاته ما دام فيه رمق ، واذا كانت ثورة كوبا هي المسمار الأول الذى انغرز فى نعشه ، فقد تلته مسامير ومسامير اقسى واشد ، ابتداء من ثورة الزنوج الى الدومنيكان ، وحتى فيتنام وما بعد فيتنام .

العناد البريطاني

عن جريدة « الجمهورية » العراقية :

● كل الشعوب تنظر الى ـ العناد ـ كما تنظر الى نقائصها الاخرى بعين مفتوحة للاصلاح .

وذلك لأن العناد اصرار على وضع قد يكون خطأ ، وقد يحتاج اثبات الخطأ فيه الى مسافة من الزمن ربما طالت او قصرت حسب الظروف .

فالبريطانيون ينظرون الى ـ عنادهم ـ وكأنه من شيم الأمة البريطانية التى تؤهلها للعظمة .

فكثير منهم لا يخجلون من القول : ـ العناد البريطاني ـ ويعزون اليه تفوقهم فى كثير من المجالات .. آخرها صمودهم امام الغزو النازى !

ولكن اذا كان العناد فضيلة بريطانية فى كل الظروف ، فهو الآن حمق بريطاني متكامل الصفات فى ـ عدن ـ .

المرأة العربية والجهاد

عن جريدة « الدفاع » الاردنية :

● تخطىء المرأة الفلسطينية ان هي شغلت عن الجهاد العملي .. في زمننا الراهن ، بالأحاديث المعادة .. عن جهاد المرأة العربية في الزمان الخالي .. ان المرأة في فيتنام تشارك في القتال في الميادين بالفعل ، لا بترديد اسطوانات عن جهاد طوته القرون الخوالي .

وتستطيع المرأة العربية اليوم أن تعيد صفحات نيرة من جهاد العرب في الماضي البعيد ، لو انها تفلح في سوق الرجال الى القتال ، في الزمن الذي نعيشه الآن .

ومن يدري ؟ لعل جمود العرب عن القتال في هذا العصر ، مرده الى عقده نفسية في رجالنا ، قد تستطيع المرأة العربية أن تحلها بحيلة من الحيل ، ثم تسوقهم الى القتال سوقا لا اختيار لهم فيه : وهذا هو أضعف الايمان ، في صنوف الجهاد .

الاخلاق والتجارة

عن جريدة « صوت العروبة » اللبنانية :

● عيب كبير ان يتلاعب بعض تجارنا بمقدرات الناس وأموالهم ..

والعيب الاكبر ان يسكت المسؤولون عن تلاعب هؤلاء التجار بمقدرات الناس وأموالهم .

امانة التاجر ليست فضيلة فردية وسلبية . ولكنها ضرورة وطنية .. ان مستقبل الاقتصاد مرتبط بالثقة التي تتمتع بها التجارة والتي تحفظ حقوق الناس .

التاجر الذي يتصرف أمينا على أموال الناس لا يمكن أن يسكت عن تدهور اوضاعه ليجر معه الأبرياء .. والتاجر الشريف الذي يحافظ على كرامته وكرامة بلده لا يبني القصور ولا يقتني السيارات الفخمة، ولا يسافر الى أوروبا ولا يشتري المجوهرات ولا يلعب القمار في الوقت الذي يعجز فيه عن تسديد ديون الدائنين .

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

العرب وركب الحضارة

عن جريدة « الرأي العام » الكويتية :

● ان ارضنا ارض الرسالات ومهبط الوحي ، وفي ذلك اعتزاز تاريخي نرفعه أمام العالم . ولكن ارضنا هذه تبدو اليوم وكأنها ما زالت في جاهليتها ، تقضم حياتها بالنزاعات وتأكل قوتها بالتضارب والاقتتال .

امتنا العربية هذه ، أين هي الآن من الامم تتقدم ، وأين هي من ادراك رسالتها الانسانية نحو العالم ؟

وقبل ذلك كله :

أين العرب الاحياء من حياة الامم ، والوعي برهبة المصير وخطورة صراع الانسان فيها وحولها ، وفي الآفاق التي تبعد وتطول حتى تلتقي عندها ومعها !

أين يتحرك العرب ، وفي اي اطار ونحو أي هدف ؟ هل هم في الجاهلية التي يعيشون ، قد أدركوا مع الليل ، ان ليلهم طويل ، ولا فجر بعده ، ام ان حياتهم المظلمة تلذ وتطيب بقدر ما تلذ وتطيب حياة الشقاوة والضياع والتيه للمعطلين عن الخير والخلق .

أسطورة من الأساطير

ظل الخطيئة

بقلم : سنية قراعة

■ جلس ابليس الشيطان على عرشه النارى ذى القوائم السود ، ثم ضحك ضحكة عالية رنت أصداؤها فى جوانب العالم الصامت فى نشوة الظافر نال نصرا لم يكن يحلم به .

ـ يا للبشر من كفرة لا وفاء عندهم .. أنا ظل خطيئة البشر فى هذه الدنيا ، وهم التربة الخصبة التى أزرع فيها شرورى وآثامى ..

وسكت لحظة ، قال بعدها فى خشوع ، وقد رفع رأسه الى السماء :

ـ يا رب ... يا خالقى العظيم .. ان عبدك اللعين ابليس يعود اليك بعد أمد من الفراق طويل ... ان طريد نعمتك ، الذى خصصته بغضبك ونقمتك ، يأتيك ذليلا خاضعا ... انك ما زلت تملأ قلبه ، وانه ليقرّ بأن وجوده دليل ناطق بقدرتك وعظمتك .. انها قصة الآدمى يا رب .. نفس القصة الأزلية التى اخالها لن تتغير .. سأحدثك اليوم يا الاهى عن غريمى ، واخالك لست بحاجة الى حديثى ، لانك عليم بكل شىء .. لقد أخرجتنى منها رجيما من أجله ، ولقد كنت حقيقا بذلك يا ربى ، بعد أن رفضت السجود لجاحد ناكر لجميل صنعك .. التى لا أسأل نفسى ، أتراني كنت بغيضا الى هذا الحد ... عصيتك مرة واحدة فكنت طريد رحمتك .. أما هو .. يرتكب المعاصى جهارا فتسعه رحمتك .. لم هذا ؟!

لقد نهيته عن القتل فقتل النفس التى حرّمت الا بالحق .

حرّمت عليه الفحشاء فارتكبها ..

امرته الا يقرب الخمر فشربها ..

وهو يصر على المعصية ويجاهر بها ..

روّضته على الفضائل ، وكتبتها عليه ، فأبى الا أن يكون مثال العصيان ونكران الجميل .. أمعن الانسان فى طغيانه حتى لقد كفر بك وبجمال صنيعك وجلال قدرتك ... ما سرّ حدبك وحبك وعطفك على الانسان ؟! أهو مفضل عندك على الملائكة الاكرمين ؟! ... وحتى الملائكة يا رب ... عندما أصبحوا بشرا ، ارتكبوا الخطايا ... ما السر ؟ ! أفى الانسان قوة كامنة تدفع به الى الشر ولا يستطيع مغالبتها ؟! .

وسكت ابليس عندما وصل به حديثه الى هذا الحد .

وجرى به الفكر سريعا الى الملكين التعسين « هاروت وماروت » ، فاحس بلوعة الاشفاق .. وردد يتمتم كمن يحلم :

ـ هاروت وماروت !! انهما لم يرتكبا معصية بمحض ارادتهما .. انما ارادا أن يتأكدا من الضعف البشرى أو قوته ، وهل هو مدفوع الى الشر بطبعه وعلى رغمه ؟! أو تراه مستطيعا أن يباعد بين نفسه وارتكاب الخطايا .

وسكت ليعيش لحظات مع قصة هاروت وماروت



فاجابت المراة في ثورة : لست اراكما الا رجلين يحدقان في بعينين فارغتين خلت من كل شجاعة واقدام ورجولة .. ما الذي تنتظرانه مني ؟ !

التي راحت صورها تمر امام ناظريه ..

★ ★ ★

كان الفساد قد شاع في الأرض وانتشرت الرذيلة واستحكمت الشرور، وعلا نجم الشيطان ، واتخذه الانسان دليلا يتبعه ومؤثرا يستشيره ، فاريقت الفضائل جهارا وعلانية ، وارتكبت الموبقات ، وعَبَد الناس الحجر ، واقاموا منها التماثيل والهياكل وسجدوا لها وسبّحوا بفضائلها ...

وضجت السماء ومن فيها ، وتعجبوا لحكمة الخالق في صبره على الخطيئة ، وتحدثت الملائكة في ذلك حديثا طويلا ، واذا بالقدرة توحي اليهم مرة اخرى الا يتحدثوا الا فيما يعلمون ، والا يخوضوا الا فيما يدركون ...

وقال ملكان من انقى الملائكة واكثرهم تعبّدا :

ـ ان الانسان ظلوم جاحد يباهي بالخطيئة ، وتأخذه العزة بالاثم ، ولا يخشى شيئا ولا يبالي بعذاب أو عقاب ، ولا يفكر في بعث أو نشور ...

وقيل للملكين الصالحين :

ـ ان في الانسان غريزة اذا لم يروضها ويحسن تهذيبها لجرته وهو غير شاعر الى الاثم ولدفعته

الى كل خطيئة وشر ...

وعاد الملكان يسألان :

ـ ولم لا يتخلص منها أو تمحيه القدرة من وجودها ؟!

وقيل ثانية للملكين :

ـ على هذا يقوم أساس العالم الدنيوى أيها الملكان ، ولو أنكما كنتما بشرا لفعلتما ما يفعلون .. ولكى تجربا سأجعل منكما رجلين يعيشان بين الناس ، وأضع فيكما كل صفات البشر ، وأهبكما غرائزه كلها ، وستريان بعد ذلك أتستطيعان ترويض هذه الغرائز أم أنكما تنساقان فى التيار ، شأنكما فى هذا شأن البشر جميعا ...

وقال الملكان فى اصرار :

ـ شد ما يغلبنا الشوق الى ممارسة هذه التجربة ...

ولم تكد تمر لحظة حتى أحالت يد القدرة الملكين النورانيين الكريمين الى رجلين ، فيهما كل صفات البشر ، ولهما كل ما له من غرائز وميول ورغبات ... ثم أنزلتهما من مقامهما فى السماء الى العالم الدنيوى ليعيشا بين الناس ...

وبينما هاروت وماروت يهبطان الى الأرض شعرا بشىء غريب يحدث لهما لأول مرة ... من قبل كانا يتجولان بين الأفلاك بخفة وحرية .. أما الآن فهما يكادان ينقذفان الى الأرض انقذافا . ما بال جسدهما قد ثقل .. والخفة قد غادرته الى غير رجعة .. وكان صافيا شفافا فتعتم الى الأبد ... وما أن وطئت أقدامهما الأرض حتى نسيا ما اعترى طبيعتهما من تحول غريب .. وتجولا فى شوارع المدينة التى هبطا فيها وأعينهما تدور فى محاجرها من الدهشة والعجب !

هنا عالم زاخر .. متصارع .. هنا أناس مختلفو الألوان والأزياء والألسنة .. هنا بابل .. بلد القوم الذين بنوا برجا عاليا ليستمعوا منه الى حديث السماء ، فغضب الله عليهم ، وبلبل ألسنتهم . هنا الفتنة تسعى على أقدامها فى الشوارع .. والأغراء يطل من نوافذ العيون .. ولهاث الشهوة يرقد تحت ظلال الكلمات .. وكان القدرة الالهية قد اختارت لهما هذا المكان لتكون التجربة قاسية ومريرة ..

هكذا أرادت القدرة لأمر خفى عن هاروت وماروت ..

واستقبل هاروت وماروت ذلك العالم الجديد بنفس سعيدة فرحة ، وكانا حصيفيْن وصاحبى رأى سديد ، ولهما حكمة ومهارة ، وسرعان ما احتلا مكان الصدارة بين قرنائهما من الناس ..

وتجول الملكان بين البشر وهما فى دهشة من أمر هؤلاء الناس الذين ركبوا رؤوسهم واتبعوا مسالك الشيطان ، وعصوا وجاهروا بالخطايا .. وتبادلا نظرات الثقة ، لأنهما لم يهبطا ذلك المهبط الزرى ولم يصلا الى مراتب البشر الآثمين ...

ومر الزمن ، وذاع أمر هاروت وماروت ، ونبوغهما فى السحر والكهانة ، فحجت اليهما وفود الناس . من جميع الأصقاع ليروا ما لهما من فضل وما يصنعان من مدهشات وعجائب ...

وطرق بابهما ذات يوم طارق فاقبلا يتبينان الطارق ، فاذا بهما أمام شابة رائعة الحسن فياضة الفتنة أخذ منها الكلال مأخذه ، وعبث بها أى عبث ، فتهالكت على أقرب مقعد وهى تلهث تعبة ، بينما هاروت وماروت ينظران اليها فى عجب ودهشة ولا يجسران أن يسألاها عما بها أو ماذا أصابها .

وما أن أطمأنت الفتاة وهدأت ثائرة نفسها حتى رفعت عينيها العميقتين ، ونقلتهما فى المكان ، ثم استقرت بهما حيث وقف صاحباه ، فقالت فى نبرة رقيقة أخاذة :

ـ أتيتكما مستنجدة يا صاحبىّ فساعدانى بما لكما من سحر وقوة ...

وتبادل الملكان نظرات الدهشة والعجب ولم ينطقا بكلمة ، فى حين استمرت هى تقول :

ـ ألا تسمعانى ... ألا تريان ما أنا فيه من همّ وما أقاسيه من آلام وشجون ؟! أعينانى بسحركما وزودانى بقوة منكما لأستطيع أن أقضى عليه وأنتقم لكبريائى منه ...

وسألاها فى صوت واحد :

ـ هدئى من ثائرتك أيتها المرأة ثم قصّى علينا قصتك على مهل بعد ذلك ... أو ... تذهبين الآن الى بيتك وتعودين الينا مع صباح الغد وأنت أكثر هدوءا ودعة ...

وهزت الفاتنة رأسها موافقة ، ثم قامت تسحب نفسها الى الخارج ...

وخلا المكان منها ... من سحرها الطاغى ... ومن جبروت فتنتها وقوىّ تأثيرها .. ونظر كل من الشابين الى صاحبه وقال يتمتم :

ـ هاروت !!

ـ ما بك يا صاحبى ماروت ؟!

ـ ... ألا تحس ببعض الارهاق ...

ـ أنا ... أبدا ...

ـ أما أنا ففى حاجة الى الراحة ...

وافترق الملكان الشابان كل الى حجرته الخاصة لينعم فيها بالوحدة التى أراد ...

ومرت الساعات ، ومال ميزان النهار ، واقبل الليل وخيال المرأة ماثل فى عيني كل منهما .. واحسا للمرة الاولى فى حياتهما الدنيوية بالهم والشجن ، وذاقا بطء الساعات القاسى ورهبة التخيل ، ودق قلباهما فى ارتياع ، وراح كل منهما يسائل نفسه :

ـ ما بى !! ماذا حدث لى !! أى شعور هذا الذى أحسه والذى أشعر انه غالبى على أمرى ؟! وهذه المرأة !! لاى سبب أفكر فيها ؟ ولماذا يبدو خيالها لعينى ؟ ولم أصبحت وأمسيت وهى شاغلة أفكارى . ترى من تكون ؟! ولم جاءت ؟! واذا لم تعد فماذا يكون مصيرى ؟!

وتكاثفت ظلمات الليل وزادت وحشته ورهبته ، واحس الملكان العاشقان بأن هذا الليل طال حتى لا يكون له آخر ، والا فلماذا لم يذهب ويأت ضوء النهار الذى سوف يطالعهما مرة اخرى بوجه تلك الطارقة الساحرة ؟!

وترك أحدهما مخدعه وسار فى حذر الى حيث كان صاحبه ، فاذا به على نفس الحال التى يشكو منها ... واقبل عليه يسأله :

ـ ما بك يا هاروت ؟!

ـ لست أدرى .. جفانى النوم يا صاحبى ...

ـ أضقت ذرعا بالدنيا ففكرت فى العودة الى السماء ؟!

ـ أنا ؟! لا .. أبدا .. ولكن ..

ـ لماذا .. تسألنى هذا السؤال .. أمللت انت الدنيا فأردت أنت العودة ؟!

ـ ان تجربتى لم تنته بعد يا صاحبى ولذا سابقى ، فاذا كنت أنت تريد العودة فافعل ..

ـ أى حديث هذا الذى أسمعه ؟! من قال لك انى أريد العودة الى السماء ؟! قبل نهاية الشوط ...

ـ ظننت ذلك والا فما سر اطراقك وما سبب ارقك حتى هذه الساعة ؟

ـ كدت والله ألقى عليك نفس هذا السؤال...

وسادهما سكوت طويل وصمت قاتل ، وقد نكسا رأسيهما ، وراح كل منهما يختلس من صاحبه النظرات كمن يريد أن يصل الى قرار نفسه ، ويعرف ذلك السر الذى يشغله ، والذى احتل منه الفكر وسلبه الراحة والهدوء والاستقرار ...

وقال أحدهما وهو يزفر زفرة حارة :

ـ ترى كم بقى على طلوع النهار ؟!

وأجاب الآخر :

ـ لا أراه قريبا يا صاحبى ...

ـ اذا ... فلنحاول النوم ...

ـ جرب وانى لتاركك .. قد أسير خارج البيت قليلا .

ـ لا تفعل فالليل موحش والظلام ملىء بالاهوال والمخاطر ... ابق معى .. يا أخى الطاهر . اشغلت المرأة تفكيرك الى هذا الحد ؟ !

ـ أية امرأة ؟ !

ـ تلك التى جاءت بالامس والتى كان فى مقدمها ما سلبنا نحن الاثنين راحتنا واستقرار نفسينا .. هاروت ... لقد كدنا أن نستسلم الى الشيطان وقد أرسل الينا ظله .. يا أخى .. أنسيت اننا من الملائكة ؟!

وزفر ماروت زفرة طويلة حارة بعدها سكت وقد نكس رأسه وجعل يهزها ثم قال :

ـ كنا ملائكة .. أما الآن فنحن بشر يا صاحبى هاروت .. وأنا رجل وأنت مثلى .. لكل منا قلبه ولكل منا عواطفه وتفكيره ، ولقد استطاعت تلك الشيطانة الصغيرة ان تشغل منا العقل وأن تحتل الفكر وأن تكون سببا فى أرقنا ليلة طويلة بتنا خلالها نتعجل مقدم النهار ..

ـ ماروت .. تعال بنا ياصاحبى الى السماء فلسنا من أهل هذا العالم ..

ـ أجبنت أم خشيت أن تضعف أمام التجربة التى أردناها بمحض اختيارنا ؟!

ـ لا ... ولكن .. للبشر صفات ليست لنا ، ولنا خلق ليس للبشرية منه شيء ..

ـ لا تضعف يا أخى ولنسر فى التجربة حتى نهايتها .

ـ اشعر بانى لا استطيع .

ـ يا للعجب !! أنكون أضعف من البشر ؟!

ـ نعم ...

ـ ولم ؟!

ـ لانهم يستطيعون ارتكاب الخطيئة ويفاخرون بها فى حماقة وكبرياء ، وانا وانت لا نستطيع ..

ـ ولكنا لن نرتكب خطيئة .

ـ أحس ـ لو أتت هذه المرأة ثانية ـ انا سائرون اليها ..

وتولاهما الصمت مرة اخرى .. وبدأت تباشير الصباح تبدو في الأفق الشرقي .

يا لـلساعات الغاشمة الظلوم !! لم تباطأت في سيرك .. هيا .. هيا واسرعي قدماً ولتنشري اضواء النهار ..

ومرت الساعات .. واقبل النهار ..

ودق الباب مرة اخرى ..

وقفز قلباهما من بين الضلوع ، ونظر هاروت الى صاحبه في وجل .. وسار الآخر ليرحب بالطارقة التي ظلا طوال ليلة رهيبة يحلمان بمقدمها ..

ودخلت المرأة محراب العابدين .. فملأته بسحرها الطاغي وجبروت فتنتها .. وراح كل من الشابين يرقبها بمجامع قلبه وقد قامت في صميم نفسه عواصف واضطربت فيها احاسيس ..

انه الاشتهاء !!

وبدأت تقص قصتها وهي تتفنن ، وتميل تارة على هاروت وأخرى على صاحبه ماروت ..

ولف احدهما ذراعه حول خصرها الدقيق فتخلصت منه في دلال لتقبل على الآخر حتى اشعلت النار في جسديهما ..

ايه !! لقد طرق الملكان باب الخطيئة !!

وضم احدهما الغانية الى صدره وأسرع الثاني يحذو حذوه .. ومالت عليهما المرأة في دلال وعبث، فهي مرة تداعب هذا واخرى تلاعب ذلك ..

وأسرّ هاروت في اذنها بكلمة ، وبنفس الكلمة همس لها صاحبه .. وعلت ضحكة الغانية واضطجعت بينهما في دلال مثير وقالت :

ـ الكما في بعض الخمر والشواء ؟!

ورنت كلمة الخمر في خيالهما بدوي رهيب ، وثابا بدض الشيء الى نفسيهما ، وتصورا ما هما مقدمين عليه من ارتكاب معصية تأباها الشريعة ولا يرضاها الله ..

وتراجعا عن المرأة ... واحست الغانية منهما نفورا فراحت تلهب منهما النفس وتستثير الحواس جميعا ، وجعلت تزين لهما المعصية في صوت منغم عذب وهما يستمعان في شبه ذهول وغيبوبة لحديثها :

ـ الم تضمني انت .. وانت .. الم تحتضني في شغف وشوق ؟! انت .. الم ترتشف شفتي رحيق الهوى ؟! لقد سمعتُ صرخات روحكما وانصتما الى زفراتي وأنين نفسي.. لقد احببتماني وبدوري لم أبخل عليكما بذلك الحب .. الم تريانى أرتكب المعصية الكبرى وأنسى المهمة التي جئت من أجلها كي ارضي هذه النزعات التي قامت في نفسيكما؟ الم أفعل ذلك دون تردد ، أيها الشاب الفاتن ؟. وانت يا ساحري ، لِمَ استمرأت مني أحرَّ القبلات والضمات ثم تأبى بعد ذلك أن تراشفني كأسا بكأس وهي ساعة تعدل الدنيا بأسرها ؟! اننا مقبلون على ارتكاب خطيئة ، وانا لمرتعدون ، ونحن نتصورها بشعة .. وما هي كذلك.. أفليس من التعقل أن نسوقها لأنفسنا في ثوب فاتن يبعد عن عيوننا شبح الخطيئة ويجعلها جميلة محببة ؟! ان للخمرة قوة خارقة تغشّي العين زاهية ، وتجمّل القبيح .. انها ترتفع بالروح الى عوالم شاعرية ما أحوجنا اليها ..

وسكتت الغانية ، ووجدت كلماتها صدى في نفس الشابين ، ولم يشعرا الا واحدهما قد قام بنفسه ليعد الشراب ، في حين اخذ الثاني في اعداد الشواء ..

وكانت مائدة ماجنة صاخبة شرب فيها الملكان ما شاء لهما الهوى ، وما ارادت الخطيئة ، وما استحكم الشر والفسق ، ولعبت الخمر برؤوس ثلاثتهم فاحمرت منهم العيون وثقلت الرؤوس وصرخ الاثم وعلت شرْعة الفجور ..

ونال هاروت من المرأة ما كان يشتهي ، وكذلك فعل ماروت .. وأسرف ثلاثتهم في الشراب اسرافا بشعا ، وعلت أصواتهم صدّاحة طروبة حتى انقضت سحابة النهار ، واقبل الليل ولم يلبث أن انتصف وهم في ضلالاتهم سادرون .

واحس بهذا الهرج والصخب شيخ وقور كان يجاور الشابين ، فتوكأ على عصاه وذهب يتبين الخبر . وشدّ ما كانت دهشته أن وجد الشابين الفطنين الحصيفين ، وقد غابا عن صوابهما ،وراحا يرتكبان الخطيئة جهارا مع غانية ..

وعز على الشيخ أن يرى ذلك ، ووقف في دهشة يرقب ما كان يحدث وهو غير مصدق ما كان يراه.. واذا بالمرأة تتمادى في اثمها وتمد يدها الى صدرها فتخرج دمية من الطين تضعها امام الشابين وتطلب منهما أن يسجدا لها وأن يقدما لجلالها قربان الليل الساري .

وقامت الغانية فجعلت ترقص وتغنى امام الدمية ، وهاروت وماروت يتبعانها في اعجاب وذهول . ثم سجدت سجدة طويلة ولم تنس قبلها أن تطلب منهما أن يفعلا مثلها ..

وكانت الخمر قد غلبتهما وأنساهما الشيطان

ما هو مقدس ، وغشى عيونهما بالاثم ، وسرعان ما تبادلا نظرة .. سجدا بعدها خلف المراة للصنم!

وصاح الشيخ وقد أخذته سورة الغضب :

ـ يا عجبا مما ارى ؟! أهذا حق ام انا فى حلم رهيب ؟! أيأثم الشابان الفاضلان الحصيفان ويرتكبان المعصية جهارا ويتماديان فى الاثم فيسجدا لصنم لعين من صنع يد فاجرة ، فاسقة؟!

وذعر هاروت وماروت ، وانتبهت المراة غاضبة مزمجرة .. وتبادل الشابان نظـــرات الذهول والعجب . فقالت لهما :

ـ ما الذى تنتظرانه أيها الضعيفان الخائران؟! أتنتظران مطلع النهار لينقل هذا الشيخ الفضولى عنكما فى كل ناد ، ويشى بكما وينقل عنكما الكاذب من أراجيفه ، فتسوء سمعتكما ، وتتغير نظـــرة الناس لكما ، وتتبدل أحوالكما هذه ، ويكون نصيبكما الهزء والزراية والاستخفاف ؟!

وسألها أحدهما وهو يترنح :

ـ وما الذى تريته يا ساحرة القلب ؟!

فاجابت المراة فى ثورة :

ـ لست أراكما الا رجلين يحدقان فىّ بعينين فارغتين خلت من كل شجاعة واقدام ورجولة .. ما الذى تنتظرانه منى ؟! أن أوجهكما وارشدكما الى ما كان من اللازم أن تفعلاه منذ جاء هـــذا الرجل الى هنا يتلصص أنباءنا كى ينقلها الى الناس ليروى غلته ويشفى حسده .. أسرعا .. هيا واقتلاه .. اذا مات ضمنتما سكوته الى الأبد ...

وارتاح الثملان الى هذا الرأى وقاما يترنحان والشر متجسم فى أغوار عينيهما حتى وصلا الى الشيخ الطيب فامسكا به فى وحشية ولم يتركاه الا وهو جثة هامدة فارقتها الروح ..

وضحكت المراة ضحكة الظافرة وأشارت لهمـــا أن يلقيا جثته فى نهر جار .. فأسرعا يفعلان ذلك، ثم عادا اليها فاذا هى قد اختفت ولم يعرفا لها مكانا ..

وجعل كل منهما ينظر الى صاحبه مرة بعد أخرى والى البيت الذى اقفر من ساحرته ... وبدات سحابة الشر تنقشع ، واخذ نور الحقيقة يتقدم ، وتبخرت الخمر من راسيهما ، وعـــادا شيئا فشيئا الى الواقع .. وسمع أحدهمـــا صاحبه يقول له :

ـ أترانا كنا نعيش فى حلم ؟!

وأجاب الآخر :

ـ كنت أسالك هذا السؤال ...

ـ اذا .. ماذا فعلنا ؟!

وتمتم الآخر كالذاهل :

ـ نعم .. ماذا فعلنا ؟!

وقال أولهما فى حسرة ونبرة باكية :

ـ تحكمت فينا الشهوة ...

وصرخ الآخر :

ـ فعصينا الله ..

ـ لقد أثمنا .. وشربنا الخمر .. وسجدنا لغير جلال الله .. وقتلنا نفسا بغير حق ..

وخرّا على وجهيهما مغشيا عليهما من هول ما ارتكباه وضجت الأرض وزلزلت أركانها ،واهتزت السماء غضبا ، وسمع الخاطئان أرانين تدوى فى خيالهما صائحة :

ـ أثمتما ...

وصاحا فى فزع :

ـ اللهم غفرانك

وعادت الارانين تدوى قائلة :

ـ وشربتما الخمر ...

وصرخا مستنجدين :

ـ يا أرحم الراحمين .. ارحمنا ..

وعلت الاصداء وزمجرت تقول :

وسجدتما لغير جلال الله .

وتولتهما غاشية وهما يتمتمان :

ـ يا واسع المغفرة ..

وردد الصدى فى سخرية :

ـ ثم قتلتما نفسا بغير حق ..

وتلاشى الارنان .. وخفتت الأصداء ، وعاد الهدوء يخيم من جديد على الدنيا الهاجعة .

ـ يا لها من تجربة قاسية رهيبة ..

ـ وما العمل ؟!

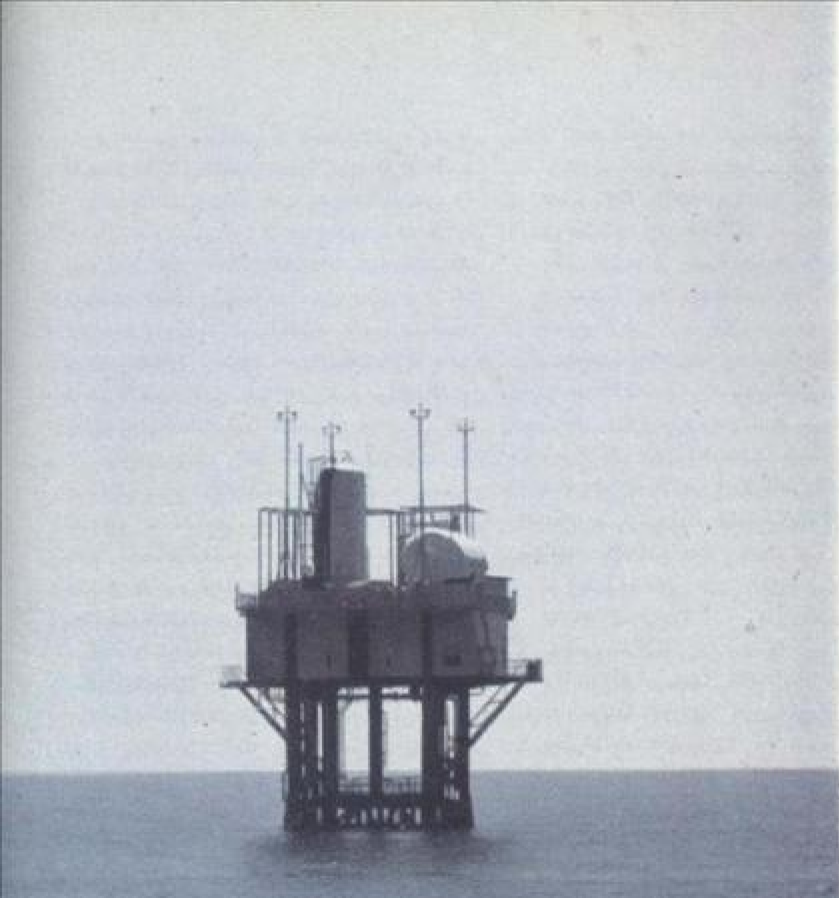
ـ ليس عالم البشر عالمنا يا صاحبى .. لقد نشر الشيطان رايته وطغت ارادته وعلا نجمه ،وفى البشر قوة دافعة الى الشر ، وويل لهم ان لم يروّضوها ويخضعوها للخير والفضيلة ..

ـ اذا ... فهيا بنا ولنترك هذا العالم غير آسفين عليه ..

وأراد الملكان أن يعودا ثانية الى السماء ، ولكن دون جدوى ، اذ حلت بهما اللعنة ونزل عليهما غضب الله ونقمته الكبرى ، وحكمت الارادة العليا ببقائهما كظل للخطيئة فى عالم البشر ..

وهكذا فقد هاروت وماروت كل شىء .. !!

سنية قراعة ■■

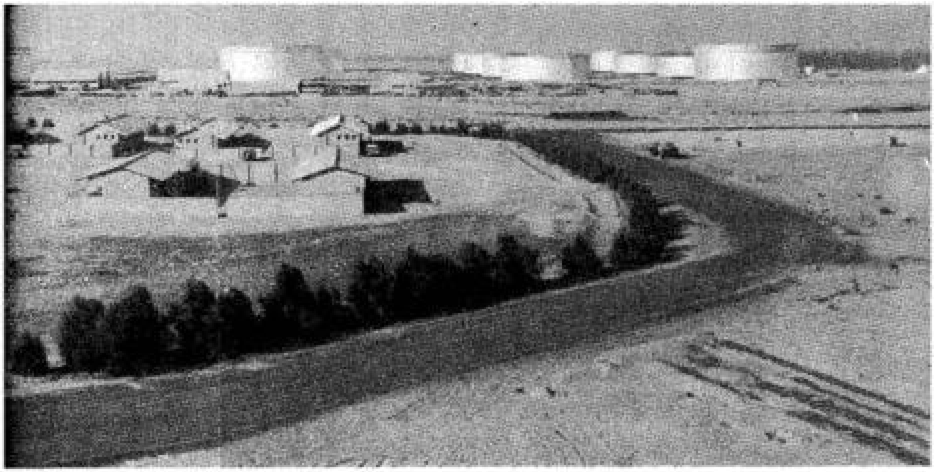


المنطقة المحايدة





«« المنطقة المحايدة »» التى نعرضها فى هذا الاستطلاع ، منطقة تكاد تكون مجهولة من معظم أبناء الوطن العربى . ذلك انها بقعة صحراوية قاحلة ، على الخليج العـربى ، مشتركة بين الكويت والمملكة العربية السعودية ، بموجب اتفاقية «« عقير »» المبرمة بين الدولتين عام ١٩٢٢ وتلك هى قصتها :



منظر لمنشآت شركة الزيت ا

ظلت المنطقة المحايدة قطاعا صحراويا قاحلا ، لا يقصده سوى البدو الرحّل مع اغنامهم لرعي الكلا الذى ينمو بكثرة فى فصل الربيع .. ظلت المنطقة على هذا الحال مدة ٣٠ عاما ، ابتداء من معاهدة العقير التى عقدت عام ١٩٢٢ ، وكان من الممكن ان يستمر هذا الوضع لعشرات الاعوام الاخرى ، لولا اعلان اكتشاف النفط تحت اقدام الرعاة فى منطقة الوفرة عام ١٩٥٣ .

وعلى الفور دب النشاط فى المنطقة .. وبدأت سيارات الشحن تزاحم الاغنام على قطع الارض الصحراوية .. كانت السيارات تسير مخلفة وراءها عاصفة من الرمال ، كانها تحاول اخفاء حقيقة المنطقة عن العالم .. ولكن سرعان ما انقشع الغبار ، وظهر العمال يعملون ليل نهار فى شق الطرق ، واقامة المعسكرات ، وتركيب المكنات ، والمعدات الضخمة المعقدة ..

وكان ظهور معسكرات شركات النفط بمثابة مغناطيس ، اجتذب اليه الجماهير التى اقبلت وحدانا وجماعات ليحيطوا بالمعسكرات ، ويقيموا المبانى والمدن من الخشب والصفيح !

واحس البدو الرعاة ، بانها فرصتهم لبدء حياة استقرار ، فاتجهوا بدورهم الى ابواب الشركات يقرعونها طلبا للوظائف والعمل .. وكانت النتيجة ان نحو ٩٠٪ منهم ترك اغنامه وماعزه ليتوظف فى شركات النفط ..

ثلاث شركات فى المنطقة المحايدة

وعدد شركات النفط العاملة فى المنطقة المحايدة ثلاث شركات :

شركتان منها تعملان فى منطقة الوفرة : واحدة لحساب الحكومة الكويتية ، وهى شركة « امين اويل » Amin Oil وهو اختصار لاسمها American Independent Oil Company اى « شركة الزيت الامريكية المستقلة » .

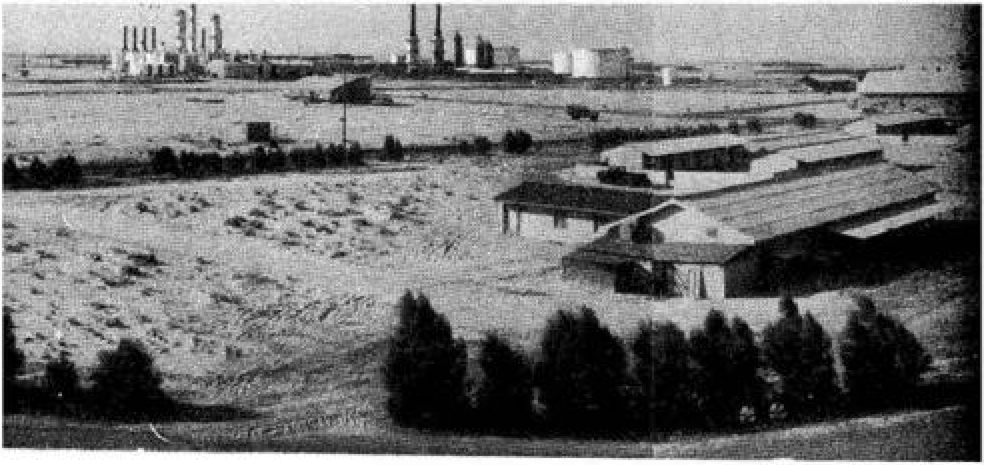
والشركة الثانية ، وتعمل لحساب الحكومة السعودية ، هي شركة جيتي للزيت ، ويملكها المستر بول جيتي ، الثرى الامريكي الذى يعتبر من اكبر اصحاب الملايين في العالم ..

وهاتان الشركتان حصلتا على امتياز التنقيب عن النفط في ارض المنطقة المحايدة والجزر المقابلة لهذه المنطقة ، والمياه الاقليمية الممتدة مسافة ستة اميال من شاطيء الارض ..

اما البحر الممتد بعد هذه الأميال الستة حتى منتصف مياه الخليج العربي ، فقد حصلت شركة الزيت العربية المحدودة (اليابانية) على امتياز التنقيب والحفر فيه من قبل الحكومتين السعودية والكويتية ..

مَن: ومتى اكتشف البترول ؟

واول من اكتشف النفط فى المنطقة المحايدة كان شركة امين اويل ، التي اخذت حق الامتياز عام ١٩٤٨ ولكنها لم تعثر على النفط الا بعد



امريكية بميناء عبد الله

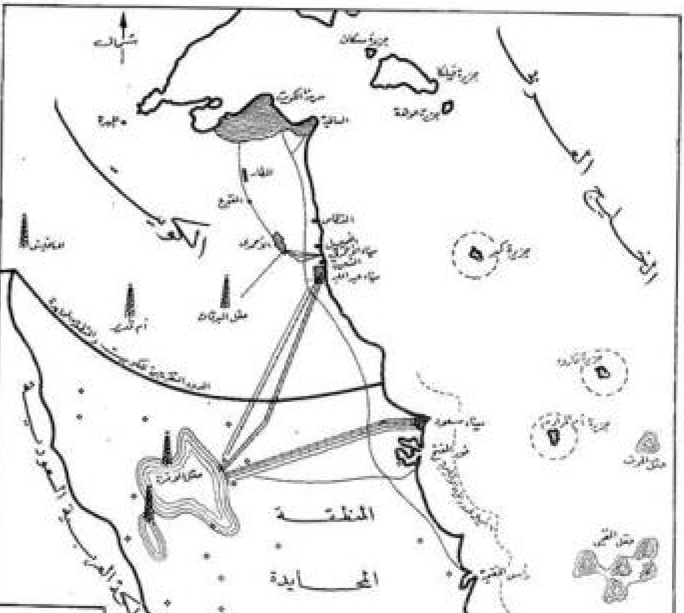
خمس سنوات من المجهود الشاق في منطقة الوفرة ..

وكان حقل النفط الجديد امتدادا لحقل برقان الشهير في الكويت ..

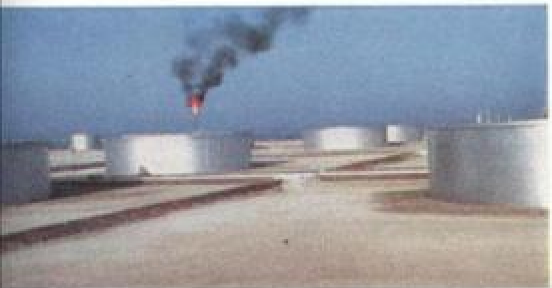
وبينما كان العمل يجرى في حفر الآبار ، كانت الانابيب تمد لنقل النفط الى الجانبين : الجانب الكويتي ، وقد اقام ثلاثة انابيب تمتد من الوفرة لمسافة ٣٠ ميلا متجهة الى ميناء عبدالله جنوب ميناء الاحمدي في أرض الكويت ..

والجانب السعودي ، وقد مد ثلاثة انابيب من

خريطة تبين موقع المنطقة المحايدة ، وموقع حقول النفط فيها







الى اليسار : وسط مياه المنطقة المحايدة ترتفع محطة التجمع Gathering Station .. انها جزيرة حديدية يعيش فيها ٢٢ شخصا بين عربي وياباني .. تقع عليهم مسئولية مراقبة كمية النفط المستخرجة من الآبار البحرية، والذى يتجمع هنا قبل اعادة ضخه الى المرافق البرية والمستودعات الكبيرة التى يسع كل منها ٣٦٨ الف برميل .. ويقوم سكان هذه الجزيرة الحديدية بمهمة صيانة الآبار البحرية ومحطات التدفق الفرعية ..

الى اسفل : ما زال الرعاة يقصدون أراضى المنطقة المحايدة مع أغنامهم وماعزهم .. وفى جنوب منطقة الوفرة أقاموا حوضا كبيرا للماء ، يقصده الرعاة لسقى ماشيتهم ..



الى اليمين : اينما اتجهت في منطقة الوفرة تجد امامك هذا « الشادوف » .. ولكنه لا يسحب الماء، وانما يسحب النفط من الاعماق بعد أن خف ضغط الغاز في حقل الوفرة .. ولقد زاد عدد هذه الآلات في الآونة الاخيرة زيادة كبيرة . حتى أصبح من المنتظر أن تركب في النهاية آلة ضخ على كل بئر في منطقة حقل الوفرة يمتد حتى طبقتي الايوسين والبرقان.

الى أسفل : كان حفر الآبار يتم من منصة حفر حديدية كبيرة متحركة .. ثم ادخل نظام الحفر من منطقة صغيرة قواعدها ثابتة على قاع البحر، وبجوارها زورق طويل توضع فيه الانابيب والمواد اللازمة ..





الوفرة لمسافة ٢٨ ميلا متجها الى ميناء سعود في الأرض المحايدة ... وهي النقطة التي اختارتها شركة جيتي لتكون مركزا وقاعدة لها ..

الانتاج يتضاعف ١٦ ضعفا

ومن ميناء عبد الله اقلعت اول ناقلة محملة بنفط المنطقة المحايدة الى معمل للتكرير في اليابــان ..

كان ذلك في عام ١٩٥٤ ، وكان انتاج الوفرة لا يتعدى ١٢ الف برميل في اليوم ، ظل يتزايد ويتضاعف حتى وصــل الى ١٩٦ الف برميل في اليوم الواحد ..

ان هذا الرقم يمثل ذروة ما يمكن ان ينتجه حقل الوفرة من النفط ..

لقد قدر خبراء النفط (عمر) هذا الحقل بنحو ٢٥ عاما .. مضى منها حتى الآن نصفها ، والباقي ١٢ سنة اخرى ..

٤٧٢ بئرا على الحقل

وكـان سحب النفط بكثرة خلال السنين الماضية قد اتعب قوة هذا الحقل فبدأت تظهر عليه علائم الضعف والتعب .

ولمساعدته في زيادة انتاجه حفروا عليه عددا ضخما من الآبــار ، بلغ مجموعهــا ٤٧٢ بئرا ، كادت ان تكون متلاصقة لكثرتها ...

وهذه الآبار تنتج النفط من ست طبقات ارضية منتجة يطلقون عليهـا اسماء : الايوسين الأول والثاني والثالث ، ومـايستركشن ، وبـرقـان والرتاوي .. وتتراوح اعماق هذه الطبقـات بين ١١٠٠ قدم و٦٩٠٠ قدم .

وقد اوقفت جميع الحفريات الجديدة على هذا الحقل ابتداء من عام ١٩٦٤ على اعتبـار ان حدوده اصبحت معروفة تماما ..

منظر غير مالوف

كان النفط في منطقة الوفرة يتصاعد تلقائيا بضغط الغاز الموجود في الاعماق . ولكن سرعـان ما بدأ ضغط الغاز يخف في الحقل ، فعمدوا الى المضخات المساعدة ، وضعوها على فوهة البئـر لتسحب النفط الموجود في الاعمـاق .



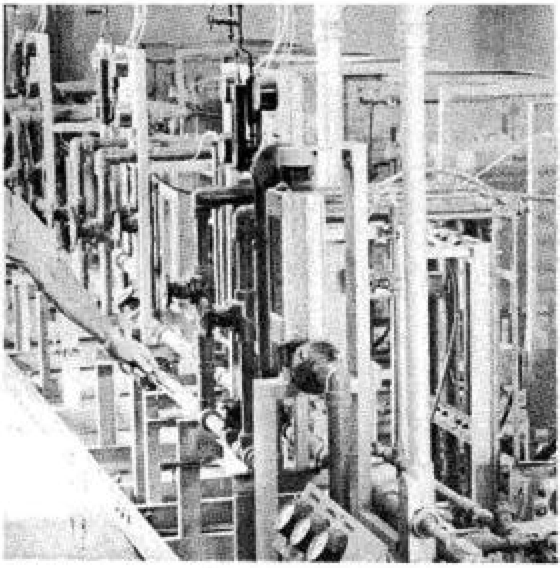
مقطع في طبقة الارض بمنطقة الوفرة

وفي خلال التسعة الاشهر الاولى من هذا العام وضعوا مائة مضخـة جديـدة على مائة بئر .. فاصبح عدد الآبار التي عليها مضخات ٣٠٦ آبار .

وتقول شركة جيتي في تقريرهـا السنوي : « اصبح واضحا انه سينبغي في النهاية تركيب معدات الضخ على جميع آبار طبقتي الايوسين والبرقان ، في حقل الوفرة » .

ان منظر وحدات الضخ في منطقـة الشرق الأوسط أمر غير مالوف ، والحاجـة اليها تثير مشكلات جديدة في المنطقة ، ولكنها أمر لا بـد منه للمحافظة على مستوى الانتاج المطلوب من حقل الوفـرة ..

وبالرغم من هذه الاجراءات فما زالت الارقام البيانية تسجل هبوطا في انتاج الحقل .. حتى



الى اليسار : يعتبر الماء من أهم المشاكل فى المنطقة المحايدة ، فالآبار الجوفية تنتج ماء مالحا لا يصلح للشرب ، لهذا كان الاهالى يعتمدون على الماء المقطر الذى كان يأتيهم من الكويت فى سيارات خاصة .. ولكن تزايد السكان دفع الشركات الى اقامة محطات للتقطير . ترى هنا احداها فى منطقة الوفرة ، انها تفصل الاملاح بطريقة امرارها على الاغشية الكهربائية .. وتنتج ٥٠ ألف جالون ماء يوميا ، ومع ذلك تستورد المنطقة ٣٠ ألف جالون ماء من الكويت يوميا .

انهم يقولون بانه بعد مضي نحو ١٥ عاما ، سيصبح انتاج النفط غير ذى موضوع .. لأنه سيكون غير اقتصادى بالمرة ...

الملح فى النفط

والى جانب ضعف الغاز توجد زيادة فى الملوحة بدأت تظهر فى النفط المستخرج من طبقة الرتاوى .. وتقول شركة جيتي : « ... ان زيادة نسبة الملح فى الزيت الخام تشير الى أنها قد تبلغ حدا يتعذر معه تصريف الزيت فى الأسواق .. وفى عام ١٩٦٣ سدت بعض الآبار التى كان انتاجها يصل الى ٧٠٠٠ برميل يوميا من زيت الرتاوى بسبب ارتفاع نسبة الملح فيها ... »

وقد تم خلال هذا العام تركيب محطة كبيرة فى الوفرة تكلفت مليونى دينار لنزع الاملاح من النفط ..

ويقول الخبراء ان الامل الوحيد لشركتي امين اويل وجيتي ـ اللتين نسق العمل بينهما بواسطة لجنة عمليات مشتركة ـ يتمثل فى اكتشاف حقول جديدة غنية بالنفط ، واعتماد طرق اكثر حداثة فى طريقة الحفر ..

وتحقيقا لهذا القول ، شرعوا فى اعداد خريطة تكوينية جديدة للمنطقة .. وبدأوا أعمال التنقيب بأساليب حديثة رصدوا لها مبالغ كبيرة.

وكللت مجهوداتهم ببعض بالنجاح ، اذ اكتشفوا فى عام ١٩٦٣ حقلا أسموه « جنوب الفوارس » على عمق ٦٥٠٠ قدم ، ولكن النفط المستخرج منه جاء اقل نوعا من نفط حقل الوفرة ، مع ضغط غاز خفيف .. لهذا وضعوا الحقل تحت الاختبار لفحص انتاجه وتعيين حدوده ، وفى نفس الوقت بدأوا ، منذ عام واحد ، فى توصيل انتاجه الى مستودعات الوفرة عبر خط أنابيب قطره ١٢ بوصة .

ان اكتشاف حقل « جنوب الفوارس » لم يكن بالأهمية التى توقعوها ، وبالتالى لم تتوقف أعمال التنقيب الاخرى التى ما زالت تجرى تحت سمع وبصر أهل الوفرة ، وعددهم حوالي ١٠٠٠٠ نسمة نصفهم مستخدمون وموظفون لدى شركتي امين اويل وجيتي والباقون عمال جاءوا للعمل مع المقاولين ، ولتأمين الخدمات الضرورية للوافدين .. او مزارعون أو مستوطنون من القبائل البدو .

ان الوفرة ، التى تعتبر قلب المنطقة المحايدة النابض ما هي فى الواقع الا معسكران صغيران لا يزيد عدد منازلهما عن ٢٠ منزلا مؤقتا بنتهم الشركتان لموظفيهما .. وبعض هذه المنازل ، ما هي الا سيارات كبيرة فرشت بافخر الأثاث لسكن كبار الموظفين ..

ولكن حول هذين المعسكرين الصغيرين تناثرت آلاف الأكواخ والعشش يعيش فيها البدو والعمال الذين جاءوا من السعودية والكويت .. انهم أصبحوا جزءا من المنطقة .. وعددهم فى ازدياد







يقف فوق آبار الخفجي مجموعة كبيرة من الفنيين جاءوا من مختلف الانحاء ..والى اليسار يبدو خلف سعيد أبو ناب ، جاء من الحجاز ويعمل في دائرة الانتاج .. وفي الصورة الثانية يبدو المستر كلاسين الذي جاء من كندا ، ويعمل منذ ثلاث سنوات في راس الخفجي. وقد اشترك حتى الآن في حفر ٢٠ بئرا في المنطقة ، انه يعمل لمدة اسبوعين ويستريح اسبوعا.



الى اليمين : غرفة المراقبة المركزية في راس الخفجي ، ومنها تتم مراقبة وتسيير جميع عمليات الانتاج وتدفق النفط من الآبار. وبواسطة هذه الازرار يمكن ايقاف جميع العمليات في منطقة الخفجي اذا لزم الامر .



جميع الآبار التي حفرت في بحار المنطقة المحايدة كانت آبارا منتجة ، وصل معدل انتاجها اليومي ١٧٤ الف برميل من النفط الخام في العام الماضي . ومن المنتظر أن تصل الكمية المصدرة ١٢ مليون طن هذا العام ، ممكن زيادتها الى ١٦ مليون في حالة العثور على السوق التي تشترى هذا الانتاج .. ومما يذكر ان عدد الآبار المحفورة ٤٩ بئرا . ١٨ منها مزدوجة الانتاج .. ونظرا لوجود هذه الآبار وسط مياه الخليج فانها في حاجة مستمرة الى أعمال الصيانة والاصلاح ، فتنقل اليها منصة الحفر مع الزورق المساعد لسحب الماء المالح والرمال المتسربة الى البئر، وتغيير صمامات الامان،وتفقد الانابيب التي توصل النفط الى مراكز التجمع.

تصوير « اوسكار »



جنة وسط المنطقة المحايدة..تزرع فيها الخضراوات والفواكه التى تصدر الى مدن الكويت والوفرة

مطرد .. ومشاكلهم الكثيرة بدات تطل براسها ، وسوف تزداد هذه المشاكل وتتفاقم عندما يظهر حقل جديد للنفط .. اذ عندها سيتضاعف عدد السكان فى الحال ، وبالتالى ستتضاعف المشاكل .

نفط ... ومـاء

وبينما الشركتان تقومـان بأعمـال البحث عن النفط . كان الاهالى يقومون بالبحث عن الماء!!

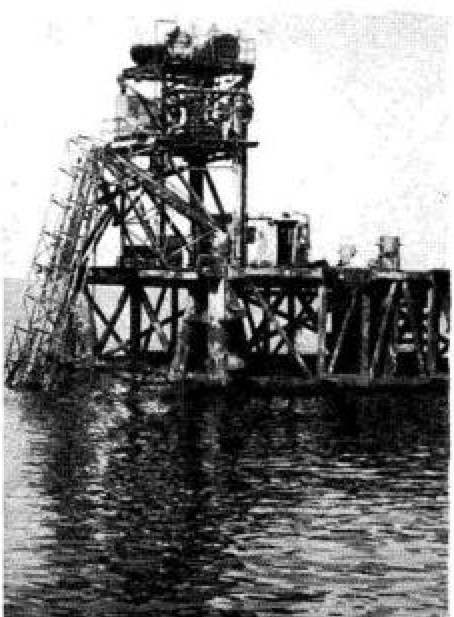
وكان حظهم اسعد حظا من الشركتين ، فقد وجدوا الماء على بعد ١٥ كيلومترا جنوب الوفرة .. وجدوه بغزارة ، وعلى عمق ثلاثة أمتار فقط من سطح الارض ..

سباق البراميل

وما كاد الماء يظهر حتى بدا سباق بالبراميل عجيب بين الاهالى الذين جلبوا البراميل الفارغة وكتبوا عليها اسمهم ، واستاجروا سيارة شحن وضعوا عليها البراميل وساروا بها على خـط دائرى .. وكانوا يلقون بالبراميل الواحد تلـو الاخر على الارض . وبعد انتهاء العملية الغريبة اعلنوا ملكيتهم للارض المحاطة بالبراميل !!

والبعض لم يستطع جلب البراميل فغرس الاوتاد واغصان الاشجار مكانها ليحدد ملكيته للارض !

وبعد تأمين حدود الارض اتجه الاهالى ناحيـة العناية بالزراعة فجلبوا مضخات الماء الى المنطقة، وبدأ الماء يتدفع الى سطح الارض ليحيلها الى جنة خضراء يزرع فيها الباذنجان والبامية والبطيخ والطماطم وسائر الخضراوات وأصبح انتاج هذه المنطقة الصحراوية التى تضم سبع مزارع كبيرة، يساهم فى تموين الكويت والوفرة .



رصيف التحميل التابع لشركة الزيت العربية بعد احتراقه ، وهو الرصيف الذى ترسو بجانبه السفن لتحميلهـا بالبترول الخام ، ويبعد حوالي خمسة كيلومترات عن البر .



مساكن موظفى شركة الزيت العربية فى « الخفجي » وهي معدة على أحدث طراز ومكيفة الهواء مركزيا

افضل اتفاق

وقبل عام ١٩٥٨ كان يقال ان أهمية المنطقة المحايدة لا تكمن فى موقعها ، انما فيما تحتويه طبقاتها الارضية من نفط ..

ولكن فى منتصف عام ١٩٥٨ اصبحت المنطقة البحرية المحايدة تفوق بكنوزها المدفونة المنطقة البرية !

لقد فازت اليابان على الشركات العالمية البترولية وحصلت على امتياز البحث والتنقيب عن البترول فى بحار المنطقة المحايدة لمدة ٤٤٫٥ عاما من الحكومتين السعودية والكويتية .

وكان لتوقيع هذا الاتفاق صدى كبير فى العالم، فلاول مرة تدخل اليابان الى مضمار البترول .. ولاول مرة تأخذ دولة عربية ٥٧٪ من ارباح انتاج النفط .. حتى قالوا انه افضل اتفاق للنفط عقد مع البلاد العربية ، التى تتعامل عادة على أساس اقتسام الأرباح مناصفة ..

٦٠٠٠ برميل فى اليوم

كان الأمل الكبير يداعب خيال اليابانيين فى احتمال وجود النفط بكميات كبيرة تحت « بحر » المنطقة المحايدة .. خاصة وان هذه المنطقة ملاصقة للمنطقة التى فيها « حقل السفانية » الواقع فى المياه الاقليمية السعودية .

وبهذا الأمل بدا حفر بئر تجريبية فى مطلع عام ١٩٦٠ للتأكد من وجود النفط .. وبكمية تجارية .. والكمية التجارية تعنى أن طاقة البئر الانتاجية يجب الا تقل عن ١٥٠٠ برميل يوميا حسب نص الاتفاق ..

وما كاد حفر البئر التجريبي ينتهي حتىفوجئت أوساط البترول العالمية باعلان نبأ اكتشاف البترول تحت بحار المنطقة المحايدة .. وبان قوة البئر الاول هي ٦٠٠٠ برميل يوميا أى اربعة اضعاف المقدار الذى حددوه فى الاتفاقية للكمية الاقتصادية !!

سد الآبار

وما كاد ينقضى العام الاول حتى حفرت تسع آبار كلها ذات انتاج كبير ، على عمق ٥٥٠٠ قدم تقريبا تحت قاع البحر ..

لم يكن احد يتوقع هذا النجاح السريع ... لأن اكتشاف حقل النفط عادة يستغرق عدة سنين .. فاذا هو هنا يكتشف منأول بئرتجريبىيحفر فوقه.

وفوجئت الشركة بتدفق النفط ، ولم تكن قد اكملت بعد مرافق التعبئة ، لهذا اضطرت الى اغلاق الآبار حتى تقيم المنشآت اللازمة !

٥ مليون دولار خسارة

وتحت مياه الخليج اللازوردية اللون بدأت عملية مد شبكة انابيب تربط بين مختلف الآبار وبين مركز التجمع الذى يدفع بالسائل الأسود الى المستودعات على اليابسة ، ويستوعب كل منها ٢٦٨ الف برميل ، ليعاد شحنه من اليابسة عبر الانابيب الى البواخر التى ترسو عند «الفرضة»

الى اليمين : لولا وجود النفط لظلت المنطقة المحايدة منطقة صحراوية قاحلة .. وفى معسكرات الشركات بمناطق الوفرة ، وميناء سعود ، وراس الخفجى ، اقيمت مختلف انواع المنازل ، المؤقت منها والثابت . فمثلا فى منطقة الوفرة جعلوا مساكن كبار الموظفين داخل المقطورات الكبيرة التى تقطرها السيارات خلفها .. ولكنهم اقاموا فوقها سقفا من الصاج لحمايتها من الامطار ووهج الشمس . وفرشوها بافخر انواع الاثاث وجعلوها مكيفة الهواء صيفا وشتاء ... وفى منطقة راس الخفجى اقاموا ٧٠ منزلا جديدا ..

(الصورة السفلى) قام ساكنوها باقامة الحدائق الخضراء حولها ..











٨٠٠ عربي و ١٠٠ ياباني يعيشون في رأس الخفجي .. ولكن الجنس الناعم لم يدخل المنطقة الا منذ عام واحد فقط عندما شيدت الشركة ٧٠ مسكنا وزعتها على العائلات العربية واليابانية . وبوصول المرأة بدأت الحياة الاجتماعية تظهر في رأس الخفجي فبدأ التزاور بين العائلات رغم الصعوبات الكبيرة الموجودة من اختلاف في العقليات والعادات واللغات ..

والى اليسار : أحد محلات البقالة في ميناء سعود، وفيه كل ما يحتاج اليه المرء من مأكولات ، ومعلبات ..

او الرصيف الواقع على بعد ثلاثة أميال من البر ، والذى رست عليه فى العام الماضى ٢١٧ سفينة نقلت ٦٣ مليون برميل من نفط بحار المنطقة المحايدة ..

وهذا الرصيف هو الذى شب فيه الحريق الكبير الذى نتج عنه تدمير الرصيف ، واغراق ناقلة نفط ومقتل ١٣ شخصا .. وقدروا الخسارة بمبلغ ٥ مليون دولار ، دفعتهـا شركات التامين للشركة اليابانية ..

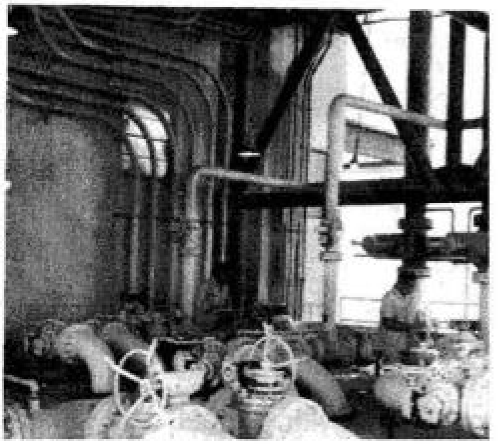
اكثر من ٨٠٠ مليون

وقد تم حتى الآن حفر ٤٩ بئرا منتجة ١٨ منها مزدوجة الانتاج ، أى تخرج النفط من طبقتين مختلفتين من تحت سطح البحر ..

وقدروا كمية احتياطى النفط فى الحقل بنحو ٨٠٠ مليون برميل .. ولكن هذا الرقم اقل بكثير من الواقع ، خاصة بعد اكتشاف حقل الحوت على بعد ٣٥ كيلومترا شمال حقل الخفجى، وعلى عمق ٩٠٠٠ قدم تحت قاع البحر ..

سر التصدير لليابان

ان الانتاج الحالى للشركة اليابانية هو ٦٣ مليون برميل سنويا ، أو بمتوسط قدره ١٧٤



هذا هو مركز تجميع البترول المتدفق من آبار شركة الزيت العربية ، ومنه يمكن التحكم فى كمية البترول التى تخرج من كل بئر . ويبعد هذا المركز من البر حوالي ٢٦ ميلا .

الف برميل فى اليوم .. وهذه الارقام ممكن زيادتها كثيرا ، لكن المضاربات الشديدة الموجودة فى الأسواق العالمية ، توقف الكمية المنتجة منه عند هذا الرقم .. الذى يصدر ٩٩٪ منه الى أسواق اليابان .

وكمية النفط المصدرة لها من زيت الخفجي ، ومقدارها اكثر من ٦٠ مليون طن ، لا تمثل الا ١٢٪ فقط من استهلاك اليابان الذى يتزايد سنويا بمقدار ٢٠٪ .

وسر استهلاك هذه الكميات الهائلة من النفط يكمن فى اتساع نطاق صناعة الكيماويات البترولية باليابان ..

التسويق يعادل الانتاج مشقة

ان صعوبة تصريف انتاج المنطقة المحايدة من النفط نلمسه فى شركتى جيتى واليابانية .. اما شركة امين اويل فانها توزع كل كمياتها عن طريق مكاتبها المنتشرة فى جميع أنحاء العالم ، وخاصة فى اليابان التىهى العميل الاول لشركة أمين أويل!

ان تصريف النفط يخضع لظروف وتيارات عالمية خفية وظاهرة .. تجعل عملية تسويقه اصعب من عملية اخراجه ، فى بعض الاحيان !

وهنا لا بد من التنويه الى نوعية النفط المستخرج من منطقة امتياز شركة الزيت العربية اليابانية الذى يحتوى على كميات ملحوظة من الكبريت وهذا يسبب ضعفا فى تسويقه ، ولولا مساعدة الحكومة اليابانية بفرض جزء من نفط منطقة الخفجي على كل مصنع للتكرير فى اليابان لكان وضع تسويقه اشق واصعب .

العاملون فى المنطقة

ان الحديث عن النفط فى المنطقة المحايدة ، حديث طويل لا ينضب .. ولكن الى جانب النفط بدات حياة العاملين فى هذه الصناعة تاخذ طابع الاستقرار فى المنطقة التى يعملون فيها .

وفى راس الخفجي بدا المعسكر الذى اقيم عام ١٩٦٣ على منطقة صحراوية قاحلة ، بدا يتحول الى مدينة متكاملة ذات ميناء يطل على خليج صغير (خور) كان عمقه ثلاثة اقدام فجرفوا رماله ، حتى أصبح عمقه ١٨ قدما ، واقاموا



هذه هي حقول تخزين النفط في منطقة الوفرة . المستودعات التي الى اليمين تحوي نفط الجانب السعودي. والمستودعات التي الى اليسار تحوي نفط الجانب الكويتي

عليه جسرا يربط بين منطقة المستودعات والورش وبين « المدينة » التي أصبحت مساحتها ٣ مليون قدم مربع ، كاملة المرافق من شبكة خطوط كهربائية .. وشبكة خطوط تليفونية تضم ٤٠٠ خط .. وشبكة مياه تنقل نصف مليون جالون من الماء المقطر يوميا .. وشبكة طرق داخلية مجموعها طوليا حوالى ١٠٠ كيلو متر .. وناد كبير .. وشبكة لتصريف مياه المجاري .. ومستوصف يضم ٤ اطباء وعشرة مساعدين ومضمدين ، استقبلوا بعياداتهم في العام الماضي ٢٧٩٨١ مريضا .. بينما عدد سكان الخفجي لا يتجاوز ٣٠٠٠ نسمة !

أول الغيث

اما المرأة فلم تدخل « مدينة » الخفجي الا منذ عام واحد فقط ، بعد أن تم اعداد ٧٣ منزلا وزعت لسكنى عائلات الموظفين .. من عرب ويابانيين ..

والحياة الاجتماعية ما زالت تحبو في الخفجي بسبب اختلاف اللغة والعادات التي تفصل بين الأسرة العربية والأسرة اليابانية .. الا أن التزاور بينهما قد بدأ ... وفي نفس الوقت تستعد الشركة لادخال تحسينات اجتماعية الى المنطقة لقتل الفراغ وازالة الملل اللذين يحس بهما ساكن الخفجي .

ان المنطقة المحايدة في شكلها الحالي لا تكاد تصلح للحياة لأنه مهما أوتيت شركات البترول من تنظيم ، فانه لا يمكنها أبدا ادارة مدينة وتأمين جميع الخدمات اللازمة لها .. انه واجب الحكومات ، وعلى الشركة يقع عبء مساعدة الحكومات في هذه المهمة ..

وقد احست الحكومتان السعودية والكويتية بهذا الأمر ، فوقعتا في شهر مايو الماضي اتفاقا لتعديل اتفاقية العقير التي وقعت عام ١٩٢٢ بين الملك عبد العزيز آل سعود ملك العربية السعودية وبين صاحب السمو احمد الجابر الصباح شيخ الكويت ، والتي تنص على أن « .. هذه الارض تعتبر مشتركة بين حكومتي نجد والكويت ، ولكل منهما فيها الحقوق المتساوية ، الى أن يتفق اتفاقا آخر بين نجد والكويت بخصوصها .. » .

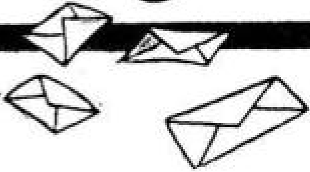
تقسيم اداري فقط

ان الاتفاق الجديد يرمي الى تقسيم المنطقة المحايدة اداريا الى قسمين : سعودي وكويتي ، بحيث تمارس كل دولة حقوق السيادة الكاملة على الجزء الخاص بها .. أما بالنسبة للنفط والمواد الجوفية الاخرى فان المشاركة المتساوية ستستمر بين الدولتين ، دون أن يكون للاتفاق الجديد اي تأثير على امتيازات الشركات أو لعقود الامتيازات .

ان المنطقة المحايدة مقبلة على عهد كله ازدهار وأمل .. الأمل في أن تصبح المنطقة المحايدة قطعة مشابهة لمدينتي الكويت والرياض .. ■■

سليم زبال

أنت تسأل



أحرقوا هذه الكتب

● قرأت فى باب بريد القراء مقالا عنوانه « هذه فلسفة وليست اسلاما » تضمن حملة عنيفة على التصوف .. فأسفت لذلك كثيرا لأن التصوف علم يعرف به الانسان كيف يحكم العمل بالكتاب والسنة ليكون عند الله مقبولا .

وما أنكر المنكرون على الصوفية ألفاظهم وعباراتهم الا لقصور فهمهم عن ادراك معانى كلامهم . اما لماذا لم يعرف هذا الاسم فى عهد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم جميعا فان هؤلاء كانوا فى قمة التصوف ، وما أشبه علم الصوفية بعلم النحو ، فالعرب كانوا يتكلمون العربية بالسليقة ، ولم تكن هناك قواعد يتعلمونها فى مدارسهم فلما خيف على اللغة العربية الضياع امر سيدنا على (رض) أبا الاسود الدؤلى بوضع قواعد اللغة العربية ، وكذلك التصوف فان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يستمدون من النبى فتتزكى نفوسهم، ثم انتقل الرسول الاعظم الى الرفيق الاعلى فأصبح الناس يستمدون من الصحابة ، وهى دون دائرة الرسول ، ثم من التابعين ، وهكذا ، فلما خيف على النفوس الا تزكى وضع الصوفيون قواعد وأحكاما ، ووجد مربون يعلمون الناس ويرشدونهم الى تزكية النفس واخراج الاحقاد والاضغان والكبر من القلوب ، فيتقربون بذلك الى علام الغيوب ..

اما القول عن الشريعة والحقيقة فقد عرفهما تعالى بقوله « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » فامتثال أمر الظاهر يوجب علينا اقامة الشريعة على الجوارح ، وامتثال امر الباطن يوجب علينا أوامر الشريعة على الباطن وهو القلب ، وتصفية القلب من الرذائل وتحليته بالفضائل هى « الطريقة » ، اما « الحقيقة » فهى ثمرة المجاهدة فى الظاهر والباطن .

أما ألفاظ الصوفية التى يعترض عليها المعترضون كالفناء والمحبة والبقاء وغيرها فمعناها جميعا صحيح ، فهم يقصدون بالفناء فناء الانسان عن هوى نفسه فاذا فنى العبد عن هوى نفسه بقى بربه ، اى بقى مطيعا لاوامر ربه ، والفناء لا يكون الا بالمجاهدة وقد أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم بها فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر جهاد النفس والهوى .

اما قولهم من لا شيخ له فشيخه الشيطان فمرجعه الحديث « انما يأكل الذئب من الغنم القاصية » فمن لم يسترشد بمرشد أكله ذئب المعاصى التى هى الطريق الى النار . والحمد لله رب العالمين .

المحامى محمد سليم شربانى — دمشق
استاذ فى العلوم

ــ استميح الأستاذ شربانى عذرا فى اننى اقتطعت من مقاله بعض فقرات التعريف



يرد على هذا الباب
عبد الوارث كبير

ونحن نجيب

لِتُنْقِذُوا سُمْعَةَ الدِّين !

بالصوفية ، ورجالها ، فذلك ما لا يتسع له هذا الباب .. ثم احب ان اقول له ان الذين يحملون على الصوفية معذورون الى حد كبير ، فهم لا ريب قد قرأوا كتب التصوف مثل « فصوص الحكم » و « مواقع النجوم » و « ترجمان الاشواق »، وكلها لابن عربى الذى يسميه الصوفية « الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر » .. او قرأوا « الانسان الكامل » للجيلى « العارف الربانى والمعدن الصمدانى » كما يزعمون ، او ديوان ابن الفارض الملقب بسلطان العاشقين ، او « الطبقات » للشعرانى وغيرها .. أفتعرف يا سيدى ما فى هذه الكتب ؟

يقول « ابن عربى » فى « الفصوص » ان الله يتجلى اعظم ما يتجلى ، فى صورة المراة ! وانه ـ اى الله ـ يكون ، وقت اتصال الرجل والمراة جنسيا، فى مظاهر ثلاثة: فاعل..ومنفعل .. ثم فاعل ومنفعل معا فى وقت واحد !

ثم يمضى « الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر » فى شرح نظريته بكلام يعف القلم عن ان يكتبه ، الى ان ينتهى من شرحه بقوله : « فلهذا أحَبَّ صلى الله عليه وسلم النساء لكمال شهود الحق فيهن ، اذ لا يُشاهَدُ الحقُّ مجردا عن المواد ابدا » ؟

ولا يكتفى « الشيخ الاكبر » بان الله يتجلى فى المراة وحدها ، وانما يقول انه يتجلى فى الحجر او الشجر او الحيوان..حتى الكلاب !!

يقول بهاء الدين البيطار فى كتابه « النفحات الاقدسية » :

وما الكلب والخنزير الا الهنا
وما الله الا راهب فى كنيسة !!

واما ابن الفارض « سلطان العاشقين » فلا فرق عنده بين نفسه وبين ربه ، فهو الخالق والمخلوق ، اذا دعى ابن الفارض اجاب لانهما اثنان فى واحد او واحد فى اثنين .. لا أدرى !

وهو الآخر ، كابن عربى ، يتحدث عن الله سبحانه ـ فى قصيدته التائية ـ وكأن ذاته الالهية لا تتجلى الا فى الانوثة !

« وتظهر للعشاق فى كل مظهر
من اللَّبس فى أشكال حُسْنٍ بديعةِ
ففى مرة لُبنَى ، واخرى بثينة
وآونة تدعى بعزة عزَّتِ
ولسن سواها ، لا ولاكُنَّ غيرها
وما أن لها فى حسنها من شريكةِ »

ويقول « الجيلى » بعد ان صير نفسه الها :

لي الملك فى الدارين ، لم أر فيهما
سواى ، فأرجو فضله أو فأخشاه !
وقد حزت أنواع الكمال وانني
جمال جلال الكل ، ما أنا الا هُو !
فانيَّ ذاك الكل ، والكل مشهدى
انا المتجلى فى حقيقته ، لا هُو !
وانّيَ رب للانام وَسيِّدٌ
جميعُ الورى اسمى ، وذاتى مسماه !

ويتحدث الشعرانى فى « الطبقات الكبرى » عن أئمة الصوفية مثل « الرحمانيين » وهم

ثلاثة « يجلسون عند الدجى عرايا على حجر مليح ، ويسمعون الوحى ، ويفهمون المراد » ! .. وعن الشيخ ابراهيم العريان فيقول : « كان يصعد المنبر عريانا ، ويخطب الناس فيقول : « السلطان .. ودمياط .. باب اللوق .. وبين الصورين .. وجامع ابن طولون .. والحمد من رب العالمين » .. فيحصل للناس بسط عظيم !! » .

وليس الذى ذكرت لك الا قطرة من بحر مما تفيض به كتب الصوفية من اشياء غير معقولة ، فان سألتهم عنها قالوا انها كنايات « باطنية » لا يفهم معناها الا الراسخون فى العلم ، والواصلون الى الذات العقلية !!

أفلا يكون المخلصون من المسلمين معذورين ، اذا ما تشكك منهم متشكك فى أهداف الصوفية وعقيدتها ؟

ثم اليس اجدى بمتصوفة هذا العصر ، ومنهم علماء اجلاء ، أن يتبرّءوا من هذه الكتب ومؤلفيها ، أو على الاقل ان يقرروا انها مدسوسة على شيوخهم الكبار ، أسوة بما دُسّ على تفسير القرآن من الاسرائيليات ، وأن يعودوا الى كتاب الله وسنة رسوله بغير كناية ولا تأويل ؟!

الا ليتهم يفعلون ..

اطلبى الطلاق منه والشرع والقانون فى صفك

● أنا سيدة أبلغ من العمر ٢٣ سنة متعلمة ومتزوجة من رجل يكبرنى ب ١٨ سنة ، نصف متعلم .. لم تكن لى يد فى زواجى ، بل ارغمنى عليه أهلى ، لان التقاليد لا تسمح للفتاة باختيار عريسها .. كل ما أريد أن أقوله بأن مدة زواجي منه وهى ثلاث سنوات ، مرّت وكأنها ثلاثة قرون ، كلها عذاب وشقاء . وذلك لاننى لا أشعر نحوه بأى حب او حتى مجرد رغبة فى معاشرته ، بل حتى اننى لا أكنّ له ذرّة من الاحترام .. جسمى يقشعر بمجرد قربه مني .. لا أؤدى واجباتى الزوجية الا بالضرب، لانني أكرهه.. لم أنجب منه اولادا فى هذه المدة ، حتى أضحّيّ بشبابى من أجلهم.. طالبته بطلاقى ولكنه أنانى متمسك بى.. مع العلم بأنه يعرف حقيقة شعورى نحوه .. أريد أن انفصل منه .. هل هناك حل أجده عندكم يخلصنى منه واستريح ؟!

ان الموت اصبح عندى أفضل من الحياة معه ، فما هى الوسائل التى أسلكها حتى استرد حريتى ؟!

جوهرة — عدن

ــ ان اجبار الفتاة على الزواج من شخص لا تريده ، أمر مخالف للشريعة والقانون ، وان يكن احدى بقايا التقاليد المتعفنة التى ما تزال تسيطر

هذه أنانية

● خطبت فتاة أحبها كثيرا ، وهى ايضا تحبنى كثيرا ، ومشكلتى هى اننى أخاف ان ينهدم بيت الزوجية فى المستقبل بسبب فارق الثقافة بيننا .. فهى مصممة على الانتهاء من دراستها الجامعية حتى السنة الاخيرة وأنا لست جامعيا . ولكن لديّ « التوجيهية » وخبرة الحياة الطويلة التى تعد أكبر جامعة . بالاضافة الى اطلاعي على الكتب الادبية او العلمية او اى كتاب يقع تحت يدى ، ولكننى اعتقد ان الفتاة العربية والشرقية تصاب بالغرور اذا ما حصلت على شهادة عالية لا يحملها زوجها . لماذا لا تترك هى الجامعة مثلا لتتزوج ، فلا يكون بيننا اى فارق اجتماعى او ثقافى او مادى ؟!

ربما تعتقد هى أن شهادة الجامعة تؤمّن مستقبلها فى حالة حدوث خلاف أو طلاق، وكثير من الفتيات يفكّرن بهذه الطريقة . فلماذا

أيهـا العريس !

تصاب الفتيات بهذا النوع من الهواجس والافكار ! ولماذا يتوقعن الشر دون الخير ؟!

لى صديق متزوج من جامعية وهو ليس جامعيا ، ولقد حذرنى كثيرا من أن أقع فى ما وقع فيه .. أرجوك أن ترشدنى للطريق الصحيح وشكرا .

الكويت س.س

ــ هذه أنانية منك غير مستحبة .. فانت لا تريد بتوقفها عند الدراسة الثانوية ازالة الفوارق كما تقول ، وانما تريد ان تشعرها بانك انت الرجل..السيد المسيطر الذى لا يعارضه فى البيت معارض ! أليس كذلك ؟!

انك خائف على مصيرك كسيد مطاع ، وحاكم بأمره فى منزله ، لانه هو الرجل .. وهو الطاعم الكاسى .

أما خطيبتك فاعقل منك وأكثر تفهما لواقع الحياة .. ولا غبار عليها اذا ما كانت تريد أن تؤمن مستقبلها اذا ما حدث بينكما خلاف فى يوم من الايام .. هذا حقها ، بل هذا واجبها ، وهو لا يضيرك فى شيء ، بل قد ينفعك من حيث لا تدرى !

اليس من الجائز أن تصاب ــ لا قدر الله ــ بما يعجزك عن الانفاق على نفسك وزوجتك واولادك فى يوم من الايام ؟! كل شيء جائز .. وعندها ستجد هى ــ الزوجة المخلصة والأم الرؤوم ــ فى راتبها أو ما تربحه من عملها ، ما تنفقه على أسرتها ، بدلا من أن تتشرد هى واولادها فى الشوارع أو فى بيوت الاهل والاقارب .

فان كنت تحبها حقا فلا تعترض رغبتها فى اتمام دراستها الجامعية ، ولا تكن انانيا حتى تضحى بمستقبلها فى سبيل ارضاء نزوة السيطرة والسلطان فى نفسك !

والا فدعها ، ولا تقف فى طريقها ، يرزقها الله خيرا منك ، وقد يرزقك خيرا منها ..

على بعض اقطار الوطن العربى والعالم الاسلامى . فقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم باختيار الزوج زوجته ، والزوجة زوجها ، فان اختيار العشير وشريك العمر هو اعظم الامور خطرا فى حياة الزوجين ، وفى ذلك احاديث نبوية صحيحة ، منها قوله (ص) : « الأيّم أحقّ بنفسها من وَليها » اى ان المراة غير المتزوجة التى تريد الزواج أحق من غيرها فى اختيار زوجها .

وبهذا اخذ ابو حنيفة ، فقرر انفراد المراة باختيار زوجها ، من غير رضى وليها ، ما دامت بالغة عاقلة .. ولكن خالفه فى ذلك بقية الفقهاء فاباحوا لاهلها التدخل فى اختيار الزوج ، من غير ان يرغموها على زوج معين ما دامت بالغة عاقلة .. فاذا اختارت هى لنفسها زوجا كفؤا لا عيب فيه ، وعارض أهلها فى زوجها أو عملوا على منعها من اتمامه بقصد مضايقتها او الاضرار بها ، كان لها ان تطلب من القاضى ان يتولى تزويجها منعا لظلم أوليائها ..

وقد تنبهت قوانين الاحوال الشخصية فى معظم البلاد الاسلامية الى أهمية هذا المبدأ،وما يعترضه من التقاليد الموروثة التى تسلب المرأة حق اختيار زوجها ، فاباح لها الشرع فى هذه الحالة ان تطلب الطلاق للضرر أو الضرار ..

وما دمت تكرهين زوجك الى هذا الحد الذى تصفين فى رسالتك،وهو يأبى ان يسرّحك بالمعروف، وما دام زواجك به تم رغم ارادتك وبضغط من اهلك، فليس أمامك الا ان ترفعى امره الى القضاء طالبة الطلاق منه ، ولو أدى ذلك الى تنازلك عن النفقة ومؤخر الصداق ، فذلك خير من ان تلقى بقية عمرك فى هذا الجحيم الذى عنه تتحدثين ..

أما تراثنا الأدبي فنعم ..

وأما تراثنا العلمي ففيه كلام كثير!

● نسمع في هذه الايام نغمة جديدة ، وخطيرة ، يتغنى بها بعض الذين يسمون انفسهم « مجددين » ، من رجال الصحافة والادب على السواء .. هذه النغمة النشاز تحاول أن تحط من قدر تراثنا الادبي والعلمي ، وتقول ان كل جهد يبذل في محاولة بعث هذا التراث أو اخراجه من أكفانه ، جهد مضيَّع ، لأن هذا التراث لم يعد له اليوم مكان في عصر الذرة والصواريخ !

ان لنا من تراثنا القديم ثروات وكنوزاً لا تقدر بثمن ، سواء في العلم أو في الادب أو في الفلسفة أو في الطب أو في الكيمياء ، أو في الفلك والرياضيات أو علم الاجتماع .. وحسبنا أن نحصي ما ترك لنا علماؤنا الأقدمون من أمثال ابن رشد وابن حيان وابن النفيس وابن خلدون وابن سينا والفارابي وغيرهم ، ونقارن بينه وبين ما يدرس اليوم من هذه العلوم والفنون ، فنجد أن من حقنا أن نفاخر بهم وبما تركوا لنا من تراث يجب أن نعمل على بعثه والحفاظ عليه ، لنثبت للعالم الحاضر أننا لسنا أقل من الغربيين الذين فجروا الذرة واخترعوا الاقمار الصناعية والصواريخ!

بيروت سالم محمد علي

ــ اما أن نعمل على احياء التراث العربي فأمر بديهي .. وهاهي ذي وزارة الارشاد والانباء ، في الكويت ، وأخوات لها في كثير من البلاد العربية ، لا تألو جهداً في العمل على نشر ذلك التراث ، حتى لقد بلغ ما أصدرته وزارة الارشاد بالكويت أكثر من خمسة عشر كتاباً ، آخرها الجزء الاول من « تاج العروس » وهو يقع في نحو ستمائة صفحة بعد مراجعته وتحقيقه ..

ونحن نقر الدعوة الى نشر التراث العربي في الادب ، وفي الدين ، وفي اللغة ، وما شابه ذلك من الامور النظرية ، وان كنا لا نشجع قط على نشر التراث الخاص بتفسير القرآن أو بالاحاديث النبوية الا بعد تنقيتها مما فيها من شوائب وخرافات ..

أما « العلوم » فلنا في نشر التراث العربي منها رأي آخر ، ما نظنه يرضي الكثيرين !

ان تراثنا العربي في الطب أو الكيمياء أو الفلك أو الرياضيات أو غيرها من العلوم البحتة ، على العين والرأس ، ونحن نشكر لأصحابه جهودهم وما وصلوا اليه .. اما أن يراد بنا أن نعترف بأن فيه غناء واستغناء ، فاسمح لي أن أقول لك ، بكل احترام : هذا كلام فارغ !

لا بأس عندنا من أن نحيي هذا التراث احياء تاريخ وذكرى ، ولنقول اننا لم تكن أمة جاهلة ، أما أن نحييه لننتفع به في حاضرنا فجهل ليس بعده جهل !

والعجيب ان الذين يدعون الى احياء التراث العربي العلمي للاستفادة به ، يربطون دعوتهم هذه بدعوة القومية العربية ..

ان الانسياق وراء العواطف في هذا المجال يؤخر الامة العربية ولا يقدمها ، ويؤذي القومية العربية ولا ينفعها . انما الذي ينفعها هو أن نأخذ ما أسس أجدادنا في هذه العلوم والفنون ونبني فوقه ، ونزيد عليه ، تماما كما فعل الغربيون ، لا أن نفاخر به ونحن عن الاتيان بمثله عاجزون ..

ورحم الله الشاعر اذ يقول :

ان الفتى من يقول ها أنذا ليس الفتى من يقول كان أبي :

نقد
كتاب
الشهر

دَوْرُ العرب في تَكْوين الفِكرِ الأُورُوبي

لمؤلفه الدكتور عبد الرحمن بدوى

بقلم : الدكتور محمود السمره

■ كثيرة هي الكتب التى تعالج هذا الموضوع ، وخاصة فى اللغات الاوروبية . والكتابة الموضوعية العلمية فى هذا الميدان صعبة عسيرة لما تتطلبه من دقة وتقص وتحليل . أما ان يضع الكاتب دراسة استهوائية فى هذا الموضوع ، فسهل جدا ، وما عليه الا ان يجمع من كل كاتب سبق له ان الف فى هذا الموضوع ، ما قاله فى سبق العرب ، واثرهم فى تكوين الفكر الاوروبي ، مهملا ما قيل من آراء مناقضة ، وغير عابىء بالموازنة بين الاقوال ، والسعي الى تبين الحقيقة .



وهذا الكتاب ، كما يقرر مؤلفه الدكتور عبد الرحمن بدوى ، انما قصد به ان يرسم خطوطا اجمالية لدور الفكر

العربي فى تكوين الفكر الاوروبي . وهو فى حقيقته كذلك .

الاندلس وصقلية نقطتا الالتقاء

وقد أشار الدكتور بدوى فى المقدمة الى ان التقاء الفكرين العربي والغربي قد تم فى منطقتين : فى الاندلس وخاصة فى مدينة طليطلة ، وفى صقلية وجنوبي ايطاليا وخاصة فى عهد ملكي النورمان روجر الثاني (ت ١١٥٧ م) وفردريك الثاني (ت ١٢٥٠ م) .

وقد بدأ التقاء الثقافتين فى الاندلس برحلة جربير (أو جربرت) دى أورياك الى قرطبة طلبا للحكمة . وجربير هذا هو الذى اصبح فيما بعد البابا سلفستر الثاني . وقد دار حول البابا سلفستر الثاني ورحلته الى الاندلس لطلب العلم كلام كثير : فبعض المؤرخين يؤكد هذه الرحلة، وبعضهم الاخر ينكرها . ولكن الكثرة الساحقة منهم ترى ان البابا قد قضى ثلاث سنوات (٩٦٧ ـ ٩٧٠ م) يطلب العلم فى الاندلس ، وكان لهذا اثره فى نشر العلم العربي فى أوروبا المسيحية .

ولطرافة ما يدور حول حياة هذا البابا أحب ان أزيد فأقول ان الكتب تروى انه فى عام ٩٤٥ م وضعت يد مجهولة طفلا ملفوفا بقماط بال امام دير أورياك ، فالتقط الرهبان الطفل ، وحدبوا عليه ورعوه ، وأطلقوا عليه اسم جربير ، ونسبوه الى ديرهم فاصبح اسمه جربير دى اورياك . وعندما كان جربير فى سن العشرين زار الدير الكونت بوريل البرشلونى ، فاعجب بذكاء هذا الفتى ، واستأذن له من الرهبان ان يصحبه معه الى بلدته . وكانت تدور بين الكونت والعرب معارك كان يهزم فيها ، لهذا ارسل مندوبه الاسقف هاتو Hatto ، واستاذ جربير ، الى قرطبة لطلب الصلح .

وعندما عاد هاتو من سفارته الى الاندلس أخذ يحدث تلميذه عن تقدم العرب العلمي والادبي ، ويقص عليه اخبار علمائهم وشعرائهم وحضارتهم ، فسحر الفتى جربير بهذه الاحاديث ، وتعلق بالعرب ، وقرر السفر الى الاندلس لدراسة الرياضيات والفلك . وفى الاندلس تعلم جربير اشياء لم يكن يحلم بها احد فى الغرب .

وتدور الايام فاذا بالطفل اللقيط يصبح البابا سلفستر الثاني .

وفى الاندلس وفى طليطلة تم الالتقاء الحقيقي بين الفكرين العربي والاوروبي ، وذلك بعد أن استردها الاسبان سنة ١٠٨٥ م . وقد كانت طليطلة مركزا ثقافيا هاما ، بها كثير من المكتبات العامرة بالكتب القيمة ، واليها نقل جزء من مكتبة الحكم الثاني ، والاف من المجلدات أتي بها من المشرق . واشتهرت طليطلة بمترجميها الذين اهتموا اولا بنقل العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية . ومن أشهر هؤلاء المترجمين الشماس دومنجو غتصالبه (ت ١١٨٠ م) ، أشهر رجال الترجمة فى العصر الوسيط من العربية الى اللاتينية عن طريق الاسبانية العامية . وكانت طريقة غتصالبه فى الترجمة ان يستمع الى يهودى يترجم له النص العربي بالاسبانية العامية ، فيضعه هو باللاتينية. وبهذه الطريقة ترجم بعض مؤلفات الفارابي ، وابن سينا ، والغزالي وغيرهم .

★ ★ ★

وفى صقلية كان الالتقاء الثاني بين الفكرين العربي والغربي . وكان العرب قد فتحوا صقلية سنة ٢١٢ هـ على يد الاغالبة ، ثم استولى عليها النورمان سنة ٤٨٤ هـ . وقد ظل التأثير العربي واضحا فى صقلية طوال حكم النورمان . وكان روجر الثاني ، أحد ملوكهم ، يحيا فى بلاطه حياة الخلفاء الفاطميين فى مصر ، فكان يرتدى العباءة العربية المزينة بالحروف العربية الكوفية . وانشأ اكاديمية لترجمة العلوم العربية يعمل فيها المسلمون والمسيحيون واليهود . وحركة الترجمة هذه شبيهة بحركة الترجمة فى طليطلة ، وان تأخرت عنها عشرات السنين .

ومن أشهر الكتب التي ترجمت فى نقطتي الالتقاء هاتين : كتاب المجسطي لبطليموس من العربية الى اللاتينية حوالي سنة ١١٦٠ م ، وكتاب المناظر لبطليموس ايضا ، ومؤلفات جالينوس الطبية ، والقرآن الكريم ، وبعض الكتب فى علم التوحيد ، وشرح ابن رشد على كتاب « الاخلاق » لارسطو ، وتلخيص كتاب « الخطابة » لابن رشد . وترجمت كتب الى اللغة الاسبانية منها : كليلة ودمنة ، وعشرات من كتب الفلك .

هذه اشارة بالغة الايجاز الى أثر الفكر العربي

في تكوين الفكر الاوروبي عن طريق الترجمة . ولكن هناك جوانب اخرى بالغة الاهمية .

اثر الادب العربي في تكون الشعر الاوروبي

وقد اعتمد المؤلف في هذا الفصل على مصدرين اسبانيين لا ثالث لهما هما ، « تاريخ الفكر الاندلسي » تاليف بالنثيا وترجمة الدكتور حسين مؤنس ، و « اسبانيا حلقة الاتصال بين المسيحية والاسلام » تاليف بيدال . ولكن ما كتب حول هذا الموضوع كثير .

وقد جارى الدكتور بدوى المؤلفين في رأيهما حول اثر الادب العربي في تكون الشعر الاوروبي ، فهو يرى ان الشعر العربي الاندلسي في الموشحات والازجال قد انطوى على المرحلة الاولى لنشأة الشعر ، الاسباني نفسه ، كما اثر في نشأة الشعر الاوروبي . ويذكر من الشعراء المجيدين في الموشحات احمد بن عبد ربه صاحب كتاب « العقد الفريد » .

ويرى الدكتور بدوى رأى (بيدال) الذى يقول ان تاثير الادب العربي قد تجاوز طريقة النظم ، وامتد الى طريقة علاج الموضوعات : ففكرة الحب النبيل التى تسود الغزل في الشعر البروفنسالي ماخوذة عن الشعر الاندلسي ، وازجال ابن قزمان . ويدعم بيدال رأيه هذا بقوله ان هذه الفكرة قد عرضها ابن حزم في « طوق الحمامة » ، وهي موجودة ايضا في شعر الحكم الاول (ت ٢٠٦ هـ) ، وشعر ابن زيدون في ولادة .

ويرى مؤلف الكتاب ان القصص العربي ايضا قد اثر في نشأة الادب القصصي في أوروبا ، ويستشهد على ذلك بان بدرو الفونسو قد قام بترجمة ثلاثين أقصوصة من العربية الى اللاتينية ، كما ترجمت « كليلة ودمنة » الى الاسبانية في عصر الفونسو الحكيم حوالي سنة ١٢٥٠ م ، وتسربت بعض قصص « الف ليلة وليلة » الى الاندلس فاثرت حتى في لوب دى فيجا أكبر كتاب المسرح الاسباني .

هذه خلاصة ما جاء به بالنثيا وبيدال ، واخذ به الدكتور بدوى .

واحب ان اضيف ان من انصار هذا الرأى ، اى ان الموشحات فن عربي واثر في الشعر الاوروبي الاستاذ نيكل (١) ، فهو يقول ان شعراء الغرام الطروبيين (المنسنجرز) هم الذين تأثروا بالموشحات ، ويسوق الحجج والادلة التى تثبت رأيه .

ولكن هناك للقضية وجه آخر ينقض هذا الرأى ، ويقول به باحثون عرب واجانب . وهذا الفريق يرى ان الموشحات نشأت تقليدا للشعر الغنائي العجمي عند التروبادورز والمنسنجرز ، وقد مات هذا الشعر الغنائي العجمي لانه لم يكن من الادب المكتوب ، وانما كان من الادب الذى يتناقله رواة ، ولم يبق منه الا ما اقتطفه منه العرب واليهود مكتوبا بالعربية او العبرية ، وهو قليل .

يقول الاستاذ جب Gibb (٢) : ان من المحتمل ان يكون مخترعو الموشحات قد تأثروا بالاغاني الشعبية الاسبانية والبروفانسية المتأثرة بالتراتيل المسيحية .

ويقول بطرس البستاني في كتابه (ادباء العرب) : ان العرب في اسبانيا قد سمعوا اناشيد الجونكلير ، وهم جماعات عرفوا في غاليه (فرنسا) بين القرنين السابع والثامن ، وكانوا يطوفون البلاد رجالا ونساء ، ينشدون الناس اناشيدهم الحماسية والغرامية في الطرقات ، فنبههم ذلك الى استنباط اناشيد للغناء طليقة القوافي والاوزان تولد منها فن الموشحات . وقد ضاعت اناشيد الجونكلير لانها لم تكن مكتوبة ، ولكنها تركت آثارها في اشعار الطروبيين التى ظهرت في جنوبي فرنسا في الوقت نفسه الذى ظهرت فيه الموشحات الاندلسية . فالبستاني يرى ان الموشحات واشعار الطروبيين انبثقت من اصل واحد هو اغاني الجونكلير . كما يرى ان الموشحات ليست عربية ، وانما هي متأثرة بالادب الاسباني والفرنسي ، فهي مستعربة كاهل الاندلس انفسهم .

والارجح في رأيي ان الموشحات فن استوحاه

---

(1) Mykl, R. A. , Hispano - Arabic Poetry. Baltimore 1946 .
(2) Gibb, Arabic Literature .

عرب الاندلس من الاغاني الاعجمية ، ذلك لان هذا الفن لم يزدهر في المشرق العربي ، وقد علل كبار ادبائنا القدامى هذا بان البيئة في المشرق العربي لاتساعد على ازدهار فن التوشيح ، وفي رأيهم ان هذا الفن لا يبرز فيه الا من عاش في بيئةاندلسية. ومن هذا نستنتج انه كان في الاندلس ما يساعد على ظهور الموشحات ، وان هذا العامل كان مفقودا في البيئة العربية في المشرق .

ولعل ما يؤيد هذا الرأى ازدراء كبار الأدباء للموشحات لانها في نظرهم دخيلة : فالعلماء الاجلاء قد امتنعوا عن ايراد الموشحات في مصنفاتهم ، فلم يورد ابن بسام موشحا واحدا في كتابه الشهير « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » ، وهو الكتاب الذى يعد جامعا لأفضل ما نظمه شعراء الاندلس . وقد بلغ من احتقار الفتح بن عبد الله القيسي للموشحات انه لم يشر اليها في كتابيه « قلائد العقيان » و « مطمح الانفس » ، مع انه قد ترجم لعدد من الشعراء الذين اشتهروا بنظم الموشحات ، ولكنه لم يورد لهم الا شعرا تقليديا. أما عبد الواحد المراكشي فقد اعتذر عن ايراد الموشحات اعتذارا طريفا فقال : « انه لم تجر العادة بايرادها في الكتب المجلدة المخلدة » .

وهذا القول يقودنا الى مناقشة ما اقتبسه الدكتور بدوى وسلم به من أن من أوائل من نظموا الموشحات ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » ، وهو الأديب المعروف . والارجح أن هذه النسبة غير صحيحة ، ذلك لان كبار الادباء قد ترفعوا عن نظم الموشحات الا في العصور المتاخرة . ثم ان صاحب « العقد الفريد » لم يرو له حتى موشح واحد . والاقرب الى الصواب أن ابن عبد ربه هذا ليس صاحب « العقد الفريد » ، وانما هو ابن اخيه سعيد بن عبدالرحمن ابن محمد بن عبد ربه ، وكان من الوشاحين .

دور العرب في تكوين الفكر العلمي الاوروبي

في رأيي أن اثر العرب في تكوين الفكر العلمي الأوروبي أوضح من أثرهم في تكوين الادب الأوروبي. وقد اثر العرب في الفكر العلمي الاوروبي بمختلف فروعه : في الطب ، والفيزياء، والكيمياء ،والفلك، والرياضيات .

ففي ميدان الرياضيات كان العرب هم الذين ادخلوا النظام العشرى في العدد ، وما يسميه الاوروبيون بالارقام العربية هي ارقام عربية فعلا ، بينما الأرقام التي نكتبها في المشرق العربي ارقام هندوستانية .

وقد دخلت الرياضيات العربية اوروبا على يد ليوناردو دى بيزا في القرن الثالث عشر . ومن أشهر الرياضيين العرب الذين ترجمت مؤلفاتهم الى اللاتينية : الخوارزمي الذى برز في عصر المامون . وقد ترجم له كتاب لا نعرف منه غير عنوانه اللاتيني ، ونشر في روما سنة ١٨٥٧ ، وفيه يشرح النظام العشرى مستعملا الارقام الهندوستانية . اما أشهر كتاب عرفته اوروبا للخوارزمي فهو كتاب « حساب الجبر والمقابلة » الذى درس فيه تحويل المعادلات وحلها. وقد نشر روزن Rosen النص العربي مع ترجمة انجليزية في لندن سنة ١٨٥١ .

وبرز ابناء موسى بن شاكر الثلاثة الذين عاشوا في القرن الثالث الهجرى ، في الحساب والفلك والميكانيكا . وحياة والدهم موسى بن شاكر ، وما قدمه وقدموه في ميدان العلم ، تكون قصة من اطرف القصص واكثرها امتاعا ، وقد عرضنا لها عند تقديمنا في هذا الباب لكتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » للمستشرقة الالمانية زيغريد هونكه .

وفي ميدان الفلك اخترع العرب وصنعوا آلات جديدة للرصد مكنتهم من كثير من الاكتشافات ، وجعلتهم يعدلون فلك بطليموس : فالبتاني اكتشف تغير أوج الشمس وحسب السنة بمقدار ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و٤٦ دقيقة و٢٤ ثانية . والفلكيون اليوم يحسبونها بمقدار ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٧ ثانية .

وقد أولى العرب القمر اهتماما كبيرا لأن سنتهم قمرية، فانتهى أبو الوفاء البوزجاني (٩٤٠-٩٩٨م) الى اكتشاف التغيرات القمرية ، ووضع البتاني نظرية عن حركات عطارد .

وبرز ابن الهيثم (ت ١٠٢٩ م) في علم

البصريات ، وترجم كتابه الى اللاتينية سنة ١٥٧٢ . وقام العرب في ميدان الطب باكتشافات جعلت أوروبا تعتمد عليهم في دراسة الطب مدة تزيد عن اربعة قرون . واضافوا الكثير الى علم صناعة الادوية مستعينين بأبحاث علماء النبات ، وانشأوا ونظموا المستشفيات العامة التي كان يعالج فيها المرضى على حساب الدولة .

واحب أن أرسم صورة لمدى اهتمام المسلمين باقامة المستشفيات والعناية بها . فالروايات تحدثنا أنه عندما اراد السلطان عضد الدولة أن يبني مستشفى جديدا في مدينة بغداد طلب من الرازي ان يبحث عن أحسن مكان لاقامته ، فاوصى الرازي خدمه بتعليق قطع كبيرة من اللحم من مختلف الأنواع في كل أطراف بغداد ، ثم انتظر مدة أربع وعشرين ساعة ، وانتقى المكان الذي ظل فيه اللحم أقل سوءا من غيره .

واختار السلطان صلاح الدين الأيوبي أحد قصوره الفخمة في القاهرة ليكون مستشفى سمي « المستشفى الناصري » ، واختار هذا القصر بعيدا عن الضوضاء لراحة المرضى . وبنى السلطان نور الدين زنكي « المستشفى النوري » بدمشق من الأموال التي اخذها لقاء اطلاق حرية ملك الفرنجة .

ولم يكن بناء المستشفيات مقصورا على الخلفاء والسلاطين والأغنياء ، وانما قام بتأسيسها أيضا الأطباء .

واشهر الأطباء العرب محمد بن زكريا الرازي (ت ٩٢٣ م) الذي يعد كتابه « الحاوي » دائرة معارف طبية . وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية وطبع سنة ١٤٨٦ م . كما ترجم كتابه « المنصوري » أيضا وطبع سنة ١٤٨١ م ، وكتاب آخر صغير عن الجدري والحصبة .

ويأتي بعد الرازي ابن سينا (ت ١٠٣٧ م) الذي كان كتابه « القانون في الطب » ، الى جانب « الحاوي » ، عمدة الدراسة الطبية في مدارس أوروبا الطبية لمدة ستة قرون . وهناك ابوالقاسم خلف بن عباس الزهراوي الذي ترجم كتاب « التصريف » الى اللاتينية وطبع عشرات الطبعات ، وهو أول كتاب تفرد فيه الجراحة علما مستقلا قائما على معرفة التشريح ، وابو القاسم الزهراوي هو أول من أجرى عملية ازالة حصوة المثانة .

ويطول بنا القول لو حاولنا أن نعدد بعض ما قدم العرب لأوروبا في ميدان العلوم . ويمكن ان نوجز القول بالاستشهاد بما قاله اغريبا فون نتيسهايم : « .. لقد استقبلت كتب ابن سينا والرازي وابن رشد بالثقة نفسها التي استقبلت بها كتب أبوقراط ، وجالينوس ، ونالت حظوة قصوى عند الناس الى درجة انه اذا ما حاول امرؤ ما ممارسة الطب دون الاستناد اليها ، اتهم على أهون سبيل بالعمل على الاضرار بالمصلحة العامة ... » .

الشغف بالكتب

ونتجاوز بعد هذا الفصول الباقية من الكتاب والتي تتحدث عن دور العرب في تكوين الفلسفة الأوروبية ، والموسيقى ، وفن العمارة .. الخ لكثرة ما يمكن أن يدور حولها من نقاش . ولكني أحب أن أبرز مدى اهتمام العرب بالكتب ، ما دام تأثيرهم في الفكر الاوروبي قد جاء عن طريق هذه الكتب .

تحدثت الكتب أن العرب قد شغفوا بالكتب لدرجة كبيرة في الفترة الممتدة من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، فأقام هرون الرشيد دار الحكمة ببغداد ، وهي مكتبة ضخمة. وتذكر الروايات أن دور الكتب العامة ببغداد بلغتأكثر من مائة عام ٨٩١ م . وشادت المدن المكتبات العامة التي يستطيع أى انسان ان يدخل قاعاتها للمطالعة ، ويستعير منها ما يريد . وفي هذه المكتبات كان يدور جدل ونقاش حول ما يهم الرواد من موضوعات . ويكفي للدلالة على العناية الكبرى بالمكتبات أن نذكر أن مكتبة صغيرة كمكتبة النجف كانت تحوي في القرن العاشر الميلادي أربعين الف مجلد .

وكان لكل مسجد مكتبته الخاصة ، ولكل مستشفى قاعة فسيحة صفت على رفوفها الكتب الطبية الحديثة الصدور تباع لتكون مادة لدراسة الطلاب ، ومرجعا للاطباء . وقد جمع ناصر الدين الطوسي لمرصده في مراغة ٤٠٠ الف مخطوطة .

ويروى انه لما شفي سلطان بخارى ، محمد

المنصور ، من مرضه العضال على يد ابن سينا ، وهو لم يزل فتى فى الثامنة عشرة ، كافاه السلطان بان سمح له أن يختار من مكتبة قصره ما يحتاج اليه من كتب لدراسته ، وكانت المكتبة تشغل جزءا كبيرا من القصر . ويقول ابن سينا : «وهناك رأيت كتبا لم يسمع أغلب الناس حتى بأسمائها».

وحوت مكتبة الخليفة العـزيز بالقاهـرة ٦٠٠ر١٫٠٠٠ مجلد ، وبنى ابنه من بعده حين اعتلى العرش مكتبة ضخمة فيها ثماني عشرة قاعة للمطالعة الى جوار المكتبة القديمة .

وترك الوزير المهلبى عند وفاته عام ٩٦٣ م ١١٧ر٠٠٠ مجلد ، وجمع الصاحب بن عبـاد فى مكتبته ٢٠٦ر٠٠٠ كتاب .

ونحن نعترف بان هذه الارقام مبالغ فيهـا ، ولكن هذه المبالغة نفسها تدل على مدى تفاخرهم بما يجمع الواحد منهم من كتب .

وهذا الشغف باقتناء الكتب فتح باب الرزق امام الخطاطين والنساخ ، حتى أصبح منهم فنانون مهرة . وانتشر منتجو الورق بطواحينهم فى سمرقند وبغداد ودمشق وطرابلس وفلسطين والأندلس ، وكثر مجلدو الكتب بالأغلفة الرائعة ، وعرف قوم باسم الدلالين ، كانت مهمتهم بيع النادر من الكتب وشراءها ، وكانوا يرحلون فى سـبيل ذلك من بلد الى بلد .

هذا طرف من الماضى يؤكد أن الحضارة الانسانية بناء واحد تضيف اليه كل امة بدورها جديدا تبدعه ، فحضارتنا الحاضرة هى نتاج كل الجهد الانسانى منذ أن وجد الانسان حتى اليـوم . واذا كان كبلنج شاعر الانجليز قد قال : «الشرق شرق والغرب غرب ولن يجتمعا» فان جيته صاحب « الديوان الشرقى الغربى » قد قال قبله قولا اقرب الى الواقع . قال جيته : « من يعرف نفسه ويعرف الآخرين ، لا بد له من أن يعترف ان الشرق والغرب لا ينفصلان » . ■■

محمود السمره



موسوعة العلوم

تأليف : جماعة من العلماء باشراف ليمان برايسن
ترجمة جماعة من الاساتذة ــ دار الفكر ببيروت بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ببغداد

● اشترك فى هذه الموسوعة العلمية عدد من العلماء كتبوا فى مواضيع هامة نذكر منها عقل الانسان وجسمه ، والعلم والطب والانسان ، والعلاقة بين الجسم والعقل ، وعلم الشخصية ، وعلم الالكترونكس وغزو الفضاء ، والحقيقة فان هذه الموسوعة على جانب كبير جدا من الاهمية لأى مكتبة عربية .

المقاصد من نوازع العرب وسجاياهم

تأليف السيدة هداية سلطان السالم : الكويت

● يقع هذا الكتاب فى ٣٦٤ صفحة ، وهو الجزء الاول من بحث تحليلي يتناول الكلام عن العرب من لدن نشأتهم ، وفى عصورهم المختلفة الى العصر الحاضر ، لا من الناحية التاريخية فحسب ، بل ومن النواحي العلمية والادبية والاجتماعية والدينية والاقتصادية ، اعتمدت فى ما ضمنته اياه على ٦٦ مرجعا ، ومن هنا يتضح الجهد الذى بذل فيه ، خاصة وانه تطرق الى بعض المسائل الشائكة ، كنشأة الانسان ، وهل كان آدم حقا أول البشر ، أم كان قبله « أوادم » آخرون ، كما يروون عن سيدنا علي انه قال « قبل آدمكم سبعون ألف آدم » ؟

وقد طبع هذا الكتاب بمطابع حكومة الكويت .

الاسكندر المقدوني

تأليف : هارولد لامب ـ ترجمة الدكتور عبدالجبار المطلبي ومحمد ناصر الصائغ ـ المكتبة الاهلية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ببغداد ـ الثمن ٦٠٠ فلس عراقي

● روى الكثيرون أساطير عن الاسكندر المقدوني، وهذا الكتاب يختلف عما سبق وروى عنه اذ انه يروى قصة استيلاء هذا البطل على الشرق ، بأسلوب قصصي جذاب يعتمد على الحقائق والبحث العلمي الرصين .

نسيج الخيال

تأليف : جوزيف وودكراتش ترجمة الدكتور مصطفى عبد العزيز ـ دار القلم بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٢٨ قرشا

● يسبح هذا الكتاب في عوالم الاحياء من ذوات الخلية الواحدة الى مردة الثدييات وكيف تعيش وتتناسل وكيف تظهر بعض الحيوانات من الشعور بالفرح وبالحزن وبعاطفة الامومة ما يكاد يقرب شعور الانسان بكل ذلك ، وذلك بأسلوب شيق جميل .

نـداء الغـاب

تأليف : جاك لندن ترجمة عبد الله صديق الملاح شركة الاوقات للنشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ببغداد الثمن ٣٠٠ فلس عراقي

● هذه قصة من اطرف ما كتب من قصص عن وفاء الكلب وذكائه ـ قصة كلب سرق من صاحبه واخذ الى المناطق القطبية حيث يعيش الاسكيمو فقاسى من شظف العيش ما انهك قواه الى ان قيض له من ينقذه .

المسئولية الطبية في قانون العقوبات

تأليف : الدكتور محمد فائق الجوهري ـ دار الجوهري للطبع بالقاهرة ـ الثمن ٢٠٠ قرش

● هذا الكتاب تقدم به مؤلفه لنيل شهادة الدكتوراه في القانون وهو بحث قيم لا غنى للمهتمين بشئون الطب عنه كما يستفيد منه القارىء العادي .

تمثال المحارب

تأليف : جون م. شيلر ترجمة أحمد عبد الحميد ـ مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٣٣ قرشا

● يدور هذا الكتاب حول اكتشاف عالمين من علماء الآثار المصرية القديمة تمثالا غريبا لمحارب مصنوع من خشب الجميز في مقبرة الملك خوفو ومن خلال هذه الحادثة يستعرض المؤلف مظاهر الحياة المصرية القديمة .

تاريخ الحلة

تأليف : الشيخ يوسف كركوش الحلي المكتبة الحيدرية في النجف الاشرف

● يعتبر هذا الكتاب سفرا هاما في تاريخ الحلة والنهضة الادبية فيها والعادات والتقاليد .

خواطـر

بقلم : صاحب خليل ابراهيم ـ مطبعة الآداب ـ النجف الاشرف

● يوضح مؤلف هذا الكتاب نظرته الخاصة الى المجتمع ويحاول معالجة بعض مشاكل هذا المجتمع بنظريات خاصة .

قصائد سايات نوفا

● مجموعة من قصائد الشاعر الارمني سايات نوفا

زهـرة الادب

تأليف : حمد بن ابراهيم الحقيل ـ مطبعة المدني بالقاهرة

● هذا الكتاب يعد مرجعا في معرفة انساب واخبار العرب وامجادهم ، وفيه صفحات مما انطوى عليه تاريخ العرب والبطولات فيه .

من الشاطىء

تقديم الدكتور محمد ثابت الفندي ـ الوكالة العربية للنشر بالقاهرة

● هذه مجموعة قصص قصيرة شيقة تدور حوادثها على الشاطىء . ■■

طرائف عربية

الغيبة والنميمة

● مر ببرقة بن مصقلة رجل زاهد غليظ الرقبة فقال :

– هذا رجل زاهد والعلامات فيه بخلاف ذلك .

فقال له الرجل : كلمه بذلك اصلحك الله لئلا تكون غيبة !

فقال : كلمه انت حتى تكون نميمة .

من أقوال العرب المأثورة

* استكثروا من الحمد فان الذم قلّ من ينجو منه .
* انما تطلب الدنيا لتملك ، فاذا ملكت فلتوهب .
* من اقعدته نكاية الايام ، اقامته اغاثة الكرام ، ومن البسه الليل ثوب ظلمائه ، نزعه النهار عنه بضيائه .

النهوض باكرا

● راى رجل ابنه يتاخر كثيرا فى النهوض من النوم ، فجاء اليه ذات صباح وقال له : يا بني ان رجلا خرج من بيته باكرا فوجد كيسا مملوءا بالدراهم !

فاجاب الولد : يجب ان يكون الذى ضيع الكيس خرج باكرا قبله !

أمثلة من حكمة العرب

● قال اعرابي لأبى جعفر محمد بن على بن الحسين (رض) هل رايت الله حين عبدته ؟ فقال : لم اكن لاعبد من لم اره . قال : فكيف رايته ؟ قال : لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ، ورائه القلوب بحقائق الايمان ، لا يدرك بالحواس ، ولا يشبه بالناس ، معروف بالآيات ، منعوت بالعلامات ، لا يجور فى القضيات ، ذلك الله الذى لا اله الا هو .

وقال الطائي :

ليس الغبي بسيد فى قومه
لكنّ سيد قومه المتغابي

الجمع بين

● لما توفي معاوية رحمة الله واستخلف يزيد ابنه ، اجتمع الناس على بابه ، ولم يقدروا على الجمع بين تهنئة وتعزية ، حتى أتى عبد الله بن همام السلولى فدخل عليه فقال : يا امير المؤمنين ، آجرك الله على الرزية ، وبارك لك فى العطية ، واعانك على الرعية ، فلقد

حكمـة

● الغضب قد يشحذ الموهبة أو يساعد على ايقاظ القريحة ، الا أنه كفيل بالابقاء على الفقـر والفاقة .

الحسود لا يسود

● حكى ان رجلا من العرب دخـل على المعتصم فقربه وادناه ، وجعلـه نديمه وصار يدخل على حريمه من غيراستئذان . وكـان للمعتصم وزير حاسد ، فغار من البدوى وحـده وقال فى نفسه ان لم احتل على هذا البدوى حتى اقتله فسـوف افقد مركزى . فصار يتلطف بالبدوى حتى اتى به الى منزله فطبخ له طعاما واكثر فيه مـن الثوم فلما اكل البدوى منه ، قال له : احذر ان تقترب من امير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته . ثم ذهب الوزير الى امير المؤمنين فخلا به ، وقال : يا امير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس ان امـير المؤمنين ابخر وهلكتُ من رائحة فمه . فلما دخل البدوى على امير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم ، فلما رآه امير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال : ان الذى قاله الوزير عن هذا البدوى صحيح، فكتب امير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه : اذا وصل اليك كتابى هذا ، فاضرب رقبـة حامله ، ثم دعا بالبدوى ودفع اليـه الكتاب ، وقـال له امض به الى فلان وائتنى بالجواب . فامتثل البدوى ما رسم به امير المؤمنين ، واخذ الكتـاب وخرج به من عنده . وبينما هو الباب اذ لقيه الوزير ، فقال اين تريد ؟ قال اتوجه بكتاب امير المؤمنين الى عامله فـلان . فقال الوزير فى نفسه : ان هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جـزيل . فقال له : يا بدوى ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سـفرك ويعطيك الفى دينار ؟! فقال انت الكبير وأنت الحاكم ومهما رايته من الراى افعل . قال أعطنى الكتاب . فدفعه اليـه ، فأعطاه الوزير الفى دينار، وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده ، فلما قرا العامل الكتاب امر بضرب رقبة الوزير .

جهد ضائع

● دخل لصوص بيت احد الظرفاء يطلبون شيئا يسرقونه ، فقال لهم :

ـ ان الذى تطلبونه منا فى الليل ، قد طلبناه فى النهار فما وجدناه .

التهنئة والتعزية

رزئت عظيما ، وأُعطيت جسيما، فاشكرْ الله على ما اُعطيت ، واصبر له على ما رزئت ، فقـد فقـدت خليفة اللـه ، ومُنحت خلافة الله ، ففارقت جليلا ووُهبت جزيلا ، اذ قضى معاوية نحبه ، فغفر الله ذنبه ، ووليت الرياسـة ، فاعطيت السياسة ، فأوردك الله موارد السرور ، ووفقك لصالح الأمور .

من القصص الروسي الحديث

الرسائل الزرقاء

قصة قصيرة بقلم : الكاتب الروسي بوريس ليفين

■ عزيزتي سونيتشكا :

ترددت طويلا قبل ان اكتب اليك هذه الكلمات .. ولكن ، ما حيلتى اذا كانت السبيل الوحيد للتعبير عن شعورى عندما افكر فيك .

اني موجود ، منذ اسبوع ، فى وسط المصانع وبالقرب منك لأني على بعد عشرة كيلو مترات من موسكو . والمعامل تشع بالانوار وتنبض بالحياة ليل نهار ، غير ان حياتي موحشة ، ونفسي منعزلة لا سيما وان اكثر زملائي المهندسين يقطنون فى المدينة . استيقظ باكرا جدا ، واعود من عملي فى ساعة متأخرة ، وهكذا لا يتبقى من يومي سوى بضع ساعات اقضيها بالقراءة وشرب الشاى والخلود اليك ، الى ذكراك والى صورتك . فهل تذكرين صورة الفتاة اليافعة فى زيها الجامعي ، وقد اسدلت ضفيرة شعرها الجميل على منكبيها ؟ .. لقد منحني اخوك تلك الصورة فى احد الايام عوضا عن كتاب اخذه مني . فلازمتني صورتك هذه فى كل ايامي الماضية ، وما زالت موجودة فى درج خزانتي ، وانا احس بالحرارة تدب فى نفسي لرؤية وجهك المرح الفض كلما فتحت الدرج لآخذ منه علبة تبغ . ايكون ذلك لاني لم انقطع عن محبتك يا سونيا ؟ واما زوجتي .. فانها تعلم الآن اني لن اعود اليها مطلقا بعد ان مات ولدنا فى الربيع الماضي اذ لم يبق ما يربطنا بعده .

لعل من اسباب ترددى فى مراسلتك هذه المرة انك لم تجيبي على رسالة سابقة بعثت بها اليك من الجبهة . اني دائم التفكير فيك ، وكثيرا ما تزوريني فى احلامي .. وسوف اكون سعيدا جدا اذا ما ارسلت لي كلمة الى العنوان المرفق .

المخلص لك

بوريا جورين

هذه هي الرسالة التى تلقتها يوما زوجة ديمترى بافلوفيتش ، فقالت لزوجها وهي تقدمها له :

ـ اود ان تطلع على هذه الرسالة لعل ما ورد فيها ينبهك ، وينهاك عن الاساءة الي ، وعن تشبيهي بالعجائز ...

وبعد ان قرأ ديمترى الرسالة بهدوء قال :

ـ هل انت عازمة على اجابته ؟

ـ كلا ! فانا اكره الكتابة ، كما اني قليلة المعرفة به . وسوف لا اهتم بامره مطلقا لا سيما وان قصته معي قديمة جدا !

ـ ومن يكون هذا الرجل ؟

ـ انه زميل اخي فى الدراسة . كان مجنونا بحبي ، وقد دفعه هذا الحب يوما الى تجرع عشرة اقداح من الماء فى عشرة دقائق ..

ـ وكيف كان ذلك ؟

ـ لقد جاء ذات مساء لزيارة اخي ففتحت له الباب واخبرته انه غائب . فطلب قدح ماء وشربه، ثم طلب قدحا ثانيا فاحضرته له ، فثالثا فرابعا الخ ... يا للجنون !! واعلمني اخي فيما بعد انه فعل ذلك لتطول مدة وقوفه امام الباب حتى يتمكن من التمتع بمشاهدتي ومحادثتي . كنت لا استلطفه لانه كان بشعا ، غليظ الشفاه ، وكان وجهه يحمر لانفه الاسباب . وكان اخوتي يمازحونني ويدعونني مدام جورين .. ولا اخفي عنك ان المعجبين بي يومئذ كانوا كثيرين جدا ....

ـ ولكن ، ماذا ستكلفك مراسلته يا سونيتشكا ؟

انه يبدو حزينا ويائسا بعد وفاة ابنه ، وانا متأكد من ان كلمة منك سوف ترفع من نفسيته ، فتعالي نحرر له جوابا سوية ..

ـ يا للسخرية ! اني لا ادرى ماذا ينبغي ان اقول له . لا ! لا ! لا ارغب في مراسلته ، ويمكنك ان تكتب اليه انت اذا كنت ترثى لحاله !

وفي اليوم التالي اعاد ديمترى قراءة الرسالة التي بقيت على مكتبه ، فازدادت شفقته على المهندس الدميم ، ذى الوجه الملوث بالدخان والأيدي المدهونة بالمازوت ... ثم فكر في سونيا ، تلك الفتاة الجامعية ذات الضفيرة والعيون الزرقاء التى فقدت اليوم مع الاسف الشديد شعرها الجميل ، وابتسامتها العذبة واضحت تزن اكثر من مائة كيلو جرام ... ودارت في مخيلته افكار وافكار ... منها ان هذا العاشق المسكين يجهل ان فتاة امسه النضرة ، اضحت اليوم امراة مترهلة تطلي وجهها بالمساحيق ، ومنها انه من المستحسن ان يعرف ما صارت اليه سونيا لعله يرتاح من نار الحب ويستعيد توازنه .. ثم عاودته فكرة طريفة وهي ان يكتب الى هذا المهندس رسالة رقيقة باسم زوجته لعله يستمد منها قوى جديدة لمتابعة العمل والاقبال على الحياة ، لانه وجد انه يستحق مثل هذا السرور ... بدت له الفكرة مسلية للغاية ، فكتب الرسالة الآتية :

عزيزى بوريا :

امل الا تعتب على لتاخرى في اجابتك . انقضت أعوام عديدة على آخر مرة رأيتك فيها ، وقد تغيرت كثيرا خلال هذه المدة ، ولكن ... هل يا ترى كان هذا التغير فى صالحي ؟ اظن انه كذلك . كنت فتاة غريرة فارغة ، وأما اليوم فقد نضجت وعلمتني الحياة أمورا هامة . لست راضية عن حاضرى لاني لا اعمل شيئا يذكر ، وانت سعيد يا بوريا لانك بناء ، تحب مهنتك ، وتقوم بعمل نافع ، وهذا لعمرى اجمل ما في الحياة ! لست اليوم سوى امراة حاذقة في شؤون المنزل وهذا ما يثيرني حقا . انى اقرأ كثيرا ، ولكن المطالعة وحدها لاتكفى ، ولا تشكل فعلا نافعا (وهنا قال الزوج لنفسه : يا لهذا الكذب ! انها لا تحب القراءة ، ولم أتمكن حتى هذا اليوم من حثها على مطالعة الصحف اليومية ..) .

وأما زوجي ديمترى فانه يتغيب عن الدار كثيرا بسبب مشاغله . انه يحبني ، ولكن حبه لا يكفيني لان الحب في يومنا هذا لم يعد منحصرا في تقديم واجبات المرأة المادية ، وتوفير لوازمها ، أليس هذا صحيحا ؟؟ أرى أني بالغت في مصارحتك ، ولكن عذرى انه لا يوجد من يفهمني أكثر منك . فاكتب الى بسرعة لاني سوف اسر بقراءتك ، والرد عليك ، واحك لى عن عملك وحياتك . المخلصة لك

سونيا

وبعد أربعة أيام تلقى ديمترى غلافا أزرق كان يتضمن رسالة جديدة من جودين يقول فيها :

سونيا ، عزيزتي الصغيرة :

تلقيت رسالتك صباح اليوم حينما كنت في المصنع ، ولا أدرى كيف يمكنني التعبير عن فرحي الكبير ! لقد أصبح العمل عيدا مبهجا ، اؤكد لك أنى قفزت من شدة السرور ، ولم أتمكن من تناول طعام الافطار لان كل حادث هام يصد شهيتي للطعام .

لقد أسفت لما ذكرته لى عن الفراغ الذى يسيطر على حياتك ، واستغرب كيف أن زوجك لا يساعدك على تحسين أسلوب هذه الحياة . اني على يقين بانك لم تخلقى لتكوني ربة منزل فحسب، واذكر انك كنت ترغبين في دخول المعهد الموسيقي لاتقان فن الغناء لان صوتك كان جميلا جدا .. فلماذا لا تنتسبين الى هذا المعهد في موسكو ؟ وهل هجرت الغناء ؟ أرجو أن تخبريني عن هذا كله ، ورجائي اليك ألا تفقدى الأمل في شيء . اقبل يديك يا سونيا والى اللقاء .

بوريا جودين

وهنا قال الزوج لنفسه وكأنه يخاطب عاشق زوجته : (سوف تتلقى الرسالة الثانية بكل تأكيد على الرغم من انك تنتقد معاملتي لزوجتي ..) ولكن ديمترى وجد قلمه عاجزا عن تحرير رسالة غرامية ، فلجأ الى رسائل زوجته القديمة له لكى ينقل منها بعض العبارات ، فقرأ في احداها : (كم اود رؤيتك ! الا تتمكن من الحضور ؟ اقبلك يا صغيرى !) غير انه وجد أن مثل هذه اللهجة قد تضر بالموقف ، وأن مجيء العاشق الى موسكو سوف يخلق أزمة هو في غنى عنها .. فاعاد الرسائل الى موضعها وقال : سادعه ينتظر بضعة أيام لان الصبر يفيد العاشقين ...

غير ان بوريا رجل لا يحتمل وطأة الانتظار الطويل ، فقد ارسل خطابا مضطربا يتساءل فيه عن صمت حبيبته ويقول انه اصبح قلقا وعاجزا

عن العمل ، وانه يدخن كثيرا وبدون وعى ، كل ذلك بسبب تأخر ردها . ثم يقول فى آخر رسالته: (كثيرا ما اخاطبك فى ساعات الليل الاخيرة فتجيبيننى ، وادعوك لمغادرة زوجك الذى لا يهتم الا بمشاغله ، واللجوء الىّ انا الذى احبك اكثر من اى انسان على وجه الارض . ان زوجك لا يشعر بوجودك بينما انا احن الى قربك وسماع صوتك فى كل لحظة . ولكنك بعيدة .. ومع ذلك يبدو لى انى اسمع وقع اقدامك فى غرفتى .. النوم قد استعصى علىّ .. آه ! لكم أود رؤيتك!)

وما ان فرغ ديمترى من قراءة الرسالة حتى شعر بخطورة مغامرته ، فتملكه قلق شديد وبدت له مخاطر تسليته الغريبة . لذا قرر ان يصارح بوريا بما حدث فكتب له يقول :

عزيزى بوريا :

عندما تلقت زوجتى سونيا رسالتك الأولى اطلعتنى عليها فقرأتها واقترحت عليها أن تجيبك، غير انها رفضت رفضا قاطعا وقالت ان كل ما ورد فى رسالتك لا يهمها مطلقا . فخطر لى حينئذ ان أرد عليك باسمها ففعلت . قد تكون محاولتى هذه خالية من الرقة ، وبعيدة عن المألوف،ومخالفة للاصول المتبعة بين الناس ، ولكن المراسلة قد بدات بيننا ، واصبحت تجاه الأمر الواقع ...

والآن سأحدثك عن بيت القصيد ، أعنى زوجتى سونيا . نحن متزوجان منذ تسع سنين ، وهذا وقت كاف فى ظنى لكى يختبر كل من الزوجين الآخر . حاولت فى بادىء الأمر أن أوقظ فيها الرغبة فى تنمية ثقافتها ولكنى فشلت .. وهى غير مستاءة من حياتها الخاملة على كل حال . ثم اخذت تظهر عليها علائم السمن ، وباشرت صباغة شعرها . وها انا ارسل لك صورة حديثة لها حتى تشاهد بنفسك اخاديد وجهها ،والترهل الذى اضاف الى ذقنها ذقنا ثانية ، لعلك تطرد من مخيلتك صورة الشابة المرحة النضرة التى تحفظها لها . وأحب أن تعلم ايضا أن ازعج شىء فيها رداءة فى الطبع وتقتير مر يزدادان يوما بعد يوم .. هذا ما وصلنا اليه يا رفيقى جورين . كنت أتألم كلما فضضت رسالة من رسائلك الموجهة اليها لانها ليست أهلا لما ورد فيها . انى اخاطبك بكل اخلاص ، وارجو ألا تشك فيما ذكرته لك ، وان تنظر الى الامر الذى حدث من ناحيته الهزلية، والا تعود الى التفكير به البتة . كما انى أرجو الا تفقد نشاطك وهمتك ، وان تنتج فى عملك مثلما كنت تفعل من قبل .

ديمترى بافلوفيتش

وفى الشهر التالى سافر ديمترى بمهمة رسمية وعاد صبيحة يوم كانت تتساقط فيه الثلوج بطيئة، فاستاجر عربةمن المحطة للوصول الى داره بسرعة، حيث سيجد حماما ساخنا ، وثيابا نظيفة ،وطعاما شهيا ، وسونيا ..

وفيما كان يجتاز الشوارع شعر بشوق الى زوجته ، وبوخز الضمير عندما تذكر ما كتبه عنها الى بوريا . وقال لنفسه : (انها طيبة جدا فى قرارة نفسها ، كما انى تعودت على الحياة معها . لقد اخطأت وبالغت فى ذمها ، وكانت لهجتى قاسية جدا ، فان لكل انسان حسناته ومساوئه .. وانا اعترف بأن مساوئى كثيرة ايضا ...) . ثم ندم لانه لا يحمل لها هدية ، فقرر أن يعطيها مبلغا من المال تبتاع فيه ما يحلو لها .

وما ان توقفت العربة أمام الدار حتى صعد ديمترى درجات السلم ثلاثا ثلاثا ، ثم فتح الباب ونادى بصوت جذلان :

سونيتشكا ! سونيتشكا !

فلم يجبه أحد .. فكرر النداء ولكن الصمت ظل مهيمنا على جو الدار . عندئذ دخل غرفة المكتب حيث وجد رسالة زرقاء ، فعرف خط زوجته التى تركت له العبارات التالية :

ديمترى بافلوفيتش :

لقد ذهبت مع بوريا جورين وسوف اسعد معه بدون شك لانه يحبنى اكثر مما احببتنى . لقد اتى فجأة واطلعنى على رسائلك . لست ناقمة عليك ، غير انى بكيت بكاء مرا ساعة قرأتها . وأما الآن ، فقد انتهى كل شىء وانى لأشعر بتمام الارتياح . اعلم انه لا يوجد ما يعيد الشباب الى المرأة سوى الحب ، وقد كنت على صواب عندما قلت فى احدى رسائلك الآثمة بأن الحب ليس منحصرا فى تقديم واجبات المرأة العادية فحسب ، وهذا صحيح وصحيح جدا .

لقد التحق بوريا بمصانع جديدة ، وانا سعيدة فى العيش الى جانبه . أكرر قولى انى لست حاقدة عليك .. ولكن ، لماذا بالغت فى ذمى الى هذا الحد ؟ انك تعلم جيدا انى لا أزن مائة كيلوجرام .. وان الاخاديد لم تغز وجهى بعد كما ذكرت ، فليسامحك الله واليك تحياتى . ■■

تعريب : سلمى الحفار الكزبري

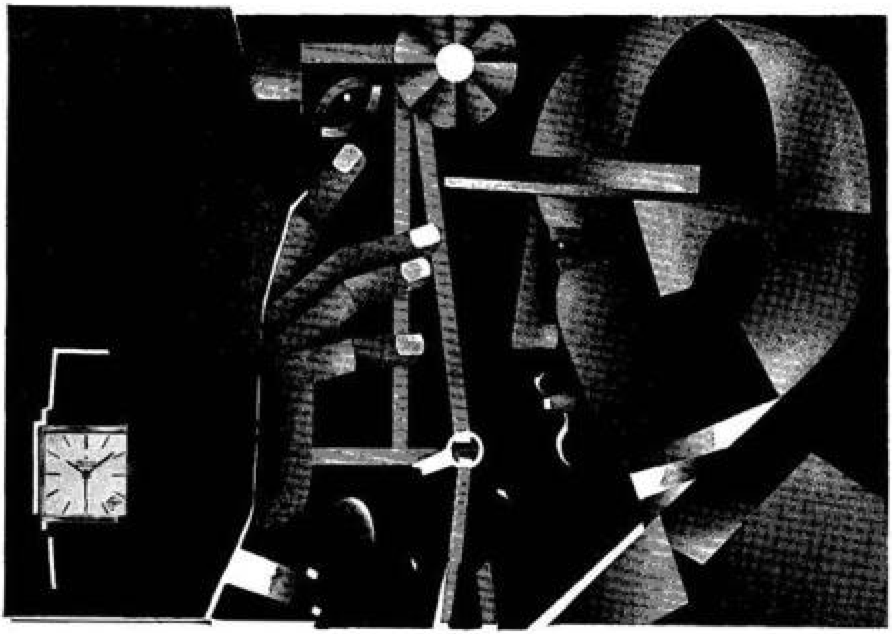
AN ABSOLUTE RECORD IN PRECISION

Zenith is the Wrist Watch Which has the absolute record for precision at Neuchatel Observatory.

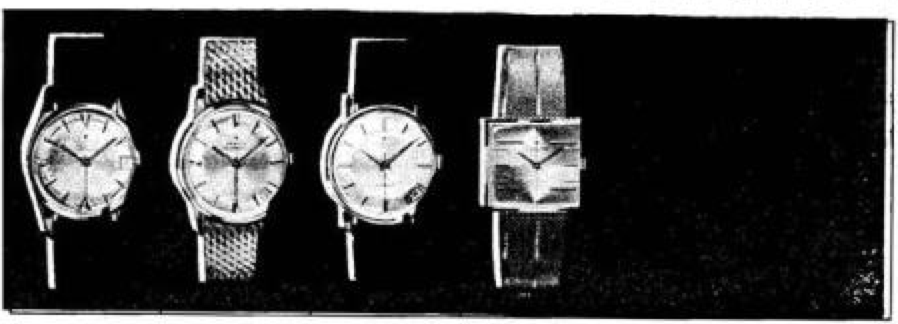
The results of the annual contest for chrono-meters held at the Neuchatel Observatory have reaffirmed the very high quality of the whole Zenith production.

It was only Zenith which, participating in three categories of the contest, has come out with three victories.

These victories have been a source of pride not only for those who produced the watch but also for the many happy millions possessing the Zenith Watches. Zenith dealers all over the world share in the rejoicing.



Of Various Values ZENITH



(بقية المنشور على صفحة ٧)

الحسناء الغالية !

● رأيتها متأبطة ذراع رجل بسيط ، جذابة جميلة ، رائعة فاتنة ، طلبتها منه فما تردد ، وبغير اعتراض منها رافقتني الى مخدعي ، فاستلقيت على سريري واستلقت معي دون تذمر.

تفرست في وجهها المشرق الزاهي ، ما أبهاه ! ما أجمله ! ما أروعه ! أخذت أقلبها بين يدي فتقلبت ، كاشفتها بحبي لها فلم تجب ، عانقتها فلم تعترض . ظللت اناجيها وهي صامتة وانا أتطلع الى روعتها بشوق ولهفة ، وفي كل مرة اكتشف فيها حسنا جديدا ، الى ان اطلعتني اخيرا على ما في قلبها . يا الهي ما امتعها وما اروعها ! انها خزينة من ادب وعلم وثقافة واجتماع ، تتحدث في كل موضوع .. انها انسيكلوبيديا مصغرة !

وظللت استمع الى صمتها ، فاذا المعرفة تتفجر من ثناياها . وبقيت أغالب النعاس الذى ملكني حتى نمت وتركتها بجانبي وحين أطلت خيوط الفجر ، تَمَلْمَلْتُ في سريرى ومددت يدى اليها فلم أجدها بجانبي . وبحثت عنها في كل مكان ، فلم اعثر عليها ، وحين تطلعت الى سرير اخي الذى يشاركني غرفتي رأيته يعانقها ، بالرغم من كونه غارقا في سبات عميق ! تناولتها برفق كي لا ازعجه ، وبحركة منه بديهية ضغط على يدى وفتح عينيه ، فلما رآني ابتسم ، فابتسمت .. أما هي فظلت حيرى بيني وبينه لا تؤيد ولا تعارض، وبعد لأى عادت الي لتتم حديثها معي الذى انقطع بعيد منتصف الليل .

انها حبيبة غالية .. أرجو أن لا تسيئوا الظن بي أو بها .. انها مجلة « العربي »

عمان — نجيب سعد

(البقية على صفحة ١٥٢)

قصيدة لم تنشر !

● أنا فتاة من بلد النخيل ، من بغداد جارة دجلة ، جارة العمر الوفية الساحرة . انظم الشعر . فكرت ان ارسل لكم قصيدة اسمها (ياخالقي) لنشرها فى مجلتكم ولم تنشر لحد الآن ، مع انها قصيدة جميلة جدا ، لان نبضات قلبي هي التي نظمتها وملأت حروفها بالدفء والحياة .. كان انتظارى لها طويلا ولم تنشروها .. اما الآن فانا اكتب لكم هذه السطور واضحك كثيرا ، لانني كنت دائما عدوة الانتظار ! وبعد هذا الانتظار ارجوكم رجاء حارا ان تردوها اليّ ، وان تتقبلوا مني هذه الابيات التى نظمتها لهذا الغرض ولا تتركوني انتظر اكثر :

يامن اليك تحيتي
رَجْع اليّ قصيدتي
الوقت طال ولستُ نا
شرَها ، أبدُ تلك التي
ناديت فيها خالقي
وكتبتها من مهجتي
وندمت اذ ارسلتها
في النشر زالت رغبتي
يا ناسُ ردوها الـ
يّ بحق رب الكعبة
لا لست اعتب لا الو
م ولا اقدم شكوتي
اني اطالب ان تردو
ها اليّ قصيدتي
وتحيتي دوما الى الـ
عربيّ خير مجلة
اصحابها دمتم لنا
دمتم لنا يا اخوتي

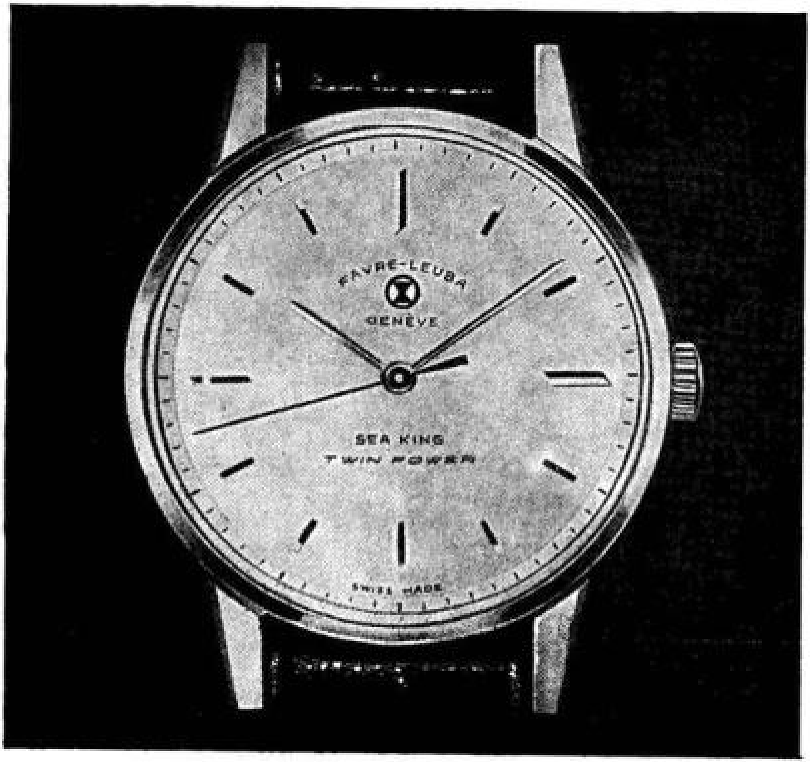
وختاما تحياتي اكررها الى « العربي » والى العاملين فيها .

صائبة انور ـ بغداد ـ كرخ

« العربي » : قصيدتك وان كانت تبشر بخير كثير ، الا انها لم تبلغ من النضج ما ننشده وسنعمل على ردها اليك .






FAVRE-LEUBA
GENÈVE
SEA KING
TWIN POWER
SWISS MADE

اضحك .. تضحك الدنيا معك
ابك تبك وحدك ..



أي الثلاثة أقرب الى الانحراف !

● عرضت أم ابنتها البالغة من العمر ست سنوات على طبيب نفساني ، فبادر الطبيب الى طرح أسئلته على الفتاة .

قال : هل أنت بنت ام ولد ؟ فكرى في الأمر يا صغيرتي ثم اجيبي على السؤال . .

وجاء رد الفتاة سريعا : « انا ولد . . . !

الطبيب : « حسنا . وماذا تنوين ان تكوني حينما تكبرين ؟

الفتاة : « اريد أن اكون ابي !

وهنا تدخلت الأم وخاطبت ابنتها قائلة : « ما هذه السخافات يا عزيزتي ؟

وكان جواب الفتاة : « الا ترين أن الاسئلة السخيفة تدعو الى اجوبة سخيفة !

الطبع غلب التطبع

● عثر اثنان من رعاة البقر في تكساس على بقعة نائية بدت غنية بالذهب . وبدلا من أن يرقصا فرحا ، لهذا الاكتشاف الكفيل بجعلهما من اصحاب الملايين بين عشية وضحاها ، قال احدهما للاخر : « اذكر هذا الموقع جيدا فقد تهبط اسعار البقر في وقت ما »



فتش عن المرأة

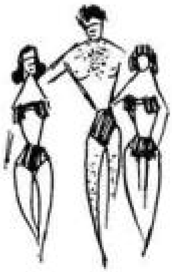
● **قال القاضي للص الذى كان واقفا في القفص :** « لقد اعترفت بالسرقة وقضي الأمر . غير أن وكيل النيابة يتهمك باقتحام مخزن الملابس مرتين ، مع ان الثابت هو انك لم تسرق الا مرة واحدة . فكيف يكون ذلك ؟

وكان رد اللص : « اقتحمت المخزن وسرقت الثياب في المرة الأولى ، الا ان زوجتي حملتني على اقتحامه ثانية لأن ما سرقته في المرة الأولى لم يعجبها ، وكان لا بد من استبداله بما يرضيها !

قدوة حسنة

● نهض احدهم ليخطب في حفل بعد تناول طعام الغداء . وكان خفيف الظل مدركا للملل الذي تحدثه الخطابة في المستمعين اذا امتلأت بطونهم ، وبدأ النعاس يغالب عيونهم . قال :

« مهمتى الآن هي أن اتحدث اليكم . اما مهمتكم فهى الاستماع اليّ . وما عليكم الا ان ترفعوا أيديكم اذا ما تسنى لكم انجاز مهمتكم هذه ، قبل انجازى لمهمتى تلك ! »



مباراة فى ((الفشر)) !

● التقى صحفي بصديقه المحامي فى احدى سهرات السمر الاسبوعية التى الفا التردد اليها بين حين وآخر بقصد التسلية والترويح عن النفس . ولم تكد تمضى دقائق على مباشرتهما الحديث عن الطقس والناس حتى انطلق الصحفي يروى لصديقه حلما ادعى انه حلمه فى الليلة السابقة . قال : « لقد حلمت انني كنت على ساحل الريفييرا ، اسبح وامرح واقيم فى افخم الفنادق مجانا وبلا مقابل!يا له من حلم تتضاءل دونه سائر الاحلام!

فأجابه المحامي : « خلّ عنك ياصاحبي ! فقد حلمت انا فى الليلة الماضية بالذات انني كنت فى هوليود ، والممثلة الساحرة آفا جاردنر على يميني ، وزميلتها الايطالية ، لولوبرجيدا على شمالي .. »

وهنا قطع الصحفي عليه حبل الكلام،معاتبا « يا لك من صديق ! تصطحب اثنتين وانت واحد ، ولا تدعوني لأملاالفراغ ؟! »

وكان رد المحامي : « هذا صحيح ، ولكنك يا اخي كنت فى الريفييرا على ما اظن ... ! »
